حرف الحـــاء

الحاء

ح :

في مصطلح علوم الحديث :

ح : حاء مفردة مهملة : رمز إلى الانتقال من إسناد إلى إسناد آخر إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر ثم جمعوا بينهما في متن واحد .

وقيل هي حاء من التحويل من إسناد إلى إسناد آخر. وقيل هي من (حائل) لأنها تحول بين إسنادين فلا تكون من الحديث . وقيل هي رمز إلى قولنا (الحديث) لا يلفظ عندها بشيء . والمحدِّثون من أهل المغرب يقولون إذا وصلوا إليها : (الحديث) . واختار النووي أن يقال عند الوصول إليها : (حا) (معجم / ٢٩) .

*** الحاء:**

توصف الحاء في علم الأصوات بأنها صوت احتكاكي . وتتكون الأصوات الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يُحدث الهواء في خروجه احتكاكًا مسموعًا . والنقاط التي يضيق عندها مجرى الهواء كثيرة متعددة ، تخرج منها الأصوات الاحتكاكية الآتية . الفاء والثاء والذال والظاء والسين والزاي والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والهاء .

فأما عن صوت الحاء الذي نحن بصدده فيتم النطق به بأن يضيق المجرى الهائي في الفراغ الحلقي عند النطق بالحاء ، بحيث يُحدث مرور الهواء احتكاكًا ، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به .

فالحاء صوت حلقي احتكاكي مهموس .

فالحاء من الأصوات العربية ذات الصعوبة على غير العرب ، وكثير منهم ينطقونها كما لو كانت خاء أو هاء (علم الأصوات / ١١٨ ، ١٢١) .

قالت المؤلفة : يستغل مؤلفو المسرحيات والمسلسلات هذه الحقيقة الصوتية في رسم شخصية «الخواجة » لإيجاد عنصر الإضحاك الذي يتحقق بسبب اختلاف المعنى بين الكلمة الأصلية والكلمة التي أبدلت فيها الحاء خاء أو هاء ، وقد فصلنا ذلك في مادة «الثنائيات » في م ١١/ ٣٥٩ ــ ٣٦١ فارجع إليها إن شئت . انظر أيضًا بحثًا لنا بعنوان « علم اللغة وفن الإضحاك » في كتابنا « دراسات في علم اللغة » (دار النهضة العربية / ١٣ ـ ٢٨) .

وجاء في اللسان ما يلي :

قال الخليل : الحاء حرف مخرجه من الحلق : ولولا بُحة فيه لأشبه العين ، قال وبعد الحاء الهاء ولم يأتلفا في كلمة واحدة أصلية الحروف . وقبح ذلك على ألسنة العرب لقرب مخرجيهما ، لأن الحاء في الحلق بِلَزْق العين وكذلك الحاء والهاءُ ...

حا : الحاء : حرف هجاءٍ يمدُّ ويقصر، وقال الليثُ : هو مقصور موقوفٌ ، فإذا جعلته اسمًا مددته كقولك هذه حاء مكتوبة ومدتها ياءان . قال : وكل حرف على خلقتها من حروف المعجم فألفها إذا مدت صارت في التصريف ياءين ، قال : والحاء وما أشبهها تُؤنثُ ما لم تُسم حرفًا ، فإذا صغرتها قلت حيية . وإنما يجوز تصغيرها إذا كانت صغيرة في الخط أو خفية وإلاَّ فلا ، وذكر ابن سيده الحاء حرف هجاء في المُعتلِّ وقال : إن ألفها مُنقلبة عن واوٍ ، واستدل على ذلك ويقولون لابن مائة : لا حاء ولا ساء ،

أى لا محسنٌ ولا مُسيءٌ، ويقـال : لا رجل ولا امـرأة، وقال بعضهم : تفسيره أنه لا يستطيع أن يقول حا، وهو زُجر للكبش وهو زجر للغنم أيضًا (اللسان ٩/ ٧٤١).

ويتناول الإمام الصفاقيسى صوت الحاء من حيث نطقه الصحيح فى تلاوة القرآن الكريم، فيقول، مع ملاحظة أن مصنفات التراث تستخدم لفظ « حرف » بدلا من « صوت » :

يخرج الحاء من المخرج الثانى من مخارج الحلق وهو حرف ضعيف لأنه مهموس رخو مستفل منفتح مصمت مرقق ويقع الخطأ فيها للناس من أوجه : منها تفخيمها وأكثر ما يقع ذلك عند حروف الاستعلاء نحو أحطتُ والحطب والحق وحصحص وحصاده وحظًا وحضر، أو الرَّاء نحو حرج وحرمت أو ألف نحو حامٍ وحاقَ وحم والأرحام فيجب التحفظ من ذلك.

ومنها إبدالها عينا إذا جاورت العين لأنهما من مخرج واحد لولا الجهر الذى فى العين لكانت حا ولولا الهمس الذى فى الحاء لكانت عينا ولم تقع المجاورة بين الحاء والعين فى كلمة واحدة فى كلام العرب بل لا تكون إلا فى كلمتين نحو زُحزح عن النار ولا جناح عليكم والمسيحُ عيسى وبعضهم يقرب لفظه بها من الإخفاء أو من الإدغام وكله لا يجوز ولم يرد فى القرآن العظيم فى المتواتر والشاذ بل ولا فى كلام العرب على ما قال سيبويه إدغام حاء فى عين إلا فى حرف واحد وهو زحزح عن النار فيه وجهان صحيحان عن أبى عمرو الإظهار والإدغام فإن سكنت الحاء نحو فاصفح عنهم كان الاهتمام ببيانها أشد لأنها قد تهيأت للإدغام بسكونها إذ من المعلوم أن لا إدغام إلا فى ساكن وإن كان فى الأصل محركا فلا بد من تسكينه عند إرادة الإدغام وإدغام هذا وأمثاله لا يجوز إجماعا.

ومنها تحريكها وإدغام الهاء فيها فى نحو سبِّحه فإن كثيرا من الجهلة والمتساهلين ينطق بها فى مثل هذا حا مشددة مضمومة وهو لا يجوز إجماعا كما ذكره فى النشر وإن وليها مثلها ولم يأت فى القرآن إلا فى موضعين ﴿النكاح حتَّى﴾ فى البقرة [٢٣٥] ﴿لا أبرح حتَّى﴾ فى الكهف [٦٠] تعيَّن البيان عند من لم يدغم والله أعلم (تنبيه الغافلين / ٥٥).

ويقول الإمام الفيروزابادى معددًا مواضع ورود الحاء :

وهى ترد على عشرة أنحاء :

الأول : حرف من حروف التَّهجِّى يذكر ويؤنّث، مخرجه وسط الحلق قرب مخرج العين، ويمدّ ويقصر، والنسبة حائىّ وحاوىّ وحيوىّ وتقول منه : حَيَّيتَ حاء حسنة وحسنًا والجمع أحواء وأحياء وحاءات.

الثانى : فى حساب الجمّل اسم لعدد الثمانية (انظر مادة « أبجد » فى م٢/ ٨٤ـ٨٨).

الثالث : الحاء الكافية التى يكتفى بها عن سائر حروف الكلمة كقول الله تعالى ﴿حمٓ﴾ فقيل : الحاء حكمهُ، وقيل حكمته، وقيل من حُمَّ الأمر أى قُضى ما هو كائن :

الرابع : الحاء المكررة مثل سحَّر وصحَّح.

الخامس : الحاء المدغمة مثل صحّ وألحّ.

السادس : حاء العجز والضرورة، كقول الهنود : الهَمْدُ لله.

قالت المؤلفة : هذا ما سبقت الإشارة إليه من عجز غير العربى عند نطق الحاء لأنها ليست من الأصوات الأساسية فى لغته، فسيتبدلها بهاء أو خاء.

السابع : الحاء الصوت من قبيل الزَّجر، مبنى على الكسر كقولك : حاءِ وعاءِ فى زجر الغنم ودعائه [ودعائها].

الثامن : الحاء الأصلى فى الكلمة نحو حاءُ حمد ومدح ورحم.

التاسع : الحاء المبدلة نحو مَدَح ومدهَ.

العاشر : الحاء اللغوىّ. قال الخليل : الحاء عندهم المرأة البذيئة اللسان السليطة (بصائر ٢/ ٤١٥، ٤١٦).

قالت المؤلفة : وأما من حيث النظام الخطّى للغة

العربيـة فإن الحاء تتميز بـانعدام وجود نقطـة بها ومن ثم فإنهـا تختلف فى الـدلالة الخطيـة عن الجيم التى تتميـز بنقطة فى وسطهـا ، وعن الخاء التى تتميـز بنقطة فـوقها ، وعلى . ذلك فإن النقطة مـن حيث موقعها (أو عـددها) ومن حيث انعدام وجودها وحدة خطية أساسية فى النظام الخطى للغـة العربيـة لأنها تغيـر المعنى وتسمى فى علم اللغة « جرافيم » وقد بسطنـا الكلام فى هذا كله فى بحث لنا بعنوان « علم اللغة والنظـام الخطى » فى كتابنا بعنوان «دراسات فى علم اللغة » / ١٠٧ ـ ١٣٤ .

(علم الأصوات ـ د . كمال محمد بشر / ١١٨ ، ١٢١ ، ولسان العرب لابن منظور ٩/ ٧٤١ ، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبى الحسن على بن محمـد النـورى الصفاقسى / ٥٥ ، وبصـائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابـادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢/ ٤١٥ ، ٤١٦) .

انظر : الجيم .

*** حاء (بئر ـ):**

من آبار المدينة المنورة .

روى البخارى فى الصحيح من حديث أنس بن مالك قـال : كـان أبو طلحـة بن سهل أكثـر الأنصـار مـالاً فى المدينة المنورة من نخل ، وكان أحب أمـواله إليه بئر حاء وكـانت مستقبلـة المسجـد النبـوى وكـان ﷺ يـدخلهـا ويشرب من مـاء فيها طيب قال أنس : فلما نـزلت الآية : ﴿**لن تنـالوا البـر حتى تنفقـوا مما تحبـون**﴾ [آل عمران : ٩٢] .

قال أبو طلحة : لـرسول الله ﷺ « إن أحب أموالى إلى بئـر حاء وإنهـا صدقـة لله أرجو بـرها وذخـرها عنـد الله : فضعها يا رسول الله حيث أراك الله » .

فقال رسول الله : « بخ بخ ذلـك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين » .

فقال أبـو طلحة : « أفعلُ يـا رسول الله » فقسمهـا فى أقـاربـه وبنى عمـه فصـارت لأبـى بن كعب سيـد القـراء ولحسان بن ثابت .

قال ابن النجار : وبئرها اليـوم فى وسط حديقة صغيرة جـدًّا وعندهـا نخلات ... وهى قـريبة من سـور المدينـة وماؤها عذب حلو ، وذرَعتُها فكان طولها أربعة عشر ذراعًا ونصفا ماء والباقى بنيان وعرضها ثلاثة أذرع وشبر .

وقال المطرى : إنها فى شمـال السور وبينهما الطريق وإنها تعرف بالنورية اشتراها بعض نساء النوريين ـ خطباء مكة ـ وأوقفتها على الفقراء والمساكين . وقال المجد : إن أمام البئر من قِبلته مسجد صغير .

البئر اليوم :

يقول الأستاذ على حافظ :

هـذه بئر حـاء بالأمس ، أمـا اليوم فإن البئـر موجـودة بعينها وقـد شاهـدت فيها طلمبـة ماء تضخ المـاء منها ، ولكنها غير عاملة متوقفة .

وهى مستديرة الطى وعليها بنـاء مسقوف يشملها كلها وفى الجهة الشمالية من البناء نافذة ينظر منها للبئر ويتبع البئر أرض الحـديقة التى أشار إليهـا النجار ولكن الأرض كلهـا حكـرت وبنيت مسـاكن وهى وقف آل الكـردى وناظـرها الشيخ إبـراهيم كردى ولا يـوجد الآن بقـربها أى نخل والسور الذى أشار إليه المطـرى لا يوجد له أثر اليوم والمسجد الصغير مـوجود فى جنوب البئر وبـالقرب منها وغيـر معتنى بـه حيث لا يمكن ترك الصـلاة فى مسجـد رسول الله وهو علـى قاب قوسين من البئر وإقـامة الصلاة فى هذا المسجد الصغير الذى لم يثبت أنه مأثور.

الطريق إلى بئر حاء

تبعد البئـر عن جدار المسجـد النبوى الشمـالى نحو (٨٤) مترًا ، وأول زقاق يواجهك وأنت خارج من المسجد النبـوى فى غـرب بنـايـة الأوقاف المـؤجـرة سـابقًـا على الخطـوط السعوديـة وحالاً على وزارة المـواصلات : هـو زقاق بئر حاء وتقع البئر فى الركن الشمالى الغربى للمبانى التى على يسـارك وأنت داخل الزقـاق ويحدها مـن شرق زقاق بئـر حاء ومن غرب مبـانى على زقاق ينفـذ من غرب أوتيل قصر المدينة .

(أخبار مدينة الرسول للإمام الحافظ ابن النجار ـ تحقيق صالح محمد جمال / ٤٠ ، ٤١ ، وفصول من تاريخ المدينة المنورة ـ على حافظ / ١٨٣ ، ١٨٤) .

*** الحاء والعين:**

قال الدميرى : الحاء والعين لا يجتمعان في كلمة واحدة إلا أن يؤلفا من كلمتين مثل حيعل : إذا قال : حى على الصلاة ـ قال عياض وهو باب مسموع لا يقاس عليه ، والمسموع من ذلك سبع كلمات : ذكرنا منها واحدة والست الباقيات هى بسمل : إذا قال باسم الله ، حوقل إذا قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، حمدل إذا قال : الحمد لله ، هيلل : إذا قال : لا إله إلا الله ، سبحل : إذا قال : سبحان الله ، جعفل : إذا قال : جعلت فداك .

(اللؤلؤ المكنون من بحر العلامة سيدى محمد كنون ـ الحاج أحمد بن شقرون ـ مجلة الإحياء التى تصدرها رابطة علماء المغرب ، جـ٢ م ٦ ، محرم ــ جادى الثانية ١٤٠٧هـ ــ نوفمبر ــ إبريل ١٩٨٧م/ ٥٢) .

*** ابن أبى حاتم (ـ ٣٢٧ هـ):**

هو عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المُنذر بن داود بن مهران أبو محمد التميمى الحنظلى .

الإمام ابن الإمام ، حافظ الرى وابن حافظها .

سمع من أبيه ، وابن وارة ، وأبى زُرعة ، والحسن بن عرفة ، وأبى سعيد الأشج ، ويونس بن عبد الأعلى ، وخلائق بالحجاز ، والشام ، ومصر ، والعراق ، والجبال ، والجزيرة .

روى عنه أبو الشيخ بن حيان ، ويوسف الميانجى ، (نسبة إلى ميانج وهو موضع بالشام) وخلائق .

قال الخليلى : أخذ علم أبيه وأبى زُرعة ، وكان بحرًا فى العلوم ومعرفة الرجال ، صنَّف فى الفقه ، واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار ، وكان عابدًا زاهدًا يُعدُّ من الأبدال ... وكان من كبار الصالحين لم يعرف له ذنب قط ، ولا جهالة له طول عمره (طبقات السيوطى / ٦٢ ، ٦٣) .

له تصانيف منها : « الجرح والتعديل » ثمانية مجلدات منه ، و« التفسير » عدة مجلدات ، منه جزءان مخطوطان و « الرد على الجهمية » كبير ، و « علل الحديث » جزءان ، و « المسند » كبير ، و« الكنى » و «الفوائد الكبرى» ، و « المراسيل » و« تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل » فى دار الكتب (٩٠ مصطلح) و « زهد الثماني من التابعين » مخطوط فى الظاهرية ، و «آداب الشافعى ومناقبه » و « بيان خطأ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى فى تاريخه » (الأعلام ٣/ ٣٢٤) .

قالت المؤلفة : كتاب « زهد الثمانية من التابعين عندى منه نسخة بتحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد الجبار الغريوائى ط مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ وقد ورد عنوانها كما يلى :

زهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد المتوفى سنة ١٢٠ هـ رواية ابن أبى حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ .

أما مخطوط « تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل» فقد أوردناه فى موضعه فى م ١٠/ ٢١٥ ، ٢١٦ فانظره هناك .

له ترجمة فى : البداية والنهاية ١١/ ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٩ والرسالة المستطرفة / ٧٢ ، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٨ وطبقات الحفاظ ٣٤٥ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٥٥ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٣٢٤ ، وطبقات العبادى / ٢٩ ، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٧٩ ، والعبر ٢/ ٢٠٨ ، ولسان الميزان ٢/ ٤٣٢ ، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٩ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٧ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٥ .

ويوجد مخطوط « تفسير » ابن أبى حاتم فى دار الكتب الظاهرية (بمكتبة الأسد الآن) وجاء بيانه كما يلى :

المؤلف : أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد ابن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحافظ الرازى المعروف بابن حاتم التميمى المتوفى سنة ٣٢٧ .

أوله: قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن الإمام أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى قدس الله روحه وجزاه خيرًا.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله أجمعين، سألنى جماعة من إخوانى إخراج تفسير القرآن مختصرًا بأصح الأسانيد وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات وتنزيل السور، وأن نقصد لإخراج التفسير مجردًا دون غيره متقضيًا تفسير الآى حتى لا نترك حرفًا من القرآن يوجد له تفسير إلا أخرج ذلك فأجبتهم إلى ملتمسهم وبالله التوفيق.

آخره: الوجه الثالث: حدثنا أبى ثنا سهل بن عثمان أنا ابن المبارك عن معمر بن عمر عبد العزيز كتب: ﴿ **لا يكلِّف الله نفسًا إلا وُسعها** ﴾ [البقرة: ٢٨] مثله.

وقبلة عن عطاء فى الرجل لا يجد ما ينفق على أهله ليس لها إلا ما وجده والوجه الرابع: حدثنا أبى ثنا الحسن عن الزبرقان، ثنا فضيل بن عياض عن سفيان الثورى فى قوله تعالى: ﴿ **لا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ قال: إذًا الفرائض.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن السابع الهجرى ناقصة من وسطها ومن آخرها تبدأ بتفسير سورة الفاتحة وتنتهى بآخر سورة البقرة ﴿**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**﴾ سقط منها تفسير الآيات (١٤ ـ ١٩٣) كتبت بخط نسخى قديم قليل الإعجام فيه بعض الشكل، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر... النسخة مفروطة الأوراق مصابة بالرطوبة، الغلاف من الجلد المزخرف بزخارف جميلة رائعة.

ق	م	س
١٠١	٢٢ × ١٦,٥	٢٣

(فهرس الظاهرية ٣/ ١١٤، ١١٥).

(طبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق على محمد عمر / ٦٢ ـ ٦٤، والأعلام للزركلى ٣/ ٣٢٤ عن تذكرة الحفاظ ٣/ ٤٦، وفوات الوفيات ١/ ٢٦٠، وطبقات الحنابلة ٢/ ٥٥، والمقصد الأرشد مخطوط وفيه وفاته سنة ٣٢٩هـ، والفهرس التمهيدى / ٣٧٧، ومعجم المطبوعات / ٢٨، والخزانة التيمورية ٢/ ٣٠٤، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ١١٤، ١١٥).

* **حاتم الأصم (ـ ٢٣٧هـ / ـ ٨٥١م):**

من الطبقة الأولى للصوفية حسب تصنيف الإمام أبى عبد الرحمن السلمى (طبقات الصوفية / ٢٢) وهو حاتم ابن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأصم، زاهد، اشتهر بالورع والتقشف. له كلام مدوّن فى الزهد والحكم. ومن أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح. ومما حدث به عن نفسه قال: لقينا الترك، ورمانى أحدهم بوهق فأقلبنى عن فرسى، ونزل عن دابته فقعد على صدرى، وأخذ بلحيتى هذه الوافرة، وأخرج من خفّه سكينًا ليذبحنى بها، فرماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عنى، فقمت إليه فأخذت السكين من يده فذبحته. وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة (الأعلام ٢/ ١٥٢).

وقال عنه أبو عبد الرحمن السُّلمى:

أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم. وهو من قدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ. صحب شقيق بن إبراهيم وكان أستاذ أحمد بن خضرويه، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربى، وله ابن يقال له «خشنام».

مات حاتم فى «واشجرد» من قرى ما وراء النهر نحو ترمذ ـ عند رباط يقال له «رأس سروند» على جبل فوق «واشجرد» سنة سبع وثلاثين ومائتين.

ومن كلام حاتم الأصم:

ـ من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت: موت أبيض، وموت أسود، وموت أحمر، وموت أخضر. فالموت الأبيض الجوع، والموت الأسود احتمال أذى الناس، والموت الأحمر مخالفة

النفس، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض.

- كان يقال: العجلة من الشيطان إلا فى خمس: إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب.

- من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء فهو يتقلب فى رضا الله: أولها الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة ... والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

- الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى، ولا يهتم بالفقر، ولا يبالى أصبح فى عسر أو يسر.

- يعرف الإخلاص بالاستقامة، والاستقامة بالرجاء، والرجاء بالإرادة، والإرادة بالمعرفة.

- لكل قول صدق ولكل صدق فعل، ولكل فعل صبر، ولكل صبر حسبة، ولكل حسبة إرادة، ولكل إرادة أثرة.

- أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والحب. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر والحرص والحسد.

- المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص، ويمنع بالشك، وينفق بالرياء. والمؤمن يأخذ بالخوف، ويمسك بالسنة، وينفق لله خالصا فى الطاعة.

- اطلب نفسك فى أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير مِنّة، والإمساك بغير بخل.

- النصيحة للخلق إذا رأيت إنسانا فى الحسنة أن تحثّه عليها، وإذا رأيته فى معصية أن ترحمه.

- عجبت ممن يعمل بالطاعات، ويقول: عملت ذلك ابتغاء مرضاة الله، ثم تراه أبدا ساخطا على الله، رادًّا لحكمه. أتريد أن ترضيه ولست براض عنه؟ كيف يرضى عنك وأنت لم ترض عنه؟.

- إذا أمرت الناس بالخير فكن أنت أولى به وأحق، واعمل بما تأمر، وكذا بما تنهى.

- الجهاد ثلاثة: جهاد فى سرك مع الشيطان حتى تكسره، وجهاد فى العلانية فى أداء الفرائض حتى تؤديها، وجهاد مع أعداء الله فى غزو الإسلام.

- الشهوة ثلاثة: شهوة فى الأكل، وشهوة فى الكلام، وشهوة فى النظر... فاحفظ الأكل بالثقة، واللسان بالصدق، والنظر بالعبرة.

- من فُتح عليه شىء فى الدنيا فلم يتحرَّ الخلاص منه، ولم يعمل فى إخراجه، فقد أظهر حب الدنيا.

- ما من صباح إلا والشيطان يقول لى: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

- وقال رجل لحاتم: ما تشتهى؟ قال: أشتهى عافية يومى إلى الليل. فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ فقال: إن عافية يومى ألاَّ أعصى الله فيه.

- أربعة يندمون على أربعة: المقصر إذا فاته العمل، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابته نائبة، والممكن منه عدوه بسوء رأيه، والجرئ على الذنوب.

- العباء علم من أعلام الزهد، فلا ينبغى لصاحب الزهد أن يلبس عباء بثلاثة دراهم ونصف، وفى قلبه شهوة بخمسة دراهم، أما يستحى من الله أن تجاوز شهوة قلبه عباءه؟.

- الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة.

- تعهد نفسك فى ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكنت فاذكر علم الله فيك.

- القلوب خمسة: قلب ميت، وقلب مريض، وقلب غافل، وقلب متنبه، وقلب صحيح سالم.

- وقال رجل لحاتم: عظنى. فقال: إن كنت تريد أن تعصى مولاك فاعصه فى موضع لا يراك.

- من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حب الله من غير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى

حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبى ﷺ من غير محبة الفقر فهو كذاب.

(الأعلام للزركلى ٢/ ١٥٢، وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السُّلَمى ـ يسّره ورتّبه أحمد الشرباصى / ٢٢ ـ ٢٤، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ٢٦، ٢٧).

*** أبو حاتم البُستى:**

انظر: ابن حِبّان.

*** أبو حاتم الرازى (١٩٥ ـ ٢٧٧هـ / ٨١٠ ـ ٨٩٠م):**

من رواة الحديث من التابعين، وهو محمد بن إدريس ابن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلى الرازى أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين أبى زرعة ولد سنة ١٩٥هـ فى الريّ وإليها نسبته، ونشأ على نور العلم والمعرفة، سمع الكثير وطاف الأقطار وروى عن كثير من الأئمة الكبار. جاء عنه أنه قال لابنه عبد الرحمن: يا بنى مشيت على قدمى فى طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم يقول: من أغرب علىّ بحديث واحد صحيح فله علىّ درهم أتصدق به قال ومرادى (سمع ما ليس عندى) فلم يأت أحد بشىء من ذلك وكان من جملة من حضر أبو زرعة الرازى، أجمعوا على جلالته وعلو شأنه فى الحديث وعلله وعدّه الحاكم من فقهاء الحديث (الحديث والمحدثون / ٣٤٦) وأبو حاتم من قرية جزء بأصبهان وكان محبًا للعلم من صغره.

عرف أبو حاتم بالعلم والورع وعرف الجميع فضله وتقواه وزهده فى الدنيا.

فلم يكن لها من سلطان عليه. ولا سبيل إلى نفسه، يقول محمد بن هارون الرازى: أنشدنا أبو حاتم الرازى:

تفكرت فى الدنيا فأبصرت رشدها
وذللت بالتقوى من الله خدها
أسأت بها ظنًّا فأخلفت وعدها
وأصبحت مولاها وقد كنت عبدها

حياته العلمية:

كان بارع الحفظ واسع الرحلة من أوعية العلم، جاريًا فى مضمار البخارى وأبى زرعة رحمة الله عليهم.

وكان عارفًا بعلل الحديث والجرح والتعديل، ومن الأئمة الرحالين، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز واليمن والشام ومصر.

شيوخه وتلاميذه:

ومن شيوخ أبى حاتم الذين روى عنهم محمد بن عبد الله الأنصارى، وأبو زيد النحوى وعثمان بن الهيثم المؤذن وهوذة بن خليفة وعبد الله بن موسى وعقاب بن زياد وأبو مسهر الدمشقى وأبو الجماهير محمد بن عثمان التنوخى وسعيد بن أبى مريم المصرى وأبو اليمان الحمصى وأمثالهم.

وروى عنه: يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المصريان وهما أكبر منه سنًّا وأقدم سماعًا، وأبو زرعة الرازى والدمشقى، ومحمد بن عوف الحمصى، وقدم بغداد وحدث بها وروى عنه من أهلها أحمد بن منصور الرمادى، وإبراهيم بن إسحاق الحربى، وقاسم بن زكريا المطرز، وعبد الله بن محمد بن ناجية، وأحمد بن إسحاق بن صالح وأبو بكر بن أبى الدنيا، والقاضى المحاملى ومحمد بن مخلد الدروى والحسين بن يحيى ابن عياش القطان وغيرهم.

وكانت حياة أبى حاتم العملية مكتملة التحصيل ممتلئة، وحصل كل ما كان موجودًا لديه يمكن الحصول عليه، فقد حصل كل حديث مسند صحيح فى زمنه ولم يكن هناك من أحاط بشىء أكثر منه، وقال أحمد بن سلمة: ما رأيت بعد إسحاق بن راهويه ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث، ولا أعلم بمعانيه من أبى حاتم: محمد ابن إدريس، وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان ودعا لهما، وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين، وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم: سمعت موسى بن

إسحاق يقول : ما رأيت أحفظ من أبيك، وقال أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائى : محمد بن إدريس أبو حاتم الرازى ثقة، وقال هبة الله بن الحسن الطبرى : كان أبو حاتم الرازى إمامًا عالمًا بالحديث حافظًا له متقنًا متثبتًا .

وهذه الشهادات والآراء تنبىء عن مكانته العلمية، ومدى فضله ومنزلته التى كان عليها فى الثقة والحفظ والإتقان، وسعة إحاطته بمعرفة الحديث وتمكنه ورسوخ قدمه (السنة النبوية وعلومها / ٣١٣، ٣١٤) .

وقد ذكره الكتانى فى أصحاب كتب الطبقات وقال عنه وقد حدد وفاته سنة ٢٧٥ أو ٢٧٧هـ : وطبقات التابعين لأبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازى الحنظلى الحافظ المشهور من أقران البخارى ومسلم المتوفى بالرى سنة خمس أو سبع وسبعين ومائتين . اهـ . (الرسالة المستطرفة / ١٠٤) .

له « طبقات التابعين » وكتاب « الزينة » قال ابن النديم إنه كبير نحو أربعمائة ورقة و « تفسير القرآن العظيم » المجلد الثالث منه، فى المكتبة المحمودية بالمدينة (الرقم ٤٩ تفسير) كتب سنة ٨٧٢ (ذكر فى مجمع اللغة ٤٩/ ٧٢) و « أعلام النبوة » مخطوط فى مكتبة محسن الهمذانى فى ثاربورة، بالهند (كما فى المخطوطات المصورة) وكتاب الجامع فيه فقه وغير ذلك (الأعلام ٦/ ٢٧، والفهرست / ٢٦٨) .

قالت المؤلفة : أوردنا بيان مخطوط « أعلام النبوة » فى م ٥/ ٣٨٧ فارجع إليه إن شئت .

(الحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٣٤٦، والسنة النبوية وعلومها ـ د . أحمد عمر هاشم / ٣١٣، ٣١٤، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى، والأعلام للزركلى ٦/ ٢٧، وفيه وفاته ببغداد، والفهرست لابن النديم / ٢٦٨) .

*** أبو حاتم السجستانى (ـ ٢٤٨ أو ٢٥٠هـ) :**

قال عنه الداودى :

سهل بن محمد بن محمد بن القاسم أبو حاتم السِّجستانى، من ساكنى البصرة . كان إمامًا فى علوم القرآن واللغة والشعر، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وروى عن أبى عُبيدة، وأبى زيد، والأصمعى، وعمرو بن كركرة، وروح بن عبادة . وعنه ابن دريد وغيره .

وكان أعلم الناس بالعَروض واستخراج المعنى، وكان يعد من الشعراء المتوسطين، وكان يعنى باللغة، وترك النحو بعد اعتنائه به، حتى كأنه نسيه، ولم يكن حاذقًا فيه، وكان إذا اجتمع بالمازنى فى دار عيسى بن جعفر الهاشمى تشاغل، وبادر بالخروج خوف أن يسأله مسألة فى النحو .

وكان جماعًا للكتب يتجر فيها، ذكره ابن حبّان فى الثقات، وروى له النسائى فى « سننه » والبزار فى «مسنده» .

وصنّف : « إعراب القرآن » وكتاب « ما تلحن فيه العامة » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب «الأضداد» وكتاب « القِسى والنبال والسهام » وكتاب « السيوف والرماح » وكتاب « الدرع والترس » وكتاب « اللبأ واللبن الحليب » وكتاب « اختلاف المصاحف » وكتاب «القراءات»، وكتاب « الهجاء » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « الإدغام » وغير ذلك .

وكانت وفاته فى المحرم ـ وقيل : فى رجب ـ سنة ثمان وأربعين ومائتين بالبصرة .

ذكره ابن خلكان، ثم شيخنا فى طبقات النحاة » (طبقات المفسرين ١/ ٢١٠ ـ ٢١٢) .

ومن مصنفاته أيضًا، النخل، والتذكير والتأنيث، والطير، والشمس والقمر، والنبات، والفرق، والليل والنهار، والمختصر، وأخبار المعمرين . (الموسوعة الثقافية / ١٥) .

قال السيرافى : وعليه يعتمد فى اللغة أبو بكر بن دريد . وخبرنى أنه مات سنة خمس وخمسين ومائتين (أخبار النحويين البصريين / ١٠٤) .

وقال الزبيدى :

هو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجُشمى

السجستانى، قال ابن الغازى: كتب يعقوب الصفَّار والى سجستان ـ وكان متغلبًا عليها، وكان فى مُلك شديد ـ يسأل أبا حاتم نحوًا مختصرًا، فأراد أن يبعث إليه كتب الأخفش، فقيل له: لو أراد كتب الأخفش عَلِم مكانها، وإنما أراد من قِبلك، فبعث إليه كتابه المختصر فى النحو المنسوب إليه، وهوعلى مذهب الأخفش وسيبويه.

قال: وروى أبو حاتم عِلْمَ سيبويه عن الأخفش عن سيبويه عمرو بن عثمان، قال: وكانت تُقرأ على أبى حاتم كتب الأخفش، فكان يرد ردًّا حسنا.

وقال أحمد بن كامل بن خلف شجرة: سمعتُ أبا بكر بن دريد يقول: مات أبو حاتم فى آخر سنة خمس وستين ومائتين.

قال: ورأيت عنده قومًا من أهل البصرة يعظمونه ويقولون: أنت شيخُنا وأستاذُنا، ونحو ذلك من القول.

أخبرنا أحمد بن سعيد، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا مروان بن عبد الملك: سمعت الرياشى يقول ونحن على قبر أبى حاتم لمَّا دفنَّاه وهو يترحَّم عليه: ذُهب معه بعلم كثير. فقال له بعض أصحابه: كتبُه، فقال العباس: الكتب تؤدى ما فيها، ولكن صدره.

ابن الغازى قال: أخبرنا رجل من أهل البصرة قال: قلنا لأبى زيد: على من نقرأ بعدك؟ قال: على سهل بن محمد ـ يعنى أبا حاتم.

وروى عن أبى عثمان الخُزاعى أنه كان قال لأبى حاتم: كنتُ البارحة بين النائم واليقظان، فرأيتُنى فى المحراب، وإذ سمعت قائلاً يقول:

أبو حاتم عالم بالعلوم
فأهلُ العلوم له كالخَوَلْ
عليكم أبا حاتم إنه
له بالقراءة علمٌ جلَلْ
فإن تفقدوه فلن تدركوا
له ما حييتُمْ بعلم بَدَلْ

وأنشد أبو عمرو البصرى لنفسه فيه:

إلى من تفزعون إذا فُجعتمْ
بسهل بعده فى كلّ باب
ومنْ ترجونه من بعد سهل
إذا أوْدَى وغُيِّب فى التراب!

(الخول: الحاشية: يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث).

وقال يعقوب القارئ:

استمع القرآن إذ يقرؤُهُ
سهلٌ القارئ زينُ القراهْ

ودخل أعرابىٌّ مسجد البصرة، فتفقَّد أبا حاتم ـ وكان مختلفا إليه ـ فأعلم بموته، فقال:

يا بانى الدنيا للذَّاته
أعظم بذكر الموت من هادمِ
أما ترى الإخوان قد سارعوا
بقادم منهم على قادمِ
ومرَّ من قد كنت تُزهى به
ولست مما ذاق بالسَّالم
وليس نقص الأرض فى جاهل
كلا، ولكن ذاك فى عالِمِ
أمَّا العراقان فقد أقفرا
بحادث حلَّهما قاصِمِ
من كان للخُطبة يُعنَى بها
وللغريب المُشكل العاتم
قد ذهب العلم بأعلامه
والنحوُ من بعْد أبى حاتم
من للدواوين إذا حُصِّلتْ
وكتْب أملاك بنى هاشم
مفتاح قفل ضل مفتاحُه
ولؤلؤ يبقى بلا ناظم

يـــا مسجــد البصـــرة لــمْ تبكــه
بســـواكف مـن دمعك السَّـــاجم

وقـرأت فى بعض الكتبَ: تـوفى أبـو حـاتم سهل بن محمد بالبصـرة في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ودُفن بصرَّة المصلَّى، وصلَّى عليـه سُليمانُ بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان يليى البصرة يومئذ.

قال مروان بن عبد الملك: توفى أبو حاتم فى المحرم سنة خمس وخمسيـن ومائتين (طبقـات النحـويين / ٩٤ - ٩٦).

له تـرجمة فى: إنبـاه الرواة ٢/ ٥٨، الأنساب الـورقة ٢٩١، البدايـة والنهايـة ١١/ ٢، بغية الـوعاة ١/ ٦٠٦، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٧، شذرات الذهب ٢/ ١٢١، طبقـات القـراء لابن الجزرى ١/ ٣٢٠، طبقـات النحـاة لابن قاضى شهبـة ١/ ٣٦١، العبر ١/ ٤٥٥، الفهرست لابن النديم / ٥٨، مرآة الجنان ٢/ ١٥٦، معجم الأدباء ٤/ ٢٥٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٣٢، نزهة الألباء / ١٨٩ وفيات الأعيان ٢/ ١٥٠، مراتب النحويين / ٨١، ٨٢.

وفى وفيـات الأعيان (٢/ ١٥٠): (أبو حـاتم سهل ابن محمد بن عثمـان بن يزيـد الجشمى) . ثم يقول ابن خلكان (٢/ ١٥٢): (والجشمى هذه النسبـة إلى عدة قبـائل يقـال لكل منهـا : جشـم . ولا أدرى إلى أيهـا ينسب).

(طبقات المفسـرين للداودى - تحقيق على محمـد عمر، ١/ ٢١٠ - ٢١٢، والموسوعة الثقافية بإشراف د. حسين سعيد / ١٥، وأخبار النحـويين البصريين للسيـرافى - تحقيق د. محمـد إبراهيم البنـا / ١٠٤، وطبقـات النحويـن واللغويين للـزبيـدى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ٩٤ - ٩٦).

*** الحاج:**

اصطلح على تلقيب من أدى فـريضة الحج إلى بيت الله الحرام بمكة بالحـاج ولا زال حتى اليوم. وتعتبر تأدية هـذه الفـريضة من دواعى المـدح، وقـد قيل فى هـارون الرشيد:

فمـن يطلب لقـــاءك أو يــــرده
فبــالحـــرمين أو أقصـى الثغـــور

ولكن فى عصـــر المماليك أطلق هــذا اللقب على مقدمى الدولة ومهتارية البيوت وأمثالهم وإن لم يكونوا قد أدوا فريضة الحج.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ٩٧ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ١١).

*** الحاج:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وعلم طب الأعشاب.

قال عنه القزوينى:

الحاج: ضـرب من الشوك يقـع عليه الترنجبيـن طلاء وأكثـر مـا يـوجـد بأرض خـراسـان ومـا وراء النهـر. وفى الأمثال: الحـاجة فى الصدر حـاجة، وشـوك هذا النبت طويـل جدا حاد كـالإبر والإبل تـأكل منه أكـلا ذريعا لا يخدشها شـوكـه، طله ينفع مـن السعال ويلين الصـدر ويسكن العطش ويزيد الصداع ويطلق البطن.

(عجـائب المخلـوقـات وغـرائب المـوجـودات للقـزوينى / ١٨٤).

*** الحاج خليفة:**

انظر: حاجى خليفة.

*** ابن الحاج (أبو العباس) (- ٦٤٧هـ):**

هو أبو العباس أحمـد بن محمد، قرأ على الشلوبينى وأمثاله، ومهر فى علوم اللغـة العربية وصنف فيها، له فى النحو إمـلاء على كتاب سيبـويه، ومختصـر الخصائص لابن جنى، وشـرح الإيضاح، كـان يقـول: إذا مت يفعل ابن عصفـور فى كتـاب سيبـويـه مـا شـاء، تـوفى سنة ٦٤٧هـ.

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٣٤).

*** ابن الحاج (أبو عبد الله) (ـ ٧٥٨ هـ):**

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٧٥٨هـ وقال عنه (كتاب الوفيات / ٣٥٨):

وفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة توفى بمدينة فاس الشيخ الفقيه القاضى الراوية أبو عبد الله محمد بن على ابن عبد الرزاق وكان له سند صريح وقلم فصيح . ا هـ .

وهو محمد بن على بن عبد الرزاق الجزولى ، المعروف بابن الحاج ، يكنى أبو عبد الله : قال النباهى : «وهو أحد أعلام المغرب تفننًا فى المعارف ، وفضلاً ، وعقلاً . كان محافظًا على الرتبة ، مقيمًا للأبّهة ، جميل الهيئة ، حمولاً لمكاره السلطنة ، صبورًا على الرحلة ، خطيبًا بليغًا مفلقًا . كاتبًا بارعًا مرسلاً ، ريان من الأدب ، سريع القلب ، منقاد البديهة ، مهما تناول القرطاس وكتب ، أتى على الفور بعجب . رحل إلى المشرق ، ولقى أعلامها ، ودخل الأندلس ، وأقام منها بمالقة زمانًا ، وروى عن أشياخها ، ثم عاد إلى وطنه فتولى خطة القضاء بفاس ، وتقلد أزمتها مع الخطابة مدة طويلة ، إلى أن انتزعت منه وأضعف قواه الهرم ، فلزم منزله إلى وفاته .

(تأريخ قضاة الأندلس للشيخ أبى الحسن بن عبد الله بن الحسن النُّباهى المالقى الأندلسى وسماه كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا / ١٣٥ ، ١٣٦) .

*** ابن الحاج (محمد بن أحمد) (٤٥٨ ـ ٥٢٩هـ):**

قال عنه الشيخ أبو الحسن النُّباهى :

محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التُّجيبى ، المعروف بابن الحاج ، قاضى الجماعة بقرطبة ، يُكنى أبا عبد الله . روى عن أبى جعفر أحمد بن رزق الفقيه ، وتفقّه عنده ، وقيّد الغريب واللغة والأدب عن أبى مروان عبد الملك بن سراج ، وسمع من أبى عبد الله محمد بن فرج الفقيه ، ومن أبى على الغسانى وغيرهم . وكان من جلّة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدودًا فى المُحدثين والأدباء ، بصيرًا بالفتيا ، راسمًا فى الشورى ، وكانت الفتوى فى وقته تدور عليه ، لمعرفته ، وثقته ، وديانته ، وكان معتنيًا بالحديث والآثار ، جامعًا لها ، مقيّدًا لما أشكل من معانيها ، ضابطًا لأسماء رجالها ورواتها ، ذاكرًا للغريب والأنساب واللغة والإعراب وعالمًا بمعانى الأشعار والسير والأخبار ، قال ابن بشكوال : قيّد العلم عمره كله ، وعنى به عناية كاملة : ما أعلم أحدًا فى وقته عنى كعنايته . قرأت عليه ، وسمعت ، وأجاز لى بخطه . وكان له مجلسٌ بالجامع بقرطبة ، يسمع الناس فيه . وتقلد القضاء بقرطبة مرتين وكان فى ذاته ليّنًا ، صابرًا ، طاهرًا ، حليمًا ، متواضعًا ، لم يُحفظ له جورٌ فى قضية ، ولا ميلٌ بهواه ، ولا إصغاءٌ إلى عناية . وكان كثير الخشوع والذكر لله تعالى . ولم يزل ، آخر عمره ، يتولى القضاء بقرطبة ، إلى أن قُتل ظلمًا بالمسجد الجامع بقرطبة ، يوم الجمعة ، وهو ساجدٌ لأربع بقين من صفر من سنة ٥٢٩ . ومولدُه فى صفر سنة ٤٥٨ . وكتابُه فى نوازل الأحكام ، المتداولُ لهذا العهد بأيدى الناس ، من الدلائل على تقدُّمه فى المعارف وبراعته ـ تغمدنا وإيّاه برحمته ! .

(تاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبى الحسن النباهى / ١٠٢) .

*** ابن الحاج البِلّفيقى (ـ ٧٧٣هـ):**

من قضاة الأندلس . ذكره الشيخ أبو الحسن النباهى وقال عنه :

ومن مشاهير القضاة الشيخ أبو البركات ، وهو محمد ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف السُّلمى ، من ذرية العباس بن مرداس المعروف فى بلده بابن الحاج ، وفى غيره بالبلفيقى . وبلفيق حصن من عمل مدينة المريَّة . وبيته بيت دين وفضل . ذكر ابن الأبار جده الأعلى أبا إسحاق ، وأطنب فى الثناء عليه بالخير والصلاح . وكان هذا الشيخ المترجم عنه ممّن نشأ على طهارة وعفاف ، واجتهد فى طلب العلم صغيرًا وكبيرًا ، وعبر البحر إلى بجاية ، فأدرك بها المدرِّس المعمَّر أبا على منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالى ، وحضر مجالسه العلميَّة ، وأخذ عنه وعن غيره من أهلها ، ثم إنَّه أتى إلى مراكش ، وتجول فيما بينها من البلاد . وآثر

السُّكنى بسبتة على طريقة جده إبراهيم الأقرب إليه، إذ كان أيضًا قد استوطنها، ثم عاد إلى الأندلس فأقام منها بمالقة، واختص بخطيبها الشيخ الولي أبي عبد الله الطَّنجالي، وروى عنه وعن غيره، وقيَّد الكثير بخطه، ودام في ابتداء طلبه التشبيه بالقاضي أبي بكر بن العربي، في لقاء العلماء، ومصاحبة الأدباء، والأخذ في المعارف كلها، والتكلُّم في أنواعها والإكثار من مُلح الحكايات، وطرف الأخبار، وغرائب الآثار، حتى صار حديثه مثلاً في الأقطار، وهو مع ذلك، على شدة انطباعه، وكثرة ردعته، سريع العبرة عند ذكر الآخرة، قريب الدمعة.

وكان كثير الضبط لحاله، متهمًا بالنظر في تثمير ماله، آخذًا في نفقته بقول سحنون بن سعيد: «ما أحبُّ أن يكون عيش الرجل إلاَّ على قدر ذات يده ولا يتكلف أكثر مما في وسعه!» وكان يميل إلى القول بتفضيل الغنيِّ على الفقير، ويبرهن على صحَّة ذلك، ويقول: «وبخصوص في البلاد الأندلسية، لضيق حالها، واتساع نطاق مدنها، ولا سيما في حقِّ القضاة، فقد شرط كثيرٌ من العلماء في القاضي أن يكون غنيًّا، ليس بمديان ولا محتاج».

ومن كلامه - رحمه الله! -: «من اقتصر على التعيش من مرافق الملوك، ضاع هو ومن له، وشمله القلُّ، وخامره الذلُّ. اللَّهمَّ! إلا من كان من القوة بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا إلى الحدِّ الذي يكسبه الراحة بالخروج عن متاعها، وترك شهوتها، قليلها وكثيرها، مالها وجاهها، بأمر آخر! ومن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام، ولا سيما في هذا الزمان، ولم نسمع ممن قاربه من الولاة المتقدمين بالأندلس إلاَّ ما حُكي عن إبراهيم بن أسلم، وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته، فقطع عنه جرايته، فكتب إليه عند ذلك:

تزيدُ على الإقلال نفسي نزاهةً
وتأنسُ بالبلوى وتقوى مع الفقرِ
فمن كان يخشى صرفَ دهر فإنَّني
أمنتُ بفضل الله من نُوب الدَّهرِ

فلما قرأ الحكم بيتيه، أمر بردِّ الجراية، وحملها إليه. فأعرض عنها. وتمنع من قبولها، وقال: «إني، والحمد لله! تحت جراية من إذا عصيته، لم يقطع عني جرايته! فليفعل الأمير ما أحب!» فكان الحكم بعد ذلك يقول: «لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته مخزاةً عظم منَّا موقعها، ولم تسهل علينا المقارضة بها!»».

وتولى الشيخ أبو البركات القضاء في بلاد عديدة، منها مالقة: تقدم بها بعد شيخنا أبي عمرو بن منظور، وذلك صدر عام ٧٣٥، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة والخطابة بها. وكان مستوفيًا لشروط الخطبة وجوبًا وكمالاً من صورة وهيئة، وطيب نغمة، وكثرة خشوع، وتوسط إنشاء، وشهر بالصرامة في أحكامه، والنزاهة أيام نظره، ثم تأخر عن قضاء الحضرة، وأقام بها مدة، إلى أن صير إلى مدينة المرية، ثم أعيد إلى قضاء الجماعة، واستعمل في السفارة بين الملوك، فصحبه السداد، ورافقه الإسعاد، وكان في أطواره سريع التكوين، طامعًا في الوصول إلى مقام التمكين كثير الانتقال من قطر إلى قطر، ومن عمل إلى عمل، من غير استقرار منزل أو محل واحد. ولذلك قال في أبياته التي أولها:

إذا تقولُ: فدتك النفسُ في حالي
يفني زماني في حل وترحال

وكان التكلم بالشعر من أسهل شيء عليه، في كثير مراجعاته، وفنون مخاطباته. وله منه ديوان كبير، يحتوي على ضروب الأدب على جد وهزل، وسمين وجزل، سمَّاه بـ «العذب والإجاج» وكتاب وسمه بـ« المؤتمن في أنباء مَن لقيه من أبناء الزمن».

واستقر أخيرًا بمدينة المرية قاضيًا وخطيبًا، إلى أن توفي بها في شهر رمضان عام ٧٧٣، وكان، أيام حياته، ممن اكتسب المال الجم، وهو من أصحابنا القدماء،

الذين ورثنا ودهم، وشكرنا عهدهم - رحمه الله وغفر له وأرضاه !.

ومن شعره فى المُجبَّنات، وهو النمط البديع :

ومُصْفَـرَّةِ الخَـدين مطـوِيَّـة الحشـا
على الجُبن والمصفرُّ يؤذِنُ بـالخوفِ
لهـا بهجـة كـالشمس عنـد طلـوعهـا
ولكنَّهـا فى الحين تغـربُ فى الجـوفِ

وقولهُ :

إذا مـا كتمتُ السـرَّ عمَّن أودُّهُ
تـوهم أن الـودَّ غيـرُ حقيق
ولم أُخف عنـه السـرَّ من ضنَّـة بـه
ولكنَّنِى أخشـى صـديقَ صـديق

وقوله :

قـالـوا: تغـرَّبـتَ عَنْ أهل وعن وطن
فقلـتُ: لـم يبـق لـى أهـلٌ ولا وطـنُ
مضى الأحبَّـةُ ولأهلُـون كلهمُ
وليس لـى بعـدهُم سُكنـى ولا سكنُ
أفـرغتُ دمعى وحُـزنـى بعـدهم فأنـا
من بعـد ذلـكَ لا دمعٌ ولا حـزنُ

وقوله :

رعى الله إخـوان الخيـانـة إنَّهُمْ
كفـونـا مُـؤنـات البقـاء على العهـد
ولـو قـرَّبـوا كُنَّـا أسـارى حقـوقهمْ
نُـراوحُ مـا بينَ النسيئـة والنَّقْـد

وقوله يعتذر لبعض الطلبة، وقد استدبره لبعض حلَق العلم بسبتة :

إن كنتُ أبصـرتُك لا أبصـرتْ
بصيـرتى فـى الحقِّ بُـرهـانَهـا
لا غـرو إنّى لا أُشـاهـدُكمْ
فـالعينُ لا تُبصـر إنسـانَهـا

وقوله :

وإنى لخيـرٌ من زمـانـى وأهلـه
علـى أنَّنى للشـرِّ أوَّلُ سـائقِ
لحى اللهُ عصـرًا قـد تقـدَّمتُ أهْلَـهُ
فتلك لعمـرُ الله إحـدى البـوائقِ

(تاريخ قضاة الأندلس / ١٦٤ - ١٦٧).

وعن مصنفاتـه قـال الـزركلى : لـه « أسمـاء الكتب والتعريف بمؤلفيها » على حروف المعجم، و « الإفصاح فيمن عُرف بالأنـدلس بـالصلاح » (أوردنا اسمـه بلفظ «الإيضاح » بـدلا من « الإفصاح » (م٦/ ٢٧٩) نقلا عن كشف الظنـون ١/ ٢٠٩ فلـزم التنويـه)، و « مشتبهـات مصطلحات العلـوم » و « المؤتمن فى أنبـاء من لقيته من أبنـاء الـزمن » سيـر وتـراجم (سبق ذكـره) و « العـذب الأجاج» ديـوان شعره (سبق ذكره) و « قد يكبـو الجواد، فى غلطة أربعين من النقاد » و « تاريخ المرية » لم يتمه، و « العلن فى أنباء أبناء الزمن » و « سلوة الخاطر » و«شعر من لا شعـر لـه » أى من لم يشتهـر بالشعر، وغيـر ذلك (الأعلام ٧/ ٣٩).

(تأريخ قضـاة الأندلس للشيخ أبى الحسن النُّبـاهى / ١٦٤ - ١٦٧ وفيه وفاتـه سنة ٧٧٣هـ، والأعلام للزركلى ٧/ ٣٩ وفيـه وفاته سنة ٧٧١، وانظر مصادره فى هامش ١).

*** الحاج الداوودى (- ١٢٧١هـ / - ١٨٥٤م):**

الحـاج الـداوودى التلمسانى، أبـو محمـد، فـاضل متصوف، من أهل تلمسان. ولى القضـاء بها. ثم هاجر إلى فـاس له كتب، منهـا « شـرح همزيـة البوصيـرى »، و«شـرح البـردة » و « حـاشيـة على السعـد » و « شـرح البخارى » لم يكمل .

(الأعلام للزركلى ٢/ ١٥٢).

*** ابن الحاج العبدرى (- ٧٣٧هـ / - ١٣٣٦م):**

ترجم له الدكتور عبـد الغنى عبود فى دراسة له بعنوان «ابن الحاج العبدرى ومما جاء فيها ما يلى :

هو « أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، الفاسي، المالكي، الشهير بابن الحاج» ويسميه ابن فرحون صاحب « الديباج المذهب » « محمد ابن محمد أبو عبد الله العبدري، المعروف بابن الحاج، المغربي الفاسي » (الديباج / ٣٢١) ويصفه بأنه « من عباد الله الصالحين، العلماء العاملين، من أصحاب الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة، كان فقيها، عارفا بمذهب مالك. سمع بالمغرب من شيوخه، وقدم القاهرة، وسمع بها الحديث، وحدث بها، وهو أحد المشايخ المشهورين بالزهد والخير والصلاح.

صحب جماعة من الصلحاء، أرباب القلوب، وتخلق بأخلاقهم، وأخذ عنهم الطريقة ».

ويركز ابن حجر العسقلاني على تكوينه العلمي، فيذكر أنه « نزيل مصر، سمع ببلاده، ثم قدم الديار المصرية، وحج، وسمع الموطأ من الحافظ تقي الدين عبيد الأسعردي، وحدث به، ولزم الشيخ أبا محمد بن أبي جمرة، فعادت عليه بركاته، وصار ملحوظا بالمشيخة والجلالة بمصر » (الدرر الكامنة / ٢٣٧).

ويضيف الشيخ محمد بن محمد مخلوف صاحب «شجرة النور الزكية » ص ٢١٨ إلى أساتذته، عالما تكاد تغفله المراجع الأخرى، هو « أبو إسحاق المطماطي» ...

ويلفت النظر في العبدري، كثرة ما لحق به من كنى وألقاب، غطت حتى على اسمه، مما يدل على أن الرجل كان دائم التنقل والترحال، بحيث تمت نسبته إلى أكثر من مكان، وإلى أكثر من بلد، فهو أساسا عبدري «نسبة إلى بني عبد الدار » (معجم المؤلفين / ٢٤٤) مما يشير إلى أن جذوره الأولى تمتد إلى أعماق الجزيرة العربية، حيث يرجح أنه ينتسب إلى قوم هاجروا من هناك إلى المغرب، ربما في سنوات الفتح الإسلامي الأولى، وربما بعد هذه السنوات بقليل أو كثير.

ويسميه صاحب (معجم المؤلفين) « محمد بن محمد بن علي بن أحمد الحاحي العبدري (أبو عبد الله) فاضل »، ويرى أن « أصله من بلنسية، وسكن بلدة حاحة، في المغرب الأقصى، بعد أزمور، وتوجه حاجا منها سنة ٦٨٨هـ، فدخل باجة وتونس والقيروان، ومر بالإسكندرية في ذهابه وإيابه، ثم عاد إلى بلده، فاستقر به » (معجم المؤلفين / ٢٤٤).

وبذلك يضيف صاحب (المعجم) إلى (العبدري) (الحاحي) . نسبة إلى (حاحة) و« في فهرس الفهارس : الحيحي » (معجم المؤلفين / ٢٤٤) كما يضاف إلى ذلك بطبيعة الحال، (الفاسي) نسبة إلى فاس، و (المغربي) نسبة إلى المغرب، و (المالكي) نسبة إلى الإمام مالك، وغيرها وغيرها، مما يدل على كثرة ما مر به أونزل به من بلاد، نسبه القوم إليها، لما كان له من أثر فيها، أو نسبه أهلها إليها، ليتشرفوا هم أنفسهم بهذا الانتساب، فضلا عن البلاد التي مر بها، دون أن ينسبه أحد إليها بطبيعة الحال، كتونس والقيروان والإسكندرية، وغيرها.

تراث العبدري :

يذكر صاحب (معجم المؤلفين) أن « من آثاره : رحلة، فهرسة، وله نظم » ويذكر صاحب « هدية العارفين » أن « من تصانيفه : شموس الأنوار وكنوز الأسرار، في علم الحروف وروحانيته ــ مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة » (هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي / ١٤٩).

وهكذا يكون الرجل قليل التآليف، إذ تنحصر مؤلفاته في ثلاثة، هي :

١ - مدخل الشرع الشريف على المذاهب (أو على المذاهب الأربعة).

٢ - رحلة العبدري (أو الرحلة المغربية).

٣ - شموس الأنوار، وكنوز الأسرار، في علم الحروف وروحانيته.

قالت المؤلفة : قال الزركلي عن « مدخل الشرع الشريف » إنه مطبوع في ثلاثة أجزاء، وقال فيه ابن حجر: كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس

ويتساهلون فيها، وأكثرها مما يُنكر، وبعضها مما يحتمل» ولم يذكر الزركلى « رحلة العبدرى » من بين مصنفات ابن الحاج، ولكن ذكر بدلاً منه كتاب اسمه «بلوغ القَصْد والمُنى فى خواص أسماء الله الحسنى» . اهـ.

يقول الدكتور عبد الغنى عبود:

أما « الفهرسة » و « النظم » فلم نجد لهما ذكر إلا فى « معجم المؤلفين » على نحو ما سبق.

وأكثر كتبه شهرة على الإطلاق، كتاباه الأولان، «مدخل الشرع الشريف على المذاهب»، و (رحلة العبدرى) أو (الرحلة المغربية).

وأغلب الظن أنه كتب « الرحلة » فى مطلع حياته، حيث كتبها إثر رحلته للحج، التى بدأها « من بلاد حاحة، الواقعة على شاطئ المحيط الأطلسى فى المغرب الأقصى، قاصدًا الأراضى الحجازية، لأداء مناسك الحج، وكان خروجه من بلاده فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وستمائة (الموافق ١٠ يناير ١٢٨٩م) » « فدخل باجة وتونس والقيروان، ومر بالإسكندرية فى ذهابه وإيابه » (معجم المؤلفين / ٢٤٤).

وقد جعل من هذه الرحلة ـ فى الغالب ـ زيارة وتجارة معا، بمعنى أنه لم يكتف فيها بأداء الفريضة وقد كانت مبتغاه، وإنما أضاف إلى أداء الفريضة كسبا يعود به، والكسب الذى ينشده مثله فى عصره، هو تحصيل علم، فقد كانت الرحلة من أمثاله فى طلبة هدفا فى حد ذاتها.

وإضافة إلى الحج وطلب العلم، استطاع العبدرى أن يقف على أحوال المسلمين فى عصره، فيضع يده على موطن الداء فى الأمة الإسلامية، فيكون ذلك منطلقه فى التفكير فى كتابه « مدخل الشرع الشريف على المذاهب » الذى فرغ من تأليفه فى السابع من محرم سنة ٧٣٢هجرية ـ أى قبل موته بخمس سنوات (توفى سنة ٧٣٧هـ، وبعد رحلة الحج تلك بحوالى أربع وأربعين سنة.

وبالرغم من أن الرحلة قد تمت فى وقت كانت دولة المماليك فيه قد قضت على أعداء الإسلام، فى الشرق والغرب على السواء، وطاردت فلولهم المنهزمة، إلا أنه لا بد أن يكون قد سمع فى بلاد الشرق التى زارها، الكثير عما حدث أيام العدوان، وشاهد آثاره، كما لا بد أن يكون قد سمع عما يحدث بالأندلس، قريبا منه، وأن يكون لما سمعه وقرأه، تأثيره فى تفكيره، فى المدخل، مـ جعل الكتاب « كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع، يفعلها الناس، ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل » على حد تعبير ابن حجر العسقلانى، مما باعد بين المسلمين والإسلام الوحى، وقادهم إلى ما وقعوا فيه من عثرات.

ومن ثم فإن كتابه « المدخل » لا يمكن أن يفهم إلا فى ضوء « رحلته » رغم الفاصل الزمنى الذى يفصل بين العملين، وكل منهما يستحق أن نتحدث عنه على حدة.

قالت المؤلفة: نفرد لكل من « مدخل الشرع الشريف على المذاهب » و « رحلة العبدرى » مادة خاصة إن شاء الله تعالى.

(« العبدرى: ابن الحاج العبدرى » ـ إعداد د. عبد الغنى عبود من أعلام التربية العربية الإسلامية، مكتب التربية العربى لدول الخليج م٣/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٣٧، والأعلام ٧/ ٣٥ وما جاء بهامش ٢ من مراجع).

*** ابن الحاج (محمد بن على) (ـ ٧١٤هـ / ـ ١٣١٥م):**

هو محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله: وزير مهندس من أهل غرناطة، رحل إلى فاس واتصل فيها بالمنصور بن عبد الحق فصنع له «الدولاب» المنفسح القطر، البعيد المدى، والمحيط، المتعدد الأكواب الخفى الحركة. وكان آية من الدهاء، بعيد الغور، وحيد زمانه فى المعرفة بلسان الروم وسيرهم وأمثالهم وحكمهم، وارتفع به علمه إلى درجة الوزارة ثم

رحل إلى فاس الجديدة فتوفى فيها، وكان ماهرًا في نقل الأجرام ورفع الأثقال، بصيرًا باتخاذ الآلات الحربية، بنى « دار الصناعة » في مدينة « سلا » بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين وكانت تصنع بها الأساطيل البحرية والمراكب الجهادية .

(معجم العلماء العرب ــ باقر أمين الورد المحامي - راجعه الأستاذ كوركيس عواد، ١/ ٤٦، ٤٧).

*** ابن الحاج (محمد بن محمد) (- ٧٣٧هـ):**

ذكره الحافظ السيوطي فيمن كان بمصر من الفقهاء المالكية وقال عنه : ابن الحاج صاحب المدخل (هو المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات) أحد العلماء العاملين المشهورين بالزهد والصلاح، من أصحاب أبي محمد بن أبي جمرة، كان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وصحب جماعة من أرباب القلوب. مات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٤٥٩، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسي ٢/ ٢٨٩).

*** ابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦هـ / ١١٧٤ - ١٢٤٩م):**

ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس جمال الدين أبو عمرو الكردي المالكي المولود سنة ٥٧١ بإسنا من صعيد مصر وغلب عليه النحو وله في ذلك أوضاع وتوفي بالإسكندرية ٢٦ شوال سنة ٦٤٦ .

وهو مشهور بابن الحاجب، لأن أباه كان حاجبًا للأمير عز الدين موسك الصلاحي بالقاهرة، ولد ابن الحاجب بإسنا من صعيد مصر، فقدم القاهرة صغيرا، ثم تعهده أبوه بالقاهرة، فحفظ القرآن صغيرًا، وتفقه في الدين على مذهب الإمام مالك، وتلقى العلوم عن الشاطبي وغيره فتبحر في العربية حدثًا، ثم انتقل إلى دمشق فقرأ بجامعها أمالي في النحو على مواضع من المفصل والكافية، فأكب الناس عليه في متنوع الفنون إلا أنه غلب عليه النحو، وتردد مرارًا أمام قاضي الشام ابن خلكان بسبب أداء شهادات، فكان يسأله عن مشاكل في العربية ذكر بعضًا منها في ترجمته في وفيات الأعيان، ثم عاد إلى القاهرة وتصدر بالمدرسة الفاضلية، ثم انتقل إلى الإسكندرية .

كان رحمه الله أصفى الناس ذهنًا وأقدرهم بيانًا مع الإيجاز اشتهر بالتصانيف المختصرة المنقحة في جملة من العلوم، ورزقت مصنفاته القبول، فمنها في النحو «الإيضاح» شرح المفصل للزمخشري، و « الأمالي » الذي هو الغاية في الدقة، و « الكافية » وشرحها . والكافية على وجازتها حوت مقاصد النحو بأسرها، فلا غرابة أن يتسابق حذاق النحاة في شرحها . ويوجد في كشف الظنون تفصيلها (نوردها في موضعها إن شاء الله تعالى) ومن شرحها الرضي والجامي، توفي رحمه الله بالإسكندرية سنة ٦٤٦هـ (مخطوطات القرويين ٢/ ١٧، ونشأة النحو / ٢١٧، وتاريخ الأدب العربي / ٣٧٠).

وقد ذكره الإمام السيوطي فيمن كان بمصر من الفقهاء المالكية وقال عنه :

برع في الأصول والفروع والعربية وغيرها، وكان ركنًا من أركان الدين في العلم والعمل، صنّف المختصر في الأصول، ومنتهى السؤال في الأصول، والمختصر في الفقه، والكافية في النحو وشرحها، والوافية وشرحها، والشافية في التصريف وشرح المفصّل والأمالي النحوية وقصيدة في العروض. مات بالإسكندرية سادس عشري شوال سنة ست وأربعين وستمائة عن خمس وثمانين سنة، حدث عنه الشرف الدمياطيّ وغيره (حسن المحاضرة ١/ ٤٥٩).

وقد ذكره ابن قنفذ القسنطيني في وفيات سنة ٦٤٧هـ وقال عنه :

في سنة سبع وأربعين وستمائة توفي الشيخ الفقيه المحصل المدرك أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب صاحب « المختصرين العجيبين » وغيرهما ا هـ .

(كتاب الوفيات / ٣١٩).

قال علي مبارك: نقلا عن ترجمة ابن خلكان في تاريخه لابن الحاجب:

أي غد مع يددذي حروف
طاوعت في الروي وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونا
ت عصتهم وأمرها مستبين

وهو جواب عن البيتين المشهورين وهما:

ربما عالج القوافي رجال
في القوافي فتلتوي وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين
وعصتهم نون ونون ونون

فيعني بقوله عين وعين وعين نحو غد ويد ودد فإن وزن كل منها فع، إذ أصل غد غدو ويد يدي، ودد، ددي وبقوله: نون ونون ونون الدواة والحوت والنون هو الحرف.

وله أيضًا في أسماء قداح الميسر ثلاثة أبيات وهي:

هي فذ وتوأم ورقيب
ثم حلس ونافس ثم مسبل
والمعلى والوغد ثم سفيح
ومنيح وذي الثلاثة تهمل
ولكل مما عداها نصيب
مثله إن تعد أول أول

وصنف في أصول الفقه، وكل تصانيفه في نهاية الحسن والإفادة، وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات والتزامات تبعد الإجابة عنها.

وكان من أحسن خلق الله ذهنا ولما عاد إلى القاهرة أقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه، وجاءني (الضمير يعود على ابن خلكان) مرارا بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية مشكلة، فأجاب أبلغ إجابة بسكون كثير وتثبت تام، ومن جملة ما سألته عن مسألة اعتراض الشرط على الشرط في قولهم: إن أكلت إن شربت فأنت طالق، لم تعين تقديم الشرب على الأكل بسبب وقوع الطلاق حتى لو أكلت ثم شربت لم تطلق، وسألته عن بيت أبي الطيب المتنبي وهو قوله:

لقد تصبرت حتى لات مصطبر
فالآن أقحم حتى لات مقتحم

ما السبب الموجب لخفض مصطبر ومقتحم ولات ليست من أدوات الجر، فأطال الكلام فيهما وأحسن الجواب عنهما ولولا التطويل لذكرت ما قاله.

ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة بها فلم تطل مدته هناك وتوفي بها ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ست وأربعين وستمائة، ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي أسامة، وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسمائة بإسنا رحمه الله تعالى انتهى. (الخطط التوفيقية ٨/ ٢٠١-٢٠٣).

أما من حيث المخطوطات فتوجد نسخ من مخطوط كتاب ابن الحاجب « الإيضاح » على مفصل الزمخشري وبيان كل منها كما يلي:

١ - خزانة القرويين بمدينة فاس:

جزء واحد ضخم بخط مغربي مبتور الأوائل مكتوب بالسواك في كاغد متين. أوله: في الكلام على نعم وفي الورقة الموالية فصل وقوله سبحانه فنعما هي ... وآخره منتهى الإدغام. وكتاب المفصل هو تأليف في النحو للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨.

وفي آخر كتاب ابن الحاجب هذا ما نصه: عاينه محوزا بخزانة عربي جامع الأندلس شرفه الله عبيد الله تعالى محمد العربي بن محمد البوعناني لطف الله به وعقبه أيضًا ما نصه: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم هذا السفر المبارك لابن الحاجب على المفصل للإمام الزمخشري سهم الله له بمنه وذكر شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم المدعو بالقدومي أن خطه للأستاذ المحقق

ابن حياتي رحمه الله عليه وكتب على ظهره عبيد الله وأقل عبيده علي بن أحمد الدادسي لطف الله به بمنه . انظر ذكر المفصل وشروحه في الكشف ١٧٧٤ وابن حياتي المذكور ناسخا هو الفقيه الاستاذ النحوي أبو عبد الله ابن حياتي له تحقيق بالنحو والقراءات أخذ عنه ابن قنفذ القسنطيني وابن مرزوق الحفيد وكانت وفاته سنة ٧٨١ انظر بقيته في الجذوة ص ١٠٨ طبع فاس.

أوراقه ١٣٢ مسطرته ٢٤ مقياسه ٢٧/ ٢٢. (فهرس القرويين / ١٧، ١٨).

٢ - مكتبة المتحف العراقي :

ورد بعنوان : الإيضاح على مفصل الزمخشري .

الرقم ٥٣٣ .

أوله : « الله أحمد على طريقة إياك نعبد » .

عليه تملك أرخ سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م (المخطوطات اللغوية / ٢٠).

٣ - خزانة المدرسة العمانية : الرضائية (في محلةالفرافرة ـ باب النصر) بحلب وهي الآن تحت رعاية الأوقاف :

الإيضاح :

تأليف جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب .

- شرح فيه كتاب (المفصل) لجار الله الزمخشري في النحو شرحًا وافيًا متناولاً فيه حل غوامضه وإعراب مشكله وشرح شواهده وعزوها إلى أصحابها .

- أوله بعد البسملة : « قال الله أحمد على طريقة إياك نعبد تقديمًا للأهم ... » .

- آخره : « ... ويبقى باعتبار شذوذيهما والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب » .

- النسخة جيدة قديمة قريبة من عهد المؤلف يعود تاريخ نسخها إلى سنة ٦٨٤هـ كتبها عبيد الله بن خضر ابن يوسف بخط التعليق الجيد، وميز بين المتن والشروح بخطوط رسمها فوق فقر المتن .

(٣٥١ ق) ـ المسطرة (٢١ ـ ٢٣س) ـ العمانية الرضائية ـ اللغة (٩٠٨).

الكشف ٢/ ٤٨٨ ـ بروكلمان ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٦ ـ بروكلمان الذيل ١/ ٥٣١ ـ ٥٣٩ (المنتخب ق٤/ ٢٤٠، ٢٤١).

خط النسخ السلجوقي. الفصول والعناوين بالثلث وبخط عريض .

قسم الأسماء ينتهي في الورقة (١١٦ب).

قسم الأفعال يبدأ من (١١٧ أ) وينتهي في (١٤٣ أ).

قسم الحروف يبدأ من (١٤٣ أ) وينتهي في (١٧٣ب).

القسم الأخير (قسم مشترك) يبدأ من (١٧٣ ب) وإلى النهاية .

في الورقة الأولى رباعيتان بالفارسية لشمس الدين كرد (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) وكذلك اسم الكتاب وتاريخ التملك .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والتوفيق الله أحمد على طريقه إياك نعبد تقديمًا للأهم ... (١ب).

آخره : ما تعذر فيه الإدغام أولى كما نبين الاستدلال وإنما أولى من يتسع وتبقى باعتبار شذوذيهما والله أعلم بالصواب . فرغ من كتابة هذا الكتاب الفقير الراجي فضل الله أفضل الدين بن عبد الصمد بن أبي الوفا أحسن الله عاقبته ليلة الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة هجرية ببلدة تبريز مدرسة الصلاحي حامدًا ومصليًا على نبيه (٢٢٠ ب).

مقياس المجلد : ٢٥ × ١٧ .

مقياس الكتابة : ١٨ × ١٢ .

عدد الأوراق : ٢٢٠ .

عدد الأسطر : ٢٥ .

رقمه فى الخزانة : ٤٣٨١ .

رقم المجلد : ٨٥٣ . (المخطوطات مكتبة متحف مولانا ق٥/ ٢٢٣، ٢٢٤).

له ترجمة فى : « غاية النهاية » ١/ ٥٠٨ ، و « شذرات الذهب » ٥/ ٢٣٤ ، و « وفيات الأعيان » ٢/ ٤١٣ ، و«النجوم الزاهرة » ٦/ ٣٦٠ ، و « بغية الوعاة » ٢/ ١٣٤ ، و «الطالع السعيد»/ ١٨٨ ، و «دائرة المعارف الإسلامية » مجلد ١/ ١٢٦ وما بها من مراجع ، و«طبقات القراء » للذهبى ٢/ ٢٠١ ، و « ذيل الروضتين » ١٦٠ ، ١٨٢ ، و « تاريخ آداب اللغة العربية » ٣/ ٥٦ ، و«الأعلام » ٤/ ٣٧٤ ، وما به من مراجع (كتاب الوفيات / ٣١٩، ٣٢٠).

(فهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢/ ١٧ ، ١٨ ، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢١٧ ، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٣٧٠ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٤٥٩ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣١٩ ، ٣٢٠ وهامش ٢ للمحقق ، والخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٣ ، والمخطوطات اللغوية فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٢٠ ، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ٢٤٠ ، ٢٤١ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ٢٢٣ ، ٢٢٤).

*** حاجي خليفة (١٠١٧ـ١٠٦٧هـ / ١٦٠٩ـ١٦٥٧م):**

الحاج خليفة أو حاجّى خليفة ترجم له سماحة آية الله السيد شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى فقال عنه :

هو العلامة الشيخ مصطفى أفندى الشهير بالكاتب الجلبى ابن عبد الله أفندى القسطنطينى المولد والمنشأ والمسكن ، العارف الأشراقى المسلك يعرف بالكاتب الجلبى تارة ، وبالحاج خليفة أخرى .

ميلاده .

ولد فى أواخر ذى القعدة سنة ١٠١٧ باسلامبول .

« مشايخه فى الرواية والدراية » .

أخذ العلوم الآلية عن الملاَّ أحمد الجلبى ، وسائر العلوم عن العلامة الشيخ محمد بن مصطفى الباريكسبرى المعروف بقاضى زاده الحنفى ، ويروى عنه كتب الحديث ، فهو من مشايخه فى الرواية والدراية .

ومنهم : العلامة الشيخ مصطفى الأعرج القاضى المتوفى سنة ١٠٦٣ أخذ عنه الفقه والفلسفة والكلام والميزان .

ومنهم : العلامة الشيخ عبد الله الكردى المدرس بجامع أيا صوفيا المتوفى سنة ١٠٦٤ .

ومنهم : العلامة الشيخ محمد الألبانى العلوى المتوف سنة ١٠٥٤ .

ومنهم : العلامة الشيخ ولى الدين تلميذ الشيخ أحمد ابن حيدر السّهرانى .

ومنهم : العلامة الشيخ ولىُّ الدين المنتشاوى الواعظ المتوفى سنة ١٠٦٥ الراوى عن العلامة المحدِّث الشيخ إبراهيم اللقانى المصرى المحدِّث المشهور صاحب الثبت والأسانيد وغيرهم .

تلاميذه والراوون عنه

أخذ وروى عنه جماعة من الأفاضل والفطاحل :

منهم : ابنه العلامة الحاج فخر الدين محمد الجلبى المتوفى فى حدود سنة ١١٤٠ فإنه استفاد عن والده وروى عنه .

ومنهم : العلامة محيى الدين البرساوى المتوفى سنة ١١٣٠ صاحب شرح العقايد النسفية وغيره .

ومنهم : العلامة الملاّ محمد نعيم الشاعر المتوفى سنة ١١٢٥ وغيرهم .

آثاره وتآليفه

جاد قلمه السيَّال، ويراعه الجوَّال بترصيف عدَّة كتب نفيسة، ومن المأسوف عليه أنَّ أكثرها لم تطبع ولم تنشر، وبقيت فى روازين خزائن الكتب، مأكولة العثة والهوام، فمن آثاره:

١ - كتاب ميزان الحق فى اختيار الأحق فى العقايد صنفه فى سنة وفاته (ونشر بالقسطنطينية عام ١٢٨١هـ).

٢ - شرح فارسى على كتاب « فارسى هيئت» للعلامة المولى عليٍّ القوشجى.

٣ - كتاب الخرائط فى تخطيط الأرض.

٤ - كتاب سلّم الوصول إلى طبقات الفحول فى تراجم الأعيان ألَّفه سنة ١٠٦٣ (وقيل ١٠٦٢).

٥ - كتاب الفذلكة فى تراجم مائة وخمسين من السلاطين، (ألف بالعربية عام ١٠٥١ هـ).

٦ - كتاب تقويم التواريخ فى الحوادث، ألَّفه على نمط التقاويم المعمولة بالتركية ورتبه على جداول، وهو كتاب نفيس جدًّا فى بابه، وكأنه فهرس للباب أكثر كتب التواريخ، فرغ منه سنة ١٠٥٨ (ونشر بالقسطنطينية عام ١١٤٦هـ) ولابنه فخر الدين الجلبى ذيل له.

٧ - كتاب جهان نما فى الجغرافيا وعلم المسالك والممالك، ألفه بالتركية، ورتّبه على الأقاليم، وذكر أسماء البلاد على ترتيب الحروف الهجائية.

٨ - كتاب تحفة الكبار فى أسفار البحار. وهو كالرِّحلة له.

٩ - كتاب التعليقة على تفسير البيضاوى أُلِّف عام ١٠٥٢ هـ).

١٠ - كتاب تحفة الأخيار فى الحِكم والأمثال والأشعار من المحاضرات، رتبه على ترتيب الحروف ووصل إلى حرف الجيم (ثم جمعه عام ١٠٦١هـ أو ١٠٦٣ هـ).

١١ - كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون قد حوى الكثير من أسماء الكتب والرسائل (فى مجلدين. يقول عنه الزركلى إنه أنفع وأجمع ما كتب فى موضوعه بالعربية، الأعلام ٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).

١٢ - كتاب المشيخة فى إجازاته وأسانيده.

١٣ - كتاب المزارات، ذكر فيه قبور الصلحاء والأولياء الثاوين ببلاد تركيا.

١٤ - كتاب فى رحلاته إلى بلاد سوريا ولبنان ومصر والعراق وإيران وما وراء النهر والحجاز والأفغان وغيرها.

١٥ - جادت قريحته بالشعر الرائق فى اللسبانين التركى والفارسى، وله ديوانان فيهما.

وغيرها ممّا سمح به قلمه وجاد يراعه من الآثار الممتعة.

أسفاره ورحلاته

حجَّ البيت وزار الحرمين الشريفين سنة ١٠٤٣ ودخل البلاد التى ذكرناها، واجتمع بأرباب الفضل والقلم فأفاد واستفاد، جاد فأجاد.

وفاته ومدفنه

توفى فجأة باسلامبول سنة ١٠٦٧ وبها قبره ومثواه جزاه الله بخدماته العلمية خيرًا.

أولاده وأخلافه

أعقب وأنجب عدَّة رجال من نوابغ العلم وأرباب القلم، فمنهم من ورد فى المشاغل الدولية والدرجات الموظفة والمناصب الحكومية. أجلهم وأنبلهم العلامة المفضال الحاج محمد فخر الدين الجلبى المتوفى فى حدود سنة ١١٤٠، له كتب و أسفار منها: كتاب التذييل لتقويم التواريخ تأليف والده العلامة الكاتب الجلبى، وتعليقة على تفسير الجلالين، ورسالة فى علم الخط، يروى عن والده وهو عن مشايخه الذين سردنا أسماءهم فى أوائل الرسالة، وله عقب إلى حال التحرير يعرفون ببيت الجلبى تارة والشلبى أخرى، فيهم الأدباء والشعراء

ورجال الفضل وأرباب التحرير والتقرير، وهم منتشرون فى البلاد كاسلامبول والموصل وحلب وبغداد وآنقرة وقارص ومرعش وغيرها.

وجه اشتهاره بالكاتب الجلبى

أمَّا اشتهاره بالكاتب: لاشتغاله بكتابة الدَّفاتر السلطانية فى الجيش العثمانى من سنة ١٠٣٥ إلى سنة ١٠٤٧ كما نصَّ عليه فى كتابه: الميزان الأحق.

وأما اشتهاره بالجلبى: فالذى يظهر من العلامة الشيخ شمس الدين محمد السخاوى فى كتابه: «الضوء اللامع» فى رجال القرن التاسع أنه بمعنى سيدى ومولاى وأنه يطلق على العلماء والأفاضل، وفى كلمات بعض الأدباء أنه بمعنى الشخص العظيم القدر ورفيع الشأن والمنزلة كما يفصح عن ذلك كلمات الأديب العارف الشهير السيد معين الدين قاسم الأنوار التبريزى فى مناجاته التى نقلها العلامة فقيد الأدب والفضل والتاريخ الآية الحجة الميرزا محمد علىّ الخيابانى المدرس المتوفى سنة ١٣٧٣ فى كتابه النفيس «ريحانة الأدب» ١/ ٢٩٨.

ورأيت فى بعض المجاميع المخطوطة بقلم بعض أفاضل بلاد تركيا أنه بمعنى الرجل الملىّ المثرىّ الغنىّ.

وأياما كان المعانى المذكورة، كلها مجتمعة فى المؤلف وإطلاق الكلمة عليه فى محلها.

ثمَّ إنه كما اختلف فى معنى تلك اللفظة اختلف فى كونها مغولية أو كردية أو تركية جغاتية وذهب إلى كلٍّ ثلة من أهل النقد وأرباب التنقيب، والأقرب عندى بحسب بحثى حولها هو الثالث والله العالم...

وليعلم أنه قد يصحف الجلبى بالشلبى فلا تظننَّ التعدُّد.

ومما هو حقيق بالذكر أنَّ المؤلّف يطلق عليه الحاج خليفة أيضًا لنيابته عن زعيم الجيش السلطانى غالبًا كما يظهر ذلك من كلماته فى كتابه: الميزان الأحق. (كشف الظنون ١/ و ـ ط).

يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة فى ذلك إن محمد باشا قائد الجيش العثمانى الذى كان يعرف حاجى خليفة شخصيا عيّنه فى عام ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م نائبا ثانيا بالإدارة المالية الرئيسية لديوان الجيش (باش محاسبه ده ايكنجى خليفة) وبهذا ثبت عليه بالتالى لقب حاجى خليفة (أعلام الجغرافيين العرب / ٦٥٤).

وقد ذكره الدكتور عبد الرحمن حميدة فى أعلام الجغرافيين العرب وقال عنه فيما يتصل بعلم الجغرافيا: ويعتبر حاجى خليفة من أعظم العلماء العثمانيين، فقد سمحت له مشاركته فى الحملات الآسيوية موظفًا إداريا بالجيش، أن يتعرف على جزء عظيم من الامبراطورية عن طريق الملاحظة الشخصية، فنجده يعدّ سنة ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥م كتاب «لوامع النور فى ظلمة أطلس مينور» وهو ترجمة تركية للأطلس الصغير الذى وضعه مركاتور وهو نديناس. واستعمل حاجى خليفة لترجمته هذه طبعة آرنهايم سنة ١٦٢١م، مستعينا بإفرنسى كان قد اعتنق الدين الإسلامى وتسمَّى باسم إخلاصى شيخ محمد أفندى، وقد رفع إلى السلطان محمد الرابع سنة ١٦٤٨م كتابًا فى تاريخ الكون والموجودات اسمه جهانْنُما، فلما أنجز ترجمة «الأطلس الصغير» عمد إلى كتابه هذا فأخرجه إخراجًا جديدًا بالكلية على أساس الأطلس المشار إليه وغيره من المصادر الأوربية، ولكن المنية لم تمهله فعاجلته قبل إتمامه. وكان قد نشر فى السنة التى سبقت كتابًا فى تاريخ البحرية العثمانية اسمه «تحفة الكبار فى أسفار البحار».

وله كتاب «كشف الظنون» وهو أشبه بدائرة معارف وسجل عام فى تواريخ المصنفات المختلفة. بيد أن الغالبية العظمى من مصنفاته إنما تعنى قبل كل شىء بالتاريخ بل وبالجغرافية أيضًا بالقدر نفسه. أما بالنسبة لنا فتشغل المكانة الأولى بالطبع مؤلفاته المخصصة للجغرافيا أو المتعلقة بها اتصالاً مباشرًا وعددها أربعة: كشف الظنون الذى وضعه بالعربية والذى يحيط بسائر

فروع العلم والأدب، ثم كتابه الأساسى فى الجغرافيا العامة باللغة التركية، وأخيرا «لوامع النور» و«تحفة الكبار» «المتعلق بالجغرافية الملاحية (أعلام الجغرافيين العرب / ٦٥٤) ويسوق المؤلف بعد ذلك نموذجا من كتاب «تحفة الكبار» ص ٦٥٧ ــ ٦٥٩ فارجع إليه إن شئت.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ و ـ ط المقدمة، و «حاجى خليفة» ـــ د. عماد الدين خليل. من أعلام التربية العربية الإسلامية، مكتب التربية العربى لدول الخليج ٤/ ١٧٦، ١٧٧، وأعلام الجغرافيين العرب ـــ د. عبد الرحمن حميدة / ٦٥٤، والأعلام للزركلى ٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).

*** حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح:**

حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح: لشمس الدين محمد ابن قيم الجوزية الحنبلى المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة (٧٥٢) وهو مختصر على سبعين بابا كلها فى الأخرويات أوله: الحمد لله الذى جعل جنات الفردوس لعباده... إلخ. ثم لخصه تلميذه بحذف أسانيده وسماه الداعى إلى أشرف المساعى أوله: الحمد لله الذى أوضح لعباده الصالحين ... إلخ ورتب على ثمانية أبواب.

(كشف ١/ ٦٢٣).

أحد مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٨٤٦٨.

كتاب فى الترغيب لطلب الجنة بالأعمال الصالحة وأن الإنسان لم يخلق عبثًا وهو على سبعين بابًا كلها فى الأخرويات.

المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر ابن أيوب الزرعى الحنبلى المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م.

أوله: الحمد لله الذى جعل جنات الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتحفظ سواها شغلاً، وسهل له طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ...

آخره: وفى الحديث: أفضل الدعاء الحمد لله، فالدعاء هاهنا دعاء ثناء وذكر يُلهمه أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: إبراهيم بن محيى الدين بن أحمد الدويك الشافعى.

تاريخ النسخ: ٩ رمضان سنة ٩٦٣هـ بالجامع الكبير بطرابلس.

٥٤٨ ـ نسخة ثانية.

الرقم ١١٠٥٩.

أولها: كالسابقة.

آخرها: مخروم وهى عبارة عن عشر ورقات من الكتاب مخرومة بموضعين ق٨ و ق ١٠ والخرم فى ق ٨ كبير من الباب ١ ـ ٧٠.

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة قيمة مراجعة عليها خطوط بعض العلماء كالشمس ابن طولون الحنفى لكنها مخرومة أو بالأحرى هى قطعة صغيرة من الكتاب أخرجت من دشت الظاهرية.

مصادر عن الكتاب: معجم المطبوعات / ٢٢٣.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٩/ ١٠٦، الوافى بالوفيات ٢/ ٢٧٠، البدر الطالع ٢/ ١٤٣.

طبعات الكتاب: ١ - فرج الله الكردى بمصر سنة ١٣٢٥هـ.

٢ - الأنوار بمصر سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م بـ ٣٠٠ ص بتصحيح حسن محمود حسن ربيع (فهرس الظاهرية ١/ ٣٩٩، ٤٠٠).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـــ وضع رياض محمد المالح ١/ ٣٩٩، ٤٠٠).

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى من « حادى الأرواح » ط مكتبة نهضة مصر . القاهرة . الطبعة الثانية . برقم الإيداع ١٩٧١ م وتقع فى ٣٣٦ صفحة + ٦ صفحات فهرس . وقد نقلنا منها مادة « أسماء الجنة » فى م ٤/ ٤٩٥ ـ ٤٩٩ فانظرها فى موضعها إن شئت .

*** أبو الحارث البغدادى (ـ ٢٤٠ هـ):**

هو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادى ثقة معروف حاذق ضابط للقراءة محقق لها قال أبو عمرو الدانى كان من جُلّة أصحاب الكسائى .

عرض على الكسائى وهو من جلة أصحابه وروى الحروف عن حمزة بن القسم الأصول وعن اليزيدى .

روى القراءة عنه عرضًا وسماعًا سلمة بن عاصم صاحب القراء ومحمد بن يحيى الكسائى الصغير والفضل بن شاذان ويعقوب بن أحمد التركمانى ، وقد غلط الشذائى فى نسبه فقال الليث بن خالد المروزى وكذا الأهوازى فقال المروزى الحاجب وذاك رجل آخر قديم محدث من أصحاب مالك يكنى أبا بكر ، توفى سنة ٢٠٠ هـ أو نحوها ويقال له البلخى أيضًا ، وهذا مات سنة ٢٤٠هـ .

(البحث والاستقراء ـ محمد الصادق قمحاوى / ٦٤).

*** الحارث بن حاطب:**

قال عنه الإمام النووى :

الحارث بن حاطب الصحابى رضى الله عنه مذكور فى المهذب فى الشهادة على هلال رمضان وفى باب السرقة ، وهو الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القريشى الجمحى المكى . وأمه فاطمة بنت المجلل ولد بأرض الحبشة فى الهجرة هو وأخوه حمد بن حاطب وكان الحارث أسن واستعمل عبد الله بن الزبير الحارث على مكة سنة ست وستين هكذا قاله ابن الكلبى والزبير بن بكار وأبو عمر بن عبد البر وغيرهم . وقال ابن إسحاق إنه هاجر إلى الحبشة والأول أصح . وظن أبو عبد الله بن منده أن الحارث بن حاطب هذا خرج مع النبى ﷺ يوم بدر هو وأبو لبابة فردهما واستخلف أبا لبابة على المدينة وضرب لهما بسهمهما وغلطوه فى هذا قالوا وإنما الذى رده النبى ﷺ الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأنصارى الأوسى وأما الأول فقرشى جمحى ولد بالحبشة ولم يقدم المدينة إلا بعد بدر وهو صبى والله أعلم . وحديثه المذكور فى المهذب حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٥٠).

*** الحارث المحاسبى (ـ ٢٤٣هـ / ـ ٨٥٧م):**

من الطبقة الأولى للصوفية وفقا لترتيب أبى عبد الرحمن السلمى . قال عنه ابن النديم : الحارث بن أسد المحاسبى البغدادى من الزهاد المتكلمين على العبادة والزهد فى الدنيا والمواعظ وكان فقيها متكلمًا مقدَّما . كتب الحديث ، وعرف مذاهب النساك . وتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب «التفكر والاعتبار » قال الخطيب : له كتب كثيرة فى الزهد وأصول الديانة ، والرد على المعتزلة (الفهرست / ٢٦١).

وترجم له الزركلى فقال : الحارث بن أسد المحاسبى ، أبو عبد الله ، من أكابر الصوفية . كان عالما بالأصول والمعاملات ، واعظا مبكيا ، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم . ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد . وهو أستاذ أكثر البغداديين فى عصره . من كتبه « آداب النفوس » صغير ، و « شرح المعرفة » تصوف ، و « المسائل فى أعمال القلوب والجوارح » رسالة ، و « المسائل فى الزهد وغيره» « رسالة ، و « البعث والنشور » رسالة ، و « مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه » و « الرعاية لحقوق الله عز وجل » و « الخلوة والتنقل فى العبادة ».و « معاتبة النفس » مخطوط فى الأزهرية ، و«كتاب التوهم » « رسالة المسترشدين » (الأعلام ٢/ ١٥٣).

وقال عنه الإمام القشيرى : عديم النظير فى زمانه علمًا

وورعًا ومعاملةً وحالاً... قيل إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئًا، قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى فى الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئًا وقال: صحت الرواية عن النبى ﷺ أنه قال: « لا يتوارث أهل مِلّتين شىء ». سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت محمد بن مسروق يقول: مات الحارث بن أسد المحاسبى وهو محتاج إلى درهم، وخلف أبوه ضياعًا وعقارًا فلم يأخذ منه شيئًا. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول: كان الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق فكان يمتنع منه. وقال أبو عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلّموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبى، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمرو بن عثمان المكى لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق (أى بين الشريعة والحقيقة) (الرسالة القشيرية / ٢٠).

ومن كلام الحارث المحاسبى:

المحاسبة والموازنة فى أربعة مواطن: فيما بين الإيمان والكفر، وفيما بين الصدق والكذب، وبين التوحيد والشرك، وبين الإخلاص والرياء.

- من اجتهد فى باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته فى ظاهره ـ مع جهد باطنه ـ ورثه الله تعالى الهداية إليه، لقوله عز وجل: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة.

- خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم.

- والذى يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار، والذى يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف.

- لا ينبغى أن يطلب العبد الورع بتضييع الواجب.

- صفة العبودية ألا ترى لنفسك ملكا، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا.

- التسليم هو الثبوت عندنزول البلاء، من غير تغير منه فى الظاهر والباطن.

- وسئل عن الرجاء فقال: الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته، وصدق حسن الظن عند نزول الموت.

- الحزن على وجوه: حزن على فقد أمر يحب وجوده، وحزن مخافة أمر مستقبل، وحزن لما أحب من الظفر بأمر فيتأخر عن مراده، وحزن يتذكر من نفسه مخالفات الحق فيحزن له.

- حسن الخلق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه، وطيب الكلام.

- لكل شىء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر.

- العمل بحركات القلوب فى مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح.

- من طبع على البدعة متى يشيع فيه الحق؟.

- إذا أنت لم تسمع نداء الله، فكيف تجيب داعى الله؟ ومن استغنى بشىء دون الله جهل قدر الله.

- الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمّه الناس، والقانع غنىّ وإن جاع، والحريص فقير وإن ملك.

- من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة.

- وسئل: من أقهر الناس لنفسه؟ فقال: الراضى بالمقدور.

- من لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها.

- أكمل العاقلين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته (طبقات الصوفية / ١٦، ١٧).

أما من حيث المخطوطات لمصنفات الحارث المحاسبى فيوجد منها فى قسم المخطوطات بمركز

الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ما يلى :

١ - رسالة المسترشد : وبيان المخطوط هو:

رقم الحفظ : ٧٢ ـ ف .

الفن : تصوف .

عنوان المخطوط : رسالة المسترشد .

بداية المخطوطة : قال أبو عبد الله : الحمد لله الأول القديم الواحد الجليل الذى ليس له شبه ولا نظير ... ليهلك مَنْ هلك عن بيِّنة .

نهاية المخطوطة : ... والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... ورقة بالمراقبة وبالله التوفيق ...

نوع الخط : نسخي واضح .

تاريخ النسخ : القرن ٧هـ / ١٣م .

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة ، قوبلت على الأصل .

٣ - شرح المعرفة وبذل النصيحة :

رقم الحفظ : ٧٣/ ٣ ـ ف .

الفن : أخلاق .

عنوان المخطوطة : شرح المعرفة وبذل النصيحة .

بداية المخطوطة : قال أبو عبد الله ... ما استعان أحد على نفسه وإحراز دينه بمثل المراقبة لله عز وجل ...

نهاية المخطوطة : وجعل هذا الكتاب « مراءة » بين عينيك فى أحوالك فلم أدع شيئًا من النصيحة إلا بذلته لك والسلام ...

نوع الخط : نسخي واضح .

تاريخ النسخ : القرن ٩هـ / ١٥م .

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة .

مكان الحفظ : الأزهرية برقم ١٢٠٨ ، تصوف (فهرس المصورات / ٧١، ٧٢، ٧٤) .

وقد جاء فى الموسوعة الصوفية (ص ٣٥٥) أن رسالة الدكتوراه للشيخ الإمام عبد الحليم محمود رحمه الله كانت عن الحارث المحاسبى .

(الفهرست لابن النديم / ٢٦١ ، والأعلام للزركلى ٢/ ١٥٣ عن تهذيب التهذيب ٢/ ١٣٤ ، وابن الوردى ١/ ٢٢٧ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٧ ، وميزان الاعتدال ١/ ١٩٩ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٧٣ ، والفهرس التمهيدى ، وابن خلكان ١/ ١٢٦ ، وتاريخ بغداد ٨/ ٢١١ وفيه : قيل إن الحارث تكلم فى شىء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل ، فاختفى فى داره ببغداد ، ومات فيها ، ولم يصل عليه إلا أربعة نفر ، والأزهرية ٣/ ٦٣٢ (هامش ١/ ١٥٣) والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى/ ٢٠ ، ٢١ ، وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السُّلمى ـ يسّره ورتّبه أحمد الشرباصى / ١٦ ، ١٧ ، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م / ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ والموسوعة الصوفية ـ د . عبد المنعم الحفنى / ٣٥٥) .

*** الحارثى (٦٥٢ - ٧١١هـ / ١٢٥٣ - ١٣١٢م):**

مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى ، سعد الدين العراقى ثم المصرى ، فقيه حنبلى . نسبته إلى « الحارثية » من قرى غربى بغداد ، ولد ونشأ بمصر ، وسكن دمشق فولى بها مشيخة الحديث النورية ، ثم عاد إلى مصر ، فدرَّس بجامع طولون ، وولى القضاء سنة ٧٠٩ إلى أن توفى . وكان سُنيًّا أثريًّا متمسكا بالحديث ، أثنى عليه الذهبى فى طبقات الحفاظ . من كتبه « شرح المقنع لابن قدامة فى الفقه » جزء منه ، وهو كبير ، لم يتمه ، و« شرح سنن أبى داود » لم يكمله أيضًا ، و « الأمالى » فى الحديث والتراجم . توفى بالقاهرة .

(الأعلام للزركلى ٧/ ٢١٦ عن الدرر الكامنة ٤/ ٣٤٧ ، وحسن المحاضرة ١/ ٢٠٢ ، والكتبخانة ٣/ ٢٩٥ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨) .

*** الحازمى (٥٤٨ - ٥٨٤هـ / ١١٥٣ - ١١٨٨م):**

محمد بن موسى بن عثمان بن حازم ، أبو بكر ، زين الدين ، المعروف بالحازمى ، باحث من رجال الحديث . أصله من همدان ، ووفاته ببغداد . له كتاب « ما اتفق لفظه واختلف مسمّاه » فى الأماكن والبلدان المشتبهة فى

الخط، و « الفيصل » فى مشتبه النسبة، و « الاعتبار فى بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار » فى الحديث، و«عجالة المبتدى وفضالة المنتهى » فى النسب، علّقه وفهرس له عبد الله كنون، و« شروط الأئمة الخمسة » فى مصطلح الحديث، وغير ذلك (الأعلام ٧/ ١١٧، ١١٨).

ذكر الذهبى أنه كان يحفظ كتاب « الإكمال » فى المؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة. ذكر ياقوت كتاب «المؤتلف والمختلف فى أسماء البلدان » وهو الذى ذكره الزركلى أعلاه باسم « ما اتفق لفظه واختلف مسمّاه » ذكره ياقوت فى خطبة كتابه « معجم البلدان »، وذكر أن الحازمى قد اختلسه من كتاب ألّفه أبو الفتح نصرُ بن عبد الرحمن الإسكندرى فيما ائتلف واختلف من أسماء البقاع، ويوجد من كتاب « الفيصل » نسخة خطية فى الظاهرية حديث ٥٣٠ فى مجلد فيه ثمانية أجزاء، ومن كتابه الآخر نُسخ خطية ذكرها بروكلمان فى « تاريخه » ٦/ ١٨٥ (النسخة العربية).

له ترجمة فى « تكملة » المنذرى ج١/ ترجمة (٤٥) «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٩٤، « تذكرة الحفاظ » ٤/ ١٣٦٣ (مقدمة تحقيق كتاب ... ١/ ٥٦).

(الأعلام للزركلى ١/ ١١٧، ١١٨ وما جاء بهامش ١ من مراجع، و « مقدمة تحقيق كتاب توضيح المشتبه لابن ناصر الدمشقى - محمد نعيم عرقسوسى، مجلة البصائر ١/ ٥٦).

*** الحاسب أبو كامل الشجاع المصرى (-٢٣٥هـ / -٨٥٠م):**

رياضى عربى قام بتكملة أعمال العلامة الخوارزمى فى الجبر، وإيجاد جذرى المعادلات من الدرجة الثانية. أدخل الضرب والقسمة للكميات الجبرية وله دراسات جبرية عن الأشكال الخماسية وذات الأضلاع العشرة.

(معجم العلماء العرب - باقر أمين الورد المحامى - راجعه الأستاذ كوركيس عواد، ١/ ١٢٠، ١٢١).

*** الحاسب الكرخى:**

انظر: الكرخى.

*** الحاسد والمحسود:**

رسالة، تأليف: أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م.

نسخة فى المكتبة الأزهرية بالجامع الأزهر فى القاهرة، كتبها على بن هلال المعروف بابن البواب، ت ٤١٣هـ/ ١٠٣٢. راجع: طرازى (١/ ١٩٩).

(أقدم المخطوطات العربية فى مكتبات العالم - كوركيس عواد / ١١٧).

انظر: ابن البواب.

*** حاشا:**

قال الإمام السيوطى: حاشا: اسم بمعنى التنزيه فى قوله تعالى: ﴿ **حاشا لله ما علمنا عليه من سوء** ﴾ [يوسف: ٥١] ﴿ **حاشا لله ما هذا بشرا** ﴾ [يوسف: ٣١] لا فعل ولا حرف بدليل قراءة بعضهم حاشًا لله بالتنوين، كما يقال براءة الله. وقراءة ابن مسعود: حاشا الله، بالإضافة كمعاذ الله وسبحان الله، ودخولها على اللام فى قراءة السبعة، والجار لا يدخل على الجارّ، وإنما ترك التنوين فى قراءتهم لبنائها لشبهها بحاشا الحرفية لفظا، وزعم قوم أنها اسم فعل معناها أتبرأ وتبرأت لبنائها. وردّ بإعرابها فى بعض اللغات. وزعم المبرد وابن جنى أنها فعل، وأن المعنى فى الآية جانب يوسف المعصية لأجل الله، وهذا التأويل لا يتأتى فى الآية الأخرى. وقال الفارسى: حاشا: فعل من الحشاء وهو الناحية: أى صار فى ناحية: أى بعد مما رمى به وتنحى عنه فلم يغشه ولم يلابسه، ولم يقع فى القرآن حاشا إلا استثنائية.

(الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٢١٠).

*** حاشا:**

ذكره المظفر الرسولى فى الأدوية المفردة، ورمز إلى مصادره بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية ».

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

ز : الزهراوى .

قال المؤلف :

حاشا ـ ع : يعرف بصعتر الحمير، وينبت كثيرا بأرض البيت المُقدس وما والاها ، وجُلّ الناس يعرفونه ، وهو يقطع ويسخِّن إسخانا بينا ، فهو لذلك يُدر الطمث والبول، ويخرج الأجنة ، ويفتح سُدد الأحشاء ، وينفع النفث من الصدر ومن الرئة ، فيوضع من الإسخان والتجفيف فى الدرجة الثالثة ، وإذا شرب بالملح والخل أسهل بلغما ، وإذا استعمل طبيخه بالعسل ، نفع من عسر النفس الذى يحتاج معه إلى الانتصاب ومن الريق ، وأخرج الطود الطوال من البطن ، وأدر الطمث ، وأخرج المشيمة ، وإذا أكل نفع من ضعف البصر، وقد يصلح استعماله فى وقت الصحة وينقى الكبد والمعدة ، وإذا سحق وعجن بالماء والعسل ، وشرب منه مقدار مثقالين ، نفع من القولنج ، وحلل الفضول ، وقوى الكُلى ...

وينفع من وجع الفم والحلق ، ومما ينفع منه الأفتيمون ، غير أنه دونه ، وفُقَّاحه يسهل المرة السوداء ، إذا خلط مع الملح . والشربة من فقَّاحة : مثقالان مع ماء وخل . والحاشا والصعتر يذهبان الظلمة التى فى البصر، ويلطفان البلغم . والحاشا أقوى من الصعتر فى ذلك .

« ج » يسمى المأمون . وهو حشيشة لها زهر أبيض إلى الحمرة ، وقُضُب دقاق تشبه قُضُب الإذخر، وزهره مستدير، وورقه صِغار دقاق ، وهو حار يابس إلى الثالثة ، أو فيها ، محلل مقطع حتى الدم المنعقد ، يخلط مع الطعام ، فيحفظ قوة البصر ، ويدر البول والحيض ولو طلى على القطن ، وقدر ما يستعمل منه درهمان .

«ف» ينقِّى المعدة والكبد ، ويدر البول والطمث ، وهو يضر بالرئة ، ويدفع ضرره النعنع . الشربة منه : درهمان .

« ز » بدله : صعتر جبلى بالسواء ، وقيل بدله أفتيمون إقريطى . وقال ابن الجزار مثله .

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٧٩، ٨٠) .

*** الحاشية:**

عبارة عن أطراف الكتاب ثم صار عبارة عما يكتب فيها وما يجرد منها بالقول فيدون تدوينا مستقلا متعلقا ويقال لها تعليقة أيضًا وأول من دونها على ما عرف ... (كشف ١/ ٦٢٣) .

*** حاشية الأنوار لعمل الأبرار:**

من مخطوطات الفقه الشافعى بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

مؤلفه : محمد الكردى .

ناقص فى أوله والموجود يبدأ بـ (الماء فى الماء فى الأوصاف الثلاثة الطعم واللون والرائحة فإنه يقدر بالمخالف الوسطى للماء كطعم الرمان ... إلخ) .

آخره : (وهو القول بصحة الدور والعمل به مع المفاسد التى تترتب عليه ومع زيادة فى المفاسد لم أذكرها تم الكتاب) .

خطه عادى ، كتب الفصول والأبواب بحبر أحمر.

و : ٢٦٣ .

م : ٢٢ × ١٦

س : ٢٣ . ت/ ٢٣٣ .

مصادر الكتاب والمؤلف : معجم المؤلفين جـ١٠/ ٥٤ وهدية العارفين جـ٦/ ٣٤٢ .

(كتب فى آخر الكتاب ما يلى : « وهذه الحاشية لمولانا محمد الكردى رحمه الله الواقعة على الأنوار وإن المؤلف رحمه الله مات فى أثناء تأليفها ») .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانة ـ إعداد محمود أحمد محمد ، ١/ ٢٥٨) .

*** حاشية أبي البقاء في المنطق:**

من مخطوطات المنطق في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

المؤلف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي الحنفي الكفوي المتوفى ١٠٩٤هـ.

أوله: (باسمه سبحانه وتعالى ونحمده والصلاة على رسوله وآله ... إلخ).

آخره: (كما أن الحيوان في قولنا حيوان ناطق مستعمل في معناه والتقييد يفهم من هيئة المركب الوضعي. هذا ما أردنا إيراده والحمد لله).

ناسخه: عبد القادر بن ملا مصطفى بن ملا عمر بن ملا عبد الله بن ملا محمد بن حاج رشيد بن ملا محمد الغزي الشرالي السنكاوي نسخه / ١٢٤٠هـ. خطه الاستنساخ.

و: ٦.

م: ٢١ × ١٥.

س: ١٩ ت/ مجاميع / ١٧٣ ـ ١٧٧ .

المصادر: فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل جـ٦/ ٢٩ و ٧/ ١٠٢ و ٢٠٦ ومعجم المؤلفين ٣/ ٣١ وهدية العارفين ٥/ ٢٢٩.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٤٤).

*** حاشية التفتازاني على تفسير الكشاف جـ٣:**

من مخطوطات التفسير في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

(الأصل هو « الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨. راجع كشف الظنون ٢/ ١٤٧٥).

مؤلفه: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) ٧١٢ ـ ٧٩١هـ/ ١٣١٢ ـ ١٣٨٩م (معجم المؤلفين ١٢/ ٢٢٨ وكشف الظنون ٢/ ١٤٧٨).

مخطوط بمكتبة وزارة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

أوله: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وبيّن لأولي الألباب بيّنات وحججا ... إلخ.

آخره: قوله: « وما آتيه » يريد أن المحيا والممات مجازات عما يقارنهما ويكون معهما ... كالصلاة وسائر العبادات جعلنا الله ممن خلص لله أمر محياه ومماته.

ناسخه: عبد الجليل جمال البرهان سنة ٨٢٥هـ. ورقه عادي، خطه فارسي ... عليها تملك من قبل ابن عناية الله زين العابدين الحسني. وحسن بن خالد سنة ١٢٢٠هـ.

و: ٣١٨.

م: ٢٥ × ١٦.

س: ٢٩ ت/ مجاميع / ٣٧٨.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٦١، ٦٢).

*** حاشية التفتازاني على شرح الإيجي على مختصر ابن الحاجب:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الكلام.

مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

رقم الحفظ: ٢٥٥ / ١ ـ ف.

تأليف مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين، وشهرته التفتازاني توفي سنة ٧٩١هـ، القرن ٨هـ / ١٤م.

المصادر: كشف الظنون ٢/ ١٨٥٣.

الأعلام ٧/ ٢١٩.

كحالة ١٢/ ٢٢٨.

بروكلمان ٢/ ٢١٥.

بروكلمان ـ ملحق ٢/ ٣٠١.

بداية المخطوطة: الحمد لله الذي وفقنا للوصول إلى

منتهى أصول الشريعة الغـراء ... وبعد فكما أن المختصر للشيخ الإمام جمال الملة والدين ابن الحاجب ...

نهاية المخطـوطة : قوله والعلم من هـذا القبيل أى ما يعرف بالقسمة والمثال ولا يعرف .

نوع الخط : تعليق .

تاريخ النسخ : القرن : ١٢هـ ـ ١٨م .

(فهرس المخطوطات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسـات الإسلامية . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ٢٠٠) .

*** حاشية الجرجانى على شرح الأصفهانى على تجريد الكلام للطوسى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الكلام .

. مخطوط بمـركز الملك فيصـل للبحوث والـدراسات الإسلامية .

رقم الحفظ : ١٤٨ ـ ف .

عنوان المخطوط الفرعى : حاشية التجريد .

تأليف على بن محمـد بن على ، الجـرجانى ، السيـد الشـريف ، وشهـرتـه الجـرجـانى تـوفى سنـة ٨١٦هـ / ١٤١٣م .

القرن : ٩هـ/ ١٥م .

المصادر : بروكلمان ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧ .

بروكلمان ـ ملحق ٢/ ٣٠٥ .

كحالة ٧/ ٢١٦ .

الأعلام ٥/ ٧ .

كشف الظنون ١/ ٣٤٧ .

بدايـة المخطوطة : قولـه أما بعد حمد واجب الـوجود على نعمائه خص بالذكر مـن صفاته العلى ما هو أخص به تعالى أعنى الوجوب الذاتى .

نهـاية المخطـوطـة : وكذا المتأثـريـة إذا كانت صفـة مـوجودة فى التأثـر احتاجت إلى أن يتأثـر المتأثر بقبـول تلك الصفـة فيكـون هناك متأثـريـة أخـرى وهكذا ويلـزم التسلسل .

نوع الخط : نسخ واضح .

تاريخ النسخ : ٨٧٤هـ ـ ١٤٦٩م .

القرن : ٩هـ ـ ١٥م .

مكان النسخ :

اسم الناسخ : شمس الدين القدسى .

ملاحظات عامة : كتب الجرجانى حاشيته هذه على شـرح العـلامـة شمس الـدين محمـود بن عبـد الـرحمن الأصفهانى ٧٤٦هـ وقد اشتهرت هذه الحاشية خاصة بين علماء الـروم بحاشية التجـريد والتـزموا تدريسهـا فكثرت عليها الحواشى والتعليقات .

مكان الحفظ : عارف حكمت برقم ٥٨ .

(فهرس المخطوطات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيل للبحوث والـدراسات الإسـلامية . العدد الثـانى ، السنة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ٢١٢) .

*** حاشية الجلبى على المطول:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى البلاغة .

مخطـوط بمكتبة الأوقـاف المـركـزية فـى السليمانيـة بالعراق .

المؤلف : حسن جلبى بن محمد شاه بن حمزة الرومى الحنفى ويعـرف بالفنـارى (الفنرى) أو (ابن الفنـارى) بدر الدين ٨٤٠ ـ ٨٦٦هـ .

أوله : (الهمنا حقائق المعانى ودقائق البيان : الأقرب إلى الفهم المراد بالإلهام فى هذا المقام معناه اللغوى وهو الإعلام مطلقا ... إلخ) .

آخـره : (إنما لم يتعـرض للبديـع لكونـه خارجـا عن البلاغة) .

نـاسخه : مجهـول ، نسخ من أصفهـان فى المدرسـة الجديدة الموسومة بالفخـرية والمشهورة بشاهنامه سنة / ١٠٩٠هـ .

خطه شبه فارسى جميل . ورقه خفيف .

و ـ ٢٣٨ .

م : ٢٤ × ١٤ .

س : ٢٤		ت/ ٢٥٠ .

المصـــادر: معجم المـؤلفين جــ ٣/ ٢١٣ ومعجم المطبـوعـات العـربيـة / ٧٥٨ وكشف الظنـون جــ١/ ٤٧٤ .

(فهرس مخطـوطات مكتبة الأوقاف المـركزية فى السليمـانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٢٠، ٤٢١).

*** حاشية الجناجى:**

وهى للشيخ أحمــد بن محمــد شــافعى بن مــوسى الجنـاجى المــالكى على شـرح السبْط المــاردينى على الياسمينية :

١ - مخطوط برلين (فهـرس ألواردت) ـ رقم 5969. Lbg .1047، ويـرجع تــاريخ نسخـه إلى حــوالى سنـة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م .

ويشير صاحب الحاشية ـ فى مقدمة المخطوط ـ إلى شيخه حيث يقول :

« لمــا منَّ الله تعـالـى بتلقِّى شـرح العــلامــة سبط المـاردينى على الياسمينيَّة عن شيخنا ... شمس الـدين محمد الدسوقى ... »، وشيخه هذا هو محمد بن أحمد ابن عرفة الدسـوقى (المتوفى سن ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م) وبالتـالى فإنَّ هذه الحاشية تعـدُّ حديثة العهد، وفيهـا يرد اسم المؤلف : « الجنابى » .

٢ - مخطوط دار الكتب والـوثائق القـومية بالقـاهرة ـ رقم : ريـاضـة ـــ ٦٢٧ ، ويضـم ٣١ ورقـة ، كُتبت سنـة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م .

٣ - مخطوط المكتبة الأزهرية بـالقاهرة ـ المجلد ٦ ـ رقم : [١٤] حليم ٣٤٥٨٦، ضمن مجموعة فى مجلد، بقلم معتاد، الأوراق : ١٣ ـ ٢٥ ، ومسطرتها ٢٣ سطرًا .

(منظومات ابن الياسمين فى أعمال الجبر والحساب ـ تحقيق ودراسة د. جلال شوقى / ١٠٥).

*** حاشية الحفنى على شرح السّبط:**

وهى حاشية بعنوان :

« فرائد عـوايد جبـرية على شـرح السبط للمـاردينية » (فى بعض النسخ لفظ « فوائد » بدلا من « فرائد ») .

وهى للعـلامة العـارف بـالله شمس الدين محمـد بن سالم بن أحمد، المعـروف بالحفنى الشافعى (١١٠١ ـ ١١٨١هـ) / (١٦٩٠ ـ ١٧٦٧م)، فرغ من تأليفها سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م .

من مخطوطات الحاشية :

١ - مخطوط دار الكتب بشبين الكوم بمصر ـــ رقم : ٨٨ . وقد فُرغ من كتابته سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م أى فى حيـاة المـؤلف، وهذه النسخـة تحمل العنـوان : « فـرائد الفوائد الجبريَّة على شرح السُبْط للياسمينية » .

٢ - مخطوط المكتبة الأزهرية بـالقاهرة ـ المجلد ٦ ـ رقم : [٤١] ٣٦١٣، ضمن مجمـوعــة فى مجلـد بقلم معتاد، الأوراق : ٣١ - ٤٦ ، ومسطرتها ٢٥ سطرًا، كُتبت بخط أحمد الجندى البوشى سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م .

٣ - مخطوط دار الكتب والـوثائق القـومية بالقـاهرة ـ رقم : ريـاضة ـ ٨٩ (٢) الكتـاب الثانى ضمـن مجموع، الصفحات : ١٧/ ب ـ ٣٧/ أ، ويرجع تـاريخه إلى سنة ١٢٠٠هـــ/ ١٧٨٥م تقـريبًـــا ، وقــد كُتب بخطين متغايرين .

٤ - مخطوط دار الكتب والـوثائق القـومية بالقـاهرة ـ رقم : رياضة ـ ٩٢٢ ، ويقع فى ٢٣ ورقة ، ويرجع تاريخه إلى حوالى سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م .

مخطوطات دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة :

٥ - رقم : ريـاضة ـ ١٨١ (١١)، الكتاب الحـادى عشـر ضمن مجمـوع الصفحات : ٤٢٠/ أـــ ٤٤٠/ أ، كُتب سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م بخط عبد الله الجاوى .

٦ - رقم : رياضة ـ ٦٥٨ ، ويضم عشر ورقات، كُتب سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م .

٧ - رقم: رياضة ـ ٣٤، ويقع فى ١٧ ورقة، كُتب سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م.

٨ - رقم: رياضة ـ ٩٢١، ويضم ١٥ ورقة، ويرجع تاريخه إلى حوالى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م.

٩ - مخطوط الخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة، رقم: رياضة ـ ١٨، ويقع فى ٣٦ صفحة، كُتبت بخط نسخى ردئ بيد محمد الدمياطى، ويرجع تاريخ المخطوط إلى حوالى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، وعليه تملك باسم محمد عبد القادر سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م.

١٠ - مخطوط المكتبة الأزهرية ـ المجلد ٦ ـ رقم: [٢١] ٣٧٧٤٠، ويقع فى ١١ ورقة، مسطرتها ٢٣ سطرًا، كُتبت سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م بقلم معتاد بخط مصطفى الحكيم، ويوجد بهذه النسخة خرم.

١١ - مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم: فلك ورياضة ـ ك ٤٠٠١ (١) الرسالة الأولى ضمن مجموع، الصفحات: ١/ أ ـ ١٥/ ب، كتبت سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م بخط نسخى ردئ بيد إسماعيل المحلِّى، ومسطرتها ٢٧ سطرًا.

١٢ - مخطوط المكتبة الأزهرية بالقاهرة ـ المجلد ٦ ـ رقم: [١٢] حليم ٣٤٥٨٤، ويشتمل على ٢٢ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرًا، كُتبت سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م بقلم نسخ بخط محمد أحمد الخوجة، وهذه النسخة مجدولة بالمداد الأحمر.

١٣ - مخطوط مكتبة جامعة پرنستون بأمريكا ـ رقم: ٣٠٥١ (فهرس ماخ ـ رقم مسلسل ٤٧٩٦) ضمن مجموع، الصفحات: ٢٣/ ب ـ ٣٤/ أ، ومسطرتها ٢٨ سطرًا، وهى بعنوان: «تعليق على اللمعة الماردينية فى شرح الياسمينية» فُرغ من نسخها فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

١٤/ ١٥ - مخطوطا دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة:

١٤ - رقم: رياضة مجاميع ـ ٦٩٠ (٦)، الكتاب السادس فى المجموع، الصفحات: ١٠٦/ ب ـ ١٢٠/ أ، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

١٥ - رقم: رياضة ـ ٨٢٧، ويقع فى ١٩ ورقة، ويرجع تاريخ كتابته إلى سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.

١٦ - مخطوط المكتبة الأزهرية بالقاهرة ـ المجلد ٦ ـ رقم: [٧] السقا ٢٨٩٠٨، ضمن مجموعة فى مجلد بقلم معتاد، مسطرتها ٢٥ سطرًا، الأوراق: ٢٤ ـ ٤٣.

١٧ - مخطوط المكتبة الأزهرية بالقاهرة ـ المجلد ٦ ـ رقم: [٢٢] صعايدة ٣٩٩٧٨، ضمن مجموعة فى مجلد، بقلم معتاد، الأوراق: ٤٥ ـ ٦٣، ومسطرتها ٢٣ سطرًا.

١٨ - مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم: رياضيات ٩٠ ـ ٩٢٢٩ ـ عام.

١٩ - مخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية بمصر ـ رقم: حساب ـ ٢٣.

٢٠ - مخطوط دار الكتب بالقاهرة ـ مكتبة مكرم ـ رقم: ١٧.

٢١ - مخطوط مكتبة جامعة پرنستون بأمريكا ـ رقم: ١٥٨.

٢٢/ ٢٣ - مخطوطا مجموعة جاريت بجامعة پرنستون، رقما: ١٠٥٢، ٢١٢٠ (٢).

٢٤ - مخطوط المكتبة البريطانية بلندن ـ ملحق ٢ - رقم: ٤٢٣ (٢٧/ أ).

٢٥ - مخطوط مكتبة الأوقاف العامة بالموصل ـ رقم: ١٠٣/ ٦٦/ ٥.

٢٦ - مخطوط مكتبة جوتا ـ رقم: ١٤٧٦.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المخطوطات التى أوردها بروكلمان فى كتابه «تاريخ الأدب العربى» اقتصرت على تلك المرقمة من ١٩ إلى ٢٦ سابقا.

(منظومات ابن الياسمين فى أعمال الجبر والحساب ـ تحقيق ودراسة د. جلال شوقى / ١٠١ ـ ١٠٥).

*** حاشية خطائى على المطول:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى البلاغة.

مخطوط محفوظ فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

(مج) OP. 3350.

تأليف: نظام الدين عثمان الخطائى المتوفى سنة: ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م.

يقول صاحب الكشف إنها « حاشية لطيفة ». وقد وضعها الخطائى على كتاب (المطول) للسعد التفتازانى الذى تناول فيه شرح كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى العلوم البلاغية.

أولها: « قال الشارح رحمه الله ... ».

آخرها: « ... هو الذكر وهو ليس بمذكور صريحًا، الحمد لله على التمام ».

النسخة تامة جيدة ويبدو أنها كتبت فى حياة المؤلف، كتبها خليل بن يوسف بخط فارسى دقيق وفرغ من كتابتها سنة ٨٧٨هـ.

(٩٥)ق (١٨ × ١٢سم) مسطرتها (١٧س).

الكشف: ١/ ٣٢٥. ذيل بروكلمان: ١/ ٥١٧.

نسخة منه (مج) OP.2266.

تامة متأخرة رديئة الخط، فرغ من كتابتها سنة ١٠٩٦هـ وخطها فارسى دقيق ردئ ولم يذكر اسم الناسخ.

(٨٣)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

نسخة أخرى: OP.3136.

تامة على هوامشها تعليقات وشروح قليلة، كتبت بخط فارسى كبير الحروف، ولم يذكر تاريخ الفراغ من النسخ أو اسم الناسخ.

(١٨٠) ق القطع الصغير المسطرة (١١ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش / ١٩، ١٩١).

*** حاشية الرسالة الوضعية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الوضع.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

المؤلف: سيد على البرزنجي.

أوله: وبأوضاع أسمائك نعتصم يا عليم قوله نزل منزلة المشخص ... إلخ.

آخره: وعلى التفاوت نبه المصنف بالتنبيه العاشر وهذا ذكرنا فى الجواب هو المطابق لما ذكره أكثر أئمة اللغة.

ناسخه: عبد القادر بن ملا مصطفى الشرالى / ١٢٤٠هـ.

و: ٧١.

م: ٢١ × ١٥.

س: ٢٤ ت/ مجاميع/ ١٧٣ ـ ١٧٧.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٤٥).

*** حاشية الرهاوى على شرح منار الأنوار:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم أصول الفقه.

مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ـ البهراقية) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف.

تأليف: شرف الدين يحيى قراجا سبط الرهاوى الحنفى.

كتاب « فى أصول الفقه حشى فيه مؤلفه على شرح كتاب « منار الأنوار » لحافظ الدين النسفى، وواضع الشرح المحشى عليه هو عبد اللطيف ابن فرشته. قال الرهاوى فى مقدمة حاشيته هذه معرفًا بالكتاب: أما بعد فهذه حاشية وضعتها على شرح المنار فى أصول الفقه للشيخ ... ابن فرشته ... تفتح منه مغلقه وتبين مجمله

وتبرز ما أهمله مع بيان ما يرد عليه والجواب عنه ...

أوله بعد البسملة: قال سيدنا ... سبط الرهاوى ... الحمد لله الذى أعلى معالم الإسلام وبيَّن قوانين الشرع والأحكام ...

آخره: ... كوطء الجارية المشركة [المشتركة] فى درء الحد.

النسخة جيدة، تمت نساختها سنة ١٠٣٧هـ وخطها فارسى واضح جيد، لم يذكر اسم الناسخ.

(٣٠٣) ق المسطرة (٣٥)س الأحمدية (٣٨٨) الأصول.

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ١٧٤، ١٧٥).

*** حاشية السمرقندى على شرح المطول:**

المؤلف: أبو القاسم بن أبى بكر الليثى السمرقندى كان حيا سنة/ ٨٨٨هـ.

أوله: « الحمد لله الذى أنعمنا بتلخيص دقائق المعانى ببدائع البيان وخصصنا بإيضاح حقائق المبانى بذرائع البرهان ... إلخ).

آخره: (أى تقييد المسند المقيد بأحد الأزمنة الثلاثة هو جزء مفهوم الفعل أعنى الحدث حقيقة والحكم بأن المسند فعل. تمت بعون الملك الوهاب).

ناسخه: مجهول نسخ سنة ١٠٣٧هـ.

خطه فارسى ورقه خفيف.

و: ١٩٨.

م:

المصادر: معجم المؤلفين جـ٨/ ١٠٣ وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ٣/ ٤٠١ ويذكر هنا تاريخ وفاة المؤلف سنة/ ٨٨٠هـ.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٣١، ٤٣٢).

*** حاشية السندى على سنن النسائى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحديث.

تأليف أبى الحسن السندى.

قال مصنفه فى الخطبة معرفًا به: (وبعد فهذا تعليق لطيف على سنن الإمام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على ... النسائى ... يقتصر على ما يحتاج إليه القارىء والمدرس من ضبط اللفظ وإيضاح الغريب والإعراب ...).

أوله بعد البسملة: وبعد فهذا تعليق لطيف ...

آخره: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

قال واضع الفهرس: النسخة جيدة، لكن لم نقف على تاريخ نسخها، ونرجح أنها كتبت فى القرن الحادى عشر الهجرى، الخط نسخ جميل، وفقر المتن بالحمرة، ولم يذكر اسم الناسخ.

(٢١٦)ق المسطرة (٢٩) س الأحمدية (٢٠٩) الحديث.

الكشف ٢/ ٣٦.

ملحوظة:

لم يرد فى طرة المخطوط اسم المؤلف بل ورد اللقب والكنية كما لم يرد فى الكشف اسمه. فقد يكون أبا الحسن بن عبد الهادى المتوفى سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م. وقد يكون أبا الحسن بن محمد صادق المتوفى سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م. وكلاهما محدث.

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ٩٧، ٩٨).

*** حاشية السيالكوتى على تفسير البيضاوى جـ١:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

مؤلفه: عبد الحكيم بن (شمس الدين) محمد السيالكوتى البنجابى الهندى الحنفى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ (انظر ترجمته فى معجم المؤلفين ٥/ ٩٤، وهدية العارفين ١/ ٥٠٤).

أوله: (الحمد لله الذي نـزل الفرقان على عبده) رتب استحقاق الحمد على تنزيلـه بعد الإشارة إلى الاستحقاق الذاتي المستفاد من لفظة الله تنبيها على عظمة أدبه ينتظم المعاش والمعاد ... إلخ).

آخره: (ناقص والموجود ينتهي بـ(فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ يشير بـذلك إلى نكتة ترقب عدم الإشراك على ...).

ناسخه: مجهول خطه نسخي ورقه عادي. في أوله وقفية مطولة من قبل سليمان باشا ابن عبد الرحمن باشا البابانى. وهذا نصها:

بسم الله الحمد لله موفق من شاء من عباده لعمل الأوقاف الوافرة الأجور، وجاعل ثوابها يجرى على أربابها وهم رهائن القبور والصلاة والسلام على من بالصلاة عليه تنشرح الصدور سيدنا محمد المنزل نعوته ونعوت أمته فى القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وعلى آله وصحبه الذين فَضْلُهم فى نصوص الكتاب والسنة مذكور وبعد فقد وقف هذا الكتاب المسمى بالعبد الحكيم على العلماء المستعدين لإتقانه الراغبين المتنافسين فى قراءته وإقرائه مالكه سليمان ولد المرحوم المبرور مير ميران عبد الرحمن باشا وجعل نظره لنفسه ما دام حيا ثم لمن تحلى بالعلم لأولاده وأحفاده ثم لأعلم علماء السادة وأوفرهم صلاحا وأخشاهم لله وأتقاهم له. وكما كتبت صيغة الوقف المذكور ونطق بها الواقف المومأ إليه تقبل الله منه بقول حسن بمنّه وكرمه حرر ذلك فى شهور سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها ألف ألف صلاة وألف ألف سلام والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا نمقه الواقف المومأ إليه.

و: ٨٠.

م: ٢٨ × ١٧.

س: ٢٧. ت/ مجاميع / ٣٢٦ـ٣٢٩.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٦٢، ٦٣).

* **حاشية السيد الشريف على شرح المطول / فى البلاغة:**

المؤلف: على بن محمد بن على الجرجاني الحسيني الحنفي ويعرف بالسيد الشريف ٧٤٠ـ٨١٦هـ.

أوله: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وبعد فهذه حواشي على الشرح المشهور لتلخيص المفتاح ... إلخ).

آخره: (أو مثل الرقطاء: الرقطاء سواد يشوبه نقطة بياض يقال دجاجة رقطاء).

ناسخه: مجهول، نسخ من قِبَل عدة أشخاص كما يظهر من الخط.

نسخة أثرية عليها تملكات من قبل عدة علماء منهم على بن أحمد الحسن بن عبد الله الطبرى والسيد أحمد ابن إسماعيل بن إسحاق وإبراهيم بن محمد بن إسحاق وغيرهم.

و: ١٦٠.

م: ١٧ × ١٢.

س: ٢١. ت/ ٢٧.

المصادر: معجم المؤلفين جـ٧/ ٢١٦ وكشف الظنون ١/ ٤٧٤.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٣٢).

* **حاشية السيد الشريف على المطول:**

من مصنفات التراث الإسلامي فى علم البلاغة.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

مؤلفه: على بن محمد بن على الجرجاني السيد شريف المتوفى / ٨١٦هـ.

أوله: (الحمد لله رب العالمين ... أما بعد فهذه حواشٍ ... إلخ).

آخره: (أو مثل الرقطاء: الرقطاء ... إلخ).

ناسخه: عبد الله بن عثمان نسخه / ١٢١٠هـ بقرية (ترمبار). خطه وورقه عاديان.

و : ١١٣.

م : ٢٢ × ١٦.

س : ١٩.　　ت/ مجاميع / ١٩٤.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٣٢، ٤٣٣).

*** حاشية سيد على الواقعة على حاشية السيد الشريف على مطالع الأنوار:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى العقائد وعلم الكلام.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

المؤلف: سيد على العجمى المتوفى ٨٦٠هـ.

ناقص الأول والموجود يبدأ (قوله والدال عليه أى على قول الشارح أعنى المركب العقلى الموصَّل إلى التصور ... إلخ).

آخرها: (ولنكتشف بهذا القدر من الكلام والعلم عند من هو للغيب علام).

و : ٢٦.

م : ٢١ × ١٦.

س : ٢١.　　ت/ مجاميع / ٣٩.

المصادر: كشف الظنون ٢/ ١٧١٥ ـ ١٧١٦.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٨٥).

*** حاشية الشبراملّسى على نهاية المحتاج:**

الأصل هو « نهاية المحتاج » للرملى شرح منهاج النووى.

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الشافعى.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

مؤلفه: على بن على الشبراملسى القاهرى (أبو الضياء: نور الدين)/ ٩٩٧ ـ ١٠٨٧هـ.

جـ٢:

ناقص فى أوله والموجود يبدأ (يرد عليه أن هذا القيد لا مفهوم له إذ التمليك بثمن لا يكون إلا بيعا ... إلخ).

آخره: (فعليه رد بدله وفيه تفصيل فى الوكالة فراجع).

ناسخه: مجهول نسخ سنة ١٢٤٤هـ.

خطه عادى، نسخة جيدة.

و : ٤٣٧.

م : ٣١ × ٢٠.

س : ٢٣.　　ت/ ٤٢٧.

مصادر الكتاب والمؤلف: معجم المؤلفين ٧/ ١٥٣ وهدية العارفين ١/ ٧٦١ وانظر كشف الظنون ٢/ ١٨٧٣ ـ ١٨٧٦.

جـ٢:

أوله: (كتاب الفرائض قوله أى مقدرة فسر بذلك مع أن الفرض مشترك على ما ذكره بقوله ... إلخ).

آخره: (ولم يضيق بالزكاة ما لم يضيق بأخذه منها على أهل الزكاة).

ناسخه: رسول بن عثمان بن حسين بن إبراهيم بن عبد الله السيويلى الرشكانى نسخه سنة ١٢٤٤ هـ ونذره على سليمان بيك بن مير ميران عبد الرحمن باشا البابانى.

و : ٣٩.

م : ٣٠ × ٢٠.

س : ٢٣.　　ت/ ٤٢٧.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٢٥٨، ٢٥٩).

*** حاشية شرح المنهج للحلبى جـ٢:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الشافعى.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بدمشق.

مؤلفه: نور الدين على الحلبى المتوفى ١٠٤٤هـ.

أوله: (كتاب البيع: قيل أفرده لأن المراد به نوع من أنواع البيوع ... إلخ).

آخره: (قوله استحق الأجرة: أى إذا خاط نصف الثوب أو بنى نصف الحائط بحضرة المالك ثم احترق الثوب أو انهدم الحائط استحق القسط لأنه لا تقصير منه بخلاف ما لو ترك العمل).

جرده الشيخ محمد العنانى من خط المؤلف على هامش نسخته شرح المنهج. فى أوله تملك من قبل السيد حسن بن الحاج على بطريقة الاستكتاب مؤرخ سنة ١١١٣هـ، جلده مزخرف أسود.

و: ١٥٨.

س: ٢٣.

م: ١٦×٢١. ت/ ٤١.

(فهرس مخطوطات المكتبة المركزية فى السليمانية ١/ ٢٦٠).

*** حاشية الشريف على الكشاف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

مؤلفه: على بن محمد بن على الجرجانى الحسينى الحنفى ويعرف بالسيد الشريف «أبو الحسن» ٧٤٠-٨١٦هـ.

أوله: (قال جار الله العلامة أحسن الله إكرامه فى دار المقامة الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما: دل بلامَىْ الجنس والملك على اختصاص الحمد به تعالى ... إلخ).

آخره: (ألا ترى أنه جعل البيانية قسمة للابتداء وأنه لا قرينة على الرزق بل هى فى نفسها رزق. انتهى ما وجد من حاشية الشريف).

ناسخه: حسن على ... بأمر شرف الدين الحسينى ابن يحيى وعليه مقابلة مؤرخة ١٠٩١هـ، خطه وورقه عاديان. عليه عدة تملكات، من قبل قاسم بن شمس الدين والحسن بن يحيى بن أحمد الكبسى. كتب العناوين الرئيسية بخط بارز.

و: ١٣٧.

س: ٣٢.

م: ٣٠×٢٠. ت/ مجاميع/ ٢٩٧-٢٩٨.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٦٣، ٦٤).

*** حاشية الشيرازى على فرائض المحرر مجهولة الاسم:**

من مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية بالسليمانية فى الفقه الشافعى.

مؤلفه: محمد العمرى المرشدى.

أوله: (أو مات الأربعة معا عن هؤلاء المذكورين ويكون فى المتساوية لتصحح بالطريق. تمت الرسالة المسماة بالشيرازى فى علم الفرائض).

ناسخه: حسين بن خضر بن محمد بن رستم المشهور بالساروارى نسخه سنة ١١٠٤هـ. خطه عادى، ورقه ترمة ثخين أملس، نسخة محشاة.

و: ٧٢.

م: ٢٢×١٦.

س: ١٩. ت/ ٢٦٩.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٢٦١).

*** حاشية العبادى على تحفة المحتاج جـ١:**

عن مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية بالسليمانية فى الفقه الشافعى.

مؤلفه: أحمد بن قاسم العبادى القاهرى الشافعى (شهاب الدين) ......، - ٩٩٤هـ.

ناقص فى أوله والموجود يبدأ بـ (الاثنين بل يقتسمونه

بالسوية كما يعلم من كلامه . وفيه أمران الأول أن قوله كما يعلم ... إلخ).

آخره : فى استثنائه نظر لأن المكاتب لا يصح استيلائه كما مر).

ناسخه : مجهول ، ورقه ثخين ، كتبت العناوين بالحبر الأحمر، خطه عادى .

و : ٢٧٨ .

م : ٣١ × ٢١ .

س : ٣٦ . ت/ ٤٠٦ .

مصادر الكتاب والمؤلف : معجم المؤلفين ٢/ ٤٨ وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل ٨/ ٢٣٩ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ١/ ٢٦١).

*** حاشية عبد الحكيم على المطول:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى البلاغة .

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية .

المؤلف : عبد الحكيم بن شمس الدين الهندى السيالكوتى أو (السيلكوتى) . . . . . . ـ ١٠٦٧هـ .

ناقص الأول والموجود يبدأ (ما ضرب زيد عمرا قصر لوقوع ضرب زيد أعنى المضروبية على عمرو ... إلخ) .

آخره : (أى فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك والمقصود أن البصرة مصر جامع . تم الكتاب المسمى بعبد الحكيم) .

ناسخه : محمود بن إبراهيم .

خطه الاستنساخ .

و : ١٥٥ .

م : ٢٠ × ١٥ .

س : ١٩ . ت/ ٢٥٤ .

المصدر: معجم المطبوعات العربية / ١٠٦٨ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ١/ ٤٣٣).

*** حاشية عبد الغفور على حاشية السيد الشريف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى البلاغة .

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلف : عبد الغفور اللارى المتوفى ٩١٢هـ .

أوله : (قوله فيه نظر لأنه أراد بالخبر الفعلى هاهنا الفعل المنفى ... إلخ) .

آخره : (فأحد التخصيصين للرد والآخر للتسليم . تمت الحاشية) .

ناسخه : مجهول .

و : ٣ .

م : ٢٢ × ١٦ .

س : ١٩ . ت/ مجاميع / ١٩٤ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٣٣، ٤٣٤) .

*** حاشية عبد الغفور اللارى على شرح الجامى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى النحو والصرف :

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلف : عبد الغفور اللارى محمد بن صلاح الأنصارى ... ـ ٩٧٩هـ .

ناقص الأول والموجود يبدأ (وقيل من الوسم ويدفعه اشتقاقه سمى وجمعه على أسماء فإنه لو كان كما قيل لكان وسم وجمعه أوساما ... إلخ) .

ناقص الآخر والموجود ينتهى بـ : (لأن السراويل مختص بالإزار فلا يصح أن يكون السروالة بهذا المعنى مفردا ولقائل) .

ناسخه : مجهول .

خطه الاستنساخ وبهامشه حاشية مدونة أخرى مجهولة الاسم . كتب العناوين الرئيسية بحبر أحمر .

و : ١٤٦ .

م : ٢٣ × ١٦ .

س : مختلف السطور.	ت/ ٢٧٠ .

المصدر: معجم المطبوعات العربية / ١٥٨٤ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ١/ ٤١٣، ٤١٤).

***حاشية عبد الواحد على مختصر الطوسى فى علم التقاويم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلك .

مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض .

رقم الحفظ : ٩٧ ـ ف .

تأليف عبد الواحد بن محمد .

تاريخ وفاته : القرن ٨ هـ .

المصادر: عن الطوسى انظر: بروكلمان ملحق ١/ ٩٣١ . كحالة ١١/ ٢٠٧ .

بداية المخطوطة : سبحان من زين الرفيع بالأنجم الزهراء ... وبعد فإن أفقر خلق الله إليه عبد الواحد بن محمد ...

نهاية المخطوطة : من شأن أوضاع التقاويم ومسائل الفن ومن أراد الزيادة على ذلك فليرجع إلى المطولات فى هذا الفن .

نوع الخط : نستعليق .

تاريخ النسخ : ../ ../ ٨١٥هـ ـ ١٤١٢م .

القرن : ٩ هـ .

اسم الناسخ : محمد بن محمد .

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة ، مختلفة الخط فى بعض المواضع ، توفى المؤلف حوالى القرن ٨ الهجرى .

(فهرس المخطوطات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ١٠٠).

*** حاشية العلامة الأديب الشيخ عبد القادر البغدادى على شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد):**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وهى حاشية حافلة بالفوائد اللغوية والنحوية والأدبية فى ثلاث مجلدات وشهرة صاحبها كافية فى التعريف بها فرغ منها ناسخها فى ٢١ ربيع الأول ١٣٤٥ وخطها واضح ولكنه لا يخلو من تصحيف .

(مجلة معهد المخطوطات العربية . م ١ جـ ٢ . ربيع الأول ١٣٧٥هـ ـ نوفمبر ١٩٥٠م/ ١٧٥).

*** حاشية العلامة محمد الخضرى على المولد الشريف للعلامة محمد الهادى:**

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

للشيخ محمد بن مصطفى بن حسن الخضرى الشافعى ، المتوفى سنة ١٢٨٧هـ (الأعلام ٧/ ٣٢٢).

أولها : « الحمد لله الذى تنزه عن الوالد والمولود » وبقية المقدمة بعد هذا تصويرها غير واضح .

وآخرها : « ولم يجعل الله فى يوم ولادته من التكاليف ما جعله فى يوم الجمعة ... وذلك لزيادة إكرامه ﷺ ... والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ... » .

نسخة كتبت بخط تعليق ، سنة ١٢٨٦هـ ، فى ٩٩ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرًا .

[دار الكتب ٣٤١ تاريخ]	UNESCO .

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م/ ١٥٠).

*** حاشية على امتحان الأذكياء:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى العلوم النحوية .

مخطوط محفوظ فى المكتبة الشعبية فى صوفية .

OP. 456 .

تأليف : مصطفى بن حمزة بن إبراهيم بن ولى الدين

ابن مصلح الدين الرومي الشهير بالآطه وى. كان حيًّا سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م.

قال واضع الفهرس: هكذا كتب في صفحة عنوان الكتاب، ولم نجده في المصادر التي بين أيدينا وقد تأكدنا من موضع الكتاب بعد أن استظهرنا ما يدل على أنه حاشية على امتحان الأذكياء لبيركلي الذي وضعه شرحًا على لب الألباب في علم الأعراب للبيضاوي. استظهرنا عبارات خطبة الآطه وى فجاء فيها مثلا: «قوله عمر البيضاوي هنا مخالفة لما في شرح المنهاج وطوابع الأنوار وحاشية التفسير لابن الشيخ».

أوله بعد البسملة: «قوله: الحمد، قيل هذا إنشاء لأن غرض القائل إنشاء الثناء ...».

آخره: «... وفي حالة النصب بالألف فلا يوقف عليه إليك الكسكسة كزلزلة على الأشهر مهملة لتقدمها. تم بعون الله الملك المنان. قد فرغ من تسويده ...».

النسخة تامة، بحالة حسنة، كتبت بخط فارسي دقيق، ولم نقف على اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٢٢٦) ق (٢٠,٥ × ١٣سم) مسطرتها (٢١).

هدية العارفين: ٢/ ٤٤١. ذيل بروكلمان: ١/ ٧٤٢.

نسخة منه　　OP.2200.

مخرومة من آخرها، ذهب بالخرم أوراق لا نعرف مقدارها. كتبت بخط فارسي رديء.

الباقي منها (٢٤٦) ق　القطع المتوسط　مسطرتها (٢٣س).

نسخة أخرى　　OP.3330.

ناقصة الأول خطها فارسي، لم يذكر تاريخها أو اسم ناسخها.

الباقي منها: (٢٣٧) ق (٢٠,٥ × ١٢,٥سم) مسطرتها (١٥س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش/ ١٠٢، ١٠٣).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

مخطوط بالخزانة العمرية ببغداد.

الرقم ٢٢٣٢٤.

لأبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المعروف بالكازروني المتوفى في حدود سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م.

الأول (قال الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا قال صاحب الكشاف في خطبته ...).

وأنوار التنزيل لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م.

نسخة كتبها بقلم جيد محمد محب الدين بن عبد الكريم بن حسن بن علي الطلخاقاني نزيل الحرمين الشريفين سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م عليها حواشي وشروح ومقابلة في نفس سنة النسخ.

(مخطوطات الخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي ـ بغداد مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٦/ ٣٣، ٣٤).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٦٣٠٦.

المؤلف: مجهول.

أولها: الحمد لله وحده وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. سورة فاتحة الكتاب: هكذا وجدت مكتوبة في أوائل المصاحف الكريمة. وهي خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه السورة مسمّاة بسورة فاتحة الكتاب على التأويل المشهور في حمل الجزء على الكلِّ ...

آخرها: قوله: عطف على أن لا يعبدوا سواء كان نهيًا أو نفيًا، ثم توصلوا إلى مطلوبكم الذي هو ربكم وغفرانه ورضوانه، وهو مدخول كلمة إلى الدالة على أنه مطلوب إليه الانتهاء. قوله: بالتوبة، أي: بالرجوع. فإن قيل كيف يظهر وجه ترتيب توبوا على ما عطفه؟ يتم الدلالة

على التراخي كما ذكر المصنّف. قلنا وجهه أنه جعل توبوا، مجازًا عن توصلوا إلى مطلوبكم.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط فارسي معتاد، وبالمداد الأسود، أسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح والتصويبات المختلفة. أصيبت النسخة بالرطوبة في أطرافها دون أن تتأثر الكتابة بذلك.

ق	م	س
٦٠	٢١ × ١٤,٥	٢٥

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمي ٣/ ٢٤٠).

* **حاشية على أنوار التنزيل «تعليقات على سورة الأنعام»:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٦٤٧٢.

المؤلف: مجهول.

أولها: قال ابن عباس رضي الله عنه، إنها مكية نزلت بمكة جملة واحدة ليلًا وشيعها سبعون ألف ملك ولهم زجل، أي صوت بالتسبيح والتحميد والتمجيد حتى كادت الأرض ترتجّ فقال النبي ﷺ سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، وخرَّ ساجدًا. وروى عنه مرفوعًا أنه قال: من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره.

آخرها: كما يقتضيه الادعاء المذكور، وبهذا اتضح أنه سبيل إلى المعطوف من روادف المعطوف عليه لما أنّ حقَّ الصلة أن تكون غير مقصودة الإفادة فما ظنك بما هو من رؤوسها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سبق له الكلام فتأمل.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط فارسي معتاد، رؤوس الفقر بالأحمر. على الهوامش بعض الشروح والعناوين، أصيبت بالرطوبة الشديدة في أعالي الأوراق وقد تأثرت الكتابة بذلك، المخطوط مفروط الأوراق وبعضها مرمم. على الورقة الأولى قيد تملك باسم عبد الرحيم بن العطار تاريخه سنة ١١٥٨هـ.

ق	م	س
٤٠	٢٠,٥ × ١٥,٥	١٩.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمي ٣/ ٢٣٥).

* **حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل ...حاشية بستان أفندي على تفسير سورة الأنعام.**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٧٦٧٣.

المؤلف: مصلح الدين مصطفى بن مصطفى بن محمد بن علي الرومي القاضي والمعروف ببستان أفندي والمتوفى سنة ٩٧٧هـ.

أولها: أخبر بأنه حقيق بالحمد، يجعله مقابلًا للاستحقاق الفعلي المستدعي للاستحقاق الوصفي، إلى أنه إخبار بالاستحقاق الذاتي، يعني أنه سبحانه أخبر أولًا بأنه حقيق الحمد باعتبار ذاته المقدس من غير اعتبار صفاته.

آخرها: فهو كقوله: ﴿ **واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله ثمّ توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ [البقرة: ٢٨١] قالوا: هذه آخر ما نزل. فهي فذلكة للقرآن العظيم فلا جرم كانت لتاليها حرزًا من عقاب النيران، وحزبًا مفضيًا له إلى مغفرة الغفران، وموصلًا إلى رحمة الرحمن، فختمت بهما، كأنه قيل: احمدوا الله واشكروا له ولا تشركوا به تنجوا من عقابه وتفوزوا إلى ثوابه. قال الله تعالى: ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرًا عليمًا** ﴾ [النساء: ١٤٧] فالحمد للغفور الرحيم على ما تمت نعمته وعمَّت.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط فارسي معتاد، وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح والتصويبات، أصيبت النسخة بالرطوبة وانفرطت

أوراقها عن الغلاف، وبعض هذه الأوراق مرمم قديمًا. على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد بن مصطفى العسكرى بمدينة مصر سنة ١١٣٩ . يوجد مع هذا الكتاب رسالة هى: حاشية الهداية لابن كمال باشا:

ق	م	س
٣٦٠ (١ ـ ٣٦٠)	٢٠,٥ × ١٣	٢١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٤٢).

*** حاشية عن أنوار التنزيل ... حاشية على تفسير آل عمران:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٧١٣٩ .

المؤلف: مجهول.

أولها: قال المفتى: وقيل هى حركة لالتقاء الساكن التى هى الياء والميم، ولام الجلالة بعد سقوط همزتها، وأنت خبير بأن سقوطها مبنى على وقوعها فى الدرج، وقد عرفت أن سكون الميم وقفى موجب لانقطاعها عنا بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما فى الحروف.

آخرها: فالأولى لما يشترك فيه جميع المؤمنين وهو الصبر على مضض الطاعات لخواص المؤمنين، وهو مصابرة النفس فى رفض العادات، والمقام الثالث وهو أعلاها مرابطة السر على جناب الحقّ لترصد الواردات نحو المؤمنين وهو الحقيقي لأنه وصل إلى حق اليقين، ويصبر على ذلك أيضًا لعلم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين وكلامهم فى ذلك مشهور.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى. كتبت بخط معتاد، رؤوس الفقر والفواصل مكتوبة بالأحمر فى أولها لوحة مرسومة ومزخرفة بالذهب والألوان كما أحيطت الصفحات بإطارات مرسومة بالذهب والألوان. أصيبت النسخة بالرطوبة وانفرطت أوراقها كما تمزق غلافها وهو من الجلد المزخرف.

ق	م	س
٦٢	٣٠ × ٢٠	٣٣

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٣٦).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل. سورة يسٓ:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن).

الرقم ٤٧٨ ـ تفسير / ٨٢ .

المؤلف: محمد الصادق.

أولها: لك الحمد يا من منَّ علينا بإرسال الرسول الكريم ولك الشكر يا من أحسن إلينا بإنزال القرآن الحكيم. كيف نحمدك حمدًا يوافى نعمك وسوابغ نعماتك لا تحصى أم كيف نشكرك شكرًا يكافى مزيد كرمك. إحصاء آلائك مما يرجى. صلِّ على نبيك البشير سيد البشر وسلم على رسولك الشفيع يوم المحشر وعلى آله الهداة إلى طريق الصواب ... أما بعد:

فهذه تعليقات علقها أحقر الخلائق العبد محمد الصادق صانه عما شانه على تفسير سورة يسٓ من كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

آخره: وليكن هذا آخر ما قصدنا تنميقه وشاء لنا من الله توفيقه، اللهم اختم لنا بالخير واعصمنا مما فيه الضير ... قد استراح الجواد من العَدْو فى ميدان البنان يوم الخميس ثامن رمضان من شهور سنة ثلاث وألف والحمد لله.

أوصاف المخطوط: نسخة جيدة من بداية القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط تعليق قليل الإعجام رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح والتعليقات بالعربية والتركية، توجد هذه النسخة فى مجموع يضم حاشية على أسرار التنزيل وأنوار التأويل وحاشية على سورة المُلك من كتاب الكشاف للزمخشرى ثم مجموعة من الحواشى على الجزء الأخير من القرآن الكريم. على الورقة الأولى قيد وقف الملاّ عثمان الكردى على أرحامه وطلبة العلم.

ق	م	س
٧٧ (٥٣ـ١٢٤)	١٩ × ١٣	٢١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٤٤، ٢٤٥).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل: فى تفسير قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠].**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم: ٤٦٦٥ .

المؤلف : مجهول .

أولها : الحمد للواحد الرحمن، القديم المتوالى الإحسان، المتعالى عن المنعوت والأفهام، المنزَّه عن الشكوك والأوهام ... وبعد: قال الله تعالى عزّ شأنه وعمّ نواله ﴿ **إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ قال القاضى البيضاوى، شرَّفه الله بالرضاء السبحانى، وهو بيان إمكانه وتقريره، أنه تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته .

آخرها : وما استدلّ به من الاقتصار فى الكشاف لا يكون دليلاً لأن العدم لا يصلح للدليل مقدم التصريح بالنصب جوابًا للام ليس تصريحا بعدم استقامة النصب على الجواب، وما منعه من الرضى من قوله : إذ لا معنى لقولك: قلت لزيد اضرب فيضرب . فمعناه مقولى لزيد سبب لكونه ضاربًا . والله أعلم . تم بعون الله فى صفر الخير لسنة سبع ومائة وألف فى بلدة سلانيك المحمية .

أوصاف المخطوط : نسخ من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخطِ فارسى حسن، رؤوس الفقر والفواصل وبعض التعليقات مكتوبة بالأحمر. توجد هذه النسخة فى مجموع يضم عددًا من الرسائل فى التفسير وآداب البحث وآداب المناظرة . كتب المجموع بخطوط مختلفة أغلبها فارسى .

ق	م	س
٣(٧ـ٩)	١٩,٥ × ١١,٥	٢١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٣٩، ٢٤٠).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل: فى تفسير قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [الفتح: ١]:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٤٦٦٥ .

المؤلف : ولىُّ بن عبد الله المرعشى .

أولها : الحمد لله الذى أنزل القرآن وأعلى به معالم الإسلام، ووعد فيه للمؤمنين بفتح أبواب الجنة والخلود فى دار السلام ...

وبعد : فيقول ولىُّ بن عبد الله المرعشى : لما كان العلوم أعلى ما يتوصل به فى تحصيل الأفضال، وأولى ما يتوسل به إلى نيل الآمال، وشفاء عن العلل والأسقام، ونجاة عن الغموم والآلام، وبناء على هذا كنت فيما مضى مجدًا مواظبًا فى تحصيلها وتكميلها .

آخرها : فكيف يصح جعل ذلك التشبيه وسيلة إلى أن تكون الاستعارة فى هيئة الفعل تبعيَّة ولم يصح جعل الاستعارة فى الهيئة الماضوية لأجل ذلك التشبيه، بل هذه الاستعارة بتشبيه الزمان المستقبل بالزمان الماضى للعلة المذكورة ينبغى أن يكون استعارة أصلية غير تابعة كما زعموا .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط فارسى معتاد، على الهوامش بعض التعليقات والشروح بخط مغاير .

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم أكثر من عشر رسائل فى التفسير وآداب المناظرة وآداب البحث والرياضيات، كتب المجموع بخطوط مختلفة أغلبها فارسى وبعضها نسخى، المجموع بحالة حسنة رغم إصابته بالرطوبة .

ق	م	س
٤(١٩ـ٢٢)	١٩,٥ × ١١,٥	٢١

حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل. . .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ــ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهى تعليق على قول ابن التمجيد فى حاشيته على البيضاوى فى قوله تعالى: ﴿ذلك من آيات الله﴾ [الكهف: ١٧]:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٤٦٦٥ .

المؤلف : مجهول .

أولها : الحمد لله الذى ستر عن عباده العيوب وكشف عمّن فرَّ إليه ضروب الكروب، الذى زوّر الشمس عن كهف أصحاب الرقيم ذات اليمين، وقرضها ذات الشمال فى الطلوع والغروب ... وبعد: فهذه حروف من نتايج قريحتى على قول المحشى ابن التمجيد على تفسير البيضاوى فى قوله تعالى : ﴿ ذلك من آيات الله﴾ .

آخرها : فلا يفيد التعقيب بالذكر فى هذا المقام تخصيصًا بالدلالة على ازورار الشمس، وقرضها فى الطلوع والغروب كما توهمه، فالاحتمالات التى ذكرها البيضاوى واقعة فى موقعها، فاختياره القول الثانى، والإيماء إلى التعرض عليه، ليس بدائر حوالى القبول .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى . كتبت بخط فارسى معتاد، أصابت الرطوبة أطرافها وقد رممت قديمًا . توجد هذه النسخة فى مجموع يضم مجموعة من الرسائل فى التفسير وآداب البحث وآداب المناظرة والرياضيات وغيرها وقد كتبت هذه الرسائل بخطوط مختلفة أغلبها فارسى . المجموع بحالة حسنة .

ق	م	س
٢ (٢٣ـ٢٤)	١١,٥ × ١٩,٥	١٧

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٤٣).

*** حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل: وهى تعليق على قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علمًا ﴾ [النمل: ١٥].**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٤٦٦٥ .

المؤلف : عبد الرحمن حفيد القاضى البيضاوى .

أولها : الحمد لله محيى القلوب بالمعارف، وكاشف وخيم الكروب بإمداد اللطائف، أحمده وله الحمد الكامل على كل حال، وأشكره . ومن شكره تأهَّل لمزيد النوال .

آخرها : وأما الآثار فمنها : قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله رداء محبّة، فمن طلب بابًا فى العلم ردَّاه الله بردائه، فإن أذنب ذنبًا استعتبه لئلا يسلب رداءه ذلك . قول على رضى الله عنه : العالم أفضل من الصايم القايم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يمدها إلا خلف منه، وقوله نظمًا :

والفخر إلاَّ لأهل العلم إنهم ... علم الهدى لمن استهدى أدلاء

ووزن كلِّ امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط فارسى معتاد، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، توجد هذه النسخة فى مجموع يضم أكثر من عشر رسائل فى التفسير وآداب البحث وآداب المناظرة والرياضيات وغيرها، كتب المجموع بخطوط مختلفة أغلبها فارسى معتاد، وهو بحالة حسنة رغم إصابته بالرطوبة .

ق	م	س
٩ (٤٦ـ٥٤)	١١,٥ × ١٩,٥	١٨

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٤١).

***حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهي تعليق على تفسير سورة المُلك:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٥٥٤٣ .

المؤلف : شمس الدين محمد بن برهان الدين إبراهيم ابن يوسف الجلبي القادري التاذفي المعروف بابن الحنبلي والمتوفى سنة ٩٧١هـ .

أولها : قوله بقبضة قدرته في الأمور كلها . أقول : قد فسّر اليد المنسوبة إليه تعالى بالقدرة على ما هو رأى الخلف من تأويل المتشابه إلاَّ أنه أقحم القبضة بفتح القاف إيماء إلى أن تقديم الخبر في قوله تعالى : ﴿ **بيده الملك** ﴾ لإفادة قصر الملك والتصرف في الأمور كلها على قدرته .

آخرها : قوله : ويدعون أن لا بعث . أقول : ليست الباء مقدرة قبل أن ، لأن فعل الدعوى لا يتعدى إلى المال ونحوه إلا بنفسه . قال في المغرب : وادعى زيد على عمر مالاً فزيد المدعِي وعمرو المدعَى عليه والمال المدعى والمُدعى به ، لغو هذا من كلامه . أما الباء في قوله تعالى : ﴿ **هذا الذى كنتم به تدَّعون** ﴾ [الملك : ٢٧] فليست صلة تدعون بل هي سببية كما يفيده قول صاحب الكشاف ، أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تُبعثون ، تمت الحاشية الميمونة .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري ، كتبت بخط معتاد جيد ، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، النسخة مصابة بالرطوبة وأطراف أوراقها تالف . على الورقة الأولى مجموعة من قيود التملك منها : قيد باسم محمد بن علي العمري الحموي تاريخه سنة ١١٧٤هـ . وآخر باسم زين بن حسين الصافي العطار .

توجد هذه النسخة في مجموع يضم تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين ثم رسالة في بيان القُرّاء السبعة ورواتهم وأنسابهم على الترتيب .

المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة يحتاج إلى ترميم . الغلاف من الورق .

ق	م	س
١٠ (١٠-)	٢٠,٥ × ١٥	٢١

المصادر : شذرات الذهب : ٨/ ٣٦٥ ، هدية العارفين : ٢/ ٢٤٨ ، الأعلام : ٦/ ١٩٣ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ــ وضعه صلاح محمد الخيمي ٣/ ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

*** حاشية على البيضاوي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التفسير .

مخطوط بمكتبة متحف « مولانا » في قونيا .

لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفراييني المتوفى (٩٤٣هـ ـ ١٥٣٦م) .

انظر معجم المؤلفين ١/ ١٠١ .

شذرات الذهب ٨/ ٢٩١ ، وبركلمان / ٩٤٤ .

مكتوب بخط النسخ ، والآيات بالذهب ، في الورقة الأولى والأخيرة ذكر أن هذا المخطوط مُهدى من قِبَل شهاب الدين جلال زاده منيب چلبي بتاريخ ٢١/ ١٠ ـ ١٩٢٨ في الورقة ١٧٥ ذكر بأن هذه النسخة منقولة عن نسخة المؤلف وبخط يده إذ أن المؤلف كتب حاشيته في ٣ ذي الحجة ٩٢٠هـ / ١٥١٥م .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم نحمدك يا من إنعامه عم ونسألك . . .

آخره : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ [الناس : ٦] بيان للوسواس أو الذى أو متعلق بيوسوس . . . تاريخ كتابته : ٩٧٢ على يد الفقير . . . محمد كمال بن محمد الكوراني .

مقياس المجلد ٢٠,٥ × ١٥,٥ .

مقياس الكتابة ١٣,٥ × ٩,٥ .

عدد الأوراق ١٧٠ .

عدد الأسطر في كل صفحة ١٣ سطرًا.

رقمه فى الخزانة ١١٣ رقم المجلد ٥١ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانـا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ٥١).

*** حاشية على البيضاوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بمكتبة متحف « مولانا » فى قونيا .

لشيخ زادة محيى الـدين محمـد بن مصلح الـدين مصطفى الكوجاوى، المتوفى (٩٥١هـ) انظر كشف الظنون ١/ ١٨٨ .

فى الصفحة الأولى السور (١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٦٥).

والمخطوط وقف التربة الجلالية . الواقف عبد الكريم ابن شيخ سنان المولوى فى ٢٣ ذى الحجة ٩٩٤هـ .

وهذا الشخص هو ابن مترجم التواقيب مرشد محمود دهده المثنوى خال سنان دهده وأخ عبد اللطيف دهده .

والمخطوط مكتوب بالنسخ .

أوله : سورة الحجر مكيـة كلها بإجماع بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الَر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ [الحجر: ١] قد مر أن فواتح السور يحتمل ...

آخره : ويتركب من حروف مثل صوت ما يركز فى الأرض . تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب فى يوم الأربع آخر ذى الحجة من شهور ٩٧٦هـ .

مقياس المجلد ٢١,٥ × ١٥,٥ .

مقياس الكتابة : ١٨ × ١١,٥ .

عدد الأوراق : ١٦٠ .

فى كل صفحة ٢٧ سطرًا.

رقمه فى الخزانة ٨٨ رقم المجلد ٢٦ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانـا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ٥١، ٥٢).

*** حاشية على تحفة الإخوان للدرديرى:**

أحد المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٦٦٦ .

لأحمد بن محمد الصاوى المالكى الخلوتى المتوفى سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م.

أولها (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله).

فرغ منها مؤلفها سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م وطبعت أكثر من مرة .

الرقم ٩٣٠ . القياس ص ٥١ .

٢١,٥ × ١٥,٥سم　　س٢٥ .

دار الكتب ٢/ ١٩٠ . الأزهرية ٤/ ٣٧٥ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٥).

*** حاشية على تفسير بعض السور من القرآن الكريم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٩٨٣٤ .

المؤلف : مجهول .

أولها : السفراء الذين من شأنهم السفارة، فالسفرة إن كان بمعنى السفراء بين الله ورسله يكون المراد بالصحف الكاتبة بأيديهم التى ينزلها الملائكة إلى الرسول، وإن كان بمعنى السفراء بين الله تعالى والأمة فالصحف الكائنة بأيديهم هى التى ينزلها الملائكة إليهم .

آخرها : لأن النصر كالسبب للفتح، ولها بعد فى عطف السبب على المسبب، فإن قيل لا شكّ أن فتح مكة وسائر البلاد وقع بنصرة الصحابة من المهاجرين والأنصار، فما السبب فى إضافة الفعل الصادر عنهم إلى الله؟ حيث قيل نصر الله .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى ، تبدأ بالتعليق على أواخر إذا الشمس كورت إلى أواخر سورة النصر، كتبت بخط معتاد، أسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. أصابتها الرطوبة الشديدة فأثرت على الكتابة فى مواضع متعددة منها وبخاصة فى أعاليها . المخطوط بدون غلاف .

ق	م	س
٩٨	١٤,٥×٢١,٥	٢١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٢٢، ٢٢٣).

*** حاشية على تفسير البيضاوى وسعدى أفندى لبعض الآيات:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ١٠٢٣٨ .

المؤلف : حبيب العمرى الأقسرانى .

أولها : الحمد لله الذى توحد بجلال ذاته ، وتنزه عن النقايص بعظيم صفاته ... وبعد قال القاضى البيضاوى فى أول سورة النبأ فى تفسير قوله تعالى « الحمد لله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض » خلقًا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته ، وعلى تمام نعمته ...

آخرها : وقد ثبت بالدلايل القطعية حدوث العالم واحتياجه إلى المؤثر الحقيقى، وهو الله تعالى، والتفاصيل مستوفاة ومشحونة فى الكتب الكلامية ... فهذه الأوراق قال لها الحبيب المعزول من الأربعين .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى جيد، ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالذهب، على الهوامش بعض الشروح بخط دقيق ، توجد الرسالة فى مجموع يضم عددًا من الرسائل فى التفسير الغلاف من الورق المقوى .

ق	م	س
٨ (١١ - ١٨)	١٢×١٧	١٧

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٣٤) .

*** حاشية على تفسير جزء « عَمّ »:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ١٠٦٤٠ .

المؤلف مجهول .

أولها : ﴿ **عم يتساءلون * عن النبإ العظيم** ﴾ [النبأ : ١ ، ٢] مفيد بلا شبهة، قوله : ويدل عليه قراءة يعقوب فى ﴿ **يتساءلون** ﴾ كأنه استدراك على الكشاف، حيث جعله قراءة ابن كثير، ووجه الدلالة أن الظاء من قراءةالوقف ، لا إجراء الوصل مجرى الوقف، والوقف عليه ، يوجب تقدير العامل بلا وقف .

آخرها : قوله : وفيه تعسف ، إلا أن يراد به الناس ، لا يخرج بذلك عن التعسف، لأن كثرة تكرار الناس بمعناه الواضح المشهور يسدُّ باب الانتقال إلى الناس منه فى هذا المقام .

الحمد لله الذى وفقنا لشرح هذا التفسير من الطرفين ، ونسأله أن ينفع به أولى الأفهام ... تمّ الكتاب يوم الإثنين وقت الضحى فى شهر صفر فى بلدة الماردنى فى مدرسة القاسم الباشا ، تاريخه سنة ١٠٦١ صاحبه حسين بن على .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر على الهوامش وبين السطور الكثير من الشروح ، أسماء السور على الهامش بالأحمر، توجد هذه النسخة فى مجموع يحوى حاشية أخرى على تفسير جزء عَمَّ .

ق	م	س
٤٥ (١ - ٤٥)	١٤×٢٠,٥	٢٥ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٢٣، ٢٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

استــــدراك

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وقد جعل الله تعالى الخطأ من طبيعة الإنسان لكى يكون وقوعه فى الخطأ دليلا على أن الكمال لله وحده، ومن ثم يقول تعالى: ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ [الأحزاب: ٥].

* فقد نبهنا الأستاذ الفاضل محمود حسن العطار من بلقينة مركز المحلة الكبرى ـ أثابه الله ـ إلى وقوع خطأ فى مادة « الجمع والقصر » (م ١٢ ص ٣١٥ السطر ١٦) وهو ورود عبارة « لمن يتخذه عادة » بدون لا النافية، ولما كانت العبارة قد وردت هكذا فى المصدر الذى نقلنا عنه، فقد رجعنا فى تصحيحها إلى مصدر آخر هو « صحيح مسلم بشرح النووى » ـ تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبى زينة، ط. دار الشعب، كتاب الشعب م٢/ ٣٥٩، حيث وردت فيه العبارة هكذا: « لمن لا يتخذه عادة » بوجود « لا » النافية كما أشار الأستاذ العطار.

* وثمة خطأ آخر وقع فى مادة « الجرجانى (عبد القاهر) » (م١٢/ ١٠٤ - ١٠٦) فقد حدث تداخل بينها وبين مادة أخرى هى « الجرجانى (القاضى) ». ذلك بأن ما جاء فى الأسطر الثمانية الأولى من عمود « ١ » فى صفحة ١٠٤، والأسطر الأخيرة ابتداء من السطر ١٣ إلى آخر الصفحة، ثم صفحة ١٠٧ كلها تختص بعبد القاهر الجرجانى. وأما ما يختص بالقاضى الجرجانى فهو بقية ما جاء فى صفحة ١٠٤ ثم ما جاء فى صفحة ١٠٥ حتى نصف العمود الثانى. وقد نبهنا إلى هذا التداخل الفاضل الدكتور فتحى عبد الرحمن أحمد حجازى ـ مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر الشريف ـ أثابه الله ـ وسوف نفرد مادة خاصة للقاضى الجرجانى فى حرف القاف إن شاء الله تعالى، ونعيد فيها التنبيه على هذا الخطأ.

* ملاحظة: فى مادة « الجص والحجر والرخام » ص ١٨٤. ظهرت صورة حوض الحمام مقلوبة. ونحن نعتذر عن ذلك.

والله ولى التوفيق،،،

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد الثانـــى عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد الثالث عشر

وأوله مادة:

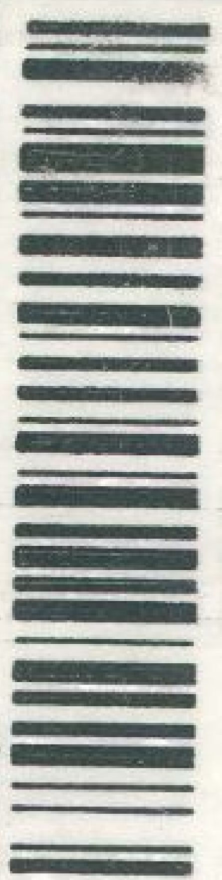
حاشية على تفسير القاضى البيضاوى لقوله تعالى: ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها ﴾

أعان الله على إتمامه

تجليـــد



دار الغد العربى





الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلـــوم الإسـلامية

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت: ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد الثالث عشر

الناشر



دار الغد العربي

٣ شارع دانش . العباسية

ت : ٨٢٤٣٢٩ ـ القاهرة

الناشـــــر



دار الغـــد العربي

للطباعة والنشر والتــوزيع

٣ ش دانش ـ العباسية ـ عبده باشا ـ القاهرة

الإدارة: ٢٨٥٦١٢٢ / ٨٢٤٣٢٩ / ٢٨٤٣١١٥

فاكس: ٨٢٤٣٢٩

جمهوريـــة مصر العربيـــة

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الحاء

*** حاشية على تفسير القاضي البيضاوي لقوله تعالى: ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ [الرعد: ١٥]:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٨٥٦٢.

المؤلف: مجهول.

أولها: الحمد لله الذي علّم بالقلم، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه أولي التقوى والكرم. أما بعد: فقد تذاكر معي بعض ذوي التحقيق عين أرباب النُّهَىٰ في كلام القاضي البيضاوي على قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا ﴾ فراجعت بعض المنقول وكتبت بعض المنقول ورجوت بلوغ المأمول من خير مسؤول.

آخرها: قلت: تصحيحها في الجمع شاذ لا يقاس عليه بخلافه في المفرد نحو: عتوا عتوًّا ورأداوا علوًّا، ونما المال نموًّا وسميت سموًّا، فإنه فيه واجب وأولى. فلله الآخرة والأولى تحرير العبد الفقير إلى مولاه العائذ به في سرّه ونجواه من لا يرجو إلا إياه أحمد بن محمد بن أبي الخير المرحومي الشافعي في العشر الثامن من الثلث الثالث من العشر السادس من العشر العاشر من هجرة خير البشر.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادي عشر الهجري، كتبت بخط نسخي معتاد فيه بعض الشكل، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، توجد هذه النسخة في مجموع يضم عددًا كبيرًا من الرسائل معظمها في التفسير، كتب المجموع بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة، وهو مصاب بالرطوبة في مواضع متعددة ولكنه لا يزال بحالة حسنة.

ق	م	س
٦ (٢٣٣ـ٢٣٨)	٢٠×١٥	١٥.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ٣/ ٢٧٦).

*** حاشية على تفسير القرآن:**

جـ ١:

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

لم يعلم اسم مؤلفها.

أولها: سورة البقرة قوله ﴿ الٓمٓ ﴾ كرر في أوائل ست سور وزاد في الأعراف صادا لقوله بعد ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ وفي الرعد راء لقوله بعد ﴿ الله الذي رفع السموات ﴾ ... إلخ.

آخرها: سورة الناس ... وأجيب بأن الناس يوسوسون في صدور الناس أيضًا بواسطة وسوستهم لهم بمعنى يليق بهم في الظاهر حتى تصل وسوستهم إلى الصدور.

ناسخها: علي بن ناصر الدين المزلي / ٧٨٢هـ.

خطها عادي. كتبت العناوين بالحبر الأحمر.

هذه الحاشية مؤلفة على نمط (وإن قلت) فيجيب على كافة الاعتراضات التي وردت على القرآن. عليها تملك من قبل أحمد بن قاسم العبادي.

و: ٧٣.

س: ٣٣.

م: ٢٨×١٩ ت/ ٣٤٠.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٦٤، ٦٥).

*** حاشية على الجزء الثلاثين من تفسير القرآن الكريم:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم: ٤٧٤ ـ تفسير ٧٨.

المؤلف: مصطفى ابن الحاج حسن الأنطاكي.

أولها: يا من إنعامه عمَّ وإحسانه تمَّ صلِّ على نبيك خير من أمَّ، وعلى آله التابعين له في كلِّ ما أمَّ، وأصحابه الذين كالنجوم ... وبعد:

فيقول المفتقر إلى ربه ذي المنن مصطفى ابن الحاج حسن هذه فوايد شريفة تقرع آذان الغفول ... وتعليقات لطيفة تفتح أعيان العقول بتحريرات أنيقة علقتها على تفسير سورة النبإ إلى آخر سورة التنزيل وأسرار التأويل، وهو خاص في إيضاح معانيه ودلايل إعجازه.

آخرها: قوله: كقوله تعالى: ﴿ يوم يدع الداع ﴾ في سقوط الباء اجتزاء بالكسرة وقد قرئ به قوله تعالى: ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ مرادًا به آدم عليه السلام. فيقول الفقير إلى الله خالق الأفلاك مصطفى ابن الحاج حسن الأنطاكي، لله الحمد حمد من أولاه منه إتمام هذا التأليف على أحسن الصور في عام غانم من هجرة خير البشر عليه الصلاة وعلى الآل.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادي عشر الهجري، كتبت سنة ١٠٩١هـ فقد أشار الناسخ إلى أنه كتبها عام (غانم) بحساب الجمل ويساوي هذا التاريخ المذكور آنفًا. كتب المخطوط بخط معتاد. أسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض التعليقات وأسماء الحواشي التي نقل عنها المؤلف.

ق	م	س
٧٤	١٣×١٩,٥	٢١.

ملاحظة: لقد ذكر الدكتور عزة الحسن في كتابه بأن هذا المخطوط هو حاشية عصام الدين على البيضاوي وعند مقارنته مع غيره وجد بأنه غير ذلك وأنه حاشية حسن الأنطاكي كما ورد في أوله وآخره.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمي ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨).

*** حاشية على حاشية اللاري في بحث « ما أنت قلت »:**

من مخطوطات علم البلاغة في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

المؤلف: مجهول.

أوله: (قوله: أراد بالخبر الفعلي هاهنا الفعل المنفي ... إلخ).

آخره: (هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا المقام المشتبه على كثير من الأقوام).

ناسخه: عبد الله.

و: ٣.

م: ٢٢×١٦.

س: ١٩.   ت/ ١٩٤.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٣٤).

*** حاشية على حاشية مير أبو الفتح على أشكال التأسيس:**

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي.

الرقم ٢٤٤١٠/ ٢.

لحيدر بن أحمد الحيدري الصفوي الحسين آبادي المتوفى سنة ١١٢٩هـ/ ٧٦١.

الأول: (الحمد لله الذي هو مقدر الأشياء بحكمته ومصور تصاوير ...).

وهي توضيح لحاشية مير أبو [أبي] الفتح الواقعة على شرح أشكال التأسيس لقاضي زاده. قال المؤلف إنه وضع هذه الحاشية بعد أن شاهد حاشية أبو [أبي] الفتح سقيمة بحيث لم تكن صالحة لتوجيه صواب فالتفت إليها وأصلحها.

نسخة جيدة عليها حواش بعضها لأحمد بن حيدر ناقصة الآخر.

٤٢ص.   ٢٠×١٥سم   ٢٣س.

هدية العارفين ١/ ٣٤٢.

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ٥١، ٥٢).

*** حاشية على خلاصة الأقوال في معرفة الرجال:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي.

الرقم ١٤٦٩٥/ ٣.

لزين الدين بن علي بن أحمد العاملي المعروف بالشهيد الثاني المتوفى سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م.

الأول (الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين ...) وخلاصة الأقوال في علم الرجال لابن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.

نسخة جيدة كتبت فى مدينة النجف سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م عن نسخة كتبها لنفسه الشيخ مساعد بن حسن سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م.

القياس ٤٩ص ٢١×١٧سم ١٨س.

الذريعة ٦/ ٨٢. معجم المؤلفين ٤/ ١٩٣ .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٠).

*** حاشية على الدرة الفاخرة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن).

الرقم ٩٢٧٦ .

شرح بها رسالة الدرة الفاخرة للجامى فى تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين .

المؤلف : إلياس بن إبراهيم بن داود الكردى الشافعى أحد أساتذة العارف النابلسى المتوفى سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م .

أولها : قوله الحمد لله الذى تجلى بذاته أى علم ذاته بذاته ...

آخرها : فيمكن أن يكون الصادر أولاً بالوجود العينى أكثر من واحد كما ذهب إليه الصوفية الموحدة والله أعلم .

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة حسنة .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢/ ٣١٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٠، ٤٠١).

*** حاشية على رسالة الحوراء والزوراء:**

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلف : محمد بن أسعد الصديقى الدوانى الشافعى (جلال الدين) ٨٣٠ - ٩٢٨هـ أو ٩١٨هـ .

أولها : أ ما بعد الحمد لوليّه والصلاة على نبيّه فإنى لما فرغت من تهذيب الرسالة الموسومة بالزوراء ... إلخ .

آخرها : والله الذى يحق الحق بفضله ويبطل الباطل بقوله لديه الحسنى وإليه المرجع ، خطه فارسى ، ورقه خفيف عليه آثار الأرضة .

و : ٩١ .

م : ٢٢×١١ .

س : ١٧ .

المصادر: معجم المؤلفين ٩/ ٤٧ ، وكشف الظنون ١/ ٨٦٢ وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ٢/ ١٥٤ والأعلام للزركلى ٦/ ٢٥٧ وذكر هنا تاريخ الوفاة بـ/ ٩١٨ هـ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٨٦).

*** حاشية على رسالة العمل بالاسطرلاب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفلك والتنجيم .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١١٢٢٠/ ٢ .

لأبى الصفا صلاح الدين خليل بن عبد السلام الكاملى الدمشقى المتوفى سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٣م .

الأول (الحمد لله مدبر الأفلاك ومنير الأحلاك ورب الأملاك ...) .

وهى حاشية على رسالة العمل فى آلة الاسطرلاب لعلى ابن صادق بن محمد الداغستانى الشمانى المتوفى سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م التى عرَّبها من رسالة بهاء الدين العاملى كما جاء فى الديباجة (معجم المؤلفين ٤/ ١٢١، ٧/ ١٠٨) .

القياس ٩٦ص ٢١×١٦سم ١١س .

معجم المؤلفين ٤/ ١٢١ .

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ــ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٨).

*** حاشية على تفسير سورة الفاتحة:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٨٠٨٨ .

المؤلف : أبو النافع أحمد بن محمد بن إسحاق القازآبادى الرومى المتوفى سنة ١١٦٣هـ .

أولها : الحمد لله الذى كشف ربوب العالمين بأرباب التنزيل ، وملأ قلوب العالمين بأسرار التأويل ، أنزل على عبده كتابًا لا ريب فيه ، تبيانًا لكل دقيق وجليل ، فصلوات إليه ، وتسليمات عليه ، بأنواع التجميل والتبجيل وعلى آله وأصحابه

الكرام إلى يوم التقريب والتنكيل وبعد ... لما كان تفسير الفاتحة للعلامة القاضى، الذى اعتنى بشأنه الفضلاء فى الحال والماضى.

آخرها: وقد أطلق القضاء على هذا المعنى كالقدر، يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب فلا حاجة إلى ما قيل من أن المراد هو المقضى على تقدير عدم قراءة صبىٍّ من صبيانهم لأنه لا يساعده السوق ولا يوافقه لذوقه.

هذا آخر ما وفقنى الله تعالى من توضيح تفسير سورة الفاتحة مع انتشار الحال ... تمت تاريخ سنة ١١٨٠هـ.

أوصاف المخطوط: نسخة من أواخر القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط فارسى معتاد، وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أصيبت النسخة بالرطوبة والأرضة فى جميع أوراقها، وهى بحاجة إلى ترميم. فى آخرها خاتم وقف سليمان كاه بن سليمان بناه تاريخه سنة ١٢١٠هـ.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم حاشية عطا الله على أنوار التنزيل، ودلايل التحقيق لبيان غالب شروط الطريق لمحمد العلمى، ثم شرح الرسالة الولائية، ورسالة فى الفرائض ثم رسالة فى اللام ورسالة فى النحو. كتب المجموع بخطوط مختلفة بعضها فارسى وبعضها نسخى معتاد، فى أول المجموع قيد وقف نقيب السادة الأشراف محد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية.

ق	م	س
٣٨ (٤١ - ٧٨)	٢٠ × ١٤	٢١.

المصادر: هدية العارفين: ١/ ١٧٥، بروكلمان: الذيل: ١/ ٧٤١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٠ - ٢٧٢).

*** حاشية على شرح الآجرومية للأزهرى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم: ٢٠٤٣.

للشيخ أبى النجا الطندتاعى من علماء القرن الثالث عشر الهجرى أتمها سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م.

أولها (الحمد لله الذى فتح أبواب فيضه).

طبعت معجم ٣٤٨.

كتبها سليمان بن سليمان الأسيوطى سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م.

القياس ص ١٨٥. ٢٤ × ١٧سم س ٢١.

دار الكتب ٢/ ١٩٣.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٥).

*** حاشية على شرح الأسباب والعلامات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب.

مخطوط بمكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١١٤٥٩.

لمحمد بن المبارك القزوينى المدعو بالحكيم شاه الذى كان حيًّا سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م.

الأول: «أسلم أسباب الصحة وسلامة الدنيا وأصح علامات العافية وسعادة العقبى حمد حكيم شرح الصدر بالإسلام ...» وهى حاشية على شرح نفيس بن عوض الكرمانى (كان حيًّا سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م) على الأسباب والعلامات لنجيب الدين السمرقندى المتوفى سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م.

وضعه المؤلف فى أيام السلطان أبى المظفر سليم بن بايزيد وفرغ منه سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م.

نسخة جيدة ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى تملكها محمد جوهرى زاده.

كشف ١/ ٧٧ معجم المؤلفين ١١/ ١٥١ (ذكر أن المؤلف من رجال القرن التاسع الهجرى).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٨٨).

*** حاشية على شرح أشكال التأسيس:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٩٧٣٥/ ٢.

لمير أبى الفتح محمد هادى بن أمين بن أبى سعيد الحسنى الاردبيلى العراقى المدعو بتاج الدين السعيدى الذى كان حيًّا سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م وقيل فى كشف الظنون إنه توفى سنة ٩٥٠ هـ/ ١٥٤٣م!!.

عالم مشارك تتلمذ على قاضي زاده الرومي المتوفى سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م له تآليف في آداب البحث والمناظرة والرياضيات. من كتبه شرح آداب الفاضل، حاشية على شرح التبريزي. لم تعلم سنة وفاته.

الأول (الحمد لله مقدر مقادير الأشياء بحكمته ومصور تصاوير الأشكال بقدرته ... أما بعد فيقول أبو الفتح محمد الهادي تاج الدين السعيدي هذه الحواشي محررة على شرح الأشكال عديم المثال لأستاذي وأستاذ الأمة وملاذ الأئمة ...) وهو حاشية على شرح قاضي زاده الرومي على أشكال التأسيس والمؤلف كان تلميذا له.

نسخة جيدة كتبها إبراهيم بن عبد الكريم بن أحمد سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م في قصبة بروزة.

٢٤ ص ٢٠ × ١٤,٥سم ٢١س.

معجم المؤلفين ٩/ ٧٣، هدية العارفين ٢/ ٢٠٧.
كشف الظنون ١/ ١٠٥.

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ٥١).

*** حاشية على شرح الألفية لابن مالك:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في النحو والصرف.

الرقم ٢٧٨٤.

لمحمد صالح بن إبراهيم بن حسين الإحسائي الشهير بالحكيم المتوفى سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م.

فرغ منها سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٦٢م.

أولها: (نحمدك يا من رفع من انخفض لعز جنابه) وهي حاشية على الشرح الموسوم بالبهجة المرضية في شرح الألفية للسيوطي.

كتبت سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.

القياس ص ٥٦٦ ٢٤×١٧سم س ٢١.

مساجد بغداد للآلوسي ص (٢٧).

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي / ٢٥، ٢٦).

انظر: البهجة المرضية في شرح الألفية م٧/ ٥٦٨، ٥٦٩.

*** حاشية على شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في النحو والصرف.

الرقم ٤٥١.

للشيخ ياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد العليمي الحمصي المتوفى سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م والشرح لخالد الأزهري الجرجاوي المتوفى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م والذي سماه بالتصريح.

أولها (الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا).

كتبها علي البدراوي الأزهري بقلم معتاد سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م.

القياس ص ٤٦٠. ٢١ × ١٤سم. س ٢٤.

طبعت معجم ١٩٤٦.

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي/ ٢٦).

*** حاشية على شرح التجريد:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم العقائد.

مخطوط في مكتبة متحف « مولانا » في قونيا.

للسيد علي بن محمد بن علي الجرجاني المتوفى سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م.

انظر معجم المؤلفين ٧/ ٢١٦، وبركلمان ٢/ ٢١٦، ٢١٧، وذيله ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦.

لم يوقف على اسم كاتبها ولا مكان أو تاريخ الكتابة. إلا أن مؤلف الفهرست يعزو كتابة المخطوط إلى القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر. مكتوب بخط النسخ. وذكر في المجموعة أنه (أي المؤلف) ولد في جرجان سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م وتوفي في شيراز سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م. وهذا خلاف لكشف الظنون الذي ذكر أن وفاته سنة ٨١٠هـ (انظر كشف الظنون ١/ ٣٤٦، ٣٤٧.

أوله بعد البسملة: ربِّ أعِنّي على الإتمام أما بعد حمد واجب الوجود، خص بالذكر من صفاته العلوي ...

آخره: ... الحمد لله على وصول الكلام إلى هذا التام في

التوفيق الإتمام والصلاة على سيدنا محمد أفضل الأنام وعلى أصحابه وأتباعه الكرام والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

مقياس المجلد: ١٨ × ١٣ .

مقياس الكتابة : ١٤ × ١٠ .

عدد الأوراق: ٢٠٤ .

عدد الأسطر: ٢١ .

رقمه في الخزانة: ١٢٤٠ .

رقم المجلد: ١٤٢ .

(المخطوطات العربية في مكتبة متحف « مولانا » في قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ١١٢، ١١٣) .

*** حاشية على شرح التصريف العزى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في النحو والصرف .

الرقم ٣٣٠٨ .

ليوسف جان بن أبى بكر، المعروف بالبير خضرى .

أولها (الحمد لله الذى زين جميع الأشياء بوجود النبى) .

الرقم ٣٣٠٨ . القياس ص ١٠٢ . ٢٠,٥×١٤سم س ١٨ .

نسخة أخرى :

الرقم ٣٥٢٦ .

القياس ٧٨ . ٢٢× ١٥سم س ١٨ .

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦) .

*** حاشية على شرح الجامي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في النحو والصرف .

المؤلف: عبد الغفور اللارى محمد بن صلاح المتوفى سنة/ ٩٧٩هـ .

أوله : (قوله الحمد مصدر المعلوم واللام للجنس أو الاستغراق أى كل حمد من الأزل إلى الأبد ... إلخ) .

آخره : (أو أن وجه البناء في ذى الراء قصد الإمالة إذ هى أمر مستحسن والتصحيح للأكثر كسر الراء وهى [وهو] لا يحصل إلا بتقدير البناء لأنه إذا أُعرب بمنع الصرف فلم تكسر؟ والحمد لله على الإتمام) .

ناسخه : مجهول نسخ / ١٢٤٩هـ . في أوله تملكات من قِبَل مجموعة من العلماء وأختام ممسوحة في آخره تملك من قِبَل أحمد بن سليمان باشا والى السليمانية .

خطه فارسى جميل ورقه خفيف . جلده مزخرف زخرفة فنية .

و : ١٢٦ .

م : ١٩ × ١٢ .

س : ١٨ . ت/ ١٢٥ .

المصادر: معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٩ وكشف الظنون ٢/ ١٣٧٢ وهدية العارفين ٥/ ٥٨٨ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٤) .

*** حاشية على شرح الخبيصى على كافية ابن الحاجب:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في النحو والصرف .

الرقم ٢٤٥٣ .

لم يعلم اسم المؤلف .

أولها (الحمد لله مزين السماء بالكواكب في أطراف الظلام) .

كتبها يعقوب الحسينى .

القياس ص ٨٠ ٢٢ × ١٦سم س ١٧ .

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦) .

*** حاشية على شرح خواجه على السمرقندى للرسالة العضدية (في علم الوضع):**

مخطوط بالمجمع العلمى العراقي .

المؤلِّف : محضر باشى زاده .

أولها : « البسملة ... ، الحمد لله الذى أوصلنا من جزيل نواله العميم ما لا تصفه الألسن، ... وبعدُ: فيقول العبد المفتقر إلى لطف ربِّه الخفى نور الدين على بن عبد الله

الموصلي الحنفي، الشهير بمحضر باشي زاده... لما رأيتُ الشرح المنسوب إلى الإمام العلاّمة... مولانا خواجه على السمرقندي ... مع اختصاره وصغر حجمه، جامعًا لنكات دقيقة، ومحتويًا على قواعد وثيقة، ومع ذلك لم يقع عليه حواش تبيّن خفاياه، وتظهر سرّ مكنوناته من زواياه، فأردتُ أن أعلق عليه ما يكشف عنه الأكمام، ... دافعًا بعض ما أورده عليه أفضل المتأخرين، عصام الملّة والدين، متجنبًا فيه عن التعصّب والعناد... ونبهتُ على بعض ما وقع في حواشيه من الخلل الناشيء عن سوء التأمُّل ... ».

آخرها: « ... تم الحمد لله على الإتمام، وعلى نبيِّه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الكرام، أهل الصفا والمشعر الحرام. آمين».

نسخة مصوَّرة بالفتستات عن نسخة خطيّة في خزانة كُتب مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل (أرقامها : التصنيف ٤١٠ ـ م ح ح، القيد ٩٢، خ ٤ ـ ب).

بخط اعتيادي وعلى بعض الحواشي تعليقات وفوائد مختلفة.

٧٤ق، ١٩ س.

(١٧/ لغة).

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ـ ميخائيل عواد ١/ ١٤٩، ١٥٠).

*** حاشية على شرح ديباجة المصباح:**

.OP.2815

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو.

مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا .

قال واضع الفهرس د. عدنان درويش:

تأليف: يعقوب بن سيد على البروسوي المتوفى سنة : ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م.

وضعها على شرح ديباجة كتاب المصباح في النحو، وقد وضع هذا الشرح الذي حشى عليه البروسوي رجل من الفضلاء لم نهتد إلى اسمه، ولم يذكره صاحب الكشف واكتفى عند حديثه على شروح المصباح بقوله: « وشرح ديباجته رجل من الفضلاء ».

أولها بعد البسملة: « الحمد لله الذي الذي أعرب تركيبات الكائنات من مزج كاف ونون ... ».

آخرها: « ... لا بالعقل لأن العقل يجوز أن يكون شيئًا آخر غير الخامس ».

النسخة تامة خطها فارسي ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(١١٣)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٥س).

الكشف ٢/ ٤١٩. ذيل بروكلمان ١/ ٥١٤. الشقائق النعمانية: ١/ ٣٥٥.

وتوجد منها ست نسخ أخرى بيانها كما يلي، وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلية للتمييز بينها:

٩٦ ـ نسخة منها: .OP.602

تامة بحالة قريبة من الرداءة خطها فارسي ولم يذكر اسم الناسخ أو التاريخ.

(٩٨)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

٩٧ - نسخة أخرى : .OP.1759

تامة حسنة تمت كتابتها سنة ٩٤٠هـ خطها نسخ فارسي ولم يذكر ناسخها.

(٦٠)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢١س).

٩٨ - نسخة أخرى (مج) .OP.683

ذهب منها مقدمة الكتاب خطها تعليق دقيق الحروف كتبت في زمن متأخر سنة ١١٢٣هـ ولم يذكر اسم الناسخ.

(٥٧)ق القطع المتوسط. المسطرة (١٩س).

٩٩ - نسخة أخرى .OP.68

تامة حديثة رديئة خطها فارسي ولم يذكر تاريخها أو ناسخها.

(٨٧) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٧س).

١٠٠ - نسخة أخرى .OP.473

تامة رديئة خطها فارسي رديء جدًا ولم يذكر اسم الناسخ أو التاريخ.

(١١٥) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

١٠١ - نسخة أخرى (مج) .OP.1650

مخرومة من آخرها ذهب بالخرم بضع أوراق خطها تعليق معتاد.

الباقي منها: (٩٦) ق القطع الصغير جدًّا مسطرتها (١١س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٤، ١٠٥).

*** حاشية على شرح رسالة الاستعارات:**

من مخطوطات الخزانة العمرية فى علم البلاغة.

الرقم ١٨٢٤٩/ ٢.

الأول (الحمد لله الذى خلق الإنسان علمه البيان وجعله ذريعة إلى معرفة دقائق القرآن ...).

والشرح لعصام الدين إبراهيم الإسفرائينى المتوفى سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م على رسالة الاستعارات لأبى القاسم السمرقندى من رجال النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى.

نسخة كتبت بالمدادين الأسود والأحمر وتقع من مجموع تملكه حبيب بن عبد الله العيدروسى البدرى ومحمد فهمى العمرى.

(مخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى ـ بغداد. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٦/ ٣٤).

*** حاشية على شرح الرسالة السمرقندية:**

(مج) OP. 1091.

مخطوطات العلوم البلاغية فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف: على بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرائينى حفيد العصام، توفى سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م.

حشى فيها المؤلف على الشرح الذى وضعه جده عصام الدين على الرسالة المسماة (بالفريدة) والمشهورة (بالرسالة السمرقندية) فى أنواع الاستعارات من الفنون البيانية.

أولها بعد البسملة: « أحمدك حمد مسترشد ... ».

النسخة تامة بحالة حسنة، خطها تعليق معتاد ولم يذكر تاريخ الفراغ من النسخ أو اسم الناسخ.

(٤٠)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩س).

الكشف ١/ ٥٤٠. ذيل بروكلمان ٢/ ٢٥٩.

نسخة منها: OP.2998.

سقط من أولها ورقة ضاع بها عنوان الكتاب، خطها نسخ معتاد، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٩٠)ق القطع الصغير مسطرتها (١٣س).

نسخة أخرى (مج) OP.1845.

تامة رديئة خطها نستعليق رديء ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها أو اسم الناسخ.

(٤٢) ق القطع المتوسط مسطرتها (٢١س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٤).

*** حاشية على شرح الرسالة السمرقندية:**

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا (مج) OP. 216.

تأليف: منلا حسن بن محمد الكردى الزيبارى: ؟؟.

قال محقق المخطوط: لم نهتد إلى التعريف بالمؤلف، وقد جعل من كتابه هذا حاشية على الشرح الذى ألفه العصام الاسفرائينى على (الرسالة السمرقندية) لأبى القاسم الليثى السمرقندى فى الاستعارة.

النسخة تامة كتبها عبد الكريم بن عبد الباقى ناسخ المجموع الذى ضمت فيه هذه الحاشية وخطه نسخ معتاد ولم يؤرخ لفراغه من كتابتها.

(٣٤)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩) س.

بروكلمان ٢/ ٢٥٩. ذيل بروكلمان ٢/ ١٩٤.

– نسخة منها (مج) OP. 1252.

تامة كتبت بخط فارسى ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٣٧)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢١ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه ـ د. عدنان درويش ٢/ ١٩٥)

*** حاشية على شرح الرسالة السمرقندية:**

OP.2632.

من مخطوطات العلوم البلاغية فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

مجهولة المؤلف:

وضعها المؤلف على شرح (الرسالة السمرقندية) للعصام الإسفرائيني وقال في مقدمتها: « ... أما بعد فهذه حواش على الشرح المنسوب إلى ... عصام الدين إبراهيم ... على رسالة الاستعارة للمولى ... أبى القاسم الليثى السمرقندى ... ».

أولها بعد البسملة: « الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ... ».

آخرها وخاتمتها: « ... قال صاحب التلخيص: القرينة قد تكون واحدة وقد تكون متعددة والحمد لوليه على الإتمام ... وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة على يد إسماعيل ابن على بن محمد الغيبى الأورنوسى فى اليوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى لسنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف».

النسخة تامة كتبها ناسخها الأورنوسى بخط فارسى منمق حسن.

(٥٧)ق (٢١ × ١٣سم) مسطرتها (١٧س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ د. وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٥، ١٩٦).

*** حاشية على شرح الطوالع للأصفهانى:**

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

الأصل طوالع الأنوار لعبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ ثم شرحه شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى المتوفى سنة ٧٤٩هـ وسماه مطالع الأنظار ثم كتب نظام الدين يحيى السيرامى هذه الحاشية.

انظر كشف الظنون ٢/ ١١١٦، ١١١٧.

المؤلف: نظام الدين يحيى السيرامى الحنفى.

أولها: « الحمد لواجب الوجود مفيض الخير والجود رازق الدود فى الحجر الجلمود ... إلخ).

آخرها: (والبعض لبعضهم على بعض ضمن التعصب معنى التفضيل).

ناسخها: سالم البقرى الشافعى / ٩٩٥هـ من خط جامع الحواشى على خط المصنف. خطها نسخى ورقها ترمة ثخين متآكلة الأطراف وفى آخرها بحث موجز للعلماء اليونانيين لحياتهم ومماتهم.

و: ١٢٢.

م: ٢١ × ١٥.

س: ٢١. ت/ مجاميع / ١١٩ ـ ١٢٠.

(فهرس مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٨٧).

*** حاشية على شرح عصام على رسالة الاستعارات للسمرقندى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

يوجد بهذا العنوان أربعة مخطوطات نرتبها فيما يلى وفقًا للحروف الهجائية لأسماء المؤلفين:

(١) لأحمد بن حيدر بن أحمد الكردى الحسين آبادى.

الرقم ٢١٨٥.

أولها (الحمد لله الذى ألهمنا دقائق المعانى وحقائق البيان وأكرمنا بوثايق المبانى ورشايق التبيان فأرشدنا بهما إلى معرفة إعجاز القرآن).

كتبها مُلاَّ محمد إمام سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

القياس ص ٦٦ ٢٢ × ١٥,٥سم س ٢١.

مخطوطات الأنكرلى ٦٦.

ويوجد نسخة من هذا المخطوط فى المجمع العلمى العراقى، وقد أدرجت فى الفهرس بعنوان « حاشية على شرح العصام لرسالة الاستعارة للسمرقندى، وجاء بيانها كما يلى:

المؤلِّف: أحمد بن حيدر الكردى الحسين آبادى.

(كان حيًّا بعد سنة ١١٣٤هـ/ بعد ١٧٢١م).

أوّلها: « البسملة ... الحمد لله الذى ألهمنا دقائق المعانى وحقائق البيان ... أما بعد: فيقول أقل الخلق إلى الله الهادى، أحمد بن حيدر الحسينى آبادى. لمّا كان الشرح المنسوب إلى الفاضل الربّانى والكامل الوحدانى، عصام الملّة والدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرائنى، الواقع على الرسالة المصنّفة فى الاستعارة، للمولى المحقِّق والحبر المدقّق مولانا أبى القاسم السمرقندى، مع وجاهته، ورشاقة نظمه، مشتملاً على فوائد لطيفة محتجبة تحت الأستار، ... أردتُ أن أُعلّق عليها تعليقات تكشف عن وجوه فرائده اللثام، ... وها أنا أشرح ... ».

آخرها: «... قد تم كتابنا، ونرجو من الله تعالى أن يجعل خاتمتنا مع إضاءة القلب. الحمد لله على التمام وعلى نبيِّه أكمل تحيّة وأفضل السلام فى سنة ١٢٠٩».

وفى الهامش:

«تمَّ تحرير هذه الحاشية الشريفة فى سنة ألف ومائتين وتسعة [كذا]. فى يوم السبت فى أواسط شهر صفر الخير، على يد الفقير المحتاج إلى رحمة الله ذى المنن ياسين بن ملاّ حسين. غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما آمين بالنبى الأمين».

نسخة مصوَّرة بالفتستات عن نسخة خطيَّة فى خزانة كتب مدرسة يحيى باشا الجليلى بالموصل. بخطِّ النسخ. وعلى بعض الحواشى تعليقات مختلفة.

٣٦ ق، ١٧س.

(١٨/ لغة).

من هذه «الحاشية» نسخة خطية فى خزانة:

مدرسة الحجيات بالموصل: («مخطوطات الموصل» ص ١١٦، الرقم ٢٤٠).

مدرسة جامع النبى شيت بالموصل: («مخطوطات الموصل» ص ٢٢٤، الرقم ٢١٩).

مدرسة يحيى باشا الجليلى بالموصل: («مخطوطات الموصل» ص ٢٤٢، الرقم ٢٨٦).

المدرسة القادرية ببغداد. ضمن مجموعة. كتبها عبد السلام الشوّاف سنة ١٢٥٦هـ. وصفها: د. عماد عبد السلام رؤوف: «الآثار الخطية فى المكتبة القادرية» ٣: ٣٣٩ - ٣٤٠، ضمن مجموعة: تسلسل ١٠٤٩/ ٣).

دار التربية الإسلامية ببغداد. كتبت سنة ١٢٦٠هـ، راجع: (د. عماد عبد السلام رؤوف: «الآثار الخطية فى دار التربية الإسلامية ببغداد»: القسم الثانى: «المورد» ٦ [بغداد ١٩٧٧] ع ٢، ص ٢٨٦، الرقم ٤٠) (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) لحسن محمد الزيبارى.

الرقم ٤٠٧.

أولها (الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلَّمه البيان).

كتبها يوسف بن إسحاق سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م.

طبعت مع شرح العصام على الفريدة بالآستانة معجم ١٣٣١ دار الكتب ٢/ ١٨٩.

القياس ص ٣٧. ٢١,٥×١٥سم س ١٣.

نسخة أخرى.

كتبها سعيد بن مُلاَّ أحمد سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م.

الرقم ٣٦٦٤ القياس ص ١٠٨ ٢٢×١٦,٥سم س ١٣.

نسخة أخرى.

كتبها على بن أحمد سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م.

الرقم ٣٩٢٢ القياس ص ٤٤ ٢١×١٥سم س ١٧.

(٣) للشيخ محمد شيرانشى (شيرانسى).

الرقم ٢١٨٥.

أولها (قوله إلى ألطاف ربه الخفية الألطاف جمع ...).

كتبها مُلاَّ محمد إمام سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

القياس ص ٤٢ ٢٢×١٥,٥سم س ٢١.

كشاف ١٩٧، دار الكتب ٢/ ١٩٠.

(٤) لعبد الله بن حيدر الحيدرى.

الرقم ٢١٨٥.

أولها (يقول العبد ليلتفت إلى ما فى التعبير عن نفسه بالغايب المظر [كذا] من الالتفات).

كتبها مُلاَّ محمد إمام سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

القياس ٣٥ ٢٢×١٥,٥سم س ٢١.

مخطوطات الأنكرلى ٢٤٤.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١١٨، ١١٩، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى - ميخائيل عواد، ١/ ١٥٠، ١٥١).

*** حواش على شرح عصام الدين للرسالة الوضعية:**

(مج) .OP.1599

من مخطوطات علم الوضع فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

لم يذكر اسم المؤلف.

حواش وضعها المُحَشِّي على بعض مسائل وضعية من شرح عصام الدين للرسالة العضدية في علم الوضع ، ويبدو أنها وضعت من قبل مدرس لتيسير بعض جوانب هذا العلم للمبتدئين .

النسخة رديئة خطها فارسي رديء ولم يؤرخ للفراغ من نسخها .

(١٠) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٧ س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د . عدنان درويش ٢/ ١١) .

*** حاشية على شرح العقائد النسفية:**

من مخطوطات الخزانة العمرية في علم العقائد .

الرقم ١٨٢٥٤ .

لابن أبي الشريف القدسي المتوفى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م من تلامذة ابن الهمام محمد بن عبد الواحد الذي توفي سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م .

الأول (الحمد لمستأهله والصلاة على سيد رسله ...) .

والشرح لسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م على العقائد النسفية لنجم الدين أبي حفص النسفي المتوفى سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م .

كتبت بخط النسخ عليها حواشٍ وشروح وترقى للقرن الحادي عشر الهجري القرن السابع عشر الميلادي أكملت الصفحات الأخيرة بخط حديث .

(مخطوطات الخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي ــ بغداد . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ٦/ ٣٥) .

*** حاشية على شرح العوامل المائة في النحو:**

OP. 1549 .

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو.

مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا .

قال واضع الفهرس :

لم نقف على اسم المؤلف ، فقد خرمت النسخة من أولها فذهب بالخرم بضع ورقات .

والكتاب يشتمل على حواش موضوعة على شرح لكتاب (العوامل المائة) في النحو للجرجاني ، ولم نهتد إلى اسم الشرح المحشى عليه .

كتبت النسخة بخط فارسي ، ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها كما لم يذكر اسم الناسخ .

(٤٣٩)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د . عدنان درويش ٢/ ١٠٥) .

*** حاشية على شرح الفوائد الحسينية:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الفلك والتنجيم .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم ٧٨٢٣ .

لمحمد طيب بن ملا أحمد العائم الدوشيواني .

الأول (الحمد لله الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ... أما بعد هذه عجالة أجريتها مجرى الشرح للفوائد الحسينية ...) .

رتبها المؤلف على مقالتين كل مقالة تشمل على أبواب وخاتمة .

المقالة الأولى : في صفيحة المقنطرات المسمات [المسماة] بالربع المقنطر وتشمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة .

المقالة الثانية : (لم يذكر الناسخ عدد أبوابها ومضمونها) .

نسخة حديثة عليها بعض التعليقات والحواشي . ناقصة الآخر وقد أرفق مع هذه النسخة مثلث جيبي من المعدن عمله كاري أحمد محمد سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م .

القياس ٣٨ ص ٢٠ × ١٣سم ١٨س .

(مخطوطات الفلك والتنجيم في مكتبة المتحف العراقي ــ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ٥٩) .

*** حاشية على شرح أبي القاسم الليثي السمرقندي للرسالة العضدية:**

أحد مخطوطات المجمع العلمي العراقي في علم الوضع .

المؤلِّف : يوسف بن على الصَّالارى .

أولها : « البسملة ... الحمد لله عظيم الشان ، ملهم الإنسان أوضاع اللسان ، ... أما بعد : فيقول المفتقر إلى الملك ... ، يوسف بن على الصالارى ، هذه تعليقات تضاهى الفرائد ، شرح الإمام الهادى المهدى مولانا خواجه [أبى القاسم] السمرقندى ، أردتُ بها كشف النقاب لتنجلى لدى الأحباب ، وتقرّ بها عيون الطلاّب ، ورشحتها باسم من كنتُ بحضرته وتنعمه بلطافة صحبته ، حاوى الفضائل والمناقب سمى بن أبى طالب ، ذى الفضل الجزيل سلالة نسل عبد الجليل ... » .

آخرها : « تمت الحاشية الواقعة على شرح الرسالة العضدية . بعون الله تعالى سنة ١٢٠٩ على يد الفقير ياسين» .

نسخة مصوَّرة بالفتستات عن نسخة خطيّة فى خزانة كتب مدرسة يحيى باشا الجليلى بالموصل (أرقامها : التصنيف ٤١١ ـ ص ١ ح ، القيد ٢٠٦ ، خ ٤/ ب) .

٢٥ ق ، ١٧ س .

(١٦/ لغة) .

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد ١/ ١٤٨ ، ١٤٩) .

*** حاشية على شرح قاضى زاده الرومى :**

حاشية على شرح القاضى زاده الرومى (موسى بن محمد المتوفى سنة ٨١٥) .

على أشكال التأسيس لشمس الدين السمرقندى .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية .

تأليف أبى الفتح محمد بن الهادى أبى نصر بن أبى سعيد الحسينى العراقى المدعو بتاج السعيدى المتوفى سنة ٩٥٠ (كشف الظنون ١/ ١٠٥) .

أولها : الحمد لله المقدر مقادير الأشياء بحكمته ومصور تصاوير الأشكال بقدرته ... إلخ .

وآخرها : ونتمم الكلام قائلين الحمد لله ذى الجلال والإكرام على الإتمام والصلاة على رسوله محمد والسلام ، ثم المأمول هو الإصلاح من أهل الصلاح إذا وقع زلل فى التحرير أو خلل فى التقرير ...

نسخة بقلم معتاد من مخطوطات القرن الثانى عشر تقريبًا . فى ٢٢ لوحة ومسطرتها ٢٣ سطرا . ١٠ × ١٥ سم .

[دار الكتب المصرية ٢٦ رياضة ـ ف ١٠٣٥] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠ / ٤١ ، ٤٢) .

*** حاشية على شرح القطر للفاكهى :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى النحو والصرف .

مخطوط فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلِّف : ياسين بن زين الدين بن أبى بكر بن محمد بن عليم الحمصى الشافعى الشهير بالعليمى ـ المتوفى / ١٠٦١هـ .

أوله : (اللهم بك استعنت وعليك توكلت الحمد لله الذى لا يخيب من نجاه الفاعل لما يشاء فلا راد لمفعول قضاه ... إلخ) .

آخره : (قوله لئلا يلتبس أو علة لترك مقتضى القياس مع المفتوحة وليكن هذا آخر مادة مما أردنا جمعه فى هذه الحواشى) .

ناسخه : مجهول . نسخ/ ١١٠٥هـ .

خطه نسخ جميل ورقه خفيف أملس فى أوله ترجمة كاملة للمؤلف مأخوذة من كتاب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر . عليه تملكات عديدة ترجع إلى / ١١٢٨هـ .

و : ٢٤٣ .

م : ٢٤ × ١٧ .

س : ٣١ . ت/ ١٣٢ .

المصادر : معجم المؤلفين ١٣/ ١٧٧ ، والأعلام للزركلى ٩/ ١٥٥ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد ، ١/ ٤١٥) .

*** حاشية على شرح قطر النّدا وبلّ الصّدا :**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف .

الرقم ٣٣٤٢ .

لأبى الخير زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن مرعى بن ناصر الدين السويدى المتوفى سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م ـ والشرح لعبد الملك جمال الدين بن عصام الدين الإسفرائينى.

أولها: (الحمد لله المفيض سجال جوده على من انخفض لجلاله).

القياس ص ٢٩١ ٢١×١٤سم س ٢٣.

المسك الأذفر ص ٦٦.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦).

*** حاشية على شرح الكافية لابن الحاجب:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٧٩٩.

لأبى المفاخر شهاب الدين عمر الدلتا بادى الهندى.

أولها (نحمد الله نحو آلائه الوافية).

كتبت سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م.

القياس ص ٣٧٠ ١٨×١٢,٥سم س ١٥.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٧).

*** حاشية على شرح المطول:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ٣٤٦٨.

للمولى حسن بن محمد شاه الفنارى المعروف بحسن جلبى المتوفى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.

أولها (الحمد لله الذى ألهمنا حقائق المعانى ودقائق البيان).

كتبت سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م.

القياس ص ٥٩٢ ٢٤,٥×١٥سم س ٢٤.

طبعت معجم ٨٥٨ كشف ١/ ٤٧٥.

نسخة أخرى.

الرقم ٤٨١ القياس ص ٤١٦ ٢١×١٥,٥سم س٢٦.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢٠).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلك.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩٦٧١.

لعبد العلى بن محمد بن حسين البرجندى المتوفى سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦. فقيه، أصولى، حاسب، من آثاره: شرح مختصر المنار فى أصول الفقه، شرح آداب عضد الدين، شرح التذكرة النصيرية فى الهيئة، شرح الفوائد البهائية فى الحساب، وشرح النقاية مختصر الوقاية. (معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٦).

الأول (الحمد لله رب المشارق والمغارب مزين السماء بزينة الكواكب والثواقب ... أما بعد فهذه تعليقات على المواضع المشكلة ... من شرح الجغمينى ...).

وهى حاشية على شرح قاضى زاده الرومى الذى كان حيًّا سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م على يد إسحاق بن قاسم الطبسى.

القياس ٣٩٨ ص ٢٠×١١سم ١٧س.

كشف ٢/ ١٨٢٠ معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٦ هدية العارفين ١/ ٥٨٦.

كما توجد فى مكتبة المتحف العراقى عشر نسخ أخرى نكتفى بذكر أرقامها وهى على التوالى: ٧٧٢، ٨٧٢٢، ١٠٤٧٩، ٢٧٧٥٧، ٩١٣٢/ ٤، ١٧١١١، ١/١٣٠٧٦٩، ٢٣١١١، ٢/١٠٥٧٨، ٣٠٧٦٤.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٩ـ٦٢).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٣٢٤٣٢.

لغياث الدين منصور بن محمد بن إبراهيم الحسينى الدشتكى، الشيرازى المتوفى سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م.

من أهل دشتك من قرى أصفهان وتنسب إليه المدرسة المنصورية بشيراز ولى منصب الصدارة فى عهد الشاه طهماسب. ومن تأليفه: آداب البحث والمناظرة، الإشارات والتلويحات.

الأول (بعد حمد الله على توفيقه والصلاة على حبيبه ...).

وهو حاشية على شرح الملخص فى الهيئة لقاضى زاده الرومى.

نسخة جيدة كتبت سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م على يد أحمد محمد نصر الله فى المدرسة العلية المنصورية فى شيراز.

القياس ٩٠ ص ١٨ × ١١سم ١٨س.

ذريعة ٦/ ١٣٦. معجم المؤلفين ١٣/ ١٩.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٦٣).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٣٢٤٣١.

لعلها للقاضى مير حسين بن معين الدين الميبدى أو الميبذى المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

الأول (الحمد لله الذى أبدع السماء بلطفه أثيرًا (خالصًا) ... وبعد هذه حواشى [حواشٍ] وشمها خادم أهل ... على شرح الملخص فى الهيئة ...). وهى حاشية ممزوجة على شرح قاضى زاده الرومى على الملخص فى الهيئة للجغمينى نسخة جيدة عليها حواش وشروح كتبت بالمدادين الأسود والأحمر سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م فى المدرسة العلية المنصورية بشيراز بيد أحمد محمد نصر الله. قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى كما ذكر فى الحواشى وذكر اسم المؤلف فى هذه النسخة بمحمد عز الدين.

القياس ٢١٠ص ١٨ × ١١سم ١٨سم.

الذريعة ٦/ ١٣٦. معجم المؤلفين ٤/ ٦٤ معجم المطبوعات ١٤٨٦.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٦٣، ٦٤).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١٧١١٣.

للمولى يوسف بن خضر بيك بن جلال الدين الحنفى المعروف (بسنان باشا) المتوفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م فقيه عالم مشارك له اطلاع واسع على العلوم الطبيعية من أهل القسطنطينية كان وزيرًا فى عهد السلطان محمود ثم عزله وحبسه وعندما جاء السلطان بايزيد خان قربه وولاّه مدرسة دار الحديث بأدرنة وتوفى بها. ومن آثاره حاشية على شرح الملخص لقاضى زاده وحاشية على شرح الجرجانى (معجم المؤلفين ١٣/ ٢٩٦).

وهى حاشية على شرح قاضى زاده الرومى الذى كان حيًّا سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م على الملخص فى الهيئة للجغمينى. وضع المؤلف هذه الحاشية بإشارة من السلطان محمد بن مراد.

نسخة جيدة كتبها بخط التعليق بأصفهان على بن سيف الدين محمود سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م.

القياس ١٣٨ص ١٩ × ١٢سم ١٩س.

كشف ٢/ ١٨١٩ معجم المؤلفين ١٣/ ٢٩٦.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٦٤).

*** حاشية على شرح الوقاية:**

من مخطوطات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٢٤١٢ (فقه حنفى ١٢).

وقاية الرواية فى مسائل الهداية. تأليف: محمود بن عبيد الله بن إبراهيم المحبوبى المعروف ببرهان الشريعة المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م.

والوقاية متن مشهور اعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتدريس والحفظ، .

شرح الوقاية تأليف: عبيد الله بن مسعود بن محمود المحبوبى المعروف بصدر الشريعة الأصغر، كان حيًّا سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.

الحاشية تأليف : . . . . .

أوله : الحمد لله رافع القبة الخضراء، وباسط البسيطة الغبراء.

وآخره : ومع ذلك فلا يعادل فى مناقبهم، وما ذكر عن آثارهم، نفعنا الله بمحبتهم أجمعين، وجعلنا لهديهم متبعين، وعصمنا من زيغ الضالين وبعثنا يوم الدين فى عداد الهادين بفضله العظيم، وفيضه العميم، إنه سميع مجيب.

نسخة جيدة قديمة ومصححة، عليها وقفية المدرسة البيرامية.

الخط نسخ معتاد دقيق. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتبه أحمد بن تاج الدين المنتوى سنة ٩٧٨هـ.

المراجع : كشف الظنون ٢/ ٢٠٢٢، معجم المؤلفين ١٢/ ١٨٧، ٦/ ٢٤٦.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٧٦، ٢٧٧).

*** حاشية على الفوائد الشافية فى حل مشكلات الكافية:**

.OP. 294

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

لم يذكر اسم مؤلِّفها.

وقد وضعها ــ على الأرجح ـ على كتاب (الفوائد الشافية على إعراب الكافية) لـزينى زاده وتناول فيها حل بعض ما أشكل من الكتاب.

النسخة متأخرة لم يذكر اسم ناسخها كتبت سنة ١١٤٤هـ بخط نسفارسى معتاد.

(١٦٠) ق القطع الصغير مسطرتها (١٧ س).

قال واضع الفهرس : لم نجد لهذه الحاشية ذكرًا فى المصادر التى بين أيدينا.

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٦).

*** حاشية على الفوائد الضيائية:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف..

الرقم ٢٤٠٧.

لعبد الحكيم بن محمد شمس الدين الهندى السيالكونى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م وسميت بالفوائد الحكيمية.

طبع بالأستانة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.

كتبها عبد الفتاح الإربيلى سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م.

القياس ص ٢٦٠ ٢٢×١٦سم س ١٩.

دار الكتب ٢/ ٩٨، كشف ١/ ١٧٨.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٢٨).

*** حاشية على الفوائد الضيائية:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٣٥٠٩.

لنعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسينى الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠١م.

كتبت سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م.

القياس ص ٢٤٠ ٢٥×١٤,٥سم س ٢١.

مخطوطات دار الكتب ١/ ٢٦٤.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٢٨).

*** حاشية على الفوائد الضيائية:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٣٧٥٦.

لوجيه الدين الهندى.

كتبها إبراهيم بن عثمان فى مدرسة بوياجى سنة ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م.

القياس ص ٣٤٠ ١٩,٥×١٢سم س ١٥.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٢٨).

*** حاشية على الفوائد الضيائية للجامى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٢٤٥٣.

لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفرائينى المتوفى سنة ٩٥١هـ/ ١٥٣٦م.

طبعت معجم ١٣٣١.

القياس ص ١٤٢ ٢٢×١٦سم س ١٧.

كشف ٢/ ١٣٧٢.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٢٧، ٢٨).

*** حاشية على قطر النّدا وبلّ الصّدا:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٤٥٥.

لمحمد بن على بن أحمد الحريرى الحرفوشى المتوفى سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م فرغ منها سنة ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م وسمّاها دليل الهدى.

كتبها عن نسخة المؤلف حسين بن عبد الله الكعبى. سنة ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م.

القياس ص ٤-٥٠ ٢٤×١٨سم س ١٧.

كشف ٢/ ١٣٥٢.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٢٨، ٢٩).

*** حاشية على كافية ابن الحاجب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو والصرف.

مخطوط فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

المؤلّف: لم يعلم اسم المؤلف.

ناقص الأول والموجود يبدأ (واعلم أن اللام فى الكلمة لام الجنس أى لتعريف الحقيقة ولا يجوز أن يكون اللام فيها للاستغراق ... إلخ).

ناقص الآخر والموجود ينتهى (فيدخل دعوت الله سعيا وقائما بالقسط وولى مدبرا ونحو ذلك لا يكون فيه شىء مما ذكرناه).

ناسخه: مجهول. خطه نسخ جميل عليه أثر للرطوبة.

و : ٩٨.

م : ٣١×٢١.

س : ٢٠ ت/ ٤٣٠.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٥).

*** حاشية على كتاب فى التفسير:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٤٣٨٤.

المؤلّف: مجهول.

أولها: يلزم أن يكون الاسم والمسمى واحدًا بل اللازم تسمية المؤلف بالمفرد وهم جعلوا اسم الحرف مؤلفًا منه ومن حرفين آخرين وهو تسمية المفرد بالمؤلف كما أن تسمية المفرد بالمركب لا يوجب اتحاد الاسم والمسمى كذلك تسمية المؤلف بالمفرد. قوله: الوجه الثالث: اعلم أنّ الوجه الثانى والثالث مشتركان فى أن الفواتح ليست بأسماء للسور وفى أن تصدير السور بها للدلالة على الإعجاز.

آخرها: والنيسان إنما يكون بعد المعرفة، شبّه معاملته تعالى مع الكافرين بمعاملة من نسى عبده من الخير ولا يلتفت إليه وشبّه عدم إخطارهم لقاء الله ببالهم وعدم مبالاتهم بحال من عرف شيئًا ونسيه واعلم أنه لما أريد تعلم المعانى التى هى فى عالم الغيب لم يكن إلا بأمثلة من عالم الشهادة فلا بدّ أن تعبر المعانى عن الغيبية بعبارات أو أمثلة من عالم الشهادة.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجرى كتبت بخط فارسى معتاد خرم من أولها عدة أوراق، وتنتهى بالتعليق على قوله تعالى ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف: ٥١] كتبت بثلاثة خطوط مختلفة أولها بخط فارسى دقيق ووسطها بخط معتاد وفى آخرها بخط نسخي، أصابتها الرطوبة فى أعاليها كما سطت عليها الأرضة فى مواضع منها. كتب عليها بخط حديث « تسهيل إعراب القرآن العظيم ».

ق	م	س
٢٥٩	١٨ × ١٣	٢٤.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٨٥، ٢٨٦).

*** حاشية على الكشاف:**

انظر: حاشية ابن كمال باشا على مواضع من الكشاف.

*** حاشية على الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. سورة الملك:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (لعله فى مكتبة الأسد الآن).

الرقم ٤٧٨.

المؤلف: محمد الصادق.

أولها: بسم الله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً، الرحمن الذى خلق سبع سماوات طباقًا، الرحيم الذى جعل لكم الأرض ذلولاً، قال جار الله العلامة، أحسن الله حاله فى دار المقامة، سورة الملك. لما كان هذا الاسم من بين أسمائها مشهورًا، جعله أصلاً ولم يصرح بكونه اسمًا لتفرده وظهوره، ولا خفاء فى أنه كان فى الأصل مركبًا إضافيًا ثم جعل علمًا لهذه السورة.

آخرها: وماء معين، أى جار، ويقال هو مفعول من عنت الماء إذا استنبطت، أنهى كلامه، فعلى الأول، معين صحيح على وزن فعيل. وعلى الثانى أجوف على وزن مفعول كمنيع.

قوله: وعن بعض الشُّطَّار، قيل: هو محمد بن زكريا المتطبب الرازى، والله تعالى أعلم بصحة الشُّطَّار هو جمع شاطر وهو الذى أغنى أهله خبثًا ذكره الجوهرى، وفى الأساس، فلان شاطر، أى خليع.

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الحادى عشر الهجرى كتبت بخط تعليق قليل الإعجام، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. على الهوامش الكثير من الشروح والتعليقات.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم حاشية الليثى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وحاشية محمد الصادق على سورة يس، ثم مجموعة من الحواشى على الجزء الأخير من القرآن الكريم، المجموع مصاب بالرطوبة وأوراقه مفروطة، أما الغلاف فهو من الجلد ولكنه ممزق.

ق	م	س
٢٧ (١٢٥ـ١٥١)	١٩ × ١٣	٢١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٩، ٢٨٠).

*** حاشية على مختصر التلخيص للتفتازانى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ١٨٥٠.

لأحمد بن محمد بن يحيى بن محمد حفيد سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م.

كتبت بخط مغربى.

القياس ص ٣٥ ٢٧,٥ × ٢٠سم س ٣٠.

كشف ١/ ٤٧٥. معجم ٧٨٣.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢٠، ١٢١).

*** حاشية على مختصر تلخيص المفتاح للتفتازانى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ١٨٥٠.

لشهاب الدين أحمد بن قاسم العبادى الشهير بابن أم قاسم المتوفى سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م.

جمعها بعض تلامذته من هوامش كتبها بخط يده على المختصر.

أوّلها (حمدا لك اللهم على ما أنعمت به من بديع المعاني).

كتبت بخط مغربي سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م.

القياس ص ٣١٢ ٢٧,٥ × ٢٠سم س ٣٠.

كشف ١/ ٤٧٦.

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي/ ١٢١).

*** حاشية على مختصر تلخيص المفتاح للقزويني:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في علم البلاغة.

الرقم ٢٤٥٢.

لنظام الدين عثمان الخطائي المتوفى سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م.

أوّلها: (نحمدك اللهم على ما أعطيتنا من سوابغ النعم وبوالغ الحكم).

كتبها يوسف بن إبراهيم الأرهي سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م.

القياس ص ٩٠ ٢١,٥ × ١٦سم س ١٩.

كشف ١/ ٤٧٦. دار الكتب ٢/ ١٨٨.

نسخة أخرى.

كتبها ... بن عبد الجبار سنة ١٠٤٦هـ / ١٦٣٦م.

الرقم ٣٤٣٢ القياس ص ١٢٤ ١٩,٥ × ١٣سم س ١٣.

نسخة أخرى.

كتبها حسن بن حيدر علي سنة ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م.

الرقم ٥٠٥ القياس ص ١٥٠ ١٩,٥ × ١٥سم س ١٧.

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي / ١٢٠).

*** حاشية على المطول:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في علم البلاغة.

الرقم ٣٨١.

لعلي بن محمد الحسيني الجرجاني المعروف بالسيد الشريف المتوفى بشيراز في السادس من ربيع الثاني سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م.

قوبلت هذه النسخة سنة ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م ولم يعلم اسم الناسخ ولا تأريخ نسخها.

القياس ص ٤٩٢ ٢٦ × ٢٠سم س ٢١.

كشف ١/ ٤٧٤.

(المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي/ ١٢١).

*** حاشية على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو والصرف.

مخطوط في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

المؤلِّف: لم يعلم اسم المؤلف.

ناقص الأول والموجود يبدأ (وتسكين المنقول إليه الموجب لكون النقل عملا كلا عمل وإدغام المنقول إليه فيما بعد الهمزة وذلك بمعزل عن القياس ... إلخ).

آخره: (والذي وليها رُبَّ نحو يا رب سار بات ما توسدا).

ناسخه: محمود الكلالي لأجل أستاذه الشيخ أحمد بن معروف النودهي. خطه نسخي، ورقه أبيض، جلده مزخرف أصفر.

و: ٢٣٤.

م: ٢١ × ١٥.

س: ١٩. ت/ ٩٦.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ـ محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٦).

*** حاشية على مقدمة أبي الليث:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي.

الرقم ٢٥٢٤ (فقه حنفي ٧٧).

المقدمة تأليف: إمام الهدى أبي الليث نصر بن محمد بن

أحمد بن إبراهيم السمرقندى المتوفى سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م على ما ذكره أكثر المؤرخين، وقيل فى وفاته غير ذلك وغاية الخلاف فيها سنة ٣٩٣هـ.

وهى مقدمة فى الصلاة.

الحاشية: مجهولة المؤلف.

أوله: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وآخره: فإن قيل أى مصل صلى وفى كمه رطل من النجاسة وجازت صلاته.

الجواب: فقل له: رجل صلى وفى كمه جرو الكلب وفمه مشدود.

نسخة جيدة. على صفحاتها جميعًا جداول بالحمرة. وعليها وقفية محمد باشا العظم على طلبة العلم. الورقة الأخيرة بخط حديث.

الخط نسخ جيد، كتبت بعض كلماته بالحمرة.

المراجع: كشف الظنون ٢/ ١٧٩٥، فهرس الخديوية ٣/ ١٣٤، معجم المؤلفين ١٣/ ٩١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٧٧، ٢٧٨).

*** حاشية على الوافية فى شرح الكافية:**

.OP. 3147

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

لم يذكر اسم مؤلفها وذهب من أول النسخة بضع ورقات بخرم انتابها ولعلها لمحمد بن عبد الله المرينى.

وقد تناول فيها المؤلف التحشية على شرح كافية ابن الحاجب للركن الاستراباذى المسمى بالوافية.

النسخة رديئة على هوامشها تعليقات كثيرة، وخطها فارسى ردىء ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٢٤٦) ق القطع المتوسط المسطرة (٢١س).

الكشف ٢/ ٢٥٠ .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٧).

*** حاشية على الورقات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفلك والتنجيم.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٣٣٢٥٥/ ٤ .

لمحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقى المعروف بسبط المارديني المتوفى سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠١م.

الأول: (الحمد لله الذى باين بين صفات مصنوعاته فهى بتصريف مشيئته متفرقة ...).

وهى حاشية مختصرة على كتاب الورقات فى العمل بربع دائرة المقنطرات لجد المؤلف جمال الدين محمد بن عبد الله الماردينى. رتبها المؤلف على ترتيب الأصل فى مقدمة وعشرين بابًا.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بمدادين أسود وأحمر ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى.

القياس ٢٠ص ١٤ × ١٠سم ١٦س.

معجم المؤلفين ١١/ ١٨٨ . كشف ٢/ ٢٠٠٦ .

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٦٥).

*** حاشية العليمى على مختصر السعد التفتازانى:**

.OP.3086

من مخطوطات العلوم البلاغية فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف: العليمى، سعد الدين ياسين بن زين الدين بن أبى بكر بن عليم الحمصى الشهير بالعليمى المتوفى سنة: ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م.

حشى فيها على كتاب (المختصر) للسعد التفتازانى الذى شرح فيه كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى العلوم البلاغية.

أوله بعد البسملة: « الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ...).

آخره: «... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم ».

النسخة تامة بحالة حسنة كتبها بخط نسخ معتاد على النبوفرى وفرغ من نساختها سنة ١١١٨هـ.

(٢٧٠) ق القطع المتوسط مسطرتها (٢٥س).

لم يذكره الكشف أو الإيضاح أو بروكلمان. انظر الزركلى ٩/ ١٥٥.

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٦).

*** حاشية الغنيمى على مسائل فى البسملة ومسائل من أنوار التنزيل، وإرشاد العقل السليم، والكشاف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم: ٧٦٤٠.

المؤلِّف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن شمس الدين الغنيمى الأنصارى الخزرجى المتوفى سنة ١٠٤٤هـ.

أولها: الحمد لله مالك الحمد ومستحقه، المتفضل على من شاء من عباده بلطايف توفيقه ورفقه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد جامع المحامد والمفاخر المنزل عليه فى كتابه العزيز ﴿ **إنما يعمُر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ وبعد فيقول الفقير إلى رحمة ربه أسير لطف الله به لمَّا ألقيت درس التفسير بجامع طولون باشا بإشارة بعض الموالى العظام ملاذ أهل الفضل الكرام خطر لى أن أجمع ما ألفته من غير أن يكون.

آخرها: لم يتعرض العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى لما هو المشهور المعتمد من مذهب أبى حنيفة وعليه متأخرو الصحابة من أنها آية من القرآن أُنزلت للفصل بين السور أو الابتداء والافتتاح كما تقدم ولعلّ ذلك لما فيه من الاضطراب بين أصحابه المتقدمين والمتأخرين أو لشهرة الكلام فى كتب الفقه أو نحو ذلك مما يقول والله أعلم بحقيقة الحال ولنمسك عنان القلم الآن عن الجرى فى هذا الميدان ومعترك الفرسان خشية أن أكبو فأصاب بالنسيان ... انتهى ما قاله الشيخ أحمد الغنيمى فى أوائل ربيع الأول من شهور سنة ١١٤٠. تمَّ على يد أحقر العباد وأقلهم زادًا ليوم المعاد محمد اليمنى ... فى يوم الأربعاء سابع شهر جمادى الآخرة من شهور سنة سبع وخمسين وألف.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى معتاد وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. أصيبت هذه النسخة بالأرضة فأثرت على أوراقها تأثيرًا بالغًا وبخاصة فى أطرافها.

توجد هذه النسخة فى مجموع يحوى رسالة فى الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجمعى. وفتح الوهاب فى شرح الآداب لزكريا الأنصارى. أصيب المجموع بالأرضة وجفاف الأوراق وهو يحتاج إلى صيانة. على الورقة الأولى قيد وقف باسم أبى بكر ابن الحاج عثمان على مدرسة الصدر العالى، وقيد تملك باسم محمد بكرى الغنيمى سنة ١١١٦هـ.

ق	م	س
٢٤ (١ - ٢٤)	١٨ × ١٣	٢٤.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩).

*** حاشية الفاضل البرجندى على شرح الملخص فى الهيئة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الهيئة.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم: مجموع رقمه ٦٨٦٨.

شرح الملخص:

تأليف: المولى المشهور بقاضى زاده الرومى محمود بن محمد بن عمر الجغمينى المتوفى سنة: ٦١٨هـ/ ١٢٢١م ظنًّا.

الحاشية :

تأليف :

الفاضل البرجندى : عبد العلى بن محمد بن حسين المتوفى : سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٦ .

مواضيع المخطوط :

شرح مواضيع النسخة ذات الرقم : / ٦٨٦٨ / والتى تتألف من مقدمة ومقالتين :

المقالة الأولى : فى بيان هيئات الأفلاك التى هى كرات متحركة ...

المقالة الثانية : فى بيان هيئة الأرض التى هى كرة واقعة ...

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب المشارق والمغارب مزين السماء بالكواكب الثوابت ... وبعد فهذه تعليقات على المواضيع المشكلة وتنبيهات على الرموز والمباحث الخفية المفصلة من شرح الملخص فى الهيئة المنسوب إلى فاضل الأئمة ... المولى المشهور بقاضى زاده الرومى محمود بن محمد بن عمر الجغمينى ... جمعتها بالتماس بعض الإخوان لتكون تذكرة لهم ولساير الخلان ...

خاتمة المخطوط :

... السنة القمرية الوسطية ناقصة عن السنة الشمسية الحقيقية ... وإنما التفاوت بين الشهور الشمسية الوسطية والشهور الشمسية الحقيقية، فالشهر الشمسى الوسطى أبدًا يكون ثلاثين يومًا وعشر ساعات وتسعًا وعشرين دقيقة ونصف سدس دقيقة وهو الخارج من القسمة مدة السنة الشمسية على اثنى عشر والشهر الشمسى الحقيقى قد يزيد عليه وقد يساويه وينقص منه . تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب على يد ... محمد بن أحمد عفى عنهما فى شهر ذى الحج فى ليلة الجمعة فى مدرسة وآن فى سنة إحدى وثمانين وألف .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة، فى مجموع يتألف من : ١٦١ ورقة : الملخص فى الهيئة فى ٦١ ورقة وحاشيتنا هذه فى : ١٠٠ ورقة، من ورقة : ٦٢ ـ ١٦١ كتبت بخط نسخى جميل جدًّا بالحبر الأسود، وكتبت أسماء الأبواب والفصول وبعض الجمل والكلمات الهامة بالحبر الأحمر، وسطرت بالحبر الأحمر كثير من الجمل والعبارات، ترك لها هامش بعرض : ٦سم عليه كثير من الشروح والتعليقات، لها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة . بقياس ٢٠/ ١٤,٥ وعدد السطور: ٢٣ جلدها كرتون مغلف بجلد أحمر وورق ملون .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ : محمد بن أحمد الطرسوسى . سنة ١٠٨١هـ .

المصادر عن المؤلف والكتاب .

بروكلمان : الذيل ١/ ٨٦٥ .

كشف الظنون : ٢/ ١٨١٩ .

فهرس الخديوية : ٥/ ٢٢١ .

معجم المؤلفين : ١٢/ ١٩٨ و ٥/ ٢٦٦ .

هدية العارفين : ١/ ٥٨٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ١٥٩ ـ ١٦١) .

*** حاشية الفنارى على شرح الشريف الجرجانى:**

(المواقف للإيجى فى علم الكلام):

(الأصل المواقف فى علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد اللايجى المتوفى سنة ٧٥٦هـ .

ثم شرحه السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦هـ . ثم كتب حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى المتوفى ٨٦٦هـ حاشيته المشهورة عليه .

انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٩١) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم العقائد والكلام .

المؤلف : حسن جلبى بن محمد شاه بن حمزة الرومى الحنفى ويعرف بالفنارى (بدر الدين) ٨٤٠هـ ـ ٨٨٦هـ .

أولها : (قوله فبسمل أولا فإن قلت التوجيه الأول لا يدل على أن علة التضمين بالبسملة أولا وقوع التضمين معتدا به ... إلخ) .

آخرها : (إذ لا وجه له بعد تسليم أصله كما لا يخفى على المنصف) .

ناسخها : سالم بن منصور البقرى الشافعي / ٩٩٥هـ .

خطها نسخي .

و : ١٠٥ .

م : ٢١×١٥ .

س : ٢١ . ت/ مجاميع / ١١٩ ـ ١٢٠ .

المصادر: معجم المؤلفين ٣/ ٢١٣ ـــ ٢١٤ وكشف الظنون ٢/ ١٨٩١ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد ، ١/ ١٨٧ ، ١٨٨) .

*** حاشية الفنارى على المطول ـ الجزء الأول:**

Op.1131 .

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا .

تأليف : حسن جلبي بن محمد شاه الشهير بالفنارى أو الفنرى المتوفى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م .

وهى من الحواشى المفيدة التامة على كتاب (المطول) للسعد التفتازانى الذى شرح فيه كتاب (تلخيص المفتاح) لقزوينى فى العلوم البلاغية ويشتمل هذا الجزء على الباب الأول والثانى من الكتاب .

أوله : « قوله ألهمنا حقائق المعانى ودقائق البيان ، الأقرب إلى الفهم ... » .

آخر الجزء : « ... لا ما كان له قد تدرب الأسور والتمرن عليها والله أعلم ... نُجز الفراغ من الجزء الأول من حواشى المطول للفنرى ، ويتلوه فى الجزء الثانى الباب الثالث أحوال المسند قوله أى قول ضابيء » .

النسخة جيدة قديمة قريبة من عهد المؤلف قوبلت على نسخة معتبرة ، كتبها أحمد بن عبد الرحمن الفيومى الحنبلى بخط نسخ وجعل أوائل فقر الأصل المحَشَّى عليه بحرف متميز بالسواد وفرغ من نسخه سنة ٩٠٦هـ وفى ذيل الصفحة الأخيرة من النسخة نص مقابلة صورته : « الحمد لله بلغ مقابلة على نسخة معتبرة بها إلحاقات فألحقها كاتبه أحمد الفيومى الحنبلى فى مدة آخرها خامس صفر سنة أربع وثلاثين وتسعمائة » .

(١٦٤) ق (١٧,٥×١٣سم) مسطرتها (٢١س) .

الكشف ١/ ٣٢٤ بروكلمان ١/ ٥١٧ ذيل بروكلمان ٢/ ٢٣٠ .

نسخة منه :

OP.4460 .

تضم الكتاب كله ، إلا أنه اعتراها خرم كبير من أولها ذهب به حوالى / ٧٠ ورقة .

أول النسخة بعد الخرم : « قوله : ولا نسبة لذاته أى لماهيته ... » وتنتهى النسخة بانتهاء الكتاب وقد جاء فى آخرها : « وإنما لم يتعرض للبديع لكونه خارجًا عن البلاغة والله أعلم » .

على هوامش النسخة تعليقات ، وقد كتبت بخط نسخ حسن ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها أو اسم ناسخها .

الباقى منها : (٢٣٥) ق (٢٧×١٧سم) مسطرتها (٢١س) .

قطعة من الكتاب : OP.1443 .

تضم القسم الذى ذهب من النسخة السابقة ذات الرقم (٣٣٦٠) .

(٧٠)ق (٢٧×١٧سم) سطور الصفحة (٢١س) .

نسخة أخرى :

OP.2859 .

سقط منها خطبة الكتاب ، كتبها عمر بن تنكزباى بخط فارسى دقيق ردىء وفرغ من نساختها سنة ١٠٩٣هـ .

(١٧٠) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٦ ـ ١٩٨) .

*** حاشية فى التفسير:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٥٩٣ ـ تفسير / ١٥٥ .

المؤلف : مجهول .

أولها : قـوله : عمَّا ــ حذف الألف حذفًا كثيرًا إلى أن قلَّ الأصل وهو إثبات الألف وسبب الحذف المشار إليه بقـوله : لما مـرَّ يعنى لسبب أو قاعـدة مرت فى سـورة الصف . إن لِمَ مركَّبـة من لام الجر ومـا الاستفهاميـة والأكثر حـذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعماله معًا .

آخره : قولـه : وفيه تعسف إلا أن يراد به النـاس وفيه أنه لا تخرج بتلك عن التعسف لأن كثـرة تكرار الناس سـابق لمعناه الواضح المشهـور، يسدُّ باب الانتقال إلى الناس منـه فى هذا المقام . الحمد لله الذى وفقنا لشـرح هذا التفسير من الطرفين ونسأله أن ينتفع به أولو الأفهام .

أوصـاف المخطـوط : نسخـة من القـرن الثـانـى عشـر الهجرى، كتبت بخط معتاد ردىء . وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمـر على الهوامش وبين السطور الكثير من الشروح المختلفة والتصويبات تبدأ الحاشية بالتعليق على أول سـورة النبإ وتنتهى بالتعليـق على آخر الكتـاب . تـوجد هـذه الحـاشية فـى مجموع يضـم حـاشيـة أخرى وقطعـة من أنـوار التنزيل والتفاسير لبعض السور.

على الورقـة الأولى قيد باسم السيد قـاسم بن على الشهير بـدقـاق الـدودة على ذريتـه وعلى طلبـة العلم من المسلمين وتاريخه / ١٢٤٨ .

ق	م	س
٥٦ (١ ـ ٥٦)	٢٣ × ١٧	١٨ .

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهـرية . علـوم القرآن الكـريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٢٤ ، ٢٢٥) .

*** حاشية فى التفسير:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

الرقم ٥٩٣ ـ تفسير / ١٥٥ .

المؤلف : مجهول .

أولها : سـورة النبإ مكيـة وآيها أربعون، بسـم الله الرحمن الرحيم عمَّ يتساءلون . أصله عما فحذف الألف لما مرّ ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته ضيع جنسـه فيساءل عنـه والضمير لأهل مكـة كانـوا يتساءلـون عن البعث فيما بينهم ويسألون الرسول والمؤمنين عنه .

آخرها : فيسبق إلى الكمالات حتى يصير على المكملات أو صفات أنفس القـراء أو أيديهم بنزع القسىّ بإغـراق السهام وينشطون بـالسهم للرمى ويسبحـون فى البر والبحـر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو صفات خيلهم فإنها تنزع فى أعنقها نـزعًا يغـرق فيه الأعنـة لطول أعنـاقها . وتخـرج من دار الإسـلام إلى دار الكفـر وتسبح فى جـريهـا فتسبق إلى العـدو فتدبر أمر الظفر، أقسم الله بها على قيام الساعة .

أوصـاف المخطـوط : نسخـة من القـرن الثـانـى عشـر الهجـرى، كتبت بخط معتاد ردئ وبـالمداد الأسـود، رؤوس الفقـر مكتوبـة بالأحمـر، على الهوامش وبين السطـور بعض التعليقات والتصـويبات، تبـدأ الحاشيـة بالتعليق علـى سورة النبأ وتنتهى فى أثناء سورة النازعات .

توجد هذه الحاشية فى مجموع يضـم حاشية أخرى وقطعة من أنـوار التنـزيل وأسرار التـأويل فيها تفسيـر بعض السـور، أصيب المجمـوع بالـرطـوبة وتلفـت بعض أوراقه وقـد رممت قـديمًـا، على الورقـة الأولى قيـد وقف بـاسم قـاسم بن على المصرى .

ق	م	س
٨٠ (٥٧ ـ ٦٤)	٢٣ × ١٧	١١

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهـرية . علـوم القرآن الكـريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

*** حاشية فى النحو (مجهولة الاسم) جـ٢:**

- : لم يعلم اسم المؤلف .

أوله : (الباب الثانى من الكتـاب فى تفسير الجملة يجوز أن يكون من الكتاب خبر الباب الثانى وفى تفسير الجملة خبر بعد خبر ... إلخ) .

آخره : (قولـه وقد مر ذلك : يعنى فى آخر القـاعدة الأولى والحمد لله على التمام وعلى نعمه العظام الجسام) .

ناسخه : أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن ضاحى / ١١٨٦هـ.

خطه فارسى كتب المتن والأبواب والفصول بحبر أحمر.

و : ١٧٨ .

م : ٢٠×١٤ .

س : ٢٥ .　　ت / ٢٣ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٦).

*** حاشية القرمانى على جامع الفصولين:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٢٥٩٩ (فقه حنفى ١٥٤).

جامع الفصولين تأليف : بدر الدين محمود بن إسرائيل الشهير بابن قاضى سماونة المتوفى سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م، وفى الشقائق النعمانية سنة ٨١٨هـ.

وهو كتاب مشهور متداول فى أيدى الحكام والمفتين لكونه فى المعاملات خاصة، جمع فيه بين فصول العمادى وفصول الأسروشنى .

حاشية القرمانى، تأليف : سليمان بن على القرمانى المتوفى سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م .

وهى أجوبة لأسئلة جامع الفصولين، انتهى من تأليفها سنة ٩٠٤هـ.

أوله : الحمد لمن أعلن معالم العلم وأعلامه، وأتقن شعائر الشرع وأحكامه .

وآخره : أقول : ما ذكره ظاهر الرواية، وفى رواية النوازل : المصر ليس بشرط انعقاد الحكم .

نسخة جيدة وقديمة : عليها مقابلة سنة ٩٦٢هـ، وعليها وقفية المدرسة المرادية .

الخط نسخ جيد . بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة . كتب سنة ٩٦٢هـ.

المراجع : كشف الظنون ١/ ٥٦٦، فهرس الخديوية ٣/ ٣٣، معجم المؤلفين ١٢/ ١٥٢، ٤/ ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

*** حاشية الكرماستى على حاشية الجرجانى على المطول:**

OP.116 .

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا .

تأليف : يوسف بن حسين الكرماستى المتوفى سنة : ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م .

هى حاشية وضعها الكرماستى على حاشية السيد الشريف الجرجانى على كتاب (المطول) للسعد التفتازانى الذى شرح فيه كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى العلوم البلاغية .

أولها بعد البسملة : « الحمد لله الذى علمنا خواص تراكيب كتابه ... » .

النسخ تامة خطها فارسى دقيق متأخر، ولم يذكر تاريخ الفراغ من انتساخها كما لم يذكر اسم الناسخ .

- (١٧٥)ق　القطع الصغير　مسطرتها (١٩س) .

الكشف ١/ ٣٢٥ ذيل بروكلمان ٢/ ٣٢١، و ٣/ ٧٨٣ .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٨).

*** حاشية الكرويسى فى النحو:**

مخطوط فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلف : الملا أحمد الكرويسى .

أوله : بسم الله أشار الشارح إلى أن المختار عنده كون الباء للاستعانة نظرا أن اسم الله بمنزلة ... إلخ .

آخره : وما قرره الشارح فى توجيه وقوعه موقع الاسم مقبول أيضًا عند أولى العقول .

ناسخه : مصطفى بن أحمد .

خطه نسخى . كتب العناوين الرئيسية بحبر أحمر .

و : ٦٥ .

م : ٢٣ × ١٧ .

س : ١٦ . ت / مجاميع / ٤٣١ ـ ٤٣٢ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٧) .

*** حاشية كشف الرسالة الموسومة بالزوراء :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (فى مكتبة الأسد الآن) .

الرقم ٨٩٩٨ .

رسالة فى الحكمة والتصوف وما فيهما من فوائد وموعظة .

المؤلف : كاشف العلوم عبد الله بن حيدر زادة الكردى الحريرى الصهرانى (أو لعلها الطهرانى) .

أولها : الحمد لله الذى نور قلوب العارفين بسواطع الأنوار حتى صارت ضمائرهم كمشكاة فيها مصباح ... أما بعد فيقول المتثبت ... عبد الله بن حيدرى بن أحمد الكردى الحسين أبادى ...

آخرها : حفظوا من كتب الصوفية كلمات ما لهم أى لهؤلاء الأعالى علم بمواردها أى الكلمات ومشارعها أى مآخذها ... وجمعوا ما لا يشموا رائحته من كتبهم أى كتب الصوفية ... وله الحمد حمدًا يوافى نعمه أى الحاضر من نعمه الذى أنعم به ويكافىء مزيد فضله وكرمه ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ : الخميس ٣ جمادى الأولى سنة ١٠٢٧هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠١، ٤٠٢) .

*** حاشية ابن كمال باشا على مواضع من الكشاف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٦١٨ تفسير ـ ٢٤٣ .

المؤلف : شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومى المتوفى سنة ٩٤٠هـ .

أولها : قال الفاضل المحسن فى حواشى الكشاف وتنبيهاته على أنه نعمة جزيلة يستحق أن يحمد عليها ، إن قلت : ذكر تلك الأوصاف بعد الدلالة المذكورة لا يدل على كونها نعمة فضلاً عن كونها نعمة جزيلة لأن مجدد الذكر لا يقتضى إلا كونها محمودًا بها وهو لا يدل على كونها نعمة ...

آخرها : بخلاف ما فى الكشاف فإنه لم يزد بعد ذلك على أن قال : إن زيدًا هو هو وهو صريح فى مطلق الجمل ، أعم من أن يكون هو الاتحاد فى الذات أو الحقيقة ولكن زيادة لفظ بعينه كما فى عبارة الشيخ صريح فى الاتحاد فى الحقيقة فما نقله من الشيخ يدفع الوهم بخلاف ما فى الكشاف .

تم الكتاب ... فى صبح السبت من اليوم العاشر من شوال المبارك فى السنة الأولى من تسعمائة و ... (هكذا كتب المؤلف فى تأليفه) وهذا خط أخى زاده .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن العاشر الهجرى ، كتبت بخط فارسى معتاد قليل الإعجام فى الصفحتين الأولى والثانية إطار مذهب . على الورقة الأولى مجموعة من قيود التملك أولها : قيد باسم عبد الرحمن بن محمد الحسينى تاريخه سنة ٩٥٣هـ . والثانى باسم سعدى بن سعد بن عيسى ابن أمير خان والثالث باسم عبده فضل الله العمادى .

أوراق المخطوط مصفرَّة جافة . وغلافه من الجلد المزخرف والمحلى بالذهب ولكنه ممزق .

ق	م	س
١٠٨	١٦,٥ × ٢٢,٥	١٩

المصادر: الشقائق النعمانية : ١/ ٥٩١، شذرات الذهب : ٨/ ٢٣٨ ، الفوائد البهية : ٢١ ، كشف الظنون : ٢/ ١٤٨٢ ، بروكلمان : الذيل : ٢/ ٦٦٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

*** حاشية الليثى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

عن مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٤٧٨ ـ تفسير ٨٢ .

المؤلف : أبو القاسم بن أبى بكر الليثى السمرقندى المتوفى سنة ٨٨٨هـ.

أوله : الحمد لله الذى نزّل على عبده الكتاب الحكيم، هُدى وبشرى للمؤمنين، وبيَّن فيه الطريق القويم تبصرة وذكرى للمحسنين كتاب مبارك مصدق الذى بين يديه من الكتاب، بلاغ للناس ولينذروا به، وليذَّكّر أولو الألباب ...

وبعد : فيقول أحقر عباد الله الغنى أبو القاسم بن أبى بكر... أصلح الله حاله وحقق آماله. إن كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل ... كتاب جمّ الفوائد غزير العوايد كافل بتجريد مقاصد الكشاف عن الزوايد فيه توضيح لأسرار البلاغة بنهاية الإيجاز.

آخره : قوله : قال بينًا أصله بيّن : والألف فيه حصلت من إشباع الفتحة والمعنى بين أوقات أو أحوال نحن جالسون فيها عند رسول الله ﷺ زمان إتيان ملك. قوله فى الكتَّاب العظيم بضم الكاف وتشديد التاء، المكتب، وضعًا ابتدائيًا أو لأنه موضع الكتاب أى الكتبة جمع كاتب. تمت [تمّ] الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد الضعيف نور محمد.

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن العاشر الهجرى، كتبت بخط تعليق معتاد، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش الكثير من الحواشى والتصويبات والشروح.

على الورقة الأولى قيد وقف الملا عثمان الكردى على أرحامه وعلى طلبةالعلم. توجد هذه النسخة فى مجموع يضم مجموعة من الحواشى على أسرار التنزيل لعدد من المؤلفين.

ق	م	س
٥٢ (١ـ٥٢)	١٣×١٩	٢١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٢، ٢٧٣).

*** حاشية المأمونى على تفسير القاضى البيضاوى لقوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥]:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٨٥٦٢ .

المؤلف : إبراهيم المأمونى الشافعى .

أولها : الحمد لله الذى إذا وعد وَفَّى، والصلاة والسلام على نبيه المرتضى محمد خير خلق الله وعلى أصحابه النجباء وبعد : فيقول الفقير إلى مولاه العليم المأمونى الشافعى إبراهيم، لما أن بلغنى أن بعض ضعفة الطلبة استشكل قول البيضاوى الذى تبع فيه الزمخشرى فى قوله تعالى **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** وكان ذلك الإشكال مما اشتهر أمره وذاع، أردت بيان ذلك الإشكال.

آخرها : ولذا صرح المحقق الدوانى بأن كل أحد فى كل حال على أكمل ما يمكن فى حقه فمتى ما حصل لياقة دخول الجنة قبل دخول النار أو بعده لا بدّ أن يدخلهم الجنة للوعيد بالإرضاء أو المراد نفى الرضا بالدخول على وجه الخلود ولا إشكال، فهذه وجوه وجيهة لتصحيح ما روى، فالصواب أن لا يجترئ أحد على إبطال الروايات بالشبهات تمت المقدمة المباركة على يد الفقير عبد الله بن حسن الدلنجاوى المالكى بتاريخ ثالث عشر جمادى الأولى سنة ألف وماية وخمس عشرة ١١١٥ .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة من بداية القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى معتاد فيه بعض الشكل، الآية الكريمة ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أحيطت الصفحات بإطارات مرسومة بالذهب. فى أول الحاشية لوحة مرسومة ومزخرفة بالذهب والألوان.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم عددًا كبيرًا من الرسائل معظمها فى التفسير، كتب المجموع بخطوط مختلفة وهو مصاب بالرطوبة فى مواضع متعددة ولكنه لا يزال بحالة حسنة.

ق	م	س
٧ (٢٤٧ـ٢٥٣)	١٥×٢٠	١٧

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤).

*** حاشية محرم على الفوائد الضيائية:**

.OP. 449

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو.

مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا.

تأليف: عبد الله بن صالح الشهير بمحرم أفندي المتوفى سنة: ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

تناول فيها التحشية على شرح كافية ابن الحاجب لعبد الرحمن جامي المسمى بالفوائد الضيائية، وتعرض فيه لذكر مسائل نحوية. كما تناول إيضاح المغلق وإعراب ما رآه مناسبًا من الأمثلة والشواهد.

أوله بعد البسملة: «صدَّر كتابه بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم ... ».

آخره: «... لأن مفهوم الأول الجنسية ومفهوم الثاني الشخصية».

النسخة تامة ولم نعلم لها تاريخًا كتبت بخط فارسي دقيق ولم يذكر اسم الناسخ.

(٣٣٣)ق (٢٠×١٤سم) مسطرتها (٢٩س).

بروكلمان ١/ ٣٠٤. ذيل بروكلمان: ١/ ٥٣٦.

نسخة منها: OP.2129.

قال واضع الفهرس: ناقصة الآخر، لم نستطع تقدير ما ذهب منها خطها فارسي دقيق.

الباقي منها: (٢٨٠) ق القطع الصغير مسطرتها (٣٣س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٧، ١٠٨).

*** حاشية مُلاّ خسرو على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٤٤٧٣.

المؤلف: محمد بن فرامورز بن علي الرومي المعروف بمُلاّ خسرو المتوفى سنة ٨٨٥هـ.

أوله: هذا ذكر الحديث في جامعه ولم يذكر البسملة ثم قال: إسناده ليس بمتصل، ولأن في متنه اضطرابًا، إذ في بعض الروايات، وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية، والحمد لله رب العالمين آية، ولأنه خبر واحد كما مرَّ وأقول الجواب عن الأول: إن علماء فن الحديث صرَّحوا ...

آخره: غاية ما في الباب، أن يقال مراده أنه يعامل به معاملة المصدر في إضافته تارة إلى الفاعل وأخرى إلى المفعول مطلقًا لا إلى فاعله ومفعوله أو إلى فاعله ومفعوله على تقدير مصدريته، وكل ذلك تكلُّف وإنما جعله بمعنى المعاهد عليه لأن الإيفاء بالعهد لا يظهر إلا بالإتيان بالمعاهد عليه. ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] تمَّ على يد أفقر الطلاب حسام بن الحسين المطلبي في أواخر شهر محرم الحرام المنتظم في شهور سنة سبع وخمسين وتسعمائة ببلدة من بلاد ديار بكر مسماة بآمد حميت عن المكائد في مدرسة علي باشا.

أوصاف المخطوط: نسخة من منتصف القرن العاشر الهجري، كتبت بخط فارسي دقيق وبالمداد الأسود، ألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض التصويبات على الورقة الأولى قيد وقف باسم المُلاّ حسين.

توجد هذه النسخة في مجموع يضم فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل لزكريا الأنصاري، الغلاف من الجلد المزخرف والمحلى بالذهب ولكنه شبه تالف.

ق	م	س
٧١(١ـ٧١)	٢٠×١٥	٢٣

المصادر: الضوء اللامع: ٨/ ٢٧٩، شذرات الذهب: ٧/ ٣٤٢، الفوائد البهية: / ١٨٤، كشف الظنون: ١/ ١٩٠، هدية العارفين ٢/ ٢١١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ٣/ ٢٧٤، ٢٧٥).

*** حاشية مُلاّ خسرو على التلويح للتفتازاني:**

من مصنفات التراث الإسلامي في المنطق.

مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

رقم الحفظ: ٨٨ ـ ف.

اسم المؤلف: محمد بن فرامز (فراموز) بن على، مُلاَّ خسرو.

اسم الشهرة: مُلاَّ خسرو. توفى سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م القرن ٩هـ/ .

بداية المخطوطة: قال الحمد لله الذى أحكم بكتابه أصول الشريعة ... أقول إن الشارع زوَّح اللَّهُ تعالى رُوحه وأعلى فى غرف الجنان فتوحه ... .

نهاية المخطوطة: وإذا ما ترك ركنًا بطلت حتى يجب القضاء وعدم الترك .

نوع الخط: نسخى معتاد.

تاريخ النسخ: القرن ١١هـ/ ١٧م.

ملاحظات عامة: نسخة جيدة وكاملة، عليها العديد من الشروح والحواشى وأختام الوقف، قوبلت على الأصل.

(فهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات، العدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ٩٠).

*** حاشية على مُوصِّل الطلاب إلى قواعد الإعراب:**

.OP. 1769

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف: أحمد بن محمد الزرقانى المالكى، كان حيًّا سنة: ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م. حشى فيها على كتاب (موصِّل الطلاب إلى قواعد الإعراب) الذى وضعه خالد الأزهرى شرحًا على كتاب (الإعراب عن قواعد الإعراب) لابن هشام الأنصارى.

أولها بعد البسملة: « يقول العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد الزرقانى المالكى: الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على أسعد المرسلين ... ».

آخرها: « ... قوله، وذلك لا يجوز، الأحسن لو قال وإنما لم يكن بدلاً والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب والحمد لله على الإتمام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ».

النسخة حديثة تامة، كتبت بخط نسخ جميل، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٨٣)ق (٢٠ × ١١سم) مسطرتها (٢١س).

بروكلمان ٢/ ٢٤. ذيل بروكلمان: ٢/ ١٩.

نسخة منه: .OP.2061

تامة حديثة أيضًا ينبيء بذلك خطها كتبت بخط نسخ حديث ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٧٨) ق القطع المتوسط مسطرتها: (١٨س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٦، ١٠٧).

*** حاشية النور الحلبى على شرح المنهاج:**

الجزء الأول:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم أصول الفقه.

مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ـ البهراقية) بحلب، وهى الآن تحت رعاية الأوقاف.

تأليف: نور الدين على بن إبراهيم الحلبى: ٩٨٥ ـ ١٠٤٤هـ، ١٥٦٧ ـ ١٦٣٥م.

كتاب فى أصول الفقه وهو عبارة عن حاشية هى شرح بالقول لكتاب « شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول » لزكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ، والذى هو بدوره شرح لكتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » لعبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥هـ.

أوله بعد البسملة: قوله محيى الدين نقل عن الإمام النووى أنه قال ...

آخره: قوله ويحصل بعمل عمرة ولا تجزيه عن عمرة الإسلام ولو كان قارنا والله أعلم وأعز وأكرم ...

النسخة جيدة كتبت بخط النسخ المعتاد. فى أولها إجازة من الشيخ نور الدين الهوارى مطالعةوتفهمًا وإفادة تاريخها سنة ١١١١هـ وهى من الشيخ محمد الخليلى الشافعى. وكتبت كلمة (قوله) بالحمرة، فى الهوامش تعليقات. نسخها محمد العنانى الأزهرى عن نسخة بخط المؤلف، كتبها على

هامش كتاب (شرح المنهاج) للأنصارى. وفرغ من نساختها سنة ١١٠١هـ.

(٣٨٨)ق المسطرة (٣٣)س الأحمدية (١/٦٤٧) الفقه بروكلمان ٢/ ٣٠٧.

الجزء الثانى منه :

يبدأ هذا لجزء بكتاب البيع.

آخره وختمته : « ... على الكراهة خلاف الظاهر كما أفتى به القفال. هذا آخر ما وجدته بهامش نسخة شيخنا الشيخ على الحلبى رحمه الله تعالى ... ».

النسخة جيدة بخط النسخ الجيد، ويبدو أن ناسخها ناسخ الجزء الأولى نفسه وقد فرغ من نساختها سنة ١١٠١هـ.

(٤٨٠) ق المسطرة (٢٣)س الأحمدية (٢/٦٤٧) الفقه.

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤ ١٧٥، ١٧٦).

*** حاشية اليزدى على مختصر السعد التفتازانى:**

.OP.3225

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف : عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدى الشهابادى المتوفى سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م.

من الحواشى المفيدة المقبولة على كتاب (المختصر) للسعد التفتازانى الذى وضعه شرحًا على كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى البلاغة.

وذكر اليزيدى فى آخر حاشيته أنه أتم تأليفها فى ذى الحجة سنة ٩٦٢هـ بالمدرسة المنصورية بشيراز.

أولها بعد البسملة : « وبه ثقتى يقينى بأنه يقينى، حمدًا لمن خلق الإنسان وعلمه البيان ... ».

آخرها : « ... حتى يفوت مقابلة ذلك الحسن هذا والمرجو من الله تعالى حسن الخاتمة ».

النسخة تامة بحالة حسنة، كتبت بخط فارسى، ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها أو اسم كاتبها.

(٨٣)ق القطع الصغير مسطرتها (١٩س).

الكشف ١/ ٣٢٥، ذيل بروكلمان ٢/ ٥٨٨، هدية العارفين ١/ ٤٧٣.

نسخة منه :

(مج) OP. 1514.

تامة متأخرة ينبىء بذلك خطها وورقها، كتبت بخط فارسى ولم يذكر اسم ناسخها أو تاريخ الفراغ من النسخ.

(٥٥)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢٥س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٨، ١٩٩).

*** حاشية يعقوب باشا على شرح الوقاية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٢٦٥١ (فقه حنفى ٣٤٨).

الوقاية تأليف : برهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبى المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م.

الحاشية تأليف يعقوب باشا بن المولى خضر بك بن جلال الدين المتوفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م.

أورد فيها المؤلف دقائق وأسئلة مع الإيجاز فى التحرير.

أولها : الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب إلا بحمده، ولا تستمتع النعم إلا بواسطة كرمه ورفده.

وآخرها : فجميع المال بين زيد على الاثنين على السوية، فينبغى أن يدفع النصف حتى يساويه فيما أخذه.

نسخة جيدة. على صفحاتها جميعًا جداول بالحمرة. عليها وقفية المدرسة المرادية.

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة.

المراجع : كشف الظنون ٢/ ٢٠٢٢، فهرس الخديوية ٣/ ٤٠، معجم المؤلفين ١٢/ ١٧٨، ١٣/ ٢٤٨.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨٠).

*** الحاصل فى علم الميزان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الموازين.

مخطوط فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف أبى موسى جابر بن حيَّان الصوفى.

أوله: الحمد لله خالقنا ... ليس يضر الإنسان المحب لاستيعاب علم الموازين أن يكون قد أخذ من درسه لكتبها وخاصة فيما ألفناه نحن، فإنه أشرح وأبين مما عملته الفلاسفة إذ كان ذلك قليلا أيضًا، وقد سميته كتاب الحاصل، وذلك أن سيدى جعفر بن محمد صلوات الله عليه قال لى: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب فى الموازين وما المنفعة بها، فقلت المنفعة علم التراكيب الكبار ... إلخ.

وآخره: إن جوهر الضرورة هو من العنصر ومن الوصلة التى بين الفاعل وبين العنصر، فاكشف عن ذلك يتضح لك الحق إن شاء الله تعالى.

– نسخة بقلم معتاد واضح. فى ٢٩ ورقة ومسطرتها ١٨ سطرًا.

١٤ ×٢٢سم.

[مكتبة جار الله باستانبول ـ ١٦٤١].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٣٦).

*** حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص:**

حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص: لمجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادى الشيرازى المتوفى سنة ٨١٧ سبع عشرة وثمانمائة.

(كشف ١/ ٦٢٤).

*** الحاصل من المحصول:**

لتاج الدين الأرموى. من مصنفات التراث الإسلامى فى علم أصول الفقه.

يعرِّف بهذا الكتاب الدكتور عبد السلام محمود أبو ناجى فى دراسة مستفيضة ننقلها لك فيما يلى. يقول سيادته:

هو أحد مؤلفات: تاج الدين الأرموى، وقد تمّ تأليفه فى ذى الحجة سنة ٦١٤هـ. كما صرّح بذلك صاحب كشف الظنون فى المجلد الثانى ص ١٦١٥.

وهو من أهم كتب الأصول وأدقها ـ وأنفسها وأخطرها.

جمع فيه مؤلفه ـ من مسائل الأصول ـ ما فيه غناء لكل طلّاب، وكفاية لكل راغب وحاجة لكل عالم ومتعلم. إنه استغرق كل أبحاث أصول الفقه واستوعب جميع مسائله وضم شارده وجمع متبدده بأسلوب متساوق الأغراض، محكم السبك.

فكتاب الحاصل ـ رغم إيجازه واختصاره ـ اشتمل على مادة أصولية غزيرة ومفيدة: تقصر بعض الأفهام عن إدراكها، وتعجز بعض العقول عن سبر أغوارها وتحير بعض الأذهان فى فكّ رموزها وفهم إشارتها وحل ألغازها وحسب هذا الكتاب دليلاً على مكانته العلمية أنه قد أخذ مكانة فى أكبر المكتبات الأوروبية، فضلاً عن المكتبات العربية والإسلامية.

والآن ـ يشغل حيزًا فى مكتبة « ليدن » بـ « هولندا ».

نسخه الخطية:

من خلال البحث عن مخطوطات هذا الكتاب عثرت له على أربع نسخ خطية:

١ – نسخة من دار الكتب بالقاهرة ـ وتقع تحت رقم (٦١) أصول ـ دار الكتب وهى مكتوبة سنة ٦٩٤هـ، وعدد لوحاتها: (١٤٥١) لوحة من القطع المعتاد، مسطرة الصفحة الواحدة: (١٩) سطرًا، معدل كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة. وهى نسخة كاملة ومكتوبة بخط واضح، ولا يوجد بها أى غموض اللهم إلاّ فى بعض كلمات قليلة لا تكاد تذكر وعليها تعليقات كثيرة، ولها تصحيحات تدلّ على أنها نسخة مدروسة تناولتها أيدى علماء محققين، وفيها تنبيهات متكررة على أنها قوبلت بالأصل من أولها إلى آخرها.

٢ – نسخة بمكتبة: (آية الله الحكيم) بالعراق ـ (النجف).

وعدد لوحاتها: (١٦٩) القياس (٢٧ × ٩٩) سم. ومسطرتها: (١٩) سطرًا متوسط السطر الواحد (١٠) كلمات وخطها جيد، وبها نقص من أولها إلى (الباب السادس فى

الحقيقة والمجاز) ويقع ذلك في حدود سبع ورقات تقريبًا ويوجد منها نسخة مصورة (ميكروفلم) بمعهد المخطوطات بالقاهرة تحت رقم (١٥٠) مصورات العراق .

٣ - نسخة برواق المغاربة - بالأزهر - وتقع في مكتبة الرواق المذكور تحت رقم (١٨٥٨) أصول عدد أوراقها (١٧٥) ورقة ، مقاس (٢٧ × ١٩) سم ومسطرتها : (١١) سطرًا متوسط السطر الواحد (٨) كلمات . وخطها مغربي واضح وبأولها نقص قليل من المقدمة ، وتاريخ نسخها (٣) من شهر رجب سنة ٦٢٨هـ ويوجد منها نسخة مصورة ، ميكروفلم في معهد المخطوطات بالقاهرة .

٤ - نسخة من « ليدن » بـ «هولندا » وتقع في (١٥٨) لوحة تقريبًا من الورق المتوسط الحجم ومسطرتها (١٩) سطرًا متوسط السطر الواحد (١٢) كلمة . وخطها جيد وواضح وفي بعض الأوراق إصابات ماء خفيفة ، لم تؤثر في الكتابة إلاَّ شيئًا يسيرًا جدًّا وهي خالية من التعليقات والتصحيحات ولا يوجد بها ما يفيد أنها قوبلت بالأصل وفي أولها نقص قليل لا يتجاوز أسطرًا معدودة كما يوجد بها نقص في آخرها - أيضًا - حوال ثلاث صفحات تقريبًا .

هذه هي النسخ التي استطعت العثور عليها بعد استفراغ جهد ، وطول عناء في البحث عنها . وأحب أن أنبه - هنا - إلى أنه يوجد بأحد فهارس معهد المخطوطات - بالقاهرة - ما يفيد وجود نسخة من هذا الكتاب في مكتبة : (دابلن) بـ(ايرلندا) وقد استطعت إحضار (ميكروفلم) من هذه النسخة ولكن تبين أنها ليست من كتاب : (الحاصل) وإنما هي كتاب آخر قريب منه ، ربما كان مختصرًا منه ، أو من كتاب (المحصول) للإمام الرازي ، ولم أستطع معرفة مؤلفه لأن أوله غير موجود .

محتوياته :

ثم يتكلم الدكتور أبو ناجي على محتويات الكتاب مقتصرا - كما قال - على ذكر عناوينه البارزة وأهم ما اشتملت عليه من مسائل ، ثم يقول : يحتاج إلى عدة صفحات قد لا يصبر القارىء على استقصائها ، على أن الخوض في تفصيلات أي علم والوقوف على كل جزئية من جزيئاته - إنما يهم من رام التخصص في ذلك العلم أما من سواه فتكفيه الإلمامة السريعة والفكرة المجملة وبناء على ذلك فإن العرض لمحتويات هذا الكتاب سيكون مجملاً مقتصرًا على ذكر عناوينه البارزة وأهم ما اشتملت عليه من مسائل ...

إن كتاب « الحاصل » يعتبر من أهم كتب الأصول التي اشتملت على ما يحتاج إليه الدارس لهذا العلم - من أبحاث أصولية ، ومسائل ذات علاقة وثيقة بهذا الفن . فقد ضمنه الأبحاث الآتية ورتبه على النحو التالي :

١ - المقدمات :

وفيها فصول :

الفصل الأول : في تعريف أصول الفقه .

الفصل الثاني : فيما يحتاج إليه أصول الفقه من مقدمات وفيه خمسة مباحث .

الفصل الثالث : في تقسيم الأحكام ومتعلقاتها وقد قسمها عدة تقسيمات من حيثيات مختلفة وعرف كل قسم منها .

الفصل الرابع : في تحسين العقل وتقبيحه وفيه يبين المراد بكل من الحسن والقبيح ، وعرض الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في أن الحسن والقبح عقليان أو شرعيان .

الفصل الخامس : في الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة في أن المنعم هل يجب شكره عقلاً أم لا؟ فعرض الآراء والأدلة ، وأجاب عن أدلة مخالفه .

الفصل السادس : في حكم الأفعال الاختيارية قبل الشرائع ، وفي هذا الفصل عرض آراء العلماء في المسألة ، وبين أدلة كل فريق ، ثم حدد موقفه من أدلة مخالفيه .

٢ - الكلام في اللغات وعقد له الأبواب التالية :

١ - الباب الأول : في أبحاث كلية ، وفيه أنظار خمسة :

١ - النظر الأول : في الكلام .

٢ - النظر الثاني : في الواضع .

٣ - النظر الثالث : في الموضوع .

٤ - النظر الرابع : في الموضوع له .

٥ - النظر الخامس : فى طريق معرفة الوضع .

٢ - الباب الثانى : فى تقسيم الألفاظ ـ من حيث نسبتها ـ وباعتبار المدلول .

٣ - الباب الثالث : فى المشتق ـ وضمنه المباحث التالية : تعريف الميدان للمشتق ـ أركان الاشتقاق ، أحكام المشتق وفيه أربع مسائل .

٤ - الباب الرابع : فى الترادف والتوكيد وتناول فيه المباحث التالية : تعريف الترادف ـ شرح التعريف ـ الفرق بين المترادف والتوكيد ـ الفرق بين المترادف والتابع ـ أحكام الترادف ، وفيه مسائل خمس وتضمنت المسألة الخامسة أربعة مباحث .

٥ - الباب الخامس : فى الاشتراك ، تناول المؤلف فى هذا الباب ـ أحكام الاشتراك وعقد لذلك سبع مسائل .

٦ - الباب السادس : فى الحقيقة والمجاز وقد رتب هذا الباب على مقدمة وثلاثة أقسام ـ تناول فى الحديث عن المقدمة ثلاث مسائل وحصر الأقسام فى المباحث التالية :

١ - الحقيقة وأحكامها وما يتعلّق بها من مباحث .

٢ - المجاز وأقسامه وعلاقاته وأحكامه .

٣ - المباحث المشتركة بين الحقيقة والمجاز وحصرها فى خمس مسائل .

٧ - الباب السابع : فى بيان أحوال لفظية مخلة بإفادة اللفظ ووجه تعارضها وحكم ما إذا تعارضت .

٨ - الباب الثامن : فى تفسير حروف يحتاج إليها . وقد اشتمل هذا الباب على ست مسائل .

٩ - الباب التاسع : فى كيفية الاستدلال بخطاب الله ورسوله وتنحصر مباحثه فى خمس مسائل .

٣ - الكلام فى الأوامر والنواهى :

وقد رتبه على مقدمة وثلاثة أقسام ، حصر الكلام فى المقدمة على ثمانى مسائل وتكلم فى القسم الأول على الأبحاث اللفظية ، وتناول ذلك فى إحدى عشرة مسألة وفى القسم الثانى تحدّث عن المسائل المعنوية ، وحصر ذلك فى أنظار أربعة وجعل القسم الثالث فى النواهى وتناول الحديث عنها فى سبع مسائل .

٤ - الكلام فى العموم والخصوص :

وقسمه إلى أربعة أقسام :

١ - القسم الأول : فى العموم وما يتعلق به من مباحث .

٢ - القسم الثانى : فى الخصوص وفيه ثمانى مسائل .

٣ - القسم الثالث : فيما يقتضى تخصيص العموم ، وفيه أطراف أربعة .

١ - الطرف الأول : فى التخصيص بالأدلة المتصلة ـ وينحصر فى أبواب ثلاثة .

٢ - الطرف الثانى : فى التخصيص بالأدلة المنفصلة ـ وفيه فصول أربعة .

٣ - الطرف الثالث : « بناء العام على الخاص » وفيه تحدث عما إذا ورد خبران متعارضان أحدهما عام والآخر خاص .

٤ - الطرف الرابع : فيما يظن أنه مخصص وليس كذلك وفيه عشر مسائل .

٤ - القسم الرابع : فى حمل المطلق على المقيد .

وتحت هذا القسم وضح حكم ما إذا ورد المطلق والمقيد وكانا مختلفين أو متماثلين اتحد سببهما أو اختلف ـ أمرين كانا أو نهيين .

كما بين ـ أيضًا ـ حكم ما إذا أطلق الحكم فى صورة وقُيِّد فى صورتين أخريين بقيدين متضادين .

٥ - النوع الرابع فى المجمل والمبين :

وفيه مقدمة وثلاثة أقسام :

تناولت المقدمة شرح ألفاظ اصطلاحية مثل « البيان » والمبين وخصص المؤلف القسم الأول للكلام عن المجمل فذكر مسألتين . ثم تعرف لبيان أمور ظُنَّ أنها من المجملات مع أنها ليست كذلك وذكر لها خمس مسائل .

وفى القسم الثانى تعـرَّض لأقسام « المبيّن » وحصـرها فى خمس مسائل وتحدّث فى القسم الثالث عن وقت البيان وعقد لذلك أربع مسائل. وفى القسم الرابع تكلّم عن « المبيّن له » وتناوله فى مسألتين.

٦ - الكلام فى الأفعال:

وعقد لذلك ست مسائل تعرض فى المسألة الخامسة منها - لفعله - ﷺ - الذى عارضه قوله أو فعله، وقسم تلك المسألة إلى أقسام ثلاثة.

٧ - الكلام فى الناسخ والمنسوخ:

وقد رتّبه على أقسام أربعة:

تعرض فى القسم الأول لبيان حقيقة النسخ وعقد لذلك إحدى عشرة مسألة.

وفى القسم الثانى تحدّث عن الناسخ والمنسوخ وحصر الحديث عن ذلك فى ست مسائل. وجعل الحديث فى القسم الثالث فيما ظُنَّ أنه ناسخ وليس كذلك وعقد له مسألتين. عرض فى المسألة الأولى آراء العلماء فى أن الزيادة على النص هل تعتبر نسخًا؟.

ثم ذكر أنظارًا ثلاثة بنى عليها أبو الحسين البصرى للمسألة.

ثم فرّع أحكامًا ثلاثة على هذه الأنظار.

وتكلم فى المسألة الثانية على نسخ العبادة وقسّمها إلى قسمين.

أما القسم الرابع فقد خصصه لبيان الطريق المعرف للنسخ فذكر أن النسخ يعرف بأحد أمرين وهما اللفظ والمعنى، فوضحها ثم عقد بعد ذلك مسألتين.

٨ - الكلام فى الإجماع:

وقد حصر الحديث عنه فى سبعة أقسام:

١ - القسم الأول: فى أصل الإجماع وعقد له ثلاث مسائل.

٢ - القسم الثانى: فيما أخرج من الإجماع وهو منه وتناوله فى تسع مسائل.

٣ - القسم الثالث: فيما أدخل فى الإجماع وليس منه وعقد له عشر مسائل.

٤ - القسم الرابع: فيما يصدر عنه الإجماع وحصر الحديث حوله فى ثلاث مسائل.

٥ - القسم الخامس: فى المجمعين وعقد له ست مسائل.

٦ - القسم السادس: فيما ينعقد عليه الإجماع وحصره فى خمس مسائل.

٧ - القسم السابع: فى أحكام الإجماع وشمل الحديث عنه أربع مسائل.

٩ - الكلام فى الأخبار:

وهو مرتب على مقدمة وقسمين تناول المقدمة فى خمس مسائل.

وتكلم فى القسم الأول عمّا يقطع بكونه صدقًا أو كذبًا وفيه أبواب ثلاثة.

١ - الباب الأول: فى المتواتر وفيه خمس مسائل.

٢ - الباب الثانى: فى سائر الطرق الدالة على كون الخبر صدقًا فذكر أنها سبعة وأن بعضها محل خلاف وبعضها الآخر محل وفاق، ثم تكلّم عن الطرق الفاسدة وأفاد أنها خمس طرق.

٣ - الباب الثالث: فى الأخبار التى علم كونها كاذبة، وعقد لها ثلاث مسائل.

وفى القسم الثانى ذكر ما لا يقطع بصدقه ولا كذبه وعقد له بابين.

١ - الباب الأول: فى الدلالة على كونه حجة، وقد عرض آراء العلماء فى التعبّد به - جوازًا ووقوعًا، ثم أفاد أن الكل متفقون على وجوب العمل بخبر الواحد فى الفتوى والشهادة والأمور الدنيوية.

٢ - الباب الثانى: فى شرائط العمل بهذه الأخبار وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

١ - القسم الأول: الشروط المعتبرة فى المخبر وفيه فصول ثلاثة.

٢ - القسم الثانى : الشروط المعتبرة فى المخبر وفيه تعرض لبيان ما ظن أنه شرط وهو ليس بشرط وعقد له ثمانى مسائل .

٣ - القسم الثالث : الشروط المعتبرة فى الخبر وعقد له ست مسائل ذيلها بفرع تحدّث فيه عما إذا زاد الراوى فى الحديث مرةّ فبين متى تسمع زيادته ومتى لا تسمع .

١٠ - الكلام فى القياس :

وقد رتبه على مقدمة وثلاثة أقسام، حصر أبحاث المقدمة فى ثلاث مسائل .

وتعرض فى القسم الأول لبيان مذاهب العلماء في حجية القياس، وأورد أدلّة كل فريق وبيّن الرأى المختار عنده، ثم ذكر مسألة تعرض فيها لبيان آراء العلماء فى أن التنصيص على علة الحكم هل يعتبر أمرًا بالقياس؟ كما ذكر مسائل أخرى متفرقة وعقد القسم الثانى لبيان الطرق الدالة على عليّة الجامع ورتبه على مقدمة وأبواب .

تناول فى المقدمة تفسير العلة، فذكر لها ثلاث تفسيرات، وبين ما ورد على هذه التفسيرات من اعتراضات واختار تفسيرها بأنها « المعرف للحكم » وأجاب عما ورد على هذا التفسير من اعتراض .

وتكلم فى الباب الأول عن الطرق الدالة على عليّة الوصف، وعقد لها فصولاً عشرة .

١ - الفصل الأول : تكلّم فيه على النص فعرفه وقسم دلالته على عليّة الوصف إلى : قاطعة ومحتملة ومثّل لكل منهما .

٢ - الفصل الثانى : وفيه تحدّث عن الإيماء وذكر له أنواعًا خمسة .

٣ - الفصل الثالث : وفيه تكلّم على عليّة الوصف بالمناسبة وقسمه إلى قسمين .

٤ - الفصل الرابع : وفيه تحدّث عن المؤثر - فعرفه وبيّن متى يتم بيان كونه علة .

٥ - الفصل الخامس : فى تفسير الشبه، وبيان مذاهب العلماء فيما يكون به المشابهة .

٦ - الفصل السادس : فى تعريف الدوران، وبيان مذاهب العلماء فى أنه يفيد ظن العلية .

٧ - الفصل السابع : فى السبر والتقيم . فذكر ضابطهما ومثل لكل منهما .

٨ - الفصل الثامن : فى الطرد، تعرّض لبيان معناه وذكر له تفسيرين ثم بيّن خلاف العلماء فى كونه يدل على العلية .

٩ - الفصل التاسع : فى تنقيح المناط - عرفه ثم بيّن أن الحنفية يسمونه بـ « الاستدلال » .

١٠ - الفصل العاشر : فى بيان الطرق الفاسدة .

وفى الباب الثانى اهتمّ ببيان الطرق الدالة على عدم عليّة الوصف وعقد لها فصولاً خمسة .

١ - الفصل الخامس : فى تعريف النقض وبيان مذاهب العلماء فى كونه يدل على عدم علية الوصف ثم ذكر مسألة بين فيها أن للنقض دفعين :

١ - منع العلة فى صورة النقض وذكر فيه أبحاثًا ثلاثة .

٢ - منع الحكم فى صورة النقض، وفيه أبحاث أربعة .

٢ - الفصل الثانى : تكلّم فيه عن عدم التأثير وعدم العكس - من حيث التعريف والقدح .

٣ - الفصل الثالث : تحدّث فيه عن القلب، وتناوله فى أربع مسائل .

٤ - الفصل الرابع : تعرّض فيه لـ« القول بالموجب » فعرفه ومثل له فى حالتى النفى والإثبات .

٥ - الفصل الخامس : تكلّم فيه عن « الفرق » فبين ما يبنى عليه الفرق، ثم عقد مسألتين .

وفى الباب الثالث : ذكر أمورًا ظُنَّ أنها من مفسدات العلة مع أنها ليست كذلك . وقبلها ذكر الأقسام الأربعة التالية :

١ - القسم الأول : فى بيان أن علة الحكم إما أن تكون محله أو جزء محله أو أمرًا خارجًا عنه .

٢ - القسم الثانى : فى بيان أقسام العلة والحكم من حيث الوجود والعدم .

٣ - القسم الثالث : فى بيان أقسام العلة من حيث لزومها للموصوف وعدم لزومها له .

٤ - القسم الرابع : فى تقسيم العلة إلى بسيطة ومركبة وأمثلة كل ثم ذيل هذه الأقسام بمسائل متفرعة ومتفرقة .

القسم الثالث : فى مباحث الأصل والفرع والحكمة وانحصر الحديث عن هذا القسم فى تسع مسائل . وفى الباب الرابع : تكلم عن شرائط الأصل المقيس عليه ، مقسمًا حكم هذا الأصل إلى قسمين :

١ - القسم الأول : كونه على وفق سائر الأصول ، وذكر لجواز القياس عليه ست شروط .

٢ - القسم الثانى : كونه على خلافها وفى جواز القياس عليه خلاف ، بين العلماء وبعد الفراغ من ذلك ذكر أمورًا ظن أنها من شرائط الأصل ثم حكم عليها بالبطلان مبينًا وجه بطلانها .

وفى الباب الخامس : ذكر شرائط الفرع ، وقد قسم هذه الشروط إلى صحيحة وفاسدة ثم عقد خاتمة بين فيها نوعًا آخر من القياس يستعمله أهل زمانه وقد مثل له بقولهم : « لو ثبت الحكم فى الفرع لثبت فى الأصل بالقياس ولم يثبت فى الأصل فلا يثبت فى الفرع » .

ثم صرّح بأن هذا هو التلازم بعينه وأن القياس إنما هو لتصحيح مقدمته .

١١ - الكلام فى التعادل والترجيح :

حصر الأرموى حديثه حول التعادل والترجيح فى أقسام ثلاثة :

١ - القسم الأول : فى مذاهب العلماء فى تعادل الإمارتين .

٢ - القسم الثانى : فى مقدمات الترجيح وفيه سبع مسائل .

٣ - القسم الثالث : فى ترجيح الأخبار .

١٢ - الكلام فى الاجتهاد :

ذكر أركانه وحصرها فى أربعة :

١ - الاجتهاد : وقد بيّن معناه لغة واصطلاحًا .

٢ - المجتهد : وذكر فيه أربع مسائل .

٣ - المجتهد فيه : وهو الأحكام الشرعية التى ليست قطعية .

٤ - حكم الاجتهاد : وتناوله فى مسألتين وثلاثة فروع .

ثم ذكر تبينها ما بيّن فيه أن محل عدم نقض قضاء القاضى حيث لم يلح دليل قاطع يدل على فساده وإلاّ فإنّه ينقض .

١٣ - الكلام فى الإفتاء :

وفيه أنظار ثلاثة :

١ - النظر الأول : فى المفتى وعقد له مسألتين .

٢ - النظر الثانى : فى المستفتى وتناوله فى ثلاث مسائل .

٣ - النظر الثالث : فى بيان ما يجوز فيه الاستفتاء وفيه تعرّض لخلاف العلماء فى جواز التقليد فى الأصول وبيّن الرأى المختار عنده ، واستدل له .

١٤ - الكلام فيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل :

وفيه إحدى عشرة مسألة :

١ - المسألة الأولى : فى أن الأصل فى المنافع الإباحة وفى المضار التحريم :

٢ - المسألة الثانية : فى حجية الاستصحاب وآراء العلماء فى ذلك .

٣ - المسألة الثالثة : فى حجية الاستحسان وآراء العلماء فى ذلك .

٤ - المسألة الرابعة : فى حجية قول الصحابى وآراء العلماء فى ذلك .

٥ - المسألة الخامسة : فى التفويض ـ معناه ـ جوازه ـ وقوعه ـ آراء العلماء فيهما .

٦ - المسألة السادسة : فى الأخذ بالأقل ـ مثاله ـ من أخذ به من العلماء ـ ما ينبنى عليه هذا القول .

٧ - المسألة السابعة : فى الأخذ بالأخف وآراء العلماء فيه .

٨ - المسألة الثامنة : فى حجية الاستقراء الذى يفيد الظن .

٩ - المسألة التاسعة : فى حجية المصالح المرسلة .

١٠ - المسألة العاشرة: في مذاهب العلماء في أن عدم ثبوت الحكم هل يكون دليلاً على عدم ثبوت الحكم؟.

١١ - المسألة الحادية عشرة: في طرق العلماء وتحت هذا العنوان: قسم الحكم إلى:

١ - عدمي وبين أن فيه وجوهًا ستة.

٢ - وجودي وبين أنه يتأتى فيه وجهان.

وقد ذكر جميع هذه الوجوه وبين ما ورد على بعضها من أشكال وأجاب عنه. وبذلك ختم مباحث هذا الكتاب.

(«تاج الدين الأرموي وكتابه الحاصل من المحصول» - د. عبد السلام محمود أبو ناجي. مجلة الوثائق والمخطوطات. مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي. السنة الأولى. العدد الأول ١٩٨٦/ ٢٥٢ - ٢٦٣).

*** الحاصل والمحصول:**

الحاصل والمحصول: في عشرين مجلدا للشيخ الرئيس أبي عبد الله حسين بن عبد الله بن سينا المتوفى سن ٤٢٨ ثمان وعشرين وأربعمائة (كشف ١/ ٦٢٤).

*** حاطب بن أبي بلتعة:**

قال عنه الإمام النووي:

حاطب بن أبي بلتعة الصحابي رضي الله عنه بفتح الباء الموحدة والتاء المثناة فوق بينهما لام ساكنة مذكور في مواضع من المختصر وفي كتاب السير من المهذب هو أبو محمد وقيل أبو عبد الله حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة ابن صعب بن سهل بن العتيك بن سَعَّاد بفتح السين وتشديد العين ابن راشدة بن جزيلة بالزاي بن لخم بن عدي حليف للزبير بن العوام. وقيل كان لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى كتابته. شهد بدرا والحديبية وشهد الله له بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ الآيتين نزلتا فيه قالوا وأرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية سنة ست من الهجرة فقال له المقوقس أخبرني عن صاحبك أليس هو نبيًّا قال بلى قال فما له. لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلدته قال له حاطب فعيسى ابن مريم رسول الله حين أراد قومه صلبه لم يدع عليهم حتى رفعه الله قال أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم وبعث معه هدية لرسول الله ﷺ منها مارية القبطية وأختها سيرين وجارية أخرى فاتخذ مارية سرية ووهب سيرين لحسان بن ثابت والأخرى لأبي جهم بن حذيفة وأرسل معه من يوصله مأمنه. توفي حاطب سنة ثلاثين بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان عمره خمسا وستين سنة. وروينا في صحيح البخاري عن جابر «أن عبدا لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية» وكان حاطب حسن الجسم خفيف اللحية ذكره ابن سعد».

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١/ ١٥١، ١٥٢. انظر أيضًا مجلة الوعي الإسلامي. السنة الثالثة عشرة. العدد (١٤٧). ربيع الأول ١٣٩٧هـ - مارس ١٩٧٧م/ ١١٠، ١١١).

*** حاطب ليل:**

من بين أصناف الناس الذي أدرجهم الشيخ بدر الدين الغزي فيمن لا يراعون آداب المؤاكلة. والأصل رجل حاطب ليل أي يتكلم بالغثّ والسمين، مخلط في كلامه وأمره لا يتفقد كلامه، كالحاطب بالليل الذي يحطب كل رديء وجيد، لأنه لا يُبصرُ ما يجمع في حبله، وقد استخدم المؤلف هذا التركيب اللغوي من باب المجاز تشبيها وتمثيلا بالآكل الذي لا يستقصي تأمل ما يأكله، ولم يرد هذا الاستعمال عند العرب.

قال المؤلف: وحاطب ليل: هو الذي لا يستقصي تأمل ما يأكلهُ، فربَّما أكل ذبابةً عساها تقعُ في الإناء، وهو لا يشعر، فيتغامزُ عليها الحاضرون، وإن أكل سمكا لم يستقص تنقيته من العظام، فتراه في أكثر الأوقات، وقد نشب العظم في حلقه، وأشرف منه على مكروه، وقد ينشب أيضًا عظام الدَّجاج ونحوها ولا سيَّما الحمام والعصافير في الحلق، فيبقى مدة طويلة لا يستلذُّ بأكل ولا شرب، ويذوق العذاب كما أصاب الشيخ النجيب يوسف بن يعقوب رئيس عمرانات، فإنه شارف الموت من ذلك عشرين يومًا حتى خلَّص العظمُ من حلقه.

(رسالة آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين محمد الغزّي ـ حققها د. عمر موسى باشا / ٣٣، ٣٤ وهامش ٤٧ للمحقق).

انظر: آداب الأكل.

*** الحافظ:**

الحافظ:

من ألقاب المحدثين، وأصله من الحفظ ضد النسيان، واختص بالمحديثن لاحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك، والحافظى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ٩٨).

والحافظ: من جمع بين علمين من علوم الحديث الثلاثة:

١ - حفظ متون الحديث ومعرفة غريبه وفقهه.

٢ - حفظ أسانيده ومعرفة رجاله وتمييز صحيحه من سقيمه.

- من مراتب أهل الحديث: وهو الذى أحاط علمه بمائة ألف حديث متنًا وإسنادًا وأحوال رواته جرحًا وتعديلاً وتأريخًا. أفاده الأحمدنكرى.

قال السيوطى: « كان السلف يطلقون المُحدث والحافظ بمعنى ... والحق أن الحافظ أخص » (معجم / ٢٩).

والحافظ: من بلغ درجة عظيمة فى معرفة علم الحديث رواية ودراية، وكان الرجال الذين يعرفهم أكثر من الذين يجهلهم، وضبطه بعضهم بمن حفظ مائة ألف حديث مسندة، كالدارمى عبد الله بن عبد الرحمن، وابن خزيمة محمد بن إسحاق، وابن عساكر ونحوهم (الناقد الحديث / ١٢٣).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ٧٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ١٢، ومعجم مصطلحات توثيق الحديث.

*** حافظ إبراهيم (١٢٨٧ـ١٣٥١هـ / ١٨٧١ـ١٩٣٢م):**

محمد حافظ بن إبراهيم، فهمى المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم، شاعر مصر القومى، ومدوِّن أحداثها نيفا وربع قرن، ولد فى ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروط. وتوفى أبوه بعد عامين من ولادته. ثم ماتت أمه بعد قليل، وقد جاءت به إلى القاهرة، فنشأ يتيما. ونظم الشعر فى أثناء الدراسة، ولما شب أتلف شعر الحداثة جميعا. واشتغل مع بعض المحامين فى طنطا، فالقاهرة، محاميا، ولم يكن للمحاماة يومئذ قانون يقيدها. ثم التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة ١٨٩١ برتبة ملازم ثان بالطوبجية. وسافر مع «حملة السودان» فأقام مدة فى سواكن والخرطوم. وألف مع بعض الضباط المصريين « جمعية » سرية وطنية، اكتشفها الإنجليز فحاكموا أعضاءها ومنهم « حافظ » فأحيل إلى «الاستيداع» فلجأ إلى الشيخ محمد عبده، وكان يرعاه، فأعيد إلى الخدمة فى البوليس. ثم أحيل إلى المعاش، فاشتغل « محررا » فى جريدة « الأهرام » ولُقِّب بشاعر النيل. وطار صيته واشتهر شعره ونثره ...

وانقطع للنظم والتأليف زمنا، وعين رئيسًا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م فاستمر إلى قبيل وفاته. توفى بالقاهرة.

له « ديوان حافظ » مطبوع مجلدان. قالت المؤلفة: عندى منه نسختان الأولى طبع دار العودة، بيروت، بدون تاريخ، والثانية طبع دار الجيل. بيروت ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، وكل منهما من جزءين فى مجلد واحد ـ ضبط وتصحيح وشرح وترتيب أحمد أمين، وأحمد الزّين، وإبراهيم الإبيارى، وتقع فى ٢٤٨ صفحة، والفهرس من ص ٢٥١ إلى ٢٦٢.

وله « البؤساء » و « ليالى سطِيح » و « كتيب فى الاقتصاد » و « التربية الأولية » مدرسى، مترجم. وشارك فى ترجمة «الموجز فى علم الاقتصاد» عن الفرنسية. مطبوع. ولإبراهيم عبد القادر المازنى « شعر حافظ » مطبوع. رسالة فى نقده، ولأحمد عبيد (انظر ترجمته فى م٢/ ٦٧٨ ـ ٦٨٣ من هذه الموسوعة) كتاب « ذكرى الشاعرين، حافظ وشوقى » مطبوع، فى سيرتهما والمختار من شعرهما وما قيل فيهما (الأعلام ٦/ ٧٦).

يقول عن شعره الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله:

صياغة حافظ هى موهبته الأولى ومزيته الظاهرة. وهو فى

ذلك ثاني الخمسة (البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران) الـذين تيقظت على دعـوتهم نهضـة الشعـر، وتجـددت على صنعتهم بلاغة القصيد. ولعله انفرد عن هؤلاء جميعًا بالصدق في تعبيـره عن هموم قلبـه، وتفسيره لأمـاني شعبه، وتصـويره لمسـاويء عصره. أمـا الروح والمـوضـوع فأصداء منبعثـة من المـاضي فـي فـرديـاتـه، . وآراء مقتبسة من الحـاضـر في اجتماعيـاته. كان إذا تهيأ للشعـر عمد إلى الآراء التي تختلج حينئـذ في النفـوس، وتستفيض في المجـامـع، وتـتـردد في الصحـف، فيجمعها في بالـه، ويديرها في خـاطره، ثم يكون همه بعـد ذلك أن يصوغها فيحسن الصـوغ، ويسبكهـا فيجيد السبك، وتقـرأ بعـد ذلك أو تسمع فإذا نسقٌ مطـرد وأسلـوب سائغ، وشيء كأنك سمعتـه من قبل ولكن عليه طـابع حـافظ ووسمه. (تاريخ الأدب العربي / ٥٠٦).

وفيما يلي نموذجان من شعره:

قال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها:

رجعتُ لنفسـي فـاتهمت حصـاتي
ونـاديتُ قـومي فـاحتسبت حيـاتي
رَمَـونِي بعقم فـي الشبـاب وليتني
عقمتُ فلم أجـزع لقـول عـداتي
ولـدْتُ ولمـا لم أجـد لعـرائسي
رجـالا وأكْفـاء وأدْت بنـاتـي
وسِعتُ كتـابَ الله لفظـا وغـايـة
ومـا ضقت عن آي بـه وعظـات
فكيف أضيق اليـوم عن وصف آلـة
وتنسيق أسمـاء لمختـرعـات
أنـا البحـر في أحشـائه الـدُّرُّ كـامنٌ
فهل سـاءلـوا الغـوَّاص عن صَدَفـاتي؟
فيـا ويحكم أبلى وتبلَـى محـاسني
ومنكم وإن عَـزَّ الـدواء أُسـاتي
فـلا تكلـوني للـزمـان فـإنني
أخـاف عليكم أن تحينَ وفـاتي
أرى لـرجـال الغـرب عـزًّا ومنعـةً
وكم عـزَّ أقـوام بعـزّ لغـات
أتـوا أهلهـا بـالمعجـزات تفننًـا
فيـا ليتكم تـأتـون بـالكلمـات
أيطـربكم من جـانب الغـرب نـاعبٌ
ينـادي بـوأدي فـي ربيع حيـاتي؟

(الديوان ١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

وقال من قصيدة له في الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

إنِّي لتطـربُني الخـلالُ كـريمـةً
طـربَ الغـريب بأوبـة وتـلاقي
ويهـزُّني ذكـرُ المُـروءة والنَّـدى
بين الشَّمـائلِ هـزَّة المُشتـاق
فـإذا رُزقت خليقـةً محمـودةً
فقـد اصطفـاك مُقسمُ الأرزاق
فـالنَّـاسُ: هـذا حظُّـهُ مـالٌ وذا
علـم وذاكَ مكـارمُ الأخـلاق
والمـالُ إن لـم تـدَّخـرْه مُحصَّنًـا
بـالعلم كـان نهـايـة الإمـلاق
والعلـمُ إن لم تكتنفـهُ شمـائلٌ
تُعليـه كـان مطيَّـة الإخفـاق
لا تحسبنَّ العلـم ينفـعُ وحـدهُ
مـا لم يُتـوج ربُّـهُ بخـلاق
كم عـالـم مـدَّ العلـوم حبـائلاً
لـوقيعـة وقطيعـة وفـراق
يـدعـونـه عنـد الشِّقـاق ومـا دروا
أنَّ الـذي يـدعـونَ خـدْنُ شقـاق
وطبيب قـوم قـد أحلَّ لطـبِّه
مـا لم تُحلَّ شـريعـةُ الخـلاَّق
قتل الأجنَّـةَ في البُطُـون وتـارةً
جمع الـدَّوانقَ من دم مُهـراق

وأديب قـــوم تستحقُّ يمينـــهُ
قطع الأنـــامل أو لظى الإحـــراق
يلهـــو ويلعبُ بـــالعقـــول بيـــانُـــهُ
فكأنـــهُ فى السِّحْـــر رُقيـــةُ راقى
فى كفِّـــه قلمٌ يمجُ لعـــابـــهُ
سمًّـــا وينفثُـــه على الأوراق
يـــردُ الحقـــائق وهى بيضٌ نُصَّعٌ
قُـــدسيَّـــة علـــويَّـــةُ الإشـــراق
فيـــردُّهـــا سُـــودًا على جنبـــاتهـــا
من ظُلمـــة التمـــويـــه ألفُ نطَـــاق
عـــريت من الخُلُق المُطهَّـــر نفسُـــهُ
فحيـــاتُـــه ثقلٌ على الأعنـــاق
لـــو كـــان ذا خُلُـــق لأسعـــد قـــومَـــه
ببيـــانِـــه ويـــراعـــه السَّبَّـــاق

(الأعلام للزركلى ٦/ ٧٦ وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٥٠٦ وديوان حافظ إبراهيم ـ ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين ، أحمد الـزين ، وإبراهيم الإبيارى ط دار العـودة . بيروت . د . ت . ، وطبع دار الجيل . بيـروت ١٤٠٨هــ ـ ١٩٨٨م/ ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، والمنتخب من أدب العرب ـ جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه ٢/ ٥٢٢ ، ٥٢٣) .

*** الحافظ المِزّى (٦٥٤ـ٧٤٢هـ / ١٢٥٦ـ١٣٤١م):**

يوسف بن عبد الرحمن بن يـوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكى أبى محمد القضاعى الكلبى المزى ، محدث الديار الشامية فى عصره . ولد بظاهر حلب ، ونشأ بالمزة (من ضـواحى دمشق) وتـوفى فى دمشق ، مهـر فى اللغـة ، ثم فى الحديث ومعرفة رجالـه . وصنف كتبا ، منها « تهذيب الكمال فى أسمـاء الـرجال » اثنـا عشـر مجلـداً ، و « تحفة الأشـراف بمعرفة الأطـراف » فى الحديث (يأتى بيانه فيمـا بعد) ثمانى مجلدات ، قال ابن طولـون : ومن المعلوم أن المحدثين بعده عيـال على هـذين الكتـابين . ولـه « المنتقى من الأحـاديث » مخطوط و « الكنى ، المختصر من تهذيب الكمال » مخطوط فى ١٠١ ورقة (كما فى فهرس المخطـوطات المصورة : القسم ٢ج ٢/ ١٢٠) . قـال ابن نـاصـر الديـن ، قال الحـافظ أبـو عبـد الله الـــذهبى : أحفظ من رأيت أربعـــة : ابن دقيـق العيـــد ، والدميـاطى ، وابن تيمية ، والمِـزِّى ، فابن دقيق العيـد أفقههم فى الحـديث ، والدميـاطى أعـرفهم بـالأنساب ، وابن تيميـة أحفظهم للمتون ، والمِـزِّى أعرفهم بـالرجال ، وقـال الكتانى : أفرده الحافظ أبو سعيد العـلائى بمؤلف سماه « سلوان التعزى بالحافظ أبى الحجاج المِزِّى » (الأعلام ٨/ ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

وفيمـا يلى بيـان بمخطـوط « تحفـة الأشـراف فى معـرفـة الأطراف » ، وقد ورد اسم الكتاب فى ذيل كشف الظنون هكذا (تحفة الأشراف بمطـالعة الأطراف) فى خمسـة أجزاء . بينما ورد اسمـه فى هـدية العـارفين (أطـراف الكتب الستـة) واسم المؤلف هكـذا (ابن زكى الحافظ جمـال الدين أبـو الحجاج يوسف بن زكى الدين عبـد الرحمن بن يوسف بن على بن أبى الزهـر الحلبى القضاعى الكلبى المزى الدمشقى ولـد بدمشق سنة ٦٥٤هـ وتوفى سنة ٧٤٤هـ) .

تحفة الأشراف فى معرفة الأطراف .

جـ١ :

المؤلف : الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يـوسف بن عبد الملـك المزى الـدمشقى الشهيـر بابن الـزكى ٦٥٤ـ٧٤٢هـ ، ١٢٥٦ـ١٣٤١م .

أوله : الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله إمام المتقين ... إلخ .

آخـره : وعن الـربيع بن سليمـان بن داود عن عبـد الله بن يـوسف عن الهيثم بن حميد ... عـن الغريـابى عن الأوزاعى به . انتهى الجـزء الأول ويليه الجـزء الثانى من عطاء بن يسار المدنى .

ناسخـه : مجهول . خطه شبيـه بالفـارسى كتب العناوين بخط بارز والإشـارات بحبر أحمر ، ورقـه ترمـة ثخين ، نسخة جيدة عليها ختـم الوزير أحمد باشـا البابانى ، جلـده مزخرف أحمر .

و : ١٥٨ .

م : ٣٢×٢٢.

س : ٣٢.　　　　ت/ ٣٦٣ .

المصادر: ذيل كشف الظنون ٣/ ٢٤١، وهدية العارفين ٦/ ٥٥٦ ومعجم المؤلفين ١٣/ ٣٠٨ .

جـ ٢ :

المؤلف: الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ابن الزكي) المتوفى ٧٤٤هـ.

أوله : [عطاء بن يسار المدني مولى ميمونة أم المؤمنين عن أبي أيوب حدثت قالت حدثنا أيوب كيف كانت الضحايا ... إلخ).

آخره: وفي مسند عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن القرشي العدوي عن النبي ﷺ ليس في الرواية ولم يذكره) .

ناسخه: مجهول نسخ سنة ١١٧٧هـ بعناية الحسن بن محمد الأخفش .

و : ٢٠٦ .

م : ٣١×٢٢.

س : ٣٣ .　　　　ت/ ٨١ .

المصادر: المصادر السابقة نفسها .

جـ٣ :

أوله : (عبد الرحمن شيخ من قريش به الأغر المدني وله صحبة عن عمر وهو وهم ... إلخ) .

آخره: (ومن مسند عبد الله بن مالك بن كاهل الأخمس وقيل اسمه قيس بن عابد يأتي في الكنى . ويتلوه الجزء الرابع) .

ناسخه: شرف الدين بن زين الأجلّ العلامة الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن الأخفش سنة ١١٧٧هـ عليه وقفية من قبل أحمد باشا الباباني وعليه تملك من قبل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الحميد السابوري يرجع إلى / ١٢٦١هـ. خطه ثلثي .

و : ١٥٩ .

م : ٣٤×٢٣ .

س : ٢٧ .　　　　ت/ ٩١ .

المصادر: نفس المصادر السابقة .

جـ ٤ :

أوله : وفي مسند عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن سمح بن فارس ... إلخ .

آخره: (وعن محمد بن قدامة عن جرير عن منصور عن ابن أبي وائل عن سمرة بن شمام) .

توجد في أوله زخرفة فنية وعبارة (بعناية العلامة القدوة الفهامة الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن الأخفش) عليه تملك من قبل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الحميد السابوري العقيلي يرجع تاريخه إلى / ١٢٦١هـ وعليه ختم الوزير أحمد باشا بن سليمان باشا الباباني .

ناسخه: مجهول. نسخ سنة ١١٧٧هـ. خطه ثلثي غير منقوط .

و : ٢٧٨ .

م : ٣١×٢١ .

س : ٢٩ .　　　　ت / ٥٨ .

المصادر: نفس المصادر السابقة .

جـ ٥ :

أوله : رجل من قومه قال نزلت على أبي هشام فذكره ق في الزهد عن محمد بن الصباح عن جهربة ومن مسند أبي هريرة الدوسي عن النبي (ص) ... إلخ .

آخره: قال حدثتني امرأة من أهلي عن مليكة بنت عمر وإنها وضعت لهما ... فذكره هذا آخر الكتاب .

ناسخه: السيد مهدي بن محسن بن نجم بعناية الحسن ابن محمد الأخفش . كتب الرموز والأسماء بحبر أحمر. خطه شبيه بالفارسي ورقه خفيف في أوله تملك من قِبَل عبد الرحمن ابن عبد الحميد السابوري العقيلي الهندي ذكر الناسخ في أول المخطوط أنه شرع بنسخها سنة ١١٧٧هـ.

عليه ختم الوزير أحمد باشا الباباني . خطه ثلثي .

و : ٣٧٣ .

م : ٣٢×٢١ .

س : ٢٩ .　　　　ت/ ٣٦٢ .

المصادر: نفس المصادر السابقة (فهرس السليمانية ١/ ١٠٤-١٠٦) .

(الأعلام للزركلى ٨/ ٢٣٦، ٢٣٧، وفهرس مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٠٤-١٠٦).

*** الحافى:**

انظر: بشر الحافى (م ٧/ ١٣٠، ١٣١).

*** حافى رأسه محمد بن عبد الله (٦٠٦-٦٩٣هـ):**

ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة وقال عنه:

حافى رأسه محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محيى الدين الإسكندرانى ولد بتاهرت بظاهر تلمسان سنة ست وستمائة. وكان من أئمة العربية تصدر لإقرائها أزمانا. قال أبو حيان: كان شيخ أهل الإسكندرية فى النحو. تخرّج به أهلها. مات فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة...

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٥٣٣).

*** الحاقة (سورة-):**

السورة رقم ٦٩ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف.

وهى مكية، وقد اختلف فى عدّ آياتها، فهى.

خمسون وآية بصرى ودمشقى بخلف عنهما وآيتان فى غيرهما وثلاث بصرى فى القول الآخر (وخلافهم) فى ثلاثة مواضع:

(الأول) الحاقة الأولى، عده كوفى قيل والبصرى.

(الثانى) حسوما عده الحمصى وقيل والبصرى.

(الثالث) بشماله عده الحجازى وقال بعضهم إن الصحيح أن البصرى لم يعد الحاقة الأولى وحسوما وهو ظاهر فى حسوما لعدم مشاكلته لرءوس آى هذه السورة وبذا احتج من أسقطها للحمصى وغيره (سعادة الدارين/ ٧٦).

وعن هذا الاختلاف فى العدّ يقول الشيخ عبد الفتاح القاضى عن سورة الحاقة وسورة المعارج:

الحاقةُ الأولى رَوَى الكوفيُّ
ثُمَّ حُسومًا عَدَّهُ الحِمْصِيُّ
شِمالِهِ عَدَّ حجازيهِمُ
وسَنَةٍ غَيْرُ دِمَشْقِيِّهِمُ

ويشرح الناظم البيتين بقوله:

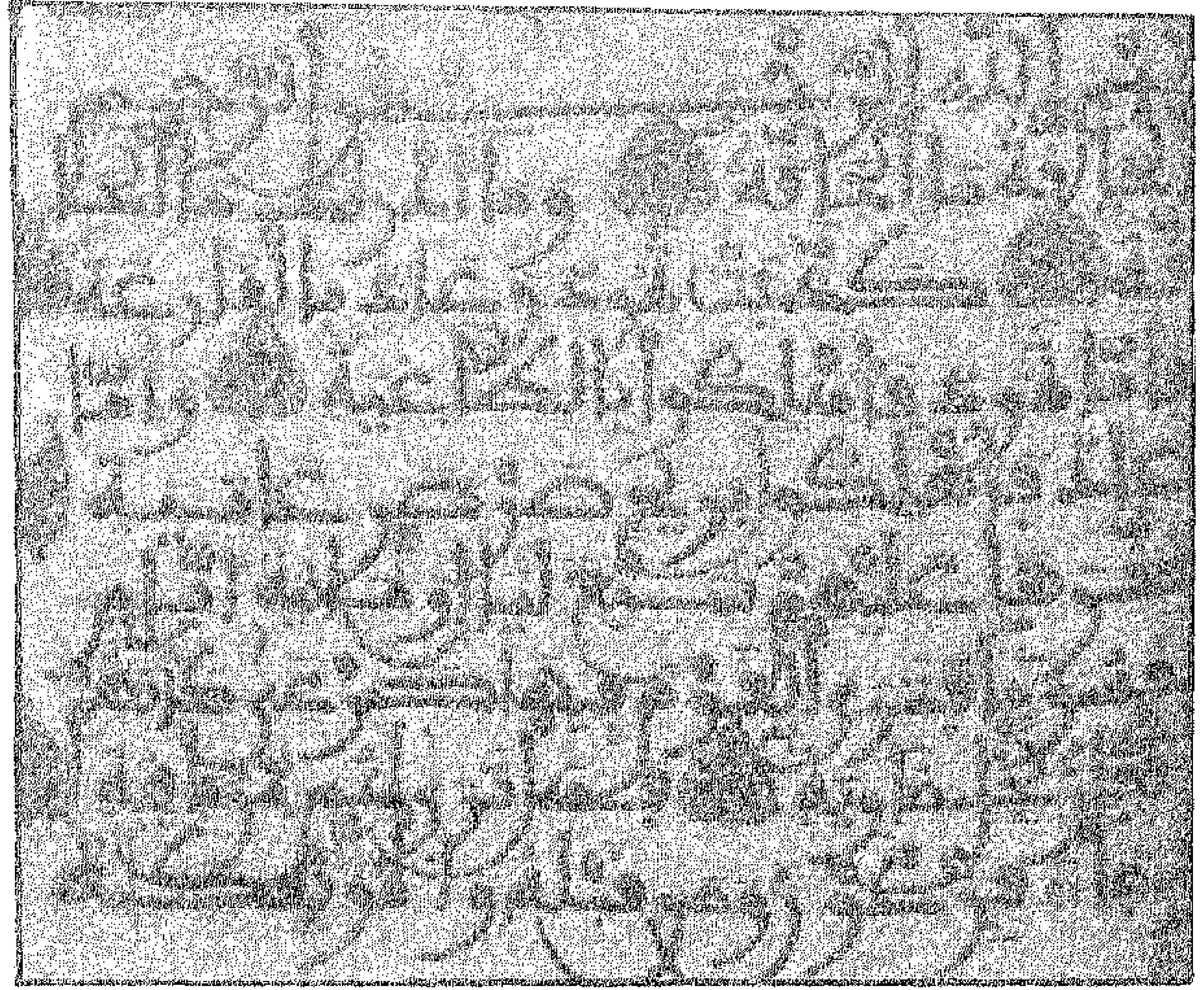
معنى البيت الأول أن كلمة « الحاقة » الأولى رأى الكوفى عدها وتركها الباقون. والتقييد بالأولى للاحتراز عن الثانية والثالثة وهما « ما الحاقة » معا فإنهما معدودتان إجماعا، وقوله تعالى: ﴿ وأمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابَهُ بِشِمالِه ﴾ [٢٥] عده الحجازيون، وتركه العراقيون والشامى. وقوله تعالى: ﴿خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج: ٤] عدّه غير الدمشقى من الأئمة. ومواطن الخلف فى سورة الحاقة ثلاثة: ﴿الحاقة﴾ [١]، ﴿حسوما﴾ [٧]، ﴿بشماله﴾ [٢٥]، وفى المعارج موضع واحد، وهو ﴿سنة ﴾ [٤] والله تعالى أعلم.

ورءوس آياتها الحاقة (١) ما الحاقة (٢) ما الحاقة (٣) بالقارعة (٤) بالطاغية (٥) عاتية (٦) خاوية (٧) باقية (٨) بالخاطئة (٩) رابية (١٠) الجارية (١١) واعية (١٢) واحدة (١٣) واحدة (١٤) الواقعة (١٥) واهية (١٦) ثمْنية (١٧) خافية (١٨) كتْبيه (١٩) حسابيه (٢٠) راضية (٢١) عالية (٢٢) دانية (٢٣) الخالية (٢٤) كتْبيه (٢٥) حسابيه (٢٦) القاضية (٢٧) ماليه (٢٨) سلطْنيه (٢٩) فغلُّوه (٣٠) صَلُّوه (٣١) فاسلكوه (٣٢) العظيم (٣٣) المسكين (٣٤) حميم (٣٥) غسلين (٣٦) الخْطئون (٣٧) تبصرون (٣٨) لا تبصرون (٣٩) كريم (٤٠) قليلا ما تؤمنون (٤١) قليلا ما تذكرون (٤٢) العْلمين (٤٣) الأقاويل (٤٤) باليمين (٤٥) الوتين (٤٦) حْجزين (٤٧) للمتقين (٤٨) مكذِّبين (٤٩) الكْفرين (٥٠) اليقين (٥١) العظيم (٥٢) (وفيها من مشبه الفاصلة المتروك) موضعان (١) فيها صرعى (٢) بيمينه.

(سعادة الدارين/ ٧٦، ٧٧).

ويجمل الإمام الفيروزابادى خصائص سورة الحاقة فيقول:

كلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. مجموع فواصل آياتها (نم له) على اللَّام منها آية واحدة: ﴿ بعض الأقاويل ﴾ [٤٤] ولها اسمان:



الآيات ١ ـ ٩ من سورة الحاقة بخط كوفي مغربي

قولـه تعالى: ﴿ وما هـو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون * ولا بقــول كـاهـن قليـلا مــا تذكَّرون ﴾ [٤١، ٤٢] خصّ ذكـر الشِّعـر بقــولـه: ﴿ مـا تؤمنون﴾ لأنَّ من قال: القرآن شعر، ومحمد ﷺ شـاعـر ـ بعـد مـا علم اختـلاف آيـات القرآن في الطـول والقِصَـر، واختـلاف حروف مقـاطعـه ـ فلكفـره وقلّـة إيمـــانـه، فإنَّ الشعـر كـلام مـوزون مقفّى. وخصّ ذكـر الكهانـة بقولـه: ﴿ما تذكَّرون ﴾ لأن من ذهب إلى أنَّ القــرآن كِهـانـــة، وأن محمدًا ﷺ كـاهـن فهو ذاهل عن ذكـر كـلام الكهَّـــان، فإنـه أسجاع لا معاني تحتها، وأوضاع تنبو الطِّباع عنها، ولا يكون في كلامهم ذكرُ الله تعالى.

سورة الحاقـة، لمفتتحـهـا، وسورة السِّلسـلـة، لقـوله تعالى: ﴿ في سلسلة ذرعها سبعون ﴾ [٣٢].

معظم مقصـود السـورة: الخبـر عـن صعـوبـة القيـامـة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصُّور، وانشقاق السموات، وحال السعـداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذلّ الكفَّار مقهورين في أيدي الزّبانية، ووصـف الكفَّار القرآن بأنه كِهانة وشعر، وبيان أنَّ القرآن تـذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع في قوله: ﴿ فسبِّح باسم ربك العظيم ﴾ [٥٢].

السورة محكمة: خالية عن النَّاسخ والمنسوخ.

المتشابهات

قوله تعالى: ﴿ فأما من أُوتي كتابه بيمينه ﴾ [١٩] بالفاء، وبعده: ﴿ وأمَّـا ﴾ بالـواو، لأن الأول متَّصل بأحوال القيـامة وأهـوالها، فـاقتضى الفـاء للتَّعقيب، والثاني متصل بـالأول، فأدخل الواو، لأنَّه للجمع.

فضل السورة:

فيه الحـديثان الساقطـان، عن أُبَيٍّ: من قرأها حـاسبه الله حسابًا يسيرًا، وعن علي: يا علي مـن قرأها، ثم مات من يوم قرأهـا إلى آخر السنـة، مات شهيدًا، ولـه بكلّ آية قـرأها مثل ثواب صالح النبي عليه السلام. (بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٧٨، ٤٧٩، وأسرار التكرار / ٢٠٨).

وعن سرّ وقـوع سورة الحـاقة بعـد سورة القلم يقـول الإمام السيوطي:

أقول: لما وقع في ﴿نٓ﴾ [القلم] ذكر يوم القيامة مجملاً في قوله تعالى: ﴿ يوم يُكشف عن ساق ﴾ [القلم: ٤٢] شرح ذلك في هذه السورة بناء على هذا اليوم، وشأنه العظيم وذلك من أول السورة إلى قـوله تعالى: ﴿ لا يأكله إلا الخـاطئون ﴾ [٣٧] (تناسق الدرر / ١٢٨).

وعن الأسماء التى أُبهمت فى سورة الحاقة يقول الإمام السهيلى :

قوله عز وجل : ﴿ وتعيها أذنٌ واعية ﴾ [١٢] روى أن رسول الله ﷺ حين نزلت ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ أخذ بِأُذُن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال « هى هذه » ذكره النقاش وقوله تعالى : ﴿ والمؤتفكات بالخاطئة ﴾ [٩] ذكر الطبرى عن محمد بن كعب القرظى قال هى خمس قريات صعبة وصعدة وعميرة ودوما وسدوم وهى القرية العظمى .

صعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا ، وبينه وبين خَيْوان ستة عشر فرسخًا .

سدوم : مدينة من مدائن لوط كان قاضيها يقال له سدوم (التعريف والإعلام / ١٧٥ ، ١٧٦) .

ويضيف الإمام السيوطى قوله : ﴿ وثمانية أيّام ﴾ [٧] : قال الربيع بن أنس : كان أولها الجمعة . أخرجه ابن أبى حاتم .

قوله تعالى : ﴿ويحمل عرش ربّك ﴾ [١٧] أخرج ابن أبى حاتم، عن ابن زيد : لم يسم من حملة العرش إلا إسرافيل : قال : وميكائيل ليس من حملة العرش . وأخرج عن أبى الزاهرية قال : أُنبئت أن لبنان أحد حملة العرش الثمانية يوم القيامة . وذكر يحيى بن سلام قال : بلغنى أن روقيل من حملة العرش . (مفحمات الأقران / ١١٢) .

ويقول الإمام الواحدى عن سبب نزول الآية [١٢] وهى قوله تعالى : ﴿ وتعيها أُذُنٌ واعية ﴾ : حدثنا أبو بكر التميمى ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر، أخبرنا الوليد بن أبان ، أخبرنا العباس الدورى ، أخبرنا بشر بن آدم ، أخبرنا عبد الله بن الزبير قال : سمعت صالح بن هشيم يقول : سمعت بُريدة يقول : قال رسول الله ﷺ لعلىّ إن الله أمرنى أن أُدنيك ولا أُقصيك ، وأن أعلّمك وتعى وحق على الله أن تعى ، فنزلت ﴿وتعيها أذن واعية ﴾ [١٢](أسباب النزول / ٢٩٤) .

وذكر الإمام السيوطى هذا نفسه مع اختلاف فى الإسناد واللفظ فقال :

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والواحدى عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب إنى أمرت أن أدنيك وأقصيك وأن أعلمك وأن تعى وحق لك أن تعى قال : فنزلت هذه الآية ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ لا يصح [١٢] (أسباب النزول / ٢٨٣) .

ويطرح الإمام الرازى أسئلة قد تدور فى الأذهان، ثم يجيب عنها بطريقة « فإن قيل ـ قلنا »، وذلك على النحو التالى :

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ بريح صرصر ﴾ ولم يقل صرصرة، كا قال تعالى : ﴿ عاتية ﴾ وهو صفة لمؤنث، لأنها الشديدة الصوت أو الشديدة البرد؟ .

قلنا : لأن الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها ، فأشبه باب (حائض وطامث وحامل) بخلاف عاتية فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ فترى القوم فيها صرعى ﴾ [٧] أى فى تلك الليالى والأيام، والنبى ﷺ ما رآهم ولا يراهم فيها؟ .

قلنا : ﴿فيها﴾ ظرف لقوله تعالى ﴿صرعى﴾ لا لقوله تعالى ﴿فترى﴾ والرؤية هنا من رؤية العلم والاعتبار، فصار المعنى فتعلمهم صرعى فى تلك الليالى والأيام بإعلامنا حتى كأنك تشاهدهم .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ فإذا نُفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ [١٣] إلى قوله سبحانه ﴿ يومئذ تُعرضون﴾ [١٨] والمراد بها هنا النفخة الأولى ، وهى نفخة الصعق بدليل ما ذكر بعدها من فساد العالم العلوى والسفلى ، والعرض إنما يكون بعد النفخة الثانية ، وبين النفختين من الزمان ما شاء الله تعالى فكيف قال سبحانه ﴿ يومئذ تعرضون ﴾ [١٨]؟ .

قلنا : وضع اليوم موضع الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وما بعدهما .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ إنى ظننت أنى مُلاقٍ حسابيه ﴾ [٢٠]؟ قلنا : معناه تيقنت ، والظن يطلق بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة : ٤٦] .

فإن قيل : كيف قال تعالى فى وصف أهل النار: ﴿ فليس

له اليوم هاهنا حميم * ولا طعامٌ إلا من غِسْلين ﴾ [٣٥، ٣٦] وقال سبحانه فى موضع آخر: ﴿ ليس لهم طعامٌ إلا من ضريع﴾ [الغاشية : ٦] وفى موضع آخر: ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ [الدخان: ٤٣] وفى موضع آخر: ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون ﴾ [الواقعة ٥١ ـ ٥٣] وفى موضع آخر: ﴿ أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

قلنا : معناه إلا من غِسْلين وما أشبهه ، أو وضع الغسلين، موضع كل طعام مؤذٍ كريه . الثانى أن العذاب ألوان والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع ﴿ لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ .

فإن قيل : كيف قال تعالى: ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ [٤٠] يعنى أن القرآن قول جبريل عليه السلام، مع أنه قول الله تعالى لا قول جبريل ؟ .

قلنا : معناه عند الأكثرين أن المراد به النبى ﷺ والمعنى أنه بقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله لا من تلقاء نفسه كما تزعمون (الأنموذج الجليل ٦/ ٤٩٩ ـ ٥٠١ ، ومسائل الرازى وأجوبتها/ ٣٥٣ـ٣٥٤) .

وهذا الذى ذكره الإمام الرازى ذكر مثله الإمام الشنقيطى فى كتابه « دفع إيهام الاضطراب » ص ٣٠٠، ٣٠١ فارجع إليه إن شئت .

أما من حيث رسم المصحف فيسوق الخوارزمى الآيات التالية من سورة الأحقاف :

﴿أدريٰك﴾ [٣] ، ﴿صَرْعىٰ﴾ [٧] بالياء .

﴿طغا﴾ [١١] بالألف .

﴿هَاؤُمُ اقرؤا﴾ [١١] بواو واحدة .

﴿هاهنا﴾ [٣٥] بالألف .

﴿الخاطـٔون﴾ [٣٧] بغير ياء .

(موجز كتاب التقريب / ٩١) .

وأما عن أنواع الوقف فى هذه السورة وهى التام، والكافى، والحسن، والقبيح فقد بينها الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى :

﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ [٣] تام « بالقارعة » [٤] كاف ومثله ﴿حُسوما ﴾ [٧] ﴿ من باقية ﴾ [٨] تام، ومثله ﴿ أخذة رابية ﴾ [١٠] ومثله ﴿ أُذُن واعية ﴾[١٢] ومثله ﴿ خافية ﴾ [١٨] ﴿ دانية ﴾ [٢٣] كاف . ﴿الخالية ﴾ [٢٤] تام حدثنا على بن يحيى المعدل قال : حدثنا ابن رشيق قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : حدثنا الحسن بن الصباح قال : حدثنا قبيصة بن ذؤيب عن الحسن بن حى عن عبد العزيز بن رفيع فى قوله تعالى : ﴿ بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ قال الصوم . ﴿ سلطانِيَهْ ﴾ [٢٩] كاف وكذلك سائر هاءات الاستراحة، فى هذه السورة وفى غيرها ﴿ فاسلكوه﴾ [٣٢] كاف، ومثله ﴿ على طعام المسكين ﴾ [٣٤] ﴿إلا الخاطـٔون﴾[٣٧] تام . ﴿ بقول شاعر ﴾ [٤١] كاف، ومثله ﴿ ولا بقول كاهن ﴾ [٤٢] وينتصب ﴿قليلا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف ﴿ من رب العالمين ﴾ [٤٣] تام ومثله ﴿ عنه حاجزين﴾ [٤٧] ﴿لحق اليقين﴾ [٥١] كاف ورؤوس الآى بين ذلك كافية (المكتفى / ٣٦٢) .

أما عن أنواع القراءات بالنسبة لسورة الحاقة فنكتفى بإيراد القراءات السبع كما بيَّنها الإمام ابن مجاهد فيما يلى :

١ - قوله : (وجاء فِرعون ومن قبلهُ ﴾ [٩] .

قرأ أبو عمرو والكسائى وعاصم فى رواية أبان : (ومن قبله) بكسر القاف [وفتح الباء] .

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة وعاصم فى غير رواية أبان . ﴿ ومن قبلهُ ﴾ ساكنة الباء .

٢ - قوله : (وتعيها أُذنٌ وٰعيةٌ ﴾ [١٢] .

روى الحلوانى بإسناده عن ابن كثير: (وتعيها) ساكنة العين، وكذلك قال أبو ربيعة عن قُنبل، وقرأت أنا على قُنبل : (وتعيها) محركة العين مفتوحة الياء .

وقرأ الباقون : ﴿ وتَعِيَها ﴾ على زون وتليها .

٣ - قوله : ﴿ لا تخفىٰ منكُم خافيةٌ ﴾ [١٨] .

قرأ حمزة والكسائى : (لا يخفى) بالياء .

وقرأ الباقون : ﴿ لا تخفى ﴾ بالتاء .

٤ - قولـه : ﴿قليلاً مـا تُؤمِنُـونَ﴾ [٤١] و ﴿قليلاً مـا تذكَّرونَ﴾[٤٢].

قرأ ابن كثير: ﴿قليلا ما يُؤمنونَ﴾ و ﴿قليلا ما يذَّكَّرونَ﴾ بـالياء . وكـذلك روى القُطَعى عن عبيـد عن هـارون عن أبى عمرو: (يـؤمنون) و (يـذَّكَّرون) بـالياء . ولـم يروه عنـه غيره، حدَّثنيه الخزَّاز عن محمد بن يحيى عن عبيـد عن هارون عن أبى عمرو.

وقرأ ابن عامر مثل ابن كثير: بالياء فيهما فى رواية هشام بن عمار وفى رواية ابن ذكوان : بالتاء فيهما .

وقرأ الباقون : ﴿ قليلاً ما تُؤمنونَ ﴾ و ﴿ قليلاً ما تذكَّرونَ ﴾ بالتاء فى الحرفين .

(كتاب السبعة فى القراءات / ٦٤٨ ، ٦٤٩) .

وقد جاء هـذا فى البيتين رقم ١٠٧٩ و ١٠٨٠ من منظومة الإمـام الشـاطبى المـوسـومة بحـرز الأمـانى ووجـه التهـانى ، ونسـوقهمـا فيما يلى مع شـرح الشيخ على محمـد الضبـاع . ويـلاحظ أن آخـر عجـز البيت الثـانى منهمـا يختص بسـورة المعارج . قال الناظم :

١٠٧٩ - ويخفىْ (شـ)ـفَاءٌ مـاليهْ ماهيهْ فَصِلْ
وسُلطَـانيـهْ من دُون هــاء (فـ)ـتُوصَلاَ

١٠٨٠ - ويَـذَّكَّــرونَ يُـؤمِنُـونَ (مَـــ)ـقَالُهُ
بخُلْف (لـــ)ـهُ (د) اع ويعــرُجُ (ر)تَّـلاَ

ويشرحهما الشيخ على محمد الضباع فيقول: قرأ الإخوان (لا يخفى) بالتذكير والباقون بالتأنيث . قرأ حمـزة (ماليه) و (سلطانيه) هنا (و) ماهيه بالقـارعة بحذف الهاء وصلا والباقون بإثبـاتها واتفقـوا على إثباتهـا وقفًا . قـرأ ابن كثير وهشـام وابن ذكوان بخلف عنـه (قليلا مـا يؤمنون) و (قليـلا ما يـذكرون) بـالغيبة فيهما والباقون بالخطاب (حرز الأمانى / ١٨٨) .

ولمعرفـة دلالة الحروف المـوضوعـة بين أقواس ارجع إلى مادة « رموز القراء » .

وأمـا عن القـراءات الثـلاث المتممة للعشـر، والقـراءات الشاذة فنحيلك إلـى ثبت المراجع الـذى وردت فـى مـادة « التكـويـر (ســـورة ـــ » ، « م ١٠/ ٣٥٧ ومـادة « التـوبـة (سورة) » م١١/ ٢٤ ، ٢٥ .

(سعادة الدارين فى بيان وعـدّ آى معجز الثقلين ـ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بـالحداد / ٧٦ ، ٧٧ ونفـائس البيان شـرح الفرائد الحسان فى عـدّ آى القرآن ـ الشيـخ عبد الفتاح القـاضى / ٤٨ ، وبصائر ذوى التمييز للإمـام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستـاذ محمد على النجار ١/ ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، وتناسق الـدرر فى تناسب السور لـلإمام جلال الـدين عبد الـرحمن السيـوطى ـــ دراسـة وتحقيق عبـد القـادر أحمـد عطـا / ١٢٨ ، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعـلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القـاسم السهيلى / ١٧٥ ، ١٧٦ ، ومفحمـــات الأقـران فى مبهمـات القرآن للعلامة جلال الدين السيوطى ـ ضبطه وعلق عليه د . مصطفى ديب البُغـا / ١١٢ ، وأسباب النـزول للواحـدى النيسـابورى / ٢٩٤ ، وأسبـاب النزول (لباب النقول فى أسباب النزول) للسيوطى ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميـرة / ٢٨٣ ، والأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبـة من غرائب آى التنزيل للإمام محمد بن أبى بكر الرازى ـ تحقيق فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض وجماعة من العلماء مجلـة الأزهر. هدية مجلة الأزهر. رجب ١٤١٠هـ / ٤٩٩ ـ ٥٠١ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل للمحقق نفسه . ط مصطفى البـابى الحلبى / ٣٥٣ ، ٣٥٤ وموجـز كتاب التقـريب فى رسم المصحف العثمـانى ليوسف بـن محمود الخـوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٩١ ، والمكتفىٰ فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسـة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٦٢ ، وكتـاب السبعة فى القـراءات لابن مجاهـد ـ تحقيق د. شـوقى ضيف / ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ومتن حرز الأمـانى ووجه التهـانى للإمام الشـاطبى ، ومعه كتـاب تقريب النفع ـ للشيخ على محمد الضباع / ١٨٨ ، انظر أيضًـا دفع إيهام الاضطراب عن آيـات الكتـاب للشيخ محمـد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٣٠٠ ، ٣٠١ ، والتيسيـر فى القراءات السبع لـلإمام أبـى عمرو الـدانى ـ عنى بتصحيحه أوتوبـرتزل / ٢١٣ ، ٢١٤ ، والجـامع لما يحتاج إليـه من رسم المصحف لابن وثيق الأنـدلسى ـــ تحقيق د. غـانم قدورى محمـد / ١٣٨ ، وألفيـة التفسيـر ـــ حسن على دحلـى/ ٦٥ ، ٦٦ ، وأسـرار التكـرار فى القـرآن أو البرهـان فى توجيه متشـابه القرآن لمـا فيه من الحجـة والبرهان للكـرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٢٠٨) .

* **الحاكم:**

الحاكم : من مراتب أهل الحديث : هو الذى أحاط علمه بجميع الأحاديث المروية (المعجم / ٢٩) .

وهـو من أحاط بـالسنـة متنًا وسنـدًا ، وعلم جميع رواتهـا جرحًا وتعـديلا ، واكتفى بعضهم بمعرفة معظمها مع معـرفة ما

يتعلق بـذلك، وضبطـه بعضهم بمن حفظ سبعمـائة ألف حديث، كأبى عبد الله النيسابورى محمد بن عبد الله المعروف بابن البيِّع، وأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، وسليمان بن أحمد الطبرانى ونحوهم.

وقمـة هذه الـدرجـة (لقب أمير المـؤمنين فى الحـديث) وممن لقب لـه بـه الإمـام مـالك، والإمـام أحمـد بن حنبل، والبخارى، وابن حجـر العسقلانى والسيـوطى وغيرهـم (الناقد الحثيث / ١٢٣، ١٢٤).

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٢٩، والناقد الحـديث فى علوم الحـديث ـ الشيخ محمـد المبارك عبـد الله / ١٢٣، ١٢٤).

*** الحاكم بأمر الله (٣٧٥ ـ ٤١١هـ / ٩٨٥ ـ ١٠٢١م):**

منصور (الحـاكم بأمر الله) ابن نـزار (العزيـز بالله) ابن معـد (المعـز لدين الله) ابن إسمـاعيل بن محمـد العبيـدى الفاطمى، أبـو على ثالث الخلفـاء الفاطميين متألّـه، غريب الأطـوار. ولد فى القـاهرة، وسلم عليه بـالخلافـة فى مدينـة بلبيس، بعد وفـاة أبيه سنـة ٣٨٦هـ وعمـره إحدى عشـرة سنة فدخل القاهـرة فى اليوم الثانى ودفن أباه وباشر أعمـال الدولة وخطب لـه على منابـر مصـر والشـام وإفـريقيـة والحجـاز. (الأعلام ٧/ ٣٠٥).

ونشأ مطلق الأمر فى آرائه وتصـوارته، وتعلم علـوم الشيعة فغلا فيها، كمـا تعلم علوم الفلسفة والنجوم فكـان له بها ولع شديد (تـاريخ مصـر، ١/ ٢٠٠) وعمل مـرصدًا، واتخذ بيتـا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس (الأعلام ٧/ ٣٠٥).

وكان على طـرفى الغلوّ فى كل أعماله : فإذا عـاقب أفرط وسفك الدماء ... وإذا أثاب أو أحب بـذل ما لم يبذله ملك. وكانت أعماله متناقضة، يفعل اليوم ما ينقضه غدًا.

وكـان مع سفاهتـه ونـزقه. شـديـد العنايـة بجمع الكتب ومعاضدة العلم، وأتم الجامع الحاكمى (انظر المادة التالية) بين باب الفتـوح وباب النصر. ولما استطار شـره ركب حماره يوما وخرج على عادته إلى جبل المقطم بناحية حلوان للخلوة بنفسـه ولرصـد الكـواكب فلم يَعُـد، ووجدوا بعـد أيـام ثيابـه مضرجة بالدماء، وحماره مجروحًا، فعلموا أنه قد قتل، وقيل إن أخته عملت على قتله وذلك سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م وتولى مكانـه ابنه « الظاهر لإعـزاز دين الله أبو الحسن على » (تاريخ مصر، ١/ ٢٠٠).

وأخباره كثيرة جدا، أورد بعضها المقريزى فى الكلام على جـامع « المقس » وهو ممـا أنشأه صـاحب الترجمـة ... وفى الذريعـة إلى تصانيف الشيعـة : « كتاب التعـويذ فى صنـاعة الإكسير، ألفه الحـاكم منصور بن نزار الفاطمى لولـده الطاهر بالله على بن منصـور » وقال صاحب الذريعة : رأيـت ترجمته إلى الفارسيـة باسم « التحفة الشـاهية » مخطوط أوله تـرجمة الحاكم ونسبه وأحوال أجداده. وصنفت فى سيرته كتب (الأعلام ٧/ ٣٠٦).

ومن بناء الحاكم أيضًا جـامع راشدة، بجوار رباط الآثار، وعرف بجـامع راشدة، لأنه فى خطة راشـدة، قبيلة من لخم، وصلى به الحاكم الجمعة أيضًا.

ومن بنائه أيضًا الجامع الـذى بالمقس على شاطىء النيل كما سبق القول، ووقف عليه أوقافا، ثم جدده فى سنة سبعين وسبعمائة الـوزير شمس الـدين المقسى (حسن المحـاضرة ٢/ ٢٥٣).

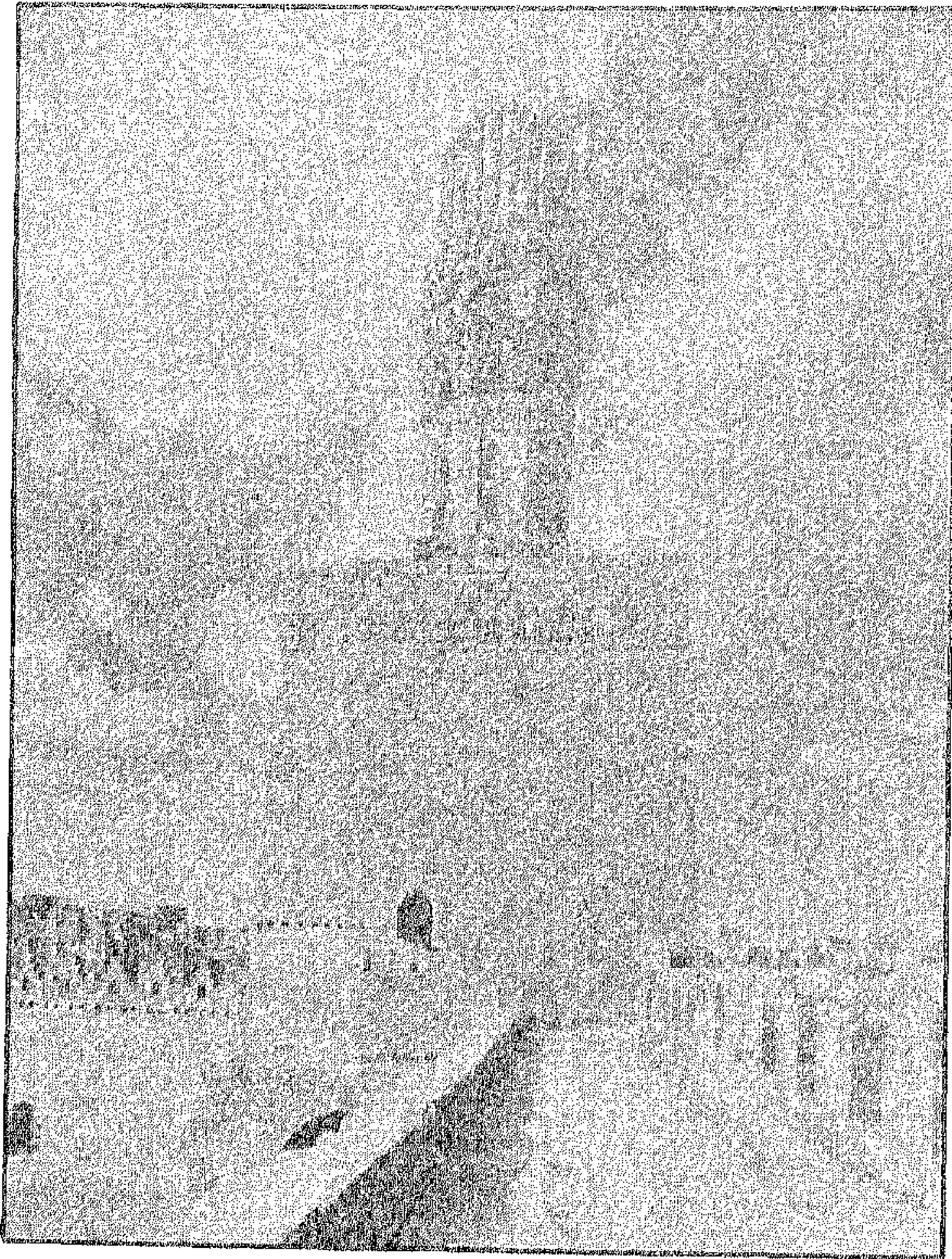
(الأعلام للزركلى ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦ وتاريخ مصر إلى الفتح العثمانى ـ عمـر الإسكنـدرى و أ. ج. سفرج/ ٢٠٠، وحسن المحـاضـرة للحـافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٢٥٣. انظر أيضًا الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ٨/ ٢٨٧، ٢٨٨).

*** الحاكم بأمر الله (جامع ـ) (٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ / ٩٩٠ ـ ١٠١٣م) أثر ١٥:**

الجامع الأنـور: هذا الجامع بنى خارج بـاب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لـدين الله معد، وخطب فيه وصلى بالنـاس الجمعة ثم أكملـه ابنه الحـاكم بأمـر الله. فلما وسع أميـر الجيوش بـدر الجمالى سور القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكـان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف

اليوم بجامع الحاكم ويقال لهالجامع الأنور (المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٧٧).

قالت المؤلفة : جدير بالذكر أن هذا الاسم ، أى الجامع الأنور، هو ما تعرفه به طائفة البُهرة الذين اتخذوا من الجامع مزارًا لهم. فقد رغب الخليفة العزيز بالله بن المعز فى إنشاء مسجد خارج أسوار القاهرة التى أقامها جوهر وملاصقا لها. وبدأ البناء فى هذا المسجد سنة ٣٨٠ (٩٩٠م)، ولكنه لم يتم فى عهد هذا الخليفة ، بالرغم من أنه أدى صلاة الجمعة به فى شهر رمضان من سنة ٣٨١ (نوفمبر ٩٩١). وشرع «ولده، الحاكم بأمر الله » فى سنة ٣٩٣ (١٠٠٣م) فى إتمام البناء، وأكمله فى سنة ٤٠٣ (١٠١٢م) ولهذا سمى هذا المسجد باسمه.



وذكر المقريزى أنه « تم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح، وعلق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع، وكثير من قناديل فضة، وفُرش جميعه بالحصر التى عملت له، ونصب فيه المنبر، وتكامل فرشه وتعليقه ... وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة « سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة ــ (٢١ مارس ١٠١٣م) » وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه » وبالمسجد نص منقوش بالخط الكوفى فيه «مما أمر بعمله عبد الله و (وليه المنصور) أبو على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله وعلى آبائه المهديين فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة » .

ولما أقام بدر الجمالى الأسوار الجديدة للقاهرة، فى سنة ٤٨٥ (١٠٩٢م)، أصبح مسجد الحاكم داخل تلك الأسوار،



الحجة سنة ثلاث وسبعمائة » (مساجد القاهرة ومدارسها ١/ ٦٣، ٦٤).

وجعل الأمير بيبرس الجاشنكير للجامع عدة أوقاف بناحية الجيزة وفى الصعيد وفى الإسكندرية تغل كل سنة شيئًا كثيرًا ورتب بالجامع دروسا أربعة. فى الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ودرسًا لإقراء الحديث النبوى وجعل لكل درس مدرسًا وكثيرًا من

والتصق الجدار الشرقى منه بها، فيما بين بابى الفتوح والنصر. والظاهر أن المسجد كان محتفظا بمظهره القديم، ثابت الأركان والعناصر، فى عهد صلاح الدين الأيوبى، حين أبطل هذا السلطان صلاة الجمعة من مسجد الأزهر، وقصرها داخل حدود القاهرة الفاطمية على مسجد الحاكم. ولم يشر أحد من المؤرخين إلى أعمال أجريت بهذا المسجد منذ إتمام بنائه وحتى سنة ٧٠٣ (١٣٠٣م).

وقد تأثر المسجد من الزلزال الذى أصاب القاهرة فى سنة ٧٠٢ (١٣٠٢م)، « فإنه سقط كثير من البدنات التى فيه، وخرب أعالى المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه » فانتدب السلطان الملك الناصر محمد « الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير » فنزل إلى المسجد وكشف بنفسه، وأمر برم ما تهدم منه، وإعادة ما سقط من البدنات، فأعيدت وفى كل بدنة منها طاق، وأقام سقوف الجامع وبيّضه حتى عاد جديدا» وبالمسجد نقش كتابى جاء فيه « وكان الفراغ فى شهر ذى

الطلبة فكان مدرس الشافعية قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة الشافعى ومدرس الحنفية قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى، ومدرس المالكية قاضى زين الدين على بن مخلوف المالكى، ومدرس الحنابلة قاضى القضاة شرف الدين الجوانى، وكان مدرس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثى ومدرس النحو الشيخ أثير الدين أبا حيان ومدرس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى، كما جعل فيه قراء لتعليم القرآن الكريم وقراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلما يقرئ أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل (المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٧٨ والخطط التوفيقية ٤/ ١٦٨).

وجدد المسجد مرة ثانية فى عهد الملك الناصر حسن، فى سنة ٧٦٠ (١٣٥٨م) « وبيض مئذنتيه » شخص من الباعة يعرف بابن كرسون ... فى أعوام بضعة وثمانين وسبعمائة (حوالى ١٣٨٠م) واستجد شخص آخر من الباعة مئذنة ثالثة، « وكملت فى سنة ٨٢٧ » (١٤٢٠م) وذكر أن نقيب



اثنين وثلاثين مترا. ويشمل هذا البيت خمسة أساكيب، تنقسم إلى سبع عشرة بلاطة، تفصلها صفوف من الدعامات ممتدة في موازاة جدار القبلة، بكل صف منها ست عشرة دعامة. ويبلغ متوسط عرض الأسكوب خمسة أمتار، فيما عدا أسكوب المحراب، فعرضه خمسة أمتار ونصف. ويبلغ متوسط عرض البلاطة، فيما بين الدعامات، أربعة أمتار ونصف المتر، فيما عدا بلاطة المحراب فعرضها ستة أمتار.

والدعامات التى تتخلل الأساكيب والبلاطات عريضة ضخمة، يبلغ متوسط طول كل منها متران ونصف متر، ومتوسط عرضها نصف ذلك. وتحمل هذه الدعامات عقودا ممتدة فى موازاة جدار القبلة، ولكن هذه العقود لا تجتاز بلاطة المحراب، فيماعدا

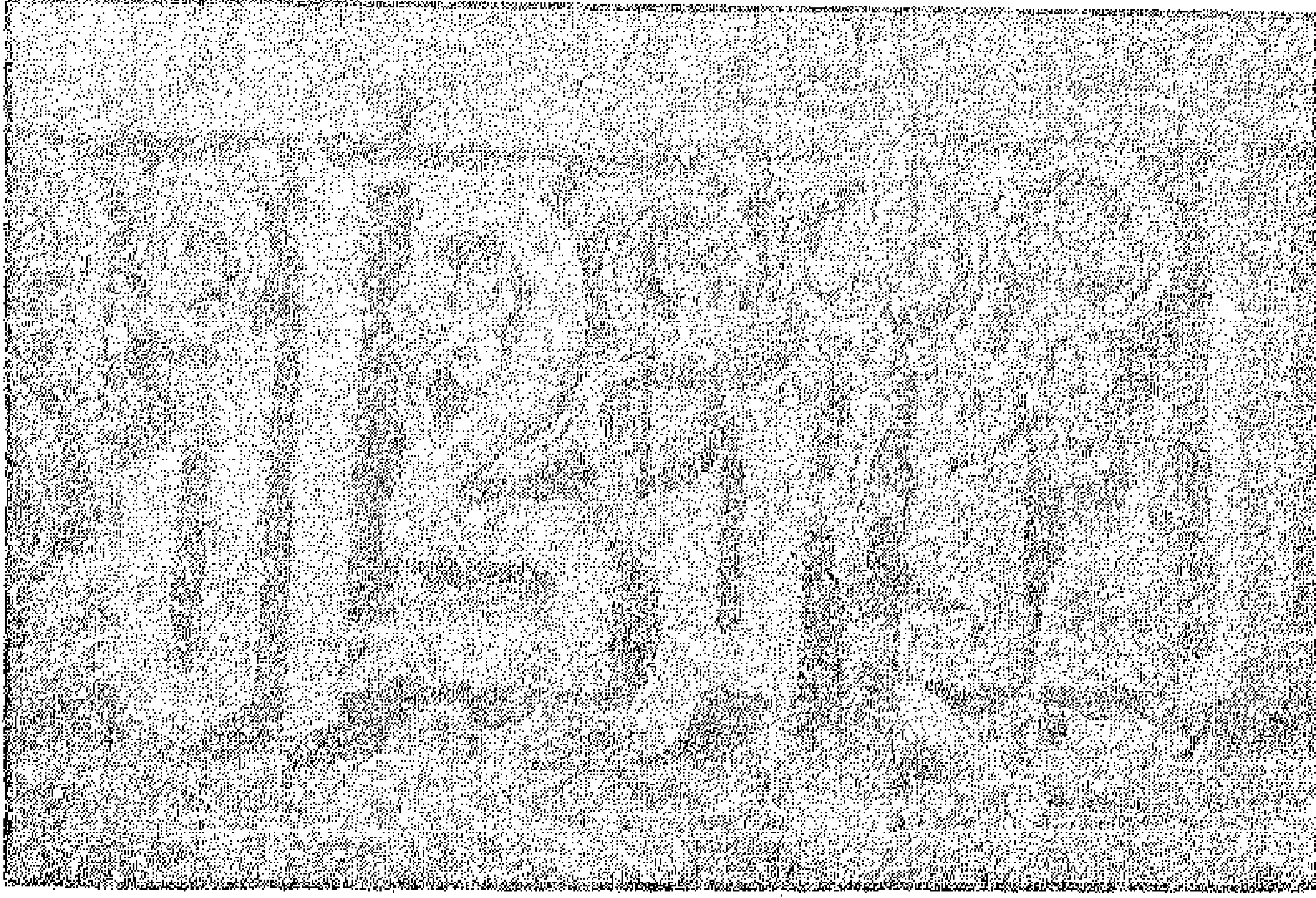
الأشراف، السيد عمر مكرم جدد فى سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧م) أربع بوائك من مؤخر مسجد الحاكم، وجعلها بيتا للصلاة، إذ أن بيت صلاة المسجد ومجنباته كانت حينذاك متهدمة، وكانت سقفه واهية.

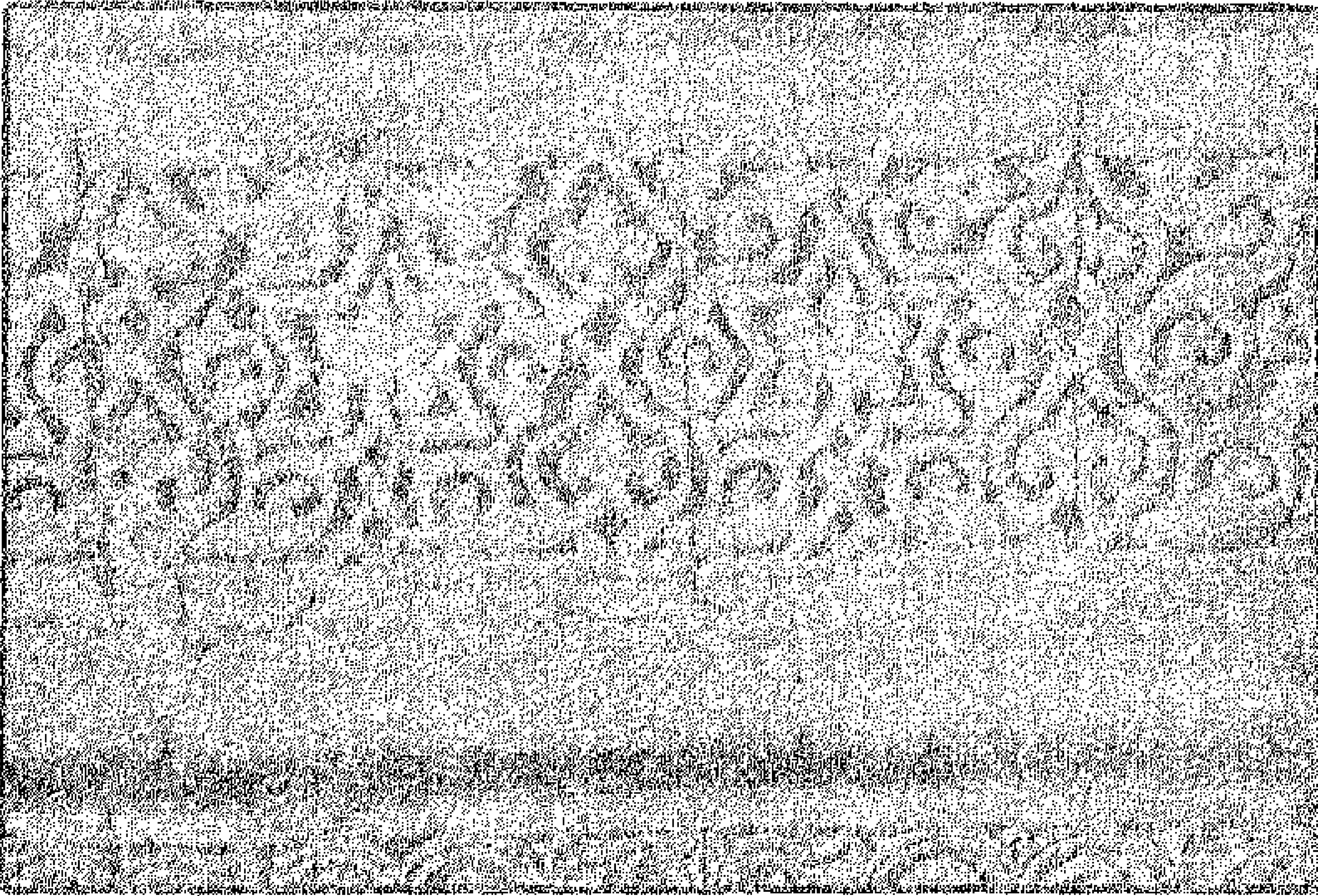
ويشمل المسجد مستطيلا طول جدار القبلة الخارجى فيه ١٢٠ مترًا، وطول كل من جداريه الشرقى والغربى ١١٣ مترا، فهو ثانى مساجد القاهرة اتساعًا، بعد مسجد ابن طولون، وإن كان بيت الصلاة فى المسجدين يكادان يتساويان مساحة، إذ أن جوف بيت الصلاة فى مسجد الحاكم يمتد

عقود أسكوب المحراب. وتحف ببلاطة المحراب من كل جانب بائكة من خمسة عقود قائمة على دعامات كذلك، تلتصق فى اتجاه متعارض بدعامات عقود الأساكيب، وتنتهى هذه العقود عن يمين هذه البلاطة، ثم تبدأ امتدادها من جديد عن يسارها، حتى تنتهى عند الجدار الشرقى.

ويتوسط جدار القبلة محراب، تنتصب أمامه قبة، عند تقاطع أسكوب المحراب ببلاطته، وترتكز هذه القبة من ناحية على جدار القبلة، ومن النواحى الثلاث الأخرى، على عقود يرقى كل منها زوجين من الأعمدة، زوجا فى كل جانب،

وجملـة هـذه الأعمـدة ١٢ عمودًا وتنتصب على أسكوب المحـراب قبتـان أخريـان، واحـدة فى كـل طـرف من طرفيه.



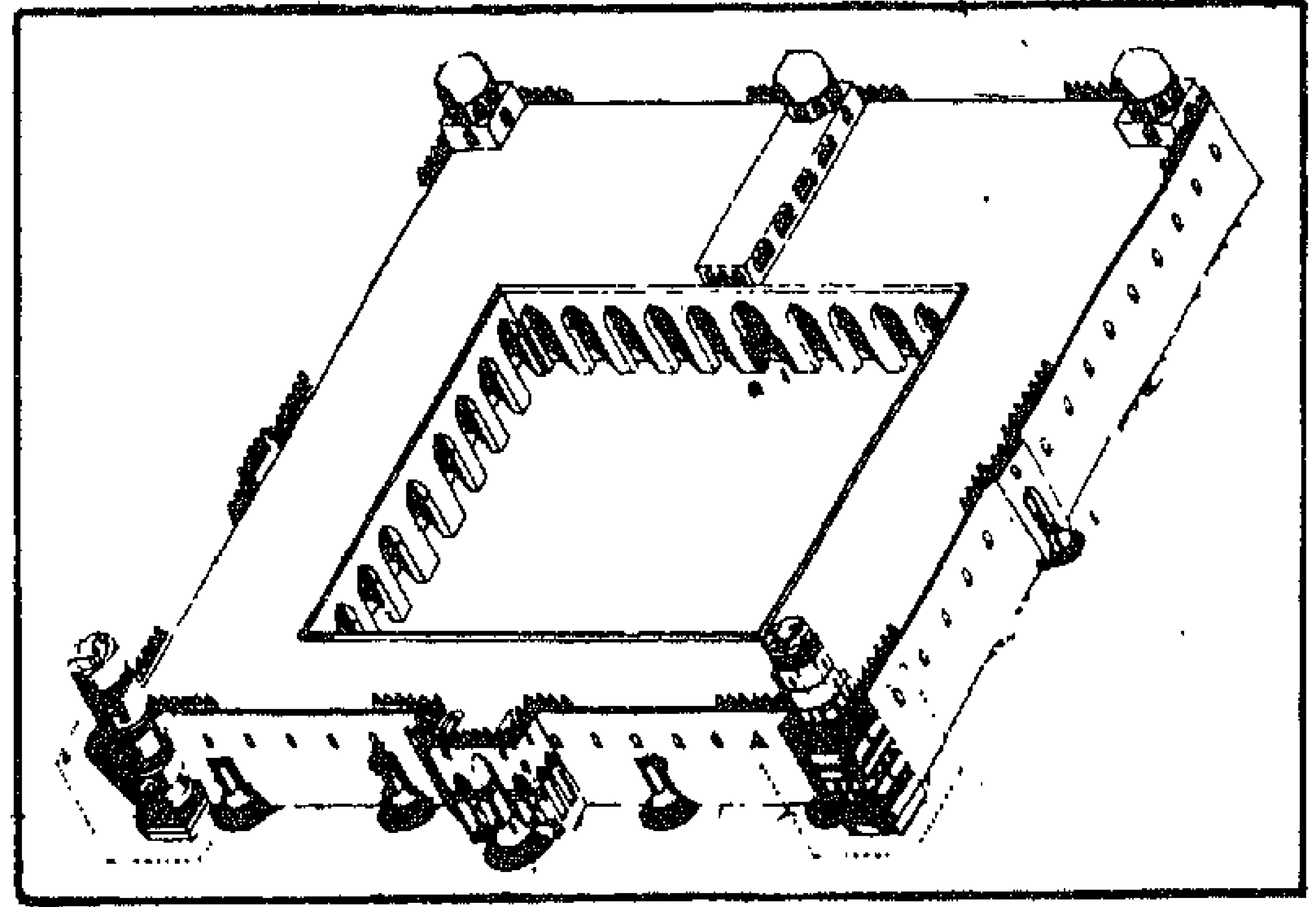


وبيت الصـلاة يطل على صحن فسيح يكـون مستطيلا طـولـه ٧٨ مترًا وعـرضـه ٦٦ متـرًا، ويحف بهـذا الصحن ثـلاث مجنبـات، بالمـؤخـر منهـا رواقـان، بكل منهمـا سبعة عشر فـاصـلا وهـذا المـؤخـر يطل على الصحن ببائكـة من أحد عشـر عقدا، شبيهـة بواجهـة بيت الصـلاة علـى الصحـن. وبكـل مـن المجنبتين الشـرقية والغربية ثلاثـة أروقة، وكل منهـا تطل على الصحن ببائكة من تسعة عقـود، أى أنه كـان بكل من هذه الأروقة تسعة فواصل.

وجميع بـوائك المسجـد فى بيت الصـلاة والمـؤخـر موازية لجدار القبلة، فيما عدا بائكتى بلاطة المحراب وبوائك المجنبتين الشـرقيـة والغربيـة تمتـد فى اتجـاه القبلة. وعـدد الدعامات المنفردة داخل حدود المسجد ١٦٠ دعامة، وعدد الدعامـات المتصلة بجدران المسجد الـداخلية، أربع عشرة دعامـة، وهى الدعامات التى ترتكز عليها، وتنتهى عنـدها، عقود بيت الصلاة والمؤخر.

ولمسجد الحاكم بوابـة ضخمة فتحت فى منتصف جدار مؤخـره، يحف بها مـن كل جانب بـرج عظيم يبرز ستـة أمتار خارج هـذا الجدار. وتبلغ المسـافة طـولا بين طرفى البـرجين أكثر من خمسـة عشر مترا. وكان للمسجد علـى هذا الجدار نفسه، أربعة أبواب أخرى غير هذ البوابة، ما زالت تشاهد آثار بابين منهـا، كما كـان له بابـان مفتوحان فـى كل من واجهتيه الشرقية والغربيـة يؤدى أحدهما إلى وسط كل من المجنبتين. ويؤدى الثـانى إلى طرف من طرفى الأسكـوب الثالث فى بيت الصلاة (مساجد القاهرة ومدارسها ١/ ٦٤ ـ ٦٧).

ولمسجـد الحاكم مئـذنتـان تقعان فـى الركنين الشمـالى الشرقى والجنوبى الغربى وتبرزان عن الجدار الخارجى. وفكرة



جامع الحاكم فى القاهرة وهو نموذج لتطور فن بناء المساجد فى العصر الفاطمى.

بنائهما فى ركنى واجهة المسجد قديمة إذ نراها أصلاً فى جامع المهدية (٩١٦).

وتختلف هاتان المئذنتان اليوم عما كانتا عليه زمن بنائهما، ويرجع ذلك الاختلاف إلى ما أجراه بيبرس الجاشنكير عليهما من إصلاحات بعد أن أصيبتا من جراء زلزال عام ١٣٠٣، وهو الزلزال الذى سبب هدم قمتى المئذنتين، وقد قيل إنه أعاد بناء الطوابق المثمنة العليا فى صورتها الحالية، . ولا شك أن نظام بناء الجزء العلوى فى كلتا المئذنتين يرجع إلى عصر المماليك. ويحيط بالمئذنتين معطفان من الحجر مربعا المسقط بهما ميل هرمى خفيف ويرى الدكتور فريد شافعى أن هذين الرداءين قد تأثرا بالقواعد المربعة للمآذن الأندلسية والمغربية وهى المآذن التى بدأت بمئذنة القيروان ومنار سوسة ومئذنتى جامع قرطبة ومئذنة جامع سفاقس.

ويرتفع معطفا مئذنتى الحاكم إلى مستوى سطح المسجد ويقتربان فى شكلهما من شكل البوابات المصرية. والمعطف الذى يحيط بالمئذنة الجنوبية الغربية ظاهر، أما المعطف الذى يغلف المئذنة الشمالية الشرقية فقد توارى خلف إضافات بدر الجمالى المتصلة بسور القاهرة بين بابى النصر والفتوح مما يدل على أن بناء هذين المعطفين يسبق عصر بدر الجمالى ويقترح هوتكير إرجاعهما إلى سنة ١٠١٠ ويظن أن المهندسين فى هذا العهد رأوا ضرورة بنائهما بقصد تقوية المئذنتين على أثر حدوث زلزال وقد بنى هذان المعطفان من قطع الحجارة غير المهذبة وكسيا بطبقة من الجص.

ويتألف الجزء الأصلى من المئذنة الشمالية من قاعدة مربعة وجسم إسطوانى، أما المئذنة الجنوبية الغربية فمن قاعدة مربعة تنتهى بمثمن، أما باقى أجزاء المئذنتين فمضافان فى عهد السلطان الناصر محمد على يدى بيبرس الجاشنكير. وقد بناهما من الآجر، وفتحت فيهما عدة فتحات مقصوصة الرؤوس وزودت بثلاثة شرفات متراكبة تتميز العليا والسفلى منها بوجود ثمان نوافذ تفصلها مقرنصات ويعلو كلا من هاتين المئذنتين قبة على شكل مبخرة (المآذن المصرية / ١٨).

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٢٧٧، ٢٧٨، ومساجد القاهرة ومدارسها - د. أحمد فكرى ١/ ٦٣ - ٦٧، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ١٦٨، والمآذن المصرية - د. السيد عبد العزيز سالم / ١٨. انظر أيضًا مساجد مصر. وزراة الأوقاف ١/ ٢٢ - ٢٤، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون - د. سعاد ماهر محمد ١/ ٢٣٥ - ٢٣٩، ودليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة - محمود أحمد / ٦٠ - ٦٤ والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ١٧٣ - ١٧٦).

*** الحاكم الشهيد:**

انظر: الحاكم المروزى.

*** الحاكم الكبير (- ٣٧٨هـ / - ٩٩٧م):**

محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد النيسابورى الكرابيسى، ويعرف بالحاكم الكبير، محدث خراسان فى عصره تقلد القضاء فى مدن كثيرة، منها الشاش، وحكم بها أربع سنين، ثم طوس، وعاد إلى نيسابور سنة ٣٤٥هـ فأقبل على العبادة والتأليف وتوفى بها من كتبه «العلل» و« المخرج على كتاب المزنى »، و« الشيوخ

والأبـواب» ، و« الأسمـاء والكنى » مخطـوط ، مجلـدان منـه (الأعلام ٧/ ٢٠) .

قالـت المؤلفة : أوردنـا فى مادة « الأسمـاء والكنى » (فى علم الحـديث) » م٤/ ٥٦٤ صورة مخطـوط كتاب الأسمـاء والكنى الذى نحن بصـدده ، وقد ذكر الأستاذ الـدكتور صلاح الدين المنجّد فى عنوان الصورة (الكتاب العربى المخطوط / ٤٣) أن المخطوط للحاكم النيسابورى ويقصد به « الحاكم الكبير » لأن هذا نيسابورى أيضًـا ، وكان يجب علينا أن نغير الاسم فى عنـوان المخطـوط إلى « الحـاكـم الكبيـر » حتى لا يُظَن أنـه الحاكم النيسابـورى المعروف بابن الديبع الـذى تأتى ترجمته بعد هذه المادة فلزم التنويه .

وقد ذكره الكتانى فيمن ألّفوا كتبا فى معرفة الأسماء والكنى والألقـاب أى أسمـاء من اشتهـر بكنيتـه ، وكنـى من اشتهـر بـاسمه ، وألقـاب المحدثين ونحـو ذلك فقال : ولأبى أحمـد (الحاكم الكبير) وهو محمـد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الكـرابيسى الحـافظ محـدث خراسـان وصـاحب التصـانيف وشيخ أبى عبـد الله الحـاكم المتوفـى سنـة ثمـان وسبعين وثلاثمائة ، وكتابه هذا (يعنى الأسماء والكنى) فى أربعة عشر سفرا ، ويجىء بالخط الرفيع فى خمسـة أسفار أو نحوها حرّر فيه وأجاد وزاد على غيره وأفاد ، ولـم يرتبه على المعجـم فرتّبه الذهبى واختصـره وزاد عليه وسمـاه المقتنى فى سرد الكنى . اهـ(الرسالة المستطرفة / ٩١) .

(الأعلام للزركلى ٧/ ٢٠ ، والـرسالة المستطرفة للإمـام السيد محمد ابن جعفر الكتانى / ٩١) .

*** الحاكم (كتاب ـ):**

انظر: ملك النحاة .

*** الحاكم المَرْوَزى (ـ٣٣٤هـ / ـ٩٤٥ م):**

محمد بـن محمد بن أحمـد أبو الفضل المـروزى الشهير بالحاكم الشهيـد قاض وزير كان عالـم مـرو وإمام الحنفية فى عصره ولى قضاء بخارى ثم وزارة خراسان قتل شهيدا فى الرى من أشهر « كتبه الكافى» و « المنتقى » فى فروع الحنفية .

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٩ ، ٢٠ وما جاء بهامش ١ من مراجع) .

*** الحاكم النيسابورى (٣٢١ـ٤٠٥هـ / ٩٣٣ـ١٠١٤م):**

ذكـره السمعانى فـى الأنساب (١/ ٤٣٢ ، ٤٣٣) مـادة «البَيِّع » ونقلنـاهـا فى م٨/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ ولكن السمعـانى اقتصر على ذكر من سمع منهم الحـاكم النيسابورى ومن رووا عنه . وقد رأينا إدراجه فى هـذا الموضع تحت الاسم الذى يرد فى المصادر وهو « الحاكم النيسابورى » .

ذكره ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٤٠٥ فقال : وتـوفى المحدّث الشهير أبـو عبد الله محمد ابن عبـد الله الحاكم صـاحب كتاب « علـوم الحديث » سنـة خمس وأربعمائة وسِنُّه أربع وثمانون سنة وانتهى فى ذكر وفياته إلى سنة عشرين وثلاثمائة وذكـرهم على طبقات ولم يذكر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم غيـر العشرة وأنسًا وترك كثيرًا من المشاهير. اهـ .

وهو أبو عبد الله محمد بن عبـد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم الضبى ، الطهمانى النيسابورى ، الشهير بالحاكم ، . ويعرف بـابن البَيِّع : إمام أهل الحـديث فى عصره ومن أكـابر المصنفين فيه . ولد سنة ٣٢١هـ بنيسابور. ورحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ ، وحـجّ ، وجال فى بلاد خراسـان وما وراء النهر. وأخذ عن نحـو ألفى شيخ . وولى قضاء نيسابور سنـة ٣٥٩هـ فى أيام الدولة السامانية ، ثـم قلد قضاء جرجان فامتنع ، وكان ينفذ فى الـرسائل إلى ملوك بنى بويـه ، فيحسن السفارة بينهم وبني السـامانييـن . وكان من أعلم النـاس بصحيح الحـديث وتمييزه عن سقيمه . صنف كتبًا كثيـرة جدًّا ، قال ابن عساكر: « وقع من تصـانيفه المسمـوعة فـى أيدى النـاس ما يبلغ ألفًـا وخمسمائة جـزء و منها « تاريخ نيسـابور » قـال فيه السبكى : «وهو عنـدى من أعود التواريخ على الفقهاء بفـائدة ومن نظره عـرف تفنن الـرجل فى العلـوم جميعهـا » و« المستـدرك على الصحيحين » أربع مجلـدات ، و « المـدخل » فى أصـول الحديث، و « فضائل الإمام الشافعى » (كتاب الوفيات / ٢٢٩ ، ٢٣٠). والعلل ، والأمالى، وفـوائد الشيوخ (فى الأعلام: تراجم الشيوخ) ، وأمـالى العشيـات (الحـديث والمحـدثـون / ٤٢٤) والإكليل، والصحيح ، فى الحـديث، وتسميـة من أخـرجهم

البخاري ومسلم، ومعرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه، المطبوع باسم « معرفة علوم الحديث » (الأعلام ٦/ ٢٧٧).

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي بعنوان « معرفة علوم الدين » ـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. أعتني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنف الأستاذ الدكتور السيد معظم حسين رئيس الشعبة العربية والإسلامية بجامعة دكة بنغالة. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

وقد ذكره الإمام الكتاني في أصحاب كتب الصحة، وهي ـ كما يقول ـ كتب التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين، فقال: ومنها صحيح أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمديةْ « الحاكم » الضبي النيسابوري المعروف بابن البيّع ... وهو المعروف بالمستدرك على كتاب الصحيحين مما لم يذكراه وهو على شرطهما أو شرط أحدهما أو لا على شرط واحد منهما وهو متساهل في التصحيح واتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقي أشد تحريًا منه، وقد لخص مستدركه هذا الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز التركماني الأصل « الذهبي » نسبة إلى الذهب ... إلخ (الرسالة المستطرفة / ١٦، ١٧) ونفرد مادة خاصة للمستدرك على الصحيحين إن شاء الله تعالى توفي رحمه الله سنة ٤٠٥هـ بنيسابور.

له ترجمة في: « وفيات الأعيان » ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩، و« لسان الميزان » ٥/ ٢٣٣، ٢٣٤، و « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي ٤/ ١٥٥ ـ ١٧١، و « تذكرة الحفاظ » ٣/ ٢٢٧ ـ ٢٣٣، و « تاريخ بغداد » ٥/ ٤٧٣ ـ ٤٨٥، و « ميزان الاعتدال » ٣/ ٦٠٨ وما بعدها، و « الوافي بالوفيات ٣/ ٣٢٠ وما بعدها، وتبيين كذب المفترى / ٢٢٧ ـ ٢٣١، و« غاية النهاية ٢/ ١٨٤، ١٨٥، و « شرحا ألفية العراقي ١/ ٣٠، ٣١، و« شذرات الذهب ٣/ ١٧٦، ١٧٧، و « البداية والنهاية ١١/ ٣٥٥، و « المنتظم ٧/ ٢٧٤ ».

(كتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن القنفذ القسنطيني ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٢٩، ٢٣٠، والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٤٢٤، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٢٧، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ١٦، ١٧).

***الحال:**

الحال في قواعد اللغة هو اسم يذكر لبيان هيئة الفاعل أو المفعول حين وقوع الفعل نحو تكَلَّمْ صادقًا، وانقُل الخبر صحيحًا. والأصل في الحال أن تكون نكرة مشتقة ووقوعها معرفةً قليل نحو آمنت بالله وحده.

وتقع جامدة:

١ - إذا دلّت على تشبيه نحو بدت هندٌ قمرًا.

٢ - أو على مفاعلة نحو بِعْتُه يدًا بيد، وكلّمته فاهُ إلى فِيّ (المفاعلة وقوع الفعل من جانبين كضاربت فلانًا مضاربة أي ضربته وضربني، وقولنا بعتُه يدًا بيد معناه بعته متقابضين، ومعنى كلّمته فاهُ إلى فِيّ متشافهين).

٣ - أو على ترتيب نحو ادخلوا رجلاً رجلاً، واقرأ الكتاب بابًا بابًا.

٤ - أو على سعر نحو بعتُ الشيء رطلاً بدرهم، واشتريته ذراعًا بدينار.

٥ - أو كانت موصوفة نحو ﴿ إنا أنزلنه قرآنًا عربيًّا ﴾ [يوسف: ٢]. وخُذه مقالاً صريحًا.

وتقع الحال جملة، ولابد من اشتمالها على رابط وهو إما الواو فقط نحو ﴿ **قالوا لئن أكله الذئب ونحن عُصْبة إنّا إذًا لخاسرون** ﴾ [يوسف: ١٤] أو الضمير فقط نحو ﴿ **اهبطوا بعضكم لبعض عدو** ﴾. البقرة: ٣٦]، أو هما معًا نحو ﴿**خرجوا من ديارهم وهم ألوف** ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وتقع ظرفًا أو جارًا ومجرورًا نحو: رأيت الهلال بين السحاب وأبصرت شعاعه في الماء.

وتتعدد الحال نحو ﴿ **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وللحال عامل وصاحب، فعاملها ما تقدّم عليها من فعل، أو ما فيه معنى الفعل نحو ﴿ **وهذا بَعْلِي شيخًا إنَّ هذ الشيءٌ عجيبٌ** ﴾ [هود: ٧٢].

وصاحبها ما كانت وصفًا له في المعنى.

والأصل فيه أن يكون معرفة، وقد ينكّر إذا تأخر عن الحال

كجاء راكبًا رجلٌ، أو سبقه نفي أو شبهه نحو ﴿ **وما أهلكنا من قرية إلا ولهـا كتاب معلوم** ﴾ [الحجر: ٤]، لا يبغ امـرؤ على امرئ مستسهلاً.

* *يا صاح هل حم عيش باقيًا فترى* *

والحال تطابق صاحبهـا فى التذكير والتـأنيث وفى الإفراد والتثنية والجمع (قواعد اللغة العربية / ٦٨، ٦٩).

وقد ورد تعريف الحال فى عـدد من المنظومات التعليمية التى تهدف إلى تيسيـر الحفظ على الطلاب ولدينا منهـا ألفية ابن مالك وبهـا عن الحال ٢٤ بيتا، وألفية السيوطـى النحوية وبهـا ٢٨ بيتا، ومنظـومة «عمل الصيـاغـة فى علم البلاغـة» للشيخ معروف النـودهى نظم فيها «تحريـر البلاغة» للعـلامة محمد بن آدم، وبها عن الحال ٣٧ بيتـا، وألفية الآثارى وبها تسعـة أبيات، وأخيرا ملحة الإعراب للحـريـرى، وبها ستة أبيات. ومن ثم فقد اخترنا أن نورد ما جاء فى المنظومة الأخيرة بغية الاقتصار.

قال الحريرى عن الحال والتمييز:

والحـــالُ والتَّمييـــزُ منصُــوبَــان
على اختــلافِ الـــوضعِ والمَبَـــانى
ثُمَّ كِـــلاَ النَّـــوعينِ جــاءَ فضلَـــهْ
مُنكــراً بعــدَ تمـــامِ الجُملـــهْ
لكـنْ إذ نظـــرتَ فـى اسمِ الحــــالِ
وجــــدتَـــهُ اشتُقَّ مـن الأفعـــالِ
ثُمَّ يُـــرى عنـــدَ اعتبــارِ مـن عقلْ
جَـــوابَ كيفَ فى سُـــؤالِ مَـنْ سأل
مثـــالُـــه جـــاءَ الأميــرُ راكِبَـــا
وقَـــامَ قُسٌّ فـى عُكـــاظ خـــاطبـــا
وَمِنْـــهُ من ذا فـى الفَنَـــاءِ قَــاعـــدا
وبِعتُـــهُ بِـــدرْهَمٍ فصَـــاعِـــدا

(ملحة الإعراب / ١٩).

(قـواعد اللغـة العـربيـة ـ لحفنى بك نـاصف وزمـلائه / ٦٨، ٦٩، وملحـة الإعرابُ لأبى القـاسـم الحريـرى / ١٩. انظر أيضـا فرائد النحـو الوسيمـة شرح الـدرة اليتيمة للشيخ سعيـد بن سعد بن نبهـان الحضرمى ـ شرح الشيخ محمود على بن حسين المالكى / ٧٤ ـ ٧٧، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ١٠٨ ـ ١١٣، والكـافيـة لابن الحـاجب المطبـوع فى كتـاب مهمـات المتـون ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٩٣، ٣٩٤، وشرح ابن عقيل على الألفية ط. أمين عبـد المجيد محمـد الديـدى/ ٩٠ ــ ٩٥، وطبعة الإدارة المـركزيـة للمعاهد الأزهرية/ ١٧٤ ـ ١٨٤، وألفيـة السيوطى النحوية / ٣٤ ـ ٣٦. والأعمـال الكـاملة للشيـخ معروف النودهـى. المجموعـة البلاغيـة ق٤ ـ دراسـة وتحقيق السيـد محمـود أحمـد وزمـلائه / ١٦٢ ــ ١٦٩، وألفيـة الآثارى: كفاية الغلام فى إعراب الكلام ـ نظم زين الدين شعبان بن محمد القرشى الآثـارى / ٩١، ٩٢، وشرح عقود الجمان للحافظ جـلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٦٥ ـ ٦٧).

*** الحال:**

من اصطلاحات الصوفية. قال عنه القاشانى:

مـــا يـرد على القلـب بمحض المـوهبـة من غيـر تعمل واجتـلاب كحزن أو خـوف، أو بسط، أو قبض أو شـوق، أو ذوق يزول بظهـور صفات النفس سـواء أعقبه المثل أو لا. فإذا دام وصار ملكا يسمى مقامًا.

(اصطلاحات الصوفية / ٥٧).

وقـال الإمام القشيـرى: الحال عنـد القوم معنى يـرد على القلب من غيـر تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتسـاب لهم من طرب أو حـزن أو قبض أو شوق أو انـزعاج أو هيبـة أو احتياج فالأحـوال مـواهب والمقامات مكاسب والأحـوال تأتى من غير الوجـود والمقامـات تحصل ببذل المجهـود وصاحـب المقام ممكن فى مقـامه وصـاحب الحال متـرق عن حالـه وسئل ذو النون المصرى عن العارف فقال كـان ههنا فذهب وقال بعض المشـايخ الأحوال كـالبـروق فإن بقى فحـديث نفس. وقـالـوا الأحوال كاسمهـا يعنى أنها كما تحل بالقلب تـزول فى الوقت وأنشدوا:

لـــو لم تحل مـــا سُمِّيت حــــالا
وكـل مـــا حـــال فقــد زالا
انظـــــر إلى الفـىء إذا مـــا انتهى
يـأخـــذ فـى النقـص إذا طـــالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها وقالوا إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح وبواده ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك يسمى حالا وهذا أبو عثمان الحيرى يقول منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته أشار إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال فالواجب فى هذا أن يقال إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى شربا لأحد فيربى فيه ولكن لصاحب هذه الحال أحوال هى طوارق لا تدوم فوق أحواله التى صارت شربا له فإذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الأحوال المتقدمة ارتقى إلى أحوال أخر فوق هذه وألطف من هذه (الرسالة القشيرية / ٥٤).

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ٥٧، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ٥٤).

*** حال الصّبا:**

فى مصطلح علوم الحديث حال الصّبا هو تلقّى الحديث حال الصّبا أى قبل البلوغ وروايته .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٠).

*** حال الكفر:**

فى مصطلح علوم الحديث حال الكفر تلقّى الحديث حال الكفر وروايته .

(المرجع السابق).

*** حام بن نوح وولده:**

عن حام بن نوح وولده كتب ابن عبد البر يقول :

وأما حام بن نوح عليه السلام، فقال أهل الأثر: إن نوحا، عليه السلام، دعا عليه بتشويه الولد وسواده، وأن يكون ولده عبيدًا لأولاد سام، فوُلد لحام ولدُه كنعان، ووُلد لكنعان بنون، منهم: كوش، وكان أسود، فهمّ بقتل امرأته، فمنعه سامٌ وذكّره الله، فغضب، ونزغ الشيطانُ بينهما كما فعل بأولاد آدم: قابيل، وهابيل، وشيث، وعترتهم.

قال على بن كيسان النسّابة، وغيرهُ من أهل العلم بأيّام الناس وأنسابهم: وَلَد حامُ بن نوح: قُوط بن حام، وقِبط بن حام، وكوش بن حام، وكنعان بن حام، ومصر بن حام .

وقد قيل: إن قوط بن حام هو قِبط بن حام، وإن لكنعان ولدٌ يُدعى: كوش .

قال: ووَلد قوطٌ، أو قبط بن حام: بربر، وشوقر، فولد بربرٌ البرابرة وأجناسها، فكانت بين بنى حام أيضًا من الحروب والمُناوشات ضروبٌ، حتى كان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية أرض مصر، وتفرق ولده، ومضى على وجهه يؤمّ المغرب، حتى أفضى إلى السُّوس الأقصى، وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب البحر من الأندلس وغيرها، وليس وراء ذلك البحر إلا البحر الأسود، فلما بلغ حامٌ هنالك أقام فيما اختار من تلك البلاد، فيقال: إن بنيه اغتموا لفراقه وبُعد مكانه، وندموا على تركه، فخرجوا فى إثره يطلبونه فى الناحية التى قصدها، فيقال: إن منهم طوائف وقعوا عليه، وكانوا معه إلى أن مات، واستوطنوا ذلك البلد وسكنوه، وطوائف منهم صاروا فى غيره .

فمن ولد حام: البربر، والزنج، والحبشة، والنوبة، والبُجة، والسند، وأجناس لا يحصيها إلا الذى خلقها، بعضها من ولد كنعان بن حام، وبعضها من ولد كوش بن حام.

والنوبة، من ولد نُوبا بن قوط بن مصر بن حام .

والكرد، من ولد كُرد بن كنعان بن حام .

والحبشة، من ولد حبش بن كوش، وهم أكثر ملوك السودان، وجميع ممالك السودان يعطون الطاعة للحبشة، وهم على دين النصرانية إلى اليوم .

وسائر أولاد حام مختلفو الأديان، فالبُجة، والنوبة، أصناف، مع قرب بعضهم من بعض، والزنج أجناس أيضًا، وأكثر هؤلاء يعبدون الأصنام والخشب والدواب والطيور الغريبة .

وقد قيل: إن حامًا ولد ثلاثة نفر: كوش بن حام، وقبط بن حام، وكنعان بن حام .

فولد كوش بن حام: الحبشة، والسند، والهند.

وولد قبط بن حام: الأساود، والزنج، والنوبة والغزان، والزغاوة، وأجناس السودان كلها .

وأما البربر، فالاختلاف فيهم كثير، وأثبت ما قيل فيهم: إنهم من ولد قبط بن حام، وقد انتسب بعضهم في حمير، وأنكر ذلك أكثر الناس.

ولما نزل قبط بن حام مصر خرج بربر بن قبط بولده إلى ناحية المغرب، فسكنوا من آخر عمل مصر، وهو ما وراء برقة إلى البحر الأخضر، مع بحر الأندلس إلى مُنقطع الرمل، متَّصلين بالسودان، منهم: لواتة، بأرض أجدابية وسبرت، ونزلت مزانة بأرض ودان، ونزلت هوارة بأرض أطرابلس، ونزل قوم بغربيها، وهم نفوسة، ثم تشعبت بهم الطرق إلى القيروان، وما وراءها، منهم، قرقشانة، وغيرهم، وصاروا إلى تاهرت، وطنجة، وسجلماسة.

ومنهم: كتامة، وصنهاجة.

وقيل: إن كتامة وصنهاجة من ولد إفريقيس بن صيفي الحميري.

وقالت طائفة منهم، كزناتة: إنهم من لخم.

وزويلة تزعم أنها من جُرهم، وهوارة أنهم من عاملة، وأنهم انتقلوا من الشام.

وقال آخرون: البربر من ولد فارق بن مصر بن حام.

وطوائف من البربر يزعمون أنهم من قَيس عيلان بن مضر، وقال شاعرهم في ذلك:

قبائل من بر بن قيس وخندف
وذي يَمن في عزها المُتَطاول

وقال بعضهم: قالت تُماضر، أخت بر بن قيس ترثيه، في بُعده عن قرابته وذويه وبلده:

لِتَبكي كُلُّ باكية أخاها
كما أبكي على بَرِّ بن قَيسِ
تحمَّل عن عشيرته فأضْحَى
ودُون لقائه أنضاء عيسِ

وزعموا أن تماضر أيضًا قالت في أخيها بَرِّ بن قيس:

وشَطَّت بِبَرٌّ داره عن بلادنا
وطَوَّحَ بَرٌّ نفسَه حيثُ يَمَّمَا
وأزْرَت بِبَرٌّ لُكْنَةٌ أعجميّةٌ
وما كان بَرٌّ في الحجاز ابن أعجَمَا
كأنِّي وبرًّا لم نفُرْ بجيادنا
بنجد ولم نقسم نِهابًا ومغنَمَا
فلا يبعدَن بَرٌّ على بُعد داره
وإنْ ألقَ برًّا بالحجاز فرُبَّمَا

وأنكر أكثر العلماء بالنسب وأيام العرب أن يكون لقيس عيلان ابن يسمى برًّا، وقالوا: البربر كلها من ولد جالوت، الذي قتله داود النبي، ﷺ، وجالوت عندهم من ولد بربر بن قبط بن حام بن نوح عليه السلام.

قال على بن عبد العزيز الجرجاني النسابة: لا أعلم في البربر شيئًا يُقارب الصحة إلا قول من قال إنهم من ولد جالوت، ثم من بني قوط، أو قبط بن حام.

وقيل: بل جالوت، هو من ولد سكلوجيم بن مصريم بن حام بن نوح.

قالوا: وزناتة كلها تنسب إلى جالوت.

ومما يشهد من قول أهل الأثر، وهم علماء الإسلام: إن البربر من ولد حام لا من العرب، ولا من ولد سام بن نوح: قول سعيد بن المسيّب، وقول وهب بن منبه.

والحبشة، الذين ببلاد النجاشي، يزعمون أنهم من طيىء ابن أدد، وأنهم لما صار الحبشة بأرض اليمن متغلِّبة عليها أقاموا بها أربعين سنة، فصاهروا باليمن وصُوهر إليهم، توالد منهم هناك كثير.

ومن الحبشة من ينتسب في رُعين. ومنهم من ينتسب في كَلاع، ولهم أعقاب.

وقد قيل: إن الحبشة: من ولد حبش بن سعد بن طيء.

وأما نصارى الحيرة، فمنهم من يزعم أنهم من بني الحارث ابن كعب بن مذحج، ويذكرون أنه لما انتقل نصارى بني الحارث بن كعب من نجران إلى اليمن نزلوا الحيرة.

ومنهم من يزعم أنهم من لخم، وهم رهط النعمان بن المنذر، وكان النعمان وأهله على دين النصرانية.

وبعضهم يزعمون أنهم من تميم، وهم رهط عدى بن زيد العبادى الشاعر، وكانوا نصارى.

ومن أهل الحيرة من يزعم أنهم فى قيس من بنى سليم، وهم نصارى أيضًا.

وقد زعم بعض من ألّف فى أخبار بغداد أن قومًا من سواد الكوفة، ممن كانوا على دين النصارى ودخلوا فى الإسلام، ذكروا أنهم من بنى الحارث بن كعب، وأنهم لم يكونوا قطُّ على دين المجوسية، منهم: الحسن بن وهب بن سعيد، وكان يُمدَح بهذا فى الأشعار فلا يُنكره، وكان سليمان أخوه يقف ويحتشم من ادعاء هذا النسب.

وقد ادعى قومٌ كثير من العجم أنهم من العرب فى الأزد، وفى طيىء، وفى قيس، على ما تقدم ذكرنا له، وقوم من الروم يزعمون أنهم من إياد، وأنهم دخلوا مع هِرقل إذ هزمهم المسلمون.

وقيل: إنه رحل مع هرقل من إياد نحو سبعين ألفًا ونزلوا أنقرة، وقد ذكر ذلك الأسود بن يعفر فى شعر إذ ذكر أنقرة، فقال:

نزلوا بأنقرة يسيلُ عليهمُ
ماءُ الفُرات يجىء من أطوادِ

ومن بنى حام، الذين لا يختلف فيهم، ملوك مصر وفراعنتها، ولهم أربعة أصول فى بنى حام بن نوح: قبط بن مصر بن بيصر بن حام، وأشمن بن مصر، وأتريب بن مصر، وصا بن مصر، فالملوك بمصر من هؤلاء.

وكان البلد مقسومًا بين هؤلاء الأربعة، فصار قبط بن مصر من قفط إلى حد النوبة، وحيِّز أشمن الربع الثانى إلى دهشور، وحيز صا البحيرة إلى الإسكندرية إلى حد مصر، وحيِّز أتريب، من أتريب إلى الشجرتين إلى أيلة من الحجاز.

ولكل واحد من هؤلاء الأربعة مدينة بناها وسمَّاها باسمه، وجعلوا أسفل الأرض خمسًا وثمانين كورة مقسومة على أربعة أعمال، وفى كل كورة كاهن يجلس على سرير ذهب، وفى كل كورة بربا، وهو بيت الحكمة.

وأخبارهم وأخبار مصر وعجائبها يطول الكتاب بذكرها. اهـ.

(القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر ـ تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م/ ٣٤ـ٤٠).

***الحامد:**

من عيوب المؤاكلة الواحد والثمانين التى عدَّدها الشيخ بدر الدين الغزِّى فقال:

والحامد: وهو الذى يحمدُ الله تعالى جهرًا فى وسط الطعام، ولا سيَّما ربُّ المنزل، فكأنَّه يُنسب فى ذلك إلى تنبيه الحاضرين على الكفِّ عن الطعام كما حكى جحظةُ عن نفسه، قال: أكل عندى بعض المُجَّان، فسمعنى، وأنا أحمد الله، عز وجل، فى وسط الطعام لشيء خطر ببالى من نِعَمِهِ التى لا تُحصى، فنهض، وقال: أُعطى الله عهدًا إن عاودت وما معنى التحميد فى هذا الموضع؟ كأنك أردت أن تُعلمنا أنَّا قد شبعنا! ثم مال إلى الدواة فكتب:

وحمدُ الله يحسنُ كُلَّ وقت
ولكن ليس فى أوّل الطَّعامِ
لأنكَ تُحْشِمُ الأضيافَ منه
وتأمرُهمْ بإسراعِ القيامِ
وتُؤذيهم وما شبعُوا بشبعٍ
وذلك ليس من خلُق الكرامِ

(يقال: حشمته وأحشمته أخجلته، ويقال للمنقبض عن الطعام: ما الذى حشمك وأحشمك؟ من الحشمة وهو الاستحياء).

وقد أورد المؤلف نفسه فى رسالته «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» بعض ما يجب أن يتحلى به المضيف فى حضرة الضيف، ومما قاله: «ومع الضيف بالبشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، وقبول أمره ونهيه، ورؤية فضله ومنته بإكرامك بدخوله منزلك وتحريمه لطعامك» ورقة ٢٠).

(رسالة آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين محمد الغزِّى ـ حققها

د. عمر موسى باشا / ٣٥، ٣٦، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

انظر: آداب الأكل.

***ابن الحامد (- ٤٠٣هـ / - ١٠١٢م):**

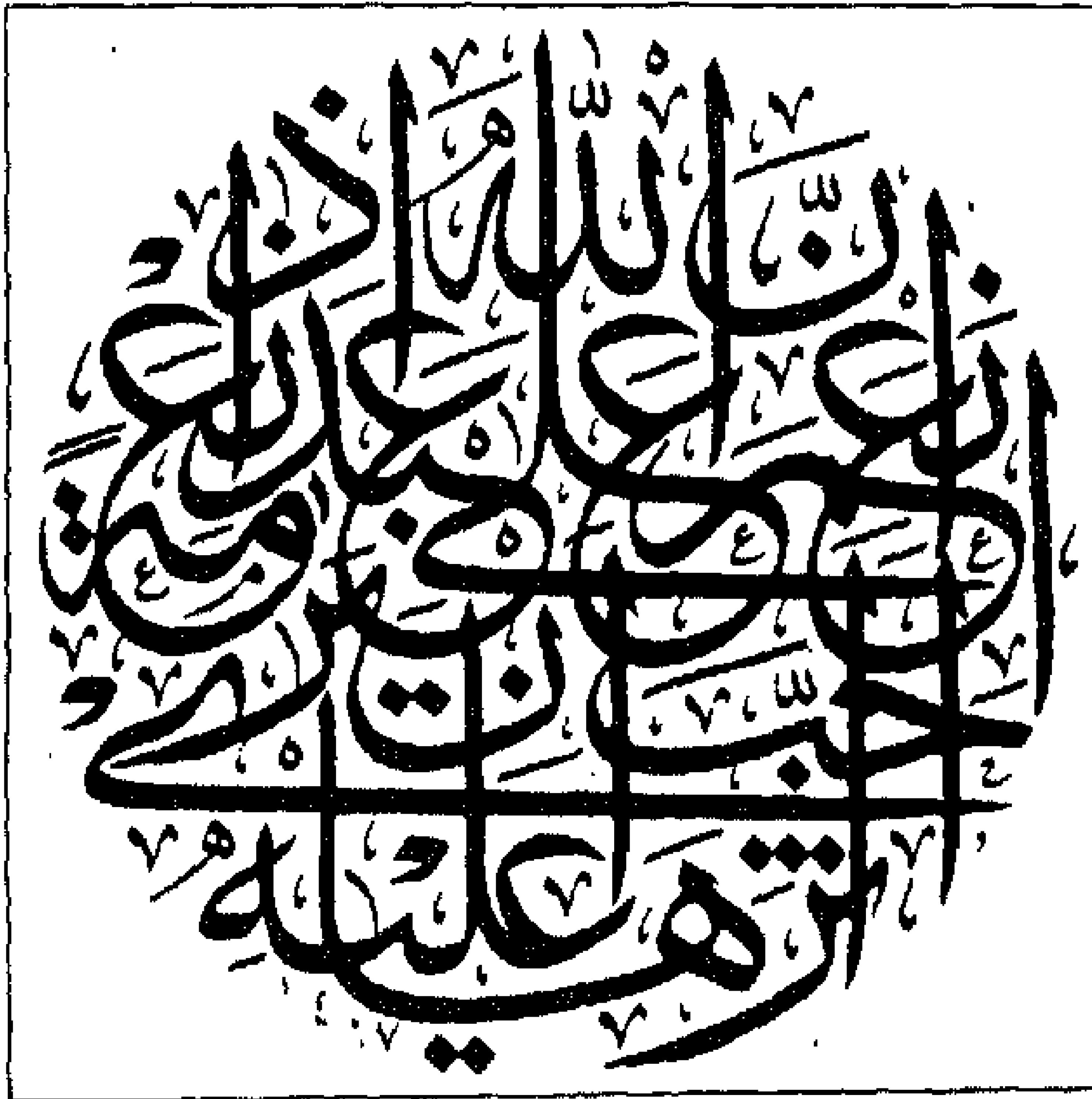
الحسن بن حامد بن على بن مروان البغدادى، أبو عبد الله، إمام الحنابلة فى زمانه ومدرّسهم ومفتيهم. من أهل بغداد. عاش طويلا، وتوفى راجعا من الحج بقرب «واقصة». له مصنفات فى الفقه وغيره، منها «الجامع» فى فقه ابن حنبل، نحو أربعمائة جزء، و «شرح أصول الدين» و«تهذيب الأجوبة» (الأعلام ٢/ ١٨٧). و «شرح أصول الفقه»، و «شرح الخرقى» (الموسوعة ٢/ ٣٤٨). وكان ينسخ الكتب، ويقتات من أُجرتها، وبعث إليه الخليفة بجائزة فردَّها تعفُّفًا، مع حاجته إلى بعضها (الأعلام ٢/ ١٨٧).

(الأعلام للزركلى ٢/ ١٨٧، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٢/ ٣٤٨).

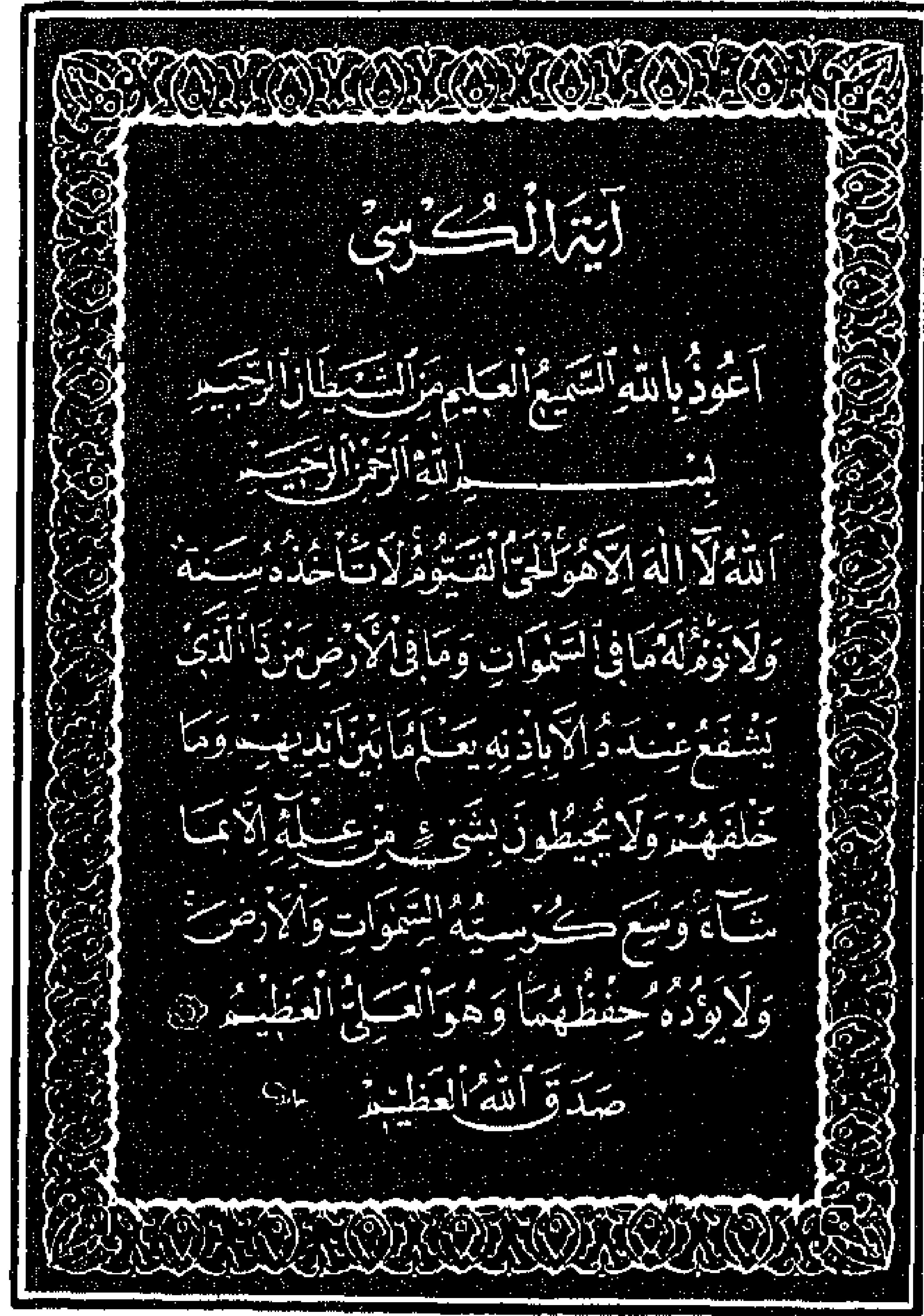
*** حامد الآمدى: (- ... هـ/ ١٨٩١- ١٩٨٠م):**

آخر سلالة الخطَّاطين الكبار فى استانبول بتركيا (كيف نُعلم الخط العربى / ٤٠). وأحد عباقرة فن الخط العربى فى هذا القرن. اسمه الحقيقى موسى عزمى. ولد الآمدى فى آمد (ديار بكر) (انظر مادة «آمد») فى تركيا فى سنة ١٨٩١م وكان جده آدم الآمدى خطَّاطًا أيضًا.

بدأ الآمدى تعليمه بالجامع الكبير فى مدينته ثم أخذ دروسا خاصة فى الخط على يد أستاذه مصطفى عاكف ووداد أفندى، ومن قريب له يدعى عبد السلام. وأخيرا تتلمذ على يد «سعيد أفندى» الذى كان إمامًا لأحد المساجد. انتقل بعدها إلى المدرسة الرشدية العسكرية وفيها تعلم خط الرقعة من «واحد أفندى» وخط الثلث من «أحمد حلمى». ولاهتمام حامد الآمدى بالخط رسب فى دراسته فى عامه الأول فمنعه والده من مزاولة الخط، إلا أن حادثة جعلت والده يتراجع عن قراره هذا وهى: أن حامدًا كان يعاون أحد معلميه الخطَّاطين فى كتابة لوحة خطية على قطعة من القماش تحمل عبارة «يحيا السلطان» وذلك بمناسبة عيد جلوس السلطان



٣١٤ - إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه خط ثلث متراكب من اللوحات الفائزة في مسابقة حامد الآمدي كتبت سنة ١٤٠٧ هجرية.



٣٠٢ - آية الكرسي خط حامد الآمدي بقلم النسخ.

عبد الحميد الثاني على العرش. وفي هذه الأثناء أخذ حامد يحاول كتابة طغراء السلطان مما دفع المسئولين في ديار بكر إلى منح حامد ليرة ذهبية مكافأة له، فطار بها فرحا إلى والده ليخبره بالأمر.

وأثناء دراسة حامد في الإعدادية بدأ بتقليد خطوط حافظ عثمان ومصطفى رام. وفي سنة ١٩٠٦م أنهى حامد الإعدادية فأخذ طريقه إلى استانبول والتحق بمدرسة الحقوق. وبعد سنة واحدة تركها ليلتحق بمدرسة الصنايع النفيسة (أكاديمية الفنون الجميلة).

لم يستطع حامد الاستمرار في الدراسة نتيجة وفاة والده سنة ١٩٠٨م. عيّن بعدها معلما للخط في مدينة تسمى «كلش معارف» ومن تلاميذه في هذه المرحلة «حليم أوزيازيجي».

أما إتقان حامد للخطوط فقد تم على أيدي كبار الأساتذة الذين التقى بهم فأخذ من محمد نظيف خط الثلث، ومن الحاج أحمد كامل أفندي خط الثلث والنسخ معا، ومن خلوصي أفندي خط التعليق. انظر: التعليق (خط-)، و الثلث (خط-).

تنقل حامد في عدة وظائف مطبعية، وشغل وظيفة الخطاط محمد نظيف بعد وفاته سنة ١٩١٣م.

اتخذ حامد لنفسه اسمًا مستعارًا هو «خطاط حامد يازى أوى» بعد أن استأجر دكانًا صغيرا للخط والزنكوغراف في حي «جاغال أوغلو» سنة ١٣٣٦هـ ثم شغل منصب الخطاط عارف حكمت بك بعد وفاته ثم تحول إلى محل جديد في شارع الباب العالي باستانبول، واشتغل حين ذلك بأعمال الحفر والزنكوغراف وتذهيب المصاحف، كما أجازه كل من محمد نظيف والحاج أحمد كامل.

وآثار حامد الآمدي كثيرة منتشرة في البلاد العربية والإسلامية، كما كتب المصحف الشريف بشكل جميل، وقد تم طبعه مؤخرا.

ومن تلاميذ الآمدي في الخط حليم حسن حلبي، وخسرو، وصوباشي، وأحمد فاتح، وأينجي بش أوغلو. كما أجاز الكثير من الخطّاطين أمثال هاشم البغدادي ومحمد صالح الموصلي.

توفي حامد الآمدي (موسى عزمي) يوم ٢٠ مارس ١٩٨٢ ودفن تحت مدفن شيخ الخطاطين «حمد الله أفندي!» (نفائس الخط العربي/ ٢٧٠، ٢٧١).

وتتميز خطوط حامد الآمدي بقوة الإنجاز، وبقدرته على تكوينات خطية صعبة (كيف نعلم الخط العربي/ ٤٠).

(كيف نعلم الخط العربي ـ معروف زريق / ٤٠ ، ونفائس الخط العربي ـ حسن قاسم حبش / ٢٧٠ ، ٢٧١).

ملاحظة : النماذج من خط حامد الآمدى المصاحبة لهذه الصورة مأخوذة من كتاب « نفائس الخط العربى » تأليف حسن قاسم حبش .

*** حامد حسين الكنتورى (١٢٤٦-١٣٠٦هـ):**

من علماء العرب فى شبه القارة الهندية . عربى من العلويين وهو العلامة الشيخ حامد حسين بن محمد قلى بن محمد حسين بن حامد حسين بن زين العابدين الحسينى الموسوى الكنتورى ، أحد الأفاضل المشهورين بالهند .

ولد لأربع خلون من شهر محرم سنة ١٢٤٦ هـ فى بلدة (ميرتة) حيث كان والده صدر الصدور، وقرأ عليه الكتب الابتدائية المتداولة ، ومات أبوه وله خمس عشرة سنة من العمر، فقرأ الأدب على الشيخ بركة على السنى والمفتى محمد عباس اللكهنوى، والعلوم العقلية على السيد مرتضى ابن المولوى سيد محمد ، وكتب العلوم الشرعية على السيد محمد بن دلدار على وعلى السيد حسين ، وكان أكثر أخذه ودراسته عن الأخير واشتغل بعد التحصيل بترتيب مؤلفات والده وتصحيحها ومقابلتها بالأصول وبدأ بتأليف استقصاء الإفحام فى الرد على منتهى الكلام للشيخ حيدر على الفيض آبادى ، وأكمل شوارق النصوص وسافر لأداء فريضة الحج سنة ١٢٨٢ هـ واقتبس من الكتب النادرة فى الحرمين ورجع إلى الهند وانصرف إلى المطالعة والتأليف واقتناص الكتب النادرة وكثير منها بخط مؤلفيها من كل مكان وبكل طريقة وأنفق عليها الأموال الطائلة حتى صارت له مكتبة تضم عشرة آلاف كتاب اشتراها من بغداد ومصر والشام وغيرها من البلاد .

وكان بارعا فى علم الكلام والمناظرة واسع الاطلاع كثير المطالعة والتأليف ، حتى أتعب نفسه فى الكتابة والتأليف فاعترته الأمراض وضعفت قواه فتوفى فى الثامن عشر من صفر سنة ١٣٠٦ هـ فى لكهنو.

(علماء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٧٣٧).

*** ابن حامد (شهاب الدين) (-٨٥٤هـ):**

من شيوخ المدرسة الفخرية بالقدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام .

وكان ابن حامد قد نشأ فى بيت المقدس ، وتعلم هناك ، فحفظ القرآن ، وحفظ الشاطبية فى القراءات ، والمنهاج فى الفقه ، وألفية ابن مالك ، وملحة الإعراب فى العربية ، وغير ذلك . وعَرَضَ ابن حامد محفوظه على عدد من العلماء ، ومنهم قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة ، وغيره .

وسمع ابن حامد على جده وأبيه ، كما سمع على عدد من العلماء الآخرين ، من أمثال أبى الخير العلائى ، وتقى الدين القلقشندى ، وشهاب الدين بن الناصح ، وعلاء الدين بن النقيب ، وعماد الدين إسماعيل بن جماعة ، وسراج الدين البلقينى ، وغيرهم كثير (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣) .

وقرأ ابن حامد كتبًا ، منها صحيح مسلم ، والشفاء ، فقد قرأهما على عدد من العلماء (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣) .

وحصل على إجازات عديدة ، فقد أجاز له العديد من العلماء الذين تقدم ذكرهم وغيرهم . وممن أجازوا له برهان الدين ابن جماعة ، شمس الدين بن قاضى شهبة ، والشيخ محمد القرمى ، وجماعة .

وصحب ابن حامد عددًا من شيوخ المتصوفة ، وحصل على الإجازة من الشيخ محمد القرمى . وصحب الشيخ عبد الله البسطامى ، والشيخ أبا بكر الموصلى . وأكثر ابن حامد من « الاشتغال ، والتحصيل ، والسماع ، وكتب بخطه الكثير » (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣ ، وانظر الأنس الجليل ٣/ ١٨٣) .

كل هذا قبل أن يتولى مشيخة الفخرية ، ثم تولاها كما تقدم . وتلقى عليه طالبو العلم ، « وأخذ عنه الفضلاء ، وحدَّث بأشياء ، وصار خاتمة من يروى عن جماعة من شيوخه» وذكر السخاوى أنه كان ممن أخذوا عن ابن حامد ، وحصلوا على الإجازة منه (الضوء اللامع ٢/ ١٧٤) .

وقد استمر يتولى مشيخة الفخرية ، ويشتغل بالعلم والتوصف ، حتى أخريات حياته ، فقد ذكر أنه « تعفف حتى عما كان باسمه من الوظائف ولزم بيته إلا إلى المسجد ، وصار مقصودًا بالدعاء والتبرك به » (الضوء اللامع ٢/ ١٧٤) .

توفى ابن حامد فى سنة ٨٥٤هـ ، عن عمر يناهز مائة عام ، ودفن بمقبرة البسطامية ، فى بيت المقدس (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣ ، ١٧٤ ، الأنس الجليل ٢/ ١٨٣) .

(المدارس فى بيت المقدس ـ د . عبد الجليل حسن عبد المهدى ، ٢/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

* **أبو حامد الغرناطى (٤٧٣ـ ٥٦٥هـ / ١٠٨٠ـ ١١٧٠م):**

صاحب كتاب « تحفة الألباب ونخبة الإعجاب » وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى الأندلسى الإقليشى القيروانى .

ولد أبو حامد الغرناطى بغرناطة فى عام ٤٧٣هـ ورحل إلى الإسكندرية فى سنة ٥٠٨هـ وسمع بها من أبى عبد الله الرازى ، وسمع بمصر من أبى صادق مرشد بن يحيى المدينى وأبى الحسن الفراء الموصلى ، وأبى عبد الله محمد بن بركات ابن هلال النحوى وغيرهم . ثم رحل إلى الشام ، وحدث بدمشق ، وسمع أيضًا ببغداد . وفى سنة ٥١١هـ نزل بصقلية ، ثم عاد إلى مصر ، وفى سنة ٥٢٥ طاف بكثير من الأقطار ، فاجتاز بحر قزوين ووصل إلى ضفاف الفلجا ، وزار بلاد البلغار ، كما زار مدينة خوارزم (التاريخ والمؤرخون العرب / ٢٣١) .

وكان الغرناطى متمتعًا فى بغداد برعاية وعناية الوزير الأديب الفقيه يحيى بن هبيرة ، الذى أكرمه وأمدَّه بالمال ، فألف لمكتبته كتاب (المُغْرِب عن بعض عجائب المَغْرِب) . ثم أخذ يتنقل فى البلاد المشرقية ، أى التى فى شرق بغداد ، فزار أبهر فى إيران سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م ، ثم نراه يتنقل فيعبر بحر قزوين ، شمال إيران ، ويصل إلى سخسين ، على نهر الفولجا الأوسط سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م ، وفى عام ٥٣٠هـ يهبط إلى بلاد الفولجا الأدنى . وبعد خمسة عشر عامًا يذهب إلى باشغرد فى بلاد المجر أى فى سنة ٥٤٥/ ١١٥٠م ثم تركها سنة ٥٥٣ عائدًا إلى سخسين ، ومضى عنها سنة ٥٥٤ إلى خوارزم . وخرج منها قاصدًا أداء فريضة الحج سنة ٥٥٥ ، وعاد إلى بغداد لائذًا بابن هبيرة ، ويبدو أن أبا حامد كان يود العودة إلى باشغرد ، لكن يظهر أن عودته إلى باشغرد لم تتحقق ، لأننا نجده فى عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م فى الموصل ، ومنها توجه إلى حلب ، فدمشق حيث كانت خاتمة المطاف إذ توفى فيها سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٠م .

ورغم أن أبا حامد الغرناطى كان محدثًا وفقيها ، فهو لم يترك لنا مؤلفات فى هذين الموضعين ، بل خلَّف لنا آثارًا تدور حول العجائب والغرائب (الكوزموغرافيا) التى رآها أو سمع عنها فى الأقطار التى تجول بها أثناء رحلاته . فقد كان مولعًا بهذا النوع من التصنيف ، بل نستطيع أن نقول : إنه كان لبنة جديدة فى الأدب الجغرافى العربى .

ومن مؤلفاته « المغرب عن بعض عجائب المغرب » و« نخبة الألباب ونخبة الإعجاب » و « نخبة الأذهان فى عجائب البلدان » و « عجائب المخلوقات » و « تحفة الكبار فى أسفار البحار » .

ولم يصل إلينا الكتاب الأول ، أما الثانى فقد وصلت إلينا مخطوطات كثيرة منه ، ذكرها بروكلمان ، ويضاف إليها مخطوطة فى جامعة برنستون فى مجموعة يهودا . وقد نشره المستشرق الفرنسى غابريال فرّان عام ١٩٢٥ فى المجلة الآسيوية ، ثم أعاد نشر قسم منه المستشرق السويسرى الأصل قيصر دوبلر فى مدريد عام ١٩٥٣ . وذكر بروكلمان أن هناك مخطوطة فى المتحف البريطانى من الكتاب الرابع « عجائب المخلوقات » . ومن الكتاب الخامس مخطوطة فى المجمع العلمى للتاريخ فى مدريد (أعلام الجغرافيين العرب / ٣٦٨ ، ٣٧٠) .

وننقل لك فيما يلى نموذجا من كتابات الغرناطى مما يندرج تحت جغرافية العجائب والغرائب :

ذكر الغرناطى وصفًا لطريق فى الرمل سار فيه ثعبان بقوله :

« كان مثل النهر عريضًا عميقًا وأن عرضه كان ٢٩ ذراعًا .

ويقول إنه رأى بطيخًا هنديًا فى كل واحدة منها مائة مَنٍّ (المَنّ المصرى كان وزنه إلى سنة ١٤١٤م ٥ , ٨١٢ جرامًا) ومعنى ذلك أن البطيخة التى رآها بمصر وزنها يزيد على ٨١ كيلو جرامًا ، وكان الجمل القوى يحمل اثنين منها فقط ! .

وفى كلامه عن أردبيل يتحدث عن حجر أسود موضوع فى ميدان البلد « أسود له طنين كالفولاذ ، له محك القلعى الرصاص ، وهو على صورة كلية البقرة فيه أكثر من مائتى مَنٍّ » ويقول إن هذا الحجر يستدر المطر ، وقد ذكر الحجر ووصفه بنفس الوصف جغرافيون عرب آخرون مثل الإدريسى وأبى الفدا وياقوت ، ورسم أبو حامد هذا الحجر بيده (التراث الجغرافى الإسلامى / ٤٢٧ ، ٤٢٨) .

(التاريخ والمؤرخون العرب ـ د. السيد عبد العزيز سالم / ٢٣١ ، وأعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٣٦٨، ٣٧٠، والتراث الجغرافى الإسلامى ـ د. محمد محمود محمدين / ٤٢٧، ٤٢٨).

*** أبو حامد الغزالى:**

انظر: الغزالى.

*** أبو حامد النابلسى (ـ ٨٨٨هـ):**

عدّه صاحب الخطط التوفيقية من بين الصوفية الذين دفنوا بحوش سعيد السعداء وقال عنه :

محمد بن خليل بن يوسف بن على بن عبد الله المحب أبو حامد النابلسى الأصل الرملى المقدسى الشافعى نزيل القاهرة ـ وهو بكنيته أشهر ـ مات فى يوم الأحد حادى عشر من صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ـ ودفن بحوش سعيد السعداء، ومن مشايخه الشهاب بن رسلان، والسراج الرومى، وعيسى بن فاضل الحسبانى، وعائشة الحنبلية، والعينى، والشمنى، والعز بن عبد السلام البغدادى، وابن الملقن، وأخته صالحة، وأم هانىء الهورينية، والسيد النسابة، وعبد الكافى بن الذهبى، وعمر بن السفاح وغيرهم.

وحج فى سن ثلاث وخمسين صحبة الزين عبد الباسط فأخذ بالمدينة النبوية عن المحب الطبرى، وعبد الله التسترى، وأبى الفرج الكازرونى، والتاج عبد الوهاب بن صالح، وبمكة عن أبى الفتح المراغى، والتقى بن فهد، والبرهان الزمزمى وغيرهم.

ونزل فى الخانقاه أول قدومه القاهرة، وقرره الزين الأستادار فى قراءة الحديث بجامعه ببولاق وقاسى فى جل عمره فاقة، ومكث أعزبًا مدة ثم تزوج ورزق الأولاد، وترفع حاله وزاحم عند كثير من الرؤساء، وناب فى القضاء، وكان حريصًا على الكتابة حتى أنه كتب بخطه الكثير: شرح المنهاج والبهجة وجمع الجوامع وغيرها، وبالجملة فكان مديمًا للتحصيل، مقيمًا على الجمع والكتابة فى التفريع والتأصيل، لا أعلم عليه فى دينه إلا الخير. ومن نظمه قوله:

ارحم إلـه الخَلْق عبـدًا مـذنبًـا
بـالجـودِ يـرجُـو العفوَ فـى كُلِّ زمن

وهَبْ لـه يـا ربِّ رحمـةً
بهـا تـرحـم الخلق سـرًّا وعَلَن

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢١٧).

*** الحامدى (١٢٥٧ـ ١٣١١ أو ١٣٣١هـ):**

ترجم له المستشار محمد عزت الطهطاوى فقال عنه :

أحد الفضلاء النابغين والجهابذة المحققين برز فى علوم الشريعة، كما نبغ فى علوم الحقيقة (أى التصوف) حتى وصل إلى قمة الصفاء، ولقد أكسبه عزوفه عن تولى المناصب الحكومية مهابة وإكبارا فى عيوم الناس وبركة فيما رزقه الله من الطيبات إلى جانب زهده وتقواه فكان سخيا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر.

ذلك هو الشيخ أحمد الشهير بالطاهر بن الشيخ عوض الله ابن عبد القادر بن كليب بن أحمد بن موسى الحامدى نسبة إلى الحامدية قبيلة معروفة من أصل عربى عريق كانت قد استوطنت من عهد بعيد ناحية الكرنك بجوار مدينة الأقصر تلك المدينة التى اشتملت على الكثير من آثار المصريين القدماء من أعمال محافظة قنا بصعيد مصر. وكان جدُّ هذه الأسرة الأكبر من سلالة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وقد قدم ذلك الجدُّ من الأقطار الحجازية فى جملة من قدموا مع الصوفى الكبير العارف بالله تعالى السيد أبى الحجاج الأقصرى حوالى سنة ٦٠٠ هجرية تقريبا (رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ هجرية ـ ٤ يونيه سنة ١٩٧٧ ميلادية).

مولده ونشأته :

ولد الشيخ أحمد الطاهر سنة ١٢٥٧ هجرية ونشأ وتربى فى كنف والده الشيخ عوض الله بن عبد القادر والذى كان من العلماء العاملين وأولياء الله العارفين إذ كانت له مجاهدات صحيحة وكرامات واضحة واشتهر عنه بأنه كان مجاب الدعوة ومما يؤثر عنه قوله: « سألت الله تعالى أن يجعل العلم فىَّ وفى ذريتى إلى يوم القيامة فأجابنى إلى ذلك » أما والدته فكانت من الصالحات الخيرات تجيد حفظ القرآن الكريم

وتتبعد بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وفى هذه البيئة الصالحة حفظ ولدهما الناشىء القرآن الكريم ونال قسطا وافرا من الثقافة والعلوم الإسلامية (رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة . المرجع السابق) .

توجهه إلى الأزهر الشريف لاستكمال دراسة العلوم الإسلامية :

عندما كمل نمو الشيخ أحمد الطاهر على سلامة الفطرة وقوة الاستعداد لتلقى المزيد من العلم بعث به والده إلى رحاب الأزهر الشريف بالقاهرة . وقد كان على نظامه القديم فوجده حافلا ـ كما هو شأنه دائما ـ بالعلماء فى شتى صنوف المعرفة فأخذ يغترف من فيض معارفهم ويستضىء بأنوار إرشادهم حتى أتم الله له فى زمن قصير الفقه فى الدين والتحصيل فى كثير من علومه . ثم عاد إلى بلده تلبية لرغبة والده سنة ١٢٨١ هجرية فجلس لنشر العلم بين الناس حسبة لله تعالى ونفعا للمسلمين وكانت سنه لم تتجاوز الرابعة والعشرين فأقبل عليه طلاب العلم وكذا مريدو السلوك من شتى نواحى الصعيد للأخذ منه والاستفادة من معارفه . (المرجع السابق) .

عزوفه عن تولى المناصب الحكومية :

اختط الشيخ أحمد الطاهر لنفسه خطا فى الحياة العامة لم يكن ليحيد عنه، هو الابتعاد عن تولى المناصب الحكومية أيًّا ما كانت ، لذلك فإنه عندما أراد المسئولون فى الدولة وقتئذ الاستعانة به لتولى منصب القضاء فى مديرية إسنا اعتذر عن ذلك كما اعتذر عن تولى منصب التدريس فى الأزهر الشريف أو شيخا لرواق الصعايدة واكتفى عن كل ذلك ببذل العلم حسبة لله تعالى كما قدمنا والعمل على قضاء حاجات الناس بنفسه وماله وجاهه (رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة ، المرجع السابق) .

العوامل التى دفعت الشيخ أحمد الطاهر إلى التفوق فى العلم :

أولا: نشأته بين أبوين صالحين ربياه على حب الإسلام وعلوم القرآن .

ثانيا : البيئة الأزهرية التى التصق بها أيام مجاورته بالأزهر الشريف لطلب العلم حيث كان مشايخ الأزهر وطلابه فى ذلك العهد يميلون إلى النزعة الصوفية ، وكان أمهات كتب التصوف تدرس ضمن علوم الأزهر ككتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى والحِكم العطائية لابن عطاء الله السكندرى وغيرها من كتب التصوف الكبرى .

التصوف الإسلامى شيء آخر خلاف التصوف المستورد :

ونعنى بالتصوف المستورد ذلك التصوف الفلسفى الذى نقل عن الهنود واليونانيين الأقدمين (وهم الإغريق) بمسمياته عن عقائد الحلول ووحدة الوجود ، وكذا التصوف الذى يضاهى الرهبانية البوذية والرهبانية النصرانية فى حربه للجسد وكوّن أجيالا من القاعدين والمنسحبين فى ميادين الحياة كل ذلك بعيد عن هدايات الإسلام .

أما التصوف الإسلامى المحض الذى سلكه صاحب الترجمة وشيوخه من قبل ومن شابههم فهو الذى نبت فى أكناف الإيمان والإسلام والإحسان ونما على أغذية جيدة من العلم والعمل واستطاع أن يلوّن المشاعر الإنسانية بصدق العبودية ودفعها إلى التفانى فى مرضاة الله والحس الدقيق بوجوده وشهوده، وجعل أصحابه يسعدون بمشاعرهم وقد أشار إلى معناه النبى ﷺ فى قوله « ذاق حلاوة الإيمان من رضى بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا » . (أخرجه أحمد ومسلم والترمذى ورد ذلك فى الجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطى العدد السادس عشر من الجزء الثانى من السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر) لذلك كانت التكاليف تؤدى من هذا المسلم برضا لا بتعب ومعاناة ، والمعاصى تترك باستغناء واستعلاء فإدراكه يقوم على الصدق ووجدانه يقوم على العمق ونزوعه يقوم على الشوق (كتاب مائة سؤال عن الإسلام تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة دار ثابت للنشر والتوزيع رمضان سنة ١٤٠٣هجرية ـ يونيه سنة ١٩٨٣ ميلادية) .

ثالثا : اجتماعه بعلّامة الصعيد فى الدين والتصوف فى ذلك الزمان وهو العارف بالله تعالى الشيخ أبى المعارف أحمد

ابن شرقاوى فقد سلك على يديه طريق التصوف على نهج السادة الخلوتية تلك الطريق التى سبق أن نشر لواءها فى الديار المصرية الشيخ محمد الحفنى الملقب بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر الثامن والذى كان معاصرًا لشيخ البلد على بك الكبير وكان من ضمن تلاميذه ومريديه الشيخ أحمد العدوى المقلب بأبى البركات أحمد الدردير (كتاب أبى البركات سيدى أحمد الدردير تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ط . دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٤م) .

رابعا : ملازمته حياته كلها لأخيه فى الله تعالى السيد يوسف الحجاجى خصوصا بعد وفاة الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى إذ كان السيد يوسف الحجاجى من خريجى الأزهر وعلماء الإسلام وأقطاب التصوف فى تلك الأيام .

مؤلفاته العلمية :

ألف الشيخ أحمد الطاهر العديد من الكتب الإسلامية فى علوم التوحيد والفقه والبلاغة والتصوف ومن هذه المؤلفات نذكر الكتب الآتية :

١ - كتاب الكشف الربانى وهو شرح جليل على منظومة أستاذه الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فى التوحيد والتصوف .

٢ - نظم صغير فى علم التوحيد سماه (بُلْغَة المبتدى) جمع فيه ببراعة كل أطراف فن التوحيد مع صغر حجمه ووجازة لفظه .

٣ - الروض الندى، وهو شرح موسع لمنظومته (بلغة المبتدى) حافل بالفوائد .

٤ - الفتح المحمدى، وهو شرح مختصر لمنظومته (بلغة المبتدى) .

٥ - القول البديع فى أحكام التسميع .

٦ - نسائم الترويح فى مسائل التراويح .

٧ - شرح على تشطير البردة لأستاذه أبى المعارف أحمد بن شرقاوى لم يكتمل .

٨ - نظم بديع فى علم البيان قوامه ٢٥ بيتا جمع فيه أصوله ومسائله الكلية .

٩ - نظم لرسالة البيان المسماة (تحفة الإخوان) للسيد أبى البركات الشيخ أحمد العدوى المقلب بدردير .

١٠ - نهاية الإرشاد إلى رب العباد فى ذكر الله وآدابه وشروطه .

١١ - كتاب مطية السالك إلى مالك الممالك فى الطريق وما يتعلق بها .

١٢ - وله بجانب هذه المؤلفات العلمية كثير من الرسائل الأدبية والقصائد الشرعية فى مختلف الأغراض السامية (رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط) .

وفاة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى :

وبعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين والفقه والتصوف أسلم الشيخ أحمد الطاهر روحه إلى بارئها وذلك فى العشر الأوائل من شهر ذى الحجة سنة ١٣٣١ هجرية بعد رحلة مع المرض لزم فيها الفراش مدة من الزمان لكن ذلك لم يحل بينه وبين أداء واجباته الدينية فكان يتكلف الوضوء وما فاته شيء من صلاته حتى لقى ربه . (فى الأعلام ١/ ١٣٩ وفاته سنة ١٣١٢هـ) .

الذرية الصالحة :

ولا يفوتنا أن نشير أنه انتظم فى الأزهر الشريف وتخرج فى كلياته الدينيةالمباركة نجله المرحوم الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى الذى عمل سابقا أستاذا بالمعاهد الثانوية الأزهرية وكان آخر منصب له تعيينه شيخا لمعهد الأقصر الدينى الذى شارك فى بنائه . كما تخرج من الأزهر أبناء الشيخ محمد أحمد الطاهر، أى أحفاد الشيخ أحمد الطاهر الحامدى صاحب الترجمة ، وهم الشيخ محمد محمد أحمد الطاهر الشهير بالشيخ المصرى المفتش بالمعاهد الأزهرية بمحافظة قنا ، والأستاذ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، والمرحوم الشيخ عبد الرحمن محمد أحمد الطاهر خريج كلية اللغة العربية وكان سابقا يعمل مدرسا بمنطقة التربية والتعليم بقنا قبيل وفاته ، والشيخ أحمد الموظف بمعهد

الأقصر الأزهرى مما يشير إلى أن العلم النافع الموصل إلى الله مازال ممتدا وموصلاً فى ذريته تحقيقًا لدعوة جد هذه الأسرة الرجل الصالح الشيخ عوض الله بن عبد القادر طيب الله ثراه. (هذه المعلومات وغيرها فى هذا المقال استقيناها من الأستاذ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف).

(من العلماء الرواد فى رحاب الأزهر - المستشار محمد عزت الطهطاوى / ١٢٩ - ١٤٠، وقد نشر للمؤلف نفسه فى سلسلة « من أعلام الأزهر » فى مجلة الأزهر. الجزء السابع، السنة الثانية والستون، رجب ١٤١٠هـ- فبراير ١٩٩٠م/ ٦٩٠ - ٦٩٢. انظر أيضًا الأعلام للزركلى ١/ ١٣٩ وفيه وفاته سنة ١٣١٢هـ، نقلا عن الأزهرية ٧/ ٤٥٨، ومعجم المطبوعات ١٢٢٥ وفيه وفاته سنة ١٣١١، ولعل هذا هو الصحيح والله أعلم).

*** الحامض:**

أورده صاحب الفهرست فى العلماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين فقال: أبو موسى سليمان بن محمد الحامض بن أحمد الحامض، من أصحاب ثعلب ويختص به، وقد أخذ عن البصريين، ويوصف بصحة الخط وحسن المذهب فى الضبط فكان يورق.

له من الكتب كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « النبات » وكتاب « الوحوش » رأيته بخطِّ ابن أبيه زكريا، وكتاب «مختصر نحو ».

(الفهرست لابن النديم / ١١٧).

*** حامل الجتر:**

الجتر هو المظلة فى أعلاها شكل طير تحمل على رأس السلطان فى المواكب والذى يحمل الجتر أحد أكابر الأمراء المقدمين. وجرت عادة السلطان أن يخلع على حامل الجتر بعد الانتهاء من مراسم العيدين وبعد أن يمد السماط.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ٩٩، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٤٦).

*** حامل الدواة:**

المقصود بها دواة الخليفة الفاطمى، وصاحب هذه الوظيفة يسمى « الدوادار » يحمل الدواة أمام الخليفة على السرج ويسير بها فى المواكب.

(المرجع السابق، عن صبح الأعشى ٣/ ٤٨١).

*** حامل الرسالة:**

من موظفى حواشى الخليفة الفاطمى وكان له مرتب شهرى مائة دينار.

(المرجع السابق، عن صبح الأعشى ٣/ ٥٢١).

*** حامل الرمح:**

هو الذى يحمل رمح الخليفة فى المواكب التى تسير فى المواسم العظيمة كركوب رأس العام ونحو ذلك، وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى هذه المواكب، وكان لحامل الرمح هذا سبعون دينارا شهريا.

(المرجع السابق، عن صبح الأعشى ٣/ ٤٧٩، ٥٢٢).

*** حامل السيف:**

هو الذى يحمل سيف الخليفة فى المواكب التى تسير فى المواسم العظيمة كركوب رأس العام ونحو ذلك. وكان مرتب حامل السيف هذا سبعون دينارا فى الشهر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى/ ١٠٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٧٩، ٥٢٢).

*** الحامل فى الفُلْك والمحمول فى الفلك فى إطلاق النبوة والرسالة والخلافة والملك:**

هكذا ورد العنوان بلفظ « إطلاق » بالطاء وقد ذكر واضع الفهرس فى ص ٤٠٢ هامش ١ أنه ورد فى عقود الجواهر بلفظ « أخلاق » بالخاء بدلا من إطلاق.

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٤٠٠٨.

- ورد سؤال للمؤلف من القسطنطينية أن رجلاً من عباد الله الصالحين يقال له مصرى أفندى زعم أن الحسن والحسين نبيان فرد عليه المؤلف يذكر مناقبهما وأنهما من الأولياء الصلحاء.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى

الحنفى القــادرى النقشبنــدى المتـوفـى سنـة ١١٤٣هـــ / ١٧٣١م.

أولها: الحمـد لله الذى جعل النبـوة سره الأعظم الـوفى، والخلافة إمداده الظـاهر والخفى، والملك تحكمه فيمن شاء من الكدر... أما بعد فيقول هذا ... ورد علينا سؤال هو إشكال وتنبيه ...

آخرها: وهذا معنى كونـه نبيًا ورسولاً من الله تعالى لا على معنى نبوة التشريع ولا رسالة التشريع بل على حسب ما ذكرناه فيما قدمناه والله ولي التوفيق والهادِ إلى سواء الطريق.

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود.

اسم الناسخ: المؤلف عبد الغنى النابلسى.

تاريخ النسخ: الأحد ٢٧ ربيع الأول سنة ١١٠٤هـ.

ملاحظات: نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومقروءة من قِبَل تلميذه محمد بن إبراهيم الدكدكجى على المؤلف.

مصادر عن الكتاب: عقود الجوهر ٥٩.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهـرية. التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٢، ٤٠٣).

*** حامل القرآن:**

انظر: آداب حامل القرآن.

*** حامل المزرة:**

المزرة فوطة من قماش مخرز ببطانة عليها علامه السلطان توضع فيها الأوراق التى يراد تبليغها من يريد أو أوامر.

(التعريف بمصطلحـات صبح الأعشـى ــ محمـد قنـديل البقلى / ١٠٠، عن نظم دولة سلاطين المماليك ـ د. عبد المنعم ماجد ١/ ٦٥).

*** حاوى الأقوال فى معرفة الرجال:**

من مخطـوطــات التـاريخ والتـراجم والسيــر فى مكتبـة المتحف العراقى.

الرقم ٢٤٥٤٠.

لعبد النبى بن سعد الجزائرى الغروى الحائرى المتوفى سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م.

رتب المؤلف كتابه على أربعة أقسام:

القسم الأول: فى الصحاح.

القسم الثانى: فى الموثَّقين.

القسم الثالث: فى الحسان.

القسم الرابع: فى الضعاف.

نسخة جيدة حديثـة الخط كتب فى أولها تأريخ ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م.

القياس ١١٥ ص. ٢٩,٥×٢٠,٥سم. ٢٣س.

معجم المـؤلفين ٥/ ٢٠٠ الـذريعـة ٦/ ٢٣٧ (ذكـر صـاحب الـذريعـة أن المـؤلف كـان حيًا سنـة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م ولم يذكر وفاته).

(مخطوطـات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبـة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٠، ١٥١).

*** حاوى الحصيرى فى الفروع الحنفية:**

حاوى الحصيرى فى الفروع الحنفية: للشيخ الإمام محمد ابن إبراهيم بن أنـوش الحصيرى الحنفى تلميـذ شمس الأئمة السرخسى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة وهو أصل من أصول كتب الحنفية وفيه شيء كثيـر من فتاوى المشايخ يرجع إليه ويعتمد عليه (كشف ١/ ٦٢٤، ٦٢٥).

*** الحاوى الصغير:**

أدرجـه صـاحب كشف الظنـون تحت عنـوان « الحـاوى الصغير فى الفروع » وقال عنه:

الحاوى الصغير فى الفروع: للشيخ نجم الدين عبد الغفار ابن عبد الكـريم القزوينى الشافعى المتـوفى سنة ٦٦٥ خمس وستين وستمائة وهو من الكتب المعتبـرة بين الشافعية. أوله: الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبـرياء ... إلخ قالوا هو كتاب وجيـز اللفظ بسيط المعانى محـرر المقاصـد مهذب المبـانى حسن التأليف والترتيب جيد التفصيل والتبويب ولذلك عكفوا عليه بالشرح والنظم.

فمن شروحه شرح قطب الدين أحمد بن الحسن بن أحمد الغـالى الشـافعى المتوفى سنـة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمـائة

وسماه توضيح الحاوى . وعليه حاشية للشيخ بدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة وسماها التوشيح أورد فيها زوائد مفيدة من إظهار الفتاوى وكشف بعض أسرار الحاوى .

ومنها شرح أبى عبد الله محمد بن ... سبط المصنف سماه الحاوى أيضًا . وشرح الإمام أبى عبد الله « محمد » الناشرى اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٨٧٤ وسماه إيضاح الفتاوى فى النكت المتعلقة بالحاوى، وشرح الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل القونوى المتوفى سنة ٧٢٩ تسع وعشرين وسبعمائة وهو مجلد أوله : الحمد لله باعث الرسل وموضح السبل ... إلخ ذكر فيه من شروحه شرح الشيخ علاء الدين الطاوسى يحيى بن عبد اللطيف القزوينى الشافعى مدرس المستنصرية ببغداد فرغ منه سنة ٧٧٥ .

وشرح الشيخ الإمام ضياء الدين عبد العزيز بن محمد الطوسى الشافعى المتوفى سنة ٧٠٦ ست وسبعمائة المسمى بالمصباح فأخذ القونوى ما فيهما فزاد على تعليقة علاء الدين وأسقط أكثر ما فى المصباح فصار شرحًا وسيطًا . وعلى شرح القونوى حاشية للشيخ أبى النجا بن خلف المصرى الذى ولد سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة وهى فى أربع مجلدات .

ومن الشروح شرح أبى البقا محمد بن عبد البر القفطى السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٧ سبع وسبعين وسبعمائة . وشرح سراج الدين عمر بن على بن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة فى مجلدين ضخمين ولم يوضع عليه مثله سماه خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوى . أوله : الحمد لله على الدوام ... إلخ فى مجلدات وله تصحيح الحاوى فى مجلد .

وشرح بهاء الدين أحمد بن على بن السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة شرع فى قطعة طويلة ولم يكمله . وشرح الشيخ فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى المتوفى سنة ٧٤٦ ست وأربعين وسبعمائة ولم يكمله أيضًا وهو كبير ممزوج أوله : الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود ... إلخ وسماه الهادى، وشرح قطب الدين محمد بن محمود التحتانى الرازى المتوفى سنة ٧٦٦ ست وستين وسبعمائة ولم يكمله وعليه حاشية لتاج الدين على بن عبد الله التبريزى المتوفى سنة ٧٤٦ ست وأربعين وسبعمائة . وشرح عثمان بن عبد الملك الكردى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة . وشرح محمد بن على بن مالك الأربلى الشافعى المتوفى سنة ٦٨٦ ست وثمانين وستمائة .

وشرح شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزى الحموى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة سماه مفتاح الحاوى أيضًا . وله توضيح الحاوى أيضًا . وله كتاب آخر على الحاوى سماه تيسير الفتاوى فى تحرير الحاوى ذكر فيه أنه ذكر مسائل الحاوى وأوضحها ببسط عبارته المشكلة وتفصيل ألفاظه المجملة فيكون كالشرح إلا أنه غير ممتاز عن المتن . أوله : الحمد لله المقدس عن الأضداد ... إلخ والظاهر أن المراد بتوضيح الحاوى التيسير المذكور والله سبحانه وتعالى أعلم .

وشرح السيد ركن الدين حسن بن محمد الاسترابادى الشافعى المتوفى سنة ٧١٧ سبع عشرة وسبعمائة . وشرح القاضى شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن الحسبانى الشافعى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة . وشرح شهاب الدين أحمد بن عبيد الله الغزى العامرى الشافعى المتوفى سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة (وهو فى أربعة أسفار) وشرح القاضى زين الدين زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ عشرة وتسعمائة وسماه بهجة الحاوى .

وتصحيح الحاوى لشهاب الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المتوفى سنة ٧٨٨ ثمان وثمانين وسبعمائة .

وعلى الحاوى اعتراضات للمعزّى أجاب عنها أبو بكر بن محمد السيوطى « هو والد جلال الدين السيوطى » المتوفى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة .

وتصحيح الحاوى أيضًا للشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن أرسلان الرملى القدسى الشافعى المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة .

وعلى الحاوى نكت للقاضى جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينى الشافعى المتوفى سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة .

ومختصر الحاوى لشرف الدين إسماعيل بن أبى بكر بن المقرى اليمنى المتوفى سنة ٨٣٦ ست وثلاثين وثمانمائة وسماه الإرشاد ومختصره أيضًا لشهاب الدين أحمد بن حمدان الأذرعى المتوفى سنة ٧٨٣ ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وللحاوى منظومات منها نظم الملك المؤيد إسماعيل بن على الأيوبى المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة . وشرح هذا المنظوم للقاضى شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزى الحموى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة .

ونظم زين الدين على بن حسين بن قاسم بن الشيخ عونيه الموصلى الشافعى المتوفى سنة ٧٥٥ خمس وخمسين وسبعمائة .

ونظم زين الدين عمر بن مظفر الوردى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة سماه البهجة الوردية وهى خمسة آلاف بيت أولها :

قال الفقير عمر بن الوردى
الحمد لله أتم الحمد

إلخ . ولها شروح منها شرح الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين بن رسلان الرملى الشافعى المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة كتب قطعة منه ولم يكمله . وشرح الفاضل أبى زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦ ست وعشرين وثمانمائة أوله : أما بعد حمد الله على آلائه ... إلخ .

وشرح القاضى زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ عشرة وتسعمائة وسماه الغرر البهية . وله حاشية على شرح أبى زرعة . وحاشية عليه أيضًا للقاضى يحيى بن المناوى وقد جردها سبطه زين العابدين عبد الرءوف المتوفى سنة ١٠٢٣ ثلاث وعشرين وألف .

ومن شروح البهجة شرح عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم ابن شرف القدسى الشافعى المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة وهو فى مجلدين ثم ابتدأ فى شرح آخر أطول منه ، وشرح ناصر الدين الطبلاوى الشافعى المصرى المتوفى سنة ٩٦٦ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٥ ـ ٦٢٧) .

*** حاوى الفنون وسلوة المحزون:**

من مصنفات التراث فى علم الموسيقى .

تأليف أبى الحسن محمد بن الحسن المعروف بابن الطحّان الموسيقى (لعله من رجال القرن الخامس الهجرى) رتبه على مقالتين :

المقالة الأولى (علمية) : وفيها ثمانون بابًا .

المقالة الثانية (عملية) : وفيها اثنان وعشرون بابًا .

ناقص من أوله ، وأول ما فيه : فى الصناعة ... فلو أدركها أحد بلا طبع لأدركها علوية ، مع حذقه وحسن غنائه ، ويحتاج المغنى أن يكون مرتاضًا فى عدة علوم ، جيد التصور صحيح القياس واسع الأنفاس ... قال أقليدس فى كتابه المسمى « تأليف اللحون » : يحسن أن نقسم الطريق البعيدة بمنائر قريبة ، ليكون التعب البعيد على من سلكها يسيرًا بالانتهاء من منار إلى منار ، فقصدت هذا الفن فى هذا الكتاب وجعلته أبوابًا مفصلة ، فيقرب على الناظر ويسهل فى الخاطر ، وقسمته جزءين ، فالجزء الأول يتعلق بالصناعة العلمية المنطقية واستوفيت القول فيه ، والجزء الثانى يتعلق بالصناعة العملية الموسيقية ، وذكر الآلات والأوتار والدساتير والأنقار ... وأهملت ما سلكه المتقدمون من غامض الأشكال والأعداد ... إلخ .

وآخره : وهذا باب غريب وبه ختمنا الكتاب . تم كتاب حاوى الفنون وسلوة المحزون والحمد لله ولىّ الحمد ، والمانُّ به على كل حرٍّ وعبد ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسلميًا ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

نسخة أثرية بقلم قديم جيد مضبوطة بالشكل . لعلها كتبت فى القرن الخامس الهجرى . فى ١٠٩ ورقات ، ومسطرتها ١٤ سطرا . بأولها نقص يسير . وبآخرها بعض نقول من الأشعار .

[دار الكتب المصرية ـ ٥٢٩ فنون جميلة] .

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. المعارف العامة والفنون المتنوعة ــ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، حـ٤/ ٥١، ٥٢).

*** الحاوى فى الحساب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٦١٠/ ١.

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن الهائم المتوفى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

الأول: (الحمد لله أتم حمدا وأكمله والصلاة والسلام على خير ...).

وهو فى الأعداد والعمليات الحسابية رتبه المؤلف على سبعة فصول هى:

الفصل الأول إلى الرابع: فى الجمع والطرح والقسمة والضرب.

الفصل الخامس: فى الجبر ويقع فى بابين باب الكسر وباب الجذر.

الفصل السادس: فى الجمع والطرح لتغيير جذرى عددين.

الفصل السابع: فى الجبر والمقابلة.

فرغ منه المؤلف سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م.

نسخة جيدة تقع ضمن مجموع كتب سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م فى آخرها منقولات ومعادلات حسابية.

١٤ص ٥ ,٢١ × ١٧سم ١٧س.

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٢، ٥٣).

*** الحاوى فى الطب:**

انظر: الحاوى (كتاب ـ):

*** الحاوى فى علم التداوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب.

يوجد مخطوطه المصور بقسم التراث العربى بالكويت.

المؤلف: نجم الدين محمود بن إلياس الشيرازى ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م.

أوله: الحمد لله الواحد الماجد السبوح ... أما بعد:

فلا يخفى على رأى ذوى العقول أن علم الطب أشرف من سائر العلوم لأن شرف كل علم بحسب شرف

الصفحتان الأولى والثانية من كتاب الحاوى فى الحساب لابن الهائم

موضوعه وموضوع علم الطب بدن الإنسان .

آخره : ويطرح فيه التمر المصفى ، ويطرح فيه من السكر المذوب رطل ونصف ، ومن العسل رطل ومن الزعفران نصف درهم ، ومن لباب الخبز المفتوت باليد المنخول قدر الكفاية ، ويحرك تحريكا جيدا ويرمى فيه اللوز والفستق المقشر. تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين إلى يوم الدين آمين .

سنة النسخ : القرن الثامن الهجرى .

عدد الأوراق : ٢٤٠ ورقة .

المسطرة : ٢١ سطرا .

المكتبة : جستربيتى ـ ٣٩٨٥ .

ملاحظات : رتب المؤلف الكتاب الذى قال إنه مختصر فى الطب ومقالة وجيزة فى علاج الأمرض بالأدوية المشهورة على خمس مقالات ، وهى على النحو التالى :

المقالة الأولى : فى العلل الحادثة من الرأس إلى القدم وهى مائة وخمسة وعشرون بابا منها الباب الأول : فى الصداع . والباب الثانى : فى الشقيقة .

المقالة الثانية : فى الحميات وهى سبعة وعشرون بابا . منها الباب الأول فى ماهية الحمى وكيفية أخذها والباب الثانى فى حميات اليوم .

المقالة الثالثة : فى العلل التى تحدث فى الأعضاء الظاهرة ، وهى مائة وثمانية أبواب : الباب الأول : فى الأورام والبثور. الباب الثانى : فى الحمرة .

المقالة الرابعة : فى ذكر الأدوية المفردة وهى مرتبة على ترتيب حروف الهجاء ، وفيها ثمانية وعشرون بابا .

المقالة الخامسة : فى ذكر الأدوية المركبة وكيفية تركيبها واستعمالها وهى ستة وخمسون بابا .

الباب الأول : فى كيفية تركيب الأدوية المفردة وقواعدها .

الباب الثانى : فى الأشربة والربوب .

وقد نشر المقالة الخامسة : الأستاذ جيج الفرنساوى مع ترجمة فرنسية وألحقها بمعجمين عربى وفرنسى ثم فرنسى عربى باسم الأدوية وأضاف إليهما معجما تاريخيا للألفاظ الأجنبية المنقولة قديما عن العرب وصدر ترجمته بمقالة منها لمحة تاريخية عن اقرباذينات العرب موادهم الطبية .

انظر : - سركيس ـ معجم المطبوعات العربية / ١١٧٦ .

- فهرس مخطوطات المتحف العراقى (الطب) / ٨٨ .

- مجلة معهد المخطوطات ٥/ ٣١١ .

- فهرس المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات (الطب) / ٨٠ .

- بروكلمان : الطبعة الألمانية ـ الملحق الأول / ٩٠١ والملحق الثانى / ٢٩٩ .

- فهرس مخطوطات الأوقاف بالموصل ـ ١/ ١١٤ ، ٣/ ٩٩ .

وتوجد نسخة ثانية :

أوله : كسابقه .

آخره : وأما لحوم السمك المالحة تلطف الأخلاط الغليظة وتقطعها تقطيعا قويا . وينبغى أن يختار منه ما كان ليِّنا غير سميك . وكلما كان أعتق كان أقوى . حرا ويبسا ، وينبغى أن يؤكل ممقورا .

عدد الأوراق : ٢٧٢ ورقة .

المسطرة : ٢١ سطرا .

المكتبة : مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم (مجموعة الكاف) ١٦ طب [٧٢] .

ملاحظات : ناقص الآخر ، وفى أوراق النسخة طمس وبياضات كثيرة ، وبخاصة فى أوراقها الأولى إذ تتحسن النسخة فى نصفها الثانى كثيرًا .

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٢ ـ ٧٤) .

وتوجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى برقم ١٤٧٨٧ .

الأول : كسابقه .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمدادين الأسود والأحمر عليها حواش وشروح منها بعض الحواشى لأحمد زوين النجفى . ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر

الميلادى. الصفحة الأخيرة منها كتبت بخط أحدث من الأصل.

القياس ٦٠٦ص ٢٠ × ١٣,٥سم ١٨س.

(معجم المؤلفين ١٢/ ١٥٣، كشف ١/ ٦٢٨، الذريعة ٦/ ٢٣٦، هدية العارفين ٢/ ٢٧).

كما توجد نسخة ثانية برقم ٥٢٣١.

نسخة جيدة الخط كتبت بقلم النسخ. فيها نقص فى أول المقالة الثالثة وآخر الباب الخمسين من المقالة الخامسة. ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى، فى أولها فهرس.

ونسخة ثالثة برقم ٣٥٠٢، ترقى للقرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى تبدأ بالباب الأول فى الصداع وتنتهى بالباب ١٠٢ من المقالة الثالثة من الكتاب.

وقد نشرت المقالة الخامسة من هذا الكتاب مع ترجمة فارسية ببيروت سنة ١٩٠٢م. وقد ذكر إليان سركيس فى معجمه أن المؤلف من رجال القرن السابع الهجرى. (معجم / ١١٧٦) (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ٨٨ـ ٩٠).

وتوجد نسخة فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا.

أوله: كسابقه.

آخره: كسابقه ويليه: والله أعلم بالصواب، تم الكتاب ... فى سادس شهر محرم الحرام سنة ثمانين وتسعمائة ... على يد العبد... قاسم بن على بن المرحوم المغفور حاجى حسين قصاب الاسترابادى غفر ذنوبهما ... سنة ٩٨٨ (٣٨١ب) (المخطوطات العربية ق٥/ ٢٩٩، ٣٠٠).

كما توجد نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية.

أوله وآخره كسابقه.

نسخة بقلم نسخى من القرن الحادى عشر تقديرًا، وبعض الأوراق بخط تعليق.

٢٦٠ ورقة ٢٥ سطرًا ١٨ × ٢٥سم.

[مدرسة يحيى باشا الجليلى ـ الموصل ٢٤] UNESCO.

ونسخة أخرى:

مبتورة الآخر، وينتهى ما فيها أثناء الكلام فى الأدوية المفردة المستعملة. وآخر الموجود منها: ولكل درجة من هذه الأربعة ثلاث مراتب: عليا وسفلى ووسطى، معناه أول درجة وآخرها ووسطها.

نسخة بقلم معتاد، وبالنسخة آثار رطوبة.

١٣٢ ورقة ٢٣سطرًا ١٦ × ٢٢سم.

[مدرسة الحجيات ـ الموصل ١٠٣/ ١٠] UNESCO.

(فهرست المخطوطات المصورة / ٨٠).

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربى بالكويت ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٧٢ـ ٧٤، ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٨٨ ـ ٩٠، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ٢٩٩، ٣٠٠، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٢ الطب. الكتاب الثانى / ٨٠، انظر أيضًا كشف الظنون ١/ ٦٢٨).

*** الحاوى القدسى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى. أورده صاحب كشف الظنون تحت عنوان « الحاوى القدسى فى الفروع » وقال عنه:

الحاوى القدسى فى الفروع: للقاضى جمال الدين أحمد ابن محمد بن نوح القابسى الغزنوى الحنفى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ ستمائة [٥٩٣] ذكره ابن الشحنة فى هوامش الجواهر المضية قال وإنما قيل فيه القدسى لأنه صنفه فى القدس نقلته من خط تلميذه حسن بن على النحوى. انتهى ثم رأيت فى ظهر نسخة منه أن مصنفه الشيخ الإمام محمد الغزنوى والله سبحانه وتعالى أعلم.

أوله: الحمد لله الذى هدانا لدين الإسلام ... إلخ وجعله على ثلاثة أقسام قسم فى أصول الدين، وقسم فى أصول الفقه، وقسم فى الفروع، وأكثر فيها من ذكر الفروع المهمة فى كراريس يسيرة. (كشف ١/ ٦٢٧).

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية (أو لعله الآن بمكتبة الأسد) بدمشق.

الرقم ٤٢٣٠.

أوله: الحمد لله الذى هدانا لدين الإسلام، ودعانا إلى دار

السلام، وجعل الطريق إليها تصفية العقائد، والتقصى عن عهدة ما فى الذمم كالقلائد.

وآخره: وأسعدنا بحلول جنته برؤيته وفضله ومنته.

نسخة جيدة مصححة، الصفحة الأولى مزينة برسوم مذهبة، الورقة الأولى والثانية مجدولتان بالذهب، وفى أولها فهرس بالموضوعات.

الخط فارسى جيد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتب سنة ١١٠٧هـ.

معجم المؤلفين ٢/ ١٦٦، فهرس الخديوية ٣/ ٤٠ (فهرس الظاهرية ١/ ٢٨١).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٧، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨١، وجاء فيه أن وفاة المؤلف سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م، وقيل سنة ٦٠٠هـ).

*** الحاوى الكبير:**

الحاوى الكبير فى الفروع: للقاضى أبى الحسن على بن محمد الماوردى البصرى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمائة وهو كتاب عظيم فى عشر مجلدات ويقال إنه ثلاثون مجلدا لم يؤلف فى المذهب مثله. (كشف ١/ ٦٢٨).

*** الحاوى (كتاب):**

من أعظم مؤلفات أبى بكر الرازى (انظر ترجمته فى م٧/ ٣٤٥ - ٣٥١ من هذه الموسوعة). قيل عنه إنه أضخم موسوعة طبية عربية استغرق إعدادها خمسة عشر عاما وإنها تقع فى خمسة وعشرين جزءا (دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ١١٣٤).

ذكره صاحب الفهرست فى مؤلفات الرازى وقال عنه: كتاب الحاوى، ويسمى الجامع الحاصر لصناعة الطب، ويقسم هذا الكتاب اثنى عشر قسما: القسم الأول منه فى علاج المرضى والأمراض، القسم الثانى فى حفظ الصحة، القسم الثالث فى الرثبة والجبر والجراحات، القسم الرابع فى قوى الأدوية والأغذية وجميع ما يحتاج إليه من المواد فى الطب، القسم الخامس فى الأدوية المركبة، القسم السادس فى صنعة الطب، القسم السابع فى صيدنة الطب: الأدوية، وألوانها، وطعومها وروائحها، والقسم الثامن فى الأبدان، القسم التاسع فى الأوزان والمكاييل، القسم العاشر فى التشريح ومنافع الأعضاء، القسم الحادى عشر فى الأسباب الطبيعية من صناعة الطب، القسم الثانى عشر فى المدخل إلى صناعة الطب مقالتان: فى الأولى الأسماء الطبية، وفى الثانية أوائل الطب (الفهرست/ ٤١٧).

وقد ذكر الدكتور إدوارد جى براون عند كلامه على مؤلفات الرازى أن صاحب الفهرست ذكر للرازى ١١٣ مؤلفا كبيرا، و٨ مؤلفات صغيرة، وقصيدتين. ثم ينتقل إلى الكلام على كتاب الحاوى فيقول: ظهرت له عدة تراجم لاتينية عام ١٤٨٦م فى برسكيا. وفى عام ١٥٤٢م فى البندقية، وتوجد منها [منه] نسخة فى كمبردج مكتبة كنكس كولدج وأرى أن أتحدث عن كتاب الحاوى أهم وأضخم آثار الرازى. وإن دراسة كتاب الحاوى مليئة بالمصاعب منها لعدم [عدم] وجود مخطوط كامل، وإنه لم ينشر بنصه الأصلى.

ويمضى د. إدوارد فيقول:

إنى أشك بوجود حتى نصف هذا العمل الكبير وأن أجزاءه موزعة بين عدة أماكن. ثلاثة أجزاء فى المتحف البريطانى، وثلاثة أخرى فى مكتبة بودليان، وأربعة أو خمسة أجزاء فى الأسكوريال. وهناك أجزاء أخرى فى ميونيخ ويتروكراد ومختصرات منه فى برلين. وإن عدد أجزاء هذا الكتاب ومحتوياته أمر غير محقق فيذكر الفهرست أنه يقع فى اثنى عشر جزءًا ونجد أن الترجمة اللاتينية تقع فى ٢٥ جزءا. ولا علاقة لها بالأصل من حيث التسلسل وتنظيم المواضيع. وقد حصل هذا الارتباك نظرا إلى أن الكتاب ضخم جدا وأكثره جمعه تلامذته بعد وفاته من أوراق ناقصة خلفها وكانت فى حاجة إلى العناية فى التصنيف والتنظيم العام التى لم يستطع المؤلف وحده أن يقوم بها. وربما كان نفس الاسم « الحاوى» يطلق على كتاب آخر للمؤلف. وكان الكتاب الحاوى من الضخامة بحيث أفزع النساخ ولذلك لم يكن فى متناول [أحد] إلا الأغنياء من محبى الكتب. وذكره على بن العباس والذى جاء بعد الرازى بمدة ٥٠ أو ٦٠ سنة فكتب يقول إنه يعلم بوجود نسختين من الحاوى فقط. وكنا نجهل النسخة الأصلية

التى نقلت منها الترجمة اللاتينية إذ لم يذكر المترجمون فى العصور الوسطى هذه التفاصيل.

ولهذه الصعوبات قمت بفحص الأجزاء التى فى المتحف البريطانى ومكتبة بودليان فوجدت أن أكثر هذه الأجزاء أهمية هو الموجود فى مكتبة بودليان تحت رقم (مارش ١٥٦) وعلى الأخص الصفحات (٢٣٩ب ـ ٢٤٥ب) وقد صورتها بمساعدة من الدكتور كولى والأستاذ مرجليوث.

وقد ذكرت سابقا وهذا ما يتفق عليه جميع البحاث فى هذا الموضوع أن الرازى فاق فى تدوين ملاحظاته السريرية جميع من تقدموه ولذلك نجد أن المعلومات السريرية التى جاء بها الأطباء العرب القدماء أهم بكثير من المعلومات العقيمة من فسلجة وباثولوجيا وفى علم التشريح المقتبسة عن غيرهم (يعلق مترجم الكتاب هنا بقوله فى هامش ١ :

لا يتفق المعرب مع وصف المعلومات الفسلجية بأنها عقيمة وقد جاءت معلومات فسلجية فى كتاب كامل الصناعة عن فسلجة الأنف والسمع والصوت تكاد تقرب من المعلومات الحاضرة).

ويمضى د. إدوارد فى كلامه فى كتاب الحاوى فيقول :

وفى كتاب الحاوى يجد الباحث فى الطب العربى القديم العمل الذى يحتاج أن يكرس له جهده طوال حياته. وبعض الوقعات الطبية التى سجلها اشتهرت وانتشرت وصارت تروى فى كتب القصص أمثال كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخى (المتوفى عام ٩٩٤م). وفى الكتاب الفارسى (جهار مقالة) الذى جمعه نظامى العروضى السمرقندى (١١٥٥م). ويقول ابن أبى أصيبعة فى كتاب طبقات الأطباء ما يلى « وللرازى أخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمهر فى صناعة الطب وفيما تفرد به من مداواة المرضى وفى الاستدلال على أحوالهم من تقدمة المعرفة وفيما خبره من الصفات والأدوية التى لم يصل إلى عملها كثير من الأطباء وله فى ذلك حكايات كثيرة وقعت له قد تضمنتها كثير من كتبه » (طبقات الأطباء ١/ ٣٤٦).

والمخطوطات المحفوظة فى مكتبة « بودليان» والتى ذكرتها سابقا (وتعتبر هذه من المجلد السابع إذا ما قورنت بالترجمة اللاتينية فإنها تطابق المجلد السابع عشر) تحتوى هذه الصفحات على نفس الملاحظات التى ذكرها ابن أبى أصيبعة وسميت « أمثلة من قصص المرض وشرح لوقعات نادرة » وقد سجلت ٢٤ وقعة وفيها يعطى اسم المريض كاملا ثم يشرح الأعراض وطريقة العلاج والنتائج وليس من السهل فهمها حيث إنها فى نسخة مخطوطة واحدة ولوجود بعض الأخطاء فى الخط والنسخ ولصعوبة الاصطلاحات الفنية المستعملة وطريقة عرضها. وسأحاول أن أترجم الوقعة الأولى على قدر ما أستطيع لتكون مثلا.

« كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ومرة غب ومرة ربع ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير وكان يبول مرات كثيرة وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعا وأما أن يكون به خرّاج فى كلاه فلم يلبث إلا مدَّ يده حتى بال مدة اعلمته أنه لا يعاود هذه الحميات أو كان كذلك وإنما صدنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خرّاجا فى كِلاهُ أنه كان يحم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احترافات تريد أن تصير ربعا موضعا أقوى ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأغفلت أنا أيضًا أن أسأله عنه وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضًا ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء وهو أيضًا قد كان يعتريه فى صحته فينبغى أن لا يفعل [يغفل] بعد ذلك عناية التقضى [التقصّى] إن شاء الله ولما بال المِدّة اكببت عليه بما يدر البول حتى صفا البول من المِدّة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين وتخلص من علته وبرأ بُرءًا تاما سريعا فى نحو من شهرين وكان الخرّاج صغيرا ودلنى على ذلك إنه لم يَشْكُ إلىّ ابتداءً ثِقَلاً فى قطنه لكن بعد أن بال مِدّة قلت له هل كنت تجد ذلك قال نعم فلو كان كثيرا لقد كان يشكو ذلك وإن ذلك وإن المدة تنبث [تنبط] سريعا تدل على صغر الخراج فأما غيرى من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال المِدة أيضًا لا يعلمون حالته ألبتة » ومع صعوبة المادة وعدم وضوح التعابير يبدو لى أن الوقعة تفهم بالشكل التالى :

المـريض يشكـو حمى متقطعــة يسبقهـا نـافض طفيف وشخص المرض على أنه ملاريـا وذلك لكثرة وجوده فى تلك البلاد وعولج لذلك .

وبعد أن توضح الأمر كان المرض تعفن وانتان فى أحواض الكلى وشخّص المرض عندما شاهـد القيح فى البول وعالجه لهذا المرض فشفى المريض (الطب العربى / ٥٢ ـ ٥٥) .

وقد أورده صـاحب كشف الظنون تحت عنـوان « الحاوى فى الطب » وقال عنه :

الحاوى فى الطب : لمحمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ إحدى عشرة وثلثمائة) (فى فهرس المخطوطات الطبية وفاته سنة ٣١٣هـــ) قال صاحب كامل الصناعـة : ذكر فيه ما يحتـاج إليه من حفظ الصحـة ومداواة الأمـراض ولم يغفل فى ذكـر شىء إلا إنـه لم يستقـص شـرح شىء ممـا يحتـاج إليـه الطبيب من تدبير الأمراض والعلل ثم إن رشيد الدين أبا سعيد ابن يعقـوب المسيحى القـدسـى المتـوفى سنــة ٦٤٦ ست وأربعين وستمائة علق عليـه تعاليق واختصره الـدخوار (كشف ١/ ٦٢٨) .

وتوجد بقسم التـراث العربى بالكويت نسخـة مصورة من المجلـد الثـانى من مخطـوط كتاب الحـاوى وقـد وردت فى فهرس المخطوطات تحت عنوان « الحاوى فى الطب » أيضًا ، وبيانها كما يلى :

آخره : إذا كان ذلك فى رأس وترها وكانت الخراجة ضعيفة فيخـاف أن يلتحم بـاطنه منـافع الأعضـاء ، فإن من الأمـراض الحادثة فى الغضاريف إما أن تبرأ وإما أن يعسر برؤها .

سنة النسخ : القرن السادس الهجرى .

الناسخ : محمد بن المرحوم ملا بكر .

عدد الأوراق : ٢٣٨ ورقة .

المسطرة : ١٧ سطرًا .

المكتبة : جستربيتى ـ ٣٩٨٧ .

ومن موضعات الكتاب :

فى الديدان وحب القرع .

فى البواسير وأمراض المقعدة جميعها .

فى النقرس وجع المفاصل والورك وعرق النسا .

فى السرطان والقروح .

فى الأورام البلغمية .

فى الدماميل والدبيلات .

فى الخنازير والأدوية .

فى جراحات العصب .

وهـذه النسخة مقـابلـة على الأصل المنقـول منه وعليهـا تملك بـاسم محمد بن مـلا بكر ، وكتاب الحـاوى فى الطب حافل فى عدة مجلدات ضخمة .

ترجم إلى الـلاتينية ١٢٧٩م ، وطبع أول ما طبع بالـلاتينية سنة ١٤٨٦م .

وقد طبع فى البندقية سنة ١٥٠٩م ، وسنة ١٥٤٢م خمس مرات .

طبع فى حيـدر أبـاد بـ(٢٣) جـزءا بين سنـة ١٩٥٥م ـ ١٩٦٣م .

معجم المطبـوعـات العربيـة / ٩١٤ (فهرس المخطـوطات الطبية / ٧١ ، ٧٢) .

(دائرة المعارف الإسلامية ـ بالإنجليزية ـــ ٣/ ١١٣٤ ، والفهرست لابن النـديم / ٤١٧ ، والطب العربى : د. إدوارد جـى براون ـــ ترجمـة د. داود سلمان على / ٥٢ ـ ٥٥ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٨ ، وفهـرس المخطـوطـات الطبية المصـورة بقسم التراث العـربى بالكـويت ـ تصنيف هيـا محمد الـدوسرى ، مـراجعـة د. سامى مكى العـانى / ٧١ ، ٧٢) .

*** الحاوى للفتاوى:**

قال عنه صاحب كشف الظنون :

الحاوى للفتـاوى : مجلد لجلال الدين عبـد الرحمن بن أبى بكر السيـوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشـرة وتسعمائة أورد فيه اثنتين وثمانين رسالة من مهمات الفتاوى التى أفتى بها ورتب على أبواب . أوله : الحمد لله جامع الأشتات .

(كشف ١/ ٦٢٩) .

وقد ورد فى فهرس مخطوطات حلب تحت اسم « الحاوى

للفتوى » والمخطوط محفوظ بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ــ البهراقية) بحلب، وهى الآن تحت رعاية الأوقاف، وقد جاء بيانه كما يلى :

الحاوى للفتوى ـ الجزء الأول من تجزئة ذات جزأين :

تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : ٨٤٦/ ٩١١هـ، ١٤٤٥/ ١٥٠٥م.

هو كتاب يشتمل على ثمانين رسالة فى مسائل مختلفة من فتاوى وغيرها وقد أطلق عليه مؤلفه اسم (الحاوى)ومما قال فى خطبته : (... وبعد فقد استخرت الله تعالى فى جمع نبذ من مهمات الفتاوى التى أفتيت بها على كثرتهاجدًا مقتصرًا على المهم والعويص وما فى تدوينه نفع ...

وتركت غالب الواضحات، ومما لا يخفى على ذوى الأذهان القادحات وبدأت بالفقهيات مرتبة على الأبواب ثم بالتفسير، ثم بالحديث، ثم بالأصول، ثم بالنحو والإعراب، ثم بسائر الفنون إفادة للطلاب، وسميت هذا المجموع الحاوى للفتوى ...) (قالت المؤلفة : فى نسختى ١/ ٥ «الحاوى للفتاوى » وهو الصحيح لمراعاة السجع).

وقد وقع خرم فى آخر النصف الأول هذا ذهب بقسم لم نعرف مقداره وبلغ فى آخر هذا الجزء قبل الخرم إلى الرسالة المسماة لأعذب المناهل فى حديث من قال أنا أعلم فهو جاهل).

أوله بعد البسملة : الحمد لله جامع الشتات والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالآيات البينات ...

آخره قبل الخرم : ... وقال ابن حبان اختلط فى آخر عمره.

النسخة جيدة لولا الخرم الذى أصاب آخرها فذهب بقسم منها، وخطها نسخ بقلم ثخين وعناوين الرسائل والمسائل بالحمرة، لم نقف على اسم الناسخ وتاريخ النسخ فى هذا الجزء وهما مذكوران فى نهاية الجزء الثانى القادم.

(٢٥٨) ق المسطرة (٢١)س الأحمدية (٢٢٣/ ١) الفتاوى بروكلمان ٢/ ١٤٣ ملحق بروكلمان ٢/ ١٨٢.

الجزء الثانى منه.

يبتدئ هذا الجزء بأول الكلام فى (الفتاوى الحديثية ـ كتاب الطهارة) وينتهى فى آخر الرسالة (الأوج فى خبر عوج) وبها ينتهى الكتاب.

أوله : ... الفتاوى الحديثية ـ كتاب الطهارة مسألة ...

آخر الكتاب : ... وفيه لطف وظرف وجاء فى الختمة : هذا آخر ما وقفت عليه مما وقع من الفتاوى للشيخ ــ جلال الدين السيوطى.

النسخة قريبة من الجودة تمت نساختها سنة ٩٧١هـ فهى قريبة عهد بالمؤلف، خطها تعليق معتاد، نسخها محمد بن محمد بن أيوب القصى الشافعى.

(٢٨٤)ق المسطرة (٢١) س الأحمدية (١٢٢/ ٢) الفتاوى (المنتخب ق ٤/ ١٧٦، ١٧٨).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٩، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ١٧٦ـ ١٧٨).

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان « الحاوى للفتاوى ط. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٢هـــ ١٩٨٢م، وتقع فى جزءين. وقد جاء على الورقة الأولى من الغلاف ما يلى : هذه النسخة طبعت على نسختنا الممتازة وروجعت على نسخ فى دار الكتب المصرية ودار الكتب الأزهرية فجاء فيها زيادات كثيرة وتصحيحات قيمة. عنى بنشره جماعة من طلاب العلم سنة ١٣٥٢هـ.

*** حاوى المختصرات فى العمل بربع المقنطرات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الميقات. قال عنه حاجى خليفة :

حاوى المختصرات فى العمل بربع المقنطرات لمحمد ابن محمد بن سبط المارديني المصرى الموقت بالجامع الأزهر. (كشف ١/ ٦٢٨).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى وقد جاء فيه تاريخ وفاة المؤلف سنة ٩٠٧هـ :

الرقم ٣٠٢١٧/ ٨.

لمحمد بن محمد بن أحمد المعروف بسبط المارديني المتوفى سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م.

الأول (الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تنزل البركات ... وبعد فلما كان علم الوقت من أجلّ ...) .

وهى رسالة جامعة لما يحتاج إليه فى ضبط الأوقات واستخراج المحاريب والجهات وكيفية العمل بالمقنطرات لمعرفة الجهات الشمالية والجنوبية وفى جميع العروض سواء كان الربع مقطوعا كاملاً أو كان فى الربع الكامل سمت أو قوس ارتفاع أو أحدهما فقط .

رتب المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثين بابًا وخاتمة وفرغ منه سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م كما فى آخر الكتاب .

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ سنة ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م .

القياس ٧٨ص ٢٠ × ١٥سم ٢٣س .

كشف ١/ ٦٢٨ فهرس المصورة ٣/ ٣٠ فهرس الخديوية ٥/ ٢٤٣ هدية العارفين ٢/ ٢١٨ .

١٦٦ب - نسخة أخرى .

جيدة الخط كتبت بقلم النسخ ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى القرن الثامن عشر الميلادى فى أولها فهرس بمواضيع الكتاب .

الرقم ٣٣٢٥٥/١ .

القياس ١٠٤ص ١٤,٥ × ١٠سم ١٦س .

(مخطوطات الفلك والتنجيم / ٦٥، ٦٦) .

كما يوجد فى معهد المخطوطات العربية مخطوط مصور جاء بيانه كما يلى، وقد جاء فيه تاريخ وفاة المؤلف سنة ٩١٢هـ :

لمحمد بن محمد بن أحمد سبط المارديني الموقت بالجامع الأزهر المتوفى سنة ٩١٢هـ (بروكلمان ملحق ٢/ ٢١٦، تصنيف رقم ٩، مختصر من الرسالة فى العمل بربع المقنطرات، لعبد الله بن خليل بن يوسف المارديني المتوفى سنة ٨٠٩هـ، بروكلمان ملحق ٢/ ٢١٨، تصنيف رقم ٢) .

أوله بعد الديباجة : فلما كان علم الوقت من أجل القربات وأفضل الطاعات .

وآخره : ولا ينبغى أن يعمل السلم فى المقنطرات لاحتياجه إلى الجيب والحساب والحمد لله .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ٢٧ ميقات ٤٠ ق تقريبًا، قد فرغ من نسخها إبراهيم بن أحمد بن منصور الشرنوبى ف١٠٤١ .

وتوجد نسخة أخرى (بروكلمان ٢/ ١٦٨، تصنيف رقم ٩) .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ١٠٥٠ ميقات، ٣٩ق، منسوخ سنة ١٢٨٩هـ، القياس ٢٠ × ٣٠سم، ف١٠٥٨ .

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق١ . الفلك - التنجيم - الميقات - وضعه باول كونتش / ٣٠) .

*** حاوى مسائل الواقعات والمنية وما تركه فى تدوينه عن مسائل القنية وزاد فيه من الفتاوى لتتميم الغنية :**

حاوى مسائل الواقعات والمنية وما تركه فى تدوينه من مسائل القنية وزاد فيه من الفتاوى لتتميم الغنية - للشيخ أبى الرجا نجم الدين الإمام مختار بن محمود الزاهدى (الغزمينى) الحنفى المتوفى سنة ٦٥٨ ثمان وخمسين وستمائة وهو مجلد أوله : الحمد لله الذى أوضح معالم العلوم ... إلخ ذكر فيه منية الفقهاء وأنه استصفى منها لبابها وبدل ما وقع فيها من لسان خوارزم إلى العربية ورقم أسامى الكتب والمفتين بأول حروفها وذكرها على ترتيب الحروف أولا .

(كشف الظنون ١/ ٦٢٨) .

*** ابن الحائك الهمدانى (٢٨٠ - ٣٣٤هـ / ٨٩٣ - ٩٤٥م) :**

قال عنه القفطى :

هو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان، المعروف بذى الدُّمَيْنة بن عمرو بن الحارث بن أبى حبش بن مُنقذ بن الوليد بن الأزهر بن عمرو بن طارق بن أدْهم ابن قيس بن ربيعة بن عَبْد بن عَلْيَان بن أرْحب بن الدُّعام بن مالك بن ربيعة بن الدُّعام بن مالك بن معاوية بن صَعْب بن دَوْمان بن بِكَيل بن جُشَم بن خَيْوانَ بن نَوْف بن هَمْدان . الأديب النحوىّ الطبيب المنجِّم الأخبارى اللغوى اليمنىّ المعروف بابن الحائك .

نادرة زمـانه، وفاضل أوانه، الكبيـر القدر، الرفيع الـذِّكْر، صاحب الكتب الجليلة، والمؤلفات الجميلة. لو قال قائل: إنه لم تُخرج اليمنُ مثلهُ لم يزل، لأن المنجِّم من أهلها لاحظَّ له في الطبّ، والطبيب لا يد له في الفقه، والفقيه لا يد له في علم العربية وأيام العـرب وأنسابها وأشعـارها، وهـو قد جمع هذه الأنواع كلَّها، وزاد عليها.

فأما تلقيبُه بابن الحائك، فلـم يكن أبوه حائكًا، ولا أحدٌ من أهلـه، ولا في أصله حائك، وإنمـا هو لقب لمَـنْ يشتهر بقـول الشعر. وكـان جده سليمـان بن عمـرو المعروف بـذى الدُّمَيْنة شاعرًا، فسمى حائكًا لحوْكِه الشعر (في تلخيص ابن مكتوم: «وكان جده عمرو بن الحارث شاعرًا»).

وكان آباؤه ينزلون المـراشي من بلاد بكيل، ثم انتقل داود ابن سليمان ذى الدُّمينة إلى الرحبة من نواحى صنعاء، ثم إلى صنعاء، وكان بها ولده.

وكان رجلاً مُحسَّدًا في أهل بلده، وارتفع له صيت عظيم ـ أعني الحسن بن أحمد هذا ـ وصحب أهل زمان من العلماء، وراسلهم وكاتبهم.

فمن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد ابن القـاسم بن بَشّـار الأنبـاري، وكـان يختلف بين صنعـاء وبغداد، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية وأشعار العرب وأيامها، وكذلك أبوه القاسم، على ما ورد في أخبارهم. وكان يكاتب أبا عمر النحوى صاحب ثعلب، وأبا عبد الله الحسين ابن خالويه.

وأقـام بمكـة دهرًا طـويـلاً، وسـار إلى العـراق، واجتمع بالعلماء، واجتمعوا به فيما قيل.

وسـار في آخـر زمانـه إلى «رَيْـدة» من البَـوْن الأسفل من أرض همدان، وبهـا قبره وبقية أهلـه (في معجم البلدان ٢/ ٣٠٩: «إنهمـا بونـان، وهمـا كـورتـان: البون الأعلى والبـون الأسفل»).

وكـان ملوك اليمن وأجـلاَّؤها يكـرّمونـه ويقرّبـونه، وكـان خـائفًـا من العلويين المستـولين على صعـدة، لكـلام بلغهم عنه.

وقصد مرة أحد أجِلاء اليمن ـ ويُعرف بابن الرويَّة المُراديّ ـ من مَذْحِج، وامتدحه في سنة شـديدة، فأكرمه وأنزله أجمل منزل، وطوّل عليه في تأخير، فأقام شهرًا، وهو في قلقٍ من أمر أهلـه، وما تـركهم عليـه من الإعسار فـي ذلك الوقت. فلمـا انقضى الشهرُ استأذنـه في الرجوع إلى أهله، فأذِن لـه، فرجع كئيبًا صِفْر اليد، مما قصده له. ولمـا صار قريبًا من أهله تلقاه بنـوه وقُـرباؤه علـى هيئة جميلـة، ومـراكب نفيسـة، فأعجب بذلك، وسألهـم عن سببه، فقالـوا: هو مـا بعثتَ لنا. ففطن للأمـر، وسألهم صورة ما سُيِّر إليه، فذكروا جملـة كثيرة، من مـال وملبوس ومـركوب ومُفتـرش. ففرح وأمعن في مـدح ابن الرويَّـة المذكـور، وبالغ في وصفه، واشتهـرت هذه المكـرمة بالبلاد اليمنية، وسار مديحه لـه، وكان ابن الرويَّة هذا قد ولى أعمال صنعاء زمانًا، ثم استقر أمرهُ بالسِّر وبها ولده.

ومِمَّن كان يُكـرمه من ملوك اليمن ويرعى حقَّـه إسماعيل ابن إبراهيم النبعى الحميرى، وهـو من آل ذى نبع بن الحارث ابن مالك بن اليشرح بن يحصب بن دُهمان بن مالك بن سعد ابن عدى بن مالك بن زيد بـن شدد بن زُرعة بن سبأ الأصغر، ثم من ولد شُرحبيل بن ذى نبع.

والأنبوع ممن ولى المُلْك بـاليمن، وكان ينـزل بضبا، من أعمال التَّعكر، (وهى قلعة حصينة باليمن) وفيه يقول:

يَطْلُبنَ مـن عـرض البـلاد وطـولهـا
بلـــدًا بـــه النّبعيّ إسمـــاعيلُ
فضيـــاء غُـــرّتـــه وريحُ نـــوالـــه
لـــوجـــوههنّ إلى حمـــاه دليلُ

وكـان مصنّفًـا للكتب في كل فـن، فمن ذلك كتـابـه في «السِّير والأخبار» وكتابه المسمى «باليعْسُوب» في فقه الصيد وحلاله وحـرامه والأثر الوارد فيه وكيفيـة الصيد، وعمل العرب فيه، وغريب ذلك ونحوه. والشعر فيه، وهو كتاب جيد جدًّا. مفيد للمتأدبين.

وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله، المسمى «بـالإكليل» وهو عشـرة أجـزاء (انظره فـي موضعـه في م٥/ ٥٧٣، ٥٧٤ من هذه الموسوعة).

وكتابه في المسالك والممالك باليمن، وعندى منه نسخة وردت في الكتب اليمنية ـ رحم الله مخلِّفها.

(ذكره صاحب كشف الظنون ص ١٨٢٢ باسم «الممالك والمسالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب وأسماء بلادها»

ولعل الكتاب الذى نشره الأستاذ ملر وطبعه فى ليدن سنة ١٨٨٤م باسم « صفة جزيرة العرب » جزء منه . وانظر مقدمة الجزء الثامن من الإكليل طبعة جامعة پرنستن) وكتابه فى الطب المسمى بكتاب « القوى » وكتابه فى صناعة النجوم، المسمى « بسرائر الحكمة ». وكتاب «الجواهر العتيقة » . (ذكر الأستاذ نبيه أمين فارس فى مقدِّمة الجزء الثامن من الإكليل (طبعة جامعة پرنستن) : أن للهمدانى مصنفًا اسمه «كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء» . وقال : إنه يوجد منه نسختان خطّيتان فى أوبسالا وميلان . ولعله هو هذا الكتاب) .

قالت المؤلفة : أوردناه تحت عنوانه فانظره فى حرف الجيم .

وكتابه فى « الطالع والمطارح » وزيجه الموضوع .

وله من التصانيف الشاذة إلى البلاد ما يكثر ولا يكاد يعرفه أهل اليمن . وله كتاب «القصيدة الدامغة النونية » على معد والفُرْس، وهى قصيدة طويلة، وقد شرحها ولده، فيها علم جم، ولله الحمد، أُحضرت فى جملة الكتب اليمنية أيضًا - رحم الله مخلفها - وهذه القصيدة أحدثت له العداوة من النزارية والمتنزرة . (ذكر ياقوت فى معجم الأدباء مطلعها، وهو:

ألا يا دار لولا تنطقينا
فإنا سائلوك فخبرينا)

وقيل : إن هذا الكتاب يتعذّر وجودُه تامًّا، لأن المثالب المذكورة فيه، فى بعض قبائل اليمن، كثيرة وأعدم أهلُ كل قبيلة ما وجده من الكتاب، وتتبعوا إعدام النسخ منه، فحصل نقصُه لهذا السبب، وكتابه فى « أيام العرب » كتاب جميل .

ولما دخل الحُسين بن خالويه الهمذانى النحوى إلى اليمن، وأقام بها بذمار جمع ديوان شعره (ذكر السيوطى أنه يقع فى ستة مجلدات) وعرّبه وأعربه . وهذا الديوان بهذا الشرح والإعراب موجود عند علماء اليمن، وهُمْ به بخلاء . وشعرهُ يشتمل فى الأكثر على المقاصد الحسنة، والمعانى الجزلة الألفاظ، والتشبيهات المصيبة الأغراض، والنعوت اللاصقة بالأغراض والتحريض المحرك للهمم المراض والأمثال المضروبة، والإشارات المحجوبة، والتصرف فى الفنون العجيبة .

(من الكتب التى لم يذكرها المؤلف : كتاب « الحيوان » ذكره السيوطى فى بغية الوعاة، وسماه صاحب كشف الظنون «الحيوان المفترس ») .

قال القاضى صاعد بن الحسن الأندلسى قاضى طُلَيْطِلة - رحمه الله - فى كتابه « طبقات الأمم » / ٥٩ : « وجدت بخط أمير الأندلس الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموى أن أبا محمد الهمدانى توفِّى بسجن صنعاء فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة » .

له ترجمة فى : أخبار الحكماء / ١١٣، وبغية الوعاة / ٢١٧، وتلخيص ابن مكتوم ٥١/ ٥٢، وذيل كشف الظنون للبغدادى ١/ ٣٦٢، وروضات الجنات / ٢٣٨، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسى ٥٨/ ٥٩، وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ٣١٩، وكشف الظنون ١/ ١٤٤، ٢/ ١٣٣٨، ١٤١٥، ١٨٢٢، ٢٠٥٠، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٣٠ - ٢٣١ . وترجم له السيوطى فى البغية / ٢٣٢ ترجمة أخرى باسم « الحسين بن أحمد بن يعقوب أبى محمد الهمدانى » وذكره ابن قاضى شهبة وصاحب روضات الجنات باسم « حسين » أيضًا (إنباه الرواة ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤) .

وقد أضاف الزركلى إلى مؤلفات ابن الحائك كتاب «اليعسوب » و « الأيام » (الأعلام ٢/ ١٧٩) .

(إنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين فى ثنايا النص، والأعلام للزركلى ٢/ ١٧٩) .

*** حب الله تعالى:**

الشعبة العاشرة من شعب الإيمان السابعة والسبعين التى أحصاها الإمام البيهقى فقال :

من شعب الإيمان : الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يُحبونهم كحب الله والذين آمنُوا أشدُّ حُبًّا لله** ﴾ [البقرة : ١٦٥] ولحديث أنس بن مالك فى الصحيحين : ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهُمَا، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّهُ إلاَّ لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن تُوقد له نار فيقذف فيها (جاء فى هامش ١ للمحقق : « هنا تحريف فى الحديثُ لعله من الناسخ ولفظه « ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار» أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان والبخارى فى كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان».

وبه أنبأنا البيهقى قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلميَّ يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سمعت جعفرًا الخلدى يقول: سمعت الجنيد يقول: قال رجل لسريٍّ السقطى: كيف أنت فأنشأ يقولُ:

من لم يبتْ والحُبُّ حشوُ فُؤاده
لم يدرِ كيف تُفَتَّت الأكبادُ

وبه أنبأ أبو عبد الرحمن السلميُّ قال سمعت أبا نصر محمد بن محمد بن إسماعيل قال سمعت أبا القاسم الشيرازى الواعظ قال سمعت أبا دُجانة يقولُ: كانت رابعة إذا غلب عليها حال الحُبِّ تقولُ:

تَعصى الإلهَ وأنت تظهرُ حُبَّهُ
هذا مُحالٌ فى الفعَال بَديعُ
لو كان حُبُّك صادقًا لأطعته
إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ١٨ ـ ٢٠).

*** حُب الله تعالى للعبد:**

أورد الإمام النووى ما يلى فى باب علامات حب الله تعالى العبد والحث على التخلق بها والسعى فى تحصيلها:

قال الله تعالى: ﴿ قُل إن كنتمْ تحبُّون الله فاتَّبعونى يُحببكُم الله ويغفر لكُم ذُنوبَكُمْ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال من عادى لى وليًّا فقد آذنتُهُ بالحرب وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ ممَّا افترضتُ عليه وما يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ فإذا أحببتهُ كنت سمعهُ الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطشُ بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأُعيذنَّه» معنى آذنته بالحرب أعلمته بأنى محارب له.

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ﴿قُل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه لأىِّ شىء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفةُ الرحمن فأنا أحبُّ أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله تعالى يحبه.

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يُحبُّ فلانا فأحبَّهُ فيُحبه جبريلُ فينادى فى أهل السماء إنَّ الله يحبَّ فُلانًا فأحبُّوهُ فيُحِبُّهُ أهلُ السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض».

وفى رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال إنى أُحبُّ فلانا فأحبَّهُ فيُحبُّهُ جبريلُ ثم ينادى فى السماء فيقولُ إنَّ الله يحبُّ فُلانًا فأحبُّوهُ فيُحبُّهُ أهلُ السماء ثم يُوضع له القبُول فى الأرض وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول إنى أُبغِضُ فُلانًا فأبغضهُ فيُبغِضُهُ جبريل ثمَّ يُنادى فى أهل السماء إنَّ الله يبغضُ فلانًا فأبغضوه ثم توضع له البغضاء فى الأرض.

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ اختصره ورتَّبه الشيخ النبهانى / ٢١ ـ ٢٣، وشرح رياض الصالحين للإمام النووى ـ شرحه وحققه الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم ١/ ٥٧٩).

*** حَب الذهب:**

مما ورد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. قال عنه الأنطاكى:

حب الذهب: وهو الموسوم بحب الصبر وهو من تراكيب رئيس الفضلاء قدوة الحكماء الحسين بن عبد الله بن سينا قدس الله نفسه وروّح رمسه يحفظ الصحة وينقى الأخلاط الثلاثة من الرأس والبدن ويفتح السدد ويذهب عسر النفس والأبخرة وأوجاع الظهر والجنب والرجلين ويحد البصر ويهضم الطعام ويدرّ وبالجملة فملازمته تغنى عن الأدوية وحدٌّ الاستعمال منه لمريد الإسهال درهمان. وصنعته: صبر عشرون درهما، كابلى عشرة، ورد أحمر خمسة سقمونيا،

زعفران، مصطكى، كثيرا بيضا من كل ثلاثة، عنبر ذهب من كل أربع قراريط، مرجان ياقوت أحمر لؤلؤ من كل ثلاث قراريط، ولقد زدته للبلغميين وأصحاب الرياح عود هندى سنبل طيب أسارون من كل أربعة دراهم وفى المفاصل والنساء ونحوهما غاريقون أشق تربد أنزروت عاقر قرحا قرحا سورنجان من كل ثلاثة. وللصفراويين مع الأصل الأصيل إهليلج أصفر بنفسج من كل خمسة وإن كان هناك بخار فمرزنجوش كزبرة كذلك، أو ضعف فى الكبد فطباشير كالكزبرة بدل المرزنجوش، أو سوداء فمع الأصل فقط لازورد أو حجر أرمنى نصف درهم يسحق الجميع ويعجن بماء الورد وماء الخلاف والكرفس والرازيانج ويحبب وتبقى قوته إلى سنتين.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٥).

*** حُب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وكرهه ما يكره لنفسه:**

الشعبة السابعة والسبعين والأخيرة من شعب الإيمان التى أحصاها. الإمام البيهقى فقال:

من شعب الإيمان أن يُحبَّ الرجل لأخيه المُسلم ما يُحبُّ لنفسه. ويكرهُ له ما يكرهُ لنفسه. ويدخُلُ فيه إماطة الأذى عن الطريق المُشارُ إليه فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين «الإيمان بضع وستُّون أو بضع وسبعون شُعبةً أفضلها لا إله إلاَّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبة من الإيمانِ».

وحديث أنسٍ فى صحيح البخارى «لا يُؤمن أَحدُكُم حتَّى يُحبُّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسِهِ».

وحديث جرير بن عبد الله فى الصحيحين: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنُّصح لكلِّ مُسلِم.

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى اختصار القزوينى - حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج/ ١١٢، ١١٣).

*** حُب رسول الله ﷺ:**

وجوب محبة النبى ﷺ هو الشعبة الرابعة عشرة من شعب الإيمان السابعة والسبعين التى أحصاها الإمام البيهقى لحديث أنس المتفق على صحته: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين» أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان باب حب رسول الله ﷺ من الإيمان ومسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ومسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين.

ولحديث أنس فى الصحيحين «ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان أن يكُون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهُما» الحديث، ولحديثه فيهما أيضًا قال «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صدقة إلاَّ أنِّى أحبُّ الله ورسوله، قال أنت مع من أحببتَ». اهـ.

وحب رسول الله ﷺ واجب على كل مسلم.

لأنه ﷺ أصل النعمة وسبب الرحمة فقد أنقذنا الله به من الجهالة وظلمتها إلى الإيمان ونوره الذى به سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿ **لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلال مبين** ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومحبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباع سنته وامتثال أمره واجتناب نهيه.

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى اختصار القزوينى - حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج/ ٢٨ وهوامش المحقق).

*** حَبّ الرشاد:**

هو الحُرف فانظره فى موضعه.

*** حَبّ الزلم:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب وفى علم التغذية. أورده المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز لها بالحروف «ع»، «ف»، «ج»:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

حب الزَّلَم - «ع» هو حبٌّ دسم مُفرطح، أكبر من الحِمَّص قليلا، أصفر الظاهر، أبيض الباطن، طيب الطعم، لذيذ المذاق، يجلب من بلاد البربر، ويسمى فُلْفُل السودان عندنا، وفلفل السودان غيره، ويسمى حب عزيز (ذكر داود

الأنطاكى أنه هو المعروف فى مصر بحب العزيز لأنه ملكها، ويقصد العزيز الفاطمى ابن المعز، كان مغرما بأكله) وقد أدخله مصر.

يقوى الظهر، وينفع من أوجاع الكلية الباردة، ويقويها، ويذهب بأوجاع الوركين والفخذين إذا أدمن أكله مع العسل الماذيّ والفانيد، وينفع الأحشاء الباردة. الشربة منه: درهمان (المعتمد ١/ ٨٠).

يقول داود الأنطاكى.

وهو حب أصله بفارس نبات دون ذراع وأوراقه مستديرة كالدراهم ومنه نوع بمصر يزرع بالإسكندرية وحب السمنة صغاره ويجمع بالصيف فى نحو الأسد وأجوده الحديث الرزين الأحمر المفرطح الحلو ويليه الأصفر المستطيل وهذا هو الكثير بمصر والذى كالفلفل إذا كان لينا حُلْوًا كان أجود فى السمنة ومتى تجاوز سنة لم يجز استعماله. وأهل مصر تبله بالماء كثيرا فيفسد سريعًا وهو حار فى الأولى رطب فى الثانية يولد دما جيدا ويسمن البدن تسمينا جيدا ويصلح هزال الكلى ... وحرقان البول والكبد الضعيفة والأمراض السوداوية كالجنون وخشونة الصدر والسعال وإذا انهضم كان غاية ولكنه يولد السدد ويثقل ويضر الحلق ويصلحه السكنجبين وأجود استعماله للسمنة أن يدق وينقع فى الماء ليلة ثم يمرس ويصفى ويشرب بالسكر وشربته إلى اثنى عشر وبدله الحبة الخضراء وما قاله ما لا يسع منطبق على البندق الهندى كما مر.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٤).

*** حب الصنوبر:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب أورده المظفر الرسولى، نقلا عن مصدرين رمز إلى أحدهما بالحرف « ج » وهو ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » وإلى الآخر بالحرف « ف» وهو أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى، قال:

حبُّ الصنوبر ـ « ج » يسمى الكبار منه الجلوز، وحبه أدق من الفُستق، رقيق القشر، هشّـه، ينكسر عن لب متطاول أبيض، دُهنى لذيذ. والكبير منه إلى حرارة ورطوبة، والصغار فهى حب مثلث، أصلب.

« ف » أجوده الأبيض اللؤلؤى الصافى. وهو حار يابس فى الأولى، ينفع الغشاء بماء العسل، وينفع القُولنج، ويفتت حصى الكُلى، وينفع من الأرياح الباردة شربا.

وقد جاء فى هامش (١) هذا التعليق:

حب الصنوبر: منفعته: يسخن الكُلى ... ونافع من الاسترخاء العارض فى البدن، مجفف للرطوبات المتولدة فى الأعضاء، حتى إنه يصلح للمفلوجين أن يتنقلوا به، ويحللوا به الرياح، وإذا نُقع فى الماء الحار حتى تزول حرافته، ويشرب بعقيد العنب، بعد أن يُدق ويُخلط به خل، انحل اللزج من الكلى والمثانة، ونفع من قروحهما، ومن الحصى المتولد فيهما، وإذا أخذ منه بعد أن يُنقع فى الماء الحار، ومن الحصى المتولد فيهما، وإذا أخذ منه بعد أن يُنْقَع فى الماء الحار، ويدق ويُحل بما بزِر الرجلة، سكن الحرقة التى فى المثانة، وفى المعدة، وأفاد البدن الضعيف قوة، مضرته بالمحرورين، يصدع الرأس والعطش، لا سيما من الضعيف، دفع ضرره: أن يُنقع فى الماء الحار، بعد أن يقشر أربع ساعات. ثم يؤكل بالعسل وبالسكر. اهـ.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٤، ٨٥).

*** الحب فى الله والحث عليه:**

أورد الإمام النووى فى كتابه بابا فى فضل الحب فى الله والحث عليه جاء فيه ما يلى:

قال الله تعالى: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحماء بينهم** ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر الآية. وقال تعالى: ﴿ **والذين تبوَّءُوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم** ﴾ [الحشر: ٩].

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف فى النار » متفق عليه.

(شرح رياض الصالحين للإمام النووى ـ شرحه وحققه د. الحسينى عبد المجيد هاشم ١/ ٥٦٨).

*** حب المَحْلَب:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. ذكره المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز إليها بالحروف «ع»، «ج»، «ف» على النحو التالى:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج: ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال: حب المحلب: «ع» فى مَحْلَب: هو حب مدوَّر، عليه قشر إلى الحمرة والسواد، تحتها قشرة خشبية صلبة، داخلها صمغة بيضاء عطرية، فيها شيء من مرارة، وشجره يسمـــو، ولـه خشب غليظ. ويستعمل حب المحلب فى المُشُوحات والنَّقاوات. وقال: هو ضروب: أبيض، وأسود، وأخضر صغير الحبة، وأكبرها مثل الجُلُبانة، وأجوده أبيضه، وأنقاه، وأذكاه رائحة، وأردؤه أسوده. ويستعمل منه قُلوبه دون قشره. وقال: إنه حار لين، نافع لوجع الخاصرة. وإذا شُرِب منه نفع من الغَشْى، وهو من الأدوية النافضة للفضول من البدن، المسمنة، المخرجة للدود وحب القَرَع، النافعة من النُّقرس. وقال: هو حار فى الثانية، يابس فى الأولى، مفتت للحصاة الكائنة فى الكلى والمثانة، وينزل الحيض، جلاَّء لطيف، مسكن للأوجاع، جيد لأوجاع الظهر، نافع للغَشْى مشوبا بماء العسل، وهو نافع للقُولَنْج، ويقلع الكلف إذا طلى به، ويُدِر البول.

«ج» أجوده الرزين. وهو حار يابس، وقيل بارد، يقلع الكلف إذا طُلى بـه، ويـدرّ البـول، ويفتح سُـدد الكبـد والطحال. ويعين على نفث ما فى الصدر والرئة من الرطوبة.

«ف» أجوده الأبيض اللؤلؤى الصافى، وهو حار يابس فى الأولى، ينفع الغشاء بماء العسل، وينفع القُولَنْج، ويفتت حصى الكُلى، وينفع من الأرياح الباردة شربا.

(المعتمد فى الأدوية المفردة ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٣، ٨٤).

*** حب الملوك:**

قال المظفر الرسولى نقلا عن عبد الله بن البيطار صاحب كتاب الجامع لقوى الأدوية والأغذية، وقد رمز إليه بالحرف «ع»:

حبُّ الملوك:

«ع» يقال على الماهودانة. وسيذكر فى حرف الميم إن شاء الله. وأما أهل المغرب والأندلس، فيوقعون هذا الاسم على القراصِيا البَعْلَبَكِّى، ويوقعونه على حب الصَّنَوْبر الكبار. وسيذكر كل واحد منهما فى موضعه إن شاء الله.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨١، ٨٢).

*** حب المَنْسِم:**

مما يرد فى التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. ذكره المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز إليها بالحروف «ع»، «ج»، «ف» على النحو التالى:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج: ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال: حب المَنْسِم: «ع» هو حب يشبه القُرطُم أو حب الفُلْفُل، فى مقداره، ولونه ما بين الصفرة والحمرة، أملس الظاهر، زكى الرائحة، فيه عطرية تؤدى إلى رائحة الأفاويه، ويدخل فى طيب النساء. حار يابس فى الثانية، نافع للمعدة الباردة المسترخية، مسخن مقوّ لها، معين على الهضم، منشف للرطوبات الغالبة على مزاجها.

«ج» هو حب فى مقدار الفلفل، وفى لونه، إلا إنه سهل الانكسار، وأنه شديد البياض، عَطِر، جيد للمعدة الباردة المسترخية.

«ف» مثله. ويقوى المعدة الباردة ...

إلا أنه يورث ضعف الكبد، فيدفع ضرره بالراوند الصينى والسكر، الشربة منه: درهم ونصف.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٣).

*** حب النفط:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم طب الأعشاب. ذكره الأنطاكى فقال عنه:

حب النفط : يعزى إلى جالينوس وهو قوى الفعل جيد ينفع من كل مرض بارد كالفالج واللقوة والرياح والنقرس والقولنج وأمراض المعدة والنسا والمفاصل وتبقى قوته إلى ثلاث سنين وشربته إلى درهمين، قال الرازى : يضر بالكبد ويصلحه ماء الزبيب وحكى إسحاق أنه يفتح البواسير وهذا أصح من الأول ولم يذكر ما يصحه وعندى أن إصلاحه بالكثيرا وماء العناب قولا واحدا . وصنعته : صبر خمسة عشر درهما ماهيزهره، إهليلج أصفر، بزر حرمل، صمغ السذاب فإن تعذر فمثله مرتين أشق جاوشير، مقل أزرق، سكبينج، شحم حنظل بيدستر أنزروت من كل عشرة وفى نسخة تربد عود سوسن من كل سبعة والصواب تركهما إن لم يفرط البلغم وكذا الكلام فى الأفتيمون حيث لا سوداء وقد يدخل الحلتيت وحب الغار وهو الصحيح إن كان هناك حمى أو كان المرض بعد سم شربا أو نهشا يسحق الكل ويعجن بالنفط الأبيض وقد حلت الصموغ فيه مع شيء من الماء الحار. ورأيت فى القراباذين الرومى أنه يعجن بالعسل وهو خطأ فليحذر منه لأنه يحرق شحم الكلى وقد يضاف إلى ذلك شيطرج، قاقلة، يوزيدان، سورنجان، أيارج من كل خمسة فيعظم نفعه فى الأوجاع الباردة خصوصا النقرس.

(تذكرة داود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٦، ١١٧).

*** حب النيل:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب.

أورده المظفر الرسولى فضلا عن مصدرين رمز إلى أحداهما بالحرف «ج» وهو ابن جزلة صاحب كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، وإلى الآخر بالحرف «ف» وهو أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى. قال:

حب النيل: «ج» وهو القُرطُم الهندى، وهو حار يابس فى الدرجة الثانية، وقيل فى الثالثة، وقيل بارد، وهو نافع من البرص والبهق الأبيض، ويسهل الأخلاط الغليظة، والسوداء، والبلغم، والديدان، وحب القرع. وشربته ما بين دانق ونصف إلى نصف درهم، وهو مكرب مُغث. فينبغى أن يلتّ بدهن اللوز، ويخلط مع الإهليلج. وبدله فى الإسهال والنفع من السوداء: وزنه شحم الحنظل، مع سدس وزنه حجر إرمنى.

«ف» هو حب أسود اللون غير مدوّر، برى وبستانى، أجوده الحديث المكتنز، وهو حابس فى الأولى، يسهل البلغم اللزّج، والسوداء والديدان، وإكثاره يضعف القلب، ويدفع ضرره العود الهندى، والسنبل. والشربة منه: درهم ونصف. ويقوى إسهاله إذا وقع مع الكثيرا.

«ج» خاصيه إسهال البلغم، والتنقية، وإصلاحه تجويد سحقه، ولته بدهن اللوز الحلو، والمختار ما كان حديثا رزينا. والشربة منه: ما بين عشرة قراريط إلى ثمانية، وربما أصاب من شربه السُّبات، وأحدث كربا وغما وقبضا على فم المعدة، ومغصا شديدا، وشربته مع غيره من الأدوية نصف درهم. وينبغى أن يخلط مع السّقمونيا والإهليلج بقدر الحاجة، فإنهما يعينانه على الإسهال.

وقال عنه الأنطاكى:

حب النيل هو القرطم الهندى وهو نبت هندى يكون فيه هذا الحب كل ثلاثة أو أربعة فى ظرف إلى العرض وأجود هذا الحب الرزين الحديث المثلث الشكل وقوته تبقى إلى ثلاث سنين وهو حار يابس فى الثانية أو بارد أو رطب فى الأولى إذا مزج بالتربد لم يبق للبلغم أثرا ويستأصل المفاصل والنسا ومادة البهق والبرص والنقرس ويفتح السدد ولكنه يغثى ويكرب خصوصا فى الشبان وربما قيأ حتى الدم ويصلحه دهن اللوز والإهليلج وإحكام السحق وشربته على ما قالوه إلى درهم لكن رأيت من شرب منه ثمانية عشر درهما ولم يسهل كثيرا وعندى أن فعله بحسب السدد وصلابة الأبدان وأن كربه تابع لحرارة المعدة يكثر إذا كثرت وبالعكس وبدله فى إفراط السوداء ثلثه حجر ارمنى وفى البلغم نصفه شحم حنظل لا أن كلا منهما بدله مطلقا كما توهموه فأفهمه.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٢، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٣، ١١٤).

*** الحُبارى:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان.

الحُبارى: بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة، طائر وصفه القزوينى بقوله:

الحبارى: طائر يقال له بالفارسية حور. قالوا: ما فى الطيور أشد بلها منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها. وفى المثل: كل شيء يحب ولده حتى الحبارى، وإذا وقع

زرقه على شيء من الطيور يعمل عمل الدبق، والعرب تقول: الحبارى سلاحه سلاحه لأنها إذا قصدها الصقر لا تزال تعلو وتنزل مع الصقر حتى تجد فرصة فترميه بزرقها فيبقى الصقر مقيدا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحبارات وتنتف ريشه وفي ذلك هلاك الصقر. والحبارى إذا حبس وحبس معه شيء من الطير ونتف ريش صاحبه قبله يموت كمدا. ويقال في المثل: مات كمدا الحبارى.

خواص أجزائه:

داخل قانصته: يجفف ويسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء يزيل بياض العين اكتحالا. قال ابن سينا: بيض الحبارى خضاب جيد فيما يقال، فليجرب بصوفة بيضاء: زبله: نافع للقوابى. (عجائب المخلوقات / ٢٧٢).

ويقول عنه الدميرى: أهل مصر يسمون الحبارى «الحبرج» وهى من أشد الطير طيرانًا وأبعدها شوطا، وذلك أنها تصاد بالبصرة، فيوجد فى حواصلها الحبة الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام. ولذلك قالوا فى المثل: أطلب من الحبارى. وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمدا، والكمد الحزن المكتوم. وهو طائر طويل العنق رمادى اللون فى منقاره بعض طول. وقال الجاحظ: الحبارى لها خزانة فى دبرها وأمعائها لها أبدًا فيها سلح رقيق، فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتف ريشه كله وفى ذلك هلاكه. وقد جعل الله سلحها سلاحًا لها. قال الشاعر:

وهم تركوك أسلح من حُبارى
رأت صقرًا وأشرد من نعام

ومن شأنها أنها تُصاد ولا تصيد، روى البيهقى فى الشُّعب من حديث يحيى بن أبى كثير عن سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه فقال أبو هريرة: كذب والذى نفسى بيده، إن الحبارى لتموت هزالاً من خطايا بنى آدم، وهو كذلك فى تفسير الثعلبى فى آخر سورة فاطر، يعنى إذا كثرت الخطايا منع الله القطر عن أهل الأرض، وإنما يصيب الطير من الحب والثمرة على قدر المطر. قال الشاعر:

يسقط الطير حيث يُلتقط الحَبْـ
ـبُ وتغشى منازل الكرماء

وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق، ومع ذلك تموت جوعًا لهذا السبب فسبحان القادر على ما يشاء. وولدها يقال له «نهار» وفرخ الكروان يقال له «ليل» قال الشاعر:

ونهارًا رأيت منتصف الليـ
ـل وليلاً رأيت وسط النهار

ثم يذكر الدميرى كعادته الحكم الشرعى بشأن أكل لحم الحبارى فيقول: يحل أكلها لأنها من الطيبات. روى أبو داود والترمذى عن يزيد بن عمر بن سفينة مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده أنه قال: أكلت مع رسول الله ﷺ حُبارى. قال الترمذى: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثم يذكر الأمثال التى جاء فيها ذكر الحبارى فيقول: قال عثمان: كل شيء يحب ولده حتى الحبارى، وإنما خصها بالذكر لأنها يُضرب بها المثل فى الحمق، فهى على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلّمه الطيران كغيرها من الحيوان. وقالوا: «أسلح من الحبارى حالة الخوف، وأسلح من الدجاج حالة الأمن» وقالوا: الحبارى خالة الكروان، وقالوا: أقصر من إبهام الحبارى ومن إبهام القطاة.

أما عن خواص الحبارى فيقول الدميرى: لحم الحبارى بين لحم الدجاج ولحم البط فى الغلظ وهو أخف من لحم البط لأنه برّى وهو حار رطب جدا وأجوده المخاليف المكدودة قبل الذبح.

وهو نافع لتسكين الرياح لكنه يضر بالمفاصل والقولنج، ويدفع ضرره الدارصينى والزيت والخل. ويتولد منه دم بلغمى، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة من الشبان، لا سيما إذا أكل فى الشتاء وفى البلاد الباردة. وقال صاحب تقويم الصحة: يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه، وأجوده ما طبخ بعد أن يمضى عليه يومان، ثم يغرز فى صدره وأفخاذه الثوم الكثير والفلفل، ويعمل وهو إذا انهضم ولّد غذاءً كثيرًا. وما كان منه مخلفا خير مما كان عتيقا، ويجب أن يتناول بعده حلواء العسل انتهى. وقال ارسطاطاليس فى النعوت: بيض الحبارى ما كان منه ذكرًا يسوّد الشعر ويبقى صبغه سنة لا ينصل، وما كان منه أنثى لا يسوّد الشعر، ويعرف ما يسود الشعر بأن يؤخذ خيط فيدخل فى إبره ويدخل فى بيضه فإذا اسود الخيط صبغ بها وإلا فلا (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٧٢، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

*** ابن حِبّان (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):**

ذكره صاحب معجم البلدان فى مادة «بست» وقال عنه :

وأبو حاتم محمد بن حِبَّان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمى، كذا نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخارى المعروف بغنجار، ووافقه غيره إلى معبد، ثم قال : ابن هُدبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر الإمام العلامة الفاضل المتقن، كان مكثرًا من الحديث والرحلة والشيوخ، عالمًا بالمتون والأسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمل مُنصفٍ علم أن الرجل كان بحرًا فى العلوم، سافر ما بين الشاش والإسكندرية، وأدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه عن إمام الأئمة أبى بكر بن خزيمة، ولازمه وتلمذ له، وصارت تصانيفه عُدة لأصحاب الحديث غير أنها عزيزة الوجود، سمع ببلده بُست أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضى وأبا الحسن محمد بن عبد الله بن الجنيد البستى، وبهراة أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمى، وبمرو أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى وأبا يزيد محمد بن يحيى بن خلاد المدينى، وبقرية سنج أبا على الحسين بن محمد بن مصعب السنجى وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقُل الهورقانى، وبالصغد بما وراء النهر أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمدانى، وبِنَسا أبا العباس الحسن بن سُفيان الشيبانى ومحمد بن عمر بن يوسف ومحمد بن محمود بن عدى النسويّين، وبنيسابور أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السرّاج الثقفى وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدى، وبأرغيان أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيانى، وبجرجان عمران بن موسى بن مجاشع وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزّان الجرجانيين، وبالرى أبا القاسم العبّاس بن الفضل بن عاذان المقرى وعلى بن الحسن بن مسلم الرازى، وبالكرج أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ والحسين بن إسحاق الأصبهانى، وبعسكر مُكرم أبا محمد عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقى المعروف بعبدان الأهوازى، وبتستر أبا جعفر أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ، وبالأهواز أبا العابس محمد بن يعقوب الخطيب، وبالأُبلة أبا يعلى محمد بن زهير والحسين بن محمد بن بسطام الأُبليَّين، وبالبصرة أبا خليفة الفضل بن الحباب الجُمحى وأبا يحيى زكرياء بن يحيى الساجى وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابى، وبواسط أبا محمد جعفر بن أحمد بن سِنان القطان والخليل بن محمد الواسطى ابن بنت تميم بن المنتصر، وبقم الصِّلح عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصِّلحى، وبنهر سابُس قرية من قرى واسط خلّاد بن محمد بن خالد الواسطى، وببغداد أبا العباس حامد بن محمد بن شُعيب البلخى وأبا أحمد الهيثم بن خلف الدُّورى وأبا القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوى، وبالكوفة أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلى، وبمكة أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى الفقيه صاحب كتاب الأشراف فى اختلاف الفقهاء، وأبا سعيد المفضل بن محد بن إبراهيم الجندى، وبسامرا على بن سعيد العسكرى عسكر سامرًا، وبالموصل أبا يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى وهارون بن المسكين البلدى وأبا جابر زيد بن على بن عبد العزيز بن حيَّان الموصلى وروح بن عبد المجيب الموصلى، وببلد سنجار على بن إبراهيم بن الهيثم الموصلى، وبنصيبين أبا السرى هاشم بن يحيى النصيبينى ومسدد بن يعقوب بن إسحاق الفلوسى، وبكفر توثا من ديار ربيعة محمد بن الحسين بن أبى معشر السلمى، وبسرغامرطا من ديار مضر أبا بدر أحمد ابن خالد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحرّانى، وبالرافقة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادى، وبالرقة الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان، وبمنبج عمر بن سعيد بن سِنان الحافظ وصالح بن الأصبغ بن عامر التنوخى، وبحلب على بن أحمد بن عمران الجرجانى، وبالمصيصة أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى، وبأنطاكية أبا على وصيف بن عبد الله الحافظ، وبطرسوس محمد بن يزيد الدَّرَقى وإبراهيم بن أبى أمية الطرسوسى، وبأذنة محمد بن علان الأذنى، وبصيداء محمد بن أبى المعافى بن سليمان الصيداوى، وببيروت محمد بن عبد الله ابن عبد السلام البيروتى المعروف بمكحول، وبحمص محمد

ابن عبيد الله بن الفضل الكُلاعي الراهب، وبدمشق أبا الحسن أحمد بن عُمير بن جوصاء الحافظ وجعفر بن أحمد ابن عاصم الأنصاري وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغاني الحافظ، وبالبيت المقدس عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي الخطيب، وبالرَّملة أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، وبمصر أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النَّسائي وسعيد بن داود بن وردان المصري وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم.

روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عبد الله بن منده الأصبهاني وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار الحافظ الذُّهلي الهروي وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي وجعفر بن شعيب بن محمد السمرقندي والحسن بن منصور الأسفيجابي والحسن بن محمد بن سهل الفارسي وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني وأبوعبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشنام الشروطي وجماعة كثيرة لا تحصى.

أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني إذنًا عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي عن أبي عثمان سعيد البُحتُري قال: سمع الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: أبو حاتم البستي القاضي كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يُسبق إليه، وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن ثم ورد نيسابور سنة ٣٤٤، وحضرناه يوم جمعة بعد الصلاة فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس وأنا أصغرهم سِنًّا فقال: استمل، فقلت: نعم، فاستمليت عليه، ثم أقام عندنا وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها وانصرف إلى وطنه، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته.

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي شفاهًا قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي إذنًا عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت كتابة قال: ومن الكُتُب التي تكثر منافعها إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعُها مصنفات أبي حاتم محمد بن حِبّان البُستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني على تذكرة بأسمائها، ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا، وأنا أذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحتُه.

فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة أجزاء، وكتاب التابعين اثنا عشر جزءًا، وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزءًا، وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءًا، وكتب تُبّاع التبع عشرون جزءًا وكتاب الفصل بين النقلة عشرة أجزاء وكتاب علل أوهام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء، وكتاب علل حديث الزُهري عشرون جزءًا، وكتاب علل حديث مالك عشرة أجزاء، وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه عشرة أجزاء، وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة عشرة أجزاء، وكتاب ما خالف الثَّوري شعبة ثلاثة أجزاء، وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السُّنن عشرة أجزاء، وكتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء، وكتاب ما عند شُعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن، وكتاب غرائب الأخبار عشرون جزءًا، وكتاب ما أغرب الكوفيون عن البصريين عشرة أجزاء، وكتاب ما أغرب البصريون عن الكوفيين ثمانية أجزاء، وكتاب أسامي من يُعرف بالكُنى ثلاثة أجزاء، وكتاب كُنى من يُعرف بالأسامي ثلاثة أجزاء، وكتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء، وكتاب التمييز بين حديث النضر الحُداني والنضر الخزَّاز جزآن، وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سُوار جزآن، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة أجزاء، وكتاب الفصل بين مكحول الشامي، ومكحول الأزدي جزءٌ، وكتاب موقوف ما رُفع عشرة أجزاء، وكتاب آداب الرجالة جزآن، وكتاب ما أسند جُنادة عن عُبادة جزءٌ، وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزءٌ، وكتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزآن، وكتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان ثلاثة أجزاء، وكتاب مناقب مالك بن أنس جزآن، وكتاب مناقب الشافعي جزآن، وكتاب المعجم على المُدُن عشرة أجزاء، وكتاب المُقِلين من الحجازيين عشرة أجزاء، وكتاب المُقلين من العراقيين عشرون جزءًا، وكتاب الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءًا، وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة جزآن، وكتاب وصف المعدل والمعدّل جزآن، وكتاب الفصل بين حدَّثنا وأخبرنا جزءٌ، وكتاب وصف العلوم وأنواعها ثلاثون جزءًا، وكتاب الهداية إلى علم السنن، قصد فيه إظهار الصناعتين

اللتين هما صناعة الحديث والفقه، يذكر حديثًا ويترجم له ثم يذكر من يتفرَّد بذلك الحديث ومن مفاريد أي بلد هو ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يُعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة، فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما، وإن تضاد لفظهُ في خبر آخر تلطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معًا، وهذا من أنبل كُتبه وأعزِّها.

قال أبو بكر الخطيب: سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقلت له: أكلُّ هذه الكُتب موجودة عندكم ومقدور عليها ببلادكم؟ فقال: إنما يوجد منها الشيء اليسير والنزرُ الحقير، قال: وقد كان أبو حاتم بن حبان سَبَّل كُتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها لها، فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد على أهل تلك البلاد.

قال الخطيب: ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ويجلدوها إحرازًا لها، ولا أحسب المانع من ذلك كان إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحلّ العلم وفضله وزُهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله أعلم.

قال الإمام تاج الإسلام: وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعًا كتاب التقاسيم والأنواع، خمسة مجلدات، قرأتها على أبي القاسم الشَّحّامي عن أبي الحسن النُّخاني عن أبي هارون الزوزني عنه، وكتاب روضة العقلاء، قرأته على حنبل السجزي عن أبي محمد النوني عن أبي عبد الله الشروطي عنه، وحصل عندي من تصانيفه غير مُسندة عدةُ كتب: مثل كتاب الهداية إلى علم السنن من أوله قدر مجلدين، وله، وهو أشهر من هذه كلها، كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الإيمان وكتاب صفة الصلاة، أدرك عليه في كتاب التقاسيم فقال: في أربع ركعات يصليها الإنسان ستمائة سنة عن النبي ﷺ أخرجناها بفصولها في كتاب صفة الصلاة فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب.

قال أبو سعد: سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الاستراباذي يقول: أبو حاتم بن حبان البُستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار، عالمًا بالطب والنجوم وفنون العلم، ألَّف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكُتب الكثيرة من كل فنّ.

أخبرتني الحرة زينب الشعرية إذنًا عن زاهر بن طاهر عن أحمد بن الحسين الإمام، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول: أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة، ولهم جرايات يستنفقونها داره، وفيها خزانة كُتبه في يدي وصي سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير أن يخرجه منها، شكر الله له عنايته في تصنيفها وأحسن مثوبته على جميل نيته في أمرها بفضله ورأفته ...

قال أبو يعقوب إسحاق بن أبي إسحاق القرّاب: سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستاني يقول: توفي أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤، وعن شيخنا أبي القاسم الحرستاني عن أبي القاسم الشحامي عن أبي عثمان سعيد بن محمد البحتري، سمعت محمد بن عبد الله الضبي يقول: توفي أبو حاتم البستي ليلة الجمعة لثماني ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤، ودفن بعد صلاة الجمعة في الصفة التي ابتناها بمدينة بُست بقرب داره، وذكر أبو عبد الله الغنجار الحافظ في تاريخ بُخارى أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره ببست معروف يزار إلى الآن، فإن لم يكن نُقل من سجستان إليها بعد الموت وإلا فالصواب أنه مات ببست (معجم البلدان ١/ ٤١٥ - ٤١٩).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة بين الكتب التي التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين فقال: وصحيح أبي حاتم محمد بن حِبَّان ... أحد الحفاظ الكبار.. وهو المسمى بالتقاسيم والأنواع في خمس مجلدات، وترتيبه مخترع ليس على الأبواب ولا على المسانيد، والكشف منه عسر جدا، وقد رتبه بعض المتأخرين على الأبواب ترتيبًا حسنًا وهو الأمير علاء الدين أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله

الفارسي الحنفي الفقيه النحوي المتوفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وسمّاه « الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبّان » كما أنه رتب معجم الطبراني الكبير على الأبواب أيضًا، وصحيح ابن حبّان هذا موجود الآن بتمامه بخلاف صحيح ابن خزيمة فقد عدم أكثره كما قال السخاوي. وقد قيل إن أصح من صنّف في الصحيح بعد الشيخين ابن خزيمة فابن حبان. اهـ (الرسالة المستطرفة / ١٦، ١٧).

ويضيف فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو إلى ذلك قوله:

وقد نسبوا إليه التساهل في التصحيح إلا أن تساهله أقل من تساهل الحاكم. قال الحازمي: « ابن حبان أمكنُ في الحديث من الحاكم ».

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو معلقا على ذلك:

ومنشأ تساهل ابن حبان أنه كان يقول: « من كان منكر الحديث على قلته لا يجوز تعديله إلا بعد السبر. ولو كان ممن يروي المناكير ووافق الثقات في الأخبار لكان عدلاً مقبول الرواية إذ الناس في أقوالهم على الصلاح والعدالة حتى يتبين منهم ما يوجب القدح هذا حكم المشاهير، فأما المجاهيل الذين لم يرو عنهم إلا الضعفاء فهم متروكون على الأحوال كلها ». قال ابن حجر في مقدمة لسان الميزان بعد أن حكى قوله هذا: « وهذا الذي ذهب إليه ابن حبان من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة حتى يتبين جرحه مذهب عجيب والجمهور على خلافه وهذا هو مسلك ابن حبان في كتاب الثقات فإنه يذكر خلقًا ممن نص عليهم أبو حاتم وغيرهم على أنهم مجهولون. وقد أفصح ابن حبان بقاعدته فقال: العدل من لم يعرف فيه الجرح إذ التجريح ضد التعديل فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه إذ لم يكلف الناس ما غاب عنهم، وقال في ضابط الحديث الذي يحتج به: إذا تعرى راويه من أن يكون مجروحًا أو فوقه مجروح أو دونه مجروح أو كان سنده مرسلاً أو منقطعًا أو كان المتن منكرًا. اهـ.

فمن هذا ترى أن ابن حبان يحكم للرجل بالعدالة إذا انتفت جهالة عينه (وجهالة العين ترفع عنده برواية واحد مشهور وهو مذهب شيخه ابن خزيمة. ومجهول العين عند الجمهور هو كل من لم يعرفه العلماء ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد) حتى يتبين جرحه، وهذا خلاف ما عليه الجمهور فإن جهالة العين عندهم لا تزول إلا برواية عدلين فصاعدًا عن المجهول وتعيينهما له ومع ذلك لا يثبت له حكم العدالة بروايتهما هذه. وزعم قوم أن يكون العدل لا يعرف عدالته فلا تكون روايته عنه تعديلاً له ولا خبرًا عن صدقه، وقد وجد من جماعة من الثقات الرواية عن جماعة غير مرضيين أمسكوا في بعضها عن ذكر أحوالهم وفي بعضها شهدوا عليهم بالكذب، فراوية العدل أو العدلين أو الأكثر عن راو لا يعد توثيقًا له خلافًا لما ذهب إليه ابن حبان ومن هنا نرى أن إطلاق الصحيح على كتابه فيه تجوز لأن كلامه في الرواة يدخل عليه الحسن وقد حاول بعض العلماء الدفاع عنه. فقال: « إن كانت نسبة التساهل إليه باعتبار وجدان الحسن في كتابه فهي مشاحة في الاصطلاح لأنه يسميه صحيحًا وإن كانت باعتبار خفة شروطه فإنه يخرج في الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس سمع من شيخه وسمع منه الآخذ عنه ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع وإذا لم يكن في الراوي جرح ولا تعديل وكان كل من شيخه والراوي عنه ثقة ولم يأت بحديث منكر فهو عنده ثقة وفي كتاب الثقات له كثير ممن هذه حاله ولأجل هذا ربما اعترض عليه في جعلهم ثقات من لم يعرف اصطلاحه ولا اعتراض عليه فإنه لا مشاحة في ذلك فابن حبان وفّى بما التزمه من الشروط بخلاف الحاكم » (الحديث والمحدثون / ٤٢٦، ٤٢٧).

ومن مصنفات ابن حبان أيضًا « التاريخ » و« الضعفاء »، و«فقه الناس » (السنة النبوية وعلومها / ٣٨٥).

(معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٤١٥ ـ ٤١٩، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ١٦، ١٧، والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٤٢٦، ٤٢٧، والسنة النبوية وعلومها ـ د. أحمد عمر هاشم / ٣٨٥. انظر أيضًا الأعلام للزركلي ٦/ ٧٨ وقد أدرجه تحت اسم « أبو حاتم البستي »).

*** الحبائك في أخبار الملائك:**

رسالة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي أولها:

أما بعـد حمدًا لله جـاعل الملائكـة ... إلخ استوعب فيهـا ما وردت به الأحاديث والآثار (كشف ١/ ٦٢٩).

يوجد مخطوطه فى خزانة مخطوطات عباس العزّاوى، من الخزائن الخطية الخـاصة فى قسم المخطوطـات بدائرة الآثار والتراث ببغداد.

نسخة جيدة كتبها محمد قـاسم الطرابلسى سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م.

الرقم ١١١١١.

القياس ٥٧ص ٢٩×٣٠سم ٣١س.

معجم المؤلفين ٥/ ١٢٨.

نشره عبد الله الصديق فى القاهرة سنة ١٩٦٤م.

ذخائر التراث ١/ ٥٩٥.

(«مخطوطـات عباس العزّاوى» ـ أسامـة ناصر النقشبنـدى وظمياء محمد عباس. مجلة المورد ـ بغـداد، المجلد السابع عشر، العدد الثانى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ١٩١، ١٩٢).

قالت المؤلفـة: النسخة التى عندى الناشر هو مطبعة دار التأليف ـ صححه وعلّق حواشيه أبو الفضل عبد الله الصِّديق، وهى بدون تاريخ وتقع فى ٢٢٧ صفحة والفهرس ٣ ص.

*** الحبر:**

الحبر: بفتح الحاء وكسرها لغتان واختار ابن قتيبة فى أدب الكـاتب الحبـر بـالكسـر وبـه سمى الحبـر الـذى يكتب بـه والجارى على ألسنـة النـاس الفتح. واللقب من ألقاب أكـابر العلمـاء والحبرى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى/ ١٠١).

قال الإمام النووى:

الحبر الذى يكتب به مكسور الحاء وأما العالم فيقال بفتح الحاء وكسـرها لغتـان مشهورتـان والمحبرة وعـاء الحبر وفيهـا لغتان فتح الميم وكسرها وممن ذكر اللغتين فيها شيخنا جمال الدين بن مـالك رضى الله تعالى عنهما فى كتابـه المثلث قوله برد حبرة هو بكسر الحـاء وفتح الباء كعنبة وهى مفردة والجمع حبـر وحبـرات كعنبـة وعنب وعنبـات ويقـال بـرد حبـرة على الـوصف وبرد حبـرة على الإضافـة وهـو أكثر فى استعمـالهم ويقال برد حبير على الوصف وهو ثوب يمان يكون من قطن أو كتـان مخطط محبـر أى مـزيـن والتحبيـر التـزيين والتحسين (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٦١).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمـد قنـديل البقلى عن صبح الأعشى للقلقشنـدى ٦/ ١٢، وتهـذيب الأسمـاء واللغات لـلإمـام محيى الدين بن شرف النووى ٣/ ٦١).

*** حَبرون:**

حبرون: مدينة كنعانية تعد من أقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى، وسميت أيضًا «ممرا» و«أربع» تقع على بعد (٤٤) كيلـو مترًا جنـوبى القـدس، سكنهـا الأنبياء: إبـراهيم وإسحاق ويعقوب، لا زالت تعرف بحبرون الزاهرة.

والخليل نسبـة إلـى إبـراهيم، فيهـا جـامـع يحتـوى على أضرحـة إبراهيم وإسحاق ويعقـوب مع نسائهم: سـارة ورفقة وليئة، وهـؤلاء حسب نص التوراة دفنوا جميعًـا فى حبرون فى مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التى هى حبرون.

وكانـت حبرون مقرًا لـداود إلى أن جعل أورشليم عـاصمة (من كتاب معجم البلدان ١/ ١٩٧ هامش ١).

قال عنها ياقوت:

حَبْرُون: بـالفتح ثم السكـون وضم الراء وسكـون الـواو، ونون.

اسم القرية التـى فيها قبرُ إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ بالبيت المقدّس، وقد غلب علـى اسمها الخليلُ، ويقال لها أيضًا: (حَبْرى) وروى عن كعب الحبْر أنَّ أول من مات ودفن فى حبرى (سـارة) زوجة إبراهيم، عليه السـلام، وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعًـا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه، وكان مسكنـه ناحية حبرى، فاشتـرى الموضع منه بخمسين درهمًـا، وكـان الـدرهم فى ذلك العصـر خمسـة دراهم، فـدفن فيـه (سـارة) ثم دُفن إبـراهيم إلى جنبهـا. ثم توفيت (ربقـة) زوجة إسحاق عليـه السلام، فـدفنت فيه، ثم تـوفى إسحـاق فدفن فيـه لـزيقهـا. ثم توفـى يعقوب، عليـه السـلام، فدفن فيـه ثم تـوفيت زوجته (لعيـا)، ويقال: إيليـا فدفنت فيه إلى أيام سليمان بن داود، عليهما السلام، فأوحى الله إليه أن ابن على قبر خليلى حَيْرًا ليكون لزوّاره بعدك، فخرج سليمان عليه السلام حتى قدم أرض كنعان وطاف فلم يُصبه، فـرجع إلى البيت المقـدس، فأوحى الله إليـه: يـا سليمـان، خالفت أمرى؟ فقال: يا رب لم أعرف الموضـع، فأوحى إليه: امضِ فإنَّك تـرى نـورًا مـن السمـاء إلى الأرض، فهـو مـوضـع

خليلى، فخرج فرأى ذلك، فأمر أن يُبنى على الموضع الذى يُقال له: الرامة، وهى قرية على جبل مطلٌ على حبرون، فأوحى إليه: ليس هذا هو الموضع، ولكن انظر إلى النور الذى قد التزق بعنان السماء، فنظر فكان على حبرون فوق المغارة فبنى عليه الحير.

قالوا: وفى هذه المغارة قبرُ آدم، عليه السلام، وخلف الحير قبرُ يوسف الصديق جاء به موسى عليه السلام من مصر. وكان مدفونًا فى وسط النيل فدفن عند آبائه، وهذه المغارة تحت الأرض، قد بُنى حوله حير مُحكم البناء حُسّن بالأعمدة الرخام وغيرها، وبينها وبين البيت المقدس يومٌ واحد. وقدم على النبى ﷺ تميمٌ الدارى فى قومه وسأله أن يقطعه حبرون فأجابه وكتب له كتابًا نُسخته:

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ، لتميم الدارىّ وأصحابه. إنى أعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم بذمتهم، وجميع ما فيهم عطية بتّ ونفذتُ وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم بعدهم أبدَ الأبدين، فمن آذاهم فيه آذى الله. شهد أبو بكر بن أبى قحافة وعمر وعثمان وعلىّ بن أبى طالب ».

انظر ترجمة تميم الدارى فى م ١٠/ ٤٤٤ ـ ٤٤٦ من هذه الموسوعة.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢١٢، ٢١٣، ومن كتاب معجم البلدان ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ١٩٧ ـ ٢١٢ وهامش ١ ص ١٩٧).

*** حبش الحاسب:**

من علماء الرياضيات والفلك المسلمين قال عنه قدرى حافظ طوقان رحمه الله: ظهر فى عصر « المأمون » ولم تكتب عنه المصادر شيئًا جديرًا بالاعتبار، ويقول ابن النديم (الفهرست / ٣٨٤) إنه جاوز سنّ المائة.

قضى معظم أوقاته فى المطالعة والبحث فى كتب الأقدمين فى مختلف الفروع، وهو من الذين كتبوا كثيرًا فى الفلك وآلات الرصد.

ويقال إنه عمل أول جدول للظل وللظل تمام، ويوجد هذا الجدول فى إحدى المخطوطات فى « برلين ».

ويظهر أن « حبشًا الحاسب » استعمل القاطع أيضًا.

وله عدة تآليف منها:

« ثلاثة أزياج »، أولها: المؤلف على مذهب « السند هند »، خالف فيه « الفزارى » و « الخوارزمى » فى عامة الأعمال، واستعماله لحركة إقبال البروج وإدباره على رأى «ثاون الإسكندرانى » واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول.

وثانيها: « الزيج الممتحن » وهو أشهر ما له، ألَّفه بعد أن رجع إلى معاناة الرصد، وضمنه حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان فى زمانه ... » (صاعد الأندلسى: طبقات الأمم/ ٨٦).

ومما يدل على منزلة هذا الزيج وفضل مؤلفه، كون « أبى الريحان البيرونى » دافع عن « الزيج الممتحن » فى كتابين من كتبه (صالح زكى: آثار باقية مجلد ١/ ١٥٧)، وقد لقب «حبش الكاتب الحاسب» « بالحيكم حبش فى كتابه و«الآثار الباقية عن القرون الخالية (البيرونى: الآثار الباقية / ١٩٨).

وثالثها: « الزيج الصغير » المعروف « بالشاه » (صاعد الأندلسى: طبقات الأمم/ ٨٦).

وله أيضًا « كتاب الأبعاد والأجرام » « كتاب عمل الاسطرلاب »، « كتاب الرخائم والمقاييس »، « كتاب الدوائر الثلاث المماسة وكيفية الأوصال »، كتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة » (الفهرست / ٣٨٤). وقد لاحظت أن « لحبش » أيضًا زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة: « الزيج الدمشقى »، و « الزيج المأمونى »، وهذان الزيجان مذكوران فى كتابى « تاريخ الحكماء » و«الفهرست ».

ويقول صاحب كتاب « آثار باقية » إن هذين الزيجين، قد يكونان كناية عن « الزيج الممتحن » (صالح زكى: آثار باقية ١/ ١٥٧).

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ١٨٥، ١٨٦. انظر أيضًا الفهرست لابن النديم/ ٣٨٤).

انظر: الأزياج (علم ـ) م٤/ ١٢٧ ـ ١٢٩ .

* **الحبشة (إثيوبيا):**

أحد بلاد شمال شرق إفريقية، يحف بها البحر الأحمر من الشمال والشمال الشرقى، يحدها السودان من الغرب، وكينيا من الجنوب، والصومال وجيبوتى من الشرق وعاصمتها «أديس أبابا» ويبلغ عدد السكان حتى عام ١٩٨٣، ٢٩,٣ مليون نسمة، وعدد المسلمين منهم ١٦ مليونا (٥٥٪) (جغرافية العالم الإسلامى / ١٥٨).

اسمها الحالى «إثيوبيا» واسمها القديم الذى عرفت به فى التاريخ الإسلامى هو «الحبشة» التى كانت إليها الهجرة الأولى للمسلمين، ومن ثم دخل الإسلام هذه البلاد فقد عرف العرب الحبشة منذ العصر الجاهلى. ولما اختار الله سبحانه محمدا ﷺ لتبليغ رسالته، وبعثه بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، صادف الرسول الكريم فى سبيل دعوته ضروبا من الأذى، ولاقى صنوفا من الهوان... بيد أنه صبر وثابر. وقد نال أصحابه من الاضطهاد والهوان ما ضيق فى وجوههم المسالك، وترصدتهم المهالك فى كل طريق، وأوذوا فى أنفسهم وأموالهم، فقال لهم الرسول صلوات الله عليه: «اخرجوا إلى جهة أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» (الإسلام فى المشارق والمغارب / ٩٨، ٩٩).

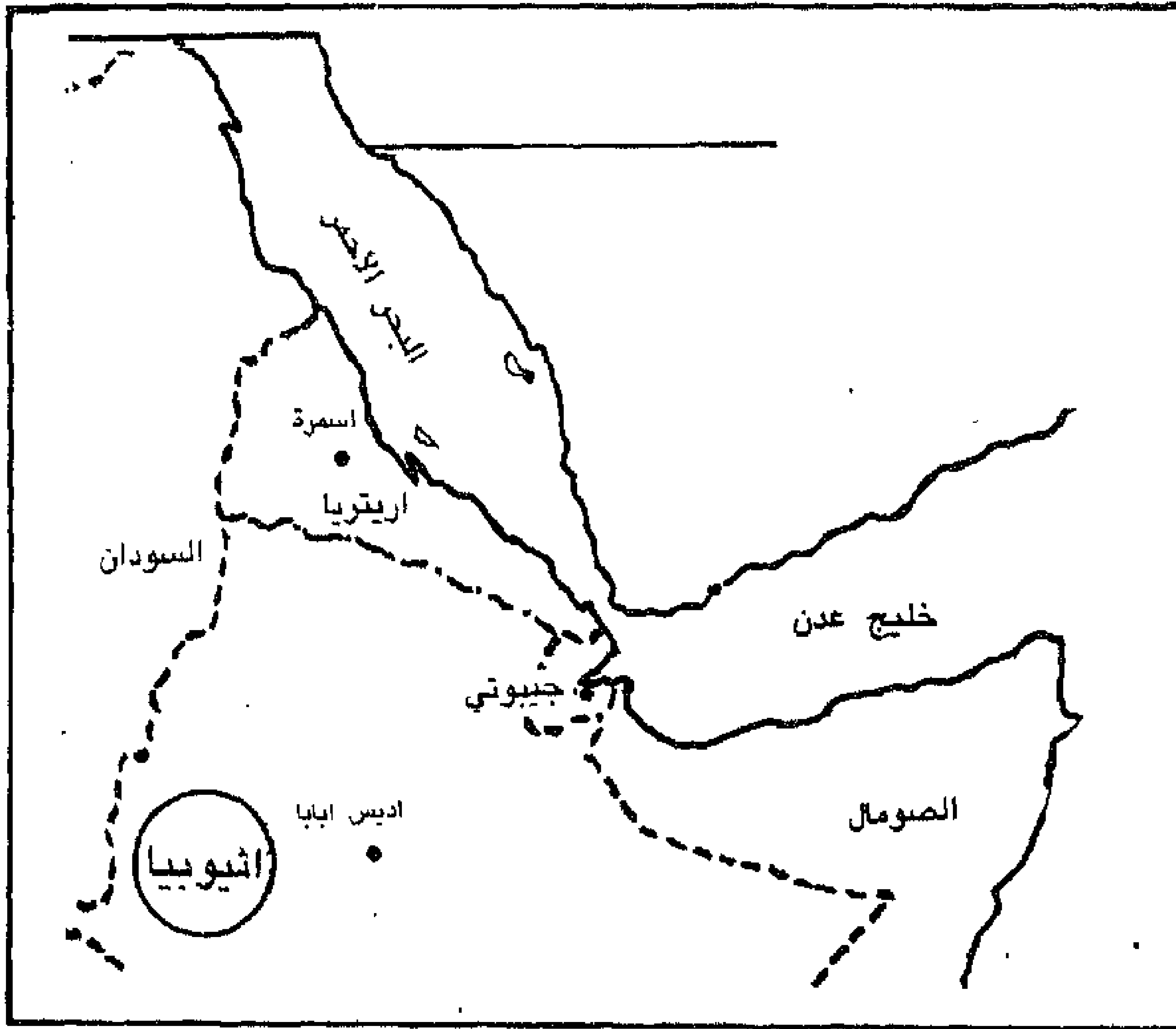
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة قال ابن إسحاق: وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر: عثمان بن أبى العاص بن أمّية معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، أحد بن عامر بن لؤى، وولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد.

ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار.



ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح.

ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عنز بن وائل - معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب.

ومن بني عامر بن لؤي: أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، ويقال: أول من قدمها.

ومن بني الحارث بن فهر: سهيل ابن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ...

عدد مهاجري الحبشة: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يُشكّ فيه ... (السيرة النبوية ١/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٦).



أحد مساجد مدينة هرر القديمة

لقد خرجوا مهاجرين إلى الحبشة، وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، وأوفدت قريش في أثرهم عمرو بن العاص - وكان وقتئذ على دين قريش - وعمارة بن الوليد بن المغيرة، ومعهما هدية إلى النجاشي ملك الحبشة، لكي يرد إلى مكة من هاجر إلى بلاده من المسلمين.

فلما دخل عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد

على النجاشى، سجدا له، وجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وقالا: « إن نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك، فرغبوا عنا وعن آلهتنا، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم. وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قريش لتردوهم إليهم ».



مدرسة إسلامية مهجورة

فقال النجاشى: « وأين هم ؟ » . قالوا « بأرضك أرسل فى طلبهم ». فانتفض النجاشى من مكانه، وقال فى عزم وإصرار ورباطة جأش: « والله لا أسلم حتى أعلم على أى شىء هم».

فأراد عمرو بن العاص أن يستخدم دهاءه ـ وكان معروفا بالدهاء ـ حتى يظفر برضا ملك الحبشة، ويوغر صدره على المسلمين فيسلمهم فقال: « يا أيها الملك العظيم. إنهم قوم لا يسجدون للملك إذا دخلوا عليه رغبة عن سنتكم ودينكم». ولكن النجاشى أراد أن يتأكد من ذلك بنفسه، فأمر بإحضارهم ليعلم صدق حديثهم، ويقف بنفسه على أمرهم. فلما جاءوا كان جعفر بن أبى طالب على رأسهم، فأخذوا يتشاورون فيما يجيبون به الملك إذا دخلوا عليه. فاستقر رأيهم على أن يجيبوا بما أمر به الرسول الكريم، الصامد فى مكة يصابر قريشا ويتحمل أذاها ويناضل فى سبيل الدعوة الإسلامية دون كلال ولا ملال ودون خوف ولا وجل.

ودخلوا على النجاشى حاملين المصاحف فى أيديهم، وابتدروه بالسلام، فقال الملك لجعفر: « ما لك لا تسجد ؟ » وسارع عمرو بن العاص: فقال « ألا ترى أنهم يكتفون بأنهم حزب الله أيها الملك؟ إنهم مستكبرون، ولم يحيوك التحية اللائقة! » ولكن النجاشىء لم يثر، ولم يغلظ القول، إنما قال لهم فى تؤدة وهدوء: « مامنعكم أن تسجدوا وتحيونى بتحيتى التى يحييني بها الناس ؟ ».

قال جعفر بن أبى طالب فى شجاعة وصلابة عود: « لا نسجد إلا لله عز وجل » . فسر الملك بهذه الشجاعة النادرة، وهذا الإيمان العميق وقال: « لم ذلك ؟ » فأجابه جعفر: « لأن الله تعالى أرسل فينا رسولاً، وأمرنا ألا نسجد إلا لله عز وجل، وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام. وقد حييناك بالذى يحيى به بعضنا بعضا » فأيقن النجاشى بصدق قولهم لما يعلمه من ذلك فى الإنجيل.

وشعر عمرو بن العاص بخيبة مسعاه، وفشله فى تأليب النجاشى على المسلمين، فاندفع قائلا: « إنهم يخالفونك فى ابن مريم، ولا يقولون إنه ابن الله عز وجل ». فقال النجاشى لجعفر: « فما تقولون فى ابن مريم وأمه؟ ». فقال: « نقول كما قال الله عز وجل: روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء فخرج منها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ».

فقال النجاشى: « يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون. أشهد أنه رسول الله، وأنه الذى بشر به

عيسى فى الإنجيل. فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ... لقد سألت عن نسب الرسول، فقالوا: هو فينا ذو نسب. وهكذا الأنبياء يرسلها الله ويصطفيها من صفوة خلقه. وسألت عن حاله أيطلب ملكا فقالوا: لا. وهكذا الأنبياء فى دعوتهم إلى الله خالصة لا يبغون من ورائها جاها ولا سلطانا. وسألت عن صدقه، فقالوا: صادق. وهكذا الأنبياء يشتهرون بالصدق، ويتسمون بالإخلاص، والله إنه لرسول الله حقا. وستنتشر دعوته حتى تعم الآفاق، فخذوا على يد هذا الرجل الأمين».

وقد بعث الرسول ﷺ على يد عمرو بن أمية، كتابا إلى النجاشي جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة: سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخته، كما خلق آدم بيده. وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل. وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتى. والسلام على من اتبع الهدى».

فلما سلم جعفر بن أبى طالب الكتاب إلى النجاشى، وضعه على عينيه، ونزل عن سريره وجلس على الأرض، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله». وطلب حقا من العاج، ووضع فيه كتاب رسول الله ﷺ وهو يقول: «لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم». ثم بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ جاء فيه:

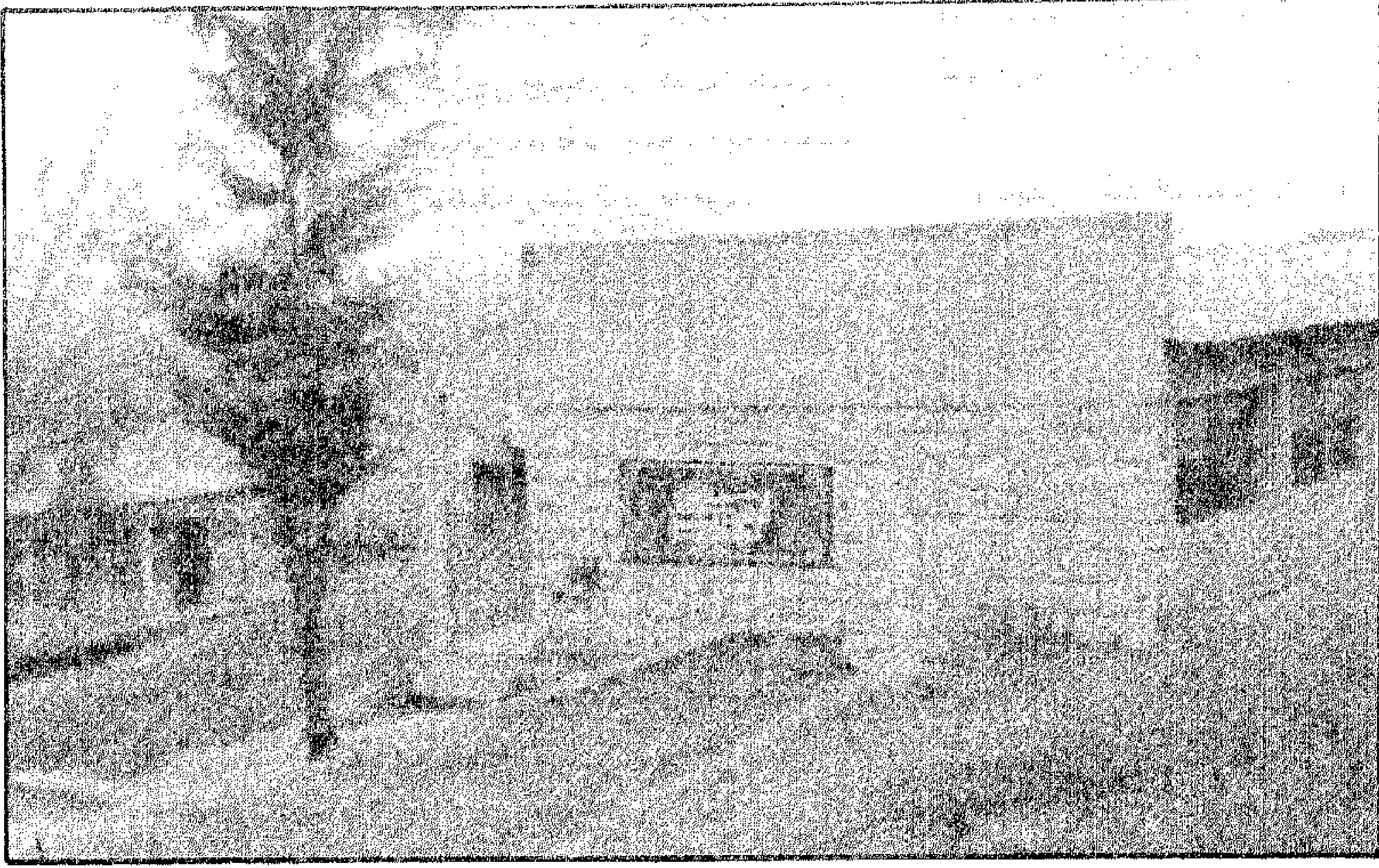
«بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمه سلام عليكم يا نبى الله من الله ورحمته وبركاته الذى لا إله إلا هو، والذى هدانى للإسلام، أما بعد، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام. فورب السماء والأرض إن عيسى عليه السلام. لا يزيد على ما ذكرت. وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقربنا ابن عمك وأصحابك، وأشهد أنك رسول الله ﷺ صادقا. وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يده بالله رب العالمين».

وقد سر النبى سرورا عظيما لإسلام النجاشى، وعدَّه ظفرًا للمسلمين، ولما توفى فى رجب سنة ٩هـ / ٦٣٠م، صلى عليه الرسول صلاة الغائب وقد عبثت بقبره السنون، فجدد ضريحه أحد أغنياء السودان الأتقياء، وهو الحاج



أزماج محمد عبده، من أهالي عدوة تجري ولا يزال الأحباش يؤمونه حتى اليوم مترحمين على أول ملك مسلم في تاريخ الحبشة.

(الإسلام في المشارق والمغارب / ٩٩، ١٠٠).



مبنى هيئة علماء هرر

العائدون من أرض الحبشة:

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا.

فكان ممن قدم عليه مكة منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدرًا ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وامرأته سهلة بنت سهيل.

ومن حلفائهم: عبد الله بن جحش بن رئاب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان، حليف لهم، من قيس عيلان.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

ومن بني عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف، وسُويبط بن سعد بن حرملة.

ومن بني عبد بن قصي: طُليب بن عمير بن وهب بن عبد.

ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة والمقداد بن عمرو. حليف لهم، وعبد الله بن مسعود، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد ابن هرمي بن عامر بن مخزوم. وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق.

ومن حلفائهم: عمار بن ياسر، يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. وابنه السائب ابن عثمان. وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب: خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدى، وهشام بن العاص بن وائل، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدنية حتى قدم بعد بدر وأُحد والخندق.

ومن بني عدى بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف لهم، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن حذافة بن غانم.

ومن بني عامر بن لؤى: عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى ابن أبي قيس. وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وكان حبس عن رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد معه بدرًا، وأبو سبرة ابن أبي رُهم بن عبد العزى، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سودة بنت زمعة.

ومن حلفائهم ـ سعد بن خولة.

ومن بني الحارث بن فهر: أو عبيدة بن الجراح، وهو عامر ابن عبد الله بن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا.

(السيرة النبوية ٢/ ١٢، ١٣).

ونخلص من ذلك إلى أن الهجرة إلى أرض الحبشة كانت مرتين. أما الأولى فكان عدد المهاجرين فيها اثنى عشر رجلا وأربع نسوة، وكان خروجهم فى شهر رجب سنة خمس من النبوة فأقاموا فيها شهرين، وسمعوا أن الإسلام أخذ ينتشر فى مكة فعادوا ولقوا من المشركين أشد مما عهدوا.

وأما الهجرة الثانية فكانت بعد عودة هؤلاء المهاجرين بقليل لاشتداد الأذى من قريش، والمشهور أنه كان عدد المهاجرين فيها ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة (الدرر / ٥٠ هامش ١).

والجدير بالذكر أن الرسول ﷺ كان يعامل الأحباش معاملة حسنة، ويفقههم فى أمور الدين ... بل لقد لازمه بعضهم، ورووا الأحاديث النبوية عنه ومن هؤلاء ذو محمد ـ أو محبر فى رواية أخرى ـ وهو ابن أخى النجاشى وقد لازم النبى ملازمة كلية حتى عده بعض العلماء من مواليه. ونزل الشام فى آخر أيامه، ومات فى حدود الستين للهجرة.

وقد تتابع على مر السنين إسلام القبائل الحبشية.

(المشارق والمغارب / ١٠٠، ١٠١).

وانتشر الإسلام وقامت أقوى رقعة إسلامية فى «سلطنة أوفات» أسسها قوم من بنى قريش وأوفات، وتعتبر هذه البقعة من أكبر مدن الحبشة، وتقع غربى زيلع.

واستطاعت سلطنة أوفات، رغم ما قوبلت به من تيارات عصبية معادية، أن تبقى على الإسلام الذى راح ينتشر بسرعة بين أرجاء البلاد.

ومن سلطنة أوفات الإسلامية انتشر الإسلام، فى كل أنحاء الحبشة، حيث تزعمت أوفات مسيرة الدعوة الإسلامية لغيرها من الدول المجاورة التى جذبها نور الإسلام.

واستمرت المشاحنات والمضايقات لأبناء سلطنة أوفات، من ملك الحبشة ومعاونيه، الذين رأوا أن انتشار الإسلام يمثل خطورة كبيرة على وجودهم.

وجاء النجاشى إسحاق بن داود، واتفق مع رجاله على انتزاع ممالك المسلمين وطلب عون الدول الأخرى التى تكره انتشار الإسلام، وأراد بذلك أن يشل حركة الدعوة لكنه مات قبل أن يفعل ذلك (هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة / ١٦٨، ١٦٩).

وتنتشر فى الحبشة الطرق الصوفية. ومن أشهر هذه الطرق: الطريقة القادرية، وهى فرع من الطريقة التى أسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى فى بغداد عام ١١٦٦م. وتهدف إلى روح التسامح مع النصارى واليهود، وهم يبشرون بالإسلام من طريق التجارة وتبادل المنافع، ويفتحون كتاتيب خاصة بهم، لا فى زوايا الطريقة فحسب، إنما فى كل القرى، ويلقن

شيوخ هذه الطريقة الأطفال الأحباش الدين الإسلامي في أثناء التعليم، ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين والأزهر الشريف.

وفى الحبشة كذلك الطريقة الأحمدية، وهم أتباع الزعيم الصوفى أحمد بن إدريس الذى توفى بالعسير فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. والطريقة الصالحية، نسبة إلى محمد صالح، وكان مقامه فى مكة، وهذه الطريقة فرع من الأحمدية. وقد استطاع أحد تلاميذ محمد صالح من علماء الصومال ـ وهو محمد بن عبد الله حسان، الذى لقب أخيرا بالمهدى ـ أن يبوئ الصالحية مركزا قويا بين قبائل الصومال، فأسس جماعات منظمة على ضفاف الأنهار.

وتنتشر فى الحبشة أيضًا طرق صوفية أخرى، مثل الختمية والشاذلية. وهذه الطريقة الأخيرة كانت منتشرة فى المغرب، وانتقلت إلى الحبشة، وكان مركزها « بوبريت » فى مراكش. ومن أشياخها سيدى العربى الدرقاوى المتوفى عام ١٨٢٣م. ويطيع الدرقاوية مشايخهم طاعة تامة، طبقا لتعاليم شيخهم الأكبر.

وفى ٢١ يناير عام ١٩٥٣ افتتح مسجد مصوع فى الحبشة. (الإسلام فى المشارق والمغارب/ ١٠١).

وفى مدن إثيوبيا وقراها مئات المساجد التى يؤدى فيها المسلمون فروض الصلاة، وأشهر مساجدهم « المسجد الكبير » فى العاصمة أديس أبابا « التى يوجد بها العديد من المدارس لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، كما أن لهم محاكمهم الشرعية التى تحكم وفقا للشريعة الإسلامية. (انتشار الإسلام/ ١٥٦).

وتعتبر « هرر » مركزًا كبيرًا من المراكز الإسلامية، ويوجد بها مسجد كبير، شيد من زمن بعيد على الطراز الإسلامى البحت. (هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة / ١٦٩).

(جغرافية العالم الإسلامى ـ إعداد د. ياسين محمد مراد / ١٥٨، والإسلام فى المشارق والمغارب ـ د. جمال الدين الرمادى. كتاب الشعب ٨٤. مطابع الشعب ١٩٦٠/ ٩٨ ـ ١٠١، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٦، و ٢/ ١٢، ١٣، والدرر فى اختصار المغازى والسِّير لابن عبد البر ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ٥٠ هامش ١ للمحقق، وهكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة ـ أحمد حامد / ١٦٨، ١٦٩. انظر أيضًا أصحاب الهجرة فى الإسلام ـ باقر أمين الورد المحامى. الدار العربية للموسوعات. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٦، وانتشار الإسلام ـ محمد كمال حسين / ١٥٦. انظر أيضًا « كيف عرفت إثيوبيا الإسلام » (٢) حسين المحسى. مجلة منبر الإسلام العدد الثامن، السنة التاسعة عشرة. شعبان ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م/ ٣٨ ـ ٤٢ وقد أخذت منها الصور المصاحبة لهذه المادة، وكتابات مضيئة فى التراث الجغرافى العربى ـ د. شاكر خصباك / ٢٠٧، ٢٠٨).

*** الحبق:**

هو الريحان ونورده فى حرف الراء إن شاء الله تعالى.

*** الحبل المتين فى الأذكار والأدعية المأثورة عن سيد المرسلين:**

الحبل المتين فى الأذكار والأدعية المأثورة عن سيد المرسلين: لأبى الوقت عبد الملك بن على الصديقى المكى والدعلان القزوينى المحدث. رتب على سبعة فصول:

١ - فى الدعاء ومقدماته. ٢ - فى الاسم الأعظم.

٣ - فى أوقات مخصوصة. ٤ - فى أوقات معينة.

٥ - فى الأدعية. ٦ - فى فضائل القرآن. ٧ - فى فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لخصه فى جزء.

(كشف الظنون ١/ ٦٢٩).

***الحبل الوثيق فى نصرة الصّديق:**

قال حاجى خليفة: رسالة للسيوطى علّقها على سورة الليل وأوردها فى حاويه (كشف ١/ ٦٢٩) قالت المؤلفة: يقصد بلفظ « حاويه » كتاب الإمام السيوطى الموسوم بـ «الحاوى للفتاوى» وأنقل من نسختى ما ورد فى مقدمته، قال المؤلف: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد رُفع إلىّ سؤال فى قوله تعالى: ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقى * الذى كذّب وتولّى * وسيجنّبها الأتقى * الذى يؤتى ماله يتزكى** ﴾ [الليل: ١٥ ـ ١٨]. إلى آخر السورة هل نزل ذلك فى رجلين مُعيّنين وما سبب نزوله وهل المراد بالأتقى أبو بكر الصدّيق أو الآية عامة فيه وفى غيره، وذكر السائل أن السبب فى هذا السؤال أن الأمير ازدمر حاجب الحجاب، والأمير خاير بك... وقع بينهما تنازع فى أبى بكر رضى الله عنه

هل هو أفضل الصحابة؟ وأن خاير بك قائل بذلك . وأن أزدمر ينكر ذلك وأنه طالب خاير بك بدليل من القرآن على أن أبا بكر أفضل . وأن خاير بك استدل عليه بقوله تعالى : ﴿وسيجنّبها الأتقى﴾ [الليل : ١٧] فإنها نزلت فى حق أبى بكر، وقد قال الله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات : ١٣] وأن أزدم قال : الأتقى عامّ فى أبى بكر، وغيره . وطالب كل منهما بشهادة العلماء له بنصرة قوله ، وأن الشيخ شمس الدين الجوجرى كتب على سؤال نظير هذا السؤال . (انظر ترجمته فى مادة « الجوجرى (الشمس) » فى م١٢/ ٤٨٩ ، ٤٩٠ من هذه الموسوعة) .

فقلت : أرنى ما كتب ، فأرانيه فإذا فيه أن الآية وإن نزلت فى أبى بكر فإنها عامة المعنى إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فقلت هذا شأن من يلقى نفسه فى وادٍ والرجل فقيه فما له يتكلم فى غير فنه هذه المسألة التفسيرية حديثية أصولية كلامية نحوية فمن لم يكن متبحرًا فى هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم فى هذه المسألة وأنا أوضح الكلام عليها فى فصلين ... إلخ .

(كشف الظنون ١/ ٦٢٩ ، والحاوى للفتاوى للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ١/ ٣٢٦) .

*** حبة البركة:**

هى الحبة السوداء ، وهى الشوْنيز.

انظر: الحبة السوداء .

*** الحبة السوداء:**

قالت المؤلفة : ترد هذه المادة تحت هذا الاسم فى المصادر ثم يحال منها إلى اسمها الآخر وهو « الشونيز » وقد آثرنا أن نوردها تحت عنوان « الحبة السوداء » لأنه الاسم المعروف عند العامة هذه الأيام، كما أنه الاسم الوارد فى الطب النبوى .

جاء فى القاموس للفيروزابادى أن الشونيز هو الحبة السوداء وأن البطم هو حبة الخضراء (القانون فى الطب / ٢٨٨) وما جاء فى كتاب علم الملاحة أن الشونيز هو حبة البركة وهو الحبة السوداء . (علم الملاحة / ١٢٥) .

جاء فى الطب النبوى للحافظ الذهبى (ص ٧٥، ٧٦) :

الحبة السوداء ـ وهو الشونيز. قاله البخارى : حارة يابسة فى الثانية ، وقيل فى الثالثة .

أبو هريرة مرفوعًا : « عليكم بهذه الحبة السوداء ، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السّام ، والسَّامُ الموت » رواه البخارى ومسلم .

الحبة السوداء : بالعربية هى الشونيز بالفارسية . ونقل الجرمى عن الحسن أنها الخردل . ونقل الهروى أنها ثمرة البطم وليس بشىء . قال عبد اللطيف : الشونيز هو الكمون الأسود ويسمى الكمون الهندى . ومنافعها جمة ، ولذلك شاع إطلاق أنها شفاء من كل داء ، فيكون إطلاقًا كليًا ويراد به الأكثر مبالغة . قال الله تعالى : ﴿وأوتيَتْ من كل شىء﴾ [النمل : ٢٣] .

ويجوز أن يكون لهذا الدواء هذه الصلاحية ، وهو فى علم الله تعالى وفى علم رسوله كذلك وامتنع علم ذلك لنا . وإخباره ﷺ بذلك هو مثل إخباره أنه « من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضرّه ذلك اليوم سُم ولا سحر » . ومن إخباره بأن فى أحد جناحى الذباب داء وفى الآخر شفاء ، ومثل هذا كثير. وهذه الأخبار من معجزاته ﷺ .

فالشونيز نافع من جميع الأمراض الباردة الرطبة ، وينفع من الحارة مع غيره ليسرع تنفيذها ، وهذا مثل تركيب الأطباء للزعفران فى قرص الكافور.

والشونيز مُذهب للنفخ والبرص وحمى الربع البلغمية ، مفتح للسدد ، محلل للرياح ، مجفف للمعدة الرطبة ، مدر للبول والحيض ، واللبن مع المداومة ، وإن سُحق بخلّ وضُمّد به البطن قتل الدود الذى يسمى حب القرع ، ويشفى من الزكام ، وشم دهنه نافع من أدواء ذاتية والثآليل والخيلان (الخيلان : شامة فى البدن ، وهى تظهر على هيئة بثرة سوداء يكثر حولها . الشعر فى الغالب) (معجم التداوى/ ٢٧ هامش٢) .

وإذا دهن به أسرع نبات الشعر واللحية ، ومنع الشيب .

وشرب مثقال منه نافع من ضيق النفس ولسع الرتيلا .

وإذا نُعّم وسُفَّ منه كل يوم درهمان بماء نفع من عضة الكلب وأمن من الهلاك ودخانه يطرد الهوام، وهو مع الخبز يذهب نفخه ، وينفع الصداع ، والفالج ، واللقوة والشقيقة ،

والنبضة، والسلبة، والسبات، والنسيان، والدوار، والسدد.

ومنافعه كثيرة، من أرادها كلها فعليه بكتب الأطباء المطولات، فإنهم قد ذكروا لها من المنافع مالا يتسع لها هذا المختصر.

فإذا كان الأطباء قد علموا فيها هذه المنافع فما ظنك بعلم الرسول ﷺ، وأين علم الأذلّين الأقلّين من علم سيد المرسلين الأولين والآخرين؟ ﷺ صلاة دائمة إلى يوم الدين.

كما جاء في الطب النبوى للإمام ابن قيم الجوزية (ص ٢٢٩ ـ ٢٣١):

حبة السوداء: ثبت في الصحيحين ـــ من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بهذه الحبة السوداء. فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام». و (السام) : الموت.

الحبة السوداء: هى: الشُّونيزُ، فى لغة الفُرس. وهى: الكمُّون الأسود، وتسمى الكمون الهندى وتسمى أيضًا: حبة البركة. ويستخرج من بذرها زيت يستعمل فى السعال، وهو مهضم وطارد للأرياح. قال الحربى عن الحسن رضى الله عنه: إنها الخردل. وحكى الهروى: أنها الحبة الخضراء، ثمرة البُطم. وكلاهما وهمٌ. والصواب: أنها الشونيز.

وهى كثيرة المنافع جدًا. وقوله: « شفاء من كل داء » مثل قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شيءٍ بأمرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] أى: كل شيء يقبل التدمير، ونظائره. وهى نافعة من جميع الأمراض الباردة. وتدخل فى الأمراض الحارة اليابسة بالعرض، فتوصِّل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها، بسرعة تنفيذها: إذ أخذ يسيرُها.

وقد نص صاحب القانون وغيرُه، على الزَّعفران فى قرص الكافور، لسرعة تنفيذه وإيصاله قوَّته. وله نظائر يعرفها حُذاق الصناعة. ولا تُستبعد منفعةُ الحار فى أمراض حارة بالخاصية. فإنك تجد ذلك فى أدوية كثيرة، منها: الأنزروت وما يركب معه من أدوية الرَّمد، كالسكر وغيره من المفردات الحارة. والرمدُ ورم حار: باتفاق الأطباء. وكذلك نفعُ الكبريت الحار جدًّا من الجرب.

والشونيز حار يابس فى الثالثة: مذهب للنفخ، مخرج لحب القرع، نافع من البرص وحُمَّى الربع والبلغمية، مفتِّح للسُّدد، ومحلل للرياح، مجفف لبِلة المعدة ورطوبتها. وإن دُقَّ وعُجن بالعسل، وشُرب بالماء الحار أذاب الحصاة التى تكون فى الكليتين والمثانة. ويدرّ البول والحيض واللبن إذا أُديم شربُه أيامًا. وإن سُخِّن بالخل وطلى على البطن قتل حب القرع. فإن عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ كان فعله فى إخراج الدود أقوى ويجلو ويقطع ويحلِّل، ويشفى من الزكام البارد إذا دُقَّ وصُرَّ فى خرقة واشتُم دائما أذهبه.

ودهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلان (الخيلان: شامة فى البدن، وهى تظهر على هيئة بثرة سوداء يكثر حولها الشعر فى الغالب) وإذا شرب منه مثقال بماء نفع من البُهر وضيق النَّفَس. والضماد به ينفع من الصداع البارد، وإذا نُقع منه سبعُ حبّات عددًا فى لبن امرأة، وسُعط به صاحب اليرقان نفعه نفعا بليغا.

وإذا طُبخ بخلّ وتُمضمض به نفع من وجع الأسنان عن بَرْد. وإذا اسْتُعط به مسحوقًا نفع من ابتداء الماء العارض فى العين. وإن ضُمد به مع الخل قلع البثور والجرب المتقرِّح وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة ... إلخ (الطب النبوى / ٢٢٩، ٢٣٠).

ويمضى الإمام ابن قيم الجوزية فى تعداد منافع الحبة السوداء بما لا يخرج عما أورده الحافظ الذهبى آنفا.

وقد أوردها المظفر الرسولى نقلا ـ كعادته ـــ من ثلاثة مصادر، رمز إلى الأول منها بالحرف « ع » وهو عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية، ورمز إلى الثاني بالحرف « ج » وهو ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، ورمز إلى الثالث بالحرف « ف » وهو أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى، قال المظفر الرسولى:

شُونيز: « ع » له رأس شبيهة بالخشخاش فى شكله، طويلة مجوّفة، تحوى بزرا أسود حرِّيفا، طيب الرائحة، وربما خُلط بالعجين وخُبز وهو يسخن فى الدرجة الثالثة، وله قوة لطيفة، يشفى الزُّكام إذا صُر فى خرقة مقلوا، ويشمه الإنسان دائما. وهو يحلل النفخ غاية التحليل، ويقتل الديدان إذا أكل وطُلِى على البطن من خارج، ويقلع الثآليل المتفلقة والمنكوسة والخيلان، وينفع من انتصاب النفس، ويحدر الطمث، وحيث يُحتاج إلى التقطيع والتجفيف والإسخان،

فالشونيز نافع فى ذلك منفعة كثيرة، وإذا ضمدت به الجبهة وافق الصداع، وإذا سُعط به مسحوقا بدهن الإيرسا وافق ابتداء الماء النازل فى العين. وإذا تضمد به مع الخل وافق البثور اللبنية، والجرب المتقرح. ويحلل الأورام المزمنة. والأورام الصلبة. وإذا ضُمدت به السرة مخلوطا بماء أخرج الدود الطوال. وإذا أدمن شربه أياما كثيرة أدرّ البول والطمث واللبن. وإذا شرب بالنطرون سكن عُسر النفس. وإذا دخن به طرد الهوام. وزعم قوم أن من أكثر من شربه قتله، وخاصيته إذهاب الحمى الكائنة عن البلغم والسوداء. وقتل حب القرع. وإذا نُقع فى الخل ليلة ثم سحق من الغد واستعط به، أو قدم للمريض حتى يستنشقه، نفع من الأوجاع المزمنة فى الرأس، ومن اللقوة، وهو من الأدوية المفتحة جدًّا لسدد المصفاة، وينفع من البهق والبرص طلاء بالخل، ويسقى بالعسل والماء الحارّ للحصاة فى المثانة والكُلى. وإذا قُلى ثم دق ونقع فى زيت وقطر من ذلك الزيت فى الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام إذا عرض معه عُطاس كثير. وإذا نُثر على مقدم الرأس سخنه، ونفع من توالى النّزلات. وإذا سحق وعجن بدهن الورد، نفع من أنواع الجرب. وهو يدر الطمث إدرارًا قويا. ويخرج الأجنة أحياء وموتى، ويسقط المشيمة. وإذا أخذ منه سبع حبات عددا، وغمرت بلبن امرأة ساعة. وسُعط بها فى أنف من به يرقان، واصفرت منه العينان، نفع من ذلك نفعًا بليغًا لشدة تفتيحه السُّدد.

« ج » ويسمى: شينيز. وهو حريف، وأجوده الرزين. وهو حار يابس فى الثالثة، مقطّع للبلغم، جلاَّء، محلّل للرياح والنفخ، ويقطع الثآليل والخيلان والبهق والبرص والجرب، وينفع من الزكام العارض، مقلوا مجعولا فى خرقة كتان، ومن جميع ما تقدم ذكره.

« ف » من البزور المعروفة، أسود اللون، أجوده الحديث الرزين. وهو حار يابس فى الثالثة، ينفع من انتصاب النفس، وطلاؤه على السرة يقتل الديدان، والشربة منه: ثلاثة دراهم (المعتمد ١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

وأدرجها صاحب علم الملاحة فى أنواع الحبوب تحت عنوان « الشونيز » فقال عن فلاحتها وخصائصها: والشونيز، وهو حبة البركة، منه بستانى ومنه برّى وهو الحبة السوداء، توافقه الأرض الرطبة، وزرعه فى شباط وآذار ونيسان (انظر مادة «أسماء الشهور » فى م ٤/ ٥١٢ من هذه الموسوعة) ولا يُسقى كثيرا فى صغره، فإذا كبر سُقى بكثرة. وإذا نما نباته واشتد يقطع عنه الماء ويُنقّى من عشبه، ويسقى مرتين فى الأسبوع.

قال الكندى: الإكثار منه يقتل. وهو حريف حار، يابس فى الثالثة. مقطع للبلغم، طارد للرياح نافع من الانتفاخ والزكام خصوصا إذا أخذ مقليًا، ودخانه تهرب منه الهوام، ومقدار ما يؤخذ مه درهم.

وطبيخه بالخل ينفع من وجع الأسنان مضمضة (علم الملاحة/ ١٢٥، ١٢٦).

(القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبوّر، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى/ ٢٨٨، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى النقشبندى القادرى. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م/ ١٢٥، ١٢٦، ومعجم التداوى بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله بن قيم الجوزية. مكتبة التراث الإسلامى. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله الذهبى ـ قدّم له وخرّج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى/ ٧٥، ٧٦ والطب النبوى لابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وصحح وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق. وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرّج الأحاديث محمود فرج العقدة/ ٢٢٩، ٢٣٠، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

*** حبة المحبة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٥٠٥٦.

رسالة فى محبة الله تعالى ومحبة رسوله وآل البيت.

المؤلف: محمود بن فضل الله بن محمود الإسكدارى الحنفى ويعرف بالهدائى المتوفى سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م.

أولها: الحمد لله الذى أنبت حبة المحبة فى قلوب من أحب واصطفى ﴿كزرع أخرج شطأه فآزره ...﴾.

آخرها: اجعلوا دعاءكم بلسان طاهر عن لوث الذنوب يعنى تواضعوا لأولياء الله تعالى واستمدوا منهم حتى يدعوا لكم ...

الخط نسخ واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ : ذى الحجة سنة ١١٥٨هـ.

ملاحظات : نسخة مراجعة على المجموع تملك باسم محمد الخلاصى تاريخه سنة ١١٥٥هـ.

نسخة ثانية .

الرقم ٥٩٠٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : شرف الدين ابن الأمير عز الدين المحاسبى بخزنة دمشق ثم المقاطعجي .

تاريخ النسخ : سلخ ربيع الأول سنة ١٠٢٨هـ.

ملاحظات : نسخة مراجعة .

مصادر عن الرسالة : إيضاح المكنون ١/ ٣٩٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢/ ١٨٩، خلاصة الأثر ٤/ ٣٢٧ قال واضع الفهرس عن بعض نسخ الرسالة : رأيت نسخة عند الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٣، ٤٠٤).

*** الحبوب:**

أفرد الشيخ عبد الغنى النابلسى بابين فى كتابه الموسوم بعلم الملاحة فى علم الفلاحة (من ص ١٠٧ ـ ١٦٩) لأنواع الحبوب المختلفة (وغيرها) وذكر أراضيها وأوقات زرعها وحصادها وكيفية زراعتها وما يُجعل منها خبزا، وكله مما نورده فى مواضعه إن شاء الله تعالى . ونكتفى هنا بما أورده الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى منظومته الطبية المعروفة **بالشقرونية** فذكر أصناف المأكول من الحبوب وهى القمح والشعير والأرز والفول والحمص والدُّخن والذرة والعدس واللوبيا . ويبيّن فوائدها ومضارها من الناحية الطبية مما نقله لك فيما يلى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. لاحظ تخفيف الهمزة فى لفظ « بلايم » (أول البيت ٣٨):

٣٦ - *القول فى المأكول من حبنوب*
وما أتى فى طبعها المطلوب

٣٧ - *القمح فى المزاج حر لين*
وهو من كل الحبوب أحسن

٣٨ - *يلايم الطبع ويصلح الحجا*
وكل نفع من قواه يرتجى

٣٩ - *أفضله الزاهى المنير الذهبى*
المرتسى بشكله المحدودبى

٤٠ - *ثم الغليظ الأشهب الرزين*
دقيقه يحمد والعجين

٤١ - *ودون هذا الأحمر الصغير*
والجبلى الملمع القصير

٤٢ - *أما المعفن بقاع المطمرهْ*
فذاك فى الطبع خبيث الأبخرهْ

٤٣ - *غذاؤه من جملة السموم*
وهو الذى يعرف بالتحموم

٤٤ - *وفى الشعير البرد واليبوسهْ*
فيه رياح جمة محسوسهْ

٤٥ - *يصحبه نفخ عظيم الصولهْ*
غذاؤه أقل مما قبلهْ

٤٦ - *مصلحه الكمون واللحم السمين*
خذ ما رواه الحكماء عن أمين

٤٧ - *وفى الأرز الحر واللطافة*
خذه مدى الأزمان لا مخافة

٤٨ - *غذاؤه يخصب الأبدانا*
ويصلح الأحشاء والألوانا

٤٩ - *يطبخ بالسكر والحليب*
لجودة التسمين والتخصيب

٥٠ - *والفول فيه البرد واليبوسهْ*
أمراضه مشهورة محسوسهْ

٥١ - *لاكنما الأخضر للرطوبهْ*
والكل ضر بيِّن الصعوبهْ

٥٢ - يولد الرياح والبلادهْ
ويورث الأجسام سوء عادهْ
٥٣ - أصلحه بالزيت العجيب النيِّر
واجعل عليه درهما من زعتر
٥٤ - والحمص حر يابس مفتح
. . . .
٥٥ - آخذه مع يسير الجوز
يفوز بالتسمين أي فوز
٥٦ - فاستعملنَّه خشية من ضرر
بين طعامين تفز بالوطر
٥٧ - والدُّخْن والذرة ثم العدس
جميعها مبرد ميبس
٥٨ - تضر بالكهل وبالسوداوي
مضرة تجلى إلى التداوي
٥٩ - إصلاحها سمين لحم الضان
وكل طيب من الأدهان
٦٠ - واللوبية للحر والرطوبهْ
وكثرة الريح لها منسوبهْ
٦١ - ينفع من داء الكُلا والظهر
وفيه للتسمين أي سر

(الطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازي، تعريب وتقديم د. عبد الهادي التازي / ٧٤ـ٧٩).

*** ابن حبيب (١٧٤ـ٢٣٨هـ / ٧٩٠ـ٨٥٣م):**

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جُلهمة ابن عباس بن مرداس السّلّمي أبو مروان الأندلسي.

من الطبقة الأولى، الذين انتهى إليهم فقه مالك ممن لم يره، من أهل الأندلس روى بالأندلس عن صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن. ورحل سنة ثمان ومائتين، فسمع ابن الماجشون، ومطرِّفًا، وإبراهيم بن المنذر الحزاميّ، وعبد الله بن نافع الزبيري، وابن أبي أويس، وعبد الله بن عبد الحكم، وعبد الله بن المبارك، وأصبغَ بن الفرج، وأسد بن موسى، وجماعة سواهم.

وانصرف إلى الأندلس سنة ست عشرة وقد جمع علمًا عظيما، فنزل بلده إلبيره وقد انتشر سموُّه في العلم والرواية فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة، ورتبه في طبقة المفتين فيها، فأقام مع يحيى بن يحيى زعيمها في المشاورة والمناظرة، وكان الذي بينهما سيئًا جدا، ومات يحيى قبله، فانفرد عبد الملك بعده بالرئاسة. سمع منه ابناه محمد، وعبيد الله، وبقيّ بن مخلد، وابن وضّاح، والمغاميّ في جماعة، وكان المغامي آخرهم موتا.

كان عبد الملك حافظا للفقه على مذهب مالك نبيلاً فيه، غير أنه لم يكن له علم بالحديث ولا معرفة صحيحه من سقيمه(طبقات المفسرين ١/ ٣٤٧، ٣٤٨).

ونقل صاحب تهذيب التهذيب عن ابن حزم « نسبه إلى الكذب، وتعقبه جماعة بأنه لم يسبقه أحد إلى رميه بالكذب».

وقام المقري في نفح الطيب بنقل بعض تلك التهم عن بعض الذين جرحوه بها وناقشها ورد بقوله: « أما ما ذكروه من معرفته بالحديث فهو غير مسلم، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين. نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى إن في « شفاء عياض » أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها، مع اعترافهم بجلالة حفّاظ الأندلس الذين نقلوها كبقيّ بن مخلد (انظر ترجمته في م٧/ ٣٢٣، ٣٢٤ من هذه الموسوعة) وابن حبيب وغيرهما مما هو معلوم (المدرسة القرآنية في المغرب / ١٤١).

وقال ابن مزين وابن لبابة: عبد الملك عالم الأندلس.

وسئل ابن الماجشون عن أعلم الرجلين: القروى التنوخيّ، أم الأندلسي السلميّ فقال: السلّمي مقدمه علينا أعلم من التنوخي منصرفه عنا. ثم قال للسائل: أفهمت؟.

قال أحمد بن عبد البر: كان جمّاعًا للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان، فقيه البدن، نحويًّا عَروضيًّا شاعرًا، نسّابة إخباريا، وكان أكثر من يختلف إليه الملوك وأبناؤهم وأهل الأدب، وكان لا يلي إلا معالي الأمور.

كان ذابًّا عن مذهب مالك، وقال بعضهم: رأيته يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلاثمائة نفر طالب حديث وفرائض وإعراب وفقه، وقد رتب الدول عنده كل يوم ثلاثين دولة، لا

يقرأ فيها عليه شىء إلا تواليفه، و « موطأ » مالك. وكان صوَّامًا قوَّامًا.

وقال المغامى: لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب لازدريت غيره، ولمّا نُعِى إلى سحنون استرجع، وقال: مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا.

وذكره ابن الفرضى فى طبقات الأدباء فجعله صدرًا فيهم، وقال: كان قد جمع إلى إمامته فى الفقه التنجيح فى الأدب والتفنن فى ضروب العلم، وكان فقيها مفتيًا نحويًا لغويًا نسّابة إخباريا، عروضيا فائقا، شاعرًا محسنًا مترسلاً حاذقًا مؤلِّفًا متقنا. وذكر بعض المشايخ أنه لما دنا من مصر فى رحلته، أصاب جماعة من أهلها بارزين لتلقى الرفقة على عادتهم. فكلما أطلّ عليهم رجل هيئة ومنظر رجحوا الظنَّ به، وقفوا بفراستهم عليه، حتى رأوه، وكان ذا منظر جميل، فقال قوم: هذا فقيه. وقال آخرون: بل شاعر. وقال آخرون: طبيب. فلما كثر اختلافهم تقدموا نحوه، وأخبروه باختلافهم فيه، وسألوه عما هو؟ فقال لهم: كلكم قد أصاب، وجميع ما قدرتم أحسنه، والخبرة تكشف الحيرة، والامتحان يُجلى عن الإنسان، فلما حطّ رحله ولقى الناس شاع خبره، فقصد إليه كل ذى علم يسأله عن فنّه، وهو يجيب جواب متحقق، فعجبوا من ثقوب علمه، وأخذوا عنه، وعطّلوا حَلَقَ علمائهم، وأثنى عليه ابن المواز بالعلم والفقه.

وقال العتبى وذكر « الواضحة »: رحم الله عبد الملك، ما أعلم أحدًا ألّف على مذهب أهل المدينة تأليفه ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره.

قالت المؤلفة: « الواضحة » مخطوط فى السنن والفقه فى خزانة الرباط يأتى بيانه فيما بعد.

قال الداودى: وألّف كتبا كثيرة حسانًا فى الفقه، والتواريخ، والآداب، منها الكتب المسماة « بالواضحة » فى السنن والفقه لم يُر مثلها، و « إعراب القرآن » و « الحسبة فى الأمراض » و « الفرائض » و « السخاء واصطناع المعروف »، و« كراهية الغناء» و « النسب » و « النجوم » و « الجامع » وهو كتاب فيه مناسك النبى ﷺ، و « الرغائب » و « الورع فى المال وغيره » ستة أجزاء و « العمل بالجوارح » و « فضائل الصحابة » و«غريب الحديث » و « تفسير الموطأ » و « حروب الإسلام » و « المسجدين » و « سيرة الإمام فى الملحدين » و«طبقات الفقهاء والتابعين » و « مصابيح الهدى ».

قال بعضهم: قسم ابن الفرضى هذه الكتب وهذه الأسماء وهى يجمعها كتاب واحد، لأن ابن حبيب إنما ألّف كتابه عشرة أجزاء: الأول « تفسير الموطأ حاشى الجامع »، الثانى «شرح الجامع »، الثالث والرابع والخامس فى حديث النبى ﷺ والصحابة والتابعين، و « مصابيح الهدى » جزء منها ذكر فيه من الصحابة والتابعين. والعاشر « طبقات الفقهاء » وليس فيها أكثر من الأول، وتحامل فى هذا الشرح على أبى عبيد، والأصمعى، وانتحل كثيرا من كلام أبى عبيد، وكثيرا ما يقول فيه: أخطأ شارح العراقين. وأخذ عليه فيه تصحيف قبيح، وهو أضعف كتبه.

قال بعضهم: قلت لعبد الملك: كم كتبك التى ألّفت؟ قال: ألف وخمسون كتابا. وقال عبد الأعلى بن معلى: ما رأيت كتبا تحبّب عبادة الله إلى خلقه، وتعرّفهم به، ككتب عبد الملك بن حبيب؟ يريد كتبه فى الرغائب والرهائب، ومنها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضائل سبعة، « فضائل النبى ﷺ وأصحابه » و« فضائل عمر بن عبد العزيز » و«فضائل مالك بن أنس » وكتاب « أخبار قريش وأنسابها » خمسة عشر كتابا وكتاب « السلطان » و « سيرة الإمام » وغير ذلك من كتب سماعه فى الحديث والفقه، وتواليفه فى الطب و « تفسيره » فى القرآن ستون كتابا، وكتاب « القارئ» و«الناسخ والمنسوخ » و « رغائب القرآن » وكتاب « الدهور والقدماء والمغازى والحدثان » ... وكتاب « مغازى رسول الله ﷺ ». (طبقات المفسرين ١/ ٣٤٩ـ٣٥١).

وأضاف الزركلى هذه الكتب: « استفتاح الأندلس » طبعت قطعة من أحد كتبه، و « وصف الفردوس » مخطوط فى الأزهرية، و« الغاية والنهاية » مخطوط رسالة فى ٢٤ ورقة أولها: باب ما جاء فى فضل المرأة الصالحة » (الأعلام ٤/ ١٥٧).

قال الدوادى: توفى فى ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين ومائتين، وقبره بقرطبة بمقبرة أم مسلمة فى قبلة مسجد الضيافة، وصلى عليه القاضى أحمد بن زياد، وقال: صلى عليه ابنه، رحمه الله تعالى (طبقات المفسرين ١/ ٣٥١).

أما عن مخطوط « الواضحة في السنن والفقه » المحفوظ بخزانة القرويين والذى أشرنا إليه آنفًا فجاء بيانه كما يلى :

جزء بعض أوراقه فى الرق : الأولى والأخيرة وورقتان فى وسطه .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم . رغائب الوضوء والغسل قال : قال عبد الملك بن حبيب قال حدثنى هرون الطلحى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ [يقول] : إذا توضأ المؤمن فمضمض واستنشق حطَّ الله عنه ما تكلم بفيه ، فإذا غسل وجهه حطَّ الله عنه ما أبصرته عينه ، فإذا غسل ذراعيه حطَّ الله عنه ما بطشت يداه فانحدرت ذنوبه من أنامله ، فإذا مسح برأسه وأذنيه حطَّ الله ما سمعت أذناه ، فإذا غسل رجليه حط الله عنه ما مشت له رجلاه فانحدرت ذنوبه من أظفار رجليه .

وطريقة ابن حبيب فى كتابه هذا أنه يأتى بالترجمة ويورد أحاديث بسنده ثم يقول عقب ذلك : قال عبد الملك ، ويشرح بعض الألفاظ الورادة فى الحديث الذى أورده .

مثال ذلك : سنن الوضوء وحدوده قال : حدثنا عبد الملك قال حدثنى : إسماعيل بن أبى أُوَيْس المدنى عن محمد بن هلال عن أبيه قال : كنت مع عمرو بن يحيى المازنى جالسا بفناء داره فدعا بوضوء وقال لى : احفظ فإنى رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ هكذا فصب عليه فغسلها ثلاثًا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا ... الحديث . قال عبد الملك : ومن الوضوء مفروض ومسنون ، فمفروضه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ... إلى الكعبين ﴾ .

(تمام الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ . المائدة : [٦]) فهذا الوضوء المفروض الذى لا تجزى الصلاة إلا به ، وسنَّ رسول الله ﷺ فى ذلك المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين ... انتهى كلامه .

وآخر ترجمة فى هذا الجزء ما جاء فى الاستنجاء بغير الماء ... وآخر حديث أورده فى هذه الترجمة قال فيه : وحدثنى إصبغ بن الفرج عن ابن وهب أن رسول الله ﷺ قال : «استنجوا بالماء فإنه طيب وأطهر وهو مصحة من الباسور .

قال ناسخه : كمل الجزء الأول بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد وسلم يتلوه فى الجزء الثانى وضوء الذى استنكحه المذى والبول ، إن شاء الله تعالى . وعقب هذا بخط أجنبى عن الناسخ جميعه على الفقيه الجليل المشارو أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أدام الله بركته وأبقى نفعه .

أوراقه ٢٤ مسطرته ٢٤ مقياسه ٢٦/ ٢٠ .

(فهرس القرويين ٢/ ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

(طبقات المفسرين للداودى - بتحقيق على محمد عمر ١/ ٣٤٧ - ٣٥١ ، والمدرسة القرآنية فى المغرب - عبد السلام أحمد الكنونى (بالكاف المغربية) / ١٤١ و الأعلام للزركلى ٤/ ١٥٧ وارجع إلى ما جاء بهامش ١ من مصادر ، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢/ ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

*** حبيب الله الألبورى:**

من ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية . عربى من قريش .

الأمير الفاضل حبيب الله بن محمد درويش بن عبد القادر القرشى الشافعى الألبورى - أحد الأفاضل المشهورين . تفقه على والده وولى الصدارة فى (أدهونى) من أرض الدكن فاستقل بها مدة من الزمان .

وكان صالحا ذكيا حسن الخط . من مؤلفاته « شرح التنبيه » فى الفقه الشافعى و « الشهاب المحرقة فى الرد على المهدوية » و « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » .

مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وقبره بقرية « البور» من أعمال (رانجور) .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية - يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٠ عن نزهة الخواطر لعبد الحى الحسنى ٧/ ١٣٠) .

*** ابن حبيب الحلبى (٧٤٠ - ٨٠٧هـ / ١٣٣٩ - ١٤٠٥م):**

طاهر بن حسن بن عمر بن حسن بن حبيب بن شريح الحلبى الملقب بزين الدين المكنى بأبى العز ويعرف بابن حبيب الحلبى الفقيه الحنفى الأصولى المؤرخ الأديب المحدث ولد بعد سنة ٧٤٠ بقليل واشتغل بالعلم والأدب وصحب الشيخين الغرناطى وابن حازم وسمع من ابن الشهاب وغيره وأجازه أبو العباس المرداوى وجماعة من المحدثين وتولى الكتابة بديوان الإنشاء فى حلب ثم رحل إلى دمشق

وأقام بها حينًا ثم سافر إلى القاهرة وولى بها عدة وظائف منها الكتابة بديوان الإنشاء .

لـه تآليف منهـا نظم تلخيص المفتـاح فى علـوم البلاغـة وشـرح بـردة البـوصيرى وتخميسهـا وقـد أكمل كتـاب والـده المسمى درة الأسلاك فى دولـة الأتراك وله مختصـر المنار فى أصول الفقه .

توفى رحمـه الله بالقاهـرة فى السابع عشـر من ذى الحجة سنة ٨٠٧هـ ودفن بها .

(الفتح المبين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ، ٣/ ١٥) .

*** حبيب السير فى أخبار أفراد البشر:**

حبيب السير فى أخبـار أفراد البشر: فارسى لغيـاث الدين محمود المتوفى بأكبر آباد سنـة ٥٨٣ ابن همام الدين المدعو بخواند أمير وهو تـاريخ كبير لخصه من تاريخ والده المسمى بروضة الصفـا وزاد عليه . ألفه بالتمـاس خواجه حبيب الله من أعيان دولـة شاه إسمـاعيل بن حيدر الصفـوى سنة ٩٢٧ سبع وعشريـن وتسعمائة ذكـر فيه أنـه شرع فيـه أولا بالتمـاس أمير محمد الحسينى أمير خراسان ولما قتل ونصب مكانه دورمش خـان من قبل شـاه إسماعيل استمر على تأليفـه إلى أن أتمـه وأهداه إليه وإلى حبيب الله المذكور وذلك بعدما كتب تاريخه المسمى بخلاصة الأخبار ورتب هذا الكتاب المسمى بحبيب السير على افتتاح وثلاث مجلـدات . واختتام الافتتاح فى أول الخلق ، والمجلـد الأول فى الأنبياء والحكمـاء وملوك الأوائل وسيرة نبينا عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ، والمجلد الثـانى فى الأئمـة الاثنى عشـر وبنى أميـة وبنى العبـاس ومن مَلَك فى عصـر هـؤلاء ، والمجلد الثـالث فى خـواقين التـرك وجنكيـز وأولاده وطبقات الملـوك فى عصرهم وتيمـور وأولاده وظهور الصفويـة ونبذة يسيرة من ذكر آل عثمـان والاختتام فى عجائب الأقاليم ونوادر الوقائع وهو فى ثـلاث مجلدات كبار من الكتب الممتعة المعتبرة إلا أنـه أطال فى وصف ابن حيدر كما هو مقتضى حال عصره وهو معذور فيه تجاوز الله سبحانه وتعالى عنه .

(كشف الظنون ١/ ٦٢٩ ، ٦٣٠) .

*** حبيب العروس وريحان النفوس:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى العلوم . جاء فى هامش ١ من الفهـرس مـا يلى : جاء على النسخـة : حبيب العـروس وريحان النفوس .

لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمى ، المتوفى نحو سنة ٣٨٠هـ .

(ذيل كشف الظنـون ١/ ٣٩٢ ، معجم المـؤلفين ٨/ ٢٦٤ ، الأعلام ٦/ ٢٠٣) .

الجزء الثالث :

أوله : أما بعد ، فإن هـذا مما وفقنى الله ... وبعد فمجتمع فى هذه النسخة أمور عظيمـة عن العباس ، رضى الله عنه وعن ولده وعن جميع الصحابة آمين . صفة دهن للقوبة ...

وآخره : بـاب صبغ لون ، لون الـذهب طريف حسن . من كتاب ابن العباس .

نسخة نفيسـة جدًّا بقلم أندلسى قديم من القـرن الخامس على الأكثر ، عدا الكراسـة الأولى ، فإنها بخط حديث . ونشع الحبر فى بعض الصفحات .

١٧٠ ورقة ١٦سطرًا ١٩ × ٢٦سم .

[مجلس شوراى] .

(فهرس المخطـوطات المصورة ، معهد المخطـوطات العربيـة جـ٣ العلوم ق٢ الطب . الكتاب الثانى . القاهرة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م/ ٨١) .

*** أم حبيبة (٢٥ق هـ-٤٤هـ / ٥٩٦-٦٦٤م):**

أم حبيبة ، أم المؤمنين ، إحدى زوجات رسول الله ﷺ:

أجمل السيد محمـد رشيد رضـا أخبارها فقـال : أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها :

وفى سنة ست أو سبع تزوج أم حبيبـة رملة بنت أبى سفيان الأموى أشد أعدائه تحريضًا عليه وحـربًا له ﷺ وكان قومه بنى عبد شمـس أعداء بنى هـاشم قوم النبى ﷺ وكـان تزوجـه بها تأليفا له ولقـومه وقد كانت أسلمت بمكة وهـاجرت مع زوجها عبيـد الله بن جحـش إلى الحبشـة ، فتنصـر زوجهـا هنـالك وفارقهـا ، فأرسل النبى ﷺ إلى النجاشى فخطبها له وأصـدقها عنه أربعمائة دينـار مع هدايا نفيسة : ولما عـادت إلى المدينة بنا [بنـى] بها ، ولما بلـغ أبا سفيـان الخبر قال هـو الفحل لا يقدع أنفه . فهو لم ينكر كفاءته ﷺ بل افتخر به . ولكنه ما زال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه ﷺ له يوم الفتح أن

قال « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وقد آمن يومئذ رياء وتقية ثم كان من تأليفه له ﷺ بعد غزوة حنين أن أعطاه من غنيمة هوازن مائة ناقة ، فهذا التأليف بعد التأليف لأبى سفيان يدل على أن تزوجه ﷺ بنته كان لمثل ذلك على أن تركها أرملة مهينة بعد مصابها بتنصر زوجها وعداوة أبيها وأمها لم يكن يهون على رسول الله ﷺ روى عنها ابنتها وأخواها وابن أخيها أو ابن أختها ومولياها وآخرون (نداء للجنس اللطيف / ٧٣) .

وتفصيل ذلك كما بيّنه الإمام ابن الجوزى فى « صفة الصفوة » ومن بعده الإمام المحب الطبرى فى « السمط الثمين» هو كما يلى :

أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية رضى الله عنها أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان ابن مظعون كانت قبل رسول الله ﷺ عند عبيد الله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم تنصر هنالك ومات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضى الله عنها على دينها فتزوجها رسول الله ﷺ .

ذكر تزوج النبى ﷺ بأم حبيبة رضى الله عنها وهو متضمن هجرتها إلى الحبشة ثم إلى المدينة :

عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت رأيت فى النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجى فى أسوأ صورة وأسوأها ففزعت وقلت تغير والله حاله وإذا هو يقول حين أصبح يا أم حبيبة إنى نظرت فى الدين فلم أر دينا خيرا من النصرانية وكنت قد دنت لها ثم دخلت فى دين محمد ثم قد رجعت إلى دين النصرانية فقلت ما هى خيرا لك وأخبرته بالرؤيا التى رأيتها له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات . فأرى فى المنام قائلا يقول يا أم المؤمنين ففزعت فأوّلتها رسول الله يتزوجنى قالت فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشى على بابى يستأذن فإذا جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه وذهبه فدخلت علىّ وقالت إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجك فقلت بشرك الله بخير قالت يقول لك الملك وكلى من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا فى رجلى (خدمتين تثنية خدمة وهى الخلخال وجمعها خدم وأخدام أيضًا) وخواتيم فضة كانت فى أصابع رجلى سرورا بما بشرت به فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هنالك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى وقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا وتفرقوا .

وخرج أبو داود من هذا عن أم حبيبة رضى الله عنها أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش فمات فى أرض الحبشة فزوجها النجاشى النبى ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شُرَحْبيل ابن حسنة . قال أبو داود حسنة أمه هذا آخر كلامه . وأبوه عبد الله بن المطاع وشرحبيل بضم الشين المعجم وفتح الراء وإسكان الحاء المهملة وبعدها باء موحدة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم لام قال أبو عمر وقد اختلف فيمن زوجها فروى سعيد بن العاص وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى ابنة عمه بنت أبى العاص وذكر البيهقى أن الذى زوجها ابن سعيد بن العاص قال وهو ابن عم أبيها لأن العاص ابن أمية هو ابن عم أبيها أيضًا . وروى النجاشى ويحتمل أن يكون النجاشى هو الخاطب والعاقد أما عثمان أو خالد بن سعيد على ما تضمنه الحديث المتقدم وروى أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ليخطبها عليه فزوجها إياه وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وروى أن النبى ﷺ بعث إليها شرحبيل بن حسنة فجاء بها فيحتمل أنه بعث ﷺ عَمرا للخطبة وشرحبيل بن حسنة ليحملها إليه وكان ذلك فى سنة سبع من

الهجرة وإن صح هذا التاريخ فلا يصح أن يكون عثمان رضى الله عنه هو الذى زوَّجها لأن سيدنا عثمان كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر وكانت وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة. قال أبو عمر: وقد قيل إن عقد النكاح بالمدينة بعد رجوعها إليه من أرض الحبشة والمشهور ما تقدم من أن العقد كان بأرض الحبشة وقد روى أن النجاشى أمهرها أربعة آلاف درهم وكان مهور أزواج النبى ﷺ أربعمائة درهم، وكان أبو سفيان أبوها حال إنكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله ﷺ وقد روى أنه قيل له إن محمدًا نكح ابنتك فقال: «ذلك الفحل الذى لا يقدع أنفه»: يقدع أى يشدخ ويشق. (السمط الثمين/ ٧٩-٨١).

قالت المؤلفة: ذكر صاحب «المصباح المضئ» عن رواية أن اللفظ هو «يقرع» بالراء بمعنى يضرب ص ٤١» ثم قال بعد ذلك (ص ٤٢): يقول مؤلفه - عفا الله عنه: الذى يظهر أن «يقرع» بالراء تصحيف، وصوابه: يقدع - بالدال المهملة، قال الجوهرى: قدعتُ فرسى أقدعه قدعًا: كبحته وكففته ليكفّ بعض جريه، وهذا فحل لا يقدع أى لا يُضرب أنفه، وذلك إذا كان كريما، وقدعتُ الرجل عنك أى، كففته (المصباح المضئ ٢/ ٤٢).

قدوم أبى سفيان ودخوله على ابنته وطيها فراش رسول الله ﷺ دونه.

قال الأزهرى: قدم أبو سفيان بن حرب فجاء رسول الله ﷺ المدينة وهو يريد غزوة مكة فكلمه أن يزيد فى هدنة الحديبية فلم يقبل رسول الله ﷺ فجاء إلى ابنته أم حبيبة رضى الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرء نجس مشرك. فقال يا بنية لقد أصابك بعدى شر. خرَّجه فى الصفوة.

اتباعها رضى الله عنها للسنة

عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت لما جاءها نعى أبيها دعت بطيب فمسحت ذراعيها وقالت مالى من حاجة ولولا أنى سمعت النبى ﷺ يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحدّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشْرا وفى رواية مسحت عارضيها وذراعيها وقالت إنى كنت عن هذا لغنية ولولا أنى سمعت الحديث أخرجاه. وعنها رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلى اثنتى عشْرة ركعة فى يومه وليلته بنى له بيت فى الجنة قالت أم حبيبة رضى الله عنها فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ أخرجه مسلم.

ما نزل بسبب زواج أم حبيبة فى القرآن رضى الله عنها

عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ [الممتحنة: ٧] قال صهر أبى سفيان حين تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيان خرَّجه ابن السرى.

وفاة أم حبيبة رضى الله عنها

قال أبو عمر، وصاحب الصفوة: توفيت أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيان سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت قد يكون بيننا كما يكون بين الضراير فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحلك من ذلك. فقالت سررتينى سرك الله وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك خرّجه أبو عمر وصاحب الصفوة (السمط الثمين/ ٨١، ٨٢).

قال الحافظ أبو القاسم فى تاريخ دمشق: قدمت دمشق زائرة أخاها معاوية، قال: وقيل إن قبرها بها. قال: والصحيح أنها ماتت بالمدينة. قال ابن منده: توفيت سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٥٩). لها فى كتب الحديث ٦٥ حديثا (الأعلام ٣/ ٣٣).

(نداء للجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا/ ٧٣، والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى/ ٧٩-٨٢، والمصباح المضئ فى كُتّاب النبى الأمىّ ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وعجمى للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن على ابن أحمد بن حُديدة الأنصارى - صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ٢/ وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢/ ٣٥٩، والأعلام للزركلى ٣/ ٣٣. انظر أيضًا صفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحّام ٢/ ٣١-٣٣، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٤/ ٢٢٣، ٢٢٤).

*** الحبيبية الصغرى (المدرسة ـ) (١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م):**

من المدارس القديمة بمدينة تونس، أنشئت سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م. أدرجها محمد بن الخوجة رحمه الله فى المدارس التى كانت مخصصة فى زمانه لسكنى طلبة جامع الزيتونة وفروعه بالعاصمة. وقد جاء فى مقدمة التحقيق (ص١١) أن تلك المدارس قد تعطلت منذ توحيد التعليم التونسى فى سنة ١٩٥٨، وتحويل تلامذة جامع الزيتونة وفروعه إلى المعاهد الثانوية العصرية. والجهود مبذولة الآن لترميم تلك المدارس وإنقاذها من التداعى، وتحويلها إلى مؤسسات ثقافية وتعليمية. اهـ.

أما عن المدرسة الحبيبية الصغرى التى نحن بصددها فيقول ابن الخوجة رحمه الله:

هذه المدرسة أسسها المولى محمد الحبيب باى فى سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م بزاوية الولى المجذوب الشيخ صالح المثلوثى معتقد عمّه المشير محمد الصادق باى، ولما تمّ تجهيزها وتنسيقها فتحت لسكنى الطلبة وألحقت بالمدارس العامة.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة ـ تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى وحمّادى الساحلى / ١١، ٣٢٩).

انظر: الحبيبية الكبرى (المدرسة ـ).

*** الحبيبية الكبرى (المدرسة ـ) (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م):**

من المدارس القديمة بمدينة تونس التى كانت مخصصة لسكنى طلبة جامع الزيتونة. قال عنها محمد بن الخوجة رحمه الله:

كانت هذه المدرسة فندقًا بلديًا يعرف بوكالة المجلس البلدى، حديثة البناء، فلما صعد المولى محمد الحبيب باى لكرسى الملك الحسينى، صرف مهجته لإسعاف طلبة العلم بمدرسة ذات مرافق عصرية، واختار لذلك الوكالة المتحدث عنها، فاشتراها رحمه الله من ماله الخاصّ، وهذب أساليبها، وجعلها وقفًا على أهل العلم من طلبة جامع الزيتونة، وتم تجهيزها وتنسيقها فى سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م وناط نظارتها بقاضى الجماعة العلامة الشيخ الصادق النيفر، فناب كل بيت من بيوتها ثلاثة من الطلبة وفى سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م ألحقت هذه المدرسة ببقية المدارس العامة، وجعل التصرف فيها من حقوق إدارة المعارف، فغيّرت عدد سكان بيوتها بجعلهم اثنين بكل بيت لا ثلاثة، وبالتالى وقع ضمّ جميع مدارس الطلبة لمشيخة جامع الزيتونة، فكانت هذه المدرسة كبقيّة أخواتها من متعلّقات تلك المشيخة الجليلة.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة ـ تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى وحمّادى الساحلى / ٣٢٨، ٣٢٩).

انظر: الحبيبية الصغرى (المدرسة ـ).

*** ابن حَبيش (٦١٥ ـ بعد ٦٧٩هـ / ١٢١٨ ـ بعد ١٢٨٠م):**

قال عنه الزركلى: محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن ابن يونس، أبو بكر بن حبيش اللخمى، شاعر تونسى. برع فى النظم والنثر، وكان من النحاة، وجمع له أبو العباس الأشعرى « فهرسة » وعرضها عليه، فكتب فى أولها، بعد مقدمة: « وإن هذا المجموع ليروق يعجب، ولكنه جمع لمن لا يستوجب ... إلخ). قال الزبيدى: أكثر عنه أبو عبد الله ابن رشيد فى رحلته (الأعلام ٦/ ٨٦).

قالت المؤلفة: ما أشار إليه الزبيدى أعلاه من أن ابن رشيد أكثر من الكلام عن ابن حبيش فى رحلته يتضح لنا بالرجوع إلى كتاب رحلة ابن رشيد ـ والكتاب عندى، اقتنيته من تونس، وهو بعنوان « ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة » ويقع فى ثلاثة أجزاء، إذ أفرد ابن رشيد الصفحات من ١١٠ إلى ١٢٦ للكلام على ابن حبيش وشعره وشيوخه وأسمعته وفهرسته مما يصلح أن يكون برنامجا دراسيا لتخريج أساتذة فى العلوم المنقولة والمعقولة، ولولا الرغبة فى الاختصار لنقلناه هنا بتمامه، ولكنّا نكتفى بنقل مقدمة محقق الكتاب وهو سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، وهى كما يلى:

الفقيه الأديب الحافظ الشاعر القاضى الزاهد أبو بكر بن حبيش المرسى وهو من أول من لقيه ابن رشيد بتونس ... زاره بمنزله ووجد منه عناية واحتفاء.

ذكر له فهرسته التى كتبها له تلميذه أبو العباس الأشعرى، وكذا أسمعته.

والفهرست، كما يبدو من قراءتها، ثبت زاخر بأعلام الأندلسيين الذين تخرج عليهم.

فمن شيوخه ابن الولى، والرفاء، وابن سلمة الشاطبى، وابن محرز، وسهل بن مالك، وابن عساكر، وابن قطرال، وابن أبى السداد، وابن الحاج القرطبى، وابن عتيق الأزدى، وابن واجب القيسى. وابن أبى الغصن اللخمى، وابن القرشية المقرئ، وابن برطُلُه، وابن عميرة، وابن أبى الخير الشاطبى، وابن أبى غالب، وابن الأصفر الحارثى، وابن مفضل وابن مهيب.

وقد أجاز له جماعة أيضًا من أشهرهم: أبو على الشلوبين، والدبّاج، وابن عاصم الرُّندى، وابن القاسم الطيلسان، وابن حريرة المالقى، والمومنانى، وأبو زيد الخزرجى.

وأسمعته ديوان يعرّف بالكتب القيمة المعتمدة فى ذلك الوقت لتخريج أهل الفضل والعلم فى مختلف العلوم العقلية والنقلية والشرعية، فمن ذلك التيسير للدانى، وحرز الأمانى للشاطبى، والقصيدة الحصرية، والتقريب والحرش للهاشمى، والمحرر الوجيز لابن عطية، وصحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبى داود، وسنن الترمذى، وموطأ مالك، وملخص القابسى، ومنتقى ابن الجارود، والمسند الكبير للبزار، وسيرة ابن هشام، وشمائل الترمذى، وكتاب الأربعين للمقدسى، وكتاب الأربعين لأبى الفتوح الطائى، وكتاب الأربعين للفراوى، وشرح الحكم والأمثال للعسكرى، ومعراج المناقب لابن أبى الخصال، والاستيعاب لابن عبد البر، والاستذكار له، والإشراف لابن المنذر، والمختلف والمؤتلف لعبد الغنى الحافظ، وكتاب الجهاد لابن الحاج، والتبصرة للخمى، ورسالة ابن أبى زيد، والتلقين للقاضى عبد الوهاب، وفهرست أبى القاسم ابن حبيش، والإيضاح للفارسى، والجمل له، والمفصل للزمخشرى، وكذا الفصيح وإصلاح المنطق لابن السكيت، وأدب الكتّاب لابن قتيبة، والأمثال لأبى عُبيد، والكامل للمبرّد، والأمالى للبغدادى، والمقامات للحريرى، وكتاب الأشعار الستة، وشعر المتنبى، وحماسة حبيب، وشعر ابن وضاح، وشعر ابن خفاجة، والمسلسل فى اللغة للتميمى، وكتاب نزهة الألباب فى محاسن الآداب، والمقاصد الكافية من علم لسان العرب.

ثم عرّف ابن رُشيد بما قرأ على ابن حبيش من أحاديث، وأثبت بالترجمة قصيدًا طويلا من نظمه يستدعى به أُنس ابن حبيش وإجازته له، وعقب ذلك أثبت الجواب عن قصيده بما نظمه أبو محمد بن مبارك على لسان الشيخ ثم ذكر قصيد ابن الحكيم فى نفس الغرض والإجابة عنه.

ثم أورد أشعارا كثيرة تزيد على ثلاثين قطعة كلها لابن حبيش ومن نظمه غير قطع قليلة أنشدها صاحب الترجمة له بعضها لابن خفاجة والبعض الآخر لابن شرف. وقد كان ابن رشيد دائم الاتصال بأبى بكر بن حبيش من حين دخوله تونس إلى وقت مغادرته لها حيث وافته مراسلة منه إلى المركب الذى يحمله نحو الوجهة الحجازية.

(ملء العيبة لأبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٢/ ٥٥ ـ ٥٧. انظر أيضًا رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية لأبى عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحى - حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ٢٦٨، ٢٦٩).

*** الحج:**

قال الإمام الراغب الأصفهانى:

حج: أصل الحج القصد للزيارة، قال الشاعر:

* *يَحُجُّون بيتَ الزِّبْرِقانِ المُعصفرا* *

خُصَّ فى تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك فقيل الحَجُّ والحِجُّ، فالحَجُّ مصدرٌ والحِج اسمٌ، ويوم الحَج الأكبر يوم النَّحر، ويوم عرفة، ورُوى العمرة الحَجُّ الأصغرُ.

(المفردات فى غريب القرآن / ١٠٧).

وقال الشيخ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى فى شرحه لرسالة ابن أبى زيد القيروانى:

الحج لغة القصد وفى عرف الشرع القصد إلى بيت الله الحرام على وجه التعظيم لقصد العبادة المعروفة وهى عبادة تشتمل على نية وتلبية وطواف وسعى بين الصفا والمروة ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ورمى الجمار بمنى وحلق أو تقصير وترك طيب وحلق شعر وغير ذلك وهو فرض بالكتاب والسنة والإجماع فمن أنكر أنه فرض ارتد ومن اعترف بأنه فرض وامتنع من أدائه ترك واتفق أهل المذاهب الأربعة على أنه فرض فى العمر مرة على الحر المسلم سواء كان ذكرًا أو أنثى البالغ

العـاقل المستطيع وعنـد المالكيـة فـرض علـى الفـور على المعتمد وقيل على التراخى إلى خوف الفوات وعند الحنابلة فرض على الفور وعند الحنفية فرض على الفور على قول أبى يوسف وأصح الروايتين عن أبى حنيفة وعلى التراخى على قول محمـد والتعجيل أفضل وعند الشـافعيـة فرض على التـراخى وإنما يجوز التأخير بشرط العزم على الفعل فى المستقبل .

قال الله تعالى : ﴿ ولله على الناس حِجُّ البيـت من استطاع إلى سبيلا ومن كفـر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧] «وعن ابن عمـر أن رسول الله ﷺ قال : بنى الإسـلام على خمس : شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسـول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » رواه البخارى .

« وعن أنس قال كنا نتمنى أن يأتى الأعرابى العاقل فيسأل النبى ﷺ ونحن عنده فبينمـا نحن كذلك إذ أتـاه أعرابى فجثى بين يدى النبى ﷺ فقال يا محمد إن رسولك أتانا فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . فقال النبى ﷺ نعم . قـال : فبالذى رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال آلله أرسلك؟ فقال النبى ﷺ نعم . قال فإن رسـولك زعم لنا أنك تـزعم أن علينا خمس صلـوات فى اليوم والليلـة فقـال النبى ﷺ نعم . قـال فبالـذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قـال نعم . قال فإن رسـولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا صوم شهر فى السنة فقال النبى ﷺ صدق . قال فبالـذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قـال النبى ﷺ نعم . قال فإن رسـولك زعم أن علينا فى أمـوالنا الـزكاة . فقـال النبى ﷺ صدق . قال فبـالذى أرسلك آلله أمرك بهـذا؟ قال النبى ﷺ : نعم . قـال فإن رسولك زعم لنـا أنك تزعم أن علينـا الحج إلى البيت من استطـاع إليـه سبيـلا فقـال النبى ﷺ : نعم . قـال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ فقال النبى ﷺ : نعم . فقال : والذى بعثك بـالحق لا أدع منهن شيئًا ولا أجـاوزهن ثم وثب فقال النبى ﷺ إن صـدق الأعرابى دخل الجنة » رواه التـرمذى وعن ابن عبـاس أن الأقـرع بن حابس سأل النبـى ﷺ فقال يـا رسول الله الحج فى كل سنة أو مـرة واحدة قال بل مرة فمن زاد فهو تطوع » رواه أبو داود (الفتح الربانى ١/ ١٥٧) .

روى الشيخان عن أبى هـريرة رضى الله عنـه قال : « سُئِلَ رسول الله ﷺ أىُّ العمل أفضل قال : إيمـان بالله ورسوله ، قيل ثم مـاذا؟ قال الجهـاد فى سبيل الله ، قيل ثم مـاذا؟ قـال حجٌّ مبرُورٌ » . وروى مسلم عن أبى هريرة أيضًا قال : « خطبنا رسول الله ﷺ فقـال يـا أيهـا النـاس قـد فُـرض عليكم الحج فحُجُّـوا» . وفى حديث الشيخين « بُنى الإسـلام على خمس » عَدَّ منها الحجَّ .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أيضًـا قال : « قال رسول الله ﷺ من حجَّ لله فلم يـرفث ولم يفسق رجع كيـوم ولـدتهُ أمُّـهُ » وروى الشيخان عن أبى هـريرة أيضًا قال : قـال رسول الله ﷺ العُمرة إلى العمرةِ كفَّارةٌ لما بينهما والحجُّ المبرورُ ليس له جزاء إلا الجنة » (مختصر كتاب رياض الصالحين / ١٥٠ ، ١٥١) .

أما عن أداء الحـج فقد اختلف الفقهاء فـى وجوب الحج أهو علـى الفور أم على التراخـى فذهب جمهور الفقهـاء إلى وجوبه على الفور وذهب الشافعية وبعض الحنفيـة والإباضية فى الأصح عنـدهم إلى وجسوبه على التـراخى والكل متفقـون على أن القيام بـه فى أشهره من أى سنة يكـون أداء غير أن من يـرى أن وجوبـه على الفور يقـول إنه يأثم بـالتأخير عن العـام الأول .

(موسوعة الفقه الإسلامى ٤/ ١٥٢) .

ويحصى الخوارزمى الألفـاظ المتعلقة بمنـاسك الج كما يلى :

القران : القِرَانُ أن ينوى العمرة مع الحج جميعًا والتمتع أن يحرم للعمرة قبل الحج . الإفراد أن يفرد نيّة كل واحد منهما .

الاستـلام : الاستـلام هـو لمس الحجـر الأسـود اشتق من السِّلمة وهى الحجر كما قيل من الكحل الاكتحال .

الرملُ والهرولة : الإسراع .

والجمز العدو فى المشي : الهـدى ما يهدى إلى بيت الله الحرام من النعم .

البَدنة : النـاقة والبقرة تهدى إلى البيت وجمعهـا بُدن مثل خشبة وخشب . التجمير : رمى الجمار وهى الحصى واحدتها جمـرة وبهـا سميت جمـرة العقبـة الإشعـار أن يُعلم الهـدى بالطعن فى سنامه أو غيـر ذلك . وشعائر الله واحدتهـا شعيرة وهى العلامة (مفاتيح العلوم / ١٢) .

وإليك تفصيل مناسك الحج :

الحج هو الخامس من أركان الإسلام ...

ويجب على المسلم البـالـغ العـاقل ، (والـرجل والمـرأة سواء) بشرط الاستطاعة .

ويجب مرة فى العمر ... وكذا العمرة عند بعض الفقهاء.

فمن زاد عن مرة فهو متطوع.

ويستحب تكراره كل خمسة أعوام.

أركانه:

وأركان الحج أربعة:

١ - الإحرام. ٢ - الطواف.

٣ - السعى. ٤ - الوقوف بعرفة.

وما عدا الوقوف أركان العمرة فهى ثلاثة.

الإحرام:

فالإحرام: الدخول فى النسُك (أى شعائر الحج).

وللإحرام أربع كيفيات:

١ - الإفراد: وهو أن ينوى الحج من الميقات. وبعد تمام الحج يخرج إلى الحِلِّ فيحرم بالعمرة [ويسمى: المُفْرِد].

٢ - التمتع: وهو أن يعتمر أولا من ميقات بلده، فى أشهر الحج، ثم يحج من مكة بلا رجوع إلى الميقات ... ويسمى المُتَمتِّع.

٣ - القِرَان: أن يحرم بهما معا، من ميقات بلده ويسمى القارن.

٤ - والإطلاق: أن ينوى الدخول فى النسك من غير تعيين، ثم له بعد ذلك صرفه لما شاء.

ويجب على المتمتع والقارن دم.

ومن الواجبات التى لو ترك واحدا منها وجب عليه الدم:

١ - الإحرام من الميقات: (أى المكان الذى يحرم منه الحجيج بالحج) وهو: ذو الحُلَيفة: لأهل المدينة ومن حواليها [ومن يمر بها].

والجُحْفة: لأهل الشام ومصر والمغرب ومن يمر عليها (وقد زالت رسومها وأعلامها وأصبح الناس يحرمون من رابغ مدينة فى شمالها احتياطًا وهى مدينةعلى ساحل البحر الأحمر الشرقى).

ويلملم: لنهاية اليمن. والهنود الذين يمرون بها.

وقرنُ المنازِل: لنجد اليمن ومن يمر بهم.

وذات عِرْق: لأهل العراق وخراسان وكل من يمر به.

ومن فى مكة، ومن مسكنه أقرب من الميقات إلى مكة فميقاته موضعه.

ومن المشروع: التلبية عند الإحرام، ويستحب تكرارها، ورفع الصوت بها، وتجديدها عند كل مناسبة من نزول أو ركوب وهى من واجبات الإحرام كتكبيرة الإحرام للصلاة ولفظها عن النبى ﷺ: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك » (رواه الجماعة والشافعى والبيهقى) فهى واجبة بهذا اللفظ عند الجمهور.

ومن سنن الإحرام:

١ - الاغتسال.

٢ - والإحرام عقب صلاة نافلة.

٣ - وتقليم الأظافر. وقص الشارب، وحلق العانة.

٤ - والدعاء والصلاة على النبى ﷺ عقب التلبية.

ومن المحظورات للمُحرم التى لو فعلها وجب عليه فدية:

دم شاة، أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام بثلاثة آصعَ (جمع صاع وهو أربعة أمداد، والمد حفنة بيدى رجل معتدل الكفين).

١ - تغطية الرأس، ولبس المخيط.

٢ - وحلق الشعر، وتقليم الأظفار. ومس الطيب.

٣ - ومقدمات الجماع من قبلة أو نحوها.

٤ - وعقد النكاح.

٥ - وقتل صيد البر.

وبالجماع تجب الكفارة والقضاء فورًا، وهى بدنة [الناقة المسمَّنة] وإن لم يجد فبقرة، وإلا فسبع شياه، وإن لم يجد قوَّم البدنة بالدراهم، والدراهم بالطعام، ويتصدق ... وإن لم يجد فيصوم عن كل مُدٍّ يومًا.

وجزاء قتل الصيد بمثله من النعم.

الركن الثانى: الطواف:

وهو الدوران حول البيت سبعة أشواط.

وشروطه:

١ - النية ...

٢ - والطهارة من الخبث والحدث.

٣ - وستر العورة.

٤ - وأن يطوف داخل المسجد، بجعل البيت عن يساره .

٥ - وأن يبدأ بالحجر الأسود ويختمه به .

٦ - ولابد أن يكون كل بدنه خارجا عن كل البيت، فإذا طاف لا يجعل يده فى هواء الحِجْر أوالشاذروان .

(الحجر: حجر إسماعيل وهو جزء من الكعبة لكنه خارج عن بنائها وهو تحت الميزاب .

والشاذروان بفتح الذال وكسرها : القدر الذى ترك بين عرض الأساس خارجا عن عرض الجدار مرتفعا عن وجه الأرض قدر ثلثى ذراع) .

ومن سنن الطواف :

١ - الرَّمَل، وهو الإسراع مع تقارب الخطى، فى الأشواط الثلاثة الأولى، ولا يسن الرمل إلا فى طواف يعقبه سعى، فيكون فى طواف القدوم، أو فى طواف الإفاضة ...

٢ - ومن سننه : الاضطباع، وهو كشف الكتف الأيمن، بأن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن، ويطرح طرفيه على عاتقه الأيسر.

٣ - ومنها : تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف إن أمكن، وإلا اكتفى بلمسه باليد، أو بالإشارة إليه، لفعل النبى ﷺ ذلك وأمره به .

ولا يظن بذلك تعظيم الحجر بحيث أنه يضر أو ينفع فقد قال عمر رضى الله عنه عند تقبيل الحجر: « إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » (أخرجه السبعة وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح) .

٤ - ومن سننه : استلام الركن اليمانى وهو الركن المقابل للحجر الأسود من عند جهة حِجْر إسماعيل.

٥ - ومنها : الدعاء بالملتزم (باب الكعبة) عند الفراغ من الطواف.

٦ - ومنها: صلاة ركعتين بعد الفراغ من الطواف، خلف مقام إبراهيم، والشرب من ماء زمزم، والرجوع من قدام الحجر الأسود قبل الخروج إلى المسعى .

الركن الثالث السعى :

وهو المشى بين الصفا والمروة ذهابا وإيابا .

شروطه : ١ - النية .

٢ - أن يكون عقب الطواف .

٣ - إكمال سبعة أشواط .

٤ - الموالاة بين أشواطه .

من سنن السعى :

١ - سرعة المشى بين الميلين الأخضرين لما خَبَّت فيه هاجر أم إسماعيل (الخبُّ ضرب من العدو، أى الهرولة) .

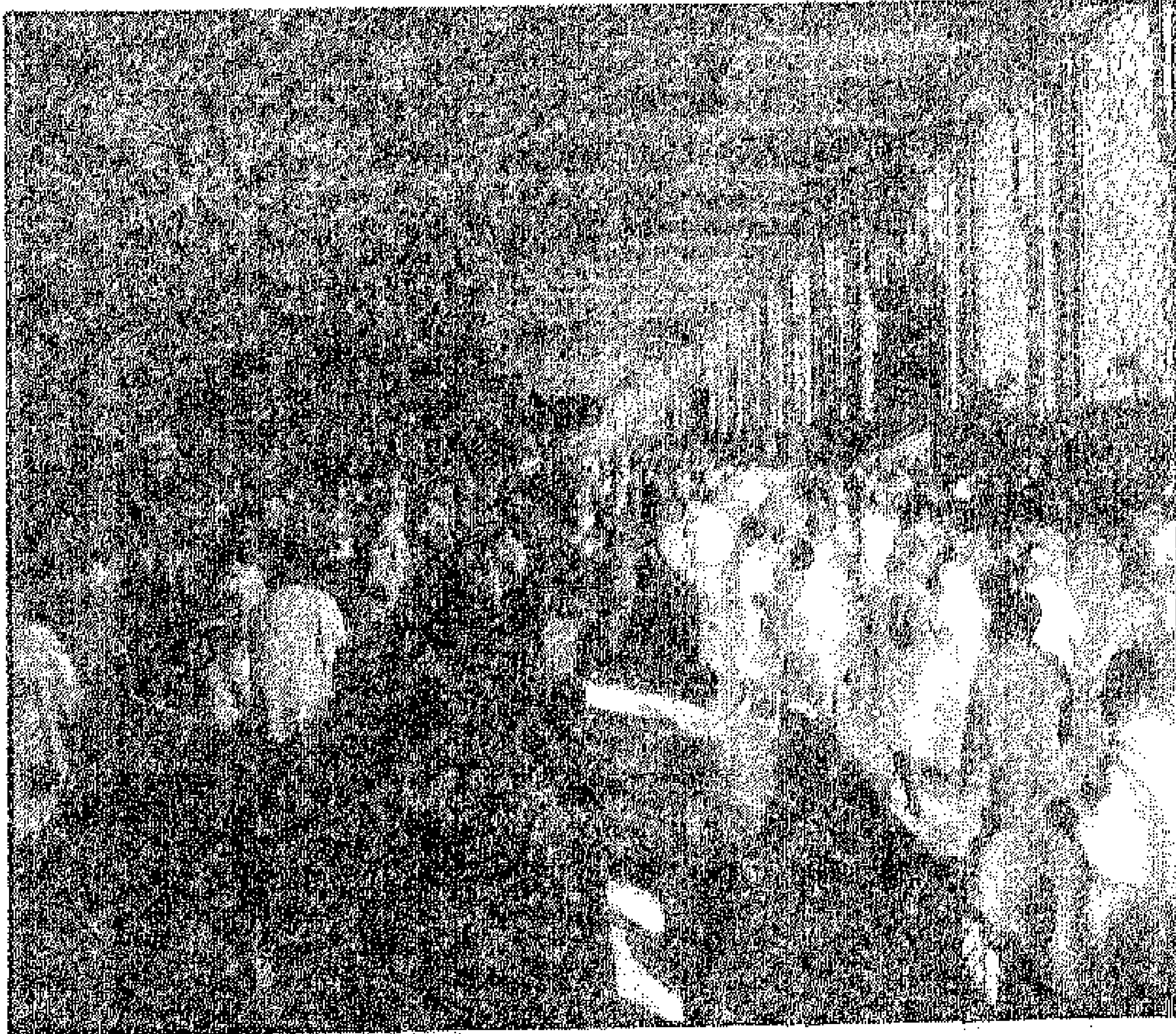
٢ - الوقوف على الصفا والمروة للدعاء .

٣ - وأن يقول : الله أكبر ثلاثا عند الرقى .

٤ - الموالاة بينه وبين الطواف .

٥ - والخروج إليه من باب الصفا، تاليا قوله تعالى : ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوَّفَ بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ [البقرة : ١٥٨] .

٦ - وأن يكون الساعى مُتطَهِّرًا .



السعى بين الصفا والمروة

٧ - وأن يسعى ماشيا.

٨ - وألاّ يؤذى أحدًا من الساعين.

٩ - واستحضاره ـ فى نفسه ـ ذله وفقره إلى الله.

الركن الرابع الوقوف بعرفة:

وهـو أهم أركـان الحج لقـوله ﷺ: «الحج عـرفـة» (رواه الخمسة).

وواجباته:

١ - الحضور بعرفـة يوم تاسع ذى الحجة بعـد الزوال إلى غروب الشمس.

٢ - والمبيت بالمزدلفة بعد الإفاضة من عرفات ليلة عاشر ذى الحجة.

٣ - ورمى جمار العقبة يوم النحر.

٤ - والحلق أو التقصير بعد رمى جمرة العقبة.

٥ - والمبيت بمنى ثلاث ليال: ليلة الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر، أو ليلتين لمن تعجل.

٦ - ورمى الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم من أيام التشريق.

ومن سنن الوقوف وآدابه:

١ - الخروج إلى منى يوم التروية، وهو ثامن ذى الحجة، والمبيت بها ليلة التاسع.

٢ - والتوجه إلى نَمرة صباح التاسع.

٣ - ومنها: وجوده بعد الزوال بنَمِرة، وصلاته الظهر والعصر قصرا وجمع تقديم مع الإمام (بمسجد نَمِرة بوادى عُرَنة المتاخم لعرفات ويقال له بطن عُرنة).

٤ - ومنها: إتيانه إلى موقف عرفات بعد أداء صلاة الظهر والعصر مع الإمام.

٥ - ومنها: تأخير صلاة المغرب إلى أن ينزل الجمع المزدلفة فيصلى المغرب والعشاء بها جمع تأخير قصرًا.

٦ - ومنها: الوقوف مستقبل القبلة ذاكرًا وداعيًا عند المشعر الحرام حتى الإسفار.

٧ - ومنها: أداء طواف الإفاضة قبل الغروب.

٨ - ومنها: الاغتسال بعد الزوال والوقوف بعرفة.

٩ - ومنها: الوقوف بموقف رسول الله ﷺ عند الصخرة إن تمكن.

١٠ - ومنها: الذكر والدعاء مستقبل القبلة بالموقف.



الحج عرفة

١١ – ومنهـا : كـون الإفـاضـة من عـرفـة على طـريق المأزِمَيْنِ.
(موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شِعب بين جبلين ، يفضى آخره إلى بطن عُرنـه ، حيث مسجد نَمِرة . معجم البلدان ٥/ ٤٠).

١٢ – ومنهـا : الإكثار من التلبيـة فى الطـريق إلى مِنى ، وعرفات ، والمزدلفة .

١٣ – ومنها : التقاط سبع حصيات من مزدلفة لرمى جمرة العقبة بلا زيادة كما يفعل العوام .

١٤ – ومنهـا الـدفع من مـزدلفـة بعـد الإسفـار ، وقبل طلوع الشمس .

١٥ – ومنها : الإسراع فى السير ببطن مُحَسِّر.
(مـوضع مـا بين مكـة وعـرفـة وقيل بين منى وعـرفـة وقيل بين منى ومـزدلفـة عن معجم البلـدان ٥/ ٢٦٢ ويرجح الأخير حسب مناسك الحج).

١٦ – ومنها : رمـى جمرة العقبـة فيمـا بين طلـوع الشمس ، والـزوال مع قـول : الله أكبر مع كل حصاه .

١٧ – ومنها : مباشرة ذبح الهـدى ، أو شهـوده حـال نحره .

١٨ – ومنهـا : الأكل من الهدى .

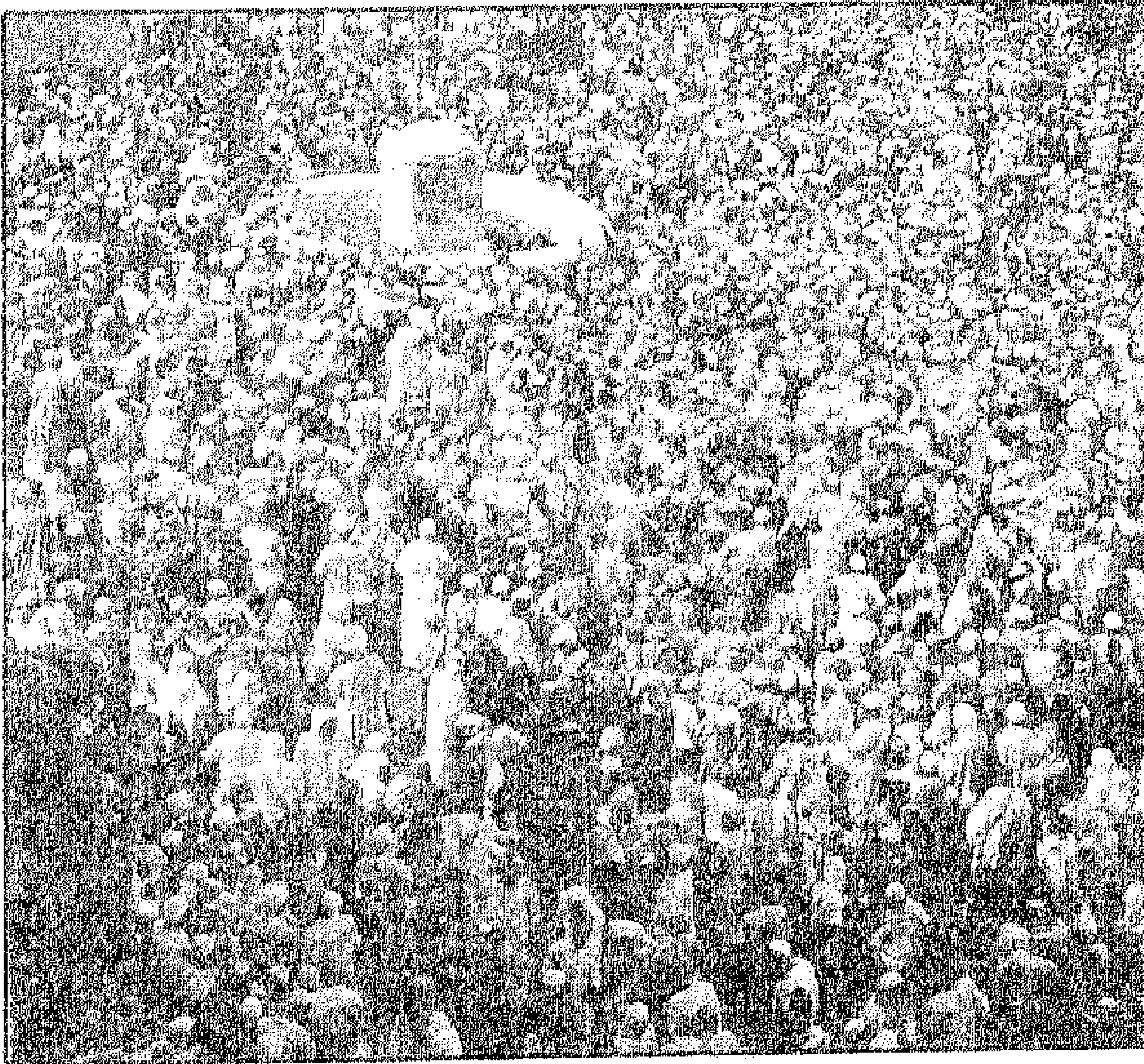
١٩ – ومنها : المشى إلى الجمرات .

٢٠ – ومنها : رمـى جمرة العقبـة من بطن الـوادى ... مستقبلاً لهـا ، جاعـلاً البيت عن يساره ، ومنى عن يمينه .

تنبيهات :

١ – إذا أراد دخول مكـة : اغتسل خـارج مكة بنيـة دخول مكـة ، ويدخلهـا نهارًا (نهـارًا وليـلاً سواء وإن كـان يستحب دخولها نهارًا) .

٢ – فإذا دخلهـا مضى نحـو المسجـد الحـرام ، فإذا وقع بصـره على البيت يقف ويرفع يـديـه ويقول : « اللهم زد هـذا البيت تشريفـا ، وتكريما ، وتعظيمـا ، ومهابة ، وزد من شـرفه وعظّمه ممن حجه أو اعتمـره تشريفا وتكريمـا وتعظيما وبرًّا .



الحجّاج يرمون الجمار فى منى

اللهم أنت السلام ومنك السلام حيّنا ربنا بالسلام » (عن سعيد بن المسيب عن عمر. رواه البيهقى وابن أبى شيبة بسند حسن. مناسك الحج للألبانى / ١٩).

٣ - فإذا دخل المسجد يطوف طواف القدوم.

وللحج أكثر من طواف (وأشهر ثلاثة خاصة بالحج) وهى :

(أ) طواف القدوم.

(ب) طواف الإفاضة.

(جـ) طواف الوداع.

فركن الحج : طواف الإفاضة بعد الرجوع من عرفات، والباقيان من سننه. وهناك طواف رابع وهو طواف التطوع، يأتى به الناسك استحبابا كيف شاء ومتى شاء، وطواف خامس وهو طواف التحية بدل ركعتى تحية المسجد كما أسلفنا.

٤ - أما السَّعْىُ : فيجوز أن يؤخره إلى ما بعد الإفاضة.

٥ - وحلق الرأس : من أعمال الحج، وهى ركن عند بعض الأئمة، وعده الجمهور من واجباته.

٦ - أما الرَّمْىُ والحلق وطواف الإفاضة فيدخل وقت الثلاثة بنصف الليل من ليلة النحر.

٧ - ويتحلل الحاج بفعل اثنين من هذه الثلاثة :

١ - إما حلق ورمى.

٢ - وإما حلق وطواف.

٣ - وإما رمى وطواف.

فيحل باثنين جميع ما حرم عليه، غير الوطء، وعقد النكاح.

فإذا فعل الثالث حل له كل ما حرم عليه.

٨ - فإذا فرغ من طواف الإفاضة والسعى رجع إلى مِنى أو بات بها.

٩ - ويلتقط فى أول أيام التشريق. إحدى وعشرين حصاة من مِنًى، . فإذا زالت الشمس رمى بها قبل الصلاة، فيرمى االجمرة الأولى (الصغرى) ثم الثانية (الوسطى) ثم الثالثة (العقبة أو الكبرى) وهى الجمرة التى رماها يوم النحر، فيرميها بسبع كما فعل من قبل.

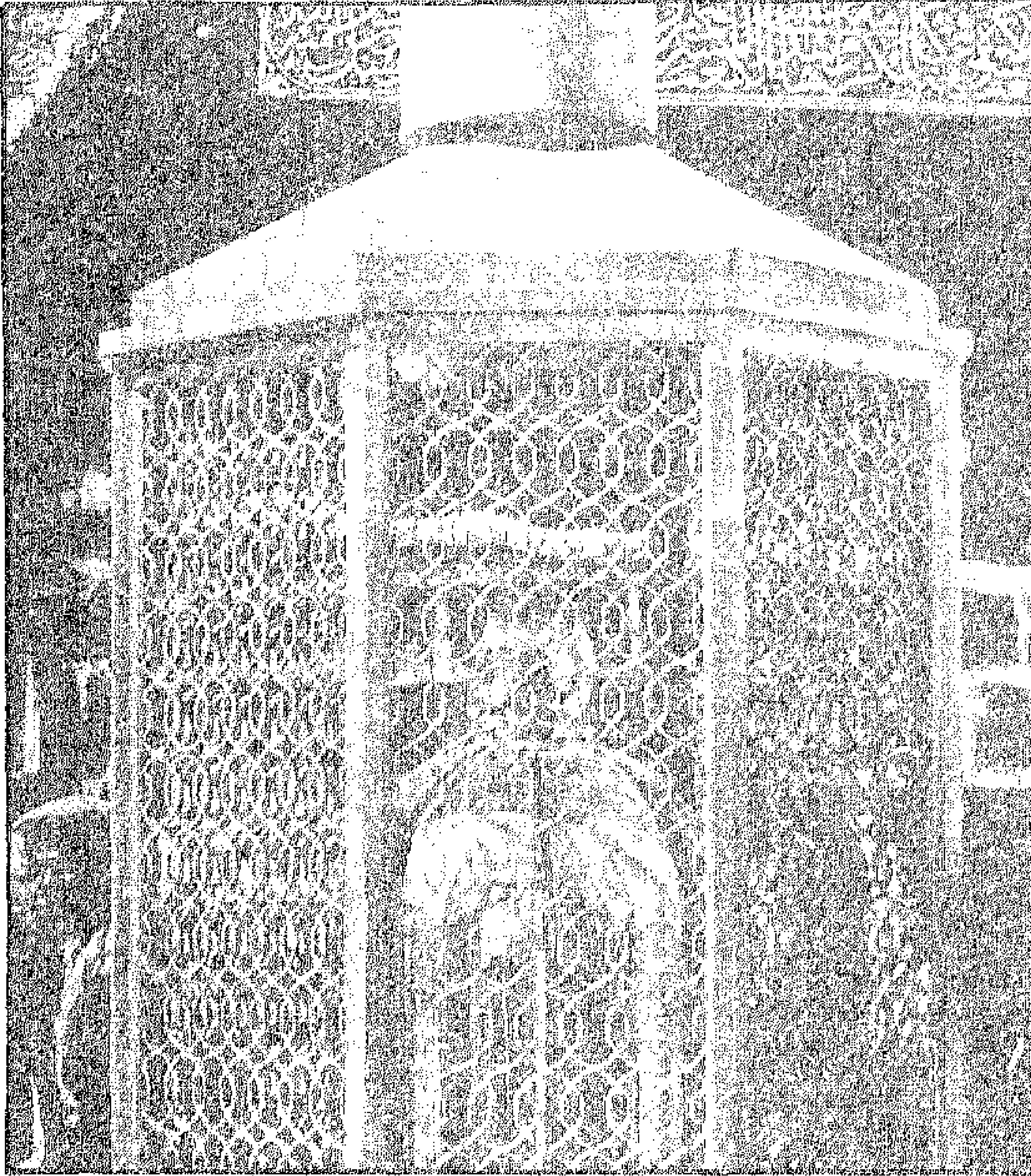
١٠ - ويفعل كذلك فى ثانى أيام التشريق، والثالث بعد الزوال.

١١ - ويخطب الإمام :

(أ) فى سابع ذى الحجة بعد صلاة الظهر بمكة، خطبة يعلمهم فيها مناسك الحج.

(ب) وفى تاسع ذى الحجة بِنَمِرَةَ قبل دخول عرفة.

(جـ) وفى ثالث أيام التشريق بمنى بعد الرمى يُعْلِمُهُمْ فيها جواز السفر وقطع الرمى (مختصر الأحكام الفقهية / ١٢١ ـ ١٣١).



مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

حج الصبى والعبد:

لا يجب عليهما الحج ، لكنهما إذا حجًا صح منهما ، ولا يجزئهما عن حجة الإسلام .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى ﷺ : « أيما صبى حجَّ ثم بلغ الحِنث (الحنث : الإثم ، أى بلغ أن يُكتب عليه إثم) فعليه أن يحج مرة أخرى . أيما عبد حجَّ ثم أُعتق ، فعليه أن يحج حجة أخرى » رواه الطبراني بسند صحيح .

وقال السائب بن يزيد : حج أبى مع رسول الله ﷺ حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين . رواه أحمد والبخارى والترمذى . وقال قد أجمع أهل العلم : على أن الصبى إذا حج قبل أن يُدرك فعليه الحج إذا أدرك ، وكذلك المملوك إذا حج فى رقِّه ثم أعتق فعليه الحج إذا وجد إلى ذلك سبيلا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة رفعت إلى رسول الله ﷺ صبيا فقالت : ألهذا حجٌ؟ قال : « نعم ، ولك أجر » (أى فيما تتكلفين من أمره بالحج ، وتعليمه إياه) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : «حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان ، فلبَّينا عن الصبيان ، ورمينا عنهم . رواه أحمد وابن ماجه .

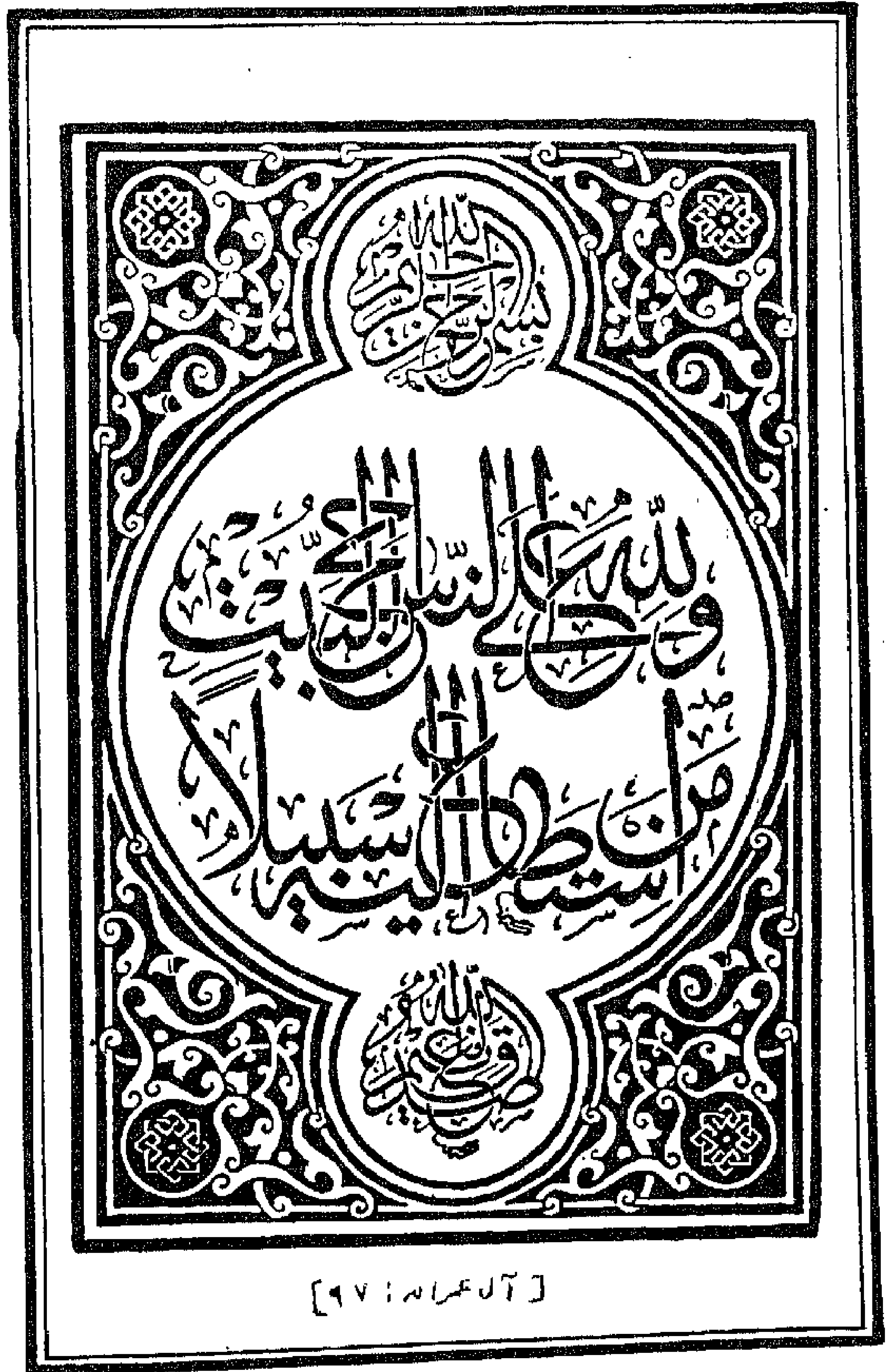
ثم إن كان الصبى مميزًا أحرم بنفسه وأدّى مناسك الحج ، وإلا أحرم عنه وليّه ، ولبّى عنه وطاف به وسعى ، ووقف بعرفة ، ورمى عنه (قال النووى : الولىّ الذى يحرم عنه إذا كان غير مميز هو ولى ماله وهو أبوه أو جدّه أو الوصى من جهة الحاكم . أما الأم فلا يصح إحرامها إلا إذا كانت وصية أو منصوبة من جهة الحاكم . وقيل : يصح إحرامها وإحرام العصبة وإن لم يكن لهم ولاية) .

ولو بلغ قبل الوقوف بعرفة ، أو فيها أجزأ عن حجة الإسلام ، كذلك العبد إذا أُعتق .

وقال مالك وابن المنذر: لا يجزئهما ، لأن الإحرام انعقد تطوعا ، فلا ينقلب فرضًا .

حج المرأة :

يجب على المرأة الحج ، كما يجب على الرجل سواء بسواء ــ كما سبق أن ذكرنا ــ إذا استوفت شرائط



[آل عمران : ٩٧]

الـوجوب، ويـزاد عليهـا بـالنسبة للمـرأة أن يصحبهـا زوج أو محرم.

فعن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال: سمعـت رسول الله ﷺ يقول: « لا يخلـونَّ رجل بـامرأة إلا ومعهـا ذو محرم، ولا تسافر المـرأة إلا مع ذى محرم، فقام رجل فقـال: يا رسول الله إن امرأتى خـرجت حاجّة، وإنى اكتتبت فى غزوة كـذا وكذا. فقـال: « انطلـق فحُجَّ مع امـرأتك » رواه البخـارى ومسلم، واللفظ لمسلم.

وإلى اشتراط هـذا الشرط، وجعله من جملة الاستطـاعة، ذهب أبو حنيفة وأصحابه، والنخعى والحسن والثورى وأحمد وإسحاق.

قال الحـافظ: والمشهور عنـد الشافعية اشتـراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات، وفى قول: تكفى امرأة واحدة ثقة، وفى قـول ـ نقلـه الكرابيسـى وصححه فى المهـذب: تسافـر وحدها، إذا كان الطريق آمنا.

وهذا كله فى الواجب من حج أو عمرة.

وفى « سبل السـلام » « وقـال جمـاعة من الأئمـة: يجـوز للعجوز السفـر من غيـر محرم » وقـد استدل المجيـزون لسفر المرأة من غير محرم ولا زوج ـ إذا وجدت رفقة مأمونة، أو كان الطريق آمنا ـ بما رواه البخـارى عن عَدِىّ بن حاتم قال: « بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذا أتاه رجل فشكا إليه فاقة، ثم أتاه رجل فشكـا إليه قطع السبيل، فقـال: يـا عدىّ هل رأيت الحيـرة؟ (قـرية قـريبة من الكـوفة) قـال: قلت: لم أرها، وقـد أنبئت عنهـا. قال: فإن طـالت بك حياة لتـرينَّ الظعينة تـرتحل من الحيرة حتى تطـوف بالكعبة، لا تخـاف إلا الله » (الظعينة أى الهودج فيه امرأة أم لا).

واستدلّوا أيضًا بأن نساء النبى ﷺ حججن بعد أن أذن لهنّ عمر رضى الله عنه فى آخر حجة حجها، وبعث معهن عثمان ابن عفان، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما.

وكان عثمـان رضى الله عنه ينادى: ألاَّ يدنـو أحد منهن، ولا ينظر إليهن، وهنَّ فى الهوادج على الإبل.

وإذا خالفـت المرأة وحجّت، دون أن يكـون معها زوج أو محرم، صح حجّها.

وفى سبل السـلام: قال ابن تيمية: « إنـه يصح الحج من المرأة بغير محرم ومن غير المستطيع ».

وحاصله: أن من لم يجب عليـه الحج لعدم الاستطاعة، مثل المـريض، والفقيـر، والمعضـوب، والمقطوع طـريقـه، والمرأة بغير محـرم، وغير ذلك، إذا تكلفوا شهـود المشاهد، أجزأهم الحج.

ثم منهم من هو محسن فـى ذلك، كالذى يحجّ مـاشيًا، ومنهم من هـو مسىء فى ذلـك، كـالـذى يحج بـالمسألـة، والمرأة تحج بغير محرم.

وإنما أجزأهم، لأن الأهلية تامة، والمعصية إن وقعت فى الطريق، لا فى نفس المقصود.

وفى المغنى: لـو تجشم غيـر المستطيع المشقـة، وسـار بغير زاد وراحلة وحجّ، كان حجه صحيحا مجزئًا.

استئذان الزوجة زوجها:

يستحب للمـرأة أن تستأذن زوجها فى الخـروج إلى الحج الفـرض فإن أذن لهـا خرجت وإن لـم يأذن لها خـرجت بغيـر إذنه، لأنـه ليس للرجل منع امـرأته من حـج الفريضـة، لأنها عبادة وجبت عليها، ولا طاعـة لمخلوق فى معصية الخالق. ولها أن تعجل به لتبرئ ذمتهـا، كما لها أن تصلى أول الوقت، وليس له منعهـا، ويليق به الحج المنذور، لأنـه واجب عليها كحجـة الإسلام. وأمـا حج التطـوع فله منعهـا منه، لمـا رواه الـدارقطنى عن ابن عمـر رضى الله عنهما، عن رسـول الله ﷺ فى امرأة كان لها زوج ولها مال، فلا يأذن لها فى الحج ـ قال: « ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها ».

الحج عن الغير:

من استطـاع السبيل إلى الحج ثم عجـز عنه، بمـرض أو شيخوخة، لزمه إحجـاج غيره عنه، لأنه أيس من الحج بنفسه لعجزه، فصار كالميت فينوب عنه غيره.

ولحـديث الفضل بن عبـاس رضى الله عنه: أن امـرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج، أدركت أبى شيخًـا كبيـرا لا يستطيـع أن يثبُت على الـراحلـة، أفأحجّ عنـه؟ قـال: « نعـم » وذلك فى حجـة الـوداع. رواه الجماعة، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وقـال الترمـذى أيضًا : « وقـد صح عن النبى ﷺ فى هـذا البـاب غيـر حـديث ، والعمل على هـذا عنـد أهل العلم من أصحـاب النبى ﷺ وغيـرهم يـرون أن يحج عن الميت . وبـه يقول الثـورى وابن المبارك والشـافعى وأحمد وإسحـاق وقال مالك : إذا أوصى أن يُحجّ عنه، حُجَّ عنه .

وقد رخص بعضهم أن يحج عن الحىّ إذا كان كبيرًا بحال لا يقدر أن يحج، وهو قول ابن المبارك والشافعى (وهذا قول أحمد والأحنف) .

وفى الحديث دليل على أن المرأة يجوز لهـا أن تحجّ عن الرجل والمرأة، والرجل يجوز له أن يحج عن المرأة، ولم يأت نص يخالف ذلك .

شرط الحج عن الغير:

يشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه .

لمـا رواه ابن عباس رضـى الله عنهما : « أن رسـول الله ﷺ سمع رجلا يقـول : « لبيّك عن شُبرمـة » فقال : أحججت عن نفسك؟ قـــال : لا. قـــال : فحُجَّ عن نفسك، ثم حُجَّ عن شبرمة» رواه أبو داود وابن ماجه .

قـال البيهقى : هذا إسنـاد صحيح ليس فى البـاب أصح منه .

وهذا قول أكثر أهل العلم : أنه لا يصح أن يحج عن غيره من لم يحجّ عن نفسه مطلقا، مستطيعًا كان أو لا.

من حج لنذر وعليه حجة الإسلام :

أفتى ابن عباس وعكرمة ، بأن من حج لـوفاء نذر عليه ولم يكن حجّ حجة الإسلام أنه يجزئ عنهما .

وأفتى ابن عمر، وعطاء : بأنه يبدأ بفريضة الحج، ثم يفى بنذره .

الاقتراض للحج :

عن عبـد الله بن أبى أوفى قال: سألت رسـول الله ﷺ عن الـرجـل لم يحجّ، أَوَ يستقـرض للحـج؟ قـال : « لا » رواه البيهقى.

الحج من مال حرام:

ويجزئ الحج وإن كان المال حرامًا ويأثم عند الأكثر من العلماء .

وقال الإمـام أحمد: لا يجزئ ، وهو الأصح لمـا جاء فى الحـديث الصحيح : « إن الله طيّـب لا يقبل إلا طيّبًـا » (فقـه السّنة م١ جـ٤/ ٥٦١ـ٥٦٧) .

العمرة :

وكيفية العمـرة : أن يحرم بهـا كما يحـرم بالحـج . ويحرُم بإحـرامها جميع مـا حُـرِّم فى الحج . ثم يـدخل مكة فيطـوف طـواف العمرة ، ثم يسعى ، ثـم يحلق رأسه أو يقصـر ، فيحلُّ منها .

الزيارة :

ويستحـب زيـارة قبـر النبى ﷺ والمسجـد النبـوى ، وهى للحـاجّ آكد (قـال الألبانى فى منـاسك الحج / ٥٩ ، تحت عنوان : بدع الزيارة فى المدينـة المنورة : قصد قبره ﷺ بالسفر ... أما السُّنَّة فهى قصد المسجد للحديث « لا تُشَدُّ الرِّحال » ، فإذا كان فى المسجد صلى التحية ثم زار القبر تبعا للمسجد) فيأتى المسجد الشـريف ويصلِّى التحية ، ثم يقصـد الحجرة الشريفة ، فيقف مستقبلا إليها ، ويسلم على النبى ﷺ قائلاً : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ... إلخ من ألفاظ التحية .

ثم يتنحى قليـــلاً إلى اليمين فيسلم على أبـى بكـر ، ثم يتنحى قليـلاً إلى اليمين ويسلم على عمـر . فإذا أراد الـدعـاء والابتهـال إلى الله تعـالى يستقبل القبلـة ، ويـدعـو بمـا شـاء (مختصر الأحكام الفقهية / ١٣٢) .

ونفرد مـادة خاصة لـزيارة رسول الله ﷺ إن شـاء الله تعالى فانظرها فى موضعها فى حرف الزاى .

أما من حيث المنظـومات التعليمية التى تنـاولت مناسك الحج فنسوق منها النماذج التالية :

١ - منظـومـة صفوة الزبـد للشيخ الإمام أحمـد بن رسلان (فى المذهب الشافعى) :

الحَجُّ فـــرضٌ وكـــذاك العُمـــرهْ

لَمْ يجبَـــا فـى العُمْـــرِ غيـــرَ مَـــرَّهْ

وإنَّمَـــا يلـــزمُ حُـــرًّا مُسْلِمـــا

كُلِّـفَ ذَا اسْتِطـــاعـــةٍ لِكُـلِّ مَـــا

يَحتاجُ مِن مأْكُولٍ او مَشْرُوبِ
إلى رُجُوعِهِ ومِنْ مَرْكُوبِ
لاقَ بِهِ بِشَرْطِ أَمْنِ الطرقِ
ويُمْكِنُ المَسِيرُ فِي وقتٍ بَقِي
أَرْكَانُهُ الإِحْرَامُ بِالنِّيَّهْ قِفِ
بعدَ زوالِ التِّسْعِ إِذْ تُعَرِّفِ
وَطَافَ بالكَعْبَةِ سَبْعًا وسَعَى
مِنَ الصَّفَا لِمَرْوَةٍ مُسَبِّعَا
ثُمَّ أَزِلْ شَعْرًا ثَلاثًا نَزْرَهْ
وَمَا سِوَى الوُقُوفِ رُكْنُ العُمْرَهْ
والدَّمُ جَابِرٌ لِوَاجِباتِ
أَوَّلُهَا الإِحْرَامُ مِنْ مِيقَاتِ
والجَمْعُ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ
بِعرَفَهْ والرَّمْيُ لِلْجِمَارِ
ثُمَّ المَبِيتُ بِمِنَى وَالجَمْعِ
وَآخِرُ السِّتِّ طَوَافُ الوَدْعِ
وَسُنَّ بَدْءُ الحَجِّ ثُمَّ يَعْتَمِرْ
وَلْيَتَجَرَّدْ مُحْرِمٌ وَيَتَّزِرْ
وَيَرْتَدِ البَيَاضَ ثُمَّ التَّلْبِيَهْ
وَأَنْ يَطُوفَ قَادِمٌ والأَدْعِيَهْ
يَرْمُلُ فِي ثلاثةٍ مُهَرْوِلاَ
وَالمَشْيُ بَاقِي سَبْعَةٍ تَمَهُّلاَ
والاضْطِبَاعُ فِي طَوافٍ يَرْمُلُ
فيهِ وفِي سَعْيٍ بِهِ يُهَرْوِلُ
وَرَكْعَتَا الطَّوافِ مِنْ وَرَا المَقَامْ
فَالحِجْرِ فَالمَسْجِدِ إِنْ يَكُنْ زِحَامْ
وَبَاتَ فِي مِنًى بِلَيْلِ عَرَفَهْ
وَجَمْعُهُ بِهَا وَبِالمُزْدَلِفَهْ
بِتْ وَارْتَحِلْ فَجْرًا وَقِفْ بالمَشْعَرِ
تَدْعُو وَأَسْرِعْ وَادِيَ المُحَسِّرِ
وَفِي مِنًى لِلْجَمْرَةِ الأُولَى رَمَيْتْ
بِسبْعِ رَمْيَاتِ الحَصَى حِينَ انتهيْتْ
مُكبِّرًا لِلْكُلِّ وَاقْطَعْ تَلبِيَهْ
ثُمَّ اذبَحِ الهَدْى بِهَا كَالأُضْحِيَهْ
واحلِقْ بِهَا أَوْ قَصِّرَنْ مَعْ دَفْنِ
شَعْرٍ وبعدَهُ طَوَافُ الرُّكْنِ
وبعدَ يَوْمِ العِيدِ لِلزَّوَالِ
تَرمِي الجِمَارَ الكُلَّ بِالتَّوَالِي
بِاثْنَيْنِ مِنْ حلْقٍ وَرَمْيِ النَّحْرِ
أَوِ الطَّوَافِ حلَّ قَلْمُ الظُّفْرِ
والحلْقُ واللُّبْسُ وَصَيْدٌ وَيُبَاحْ
بِثَالِثٍ وَطْءٌ وَعَقْدٌ وَنِكَاحْ
واشْرَبْ لِمَا تُحِبُّ مَاءَ زَمْزَمِ
وَطُفْ وَدَاعًا وادْعُ بِالمُلْتَزَمِ
وَلاَزِمٌ لِمُتَمَتِّعٍ دَمُ
أَوْ قَارِنٍ إِنْ كَانَ عَنْهُ الحَرَمُ
مَسَافَةَ القصْرِ وَعِنْدَ العَجْزِ صَامْ
مِنْ قبلِ نَحْرِهِ ثَلاثَ أَيَّامْ
وَسَبْعَةً فِي دَارِه وَلْيَحْتَلِلْ
لِفَوْتٍ وَقْفَةٍ بِعُمْرَةٍ عَمَلْ
وَلْيَقْضِ مَعْ دَمٍ وَمُحْصَرٍ أَحَلْ
بِنِيَّةٍ والحَلْقُ مَعْ دَمٍ حَصَلْ

(متن الزبد / ٥٥ ـ ٥٧).

٢ - منظومة القرطبي في العبادات (في المذهب المالكي):

الحجُّ فرضٌ يلزمُ المُسطاعْ

فازمِعِ السَّيْرَ له إزماعْ

فُروضُهُ الإحْرامُ ثُمَّ النيَّهْ

ثُمَّ الوُقُوفُ ليلةَ الأُضْحِيَّهْ

بالجَبَلِ المَعْرُوفِ قَبْلَ الفَجْرِ

أَعْنِى بذَاكَ فَجْرَ يومِ النَّحْرِ

ثُمَّ الطَّوافُ لازِمٌ والسَّعْىُ

عَلَى خِلافٍ يَقْتَضِيهِ الرَّأْىُ

وَمَا عدَا هذا فَمِنْ مَسْنُونهْ

مثْلُ الحِلاقِ والَّذِى مِن دُونهْ

والرَّمْىُ مَا يَكُونُ مِنْ جِمَارْ

وَالنَّهْىُ أَنْ تُقَلِّمَ الأَظْفَارْ

وَعَنْ مَخِيطٍ مُحْرِمِ الجُيُوبِ

وَالنَّهْىُ عَنْ تَلَطُّخٍ بالطِّيبِ

رَوى عِيَاضٌ أَنَّهَا خَمْسُونَا

أَعْنِى الَّتِى فى حَجِّنَا مَسْنُونَا

(منظومة القرطبى / ١٥، ١٦).

٣ - منظومة المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين لابن عاشر (فى المذهب المالكى):

الحَجُّ فَرضٌ مرةً فِى العُمُرِ

أَرْكَانُهُ إنْ تُرِكَتْ لَمْ تُجْبَرِ

الإِحْرامُ والسَّعْىُ وقُوفُ عَرَفَهْ

لَيْلَةَ الأَضحَى والطَّوافُ رَدِفَهْ

والواجباتُ غَيْرُ الأَركانِ بِدَمْ

قَدْ جُبِرَتْ مِنها طَوافُ مَنْ قَدِمْ

وَوَصْلُهُ بالسَّعْىِ مَشْىٌ فِيهِمَا

ورَكْعَتَا الطَّوافِ إنْ تَحَتَّمَا

نُزُولُ مُزْدَلِفَةٍ فِى رُجُوعِنَا

مَبِيتُ لَيْلَةٍ ثَلاثٍ بِمِنَى

إحْرامُ مِيقَاتٍ فَذُو الحُلَيْفَهْ

لِطَيْبَ لِلشَّامِ وَمِصْرَ الجُحْفَهْ

قرنٌ لِنَجْدٍ ذَاتُ عِرْقٍ لِلْعِراقْ

يَلَمْلَمُ اليَمَنِ آتِيهَا وِفَاقْ

تجرُّدٌ مِنَ المَخِيط تَلْبِيَهْ

والحَلْقُ مع رَمْىِ الجِمَارِ تَوْفِيَهْ

وإنْ تُرِدْ تَرْتِيبَ حَجِّكِ اسْمَعَا

بَيَانَهُ والذِّهْنَ مِنك استَجْمِعَا

إنْ جِئْتَ رابِغًا تَنَظَّفْ وَاغْتَسِلْ

كَوَاجِبٍ وَبِالشُّرُوعِ يَتَّصِلْ

وَالبَس بُرْدًا وأُزْرَةً نَعْلَيْنِ

واسْتَصْحِبِ الهَدى وركعتينِ

بالكافِرُون ثُمَّ الاخلاصِ هُمَا

فإنْ ركبتَ أو مَشيتَ أحْرِمَا

بِنِيَّةٍ تَصْحَبُ قَوْلاً أو عملْ

كمشىٍ أو تلبيةٍ ممَّا اتَّصلْ

وَجَدِّدَنْهَا كُلَّمَا تجدَّدَتْ

حالٌ وإنْ صَلَّيْتَ ثمَّ إنْ دَنَتْ

مكَّةُ فاغْتَسِلْ بِذِى طُوَى بِلاَ

دَلْكٍ وَمِنْ كُدَا الثَّنِيَّةِ ادْخُلا

إذَا وَصَلْتَ لِلْبُيُوتِ فَاتْرُكَا

تَلْبِيَةً وَكُلَّ شُغْلٍ وَاسْلُكَا

لِلْبَيْتِ مِنْ بَابِ السَّلامِ وَاسْتَلِمْ

الحَجَرَ الأَسْوَدَ كَبِّرْ وأَتِمْ

سبْعَـــةَ أشْـــواطٍ بـــهِ وقـــدْ يَسَـــرْ
مُكَبِّـــرنْ مُقَبِّـــلاً ذَاكَ الْحَجَـــرْ

مَتَـى تُحَـــاذِهْ كـــذا اليَمَـــانِـي
لكِنَّ ذَا بِـــاليَـــدِ خُـــذْ بَيَـــانِي

إنْ لَمْ تَصِلْ لِلْحَجَـرِ المَسْ بِـاليَـدِ
وَضَـعْ عَلَى الفَـمِ وَكَبِّـــرْ تَقْتَـــدِ

وارْمُلْ ثـــلاثًـا وامْشِ بعـــدُ أرْبَعَـــا
خلـفَ المقَـــامِ ركعتين أوقِعَـــا

وادْعُ بِمَـــا شِئْتَ لـــدَى المُلْتَـــزِمِ
والحجـــرَ الأسْـــودَ بعـــدُ اسْتَلِـمِ

واخْـــرُجْ إلى الصَّفَـــا فَقِفْ مُسْتَقْبِـــلاً
عليـــــهِ ثـمَّ كَبِّـــــرَنْ وَهَلِّـــــلاَ

واسْـعَ لِمَـــرْوَةَ فَقِفْ مِثْـلَ الصَّفَـــا
وَخُـبَّ فِـى بَطْـنِ الْمَسِيلِ ذَا اقْتِفَــــا

أرْبَـعَ وَقْفَـــاتٍ بِكُـلِّ مِنْهُمَـــــا
تَقِـفُ والأشْـــوَاطَ سَبْعًـــا تَمِّمَـــا

وادْعُ بِمَـــا شِئْتَ بِسَعْيٍ وَطَـــوافْ
وبـــالصَّفَـــا ومَـــرْوَةٍ مَعَ اعْتَـــرافْ

ويجـبُ الطُّهْـــرانِ والسَّتْـــرُ عَلَـى
من طَـــافَ نَـــدْبُهَـــا بِسَعْيِ اجْتَـــلاَ

وَعُـــدْ فَلـبِّ لِمُصَلَّى عَـــرَفَـــهْ
وخُطْبَـــةَ السَّـــابعِ تَـــأْتِي لِلصَّفَـــهْ

وَثَـــامِنَ الشَّهْـــرِ اخْـــرُجَنَّ لِمَنَى
بِعَـــرَفَـــاتٍ تَـــاسِعًـــا نُـــزُولُنَـــا

واغتَسِلَنْ قُـــرْبَ الـــزَّوالِ واحْضُـــرا
الخُطْبَتَيْنِ واجْمَعَـــنَّ وقَصِّـــــــرَا

ظُهْـــرَيْكَ ثُمَّ الجبـلَ اصْعَـــدْ راكِبًـــا
عَلَى وُضُـــوءٍ ثمَّ كُـنْ مُـــوَاظِبًـــا

عَلَى الـــدُّعَـــا مُهَلِّـــلاً مُبْتَهِـــلاَ
مُصَلِّيًـــا عَلَى النَّبِي مُسْتَقْبِـــلاَ

هُنَيْهَـــةً بعـــدَ غُـــرُوبهـــا تَقِفْ
وانفُـــرْ لِمُـــزْدَلِفَـــةٍ وتَنْصَـــرِفْ

فِـى المَـــأزمَيـــنَ العلميـــنِ نَكِّـــبِ
واقْصُـــرْ بِهـــا واجمعْ عِشًـــا لِمَغْـــرِبِ

وَاحْطُـطْ وبِـتْ بِهَـــــا وأحْيِ ليلتَـكْ
وصَـــلِّ صُبحَـــكَ وغلّـس رِحْلتَـــكْ

قِفْ وادْعُ بِـــالمشعَـــرِ لِـــلإسْفَـــارِ
وَأَسْـــرِعَـنْ فى بَطْـنِ وادِى النَّـــارِ

وســـرْ كمـــا تكُـــونُ لِلْعَقَبَـــةِ
فَـــارْمِ لَـــدَيْهَـــا بِحِجَـــارٍ سَبْعَـــةِ

مِنْ أَسْفـلٍ تُسَـــاقُ مِنْ مُـــزْدَلِفَـــهْ
كَـــالْفُـولِ وانْحَـرْ هَـدْيًـا إنْ بِعَـرفَـهْ

أوقَفْتَـــــهُ وَاحْلِقْ وَسِـــــرْ لِلْبَيْتِ
فَطُـــفْ وَصَـــلِّ مِثْـلَ ذَاكَ النَّعْـــتِ

وارْجِعْ وَصَلِّ الظُّهْـــرَ فى مِنًى وَبَتْ
إثْـــرَ زوالِ غـــدِهِ ارْمِ لاتُفِـتْ

ثـــلاثَ جمـــراتٍ بسبعِ حَصيـــاتْ
لِكُلِّ جمـــرةٍ وقِـفْ لِلـــدَّعَـــواتْ

طَـــوِيـــلاً إثْـــرَ الأولين أَخِّـــرَا
عَقَبَـــــةً وكُـلَّ رَمْـيٍ كَبِّـــــرَا

وافعَلْ كَـــذَاكَ ثَـــالِثَ النَّحْـــرِ وزِدْ
إنْ شِئْتَ رَابِعًـــا وتَمَّ مَـــا قُصِـــدْ

وَمَنَعَ الإحْـــرامُ صَيْـــدَ البَـــرِّ
فى قتلـــهِ الجـزاءُ لا كـــالفـارِ
وَعَقـــرَبٍ مَعَ الحِـــدَا كلْبٍ عَقُـــورْ
وحَيَّـــةٍ مَعَ الغُــرابِ إذْ يَجُـــورْ
وَمَنَعَ المُحِيط بِـــالْعُضْـــوِ ولَـــوْ
بِنَسْجٍ أوْ عَقْـــدٍ كخَـــاتِمٍ حَكَـــوْا
والسَّتْـــرَ للْـــوَجْـــهِ أوِ الـــرَّأسِ بِمَـــا
يُعَـــدُّ سَـــاتِـــرًا وَلَكِنْ إنَّمَـــا
تُمْنَـعُ الأُنْثَى لُبْـسَ قُفَّـــازٍ كَـــذَا
سَتْـــرٌ لِـــوجْـــهٍ لاَ لِسَتْـــرٍ أُخِـــذَا
وَمَنَـعَ الطِّيبَ ودُهْنًـــا وضَـــرَرْ
قَمْلٍ وإلْقَـــا وسَخٍ ظُفْـــرٍ شَعَــرْ
وَيَفْتَـــدى لِفِعْلٍ بعضٍ مـــا ذُكِــرْ
مِـنَ المُحيطِ لِهُنَـــا وإنْ عُـــذِرْ
ومَنَـعَ النِّسَـــا وأفسَـــدَ الجِمَـــاعْ
إلـى الإفَـــاضَـــةِ يُبْقَى الإمْتِنَـــاعْ
كـالصَّيْـدِ ثُمَّ باقِـى مـا قَـدْ مُنِعَـا
بِـالجَمْـــرَةِ الأُولَى يَحِـلُّ فَـــاسْمَعَـا
وَجَـــازَ الاسْتِظْـــلاَلُ بِـــالمُـــرْتَفِعِ
لاَ فِى الْمَحَـــامِلِ وَشُقْـــدُفٍ فَعِ
وَسُنَّـــةَ العُمْـــرَةِ فَـــافْعَلْهَـــا كَمَـــا
حَجٍّ وفِـى التَّنْعِيمِ نَـــدْبًـــا احْـــرِمَـــا
وإثْـــرَ سَعْيِكَ احْلِقَـنْ وَقَصِّـــرَا
تَحِلَّ مِنْهَـــا والطَّـــوَافَ كَثِّـــرَا
مَـــا دُمْتَ فِى مكَّـــةَ وارْعَ الحُـــرْمَـــهْ
لِجَـــانِبِ البَيْتِ وزِد فـى الخِـدْمَـــهْ
وَلاَزِمِ الصَّـفَّ فَـــإِنْ عَـــزَمْـتَ
علـى الخُـــرُوجِ طُفْ كَمَـــا عَلِمْتَ
وَسِـــرْ لِقَبْـــرِ المُصْطَفَى بَـــأَدَبِ
وَنِيَّـــــــةٍ تُجَبْ لِكُـلِّ مَطْلَبِ
سَلِّمْ عليـــهِ ثـمَّ زِدْ لِلصِّـــدِّيـقْ
ثُـمَّ إلى عُمَـــرَ نِلْـتَ التَّـــوْفِيقْ
واعْلَمْ بِـــأَنَّ ذَا المَقَـــامِ يُسْتَجَـــابْ
فِيـــهِ الـدُّعَـــا فـلا تمَلَّ مِن طِـلاَبْ
وسَل شَفَـــاعَـــةً وخَتْمًـــا حُسْنَـــا
وعَجِّـلِ الأوبَـــــــةَ إذْ نِلْـتَ الْمُنَى
وادْخُلْ ضُحًى واصْحَبْ هَـدِيَّةَ السُّـرُورْ
إلـى الأقَـــارِبِ ومَنْ بِكَ يَـــدُورْ

(متن ابن عاشر / ١٨ ـ ٢٢).

٤ – منظومة كفاية الغلام للشيخ عبد الغنى النابلسى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص :

(١٢٧) يُفْتَـــرَضُ الْحَجُّ عَلَـى الْمُكلَّفِ
الْمُسْلِمِ الْحُـــرِّ الصَّحِيحِ فَـــاعْـرِفِ
(١٢٨) ذِى بَصَـرٍ والــزَّادِ ثُمَّ الـرَّاحِلَـةْ
قَـــدْ فَضَـلا عَـنْ كُلِّ مَـــا لاَ بُـدَّ لَـهْ
(١٢٩) وَالأمْنِ فِى الطَّـرِيق غـالبًـا وَفِى
حقِّ النِّسَـــا مَعْ مَحْـــرَمٍ مُكلفِ
(١٣٠) وفَـرْضُـهُ الإحْـرَامُ والْـوُقُـوفُ
بعَـــرفَـــاتٍ بَعْـــدَهُ يَطُـــوفُ
(١٣١) وَالْـواجِبُ الْـوُقُـوفُ بـالمِـزْدِلِفَـهْ
وَلِلْغُـــرُوبِ مَـــدُّهُ بِعَـــرَفَـــهْ
(١٣٢) والسَّعْىُ وَابْتِـــدَاؤُهُ مِنَ الصَّفَـــا
والْمشْىُ فِيـــهِ مَعَ عُـــذْرٍ انْتَفَـى

(١٣٣) رَمْيُ الْجِمَــارِ وَالطَّوَافُ لِلصَّــدَرْ
فِي الْغُــرَبَـا وَالإِبْتِــدَا مِـنَ الْحَجَــرْ
(١٣٤) تَيَــامُنٌ فِيــهِ مـع المَشْيِ بِــلاَ
عُــذْرٍ وَطُهْـرٌ سَتْــرُ عَــوْرَةٍ تَــلاَ
(١٣٥) إِنْشَــاءُ إِحْـرَامٍ مِنَ الْمِيقَــاتِ
كَــذَاكَ لِلْقَــارِنِ ذَبْحُ الشَّــاةِ
(١٣٦) وَذِي تَمَتُّـعٍ وَرَكْعَتَــانِ قُــلْ
لِكُلِّ أُسْبُــوعٍ يَطُــوفُــهُ الــرَّجُلْ
(١٣٧) حلْقٌ أَوِ التَّقْصِيــرُ والتَّــرْتِيبُ فِي
رَمْـيٍ وَحَلْقٍ ثُمَّ ذَبْحٍ فَــاعْــرِفِ
(١٣٨) جَعْلُ طَـوافِ الفَـرْضِ يَوْمَ النَّحْـرِ
وَمَــا سِــوَاهَــا سُنَنٌ فَـاسْتَقْـرِ
(١٣٩) وأَشْهُــرُ الحَجِّ بِشَــوالٍ تَحُلْ
وقَعْــدَةٍ وَشهــرِ ذِي الْحِجَّــةِ قُلْ
(١٤٠) والأَفْضَلُ القِــرَانُ فَــالتَّمَتُّعُ
وبَعْــدَهُ الإِفْــرادُ وَهُــوَ أَسْــرَعُ
(١٤١) وَالْعُمرةُ الطَّوافُ والسعْيُ انْضَبَطْ
ولاَ تَكُــونُ غَيْــرَ سُنَّــةٍ فقـطْ
(١٤٢) يَلَمْلَمٌ مِيقَــاتُ أَهْلِ اليَمَنِ
كَــذَاكَ ذُو حُلَيفَــةٍ لِلْمَــدَنِي
(١٤٣) وَلِلْعِـرَاقِي ذاتُ عِــرْقٍ سَـامِي
قَــرْنٌ لِنَجْــدٍ جُحْفَــةٌ لِلشَّــامي
(١٤٤) وَيَلْـزَمُ المُحْــرِمَ شَـاةٌ إِنْ لَبِسْ
يَــوْمًــا وإن طيَّبَ عضــوًا فــاحتـرس
(١٤٥) كحلـق ربع رأســه وإن قتـلْ
صيــدًا وَإِنْ أَشــارَ أو عليــهِ دَلْ
(١٤٦) قِيمَتُــهُ كَقَطْعِ أَشْجـارِ الحَـرَمْ
مُبَــاحَــةً إِلاَّ إذا جفَّ وتَـمْ

(رشحات الأقلام / ١٤، ١٥).

وللإمام ابن القيم قصيدة ميمية طويلة حافلة عدّتها مائتان وثلاثة أبيات (٢٠٣) يصف في بعضها مشهد الحجيج ومناسك الحج فارجع إليها إن شئت في كتاب « متن القصيدتين النونية والميمية » ص ٢٥٢ ـ ٢٦١ . كما أن من مقامات ابن الجوزي المقامة الثامنة عشرة في ذكر الحج وهي مشوقة بأسلوبها كباقي المقامات فارجع إليها إن شئت في كتاب مقامات ابن الجوزي ص ١٤٤ ـ ١٥٨ .

ولما كان الشعر ديوان العرب فإننا نجد الألفاظ المتعلقة بأماكن ومناسك الحج تدور في الشعر، وتعرف مثل تلك الألفاظ بمفردات الثقافة أو مفردات الحضارة . ونسوق فيما يلي بعض الأمثلة من أشعار كنت قد أعددتها لبحث لم ينشر بعد :

١ - من الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني ـ تحقيق عبد المجيد قطامش ١/ ٩٤ قالت الغنية الأعرابية لابنها :

أحلف بـالمـروة يـومًـا والصفـا
إنك خيــرٌ من تفــاريق العصــا

٢ - من مختار الأغاني ٥/ ٢٢٧ . قال عمرو بن عبيد الحزين :

نشـدتُك بـالبيت الذي طيف حولـه
وزمــزم والبيت الحــرامِ المحجَّبِ

٣ - من شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري ٢/ ٤٨٠ ، القصيدة الخامسة عشرة، البيت ١٤ ، من قصيدة يجيب أبا القاسم على بن الحسين بن جلبات عن قصيدة مدحه بها :

كـأنك ركن البيت أُعْطِي قُــدرةً
فســارَ إلى زُوّاره لاستــلامــه

٤ - من المنهل الصافي لابن تغري بردي ـ تحقيق ـ د. محمد محمد أمين ٢/ ٣٨٩ . فقد اجتمع ابن المقرىء اليماني بالحافظ ابن حجر العسقلاني في مكة المشرفة وأنشده :

قل للشهــاب بن عليّ بن حجــر
ســورا على مــودتي من الغيــر
فَسُــورُ وِدّي فيك قــد بنيتــهُ
من الصفــا والمــروتين والحجــر

٥ - من لســان العـرب لابـن منظـور ٥١/ ٤٦٤٢ قـول الفرزدق :

حلفتُ بـــربِّ مكـــة والمصلَّى
وأعنـــاق الهَـــديِّ مقلَّـــدات

(المفـردات فى غـريب القرآن للـراغب الأصفهـانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٠٧ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيـد القيروانـى ــ محمـد أحمـد الملقب بـالـداه الشنقيطى ١/ ١٥٧ ، ومختصر كتاب ريـاض الصالحين للإمام يحيى بن شـرف الدين النووى ـ اختصره ورتّبه الشيـخ النبهانى / ١٥٠ ، ١٥١ ، وموسوعة الفقـه الإسلامى ٤/ ١٥٢ ، ومفاتيح العلوم للشيخ أبى عبد الله محمـد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى / ١٢ ، ومختصـر الأحكام الفقهية لعلى بن فريـد الكشجنورى الهنـدى ـ تحقيق يـوسف البدرى ، مـراجعـة د . محمد أحمـد عاشـور / ١٢١ ، ١٣٢ ، وفقه السنة ـ فضيلـة الشيخ السيد سـابق م١جـ٤/ ٥٦١ ـ ٥٦٧ ، ومتن الزبـد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشـافعى / ٥٥ ـ ٥٧ ، ومنظـومة القـرطبى فى العبادات على مـذهب الإمـام مالك ــ نظم الشيخ يحيى القـرطبى الدارى / ١٥ ، ١٦ ، ومتن ابن عـاشر المسمى بـالمرشـد المعين على الضرورى من علوم الدين ـ صححه وراجعه وعلق عليه الشيخ أحمد حبيب الله الشنقيطى المالكى / ١٨ ــ ٢٢ ، ورشحات الأقلام شرح كفاية الغلام فى أركان الإسلام للعلامة الشيخ عبد الغنى إسماعيل النابلسى ـ تحقيق محمد خالد الخرسة ، . بدون تاريخ / ١٤ ، ١٥ . انظر أيضًا متن القصيدتين النـونية والميمية لابن القيم ، وهى قصيـدة الكافية الشـافية فى الانتصار للفرقة الناجية / ٢٥٢ ــ ٢٦١ ، ومقامات ابن الجوزى للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق د . محمد نغش / ١٤٤ ـ ١٥٨) . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٣، ٢٨٤ ، والمقاصد فى بيان ما يجب معرفته من الدين من العقيدة والعبـادة وأصول التصوف للإمـام يحيى بن شرف الدين النووى / ٧٧ ـ ٨١ ، والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيرى ـ ط . دار الشعب ١٣٨٠هـ ، كتاب الشعب ١١١ ، ١/ ٣٥١ ـ ٤٠١ ، وط دار إحياء التراث العربى . بيروت . الطبعة الثالثة د . ت ١/ ٦٣١ ـ ٧١٠ ، وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للإمام محمد بن محمد بن سليمان ١/ ١٦٣ ـ ١٩٦ ، ومتن الغاية والتقـريب للإمام أبى شجاع أحمد ابن الحسين بن أحمد الأصفهانى / ٢٥ ـ ٢٧ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمـام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٢٤٩ ــ ٢٩٩ ، والحاوى للفتاوى لجلال الدين عبد الـرحمن السيوطى ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ، ومنهاج المسلم ـ أبـو بكر جـابر الجـزائرى / ٣١٨ ـ ٣٣٦ ، ومنح المِنّـة فى التلبس بالسُّنَّة للإمـام عبد الوهاب الشعـرانى / ١٤٩ ـ ١٧١ ، وشرح ريـاض الصالحين للإمام النووى ـ شرحـه وحققه د . الحسينى عبد المجيد هاشم ٢/ ٥٨٩ ـ ٦٧١ ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٣/ ٧٧ ـ ٩٧ ، وقد أدرجه تحت عنوان « علم أسـرار الحج » ، ومجموع : « السبل السوية لفقه السنن المروية » ــ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٤٥ ، والبجيرمى على الخطيب . حاشية الشيخ سليمـان البجيرمى المسماة بتحفة الحبيب على شرح الخطيـب المعروف بالإقنـاع فى حل ألفاظ أبى شجـاع للشيخ محمد الشربينى الخطيب الموجود بالهامش ٢/ ٣٦٢ ـ ٤١٤ ومناسك ابن جماعة على المذاهب الأربعة للقاضى عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكنانى ـ تحقيق د . حسين بن سالم الدهمانى التونسى (الكتاب كله) وعمـدة الفقه لابن قدامـة ـ تخريج أبى عبـد العزيز عبـد الله بن سفر العبدلى الغـامدى ومحمـد دغليب البراق العتيبى / ٣٩ ــ ٤٦ ، والأحكام السلطانية والـولايات الدينية لعلى بن محمـد حبيب المصرى الماوردى / ٩٤ ـ ٩٨ وبه معلومات قيمة عن واجبات أمير الحج فى زمانه ، ونقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزى / ١٤٠ ، ١٤١ ، و« الحج » ـ الأستاذ طه حبيب . مجلـة الأزهر . الجزء الثانى عشـر ، السنة الستون ، ذو الحجة ١٤٠٨هــ يـولية ـ أغسطس ١٩٨٨م/ ١٦٤٨ ـ ١٦٥٤ ، وأطلس تاريخ الإسلام ـ د . حسين مؤنس ، طرق الحج فى البلاد الإسلامية / ١٨٢ ـ ١٨٥) .

*** الحج (سورة ـ):**

السـورة رقم ٢٢ من ســور القـرآن الكـريم وفقـا لتـرتيب المصحف . قال الشيخ الحداد : مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ فبين مكة والمدينة .

قـالت المؤلفـة : هـذا مـا ورد فى كافـة المصـاحف التى عندى ، وما عندى منها الكثير والحمد لله ، سواء المطبوع منها فى مصـر أو فى دول أخرى . بيـد أن الإمام الفيروزابـادى حين أورد هذه السورة فى البصيرة ٢٢ من بصائره قال : السورة مكية بـالاتفـاق ، ســوى ست آيـات منهـا فهى مـدنيـة : ﴿هذان خصمان﴾ [١٩] إلى قـوله تعـالى ﴿صراط الحميد ﴾ [٢٤] فلزم التنويه .

قال الشيخ الحـداد : وعدّ آيـاتها سبعـون ، وأربع شامى ، وخمس بصرى ، وست مدنيان ، وسبع مكى ، وثمان كوفى .

وخلافهم في خمسة مواضع . الأول : ﴿ من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ [١٩]، الثاني : ﴿ما في بطونهم والجلود﴾ [٢٠] عدّهما الكوفي . الثالث : ﴿عادٌ وثمود﴾ [٤٢] تركه الشامي . الرابع : ﴿وقوم لوط﴾ [٤٣] عدّه الكوفي والحجازي . الخامس : ﴿سمّاكم المسلمين﴾ [٧٨] عدّه المكي بخلف عنه (سعادة الدارين / ٤٢) .

وعن هذا الخلاف في عدّ آيات سورة الحج يقول الإمام الشاطبي في منظومته :

وفي الحجِ كُوفٍ (عَـ)ـنْ (حـ)ـجَى شَامٍ أَرْبعٌ

وَخَمسٌ عنِ البَصْرِي وستٌّ عنِ الـ(ـقُطْرِى)

ومَكٌّ لــهُ سَمَّــاكمُ المُسْلمينَ عَنْ

خِــلافٍ فَسبْعٌ كــالثُّرَيّــا لــهُ تَسْرِى

ثمُـودَ سِـوَى الشَّـامِيِّ الحَميمُ الجُلُـودُ قُلْ

لكُــوفٍ وَلُـوطٍ دَعْـهُ للشَّــامِي والبَصْــرِ

بَهيجٍ فقُلْ بعْـدَ السَّعِيــرِ حَـديـدُ الــ

ـقُلوبِ معَ المَطْلُـوبِ طُــلاَّبُهـا تَقْـرِى

وقُلْ مَعْ شَهيـدٌ مــا يَشَـا مُعَــاجِـزِيــ

ـنَ والبَــادِ مِنْ نَــارٍ فَـدَعْهُنَّ واسْتَبِـرِ

(متن ناظمة الزهر / ٣٣، ٣٤) .

ورؤوس آياتها عظيم (١) شديد (٢) مريد (٣) السعير (٤) بهيج (٥) قدير (٦) القبور (٧) منير (٨) الحريق (٩) للعبيد (١٠) المبين (١١) البعيد (١٢) العشير (١٣) يريد (١٤) يغيظ (١٥) يريد (١٦) شهيد (١٧) ما يشاء (١٨) الحميم (١٩) والجلود (٢٠) حديد (٢١) الحريق (٢٢) حرير (٢٣) الحميد (٢٤) أليم (٢٥) السجود (٢٦) عميق (٢٧) الفقير (٢٨) العتيق (٢٩) الزور (٣٠) سحيق (٣١) القلوب (٣٢) العتيق (٣٣) المخبتين (٣٤) ينفقون (٣٥) تشكرون (٣٦) المحسنين (٣٧) كفور (٣٨) لقدير (٣٩) عزيز (٤٠) الأمور (٤١) وثمود (٤٢) لوط (٤٣) نكير (٤٤) مشيد (٤٥) الصدور (٤٦) تعدون (٤٧) المصير (٤٨) مبين (٤٩) كريم (٥٠) الحميم (٥١) حكيم (٥٢) بعيد (٥٣) مستقيم (٥٤) عقيم (٥٥) النعيم (٥٦) مهين (٥٧) الرازقين (٥٨) حليم (٥٩) غفور (٦٠) بصير (٦١) الكبير (٦٢) خبير (٦٣) الحميد (٦٤) رحيم (٦٥) لكفور (٦٦) مستقيم (٦٧) تعملون (٦٨) تختلفون (٦٩) يسير (٧٠) نصير (٧١) المصير (٧٢) المطلوب (٧٣) عزيز (٧٤) بصير (٧٥) الأمور (٧٦) تفلحون (٧٧) النصير (٧٨) وفيها من مشبه الفاصلة المتروك أربعة (١) ثياب من نار (٢) فيه والباد (٣) معجزين (٤) فأمليت للكافرين (سعادة الدارين / ٤٢، ٤٣) .

قال الإمام الفيروزابادي :

وكلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة . وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون مجموع فواصل آياتها (انتظم زبرجد قطٌّ) على الهمزة منها ﴿إنَّ الله يفعل ما يشاءُ﴾ [١٨] .

سميت سورة الحج : لاشتمالها على مناسك الحج ، وتعظيم الشّعائر، وتأذين إبراهيم للنّاس بالحج .

مقصود السورة على طريق الإجمال : الوصيَّة بالتَّقوى ، والطَّاعة ، وبيان هَوْل الساعة ، وزلزلة القيامة ، والحجة على إثبات الحشر والنشر، وجدال أهل الباطل مع أهل الحقِّ ، والشكاية من أهل النفاق بعد الثبات ، وعيب الأوثان وعبادتها ، وذكر نُصرة الرسول ﷺ ، وإقامة البرهان والحُجَّة ، وخصومة المؤمن والكافر في دين التوحيد ، وتأذين إبراهيم على المسلم بالحجِّ ، وتعظيم الحُرمات والشعائر، وتفضيل القرآن (يقول المحقق في هامش ١٠ : الظاهر أنه محرف عن « القربان » والمراد : « ذبح الهدى ») في الموسم ، والمِنَّة على العباد بدفع فساد أهل الفساد ، وحديث البئر المعطَّلة ، وذكر نسيان رسول الله ﷺ وسهوه حال تلاوة القرآن ، وأنواع الحجّة على إثبات القيامة ، وعجز الأصنام وعُبَّادها ، واختيار الرسول من الملائكة والإنس ، وأمر المؤمنين بأنواع العبادة والإحسان ، والمِنَّة عليه باسم المسلمين ، والاعتصام بحفظ الله وحياطته في قوله ﴿ واعتصموا بالله هو مولٰكم ﴾ إلى قوله ﴿ونعم النَّصير﴾ [٧٨] .

فضل السورة

ذكر المفسّرون فيه أحاديث واهية . منها : من قرأ من سورة الحج أعطى من الأجر كحجّة حجَّها ، وعمرة اعتمرها ، بعدد

من حجَّ واعتمر، مَنْ مضى منهم ومن بقى، ويُكتب لـه بعدد كلِّ واحد منهم حجَّـة وعمرة وله بكلِّ آية قرأهـا مثلُ ثواب مَنْ حَجَّ عن أبويه. (قال الشهـاب فى كتابته على البيضاوى ٦/ ٣١٨ : « هـو حديث موضوع كمـا ذكـره العراقى رحمـه الله، وركاكـة لفظه شاهدة لـوضعه) (بصائر ذوى التمييـز ١/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨).

وعن حكمـة وقوع سـورة الحج فى ترتيب المصحف بعـد سورة الأنبياء يقول الإمام السيوطى :

أقول : وجـه اتصالهـا بسورة الأنبيـاء : أنه ختمهـا بوصف الساعة فـى قوله : ﴿ **واقتـرب الوعـد الحق فإذا هى شاخصـة أبصار الذين كفروا** ﴾ [٩٧] وافتتح هذه بذلك، فقال : ﴿ **إن زلزلة السـاعة شىء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مـرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ [١ ، ٢] (تناسق الدرر/ ١٠٣).

ويتنـاول الإمـام السيـوطى مـا أبهم من الأسمـاء فى بعض آيات هذه السورة فقال : ﴿ **فى أيام معلومات** ﴾ [٢٨] : قال ابن عباس : أيام العشر (العشر الأول من ذى الحجة).

وقـال زيـد بن أسلم : يـوم عـرفـة، ويـوم النحـر، وأيـام التشريق.

وقال ابن عمر: يوم النحر، ويومان بعده.

أخرجهما ابن أبى حاتم.

﴿**عذاب يوم عقيم**﴾ [٥٥] قـال أُبى بن كعب وسعيـد بن جبير وعكرمة : يوم بدر.

وقال الحسن ومجاهد والضحاك : يوم القيامة، لا ليلة له، أخرج ذلك ابن أبى حاتم، والله أعلم (مفحمات الأقران/ ٧٤).

أما عن الآيات المتشـابهات فى هذه السورة فقـد أحصاها الإمام الكرمانى على النحو التالى :

قوله تعالى : ﴿ **يوم ترونها** ﴾ [٢] وبعده : ﴿**وترى الناس سكارى** ﴾ [٢] محول على : أيهـا المخاطب. كمـا سبق فى قوله : ﴿ **وترى الفلك** ﴾ [النحل : ١٤].

قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ [٨] فى هذه السورة. وفى لقمان : ﴿**ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ [٢٠] لأن ما فى هذه السورة (أى سورة الحج) وافق مـا قبلهـــا من الآيــات، وهى ﴿**قـديـر** ﴾ [٦] ﴿**القبور**﴾ [٧] وكذلك فى لقمـان وافق ما قبلهـا وما بعـدها، وهى ﴿**الحمير**﴾ [١٩] ﴿**السعير** ﴾ [٢١] ﴿**الأمور** ﴾ [٢٢].

قوله تعالى : ﴿ **مِنْ بعد علـم شيئًا** ﴾ [٥] بزيادة ﴿**مِنْ** ﴾ لقوله تعالى : ﴿ **من تراب ثم من نطفة** ﴾ [٥].

قوله تعالى : ﴿ **ذلك بما قدمت يداك** ﴾ [١٠] وفى غيرها : ﴿ **أيديكم** ﴾ [آل عمران : ١٨٢] لأن هذه الآية نزلت فى النضر ابن الحارث، وقيل : فى أبى جهل، فـوحّده وفى غيرهـا نزلت فى الجماعة التى تقدم ذكرهم.



قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والـذين هادوا والصابئين والنصـــارى** ﴾ [١٧] قـدم الصابئين لتقدم زمانهم، وقد تقدم فى البقرة.

قوله تعالى : ﴿ **يسجد له من فـى السمـــوات** ﴾ [١٨] سبق فى الرعد.

قوله تعالى : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ [٢٢] وفى السجدة : ﴿ **منهـا أعيدوا فيهـا** ﴾ [٢٠] لأن المـراد بـالغم : الكـرب

والأخـذ بـالنفس، حتى لا يجـد صـاحبـه متنفسا، ومـا قبله من الآيـات يقتضى ذلك، وهو ﴿ قُطِّعت لهم ثيابٌ من نار ﴾ [١٩] إلى قوله تعالى: ﴿ من حديد ﴾ [٢١] فمن كان فى ثياب من نار وفـوق رأسه حميم يذوب من حرّه أحشاء بطنه حتى يـذوب ظاهـر جلده، وعليه مـوكلون يضربـونه بمقامع من حـديد، كيف يجد سرورا، أو يجـد متنفسـا من تلك الكرب التى عليه؟ وليس فى السجدة من هذا ذكـر. وإنما قبلهـا : ﴿ فمأواهم النـار كلمـا أرادوا أن يخـــرجـوا منهـــا أعيـدوا فيهـــا ﴾ [السجدة: ٢٠].



قوله تعالى: ﴿وذوقوا ﴾ [٢٢] وفى السجدة: ﴿ وقيل لهم ذوقوا ﴾[٢٠] القـول ههنـا مضمر، وخـص بالإضمـار لطـول الكلام بوصـف العذاب. وخصت السجدة بالإظهـار، موافقة للقول قبله فى مواضع منها: ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ [٣] ﴿وقالوا أئذا ضللنا ﴾ [١٠] و ﴿قل يتوفّاكم﴾ [١١] و ﴿حَقَّ القول ﴾ [١٣] وليس فى الحج شىء منه.

قوله تعالى: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ [١٤، ٢٣] مكررة. وموجب هذا التكرار قوله تعالى ﴿ هذان خصمان﴾ [١٩] لأنه لما ذكر أحد الخصمين وهو ﴿ فالذين كفروا قطِّعت لهم ثيابٌ من نار﴾ [١٩] لم يكن بُدّ من ذكر الخصم الآخر فقال: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [٢٣] الآية.

قوله تعالى: ﴿ وطهـر بيتى للطائفين والقـائمين ﴾ [٢٦] وفى البقرة: ﴿للطائفين والعاكفين﴾ [البقرة: ١٢٥] وحقه أن يذكـر هناك، لأن ذكر العـاكف ههنا سبق فى قـوله: ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [الحج: ٢٥] ومعنى ﴿والقائمين والركع السجـود ﴾ [البقـرة: ١٢٥] المصلـون. وقيل: القـائمـون، بمعنى المقيمين، وهـم العاكفـون، لكن لما تقدم ذكـرهم عبر عنهم بعبارة أخرى.

قوله تعالى: ﴿ فكُلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾ [٣٦] كرر لأن الأول (هو قوله تعالى: ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ [الحج: ٢٨] متصل بكلام إبراهيم، وهو اعتراض، ثم أعاده مع قوله: ﴿والبُدن جعلناها لكم ﴾ [الحج: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ فكأيِّن من قرية أهلكناها ﴾ [٤٥] وبعده: ﴿وكأين من قرية أمليتُ لها ﴾ [٤٨] خص الأول بذكر الإهلاك لاتصاله بقوله: ﴿فأمليتُ للكـافرين ثم أخـذتهم ﴾ [٤٤]. أى: أهلكتهم.

والثانى بالإملاء، لأن قبله: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ [٤٧] فحسُن ذكر الإملاء.

قوله تعالى: ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ [٦٢]. وفى سـورة لقمان: ﴿من دونه البـاطل﴾ [٣٠] لأن فى سـورة الحج وقع بعد عشـر آيات (ابتداء من الآيـة ٥٣ إلى الآية ٦٢) كل آية مؤكـدة مرة أو مرتين، ولهذا أيضًا زيـد فى السورة اللام فى قوله تعالى: ﴿ وإن الله لهو الغنى الحميد ﴾ [٦٤].

وفى لقمان: ﴿إن الله هـو الغنى الحميـد ﴾ [٢٦] إذا لم تكن سورة لقمان بهذه الصفة.

وإن شئت قلت: لما تقدم فى هذه السورة ذكر الله سبحانه وذكر الشيطان أكدهما، فإنه خبر وقع بين خبرين، ولم يتقدم فى لقمـان ذكـر الشيطـان فأكـد ذكـر الله تعـالى وأهمل ذكـر الشيطان. وهذه دقيقة (أسرار التكرار/ ١٤٤ـ١٤٧).

أمـا عن أسباب نـزول بعض آيـات سـورة الحج فقد بيّنهـا الإمام الواحدى النيسابورى فى كتابه الذى يحمل هذا العنوان، ثم أعقبـه الإمام السيوطـى فى كتابـه بعنوان « لباب النقـول فى أسباب النزول » وقد طبع تحت عنوان « أسباب النزول » أيضًا،

ونقل لك من هذا الأخير ما يلى :

قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل﴾ [٨] أخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك فى قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله﴾ قال نزلت فى النضر بن الحرث .

قوله تعالى : ﴿ ومن النـاس من يعبـد الله على حـرف ﴾ [١١] أخرج البخارى عن ابن عباس قـال : كان الـرجل يقدم المدينة فيُسْلِم فإن ولـدت امرأته غلاما ونتجت خيلـه قال هذا دين صالح ، وإن لم تلـد امرأتـه ولدا ذكرًا ولـم تنتج خيلـه قال هـذا دين سوء . فأنـزل الله ﴿ ومن النـاس مـن يعبـد الله على حرف﴾ الآية .

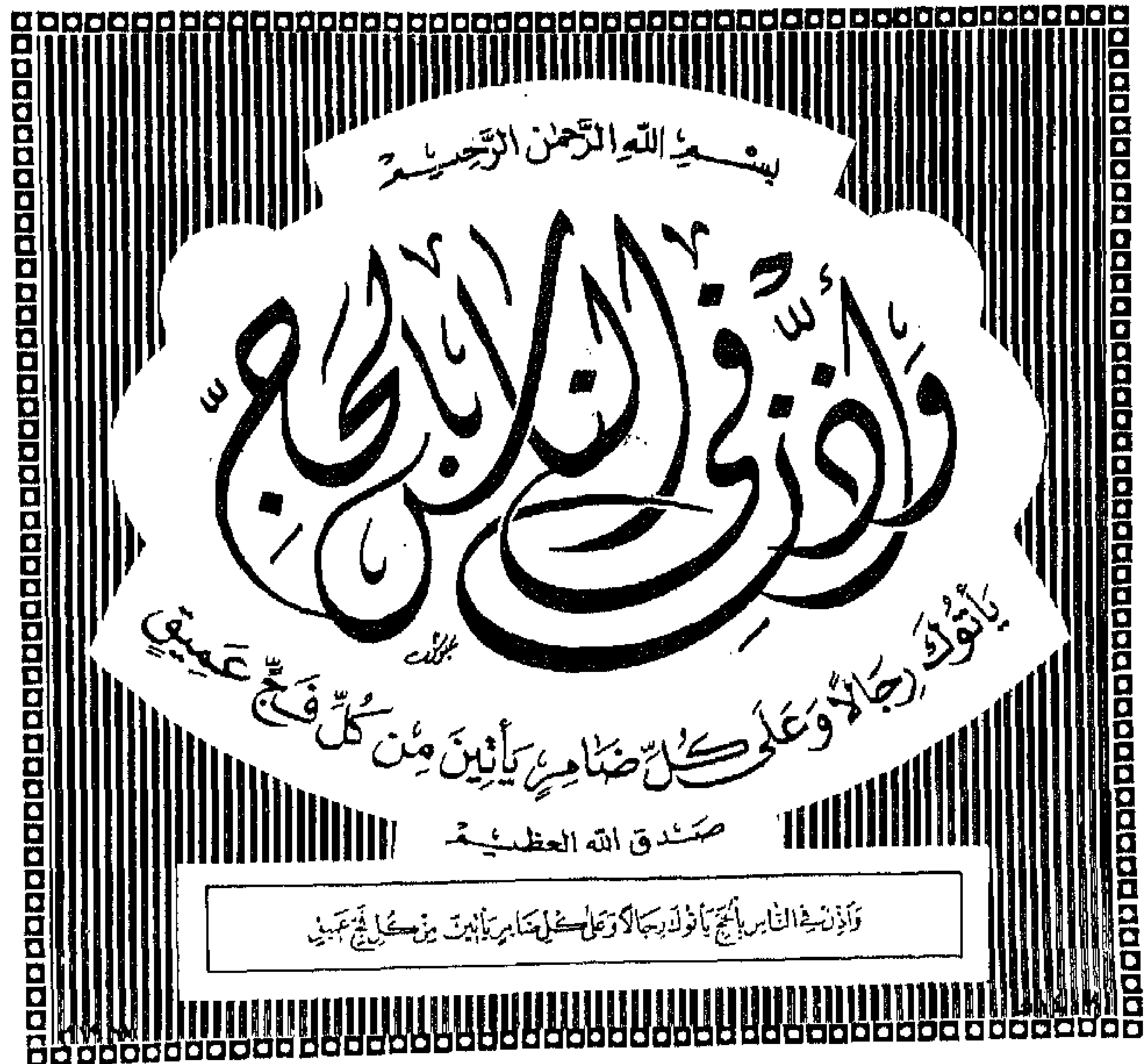
وأخرج ابن مردويه عن طريق عطية عن ابن مسعود قال : أسلم رجل من اليهـود فـذهـب بصـره ومـالـه وولـده فتشـاءم بالإسـلام ، فقال لم أصب مـن دينى هذا خيرا ، ذهـب بصرى ومالى ومات ولـدى ، فنزلت ﴿ومن النـاس من يعبـد الله على حرف﴾ الآية .

قولـه تعالى : ﴿هذان خصمـان﴾ [١٩] أخرج الشيخـان وغيرهمـا عن أبى ذر قـال : نزلت هـذه الآية ﴿هذان خصمان اختصمـوا فى ربهم﴾ فى حمـزة بن عبد المطلب ، وعبيـدة وعلى بن أبى طـالب وعتبه وشيبـة والـوليـد بن عتبـة وأخـرج الحاكم عن علىّ قال فينا نزلت هـذه الآية فى مبارزتنا يوم بدر ﴿هـذان خصمـان اختصمـوا فى ربهم﴾ إلى قـوله تعـالى : ﴿الحريق﴾[١٩ ـ ٢٢] .

وأخرج من وجه آخـر عنه قال : نزلت فى الـذين بارزوا يوم بدر حمـزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعـة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .

وأخـرج ابن جريـر من طريق العـوفى عن ابن عباس أنهـا نـزلت فى أهل الكتاب قـالـوا للمؤمنين نحن أولى بـالله منكم وأقدم كتـابا ونبينا قبل نبيكم ، فقـال المؤمنـون نحن أحق بالله آمنا بمحمـد ونبيكم وبما أنزل الله ، من كتـاب وأخرج ابن أبى حـاتم عـن قتـادة مثله .

قـولـه تعـالى : ﴿ومن يـرد فيـه بإلحـاد﴾ [٢٥] أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : بعث النبى ﷺ عبد الله بـن أنـس مـع رجلين أحـدهمـا مهاجر والآخر من الأنصـار فـافتخـروا فى الأنسـاب ، فغضب عبد الله بن أنيـس ، فقتـل الأنصارى ثم ارتـد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ الآية .



قوله تعالى: ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ [٢٧] أخرج ابن جرير عن مجاهـد قال: كانـوا لا يركبـون، فأنزل الله ﴿ يأتوك رجالاً وعلى كل ضـامـر ﴾ فأمرهم بالـزاد ورخص لهم في الركـوب والمتجر.

قوله تعالى: ﴿ لن ينالَ اللَّهَ لحومُها ﴾ [٣٧] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ فنحن أحق أن نضمخ فأنزل الله: ﴿ لن ينال الله لحومها ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ للذين يُقـاتَلُون﴾ [٣٩] أخرج أحمد والترمذي وحسّنه والحاكم وصحّحه عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ من مكة، فقال أبو بكر أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله ﴿أذن للـذين يقـاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصـرهم لقدير ﴾ [٣٩].

قوله تعالى: ﴿ومن عـاقب بمثل مـا عـوقب بـه ﴾ [٦٠] أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم.

فقال المشـركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحـاب محمد فإنهم يحرمون القتـال في الشهر الحرام، فناشـدهم الصحابة وذكّروهم بالله أن لا يتعرضـوا لقتالهم فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحـرام فأبى المشركون ذلك وقاتلـوهم وبغوا عليهم فقاتلهـم المسلمون ونصروا عليهـم فنزلت هـذه الآية (أسباب النزول للسيوطي / ١٨٢ ـ ١٨٥).

ويطرح الإمام زين الدين الرازي أسئلة قد تدور في الأذهان بشأن بعض آيات سـورة الحج، ثم يجيب عنها بطـريقة « فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالي:

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ إن زلزلة السـاعة شيء عظيم ﴾ [١] يدل على أن المعدوم شيء.

قلنا: لا نسلم، ومستنـده أن المراد أنها إذا وجـدت كانت شيئا لا أنها شيء الآن: ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿عظيم﴾ مع أن المعدوم لا يوصف بالعظم.

فإن قيل: كيف قـال تعالى أولا: ﴿يوم ترونها﴾ [٢] بلفظ الجمع، ثم أفرد فقال: ﴿وترى الناس ﴾ [٢].

قلنا: لأن الرؤية أولا علقت بالـزلزلة، فجعل الناس كلهم رائين لها وعلقت آخـرًا بكون النـاس علـى هيئـة السكارى، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم.

فإن قيل: كيف قـال تعـالـى في حق النضـر بن الحـارث ﴿ومِنَ الناس من يجادل في الله﴾ [٣] إلى أن قال ﴿ ليضل عن سبيل الله﴾ [٩] وهو مـا كان غـرضه في جـداله الضـلال عن سبيل الله، فكيف علل جداله به وما كان أيضًا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟.

قلنـا: هذه لام العـاقبة والصيـرورة، وقد سبق ذكـرها غيـر مرة، ولما كان الهدى معرضـا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال.

فإن قيل: النفع والضر منفيـان عن الأصنام مثبتـان لها في الآيتين، فكيف التوفيق بينهما؟ (الآيتان ١٢، ١٣).

قلنـا: معنـاه يعبـد من دون الله مـا لا يضـره بنفسـه إن لم يعبده، ولا ينفعه بنفسه إن عبـده، ثم قال: يعبد من يضره الله بسبب عبادته، وإنما أضاف الضرر إليه لحصوله بسببه.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿أقرب من نفعه ﴾ [١٣] يدل على أن في عبادة الصنم نفعا وإن كان فيها ضررًا.

قلنا: معناه أقرب من النفع المنسوب إليه في زعمهم، وهو اعتقادهم أنه يشفع لهم.

فإن قيل: كيف قـال تعالى: ﴿ أُذن للذين يُقـاتلون بأنهم ظُلموا ﴾ [٣٩] أي بسبب كونهم مظلومين، ولم يبين ما الشيء الذي أذن لهم فيه؟.

قلنا: تقديره، أذن للذين يقاتلون في القتال، وإنما حذف لدلالة يقاتلون عليه ولدلالـة الحال أيضًا، فإن كفار مكة كانوا يـؤذون المـؤمنين بأنـواع الأذى وهم يستأذنـون النبي ﷺ في قتـالهم. فيقـول: لم يـؤذن لي في ذلك، حتى هـاجـر إلى المـدينة فنـزلت هذه الآيـة، وهي أول آية نـزولت في الإذن في القتال، فنسخت سبعين آيـة ناهية عـن القتال، كذا قـاله ابن عباس رضي الله عنهما، فكان المأذون فيه ظـاهرًا لكونه مترقبًا منتظرا.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿أُذِن للذين يقاتلون﴾ [٣٩] مع أنهم ما كانوا يقاتلون قبل نزول هذه الآية؟.

قلنا: معناه أذن للذين يريدون أن يقاتلوا، سماهم مقاتلين مجازا بـاعتبار مـا يئولون إليـه كما في النظـائر، وقرئ ﴿للذين يقاتلون﴾ بفتح التاء: ولا إشكال على تلك القراءة.

فإن قيل : كيف صح الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ **الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ [٤٠] .

قلنا : هـو استثناء منقطع تقديره : لكن أخرجوا بقولهم : ربنا الله . الثاني أنه بمنزلة قول الشاعر :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْـــرَ أَنَّ سُيُــوفَهُمْ

بِهِنَّ فُلُـــولٌ مِنْ قِـــراعِ الكَتَـــائِبِ

تقديره : إن كان فيهم عيب فهو هذا : وليس بعيب فلا يكون هذا فيهم عيبا .

فإن قيل : أى مِنَّة على المؤمنين في حفظ الصوامع والبيع والصلوات : أي الكنائس عن الهدم حتى امتن عليهم بذلك في قوله تعالى : ﴿ **ولـولا دَفْعُ الله النــاس بعضهم ببعض** ﴾ [٤٠] .

قلنا : المنة في ذلك أن الصوامع والبيع والكنائس في حرم المسلمين وحراستهم وحفظهم ، لأن أهلها ذمة للمسلمين . الثاني أن المراد بـه لهدمت صوامع وبيع في زمن عيسى ﷺ ، وصلوات : أى كنائس في زمن موسى ﷺ ، ومساجد في زمن النبي ﷺ ، فالامتنان على أهل الأديان الثلاثة لا على المؤمنين خاصة .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **وكُذِّب موسى** ﴾ [٤٤] ولم يقل وقوم موسى ، كما قال الله تعالى فيما قبله؟ .

قلنا : لأن موسى عليه السلام ما كذبه قومه بنو إسرائيل ، وإنما كذبه غير قومه وهم القبط . الثاني : أن يكون التنكير والإبهام للتفخيم والتعظيم كأنه قال تعالى بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم : وكذِّب موسى أيضًا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره .

فإن قيل : ما فائدة قوله تعالى : ﴿ **ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ [٤٦] .

قلنا : فائدته المبالغة في التأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ **ولا طائر يطير بجناحيه** ﴾ [الأنعام : ٣٨] وقوله تعالى : ﴿ **يقولون بألسنتهم** ﴾ [الفتح : ١١] وما أشبه ذلك . الثاني : أن القلب هنا يستعمل بمعنى العقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾ [قٓ : ٣٧] أي عقل في أحد القولين ، فكان التقييد احترازًا على قول من زعم أن العقل في الرأس .

فإن قيل : المغفرة إنما تكون لمن يعمل السيئات لا لمن يعمل الصالحات والحسنات ، فكيف قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة** ﴾ [٥٠] .

قلنا : المراد بالعمل الصالح هنا الإخلاص في الإيمان . قال الكلبي : كل موضع جاء في القرآن ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فالمراد به الإخلاص في الإيمان ، فيصير المعنى : فالذين آمنوا عن إخلاص تغفر لهم سيئاتهم .

فإن قيل : ما الفرق بين الرسول والنبي مع أن كليهما مرسل بدليل قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** ﴾ [٥٢] .

قلنا : الفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من جمع له بين المعجزة وأنزل الكتاب عليه ، والنبي فقط من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أمر أن يدعو أمته إلى شريعة من قبله . وقيل الرسول من كانت له معجزة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والنبي من لم تكن له منهم معجزة ، وفي هذا نظر . وقيل الرسول من كان مبعوثا إلى أمة ، والنبي فقط من لم يكن مبعوثا إلى أحد مع كونه نبيا . والجواب عن الآية على هذا القول أن فيه إضمارا تقديره : وما أرسلنا من رسول ولا نبأنا من نبي ، أو ولا كان من نبي ، ونظيره قول الشاعر :

ورأيتُ زوجَك في الـــوغَى

متقلِّـــدًا سيفًـــا ورُمحـــا

أى ومتعلقا رمحا أو حاملا رمحا .

فإن قيل : أين المثل المضروب في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له** ﴾ [٧٣] والمذكور بعده وهو قوله تعالى : ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله** ﴾ [٧٣] إلى آخره ليس بمتصل ، بل هو كلام مبتدأ مستقل بنفسه؟ .

قلنا : الصفة والقصة الغريبة أو المستحسنة تسمى مثلا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **مَثَلهم كمثل الذى استوقد نارا** ﴾ [البقرة : ١٧] فالمعنى يثبت بصفة ، وهي عجز الصنم عن خلق الذباب واستنقاذ ما يسلبه ، وقيل هو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **مَثَل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا** ﴾ [العنكبوت : ٤١] وإنما أبهمه هنا لأنهم كانوا لا يصغون إلى سماع القرآن ، ولهذا قالوا ﴿ **لا تسمعوا لهذا**

القرآن والغوا فيه﴾ [فصلت : ٢٦] وكانوا يحبون الأمثال، فذكر لفظ المثل استدراجًا لهم إلى سماع القرآن والإصغاء إليه .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ [٧٨] مع أن قطع اليد التى تساوى خمسة آلاف درهم بسبب سرقة عشرة دراهم حرج فى الدين، وكذا رجم المحصن بسبب الوطء مرة واحدة، ووجوب صوم شهرين متتابعين بسبب إفطار يوم واحد من رمضان بوطء، والمخاطرة بالنفس والمال فى الحج والعمرة وكل ذلك حرج بيِّن؟ .

قلنا : المراد بالدين كلمة التوحيد، فإنها تكفّر شرك سبعين سنة، ولا يتوقف تأثيرها على الإيمان والإخلاص سبعين سنة، ولا على أن يكون الإتيان بها فى بيت الله تعالى أو فى زمان أو مكان معين. ولاقيل المراد به أن كل ما يقع فيه الإنسان من الذنوب والمعاصى يجد له مخرجا فى الشرع بتوبة أو كفّارة أو رخصة . وقيل المراد به فتح باب التوبة للمذنبين، وفتح أبواب الرخص للمعذورين، وشروع الكفارات والأروش والديات، وقيل المراد به نفى الحرج الذى كان على بنى إسرائيل من الإصر والتشديد .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ [٧٨] وإبراهيم صلوات الله عليه لم يكن أبا للأمة كلها؟ .

قلنا : هو أبو رسول الله، فكان أبا لأمته، لأن أمة الرسول بمنزلة أولاده من جهة العطف والشفقة، هذا إن كان الخطاب لعامة المسلمين، وإن كان للعرب خاصة فإبراهيم أبو العرب قاطبة .

فإن قيل : متى سمانا إبراهيم صلوات الله عليه المسلمين من قبل حتى قال الله تعالى : ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ [٧٨] .

قلنا : وقت دعائه عند بناء الكعبة حيث قال ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مُسلمة لك﴾ [البقرة : ١٢٨] فكل من أسلم من هذه الأمة فهو ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام، وهذا السؤال سئلت عنه فى المنام وأجبت بهذا الجواب فى المنام إلهاما من الله سبحانه وتعالى . (الأنموذج الجليل ٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢٦، ومسائل الرازى وأجوبتها / ٢٣١ ـ ٢٣٦) .

ويسوق فضيلة الشيخ الشنقيطى الأدلة التى يدفعه بها إيهام وجود تعارض بين آيات كتاب الله الكريم ومن بينها آيات سورة الحج فيقول :

قوله تعالى : ﴿أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ [٣٩] .

هذه الآية الكريمة تدل على أن قتال الكفار مأذون فيه لا واجب . وقد جاءت آيات تدل على وجوبه كقوله تعالى : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ﴾الآية . [التوبة : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿وقاتلوا المشركين كافة ﴾ الآية . [التوبة : ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات .

والجواب ظاهر، وهو أنه أذن فيه أولا من غير إيجاب، ثم أوجب بعد ذلك كما تقدم فى سورة البقرة، ويدل لهذا ما قاله ابن عباس وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان، وقتادة ومجاهد، والضحاك وغير واحد، كما نقله عنهم ابن كثير وغيره من أن آية ﴿أذن للذين يقاتلون ﴾ [٣٩] هى أول آية نزلت فى الجهاد. والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تَعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ [٤٦] .

ظاهر هذه الآية أن الأبصار لا تعمى، وقد جاءت آيات أخر تدل على عمى الأبصار كقوله تعالى : ﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد : ٢٣] وكقوله تعالى : ﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾ [النور: ٦١] .

والجواب : أن التمييز بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وبين القبيح والحسن، لما كان كله بالبصائر لا بالأبصار، صار العمى الحقيقى هو عمى البصائر لا عمى الأبصار. ألا ترى أن صحة العينين لا تفيد مع عدم العقل كما هو ضرورى، وقوله : ﴿ فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد : ٢٣] يعنى بصائرهم أو أعمى أبصارهم عن الحق وإن رأت غيره .

قوله تعالى : ﴿ وإنَّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [٤٧] .

هذه الآية الكريمة تدل على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض

ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ [السجدة : ٥].

وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك، هى قوله تعالى فى سورة سأل سائل ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ الآية [المعارج : ٤].

اعلم أولا أن أبا عبيدة روى عن إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبى مليكة أنه حضر كلا من ابن عباس، وسعيد ابن المسيب سئل عن هذه الآيات فلم يدر ما يقول فيها، ويقول : لا أدرى.

وللجمع بينهما وجهان :

الأول : هو ما أخرجه ابن أبى حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، من أن يوم الألف فى سورة الحج هو أحد الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض. ويوم الألف فى سورة السجدة، هو مقدار سير الأمور وعروجه إليه تعالى. ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة.

الوجه الثانى : أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر. ويدل لهذا قوله تعالى : ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير ﴾ [المدثر: ٩، ١٠] ذكر هذين الوجهين صاحب الإتقان. والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ﴾ الآية. [٥٢].

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل رسول وكل نبى يلقى الشيطان فى أمنيته أى تلاوته إذا تلا.

ومنه قول الشاعر فى عثمان رضى الله عنه :

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقادر

وقول الآخر:

تمنى كتاب الله آخر ليله
تمنى داود الزبور على رسل

ومعنى تمنى فى البيتين قرأ وتلا. وفى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه قال: إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته، إذا حدَّث ألقى الشيطان فى حديثه.

وقال بعض العلماء : إذا تمنى أحب شيئًا وأراده فكل نبى يتمنى إيمان أمته، والشيطان يلقى عليهم الوساوس والشبه، ليصدهم عن سبيل الله، وعلى أن تمنى بمعنى قرأ وتلا، كما عليه الجمهور، فمعنى إلقاء الشيطان فى تلاوته، إلقاؤه الشبه والوساوس فيما يتلوه النبى ليصد الناس عن الإيمان به، أو إلقاؤه فى المتلو ما ليس منه ليظن الكفار أنه منه.

وهذه الآية لا تعارض بينها وبين الآية المصرحة بأن الشيطان لا سلطان له على عباد الله المؤمنين المتوكلين، وعلوم أن خيارهم الأنبياء كقوله تعالى : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] وقوله تعالى : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر: ٤٢] وقوله تعالى : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وقوله تعالى : ﴿ وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ووجه كون الآيات لا تعارض بينها، أن سلطان الشيطان المنفى عن المؤمنين المتوكلين فى معناه وجهان للعلماء :

الأول : أن معنى السلطان الحجة الواضحة، وعليه فلا إشكال، إذ لا حجة مع الشيطان ألبتة، كما اعترف به فيما ذكر الله عنه فى قوله ﴿وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الثانى : أن معناه أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم فى ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه، فلا ينافى هذا ما وقع من آدم وحواء وغيرهما، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة منه، فإلقاء الشيطان فى أمنية النبى سواء فسرناها بالقراءة أو التمنى لإيمان أمته، لا يتضمن سلطانًا للشيطان على النبى، بل من جنس الوسوسة وإلقاء الشبه لصد الناس عن الحق كقوله تعلى : ﴿وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ الآية [النمل : ٢٤].

فإن قيل : ذكر كثير من المفسرين : أن سبب نزول هذه الآية الكريمة أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم بمكة، فلما بلغ : ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾ [النجم : ١٩، ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترجى، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه

المشركون والمسلمـون، وقال المشركون: ما ذكـر آلهتنا بخير قبل اليـوم. وشـاع فى النـاس أن أهل مكـة أسلمـوا بسبب سجـودهم مع النبى ﷺ حتى رجع المهـاجرون من الحبشـة، ظنًّا منهم أن قـومهم أسلموا، فـوجدوهم على كفـرهم. وعلى هذا الذى ذكره كثير من المفسرين: فسلطان الشيطان بلغ إلى حد أدخل بـه فى القرآن، على لسان النبى ﷺ الكفـر البواح، حسبما يقتضيه ظاهر القصة المزعومة.

فالجواب: أن قصة الغرانيق مع استحـالتها شرعًا لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من العلماء، كما بيناه بيانًا شافيًا فى رحلتنا.

والمفسـرون يروون هـذه القصة عـن ابن عباس من طـريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما، ومعلوم أن الكلبى متروك.

وقد بيَّن البزار أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذى وقع فى وصله.

وقـد اعترف الحـافظ ابن حجـر مع انتصـاره لثبوت هـذه القصة، بأن طـرقها كلها، إمـا منقطعة أو ضعيفـة، إلا طريق سعيد بن جبير.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية بن خالـد، وهو وإن كان ثقة فقد شك فى وصلها، فقد أخـرج البزار وابن مردويه من طـريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق حديث القصة المذكورة. وقال: البزار، لا يروى متصلا إلا بهـذا الإسناد، تفرد بوصله أميـة بن خالد، وهو ثقة مشهور.

وقال البزار: وإنما يـروى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، والكلبى متروك. فتحصل أن قصة الغرانيق لم ترد متصلـة إلا من هذا الطريق الذى شك راويـه فى الوصل، وما كان كذلك فضعفه ظاهر.

ولذا قال الحـافظ ابن كثير فى تفسيره: أنه لم يـرها مسندة من وجه صحيح. وقال العلامة الشوكانى فى هذه القصة: ولم يصح شىء من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه ومع عدم صحته بل بطلانـه. فقد دفعـه المحققون بكتـاب الله كقولـه تعالى: ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل﴾ الآية. [الحاقة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وما ينطق عـن الهوى﴾ [النجم: ٣] وقوله تعالى: ﴿ولـولا أن ثبتنـاك لقـد كـدت تـركن إليهم﴾ الآية [الإسراء: ٧٤].

فنفى المقاربة للركون فضلا عن الركون. ثم ذكر الشوكانى عن البزار أنها لا تروى بإسنـاد متصل، وعن البيهقى أنه قال: هى غير ثابتة من جهة النقل.

وذكر عن إمـام الأئمة ابن خزيمة أن هـذه القصة من وضع الزنادقة، وأبطلها عيـاض وابن العربى المالكى والفخر الرازى وجماعات كثيرة.

ومن أصرح الأدلة القرآنية فى بطلانها: أن النبى ﷺ قرأ بعد ذلك فى سـورة النجم قـولـه وتعـالى: ﴿إن هى إلا أسمـــاء سميتموها أنتم وآباؤكم مـا أنزل الله بها من سلطان﴾ [النجم: ٢٣] فلو فـرضنا أنـه قال تلك الغـرانيق العلى، ثم أبطل ذلك بقوله ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها﴾ فكيف يفرح المشركون بعـد هذا الإبطـال والـذم التام لأصنـامهم، بأنهـا أسماء بـلا مسميات، وهذا هو الأخير.

وقراءته ﷺ سورة النجم بمكـة وسجود المشركين ثابت فى الصحيح، ولـم يذكر فيه شىء من قصة الغرانيق، وعلى القول ببطلانها فلا إشكال.

وأما على القـول بثبوت القصة، كما هـو رأى الحافظ ابن حجر، فإنـه قال فى فتح البـارى: إن هذه القصة ثبتت بثـلاثة أسانيد كلها على شـرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بـالمـرسل وكـذا من لا يحتج به لاعتضـاد بعضهـا ببعض لأن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصلا.

فللعلمـاء عن ذلك أجوبـة كثيرة، من أحسنهـا: أن النبى ﷺ كان يـرتل السورة ترتيـلا تتخلله سكتات فلمـا قرأ ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ قال الشيطان: لعنه الله محـاكيًا لصوته ﷺ: تلك الغرانيق العلى... إلخ. فظن المشركون أن الصوت صوته ﷺ وهو برىء من ذلك براءة الشمس من اللمس.

وقـد بينا هـذه المسألـة بيانًـا شـافيًـا فى رحلتنا، فلـذلك اختصرنا هنـا فظهر أنه لا تعارض بين الآيـات. والعلم عند الله تعالى (دفع إيهام الاضطراب / ٢٠٥ - ٢١٢).

ويحصى الإمـام ابن الجـوزى الآيـات التى ادعى عليهن النسخ فى سورة الحج فيقول:

ذكر الآية الأولى :

قوله تعالى : ﴿وإنْ جادلُوكَ فقُلِ الله أعلمُ بمـا تَعملون﴾ [٦٨] اختلفوا فى هذه الآية على قولين :

الأول : أنهـا نـزلت قبل الأمـر بـالقتـال ثم نسخت بـآيـة السيف .

والثانى : أنهـا نزلت فى حـق المنافقين كانـت تظهر منهم فلتـات ثم يجـادلـون عليهـا ، فـأمـر أن يكل أمـورهم إلى الله تعالى ، فالآية على هذا محكمة .

ذكر الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿ وجاهِـدوا فى الله حقَّ جهاده ﴾ [٧٨] فيها قولان :

القول الأول : أنها منسوخة ، لأن فعل ما فيه وفاء لحق الله لا يتصور من أحد ، واختلف هؤلاء فى ناسخها على قولين :

الأول : أنه قوله : ﴿ لا يُكلِّفُ الله نفسًا إلاَّ وُسْعَها﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

والثانى : ﴿فاتقُوا الله ما استطعتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] .

والقول الثـانى : أنها محكمـة ، لأن حق الجهاد الجـد فى المجـاهدة وبـذل الإمكـان مع صحة القصـد فعلى هـذا هى محكمة ويوضحه أن الله تعالى لم يؤمر بما لا يتصور، فبان أن قوله : ﴿ ما استطعتم﴾ تفسير لحق الجهـاد فلا يصح نسخ ، كما بينا فى قولـه تعالى فى آل عمران : ﴿اتقوا الله حق تقاتِهِ﴾ [آل عمران : ١٠٢] (نواسخ القرآن / ١٩٦) .

ويقسم الإمـام الغزالى آيـات القرآن الكـريم إلى نمطين : الأول هو الجواهـر، وهى تلك الآيات التى وردت فى ذات الله عـز وجل وصفـاتـه وأفعالـه خـاصـة ، وهـو القسم العلمى ، والثانـى : الدرر وهى تلك الآيـات التى ورد فيها بيـان الصراط المستقيم والحـث عليــه ، وهـــو القسم العملى قـــال عن الجواهر :

ومن سورة الحج ست عشرة آية :

قوله تعالى : ﴿ يا أيُّهـا النَّاسُ إن كُنتم فى ريبٍ من البعثِ فإنَّا خلقنـاكُم من تُراب ثمَّ من نطفةٍ ثُم من علقـةٍ ثُمَّ من مُضغةٍ مُّخلَّقـة وغير مُخلَّقـةٍ لنُبيِّن لكُم ونقرُّ فى الأرحام ما نشـاءُ إلى أجلٍ مسمًّى ثمَّ نُخرجكم طفلا ثـم لتبلغُوا أشُـدَّكم ومنكُمْ من يتوفى ومنكُمْ من يُردُّ إلى أرذل العُمُـر لكى لا يعلم من بعد علم شيئًا وترى الأرض هـامدة فإذا أنزلنا عليهـا الماء اهتزَّت وربتْ وأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيج * ذلك بأنَّ الله هـو الحقُّ وأنَّهُ يُحيى الموتى وأنه على كلِّ شيءٍ قدير * وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنَّ الله يبعثُ من فى القُبُورِ ﴾ [الحج : ٥ ـ ٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ألمْ تـر أن الله يسجد لهُ من فـى السموات ومن فى الأرض والشَّمس والقمـرُ والنُّجـوم والجبـالُ والشجـرُ والدَّوابُّ وكثيرٌ من الناسِ وكثيرٌ حقَّ عليهِ العذابُ ومن يُهنِ الله فما لهُ من مُكرمٍ إنَّ الله يفعلُ ما يشاءُ ﴾ [الحج : ١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأنَّ الله يولِجُ اللَّيلَ فى النهـار ويولج النهـار فى الليل وأن الله سميعٌ بصيرٌ * ذلك بأن الله هـو الحقُّ وأنَّ مَا يدعُـون من دُونه هُو الباطلُ وأنَّ الله هُـو العليُّ الكبيرُ * ألم تر أنَّ الله أنزلَ من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مُخضرَّةً إنَّ الله لطيفٌ خبيرٌ * لـهُ ما فى السموات ومـا فى الأرض وإن الله لهُو الغنيُّ الحميدُ * ألم تر أنَّ الله سخر لكم مَّا فى الأرضِ والفلك تجرى فى البحر بأمـرِه ويُمسكُ السَّماء أن تقع على الأرض إلاَّ بإذنـه إنَّ الله بالنـاسِ لـرءُوفٌ رَّحِيمٌ * وهُـو الذى أحيـاكُمْ ثُمَّ يُميتُكُم ثمَّ يُحييكُم إنَّ الإنسانَ لكفورٌ ﴾ [الحج : ٦١ ـ ٦٦] .

وقولـه تعالى : ﴿ ألمْ تعلمْ أنَّ الله يعلـمُ مـا فى السَّمـاءِ والأرضِ إنَّ ذلك فـى كتـابٍ إنَّ ذلـك على الله يسيـرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الناسُ ضُرِبَ مثلٌ فاستمعـوا لهُ إن الذين تدعُـون من دُون الله لن يخلقوا ذُبابًا ولـو اجتمعوا لهُ وإن يسلُبْهُم الـذبـابُ شيئًـا لا يستنقـذوه منهُ ضعف الطـالبُ والمطلُوب * مـا قدرُوا الله حقَّ قـدره إن الله لقوى عـزيز * الله يصطفى من الملائكـة رُسُلاً ومن النـاس إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ * يعلم مـا بين أيـديهمْ ومـا خلفهُم وإلى الله تُـرجعُ الأمـورُ ﴾ [الحج : ٧٣ ـ ٧٦] (جواهر القرآن ودرره / ٩١ ـ ٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢) .

وقال عن الدرر :

ومن سورة الحج خمس عشرة آية :

قوله تعالى : ﴿ ومن النَّـاس من يعبدُ الله على حـرف فإن أصابهُ خيرٌ اطمأن به وإن أصـابته فتنةٌ انقلب على وجههِ خسرَ الدُّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبينُ * يدعو من دُون الله ما

لا يضرُّه ولا ينفعهُ ذلـك هو الضَّلالُ البعيدُ * يدعـو لمن ضرُّهُ أقـربُ من نفعـهِ لبئس المولى ولبئس العشيـرُ * إن الله يُـدخل الذين آمَنُوا وعملُوا الصَّالحـاتِ جنَّات تجرى من تحتها الأنهارُ إن الله يفعلُ ما يُريدُ ﴾ [الحج : ١١ ـ ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك ومن يُعظِّم شعائر الله فإنَّها من تقوى القلـوبِ * لكُمْ فيهـا منـافع إلـى أجل مُّسمًّى ثم محلُّهـا إلى البيتِ العتيقِ * ولكلِّ أُمَّةٍ جعلنا منسكًا ليذكُرُوا اسم الله على ما رزقَهُم من بهيمـة الأنعام فإلهُكُمْ إلـهٌ واحدٌ فلـهُ أسلمُوا وبشِّـر المُخبتين * الَّذين إذا ذُكر الله وجلتْ قلـوبُهُم والصَّابرينَ على ما أصابهُمْ والمُقيمى الصَّلاةِ ومِمَّا رزقناهُمْ يُنفقون ﴾ [الحج : ٣٢ ـ ٣٥] .

وقوله تعالى : ﴿ لن ينال اللَّهَ لحومُهَا ولا دماؤها ولكن ينالهُ التَّقوى منكُمْ كـذلك سخَّرهـا لكُمْ لتُكبِّرُوا الله على مـا هداكُمْ وبشِّر المُحسنين * إنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحبُّ كل خوَّانٍ كفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٧ ، ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿الَّذين إن مَّكَّناهُمْ فى الأرضِ أقامُوا الصَّلاة وآتُوا الزكاة وأمرُوا بالمعرُوف ونهوا عن المُنكر ولله عاقبة الأمورِ﴾ [الحج : ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ وليعلمَ الذين أُوتُوا العلمَ أنَّهُ الحقُّ من ربِّك فيُؤمِنُوا به فَتخبتَ له قُلُوبُهُم وإنَّ الله لهادِ الَّذين آمنُوا إلى صراطٍ مُستقيم ﴾ [الحج : ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا اركَعُوا واسجُدُوا واعبدُوا ربَّكُم وافعلـوا الخيـرَ لعلَّكُمْ تفلحون * وجـاهِـدوا فى الله حقَّ جهاده هُـو اجتباكم ومـا جعل عليكُم فى الدِّين من حـرجٍ ملَّةَ أبيكُمْ إبراهيم هُـو سمَّاكُمُ المسلمين من قبلُ وفى هـذا ليكُون الـرسُول شهيـدًا عليكُمْ وتكُـونُـوا شُهداءَ على النـاس فأقيمـوا الصلاة وآتُوا الزَّكاة واعتصِمُوا بالله هُو مولاكُم فنعم المولى ونعم النَّصيرُ ﴾ [الحج : ٧٧ ، ٧٨] .

(جواهر القرآن ودرره / ٩١ ـ ٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢) .

أما عن رسم المصحف فقد أورد الإمام أبو عمرو الدانى ما يلى :

١ - ما حذفت منه الألف اختصارًا :

﴿إن الله يـدٰفع﴾ [٣٨] ، ﴿أُذِن للـذين يقٰتلـون﴾ [٣٩] ، ﴿معٰجزين﴾ [٥١] .

٢ - ما حذفت منه الياء اجتزاء بكسر ما قبلها منها :

﴿والبادِ ومن يُرِد ﴾ [٢٥] .

﴿وإن الله لهادِ الذين آمنوا﴾ [٥٤] .

٣ - إثبـــات الألف علـى اللفظ أو المعنـى : ﴿ولؤلؤًا﴾ [٢٣] .

حدثنـا محمد بن أحمد بن أحمد بن علـى قال : حدثنـا محمد بن أحمـد بن قطن ، قال حـدثنـا سليمان بن خـلاد قـال حدثنـا اليزيدى قـال : قال أبو عمرو : إنما كتبوا الألف فى قـوله تعالى ﴿ولؤلؤًا﴾ فى [الحج : ٢٣] كمـا كتبوا ألف « قـالــوا » ومـا أشبهه .

قال أبو عمرو : ولم تختلف المصاحف فى رسم الألف فى سورة الحج وإنما اختلفت فى فاطر [٢٣] .

وحدثنا ابن خـاقان المقرئ إجازة قال : حـدثنا محمد بن عبد الله الأصبهـانى بإسناده عن محمـد بن عيسى الأصبهانى قال : كل شىء فى القرآن من ذكر « اللؤلؤ » فإنما يكتب «لؤلؤ» ليس فيه ألف فى مصاحف البصـريين إلا فى مكانين ليس فى القـرآن غيرهمـا : فى الحج ﴿ ولؤلـؤًا﴾ وفى ﴿هـل أتى علـى الإنسان ﴾ [الإنسـان : ١٩] ﴿ حسبتهم لـؤلؤًا﴾ قال : وقال عاصم الجحدرى : كل شىء فى الإمـام مصحف عثمان فيها ألف إلا التى فى [الملائكـة] [فاطر : ٣٣] . قال الفـرّاء : هما فى مصاحف أهل المدينة والكوفة بألفين .

٤ - ما رسم بالألف من ذوات الياء على اللفظ : ﴿ أنّه من تولاّه ﴾ [٤] .

٥ - لكى لا :

قال محمد ، ﴿لكيلا﴾ موصولة ثـلاثة أحرف فى [الحج : ٥] ... إلخ .

٦ - ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار :

كتبوا ﴿ كُتب عليـه أنـه من تـولاّه ﴾ [٤] بالألف ، وكتبوا ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا ﴾ [٥] موصولة ، وكتبوا ﴿ وأنَّ ما يدعون ﴾ [٦٢] مقطوعة .

٧ - مـا اختلفت فيـه مصاحـف أهل الأمصار بـالإثبـات والحذف :

﴿ إن الله يدافع ﴾ [٣٨] بالألف وفى بعضها بغير ألف .

٨ - ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل العراق :

﴿لهادِ الذين آمنوا﴾ بالدال .

(المقنع/ ٢٢، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٧٩، ٩١، ٩٩، ١٠٤) .

أمـا عن القراءات السبع بالنسبـة لسـورة الحج فقد بيّنها الإمام ابن مجاهد على النحو التالي :

١ - اختلفـوا في ضم السين وإثبـات الألف وفتح السين وإسقاط الألف من قوله تعالى : ﴿ وترى النَّاسَ سُكرى وما هُم بِسُكرىٰ ﴾ [٢] .

فقـرأ ابن كثيـر ونـافع وعـاصم وابن عـامـر وأبـو عمـرو: ﴿سُكْرىٰ وما هُم بِسُكْرىٰ﴾ بضم السين فيهما وبالألف .

وقـرأ حمزة والكسـائى : ﴿وتـرى النَّـاس سَكـرىٰ ومـا هم بسكرىٰ﴾ بغير ألف فيهما والسين مفتوحة .

٢ - واختلفوا فى كسر لام الأمر وإسكانها من قوله : ﴿ ثُمَّ ليقطعْ ﴾ [١٥] ﴿ثُمَّ ليقضُـوا تفثهم﴾ [٢٩] (التفـث فـى المناسك : ما كان من نحو قص الشارب والأظفار) .

فقرأ ابن كثير: ﴿ثم ليقضُـوا﴾ مكسـورة اللام ولـم يكسـر غيرها هـذه رواية القـوّاس عنه ، وقـال البزّى : الـلام مدرجـة ساكنة .

فقرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿ثُمَّ ليقطعْ ﴾ ، ﴿ثُمَّ ليقضُوا﴾ مكسـورتى اللام ، وزاد ابن عـامـر (أى فى رواية ابن ذكـوان) ﴿وليُوفُواْ ﴾ [٢٩] ﴿وليطَّوَّفُـوا ﴾ [٢٩] بكسـر لام الأمـر فى الأربعة الأحرف .

واختلف عن نافع ، فقـال إسماعيل بن جعفـر وأحمد بن صـالح والقـاضى عن قالـون ، وإسحـاق وإسمـاعيل بن أبى أُوَيْس : ﴿ ثُمَّ ليَقطَعْ ﴾ ، ﴿ثُمَّ ليَقْضُوا﴾ ساكنتى اللام . وقال ورش وأبو بكر بن أبى أويس : ﴿ ثُمَّ ليقطع﴾ ، ﴿ثُمَّ ليقضُوا﴾ مكسورتى اللام مثل أبى عمرو.

وقـرأ عـاصم وحمـزة والكسـائى : ﴿ثُـمَّ ليقطـعْ ﴾ ﴿ثُـمَّ ليَقْضُوا﴾ ، ﴿وليُوفُوا﴾ ﴿وليَطَّوَّفُوا﴾ اللام للأمـر فى كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم فهى ساكنة .

٣ - قوله تعالى : ﴿هٰذان خصمانِ﴾ [٢١٩] .

قرأ ابن كثير وحده : (هٰذانِّ) مشـددة النون . وقرأ الباقون : (هٰذان) خفيفة .

٤ - واختلفوا فى قوله تعالى : ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ [٢٣] .

فقـرأ ابن كثيـر: ﴿ولُؤْلُؤٍ﴾ وفى المـلائكـة [فاطـر: ٣٣] كذلك ، وهى قراءة أبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى .

وقـرأ نـافع وعـاصم فـى روايـة أبى بكـر هٰهنـا وفى سـورة الملائكـة (فاطـر) : ﴿ولؤْلُؤًا﴾ بـالنصب . وعاصم فى روايـة يحيى عن أبى بكر: ﴿ولُولُؤًا﴾ بهمزة واحدة وهى الثانية . وروى المعلى بن منصور عن أبى بكـر، عن عاصم : ﴿لُؤْلُوًا﴾ يهمز الأولى ولا يهمز الثانية ، وهذا غلط .

وحفص عن عاصم : ﴿ولؤْلُؤًا﴾ يهمزها وينصب .

٥ - قوله تعالى : ﴿سواءً العٰكف فيه والباد ﴾ [٢٥]كلهم قـرأ (سواءٌ) رفعًـا ، غير عـاصم فى روايـة حفص ، فإنه قـرأ : ﴿سَوَآءً﴾ نصبًا .

وقـرأ ابن كثيـر وأبو عمـرو: (البادِى) بـالياء فى الـوصل ، ووقف ابن كثير بياء وأبو عمرو بغير ياء .

واختلف عن نافع ، فقال ابن جمَّـاز وإسماعيل بن جعفر وورش ويعقوب عن نـافع : (والبادى) بياء فى الـوصل . وقال المسيبى وأبو بكر وإسماعيل ابنا أبى أويس : (والبادِ) بغير ياء فى وصل ولا وقف . وقـال الأصمعى : سمعت نـافعًـا يقـرأ (والبادى) بياء فقلت لنافع : هكذا كتابها؟ فقال : لا .

وقرأ عاصم وابن عـامر وحمزة والكسائى : ﴿والبَادِ﴾ بغير ياء فى وصل ولا وقف .

٦ - قوله تعالى : ﴿ وليُوفُوا نُذُورهُمْ﴾ [٢٩] .

قـرأ عـاصم فى روايـة أبى بكـر: ﴿وليُوفُّوا﴾ مشدَّدة الفاء ساكنة اللام .

وقرأ حفص عن عاصم والباقون : ﴿وليُوفُوا ﴾ خفيفة ، غير ابن عامر، فإنه كسر اللام .

٧ - قوله تعالى : ﴿ فتخطفُهُ الطَّيْرُ ﴾[٣١] .

قـرأ نـافع وحـده : (فتخَطَّفُـهُ) مشدَّدة . وقـرأ الباقـون : ﴿فتخطَفُهُ﴾ خفيفة .

٨ - واختلفوا فى فتح السين وكسرها من قوله : ﴿مَنسكًا﴾ [٣٤، ٦٧] .

فقـرأ ابن كثيـر وأبـو عمـرو ونـافع وابن عـامـر وعـاصم : ﴿مَنسكًا﴾ بفتح السين فى حـرفى السـورة جميعـا وقرأ حمـزة والكسائى : (منسكا) بكسر السين فى الحرفين جميعًا .

٩ - قوله تعالى : ﴿إنَّ الله يدْفِعُ عن الَّـذينَ ءَامَنُوا﴾ [٣٨] ﴿ولوْلا دَفْعُ الله الناسَ﴾ [٤٠] .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إنَّ الله يدفع) ، ﴿ولـولاَ دفعُ﴾ بغير ألف فيهما.

وقرأ نافع : ﴿ إنَّ الله يُـدٰفِعُ﴾ ، ﴿ولـولاَ دَفْعُ اللهِ﴾ بالألف فيهما.

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى : ﴿إنَّ الله يُدٰفِعُ﴾ بالألف ﴿ولولاَ دفعُ اللهِ﴾ بغير ألف.

١٠ - واختلفـوا فى فتح الألف وضمهـا من قولـه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقٰتَلُونَ﴾[٣٩].

فقرأ ابـن كثير وحمـزة والكسائى : ﴿أذِنَ للذين﴾ مفتوحة الألف. (يُقٰتِلُونَ) مكسورة التاء.

وقرأ نافع وعاصم فى رواية حفص : ﴿أُذِنَ للذين﴾ مضمومة الألف. ﴿يُقٰتِلونَ﴾ مفتوحة التاء. هكذا روى أبو عمارة وابن اليتيم عن أبى حفص وهبيرة، عن حفص، عن عاصم.

وقرأ أبـو عمرو وعاصم فى روايـة أبى بكر: ﴿أُذِنَ للذينَ﴾ مضـمومة الألف ﴿يُقٰتِلونَ﴾ مكسورة التاء.

وقرأ ابن عامر: (أذِن) مفتوحة الألف ﴿للذين يقتلون ﴾ .

١١ - واختلفـوا فى تشـديـد الدال وتخفيفهـا من قـولـه : ﴿لهُدِّمتْ صوٰمِعُ﴾ [٤٠].

فقرأ ابن كثير ونافع : ﴿لهُدِمتْ﴾ خفيفة.

وقـرأ أبو عمـرو وابن عـامـر وعاصـم وحمزة والكسـائى : ﴿لهُدِّمَتْ﴾ مشددة.

١٢ - قوله تعالى : ﴿فَكَأَيِّن مِّن قريةٍ أهلكنٰها﴾ [٤٥].

قرأ أبو عمرو وحده ﴿أهلكتُها﴾ بالتاء.

وقرأ الباقون: ﴿أهلكنٰها﴾ بالنون. وروى ابن جمَّاز عن أبى بكر عن عاصم: ﴿أهلكتُهَا﴾ بالتاء.

١٣ - واختلفوا فى همز البئر وترك همزها من قوله : ﴿وبئرٍ مُعطّلَة﴾ [٤٥].

فقرأ ابن كثيـر فى رواية القواس والبزِّى وأبو عمـرو وعاصم وابن عـامر وحمـزة والكسائى: ﴿وبئر﴾ مهمـوزة. وروى ابن فليح عن ابن كثير أنه لم يهمز.

وقرأ نـافع فى رواية ورش وابن جمَّـاز ويعقوب وخـارجة : (وبيـرٍ) بغير همـز. وقـال الأصمعى : سألت نـافعًا عن البِئـر والذِّئب فقال: إن كانت العرب تهمزها فاهمزها. واختلف عن المسيبى، فروى ابن المسيبى عن أبيـه عن نافع أنـه لم يهمز. وروى أبو عمارة عن المسيبى عن نافع أنـه همز. وحدثنى عبد الله بن الصقر عن محمـد بن إسحاق المسيبى عن أبيـه أنه لم يهمز: ﴿وبِئْرٍ﴾ .

وروى عبيد عن هارون عن أبى عمرو: ﴿وبِئْرٍ﴾ مهموزة.

١٤ - واختلفوا فى اليـاء والتاء من قـوله : ﴿مِمَّا تعُدُّونَ﴾ [٤٧].

فقـرأ ابن كثيـر وحمزة والكسـائى : (مِمَّـا يعـدُّون) باليـاء هٰهنا، وقرأوا فى السجدة (مِمَّا تَعُدُّونَ) [٥] بالتاء.

وقرأ نافع وأبو عمـرو وابن عامر وعاصم : ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالتاء فيهما جميعًا.

١٥ - واختلفـوا فى إثبـات الألف وإسقـاطها من قـولـه : ﴿فى ءَايٰتنا مُعٰجزين﴾ [٥١].

فقرأ ابن كثيـر وأبو عمرو: كُلَّ مـا فيه ﴿ءَايٰتنا مُعجِّزِينَ ﴾ بغير ألف مشدَّدا.

وقـرأ عـاصـم ونـافع وابن عـامـر وحمـزة والكسـائى : ﴿مُعٰجِزينَ﴾ بألف.

١٦ - قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قُتِلوا أو ماتُوا﴾ [٥٨].

كلهم قرأ: ﴿ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾ خفيفة، غير ابن عامـر فإنه قرأ: (قُتِّلُوا) مشددة التاء. والقاف فى قولهم جميعًا مرفوعة.

١٧ - قوله: ﴿ليدخِلنَّهُم مُّدخلاً يرضونهُ﴾ [٥٩].

قرأ نـافع وحده: ﴿مدخلاً﴾ بفتح الميم. وقـرأ البـاقـون: ﴿مُدْخَلاً﴾ مرفـوعة الميم. وروى الكسـائى عن أبى بكر وعن عاصم : ﴿مدخلاً﴾ بفتح الميم مثل نافع.

١٨ - واختلفوا فى اليـاء والتاء من قـوله : ﴿وأنَّ ما يدعون من دُونه هُـو البٰطِلُ﴾ [٦٢] هٰهنـا وفى العنكبـوت [٤٢] وفى لقمان [٣٠] وفى المؤمن [غافر] [٢٠].

فقرأ ابـن كثير فى الحج والعنكبـوت ولقمان بالتـاء. وفى المؤمن [غافر]: ﴿والذينَ يدعُون من دُونه ﴾ بالياء.

وقرأهن نافع بالتاء وكذٰلك ابن عامر.

وقرأ أبو عمرو: بالياء ذلك كله.

وقـرأ حمـزة والكسـائى فـى العنكبـوت : (إنَّ الله يعلمُ مـا تدعون من دُونه) بالتاء والباقى بالياء.

وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر حـرفين بالتاء وحرفين بالياء : قـرأ فى الحج ولقمان : بـالتاء ، وقـرأ فى العنكبوت والمـؤمن بالياء . وقرأ حفص عن عاصم : الأربعة بالياء مثل أبى عمرو.

١٩ - قوله تعالى : ﴿ ما لم يُنَزِّلْ به سُلْطَـٰنًا﴾ [١٧] .

روى عُبيد عن هارون عن أبى عمرو : (ما لم يُنْزِل) خفيفة ، وأنه قـال : إذا لم يكن قبلها أُنزل ، فهى ينزل خفيفـة ، وكذلك تقول إذا كان قبلها أنزل لا تبالى أيهما قرأت : يُنزِلْ أو يُنَزِّلْ .

[ياءات الإضافة] .

فى هذه السـورة ثلاث ياءات إضـافة : ﴿أن لاَّ تُشـرِكْ بى شيئًا﴾ [٢٦] ﴿وطهِّرْ بيتِىَ﴾ [٢٦] ﴿وإلىَّ المصيرُ﴾ [٤٨] .

واختلفوا فى قوله : ﴿بيتِىَ﴾ فقرأ نافع وحفص عن عاصم وابن عامـر فى رواية هشـام بن عمار بـالفتح وأسكنها البـاقون وأبو بكر عن عاصم وابن ذكوان عن ابن عامر.

وحذفت من هـذه السورة ثـلاث ياءات : ﴿والبَادِ﴾ [٢٥] وقد ذكرتها ﴿وإن الله لهادِ الذينَ﴾ [٥٤] حذفت منها الياء فى الوصل لسكونهـا وسكون اللام من ﴿الَّذينَ﴾ بعدها . فكتبت على الوصـل بغير ياء ولم تكتـب على الوقف فتكتب بـالياء . وقوله : ﴿فكيف كان نكيرِ﴾ [٤٤] أثبتها فى الوصل ورش عن نافع . (كتاب السبعة فى القراءات / ٤٣٣ ـ ٤٤١) .

وقـد صـاغ الإمام الشـاطبى هـذا كلـه نظما فى منظـومتـه الموسومة بحرز الأمانى والشهيرة بالشاطبية ، وفيما يلى ما جاء عن القـراءات فى سورة الحج يتلوه إن شاء الله تعـالى شـرح الشيخ على محمد الضباع . قال الناظم :

سُكَـارَى مَعًـا سكـرىَ (شَـ)ـفا ومُحـرَّكٌ

لِيقطعْ بِكسرِ اللَّامِ (كَـ)ـمْ (جـ)ـيِدُهُ (حَـ)ـلاَ

لِيـوُفُـوا ابنِ ذكـوانٍ لِيطَّـوَّفُـوا لـهُ

لِيقضُـوا سِـوى بَـزِّيِّهِمْ (نفَـرٌ) (جَـ)ـلاَ

ومع فـاطِـرَ انْصبْ لُـؤْلُـؤًا (نَـ)ـظْمُ (إِ)لْفَـةٍ

وَرَفْـعُ سَـواءً غيـرُ حفصٍ تَنَخَّـلاَ

وَغيـرُ (صِحَـابٍ) فى الشَّـريعـةِ ثُـمَّ وَلْـ

ـيُوفُّوا فحـرِّكْـهُ لِشُعبـةَ أثْقَـلا

فَتخطفـهُ عـن نـافعٍ مثلـهُ وقُـلْ

مَعًـا مَنسكًـا بـالكسـرِ فـى السِّيِنِ (شُـ)لْشُلاَ

ويـدفعُ (حـقٌّ) بينَ فتحيـهِ سـاكنٌ

يُـدافـع والمضْمـومُ فـى أُذِنَ (أ)عتـلاَ

(نَـ)ـعَمْ (حَـ)ـفِظُوا والفَتْحُ فى تَـا يُقَـاتِلُـو

نَ(عَمَّ) (عُـ)ـلاَهُ هُـدِّمَتْ خَفَّ (إِ)ذْ (دَ) لاَ

وبَصْـرِىٌّ أَهْلَكْنَـا بِتَـاء وضَمِّهَـا

يَعُـدُّونَ فِيه الغَيبُ (شَـ)ـايَعَ (دُ) خُلُـلاَ

وَفى سَبَإٍ حَـرفَـانِ مَعْهَـا مُعَـاجِـزِيـ

ـنَ (حَـقٌّ) بِـلاَ مَـدٍّ وفى الْجِيمِ ثَقَّـلاَ

والأوَّلُ مَعْ لُقْمـانَ يَـدْعُـونَ (غَـ)ـلَّبُوا

سِـوى شُعبَـةٍ واليَـاءُ بَيْتـى جَمَّـلاَ

(حرز الأمانى / ١٥٦ ، ١٥٧) .

وقـال الشارح ، وقـد ذكر أسمـاء القراء الـذين ترمـز إليهم الحروف والألفاظ الموضوعة بين أقواس :

قرأ الإخـوان ﴿ سكـرى ومـا هم بسكـرى ﴾ بفتح السين وإسكان الكـاف مع حذف الألف والبـاقون بضم السين وفتح الكاف مع الألف على وزن كُسـالى فيهما وتقدم حكم إمـالته فى بـابها . قـرأ أبـو عمرو وابن عـامـر وورش (ثم ليقطع وثم ليقضوا) بكسر الـلام فيهما وافقهما قنبل فى ليقضـوا والباقون بالسكـون فيهما . قرأ نـافع وعاصـم ﴿ولؤلؤًا﴾ هنا وفى فـاطر بنصبهما والباقون بجرهما . روى حفص ﴿سواء العاكف﴾ هنا وسواء محياهم فى الجاثيـة بنصب الهمزة فيهما وافقه الأخوان فى الجـاثية والبـاقون بـالـرفع فيهما . روى ابن ذكـوان ﴿وليوفوا وليطوفوا﴾ بكسر اللام فيهما وروى شعبة وليـوفوا بإسكان اللام وفتح الواو وتشـديد الفاء والبـاقون بالإسكـان والتخفيف . قرأ نافع ﴿فتخطفه﴾ بفتح الخاء والطـاء مشددة والباقـون بسكون الخاء وتخفيف الطـاء . قرأ الأخوان ﴿منسكا﴾ فى الموضعين بكسر السين والبـاقون بفتح . قـرأ ابن كثير وأبـو عمرو (إن الله يدفع) بفتح اليـاء والفاء وإسكان الدال من غير ألـف والباقون بضم اليـاء وفتح الدال وألف بعـدها مع كسـر الفاء . قرأ نـافع وأبو عمرو وعاصـم ﴿أذن﴾ بضم الهمزة والباقون بفتحها . قرأ

نافع وابن عامر وحفص ﴿يقاتلون﴾ بفتح التاء والباقون بكسرها. قرأ الحرميان ﴿لهدمت﴾ بتخفيف الدال والباقون بتشديدها. قرأ أبو عمرو ﴿أهلكتها﴾ بتاء المتكلم المضمومة والباقون بنون مفتوحة وألف ضمير المعظم نفسه. قرأ ابن كثير والأخوان ﴿تعدون﴾ هنا بالغيبة والباقون بالخطاب. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿معجزين﴾ هنا وموضعي سبأ بتشديد الجيم من غير ألف في الثلاثة والباقون بالألف والتخفيف. قرأ الحرميان وابن عامر وشعبة (إن ما يدعون) هنا ولقمان بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة. ياء الإضافة. بيتي للطائفين (تقريب النفع / ١٥٦، ١٥٧).

أما عن القراءات الشاذة فيأتي ذكر الكتب التي تناولها في ثبت المراجع التالي:

(سعادة الدارين في بيان وعدّ آي معجز الثقلين الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد/ ٤٢، ٤٣، ومتن ناظمة الزهر للإمام الشاطبي في عدّ الآي ـ حققه وضبطه محمد الصادق قمحاوي / ٣٣، ٣٤، وبصائر ذوي التمييز للإمام الفيروزابادي ـ تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ١/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨، وتناسق الدرر في تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٣٠٣، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي أيضًا ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغا / ٧٤، وأسرار التكرار في القرآن أو البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا/ ١٤٤ ـ ١٤٧، وأسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرني أبي عميرة / ١٨٢ ـ ١٨٥، والأنموذج الجليل من غرائب آي التنزيل لزين الدين محمد بن أبي بكر عبد القادر بن المحسن الرازي ـ تحقيق وتصحيح الشيخ إبراهيم عطوة عوض ونخبة من علماء مجلة الأزهر. هدية مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٠هـ/ ٣٢٠ـ٣٢٦، وسبق نشره بعنوان « مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل » لنفس المؤلف ونفس المحقق، ط مصطفى البابي الحلبي / ٢٣١ ـ ٢٣٦، وزدفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي / ٢٠٥ ـ ٢١٢، ونواسخ القرآن للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / ١٩٦، وجواهر القرآن ودرره للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي / ٩١ ـ ٩٣، ١٥١، ١٥٢، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو الداني ـ تحقيق محمد الصادق قمحاوي/ ٢٢، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٧٩، ٩١، ٩٩، ١٠٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقي ضيف / ٤٣٣ ـ ٤٤١، ومتن حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بالشاطبية للإمام الشاطبي / ١٥٦، ١٥٧، وتقريب النفع في القراءات السبع المطبوع بهامش متن حرز الأماني ـ الشيخ علي محمد الضباع، ط. مصطفى البابي الحلبي / ١٥٦، ١٥٧. انظر أيضًا موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني ليوسف بن محمود الخوارزمي ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجي / ٦٠ ـ ٦٣، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ١/ ١٥١، ١٥٢، والمكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٢٥٣ ـ ٢٥٨، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي ـ تحقيق د. غانم قدوري محمد / ١١٠، وأسباب النزول للواحدي النيسابوري / ٢٠٦ ـ ٢٠٩، ومعاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ـ إعداد ودراسة د. إبراهيم الدسوقي عبد العزيز؛ إشراف ومراجعة د. عبد الصبور شاهين. سلسلة تقريب التراث (٥). مركز الأهرام للترجمة والنشر. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م/ ٢٣٧ ـ ٢٤٤، والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ـ تحقيق سبيع حمزة حاكمي / ٣٠٥ ـ ٣٠٩، وكتاب التذكرة في القراءات للشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ ـ تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم ٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٥، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه / ٩٤ ـ ٩٧، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ـ الشيخ عبد الفتاح القاضي / ٦٩، ٧٠، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني ـ بتحقيق علي النجدي ناصف و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ٢/ ٧٢ ـ ٨٦).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة مأخوذة من المصادر التالية:

١ - موسوعة الخطوط العربية وزخارفها ـ معروف زريق / ١٩١.

٢ - بدائع الخط العربي ـ ناجي زين الدين المصرف / ٢٧٢.

٣ - نماذج من الخطوط العربية ـ عبد الرحمن صادق عبوش / ٤٤.

*** الحِجاب:**

الحِجاب بكسر الحاء وتخفيف الجيم:

جاء في اللسان: حجب الشيء يحجبه حجْبًا وحِجابًا، وحجّبه: ستره. وقد احتجب وتحجّب إذا اكْتَنّ من وراء حجاب.

وامرأة محجوبة : قد سُترت بستر (لسان العرب ٩/ ٧٧٧).

وفى جواب عن سؤال عن الفرق بين الخمار والنقاب والحجاب يقول فضيلة الشيخ عطية صقر عن الحجاب : الحجاب فى اللغة هو الساتر كما قال تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من رواء حجاب ﴾ [الأحزاب : ٥٣] وكما قال تعالى : ﴿فاتَّخذت من دونهم حجابًا﴾ [مريم : ١٧].

ويراد به فى الشرع ما يمنع الفتنة بين الجنسين ، ويتحقق ذلك بستر العورة ، والغضّ من البصر ، ومنع الخلوة ، والكلام اللّين ، واللمس .

فالحجاب أعمّ من الخمار ومن النقاب ، وهما من مقوماته التى تتحق بها حكمة التشريع وهى منع الفتنة بين الرجال والنساء ، أو تنظيمها ليؤدى كل من الجنسين رسالته فى هذا الوجود .

وقال عن الخمار : هو واحد الخُمر التى جاءت فى قوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمورهن على جيوبهن ﴾ [النور : ٣١] وهو ما يخطى به الرأس بأى شكل من الأشكال كالطرحة والشال وما يعرف بالإيشارب ، ويقال فى ذلك : اختمرت المرأة وتخمرت ، وهى حسنة الخِمْرة .

وقال عن النقاب : هو ما تضعه المرأة على وجهها لستره ، ويسمى أيضًا « البرقع » أو « النَّصيف » وهو معروف عن العرب قبل الإسلام وسمى باللثام ، كما يسمى بالخمار أيضًا (أحسن الكلام ١/ ٣٧٧ ، ٣٣٨) .

وقد كان العرب ـ قوم رسول الله ﷺ ـ أوسع الأقوام حرية وأجرأهم على العظماء لعدم وجود ملوك جبارين فيهم يستذلونهم ، ولا رؤساء دينيين يربونهم على الخضوع لهم ، فكانت آداب أتباعه معه ﷺ دينية وازعها نفسى لا قهرى ولا عرفى ، وتعاليمهم فيها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنته ﷺ والتأسى به ـ ولهذا كانت فى كمالها ونقصها تابعة لقوة الإيمان ، وسعة العرفان ـ وكان فيهم الأعراب الجفاة ، والمنافقون العتاة ، ومرضى القلوب . وكان الجميع يدخلون بيوته ويتحدثون إلى أزواجه فى أى وقت من ليل أو نهار .

كان هذا الأمر يثقل عليه وعلى علماء الصحابة وفضلائهم وكان عمر بن الخطاب من أشدهم غيرة وجرأة وحزما أو أجمعهم لهذه الصفات على أكملها فكان يطالب النبى ﷺ بحجبهن عن الرجال ـ فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال قال عمر بن الخطاب « يارسول الله إن نساءك دخل عليهن البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ! فأنزل الله آية الحجاب » (نداء للجنس اللطيف / ٩٦) .

ويعتبر نزول هذه الآية من موافقات عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد نزلت آية الحجاب عند زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش ، وكان ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة ، فى شهر ذى القعدة (المنتخب من السنة ١/ ٢٥٠) .

وروى الطبرانى بسند صحيح عن عائشة قالت « كنت آكل مع النبى ﷺ فى قَعِب (القعب بالفتح إناء ضخم كالقصعة) فمر عمر فدعاه النبى ﷺ فأكل ، فأصابت إصبعه إصبعى فقال : أوه! لو أطاع فيكن ما رأتكن عين » وروى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أنس « قال : لما تزوج النبى ﷺ زينب دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبى ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس فرجع ثم إنهم قاموا فانطلقت ، فجئت فأخبرت النبى ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله آية الحجاب » أخرجه البخارى ٦/ ١١٨ آية الحجاب . قال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخُلوا بُيوت النبى إلا أن يُؤذن لكم إلى طعام غير نَظرين إنه ولكن إذا دُعيتم فادخلُوا فإذا طَعِمتُم فانتشرُوا ولا مُستئنسين لحديثٍ إن ذُلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكُم والله لا يستحيى من الحقّ وإذا سألتُموهُنَّ متَٰعًا فسئلُوهنَّ مِن وراء حِجاب ذُلِكُ أطهرُ لقلوُبكمُ وقلوبِهنَّ وما كان لكم أن تُؤذُوا رسول الله ولا أن تنكِحُوا أزواجه من بعدِهِ أبدًا إنَّ ذُلكم كان عند الله عظيما ﴾ . الأحزاب : ٥٣] .

(نداء للجنس اللطيف / ٩٧) .

وقد أكثر بعض الناس فى الخوض فى مسألةالحجاب ومسألة توحيد الزى المدرسى مما حدا بجبهة علماء الأزهر الشريف إلى إصدار بيان بشأن حجاب الفتاة المسلمة ننقله لك فيما يلى :

أصحـاب الفضيلــة أعضـاء الجبهــة ــ علمــاء الأزهـر الشريف.

نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

وبعد، فقد رأى مجلس إدارة الجبهة فـى اجتماعه بتاريخ ٦ من ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٤ من أغسطس ١٩٩٤م إصدار هـذا البيان، وهـو البيان الأول والـوحيد الـذى تصدره الجبهة فى شأن الفتاة المسلمة، بمناسبة القرار المنسوب إلى السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم خاصًا بالزى المدرسى.

ثم أما بعد،

فإن الإيمان بالإسلام دينًـا، وبالقرآن وحيًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً يقتضى التسليم والـرضا بحكم الله، ولا سيمـا إذا كان نصًّا صريحًـا لا يحتمل التأويل، قال تعالى: ﴿**إنَّما كان قولَ المـؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقـولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**﴾ [النور: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿**وما كـان لمُؤمن ولا مُـؤمنة إذا قضى الله ورسـولـه أمرًا أن يكـونَ لهمُ الخيـرةُ مِن أمـرهِم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضَلَلاً مُبينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد جاء القرآن الكريم بالأمر الصـريح للرجل وللمرأة أن يغض كل منهما البصـر ويحفظ الفرج وزاد بالنسبـة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها إلا ما ظهر منها ـ وهو عند الجمهور الوجه والكفان ـ كما طلب منها أن تغطى رأسها بالخمار فقال تعالى: ﴿**وقُل للمُـؤمنٰت يغضُضنَ مـن أبصٰـرهن ويحفظنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبدين زينتهُن إلا ما ظهـر منها وليضربنَ بِخُمُرِهِنَّ علىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

وفى هذا التعبير القرآنى ما يعنى الامتثال والخضوع من قِبل المؤمنين والمـؤمنات، فهم بمجـرد أن يقول لهم الـرسول ﷺ ذلك فإنهم يَغضُّون البصر ويحفظون مواطن العِفّة. وقد بدأ الله عز وجل بزوجـات الرسول ﷺ وبناتـه قبل نساء المؤمنين حين أمـرهن بأن يـرخين ثيـابهن سترًا لسيقـانهن وأرجلهن فقـال سبحانه: ﴿**يٰأيها النبى قل لأزواجك وبنـاتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلٰبيبهنَّ**﴾ [الأحزاب: ٥٤٩].

وبعد أن نبه الناس ـ كل النـاس ـ إلى نعمة الستر واللباس أوصى بتقوى القلب ليتحقق للإنسان الشكلُ الـوقور والجوهرُ المستنير من فتن الشيطان ومحاولاتـه المستميتة فى إغراء بنى آدم وحثهم على التعـرى والتكشف وإظهار العـورات المؤدى إلى فساد الأخلاق وشيوع الفاحشة فقال سبحانه: ﴿**يٰبنى ءادم لا يفتننَّكُمُ الشيطٰن كمـا أخرج أبويكُـم من الجنَّة ينـزعُ عنهما لِباسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوءٰتِهِمَا**﴾ [الأعراف: ٢٧].

وأمـام هذه النصـوص الـواضحـة استقر فـى ضمير الأمـة المسلمة، وفى سلـوكها على مدى الأجيال أنَّ هـذا أمر معلومٌ من الـدين بالضـرورة لا يجادل فيـه مسلم يدين بكتـاب الله. واعتمادًا علـى هذه النصـوص وغيرهـا أصدرت لجنـة الفتوى بالأزهر بيانها لضرورة الالتزام بشرع الله فى ستر الرأس والصدر والسيقـان بثيـاب لا تكشف ولا تصف لكل فتـاة بلغت سن المحيض. وبأن هذا الأمر لا يحتاج إلى إقرار من ولى الأمر أو إذنٍ من إدارة التعليم، إذ أن الآمـر بـه هـو رب العـالمين، ولا يعقل أن يُستأذن عبد فـى أمر صدر من ربـه، ثم إنه لا طـاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وما كـان للجنة الفتـوى أن تخفى حكم الله، أو تقول على الحـرام حـلالاً، وإلا دخلت فيمن يفتـرى على الله الكـذب، وفيمن يكتمون ما أنزل الله ... (مجلة الأزهر / ٤٤٩، ٤٥٠).

ورحم الله عائشـة التيموريـة كريمة إسمـاعيل باشـا تيمور التى توفيت بمصـر سنة ١٣٢٠هـ إذ تقول من قصيـدة لها فى الفخر، دفاعًـا عن الحجاب وعن الخِمار والنقـاب إن أيًّا منها ليس بعـائق للفتاة المسلمـة عن بلوغ العليـاء، وهى مما كـان مقررا علينا فى المدرسة الابتدائية فى زماننا:

مـا عــاقنى خجلى عـن العَلْيــا ولا
سَــدْلُ الخمــار بلمَّتى ونقــابى

(لسـان العـرب لابن منظـور ٩/ ٧٧٧، وأحسن الكـلام فى الفتـاوى والأحكـام ــ فضيلة الشيخ عطية صقـر. ط دار الغـد العـربى ١/ ٣٧٧، ٣٧٨، ونـداء للجنس اللطيف ــ السيـد محمد رشيـد رضـا / ٩٦، ٩٧، والمنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثانية. القاهـرة ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٦م ١/ ٢٥٠، و« بيان مـن جبهة علمـاء الأزهر بشأن حجاب المرأة المسلمة. مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة السابعون والستون، ربيع الآخر ١٤١٥هـ ــ سبتمبر ١٩٩٤م/ ٤٤٩، ٤٥٠).

*** الحُجّاب:**

الحُجّاب: بضم الحاء وتشديد الجيم:

مفرده حاجب وهو الذى يتولى وظيفة الحجابة، وكانت فى العصر الفاطمى حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه . وأما فى عصر المماليك كان الحاجب يتصدى للحكم فى المظالم (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٠١).

ويفرد صاحب التذكرة الهروية بابا فى صفة الحجّاب يقول فيه : ويجب على الملك أن ينظر إلى أصحابه وخواصه ومقدّمى دولته فيختار أغزرهم عقلا وأشدّهم دينًا وأوفاهم ورعًا وأعظمهم من الله خوفًا وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأزكاهم نفسا فيجعلهم حجّابًا له ليكشفوا إليه أحوال الرعية وأمور الناس ومظالم العباد. ولا يجعل زمام الأمور بأيديهم، ولا يركن بالكليّة إليهم، ويعتمد فى جميع أموره عليهم فربما داخلهم الطمع فيه فينقلون إليه ما يريدون ويكتمون عنه ما يختارون، وهذا يؤدى إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعية بل يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته ويتولى أمور الرعية حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئًا منها .

ولا يمكّن أحدًا من خواصه وأرباب دولته من أن يحلّ حلاًّ، أو يعقد عقدًا أو يرفع ظلامةً إلا بأمره فإنهم إن فعلوا ذلك بغير أمره داخلهم الطمع فى الملك واستعجزوه واستقلّوه وتعرّفوا بالحل والربط والقبض والبسط فتكاتبهم الملوك وأصحاب الأطراف ويستعينون بهم عليه ويبقى كواحد منهم وينطوى عنه أكثر أحوال الرعية وأمور الناس وهذا يؤدى إلى ذهاب ملكه وقلع بيته وفساد دولته وإسقاط حرمته، بل يلزم معهم ناموس السلطنة وهيبة الملك ولا يطمعهم فيه ولا يؤنسهم منه لتلزمهم الهيبة ويستعبدهم الخوف ويستخدمهم الطمع فهم بين خوف ورجاء لو وُزِنا لاعتدلا (التذكرة الهروية / ٩، ١٠).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٠١ عن صبح الأعشى للقلقشندى / ١٠١، والتذكرة الهروية فى الحيل الحربية لعلى بن أبى بكر الهروى / ٩، ١٠).

*** الحجابة:**

جاء فى اللسان : فى الحديث : قالت بنو قُصَىّ : فينا الحجابة، يعنون حجابة الكعبة، وهى سدانتها، وتولى حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها . (لسان العرب ٩/ ٧٧٧).

فالحجبة هم حجبة الكعبة، وكانوا من بنى عبد الدار ومفاتيحها بيدهم، وكانت بيد عثمان بن طلحة الحجبى زمن النبى ﷺ فانتزعها منه عام حجة الوداع حين طلبها منه لتدخل عائشة رضى الله عنها البيت ليلا فامتنع من ذلك وقال : إن الكعبة لم تفتح ليلا قط فأنزل الله تعالى﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ (سورة النساء، آية : ٥٨) فأعادها إليه النبى صلوات الله عليه وقال « هى فيكم إلى يوم القيامة » (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٠١).

(لسان العرب لابن منظور ٩/ ٧٧٧، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٠١ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١/ ٣٥٦).

*** حجاج بن أرطاة (ـ ١٤٥هـ / ـ ٧٦٢م):**

حجاج بن أرطاة بن ثور النخعى، قاض، من أهل الكوفة. كان من رواة الحديث وحفاظه، استُفتى وهو ابن ست عشرة سنة. وولى قضاء البصرة. وتوفى بخراسان أو بالرىّ. وكان تيّاهًا معجبا يعاب بتغيير الألفاظ فى الحديث (الأعلام ٢/ ١٦٨).

قال عنه الإمام النووى :

حجاج بن أرطاة بفتح الهمزة مذكور فى أول المهذب هو أبو أرطاة الحجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع النخعى الكوفى الفقيه أحد الأئمة فى الحديث والفقه وهو من تابعى التابعين سمع عطاء والشعبى والزهرى وقتادة وغيرهم من التابعين. روى عنه محمد بن إسحاق وهو تابعى ومنصور بن المعتمر والثورى وشعبة والحمادان وابن المبارك وآخرون من الأئمة واتفقوا على أنه مدلس وضعَّفه الجمهور فلم يحتجوا به ووثَّقه شعبة وقليلون وكان بارعا فى الحفظ والعلم. روينا عن سفيان الثورى أنه قال لطلبة العلم عليكم بالحجاج فما بقى أحد أعرف بما يخرج من رأسه منه. قال وما رأيت أحفظ منه. وعن حماد بن زيد قال: الحجاج عندنا أقهر للحديث من الثورى وكان قاضى البصرة. وقال هشيم سمعت الحجاج يقول استفتيت وأنا ابن ست عشرة سنة . وقال الحجاج ما خاصمت قط أحدا ولا جلست إلى قوم يختصمون توفى بالرى (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٢، ١٥٣).

(الأعلام للزركلى ٢/ ١٦٨، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٥٢، ١٥٣).

*** الحجاج الثقفى (٤٠ـ٩٥هـ / ٦٦٠ـ٧١٤م):**

الحجاج بن يوسف الثقفى المشهور تكرر ذكره فى المختصر والمهذب والوسيط والروضة. وهو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب الثقفى. قال ابن قتيبة هو من الأجلاف قال وكان أخفش دقيق الصوت وأول ولاية وليها تبالة بمثناة فوق مفتوحة ثم ياء موحدة مخففة فلما رآها احتقرها فتركها ثم تولى قتال ابن الزبير رضى الله عنه فقهره على مكة والحجاز وقتل ابن الزبير وصلبه بمكة سنة ثلاث وسبعين فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين وكان يصلى بالناس ويقيم لهم الموسم ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فوليها عشرين سنة وحطم أهلها وفعل ما فعل وتوفى بواسط ودفن بها وعفى قبره وأجرى عليه الماء [فاندرس] وكان موته سنة خمس وتسعين (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٣).

بنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) وكان سفاحًا باتفاق معظم المؤرخين قال ياقوت فى معجم البلدان: ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء، فغضب وقال: إنما تذكرون المساوئ: أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهمًا عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وأول من بنى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام، وأول من اتخذ المحامل، وأن امرأة من المسلمين سُبيت فى الهند فنادت يا حجّاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك! لبيك! وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى أنقذ المرأة؟ (الأعلام ٢/ ١٦٨).

ويعدّ الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهدها الأول، أولهم على ابن أبى طالب، وثانيهم زياد. وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفًا، وحاكما مستبدًا. خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥هـ كما سبق القول. وتدل خطبته حين ولى العراق على خواصه النفسية ومذهبه فى السياسة والحكم، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى، وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد، كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة.

وقد ابتدأ خطبته الشهيرة هذه بقوله:

أنا ابن جَلاَ وطلاّع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفونى

يا أهل الكوفة ! إنى لأرى رءوسًا قد أينعت وحان قطافُها، وإنى لصاحبها. وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ... إلخ (المنتخب ٢/ ١٧١).

وجاء فى تيسير الوصول:

١ - عن الزبير بن عدى قال: « دخلنا على أنس بن مالك رضى الله عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجّاج فقال: اصبروا، فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم. سمعت هذا من نبيّكم ﷺ». أخرجه البخارى والترمذى.

٢ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: فى ثقيف كذّاب ومُبير » أخرجه الترمذى.

وقال: ويقال: الكذّاب المختار بن أبى عبيد، والمبير الحجاج بن يوسف.

قالت المؤلفة: هذا الحديث رددته السيدة أسماء بنت أبى بكر فى مواجهتها الشجاعة مع الحجاج بعد صلب ولدها عبد الله بن الزبير رحمه الله فارجع إليه فى مادة « أسماء بنت أبى بكر الصّديق » فى م٤/ ٤٨٨، ٤٨٩.

٣ - وعن هشام بن حسان قال: « أحصى ما قتل الحجاج صَبْرًا فوجد مائة ألف وعشرون ألفا ». أخرجه الترمذى.

قوله « صبرا » المراد به كل من قتل فى غير حرب ولا اختلاس كمن تضرب عنقه أو يحبس إلى أن يموت أو يصلب أو نحو ذلك من هيئات القتل فهو مقتول صبرا. (تيسير الوصول ٤/ ٣١).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام الحافظ أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٥٣، والأعلام ٢/ ١٦٨، والمنتخب من أدب العرب لطه حسين وزملائه ٢/ ١٧١، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٤/ ٣١).

*** الحجاز:**

مقاطعة شمال غرب المملكة العربية السعودية، على خليج العقبة والبحر الأحمر. ثانية مقاطعات المملكة مساحة

وسكــانًــا. يشغل معظمهـا سلسلـة جبليـة (السـراة) تتصل بهضبات وتترك بينها وبين البحر سهلا ضيقا يتراوح عرضه بين ١٥ و ٦٥ كيلو متـرا، وتنحدر شـرقا إلى هضبـة نجد. تـوجد بضع واحات وعـدة أودية تقوم فيها الزراعـة، وتنقسم الحـجاز إلى عـدة إمـارات هي: مكـة، وجدة، والمـدينـة، والعـلا، والجوف، وتبوك، والطائف، والظفير، والقنفذة. أهم القبائل الحويطات، وبنو عطيـة، وبلي، وجهينة، وحرب، وعتيبة، وبـالحجاز المـدينتـان المقدستـان مكة المكـرمـة والمدينـة المنورة، ويـؤمهمـا مـلايين الحجاج المسلميـن سنويـا. كان الحجاز تحت حكم الأشراف، وكانوا يدينون بالولاء للأتراك. أعلن الشريف الحسين بن علي استقلاله سنة ١٩١٦م وتلقب بملك العرب. غـزا عبد العزيـز بن سعود الحجـاز وضمه إلى أملاكه، وأعلن نفسه ملكا عليه سنة ١٩٢٦م (الموسوعة الثقافية / ٣٨٤).

قال ياقوت عن الحجاز:

الحجاز: بالكسر، وآخره زاي، قال أبو بكر الأنباري: في الحجاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذًا من قول العرب حجز الـرجل بعيره يحجـزه إذا شده شـدًّا يقيـده به، ويقـال للحبل حجاز، ويجوز أن يكـون سمي حجازًا لأنه يحتجـز بالجبال، يقال: احتجزت المرأة إذا شدَّت ثيـابها على وسطها واتزرت، ومنه قيل حُجزة السراويل، وقول العـامة حُزَّة السراويل خطأ، قال عبيد الله المؤلف، رحمه الله تعـالى: ذكر أبو بكر وجهين قصـد فيهما الإعـراب ولم يذكـر حقيقة مـا سُمي به الحجـاز حجـازًا، والـذي أجمع عليه العلمـاء أنـه من قـولهم حجـزه يحجزهُ حجزًا أي منعه. والحجـاز: جبل ممتدٌّ حالٌ بين الغور غور تهامة ونجد فكأنـه منع كلَّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حـاجزٌ بينهـما، وهذه حكاية أقوال العلماء، قال الخليل: سمي الحجـاز حجـازًا لأنـه فصل بين الغـور والشـام وبين البـادية، وقـال عُمـارة بن عقيل: ما سـال من حـرة بني سُليم وحرة ليلى فهـو الغور حتى يقطعـه البحر، ومـا سال من ذات عرق مغربًا فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة، وهو حجازٌ أسود حجز بين نجد وتهامة، وما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق، وقال الأصمعي: مـا احتزمت به الحرار حرة شوران وحـرة ليلى وحرة واقم وحرّة النار وعـامة منازل بني سليم إلى المدينـة، فذلك الشقُّ كله حجـازٌ، وقال الأصمعي أيضًـا في كتـاب جـزيـرة العرب: الحجـاز اثنتـا عشـرة دارًا: المـدينـة وخيبر وفـدك وذو المـروة ودار بلي ودار أشجع ودار مُزينة ودار جُهينة ونفر من هوازن وجُلُّ سليم وجُلُّ هلال وظهر حرَّة ليلى، وممـا يلي الشام شغب وبـدا، وقال الأصمعي في موضع آخـر من كتابه: الحجـاز من تخوم صنعـاء من العبلاء وتبالـة إلى تخوم الشـام، وإنما سمـي حجازًا لأنه حجـز بين تهـامة ونجـد، فمكـة تهـامية والمـدينـة حجـازية والطـائف حجـازيـة، وقـال غيره: حـدُّ الحجـاز من معـدن النقـرة إلى المـدينة، فنصفُ المـدينة حجـازيٌّ ونصفها تهـامي، وبطنُ نخل حجازي وبحـذائه جبل يقال لـه الأسود نصفـه حجازي ونصفه نجديٌّ، وذكر ابن أبي شبة أن المدينة حجازية، وروى عن أبي المنذر هشام أنه قال: الحجاز ما بين جبلي طيء إلى طريق العراق لمن يريد مكة سُمي حجازًا لأنه حجز بين تهامة ونجد، وقيل: لأنه حجز بين الغور والشام وبين السراة ونجد، وعن إبـراهيم الحربي أن تبـوك وفلسطين من الحجاز، وذكـر بعض أهل السير أنه لما تبلبلت الألسـن ببابل وتفرقت العرب إلى مـواطنها سار طسـم بن إرم في ولده وولـد ولده يقفـو آثار إخوته وقد احتووا على بُلدانهم، فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجـازًا لأنها حجـزتهم عن المسير في آثـار القوم لطيبهـا في ذلك الزمـان وكثرة خيرهـا، وأحسنُ من هذه الأقـوال جميعها وأبلغ وأتقنُ قول أبي المنذر هشام بن أبي النضر الكلبي، قال في كتـاب افتـراق العرب وقـد حـدّد جـزيرة العـرب ثم قـال: فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التـي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعـارهم وأخبارهـم: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وذلك أن جبل السراة، وهو أعظم جبـال العرب وأذكـرهـا، أقبل من قُعـرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمّته العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور، وهو تهامة، وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيـه إلى أسياف البحر من بـلاد الأشعريين وعكّ وكنـانـة وغيرهـا، ودونهـا إلى ذات عِـرْق والجحفة ومـا صاقبهـا، وغار من أرضهـا الغور غور تهـامة، وتهـامة تجمع ذلك كله، وصـار ما دون ذلك الجبل في شرقيـه من صحاري نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدًا، ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه، وهو سـراته، وهو الحجاز وما احتجـز بـه في شـرقيـه من الجبـال وانحـاز إلى نـاحيـة فيـد

والجبلين إلى المدينة، ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازًا، والعرب تسميه نجدًا وجلسًا وحجازًا، والحجاز يجمع ذلك كله، وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما ولاهما العروض، وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها، والعروض يجمع ذلك كله، وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما بينها اليمن، وفيها التهايم والنجد، واليمن تجمع ذلك كله.

قال أبو المنذر: فحدثني أبو مسكين محمد بن جعفر بن الوليد عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال: إن الله تعالى لما خلق الأرض مادت فضربها بهذا الجبل، يعني السراة، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها، فإنه أقبل من ثغرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمت العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، ومبدؤه من اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فقطعته الأودية حتى بلغ ناحية نخلة، فكان منها حيض ويسوم، وهما جبلان بنخلة، وثم طلعت الجبال بعدُ منه فكان منها الأبيض جبل العرج وقُدس وآرة والأشعر والأجرد.

وقد أكثرت شعراء العرب من ذكر الحجاز واقتدى بهم المحدثون، وسأورد منه قليلا من كثير من الحنين والتشوق، قال بعض الأعراب:

تطاول ليلي بالعراق، ولم يكن
عليّ بأكناف الحجاز يطولُ
فهل لي إلى أرض الحجاز ومن به
بعاقبة قبل الفوات، سبيل؟
إذا لم يكن بيني وبينك مُرسلٌ،
فريحُ الصَّبا مني إليك رسولُ

وقال أعرابي آخر:

سرى البرقُ من أرض الحجاز فشاقني،
وكل حجازي له البَرق شائقُ
فواكبدي مما ألاقي من الهوى،
إذا حنَّ إلفٌ أو تألّق بارقُ!

وقال آخر:

كفى حزنًا أني ببغداد نازلٌ،
وقلبي بأكناف الحجاز رهينُ
إذا عَن ذكر للحجاز استفزّني
إلى مَنْ بأكناف الحجاز، حنينُ
فوالله ما فارقتهم قاليًا لهم،
ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكون

وقال الأشجع بن عمرو السُّلمي:

بأكناف الحجاز هوى دفينُ،
يُؤرقني إذا هدت العيونُ
أحنُّ إلى الحجاز وساكنيه
حنين الإلف فارقهُ القرينُ
وأبكي حين ترقُد كل عين
بكاءً بين زفرته أنين
أمُرٌّ على طيب العيس نأيٌ
خلوجٌ بالهوى الأدنى، شطونُ؟
فإن بعد الهوى وبعدت عنه،
وفي بُعد الهوى تبدو الشجونُ،
فأعذرُ من رأيت على بكاء،
غريبٌ عن أحبته حزينُ
يموت الصَّبُّ والكتمانُ عنه،
إذا حَسُنَ التذكُّرُ والحنينُ

(معجم البلدان ٢/ ٢١٨ ـ ٢٢٠).

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد/ ٣٨٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموي/ ٢١٨ ـ ٢٢٠).

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «الأحقاف» في م٢/ ٥٩٨ من هذه الموسوعة.

*** الحجازية (المدرسة ـ):**

انظر: تاتار الحجازية (قبة ومدرسة ـ).

*** الحِجامة:**

الحِجامة: امتصاص الدم بالمحجم ـ بعد تشريط الجلد، وقد تكون الحِجامة جافة دون إدماء. وحَجَم المريض: عالجه بالحجامة (المعجم الوجيز/ ١٣٧ والمعجم

الوسيط ١/ ١٥٨) وقال داود الأنطاكي: الحِجامة هى استفراغ ما تحت سطح الجلد وتكون بشرط هو الأصل، وبدونه لأمر طارىء كتحريك خلط وصرف مادة، وكلٌّ إما بلا نار وهو الأكثر، أو بها لطارىء يوجب ذلك (النزهة المبهجة / ٨٨).

وجاء فى اللسان: الحجم: المصُّ. يقال: حجم الصبى ثدى أمه إذا مصَّه ... قال الأزهرى: يقال للحاجم حجّام لامتصاصه فَم المحجمة ... والمحجم والمحجمة: ما يحجم به. قال الأزهرى: المحجمة قارورته، وتُطرح الهاء فيقال محجم، وجمعه محاجم ... وفى الحديث: « أُعلق فيه محجمًا ». قال ابن الأثير: المِحجم بالكسر الآلة التى يجمع فيها دم الحِجامة عند المصّ، قال: والمحجم أيضًا مشرط الحجّام، ومنه الحديث: « لعُقة عسلٍ أو شَرْطة محجم »، وحرفته وفعله الحِجامة، والحجم: فعل الحاجم وهو الحجّام. واحتجم: طلب الحجامة، وهو محجوم، وقد احتجمت من الدم. وفى حديث الصوم: « أفطر الحاجم والمحجوم ».

ابن الأثير: معناه أنهما تعرّضا للإفطار، أما المحجوم فللضعف الذى يلحقه من خروج دمه فربما أعجزه عن الصوم وأما الحاجم فلا يأمن أن يصل إلى حلقه شىء من الدم فيبلعه أو من طَعْمِه، قال: هذا على سبيل الدعاء عليهما، أى بطل أجرهما، فكأنهما صارا مُفْطِرين (لسان العرب ٩/ ٧٩٠).

وقال القنّوجى: علم الحجامة علم يتعرف به أحوال الحجامة وكيفية مصها وشرطها بالمحجمة، وأنها فى أى موضع من البدن نافعة، وفى أى موضع مضرة، إلى غير ذلك من الأحوال. ذكره فى مدينة العلوم من فروع العلم الطبيعى (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٧١ ومفتاح السعادة ١/ ٣٢٦).

وقد ورد فى تسهيل المنافع ما يلى: قال المقرى عن الفصد والحجامة: اعلم أن الدم لا ينبغى إخراجه بل تركه أنفع للضرورة، فهو ينفع الجسد، وأوفر لقوة البدن لأنه من خالص الغذاء الذى هو قوام البدن وثبات الروح منه. وقال بعض الحكماء: عجبت لمفتصدٍ كيف يسلم، ولمحتجم كيف يسلم أو كيف يألم ولا تكون الحجامة لا عند الضرورة وأما إذا صارت عادة كان ضررها أكثر وذلك لما قدمناه من توفير الدم وترك الحجامة وجميع المسهلات أبقى وأسلم ما وجد الإنسان سبيلا إلى السلامة. ويحجم نقرة الرأس للدم العظيم وحمرة العينين وما يتولد فى الرأس من الثقل وزيادة الدم وكثرة حجامتها تخفف الدماغ وتضعف البصر. وحجامة الأخدعين والكاهل لثقل الرأس وبلادة الحواس وكثرة النوم. وحجامة المحجمين المعتادين اللذين يليانهما مما يتولد من الكدورات والرطوبات الفاسدة فى الظهر وفى الجوف من زيادة الدم وثقل البدن. وحجامة القلب تصفيه مما يتولد من الكدورات والرطوبات الفاسدة الصائرة إليه من الكبد والرئة والطحال ومن بخارات الأغذية. وحجامة الفخذين والساقين مما يتولد فيهما وفى اليدين من الدماميل والعلل الدموية والسوداوية ومن قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى عند شرط الحجامة كان شفاء من علته، وينبغى أن يغتسل بعد الحجامة بماء بارد ويذر على المحاجم مرتكا مدقوقا يعنى خبثا فإنه يسكن الوجع ويبرد وينشف باقى الدم من المحاجم ولا يأكل إلا بعد ساعة زمانية ويجتنب الحموضات بأسرها فإنها شفاء انتهى كلامه. قلت وقد أشار إمامنا الشافعى إلى أن الحكمة فى ذلك أن الحجامة تغير الجسد وتضعفه والغسل يشده وينعشه فلذلك استحب الغسل عقب الحجامة، وخير أوقات الحجامة إذا ارتفعت الشمس قدر رمح، وينبغى لمن أراد الحجامة أن يجتنب النساء قبل ذلك قدر اثنتى عشرة ساعة وأن يحتجم فى يوم صاف لا غيم فيه ولا ريح شديدة، وصلاح الحجامة قبل الربيع والخريف فى الشهر مرة واحدة، ويجتنب الحجامة فى الشتاء والصيف والحجامة على قدر الميلاد فمن مضى له عشرون سنة فليحتجم فى كل عشرين يوما ومن له ثلاثون سنة فليحتجم فى كل ثلاثين يوما فقس على ذلك وهذا إذا ألجأته الضرورة إلى الحجامة لسبب أوجب ذلك وإلا فالواجب ترك الدم أى عدم إخراجه لأنه أقوى للبدن وأنفع للجسد.

فصل: فى ذكر الحجامة وفضلها: قال فى اللقط روى الشيخ بإسناده عن سمرة بن جندب قال « دخل أعرابى من بنى فزارة على رسول الله ﷺ وإذا حجام يحجمه بمحاجم له من قرون فشرطه بشفرة فقال ما هذا يا رسول الله لِمَ تدع هذا يقطع جلدك؟ فقال هذا الحجم هو خير ما تداويتم به » وروى جابر ابن عبد الله قال لا أبرح حتى أحتجم فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول شفاء وقال ﷺ إن كان فى شىء من أدويتكم خير

ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة نار وما أحب أن أكتوى أخرجه فى الصحيحين وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فى العسل والحجم شفاء وروى الشيخ والإمام أحمد رضى الله عنه عن سلمان خادم رسول الله ﷺ قال ما سمعت أحدًا قط شكا وجعًا فى رأسه إلا قال احتجم ولا وجعًا فى رجليه إلا قال اخضبهما بالحناء وروى أبو الدرداء من حديث أبى هريرة رضى الله عنه رفعه إن كان فى شيء مما تداويتم به خير فالحجامة .

فصل : فى ذكر مواضع الحجامة وروى الشيخ رضى الله عنه عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يحتجم بين الأخدعين والكاهل وهو على مقدم الظهر مما يلى العنق والأخدعان فى موضع المحجمين وربما وقعت الشرطة على أحدهما من وضاحته والله أعلم . قال ابن عباس احتجم رسول الله ﷺ بين الأخدعين وبين الكتفين . وقال الزجاج والأخدعان عرقان فى العنق . وروى أحمد عن ابن عباس : احتجم رسول الله ﷺ وهو محرم احتجامة فى رأسه من أذى كان به . وقال فى كتاب فقه اللغة : إذا كان الوجع فى المفاصل واليدين والرجلين فهو وثبة والله أعلم . وروى أبو بكر بإسناده عن صهيب عن أبيه عن جده قال : « قال رسول الله ﷺ عليكم بالحجامة فى حوزة القمحدوة فإن فيه شفاء من اثنين وسبعين داء أو خمسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الأسنان ولم يذكر الخامس فينظر له وبصرت للخامس فوجدته وجع الرأس والله أعلم . قال : القمحدوة رأس القفا إذا استلقى الرجل وأصابت الأرض من رأسه قال الشيخ وقد ذكر علماء الطب أن الحجامة فى الساق تضعف القوة وتهد البدن والله أعلم .

فصل : فى أوقات الحجامة : روى الشيخ والإمام أحمد رضى الله عنهما عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «خير يوم تحتجمون فيه سبعة عشر وتسعة عشر وإحدى وعشرون كان شفاء من كل داء » وروى الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما : « قال لرجل إذا أردت أن تنفعك الحجامة فعليك بآخر الشهر » وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل يحتجم فى وقت هياج الدم وكان يحتجم فى كل ساعة كانت وكلما رأيته رأيت الحاجم يحجمه وقت الظهر وبعد العصر وقال الجلال وأخبرنا أبو بكر المروزى قال كان أبو عبد الله رضى الله عنه يحتجم يوم الأحد ويوم الثلاثاء قال الجلال أخبرنا أحمد ابن إسماعيل قال قلت لأحمد تكره الحجامة فى سائر الأيام فقال قد جاء فى يوم الأربعاء ويوم السبت . وقال الجلال حدثنى محمد بن الحسن بن حبان أنه سأل أبا عبد الله عن الحجامة فى أي يوم تكره؟ فقال يوم السبت ويوم الأربعاء ويقولون يوم الجمعة . وروى الجلال بإسناده عن الزهرى وسعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن قال قال رسول الله ﷺ : « من احتجم يوم الأربعاء ويوم السبت وأصابه بياض فلا يلومنّ إلا نفسه » .

فصل : وينبغى أن تكون الحجامة على الريق إلا أن يكون الإنسان ضعيفا قال ابن أبجر من كان ضعيفا أكل قبل أن يحتجم ومن كان قويا احتجم قبل أن يأكل وينبغى لمن احتجم أن يصبر عن الأكل ساعة وروى الشيخ بإسناده قال محمد بن عبد الله الحكيم سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول عجبنا لمن يدخل الحمام ثم لا يأكل كيف يعيش وعجبنا لمن احتجم وأكل من ساعته كيف يعيش .

فصل : ومن افتصد أو احتجم وأكل لبنًا أو حامضًا أبيض خشى عليه من البرص فإن أكل رمانا حامضًا خشى عليه من الجرب والفالج وقد وصفت قراءة الفاتحة عند الحجامة فينبغى أن يقرأ سبع مرات عند شرط الحجامة فإنه عجيب انتهى ما ذكرناه من اللقط (تسهيل المنافع / ٥٢ ، ٥٣) .

هذا والفقهاء مجمعون على أن التداوى بالاحتجام جائز غير محظور، وقد صح عن النبى ﷺ أنه تداوى به، وأن كثرة عديدة من الصحابة كانوا يفعلون لك .

وقد روى البخارى وابن ماجه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « الشفاء فى ثلاث : شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار » .

وقال الكرمانى فى شرحه للحديث : إن فيه . إثبات الطب والتداوى .

وقال العزيزى فى شرحه أيضًا : إن الحجم أنجح هذه الثلاثة شفاء عند هيجان الدم (الموسوعة ٣/ ١٨٩) .

قال عبد الله بن عباس : احتجم النبى ﷺ فى رأسه من أذًى كان به .

وفى مسند ابن أبى شيبة : أن عيينة بن حصن دخل على

رسول الله ﷺ وهو يحتجم فى فأس رأسه، فقال: ما هذا؟ قال: هذا خيرٌ ما تداويتم به.

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبى ﷺ قال: خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى، ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة.

وفيه أن النبى ﷺ قال: خير يوم تحتجمون فيه، سبع عشرة، وتسع عشرة، و إحدى وعشرون.

وفيه أنه قال: إن كان فى شىء مما تعالجون به خيرٌ ففى شرطة من محجم أو لذعة من نار تواقع ألما، أو شربة من عسل، وما أُحب أن أكتوى (العقد الفريد ٧/ ٣١١).

ويأتى باب كسب الحجّام فى كتب الفقه، كما يرد حديث أن النبى ﷺ احتجم وأعطى الحجّام أجره فى مواضع كثيرة بطرق مختلفة:

فأخرجه البخارى فى كتاب البيوع باب ذكر الحجام عن حميد عن أنس وعن عكرمة عن ابن عباس. وفى كتاب البيوع باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم فى البيوع، وفى كتاب الإجارة باب خراج الحجام، وباب من كلم موالى العبد، وأخرجه فى كتاب الطب فى ثلاثة مواضع.

وأخرجه مسلم فى ٢٢ ـ كتاب المساقاة والمزارعة (١١) باب حل أجرة الحجامة عن حميد وأنس أيضًا، وعن طاووس عن أبيه عن ابن عباس. وعن الشعبى عن ابن عباس.

وأخرجه أيضًا فى ٣٩ ـ كتاب السلام (٢٦) باب لكل داء دواء عن ابن عباس، وعن مسعر، عن عمرو بن عامر، عن أنس.

أخرجه أيضًا أبو داود فى كتاب البيوع، باب ٣٨. والترمذى فى كتاب البيوع أيضًا باب (٤٨) وابن ماجه فى كتاب التجارات باب كسب الحجام.

وأخرجه مالك، وابن سعد، والدارمى، والإمام أحمد فى مسنده فى ٢٩ موضعًا والطيالسى فى أربعة مواضع (علل الحديث/ ٧٤، ٧٥).

ومن أبيات فى الطب جاءت فى كتاب فرج بن سلام أوردها صاحب العقد الفريد جاء هذا البيت عن الحجامة:

وذو الدّم فليكثر لذاك حجامة
فما غيرها شىءٌ له بموافق

(المعجم الوجيز/ ١٣٧، والمعجم الوسيط ١/ ١٥٨، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢/ ٨٨، ولسان العرب ٩/ ٧٩٠، وتسهيل المنافع وأبجد العلوم لصدّيق بن حسن القنّوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ٢ ق١/ ٢٧١، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٣٢٦، وتسهيل المنافع فى الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة لابن الأزرق/ ٥٢، ٥٣، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٣/ ١٨٩، والعقد الفريد لابن عبد ربه ـ بتحقيق محمد سعيد العريان ٧/ ٣١١، ٣١٣، وعلل الحديث ومعرفة الرجال للحافظ على عبد الله المدينى ـ حققه وعلق عليه د. عبد المعطى أمين قلعجى/ ٧٤، ٧٥ وهامش ١٤٨ للمحقق. انظر أيضًا فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م٣/ ٣١٨، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٤/ ١٢٥، والكلم الطيب لابن تيمية ـ بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى / ١٣٤).

*** الحجب:**

يفصله الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى على النحو التالى:

(أ) تعريفه:

الحجب: المنع من كل الميراث، أو من بعضه.

(ب) قسما الحجب:

١ - حجب النقص، والمراد به: نقل الوارث من فرض أكثر إلى فرض أقل، أو من فرض إلى تعصيب، أو العكس، أى من تعصيب إلى فرض.

والذين يحجبون غيرهم حجب نقصان ستة أنفار وهم:

الابن، وابن الابن، وإن نزل، فيحجبان الزوج من النصف إلى الربع، والزوجة من الربع إلى الثمن، والأب والجد بنقلهما من التعصيب إلى السدس بالفرض.

البنت، وتحجب بنت الابن بنقلها من النصف إلى السدس، وبنتى الابن بنقلهما من الثلثين إلى السدس، والأخت الشقيقة أو الأب، من النصف إلى السدس، والشقيقتين أو الأب بنقلهما من الثلثين إلى التعصيب، والزوج بنقله من النصف إلى الربع، والزوجة بنقلها من الربع إلى الثمن، والأم بنقلها من الثلث إلى السدس، والأب والجد بنقلهما من التعصيب إلى السدس فرضًا، ولهم الباقى تعصيبًا إن كان هناك باق.

بنت الابن، وتحجب من تحتها من بنات الابن حيث لا معصب لهن من أخ أو ابن عم مساوٍ لهن في الدرجة، فتنقل الواحدة من النصف إلى السدس، وتنقل الاثنتين فأكثر من الثلثين إلى السدس، وتحجب الأخت الشقيقة أو لأب من النصف إلى التعصيب، والشقيقتين أو لأب من الثلثين إلى التعصيب وتحجب الزوج، والزوجة، والأم، والأب، والجد على نحو ما حجبتهم البنت.

الأخوان فأكثر مطلقًا يحجبان الأم، بنقلها من الثلث إلى السدس.

الأخت الشقيقة الواحدة تحجب الأخت لأب، بنقلها من النصف إلى السدس، إذا لم يكن معها أخ لأب تعصب به، والأختين لأب، بنقلهما من الثلثين إلى السدس، إذا لم يكن معهما أخ لأب تعصبان به.

٢ - حجب الإسقاط:

المراد بحجب الإسقاط: حرمان الوارث من كل ما كان يرثه لولا المحجب. والحاجبون لغيرهم حجب إسقاط تسعة عشر نفرًا، وهم:

١ - الابن، فلا يرث معه ابن الابن، ولا بنته، ولا الإخوة مطلقًا، ولا الأعمام مطلقًا.

٢ - ابن الابن، فلا يرث معه من تحته من ابن ابن الابن ولا بنته، ويحجب كل من يحجبه الابن، سواء بسواء.

٣ - البنت، فلا يرث معها الأخ للأم مطلقا.

٤ - بنت الابن، فلا يرث معها الأخ للأم مطلقًا.

٥ - البنتان فأكثر، فلا يرث معهما الأخ للأم مطلقًا، ولا بنت الابن أو بناته إلا أن يكون معها من تعصب به من أخ، أو ابن عم مساو لها في الدرجة.

٦ - بنتا الابن فأكثر، فلا يرث معهما الأخ للأم، ولا بنت أو بنات ابن الابن، إلا أن يكون معها من تعصب به من أخ أو ابن عم مساوٍ لها في الدرجة.

٧ - الأخ الشقيق، فلا يرث معه الأخ للأب مطلقًا، ولا العم مطلقًا.

٨ - ابن الأخ الشقيق، فلا يرث معه العم. مطلقًا، ولا ابن الأخ للأب، ولا من تحته من أبناء الأخ مطلقًا.

٩ - الأخ للأب، فلا يرث معه العم مطلقًا، ولا ابن الأخ شقيقًا أو لأب.

١٠ - ابن الأخ لأب، فلا يرث معه العم مطلقًا، ولا من تحته من أبناء أبناء الأخ.

١١ - العم الشقيق، فلا يرث معه العم لأب، ولا من تحته من أبناء العم مطلقًا.

١٢ - ابن العم الشقيق، فلا يرث معه ابن العم للأب، ولا من تحته من أبناء أبناء العم.

١٣ - العم لأب، فلا يرث معه ابن العم مطلقًا.

١٤ - الشقيقة مع البنت، فلا يرث معها الأخ للأب، لأن الشقيقة مع البنت نزلت منزلة الشقيق والشقيق لا يرث معه الأخ للأب.

١٥ - الشقيق مع بنت الابن، فلا يرث معها الأخ للأب.

١٦ - الشقيقتان، فلا ترث معهما الأخت للأب، إلا إذا كان معها أخ تعصب به.

وبناء على هذا، فالأخت للأب مع الشقيقتين بمنزلة بنت الابن مع البنتين، فإنها تسقط إلا إذا كان معها أخ أو ابن عم مساوٍ لها فإنها تعصب به.

١٧ - الأب، فلا يرث معه الجد، ولا الجدة لأب، ولا العم مطلقًا، ولا الإخوة كذلك.

١٨ - الجد، فلا يرث معه أبوه، ولا الإخوة للأم، ولا العم مطلقًا، ولا أبناء الأخ كذلك.

١٩ - الأم، فلا ترث معها الجدة مطلقًا (منهاج المسلم / ٤٧٣-٤٧٦).

وقد صاغ ذلك نظمًا صاحب الرحبية فقال:

والجـدُّ محجـوبٌ عـن الميـراثِ
بـالأبِ فـي أحـوالـهِ الثَّـلاثِ
وتسقـطُ الجـدَّاتُ من كُلِّ جِهَـةْ
بـالأُمِّ فـافهمـهُ وقِسْ مـا أشبهـهْ
وهٰكـذا ابنُ الابـنِ بـالابنِ فـلا
تبغِ عـن الحُكم الصحيح معـدلا

وتسقطُ الإخــوةُ بــالبنينـــا
وبـــالأبِ الأدنَى كمــا رُوينــا
أو ببنى البنين كيف كــانُــوا
سِيَّــان فيــه الجمعُ والــوحــدانُ
ويفضلُ ابنُ الأُمِّ بـــالإسقــاطِ
بــالجــدِّ فــافهمــهُ على احتيــاطِ
وبـــالبنـــات وبنـــاتِ الابـنِ
جمعًــا ووجــدانًــا فقُل لـى زدنى
ثـم بنـــاتُ الابنِ يسقطـنَ متى
حــازَ البنـــاتُ الثلُثينِ يــا فتى
إلاَّ إذا عصَّبهُـنَّ الــذَّكَــرُ
مِن ولَـدِ الابنِ على مــا ذكــرُوا
ومثلُهُـنُ الأخـــواتُ الــلاَّتِى
يُــدلينَ بــالقُـرب من الجهـاتِ
إذا أخــذن فــرضهـنَّ وافيًــا
أسقطنَ أولاد الأب البــواكيــا
وإن يكـنْ أخٌ لهُـنَّ حــاضِــرَا
عصَّبَهُـنَّ بــاطنًــا وظــاهــرًا
وليسَ ابـنُ الأخِ بـــالمُعصِّبِ
من مثلــهُ أو فــوقــهُ فـى النَّسبِ

(شرح الرحبية / ٥١، ٥٢، والتحفة فى علم المواريث / ٢٧).

كما وردت عن الحجب الأبيات التالية فى منظومة « خلاصة الفرائض » لعبد الملك الفتنى :

لِـــلأُمِّ والــزوجين والأخت لأبّ
وبنتِ الابن حجبُ نُقصــانِ النسبْ
وحجبُ حــرمــانٍ مضى مُفصَّــلا
فى ذكــر أحــوالِ ذوى الإرثِ اعقــلا
أمــا الــذى لم يُبلَ بــالحــرمــانِ
فــالأبــوانِ وكــذا الــزوجــانِ
والـــولـــدان أيُّهـــا الفهيـمُ
ويحجبُ المحجـــوبُ لا المحـــرومُ
كإخــوةٍ بــالأبِ خــابُــوا حجبُــوا
أُمًّـــا فثُلثهـــا لِسُــدسٍ قلبُـــوا

(منهاج الملسم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٧٣ ـ ٤٧٦، وشرح الرحبية فى الفرائض لأبى عبد الله محمد بْن على الرحبى ـ شرح الشيخ محمد بن محمد سبط الماردينى / ٤٦ ـ ٤٨، والتحفة فى علم المواريث لابن غلبون ـ حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح على حسين / ٢٧، وخلاصة الفرائض لعبد الملك الفتنى المطبوع فى كتاب مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٦٥، انظر أيضًا سؤال وجواب فى الأحوال الأربعينية فى علم الفرائض ـ عبد الفتاح حسين راوه المكىّ / ٤١).

*** حجيج القرآن (كتاب ـ):**

كتاب من تأليف الإمام أبى الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر المختار الرازى الحنفى. وإليك ما جاء فى خطبة ذلك الكتاب:

قال الشيخ الإمام الأستاذ الأجل العالم العامل الفاضل الكامل السالك الناسك المحقق المجتهد بدر الملة والدين حجة الإسلام والمسلمين وارث الأنبياء والمرسلين. إمام الأئمة، قدوة الأمة، ناصر السنة قامع البدعة معين الشريعة سيد المفسرين ملك المحدثين عمان المعانى نعمان الثانى. أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى متع الله المسلمين بطول بقائه.

الحمد لله الذى جعلنى ممن عنده علم الكتاب، ولم يجعلنى من أهل الزيغ والارتياب، والصلاة على محمد الشفيع يوم الحساب، وعلى جميع الآل والأصحاب أرباب الألباب وأهل الكتيبة والكتاب والمحراب والحراب وبعد، فإن الله عز وجل أنزل الكتاب الكريم والقرآن العظيم تذكرة وهدًى للمؤمنين وتبصرة وبشرى للمحسنين وأمرنا بالتفكر فى آياته والتدبر فى كلامه فقال: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ وقال: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد: ٢٤] وقال: ﴿ **أفلم يدبروا القول** ﴾ [المؤمنون: ٦٨] وقال: ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ [صَ: ٢٩] وفى الحديث: « إذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل

المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو أوضح دليل إلى خير سبيل من قال به صَدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل » فغصت فى لججه وتدبرت فى حججه عملا بالكتاب والسنة وطمعًا فى الثواب والجنة .

وليس كل قانص وغايص
يظفر بالـلأى وبالـلآلى
ولكن تأخذ الآذان منه
على قدر القرائح والفهوم

فاستخرجت منه حجج كل طائفة على اختلاف نحلهم وآرائهم وافتراق مللهم وأهوائهم (وأصلهم ثمان فرق) الجبرية وفى مقابلتها القدرية والمرجئة وفى مقابلتها الوعيدية والصفاتية وفى مقابلتها الجهمية والشيعة وفى مقابلتها الخوارج ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاثة والسبعون وما من فرقة إلا ولها حجة من الكتاب وما من طائفة إلا وفيها علماء نحارير فضلاء لهم فى عقائدهم مصنفات وفى قواعدهم مؤلفات وكل منهم يؤول دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه وما منهم من أحد إلا ويعتقد أنه هو المحق السعيد وأن مخالفه لفى ضلال بعيد ﴿كُلُّ حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] وليس قصدنا بيان معقولات المتكلمين من المتأخرين والمتقدمين ولكن القصد أن نذكر فى هذا الكتاب جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب ثم نذكر حجج الحديث لكل قوم من القديم والحديث لكيلا يعجل طاعن بطعنه فى فرقة ولا يغلو قادح بقدحه فى طائفة ويعلم أن هذه الأدلة ما تعارضت إلا ليقضى الله أمرًا كان مفعولا من افتراق هذه الأمة على الثلاث والسبعين تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: « ستفترق أمتى ثلاثًا وسبعين فرقة» الحديث وقوله تعالى: ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ [النحل: ٩] فذكرت الحجج قاطبة ولم أفتح أقفالها ولم أسِم إغفالها على مذهب أصحاب الظواهر وفيما ذكرنا مقنع، وفى مجال المعقولات متسع، فأما من قال بأن كلام أبى على وأبى هاشم حجة وكلام الله ورسوله ليس بحجة فما أجهله من جاسر، وأجرأه من خاسر، اتخذ الإسلام وراءه ظهريا وكاد يكون زنديقًا دهريا، جعل الدين دبر أذنه، . وافتات على الشرع بغير إذنه، أعاذنا الله من الافتراق عن سواء السبيل. واختراق مرامى القرآن بلا دليل، ورتبت الكتاب على ثلاثين بابا .

(الباب الأول) فى حجج أهل التوحيد على وحدانية الله من القرآن المجيد .

(الباب الثانى) فى حجج الجبرية وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى الإرادة والمشيئة .

الفصل الثانى فى تفسير تلك الآيات .

الفصل الثالث فى نفى الهداية .

الفصل الرابع فى إثبات الضلالة .

الفصل الخامس فى تقليب القلوب .

الفصل السادس فى الإغواء والإغراء .

الفصل السابع فى الكتابة .

الفصل الثامن فى تفسير تلك الآيات .

الفصل التاسع فى الإذن .

الفصل العاشر فى الخلق .

الفصل الحادى عشر فى القدر.

الفصل الثانى عشر فى تفسير تلك الآيات .

الفصل الثالث عشر فى أن الكل من الله وليس إلى المخلوق شىء .

الفصل الرابع عشر فى تفسير تلك الآيات .

الفصل الخامس عشر فى الأحاديث التى وردت فى هذا المعنى .

(الباب الثالث) فى حجج القدرية وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى الإرادة .

الفصل الثانى فى المشيئة .

الفصل الثالث فى نفى الهداية والضلالة .

الفصل الرابع فى أن الكفر والمعاصى بإزلال الشيطان .

الفصل الخامس فى إضافة الظلم إليهم ونفيه عن الله تعالى .

الفصل الثالث فى حجج القائلين منهم بجواز الخروج على الإمام .

الفصل الرابع فى حجج القائلين منهم بجواز الظلم على الأنبياء عليهم السلام .

الفصل الخامس فى حجج القائلين منهم بجواز الكفر على الأنبياء عليهم السلام .

الفصل السادس فى حجج القائلين بجواز المعاصى على الأنبياء عليهم السلام .

الفصل السابع فى حجج من يجوز سبيل الشيطان على الأنبياء .

الفصل الثامن فى حجج القائلين بجواز الخوف من غير الله على الأنبياء .

الفصل التاسع فى حج القائلين بجواز القتل على الأنبياء .

الفصل العاشر فى حجج القائلين أنه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم .

(الباب الحادى عشر) فى حجج القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق . وهو مشتمل على فصول :

الفصل الأول فى حجج القائلين بأن كلام الله تعالى حرف وصوت .

الفصل الثانى فى حجج القائلين بأن المسموع عين كلام لله لا العبارة عن الكلام .

الفصل الثالث فى حجج القائلين بقدم القرآن .

(الباب الثانى عشر) فى حجج القائلين بخلق القرآن وهو مشتمل على فصول :

الفصل الأول فى الخلق .

الفصل الثانى فى الجعل .

الفصل الثالث فى الحدوث .

الفصل الرابع أيضًا فى ذلك المعنى .

(الباب الثالث عشر) فى حجج القائلين برؤية الله تعالى فى الجنة جوازًا ووقوعًا وهو مشتمل على فصلين .

الفصل الأول فى اللقاء .

الفصل الثانى فى النظر والرؤية .

(الباب الرابع عشر) فى حجج القائلين بنفى الرؤية .

(الباب الخامس عشر) فى حجج القائلين بأن الإيمان قول وعمل وعقد بالقلب .

(الباب السادس عشر) فى حجج القائلين بأن الإيمان قول بلا عمل ولا نية .

(الباب السابع عشر) فى حجج القائلين بأن الإيمان هو التصديق .

(الباب الثامن عشر) فى حجج القائلين بأن الإيمان والإسلام واحد .

(الباب التاسع عشر) فى حجج القائلين بأن الإيمان والإسلام متغايران .

(الباب العشرون) فى حج القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص .

(الباب الحادى والعشرون) فى حجج القائلين بأن الرضا بالكفر لا يكون كفرًا .

(الباب الثانى والعشرون) فى حجج القائلين بأن الجنة جزاء الأعمال .

(الباب الثالث والعشرون) فى حجج القائلين بأن الجنة للمؤمنين فضلا وعطاء .

(الباب الرابع والعشرون) فى حجج القائلين بجواز تكليف ما لا يطاق .

(الباب الخامس والعشرون) فى حجج القائلين بأن تكليف ما لا يطاق غير جائز.

(الباب السادس والعشرون) فى حجج المسلمين فى البعث والنشور.

(الباب السابع والعشرون) فى حجج القائلين بكون الجنة والنار مخلوقتين اليوم .

فصل فى حجة من قال بفناء الجنة والنار.

فصل فى حجة من قال بالخلود .

فصل فى من قال أن المؤبد يكون موقتًا .

فصل فى حجة من قال بنفى الشفاعة وحجة من قال بالشفاعة .

(الباب الثامن والعشرون) فى حجج القائلين بفناء العالم.

فصل فى حجج القائلين بعذاب القبر.

فصل فى من قال بنفى عذاب القبر ومن قال الأنبياء لا يدخلون النار.

وحجة من قال يدخلون.

(الباب التاسع والعشرون) فى مسائل شتى وهو مشتمل على فصول.

الفصل الأول فى حجج القائلين بعذاب القبر ومن قال بنفى العذاب.

الفصل الثانى فى حجة من قال المعارف سمعية وحجة من قال عقلية.

الفصل الثالث فى حجة من قال المقتول ميت بأجله ومن قال مقطوع عليه أجله.

وفى حجة من قال الجدل مكروه ومن قال بجوازه وحجة من قال باعتبار النسب ومن لم يعتبره.

الفصل الرابع فى حجة من قال إن آباء الأنبياء مؤمنون.

الفصل الخامس فى حجة من قال الملائكة خير من بنى آدم وحجة من قال الأنبياء أفضل من الملائكة.

الفصل السادس فى حجة من قال الاسم والمسمى واحد وحجة من قال الاسم والمسمى متغايران.

الفصل السابع حجة من قال المعدوم شيء وحجة من قال المعدوم ليس بشيء.

الفصل الثامن فى حجة من قال التوسع فى الكلام جائز.

الفصل التاسع فى حجة من قال لعل من الله واجب وحجة من قال ليس بواجب وحجة من قال إثبات الثابت ليس بمحال.

الفصل العاشر فى حجة من قال المطلق لا ينصرف إلى الكامل وحجة من قال المطلق لا يحمل على المقيّد وحجة من قال لا يجوز الإجماع على خلاف الكتاب والسنة وحجة من قال السحر خيال وحجة من قال ذات الله تعالى غير معلوم.

حجة من قال بجواز الاستكثار بغير الله عز وجل.

حجة من قال محمد ﷺ أفضل الأنبياء.

حجة من قال لا تفاضل بينهم.

حجة من قال يتفاضل بينهم.

حجة من قال الاجتهاد والقياس حق.

حجة من قال بأن الاجتهاد باطل.

حجة من قال المظالم ترتفع بالتوبة.

حجة من قال هذه القردة والخنازير من نسل أولئك الممسوخين.

حجة من قال الواو ليست للترتيب.

(الباب الثلاثون) فى حجج القائلين بفضل الغنى على الفقر وهو مشتمل على فصول:

الفصل الأول فى أن الله تعالى سَمَّى المال فضل الله.

الفصل الثانى فى أن الله تعالى سمى المال خيرًا.

الفصل الثالث فى أن الله تعالى سمى المال حسنة.

الفصل الرابع فى أن الله تعالى سمى المال رحمة.

الفصل الخامس فى أن الله تعالى أمر بحفظ المال ونهى عن إتلافه.

الفصل السادس فى أن الله تعالى جعل المال جزاء الأعمال.

الفصل السابع فى أن الصحابة كانوا يحبون المال وأن الله تعالى منَّ على نبيه بالمال.

الفصل الثامن فى الأحاديث الواردة فى هذا الباب.

الفصل التاسع فى حجة القائلين بفضل الفقر على الغنى.

الفصل العاشر فى الأحاديث الواردة فى هذا الباب.

واختتم المؤلف كتابه « حجج القرآن » بقوله:

هذا آخر ما أوردنا من حجج القرآن لجميع أهل الملل والأديان وهى بمجموعها حجة على أصحاب الظواهر الذين يأبون التأويل وينسبون مخالفيهم إلى التعطيل وحجة أيضًا على المتعصبين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل والتخطئة والتجهيل. وحجة أيضًا على من ينكر النظر فى كتب الأصول أو يقول فيه بالمنقول دون المعقول. وحجة أيضًا

على من يكفـر أهل القبلة أو يعيّـر طائفـة بالقلّة أو يخـرجهم ببدعة عن الملة وحجة أيضًا على من يجزم على مجتهد واحد بالإصابة أو يعجل فى تضليل فرقة وعصابة، وحجة أيضًا على العلماء القاصـرين فى العربية الغالين فـى الجدل والعصبية. وحجة لى أيضًا عند الله يوم القيامة ويوم الملامة والندامة حيث أمعنت النظـر فى هـذا البـاب واستنبطت جملـة من مسـائل الأصـوليين من الكتـاب مؤيـدًا لهـا بالأخبـار ومقـدرًا بكشف المعاني والأسرار وجعلتها مشفوهة الموارد لعامة المتنابين من الصادر والوارد أرجو بذلك الفوز من العذاب الأليم يوم لا ينفع مـال ولا بنـون إلا من أتـى الله بقلب سليم والحمـد لله رب العـالمين والصلاة والسـلام على سيـدنا محمـد وآله وصحبـه الطاهرين الطيبين المنتخبين.

(حجج القرآن لـلإمام أبى الفضـائل أحمد بن محمـد بن المظفر بن المختار الرازى / ٣-١٢-٩٤).

* **الحَجَر:**

الحجـر: بفتـح الحـاء والجيم: تهتم مصنفـات التـراث الإسـلامى فى علم الطب وعلم الكيميـاء بالأحجـار فتحصى أنواعها وتبيّن خصائصها الطبية وتعدد منافعها، وهذا ما نجده على سبيل المثال فى تذكرة داود الأنطاكى، والمعتمد للمظفر الـرسولى، وننقـل إليك ما أورده الأنطـاكى فيمـا يلى، حيث يعرّف الحجر أولا، ثم يعدد أنواعه فيقول:

حجر. يراد بـه عند الإطلاق جوهـر كل جسم جماد سواء كـانت فيـه مـائيـة كـاليـاقـوت أولا وسـواء حفظت رطـوبتـه كالمتطـرقات أم لا كتامّ التـركيب من المعادن وغيره كـالأملاح فما لـه اسم وقد تقرر فى العرف ففى مـوضعه وغيره يذكـر هنا وحقيقة الحجـر تصلب التراب بتوالـى الرطوبـات ثم الجفاف وتختلف ألوانه بحسب محله وغلبة الرطوبة والحرارة بقسميهما فإن فرط الرطوبة والبرد يوجبان البياض وقلتهما التكرج والحرارة مع اليبس والحمرة فإن قل فالصفرة والحرارة القوية فى الرطوبة الضعيفة وسـوادا إن قاومت ثم حمـرة البياض والمـركبات من هـذه بحسبهـا وللـزمـان والمطـالع ونقص الميل عن العـرض والعكس تأثيـر بين فى ذلك ثم كمنت الطبـائع بـاطنا خـالف المحك ما يقع عليـه النظر من الجواهـر فيحك الأبيض أحمر لكمون الحرارة وبالعكس ومن ثم قيل الفضة ذهب فى الباطن إذا لابستـه الحـرارة ظهـر واعلم أن المحك لا يخـالف اللـون الظـاهر إلا فى غيـر ما استحكم مـزاجه كـاليابسـة وإلا لحك القزدير محك الفضة والتالى بين البطلان والمستحجر ما فارق العنصرى من التراب ولنذكر من ذلك كله ما كان سهل الوجود داخـلا فى هـذه لصنـاعـة إذ محل استيفـاء الجميع كتب الجلبذة.

حجر لبنى: سبط أغبـر فيه شفـافية ما يتـولد بأرمينيـة وما يليها ويستخرج قطعا كبارا إذ حك خرج منه شيء كاللبن وهو بـارد فى الثانيـة يابس فى الأولى إذا شـرب فتت الحصى ونفع قروح المعدة يكتحل به فيمنع النـوازل كالماء ويلحم ويذهب السلاق وهـو يقطع الطمث ويـورث اليرقان ويصلحـه العسل وشربته نصف درهم.

حجر قبطى: هـو الآونة ويعرف بأشنـان القصارين لأنهم يبيضون بـه الثياب يتولد بجبـال صعيد مصر وأجـوده الأخضر الرخـو المتفتت السهل الانحلال بارد يـابس فى الأولى يقطع الـدم كيف استعمل ويحلل الأورام طـلاء وينفع من الـدمعـة والجرب والسـلاق كحلا وفـرزجته تقطع الرطـوبات والـرائحة الكريهة.

حجـر اليهـود: ويسمى زيتـون بنى إسـرائيل وهـو حجـر يتكـون ببيت المقدس وجبـال الشـام ويكـون أملس مستديـرا ومستطيـلا وأجوده الـزيتونى المشتمل على خطـوط متقاطعـة وهو حـار فى الأولى يـابس فى الثانيـة إذا حك وشرب بـالماء الحـار فتت الحصى ومنع تـولـده ولو فى المثـانـة وإن ذر فى الجروح ألحمها ويطلى بالعسل على الصلابات فيحللها وهو يضر الكبد ويصلحه الصمغ وشربته نصف درهم.

حجر القمر: يطلق على الحجـر الذى يجذب الفضة إلى نفسه لأن للمنطرقات أحجارا تجـذبها وإنما شاع المغناطيس لكثرتـه وجهلت تلك لقلتها والمعروف الآن بحجـر القمر ظلّ يسقط على الصخـور فيتحجـر أغبـر فإذا امتـلأ القمـر بيضـه شديـدا وأكثر مـا يكون بجبـال المغرب ويسمى بصـاق القمر أيضًـا وأجوده الخفيف الـرقيق الشفـاف الأبيض وهو بـارد فى الثانية معتدل أو يابس فى الأولى يبرئ من الصرع أكلا وسعوطا عن تجـربـة وينفع من الـوسواس والجنـون ويقطع الخفقـان والنزيف... وبـوادى المغرب تستغنى به عن العود وهـو يضر الكلى وتصلحه الكثيرا وشربته إلى قيراط.

حجر السلوان: لا فرق بينه وبين البلور إلا أنه يذوب فى الماء قد جرب منه النفع من الخفقان وحرارة المعدة ونزف الدم ... ومنه نوع يضرب إلى الصفرة قيل إنه سم وشربته إلى قيراط.

حجر الكلب: هو الذى إذا طرح للكلب أمسكه بفيه أو عضه وقد تواتر أنه يورث التباغض والفرقة إذا وضع فى مكان وأشد ما يكون إذا جعل فى الشراب.

حجر غاغاطيس: اسم للوادى الذى ظهر منه هذا الحجر وهو وادى جهنم بين فلسطين وطبرية من أرض المقدس ويوجد بالأندلس كذا قالوه وأما نحن فقد جلب إلينا هذا الحجر من جبل يلى آمد من أعمال الفرات وهو أسود إلى الزرقه رزين إذا وضع فى النار أوقد كالحطب حتى يبقى من الرطل قدر أوقية أبيض صلب لا تأكله النار وحال الحرق تشم منه رائحة النفط والقار وهو حار يابس فى الثانية إذا شرب قطع الحمل والحيض وفتت الحصى واليرقان شربا وحلل الأورام الجلسية طلاء ونفع من اختناق الرحم بخورا وشربا ودخانه يطرد العقارب والحيات وغالب الهوام ويضر الرئة ويصلحه الزعفران وإذا بخرت به الأشجار منع الديدان وشربته إلى نصف درهم.

حجر الاسفنج: حجر يوجد داخله قيل يدخل فيه وقت تولده وقيل رطوبات تنعقد فيه وأجوده الصلب الأبيض حار فى الأولى يابس فى الثانية قد جرب لتفتيت الحصى واليرقان شربا وحل الأورام طلاء وإلحام الجروح ذرورا.

حجر الكرك: هو حجر يقذفه البحر الهندى ببعض سواحله فيوجد منه الكبار والصغار وعليه كدورة فإذا جلى صار كالبلور فى الشفافية والبياض وهو بارد فى الأولى معتدل ينفع من الخفقان والعطش واللهيب والغثيان وإذا ذر حبس الدم وأما تعليقه والتختيم به والشرب منه فقد شاع أنه يورث الجاه والقبول والمحبة ومنع السحر والنظرة ويطوّل الشعر ويوضع تحت الوسادة فيمنع الأحلام الرديئة وفى منزل المتباغضين من غير علمها فيؤلف.

حجر المحك: ويسمى العراقى هو حجر ثقيل إلى البياض يكون بأعمال الموصل والفرات لزج إذا مرّ به على أوساخ قلعها، ويعمل منه كالمفارك فى الحمام بالعراق بدل القيشور بمصر وهو بارد يابس فى الثانية إذا حك بلبن من ترضع ذكرا ولو على غير مسنّ أخضر وقطر جلا البياض مجرب وأصلح طبقات العين إصلاحا لا يعدله غيره ويشفى القروح شربا وطلاء.

حجر الديك: حجر يتولد فى بطون الدجاج وقيل فى الديكة خاصة، أبيض رخو حار فى الثانية يابس فى الأولى إذا حك وشرب نفع الحصى والوسواس والهم.

حجر المثانة والكلى: يتولد فيهما فى الآدمى قيل كل منهما يفتت الآخر ولم يثبت لكن ينفعان البياض كحلا.

حجر البقر: يسمى خرزة البقر والورسين وهو قطع إلى بريق وسواد وأجودها الهش المنقط بالأسود الضارب باطنه إلى بياض وأكثر ما يتولد بالبقر السود الغزيرة الشعر ذكورا كانت أو إناثا وعند تولده تميل عين البقرة إلى الصفرة ويستدير بياضها وأجوده الرزين الحديث وإذا جاوز سنتين سقطت قوته ولا يستعمل إلا بعد خروجه بستة عشر يوما والموجود فى بقر الروم والبلاد الباردة أعظم منه فى البلاد الحارة وهو حار فى الأولى يابس فى الثانية يجلو البياض كحلا والبهق والبرص والكلف طلاء والباسور احتمالا بالعسل ويلحم الجراح ويفتت الحصى ويدر البول ويذهب اليرقان وإذا شرب بالجلاب أو مع اللوز والنارجيل أو مع الحبة الخضراء أو الصنوبر فى الحمام أو عند الخروج منها وأتبع بالمرق الدهن كالدجاج سمن الأبدان جدا وولد الشحم ونعم الأبدان عن تجربة وهو يضر المحرورين ويصدع وتصلحه الكثيرا وشربته إلى قيراطين وقيل مثقال منه يقتل.

حجر الرحا: يسمى القوف وهو أسود مخرق كالإسفنج صلب يتولد بجبال تلى حلب من المشرق يقطع حوله ويلصق ورق الحديد فيطير من الغد بنفسه وهو حار يابس فى الرابعة إذا حمى وطفئ فى الخل قطع الرعاف والنزف دخانه وخله وينطل بهذا الخل المقعدة فيمنع بروزها ويشد الأعصاب ويقطع العرق والإعياء ويضمد بالحجر الترهل والاستسقاء فينفعه وإذا احتمل قطع الباسور ومنع الحمل وحبس دم الحيض.

حجر أرمنى: لازوردى لكنه أغبر وأجوده الرزين الهشّ الخالى من الملوحة يتولد بأرمينية وجبال فارس وكأنه فج

اللازورد وهـو حار يابس فى الثانيـة مفرح : ينفع من السوداء وأمراضهـا كالجنون والـوسواس والمـاليخوليا والصـرع وله فى الجذام فعل عظيم ويجلو الكلى والمثانة وهو يغثى ويضعف المعدة ويصلحـه الغسل بالماء مـرارا والمرخ بالكثيرا وشـربته إلى درهم وبدله نصف وزنه لازورد .

حجر المسنّ : هـو الأشد أو هو حجر يسن عليـه الحديد وأجوده الأخضر المجلوب من الفرس فـالأحمر فالأسود البرّاق وأردؤه الأصفر الخفيف والأبيض هو السنبـادج وكله يابس فى الثـالثـة والأحمر حـار فى الأولى وغيـره بـارد ينفع من الحكـة والجرب وداء الثعلب والسـلاق والبياض شـربا وطـلاء وكحلا والأخضر إذا حكت عليه أشياف العيـن قوى فعلها وهو يحلل الخنازير والسرطانات والبواسير ويجلو الأسنان ويحبس النزف ويجلو المعادن خصوصا المرجان ولكنه يضر الكلى وتصلحه الكثيرا وشربته إلى درهم .

حجر القيشـور: بالمعجمـة أو المهملة وهـو حجر يعـوم على المـاء لخفته إسفنجى الجسم وهـو نوعان أبيـض وأسود وأجـوده الخشن المجزع الـذى يحلق الشعـر ويتـولد بجبـال إسكندرية من أعمال مصر ومنها يجلب إلى الأقطار وهو حار يـابس فى الأولى أو ييسـه فـى الثـالثـة يحبس النـزف ويحلل الترهل والاستسقاء طلاء وإذا طفئ فى الخل وشرب نفع ضيق النفس وحك الرجل به يحد البصـر ويذهب الصداع ومحروقه يبيض الأسنان سنـونًا ويجلو الآثـار طلاءً وبالروم حجـر مثله يسمى الأفروخ ينفع من سموم العقرب طلاء وشربا . (يضيف المظفر الرسـولى هنا أنه هو الذى يحك به الـورق لتذهب عنه الكتابة ومن خواصه أنه يجذب الفضة) .

حجـر الخطاطيف : يتـولد بسـرنديب من أرض الهنـد فى قدر الأنملة رخـو إلى الصفرة والبياض ويسمى حجـر اليرقان والخطاطيف يعترى فروخها اليرقـان فتصغر فتذهب وتأتليها به فلا يوجد عندنا منه إلا ما يرى فى بيوت الخطاطيف ويحتالون على جلبه بأن تطلى فروخ الخطاطيف بالزعفران فتظن اليرقان نزل بها فتأتيها بـه وهو حار يابس فى الثانية قـد جرب نفعه من اليـرقان شـربـا وطلاء ويفتت الحصـى ويفتح السدد ويـزيل الخفقان ولو حملا .

حجر منفى : قيل إنه كالزيتون حجما وإنه يوجد بمنف من أعمـال الجيزة إذا طلى بـه العضــو ذهب حسـه فـلا يشعـر بالقطع .

حجـر الحية : البـادزهـر ويطلق على قطع ملـونـة توجـد بمعدن الزبرجد يطرد الحيات ، وقيل يراد به الزمرد .

حجر الهنود والحديد : المغناطيس (تذكـرة أولى الألباب ١/ ١١٧ ـ ١٢٠ ، والمعتمد ١/ ٨٧) .

حجر الدم : انظر: الشاذقة .

ويضيف المظفـر الـرسولى إلى مـا سبق الحجـر المشقق وحجـر المغنـاطيس ، وقـد استخـدم الحـروف التـاليـة رمـزًا لمصادره :

ع : عبـد الله بن البيطـار صاحـب الجامع لقـوى الأدويـة والأغذية .

ج : ابن جـزلـة صـاحـب منهـاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان .

حجر مشقق « ع » أجوده ما كان مائلا إلى لون الزعفران ، وكـان سريع التفتت والتشقق ، وقـد يشبـه الأترنج فى تـركيب أجزائه ، واتصال شظاياه بعضها ببعض . ويعمل عملا قويا إذا عُـولج به لانحراف العين ونتـوئها ، والخشـونـة العارضـة فى الجفون . وهـو فى قوة الشـادنج . ويشبههـا فى قوتـه ، إلا أنه أضعف منهـا ، وإذا أديـف بلبن امـرأة مـلأ القـروح العميقـة العـارضة فى العيـن . والحجر المعـروف بـالعسلى فيه حـرارة موجودة . وهو بعيد من قوة الشادنج .

حجر مغناطيس : « ج » هو حجـر يجذب الحديد ، وإذا أحرق صار شادنجا . (فى أعلام العرب فى الكيمياء « شادنة») وقوته كقـوته ، أجوده الأسود المشرب بحمـرة . الخالص الذى لا خلط فيـه . وقال : هو حـار يابـس جدا ، وهو جـال منقّ ، يسقى فى الشـراب إذا احتبس فى البطن خبـثُ الحديـد ، فيجذبـه ويستصحبه عنـد الخروج ، ويسهـل كيموسـا رديئا ، وقدر مـا يؤخـذ منه إلى درهمين ، وقيل إنـه إذا أمسك فى اليد سكن وجع اليـدين والـرجلين والتشنج . « ف » مثلـه . وهـو قـابض مجفف ، ينفع من نفث الـدم ، وسيـلان الطمث ، ويستعمل كـالـذرور على اللحـم الـزائد ، فيفسـده ويسقى بالشـراب الحديث ، أو المثلث لعسـر البول ، ولـدوام سيلان الحيض (المعتمد ١/ ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠) .

وقد ذكره البيرونى (انظر ترجمته فى م٨/ ١٣٨ ـ ١٥٥ من هذه الموسوعة) وفيما يلى مـا أورده عنه الدكتور فاضل أحمد الطائى عنـد كلامه على كتاب البيـرونى « الجماهر فى معـرفة الجواهر » :

يقـول البيـرونى فى حجـر المغناطيـس أوكسيد الحـديـد المغناطيسى إنـه يشارك الكهـربا فى الجـذب ويفوقـه بمنافع كثيـرة عنـد بقـاء النصـول فـى الجـروح ورؤوس المبـاضع فى العروق واعتقال البطون بالبراية المسقية ، ويبدو أن البيرونى قد شـاهـد إخـراج قطع الحـديد مـن الجروح بـوسـاطـة حجـر المغناطيس، ولا تزال هـذه الطريقة مستعملة إلى يـومنا هذا . ثم يعدد البيـرونى اسم المغناطيس فى لغات كثيـرة ففى رومية «ارميطيـون» و « ابرقلينـا » وبالسـريانيـة « كيفا شفت فـرزلا » وبـالفـارسية « آهن ربـاى » أى سـالـب الحـديـد وبالهنـديـة «كـدهك » و « هـربـاج » . ويـذكـر البيـرونى نقـلا عن ديسقـوريدس أن أجـود المغنـاطيس اللازوردى، وإذا أحـرق صـار شاذنـة ، ويقصد بـالشاذنـة حجر أوكسيـد الحديـديك المتبلور إلا أن البيرونى يفنّد هذا القول بقوله « ما رأينا هذا اللون ولا سمعنا به » ثم يعود إلى كتاب مجهـول المؤلف ـ على حد قوله ـ حيث يذكر بـأن أجود أنواع المغناطيس الأسود المشرب بحمرة ثم الحـديدى اللـون وإن أغزر معادنـه وأجود أجنـاسه يكون بنواحى بطرة من نواحى الـروم . ثم يذكر البيرونى ما كتبه جـابر بن حيـان فى كتـاب الرحمـة مـا نصه إنـه كـان عندنـا مغناطيس يرفع وزن مائة درهم من الحديد، ثم إنه لم يرفع بعد مضى زمان عليه وزن ثمانين درهما ووزنه على حاله لم ينقص شيئًا إنمـا النقصان وقع فى قوتـه ، ويؤكد البيرونى صحـة قول جـابـر بن حيـان أن المغناطيس البـارز منـه للشمس والهـواء أضعـف قـوة من المطمـور تحت الأرض، ويـذكـر أنـه وجـد مغناطيسا يجـذب من الحديد ما وزنه ثلاثـة أمثال نفسه وثلث المثل . ثم يأتى بقـول جالينـوس « إن المغناطيس فى معـدنه أقوى من الحـديد ويتشـابهون [ويتشـابهان] فى المنظـر، هو يجذب الحديـد، والحديد لا يجذبه، ويحتـاج فى تمييزه ما ذكر إلـى فطنه » وأضـاف بـأن المغناطيس فى جـذبه للحـديد يضعـف وإذا دلك بالثوم والبصل، ويعـود إلى قوته إذا نقع فى الخل أياما أو فى دم التيس .

وينقل البيـرونى عن كتاب النخـب بأن المغناطيس مهمـا دلك بالزيت يفر منه الحديد . وقد جلبت قطعة من مغناطيس من بخـارى قويـة الجذب مـن جميع نواحيهـا إلا نقطة فيهـا كالـركن أو الزاوية فإنها كـانت تدفع الحديـد عن نفسها، ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بأن قطعه الحديد التى كانت تنفر من المغناطيس ممغنطـة أيضًا يتنافر القطبان المتشـابهان من قطعتى حديد ممغنطتين .

وتشير المصـادر الحديثـة بأن حجر المغنـاطيس مـوجود بـالطبيعـة على هيئة كتل بلـوريـة سـوداء اللون، وهـو ثـابت التركيب حيث لا تـؤثر فيه المؤثرات، ويتكـون نتيجة لتسخين الحديـد أو أكاسيده تسخينـا شديدا فى الهـواء أو فى جو من الأوكسجين . وهـو على نـوعين أحدهمـا يتكـون من تسخين أوكسيد الحديـديك ـ حجر الدم ـ بدرجة حراريـة تتراوح بين (٣٥٠ ـ ٤٠٠م) فـى جـو من الهيـدروجيـن أو أول أوكسيـد الكربون ويتم تحضيـر النوع الثانى من إحراق الحـديد فى جو من الأوكسجين، ويختلف النـوعان مـن حيث الوزن النـوعى ويتأثر حامض النتريك فيهما حيث يؤثر الحامض المذكور فى النوع الأول بينما لا يتأثر الثـانى ويكون الأخير أكثف قليلا من الأول (أعلام العرب فى الكيمياء/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧) .

ويتناول أبو منصور الثعالبى الأحجار من الناحية اللغوية، وذلك بتعـداد أسمائهـا التى تختلف تبعـا لاختـلاف وظائفهـا وكيفيتها وأحجامهـا وفى هذا كله إثراء لمفـردات اللغة . يقول الثعالبى فى الباب السابع والعشرين وقد قسم الكلام إلى ثلاثة فصول .

يقـول الثعـالبى فى أول البـاب السـابع والعشـرين عن الحجارة :

قد جمـع أسماءها الأصبهـانى فى كتـاب المُوازنـة وكسَّر الصاحب على تأليفها دفيترا وجعل أوائل الكلمات على توالى حـروف الهجاء إلا مـا لم يـوجـد منها فـى أوائل الأسماء وقـد أخـرجت منهـا ومن غيـرهـا مـا استصلحتُـهُ للكتـاب ووفيتُ التفصيل حقَّهُ بإذن الله عزَّ اسمهُ .

فصل فى الحجـارة التى تُتَّخـذُ أدوات وآلات أو تجـرْى مجراها .

وتستعمل فى أعمال وأحوال مختلفة عن الأئمة .

الفهر: الحجرُ قـد يكسر به الجوز ومـا أشبهه ويسحق به المسك وما شاكله. الصلايـة: الحجر العريض يُسحق عليه الطيب وكذلك المداك والقُسنطاس وأظنها رومية. المسحنة: الحجر يدق بـه حجارة الذهب عن الأزهـرى. النشفة الحجر الذى تُـدلك به الأقـدام فى الحمام. الـربيعة: الحجـر الذى يُرفع لتجربة الشدة والقـوة. المسنُّ: الحجر الذى يُسنُّ عليه الحديد أى يحدَّد وكذلك الصلبيُّ عن أبى عمرو. الملطاسُ: الحجر الذى يُدقُّ به فـى المهراس. المرداس: الحجر الذى يُرمى به فـى البئر ليعلم أفيها ماءٌ أم لا أو يعلم مقـدارُ غورها. المرجاسُ: الحجر الذى يرمى به فى البئر ليُطيِّب ماءها ويفتح عيونها عن أبى تُراب وأنشد:

إذا رأوا كـــريهـــة يـــرمـــون بى
رميكَ بـالمـرجـاس فـى قَعر الطَّـوى

الظُّرر: الحجر المُحـدَّد الـذى يقـوم مقام السكين ومنه الحديث «إنَّ عـدى بن حاتم قـال يا رسـول الله إنا لا نجـد ما نُذكى بـه إلاَّ الظّرار وشقَّة العصـا فقال أمرِ الـدَّم بما شِئت». الجمرة: الحجـر يُستجمرُ به فى جمـارِ المناسك. المقلتُ: الحجر يُتقـاسم به المـاء. المرضـاضُ حجر الـدَّق. النبلة. حجـر الاستنجاء. البلطـة: الحجـر الـذى تُبلَّط به الـدَّار أى تفرش والجمع البلاط. الجمارة: الحجر يُجعلُ حول الحوض لئلاَّ يسيل ماؤُهُ. الحبس حجارة تـوضع على فُوَّهة النهر لتمنع طُغيان المـاء عن ثعلب عن ابن الإعرابى: الرَّصفـة: الحجر يُحمى فيُسخن بـه القدر أو ما يُكبَّبُ عليه اللحم. الـرجام: حجر يشدُّ فى طرف الحبل ويُدلَّى ليكون أسرع لنزوله. الأميمة حجر يُشـدخُ به الرأس. السلوانـة: حجرٌ كانوا يقـولون إن من سقى ماءهُ سلا. السلمـانة: حجر يدفع إلى الملسـوع ليحركه بيده عن الصاحب. المدمـاك: الصخرة يقوم عليها الساقى. النُّصب: حجر كـان ينصبُ وتُصب عليه الدماء لـلأوثان وقد نطق به القرآن. الخلنبوس: حجرُ القدح عن الليث. القهقرُّ: الحجـر الـذى يُسحقُ بـه الشىء عن أبى عمـرو. الهـوجلُ: الحجر الذى يُثقَّل به الزَّورق والمـركب وهو الأنجرُ. الحامية: الحجـارة تُطـوى بها البئـرُ. القُـدَّاس: حجـر يجعل فى وسط الحوض للمقدار الذى يروى الإبل، عن الصاحب. الأثفية: حجـارة القدر. الإوام: حجـارة تنصبُ أعلامًـا واحدهـا أرمىٌّ وأرمٌ عن أبى عمروٍ.

فصل فى تفصيل حجارة مختلفة الكيفية عن الأئمةَّ.

اليرمع: حجـارة بيض تلمع فى الشمس. الحُمَّـة حجارة سـودٌ تراهـا لاصقة بـالأرض متدانيـة ومتفرقـة عن أبى شميل. البراطيل: الحجـارة الطوال واحدُها برطيـل. البصرة: حجارة رخوة. المروُ: حجارة بيض فيها نارٌ. المهوُ: حجر أبيض يقال له بصاق القمر. المهاة: حجر البلور. المرمرُ: حجر الرُّخام. الدُّملـوك: الحجر المُدملك. الـدُّملقُ: الحجرُ المستـدير. الـرَّاعوفـة: حجـر يتقدَّم من طى البئـر. الـرضراض: حجـارة تترضـرضُ على وجه الأرض أى لا تثبتُ. الصفَّـاح: الحجارة العِـراض المُلْس. الـرَّضـام. صخـورٌ عظـام أمثـال الجـزرِ واحـدتها رضمـة. الرجـام والسلام دونهـا. الصَّلدحُ الحجـرُ العـريض. الصَّيخُـود الصخـرةُ الشديـدة. وكـذلك الصَّفـاة والصفوان والصَّفـواء. والظَّربُ كل حجر ثابت الأصل حـديد الطـرف. العقـاب: صخرة نـاشـزة فى قعـر البئر. الكـديـةُ: الحجر تستـرهُ الأرض ويبُرزهُ الحفر، عن الصـاحب. اللجيفة بالجيم. صخـرة على الغار كـالباب. اللخاف: حجـارة فيها عرض ورقَّـة. اليهيرُّ: حجـارة أمثال الأكفّ. أتـانُ الضَّحل: صخرة قد غمر الماء بعضها وظهر بعضها. الصُّلعة: الصخرة الملساءُ البرَّاقة. الصيدانُ: حجر أبيض تتُخذُ منهُ البِرام.

فصل فى ترتيب مقادير الحجارة على القياس والتقريب.

إذا كـانت صغيـرة فهى حصـاة. فإذا كـانت مثل الجـوزة وصلُحت لـلاستنجـاء بهـا فهى نبلـة. وفى الحـديث اتَّقُـوا المـلاعن وأعـدُّوا النبل يعنى عنـد إتيان الغـائط. فإذا كـانت أعظـم من الجوزة فهى قُنزُعة. فإذا كانت أعظم منها وصلحت للقذْف فهى مقذافٌ ورجمةٌ ورمداةٌ ويقال المرداة حجرُ الضب الذى ينصبُهُ علامة لجحره. فإذا كانت ملء الكفّ فهى يهيرٌّ. فإذا كـانت أعظم منهـا فهى فهـرٌ ثم جنـدل. ثم جلمدٌ. ثم صخرة. ثم قلعة وهى التى تنقلعُ من عرض جبل وبها سُميت القلعة التى هى الحصنُ. (فقه اللغة / ١٩٢ ـ ١٩٤).

(تـذكرة أولى الألبـاب لـداود بن عمـر الأنطاكى ١/ ١١٧ ـ ١٢٠، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسـولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٦، ٨٩، ٩٠، وأعـلام العرب فى الكيمياء ـ د. فـاضل أحمد الطائى / ٢٩٥ ـ ٢٩٧، وفقه اللغة وأسـرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١٩٢ ـ ١٩٤).

انظر مادة الجصّ والحجر والرخام م١٢/ ١٨٣ ـ ١٨٧ .

*** الحِجْر:**

الحِجْر بالكسر والسكون ثم راء . قال الإمام ابن الجوزى : وهو فى القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : العقل ، ومنه ﴿ **قسَم لذى حِجر** ﴾ [الفجر: ٥].

والثانى : قرية ثمود، ومنه ﴿**ولقد كَذَّب أصحابُ الحِجر**﴾ [الحجر: ٨٠].

والثالث : الحاجز، ومنه ﴿**برزخًا وحِجْرًا محجورا** ﴾ [الفرقان: ٥٣].

والرابع : ؛ الحرام، ومنه فى الأنعام ﴿**وحَرْثٌ حِجْرٌ** ﴾ [الأنعام: ١٣٨] وفى الفرقان ﴿ **ويقولون حجرًا محجورا** ﴾ [الفرقان: ٢٢] أى يقول الملائكة للكفار حرام عليكم دخول الجنة .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر لابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة الشيخ محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩٣ ، ٩٤).

*** الحِجْر (حجر الكعبة):**

بالكسر والسكون . قال ياقوت :

حجر الكعبة ، وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم ، عليه السلام ، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة ، فسمى حجرًا لذلك ، لكن فيه زيادة على ما فيه البيت حدةٌ ، وفى الحديث : من نحو سبعة أذرع ، وقد كان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها فلما هدم الحجاج بناءه صرفه عما كان عليه فى الجاهلية ؛ وفى الحجر قبر هاجر أم إسماعيل، عليه السلام. والحجرُ أيضًا، قال عرام بن الأصبغ وهو يذكر نواحى المدينة فذكر الرحضية ثم قال : وحذاءها قرية يقال لها الحجر وبها عيون وآبار لبنى سُليم خاصة وحذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له قنّة الحجر. (معجم البلدان ٢/ ٢٢١).

وجاء فى اللسان ما يلى :

حِجْر الكعبة . قال الأزهرى : الحجر حطيم مكة ، كأنه حجرة مما يلى المِثْقب من البيت. قال الجوهرى : الحِجْر حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال، وكل ما حجرته من حائط ، فهو حجر. وفى الحديث ذكر الحجر فى غير موضع ، قال ابن الأثير: هو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى . (لسان العرب ٩/ ٧٨٤).

ويصف الرحالة ابن بطوطة الحِجْر: كما شاهده فى زمانه فيقول : ودَوْر جدار الحِجر تسع وعشرون خطوة ، وهى أربعة وتسعون شبرا من داخل الدائرة ، وهو بالرخام البديع المجزَّع المحكم الإلصاق . وارتفاعه خمسة أشبار ونصف شبر، وسعته أربعة أشبار ونصف شبر. وداخل الحِجْر بلاط واسع مفروش بالرخام المجزّع المنظم المعجز الصنعة ، البديع الإتقان ، وبين جدار الكعبة الشريفة الذى تحت الميزاب، وبين ما يقابله منْ جدار الحجر على خط استواء أربعون شبرا . وللحِجْر مدخلان :

أحدهما : بينه وبين الركن العراقى وسعته ستة أذرع . وهذا الموضع هو الذى تركته قريش من البيت حين بنته ، كما جاءت الآثار الصحاح . والمدخل الآخر عند الركن الشامى . وسعته أيضًا ستة أذرع . وبين المدخلين ثمانية وأربعون شبرا. وموضع الطواف مفروش بالحجارة السود ، محكمة الإلصاق ، وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطًى ، إلا فى الجهة التى تقابل المقام الكريم ، فإنها امتدت إليه حتى أحاطت به . وسائر الحرم، مع البلاطات، مفروش برمل أبيض ، وطواف النساء فى آخر الحجرة المفروشة . (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ١٠٩).

وجاء فى أخبار مكة للأزرقى عن السيدة عائشة أنها قالت : كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر فقال لى : « صلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت». وقال ابن عباس : الحجر من البيت. وقال المبارك بن حسان الأنماطى : رأيت عمر بن عبد العزيز فى الحجر فسمعته يقول : شكا إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابًا من الجنة فى الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة ، وفى ذلك الموضع توفى ، ويعتقد أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى فيه قبره . وقال ابن إسحاق : كان قبر إسماعيل عليه السلام وقبر أمه هاجر فى الحِجْر.

ويروى أنه كـان لعبد المطلب جد الرسـول ﷺ مفرش فى الحجر لا يجلس عليـه غيره ولا يجلس معه عليه أحـد، وكان الندى من قريـش حرب بن أمية فمن دونه يجلسـون حوله دون المفرش، فجـاء رسول الله ﷺ وهو غـلام يدرج ليجلس على المفرش فجـذبوه فبكى، فقـال عبد المطلب، وذلك بعـد ما حجب بصـره: ما لابنى يبكى، قـالـوا له: إنـه أراد أن يجلس على المفـرش فمنعوه، فقـال عبـد المطلب: دعوا ابنى فإنـه يحس بشـرف أرجو أن يبلغ من الشـرف ما لم يبلغ عـربى قط (أخبار مكة ١/ ٣١٤، ٣١٥).

وكان رسول الله ﷺ يجلس فى الحجر ومعه أبو بكر رضى الله عنـه حين جـاءت أم جميل بنت حـرب بن أميـة امـرأة أبى لهب تولول وتهدد وتتوعـد لما نزلت سورة المسد: ﴿ تبّت يدا أبى لهب وتب ﴾ فأعماها الله عن رسـول الله فلم تره وتوجهت بالخطاب والتهديد إلى أبى بكر.

هـذا ويحب الحجـاج والمعتمـرون أن يصلـوا ركعتين فى الحجـر وهنـاك دعـاء خـاص يتـوسل بـه إلى الله فى ذلك المكان.

(معجم البلـدان ليـاقـوت الحمـوى ٢/ ٢٢١، ولسـان العـرب لابن منظـور ٩/ ٧٨٤، ومهذب رحلـة ابن بطـوطـة المسماة تحفـة النظـار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١/ ١٠٩، وأخبار مكة ومـا جـاء فيها مـن الآثار لـلأزرقى ـ تحقيق رشـدى الصـالح ملحس ١/ ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦. انظـر أيضًا الجـامع اللطيف لابن ظهيرة القـرشى / ٨٨ـ ٩١).

*** الحِجْر (ديار ثمود):**

قال ياقوت:

الحِجْـرُ: بالكسـر ثـم السكـون، وراء، وهـو فى اللغة مـا حجرت عليـه أى منعته من أن يوصل إليه، وكل مـا منعت منه فقد حجرت عليه، والحجـر العقل واللب، والحجر، بالكسر والضم، الحـرام، لغتان معـروفتان فيـه. والحجر: اسم ديـار ثمود بـوادى القرى بين المدينـة والشام وهـم قـوم صالح النبى عليه السلام وجاء ذكره فى الحـديث كثيرا، قال الإصطخرى: الحجر قرية صغيرة قليلـة السكان، وهو من وادى القرى على يـوم بين جبـال، وبها كـانت منـازل ثمود، قـال الله تعـالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ﴾ [الشعراء: ١٤٩] قال: ورأيتهـا بيـوتًـا مثل بيـوتنـا فى أضعـاف جبـال، وتسمى تلك الجبـال الأثـالـث، وهى جبـال إذا رآها الـرائى من بعـد ظنهـا متصلة فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منهـا الطائف وحواليهـا الرمل لا تكـاد ترتقى، كل قطعة منها قائمة بنفسها، لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة، وبها بئر ثمود التى قـال الله فيها وفى الناقة: ﴿لها شِرْبٌ ولكم شِرْبُ يوم معلوم ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. قال جميل:

أقـول لـداعى الحـب، والحجـر بيننـا
ووادى القـرى: لبيك! لمـا دعـانيـا
فمـا أحـدث النأى المفـرق بيننـا
سُلُـوًّا، ولا طـولُ اجتمـاع تقـاليـا

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

انظر مـادة «ثمود» فى م ١١/ ٣٥٤ـ ٣٥٧، والخـريطة المصاحبة لمادة «الأحقـاف» فى م٢/ ٥٩٨، وخريطة رحلة ابن بطوطة فى م٧/ ٢٠٠ من هذه الموسوعة.

*** الحجر الأسعد:**

انظر: الحجر الأسود.

*** الحجر الأسود:**

قال ياقوت:

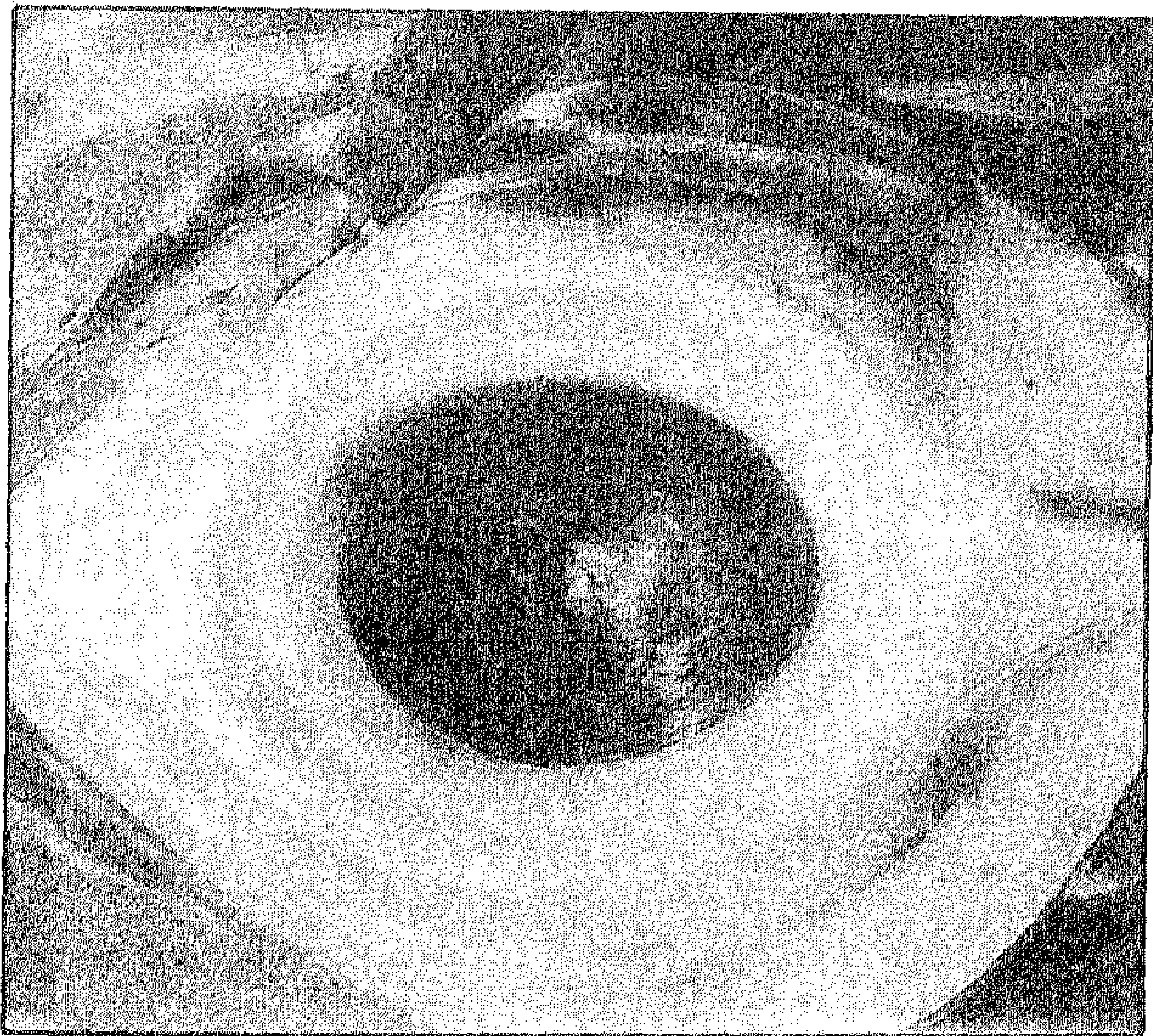
الحجر الأسود: قال عبد الله بن العباس: ليس فى الأرض شىء من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنـة، ولولا من مسهما من أهل الشـرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله، وقال عبـد الله بن عمرو بن العاص: الركن والمقام يـاقوتتان من يـواقيت الجنة طمس الله نورهمـا، ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، وقال محمد بن على: ثلاثـة أحجار من الجنة: الحجـر الأسود والمقـام وحجر بنى إسرائيل، وقال أبو عرارة: الحجر الأسود فى الجدار، وذرع ما بين الحجـر الأسـود إلى الأرض ذراعان وثلثـا ذراع، وهـو فى الركن الشمالى. وقال عياض: الحجـر الأسود يقال هو الذى أراده النبى ﷺ حين قال: إنى لأعـرف حجرًا كان يسلم علىّ، إنه ياقوتة بيضاء أشد بيـاضًا من اللبن فسوّده الله تعالى بخطايا بنى آدم ولمس المشـركين إيـاه، ولم يـزل هـذا الحجـر فى

الجاهلية والإسلام محترمًا معظَّمًا مكرَّمًا يتبركون به ويقبّلونه إلى أن دخل القرامطة، لعنهم الله، فى سنة ٣١٧ إلى مكة عنوة، فنهبوها وقتلوا الحُجاج وسلبوا البيت وقلعوا الحجر الأسود وحملوه معهم إلى بلادهم بالأحساء من أرض البحرين، وبذل لهم بجكم التركى الذى استولى على بغداد فى أيام الراضى بالله ألوف دنانير على أن يردوه فلم يفعلوا حتى توسط الشريف أبو على عمر بن يحيى العلوى بين الخليفة المطيع لله فى سنة ٣٣٩ وبينهم حتى أجابوا إلى ردّه وجاؤوا به إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من أساطين الجامع ثم حملوه وردّوه إلى موضعه واحتجوا وقالوا: أخذناه بأمر ورددناه بأمر، فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة، وقرأت فى بعض الكتب أن رجلاً من القرامطة قال لرجل من أهل العلم بالكوفة، وقد رآه يتمسح به وهو معلّق على الأسطوانة السابعة كما ذكرناه. ما يؤمنكم أنم نكون غيبنا ذلك الحجر وجئنا بغيره؟ فقال له: إن لنا فيه علامة، وهو أننا إذا طرحناه فى الماء لا يرسُب، ثم جاء بماءٍ فألقوه فيه فطفا على وجه الماء.

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

قال صاحب أنس السارى والسارب:

ومن الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار فالطويل يتماطى لتقبيله، والقصير يتطاول له، والحجر الأسود مرأى بديع يقيد الأبصار حسنا وجمالا، وفى وسطه مما يلى جانبه الذى على يمين المستلم له إذا وقف، نقطة بيضاء صغيرة مشرقة، تلوح كأنها خال فى تلك الصفحة المباركة، وفى هذه الشامة البيضاء أثر ينبغى للمقبّل أن يقصد تقبيله فى موضع الشامة المذكورة ما استطاع، والحجر عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم، حتى يود اللاثم أن لا يرفعه عنه، وتلك من خواص العناية الإلهية فيه، روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «نزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بنى آدم» وروى الترمذى أيضًا من طريق عبد الله بن عمر أن الحجر الأسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة، ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب، وفى رواية غيره، ولإبراء من استعملهما من الخرص، الجذام والبرص، ومن حديث ابن



عباس رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ فى الحجر، «والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بوفاء وصدق» (أنس السارى والسارب / ٨٣).

وقال صاحب شفاء الغرام:

قال المحب الطبرى وقد اعترض بعض الملاحدة فقال: كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك ولا يبيضه توحيد أهل الإيمان؟ فالجواب عنه من ثلاث: الأول ما تضمنه حديث ابن عباس المتقدم آنفا: أن الله عز وجل إنما طمس نوره ليستر زينته عن الظلمة وكأنه لما تغيرت صفته التى كانت كالزينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحجاب المانع من الرؤية وإن نوى حرمه إذ يجوز أن يطلق عليه أنه غير مرئى كما يطلق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية، الثانى أجاب به ابن حبيب فقال: لو شاء الله لكان ذلك وكما علمت أيها المعترض من أن الله تعالى أجرى العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ، الثالث وهو منقاس إن يقال إن بقاءه أسود والله أعلم إنما كان للاعتبار ليعلم أن الخطايا إذا أثرت فى الحجر فمباشرها بالقلوب أعظم، انتهى.

ما رؤى من البياض فى الحجر الأسود بعد اسوداده.

ذكر ابن جبير فى خبر رحلته: أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء صغيرة مشرقة ولم يذكر سواها وكانت رحلته فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقال الفقيه سليمان بن خليل العسقلانى فى منسكه بعد ذكره لشىء يتعلق بالحجر الأسود: قلت وأنا لقد أدركت فى الحجر الأسود ثلاث مواضع بيض: فى الناحية التى تلى الكعبة المعظمة وهى إحداهما أكبر حبة فى قدر حبة الذرة الكبيرة، والأخرى إلى جنبها وهى أصغر منها، والثالثة إلى جنب الثانية وهى أصغر من الثانية فإنها فى قدر حبة الدخن، ثم إنى أتلمح تلك النقطة فإذا هى كل وقت فى نقص، انتهى ونقل القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه كلام ابن خليل هذا، وذكر أنه رأى الحجر الأسود فى سنة ثمان وسبعمائة وفيه نقطة بيضاء ظاهرة وأنه لم يرها فى سنة ست وثلاثين إلا بعد جهد انتهى. وكنت ذاكرت بهذا الأمر من نحو خمس عشرة سنة بعض مشايخنا فذكر أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء خفية جدا انتهى. ولم يذكر لى موضعها من الحجر ولعلها النقطة الموجودة فيه الآن، فإن فى جانبه مما يلى باب الكعبة من أعلاه نقطة بيضاء قدر حبة سمسمة على ما أخبرنى به ثلاثة نفر يعتمد عليهم من أصحابنا الفقهاء المكيين فى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الأول سنة ثمان عشرة وثمانمائة إلا أن بعضهم لم يخبرنى بذلك إلا فى يوم السبت ثانى تاريخه، وأخبرنى الثلاثة أنهم رأوا ذلك فى يوم الجمعة المذكور وشكرت لهم فالله يثيبهم.

ما جاء فى شهادة الحجر الأسود يوم القيامة لمن استلمه بحق.

روينا فى مسند الدارمى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ليبعثن الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق»، وفى رواية «على من استلمه بحق» أخرجه الترمذى وابن حبان وقال: له لسان وشفتان، وروينا ما يدل لذلك من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ وروينا ذلك من حديث سلمان الفارسى موقوفا عليه ـ ما جاء فى تقبيل النبى ﷺ للحجر الأسود واستلامه له:

وروينا عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبّله. أخرجه البخارى ومسلم وروينا فى تقبيل النبى ﷺ الحجر من حديث عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وغيرهما ما جاء فى السجود عليه. وروينا فى الترمذى عن ابن عباس أن النبى ﷺ سجد على الحجر: وروينا فى سنن البيهقى عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب قبّله وسجد عليه ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا. وروينا عن ابن عباس فى مسند الإمام الشافعى: أنه قبل الركن وسجد عليه ثلاث مرات. وروينا ذلك أيضًا عن طاوس فى تاريخ الأزرقى والبيهقى وغيرهما، ولم ير الإمام مالك السجود على الحجر وهو بدعة، وخالفه الجمهور فى ذلك، والله أعلم.

ما جاء فى الإكثار من استلامه.

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه: قال حدثنى جدى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال أخبرنى زهير بن محمد عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى عن أمه عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: أكثروا

استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه، إن الله تعالى لا يترك شيئًا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة.

ما جاء فى مفاوضة الحجر الأسود

روينا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن، أخرجه ابن ماجه. قال المحب الطبرى: وقوله فاوض أى لامس وخالط من مفاوضة الشريكين وتفويض كل منهما إلى صاحبه. انتهى.

ما جاء فى أن الحجر الأسود يمين الله يصافح بها عباده واستجابة الدعاء عنده.

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن أبى إسماعيل عن عبد الملك بن عبد الله بن أبى حسين عن ابن عباس قال: الركن يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه والذى نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئًا إلا أعطاه إياه انتهى. وروى هذا عن النبى ﷺ لأن أبا عبيد القاسم بن سلام روى أن النبى ﷺ قال: الحجر الأسود يمين الله فى الأرض» ورواه أبو طاهر المخلص فى فوائده فى الجزء الثانى من التاسع وزاد: فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ ومسح الحجر الأسود بيده فقد بايع رسول الله ﷺ، قال المحب الطبرى: ومعنى الحديث والله أعلم أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر أول ما يقدمان يسن لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده، ولله المثل الأعلى، وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما أن الملوك تعطى العهد بالمصافحة والله أعلم: أنشدنى العلامة بدر الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المصرى لنفسه إجازة قوله:

للحجر الأسود كم لائم
وساجد مرّغ فيه الجباه
تزدحم الأفواه فى ورده
كأنه يُنبع ماء الحياه

وقوله فيما أنبأنا به فى الحجر الأسود:

كم أودعت أسرار أنس
فى علوم الغيوب
يزدحم الأفواه فى لثمه
كأنه يلفظ قوت القلوب

وقوله فيما أنبأنا به:

للحجر الأسود سر خفى
وقد بدا للعين فيه شهود
قد ضمت قلوب الورى
كأنه قلب سواد الوجود

وقوله فيما أنبأنا به:

أقول وقد زوحمتُ عن لثم أسود
من البيت إن تحجب فما السر يحجب
فإنك منى بالمحل الذى به
محل سواد العين أو أنت أقرب

ما جاء فى المزاحمة على استلام الركن اليمانى والحجر الأسود وأن مسحهما كفارة للخطايا.

روينا فى مسند أحمد بن حنبل وغيره عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر الأسود فى كل طوافه وكان هو يفعله، أخرجه أبو داود والنسائى وقال المحب الطبرى بعد إخراجه لهذا الحديث: وفيه دلالة على استحباب التقبيل والاستلام فى كل طواف واستحبه بعضهم فى كل وتر وروى ذلك عن الشافعى، انتهى. وقوله وفيه دلالة على استحباب التقبيل يعنى فى الحجر الأسود لا فى الركن اليمانى والاستلام فيها، والله أعلم.

ما جاء فى عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال

روينا عن عطاء عن عائشة أنها قالت لامرأة: لا تزاحمى على الحجر إن رأيت خلوة فاستلمى وإن رأيت زحامًا فكبرى وهللى إذا حاذيت ولا تؤذى أحدا، أخرجه سعيد بن منصور. وروينا عن عائشة بنت سعد أنها قالت: كان أبى يقول إذا وجدت فرجة من الناس فاستلمى وإلا فكبرى وامضى. أخرجه الإمام الشافعى. وفى البخارى عن عطاء عن عائشة ما يقتضى ترك استلام الحجر للنساء وهو محمول على ما إذا حضر الرجال كما هو مقتضى الخبر الذى رواه سعيد بن منصور فى سننه، والله أعلم (شفاء الغرام ١/ ١٦٩ ـ ١٧٣).

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، وأنس السارى

والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب لأبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى الشهير بالسّراج الملقب بابن مليح ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى، والمملكة المغربية . وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم الأصلى . سلسلة الرحلات (٥)، حجازية (٢) فاس ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م/ ٨٣، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للإمام الحافظ أبى الطيب الفاسى ١/ ١٦٩ ـ ١٧٣ . انظر أيضًا الجامع اللطيف لابن ظهيره القرشى / ٢٢ ـ ٢٧، ٨٨) .

*** حُجر بن عَدِىّ (٠١٥هـ / ٠٦٧١م):**

حُجر بن عَـدِىّ بن جبلة الكندى، ويسمى حجر الخير، صحابى شجاع، من المقدمين، وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسية . ثم كان من أصحاب علىّ رضى الله عنه وشهد معه وقعتى الجمل وصفين . وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبى سفيان واليًا عليها فدعا به زياد، فجاءه، فحذّره زياد من الخروج على بنى أمية . فما لبث أن عرفت عنه الدعوة إلى مناوأتهم والاشتغال فى السر بالقيام عليهم، فجىء به إلى دمشق فأمر معاوية بقتله فقتل فى مرج عذراء (من قرى دمشق) مع أصحاب له . وخبره طويل . (الأعلام ٢/ ١٦٩) .

قيل إنه لما قدم حُجر بن عدىّ ليُضرب عنقه قال: لا تطلقوا عنى حديدا وادفنونى، وما أصاب الثرى من دمى فإنى ألتقى أنا ومعاوية غدا بالجادة، قال أبو المغيرة، فكان ابن عباس لا يكاد يحدث بهذا الحديث إلا بكى بكاءً شديدا .

حدثنا جرير عن سفيان الثورى قال: قال معاوية: ما قتلتُ أحدًا إلاّ وأنا أعرف فيم قتلتُه وما أردت به، ما خلا حُجر ابن عدىّ فإنى لا أعرف فيما قتلته .

وكان معاوية قد أمر بضرب أعناق حجر وأصحابه الخمسة عشر فقال حجر للذى أمر بقتله: دعنى فلأصلّى ركعتين قال: صلّه، قال: فصلّى ركتين خفيفتين، فلما سلم أقبل على الناس فقال: لولا أن تقولوا جزع من القتل لأحببت أن تكون ركعتان أنفس مما كانتا وايم الله لئن لم تكن صلاتى فيما مضى تنفعنى ما هى بنافعتى شيئًا، ثم أخذ بُرده فتحرم به، ثم قال لمن يليه من قومه ومن يتحرم به: لا تحلّوا قيودى ولا تغسلوا عنى الدم، فإنى أجتمع أنا ومعاوية غدا على المحجة (الحسين ابن على، حجر بن عدى / ١٥٥، ١٤٧) .

(الأعلام للزركلى ١/ ١٦٩، والحسين بن على، حجر بن عدّى لابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة ـ حققه وقدم له د. سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر . دمشق . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م/ ١٤٧، ١٥٥، وترجمة حجر بن عدىّ جاءت فى المجلدة الخامسة من كتاب ابن العديم « بغية الطلب ») .

*** الحِجْر (سورة .):**

السورة رقم ١٥ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف . وقد أوردها الإمام الفيروزابادى فى البصيرة الخامسة عشرة من بصائره، وأجمل خصائصها على النحو التالى . ولم يذكرها باسم سورة الحجر وإنما جعل العنوان الآية الأولى من السورة وهو قول تعالى: ﴿ الَر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [١] . قال الإمام الفيروزابادى:

السورة مكية إجماعًا، (جاء فى سعادة الدارين (ص٣٣): وقيل إلا آية ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثانى﴾) وعدد آياتها تسع وتسعون بلا خلاف . وكلماتها ستمائة وأربع وخمسون . وحروفها ألفان وسبعمائة وستون .

ومجموع فواصل آياتها (مِلْن) على اللام منها آيتان: ﴿حجارة من سجّيل﴾ [٧٤] و﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ [٨٥] .

وتسمى سورة الحِجْر، لاشتمالها على قصتهم، وقوله تعالى: ﴿ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين﴾ [٨٠] [وهم ثمود قوم النبى صالح عليه السلام] .

مقصود السورة إجمالاً: بيان حقيقة القرآن، وحفظ الحقّ وبرهان النبوة وحفظ الحقّ كتابه العزيز من التغيير والتبديل، وتزيين السموات بمواكب الكواكب وحفظها برجوم النجوم من استراق الشياطين السمع . وتقديره تعالى الماء والسحاب من خزائن بره، ولُطْفه، وعلمه تعالى بأحوال المتقدمين فى الطاعة والمتأخّرين عنها، وبيان الحكمة فى تخليق آدم، وأمر الملائكة المقرّبين بسجوده، وتعيير إبليس، وملامته على تأبّيه واستكباره وجحوده، واستحقاقه اللعنة مِنَ الله بعصيانه وطغيانه، وجراءته بالمناظرة لخالقه ومعبوده، وبيان قسم الدركات على أهل اللذات والضّلالات، وذكر المستوجبى الجنّة من المؤمنين، وإخبار الله تعالى عباده بالرحمة والغفران، وتهديدهم بالعذاب والعقاب، والإشارة إلى ذكر أضياف الخليل عليه السلام، والنّهى عن القنوط من الرحمة،

وذكر آل لوط، وسكرتهم فى طريق العماية والضلالة، وتسلية النبى ﷺ عن جفاء الكفار، وبذيءِ أقوالهم، والمنّ عليه ﷺ بنزول السبع المثانى، والشكوى عن الطَّاعنين فى القرآن، وذكر القسم بوقوع السؤال فى القيامة، وأمر الرسول ﷺ بإظهار الدعوة، والمنّ عليه بإهلاك أعداء دينه، ووصيّته بالعبادة إلى يوم الحقّ واليقين فى قوله تعالى ... ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [١٥] آخر السورة.

ثم تكلم الإمام الفيروزابادي بعد ذلك على الناسخ والمنسوخ، والمتشابهات ويأتى فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم يقول عن فضل السورة:

ذكروا أحاديث واهية. منها: من قرأ سورة الحِجْر كان له من الأجْر عشرُ حسنات بعدد المهاجرين، والأنصار، والمستهزئين بمحمد ﷺ. وعن جعفر أنه قال: من قرأ سورة الحِجْر لا يصيبه عطش يوم القيامة. ومن قرأها فى ركعتى كلِّ جمعة لم يصبه فقر أبدًا، ولا جنون، ولا بلوى. وحديث على: يا على من قرأ سورة الحِجر لا يُنصب له ميزان، ولا يُنشر له ديوان، وقيل له: ادخل الجنَّة بغير حساب. وله بكلِّ آية قرأها مثل ثواب أصحاب البلاءِ (بصائر ذوى التمييز ١/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، وسعادة الدارين / ٣٣).

وعن وجه وقوع سورة الحجر بعد سورة إبراهيم واقترانها بها يقول الإمام السيوطى: وإنما أُخِّرت عنها لقصرها بالنسبة إليها، وهذا القسم من سور القرآن للمئين، فناسب تقديم الأطول، مع مناسبة ما ختمت به لمراعاة الختام، وهو قوله تعالى: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [٩٩] فإنه مفسر بالموت، وذلك مقطع فى غاية البراعة.

وقد وقع ذلك فى أواخر السور المقترنة. ففى آخر آل عمران: ﴿**واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ [٢٠٠] وفى آخر الطواسين: ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه ألا له الحكم وإليه ترجعون**﴾ [القصص: ٨٨] وفى آخر ذوات [آلر]: ﴿**وانتظر إنهم منتظرون**﴾ [السجدة: ٣٠] وفى آخر الحواميم ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

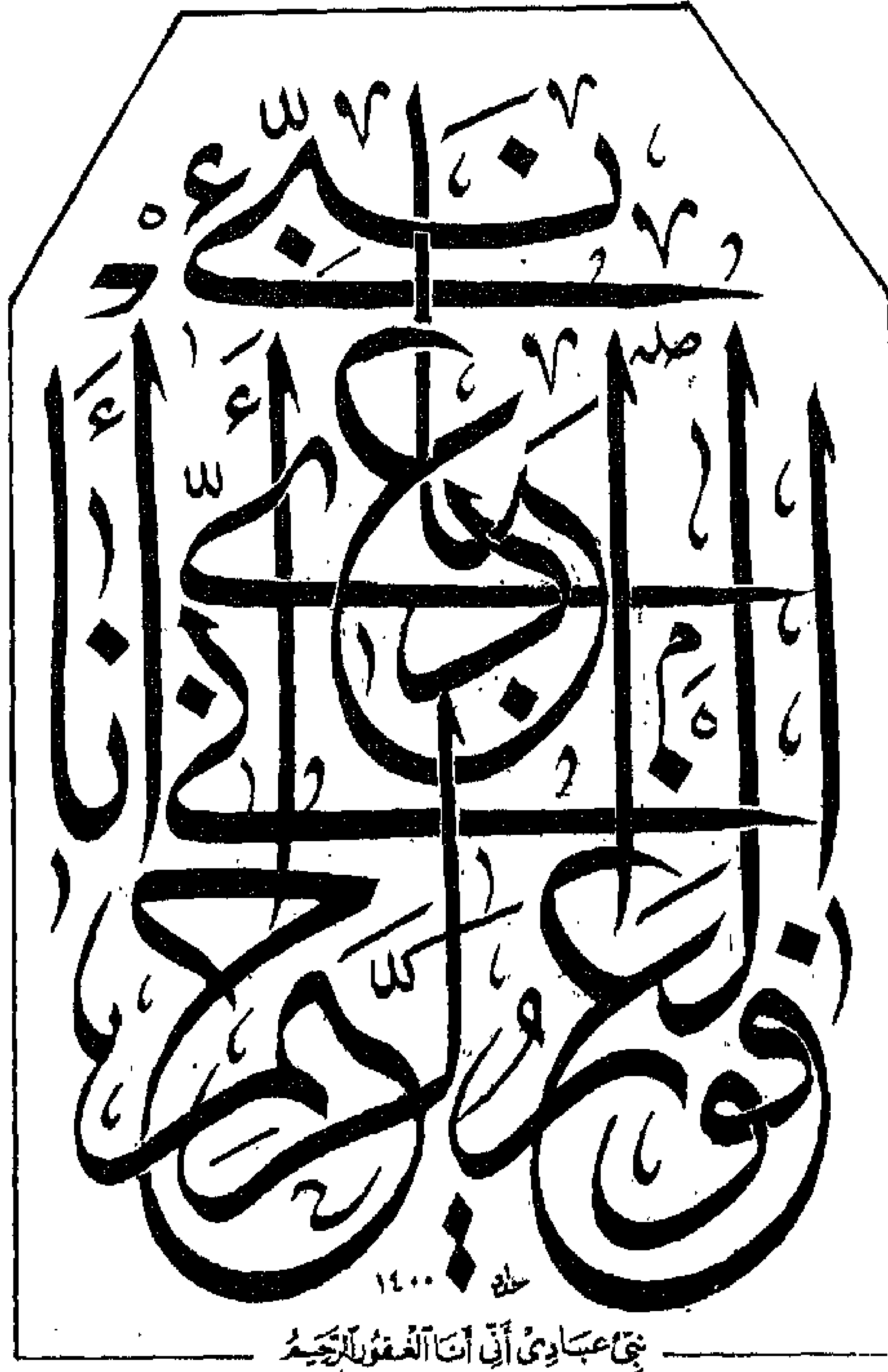
ثم ظهر لى وجه اتصال أول هذه السورة

بآخر سورة إبراهيم، فإنه تعالى لما قال هناك فى وصف يوم القيامة: ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾ وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد * سرابيلهم من قَطِران وتغشى وجوههم النار﴾[٤٩ : ٥٠] قال هنا: ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[٢] فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم فى النار ورأوا عصاة المؤمنين الموحدين قد أخرجوا منها، تمنوا أن لو كانوا فى الدنيا مسلمين. وذلك وجه حسن فى الربط، مع اختتام آخر تلك بوصف الكتاب، وافتتاح هذه به، وذلك من تشابه الأطراف (تناسق الدرر / ٩٦ ، ٩٧).

ويذكر الإمام السهيلى الأسماء التى أبهمت فى القرآن الكريم فيقول:

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد جلعنا فى السماء بُرُوجًا﴾ [١٦] يعنى الاثنى عشر برجًا التى هى جملة المنازل منازل الشمس والقمر وقال فى سورة يس: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم﴾[يس: ٣٩] وأسماء البروج الحمل وبه يبدأ لأن استدارة الأفلاك كان مبدؤها من أول برج الحمل فيما ذكروا وفى شهر هذا البرج وهو نيسان ثم لعشرين منه كان مولد النبى ﷺ وكان مولده عند طلوع الغفرِ والغَفْرُ (الغفر: صغار الكلأ) يطلع فى ذلك الشهر أول الليل لأن رقيبه النطح وهو السرطان وهما قرنا الحمل ويقال لها الأشراط أيضًا من أجل كويكب صغير إلى جانب الجنوبى منهما فهى ثلاثة بذلك الكوكب.

وإلى الحمل أيضًا يضاف البطين أى بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزاء ويقال لها البشر والتوأمان والجبار وهامة الجوزاء هى الهقعة ثم السرطان ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانين من العقرب وبين وركى الأسد وهما السماك يطلع الغفر الذى به مولد الأنبياء عليهم السلام وفيه قالوا خير منزلة فى الأبد بين الزبانا والأسد لأنه يليه من الأسد ذنبه ولا ضرر فيه ويليه من العقرب زباناها ولا ضرر فيها، إنما تضر بذنبها إذا شالت (أى رفعت) به وهى الشولة فى المنازل ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشاء الدلو (وهو حبل الدلو) وهو الحوت ويحسب فى البروج وفى المنازل



وجعل الله عز وجل الشهور على عددها فقال تعالى: ﴿ إِنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا ﴾ [التوبة : ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿لها سبعةُ أبواب﴾ [٤٤] وقع في كتب الوعظ والرقائق أسماء هذه الأبواب على ترتيب لم يرد في أثر صحيح وإن كنا لم نشترط في هذا الكتاب على أن نقتصر على الصحيح ولكن لما رأيت ظاهر القرآن والحديث الصحيح يدل على أن تلك الأسماء التي ذكروا إنما هي أوصاف للنار نحو السعير والجحيم والحطمة والهاوية ومنها ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى فهذه أعلام ولكن ليست لباب دون باب وسياقة الكلام تدل على ذلك فلذلك أضربت عن ذكرها فتأمله أعاذنا الله من جميعها عنه وقد أفردنا في ذكر أبوابها وأبواب الجنة وذكر جهنم وسقر أعاذنا الله منها وما في اختصاص العدد بالسبعة وفي الجنة بالثمانية الأبواب وفائدة تسمية خازنيها وذكر عددهم ولم نذكر خازن الجنة ولا عدد خزنتها وقد تقدم ذكر امرأة لوط وبناته في سورة هود وذكر أصحاب الأيكة وأما أصحاب الحجر فثمود بن عوص والحجز ديار معروفة بين الحجاز والشام من ناحية مصر.

وقوله تعالى: ﴿ وجاء أهلُ المدينة يستبشرون﴾ [٦٧] المدينة هي سدوم ومداين قوم لوط قيل كانت أربعًا وقيل سبعًا سدوم أعظمها وقد ذكرت الأسماء الأخر ولكن بتخليط لا يتحصل منه حقيقة والله أعلم وأقربها إلى الصواب صبعة وصعدة وعمرة ودوما وسدوم المتقدمة الذكر.

(سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم، وقال أبو حاتم في كتاب المزال والمفسد: إنما هو سذوم، بالذال المعجمة. قال: والدال خطأ قال الأزهري: وهو الصحيح وهو أعجمي، وقال الشاعر:

كذلك قوم لوط حين أضحوا

كعصف في سدومهم رميم

وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضي، إلاّ أن قاضيها يضرب به المثل فيقال أجور من قاضي سدوم. راجع معجم البلدان ٣/ ٢٠٠ .

وقوله تعالى: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين﴾ [٩٥] الآية. قد ذكرهم ابن إسحاق وغيره وهم الذين قذفوا في القليب قليب بدر منهم أبو جهل بن هشام واسمه عمرو وربيعة بن الأسود وأبوه الأسود بن المطلب بن أسد غير أن الأسود لم يقتل ببدر ولكن عمي حين رماه جبريل عليه السلام بورقة خضراء وأُبَي بن خلف وأمية بن خلف وأخوه ابن وهب بن حذافة بن جمح وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة بن أمية بن عبد شمس وعقبة ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية واسم أبي معيط أبان واسم أبي عمرو ذكوان ولم يكن لرشده وإنما كان لغَيه ولذلك قال عمر لعقبة حين قال أأقتل من بين قريش صبرًا (حَنّ قِدْح ليس منها) وهذا مثل ومعناه أن القدح إذا كان جوهر عوده مخالفًا لجوهر عود القداح في الميسر سمع له صوت مخالف



لصوتها إذا جعلت في الربابة فشبه ذلك بالحنين كأنه حن إلى أنسه فيقال حن قدح ليس من أهلها أو منها .

ومنهم الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم وقال ابن إسحاق سعيد مكان سعد وقد أنشد في السيرة ما يدل على خلاف قوله :

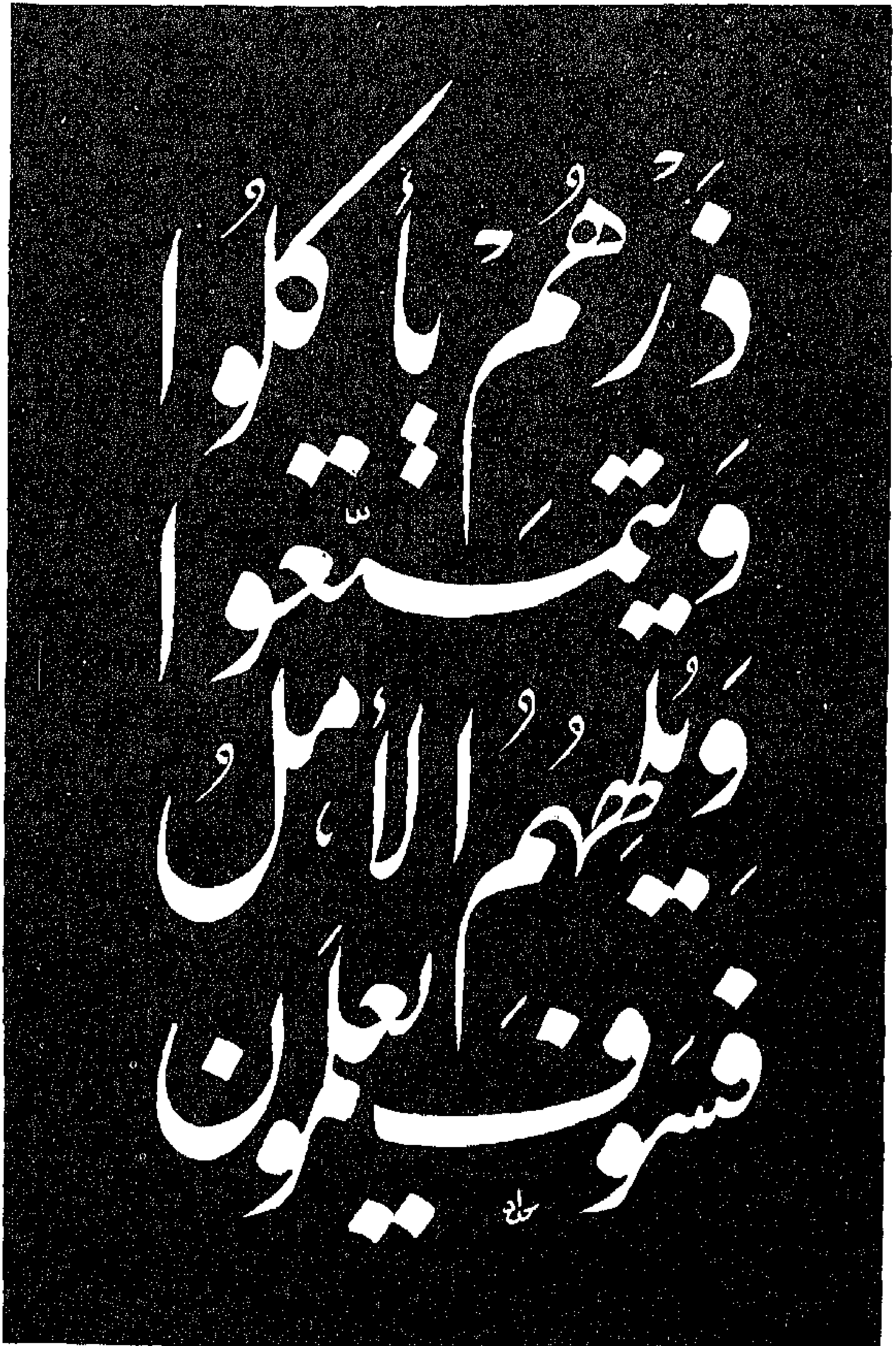
فإن تك كانت في عدى أمانةٌ

عدى بن سعد في الخطوب الأوائل

والشعر لعبد الله بن الحارث هذا الذى ذكرناه و إنما سعيد أخو سعد بن سهم وهو جد عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد وسعيد أيضًا ابن سعد بن سهم فهو سعيد وأبوه سعد وعمه سعيد ومن ذريته سعيد بن سعد بن المطلب بن أبي وداعة وللحارث بن قيس المذكور في المستهزئين بنون هاجروا إلى أرض الحبشة وهم عبد الله المبرق (ت ١١ هـ / ٦٣٢ م ، قتل باليمامة وقيل بالطائف) وسمى مبرقًا لقوله :

فإنْ أنا لم أبرق فلا يسعَنني

من الأرض برّ ذو فضاء ولا بحرُ



وأخوته السائب ومَعمر والحارث ابن الحارث وبشر وتميم ولم يذكر ابن إسحاق فيهم تميمًا وذكره غيره (التعريف والإعلام / ٨٨ - ٩٢) .

ويحصى الإمام الكرماني الآيات المتشابهات التى وردت في سورة الحجر ويُفرّق بينها على النحو التالي :

قوله تعالى : ﴿لو ما تأتينا﴾ [٧] وفي غيرها : ﴿لولا ﴾ [سبأ : ٣] لأن ﴿لو لا ﴾ تأتي على وجهين : أحدهما امتناع الشيء لوجود غيره ، وهو الأكثر ، والثاني بمعنى هلا ، وهو للتحضيض ، ويختص بالفعل ، ولولا بمعناه ، وخُصَّت هذه السورة بـ﴿لوما﴾ موافقة لقوله تعالى : ﴿ربما يودّ ﴾ [٢] فإنها أيضًا مما خصت به هذه السورة .

قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا** ﴾ [٢٨] هنا . وفي صَ [٧١] وفي البقرة : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل** ﴾ [٣٠] . ولا ثالث لهما ، لأن جعل إذا كان بمعنى خلق يستعمل في الشيء يتجدد ويتكرر ، كقوله تعالى : ﴿**خلق السموات والأرض وجعل الظلمات**

والنور﴾[الأنعام : ١] لأنهما يتجددان زمانا بعد زمان، وكذلك الخليفة، يدل لفظه على أن بعضهم يخلف بعضا إلى يوم القيامة، وخصت هذه السورة بقوله تعالى : ﴿إني خالق بشرًا﴾ [٢٨] إذ ليس في لفظ البشر ما يدل على التجدد والتكرار، فجاء في كل واحدة من السورتين ما اقتضاه ما بعده من الألفاظ.

قوله تعالى : ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ [٣٠] في هذه وفي صَ : ٧٣، لأنه لما بالغ في السورتين في الأمر بالسجود وهو قوله تعالى : ﴿فَقَعُوا له ساجدين﴾ في السورتين، بالغ في الامتثال فيهما فقال : ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ لتقع الموافقة بين أولاها وأخراها، وباقي قصة آدم وإبليس سبق.

قوله في هذه السورة لإبليس : ﴿وإن عليك اللعنة﴾ [٣٥] بالألف واللام، وفي « صَ » : ﴿وإن عليك لعنتي﴾ [٧٨] بالإضافة، لأن الكلام في هذه السورة جرى على الجنس من أول القصة في قوله : ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ [٢٦] ﴿والجانّ خلقناه﴾ [٢٧] ﴿فسجد الملائكة كلهم﴾ [٣٠]، كذلك قال : ﴿عليك اللعنة﴾ وفي « صَ » تقدم : ﴿لما خلقتُ بيدي﴾ [٧٥] فختم بقوله : ﴿عليك لعنتي﴾ [٧٨].

قوله تعالى : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ﴾ [٤٧] وزاد في هذه السورة ﴿إخوانًا﴾ لأنها نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ وما سواها عام في المؤمنين.

قوله تعالى : في قصة إبراهيم : ﴿فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجِلُون﴾ [٥٢] لأن هذه السورة متأخرة، فاكتفى بها عما في هود، لأن التقدير : فقالوا ﴿سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حينئذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكِرهم وأوجس منهم خيفة قال إنا منكم وجلون﴾ فحذف للدلالة عليه.

قوله تعالى : ﴿وأمطرنا عليهم﴾ [٧٤] (وترد أيضًا في الأعراف : ٨٤، والشعراء : ١٧٣، والنمل : ٥٨ إذ كلام المؤلف يوهم أنها هنا فحسب) وفي غيرها : ﴿وأمطرنا عليها﴾ [هود : ٨٢] قال بعض المفسرين : عليهم. أي على أهلها، وقال بعضهم : على من شذ من القرية منهم.

قلت : وليس في القولين ما يوجب تخصيص هذه السورة بقوله تعالى : ﴿عليهم﴾ بل هو يعود على أول القصة، وهو : ﴿إنا أُرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ [٥٨] ثم قال : ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ [٧٤] فهذه لطيفة فاحفظها.

قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [٧٥] بالجمع، وبعدها : ﴿لآية للمُؤمنين﴾ [٧٧] على التوحيد.

قال الخطيب : الأولى إشارة إلى ما تقدم من قصة لوط وضيف إبراهيم، وتعرض قوم لوط لهم طمعًا فيهم، وقلب القرية على من فيها، وإمطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم، فختم بقوله : ﴿لآيات للمتوسمين﴾ أي : لمن تدبر السمة، وهي ما وسم الله به قوم لوط وغيرهم. قال : والثانية تعود إلى القرية وإنها لبسبيل مقيم، وهي واحدة. فوحَّد الآية.

قلت : ما جاء من الآيات فلجمع الدلائل، وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه. فلما ذكر عقيبه المؤمنون وهم المقرون بوحدانية الله تعالى وحَّد الآية، وليس لها نظير في القرآن إلا في العنكبوت، وهو قوله تعالى : ﴿خلق الله السمواتِ والأرضَ بالحقّ إنَّ في ذلك لآية للمؤمنين﴾ [٤٤]، فوحد بعد ذكر الجمع لما ذكرت والله أعلم (أسرار التكرار / ١١٨ ـ ١٢٠).

ويبين الإمام السيوطي أسباب نزول بعض آيات سورة الحجر، وقد رمز إلى زياداته على أسباب النزول للإمام الواحدي بالحرف « ك » فيقول :

قوله تعالى : ﴿إن المتقين﴾ أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى : ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [٤٣] في ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ، فسأله فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ [٤٦].

قوله تعالى : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ [٤٧] أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين : أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ﴾ قيل وأي غِل؟ قال : غل الجاهلية. إن بني تميم، وبني عدي، وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابّوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل عليّ يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى : ﴿نبئ عبادي﴾ [٤٩] ك، أخرج الطبراني

عن عبد الله بن الزبير قال: مـر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون وذكـر الجنة والنـار بين أيديهـم، فنزلت هـذه الآية ﴿نبئ عبادى أنى أنـا الغفور الرحيم * وأن عذابى هـو العذاب الأليم﴾ [٤٩، ٥٠].

وأخرج ابـن مردويه من وجـه آخر عن رجل مـن أصحاب النبى ﷺ قـال: اطلع علينـا رسـول الله ﷺ من ا لبـاب الـذى يدخل منـه بنو شيبة، فقال لا أراكم تضحكـون، ثم أدبر، ثم رجع القهقرى، فقـال إنى خرجت حتى إذا كنت عنـد الحجر جاء جبريل فقال يا محمد: إن الله يقول لك لِمَ تقنط عبادى؟ ﴿نبئ عبادى أنى أنـا الغفور الرحيم * وأن عذابى هـو العذاب الأليم﴾.

قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [٩٥] أخرج البزار والطبـرانى عن أنس بن مالك قـال: مر النبى ﷺ على أنـاس بمكة، فجعلوا يغمـزون فى قفاه ويقولون: هذا الـذى يزعم أنه نبى ومعـه جبريل فغمـز جبريل بأصبعـه فوقع مثل الظفـر فى أجسادهـم، فصارت قروحـا حتى نتنوا، فلم يستطـع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (أسباب النزول للسيوطى / ١٥٩، ١٦٠).

ويضيف الإمـام الواحـدى ما يأتى: قـوله تعـالى: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم ﴾ [١٨٧] قال الحسين ابن الفضل: إن سبع قـوافل وافت من بصرى وأذرعـات ليهود قريظة والنضيـر فى يوم واحد فيها أنـواع من البَزّ وأوعية الطيب والجـواهر وأمتعـة البحـر، فقال المسلمـون: لـو كانت هـذه الأموال لنا لتقوَّينا بهـا فأنفقناها فى سبيل الله، فأنزل الله تعالى هذه الآيـة، وقال: لقد أعطيتكم سبع آيـات هى خير لكم من هذه السبع القوافـل، ويدل على صحة هذا قولـه تعالى: ﴿لا تمدَّنَّ عينيك﴾ الآية [٨٨] (أسباب النزول / ١٨٧).

ويقول السيوطى عن الآية [٨٧]: ﴿ سبعًا من المثانى﴾ : قـال ﷺ: « هى الفاتحـة ». أخـرجـه البخارى وغيـره (راجع فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب رقم: ٤٧٢٠ وقال ابن عباس: السبع الطوال. أخرجه الفريابى.

وقـال سعيـد بن جبيـر ومجاهـد: البقـرة، وآل عمـران، والنسـاء، والمـائدة، والأنعام، والأعـراف، ويـونس. وقـال سفيان، بعـد الأعراف: والأنفال وبـراءة سورة واحـدة. أخرج ذلك ابن أبى حاتم.

وقولـه تعالى: ﴿المقتسمين﴾ [٩٠]: قـال ابن عبـاس: اليهود والنصارى. أخرجه ابن أبى حاتم. (مفحمات الأقران / ٦٢).

وجاء فى تيسير الـوصول لابن الديبع عن أسـاب النزول ما يلى:

- عن أبى سعيـد رضـى الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى. ثم قرأ: ﴿إن فى ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين ﴾ [٧٥] أخرجه الترمذى.

- وعن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال: السبـع المثانى: الطوال. أخرجه النسائى.

- وعنه رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿الذين جعلوا القرآن عِضين﴾ [٩١] قـال: هم أهل الكتـاب: اليهـود والنصـارى جزّءوه أجزاءً، آمنوا ببعض وكفروا ببعض. أخرجه البخارى.

- وعن أنس رضى الله عنــه فى قـولــه تعـالى: ﴿فَوَربِّكَ لنسألنَّهم أجمعين * عما كـانوا يعملون ﴾ [٩٢، ٩٣] قال: عن قول لا إلـه إلا الله. أخرجـه الترمـذى، وأخرجـه البخارى ترجمة (تيسير الوصول ١/ ١٤٣).

وقـد أورد كل من الــواحـدى (أسبـاب النـزول / ١٨٦) والسيـوطى (أسبـاب النـزول / ١٥٩)، وابن الـديبع (تيسيـر الوصول ١/ ١٤٣) نفس سبب نزول الآية ٢٤ من سورة الحجر وهى قوله تعالى: ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾، ويمكنك الرجـوع إليها بيد أن أبا زكـريا الفرّاء أورد سببا آخـر لنزول تلك الآية فقـال تحت عنوان « الصحـابة والصفوف الأولى فى الصلاة »:

قوله تعالى: ﴿ولقد علمنـا المستقدمين منكمْ ولقـد علمنا المُستأخرين﴾ [٢٤].

وذلك أن النبى ﷺ قـال: إن الله ومـلائكتـه يصلـون على الصفـوف الأوُل فى الصـلاة، فابتـدرهـا النـاس، وأراد بعضُ المسلمين أن يبيع داره النائية ليدنو من المسجد فيدرك الصف الأول، فأنـزل الله عـز وجل ﴿ولقدْ علمنـا المُستقدِمينَ منكُم ولقد علمنا المُستأخرينَ﴾ فإنا نجزيهم على نياتهم فَقَرَّ النّاسُ (معانى القرآن / ١٩٤).

ويطرح الإمام زين الدين الرازى أسئلة قد تدور فى الأذهان بشأن بعض آيات من سورة الحجر ثم يجيب عنها بطريقة «فإن قيل - قلنا » وذلك على النحو التالى:

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿يا أيها الذى نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ [٦] اعترفوا بنبوته إذ الذكر هو القرآن الذى نزل عليه ثم وصفوه بالجنون؟ .

قلنا: إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية لا تصديقا واعترافا، كما قال فرعون لقومه: ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] وكما قال قوم شعيب عليه السلام ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود: ٨٧] ونظائره كثيرة. الثانى: أن فيه إضمارا تقديره: يا أيها الذى تدعى أنك نزل عليك الذكر.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون﴾ [٢٣] والوارث هو الذى يتجدد له الملك بعد فناء المورث، والله تعالى إذا أمات الخلائق لم يتجدد له ملك، لأنه لم يزل مالكا للعالم بجميع ما فيه ومن فيه؟ .

قلنا: الوارث فى اللغة عبارة عن الباقى بعد فناء غيره، سواء تجدد له من بعده ملك أم لا، ولهذا يصح أن يقال لمن أخبر أن زيدا مات وترك ورثة هل ترك لهم مالا أو لا؟ فيكون معنى الآية: ونحن الباقون بعد فناء الخلائق. الثانى: أن الخلائق لما كانوا يعتقدون أنهم مالكون يسمون بذلك أيضًا إما مجازا أو خلافة عن الله تعالى كالعبد المأذون والمكاتَب، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تؤتى الملك من تشاء﴾ [آل عمران: ٢٦] فإذا مات الخلائق كلهم سلمت الأملاك كلها لله تعالى عن ذلك القدر من التعلق، فبهذا الاعتبار كانت الوراثة، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر: ١٦] والملك له أزلا وأبدا.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم﴾ [٣٠] دل على الشمول والإحاطة وأفاد التوكيد، فما فائدة قوله ﴿أجمعون﴾؟ .

قلنا: قال سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد، فيفيد زيادة تمكين المعنى وتقريره فى الذهن، فلا يكون تحصيل الحاصل بل تكون نسبة ﴿أجمعون﴾ كنسبة ﴿كلهم﴾ إلى أصل الجملة. وقال المبرد: قوله تعالى: ﴿أجمعون﴾ يدل على اجتماعهم فى زمان السجود، و﴿كلهم﴾ يدل على وجود السجود من الكل، فكأنه قال: فسجد الملائكة كلهم معا فى زمان واحد. واختار ابن الأنبارى هذا القول، واختار الزجاج وأكثر الأئمة قول سيبويه وقالوا: لو كان الأمر كما زعم المبرد لكان ﴿أجمعون﴾ حالا لوجود حد الحال فيه، وليس بحال لأنه مرفوع ولأنه معرفة كسائر ألفاظ التوكيد.

فإن قيل: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ [٥١] بما قبله من قوله تعالى: ﴿نبئ عبادى﴾ الآيتين [٤٩، ٥٠].

قلنا: لما أنزل الله عز وجل: ﴿نبئ عبادى﴾ [٤٩، ٥٠] الآيتين، ولم يعين أهل المغفرة وأهل العذاب غلب الخوف على الصحابة رضى الله عنهم، أنزل الله تعالى بعد ذلك قصة ضيف إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليزول خوف الصحابة، وتسكن قلوبهم، فإن ضيف إبراهيم عليه السلام جاءوا ببشارة للولى وهو إبراهيم، وعقوبة للعدو وهم قوم لوط ـ عليه السلام ـ وكذلك تنزل الآيتين المتقدمتين على الولى والعدو لا على الولى وحده.

الثانى: أن وجه الارتباط أن العبد وإن كان كثير الذنوب والخطايا غير طامع فى المغفرة، لا يبعد أن يغفر الله تعالى له على يأسه، كما رزق إبراهيم الولد على يأسه بعد ما شاخ وبلغ مائة سنة أو قريبا منها.

فإن قيل: كيف قالت الملائكة: ﴿قدَّرنا إنها لمن الغابرين﴾ [٦٠] أى قضينا، والقضاء لله تعالى لا لهم؟ .

قلنا: إسناد التقدير للملائكة هو مجاز، كما يقول خواص الملك، دبرنا كذا وأمرنا بكذا ونهينا عن كذا، ويكون الفاعل لجميع ذلك هو الملك لا هم، وإنما يظهرون بذلك مزيد قربهم واختصاصهم بالملك.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ولقد كذَّب أصحاب الحِجْر المرسلين﴾ [٨٠] وأصحاب (الحجر) قوم صالح و(الحجر) اسم واديهم أو مدينتهم على اختلاف القولين، وقوم صالح لم يرسل إليهم غير صالح فكيف يكذبون المرسلين؟ .

قلنا: من كذب رسولا واحدا فكأنما كذب الكل، لأن كل الرسل متفقون فى دعوة الناس إلى توحيد الله.

فإن قيل: كيف قال تعالى هنا: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ [٩٢، ٩٣] وقال فى سورة الرحمن: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ [الرحمن: ٣٩] ؟ .

قلنا: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: قد ذكرناه فى مثل هذا السؤال فى سورة هود. والثانى: أن المراد هنا أنهم

يسألون سؤال توبيخ وهو سؤال : لِمَ فعلتم؟ ؛ والمراد ثم إنهم لا يسألون سؤال استعلام واستخبار، وهو سؤال : هل فعلتم، أو يقال : إن في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يسألون، وفي بعضها لا يسألون. (مسائل الرازي وأجوبتها / ١٦٧ ـ ١٦٩، والأنموذج الجليل ٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦).

ويسوق الشيخ الشنقيطي الأدلة التي يدفع بها إيهام وجود تعارض بين الآيات في هذه السورة فيقول :

قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [٢٦] الآية.

ظاهر هذه الآية أن آدم خلق من صلصال : أي طين يابس.

وقد جاء في آيات أُخر ما يدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى : ﴿من طين لازب﴾ [الصافات : ١١] وكقوله تعالى ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران : ٥٩].

والجواب : أنه ذكر أطوار ذلك التراب، فذكر طوره الأول بقوله ﴿من تراب﴾ ثم بُلّ فصار طينًا لازبًا، ثم خمّر فصار حمأً مسنونا، ثم يبس فصار صلصالا كالفخار.

وهذا واضح. والعلم عند الله تعالى (دفع إيهام الاضطراب / ١٧١).

ويحصي الإمام ابن الجوزي الآيات التي ادُّعي عليها بالنسخ فيقول :

الآية الأولى :

قوله تعالى : ﴿ذرهُم يأكلوا ويتمتّعوا ويلْهِهمُ الأملُ فسوفَ يعلمُونَ﴾ [٣] قد زعم كثير من المفسرين : أنها منسوخة بآية السيف والتحقيق أنها وعيد وتهديد، وذلك لا ينافي قتالهم فلا وجه للنسخ.

الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿فاصفَحِ الصَّفْحَ الجميلَ﴾ [٨٥].

أخبرنا المبارك بن علي، قال : أبنا أحمد بن الحسين بن قريش قال : أبنا البرمكي قال : أبنا محمد بن إسماعيل بن العباس، قال : أبنا أبو بكر بن أبي داود، قال : أبنا عبد الله بن سعيد، قال : بنا عقبة، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، وعكرمة ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ قال : هذا قبل القتال.

قال أبو بكر : وبنا موسى بن هارون، قال : بنا الحسين، قال : بنا شيبان عن قتادة ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال : نسخ هذا بعد، فقال : ﴿ واقْتُلُوهُمْ حيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة : ١٩١، والنساء : ٩١].

الآية الثالثة :

قوله تعالى : ﴿لا تمدَّنَ عينيكَ إلى مَا متَّعْنَا به أزواجًا منهم ولا تحزنْ﴾ [٨٨] قد زعم قوم : أن هذا كان قبل أن يؤمر بقتالهم ثم نسخ بآية السيف، وهذا ليس بشيء، لأن المعنى : لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا، وقيل : لا تحزن بما أنعمت عليهم في الدنيا ولا وجه لنسخ، وكذلك قال : أبو الوفاء ابن عقيل، قد ذهب بعضهم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وليس بصحيح.

الآية الرابعة :

قوله تعالى : ﴿وقلْ إنِّي أنا النَّذير المبينُ ﴾ [٨٩] زعم بعضهم أن معناها نسخ بآية السيف، لأن المعنى عنده اقتصر على الإنذار، وهذا خيال فاسد، لأنه ليس في الآية ما يتضمن هذا، ثم هي خبر فلا وجه للنسخ.

الآية الخامسة :

قوله تعالى : ﴿وأعْرِضْ عن المشْركينَ﴾ [٩٤].

أخبرنا ابن ناصر، قال : أبنا ابن أيوب، قال : أبنا ابن شاذان، قال : أبنا أبو بكر النجاد، قال : أبو داود السجستاني، قال : بنا أحمد بن محمد، قال : حدثت عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وأعرض عن المشركين﴾ قال : نسختها : ﴿فاقتلوا المشركينَ حيثُ وجدتُمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥].

أخبرنا المبارك بن علي، قال : بنا أحمد بن الحسين، قال : أبنا البرمكي، قال : أبنا محمد بن إسماعيل، قال : أبنا أبو بكر بن أبي داود، قال : بنا محمد بن سعد، قال : حدثني أبي عن الحسين بن الحسن بن عطية، عن أبيه، عن عطية

عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿وأعرض عن المشركين﴾ قال : هذا من المنسوخ (نواسخ القرآن / ١٨٤ ، ١٨٥) .

وعن القسَم كما ورد فى سورةالحجر يقول الإمام ابن قيم الجوزية :

ومن ذلك قوله تعالى : فى قصة لوط عليه السلام ، ومراجعته قومه له ﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ [٧٠ ـ ٧٢] أكثر المفسرين من السلف والخلف ـ بل لا يعرف عن السلف فيه نزاعا ، أن هذا قسم من الله بحياة رسوله ﷺ . وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته . وهذه مزية لا تعرف لغيره . ولم يوافق الزمخشرى على ذلك ، فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة ، فقال : هو على إرادة القول ، أى قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام : لعمرك : إنهم لفى سكرتهم يعمهون . وليس فى اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين ، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على فهمه السلف لا أهل التعطيل والاعتزال . قال ابن عباس رضى الله عنهما : لعمرك ، أى وحياتك ، قال : وما أقسم الله تعالى بحياة نبى غيره . والعَمر والعُمر واحد . إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإثبات الأخف ، لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم . وأيضًا فإن العمر حياة مخصوصة . فهو عمر شريف عظيم أهل أن يقسم به ، لمزيته على كل عمر من أعمار بنى آدم . ولا ريب أن عمره وحياته ﷺ من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يقسم به . والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات . اهـ .

جاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق :

هذا إنما هو فى قسم الله تعالى به ، لا فى قسم الخلق وحلفهم به صلى الله عليه وسلم وبغيره من المخلوقات . فإن هذا من أعظم المحرمات ففى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر أن النبى ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه ، فقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وفى رواية للترمذى أن ابن عمر سمع رجلا يقول : لا والكعبة : فقال : لا تحلف بغير الله ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » قال الترمذى : حسن . وصححه الحاكم . وورد مثل هذا عن ابن مسعود وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا . (التبيان فى أقسام القرآن / ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ويقسم الإمام الغزالى آيات القرآن الكريم إلى نمطين : الجواهر ، والدرر . أما الجواهر فيعرّفها بأنها الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة وهو القسم العلمى ، والدرر هى ما ورد فيها بيان الصراط المستقيم والحث عليه وهو القسم العملى . أما الجواهر فهى تسع آيات :

قوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقِينَ * وإن مِّن شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزلُهُ إلاَّ بقدرٍ معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين * وإنَّا لنحنُ نُحيى ونُميتُ ونحنُ الوارثُونَ * ولقد علمنا المستقدمين منكُم ولقد علمنا المستأخرين * وإنَّ ربَّك هُو يحشرُهُم إنَّه حكيم عليمٌ * ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنونٍ * والجانَّ خلقناهُ من قبلُ من نارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ١٩ ـ ٢٧] .

وأما الدرر فقد جاء فى النص أن عددها ست ولكن ما ورد هو ثمان كما يلى :

قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرضَ وما بينهما إلاَّ بالحقِّ وإنَّ الساعة لآتية فاصفح الصَّفح الجميل * إنَّ ربَّك هو الخلاقُ العليم * ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم * لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجًا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إنى أنا النذير المُبينُ﴾ [الحجر: ٨٥ ـ ٨٩] .

وقوله : ﴿ ولقد نعلمُ أنَّك يضيقُ صدرك بما يقولون * فسبِّحْ بحمد ربِّك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتَّى يأتيَك اليقينُ ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩] (جواهر القرآن ودرره ٥/ ٨٥ ، ١٤٤) .

أما من حيث رسم المصحف فقد ذكر الإمام أبو عمرو الداني في باب « ما حذفت منه الياء اجتزاء بكسر ما قبلها منها» حذف الياء في « تفضحون » ﴿فلا تفضحون﴾ [٦٨] وفي « تخزون » ﴿ولا تخزون ﴾ [٦٩].

وأشار الإمام الداني إلى أن ابن الأنباري أغفل من الياءات المحذوفات في الرسم خمسة مواضع من بينها في سورة الحجر « تبشرون » ﴿فَبِم تبشرون﴾ [٥٤] وقال: فمن كسر النون فيهما ألحقهما بنظائرها من الياءات المحذوفات، ومن فتح النون فيهما أخرجهما من جملة الياءات.

وفي باب « ما رسم بإثبات الياء على الأصل » ذكر الإمام الداني من سورة الحجر ﴿قال أبشرتموني﴾ ٥٤ و ﴿سبعًا من المثاني﴾ [٨٧].

وفي باب « ما اتفقت على رسمه مصاحف الأمصار » ذكر الإمام الداني من سورة الحجر أنهم كتبوا ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [٤٤] بغير واو.

وفي باب « ما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف » ذكر الإمام الداني أنه في سورة الحجر [٢٢] كتبت في بعض المصاحف ﴿وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ بألف على الإجماع، وفي بعضها « الريح » « بغير ألف على واحدة(المقنع / ٣٩، ٤١، ٥٢، ٩٠، ٩٨).

ومن حيث رسم المصحف العثماني ذكر الخوارزمي عن سورة الحجر ما يلي:

﴿إذًا ﴾ [٨] بألف، ياء ﴿بئيس﴾ [٣٢] بألف واحدة، ﴿جزء مقسوم﴾ [٤٤] بغير واو، ﴿ونبّئهم﴾ [٥١] بالياء (موجز كتاب التقريب / ٥١).

أما عن أنواع الوقف، وهي: التام، والكافي، والحسن، والقبيح، بالنسبة لسورة الحجر، فيبينها الإمام أبو عمرو الداني على النحو التالي:

﴿ الر﴾ تام وقيل كاف ﴿وقرآن مبين﴾ [١] تام. ﴿ويلههم الأمل﴾ [٣] كاف وقيل تام. ﴿فسوف يعلمون﴾ [٣] تام. ﴿من الصادقين﴾ [٧] تام، وهو انقضاء كلامهم، قال الله عز وجل ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق ﴾ [٨] ﴿مُنظرين﴾ [٨] تام. ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [٩] كاف، إذا جعلت الهاء في قوله ﴿وإنا له لحافظون﴾ للنبي ﷺ، فإن جعلت للقرآن وهو الوجه. لم يكف الوقف عليه. ورؤوس الآي بعد كافية، وقال نافع والدينوري ﴿لا يؤمنون به ﴾ [١٣] هنا وفي الشعراء [٢٠١] تام. وهو عندي كاف، لأن ما بعده متصل به، إذ هو تخويف للكفار، الذين تقدم ذكرهم. ﴿برازقين﴾ [٢٠] تام، ومثله ﴿بقدر معلوم﴾ [٢١] ومثله ﴿حكيم عليم﴾ [٢٥] ورؤوس الآي بعد كافية. ﴿لآية للمؤمنين﴾ [٧٧] تام، ومثله ﴿لبإمام مبين﴾ [٧٩]يعني الطريق ومثله ﴿يكسبون﴾ [٨٤] ومثله ﴿إلا بالحق﴾ [٨٥] ومثله ﴿الصفح الجميل﴾ [٨٥] ومثله ﴿الخلاّق العليم﴾ [٨٦] ومثله ﴿القرآن العظيم﴾ [٨٧]. ﴿القرآن عضين﴾ [٩١] كاف.

حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا محمد قال: حدثنا سعيد عن سفيان عن رجل عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ [٩١] قال: هم أصحاب الكتاب وقريش ﴿عما كانوا يعلمون﴾ [٩٣] تام.

حدثنا عبد الرحمن بن خالد الفرائضي قال: حدثنا أحمد ابن جعفر قال: حدثنا حمزة بن داود الإبلي قال: حدثنا محمد بن حبان الشتلاني قال: حدثنا سفيان بن محمد الثوري عن ليث عن داود المدني عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ [٩٢، ٩٣] قال: عن لا إله إلا الله صادقين بها أو كاذبين . ﴿إلها آخر﴾ [٩٦] كاف وقيل تام (تام عند أبي حاتم) ﴿فسوف يعلمون ﴾ [٩٦] تام وهو تهديد (المكتفى / ٢٢٧، ٢٢٨).

أما من حيث القراءات السبع بالنسبة لسورة الحجر فقد بيّنها ابن مجاهد على النحو التالي:

١ - اختلفوا في تشديد الباء وتخفيفها من قوله: ﴿ربما ﴾ [٢].

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿رُبَّمَا﴾ مشدَّدة.

وقرأ عاصم ونافع: (رُبَمَا) خفيفة. على بن نصر قال:

سمعت أبا عمرو يقرؤها على الوجهين جميعًا خفيفًا وثقيلا .

٢ - واختلفوا فى قوله : ﴿ ما نُنَزِّلُ الملائكة إلاَّ بالحقِّ ﴾ [٨].

فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (ما تَنَزَّلُ الملائكة إلاَّ بالحقِّ) مفتوحة التاء والنون مشدَّدة الزاى ، و(الملائكة) رفع فاعل .

وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر : (ما تُنَزَّلُ الملائكة) مضمومة التاء مفتوحة النون (الملائكة) رفع لم يسمَّ فاعله .

وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم : ﴿ ما نُنَزِّلُ الملائكة ﴾ بالنون مشددة الزاى (الملائكة) نصب مفعول به . والأولى لم يختلفوا فيها .

٣ - واختلفوا فى تخفيف الكاف وتشديدها من قوله : ﴿سُكِّرَتْ﴾ [١٥] .

فقرأ ابن كثير وحده : ﴿سُكِرَتْ﴾ خفيفة . وقرأ الباقون : ﴿سُكِّرَتْ﴾ مشدَّدة .

٤ - واختلفوا فى فتح النون وكسرها من قوله : (فَبِمَ تُبَشِّرونَ) [٥٤] .

فقرأ ابن كثير ونافع : (تُبَشِّرُونِ) كسرًا ، غير أن ابن كثير شدَّد النون وخفَّفها نافع .

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى : (فَبِمَ تُبَشِّرُون) بفتح النون نصبا .

٥ - واختلفوا فى فتح النون وكسرها من قوله : ﴿ ومَن يَقْنَطُ﴾ [٥٦] .

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة : ﴿يَقْنَطُ﴾ بفتح النون فى كل القرآن .

وقرأ أبو عمرو والكسائى : (يَقنِطُ) بكسر النون .

وكلهم قرأوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ما قَنَطُوا ﴾ [الشورى : ٢٨] بفتح النون .

٦ - واختلفوا فى تشديد الجيم وتخفيفها من قوله : ﴿ إنَّا لمُنَجُّوهُمْ﴾[٥٩].

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿ إنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ مشددة الجيم . وقرأ حمزة والكسائى : (لَمُنْجُوهُمْ) خفيفًا .

٧ - قوله : ﴿إلَّا امرأتَهُ قَدَّرْنَا﴾ [٦٠] .

كلهم قرأ : ﴿إلَّا امرأتَهُ قَدَّرْنا﴾ مشددة الدال و (قَدَّرْنها) [النمل : ٥٧] مشددة ، إلا عاصما فى رواية أبى بكر فإنه خَفَّفَها فى كل القرآن ، وشدَّدها فى رواية حفص .

(يعلق المحقق الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بقوله :

(قرأ حفص كما تصور ذلك المصاحف المصرية ﴿فقدرْنَا فنعم القادرون ﴾ [المرسلات : ٢٣] وكذلك ﴿فَقَدرَ عليه رزقه ﴾ [الفجر : ١٦] بالتخفيف وانظر الأنعام [٩١] والحج [٧٤] والزمر [٦٧]) .

وقرأ ابن كثير وحده : (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ) [الواقعة : ٦٠] خفيفة ، والباقون يشدِّدون .

وقرأ نافع والكسائى : (فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ) [المرسلات : ٢٣] مشددَّة . وقرأ الباقون : ﴿فقَدَرْنَا﴾ خفيفة .

وقرأ الكسائى وحده : (والَّذِى قَدَر فَهَدىٰ) [الأعلى : ٣] خفيفة . وقرأ الباقون : ﴿قَدَّرَ﴾ مشددة .

٨ - قوله : ﴿أَصحٰبُ الأَيْكَةِ﴾ [٧٨] .

لم يختلفوا فى هذه السورة ولا فى سورة قٓ ، واختلفوا فى سورة الشعراء وسورة صٓ .

فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر فى سورة الشعراء : (أَصحٰبُ لَيْكَةَ) غير أن ورشًا روى عن نافع : (الايكةِ) ههنا وفى قٓ متروكة الهمزة (أى أنها مسهلة) ، مفتوحة اللام بحركة الهمزة ، والهمزة ساقطة .

وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي : ﴿الأَيْكَة﴾ فى كل القرآن .

[ياءات الإضافة] .

فى هذه السورة أربع عشرة ياء إضافة ، اختلفوا فى أربع منها .

قوله ﴿نَبِّئْ عِبَادِى﴾ [٤٩]﴿أَنِّى أَنَا ﴾ [٤٩] فتحهما ابن كثير ونافع وأبو عمرو ، وأسكنهما الباقون .

وقوله : ﴿ بناتى إن كُنتُمْ﴾ [٧١] فتحها نافع وحده، وأسكنها الباقون .

وقوله : ﴿إنِّى أنا النَّذِيرُ﴾ [٨٩] فتحها ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وأسكنها الباقون . وحُذفت من هذه السورة ياءا إضافة فى قوله : (فلا تفضحونِ) [٦٨] و (لا تُخزُونِ) [٦٩] (كتاب السبعة فى القراءات / ٣٦٦ـ٣٦٨) .

وأضاف ابن وثيق قوله : وفيها (أى فى سورة الحجر) من الياءات الثابتة ﴿أبشَّرتمونى ﴾ [٥٤]، و ﴿سبْعًا من المثانى ﴾ [٨٧]، ومن المحذوفات ﴿تفضحونِ﴾ [٦٨]، و ﴿تُخزونِ﴾ [٦٩] و ﴿تُبشِّرون﴾ [٥٤] (الجامع لما يحتاج إليه رسم المصحف / ١٠٣) .

أما من حيث النظم بالنسبة لهذه السورة فقد أورد الإمام الشاطبى فى « حرز الأمانى » الأبيات التالية التى يعقبها شرح الشيخ على محمد الضباع . أما الحروف والكلمات الموضوعة بين أقواس فهى رموز القراء، ونوردها تحت هذا العنوان فى موضعها إن شاء الله تعالى .

قال الإمام الشاطبى :

وَرُبَّ خَفِيفٌ (إ) ذْ (نَـ)ـمَا سُكِّرَتْ (دَ) نَا
تَنَــزَّلُ ضَـمُّ التَّــا لِشُعْبَـــة مُثِّـــلاَ
وَبِـالنُّـونِ فيها وَاكْسِـرِ الـزَّاىَ وانْصِبِ الْـ
ـمَلائِكَةَ المـرْفُوعُ عَنْ (شَـ)ـائِدٍ (عُـ)ـلاَ
وَثُقِّـلَ للمَكّـىِّ نُــــونُ تُبَشِّــــرُو
نَ واكْسِرْهُ (حِرْمِيًّـ)ـا وَمـا الحَـذْف أوَّلاَ
وَيَقْنَطُ معــــهُ يَقْنَطُـــونَ وَتَقْنَطُـــوا
وَهُنَّ بِكَسْرِ النُّـونِ (رَ) افَقْـنَ (حُـ)ـمَّلاَ
وَمُنْجُـوهُـمُ خِفٌّ وفى العَنْكَبُـوتِ نُنْـ
ـجِيَنَّ (شَـ)ـفَا مُنْجُوكَ (صُحْبَتُـ)ـهُ (د) لاَ
قَـدرنَـا بِهَـا والنَّمْلِ (صِـ)ـفْ وَعِبَادِ مَعْ
بَنَـــاتِى وَإِنِّـى ثُمَّ أَنِىَ فَــــاعْقِـــلاَ

ويشرح الشيخ على محمد الضباع الأبيات بقوله :

قرأ نافع وعاصم (ربما) بتخفيف الباء والباقون بتشديدها، روى شعبة (ما تنزل الملائكة) بتاء مضمومة وفتح النون وتشديد الزاى ورفع الملائكة . والأخوان وحفص بنونين مضمومة فمتفوحة وكسر الزاى مشددة ونصب الملائكة والباقون بفتح التاء والنون والزاى مشددة ورفع الملائكة . قرأ ابن كثير (سكرت) بتخفيف الكاف والباقون بتشديدها . قرأ نافع (تبشرون) بكسر النون مخففة وابن كثير بكسرها مشددة والباقون بفتحها مخففة . قرأ النحويان (ومن يقنط) هنا ويقنطون بالروم ولا تقنطوا بالزمر بكسر النون والباقون بفتحها . قرأ الأخوان (لمنجوهم) هنا ولننجيه ومنجوك كلاهما فى العنكبوت بإسكان النون وتخفيف الجيم . وافقهما شعبة وابن كثير فى منجوك والباقون بفتح النون وتشديد الجيم فى الثلاثة . روى شعبة (قدرنا) هنا وقدرناها فى النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديدها . ياءات الإضافة أربع . عبادى أنى أنا . بناتى إن . إنى أنا (متن حرز الأمانى / ١٤١) .

وأما عن القراءات الثلاث المتممة للعشر فيقول الإمام ابن الجزرى فى « الدرّة » : وقرأ يعقوب ﴿قال هذا صراط علىّ مستقيم﴾ [٤١] بكسر اللام ورفع الياء وتشديدها وتنوينها كما لفظ به .

وقرأ خلف ﴿ومن يَقْنِط﴾ [٥٦] بكسر النون .

وقرأ أبو جعفر ﴿ فَبِم تبشرون﴾ [٥٤] بفتح النون (الإيضاح لمتن الدرة / ٩٥) .

أما عن القراءات الشاذة بالنسبة لسورة الحجر فنكتفى بذكر المصنفات فيها فى ثبت المراجع فى نهاية المادة إن شاء الله تعالى .

وجاءت الأبيات التالية فى ألفية التفسير تلخص ما ورد فى سورة الحجر، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص . قال الناظم :

٤٤٦ - وهذا كتاب الله أسماؤه بدت
تزيد على الخمسين بلِّغْ لِتُذْكَرا
٤٤٧ - فَذِكْرٌ وقرآنٌ وروحٌ مصدقٌ
علىٌّ حكيمٌ ثم نورٌ تدبَّرا
٤٤٨ - ولم يستطع عبر الزمان مفكرٌ
ولا فيلسوف أن يكون مُغَيرا

٤٤٩ - وقد ظَلَّ محفوظًا قرونًا طويلةً
على الرغم من كيدِ العِدا ما تغَيَّرا
٤٥٠ - وغيضةَ أشجارٍ تسمى بأيكةٍ
شعيبٌ دعا من كان فيها وحذّرا
٤٥١ - فلم ينتهوا زادوا ضلالاً فظاظة
أُبيدوا بِحَرٍّ مُحْرِقٍ ثمَّ دَمَّرا
٤٥٢ - ثمودٌ نهاهم صالحُ عن جحودهم
منازِلُهم بالشام فى الحجر غائرا
٤٥٣ - فسلْ سبيلاً قد أزيلوا بصيحة
فلستَ ترى منهم نذيرًا مخبّرا
٤٥٤ - وفاتحة تلك المثانى لأنها
تُثَنّى فيتلوها الجميع مُكَرَّرًا
٤٥٥ - وسبِّح بحمد الله صلِّ تذلُّلا
إلى أن يجيء الموتُ حتمًا تبرّرا

(الفية التفسير / ٣٦).

ومن فتاوى الإمام السيوطى فتوى يرد بها على مسألة وردت له نظمًا بشأن ما جاء من الاستثناء فى آيتين فى نسق هما قوله تعالى: ﴿ إلا آل لوطٍ إنَّا لمنجُّوهم أجمعين * إلا امرأته قدَّرنا إنها لمن الغابرين ﴾ [الحجر: ٥٩، ٦٠] وننقلها لك فيما يلى:

مسألة:

ما القول يا عالم العصر الذى شهدت
بفضله فرق الأعجام والعرب
فى قول رب العلا فيما حكاه لنا
فى سورة الحجر عن قوم أولى نسب
مستثنيا فى نجاة آل لوطِهم
بجمعهم يا أولى الأحلام والرتب
مستثنيا ثانيا فى قوله امرأة
مقررا أنها فى غابر الحقب
ما حكم الأول والثانى وذكرهما
فى آية نسقا يفضى إلى السبب
ما الشأن فيه أبِن لا زلت ترشدنا
فى المشكلات وما تبديه من عجب
أنالك جنات النعيم إذا
هال الحساب وظل الناس فى كرب
ثم الصلاة على المختار من مضر
حامى البرية ماحى الشرك والريب
وآله الغر والأصحاب ما طلعت
شمس الضحى وحدا حاد على قتب

الجواب:

حمدًا لمن أنزل القرآن بالعربى
مفصل القول محضًا غير ذى أشب
ثم الصلاة على المختار سيدنا
محمد خير أهل العجم والعرب
إذا تكرر مستثنى نظرت إلى
معناه يوصلك المعنى إلى الأرب
فحيث أمكن فى كل لسابقه
فاجعلنه منه بلا ريب ولا نصب
وهذه الآية الغراء منه فخذ
فصل الخطاب وكن فى الحرب ذا أهب
فأول مخرج من مجرمين عدوا
لآل لوط فلا جرم لآل نبى
والثانى ينفى من الإنجاء مرأته
هذا الجواب عن الأشياخ والكتب
وابن السيوطى يرجو عفو خالقه
وأن يكون بخير الخلق ذا سبب

الأشب فى آخر البيت العاشر: العيب (الحاوى للفتاوى ١/ ٣١٢، ٣١٣).

/ ٣٣ ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ــ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ــ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٩٦ ، ٩٧ ، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام السهيلى ــ تحقيق الأستاذ عبدأ. مهنا / ٨٨ ـ ٩٢ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص ، وأسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١١٨ ــ ١٢٠ ، وأسباب النزول للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميرة / ١٥٩ ، ١٦٠ وأسباب النزول للواحدى / ١٨٦ ، ١٨٧ ، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغا / ٦٢ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ١٤٣ ، ومعانى القرآن لأبى زكريا بن زياد الفرّاء ـ إعداد ودراسة د. إبراهيم الدسوقى عبد العزيز ، إشراف ومراجعة د. عبد الصبور شاهين. سلسلة تقريب التراث (٥) ، مركز الأهرام للترجمة والنشر. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٩م / ١٩٤ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض. ط. مصطفى البابى الحلبى / ١٦٧ ــ ١٦٩ ، والأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيل ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ونخبة من علماء مجلة الأزهر. هدية مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٠هـ / ٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦ . ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ـ الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ١٧١ ، ونواسخ القرآن للإمام الحافظ ابن الجوزى / ١٨٤ ، ١٨٥ ، والتبيان فى أقسام القرآن لابن قيم الجوزية ــ صححه وعلق عليه فضيلة الشيخ طه يوسف شاهين / ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وجواهر القرآن ودرره للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى / ٨٥ ، ١٤٤ ، والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار للإمام أبى عمرو الدانى ـ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٣٩ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٩٠ ، ٩٨ ، وموجز كتاب التقريب فى رسم المصحف العثمانى ليوسف محمود الخوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٥١ ، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ــ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ــ تحقيق د. شوقى ضيف / ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسى ـ تحقيق د. غانم قدورى حمد / ١٠٣ ، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى المعروف بالشاطبية للإمام الشاطبى / ١٤١ ومعه تقريب النفع فى القراءات السبع المطبوع بهامشه ــ الشيخ على محمد الضباع / ١٤١ ، والإيضاح لمتن الدرّة فى القراءات الثلاث المتممة للعشر للإمام ابن الجزرى ـ عبد الفتاح القاضى / ٩٥ ، ألفية التفسير ـ حسين على دجلى / ٣٦ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٣١٢ ، ٣١٣ . انظر أيضًا المبسوط فى القراءات العشر للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانى ــ تحقيق سبيع حمزة حاكمى ، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ بتحقيق على النجدى ناصف ، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢/ ٣٨٣ ، ومختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه / ٧٠ ـ ٧٢ ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ـ عبد الفتاح القاضى ــ ٥٨ ، ٥٩ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو الدانى / ١٣٥ ، وإبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى ـ الإمام أبو شامة ــ تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض / ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، وسراج القارىء المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى للإمام ابن القاصح العذرى / ٢٦٧ ـ ٢٦٩).

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الآتية :

١ - موسوعة الخطوط العربية وزخارفها ـ معروف زريق / ١٣١ .

٢ - الموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد / ٤١ ، ٤٨ ، ٤٣ .

*** ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ـ٨٥٢هـ / ١٣٧٢ـ١٤٤٩م) :**

قال عنه الإمام السيوطى : ابن حجر العسقلانى ، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد ابن على بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكنانى العسقلانى الأصل ، ثم المصرى ، الشافعى ، قاضى القضاة شيخ الإسلام ، شهاب الدين ، أبو الفضل ابن نور الدين ، ابن قطب الدين ، ابن ناصر الدين ، ابن جلال الدين. فريد زمانه ، وحامل لواء السُّنَّة فى أوانه ، ذهبى هذا العصر ونضاره ، وجوهره الذى ثبت به على كثير من الإعصار فخاره ، إمام هذا الفن للمقتدين ، مقدّم عساكر المحدّثين ، وعمدة الوجود فى التوهية والتصحيح ، وأعظم الشهود والحكام فى بابى التعديل والتجريح (انظر مادة « الجرح والتعديل (ــ علم) » فى م ١٢/ ١٠٩ ـ ١١٦).

شهد له بالانفراد خصوصا فى شرح البخارى كلُّ مسلم ، وقضى له كلُّ حاكم بأنه المعلّم . له الحفظ الواسع الذى إذا وصفته فحدِّث عن البحر ابن البحر ولا حرج . والنقد الذى

ضاهى بـه ابن معين فلا يمشى عليه بهرجٌ هـرُج، والتصانيف التى ما شبّهتها إلا بالكنوز والمطالب. فمن ثم قُيّض لها موانع تحول بينها وبين كل طالب. جمّل الله بـه هذا الزمان الأخير، وأحيا به وبشيخه سُنّة الإملاء بعد انقطاعه من دهر كثير. (نظم العقيان/ ٤٥).

وجاء فى الخطط التوفيقية ما يلى:

قال أبـو المحاسن: إن ابن حجر العسقلانى هـو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد المعروف بابن حجـر الكنانى العسقلانـى المصرى الشافعى من مـدينة عسقلان، ولـد بمصر العتيقة ومـات بها، وكان مـولده لاثنين وعشـرين من شهر شعبـان سنـة ثلاث وسبعين وسبعمـائة من الهجرة. قال: وعائلته من آخـر بلاد الجريد فى أرض قابس، ولما مات أبوه ربّاه وصيه فحفظ القرآن، وفى سنة أربع وثمانين حج وعمره إحدى عشرة سنـة، واشتغل بالتجارة أوّلاً وألف إذ ذاك الشعر، ثم اشتغل بالحديث ودرس على عدة من الأفاضل فى مصر وغيرهـا وسافر كثيرًا فأخـذ الحديث بمصر عن شيخ الإسـلام سراج الـدين عمـر البلقينى وغيـره، وأخذ الفقـه عن الحافظ العراقى وغيره، وتلقى عن الشيخ برهان الدين إبراهيم القنبـرى ونـور الـدين الهيثمى والشيخ تقى الـدين محمـد بن محمد الديوى، وتلقى دروسًا عن المفتى صدر الدين سليمان ابن عبد النـاصر بمدينة سريـاقوس، وسافر إلـى الصعيد سنة ثـلاث وتسعين وسبعمائة فـأقام بقـوص وغيـرها من المـدن، واجتمع بعدة أفاضل كالشيخ ناصر الدين قاضى هو وابن فراج قاضى قوص، وفى سنة ثمـان وتسعين تزوج ببنت كريم الدين ابن عبد العزيز ناظر الجيش، وسافر إلى غزة وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الخليلى، ثم سافر إلى مدينة الرملة وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد العابقى، ثـم إلى مدينة الخليل وأخذ عن الشيخ صـالح بن خليل بن سـالم، ثم إلى القدس وأخـذ عن المفتى شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندى وعن بدر الدين حسن بن مـوسى وعن محمد بن محمد المنيحى، وفى سنـة تسع وتسعين سـافر إلى اليمن من طـريق الطـور، واجتمع عند قـرية زبيد بحسين بن على الفـارقى وزير الملك الأشـرف، الذى تـولى الـوزارة سنة سبـع وثمانين وسبعمـائة، وعزل بعـدها بأربع سنين ومـات سنة إحدى وثمـانمائة، وفى سنة ثمانمائة من الهجرة سافر إلى الحج، وبعد سنة رجع إلى مصر وأقـام بالقاهـرة قليلاً، ثم سافـر إلى القدس ليتلقى عن أحمد بن خليل بن كيكلدى، فلما وصل إلى الـرملة بلغه خبر موته فعدل عن القدس إلى دمشق وأقام بها زمنًا وأخذ فيها عن بدر الدين محمـد بن محمد البالسى وعن فـاطمة بنت محمد التنوخى، وفى تلك المـدة اجتمع بصاحب القامـوس محمد الفيروزابادى، ثم رجع إلى القاهـرة وأقام قليلاً وسافر إلى ينبع ومنها إلى منى، وتلقى فيها على زين الدين أبى بكر بن حسين ثم جاور بمكة، ثم سافر إلى اليمن وعدن وزبيد.

وفى سنة ست وثمانمائة رجع إلى مصر واشتغل بالحديث وساعـد فى تقليد تقى الـدين محمد الفـاسى صاحب تـاريخ مكة المشـرفة بقضاء الحنفية فى هـذه المدينة، ومن اشتغـاله بالعلوم على الدوام صار حافظ أهل زمانه، وله وقوف تام على معرفة الـرجال، وكان هو المعوَّل عليـه فى تلقى الحديث عنه فأخـذ عنه الكثيـر من صغير وكبيـر، وكان يـدرس فى خانقـاه بيبـرس مدة عشـرين سنة وتعين نـائبًا لقـاضى القضاة جمـال الدين عبد الرحمن البلقينى عوضًا عن ولى الدين العراقى، ثم تقلّـد القضـاء ثم عزل، وخلفـه الشيخ شمس الـدين محمـد القاياتى وحضر تولية الملك المؤيد شيخ السلطنة سنة خمس عشرة وثمانمائة، وكان إذ ذاك مفتى دار العدل وهو الذى لقب الملك بأبى النصر، ثم ترك الفتـوى وتعين شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير.

وفى سنة عشرين زاره القاضى تاج الدين البغدادى، وكان قد قدم من بغداد إلى مصر.

وفى سنة ثـلاث وعشرين أغار قرا يـوسف على أذربيجان بلاد ابن عمر، فسيـر إليه السلطان قراليك فظفـر به وقتله وأتى برأسـه إلى السلطان، فجمع السلطان العلمـاء واستفتاهم فى شأن قرا يوسف المقتول، فأفتوه بكفـره إلا المترجم فإنه توقف فى الفتوى، فسألـه الملك عن توقفـه فأجاب عن سبب ذلك أنه قدم المفتين عليه فعقد له مجلسًـا ثانيًا وقدمه عليهم فأفتى بما أفتوا به.

وفى سنة أربع وعشرين سافر إلى الحج.

وفى سنـة سبع وعشـرين عينـه الملك الأشـرف بـرسبـاى قاضى قضـاة مصر جميعها عـوضًا عن البلقينى، وعـزل عنها

بعد عشرة أشهر، وخلفه شمس الدين محمد الهراوى، ثم فى سنة ثمان وعشرين رجع إلى وظيفته.

وفى سنة إحدى وثلاثين طُلِبَ للفتوى فى أمر مهمّ وذلك: أن اليهود فى سنة ثلاث وعشرين بنوا دربًا جديدًا بقرب بيعتهم، وسوروه بسور حصين وكان بداخله بيوت للمسلمين، فحكم المترجم على اليهود بعدم استحقاقهم ذلك السور، وحكم بهدمه فهدم، ثم عزل من وظيفة القضاء وخلفه علم الدين صالح البلقينى وبعد سنة رجع إليه واستمر فيها إلى سنة أربعين، ثم عزل وخلفه علم الدين صالح المذكور، ثم عزل ورجع إليه سنة إحدى وأربعين وفى هذه السنة توسط عند السلطان وخلّص القاضى بهاء الدين بن عز الدين عبد العزيز بن البلقينى من تهمته، بأنه أفحش فى جارية بعد ضربه و إشهاره.

وفى سنة سبع وأربعين اشتغل بتأليف تاريخه، ثم عزل فى سنة ثمانٍ لكن رضى عنه وخلع عليه خلعة الرضا، وفى هذه السنة أُصيب بالطَّاعون، ثم عزل فى سنة تسع وخلفه الشيخ شمس الدين القاياتى، ثم مات القاياتى فى تلك السنة فعاد المترجَم إلى الوظيفة ولم يمكث فيها إلا قليلاً وعزل وخلفه علم الدين صالح البلقينى، ومن حينئذٍ انقطع للتأليف حتى مات بعد أن مرض شهورًا، وذلك يوم السبت لثمانى وعشرين من شهر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وصلى عليه فى مصلى بكتمر المؤمنى بالرميلة ودفن بالقرافة، وحضر جنازته السلطان الملك جقمق والخليفة المستكفى بالله سليمان والقضاة والعلماء والأمراء وكثير من العوام يبلغ عددهم نحو خمسين ألفًا ورثاه كثير من العلماء وغيرهم. اهـ.

(الخطط التوفيقية ٦/ ١٠٣-١٠٥).

وجاء فى « المحدثون فى مصر والأزهر »:

هو الإمام « أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد العسقلانى الأصل، المصرى المولد والمنشأ، نزيل القاهرة، ولد بمصر فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ومات أبوه فى رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل فنشأ يتيمًا، ولم يدخل الكتاب حتى أكمل خمس سنين فأكمل حفظ القرآن وله تسع سنين، ثم لم يتهيأ له أن يصلى بالناس التراويح إلا فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وقد أكمل ثنتى عشرة سنة، وكان وصيه الرئيس الشهير أبو بكر نور الدين على الخروبى كبير التجار بمصر قد جاور فى تلك السنة واستصحبه معه، إذ لم يكن له من يكفله ويسمع فى تلك السنة صحيح البخارى على مسند الحجاز عفيف الدين عبد الله الفشاوى خاتمة أصحاب إمام المقام رضى الدين الطبرى. ولم يضبط سماعه لكنه يتحقق أنه لم يسمع الجميع، بل له فيه إجازة شاملة لمروياته، وكان سماعه بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السلاوى الدمشقى تحت سكن الخروبى فى البيت الذى بباب الصفا على يمنة الخارج إلى الصفا ويعرف ببيت عيناء، وهى الشريفة بنت الشريف عجلان، وبالبيت المذكور شباك يطل على المسجد الحرام ويشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود، فكان المستمع والقارئ يجلسان عند الشباك دون مصطبة تحت الشباك المذكور. وكان يجلس فيها مؤدب صاحب الترجمة ومن يدرس معه فكان المؤدب يأمرهم عند قراءة القارئ بالإنصات إلى أن يفرغ حتى ختم الكتاب، لكن صاحب الترجمة ربما خرج لقضاء حاجة ولم يكن هناك ضابط للأسماء، والاعتماد فى ذلك كان على الشيخ نجم الدين الرجانى، فإنه أعلمنى بعد دهر طويل بصورة الحال فاعتمدت عليه وثوقًا به.

وحفظ بعد ذلك كتبًا من مختصرات العلوم، ولازم أحد أوصيائه أيضًا، وهو الشيخ شمس الدين محمد بن على بن محمد بن عيسى بن أبى بكر بن القطان المصرى، فحضر دروسه.

ثم حبب إليه النظر فى التواريخ، وهو بعد فى المكتب فعلق بذهنه شىء كثير من أحوال الرواة.

وفى غضون ذلك سمع من نجم الدين بن رزين وصلاح الدين الزفتاوى وزين الدين بن الشحنة ونظر فى فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين فقال الشعر ونظم مدائح نبوية ومقاطيع.

ثم اجتمع بحافظ العصر زين الدين العراقى وذلك فى شهر رمضان سنة ست وتسعين. فلازمه عشرة أعوام. وحبب

إليه فن الحديث فما انسلخت تلك السنة حتى خرج لشيخه مسند القاهرة أبي إسحاق التنوخي المائة العشارية .

وكان أول من قرأها في جمع حافل الحافظ أبو زرعة ابن الحافظ العراقي .

ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من مسنديها إذ ذاك ثم حج ودخل اليمن فسمع بمكة والمدينة وينبع وزبيد وتعز وعدن وغيرها من البلاد والقرى .

ولقي باليمن إمام اللغة غير مدافع مجد الدين بن الشيرازى، فتناول منه بعض تصنيفه المشهور المسمى «القاموس في اللغة » ولقي جمعًا من فضلاء تلك البلاد ثم رجع إلى القاهرة، ثم رحل إلى الشام فسمع بقطية وغزة والرملة والقدس ودمشق والصالحية وغيرها من القرى والبلاد .

وكانت إقامته بدمشق مائة يوم ومسموعه في تلك المدة نحو ألف جزء حديثية : منها من الكتب الكبار المعجم الأوسط للطبراني، ومعرفة الصحابة لأبي عبد الله بن منده وأكثر مسند أبي يعلى وغير ذلك . ثم رجع وأكمل كتابه «تعليق التعليق » في حياة كبار مشايخه فكتبوا عليه ولازم الشيخ سراج الدين البلقيني إلى أن أذن له، وأذن له بعد إذنه شيخه الحافظ زين الدين العراقي .

ثم أخذ في التصنيف وأملى الأربعين المتباينة بالشيخونية من سنة ثمان وثمانمائة ثم أملى من عشاريات الصحابة نحو مائة مجلس عدة سنين، ثم ولي درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة فأملى فيها، ثم قطعه لما تركها في سنة أربع عشرة وثمانمائة، وتشاغل بالتصنيف ثم ولي مشيخة البيبرسية، ثم تدريس الشافعية بالمدرسة المؤيدية الجديدة .

ثم ولي القضاء في السابعة والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة، فباشر القضاء بالديار المصرية مدة كبيرة .

ابن حجر المحدث وخطيب الأزهر:

تولى ابن حجر الخطابة في عدة مساجد من أكبر المساجد بالقاهرة مثل الجامع الأزهر وجامع عمرو وغيرهما من المساجد الكبرى بالقاهرة فقد كان متبحرًا في العديد من العلوم وكان يفد إليه طلاب العلم وأهل الفضل من سائر الأنحاء، وكان يتسم بالحلم والتواضع والصبر كثير الصيام والقيام .

وكان مرجعًا في الحديث النبوي، حتى لقب بلقب « أمير المؤمنين » في الحديث وهذا اللقب لا يظفر به إلا أكبر المحدثين الأفذاذ وقد حبب إلى ابن حجر الحديث وأقبل عليه بكليته وطلبه من سنة ثلاث وتسعين ولكنه لم يلزم الطلب إلا من سنة ست وتسعين فعكف على الزين العراقي وتخرج به وانتفع بملازمته . وتحول إلى القاهرة فسكنها قبيل القرن وارتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية وأخذ عن الشيوخ والأقران وأذن له جل هؤلاء في الإفتاء والتدريس .

وتصدر لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفًا وإفتاء وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث وفيها من فنون الأدب والفقه - على مائة وخمسين تصنيفًا وقد عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه وأثنى عليه شيوخه في هذا الشأن وقد سبق أنه ولي تدريس الفقه بالمدرسة الشيخونية وتدريس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة ثم تدريس الشافعية بالمؤيدة الجديدة ومشيخة البيبرسية في دولة المؤيد وتدريس الفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة للإمام الشافعي . كما تولى الخطابة بالجامع الأزهر وبين التدريس والإفتاء ولي منصب القضاء . وكانت أول ولايته القضاء في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة بعد أن امتنع أولاً لأنه كان لا يؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئًا غير أن ابن حجر كما يقول السخاوى قد ندم على قبوله وظيفة القضاء ويقول ابن حجر إن من آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل إلى لقائي وأنه بلغه تلبسي بوظيفة القضاء فرجع وعزل عن القضاء وأعيد إليه مرات وكان آخر ولايته القضاء إذ عزل نفسه في الخامس والعشرين من جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

تقدير العلماء وثناؤهم عليه :

عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه ووصل إلى مرتبة الذهبي وأثنى عليه شيوخه في هذا الشأن . فقد شهد له أستاذه الحافظ العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث وقد سئل العراقي أيضًا : من تخلف بعدك؟ قال : ابن حجر ثم أبو زرعة ثم الهيثمي ويقول فيه الحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن فهد :

وكان فى حال طلبه مفيدًا فى زى مستفيد إلى أن انفرد بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لا سيما رجاله وما يتعلق بهم فألف التآليف المفيدة المليحة الجليلة السائدة الشاهدة له بكل فضيلة الدالة على غزارة فوائده والمعربة عن حسن مقاصده جمع فيها فأوعى وفاق أقرانه جنسًا ونوعًا التى تشنفت بسماعها الأسماع وانعقد على كمالها لسان الإجماع.

ويقول فى موضع آخر من ترجمته « وهو إمام علامة حافظ محقق متين الديانة حسن الأخلاق لطيف المحاضرة حسن التعبير عديم النظر لم تر العيون مثله ولا رأى هو مثل نفسه » ويقول صاحب المنهل الصافى ...

كان رحمه الله حافظ العصر حافظ المشرق والمغرب أمير المؤمنين فى الحديث انتهت إليه رياسة علم الحديث من أيام شبيبته بلا مدافعة ويقول ابن المناوى الشافعى فى كتابه اليواقيت والدرر: شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر فريد زمانه حامل لواء السنة فى أوانه ذهبى عصره نضاره وجوهره مرجع الناس فى التصنيف والتصحيح وأعظم الشهود والحكام فى التعديل والتجريح قضى له كل حاكم بارتقائه فى علم الحديث إلى أعلى الدرج. ويقول السيوطى عنه: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ فى زمانه وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقًا قاضى القضاة ... ثم يقول فى ختام ترجمته.

وإن يكن فاتنى حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت فى الفن بتصانيفه واستفدت منها الكثير وقد علق بعده الباب وختم به فى هذا الشأن.

صفاته:

كان ذا وقار ومهابة مع ما احتوى عليه من العقل والحلم والسكون والسياسة والدراية بالأحكام ومداراة الناس قلَّ أن يخاطب الشخص بما يكره بل كان يحسن لمن يسيء إليه ويتجاوز عمن قدر عليه.

وكان جيد الذكاء عظيم الحذق عن ناظره أو حاضره راوية للشعر وأيام من تقدمه ومن عاصره فصيح اللسان شجى الصوت هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة واقتفاء طرق من تقدمه من الصلحاء والسادة (المحدثون فى مصر والأزهر / ٢٤٥-٢٤٨).

شيوخه:

فيما يلى سرد بأسامى من ترجمهم ابن حجر فى ذيل الدرر الكامنة من شيوخه ومن قرأ عليهم وأخذ عنهم وسمع منهم:

	الترجمة
إبراهيم الغزى، ابن زُقاعة:	٤١٤
إبراهيم الأبناسى:	٠٥٧
أحمد الحسينى:	٥٦٦
أحمد الرداد المكى:	٥٠٠
أحمد السويداوى القدسى:	١٤٤
أحمد العراقى، أبو زرعة:	٥٨٣
أحمد البوصيرى:	١٦٨
أحمد الشرجى الزبيدى:	٣٣٢
أحمد الغضائرى، ابن سكر:	١٩٦
أحمد البغدادى، الجوهرى:	٢٧٣
أحمد المقيرى العامرى الأزرقى:	٠٠٥
أحمد بن كُنْد غدى:	٢٢٦
أحمد البلبيسى:	٠٠٦
أبو بكر العثمانى المراغى:	٤١٥
أبو بكر العدنى، ابن المتأذن:	٤١٢
جار الله الشيبانى المكى:	٤٠٠
خليل الشاهد المصرى:	١٥٢
خليل الأقفهسى:	٥٠١
سليمان العلوى التعزى:	٥٦٥
سليمان الأبشيطى:	٣١٩
شمس بن عطاء الهروى:	٦٠٣
عبد الرحمن الدهقلى:	٤٣١
عبد الرحمن الرشيدى:	١١٢
عبد الرحمن بن خلدون:	٢٥٨
عبد الرحيم العراقى الزين:	٢٠٤
عبد العزيز الطيبى الشروطى:	١١٥
عبد الكريم ناظر الجيوش:	٢٣٣
عبد الكريم بن منير الحلبى:	٢٨٤
عبد الله الحلاوى:	٢٢٩
عبد الله الرشيدى:	٢٣٠
عثمان البرماوى:	٤١٩
على الأدمى:	٣٥٢
على النور الهيثمى:	٢٣٨
على اليمانى الخزرجى:	٣٣٤
على البدماصى:	٠٧٤

	الترجمة
على الضرنجى :	٣٥٨
على الفهرى البسطى :	٤٥٠
عمر بن رسلان البلقينى :	١٨١
عمر بن الملقن :	١٦١
عمر الطرابلسى الشاعر :	٣٥٩
غانم المدنى، الخشبى :	٤٦٣
فضل الله بن مكانس :	٥١٥
قنبر العجمى :	٠٣٢
محمد البشتكى :	٦٠٨
محمد الطبرى المكى :	٢٨٩
محمد العجلونى :	٠٣٤
محمد التونسى، الوانوغى :	٤٦٦
محمد القلقشندى :	٢٩٢
محمد الجعبرى القبانى :	٢٦٥
محمد العز بن جماعة :	٤٥١
محمد الفرسيسى :	٢١١
محمد بن حيان الغرناطى :	٢١٣
محمد البرشنسى :	٢٦٣
محمد بن الفرات :	٢٤٢
محمد أبو حامد، المكى :	٤٣٥
محمد بن على القطان :	٣٦٦
محمد بن شكر :	٣٨
محمد : الكيلانى :	٥٠٦
محمد السحولى اليمانى :	٢٤٣
محمد المقدشى :	٠٨٦
محمد، السعد، الصوفى :	٢١٨
محمد، الدُّجوى :	٢٩٤
محمد النستراوى :	٠٨٧
محمد الربعى بن الكويك :	٥٠٩
محمد بن رزين الحموى :	١٩٠
محمد الغمارى :	٠٨٨
محمد، الفخر القاياتى :	٢٦٤
محمد الزركشى :	٣٦٧
محمد الورغمى التونسى :	١٣٤
محمد المجد الفيروزابادى :	٤٣٧
مريم بنت الأذرعى :	١٩٣
موسى الشطنوفى :	٤٤٧
موسى المناوى :	٤٩٠
يوسف الماردينى :	٤٦٨

تلاميذه :

أخذ الناس عن ابن حجر طبقة بعد أخرى وقرأ عليه غالب فقهاء مصر، بل شَدَّ الناس إليه الرحال من الأقطار، ولذلك لن نكون مبالغين إذا قلنا إن رؤساء العلماء من كل مذهب فى كل قطر هم من تلاميذه.

ولقد سرد السخاوى فى الجواهر والدرر أسماء جماعة من الذين أخذوا عن ابن حجر، وأوصل عددهم إلى خمسمائة شخص.

ومن أبرز تلاميذه : إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعيّ الرباط، وزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى السنيكى، وإسماعيل بن محمد بن أبى بكر بن المقرئ اليمنىّ، وابن تغرى بردى، وابن فهد المكىّ، وابن قاضى شهبة الدمشقىّ، ومحمد بن سليمان الكافيجىّ الحنفىّ، والسخاوىّ، وأبو المحاسن الكركى (فتح البارى ١/ ٣١).

مؤلفاته :

قال الشَّمس السخاوى تلميذُ الحافظ ابن حجر فى الصفحة الثامنة والثلاثين من الجزء الثانى من الضوء اللامع حيث ترجم لشيخه :

« وزادت تصانيفُه التى معظمها فى فُنون الحديث وفيها من فُنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفًا رزق فيها من السعد والقبول خصوصًا (فتح البارى بشرح البخارى) الذى لم يسبق نظيره أمرًا عجيبًا ».

وفيما يلى بيان بها مرتب على الحروف :

١ - الآيات النيرات للخوارق المعجزات.

٢ - اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر.

٣ - إتحاف المهرة بأطراف العشرة.

٤ - الإتقان فى فضائل القرآن.

٥ - الأجوبة المشرقة على الأسئلة المفرقة.

٦ - الإحكام لبيان ما فى القرآن من الإبهام.

٧ - أربعون حديثًا متباينة الأسانيد بشرط السماع.

٨ - أسباب النزول.

٩ - الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة .

١٠ - الاستبصار على الطاعن المعثار .

١١ - الاستدراك على الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء .

١٢ - الاستدراك على الكاف الشاف .

١٣ - الإصابة فى تمييز الصحابة . قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبع دار الكتب العلمية ، بيروت . وهى بدون تاريخ وغير محققة ، وتقع فى أربعة مجلدات بها ثمانية أجزاء والجزء التاسع فهارس .

١٤ - أطراف المختارة .

١٥ - أطراف الصحيحين .

١٦ - إطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى .

١٧ - الإعجاب ببيان الأسباب .

١٨ - الإعلام بمن ذكر فى البخارى من الأعلام .

١٩ - الإعلام بمن ولى مصر فى الإسلام .

٢٠ - الإفصاح بتكميل النكت على ابن الصلاح .

٢١ - الأفنان فى رواية القرآن .

٢٢ - إقامة الدلائل على معرفة الأوائل .

٢٣ - الألقاب .

٢٤ - أمالى ابن حجر .

٢٥ - الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع .

٢٦ - الإنارة فى الزيارة .

٢٧ - إنباء الغُمر بأنباء العمر . قالت المؤلفة : النسخة التى عندى هى الجزء الأول فقط - تحقيق د . حسن حبشى ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء ، التراث الإسلامى . الكتاب السادس عشر . القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٢٨ - الانتفاع بترتيب الدارقطنى على الأنواع .

٢٩ - انتقاض الاعتراض .

٣٠ - الأنوار بخصائص المختار .

٣١ - الإيناس بمناقب العباس .

٣٢ - البداية والنهاية .

٣٣ - بذل الماعون بفضل الطاعون .

٣٤ - البسط المبثوث فى خبر البرغوث .

٣٥ - بلوغ المرام بأدلة الأحكام .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبع مصطفى البابى الحلبى . جمادى الأولى ١٣٥١هـ ، وتقع فى ١٩٧ صفحة غير الفهرس .

٣٦ - بيان الفصل بما رجح فيه الإرسال على الوصل .

٣٧ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه .

٣٨ - تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب .

٣٩ - تجريد التفسير .

٤٠ - تحرير الميزان .

٤١ - تحفة أهل التحديث عن شيوخ الحديث .

٤٢ - تحفة الظراف بأوهام الأطراف .

٤٣ - تخريج أحاديث الأذكار للنووى .

٤٤ - تخريج أحاديث الأربعين للنووى .

٤٥ - تخريج أحاديث مُختصر ابن الحاجب .

٤٦ - تخريج الأربعين النووية بالأسانيد العلية .

٤٧ - التعريج على التدريج .

٤٨ - ترجمة النووى .

٤٩ - تسديد القوس فى مختصر مسند الفردوس .

٥٠ - التشويق إلى وصل المهم من التعليق .

٥١ - تصحيح الروضة .

٥٢ - تعجيل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة .

٥٣ - التعريف الأوحد بأوهام من جمع رجال المسند .

٥٤ - تعريف أولى التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان : طبقات المدلسين وهو الكتاب المسمى تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ط . مكتبة الكليات الأزهرية - راجعه طه عبد الرءوف سعد .

٥٥ - تعريف الفئة بمن عاش مئة .

٥٦ - تعقبات على الموضوعات .

٥٧ - تعليق التعليق .

٥٨ - تقريب التقريب .

٥٩ - تقريب التهذيب .

٦٠ - تقريب المنهج بترتيب المدرج .

٦١ - تقويم السناد بمدرج الإسناد .

٦٢ - التمييز فى تخريج أحاديث الوجيز.

٦٣ - تهذيب التهذيب .

٦٤ - تهذيب المدرج .

٦٥ - توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس .

٦٦ - توضيح المشتبه للأزدى فى الأنساب .

٦٧ - التوفيق بتعليق التعليق .

٦٨ - الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل .

٦٩ - الجواب الشافى عن السؤال الخافى .

٧٠ - الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة .

٧١ - الخصال الواردة بحسن الاتصال .

٧٢ - الدراية فى منتخب تخريج أحاديث الهداية .

٧٣ - الدرر فى نفقة قليلة .

٧٤ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

٧٥ - ديوان شعر (كذا فى الشذرات ولم يسمّه ، وسمى المقريزى ديوانه بالنيّرات السبعة) .

٧٦ - ديوان منظوم الدرر.

٧٧ - ذيل الدرر الكامنة . قالت المؤلفة : النسخة التى عندى تحقيق د. عدنان درويش ويأتى بيانها فى ثبت المراجع فى نهاية المادة .

٧٨ - رد المحرم عن المسلم .

٧٩ - الرسالة العزية فى الحساب .

٨٠ - رفع الإصر عن قضاة مصر.

٨١ - الزهر المطلول فى بيان الحديث المعلول .

٨٢ - الزهر النضر فى أنباء الخضر.

٨٣ - السبعة النيرات فى سبعة أسئلة عن السيد الشريف فى مباحث الموضوع .

٨٤ - سلوت ثبت كلوت : التقطها من ثبت أبى الفتح القاهرى .

٨٥ - شرح الأربعين النووية .

٨٦ - شرح سنن الترمذى .

٨٧ - شرح مناسك المنهاج .

٨٨ - شرح منهاج النووى .

٨٩ - شفاء الغلل فى بيان العلل .

٩٠ - الشمس المنيرة فى معرفة الكبيرة .

٩١ - طبقات الحفّاظ .

٩٢ -عرائس الأساس فى مختصر الأساس ، للزمخشرى .

٩٣ - عشاريات الأشياخ .

٩٤ - عشرة أحاديث عشارية الإسناد .

٩٥ - عشرة العاشر.

٩٦ - فتح البارى بشرح البخارى .

قالت المؤلفة : تقوم دار الغد العربى حاليا بنشر هذا المصنَّف الجليل - وثّق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه طه عبد الرءوف سعد ، وقد صدر منه حتى اليوم (الأربعاء ١٥ رمضان ١٤١٥هـ / ١٥ فبراير ١٩٩٥م) اثنا عشر مجلدًا . اهـ.

قال السخاوى تلميذ ابن حجر عن كتاب « فتح البارى » فى معرض كلامه على مصنافته :

« إنها تهادت تصانيفه الملوكُ بسؤال علمائهم لهم فى ذلك حتَّى ورد كتاب من شاه رخ بن تيمور ملك الشرق يستدعى من السلطان الأشرف برسباى هدايا من جملتها « فتح البارى » ، فجهز له صاحبُ الترجمة [أى ابن حجر] ثلاث مجلدات من أوائله ، ثم أعاد الطلب فى سنة : ٨٣٩ ولم يتفق أن الكتاب قد كمل ، فأرسل إليه أيضًا قطعة أخرى . ثم فى زمن الظاهر جقمق جهزت له نسخة كاملة . وكذا وقع لسلطان الغرب أبى فارس عبد العزيز الحفصى فإنه أرسل يستدعيه ، فجهز له ما كمُل من الكتاب . وكان يجهّزُ لكتبة الشرح ولجماعة مجلس الإملاء ذهبًا يفرِّق عليهم . هذا ومصنِّفه حيٌّ

رحمه الله . ولما كمُل شرح البخارى تصنيفًا وقراءة عمل مصنفه رحمه الله وليمة عظيمة بالمكان الذى بناه المؤيد خارج القاهرة فى يوم السبت ثامن شعبان سنة ٨٤٢ وقرأ المجلس الأخير هنالك . وجلس المصنِّف على الكرسى ، وكان يومًا مشهودًا لم يعهد أهلُ العصر مثله ، بمحضر من العلماء ، والقضاة ، والرؤساء ، والفضلاء ، وقال الشعراء فى ذلك فأكثروا ، وفرق عليهم الذهب ، وكان المستغرق فى الوليمة المذكورة نحو خمسمائة دينار » (نقل ذلك الشوكانى فى البدر ٢/ ٩٠ عن السخاوى) (الضوء اللامع ٢/ ٤١) .

٩٧ - فضائل شهر رجب .

٩٨ - فهرست مروياته .

٩٩ - فوائد الاحتفال فى بيان أحوال الرجال ، لرجال البخارى .

١٠٠ - الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة .

١٠١ - قذى العين من نظم غريب البين .

١٠٢ - القصارى فى الحديث .

١٠٣ - القول المسدد فى الذبّ عن المسند .

١٠٤ - الكاف الشاف فى تحرير أحاديث الكشاف .

١٠٥ - كشف الستر عن حكم الصلاة بعد الوتر .

١٠٦ - لذة العيش بجمع طرق حديث « الأئمة من قريش» .

١٠٧ - لسان الميزان .

١٠٨ - المجمع المؤسس فى المعجم المفهرس .

١٠٩ - مختصر البداية والنهاية لابن كثير .

١١٠ - مختصر تهذيب الكمال .

١١١ - المرجمة الغيثية عن الترجمة الليثية .

١١٢ - مزيد النفع بما رجح فيه الوقف على الرفع .

١١٣ - المسلسل بالأولية بطرق علية .

١١٤ - المسند المعتلى بأطراف الحنبلى .

١١٥ - المشتبه .

١١٦ - المطالب العالية من رواية المسانيد الثمانية .

١١٧ - المطالب العالية فى زوائد الثمانية .

١١٨ - المقترب فى بيان المضطرب .

١١٩ - المقصد الأحمد فيمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد .

١٢٠ - الممتع فى منسك المتمتع .

١٢١ - المنحة فيما علق به الشافعى القول على الصحة .

١٢٢ - منسك الحج .

١٢٣ - النبأ الأنبه فى بناء الكعبة .

١٢٤ - نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر .

١٢٥ - نزهة الألباب فى الأنساب .

١٢٦ - نزهة القلوب فى معرفة المبدل من المقلوب .

١٢٧ - نزهة النظر بتوضيح نخبة الفكر .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان « نزهة النظر شرح نخبة الفِكَر فى مصطلح أهل الأثر » طبع مكتبة التوعية الإسلامية . بدون تاريخ ورقم الإيداع ١٩٧٥ ، ويقع فى ٧٩ صفحة ، وصفحة فهرس .

١٢٨ - النكت الحديثية على كتاب ابن الصلاح .

١٢٩ - نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب .

١٣٠ - النيرات السبعة ، ديوان ابن حجر .

١٣١ - هداية الرواة إلى تخريج المصابيح والمشكاة .

١٣٢ - هدى السارى لمقدمة فتح البارى .

(ذيل الدرر الكامنة / ٣٣-٤٠) .

شعره :

يقول الدكتور عدنان درويش فى مقدمة تحقيقه كتاب : «ذيل الدرر الكامنة » (ص٢٣ ، ٢٥) وله شعر أعذب من الماء الزلال ، وأعجب من السحر إلا أنه حلال ، وقد اختار منه مجلدة سمّاها «النيرات السبعة » جعله سبعة أنواع ، فافتتحه بالنبوّات ، ثم بالملوكيات ، ثم بالقاضويات ، ثم بالغَزليّات ، ثم بالأغراض المختلفة ، ثم بالموشحات ، ثم بالمقاطيع ، وقال فى أوله :

يا سيِّدًا طالعه إن
راق بمعناه قَعُد

وافتــحْ لـــــه بـــابَ الــــرِّضى
وإن تجـــــدْ عيبًـــا فَسُــــدْ

ثم يورد أبياتا أخرى ننتقى منها ما يلى :

قوله مما يُقرأ على قافيتين (ص ٢٣) :

دَعِ الـــذمَّ للــدنيـــا فكم من مـــوفَّقٍ
يقـــول وقـــد لاقى نعيمًـــا بجَنَّـــةِ
حيــاتى لــو مُـــدَّتْ لـزادت سعــادتى
فياليت أيامى أُطيلت ومُدَّت ومُـدَّتِى

وقوله مما يقرأ على وزنين (ص ٢٥) :

قــامــةُ ذا الشيخ مـــا حَنَــاهـــا
إلا لمعنـــــــى أراه أَلْيَـــــقْ
كـأنــــــه فكَّــــــر المعَنَّى
فى ســـوء أفعـــالـــه فـاطـــرقْ

كما أورد ابن القاضى صاحب « درة الحجـال » أبياتا منها قوله رحمه الله :

قــرب الــرحيل إلى ديـــار الآخــرةْ
فـــاجعل إلهـى خيـــر عُمـــرى آخـــرهْ
آنس مبيتـى فى القبـــور ووحـــدتـى
وارحم عظـــامى حين تبقـى نـــاخـــرةْ
فلئـن رحمـت فـأنت أكـــرم راحـمِ
فبحـــار جـــودك يـــا إلهى زاخـــرةْ
فأنـــا المفـــرِّطُ والـــذى أيـــامـــهُ
ولـت بأوزار غـــدتْ متكـــاثـــرةْ
والطُفْ بـــه فى حـــالـــه ومـــآلـــهِ
يـــا مـــالـك الـدنيـــا وربَّ الآخـــرةْ

(ذيل وفيات الأعيان ١/ ٦٥) .

وأورد له تلميذه الشمس السخاوى قوله رحمه الله :

خليلى ولَّى العمـــر منَّـــا ولم نتُبْ
وننـــوى فعـــال الصـــالحـــات ولكنَّـــا
فحتَّى متى نبنى بيـــوتًـــا مشيـــدةً
وأعمـــارنـــا منـــا تُهَـــدُّ ومـــا تُبْنَى

وقوله :

لقـــــد آن أن نتَّقى خـــــالقَـــــا
إليـــه المـــآب ومنـــه النشـــور
فنحن لصــــرف الـــردى يـــا لنـــا
جميعـــــا من المـــوت واقٍ نصيـــر

وفاته :

وفى وفاته يقول تلميذه الشمس السخاوى :

« ولم يـزل على جلالتـه وعظمته فى النفـوس، ومداومتـه على أنـواع الخيرات إلى أن تـوفى فى أواخـر ذى الحجة سنـة اثنتين وخمسين [وثمانمـائة] وكان له مشهد لم يـر من حضره من الشيـوخ فضـلاً عمن دونـه مثلـه، وشهـد أميـر المـؤمنين والسلطان فمن دونهمـا الصلاة عليه، وقدَّم السلطـان الخليفة للصلاة، ودفن تجـاه تربـة الديلمى بالقـرافة. وتـزاحم الأمراءُ والأكـابـر على حمل نعشـه، ومشى إلى تـربتـه من لـم يمش نصف مسافتها قط، ولم يخلفْ بعدهُ فى مجموعه مثلُه، ورثاه غير واحد بمـا مقامُه أجلُّ منه رحمه الله وإيـانا » اهـ. (الضوء اللامع ٢/ ٤٠).

وقال على مبـارك : مات بعد أن مرض شهـورا، وذلك يوم السبت لثمـان وعشـرين من شهـر ذى الحجـة سنـة اثنتين وخمسين وثمانمـائة، وصُلِّى عليه فى مصلَّى بكتمـر المؤمنى بـالرميلـة، ودُفن بالقـرافـة، وحضر جنـازته السلطـان الملك جقمق، والخليفة المستكفى بـالله سليمان والقضـاة والعلماء والأمراء وكثير من العوام يبلغ عددهم نحو خمسين ألفًا، ورثاه كثير مـن العلماء (الخطط التوفيقية ٦/ ١٠٥) وقيل أيضًا إنه دفن بصدر تربة زكى الخروبى أحد أوصيائه بالقرب من الإمام الليث ابن سعد المتوفى سنة ١٧٥ هـ (المخطوطات العربية / ٩٤).

وقال السيـوطى : أملى أكثر من ألف مجلس، وتـوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وخُتم به الفن .

حـدثنى الشهـاب المنصورى شـاعـر العصـر أنه حضـر جنازتـه، فأمطرت السمـاء على نعشه وقـد قرب إلى المصلى ولم يكن زمان مطر. قال : فأنشدتُ فى ذلك الوقت :

قـــــــدْ بكـتِ السُّحبُ علـى
قـــاضى القُضـــاة بـــالمطَـــرْ

وانهدم الركن الذي
كان مشيدًا من حَجَر

ورثاه شهاب الدين الحجازي بقصيدة نحو خمسين بيتًا أولها:

كُلُّ البرية للمنيةِ صائِرَهْ
وقفُوا لها شيئًا فشيئًا سائرهْ
والنَّفْسُ إن رضيت بِذا رَبِحتْ
وإن لم ترضَ كانت عند ذلك خاسرهْ
وأنا الذي راضٍ بأحكام مَضتْ
عن ربِّنا البر المُهيمن صادرهْ
لكنْ سئمتُ العيشَ من بعد الذي
قد خلَّف الأفكار مِنَّا حائرهْ
هُو شيخُ الإسلامِ المعظَّمُ قَدرُهُ
من كان أوْحَدَ عصرِهِ والنَّادِرَهْ
قاضي القضاة العسقلاني الذي
لمْ ترفَعِ الدُّنيا خصيمًا ناظرهْ
وشهابُ دين الله ذِي الفَضْلِ الَّذي
أرْبَى على عدد النُّجوم مكاثرَهْ
لا تعجبُوا لعُلُوِّه فأبُوه في الدّ
نيا عَلاً من قبلِهِ والآخرهْ
هُو كيمياء العلم كَمْ من طالبٍ
بالكسرِ جاء لَهُ فأضْحى جابرَهْ

إلى أن قال في آخرها:

يا نار شوقي بالفراق تأجّجي
يا أدحي بالمُزْنِ كُوني ساخِرَهْ
يا قبر طِبْ قد صرت بيت العلم أوْ
عينًا به إنسان قطب الدَّائِرَهْ
يا موتُ إنك قد نزلتَ بذي النَّدَى
ومذ استضفت حباك نفسًا حاضِرَهْ
يا ربّ فارحمهُ واسقِ ضريحه
بسحائب من فيض فضلك غامِرَهْ
يا نفسُ صبرًا فالتأسِّي لائقٌ
بوفاة أعظم شافعٍ في الآخرهْ
المصطفى زين النَّبِيِّين الَّذي
حاز العُلا والمعجزات الباهِرَهْ
وصلى على الله ما جال الرّدى
فينا وجرّد للبرية باتِرهْ
وعلى عشيرته الكرام وآله
وعلى صحابته النُّجوم الزَّاهِرَهْ

(الخطط التوفيقية ٦/ ١٠٦، وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٤).

ورثاه تلميذه إبراهيم البقاعي بقصيدة مطلعها:

رزءٌ ألَمَّ فقلتُ الدهرَ في وَهَجِ
وأعقل الناس منسوبًا إلى الهوجِ

ورثاه الفاضل أبو هريرة عبد الرحمن بن عليّ النقّاش قائلا:

قفا نَبْكِ بالقاموس الغامض الرجز
والمرسلات بماء الغيث والمطرِ

(فتح الباري ١/ ٣٦ مقدمة المحقق).

وفيما يلي بيان بمخطوطين لكتابين من مؤلفات ابن حجر.

١ - إنباء الغُمر بأنباء العُمر:

(رجل غُمر: لم يجرب الأمور).

إنباء الغُمر بأنباء العمر ــ في التاريخ للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. أوله: الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى ... إلخ ذكر فيه أنه جمع الحوادث التي أدركها منذ ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوعبا لرواة الحديث وغالب ما نقله من تاريخ ناصر الدين بن الفرات وصارم الدين ابن دقماق وشهاب الدين ابن حجي والمقريزي والتقي الفاسي والصلاح خليل الأقفهسي والبدر العيني وأورد ما شاهده أيضًا. قال: وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلا على تاريخ الحافظ ابن كثير فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه

السنة ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلا على وفيات ابن رافع وانتهى فيه إلى سنة خمسين وثمانمائة والذيل عليه لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة بلغ فيه إلى آخر سنة سبعين وسماه إظهار العصر لأسرار أهل العصر. أوله : الحمد لله الذى يبدئ ويعيد ... إلخ، . وذيل آخر المسمى بأبناء المصر فى أبناء العصر من سنة إحدى وخمسين إلى سنة ست وثمانين .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى (الجزء الأول) طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى، الكتاب السادس عشر ـــ تحقيق د. حسين حبشى، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م. وقد أورد المحقق فى مقدمته أسماء المكتبات التى توجد بها مخطوطات هذا الكتاب مما ننقله لك فيما يلى :



١ - نسخة بخط المؤلف فى المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٢٤١ تاريخ .

٢ - نسخة بمكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة رقم ٧١٠ تاريخ (النسخة الأزهرية).

٣ - نسخة بالمتحف البريطانى بلندن رقم Add. 7321

٤ - نسخة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ١/٢٩٤٢ .

٥ - نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٦٠١ .

٦ - نسخة فى السعيدية بحيدرأباد، بالهند، رقم ٩٤ تاريخ .

٧ - نسخة المدينة المنورة، رقم ٥٢٣ مدينة .

٨ - نسخة خزائنية بصنعاء، على فيلم بدار الكتب المصرية . (إنباء الغمر ١/ ٢٣، ٢٦) .

وتوجد نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخططوطات . برقم تسلسلى ١٤٠٤، ١٤٠٥ وإليك بيانها :

إنباء الغُمر بأنباء العمر: لشهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على، ابن حجر العسقلانى، المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

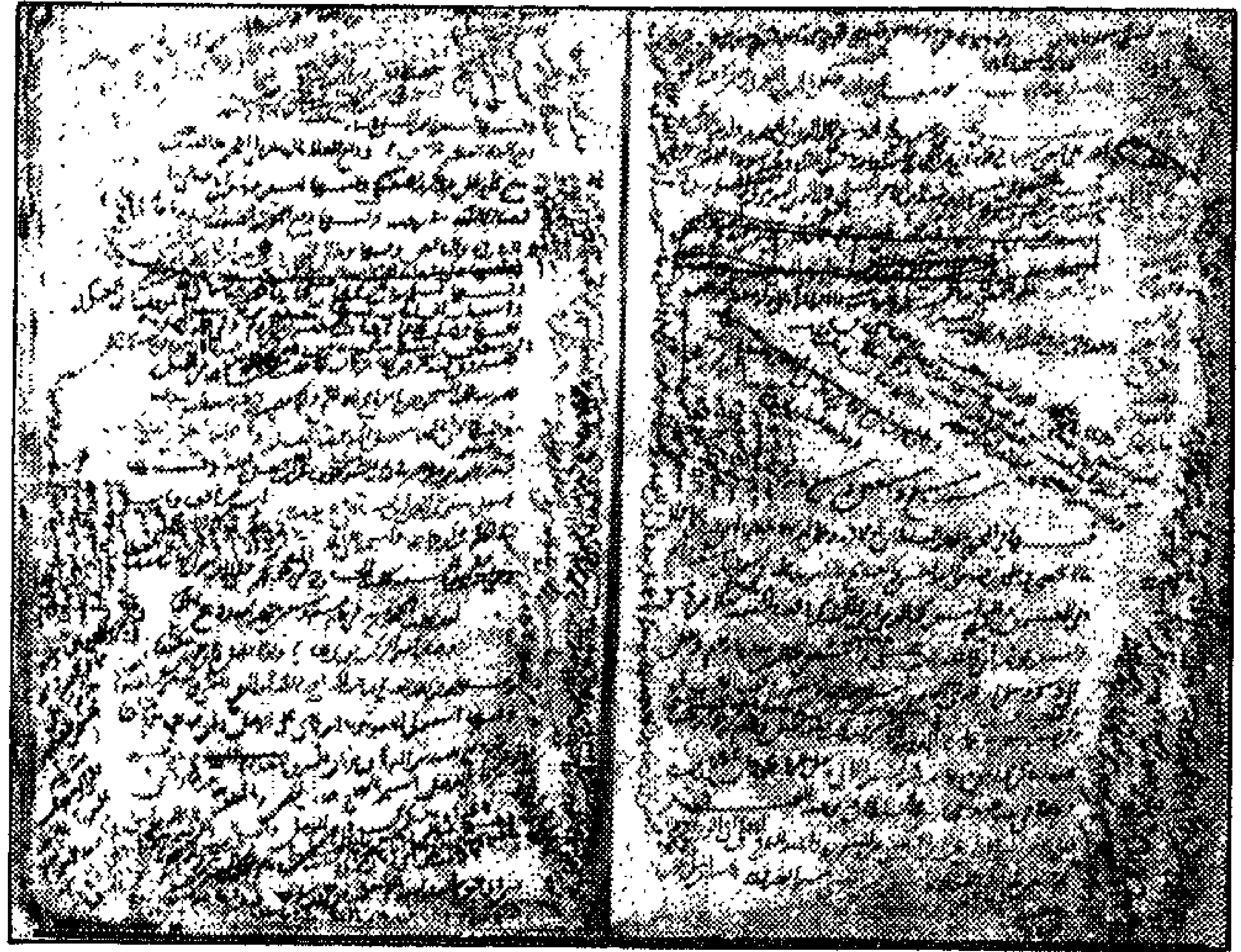
الجزء الأول .

أوله : « الحمد لله الباقى وكل مخلوق يفنى ... أما بعد ... هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذى أدركته منذ مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وهلم جرا ... » .

وآخره آخر حوادث سنة إحدى عشرة وثمانمائة .

نسخة كتبت بخط نسخى وعلى النسخة تملك سنة ١٠٩٥هـ، وهى نسخة خزائنية فى لوحة منها آثار رطوبة، وتقع فى ٢٧٤ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرًا .

[الأوقاف العامة ببغداد ٨٨٣] UNESCO .



١٤٠٥ ـ الجزء الأول، وبعض الثانى من نسخة أخرى.

وأوله: « الحمد لله الباقى وكل مخلوق يفنى ... أما بعد ... هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذى أدركته من مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وهلم جرا ... ».

وآخره فى وفيات سنة ٨١٤هـ، فى أثناء ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن أبى الوفا.

نسخة كتبت بخط مغربى، وبها آثار رطوبة وأرضة، وكثير من صفحاتها مطموس، وهى فى ٢٣٥ ورقة ومسطرتها ٣١ سطرًا.

[الرباط ٣٢٤ك] UNESCO.

(فهرس المخطوطات المصورة / ٥١، ٥٢).

كذلك يوجد مخطوط بخزانة المدرسة العثمانية الرضائية بحلب (فى محلة الفرافرة ــ باب النصر) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف وإليك بيانه:

الجزء الأول:

جمع فيه حوادث الزمن الذى عاش فيه مبتدئًا بسنة مولده مفصلاً فى وفيات الأعيان مستوعبًا لرواة الحديث وأورد فيه على الغالب ما شاهده أو تلقاه أو وجده بخط من أبوى المترجم له من مشايخه وأصحابه.

وذكر فى خطبة الكتاب أمثلة من تلقى عنهم من المشايخ.

وبلغ فى الجزء الأول هذا إلى آخر ترجمة (بليغا بن عبد الله السالمى الظاهرى).

- أوله بعد البسملة « الحمد لله الباقى وكل مخلوق يفنى، الواقى ولو أعرض عن عبده لما استغنى ... ».

- آخر الجزء الأول « ... فأدين فى قتله فقتل وكانت له مروة ».

- النسخة جيدة لم يذكر فى ختمة هذا الجزء اسم ناسخه أو تاريخ نسخه، خطها فارسى ثخين الحروف وجعل النسخة مذهبة وأسماء الأعلام بالحمرة، وقد اهترأت أطراف أوراقها فرتقت.

(٢٢٢)ق ـ المسطرة (٢٩س) ـ العثمانية الرضائية ـ التراجم (٢٣٨/ ١).

٢ - الجزء الثانى منه.

- من نسخة الجزء الأول ذاتها.

- يبتدئ بأول الحديث عن حوادث سنة ٨١٢هـ ورجالها وينتهى عند آخر حوادث سنة ٨٥٠هـ ورجالها وهو آخر الكتاب.

- أوله بعد البسملة « سنة اثنتى عشرة وثمانمائة استهلت والناصر مصمم على قصد دمشق ».

- آخر الكتاب وختمته « ... وينسب إلى شىء يستقبح

ذكره والله أعلم بسريرته . هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الإمام الحفاظ القاضى شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر الشافعى ».

- النسخة من نسخ نسخة الجزء الأول من الكتاب خطها فارسى ثخين وجعلت الأعلام والسنين بالحمرة وللجزء الثانى هذا أيضًا طرة مذهبة ولم نقف على تاريخ نسخ الكتاب ونقدر أنه يعود إلى القرن العاشر وفى آخر النسخة حواش فيها أنباذ من كتب التاريخ .

(٢٠٢ق) المسطرة (٢٩س) ـ العثمانية الرضائية (٢٣٨/ ٢) ، التراجم . (المنتخب ق٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢) .

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢) .

٢ - الإمداد شرح الإرشاد (جـ٢) :

الإرشاد هو لشرف الدين إسماعيل بن أبى بكر بن المقرى اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٨٣٦هـ .

أما الإمداد شرح الإرشاد فهو مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ، والموجود منه الجزء الثانى وجاء بيانه كالتالى :

مؤلفه : أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة الشافعى ويعرف بابن حجر (شهاب الدين ، أبو الفضل) ٧٧٢ - ٨٥٢هـ .

أوله : « باب فى البيع وهو اسم جنس ويطلق على قسيم الشرى فيشتق منه لمن صدر عنه لفظ البائع ... إلخ » .

آخره : « وأن لا يخلى يوما من التصدق بشىء وإن قلّ لقوله ﷺ « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس أو قال حتى يحكم بين الناس » .

ناسخه : مجهول ، عليه مقابلتان : الأولى من قبل الناسخ على نسخة قوبلت على نسخة المؤلف سنة ١٢٤٤هـ والثانية حسب أمر الأمير سليمان بيك سنة ١٢٤٥هـ . مجدولة الصفحات ، خطه نسخى جميل كتب المتن بالحبر الأحمر ورقه خفيف . سقط منه جلده . نسخة جيدة .

و : ٢١٨ .

م : ٣٠ × ٢٠ .

س : ٢٧ .   ت / ٣٧٧ .

مصادر الكتاب والمؤلف : كشف الظنون ١/ ٦٩ ، ومعجم المؤلفين جـ٢/ ٢٠ .

(مخطوطات السليمانية ١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(نظم العقيان فى أعيان الزمان للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى / ٤٥ ، والخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك - إعداد متولى خليل عوض الله ٦/ ١٠٣ - ١٠٥ ، والمحدثون فى مصر والأزهر - أ . د . الحسينى هاشم ، وأ . د . أحمد عمر هاشم . المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . صفر ١٤٠٦هـ - نوفمبر ١٩٨٥م/ ٢٤٥ - ٢٤٨ ، وذيل الدرر الكامنة لأبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى - تحقيق د . عدنان درويش . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد المخطوطات العربية . القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢/ ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٣ - ٤٠ ، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى ٢/ ٤٠ ، وذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال فى أسماء الرجال لابن القاضى - تحقيق د . محمد الأحمدى أبى النور ١/ ٦٥ ، والمخطوطات العربية - عزت ياسين أبو هيبة / ٩٤ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣٦٤ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى - وثّق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١/ ٣٦ مقدمة المحقق . وكشف الظنون ١/ ١٧١ ، وإنباء الغمر بأنباء العمر لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى - تحقيق د . حسن حبشى ١/ ٢٣ ، ٢٦ وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٢ ق٤ القاهرة ١٩٧٠م/ ٥١ ، ٥٢ والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

*** ابن حجر الهيثمى (٩٠٩ - ٩٧٤هـ / ١٥٠٤ - ١٥٦٧م) :**

ورد اسمه فى الأعلام ١/ ٢٣٤ الهيتمى بالتاء ، وورد فى الكواكب السائرة بالثاء المثلثة وجاءت ترجمته كما يلى : إذ أدرجه الشيخ نجم الدين الغزّى فى الطبقة الثالثة من المائة العاشرة وقال عنه :

أحمد بن حجر الهيثمى : أحمد بن أحمد بن محمد بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر

الهيثمي قرية بالصعيد المصري ثم المكي الشافعي مفتي مكة أخبرني عنه تلميذه شيخ الإسلام محمد بن عبد العزيز الزمزمي مفتي مكة وأن مولده سنة إحدى عشرة وتسعمائة وأجازه القاضي زكريا والشيخ عبد الحق وغيرهما وأخذ الفقه عن شيخ الإسلام شهاب الدين الرملي وغيره واجتمع بالوالد سنة اثنتين وخمسين بمكة وتذاكر معه والوالد أسن منه وأخذ منه من أهل الشام جماعة منهم الشهب الثلاثة أخي والأيدوني وابن الشيخ الطيبي، وأجاز أخي بالإفتاء والتدريس ورأيت بخط بعض الفضلاء إليه وهو نظم ركيك في ضبط المفصل:

مفصل حجرات وقيل قتالهم
وصف وملك ثم جاثية فتح
وقاف ضحى سبّح وعاشر هذه
فمن قال يس إن تمَّ لنا الفتح

وقد حرص محقق كتاب الكواكب السائرة (انظر ثبت المراجع) على ذكر ترجمتين للهيثمي وردتا في نسخة المخطوط التي رمز إليها بالحرف « ع » فقال: لقد رأينا أن ننقل هنا كامل الترجمة من الموضعين في « ع » للمقابلة.

القسم الأول:

أحمد بن محمد الشيخ الإمام العلامة الفقيه شهاب الدين ابن حجر الهيثمي المصري المكي الشافعي ولد في سنة إحدى عشرة وتسعمائة وأخذ عن القاضي زكريا والشيخ شهاب الدين الرملي وغيرهما من المصريين وله من التصانيف شرح الإرشاد وشرح المنهاج وشرح العباب والزواجر في الكبائر والصغائر والصواعق المحرقة في الرد على الروافض والزندقة وشرح الهمزية للبوصيري وشرح الشمائل للترمذي والدرر المنظم في زيارة القبر المعظم والدر المنضود في الصلاة على المقام المحمود وفي المكفرات وغير ذلك. وهو عمدة المتأخرين والذي يرجع إلى كلامه في الإفتاء بعد كلام الرافعي والنووي والقاضي زكريا من المتأخرين وكان فقيه مكة وواعظها ومحدثها وممن أخذ عنه من علماء الشام الشيخ شهاب الدين الدولي شاع بدمشق موته في شعبان سنة إحدى وسبعين وتسعمائة حين صلي عليه ثم تبين أنه لم يمت وتأخرت وفاته إلى سنة ثلاث وسبعين بتقديم السين وتسعمائة بمكة المشرفة رحمه الله تعالى (في الأعلام وفاته سنة ٩٧٤).

القسم الثاني:

أحمد بن أحمد بن محمد الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر تقدمت هذه الترجمة قريبًا وهذه زيادة على الترجمة المتقدمة وجد على بعض نسخ التحفة ما صورته: ابن حجر الهيثمي هو أحمد شهاب الدين ابن محمد شمس الدين بن علي نور الدين بن حجر من بني سعد الموجودين الآن بالشرقية سمى جده بحجر لأنه كان ملازمًا للصمت لا يتكلم إلا لضرورة حاقة وإلا فهو مشغول عن الناس بما منّ الله عليه به فلهذا اشتهر بحجر ملقى لا ينطق وقالوا حجر ثم اشتهر بذلك. عاش هذا الملقب بحجر من العمر مائة وعشرين سنة ولم يخرف وله عبادات كثيرة. أصل وطنه سلنبت من بلاد بني حرام الآن ثم انتقل إلى الغربية لما كثرت الفتن فسكن محلة أبي الهيثم واستوطنها فولد بها صاحب الترجمة في سنة تسع وتسعمائة في أواخرها ووقع لبعضهم خبط في مولده وأنه سنة ثمان وهو خطأ ثم مات أبوه وهو صغير في حياة جده المذكور بعد أن حفظ القرآن وكثيرًا من المنهاج ثم مات جده فكفله الشيخان العارفان الشمسان الشناوي وابن أبي الحمائل وكان شيخ الإسلام يدعو له كثيرًا بالفقه في الدين حتى قال ما اجتمعت به قط إلا قال لي اسأل الله أن يفقهه في الدين وأما نسبته بالهيثمي فضبطها عبد القادر الفاكهي في ترجمته بالمثناة الفوقية. وأما ما يقع لبعض المتشدقين من قراءته بالمثلثة فلم أقف عليه في كلام أئمة المنقول. توفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة رحمه الله تعالى. انتهى (الكواكب السائرة ٣/ ١١١ ـ ١١٣).

كما ترجم له الزركلي وأورد اسمه بالتاء المثناة وأحصى مؤلفاته فقال عنه: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر). تلقى العلم في الأزهر ومات بمكة.

له تصانيف كثيرة، منها « مبلغ الأرب في فضائل العرب » و « الجوهر المنظم » رحلة إلى المدينة، و « الصواعق

المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة » ، و « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » فى فقه الشافعية .

قالت المؤلفة : أوردنا هذا الأخير فى م٩/ ١٩ ــ ٢٢ والمادة مصحوبة بصورتين لمخطوطه فانظرها فى موضعها .

وله أيضًا « الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان»، و « الفتاوى الهيثمية » مطبوع، أربع مجلدات، و«شرح مشكاة المصابيح للتبريزى » و « الإيعاب فى شرح العباب » و « الإمداد فى شرح الإرشاد للمقرى » و « شرح الأربعين النووية » و « نصيحة الملوك » و« تحرير المقال فى آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » .

قالت المؤلفة : مخطوط « تحرير المقال » يأتى الكلام عليه فى نهاية المادة وله أيضًا « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل » و « خلاصة الأئمة الأربعة » مخطوط فى دمشق ١٤ ورقة، و « المنح المكية » مخطوط فى شرح همزية البوصيرى، قال الزركلى : رأيته فى مكتبة الفاتيكان (١٥٧٤ عربى) ، و « المنهج القويم فى مسائل التعليم » شرح لمقدمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن فضل الحضرمى، و« الدرر الزاهرة فى كشف بيان الآخرة » مخطوط. رسالة قال الزركلى إنها عنده (ضمن مجموعة) و«كف الرعاع عن استماع آلات السماع» ، و « الزواجر عن اقتراف الكبائر » و « تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات » رسالة لطيفة كتبت سنة ٩٥٠ فى الرباط (آخر المجموع ٢٢٦٢ كتانى) و « المنح المكية » شرح لهمزية البوصيرى (الأعلام ١/ ٢٣٤).

وكنا قد أوردنا فى م٨/ ٥٦١ عنوانا لمخطوط هو « تحرير المقال فى آداب وأحكام ما يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » وأحلنا إلى مادة ابن حجر الهيثمى ومن ثم فإننا نذكره هنا مع صور له .

وقد تكلم الدكتور هشام نشابة عن « تحرير المقال » باعتباره رسالة تربوية من رسائل التراث فى هذا المجال فقال وقد أثبت الاسم بالثاء المثلثة :

والهيثمى من البارزين بين فقهاء الشافعية المتأخرين. وهو فقيهٌ وأصولى وليس رجل تربية أو مذاقٍ تعليمى، لذلك أتت رسالتُه فقهية الطابع، شديدة القسوة على معلمى الكُتاب. والواقع أن هذه النزعة الزجرية التى تسودُ رسالة الهيثمى فى مواجهة مؤدِّبى الأطفال فى القرن العاشر، تبدو فى سائر مؤلفاته التى عرفناها مطبوعة من مثل : الزواجر عن اقتراف الكبائر، والصواعق المحرقة . فقد نصب نفسه لمقاومة البدع فى المجتمع . والمبتدعات كثيرةٌ فى تلك العصور المتأخرة، لأنها تشمل عند ابن حجر كلَّ جديدٍ .

يبدأ ابن حجر الهيثمى رسالته بإيضاح فضل القرآن، وفضل قرَّائه ــ لأن القرآن هو أول كتاب يتعلمه الصغارُ. وهذا القسم مأخوذٌ فى أكثر أجزائه وأحاديثه من فضائل القرآن لابن كثير (ــ ٧٧٤هـ) وآداب حملة القرآن وآداب تلاوته للنووى (ــ٦٧٦هـ) . لكنَّ الهيثمى أضاف أحاديث وأخبارًا لم أستطع أن أتبين مصادرها، وإن كان هو يذكر أسانيدها ورُواتها، ويعقد بعد ذلك فصلاً يبين فيه حُكْم أخذ الأجرة على تعليم القرآن. ومعروفٌ أن الراجح فى مذهب الشافعى عدم جواز الأجر على تعليم القرآن. لكن الواقع السائد أيام ابن حجر كان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرف حملة كتابه
ومعلميه بان جعلهم خير خلقه
وسادا تهم ونظمهم في سلك
محبيه واسبغ عليهم مزايا
كما لاتهم واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له شهادة
توصل لمعاليه
سيدنا محمدا عبده ورسوله
الناشر لعبير سعادا تهم
صلى الله عليه وعلى اله واصحابه

الذين افنوا نفوسهم في تعلم
كتابه وتعليمه الى ان
حقت لهم جميع مطالبهم

دايمين بدوام تعظيمه لهم
وتكريمه لهم في دار رضوانه
ومشاهدة انعم
علي من بعض صلحاء مؤدبي
الاطفال ثاني جمادى الاولى
سنة سبع وخمسين وتسع
مائة اسيلة مهمة وتدقيقات
الاجوبة

الاجوبة عنها متحتمة فلما
اردت عنها طال
الكلام وانتشروا الى متدما
واقيسة انتجها واضح البرهان
وتدقيق احتاج النظر فيها تمت
مصونة عن سفساف المكثرين
محجوبة بتحقيقات طبق
تحقيقات المتقدمين
والمتاخرين دعاني ذلك
الى جعلها تاليفا لطيفا
واعوذجا شريفا تقربه

هذا كتاب تحرير المقال
في الآداب والأحكام
وفوائد يحتاج اليها
في تأديب الأطفال
تأليف الشيخ
علي المكي رحمه
الله تعالى عليه
آمين وصلى
الله على محمد
وآله وصحبه
وسلم



غيـر ذلك. ومن هنا كـان استنكـاره وتبديعه للآخـذين للمـال على تحفيظ القرآن. بيد أنه لم يقدّم حلاً للمشلكة التى بقيت إلى أيامنا هـذه، هذا إلاّ إذا اعتبرنا إيراده للآراء المحلّلة لأخذ الأجـرة تسليمًا منـه بـالمستجـدّ فى هـذا الشأن ...

بيد أن تدقيقات ابن حجر الهيثمى الفقهيـة تضع اليـد أحيانًا على بعض المشكلات الحقيقية فى التعليم آنذاك. فعلى سبيل المثـال هنـاك الفصل الطـويل الذى عقـده فى رسـالته إلـزامية التعليم، ومسألـة جـواز ضـرب الطفل لهـربـه مـن الـدرس أو عـدم إقبالـه عليه أو شغبه فى الكُتاب. وقـد ذهب ابن حجـر إلى ضـرورة إلـزام الطفل الحضور للمدرسة كما أورد آراء مختلفـة فى جواز ضـربه إذا تعـذّرت وسائل الـزجر الأخـرى. ونحن نفتقـد هنا اللمسـة التربـوية لصـالح مسائل الحـلال والحـرام، لكنّ البحث مفيدٌ فـى التعرف على آراء الفقهـاء آنـذاك فى مسـائل حساسـة مثل ضرورة التعليم، ومعاملة الطفل فى المدرسة. وقد أفـاد الهيثمى فـى هـذا القسم كثيـرًا من شـرح

النوويّ على المهذّب كما أفاد من آراء الغزالي ذات الطابع الفقهي في الإحياء والبسيط .

ولا علاقة لرسالة الهيثمي بلفتة الكبيد في نصيحة الولد لابن الجوزي (ـ ٥٩٨هـ)، وأيها الولد للغزالي (ـ ٥٠٥هـ) . لكن يبقى هناك مجال لمقارنتها بالمؤلّفات عن الأطفال ذات الطابع الفقهي، مثل تحفة المودود في أحكام المولود لابن قيّم الجوزية (ـ ٧٥١هـ)، وجامع أحكام الصغار للأشروسني (من القرن الثامن أيضًا) .

ثم يقول الدكتور هشام نشابة عن المخطوط :

تحرير المقال ... مخطوطة ترجع إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . مؤلفها هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكي الأزهري الجنيدي السعدي ...

ولعل المخطوط الذي ننشره اليوم هو كتابه الوحيد الذي يعني بموضوع تربوي . أما سائر كتبه فهي في الفقه وأصوله وعلم الكلام والحديث .

وننقل إليك فيما يلي بعضًا مما جاء في هذا الكتاب . يقول ابن حجر الهيثمي :

هذا كتاب تحرير المقال في الأدب والأحكام وفوائد يُحتاج إليها في تأدب الأطفال تأليف الشيخ علي المكي رحمة الله تعالى عليه آمين وصلى الله علي محمد وآله وصحبه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي شرف حملة كتابه ومعلميه بأن جعلهم خير خلقه وساداتهم ونظمهم في سلك محبيه وأسبغ عليهم مزايا كمالاتهم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توصلنا لمعاليه وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الناشر لعبير سعادتهم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أفنوا نفوسهم في تعلّم كتابه وتعليمه إلى أن حقت لهم جميع مطالبهم ومراداتهم صلاة وسلامًا دائمين بدوام تعظيمه لهم وتكريمه لهم في دار رضوانه ومشاهداتهم .

وبعد، فقد ورد علي من بعض صلحاء مؤدبي الأطفال ثاني جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وتسع مائة أسئلة مفحمة، وتدقيقات، الأجوبة عنها محتمة، فلما أردتُ الجواب عنها طال الكلام وانتشروا إلى مقدمات وأقيسة أنتجها [كذا] واضح البرهان، وتدقيق احتاج النظر، فلما تمت، مصونة عن سفساف المكثرين، مصحوبة بتحقيقات طبق تحقيقات المتقدمين والمتأخرين، دعاني ذلك إلى جعلها تأليفًا لطيفًا وأنموذجًا شريفًا تقرُّ به عيون المتقين وتفرّ إليه عند تحيّر الأفهام أفئدة المؤمنين فاستخرت الله سبحانه وتعالى الذي ما خاب من استخاره، وضممت إليه تتمات تؤمِّن من لجأ إليها عثاره وسميتها تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدب الأطفال ورتبتها على سبعة مقاصد وخاتمة .

المقصد الأول : في الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن .

الحديث الأول : أخرج الخطيب في تاريخه بسند فيه مجهول، وقال الذهبي باطل، أنه ﷺ قال : « آلُ القرآن آلُ الله » . وفي رواية له فيه أيضًا : «إن أحب أحدكم أن يحدِّث ربَّه فليقرأ القرآن » .

الثاني : أخرج أحمد والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، أنه ﷺ ـ قال : « إن لله تعالى أهلين من الناس هم أهل الله وخاصته » . وفي رواية للطيالسي والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن الضريس وابن العسكري والحاكم وابن حبان وأبي نعيم : « إن لله تعالى أهلين من الناس » . وقيل : من هم؟ قال : «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وفي رواية لأبي القاسم بن حيدر : « أهل القرآن أهل الله وخاصته » . وفي أخرى : «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب القرآن » .

الثالث : أخرج الديلمي أنه ـ ﷺ ـ قال : « إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك » .

الرابع : أخرج أيضًا أنه ـ ﷺ ـ قال : « أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن » . وفي رواية لابن عساكر : « أغنى الناس حملة القرآن من جعله الله في جوفه » . وفي رواية لأبي نعيم : «يا حملة القرآن أهل السموات يذكرونكم عند الله فتحببوا إلى الله يحببكم الله إلى عباده » .

الخامس : أخرج البيهقي أنه ـ ﷺ ـ قال : « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن » وفي رواية لابن قانع : « أفضل العبادة قراءة القرآن » . وفي رواية للترمذي : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرًا » .

السادس: أخرج البيهقى أنه ـ ﷺ ـ قال: « اقرؤوا القرآن فإن الله لا يعذب قلبًا وعى القرآن » وفى رواية لأبى الشيخ: « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة إن الله لا يعذب قلبًا وعى القرآن ».

السابع: أخرج البيهقى أنه ـ ﷺ ـ قال: « عدد درج الجنة عدد آيات القرآن فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » وفى رواية لابن مردويه: « إن عدد درج الجنة عدد آيات القرآن فمن دخل الجنة لم يكن فوقه أحد »...

الثامن: أخرج الديلمى أنه ـ ﷺ ـ قال: « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرم الله، ألا فلا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم، فإنهم من الله بمكان ». « كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلاّ أنهم لا يوحى إليهم ». وفى رواية « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمنى ».

التاسع: أخرج الترمذى الحكيم أنه ـ ﷺ ـ قال: « أهل القرآن عرفاء أهل الجنة » وفى رواية للطبرانى: « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة ». وفى أخرى للضياء وغيره: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ».

العاشر: أخرج الديلمى وابن النجار أنه ﷺ قال: « حملة القرآن أولياء الله فمن عاداهم عادى الله ومن والاهم فقد والى الله » . وفى رواية: « حامل القرآن حامل راية الإسلام فمن أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله ». وأخرج البخارى وغيره: « من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلِّمه فى قبره ويلقى الله تعالى وقد استظهره ».

. ونكتفى بهذا القدر مما نقلناه عن مخطوط « تحرير المقال» ونلخص باقى محتوياته بذكر عناوين المقاصد وهى كما يلى:

المقصد الثانى: فى بعض الأحاديث الواردة فى فضائل معلمى القرآن ومتعلميه.

المقصد الثالث: فى الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية ونحوها (انظر مادة « الأجرة على الطاعات » فى م ٢/ ٤١٩ ـ ٤٢١).

المقصد الرابع: فى الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن .

المقصد الخامس: فى بيان اختلاف العلماء بالأخذ فى الأحاديث السابقة .

المقصد السادس: فى تحذير المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم.

المقصد السابع: فى الأسئلة والأجوبة التى هى السبب فى هذا التأليف (تحرير المقال/ ١٣ ـ ١٥، ٢١٧، ٢٢١ ـ ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤١).

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزّى ـ حققه وضبط نَصَّه د. جبرائيل سليمان جبّور ٣/ ١١١ ـ ١١٣، والأعلام للزركلى ١/ ٢٣٤، وتحرير المقال فى آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال لابن حجر الهيثمى، المطبوع فى كتب التراث التربوى الإسلامى فى خمس مخطوطات ـ جمعها وحققها وقدم لها د. هشام نشابة / ١٣ ـ ١٥، ٢١٧، ٢٢١ ـ ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤١. انظر أيضًا مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٢٧٦، ٢٧٧).

*** الحَجْر والتفليس:**

أ ـ الحجر.

تعريفه:

الحجر فى اللغة: التضييق والمنع. ومنه قول الرسول ﷺ لمن قال: « اللهم ارحمنى وارحم محمدًا ولا ترحم معنا أحدا». : « لقد حجرت واسعًا يا أعرابى. ومعناه فى الشرع: منع الإنسان من التصرف فى ماله (فقه السنة ٣/ ٤٧٦).

وجاء فى اللسان: الحَجْر، ساكن: مصدر حَجَر عليه القاضى يحجُرُ حَجْرًا إذا منعه من التصرف فى ماله. وفى حديث عائشة وابن الزبير: لقد هممتُ أن أحجر عليها، وهو من الحَجْر: المنْع، ومنه حجر القاضى على الصغير والسفيه إذا منعهما من التصرف فى مالهما (اللسان ٩/ ٧٨٢).

وجاء فى تعريف الحجر أيضًا: هو منع الإنسان من التصرف فى ماله لصغر أو جنون أو سفه أو فلس.

٢ ـ حكمه: الحجر مشروع بقول الله تعالى: ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم** ﴾ [النساء: ٥] وبعمل الرسول ﷺ: « إذ حجر ﷺ على معاذ ماله لما استغرقه الدين فباعه وسدد عنه ديونه حتى لم يبق لمعاذ شىء » رواه الدارقطنى والحاكم وصححه.

٣ - أحكام من يحجر عليهم :

١ - الصغير : وهو الطفل الذى لم يبلغ الحلم وحكمه أن تصرفاته المالية غير جائزة إلا برضا والديه ، أو وصيه إن كان يتيمًا ، ويستمر الحجر عليه إلى البلوغ ما لم يظهر منه سفه فيستمر الحجر إلى صلاحه ، وإن كان يتيمًا موصى عليه فحجره يبقى إلى ترشيده بعد بلوغه لقوله تعالى : ﴿ **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم** ﴾ [النساء : ٦] .

٢ - السفيه : السفيه ، وهو المبذر لماله بإنفاقه فى شهواته أو بسوء تصرفه لقلة معرفته بمصالحه ، فيحجر عليه بطلب من ورثته فيمنع من التصرف فى ماله بهبة أو بيع أو شراء حتى يرشد فإن تصرف بعد الحجر عليه فتصرفاته باطلة لا ينفذ منها شىء ، وما كان قبل الحجر عليه فنافذ لا يرد منه شىء .

٣ - المجنون : المجنون ، وهو من اختل عقله فضعف إدراكه فيحجر عليه فلا تنفذ تصرفاته المالية إلى أن يبرأ ويعود إليه كمال عقله ، لقوله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم » رواه أحمد وأبو داود حديث صحيح .

ب - التفليس :

١ - تعريفه : التفليس ، هو أن تستغرق ديون الإنسان جميع ما يملك فلم يصبح له فى ماله وفاء لديونه .

٢ - أحكامه : للتفليس أحكام هى :

١ - الحجر عليه ، إذا طالب بذلك الغرماء ، أى أصحاب الديون .

٢ - بيع جميع ما يملك ما عدا لباسه وما لا بد له منه كطعامه وشرابه ، ثم قسمة ذلك على الغرماء محاصصة بحسب ديونهم .

٣ - من وجد من الغرماء متاعه بعينه لم يتغير أخذه دون باقى الغرماء ، لقوله ﷺ : « من أدرك متاعه بعينه عند إنسان قد أفلس فهو أحق به » متفق عليه وهذا مشروط أيضًا بأن لا يكون قد أخذ من ثمنه شيئًا وإلا فهو أسوة الغرماء .

٤ - من ثبت إعساره عند الحاكم بمعنى أنه لم يكن لديه مال أو متاع يباع فيسدد به دينه فلا تجوز مطالبته ولا ملازمته ، لقوله تعالى : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ [البقرة : ٢٨٠] ولقوله ﷺ لغرماء أحد المدينين من الصحابة : « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك » . رواه مسلم .

٥ - إذا قسم المال وظهر غريم لم يكن قد علم بالحجر وبيع مال المحجور عليه رجع على الغرماء بحقِّه من المال محاصصة لهم .

٦ - من علم بالحجر على مدين ثم عامله ليس له أن يحاصص الغرماء الذين وقع الحجر لهم ويبقى دينه فى ذمة المفلس إلى الميسرة .

٣ - كيفية كتابة الحجر على المفلس :

بعد البسملة وحمد الله تعالى :

هذا ما أشهد به على نفسه قاضى المحكمة فلان : أنه حجر على فلان حجرًا صحيحًا شرعيًا ، ومنعه من التصرف فى ماله الحاصل بيده يومئذ ، والحادث بعده ، منعًا تامًّا بحكم ما ثبت عليه من الديون الشرعية والواجبة فى ذمته لأربابها الزائدة على قدر ماله ، ومبلغ ما عليه من الديون هو كذا ... وبيان ذلك هو مال فلان كذا بمقتضى سند تاريخه كذا ... ولفلان كذا ، وقد أثبت كل من الغرماء دينه لدى المحكمة بموجب سندات صحيحة معتبرة شرعًا واستحلف كل منهم على ذلك . وكان ذلك بعد أن ثبت عند المحكمة بالبينة الشرعية أن المدين المذكور معسر عاجز عن وفاء ما عليه من الديون المذكورة وأن موجوده لا تفى قيمته بما عليه من الديون إلا على المحاصصة ، الثبوت الشرعى ، وحُكِم بفلسَ المذكور وصحة الحجر عليه حكمًا شرعيًا مسئولا فيه ... وفرض له فى ماله نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم من زوجه وولده وهم فلان وفلان ... ومن أكل وشرب وما لا بد منه فى كل يوم كذا ... إلى حين الفراغ من بيع أمتعته وأملاكه ، وقسم ما يتحصل بين الغرماء بنسبة ديونهم على الوجه الشرعى . وذلك بتاريخ كذا ...

كيفية كتابة الحجر على السفيه المبذر:

بعد البسملة وحمد الله تعالى ...

أشهد عليه قاضى المحكمة أنه حُجِر على فلان حجرًا صحيحًا شرعيًا ، ومنعه من التصرف فى ماله الحاصل يومئذ ، والحادث بعده منعًا شرعيًا ، وحجرًا معتبرًا بعد أن ثبت عنده بالبينة الشرعية أن فلانًا المذكور سفيه مفسد لماله مبذر له

مسرف في إنفاقه وفي بيعه وابتياعه، مستحق لضرب الحجْر عليه، ومنعه من التصرف إلى أن يستقيم حاله، ويثبت رشده، ويظهر صلاحه، وأن المصلحة في إيقاع الحجر عليه وإبطال تصرفاته. وحكم بذلك وضرب الحجر على المذكور ومنعه من التصرف، وحكم بسفهه حكمًا شرعيًّا ونهاه عن المعاملات، وأبطل فعله في جميع التصرفات إبطالاً شرعيًّا، وفرض له في ماله برسم نفقته ونفقة من تلزم نفقته من زوجته فلانة ... وأولاده الصغار وهم فلان ... وما لا بد له منه شرعًا في كل يوم من تاريخ كذا ... وأوجب لهم ذلك في ماله إيجابًا شرعيًّا بعد أن ثبت عنده بالبينة الشرعية أنه تحصل الكفاية له ولمن معه بذلك، وأنه ليس فيه زيادة على كفايته، ثبوتًا شرعيًّا. حرر بتاريخ كذا ... (منهاج المسلم / ٤١٩ـ٤٢١).

وجاء في تيسير الوصول:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من أدرك ماله بعينه عند رجل أفلس فهو أحقُّ به من غيره ». أخرجه الستة، واللفظ للشيخين.

وزاد مالك وأبو داود: « وإن مات الذي ابتاعه فصاحبُ المتاع فيه أُسْوة الغُرماء ».

وزاد أبو داود فقط: « وإن كان قضى من ثمنها شيئًا فهو أُسوة الغُرماء ».

٢ - وعن أبي سعيد قال: أصيب رجل على عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنه فأفلس. فقال النبي ﷺ: «تصدَّقوا عليه» فتصدَّق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دَيْنه. فقال ﷺ لغرمائه: « خذوا ما وجدتم له ليس لكم إلا ذلك ». أخرجه الخمسة إلا البخاري (تيسير الوصول ١/ ٢١٢).

وعن الحجر والتفليس جاءت هذه الأبيات من منظومة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي. قال الناظم:

للحاكم الحجر على المدين
وبيع ماله لقضاء الدين
يكون أسوة لكل الغرما
كل بحسب ماله قد لزما
تام بحقهم وإلا قصرا
فما لهم سواه فيما أثرا
ومن لعين ماله قد وجدا
ولم يفرقه المدين أبدا
ولم يكن قد حاز بعض الثمن
فهو به أولى بنص السنن
وباتفاق القوم في الإفلاس
والموت فيه الخلف بين الناس
إذ في حديث حسن قد ألحقا
وآخر بينهما قد فرقا
وهل يسمى البعض عينًا إن وجد
واختلفوا فيمن يكون قد نقد
شيئًا من القيمة هل يأخذ ما
يبقى له أو أسوة للغرما
وذا لضعف النص في اشتراط أن
لم يأخذ البائع شيئًا من ثمن
وهكذا السفيه والمبذر
عليهما الحاكم نصًّا يحجر

(فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م٣/ ٤٧٦، ولسان العرب لابن منظور ٩/ ٧٨٢، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائري / ٤١٨ـ ٤٢١، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيباني ١/ ٢١٢، ومجموع: « السبل السوية لفقه السنن المروية » ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٦٧. انظر أيضًا مختصر الأحكام الفقهية لعلي بن فريد الكشجنوري الهندي / ١٦٧، ١٦٨، ومتن الغاية والتقريب للإمام الفقيه القاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني / ٢٩).

*** الحجرات (سورة.):**

السورة رقم ٤٩ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف.

السورة مدنية وعدد آياتها ثماني عشرة اتفاقا (ورءوس آياتها) عليم (١) لا تشعرون (٢) عظيم (٣) لا يعقلون (٤) رحيم (٥) ندمين (٦) الراشدون (٧) حكيم (٨) المقسطين (٩) ترجمون (١٠) الظلمون (١١) رحيم (١٢) خبير (١٣) رحيم (١٤) الصدقون (١٥) عليم (١٦) صدقين (١٧) تعملون (١٨). (سعادة الدارين / ٦٦).

وقد أوردها الإمام الفيروزابادى فى البصيرة التاسعة والأربعين من بصائره تحت عنوان : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقدّموا ...﴾ وهى الآية الأولى من السورة، ثم أجمل خصائص السورة على النحو التالى :

السورة محكمة خالية عن الناسخ والمنسوخ :

المتشابهات :

قوله تعالى : ﴿ يأيُّها الذين ءامنوا ﴾ [١] مذكور فى السورة خمس مرات، والمخاطبون المؤمنون (الآيات ١ ، ٢ ، ٦ ، ١١ ، ١٢) والمخاطب به أمر ونهى، وذكر فى السادس ﴿يأيها الناس ﴾ [١٣] فعمّ المؤمنين والكافرين. والمخاطب به قوله ﴿إنَّا خلقنكم من ذكرٍ وأُنثى ﴾ لأن الناس كلُّهم فى ذلك شرع سواء.

فضل السورة :

فيه حديث أُبَىٍّ الضَّعيف جِدًّا : من قرأ سورة الحجرات أُعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد من أطاع الله وعصاه، وحديث علىٍّ : يا على من قرأها كان فى الجنَّة رفيق سليمان بن داود، وله بكل آية قرأها مثل ثواب المحسنين إلى عيالهم. (بصائر ١/ ٤٣٥، ٤٣٦، وأسرار التكرار/ ١٩٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا
أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ قرآن كريم

[الحجرات : ١٢]

السورة مدنية. وآياتها ثمانى عشرة. وكلماتها ثلاثمائة وثلاث وأربعون وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون. مجموع فواصل آياتها (من)سميت سورة الحُجُرات لقوله تعالى فيها : ﴿ ينادونك من رواء الحجرٰت ﴾ [١].

معظم مقصود السورة : محافظة أمر الحق تعالى. ومراعاة حُرْمة الأكابر، والتُّؤدة فى الأمور، والاجتناب عن التَّهور، والكوْن فى إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلْق، والحذر عن التجسّس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشى عن المنَّة على الله بالطَّاعة، وإحالة علم الغَيْب إلى الله - تعالى - فى قوله : ﴿ إن الله يعلم غيب السموات والأرض ﴾ [١٨].

وعن حكمة وقوع سورة الحجرات بعد سورة الفتح يقول الإمام السيوطى : لا يخفى تآخى هاتين السورتين (الفتح والحجرات) مع ما قبلهما، لكونهما مدنيتين، ومشتملتين على أحكام. فتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة (قتال الكفار فى الفتح معروف، لأنها فى فتح مكة، وقتال البغاة فى الحجرات جاء فى قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ [٩]).

وتلك ختمت بالذين آمنوا، وهذه افتتحت بالذين آمنوا (ختام الفتح : ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيما ﴾ [٢٩] وافتتاح الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ [١])، وتلك تضمنت تشريفا له ﷺ ، خصوصا مطلعها، وهذه أيضًا فى مطلعها أنواع من التشريف لـه ﷺ (تشريفة فى الفتح آية ٢ ، وتشريفة فى الحجرات الآيات ١ ، ٣، ٤) (تناسق الدرر / ١١٨).

ويذكر الإمام السهيلى فى كتابه « التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم » تلك التى أُبهمت فى سورة الحجرات (ص ١٥٩ ـ ١٦١) ونكتفى بإحالتك إلى المصدر، حيث إنها وردت فى أسباب النزول للإمام السيوطى مع زيادات عليها كما يتضح مما يأتى :

وبيَّن الإمام السيوطى أسباب نزول بعض آيات سورة الحجرات، وقد رمز زياداته على أسباب النقول للواحدى بالحرف « ك » فيقول :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا ﴾ الآيتين [١ ، ٢] أخرج البخارى وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبى مُليكة : أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه وفد ركب من بنى تميم على رسول الله ﷺ .

فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافى، وقال عمر. ما رأدت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل فى ذلك قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم صبروا ﴾ [١ ـ ٥] .

ك ، وأخرج ابن المنذر عن الحسن : أن ناسا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم أن يعيدوا ذبحا ، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ [١] وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الأضاحى بلفظ « ذبح رجل قبل الصلاة » . فنزلت .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة : أن ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبى ﷺ، فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ .

ك ، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا ، فأنزل الله ﴿ لا تقدِّموا بين يدى الله ورسوله ﴾ .

يقول الله تعالى في سورة الحجرات وأول سورة ق:

قَالَتِ الْاَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ
تُومِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيمَٰنُ فِے
قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنَ
اَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا اِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14) اِنَّمَا
الْمُومِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِے سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ الصَّٰدِقُونَ (15) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِے السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِے الْاَرْضِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَ اَسْلَمُواْ قُل

ك، وأخرج عنه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم فأنزل الله ﴿ لا ترفعوا أصواتكم ﴾[٢].

ك، وخرج أيضًا عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ [٢] قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي بن العجلان، فقال ما يبكيك؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيَّ وأنا صيِّت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به.

فقال: أما ترضى أن تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟.

قال رضيت، ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم ﴾ [٣].

قوله تعالى: ﴿ إن الذين ينادونك ﴾ [٤، ٥] أخرج الطبراني وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى حُجر النبي ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾[٤].

ك، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد: إن مدحي زين، وإن شتمي شين، فقال النبي ﷺ: ذاك هو الله، فنزلت ﴿إن الذين ينادونك ﴾ الآية، مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية. ك، وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن.

ك، وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس: أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه، فقال يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي لشين، فقال ذاكم الله.

ك، وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضًا: أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق ﴾ [٦] أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحْرث بن ضرار الخزامي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسام، فأقررت به ودخلت فيه، ودعاني إلى الزكاة، فأقررت بها وقلت يا رسول الله: أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إلي لأبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحْرث الزكاة، وبلغ الابان احتبس الرسول فلم يأته، فظن الحرث أنه قد حدث فيه سخطة، فدعا سروات قومه.

فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد كان وقَّت وقتا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أدري حبس رسول الله ﷺ لوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده.

فلما إن سار الوليد بن عقبة فرق، فرجع فقال: إن الحْرث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحْرث، فأقبل الحْرث بأصحابه إذ استقبل البعث، فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك ولم؟ قالوا رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال لا، والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما دخل رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي، قال لا: والذي بعثك بالحق، فنزلت: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ ﴾ [٦] إلى قوله: ﴿ والله عليم حكيم﴾ [٦، ٨] رجال إسناده ثقات، وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسلة.

قوله تعالى: ﴿ وإن طائفتان ﴾ [٩].

ك، أخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي مالك قال: تلاحى رجلان من المسلمين، فغضب قوم هذا لهذا، وهذا لهذا، فاقتتلوا بالأيدي والنعال، وأنزل الله ﴿وإن طائفتان﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحبه امرأة يقال لها أم زيد، وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها، فحبسها وجعلها في علية له، وأن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها.

وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهما وفاءوا إلى أمر الله.

ك، وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين، فيدعون إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا، فأنزل الله ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الآية.

وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف.

قوله تعالى: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ [١١] أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره، فنزلت: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ قال الترمذي: حسن.

وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضًا قال: كانت الألقاب في الجاهلية فدعا النبي ﷺ رجلا منهم بلقبه، فقيل له يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾[١١].

قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ [١٢] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجل أكله ورقاده، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس ﴾ [١٣] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذّن.

فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ [١٣].

وقال ابن عساكر في مبهماته: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له: أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوّج بناتنا موالينا، فنزلت الآية.

قوله تعالى: ﴿يمنون﴾[١٧] أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى: أن ناسا من العرب، قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿ يمنُّون عليك أن أسلموا﴾ الآية.

وأخرج البزار عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما فتحت مكة، وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع، وفيهم: طلحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه فسلموا.

وقال متكلم يا رسول الله: إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله: ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ [١٧].

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ، فقالوا: جئناك ولم نقاتلك، فأنزل الله ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ [١٧] (أسباب النزول للسيوطي / ٢٤٩ـ٢٥٥).

ويضيف الإمام السيوطي في مفحمات الأقران قوله: ﴿قالت الأعراب آمنّا ﴾ [١٤] هم بنو أسد. أخرجه سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير (مفحمات الأقران / ١٠٣).

ويطرح الإمام زين الدين الرازي أسئلة قد تدور في الأذهان بشأن بعض آيات من سورة الحجرات، ثم يجيب عنها بطريقة « فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالي:

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ [١] والمراد به نهيهم أن يتقدموا على رسول الله ﷺ بقول أو فعل، لا أن يقدموا غيرهم؟.

قلنا: قدم هنا لازم بمعنى تقدم كما في قولهم بَيَّن وتَبيَّن، وفكر وتفكر، ووقف وتوقف، ومنه قول الشاعر:

إذا نحن سرنَا سارت الناس خلفنَا

وإن نحن أومأونا إلى الناس وقفُوا

أي توقفوا، وقيل معناه: لا تقدموا فعلا قبل أمر رسول الله ﷺ.

فإن قيل : ما فائدة قوله تعالى : ﴿ ولا تجهروا له بالقول ﴾ [٢] بعد قوله : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﴾ [٢] .

قلنا : فائدتـه تحريم الجهر فى مخاطبته ﷺ بـاسمه نحو قوله يـا محمد ويا أحمد ، فهو أمرهم بتـوقيره وتعظيمه ﷺ فى المخاطبـة ، وأن يقولـوا يا رسـول الله ويا نبى الله ونحـو ذلك ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعـاء الرسول بينكم كـدعاء بعضكم بعضا ﴾ [النور: ٦٣] .

فإن قيل : كيف قـال : ﴿ أن تحبط أعمـالكم ﴾ [٢] أى مخافة أن تحبط أعمالكم مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر لا بغيره من المعاصى .

ورفع الصوت فى مجلس النبى ﷺ ليس بكفر، كيف وقد روى أن الآية نزلت فى أبى بكر وعمـر رضى الله عنهما لما رفعا أصواتهما بين يدى رسول الله ﷺ وأنها نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وكان جهورى الصوت ، فربما تأذى رسول الله ﷺ بصوته؟ .

قلنا : معنـاه لا تستخفوا به ، فإن الاستخفاف بـه ربما أدى خطـؤه إلى عمـده ، وعمـده كفـر يحبط العمل . وقيل حبـوط العمل مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط المرتبة .

فإن قيل : ما وجه الارتباط والتعلق بين قوله تعالى : ﴿لكن الله حبب إليكم الإيمان ﴾ [٧] وبين ما قبله ؟ .

قلنا : معناه فاتركوا عبادة الجاهلية فإن الله تعالى لم يترككم عليها ، ولكن الله حبـب إليكم الإيمان . وقيل معنـاه فتثبتوا فى الأمور كما يليق بالإيمان ، فإن الله حبب إليكم الإيمان .

فإن قيل : إن كـان الفسوق والعصيـان بمعنى واحد ، فمـا فائدة الجمع بينهما ، وإن كان العصيان أعم من الفسوق فذكره مغن عن ذكر الفسوق لدخوله فيه ما فائدة الجمع بينهما؟ .

قلنا : قال ابـن عباس رضى الله عنهما المراد بـالفسوق هنا الكـذب ، وبالعصيـان بقية المعـاصى ، وإنمـا أفرد الكـذب بالذكر لأنه سبب نزول الآية .

فإن قيل : كيف يقـال إن الإيمان والإسلام بمعنـى واحد ، والله سبحـانه وتعـالى يقـول : ﴿ قل لم تـؤمنـوا ولكن قـولـوا أسلمنا﴾ [١٤] .

قلنـا : المنفى هنا بـالإيمان بـالقلب بدليل قـوله تعـالى : ﴿ولمَّا يـدخل الإيمان فى قلـوبكم ﴾ [١٤] يعنى لم تصـدقوا بقلوبكم ﴿ ولكن قولـوا أسلمنا ﴾ [١٤] أى استسلمنا وانقدْنا خوف السيف ، ولا شك فى الفـرق بين الإيمان والإسـلام بهذا التفسيـر ، والـذى يدعى اتحـادهمـا لا يـريد بـه أنهمـا حيث استعملا كانا بمعنى واحد ، بل يريد به أن أحد معانى الإيمان هو الإسلام .

فإن قيل : كيف يقـال إن العمـل ليس من الإيمـان ، والله تعالى يقول : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا ﴾ [١٥]؟ .

قلنا : معناه إنما المؤمنون إيمانا كاملا كما فى قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وقولهم : الرجل من يصبر على الشدائد . ويرد على هذا الجواب أن المنفى فى أول الآية عـن الأعراب نفس الإيمان الكـامل ، فلا ينـاسب أن يكون المثبت بعد ذلك الإيمان الكامل بل نفس الإيمان .

(مسـائل الرازى وأجـوبتهـا / ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، والأنمـوذج الجليل ٥/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨) .

ويسوق فضيلة الشيخ الشنقيطى الأدلة التى يدفع بها إيهام وجود تعارض بين الآيات فى هذه السورة فيقول :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ [١٣] .

هذه الآية الكريمة تدل على أن خلق الناس ابتداؤه من ذكر وأنثى .

وقـد دلت آيـات أخر على خلقهم من غيـر ذلك كقـولـه تعالى : ﴿وهـو الذى خلقكم من تـراب ﴾ [غافر: ٦٧] وقوله تعالى : ﴿ يـا أيهـا النـاس إن كنتم فى ريب من البعـث فإنـا خلقناكم من تراب ﴾ [الحج : ٥] .

والجواب واضـح ، وهو أن التـراب هو الطـور الأول ، وقد قال تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارًا ﴾ [نوح : ١٤] .

وقد بين الله أطوار خلق الإنسان من مبدئه إلى منتهاه بقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفـة فى قـرار مكين ﴾[المؤمنون : ١٢ ، ١٣] (دفع إيهـام الاضطراب عن آيات الكتاب / ٢٧٢) .

ويقسم الإمـام الغزالى آيـات القرآن الكـريم إلى نمطين : الجواهر ، والدرر . أما الجواهر فيعرِّفها بأنها الآيات التى وردت فى ذات الله عـز وجل وصفاتـه وأفعـاله خـاصة ، وهـو القسم

العلمي، والدرر هي ما ورد فيها بيان الصراط المستقيم والحث عليه، وهو القسم العملي: ولم يورد من الآيات في سورة الحجرات ما ينطوي تحت نمط الجواهر، بيد أنه أورد من الدرر ست آيات فقال:

ومن سورة الحُجُرات ستُّ آيات:

قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظَّنِّ إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضُكم بعضًا أيُحب أحدُكُم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إنَّ الله تواب رحيمٌ * يا أيُّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعُوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكُم عند الله أتقاكُمْ إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٢، ١٣].

وقوله تعالى: ﴿إنما المُؤمنون الذين آمنُوا بالله ورسوله ثمَّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك همُ الصَّادقون * قُلْ أتعلِّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيءٍ عليمٌ * يمنُّون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين * إنَّ الله يعلمُ غيب السموات والأرض والله بصيرٌ بما تعملون ﴾ [الحجرات: ١٥ ـ ١٨] (جواهر القرآن ودرره / ١٦٥، ١٦٦).

أما عن أنواع الوقف، وهي: التام، والكافي، والحسن، والقبيح، بالنسبة لسورة الحجرات فقد بيّنها الإمام أبو عمرو الداني على النحو التالي:

﴿سميع عليم ﴾ [١] تام. ومثله ﴿لا تشعرون﴾ [٢] ومثله ﴿غفور رحيم﴾ [٥] وكذلك عامة فواصلها، ﴿لكان خيرًا لهم﴾ [٥] كاف، ومثله ﴿لعنتُّم﴾ [٧] ومثله ﴿والعصيان﴾ [٧] ومثله ﴿فضلا من الله ونعمة ﴾ [٨] ومثله ﴿عليم حكيم﴾ [٨] ومثله ﴿ترحمون﴾ [١٠] ومثله ﴿بعد الإيمان﴾ [١١] ومثله ﴿الظالمون﴾ [١١] ومثله ﴿فكرهتموه﴾ [١٢] ﴿لتعارفوا﴾ [١٣] تام ﴿في قلوبكم﴾ [١٤] كاف، حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبي قال: حدثنا علي قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا يحيى بن سلام في قوله تعالى: ﴿لتعارفوا﴾ قال انقطع الكلام، ثم قال ﴿إن أكرمكم عند الله ﴾ يعني في المنزلة، ﴿أتقاكم﴾ [١٣] في الدنيا، ومثله ﴿مِنْ أعمالكم شيئًا ﴾ [١٤] (المكتفى / ٣٣٤).

أما من حيث القراءات السبع بالنسبة لسورة الحجرات فقد بيَّنها ابن مجاهد على النحو التالي:

١ - قوله تعالى: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ [١٠].

قرأ ابن عامر وحده: ﴿بين إخوتكم﴾ على تاء جماعة. كذا في كتابي عن أحمد بن يوسف عن ابن ذكوان عن أيوب ابن تميم عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر. وروى هشام بن عمار عن سويد عن أيوب عن يحيى عن ابن عامر. ﴿بينَ أخويكُمْ﴾ مثل قراءة الناس.

وقرأ الباقون: ﴿بين أخويكُم﴾ على اثنين.

٢ - قوله تعالى: ﴿ أيُحبُّ أحدُكُمْ أن يأكل لحم أخيه ميتًا ﴾ [١٢].

قرأ نافع وحده: ﴿مَيِّتًا﴾ بالتشديد.

وقرأ الباقون: ﴿مَيْتًا﴾ ساكنة الياء.

٣ - قوله تعالى: ﴿ لا يلتكم من أعمالكم شيئًا﴾ [١٤].

قرأ أبو عمرو وحده: ﴿لا يئلتكم﴾ مهموزا.

وقرأ الباقون: ﴿لا يلتكم﴾ بغير همز.

٤ - قوله تعالى: ﴿والله بصيرٌ بما تعملونَ﴾ [١٨].

قرأ ابن كثير وأبان عن عاصم: ﴿والله بصيرٌ بما يعملون﴾ بالياء.

وقرأ الباقون: ﴿والله بصيرٌ بما تعملون﴾ بالتاء.

وليست في هذه السورة ياء إضافة (كتاب السبعة في القراءات / ٦٠٦).

أما عن النظم فقد جاءت الأبيات التالية في ألفية التفسير للأستاذ حسين علي دحلي تلخص ما ورد في سورة الحجرات، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص.

قال الناظم:

٧١٦ - أبو بكر الصديق قال مقالةً
فقال له الفاروق لفظًا مغايرا

٧١٧ - فجاء نداء الله لا تتقدموا
بقولٍ ولا فعلٍ ألا لا تُبادِرا

٧١٨ - ولا ترفعوا أصواتكم عند نطقكم
على صوت طه كان ذلك منكرا

٧١٩ - ونادوا رسول الله يومًا بغلظةٍ
بمنزلة جاءوا إليه مُظَهَّرًا

٧٢٠ - وكانوا من الأعراب أصحاب جفوة
فأنـزل إنـذارًا بهـذا مُـذَكِّـرا
٧٢١ - وأرسل هادينا رسولاً مُصَدِّقًا
إلى من يـراهم مسلمين وأنظـرا
٧٢٢ - فظنَّ ظنونًا ذا الوليدُ بن عقبة
فعـاد إلى المختـار حـالاً وأخبـرا
٧٢٣ - وحدثـه عنهم حديثًا ملفقًا
وبلغـه منع الـزكـاة مـزوّرا
٧٢٤ - وقال ألا همُّوا بقتلى بـركنهم
فهمَّ بغـزو القـوم جـزمًا وأكبـرا
٧٢٥ - فأنـزل مـولانـا بـذلك آيـة
وسماه فيها فاسقًا بـالـذى جـرى
٧٢٦ - وإن كـان منكم فـرقتان تقـاتلـوا
فصلحـا بإنصـافٍ وعـدلٍ وحـذرا
٧٢٧ - وإن يأب خصم أن يصالح خصمه
فكـونـوا عليـه قـاتلـوه ليَخـسَرا
٨٢٨ - فإن فـاء بعد الآن وهـو قد ارتدع
فعـودوا إلى الإصلاح بـالقسط آخـرًا
٧٢٩ - ووفد تميم جـاء يسخـر مـرة
من المسلمين المعـدمين وحقَّـرا
٧٣٠ - تـوعـدهم حـالا وخـوف جمعهم
ونـزل نهيـا قـاطعـا كـان زاجـرا
٧٣١ - ومـا اللمز إلا العيب يـا من تنـابزوا
بألقـابهم جئتم فـريًّـا ومنكـرا
٧٣٢ - كمن قـال يـا سِكّير أو كـان واصفًا
بفسقٍ وكفـر وانحطـاط ونفَّـرا
٧٣٣ - ألا واتـركـوا الظن الكـريـه فإنـه
قبيح بأهـل الخيـر ممن تصـدّرا
٧٣٤ - ولا إثم فى هـذا إذا رمت فـاسقًا
لقلع الـردى أو حـدٌّ مـا كـان ظـاهـرا
٧٣٥ - وإيـاك يـومًا أن تجيئ تجسسًا
وفحصًا عن الأخبـار والعيب واحـذرا

البيت ٧١٩ : قال الأصمعى أتانا فلان مُظَهِّرًا بتشديد الهاء أى فى وقت الظهيرة (ألفية التفسير / ٥٦).

ويوجد فى دار الكتب الظاهرية بدمشق، أو لعله الآن فى مكتبة الأسد، مخطوط بعنوان « تفسير سورة الحجرات » جاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٠٢٨٤ .

المؤلف : مجهول .

أوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أى لا تقدموا أمرًا، فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كل ما يمكن، أو ترك لأن المقصود نفى التقديم رأسًا، أولا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم، ويؤيده قراءة يعقوب.

آخره : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فإن التقوى بها تكمل النفوس، وتتفاضل الأشخاص، فمن أراد شرفًا فليلتمس منها، كما قال عليه السلام : (يا أيها الناس، إنما الناس رجلان : مؤمن تقى كريم على الله، وفاجر شقى هيّن على الله. إن الله عليم بكم خبير ببواطنكم).

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الرابع عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد، وبالمداد الأسود، الورق أصفر، الغلاف من الورق المقوّى.

ق	م	س
٨	٢٠ × ١٦	١٢

(فهرس الظاهرية ٣/ ١٢٥).

(سعادة الدارين ـ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بالحداد / ٦٦، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١/ ٤٣٥، ٤٣٦، وأسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة ابن نصر الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩٥، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا/ ١١٨، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القاسم السهيلى / ١٥٩، ١٦٠، وأسباب النزول للحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميرة / ٢٤٩ ـ ٢٥٥، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغا / ١٠٣، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض. ط. مصطفى البابى الحلبى / ٣٢٠ ـ ٣٢٢، والأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيل ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض

ونخبة من علماء مجلة الأزهر. هدية مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤١٠هـ، ٥/ ٤٤٦-٤٤٧، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٧٢، وجواهر القرآن ودرره للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى / ١٦٥، ١٦٦، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف/ ٣٣٤، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد - تحقيق د. شوقى ضيف / ٦٠٦، وألفية التفسير - حسين على دحلى / ٥٦، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ١٢٥. انظر أيضًا المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران - تحقيق سبيع حمزة حاكمى / ٤٠٢، ٤٠٣، ومختصر فى شواذ القرآن عن كتاب البديع لابن خالويه / ١٤٣، ١٤٤، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - عبد الفتاح القاضى / ٨٤، ٨٥، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى - بتحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢/ ٢٧٨-٢٨٠).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الآتية:

١ - التربية الإسلامية. المملكة المغربية. وزارة التربية الوطنية، السنة الثامنة من التعليم الأساسى / ٣٢.

٢ - من الخطوط العربية ـ محمد عبد القادر عبد الله / ١٨٣).

*** ابن أبى حجلة (٧٢٥-٧٧٦هـ / ١٣٢٥-١٣٧٥م):**

ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من الشعراء والأدباء (حسن المحاضرة ١/ ٥٧١، ٥٧٢) وأورده شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى إنبائه فى وفيات سنة ٧٧٦هـ وقال عنه: أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد التلمسانى المعروف بابن أبى حجلة نزيل دمشق ثم القاهرة، شهاب الدين أبو العباس، ولد بزاوية جدّه بتلمسان سنة خمس وعشرين [وسبعمائة] واشتغل ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، ومهر فى الأدب ونظم الكثير ونثر فأجاد وترسّل ففاق، وعمل المقامات وغيرها، وكان حنفى المذهب حنبلى المعتقد، وكان كثير الحطّ على الاتحادية (انظر: الحلول والاتحاد) وصنّف كتابًا عارض به قصائد ابن الفارض كلها نبوية، وكان يحطّ عليه لكونه لم يمدح النبى ﷺ ويحطّ على نحلته ويرميه - ومن يقول بمقالته ـ بالعظائم، وقد امتُحن بسبب ذلك على يد السراج الهندى.

قرأتُ بخط ابن القطان وأجازنيه: «كان ابن أبى حجلة يبالغ فى الحطّ على ابن الفارض حتى إنه عند موته - فيما أخبرنى به صاحبه أبو زيد المغربى - أن يوضع الكتاب الذى عارض به ابن الفارض - وحطّ عليه فيه - فى نعشه ويدفن معه فى قبره ففعل به ذلك » ... قال (يعنى بذلك ابن القطّان): «وكان جدّه من الصالحين فأخبرنى الشيخ شمس الدين مرزوق أنه سُمِّى بابن حجلة لأن حجلة أتت إليه وباضت على كمه».

وولى مشيخة الصهريج الذى بناه [الأمير] منجك [اليوسفى] ظاهر القاهرة، وكان كثير النوادر والنكت ومكارم الأخلاق، ومن نوادره أنه لقب ولده « جناح الدين »، وجمع مجاميع حسنة منها: « ديوان الصبابة »، و« منطق الطير» و«السجع الجليل فيما جرى من النيل »، و « السكردان » [وهو سكردان السلطان] و «الأدب الغضّ » و« أطيب الطيب» ومواصيل المقاطع » و « النعمة الشاملة فى العشرة الكاملة » و« حاطب ليل » عمله « كالتذكرة» فى مجلدات كثيرة، و«نحر أعداء البحر » و« عنوان السعادة، ودليل الموت على الشهادة» و « نضيرات الجمال » وهو القائل:

نظمى علا وأصبحت
ألفاظه منمّقة
فكُلُّ بيتٍ قلته
فى سطح دارى طبقة

مات فى مستهل ذى الحجة وله إحدى وخمسون سنة (إنباء الغُمر ١/ ٨١، ٨٢).

وقال عنه ابن تغرى بردى:

ودرس وأفاد، ومهر فى عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنف ودون، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفًا ... وله خمسة دواوين فى مدح الرسول ﷺ وسبع أراجيز سبعة آلاف بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولى والمعانى الغريبة والاختراعات العجيبة مع كثرة النظم وسرعة البديهة وخفة الروح والتخيل الصحيح، وكانت وفاته فى يوم الخميس مستهل ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة، عن إحدى وخمسين سنة بالقاهرة.

ومن شعره من قصيدة :

بقـــافِ أُقْسِم عينُ الشَّمس ليس لهـــا
لـــــولاه شيـن ولا راء ولا فـــــاء
مـا طـاب لى بعـد خيـر الـرسل فى أحـد
ســـــواه ميـم ولا دال ولا حـــــآء

(المنهل الصافى ٢/ ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

قـالت المـؤلفـة : من مصنَّفـات ابـن أبى حجلـة التى لـم تذكرها المصادر التى بين أيدينا كتاب « أنموذج القتال فى نقل العوال » تـوجـد نسخـة من مخطـوطـه فى مكتبـة المتحف العراقى ، وأخـرى بدار الكتب الظـاهرية بـدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

١ - نسخة مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى :

الرقم ٣٠٢٠٢ .

الأول : (الحمد لله الذى جعل أمر المخـدوم كالتاج على الرأس ، وجعل الشطـرنج مما يشغل بحضوره عن غيبـةالناس ...) .

وهو كتاب فـى الشطرنج ، وكيفية اللعب به ، ومـا جاء فيه من تعليقات ونكت أدبية ، وأحكام شرعية ، وأول من وضعه .

وقـد رتب المؤلف كتـابه على مقـدمة ، وثمـانية أبـواب ، وخاتمة فى ذكر المقامة الشطرنجية .

نسخة جيـدة ، كتبها زين الدين أحمـد بن زين المرصفى الصيـاد الشافعى ، سنـة ١٢٧٩هــ/ ١٨٦٢م تملكها أحمـد شاكر الآلولسى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م .

٢٧ص . ٢١,٥×١٦سم ٣٩س .

(نشر بتحقيق زهير أحمد القيسى - وزارة الثقافة والإعلام ببغداد ١٩٨٠م) .

٢٨٩ نسخة أخرىٰ .

كتبها محمـود شكرى الآلوسى سنـة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م فى آخرها منقولات عن الشطرنج ، بخط الآلوسى .

الرقم : ٨٦٨٣/ ١ .

٨٠ص . ٢٣×١٥سم ٢١س .

نسخة أخرى .

الرقم ١٠٦٧ .

جيدة الخط ، تتضمن جداول .

٩٤ ص ٢١,٥×١٦سم ٢١س .

٢ - نسخة دار الكتب الظاهرية وجاء بيانها كما يلى :

مواضيع المخطوط :

مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة .

المقدمة : « أما المقدمة ففى ذكر ما جاء فى الشطرنج عن السلف وأئمة الخلف من حرمة وكراهـة و إباحة وفكاهة ونحو ذلك مما يتعلق بها من جهة العربية والنكت الأدبية ... » .

« وأما الأبواب فـالباب الأول في ذكر من وضعهـا واخترعها والسبب الموجب لذلك ...

الباب الثانى فى ذكر طبقة أربابها وقيم دولها ...

الباب الثالث فى ذكر رسالة الأديب الكاتب الصولى ...

الباب الرابع فـى ذكر أدبه وقت اللعب به ومـا جاء فيه من كلام الأطباء ...

الباب الخامس فى ذكر ما جاء فى مدحه وذمه ...

الباب السـادس فى ذكـر ما جاء فيـه من اختـراع الأوضاع والمخاريق ...

البـاب السابع فى ذكـر ما جـاء فيـه من المناظـرة وحسن المحاضرة .

الباب الثـامن فى ذكر مـا جاء فيـه من الوشى المـرقوم من المنثور والمنظوم .

وأما الخـاتمة ففى ذكـر المقامـة الشطرنجية التـى أنشأتها بـاسم السلطـان الملك الصـالح صـاحب مـاردين وألحقتهـا بالمقامات التى أنشأتها باسم الملك الناصر حسن ... وذكرت عقيب كل باب خمس مناصيب حسنة التركيب ولم أفردها فى باب واحد خوفًا من الملال لأنه كان يقال :

لا يصلح النفس إذ كـــانت مـــدبـــرةً
إلا التنقـل من حــــال إلى حـــــال

فاتحة المخطوط :

بسم الله الــرحمن الـرحيم الحمـــد لله الــذى جعـل أمـر المخـدوم كـالتـاج على الـرأس وجعل الشطـرنج ممـا يشغل

بحضوره عن غيبة الناس ... صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين هم كالنجوم ما سارت الكواكب السبعة ولاح الهلال فى ذيل السماء كالرخ فى طرف الرقعة . أما بعد فلما كان الشطرنج مما أقام عليه مصنفه الدليل وأصبح اللاعب به فى مصر ما يفكر فى الفيل إذ هو مما تعاطاه الملوك والأكابر ... وكنت قد وضعت فى الكلام عليه كتابًا يفتح الأذهان :

فلا تحسب الشطرنج لعبًا وإنما
به الجد والهزل الجميل تبارزا
لقد أظهر الهندى فيه تلونًا
وأبدى لأرباب العقول مرامزا

وسميته أُنموذج القتال فى نقل العوال ... سمح به المجلس العالى المولوى المخدومى التاجى تاج الدين محمد الشهير بابن بشير... أمرنى بتبييضه لأجله والقدوم عليه بخيله ورجله فامتثلت أمره ...

وإنى لنهاض إلى رتب العلى
فزوع لأبواب الهمام المتوج

واشتهر فيه عن الصولى كثرة اطلاعه ونقله .

ورتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة ...

خاتمة المخطوط :

فما كان بعد قليل حتى قتله بالفيل فأحسن فى سوق الفرس وردها وماتت منه الشاة فى جلدها فبطلت منه الحواس وكدها وأخطأ فى هزلها وجدها بعد أن تحير فى عدها ونسأل الله غفران ذنوبنا كلها يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها إنه جواد كريم رؤوف رحيم وكان الفراغ من كتابتها يوم الأحد بعد صلاة العصر فى اليوم السادس عشر من محرم الحرام لسنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة وذلك بقلم الفقير الحقير إبراهيم بن عبد الغنى البغدادى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين فى سنة ١٣٣٢هـ / ١٦ محرم .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة فى خطها ولغتها، تتضمن بعض الجداول والدوائر لرقعة الشطرنج . ترك لها هامش بعرض ٨ سم عليه بعض الجداول والشروح، الأبواب والفصول ورؤوس الفقر والعبارت الهامة كتبت كلها بالحبر الأحمر. ويبدو أن المؤلف كان شاعرًا لما يتضمن المخطوط من أشعار. يستشهد المؤلف كثيرًا بالصولى وبغيره مثل : الإمام الشافعى، والبيهقى فى سننه من كتاب الشهادات، والشيخ أبى عبد الله محمد بن شاكر القطان فى مصنفه فى فضائل الشافعى، والقاضى الماوردى فى الحاوى، وأبى راشد، وأبى هريرة وعمر بن الخطاب، والحسين بن على، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وابن تيمية وكثير غيرهم، لها تعقيبة منتظمة فى آخر وأول كل ورقة .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

إبراهيم بن عبد الغنى البغدادى سنة ١٣٣٢هـ .

(إنباء الغُمر بأنباء العُمر لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى- تحقيق د. حسن حبشى ١/ ٨١، ٨٢، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى - تحقيق د. محمد محمد أمين، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠، ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى- أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٣، ٥٤، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب / ٣٤٤-٣٤٧ . انظر أيضًا حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٥٧١، ٥٧٢، والأعلام للزركلى ١/ ٢٦٨، ٢٦٩) .

له ترجمة فى : الدليل الشافى ١/ ٩٦ رقم ٣٣٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣١، والدرر ١/ ٣٥٠ ترجمة ٨٢٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤٠، ٢٤١ .

*** الحُجّة:**

قال الراغب الأصفهانى :

الحُجة الدلالة المبينة للمحجة أى المقصد المستقيم والذى يقتضى صحة أحد النقيضين، قال تعالى : **﴿ قل فللّهِ الحُجَّة البالغةُ ﴾** [الأنعام: ١٤٩] وقال **﴿لئلا يكون للناس عليكم حُجَّة إلاَّ الذين ظلموا﴾** [البقرة: ١٥٠] فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى من الحجة وإن لم يكن حجّة، وذلك كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائِبِ

ويجوز أنه سمَّى ما يحتجون به حجة كقوله تعالى : **﴿والذين يحاجُّون فى الله من بعد ما استُجيب له حجتهم داحضة عند ربهم﴾** [الشورى : ١٦] فسمى الداحضة حجة،

وقوله تعالى : ﴿لا حجَّة بيننا وبينكُمْ﴾ [الشورى : ١٥] أى لا احتجاج لظهور البيان، والمُحاجَّة أن يطلب كل واحد أن يردَّ الآخر عن حجته ومحجته، قال تعالى : ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجونّى فى الله ﴾ [الأنعام : ٨٠] ﴿فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك ﴾ [آل عمران : ٦١] وقال تعالى : ﴿ لم تُحاجون فى إبراهيم ﴾ [آل عمران : ٦٥] وقال تعالى : ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تُحاجون فيما ليس لكم به علمٌ﴾ [آل عمران : ٦٦] وقال تعالى : ﴿ وإذ يتحاجُّون فى النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧] وسُمى سبر الجراحة حجًّا.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٠٧، ١٠٨).

*** الحُجَّة:**

صك البيع .

(المعجم الوجيز / ١٣٥).

انظر: الوقف .

*** الحُجَّة (فى علم الحديث):**

الحُجة : من مراتب أهل الحديث : هو الذى أحاط علمه بثلاث مائة ألف حديث .

من صفات المحدثين وألقابهم وهو فوق الثقة .

حُجّة : من ألفاظ التعديل . انظر: الجرح والتعديل (علم ـ).

(معجم / ٣٠).

وقال الشيخ محمد المبارك عبد الله :

الحجة هو الحافظ البالغ فى الحفظ والإتقان مبلغًا يكون به حجة عند العام والخاص، وضبطه بعضهم بمن حفظ ثلثمائة ألف حديث مسندة، كهشام بن عروة بن الزبير. وأبى نعيم الجرجانى الاسترابادى، وعبد الملك بن محمد وأمثالهم (الناقد الحديث / ١٢٣).

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٠، والناقد الحديث فى علوم الحديث ـ الشيخ محمد المبارك عبد الله / ١٢٣).

*** أبو حجة (٥٦٢ ـ ٦٤٣هـ / ١١٦٧ ـ ١٢٤٦م):**

قرطبى من كبار الأساتذة، مقرئ متقدم فى صنعة التجويد، نحوى، فقيه بميورقة روى عن ابن حوط الله والخزرجى وابن مضاء والمجريطى، وعنه أبو القاسم ابن الأصفر وابن ربيع وغيرهم . اختصر « التبصرة» لمكّى فى القراءات، وله منهاج العباد وكتاب « تفهيم القلوب بآيات علام الغيوب وتسديد اللسان لذكر أنواع البيان .

(ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب بن الخوجة ٢/ ١٣٨ وهامش ١٣٨ للمحقق).

*** ابن حِجّة الحموى (٧٦٧ ـ ٨٣٧هـ / ١٣٦٦ ـ ١٤٣٣م):**

أبو بكر بن على بن عبد الله الحموى الأزرارى، تقى الدين ابن حجة، إمام أهل الأدب فى عصره. وكان شاعرا جيد الإنشاء. من أهل حماة (بسورية) ولد ونشأ ومات فيها. زار القاهرة والتقى بعلمائها واتصل بملوكها . وكان طويل النفس فى النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، فيه شىء من الزهو والإعجاب، اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له، فى صباه، فنسب إليها وقبره فى حماة معروف (الأعلام ٢/ ٦٧) وقد ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الشعراء والأدباء (حسن المحاضرة ١/ ٥٧٣).

قال عنه السخاوى : وقد أخذ عنه الأكابر، وقال شيخنا (يقصد الحافظ ابن حجر العسقلانى فى إنبائه) يقصد « إنباء الغمر بأنباء العمر » إنه سمع من نظمه كثيرا بل وسمع منه معظم شرحه على البديعية، وجملة من إنشائه، قال : ولقيته ببلده فى سنة ست وثلاثين (أى ٨٣٦هـ) وبيننا مودة أكيدة، وقال فى معجمه : سمعت منه الكثير من الشرح، وكتب عنى وكتبت عنه، ولقيته بحماة عند التوجه مع العسكر إلى حلب، وسمعت من نظمه بها، وذكره ابن خطيب الناصرية فقال: الإمام الأديب البليغ الفاضل الناظم الناثر إمام أهل الأدب فى زمانه، ثم قال: وبينى وبينه صحبة أكيدة ومحبة ومذاكرة فى الأدب والتاريخ انتهى.

ومن تصانيفه : بلوغ المرام من سيرة ابن هشام، والروض الأنف والاعلام، وأمان الخائفين من أمة سيد المرسلين، وبلوغ المراد من الحيوان والنبات، والجماد فى مجلدين، وبروق الغيث على الغيث، الذى انسجم مع شرح لامية العجم، وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، وحديقة زهير، وناصح قلاقس، وزاوية شيخ الشيوخ، وتحرير القيراط، وقهوة الإنشاء فى مجلدين وهو مما أنشأه بالديار

المصرية من الملوك المؤيد والظاهر والأشرف، والزوائد المصرية. نظم، والثمرات الشهية من الفواكه الحموية، نظم أيضًا، وجنى الجنتين وقطر النباتين، ونبوت الحجة، وقبول البينات، وتأهل الغريب فى أربع مجلدات، وتفصيل البردة، وثبوت العشرة، وديوان بديع قال فيه:

ديوان نظمى جاء وهو محرر ... برقيق نظم لفظه مستعذب

فإذا بدا لاتستقلُّوا حجمه ... وحياتكم فيه الكثير الطيب

قالت المؤلفة: ومن مصنفات ابن حجة الحموى أيضًا «بلوغ الأمل من فن الزجل» وهو بالعامية، وقد ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٢٥٤) وبروكلمان فى الذيل ٢/ ٩) وطبعته وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور رضا محسن القريشى. ويوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٨٤٢٨.

لتقى الدين أبى بكر بن على بن عبد الله الحموى القادرى الحنفى الأزرارى المعروف بابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣هـ.

كتاب يتحدث عن فن الموشح والزجل والكان كان والقوما.

أوله: ... النيل زايدة.

ونقل عن الشيخ جمال الدين بن نباتة أنه قال: قطعنا المعمار بمقاطيعه.

وناهيك بهذه الصلة التى هى على مثله عايدة، واغتفر له أهل عصره اللحن وعدُّوه له من مطرب التلحين فإنه أتى فى نظمه بنكت تحرك العيدان وتغنى عن القوانين ... ».

آخره: « ...

أى قلب دعهم ... إش ترى أوقعك معهُمْ
انكفّ عنهم ... قبل ما تظهرْ بدعُهمْ
لولا طمعهمْ ... بأن قلبى ما يدعهُمْ
ما خالفونى ... وأظهروا فيه بدعُهم

انتهى ما أوردته هنا من مصطلح الأربع فنون وهى الزجل والمواليا والكان وكان والقوما، وقد تقرر حذف الإعراب منها وأنها لا تنظم إلا باللفظ العامى الرقيق ليخف على الأسماع.

نجز الكتاب بحمد الله وعونه ...

النسخة ناقصة من أولها، ومقدار النقص لا يزيد على صفحة واحدة كتبت فى ١٠ رجب من شهور سنة ١٠٠٤ هـ والناسخ مجهول.

٢٩ق ١٧س ١٤×١٩,٥سم.

(فهرس الظاهرية ١/ ٧٨، ٧٩).

كما يوجد لابن حجة الحموى أيضًا مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة فى الموصل بعنوان « أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين ــ معجزات النبى ﷺ ضمن مجموع: ق - ١٨×١٤ - و - ١١٤ والنسخة ناقصة من أولها والموجود منها يبدأ بـ«أو يكون فى ذاته أفضل وأظهر وفضله لا ذاته راجع إلى ما خصَّه الله به من كرامته واختصاصه ... ».

كما توجد قصيدة أخرى فى مديح سيد المرسلين - على نهج القصيدة المتقدمة.

أولها:

أغرد فى أفنان وجدى بكم عشقا ... فلا تذكروا من بعد تغريدى الورقا

نسخة نفيسة منسوخة على نسخة بخط المؤلف ابن حجة الحموى وفى حياته سنة ٨٣٣هـ.

جاء فى آخرها:

« بلغ مقابلة على مؤلفه متَّع الله تعالى الإسلام والمسلمين بطول بقايه [بقائه] بحضور سيدنا ومولانا وشيخنا قاضى القضاة نور الدين أبى البنا محمود بن خطيب الدهشة الهمدانى الشافعى أمتع الله تعالى الوجود بوجوده وذلك فى الحادى والعشرين من شهر شوال المبارك من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكتبه يونس بن يوسف الحنبلى » (فهرس مخطوطات الموصل / ٤٠٥، ٤٠٦).

ونعود إلى الشمس السخاوى الذي يقول:

وعمل البديعية (وننقلها لك فيما يلى إن شاء الله تعالى) متابعًا للحلّى على طريقة العز الموصلى من التورية باسم النوع البديعى فى البيت وسماها تقديم أبى بكر، وهى تسمية

بديعة فى معناها للاتفاق فى اسمه واسم الصِّدِّيق رضى الله عنه، وشرحه فى ثلاث مجلدات أبدع فيه ما شاء وقرظه له العلماء فكان مما كتبه شيخنا: أشهد أن أبا بكر مقدم على أنظاره ولا أعدل فى هذه الشهادة من أحمد (يقصد ابن حجر العسقلانى شيخه) وأجزم برفعة قدره على من انتصب لهذا الفن ولا أبلغ من حاكم يشهد. وله رسائل ومقاطيع شهيرة ومن رسائله رسالة أنشأها حين كان الظاهر برقوق محاصرًا دمشق فى سنة إحدى وتسعين [وثمانمائة] وحرقت دمشق كتب بها إلى الفخر ابن مكانس بالقاهرة سماها ياقوت الكلام فى أيام الشام أودعها ابن خطيب الناصرية ترجمته من تاريخه. وهو ممن قرض السيرة المؤيدية لابن ناهض، وأوردت من تقاليده التى أنشأها لشيخنا فى الجواهر والدرر وقد انحرف عنه «النّواجى» بعد مزيد اختصاصهما، وصنف «الحجة فى سرقات ابن حجة» (انظره فى موضعه) وزاد فى التحامل عليه وهجاه كثيرون من شعراء وقته بمقاطيع مقذعة، وكأنه والله أعلم كان ضنينًا بنفسه وبشعره يرى غالبهم كآحاد تلاميذه.

مات فى العشر الأخير من شعبان حسبما أرّخه ابن خطيب الناصرية، وقيل فى رجب سنة سبع وثلاثين [وثمانمائة] بحماة بعد أن قال وقد اجتمعت الباردة والحُمَّى فى مرضه:

بردية بردت عظمى وطابقتها
سخونة أَلَّفَتْهَا قدرةُ البارى
فامْنُن بتفرقة الضِّدَيْن من جسدى
ياذا المؤلِّف بين الثلج والنار

ووصفه بعض المحدثين بالإمام العالم الأديب البارع رأس أدباء العصر وأعرفهم بفنون الشعر ... ونظمه ونثره يفوقان الوصف وعندى (أى عند الشمس السخاوى) منهما جملة، قال شيخنا: ونعم الرجل كان. وقال المقريزى: كان فيه زهو وإعجاب بنفسه، علمه الأدب، ونظمه كثير، وهو عنده فى عقوده، وإنه لقيه مرارًا أولها بدمشق فى صفر سنة اثنتى عشرة [وثمانمائة] وأورد من نظمه أشياء، قال: وهو أحد أدباء العصر المكثرين المجيدين وله فى الأدب مصنفات ... وقال ابن قاضى شهبة: تقدم فى صناعة الأدب وشاع فضله قديما فى أيام ابن أيبك، وله النظم البليغ والنثر البديع واتصل بالمؤيد وتقدم عنده، ثم حصل له تخلف وتقدم عليه الزين ابن الخراط والشرف ابن العطار فعاد إلى بلده رحمه الله وإيانا (الضوء اللامع م٦ جـ١١/ ٥٤ - ٥٦).

قالت المؤلفة: ذكرنا فى مادة «البديعيات» (م٦/ ٥٤٩) كلام صاحب كشف الظنون على بديعية ابن حجة الحموى الذى نحن بصدده فقال: وبديعة للشيخ أبى بكر على المعروف بابن حجة الحموى ... سمّاها «تقديم أبى بكر» فى مائة وثلاثة وأربعين بيتًا مشتملة على مائة وستة وثلاثين نوعًا، ثم شرحها شرحا مفيدا، وهو مجموع أدب قَلَّ أن يوجد فى غيره ولعل مقتنيه يستغنى عن غيره من الكتب الأدبية ولو لم يكن فيه إلا جودة الشواهد لكل نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر العصريين فإن مصنفه مرتفع عنه كلفة العارية، وهذا وحده مقصود لكل حاذق. كذا نُقل من خط ابن حجر على ظهر نسخة منها. اهـ.

ولما كانت هذه قيمة البديعية الفنية والتعليمية فقد رأينا أن ننقلها هنا بتمامها رغم طولها حتى تكون مرجعا للدارسين والمدرسين على السواء، وذلك أسوة بالحافظ السيوطى، الذى يقول: بعد أن أورد فى النظم من أنواع البديع ما لا يحصى وقبل أن يورد البديعة: وقد رأيت أن أورد هنا قصيدة من البديعات ليكون كل بيت منها شاهدًا لنوع من الأنواع المقدمة فاخترت بديعة ابن حِجّة لاشتمال كل بيت منها على تسمية النوع الذى فيه على سبيل التورية، أنشدنى صديقنا الحافظ نجم الدين بن فهد بمكة المشرفة شرفها الله تعالى قال أنشدنى التقى أبو بكر بن حجة لنفسه يمدح النبى ﷺ:

لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم
(براعة) تستهل الدمع فى العلم
لله سربى فسربى طلقوا وطنى
(وركبوا) فى ضلوعى (مطلق) السقم
ورمت (تلفيق) صبرى كى أرى قدمى
يسعى معى فسعى لكن أراق دمى
(وذيل) الهم همل الدمع لى فجرى
(كلاحق) الغيث حيث الأرض فى ضرم
يا سعد ما (تم) لى سعد (يطرفنى)
بقربهم وقليل الحظ لم يلم
هل من يفى ويقى إن صحفوا عذلى
(وحرفوا) وأتوا بالكلم فى الكلم

قد فاض دمعي وقاظ (القلب) إذ سمعا
(لفظي) عذل ملا الأسماع بالألم
أيا معاذ أخا الخنساء كنت لهم
يا (معنوي) فهدوني بجورهم
(واستطردوا) خيل صبري عنهم فكبت
وقصرت كليالينا بوصلهم
وكان غرس التمني يانعا فذوى
(بالاستعارة) من نيران هجرهم
(واستخدموا) العين مني وهي جارية
وكم سمحت بها أيام عسرهم
والبين (هازلني) بالجد حين رأى
دمعي وقال تبرد أنت بالسديم
(قابلتهم) بالرضا والبلم منشرحا
ولوا غضابا فياحربي لغيظهم
وما أروني (التفاتا) عند نفرتهم
أنت يا ظبي أدرى بالتفاتهم
تغزلي (وافتناني) في شمائلهم
أضحى رثا لاصطباري بعد بعدهم
قالوا نرى لك لحما بعد فرقتنا
فقلت (مستدركا) لكن على وضم
(فالطيّ والنشر) والتغيير مع قصر
للظهر والعظم والأحوال والهمم
بوحشة بدلوا أنسي وقد خفضوا
قدري وزادوا غلوا في (طباقهم)
(نزهت) لفظي عن فحش وقلت هم
عرب وفي حبهم يا غربة الذمم
(تخيروا) لي سماع العذل وانتزعوا
قلبي وزادوا نحولي مت من سقم
وزاد (إبهام) عذلي عاذلي ودجى
ليلي فهل من بهيم يشتفي أملي
وكم (تمثلت) إذا أرخوا شعورهم
وقلت بالله خل الرقص في الظلم
ذل العذول بهم وجدا فقلت له
(تهكما) أنت ذو عز وذو شمم
قال اصطبر قلت صبري ما (يراجعني)
قال احتمل قلت من يقوى لصدهم
(توشيحهم) يملا تلك الشعور إذا
لفوه طيا تعرفنا بنشرهم

(شابهت أطراف) أقوالي فإن أهم
أهم إلى كل واد في صفاتهم
(أغابر) الناس في حب الرقيب فمذ
أراه أبسط آمالي بقربهم
والله ما طال (تذليل) اللقاء بهم
يا عاذلي وكفى بالله في القسم
خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل
(فوّف) أجد وش رقق شدّ حب لم
يا عاذلي أنت محبوب لديّ فلا
(توارب) العقل مني واستفد حكمي
(جمع الكلام) إذا لم تغن حكمته
وجوده عند أهل الذوق كالعدم
إني (أناقضهم) إن أزمعوا ونأوا
وجر نمل ثبير إثر عيسهم
ألم أصرح (بتصدير) المديح لهم
ألم أهدّد ألم أصبر ألم ألم
(قولي) له (موجب) إذ قال أشفقهم
تسلّ قلت بناري يوم فقدهم
وكم (بمعرض مدح) قد هجوتهم
وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم
عفت القدود فلم (أستثن) بعدهم
إلا معاطف أغصان بذي سلم
طاب اللقا لذ (تشريع) الشعور لنا
على النقا فنعمنا في ظلالهم
بكل بدر بليل الشعر يحسده
بدر السماء على (التتميم) في الظلم
وافترّ عجبا (تجاهلنا بمعرفة)
قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم
لما (اكتفى) خده القاني بحمرته
قال العواذل بغضا إنه لدمي
ذكرت نظم اللآلي والحباب له
(راعى النظير) بثغر منه منتظم
وقلت ردفك موج كي (أمثله)
بالبحر قال قد استسمنت ذا ورم
وأسود الخال في نعمان وجنته
لي منذر منه (بالتوجيه) للعدم
يا نفس ذوقي (عنابي) قد دنا أجلي
مني ولم تقطعي آمال وصلهم

برئت من أربى والعز من شيمى
إن لم أبرّ بنأى عنهم (قسمى)
ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل
(حسن التخلص) بالمختار من قسمى
محمد بن الذبيحين الأمين أبو البـ
ـتول خير نبى فى (اطرادهم)
عين الكمال كمال العين رؤيته
يا (عكس) طرف من الكفار عنه عمِى
أبدى البديع له الوصف البديع وفى
نظم البديع حلا (ترديده) بفمى
(تكرير) مدحى حلا فى الزائد الكرم ابـ
ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم
(ومذهبى فى كلامى) أنّ بعثته
لو لم تكن ما تميزنا على الأمم
فعلمه وافر والزهد (ناسبه)
وحلمه ظاهر عن كل محترم
(ووشع) العدل منه الأرض فاتشحت
بحلة الأمجدين العهد والذمم
آدابه تممت لا نقص يدخلها
الوجه (تكميله) فى غاية العظم
قالوا هو البدر و (التفريق) يظهر لى
فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم
وانشق من أدب له بلا كذب
شطرين فى قسم (تشطير) ملتزم
والبدر فى التمّ كالعرجون صار له
فقل لهم يتركوا (تشبيه) بدرهم
ورد شمس الضحى للقوم خاضعة
وما لبوشع (تلميح) بركبهم
(شيئان قد أشبها شيئين) فيه لنا
تبسم وعطا كالبرق فى الديم
كذا (انسجام) دموعى فى مدائحه
بالله شنف بها يا طيب النغم
وإن ذكرت زمانا ضاع من عمرى
فى غير (تفصيل) مدحى صِحتُ واندَمِى
(نوادر) المدح فى أوصافه نشقت
منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم
(بالغ) وقل كم جلا بالنور ليل وغى
والشهب قد عميت من عثير الدهم

لو شاء (إغراق) من ناواه مدّ له
فى البرّ بحرا بموج منه ملتطم
بلا (غلو) إلى السبع الطباق سرى
وعاد والليل لم يجفل بصحبهم
سهل شديد له (بالمعنيين) بدا
(تألف) فى العطا والدين للعظم
لا (ينتفى) الخير من (إيجابه) أبدا
ولا يشين العطا بالمنّ والسأم
للجود فى السير (إيغال) إليه وكم
حبا الأنام بود غير منصرم
(تهذيب تأديبه) قد زاده عظما
فى مهده وهو طفل غير منفطم
بحر وذو أرب برّ وذو رحب
(لم يستحل بانعكاس) ثابت القدم
أوصافه الغر قد حلت (بتورية)
جيدى وعقد لسانى بعد ذا وفمى
من اعتدى فيعد وإن (يشاكله)
لحكمة هو فيها خير منتقم
(جمع) الأعادى (بتقسيم) يفرقه
فالحىّ للأسر والأموات للضرم
سناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى
والعزم كالبرق فى (تفريق جمعهم)
ومن (إشارته) فى الحرب كم فهم الـ
ـأنصار معنى به فازوا بنصرهم
(توليد) نصرتهم يبدو بطلعته
ما السبعة الشهب ما توليد رملهم
قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم
لناوه ألسن (تكنى) عن الكرم
آدابه وعطاياه ورأفته
سجية ضمن (جمع) فيه ملتئم
(إيجابه) بالعطايا ليس (يسلبه)
ويسلب المنّ منه سلب محتشم
هداه (تقسيمه) حالى به صلحت
حيا وميتا ومبعوثا مع الأمم
(أوجز) وسل أول الأبيات عن مدح
فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

بالحجر ساد فلا ندّ (يشاركه)
حجر الكتب المبين الواضح اللقم
(تصريع) أبواب عدن يوم بعثهم
يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم
فلا (اعتراض) علينا فى محبته
فهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم
وما لنا من رجوع عن حماه بلى
لنا (رجوع) عن الأوطان والحشم
(ترتب)الحيوانات السلام له
والنبت حتى جماد الصخر في الأكم
محمد أحمد المحمود مبعثه
كل من الحمد تبين (اشتقاقهم)
ووصفه لابنه قد جاء تسمية
فإنه حسن حسب (اتفاقهم)
(إبداع) أخلاقه إبداع خالقه
في زخرف الشعر فاسجع بها وهم
فالخير (ماثله) والعفو جاوره
والعدل جانسه في الحكم والحكم
الحق بحصر جميع الأنبياء به
(فالجزء يلحق بالكلى) للمعظم
وشم وميض بروق من(فرائده)
وانظم حنانيك عقدا غير منفصم
يسّ زادت على لقمان حكمته
وببان (ترشيحه) فى نّ والقلم
به العصا أثمرت عزّا لصاحبها
موسى وكم قد محت (عنوان) سحرهم
كذا الخليل (بتسهيم) الدعاء به
أصابهم ونجا من حرّ نارهم
شملي (بتطريز) مدحي فيه منتظم
يا طيب منتظم فيه ومنتظم
وآله البحر آل إن يقس بندى
كفوفهم فافهموا (تنكيت) مدحهم
وفي الوغى (رادفوا) السن القناسكتنا
من العدا في محل النطق بالكلم
(وأودعوا) للثرى أجسامهم فشكت
شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

والبعض ماتوا من (التوهيم) واطرحوا
والسمر قد قبلتهم عند موتهم
وكلما (ألغزوه) حله لسن
مذ طال تعقيده أزرى بفهمهم
وقدّه (باختراع سالم) ألف
يبدو بترويسه من رأس كل كمي
وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى
كم (فسروا) من بدور فى دجى الظلم
ذكراه يطربهم والسيف ينهل من
أجسامهم لم يشن (حسن اتباعهم)
كأنما الهام أحداق مسهدة
ونومها (واردته) فى سيوفهم
هذا وتزداد (إيضاحا) مخافتهم
فى كل معترك من بطش ربهم
ما العود إن فاح نشرا أو شذا طربا
يوما بأطيب من (تفريع) وصفهم
من ذا (يناسقهم) من ذا يطابقهم
من ذا يسابقهم في حلبة الكرم
(تعديد) فضلهم يبدي لسامعه
علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم
نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا
لأنه مرّ في آثار تربهم
(تعطف) الخير كم أبدوا لمذنبهم
والخير ما زال فى أبواب صفحهم
يحمون (مستتبعين) العفو إن ظفروا
ويحفظون وفاهم حفظ دينهم
(طاعتهم) تقهر (العصيان) قدرهم
له العلو فجانسه بمدحهم
(في معرض الذم) إن رمت (المديح) فقل
لا عيب . فيهم سوى إكرام وفدهم
هم معشر (بسطوا) جودا سقاه حيا
وأخصب العيش فى أكناف أرضهم
نور القبائل ذو النورين ثالثهم
وللمعال (اتساع) فى عليهم
(جمعت مؤتلفا) فيهم (ومختلفا)
مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(تعـــريـض) مـــدح أبي بكـــر يقــدمني
فـي سبـق حليهـم مـع مـــوصليهـم
نعـم (تـــرصع) شعـــري واعتلت هممـي
وكـم تـــرفع قـــدري وانجلـت غممـي
(سجعي) ومنتظمي قـــد أظهـــرا حكمـي
وصـــرت كـــالعلم في العـــرب والعجـم
(تسميط) جـــوهـــره يلفي بـأبحـــره
ورشف كـــوثـــره يــروي لكلّ ظمـي
لأن مـــدح رســـول الله (ملتـــزمي)
فيـــه ومـــدح ســـواه ليس من لـــزمي
إذا (تـــزاوج) ذنبي وانفـــردت لـــه
بـــالمـــدح فـــزت ونجـــاني من النقم
ورّيت في كلمي (جـــزأت) من قسمي
أبـــديت من حكمي جليت كلّ عمي
لي في المعـــاني جنـود في البديع وقـد
(جـــردت) منهـــا لمـدحي فيـــه كلّ كمي
وهـــو (المجـــاز) إلى الجنـــات إن عمـــرت
أبيـــاتـــه بقـــوبل ســـابغ النعم
(تـألـف اللفظ والمعنى) بمـــدحتـــه
والجسم عنـــدي بغيـــر الـــروح لم يقم
(واللفظ والـــوزن) في أوصـــافـــه (ائتلفـــا)
فمـــا يكـن مـــديحي غيـــر منسجم
(والـــوزن) صح (مع المعنى تـألفـــه)
بمـــدحـــه فـأتي بـــالـــدرّ في الكلم
(واللفظ بـــاللفـظ) في التـأسيس مـــؤتلف
فـي كلّ بيت بسكـــان البـــديع سمي
(تمكين) سقمي بـــدا من خيفـــة حصلت
لكن مـــدائحـــه قـــد أبـــرأت سقمي
وقـــد أمنت وزال الخـــوف (مُـــذفـــا)
نحـــو العـــدو ولـم أحقـــر ولم أضـم
واخضـــر أســـود عيشي حين (دبجـــه)
بيـــاض حظي ومن زرق العـــداة حمي
وقلت يـــا ليت قـــومي يعلمـــون بمـــا
قـــد نلت كي يلحظـــوني (بـــاقتبـــاسهم)
يـــا ربّ (سهـل طـــريقي) في زيـــارتـــه
مـن قبل أن تعتـــريني شـــدّة الهـــرم
حتى يبث بـــديعي في محـــاسنـــه
(حسن البيـــان) وأشـــدو في حجـــازهم
قـد عـز (إدمـاج) شـوقي والـدمـوع لهـا
على بهـــار خـــدودي صبغـــة العنم
فإن أقف غيـــر مطـــرود. بحجـــرتـــه
لم (أحتـــرس) بعـــدهـــا من كيـــد مختصم
وفي (بـــراعـــة) مـــا أرجـــوه من طلب
إن لـم أصـــــرّح فلـم أحتـج إلى الكلـم
قـــد صحّ (عقـــد) بيـــاني في منـــاقبـــه
وإن منـــه لسحـــرا غيـــر سحـــرهم
تمت (مســـاواة) أنـــواع البـــديع بـــه
لكن تـــزيـــد على مـــا في بـــديعهم
حسن ابتـــدائي بـــه أرجـــو التخلص من
نـــار الجحيم وأرجـــو (حسن مختتمي)
(شرح عقود الجمان / ١٥٧ ـ ١٦١) .

وهكذا ضمن ابن حجة الحموي قصيدته في مدح رسول الله ﷺ هذا العدد الذي لا يكاد يحصى من أنواع البديع، وقد أوردنا الكثير منه في هذه الموسوعة .

(الأعلام للزركلي ٢/ ٦٧ ـ والضوء اللامع لشمس الدين السخاوي م٦/ جـ١١ / ٥٤ ـ ٥٦، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ٧٨، ٧٩ وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ـ سالم عبد الرزاق أحمد ٨/ ٤٠٥، ٤٠٦ . وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٥٧ ـ ١٦١ . انظر أيضًا حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٥٧٣ ، وهدية العارفين للبغدادي باشا ١/ ٧٣١) .

*** حجة السماع:**

حجة السماع : للشيخ إسماعيل بن محمد الأنقروي المولوي المتوفي في حدود سنة سبع وثلاثين وألف [١٠٤٢ اثنتين وأربعين وألف] ذكر فيه لأنه لما بلغ عصره إلى السنة المذكورة ظهر خلف من أهل الظاهر وأراد به الشيخ المعروف بقاضي زاده فطفق أن ينكر سماعنا فجاء بعض الإخوان برسالة منسوبة إلى الشيخ أحمد الغزالي فوجدها مشتملة على دلائل لكنها محشوة بالزوائد فحذفها وأصلحها فصارت مختصرا مفيدا ولحجة السماع تأييد فجعل تكملة لها وكان الإصلاح

في سنة ١٠٢٧ سبع وعشرين وألف ورتب على ثلاثة أبواب وأول التكملة: الحمد لله الذى أسمع العباد فى الميثاق الأول ... إلخ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٣٠) .

*** الحجة الصغيرة:**

الحجة الصغيرة: لعيسى بن أبان عن محمد بن الحسن ذكر الخوارزمى فى مسند أبى حنيفة عن الصيمرى بإسناده إلى المأمون أنه جمع فى عصره كتاب فى الأحاديث ووضع بين يديه وقالوا إن أصحاب أبى حنيفة هم الذين مقدمون عندك لا يعملون بها فى قصة طويلة إلى أن صنف عيسى هذا الكتاب وبيّن فيه وجوه الأخبار وما يجب قبوله وما يجب تأويله وما يجب العمل فيه بالمتضادين وبيّن حجج أبى حنيفة فلما قرأه المأمون ترحم على أبى حنيفة .

(كشف الظنون ١/ ٦٣١) .

*** الحجة فى بيان المحجة:**

الحجة فى بيان المحجة: للشيخ الإمام أبى القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على الأصبهانى المتوفى سنة ٥٣٥ خمس وثلاثين وخمسمائة وهو مجلد كثير الفصول والأبواب جمع فيه دلائل التوحيد وعقائد أهل السنة . وفى شرح الأربعين لمولانا اللارى كتاب الحجة لتارك المحجة يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة قال وهو للشيخ أبى الفتح نصر بن إبراهيم الشافعى الفقيه الزاهد نزيل دمشق «المتوفى سنة ٤٩٠» وأفصح بعض الشارحين أنه للحافظ أبى القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهانى وهو خطأ انتهى .

(كشف الظنون ١/ ٦٣١) .

*** الحجة فى سرقات ابن حجة:**

قال صاحب كشف الظنون: الحجة فى سرقات ابن حجة لشمس الدين محمد بن حسن النوّاجى هجره بعد اختصاصه وزاد فى التحامل عليه (كشف ١/ ٦٣١) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (ولعله الآن بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الحجة فى سرقات ابن حجة .

لشمس الدين محمد بن حسن النُّواجى الشافعى المتوفى سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م (ترجمته فى الأعلام ٦/ ٣٢٠ ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٠٣) .

الرقم ١٣ .

والكتاب نقد لديوان ابن حجة الحموى، وذكر لسرقات ابن حجة وضروراته الشعرية التى بلغت ٣٢٥ ضرورة .

أوله: « قال الفقير إلى رحمة الله والراجى عفوه ومغفرته محمد بن حسن النّواجى الشافعى بلّغه الله سؤاله ونولّه فى الدارين مطلوبه ومأموله . الحمد لله الذى أمرنا أن نؤدى الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمنا بين الناس أن نحكم بالعدل ... » .

آخره: « ... وكتب أبياتًا أخرى وكتب عليها أيضًا جماعة من أعيان الديار المصرية وعلمائها، كسيدنا ومولانا قاضى القضاة وشيخ الإسلام علم الدين صالح البلقينى ومولانا قاضى القضاة وشيخ الإسلام بدر الدين محمود العينى الحنفى عظم الله تعالى شأنهما، تقاريظ بديعية ليس هنا مواضع ذكرها ...

هذا آخر الحجة فى سرقات ابن حجة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا » .

نسخة تامة كتبت بخط حديث مستعجل .

(١ ـ ١٧٠أ) ١٧٠ق ١٧س ١٤ × ٢١ سم .

(فهرس الظاهرية ١/ ١٧٤، ١٧٥) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٣١، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٧٤، ١٧٥) .

*** الحجة للإمام الشافعى رضى الله عنه:**

الحجة للإمام الشافعى رضى الله عنه ـ وهو مجلد ضخم ألفه بالعراق وإذا أطلق القديم فى مذهبه يراد به هذا التصنيف . قال الأسنوى فى المهمات ويطلق على ما أفتى به هناك أيضًا . وذكر ابن حجر فى مناقب الشافعى رضى الله عنه أنه قال: اجتمع علىَّ أصحاب الحديث فسألونى أن أضع على كتاب أبى حنيفة فقلت لا أعرف قولهم حتى أنظر فى كتبهم فأمرت فكتب لى كتب محمد بن الحسن فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادى يعنى الحجة .

(كشف الظنون ١/ ٦٣١، ٦٣٢) .

* **حجة الوداع:**

هي حجة رسول الله ﷺ الأخيرة التي قال فيها: «خذوا عني مناسككم» عن يحيى بن سعيد قال: حدثنا جعفر قال: حدثني أبي قال: «أتينا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو في بني سلمة، فسألناه عن حجّة النبي ﷺ (والمراد حجة الوداع) فحدّثنا أن رسول الله ﷺ مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج (أي أنه مكث بالمدينة تسع سنين بعد الهجرة، ولم يحج في هذه المدة، ولكنه اعتمر، وقد فُرض الحج سنة تسع من الهجرة، على رأي الكثير من العلماء) ثم أذّن في الناس أن رسول الله ﷺ حاجٌّ هذا العام، قال فنزل المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ ويفعل مثل ما يفعل، فخرج رسول الله ﷺ لعشر بقين من ذي القعدة، وخرجنا معه».

رواه أحمد بلفظه، الفتح جـ٢١ ص ٢١٨.

والمراد من ذلك إعلام الناس جميعا بحجّة النبي ﷺ، وإشاعته بينهم، ليتأهبوا للحج معه، ويتعلموا المناسك والأحكام، ويشاهدوا أفعاله، ويسمعوا أقواله، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد. وتعتبر حجة الوداع دستورًا للحجاج إلى يوم الدين.

وقد بلغ جملة من كان معه من أصحابه ﷺ تسعين ألفا، وقيل مائة وعشرون ألفا (المنتخب من السنة ١/ ٣٢٠).

ولما كان هذا شأن حجة الوداع باعتبارها دستورًا للحجاج إلى يوم الدين - كما سبق القول - فإننا نوافيك بتفاصيلها وما تخللها من أحكام كما وردت في كتاب محاضرة الأبرار، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ محمد مرسي الخولي بين أقواس في ثنايا النص:

عن أبي عبد الله الحميدي قال: ولما فتح الله مكة حج بالناس سنة ثمان عتّاب بن أسيد، وحجّ في سنة تسع أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه، ثم إن الرسول ﷺ حجّ بالناس سنة عشر، على ما ثنا به عبد الحق الأزدي الإشبيلي كتابةً من بجاية، وثنا أبو الوليد جابر بن أبي أيوب الحضرمي مشافهة بمسجد المرادي بإشبيلية، قال: ثنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح، قال: قال أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد: لما أراد رسول الله ﷺ أن يحج أعلم الناس أنه حاج، ثم أمر بالخروج معه فأصاب الناس بالمدينة جدريّ أو حصبة منعت من شاء الله أن يمنع من الحج، فأعلم رسول الله ﷺ أن عمرةً في رمضان تعدل حجة، وخرج رسول الله ﷺ عامدًا إلى مكة عام حجّة الوداع التي لم يحجّ من المدينة منذ هاجر ﷺ إليها غيرها، فأخذ على طريق الشجرة، وذلك يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة عشر نهارًا بعد أن ترجل وادّهن، وبعد أن صلّى الظهر بالمدينة، فصلّى العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة (ميقات أهل المدينة الذي يحرمون منه بالحج أو العمرة. وهي على بعد ستة أميال منها) وبات ليلة الجمعة وطاف تلك الليلة على نسائه، ثم اغتسل ثم صلّى الصبح بها، ثم طيبته عائشة رضي الله عنها بيدها بذريرة (نوع من الطيب) وبطيب فيه مسك، ثم أحرم ولم يغسل الطيب، ثم لبّد رأسه (أي ألزقه بشيء لزج كصمغ أو نحوه ليمنع حلول الهوام فيه خلال فترة الإحرام) وقلّد بدنته نعلين وأشعرها (جرحها جرحًا خفيفًا) في جانبها الأيمن وسلت الدم عنها (أي مسحه) وكانت هدى تطوع، وكان ﷺ ساق هدى نفسه ثم ركب راحلته وأهل (أهلّ: أحرم، وأهلّ بالتلبية: رفع صوته بها) حين انبعثت به راحلته عند مسجد ذي الحليفة بالقران بالعمرة والحج معًا وذلك قبل الظهر بيسير.

(هذا هو ما اختاره ابن حزم استنادا على بعض الروايات، وثمة روايات أخرى تفيد أنه ﷺ أفرد الحج، والقول بهذا هو مذهب أهل المدينة، وقال بعضهم: دخل مكة متمتعًا بعمرة ثم أضاف إليها حجة، انظر جوامع السيرة، والبداية والنهاية) وقال ﷺ للناس بذي الحليفة: من أراد منكم أن يهلّ بحج وعمرة فليهلّ ومن أراد أن يهل بحج فليهلّ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهلّ، وكان معه ﷺ من الناس جموعٌ لا يحصيها إلاّ خالقها ورازقها عزّ وجل، ثم لبىّ رسول الله ﷺ فقال: لبّيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وقد روى أنه ﷺ زاد على ذلك فقال: لبيّك إله الحمد، وأتاه جبريل عليه السلام وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، وولدت بنت عُميس الخثعمية زوج أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتستثفر (أي تشد على نفسها خرقة لتمنع سيلان الدم) بثوب وتحرم وتهلّ.

ثم نهض ﷺ وصلى الظهر بالبيداء ثم تمادى، واستهلّ هلال الحجة ليلة الخميس اليوم الثامن من يوم الخروج من المدينة، فلما كان بسَرِف (موضع على نحو ستة أميال من مكة) حاضت عائشة رضى الله عنها وكانت قد أهلّت بعمرة، فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتنقض رأسها وتمتشط وتترك العمرة وترفضها ولم تُحِلَّ منها وتدخل على العمرة حجًّا، وتعمل جميع أعمال الحج حاشا الطواف بالبيت ما لم تطهر.

وقال ﷺ وهو بسرف للناس: من لم يكن معه هَدى (الهَدى ما يقدمه الحجاج من الأضاحى للذبح يوم النحر) وأراد أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه، هدى فلا يعتمر فمنهم من جعلها عُمرة كما أبيح له، ومنهم من تمادى على نيّة الحج ولم يجعلها عمرة أصلًا، وأمر ﷺ فى بعض طريقه ذلك كل من كان معه هَدْى أن يهلّ بالقِران بالحج والعمرة معًا، ثم نهض ﷺ إلى أن نزل بذى طُوى، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من الحجة فصلى الصبح ودخل مكة نهارًا من أعلاها من كداء من الثنية العليا صبيحة يوم الأحد المذكور المؤرّخ، واستلم الحجر الأسود، وطاف ﷺ بالكعبة سبعًا ورمل (رمل: هرول فى سيره) ثلاثًا منها ومشى أربعًا يستلم الحجر الأسود والركن اليمانى (استلمهما أى مسح عليهما بيده) فى كل طوفة ولا يمس الركنين الآخرين اللذين فى الحجر، وقال بينهما: **﴿ربَّنا آتنا فى الدُّنيا حسنة وفى الآخرة حسنةً وقنا عذاب النارِ﴾** [البقرة: ٢٠١] ثم صلى عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين، يقرأ فيهما مع أم القرآن قل يا أيها الكافرون (سورة الكافرون) والإخلاص وجعل المقام بينه وبين الكعبة وقرأ ﷺ إذا أتى المقام قبل أن يركع **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى﴾** [البقرة: ١٢٥] ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم رجع إلى الصفا فقرأ **﴿إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾** [البقرة: ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به، فطاف بين الصفا والمروة أيضًا راكبًا سبعًا على بعيره، يخبّ ثلاثًا ويمشى أربعًا إذا رقى الصفا استقبل القبلة ونظر إلى البيت ووحدّ الله وكبّره، وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم يدعو، ثم يفعل على المروة مثل ذلك، فلما كمل الطواف والسعى ﷺ أمر كل من لا هَدْى معه بالإحلال حتمًا ولا بد، قارنًا أو مفردًا، وأن يُحلُّوا الحل كله من وطءِ النساء والطيب والمخيط، وأن يبقوا على ذلك إلى يوم التروية وهو يوم مِنى، فيهلُّوا حينئذ بالحج ويحرموا حين ذلك عند نهوضهم إلى منى، وأمر من معه الهدى، بالبقاء على إحرامه، وقال لهم ﷺ لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما سُقتُ الهدى حتى أشتريه، ولجعلته عمرة، ولأحللتُ كما أحللتم، ولكننى سُقت الهدى فلا أُحل حتى أنحر الهدى.

وكان أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة والزبير رضى الله عنهم ورجال من أهل الوفر (أى من أهل المال الكثير أو اليسير) ساقوا الهدى فلم يُحلُّوا وبقوا مُحرمين كما بقى ﷺ محرمًا، لأنه كان ساق الهدى مع نفسه، وكل أمهات المؤمنين لم يسقن هديًا فأحللن وكن قارنات حجًّا وعمرة، وكذلك السيدة فاطمة بنت النبى ﷺ وأسماءُ بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أحلتا حاشا عائشة رضى الله عنها، فإنها من أجل حيضها لم تحل كما ذكرنا، وشكا على فاطمة إلى النبى ﷺ إذ أحلت، فصدّقها رسول الله ﷺ فى أنه هو أمرها بذلك، وحينئذ سأله سُراقة بن مالك بن جُعْشُم الكنانى، فقال: يا رسول الله: مُتعتُنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ ولنا أم للأمة؟ فشبّك عليه السلام بين أصابعه وقال: بل للأبد وللأمة دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة، وأمر ﷺ من جاء إلى الحج على غير الطريق التى أتى عليها ﷺ ممن أهل كإهلاله ﷺ بأن يثبتوا على أحوالهم، فمن ساق منهم الهدى لم يحل فكان علىٌّ فى أهل هذه الصِّفة، ومن كان منهم لم يسُق الهدى أن يحل، فكان أبو موسى الأشعرى من أهل هذه الصفة، وقام ﷺ بمكة محرمًا من أجل هديه يوم الأحد المذكور والإثنين والثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس، ثم نهض ﷺ ضحوة يوم الخميس وهو يوم منًى ويوم التروية مع الناس إلى مِنى، وفى ذلك الوقت أحرم بالحج من الأبطح كل من كان أحلَّ من أصحابه رضى الله عنهم، فأحرموا فى نهوضهم إلى منى فى اليوم المذكور، فصلَّى ﷺ بمنى الظهر من يوم الخميس وبات بها ليلة الجمعة وصلى بها ليلة الجمعة وصلَّى بها الصبح من يوم الجمعة، ثم نهض عليه السلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور إلى عرفة بعد أن أمر ﷺ أن تضرب له قبة من شعر بنمرة (موضع بجنب عرفات) فأتى ﷺ عرفة فى قُبّته التى ذكرنا حتى إذ زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرُحلت، ثم

أتى بطن الوادى فخطب الناس على راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها (أى أسقطها) وأول دم وضع فيها دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعًا فى بنى سعد بن بكر ابن هوازن فقتلته هذيل، وذكر النسابون أنه كان صغيرًا يحبو أمام البيوت وكان اسمه آدم، فأصابه حجرٌ عائر أو سهمٌ غرب (هو السهم الطائش) من يد رجل من بنى هذيل فمات.

قال أبو محمد: ثم نرجع إلى وصف عمله ﷺ: ووضع أيضًا ﷺ فى خطبته ربا الجاهلية، وأول ربًا وضعه ربا عمّه العباس، وأوصى بالنساء خيرا وأباح ضربهن غير مبرح إن عصين بما لا يحل لهن، وقضى لهن بالرزق بالمعروف على أزواجهن، وأمر بالاعتصام بعده بكتاب الله عزّ وجل، وأخبر أن لا يضل من اعتصم بالله، وأشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلّغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك، وأمر ﷺ أن يبلّغ الشاهدُ منهم الغائب، وبعثت إليه أمُّ الفضل بنت الحارث الهلالية وهى أم عبد الله بن العباس لبنًا فى قدح فشربه وهو أمام الناس وهو على بعيره، فعلموا أنه ﷺ لم يكن صائمًا فى يوم ذلك، فلما أتمّ الخطبة المذكورة أمر بلالاً فأذّن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئًا، لكن صلاّهما ﷺ بالناس مجموعتين فى وقت الظهر بأذان واحد لهما معًا، وبإقامتين لكل صلاة منهما إقامة، ثم ركب ﷺ راحلته حتى أتى الموقف فاستقبل القبلة وجعل حبل المشاة (الحبل: التل من الرمل) بين يديه، فلم يزل واقفًا للدعاء، وهنالك سقط رجلٌ من المسلمين عن راحلته وهو محرم فى جملة الحجيج فمات، فأمر رسول الله ﷺ بأن يكفن بثوبيه ولا يمّس بطيب ولا مخيط ولا يغطى رأسه ولا وجهه (قالت المؤلفة: صحة العبارة كما وردت فى جوامع السيرة النبوية لابن حزم٣/ ٣١٢: ولا يخمرَّ وجهه ولا رأسه بالخاء المعجمة أى لا يغطى بخمار) وأخبر ﷺ أنه يبعث يوم القيامة ملبيًا، وسأله قوم من أهل نجد هنالك عن الحج فأعلمهم ﷺ بوجوب الوقوف بعرفة ووقت الوقوف بها، وأرسل إلى الناس أن يقفوا على مشاعرهم، فلم يزل واقفًا للدعاء حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكور، وذهبت الصفرة وأردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع ﷺ وقد ضم بزمام القصواء حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله، ثم مضى يسير العَنَق فإذا وجد فجوة نص، وكلاهما ضربٌ من السير والنص آكدهما، والفجوة: الفسحة من الناس، كلما أتى ربوةً من تلك الروابى أرخى للناقة زمامها قليلاً حتى يصعدها، وهو ﷺ يأمر الناس بالسكينة بالسير، فلما كان فى الطريق عند الشِّعب الأيسر نزل ﷺ وتوضأ وضوءًا خفيفا، وقال لأسامة: المُصلى أمامك أو كلامًا هذا معناه، ثم ركب حتى أتى المزدلفة ليلة السبت العاشرة من الحجة، فتوضأ ثم صلّى بها الغرب والعشاء الأخير مجموعتين فى وقت العشاء الأخير دون خطبة، لكن بأذان واحد لهما معًا وبإقامتين لكل صلاة منهما إقامة، ولم يصلِّ بينهما شيئًا، ثم اضطجع ﷺ بها حتى طلع الفجر، فقام ﷺ وصلى الفجر بالناس بالمزدلفة يوم السبت المذكور وهو يوم النحر، يوم الأضحى، يوم العيد، يوم الحج الأكبر مغلِّسًا (الغلس: اختلاط الظلمة بالضوء عند الفجر) أول انصداع الفجر، وهنالك سأله عروة بن مُضرِّس الطائى ــ وقد ذكر له عمله: أله حج؟ فقال له ﷺ: إن من أدرك الصلاة يعنى صلاة الصبح بمزدلفة فى ذلك اليوم مع الناس فقد أدرك الحج وإلا فلم يدرك، واستأذنته سودة وأم حبيبة فى أن يدفعا من مزدلفة ليلاً فأذن لهما ولأم سلمة فى ذلك اليوم وللنساء والضعفاء فى ذلك اليوم بعد وقوفهم جميعهم بمزدلفة وذكرهم الله تعالى بها، إلا أنه ﷺ أذن للنساء فى الرمى بليل ولم يأذن للرجال فى ذلك لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم، وكان ذلك اليوم يوم كونه عند أم سلمة، فلما صلّى الصبح ﷺ بمزدلفة أتى المشعر الحرام (جبل بالمزدلفة) بها فاستقبل القبلة ودعا الله عزّ وجل وهلل وكبر ووحّد ولم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا (أى الصبح) وقبل أن تطلع الشمس فدفع ﷺ حينئذ من مزدلفة وقد أردف الفضل بن العباس وانطلق أسامة على رجليه فى سباق قريش، وهنالك سألت الخثعمية النبى ﷺ الحج عن أبيها الذى لا يطيق الحج فأمرها بأن تحج عنه، وجعل ﷺ يصرف بيده وجه الفضل بن العباس عن النظر إليها وإلى النساء وكان الفضل أبيض وسيمًا، وسأله أيضًا رجل عن مثل ما سألته عنه الخثعمية فأمره ﷺ بذلك، ونهض ﷺ يريد مِنًى فلما أتى بطن محسر (واد بالمزدلفة، وقيل هو موضع بينها وبين منى) حرك ناقته وسلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منًى فأتى الجمرة التى عند الشجرة وهى جمرة العقبة فرماها ﷺ من أسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرخ بحصًى التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذى رمى فيه مثل حصى الحذف (الحصى الصغير الذى يرمى بأطراف الأصابع مثل حبة الفول) وأمر بمثلها ونهى

عن أكبر منها وعن الغلو في الدين، فرماها ﷺ وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا يكبر مع كل حصاة منها وحينئذ قطع ﷺ التلبية وكان لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة التي ذكرنا، ورماها ﷺ راكبا وبلال وأسامة أحدهما يمسك خطام ناقته ﷺ والآخر يظلُّه بثوب من الحر، وخطب الناس ﷺ في اليوم المذكور وهو يوم النحر بمنى خطبة كرر فيها أيضًا تحريم الدماء والأموال والأعراض والأبشار (الأبشار: الوجوه، والمقصود تحريم ضربها) وأعلمهم ﷺ فيها بحرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قام بكتاب الله عز وجل، وأمر الناس بأخذ مناسكهم (مناسك الحج عباداته) فلعلَّه لا يحج بعد عامه ذلك وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم، وأمر أن لا يرجعوا بعده كُفَّارًا وأن لا يرجعوا بعده ضُلَّالاً يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أن رب مبلغ أوعى من سامع، ثم انصرف ﷺ إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثًا وستين بدنة (البَدَنة : الناقة المهداة إلى بيت الله للنحر) ثم أمر عليًّا فنحر ما بقي مما كان عليٌّ أتى به من اليمن معه، ومع ما كان أتى به ﷺ من المدينة وكانت تمام المائة، ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه المقدَّس وقسّم شعره فأعطى من نصفه الناس الشَّعرة والشَّعرتين، وأعطى نصفه الثاني كلَّه أبا طلحة الأنصاري، وضحى عن نسائه بالبقر، وأهدى عن من كان اعتمر منهن بقرة، وضحى هو ﷺ في ذلك اليوم بكبشين أملحين (الكبش الأملح : هو الذي خالط بياضه سواد) وحلَّق بعضُ أصحابه وقصَّر بعضهم فدعا ﷺ للمحلِّقين ثلاثًا وللمقصِّرين مرة، وأمر ﷺ أن يُؤخذ البُدن الذي ذكرنا من كل بدنة بضعة فجعلت في قدر وطبخت، فأكل ﷺ هو وعلى رضي الله عنه من لحمها وشربا من مرقها، وكان ﷺ قد أشرك عليًا فيها، فأمر عليًا بقسمة لحمها كلِّها وجلودها وجلالها وأن لا يعطى الجازرُ على جزارتها شيئًا منها وأعطاه ﷺ الأجرة على ذلك من عند نفسه، وأخبر الناس أن عرفة كلها موقف حاشا بطن عُرنة (واد بحذاء عرفات) وأن مزدلفة كلها موقف حاشا بطن مُحَسِّر (واد بين منى والمزدلفة) وأن منى كلها منحر، وأن مكة كلها منحر، ثم تطيّب ﷺ قبل أن يطوف طواف الإفاضة، ولإحلاله قبل أن يُحلَّ في يوم النحر وهو يوم السبت المذكور طيَّبته عائشة رضي الله عنها بطيبٍ فيه مسك بيدها، ثم نهض ﷺ راكبًا إلى مكة في يوم السبت المذكور بعينه، فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة وهو طواف الصدر (أي يوم خروجه ﷺ من منى) قبل الظهر، وشرب من ماء زمزم بالدلو من شدِّ بالسقاية، ثم رجع من يومه ذلك إلى منى فصلَّى بها الظهر وهذا قول ابن عمر رضي الله عنهما، وقالت عائشة رضي الله عنها وجابر: بل صلى ظهر ذلك اليوم بمكة، وهذا هو الفصلُ الذي أُشكل علينا الفصلُ فيه لصحة الطُّرُقِ في كل ذلك، ولا شك أن في أحد الخبرين وهمًا والثاني صحيح، قال أبو محمد: لا يُدرى أيُّهما هو. وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهي شاكية واستأذنت النبي ﷺ في ذلك فأذن لها، وطافت أيضًا عائشة رضي الله عنها في ذلك اليوم وفيه طهُرت، وكانت رضي الله عنها حائضة في يوم عرفة، وطافت أيضًا صفيَّة في ذلك اليوم وحاضت بعد ذلك ليلة النفر (أي ليلة الخروج إلى منى لرمي الجمرات) ثم رحل ﷺ إلى منى، وسُئل ﷺ حينئذ عما يُقدَّم بعض على بعض في الرمي والحلق والنحر والإفاضة، فقال في كل ذلك: لا حرج، وكذلك أيضًا قال في تقدُّم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة، وأخبر بأن الله تعالى أنزل الداء والدواء إلاَّ الهرم، وعظَّم إثم من اقترض عرض مسلم ظلمًا (أي فعل فيه كما يفعل المقراض في الثوب) فأقام هنالك باقي يوم السبت ولية الأحد ويوم الأحد وليلة الإثنين ويومه وليلة الثلاثاء ويومه وهذه هي أيام منى وهي أيام التشريق، يرمي الجمار الثلاث كلَّ يوم من هذه الأيام الثلاثة بعد الزوال بسبع حصيات كل يوم لكل جمرة، يبدأ بالكبرى وهي تلي مسجد منى ويقف عندها للدعاء طويلاً، ثم التي تليها وهي الوسطى، ويقف عندها للدُّعاء كذلك، ثم جمرةُ العقبة ولا يقف عندها، وكبر مع كلِّ حصاة.

وخطب الناس أيضًا يوم الأحد الثاني من النحر وهو يوم الرءوس وقد روى أنه ﷺ خطبهم أيضًا يوم الإثنين فأوصى بالأرحام خيرًا، وأخبر ﷺ أنه لا تجنى نفسٌ على أُخرى. واستأذنه عمُّه العبّاس في المبيت بمكة ليالي منى المذكورة من أجل سقايته فأذن له ﷺ وأذِن للرِّعاء أيضًا في مثل ذلك،

ثم نهض ﷺ بعد زال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرخ وهو آخر أيام التشريق، وهو الثالث عشر من ذى الحجة، وهو يوم النفر إلى المحصَّب (موضع رمى الجمار بمنى، وهو يقع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب) وهو الأبطح، فضرب بها قبة ضربها أبو رافع مولاه وكان على ثقله ﷺ(الثقل : متاع المسافر) وقد كان ﷺ قال لأسامة إنه ينزل غدًا بالمحصَّب خيف بنى كنانة، وهوالمكان الذى ضرب فيه أبو رافع وفاقًا من الله عز وجل دون أن يأمره النبى ﷺ بذلك، وحاضت صفية أم المؤمنين ليلة النفر بعد أن أفاضت فأخبر بذلك النبى ﷺ فسأل : أفاضت يوم النحر؟ فقيل له : نعم، فأمرها أن تنفر، وحكم فيمن كانت حالتها كذلك أن تنفر أيضًا، وصلى ﷺ بالمحصَّب الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة من ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذى الحجة وبات بها ليلة الأربعاء المذكورة ورقد رقدة، ولما كان يوم النحر والنفر رغبت إليه عائشة رضى الله عنها بعد أن طهُرت أن يعمرها عمرةً مُفردة، فأخبرها ﷺ أنها قد حلَّت من عمرتها وحجتها وأن طوافها يكفيها ويُجزيها لحجتها وعمرتها، فأبت إلاَّ أن تعتمر عمرة مفردة، فقال لها : ألم تكونى طُفت ليالى قدمت؟ قالت : لا، فأمر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بأن يُردِفَها ويعمرها من التنعيم (موضع بمكة فى الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة) ففعلا ذلك، وانتظر النبى ﷺ بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك، فقال لها : هذا مكان عمرتك (أى هذه العمرة الأخيرة مكان عمرتها الأولى التى حاضت فيها فلم تطف طواف القدوم) وأمر الناس أن لا ينصرفوا حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت، ورخص فى ترك ذلك للحائض التى قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضتها، ثم إنه ﷺ دخل مكة فى ليلة الأربعاء المذكورة فطاف بالبيت طواف الوداع ـ لم يَرْمُل فى شيء منه ـ سحرا قبل صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور، ثم خرج من كُدى أسفل مكة من الثنيَّة السفلى، والتقى ﷺ بعائشة رضى الله عنها وهى ناهضة إلى الطواف المذكور وهى راجعة من تلك العمرة التى ذكرنا، ثم رجع ﷺ وأمر بالرحيل ومضى ﷺ من فوره ذلك راجعًا إلى المدينة، وخرج من مكة من الثنية السفلى

فكانت مدة إقامته ﷺ بمكة منذ دخلها إلى أن خرج إلى منى إلى عرفات إلى مزدلفة إلى منى إلى المحصَّب إلى أن وجَّه راجعًا عشرة أيام، فلما أتى ذا الحُليفة بات بها، ثم لما رأى المدينة كبّر ثلاثًا، وقال : لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربِّنا حامدون صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دخل ﷺ المدينة نهارًا من طريق المعرّس، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، انتهى حديث أبى محمد (محاضرة الأبرار ١/ ٨١ـ٩٥).

وقد أفرد ابن حزم كتابا هو « كتاب حجة الوداع » ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٤١٠، ١٤١١) وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة فيض الله بالآستانة مصورة على ميكروفيلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية. بيد، أنه فى كتابه « جوامع السيرة النبوية » أتى بملخص موجز لهذه الحجة التاريخية ننقله هنا تعميما للفائدة. قال المؤلف رحمه الله.

ثم حجَّ ﷺ حجَّة الوادع، خرج لها من المدينة بعد أن صلَّى الظُّهر يوم الخميس لستٍّ بقين لذى القعدة، وبات بذى الحليفة، وأهلَّ منها قارنًا بين الحج والعمرة وكان معه الهدى : مائةٌ من الإبل، بعضها حملها ﷺ مع نفسه، وبعضها، وهو نحو الثلث، أتى بها على بن أبى طالب رضى الله عنه من اليمن.

ودخل ﷺ مكة من أعلاها يوم الأحد لأربع خلون لذى الحِجَّة سنة عشر. وأمر فى طريقه من شاء أن يُهلَّ بحجٍّ فليفعل، ومن شاء أن يُهلَّ بعمرة فليفعل، ومن شاء أن يقرن بينهما فليفعل، فلما قرب من مكة أمر من كان معه هدىٌ أن يقرن بين عمرة وحجَّةٍ، وأمر كُلَّ من لا هدى معه أن يفسخ حجَّه بعُمرة ولا بُدَّ. وسئل عن تمتُّعهم تلك، ألعامهم ذلك أم لأبد؟ فقال ﷺ : بل لأبد أبدٍ، دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة.

وأمر رسول الله ﷺ عائشة رضى الله عنها ـ إذ حاضت،

وكانت قد أهلّت بعمرة ـ أن تضيف إليها حجّة، وتعمل كلّ ما يعملُ الحاجُّ، حاشا الطواف بالبيت.

وطاف ﷺ لعُمرته وحجّه طوافًا واحدًا.

وتطيب لإحرامه حين أحرم، ولإحلاله قبل أن يطوف بالبيت، بطيبٍ فيه مسك، بقى ظاهرًا فى رأسه المقدّس أكثر من ثلاثة أيام بعد إحرامه.

وأمر بمُحرم مات بعرفة أن يُكفَّن فى ثوبيه، ولا يُمسَّ بطيب، ولا يُخمَّر وجههُ ولا رأسُه.

وأمر الناس ألا ينفر أحدٌ حتى يكون آخرُ عهده بالبيت، إلا الحائض التى طافت قبل حيضها بالبيت طواف الإفاضة.

ثم رجع إلى المدينة من أسفل مكة قبل طلوع الشمس يوم الأربعاء الرابع عشر لذى الحجة.

قال رحمه الله تعالى: وقد أفردنا لها جزءًا ضخمًا استوعبنا فيه جميع خبرها بحمد الله تعالى وبه جل وعلا التوفيق (جوامع السيرة النبوية ٣/ ٣١١، ٣١٢).

أما عن خطبة حجة الوداع فقد ورد عنها فى «تيسير الوصول» ما يلى:

١ - عن عمرو بن أبى الأحوص رضى الله عنه. قال «شهدت حجة الوداع مع النبى ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ثلاثًا: أى يوم أحرم؟ قالوا يومُ الحج الأكبر، قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا، ألا لا يجنى جانٍ إلا على نفسه، ولا يجنى والدٌ على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخُو المسلم فليس يحلُّ لمسلم من أخيه شىء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل ربًا فى الجاهلية موضوعٌ ـ لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ـ غير ربَا العباس فإنه موضوعٌ كله، ألا وإنَّ كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وأول دمٍ أضعهُ من دم الجاهلية دمُ الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعًا فى بنى ليث فقتلهُ هذيل، ألا فاستوصُوا بالنساء خيرًا فانهنَّ عوانٌ عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرِّحٍ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً، ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا: فأما حقُّكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن، ألا وإن الشيطان قد أيس أن يُعبد فى بلدكم هذا أبدا، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم وسيرضى به» أخرجه الترمذى وصححه «عوانٌ» أى أسيراتٌ.

٢ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع «ألا أىُّ شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا، قال ألا أى بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا، قال ألا أ يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا، قال فإن الله تعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا، ألا هل بلغت ثلاثًا، كلُّ ذلك يجيبونه ألا نعم. قال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعوا بعدى كفارًا يضربُ بعضكُم رقاب بعض». أخرجه الشيخان واللفظ للبخارى.

٣ - وعن أبى بكرة نُفيع بن الحارث الثقفى رضى الله عنه «أن النبى ﷺ قال: إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا: منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذُو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان، أى شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سَيُسمِّيه بغير اسمه، فقال أليس ذا الحجة؟ قلنا بلى. قال أى بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه. فقال: أليس البلدة الحرام؟ قلنا بلى. قال فأى يوم هذا؟ قلنا الله ورسولهُ أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال أليس يوم النحر؟ قلنا بلى. قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا. وستلقون ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضربُ بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهدُ الغائب، فلعل بعض من يبلغُهُ أن يكون أوعى له من بعض من سمعه. ثم قال: ألا هل بلَّغت، ألا هل بلَّغت

ثلاثًا، قلنا نعم، قال: اللهم أشهد ». أخرجه الشيخان وأبو داود.

زاد مسلم رحمه الله تعالى: ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما، وإلى جزيعة من الغنم فقسمها بيننا.

وزاد رُزين رحمه الله تعالى في آخره: « ثلاث لا يغل عليهن قلبُ مؤمن أبدًا: إخلاصُ العمل لله تعالى، ومناصحة وُلاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإنَّ دعوتهم تحيطُ من ورائهم ». قال ابن الأثير: ولم أر هذه الزيادة في الأصول.

« الجزيعة » بالزاي: القطعة من الغنم، وقوله « لايُغلُّ » بضم الياء من الإغلال وهو الخيانة. وقيل بفتحها من الحقد، والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تُستصلحُ بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشرّ. (تيسير الوصول ١/ ٢١، ٢٢).

قال ابن إسحاق: حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري، عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغامها (اللغام: الرغوة التي تخرج من فم الناقة) ليقع على رأسي، فسمعته يقول: أيها الناس، إن الله أدَّى إلى كل ذى حق حقه، وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً.

تعاليم الرسول ﷺ للحاج. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة قال: هذا الموقف، للجبل الذي هو عليه وكل عرفة موقف. وقال حين وقف على قزح (وهو جبل بالمزدلفة) صبيحة المزدلفة: هذا الموقف: وكل المزدلفة موقف. ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: هذا المنحر. وكل منى منحر، فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجّهم من الموقف، ورمي الجمار، وطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها. (السيرة النبوية ٤/ ١٨٦، ١٨٧).

(المنتخب من السنة ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، الطبعة الثانية، م١/ ٣٢٠، ومحاضرة الأبرار لمحيى الدين بن عربي ـ تحقيق محمد مرسى الخولى ١/ ٨١ ـ ٩٥، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص، وجوامع السيرةالنبوية لأبى محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ـ أعدها وقدمها وعلق عليها أحمد حسن جابر رجب. هدية مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٣هـ / ٣/ ٣١١، ٣١٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٢١، ٢٢، والسيرةالنبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٨٦، ١٨٧).

*** حجة الوداع (كتاب):**

انظر: حجة الوداع.

*** الحجون:**

قال ياقوت:

الحجونُ: آخره نون، والحجن الاعوجاج، ومنه غزوة حجون التي يظهر الغازى الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره، وقيل: هي البعيدة. والحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وقال السكرى: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال السهيلى: على فرسخ وثلث، عليه سقيفة آل زياد بن عبيد الله الحارثى، وكان عاملاً على مكة في أيام السفاح وبعض أيام المنصور، وقال الأصمعي: الحجون هو الجبل المشرف الذى بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين، وقال مضاض بن عمرو الجرهمى يتشوق مكة لما أجلتهم عنها خزاعة:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس، ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى! نحن كنا أهلها، فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثرُ
فأخرجنا منها المليك بقدرة،
كذلك، يا للناس، تجرى المقادرُ

فصرنـا أحـاديثًـا وكنـا بغبطـة،
كـذلك عضتنـا السنـون الغـوابـر
وبـدلنـا كعب بهـا دار غـربـة،
بهـا الـذئب يعوى والعدو المكـاشـر
فسحت دمـوع العين تجـرى لبلـدة،
بهـا حـرم أمن وفيهـا المشـاعـر

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

* **ابن حِجّى (٧٥١-٨١٦هـ / ١٣٥٠-١٤١٣م):**

أحمد بن حِجّى بن موسى بن أحمد السعدى الحسبانى الأصل، الدمشقى، شهاب الدين ابن علاء الدين، حافظ مؤرخ، من أهل دمشق. ولد ومات فيها. ويلقب بمؤرخ الإسلام. انتهت إليه مشيخة الشيوخ فى البلاد الشامية. وصنف كتبا جليلة، منها «الدارس من أخبار المدارس» احترق غالبه فى وقعة التتر، و«جمع المفترق» فوائد فى علوم مختلفة، و«معجم» فى أسماء شيوخه. وألف كتابا فى التاريخ ذكره تلميذه ابن شقدة، وقال إنه ابتدأه بحوادث سنة ٧٤١هـ وختمه سنة وفاته. ثم أكمله ابن قاضى شهبة إلى سنة ٨٤٠هـ. وله «شروح» و «ردود» وغير ذلك.

(الأعلام للزركلى ١/ ١١٠ عن الضوء اللامع ١/ ٢٦٩، والمنتخب من شذرات الذهب، مخطوط، والقلائد الجوهرية / ١١٢، والنعيمى ١/ ١٣٨، والتبيان، مخطوط، والشذرات ٧/ ١١٦. انظر أيضًا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١/ ٢٦١، ٢٦٢).

* **الحدّ:**

انظر: الحدود.

* **حد القريض فى الفرق بين الكتابة والتعريض:**

لتقى الدين على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة (كشف ٢/ ٦٣٤).

* **الحِداد:**

انظر: الإحداد.

* **الحدّاد (-٨٠٠هـ/ -١٣٩٧م):**

أبو بكر بن على بن محمد الحداد الزَّبيدى، فقيه حنفى يمانى، من أهل العبادية، من قرى «حازة وادى زَبيد» فى تهامة. والحازة اسم لما قارب الجبل. استقر فى زبيد وتوفى بها. قال الضمدى: «له فى مذهب أبى حنيفة مصنفات جليلة لم يصنف أحد من العلماء الحنفية باليمن مثلها، كثرة وإفادة، تبلغ كتبه نحو ٢٠ مجلدًا، منها «السراج الوهاج» ثمانى مجلدات، فى شرح مختصر القدورى، فقه، و«الجوهرة النيّرة» مجلدان، فى شرح مختصر القدورى أيضًا، و «سراج الظلام» فى شرح منظومة الهاملى، فقه، وكتاب «التفسير» قال الشوكانى: تفسير حسن مشهور الآن عند الناس يسمونه تفسير الحدّاد.

(الأعلام للزركلى ٢/ ٦٧ عن العقيق اليمانى - مخطوط، والبدر الطالع ١/ ١٦٦، وفهرست الكتبخانة ٣/ ٣٧، ٦٣، والمكتبة الأزهرية ٢/ ١٣٥).

* **ابن الحداد (أبو بكر) (٢٦٤-٣٤٤هـ):**

من المحدثين المصريين الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد ابن محمد بن جعفر الكنانى المصرى، شافعى المذهب، عرف باشتغاله بالحديث، وكثرة عبادته وكثرة صيامه، فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما، وقد تلقى العلم على كثير من شيوخ عصره (المحدثون فى مصر والأزهر / ١٦٧).

أدرجه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ فى وفيات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقال: توفى القاضى أبو بكر بن الحداد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقال السمعانى: توفى سنة ٣٤٤هـ. وذكره القضاعى فى كتاب خطط مصر وقال: «توفى عند منصرفه من الحج سنة ٣٤٤هـ بمنية حرب، على باب مدينة مصر، وقيل فى موضع بالقاهرة، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكنانى، المصرى، أبو بكر، المعروف بابن الحداد. قاض، من فقهاء الشافعية، ولد سنة ٢٦٤هـ وأخذ الفقه عن أبى إسحاق المروزى، وسمع الحديث من يزيد القراطيسى ومحمد بن جعفر بن الإمام، ولزم المحدث الكبير أبا عبد الرحمن النسائى. وغيره. ولى القضاء بمصر سنة ٣٢٤هـ بأمر الأخشيد بن طغج. قال ابن خلكان: كان فقيهًا محققًا غواصًا على المعانى، تولى القضاء

بمصر وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده فى الفتاوى والحوادث، وكان يقال فى زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : « غضب الجلاد، ونظافة السماد، والرد على ابن الحداد ». وقال أبو محمد بن زولاق : « كان من محاسن مصر، حاذقًا بعلم القضاء، حسن التوقيعات، يحسن علومًا كثيرة، منها علم القراءات، وعلم القرآن، وعلم الحديث، والأسماء والكنى والرواة، واختلاف العلماء، والنحو واللغة إلخ ... » . له كتاب «الفروع» فى فقه الشافعية، اعتنى بشرحه جماعة من الأئمة الكبار، « والباهر » فى الفقه، مائة جزء، و«أدب القاضى » أربعون جزءًا و« الفرائض » نحو مائة جزء. وقد انتقل إلى جوار ربه عند قدومه من أداء فريضة الحج سنة ٣٤٤هـ (كتاب الوفيات / ٢١٥، ٢١٦).

له ترجمة فى « طبقات الفقهاء الشافعية »/ ٦٥ ، و«شذرات الذهب » ٢/ ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، و « الولاة والقضاة »/ ٥٥١/ ٥٥٧ ، و «وفيات الأعيان » ٣/ ٣٣٦، ٣٣٧ ، و«مفتاح السعادة » ٢/ ١٧٥ وما بعدها، و « طبقات الفقهاء » / ٩٣ ، و «تذكرة الحفاظ » ٣/ ١٠٨ ، و « طبقات الشافعية الكبرى » ٣/ ٧٩ ، و« العبر » ٢/ ٢٦٤ ، و « النجوم الزاهرة » ٣/ ٣١٣.

(المحدثون فى مصر والأزهر - أ. د. الحسينى هاشم، وأ. د. أحمد عمر هاشم / ١٦٧ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني - تحقيق عادل نويهض / ٢١٥ ، ٢١٦ وهامش ١ للمحقق).

*** ابن الحداد (الغسّانى) (٢١٩ - ٣٠٢هـ / ٨٣٤ - ٩١٥م):**

سعيد بن محمد الغسّانى، أبو عثمان، ويقال له ابن الحداد. مناظر قوى الحجة فى علوم الدين واللغة. من أهل القيروان. كان كثير الرد على أهل البدع والمخالفين للسنة. واشتهر بجدله مع بعض علماء الدولة الفاطمية (العبيدية) فى بدء قيامها. وله فى ذلك أخبار وتصانيف من كتبه : « توضيح المشكل فى القرآن » منه قطعة مخطوطه فى جامع القيروان ، و « معانى الأخبار » مخطوط، قطعة منه، فى القيروان أيضًا، و « المجالس » وهى مناظرات فى فنون من العلم، أورد منها الخشنى فى « طبقات علماء إفريقية » أربعة، وفى الجزء الثانى (المخطوط) من رياض النفوس، للمالكى، نتف منها. و « الأمالى » و «المقالات » و «الاستواء » و « عصمة النبيين » (فى طبقات النحويين واللغويين ») عصمة المسلمين). وكان آنس الفقهاء مجلسًا وأغزرهم خبرا. مذهبه النظر والقياس والاجتهاد، لا يقلد أحدا، ويقول : إنما أدخل كثيرا من الناس إلى التقليد نقص العقول ووناء الهمم. وله نظم أكثره فى ابن أخ له أُسِر، وفى ولدٍ له مات. قال ابن قاضى شهبة، فى وفيات سنة ٣٠٢ بعد أن عرّفه بالمالكى المقرئ المجتهد: إلا أنه كان يحطّ على المالكية (الأعلام ٣/ ١٠٠).

قال الزبيدى : وجملة كتبه فى الاحتجاج على الملحدين. ثم قال :

وكان الناس يوجهون إليه من تلاميذهم من يعنِّته ويسأله. فحدثنى بعض أهل القيروان قال : أتوه يومًا فألفوه فى الحمام، فتلقّوه وهو خارج عنه فقالوا له : أعزك الله! كيف وجدت الحمام؟ فقال : غاية فى الطيب، فقالوا : أمِنْ جهة الذوق وجدت طِيبه أصلحك الله ! فقال لهم : يا حُثالة الزنادقة ... وتلاميذ الملحدين. أرأيتم قول الله عز وجل : ﴿**حتَّى إذا كُنتمْ فى الفُلك وجرين بهم بريح طيبة**﴾ [يونس : ٢٢] أمِنْ قبل الذَّوق وُجِد طيب الريح !.

وكانت لسعيد بن محمد بالقيروان فى أول دخول الشيعة مقامات محمودة ناضل فيها عن الدين، وذَبّ عن السنن، حتى مثله أهلُ القيروان فى حاله تلك بأحمد بن حنبل أيام المحنة، وذلك أنهم لمّا ملكوا البلد أظهروا تبديل الشرائع، وإحالة السنن، وبدروا إلى رجلين كبيرين من أصحاب سُحنون فقتلوهما، وعرَّوْا أجسادهما، ثم نودى عليهما : هذا جزاء من ذهب مذهب مالك، فارتاع جُملة أهل السنة، وتجمعوا إلى سعيد، فسألوه التقيّة - وكان أبو عبد الله المعلم يبعث إليهم للمناظرة، وكان سعيد المعتمد عليه فيها - فأبى سعيد من التَّقية، وقال : إنى قد أربيتُ على التسعين، وما بى إلى العيش من حاجة، وقتيل الخوارج خيرُ القتلى، ولا بدّ لى من المناضلة عن الدين، وأن أبلغ ذلك عذرًا، ففعل ذلك وصدق ونصح رحمه الله ! (طبقات النحويين واللغويين / ٢٣٩ - ٢٤١).

(الأعلام للزركلى ٣/ ١٠٠ وقد أدرجه تحت اسم « الغسانى » وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ٢٣٩ـ٢٤١).

*** الحدّادة:**

قال ياقوت :

الحدادة : بالفتح ، والتشديد ، وبعد الألف دال أخرى : قرية كبيرة بين دامغان وبسطام من أرض قومس ، بينها وبين الدامغان سبعة فراسخ ، ينزلها الحاج ، ينسب إليها محمد بن زياد الحدّادى ويقال له القومسى ، روى عن أحمد بن منيع وغيره .

وعلى بن محمد بن حاتم بن دينار بن عبيد أبو الحسن وقيل أبو الحسين القومسى الحدادى مولى بنى هاشم ، سمع ببيروت العباس بن الوليد ، وبحمص أبا عمرو أحمد بن المعمر ، وبعسقلان محمد بن حماد الطهرانى وأبا قرفاصة محمد بن عبد الوهاب وأحمد بن زيرك الصوفى ، وسمع بقيسارية والرملة ومنبج وأيلة ، وسمع بمصر الربيع بن سليمان المُرادى وغيره ، وسمع بمكة وغيرها من البلاد ، وكان صدوقًا ، روى عنه أبو بكر الإسماعيلى ووصفه بالصدق ، وقال حمزة بن يوسف السهمى : مات فى شهر رمضان سنة ٣٢٢ .

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٦).

*** الحدادية (مدرسة ـ):**

المدرسة الحدادية بحلب أنشأها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ابن أخت صلاح الدين .

وأوّل من درّس بها الفقيه الإمام الحسين بن محمد بن أسعد بن حليم المنعوت بالمُنجِّم ، وكان فقيهًا عالمًا متأدبًا ، ولم يزل بها إلى أن استدعاه نور الدين إلى دمشق ، وولى مكانه عالى بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوى البلقى ولم يزل بها إلى أن توفى إما فى سنة إحدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة .

وقال مقرب الدين أبو حفص عمر بن قُشام : « توفى عالى سنة خمس وثمانين وخمسمائة » وهذان القولان حكاهما كمال الدين بن العديم . فى « تاريخه » (تاريخ ابن العديم هو « بغية الطلب فى تاريخ حلب ») .

ثم وليها بعده موفق الدين أبو الثناء محمود بن هبة الله بن طارق النحاس الحلبى ، ولم يزل مدرسًا بها إلى أن توفى .

ثمّ وليها بعده كمال الدين إسحاق ، ولم يزل بها مدرسًا إلى أن توفى ليلة الأربعاء ، مستهل شعبان سنة أربع وأربعين وستمائة .

ووليها بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الواحد الأنصارى ، ولم يزل مدرّسًا بها إلى أن توفى يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة .

ووليها بعده ولده فخر الدِّين يوسف . ولم يزل إلى أن قتلته التتر عند استيلائهم على حلب .

(الأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبّارة جـ١ ق١/ ٢٧٣ـ٢٧٥).

*** الحدائق الأنسية فى كشف حقائق الأندلسية:**

الحدائق الإنسية فى كشف حقائق الأندلسية : فى العروض (للشيخ الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلى المتوفى سنة ٩٧١ إحدى وسبعين وتسعمائة وهو شرح على الأندلسية).

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار:**

حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار: للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة أورد فيه موضوعات ستين علما . ألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمى . (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان:**

حدائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان : فارسى للشيخ علاء الدين على بن محمد الشهير بمصنِّفك ألفه سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة بهراة ورتب على خمسة أبواب . الأول : فى الإيمان والمؤمن وما يتعلق به ، الثانى : فى بيان حديث بُنى الإسلام على خمس وما فيه من الحكمة ، الثالث : فى فرائض الغسل ، الرابع : فى فرائض الوضوء ، الخامس : فى فرائض الصلاة وواجباتها . (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الحقائق:**

حدائق الحقائق ـ لمحمد بن المرتجل الهمدانى أوله : الحمد لله المنزه عن الأنواع والأجناس ... إلخ وهو مشتمل

على ثلاثين صنفًا من العلوم اثنا عشر منها حكمية والباقى شرعية . (كشف ٢/ ٦٣٣) .

*** حدائق الحقائق فى الحديث:**

حدائق الحقائق فى الحديث : لبرهان الدين عمر بن على ابن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة ثم اختصره وسماه الرائق (كشف ٢/ ٦٣٣) .

*** حدائق الحقائق فى المنطق والطبيعى والإلهى:**

حدائق الحقائق فى المنطق والطبيعى والإلهى : للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد الكشى وهو مجلد مرتب على مقدمتين وثلاثة كتب فيما ذكر من الفنون الثلاثة أوله : الحمد لله الذى أنشأ الخلائق بقدرته ... إلخ (كشف ٢/ ٦٣٣) .

*** حدائق الحقائق فى الموعظة:**

ذكره صاحب كشف الظنون فقال :

حدائق الحقائق فى الموعظة : لتاج الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الملقب بالصدر وهو مختصر جمعه من الأحاديث والآثار والمواعظ وجعله ستين بابا أوله : الحمد لله رب العالمين ... إلخ . (كشف ٢/ ٦٣٣) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو لعله الآن فى مكتبة الأسد) وبيانه كما يلى .

الرقم ٥٩٥٧ ـ تصوف ٧٤ .

كتاب فى التصوف والزهد والموعظة يحوى ستين بابًا : الأول فى التوبة ، والآخر فى ألفاظ أهل الحقيقة واصطلاحهم .

المؤلف : أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى كان حيًّا سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م .

أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين . قال العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربه ...

آخره : ومنها السر وهو عندهم لطيفة مودعة فى القالب كالروح وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة وقالوا : السر ما لك إشراف عليه ، وسر السر ما لا يطلع عليه إلا الله ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : تاج السرابينى .

ملاحظات : نسخة قيمة ومراجعة عليها تملكات أقدمها بخط محمد بن إبراهيم الدكدكجى وعليها تعليقات .

نسخة ثانية :

الرقم ٤٢٦٥ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى جميل واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : سنة ٩٠٨هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومعلق عليها كالشرح .

نسخة ثالثة .

الرقم ١١٢٨٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة عليها مطالعة من قبل عبد الكريم؟ بتاريخ ١١٢٨هـ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٩/ ١١٢ .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ١٣٧ و ٣٣٦ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ٢/ ٦٣٣ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٧ ، ٤٠٨) .

*** حقائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق:**

من المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٤١٧ .

حدائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق .

لسعد الدين بن سعد الله البردعى .

أولها : (اللهم إنا نريد أن نتشبه بمن يحمدك على آلائك) فهى شرح لكتاب الأنموذج لجار الله الزمخشرى .

عليها حواش وشروح .

القياس ص ٤٦٦ ٥ ,٢١ × ١٦سم س ١٠.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٢٩).

*** حدائق ذات بهجة فى التفسير:**

حدائق ذات بهجة فى التفسير: لأبى يوسف عبد السلام ابن محمد القزوينى المتوفى سنة (٤٨٣ ثلاث وثمانين وأربعمائة) [٤٨٨] وهو كبير فى ثلثمائة مجلد على ما ذكر فى بعض الكتب (قلت قال الداوودى فى طبقات المفسرين قال ابن النجار جمع كتابا بلغ خمسمائة مجلد حشى فيه الغرائب والعجائب حتى رأيت منه مجلدا فى آية واحدة وهى قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة: ١٠٢] انتهى.

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٤).

*** حدائق السحر فى دقائق الشعر:**

حدائق السحر فى دقائق الشعر: فارسى لرشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف بالوطواط الكاتب المتوفى سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة ذكر فيه أنه رأى ترجمان البلاغة واستقل مع ما فيه من التكلفات فى نظمه والخلل فى معانيه فألفه. أوله: الحمد لله على ما أفاض علينا من نعمه ... إلخ وأهداه لأبى المظفر اتسز خوارزم شاه ثم شرحه حسن بن محمد الملقب بشرف الرومى لأويس شاه ورتب على قسمين قسم فى اصطلاحات الشعراء المتقدمين مشتمل على خمسين بابا وقسم فى تصرفات كلام المتأخرين مشتمل على تسعة أبواب وأتمه فى شهر رمضان سنة ٨٧٨ ثمان وسبعين وثمانمائة وسماه شقائق الحدائق.

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٤).

*** الحدائق لأهل الحقائق فى الموعظة:**

الحدائق لأهل الحقائق فى الموعظة: للشيخ أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة وهو مجلد مشتمل على مائة مجلس أورد فيها أحاديث للوعاظ ليوشح بها الآيات فى وعظه مسندة تليق بها.

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٤).

*** الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩١٣٦.

لأبى عبد الله حميد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد المحلى النهمى الهمدانى من شيوخ الزيدية المتوفى سنة ٦٥٢هـ و١٢٥٤م.

الأول (الحمد لله الذى أفاض علينا أنوار الهداية ...) وهو كتاب فى تراجم الأئمة الزيدية.

قال المؤلف فى ديباجة كتابه إنه بلغته رسالة من القاضى الأسعد تتضمن سؤال [سؤالًا] عن أخبار السابقين من ذرية النبى والأئمة فرأى أن يجيبه فى ذكر أحوالهم وأخبارهم ومناقبهم وشيئًا من منظومهم ومنثورهم وطرفًا من الأحاديث بفضل النبوى الطاهرة ...؟ وقد وصل المؤلف إلى ذكر الثلاثين من الأئمة وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان المتوفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م.

نسخة نفيسة كتبها عبد الرزاق بن محمد فليح البغدادى سنة ١٣٠٥هـ/ ١٩٣١م عن نسخة كتب سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م فى آخرها فوائد عن الكتاب والمؤلف مع فهرس للكتاب. وتتضمن هذه النسخة الجزء الأول والثانى من الكتاب.

القياس ٩٣٣ص ٥ ,٢٤ × ١٧سم ١٩س.

معجم المؤلفين ٤/ ٨٣ فهرس دار الكتب ٥/ ١٥٩ ذ/ المتحف البريطانى ٣٢٩.

نسخة أخرى.

الرقم ١٨٦٧.

كتبها حسن بن أحمد البراقى النجفى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م وتتضمن هذه النسخة جزئين من الكتاب فى أولها فهرس لكتاب.

القياس ٣٨٠ ص ٣١ × ٥ ,٢١سم ٢٥س.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥١، ١٥٢).

* **الحدباء:**

تأنيث الأحدب: اسم لمدينة الموصل، سميت بذلك لاحتداب في دجلتها واعوجاج في جريانها، وذكر ذلك في الشعر كثير.

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٧).

* **الحَدَث:**

قال ياقوت:

الحدثُ: بالتحريك، وآخره ثاء مثلثة: قلعة حصينة بين ملطية وسمُيساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور وأشج العدو، فلما قدم على المهدى أخبره بما في بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين فأمر ببناء ذلك وأن يكون بالحدث، وذلك في سنة ١٦٢؛ وفي كتاب أحمد بن يحيى بن جابر: كان حصن الحدث مما فتح في أيام عمر، رضي الله عنه، فتحه حبيب بن مسلمة الفهري من قبل عياض بن غنم، وكان معاوية يتعاهده بعد ذلك، وكانت بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة أن المسلمين أصيبوا به، وكان ذلك الحدث الذي سمى به الحدث فيما يقول بعضهم، وقال آخرون: لقى المسلمين على درب الحدث غلامٌ حدث فقاتلهم في أصحابه قتالاً استظهر فيه، فسمى الحدث بذلك الحدث، ولما كان في فتنة مروان بن محمد خرجت الروم فقدمت مدينة الحدث وأجْلَتْ عنها أهلها كما فعلت بملطية، فلما كان سنة ١٦١ خرج ميخائيل إلى عَمْق مرعش ووجه المهدى الحسن بن قحطبة فساح في بلاد الروم حتى ثقلت وطأته على أهلها وحتى صوروه في كنائسهم وكان دخوله من درب الحدث فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أن ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينة هناك، فلما انصرف كلم المهدى في بنائها وبناء طرسوس فأمر بتقديم بناء مدينة الحدث، وكان في غزوة الحسن بن قحطبة هذه مندل العنزى المحدث ومعتمر بن سليمان البصرى، فأنشأها على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين، وسميت المحمدية والمهدية بالمهدى أمير المؤمنين، ومات المهدى مع فراغهم من بنائها، وكان بناؤها باللبن، وكانت وفاته سنة ١٦٩، واستخلف ابنه موسى الهادى فعزل على بن سليمان وولى الجزيرة وقنسرين محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وكان فرض علىٌّ بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم إياها ونقل إليها من أهل ملطية وسُميساط وشمشاط وكيسوم ودلوك ورعبان ألْفَىْ رجل، وفرض لهم في أربعين من العطاء.

قال الواقدى: ولما بُنيت مدينة الحدث هجم الشتاء وكثرت الأمطار ولم يكن بناؤها وثيقًا فهدم سور المدينة وشعّثها ونزل بها الروم فتفرق عنها من كان نزلها من الجند وغيرهم، وبلغ الخبر موسى الهادى فقطع بعثًا مع المسيب بن زهير وبعثًا مع روح بن حاتم وبعثًا مع عمرو بن مالك فمات قبل أن ينفذوا، ثم ولى الخلافة الرشيد فدفع عنها الروم وأعاد عمارتها وأسكنها الجند، وكانت عمارتها على يد محمد بن إبراهيم، آخر البلاذرى، ثم لم ينته إلى شىء من خبره إلاَّ ما كان في أيام سيف الدولة بن حمدان، وكان له به وقعات، وخربته الروم في أيامه، وخرج سيف الدولة في سنة ٤٣٤ لعمارته، فعمره وأتاه الدمستق في جموعه فردهم سيف الدولة مهزومين، فقال المتنبى عند ذلك:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها،
وتعلم أيُّ الساقيين الغمائم؟
بناها فأعلى، والقنا يقرع القنا،
وموجُ المنايا حولها متلاطمُ
طريدة دهر ساقها، فرددتها
على الدين بالخطى، والأنفُ راغمُ
تفيت الليالى كلُّ شىء أخذته،
وهن لما يأخذن منك غوارمُ

وقال أبو الحسين بن كوجك النحوى وكان ملك الروم عاد لخراب الحدث ثانيًا فهزمهم سيف الدولة:

رامَ هدم الإسلام بالحدث المؤ
ذِن بنيانها بهدم الضلال

نكلت عنك منـــــه نفس ضعيف،

سلبتــــه القـــوى رؤوسُ العــــوالى

فتـــوقـى الحمــــام بـــالنفس والمـــا

ل، وبـــاع المقـــام بـــالارتحـــال

تـرك الطيـــر والـوحـوش سغــابًـا

بيـن تلك السهـــــول والأجبـــــال

ولكمْ وقعـــة قـــريت عفـــاة الــــ

ـــطير فيهـــا جمـــاجم الأبطـــال

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).

وقد شعر البيزنطيون بضخامة خطر الدولة الحمدانية بعد هذه الهـزيمة التى ألحقت بهم خسائر فـادحة (معجم المعارك الحربية / ١٢٣).

وينسب إلى الحـدث عمـر بن زُرارة الحـدثى، روى عن عيسـى بن يـونس وشريك بن عبـد الله، روى عنه أبـو القاسم عبـد الله بن محمـد البغـوى ومـوسى بن هـارون، وعلى بن الحسن الحـدثى، روى عن عيسى بن يـونس، روى عنه أبـو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى الكوفى.

وأبو الوليد أحمـد بن جناب الحدثى، روى عن عيسى بن يونس أيضًـا، روى عنه فهد بن سليمـان، ذكره فى الفيصل .

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٩).

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللّحام/ ٢٣).

***حدّثنا:**

حدّثنا : قول الراوى فيما سمعه من لفظ الشيخ .

حـدّثنـا إجـازة: من ألفـاظ الأداء لمن تحمل الإجـازة والمناولة .

حدّثنـا بقراءتى عليه وأنا أسمع : من ألفـاظ التحمل قراءة على الشيخ .

حدثنا قراءة عليه وأنا أسمع : من ألفاظ التحمل قراءة على الشيخ .

حدّثنا مناولة و إجازة : من ألفاظ الأداء لمن تحمل الإجازة والمناولة .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٠).

انظر: أخبرنا وحدَّثنا .

***حدثنا وأخبرنا:**

انظر: أخبرنا وحدّثنا .

***حدّثنى:**

حدّثنى : من ألفاظ التحمل سماعًا من الشيخ .

– العـراقى : قـول الـراوى فيمـا سمعـه وحـده من لفظ الشيخ .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين/ ٣٠).

انظر: أخبرنا وحدَّثنا .

***الحَذر:**

فى علم القراءات .

جاء فى اللسان: ابن سيده : حَدَر الشىء يحدره ويحدُرُه حدْرًا وحـدورًا فانحـدر: حطّه من عُلْـو إلى سُفْل . الأزهرى : وكل شىء أرسلتـه إلى أسفل، فقد حـدرته حـدْرًا وحُدورًا ... قال : ومنه سمّيت القراءة السريعة الحدْر لأن صاحبها يحدرُها حدْرًا ... والحَدْر. الإسراع فى القراءة (اللسان ٩/ ٨٠٢).

والحدر مـن الحدور الذى هـو الهبوط ، لأن الإسـراع من لـوازمه بخـلاف الصعود والحـدر عند أئمـة القراءة عبـارة عن إدراج القـراءة وسـرعتهـا وتخفيفهـا بـالقصـر، والاختـلاس، والتسكين، والبـدل، والإدغام ، وتخفيف الهمز ونحـو ذلك مما صحّت به الرواية ، مع إيثار الوصل، ومراعاة تقديم اللفظ ـ وهو عنـدهـم ضد التحقيق ـ فالحدر يكـون لتكثير الحسنات بكثرة القراءة، وتحصيل فضيلة التلاوة .

ويجب التحرز فيـه عن بتر حروف المدّ، وذهـاب صوت الغنّة، واختلاس بعض الحركات، وقصر ما لا يصح قصره من الممدود إلى غيـر ذلك من التفريط الذى لا تصحّ بـه القراءة، وتحرم به التلاوة .

والحـدر مـذهب ابن كثير، وأبـى جعفر وسـائر من قصَّـر المنفصل كأبى عمـرو، وقالـون، ويعقوب، والأصبهـانى عن ورش فى الأشهر عنهم، وحفص، وهشام من بعض طرقهما .

(الكوكب الدرّى فى شرح طيبة ابن الجزرى مختصر شرح الطيبة للنويرى ـ محمد الصادق قمحاوى / ٦٦).

انظر: التحقيق، التدوير.

*** حدق (جامع الست ـ):**

ذكره على مبارك فى الجوامع فقال :

قال المقريزى : هذا الجامع بخط المريس فى جانب الخليج الكبير مما يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التى خارج مدينة مصر. أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . انتهى .

وقال فى ذكر الأحكار: كان موضع هذا الجامع منظرة السكرة، فأنشأت فيه الست حدق هذا الجامع، وجعلت لها هناك حكرًا عرف بها لأجل ذلك، وهذا الحكر يعرف اليوم بالمريس، وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب انتهى .

وقد ذكرنا ترجمة الست حدق مع ترجمة الست مسكة عند مسجد مسكة .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ١٧١) .

انظر: مسكة (مسجد الست (حدق ـ) .

*** حدود الأمراض:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

مخطوط بمكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٤٧٦٢ ـ ٢ .

الأول (الحمد لله رب العالمين يليق بكبريائه الذى هو خالق داء الحيوان ودوائه ومنزل سقمه وشفائه ... » .

وهو كتاب فى وصف الأمراض وأعراضها وعلاجها يبدأ بأمراض الرأس كالصداع والشقيقة .

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ الجيد وأسماء الأمراض والأدوية كتبت بمداد أزرق فاتح مؤطرة الصفحات عليها حواش وشروح كثيرة . كتب هذه النسخة شاه حسين بن سيف الدين بن حسين فى ٢٥ رجب سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م . فى آخرها منقولة من كتاب غنى ومنى ...

وجدير بالذكر أنه يوجد كتاب بعنوان « حدود الأمراض » لمحمد أكبر أزرانى ، وآخر بنفس العنوان لمحمد بن المغير ابن مسلم الشيرازى (ذيل بروكلمان ٢/ ١٠٣٠) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٠) .

*** الحدود (فى علم الجبر):**

عن حدود أو عناصر المعادلة الجبرية يقول ابن الياسمين فى أرجوزته فى الجبر والمقابلة المعروفة بالياسمينية ، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص :

[١١] « على ثلاثةٍ يدورُ الجبرُ
المالُ والأعدادُ ثُمَّ الجذْرُ

[١٢] فالمالُ كلُّ عددٍ مربَّع
وجذْرُهُ واحدُ تلكَ الأضلُعِ

[١٣] والعددُ المُطلق ما لم يُنسب
للمال أو للجذْر فافهم تُصب

[١٤] والشىء والجذرُ بمعنى واحدِ
كالقولِ فى لفظِ أبٍ ووالدِ »

ويشرح الأستاذ الدكتور جلال شوقى الأبيات فيقول :

يبدأ الناظم بيانه لأصول علم الجبر بتعريف للحدود التى يقوم عليها هذا العلم، وهى الحدود التى تظهر فيما نعرفُه اليوم بمعادلات الدرجة الثانية وهذه العناصر هى :

١ – المال :

وهو ما نُعبِّر عنه فى الرياضيات المعاصرة بالرمز $س^2$ ، وهو مربَّع الشىء أو المجهول س، إذ إن : $س \times س = س^2$ = مثلا مساحة مربع طول ضلعه س، حيث $س = \sqrt{س^2}$.

٢ – الشىء أو الجذر:

وهو المقدار أو الكم أو الشىء المجهول س، وهو جذر المال، أى جذر مربع المجهول، وبذلك يكون المال هو مربع الشىء أو الجذر، أو هو الضلع الذى إذا ضُرب فى نفسه صار مُربَّعًا، والجذر هو أحد أضلاع المربع كما جاء بالبيت [١٢].

٣ - الأعداد :

ويُقصد بها ما لا يرتبط بالمجهول س، أو بالمال س ٢، أو بمنازل س عمومًا س ن(حيث ن ≠ صفرًا) فتكون الأعداد ـ فى الواقع ـ مُعاملات س صفر ، إذ إن س صفر = ١ وهذا تفسير ما جاء بالبيت [١٣] أما البيت [١٤] فيؤكد على أن لفظى «الشيء و « الجذر » هما لفظان مترادفان فى أعمال الجبر، وهما ما يُعبَّر عنهما بالرمز س الكم المجهول فى الرياضيات المعاصرة.

(منظومات ابن الياسمين فى أعمال الجبر والحساب ـ تحقيق ودراسة د. جلال شوقى / ١١٤، ١١٥).

انظر الجدول الذى أوردناه مصاحبا لمادة « الجبر والمقابلة (علم ـ) » فى م ١١/ ٦٣٣، وهو يبين مواصفات (أى مصطلحات) علم الجبر فى الكتابات العربية، وما يقابل ذلك من رموز مستعملة فى الرياضيات المعاصرة.

*** الحدود (فى علم الفقه):**

الحدّ: الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر. يقال: حددت كذا: جعلت له حدًّا يميّزه. وحدُّ الدار: ما تتميز به عن غيرها. وحد الشيء: الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره. وحدّ الزّانى والخمر سمّى لكونه مانعًا لمتعاطيه عن معاودة مثله ومانعًا لغيره أن يسلك مسلكه. وقوله تعالى: ﴿ وأجدرُ ألاَّ يعلمُوا حُدود ما أنزل اللهُ﴾ [التوبة: ٩٧] أى أحكامه، وقيل: حقائق معانيه.

وجميع حدود الله على أربعة أضرب: إما شيء لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه، ولا يجوز النقصان عنه، كأعداد ركعات صلاة الفرض، وإما شيء يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان عنه، وإما شيء يجوز النقصان عنه ولا يجوز الزِّيادة عليه، وإما شيء يجوز كلاهما.

والحدود جاءت فى القرآن على سبعة أوجه: الأول حد الاعتكاف لإخلاص العبادة ﴿وأنتُم عاكفُون فى المساجد تلك حدُودُ اللهِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. الثانى: حد الخلع لبيان الفدية ﴿ فيما افتدت به تلك حدودُ الله ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. الثالث: حدُّ الطلاق لبيان الرَّجعة ﴿وتلك حدود الله يُبينها لقوم يعلمونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠] . الرابع: حد العدة لمنع الضرار وبيان المدة. الخامس: حدُّ الميراث لبيان القسمة ﴿ ومن يعصِ الله ورسولَه ويتعد حدودهُ ﴾ [النساء: ١٤] السادس: حد الظِّهار لبيان الكفارة ﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستِّين مسكينًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وتلكَ حدود الله ﴾ [المجادلة: ٤] السابع: حد الطلاق لبيان مُدة العدة ﴿ لا تُخرِجُوهُنَّ من بيوتهنّ ﴾ إلى قوله ﴿ وتلك حدودُ الله ﴾ [الطلاق: ١].

وقوله تعالى: ﴿ إن الذين يحادّون الله ورسولهُ ﴾ [المجادلة: ٥] أى يمانعون، وذلك إما اعتبارًا بالممانعة، وإما باستعمال الحديد (بصائر ٢/ ٤٣٧، ٤٣٨).

يقول الإمام الماوردى صاحب « الأحكام السلطانية » رحمه الله، فى باب أحكام الجرائم :-

والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذرا من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم، قال الله تعالى:

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

يعنى فى استنقاذهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصى وبعثهم على الطاعة.

وإذا كان كذلك فالزواجر ضربان: حدٌّ وتعزير (انظر مادة « التعزير »).

فأما الحدود فضربان: أحدهما ما كان من حقوق الله تعالى. والثانى ما كان من حقوق الآدميين، فأما المختصة بحقوق الله تعالى فضربان: أحدهما ما وجب فى ترك مفروض، والثانى ما وجب فى ارتكاب محظور.

فأما ما وجب فى ترك مفروض كتارك الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها يسأل عن تركه لها، فإن قال لنسيان أمر بها قضاء فى وقت ذكرها ولم ينتظر بها مثل وقتها، قال رسول الله ﷺ:

« من نـام عن صلاة أو نسيهـا فليصلِّها إذا ذكـرها فـذلك وقتهـا لا كفارة لهـا غيـر ذلك » : وإن تركهـا لمـرض صلاهـا بحسـب طاقته من جلـوس أو اضطجـاع ، قال الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وإن تركها جاحدا لوجوبها كان كافرا ، حكمه حكم المرتد يقتل بالردة إذا لم يتب ، وإن تركهـا استثقالا لفعلها مع اعترافه بوجوبها ، فقد اختلف الفقهاء فى حكمه فذهب أبو حنيفة إلى أنه يضرب فى وقت كل صلاة ولا يقتل . وقال أحمد بن حنبل وطائفة من أصحاب الحديث يصير بتـركها كافرا يقتل بالردة . وذهب الشافعى إلى أنه لا يكفر بتركها ولا يُقتل حدًّا ولا يصير مرتدا ، ولا يقتل إلا بعد الاستتابة ، فإن تاب وأجاب إلى فعلها ترك وأمر بها ، فإن قال أصلِّيهـا فى منزلى وكلت إلى أمانته ولم يجبر على فعلها بمشهد من النـاس ، وأن امتنع من التوبة ولم يجب إلى فعل الصلاة قتل بتركها فى الحال على أحد القولين وبعد ثلاثة أيام فى القول الثانى ويقتله بسيف صبرا . وقال أبو العباس بن سـريج يقتله ضربـا بالخشب حتى يمـوت ويعدل عن السيف الموحى ليستدرك التوبة بتطاول المدى .

واختلف أصحاب الشافعى فى وجوب قتله بترك الصلوات الفوائت إذا امتنع من قضائها ، فذهب بعضهم إلى أن قتله بها كالموقتات ، وذهب آخرون إلى أنـه لا يقتل بها لاستقرارها فى الـذمـة بالفـوات ويصلى عليـه بعـد قتلـه ويدفن فى مقـابـر المسلمين لأنه منهم ويكون ماله لورثته .

فأمـا تارك الصيام فـلا يقتل بإجماع الفقهـاء ويحبس عن الطعام والشراب مـدة صيام شهر رمضان ويـؤدب تعزيرا ، فإن أجاب إلى الصيام ترك ووكل إلى أمانتـه ، فإن شوهد آكلا عزر ولم يقتل .

وأما إذا تـرك الزكاة فـلا يقتل بها وتـؤخذ إجبارًا من مـاله ، ويُعزَّر إن كتمها بغير شبهة ، وإن تعذر أخذها لامتناعه حورب عليها وإن أفضى الحـرب إلى قتله حتى تؤخذ منـه كما حارب أبو بكر الصديق مانعى الزكاة .

وأمـا الحج ففـرضه عنـد الشـافعى على التـراخى مـا بين الاستطاعة والموت ، فلا يتصـور على مذهبه تأخيره عن وقته ، وهو عنـد أبى حنيفة على الفور ، فيتصـور على مذهبـه تأخيره عن وقته ولكنه لا يقتل به ولا يعزر عليه ، لأنه يفعله بعد الوقت أداء لا قضاء ، فإن مات قبل أدائه حج عنه من رأس ماله .

وأما الممتنع من حقـوق الآدميين من ديون وغيرها فتـؤخذ منه جبرا إن أمكنت ويحبس بهـا إذا تعذرت إلا أن يكـون بها معســرا فينظــر إلــى ميســرة فهــذا حكم مـــا وجب بتــرك المفروضات .

وأما ما وجب بارتكاب المحظورات فضربان :

أحـدهما مـا كان من حقـوق الله تعـالى وهى أربعة : حـد الزنا ، وحد الخمر ، وحد السرقة ، وحد المحاربة .

والضرب الثـانى من حقـوق الآدميين شيئان : حـد القذف بالـزنا والقذف فى الجنايـات ، وسنذكر كر كل واحـد منها فى موضعه إن شاء الله تعالى (الأحكام السلطانية / ١٩١ ، ١٩٢) .

وعن الشفاعة والتسامح فى الحـدود جاء ما يلى فى الباب السابع من تيسير الوصول :

١ - عن يحيى بن أبى راشد عن ابن عمـر رضى الله عنهما « أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول : من حـالـت شفاعتـه دون حد من حدود الله تعالى ، فقد ضاد الله عز وجل ، ومن خاصم فى باطل وهـو يعلم لم يزل فى سخط الله تعـالى حتى ينزع ، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيـه أسكنه الله ردغة الخبالِ حتى يخرج مما قال : ومن أعان على خصومة بظُلم فقد باء بغضبٍ من الله تعالى» . أخرجه أبو داود .

(الرَّدغةُ) : بسكون الدال وتحريكها بعدها غين معجمة : الطين والوحل الكثير .

(جاء فى الحديث : أن الخبال عصارة أهل النار . والخبال فى الأصل : الفساد ، ومعنى أنه يخرج مما قال أن يتحلل من ذلك المسلم الذى قال فيه القول) .

٢ - وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه « أنه لقى رجلا قد أخذ سـارقًا يُـريدُ أن يـذهب به إلى السلطـان فشفع له الـزبير ليرسلـه ، فقال : لا حتى أبلغ بـه إلى السلطان ، فقال الـزبير : إنمـا الشفاعـة قبل أن يبلغ السلطان ، فإذا بلغ السلطـان لعن الشافع والمشفع » . أخرجه مالك .

٣ - وعن صفوان بن أمية رضى الله عنه « أنه توسد رداءه فى المسجد، ونام فجاءه سارق فأخذ رداءه، فأخذ صفوان السارق، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به أن تقطع يده، فقال صفوان: إنى لم أرد هذا يا رسول الله، هو عليه صدقة، فقال رسول الله ﷺ: فهلا قبل أن تأتينى به » أخرجه الأربعة إلا الترمذى.

٤ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت: « قال رسول الله ﷺ ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام إن يخطئ فى العفو خيرٌ من أن يخطئَ فى العقوبة ». أخرجه الترمذى.

ولأبى داود عنها: « أن رسول الله ﷺ كان يقول: أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود » (هم أصحاب المروءات والخصال الحميدة الذين لا يُعرفون بالشرّ فيزل أحدهم الزّلة).

٥ - وعن ابن المسيب رضى الله عنه « أن رجلا من أسلم يُقال له هَزّالٌ شكا رجلا (هو ماعز بن مالك الأسلمى) إلى رسول الله ﷺ بالزنا، وذلك قبل أن ينزل: ﴿ والذين يرمون المُحصنات ﴾ [النور: ٤] فقال النبى ﷺ يا هزال: لو سترته بردائك لكان خيرًا لك ». أخرجه مالك، وأبو داود.

٦ - وعن هانىء بن نيار رضى الله عنه قال: « سمعت النبى ﷺ يقول: لا يُجلدُ فوق عشرة أسواطٍ إلاَّ فى حد من حدود الله تعالى ». أخرجه الشيخان وأبو داود.

٧ - وعن حكيم بم حزام رضى الله عنه قال: « نهى رسول الله ﷺ أن يُستقاد فى المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود ». أخرجه أبو داود.

٨ - وعن علىٍّ رضى الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: من أصاب حدًّا فعجل عقوبته فى الدنيا، فالله أعدل من أن يثنى عليه العقوبة فى الآخرة، ومن أصاب حدًّا فستره الله تعالى عليه وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه ». أخرجه الترمذى.

٩ - وعنه رضى الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: رُفع القلمُ عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل ».

أخرجه أبو داود والترمذى.

وزاد أبو داود فى أخرى: « وعن الخرف » (تيسير الوصول ٢/ ١٧ ـ ٢٠).

(بصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢/ ٤٣٧، ٤٣٨، والأحكام السلطانية لعلى بن محمد حبيب البصرى الماوردى / ١٩١، ١٩٢، تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢/ ١٧ ـ ٢٠).

*** الحدود (كتاب ـ):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الكيمياء.

مخطوط فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف جابر بن حيان الصوفى.

وهو المقالة التاسعة والخمسون من « كتاب السبعين ».

أوله: رب يسر برحمتك، قد سبق لنا قبل كتابنا هذا ثمانية وخمسون كتابًا، وقد شرحناها شرحًا قويًا، ومقالتى هذه تاسعةوخمسون، وأنا ذاكر فيها حدود هذه الأشياء ليصح كل شىء ... إلخ.

وآخره: فاستعمل لنار الأول هذه التى ذكرناها، ولتدبير الثانى من الأول هذه العناصر الأخر، واستعمل فى التدبير الثانى ماله من الجواهر، وهى خارجة عن هذا الفن، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

نسخة بقلم نسخ جميل. تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨.

ومسطرتها ١٧ سطرًا ١١×١٧سم.

(ضمن مجموعة من ص ٣٣٤ـ٣٣٨).

[مكتبة بروسة حسين جلبى ـ ١٥].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ١١٤).

*** الحدود (كتاب ـ):**

قال عنه حاجى خليفة:

كتاب الحدود: مختصر فى أصول الفقه لمحمد بن على الخلاطى المتوفى سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة جمع فيه الحدود المتداولة فى ألسنة الفقهاء فى أصول الفقه ولأبى عبيدة معمر

ابن المثنى النحوى البصرى المتوفى سن ٢٢١ إحدى وعشرين ومائتين وللغزالى وقد ملكته .

(كشف الظنون ٢/ ١٤١١) .

* **الحدود والأحكام:**

أورده صاحب كشف الظنون (١/ ٦٣٥) تحت عنوان «حدود الأحكام » من مخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى (الفقه الحنفى) .

الرقم ٢٢٣٥٥ .

لعلاء الدين على بن مجد الدين محمود بن محمد بن مسعود الشاهرودى البسطامى الهروى المعروف بمصنفك المتوفى سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م .

الأول : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الحدود والأحكام وجعل علمها وعملها سعادة باقية ...) .

كتبها حسن بن محمد فى ٣ شعبان ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م فى أولها فهرس تملكها محمد بن حبيب المدرّس بمدرسة قره قاضى بمدينة تبره .

(مخطوطات الخزانة العمرية ق٦/ ٣٥، ٣٦) .

كما توجد نسخة فى دار الكتب الظاهرية وجاء بيان المخطوط كما يلى :

الرقم ٥٣٠٩ .

وهو فى الحدود الشرعية ، والألفاظ الفقهية ، وشرح للألقاب التى لقبت بها الكتب الدينية وغير ذلك مما يحتاج إلى البيان والشرح .

انتهى المؤلف من تأليفها سنة ٨٧٣هـ .

نسخة ناقصة من أولها ورقة واحدة .

أوله : ثقيلا ، أرى فقهاء هذا العصر طرًّا أضاعوا العلم واشتغلوا

إذا ناظرتهم لم تلق منهم
سوى حرفين لم لا لا نسلم

وآخره : واتفق فيها المتأخرون على شىء يعمل به ، وإن اختلفوا يجتهد ويفتى بما هو أصوب عنده .

نسخة عادية .

الخط فارسى جيد . كتبه مصطفى بن سيد عثمان .

٩٧ق ٢١س ٢١×١٥سم .

(فهرس الظاهرية ١/ ٢٨١، ٢٨٢) .

(مخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى ــ بغداد . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٦/ ٣٥، ٣٦، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨١، ٢٨٢) .

* **الحديبية (صلح -):**

سبق أن أوردنا فى مادة « بيعة الرضوان » (م٨/ ٢٢١ ـ ٢٢٥) طرفا من قصة الحديبية يتعلق معظمه بالبيعة التى تمت فيها . ونستكمل هنا الكلام على آثارها الاستراتيجية فى نظر العسكرية المعاصرة التى نقسمه إلى نقاط هى :

الموقف العام : المسلمون ـ المشركون .

قوات الطرفين : المسلمون ـ المشركون .

أهداف الطرفين : المسلمون ـ المشركون .

الأعمال التمهيدية .

استخبارات المعركة (المعلومات) ـ المسلمون .

المفاوضات النهائية .

أهم بنود الهدنة (العمليات التعرضية / ٤٩ ـ ٥٤) .

هذا ويسميه بعضهم : عمرة الحديبية ، ويسميه بعض آخر « غزوة الحديبية » أو « عهد الحديبية » .

وقد كان توجهه ﷺ من المدينة يوم الإثنين مستهل ذى القعدة سنة ست ، فخرج قاصدًا العمرة ، فصده المشركون من الدخول إلى البيت ، ووقعت بينهم المصالحة على أن يدخل مكة فى العام القابل .

ونبدأ بالتعريف بالحديبية كما أورده ياقوت الحموى الذى يقول :

الحديبية : بضم الحاء ، وفتح الدال ، وياء ساكنة ، وباء موحدة مكسورة ، وياء اختلفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها ، فروى عن الشافعى ، رضى الله عنه ، أنه قال : الصواب تشديد الحديبية وتخفيف الجعرانة ، وأخطأ من نصّ على تخفيفها ، وقيل : كل صواب ، أهل المدينة يثقلونها وأهل العراق يخففونها : وهى قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت

بيئـر هناك عنـد مسجـد الشجرة التى بايع رسـول الله ﷺ تحتها، وقـال الخطابى فى أمـاليه : سميت الحديبيـة بشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينهـا وبين المدينـة تسع مـراحل، وفى الحـديث إنها بئـر، وبعض الحـديبيـة فى الحل وبعضهـا فى الحرم، وهـو أبعـد الحل من البيت وليس هو فى طول الحرم ولا فى عرضه بل هو فى مثل زاوية الحـرم، فلذلك صار بينها وبين المسجـد أكثر من يوم، وعنـد مالك بن أنس أنهـا جميعها من الحـرم، وقال محمد بن موسى الخوارزمى : اعتمر النبى ﷺ عمرة الحديبية وودع المشـركين لمضى خمس سنين وعشـرة أشهـر للهجـرة النبوية (معجم البلدان ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠).

وقد جاءت قصة صلح الحديبية فى كلٍّ من تيسير الوصول والمنتخب من السنـة على النحـو التـالى، وسنتبع الـوصف بشرح الألفاظ التى تحتاج إلى شرح إن شاء الله تعالى ونوردها بأرقام هوامشها:

عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا:

(خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة، اتخذوا ذات اليمين »، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هُم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كـان بـالثنيـة التى يهبط عليهم منهـا، بـركت بـه راحلتـه، فقـال النـاسُ: حل حل فـألحّت . فقالـوا: خـلأت القصواءُ، خـلأت القصواءُ، فقال ﷺ « ما خـلأت القصواء، ومـا ذاك لها بخُلقٍ، ولكن حبسهـا حابس الفيل ». ثم قـال: «والذى نفسى بيـده. لا يسألونى خطة يُعظِّمون فيهـا حُرمات الله إلا أعطيتهم إيَّاها » ثم زجرها، فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية فى مكـان قليل الماء يتبرَّضهُ النـاس تبرضًـا، فلم يلبث النـاسُ حتى نزحوهُ، وشُكى إلـى رسول الله ﷺ العطش، فانتـزع سهما من كنـانته، ثمَّ أمـرهم أن يجعلوه فيه . فوالله مـا زال يجيش لهم بالرى حتى صـدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جـاء بُدَيْل بْنُ وَرْقَاءَ الخُزاعى فى نفـرٍ من قومه، وكـانوا عيبـة نُصح رسول الله ﷺ من أهل تهـامة، فقـال: إنِّى تركت كعب بن لؤيٍّ وعامر بن لـؤيٍّ نزلوا أعلى مياه الحُديبية، معهم العُـوذ المطـافيل، وهم مُقاتلـوك وصـادُّوك عن البيت، فقال ﷺ: « إنَّـا لم نجئ لقتال أحـد، ولكنَّا جئنـا معتمرين، وإن قُـريشًـا قـد نهكتهم الحـربُ وأضـرتْ بهم، فإن شـاءُوا ماددتُهم مُدَّة ويُخَلُّوا بينى وبين النـاس، فإن أظهر، فإن شاءُوا أن يدخلوا فيمـا دخل فيه النـاس فعلـوا، وإلاَّ فقد حموا، وإن هم أبَـوْا، فوالـذى نفسى بيـده لأقتلنَّهم على أمرى هـذا حتى تنفـرد سـالفتى، ولينفـذنَّ الله أمرهُ » فقـال بُـديل سأبلغهم مـا تقول. فانطلق حتى أتى قريشًا، فقال: إنَّا قد جئناكم من عند هـذا الرجـل، وقد سمعنـاه يقـول قولاً، فإن شئتـم أن نعرضـه عليكم فعلنا، فقـال سفهاؤهم: لا حـاجة لنـا أن تُخبرنـا عنه بشىء ! وقال ذوُو الـرأى منهم: هات ما سمعته يقـول. قال: سمعته يقولُ كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبى ﷺ، فقام عروة ابـن مسعود فقال: أى قوم ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أو لستُ بالولد؟ قالـوا: بلى، قال: فهل تتهمونى؟ قالوا: لا. قال: ألستـم تعلمون أنى استنفـرت أهل عُكاظ، فلمـا بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومـن أطاعنى؟ قالـوا: بلى. قال: فإن هذا قـد عرض عليكم خطـة رُشد، اقبلـوها ودعـونى آته، فقالوا: ائته، فأتـاه فجعل يكلِّم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ نحوًا من قوله لبُديل، فقـال عُروة عند ذلك: أى محمد، أرأيت إن استأصلت أمـر قومك، هل سمعت بأحـد من العرب اجتـاح قومه قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهًا، وإنى لأرى أوشابًا من النـاس خليقًا أن يفرُّوا ويدعــوك! فقـال لـه أبو بكر:

أنحن نفـر عنه ونـدعـه؟ فقال: مـن ذا؟ قيل: أبو بكـر، فقال: أمـا والذى نفسى بيده، لـولا يد كـانت لك عندى ولم أجزك بها لأجبتك! قال: وجعل يُكلِّمُ النبى ﷺ، فكلما كلمةً أخذ بلحيتـه والمغيرة بن شعبـة رضى الله عنه قـائمٌ على رأس النبى ﷺ، ومعـه السيف، وعليه المغفـر، فكلما أهـوى عروة بيده إلى لحيـة رسول الله ﷺ ضرب بيـده بنعل السيف، وقال لهُ: أخِّر يدك عن لحية رسـول الله ﷺ! فرفع عروة رأسهُ فقال: من هذا؟ قـالوا: المغيـرة بنُ شعبة. فقـال: أى غدر، ألست أسعى فى غـدرته؟ وكـان المغيرة بن شعبـة صحب قومًـا فى

الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال ﷺ: «أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء» ثم إن عروة جعل يرمقُ أصحاب النبى ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما يتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كفِّ رجل منهم، فدلَّك بها وجهه وجلدهُ، وإذا أمرهم ابتدروا أمرهُ، وإذا توضأ كادُوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون النظر إليه تعظيما له. فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشى، والله ما رأيت ملكًا قطُّ يعظمهُ أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا ﷺ والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلدهُ إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدوزن النظر إليه تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بنى كنانة: دعونى آتـه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه، قال ﷺ: «هذا فلانٌ، وهو من قوم يعظمون البُدن فابعثوها لهُ» واستقبله الناس يلبُّون. فلما رأى ذلك قال: سُبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلِّدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يُقال له مكرز بن حفص، فقال: دعونى آتـه، فقالوا: ائته، فلما أشرفُ عليهم قال ﷺ: «هذا مكرزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ» فجعل يُكلام النبى ﷺ، فبينما هو يكلمُهُ إذ جاء سُهيل بن عمرو، فقال ﷺ: «قد سهل لكمْ من أمركمْ»، فجاء سُهيل بن عمرو، فقال للنبى ﷺ: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا ﷺ بالكاتب فقال: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سُهيل: ما الرحمنُ؟ فوالله ما أدرى ما هى، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتبُ فقال المسلمون: والله لا نكتب إلاَّ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ» فقال سهيلٌ: لو كنا نعلمُ أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال ﷺ، «والله إنى لرسول الله، وإن كذبتمونى، أكتب محمد بن عبد الله»

فقال ﷺ: «على أن تُخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» فقال سُهيل: لا تتحدث العرب أنا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المُقبل، فكتب. فقال سهيلٌ: وعلى ألا يأتيك منا رجلٌ، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مُسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سُهيل بن عمرو يرسف فى قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: يا محمد، هذا أول ما أُقاضيك عليه أن ترده إلىَّ فقال ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذن لا أُصالحك على شىء أبدًا! قال ﷺ: «فأجزه لى». قال: ما أنا بمُجيزِ ذلك لك، قال: «بلى فافعلْ» قال: ما أنا بفاعل! قال مكرز بن حفصٍ: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل رضى الله عنه: أى معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مُسلمًا! ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذِّبَ عذابًا شديدًا فى الله، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: فأتيت نبى الله ﷺ فقلت: يا نبى الله، ألست بنبى الله حقًا؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن؟ قال: «إنى رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصرى» قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به» قال: فأتيت أبا بكر رضى الله عنه فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبى الله حقًا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن؟ فقال: أيها الرجل، إنه رسول الله ولن يعصى ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق فقلت: أليس كان يُحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: بلى فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيهِ ومُطوِّف به! قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

فلما فرغ من قضية الكتاب أمر الناس أن يحللوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة رضى الله عنها فذكر لها ما لقى من الناس. فقالت: يا نبى الله، أتحب ذلك؟ اخرج ولا

تكلم منهم أحـدًا حتى تنتحـر بـدنك وتـدعـو حـالقك، فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم، حتي فعل ذلك. نحر بدنه. ودعا حالقهُ فحلقهُ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروُا، وجعل بعضهـم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهـم يقتل بعضًا، ثم جاء نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنـات مُهاجـرات فامتحنـوهن﴾ حتى بلـغ: ﴿بِعصم الكوافر﴾ [الممتحنـة ١٠] فطلق عمـر رضى الله عنـه يـومئـذ امرأتين كانتا له فى الجاهليـة، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان، والأخرى صفوان بن أميـة. ثم رجع ﷺ إلى المدينة، فجاء أبو بصير ـ رجل من قريش ـ وهو مسلم، فأرسلـوا فى طلبـه رجُلين وقـالوا: العهـد الـذى جعلت لها، فـدفعـه إلى الرجلين، فخـرجا به حتى بلغـا ذا الحُليفة، فنزلـوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك هذا يـا فلان جيـدًا، فاستلهُ الآخـر فقال: أجل والله إنـه لجيد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصيرٍ: أرنى أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد، وفرَّ الآخرُ حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال ﷺ حين رآهُ: « لقد رأى هذا ذُعرًا » فلما انتهى إلى النبى ﷺ قـال: قُتل والله صـاحبى وإنِّى لمقتـول! فجـاء أبو بصيرٍ رضى الله عنـه فقال: يـا نبى الله قـد أوفى الله ذِمَّتك، قد رددتنى إليهم، ثم أنجـانى الله منهم، فقال ﷺ: « ويل أُمِّـهِ مسعر حربٍ! لـو كان لـهُ أحدٌ »، فلمـا سمع ذلك عرف أنـه سيردوه إليهم، فخـرج حتى أتى سيف البحـر، قال: وتفلت منهـم أبو جنـدل بن سُهيل، فلحق بأبى بصير، فجعل لا يخـرج من قريش رجل قـد أسلم إلا لحق بأبى بصيـرٍ حتى اجتمع عنده عصابـة، فوالله ما يسمعون بعيـر لقريشٍ خرجت إلى الشام إلا تعرضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قـريش إلى النبى ﷺ تنـاشـده الله تعـالى والـرحم لمـا أرسل إليهم، فمن أتـاه منهم فهـو آمن! فأرسل إليهـم، فأنـزل الله تعالى: ﴿وهُو الـذى كفَّ أيديهم عنكم وأيـديكم عنهم ببطن مكّـة من بعد أن أظفـركم عليهم﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ: ﴿حَمِيَّة الجاهليةِ﴾ [الفتح: ٢٥] وكـانـت حميتهم أنهم لم يُقرُّوا أنهُ نبى، ولم يقرُّوا ببسم الله الـرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيتِ).

أخـرجه البخـارى وأبـو داود (تيسيـر الوصـول ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٢، والمنتخب من السُّنة ١/ ٢٥١ ـ ٢٦٣).

وفيما يلى شرح معانى الألفاظ الصعبة الواردة فى النص:

(قترة الجيش) الغبار الساطـع ولا تكون القترة إلا مع سواد فى اللون.

و(الثنية) الطريق المرتفع فى الجبل.

و(القصواء) اسم نـاقـة النبى ﷺ لُقِّبـت بـذلك ولم تكن مشقوقة الأذن.

و (حَلْ) كلمة زجر للناقة و (ألحتْ) حرنت.

و(حابس الفيل) هو الله، والفيل فيل أبرهـة الذى قصد به البيت ليخربه فحبسه الله عنه.

و (الخُطةُ) الحالة والقضية والطريقة.

و(حرمُـاتُ الله) جمع حرمـة، والمراد هنـا حرمـة الحرم، وحرمة الإحرام، وحرمة الشهر الحرام.

و(الثَّمَدُ) الماء القليل الذى لا مادة له.

(التبرُّض) أخذ الشىء قليلا قليلا.

و(جاشت البئر بالماء) ارتفعت وفاضت.

و(الرِّيُّ) ضد العطش.

و(الصَّدر) الرجوع بعد الورود.

و(عيبة نصحِ رسول الله ﷺ) أى موضـع نصحه وسره وثقته فى ذلك.

و(الماء العدّ) الكثير الذى لا انقطاع لمادته كماء العيون، وجمعه أعداد..

و(العُوذُ) جمع عـائذ وهى الناقـة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها.

و(المطافيلُ) جمع مطفل وهى الناقـة التى معها فصيلها، واستعـار ذلك للنـاس أراد بـه النسـاء والصبيـان. و(نهكتُهم الحربُ) أضرَّت بهم وأثَّرت فيهم.

و(مـاددتُهم) أى جعلت بينى وبينهم مدة. و(جَمُّـوا) أى استـراحوا. (والسَّـالفةُ) صفحـة العنق. وانفرادهـا كنايـة عن الموت.

و(بَلَّحُوا) امتنعوا علىَّ وتقاعدوا بى.

و(عرضَ عليكُمْ خُطة رُشدٍ) أى طلب منكم طريقًا واضحًا فى الهدى والاستقامة.

و(الاجتياحُ) الاستئصال .

و(الأوباشُ والأوشابُ) الأخلاط من الناس والرعاع .

و(خليقًا) أى جديرا) .

و(اللاَّتُ) صنم كانوا يعبدونه .

و(غُدرُ) معدول عن غادر وهو بناء للمبالغة .

و(النُّخامةُ) البصقة من أقصى الحلق .

و(الوضوء) بفتح الواو: الماء الذى يتوضأ به .

و(ما يُحدُّون إليه النَّظرَ) أى ما يملأون أعينهم منه هيبة واستحياء منه .

و(الفاجرُ) المائل عن الحق المكذب به ، وكل انتصاب فى شر فهو فجور.

و(قاضاهُم) أى صالحهم .

و(الضَّغطةُ) القهر والضيق .

و(الرَّسفُ) مشى المقيد فى قيده .

(فأجزه لى) بالزاء وبالراء. أى اجعله جائزا غير ممنوع ، أو فاجعله فى حمايتى وحفظى .

و(الدَّنيةُ) القضية التى لا يُرضى بها ولا تراد .

و(الغرز) لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس إلا أنه من جلد فإن كان من حديد أو خشب فهو ركاب .

(وعِصم الكوافرِ) جمع عصمة وهو ما يتمسك به ، والكوافر جمع كافرة ، والمراد بعصمها عقد نكاحها .

و(ويلُ أمهِ) كلمة يتعجب بها .

و(مِسعرَ حربٍ) أى موقدها ، والمسعر الخشب الذى يوقد به النار.

و(سيف البحر) جانبه وساحله ، والله أعلم . (تيسير الوصول ٣/ ١٩٣ ، ١٩٤) .

وأما عن آثار صلح أو عهد الحديبية فنلخّصها كما وردت فى المصادر على النحو التالى :

* بعد هذه المعاهدة وانتشار السلام نتيجة لها ، تفرغ رسول الله ﷺ لنشر الدين الإسلامى بوسائل كثيرة كان من أهمها :

١ - إرسال الكتب لدعوة الحكام فى شبه الجزيرة العربية ، وإلى الملوك خارجها يدعوهم للإسلام تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلاَّ كافَّة للنَّاسِ بشيرًا ونذيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] . (محمد المصطفى ﷺ/ ١٠٣) .

ولهذا أرسل عليه السلام فى ذى الحجة من السنة السادسة للهجرة ــ وبعد عودته من الحديبية ــ الكتب إلى الملوك والأمراء فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل إمبراطور الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى فارس وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وبعث سليط ابن عمرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى فى أمير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى والعلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين وعمرو بن العاص إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى يقول الطبرى : حدثنا ابن حميد قال حدثنى ابن إسحاق عن يزيد بن أبى صهيب المصرى أنه وجد كتابًا فيه تسمية من بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الخائبين (الكفار) وما قال لأصحابه حين بعثهم فبعث به (أى بالكتاب) إلى ابن شهاب الزهرى مع ثقة من أهل بلده فعرفه (أى هذا الكتاب) («أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية » / ٦٥٨) .

٢ - تفرغ ﷺ لمن نقض العهد معه ، فقد تم فتح خيبر، وفدك ، ووادى القرى (محمد المصطفى ﷺ/ ١٠٣) .

لقد أتاحت هدنة الحديبية للمسلمين القضاء على اليهود فى المدينة كما أتاحت لهم السيطرة على قبائل شمالى المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الإسلام بين القبائل العربية كلها كما كاتب ﷺ الملوك خارج الجزيرة يدعوهم بدعاية الإسلام حيث أصبح المسلمون ــ بحمد الله ــ قوة لا تدانيها أية قوة فى بلاد العرب (« أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية» / ٦٦١) .

وبمفهوم العلوم العسكرية الحديثة يمكن تلخيص الدروس المستفادة والآثار الاستراتيجية لصلح الحديبية كما يلى :

أولا: مبدأ المحافظة على الهدف:

لقد كان هدف الرسول ﷺ زيارة البيت، ولم يكن يريد قتالا، وقد ظهر من سير الحوادث كيف حافظ على هدفه ولم يسمح لأعمال المشركين أن تخرجه عنه:

خرج محرمًا في شهر حرام والسيوف في أغمادها.

أشرك معه العرب غير المسلمين ليبين لقريش أنه يريد أداء فريضة فرضها الإسلام كما كانت فرضًا موروثًا معروفًا منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - (عهد الحديبية / ٢٩١).

ثانيا: الحديبية فتح مبين:

دخل فى هذه السنة كثير فى الإسلام، كان بعضهم من غير العرب مثل « صهيب الرومى » و (عداس) الكلدانى ».

ولذلك كان أبو بكر يقول: « ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد » (محمد المصطفى ﷺ / ١٠٣).

وفى طريق عودة المسلمين إلى المدينة نزل الوحى على الرسول ﷺ بسورة الفتح: « فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم» (رواه الشيخان).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: « تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » (رواه البخارى).

وقد حظى أهل الحديبية بأعظم تكريم فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: « قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفا وأربعمائة » (رواه البخارى).

والحق أن الأيام أثبتت أن (عهد الحديبية) حكمة سياسية وعسكرية كان لها أكبر الأثر فى مستقبل الإسلام، وفى مستقبل العرب كله، وهو ما يتضح من دراسة آثارها الاستراتيجية (عهد الحديبية / ٢٩١).

لقد حسب المسلمون الصلح محض تسليم وهم كانوا يتأهبون لاقتحام مكة، وإزالة الهيمنة الوثنية عن الكعبة، ولكن الرسول ﷺ المؤيد بالوحى، رأى بثاقب فكره، أن الصدام مع قريش فى الشهر الحرام، سيجعل القبائل العربية معها فى قضية واحدة، فى وجه المسلمين، وأن الآثار التى ستجنيها الدعوة فى ظل الأمن، تفوق الآثار التى ستجنيها من سفك الدم، وأن من المعارك ما لا يصلح لها إلا السيف، ومنها ما لا يصلح لها إلا التدبير.

وقد أثبتت الأحداث المتلاحقة - بعد اتفاقية الحديبية - صدق رؤية النبى ﷺ وإلهامه، ونزل القرآن الكريم يؤيده تأييدًا ساطعا، وجنى المسلمون ثمرات الصلح عزًّا ومنعة وهيبة وانتصارًا، حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: قد علمتُ أنَّ رأى رسول الله ﷺ أبركُ من رأيى وأبرّ.

وأول مغنم ظفرت به الدعوة: كفُّ قريش أذاها عن المستضعفين فى مكة، واختلاطها بالمسلمين، مما هيأ للدعوة أن تجتذب إليها قلوبًا كانت عَصيَّةً على الإسلام.

كما غنم المسلمون اعتراف قريش بهم، كقوة جديدة، لها وزنُها وخطرُها فى موازين السياسة فى الجزيرة كلها، وكانت قبل الصلح تعدّهم عصاة صابئين عن معتقدات الآباء، ودخلت قبيلة خزاعة فى عهد النبى ﷺ فعَزَّ بها جانب المسلمين، وكانت خزاعة تخشى الدخول فى حلف المسلمين، فى جو الحروب والتوتُّرات القائمة بينهم وبين قريش.

وتفرغ النبى ﷺ بعد الصلح للتبشير بالدعوة، وتأمين مسالكها داخل الجزيرة، فأخضع القبائل التى كانت تستهين بأمر المسلمين، وتهدّد أمنهُم كبنى مرة، وغطفان، واتصل بملوك الأرض وأباطرتها - كما سبق القول - يدعوهم إلى الهدى والرشاد، منذرًا إيَّاهم بعذاب الله إن هم أصمّوا عن سماع دعوته.

ثم واجه يهود « خيبر » فحاصرهم حصارًا عسكريًا مريرًا، واقتحم عليهم حصونهم المنيعة، وطهّر أرض العرب من هذه الألغام المزروعة فى شمالها، وسقطت بسقوط خيبر جيوب خبيثة أخرى فى « فدك » و «تيماء » و«وادى القرى ».

وعاد المهاجرون إلى الحبشة إلى مكة، ليشاركوا إخوتهم فى حياتهم ونشاطهم، بعد أن شعروا بقوتهم وهيبتهم بين القبائل.

واضطرت قريش تحت ضغط الأحداث أن تطلب إلى النبى ﷺ إبطال الشرط الثالث من شروط الصلح، وهو التزام المسلمين بردِّ من يجيئهم مسلمًا من قريش. وتفصيل الأمر أن الذين فرّوا منها ولم يقبلهم الرسول ﷺ ـ رعاية للعهد ـ قعدوا على طريق القوافل ـ كما سبق القول ـ يقطعونها على تجارة قريش. ولم تستطع قريش شكايتهم إلى الرسول، لأنهم خارجون عن ولايته، فناشدته الله والرحمَ أن يقبل من جاءه منها. وبعد إبطال هذا الشرط، تقاطر على المدينة كل من شرح الله صدره للإسلام.

ووفد العرب على رسول الله ﷺ من أنحاء الجزيرة يعلنون إسلامهم، فقد راعهم سمتُ الإسلام، وبهرتهم أخلاق المسلمين، بل فعل ذلك بعضُ زعماء مكة، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

وفى العام التالى أدى الرسول ﷺ والمسلمون عمرة القضاء، وأخلى المشركون مكة ثلاثة أيام، فجاب المسلمون أرجاءها، يعرضون قوة التوحيد، ويؤدّون شعائر الله، ويردّدون على مسمع الطغاة هتاف العزة الإسلامية: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، صدق وَعْدَه، ونصر عبدَه ـ وهزم الأحزاب وحده.

ولم يمض عامان على صلح الحديبية، حتى كان المسلمون يدخلون مكة فاتحين، فى عشرة آلاف من المجاهدين، فقد نقضتْ قريش عهد الحديبية، حين اعتدت على حلفاء المسلمين من خزاعة (معارك الإسلام الكبرى / ٩٧ ـ ١٠٠).

(العلميات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ـ الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى / ٤٩ ـ ٥٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٤، والمنتخب من السُّنَّة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٦م، ١/ ٢٥١ ـ ٢٦٣، و«أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية» ـ أ. د. محمد. عبد العليم العدوى. مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة السادسة والستون، جمادى الأولى ١٤١٤هـ ـ نوفمبر ١٩٩٣م/ ٦٥٨، ٦٦١، ومحمد المصطفى ﷺ ـ الأستاذ عبد المنعم محمد عمر ـ راجعها أ. د. على أحمد الخطيب. هدية مجلة الأزهر. رجب ١٤١١/ ٣/ ١٠٣، و«عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية» ـ اللواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ. مجلة الأزهر. الجزء الثالث، السنة الحادية والستون، ربيع الأول ١٤٠٦هـ ـ أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٨٨م/ ٢٩١، ومعارك الإسلام الكبرى ـ محمد فتحى بكوش. منشورات الجهاد. سلسلة كتاب الجهاد (٤). الطبعة الأولى جمادى الآخرة ١٣٩٤ من وفاة الرسول ـ مارس ١٩٨٥/ ٩٧ ـ ١٠٠. انظر أيضًا السيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٩٦ ـ ٢١٠، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ١٩١ ـ ١٩٦).

*** الحديث:**

الحديث إما نبوى وإما إلهى، ويسمى حديثا قدسيا أيضًا.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٠).

انظر: الحديث (علم ـ)، الحديث القدسى.

*** حديث الإفك:**

انظر: النور (سورة ـ).

*** الحديث (علم ـ):**

والحديث فى اللغة: الجديد والخبر. وفى الاصطلاح: ما أضيف إلى النبى ﷺ قولاً، أو فعلاً، أو تقريرًا، أو صفة خَلقية أو خُلقية. (الناقد الحديث / ٥).

الحديث: ابن حجر: ما يضاف إلى النبى ﷺ.

– الجرجانى والطيبى: الحديث أعم من أن يكون قول النبى ﷺ والصحابى والتابعى وفعلهم وتقريرهم.

– الكافيجى: الحديث فى الاصطلاح: هو خبر نُسب إلى الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً أو سكوتًا منه عند أمر يعاينه.

– الأحمد نكرى: الحديث فى اصطلاح المحدثين: قول النبى ﷺ وفعله وتقريره وصفته حتى الحركات والسكنات فى اليقظة والمنام ويرادفه (السنة) عند الأكثر... و(الخبر) بمعنى الحديث، وقيل أعم. (معجم المصطلحات / ٣٠).

والحديث هو قول رسول الله أو حكاية فعله أو حديث

الصحابة عنه. فهو فى المنزلة الثانية من كتاب الله فيما يتعلق بالدين والثقافة، وأغزر ينابيع التشريع فى العبادات والحقوق، وأقوم طريق يؤدى إلى فهم القرآن: يوضح إشكاله، ويفصِّل إجماله، ويقيد إطلاقه، ويخصص عمومه، والأحاديث التى صحت عن رسول الله ﷺ قليلة، ولكنها موسومة بطابع البيان والإلهام والعبقرية، لنشأته في قريش، واسترضاعه فى بنى سعد وهى أفصح القبائل العربية، وتضلعه من لغة القرآن واطلاعه على لغة العرب، وقدرته الفطرية على ابتكار الأساليب العالية، ووضع الألفاظ الجديدة لما استحدث من المعاني الدينية والفقهية، ولكن قيمتها اللغوية ودلالتها التاريخية لا تسمو إلى مكان القرآن في ذلك، لأن القرآن كان يدوَّنـه عند نزوله كتبةُ الوحى، وكونه كلامَ الله جعل الاحتفاظ بنصه فرضًا على المسلمين، ﴿ **فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه** ﴾ [البقرة : ١٨١]. أما الحديث فلم يدون إلا حوالى منتصف القرن الثاني للهجرة، وكان قبل ذلك إنما يُروى من الذاكرة. (تاريخ الأدب العربى / ٩٥).

منزلة علم الحديث وفضله: وفي مقدمته النفيسة لصحيح مسلم يقول الإمام النووى عن منزلة علم الحديث:

أما بعد:

فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القرب وأجل الطاعات، وأهم أنواع الخير وآكد العبادات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وشمر في إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفس الزكيات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التحلى به مستبقو المكرمات، وقد تظاهر على ما ذكرته حمل من الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحة المشهورات، وأقاويل السلف رضى الله عنهم النيرات، ولا ضرورة إلى ذكرها هنا لكونها من الواضحات الجليات، ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات، أعنى معرفة متونها صحيحًا وحسنها وضعيفها متصلها ومرسلها ومنقطعها وعضلها ومقلوبها ومشهورها وغريبها وعزيزها متواترها وآحادها وأفرادها معروفها وشاذها ومنكرها ومعللها وموضوعها ومدرجها وناسخها ومنسوخها وخاصّها وعامها ومجملها ومبينها ومختلفها وغير ذلك من أنواع المعروفات. ومعرفة علم الأسانيد أعنى معرفة حال رجالها وصفاتهم المعتبرة وضبط أسمائهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك من الصفات، ومعرفة التدليس والمدلسين وطرق الاعتبار والمتابعات. ومعرفة حكم اختلاف الرواة فى الأسانيد والمتون والوصل والإرسال

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى



يبق إلا آثار من آثارهم قليلات. والله المستعان على هذه المصيبة وغيرها من البليات. وقد جاء فى فضل إحياء السنن المماتات (التى أهملها الناس لا يعملون بها) أحاديث كثيرة معروفات مشهورات، فينبغى الاعتناء بعلم الحديث والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات، ولكونه أيضًا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ وللأئمة والمسلمين والمسلمات، وذلك هو الدين كما صح عن سيد البريات، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وذريته وأزواجه الطاهرات، ولقد أحسن القائل: « من جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيات » وذلك لكثرة فوائده البارزات والكامنات، وهو جدير بذلك فإنه كلام أصح الخلق ومن أُعطى جوامع الكلمات وصلى الله عليه وسلم صلوات متضاعفات. (صحيح مسلم ١/ ٢، ٣).

وفى خطبة نفيسة أخرى لكتاب آخر هو الرسالة المستطرفة يقول الإمام الكتانى:

الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث كتابا، والصلاة والسلام على من جاء ببيان ما نزل إليه سكوتا وفعلا وخطابا، وعلى آله ناقلى أخباره، ومدونى أحاديثه وآثاره، أما بعد فإن العلم الذى لابد منه لكل قاصد، ولا يستغنى عن طلبه عالم ولا عابد، علم الحديث والسُّنَّة، وما شرعه الرسول ﷺ لأمته وسَنَّه:

والوقف والرفع والقطع والانقطاع وزيادات الثقات. ومعرفة الصحابة والتابعين وأتباعهم وأتباع أتباعهم ومن بعدهم رضى الله عنهم وعن سائر المؤمنين والمؤمنات، وغير ما ذكرته من علومها المشهورات، ودليل ما ذكرته أن شرعنا مبنى على الكتاب العزيز والسنن المرويات. وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات. فإن أكثر الآيات الفروعيات مجملات. وبيانها فى السنن المحكمات، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضى والمفتى أن يكون عالمًا بالأحاديث الحكميات، فثبت بما ذكرناه أن الاشتغال بالحديث من أجلّ العلوم الراجحات، وأفضل أنواع الخير وآكد القربات، وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل مع ما ذكرناه على بيان حال أفضل المخلوقات، عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والبركات ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث فى الأعصار الخاليات، حتى لقد كان يجتمع فى مجلس الحديث من الطالبين ألوف متكاثرات، فتناقص ذلك وضعفت الهمم فلم

ديـن النبى وشـــرعـــه أخبـــاره
وأجـلّ علـم يقتفـى آثـــــاره
من كـــان مشتغـــلاً بهـــا وبنشـــرهـــا
بيـن البـــريــــة لا عفت آثـــاره

وهـو من العلـوم الأخرويـة، والنجـاة لمن تمسك من كل بليـة، والعصمـة لمن التجأ إليـه، والهدى لمن استهـدى بـه وعول عليه، وأهله حفاظ الشريعة من الأعداء، وحراسها ممن يريد التمـرد والشقاء، ولولاهم لاضمحل الدين، وكـان عرضة لتلاعب المتمردين، وهم عدول هـذه الأمة، والكاشفون عنها كل غمـة، وخلفاء النبي ﷺ وأهلـه الخاصـون به من الأنـام، وكفاهم شرفا، أنهم أكثـر النـاس صلاة علي حبيبه المصطفى ﷺ وقد اشتهـروا بطول الأعمار، والتجـربة مصدقـة لذلك في سـائر الأعصار، دعـا لهم النبي بـالـرحمة والنضـارة وبشـرهم بالجنـة التي هي أجلّ بشارة، وقيل فيهم إنهم من أكثـر النـاس خيرًا ومـالاً، وأوفرهـم رزقًا حـلالا. وقد قيل وهـو لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي :

أهل الحـديث طـويلـة أعمـارهم
ووجـوههم بـدُعَـا النبى منضــره
وسمعت من بعض المشــايخ أنهم
أرزاقهـم أيضًــا بـــه متكثــره

وأنهم ممن يستدفـع بهم البلاء، وأقرب النـاس منزلـة يوم القيامة من خير الأنبياء وسيد الشفعاء، وأنهم هم العلماء على الحقيقة والتمام، ولا يـدعى باسم العالم غيرهم يـوم القيامة، وقيل من عـلامات محبتـه عليه السـلام، العكوف علي ذكـره وسماع حديثه في الارتحال والمقام، ومما أنشده بعضهـم :

لم أسـم فى طلب الحـديـث لسمعــة
أو لاجتمــاع قـديمــه وحـديثـه
لكـن إذا فــات المحب لقــاء مـن
يهـوى تعلل بـاستمـاع حـديثـه

وقـد وُضعت فيـه وفيمـا يتعلـق بـه الـدواويـن الكثيـرة، والمـؤلفـات الصغيرة والكبيـرة، وهي من كثـرتهـا لا تعـد ولا تحصر، ولا يمكن أن يحصيها محص ولو أكثر.

واعلم أن علم الحديث لـدى من يقول إنـه أعم من السنة هـو العلم المشتمل على نقل مـا أضيف إلى النبى ﷺ أو إلى أصحـابـه أو إلى من دونـه من الأقـوال والأفعال، والتقـاريـر والأحـوال، والسيـر والأيام، حتي الحـركـات والسكنـات فى اليقظة والمنام ؛ وأسـانيد ذلك وروايته وضبطه وتحريـر ألفاظه وشرح معانيه .

وفى خاتمة كتـابه يقول صاحب الرسالـة المستطرفة الإمام الكتاني :

من أهم أنواع العلوم تحقيق معرفـة الأحاديث النبوية أعنى معرفة متونها وأسانيدها وما يتعلق بهما، ودليل ذلك أن شرعنا مبنى على الكتاب العزيز والسنـن المروية، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهية لأن أكثر الآيات الفـروعية مجملة وبيانها في السنن، قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكـر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾ [النحل : ٤٤] وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهـد من القاضي والمفتـى أن يكون عـالمًـا بالأحـاديث المتعلقة بالأحكـام، فثبت أن الاشتغال بالحديث متـأكد وأنه من أفضل أنـواع الخيـرات وآكـد القـربات وقـد قـال سفيـان الثوري: مـا أعلم عملا أفضل من طلب الحديثان أراد به الله عز وجل، ونحوه عن ابن المبارك، وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل على بيان حـال أفضل الخلق سيدنا محمـد ﷺ ولقد كانـت شأنه فيمـا مضى عظيمًا وأمـره مفخمًا جسيمًـا عظيمة جموع طلبته رفيعة مقادير حفاظه وحملته، وكان أكثر اشتغال العلمـاء في الأعصار المـاضيـة به حتـى لقد كـان يجتمع في المجلس الـواحـد من مجـالس الحـديث الآلاف الكثيـرة من الطـالبين له، فتنـاقص ذلك في هذه الأزمـان وضعفت الهمم فلم يبق إلا آثار قليلة من آثارهم بل ذهب في هذا الـوقت أثره واضمحل ذكـره وخبـره فـالله المستعـان على هـذه المصيبـة وغيرهـا، من المصائب، وبالجملـة فيتأكد أو يتعين على من فيه أهلية الاعتناء به والتحريض عليه لما ذكرناه ولأن ذلك أيضًا من النصيحة لله ولرسولـه ولأئمة المسلمين وعامتهم وذلك هو الـدين كمـا صح عن رسول الله ﷺ، وقـد قـال بعضهم : من

جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفية وذلك لكثرة فوائده الظاهرة والكامنة وهو جدير بذلك فإنه كلام أفصح الخلق ومن أعطى جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوى ﷺ وحقيق لمن اشتغل به وانحاش إليه وقصر أغراضه من العلوم كلها عليه وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه أن يعد من أفراد هذه الأمة المحمدية وخواص أهل الله تعالى وأهل رسوله ﷺ وقد أخرج الشيخ نصر المقدسي فى كتاب الحجة على تارك المحجة بسنده إلى الإمام أحمد أنه قيل له هل لله فى الأرض أبدال قال نعم: قيل: من هم؟ قال إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً، نقله السيوطى فى تأليفه المسمى بالخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، وسئل أيضًا عن الطائفة التى ورد فى الحديث إنها لا تزال منصورة لا يضرها من خذلها حتى تقوم الساعة فقال: إن لم تكن أهل الحديث فلا أدرى من هى، وكان الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول إذا رأيت أصحاب الحديث فكأنى رأيت رسول الله ﷺ، ثم الغالب أن تحقيق هذا العلم إنما يحصل لمن أعطاه كله واستغرق فيه أوقاته دون من يكثر منه الالتفات إلى غيره من العلوم فإنه لا يحققه كل التحقيق، قال الخطيب البغدادى: علم الحديث لا يعلق علوقًا تامًا إلا بمن قصر نفسه عليه ولم يضم غيره من الفنون إليه، وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه أتريد أن تجمع بين الفقه والحديث هيهات، وكان شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن مت الأنصارى الأصبهانى الهروى يقول: هذا الشأن يعنى الحديث شأن من ليس شأنه سوى هذا الشأن، ولذا قدم فيه كلام الحافظ السخاوى على كلام السيوطى عند التعارض لأن صاحب فن يغلب صاحب فنون، لكن قد يجمع الله بينهما جمعا كاملا لمن شاء من خلقه كما وقع لإمامنا مالك رضى الله تعالى عنه ولغيره من بعض الأئمة، وقد قالوا إن هذه العلوم الثلاثة وهى الحديث والفقه والتصوف قلّ أن تجتمع فى شخص على وجه الكمال وإذا اجتمعت فيه فهو فرد وقته وإمام عصره بل ينبغى أن تُشَد الرحال إليه فإنه لا مثل له، وفضل الحديث وأهله كثير جدًا وقد أفرد بالتآليف الكثيرة، نسأله سبحانه وتعالى أن يصرف إليه بقيتنا، ويوجه إلى العناية به وجهتنا وكليتنا، ويحفظنا من الشيطان



الـرجيم، ويجعلنـا من المتطفلين على أبـواب هـذا النبى الكريم، وخدام حضرته العلية، المتأدبين بآداب سنته الزكية ﷺ وشرف وكرم، آمين، وآخـر دعـوانـا أن الحمـد لله رب العالمين. ا هـ (الرسالة المستطرفة / ٢، ٣، ١٦٣ ـ ١٦٦).

أقسام الحديث :

أقسام الحديث ثمانية :

الأول ـ العقـائد : وتسمى علم التـوحيـد، وفيهـا كتـاب التوحيد لابن خزيمة .

الثـانـى : الأحكـام : وتسمى السنن، وفيهـا كتب السنن الستة .

الثالث ـ الرقاق : وتسمى علم السلوك والزهد، وفيها كتاب الزهد للإمام أحمد .

الرابع : آداب الأكل والشرب : وتسمى علم الأدب، وفيها الأدب المفرد للبخارى .

الخامس : أحاديث التفسير : وتسمى بعلم التفسير، وفيها كتاب ابن مردويه، وابن جرير، والدر المنثور للسيوطى .

ويلحق بهذا القسم أحاديث التاريخ، وتسمى بعلم بدء الخلق وفيها كتـاب العظمة لأبى الشيخ، ويلحق بـه أحاديث السيـر، وفيها سيرة ابن إسحاق، ومغـازى موسى بن عقبـة، والواقدى .

السـادس : أحـاديث السفـر والقيـام والقعـود : وتسمى الشمـائل وفيها كتاب الشمائل للترمذى .

السـابع : أحـاديث الفتن : وفيهـا كتـاب الفتن لنعيم بن حماد .

الثامن : أحاديث المناقب والمثالب : وفيها لمحب الدين الطبـرى كتـاب مناقـب قريش، ومنـاقب الأنصـار، ومنـاقب المبشرين بالجنة .

(الناقد الحديث/ ١١٩، ١٢٠).

أنواع الحديث : وهو تقسيم آخر:

قال ابن الصلاح :

أنواع الحـديث هى : صحيح، حسن، ضعيف، مسند، متصل، مرفوع، موقوف، مقطوع، مرسل، منقطع، معضل، مدلس، شـاذ، منكر، مـا له شاهـد، زيادة الثقـة، الأفراد، المعلل، المضطرب، المدرج، الموضوع، المقلوب، معرفة من تُقبل روايتـه، معرفـة كيفيـة سماع الحـديث وإسماعـه، وأنواع التحمل من إجازة وغيرها، معرفة كتابة الحديث وضبطه وكيفيـة رواية الحـديث وشرط أدائه، آداب المحـدِّث، آداب الطالب، معرفة العالى والنـازل، المشهور، الغريب، العزيز، غـريب الحـديث ولغتـه، المسلسـل، نـاسخ الحـديث ومنسـوخـه، المصحف إسنـادًا ومتنًـا، مختلف الحـديث، المـزيـد فى الأسـانيـد، المـرسل، معـرفـة الصحـابـة، معرفةالتابعين، معرفة أكابر الرواة عن الأصاغر، المُدبج ورواية الأقران، معـرفة الإخـوة والأخوات، وروايـة الآباء عـن الأبناء، عكسه، من روى عنه اثنان متقـدم ومتأخر، من لم يرو عنه إلا واحد، من له أسماء ونعوت متعددة، المفردات من الأسماء، معرفـة الأسماء والكنى، من عـرف باسمـه دون كنيته، معـرفة الألقاب، المـؤتلف والمختلف، المتفق والمفترق، نـوع من مركب من اللَّذَيْن قبله . نـوع آخر من ذلك، من نُسب إلى غير أبيـه، الأنسـاب التـى يختلف ظـاهـرهـا وبـاطنهـا، معرفةالمبهمات، تواريخ الوفيات، معرفة الثقات والضعفاء، من خلط آخـر عمره، الطبقـات، معرفـة الموالى من العلمـاء والرواة، معرفة بلدانهم وأوطانهم .

وهذا تنـويع الشيخ أبى عمرو وترتيبه رحمـه، قال : وليس بآخر الممكن فى ذلك، فإنه قابل للتنويع إلى ما لا يحصى، إذ لا تنحصر [تحصى] أحوال الرواة وصفاتهم، وأحوال متون الحديث وصفاتها .

قال ابن كثيـر تعليقا على تقسيم ابن الصلاح كمـا أوردناه أعلاه : وفى هذا كلـه نظر، بل فى بسطه هذه الأنـواع إلى هذا العدد نظر. إذ يمكن إدماج بعضها فى بعض، وكان أليق مما ذكره .

ثم إنه فـرق بين متماثلات منها بعضهـا عن بعض، وكان اللائق ذكر كل نوع إلى جانب ما يناسبه (الباعث الحثيث / ٢٠، ٢١).

وقد صاغها نظما الحافظ زين الدين العراقى فى ألفيته فى

مصطلح الحديث فقال عن أقسام الحديث :

وأهل هـذا الشأن قسّموا السُّنَنْ
إلى صحيح وضعيف وحسنْ
فالأول المتّصل الإسناد
بنقل عدل ضابط الفؤادِ
عن مثله من غير ما شذوذِ
وعلّة قادحة فتوذي
وبالصحيح والضعيف قصدُوا
فى ظاهرٍ لا القطعَ والمعتمدُ
إمساكنا عن حُكْمنا على سَنَد
بأنه أصحُّ مُطلقًا وقد
خُصَّ به قومٌ، فقيل مالِكُ
عن نافع بما رواه النّاسكُ
مولاه واختر حيث عنه يُسْنِدُ
الشافعى، قلتُ: وعنه أحمدُ
وجزم ابن حنبل بالزُّهرى
عن سالم أى عن أبيه البرُّ
وقيل: زين العابدين عن أبِهْ
عن جدِّه، وابن شهاب عنه بِهْ
أو فابْنُ سيرينَ عن السَّلْمانى
عنه أو الأعمش عن ذى الشان
النَّخعى عن ابن قيْس علقمة
عن ابن مسعود، ولُمْ مَنْ عمّمَهْ

(نفائس ألفية مصطلح الحديث / ١٦٩، ١٧٠).

وقد صاغها نظمًا أيضًا الحافظ السيوطى فى ألفيته الموسومة بألفية السيوطى فى علم الحديث، وقد وضع زيادته على الزين العراقى بين أقواس. قال:

(علمُ الحديث: ذو قوانين تُحَدّ
يُدرى بها أحوالُ مَتْنٍ وسَنَد
فذانِك الموضوع، والمقصودُ
أن يُعرف المقبولُ والمردودُ
والسَّنَد الإخبار عن طريق
مَتنٍ كالإسناد لدى فريقِ
والمَتْن ما انتهى إليه السَّنَدُ
من الكلامِ، والحديث قيّدوا
بما أُضيف للنبى قولاً أو
فِعْلاً وتقريرًا ونحوها حكوْا
وقيل: لا يختص بالمرفوع
بل جاء للموقوف والمقطوع
فهُو على هذا مرادفُ الخبرَ)
وشهَّر شُمول هذين الأثر
(والأكثرون) قسّموا هذى السُّنن
إلى صحيحٍ وضعيفٍ وحَسَنْ

(ألفية السيوطى / ٢، ٣).

ومن المنظومات التعليمية ما يقتصر على أنواع الحديث التى سقناها آنفا، ولدينا منها ثلاث نماذج:

النموذج الأول: منظومة البيقونية وهى منظومة جادة وأفضل ما نظم فى هذا الباب، تقع فى أربعة وثلاثين بيتا وقد أوردناها بتمامها فى م٨/ ٢٣١، ٢٣٢ فانظرها فى موضعها.

النموذج الثانى: قصيدة غزلية فى ألقاب الحديث لشهاب الدين أحمد بن فرح الإشبيلى وتقع فى عشرين بيتا وهى من الاقتباس المباح المبذول. (انظر مادة «الاقتباس» فى م٥/ ٤٧٥).

قال فى مطلعها:

غرامى (صحيح) والرّجا فيك (مُعْضَلُ)
وحزنى ودمعى (مُرْسَلٌ ومُسلسلُ)
وصبرى عنكم يشهد العقل أنه
(ضعيف ومتروك) وذُلى أَجْمَلُ
ولا (حسنٌ) إلاّ سماع حديثكم
مشافهة يُمْلى علىَّ فأنقلُ

وأمــرى (مــوقــوفٌ) عليك وليس لى
علــى أحـــــدٍ إلا عليـك المعـــــوَّلُ

(مجموع مهمات المتون / ١١٨) .

النموذج الثالث : منظومة الصبّان لأبى العرفان محمد بن على الصبّان وتقع فى ستة عشر بيتا، وهى أيضًا من الاقتباس المباح المبذول (انظر مادة « القباس فى م٥/ ٤٧٥) قال فى مطلعها :

صِلـــوا صحيح غـــرامٍ صبــرُه ضَعُفـــا
وبــدّلـــوا قطع من فى حسنكـم شُفِعـــا
وأرثــــوا لحــــال عليـلٍ فى محبتكـم
وانحـوا غــــريبًـا على أبــوابكـم وقفــا

(مجموع مهمات المتون / ١٢٢، ١٢٣) .

ويـراد بكلمــة علم فى « علم الحـديث» : مســائل هـذا العلم، وهى القواعد الكلية التى يعرف بها أحوال الجزئيات .

وينقسم علم الحديث قسمين :

أ ـ علم الحديث رواية .

ب ـ علم الحديث دراية (الناقد الحديث / ٥) .

أ ـ علم الحديث رواية :

قال عـز الدين بن جمـاعة : « علم الحديـث علم بقوانين يعرف بها أحوال السند (هو قولهم فى رواية الحديث « حدثنا» والمتن (هو لفظ الحـديث المروى) وموضوعه (هـو المدار الذى يدور عليـه) السند والمتن، وغايته معـرفة الصحيح من غيره » .

وقال ابن الأنطـاكى : علم الحديث الخاص بالـرواية علم يشتمل على نقل أقـوال النبى ﷺ وأفعـالـه وروايتهـا وضبطهـا وتحرير ألفاظها . ونفرد له إن شاء الله تعالى مادة بعنوان « رواية الحديث (علم ـ) .

ب ـ علم الحديث دراية :

وعلم الحـديث الخاص بـالدرايـة علـم يعرف منـه حقيقة الرواية شـروطها وأنواعها وأحكامها، وحـال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها » .

قال السيوطى : فحقيقـة الرواية نقل السُّنَّة ونحـوها وإسناد ذلك إلى من عُزى إليه بتحديث وإخبار وغير ذلك (بتحديث وإخبـار: أى قـالوا فى الـروايـة « حـدثنا » أو « أخبـرنـا »، أو «أنبأنـا») وشروطهـا : تحمل راويها لمـا يرويـه بنوع من أنـواع التحمل (انظر مادة « تحمل الحـديث » فى م ٩/ ٦٣ ـ ٦٦) من سماع، أو عرض، أو إجازه ونحـوها، وأنواعها : الاتصال والانقطاع ونحوهما، وأحكامهـا : القبول والردّ. وحال الرواة : العدالـة (أى يكون راوى الحـديث مصدَّقًـا فى روايتـه فتكون روايته مقبولـة) و الجَرْح (هو رد الرواية وعدم قبولها) (انظر مـادة «الجـرح والتعـديل » فى م ١٢/ ١٠٩ ـــ ١١٦)... وأصنـاف المـرويَّـات المصنفـات من المسـانيـد والمعـاجم والأجزاء وغيرهـا أحاديث وآثارًا وغيرهما . ومـا يتعلق بها : هو معـرفة اصطـلاح أهلهـا » (قـواعد التحـديث / ٧٧، ٧٨) . ونفرد لـه إن شـــاء الله تعالـى مـادة بعنوان « درايـة الحديث (علم ـ) » .

جمع الحديث وتدوينه :

وأما مبدأ جمع الحـديث وتأليفه وانتشاره فإنـه لما كان من أصول الفـروض وجب الاعتناء بـه والاهتمام بضبطـه وحفظه، ولذلك يسر الله سبحانه وتعـالى للعلماء الثقات الذين حفظوا قـوانينه وأحـاطوا فيـه فتناقلـوه كابـرًا عن كابـر وأوصله، كمـا سمعـه، أول إلى آخر، وحببـه الله تعالى إليهم لحكمـة حفظ دينه وحراسة شريعته، فما زال هذا العلم من عهد الرسول ﷺ أشرف العلوم وأجلها لدى الصحـابة والتابعين وتابعى التابعين خلفًـا بعد سلف، لا يشـرف بينهم أحـد بعد حفظ كتـاب الله سبحانه وتعالى إلا بقـدر ما يحفظ منه، ولا يعظم فى النفوس إلا بحسب ما يسمع من الحديث عنه، فتـوفرت الرغبات فيه، فما زال لهم من لدن رسول الله ﷺ إلى أن انعطفت الهمم على تعلمه حتى لقـد كان أحـدهم يرحل المراحـل ويقطع الفيافى والمفاوز ويجـوب البلاد شرقًـا وغربًا فى طلب حـديث واحد ليسمعه من راويـه، فمنهم من يكون البـاعث له على الـرحلة طلب ذلك الحـديث لـذاتـه، ومنهم من يقـرن بتلك الـرغبـة سماعـه من ذلك الراوى بعينه إمـا لثقته فى نفسه، وإمـا لعلو إسناده، فـانبعثت العزائم إلى تحصيله، وكـان اعتمادهم أولاً

على الحفظ والضبط فى القلوب غير ملتفتين إلى ما يكتبونه محافظة على هذا العلم كحفظهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فلما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد، وتفرقت الصحابة فى الأقطار، ومات معظمهم، وقَلَّ الضبط احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة.

ولعمرى إنها الأصل فإن الخاطر يغفل، والقلم يحفظ فانتهى الأمر إلى زمن جماعة من الأئمة مثل عبد الملك بن جُريْج ومالك بن أنس وغيرهما فدونوا الحديث حتى قيل: إن أول كتاب صنف فى الإسلام كتاب ابن جريج. وقيل: موطأ مالك بن أنس وقيل: إن أول من صنَّف وبوَّب الربيع بن صبيح بالبصرة، ثم انتشر جمع الحديث وتدوينه وتسطيره فى الأجزاء والكتب، وكثر ذلك وعظم نفعه إلى زمن الإمامين أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى فدونا كتابيهما، وأثبتا فيهما من الأحاديث ما قطعا بصحته، وثبت عندهما نقله، وسُميا الصحيحين من الحديث. ولقد صدقا فيما قالا والله مجازيهما عليه، ولذلك رزقهما الله تعالى حسن القبول شرقًا وغربًا، ثم ازداد انتشار هذا النوع من التصنيف وكثر فى الأيدى، وتفرقت أغراض الناس وتنوعت مقاصدهم إلى أن انقرض ذلك العصر الذى قد اجتمعوا واتفقوا فيه مثل أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى ومثل أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى وأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى وغيرهم، فكان ذلك العصر خلاصة العصور فى تحصيل هذا العلم وإليه المنتهى، ثم نقص ذلك الطلب وقل الحرص وفترت الهمم، فكذلك كل نوع من أنواع العلوم والصنائع والدول وغيرها فإنه يبتدىء قليلاً ولا يزال ينمو ويزيد إلى أن يصل إلى غاية هى منتهاه ثم يعود، وكان غاية هذا العلم انتهت إلى البخارى ومسلم ومن كان فى عصرهما، ثم نزل وتقاصر إلى ما شاء الله.

ثم إن هذا العلم على شرفه وعلو منزلته كان علمًا عزيزًا مشكل اللفظ والمعنى ولذلك كان الناس فى تصانيفهم مختلفى الأغراض: فمنهم من قصر همته على تدوين الحديث مطلقًا ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم كما فعله عبد الله بن موسى الضبى وأبو داود الطيالسى وغيرهما أولاً، وثانيًا أحمد بن حنبل ومن بعده فإنهم أثبتوا الأحاديث من مسانيد رواتها فيذكرون مسند أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويثبتون فيه كل ما رووه عنه، ثم يذكرون بعده الصحابة واحدًا بعد واحد على هذا النسق، ومنهم من يثبت الأحاديث فى الأماكن التى هى دليل عليها فيضعون لكل حديث بابًا يختص به، فإن كان فى معنى الصلاة ذكروه فى باب الصلاة، وإن كان فى معنى الزكاة ذكروه فيها كما فعل مالك فى الموطأ إلا أنه لقلة ما فيه من الأحاديث قلت أبوابه، ثم اقتدى به من بعده فلما انتهى الأمر إلى زمن البخارى ومسلم وكثرت الأحاديث المودعة فى كتابيهما كثرت أبوابهما واقتدى بهما من جاء بعدهما، وهذا النوع أسهل مطلبًا من الأول لأن الإنسان قد يعرف المعنى وإن لم يعرف راويه، بل ربما لا يحتاج إلى معرفة راويه فإذا أراد حديثًا يتعلق بالصلاة طلبه من كتاب الصلاة لأن الحديث إذا أورد فى كتاب الصلاة علم الناظر أن ذلك الحديث هو دليل ذلك الحكم فلا يحتاج أن يفكر فيه، بخلاف الأول. ومنهم من استخرج أحاديث تتضمن ألفاظًا لغوية، ومعانى مشكلة فوضع لها كتابًا قصره على ذكر متن الحديث وشرح غريبه وإعرابه ومعناه، ولم يتعرض لذكر الأحكام كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة وغيرهما. ومنهم من أضاف إلى هذا الاختيار ذكر الأحكام وآراء الفقهاء مثل أبى سليمان أحمد بن محمد الخطَّابى فى معالم السنن وأعلام السنن وغيره من العلماء. ومنهم من قصد ذكر الغريب دون متن الحديث واستخراج الكلمات الغريبة ودونها ورتبها وشرحها كما فعل أبو عُبيد أحمد بن محمد الهروى وغيره من العلماء. ومنهم من قصد إلى استخراج أحاديث تتضمن ترغيبًا وترهيبًا. وأحاديث تتضمن أحكامًا شرعية غير جامعة فدونها وأخرج متونها وحدها كما فعله أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى فى (المصابيح) وغيره.

ولما كان أولئك الأعلام هم السابقون فيه لم يأت صنيعهم على أكمل الأوضاع. فإن غرضهم كان أولاً حفظ الحديث مطلقًا وإثباته ودفع الكذب عنه والنظر فى طرقه وحفظ رجاله

وتزكيتهم واعتبار أحوالهم والتفتيش عن أمورهم حتى قدحوا وجرَّحوا وعدلوا وأخذوا وتركوا. هذا بعد الاحتياط والضبط والتدبر فكان هذا مقصدهم الأكبر وغرضهم الأوفى، ولم يتسع الزمان لهم والعمر لأكثر من هذا الغرض الأعم والمهم الأعظم، ولا رأوا فى أيامهم أن يشتغلوا بغيره من لوازم هذا الفن التى هى كالتوابع، بل ولا يجوز لهم ذلك، فإن الواجب أولاً إثبات الذات ثم ترتيب الصفات، والأصل إنما هو عين الحديث ثم ترتيبه وتحسين وضعه ففعلوا ما هو الغرض المتعين، واخترمتهم المنايا قبل الفراغ والتخلى لما فعله التابعون لهم والمقتدون بهم، فتعبوا لراحة من بعدهم ثم جاء الخلف الصالح فأحبوا أن يظهروا تلك الفضيلة، ويشيعوا هذه العلوم التى أفنوا أعمارهم فى جمعها إما بإبداع ترتيب أو بزيادة تهذيب أو اختصار أو تقريب أو استنباط حكم وشرح غريب، فمن هؤلاء المتأخرين من جمع بين كتب الأولين بنوع من التصرف والاختصار كمن جمع بين كتابى البخارى ومسلم مثل أبى بكر أحمد بن محمد الرمانى وأبى مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقى. وأبى عبد الله محمد الحميدى فإنهم رتبوا على المسانيد دون الأبواب. وتلاهم أبو الحسن رزين بن معاوية العبدرى فجمع بين كتب البخارى ومسلم والموطأ لمالك وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى. ورتب على الأبواب، إلا أن هؤلاء أودعوا متون الحديث عرية من الشرح، وكان كتاب رزين أكبرها وأعمها حيث حوى هذه الكتب الستة التى هى أم كتب الحديث وأشهرها، وبأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء وأثبتوا الأحكام، ومصنِّفوها أشهر علماء الحديث وأكثرهم حفظًا وإليهم المنتهى.

وتلاه الإمام أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى فجمع بين كتاب رزين وبين الأصول الستة بتهذيبه وترتيب أبوابه وتسهيل مطالبه وشرح غريبه فى « جامع الأصول» (انظره فى موضعه) فكان أجمعَ ما جُمع فيه، ثم جاء الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى فجمع بين الكتب الستة والمسانيد العشرة وغيرها فى « جمع الجوامع » (انظره فى موضعه) فكان أعظم بكثير من « جامع الأصول » من جهة المتون إلا أنه لم يبال بما صنع فيه من جمع الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة، وكان أول ما بدأ به هؤلاء المتأخرون أنهم حذفوا الأسانيد اكتفاء بذكر من روى الحديث من الصحابى إن كان خبرًا، وبذكر من يرويه عن الصحابى إن كان أثرًا، والرمز إلى المُخْرِج لأن الغرض من ذكر الأسانيد كان أولاً إثبات الحديث وتصحيحه، وهذه كانت وظيفة الأولين وقد كفوا تلك المؤنة فلا حاجة بهم إلى ذكر ما فرغوا منه ووضعوا لأصحاب الكتب الستة علامة ورمزًا بالحروف فجعلوا للبخارى (خ) لأن نسبته إلى بلده أشهر من اسمه وكنيته وليس فى حروف باقى الأسماء خاء، ولمسلم (م) لأن اسمه أشهر من نسبه وكنيته ولمالك (ط) لأن اشتهار كتابه بالموطأ أكثر، ولأن الميم أول حروف اسمه وقد أعطوها مسلمًا وباقى حروفه مشتبه بغيرها، وللترمذى (ت) لأن اشتهاره بنسبه أكثر، ولأبى داود (د) لأن كنيته أشهر من اسمه ونسبه، والدال أشهر حروفها وأبعدها من الاشتباه، وللنسائى (س) لأن نسبه أشهر من اسمه وكنيته، والسين أشهر حروف نسبه، وكذلك وضعوا لأصحاب المسانيد بالإفراد والتركيب كما هو مسطور فى الجوامع.

قال فى كشاف اصطلاحات الفنون: لأهل الحديث مراتب أولها الطالب وهو المبتدىء الراغب فيه، ثم المحدِّث وهو الأستاذ الكامل وكذا الشيخ والإمام بمعناه، ثم الحافظ وهو الذى أحاط علمه بمائة ألف حديث متنًا وإسنادًا وأحوال رواته جرحًا وتعديلاً وتاريخًا، ثم الحجة وهو الذى أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث. كذلك قاله ابن المطرى، وقال الجزرى: الراوى ناقل الحديث بالإسناد، والمحدِّث من تحمَّل بروايته واعتنى بدرايته، والحافظ من روى ما يصل إليه ووعى ما يحتاج إليه انتهى. قال أبو الخير (هو طاش كبرى زاده صاحب « مفتاح السعادة ») اعلم أن قصارى نظر أبناء هذا الزمان فى علم الحديث النظر فى (مشارق الأنوار) فإن ترفعت إلى (مصابيح) البغوى ظنت أنها تصل إلى درجة المحدِّثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث بل لو حفظهما عن ظهر قلب وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثًا حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وإنما الذى يعده أهل الزمان بالغًا إلى النهاية وينادونه محدث المحدثين وبخارى العصر من اشتغل بجامع الأصول لابن الأثير مع حفظ علوم

الحديث لابن الصلاح أو التقريب للنووى إلا أنه ليس في شيء من رتبة المحدثين، وإنما المحدث من عرف المسانيد والعلل وأسماء الرجال، والعالى والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد ابن حنبل وسنن البيهقى ومعجم الطبرانى وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطبقات وزاد على الشرح وتكلم فى العلل والوفيات والأسانيد كان فى أول درجة المحدِّثين، ثم يزيد الله سبحانه وتعالى من يشاء ما يشاء. هذا ما ذكره تاج الدين السبكى. وذكر صدر الشريعة فى تعديل العلوم: أن مشائخ الحديث مشهورون بطول الأعمار، وذكر السبكى فى « طبقات الشافعية» أن أبا سهل قال: سمعت ابن الصلاح يقول: سمعت شيوخنا يقولون: دليل طول عمر الرجل اشتغاله بأحاديث الرسول ﷺ، ويصدقه التجربة، فإن أهل الحديث إذا تتبعت أعمارهم تجدها فى غاية الطول. انتهى. (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٧١ - ٢٧٩، وكشف الظنون ١/ ٦٣٥ ـــ ٦٤١ ومفتاح السعادة ٢/ ١١٤ - ١٣٠).

وقد صاحب تدوين الحديث أو تبعه تدوين معارف أخرى ذات صلة أيضًا بالإسلام وظهوره، مثل سيرة الرسول ﷺ ومغازيه، ثم تاريخ العرب والمسلمين وسائر الأمم القديمة، ولم تلبث حركة التدوين حتى انتشرت وازدهرت فشملت الشعر والخطب والأمثال واللغة، وهكذا كانت خدمة الدين وتفسير القرآن أول حافز فى سبيل تدوين هذه المعارف والفنون. حتى إن تدوين الحديث النبوى بوسائله وطرائقه ومناهجه قد ترك ميسمه على سائر مناحى التأليف عند العرب وبخاصة فى مجال الرواية ودراسة سلسلة الإسناد حول الرواة. ويبدو هذا التأثير واضحًا فى طرائق تدوين اللغة وتصنيف المعاجم وفى تسجيل الشعر وتأليف المجموعات الشعرية وفى جمع أخبار العرب وأيامهم وما إلى ذلك من العلوم والمعارف التى انتفعت أيما انتفاع بهذا الضبط والإتقان.

وبوسعنا أن نتبين خلال هذه الحركة العلمية الدائبة مرحلتين متعاقبتين كانت الأولى فيها أساسًا للثانية، وهما مرحلة التدوين التى تقوم على الجمع والتقصى والتسجيل والرصد ثم مرحلة التصنيف والتأليف التى تناولت المواد المجموعة بالتنظيم والتنسيق والتبويب وبالتالى التحليل والاستنباط والمقارنة والابتكار، فكان الفقه والتشريع نتيجة لتدوين الحديث، والمعاجم نتيجة لتدوين اللغة، والنقد الأدبى نتيجة لجمع منظوم العرب ومنشورهم (مصادر التراث العربى/ ١٦، ١٧).

وعن أكثر الصحابة حديثا وفتوى يقول صاحب قواعد التحديث:

فى التقريب وشرحه (التقريب فى فن أصول الحديث للنووى، وشرحه تدريب الراوى للسيوطى/ ٢٠٥) « أكثرهم - يعنى الصحابة - حديثا، أبو هريرة، روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل، وهو أحفظ الصحابة. أسند البيهقى عن الشافعى أنه قال: « أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره ». وروى ابن سعد أن ابن عمر كان يترحَّمُ عليه فى جنازته ويقول: « كان يحفظُ على المسلمين حديث النبى ﷺ ». ثم عبد الله بن عمر، روى ألفى حديث وستمائة وثلاثين حديثًا. ثم أنس بن مالك، روى ألفين ومائتين وستة وثمانين حديثًا. ثم ابن عباس، روى ألفًا وستمائة وستين حديثا. ثم جابر بن عبد الله روى ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا. ثم أبو سعيد الخُدرى سعد بن مالك، روى ألفًا ومائة وسبعين حديثًا. ثم عائشة الصديقة أم المؤمنين، روت ألفين ومائتين وعشرة، وليس فى الصحابة من يزيد حديثه على ألف غير هؤلاء، وإياهم عنى من أنشد:

سبع من الصَّحب فوق الألف قد نقلُوا

من الحديث عن المختار خير مُضر

أبو هريرة، سعدٌ، جابرٌ، أنسٌ،

صِديقةٌ، وابنُ عباسٍ، كذا ابنُ عُمر

وأما أكثرهم فتوى، فقال ابن حزم: « أكثرهم فتوى مطلقًا عمر، وعلى، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة ».

قال: « ويمكن أن يجمع من فُتيا كل واحد من هؤلاء مجلَّد ضخم ».

قال : « ويليهم عشرون : أبو بكر ، وعثمان ، وأبو موسى ، ومُعاذ ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وأبو هريرة ، وأنس ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وسلمانُ ، وجابر ، وأبو سعيد ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرانُ بن حُصين ، وأبو بكرة (أبو بكرة الثقفى واسمه نفيع بن الحارث) وعُبادة بن الصامت ، ومُعاوية ، وابن الزبير ، وأم سلمة » .

قال : « ويمكن أن يُجمع من فُتيا كل واحدٍ منهم جزءٌ صغير » .

قال : « وفى الصحابة نحو مائة وعشرين نفسًا ، يقلُّون فى الفتيا جدًّا ، لا يُروى عن الواحد منهم إلا المسألة أو المسألتان أو الثلاث ، كأُبى بن كعب ، وأبى الدرداء ، وأبى طلحة ، والمقداد » وسرد الباقين .

وقال الإمام محمد بن سعد فى « الطبقات » : قال محمد ابن عمر الأسلمى : « إنما قلَّت الرواية عن الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ، لأنهم ماتوا قبل أن يُحتاج إليهم . وإنما كثرت عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، لأنهما وُلِّيا فسُئلا ، وقضيا بين الناس . وكلُّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أئمة يُقتدى بهم ويحفظ عنهم ما كانوا يفعلون ، ويُستفتون فَيفتُون ، وسمعوا أحاديث فأدُّوها ، فكان الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ أقل حديثًا عنه من غيرهم ، مثل : أبى بكر . وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى عبيدة بن الجرَّاح ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأُبى بن كعب ، وسعد بن عبادة ، وعبادة بن الصامت ، وأُسيد بن حُضير ، ومُعاذ بن جبل ، ونظرائهم . فلم يأت عنهم من كثرة الحديث مثلُ ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله ﷺ ، مثلُ : جابر بن عبد الله ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عباس ، ورافع بن خديج ، وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ونظرائهم ، لأنهم بقوا وطالت أعمارُهم فى الناس ، فاحتاج الناسُ إليهم . ومضى كثيرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قبله وبعده بعلمه لم يُؤثر عنه شىء ، ولم يحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ . ومنهم من لم يُحدث عن رسول الله ﷺ شيئًا ، ولعله أكثرُ له صحبة ومجالسة وسماعًا من الذى حدَّث عنه .

ولكنَّا حملنا الأمر فى ذلك منهم على التوقى فى الحديث ، وعلى أنه لم يُحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ ، وعلى الاشتغال بالعبادة والأسفار فى الجهاد فى سبيل الله حتى مضوا ولم يحفظ عنهم عن النبى ﷺ شىء » . انتهى .

ثم يقول عن صدور التابعين فى الحديث والفتيا :

وهم المعروفون بالفقهاء السبعة من أهل المدينة : سعيد ابن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وعُروة بن الزبير ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعُبيد الله بن عُتبة بن مسعود ، وسليمان بن يسار الهلالى . هكذا عدَّهم أكثر علماء أهل الحجاز ، وجعل ابن المبارك سالم بن عبد الله بن عمر بدل أبى سلمة ، وجعل أبو الزناد بدلهما أبا بكر بن عبد الرحمن ، وعدَّهم ابن المدينى اثنى عشر ، وزاد إسماعيل أخا خارجة ، وسالمًا ، وحمزة ، وزيدًا ، أو : عبيد الله ، وبلالاً بن عبد الله بن عمر ، وأبان بن عثمان ، وقبيصة بن ذؤيب .

و(عن) الإمام أحمد بن حنبل : « أفضلُ التابعين ابن المسيَّب ، قيل له : فعلقمة والأسود؟ قال : هو وهما » .

و (عنه) أيضًا : « لا أعلم فيهم مثل أبى عثمان النهدى ، وقيس بن أبى حازم ، وعلقمة ، ومسروق » .

و (عنه) أيضًا : « ليس أحدٌ أكثر فتوى فى التابعين من الحسن ، وعطاء ، كان عطاء مفتى مكة ، والحسن البصرى مفتى البصرة » كذا فى التقريب وشرحه .

(التقريب / ٢١٤) (قواعد التحديث / ٧٢-٧٥) .

أسلوب الحديث فى اللغة والأدب :

كان رسول الله ﷺ أفصح العرب لهجة ، وأبلغهم حُجة ، وأعذبهم كلمًا ، وأغزرهم حكمًا ، وأوجزهم عبارة ، وأعلمهم بلغات قبائل العرب ، وأقدرهم على مخاطبة كل قبيلة بلُغتها .

فلا جرمَ أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة ، وحلية البيان بعد القرآن : يقتبس الأديب من لفظه ، وينتفع البليغ بصَوْغه ، ويستمد مفسِّر القرآن عن أثره ، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصِّه ، ويشيد اللغوىُّ صرحًا للغة من كلِمه ، ويستظهر الحكم بحكمته ، إذ كان ﷺ لا ينطق بلغوٍ ولا يقصد إلى غير توضيح قرآن أو تقرير شرْع أو هداية إلى حق .

وله من جوامع الكلم ما يجلو صدأ النفس، ويشرح ضيق الصدر (المفصل ١/ ١٠١) قالت المؤلفة: وقد أوردنا منه بعض ما تيسر ذكره فى مادة « جوامع الكلِم » فانظرها فى موضعها.

أثر الحديث فى اللغة والأدب:

كان للحديث فضل على اللغة والأدب فقد وسع المادة اللغوية بإدخال ألفاظ فقهية ودينية لم تكن معروفة فى هذه المعانى من قبل، وكان للنبى ﷺ تعبيرات جديدة فنية مثل «الآن حمى الوطيس، وهدنة على دَخَن، وهذا يوم له ما بعده، وإن من البيان لسحرا » وكثيرا من أمثال ذلك مما عُد ذخيرة أدبية قيمة.

وقد عاون الحديث القرآن الكريم فى حفظ اللغة وانتشارها، وكان لتضافر العلماء على الحديث يجمعونه ويشرحونه ويستنبطون منه، أثر كبير فى نشر الثقافة العلمية والأدبية (المعجمل / ٤٢).

قالت المؤلفة:

وكما هى عادة الشاعر العربى، فإنه يسوق فى شعره المفردات الثقافية التى يستدل بها على هويته وعلى دينه ومظاهر حضارته.

ومن أمثلة ذلك قول صفى الدين الغزى:

رُبَّ ثقيل إمـــــام قـــــوم
يـــــؤمُّ بـــــالنـــاس ثم يجحف
خـــالف فى الفعل قـــول طـــه
« من أمَّ بـــالنـــاس فليخفف »

ورد هذا الحديث بتمامه فى الجامع الأزهر بلفظ: « من أمَّ قومًا فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير وذا الحاجة فإذا صلّى وحده فليصل كيف شاء ». رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبى العاص. (الجامع الأزهر ٢/ ١٩٠ ورقة ب).

وقول ابن سينا الملك فى مدح الملك المظفر تقى الدين:

وبـاسمك من قبل الوغى تهزم العدا
وبـاسمك قبل الحرب تُنصر بالرعب

وقوله فى مدح الملك الأفضل:

نســرى إلى الأعــداء قبـــ
ـــل الجيش منك بجيش رعب

وممن تأثر بابن سناء الملك الشاعر علم الدين أيدمر المحيوى (عتيق محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد الذى كان وزير الجزيرة، عاصر ابن سناء الملك، ومختار ديوانه طبعته دار الكتب سنة ١٣٥٠هـ) يقول علم الدين أيدمر فى مطلع قصيدة يمدح فيها الصالح أيوب ويهنئه بفتح دمشق:

نُصِـرْتَ بـالرعب قبل البيض والأسل
ولطف صنع كصنع الله والرسل

(ابن سناء الملك / ١٧٧).

قالت المؤلفة: الحديث الشريف الذى ضُمِّن فى هذه الأبيات أورده الحافظ المناوى بلفظ: « نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جئ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى ». رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبى هريرة. (الجامع الأزهر ٣/ ٥٨ ورقة أ).

وقول عبد المحسن الصورى يهجو بعض أضيافه، وهو من الاقتباس المردود المرذول لأنه قيل فى معرض هزل وسخف (انظر مادة « الاقتباس » فى م ٥/ ٤٧٥):

قال لى إذ نزلتُ، وهو من السَّكْرة
والهمّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تغرَّبتَ قلتُ قال رسول الله
والقول منه نُصحٌ ونُجحُ
« سافروا تغنموا »، فقال وقد قا
ل تمام الحديث « صوموا تصِحُّوا »

قال هذا القول ليبرر بخله.

(يتيمة الدهر ٥/ ٤٧٥، ٤٧٦).

قالت المؤلفة: فى أبيات عبد المحسن الصورى التى سقناها أعلاه يرد الحديث الأول فى الجامع الأزهر بلفظ «سافروا تصِحُّوا وتسلموا » رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمر وفيه عبد الله بن هارون أبو علقمة ضعيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن داود ضعيف أيضًا (الجامع الأزهر ١/ ٢٤٢ ورقة ب).

وورد بلفظ « سافروا تصِحُّوا » رواه ابن السنى وأبو نعيم فى

الطب عن أبى سعيد للبخارى (الجامع الصغير ٢/ ٣١)، كما ورد بلفظ : « سافروا تصِحُّوا وتغنموا » عن ابن عباس الشيرازى فى الألقاب للطبرانى فى الأوسط، وأبو نعيم فى الطب، والقضاعى عن ابن عمر. وكذلك ورد بلفظ « سافروا تصِحُّوا وتُرزقوا » رواه عبد الرزاق فى الجامع عن محمد بن عبد الرحمن مرسلاً، حديث حسن. كما ورد حديث ثالث بلفظ «سافروا تَصِحُّوا واغزوا تستغنوا » للإمام أحمد بن حنبل عن أبى هريرة، حديث حسن.

أما حديث « صوموا تصِحُّوا » الذى جاء فى عجز البيت الثالث فقد ورد بلفظه فى الجامع الصغير (٢/ ٤٩) رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة، حديث حسن. (الجامع الأزهر ١/ ٢٤٢ ورقة ب، و٢/ ١٩٠ ورقة ب، و٣/ ٥٨ ورقة أ، والجامع الصغير ٢/ ٣١، ٤٩، ويتيمة الدهر ٥/ ٤٧٥، ٤٧٩).

(الناقد الحديث فى علوم الحديث ـ الشيخ محمد المبارك عبد الله / ٥، ١١٩، ١٢٠، ومعجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٠، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٩٥، وصحيح مسلم بشرح النووى للإمام يحيى بن شرف النووى ـ تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبى زينة. كتاب الشعب ١/ ٢، ٣، والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنة المشرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكَتانى / ٢، ٣، ١٦٣ ـ ١٦٦، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ـ أحمد محمد شاكر / ٢٠، ٢١، ونفائس ـ بتحقيق وتعليق محمد حامد الفقى. ألفية مصطلح الحديث للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى / ١٦٩، ١٧٠، وألفية السيوطى فى علم الحديث ـ بتصحيح فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاكر / ٢، ٣، ومجموع مهمات المتون. ط مصطفى البابى الحلبى / ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمى ـ تحقيق محمد بهجة البيطار تقديم محمد رشيد رضا / ٧٢ ـ ٧٥ وأبجد العلوم لصدّيق بن حسن القنّوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكّار جـ٢ ق١/ ٢٧١ ـ ٢٧٩ وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٣٥ ـ ٦٤١ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١١٤ ـ ١٣٠، ومصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ١٦، ١٧، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ١/ ١٠١، والمجمل فى تاريخ الأدب العربى ـ طه حسين وزملائه/ ٤٢، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور للحافظ المناوى ٢/ ١٩٠ ورقة ب، ٣/ ٥٨ ورقة أ، ١/ ٢٤٢ ورقة ب، وابن سناء الملك ـ محمد إبراهيم نصر / ١٧٧، ويتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى ـ أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليّا الحاوى ٥/ ٤٧٥، ٤٧٦، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى ٢/ ٣١، ٤٩. انظر أيضًا المنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ـ حقق أصوله وخرّج أحاديثه وكتب مقدماته وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد. رقم الإيداع ١٩٨٣/ ٧ ـ ٤٢ مقدمات المحقق، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢/ ٤٣٩، ٤٤٠، والسنة النبوية وعلومها ـ د. أحمد عمر هاشم / ٥٢ ـ ٦٠، ١١٥، ١١٦، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ٥٢، ٥٣، ١١٣، ١١٤، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١، والمحدثون فى مصر والأزهر ـ أ. د. الحسينى هاشم، أ. د. أحمد عمر هاشم / ٥٤ ـ ٥٧، والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٢٤٣ ـ ٢٤٥، والجامع الحاوى فى مرويات الشرقاوى ـ تحقيق أبى الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفادانى / ١٦ ـ ٣٤).

ملاحظة :

١ ـ حديث « خير الناس أنفعهم للناس » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٠) للقضاعى عن جابر.

وقال عنه حديث حسن. والصورة مأخوذة من موسوعة الخطوط العربية وزخارفها ـ معروف زريق / ٢٠٧.

٢ ـ حديث « مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا شكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٦١) من رواية أحمد فى مسنده ومسلم عن النعمان بن بشير وقال عنه حديث صحيح. والصورة مأخوذة من كتاب حروف من غير نقط ـ كتبها محمد حدّاد / ٥٠، والحديث بها يختلف فى اللفظ قليلا.

٣ ـ حديث « من تواضع لله رفعه » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٧٥) لأبى نعيم فى الحلية عن أبى هريرة وقال عنه حديث حسن. كما أخرجه المناوى فى الجامع الأزهر (٢/ ١٩٦ ورقة ب) كجزء من حديث طويل عن الإمام أحمد بن حنبل والبزار والطبرانى فى الأوسط عن

عمـر بن الخطـاب ورجال البـزار رجـال الصحيح وفى إسنـاد الطبرانى سعيد بن سلام العطـار كذاب . والصورة مأخوذة من المرجع السابق ص ٥٥ .

انظر: الحديث القدسى، القرآن .

*** الحديث (علوم ـ):**

لقد اشتغل علمـاء الحديث بنقد الحديث، وجـاهدوا فى دفع الـدخيل، وقعّـدوا القـواعـد، ووضعـوا الضـوابط، حتى أصبح علم الحديث علـوما متعددة وليس علمًا واحـدًا ويعدّد الدكتور موسى شاهين لاشين العلوم التى ورثناها عنهم فيقول :

١ - علم مصطلح الحـديـث، وهـو يهتم بـالأسمـاء والمسميات، وأسباب الضعف ومواصفات صحة الحديث .

٢ - وعلم رجال الحديث : ويهتم بتاريخ الرواة من حيث مولدهم ووفـاتهم وموطنهم ورحلاتهم وشيوخهـم وتلامذتهم، ليتبين من ذلك اتصال الإسناد أو عدم اتصاله .

٣ - وعلم نقد الحديث أو علـم الجرح والتعديل : ويهتم بـوضع كل راوٍ فى درجـة معينـة من حيث العـدالـة والضبط، ويكفى أن نشيـر إلى أنهم وضعـوا للتعديل خمس درجـات، أعلاها أثبـت الناس وأوثق الناس، وأدناهـا صدوق، ووضعوا للجرح اثنتى عشـرة درجة أدناها مختلق كـذاب، ووضعوا كل راوٍ فى درجة معينة من هذه الدرجات .

٤ - وعلم التخريج ويهتم بعزو الحـديث إلى موضعه من المصادر الأصلية المعتبرة فى الحديث .

٥ - وعلم دراسة الأسانيد والحكم على الحديث، ويهتم بتطبيق القـواعد والضـوابط والمـوازين ليحكم على الحـديث بالصحة أو بالحسن أو بالضعف .

٦ - وعلم مختلف الحـديث ويهتم بـرفع التنـاقض فيمـا ظاهره التناقض بين الأحاديث .

٧ - وعلم شرح الحديث تحليليًا أو موضوعيًا ويهتم بشرح المفـردات واستنباط الأحكـام، أو بجمع أحـاديث الموضـوع الواحد وشرحها .

٨ - وعلم مناهج المحدثين ويهتم ببيان منهج كل مؤلف حديثى وما يحتويه كل كتاب من الموضوعات .

ونستطيع القول بأن هـذا البحر الزاخـر من العلوم لا يسبح فيه إلا مـاهر متخصص بذل الليالى والشهـور والسنين ثم قال ﴿ربِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [الكهف : ١١٤] وقال : ﴿ وما أُوتِيتُم من العلمِ إلاَّ قليلاً ﴾ [الإسراء : ١٧] .

وكلما دخل فى الأعماق شعر بصغـار نفسه، وكلما تبحر عرف قلة علمه، وباب العلم أن تعرف نفسك، فما يزال المرء عالمـا ما ظن أنه يجهل، فإن ظن أنه قـد علم فقد جهل . أى جهل نفسه، وهذا هو الجهل المركب كما يقولون .

ومن هنا نجد علماء الحـديث وطلابه الراسخين فى العلم يحتاطون عند الكلام وعند الفتوى فى الحديث، ونجد غيرهم ممن يلبس مسـوحهم ويتقمص شخصيتهم أكثـر جـرأة على تناوله وعلى القول فيه بغير علم . (السُّنَّة والتشريع / ٨، ٩) .

ويحصى فضيلـة الشيخ محمـد محمـد أبـو زهـو علـوم الحـديث والكتب المـؤلفة فيهـا ومن قـام بتأليفهـا فى كتابـه النفيس فيحصى من علوم الحديث ما يلى :

١ - علم ميـزان الرجـال أو الجرح والتعـديل (انظر مـادة «الجرح والتعديل » فى هذه الموسوعة) .

٢ - علم معرفة الصحابة .

٣ - علم تاريخ الـرواة (أوردناه تحت عنوان » بيـان حـال الـرواة » (كتب فـى ـــ) فى م ٨/ ٤٧ ـــ ٤٩) فانظـــره فـــى موضعــه .

٤ - علم معرفة الأسمـاء والكنى والألقاب (أوردناه تحت عنوان الأسمـاء والكنى (فى علم الحديث) فى م٤/ ٥٦٢ ـ ٥٦٦، فـانظره فى مـوضعه) وفى أسمـاء الرواة أنـواع ثلاثـة : المتفق والمفترق، والمؤتلف والمختلف ، والمتشابه .

٥ - علم تأويل مشكل الحـديث (أوردنـاه تحت عنـوان «تأويل مختلف الحديث (علم ـ) » م ٨/ ٤١٣، ٤١٤) فى م ٨/ ٤١٣، ٤١٤ فانظره فى موضعه) .

٦ - علم معرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث .

٧ - علم معرفة غريب الحديث .

٨ - علم معرفة علل الحديث .

٩ - علم معرفة الموضوعات وكشف حال الوضّاعين .

١٠ - علم أصول الرواية أو علم مصطلح الحديث .

(الحديث والمحدثون / ٤٥٤ ـ ٤٩٥) .

وسيأتى بيان هذه العلوم فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

وقد أدرج صاحب مفتاح السعادة من فروع علم الحديث علم المواعظ ، وعلم الأدعية والأوراد (انظره فى م٣/ ٣٩٠ ، ٣٩١) وعلم الآثار (انظر فى م ١/ ١٠٣ ، ١٠٤) وعلم الزهد والورع وعلم صلاة الحاجات الواردة فى الأحاديث ، وعلم المغازى (مفتاح السعادة ٢/ ٥٥١ـ٥٥٣) .

وقد أفرد القنّوجى فصلا فى ذكر علوم الحديث جاء فيه ما يلى نقلاً عن ابن خلدون :

قال ابن خلدون : « وأما علوم الحديث فهى كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر فى ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت فى شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفًا من الله بعباده وتخفيفًا عنهم باعتبار مصالحهم التى تكفّل لهم بها . قال تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة : ١٠٦] فإذا تعارض الخبران بالنفى والإثبات ، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل ، وعلم تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ . ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها . قال الزهرى : أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه ، وكان للشافعى رحمه الله قدمٌ راسخة فيه .

« وهذا العلم فى كتاب (إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ) لمؤلف هذا الكتاب جمع فيه ما ألف قبله فى ذلك العلم فجاء أجمع ما جمع فى هذا الباب ، وانتهت الأحاديث المنسوخات إلى أربعة وعشرين حديثًا وانحصر العدد فى ذلك . وهو بالفارسية . حافظ على حسين اللكنوى كاتب هذا الكتاب سلمه الله الوهاب » .

ومن علوم الأحاديث النظر فى الأسانيد . ومعرفة ما يجب العلم به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ فيجتهد فى الطريق التى تحصل ذلك الظن ، وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط ، وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك ، وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم فى ذلك وتميزهم فيه واحدًا واحدًا ، وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوى لم يلق الراوى الذى نقل عنه ، وبسلامتها من العلل الموهنة لها ، وتنتهى بالتفاوت إلى طرفين فحكم بقبول الأعلى وردّ الأسفل ويختلف فى المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن . ولهم فى ذلك ألفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل : الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم ، وبوّبوا كل واحد منها ، ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة هذا الشأن أو الوفاق ، ثم النظر فى كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة وتفاوت رتبها ، وما للعلماء فى ذلك من الخلاف بالقبول والردّ ، ثم أتبعوا ذلك بكلام فى ألفاظ تقع فى متون الحديث من غريب أو مشكل أو مصحف أو مفترق منها أو مختلف وما يناسب ذلك . هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه .

وكانت أحوال نقلة الحديث فى عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلدة ، فمنهم بالحجاز ، ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ، ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون فى أعصارهم ، وكانت طريقة أهل الحجاز فى أعصارهم فى الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن فى الصحة لاستبدادهم فى شروط النقل من العدالة والضبط ، وتجافيهم عن قبول المجهول الحال فى ذلك ، وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الإمام مالك عالم المدينة ثم أصحابه مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعى والإمام أحمد بن حنبل وأمثالهم .

وكان علم الشريعة فى مبدأ هذا الأمر نقلاً صرفًا شمّر لها السلف ، وتحروا الصحيح حتى أكملوها ، وكتب مالك رحمه الله كتاب (الموطأ) أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ، ورتبه على أبواب الفقه ، ثم عنى الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدها المختلفة ، وربما يقع إسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين ، وقد يقع الحديث أيضًا فى أبواب متعددة باختلاف المعانى التى اشتمل عليها .

وجاء محمد بن إسماعيل البخارى إمام المحدثين فى عصره فخرّج أحاديث السنة على أبوابها فى مسنده الصحيح بجميع الطرق التى للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، وكرر الأحاديث

يسوقها فى كل باب بمعنى ذلك البـاب الذى تضمنه الحديث فتكـررت لذلك أحـاديثه حتى يقـال : إنه اشتمل على تسعـة آلاف حديث ومـائتين . منها ثلاثة آلاف متكـررة ، وفرّق الطرق والأسانيد عليها مختلفة فى كل باب .

ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى رحمه الله فألف مسنده الصحيح حذا فيه حذو البخارى فى نقل المجمع عليه وحذف المتكـرر منها، وجمـع الطرق والأسانيـد وبوّبـه على أبواب الفقـه وتراجمه . ومع ذلك فلم يستوعبـا الصحيح كله ، وقد استدرك الناس عليهما فى ذلك .

ثم كتب أبـو داود السجستانى وأبـو عيسى الترمـذى وأبو عبـد الـرحمن النسـائى فى (السنن) بـأوسع من الصحيح ، وقصدوا مـا توفرت فيـه شروط العمل إمـا من الرتبة العـالية فى الأسانيد، وهو الصحيح كما هو معروف ، وإما من الذى دونه من الحسن ، وغيره ليكون ذلك إمامًا للسنة والعمل . وهذه هى المسانيد المشهورة فى الملة ، وهى أمهات كتب الحديث فى السنـة فإنهـا ، وإن تعـددت ، تـرجـع إلى هـذه فى الأغلب ، ومعرفة هذه الشروط والاصطـلاحات كلها هى علم الحديث ، وربما يفـرد عنها النـاسخ والمنسوخ فيجعل فنًّا برأسـه ، وكذا الغـريب . وللنـاس فيـه تـآليف مشهـورة، ثم المـؤتلف والمختلف .

وقـد ألف النـاس فى علوم الحـديث وأكثروا ومن فحـول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتـآليفه فيه مشهورة، وهو الذى هـذبه وأظهـر محاسنـه، وأشهر كتـاب للمتأخريـن فيه كتاب أبى عمـرو بن الصلاح كـان لعهد أوائل المائة السـابعة وتلاه محيى الدين النووى بمثل ذلك، والفن شريف فى مغزاه لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقـولة عن صاحب الشريعة . وقد انقطع لهذا العهد تخريج شىء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين إذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليُغفلوا شيئًا من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليـه المتأخر. هذا بعيد عنهم ، وإنمـا تنصـرف العنـايـة لهـذا العهـد إلى تصحيح الأمهـات المكتوبة ، وضبطها بالرواية عن مصنفيها ، والنظر فى أسانيدها إلى مؤلفيها ، وعرض ذلك على مـا تقرر فى علم الحديث من الشروط والأحكـام لتصل الأسانيـد محكمة إلى منتهـاها، ولم يزيدوا فى ذلـك على العناية بأكثر من هـذه الأمهات الخمسة إلا فى القليل .

فأما البخـارى وهو أعلاها رتبـة فاستصعب النـاس شـرحه واستغلقـوا منحاه مـن أجل ما يحتـاج إليـه من معـرفة الطـرق المتعددة ورجـالها مـن أهل الحجاز والشـام والعراق ومعـرفة أحـوالهم واختلاف النـاس فيهم ، ولـذلك يحتاج إلى إمعـان النظر فـى التفقه فى تـراجمه لأنـه يترجم التـرجمة ويـورد فيها الحـديث بسنـد أو طريـق ثم يترجـم أخرى ويـورد فيهـا ذلك الحديث بعينه لمـا تضمنه من المعنى الذى ترجـم به البـاب ، وكذلك فى تـرجمة وترجمـة إلى أن يتكرر الحـديث فى أبواب كثيرة بحسب معانيـه واختلافها . ومن شرحـه ولم يستوف هذا فيه فلم يـوفّ حق الشرح كابـن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهـم . ولقد سمعت كثيرًا من شيـوخنا رحمهم الله يقولون : «شـرح كتـاب البخارى دينٌ علـى الأمة » يعنـون أن أحـدًا من علماء الأمة لم يوفّ ما يجب لـه من الشرح بهذا الاعتبار. قال فى كشف الظنـون : « أقوال ولعل ذلـك الدين قُضى بشـرحَىْ المحقق ابن حجـر العسقـلانـى والعينى بعـد ذلك » انتهى . قلت : وشرح الحـافظ ابن حجر أَوْفَى الشروح لا يعادلـه شرح ولا كتاب، ولذا لما قيل للشوكانى : اشرح البخارى . أجاب : إنه لا هجـرة بعد الفتح . يعنى « فتح البارى » ومـا ألطف هذا الجواب عند من يفهم لطف الخطاب .

ثم قـال ابن خلـدون : وأما صحيـح مسلم فكثرت عنـايـة علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخارى من غيـر الصحيح مما لم يكن على شـرطه وأكثـر ما وقع له فى التراجم، وأملى الإمام المـازرى من فقهاء المالكية عليه شرحًا وسمـاه « المُعلم بفوائد مُسلم » اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقـه ، ثم أكمله القاضى عياض من بعده وتممه وسماه « إكمال المُعلم » وتلاهما محيى الدين النووى بشرح استوفى ما فى الكتـابين وزاد عليهما فجاء شرحًا وافيًـا ، وأما كتب السنـن الأخرى وفيهـا معظم مـآخذ الفقهـاء فأكثـر شـرحها فى كتب الفقـه إلا مـا يختص بعلم الحـديث فكتب الناس عليهـا واستوفوا من ذلك ما يحتـاج إليه من علم الحديث وموضوعاتـه والأسانيد التى اشتملت على الأحاديث المعمول بها من السنة .

واعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلوم وغيرها تنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق فى تصحيح ما يصح من قبل، ولقد كان الأئمة فى الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روى حديث بغير سنده وطريقه يفطنون إلى أنه قد قلب عن وضعه، ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد ابن إسماعيل البخارى حين ورد على بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدها فقال: لا أعرف هذه، ولكن حدثنى فلان ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح، وردَّ كل متن إلى سنده وأقروا له بالإمامة.

قال ابن خلدون: واعلم أيضًا أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا فى الإكثار من هذه الصناعة والإقلال فأبو حنيفة رضى الله عنه يقال بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثًا أو نحوها، ومالك رحمه الله إنما صح عنده ما فى كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمائة حديث أو نحوها، وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى مسنده خمسون ألف حديث وكل ما أدّاه إليه اجتهاده فى ذلك. وقد تقوّل بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة فى الحديث فلهذا قلَّت روايته، ولا سبيل إلى هذا المعتقد فى كبار الأئمة لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشمير فى ذلك ليأخذ الدين عن أصول صحيحة ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلِّغ لها، وإنما قلل منهم من قلل الرواية لأجل المطاعن التى تعترضه فيها، والعلل التى تعرض فى طرقها سيّما والجرح مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد، ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف فى الطرق. هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق لأن المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة، ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر، والإمام أبو حنيفة إنما قلَّت روايته لما شدد فى شروط الرواية والتحمل وضعَّف رواية الحديث اليقينى إذا عارضها الفعل النفسى وقلّت من أجلها روايته فقلَّ حديثه لا أنه ترك رواية الحديث متعمدًا فحاشاه من ذلك، ويدل على أنه من كبار المجتهدين فى علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم، والتعويل عليه واعتباره ردًا وقبولاً، وأما غيره من المحدثين وهم الجمهور فتوسعوا فى الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد، وقد توسع أصحابه من بعده فى الشروط وكثرت روايتهم، وروى الطحاوى فأكثر، وكتب مُسْنَدَه وهو جليل القدر إلا أنه لا يعدل الصحيحين لأن الشروط التى اعتمدها البخارى ومسلم فى كتابيهما مجمع عليها بين الأمة كما قالوه، وشروط الطحاوى غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره، فلهذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه عن شروطهم، ومن أجل هذا قيل فى الصحيحين بالإجماع على قبولهما من جهة الإجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها. فلا تأخذك ريبةٌ فى ذلك فالقوم أحق الناس بالظن الجميل بهم والتماس المخارج الصحيحة لهم والله سبحانه وتعالى أعلم بما فى حقائق الأمور (أبجد العلوم جـ ٢ ق١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٧).

قال صاحب الرسالة المستطرفة عن الكتب المؤلفة فى علوم الحديث:

ومنها كتب فى علوم الحديث أى مصطلحه ذكرت فيها أحاديث بأسانيد، ككتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعى للقاضى أبى محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرام هرمزى قال الذهبى لم أظفر بموته وأظنه بقى إلى حدود الخمسين وثلاثمائة، وذكر أبو القاسم بن منده فى كتاب الوفيات له إنه عاش إلى قرب الستين وثلاثمائة بمدينة رام هُرمز وهو أول كتاب ألف فى علوم الحديث فى ما يغلب على الظن وإن كان يوجد قبله مصنفات مفردة فى أشياء من فنونه لكن هو أجمع ما جمع من ذلك فى زمانه وإن كان لم يستوعب، ثم كتاب علوم الحديث لأبى عبد الله الحاكم لكنه لم يهذب ولم يرتب، وتلاه أبو نعيم الأصبهانى فعمل على كتابه مستخرجًا وأبقى أشياء للمتعقب، ثم جاء بعدهم الخطيب أبو بكر البغدادى فصنف فى قوانين الرواية وأصولها كتابًا سماه الكفاية وفى آدابها كتابًا سماه الجامع لآداب الشيخ والسامع وكل منهما غاية فى بابه وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابًا مفردًا، وكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه، ثم جاء بعدهم القاضى عياض فصنف كتابًا لطيفًا سماه الإلماع إلى معرفة أصول الروايات وتقييد السماع، والحافظ أبو حفص الميانجى فجمع جزءًا سماه مالا يسع المحدث جهله. والحافظ أبو جعفر عمر بن عبد المجيد

المقدسى فصنف كتاب إيضاح ما لا يسع المحدث جهله إلى غير ذلك .

(السُّنَّة والتشريع ـ د. موسى شاهين لاشين. هدية مجلة الأزهر. شعبان ١٤١١هـ/ ٨، ٩ والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٤٥٣ ـ ٤٦٢ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ٥٥١، ٥٥٢، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنّوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكّار جـ٢ ق١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٧ والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٠٧ . انظر أيضًا مقدمة ابن خلدون / ٤٤٠ ـ ٤٤٥).

*** الحديث القدسى:**

عن الحديث القدسى، والفرق بينه وبين القرآن والحديث النبوى يقول صاحب قواعد التحديث :

قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمى فى شرح الأربعين النووية، فى شرح الحديث الرابع والعشرين المسلسل بالدمشقيين، وهو حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ، فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: « يا عبادى ! إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا ... الحديث » ما نصُّه :

« فائدة يعمُّ نفعها، ويعظم وقعها، فى الفرق بين الوحى المتلو وهو « القرآن» والوحى المروى عنه ﷺ عن ربه عز وجل، وهو ما ورد من الأحاديث الإلّهية، وتسمى « القدسية » وهى أكثر من مائة، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير، وحديث « أبى ذر » هذا من أجلها :

« اعلم : أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسامُ ثلاثة :

أولها : وهو أشرفها « القرآن »، لتميُّزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه لمحدث، وتلاوته لنحو الجُنب، وروايته بالمعنى، وبتعينه فى الصلاة وبتسميته قرآنًا، وبأن كلَّ حرف منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه فى رواية عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة آية وسورة، وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبتُ لها شىء من ذلك، فيجوزُ مسُّه وتلاوته لمن ذُكر، وروايته بالمعنى، ولا يُجزى فى الصلاة، بل يُبطلها، ولا يسمى قرآنًا، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشرًا، ولا يمنع بيعه، ولا يكرهُ اتفاقًا ولا يُسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقًا أيضًا .

ثانيها : كُتبُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قبل تغييرها وتبديلها .

ثالثها : بقية الأحاديث القدسيَّة، هى ما نقل إلينا آحادًا عنه ﷺ، مع إسناده لها عن ربه، فهى من كلامه تعالى، فتُضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذٍ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولاً وقد تُضاف إلى النبى ﷺ، لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن، فإنه لا يُضاف إلا إليه تعالى، فيُقال فيه : « قال الله تعالى ». وفيها « قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه تعالى » واختلف فى بقية السُّنة، هل هو كله بوحى أو لا ؟ وآية ﴿ وما ينطقُ عن الهوى﴾ [النجم : ٣] تؤيد الأول؟ ومن ثم قال ﷺ: « ألا إنى أوتيتُ الكتاب ومثلهُ معهُ» (من رواية أبى داود فى سننه) ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية فى كيفية من كيفيات الوحى، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته، كرؤيا النوم، والإلقاء فى الروع (الرُّوع : القلب) وعلى لسان الملك. ولراويها صيغتان : إحداهما : أن يقول : « قال رسول الله ﷺ: فيما يروى عن ربه » وهى عبارة السلف، ومن ثم آثرها النووى. ثانيتهما : أن يقول : « قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسول الله ﷺ والمعنى واحد » انتهى .

وفى كليات أبى البقاء، فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى (الكليات لأبى البقاء الكفوى / ٢٨٨): « أن القرآن ما كان لفظهُ ومعناه من عند الله بوحى جلى، وأما الحديث القدسى، فهو ما كان لفظه من عند الرسول، ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام. وقال بعضهم : « القرآن لفظ معجزٌ، ومنزلٌ بواسطة جبريل، والحديثُ القدسيُّ غير معجزٍ. وبدون الواسطة، ومثله يُسمى بالحديث القدسى والإلّهى والرَّبَّانى » .

وقال الطيبى : « القرآن هو اللفظُ المنزل به جبريل على النبى، والقدسى إخبار الله معناه بالإلهام أو بالمنام، فأخبر النبى أمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يُضفها إلى الله تعالى، ولم يروها عنه تعالى ». انتهى .

وقال العلامة السيد أحمد بن المبارك رحمه الله تعالى فى «الإبريز »: « وسألتهُ ـ يعنى أستاذه نجم العرفان السيد عبد العزيز الدباغ قدس الله سرَّه ـ الفرقَ بين هذه الثلاثة يعنى : القرآن، والحديث القدسى، وغير القدسى، فقال قُدس سرُّه : الفرقُ بين هذه الثلاثة، وإن كانت كلُّها خرجت من بين

شفتيه ﷺ وكلُّهـا معها أنوار من أنواره ﷺ: إن النـور الذى فى القرآن ، قديمٌ من ذات الحق سبحانـه ، لأن كلامه تعالى قديم والنورُ الـذى فى الحديث القـدسى من روحه ﷺ، وليس هو مثل نور القرآن ، فإن نور القرآن قـديمٌ ، ونور هذا ليس بقديم ، والنـور الذى فى الحـديث الـذى ليس بقدسى من ذاتـه ﷺ، فهى أنـوار ثلاثة ، اختلفـت بالإضـافة ، فنور القـرآن من ذات الحق سبحانه ، ونور الحديث القدسى من روحه ﷺ، ونور ما ليس بقدسى من ذاته ﷺ » .

فقلت : « ما الفرق بين نور الروح ونور الذات؟ » .

فقـال رضى الله عنـه : « الـذات خلقت من تـراب ، ومن التـراب خلِق سـائرُ العبـاد ، والـروحُ من المـلأ الأعلى ، وهم أعرفـ الخلـق بالحق سبحانـه ، وكل واحد يحنُّ إلـى أصله ، فكان نـور الروح متعلقًـا بالحق سبحانـه ، ونور الـذات متعلقًا بالخلق ، فلذا تـرى الأحاديث القدسية تتعلَّقُ بـالحق سبحانه وتعالى بتبيين عظمته ، أو بإظهار رحمته ، أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه . فمن الأول حـديث : « يا عبـادى ! لو أن أولكُم وآخركُمْ ، وإنسكُمْ وجنَّكُمْ ... إلى آخـره » وهو حديث أبى ذر فى مسلم . ومن الثـانى حـديث : « أعـددت لعبـادى الصـالحين ... الحديث » (أخرجاه فى الصحيحين من رواية عبد الرزاق وغيرهما) . ومن الثـالـث حديث : « يدُ الله ملأى ، لا يُغيضها نفقة ، سحَّاءُ الليلِ والنَّهـار » (أخرجه البخارى فى كتـاب التوحيـد من حـديث أبى هـريرة) ... إلخ . وهـذه من علوم الـروح فى الحق سبحانـه ، وترى الأحـاديث التى ليست بقدسيـة تتكلم علـى مـا يُصلح البلاد والعبـاد ، بذكـر الحلال والحرام ، والحثِّ على الامتثـال بذكر الـوعد والوعيـد » . هذا بعضُ ما فهمتُ من كلامـه رضى الله عنه ، والحق أنى لم أُوف به ، ولم آت بجميع المعنى الذى أشار إليه » .

فقلت : « الحديث القدسى مـن كـلام الله عـز وجـل أم لا ؟ » .

فقـال : « ليس هو من كـلامه ، وإنمـا هو من كـلام النبى ﷺ» .

فقلت : « فَلِمَ أُضيفَ للرب سبحانه ، فقيل فيه : « حديث قدسى » وقيل فيه : « فيما يرويـه عن ربه » وإذا كان من كلامه عليه السلام ، فأىُّ رواية لـه فيه عن ربه ، وكيف نعمل مع هذه الضمـائر ، فى قوله : « يـا عبادى لو أن أولكم وآخركم ... إلخ» وقوله : « أعددت لعبادى الصالحين ... » وقوله : « أصبح من عبـادى مـؤمن بى وكـافـر ... » (أخـرجـه الشيخـان فى صحيحيهما وغيـرهما بألفـاظ مختلفة) فإن هـذه الضمائر لا تليق إلا بالله ! فتكـون الأحاديث القـدسية من كـلام الله تعالى وإن لم تكن ألفاظُها للإعجاز ، ولا تعبَّدنا بتلاوتها » .

فقال رضـى الله عنه مرة : « إن الأنـوار من الحق سبحـانه ، تهبُّ على ذات النبى ﷺ، حتى تحصل له مشاهـدة خاصة - وإن كان دائمًا فى المشاهدة - فإن سمع مع الأنوار كلام الحق سبحـانه ، أو نـزل عليـه ملك ، فذلـك هو « القـرآن » وإن لم يسمع كـلامًـا ، ولا نـزل عليـه ملك ، فـذلك وقت الحـديث القدسى . فيتكلم عليه الصلاة والسلام ولا يتكلم حينئذ إلا فى شأن الربـوبية ، بتعظيمهـا وذكر حقـوقها ، ووجـهُ إضافـة هذا الكلام إلى الـرب سبحانـه ، أنه كـان مع هذه المشـاهدة التى اختلطت فيهـا الأمـور ، حتى رجـع الغيبُ شهـادة ، والبـاطن ظاهرًا ، فأضيف إلى الرب ، وقيل فيه : « حديث ربانى » وقيل فيه : « فيما يرويه عن ربه عز وجل » ووجه الضمائر ، أنَّ كلامه عليه السلام ، خرج على حكاية لسان الحال التى شاهدها من ربه عزَّ وجل . وأمـا الحديث الذى ليس بقدسـى ، فإنه يخرجُ مع النور السـاكن فى ذاته عليـه السلام ، الـذى لا يغيبُ عنها أبدًا ، وذلك أنه عزَّ وجل ، أمدَّ ذاتـه عليه السلام بأنوار الحق ، كما أمدَّ جرم الشمس بالأنوار المحسوسة ، فالنور لازم للذات الشريفة لزوم نور الشمس لها » .

وقال مرة أخرى : « وإذا فرضنا محمومًا دامت عليه الحُمَّى على قدر معلـوم ، وفرضنـاهـا تارة تقوى ، حتى يخـرج بها عن حسِّه ، ويتكلم بما لا يـدرى ، وفرضناها مـرةً أخرى تقوى ولا تُخـرجُهُ عن حسـه ، ويبقى على عقلـه ، ويتكلم بما يـدرى ، فصار لهـذه الحمى ثـلاثة أحـوال : قدرهـا المعلوم ، وقـوَّتها المُخرجة عن الحس ، وقُوَّتُها التى لا تخرج عن الحس ، فكذا الأنوارُ فى ذاته عليه السـلام ، فإن كانت على القدر المعلوم ، فما كان من الكـلام حينئذ فهو الحديثُ الـذى ليس بقدسى ، وإن سطعت الأنوارُ ، وشُغلت فى الذات ، حتى خرج بها عليه السلام عن حالته المعلومة ، فما كان الكلام حينئذ ، فهو كلام الله سبحانه ، وهـذه كانت حالته عليه السلام عنـد نزول القرآن عليه ، وإن سطعت الأنوارُ ولم تُخرجـه عن حالته عليه السلام فما كان من الكلام حينئذ قيل فيه : حديث قدسى » .

وقال مرة: « إذا تكلم النبى ﷺ وكان الكلام بغير اختياره، فهو « القرآن » وإن كان باختياره، فإن سطعت حينئذ أنوارٌ عارضة، فهو الحديثُ القدسى، وإن كانت الأنوار الدائمةُ، فهو الحديث الذى ليس بقدسى، ولأجل أن كلامه ﷺ، لا بد أن تكون معه أنوار الحق سبحانه، كان جميع ما يتكلم به ﷺ وحيا يُوحى، وباختلاف أحوال الأنوار، افترق إلى الأقسام الثلاثة، والله أعلم ».

قال السيد أحمد بن المبارك: « فقلتُ هذا كلام فى غاية الحسن، ولكن ما الدليلُ على أنَّ الحديث القدسى ليس من كلامه عزَّ وجل؟ ».

فقال رضى الله عنه: « كلامه تعالى لا يخفى » فقلت: «بكشف؟ » فقال رضى الله عنه: « بكشف وبغير كشفٍ، وكلُّ من لهُ عقلٌ، وأنصت للقرآن، ثم أنصت لغيره، أدرك الفرق لا محالة، والصحابة رضى الله عنهم، أعقلُ الناس وما تركوا دينهم الذى كانت عليه الآباءُ، إلاَّ بما وضح من كلامه تعالى، ولو لم يكن عند النبى ﷺ إلاَّ ما يشبهُ الأحاديث القُدسية، ما آمن من الناس أحدٌ، ولكن الذى ظلتْ له الأعناقُ خاضعة، هو القرآن العزيز، الذى هو كلام الرب سبحانه وتعالى ».

فقلت له: « ومن أين لهم أنه كلامُ الرب تعالى، وإنما كانوا على عبادة الأوثان، ولم تسبق لهم معرفة بالله عزَّ وجلَّ، حتى يعلموا أنه كلامُهُ، وغايةُ ما أدركوه أنه كلام خارج عن طوق البشر، فلعلهُ من عند الملائكة مثلاً ؟ ».

فقال رضى الله عنه: « كل من استمع القرآن، وأجرى معانيه على قلبه، علم علمًا ضروريًّا، أنه كلام الرب سبحانه، فإن العظمة التى فيه، والسطوة التى عليه، ليست إلاَّ عظمة الربوبية، وسطوة الألوهية، والعاقل الكيِّسُ، إذا استمع لكلام السلطان الحادث، ثم استمع لكلام رعيته، وجد لكلام السلطان نفسًا به يُعرف، حتى إنَّا لو فرضناه أعمى، وجاء إلى جماعة يتكلمون، والسلطانُ مغمورٌ فيهم، وهم يتناوبون الكلام، لميَّز كلام السلطان من غيره، بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة، هذا فى الحاديث مع الحادث، فكيف بالكلام القديم، وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربَّهم عزَّ وجلَّ، وعرفوا صفاته، وما يستحقه من ربوبيته، وقام لهم سماعُ القرآن فى إفادة العلم القطعى به عزَّ وجلَّ، مقام المُعاينة والمُشاهدة، وحتى صار الحق سبحانه عندهم بمنزلة الجليس، ولا يخفى على أحدٍ جليسهُ ».

ثم نقل ابن المبارك كلام أُستاذه المنوَّه به، فى ما يعرف بها كلامه تعالى، فانظره. وما نقلنا بحثُه المذكور إلا لنفاسته، لأنه منزعٌ بديع، ينشرح له القلب، والله العليم. اهـ.

وقد أوردنا بيانًا بالكتب المصنَّفة فى الأحاديث القدسية نقلا عن الرسالة المستطرفة (ص ٦٠، ٦١) تحت عنوان «الأحاديث القدسية» (كتب فى ـــ) وذلك فى م٢/ ٤٩٤. فانظرها فى موضعها.

(قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمى ـ تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا / ٦٤ ـــ ٧٠. انظر أيضًا الأحاديث القدسية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة السُّنَّة. الطبعة السابعة. القاهرة ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م/ ١ / ٣ـ٧، ومناهل العرفان فى علوم القرآن ـ لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ـــ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين ١/ ٥٠، ٥١، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لزين الدين عبد الرءوف بن تاج الدين المناوى الحدادى، وعليه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير الدمشقى الأزهرى. مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده. الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٣م/ ٢، ٣، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٠، ٢٨١ والناقد الحديث فى علوم الحديث ـــ الشيخ محمد المبارك عبد الله / ١٢٤، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٦٠، ٦١).

انظر: الأحاديث القدسية (كتب فى ـ).

*** الحديث (كتب فى ـ):**

نبدأ ببيان طرق تصنيف الحديث على النحو التالى:

طرق تصنيف الحديث على نوعين:

أ - تصنيف الأصول وهى التى يسند فيها الحديث من المصنف إلى غاية الإسناد وله طرق فمنها.

١ - التصنيف على الأجزاء بأن يُجعل لكل باب من أبواب العلم جزء خاص مستقل، فيجعل لباب الصلاة جزء خاص ولباب الزكاة جزء خاص وهكذا: ويذكر أن هذه طريقة الزهرى ومن فى زمنه.

٢ - التصنيف على الأبواب بحيث يجعل فى الجزء الواحد

أكثر من باب وترتب على المواضيع كترتيب أبواب الفقه أو غيره مثل طريقة البخارى ومسلم وأصحاب السنن.

٣ – التصنيف على المسانيد بحيث يجمع أحاديث كل صحابى على حدة فيذكر فى مسند أبى بكر جميع ما رواه عن أبى بكر وفى مسند عمر جميع ما رواه عن عمر وهكذا مثل طريقة الإمام أحمد فى مسنده.

ب – تصنيف الفروع وهى التى ينقلها مصنفوها من الأصول معزوة إلى أصلها بغير إسناد وله طرق أيضًا فمنها:

١ – التصنيف على الأبواب مثل: بلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وعمدة الأحكام لعبد الغنى المقدسى.

٢ – التصنيف مرتبًا على الحروف مثل: الجامع الصغير للسيوطى. إلى غير ذلك من الطرق الكثيرة من النوعين حسبما يراه أهل الحديث أقرب إلى تحصيله وتحقيقه (مصطلح الحديث / ٥٢، ٥٣).

والكتب المصنفة فى علم الحديث أكثر من أن تحصى لكن استوعبنا ما وقفنا عليه فى كتابنا (إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين) بالفارسية على ترتيب حروف المعجم. قال فى « مدينة العلوم »: لكن اتفق السلف من مشائخ الحديث على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى صحيح البخارى وصحيح مسلم، وأصحهما صحيح البخارى، وهو الإمام شيخ السنة ونور الإسلام وحافظ العصر وبركة الله فى أرضه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفى البخارى رحمه الله، وكان والى بخارا جُعفيًّا، وهو نسبة إلى قبيلة باليمن ونسب البخارى إليها بالولاء، والإمام مسلم بن الحجاج القشيرى البغدادى أحد الأئمة الحفاظ وأعلم المحدثين إمام خراسان فى الحديث بعد البخارى، ومن الصحاح كتاب سنن أبى دادو الأزدى السجستانى، وكتاب الترمذى وكتاب النسائى، والنووى عدد هذه الخمسة فى الأصول إلا أن الجمهور جعلها ستة وعدُّوا منها كتاب الموطأ لإمام دار الهجرة وقدوة المتقين وأحد الأئمة المجتهدين الإمام مالك بن أنس، وجعل بعضهم كتاب الموطأ بعد الترمذى وقبل النسائى، والأصح أنه بعد مسلم فى الرتبة، وعدَّ بعضهم بدل الموطأ كتاب ابن ماجه محمد بن يزيد الحافظ القزوينى.

واعلم أن المحدِّثين ألحقوا بالكتب الستة (الأمهات الست) جامع أبى الحسن رزين العبدرى صاحب « الجمع بين الصحاح »، وجامع الحميدى بين الصحيحين وجامع البرقانى لجمعه بينهما، وجامع أبى مسعود الدمشقى أيضًا لجمعه بين الصحيحين، ثم اختاروا من المصنفين سبعة وألحقوا كتبهم بالصحاح لعظم نفعها منهم: الدارقطنى والحاكم أبو عبد الله النيسابورى وأبو محمد عبد الغنى الأزدى المصرى وأبو نعيم الأصبهانى صاحب (الحلية) وابن عبد البر حافظ المغرب والبيهقى والخطيب البغدادى. انتهى ملخصًا. (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

ويذكر صاحب كشف الظنون عددا من المصنفات فى علم الحديث مرتبة على الحروف وهى:

الإبانة ـ للوايلى.

إبراز الحكم.

إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة.

إتحاف السامع ـ

الإتحافات السنية ـ

إتحاف المهرة بأطراف العشرة ـ

آثار النيرين ـ

أجزاء الأحاديث ـ كثيرة.

الأحاديث الثمانية الغالية ـ

الأحاديث الحسان ـ

الأحاديث الضعيفة ـ

الأحاديث القدسية ـ

الأحاديث المنيفة ـ

أحسن الحديث ـ

الأحكام الصغرى ـ

الأحكام الكبرى ـ

إحياء الميت ـ

اختلاف الحديث ـ

الأدب المفرد ـ

أذكار النووى ـ

أربعينيات (أربعينيات) الحديث ـ كثيرة.

أزهار الأحاديث ـ

الأزهار شرح المصابيح ـ

أسباب الحديث ـ

الاستذكار شرح الموطأ ـ

الإشراف على معرفة الأطراف ـ

أطراف الصحيحين .

أطراف الكتب الستة ـ

أطراف المسند المعتلى ـ

الاعتصام بالحديث ـ

إعراب الحديث ـ

أعلام السنن ـ

الإفصاح عن شرح معانى الصحاح ـ

أقضية الرسول ﷺ ـ

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى تأليف أبى عبد الله محمد بن فرج المالكى القرطبى . دار الوعى . حلب . الطبعة الثانية ، جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

إقناع أبى الفضل ـ

الإكليل للحاكم ـ

الإلزامات على الصحيحين ـ

ألف حديث ـ

الإلمام فى أحاديث الأحكام ـ

أمالى ابن عساكر ـ وابن شمعون وأبى طاهر وأبى عبد الله الضبى و(أبى) سلمان الحلوانى وأبى عثمان الأصبهانى ومحمد بن ناصر وأبى القاسم بن بشران والبزار والجوهرى والزعفرانى والقضاعى .

الأمالى المرضية ـ

الإنباه للقضاعى ـ

انتحاء السنن ـ

أنوار البوارق فى شرح المشارق ـ

أنوار المشكاة ـ

الأوسط فى السنن ـ

ب

البدر المنير تخريج الشرح الكبير ـ

بلوغ المرام ـ

ت

تجريد الصحاح ـ

تجريد الأصول ـ

التجريد الصريح ـ

تحفة السامع ـ

تحفة المهرة ـ

تحفة النابه ـ

التحقيق فى أحاديث الخلاف ـ

تخريج أحاديث الكتب ـ متعدد .

الترغيب والترهيب . (كشف الظنون ١/ ٦٤٠ ـ ٦٤٤) .

ويقدم صاحب الرسالة المستطرفة معلومات ثمينة عن الكتب المؤلفة فى علم الحديث ، وأسماء مؤلفيها ، كما يصنفها وفقا لأنواعها . ونكتفى هنا بذكر عناوينها كما وردت فى فهرس هذا الكتاب النفيس حيث إن الكلام عليها سيرد فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

١ - أمهات الكتب الحديثة .

٢ - كتب الأئمة الأربعة .

٣ - كتب الصحة .

٤ - الكتب المخرجة على الصحيحين (المستخرجات على الصحيحين أو أحدهما) .

٥ - كتب السنن .

٦ - كتب السُّنَّة .

٧ - كتب مرتبة على الأبواب الفقهية .

٨ - كتب مفردة فى أبواب مخصوصة .

٩ - كتب مفردة فى الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب ... إلخ .

١٠ - المسانيد .

١١ - كتب فى الأحاديث المسلسلة .

١٢ - كتب فى المراسيل .

١٣ - أجزاء حديثية .

١٤ - كتب الفوائد الحديثية .

١٥ - كتب فى أحاديث شيوخ مخصوصين .

١٦ - كتب فى جمع طرق بعض الأحاديث .

١٧ - كتب فى رواة بعض الأئمة أو فى غرائب أحاديثهم .

١٨ - كتب فى الأحاديث الأفراد .

١٩ - كتب فى المتفق والمؤتلف .

٢٠ - كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب .

٢١ - كتب فى مبهم الأسانيد والمتون .

٢٢ - كتب فى الأنساب .

٢٣ - كتب فى معرفة الصحابة .

٢٤ - كتب فى تواريخ الرجال وأحوالهم .

٢٥ - كتب المعاجم .

٢٦ - كتب الطبقات .

٢٧ - كتب فى المشيخات .

٢٨ - كتب فى علوم الحديث . أوردناها فى مادة «الحديث (علوم ـ) فانظرها فى موضعها .

٢٩ - كتب فى الضعفاء أو فى الثقات أو فيهما .

٣٠ - كتب فى العلل .

٣١ - كتب فى الموضوعات .

٣٢ - كتب فى بيان غريب الحديث .

٣٣ ـ كتب فى العلل .

٣٤ - كتب الأمالى .

٣٥ - كتب رواية الأكابر عن الأصاغر .

٣٦ - كتب فى آداب الرواية .

٣٧ - كتب فى العوالى .

٣٨ - كتب فى التصوف وطريق القوم .

٣٩ - كتب الأطراف .

٤٠ - كتب الزوائد .

٤١ - كتب فى الجمع بين بعض الكتب الحديثية .

٤٢ - كتب مجردة أو منتقاة من كتب الأحاديث المسندة خصوصا أو عموما .

٤٣ - كتب فى تخريج الأحاديث الواقعة فى كلام بعض المصنِّفين .

٤٤ - كتب فى الأحاديث المشهورة على كل الألسنة .

٤٥ - كتب الفتاوى الحديثية .

٤٦ - كتب مفردة فى جمع أحاديث بعض أنواع الحديث .

٤٧ - كتب من التفاسير والشروح الحديثية .

٤٨ - كتب فى السيرة النبوية والخصائص المحمدية .

٤٩ - كتب فى أسماء الصحابة .

٥٠ - كتب فى بيان حال الرواة .

٥١ - كتب فى الوفيات .

٥٢ - كتب فى علم المصطلح (الرسالة المستطرفة / ١٦٧ ـ ١٧٩) .

وقد وجدنا أنه من المفيد أن نورد هنا بيانًا بكتب علم الحديث التى كانت تُدرَّس فى مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام ، وهى فى مجموعها يمكن أن تكون برنامجًا دراسيًّا يحتذى ، كما أنها تعكس المستوى العلمى للتدريس فى بيت المقدس .

وفى إحصائه لها يقول الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى :

كان المحدثون يركزون على دراسة أمهات كتب الحديث بعامة ، والكتب الستة فى الحديث بخاصة ، وهى : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذى ، وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وسنن ابن ماجه ، وكانت هذه الكتب « هى الأساس لدراسة الحديث . وللتأليف فيه ، فرأينا طائفة من العلماء قد تصدت لشرح هذه الكتب ، أو اختصارها أو للجمع بينها ، أو إعرابها . أو معرفة ما اتفق فيه مؤلفوها .

ومما يوضح هذا أمثلة كثيرة ، ومنها ما ذكره السخاوى وغيره فى الحديث عن جمال الدين عبد الله بن محمد بن جماعة المقدسى ، فقد ذكر أنه كان يدرس صحيح البخارى فى بيت المقدس ، وممن قرأه عليه الشيخ شمس الدين محمد ابن أحمد الأزرقى الشويكى الأصل الخليلى الشافعى ، وقرأ القاضى شمس الدين بن عبد الرحمن العمرى العليمى الحنبلى صحيح البخارى مرارا على أئمة الحديث ، كما يذكر مجير الدين الحنبلى . كان الإمام سراج الدين بن مسافر بن زكريا الرومى ثم المقدسى الحنفى معتنيا بالنظر فى صحيح

البخاري وشروحه وتدريسه . ونص السخاوي على أن قراءة البخاري كانت تقترن بالبحث والتنقيب والتدقيق ، فقد ذكر أن الشيخ علاء الدين أبا الفضل علي بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي قرأ البخاري على كمال الدين بن أبي شريف ، شيخ الصلاحية ، بحثا ، ولازمه عشر سنين . وقرأ عليه كتبا في الحديث ، ومنها : ألفية الحديث ، وجزء أبي الجهم ، وغيرهما (صاحبه : العلاء بن موسى بن عطية الباهلي المتوفى سنة ٢٢٨هـ ، وله جزء مشهور في الحديث ، وهو من أعلى المرويات . روى فيه عن الليث بن سعد وجماعته . خرج له الترمذي) .

وكان السخاوي نفسه قد سمع ختم صحيح البخاري على أبي الخير العلائي ، في بيت المقدس ، وقرأ عليه جزءا منه .

وقرأ بدر الدين حسن بن علي بن يوسف الإربلي الأصلي الحصكفي الحلبي الشافعي الشهير بابن السيوفي ، الصحيحين في بيت المقدس على برهان الدين الحلبي ، وقرأ عليه غيرهما من كتب الحديث . وأخذ الحديث عن أشهر المحدثين .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن محمد بن أبي بكر بن أحمد ابن عبد الدائم المقدسي سمع صحيح مسلم على جده ، كما سمع عليه العديد من كتب الحديث .

وذكر السخاوي وغيره أن القاضي برهان الدين إبراهيم بن حسن العرابي المقدسي الشافعي وكان فقيها من فقهاء الصلاحية ، قد سمع الصحيح على تقي الدين القلقشندي ، وبرهان الدين بن جماعة ، وأبي الخير العلائي . وسمع صحيح مسلم على العلائي ، كما سمع جامع الترمذي على عدد من المحدثين .

وذكر السخاوي إن شهاب الدين أبا الخير أحمد بن خليل العلائي الدمشقي ثم المقدسي صاحب مرويات كثيرة ، ومنها ، الصحيح ، والسنن لابن ماجه ، والجامع للترمذي ، وغيرها . وسمع منه ابن حجر العسقلاني ، فقد ذكر أنه حصل على الإجازة منه أكثر من مرة . وسمع منه عدد من طلاب العلم الذين أصبحوا من أشهر العلماء من أمثال شهاب الدين ابن أرسلان ، وتقي الدين القلقشندي ، وجمال الدين بن جماعة ، وغيرهم .

وذكر السخاوي أن شهاب الدين بن أرسلان سمع جامع الترمذي ، ومسند الشافعي على أبي الخير العلائي . « وكانت الرحلة في سماع الحديث بالقدس إليه » كما يذكر ابن حجر العسقلاني والسخاوي .

ومن الكتب الأخرى التي لاقت عناية جلية كتاب الألفية في أصول الحديث للشيخ الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، وتمثلت العناية بهذا الكتاب في حفظه وشرحه ودراسته . فقد حفظه الكثير من طالبي العلم ، ومن ذلك أن شهاب الدين أحمد بن علي بن جماعة المقدسي ، حفظ الألفية في الحديث ، وسمع الكثير منه . وممن حفظه أيضًا جمال الدين عبد الله بن محمد بن غانم الأنصاري الخزرجي المقدسي وكان جمال الدين ، قد سمع الحديث من أشهر المحدثين في بيت المقدس من أمثال تقي الدين القلقشندي ، وجمال الدين بن جماعة ، وهما ممن كانوا يدرسون بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس .

وشرحه العديد من العلماء ، ومنهم أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة الكناني المقدسي وغيره .

ولا شك أن كتاب الإمام الحافظ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ، شيخ المدرسة الصلاحية ، وهو الكتاب المعروف بمقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لقي عناية كبيرة ، علما بأن هذا الكتاب كان أصلا اعتمد عليه زين الدين العراقي في ألفيته .

ومنها كتاب « مصابيح السنة » للإمام حسين بن مسعود البغوي الشافعي ، وهو من الكتب التي نالت عناية كبيرة ، ويبدو ذلك في شروحه الكثيرة ، وحفظه ، وغير ذلك ، فقد عني به العلماء بالقراءة والتعليق . وتبدو أهمية الكتاب في وصف صاحبه بأنه « محيي السنة » وأنه جامع « لعلوم القرآن والسنة والفقه » .

ومنها كتاب « مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية » للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني أو الصاغاني ، وذكر المصنف أنه جمع في كتابه ما يزيد على ألفين من الأحاديث الصحاح ، ورتبه في أبواب . ونال هذا الكتاب عناية كبيرة تمثلت في شروحه ومختصراته ، وحفظه ودراسته ، ومن مختصراته مختصر محمد بن محمد الأسدي

المقدسى ، وسمى مختصره « دقائق الآثار فى مختصر مشارق الأنوار » ومن الطبيعى أن ترتبط الشروح فى هذا الكتاب ، وفى غيره من الكتب ، بالغاية التعليمية ، ويؤكد ذلك ما ذكره بعض شارحيه ، كما يبدو فى قول أحدهم : « إنه درس فى أثناء تدريسه المشارق » واستفاد من الشروح الأخرى .

ومنها كتاب « مشارق الأنوار على صحاح الآثار » فى تفسير غريب الحديث المختص بصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وموطأ مالك ، لمصنفه القاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى ، وهو كتاب مفيد جدا .

ومما يوضح هذا ما ذكره السخاوى ومجير الدين الحنبلى ، فقد ذكرا أن قاضى القضاة سعد الدين الديرى كان يروى كتاب مصابيح السنة للبغوى ، وكتاب مشارق الأنوار للصاغانى ، وقد قرأهما على الشيخ كريم الدين عبد الكريم القرمانى وحصل على الإذن فى رواية هذين الكتابين .

وكان الشيخ الإمام سراج الدين بن مسافر بن زكريا الرومى ثم المقدسى الحنفى معنيا بالنظر فى العديد من كتب الحديث ، ومنها كتاب مصابيح السنة وشروحه .

وكان سراج الدين مشتغلا بالعلم فى بيت المقدس ، وكان شيخ المدرسة العثمانية فيه . وفى هذا المجال ، نضيف إلى ما سبق ، أن سعد الدين الديرى كان متوليا مشيخة المدرسة المعظمية والتدريس فيها ، ولا شك أنه عنى بالكتابين السابقين : المصابيح والمشارق ، ودرَّسهما . وذكر السخاوى أن سعد الدين هذا ، كان معنيا أيضًا بكتاب المشارق للقاضى عياض ، فحفظه ودَرَسه ودرَّسه .

ومنها كتاب « نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر » للحافظ ابن حجر العسقلانى ، وهو كتاب مهم من كتب الحديث . و « متن متن فى علومه » وقد شرح هذا الكتاب شروحا كثيرة ، ونظم أيضًا ، وعنى به طالبو العلم . ومن ذلك أن قاضى القضاة شهاب الدين أبا الأسباط أحمد بن عبد الرحمن الرملى الشافعى حفظ هذا الكتاب على مصنفه ابن حجر ، وحصل منه على الإجازة والإذن بالإقراء . وقرأ الشيخ سراج الدين عمر بن محمد الجعبرى الخليلى الشافعى كتاب نخبة الفكر على تاج الدين الغرابيلى فى بيت المقدس ، وقد لازمه ، وأخذ عنه فى الحديث وغيره .

ومنها كتاب « النفحات القدسية » فى الحديث والتفسير لشيخ الإسلام الإمام صلاح الدين بن كيكلدى العلائى ، شيخ المدرسة الصلاحية وشيخ دار الحديث السيفية أو التنكزية وقد درس العلائى مصنفه هذا ، وغيره من كتب الحديث ، وتخرج على يديه العديد من طالبى العلم ، وحصلوا منه على الإجازات .

وذكر الصفدى أنه اجتمع بالعلائى فى بيت المقدس ، وارتوى من « فوائده فى كل علم » وصفه بأن لم ير مثله « فى تحقيق ما يقوله وتدقيقه » (انظر الدارس فى المدارس ١/ ٦٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن سماع الحديث وروايته ودراسته ، لم تقتصر على الكتب التى ذكرت ، فقد عنى المحدثون ، ودارسو الحديث ، وسامعوه بسماع أجزاء كثيرة من مرويات الحفاظ فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وفى العصرين الأيوبى والمملوكى اللذين نتحدث عن المدارس فى بيت المقدس فيهما . ومن هذه الأجزاء فى الحديث جزء أبى مُسْهِر ، عبد الأعلى بن مُسهر بن عبد الأعلى الغسانى الدمشقى وقد روى عنه البخارى ، واعتبره أحمد بن حنبل واحدا من أفضل محدثى عصره فى دمشق » وهو عالم أهل الشام .

ومنها جزء ابن عرفة ، الحسن بن عرفة العبدى البغدادى ، وقد « روى عن عبد الله بن المبارك وغيره ، وروى عنه الترمذى ، وابن ماجه ، وغيرهما » .

ومنها جزء ابن الفرات ، أحمد بن الفرات ، وجزء ابن جوصاء ، الحافظ أبى الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصاء ، محدث الشام ، وقد كان ركنا من أركان الحديث ، وجزء أبى الجهم المتقدم ذكره ، وجزء البطاقة لحمزة بن محمد ابن على الكنانى ، وكان محدثا ثقة ، وإمامًا من أئمة الحديث ، روى عنه النسائى والدارقطنى وغيرهما . وكان بصيرا بالحديث وعلله ، مقدما فيه ، وكان متفقا على تقدمه فى معرفة الحديث . وذكر هذا الجزء باسم : « مجلس البطاقة والحديث المثلث بالأولوية » .

ومنها جزء الأنصارى ، عبد الله بن محمد بن حبَّان الأنصارى الأصبهانى وكان محدثا ومفسرا مشهورا موثوقا به ، وغير ذلك من الأجزاء الحديثية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين .

ومن الأجزاء الحديثية الأخرى : جزء الاستقامة للحافظ العلائى المقدسى، وجزء شمس الدين القباقبى الحلبى المقدسى، المشتمل على العشاريات والمسلسلات، وغيرها.

وعنى المشتغلون بالحديث بمختارات منه، وخاصة الأربعينات، وهى مختارات شائعة فى الحديث، وقد صنف العلماء فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، واختلف مقاصدهم فى تأليفها وجمعها وترتيبها، فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث التوحيد وإثبات الصفات، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات، ومنهم من اختار حديث المواعظ والرقائق، ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده وسلم من الطعن، ومنهم من قصد ما علا إسناده إلى غير ذلك، وسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الأربعين (انظر مادة « الأربعينات (كتب ـ) فى م٣/ ٥٤٨ـ٥٥٢).

ذكر النووى فى خطبة كتابه المشهور بالأربعين النووية أن «من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين، وبعضهم فى الفروع، وبعضهم فى الجهاد، وبعضهم فى الزهد، وبعضهم فى الآداب، وبعضهم فى الخطب التى كان النبى ﷺ يخطب بها».

ولا شك أن هذه المختارات الحديثية، قد قصد بها مقاصد عديدة كما تقدم، ولا شك أن تلك الاختيارات كان لها صلة بأوضاع العالم الإسلامى، وبخاصة تلك المختارات فى الجهاد، أو فى التوحيد، أو فى الدعوة إلى التحلى بالخلق القويم، أو غير ذلك، وكان للصراع بين المسلمين وأعدائهم أثر فى شيوع كتب الأربعين فى الجهاد مثلا، أو فى العمل على توضيح أصول العقيدة، وهكذا.

ومن كتب الأربعينات التى شاع الاهتمام بها، وحفظها ودراستها وغير ذلك، كتاب الأربعين فى الحديث لأبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى (انظر ترجمته فى م١/ ١٧٢) وهى أحاديث مشهورة ذات إسناد عال وكان مختارها ثقة صدوقا دينا وروى عنه جماعة منهم أبو نعيم الأصفهانى.

ومنها كتاب الأربعين للحاكم النيسابورى، ابن البيِّع، محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم النيسابورى، صاحب التصانيف فى علوم الحديث، وكان إماما جليلا، اتُّفق على إمامته وجلالته وعظم قدره، وكان إمام أهل الحديث فى عصره. سمع منه أبو بكر القفال الشاشى، ولازمه الدارقطنى وغيرهما.

ومنها كتاب الأربعين للشيخ نصر بن إبراهيم المقدسى، وكتاب الأربعين للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزرى شيخ الصلاحية، وقد اختار فيه « ما هو أصح وأفصح وأوجز » وكان الجزرى قد تصدى لنشر علم القراءات، والتحديث، وقيل إنه « تفرد بعلو الرواية، وحفظ الأحاديث، والجرح والتعديل، ومعرفة الرواة المتقدمين والمتأخرين، وأورد أسانيده بالصحيحين، وأبى داود، والنسائى، وابن ماجه، وبمسانيد الدارمى، والشافعى، وأحمد وبموطأ مالك، وبمصنفات البغوى والنووى، وذكر السخاوى أن الجزرى قد « خرَّج لنفسه أربعين عشارية، وخرَّج جزءا فيه مسلسلات بالمصافحة وغيرها ».

ومن أشهر الكتب فى هذا المجال، كتاب الأربعين للإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى. ذكر النووى أن العلماء جمعوا الأربعين فى موضوعات مختلفة كما تقدم، وأضاف أنه رأى أن يجمع أربعين حديثا أهم مما تقدم كما يقول « وهى أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين » والتزم أن تكون هذه الأحاديث صحيحة، ومعظمها فى صحيحى البخارى ومسلم. وأتبعها «بباب فى ضبط خفى ألفاظها » وعنى المحدثون عناية كبيرة بأربعين النووى، وشرحوه، ومن شروحه شرح ابن حجر العسقلانى، وغيره.

ومنها مختارات أخرى فى الحديث، مثل : « المعجم الكبير » : ويشتمل أحاديث جميع الصحابة باستثناء أبى هريرة مرتبة حسب الشيوخ و « المعجم الأوسط » فى غرائب شيوخ مصنفه، و « المعجم الصغير » فى أسماء شيوخه، وكلها من تصنيف الشيخ أبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى حافظ عصره كما يقول ابن خلكان. وكان الطبرانى ثقة صدوقا واسع الحفظ، بصيرا بالعلل والرجال والأبواب، سمع بطبرية ثم رحل إلى القدس سنة ٢٧٤هـ، وقضى فيها عاما.

ومنها انتخاب الطبرانى الآنف الذكر، وهو جزء مما انتخبه لابنه أبى ذر على .

ومنها عوالى قاضى المارستان، محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى، المعروف بقاضى المارستان، وقد خرجت له مشيخة فى خمسة أجزاء .

ومنها « الغيلانيات » لأبى بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى وهى « مجموعة من الأحاديث العوالى التى يتألف سندها من عدد قليل من الرواة عن النبى، ﷺ، وقد انتفع بها ابن تيمية فى كتابه « الأبدال والعوالى » .

ومنها ثلاثيات الدارمى، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى، شيخ مسلم، وأبى داود، والترمذى، وهو صاحب مسند مشهور، وكان إمام أهل زمانه، وذكر أنها خمسة عشر حديثا وقعت فى مسنده بسنده .

ومنها ثلاثيات الحافظ عبد بن حميد بن نصر الكشى، وثمانيات النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على بن نصر الحرانى الحنبلى وهى كالثلاثيات فى السند، ثمانية رواة فى عدة أجزاء .

ومنها السفينة الجرائدية، وهى مجموعة من الأجزاء، وتسمى بذلك نسبة إلى محمد بن يعقوب الجرائدى الأنصارى الدمشقى، نزيل مصر ثم بيت المقدس .

ومنها المشيخات مثل مشيخة محمد بن أبى بكر بن أحمد ابن عبد الدائم المقدسى الحنبلى ومشيخة جده أحمد بن عبد الدائم والمشيخة السراجية أو السراجيات للشيخ الإمام سراج الدين عمر بن على القزوينى وطرقها أعلى طرق الإسناد ومشيخة أبى الخير العلائى فقد خرَّج له المحدث أبو حمزة أنس بن على الأنصارى أربعين حديثا عن أربعين شيخا، حدث بها .

ويوضح ما تقدم ذكره فى الحديث عن الكتب والأجزاء التى كانت محل عناية كبيرة، النظر فى التكوين الثقافى لعدد من العلماء فى بيت المقدس، فى مجال الحديث الشريف .

ذكر ابن حجر العسقلانى أن محمد بن أبى بكر بن أحمد ابن عبد الدائم المقدسى الحنبلى، سمع كتبا وأجزاء كثيرة فى الحديث، فقد سمع من جده وغيره « السراجيات الخمسة، والأربعين للآجرى، وجزء ابن جوصاء وجزء ابن الفرات، وجزء ابن عرفة، وصحيح مسلم، وعوالى قاضى المارستان، والترغيب، وانتخاب الطبرانى » وغير ذلك من الكتب فى الحديث. وهى من أعلى كتب الحديث رتبة وسنداً وقد خرجت مشيخة لابن عبد الدائم المقدسى، وحدث بمشيخته، ومشيخة جده وقد حدث ابن عبد الدائم كثيرا، واستمر يحدث إلى أن توفى سنة ٧٤٣ هـ .

وذكر السخاوى أن الحافظ أبا الخير العلائى، له مرويات كثيرة، ومن عيونها : « الصحيح، والسنن لابن ماجه، وموافقات عبد الحافظ عبد بن حميد الكشى وثلاثياته. وجزء أبى الجهم، والمعجم الصغير للطبرانى، والجامع للترمذى » وله مشيخة كما تقدم .

وذكر السخاوى أن الشيخ شهاب الدين أبا العباس أحمد ابن محمد بن حامد الأنصارى المقدسى الشافعى المعروف بابن حامد شيخ مشيخة الفخرية، سمع السفينة الجرائدية، وجزء أبى الجهم، والمسلسل، وقرأ صحيح مسلم، وغيرها .

وذكر ابن حجر العسقلانى ومجير الدين الحنبلى، أن ناصر الدين محمد بن سليمان بن غانم المقدسى سمع السفينة الجرائدية المشتملة على سبعة أجزاء من حديث السلفى، وسمع ثلاثيات الدارمى، وغير ذلك .

وسمع بدر الدين محمد بن حامد الأنصارى المقدسى الشافعى الكثير من كتب الحديث، ومنها السفينة الجرائدية .

وسمع الشيخ سراج الدين عمر بن محمد الجعبرى الخليلى الشافعى الكثير من كتب الحديث وأجزائه، ومنها : المسلسل، وجزء ابن عرفة، وثمانيات النجيب، وجزء البطاقة، والغيلانيات، وغيرها، كما يذكر السخاوى.

وسمع الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن موسى بن عمران الغزى ثم المقدسى، الحديث على الحافظ شمس الدين الجزرى، شيخ الصلاحية، وسمع على شمس الدين القباقبى جزءه المشتمل على العشاريات والمسلسلات وغيرها .

وكان الشيخ خير الدين محمد بن عبد الرحمن القلقشندى المقدسى محدثا مشهورا يتولى مشيخة الحديث بالأقصى، ويدرس بالمدرسة الصلاحية، والمدرسة الكريمية، والمدرسة الطازية، ومن الجدير بالإشاره أنه كان قد سمع الكثير من

كتب الحـديث وأجـزائه، وحفـظ، ودرس، وحصل على الإجازات فيه، منـذ الصغر. ولا شك أنه استمر معتنيا به بعد ذلك، وحدّث بالكثير من محفوظه .

وهذه أمثلة توضح ما تقدم ذكره، ومن أراد المزيد، فلينظر في تراجم العلماء في بيت المقدس ليجد بغيته .

ويتبين لنا مما تقدم، العناية الفائقة التى نالها علم الحديث فى قراءته وتدريسه والبحث فيه. وكان الحديث يدرس في دار الحديث، وفي مدارس أخرى مثل المدرسة التنكزية، والمدرسة الباسطية، وغيرهما من مدارس بيت المقدس .

وتبدو أهمية دراسة علم الحديث، والدعوة إلى ذلك، فيما قاله الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة الحنبلي، قال :

يا طالبا علم خير العلم مجتهدا
علم الحديث تحوز اليمن والرشدا
ما في العلوم له مثل يماثله
فاطلبه مقتصدا، تسعد به أبدا
فالفقه ينبى عليه، حيث كان إذا الـ
أحكام مأخذها منه إذ وجدا
وكيف لا ؟ وهو لولاه لما اتضحت
سبل الرشاد، ولا بان الزمان هدى
وأهله خير أهل العلم قاطبة
فكن محبا لهم كيما تفوز غدا
ترى سواهم إذا جاء الحديث لما
قالوه متبعا ما تبسطن يدا
أو كان مَتْنًا تراهم راجعين إلى
أقوالهم ، وكذا إن أسندوا سندا
لولاهم زاد قوم في الشريعة ما
شاءوا، ولكن حماها كونهم أُسُدا
هل يستوى من نأى عن أرضه طلبا
لها، وآخر عن تحصيلها قعدا؟
شتان بين امرئ ثاو بموطنه
وبين من كان عن أوطانه بعدا
ومن ضرورة تفضيل الحديث على
سواه أن لا يرى شبها لهم أحدا
شانيهم لا لقيت الدهر محمدة
ولا وقيت مصابا لا ولا فندا

وهكذا كانت العناية بالحديث وعلومه كبيرة، رواية ودراية، فقد عنى بدراسته من حيث الرواية والرواة، ومن حيث السند، وقرأوه في أمهات كتب الحديث، وأنشئت دور الحديث، وتولى المحدثون مشيخات المدارس، أو التدريس فيها، من أمثال ابن الصلاح، وتقى الدين القلقشندى، وغيرهما (المدارس في بيت المقدس ١/ ٢٠-٢٩) .

ومن المصنفات في علم الحديث في الهند شرح على شرح نخبة الفكر للشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتي، وإمعان النظر في توضيح نخبة الفكر شرح بسيط للشيخ محمد أكرم بن عبد الرحمن السندى، وشرح عليه للشيخ عبد النبي بن عبد الله الشطارى الكجراتي، وشرح عليه للمفتي عبد الله بن صابر على الطوكى، وشرح عليه بالفارسي للمولوى محمد حسين الإسرائيلى الهزاروى. ومن الكتب المصنفة في الأصول، المنهج للشيخ نظام الدين بن سيف الدين العلوى الكاكوروى، ومختصر بالعربي للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام الدهلوى، ومختصر لولده نور الإسلام الرامبورى، وبلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب للسيد مرتضى بن محمد الحسيني البلگرامي المشهور بالزبيدى لطول لبثه بزبيد اليمن، والعجالة النافعة بالفارسي للشيخ عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى، ومنهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول بالفارسي للسيد صديق حسن الحسيني القنوجي، وعمدة الأصول في أحاديث الرسول بالعربي للشيخ محمد شاه الدهلوى، وظفر الأماني شرح مختصر الجرجاني للشيخ عبد الحى بن عبد الحليم اللكهنوى، والرفع والتكميل في الجرح والتعديل للمولوى عبد الحى المذكور، واستجلاء البصر من شرح نخبة الفكر بالأردو للشيخ عبد العزيز بن عبد السلام العثماني الهزاروى صنفه سنة ١٣٢٢ (الثقافة الإسلامية في الهند /١٥٩) .

(مصلح الحديث ـــ محمد بن صالح بن عثيمين / ٥٢، ٥٣، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار

زكار جـ ٢ ق ١/ ٢٧٩، ٢٨٠، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٤٠ ـ ٦٤٤، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتاني / ١٦٧ ـ ١٦٩، والمدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١/ ٢٠ ـ ٣٩، والثقافة الإسلامية في الهند « معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحى الحسني ـ راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسني الندوى / ١٥٩.

انظر أيضا السنة النبوية وعلومها ـ د. أحمد عمر هاشم / ٣٤٩ ـ ٤٠٤، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١١٤).

الحديث (الكلام)

قال قدامة بن جعفر:

وأما الحديث، فهو ما يجرى بين الناس في مخاطباتهم، ومناقلاتهم، وله وجوه كثيرة؛ فمنها: الجد والهزل، والسخيف والجزل، والحسن والقبيح، والملحون والفصيح، والخطأ والصواب. والصدق والكذب، والنافع والضار، والحق والباطل، والناقص والتام، والمردود والمقبول، والمهم والفضول، والبليغ والعيى.

فأما الجد، فإنه كل كلام أوجبه الرأى وصدر عنه، وقصد به قائله ووضعه موضعه، وكان مما تدعو الحاجة إليه. وباستعمال ذلك وبالإمساك عما سواه أوصت الحكماء، فقالوا: « من علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه». وقالوا: « مغبونٌ من مضى عمره في غير ما خُلِق له » وقال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ووصف نبيه فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]

وأما الهزل، فما صدر عن الهوى. والناس في استعماله على ضربين:

أما الحكماء والعلماء، فاستعملوه في أوقات كلال أذهانهم وتعب أفكارهم، ليستجموا به أنفسهم ويستدعوا به نشاطهم ويروحوا به عن قلوبهم، خوفًا من ملالتها وكلالتها؛ وأمروا بذلك فقالوا: « روحوا القلوب تَعِ الذكر » وقالوا: «روحوا عن القلوب، فإن لها سآمة كسآمة الأبدان » . ومن قصد هذا بالهزل فالجد أراد، لأنه قصد المنفعة وما يوجبه الرأى في سياسة عقله ونفسه، وإجمام فكره وقلبه. وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا. وقال عمر رضى الله عنه في أمير المؤمنين رحمة الله عليه: « هو والله لها لولا دعابة فيه» (الضمير في « لها » يعود إلى الخلافة) وقال الشعبى: «وصلتُ بالعلم ونلْتُ بالمُلَح »، وذلك لما عليه النفوس من استثقال الحق والجدّ، واستخفاف اللهو والهزل.

وأما السفهاء والجهال، فاستعملوه للخلاعة والمجون ومتابعة الهوى؛ وذلك المذموم الذى قد عاب الله مستعمله، ومدح المعرض عنه؛ فقال فيمن عابه: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائما ﴾ [الجمعة: ١١] وقال تعالى: ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾ [لقمان: ٦] وقال فيمن مدحه بالإعراض عنه: ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ [القصص: ٥٥] وقال في موضع آخر: ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ [الفرقان: ٧٢] وقد أوصت العلماء بتجنب هذا الفن من الهزل فقالوا: « إياك والمزاح فإنه يجرئ عليك السَّفْلة » . وقالوا: «المزاح السباب الأصغر » وقال أمير المؤمنين رضى الله عنه: « من أكثر من شىء عُرف به، ومن كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به » .

وأما السخيف من الكلام، فهو كلام الرعاع والعوام الذين لم يتأدبوا ولم يستمعوا كلام الأدباء، ولا خالطوا الفصحاء، وذلك معيب عند ذوى العقول، لا يرضاه لنفسه إلا مائق (المائق: الأحمق الغبى) جهول. إلا أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره طلباً لإفهامه، كما أنه ربما تكلف الإنسان لمن لا يحسن العربية بعض رطانة الأعاجم ليفهمه (الرطانة: التكلم بغير العربية) فإذا جرى استعمال اللفظ السخيف هذا المجرى، وغُزِى به هذا المغزى، كان جائزا وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يُستعمل فيه غيره، وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء؛ فإنه متى حكاها الإنسان على غير ما قالوه، خرجت عن معنى ما أريد بها وبردت عند مستعملها؛ وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها، ولم يكن على حاكيها عيب في سخافة لفظها.

وأما الجزل من الكلام، فهو كلام الخاصة والعلماء، والعرب الفصحاء، والكتاب الأدباء، الذى قد تقدم وصفه في الشعر والخطابة. وليس شىء أصون على جزالة الكلام

وخروجه عن تحريف ألفاظ العوام من مجالسة الأدباء ومعاشرة الخطباء وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم ، والمختار من رسائل المولدين الأدباء ومكاتباتهم . ولذلك كانت ملوك بني أمية يخرجون أولادهم إلى البوادي، ليُنشئوهم على الفصاحة وجزالة اللفظ؛ وله أيضًا عَلَّم الناس أولادهم الرسائل، ورَوُّوهم أشعار القدماء، وحفَّظوهم القرآن، وأمروهم بتجويده، وأمروهم بالقراءة والإنشاد ليعتادوا الكلام الجزل، وتتفتق به لهواتهم (واحدتها لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق) ، وتذل (تنقاد وتسلس) به ألسنتهم ، وتتشكل بتلك الأشكال ألفاظهم ، فإن التخلق يأتي دونه الخلق ، والعادة كالطبيعة ، ولا شيء أفسد للكلام ولا أضر على المتكلم ولا أعون على سخافة اللفظ من معاشرة أضداد من ذكرنا وطول ملابستهم واستماع قولهم ، فينبغي لمن أراد تجنب الكلام السخيف ولزوم الجزل الشريف ، أن يتقي معاشرة من يفسُد بمعاشرته بيانه ، كما ينبغي أن يلزم معاشرة من تُصلح معاشرته لسانه .

وأما الحسن من الكلام ، فهو كل ما كان في معالي الأمور وفي محاسنها . وأحسنه الدعاء إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد قال الله عز وجل : ﴿ **اللهُ نزل أحسن الحديث كتابًا مُتشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾ [الزمر : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ [فصلت : ٣٣] ثم يتلوه كل ما كان من مكارم الأخلاق وكل ما كان من دعاء إلى بر، وتعطف، وإصلاح ، وتألف، وخير يُجتلب، وشر يُجتنب، فهو من حَسَن الكلام وجميله، ومما يستعمله أهل العقل والحكمة ويثابرون عليه ولا يرون تركه ولا السكوت عليه؛ لأن ترك استعمال الحسن قبيح ، ورأى من أهمله غير صحيح .

والقبيح من الكلام ، ما كان في سفساف الأمور وأراذلها : كالنميمة والغيبة ، والسعاية ، والكذب ، وإذاعة السر، والمكر، والخديعة ، فكل ذلك قبيح لأنه من مذموم الأخلاق ومعيب الأفعال . وقد قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها** » .

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير (١/٧٦) بلفظ « إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها » من رواية الطبراني في الكبير عن الحسين بن علي وقال عنه حديث حسن .

وذم الله النميمة فقال تعالى : ﴿ **ولا تُطع كل حلاف مهين* هماز مشاء بنميم** ﴾ [القلم : ١٠، ١١] وقال في الغيبة : ﴿ **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً** ﴾ [الحجرات : ١٢] وقال في الكذب : ﴿ **ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ [البقرة : ١٠] وقال تعالى في السعاية : ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم** ﴾[التوبة : ٤٧] وقال تعالى في النفاق : ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[النساء : ١٤٥] وقال تعالى في المكر : ﴿**أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ [النحل : ٤٥] وقال تعالى في إذاعة السر : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ [النساء : ٨٣] وقال تعالى في الخديعة : ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ [البقرة : ٩] وإذا أردت أن تنفي عن نفسك وقولك القبيح ، فانظر ما استقبحته من فعل غيرك وقوله فتجنبه فإنه القبيح ، وما استحسنته منهما فاتبعه فإنه الحسن ولا تسامح نفسك بأن تستحسن منها ما تستقبحه من غيرك ، فقد قال الشاعر :

وابدأْ بنفسك فانهها عن غيِّها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وأما الفصيح من الكلام فهو ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب . ولتصحيح ذلك وضع النحو. ولجمعه وضعت الكتب في اللغة وذكر المستعمل منها، والشاذ، والمهمل، وحق من نشأ من العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم ولا يخرج عن جملة ألفاظهم ، ولا يقنع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحنوه .

واللحن ما خالف اللغة العربية وخرج عن استعمال أهلها وما بنى عليه إعرابها. وهو معيب عند الأدباء في الجملة ، وعلى من يأخذ نفسه بالإعراب ويتكلم بالغريب من لغة الأعراب أعيب . ويروى أن عمر رضي الله عنه كان يضرب على

اللحن . فأما العرب فإذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريق السابلة ، سقط عند أهل اللغة منزلته ، ودفعت ورفضت لغته . وإنما يصح الإعراب لأحد رجلين : إما أعرابي بدوي قد نشأ حيث لا يسمع غير الفصاحة والإصابة، فيتكلم على حسب عادته وسجيته، ومتى خوطب باللحن لم يفهمه، مثل ما يحكى عن رجل قال له بعض الأعراب قولا، فقال له الرجل: كيف أهلِك؟ فقال له الأعرابي: « قتلا بالسيف إن شاء الله !» ؛ فظن الأعرابي أنه إنما سأله كيف يموت . ولو قال له : « كيف أهلُك ؟» لأجابه بجوابه ...

وإما للمولَّد الذي قد تأدب ونظر في النحو واللغة وأخذ بهما نفسه ومرر عليهما لسانه، حتى صار ذلك عادة له . فأما لغيرهما فليس يصح إعراب . وربما اغتفر في دهرنا هذا اللحن والخطأ للإنسان في كلامه لكثرة اللحن في الناس وأنه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس. فأما في الكتاب فغير مغتفر له ذلك ، لأن الطرف يتكرر نظره فيه، والروية تجول في إصلاحه ، وليس كمثل الكلام الذي يجري أكثره على غير روية ولا فكرة .

وأما المواضع التي يجب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له في أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه الرأي فهو عند الرؤساء الذين يلحنون، والملوك الذين لا يُعْرِبون فمن الرأي لذي العقل والحنكة والحكمة والتجربة ألا يعرب بين أيديهم، وأن يدخل في اللحن مدخلهم، ولا يريهم أن له فضلا عليهم ؛ فإن الرئيس والملك لا يجب أن يرى أحداً من تبّاعه فوقه؛ ومتى رأى أحداً منهم قد فضله في حال من الأحوال نافسه وعاداه وأحب أن يضع منه . وفي عداوة الرؤساء والملوك لمن تحت أيديهم البوار، ومن ذلك ما يحكى عن بعض من تكلم في مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون ، فلحن فعوتب على ذلك فقال : « لو كان الإعراب فضلا لكان أمير المؤمنين إليه أسبق » وسأل الوليد رجلا عن سنيه فقال : « كم سنيك؟»؛ فقال : « أربعين » ؛ قال : « لحنت » ؛ فقال : «إنما أتبعك يا أمير المؤمنين » ؛ قال : « فكم سنوك ؟ » ؛ قال : « أربعون » .

وأما الخطأ والصواب، فإن الصواب كل ما قصدت به شيئا فأصبت المقصد فيه ولم تعدل عنه . ومنه قيل « سهم صائب»، « وأصبت الغرض » وصواب القول من ذلك مأخوذ. ويقال : « قول صائب » من صاب يصوب وهو صائب، مثل قال يقول وهو قائل . و « قول مصيب »، من أصبت في القول أصيب إصابة وأنا مصيب والقول مصيب أيضا ؛ كما تقول أردت الشيء أريده إرادة وأنا مريد. والقول المصيب هو مما أعطي المفعول فيه اسم الفاعل، مثل « راحلة » وإنما هي مرحولة، و « عيشة راضية » وإنما هي مرضية، وقد مدح الله عز وجل الصواب فقال : ﴿ **يَوم يقوم الرُّوح والملائكةُ صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمٰنُ وقال صوابًا** ﴾ ومن الصواب أن يعرف أوقات الكلام ، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعاني، ومراتب القول أيضًا، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس وحقوق المخاطبات فيها ؛ فيعطي كل شيء من ذلك حقه، ويضمه إلى شكله ، ويأتيه في وقته وبحسب ما يوجبه الرأي له ، فإنه متى أتى الإنسان بكلام في وقته ، أنجحت طلبته ، وعظمت في الصواب منزلته؛ ولذلك ترى من له الحاجة إلى الرئيس يرقب لها وقتًا يراه فيه نشيطا فيكلمه، لأنه متى كلمه وهو ضيق الصدر أو مشغول ببعض الأمر كان ذلك سبب حرمانه وتعذر قضاء حاجته. وارتقاب الأوقات التي تصلح للقول وانتهاز الفرصة فيها إذا أمكنت، من أكثر أسباب الصواب وأوضح طرقه. ثم متى سكت عن الكلام في الأوقات التي يجب أن يتكلم فيها ، لحقه من الضرر بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام في غير وقته. ولذلك قال أمير المؤمنين رضي الله عنه : « انتهزوا الفرص فإنها تمر مر السحاب » .

وللسكوت أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب، فمنها السكوت عن جواب الأحمق والهازل والمتعنت، وفي ذلك يقول الشاعر :

وأصمتُ عن جواب الجهل جُهدي
وبعض الصمت أبلغُ في الجواب

وقال بعضهم : « رُبَّ سكوتٍ أبلغ من منطق » ومنها السكوت عن مقابلة السفيه على سفهه، واللئيم على ما ينالك منه، والتصون عن إجابتهما، والحلم عما يبدر منهما، وقد مدح الله الحلم فقال : ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ وسمى نفسه الحليم. وقال الشاعر :

ولـم أر مثل الحلـم زينـــا لصـــاحب
ولا صـــاحبًـا للمـــرء شـــرا مـن الجهل

وقال الله عز وجل فى وصف المؤمنين وتنزههم عن مقابلة الجاهلين : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] وقال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص : ٥٥] وقال تعالى : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] وقال : الشاعر :

متـــاركـــة اللئيم بـــلا جـــواب
أشـــد على اللئيم من الجـــواب

وقال آخر :

وقــد أسمع القــول الــذى كـاد كلمـا
إذا ذكـــرتــــه النفس قلبى يُصـــدعُ
فأبـــدى لمـن أبـــداه منى بشـــاشـــة
وأنـى مســـرورٌ بمـــا منـــه أسمـع
ومـــا ذاك مـن عجب بـــه غيـــر أننى
أرى أن تـــرك الشـــر للشـــر أقطـع

والحلم إنما هو عن نظيرك أو من هو دونك . فأما من هو فوقك أو مسلط عليك فليس يسمى السكوت عن مقابلتك حلما، بل هو بباب التقية أشبه، وبالمداراة أليق ؛ وبذلك أوصى الشاعر حين يقول :

بُنَىَّ إذا مـــا سـامك الـدهـــر قـــادر
عليك فـإن الـــذل أحـــرى وأحـــرز
ولا تحـم فى كـل الأمـــــور تعـــــزُّزا
فقــد يـورث الــذل الطــويل التعـــزز

ومما يستحسنه الأدباء ويراه صوابا كثير من العلماء : الحلم عن النظير ومن هو دون النظير، لأنه يبين عن فضل الإنسان فى نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه ووضع نفسه لأذيته، وقد قيل : « من عاجل نفع الحلم، كثرة أعوان الحليم على الجاهل »، والتقية والمداراة للسلطان والرئيس فى دفع المرهوب من جهتهم واجتذاب المحبوب منهم ؛ ومقابلة من يرى نفسه فوقك، ويتوهم أن إمساكك عنه خوفا منه، فيجترئ عليك بحلمك وسكوتك عنه فيما ينوبك منه. ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤].

وقال تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ [الشورى : ٤١] وإنما كان الصواب فى مقابلة من هذه حاله، لأن فى مقابلته قطعاً لمادة أذيته، وردعا له عن معاودة مثل فعله ؛ وقد قال الشاعر :

إذا كنت عنـــد الحلم تـــزداد جـــرأة
علـىَّ وعنـــد العفـــو والصفح تجهـل
ردعتك عنـى بـــالتجـــاهل والخنـــا
فـإنهمـــا عنـــدى لمثلـك أمثـل

الخنا من الكلام أفحشه

وقال آخر :

ألا لا يجهلـن أحـــد علينــــا
فنجهـل فـــوق جهل الجـــاهلينـــا

وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعانى، فهو أن يأتى بالمعنى فيما يليق به من اللفظ، وقد مضى الكلام فيه بما أغنى عن إعادته .

(نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى حققه وعلق حواشيه د . طه حسين بك وعبد الحميد العبادى / ١٣٧ ــ ١٤٨ وقد وضعنا تعليقات التحقيق بين أقواس فى ثنايا النص) .

الحديث والخبر والأثر:

قال صاحب قواعد التحديث :

ما هية الحديث والخبر والأثر

اعلم : أن هذه الثلاثة مترادفة عند المحدثين على معنى ما أضيف إلى النبى ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً ؛ وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً، والمرفوع خبراً، وعلى هذه التفرقة جرى كثير من المصنفين. وقال أبو البقاء (الكليات لأبى البقاء الكفوى / ١٥٢) : « الحديث هو اسم من التحديث، وهو الإخبار، ثم سمى به قول أو فعل وتقرير نسب إلى النبى عليه الصلاة والسلام ؛ ويجمع على « أحاديث » على خلاف القياس. قال الفراء : « واحد الأحاديث أحدوثة، ثم جعلوه جميعا للحديث، وفيه أنهم لم يقولوا أحدوثة النبى». وفى الكشاف : « الأحاديث اسم جمع، ومنه حديث النبى » وفى البحر: « ليس الأحاديث باسم جمع، بل هو جمع تكسير لحديث على غير القياس كأباطيل ؛ واسم الجمع لم يأت على هذا الوزن وإنما سميت هذه الكلمات والعبارات أحاديث كما قال الله تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله﴾ [الطور: ٣٤] لأن الكلمات إنما تتركب من الحروف

المتعاقبة المتوالية، وكل واحد من تلك الحروف يحدث صاحبه؛ أو لأن سماعها يحدث في القلوب من العلوم والمعاني، والحديث نقيض القديم، كأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن؛ والحديث ما جاء عن النبي، والخبر ما جاء عن غيره؛ وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر من غير عكس». والأثر: «ما روى عن الصحابة ويجوز إطلاقه على كلام النبي أيضاً» انتهى.

وفي التدريب (تدريب الراوي للسيوطي / ٤): «يقال أثرت الحديث: بمعنى رويته، ويسمى المحدث أثريا نسبة للأثر».

وقال الإمام تقي الدين بن تيمية في بعض فتاويه: «الحديث النبوي: هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه ﷺ بعد النبوة، من قوله، وفعله، وإقراره، فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة؛ فما قاله، إن كان خبراً، وجب تصديقه به؛ وإن كان تشريعًا: إيجابا أو تحريما، أو إباحة وجب اتباعه فيه، فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء، دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، فلا يكون خبرهم إلا حقا، وهذا معنى النبوة، وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب، وأنه يُنبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه» وقد روى أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ما يسمع من النبي ﷺ فقال له بعض الناس: «إن رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب فلا تكتب كل ما تسمع» فسأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «اكتب! فوالذي نفسي بيده، ما خرج من بينهما إلا حق» يعني شفتيه الكريمتين. وقد ثبت عن أبي هريرة أنه قال: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أحفظ مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده، ويعي بقلبه؛ وكنت أعي بقلبي ولا أكتب بيدي» وكان عند آل عبد الله بن عمرو بن العاص نسخة كتبها عن النبي ﷺ، وبهذا طعن بعض الناس في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه شعيب، عن جده، وقالوا: «هي نسخة» ـ وشعيب هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ وقالوا: «إن عني جده الأدنى محمدًا فهو مرسل (حديث مرسل: أي سقط من سنده صحابي فليس في سنده صحابي) فإنه لم يدرك النبي ﷺ، وإن عني جده الأعلى، فهو منقطع (المنقطع هو ما لم يتصل إسناده، سواء ترك ذكر الراوي من أول الإسناد، أو وسطه أو آخره) فإن شعيبا لم يدركه». وأما أئمة الإسلام، وجمهور العلماء، فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، إذا صح النقل إليه، مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ونحوهما؛ ومثل الشافعي وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم. قالوا: «الجد هو عبد الله فأنه يجيء مسمى، ومحمد أدركه»، قالوا: «وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي ﷺ، كان هذا أوكد لها، وأدل على صحتها»، ولهذا كان في نسخة عمرو بن شعيب من الأحاديث الفقهية، التي فيها مقدرات ما احتاج إليه عامة علماء الإسلام والمقصود أن حديث الرسول ﷺ، إذا أطلق دخل فيه ذكر ما قاله بعد النبوة، وذكر ما فعله، فإن أفعاله التي أقر عليها حجة، لا سيما إذا أمرنا أن نتبعها، كقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقوله: «لتأخذوا عني مناسككم» وكذلك ما أحله الله له فهو حلال للأمة، ما لم يقم دليل التخصيص؛ ولهذا قال: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً** ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولما أحل الله له الموهوبة قال: ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ولهذا كان النبي ﷺ إذا سئل عن الفعل يذكر للسائل أنه يفعله ليبين للسائل أنه مباح؛ وكان إذا قيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «إني أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده» ومما يدخل في مسمى حديثه ما كان يقرهم عليه، مثل إقراره على المضاربة التي كانوا يعتادونها، وإقراره لعائشة على اللعب بالبنات، وإقراره في الأعياد على مثل غناء الجاريتين، ومثل لعب الحبشة بالحراب في المسجد، ونحو ذلك، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدته، وإن كان قد صح عنه أنه ليس بحرام، إلى أمثال ذلك، فهذا كله يدخل في مسمى الحديث، وهو المقصود بعلم الحديث، فإنه إنما يطلب ما يستدل به على الدين، وذلك إنما يكون بقوله أو فعله أو إقراره، وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة وبعض سيرته قبل النبوة، مثل تحنثه بغار حراء ومثل حسن سيرته لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة من كرائم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، كقول خديجة

له : «كلا والله ، لا يخزيك الله إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق »؛ ومثل المعرفة : فإنه كان أميًّا لا يكتب ولا يقرأ، وإنه كان معروفا بالصدق والأمانة ، وأمثال ذلك مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه . فهذه الأمور ينتفع بها في دلائل النبوة كثيراً . ولهذا يذكر مثل ذلك في كتب سيرته كما يذكر فيها نسبه وأقاربه ، وغير ذلك من أحواله . وهذا أيضاً قد يدخل في مسمى الحديث؛ والكتب التي فيها أخباره ، منها كتب التفسير، ومنها كتب السِّير والمغازي، ومنها كتب الحديث . وكتب الحديث : هي ما كان بعد النبوة أخص، وإن كان فيها أمور جرت قبل النبوة فإن تلك لا تذكر لتوحد وشرع فعله قبل النبوة، بل قد أجمع المسلمون على أن الذي فرض على العباد الإيمان به ، والعمل هو ما جاء به بعد النبوة » انتهى (قواعد التحديث / ٦١ ـ ٦٤) .

وقال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون : اختلف أهل الحديث في الفرق بين الحديث والخبر فقيل هما مترادفان ، وقيل الخبر أعم من الحديث لأنه يصدق على كل ما جاء عن النبي ﷺ وعن غيره بخلاف الحديث فإنه يختص بالنبي ﷺ ، فكل حديث خبر من غير عكس كلي .

وقيل هما متباينان فإن الحديث ما جاء عن النبي ﷺ ، والخبر ما جاء عن غيره . ومن ثم قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها الإخباري ، ولمن يشتغل بالسنة النبوية المحدث . هكذا في شرح النخبة وشرحه .

وفي الجواهر: وأما الأثر فمن اصطلاح الفقهاء فإنهم يستعملونه في كلام السلف ، والخبر في حديث الرسول ﷺ، وقيل الخبر يباين الحديث ويرادف الأثر (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٢٨) .

(قواعد التحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ـ تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا / ٦١ ـ ٦٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٢٨١) .

الحديثة :

قال ياقوت :

الحديثة : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، وياء ساكنة ، وثاء مثلثة ، كأنه واحد الحديث أو تأنيثه ضد العتيق ، سميت بذلك لما أحدث بناؤها ثم لزمها فصار علماً : وهي في عدة مواضع ، ينسب إلى كل واحدة منها حديثي وحدثاني .

والحديثة : أيضا من قرى غوطة دمشق ويقال لها حديثة جرش ، بالشين المعجمة ، ذكر لي ابن الدخميسي عن الشريف البهاء الشروطي أنه بالسين المهملة ، سكن الحديثة هذه أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر أبو العباس الأكار النهربيني أخو أبي عبد الله المقرى من سواد بغداد ، سمع أبا الحسين بن الطيوري وسكن بهذه القرية من غوطة دمشق ، سمع منه بها الحافظ أبو القاسم وذكره وقال : مات في سنة ٥٢٧ ؛ ومحمد بن عنبسة الحديثي ، حدث عن خالد بن سعيد العرضي .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٠/ ٢٣٢)

حديثة الفرات :

قال ياقوت :

حديثة الفرات : وتعرف بحديثه النورة : وهي على فراسخ من الأنبار، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها ، قال أحمد بن يحيى بن جابر: وجه عمار بن ياسر أيام ولايته الكوفة من قبل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، جيشا يستقرى ما فوق الفرات عليهم أبو مدلاج التميمي فتولى فتحها ، وهو الذي تولى بناء الحديثة التي على الفرات وولده بهيت؛ وحكى أبو سعد السمعاني أن أهل الحديثة نصيرية ، وحكى عن شيخه أبي البركات عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي النحوي مؤلف شرح اللمع أنه قال : اجتزت بالحديثة عند عودي من الشام فدخلتها فقيل لي : ما اسمك؟ فقلت : عمر فأرادوا قتلي لو لم يدركني من عرفهم أنني علوي .

وينسب إليها جماعة ، منهم : سويد بن سعيد بن سهل ابن شهريار أبو محمد الهروي الحدثاني ، قال أبو بكر الخطيب : سكن الحديثة حديثة النورة على فرسخ من الأنبار فنسب إليها ، سمع مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وإبراهيم ابن سعد وحفص بن ميسرة وعلي بن مسهر وشريك بن عبد الله القاضي ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وغيرهم ، روى عنه يعقوب بن شيبة ومحمد بن عبد الله بن مطير ومسلم بن الحجاج في صحيحه وأبو الأزهر أحمد بن الأزهر بن إبراهيم ابن هانئ النيسابوري وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان ، وقال

البخاري : فيه نظر كان عمي فتلقن بما ليس في حديثه، وقال سعد بن عمرو البرذعي : رأيت أبا زرعة يسيء القول فيه ، وقال : رأيت فيه شيئا لم يعجبني، فقيل : ما هو ؟ فقال : لما قدمت من مصر مررت به فأقمت عنده فقلت له إن عندي أحاديث ابن وهب عن ضمام ليست عندك، فقال : ذاكرني بها، فأخرجت الكتب أذاكره وكنت كلما ذاكرته بشيء قال : حدثنا به ضمام، وكان يدلس حديث حريز بن عثمان وحديث ابن مكرم وحديث عبد الله بن عمرو « زر غبًّا تزدد حبا» فقلت : أبو محمد لم يسمع هذه الثلاثة الأحاديث من هؤلاء، فغضب ، فقلت لأبي زرعة : فأيش حاله؟ فقال : أما كتبه فصحاح وكنت أتبع أصوله فأكتب منها وأما إذا حدث من حفظه فلا ، مات في شوال سنة ٢٤٠ عن مائة سنة، وكان ضريراً .

ومنها سعيد بن عبد الله الحدثاني أبو عثمان، حدث عن سويد بن سعيد الحديثي، روى عنه أبو بكر الشافعي وأحمد ابن محمد أبزون وذكر الشافعي أنه سمع منه بحديثة النورة؛ وعبد الله بن محمد بن الحسين أبو محمد بن أبي طاهر الحديثي، سمع أبا عبد الله أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل المحاملي وأبا القاسم بن بشران، روى عنه أبو القاسم السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي، ومات في سنة ٤٨٧ .

وهلال بن إبراهيم بن نجاد بن علي بن شريف أبو البدر النميري الخزرجي الشاعر، قدم دمشق.

ومنها أيضاً روح بن أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح الحديثي أصلا البغدادي مولداً أبو طالب قاضي القضاة ببغداد، وكان يشهد أولاً عند قاضي القضاة أبي القاسم علي ابن الحسين الزيني سنة ٥٢٤ في شهر رمضان، ثم رتب نائبا في الحكم بمدينة السلام وأذن له في القعود والمطالبات والحبس والإطلاق من غير سماع بينة ولا إسجال في خامس عشر رجب سنة ٥٦٣ ، وفي ربيع الآخر سنة ٥٦٤ أذن له في سماع البينة وأنشأ قضيته بإذن المستنجد، وكان على ذلك ينوب في الحكم إلى أن مات المستنجد بالله وولي المستضيء، فولاه قضاء القضاة بعد امتناع منه وإلزام له فيه يوم الجمعة حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦ ، واستناب ولده أبا المعالي عبد الملك على القضاء والحكم بدار الخلافة وما يليها وغير ذلك من الأعمال ولم يزل على ولايته حتى مات، وقد سمع الحديث من جماعة، قال عمر بن علي القزويني : سألت روح بن الحديثي عن مولده فقال : سنة ٥٠٢ ، ومات في خامس عشر محرم سنة ٥٧٠ .

وأبو جعفر النفيس بن وهبان الحديثي السلمي، روى عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد السلال وأبي الفضل محمد بن عمر الأرموي في آخرين، ومات في ثالث عشر صفر سنة ٥٩٩ .

وابنه صديقنا ورفيقنا الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس ابن وهبان، اصطحبنا مدة ببغداد ومرو وخوارزم في السماع على المشايخ وكانت بيننا مودة صادقة، وكان عارفا بالحديث ورجاله وعلومه عارفا بالأدب قيما باللغة جدا وخصوصا لغة الحديث، وكان مع ذلك فقيها مناظرا، وكان حسن العشرة متوددا مأمون الصحبة صحيح الخاطر مع دين متين، خلفته بخوارزم في أول سنة ٦١٧ فقتلته التتر بها شهيدا، وما روى إلا القليل .

حديثة الموصل:

قال ياقوت :

حديثة الموصل : وهي بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى، وفي بعض الآثار أن حديثة الموصل كانت هي قصبة كورة الموصل الموجودة الآن وإنما أحدثها مروان بن محمد الحمار، وقال حمزة بن الحميد : الحديثة تعريب نوكرد، وكانت مدينة قديمة فخربت وبقي آثارها فأعادها مروان بن محمد بن مروان إلى العمارة وسأل عن اسمها فأخبر بمعناه فقال : سموها الحديثة؛ وقال ابن الكلبي : أول من مصَّر الموصل هرثمة بن عرفجة البارقي في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، وأسكنها العرب ثم أتى الحديثة ، وكانت قرية فيها بيعتان، ويقال : إن هرثمة نزل المدينة أولاً فمصَّرها واختطها قبل الموصل، وإنها إنما سميت الحديثة حين تحول إليها من تحول من أهل الأنبار لما ولي ابن الرُّفيل صاحب النهر يبادوريا أيام الحجاج بن يوسف فعسَّفهم، وكان فيهم قوم من أهل الحديثة التي بالأنبار فبنوا بها مسجداً وسموا المدينة الحديثة؛ وينسب إلى هذه الحديثة

جماعة، منهم : أبو الحسن على بـن عبد الرحمن بن محمد ابن بابويـه السمنجانى الفقيه، نزل أصبهان ومـات بها ، قال أبو الفضل المقدسى: سمعت أبا المظفر الأبيوردى يقول :

سمعته يقول نحن من حديثة الموصل، وكان إذا روى عنه نسبه الحـديثى، قلت : وسمنجان بلد من أعمال طخـارستان من وراء بلخ .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٠) .

الحديد:

الحـديـد معروف، ويأتى الكـلام عليه فيمـا بعـد، قـال الفيروزابادى :

وحـددت السكين : رققت حَـده، وأحددتـه : جعلت لـه حدا . ثم يقـال لكل ما دق فى نفسـه من حيث الخلقة أو من حيث المعنى كالبصر والبصيـرة : حديد . فيقال : هـو حديد النظر وحديد الفهم . قال تعالى ﴿ **فبصرك اليوم حديد** ﴾ [ق : ٢٢] ويقال : لسان حديدٌ نحـو لسان صارم وماض وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد ، قال تعالى ﴿ **سلقوكم بألسنة حدادٍ** ﴾ [الأحزاب : ١٩] ولتصـور المنع سمى البواب حـدادًا . وفى الحديث : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه »

قالت المـؤلفة : أخرج السيـوطى هذا الحـديث الشريف بتمامه فى الجامع الصغير (٢/ ١٧٠) بلفظ : « من أشار إلى أخيه بحـديدة فإن المـلائكة تلعنه وإن كـان أخاه لأبيـه وأمه » بـرواية مسلم والتـرمـذى عن أبى هريـره وقـال عنه : حـديث صحيح . كما أورد حديثا آخـر بلفظ : « من أشار بحديدة إلى أحد من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه » من رواية الحاكم عن عائشة وقال عنه : حديث صحيح .

وفى المثل : الحديد بالحـديد يُفْلَح (بصائر ذوى التمييز ٢/ ٤٣٨) .

يقول الله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديـد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ [الحـديد : ٢٥] وهذه الآية الكـريمة كانت حـافزا للمسلمين المشتغلين بعلم المعـادن وعلم الطب إلى وصف خـواص الحديـد بـاعتبـاره أحد الفلـزات، وتحـديـد منافعـه للإنسان كما يتضح مما يلى :

قال القـزوينى عن الحديـد : تولده كتـولد سـائر الأجساد وسـواد لونـه لإفراط الحـرارة، والحـديد أكثـر فائدة من سـائر الفلزات، ولـذلك قال الله تعـالى ﴿ **وأنزلنـا الحديـد فيه بأس شديد ومنـافع للناس** ﴾ فـالبأس فى النصـوص والمنـافع فى الآلات، حتى قيل : مـا من صنعـة إلا وللحـديـد فيهـا أو فى أداتها مدخل .

وصداه يأكل أوساخ العيون اكتحالا وينفع من جرب العين والـرمـد والسبل ويخفف ثقل الأجفـان، وينفع كحـلا للعين وينفع للنقرس، وإذا احتمل من صداه نفع للبواسير (عجائب المخلوقات/ ١٣٨) .

وعن استعمال الحديد فى الطب يقـول المظفر الرسولى، مع ملاحظة أنه يستعمل لمصادره رمزين هما :

ع : عبد الله بـن البيطار صاحـب « الجامع لقـوى الأدوية والأغذية .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيمايستعمله الإنسان » :

حديد ــ « ع » يذكر خبثه فى حرف الخـاء المعجمة . وقد ذكـر تـوبالـه فى حـرف التـاء (انظـر مادة « التـوبـال » فى م ١٠/ ٦٢٦، ٦٢٧) والحـديد يستعمل فى عـلاج الطب على ضروب كثيرة ، وهو برادته وخبثه وزنجاره، وماؤه وشرابه اللذان أطفئ فيهمـا وهـو محمى وهو ثـلاثـة أصنـاف : سابـرقـان، وبرمـاهن، وفـولاذ . فالسابـرقان : هـو الفولاذ الطبيعـى، وهو الذكـر، وهو الإسطـام . والفولاذ المصبوغ هـو المتخلص من البرماهن . وأمـا الحديد المحمى، فإنه إذا أطفئ بـالماء . فإنه مـوافق لـلإسهال المـزمن، وقـرحـة الأمعاء، وورم الطحـال، والهيضة، واستـرخاء المعدة، والمـاء الذى يطفأ فيه الحـديد شفاء لمن يخاف من الماء من عضة الكَلْب الكَلِب، من غير أن يعلم ، فإنه أنفع دواء كان وهو عجيب جدا، وينفع المعدة التى فسدت من قبل المرة

وينفع المبطونين ... وإذا خلط بالخل ولطخ على الحمرة المنتشـرة أبرأهـا سـريعا . « ج » زنجـاره قـابض أكال، وخبثـه أضعف من زنجاره، وهو أقوى من كل خبث تجفيفا، وصدره على الـداحس بشراب ينفع، وكـذلك على النقـرس، والخل المطبوخ فيـه صالح للقيح المزمن الجـارى من الأذن، والماء المطفأ فيه الحديد ينفع من أورام الطحال، واسترخاء المعدة، وضعفها، وفى توباله قوة مسهلة للماء الأصفر، وصدأه يحتمل فيقطع النزف، ويجفف البواسير، والشراب المطفأ فيه الحديد يحسن الإسهال المـزمن، والدوسنطـاريا واسترخـاء المعدة، والسفل، وسلس البول ، (المعتمد ١/ ٩٠، ٩١) .

وقال عنه داود الأنطاكي :

منه ذكر هو السابرقان والاسطام والفولاذ الطبيعي وهو قليل الوجود وأنثى هو البرماهن والحديد أحد المعادن المطبوعة وأصله زئبق كثير جيد وكبريت قليل ردىء باطنه فضة وظاهره ذهب عاقته الحرارة الكثيرة واليبس ورداءة الكبريت ويتولد بالشام وفارس والبندقية ويتخذ من أنثاه الفولاذ الكبير الوجود بأن يعبى في البوادق ويحمى أسبوعا بأقوى ما يكون من النار ثم يلقى عليه ما اجتمع من كل مر كالحنظل والصبر مسحوقا بالمرائر حتى يداخله ويطفأ والحديد حار في الثانية يابس في الثالثة إذا طفئ في ماء وشرب قطع الخفقان وضعف المعدة والاستسقاء والطحال والكبد والإسهال وإن طفئ في الخل وعمل سكنجبينا قوى الأحشاء والهضم وأدر البول وفتح السدد وإذا سحقت برادته مع ربعها نوشادر وجعلت في مكان مرطوب صارت زنجارا وتسمى زعفرانة الحديد وهذه تقلع البياض والجرب والسبل والحكة وتزيل الحمرة حيث كانت كحلا وطلاء وتحمل بالعسل فتمنع الحمل فرزجة والبواسير فتلا والشقوق والأورام وتسكن النقرس طلاء وتنبت الشعر في داء الثعلب والسعفة، وخبث الحديد يفعل ذلك مع ضعف بالنسبة إلى الزعفران. ومن خواصه: أنه إذا طفئ في الشيرج مرة والماء أخرى جذب غير المطفأ من الحديد إلى نفسه كالمغناطيس وأن برادته تجذب السم إليها إذا طرحت في طعام مسموم، وإذا دمس بالرصاص أو المرقشيثا أو الرهج أو العلم قارب الرصاص في الذوب فإن أديم سبكه بالإهليلج وزبد البحر وقشر الرمان مع الطفي في دهن الخروع وماء البقلة لان وانطرق وكذا إذا سبك بالزهرة وأحرقت عنه بالبارود وبرادة الحديد سم إلى خمسة يخلص منها شرب المغناطيس وإتباعه بالمسهل واللبن والأدهان (تذكرة أولي الألباب ١/ ١٢٠، ١٢١).

(بصائر ذوي التمييز للإمام الفيروزابادي ـ تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢/ ٤٣٨، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٣٨، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٩٠، ٩١، وتذكرة أولي الألباب لدواد بن عمر الأنطاكي ١/ ١٢٠، ١٢١) .

الحديد (سورة) :

السورة رقم ٥٧ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف، مدنية ، وعدد آيها عشرون وتسع عراقي وثمان في غيره، وخلافهم في موضعين : الأول ﴿ **من قبله العذاب** ﴾ [٣] عده الكوفي . الثاني : ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ [٢٧] عده البصري (سعادة الدارين / ٧٢) أي أن البصري زاد ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ فجعلها تسعا وعشرين آية ، وكذلك جعلها الكوفي إلا أنه زاد ﴿ **من قبله العذاب** ﴾ (الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف / ١٣٤) .

وعن ذلك الاختلاف بالنسبة لسورة الحديد وسورة المجادلة يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي في منظومته الموسومة بنفائس البيان :

قبلـه العـذاب عـن كـوفيهـم
وعـدد الإنجيـل عـن بصـريهـم
وفـي الأذلين المـدنـي الثـانـي
وأيضـا المكـي يهمـلان

ثم يشرح الناظم البيتين فيقول :

وأقول المعنى أن قوله تعالى ﴿ **من قبله العذاب** ﴾ [٣] ثابت عده عن الكوفيين دون غيرهم، وأن قوله تعالى ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ [٢٧] ثابت عده عن البصري دون سواه، وهذان الموضعان في سورة الحديد . وفي سورة المجادلة موضع واحد مختلف فيه، وهو قوله تعالى ﴿ **أولئك في الأذلين** ﴾ وقد بينت في البيت الثاني أن المدني الثاني والمكي يهملان عده فغيرهما يعده والله تعالى أعلم (نفائس البيان / ٤٦) .

قال الإمام الفيروزابادي : وكلماتها خمسمائة وأربع وأربعون، وحروفها ألفان وأربعمائة وست وسبعون مجموع فواصل آياتها « من بزٍّ ردَّ » على الزاي ﴿ **إن الله قوي عزيز** ﴾ [٢٥]، وعلى الدال ﴿ **هو الغني الحميد** ﴾ [٢٤] سميت سورة الحديد لقوله تعالى فيها : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ [٢٥] .

معظم مقصود السورة : الإشارة إلى تسبيح جملة المخلوقين والمخلوقات في الأرض والسموات ، وتنزيه الحق تعالى في الذات والصفات، وأمر المؤمنين بإنفاق النفقات والصدقات، وذكر حيرة المنافقين في صحراء العرصات وبيان خسة الدنيا وعز الجنات، وتسلية الخلق عند هجوم النكبات والمصيبات، في قوله : ﴿ **وأن الفضل بيد الله** ﴾ [٢٩] بهذه الآيات .

ويعلق محقق الكتاب الأستاذ محمد على النجار على ذلك بقوله : الذى يناسب التسلية عند المصيبات قوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ﴾[٢٢] .

والسورة محكمة : ليس فيها ناسخ ولا منسوخ (بصائر ذوى التمييز ١/ ٤٥٣) .

وعن وجه اتصال سورة الحديد بسورة الواقعة التى تسبقها يقول الحافظ السيوطى : قال بعضهم : وجه اتصالها بالواقعة أنها قدمت بذكر التسبيح، وتلك خُتمت بالأمر به قلت : وتمامه : أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به، وكأنه قيل : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (آخر الواقعة) لأنه ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض ﴾ (أول الحديد)(تناسق الدرر / ١٢١، ١٢٢) .

المتشابهات :

ورد كل من اسرار التكرار للكرمانى وبصائر ذوى التمييز للفيروزابادى ما نصه :

قوله تعالى : ﴿ سبح لله ﴾ [١] وكذلك فى الحشر، والصف، ثم ﴿ يسبح ﴾ فى الجمعة [١] والتغابن [١] هذه كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالمصدر فى بنى إسرائيل (الإسراء) لأنه الأصل، ثم بالماضى؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمستقبل، ثم بالأمر فى سورة الأعلى؛ استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها. وهى أربع : المصدر، والماضى، والمستقبل، والأمر للمخاطب .

قوله تعالى : ﴿ ما فى السموات والأرض ﴾ [١] وفى السور الخمس ﴿ ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ [١] إعادة (ما) هو الأصل . وخصت هذه السورة بالحذف، موافقة لما بعدها وهو ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ [٤] وبعدها ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ [٢، ٥] لأن التقدير فى هذه السورة : سبح لله خلق السموات والأرض ولذلك قال فى آخر الحشر بعد قوله : ﴿ الخلق البارئ المصور ﴾ (آخر السورة) ﴿يسبح له ما فى السموات والأرض ﴾ أى خلقهما .

قوله تعالى : ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ [٢] وبعده: ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾[٥] ليس بتكرار، لأن الأولى فى الدنيا، لقوله تعالى : ﴿ يحيى ويميت ﴾ والثانية فى العقبى؛ لقوله تعالى : ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾[٥] .

قوله تعالى : ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [٧] بزيادة (هو) لأن ﴿ بشراكم ﴾ مبتدأ ﴿ وجنٰت ﴾ خبره ﴿ تجرى من تحتها ﴾ صفة لها ﴿ خٰلدين فيها ﴾ حال ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما قبله. و ﴿ هو ﴾ تنبيه على عظم شأن المذكور ﴿ الفوز العظيم ﴾ خبره .

قوله تعالى ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينٰت ﴾ [٢٥] ابتداء كلام ﴿ولقد أرسلنا ﴾ [٢٦] عطف عليه .

قوله : ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم﴾ [٢٢]، وفى التغابن ﴿ من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ [١١] فصل فى هذه السورة ، وأجمل هناك ، موافقة لما قبلها فى هذه السورة، فإنه فصَّل أحوال الدنيا والآخرة فيها، بقوله : ﴿اعلموا أنما الحيٰوة الدنيا لعب ولهوٌ وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ [٢٠] (أسرار التكرار / ١٩٩ ـ ٢٠١) وبصائر ذوى التمييز ١/ ٤٥٤، ٤٥٥) .

وعن أسباب نزول بعض آيات سورة الحديد يقول الإمام السيوطى، وقد استخدم الحرف « ك » رمزا لزيادته على أسباب النزول للواحدى :

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن عبد العزيز بن أبى رواد أن أصحاب النبى ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك ، فنزلت ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾[١٦] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان قال : كان أصحاب النبى ﷺ قد أخذوا فى شيء من المزاح ، فأنزل الله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية .

وأخرج عن السدى عن القاسم : مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة ، فقالوا حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾[يوسف : ٣] ثم ملوا ملة ، فقالوا حدثنا يارسول الله ، فأنزل الله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾[١٦] .

وأخرج ابن المبارك فى الزهد أنبأنا سفيان عن الأعمش قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه ، فنزلت ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ﴾ الآية .

قالت المؤلفة : أورد الإمام الواحدى سببا آخر لنزول هذه الآية [١٦] فقال : قوله تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ [١٦] قال الكلبى ومقاتل : نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا : حدثنا عما فى التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية : وقال غيرهما : نزلت فى المؤمنين .

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر قال : أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال : أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى قال : حدثنا إسحاق ابن راهويه قال : حدثنا عمرو بن محمد القرشى قال : حدثنا خلاد بن الصفار، عن عمرو بن قيس الملائى عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد قال : أنزل القرآن زمانًا على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً فقالوا : يا رسول الله، لو قصصت، فأنزل الله تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ [يوسف : ٣] ، فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث** ﴾ [الزمر : ٢٣] قال : كل ذلك يؤمرون بالقرآن ، قال خلاد : وزاد فيه آخر قالوا : يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾[١٦] (أسباب النزول للواحدى (٢٧٢)) .

ونعود إلى السيوطى الذى يقول :

وأخرج الطبرانى فى الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس : أن أربعين من أصحاب النجاشى قدموا على النبى ﷺ فشهدوا معه أُحدًا ، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا يا رسول الله : إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسى بها المسلمين، فأنزل الله فيهم ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ﴾ [القصص : ٥٢] فلما نزلت قالوا : يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فأنزل الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾[٢٨] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل قال : لما نزلت ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ [القصص : ٥٤] ، فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبى ﷺ، فقالوا : لنا أجران ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة ، فأنزل الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾[٢٨] فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمنى أهل الكتاب .

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت ﴿ **يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾[٢٩] .

ك ، وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبى فيقطع الأيدى والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا ، فأنزل الله ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾ [٢٩] يعنى بفضل النبوة (أسباب النزول للسيوطى / ٢٦٢، ٢٦٣) .

ويوضح الإمام السيوطى ما أبهم من أسماء وردت فى سورة الحديد فيقول : ﴿ **فضرب بينهم بسور** ﴾ [١٣] قال مجاهد : هو الحجاب الذى فى سورة الأعراف (المذكور فى قوله تعالى : ﴿ **وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم** ﴾ [الأعراف : ٤٦] بينهما : أى بين الجنة والنار، وقيل : بين أهل الجنة وأهل النار. حجاب : سور وحاجز)

وقال قتادة : حائط بين الجنة والنار. أخرجهما ابن أبى حاتم .

﴿ **الغرور** ﴾ [١٤] : الشيطان .

﴿ **وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه** ﴾ [٢٧] : قال ابن جرير: هو النبى ﷺ . أخرجه ابن أبى حاتم (مفحمات الأقران/ ١٠٥، ١٠٦) .

ويطرح الإمام الرازى أسئلة عما قد يوهم وجود تعارض بين بعض آيات سورة الحديد ، ثم يجيب عن هذه الأسئلة بطريقة « فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالى :

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **وما لكم لا تؤمنون بالله** ﴾ [٨] ثم قال سبحانه ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ ؟

قلنا : معناه إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فإن شريعتهما تقتضى الإيمان بمحمد ﷺ

الثاني : إن كنتم مؤمنين بالميثاق الذى أخذه عليكم يوم أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام .

الثالث : أن معناه : أى عذر لكم فى ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج ، وقد ركّب الله تعالى فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم ، فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين بموجب ما ، فإن هذا الموجب لا مزيد عليه .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ [١٠] ولم يذكر مع من لا يستوى ، والاستواء لا يتم إلا بذكر اثنين كقوله تعالى : ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب** ﴾ [المائدة : ١٠٠] ﴿ **لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة** ﴾ [الحشر : ٢٠] .

قلنا : هو محذوف تقديره : ومن أنفق وقاتل من بعد الفتح ، وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه .

فإن قيل : كيف يقال إن على الدرجات بعد درجة الأنبياء درجة الصديقين ، والله تعالى قد حكم لكل مؤمن بكونه صديقا بقوله تعالى ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصّديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ [١٩] .

قلنا : قال ابن مسعود ومجاهد : كل مؤمن صدّيق . الثانى أن الصِّديق هو كثير الصدق ، وهو الذى كل أقواله وأفعاله وأحواله صدق ، فعلى هذا يكون المراد به بعض المؤمنين لا كلهم . وقد روى عن الضحاك أنها نزلت فى ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض فى زمانهم إلى الإسلام ، وهم أبو بكر وعثمان وعلى وحمزة بن عبد المطلب وطلحة والزبير وسعد وزيد ، وألحق بهم عمر رضى الله عنهم فصاروا تسعة .

فإن قيل : كيف ذكر سبحانه هؤلاء المذكورين بكونهم شهداء ومنهم من لم يقتل ؟

قلنا : معناه أن لهم أجر الشهداء .

الثانى : أنه جمع شهيد بمعنى شاهد ، فمعناه أنهم شهداء عند ربهم على أنفسهم بالإيمان .

الثالث : أنه مبتدأ منقطع عما قبله لا معطوف عليه ؛ معناه : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم** ﴾ [٢١] والمسابقة من المفاعلة التى لا تكون إلا بين اثنين كقولك : سابق زيد عَمرا ؟

قلنا : قيل معناه سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم فى الميدان ، ويؤيد هذا القول مجيئه بلفظ « المسارعة » فى سورة آل عمران [١٣٣] وقيل سابقوا ملك الموت قبل أن يقطعكم بالموت عن الأعمال التى توصلكم إلى الجنة وقيل : سابقوا إبليس قبل أن يصدكم بغروره وخداعه عن ذلك .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ [٢١] وقال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿**وجنه عرضها السموات والأرض** ﴾ [١٣٣] فكيف يكون عرضها كعرض السماء الواحدة وكعرض السموات السبع ؟

قلنا : المراد بالسماء جنس السموات لا سماء واحدة ، كما أن المراد بالأرض فى الآيتين جنس الأرضين ، فصار التشبيه فى الآيتين بعرض السموات السبع والأرضين السبع .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ ولا أحد يملك نفسه عند مضرة تناله أن لا يحزن ، ولا عند منفعة تناله أن لا يفرح ، وليرجع كل واحد منا فى ذلك إلى نفسه ؟

قلنا : ليس المراد بذلك الحزن والفرح الذى لا ينفك عنه الإنسان بطبعه قسرا وقهرا ، بل المراد به الحزن المخرج لصاحبه إلى الذهول عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين ، والفرح المطغى الملهى عن الشكر ، نعوذ بالله منهما .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا معهم الكتاب والميزان** ﴾ [٢٥] والميزان لم ينزل من السماء ؟

قلنا : قيل المراد بالميزان هنا العدل : وقيل العقل . وقيل «السلسلة » التى أنزلها الله تعالى على داود عليه السلام . وقيل هو الميزان المعروف أنزله جبريل فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال له : مر قومك يزنوا به .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله** ﴾ [٢٨] مع أن المؤمنين مؤمنون برسوله ﷺ ؟

قلنا : معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد ﷺ ، فيكون خطابا لليهود والنصارى

خاصة ، وعليه الأكثرون . وقيل معناه : يا أيها الذين آمنوا يوم الميثاق اتقوا الله وآمنوا برسوله اليوم . وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا بالله فى العلانية باللسان اتقوا الله وآمنوا برسوله فى السر بتصديق القلب (مسائل الرازى وأجوبتها / ٣٣٦ ـ ٣٣٩ ، والأنموذج الجليل ٦/ ٤٧٣ ـ ٤٧٦) .

وكما فعل الإمام الرازى يدفع الشيخ الشنقيطى أيضا ما قد يوهم بوجود تعارض بين بعض آيات هذه السورة فيقول :

قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ [٤] يدل على أنه تعالى مستو على عرشه عال على جميع خلقه ، وقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [٤] يوهم خلاف ذلك .

والجواب : أنه تعالى مستو على عرشه كما قال بلا كيف ولا تشبيه ، استواء لائقا بكماله وجلاله ، وجميع الخلائق فى يده أصغر من حبة خردل فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام ، ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علوًا كبيرا ، فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق .

ألا ترى ولله المثل الأعلى أن أحدنا لو جعل فى يده حبة من خردل أنه ليس داخلا فى شىء من أجزاء تلك الحبة مع أنه محيط بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها والسموات والأرض ومن فيهما فى يده تعالى أصغر من حبة خردل فى يد أحدنا ، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى علوًا كبيراً . فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته بل من حبل وريده ، مع أنه مستو على عرشه لا يخفى عليه شىء من عمل خلقه ، جل وعلا (دفع إيهام الاضطراب / ٢٨٥) .

ويقسم حجة الإسلام الغزالى آيات القرآن الكريم إلى نمطين : جواهر ودرر. أما الجواهر فهى كما عرفها هى تلك الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة وهو القسم العلمى ، وأما الدرر فهى ما ورد فيه بيان الصراط والحث عليه وهو القسم العملى فالجواهر فى سورة الحديد ست آيات هى :

قوله تعالى : ﴿ **سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم * هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور** ﴾ [١ ـ ٦] .

وأما الدرر فهى ثمانى آيات :

قوله تعالى : ﴿ **وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبيرا** ﴾ [١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ **إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم * والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم * اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور* سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد** ﴾ [١٨ ــ ٢٤] (جواهر القرآن ودرره/ ١١٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧) .

أما من حيث رسم المصحف فقد ذكر الإمام أبو عمرو الدانى فى باب ما رسم فى المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل والموصولة على اللفظ أن « لكى لا » وردت موصولة ثلاثة أحرف فى سورة الحديد فى قوله تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ [٢٣] كما ذكر فى باب ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار أنهم كتبوا فى سورة الحديد ﴿ أين ما كنتم ﴾ [٤] مقطوعة ، وكتبوا ﴿ لكيلا تأسوا﴾ [٢٣] موصولة .

كذلك ذكر الإمام الدانى فى باب ما اختلفت فيه مصاحف

أهل الأمصار بالإثبات والحذف فقال : في الحديد [١١] في بعض المصاحف ﴿ فيضْعفه ﴾ بغير ألف ، وفي بعضها بالألف ، وفي الحديد [١٨] في بعضها ﴿ يضاعف لهم ﴾ بالألف ، وفي بعضها ﴿ يضْعف ﴾ بغير ألف .

قالت المؤلفة : في المصاحف التي عندي ، ويأتي بيانها، وورد في أحد عشر مصحفًا منها ﴿ فيضْعفه ﴾ [١١] و ﴿يضْعف ﴾ [١٨] بدون ألف، وورد في مصحف واحد هو مصحف العراق ﴿ فيضاعفه ﴾ [١١] و﴿ يضاعف لهم ﴾ [١٨] وبيان ذلك كما يلي .

الرسم : ﴿ فيضْعفه ﴾ [١١]، و ﴿ يُضْعفُ ﴾ [١٨] .

أ ـ المدينة المنورة : مصحف المدينة المنورة . مجمع خادم الحرمين لطباعة المصحف الشريف .

ب ـ مصر :

١ ـ طبع الأزهر الشريف ١٩٧٨ م .

٢ ـ طبع دار الغد العربي : المصحف المفسر للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

٣ ـ مطبعة الأنوار المحمدية لصاحبها على مرسى أبو العز

٤ ـ طبع جعفر محمد مصطفى .

٥ ـ دار الكتب الدينية للطباعة والنشر .

٦ ـ طبع عبد الرحمن محمد الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٨ م .

٧ ـ طبع مصر للطيران .

٨ ـ مصحف الشروق المفسر الميسر مختصر تفسير الإمام الطبري طبع دار الشروق .

جـ ـ سورية :

١ ـ مختصر تفسير الإمام الطبري . دار الفجر الإسلامي . دمشق بيروت الطبعة السادسة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

٢ ـ مكتبة الإحسان .

الرسم : ﴿ فيضاعفه ﴾ [١١]، و ﴿ يُضاعف لهم ﴾ [١٨].

د . العراق . وزارة الأوقاف والشئون الدينية . الطبعة الثانية ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

ويذكر الإمام الداني أيضا في باب ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من المصحف الإمام بالزيادة والنقصان أنه في الآية [١١] من سورة الحديد في مصاحف أهل الشام ﴿ وكلٌّ وعد الله الحسنى ﴾ بالرفع، وفي سائر المصاحف ﴿ وكُلاًّ ﴾ بالنصب، وأن في الآية [٢٤] في مصاحف أهل المدينة والشام « فإن الله الغنيّ الحميد » بغير « هو » ، وفي سائر المصاحف « هو الغني » بزيادة « هو » ، كما في مصحف أهل العراق (المقنع / ٨٠، ١٠٢، ١١٢، ١١٣) .

أما من حيث القراءات السبع بالنسبة لسورة الحديد كما حددها الإمام ابن مجاهد فبيانها كما يلي :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وقد أخذ ميثقكم ﴾ [٨] .

قرأ أبو عمرو وحده : (وقد أُخِذ ميثقكم) بضم الألف وكسر الخاء وضم القاف .

وقرأ الباقون : ﴿ وقد أخذ ميثقكم ﴾ بفتح الألف والخاء والقاف .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وكلا وعد الله الحسنىٰ ﴾ [١٠] .

كلهم قرأ : ﴿وكلا وعد الله الحسنىٰ ﴾ غير ابن عامر، فإنه قرأ: (وكلٌّ) بغير ألف رفعا، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ فيضْعفه له ﴾ [١١].

قرأ ابن كثير وابن عامر: (فيضعِّفه) مشددة العين . وابن كثير يرفع الفاء وابن عامر ينصبها .

وقرأ عاصم : ﴿فيضْعفه ﴾ بالألف وفتح الفاء .

وقرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي : (فيضْعفُه) / بالألف ورفع الفاء .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ انظُرونا ﴾ [١٣] .

قرأ حمزة وحده : (أنظِرونا) مقطوعة الألف مكسورة الظاء .

(معنى أنظرونا بهمزة مقطوعة : أمهلونا ، ومعنى انظرونا بهمزة موصولة : انتظرونا) .

وقرأ الباقون : ﴿ انظُرونا ﴾ موصولة الألف مضمومة الظاء

٥ ـ قوله تعالى : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ [١٥] .

قرأ ابن عامر فى رواية هشام : (فاليوم لا تؤخذ) بالتاء .

وروى ابن ذكوان عنه : ﴿ لا يؤخذ ﴾ بالياء .

وقرأ الباقون : ﴿ لا يؤخذ ﴾ بالياء .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿ وما نزل من الحق ﴾ [١٦] .

قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم : ﴿ وما نَزَل ﴾ خفيفة .

وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : (وما نزَّل) مشددة الزاى مفتوحة النون وروى عباس عن أبى عمرو : (وما نُزِّل) مرتفعة النون مشددة الزاى مكسورة .

٧ ـ قوله تعالى : ﴿ إن المصَّدقين والمصَّدقْت ﴾ [١٨] .

قرأ ابن كثير وعاصم فى رواية أبى بكر : (إن المصَدقين والمصدقْت) خفيفة الصاد .

وقرأ الباقون وحفص عن عاصم : ﴿ إن المصَّدقين والمصَّدقْت ﴾ مشددة الصاد .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ ولا تفرحوا بما آتْكم ﴾ [٢٣] .

قرأ أبو عمرو وحده : (بما أتْكُم) بألف مقصورة .

وقرأ الباقون : ﴿ بما آتْكم ﴾ ممدوداً .

٩ ـ قوله تعالى : ﴿ بالبخل ﴾ [٢٤] .

قرأ حمزة والكسائى : (بالبَخَل) مثقلة وقرأ الباقون : ﴿ بالبُخل ﴾ مضمومة خفيفة ليست فيها ياء إضافة .

١٠ ـ قوله تعالى : ﴿ فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ [٢٤] .

قرأ نافع وابن عامر : (فإن الله الغنى الحميد) ليس فيها (هو) ، كذلك هى فى مصاحف أهل المدينة والشام .

وقرأ الباقون : ﴿ هو الغنى الحميد ﴾ وكذلك هى فى مصاحف أهل مكة والعراق (كتاب السبعة فى القراءات / ٦٢٥ ـ ٦٢٧) .

وفيما يلى ما جاء من نظم عن هذه القراءات فى حرز الأمانى للإمام الشاطبى ، يعقبه شرح للشيخ على محمد الضباع ، وقد وضعت الحروف التى تميز القراء السبعة بين أقواس قال الناظم رحمه الله :

... ...

وقد أخذ اضمم واكسر الخاء (حـ) ـولا

وميثاقكم عنه وكل (كـ) ـفى وأنـ ❊

ظرونا بقطع واكسر الضم (فـ) ـيصلا

ويؤخذ غير الشام ما نزل الخفيـ

ـفُ (إ) ذ (عـ) ـز والصادان من بعد (د) م (صـ) ـلا

وآتاكم فاقصر (حـ) ـفيظًا وقل هو الـ

ـغنى هو احذف (عم) وصلا موصلا .

(من حرز الأمانى / ١٨٥)

ويشرح الشيخ على محمد الضباع الأبيات بقوله .

قرأ أبو عمرو ﴿ أخِذ ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء ﴿ميثاقكم﴾ بالرفع والباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب ميثاقكم . وقرأ ابن عامر ﴿ وكل وعد ﴾ برفع اللام والباقون بنصبها قرأ حمزة (أنظرونا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة وابتدائها بالضم وضم الظاء . قرأ ابن عامر ﴿ لا يؤخذ ﴾ بتاء التأنيث والباقون بياء التذكير قرأ نافع وحفص (وما نزل) بتخفيف الزاى والباقون فيهما والباقون بتشديدها . قرأ ابن كثير وشعبة (المصدقين والمصدقات) بتخفيف الصاد فيهما والباقون بتشديدها قرأ أبو عمرو (بما آتاكم) بقصر الهمزة والباقون بمدها . قرأ نافع وابن عامر (فإن الله الغنى) بحذف لفظ هو والباقون هو الغنى بإثباته (تقريب النفع / ١٨٥) .

وأما الحروف التى وضعت بين أقواس فترمز إلى أسماء القراء التى وردت فى النظم والشرح وهى :

ح : أبو عمرو .

ك : ابن عامر .

ف : حمزة .

أ : نافع .

ع : حفص .

د : ابن كثير .

ص : شعبة .

أما عن أنواع الوقف فى سورة الحديد ، وهى التام ، والكافى والحسن والقبيح فقد بينها الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى :

﴿ العزيز الحكيم ﴾ [١] تام ، وكذلك عامة فواصلها ، ﴿ثم استوى على العرش ﴾ [٤] تام ، ومثله ﴿ وما يعرج فيها﴾ ومثله ﴿ أينما كنتم ﴾ ومثله ﴿ له ملك السماوات والأرض ﴾ [٥] وقيل هو كاف ، ومثله ﴿ بالله ورسوله ﴾ [٧] ومثله ﴿ مستخلفين فيه ﴾ ومثله ، ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله ﴾

﴿ إلى النور ﴾ [٩] تام ، ومثله ﴿ من قبل الفتح وقاتل ﴾ ومثله ﴿ من بعد وقاتلوا ﴾ [١٠] ومثله ﴿ وعد الله الحسنى ﴾ وهو أتم منه ، وآخر الآية أتم ﴿ بأيمانهم ﴾ [١٢] كاف .

ومثله ﴿ فالتمسوا نورا ﴾ [١٣] ومثله ﴿ من قبله العذاب ﴾ وهو رأس آية في الكوفي وقال نافع والدينوري ﴿ له باب ﴾ [١٣] تام ، وقالا ﴿ قالوا بلى ﴾ تام ، وهما كافيان ، ﴿ هي مولاكم ﴾ [١٥] كاف ، ومثله ﴿ من الحق ﴾ [١٦] ورؤوس الآي تامة ﴿ هم الصديقون ﴾ [١٩] تام ، على قول من جعل قوله ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ مبتدأ وخبره في المجرور في قوله ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ [١٩] ومن جعل ذلك نسقا على ﴿ هم الصديقون ﴾ فالتمام ﴿ عند ربهم ﴾ والأول قول ابن عباس ومسروق ، والثاني قول مجاهد والضحاك وروى زيد بن أسلم عن البراء عن النبي ﷺ أنه قال ، « مؤمنو أمتي شهداء » ثم تلا الآية إلى قوله : ﴿ عند ربهم ﴾ حدثنا أحمد بن محمد بن بدر القاضي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا إبراهيم الهروي قال : حدثنا هشيم قال : حدثنا منصور عن الحسن قال : من سأل الله الشهادة مخلصا من قلبه ثم مات على فراشه فهو شهيد ثم تلا هذه الآية ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ﴾ ﴿لهم أجرهم ونورهم ﴾ [١٩] تام . على القولين ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ تام ، ومثله ﴿ وحطاما ﴾ [٢٠] ومثله ﴿ورضوان﴾ ومثله ﴿ الغرور ﴾ ﴿ بالله ورسله ﴾ [٢١] كاف ومثله ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ ﴿ العظيم ﴾ تام، ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ [٢٢] كاف ومثله ﴿ بما آتاكم ﴾ [٢٣] ﴿ بالبخل ﴾ [٢٤] تام وقيل كاف . ﴿ الغني الحميد ﴾ تام . ﴿ ورسله بالغيب ﴾ [٢٥] كاف ورأس الآي أتم . ﴿ رأفة ورحمة ﴾ [٢٧] كاف وقيل تام ، ثم يبتدئ ﴿ ورهبانية ﴾ أي ، وابتدعوها رهبانية . حدثنا محمد بن عبد الله قال : حدثنا أبي قال : حدثنا علي قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا يحيى بن سلام في قوله ﴿رأفة ورحمة ﴾ تم الكلام قال : ثم استأنف الكلام فقال : ﴿ورهبانية ابتدعوها ﴾ لم يكتبها الله عليهم ، ولكن ابتدعوها ليتقربوا بها إلى الله عز وجل ، قال الحسن : ففرضها الله عليهم ﴿ إلا ابتغاء رضوان الله ﴾ [٢٧] كاف ومثلهم ﴿منهم أجرهم ﴾ ﴿ فاسقون ﴾ تام ﴿ ويغفر لكم ﴾ [٢٨] كاف ﴿غفور رحيم﴾ تام ومثله ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ [٢٩] أي كاف (المكتفى / ٣٤٦، ٣٤٧) .

(سعادة الدارين في بيان آي معجز الثقلين - محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد / ٧٢ ، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي - تحقيق د . غانم قدوري حمد / ١٣٤ ، ونفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن - الشيخ عبد الفتاح القاضي / ٤٦ ، وبصائر ذوي التمييز للإمام الفيروزابادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢ / ٤٥٣ - ٤٥٥ ، وتناسق الدرر في تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٢١ ، ١٢٢ ، وأسرار التكرار في القرآن أو البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩٩ - ٢٠١ ، وأسباب النزول للواحدي النيسابوري / ٢٧٢ ، وأسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول) للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق وتعليق الأستاذ قرني أبي عميرة / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن لجلال الدين السيوطي - ضبطه وعلق عليه د . مصطفى ديب البغا/ ١٠٥ ، ١٠٦ ، ومسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل لزين الدين الرازي - تحقيق وتصحيح إبراهيم عطوة عوض . ط مصطفى البابي الحلبي/ ٣٣٦ - ٣٣٩ ، والأنموذج الجليل من غرائب آي التنزيل وهو نفس الكتاب السابق ذكره ونفس المحقق . هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤٠٠ هـ ، ٦ / ٤٧٣ - ٤٧٦ ، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي / ٢٨٥ ، وجواهر القرآن ودرره للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي / ١١٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو الداني - تحقيق محمد الصادق قمحاوي / ٨٠ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد - تحقيق د . شوقي ضيف ٦٢٥ - ٦٢٧ ومتن حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بالشاطبية للإمام الشاطبي، وتقريب النفع في القراءات السبع المطبوع بهامشه - الشيخ علي محمد الضباع / ١٨٥ ، والمكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني - دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

انظر أيضا بقية المراجع التي أوردناها في مادة الحجر (سورة -) .

حديقة الأديب وطريقة الأريب :

حديقة الأديب وطريقة الأريب - لجلال الدين السيوطي جمع فيه أشعاره ثم لخص منه أبياتا وسماه نور الحديقة .

(كشف الظنون ١/ ٦٤٤) .

حديقة الأزهار فى شرح ماهية العشب والعقار :

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة

لقاسم بن محمد بن إبراهيم الوزير الغسانى المولود سنة ٩٦٠ هـ .

(فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط ٢/ ٣٤٦، ٣٥٢) أوله : الحمد لله الذى انفرد بالبقاء والقدم .

وآخره : شجرة الزيتون، وقد تقدم شرحها فى باب الزاى .

وهنا انتهى القول فى شرح الأدوية المفردة .

نسخة بقلم مغربى، بأولها ترجمة للمؤلف .

١١٨ صفحة ٢٦ سطراً

[الرباط ٧٦٠ د]

Unesco

نسخة أخرى

بقلم مغربى من القرن الحادى عشر تقديراً .

ضمن مجموعة من ص ١١٧ إلى ٢٢٤ ٢٦ سطراً

[الزاوية الحمزاوية ـ الرباط ٧١]

Unesco

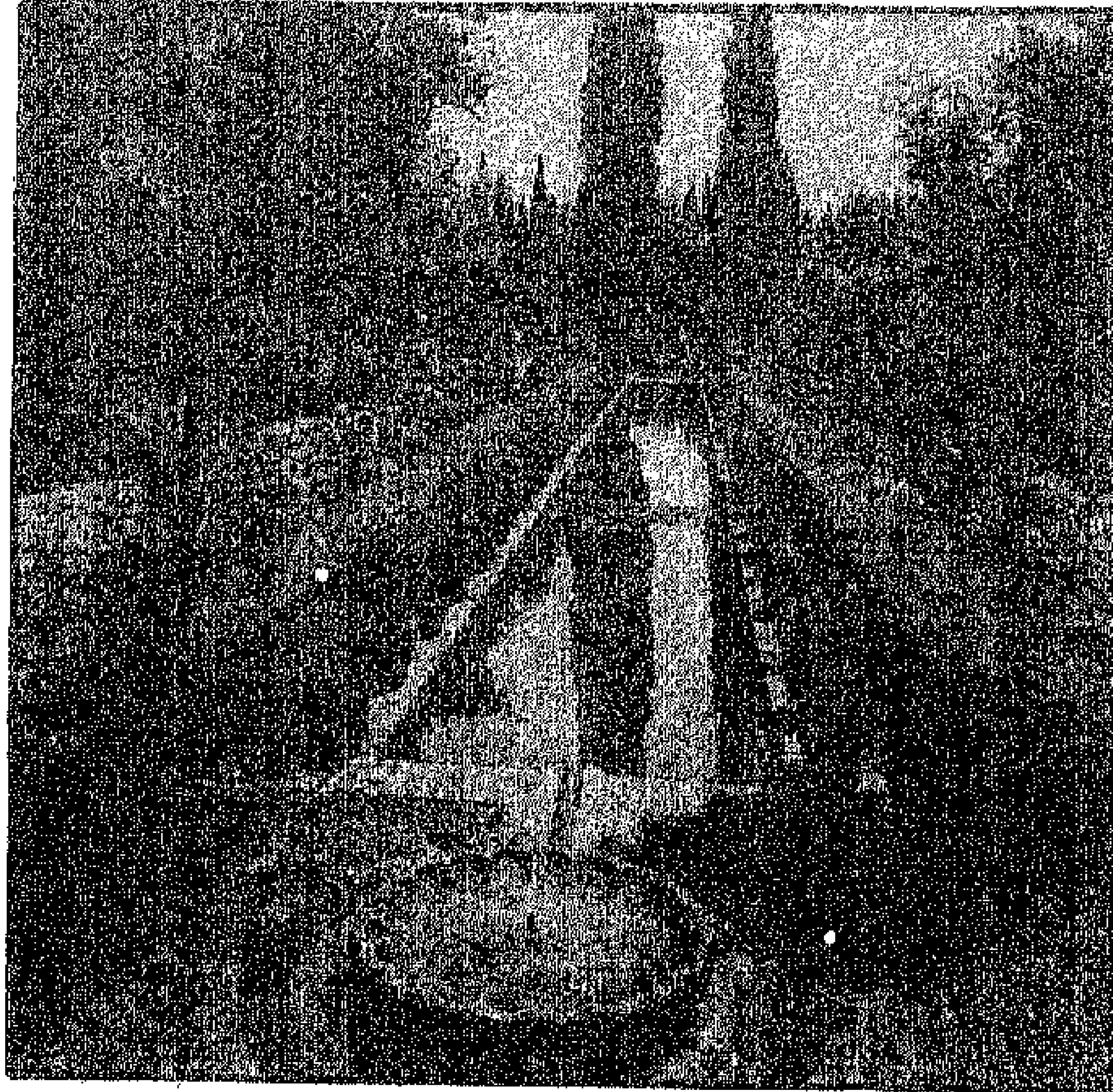
(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب، الكتاب الثانى. القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م/ ٨١، ٨٢).

الحديقة الأندلسية :

يصف الأستاذ وجدان على بن نايف الحديقة الأندلسية بصفة خاصة والحديقة الإسلامية بصفة عامة وذلك من المنظور الإسلامى فيقول :

شغف الأندلسيون بالحدائق والجنان، وتمكن مؤرخو الفن أن يعيدوا بناء الروضة الأندلسية مستندين على الآثار الباقية للحدائق العربية فى إسبانيا، ومن وصف تلك الحدائق فى الشعر الأندلسى المتمثل بشعر النوريات وشعر الروضيات كشعر ابن خفاجة .

والحديقة ـ من المنظور الإسلامى ـ تمثل انعكاسا للجنة فى الآخرة فالفردوس، والجنة، والروضة كلها مرادفات للحديقة، وكذلك للمقبرة مثل الروضة النبوية الشريفة، واهتم المسلمون عامة بمكان وضع قبورهم، وغالبا ما كانوا يضعونها فى حدائق وارفة الظلال، ويزرعون حولها الزهور والأشجار، وكأنما يرمز دفن الشخص فى هذا الجو الجميل



٣٠ ـ منظر لبركة ونافورة في جنة العريف.

إلى انتقاله من عالم الفناء إلى الجنة، أو على الأقل ليطمئن صاحب القبر إلى أن مدة انتظاره ما بين الموت والبعث ستكون فى مكان أقرب ما يمكن شبها بالجنة التى يتمناها كل مسلم، وقد وضع الأندلسيون الأصول الثابتة لحديقتهم وأهمها :

١ ـ الماء الجارى الذى يعتبر من أهم مقومات الحديقة الأندلسية، كما يكوِّن مجرى الماء المحور الأساسى الذى توزع منه أقسام الحديقة، والماء ضرورى لترطيب الجو، وهو يرمز إلى الحياة ﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وعلى جانبى مجرى الماء تقع ممرات المشاة، وتتفرع من المحور الرئيسى محاور ثانوية قد لا تحمل المياه، وإنما وظيفتها ربط أجزاء الحديقة بعضها ببعض، وأخيرا لا بد من وجود بركة تصب فيها القنوات التى تكون على مستويات مختلفة، ويتعرج بعضها كأنها الأفعى، وتزرع حول البركة شجيرات الآس التى تساعد على الإقلال من تبخر المياه، كما هو الحال فى باحة الآس فى قصور الحمراء .

٢ ـ العنصر الثانى فى الحديقة الإسلامية عامة، والأندلسية خاصة : هو وجود استراحة يجلس فيها صاحب الحديقة وزواره وندماؤه للاستمتاع بها، وغالبا ما تكون بجانب بركة الماء، ولا سيما إن كانت البركة كبيرة فتنعكس صورة الاستراحة فوق سطح الماء مكونة منظرا جميلا، وتكون الاستراحة الأندلسية عادة فى وسط الحديقة محاطة بأقواس متقاطعة وفردية تحمل سقفا مسطحا أو قبة، بينما واجهاتها الأربع تبقى مفتوحة كى يتمتع الجالس فيها بالمنظر من كل الجوانب، وتتسلقها أشجار الياسمين والورود الحمراء .

٣ ـ أما العنصر الثالث للحديقة فهو شكلها المستطيل، ومن أجل الاحتفاظ بالتوازن الهندسى ولأسباب أمنية يعمَّر بيت السكن فى أحد طرفيه، ويفضَّل أن يكون على مكان مرتفع إن أمكن ذلك، كما يستحسن أن تكون واجهته جنوبية .

٤ ـ يشكل ترتيب النباتات العنصر الرابع للحديقة الأندلسية، فتزرع الزهور فى الأقسام الأمامية والمجاورة للقناة المحورية، تليها النباتات المتسلقة، ثم أشجار الفاكهة كالتين والرمان، وأخيرا الأشجار الكبيرة التى تشكل حاجزا ضد الريح، فيأتى ترتيبها حسب ارتفاعها .

وقد اكتشف باحثو الآثار ثمانى حدائق أندلسية فى إسبانيا، تمكنوا من معرفة تقسيماتها والمنشآت التى كانت عليها، كما تمكنوا من معرفة ما كان يزرع فيها، وذلك من لقاح الزهور الذى عثروا عليه بين الأنقاض .

حدائق مدينة الزهراء : تم اكتشاف حديقة فى مدينة الزهراء تتبع نفس تخطيط حديقة القلعة الحمراء فى دلهى بالهند، والتى جاءت بعد سبعة قرون من حديقة الأندلس، ويقسم تصميمها إلى أربعة أجزاء ففيها بركة ماء كبيرة تنعكس عليها واجهة إحدى القاعات، كما توجد فيها استراحة كبيرة تنعكس واجهتها الشمالية فى نفس البركة، بينما تنعكس واجهاتها الشرقية والجنوبية فى برك أصغر، ويتم رى الحديقة بواسطة قنوات تمتد على جانبى الممرات، وفيها فتحات تصب فى أحواض الزهور الغائرة بعمق ثلاثة أمتار عن مستوى سطح الأرض، وتزود هذه القنوات بالماء بركا أخرى، بينما تزين حيطان الحديقة الغائرة أقواس عمياء، هى أقواس سدت فتحاتها بالطوب وتخدم أغراضا زخرفية بحتة، تمر فوقها أنابيب ماء من الخزف غير المشوى .

وأحواض الزرع الغائرة هى إحدى ميزات الحديقة الأندلسية، ويراد منها إيهام المتنزه بأنه يمشى على بساط من الورود والزهور والخضرة، لأن الناظر لا يرى أمامه إلا مساحة مفروشة بالزهر والخضرة .

وقد وصَلنا وصف لباحة مصلَّبة الشكل، ومقسمة إلى أربعة أقسام بواسطة الممرات المحمولة على أقواس من الطوب والحجر، وزعت فى الأحواض الأربعة الغائرة أشجار البرتقال، تكاد قممها تصل إلى مستوى الممرات المتقاطعة فى الأعلى، بينما زينت الجدران الجانبية لبعض هذه الأحواض بالجداريات الملونة من أجل تزيين الحديقة عندما تفقد الأشجار أوراقها الخضراء، وإعطائها ألوانا بهيجة فى فصل الشتاء .

ويَعزو المؤرِّخون سببَ بناء الحديقة الغائرة تحت الأرض إلى أنَّها أولاً: تُعطى في الصيف ظِلاً وارفًا للطبقة السُّفليَّة،

وتُرطِّبُ الجوَّ وتخفِّفُ من حرارته، وثانيًا: تحافظ على التَّوازُن الهندسيِّ للحديقة، وثالثًا: مهما كَبِرَت الأشجارُ والنباتات فهي لا تتداخلُ أو تتطفَّلُ على عِمارةِ الأبنية الموجودة على سطح الأرض فتُقلِّلُ من ميزاتِها العمرانيَّة، ورابعًا: أنها بالنسبةِ للناظر تُحوِّلُ أرضَ الحديقة إلى سجادة من الورد مطرَّزة بالألوان، إذ لا يُرى من النباتات إلا رؤوسُها، وتَتكرَّرُ ظاهرةُ أحواض الزُّهور الغائرة في الحديقة الهندية، ولا تزالُ موجودةً في الحديقة المغربية إلى يومنا هذا، وتُعتبرُ الحديقةُ الأندلسية مثالاً للحديقة العربية، إذْ لم تَدخُلْ عليها أيُّ تأثيرات فارسية أو هندية أو غيرها.

وتَجمعُ الحديقةُ العربية بين الزهور والأشجار المثمرة والأعشاب ذات الرائحة الزكية التي تُستعمل في تتبيل الطعام، وبهذا نَراها تَختلِفُ عن الحدائق الأوروبية التي تُقسَمُ إلى حديقة للمنزل وحديقةٍ للمطبخ وبستان للفواكه، وكلُّ واحدٍ منها منفصل عن الآخر انفصالاً كليًّا.

ومن كتب الأدبِ وعلم البَستنة كتاب «البديع في وصفِ الربيع» للحِمْيري، وكتاب ابن العوام في الفلاحة، استطاع الباحثون التوصُّلَ إلى معرفة أنواع النباتات التي كانت تُزرَعُ في الحديقة العربية الأندلسية وهي: الآسُ أو الرَّيحان، والياسمين، وكان يُزرعُ بجانب الحوائطِ البيضاء من أجل التخفيف من رتابَتِها بواسطة أوراقها الناعمةِ الخضراء، والياسمين الأصفر، والنَّرجس، والبنفسج، والمنثور، والنَّرجِس القدسي، والورد، ولا سيَّما الأحمر منه، والسوسن، والخزامى، والنَّيْلوفَر، وزهر اللوز، والأُقحوان، وشقائق النُّعمان، وزهر البقيلا، أو زهر البقول، وزهر الرمان والجُلَّنار، وهو زهر شجر الرمان البري، والحَبَقُ، والقَرَنْفُل، والدُّفْلة، والمَرْدَقُوش، والزَّعتر، والنعنع، والزَّعفران، والقُلْقاس، وشجر الليمون، والرَّنْد، والكَرمَة، والنخيل، وأشجار البرتقال، والإجَّاص، والقراصِيَة، والخوخ، والتُّوت، والخَرُّوب، والمَوز، والسَّرو، والصَّفْصاف، والسَّفَرجَل، والتفاح، والحَنظَل، والتين، وتفاحةُ الجن، وكان لكلٍّ من هذه النباتات والأشجار مكانُها المعروف حسبَ طولِها ولونها ورائحتِها.

وتحيط بالحديقة العربية أسوارٌ عاليةٌ تَفصِلُها عن العالم الخارجي وتحميها من ضَوضاءِ الشارع وصَخَبِه، وتُوفِّرُ جوًّا من العُزلة عابقٌ بالشَّذَى والأشكالِ والألوان الجذَّابة.

(الأيوبيون، العباسيون، الأندلسيون ـ وجدان على بن نايف / ٢٠٨ ـ ٢١٢).

حديقة البلاغة ودوحة البراعة OP. 1579

من المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا.

تأليف أبو الطيب عبد المنعم بن منَّ الله بن أبى بحر الهوارى القيروانى.

وقد ضمَّن أبو الطيب كتابه ذكرًا للمآثر العربية ونشرًا للمفاخر الإسلامية موردًا مختارات من الشعر العربى الجيد فى عصوره الأولى، ورسائل شهيرة تمتاز بعلو أسلوبها وإحكام صياغتها وسمو لغتها كرسائل ابن العميد والقاضى الفاضل وغيرهما.

ويبدو أن ـ كما قال صاحب الكشف ـ من كتابه هذا الرد على من ينتقص العرب ويفضل عليهم العجم. قال صاحب الكشف في حديثه عن هذا الكتاب: رسالة فى ذكر المآثر العربية ونشر المفاخر الإسلامية للفقيه أبى الطيب عبد المنعم ابن منَّ الله المعروف بابن غلبون المتوفى سنة ٣٨٩ رد فيه ما صنفه أبو عامر بن حرسنه (حرشنه) فى تفضيل العجم على العرب.

أوله بعد البسملة والحمد له:

وذى خطل في القول يحسب أنه
مصيب فما يُلممْ به فهو قائله

آخره: «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين»

النسخة تامة بحالة حسنة، خطها النسخ المعتاد، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ (٥٥) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

(فهرس المخطوطات المصورة المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢ / ٢٣٦، ٢٣٧، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٤٤، ٦٤٥).

حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة

حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة المعروف بفخرى نامه فارسى منظوم لأبى المجد ـ محمد ـ بن آدم الشهير بالحكيم السنابى المتوفى سنة ٥٢٥ خمس وعشرين وخمسمائه نظمه في البحر الخفيف لبهرام شاه (الغزنوى) ورتب على عشرين بابا فى التوحيد وكلام الله ونعت الرسول وفضل الصحابة والخلفاء وفضل السيدين الشهيدين والإمامين أبى حنيفة والشافعى والعقل والعلم والعشق والقلب والتصوف وصفة المبشر والشيخوخة وغور الغفلة والحكمة والشهوة وصفة الأفلاك والربيع ومدح بهرام شاه ومدح ولده دولتشاه والحكم والأمثال فرغ من نظمه سنة ٥٢٤ أربع وعشرين وخمسمائة ثم كتب محمد بن على المعروف بالرفاء ديباجة منثورة.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٤٥)

حديقة الزهر فى عدّ آى السُّوَر:

حديقة الزهر فى عد آى السُّوَر: دالية للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبرى المتوفى سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة أولها. بدأت بحمد الله أول مقصدى. إلخ وهى ثمان وخمسون بيتا.

(كشف الظنون ١ / ٦٤٥)

حديقة الزوراء في سيرة الوزراء:

من مخطوطات التراجم فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٣٢٢٨

لأبى الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين البغدادى السويدى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م.

الأول: (إن أحسن ما تحلى به عرائس الطروس وأشهى ما ترتاح إليه نفائس النفوس وأجمل ما يرد به صولة الدهر..)

وهو كتاب عن حياة والى بغداد حسن باشا وولد أحمد باشا الذي ولى بغداد بعده وما جرى فى أيامهما من الحوادث في العراق. رتبة المؤلف على أبواب.

نسخة جيدة كتبت بالمدينة المنورة لخزانة شيخ الإسلام سنة ١٣٦٤ / ١٩٤٤ م.

القياس ٢٥٠ ص ٢٣,٥ × ١٦,٥ سم ٣٤ س

معجم المؤلفين ٥ / ١٤٩ طبع فى بغداد ١٩٦٢ بتحقيق صفاء خلوصي.

* * *

نسخة أخرى

الرقم ١٤٦٧٣

كتبت بقلم جيد سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م.

القياس ٢٦٦ ص ٢٦,٥ × ١٨ سم ٢٥ س

* * *

نسخة أخرى

الرقم ٩٤٣٣

مصورة بالفوتوستات عن نسخة جيدة ومؤطرة.

القياس ٢٢١ ورقة ٢٧,٥ × ١٩ سم ٢١ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٢، ١٥٣).

حديقة السعداء:

حديقة السعداء ـ تركى ـ لمحمد بن سليمان الشاعر المعروف بالفضولى البغدادى المتوفى سنة ٩٦٣ ثلاث وستين وتسعمائة جمع فيه وقعة كربلا من كتاب روضة الشهداء وغيره ورتب على عشرة أبواب وخاتمة

(كشف الظنون ١ / ٦٤٥)

الحديقة فى شعراء الأندلس:

الحديقة في شعراء الأندلس « حديقة فى الأدب » ـ لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٩ تسع وعشرين وخمسمائة نسج فيه منوال اليتيمة للثعالبى.

(كشف الظنون ١ / ٦٤٦)

الحديقة المظفرية فى النكت الطبية:

. أحد مخطوطات الطب في مكتبة المتحف العراقي

الرقام ٣٧٧٠ ـ ١١

لسعيد بن الحسين البغدادي (رئيس الأطباء)

الأول (فصل لما كان العلم شرف، صارت صناعة الطب أشرف الصنائع لأن موضعها بدن الإنسان ...)

وهى رسالة في الأدوية والأشربة والأغذية ومنافعها وعلاجاتها. رتبها المؤلف على عدة فصول.

كتبت بخط النسخ وبالمداد الأسود أما الفصول وأسماء الأدوية فكتب [فكتبت] بمداد أحمر. كتبها حسين بن عبد القادر بن قطب الدين الطبيب فى أواخر صفر سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٠).

حديقة المناظرة وسلاح المحاورة:

حديقة المناظرة وسلاح المحاورة ـ مختصر على مقدمة وثلاثة أبواب المقدمة في بيان الماهية والأبواب فى أسباب المناظرة وأمور متعلقة بها وبتمثيلاتها أوله: الحمد لمن سمك السماء ووسمها ... إلخ وله شرح لطيف أوله: إن أيمن ما يحلى بذكره صدور الصحائف ... إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٦٤٥)

حديقة الموت (معركة) (١٢ هـ / ٦٣٣ م):

أشهر معارك حروب الردة، جرت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذى أرسله الخليفة أبو بكر الصديق، ومسيلمة بن حبيب الكذاب في اليمامة، بعد ارتداد بنو حنيفة ومن أيدهم من القبائل عن الإسلام وآمنوا بنبوة مسيلمة الكذاب. وكان أنصار مسيلمة كثيرون واشتد القتال بين الطرفين، وتساقط القتلى بأعداد كبيرة، واضطر المرتدون أن يتراجعوا إلى حديقة الموت فأغلقوا بابها، ولكن المسلمين اقتحموا الحديقة من أبوابها وحيطانها يقتلون مَنْ فيها مِن المرتدين. وقتل وحشى بن حرب مسيلمة وأجهز عليه أبو دُجانة، وانتهت المعركة التى سقطوا فيها آلاف المرتدين على رأسهم متنبئهم مسيلمة، بينما استشهد من المسلمين نحو ستمائة فيهم عدد من سادات الصحابة. وبنصر هذه المعركة قضى على أكبر حركة للمرتدين. كما كان من نتائجها أن بدأ أبو بكر رضى الله عنه يجمع القرآن الكريم بعد مقتل عدد كبير من حفاظه فى هذه المعركة.

(معجم المعاجم الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٣، ١٢٤).

الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد الآن) بدمشق الرقم ١٤٠٩ تصوف ٩١.

كتاب ضخم شرح به الطريقة المحمدية للبركوى ضمنه مسائل فى الفقهيات والمقامات والزهديات وفوائد علمية يغلب عليها الطابع الصوفى البحت.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الصالحى الدمشقى الحنفى القادرى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م.

أوله: الحمد لله الذى شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الأبرار، حتى سرح طرف قلوبهم فى الحدائق اليانعة من تلك المعارف والأسرار، وأذاقهم حلاوات مناجاته فى خلوات عباداته ...

آخره: الوصية من الميت باتخاذ الطعام وعمل الضيافة بذلك الطعام للناس يوم موته فى يوم أو يومين أو ثلاثة، وكذلك الوصية بإعطاء دراهم معدودة معلومة ...

الخط نسخى جميل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بماء الذهب.

اسم الناسخ: عمر بن عبد الله.

تاريخ النسخ: الخميس ٢٦ جمادى الثانية سنة ١١٨٠هـ.

ملاحظات: نسخة خزائنية مقابلة جيدة الورق والجلد من وقف الوزير محمد باشا العظم والى سورية على طلبة العلم بتاريخ ١١٩٠ هـ.

ـ نسخة ثانية

الرقم الجزء الأول ١٤٠٧ تصوف ٨٩ .

الرقم الجزء الثانى ١٤٠٨ تصوف ٩٠ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر الورقة الأولى مزخرفة بماء الذهب .

اسم الناسخ : محمد ابن الشيخ إبراهيم العجلونى .

تاريخ النسخ : الجمعة ١٩ جمادى الآخرة سنة ١١٨٦ هـ

ملاحظات : نسخة خزائنية مراجعة جيدة الجلد والورق من وقف محمد باشا العظم تاريخ الوقف سنة ١١٩٦ هـ.

نسخة ثالثة :

الرقم ٩١٢٠

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى دقيق واضح مختلف ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : الأوراق الأخيرة بخط عبد الجليل بن مصطفى بن إسماعيل النابلسى .

تاريخ النسخ : الأوراق الأخيرة سنة ١٢٣٢ هـ .

ملاحظات : نسخة بخطوط مختلفة وهى كانت بخط المؤلف ولكن سقط منها أوراق فى أزمنة مختلفة فأكملت بخطوط مغايرة كخط المؤلف .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات ١٨٣٣ ، عقود الجوهر ٥٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١ ، ابن شاشو ٦٧ .

طبعات الكتاب : ١ ـ على الحجر بمصر سنة ١٢٧٦ بـ مجلدين ، الأول ٤٦٢ ص ، الثانى ٥٠٩ ، ٢ الأستانة سنة ١٢٩٠ هـ بمجلدين .

قال الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس :

بعض نسخ الكتاب : رأيت نسخة منه مخطوطة فى خزانة الشيخ محمد النابلسى إمام جامع الشيخ عبد الغنى النابلسى بدمشق (فهرس الظاهرية / ٤٠٩ ـ ٤١١) .

كما يوجد مخطوطه فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا وجاء بيانه كما يلى ، وفيه وفاة المؤلف سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م) :

طبع حجر مصر ١٨٦٢ م

مكتوب بخط النسخ . الشارح يوضح اسم الأثر فى الصفحة الأولى .

أوله : كسابقه .

آخره : ... بموجب يقتضيه واصل الجبلة والطبيعة فيه على السخاء والجود والكرم .

مقياس المجلد : ٣٤ × ٣ .

مقياس الكتابة : ٢٨ × ١٦ .

عدد الأوراق : ١٢٠ .

عدد الأسطر : ٤٥ .

رقمه فى الخزانة : ١١٦٥ .

رقم المجلد : ١١٦ .

(المخطوطات العربية ق ٥/ ١٨٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٩ ـ ٤١١ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٠) .

الحديقة الندية والبهجة الخالدية فى آداب الطريقة النقشبندية:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن)

الرقم ٤٠٠٠ تصوف ١٧٦ .

جاء أن مؤلف هذا الكتاب لم يزل من سنة ١٢١٣ هـ وهو يطلب شيخاً كاملاً فلم يجد حتى ظهر الأستاذ خالد النقشبندى المجددى فانتسب إليه وألف هذا الكتاب ، وضمنه مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، فالمقدمة فى سلسلة النقشبندية والأول في علم الباطن ، والثانى : فى مناقب خالد النقشبندى ، والثالث شرائط للمريد وأذكار والخاتمة : فى الرد على المنكرين .

المؤلف : محمد بن سليمان البغدادى الحنفى النقشبندى المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩ م .

أوله : الحمد لله الذى فتح أقفال القلوب بمفاتيح الغيوب، وخص النفحات القدسية بطيب الهبوب، فأراح بها الأرواح وأوضح مشكلات السلوك والسير إلى ملك الملوك ...

آخره : فنقول إن ثبت أن إرشاده هو الشهرة والرياسة يثبت هذا وإلا فالمرشد الكامل له أن يؤذن لمن يراه أصلا فى إرشاد قومه أو غيرهم من النواحى كما فعل مثل ذلك كثير من الأولياء ...

الخط نسخى واضح معنونة بخط فارسى جميل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : عارف بن محيى الدين المحملجى.

تاريخ النسخ : محرم سنة ١٣٠٩ هـ .

ملاحظات : نسخة عادية مراجعة .

نسخة ثانية .

الرقم ٥١٧٨

أولها : كالسابقة .

آخرها : مخروم ينتهى بـ : هذا والذكر ريحانة القلوب وبه يحصل الأنس بالمحبوب قال الله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ﴿ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة .

الرقم ٥١٣٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ : محمود بن إسماعيل العش الشافعى .

تاريخ النسخ : ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٥٥ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة رابعة :

الرقم ٦١١١

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى جميل جدًّا، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

تاريخ النسخ : سنة ١٢١٤ هـ .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١/ ٣٩٩، معجم المطبوعات ٥٧٢و١٩٠٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٠/ ٤٨، الأنوار القدسية فى مناقب النقشبندية ٢٦١ .

طبعة الكتاب : ١ ـ بهامش أصفى الموارد بالمطبعة العلمية سنة ١٣١٣هـ بـ ١٢٠ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤١٢ـ٤١٤) .

حديقة الورود فى مدائح أبى الثناء محمود :

من مخطوطات التراجم فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٨٥٢٧

لعبد الفتاح الشواف المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٥ م

الأول (نحمدك يا محمود على جميل صفاتك وجليل ذاتك وجزيل هباتك ...)

نسخة جيدة تتضمن الجزئين الأول والثانى فى مجلد واحد كتبت سنة ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥ م .

القياس ٣٧٨ ص ٣٠ × ٢٠ سم ١٩ س

مخطوطات الأوقاف ٤ / ٢٢٥

نسخة أخرى

الرقم ٣٠٣٨٩

كتبها محمد محسن بن عبد الرحمن الخطيب فى جامع السهروردى سنة ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩ م.

القياس ٣٨٦ ص ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم ١٩ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٣، ١٥٤).

قالت المؤلفة : أبو الثناء محمود الآلوسى هو صاحب تفسير القرآن الكريم المعروف بروح المعانى فى تفسير القرآن

العظيم والسبع المثانى الذى ذكرناه ونقلنا عنه فى عدة مواضع من هذه الموسوعة، وقد أقررنا لأبى الثناء الآلوسى مادة بعنوان « الآلوسى (أبو الثناء) » فانظرها فى موضعها فى م ١/ ٥٥٤ـ ٥٦١ .

ابن الحذاء (٣٤٧ـ٤١٦ هـ / ٩٥٨ـ١٠٢٥ م) :

محمد بن يحيى بن أحمد التميمى ، أبو عبد الله ، المعروف بابن الحذاء ، باحث أندلسى ، من العلماء بفقه الحديث والتاريخ والأدب، من أهل قرطبة . ولى فيها خطة الوثائق السلطانية . وخرج منها فى الفتنة ، فاستقضى بمدينة تطيلة ، ثم نقل إلى قضاء مدينة سالم وصار إلى سرقسطة فتوفى بها . من كتبه « الاستنباط لمعانى السنن والأحكام من أحاديث الموطأ » ثمانون جزءا، و « التعريف بمن ذكر فى موطأ مالك، من الرجال والنساء » مخطوط فى خزانة القرويين، كتب سنة ٦٧٤، و « البشرى فى تأويل الرؤيا » عشرة أجزاء، و « الخطب وسير الخطباء » مجلدان .

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٣٦، ١٣٧ عن ابن الفرضى ٢/ ٨٧ وفهرسة ابن خير/ ٩٣، ٢٤٢، ٢٦٧، وشجرة النور/ ١١٢، والديباج/ ٢٧٢ وفيه وفاته سنة ٤١٠) .

الحذر

مما يرد ذكره فى مصنفات العسكرية الإسلامية وسياسة الحروب، قال الهرثمى :

قالوا أول العمل فى الحرب ورأس التدبير فيها ألا يظهر عدوك على عوراتك ولا تستتر عنك عوراته ، ولن تُحكم ذلك فى نفسك إلا مع شدة الحذر وكتمان السر، ولن تعرفه من عدوك إلا مع التيقظ والتلطف، وإذكاء العيون والجواسيس .

(العيون هم الجواسيس، وإذكاؤهم نشرهم فى كل مكان يحتمل وجود العدو فيه)

لا تأنفن من الحذر منه فإن ذلك هو العجز الظاهر، وما لا يستقال الخطأ فيه، وأقوى مكيدة المحارب إظهار شدة الحذر لعدوه فى كل وقت ، ذلك مع تحصين كل عورة، وإحكام كل مصنعة، وإذكاء العيون ومظاهرة الطلائع والقوة فى الاحتراس (الطلائع جمع طليعة وهى قوة من الجيش ، ترسل قبله أمامه لتكشف أمور العدو، ومظاهر الطلائع تتابعها وتعاونها) .

اجعل الحذر رأس مكيدتك، فإنه قليل ما تكون عورة مع حذر، أو تضييع مع سوء ظن، والعورة فاعلم موجودة من الاتكال على القوة، والركون إلى الاكتفاء بأدنى الحيلة . كن فى الحيلة والحذر وسوء الظن معظماً لأمر عدوك فوق قدره، من غير أن يظهر ذلك منك، أو يصدك عن أحكام شىء من أمرك .

استعد لعدوك بأكثر من قدره، فإنك إن ألفيته صغيراً وقد أعددت له كبيراً لم يضرك ذلك بل نفعك لا تتولن أمر عدوك على الهوينى بعمل على ترقيق المرققين وتصغير المصغرين (أى لا تستمع لمن يهونون لك أمر عدوك، ويبرهنون لك على رقة حاله وضعفه) فربما كان ذلك بعض ما يرجع بالمكروه عليك . لا تأمن مغاورة عدوك إن نأى عنك ولا مواثبته إن دنا منك، ولا تكمينه إن انكشف لك (أى وضع كمائنه فى أماكن خافية، تهاجمك منها من حيث لا تدرى) .

لا تدعن معاجلة أمر حزم لخوف قيل وقال فإن ذلك لا خير فيه، وأكثر ما يقال لا ضرر فيه . واثب الفرصة إذا أمكنتك فإن لها فلتات، وقلما تعود إذا ضيعت . استعد لكل أمر قبل وقته تسلم من خطره وتجده عند الحاجة إليه .

التثبيط فاعلم رأس كل معجزة (أى أن تخذيل الناس عن الجيش من أهم أسباب عجزه وضعفه) فاعرف ذلك من نفسك ، وراقب مثلها من غيرك، من غير بادرة تفريط منك ، أو أناة تحل بك .

(تخذيل الأعداء عنك من أهم فنون القتال، فإن تفريق كلمة العدو نصر لك ، وكذلك فعل الرسول ﷺ فى غزوة الخندق، فقد أرسل للأحزاب من خذلهم ، وفرق كلمتهم، وكذلك فعل خالد بن الوليد فى حرب الفرس بالعراق، من تخذيل إخوانه عرب بنى شيبان عن الفرس) .

إذا مثلت لأمرين فاعمد لأشدهما عزماً وأحكمهما حزماً، ولا تنقض مبرماً من أمرك إلا إلى أوثق مما نقضت .

احذر التفريط فى الأمور اتكالا على القدر، فإن لكل قدر سبباً يجرى عليه، فسبب النجح العمل، وسبب الخيبة التفريط .

(مختصر سياسة الحروب للهرثمي صاحب المأمون ــ تحقيق عبد الرؤوف عون ومراجعة د . محمد مصطفى زيادة / ١٩، ٢٠).

الحذف:

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

الحذف بالفتح وسكون الذال المعجمة في اللغة هو الإسقاط وفي اصطلاحات العلوم العربية يطلق على إسقاط خاص فعند أهل العروض يطلق على إسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء فيبقى من مفاعيلن مثل فعولن لأن مفاعي لما كان غير مستعمل وضع موضعه فعولن هكذا في رسالة قطب الدين السرخسي وجامع الصنائع وغيرهما وعند أهل البديع يطلق على بعض المحسنات الخفية وبهذا المعنى ليس من علم البديع حقيقة وإن ذكرة البعض فيه أي في علم البديع ولعله جعله من الملحقات وهو اسقاط الكاتب أو الشاعر بعض الحروف المعجم من رسالته أو خطبته أو قصيدته كذا في المطول .

والأنسب باصطلاح الصرفيين أن الحذف هو إسقاط حرف أو أكثر أو حركة من كلمة وسمى إسقاط الحركة بالإسكان كما لا يخفى .

قال الرضى في شرح الشافية : قد اشتهر في اصطلاحهم الحذف الإعلالي للحذف الذي يكون لعلة موجبة على سبيل الاطراد كحذف ألف عصا وياء قاض والحذف الترخيمي والحذف لا لعلة للحذف الغير المطرد كحذف لام يد ودم انتهى .

والأنسب باصطلاح النحاة وأهل المعاني والبيان أنه إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل وقد يصير به الكلام المساوى موجزا وسماه أي الحذف ابن جني سجاعة العربية وهذا المعنى أعم من معنى الصرفيين (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٣١١، ٣١٢).

ويتناول صاحب مفتاح السعادة الحذف بالتفصيل باعتباره القسم الثاني من قسمي الإيجاز (القسم الأول هو إيجاز القصر) وننقله لك فيما يلي. يقول المؤلف : إيجاز الحذف وفيه فوائد ذكر أسبابه منها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان (بالمحذوف)، وأن الاشتغال بذكره يفضى إلى تفويت المهم وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء .

ومنها : التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . قال حازم في « منهاج البلغاء » : إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه؛ أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسآمة ، فيحذف ، ويكتفى بدلالة الحال ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها . قال : و هذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس .

ومنها : التخفيف ، لكثرة دورانه في الكلام ، كما في حذف حرف النداء ، نحو : ﴿ **يوسف أعرض** ﴾ [يوسف : ٢٩] ونون « لم يك » (في قوله تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيّرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [الأنفال: ٥٣]) وياء ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ [الفجر : ٤] وسأل المؤرخ السدوسي الأخفش عن هذه الآية ، فقال : عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما قال تعالى : ﴿ **ما كانت أمك بغيا** ﴾ [مريم : ٢٨] الأصل بغية ، فلما حول عن فاعل ، نقص منه حرف .

ومنها : كونه لا يصلح إلا له : نحو : ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

ومنها : شهرته حتى يستوى ذكره وتركه . قال الزمخشري : وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال .

ومنها : صيانته عن ذكره تشريفا .

ومنها : صيانة اللسان عنه تحقيرًا له

ومنها : قصد العموم ، نحو: ﴿ **إياك نستعين** ﴾ [الفاتحة : ٥] أي على العبادة وعلى كل أمورنا .

ومنها : رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ **وما قلى** ﴾ [الضحى : ٣] أي وما قلاك .

ومنها : قصد البيان بعد الإبهام ، نحو : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريبا .

واعلم أنهم فرقوا بين الحذف اقتصارًا واختصارًا .

والأول : حذف بغير دليل .

والثاني : الحذف بدليل . ثم الدليل إما حالي ، نحو: ﴿قالوا سلاماً﴾ [هود : ٦٩] و [الفرقان : ٦٣] أي سلمنا سلاماً ؛ أو مقالي ، نحو : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا ﴾ [النحل : ٣٠] أي أنزل خيراً ؛ أو دليل عقلي حيث يدل على أن الكلام لا يصح إلا بتقدير محذوف ، فتارة يدل على أصل الحذف والتعيين من دليل آخر، نحو : ﴿حُرِّمَتْ عليكم الميتة ﴾ [المائدة : ٣] والعقل يعلم أن الحرمة من صفات الأفعال، والميتة من الأعيان، فيعرف أن هناك حذفاً، وكون المحذوف، تناولها مستفاد من الحديث ، وهو قوله ﷺ : « إنما حرم أكلها » .

وتارة يدل على تعيين المحذوف، نحو : ﴿ وجاء ربك ﴾ [الفجر : ٢٢] أي أمره، لأن العقل دل على استحالة مجيء الباري، لأنه من سمات الحادث، وعلى أن الجائي أمره .

وقد تدل عليه العادة تارة ، نحو : ﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ [يوسف : ٣٢] ولا يكون يوسف عليه السلام ظرفا للوم عقلا، فالعادة تعينه وهو المراودة، إذ الحب المفرط لا يلام عليه عادة، والمحتمل هما لا غير بدليل السياق . وتارة يدل عليه التصريح في موضع آخر، وهو أقوى الدلائل، نحو : ﴿رسول من الله ﴾ [البينة : ٢] أي من عند الله، بدليل : ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله ﴾ [البقرة : ١٠١] .

ومن الأدلة على أصل الفعل العادة بأن لا يمنع العقل عن إجرائه على ظاهره من غير حذف، نحو : ﴿ لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] والعقل وإن جوز عدم علمهم بالقتال لكن العادة تمنعه ، لأنهم كانوا أخبر الناس به ، حتى كانوا يعيرون بعدم علمهم به ، فلهذا قدر مجاهد : لو نعلم مكان قتال، ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي ﷺ أن لا يخرج من المدينة .

قاعدة :

اعتبر الأخفش في الحذف التدريج حيث أمكن . ولهذا قال في : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ [البقرة : ٤٨]، أن الأصل لا تجزي فيه ، فحذف حرف الجر، فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزي . وهذه ملاطفة في الصناعة ومذهب سيبويه أنهما حذفا معاً . قال ابن جني : وقول الأخفش أوفق في النفس ، وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد .

قاعدة :

ينبغي تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل ، ومن ثمة ضعف قول الفارسي في : ﴿ واللائي لم يحضن ﴾ [الطلاق : ٤] أن التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر، والأولى أن يقدر كذلك .

قال الشيخ عز الدين : ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها ، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام ، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به ، نحو : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾[المائدة : ٩٧] قدر أبو علي نصب الكعبة ، وقدر غيره حرمة الكعبة ، والثاني أفصح . ومهما تردد المحذوف بين الأحسن والحسن ، وجب تقدير الأحسن ، لأنه تعالى وصف كتابه بأحسن الحديث ، فليكن محذوفاته أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظ . ومتى تردد بين أن يكون مجملاً، أو مبيناً ، فتقدير المبين أحسن .

قاعدة :

إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً ، وبين كونه مبتدأ والباقي خبراً، فالثاني أولى، لأن المبتدأ عين الخبر، فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفاً كلا حذف .

فأما الفعل فإنه غير الفاعل، اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع أو موضع آخر يشبهه .

وأيضاً إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً، فكونه ثانياً أولى . ومن ثم رجح أن المحذوف في نحو: ﴿أتحاجوني﴾ [الأنعام : ٨٠] نون الوقاية، لا نون الرفع ؛ وفي ﴿ ناراً تلظى ﴾ [الليل : ١٤] التاء الثانية لا تاء المضارعة . وقد يجب كونه من الأول . نحو: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ [الأحزاب : ٥٦] في قراءة

وملائكته بالرفع ، لاختصاص الخبر بالثانى ، لوروده بصيغة الجمع . وقد يجب كونه من الثانى ، نحو : ﴿ إن الله برىء من المشركين ورسوله ﴾ [التوبة : ٩] أى برىء أيضا لتقدم الخبر على الثانى .

واعلم أن الحذف على أنواع :

أحدها : ما يسمى بالاقتطاع . وهو حذف بعض حروف الكلمة ، وأنكر ابن الأثير وروده فى القرآن ، وردَّ بأن من جعل كل حرف من فواتح السور اسماً من أسمائه تعالى مثله بها . وادعى بعضهم أن الباء فى : ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ [المائدة : ٦] أول كلمة بعض ، ثم حذف الباقى . ومنه قراءة بعضهم ونادوا يا مال ، بالترخيم ، ولما سمعها بعض السلف ، قال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم . وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما بهم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة ، ويدخل فى هذا النوع حذف أنا من قوله : ﴿ لكنا هو الله ربى ﴾ [الكهف : ٣٨] إذ الأصل لكن أنا ، حذفت همزة أنا تخفيفاً ، ثم أدغمت النون فى النون .

وثانيها : ما يسمى بالاكتفاء . وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ، ويختص غالبا بالارتباط العطفى ، كقوله تعالى : ﴿وسرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل : ٨١] أى والبرد ، وخصص الحر بالذكر ، لأن الخطاب للعرب ، والوقاية من الحر أهم فى بلادهم لشدة الحر من البرد عندهم ، وقيل : لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا فى قوله تعالى : ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ [النحل : ٨٠] وفى قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانًا ﴾ [النحل : ٨١] وفى قوله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ﴾ [النحل : ٥] .

ومن أمثلة هذا النوع : ﴿ بيدك الخير ﴾ [آل عمران : ٢٦] أى والشر ، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم ، أو لأنه أكثر وجوداً فى العالم ، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ، ليس من باب الأدب ، كما قال ﷺ : «و الشر ليس إليك » .

ومنها : ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار ﴾ [الأنعام : ١٣] أى وما تحرك ، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون .

ومنها : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [البقرة : ٣] أى والشهادة ، لأن الإيمان بكل منهما واجب ، وآثر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم للإيمان بالشهادة من غير عكس .

ومنها : ﴿ ورب المشارق ﴾ [الصافات : ٥] أى والمغارب .

ومنها : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] أى للكافرين قال ابن الأنبارى : ويؤيده : قوله تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ومنها : ﴿ إن امرؤ هلك ليس له ولد ﴾ [النساء : ١٧٦] أى ولا والد ، بدليل أنه أوجب للأخت النصف ، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

وثالثها : ما يسمى بالاحتباك . وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ، وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ، ولم أره إلا فى (شرح بديعية الأعمى) لرفيقه الأندلسى ، وذكره الزركشى فى (البرهان) ولم يسمه هذا الاسم ، بل سماه الحذف المقابلى .

وأفرده بالتصنيف العلامة برهان الدين البقاعى .

قال الأندلسى فى (شرح البديعية) :

من أنواع البديع : الاحتباك ؛ وهو نوع عزيز؛ وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى ، ومن الثانى ما أثبت نظيره فى الأول ، كقوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق ﴾ الآية . التقدير : ومثل الأنبياء والكفار ، كمثل الذى ينعق والذى ينعق به ، فحذف من الأول : الأنبياء ، لدلالة الذى ينعق عليه ، ومن الثانى : الذى ينعق به ، لدلالة الذين كفروا عليه . وقوله تعالى : ﴿ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء ﴾ [النمل : ١٢] فحذف من الأول تدخل غير بيضاء ، ومن الثانى وأخرجها .

قال الزركشى : هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان ،

فيحذف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه . ومن أمثلته : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ [التوبة : ١٠٢] أى عملاً صالحاً بسيء ، وآخر سيئاً بصالح . ومن لطيفه قوله تعالى : ﴿ فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ﴾ [آل عمران : ١٣] أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت. وله فى القرآن نظائر. وهو أبلغ ما يكون من الكلام . ومأخذ هذه التسمية من الحبك، الذى معناه الشد والإحكام، وتحسين أثر الصنعة فى الثوب؛ فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج، وشده وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق. وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام، شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حائكا له، مانعاً من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة خاصة للاحتباك فى م ٢ / ٥٠٨ ـ ٥١٠ فانظرها فى موضعها .

النوع الرابع : ما يسمى بالاختزال : وهو ما ليس واحداً مما سبق. وهو أقسام؛ لأن المحذوف إما كلمة اسم . أو فعل، أو حرف، أو أكثر.

أمثلة حذف الاسم :

حذف المضاف: وهو كثير فى القرآن جدًّا، حتى قال ابن جنى: فى القرآن منه زهاء ألف موضع .

حذف المبتدأ : يكثر فى جواب الاستفهام، نحو : ﴿ وما أدراك ما هيه نار ﴾ [القارعة : ١١] أى هى نار؛ وبعد فاء الجواب، نحو : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ [فصلت : ٤٦] أى فعمله لنفسه، ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ [فصلت : ٤٦] أى إساءته عليها ؛ وبعد القول ، نحو: ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ [الفرقان : ٥] وبعدما الخبر صفة له فى المعنى، نحو :

﴿ صم بكم عمى ﴾ [البقرة : ١٨] .

وحذف الخبر ؛ نحو : ﴿ أُكُلها دائم وظلها ﴾ [الرعد : ٣٥] أى دائم ؛ ويحتمل الأمرين، نحو : ﴿ فصبر جميل ﴾ [يوسف : ١٨] أى أجمل، أو فأمرى صبر جميل .

حذف الصفة، نحو : ﴿ يأخذ كل سفينة ﴾ [الكهف : ٧٩] أى صالحة ، بدليل أنه قرئ كذلك .

حذف المعطوف عليه ، نحو : ﴿ أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق ﴾ [الأعراف : ١٦٠] أى فضرب فانفلق .

وحذف المعطوف مع العاطف ، نحو : ﴿ بيدك الخير ﴾ [آل عمران : ٢٦] أى والشر .

حذف المبدل منه ، نحو ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ [النحل : ١١٦] أى لما تصفه ، والكذب بدل من الهاء .

حذف الفاعل : لا يجوز إلا فى فاعل المصدر، نحو : ﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ﴾ [فصلت : ٤٩] أى من دعائه . وجوزه الكسائى مطلقا لدليل، وخرَّج عليه :

﴿ إذا بلغت التراقى ﴾ [القيامة : ٢٦] أى الروح ؛ ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣٢] أى الشمس .

حذف المفعول : تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والإرادة ويرد فى غيرهما ، نحو : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾ [الأعراف : ١٥٢] أى إلهاً ؛ ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ [التكاثر: ٣] أى عاقبة أمركم .

حذف الحال : يكثر إذا كان قولاً، نحو : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام ﴾ [الرعد : ٢٣] أى قائلين .

حذف المنادى : ﴿ ألا يا اسجدوا ﴾ أى يا هؤلاء . يا ليت : أى يا قوم .

حذف العائد : يقع فى أربعة أبواب : الصلة ، نحو : ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولاً ﴾ [الفرقان : ٤١] أى بعثه الله ؛ والصفة، نحو : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس ﴾ [البقرة : ٤٨، ١٢٣] أى فيه ؛ والخبر، نحو: ﴿ وكُلاً وعد الله ﴾ [الحديد : ١٠] أى وعده ؛ والحال .

حذف مخصوص نعم : ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد ﴾ [ص : ٤٤] ، أى أيوب .

حذف الموصول : ﴿ آمنا بالذى أنـزل إلينا وأنزل اليكم ﴾ [العنكبوت : ٢٦] أى والـذى أنزل إليكم ، لأن الـذى أنـزل إلينا غير الذى أنزل اليكم ، فيقدَّر .

حذف الفعل :

يطرد إذا كان مفسراً، نحو : ﴿ وإن أحد من المشـركين استجارك ﴾ [التوبة : ٦] .

حذف الحرف :

قيل : حـــذف الحـرف ليس بقيـــاس، لأن الحـروف للاختصار، فلـو كنت تحذفها، لكنت تختصـرها، واختصار المختصر إجحاف به .

حـذف همزة الاستفهـام ، نحـو : ﴿ وتلك نعمـة تمنُّهـا علىَّ ﴾[الشعراء : ٢٢] أى : أو تلك .

حذف الموصول الحرفى :

قال ابن مالـك : لا يجوز إلا فى أن ، نحو: ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾[الروم : ٢٤] .

حذف الجار :

يطرد مـع أن وإن ، نحو : ﴿ يمنون عليـك أن أسلموا ﴾ [الحجـرات : ١٧] أى بـأن ، ونحـو : ﴿ أيعـدكم أنكم ﴾ [المـؤمنـون : ٣٥] أى بأنكم ؛ وجـاء مع غيـرهمـا ، نحـو: ﴿قدرناه منازل ﴾[يسّ : ٣٩] أى قدرنا له ، ﴿ واختار موسى قومه ﴾[الأعراف : ١٥٥] أى من قومه .

حذف العاطف :

نحو : ﴿ وجوه يـومئذ نـاعمة ﴾[الغـاشيـة : ٨] أى ووجوه، عطفًا على : ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾[الغاشية : ٢]

حذف فاء الجواب :

نحو : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين ﴾[البقرة : ١٨٠]

حذف حرف النداء :

كثير، نحو : ﴿ يوسـف أعرض ﴾[يـوسـف :٢٩] وفى العجائب للكرمانى : كثر حذف ياء فى القرآن من الرب تنزيهاً وتعظيما ، لأن فـى النداء طرفًا من الأمـر، نحو : ﴿ رب أنى وهن العظم ﴾[مريم : ٤] .

حذف قد :

فى الماضى، إذا وقع حالاً، نحو : ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم ﴾[النساء : ٩٠] أى قد حصرت .

حذف لا النافية :

يطرد فى جواب القسم ، إذا كان المنفى مضارعا، نحو : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾[البقرة : ١٨٤] أى لا يطيقونه .

حذف لام المتوطئة :

نحو : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشـركون ﴾[الأنعام : ١٢١] .

حذف لام الأمر :

نحو: ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا ﴾[إبراهيم : ٣١]

حذف لام لقد :

يحسن مع طول الكـلام ، نحو : ﴿ قد أفلح من زكـاها ﴾ [الشمس: ٩] .

حذف نون التوكيد :

نحو قراءة ألم نشرح بالنصب .

حذف نون الجمع :

عليه قراءة : ﴿ وما هـم بضارين به مـن أحد ﴾[البقرة : ١٠٢].

حذف التنوين :

عليه قراءة: ﴿ ولا الليل سـابق النهـار ﴾[يـسّ : ٤٠] بالنصب .

حذف حركة الإعراب والبناء :

وعليه قراءة: بارئكم ، ويأمركم بسكونهما .

أمثلة حذف أكثر من كلمة :

حذف مضافين :

نحو : ﴿ من أثر الرسول ﴾[طه : ٩٦] أى من أثر حافر فرس الرسول .

حذف ثلاثة مضافات :

نحو : ﴿ فكان قـاب قوسين ﴾[النجم : ٩] أى كـان مقدار مسـافة قربة مثل قـاب قوسين ، فحذف ثـلاثة من اسم كان، وواحد من خبرها .

حذف مفعولي باب ظن :

﴿ أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ [القصص : ٦٢ ، ٧٤] أي تزعمونهم شركاء .

حذف الجار مع المجرور:

﴿ خلطوا عملاً صالحاً ﴾ أي بسيىء ﴿ وآخر سيئاً ﴾ ، أي بصالح [التوبة : ١٠٢] .

حذف العاطف مع المعطوف :

تقدم .

حذف الشرط وفعله :

يطرد بعد الطلب ، نحو : ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] أي أن اتبعتموني .

حذف جواب الشرط :

نحو : ﴿ ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ [الكهف : ١٠٩] أي لنفد البحر .

حذف جملة القسم :

نحو : ﴿ لأعذبنه عذابا ﴾ [النمل : ٢١] أي والله .

حذف جوابه :

﴿ والنازعات غرقا ﴾ [١] الآيات ، أي لتبعثن ؛ ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾ [ص : ١] أي لمعجز.

حذف جملة مسببة عن المذكور:

نحو : ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ [الأنفال : ٨] أي فعل ما فعل .

حذف جمل كثيرة :

نحو : ﴿ فأرسلون * يوسف أيها الصديق ﴾ [يوسف : ٤٥، ٤٦] أي فأرسلون إلى يوسف ، لأستعبره الرؤيا ، ففعلوا، فأتاه، فقال له : يا يوسف.

واعلم أنه تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم ، وتارة يقام ما يدل عليه ، نحو : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴾ [هود : ٥٧] فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ، وإنما التقدير: فإن تولوا فلا لوم عليّ ، أو فلا عذر لكم ، لأني أبلغتكم (مفتاح السعادة ٢ / ٤٢٣ـ ٤٣٥).

وإليك ما جاء في ألفية الآثاري عن الحذف بأقسامه الثلاثة : حذف الاسم ، وهو على عشرين وجها ، وحذف الفعل وهو على عشرين وجها ، وحذف الحرف وهو على عشرين وجها أيضا .

فيقول عن القسم الأول وهو حذف الاسم :

للاسمِ ثم الفعلِ ثُمَّ الحرف
ستون وجهاً من وجوه الحذف
في المبتدا أو خبر وفي خبر
كان وإن واسم كان قد ندر
ويحذفُ المفعولُ ثُمَّ الأولُ
والثان والثالثُ أو تُستأصَلُ
وعاملُ التمييز والمعمول في
تعجُّب وفي توابعِ يفي
وياءُ نفسٍ ثُمَّ في المضاف
إليه والمضافُ غيرُ خاف
والهاءُ من ثلاثة منفصلهْ
من صفة أو خبر أو من صلهْ
ومع ثلاث في الظروف تعتبرْ
في الحال أو في صفة أو في الخبرْ
وللمنادى ثم للموصوف
وفي مفسّرٍ سوى معروف

ثم يقول عن القسم الثاني وهو حذف الفعل :

ويحذفُ الفعلُ في الاستفهامِ
والعطف أو من أوّل الكلامِ
والأمر والنهي وفي الدُّعاء
والحال والتحذير والإغراء
ومع مفعولٍ وإن وإمّا
وفي جواب قسمٍ وأمّا

ومن وحتى ثم لـــــوما ثـم لـــو
لا وجـواب الشـــرط أو جـواب لـــو

ثم يقول عن القسم الثالث وهو حذف الحرف :

والحــــرف في التضعيف أو للنـــون
والجـــرِّ والعلــــة والتنـــوين
ولا وفـي التـــرخيم والنـــداء
وفي الجـــواب جــاز حــذف الفــاء
ولالتقـــاء الســـاكنين والنسبْ
والهمـــز واسم نـــاقص فـي نحـــو أبْ
وجـــاءَ فـي اليمين والتحـــذيـــر
وجـــازَ فـي الجمع وفـي التصغيـــر
وحـلَّ في التحـــريك والإدغـــام أو
لكثـــرة الـــدليل فـــانح مـــا نحـــوا

(ألفية الآثاري / ١٠٣، ١٠٤) .

وقد ذكر الحذف صاحب العمدة في باب الإشارة باعتباره أحد أنواعها فقال :

ومن الإشارات الحذف، نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته :

إن شئت أشـــرفنـــا جميعـــا فـــدعـــا
الله كـلَّ جَهْـــــدَه فـأسمعـــــا
بـــالخيـــر خيـــراً وإن شـــراً فـــا ا
ولا أريـــــد الشــــر إلا أن تـــا

كذا رواه أبو زيد الأنصاري، وساعده من المتأخرين على ابن سليمان الأخفش، وقال : لأن الرجز يدل عليه، إلا أن رواية النحويين « وإن شرًا فا » و « إلا أن تا » قالوا : يريدون وإن شرًا فشر، وإلا أن تشائي ... وأنشدوا :

ثـم تنـــادوا بعـــد تلك الضـــوضـــا
منهـم بهـــات وهل ويـــايـــا
تـــادى مُنَــــاد منهم ألا تـــا
قـــالـــوا جميعـــا كلهم بلـى فـــا

وأنشد الفراء :

* قلت لها : قومي ، فقالت : قاف *

يريد قد قمت (العمدة ١/ ٣١٠، ٣١١) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٣١١، ٣١٢، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٤٢٣ ـ ٤٣٥ ، وألفية الآثاري : كفاية الغلام في إعراب الكلام ـ نظم زين الدين شعبان محمد القرشي . الآثاري ـ حققه وقدم له د . زهير زاهر والأستاذ هلال ناجي / ١٠٣، ١٠٤ ، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ٣١٠، ٣١١ انظر أيضا الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي ٢ / ٧٩ ـ ٨٣ . والبرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٣ / ١٠٢ ـ ٢٨٧ ونقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ـ حققه وعلق حواشيه د . طه حسين بك وعبد الحميد العبادي / ٦٩ ، والتصريف الملوكي لابن جني ـ عني بتحقيقه مفتي حماة السابق محمد سعيد بن مصطفى النعسان ـ علق عليه أحمد الخاني ومحيي الدين الجراح / ٥١ ـ ٧٤) .

حذف الألفات في رسم المصحف:

يتناول الإمام محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز في منظومته الموسومة بمورد الظمآن في رسم القرآن حذف الألفات في رسم سور القرآن كافة . ولما كان قد فاتنا ذكر هذا النوع من الحذف عند الكلام على سورة البقرة (م ٧ / ٢٨٨ ـ ٣١٥) فإننا ننقل هنا أبيات الناظم مرقمة وفقا لترتيبها في المنظومة ، ومشفوعة بشرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبي زيتحار ، الذي يبدأ شرحه بلفظ : « أقول » وسوف نتابع إن شاء الله تعالى حذف الألفات في سائر سور القرآن عند إدراجها في مواضعها :

٧٩ ـــ القـــول فيمـــا قـــد أتى في البقـــرة
عـن بعضهـم ومـــا الجميع ذكـــره

أقول : هذه الترجمة الثانية من تراجم الحذف الست ذكر فيها الحذف الواقع في سورة البقرة عن بعض كتاب المصاحف دون البعض الآخر لمجيئه بالإثبات عنده .

والحذف الذى ذكره أى رسمه جميعهم . وذكر هذه الترجمة عقب ترجمة الفاتحة موافق لما اشترطه فى ترتيب الحذف وهو أن لا يذكر فى ترجمة ما تقدم عليها أو تأخر عنها لا أن يذكر الألفاظ المحذوفة على نظام ترتيب القرآن قال :

٨٠ ـ *وحذفوا ذلك ثم الأنهار*

وابن نجاح راعنا والأبصار

أقول : اتفقوا على حذف ألف « ذلك » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ﴿ قال كذلك ﴾ ﴿ ذلكما مما علمنى ربى ﴾ ﴿ فذلكن الذى لمتننى فيه ﴾ ﴿ ذلكم أزكى لكم ﴾ وألف الأنهار حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ ﴿ رواسى وأنهاراً ﴾ وحذف أبو داود ألف راعنا من ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ فى البقرة ﴿ وراعنا ليًّا ﴾ بالنساء وألف « الأبصار » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ ﴿ لعبرة لأولى الأبصار ﴾ ﴿ سمعا وأبصارا وأفئدة ﴾

ونص فى التنزيل على إثبات ألف النهار وألف الأنصار من غير خلاف بين المصاحف فيها وهذان اللفظان من عشرة ألفاظ نصوا على إثبات ألفها حيث وقعت وكيف جاءت وهى منظومة فى قول بعضهم :

وألف الساعة والعقاب

وألف العذاب والحساب

وألف النهار والجبار

وألف البيان والفجار

وألف النار مع الأنصار

ثبت فى الخط لدا الأخيار

ولفظ « ذلك » مفرد فلا يندرج فيه ﴿ فذانك برهانان ﴾ ولا ﴿ هذان خصمان ﴾ وسيأتى حكمهما قال :

٨١ ـ *وعنهما الكتاب غير الحِجْر*

والكهف فى ثانيهما عن خُبْر

٨٢ ـ *ومع لفظ أجل فى الرَّعد*

وأول النمل تمام العدّ

أقول : أخبر عن الشيخين بحذف ألف « كتاب » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ كتاب أنزلناه إليك ﴾ ﴿ اقرأ كتابك ﴾ ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ واستثنى لهما أربعة ألفاظ جاءت بالإثبات .

أولها : ثانى الحِجْر وهو ﴿ ولها كتاب معلوم ﴾ خرج أولها وهو ﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ .

ثانيها : ثانى الكهف وهو ﴿ اتْلُ ما أوحى إليك من كتاب ربك ﴾ خرج أولها وهو ﴿ أنزل على عبده الكتاب ﴾ .

وثالثها : وهو ﴿ ووضع الكتاب ﴾ .

ورابعها : وهو ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ ثالثها : ما اقترن بلفظ أجل فى الرعد وهو ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ خرج ما لم يقترن به فيها وهو ﴿ آلمر تلك آيات الكتاب ﴾ ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾

وخرج كذلك ما اقترن بلفظ أجل فى غير الرعد وهو ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ رابعها : أول النمل وهو ﴿ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ خرجت الأربعة التى بعده وهى ﴿ اذهب بكتابى هذا ﴾ ﴿ ألقى إلىَّ كتاب كريم ﴾ ﴿ عنده علم من الكتاب ﴾ ﴿ وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين ﴾ قال :

٨٣ ـ *واحذف تفادوهم يتامى ودفاع*

كذا بتنزيل فراشا ومتاع

أقول : اتفق الشيوخ على حذف ألف « تفادوهم » فى ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ بالبقرة لا غير . وألف يتامى الأولى حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وذى القربى واليتامى ﴾ ﴿ فى يتامى النساء ﴾ وسيأتى حكم ألفه الثانية فى ترجمة (وهاك مابألف قد جاء) وألف دفاع فى ﴿ ولولا دفاع الله ﴾ بالبقرة والحج ومثل ذلك ألف فراشا مكسور الفاء عن أبى داود فى التنزيل وهو ﴿ جعل لكم الأرض فراشا ﴾ لا غيرها وليس منه ﴿ كالفراش المبثوث ﴾ وكذا تحذف ألف متاع حيث وقع نحو ﴿ ومتاع إلى حين ﴾ قال :

٨٤ ـ *وعنهما الصاعقة الأولى أتت*

وعن أبى داود حيثما بدت

أقول: جاء عن الشيخين حذف ألف الصاعقة الموضع الأول فى البقرة وهو ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ وعمم أبو داود الحذف فى ألفها حيث وقعت وكيف جاءت نحو ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ ﴿ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾ ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ قال :

٨٥ ـــ مع الصواعق استطاعوا الألباب
ثم الشياطين ديار أبواب

٨٦ ـــ إلا الذى مع خلال قد ألف
فرسمه قد استحب بالألف

أقول : وجاء عن أبى داود أيضا حذف ألف الصواعق فى ﴿ من الصواعق حذر الموت ﴾ بالبقرة ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ بالرعد . وألف « استطاعوا » حيث وقع نحو ﴿ يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ وألف « الألباب » حيث وقع نحو ﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ وألف «الشياطين» حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ ﴿ خَلَوا إلى شياطنيهم ﴾ ، ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ وألف « ديار » المضاف حيث وقع نحو ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أما ما قترن بأل ووقع مضافا إلى غيره وعهد اقترانه بخلال فى قوله تعالى ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ بالإسراء فقد استثناه أبو داود وجوز فيه الإثبات والحذف واستحب فيه إثبات الألف ولا سند فى هذا الإثبات عن المصاحف وألف « أبواب » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ ﴿ولبيوتهم أبوابا ﴾ قال :

٨٧ ـــ والحذف عنهم فى المساكين أتى
والخلف فى ثانى العقود ثبتا

أقول : اتفقوا على نقل حذف ألف « المساكين » عن كتاب المصاحف حيث وقع وكيف جاء سوى ثانى العقود نحو ﴿ وذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ ﴿ فدية طعام مساكين ﴾ واختلفوا فى ألف مساكين ثانى العقود وهو ﴿ أو كفارة طعام مساكين ﴾ أما الأول فى العقود وهو ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ فبالحذف من غير خلاف قال :

٨٨ ـــ وحذف ادارأتم رهان
حيث يخادعون والشيطان

أقول : اتفقوا على حذف الألف الأولى فى ﴿ فادارأتم فيها ﴾ وسيذكر حكم الثانية فى باب الهمز ـ وألف « رهان » فى ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ وألف « يخادعون » فى ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ بالبقرة و ﴿يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ بالنساء : وسكت الناظم عن ألف ﴿وهو خادعهم ﴾ ولا يدخل فى يخادعون . والراجح حذفه ـ وألف « الشيطان » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿فأزلهما الشيطان﴾ ﴿إن يدعون إلا شيطانا ﴾ قال :

٨٩ ـــ كذا الشياطين بمقنع أثر
فى سالم الجمع وفى ذاك نظر

أقول : ذكر أبو عمرو فى المقنع لفظ الشياطين مع ما يحذف من جموع السلامة نحو الفاسقين والمنافقين والكافرين ويقتضى ذلك حذف ألفه وذكره فى جموع السلامة فيه نظر إذ هو جمع تكسير وقد ذكر مع جموع السلامة سهوا وعلى هذا لا تحذف ألفه لعدم دخوله فى قاعدة الجمع السالم وقد ذكر الناظم فيما تقدم حذفه عن أبى داود . وذكر هنا مأخذ حذفه من كلام أبى عمرو فى المقنع بقوله (كذا الشياطين) البيت واسم الإشارة يعود على لفظ الشيطان فى البيت قبله قال :

٩٠ ـــ وعنهما أصحاب مع أسارى
ثم القيامة مع النصارى

(قرئ وأسارى وأسرى والحذف هنا حذف إشارة ومثله كل ما كان فيه قرءاتان بالحذف والإثبات كرهان مقبوضة ورهن، وتفادوهم وتفدوهم فلا تغفل عن الضابط فى ذلك)

أقول: جاء عن الشيخين حذف ألف « أصحاب » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ ، ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ وألف « أسارى » فى ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾ لا غيرها وألف « القيامة » حيث وقع نحو ﴿ ويوم القيامة يردون ﴾ ، ﴿ ولا أقسم بيوم القيامة ﴾ وألف «النصارى» حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ والنصارى والصابئين ﴾ ، ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى ﴾ وسيأتى حكم ألف أسارى والنصارى الثانية قال :

٩١ ـــ وبعـد نـون مضمـر أتـاكـا
حشـوا كـزدنـاهـم وآتينـاكـا

أقول : ذكر هنا قاعدة جليلة عن الشيخين وهى : يحذف كل ألف وقع وسطا بعد نون ضمير اتفاقا نحو ﴿ وزدناهم هدى﴾ ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثانى ﴾، ﴿ وآتيناه من لدنا علما ﴾ وقوله حشوا أى ، وسطا خرج ما وقع طرفا لثبوته نحو ﴿ آمنا بالله ﴾ ، ﴿ أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ قال :

٩٢ ـــ والأعجميـة كنحـو لقمـان
ونحـو إسحـاق ونحـو عمـران

٩٣ ـــ ونحـو إبـراهيم مع إسمـاعيل
ثمت هـارون وفـى إسـرائيل

٩٤ ـــ ثبت على المشهـور لمـا سلبـا
من صـورة الهمـز بـه إذ كتبـا

أقول : جاء عن الشيخين حذف ألف الأسماء الأعجمية الواقعة فى القرآن بشروط أربعة :

الأول : أن يكون الاسم علما خرج نحو نمارق .

الثانى : أن يزيد على ثلاثة أحرف خرج نحو عاد .

الثالث : أن تكون ألفه وسطا خرج ما كانت ألفه طرفا نحو موسى وعيسى ونحو آدم وزكريا لعدم وجود الهمز رسما فى المصاحف فليست ألفها حشوا .

الرابع : أن يكثر استعماله بأن يقع فى القرآن فى غير موضع ، ويكثر دورانه على ألسنه العرب .

أفاد قوله بعد (وما أتى وهو لا يستعمل) البيت ٩٦ الشرط الرابع نصًّا والأول استلزاما ، إذ لا وجود لاسم أعجمى فى القرآن كثير الاستعمال غير علم ، وأفاد بالأمثلة الشرط الثانى والثالث) .

خرج نحو جالوت وطالوت ـ وقد ذكر فى هذه الأبيات سبعة أسماء أعجمية ، اتفق على حذف ألفها سوى إسرائيل فقد جاء عنهما الخلاف فى حذف ألفه والأشهر الإثبات ـ وعلل بأنه وإن توفرت فيه شروط الحذف لكنه لما جرد من الياء التى هى صورة الهمزة فراراً من اجتماع صورتين أثبت ألفه على المشهور وذلك قوله (لما سلبا من صورة الهمز) البيت ٩٤ وتشهير الإثبات خاص بأبى عمرو واختار أبو داود فيه الحذف بل اقتصر عليه فى ﴿ ألم تـر إلى الملأ من بنى إسرائيل ﴾ (والعمل على إثبات ألفه حيث وقع)قال :

٩٥ ـــ وبـاتفـاق أثبتـوا داودا
إذ كـان أيضـا واوه مفقـودا

٩٦ ـــ ومـا أتى وهـو لا يستعمل
فألـف فيـه جميعـه يجعل

٩٧ ـــ كقـولـه سبحـانـه طـالـوتـا
يـاجـوج مـاجـوج وفى جـالـوتـا

أقول : اتفق شيوخ النقل على إثبات ألف داود مع توفر شروط الحذف ـ وعلل بأنه لما حذفت منه إحدى واويه أثبتت ألفه حتى لا يجتمع فيه حذفان . وذلك قوله (إذ كان أيضا واوه مفقودا) وإنما اتفقوا على إثبات ألف داود، واختلفوا فى ألف إسرائيل مع اتحاد علة الإثبات فيهما لثقل لفظ إسرائيل ولتركيبه من إسرا بمعنى عبد وإيل بمعنى الله ، ثم أخبر فى البيت الثانى بإثبات ألف ما قل استعماله منها نحو طالوت وجالوت ويأجوج ومأجوج، وسكت الناظم عن إلياس والياسين لعدم ذكر الشيخين لهما ورجح فى العمدة الإثبات فى إلياس حيث قال :

والنص فى إليـاس فيـه نظـر
وثبتـه فيمـا رأيت أجـدر

وقطع بعضهم بالحذف وتردد فيهما آخرون (والعمل فيهما على الإثبات) وذكر بعضهم « بابل » وحكمه الإثبات قال :

٩٨ ـــ وعن خـلاف قل فى هـاروتـا
هـامـان وقـارون وفى مـاروتـا

٩٩ ـــ لكن بميكـال اتفـاقـا حـذفت
مع أنهـا كلمـة مـا استعملت

١٠٠ ـــ ولا خـلاف بعـد حـرف الميم
فى الحـذف من هـامـان فى المـرسوم

أقول : اتفق شيوخ النقل على إثبات ألف هاروت وماروت

وقارون وألف هامان الأولى ولا خلاف فى حذف الثانية وذلك قوله (ولا خلاف بعد حرف الميم) البيت ١٠٠ ، وفيه تقييد للإطلاق المتقدم فى هامان ـ وخلاف بعض المصاحف فى حذف ألف هذه الأسماء الأربعة قليل وتقليل الحذف فيها خاص بأبى عمرو وذكر أبو داود الخلاف فيها واختار الحذف (والعمل على الإثبات) ولما كانت القاعدة فيما تقدم تقتضى إثبات ألف ما قل استعماله من الأسماء الأعجمية ، وكان ميكال محذوف الألف اتفاقا مع أنه كلمة أعجمية قل استعمالها ، ولم تأت إلا فى موضع واحد من القرآن استدرك الناظم على ذلك بقوله (لكن بميكال اتفاقا حذفت) البيت ٩٩ وعلل وذلك بأنها استثقلت بكثرة حروفها وبتركيبها من ميكا بمعنى عبد وإيل بمعنى الله فخففت ألفها وقوله (مع أنها كلمة ما استعملت) ليس نفيا لمطلق استعمالها بل لكثرة استعمالها ـ قال :

١٠١ ـــ *وصـــالح وخـــالـــد ومـــالك*
وفـى سليمـــــان أتـت كـــــذلك

أقول : لا خلاف أيضا فى حذف ألف صالح حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **من عمل صالحا فلنفسه** ﴾ ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحا** ﴾ ، ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾ وألف «خالد» نحو ﴿ **ندخله ناراً خالدا فيها** ﴾ وألف مالك حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ، ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ ﴿ **قل اللهم مالك الملك** ﴾ وأطلق الناظم الحذف فشمل ما وقع علما وصفة كصالح ومالك وما وقع صفة كخالد . وكذلك تحذف ألف سليمان حيث وقع من غير خلاف (وفى ذكره مع صالح وخالد ومالك وهى عربية متابعة لأبى عمرو ووجهه مشاركتها فى كثرة الاستعمال) وسكت الناظم كالشيخين عن حكم صالحين وخالدين مثنى صالح وخالد فيبقيان على الأصل وهو الإثبات (وعليه العمل وإن نص بعضهم على الحذف فيهما) (أقول) قوله ، ومالك يفيد حذف ألفها كيف وقعت عند الشاطبى أيضا وهو مناف لظاهر العقيلة حيث اقتصر الحذف على الموضع الأول وهو مالك يوم الدين وليحرر.

وخلاصة ما ذكر فى الأسماء الأعجمية : أنه ورد منها فى القرآن واحد وعشرون اسما كثر استعمال تسعة منها وهى : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهارون ولقمان وداود وسليمان وإسرائيل وعمران، وقل استعمال اثنى عشر اسماً وهى : طالوت وجالوت وياجوج وماجوج وهاروت وماروت وقارون وهامان وميكائيل وإلياس وإلياسين وبابل ـ وهى بالنسبة لحذف الألف وإثباتها على ثلاثة أقسام ـ قسم اتفق على حذف ألف وهو تسعة أسماء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهارون ولقمان وسليمان وعمران وميكائيل (وقد رسموا فى مكان الألف ياء ليحتمل القراءات) وهامان بالنسبة لألفه الثانية التى بعد الميم ، أما الأولى التى قبلها ، فالحذف فيها قليل عند أبى عمرو ومختار عند أبى داود ـ وقسم اتفق على إثبات ألفه وهو خمسة أسماء داود وطالوت وجالوت وياجوج وماجوج ـ وقسم اختلفت المصاحف فى ألفه بين الإثبات والحذف وهو سبعة أسماء إسرائيل وهاروت وماروت وقارون ، واختار أبو داود فيهن الحذف والأشهر عند الدانى الإثبات فيها ـ وألحق بهن إلياس وإلياسين وبابل (والعمل على الحذف فى إسرائيل وما عطف عليه وعلى الإثبات فى إلياس وما عطف عليه) .

قال :

١٠٢ طغيان أموات كذا لابن نجاح ... ...

أقول : جاء الحذف أخذا من الترجمة السابقة عند أبى داود فى ألف طغيان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **طغيان وكفرا** ﴾ ﴿ **ونذرهم فى طغيانهم يعمهون** ﴾ وألفه ثابته عند الدانى لاندراجه فى قول الناظم (وذكر الدانى وزن فعلان) وألف « أموات » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وكنتم أمواتا فأحياكم** ﴾ ، ﴿ **وما يستوى الأحياء ولا الأموات** ﴾ .

قال :

١٠٢ ... ...

وعنهما فى الحجر خُلف فى الرياح

١٠٣ ـــ *وسورة الكهف ونص الفرقان*
كـــذا بإبـــراهيم عن سليمـــان

١٠٤ ـــ *والبكــر والشــورى ونـص المقنع*

بـــــالحـــــذف فى الثـــــلاث عن تتبع

١٠٥ ـــ *وجــاء أولى الــروم بــالتخييـــر*

لابـن نجــــاح ليس بــــالمأثـــــور

١٠٦ ـــ *وكـل مــا بقـى منـه فــاحــذف*

... ...

أقول : وقع لفظ الرياح فى القرآن فى اثنى عشر موضعا اتفق الشيخان على نقل اختلاف المصاحف فى ألف ثلاثة منها وهى ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ بالحِجْر ﴿ تذروه الرياح﴾ بالكهف ﴿ وهو الذى أرسل الرياح بشرا ﴾ بالفرقان واختلفا فى ثلاثة منها وهى ﴿ اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴾ بإبراهيم ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر﴾ بالبقرة المعبر عنها بالبكر لذكره فيها ـ ﴿ إن يشأ يسكن الريح﴾ فى شورى فنقل أبو داود خلف المصاحف فى حذف ألفها ونقل الدانى الحذف فيها من غير خلاف ـ وخير أبو داود بين الإثبات والحذف فى ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ موضع الروم الأول ولم يؤثر فيه شىء عن المصاحف وانفرد أبو داود بالحذف فى الخمسة الباقية وهى ﴿ يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ بالأعراف والنمل ، ﴿الله الذى يرسل الرياح ﴾ فى ثانى الروم ﴿ والله الذى أرسل الرياح ﴾ بفاطر ﴿ وتصريف الرياح ﴾ بالجاثية.

وخلاصة ما ذكر عنهما ـ الخلاف للدانى فى الثلاثة الأولى والحذف فى الثلاثة بعدها ـ والخلف لأبى داود فى السبعة الأولى بما فى ذلك موضع الروم الأول والحذف فى الخمسة بعدها وقوله (وكل ما بقى فاحذف) أى عن أبى داود

١٠٦ ـ... ... ...

ولفظ إحســـــــان أتى فـى المنصف

١٠٧ ـــ *مع شمــائر وجــاء حــذف ذين*

فـى نـص تنـــــزيل بغيـــــر الأولين

أقول : جاء عن البلنسى فى المنصف حذف ألف إحسان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وبالوالدين إحسانا وذى القربى﴾ الموضع الأول فى البقرة ونحو ﴿ وإليه بإحسان ﴾ ، ﴿ وبالوالدين إحسانا وذى القربى ﴾ وألف شعائر حيث وقع نحو ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ الموضع الأول فى البقرة ونحو ﴿ لا تحلوا شعائر الله ﴾ ونص أبو داود فى التنزيل على الحذف فيهما سوى موضعيهما الأولين فقد سكت عنهما . (والعمل فيهما على الحذف حملاً على النظائر) .

ولما كان تعميم صاحب المنصف يفيد انفراده بالحذف فى الموضعين الأولين ذكر ما انفرد به جريا على اصطلاحه من أنه لا يذكر عن صاحب المنصف إلا ما انفرد به . قال :

١٠٨ ـــ *حيث أصــابعهـم والبــرهـــان*

نكــالا الطـــاغــوت ثـم الأخـــوان

أقول : جاء عن أبى داود حذف ألف أصابعهم فى ﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ والف برهان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ ﴿ لا برهان له به ﴾ وسكت عن الألف الأولى فى مثنى برهان من ﴿ فذانك برهانان ﴾ والعمل على الحذف . وسيأتى حكم الثانية فى المثنى ـ وألف نكَالا المنون من ﴿ فجعلناها نكَالاً ﴾ بالبقرة ﴿نكالا من الله ﴾ بالمائدة ـ ولا يدخل فيه ﴿ أنكالا وجحيما ﴾ ولا نكال المضاف وهو ﴿ نكال الآخرة والأولى ﴾ وألفهما ثابتة ـ وألف الطاغوت حيث وقع نحو ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ وألف إخوان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ .

قال :

١٠٩ ـــ *إيــاى حــافظــوا وبــاشــروهن*

ثـم تـــراضــــوا وتبـــاشـــروهـن

أقول : جاء عن أبى داود حذف ألف إياى حيث وقع نحو ﴿إياى فارهبون ﴾ وألف حافظوا وباشروهن وتراضوا وتباشروهن فى ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ ، ﴿ فالآن باشروهن ﴾ ، ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ ، ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد﴾ وسينص على تراضيتم بقوله (كذا تراضيتم) .

قال :

١١٠ ـــ *كـذا أصابتهم أصــابتكم ومــا*

أصـــابكم لــدى الثــلاث كيفمــا

أقول : جاء عن أبى داود حذف أصابتهم وأصابتكم

وأصابكم حيث وقعن نحو ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ﴾ ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة ﴾، ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ [آل عمران : ١٦٦] ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ [النساء : ٧٣] بشرط أن يتصل بأصاب تاء التأنيث مع ضمير جماعة الغائبين أو المخاطبين أو ضمير جماعة المخاطبين مع تجرده من تاء التأنيث فإن خلا من ذلك أثبتت ألفه نحو ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾، ﴿ فأصابه وابل ﴾ ، ﴿ما أصاب من مصيبة ﴾ ، ﴿ أصابت حرث قوم ﴾ ـ وظاهر قوله ﴿وما أصابكم ﴾ أن (ما) قيد في أصابكم وليس كذلك وظاهر قوله (كيفما) أن الحذف واقع في هذه الثلاثة سواء اتصل بهن تاء التأنيث وضمير المخاطبين والغائبين أم لا وليس كذلك وأجيب برجوعه إلى الأخير وهو أصابكم.

قال :

١١١ ـــ *ميثــاق الأيمــان والأمـــوال*
أيمـــان العـــدوان والأعمـــال

أقول : جاء عن أبي داود حذف ألف ميثاق حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ﴾ ، ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ ، ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ وألف الإيمان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان ﴾ ﴿ زادتهم إيمانا ﴾ وألف أموال حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ونقص من الأموال ﴾ ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ ﴿ كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا ﴾ وألف أيمان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ ، ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ ، ﴿ أن تُرَدَّ أيمان بعد أيمانهم ﴾ وألف عدوان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ ، ﴿ومن يفعل ذلك عدوانا ﴾ وسيأتي إثبات ألفه لأبي عمرو في وزن فعلان ـــ وألف أعمال حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿بالأخسرين أعمالا ﴾ [الكهف : ١٠٣] ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ .

قال :

١١٢ ـــ *ثم مـــواقيت أحـــاطت والـــده*
ولأبـي عمـــرو مـن المعـــاهـــده

١١٣ ـــ *عـــاهـد في الفتح وأولى عـــاهـدوا*
وكلهـــــا لابـن نجـــــاح وارد

أقول : جاء عن أبي داود حذف ألف « مواقيت » في ﴿ قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ وألف « أحاطت » في ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ كلاهما بالبقرة لا غير وألف «والدة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ لا تضار والدة بولدها﴾ ، ﴿ وبرًّا بوالدتي ﴾ ولا يدخل أحاط في أحاطت ولا والد المذكر في والدة المؤنثة لثبوت ألفهما ـ وعن أبي عمرو وحذف ألف ما تصرف من المعاهدة في كلمتين أولاهما ﴿بما عاهد عليه الله ﴾ في الفتح وثانيتهما ﴿ أوَكلما عاهدوا عهدًا ﴾ الأولى وهو في البقرة وعن أبي داود الحذف في ألف كل الأفعال المنصرفة من المعاهدة زيادة على هاتين الكلمتين نحو ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ ، ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم ﴾ .

(والعمل على الحذف في جميعها)

قال :

١١٤ ـــ *تجــارة أمــانتــه منـــافع*
غشـــاوة شفـــاعـــة وواسع

(قرأها حمزة والكسائي في الجاثية « غشوة » فيكون الحذف فيما وقع في غيرها حملا عليها) .

أقول : جاء عن أبي داود حذف ألف « تجارة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ﴿ إلا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ ، ﴿ قل ما عند الله خيرٌ من اللهو ومن التجارة ﴾ وألف « أمانته »المضاف في ﴿ فليؤد الذي أؤتمن أمانته ﴾ بالبقرة ولا يدخل فيه غير المضاف نحو ﴿ إنا عرضنا الأمانة ﴾ لثبوت ألفه ـ وألف « منافع » حيث وقع نحو ﴿ منافع للناس ﴾ وألف « غشاوة » في ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ بالبقرة ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ بالجاثية ـ وألف «شفاعة» حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ولا تنفعها شفاعة ﴾ ، ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده ﴾ ، ﴿ لا تغن عني شفاعتهم شيئًا ﴾ وألف واسع حيث وقع نحو ﴿ إن الله واسع عليم ﴾ ولا تدرج فيه واسعة وسيأتي النص عليه.

(والعمل على الحذف في الألفاظ الستة حيث وقعت) .

قال :

١١٥ ـــ *شهـــادة فعل الجهـــاد غـــافل*
ثـم منـــــاسككـم والبـــــاطل

١١٦ ــ وضمن الــداني منــه المقنعــا
وبــاطل من قبل مــا كــانــوا معــا

أقول: جاء عن أبي داود حذف ألف « شهادة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهــادة ﴾ ، ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ ، ﴿ لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ وألف ما تصرف من الجهاد حيث وقع وكيف جاء ماضيا أو مضارعا أو أمرا تجرد من الضمير أو اتصل به نحو ﴿ والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، يجاهدون في سبيل الله ﴾ ،(ذكر في التـنزيل إثبـات ألف « هــاجــروا ») ﴿ جاهــد الكفــار والمنــافقيــن ﴾، ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ وظاهر قوله فعل الجهاد أن لا تحذف ألف الاسم منه في ﴿ خرجتم جهادًا في سبيلي ﴾ ، بالممتحنة . وقـد نص في التزيل على حذف ألفـه وأطلـق النـاظم في عمـدة البيان الحـذف فـي جهـادا المنصوب فشمل ﴿ جهادا كبيرًا ﴾ « بالفرقان » . أيضًا ـ وألف غـافل حيث وقـع وكيف جـاء نحـو ﴿ ومـا الله بغافـل عمـا تعملون ﴾ ، ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً ﴾ ـ وألف «مناسككم» في ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ ولا يندرج فيه ﴿ مناسكنا ﴾ لثبوت ألفه ــ وألف بـاطل حيث وقع وكيف جاء نحـو ﴿ ولا تلبسوا الحق بـالباطل ﴾ ، ﴿ وباطل ما كـانوا يعملون ﴾ ـ ولم يذكر الـداني في المقنع الحذف في باطل نحـو إلا ما وقع منه قبل « ما كانوا » وهو ﴿ وباطل ما كـانوا يعملون ﴾ بالأعراف . وهـود. وذلك قوله(وضمن الـداني منـه المقنعا) البيت ومـا عداهـا مما لم يذكره فثـابت عنده بمقتضي.قاعدتـه في قول الناظم (ووزن فعال وفاعل ثبت)

قال :

١١٧ ــ مع المثنى وهــو في غيــر الطــرف
كــرجــــلان يحكمـــان واختلف

١١٨ ــ لابن نجــاح فيــه ثـم الــداني
قــد جــاء عنــه في تكــذبــان

أقـول: أخبر عن أبي عمـرو بحذف ألف المثنى وهي مـا دلت على التثنية في الاسم وكـانت علامة على رفعـه أو كانت ضمير اثنين بشرط أن تقع وسطا كرجلان يحكمان ـ وفي تعدد المثال وتغايره إشارة إلى أن المثنى نـوعان اسم كرجلان وفتيان ويـداك وكذا فـذانك وهـاذان واللـذان : وفعل كيحكمان ومـا يعلمان ويأتيانهـا منكم وتكذبان وقوله في غيـر الطرف احتراز عمـا تطرفت في المثنى لثبـوتهـا اتفـاقـا نحـو ﴿ إنـا رسولا ربك﴾، ﴿ تبت يـدا أبي لهب ﴾ ، ﴿ وكُـلاً منها رَغَـدًا ﴾ ، ﴿قالا الحمـد لله ﴾ وقد نقـل أبو داود خلاف المصـاحـف في ألف المثنى مطلقًا ولم ينقل أبـو عمرو الخـلاف إلا في ألف تكذبان فقط وذلك قولـه (واختلف لابن نجاح فيه ثم الداني) البيت ــ ويـنـدرج في المثنى الألـف الثـانيـة من مـدهـامتـان ونضّاختان وبُرهانان أما أولى مدهامتان ونضاختان فلم يتعرض لهما الناظم والعمل على إثباتهما وقـد مر حذف أولى برهانان عند قـوله (حيث أصـابعهم والبرهـان) والظاهـر اندراج ألف اثنان من ﴿ اثنان ذوا عدل ﴾ لأنه ملحق بالمثنـى وخرج منه كلاهما وجاءانا لنصـه على كل واحد منهما بعينه ـ وحكى في التنـزيل إجماع المصـاحف على حـذف ألف الأوليان فكـان الأولى للناظم استثناؤه من خلاف أبي داود قال :

(العمل على حـذف ألف المثنى حيث وقع وما ألحق بـه كألف اثنان إلا لفظ « تكـذبان » جميع مـا وقع في « الرحمن » فبالإثبات) .

قال :

١١٩ ــ وفـي الأخيــر الحــذف فـي نــداء
رجـح عنهمــــا ونحـــــو مــــــاء

أقـول: إذا وقع في آخـر الاسم ألف مبدلـة مـن تنـوين النصب وكـان قبلها همـزة وقبل الهمـزة ألف نحـو نداء ومـاء وحياء ومراء واقتراء وغثاء حذفت إحدى الألفين وقد كتبت هذا النوع في المصاحف بألف واحدة لئلا يجتمع ألفان ولم تصور همزتـه فاحتمل أن تكـون المحذوفة الأولى فتكـون المرسـومة ألف النصب وأن تكـون الثـانيـة هي المحـذوفـة واختلف في رجحان حذف إحـداهما فرجع الشيخان حـذف الثانية وذلك قوله (وفي الأخير الحذف من نداء) البيت ١١٩ قال :

١٢٠ ــ واحـذف بـواعـدنـا مع المسـاجـد
وعـن أبـي داود أيضًـــا واحـــــد

١٢١ ـــ *وكيف أزواج وكيف الـــوالـــدين*

... ...

أقـول: اتفق الشيوخ على حـذف ألف واعدنـا حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وواعدنا موسى** ﴾ ، ﴿ **وواعـدناكم جانب الطور الأيمن** ﴾ وألف مساجد حيث وقع وكيـف جـاء نحـو ﴿ **وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾ ، ﴿ **ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** ﴾ وجاء عن أبى داود حذف ألف « واحد » وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وإلهكم إلـه واحد** ﴾ ، ﴿ **وهـو الـواحد القهـار** ﴾ ونص على حذف ألف واحدة حيث وقع نحو ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ ، ﴿ **نفخة واحدة** ﴾ ـ ولم يذكره الناظم وقد قيل فى إصلاح البيت (وابن نجاح واحدة وواحد) وألف « أزواج » جمعـا لزوج أو بمعنـى الأصناف حيث وقع وكيـف جاء نحـو ﴿ **ولهم فيهـا أزواج مطهـرة** ﴾ ، ﴿ **وصيـة لأزواجهـم** ﴾ ، ﴿ **ثمانية أزواج** ﴾ وألف « والدين » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وبـالوالـدين إحسانـا** ﴾ ، ﴿ **ووصينـا الإنسـان بـوالـديـه حسنـا** ﴾ ، ﴿ **أن اشكـر لى ولـوالـديك** ﴾ ، ﴿ **رب اغفـر لى ولوالدى** ﴾ قال:

١٢١ ... ...

وفى العظـــام عنهمـــا فــى المـــؤمنيــن

١٢٢ ـــــ *وغيـــــر أول بتنـــــزيل أتيــن*

كــــلا والأعنــــاب بغيـــــر الأوليــن

١٢٣ *لكـن عظـــامــــه لــــه بـــالألـف*

وكــل ذلـك بحـــــــــذف المنصــف

أقـول: وقع لفظ عظـام فى غيـر مـوضع من القرآن وفى المؤمنيـن منه أربعة مـواضع اتفق الشيخان على حـذف ألف الموضعين الأولين منها وهما ﴿ **فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمـا** ﴾ وظاهـر النظم يفيد أن أبـا عمرو حـذف ألف الموضعين الأخيرين منهما كأبى داود وهما ﴿ **أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تـرابـا وعظـامـا** ﴾ ، ﴿ **أئذا متنا وكنـا ترابـا وعظاما** ﴾ وليس كذلـك وأحسن ما أصلح به البيـت (والدانى أولى عظام المؤمنين).

وجاء عن أبى داود حذف ألف « عظام » حيث وقع وكيف جـاء إلا المـوضع الأول وهـو ﴿ **وانظـر إلى العظـام كـيف ننشـزها** ﴾ بالبقرة وذلك قولـه (وغير أول بتنزيل أتين) وإلا ما استدركه الناظم على هذا التعميم وهو ﴿ **ألن نجمع عظامه** ﴾ بالقيامـة [٣] فبالإثبات وذلك قوله (لكن عظامـه له بالألف) وأفاد قـوله (والأعنـاب بغير الأولين) أن أبـا داود يحذف لفظ «أعناب » حيث وقع وكيف جاء سوى الموضعين الأولين وهما ﴿ **أيودُّ أحدكم أن تكون له جنة مـن نخيـل وأعنـاب** ﴾ بالبقـرة ﴿ **قنوان دانية ... وجنات من أعناب** ﴾ بالأنعام.

وعمم صـاحب المنصف الحـذف فى ألف عظـام حيث وقعا وكيف جـاءا فشمل ما ذكـره الشيخان ومـا سكتا عنـه وما أثبته أبو داود ممـا سبق ذكره ونحو ﴿ **أئذا كنا عظاما ورُفاتا** ﴾ بالإسراء ﴿ **قال من يحى العظام** ﴾ في يسٓ ﴿ **وفى الأرض قطع متجـاورات وجنـــات مـــن أعنـــاب** ﴾ بـالـرعـد ﴿ **والزيتون والنخيل والأعناب** ﴾ بالنحل.

وخلاصة ما ذكـر حذف ألف عظام حيث وقع وكيف جاء عن صاحبى التنـزيل والمنصف إلا الموضع الأول بالبقـرة فقد سكت عنه صاحب التنزيل وإلا موضع القيامة فبالإثبات عنده ووافقهمـا الـدانى فى أولى المـؤمنين . وحـذف ألف أعنـاب حيث وقع وكيف جـاء عن صاحبى التنزيـل والمنصف سوى المـوضعين الأوليـن فقـد سكت عنهمـا صاحـب التنـزيل. والعمل على حذف ألف عظام وأعنـاب حيث وقعا إلا عظامه بالقيامة فبالإثبات .

قال :

١٢٤ ـــ *والحـذف عنهمـا بهمـز الـوصل*

إذا أتـى مـن قبـل همـــــــــز الأصـل

١٢٥ ـــ *من نحـو وأتـوا فأت قل وفسألــوا*

وشبهــــه كنحـــو واسأل واسألـــوا

أقول : الكلام فى هذين البيتين إلى تمام سبعة أبيات على حذف همزة الوصل رسمـا وهى ما تثبت ابتداء وتسقط وصلا ـ وتحذف عند الشيخين فى سبعة مواضع ذكر هنا موضعين:

(أولهما) أن تحـذف بشرط أن تقع قبل همـزة قطع واقعة بعد مـا لا يمكن استقلاله والوقـف عليه كـالواو والفـاء نحو

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ ﴿فأت بها من المغرب﴾ ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ فإن لم يقع بعدها همزة قطع نحو ﴿واتقوا الله﴾ أو وقعت لكن اتصل بهمزة الوصل ما يستقل ويصح الوقف عليه أثبتت همزة الوصل رسما لثبوتها لفظا عند الوقف على ما قبلها والابتداء بها نحو ﴿الذى اؤتمن﴾ ﴿وقال الملك ائتونى﴾ ﴿ثم ائتوا صفا﴾.

ثانيهما : تحذف بشرط أن تقع بعد واو أو فاء فى فعل أمر من السؤال نحو ﴿فسألوا أهل الذكر﴾ ﴿واسألوا الله من فضله﴾.

قال :

١٢٦ ـــ *وقبل تعريف وبعد لام*

كالذى للدار للإسلام

أقول : الثالث تحذف همزة الوصل إذا وقعت قبل أداة شأنها التعريف وبعد لام ابتداء أو جر متصلة رسما ومثالهما ﴿وللدار الآخرة خير للذى يتقون﴾ ونحو ﴿للذى ببكة مباركا﴾، ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾، ﴿الحمد لله﴾ ﴿هدى للمتقين﴾ قال :

١٢٧ ـــ *وبعد الاستفهام إن كسرتا*

كقوله يدى أستكبرتا

أقول : ذكر فى هذا البيت الرابع من مواضع حذف الهمزة فتحذف عند الشيخين إذا وقعت مكسورة بعد همزة استفهام نحو ﴿أستكبرت﴾ ﴿أستغفرت لهم﴾، ﴿أتخذتم عند الله عهدا﴾ ﴿أطلع الغيب﴾ وخرج عن المكسورة المفتوحة نحو ﴿آلله﴾ ﴿آلذكرين﴾ ﴿الآن﴾ فى يونس فالمختار فيها أن الألف الموجودة صورة همزة الوصل وهمزة الاستفهام لا صورة لها قال :

١٢٨ ـــ *ولتخذت وبخلف يرسم*

لابن نجاح فى أفاتخذتم

أقول : ذكر فى هذا البيت الخامس والسادس من مواضع حذف الهمزة فتحذف عند الشيخين فى ﴿لتخذت عليه أجرا﴾ بالكهف وقيد اتخذت باللام لإخراج ما خلا عنها نحو ﴿لئن اتخذت﴾ وانفرد أبو داود بنقل خلاف المصاحف فى حذف همزة ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ بالرعد واختار فيها الإثبات قال :

١٢٩ ـــ *وحذف باسم الله عنهم واضح*

فى هود والنمل وفى الفواتح

١٣٠ ـــ *وأغفل الدانى ما فى النمل*

فرسمه كهذه عن كل

أقول : ذكر فى هذين البيتين السابع من مواضع حذف همزة الوصل فتحذف إذا وقعت بين الباء والسين من ﴿بسم الله مجريها﴾ فى هود . وفى ﴿وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ بالنمل. وفى بسم الله الرحمن الرحيم الواقعة فى فواتح السور ـ وسكت الدانى عن حكم الواقع فى النمل ورسمه عن جميع شيوخ النقل سوى الدانى كرسم المذكورات وعليه العمل ـ وأفاد قوله (فى هود واسم الله والفواتح) أن الواقعة فى غير هذه المواضع ترسم من غير خلاف ولا تحذف نحو ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾، ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وبقى موضع ثامن تحذف فيه همزة الوصل وهو يابنؤم وسيأتى فى الهمز وخلاصة ما ذكر أن همزة الوصل تحذف اتفاقا إذا وقعت قبل همزة قطع واقعة بعد ما لا يستقل ولا يوقف عليه. أو أن تقع بعد واو أو فاء فى فعل أمر من السؤال . أو قبل أداة تعريف وقبلها لام ابتداء أو جر متصلة رسما ـ أو مكسورة بعد همزة استفهام . وفى ﴿بسم الله﴾ فى هود ، والنمل . وفواتح السور وفى ﴿لتخذت عليه﴾ بالكهف وفى ﴿أفاتخذتم﴾ بالرعد بخلف عن أبى داود . وفى يابنؤم وسيأتى حكمه (أوردنا معلومات مستفيضة عن همزة الوصل فى مادة «الهمزة» (م ١ / ٢٤ ـ ٣٤) فانظرها فى موضعها) .

قال :

١٣١ ـــ *كذا وقاتلوهم فى البقرة*

وقبله ثلاثة مقتفرة

١٣٢ ـــ *وآل عمران بها الأخير*

وفلقاتلوكم مأثور

١٣٣ ـــ *وموضع فى الحج والقتال*

ثمان أحرف على التوال

١٣٤ ـــ *أولى تشـــابــه وإن تظــاهـــرا*
تظـــاهـــرون وكـــذا تظـــاهـــرا
١٣٥ ـــ *وأطلق الجميع فـى التنـــزيل*
بـأى مـــــا لفـظ علـى التكميـل

أقـول : جـاء عن الشيخين حـذف ألف ثمـانيـة أفعـال اشتقت من مادة « قتل » وهى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ بالبقرة وثلاثة أفعال قبله مقتفرة أى متبوعة بلفظ وقاتلوهم وهى ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ والأخير من آل عمران وهـو ﴿ وقاتلوا وقُتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ و ﴿ فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم ﴾ بالنساء ﴿ أذن للذين يقـاتلون ﴾ بالحج وثامنها ﴿ والذين قاتلوا فى سبيل الله ﴾ بالقتال وقد ذكـرت على ترتيب السور ـ وجاء عنهما أيضا حذف ألف كلمة « تشابه » الأولى وهى ﴿ إن البقر تشابـه علينا ﴾ بالبقـرة وألف ﴿ وإن تظـاهرا عليـه ﴾ بالتحريم وألف ﴿ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ بالبقرة وألف ﴿ قـالوا سحـران تظاهـرا ﴾ بالقصص وليـس للدانى حذف فيما اشتق من أفعال القتال سـوى هذه الثمانية ولا فيما اشتق من مادة شبه وظهـر سوى أولى تشابه ﴿ وإن تظاهرا ﴾ ﴿ تظـاهرون عليهم ﴾ ﴿ سحـران تظاهـرا ﴾ وأطلق أبـو داود الحـذف فى كل مـا اشتق من مـادة قتل وشبه وظهر ممـاثـلا للألفـاظ السابقة فى وقـوع ألفه بعد القـاف أو الشين أو الظاء نحو ما تقـدم من الأمثلة ونحو ﴿ وقاتلـوا فى سبيل الله الذين يقـاتلـونكم ﴾ ﴿ قـاتلـوهـم يعـذبهم الله ﴾ ﴿ قـاتلهم الله ﴾ ﴿ تشـابهت قلوبهـم ﴾ ، ﴿ متشابهـا وغيـر متشابـه ﴾ ﴿ ولم يظـاهـروا عليكم أحدا ﴾ ﴿ وذروا ظـاهـر الإثم ﴾ ﴿ إلا مـراء ظاهرا ﴾ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ .

قال :

١٣٦ ـــ *والمنصف الأسبـــاب والغمـــام قل*
وابن نجـــاح مـــا ســـوى البكـــر نقل

أقـول : وقع لفظ الأسبـاب والغمـام فى غير مـوضع من القرآن وقد أطلق صاحب المنصـف الحذف فى ألفيهما نحو ﴿ وتقطعت بهم الأسبـاب ﴾ ، ﴿ وظللنـا عليكم الغمـام ﴾ ، ﴿ هل ينظـرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمـام ﴾ بالبقرة ونحـو ﴿ فليـرتقـوا فى الأسبـاب ﴾ ﴿ لعلى أبلغ الأسبـاب * أسباب السموات ﴾ ﴿ وظللنـا عليكم الغمام ﴾ ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ وقد نقل أبو داود حذف ألفهما سوى ما وقع منهما فى البقرة فوافق البلنسى فى غير ما وقع منهما فى البقرة قال :

١٣٧ ـــ *ومع لام ذكـــره تتبعـــا*
نجل نجـــاح مـــوضعـــا فمـــوضعـــا
١٣٨ ـــ *كنحـــو الإصـــلاح ونحـــو عـــلام*
... ...

أقول : من هنـا إلى تمام أربعـة عشر بيتـا شروع فى حكم الألف المعانق للام وتجىء على قسمين : مـا عانق لاما مفردة كالسلام وما وقع بين لامين كخـلال . وبدأ بالأول فأخبر أن أبا داود تتبعها فى مـواضعها لفظا لفظـا فنقل حذف مـا وقع منها بعد لام مفردة نحو « الإصلاح » فى ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ﴾ بهود ونحو « علام » فى ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ بالمائدة وفى ﴿ وأن الله علام الغيوب ﴾ بالتوبة وفى ﴿ يقذف بالحق علام الغيوب ﴾ فى سبأ ومثلها ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ وذلك بشرط أن تقع الألف وسطا متصلة باللام بحيث يكونان معا من كلمـة تحقيقا أو تقديرا فخـرج ما وقع طرفـا كألا وكلاً وعـلا ومثلها أولاء لتطـرف الألف رسما بعـدم تصويـر همزتـه الأخيرة وخـرج نحو الآخرة والآيات لانفصـال الألف عن اللام فى كلمة أخرى ودخل بقـولنا تقديرا الآن لأنه لما لـزمته أل نزل منها منزلة الكلمة الواحدة قال :

١٣٨ ... ...
ســـوى قـل إصـــلاح وأولـى ظـــلام
١٣٩ *تـــلاوتـــه وسبـل الســـلام*
ومثلهـــا الأول مـــن غـــــلام
١٤٠ *وكـل حـــلاف غـــلاظ لاهيـــة*
ومثلهـــا التـــلاق مع عـــلانيـــه
١٤١ *ثـم فـــلانـــا لاثم ولازب*
وأطلقـت فـى منصف فـــالكـــاتـب

١٤٤ مخير فى رسمها ... ...

... ...

أقول : بعد أن ذكر لأبى داود حذف الألف الواقع بعد اللام المفردة استثنى له ثلاثة عشر لفظا لم يتعرض لها بحذف ولا إثبات وهى « إصلاح » فى ﴿ قل إصلاح لهم ﴾ بالبقرة وقيده بقل لإخراج نحو ﴿ أو إصلاح بين الناس ﴾ وأولى ظلام فى ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ بآل عمران واحترز بالأولى عن نحو ما فى الأنفال والحج وتلاوته فى ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ بالبقرة و« السلام» فى ﴿ من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ بالمائدة وقيده بمجاورة سبل لإخراج نحو ﴿ لهم دار السلام ﴾ والأول من «غلام» فى ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام ﴾ بآل عمران واحترز بالأول لإخراج ما وقع فى مريم وحلاف فى ﴿ولا تطع كل حلاف ﴾ وليس غيره ـ و «غلاظ » فى ﴿ عليها ملائكة غلاظ ﴾ بالتحريم و« لاهية » فى ﴿لاهية قلوبهم﴾ بالأنبياء والتلاق فى ﴿ يوم التلاق ﴾ بغافر وعلانية حيث وقعت نحو ﴿ سرا وعلانية ﴾ و« فلانا » فى ﴿ لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ بالفرقان ـ و « لائم » فى ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ بالمائدة و« لازب» فى ﴿ من طين لازب ﴾ بالصافات ـ وأطلق صاحب المنصف الحذف فيها فشمل ما ذكره أبو داود وما سكت عنه من هذه الألفاظ الثلاثة عشر وخير الناظم من عنده الكاتب فى رسمها وهو معارض بنص الدانى وصاحب المنصف على الحذف فى الأول من غلام وحذف ألف سبل السلام ولا يصح هذا التخيير خصوصا بعد نقل اللبيب إجماع المصاحف على الحذف فى سبل السلام ـ قال :

١٤٢ ... ... وحذفت

فى مقنع خلائفا حيث أتت

١٤٣ كيف ثلاثون ثلاثة ثلاث

سلاسل وفى النساء وثلاث

١٤٤ ثم خلاف بعد مقعدهم

لكن أولئك وقل لامستم

١٤٥ وفى الملاقاة سوى التلاق

وفى غلامين وفى الخلاق

١٤٦ وفى الملائكة حيث تأتى

واللات ثم اللائى ثم اللاتى

١٤٧ كذا إلاه وبلاغ وغلام

والآن إيلاف معا ثم سلام

١٤٨ وكلهم فى الجن الآن ذكروا

بألف حسبما قد أثروا

أقول : نقل أبو عمرو فى المقنع حذف الألف المعانق للام المفردة فى ثلاث وعشرين كلمة وهى « خلائف » حيث وقع نحو ﴿ جعلكم خلائف الأرض ﴾ بالأنعام و « ثلاثون » كيف وقعت مرفوعة أو منصوبة نحو ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ و « ثلاثة » حيث وقعت وكيف جاءت نحو ﴿ فصيام ثلاثة أيام فى الحج ﴾ ﴿ثلاثة قروء ﴾ ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ و « ثلاث » حيث وقع نحو ﴿ ثلاث ليال سويا ﴾ و « سلاسل » كيف وقع نحو ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل ﴾ بغافر ﴿ أعتدنا للكافرين سلاسلاً ﴾ بالدهر و« ثلاث» بضم الثاء فى ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ بالنساء وقيده بالسورة لإخراج مثله بفاطر وخلاف الواقع بعد مقعدهم فى ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ بالتوبة وقوله بعد مقعدهم لإخراج نحو ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴾ بالمائدة ـ و « لكن » حيث وقع نحو ﴿ ولكن لا يشعرون ﴾ ومثله ﴿ لكنا هو الله ربى ﴾ وأفاد قول الناظم لكن مخففة النون عدم اندراج لكن المشددة مع أن ألفها محذوفة عند أبى عمرو وأولئك حيث وقعت وكيف جاءت نحو ﴿أولئك على هدى من ربهم ﴾ ﴿وأولئكم جعلنا لكم ﴾ ولا يدخل فيه أولاء ولامستم فى ﴿ أو لامستم النساء ﴾ بالنساء والمائدة وألف كل لفظ اشتق من مادة « الملاقاة » حيث وقعت وكيفما تصرفت نحو (ملاقوا الله وملاقوه وملاقيه ويلاقوا) سوى التلاق .

واستثناء الناظم له لعدم ذكره فى المقنع . وينبغى استثناء «لاقيه» فى ﴿ فهو لاقيه ﴾ لعدم ذكره أيضا . وغلامين فى ﴿فكان لغلامين يتيمين ﴾ بالكهف و « الخلاق » فى ﴿ هو الخلاق العليم ﴾ بالحجر ويس . وهذا اللفظ مما استثنى لأبى عمرو من قول الناظم (ووزن فعال وفاعل ثبت) البيت ـ

و« الملائكة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإذ قال ربك للملائكة ﴾ ، ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ﴾ ، ﴿ عليها ملائكة ﴾ ـ و« اللات » فى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ بالنجم ـ و « اللائى » حيث وقع نحو ﴿ وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ بالأحزاب ـ و« اللاتى » حيث وقع نحو ﴿ واللاتى يأتين الفاحشة ﴾ بالنساء ـ و « إله » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ وترك الناظم « إلٰهين » فى ﴿ لا تتخذوا إلٰهين اثنين ﴾ ولا يدخل فى كلامه لعدم اندراج المثنى فى المفرد وكان ينبغى ذكره لوجوده فى المقنع ـ و « بلاغ » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ ، ﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾ ـ و « غلام » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام ﴾ ﴿ وأما الغلام ﴾ ـ و «الآن » حيث وقع وكيف جاء سوى موضع الجن نحو ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾ ﴿ الآن وقد كنتم ﴾ و « إيلاف » موضعى قريش فى ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم ﴾ ـ و « سلام » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ قالوا سلاما قال سلام ﴾ ﴿ سبل السلام ﴾ ﴿ الملك القدوس السلام ﴾ ـ وسيأتى لأبى عمرو زيادة على هذه الكلمات حذف ألف البلاء بالصافات وبلاء بالدخان وتقدم له حذف ألف الجلالة واللهم ـ وقد اتفق كل الشيوخ على نقل إثبات ألف الآن فى ﴿ فمن يستمع الآن ﴾ بالجن وذلك قوله (وكلهم فى الجن الآن ذكروا) البيت ١٤٨ وهو كالاستثناء . من قوله : (ومع لام ذكره تتبعا) البيت قال :

١٤٩ أو كلاهما يخلف جاء
وليس يرسمون فيه ياء

أقول : اتفق الشيوخ على نقل خلاف المصاحف فى حذف وإثبات ألف « كلاهما » فى ﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾ بالإسراء . وأنهم لم يرسموا ياء فى موضع الألف المحذوفة . واختار فى التنزيل إثبات الألف وعليه العمل قال :

١٥٠ فإن يكن ما بين لامين فقد
حذف عن جميعهم حيث ورد

أقول : شرع يتكلم على القسم الثانى من قسمى الألف المعانق للام وهو ما وقع بين لامين فأخبر أن شيوخ النقل اتفقوا على حذف ألفه حيث وقع فى القرآن نحو ﴿ فى الكلالة ﴾ ، ﴿ لا خلال ﴾ ﴿ من خلاله ﴾ ﴿ خلالكم ﴾ ﴿ فى ظلال ﴾ ﴿ وظلالهم ﴾ ﴿ أغلالا ﴾ ﴿ من سلالة ﴾ بشرط أن تكون الألف وسطا ـ خرج نحو ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ .

وخلاصة ما ذكر فى الألف المعانق للام أنه إما أن يقع بين لامين وإما أن يقع بعد لام فقط فإن وقع بين لامين فالحذف اتفاقا وإن وقع بعد لام مفردة اختلف فيه على ثلاثة مذاهب :

الأول : مذهب البلنسى الحذف مطلقا .

الثانى : مذهب أبى داود الحذف مطلقا فى غير ثلاث عشرة كلمة استثناها له الناظم بقوله (سوى قل إصلاح البيت ١٣٨ إلى قوله لائم ولازب البيت ١٤١) .

الثالث مذهب الدانى الحذف فى ثلاث وعشرين كلمة فى قوله (وحذفت فى مقنع إلى قوله ثم سلام) (الأبيات ١٤٢ ـ ١٤٧) وذلك غير الآن موضع الجن فقد اتفقت مصاحف الأمصار على إثبات ألفه وغير أو كلاهما فقد اختلفت فيه المصاحف بين الإثبات والحذف ـ وعلم مما تقدم موافقة أبى داود للدانى فى غير الأول من غلام قال :

١٥١ وما أتى تنبيها أو نداء
كقوله هاتين يا نساء

١٥٢ وليس هاؤم وهاتوا منها
لعدم التنبيه فاعلم من ها

أقول : اتفق شيوخ النقل على حذف ألف كل لفظ دل على تنبيه أو نداء فالأول نحو (هاتين وهذا وهذه وهذان وهؤلاء) بشرط ألا تكون طرفا فلا تحذف فى نحو (يأيها) إلا ما سيذكره الناظم بعد فى قوله (وأيه الزخرف) البيت والثانى نحو ﴿ يا نساء النبى ﴾ ﴿ يأيها الناس ﴾ ﴿ يا آدم ﴾ ﴿ يا إبراهيم ﴾ ﴿ يا بنؤم ﴾ ولئلا يتوهم أن هاء « هاؤم » فى ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ وهاء « هاتوا » فى قوله ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ للتنبيه نفى ذلك بقوله : (وليس هاؤم وهاتوا منها) لعدم دلالة الهاء فيهما على التنبيه وإنما هى جزء كلمة منهما كالزاى من زيد فهى ثابتة . قال :

١٥٣ ولفظ سبحان جميعا حذفا
لكن قل سبحان فيه اختلفا

أقول : اتفق شيوخ النقل سوى الدانى على حذف ألف «سبحان» حيث وقع نحو ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾، ﴿ سبحان ربنا ﴾، ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ كما اتفقوا على نقل خلاف المصاحف بين الحذف والإثبات فى ألف (سبحان ربى) الواقع بعد قل بالإسراء وشهر اللبيب فيه الحذف وشهر غيره الإثبات ولفظ سبحان على وزن (فعلان) فهو من مستثنيات الدانى من قول الناظم (وذكر الدانى وزن فعلان) البيت قال :

١٥٤ وكاتبا وهو الأخير عنهما
ومقنع لدى الثلاث مثل ما

١٥٥ وابن نجاح لثالث قد أثبتا
والأولان عنهما قد سكتا

أقول : ورد لفظ « كاتب » فى القرآن فى أربعة مواضع كلها فى البقرة نقل الشيخان اختلاف المصاحف فى حذف وإثبات ألف الأخير منها وهو ﴿ ولم تجدوا كاتبا ﴾ واختلف عن أبى عمرو فى الثلاثة الباقية وهى ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾ ﴿ ولا يأب كاتب ﴾ ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ وذلك قوله : (ومقنع لدى الثلاث مثل ما) أى مثل الحكم الذى تقدم وهو الخلاف المستفاد من شطر البيت الأخير قبل هذين البيتين ـ وأثبت أبو داود ألف الثالث منها وهو ﴿ ولا يضار كاتب ﴾ وسكت عن الأولين .

وخلاصة ما فيها أن الألفاظ الأربعة مختلف فيها عن الدانى : وهى عند أبى داود على ثلاثة أقسام مسكوت عنه وهو الأولان . ومثبت وهو الثالث . ومختلف فيه وهو الرابع واختار الدانى فى المقنع إثبات الألف فى جميعها قال :

١٥٦ واحذف يضاعفها لدى النساء
ومعه للدان سواه جاءى

١٥٧ وذكر الخلف بأولى البقره
ثم بحرفى الحديد ذكره

١٥٨ ولأبى داود جاء حيثما
ألا يضاعفها كما تقدما

١٥٩ وفى العقيلة على الإطلاق
فليس لفظ منه باتفاق

أقول : اتفق الشيوخ على حذف ألف يضاعف فى ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ بالنساء وجاء سوى موضع النساء معه أى مع موضع النساء بالحذف عند الدانى نحو ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ بالبقرة ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ بهود ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ﴾ بالفرقان ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ بالأحزاب ﴿ يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾ بالتغابن، واختلف عنه فى ثلاثة مواضع .

الأول: أولى البقرة وهى ﴿ فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ خرج ثانيها وهو ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ فبالحذف عنده من غير خلاف .

الثانى والثالث : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ﴾ ﴿ يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴾ كلاهما بالحديد ـ ولا يدخل الاسم من المضاعفة فى قوله سواه إذ المراد بسواه خصوص أفعال المضاعفة كما لا يدخل أضعافا أيضا . وجاء الخلاف عن أبى داود فى حذف ألف «يضاعفها» حيث وقع إلا يضاعفها الذى تقدم اتفاق الشيوخ على حذف ألفه وهو ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ بالنساء كما تقدم، ونسبة الناظم الخلاف لأبى داود بقوله (ولأبى داود جاء حيثما) أى الخلاف ليس على ما ينبغى فقد حكى فى التنزيل إجماع المصاحف على حذف ألف جميع أفعال المضاعفة . وأطلق الشاطبى الخلاف فى العقيلة فلم يأت عنده لفظ منها متفق على حذف ألفه وهذا الإطلاق من زيادة العقيلة على المقنع والخلاصة أن فى ألف يضاعف ثلاثة مذاهب .

الأول: مذهب أبى داود الحذف مطلقا على ما فى التنزيل .

الثانى : مذهب الشاطبى الخلاف مطلقا على ما فى العقيلة .

الثالث : مذهب الدانى الحذف مطلقا فى غير أولى البقرة وحرفى الحديد فبالخلاف عنده فى الثلاثة .

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للعلامة محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى / ١٠ - ١٧ ، الأبيات ٧٩ - ١٥٩ ، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن - فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ١ / ٢٢ - ٤٦) .

حذف اللام فى رسم المصحف

عن حذف إحدى اللامين جاء هذان البيتان للإمام الخراز فى منظومته « متن مورد الظمآن » ويعقبهما شرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار، الذى يميز الشرح بلفظ « أقول » ، والبيتان مرقمان وفقا لترتيبهما فى المنظومة ، قال الناظم :

٢٨٩ - باب ورود حذف إحدى اللامين
وهو مرجح بثانى الحرفين
٢٩٠ - فى الليل واللائى التى واللاتى
وفى الذى بأى لفظ يأتى

أقول : بعد أن فرغ من حذف الألف والياء والواو شرع يتكلم على حذف إحدى اللامين فذكر أن اللام تحذف فى خمس كلمات وهى « اليل » حيث وقع نحو ﴿ واختلاف اليل والنهار ﴾ و « اللائى » حيث وقع نحو ﴿ إلا اللائى ولدنهم ﴾ وقد ورد فى أربعة مواضع بالأحزاب والمجادلة وموضعين بالطلاق ، و « التى » حيث وقع نحو ﴿ والتى أحصنت فرجها ﴾ و « اللاتى » حيث وقع نحو ﴿ واللاتى يأتين الفاحشة ﴾ و « الذى » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ﴾ ﴿ واللذان يأتيانها منكم ﴾ ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا ﴾ وهل المحذوفة الأولى أو الثانية الأرجح عند الدانى حذف الثانية وتبعه الناظم، واختار أبو داود حذف الأولى .

تنبيه تنصيص الناظم على حذف إحدى اللامين فى هذه الكلمات الخمس دليل على أن غيرها مما فيه لامان متصلتان مرسوم بثبوتهما على الأصل باتفاق المصاحف نحو . الله واللهم واللطيف واللوامة .

وأما ألف مشدد اللام فيرسم بلام واحدة لمجيئه على الأصل ولذا سكت الناظم عنه . قال أبو داود فى التنزيل وألف بلام واحدة ولا يجوز غير ذلك . والألفاظ الخمسة التى حذفت منها إحدى اللامين هى مما تنزلت فيه أل منزلة الجزء للزومها إلا لفظ الل . واقتصارهم على الألفاظ الخمسة دليل على أنهم أجروها مجرى باب مدَّ وردَّ فى رسم المدغم فيه بحرف واحد ولا يرد إثبات اللامين فى اللات لأنه لما كثر دوره أجروه على الأصل ألا ترى إلى حذف اللام فى اليل مع أنها لم تنزل منزلة الجزء منه وذلك لكثرة دوره وتماثل أكثر حروفه، وسكت الناظم عن مذهب النحاة فى حذف إحدى اللامين من لفظ الجلالة إذا جُرَّ باللام نحو ﴿ لله الأمر ﴾ لعدم ذكر أئمة الرسم له) .

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى / ٢٨ ، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن - فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ٢ / ١٥ ، ١٦) .

حذف من نسب قريش (كتاب ء)

تأليف مؤرِّج بن عمرو السدوسى . قال عنه الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد فى مقدمته : كتاب « نسب قريش » أقدم كتاب وصل إلينا مما ألف عند العرب فى الأنساب .

سماه مؤرج « حذف من نسب قريش » فقال فى مقدمته « هذا كتاب حذف من النسب ، ولو كتبتُ كتاب استئصال لشغلتنى سيرة النبى ﷺ وسيرة بنى العباس دهراً » .

والحذف القطع من الطرف، والاستئصال القطع من الأصل . أراد أنه تكلم على نسب قريش من أطرافه فأوجز ، ولم يستوعبه كله مفصلا . وقد قال ابن خلكان : اختصر نسب قريش فى مجلد لطيف سماه « حذف نسب قريش » .

(ورد الاسم فى طبعة محيى الدين عبد الحميد من الوفيات « حذق » بالقاف ، وكذا عند خير الدين الزركلى فى الطبعة الجديدة من الأعلام . وهى بالفاء » .

وتكلم مؤرج على بنى هاشم بن عبد مناف وحلفائهم ، وبنى المطلب بن عبد مناف، وبنى عبد شمس وأحلافهم ، وبنى نوفل بن عبد مناف وأحلافهم ، وبنى عبد الدار بن قصى، وأحلافهم ، وبنى عبد بن قصى، وبنى عبد العزى بن قصى وأحلافهم ، وبنى زهرة بن كلاب، وبنى مخزوم ، وبنى تيم بن مرة ...

والمهم فى كتاب مؤرج هذا أمور كثيرة :

١ ـ أنه أقدم المصادر التى وصلت إلينا عن الأنساب . وسيكون بعد اليوم المرجع الأول لضبط ما أُلّف بعده من كتب الأنساب مما وصل إلينا . وخاصة أن مؤرِّجا كان ثقة فى اللغة والنحو، وكان ابن الكلبى غير ثقة فى اللغة والنحو يغمز فيه .

٢ ـ يختلف نهج مؤرِّج فى كتابه عن سائر النسابين المؤلفين فهو لا يقنع بسرد الأسماء ، بل يذكر لصاحب الاسم ترجمة أو شبه ترجمة . فقد يبسط القول فيه ، وقد يعرّفه بأمر يدل عليه ، أو قصة وقعت له . وإذا كان له شعر أورد له بعض شعره ، فكأنه نواة صغيرة لما أُلّف فى التراجم الموسّعة بعدُ .



عنوان كتاب « حذف من نسب قريش »

خاتمة الكتاب

٣ ـ رتب مـؤرج الأسماء ترتيبًا منطقيًا واضحـا، هو أوضح وأسهل من ترتيب ابن الكلبى ومصعب .

٤ ـ تفرد فى كتابه بضبط بعض الأسمـاء برواية له وحده لا نجدها عنـد غيره من المؤلفين فى الأنساب . وهـذه الروايات هى التى يجب أن تؤخذ، لبُعد عصـر مؤرج ، لاطلاعه الواسع على اللغة ، ولتوثيق العلماء إيّاه .

ثم يصف الـدكتـور صـلاح الـديـن المنجـد النسخـة المخطوطة فيقول :

هـذه المخطـوطـة كانـت محفوظـة فى زاويـة النـاصـرى بتامكـرود فى جنـوب المغرب ومـوقوفـة عليها . أطلعنـا عليها صديقنـا العالم المغـربى السيد إبراهيم الكتـانى أثناء زيـارتنا المغـرب عـام ١٩٥٨ ؛ وكـان هو زار زاويـة تـامكـرود ووضع فهرسًا لمخطوطاتها .

كتب هذه النسخـة أبو إسحاق النجيرمى . واسمـه إبراهيم ابن عبد الله بن محمد . وهو عالِم معـروف . كان نحويًّا أديبًا شاعرًا وراقًا كاتبًا ...

وهذا يدعونا إلى أن نطمئن إلى صحة النسخة . والحق أنه جهد غايـة الجهد، كما سترى، لتكون النسخة أبعـد ما تكون عن التصحيف والتحريف والخطأ . ولو قلنا إنها برئت فى كل خطإٍ لصدقنا .

جاء فى الورقة الأولى من النسخة ، فى عنوان الكتاب .

« كتـاب حـذف من نسب قـريش عن مـؤرِّج بن عمـرو السدوسى .

بنو هاشم بن عبد منـاف وحلفاؤهم . بنو المطلب بن عبد مناف وغيرهم .

بنو عبـد شمس بن عبد منـاف وأحلافهم . بنـو نوفل بن عبد مناف وأحلافهم .

بنو عبد الدار بن قصى وأحلافهم . بنو عبد بن قصى وهم قليل .

بنو عبد العزى بن قصى وأحـلافهم . بنو زهرة بن كلاب . بنو مخزوم .

بنو تيم بن مرة . وعدى بن كعـب . وسهم بن عمرو وعامة جمح بن عمرو .

روايـة أبى عبـد الله محمد بن العبـاس اليـزيـدى عن أبى جعفـر أحمـد بن محمـد اليـزيـدى عن مـؤرِّج بن عمـرو السدوسى» .

وجاء فى ختام النسخة :

تم الكتاب ...

وكتب إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمى الوراق .

وليس على النسخة تاريخ النسخ .

تقع النسخة فى مائة وثـلاث صفحات . فى الصفحة ١٤ سطرًا وقد تبلغ أحيانًا ١٦ سطرًا، وفى السطر ست كلمات وقد تبلغ تسعًا .

كتبت النسخة بـالخط الكوفى اللين، علـى الشكل الذى ظهر فى القرن الثالث فكان مرحلة تطور نحو النسخ .

ونقطت الألفاظ ، وشكلت الحروف بالشكل الكامل .

وخشية وقـوع التباس فى الحروف فقد ميـز الكاتب بعض الحـروف من بعض بعلامـات صغيرة فـارقة . وأكثر من وضع حرف صـاد صغير فوق الكلمـات دلالة على أنهـا صحيحة . والنسخة بخطها وشكلها ورسمها وعلاماتها الفارقة تعتبر وثيقة من الطـراز الأول لـه لـدراسـة علم تطـور الخط العـربى (الباليوغرافيا) .

ونحن نذكر ما ورد فى النسخة من العلامات والرسم لتكون دليلاً لمن يقـرأ المخطوطات القديمـة ، أو يعنى بتطور الخط العربى .

١ ـ الألف الممدودة أول الكلمة سبقت بهمزة منفردة . ءآ مثال : ءآلاف .

٢ ـ الألف المقصـورة آخر الكلمـة وضع تحتهـا نقطتـان وفوقها سكون . يْ . مثال : عبد العُزّيْ، صلّيْ، ابيْ .

٣ـ الثاء : وضعت نقطها جنبًا إلى جنب : ث وقد توضع ∴ .

٤ ـ الحـاء : وُضع تحتها حـاء صغيرة لتمييزها من الجيم والخاء .

٥ـ الدال : وضع تحتهانقطة لتمييزها من الذال .

٦ـ الراء : وضع تحتها نقطة لتميزها من الزاى .

٧ ـ السين : وضع تحتها ثلاث نقط جنبًا إلى جنب لتمييزها من الشين ، وأحيانًا يضع حرف سين صغير. س

٨ـ الصاد : وُضع تحتها حرف صاد صغير.

٩ـ الطاء : وضع تحتها نقطة لتميزها من الظاء .

١٠ العين : الأولى والوسط ، وضع تحتها عين صغيرة .

١١ ـ القاف أول الكلمة ، وضع تحتها نقطة ، لتمييزها من الفاء .

١٢ـ الهاء المربوطة أُردفت بنقطتين : ـه : مثال : بنّه :

١٣ ـ حذفت الألف من الحرث مرة وأثبتت مرة : الحارث وكذا فى سليمن حُذفت مرَّة وأثبتت مرة : سليمان .

وأثبتت الألف فى هاؤلاء دائمًا فى كل موضع وردت. وكتبت الحيوة والصلوة بواو.

١٤ ـ اتخذ الكاتب لنهاية المعنى فى الجملة علامة ثلاث نقاط .·. واحدة فوق أختيها .·. واتخذ لنهاية المقطع أو الجملة علامة دائرة داخلها نقطة (.) .

١٥ ـ اتخذ الكاتب حرف صاد صغير، وضعه فوق الألفاظ دلالة على صحتها .

(حذف من نسب قريش عن مؤرج بن عمرو السدوسى ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد/ ٧ـ ١٥ مقدمة المحقق) .

حذف الواوات فى رسم المصحف:

يتناول الإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخزاز حذف الواوات فى رسم القرآن، وذلك فى منظومته الموسومة بمورد الظمآن فى رسم القرآن، وننقل لك هنا أبيات الناظم مرقمة وفقا لترتيبها فى المنظومة، ومشفوعة بشرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار الذى يبدأ شرحه بلفظ « أقول » كما يبدأ أبيات الناظم بلفظ « قال » على النحو التالى :

قال :

٢٨٣ ـ *وهاك واوا سقطت فى الرسم*
فى أحرف للاكتفا بالضم

٢٨٤ ـ *ويدع الإنسان ويوم يدع*
فى سورة القمر مع سندع

٢٨٥ *ويمح فى حم مع وصالح*
الحذف فى الخمسة عنهم واضح

أقول : بعد أن فرغ من الكلام على حذف الألف والياء شرع يتكلم على حذف الواو اكتفاء بالضم قبلها فقال . وهاك واو سقطت فى الرسم أى خذ حكم واو سقطت فى المرسوم وبهذه العلة خرجت الواو التى حذفت للجازم نحو ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر ﴾ ،﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها ﴾، ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن ﴾ والواو التى تحذف من الكلمة قسمان مفردة وغير مفردة ـ فالمفردة تحذف فى خمس كلمات: « يدع » فى ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴾ بالإسراء وقيده بمجاورة الإنسان لإخراج غيره نحو ﴿ يدعو من دون الله﴾ ، ﴿ يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ﴾ كلاهما بالحج وواوهما ثابتة ، و « يدع » فى ﴿ يوم يدع الداع ﴾ بالقمر وقيده بلفظ يوم لإخراج موضعى الحج المتقدمين وسورة القمر ليست قيدًا بل للإيضاح ، و « سندع » فى ﴿ سندع الزبانية ﴾ بالعلق، و « يَمْحُ » فى ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ فى شورى وقيده بحمّ لإخراج ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ بالرعد . لثبوت واوه. و« صالح » فى ﴿ وصالح المؤمنين ﴾ بالتحريم على القول بأنه جمع مذكر حذفت نونه للإضافة، أما على القول بأنه مفرد فلا حذف فيه .

تنبيه : أهمل الناظم حذف واو نسوا الله وإن ذكره أبو عمرو فى المقنع بسنده إلى الفراء لتغليطه الفراء فى نقل حذفها . قال :

٢٨٦ ـ *فَصْلٌ وقل إحداهما قد حذفت*
مما لجمع أو بناء دخلت

٢٨٧ ـ *كنحو وورى ويستوونا*
موءودة داود والغاوونا

٢٨٨ ـ *ورسم الأولى فى الجميع أحسن*
وفى يسوء واعكس هذا أبين

أقول : بعد أن فرغ من الكلام على القسم الأول شرع يتكلم على القسم الثاني وهو الواو غير المفردة فتحذف إحداهما سواء جيء بها للدلالة على الجمع أو لبناء الكلمة عليها .

فالأول نحو . « يستوون » في ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقًا لا يستوون ﴾ بالسجدة ، و« الغاوون » في ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ كلاهما بالشعراء [الشعراء : ٩٤، ٢٢٤] ونحو ﴿ ولا تلوون على أحد﴾ بآل عمران ، ﴿ وإن تلووا أو تعرضوا ﴾ بالنساء . وفي تلك الكلمات واوان ثانيتهما للجمع ـ والثاني نحو « ووري » في ﴿ ليبدي لهما ما ووري عنهما ﴾ بالأعراف . و «الموءودة» في ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ بالتكوير ـ و « داود» حيث وقع في القرآن وهذه الكلمات مما اجتمع فيه واوان أيضا ثانيتهما لبناء الكلمة عليها كبناء « ووري » مثلا للمجهول . وذلك الحذف مشروط بشرطين ــ أن تقع الثانية منهما بعد ضمة فخرج نحو ﴿ آووا ونصروا ﴾ و ﴿ لووا رءوسهم ﴾ لثبوت الواوين (لطائف البيان ٢/ ١٢، ١٣) .

ويفرد الإمام أبو عمرو الداني بابًا في نقط ما اجتمع فيه واوان ، فحذفت إحداهما تخفيفًا ويعني بالنقط تشكيل أحرف الكلمات بعلامات مختلفة ، ويقول :

الثاني تلاصق الواوين في الخط صورة وتقديرًا فدخل الموءودة ، وليسوءوا لأن انفصال الواوين فيهما لفظا لا خطا وهمزتهما لا حظ لها من الصورة على المشهور وخرج تبوءوا الدار لأن الواوين وإن اتصلا صورة فهما منفصلان خطا على تقدير حذف صورة الهمزة بين الواوين لاجتماع الأمثال ، وهو بخلاف الموءودة وليسوءوا كما علمت ، وقد ذكر الناظم حذف إحدى الواوين إذا كانت أولاهما صورة للهمزة واقعة قبل واو جمع كمتكئون وبدءوكم وأنبئوني وليواطئوا عند قوله (وما يؤدي لاجتماع الصورتين) آخر باب الهمز . أما ذكره الموءودة هنا فباعتبار الواوين المكتنفين للهمزة ، وهل المحذوفة الأولى أو الثانية ؟ الأحسن في جميع ما تقدم إثبات الأولى وحذف الثانية في غير ليسوءوا وجوهكم فإنه يترجح فيه حذف الأولى وإثبات الثانية عكس ما تقدم (وهذا على قراءة من ضم الهمزة مشبعة ، أما على قراءة من نصب الهمزة فلا حذف) فإن كانت الأولى منهما صورة للهمزة كمتكئون وبابه فالمحذوف منهما صورة الهمزة عند أبي داود .

ويفرد الإمام أبو عمرو الداني بابا في نَقْط ما اجتمع فيه واوان فحذفت إحداهما تخفيفا ، ويعني بالنقط تشكيل أحرف الكلمات بعلامات مختلفة ، وجاء فيه ما يلي :

اعلم أن المصاحف اجتمعت على حذف إحدى الواوين في أربع كَلِم . وهنَّ قوله في « سبحان » : ﴿ ليسئوا وجوهكم﴾ [الإسراء : ٧] وقوله في [الأحزاب ٥١] : ﴿وتئوي إليك ﴾ وقوله في [المعارج : ١٣] ﴿ التي تئويه ﴾ وقوله في (كورت) : ﴿ وإذا الموءدة ﴾ [التكوير : ٨] .

فأما « ليسوا » فإن كان مرسوما على قراءة من قرأه بالياء على التوحيد ، أو بالنون على الجمع فذلك حقيقة .

(قرأ أبو بكر وابن عامر وحمزة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد . وقرأ الكسائي بالنون ونصب الهمزة على الجمع) إلا أن الألف رسمت في آخره ، على القراءتين ، كما رسمت في قوله تعالى : ﴿ أن تبوأ ﴾ [المائدة : ٢٩] صورة للهمزة . وإن كان مرسوما على قراءة من قرأ بالياء على الجمع فقد حذفت من رسمه إحدى الواوين اللتين الهمزة المضمومة بينهما ، من حيث كانت الهمزة غير فاصلة ، لخفائها وعدم صورتها (هذه القراءة هي مذهب الجمهور . ومذهب أبي بكر وابن عامر وحمزة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد ، ومذهب الكسائي بالنون ونصب الهمزة على الجمع) .

ويجوز أن تكون المحذوفة منهما الأولى التي هي عين من الفعل ، إذ هي السابقة . ويجوز أن تكون الثانية التي هي علامة الجمع ، من حيث كانت حرفا زائدًا دخيلا ، وكانت الأولى من سِنْخ الحرف . والمذهب الأول أوجه . لأن معنى الجميع يختل بسقوط علامته ، وعدم دليله .

فإذا نقط ذلك على الأول المختار جعلت الهمزة نقطة بالصفراء ، وحركتها نقطة بالحمراء أمامها ، قبل الواو السوداء . ورسمت واو بالحمراء قبل الهمزة وبعد السين . فتحصل الهمزة بين الواوين الحمراء والسوداء . وإن شاء الناقط لم

يرسم تلك الواو، وجعل مطّة فى موضعها بين السين والهمزة. وصورة ذلك كما ترى: ﴿ لِيَسُـُٔوا ﴾ .

و إذا نقط على الوجه الثانى جعلت الهمزة وحركتها بعد الواو السوداء. ورسمت واو بالحمراء بعدها، لابد من ذلك، ليتأدى بها المعنى الذى جاءت له فتحصل الهمزة بين الواوين السوداء والحمراء. وصورة ذلك كما ترى: ﴿ ليسوءُا ﴾ .

و إذا نقط ذلك على قراءة من قرأه بالياء على التوحيد، والنون على الجمع جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، فى الألف المرسومة. لأنها صورة لها كما ذكرناه. وصورة ذلك كما ترى: ﴿ لِيَسُوأَ ﴾ .

وأما ﴿ وتئوى إليك ﴾ و ﴿ التى تئويه ﴾ فإنهما رسما بواو واحدة. وهى الثانية المكسورة التى هى عين الفعل، لا الأولى التى هى همزة ساكنة، وفاء من الفعل.

وذلك لخمسة معان: أحدها أن الأولى هى السابقة منهما. والثانى أنها ساكنة، والثانية متحركة. والثالث أنها قد تستغنى عن الصورة، لأنها حرف قائم بنفسه، من حيث اشتركت مع الهاء والألف فى المخرج، ولحقتها الحركات والسكون. والرابع أنها قد تبدل واوا ساكنة، لأجل ضمة التاء قبلها، ثم تدغم فى الواو التى بعدها للتماثل. فيمتنع تصويرها لذلك، كما يمتنع تصوير الأول من المثلين فى كلمة واحدة، إذا أدغم فى الثانى، نحو قوله: ﴿ عَـدُوى ﴾ [الممتحنة: ١] و ﴿ وليّى ﴾ [يوسف: ١٠١] و ﴿عدوَّكم﴾ [الأعراف: ١٢٩] و [الأنفال: ٦٠] و [الممتحنة: ١] و ﴿ وليُّكم ﴾ [المائدة: ٥٥] وشبهه. والخامس ثبوت الياء الساكنة فى اللفظ والرسم التى لا تليها إلا كسرة لا غير. وهى كسرة الواو التى هى عين.

فدل ذلك كله على أن الثابتة فى الرسم هى الواو الثانية، وأن الساقطة هى الواو الأولى التى هى همزة ساكنة فى حال التحقيق.

فإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وعلامة السكون عليها، بين التاء والواو السوداء فى بياض السطر. وجعلت تحت الواو السوداء نقطة بالحمراء علامة لكسرها.

وإن شاء الناقط رسم بعد التاء وقبل الواو السوداء بالحمراء واواً، وجعل الهمزة فيها. وألا يرسمها أحسن. وصورة ذلك كما ترى: ﴿ تئوى ﴾ و ﴿ تئويه ﴾ .

وأما ﴿ الموءُدَة ﴾ فرسمت فى جميع المصاحف بواو واحدة. وتحتمل أن تكون المرسومة الواو الأولى التى هى فاء من الفعل، والمحذوفة الواو الثانية التى جاءت لبناء (مفعولة). وتحتمل أن تكون المرسومة الثانية، والمحذوفة الأولى، من حيث كانت السابقة منهما.

وأن تكون المرسومة الأولى التى هى فاء أولى من ثلاثة أوجه ـ: أحدها أن الأولى من نفس الكلمة، والثانية زائدة فيها. والأصلى أولى بالإثبات من الزائد والثانى أن ضمة الهمزة الواقعة بين الواوين تدل على الواو الثانية، إذا حذفت من الرسم. ولا شيء فى الكلمة يدل على الأولى إذا حذفت. فلزم رسمها دون الثانية إذا وجب حذف صورة إحداهما. والثالث أن من العرب من إذا سهَّل الهمزة فى ذلك أسقطها والواو التى بعدها، طلبا للتخفيف، فيقول (المـوْدَةُ) على لفظ (الجـوْزَة) و (المـوْزَة) وهى قراءة الأعمش فى ذلك. قرأت على عبد العزيز بن محمد، عن أبى طاهر بن أبى هاشم، قال نا قاسم المطرز والخثعمى، قالا حدثنا أبو كريب، قال نا أبو بكر قال: قرأ الأعمش « وإذا المودة » بغير همز مخففًا.

فإذا نقطت هذه الكلمة على المذهب الأول المختار جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها أمامها نقطة بالحمراء، بعد الواو السوداء. ورسمت واو بالحمراء بعد الهمزة. فتحصل الهمزة بذلك بين واوين سوداء وحمراء. وإن شاء الناقط لم يرسم تلك الواو من حيث كانت ضمة الهمزة دالة عليها. وصورة نقط ذلك كما ترى: « المْوءُدة » .

وإذا نقطت على المذهب الثانى جعلت الهمزة وحركتها قبل الواو السوداء ورسمت واو بالحمراء بعد الميم، وقبل الهمزة. فتحصل الهمزة أيضا بين واوين، واو حمراء وواو سوداء. و لابد من تصوير الواو فى هذا الوجه ضرورة، لأن اللفظ والمعنى يختلان بحذفها. وصورة نقط ذلك كما ترى: «الْمَئُودة » .

فصل

وكل همزة مضمومة جاءت قبل واو مرسومة، سواء كانت للجمع أو للبناء، وسواء تحرك ما قبل الهمزة أو سكن، فإن المصاحف اتفق رسمها على حذف صورة الهمزة، لما تقدم من كراهة توالى صورتين متفقتين فى الرسم.

وجائزة أن تحذف واو الجمع و واو البناء، وأن تثبت صورة الهمزة. والأول أقيس، لما قدمناه من استغناء الهمزة عن الصورة، ومن اختلال اللفظ والمعنى جميعا بحذف ما يدل على الجمع أو على البناء.

فالتى للجمع نحو قوله تعالى: ﴿ **فادرءوا** ﴾ [آل عمران : ١٦٨] و ﴿ **يدرءون** ﴾ [الرعد : ٢٢] والقصص : ٥٤] و ﴿ **لا يطئون** ﴾ [التوبة : ١٢٠]و ﴿ **تطئوهم** ﴾ [الفتح : ٢٥] و ﴿ **مستهزءون** ﴾ [البقرة : ١٤] و ﴿**متكئون**﴾ [يس : ٥٦] و ﴿ **فمالئون** ﴾ [الصافات : ٦٦] و ﴿ **ليواطئوا** ﴾ [التوبة : ٣٧] و ﴿ **ليطفئوا** ﴾ [الصف : ٨] و ﴿ **أنبئونى** ﴾ [البقرة : ٣١] و ﴿ **يستنبئونك** ﴾ [يونس : ٥٣] وشبهه.

والتى للبناء نحو قوله : ﴿ **يئوسا** ﴾ [الإسراء : ٨٣] و ﴿**مذءوما** ﴾ [الأعراف : ١٨] و ﴿ **مسئولا** ﴾ [الإسراء : ٣٤] و [الفرقان : ١٦] و [الأحزاب : ١٥] وشبهه.

فإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها أمامها نقطة بالحمراء، قبل الواو السوداء فى بياض السطر، على ما تراه فى الحروف المتقدمة.

وكل واو مضمومة جاء بعدها واو ساكنة، للجمع كانت أو للبناء، فالقول فى حذف إحداهما، وإثبات الثانية كالقول فى جميع ما تقدم.

فالتى للجمع نحو قوله تعالى : ﴿ **الغاون** ﴾ [الشعراء : ٩٤، ٢٢٤] و ﴿ **لا تلون** ﴾ [آل عمران : ١٥٣] و ﴿**لا يستون** ﴾ [التوبة : ١٩]، و [السجدة : ١٨] و ﴿**فأوا إلى الكهف**﴾ [الكهف : ١٦] وشبهه.

والتى للبناء نحو قوله : ﴿ **ما ورى** ﴾ [الأعراف : ٢٠] و ﴿ **داود** ﴾ [البقرة : ٢٥١] ومواضع أخر وشبهه.

والأوجه هاهنا أن تكون المرسومة الواو الأولى لتحركها، والمحذوفة الواو الثانية لسكونها، من حيث كان الساكن أولى بالحذف من المتحرك فى ذلك، لتولده منه، ولدلالة حركة المتحرك عليه. وذلك بخلاف ما تقدم فى نظائر ذلك، من كون المرسومة من إحدى الواوين الثانية، دون الأولى، هو الأوجه. وذلك لسكونهما معا هناك. فلما اجتمعتا فى السكون كان الأولى بالإثبات منهما ما جاء لمعنى لا بد من تأديته. وهى الثانية لدلالتها على الجمع.

والناقط مخير فى رسم واو الجمع وواو البناء فى هذا الضرب، على ما تستحقه، وفى ترك رسمها، لدلالة الضمة عليها. وبالله التوفيق. (المحكم فى نقط المصاحف / ١٦٨ - ١٧٣).

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى / ٢٧ - ٣٣، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو زيتحار ٢ / ١٢ ، ١٣، والمحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى - عنى بتحقيقه د. عزة حسن. دار الفكر. دمشق. الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م / ١٦٨ - ١٧٣، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

حذف الياء فى رسم المصحف:

يتناول الإمام الخراز حذف الياء فى رسم القرآن، وذلك فى منظومته الموسومة بمورد الظمآن فى رسم القرآن. وننقل هنا أبيات الناظم مرقمة وفقا لترتيبها فى المنظومة، مشفوعة بشرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار الذى يبدأ الشرح بلفظ « أقول، وأبيات الناظم بلفظ « قال » :

قال صاحب المورد :

أقول :

٢٥٥ ـــ *القـــول فيمـــا سلبـــوه اليـــاء*
بكســـــرة مـن قبلهـــــا اكتفـــــاء

أقول : بعد أن ذكر الناظم حذف الألف شرع يتكلم على حذف الياء فقال : هذا القول فى الكلمات القرآنية التى سلبت وحذفت منها الياء اكتفاء بكسرة قبلها (وحذف الياء لكسرة

قبلها لغة هذيل استعملت في مواضع من القرآن وتركت في مواضع أخرى وهذا كالتعليل لإخراج الكلمات التي حذفت ياؤها للجازم نحو ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ ﴿ إنه من يتق ويصبر ﴾ ، ﴿ إنه من يأت ربه مجرما ﴾ لأنه لا كلام لأهل الرسم عليه ثم شرع يتكلم على أنواع الياء المحذوفة .

فقال :

٢٥٦ ـــ *والياء تحذف من الكلام*
زائدة وفي محل اللام

أقول : الياء في الكلمة إما أن تكون مفردة وهي التي تكلم الناظم على حذفها في هذا الفصل وإما أن تكون مكررة والمفردة إما أن تكون زائدة عن بنية الكلمة كوعيدي ونكيري أو أصلية والمراد بها الواقعة في موقع اللام وتجيء ثالثة في أصل الكلمة كالداعي والجواري ويسري ـ وقد تكلم الناظم في هذا البيت والذي بعده على الياء المفردة وسيتكلم على الياء المكررة عند قوله (وقيل إحدى الحواريين) ـ وبدأ بالكلام على أصل الياء فقال :

٢٥٧ ـــ *فالـلام يؤت الله ثم المتعال*
والداع مع يأت بهود ثم صال

أقول : هذا شروع في الكلام على القسم الثاني وفيه عشرون كلمة سبع منها أفعال والباقي منها أسماء وفي هذا البيت منها خمس كلمات تحذف ياؤها وهي يؤت في ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين ﴾ بالنساء وقيده بما جاور لفظ الجلالة لإخراج . يؤتي الحكمة . لثبوت يائه . وليس منه ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيما ﴾ بالنساء لحذف يائه للجازم ـ والمتعال في ﴿ الكبير المتعال ﴾ بالرعد ـ والداع في ثلاثة مواضع ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ بالبقرة ﴿ يوم يدع الداع . مهطعين إلى الداع ﴾ كلاهما بالقمر ـ ولا يندرج فيه ﴿يتبعون الداعي﴾ في طه . ﴿ أجيبوا داعي الله ﴾ بالأحقاف ـ لفتح يائهما وثبوتهما لفظا وخطا ـ ويأت في ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ بهود وقيده بسورته لإخراج ﴿ فإن الله يأتي بالشمس﴾ ـ بالبقرة ـ ﴿ فسوف يأتي الله بقوم ﴾ ـ بالمائدة ونحوه مما ثبتت ياؤه ـــ وصال في ﴿ صال الجحيم ﴾ بالصافات قال :

٢٥٨ ـــ *وغير أولى المهتدي والبادي*
يسر فما تغن وواد الواد

أقول : في هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهي ـ «المهتد » غير ما وقع منه أولا في الأعراف وذلك في ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ بالإسراء ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ بالكهف أما ما وقع أولا بالأعراف وهو ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ﴾ فياؤه ثابتة وإليه الإشارة بقوله (وغير أولى المهتدى) البيت .

و « الباد » في ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ بالحج ويسر في ﴿ والليل إذا يسر ﴾ بالفجر و « تُغْنِ » في ﴿ فما تغن النذر﴾ بالقمر وقيده بلفظ فما لإخراج غيره نحو ﴿ لا تغنى شفاعتهم ﴾ ، ﴿ وما تغنى الآيات والنذر ﴾ وليس منه ﴿ إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم ﴾ لحذف يائه للجازم ـــ و « واد » في ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل ﴾ بسورتها والواد في أربعة مواضع ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ في طه ﴿ من شاطىء الواد الأيمن ﴾ بالقصص ، ﴿ إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴾ بالنازعات ﴿ والذين جابوا الصخر بالواد ﴾ بالفجر قال :

٢٥٩ ـــ *وكالجواب والتلاق والتناد*
ثم الجوار وينـاد والمناد

أقول : في هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهي ـ كالجواب في ﴿ كالجواب وقدور راسيات ﴾ بسبأ ـــ و «والتلاق » و « التناد » في ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ ﴿ إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ كلاهما بغافر ـ و « الجوار » في ثلاثة مواضع ـ ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ في الشورى ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ بالرحمن ، ﴿ الخنس * الجوار الكنس ﴾ بالتكوير و« يناد المناد » في ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ﴾ في سورة ق .

تنبيه : لم يقيد الناظم « يناد » بما يخرج به ﴿ ينادي للإيمان ﴾ الثابتة ياؤه في آل عمران أقول :

ولعل قرن يناد بالمناد قرينة على أن المحذوف ياؤه ينادي في سورة ق دون غيره والله أعلم قال :

٢٦٠ ـــ *ونبغ في الكـرف وهـاد الحجِّ*
والروم ثاني يونس تُنجِّ

أقول : في هذا البيت ثلاث كلمات تحذف ياؤها وهي «نبغ » في ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ بالكهف وقيده بالكهف لإخراج ﴿ ما نبغي هذه بضاعتنا ﴾ في يوسف و « هاد » في

﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا﴾ بالحج ﴿وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم﴾ بالروم وقيده بالحج والروم لإخراج ﴿وما أنت بهادى العمى﴾ بالنمل لثبوت يائه ـ و « ننج » الثانى من سورة يونس وهو ﴿حقا علينا ننج المؤمنين﴾ وقيده بثانى يونس لإخراج الأول فيها وهو ﴿ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا﴾ [يونس : ١٠٣].

تنبيه لم يتعرض الناظم لحذف الياء من ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ عند من قرأها « يقضى » لأنه قصد فى نظمه أن يكون على مقرأ نافع وهو يقرؤها ﴿يقص الحق﴾ وهى محذوفة الياء عند من قرأها « يقص » ـ وإطلاق الحكم فى كلمات هذا القسم دليل على اتفاق شيوخ النقل على حذف الياء فى كلماته المذكورة قال :

٢٦١ ــ *وما أنت زائدة فخافون*
وفارهبون واتقون فاسمعون

أقول : بعد أن فرغ الناظم من الكلام على القسم الثانى وهو حذف الياء الأصلية الواقعة فى محل اللام شرع يتكلم على القسم الأول وهو حذف الياء الزائدة التى هى ياء المتكلم فذكر فى هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهى « خافون » فى ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ بآل عمران و « فارهبون » فى موضعين : ﴿وإياى فارهبون﴾ بالبقرة ﴿فإياى فارهبون﴾ بالنحل و « اتقون » فى خمسة مواضع ﴿وإياى فاتقون﴾ ﴿واتقون يا أولى الألباب﴾ كلاهما بالبقرة ﴿لا إله إلا أنا فاتقون﴾ بالنحل ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ بالمؤمنون ﴿يا عباد فاتقون﴾ بالزمر ، و « فاسمعون » فى ﴿إنى آمنت بربكم فاسمعون﴾ فى يس . قال :

٢٦٢ ــ *ثم أطيعون تكلمون*
متاب يسقين وتكفرون

أقول : فى هذا البيت خمس كلمات تحذف ياؤها وهى أطيعون فى أحد عشر موضعا جاءت كلها بلفظ واحد أولاها ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ بآل عمران وثمانيه بالشعراء وواحد فى الزخرف والحادى عشر ﴿واتقوه وأطيعون﴾ فى نوح و «تكلمون » فى ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ بالمؤمنون و «متاب» فى ﴿وإليه متاب﴾ بالرعد و « يسقين » فى ﴿والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ بالشعراء و « تكفرون » فى و ﴿واشكروا لى ولا تكفرون﴾ بالبقرة . قال :

٢٦٣ ــ *يهدين يشفين يكذبون*
تؤتون يحيين وكذبون

فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى : «يهدين» فى أربعة مواضع : ﴿الذى خلقنى فهو يهدين﴾ ﴿إن معى ربى سيهدين﴾ كلاهما بالشعراء ، ﴿إنى ذاهب إلى ربى سيهدين﴾ بالصافات ﴿إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين﴾ بالزخرف و « يشفين » فى ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ بالشعراء « ويكذبون » فى موضعين ﴿إنى أخاف أن يكذبون﴾ بالشعراء والقصص وهما بلفظ واحد و« تؤتون » فى ﴿حتى تؤتون موثقا من الله﴾ فى يوسف و « يحيين » فى ﴿والذى يميتنى ثم يحيين﴾ بالشعراء و « كذبون » فى ثلاثة مواضع ﴿رب انصرنى بما كذبون﴾ موضعان بالمؤمنون ﴿رب إن قومى كذبون﴾ بالشعراء . قال :

٢٦٤ ــ *وفى العقود اخْشَون مع تستعجلون*
حضر أو غاب عقاب يقتلون

أقول : فى هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهى ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾ ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ كلاهما بالمائدة وقيده بالعقود لإخراج ﴿فلا تخشوهم واخشونى﴾ بالبقرة لثبوت يائه و « تستعجلون » بياء غيبة أو تاء خطاب (وضمير حضر أو غاب يرجع إلى « يستعجلون » والمعنى واحد سواء افتتح بياء لغائب أو تاء لحاضر) فى موضعين ﴿سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ بالأنبياء ﴿فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ بالذاريات و « عقاب » فى ثلاثة مواضع ﴿فكيف كان عقاب﴾ بالرعد ومثله فى غافر ﴿فحق عقاب﴾ فى سورة صٓ و « يقتلون » فى موضعين ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ بالشعراء والقصص وهما بلفظ واحد . قال :

٢٦٥ ــ *دعاء إبراهيم مع تبشرون*
ثم تشاقون دعان تنظرون

أقول: فى هذا البيت خمس كلمات تحذف ياؤها وهى : « دعاء » فى ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ بإبراهيم وقيده بإبراهيم لإخراج ﴿فلم يزدهم دعائى إلا فرارا﴾ بنوح لثبوت يائه و«تبشرون » من ﴿فبم تبشرون﴾ بالحجر و « تشاقون » فى ﴿كنتم تشاقون فيهم﴾ بالنحل.

تنبيه : عد « تبشرون » و « تشاقون » على قراءة من كسر

النونَ كنافع وهما خارجان على قراءة من فتحها و « دعان » في ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ بالبقرة و « تنظرون » في ثلاثة مواضع ﴿ ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ بالأعراف ، ﴿ ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ﴾ بيونس ، ﴿ فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون﴾ بهود . قال :

٢٦٦ ـــ *أشركتمون اعتزلون تقربونْ*
ليعبدونَ تفضحونَ ترجُمونْ

أقول : في هذا البيتَ ست كلمات تحذف ياؤها وهي «أشركتمون » في ﴿ إني كفرت بما أشركتمون ﴾ بإبراهيم و«اعتزلون » في ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ بالدخان و«تقربون » في ﴿ فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴾ في يوسف ، و « ليعبدون » في ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ بالذاريات و « تفضحون » في ﴿ إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ﴾ بالحجر و « ترجمون » في ﴿ وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ﴾ بالدخان . قال :

٢٦٧ ـــ *وغير يسّ اعبدون يحضرون*
آتاني الله ارجعونَ يطعمونْ

أقول : في هذا البيت خمسَ كلمات تحذفُ ياؤها وهي «اعبدون » حيث وقع في غير يسّ وجاء في ثلاثة مواضع : ﴿لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ كلاهما بالأنبياء ﴿ فإياي فاعبدون ﴾ بالعنكبوت وقيده بغير يسّ لإخراج ما وقع فيها وهو ﴿ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ لثبوت يائه و « يحضرون » في ﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ بالمؤمنون و ﴿ آتان الله ﴾ من ﴿ فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ بالنمل (وعند من لم يقرأ بفتح الياء) وقيده بمجاورة لفظ الجلالة لإخراج ﴿ آتاني الكتاب ﴾ بمريم لثبوت يائه و«ارجعون» في ﴿ رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ﴾ بالمؤمنون و « يطعمون » في ﴿ وما أريد أن يطعمون ﴾ بالذاريات قال :

٢٦٨ ـــ *تُرْدين إن يُردْن مع إن تَرَن*
واتّبعون زُخْرف ومؤمنِ

أقول : في هذا البيت أَربع كلمات تحذف ياؤها وهي «تردين » في ﴿ تالله إن كدتَّ لتردين ﴾ بالصافات و « يردن » في ﴿ إن يردن الرحمن بضر﴾ في يسّ و « ترن » في ﴿ إن ترن أنا أقل منك مالا ﴾ بالكهف وإن في أن ﴿ يردن ﴾ و ﴿ إن ترن﴾ ليست قيدًا ولكنها للإيضاح لعدم تعددهما و « اتبعون » في موضعين ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ بالزخرف ﴿ يا قوم اتبعون أهدكم ﴾ بغافر وقيد السورتين لإخراج ﴿ فاتبعوني يحببكم الله﴾ بآل عمران ﴿ فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ في طه لثبوت يائهما . قال :

٢٦٩ ـــ *أولى من اتبعني فأرسلون*
ثم بهود تسألن ينقذون

أقول : في هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهي : اتبعن الأولى في ﴿ أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾ بآل عمران (وإثبات ياء اتبعن على قراءة من أثبتها) وقيدها بالأولى لإخراج ﴿ على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ في يوسف لثبوت يائها و « فأرسلون » من ﴿ فأرسلون * يوسف أيها الصديق ﴾ و «تسألن » من ﴿ فلا تسألن ما ليس لك به علم ﴾ بهود وقيده بهود لإخراج ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء ﴾ بالكهف لثبوت يائها و « ينقذون » في ﴿ لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ﴾ في يسّ . قال :

٢٧٠ ـــ *ثم تُمدُّون مع تتبعن*
يهديني في الكهف مع تعلمن

أقول : في هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهي «تمدونن » في ﴿ أتمدونن بمال ﴾ بالنمل ـ و « تتبعن » في ﴿ألا تتبعن أفعصيت أمري ﴾ في طه ـ و« يهدين » في ﴿عسى أن يهدين ربي ﴾ بالكهف وقيده بالكهف لإخراج ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ بالقصص لثبوت يائه ، و « تعلمن » في ﴿ هل أتبعك على تعلمن مما علمت رشدا ﴾ بالكهف . قال :

٢٧١ ـــ *ومع لئن أخّرْتن وعيد*
مآب كيدُون بغير هُود

أقول : في هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهي : «أخرتن » في ﴿ لئن أخرتن إلى يوم القيامة ﴾ بالإسراء وقيده بمجاورة « لئن » لإخراج ما خلا عنها وهو : ﴿ لولا أخرتني إلى أجل قريب ﴾ بالمنافقون لثبوت يائه ، و « وعيد » في ثلاثة مواضع ﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾ بإبراهيم ﴿فحق وعيد ﴾ ، ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ كلاهما في ق و « مآب » في ﴿ إليه أدعو وإليه مآب ﴾ بالرعد

و«كيدون » فى موضعين ﴿ ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ بالأعراف . ﴿ فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ بالمرسلات وقيده بغير هود لإخراج الواقع فيها وهو ، ﴿ فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ﴾ لثبوت يائه . قال :

٢٧٢ ـــ *بشــــر عبـــاد لـى دين يــــؤتين*
نـــــذر مع أهـــــانـن وأكــــــرمـن

أقول : فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى «عباد » فى ﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول ﴾ بالزمر [١٧ ، ١٨] وقيده بمجاورة بشر لإخراج غيره حيث وقع نحو ﴿ وإذا سألك عبادى عنى ﴾ بالبقرة لثبوت يائه و « دين » فى ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ بالكافرون وقيده بمجاورة لى لإخراج غيره حيث وقع نحو ﴿ إن كنتم فى شك من دينى ﴾ بيونس لثبوت يائه و « يؤتين » فى ﴿ فعسى ربى أن يؤتين خيرًا ﴾ بالكهف و « نذر » فى ستة مواضع كلها بالقمر « وأهانن و أكرمن » فى ﴿ فيقول ربى أهانن ﴾ [الفجر : ١٦] ﴿ فيقول ربى أكرمن ﴾ [الفجر : ١٥] كلاهما بالفجر. قال :

٢٧٣ ـــ *ثم نــــذيــــر ونكيــــر تشهـــدون*
تخـــــزون قـــــد هـــــدان مع تفنــــدون

أقول : فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى «نذير » من ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ بالملك ونكير فى أربعة مواضع ﴿ فأخذتهم فكيف كان نكير ﴾ بالحج ، ﴿ فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ﴾ بسبأ ، ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ بفاطر ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ بالملك. و « تشهدون » فى ﴿ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ﴾ بالنمل ـــ و « تخزون » فى موضعين ﴿ ولا تخزون فى ضيفى ﴾ بهود ﴿ واتقوا الله ولا تخزون ﴾ بالحجر و « هدان » فى ﴿ أتحاجونى فى الله وقد هدان﴾ بالأنعام وقيده بمجاورة « قد » لإخراج ﴿ قل إننى هدانى ربى ﴾ بالأنعام لثبوت يائه و « تفندون » فى ﴿ لولا أن تفندون ﴾ بيوسف قال :

٢٧٤ ـــ *إيــــلافهم ثـم عـــذاب صـــاد*
وفـى المنـــادى نحـــو يـــا عبـــادى

أقول : فى هذا البيت مما تحذف ياؤه كلمة واحدة وأصل مطرد وقد تبرع الناظم فى هذا البيت بكلمة ليست من هذه الترجمة وهى ﴿ إيلافهم ﴾ وذلك لأن ياءها ليست زائدة ولا لاما للكلمة وإنما هى فاؤها .

(وأصلها همزة فأبدلت ياء لسكونها بعد همزة مكسورة كما أبدلت فى إيمان وقد قرأها أبو جعفر بهمزة مكسورة من غير ياء وخرج بإيلافهم لإيلاف قريش لثبوت يائه وقد قرأه الشامى بغير ياء بعد الهمزة واعلم أن جملة الكلمات المحذوف منها الياء سوى « إيلافهم » وسوى المنادى أربع وستون كلمة وقعت فى مائة وسبعة مواضع وإطلاق الناظم الحكم فى تلك الكلمات يفيد اتفاق شيوخ النقل عليه) والكلمة التى ذكرها هى «عذاب» فى ﴿ لما يذوقوا عذاب ﴾ فى صَ وقيدها بسورتها لإخراج ﴿ وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴾ بالحجر لثبوت يائه .

وأما الأصل المطرد فهو الحذف فى كل اسم منادى أضيف إلى ياء المتكلم سواء ذكرت معه ياء النداء نحو ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ ﴿ يا بنى اركب معنا ﴾ (أصله يا بنيو مصغر ابن أبدلت الواو ياء وأدغمت فيها ياء التصغير على القياس ثم أضيف إلى ياء المتكلم ولكنها حذفت خطأ على قاعدة المنادى) أم حذفت منه نحو ﴿ رب اغفر وارحم ﴾ ﴿ رب احكم بالحق ﴾ ﴿ رب انصرنى﴾ ولا يدخل فيه ﴿ يا بنى لا تدخلوا من باب واحد ﴾ وإن كان منادى وزيدت فيه ياء المتكلم لأن الترجمة معقودة لبيان ما حذفت منه الياء اكتفاء بالكسرة قبلها وهذا قبله ياء ساكنة مدغمة فيها إذ الأصل « بنين لى » حذفت النون للإضافة واللام للتخفيف فاجتمع ياءان الأولى علامة النصب وهى ساكنة والثانية ياء المتكلم فأدغمت الأولى فى الثانية فصار « يا بنى » قال :

٢٧٥ ـــ *وثبتت فى العنكبــوت والـــزمـــر*
أخــــراهمـــا وحــــرف زُخْــــرف أُثـــر

أقول : ذكر الناظم فى الأصل المطرد فى البيت السابق إطلاق الحكم بحذف ياء المنادى واستثنى فى هذا البيت من ذلك الإطلاق ثلاثة مواضع :

تثبت ياء المنادى فيها على خلاف فى الأخير منها وهى

﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ الموضع الأخير بالعنكبوت [٥٦] ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الأخير بالزمر وقيده بالأخير فى السورتين لإخراج ﴿يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ بالعنكبوت و ﴿يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ و ﴿يا عباد فاتقون﴾ كلاهما بالزمر لحذف ياء المنادى فيهن وأما المختلف فيه فهو ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم﴾ بالزخرف، ولا خلاف فى حذف ياء ﴿وقيله يا رب﴾ وفى كلام الناظم إجمال فى تعيين المراد من موضع الزخرف أقول : قد يفسره ويدفعه أن المنادى الأخير بالعنكبوت والزمر محصور فى لفظ يا عبادى وفى ذلك قرينة على أن مراده بموضع الزخرف المختلف فيه ما كان بلفظ يا عباد فلا إجمال ولم يتعرض الناظم لذكر حذف ياء الأسماء المنقوصة غير المنصوبة إذا كانت منونة نحو ﴿بواد غير ذى زرع﴾ ﴿بكاف عبده﴾ ﴿لعال فى الأرض﴾ ؛ ﴿ولكل قوم هاد﴾ لموافقة ذلك للرسم القياسي وهو إنما يتعرض للرسم الاصطلاحى قال الجعبرى جملة المنادى المحذوف ياؤه مائة واثنان وعشرون موضعا : يا رب ورب سبعة وستون يا قوم ستة وأربعون، ويا بنى ستة و﴿يا عباد الذين آمنوا﴾ و ﴿يا عباد فاتقون﴾ بالزمر و ﴿يا عباد لا خوف﴾ بالزمر فى المصاحف العراقية) قال :

٢٧٦ ـ فَصِلْ وقل إحدى الحواريين ... محذوفة وإحدى الأميين

٢٧٧ ـ ثم النبيين وربانيين ... وأثبتوا الياءين فى عليين

٢٧٨ ـ ورجح الدانى حذف الأولى ... وابنُ نجاح قال الأخرى أولى

أقول : سبق أن الياء المحذوفة قسمان مفردة وغير مفردة . وغير المفردة وهى ما اجتمعت مع مثلها قسمان . ما اجتمع فيه الياءان وسطا وما اجتمع فيه الياءان طرفا .

وبدأ بالكلام على القسم الأول بعد أن فرغ من الكلام على الياء المفردة زائدة أو فى محل اللام . فأمر بأن تحذف إحدى اليائين فى الحواريين والأميين والنبيين وربانيين حيث وقعت هذه الكلمات الأربع فى القرآن وقد أثبت كتاب المصاحف اليائين فى « عليين » بالمطففين وتعيين الكلمات الأربع أخرج ما عداها مما اجتمع فيه ياءان وسطا نحو يحييكم أفعيينا حييتم، ويحييها، لثبوت الياء فيها ـ وإنما نص على عليين مع أن الأصل إثبات ياءيها لمماثلتها للكلمات الأربع فى اجتماع ياءين ثانيتهما علامة جمع واختلف الشيخان فى المحذوف منهما بعد اتفاقهما على جواز حذف الأولى أو الثانية فرجح الدانى حذف الأولى واختار أبو داود حذف الثانية ـ أما ما وقعت فيه إحدى الياءين صورة للهمزة نحو ﴿متكئين﴾ وبابه فقد رجح فيه أبو داود أن تكون المرسومة علامة الجمع والمحذوفة صورة الهمزة وسيأتى حكمه آخر باب الهمز عند قوله (وما يؤدى لاجتماع الصورتين) قال :

٢٧٩ ـ ونحو يستحيى الأخير فاحذف ... مرجحا إذ سكنت فى الطرف

٢٨٠ ـ ورجحنه قبل ما تحركت ... لغير يلحقها لو أدغمت

٢٨١ ـ لدى ولى وحيى يحيى ... لدى القيامة وفى لتحيى

٢٨٢ ـ وجاء فى يحيى إطلاق لدى ... عقيلة ولابن حرب وردا

أقول : بعد أن فرغ من الكلام على ما اجتمع فيه الياءان وسطا شرع يتكلم على ما اجتمع فيه الياءان طرفا .

وهو نوعان : ما سكن فيه ثانى الياءين وما تحرك فيه ثانيهما .

فالأول : يترجح فيه حذف الياء الأخيرة منه على حذف الأولى نحو ﴿يستحيى﴾ مما اجتمع فيه ياءان متطرفان ثانيتهما ساكنة . ولا فرق فى ترجيح حذف الثانية بين أن تكون أصلية أو زائدة وقع بعدها متحرك أو ساكن نحو ﴿يحيى ويميت﴾ ﴿أنا أحيى وأميت﴾ ﴿يحيى الله الموتى﴾ ﴿إن ذلك لمحى الموتى﴾ وعلل حذف الأخيرة على الأولى لسكونها طرفا بعد كسرة تجانسها وتدل عليها حين حذفها .

ولـوقوعهـا طرفـا والأطـراف محل التغيير وقيل تحـذف الأولى وتبقى الثانيه .

الثاني : ما تحـرك فيه ثاني الياءين وحكمه أنـه يترجح فيه حذف الأولى علـى الثانية وذلك في أربـع كلمات : « وليى » في ﴿ إن ولى الله ﴾ بالأعراف. (أصلها بثلاث ياءات : الأولى ساكنة والثانيـة مكسورة ، والثالثة مفتوحة فكتبـوها بياء واحدة معرفة) وحيّ في ﴿ ويحيى من حيَّ عن بينـة ﴾ بالأنفال ، و«يحيى » في ﴿ أليس ذلك بقـادر علـى أن يحيي الموتى ﴾ بالقيـامة وقيدهـا بالقيامـة لإخراج ﴿ بقـــادر علـى أن يحيى الموتى﴾ بالأحقاف لسكوت الشيخين عنها . وأطلق الشـاطبى في العقيلـة الحـذف في « يحيى » فشمل مـا في القيـامـة والأحقاف وقد ورد الإطلاق كذلك عن أبي العباس بن حرب و الحـذف في «نحيي » في ﴿ لنحيى به بلـدة ميتا ﴾ بالفرقان ورجح حـذف اليـاء الأولى على الثـانيـة لأجل التغيير الـذى يلحقها لو قدر إدغامها في الياء الثانية وهو قوله (لغير يلحقها لـو أدغمت) أي لتغيير يلحقهـا على تقديـر إدغامهـا (لطائف البيان٢ / ٣ـ١١)

ويفرد الإمـام أبو عمرو الـداني في « المحكم » بابـا في ما اجتمع فيه ياءان ، فحذفت إحداهما إيجازًا يقول فيه :

اعلم أن كتـاب المصـاحف اتفقـوا على حـذف إحـدى الياءين من الرسم في قوله : « النبيين » ، حيث وقع .

ويجـوز أن تكون المحـذوفة منهمـا الأولى التي هي زائدة للمد في بنـاء (فعيل) ، لزيـادتها ، وأنهـا أول اليـاءين ، لأن الهمزة بينهما ، لخفائها ، وأن لا صـورة لها ، ليست بفاصلة . فوجب لذلك حذفها من الرسم ، إذ كُره الجمع بينها وبين التى بعدها فيه .

ويجـوز أن تكون المحـذوفة من اليـاءين الثانيـة التي هي عـلامة الجمع ، من حيث كـان البناء يختل بحـذف الأولى . وكان الثقل والكـراهة للجمع بين صـورتين متفقتين إنما وجب بالثانية لا بالأولى .

والمذهب الأول أوجـه ، لما بينتـه ، ولأن الياء الثانيـة لما جاءت مؤدية عن معنى الجمع لزم إثباتها ليتأدى بذلك المعنى الذى جـاءت له . وأيضـا فإنها ملازمـة للنون ، لا تفـارقها ولا تنفصل عنهـا ، من حيث كانتـا معا عـلامة للجميع . فـوجب لذلك إثباتها ضرورة .

فإذا نقط ذلك ، على قـراءة من همز على الأصل (قـراءة الهمز فيه وفي « النبى » ومـا جاء منه هي قراءة نـافع . والباقون يقرؤون بغير همز) جعلت الهمزة نقطة بالصفراء ، وحركتها من تحتهـا نقطة بـالحمراء قبل اليـاء السوداء . ورسم قبل الهمـزة وبعـد اليـاء ، ياءٌ بـالحمـراء ، وهي يـاء (فعيل) . وإن شـاء الناقط لم يرسمها ، وجعل مطة في مـوضعها . هذا على الوجه الأول المختار . وصورة ذلك كما ترى : « النبِيِّينَ » .

وعلى الـوجـه الثـاني تُجعل الهمـزة وحـركتهـا بعـد اليـاء السوداء . وتلحق بعد الهمزة وقبل النون ياء بالحمراء ، وهي ياء الجمع . ولا بـد من إلحاق هـذه الياء في هـذا الوجـه ليتأدى بإلحاقها المعنى الذى جـاءت هي والنون لأجله . وصورة ذلك كما ترى : « النبيئن » .

وكذا تلحق الياء في هذه الكلمـة على الوجهين ، في قراءة من لم يهمزهـا (وهذه القراءة هـى مذهب الجمهور . وقـد قرأ نافع ذلك وأمثاله بالهمز على الأصل) .

وكذلك تلحق في نظائر ذلك من الجمع ، مما حذفت فيه إحدى اليـاءين كراهـة للجمع بينهما في الرسم ، على الوجهين جميعا . وذلك نحو قوله : ﴿ ربانيِّن ﴾ [آل عمران : ٧٩] و ﴿ الحوارين ﴾ [المـائدة : ١١١] و ﴿ في الأميِّن ﴾ [آل عمران : ٧٥] و [الجمعة : ٢] وشبهه .

فأما ما كان الحرف الواقـع فيه قبل الياء والنون همزة ، نحو قوله : ﴿ المستهزءين ﴾ [الحجـر : ٩٥] و ﴿ متكئين ﴾ ﴿خاسئين ﴾ [البقـرة : ٦٥ و الأعـراف : ١٦٦] وشبهـه فإن اليـاء المـرسومـة قبل النـون في ذلك تحتمل أن تكـون صـورة للهمزة ، لتحركها وتحرك مـا قبلها ؛ وأن تكون علامة للجمع ، وذلك الأوجه ، لمـا بيناه قبل ، ولأن الهمزة ، لكونها حـرفا من الحروف ، قد تستغنى عن الصورة .

* * *

وأما قوله في مريم : ﴿ أثاثا ورءْيًا ﴾ [مريم : ٧٤] فإنه رُسم في جميع المصاحف بيـاء واحدة . فإن كـان رسمه على قراءة من لـم يهمز فذلك حقيقة رسمه .

(هذه قراءة قالون وابن ذكوان بتشـديد الياء من غير همز .

وقد قرأ الباقون بالهمز) وإن كان على قراءة من همز فقد حذفت منه ياء واحدة. وهى الأولى التى هى صورة الهمزة الساكنة لا غير. وذلك لثلاثة معان :

أحدها : أن الهمزة فى حال تحقيقها قد تستغنى عن الصورة بالشكل، لأنها حرف كسائر الحروف.

الثانى : أنها إذا سهلت فى ذلك لزم إبدالها ياء ساكنة، لأجل كسرة الراء التى قبلها . ثم تدغم فى الياء التى بعدها للتماثل. وعلى هذا لا تصور رأسا.

والثالث أن الألف المعوضة من التنوين الذى يتبع الإعراب قد جاءت مثبتة فى آخر هذه الكلمة. فلزم أن تكون الياء المتصلة فى الرسم بها هى التى يلحقها الإعراب لا غير .

وإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وعليها علامة السكون ، بين الراء والياء فى البياض . وبالله التوفيق (المحكم/ ١٦٥ـ١٦٧).

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز ـ حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى/ ٢٥ـ٢٧ ، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن ـ فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ٢ / ٣ ـ ١١، والمحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ـ عن بتحقيقه د . عزة حسن/ ١٦٥ـ١٦٧) .

حذيفة بن أسيد (ـ٤٢هـ) :

أبو سريحة (بمهملتين مفتوح الأول) حذيفة بن أسيد (بفتح الهمزة) ابن خالد بن الأغوز (بالغين المعجمة والزاى) وقيل (الأغوس) الغفارى .

شهد بيعة الرضوان بالحديبية . أخرج عنه مسلم حديثين، وخرج عنه الأربعة. وروى عنه الشعبى ، وأبو الطفيل ، والربيع بن عميلة. مات سنة اثنتين وأربعين رضى الله عنه ورحمه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى ـ أشرف على ضبطه وتصحيحه عمر الديراوى أبو حجلة/ ٥٦) .

أبو حذيفة بن عتبة :

ذكره ابن عبد البر فقال عنه :

أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى، كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين، جمع الله له الشرف والفضل، صلى القبلتين، وهاجر الهجرتين جميعا، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم للدعاء فيها إلى الإسلام. هاجر مع امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك محمد بن أبى حذيفة، ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، وأُحدا، والخندق ، والحديبية، والمشاهد كلها. وقتل يوم اليمامة شهيدا، وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة . يقال : اسمه مهشم . وقيل هشيم، وقيل هاشم. وكان رجلا طوالا حسن الوجه أحول أثعل، والأثعل الذى له سن زائدة، تدخلها من صلبها الأخرى، وفيه تقول أخته هند بنت عتبة، حين دعا أباه إلى البراز يوم بدر:

فما شكرت أبا رباك من صغر

حتى شببت شبابا غير محجون

الأحول الأثعل المشئوم طائره

أبو حذيفة شر الناس فى الدين

بل كان من خير الناس فى الدين وكانت هى ـ إذ قالت هذا الشعر ـ من شر الناس فى الدين (الاستيعاب ٤/ ١٦٣١، ١٦٣٢).

قال ابن قتيبة :

وقد انقرض ولد « أبى حذيفة »، فلم يبق منهم أحد، وانقرض ولد أبيه : عتبة بن ربيعة، إلا ولد : المغيرة بن عمران ابن عاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة، فإنهم بالشام (المعارف / ٢٧٢).

(الاستيعاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة/ ٢٧٢) .

حذيفة بن اليمان (ـ٣٦ هـ ـ٦٥٦م) .

قال الإمام النووى :

حذيفة بن اليمان الصحابى رضى الله عنهما تكرر فى هذه

الكتب هو أبو عبد الله بن اليمان وابن اليمان حِسْل بكسر الحاء وإسكان السين المهملتين ويقال حسيل بالتصغير بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بجيم مكسورة ابن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بفتح الموحدة وبغين وضاد معجمتين ابن ريث براء مفتوحة ثم مثناة من تحت ساكنة ثم مثلة بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بالعين المهملة ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسى حليف بنى عبد الأشهل من الأنصار قالوا واليمان لقب حسل وقال الكلبى وابن سعد هو لقب جروة قالوا ولُقِّب باليمان لأنه أصاب دما فى قومه فهرب إلى المدينة فحالف بنى عبد الأشهل من الأنصار فسماه قومه اليمان لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن أسلم حذيفة وأبوه وهاجر إلى رسول الله ﷺ وشهدا جميعاً أحداً وقتل أبوه يومئذ قتله المسلمون خطأ فوهب لهم دمه وأسلمت أم حذيفة وهاجرت . وفى كتاب الترمذى فى مناقب الحسن والحسين رضى الله عنهما حديث حسن يتضمن إسلامها .

روى عن حذيفة جماعة من الصحابة منهم عمر وعلى وعمار وجندب وعبد الله بن يزيد الخطمى وأبو الطفيل .

وروى عنه خلائق من التابعين منهم ابنه أبو عبيدة بن حذيفة . وكان صاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين يعلمهم وحده وسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه هل فى عمالى أحد منهم قال نعم واحد قال من هو قال لا أذكره فعزله عمر كأنما دُل عليه وأرسله رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب سرية وحده ليأتيه بخبر القوم فوصلهم وجاء بخبرهم . وحديثه هذا فى الصحيح مشهور طويل مشتمل على معجزات وحضر حذيفة الحرب بنهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش أخذ الراية وكان فتح همذان والرى والدينور على يد حذيفة وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وولاه عمر رضى الله عنه المدائن وقال عمر رضى الله عنه لأصحابه تمنوا فتمنوا ملء البيت الذى هم فيه جوهرا لينفقوه فى سبيل الله فقال عمر لكنى أتمنى رجالا مثل أبى عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة وأستعملهم فى طاعة الله تعالى .

وكان كثير السؤال لرسول الله ﷺ عن أحاديث الفتن والشر ليجتنبها وسأله رجل أى الفتن أشد قال إن يعرض عليك الخير والشر ولا تدرى أيهما تترك . توفى بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان رضى الله عنهما بأربعين ليلة .

وقتل عثمان يوم الجمعة لثمانى عشرة خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ولم يدرك حذيفة وقعة الجمل لأنها كانت فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة قال « قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وأنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه » وفى الصحيحين عنه قال « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى » وفى صحيح مسلم عنه قال « أخبرنى رسول الله ﷺ بما كان إلى أن تقوم الساعة » وفى صحيح مسلم أيضا عنه قال « والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بينى وبين الساعة » ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضى الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٣-١٥٥).

وقال ابن قتيبة :

وروى أشعث، عن : الحسن، أنه قال :

كان « حذيفة » رجلا من « عبس » فخيره رسول الله - ﷺ- فقال : إن شئت كنت من المهاجرين، وإن شئت كنت من الأنصار ؟ فقال : من الأنصار . قال : فأنت منهم .

ولـ « حُذيفة » عقب فى الأنصار، ولم يشهد « حذيفة » «بدرا » .

وأخوه « صفوان بن اليمان » شهد « أحدا » ولم يشهد «بدرا » .

وهلك « حذيفة » بالكوفة بعد مقتل « عثمان » .

وقال الواقدى :

مات بالمدائن ست وثلاثين ، وجاءه نعى « عثمان بن عفان » ولم يدرك « الجمل » - وكان الجمل لعشر ليال خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

وأختـه : « ليلى بنـت اليمـان » أم « سلمـة بن ثـابت بن وقش» وأخته : فاطمة بنت اليمان .

(المعارف / ١٥٥) .

له فى كتب الحديث ٢٥٥ حديثا . وكان نزيهاً عفيفاً بقى والياً على المدائن حتى توفى بها سنة ٣٦ هـ كما سبق القول (مرجع العلوم الإسلامية / ٦٣) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٥٣ ـ ١٥٥ ، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د . ثروت عكاشة / ٢٦٣ ، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د . محمد الزحيلى / ٦٣ . انظر أيضا «رجل المهام حذيفة بن اليمان رضى الله عنه » ـ الأستاذ زكريا أحمد نور. مجلة الأزهر . الجزء الرابع السنة الثانية والستون ، ربيع الآخر ١٤١٠هـ ـ نوفمبر١٩٨٩م / ٣٣٢ـ ٣٣٥ ، ٤٠٣) .

قالت المؤلفة : لدى زيارتنا للمدائن يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٨٤ قمنا بزيارة ضريح حذيفة بن اليمان ، وقد سجلت فى مفكرتى هذه الملاحظات عن الزيارة : دخلنا مسجد « سلمان الفارسى » وهو مسجد بديع توجد عند مدخله هذه الكتابة : «قال رسول الله ﷺ : سلمان منا أهل البيت » (لم أعثر على هذا الحديث فى الجامع الصغير للسيوطى ولا فى الجامع الأزهر للمناوى) ويؤدى إلى المسجد صحن مستطيل صغير مسقوف وقبابه منقوشة . وعلى يسار ضريح سلمان الفارسى ضريح حذيفة بن اليمان أمين سر الرسول وهو يقع إلى يمين الداخل ، وإلى اليسار ضريح عبد الله بن جابر الأنصارى من صحابة رسول الله ﷺ ، ويوجد خارج المسجد صحن شاسع الاتساع يحيط به سور ا هـ .

الحر:

الحر بالفتح والتشديد لغة الخلوص وشرعا خلوص حكمى يظهر فى الآدمى لانقطاع حق الغير عنه والحرية بالضم مثله والحر بالضم لغة من الحر بالفتح ويقابله الرقيق ويقابل الحَرّ والحرية الرق هكذا صرح فى جامع الرموزة وفى مجمع السلوك والحرية عند السالكين انقطاع الخاطر من تعلق ما سوى الله تعالى بالكلية والحرية نهاية العبودية فهى هداية العبد عند ابتداء خلقته كذا فى مجمع السلوك فى بيان الطريق .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٩١، ٢٩٢) .

حراء:

جبل حراء، ويقال له « جبل النور » أيضا

قال ياقوت :

حِراءٌ : بالكسر، والتخفيف ، والمد : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه ؛ قال جرير:

ألسنا أكرم الثقلين طُرا

وأعظمهم، ببطن حراء، نارا ؟

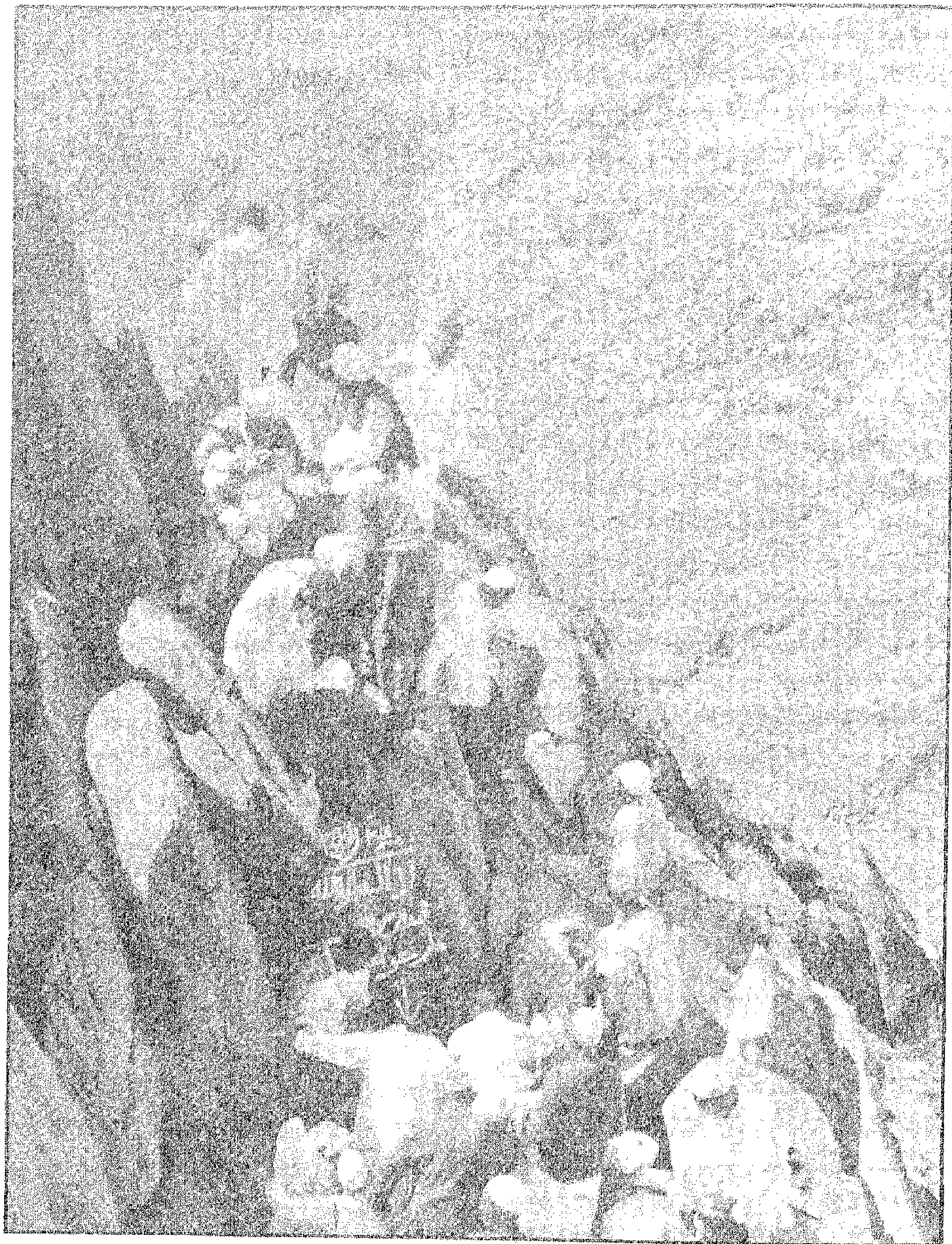
فلا يصرفه لأنه ذهب به إلى البلدة التى حراء بها ، وقال بعضهم : للناس فيه ثلاث لغات يفتحون حاءه وهى مكسورة ويقصرون ألفه وهى ممدودة ويميلونها وهى لا تسوغ فيها الإمالة لأن الراء سبقت الألف ممدودة مفتوحة وهى حرف مكرر فقامت مقام الحرف المستعلى مثل راشد ورافع فلا تمال؛ وكان النبى ﷺ، قبل أن يأتيه الوحى يتعبد فى غار من هذا الجبل، وفيه أتاه جبرائيل، عليه السلام؛ وقال عرام بن الأصبغ : ومن جبال مكة ثبير، وهو جبل شامخ يقابل حراء، وهو جبل شامخ أرفع من ثبير فى أعلاه قلة شامخة زلوج، ذكروا أن رسول الله ﷺ، ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك، فقال رسول الله ﷺ : اسكن يا حراء فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد؛ وليس بهما نباتٌ ولا فى جميع جبال مكة إلا شىء يسير من الضهياء يكون فى الجبل الشامخ، وليس فى شىء منها ماءٌ، ويليها جبال عرفات، ويتصل بها جبال الطائف، وفيها مياه كثيرة (معجم البلدان٥/ ٢٣٣، ٢٣٤)

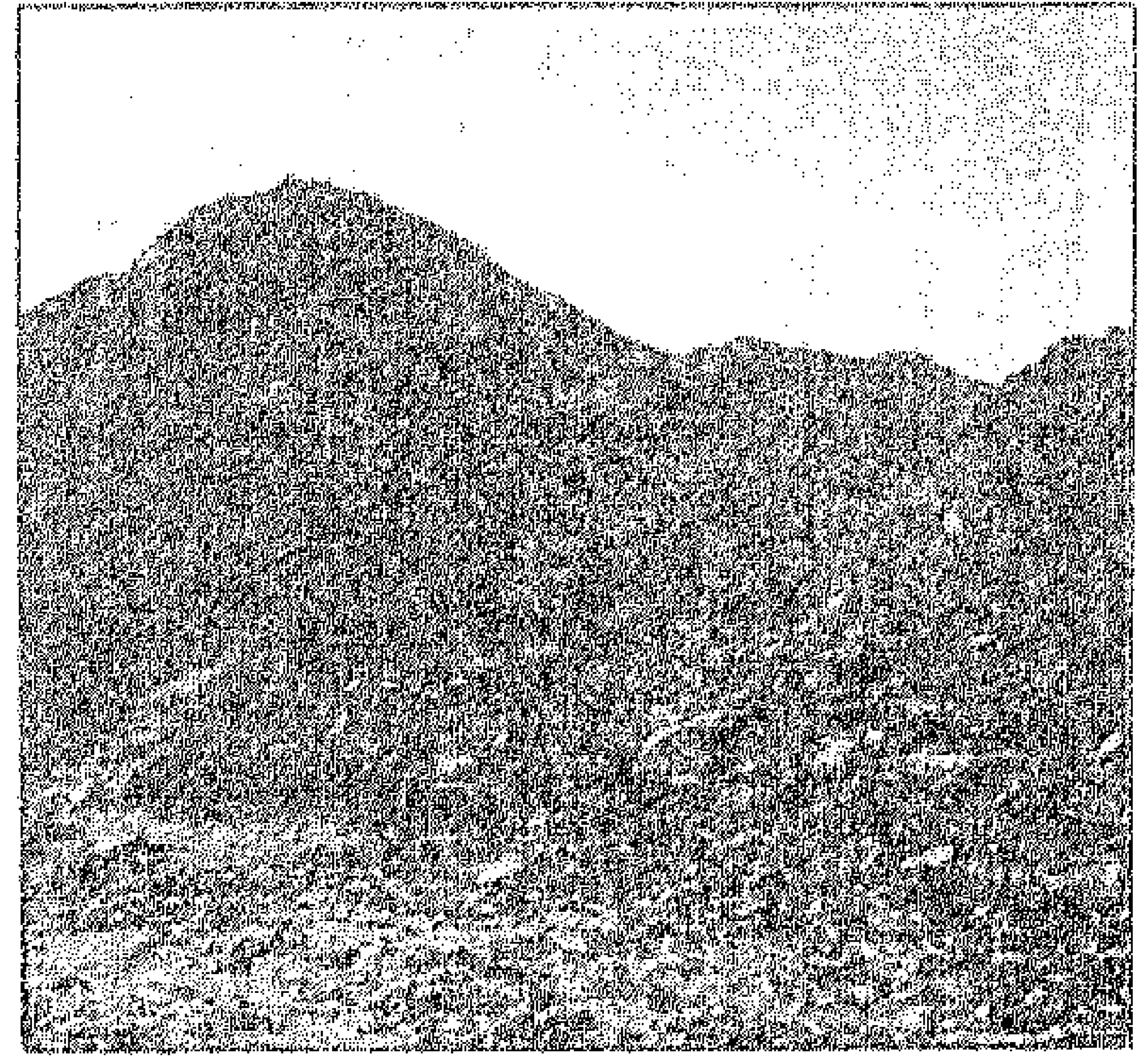
وقال عنه القزوينى :

جبل حراء بمكة على ثلاثة أميال منها به غار كان رسول الله ﷺ قبل الوحى يأتيه للخلوة فأتاه جبريل عليه السلام هناك وهو موضع مبارك يزوره الناس ، والله أعلم (عجائب المخلوقات/ ١١٢) .

وقد ذكر الأزرقى قصته وفضله وما جاء فيه فقال :

حدثنا أبو الوليد قال : حدثنى مهدى بن أبى المهدى، حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى عن معمر أخبرنى الزهرى عن





جبل النور وبه غار حراء

عـروة عن عائشـة رضى الله عنها أنهـا قالت : أول مـا بدى بـه رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصـادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخـلاء فكان يأتى حـراء فيتحنث فيـه ـ وهو التعبـد والتبـرر الليـالى ذوات العـدد ـ ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خـديجة ابنة خويلد فيتزود بمثلها حتـى فجأه الحق وهو فى غـار حراء فجاءه الملـك فيه فقـال : اقرأ، قـال : فقلت : ما أنـا بقـارئ، قال : فأخـذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ، فأخـذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقـال: اقرأ، فقلت مـا أقرأ، فقـال : ﴿ اقرأ باسم ربك الـذى خلـق * خلق الإنسـان من علق * اقـرأ وربـك الأكـرم * الذى علم بالقلم ﴾ [العلق ١ ـ ٤] حتى بلغ ﴿ ما لم يعلم ﴾ [العلق : ٥].

حدثنـا أبو الـوليد قال : حـدثنى جدى أحمـد بن محمد حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال : سمعت ابن أبى مليكة يقول : جاءت خديجـة إلى النبى ﷺ بحيس وهو بحراء فجاءه جبريل فقال : يا محمد هذه خـديجة قد جاءت تحمل حيسا معها والله يأمرك أن تقـرأها السلام وتبشرهـا ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، فلمـا أن رقيت خديجـة قال لهـا النبى ﷺ : يا خـديجة إن جبـريل قـد جاءنى والله يقـرؤك السلام ويبشـرك ببيت فى الجنة من قصـب لا صخب فيه ولا نصب فقـالت خـديجـة : الله السـلام ومن الله السـلام وعلى جبريل السلام (أخبار مكة ٢/ ٢٠٤) .

ثم ذكره ثانية فى الجبال فقال عنه :

جبل حـراء وهـو الجبل الطـويـل الـذى بأصل شعب آل الأخنس مشرف على حايط مورش، والحـايط الذى يقال له : حايط حراء على يسار الذاهـب إلى العراق وهو المشرف القلة مقابل ثبير غينـاء محجة العراق بينه وبينه ، وقـد كان رسول الله ﷺ أتـاه واختبى فيه مـن المشركين من أهل مكـة فى غـار فى رأسه مشرف ممـا يلى القبلة ، وقد كتبت ذكر مـا جاء فى حراء وفضلـه فى صـدر الكتاب مع آثـار النبى ﷺ ، قـال مسلم بن خـالد: حـراء: جبل مبارك قـد كـان يؤتى ، قـال أبو محمـد الخزاعى : وفى حراء يقول الشاعر:

تفـــرج عنهـــا الهم لمـــا بـــدا لهـــا
حـــراء كـــرأس الفـــارسى المتـــوج
منعمـــة لـم تـــدر مـــا عيش شقـــوة
ولـم تعتـــرر يـــومـــاً على عـــود عـــوسج

وجاء فى هامش ٣ للمحقق أن جبل حراء يقع فى الشمال الشرقى من مكة المكرمة ، يشرف على طريق العدل فى منتهى مكة (أخبار مكة ٢/ ٢٨٨) .

(معجم البلـدان ليـاقـوت الحمـوى ٢ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وعجـائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١١٢ ، وأخبار مكة للأزرقى ـ تحقيق رشدى صالح ملحس ٢/ ٢٠٤، ٢٨٨ وهامش ٣ للمحقق . انظر أيضا نور الأبصار فى منـاقب أهل بيت النبى المختار ـ الشيخ سيـد الشبلنجى / ١١ ، و « حـراء معتكف المتعبـدين من العـرب والاعتكـاف الإسـلامى » ـــ نـذيـر حمـدان . مجلـة الفيصل . العـدد (١٦٥) ربيع الأول ١٤١١ هـــ ـــ أكتـوبـر ١٩٩٠م ، السنة الرابعة عشرة / ٣٥ـ ٣٨) .

حراء (جبل ـ) :

انظر : حراء .

حراء (غار ـ) :

انظر : حراء

الحرارة:

قال التهانوى : الحرارة بالفتح ضد البرودة، وماهيتها من البديهيات، وما ذكر فى حقيقتهما فهى من جملة الأحكام وبعض الحكماء جعل البرودة عبارة عن عدم الحرارة عما من شأنه أن يكون حارا وقيد من شأنه الاحتراز عن الفلك فإن عدم حرارته لا يسمى برودة إذ ليس من شأنه أن يكون حارا فعلى هذا التقابل بينهما تقابل العدم والملكة وهو باطل لأنها محسوسة ولا شيئ من العدم بمحسوس واعترض عليه بأن الانفصال عدم الاتصال مع أنه محسوس، وأجيب بأن المحسوس هو المنفصل وعوارضه كاللون والانفصال يدرك بالوهم التابع للحس الظاهر لا بالحس الظاهر فإن الحكم بأن العدم غير محسوس بالحواس الظاهرة بديهية فالحق أنها كيفية موجودة مضادة للحرارة من شأنها أن تجمع المتشاكلات وغيرها وههنا أبحاث .

الأول : كما يقال الحار لما تحس حرارته بالفعل كالنار مثالا يقال أيضا لما لا تحس حرارته بالفعل ولكن تحس بها بعد مماسة البدن الحيوانى والتأثر منه كالأدوية والأغذية الحارة ويسمى حارا بالقوة وكذا البارد يطلق على البارد بالفعل والبارد بالقوة .

ولهم فى معرفة الحار والبارد بالقوة طريقان التجربة والقياس من الاستدلال باللون والطعم والرائحة وسرعة الانفعال مع استواء القوام أو قوته .

والثانى الأشبة بالصواب أن الحرارة الغريزية أى الطبيعية الملايمة [الملائمة] للحُيوة الموجودة فى أبدان الحيوانات ويسميها أفلاطون بالنار الإلٰهية والحرارة الكوكبية والنارية أنواع متخالفة الماهية لاختلاف آثارها الدالة علىٰ اختلاف ملزوماتها فى الحقيقة فإنه يفعل حر الشمس فى عين الأغشىٰ من المضرة ما لا يفعل حر النار والحرارة الغريزية أشد الأشياء مقاومة للحرارة النارية التى ليست غريزية بل غريبة فإن الحرارة النارية إذا حاولت إبطال المزاج الحيوانى قاومتها الغريزية أشد مقاومة حتىٰ إن السموم الحارة والباردة لا يدافعها إلا الغريزية وهذا مذهب أرسطو وقال جالينوس الغريزية والنارية من نوع واحد فالغريزية هى النارية واستفادت بالمزاج مزاجا معتدلا حصل بـه القيام فإذا أرادت الحرارة أو البرودة تفريقها عسر عليها ذلك التفريق .

والفرق بين الحار الغريزى والغريب أن أحدهما جزء المركب والآخر خارج عنه مع كونهما متوافقين فى الماهية .

الثالث قال ابن سينا : الحرارة تفرق المختلفات وتجمع المتماثلات والبرودة بالعكس أى تجمع بين المتشاكلات وغيرها أيضا لأن الحرارة فيها مصعدة فإذا أثرت فى جسم مركب من أجزاء مختلفة فى رقة القوام وغلظه ينفعل الجزء اللطيف الرقيق منه انفعالا أسرع من الكثيف الغليظ فيتبادر الألطف فالألطف إلى الصعود دون الكثيف فإنه لا ينفعل إلا ببطء . وربما لم تفد الحرارة فيه خفة تقوى علىٰ تصعده فيلزم بهذا السبب تفريق المختلفات ثم تلك الأجزاء تجتمع بالطبع إلىٰ ما يجانسها فإن الجنسية علة الضم كما اشتهر والحرارة معدة للاجتماع الصادر عن طبائعها بعد زوال المانع الذى هو الالتيام [الالتئام] فنسب الاجتماع إليها كما نسبت الأفعال إلىٰ معداتها هذا إذا لم يكن الالتيام [الالتئام] بين بسائط ذلك المركب شديداً . وأما إذا اشتد وقوى التركيب لا تفرقها لوجود المانع فإن كانت الأجزاء اللطيفة والكثيفة فى الجسم متقاربة فى الكمية كما فى الذهب أفادته الحرارة سيلانا وذوبانا وكلما حاول اللطيف صعوداً منعه الكثيف فحدث بينهما تمانع وتجاذب فيحدث من ذلك حركة دوران كما نشاهد فى الذهب من حركته السريعة العجيبة فى البوتقة ولولا هذا العائق لفرقه النار، وإن غلب اللطيف جدا فيصعد ويستصحب معه الكثيف لقلته كالنوشادر فإنه إذا أشرفته النار تفرقه النار وإن غلب الكثيف جدا لم يتأثر فلا يذوب ولا يلين كالطلق فإنه يحتاج فى تليينه إلىٰ حيل ولذا قيل من حل الطلق فقد استغنىٰ عن الخلق .

تنبيه : الفعل الأولى للحرارة هو التصعيد والجمع والتفريق لازمان له ولذا قال ابن سينا فى كتاب الحدود إنها كيفية فعلية أى تجعل محلها فاعلا لمثلها فيما يجاوره فإن النار تسخن ما جاورها محركة لما تكون تلك الكيفية فيه إلىٰ فوق لإحداثها الخفة فيحدث عن هذا التحريك أن تفرق الحرارة المختلفات وتجمع المتماثلات وتحدث تخلخلا من باب الكيف وتكاثفا من باب الوضع لتحليله الكثيف وتصعيده اللطيف وفعلها فى الماء إحالته إلى الهواء لا تفريق بين أجزاء المتماثلات وفعلها فى البَيْض إحالتها فى القوام لا جمع للأجزاء المختلفة فإن

النـار بحرارتهـا تـوجب غلظا فى قـوام الصفـرة والبياض وأمـا الانضمام بينهما فقد كان حاصلا قبل تأثير الحرارة فيهما .

الرابع الحركـة تحدث الحرارة والتجربة تشهـده وأنكره أبو البركـات مستدلا بأنه حينئـذ يجب أن تسخن الأفلاك سخـونة شـديدة وتسخن بمجـاورتهـا العنـاصر الثـلاثـة فتصير كلهـا بالتـدريج نـارا . والجواب أن مواد الأفـلاك لا تقبل السخـونة أصلا ولا بد فـى وجود الحرارة مع المقتضى الذى هـو الحركة من وجود القابل ولا تسخن العناصر فإن النار متحركة بمشايعة الفلك دون باقى العنـاصر وليس سخونـة النار توجب سخـونة الباقى لأن برودة الطبقة الزمهريرية تقاومها هذا كله خلاصة ما فى شرح المواقف وشرح التجريد .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٩٢، ٢٩٣) .

حراريق الأمراء :

زوارق يركبها الأمراء فى احتفال كسر الخليج عند وفاء النيل ويلعبون بها فى وسط امتداد النيل ويـرمون بمدافع النفط على قدامها ويسير السلطـان معهم فى حراقته حتى يصل إلى السد فيقطع بحضوره .

(التعـريف بمصطلحـات صبح الأعشـى ــ محمـد قنـديل البقلى / ١٠٤، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٤٧، ٤٨) .

ابن حرازم (-٥٥٩هـ) :

من صوفية المغرب الذين ذكرهم عبد الله التليدى فى كتابه وقال عنه :

سيـدى على بن حـرازم من علماء فـاس الكبـار وصوفيتـه المشاهير أدرك أواخر دولة المرابطين وشارك فى الموافقة على حادث إحراق إحياء علوم الدين للإمام الغزالى رضى الله تعالى عنه وعاش مع الموحـدين وفى دولتهم نحوا من ثنتين وعشرين سنة .

اسمه الكامل أبـو الحسن على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حِرزهم بكسر الحاء وسكون الراء وكسر الزاى والهاء كذا ضبطـه بعضهم وضبطه آخرون حـرازم والأول أصح والثانى هو المشهور على الألسنة ترجمه التادلى وابن الخطيب وأحمد بابا والناصرى فى الاستقصا وابن جعفر فى السلوة .

واتفقوا على أنه ولد بفاس وبهـا نشأ وتلقى العلوم وأنه كان من كبار العلماء فقها وحديثا وحفظا له مشاركة فى شتى العلوم وكان عـابدا زاهـدا ورعا متصـوفا متحققـا به يعـد من تـلامذة القـاضى أبى بكر بن العـربى وسيدى على بـوغالب المتقـدم وعنه أخذ جـامع الترمذى ويعد أيضا فى جملـة شيوخ سيدى أبى مدين الغوث رضى الله تعالى عنه وأنه انتفع به كثيرا .

وكان سيدى على فى ابتداء أمره قد قرأ الإحياء فور دخولها للمغرب وجرد ما فيها من المسائيل [المسائل] المنتقدة على الغـزالى ليرد عليـه فيهـا ووافق على إحراق الكتـاب بعض من أفتى بذلك فـرأى عقب ذلك رؤيا هائلـة تأثر بها تأثـرًا عظيما وكـانت السبب فى تصوفـه ورجوعـه عن رأيه وفتسواه الجائيـرة [الجائرة] تـوفى سنة ٥٥٩ ودفن خارج باب الفتـوح من فاس والدعاء عند قبره مستجاب كما ذكـره غير واحد وعند ضريحه اجتمع القطب سيدى عبد العزيز الدباغ بالخضر ولقنه الورد .

من مناقبه ذكر التادلى فـى التشوف قال سمعت أبا عمران موسى بن يوسف يقول أدركت ابن حـرزهم وأنا صغير ودعا لى وكان يقول لن أصوم مع الناس هذا الشهر المقبل يعنى رمضان وذكـر عن أحمـد بن عيسـى الأنصـارى أنـه قـال سمعت أبـا الحسن غير مـرة يقول أموت فى العام الفـلانى وفى ذلك العام نفسه مات وقبل وفاته دخل الحمـام وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتـى إلا هذا اليوم فلمـا خرج منـه أتى منزلـه فاستلقى على فراشـه فلما جـاء وقت صلاة العصر أتـاه بعض تلامـذته ليوقظـه للصلاة فوجـده ميتا وذكـر أيضا عن رجل آواه المبيت إلى رابطة للعباد خارج فاس فلما كان من السحر قام والعباد ما بين ذاكـر ومصل وباك فـذهب ليتـوضأ . فوجـد أسدا فـرجع هاربا مـرعوبا وأخبر بذلـك رجلا من أولائيك [أولئك] فتقدم إلى الأسد وفتل أُذنيه وضربـه بالقضيب وقال له ألم أقل لك لا تـروع أصحابى ففـر الأسد أمـامه فلمـا رجع الرجل إلى فـاس ذهب ليخبـر أبـا الحسن بمـا حصل لـه فلمـا دخل من بـاب المسجد ابتدأه أبو الحسن وذكر له ما وقع له ليلته ثم قال له : أقام يعنى يعنى العابـد فى مكان خال لا يشاهـد فيه فتنة وظن أنه جـاء بشىء لو أقام بفاس يعـاين المعاجر أو البـراقع الزرق على الأعين البلق لعلم هل يصير أم لا .

(جاء فى هامش ١ ، ٢ ما يلى :

فى هذا بيان أن العبـادة فى مواقع الفتن وبين المجتمعات

أعلى وأرقى منهـا من الفلـوات والخلـوات وأن مـن كـان بين المفاتن والمغريات وملك نفسه كان على منزلة عظيمة ومقام كبير عند الله عز وجل جعلنا الله منهم ووقـانا شر الفتن ما ظهر وما بطن .

المعاجر جمع معجر بكسر الميم وهو ما تشده المرأة على رأسها والبراقع جمع برقع بضم الباء والقـاف غطاء لوجه المرأة والأعين البلق هى السود فى بيض، ولا أدرى ماذا كان يقول لو شاهد عصرنا هذا وما ظهر فيه فاللهم حفظك) .

مـلاحظة الضـريح المنسوب إليـه بقبيلـة أنجرة بضـواحى طنجة ليس له وإنما هو كما يقال منـزل كان قد نزل به فاتخذه الناس مـزارة يتبركون بـه وقد وجدوا لـه بركـة ظاهرة ويفـد إليه الكثيرون للاستشفاء فيعافون بإذن الله تعالى ثم ببركة هذا الولى ولا سيما مـن عاهة العقـل والمصابين بـالجنون ومن المتـواتر الذى لا يمكن إنكاره أن كل من يكون مصابا بالجنون ويذهب لزيارة ذلك الموضع فبمجرد وصوله إلى ضواحيه يصير ويبكى ويفر هاربـا ويمتنع من القرب من المكان وقد شـاهدت ذلك بنفسى ورأيته من خـلائيق [خلائق] ولله فى خلقه شئـون وقد أخبـر بعض أهل الكشف بأن روحانيـة سيـدى على تأتى إلى ذلك الموضع المرة بعد المرة والله أعلم .

(المطرب بـذكر بعـض مشاهيـر أولياء المغـرب ـ عبـد الله التليدى . مطابع الشمال طنجة (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م/ ٤٣ ـ ٤٦)

الحرازى (أبو العباس) (ـ ٦٨٩ هـ) :

ذكره الإمام أبو عبد الله الطيب فى علماء عدن وقال عنه :

أبـو العباس أحمـد بن محمـد بن عيسى الحرازى، كـان فقيها فاضـلا محققا عارفا بالأصـول والفروع وغلب عليه علم الكلام واشتهر به وله فيه مصنفات جيدة على مذهب الأشعرى وكـان غالب قـراءتـه على البيلقانى بعـدن واخـذ عنه طـريق التصوف أيضا، وعنـه أخذ جماعة من أهل زبيـد وتعز وكانت مسكنه ومستقره، توفى فى سنة ٦٨٩ .

(تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائهـا للإمام أبى عبد الله الطيب ـ اعتنى بـه على حسن على عبد الحميـد « الحلبى الأثارى » دار الجيل ، بيـروت ودار عمار، عمان . الطبعة الثانية . ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م/ ٤٦، ٤٧) .

الحراسة فى سبيل الله تعالى :

عن أبى هـريرة رضى الله عنـه أن النبى ﷺ قال : « طـوبى لعبد آخذ بعنان فرسـه فى سبيل الله تعالى أشعث رأسه ، مغبرة قدمـاه ، إن كان فى الحراسـة كان فى الحراسـة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة (ساقة الجيش مؤخره) ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع ح (صحيح البخارى ٣/ ٢٢٣) وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : عينـان لا تمسهمـا النـار : عيـن بكت من خشيـة الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (صحيح الترمذى ٧/ ١٣٨) . وعن النبى ﷺ قـال : « حرس ليلـة فى سبيل الله تعالى، خيـر من ألف ليلة صيام نهـارها ، وقيام ليلها (الجامع الصغير ١ / ١٤٧) أخرجه الحاكم النيسابـورى وقال حديث صحيح . وعن رسول الله ﷺ قال : « حُرِّمت عين على النار سهرت فى سبيل الله عز وجل » (سنن النسائى ٦/ ١٥ والجامع الصغير ١/ ١٤٧) .

(مستند الأجياد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى/ ٥١، ٥٢) .

الحرافشة :

بنو حرفوش : أمراء حكموا بلاد بعلبك (لبنان) فى العهد العثمانى حالفوا الأمير فخـر الدين الثانى المعنى (القرن ١٧) نشبت الخـلافـات بين الحـرافشـة بعـد ١٨٦٠ وحكم عليهم السلطان بالنفى إلى رودس ، بعد أن أمر بشنق الأمير سعد فى بعلبك .

الحراق (ـ ١٢٦١ هـ) :

من الصوفية ، وهو محمد بن عبد الواحد العلمى الشاذلى الدرقـاوى، وشهرته الحـراق . له « ديـوان العلمى » سلك فيه طريقـة ابن الفارض، ويشتمل على تواشيح وأزجـال، وشرح «الصلاة المشيشيـة » نسبة إلى عبـد السلام بن مشيش الذى أخذ عنه الشـاذلى التصوف، ومن تـلاميذه ابن العربى الدلائى المتوفى سنـة ١٢٨٥ هـ ـ كتب ترجمتـه بـاسم « النور الـلامع البراق فى ترجمة محمد الحراق » . وكانت وفاة الحراق بتطوان سنة ١٢٦١ هـ .

(الموسوعة الصوفية ـ د . عبد المنعم الحفنى/ ١٢٢)

انظر : تطوان (م ٩/ ٥٠٢ ـ ٥٠٧) .

الحراقة:

جمعها حراريق وحرارق، وهى نوع من السفن الحربية الخفيفة، كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية، كالنار الإغريقية، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو.

وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات استخدم فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية.

ومما يدل على ذلك أنه عندما شرع السلطان الظاهر بيبرس فى إحياء البحرية المصرية بعد إهمالها فى عهد سلفه من المماليك استدعى رجال الأسطول، وكان الأمراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها. واستدعى شوانى الثغور إلى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة، سوى الحراريق والطرائد فإنها كانت عدة كثيرة، وذلك فى شوال سنة ٦٦٩ هـ. وفى نص ذكره المقريزى « أنه فى سنة ٧٠٢ هـ أعد السلطان الناصر محمد بن قلاون حملة بحرية لغزو جزيرة أرواد (رودس) وجهزت الشوانى والسلاح والنفطية والأزودة، وزينت الشوانى أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها. وعدى الأمراء فى الحراريق إلى الروضة.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٤، عن المواعظ والاعتبار للمقريزى ٢/ ١٩٤، ١٩٥، وبدائع الزهور لابن إياس ٤/ ١٥٢، وصبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٢٧٧).

الحراقة السلطانية:

سفينة ويطلق عليها « الذهبية » يركبها السلطان فى احتفال كسر الخليج عند وفاء النيل وتزين بأنواع الزينة، ولها رئيس يسمى رئيس الحراقة يحكم على رجالها ويتولى أمرها وكان فى عهد الفاطميين يسمى رئيس الخلافة.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٤، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٤٧، ٥/ ٤٦٧)

انظر : حراريق الأمراء، الحراقة.

الحرالى (٦٣٨هـ-١٢٤١م):

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٦٣٧ ـ وهى رواية ثانية ـ وقال عنه :

وفى سنة سبع وثلاثين وستمائة توفى الشيخ الفقيه الصالح الولى أبو الحسن على بن أحمد الحرالى وله تأليف حسن فى الفرائض اهـ.

وهو أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالى التجيبى: فقيه مالكى، مفسر، له مشاركة فى علوم النحو والمنطق والكلام. ولد بمراكش، ورحل إلى المشرق فدخل مصر والحجاز ثم عاد واستوطن بجاية بالمغرب الأوسط. وعاد إلى المشرق مرة ثانية فأخرج من مصر، فتوجه إلى مدينة حماه (بسورية) فتوفى بها. من كتبه « مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل » فى التفسير، قال ابن حجر: «جعله قوانين كقوانين أصول الفقه » وقال الغبرينى : « سلك فيه مسلك البيان والإيضاح على نحو ما يقتضيه علم العربية وعلم تنقيح المعقول، وما يبقى وراء هذا سوى علم الأسباب التى عند النزول، وعند الحاجة إليها لا بد من ذكرها ».

أما الحافظ الذهبى فقال : « كان فلسفى التصوف، ملأ تفسيره بحقائقه ونتائج فكره وزعم أنه يستخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من المغرب».

وقد علق المقرى على ذلك بقوله : « وكلام الذهبى فى الشيخ يرده كلام الغبرينى، إذ هو أعرف به ».

وقال المقرى : صنف فى كثير من الفنون كالأصول والمنطق والطبيعيات والإلهيات. وقد أطال الغبرينى فى الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال : ما من علم إلا له فيه تصنيف.

وله أيضا « الستر المكتوم فى مخاطبة النجوم » و« الإيمان التام بمحمد عليه السلام » و « المعقولات الأول » منطق، و«الوافى » فرائض، و « تفهيم معانى الحروف » و الحرالى نسبة إلى حرالة قرْية من أعمال مرسية بالأندلس، وقد وردت نسبته فى بعض المصادر بلفظ الحرانى وهو تصحيف « توفى فى حماة (بسورية) (الأعلام ٤/ ٢٥٦، ٢٥٧).

له ترجمة فى : « نفح الطيب » ٢ / ٣٧٧، و « لسان الميزان » ٤ / ٢٠٤، و « العبر » للذهبى ج ٥، وفيات سنة ٦٣٨هـ، و « شذرات الذهب » ٥ / ١٨٩، ووفاته فيه كما

في بعض المصادر الأخرى سنة ٦٣٧ هـ ، وهي رواية ثانية . و « هدية العارفين » ١ / ٧٠٧ ، و « التكملة » لابن الأبار / ٦٨٧ ، و « تاج العروس » ٧/ ٢٧٧ ، و « ميزان الاعتدال » ٢/ ٢١٨ (كتاب الوفيات/ ٣١٤ ، ٣١٥) .

(الأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ وما جاء بهامش (١) من مصادر، وكتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني ـ تحقيق عادل نويهض/ ٣١٤ ، ٣١٥ ، وهامش ٣ للمحقق) .

الحرام :

الحِرْم، بالكسر، والحرام : نقيض الحلال، وجمعه حُرُم ... والحرام : ما حرم الله (اللسان ١٠/ ٤٤ ... ٨٥٠) .

وقد أورده الإمام الذهبي باعتباره الكبيرة الثامنة والعشرين من الكبائر السبعين التي أحصاها . وذلك تحت عنوان « أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان » وهو ما ننقله فيما يلي :

قال الله عز وجل : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل ، والأكل بالباطل على وجهين :

أحدهما : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة .

والثاني : على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك . وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » (من حديث خولة الأنصارية) وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب ... يا رب ... ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك . وعن أنس رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ... ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة .

فقال ﷺ : « يا أنس ... أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوما » .

(ذكره المنذري في ترغيبه من حديث ابن عباس وأن الذي طلب دعوة الرسول في إجابة دعوته هو سعد بن أبي وقاص وعزاه إلى الطبراني) وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن » (عزاه في الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال : قد حسنها بعضهم)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الدنيا حلوة خضرة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض فيما اشتهت نفسه من الحرام له النار يوم القيامة » (رواه البيهقي قاله المنذري في الترغيب) وجاء عنه ﷺ أنه قال : «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم في فيه ترابا خير من أن يجعل في فيه حراما » (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمود بن إسحاق وقد وثق قاله الهيثمي في مجمعه ، وقال المنذري : إسناده جيد) .

وقد روي عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك (يعني صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم) .

وقد روي في حديث : أن ملكا على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة ، وقال عبد الله ابن المبارك : لإن أرد درهما من شبهة أحب إلي من أن أتصدق

بمـائة ألف ومـائة . وجاء عن النبى ﷺ أنـه قـال : « من حج بمـال حرام فقـال : لبيك ، قـال ملك : لا لبيك ولا سعـديك حجك مـردود عليك » (رواه الطبرانى من حـديث أبى هريـرة وفى مسنده سليمان بن داود اليمـامى ضعيف ... اهـ مجمع الزائد) .

وروى الإمام أحمد فى مسنده عـن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اشتـرى ثوبـا بعشرة دراهـم وفى ثمنه درهم من حـرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » .

(من حديث ابن عمر وفى سنـده هاشم لم يعرفه الهيثمى وأشار المنذرى إلى ضعفه) .

وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحـلال أم حرام . وقال ابن عباس رضى الله عنهمـا : لا يقبل الله صـلاة امرئ وفـى جوفـه حـرام حتى يتـوب إلى الله تعـالى منه . وقـال سفيـان الثـورى : من أنفق الحرام فى الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء . والذنب لا يكفره إلا الحـلال . وقال عمر رضى الله عنـه : كنـا ندع تسعـة أعشـار الحـلال مخافـة الوقـوع فى الحـرام .

وعن كعب بن عجـرة رضى الله عنه قـال : قال رسـول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام » .

(حـديث كعب بن عجـرة رواه التـرمـذى وابن حبـان فى صحيحه بلفظ : « لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت ، النـار أولى بـه » ومـا فى الكتـاب هنـا لفظ حـديث أبى بكـر الصديق رواه أبـو يعلى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى وبعض أسانيدهـم حسن ، أفاده المنذرى فى ترغيبه) وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج ـ أى قد كاتبه على مال ـ وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه ، قـال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائما فأكل منـه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقـال : كنت تكهنت لأناس بالجاهليـة وما كنت أحسن الكهـانة إلا أنى خـدعتهم ، فقـال أبو بكـر : أف لك ... كدت تهلكنى . ثم أدخل يـده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : إنهـا لا تخرج إلا بالماء فـدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قـاء كل شىء فى بطنه فقيل لـه : يرحمك الله ، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضى الله عنه : لو لم تخـرج إلا مع نفسى لأخـرجتهـا ، إنى سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت بـذلك فى جسـدى من هـذه اللقمـة رواه البخـارى من حديث عائشة بدون الزيادة فى آخره من شرب الماء ... إلخ) وقد تقـدم قولـه ﷺ : « لا يدخل الجنـة جسد غـذى بحرام » وإسناده صحيح ، قال العلمـاء رحمهم الله : ويدخل فى هذا الباب المكاس والخائن والزغلى والسارق والبطال وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن بـاع شيئا فيه عيب فغطاه والمقـامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البـائع ومخبر المشترى بالزائد ومن باع حرا فأكل ثمنه .

فصل :

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنـات كأمثـال جبل تهـامـة حتى إذا جىء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم فى النار، فقيل : يا رسول الله ... كيف ذلك ؟ قـال : كانـوا يصلون ويصـومون ويـزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شىء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمـالهم » (رواه الطبـرانى من حديـث أبى أمامـة الباهلى من حـديث طويل فى سنـده كلثوم بن زيـاد وبكر بن سهل الدمياطى وكـلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجـاله رجال الصحيح ... اهــ مجمع الزوائد) وعـن بعض الصالحين أنـه رؤى بعـد موتـه فى المنام فقيل لـه : ما فعل الله بك ؟ قـال : خيرا ... غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتـوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم رؤوف رحيم ا هـ (الكبائر/ ٨٨ـ ٩٠) .

(لسـان العرب لابـن منظور ١٠ / ٨٤٤ ، ٨٤٥، والكبـائر للإمام أبى عبد الله محمد شمس الدين الذهبى الدمشقى ـ نقحه وراجعه محمد الأنور أحمد البلتاجى ط الكليات الأزهرية / ٩٠ـ٩٣ ، وط دار التراث العربى / ٨٨ـ٩٠).

حرام :

قال الإمام النووى :

بالراء لا بالزاى مذكور فى باب صول الفحل من المختصر والمهذب هو أبو سعد وقيل أبو سعيد حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بالحاء بن الحارث الأنصارى الحارثى المدنى التابعى . ويقال حرام بن ساعدة ويقال حرام بن محيصة ينسب إلى جده . روى عن البراء بن عازب . وروى عنه الزهرى قال محمد بن سعد كان ثقة قليل الحديث توفى بالمدينة سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن سبعين سنة .

واعلم أنه قد وقع فى المختصر والمهذب عن حرام بن سعد أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط قوم فأفسدت فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الأموال حفظ أموالهم بالنهار إلى آخره فجعلا الحديث مرسلا لأن حراما تابعى لم يدرك هذه القضية وهذا تغيير للحديث والحديث متصل محفوظ فى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه وآخرين عن حرام عن البراء أن ناقة له دخلت وذكر الحديث والله أعلم .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٥٥) .

أم حرام بنت ملحان (ـ ٢٧ هـ / ـ ٦٤٧ م) :

أخت أم سليم، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ . وكان يقيل فى بيتها (الرياض المستطابة / ٣٢٧) وهى بنت ملحان ابن خالد بن زيد النجارية الأنصارية . صحابية . كانت تخرج مع الغزاة وتشهد الوقائع ، وحضرت فتح قبرص (الأعلام ٢ / ١٧٢) .

روت أم حرام فى الصحيحين حديثا واحدا هو متفق عليه .

خرج عنها الأربعة غير الترمذى . روى عنها ابن أختها أنس ويعلى بن شداد وغيرهم . ماتت غازية بقبرص مع زوجها عبادة بن الصامت، وذلك عام سبع وعشرين . وظهر بموتها هناك معجزة نبوية وهى ما ثبت فى الصحاح : عن أنس بن مالك عن أم حرام أنها قالت : بينا رسول الله ﷺ قائل فى بيتى إذ استيقظ وهو يضحك فسألته عن ضحكه فقال : ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله ملوكا على الأسرَّة أو مثل الملوك على الأسرة . ثم نام ثانية واستيقظ وهو يضحك وقال مثلها : فقالت أم حرام : يا رسو ل الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم .

فقال : أنت من الأولين . فغزت مع عبادة بن الصامت وكان زوجها كما سبق القول، فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت (أخرجاه فى الصحيحين) .

(الرياض المستطابة / ٣٢٧، ٣٢٨) .

دفنت فى جزيرة قبرص . قال الزبيرى : ولها مقام عظيم بظاهر الجزيرة، اجتزت بها فى البحر عند توجهى إلى بيت المقدس، وأخبرت أن على مقامها أوقافا هائلة وخدما، وينقلون لها كرامات وقالت جريدة « البلاد » : قبرها معروف إلى الآن فى جزيرة قبرص، باسم « قبر المرأة الصالحة » (الأعلام ٢ / ١٧٢) .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٣٢٧ ٣٢٨ ، والأعلام للزركلى ٢ / ١٧٢ عن الإصابة ٨ / ٢٢٢، وكشف النقاب ـ مخطوط ، وطبقات ابن سعد ٨ / ٣١٨، والتاج ٤ / ٢١١، وجريدة البلاد (بجدة) ٢٥ / ١ / ١٣٧٩، وصفة الصفوة للإمام ابن الجوزى ـ ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ٢ / ٤٩ وقد ورد الحديث فيه بزيادة فى ألفاظه) .

الحرامية (المقامة ـ) :

المقامة الثامنة والأربعون من مقامات الحريرى، والمقامة ـ كما سبق أن زكريا فى مواضع مختلفة ـ أسلوب من النثر العربى القصصى المسجع . وننقل إليك هنا طرفًا منها ، وقال الحريرى إنها أول مقامة أنشأها وكذلك قال الشيخ زين الدين العراقى . وإليك بعض ما جاء فى المقامة الحرامية :

روى الحارث بن همام عن أبى زيد السروجى قال : ما زلت مذ رحلت عنسى وارتحلت عن عرسى وغرسى (العرس : الزوجة والغرس : الأولاد) أحن إلى عيان البصرة ، حنين المظلوم إلى النصرة لما أجمع عليه أرباب الدراية، وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ، ومآثر مشاهدها

وشهدائها، وأسأل الله تعالى أن يوطئنى ثراها، لأفوز بمرآها، وأن يمطينى قراها، لأقترى قراها، فلما أحلنيها الحظ، وسرح لى فيها اللحظ .

رأيت بها ما يملأُ العين قُرة

ويسلى عن الأوطان كل غريب

فغلَّست فى بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام، وهتف أبو المنذر (أبو المنذر : كنية الديك) بالنوام، لأخطو فى خططها، وأقضى الوطر، من توسطها، فأدانى الاختراق فى مسالكها، والانصلات فى سككها، إلى محلة موسومة بالاحترام، منسوبة إلى بنى حرام، ذات مساجد مشهودة، وحياض موردة، ومبان وثيقة، ومغان أنيقة، وخصائص أثيرة، ومزايا كثيرة :

بها ما شئت من دين ودنيا

وجيران تنافوا فى المعانى

فمشغوف بآيات المثانى

ومفتون برنات المثانى

ومضطلع بتلخيص المعانى

ومطلع إلى تخليص عانى

وكم من قارئٍ فيها وقار

أضرا بالجفون وبالجفان

وكم من معلم للعلم فيها

وناد للندى حلو المجانى

قال فبينما أنا أنفض طرقها، وأستشف رونقها، إذ لمحت عند دلوك براح، وإظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائفه، مزدهرا بطوائفه، وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل، وجروا فى حلبة الجدل، فعجت نحوهم، لأستمطر نوءهم، لا لأقتبس نحوهم، فلم يك إلا كقبسة العجلان، حتى ارتفعت الأصوات بالأذان، ثم ردف التأذين بروز الإمام، فأغمدت ظبى الكلام، وحلت الحبى (الحبى : السيف) للقيام، وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت، وبالسجود، عن استنزال الجود، ولما قضى الفرض، وكاد الجمع ينفض، انبرى من الجماعة، كهل حلو البراعة، له مع السمت الحسن، ذلاقة اللسن، وفصاحة الحسن، وقال يا جيرتى، الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتى، وجعلت خطتهم دار هجرتى، واتخذتهم كرشى وعيبتى وأعددتهم لمحضرى وغيبتى، أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة، وأن فصوح الدنيا أهون من فصوح الآخرة، وأن الدين إمحاض النصيحة، والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة، وأن المستشار مؤتمن، والمسترشد بالنصح قمن، وأن أخاك هو الذى عذلك لا الذى عذرك، وصديقك من صَدَقَك، لا من صَدَّقَك، فقال له الحاضرون أيها الخل الودود، والخدن المودود ما سر كلامك الملغز، وما شرح خطابك الموجز، وما الذى تبغيه منا لينجز، فوالذى حبانا بمحبتك، وجعلنا من صفوة أحبتك، ما نألوك نصحا، ولا ندخر عنك نَصحا، فقال جزيتم خيرا، ووقيتم ضيرا فإنكم ممن لا يشقى بهم جليس، ولا يصدر عنهم تلبيس، ولا يخيب فيهم مظنون، ولا يطوى دونهم مكنون، وسأبثكم ما حاك فى صدرى، وأستفتيكم فيما عيل فيه صبرى اعلموا أنى كنت عند صلود الزند، وصدود الجد، أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على أن لا أسبأ مداما، ولا أعاقر ندامى ولا أحتسى قهوة ولا أكتسى نشوة فسولت لى النفس المضلة، والشهوة المذلة المزلة، أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة تناسى الميت ثم لم أقنع بهاتيكم المرة فى طاعة أبى مرة (« أبو مرة » كنية إبليس) ، حتى عكفت على الخندريس (من أسماء الخمر) فى يوم الخميس، وبت صريع الصهباء فى الليلة الغراء وها أنا بادى الكآبة ، لرفض الإنابة، نامى الندامة، لوصل المدامة، شديد الإشفاق، من نقض الميثاق ، معترف بالإسراف فى عب السلاف .

فيا قوم هل كفارة تعرفونها

تباعد من ذنبى وتدنى إلى ربى ... إلخ

(المقامات الأدبية لأبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ط مصطفى البابى الحلبى / ٤٠٨ـ ٤١٣) .

حُرَان:

قال ياقوت :

حران : بالضم، وتخفيف الراء: سكة معروفة بأصبهان، ويروى بتشديد الراء أيضا؛ نسب إليها قوم، منهم عبد المنعم ابن نصر بن يعقوب بن أحمد بن على المقرى أبو المطهر بن أبى أحمد الحرانى الجوبارى الشامكانى من أهل أصبهان من سكة حران من محلة جوبار، وشامكان من قرى نيسابور، وكان شيخا صالحا من المعمرين من أهل الخير، سمع جده لأمه أبا طاهر أحمد بن محمود الثقفى، سمع منه أبو سعد، وكانت ولادته فى سنة ٤٥١، ومات فى رجب سنة ٥٣٥ .

وأبو الشكر حمد بن أبى الفتح بن أبى بكر الحرانى الأصبهانى، شيخ صالح، سمع أبا العباس أحمد بن محمد ابن الحسين الخياط وأبا القاسم عبد الرحمن بن أبى عبد الله ابن منده وأبا المظفر محمود بن جعفر الكوسج وغيرهم، قال السمعانى: كتبت عنه بأصبهان، وبها توفى فى رجب سنة ٥٤٣ . (معجم البلدان ٢/ ٢٣٦) .

حَرّان:

قال عنها ياقوت :

حران : بتشديد الراء، وآخره نون، يجوز أن يكون فعالاً من حرن الفرس إذا لم ينقد، ويجوز أن يكون فعلان من الحر، يقال: رجل حران أى عطشان، وأصله من الحر، وامرأة حرى، وهو حران يران، والنسبة إليها حرنانى، بعد الراء الساكنة نون على غير قياس، كما قالوا: منانى فى النسبة إلى مانى والقياس مانوى وحرَّانى والعامة عليهما؛ قال بطليموس: طول حران اثنتان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وهى فى الإقليم الرابع، طالعها القوس ولها شركة فى العواء تسع درج ولها النسر الواقع كله ولها بنات نعش كلها تحت ثلاث عشرة درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل بيت عاقبتها مثلها من الميزان؛ وقال أبو عون فى زيجه: طول حران سبع وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة؛ وهى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهى قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهى على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران أخى إبراهيم، عليه السلام، لأنه أول من بناها فعرِّبت فقيل حرَّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل؛ وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿ إنى مهاجر إلى ربى ﴾ [العنكبوت : ٢٦] إنه أراد حران؛ وقالوا فى قوله تعالى: ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ [الأنبياء : ٧١] هى حران؛ وقول سديف بن ميمون :

قد كنت أحسبنى جلداً، فضعضعنى
قبر بحران فيه عصمة الدين

يريد إبراهيم ابن الإمام محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وكان مروان بن محمد حبسه بحران حتى مات بها بعد شهرين فى الطاعون، وقيل: بل قتل، وذلك فى سنة ٢٣٢ .

حدثنى أبو الحسن على بن محمد بن أحمد السرخسى النحوى قال : حدثنى ابن النبيه الشاعر المصرى قال: مررت مع الملك الأشرف بن العادل بن أيوب فى يوم شديد الحر بظاهر حران على مقابرها ولها أهداف طوال على حجارة كأنها الرجال القيام، وقال لى الأشرف: بأى شىء تشبه هذه ؟ فقلت ارتجالاً :

هواء حرانكم غليظ،
مكدر مفرط الحرارهْ
كأن أجداثها جحيم،
وقودها الناس والحجارهْ

وفتحت فى أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، على يد عياض بن غنم نزل عليها قبل الرها فخرج إليه مقدموها فقالوا له : ليس بنا امتناع عليكم ولكنا نسألكم أن تمضوا إلى الرها فمهما دخل فيه أهل الرها فعلينا مثله، فأجابهم عياض إلى ذلك ونزل على الرها وصالحهم، كما نذكره فى الرها، فصالح أهل حران على مثاله .

وينسب إليها جماعة. كثيرة من أهل العلم، ولها تاريخ،

منهم : أبـو الحسن على بن عـلان بن عبد الـرحمن الحـرانى الحـافظ، صنف تـاريخ الجـزيرة، وروى عـن أبى يعلى المـوصلى وأبى بكر محمـد بن أحمـد بن شيبـة البغـدادى وأبـى بكـر محمد بن على الباغنـدى ومحمد بن جـرير وأبى القاسم البغـوى وأبى عروبة الحـرانى وغيرهـم كثيـر، روى عنه تمام بن محمد الدمشقى وأبو عبد الله بن منده وأبو الطيبر عبد الرحمن بن عبد العزيز وغيـرهم، وتوفى يوم عيد الأضحى سنة ٣٥٥، وكان حافظا ثقة نبيلاً.

وأبـو عـروبـة الحسن بن محمـد بن أبى معشـر الحـرانى الحافظ الإمام صـاحب تاريخ الجزيرة، مـات فى ذى الحجة سنـة ٣١٨ عن ست وتسعين سنـة؛ وغيـرهـمـا كثيـر. وحـران أيضـا: من قـرى حلب. وحـران الكبـرى وحـران الصغـرى: قريتان بالبحرين لبنى عـامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيـز بن أفصى بن عبد القيس. وحران أيضا: قـرية بغوطة دمشق.

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦).

وقد ذكرهـا ابن جبير فى رحلته وقال عنهـا يصفها ويصف أهلها وآثارها وجامعها الكبير:

بلد لا حسن لديه ولا ظل يتوسـط برديه قد اشتق من اسمه هواؤه فلا يألف البـرد ماؤه ولا تزال تتقد بلفح الهجير سـاحاته وأرجاؤه لا تجد فيـه مقيلا ولا تنفس منه إلا نفسا ثقيـلا قد نبذ بالعراء ووضع فى وسط الصحـراء فعدم رونق الحضارة وتعرف أعطافه من مـلابس النضارى أستغفر الله كفى بهذا البلـد شرفا وفضلا أنها البلدة العتيقة المنسوبة لأبينا إبراهيم ﷺ وله بقبليها بنحو ثلاثـة فراسخ مشهد مبارك فيه عين جاريـة كان مأوى له ولسارة صلوات الله عليهمـا ومتعبدا لهما ببركة هـذه النسبة قد جعل الله هـذه البلـدة مقـرًّا. للصالحيـن المتزهـدين ومثابـة للسائحين المتبتلين لقينا من أفرادهم الشيخ أبا البركات حيان ابن عبد العـزيز حذاء مسجـده المنسوب إليه وهـو يسكن منه فى زاوية بنـاها فى قبلته. وتتصـل بها فى آخر الجـانـب زاوية لابنه عمـر قد التزمهـا وأشبه طريقـة أبيه فما ظلم وتعرفت منه شنشنة أعرفهـا من أخزم فوصلنا إلى الشيخ وهـو قد نيف على الثمانين فصافحنا ودعا لنا وأمرنا بلقاء ابنه عمر المذكور فملنا إليه ولقينـاه ودعا لنـا ثم ودعناهـمـا وانصرفنـا مسروريـن بلقاء رجلين من رجال الآخرة ولقينا أيضا بمسجد عتيق الشيخ الزاهد سلمة فلقينـا رجلا من الزهـاد الأفراد فـدعا لنا وسألنـا وودعناه وانصرفنا وبالبلد سلمة آخر يعرف بالمكشوف الرأس لا يغطى رأسه تواضعـا لله عز وجل حتى عرف بذلك ووصلنـا إلى منزله فأعلمنـا أنه خـرج للبرية سـائحا وبهـذه البلدة كثيـر من أهل الخير وأهلهـا هينون معتدلون محبـون للغرباء مؤثـرون للفقراء وأهل هذه البلاد من الموصل لديار بكر وديار ربيعة إلى الشام على هذه السبيل من حب الغـربـاء وإكرام الفقراء وأهل قـراها كذلك فمـا يحتاج الفقراء الصعـاليك معهم زادا لهم فى ذلك مقـاصد فى الكـرم مأثـورة وشأن أهل هـذه الجهات فى هـذا السبيل عجيب والله ينفعهم بما هم عليه وأما عبادهم وزهادهم والسـائحون فى الجبـال منهم فأكثـر من أن يقيدهم الإحصـاء والله ينفع المسلمين ببركاتهم وصالح دعواتهم بمنه وكرمه.

ولهـذه البلدة المـذكـورة أسـواق حفيلة الانتظـام عجيبـة الترتيب مسقفة كلهـا بالخشب فلا يزال أهلهـا فى ظل ممدود فتختـرقهـا كأنك تخترق دارا كبيرة الشـوارع قـد بنى عنـد كل ملتقى أربع سكك أسواق منها قبة عظيمة مرفوعة فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب أسـواقه المتصلة به مرأى عجيبا قل ما يوجد فى المدن مثل انتظامه.

ولهذه البلـدة مدرسـة ومارستـان وهى بلـدة كبيرة وسـورها متين حصين مبنى بالحجارة المنحوتة المرصوص بعضها على بعض فى نهـاية من القـوة وكذلك بنيـان الجامع المكـرم ولها قلعة حصينة مما يلى الجهة الشـرقية منها منقطعة عنها بفضاء واسع بينهما ومنقطعة أيضا عن سورها بحفير عظيم يستدير بها قد شيدت حـافاته بالحجارة المركومة فجاء فى نهاية الـوثاقة والقوة وسـور القلعة وثيق الحصـانة ولهـذه البلدة نهيـر مجراه بالجهة الشرقية أيضا منها بين سورها وجبانتها ومصبه من عين هى على بعد من البلد.

والبلـد كثيـر الخلـق واسع الـرزق حـاصل البـركـة كثيـر المساجد جم المرافق على أحفل ما يكون من المدن وصاحبه

مظفر الدين بن زين الدين وطاعته إلى صلاح الدين وهذه البلاد كلها من الموصل إلى نصيبين إلى الفرات المعروفة بدار ربيعة وحده من نصيبين إلى الفرات مع ما يلي الجنوب من الطريق وديار بكر التي تليها في الجانب الجوفي كآمد وميافارقين وغيرها مما يطول ذكره ليس في ملوكها من يناهض صلاح الدين فهم إلى طاعته وإن كانوا مستبدين وفضله يبقى عليهم ولو شاء نزع الملك منهم لفعله بمشيئة الله فكان نزولنا ظاهر البلد بشرقيه على نهيره المذكور وأقمنا مريحين يوم الإثنين ويوم الثلاثاء بعده وأثر الظهر منه كان اجتماعنا بسلمة المكشوف الرأس الذى فاتنا لقاؤه يوم الإثنين فلقيناه بمسجده فرأينا رجلا عليه سيما الصالحين وسمت المحبين مع طلاقة وبشر وكرم لقاء وبر فآنسنا ودعا لنا وودعناه وانصرفنا حامدين لله عز وجل على ما من به علينا من لقاء أوليائه الصالحين وعباده المقربين (رحلة ابن جبير / ١٨٨-١٩١) .

والجامع الكبير بحران الذى وصفه ابن جبير وأوردناه أعلاه قد وصفه أيضا وصفا مفصلا العالم الأثرى ك. كريزويل مما ننقله لك فيما يلى وقد جاء تحت عنوان « المسجد الكبير في حران » :

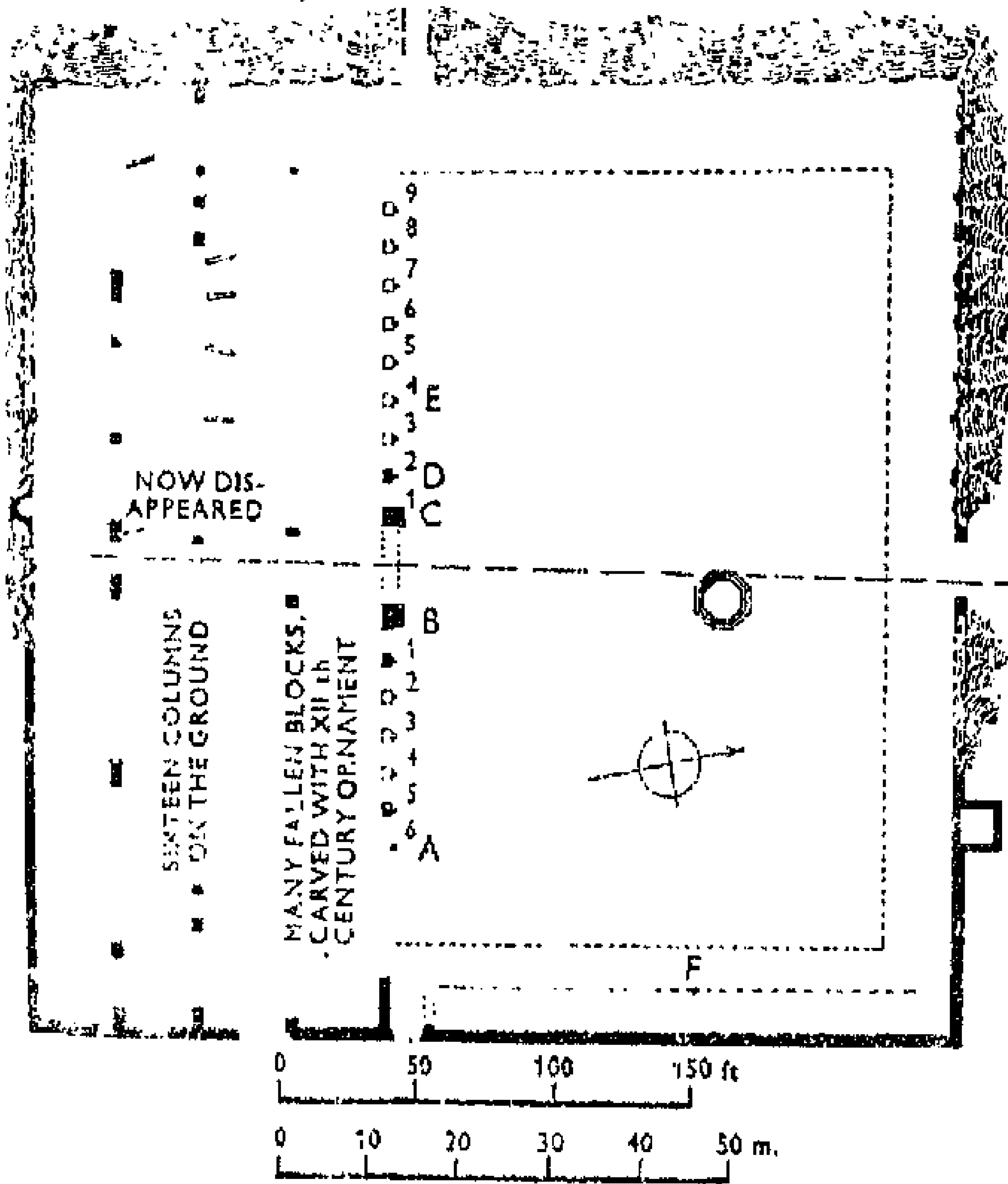
الوصف :

مسجد حران الكبير، مستطيل ، مساحته ١٠٠ م^2 تقريبا ، مبنى من الأحجار المربعة المنحوتة بمداميك، متوسط ارتفاعها ٣٧ سم . وأفضل جزء محفوظ منه هو الجدار الشرقى الذى نجد النصف الشرقى منه سليماً، تقريباً، ما عدا فجوة في الوسط بطول ٦ أمتار تقريبا . والقسم الأخير منه قدره ٩,٤٢ مترا منحرف إلى الغرب مقدار ٦٠ سم . وهناك مدخل مهيب شمال واجهة الحرم مباشرة، كما في دمشق . اختفى الجدار الغربى تقريبا ، ولكن يبدو أنه كان هناك مدخل في هذا الجانب مقابل للمدخل المذكور ، لأنه بالإمكان رؤية آثار جدارين متوازيين يبعدان عن بعضهما ٢,٧٥ مترا، يؤديان إلى هذه النقطة .

وقد بقيت عدة مداميك من النصف الشرقى من الجدار الشمالى كما بقيت فتحة المدخل الشمالى أيضا المتوضعة في المنتصف تقريبا (شكل - ٢٩) .

ويوجد في منتصف المسافة بينه وبين الزاوية الشمالية الشرقية عمود المئذنة المربع الطويل ، الذى يبلغ قطره الخارجى ٥,٣ مترا وسطيا وقطره الداخلى ٣,٨٣ مترا .

وفي الصحن حوض مثمن محيطه الإجمالى ٦,١ مترا . يقول بروسر أن محيطه المثمن يحمل علامات قواعد الأعمدة الواضحة وقطع عديدة من الأعمدة (التى كان غرضها حمل القبة) ملقاة بالقرب منها .



(الشكل - ٢٩) حران - مخطط المسجد الكبير

وهذا كله يعززه ابن جبير الذى يقول عن المسجد (ابن جبير، الرحلة/ ١٩٠) .

« وهو عتيق مجدد قد جاء في غاية الحسن، وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوار رخام، وتحت كل قبة بئر عذبة ، وفي الصحن أيضا قبة رابعة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام دور كل سارية تسعة أشبار وفي وسط القبة عمود من الرخام عظيم الجرم دوره خمسة عشر شبرا.

وهـذه القبـة من بنيـان الـروم ، وأعلاهـا مجـوف كأنـه البـرج المشيد، يقال : إنه كان مخزنا لعدتهم الحربية » .

وهكذا نجد أنهـا لـم تكن مجرد قبة فوق أعمـدة ، بل غرفة كروية فوق أعمدة . بل هو في الحقيقة بيت مال مثل مثيله في دمشق .

قالت المؤلفة : أوردنا صورة لقبة بيت المال في مادة «بيت المال » م ٨/ ١٠٦ ، وصورة أخرى في مـادة « الجامع الأموى بدمشق » م ١١/ ٤٧١ فانظر أيًا منهما في موضعها .

الحرم:

واضح من تفحص الوجـه الداخلي للجـدار الشرقي ، أن الحـرم تألف من أربعة أروقـة ، تمتـد من الشرق إلى الغـرب ، ولكن كل مـا تبقى منـه الآن هـو عـدد من العضـائد ولا يـزال عموداه قـائمين مع عشرة أعمدة ملقـاة على الأرض . والقوس الوحيد الذى لا يـزال قائما هو القوس المركـزى الكبير للرواق الذى يلى الصحن . هـذا الرواق يمكن إعـادة تصميمه بفضل وصف ابن جبير له (ص ١٩٠) :

« والجـامع المكـــرم سقف بجـوائز الخشب والحنـــايا ، وخشبه عظـام طوال لسعـة البلاط وسعته ضمـن خمس عشرة خطوة، وهـو خمسة أبلطـة ما رأينـا جامعـا أوسع حنايا منه ، وجداره المتصل بـالصحن الذى عليه المدخل إليـه مفتح كله أبوابـا ، عددها تسعـة عشر بابـا : تسعة يمينا ، وتسعـة شمالاً والتـاسع عشر منهـا بـاب عظيم وسط هذه الأبـواب ، يمسك قـوسـه من أعلى الجـدار إلـى أسفلـه ، يمنى المنظـر جميل الوضع ، كأنه باب من أبواب المدن الكبار ولهذه الأبواب كلها أغلاق من الخشب بـديع الصنعة والنقش ، فتنطق عليهـا شبه أبواب مجالس القصور » .

ولنحاول الآن إعادة تصميم الواجهة . فالقوس المركزى من النـوع المدبب ، وذو منحن خـارجي متدرج . إنـه يرتكـز على عضـادتين عظيمتين ، ويبلغ باعه ٨,٣٢ مترا وإلى الغرب منه عضادة أصغر D ملتصق بها تاج ولكن العمود العائد لها مرمى على الأرض . والوجه الخلفي لهـذه العضادة على خط واحد مع الوجه الخلفي للقوس الكبيـر . وإلى الغرب من العضادةD يوجد عمودE من الحجر الكلسى الزهـرى اللون والمسافة من الجانب الغربي للعضادةD إلى مركـز العمود تبلغ ٧,٣٢ مترا أى أن المسافة بين المركزين ٨,٠٢ مترا . والوجه الخلفي لهذا العمود على خط واحـد من الوجه الأمـامي للعضادة D لذلك فإنـه بكل تأكيـد يخص عضادة مشـابهـة اختفت كما أنـه من الواضح أنه كـان بكل تأكيد يخص عضادة مشـابهةبينها وبين العضـادة D وإذا أدخلنـا عضـادة أخـرى بعـرض ١,٤ متـرا نحصل على فتحتين كل منهمـا بعـرض ٢,٦١ متـرا ، وهي المسافة التى نـريدها بالضبط ولو أدخلنـا العضادات الأخرى تبعا لذلك ، فإننا نجد أن هناك مكانا لتسعة أقواس بين القوس الكبير للاتصال بالـرواق الغربى ، ويمكن إعادة نفس العملية فى الجانب الآخر وبهذا نحصل على أقواس ابن جبير التسعة عشر .

وكل فتحة من هذه الفتحات الثمـان عشرة الجانبية ، كان يعلوها قوسان ، أحدهما يرتكز على العضائد ، وآخر أكبر منها يرتكز على الأعمدة المتصلة . وهذه الأقواس الأخيرة كانت من نـوع يميل إلى حـدوة الفـرس قليـلا وتشكل إطـارا لـلأقـواس الأولى .

أمـا بخصـوص داخل الحرم فإننـى عاجـز عن تقـديم أى اقتراح لإعـادة تصميم له ، لأن الشذوذ هنـا غريب ، لا يمكن تعليلـه . ويبـدو أن دعـائم الأروقـة المختلفـــة لم تتـوافق مع بعضها ، كما يبدو ، أنه لم يكن هناك نفس العدد من الأعمدة بين العضـائد المختلفة . وبـالإضافـة إلى ذلك فى حين يبلغ باع القوس المركـزى فى الواجهة ٨,٣٢ أمتـار فإن باع القوس التالى هو ٦ أمتار ، وبـاع القوس المركزى فى الصف الخلفى هو ٣,٣أمتار فقط . كمـا أن محور المحراب يبعد ٥ أمتار إلى غرب المركز. والتنقيب وحـده هو الذى يقرر الشكل الحقيقى للمحراب .

التاريخ :

تفحص الواجهة الغـربية يجعل المرء يفكر بـوضوح تام : علينا أن نتعامل مع فترتين على الأقل لأن هناك انقطاعًا كاملاً بالتـوصيل بين القسم الثانى والثـالث وارتفاع قاعـدة الجملون الحجرى إلى اليمين يصل إلى أكثر من ارتفاعه إلى اليسار.

ثانياً : الأقواس التي شكلت واجهة الحرم في يوم من الأيام متوضعة في حالتين تماما ، كما سقطت واجهتها إلى الأمام فوق الأرض . ولكن الأحجار في حالات أخرى تتوضع على جانبها أما الزخرفة فهي من طراز لا يمكن أن يكون أقدم من القرن الثاني عشر ، لأن هنالك قطعا عديدة تحمل أجزاء من الكتابة بالخط النسخي ، تعلوها حافة من الزخرفة المؤلفة من الخطوط المتشابكة على شكل قطع صغيرة ، لا يمكن أن تكون أقدم من القرن الثاني عشر لأنه لا يعرف سوى نقش نسخي واحد قبل عام ١١٠٠م ، أخيرا ، رأى ساخو نقشا على يمين المدخل الشرقي باسم صلاح الدين . الذي كان في حران في الأعوام ١١٨٣ و ١١٨٦ . ولكن بما أن ابن جبير رأى المسجد بعد إتمامه في عام ١١٨٤ فعلى المرء أن يستنتج أنه أمر ببنائه في عام ١١٨٣ على الأرجح .

كانت حران مشهورة بأنها مدينة الصابئين وقد اعتبر المسلمون الأوائل أهل المدينة وثنيين .

وأنني أشك كثيرا في أن الوليد الأول أو أي خليفة آخر قبل مروان الثاني ، قد فكر في بناء مسجد هناك . ولكن الأخير هو آخر خليفة أموي (٧٤٤ ـ ٧٥٠ م) اتخذ من حران عاصمة له ، ولا بد أن الحاجة لمسجد جامع هناك أصبحت ملحة . ولذلك فإني أنسب أقدم جزء من المسجد له .

الأصول المعمارية :

إن المسجد الكبير في حران ـ مثل كل الأوابد الأموية ـ يظهر خليطا من المؤثرات . فعمارته مأخوذة من شمال ما بين النهرين التي تشكل وحدة مع سورية الشمالية ... وأعمدته ذات المنحنى الخارجي المتدرج تعتبر امتدادا للتقاليد الكلاسيكية . ولكن مخططه المربع يتبع مخطط أقدم مساجد العراق . أما بالنسبة للواجهة المطلة على الصحن ذات الأعمدة المتصلة بالواجهات الأمامية للعضائد فإنها تذكر فورا عمل الإيناليديون في المسجد الكبير في ديار بكر بين عامي ٥١٠ و ٥٥٩ هـ (١١١٦ ـ ١١٦٤) .

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ورحلة ابن جبير لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني ط عبد الحميد أحمد حنفي / ١٨٨ ــ ١٩١ ، والآثار الإسلامية الأولى ، تأليف ك . كريزويل ـ نقله إلى العربية عبد الهادي عبلة ، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ٢٠٥ ـ ٢١٠) .

حران (بيمارستان) :

ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الرحالة المغربي في رحلته إلى المشرق حوالي سنة ٥٨٠ هـ أن ببلدة حران مدرسة وبيمارستانا .

انظر : حران .

الحرب :

الحرب : المقاتَلة ونقيض السِّلم مؤنثة وقد تذكَّر ؛ فمن التأنيث قوله تعالى في سورة محمد عليه الصلاة والسلام : **﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾** [محمد : ٤] (أي أثقالها) ومن التذكير على معنى القتال قول الشاعر :

وهو إذا الحرب هفا عقابه
كره اللقاء تلتظي حِرابُه

وتصغير حرب (حُرَيْب) على كل حال بدون هاء لئلا تلتبس بمصغر حربة التي هي كالرمح كما في القاموس وشارحه تاج العروس وغيرهما : (الرسالة الرشادية / ٢٠) .

ويفرد ابن الأجدابي الطرابلسي في كتابه « كفاية المتحفظ » بابا في أسماء الحرب ، وهو من الأمثلة العديدة التي تبرز ثراء اللغة العربية في مفرداتها . وهذه هي :

الهيجاء : الحرب وهي تمد وتقصر .

الوغى : ضجة الحرب .

الرحى : معظمها .

المعركة : والمعترك ، موضع القتال وكذلك :

المأْقِطُ : موضع القتال أو المضيق في الحرب .

المأزق : المأزق المضيق . موضع الحرب ج مآزق .

حومة القتال : معظمه .

الملحمة : الوقعة العظيمة .

الغارة الشعواء : التى تأتى من كل الجهات .

الهرج : الفتنة والاختلاط وقد يسمى القتل هرجا .

الرهج : غبار الحرب وهو :

القَسْطَل : الغبار الساطع .

العجاج : الغبار إذا ثورته الريح .

النقع : الغبار الساطع المرتفع .

العثير : التراب : العجاج الساطع وهو العثيرة .

المصاع : الجلاد بالسيوف .

المداعسة : المطاعنة .

الوخض : الطعن فى الجوف . وخضه وخضا : طعنه بالرمح طعنًا جائفا أو غير جائف، أو غير مبالغ فيه .

الغموس : الطعنة النافذة . الغموس من الأيمان : التى تغمس صاحبها فى الإثم ثم فى النار. ومن الأمر: الشديد الغامس فى الشدة (كفاية المتحفظ/ ٥٣، ٥٤) .

ومن الناحية اللغوية أيضا نجد الثعالبى يفرد فصلا فى ترتيب العساكر عن أبى بكر الخوارزمى عن ابن خالويه يقول فيه : أقل العساكر الجريدة وهى قطعة جردت من سائرها لوجه . ثم السرية : وهى من خمسين إلى أربعمائة . ثم الكتيبة : وهى من أربعمائة إلى الألف . ثم الجيش وهو من الألف إلى أربعة آلاف . وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس وهو من أربعة آلاف إلى اثنى عشر ألفا . والعسكر يجمعها .

ثم يقول الثعالبى فى فصل فى تقسيم نعوت الكثرة عليها من الأئمة والبلغاء والشعراء : كتيبة رجراجة . جيش لَجِب . عسكر جرار. جَحْفل لُهام . خميس عَرَمْرَم .

ثم يقول فى فصل فى سياقة نعوتها فى شدة الشوكة والكثرة عن الأصمعى : كتيبة شهباء إذا كانت بيضاء من الحديد، وخضراء إذا كانت سوداء من صدأ الحديد، ومُلملمة إذا كانت مجتمعة، ومَّارة إذا كانت تموج من نواحيها، ورجْرَاجة إذا كانت تمخض ولا تكاد تسير، وجرارة إذا كانت لا تقدر على السير إلا رويدا من كثرتها (فقه اللغة/ ١٤٣، ١٤٤) .

قالت العرب : الحرب غشوم، لأنها تنال غير الجانى .

وقال الكميت :

الناس فى الحرب شتى وهى مقبلة
ويستوون إذا ما أدبر القبل
كل بأمسيها طب مولية
والعالمون بذى غدويها قُلُلُ

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن معد يكرب : أخبرنى عن الحرب . قال : مرة المذاق إذا قلصت عن ساق، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف .

كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يمده بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال :

أرى خلل الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أم نيام

ونحو قوله : « الحرب أولها الكلام » قول حذيفة بن اليمان : إن الفتنة تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى .

العتبى عن أبيه قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسن : يا بنى لا تدعون أحدا إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته فإنه بغى (من كتاب عيون الأخبار/ ٧٩ـ ٨١) .

ويفرد العلامة عبد الرحمن بن خلدون فصلا مسهبا من فصول مقدمته، وهو الفصل السابع والثلاثون يبحث فيه عن منشأ الحروب ويفصل مذاهب الأمم فى ترتيبها، كما يناقش فيه أسباب الغلبة والظفر وذلك تحت عنوان « فى الحروب ومذاهب الأمم وترتيبها » :

يبدأ ابن خلدون فصل الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها

ببيان أصل الحروب، فيقول إنها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبته فإذا تنافروا لذلك وتضادت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب، وهو أمر طبيعى فى البشر، لا تخلو منه أمة ولا جيل.

وينتقل ابن خلدون إلى ذكر أسباب الحروب، ويرجعها إلى أربعة أسباب:

الأول: يجرى عادة بين القبائل المجاورة والعشائر المتناحرة.

الثانى: العدوان الذى توجهه الأمم الوحشية الساكنة بالقفار، كالعرب والترك والأكراد وأشباههم ضد من يجاورهم بقصد القتل والنهب.

الثالث: هو الذى يعرف فى الشريعة الإسلامية بالجهاد.

الرابع: حروب الدول ضد الخارجين عليها والذين لا يطيعونها ويعتبر ابن خلدون النوعين الأخيرين حروب جهاد وعدل. ويهمنا هنا ما يتناوله ابن خلدون بعد ذلك عن كيفية تنفيذ الحروب، فنجده يقسم الأساليب إلى نوعين أساسيين، فيذكر: وصفه الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين:

(أ) نوع بالزحف صفوفًا.

(ب) نوع بالكر والفر.

أما النوع الذى بالزحف، فهو قتال العجم كلهم على تعاقب الأجيال، وأما الذى بالكر والفر، فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب. ثم يوازن ابن خلدون بين هذين النوعين من الأساليب، ويبين رجحان قتال الزحف صفوفًا على قتال الكر والفر، ويشرح أسباب هذا قائلا:

ـ قتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر و الفر ذلك لأن قتال الزحف ترتد فيه الصفوف وتسوى، كما تسوى صفوف الصلاة، ويسيرون بصفوفهم إلى العدو قدما، فلذلك تكون أثبت عند القتال وأرهب للعدو.

وبعد ذلك، يؤيد حكمه بما ورد فى القرآن الكريم قائلا:

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ أى يشد بعضهم بعضا بالثبات.

وبعد ذلك يوضح ابن خلدون كيفية تنفيذ قتال الكر والفر، فيقول:

وأما قتال الكر والفر، فليس فيه من الشدة والأمن من الهزيمة ما فى قتال الزحف، إلا أنهم قد يتخذون خلفهم فى القتال مصاف ثابتا، يلجئون إليه فى الكر والفر، ويقوم لهم مقام الزحف.

ثم يوضح علامتنا كيفية ترتيب الجنود فى الحروب (وعرفت بالتعبئة فيما بعد) (انظر مادة «التعبئة فى العسكرية الإسلامية» فى م ٩/ ٥٣٧ـ ٥٤٩ من هذه الموسوعة) ويبين أسباب هذا الترتيب وأهدافه:

إن الدول القديمة (كاليونان والرومان) الكثيرة الجنود المتسعة الممالك، كانوا يقسمون الجنود أقساما يسمونها كراديس. ويسوون فى كل كردوس صفوفه، وسبب ذلك، أنه لما كثرت جنودهم استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضا إذا اختلطوا خلال القتال واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب، فيخشى من تدافعهم فيما بينهم وجهل بعضهم بعضا، فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض، ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعى، ورئيس العساكر جميعا ـ من سلطان أو قائد ـ فى القلب ـ ويسمون هذا الترتيب التعبئة، وقد ذكرت التعبئة فى أخبار فارس والروم وصدر الإسلام. ويجعلون بين يدى الملك عسكرا منفردا بصفوفه متميزا بقائده ورايته وشعاره، يسمونه المقدمة، ثم عسكرا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمته، ويسمونه الميمنة، وعسكرا آخر من ناحية اليسار، يسمونه بالميسرة، ثم عسكرا آخر من خلف العسكر، يسمونه الساقة، ويقف الملك وأعوانه فى القلب بين هذه الأربعة ويسمونه موقفه القلب، فإذا تم هذا الترتيب المحكم، إما فى مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة، فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة.

ثم يذكر ابن خلدون بعد ذلك أن هذا الترتيب أهمل بعد ذلك لأسباب أهمها ضعف الإشراف على الحفاظ على تماسك الترتيب.

وبعد الانتهاء من بحث التعبئة، ينتقل ابن خلدون إلى طريقة ضرب المصاف وراء العسكر. وهذا الأسلوب يلجأ إليه فى كلا النوعين من الحرب، أى فى حرب الزحف بالصفوف، وحرب الكر والفر، ويقصد تقوية النفوس، وشد العزائم وزيادة الثقة خلال القتال ... ويتألف هذا المصاف عند أهل الكر والفر من الشعوب البدوية من إبلهم والظهر الذى يحمل طعامهم، ويتألف عند أهل الزحف بالصف من الفيلة أو من سرير الملك. ثم وضح ابن خلدون كل نوع على حدة، وذكر بهذه المناسبة ما حدث فى معركة القادسية حينما لجأ الفرس إلى اتخاذ الفيلة ونصب السرير فى آن واحد... وانتهى الأمر بهزيمة الفرس.

ويوضح ابن خلدون استخدام العرب فى فجر الإسلام أسلوب الزحف صفا فيقول:

« كانت الحرب أول الإسلام كلها زحفا، وكان العرب إنما يعرفون الكر والفر، وحملهم على ذلك (أى على اختيار أسلوب الحرب زحفا) أمران: أحدهما أن أعداءهم كانوا يقاتلون زحفا، فيضطرون إلى مقاتلتهم بمثل قتالهم.

وثانيهما أنهم كانوا مستميتين فى جهادهم، لما رغبوا فيه من الصبر، ولما رسخ فيهم من الإيمان.

ثم نعلم من ابن خلدون أن أسلوب الصف فى الحروب أهمل فيما بعد حينما أبطله مروان بن محمد بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والجبيرى بعده.

ثم ينتقل ابن خلدون إلى الكلام على فوائد الخنادق وغاياتها فيقول:

كان من مذاهب الأول فى حروبهم حفر الخنادق حول معسكرهم عندما يتقاربون للزحف حذرا من البيات (القتال الليلى) والهجوم على العسكر بالليل لما فى الظلمة ووحشيتها من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار، فكانوا لذلك يحفرون الخنادق حول معسكرهم ويديرونها نطاقا عليهم من جميع جهاتهم حرصا من أن يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا.

وبهذه المناسبة يشير ابن خلدون إلى ما جاء فى وصية الخليفة على رضى الله عنه وتحريضه لأصحابه يوم معركة صفين، ففيها كثير من علم الحرب ولم يكن أحد أبصر بها منه قال: « سووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدارع وأخروا الحاسر وعضُّوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا على أطراف الرماح، فإنه أصون للأسنة، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب، واخفتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار، وأقيموا راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فإنه بقدر الصبر ينزل النصر ».

وقال الأشتر يومئذ يحرض الأزد: عضوا على النواجذ من الأضراس، واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا شدة قوم موتورين يثأرون بآبائهم وإخوانهم حناقا على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم لئلا يسبقوا بوتر ولا يلحقهم فى الدنيا عار.

وقد أشار إلى كثير من ذلك أبو بكر الصيرفى شاعر لمتونة وأهل الأندلس فى كلمة يمدح بها تاشفين بن على بن يوسف ويصف ثباته فى حرب شهدها ويذكره بأمور الحرب فى وصايا تحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها:

يا أيها الملأ الذى يتقنع ... من منكم الملك الهمام الأروع

ومن الذى غدر العدو به دجى ... فانفض كل وهو لا يتزعزع

تمضى الفوارس والطعان يصدها ... عنه ويدمرها الوفاء فترجع

والليل من وضح الترائك إنه ... صبح على هام الجيوش يلمع

أنى فزعتم يا بنى صنهاجة ... وإليكم فى الروع كان المفزع

إنسان عين لم يصبها منكم ... حضن وقلب أسلمته الأضلع

وصـــــددتم عن تـــاشفين وإنــــه
لعقــابــه لـــو شـــاء فيكم مـــوضع
مــــا أنتم إلا أســــود خفيــــة
كـل لكـل كــــريهـــــة مستطلع
يـــا تـــاشفين أقم لجيشك عـــذره
بـــالليل والعـــذر الـــذى لا يـــدفع

ومنها فى سياسة الحرب

أهـــديك من أدب السيـاســـة مـــا بــه
كـــانت ملــوك الفــرس قبلك تـــولع
لا إننى أدرى بهـــــا لكنهـــــا
ذكـــــرى تحض المــــؤمنين وتنفع
والبس من الحلق المضـــاعفـــة التى
وصى بهـــا صنع الصنـــائع تبع
والهنــــدوانى الـــبرقيق فـإنــــه
أمضى على حـــد الـــدلاص وأقطع
واركـب من الخيل الســـوابق عـــدة
حُصْنًـــا حَصِينـــا ليس فيـــه مـــدفعُ
خَنْـــدقْ عليك إذا ضـــربت محلَّـــةً
سيَّـــان تتبع ظـــافـــرا أو تُتبع
والـــواد لا تعبـــره وانـــزل عنـــدَهُ
بين العــــدو وبين جيشك يقطعُ
واجعل منـــاجـــزة الجيـــوش عشيـــة
ووراءك الصـــدق الـــذى هـــو أمنع
وإذا تضـــايقت الجيـــوشُ بمعـــرك
ضنك فـأطـــراف الـــرمـــاحِ تـــوسعُ
وأصـــدمـــه أول وهلـــه لا تكتـــرث
شيئـــا فـإظهـــارُ النكـــولِ يضعضعُ
واجعـل من الطـــلاع أهل شهـــامـــة
للصـــدق فيهم شيمـــة لا تخـــدع
لا تسمع الكـــذاب جـــاءك مـــرجفـــا
لا رأى للكـــــذاب فيمـــــا يصنع

قوله * واصدمه أول وهلة لا تكترث * البيت مخالف لما عليه الناس فى أمر الحرب فقد قال عمر لأبى عبيد بن مسعود الثقفى لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من أصحاب النبى ﷺ وأشركهم فى الأمر ولا تجيبن مسرعا حتى تتبين فإنها الحرب ولا يصلح لها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف .

وقال له فى أخرى إنه لن يمنعنى أن أؤمر سليطا إلا سرعته فى الحرب وفى التسرع فى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لأمرته لكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بأن التثاقل فى الحرب أولى : من الخفوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفى إلا أن يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى أعلم .

ثم يقول ابن خلدون عن أسباب الظفر والنصر فى الحرب :

ولا وثوق فى الحرب بالظفر وإن حصلت أسبابه من العدة والعديد وإنما الظفر فيها والغلب من قبيل البحث والاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب فى الأكثر مجتمعة من أمور ظاهرة وهى الجيوش ووفورها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف .

ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية وهى إما من خداع البشر وحيلهم فى الإرجاف والتشانيع التى يقع بها التخذيل وفى التقدم إلى الأماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك وفى الكمون فى الغياض ومطمئن الأرض والتوارى بالكدى حول العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتلمسون إلى النجاة وأمثال ذلك .

وإما أن تكون تلك الأسباب الخفية أمورا سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى فى القلوب فيستولى الرهب عليهم لأجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة وأكثر ما تقع الهزائم عن

هذه الأسباب الخفية لكثرة ما يحتمل لكل واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع التأثير فى ذلك لأحدهما ضرورة ولذلك قال ﷺ الحرب خدعة ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة فقد تبين أو وقع الغلب فى الحروب غالبا عن أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الأشياء عن الأسباب الخفية هو معنى البخت فاعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الأمور السماوية كما شرحناه معنى قوله ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين فى حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك فى الفتوحات فإن الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بإلقاء الرعب فى قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فينهزموا معجزة لرسوله ﷺ فكان الرعب فى قلوبهم سببا للهزائم فى الفتوحات الإسلامية كلها إلا أنه خفى عن العيون .

وقد ذكر الطرطوشى أن من أسباب الغلب فى الحرب أن تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان فى أحد الجانبين على عدتهم فى الجانب الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرين من الشجعان المشاهير وفى الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب وأعاد فى ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التى قدمنا وليس بصحيح وإنما الصحيح المعتبر فى الغلب حال العصبية أن يكون فى أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفى الجانب الآخر عصائب متعددة لأن العصائب إذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع فى الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصبية تنزّل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذى عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذى عصبته واحدة لأجل ذلك فتفهمه واعلم أنه أصح فى الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشى ولم يحمله على ذلك إلانسيان شأن العصبية فى حلة وبلدة وأنهم إنما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة إلى الوحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون فى ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك أول الكتاب مع أن هذا وأمثاله على تقدير صحته إنما هو من الأسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش فى العدة وصدق القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلا بالغلب ونحن قد قررنا لك الآن أن شيئا منها لا يعارض الأسباب الخفية من الحيل والخداع ولا الأمور السماوية من الرعب والخذلان الإلهى فافهمه وتفهم أحوال الكون والله مقدر الليل والنهار .

ويلحق بمعنى الغلب فى الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف موضعها فى أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمنتحلين للفضائل على العموم وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب فى ذلك أن الشهرة والصيت إنما هما بالإخبار والإخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل، ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الأوهام، ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال لخفائها بالتلبيس والتصنع أو لجهل الناقل، ويدخلها التقرب لأصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطاولون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا من الأكثر براغبين فى الفضائل ولا منافسين فى أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن أسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفى فهو الذى يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق (مقدمة ابن خلدون / ٢٧٠ ـ ٢٧٩).

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ الشيخ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠ ، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى ـ تحقيق عبد الرزاق الهلالى / ٥٣ ، ٥٤ ، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١٤٣ ، ١٤٤ ، ومن كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة . ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى . دمشق/ ٧٩، ٨٠ ، والحرب عند العرب ـ د . عبد الرحمن زكى . كتابك (٨٨) دار المعارف ١٩٧٧ م / ٢٣ ـ ٢٧ ، ٣١ ، ومقدمة ابن خلدون / ٢٧٥ ـ ٢٧٩ انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨١٥ ، ٨١٦، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٢).

انظر : الحروب الإسلامية .

حرب :

قال ياقوت :

حَرْبٌ : بالفتح ثم السكون ، وباء موحدة : بلدة بين ينبم وبيشة على طريق حاج صنعاء، ويقال أيضا بنات حرب وباب حرب ببغداد : محلة تجاور قبر أحمد بن حنبل، رضى الله عنه؛ ينسب إليها حربى .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٦) .

حرب البسوس :

من مخطوطات التاريخ فى المتحف العراقى

الرقم ١٤٥٩٧/ ٣

لم يعلم اسم المؤلف

الأول : (عن محمد بن إسحاق يرفعه إلى غير واحد من العلماء قالوا كان نزار بن معد بن عدنان لما حضرته الوفاة ...)

وهو كتاب فى أخبار العرب فى الجاهلية والحروب التى كانت تقع بين بكر وتغلب .

نسخة نفيسة كتبت بخط جيد مذهبة الأول مؤطرة الصفحات كتبت فى بغداد مدينة السلام سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨ م .

القياس١٢٦ص ٢٥×١٥سم ٢٦س

طبع فى الهند سنة ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م بعنوان حرب بكر وتغلب معجم ٢٠٠٤ .

توجد نسخة أخرى :

الرقم ٢٧٨٧٠

تقع ضمن مجموع كتب سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م .

القياس١٤٨ص ٢٤×١٥سم ٢٥س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٤) .

حرب بنى شيبان مع كسرى وخبر الخرقة بنت النعمان :

من مخطوطات التاريخ فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٤٥٩٧/ ٤

لم يعلم اسم المؤلف

الأول : (حدثنا بشر بن مروان الأزدى، حدثنا ذؤيب بن نافع القيمى قال كان النعمان بن المنذر ...) .

نسخة جيدة كتبت بخط جيد فى بغداد مدينة السلام سنة ١٢١٣ هـ ١٧٩٨م .

القياس٢٧ص ٢٥×١٥سم ٢٧س

طبعت فى الهند سنة ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م معجم ٢٠٠٤ .

توجد نسخة أخرى :

الرقم ٢٧٨٧٠/ ٤

كتبت بقلم جيد سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م .

القياس٩٠ص ٢٤×١٥سم ٢٥س

ونسخة ثالثة :

الرقم ١١٣٢٧

كتبها عبد الرزاق فليح البغدادى سنة ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٧م .

القياس١٢٥ص ٢٥×١٦,٥سم ١٧س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٥) .

حرب صفين :

من مخطوطات التاريخ فى مكتبة المتحف العراقى

ورد منها فى الفهرس مخطوطان : الأول برقم تسلسلى ٢٨٨ أ ، ومنه نسخة برقم تسلسلى ٢٨٨ ب ، والثانى برقم تسلسلى ٢٨٩ وبيان كل منهما كما يلى :

٢٨٨ـ حرب صفين

الرقم ١٤٣٠

لأبى الفضل نصر بن مزاحم المنقرى العطار الكوفى المتوفى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م .

الأول (أخبرنا الشيخ الحافظ شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك ...) .

وهو كتاب فى واقعة صفين بين الإمام على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان .

نسخة جيدة حديثة الخط .

القياس٦٦٥ص ٢١,٥×١٥سم ١٨س

طبعت بإيران سنة ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م وطبعة ترجمتها الفارسية الذريعة ١٥/ ٥٢ـ ٥٣ .

وطبع فى مصر بتحقيق عبد السلام هارون .

٢٨٨ـ ب نسخة أخرى :

الرقم : ٩٣١٧

كتبها بخط النسخ الجيد محمد الطالقانى سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م

القياس٣٤١ص ٢١,٥×١٣,٥سم ٢١س

٢٨٩ـ حرب صفين

الرقم٢٢٢٧٩

لم يعلم اسم المؤلف

ينقل المؤلف فى هذا الكتاب معلومات وأخبار من الواقدى وأبى منصور بن شهردار بن شهرويه الديلمى وعن أبى البقاء هبة الله بن ناصر وعن مؤلف كتاب صفين الكبير ولعله يقصد أبى عبد الله محمد بن زكريا بن ديار مولى بنى غلاب البصرى المتوفى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م .

نسخة حديثة الخط ناقصة الأول والآخر .

القياس٣٥٠ص ١٨×١١,٥سم ١٥س

الذريعة ١٥/ ٥٢

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٦ ، ١٥٧)

الحرباء:

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان . ذكره الشيخ كمال الدين الدميرى فقال عنه : الحرباء : كنيته أبو خجادب وأبو الزنديق وأبو الشقيق وأبو قادم ، ويقال جمل اليهود . قال الإمام القزوينى فى كتاب عجائب المخلوقات : لما كان الحرباء خُلِق بطيء النهضة ، وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة ، فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى يديه ولا قصد إليه ، ويبقى كأنه جامد ، أو كأنه ليس من الحيوان . ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ، ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ، ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ، ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعُد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة . وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتلون على هيئة وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهى .

والحرباء أكبر من العظامة ، وهى تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الإمام الغزالى ألوانا مختلفة ، فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاعت وهو ذكر « أم حبين » والجمع الحرابى والأنثى حرباء . قال رجل : خاصمت ابن أخى إلى معاوية فجعلت أحجه فقال أنت كما قال الشاعر :

إنى أتيح لـه حـرباء تنضبة
لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجرة ، والمعنى أنه لا تنقض له حجة حتى يتمسك بأخرى تشبيها بالحرباء . قال الجوهرى : ويقال حرباء تنضب كما يقال ذئب غضى ، والتنضب شجر يتخذ منه السهام والتاء زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلل ، وفى الكلام تفعل مثل تقتل وتخرج الواحدة تنضبة ، ويقال لها أيضا حرباء الظهيرة ...

ولسان هذا الحيوان طويل جدا مقدار ذراع ، وذلك دليل على أنه يكون مطويا فى حلقه ، وهو يبلغ به ما بَعُدَ عنه من الذباب ، والأنثى من هذا النوع تسمى « أم حبين » .

وقد سمى أبو النجم فى بعض شعره الحرباء بالشقى وليس الشقى باسم للحرباء وإنما سماه به لاستقباله الشمس . كذا ذكره فى المحكم فى العين والنون والباء . وهذا الحيوان يوصف بالحزم لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك غيره . وهو يشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة ، وله أربعة أرجل . وذكر الشيخ جمال الدين ابن هشام فى شرح « بانت سعاد » أن للحرباء سناماً كسنام البعير ، وأنه يتلون ألوانا ، ويكنى أبا قرة ، وهى تتلون بلون

الشجرة التى تكون عليها حتى تختلط بلونها ، فإذا قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها .

الحكم : قال فى الروضة إنها نوع من الوزغ غير مأكولة ، لكن مقتضى ما قاله الجاحظ والجوهرى من أنها ذكر « أم حبين » أنها تؤكل لأن « أم حبين » مأكولة . لكن قالوا إن الحرباء ، من ذوات السموم فيكون هذا علة تحريمها لا إنها نوع من الوزغ .

الأمثال : قالوا « فلان يتلون تلون الرحباء » ، يضرب لمن لا يثبت على حالة . وقالوا « أجود من عين الحرباء » ، و«أحزم من الحرباء » لما تقدم ، والحزم الاحتراس والنظر فى الأمر قبل الإقدام عليه .

الخواص : دمها إذا نتف الشعر الثابت فى أجفان العين وجعل فى أصوله لم ينبت أبدا ، ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر . وشحمها إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدم مع شئ يسير من الماء ، وجدد عليه الدم والشحم وطليت به قروح الرأس والأبثار فإنها يبرئها من أول طلية .

التعبير : الحرباء فى المنام وزير ملك أو خليفته لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبدا مع الشمس ولا تفارقها كما تقدم ، وربما دلت على الخدمة للسلطان أو الفتنة فى الدين ، أو المرأة المجوسية وربما دلت على الحرب والندب على الميت والله أعلم .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢١٠ ، ٢١١ انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٩١ ، ٢٩٢) .

الحربى (١٩٨ـ ٢٨٥هـ/ ٨١٥ـ ٨٩٨) :

إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربى . والحربى بفتح الحاء : منسوب إلى الحربية ، وهى محلة كبيرة ببغداد .

وهو العالم الكامل ، الفاضل ، اللغوى ، المحدث . ولد فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

روى عن العالم الجم من العلماء ، وروى عنه من الأدباء أبو بكر بن الأنبارى النحوى ، و أبو عمر الزاهد صاحب ثعلب .

وكان إماما فى العلم ، رأسا فى الزهد ، عارفا بالفقه ، بصير بالأحكام ، حافظا للحديث ، قيما بالأدب ، جمّاعا للغة . وصنف كتبا كثيرة ؛ منها : « غريب الحديث » ، وهو أجل كتاب ، وأكبر ما صنف فى هذا النوع .

وكان أصله من مرو . قال : أمى تغلبية ، وكان أخوالى نصارى أكثرهم . وصحبت قوما من الكرخ على الحديث ـ وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحربية (العتيقة : محلة ببغداد إلى الجانب الغربى منها) فسمونى « الحربى » بذلك (أى لطلب الحديث . وعبارة ابن الجوزى فى صفة الصفوة : «وكان يقول : صحبت قوما من الكرخ فى طلب الحديث ، فسمونى الحربى ») .

وورث أموالا كثيرة ، فأنفقها على طلب الحديث . ومن زهده أنه ما احتفل فى ملبسه ولا فى مأكله يوما قط ، ولا شكا مرضا يجده إلى أحد من أهله . وأقام سنين ينظر بفرد عين ، وما أعلم أحدا بذلك ، وأفنى من عمره ثلاثين سنة لا يأكل سوى رغيفين ؛ إن جاءته أمه وأخته بهما ، وإلا بات جوعان . واقتنع ثلاثين أخرى برغيف فى كل يوم ، إن جاءه أكل ، وإلا بات جوعان ، وربما مشى قطعة من زمانه بنصف رغيف وأربع عشرة تمرة .

وغابت امرأته عنه عند بنته زائرة لمرضها ، فكانت مؤنته فى الشهر بدرهم ودانقين ونصف . واشترى صابونا ، ودخل الحمام بدانقين ، فقامت نفقة الشهر ـ وهو رمضان ـ بدرهم وأربعة دوانق [ونصف] (الدانق ـ بكسر النون ـ سدس الدرهم) .

وقال : ما كنا نعرف من هذه الصباغ شيئا سوى باذنجانة مشوية ، أو لعيقة بن (اللعيقة : تصغير لعقة ، بفتح اللام ، وهى الشىء القليل ، والبن بالكسر : الشحم) أو باقة فجل . وما تروح بمروحة قط ، ولا روح ، ولا أكل من شىء واحد فى يوم مرتين .

وجاء إنسان إلى إبراهيم الحربى يشكو إليه ضائقة أدركته ؛ فقال له إبراهيم : لا تقنط ؛ فإن مع العسر يسرا ، ولقد ضقت مرة حتى عدمنا القوت ، فقالت لى امرأتى : إن الصبيين لا يصبران على ما نصبر عليه ، فأعطنى شيئا من كتبك نبعه ،

ونتفرج به، فشحَّت نفسي بالكتب، وقلت لها : أمهليني بقية اليوم والليلة، فالله مرجو الفرج، فما دخل الليل حتى دق الباب، فقلت: من ؟ قال : رجل، قلت : أدخل . قال أطف السراج؛ قال: فكبيت على السراج شيئا، ودخل فوضع شيئا كان معه إلى جانبي، وانصرف ، فرفعت الغطاء عن السراج، فإذا شيء ملفوف، فكشفته فإذا هى أطعمة ، وإذا فيها قرطاس فيه خمسمائة درهم ، فقلت للمرأة: أنبهى الصبيين ليأكلا، وأوفى ما علينا من دين .

فلما أصبحت جلست على باب الدار، وإذا رجل معه جملان مُحمَّلان، وكان الحاج الخراسانى قد قدم (فى صفة الصفوة ٢ / ٢٦٤ : وكان وقت مجيء الحاج من خراسان فالحاج اسم بمعنى الحُجَّاج) وهو يسأل عن بيت إبراهيم الحربى، فقلت له : أنا إبراهيم، فقال : قد سير إليك رجل من خراسان هذين الحملين، وهما ورق خراسانى ، فقلت : من هو ؟ فقال : قد أحلفنى ألا أذكر لك اسمه، فأخذتهما منه، ودعوت الله لمرسلهما وللحامل .

وسير إليه المعتضد عشرة آلاف درهم، فلم يقبلها ، فقيل له : فرقها فى جيرانك، فقال للرسول: قل لأمير المؤمنين : هذا مال ما تعبنا فى جمعه، فلا نتعب فى تفريقه، فإن تركنا أمير المؤمنين، وإلا رحلنا من جواره .

وسير إليه المعتضد وهو مريض ألف دينار، فلم يقبلها وردها، فخاصمته بنته، فقال لها : أتخشين إذا مت الفقر؟ فقالت : نعم . قال لها : فى تلك الزاوية اثنا عشر ألف جزء حديثية ولغوية وغير ذلك ، كتبتها بخطى، فبيعى منها كل يوم جزءا بدرهم . ومن له اثنا عشر ألف درهم ليس بفقير !

وقال ثعلب: ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة . وقال له رجل ـ وقد رأى كتبه : كيف قويت على جمعها ؟ فغضب إبراهيم وقال : بلحمى ودمى، وبلحمى ودمى !

ومات إبراهيم الحربى ـ رحمه الله ـ يوم الإثنين لسبع بقين من ذى الحجة، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين. وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى فى شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيرا جدا . وكان يوم مطر، وحمل ودفن فى بيته (إنباه الرواة ١/ ١٥٥ـ ١٥٨) .

قال الإمام ابن الجوزى :

أسند إبراهيم الحربى عن أبى نعيم الفضل بن دكين، وعفان، ومسدد، وأحمد بن حنبل وخلق كثير لا يحصون (صفة الصفوة) وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبى يقول لى : امض إلى إبراهيم الحربى يلقى عليك الفرائض (فوات الوفيات ١/ ١٥) .

وتوفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين . وقبره ظاهر يتبرك الناس به . رحمه الله .

(صفة الصفوة ٢/ ٢٦٦) وفوات الوفيات ١/ ١٥) .

قال الإمام السيوطى ، وقد ذكره فى الطبقة التاسعة من طبقات الحفاظ: سمع أبا نعيم، وعفان، والطبقة ، وتفقه على الإمام أحمد فكان من جملة أصحابه . حدث عنه ابن صاعد، والنجاد، وأبو بكر الشافعى ، والقطيعى (طبقات الحفاظ/ ٢٦٣) .

وإليك بيانا بمن سمع منهم ومن حدث عنه :

من سمع منهم :

طلب إبراهيم الحربى العلم وهو حدث صغير، فسمع من هوذة بن خليفة وهو أكبر شيخ لقيه، وعفان بن مسلم، وأبى نعيم وعمرو بن مرزوق، وعبد الله بن صالح العجلى، وأبى عمر الحوضى، وعمر بن حفص، وعاصم بن على، ومسدد ابن مسرهد، وموسى بن إسماعيل المنقرى، وشعيب بن محرز، وأبى عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وأحمد ابن شبيب، وابن نمير، والحكم بن موسى، وأبى معمر المقعد، وأبى الوليد الطيالسى، وغيرهم كثير ـ رحمهم الله .

من حدث عنه :

حدث عنه خلق كثير، منهم : أبو محمد بن صاعد، وأبو عمرو بن السماك، وأبو بكر النجاد، وأبو بكر الشافعى، وعمر بن جعفر الختلى، وأبو بكر أحمد بن جعفر القطيعى، وعبد الرحمن بن العباس والد المخلِّص، وسليمان بن إسحاق الجلاب، ومحمد بن مخلد العطار، وجعفر

الخلدى، ومحمد بن جعفر الأنبارى، وأبو بحر محمد بن الحسن البربهارى، وأمثالهم .

ومن الأحاديث التى رواها :

روايته عن مسدد عن سفيان عن الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبى أيوب: أن النبى - ﷺ - قال: « لا يهجر أحدكم أخاه فوق ثلاث، يلتقيان: فيصد هذا، ويصد هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » أخرجه مسلم (٢٥٦٠) فى البر تحريم الهجر فوق ثلاث .

وروى عن سليمان بن داود الهاشمى بسنده إلى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت: « كنت أغتسل معه - ﷺ - من إناء واحد » (صحيح البخارى ١ / ٢١٣) (لحظات طيبات / ١٢١٤، ١٢١٥) .

ومن مصنفاته كتاب « سجود القرآن » ، « مناسك الحج » « الهدايا والسنة فيها » . « الحمام وآدابه » كتاب « غريب الحديث » الذى خرج منه « مسند أبى بكر رضى الله عنه » ، «مسند عثمان رضى الله عنه » ، « مسند على رضى الله عنه » ، « مسند الزبير رضى الله عنه » ، « مسند طلحة رضى الله عنه » ، « مسند سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه » ، « مسند عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه » ، « مسند العباس رضى الله عنه » ، « مسند شيبة بن عثمان » ، « مسند عبد الله بن جعفر» ، « مسند المسور بن مخرمة » ، « مسند المطلب بن ربيعة » ، « مسند السائب» ، « مسند خالد بن الوليد » ، «مسند أبى عبيدة بن الجراح » ، « مسند ما روى عن عاصم ابن عمر » ، « مسند صفوان بن أمية » ، « مسند عمرو بن العاص » ، « مسند عمران بن حصين » ، « مسند حكيم بن حزام » ، « مسند عبد الله بن زمعة » ، « مسند عبد الرحمن بن سمرة » ، « مسند عبد الله بن عمرو » ، « مسند ابن عمر » ، «مسند معاوية » وغيره، « مسند عبد الله بن العباس » ، «مسند الموالى »، وهو آخر ما عمل، وله بعد ذلك من الكتب: كتاب الأدب ، وكتاب المغازى، وكتاب التيمم (الفهرست / ٣٢٣، وفوات الوفيات ١ / ١٦، ١٧) .

ويضيف الزركلى إلى مؤلفات إبراهيم الحربى كتاب «إكرام الضيف » و « دلائل النبوة » ويقول عن كتاب « غريب الحديث » مخطوط الجزء الخامس منه وهو الأخير (كما فى تعليقات عبيد) كما يقول عن كتاب « مناسك الحج » أن الأستاذ حمد الجاسر رجح نسبته إلى إبراهيم الحربى، وصدَّره بكتاب آخر فى سيرته وأخباره (الأعلام ١ / ٣٢) .

وقد ذكر صاحب الرسالة المستطرفة كتاب « سجود القرآن» من بين الكتب المفردة فى أبواب مخصوصة وأسماه «سجدات القرآن » كما ذكر من بين هذه الكتب أيضا كتابا بعنوان « اتباع الأموات » قال إنه لإبراهيم الحربى (الرسالة المستطرفة / ٣٥، ٣٦) .

وقد ذكر إبراهيم الحربى من بين أصحاب خزائن الكتب القديمة، إذ كان عنده كما سبق القول وكما قال عن نفسه «اثنا عشر ألف جزء فى اللغة وغريب الحديث كتبها بخطه (خزائن الكتب القديمة فى العراق / ٢٠٨، ٢٠٩) .

(إنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٥٥ - ١٥٨ ، وصفة الصفوة لابن الجوزى - ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ٢ / ٢٦٦، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى - تحقيق د . إحسان عباس ١ / ١٤، ١٦، ١٧، وطبقات الحفاظ للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى / ٢٦٣، و «لحظات طيبات مع الإمام إبراهيم الحربى - أبى إسحاق - إعداد عادل خفاجة . مجلة الأزهر ، الجزء العاشر . السنة الرابعة والستون، شوال ١٤١٢ هـ إبريل ١٩٩٢ م / ١٢١٤، ١٢١٥، والفهرست لابن النديم / ٣٢٣، والأعلام للزركلى ١ / ٣٢، والرسالة المستطرفة / ٣٥، ٣٦، وخزائن الكتب القديمة فى العراق - كوركيس عواد / ٢٠٨، ٢٠٩ . انظر أيضا البداية والنهاية لابن كثير ط دار الغد العربى م ٦ / ١٠٢، ١٠٣) .

له ترجمة فى : الأنساب ١٦٢ أ ، وبغية الوعاة / ١٧٨، وتاريخ بغداد ٦ / ٢٧ - ٤٠، وتاريخ أبى الفدا ٢ / ٥٨، وتلخيص ابن مكتوم / ٢٧، وشذرات الذهب ٢ / ١٩٠، وطبقات الشافعية ٢ / ٢٦، ٢٧، وطبقات ابن قاضى شهبة ١ / ١٦٣ ، ١٦٤، ومرآة الجنان ٢ / ٢٠٩ ، ٢١٠، ومعجم الأدباء ١ / ١١٢ - ١٢٩ ، والنجوم الزاهرة ٣ / ١١٦، ونزهة الألباء / ٢٧٦ - ٢٧٨، والوافى ٥ / ٣٢٠، وطبقات أبى يعلى ١ / ٨٦ (إنباه الرواة ١ / ١٥٥، وفوات الوفيات ١ / ١٤) .

انظر الحربية .

حربى:

قال ياقوت : .

حربى : مقصور والعامة تتلفظ به ممالا : بليدة فى أقصى دُجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة، تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل إلى سائر البلاد؛ وقد نسب إليها قوم من أهل العلم والنباهة، منهم : أبو الحسن على بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسين الحربوى، سمع أبا الوقت السجزى وشهد بغداد وأقام بها وصار وكيل الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء، وكان حسن الخط على طريقة أبى عبد الله بن مقلة ، وكتب الكثير، وكان محبا للكتب، مات ببغداد فى ثامن عشر شوال سنة ٦٠٥ ، وبباب حرب دفن .

الحربية:

قال ياقوت :

الحربية : منسوبة : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافى وأحمد بن حنبل وغيرهما، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى ويعرف بالراوندى أحد قواد أبى جعفر المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد، وولى شرطة الموصل لجعفر بن أبى جعفر المنصور وجعفر بالموصل يومئذ، وقتلت الترك حربا فى أيام المنصور سنة ١٤٧ ، وذلك أن اشترخان الخوارزمى خرج فى ترك الخزر من الدربند فأغار على نواحى أرمينية فقتل وسبى خلقا من المسلمين ودخل تفليس فقتل حربا بها ، وخرب جميع ما كان يجاور الحربية من المحال وبقيت وحدها كالبلدة المفردة فى وسط الصحراء، فعمل عليها أهلها سورا وجيروها، وبها أسواق من كل شىء، ولها جامع تقام فيه الخطبة والجمعة، وبينها وبين بغداد اليوم نحو ميلين ؛ وقال أبو سعد : سمعت القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى ببغداد يقول : إذا جاوزت جامع المنصور فجميع تلك المحال يقال لها الحربية مثل النصرية والشاكرية ودار بطيخ والعباسيين وغيرها؛ وينسب إليها طائفة من أهل العلم ، منهم : إبراهيم ابن إسحاق الحربى الإمام الزاهد العالم النحوى اللغوى الفقيه، أصله من مرو، وله تصانيف منها غريب الحديث، وروى عن أحمد بن حنبل وأبى نعيم الفضل بن دكين وغيرهما، روى عنه جماعة، وكانت ولادته سنة ١٩٨ ، ومات فى ذى الحجة سنة ٢٨٥ .

(انظر : الحربى) .

(معجم البلدان ٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع « الشاطبية » :

أوردها صاحب كشف الظنون تحت عنوان « حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع [للسبع] المثانى وقال عنها :

وهى القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ أبى محمد القاسم بن فيرُّهْ الشاطبى الضرير المتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٠ تسعين وخمسمائة نظم فيه التيسير كما ذكره الجزرى فى التخبير وأبياته ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا أبدع فيه كل الإبداع فصار عمدة الفن . وله شروح كثيرة أحسنها وأدقها شرح الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبرى المتوفى سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو شرح مفيد مشهور «سماه كنز المعانى » أوله : الحمد لله مبدئ الأمم ومنشئ الرمم ... إلخ فرغ من تأليفه فى سلخ شعبان سنة ٦٩١ إحدى وتسعين وستمائة . وعليه تعليقة لشمس الدين أحمد بن إسماعيل الكورانى مات سنة ٨٩٣ ثلاث وتسعين وثمانمائة وسماها العبقرى. وحاشية للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفنادى المتوفى سنة ٨٣٤ أربع وثلاثين وثمانمائة. ومنها شرح علم الدين أبى الحسن على بن محمد السخاوى المصرى المتوفى سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة وهو أول من شرحه وسماه فتح الوصيد فى شرح القصيد .

وشرح الشيخ أبى شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى المتوفى سنة ٦٦٥ خمس وستين وستمائة سماه إبراز المعانى من حرز الأمانى وهو تأليف متوسط لا بأس به ثم اختصره .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى من إبراز المعانى تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، ط مصطفى البابى الحلبى، رقم الإيداع ١٩٨٢ وتقع فى٧٦٣ صفحة .

وشرح الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بشعلة الموصلي الحنبلي المتوفى ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة وسماه كنز المعاني أوله :

الحمد لله الذي أنزل القرآن على سبعة أحرف بنى كلامه على ثلاث قواعد مباد ولواحق ومقاصد : فالأول : في اللغة . والثاني : في الإعراب . والثالث : في المقصود من الكلام، وجرى على ذلك في شرح كل بيت .

وشرح الشيخ الإمام علاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العذري البغدادي المتوفى سنة (٨٠١ إحدى وثمانمائة) سماه سراج القاري .

قالت المؤلفة : النسخة التي عندي بعنوان « سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي » ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م ، وتقع في ٤١٣ صفحة و ٧ ص فهارس، وبذيل صحائف الكتاب « مختصر بلوغ الأمنية » شرح فضيلة الشيخ علي محمد الضباع على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ حسن خلف الحسيني، وبالهامش «غيث النفع في القراءات السبع لولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي .

وشرح الشيخ المحقق أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي المقري المتوفى سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة أوله : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... إلخ وهو شرح وسط سماه اللآلي الفريدة وفرغ منه في صفر سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة .

وشرح الشيخ جمال الدين حسين بن علي الحصني وهو شرح كبير في مجلدين سماه الغاية ألفه سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة . وشرح الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة زاد فيه زيادات الجزري مع فوائد كثيرة لا توجد في غيره سماه فتح الداني في شرح حرز الأماني وشرح أبي العباس أحمد بن علي الأندلسي المتوفى تقريبا سنة ٦٤٠ أربعين وستمائة سماه بالمهند القاضي شرح قصيدة الشاطبي .

وشرح تقي الدين عبد الرحمن بن أحمد الواسطي المتوفى سنة ٧٨١ إحدى وثمانين وسبعمائة (قلت قال ابن الجزري في طبقات القراء شرح شرحين انتهى) وشرح الشيخ تقي الدين يعقوب بن بدران الدمشقي المعروف بالجرايدي المتوفى سنة ٦٨٨ ثمان وثمانين وستمائة اقتصر فيه على حل مشكلاته وسماه كشف الرموز (قلت قال ابن الجزري في طبقاته حل فيه رموز الشاطبية انتهى ولم يذكر شرح الشاطبي ولا الذهبي) وشرح العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة أوله : الحمد لله الذي تفضل على العباد في المبدأ والمعاد ... إلخ ذكر فيه أن الحرز المذكور أحسن ما وضع في الفن وأحسن شروحه شرحا الشيخين الفاسي وأبي شامة غير أن كلا منهما أهمل ما عنى به الآخر مع إهمالهما أشياء مهمة فشرحه بما يوفي المقصود واجتهد في بيان فك الرموز وإعراب الأبيات وجعل الشين علامة لأبي شامة والعين لأبي عبد الله الفاسي وسماه العقد النضيد في شرح القصيد وذلك بعدما صنف إعراب القرآن .

وشرح شهاب الدين أحمد بن محمد بن جبارة المقدسي المتوفى سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة وهو شرح كبير حشاه بالاحتمالات البعيدة .

وشرح شمس الدين محمد بن أحمد الأندلسي وشرح محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادي المتوفى سنة ٨٤٣ ثلاث وأربعين وثمانمائة وهو شرح كبير.

وشرح علاء الدين علي بن أحمد المتوفى سنة ٧٠٦ ست وسبعمائة . وشرح شيخ مشايخ القراء بمصر أبي بكر بن إيدغدي بن عبد الله الشمسي الشهير بابن الجندي المتوفى سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة وسماه الجوهر النضيد في شرح القصيد وهو شرح حافل . قال ابن الجزري كان شرحه يتضمن إيضاح شرح الجعبري انتهى .

أوله : الحمد لله الذي ابتدع الإنسان بصنعه وصوره . وشرح أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وشرح يوسف بن أبي بكر المعروف بابن خطيب بيت الأبار المتوفى سنة ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة وهو في مجلدين ضخمين .

وشرح علم الدين قاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي المتوفى سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة سماه المفيد في شرح القصيد . وشرح منتجب الدين حسين بن أبي العز بن رشيد الهمداني المتوفى سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة وهو شرح كبير سماه الدرة الفريدة في شرح القصيدة أوله : الحمد لله بارئ الأنام ... إلخ . وشرح الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة وهو شرح ممزوج .

وشرح الإمام بدر الدين حسن بن القاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي المصري المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة .

وشرح الشيخ أبي عبد الله ... المغربي « محمد بن الحسن ابن محمد الفاسي المتوفى بحلب » النحوي المتوفى سنة « ٦٥٦ » سماه الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية أوله : الحمد لله ذي الصفات العلية . وشرح السيد عبد الله بن محمد الحسيني المتوفى سنة ٧٧٦ ست وسبعين وسبعمائة .

ومن شروح حرز الأماني الوجيز والمحصي وجامع الفوائد وتبصرة المستفيد فيه نقول عن الجعبري . وشرح منسوب إلى مصنف مصطلح الإشارات . وعلى الشاطبية نكت للشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الكركي المقرى الشافعي المتوفى سنة ٨٩٣ ثلاث وتسعين وثمانمائة [٨٥٣] .

قالت المؤلفة : ومن شروح حرز الأماني أيضا « مختصر بلوغ الأمنية » شرح فضيلة الشيخ علي محمد الضباع على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ خلف الحسيني ، المطبوع بذيل كتاب سراج القارئ المبتدي للإمام ابن القاصح وقد سبقت الإشارة إليه ، و « تقريب النفع في القراءات السبع » المطبوع بذيل حرز الأماني . ط مصطفى البابي الحلبي . بدون تاريخ .

وللشاطبية مختصرات منها مختصر جمال الدين محمد ابن عبد الله بن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة سماه حوز المعاني في اختصار حرز الأماني وهو في بحره وقافيته . ومختصر عبد الصمد بن التبريزي المتوفى سنة ٧٦٥ خمس وستين وسبعمائة وهو في خمسمائة وعشرين بيتا . ومختصر مولانا بلال الرومي وهو قصيدة لامية يقال لها البلالية .

ومختصر أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة سماه نظم در الجلا في قراءة السبعة الملا وهي دون الخمسمائة .

وللشاطبية تتمات منها التكملة المفيدة لحافظ القصيدة نظم الإمام المقرى أبي الحسن علي بن إبراهيم الكناني الفيجاطي المتوفى سنة ٧٢٠ عشرين وسبعمائة وهي قصيدة محكمة النظم في وزنها ورويها في مائة بيت نظم فيها ما زاد عليها من التبصرة والكفاية والوجيز أولها بحمدك يا رحمن أبدأ أولا ... إلخ .

ومنها تكملة في القراآت الثلاث للشيخ المقرى شهاب الدين أحمد بن محمد بن سعيد اليمني الشرعبي وكان حيا في حدود سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة (توفي سنة ٨٣٩) زادها بين أبيات الشاطبية في مواضعها بحيث امتزجت بها فصارا كأنهما لشخص واحد . وتكملة لمحمد بن يعقوب بن إسماعيل الأسدي المقدسي الشافعي سماها الدر النضيد في زوائد القصيد أولها : الحمد لله الذي أحاط علمه بمخلوقاته ... إلخ ذكر فيه أنه طالع ما زاد عليه من كتب القراآت السبع فوجد أشياء زائدة على ما في حرز الإماني فأوردها .

ومنها نظيرة أحمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الفصيح الهمداني المتوفى سنة ٧٥٥ خمس وخمسين وسبعمائة وهي على وزنه بلا رموز فجاءت أقصر منها . ومنها ترجمة الشاطبية لعبد الله بن محمد بن يعقوب بن عبد الحي (كشف الظنون ١ / ٦٤٦ـ٦٤٩) .

أما من حيث مخطوطات حرز الأماني فلدينا عدد منها أهمها وأوفاها بالغرض مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ويشتمل على إحدى وعشرين نسخة ، ونورد بيانه فيما يلي ، ونكتفي بتلخيص ما جاء عن بقية المخطوطات :

١ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية (١ / ٣٥١ ـ ٣٦٥) :

الرقم ٥٢٠٠

المؤلف أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الأندلسى الضرير المتوفى سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م .

فاتحة المنظومة :

بـــدأت ببسم الله فى النظم أولا
تبارك رحمانا رحيما وموئلا
وثنيت صلى الله ربى على الرضى
محمد المهدى إلى الناس مرسلا
... ...
وإن كتاب الله أوثق شافع
وأغنى غناء واهبا متفضلا
وخير جليس لا يمل حديثه
وترداده يزداد فيه تجملا

خاتمة المنظومة :

وأبياتها ألف تزيد ثلاثة
ومع مائة سبعين زُهرا وكُمَّلا
وقد كُسيت منها المعانى عناية
كما عريت عن كل عوراء مفصلا
وتمت بحمد الله فى الخلق سهلة
منزهة عن منطق الهُجر مِقْوَلا
... ...
وتبدى على أصحابه نعماتها
بغير تناه زرنبا وقرنفلا

قالت المؤلفة : فى نسختى ط مصطفى البابى الحلبى ص٢٠٧ فى البيت الأخير « نفحاتها » بدلا من « نغماتها » .

أوصاف الكتاب : نسخة قديمة من القرن التاسع، على الصفحة الأولى زخارف مذهبة وملونة، ولها إطار مذهب، كتبت بخط نسخى معتاد قديم، الأبواب وأسماء السور والقراء والرموز مكتوبة بالأحمر، على الورقة التى تلى الغلاف قيدا تملك : الأول باسم أحمد الرباط، والثانى باسم عبد الرحمن الاسطوانى سنة ١٢٤٨، وعلى الورقة الأولى وجه أ . منظومة فى سبعة أبيات تبين الرموز المشيرة إلى القراء نظمها يعقوب بدران، على الهوامش الكثير من التعليقات والشروح، وعلى الورقة الأخيرة جدول بأسماء القراء السبعة، أصيبت النسخة بالاتساخ والجفاف، وهى مرممة قديما، خرمت منها الورقتان الخامسة والسادسة وقد ألحقتا بخط مختلف .

ق	م	س
٦٠	٢١×١٥	٩

نسخة ثانية :

الرقم ٤٤٢٩

خاتمة المخطوط : تم الكتاب بعون الصمد الوهاب، والحمد المستحق الثناء، والصلاة على أفضل إنسان محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين فى يوم ستة عشر فى شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وتسعماية الهجرية المصطفوية على يد أضعف عباد الله الغنى إبراهيم الأركوبى أصلح الله أحواله وغفر له .

أوصاف المخطوط : نسخة من أواخر القرن العاشر الهجرى كتبت بخط فارسى معتاد ، الأبواب وأسماء السور مكتوبة بالأحمر، أصابتها الرطوبة فى مواضع متعددة، وقد رممت قديما، وهى مفروطة الأوراق منزوعة عن الغلاف، على الورقة الأخيرة فائدة مروية عن القرطبى يتحدث فيها عن ثواب من حفظ هذه القصيدة، يحتاج المخطوط إلى ترميم عاجل مع غلافه .

ق	م	س
٦٣	٢١×١٥	١٠

نسخة ثالثة :

الرقم ٥٧٤٥

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثامن الهجرى ، كتبت بخط نسخى جيد مشكول، الأبواب وأسماء السور والرموز مكتوبة بالمداد الأحمر، على الهوامش بعض الحواشى المختلفة والشروح .

على الورقتين الأولى والثانية الكثير من الكتابات فيها رموز معانى الشاطبية، ثم جدول بأسماء عشرين قارئا مع الرموز المشيرة إليهم ، على الورقة الثالثة عنوان الكتاب وبعض الشعر ...

أصيبت النسخة بالرطوبة والاتساخ والتمزيق، وقد رممت قديما، غلافها ممزق يحتاج إلى ترميم .

ق	م	س
٤٢	١٨ × ١٣	١٥

نسخة رابعة :

الرقم ٥٧٥٥

أوصاف المخطوط : نسخة حديثة من القرن الثالث عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد عليه بعض الشكل ، وضعت المنظومة فى إطارات مرسومة بالمداد الأحمر، أسماء الأبواب والسور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الورقة الأولى الوجه ـ أ ـ أسماء القراء والرموز التى تشير إليهم موضوعة فى جدول وعلى الوجه ـ ب ـ وفى الهامش قصيدة فى القراءات .

أصيبت النسخة بالرطوبة فى أكثر أوراقها ، وقد جفت أوراقها وأخذت تتكسر، فيها بعض التلف وقد رممت قديما، غلافها ممزق .

ق	م	س
٥٧	١٨,٥ × ١٣,٥	١١

نسخة خامسة :

الرقم ٥٨٤٣

فاتحة المخطوط :

هنـــالك يهنيـــه مقيـــلا وروضـــة
ومـن أجلــــه فـى ذروة العــــز يجتلـى
ينـــاشـــد فـى إرضـــائه لحبيبـــه
وأجــدر بــه ســؤلا إليــه مــوصَّــلا

خاتمة المخطوط : تمت القصيدة بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلامه وكان الفراغ من نسخها ظهر الإثنين السابع عشر من شهر رجب الفرد سنة أربع وأربعين وثمانماية أحسن الله خاتمتها من تاريخ الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام . على يد أفقر عباد الله ... محمد بن موسى الناسخ عفا الله عنه .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة قديمة من أوائل القرن التاسع الهجرى خرم منها ورقة واحدة، وقد كتبت بخط نسخى جيد مشكول أسماء الأبواب والسور مكتوبة بخط ثلث كبير، على الهوامش الكثير من التعليقات والشروح والفوائد أغلبها مكتوب بالمداد الأحمر . أصيبت النسخة بالرطوبة والتمزيق وقد رممت ترميما سيئا ، كما أن الأرضة قد أثرت على أوراقها .

توجد النسخة فى مجموع يحوى « عقيلة القصائد فى أسنى المقاصد » لأبى عمرو الدانى، وهى مخرومة من آخرها، يحتاج المجموع إلى ترميم ورقا وغلافا .

ق	م	س
٤٦ (١٢ـ٥٧)	٢٥,٥ × ١٦	١٣

نسخة سادسة :

الرقم ٦٣٨٣

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى جيد، وبالمداد الأسود. الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، عليها بعض قيود التملك، لا تزال النسخة بحالة جيدة ورقا وخطا، على غلافها بعض الزخارف البسيطة .

ق	م	س
١١٢	١٥ × ١٠	١١

نسخة سابعة :

الرقم ٦٣٩٣

خاتمة المخطوط : والحمد لله وحده وكفى، والصلاة على النبى المصطفى .

كملت الشاطبية فى خامس عشر ربيع الأول على يد العبد الضعيف حبيب بن أوليا بن مصطفى بن أمير يوسف سنة إحدى وأربعين وسبعماية أحسن الله عواقبهم ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات يا رب العالمين .

أوصاف المخطوط : نسخة قديمة قيّمة من القرن الثامن الهجرى كتيت بخط نسخى قديم جيد، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح والتعليقات .

أصيبت بعض الأوراق بالتلف والتمزيق وقد رممت قديما، كما أن بعض الأوراق مفروطة على الورقة الأولى ـ ب ـ مناجاة ودعاء، يلى ذلك كتاب العقيلة فى الرسم الشاطبى، وقد كتب بخطين مختلفين .

يحتاج المجموع إلى صيانة مع غلافه .

ق	م	س
٨٥ (١ـ ٨٥)	١٥,٥ × ١١,٥	٧

نسخة ثامنة :

الرقم ٦٤٠٤

أوصاف الكتاب : نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى. كتبت بخط نسخى حسن ، الأبواب وأسماء السور وبعض الفقرات مكتوبة بالأحمر، فى كل صفحة إطار وجدول مرسومان بالأحمر، على الهوامش وبين الأبيات شروح وتعليقات وحواش كثيرة .

على الورقة الأولى جدول فيه أسماء القراء، وما لكل واحد من الحروف، ثم أسماء القراء مجتمعين .

يوجد الكتاب في مجموع يحوى مقدمة ابن الجزرى، ثم نفيس الأساس فى القراءات الثلاث، ثم طيبة النشر فى القراءات العشر.

المجموع بحالة جيدة ورقا وخطا وغلافا .

ق	م	س
٧١ (١ـ ٧١)	١,٥ × ١١,٥	٩

نسخة تاسعة :

الرقم ٦٤٨٨

خاتمة المخطوط : كتبها العبد الضعيف الراجى رحمة ربه اللطيف يوسف الحجاوى بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن أحمد بن فياض الحنبلى عامله الله بلطفه الخفى وذلك بتاريخ ثانى يوم محرم من سنة اثنتين وعشرين بعد ماية وألف بدمشق الشام .

أوصاف المخطوط : نسخة من بداية القرن الثانى عشر الهجرى، مخرومة من أولها مقدار سبع ورقات ، وقد عوضت بخط مختلف ، كتبت بخط معتاد مشكول، الأبواب وأسماء السور والرموز مكتوبة بالمداد الأحمر، على الهوامش الكثيرة من التعليقات والشروح ، أصيبت النسخة بالرطوبة والاتساخ وقد رممت بعض أوراقها قديما . على الورقة الأولى قيد تملك باسم عبد الرزاق ابن الشيخ حسن البيطار تاريخه سنة ١٢٧٤هـ .

ق	م	س
٣٦	٢١ × ١٥	١٩

نسخة عاشرة :

الرقم ٦٤١٨

أوصاف المخطوط : نسخة حديثة من القرن الثالث عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى معتاد مشكول فى أوائل النسخة . وضعت الكتابة فى أوائل المخطوط فى إطارات مرسومة بالأحمر، أسماء السور والأبواب وبعض الكلمات مكتوبة بالمداد الأحمر، الخط فى أوائله وحتى الورقة ١٤ـ أ ـ مختلف عن بقية الخطوط . مع حرز الأمانى كتاب آخر فى التجويد من القرن التاسع الهجرى .

ق	م	س
٤٧ (١ـ ٤٧)	١٨ × ١٣	١٣

نسخة حادية عشرة :

الرقم ٦٥٠٥

خاتمة المخطوط : وقد وقع الفراغ من تسويده فى رمضان المبارك سنة إحدى وعشرين ومائة وألف ، رحم الله امرأ نظر فيه ، ودعا لكاتبه بحسن الخاتمة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة من القرن الحادى عشر كتبت بخط نسخى جميل مشكول، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر. على الورقة الأولى مجموعة من قيود التملك والقراءات، فقد تملكه محمد الطوسى سنة ١١٣٣ هـ وإبراهيم بن محمد البهنساوى سنة ١١٤٠ هـ وقرأ فيه مجموعة من الشيوخ منهم إبراهيم ابن الشيخ عباس الحافظ . على الورقة الأولى ـ ب ـ والثانية ـ أ ـ إجازة من الشيخ عبد الغنى النابلسى لحسين بن عبد الله الكورجى البغدادى الحنفى برواية حرز الأمانى ومجموعة من كتب التفسير والحديث وغيرها تاريخها سنة ١١٢٩ هـ ، على الورقة الثالثة ـ أ ـ أسماء القراء والرموز المشيرة إليهم ثم مجموعة من الفوائد المختلفة .

ق	م	س
٤٩	٢١ × ١٤	١٣

نسخة ثانية عشرة

الرقم ٦٥٤١

خاتمة المخطوط : تمت قصيدة حرز الأماني ووجه التهاني بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في نهار الخميس المبارك في نهار سبعة وعشرين خلا من ذى القعدة في سنة ألف ومماية وتسع وثمانين ١١٨٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية على يد محررها الفقير إلى مولاه الغنى القادر أحوج الورى إلى عفوه عبد القادر الخياط ابن الشيخ ياسين الكفرنوراني مولدا الجبلاوى سكنة برسم إبراهيم الدمياطي غفر الله لهم ولمن قرأ فيها ودعا لهم بالمغفرة .

أوصاف المخطوط : نسخة حديثة مصابة بالرطوبة والأرضة، كتبت على ورق سميك وبخط معتاد فيه بعض الشكل، الأبواب وأسماء السور مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، على الورقة الأولى بعض المختارات الشعرية ، في نهاية المخطوط الدور الأعلى للشيخ محيى الدين بن عربي .

ق	م	س
٤٤ (١ ـ ٤٤)	١٦ × ٢١,٥	١٤

نسخة ثالثة عشرة :

الرقم ٦٨٩٧

خاتمة المخطوط : تمت القصيدة المباركة بحمد الله وعونه ولطفه وصونه على يد أفقر العباد لخالقهم وكاليهم ورازقهم أبى بكر بن شرف الدين ابن الحاج محمد قرة العشاوى بلدا الأموى جواراً الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه يوم السبت ثانى صفر سنة ١٠٢٠هـ .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة ورقا وخطا كتبت بخط نسخي جيد مشكول، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الورقة الأولى فوائد في القراءات، وعلى الورقة الأخيرة فوائد عن كلا الواقعة في القرآن الكريم لأبى اللبيب التونسي يلى ذلك قصيدة في التوسل .

تقع النسخة في مجموع يحوى متن الحكم لابن عطاء الله السكندرى، ومعرفة المؤتلف والمختلف من أسماء الرجال لابن الصلاح، والشهاب في الوصايا، ورسائل في النحو والحساب والفرائض ، كتب المجموع في فترات مختلفة وخطوط مختلفة .

ق	م	س
٤٣ (١٢ ـ ٥٤)	٢١ × ١٥	١٥

نسخة رابعة عشرة :

الرقم ٨٠١٦

خاتمة المخطوط : نجزت القصيدة بحمد الله ومنه وحسن توفيقه وعونه، وكان الفراغ من نسخها يوم الأحد خامس عشر شهر رجب الفرد سنة أربع وأربعين وثمانماية على يد العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير المؤمل بالجنات أن يدخلها والمسلمين ويرتقى، محمد بن على بن محمد الأزرقى حامدا لله ومصليا ومسلما .

أوصاف المخطوط : نسخة قديمة قيمة مضبوطة بالشكل، كتبت بخط نسخي جيد ، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، على الهوامش بعض الحواشي والشروح .

أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف في أوائلها، وقد رممت قديما . على الورقة الأولى دعاء ثم صورة وقف نقيب السادة الأشراف محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية ، كما يوجد قيدا تملك تاريخ أحدهما سنة ٩٩١ هـ على الورقة الأخيرة قيد تملك باسم محمد بن الأدهرى الشافعي المقرى... ثم قيد تملك آخر باسم محمد بن نور الدين الموقع سنة ٩٩١ . يلى ذلك عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد لأبى عمرو الداني .

المجموع بحالة جيدة ، الغلاف مزخرف .

ق	م	س
٤٩ (١ ـ ٤٩)	١٢ × ١٧	١٣

نسخة خامسة عشرة :

الرقم ٨٤٣٠

فاتحة المخطوط : قال الشيخ الإمام العالم البارع الفاضل أبو القاسم الشاطبي قدس الله روحه ونور ضريحه وأعاد علينا من بركاته .

خاتمة المخطوط : فرغ منه في العشر الأخير من ذى القعدة من شهور سنة ثمانية وخمسين وثمانماية العبد الفقير إليه تعالى...

أوصاف المخطوط : نسخة قديمة أصابها التمزق والجفاف ، وبخاصة في أوراقها الأولى، كتبت بخط نسخي

معتاد مشكول، العناوين وبعض الألفاظ مكتوبة بالأحمر، على قسم كبير من القصيدة شروح تداخلت مع أبياتها، وقد كتبت بالأحمر والأسود. على الورقة الأولى رموز الشاطبية وبعض الفوائد المختلفة، على الورقة الأخيرة قيد تملك مطموس، مع اسم الناسخ.

النسخة مفروطة، وأوراقها جافة، عليها شطب في أوراقها الأولى تحتاج إلى صيانة.

ق	م	س
٦٨	١٧ × ٢٣	٩

نسخة سادسة عشرة :

الرقم ٩٢٣٤

خاتمة المنظومة :

ومن باطن السفلى للشفتين قل
وللشفتين اجعل ثلاثا لتعدلا
وفي أول من كلم بيتين جمعُها
سوى أربع فيهن كلمة أولا
أهاع حشاغا وخلا قارئٌ كما
جرى شرط يسرى ضارع لاح نوفلا

قالت المؤلفة : في نسختي ط مصطفى البابي الحلبي في صدر البيت الأولى « من الشفتين » بدلا من « للشفتين ».

أوصاف المخطوطه : نسخة عادية مخرومة من آخرها وهي من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط مستعجل، أسماء السور والأبواب ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر.

توجد النسخة في مجموع يحوي ديوان الحقيقة للشيخ عبد الغني النابلسي، ثم قصيدة، ثم الهمزية في مدح خير البرية، ثم مجموعة مختارة من القصائد المختلفة.

كتب المجموع بخطوط مختلفة وهو مفروط الأوراق، في أول النسخة رموز الشاطبية وأسماء القراء ...

ق	م	س
٣٠ (٨٥ـ١١٤)	٢٠ × ١٥	٢٠

نسخة سابعة عشرة :

الرقم ١١١٢٧

خاتمة المخطوط :

فيا خير غفّار ويا خير راحم
ويا خيرَ مأمول جداً وتفضلا
أقل عثرتي وانفع بها وبقصدها
حنانيك يا الله يا رافع العلا
وآخر دعوانا بتوفيق ربنا
أن الحمد لله الذي وحده علا

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط معتاد مشكول، أسماء السور والرموز والآيات مكتوبة بالمداد الأحمر، مخرومة من آخرها مقدار ورقة واحدة.

أصابتها الرطوبة الشديدة فأثرت على معظم أوراقها وعلى الكتابة فيها. كما أن قسما من أوراقها بدأ يتفحم نتيجة الجفاف. على الورقة الأولى اسم الناسخ وهو أحمد ابن الشيخ حسين.

ق	م	س
٤٢	١٤,٥ × ٢٠,٥	١٥

نسخة ثامنة عشرة :

الرقم ٦٣٨١

خاتمة المخطوط : وقد تمت القصيدة بحمد الله وعونه على يد أفقر العباد إلى ربه الجليل محمد ابن الشيخ إسماعيل غفر الله له ... يوم الإثنين المبارك الرابع من شهر جماد الأول من شهور سنة ١١٤٦ من الهجرة النبوية ...

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط نسخي جيد مشكول، وبالمداد الأسود. أسماء السور ورؤوس الفقر والفواصل، كلها بالأحمر.

النسخة في مجموع يحوي المقدمة الجزرية، وجدولا بأسماء القراء ورموزهم، وموانع الصرف وبعض الشعر والفوائد المختلفة، وأرجوزة في أسماء ورموز القراء. المجموع مصاب بالرطوبة والتلوث وجفاف الأوراق، يحتاج إلى صيانة وترميم.

ق	م	س
٤٣ (٦ـ٤٨)	١٥ × ١٠	١٥

نسخة تاسعة عشرة :

الرقم ٧١٨٣

خاتمة المخطوط : وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة الشريفة يوم السبت المبارك من شهر ذى الحجة سنة ألف وماية وتسعة وستين على يد أضعف العباد إبراهيم ابن الحاج أحمد .

أوصاف النسخة : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد مشكول، وبالمداد الأسود. أسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. على الهوامش بعض التعليقات والتصويبات .

النسخة فى مجموع يحوى شرح حرز الأمانى لعمر الأرمنازى ومنظومة فى القراء وفوائد فى القراءات وسؤال مع جوابه لابن حجر العسقلانى. المجموع مصاب بالرطوبة ثم جفاف الأوراق التى جعلت أوراقه تكاد تتكسر. على الورقة الأولى قيد تملك باسم أحمد زرقا سنة ١٣١٧ .

ق	م	س
٣٩(٩٤ـ ١٣٢)	٢٠× ١٤	١٧

النسخة العشرون :

الرقم ١٠٧٦٦

خاتمة المخطوط : كملت القصيدة بحمد الله وعونه، وكان الفراغ من نسخها فى شهر محرم الذى هو من شهور سنة ألف وماية وتسعة عشر على يد أفقر العباد على بن علاء الدين ابن الشيخ عبد المجيد القشى الدمياطى .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد مشكول، الأبواب ورؤوس الفقر بالأحمر. على الورقة الأولى قيد تملك باسم حسن سليم الدجانى، وسؤال فى ترقيق الراء الساكنة مع جوابه، على الورقة الأخيرة ترجمة لصاحب المنظومة يلى ذلك جوهرة التوحيد للقانى ثم دعاء سورة الإخلاص ثم رموز الشاطبية وأخيرا قصيدة فى فضل العلم ومكانته .

المجموع مصاب بالرطوبة والتمزق وفيه أكل أرضة، أما غلافه فممزق يحتاج إلى ترميم .

ق	م	س
٣٥(١ـ ٣٥)	٢١× ١٥	١٧

النسخة الحادية والعشرون :

الرقم ١١١٦٥

خاتمة النسخة : تمت بحمد الله ... وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة رابع عشر شهر شوال سنة ست وستين وثمانماية ... على يد العبد الفقير المعترف بالذنب ... محمد ابن على بن أبى الفتح الناركورى .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن التاسع الهجرى، كتبت بخط معتاد مشكول وبالمدادين الأسود والأحمر وبخطين مختلفين، على الهوامش بعض الشروح والتصويبات، أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف وقد رممت بعض أوراقها قديما وبخاصة أوائل الأوراق .

ق	م	س
٥٨	٢٠× ١٤	١٦

٢ ــ مخطوط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض (٢/ ٤١) :

رقم الحفظ : ٤٣ ــــ ف ، الفن : قــراءات . العنوان الفرعى : الشاطبية .

تاريخ النسخ : القرن ٩هـ/ ١٥م .

بداية المخطوطة :

بـــــــدأت ببسم الله فى النظم أولا
تبـارك رحمـانــا رحيمــا ومــوئلا

نهاية المخطوطة :

وتبــدى على أصحــابــه نفحــاتهــا
بغيــــر تنــاه زرنبًــا وقــرنفُــــلا

مكان الحفظ : لاله لى ، برقم ٢٩

٣ـ مخطوط دار الكتب القطرية (ص ١٩) :

طبع حجر بالهند ١٢٧٨ هـ ، ثم طبعت بمصر سنة ١٢٨٦ .

أولها : كسابقه .

٦٣ ورقة ضمن مجموعة من ١ـ ٦٣ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٤٦ ـــ ٦٤٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ١ / ٣٥١ـ ٣٦٥ ، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض ، العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م / ٤١ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ١٩) .

الحرز المنسوب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

أوله : اللهم يا من دلع لسان الصبح ... إلخ والشرح عليه لأحمد بن محمد المعروف بنشانجى زاده المتوفى سنة ٩٨٦ ست وثمانين وتسعمائة .

(كشف الظنون ١/ ٦٥٠) .

ابن حرزهم :

انظر : ابن حرازم .

حَرَس:

قال ياقوت :

حرس : بالتحريك : قرية فى شرقى مصر، وقال الدارقطنى : محلة بمصر؛ والحرس فى اللغة : حرس السلطان ، وهو اسم جنس، واحده حرسى، ولا يجوز حارس إلا أن يذهب به إلى معنى الحراسة؛ وقال الأزهرى : يقال حارس وحرس كما يقال خادم وخدم وعاس وعسس؛ وقد نسب إلى هذا الموضع جماعة كثيرة مذكورة فى تاريخ مصر، منهم : أبو يحيى زكريا بن يحيى بن صالح بن يعقوب القضاعى الحرسى كاتب عبد الرحمن بن عبد الله العمرى، يروى عن المفضل بن فضالة وابن وهب، مات فى شعبان سنة ٢٤٢ .

وابنه أبو بكر أحمد حدَّث، ومات فى ذى القعدة سنة ٢٥٤ .

و أحمد بن رزق الله بن أبى الجراح الحرسى، روى عن يونس بن عبد الأعلى، ومات سنة ٢٤٦، وغيرهم .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٠) .

حَرَسْتَا :

قال ياقوت :

حَرَسْتَا : بالتحريك ، وسكون السين، وتاء فوقها نقطتان : قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ؛ منها شيخنا القاضى عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحرستانى، إمام فاضل مدرس على مذهب الشافعى، ولى القضاء بدمشق فى كهولته ثم تركه ثم وليه وقد تجاوز التسعين عاما من عمره بإلزام العادل أبى بكر بن أيوب إياه، ومات وهو قاضى القضاة بدمشق، وكان ثقة محتاطا، وكان فيه عسر وملل فى الحديث والحكومة، ومولده سنة ٥٢٠، تكثر به والده فسمع من على بن أحمد بن قبيس الغسانى وعبد الكريم ابن حمزة والخضر السلمى وطاهر بن سهل الأسفراييني وعلى ابن المسلم، وتفرد بالرواية عن هؤلاء الأربعة زمانا، وسمع من غيرهم فأكثر، ومات فى خامس ذى الحجة سنة ٦١٤ عن أكثر من تسعين سنة؛ وينسب إليها من المتقدمين حماد بن مالك ابن بسطام بن درهم أبو مالك الأسجعى الحرستانى، روى عن الأوزاعى وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عبيد بن نفيع وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وسعيد بن بشير وعبد العزيز بن حصين وإسماعيل بن عياش، روى عنه أبو حاتم الرازى وأبو زرعة الدمشقى ويزيد بن محمد بن عبد الصمد وهشام بن عمار ويعقوب بن سفيان ومحمد بن إسماعيل الترمذى، ومات سنة ٢٢٨ . وحرستا المنظرة : من قرى دمشق أيضا بالغوطة فى شرقيها .

وحرستا أيضا : قرية من أعمال رعبان من نواحى حلب، وفيها حصن ومياه غزيرة .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤١، ٢٤٢) .

الحرص:

جاء فى اللسان : الحرص : شدة الإرادة والشره إلى المطلوب . وقال الجوهرى : الحرص : الجشع . وقد حَرَص عليه يحرِص (بالكسر) ويحرُص (بضم الراء) حِرصًا وحَرَصًا .

الأزهرى : قول العرب حريص عليك معناه حريص على نفعك، قال : واللغة العالية حَرَص يحرِص، وأما حرِص يحرَص فلغة رديئة، قال : والقراء مجمعون على ﴿ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] (لسان العرب ١٠/ ٨٣٥) .

وفى تيسير الوصول:

١ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر » أخرجه الشيخان والترمذى.

٢ ـ وعن كعب بن مالك رضى الله عنه: « قال رسول الله ﷺ: ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » أخرجه الترمذى وصححه.

ومعناه « أن حرص المرء على المال والشرف وحبهما مفسد لدينه كما يفسد الذئبان الجائعان الغنم إذا أرسلا فيها ولم يمنعا منها ».

٣ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب » أخرجه الشيخان، وهذا لفظهما، والترمذى بمعناه. (تيسير الوصول ٢ / ٢١،٢٢).

وقال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون:

فصل الصاد المهملة * الحرص بالكسر وسكون الراء المهملة عند السالكين ضد القناعة وهو طلب زوال نعم الغير وقيل طلب ما لا يقسم وقال أهل الرياضة الحرص فغير مذموم عند العقلاء كذا فى خلاصة السلوك * وفى اصطلاحات السيد الجرجانى الحرص طلب شيئ باجتهاد فى إصابة.

(كشاف ١/ ٣٠٨).

(لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٣٥، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢١، ٢٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٠٨).

الحَرْف:

(بفتح الحاء)

قال الإمام الراغب الأصفهانى:

حرف: حَرْفُ الشىء طرفه وجمعه أحرف وحروف، يقال حرف السيف وحرف السفينة وحرف الجبل، وحروف الهجاء أطراف الكلمة والحروف العوامل فى النحو أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض، وناقة حرف تشبيها بحرف الجبل أو تشبيها فى الدقة بحرف من حروف الكلمة، قال عز وجل: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ [الحج: ١١] قد فسر ذلك بقوله بعده (فإن أصابه خير) الآية، وفى معناه: ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ [النساء: ١٤٣] وانحرف عن كذا وتحرف واحترف، والاحتراف طلب حرفة للمكسب، والحرفة حالته التى يلزمها فى ذلك نحو القعدة والجلسة، والمحارف المحروم الذى خلا به الخير، وتحريف الشىء إمالته كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين، قال عز وجل: ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ [المائدة: ١٣] و ﴿**يحرفون الكلم من بعد مواضعه**﴾ [المائدة: ٤١] ﴿**وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه**﴾ [البقرة: ٧٥] والحرف ما فيه حرارة ولذع كأنه محرف عن الحلاوة والحرارة، وطعام حريف. وروى عنه ﷺ: « نزل القرآن على سبعة أحرف » وذلك مذكور على التحقيق فى الرسالة المنبهة على فوائد القرآن (مفردات القرآن/ ١١٤).

وجاء فى اللسان: الحرف من حروف الهجاء: معروف وأحد حروف التهجى. والحرف: الأداة التى تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما، قال الأزهرى: كل كلمة بُنيت أداة عارية فى الكلام لتفرقة المعانى فاسمها حرف وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى وهل وبل ولعل (لسان العرب ١٠/ ٨٣٧).

وقال الإمام النظام النيسابورى:

وأما الحرف: فهو الواحد من حروف المعجم، سمى حرفا لقلته ودقته، ولذلك قيل حرف الشىء لطرفه لأنه آخره والقليل منه. والحرف أيضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة أيضا حرف فهو من الأضداد. والحرف اللغة أيضا، قال ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» والحرف أيضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها. والحرف أيضا أحد أقسام الكلمة، وذلك أن الكلمة إن احتاجت فى الدلالة على معناها الإفرادى إلى ضميمة نحو « من » و « قد » فهو حرف. وإلا فإن كانت فى أصل الوضع بهيئتها التصريفية على أحد الأزمنة الثلاثة الماضى والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر وينصر، وإلا

فهو اسم كـالإنسان فإن معنـاه لا يقترن بـالزمـان أصلا، ومثل اليوم والسـاعة والـزمان فإن الـزمان كل معنـاه، ومثل الصبوح والغبوق لأن الـزمان جزء معنـاه، ومثل عِلْم وجَهْل وضَرْب فإن معناه يـدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئـة، ومثل ضارب ومضروب فإنه لو سلم أن معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة إذ لكل منهما هيئـة مخصوصة لكنهـا ليست فى أصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى ممـا لا يدل على الزمان، لأن تجـرده عن الـزمـان عـرض لغـرض الإنشـاء، ولا الفعل المستقبل لكـون معناه مقتـرنا بـزمـانين الحال والاستقبـال لأن قولنا بأحد الأزمنة تحديد لأدنى درجات الاقتران، ولو سلم أنه يجب الاقتران بأحد الأزمنة فقط، فذلك فى أصل الوضع، ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا (غرائب القرآن/ ٣٥).

(المفـردات فى غـريب القرآن للـراغب الأصفهـانى ـ تحقيق وضبط محمـد سيد كيـلانى / ١١٤، ولسـان العرب لابـن منظور ١٠ / ٨٣٧، وغرائب القـرآن ورغائب الفرقان للنظـام النيسابورى ـ تحقيق إبراهيم على سالم/ ٣٥).

قالت المؤلفة : يأتى تعـريف الحرف فى مصنفات التراث الإسلامى فـى علوم اللغة العـربية وعلـوم القرآن الكريـم ـ من حيث هو أحـد أقسام الكلمـة ـ على المستـوى الصوتى، ولا يسمى فى علم اللغـة الحـديث حـرفـا بل صـوتـا، فتـوصف مخارج الحروف وصفاتها وصلتها الوثيقة بتلاوة القرآن الكريم، وعلى المستـوى الصرفى من حيث معـانيهـا ودلالاتها، كمـا تـدرج الحروف من حيث عـدد حروفهـا كالحـروف الآحاديـة والثنائية ... إلخ. وفى المصنفـات الحديثة أضيف المستوى الخطى من حيث استخدام الحرف فى فن الخطاطة والتصوير وتزيين جدران المساجد والمبانى بآيات من القرآن الكريم.

ويأتى ذلك كله فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

انظر : الحروف.

حُرْف:

قال ياقوت :

حُرْفُ : بـالضم ثم السكون، والفاء؛ وهـو فى اللغة حب الرشـاد؛ والاسم من الحـرفة ضـد السعادة: وهو رستـاق من نواحى الأنبار؛ ينسب إليه أبـو عمران موسى بن سهل بن كثير ابن سيار الوشا الحرفى، حـدث عن إسماعيل بن عُلَيَّة ويزيد ابن هارون وغيرهما، روى عنه ابن السماك أبو بكر الشافعى، ومات فى ذى القعدة سنة ٢٧٨.

والحرف أيضا : آرام سـود مرتفعات، قال نصـر: أحسبها فى منازل بنى سليم.

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٣).

الحُرُف:

(بضم الحاء)

مما يرد فى طب الأعشاب فى التـراث الإسلامى. قال عنه القزوينى :

الحرف : هو حب الرشاد أكله يزيد فى الذهن والذكاء ... عصارته تحفظ الشَّعر قال ابن سينا : ينفع من الجرب المتقرح ومن عـرق النسا والقـوباء شـربـا وضمادا، وكـذلك من نهش الهوام شربًا وضمادا مع العسل وإذا داومت على أكله الحبلى سقط جنينها (عجائب المخلوقات / ١٨٤).

وقد أدرجه المظفر الرسـولى فى الأدوية المفردة واستخدم لمصادره الرموز التالية :

ع : عبد الله بـن البيطار مؤلـف الجامع لمفـردات الأدوية والأغذية.

ج : ابن جزلة مؤلف منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف : أبو الفضـل حسن بن إبراهيم التفليسى.

«ع» : هو الذى يتـداوى به، ويسمى الثفاء بـالعربية، والمقليـاثـا بالسـريانية. وقـال : المقليـاثـا هو الحـرف المقلو خاصة، وسفوف المقلياثا النافع من الزحير منسوب إليه، لأنه نقع فيه مقلوا، وقوته قوة تحرق، مثل بزر الحرمل، وهو يقطِّع الأخلاط الغليظة تقطيعا، كما يقطِّعهـا بزر الخردل، فإنه شبيه به فى كل شىء، ويقل الحرف نفسه إن جفف كانت قوته مثل قوة بزره، فأمـا ما دام طريا فهـو بسبب الرطوبة المائية ناقص القوة عن البزر كثيـرا، وقوة البزر فى الحرارة واليبـوسة من آخر الدرجة الثـالثة، إلى أول الرابعة، وهـو مسخن حريف ردىء للمعدة، مليـن للبطن، يخرج الدود، ويحلـل أورام الطحال ويقتل الأجنة ...

ويشبه بزر الخردل وبزر الجرجير، وإذا طبخ في الأحساء أخرج الفضول من الصدر، وإذا شرب نفع من نهش الهوام، ولسعها، وإذا دخن به في موضع طرد عنه الهوام، ويمسك الشعر المتساقط، وإذا خلط بالسويق والخل، وتضمد به مع الماء والملح، أنضج الدماميل، وورقه يفعل ذلك. وقال: ينفع من الاسترخاء في جميع البدن شربا، وهو يقتل الأجنة قتلا قويا جدا، شربا أو حمولا، وينشّف القيح من الجوف، ويشهي الطعام، وإذا شرب بالماء الحار يحل القولنج، ويخرج الديدان وحب القرع، وإذا قلي أمسك الطبيعة، وإن شرب غير مقلو أسهلها، وإذا غسل بمائه العين نقاه من الأوساخ والرطوبات اللزجة، وينفع من تساقط الشعر، وإن سحق نيئا واستف نفع من البرص، وإن لطخ عليه وعلى البهق الأبيض بالخل نفعهما، وإذا ضمدت به لسعة العقرب نفعها. «ج» هو حب الرشاد، وقوته شبيهة بقوة بزر الفجل والخردل مجتمعين، وبزر الجرجير مع الخردل، ونصف مثقال منه يسهل المرة. ويسهل الدود، ويدر الحيض، والمقلو منه يحبس خاصة إذا لم يسحق، وثلاثة دراهم منه إذا سحقت بماء حار، تسهِّل وتحلل الرياح، وينفع من لسع الهوام شربا وضمادا بالعسل، وهو يسقط الأجنة، ويضر بالصدر. «ف» ينفع من البهق وعرق النسا، وينقى الصدر والرئة والمعدة، ويحبس الطبيعة، وينفع سحج الأمعاء، ويذهب بالمغص الشديد الحادث منها، والشربة منه: ثلاثة دراهم.

قال الشيخ عبد الغني النابلسي: يزرع سقيًا وبعلاً، وهو أنواع، ويزرع في شباط وآذار ونيسان، ويقلع إذا نما واستوى في أيار... وهو حار يابس في الثالثة، وقيل في الرابعة (علم الملاحة في علم الفلاحة / ١٢٦).

(غرائب المخلوقات وعجائب الموجودات للقزويني / ١٨٤، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ٩٣، ٩٤، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي / ١٢٦، انظر أيضا الطب النبوي لابن قيم الجوزية - كتب المقدمة وراجع الأصل وصحح وأشرف على التعليقات الأستاذ عبد الغني عبد الخالق، وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهري، وخرج الأحاديث محمود العقدة / ٢٣١، ٢٣٢، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٢٢).

حرق النار:

من الطب الإسلامي ما جاء عن حرق النار وعلاجه في كتاب تسهيل المنافع لابن الأزرق الذي يقول نقلا عن كتاب الرحمة للحكيم المقري:

قال صاحب كتاب الرحمة: يطلى عليه على الفور بخل وخثير السمن يسكن الوجع ويخفف الورم وقال في الدرة لحرق النار الاسفيداج الرصاصي إذا خلط بدهن ورد وطلي به على حرق النار أبرأه بياض البيض إذا لطخ به حرق النار ساعة يحترق نفعه ومنعه من النفط وكذا الصمغ العربي العفص إذا دق ناعما كالكحل وعجن بماء وطلي به حرق النار لم ينفط وبرأ البتة عجين الذرة إذا لطخ به على حرق النار نفعه قلت: وهو أقرب وأسهل وينبغي أن يفطن له وذلك أن النساء كثيرا ما يصيبهن حرق النار في الخبز والتنور فينبغي لهن أن يتداوين من الخبز الذي يخبزنه حينئذ فإنه دواء متيسر حالا ومكانا والله أعلم. حرق النار: جرب له أن يطلى بالبيض المضروب بياضه في صفرته وكرر إلى خمس مرات أو سبع مرات فإنه لا ينفط ويصح سريعا وإذا تقرح دهن بدهن ورد، وكذا إن يبس البيض على الحرق وأضر به لين بدهن ورد، وإن دهن وطبخ بسليط وماء ورد مرة أو مرات على قدر الحاجة وإذا قرح حرق النار فيؤخذ الحمر ويدق ويجعل عليه ذرورا فإنه يبرأ، وقال الماردينى في رسالته: علاج حرق النار الماء والدهن ينفع من ذلك ومن تنفطه أن يطلى بصندل وماء ورد مع كافور وإذا لطخ الحرق بالخل والملح وذر عليه دقيق شعير منعه من النفط ولكن يحصل فيه لذع شديد ثم يسكن ويبرئه أو يطلى بالصمغ أو بياض البيض ودهن ورد يوضع فإذا أزمن ذر عليه ورق الهدس مدقوقا انتهى.

وقال في مختصر المغني: المر ووسخ الحديد جيد لحرق النار ضمادا فإذا سحق وحل بالزيت على النار كان مادة لجميع المراهم يقويها ويعينها وينفع من حرق النار وحرق الماء الحار منفعة عظيمة.

الملح إذا دق وخلط بـدقيق وعسل وزيت ووضع على حرق النار لم يدعه ينفط وينفعه .

مرارة الثور إذا سحقت وطلى بها على حرق النار نفع ؛ والماء الحار قبل قبل أن ينفط لم ينفط .

الحناء إذا طبخ ودق ناعما وخلط بزيت ووضع على حرق النار نفعه . رماد خشب الأثل : إذا ذر على القروح الرطبة قروح حرق النار نفعه .

الشبت : جميع أنواعه إذا خلطت بالماء ولطخ به على حرق النار نفعه .

غراء جلود البقر : إذا أذيب بالماء الحار ولطخ به حرق النار والماء الحار نفعه ولم ينفط .

الذهب : إذا كوى به لم ينفط موضع كيه وكان سريع البرء .

الحناء : إذا عجنت بماء الكزبرة الخضراء إذا وجدت ثم يطلى به حرق النار فى ابتدائه مع دهن الورد يضرب بالخل حتى يختلط نفعه ...

الحناء : يطبخ ورقه بالماء ويصب ماؤه على حرق النار فإنه ينفعه جدا .

صفرة البيض : إذا أخذت منه زية قطن وغمست فى الصفرة مع دهن ورد وضمد بها حرق النار والماء الحار نفع انتهى كلامه . وقال من أصابته الصاعقة فإن حكمه مثل حرق النار .

(تسهيل المنافع فى الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة لابن الأزرق / ١٧٧) .

الحرقة :

من أمراض الجهاز الهضمى أو أمراض آلات الغذاء كما سماها صاحب النزهة المبهجة وقال عنها :

الحرقة هى : الإحساس باللذع والحدة وفساد الطعام (وسببها) التخليط وأكل ما له رطوبة سريعة التعفن كالفواكه وتحدث هذه بعد الطعام وزمن الامتلاء وقد تكون الحرقة لكثرة ما يدفعه الطحال من السوداء إلى المعدة وهذا النوع يكون وقت الجوع خاصة .

العلاج للأول بالقىء وأخذ ما يجفف البلة مثل الزنجبيل والأغذية الجافة والأملج المربى فإن أحس بحرارة فنحو البزر قطونا والمر وملعبة بماء الورد والسكر شربا وكذا الرجلة وإن كان هناك جشاء فبعض ما تقدم فيه وعلاج الثانى فصد أسيلم اليسار والسكنجبين البزورى أو العنصلى .

(النزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بذيل كتابه تذكرة أولى الألباب / ٦٤ـ ٦٥) .

الحُرَقة :

قال ياقوت :

الحُرَقَةُ : بالضم ثم الفتح ، والقاف : ناحية بعمان ؛ ينسب إليها أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدى الأزدى الحرقى ، أحد أئمة السنة من أصحاب عبد الله بن عباس ، أصله من الحرقة ، قالوا : ويقال له الجوفى ، بالجيم والواو والفاء ، لأنه نزل البصرة فى الأزد فى موضع يقال له درب الجوف ، روى عن ابن عباس وابن عمرو ، روى عنه عمرو بن دينار ، وتوفى سنة ٩٣ .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٣) .

الحركة :

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

الحركة بفتح الحاء والراء المهملة فى العرف العام النقل من مكان إلى مكان هكذا ذكر العلمى فى حاشية شرح هداية الحكمة وهذا هو الحركة الإينية المسماة بالنقلة : قال صاحب الأطول : لا تطلق الحركة عند المتكلمين إلا على هذه الحركة الإينية وهى المتبادرة فى استعمالات أهل اللغة وقد تطلق عند أهل اللغة على الوضعية دون الكمية والكيفية انتهى وهكذا فى شرح المواقف ويؤيد الإطلاقين ما وقع فى شرح الصحائف من أن الحركة فى العرف العام انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر او انتقال أجزائه كما فى حركة الرحىٰ انتهى .

وعند الصوفية الحركة السلوك فى سبيل الله تعالى كذا فى لطائف اللغات ثم المتكلمون عرفوا الحركة بحصول جوهر فى مكان بعد حصوله فى مكان آخر أى مجموع الحصولين والحصول فى الحيز الثانى المقيد بكونه بعد الحصول فى

الحيز الأول وإن كان متبادرا من ظاهر التعريف ولذا قيل الحركة كونان فى آنين فى مكانين والسكون كونان فى آنين فى مكان واحد ويرد عليه أن ما أحدث فى مكان واستقر فيه آنين وانتقل منه فى الآن الثالث إلىٰ مكان آخر لزم أن يكون كون ذلك الحادث فى الآن الثانى جزءًا من الحركة والسكون فإن هذا الكون مع الكون الأول يكون سكونا ومع الثالث يكون حركة فلا تمتاز الحركة عن السكون بالذات بمعنىٰ أنه يكون الساكن فى آن سكونه أعنى الآن الثانى شارعا فى الحركة فالحق هو المعنى المتبادر من التعريف ولذا قيل الحركة كون أول فى مكان ثان والسكون كون ثان فى مكان أول .

ويرد عليه وعلى القول الأول أيضا أن يكون فى أول زمان الحدوث لا يكون حركة ولا سكونا .

اعلم أن الأشاعرة علىٰ أن الأكوان وسائر الأعراض متجددة فى كل آن والمعتزلة قد اتفقوا على أن السكون كون باق غير متجدد واختلفوا فى الحركة هل هى باقية أم لا فعلى القول ببقاء الأكوان يرد على كلا الفريقين أنه لا معنى للكونين ولا لكون الكون أولا وثانيا لعدم تعدده اللهم إلا أن يفرض التجدد فرضا وعلى القول بعدم بقائها يرد أن لا يكون الحركة والسكون موجودين لعدم اجتماع الكونين فى الوجود اللهم إلا أن يقال يكفى فى وجود الكل وجود أجزائه ولو على سبيل التعاقب .

وقيل الحق أن السكون مجموع الكونين فى مكان واحد والحركة كون أول فى مكان ثان ومما يجب أن يعلم أن المراد بكونين فى مكان أن أقل السكون ذلك وبالكون الثانى فى مكان أول ما يعم الكون الثالث وعلى هذا قس سائر التعاريف .

واعلم أيضا أن جميع التعاريف لا يشتمل الحركة الوضعية لأنه لا كون للمتحرك بها إلا فى المكان الأول هكذا يستفاد مما ذكره المولوى عصام الدين والمولوى عبد الحكيم فى حواشيهما على شرح العقائد النسفية ويجيىء ما يدفع بعض الشكوك فى لفظ الكون .

واما الحكماء فقد اختلفوا فى تعريف الحركة فقال بعض القدماء هى خروج ما بالقوة إلى الفعل على التدريج بيانه أن الشيىء الموجود لا يجوز أن يكون بالقوة من جميع الوجوه والا لكان وجوده أيضا بالقوة فيلزم أن لا يكون موجودا فهو إما بالفعل من جميع الوجوه وهو البارىء تعالى أو بالفعل من بعضها وبالقوة من بعض فمن حيث إنه موجود بالقوة لو خرج ذلك البعض من القوة إلى الفعل فهو إما دفعة وهو الكون والفساد فتبدل الصورة النارية بالهوائية انتقال دفعى ولا يسمونه حركة بل كونا وفسادا ، و إما على التدريج وهو الحركة فحقيقة الحركة هو الحدوث أو الحصول أو الخروج من القوة إلى الفعل إما يسيرا يسيرا أو لا دفعة أو بالتدريج . وكل من هذه العبارات صالحة لإفادة تصور الحركة لكن المتأخرين عدلوا عن ذلك لأن التدريج هو وقوع الشيىء فى زمان بعد زمان فيقع الزمان فى تعريفه والزمان مفسر بأنه مقدار الحركة فيلزم الدور وكذا الحال فى اللادفعة وكذا معنى يسيرا يسيرا فقالوا الحركة كمال أول لما هو بالقوة من جهة ما هو بالقوة وهكذا قال أرسطو وتوضيحه أن الجسم إذا كان فى مكان مثلا وأمكن حصوله فى مكان آخر فله إمكانان إمكان الحصول فى المكان الثانى وإمكان التوجه إليه وكلما هو ممكن الحصول له فإنه إذا حصل كان كمالا له فكل من التوجه إلى المكان الثانى والحصول فيه كمال إلا أن التوجه متقدم على الحصول لا محالة فوجب أن يكون الحصول بالقوة ما دام التوجه بالفعل فالتوجه كمال أول للجسم الذى يجب أن يكون بالقوة فى كماله الثانى الذى هو الحصول .

ثم أن التوجه ما دام موجودا فقد بقى منه شيء بالقوة فالحركة تفارق سائر الكمالات بخاصتين :

إحديهما : أنها من حيث إن حقيقتها هى التأدى إلى الغير والسلوك إليه تستلزم أن يكون هناك مطلوب ممكن الحصول غير حاصل معها بالفعل ليكون التأدى تأديا إليه وليس شيء من سائر الكمالات بهذه الصفة إذ ليست ماهيتها التأدى إلى الغير ولا يحصل فيها واحد من هذين الوصفين ، فإن الشيىء مثلا إذا كان مربعا بالقوة ثم صار مربعا بالفعل فحصول المربعية من حيث هو هو لا يستعقب شيئا ولا يبقى عند حصولها شيء منها بالقوة وأما الإمكان الاستعدادى وإن كان يستلزم أن لا يكون المقبول غير حاصل معه بالفعل فإن

التحقيق أن الاستعـداد يبطل مع الفعل لكن حقيقتهـا ليس التأدى .

وثـانيتهمـا أنها تقتضـى أن يكون شيىء منهـا بـالقـوة فإن المتحرك إنمـا يكون متحركا إذا لم يصل إلى المقصـد فإنه إذا وصل إليـه فقـد انقطع حركتـه ومـا دام لم يصل فقـد بقى من الحركة شيىء بـالقوة فهوية الحركة مستلـزمة لأن يكون محلها حال اتصـافه بها يكون مشتمـلا على قوتين قوة بالقيـاس إليها وقوة أخرى بالقياس إلى ما هو المقصود بها .

أما القوة التى بالنسبة إلى المقصد فمشتركة بلا تفاوت بين الحركة بمعنى القطع والحركة بمعنى التوسط فإن الجسم ما دام فى المسافة لم يكن واصلاً إلى المنتهى وإذا وصل إليه لم تبق الحركة أصلا .

وأما القوة الأخـرى ففيها تفاوت بينهما فإن الحـركة بمعنى القطع حال اتصـاف المتحرك بها يكـون بعض أجزائها بـالقوة وبعضها بالفعل فالقوة والفعل فى ذات شيىء واحد .

والحركة بمعنى التوسط إذا حصلت كانت بالفعل ولم تكن هناك قوة متعلقـة بذاتها بل بنسبتها إلى حـدود المسافة وتلك النسبة خارجـة عن ذاتها عارضة لها كما ستعـرف فقد ظهر أن الحركـة كمال بـالمعنى المذكور للجسم الـذى هو بـالقوة فى ذلك الكمال وفيما يتأدى إليه ذلك الكمال .

وبقيد الأول تخرج الكمالات الثانية وبقيد الحيثية المتعلقة بـالأول تخـرج الكمالات الأولى على الإطـلاق أعنى الصـورة النوعية لأنواع الأجسام والصور الجسمية للجسم المطلق فإنها كمالات أولى لما بالقوة لكن لا من هذه الحيثية بل مطلقا لأن تحصيل هذه الأنـواع والجسم المطلق فى نفسه انما هـو بهذه الصور وما عـداها من أحوالها تـابعة لها بخلاف الحـركة فإنها كمال أول من هذه الحيثية فقط وذلـك لأن الحركة فى الحقيقة من الكمالات الثانية بالقياس إلى الصور النوعية وإنما اتصفت بالأولية لاستلـزامها ترتب كمال آخر عليهـا بحيث يجب كونه بالقـوة معها فهى أول بالقياس إلـى ذلك الكمال وكونه بـالقوة معها لا مطلقا فـالحاصل أن الحركة كمـال أول للجسم الذى هو بـالقوة فى كماله الثـانى بحيث يكون أوليته من جهـة الأمر الذى هو له بالقوة بأن تكون أولية هذا الكمال بالنسبة إليه .

وههنا توجيهان آخران :

الأول أن يكون قـولهم من جهة مـا هو بـالقوة متعلقـا بما يتعلق به قولهم لما هو بالقوة كالثابت والحاصل فيكون المعنى كمـال أول حاصل للجسم الـذى يجب كـونه معـه بالقـوة فى كماله الثانى ومتعلق به من جهة كـونه بالقوة وذلك لأن الحركة كمال بالنسبة إلى الوصـول أو بقية الحركة للجسم الذى يجب كونـه معه بالقـوة فى كماله الثـانى وحصولـه له من جهة كـونه بـالقوة إذ على تقـدير الـوصول أو بقيـة الحركـة بالفعل تكـون الحركة منقطعة غير حاصلـة للجسم وبيان فائدة القيود مثل ما مر لكن بقى انتقاض تعريف الحـركة بالإمكان الاستعدادى إذ يصدق أنه كمال بالنسبة إلى ما يتـرتب عليه سواء كان قريبا أو بعيدا للجسم الذى يجب كـونه معه بالقـوة فى الكمال الثانى من جهـة كـونـه بالقـوة فإنـه إذا حصل مـا يتـرتب عليـه بطل استعداده وكذلك أولية الاستعداد بالنسبة إلى ما يترتب والثانى أن يكون متعلقا بلفظ الكمال ويكـون المعنى أن الحركة كمال أول للجسم الذى هو بالقوة فى كمـاله الثانى من جهة المعنى الذى هو به بالقوة بأن يكون ذلك المعنى سببا لكماليته وذلك فإن الحركة ليست كمالا له من جهـة كونه جسما أو حيوانا بل إنمـا هى كمال من الجهـة التى بـاعتبارهـا كـان بالقـوة أعنى حصـوله فى أين مخصـوص أو وضع مخصوص أو غيـر ذلك وفيه نظر وهو أن الحركة ليست كمالا من جهة حصوله فى أين أو وضع أو غير ذلك فإن كماليتها إنما هو باعتبار حصولها بعد ما كان بالقوة .

ويـرد على التـوجيهات الثـلاثـة أنه يخـرج من التعـريف الحـركة المستـديرة الأزليـة الأبـدية الفلكيـة على زعمهم إذ لا منتهى لها إلا بالـوهم فليس هناك كمالان أول هو الحـركة وثان هو الوصول إلى المنتهى إلا إذا اعتبر وضع معين واعتبر ما قبله دون مـا بعـده إلا أن هـذا منتهى بحسب الـوهـم دون الـواقع المتبادر من التعـريف وفى الملخص أن تصور الحـركة أسهل مما ذكـر فإن كل عاقل يدرك التفـرقة بين كون الجسم متحـركا وبين كونـه ساكنـا وأما الأمـور المذكـورة فمما لا يتصـورها إلا الأذكيـاء من النـاس وقـد أجيب عنـه بأن مـا أورده يـدل على تصورهـا بوجـه والتصديق بحصولهـا للأجسـام لا على تصور حقيقتها .

اعلم أنهم اختلفوا فى وجود الحركة فقيل بوجوده وقيل بعدم وجوده وحاكم بينهم أرسطو فقال الحركة يقال بالاشتراك اللفظى لمعنيين الأول التوجه نحو المقصد وهو كيفية بها يكون الجسم أبدا متوسطا بين المبدأ والمنتهى أى مبدأ المسافة ومنتهاها ولا يكون فى حيز آنين بل يكون فى كل آن فى حيز آخر وتسمى الحركة بمعنى التوسط .

وقد يعبر عنها بأنها كون الجسم بحيث أى حد من حدود المسافة يفرض لا يكون هو قبل الوصول إليه ولا بعده حاصلا فيه وبأنها كون الجسم فيما بين المبدأ والمنتهى بحيث أى آن يفرض يكون حاله فى ذلك الآن مخالفا لحاله فى آنين يحيطان به والحركة بهذا المعنىٰ أمر موجود فى الخارج فإنا نعلم بمعاونة الحس أن للمتحرك حالة مخصوصة ليست ثابتة له فى المبدأ ولا فى المنتهى بل فيما بينهما وتستمر تلك الحالة إلى المنتهى وتوجد دفعة ويستلزم اختلاف نسب المتحرك إلى حدود المسافة فهى باعتبار ذاتها مستمرة وباعتبار نسبتها إلى تلك الحدود سيالة وبواسطة استمرارها وسيلانها تفعل فى الخيال أمرا ممتدا غير قار هو الحركة بمعنى القطع فالحركة بمعنى التوسط تنافى استقرار المتحرك فى حيز واحد سواء كان منتقلا عنه أو منتقلا إليه فتكون ضدًّا للسكون فى الحيز المنتقل عنه وإليه بخلاف من جعل الحركة الكون فى الحيز الثانى كما يجيىء فى لفظ الكون .

الثانى الأمر الممتد من أول المسافة إلى آخرها ويسمى الحركة بمعنى القطع ولا وجود لها إلا فى التوهم إذ عند الحصول فى الجزء الثانى بطل نسبته إلى الجزء الأول منها ضرورة فلا يوجد هناك أمر ممتدا من مبدأها إلى منتهاها نعم لما ارتسم نسبة المتحرك إلى الجزء الثانى الذى أدركه فى الخيال قبل أن يزول نسبته إلى الجزء الأول الذى تركه عنه أى عن الخيال يخيل أمر ممتد كما يحصل من القطرة النازلة والشعلة المدارة أمر ممتد فى الحس المشترك فيرى لذلك خطا ودائرة .

التقسيم : الحركة إما سريعة أو بطيئة فالسريعة هى التى تقطع مسافة مساوية لمسافة أخرى فى زمان أقل من زمانها ويلزمها أن تقطع الأكثر من المسافة فى الزمان المساوى أعنى إذا فرض تساوى الحركتين فى المسافة كان زمان السريعة أقل وإذا فرض تساويهما فى الزمان كانت مسافة السريعة أكثر فهذان الوصفان لازمان للسريعة مساويان لها ولذلك عرفت بكل واحد منهما وأما قطعها لمسافة أطول فى زمان أقصر فخاصة قاصرة والبطيئة عكسها فتقطع المساوى من المسافة فى الزمان الأكثر أو تقطع الأقل من المسافة فى الزمان المساوى وربما قطعت مسافة أقل فى زمان أكثر لكنه غير شامل لها والاختلاف بالسرعة والبطء ليس اختلافا بالنوع إذ الحركة الواحدة سريعة بالنسبة إلى حركة والبطيئة بالنسبة إلى أخرى ولأنهما قابلان للاشتداد والنقص .

فائدة : قالوا علة البطء فى الطبيعة ممانعة المخروق الذى فى المسافة فكلما كان قوامه أغلظ كان أشد ممانعة للطبيعة وأقوى فى اقتضاء بطء الحركة كالماء مع الهواء فنزول الحجر إلى الأرض فى الماء أبطأ من نزوله إليها فى الهواء .

وأما فى الحركات القسرية والإرادية فممانعة الطبيعة إما وحدها لأنه كلما كان الجسم أكبر أو كانت الطبيعة السارية فيه أكبر كان ذلك الجسم بطبيعته أشد ممانعة للقاسر والمحرك بالإرادة وأقوى فى اقتضاء البطء وإن اتحد المخروق والقاسر والمحرك الإرادى ومن ثم كانت حركة الحجر الكبير أبطأ من حركة الصغير فى مسافة واحدة من قاسر واحد أو ممانعة الطبيعة مع ممانعة المخروق كالسهم المرمى بقوة واحدة تارة فى الماء وتارة فى الهواء وكالشخص السائر فيهما بالإرادة وربما أحدهما أكثر والآخر أقل فتعادلا مثل أن يحرك قاسر وأحد الجسم الكبير فى الهواء والصغير فى الماء الذى يزيد معارقة الهواء بمقدار الزيادة التى فى طبيعته .

وأيضا الحركة إما إينية وهى الانتقال من مكان إلى مكان تدريجا وتسمى النقلة وإما كمية وهى الانتقال من كم إلى كم آخر تدريجا وهو أولى مما ذكره الشارح القديم من أنها انتقال الجسم من كم إلى كم على التدريج إذ قد ينتقل الهيولى والصورة أيضا من كم إلى كم وهذه الحركة تقع على وجوه التخلخل والتكاثف والنمو والذبول والسمن والهزال وإما

كيفيـة وهى الانتقـال من كيفية إلـى أخرى تـدريجـا وتسمى بـالاستحالـة وإمـا وضعيـة وهى أن يكون للشيء حـركـة على الاستدارة فإن كلـواحد من أجـزاء المتحرك يفارق كلـواحد من أجزاء مكانـه لو كان له مكـان ويلازم كله مكانـه فقد اختلفت نسبة أجزائه إلى أجزاء مكانه على التدريج . وقولهم لو كان له مكان ليشمل التعريف فلك الإفلاك .

والمراد بـالحركـة المستديـرة ما هـو المصطلح وهـو ما لا يخرج المتحرك بها عن مكانه اللغوى فإن معناها اللغوى أعم من ذلك فإن الجسـم إذا تحـرك على محيـط دائرة يقـال إنــه متحرك بحـركة مستديـرة فعلى هذا حـركة الرحى وضعيـة وكذا حركة الجسم الآخـر الذى يدور حول نفسـه من غير أن تخرج عن مكانـه حركـة وضعية وقيل الحركـة الوضعيـة منحصرة فى حركة الكرة فى مكانهـا وليس بشيء إذ الحركة فى الوضع هى الانتقال من وضع إلى وضع آخر تدريجـا وقيل حصر الوضعية فى الحـركة المستـديرة أيضـا ليس بشيء على ما عـرفت من معنى الحركـة فى الوضع كيـف والقائم إذا قعد فقـد انتقل من وضع إلى وضع آخـر مع أنه لا يتحـرك على الاستدارة وثبـوت الحركة الإينية لا ينافى ذلك نعم لا تـوجد الوضعية هناك على الانفراد .

وبـالجملة فـالحق أن الحركـة الـوضعية هى الانتقـال من وضع إلى وضع كمـا عرفت فكان الحصـر المذكـور بناء على إرادة الحركة الـوضعية على الانفراد ولذا قيل الحركـة الوضعية تبدل وضع المتحـرك دون مكانه علـى سبيل التدريج وتسمى حركة دورية أيضا انتهى .

وهذا التقسيم بناء على أن الحركة عند الحكماء لا تقع إلا فى هذه المقـولات الأربع ، وأما بـاقى المقولات فـلا تقع فيها حركة لا فى الجوهر لأن حصوله دفعى ويسمى بالكون والفساد ولا فى باقى مقولات العرض لأنها تابعة لمعروضاتها فإن كانت معروضـاتها مما تقع فيه الحركة تقع فى تلك المقولة الحـركة أيضا وإلا فلا .

ومعنى وقـوع الحركـة فى مقولـة عند جمـاعة هـو أن تلك المقولـة مع بقائها بعينهـا تتغير من حـال إلى حال على سبيل التـدريج فتكـون تلك المقـولـة هى المـوضع الحقيقى لتلك الحركة سـواء قلنا إن الجوهر الـذى هو موضوع لتلـك المقولة موصـوف بتلك الحركـة بالعـرض وعلى سبيل التبع أو لم نقل وهو بـاطل لأن التسود مثلا ليس هو أن ذات السـواد يشتد لأن ذلك السواد إن عدم عند الاشتداد فليس فيه اشتداد قطعا وإن بقي ولم تحـدث فيـه صفـة زائدة فلا اشتـداد فيـه أيضـا وإن حدثت فيه صفة زائدة فلا تبدل ، ولا اشتداد قطعا ولا حركة فى ذات السواد بل فى صفة والمفروض خلافه وعند جماعة معناه أن تلك المقولة جنس لتلك الحركة قالوا إن من الأين ما هو قار ومنـه مـا هـو سيـال وكـذا الحـال فى الكم والكيف والـوضع فالسيـال من كل جنس من هـذه الأجناس هـو الحركـة فتكون الحـركـة نوعـا من ذلك الجنس وهـو بـاطل أيضـا إذ لا معنى للحركة إلا تغيـر الموضوع فى صفاتـه علـى سبيـل التدريـج ولا شك أن التغير ليس من جنس المتغير والمتبدل لأن التبدل حالة نسبية إضافية والمتبدل ليس كذلك فإذا كان المتبدل فى الحركـة فى هذه المقـولات لم يكن شيء منها جنسـا للتبدل الواقع فيها والصواب أن معنى ذلك هو أن الموضوع يتحرك من نوع لتلك المقولة إلى نوع آخر أو من صنف إلى صنف آخر أو من فرد إلى فرد آخر .

وأيضا الحركة إمـا ذاتية أو عرضية قالوا ما يـوصف بالحركة إما أن تكـون الحركـة حاصلة فيـه بالحقيقـة بأن تكون الحـركة عـارضة لـه بلا تـوسط عروضهـا لشيء آخر، أو لا تكـون بأن تكون الحركـة حاصلة فى شيء آخـر يقارنه فيوصف بـالحركة تبعا لذلك والثانى يقال له إنـه متحرك بالعرض وبالتبع وتسمى حركته حركة عرضية وتبعيـة كراكب السفينة ، والأول يقال له إنه متحرك بالذات وتسمى حركته حركة ذاتية .

والحركة الذاتيـة ثلاثة أقسام لأنه إما أن يكـون مبدأ الحركة فى غيـره وهى الحركـة القسريـة أو يكـون الحركـة فيه إمـا مع الشعـور أى شعور مبـدأ الحـركة بتلك الحـركـة وهى الحركـة الإرادية أولا مع الشعور وهى الحـركة الطبيعية فالحركـة النباتية طبعية وكذلك حـركة النبض لأن مبدأ هاتين الحـركتين موجود فى المتحرك ولا شعور لـه بالحركة الصـادرة عنه وقد أخطأ من جعل الحركة الطبعية هى الصاعدة والهابطة وحصرها فيهما إذ

تخرج عنها حينئذ هاتان الحركتان وكذا أخطأ من جعل الحركة الطبعية هي التى على وتيرة واحدة من غير شعور بخروج هاتين الحركتين .

ومنهم من قسم الحركة إلى ذاتية وعرضية والذاتية إلى ستة أقسام لأن القوة المحركة إن كانت خارجة عن المتحرك فالحركة قسرية وإن لم تكن خارجة عنه فإما أن تكون الحركة بسيطة أى على نهج واحد وإما أن تكون مركبة لا على نهج واحد .

والبسيطة إما أن تكون بإرادة وهى الحركة الفلكية أو لا بإرادة وهى الحركة الطبعية .

والمركبة إما أن تكون مصدرها القوة الحيوانية أو لا، الثانية الحركة النباتية والأولى إما أن تكون مع شعور بها وهى الحركة الإرادية الحيوانية أو مع عدم شعور وهى الحركة التسخيرية كحركة النبض .

فائدة الحركة تقتضى أمور ستة :

الأول : ما به الحركة أى السبب الفاعلى الثانى ما له الحركة أى محلها الثالث ما فيه الحركة أى إحدى المقولات الأربع ، الرابع ما منه الحركة أى المبدأ، والخامس ما إليه الحركة أى المنتهى وهما أى المبدأ والمنتهى بالفعل فى الحركة المستقيمة وبالغرض فى الحركة المستديرة، السادس المقدار أى الزمان فإن كل حركة فى زمان بالضرورة فوحدتها متعلقة بوحدة هذه الأمور فوحدتها الشخصية بوحدة موضوعها وزمانها وما هى فيه ويتبع هذا وحدة ما منه وما إليه ولا يعتبر وحدة المحرك وتعدده ، ووحدتها النوعية بوحدة ما فيه وما منه وما إليه ووحدتها الجنسية بوحدة ما فيه فقط فالحركة الواقعة فى كل جنس جنس من الحركة فالحركات الإينية كلها متحدة فى الجنس العالى وكذ الحركات الكمية والكيفية وترتب أجناس الحركات بترتب الأجناس التى تقع تلك الحركة فيها فالحركة فى الكيف جنس هى فوق الحركة فى الكيفيات المحسوسة وهى فوق الحركة فى المبصرات وهى فوق الحركة فى الألوان وهكذا إلى أن ينتهى إلى الحركات النوعية المنتهية إلى الحركات الشخصية وتضاد الحركتين ليس لتضاد المحرك والزمان وما فيه بل لتضاد ما منه وما إليه إما بالذات كالتسود والتبيض أو بالعرض كالصعود والهبوط فإن مبدأهما ومنتهاهما نقطتان متماثلتان عرض لهما تضاد من حيث أن إحداهما : صارت مبدأ والأخرى منتهى فالتضاد إنما هو بين الحركات المتجانسة المتشاركة فى الجنس الأخير ففى الاستحالة كالتسود والتبيض وفى الكم كالنمو والذبول وفى النقلة كالصاعدة والهابطة وأما الحركات الوضعية فلا تضاد فيها .

فائدة : انقسام الحركة ليس بالذات بل بانقسام الزمان والمسافة والمتحرك فإن الجسم إذا تحرك تحركت أجزاؤه المفروضة فيه والحركة القائمة بكل جزء غير القائمة بالجزء الآخر فقد انقسمت الحركة بانقسام محلها .

فائدة : ذهب بعض الحكماء كإرسطو وأتباعه والجبائى من المعتزلة إلى أن بين كل حركتين مستقيمتين كصاعدة وهابطة سكونا فالحجر إذا صعد قسرا ثم رجع فلا بد أن يسكن فيما بينهما فإن كل حركة مستقيمة لا بد أن تنتهى إلى سكون لأنها لا تذهب على الاستقامة إلى غير النهاية ومنعة غيرهم كأفلاطون وأكثر المتكلمين من المعتزلة وإن شئت تحقيق المباحث فارجع إلى شرح المواقف وشرح الطوالع والعلمى وغيرها .

تذنيب : الحركة كما تطلق على ما مر كذلك تطلق على كيفية عارضية للصوت وهى الضم والفتح والكسر ويقابلها السكون قال الإمام الرازى الحركات أبعاض المصوتات أما أولا فلأن الحروف المصوتة قابلة للزيادة والنقصان وكلما كان كذلك فله طرفان ولا طرف فى النقصان للمصوتة إلا بهذه الحركات بشهادة الاستقراء وأما ثانيا فلأن الحركات لو لم تكن أبعاض المصوتات لما حصلت المصوتات بتمديدها فإن الحركة إذا كانت مخالفة لها ومددتها لم يمكنك أن تذكر المصوت إلا باستئناف صامت آخر يجعل المصوت تبعا له لكن الحس شاهد بحصول المصوتة بمجرد تمديد الحركات كذا فى شرح المواقف فى بحث المسموعات .

حركات الأفلاك وما فى أجرامها لها أسماء .

الحركة البسيطة وتسمى متشابهة وبالحركة حول المركز

أيضا وبالحركة حول النقطة أيضا وهى حركة تحدث بها عند مركز الفلك فى أزمنة متساوية زوايا متساوية وبعبارة أخرى تحدث بها عند المركز فى أزمنة متساوية قسى متساوية .

والحركة المختلفة وهى ما لا تكون كذلك .

والحركة المفردة وهى الحركة الصادرة عن فلك واحد وقد تسمى بسيطة لكن المشهور أن البسيطة هى المتشابهة .

والحركة المركبة وهى الصادرة عن أكثر من فلك واحد وكل حركة مفردة بسيطة وكل مختلفة مركبة وليس كل بسيطة مفردة وليس كل مركبة مختلفة .

والحركة الشرقية وهى الحركة من المشرق إلى المغرب سميت بها بظهور الكوكب بها من الشرق وتسمى أيضا حركة إلى خلاف التوالى لأنها على خلاف توالى البروج ، والبعض يسميها بالغربية لكونها إلى جهة الغرب .

والحركات الشرقية أربع :

الأولى الحركة الأولى وهى حركة الفلك الأعظم حول مركز العالم سميت بها لأنها أول ما يعرف من الحركات السماوية بلا إقامة دليل وتسمى بحركة الكل أيضا إذ الفلك الأعظم يسمى أيضا بفلك الكل لأن باقى الأجرام فى جوفه وتسمى أيضا بالحركة اليومية لأن دورة الفلك الأعظم تتم فى قريب من يوم بليلته على اصطلاح الحساب وتسمى أيضا بالحركة السريعة لأن هذه الحركة أسرع الحركات الثانية حركة مدير عطارد حول مركزه وتسمى حركة الأوج إذ فى المدير الأوج .

الثانى لعطارد فيتحرك هذا الأوج بحركة المدير ضرورة .

الثالثة حركة جوزهر القمر حول مركزة وتسمى بحركة الرأس والذنب لتحركهما بهذه الحركة .

الرابعة حركة مائل القمر حول مركزه وتسمى حركة أوج القمر لتحركه بحركته ولما كان الأوج كما يتحرك بهذه الحركة كذلك يتحرك بحركة الجوزهر أيضا ويسمى البعض مجموع حركتى الجوزهر والمائل بحركة الأوج ، صرح به العلامة فى النهاية .

والحركة الغربية كحركة فلك الثوابت وهى الحركة من المغرب إلى المشرق وتسمى أيضا بالحركة إلى التوالى لأنها على توالى البروج والبعض يسميها شرقية أيضا لكونها إلى جهة الشرق وتسمى أيضا بالحركة البطيئة لأنها أبطأ من الحركة الأولى وبالحركة الثانية لأنها لا تعرف أولا بلا إقامة دليل وحركات السبعة السيارة أيضا تسمى بالحركة الثانية والبطيئة وإلى التوالى والغربية أو الشرقية فمن الحركات الغربية حركة فلك الثوابت ومنها حركات الممثلات سوى ممثل القمر حول مراكزها وتسمى حركات الأوجات والجوزهرات وحركات العقدة .

ومنها حركات الأفلاك الخارجة المراكز حول مراكزها وحركة خارج مركز كل كوكب يسمى بحركة مركز ذلك الكوكب اصطلاحا ولا تسمى حركة مركز التدوير كما زعم البعض وإن كانت يطلق عليها بحسب اللغة وحركة مركز القمر تسمى بالبعد المضعف أيضا .

اعلم أن خارج مركز مما سوى الشمس يسمى حاملا فحركة حامل كل كوكب كما تسمى بحركة المركز كذلك تسمى بحركة العرض لأن عرض مركز التداوير إنما حصل بها فلهذه الحركة دخل فى عرض الكوكب وهى أى حركة العرض هى حركة الطول بعينها إذا أضيفت وقيست إلى فلك البروج .

اعلم أن مركز التدوير إذا سار قوسا من منطقة الحامل فى زمان مثلا تحدث زاوية عند مركز معدل المسير ويعتبر مقدارها من منطقة معدل المسير وبهذا الاعتبار يقال لهذه الحركة المركز المعدل الوسطى وتحدث أيضا زاوية عند مركز العالم ويعتبر مقدارها من منطقة البروج وبهذا الاعتبار يقال لهذه الحركة حركة المركز المعدل وإذا أضيفت إلى حركة المركز المعدل حركة الأوج حصل الوسط المعدل فإذا زيد التعديل الثانى على الوسط المعدل أو نقص منه يحصل التقويم المسمى بالطول وهذا فى المتحيرة ويعلم من ذلك الحال فى النيرين فلهذا سميت بهذه الحركة المضافة إلى فلك البروج بحركة الطول . ومعنى الإضافة إلى فلك البروج أن تعتبر هذه الحركة بالنسبة إلى مركز فلك البروج الذى هو مركز العالم .

اعلم أن مجموع حركة الخارج والممثل فى الشمس والمتحيرة تسمى حركة الوسط وقد تسمى حركة المركز فقط بحركة الوسط وأهل العمل يسمون مجموع حركة الممثل وفضل حركة الحامل على المدير فى عطارد بالوسط فإنهم لما سموا فضل حركة الحامل على حركة المدير فى عطارد بحركة المركز سموا مجموع حركة الممثل والفضل المذكور بحركة الوسط وأما الوسط فى القمر فهو فضل حركة المركز على مجموع حركتى الجوزهر والمائل وتسمى حركة مركز القمر فى الطول أيضا وقد تسمى جميع الحركات المستوية وسطا .

وحركة الاختلاف : وهى حركة تدوير كل كوكب سميت بها لأن تقويم الكوكب يختلف بها فتارة تزداد تلك الحركة على الوسط وتارة تنقص منه ليحصل التقويم وتسمى أيضا حركة خاصة الكوكب لأن مركزه يتحرك بها بلا واسطة وهذه الحركة ليست من الشرقية والغربية لأن حركات أعالى التداوير لا محالة مخالفة فى الجهة لحركات أسافلها لكونها غير شاملة الأرض، فإن كانت حركة أعلى التدوير إلى التوالى أى من المغرب إلى المشرق كانت حركة الأسفل إلى خلافه وإن كانت بالعكس فبالعكس هذا كله مما يستفاد مما ذكره الفاضل عبد العلى البرجندى فى تصانيفه فى علم الهيئة والسيد السند فى شرح الملخص .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣٧ـ٣٤٦) .

الحركة الجسمية (علم ـ) :

انظر الحركة عند الإنسان والحيوان وغيره .

الحركة عند الإنسان والحيوان وغيره :

قالت المؤلفة : علم الحركة الجسمية عند الإنسان ، أو ما يسمى بعلم الكينات Kinesics علم حديث نسبيا ، وهو من العلوم التى انبثقت عن علم اللغة الحديث واتبعت منهجه فى التحليل ، وقد وضع له العالم الأمريكى « بيردوسل » أبجدية وقوانين . والمادة التى نقدمها هنا للعالم اللغوى أبى منصور الثعالبى تنطوى تحت هذا العلم ، ومن ثم يمكن تطبيق قوانينه عليها . وهى تبين كيف أن العلماء المسلمين قد طرقوا باب هذا العلم منذ زمن بعيد فقد توفى الثعالبى سنة ٤٣٠ هـ .

وقد أثار هذا العلم اهتمامى منذ اطلاعى على ما كتب عنه ، وأوليته عناية خاصة لما يرتبط به من أسبقية العلماء المسلمين فى هذا المجال ، وحاولت تطبيق قوانينه على ما صنفوه ، ومن ثم كانت الأبحاث التالية التى نسوقها لكى تكون مكملة لهذه المادة ، ومتاحة لمن يشاء الاطلاع عليها :

١ ـ اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين (٨٧ـ١٠٦) .

٢ ـ علم اللغة وعلم الحركة الجسمية ، دراسات فى علم اللغة / ١٥٩ـ١٨٥ .

٣ـ القرآن وعلم الحركة الجسمية (١٨٧ـ ٢٠٥) .

٤ ـ المشية فى الشعر العربى . نشر بمجلة عالم الفكر الكويتية / ١١ـ٥٦ .

وبعد هذه المقدمة ننتقل إلى ما أورده أبو منصور الثعالبى فى الباب التاسع عشر من كتابه النفيس ، وما حداه من فصول ، وهو « فى الحركات والأشكال والهيئات وضروب الرمى والضرب » .

مما يعطى صورة لثراء اللغة العربية البالغ فى مفرداتها . يقول الثعالبى :

فصل فى حركات أعضاء الإنسان من غير تحريكه اياها :

خفقان القلب . نبض العرق . اختلاف العين . ضربان الجرح . ارتعاد الفريصة . ارتعاش اليد . رمعان الأنف . يقال رمع الأنف إذا تحرك من غضب (عن أبى عبيدة وغيره) .

فصل فى حركات سوى الحيوان عن أدباء الفلاسفة :

حركة النار لهب . حركة الهواء ريح . حركة الماء موج . حركة الأرض زلزلة .

فصل فى تفصيل حركات مختلفة عن بعض الأئمة :

الارتكاض : حركة الجنين فى البطن . النوس : حركة الغصن بالريح . التدلدل : حركة الشىء المتدلى . الترجرج حركة الكفل السمين والفالوذج الرقيق . النسيم حركة الريح فى لين وضعف . الذماء : حركة القتيل ...

فصل فى تقسيم الرعدة

الرعدة للخائف والمحموم . الرعشة للشيخ الكبير

والمدمن للخمر. القفقفة لمن يجد البرد الشديد . العلز للمريض والحريص على الشيء يريده . النزمع للمدهوش والمخاطر.

فصل فى تفصيل تحريكات مختلفة عن الأئمة :

الانغاض تحريك الرأس . الطرف تحريك الجفون فى النظر . التزمزم تحريك الشفتين للكلام . اللجلجة والنجنجة تحريك المضغة واللقمة فى الفم قبل الابتلاع . وفى قولهم لا حجحجة ولا لجلجة أى لا شك ولا تخليط . التلمظ تحريك اللسان والشفتين بعد الأكل كأنه يتتبع بلسانه ما بقى بين أسنانه . المضمضة تحريك الماء فى الفم . الخضخضة تحريك الماء والشيء المائع فى الإناء وغيره . الهز والهزهزة تحريك الشجرة ليسقط ثمرها ، ومنه قوله تعالى ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ [مريم : ٢٥] الزعزعة تحريك الريح النبات والشجر وغيرهما . الزفزفة تحريك الريح يبس الحشيش . الهدهدة تحريك الأم ولدها لينام . النضنضة تحريك الحية لسانها . البصبصة تحريك الكلب ذنبه . المزمزة والنزنزة أن يقبض الرجل على يد غيره فيحركها تحريكا شديدا . النص ، والإيضاع تحريك الدابة لاستخراج أقصى سيرها . الدعدعة تحريك المكيال وغيره ليسع ما يجعل فيه . الشغشغة تحريك السنان فى المطعون . المخض تحريك اللبن لاستخراج زبده .

فصل فيما تحرك به الأشياء :

الذى تحرك به النار مسعر. الذى تحرك به الأشربة مخوض . الذى يحرك به السويق مجدح . الذى تحرك به الدواة محراك . الذى يحرك به ما فى البساتين مسواط . الذى يسبر به الجرح مسبار .

فصل فى تقسيم الإشارات :

أشار بيده . أومأ برأسه . غمز بحاجبه . رمز بشفته . لمع بثوبه . ألاح بكمه (قال أبو زيد) . صبع بفلان وعلى فلان إذا أشار نحوه بأصبعه مغتابا .

فصل فى تفصيل حركات اليد وأشكال وضعها وترتيبها :

قد جمعت فى هذا الفصل بين ما جمع حمزة والأصبهانى وبين ما وجدته عن اللحيانى وعن ثعلب عن ابن الأعرابى وغيرهما : إذا نظر إنسان إلى قوم فى الشمس فألصق حرف كفه بجبهته فهو الاستكفاف . فإن زاد فى رفع كفه عن الجبهة فهو الاستشفاف . فان كان أرفع من ذلك قليلا فهو الاستشراف فإذا جعل كفيه على المعصمين فهو الاعتصام . فإذا وضعهما على العضدين فهو الاعتضاد . فإذا حرك السبابة وحدها فهو الإلواء . قال مؤلف الكتاب ولعل اللى أحسن فإن البحترى يقول :

لـــوت بـــالســـلام بنـــانـــا خضيبـــا
ولحظـــا يشـــوق الفـــؤاد الطـــروبـــا

فإذا دعا إنسانا بكفه قابضا أصابعها فهو الإيماء . فإذا حرك يده على عاتقه وأشار بها إلى ما خلفه أن كف فهو الإيباء . فإذا أقام أصابعه وضم بينهما فى غير التزاق فهو العقاص . فإذا جعل كفه تجاه عينيه اتقاء من الشمس فهو النشار . فإذا جعل أصابعه بعضها فى بعض فهو المشاحبة . فإذا ضرب إحدى راحتيه على الأخرى فهو التبلد . قال مؤلف الكتاب التصفيق أحسن وأشهر من التبلد . فإذا ضم أصابعه وجعل إبهامه على السبابة وأدخل رؤوس الأصابع فى جوف الكف كما يعقد حسابه على ٤٣ فهى القبضة فإذا ضم أطراف الأصابع فهى القبضة . فإذا أخذ ٣٠ فهى البزمة . فإذا أخذ ٤٠ وضم كفه على الشيء فهو الحفنة . فإذا جعل إبهامه فى أصول أصابعه من باطن فهو السفنة . فإذا حثا بيد واحدة فهى الحثية . فإذا حثا بهما جميعا فهى الكشحة . فإذا جعل إبهامه على ظهر السبابة وأصابعه فى الراحة فهو الجمع . فإذا أدار كفيه معا ورفع ثوبه فألوى به فهو اللمع . فإذا أخرج الإبهام من بين السبابة والوسطى ورفع أصابعه على أصل الإبهام كما يأخذ ٢٩ وأضجع سبابته على الإبهام فهو القصع . فإذا قبض الخنصر والبنصر وأقام سائر الأصابع كأنه يأكل فهو القبع . فإذا نكس أصابعه وأقام أصولها فهو القفع . فإذا أدار سبابته وحدها وقد قبض أصابعه فهو الفقع . فإذا جعل أصابعه كلها فوق الإبهام فهو العجس . فإذا رفع أصابعه ووضعها على أصل الإبهام عاقدا على ٩٩ فهو الضف . فإذا جعل الإبهام تحت السبابة كأنه يأخذ ٦٣ فهو الضبث . فإذا قبض أصابعه ورفع

الإبهام خاصة فهو الضويط. فإذا رفع يديه مستقبلا ببطونهما وجهه ليدعو فهو الإقناع. فإذا وضع سهما على ظفره وأداره بيده الأخرى ليستبين له اعوجاجه من استقامته فهو التنقير. فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا بها في الحفرة فهو السدو، والزدو لغة صبيانية في السدو. فإذا قال بظفر إبهامه على ظفر سبابته ثم قرع بينهما في قوله ولا مثل هذا فهو الزنجير وينشد:

وأرسلت إلى سلمى بأن النفس مشغوفه

فما جادت لنا سلمى بزنجير ولا فوفه

فإذا وضع يده على الشيء يكون بين يديه على الخوان كيلا يتناوله غيره فهو الجردبان وينشد:

إذا ما كنت في قوم شهاوى

فلا تجعل شمالك جردبانا

فإذا بسط كفه السؤال فهو التكفف وفي الحديث لأن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون».

فصل في أشكال الحمل:

(عن أبي عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابي وعن ابن نصر عن الأصمعي).

الحفنة بالكف. الحثية بالكفين. الضبثة ما يحمل بين الكفين. الحال ما حملته على ظهرك. الثبان ما لففت عليه حجزة سراويلك من خلف. الضغمة ما حملته تحت إبطك. الكارة ما حملته على رأسك وجعلت يديك عليه لئلا يقع.

فصل في تقسيم المشي:

(على ضروب من الحيوان مع اختيار أسهل الألفاظ وأشهرها)

الرجل يسعى. المرأة تمشي. الصبي يدرج. الشاب يخطر. الشيخ يدلف. الفرس يجري. البعير يسير. الظليم يهدج. الغراب يحجل. العصفور ينقر. الحية تنساب. العقرب تدب.

فصل في ترتيب مشي الإنسان وتدريجه إلى العدو:

الدبيب. ثم المشي. ثم السعي. ثم الإيفاض. ثم الهرولة. ثم العدو. ثم الشد.

فصل في تفصيل ضروب مشي الإنسان وعدوه عن الأئمة:

الدرجان: مشية الصبي الصغير. الحبو مشي الرضيع... الحجلان والرديان: أن يرفع الغلام، رجلا ويمشي على أخرى. الخطران: مشية الشاب باهتزاز ونشاط. الدليف: مشية الشيخ رويدا ومقاربته الخطو. الهدجان: مشية المثقل. وكذلك الدلح والدرمان. الرسفان: مشية المقيد. الدألان: مشية النشيط وبالذال معجمة مشية في درجان ومنه اشتق الموكب. الاختيال والتبختر والتبيهس: مشية الرجل المتكبر والمرأة المعجبة بجمالها وكمالها. الخيزلى والخيزرى: مشية فيها تبختر. الخزل: مشية المنخزل في مشيه كأن الشوك شاك قدمه. المطيطاء: مشية المتبختر ومده يده من قوله تعالى ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ [القيامة: ٣٣] الحيكان: مشية يحرك فيها الماشي أليتيه ومنكبيه (عن الليث وأبي زيد) القهقرى: مشية الراجع إلى خلف: العشزان: مشية المقطوع الرجل. القزل: مشي الأعرج. التخلج: مشية المجنون في تمايله يمنة ويسرة. الإهطاع: مشية المسرع الخائف من قوله تعالى ﴿ **مهطعين مقنعي رءوسهم** ﴾ [إبراهيم: ٤٣] الهرولة: مشية بين المشي والعدو. التألان: مشية الذي كأنه ينهض برأسه إذا مشى يحركه إلى فوق مثل الذي يعدو وعليه حمل ينهض به. التهادي: مشية الشيخ الضعيف والصبي الصغير والمريض والمرأة السمينة. الرفل: مشية من يجر ذيوله ويركضها بالرجل. الرمل والرملان كالهرولة. الهيدبى: مشية بسرعة. التذعلب: مشية في استخفاء. الحندفة والنعثلة: أن يمشي مفاجا ويقلب رجليه كأنه يغرف بهما وهي من التبختر. الترهول: مشية الذي يمشي كأنه يموج في مشيه. الحتك: أن يقارب الخطا ويسرع. الزوزأة: أن ينصب ظهره ويقارب الخطوة. الضكضكة والانكدار والانصلات والانسدار والإزراف والإهراع: الإسراع في المشي. الأتلان: أن يقارب خطوه في غضب. القطو: أن يقارب خطوه في نشاط. الإحصاف: أن يعدو عدوا فيه تقارب. الإحصاب: أن يثير الحصباء في عدوه. الكردحة والكمترة: عدو القصير

المتقارب الخطو. الهوزلة : أن يضطرب في عدوه . اللبطة والكلئطة عدو الأقزل .

فصل في مشي النساء عن أبي عمرو عن الأصمعي :

تهالكت المرأة إذا تقتلت في مشيتها . تأودت إذا اختالت في تثن وتكسر بدحت وتبدحت إذا أحسنت مشيتها . كتفت إذا حركت كتفيها . تهزعت إذا اضطربت في مشيتها . قرصعت قرصعة وهي مشية قبيحة . وكذلك مثعت مثعا .

فصل في تقسيم العدو :

عدا الإنسان ، أحضر الفرس . أرقل البعير . خف النعام . عسل الذئب . مزع الظبي .

فصل في تقسيم الوثب :

طفر الإنسان . ضبر الفرس . وثب البعير . قفز الصبي . نفز الظبي . نزا التيس . نقز العصفور . طمر البرغوث .

فصل في تفصيل ضروب الوثب :

القفز انضمام القوائم في الوثب . والنفز انتشارها . عن ابن دريد . الطمور وثب من أعلى إلى أسفل . والظفر وثب من أسفل إلى فوق (عن ثعلب) الضبر أن يثب الفرس فتقع قوائمه مجموعة ... البحظلة أن يقفز الرجل قفزان اليربوع والفأرة (عن الفراء) .

فصل في تفصيل ضروب جري الفرس وعدوه :

(عن أبي عمرو والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد وغيرهم)

العنق أن يباعد الفرس بين خطاه ويتوسع في جريه . الهملجة أن يقارب بين خطاه مع الإسراع . الارتجال أن يخلط الهملجة بالعنق . وكذلك الفلج . الخبب أن يستقيم تهاديه في جريه ويراوح بين يديه ويقبض رجليه . التقذي أن يخلط الخبب بالعنق . الضبر أن يثب فتقع رجلاه مجموعتين . الضبع أن يلوي حافره إلى عضده . الخناف والخنيف أن يهوي بحافره إلى وحشيه . العجيلي أن يكون جريه بين الخبب والتقريب . التقريب أن يرفع يديه ويضعهما معا . التوقص أن ينزو نزوا مع مقاربة الخطو . الرديان أن يرجم الأرض رجما بحوافره . الدحو أن يرمي بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيرا . الإمجاج أن يأخذ في العدو قبل أن يضطرم . الإحضار أن يعدو عدوا متداركا . الإهذاب والإلهاب أن يضطرم في عدوه . المرطى فوق التقريب ودون الإهذاب . الإرخاء أشد من الإحضار. وكذلك الابتراك . الإهماج أن يجتهد في بذل أقصى ما عنده من العدو .

فصل في ترتيب عدو الفرس :

الخبب . ثم التقريب ، ثم الإمجاج . ثم الإحضار ، ثم الإرخاء . ثم الإهذاب . ثم الإهماج .

فصل في ترتيب السوابق من الخيل :

قال الجاحظ : كانت العرب تعد السوابق من الخيل ثمانية ولا تجعل لما جاوزها حظا . فأولها السابق ، ثم المصلي ، ثم المقفي . ثم التالي ، ثم العاطف ، ثم المزمر ، ثم البارع ، ثم اللطيم وكانت تلطم الآخر وإن كان له حظ . وقال أبو عكرمة أخبرنا ابن قادم عن الفراء ، أنه ذكر في السوابق عشرة أسماء لم يحكها أحد غيره . وهي السابق ثم المصلي ، ثم المسلي . ثم التالي ، ثم المرتاح ، ثم العاطف ، ثم الحظي ، ثم المؤمل ، ثم اللطيم ، ثم السكيت .

فصل في تفصيل ضروب سير الإبل عن الأئمة :

التهويد : السير الرقيق (عن الأصمعي) الميح : السير السهل (عن أبي عمرو) الزميل : السير اللين . الحوز : السير الرويد (عن أبي زيد) التطفيل أن تكون معها أولادها فيرفق بها حتى تدركها . الوخدان : أن ترمي بقوائمها كمشي النعام . التخويد : أن تهتز كأنها تضطرب . التعمج : التلوي في السير . الإرفداد والارقداد : سير في سهولة وسرعة . التبغيل والهرجلة : مشي فيه اختلاط بين الهملجة والعنق (عن الفراء والكسائي) . العجرفية : أن لا تقصد في سيرها من النشاط . المعج : أن تسير في كل وجه نشاطا . العرضنة : الاعتراض في السير من النشاط . المرفوع : السير المرتفع عن الهملجة . الموضوع : سير كالرقصان ، الهربذي : مشية تشبه مشي الهرابذة ، الرتكان : عدو كعدو النعام ، الجمز : أشد من العنق ، الكوس : مشي على ثلاث ، الملع والمزع والإعصاف والإجمار والنص : السير الشديد .

فصل فى ترتيب سير الإبل عن النضر بن شميل

أول سير الإبل الدبيب . ثم التزيد . ثم الزميل . ثم الرسيم . ثم الوخد . ثم العسيج . ثم الوسيج . ثم الوجيف . ثم الرتكان . ثم الإجمار. ثم الإرقال .

فصل فى مثل ذلك عن الأصمعى :

العنق من السير المسيطر ، فإذا ارتفع عنه قليلا فهو التزيد ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الزميل ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الرسيم ، فإذا ادَّارك المشى وفيه قرمطة فهو الحفد . فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلها فذاك الارتباع والانتباط . فإذا لم يدع جهدا فذلك الادرنفاق .

فصل فى تفصيل سير الإبل إلى الماء فى أوقات مختلفة عن الأصمعى وغيره :

سيرها إلى الماء نهارا لورد الغب الطلق . سيرها ليلا لورد الغد القرب ، سيرها إلى الماء يوما ويوما الغب . وورودها بعد ثلاث الربع . ثم الخمس . وورودها كل يوم مرة الظاهرة . وورودها كل وقت شاءت الرفه . وورودها يوما نصف النهار ويوما غدوة العريجاء . ومنه قولهم فلان يأكل العريجاء إذا أكل كل يوم مرة واحدة عن الكسائى . وورودها حتى تشرب قليلا التصريد صردها لترعى ساكنة . ثم ردها إلى الماء التندية وهى فى الخيل أيضا قال الأصمعى : اختصم حيان من العرب فى موضع فقال أحدهما مركز رماحنا ومخرج نسائنا ومسرح بهمنا ومندى خيلنا .

فصل فى السير والنزول فى أوقات مختلفة عن الأئمة :

إذا سار القوم نهارا ونزلوا ليلا فذلك التأويب فإذا ساروا ليلا ونهارا فهو الإسآد . فإذا ساروا من أول الليل فهو الإدلاج . فإذا ساروا من آخر الليل فهو الإدلاج بتشديد الدال . فإذا ساروا مع الصبح فهو التغليس . فإذا نزلوا للاستراحة فى نصف النهار فهو التغوير. فإذا نزلوا فى نصف الليل فهو التعريس .

فصل فيما يعن لك من الوحش ويجتاز بك :

إذا اجتاز من ميامنك إلى مياسرك فهو السانح . فإذا اجتاز من مياسرك إلى ميامنك فهو البارح . فإذا تلقاك فهو الجابه . فإذا قفاك فهو القعيد . فإذا نزل عليك من جبل فهو الكادس .

فصل فى تفصيل الطيران وأشكاله وهيئاته عن الأئمة :

إذا حرك الطائر جناحيه ورجلاه بالأرض ليطير قيل دفَّ . فإذا طار قريبا على وجه الأرض قيل أسف . فإذا كان مقصوصا وطار كأنه يرد جناحيه إلى ما خلفه قيل جدف ومنه سمى مجداف السفينة . فإذا حرك جناحيه فى طيرانه قريبا من الأرض وحام حول الشيء يكاد أن يقع عليه قيل رفرف .

فإذا طار فى كبد السماء قيل حلَّق . فإذا حلق واستدار قيل دوَّم . فإذا بسط جناحيه فى الهواء وسكَّنهما فلم يحركهما كما تفعل الحداء والرخم قيل صفَّ وفى القرآن ﴿والطير صافات﴾ [النور : ٤١] فإذا ترامى بنفسه فى الطيران قيل زفَّ زفيفا . فإذا انحدر من بلاد البرد إلى بلاد الحر قيل قطع قطوعا وقطاعا ويقال كان ذلك عند قطاع الطير.

فصل فى تقسيم الجلوس :

جلس الإنسان . برك البعير. ربضت الشاة . أقعى السبع . جثم الطائر. حضنت الحمامة على بيضها .

فصل فى أشكال الجلوس والقيام والاضطجاع وهيئاتها عن الأئمة :

إذا جلس الرجل على أليتيه ونصب ساقيه ودعمهما بثوبه أو يديه قيل احتبى وهى جلسة العرب . فإذا جلس ملصقا فخذيه ببطنه وجمع يديه على ركبتيه قيل قعد القرفصاء . فإذا جمع قدميه فى جلوسه ووضع إحداهما تحت الأخرى قيل تربع فإذا ألصق عقبيه بأليتيه قيل أقعى . فإذا استوفز وقعد العقفزى فى جلوسه كأنه يريد أن يثور للقيام قيل احتفز واقعنفزى . فإذا ألصق إليتيه بالأرض وتوسد ساقيه قيل فرشط . فإذا وضع جنبه بالأرض قيل اضطجع . فإذا وضع ظهره بالأرض ومد رجليه قيل اسلَنْقَى . فإذا اسلنقى وفرَّج رجليه قيل انسدح . فإذا قام على أربع قيل بركع . فإذا بسط ظهره وطأطأ رأسه حتى يكون أشد انحطاطا من إليتيه قيل دبح بالحاء والخاء وفى الحديث نهى أن يدبح الرجل فى الصلاة كما يدبح الحمار. فإذا مد العنق وصوب الرأس قيل أهطع . فإذا رفع رأسه وغض بصره قيل أقمح . وقمح البعير إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب ريا .

فصل فى هيئات اللبس

السدْلُ : إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضم جانبيه بين يديه . التأبط : أن يدخل الثوب تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر (وعن أبى هريرة أنه كانت رديته التأبط) الاضطباع مثل ذلك . التلبب أن يجمع ثوبه عند صدره تحزمًا ومن هذا قيل للذى لبس السلاح وشمر للقتال متلبب . التلفع : أن يشتمل بثوبه حتى يخلل به جسده وهو اشتمال الصماء عند العرب لأنه يرفع جانبا منه فتكون فيه فرجة . القبوع : أن يدخل رأسه فى قميصه أو ردائه كما يفعل القنفذ الازدمال : التغطى بالثوب حتى يستر البدن كله وكذلك الاستغشاء . الاستثفار أخذ الثوب من خلفه إلى الفخذين إلى قدام

فصل يناسبه فى ترتيب النقاب عن الفراء

إذا أدنت المرأة نقابها إلى عينيها فتلك الوصوصة . فإذا أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب . فإذا كان على طرف الأنف فهو اللفام . فإذا كان على طرف الشفة فهو اللثام .

فصل فى هيئات الدفع والقود والجر عن الأئمة

قاده إذا جره من أمامه . ساقه إذا دفعه من ورائه . جذبه إذا جره إلى نفسه . سحبه إذا جره على الأرض . دعه إذا دفعه بعنف . بهزه ونحزه وزبنه إذا دفعه بشدة وجفاء . لَبَّبه إذا جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بحدة . عتله إذا ألقى فى عنقه شيئا وأخذ يقوده بعنف شديد . نهره إذا زجره بغلظ . طرده إذا نفاه بسخط : صده إذا منعه برفق . زخَّه وصكَّه ولَكَمَه إذا دفعه وهو يضربه .

فصل فى ضروب ضرب الأعضاء

الضرب بالراحة على مقدم الرأس صقع . وعلى القفا صفع وعلى الوجه صك وبه نطق القرآن . (قالت المؤلفة : يقصد قوله تعالى : ﴿ فصكتْ وجهها ﴾ [الذاريات : ٢٩]) .

وعلى الخـــد ببسط الكف لطمٌ . وبقبض الكف لكمٌ وبكلتا اليدين لدم . وعلى الذقن والحنك وهز ولهز . وعلى الصدر والجنب بالكف وكز ولكز . وعلى الجنب بالإصبع وخز . وعلى الصدر والبطن بالركبة زَبْن . وبالرجل ركل ورفس . وعلى العجز بالكف نخس . وعلى الضرع كسع ...

فصل فى الضرب بأشياء مختلفة

قمعه بالمقمعة قنعه بالمقرعة . علاه بالدرة . مشقه بالسوط . خففه بالنعل ضربه بالسيف . طعنه بالرمح . وجأه بالسكين . دمغه بالعمود . نسأه بالعصا .

فصل فى ترتيب أشكال هيئات المضروب الملقى عن الأئمة

ضربه فجدَّله إذا ألقاه على الأرض . قطَّره إذا ألقاه على أحد قطريه أى جانبيه . أتكأه إذا ألقاه على هيئة المتكئ . سلقه إذا ألقاه على ظهره . بطحه إذا ألقاه على صدره . نكته إذا نكَّسه على رأسه . كبَّه إذا ألقاه على وجهه . تلَّه إذا ألقاه على جبينه ومنه فى القرآن ﴿ وتله للجبين ﴾ [الصافات : ١٠٣] كوَّره إذا قلعه من الأرض . أوهَطهُ إذا صرعه صرعة لا يقوم منها .

فصل فى الضرب المنسوب إلى الدواب

نفحت الدابة بيديها . رمحت برجليها . نطحت برأسها . صدمت بصدرها . خطرت بذنبها .

فصل فى تقسيم الرمى بأشياء مختلفة عن الأئمة

خذفه بالحصى . حذفه بالعصا . قذفه بالحجر . رجمه بالحجارة . رشقه بالنبل نشبه بالنشاب . زرقه بالمزراق . حثاه بالتراب . نضحه بالماء . لقعه بالبعرة قال أبو زيد ولا يكون اللقع فى غير البعرة مما يرمى به إلا أنه يقال لقعه بعينه إذا عانه أى أصابه بالعين .

فصل فى تفصيل ضروب الرمى عن الأئمة

الطْحر رمى العين بقذاها . الحذف الرمى بحصاة أو نواة . الدهدهة رمى الحجارة من أعلى إلى أسفل . الزجل الرمى بالحمامة الهادية إلى المزجل . اللفظ الرمى بشىء كان فى فيك . المج الرمى بالريق . التفل أقل منه . النفث أقل منه النبذ الرمى بالشىء من يدك أمامك أو خلفك . ولما ورد قتيبة ابن مسلم خراسان قال لأهلها من كان فى يده شىء من مال عبد الله بن أبى حازم فلينبذه . فإن كان فى فيه فليلفظه . فإن كان فى صدره فلينفثه . فتعجب الناس من حسن ما فصل وقسَّم . الإيزاغ رمى البعير ببوله . القزح رمى الكلب ببوله .

الزرق رمى الطائر بزرقه. المَتْرُ والمَتْسُ رمى الصبى بسَلْحِهِ. (عن ابن دريد قال الأزهرى لم أسمعها لغيره) التنخم والتنخع الرمى بالنخامة والنخاعة.

فصل فى تفصيل هيئات السهم إذا رمى به عن الأصمعى وأبى زيد وغيرهما

إذا مر السهم ونفذ فهو صادر. فإذا أخذ وجه الأرض فهو ذالج. فإذا عدل عن الهدف يمينا وشمالا فهو ضائف وصائف. وكذلك العاضه والعادل الذى يعدل عن الهدف. فإذا جاوز الهدف فهو طائش وعائر وزاهق. فإذا زحف إلى الهدف ثم أصاب فهو حاب. فإذا اضطرب عند الرمى فهو معظعظ. فإذا أصاب الهدف فهو مقرطس وخازق وخاسق وصائب. فإذا أصاب الهدف وانفضخ عوده فهو مرتدع. فإذا وقع بين يدى الرامى فهو حابض. فإذا التوى فى الرمى فهو معصل. فإذا قصر عن الهدف قاصر. فإذا خرج من الهدف فهو دابر. فإذا دخل من الرمية بين الجلد واللحم ولم يحز فيها فهو شاظف. فإذا خرج من الرمية ثم انحط فذهب فهو مارق. ومنه الحديث فى وصف الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

فصل فى رمى الصيد

رمى فأشوى إذا أصاب من الرمية الشوى وهى الأطراف. ورمى فأنمى إذا مضت الرمية بالسهم. ورمى فأصمى إذا أصاب المقتل. ورمى فأقعص إذا قتل مكانه. وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما كل ما أصميت ودع ما أنميت.

فصل فى أوصاف الطعنة عن الأئمة

إذا كانت مستقيمة فهى سلكى. فإذا كانت فى جانب فهى مخلوجة. فإذا كانت عن يمينك فهى الشزر. فإذا كانت حذاء وجهك فهى اليسر. فإذا كانت واسعة فهى النجلاء. فإذا فهقت بالدم فهى الفاهقة. فإذا قشرت الجلد ولم تدخل الجوف فهى الجالفة. فإذا خالطت الجوف ولم تنفذ فهى الواخضة. فإذا دخلت الجوف ونفذت فهى الجائفة.

(فقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١١٩ ـ ١٣٣ . انظر أيضا دراسات فى علم اللغة ـ د . فاطمة محجوب / ٨٧ ـ ١٠٦ ، ١٥٨ ـ ١٥٩ ، ١٨٧ ـ ٢٠٥ ، و « المشية فى الشعر العربى » ـ د . فاطمة محجوب . مجلة عالم الفكر الكويتية . آفاق المعرفة (٣) العدد ١ ، إبريل ـ مايو ـ يونية ـ ١٩٨٢ / ١١ ـ ٥٦) .

الحركة (فى علم الميكانيكا):

أفرد الأستاذ الدكتور جلال شوقى الفصل الرابع من كتابه لمفهوم الحركة عند العرب، وجاء فيه ما يلى :

تعرض العلماء والفلاسفة العرب بتفصيل عظيم لحركة الأجسام، فأسهبوا فى الكتابة عن مفهوم الحركة وعناصرها وارتباطها بالزمان، كما قسموها إلى انتقالية ودورانية، كذا إلى طبيعية وقسرية، ونورد فيما يلى نماذج من كتاباتهم فى هذا المجال.

(أ) عناصر الحركة :

يحدد ابن سينا فى كتابه « الشفاء » (طبيعيات الشفاء ـ المقالة الثانية ـ الفصل الأول) الأمور المتعلقة بالحركة بكونها ستة أمور، فيقول :

« المتحرك، والمحرك، وما فيه، وما منه، وما إليه، والزمان ».

بالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذى به الحركة، وبالمحرك القوة المسببة للحركة، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانتهاء، أى طرفى مسافة الانتقال وتتضمن اتجاه الحركة، أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التى تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة.

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه «المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢. المجلد الثانى . الفصل الثالث والعشرون ، الورقة ٨٧) .

« فاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة، ووحدة الحركة هو باتصالها فى الزمان والمسافة » .

(ب) أقسام الحركة :

قسم فلاسفة العرب الحركة إلى انتقالية ووضعية، كذلك إلى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية) ، وتتضح هذه المفاهيم بجلاء فى كتاباتهم التى نورد نماذج منها فيما يلى :

١ ـ تقسيم الحركة إلى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى « الرسالة الأولى فى الطبيعيات من عيون الحكمة » (كتاب « تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، مطبعة هندية بالموسكى بمصر)

« الحركة التى من أين إلى أين تسمى نقله .

الحركة التى من وضع إلى وضع تسمى وضعية » .

ويقول ابن سينا أيضًا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات » .

(النمط السادس ـ الفصل السادس عشر) .

« فكل حركة فى مسافة تنتهى إلى حد ما ، تنتهى إلى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التى بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعية هى التى بها يستحفظ الزمان المتصل ، وهى الدورية » .

أما هبة الله بن ملكا البغدادى فيقول فى كتابه : « المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثانى . الفصل التاسع . الورقة ٢٦) .

« ... وأعم أعراض الجسم الطبيعى وأحسها به من حيث هو جسم هى الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجود ، فمنها الحركة المكانية ، وهى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهى التى تتبدل بها أوضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاؤه فى أجزاء مكانه ، ولا يخرجه عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا ... » .

٣ ـ تقسيم الحركة إلى طبيعية وقسرية :

(أ) بالحركة الطبيعية : يقصد العرب حركة الجسم إلى موضعه الطبيعى بعد أن يخرج عنه قسرا ، وذلك عند زوال القاسر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هى حركة الثقيل إلى السفل ، وحركة الخفيف إلى العلو ، إذا ما أخرج الجسم قسرا عن مكانه الطبيعى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى « الرسالة الأولى فى الطبيعيات من عيون الحكمة » :

« وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب فى نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إن كان محركا على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فيسمى طبيعة ، وإن كان محركا حركات شتى بإرادة أو غير إرادة ، أو محركا حركة واحدة بإرادة فيسمى نفسا » .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢ . المجلد الثانى . الفصل الرابع عشر . الورقتان ٤٧ ، ٤٨) :

« ... فإن الحركة إما طبيعية وإما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور عن طبعه إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر ، والطبيعية إنما تكون عن مباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب أنسب من مناسب ... » .

ويقول الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه « المباحث المشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات » (الكتاب الثانى ـ الفن الخامس ـ الفصل الخامس والأربعون (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، الصفحة ٦٢١) :

« ... وإن كانت الحركة حاصلة فيه ، فإما أن يكون سببه شيئا موجودا فى الجسم ، أو يكون سبب تلك الحركة خارجا عن ذات المحرك ، والقسم الأول هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثانى هو الحركة القسرية ، وأما القسم الأول وهو الذى يكون مبدأ الحركة قوة موجودة فى ذلك الجسم ، فقد عرفت فى باب القوى أن كل فعل يظهر من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر ، فلا بد وأن يكون لقوة موجودة فيه » .

(ب) بالحركة غير الطبيعية : يقصد الحركة التى تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمى الفلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ، وفيها يمكن للمحرك أن يلازم الجسم المتحرك أثناء تحركه ، أو أن يفارقه بعد أن يبدأ الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادى : الجزء الثانى من كتابه «المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢ . الفصل السابع . الورقة ١٢٥) .

« فنقول إن المحرك بـالذات لكل متحرك يكـون إما طبيعة وإمـا قسـرا وإمـا إرادة، ويخصون بـاسم الطبيعـة مـا يحـرك بالتسخير وعلـى سنن واحد، ويعنى بالتسخير أنـه تحرك بغير معرفة ولا رويـة منه، كالحجر فى هبوطـه، والإرادة فمعلومة، وهى معرفة الفاعل بما يفعله وعزيمته عليه .

والقسر فمن شىء خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طبـاع المحـرك أو رويتـه، لا علـى مقتضى طبـاع المتحـرك ورويته.

والسماء لا يجوز أن تكـون حركتها قسريـة، لأن القسر إذا دام تبطل الطبيعة، ويفسد المطبوع ويحيله إلى مقتضاه، وهو فعل الأضـداد بأضـدادها، والسمـاء لا ضـد لها، ولا تضـاد فيها، ولا فساد لهـا ، وحركتها دائمة، كـذلك فليست بقسرية ومن القـاسـر، فإن كل قاسـر لجسم عن طبع آخـر، فأمـا أن القسر الدايم يبطل الطباع ويفسدهـا فمعلوم من جهة ما لدينا من المتضادات وإفساد بعضها بعضا، فما السماوات مقسورة على حركتها الدائمة، قالوا ولا حركتها بالطبيعة المسخرة ... »

(تراث العرب فى الميكانيكا ـ د . جلال شوقى / ٢٦ ـ ٣١) .

الحَرَم:

الحَرَمُ : بفتحتين ، الحرمان : مكة والمدينة ، والنسبة إلى الحرم حِرمى ، بكسر الحاء وسكون الراء ، والأنثى حرمية على ـ غير قياس ، ويقـال : حُرمى ، بالضم ، كأنهم نظروا إلى حرمة البيت؛ عن المبرد فى الكامل ، وحَـرَمى ، بالتحريك ، على الأصل أيضا؛ وأنشد راوى الكسر :

لا تـأوين لحِـرمى مـررت بـه
يـومـا ، ولـو ألقى الحـرمى فـى النـار

وقال صاحب كتاب العين : إذا نسبوا غير الناس قالوا ثوب حَـرَمى ، بفتحتين، فأمـا ما جاء فـى الحديث : إن فلانـا كان حرمـى رسول الله ، ﷺ ، فإن أشـراف العرب الذيـن يتحمسون كـان إذا حج أحـدهم لم يأكل إلا طعـام رجل من الحـرم ولم يطف إلا فى ثيابه ، فكان لكل شريف من أشراف العرب رجل من قريش ، فكل واحد منهما حرمى صـاحبه ، كما يقال كرى للمكـرى والمكترى وخصم للمخـاصمين ، والحـرم بمعنى الحرام مثل زمن وزمان ، فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده ورفثه وكذا وكذا؛ وحرم مكة له حـدود مضروبة المنار قديمة ، وهى التى بينها خليل الله إبراهيم عليه السلام وحده نحو عشرة أميال فى مسيرة يوم ، وعلى كله منار مضروب يتميز به عن غيره ، وما زالت قـريش تعـرفها فى الجـاهليـة والإسلام لكـونهم سكـان الحرم ، وقد علموا أن ما دون المنار من الحرم وما وراءها ليس منه ، ولما بعث النبى ، ﷺ ، أقر قريشا على ما عرفوه من ذلك وكتب مع زيد بـن مربع الأنصارى إلى قـريش أن قروا قـريشا على مشـاعـركم فإنكم على إرث من إرث إبـراهيم ، فمـا دون المنار فهو حرم لا يحل صيـده ولا يقطع شجره ، وما كان وراء المنار فهـو حل إذا لم يكن صائده محرما ، فإن قـال قائل من الملحدة فى قول الله عز وجل : ﴿**أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف النـاس من حـولهم**﴾ [العنكبـوت : ٦٧] كيف يكون حرمـا آمنا وقد اختلفوا وقتلوا فى الحرم؟ فـالجواب أنه ، جل وعز ، جعله حـرماً آمنا أمرا وتعبـدا لهم بذلك لا اختياراً ، فمن آمن بذلك كف عما نهى عنه اتباعا وانتهاء إلى ما أمر به ، ومن ألحد وأنكر أمر الحرم وحرمتـه فهو كافر مباح الدم ، ومن أقر وركب المنهى وصاد صيد الحرم وقتل فيه فهو فاسق وعليه الكفارة فيما قتل من الصيد ، فإن عـاد فإن الله ينتقم منه؛ فأما المواقيت التى سُهل منها للحج فهى بعيـدة من حدود الحرم ، وهى من الحل ، ومن أحـرم منهـا للحج فى أشهر الحج فهـو محرم مأمور بالانتهاء ما دام محرما عن الرفث وما وراءه من أمر النسـاء وعن التطيب بـالطيب وعن لبس الثـوب المخيط وعن صيد الصيد؛ وقول الأعشى :

بأجياد غربى الصَّفا فالمحرم

(فى لسان العرب « والمحرم »)

هو الحرم؛ تقول : أحرم الرجل فهو محرم وحرام ، والبيت الحرام والمسجـد الحرام والبلد الحرام كلـه يراد به مكـة؛ قال البشارى : ويحدق بالحرم أعلام بيض ، وهو من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميـال ومن طريق العراق تسعة أميـال ومن طريق اليمن سبعة أميال ومن طريق الطائف عشرون ميلا ومن طريق الجادة عشرة أميال . وحـرم رسول الله ، ﷺ ، المدينة (معجم البلدان ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤) ولسان العرب ١٠ / ٨٤٦ .

وعن حدود الحرم يقول الإمام محمد الزركشى :

أول من نصب حدود الحرم إبراهيم عليه السلام، يقال : أوحى الله عز وجل إلى الجبال تنحى فتنحت حين أرى الله إبراهيم موضع المناسك وهو قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة: ١٢٨] ثم إن قريشا قلعوها فى زمن النبى ﷺ فشق ذلك عليه ثم إنهم أعادوها وجددها النبى ﷺ، قال البزار فى مسنده : حدثنا بشر بن معاذ ومحمد بن موسى الحرشى قالا: ثنا مقاتل بن سليمان ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن محمد ابن الأسود بن خلف عن أبيه أن النبى ﷺ أمره أن يجدد أنصاب الحرم عام الفتح. وقال مالك : عمر بن الخطاب هو الذى نصب معالم الحرم بعد أن بحث عن ذلك. وحده من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نفار على ثلاثة أميال من مكة وقيل: أربعة ، ومن طريق اليمن طرف أضاة لبن (وهى مستنقع الماء) على ستة أميال . وقيل: سبعة ومن طريق الطائف عند أضاة لبن، على طريق عرفة من بطن نمرة على أحد عشر ميلا كذا ذكره الأزرقى، وقال ابن أبى زيد: على تسعة، ومن طريق العراق على ثنية جبل المقطع على سبعة أميال: وقيل ثمانية. ومن طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله ابن خالد على تسعة، ومن طريق جدة منقطع العشائر على عشرة . وقال مالك: والحديبية فى الحرم. وقال الرافعى: هو من طريق المدينة على ثلاثة أميال، ومن العراق على سبعة، ومن الجعرانة على تسعة، ومن الطائف على سبعة، ومن جدة على عشرة. وهكذا حكاه أقضى القضاة الماوردى وجماعة، منهم صاحب البحر وعليه بنى الشاعر قوله :

وللحرم التحديد من أرض طيبة
ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف
وجدة عشر ثم تسع جعرانه

وقال ابن سراقة فى كتاب الأعداد: والحرم فى الأرض موضع واحد وهو مكة وما حولها ومساحة ذلك ستة عشر ميلا فى مثلها، وذلك بريد واحد وثلث، فى بريد واحد وثلث على التقريب؛ انتهى. فإن قيل: ما الحكمة فى تحديد الحرم؟ قيل: فيه وجوه:

أحدها : التزام ما ثبت له من الأحكام، وتبيين ما اختص به من البركات .

الثانى : ذكر أن الحجر الأسود لما أتى به من الجنة كان أبيض مستنيرا أضاء منه نور، فحيثما انتهى ذلك النور كانت حدود الحرم، وهذا معنى مناسب، والأمر فوق ذلك.

الثالث : أنه أنوار موضوعة من العالم الأعلى الربانى، وسر روحانى وجه إلى تلك البقاع .

ويذكر أهل المشاهدات أنهم يشاهدون تلك الأنوار واصلة إلى حدود الحرم ، ولها منار ينبع منها ، ويكون منها فى الحرمين والأرض المقدسة ولكن أرض نور وصفة ولون لذلك النور، نسأل الله أن يمن علينا بصفاء القلوب، والظفر بشهود حقائق الأعيان .

فهذا حد ما جعله الله حرما لما اختص به من التحريم، وباين به سائر البلاد (إعلام الساجد / ٦٣ ـ ٦٥) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤، ولسان العرب ١٠ / ٨٤٦ ، وإعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى ـ تحقيق فضيلة الشيخ أبى الوفا مصطفى المراغى / ٦٣ ـ ٦٥) .

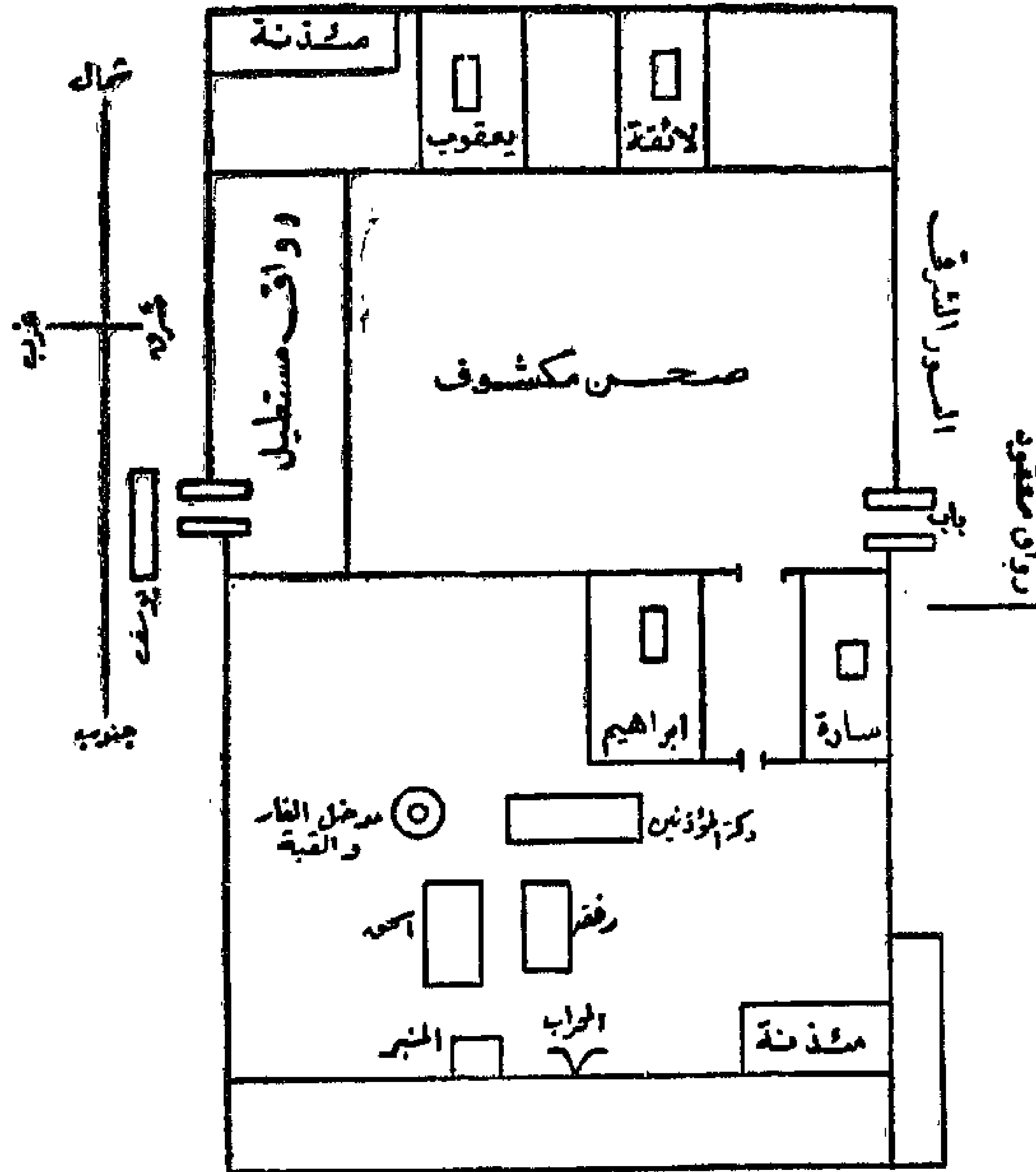
الحرم الإبراهيمى :

يقع الحرم الإبراهيمى الشريف ، أو المسجد الإبراهيمى، فى مدينة الخليل خليل الرحمن نبى الله إبراهيم عليه السلام وهى إحدى مدن الضفة الغربية وقد زار الرحالة العربى ابن بطوطة المدينة ووصف مسجدها قائلا : و مسجدها أنيق الصنعة، محكم العمل، بديع الحسن، سامى الارتفاع ، مبنى فى الصخر المنحوت، فى أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا، ويقال إن سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه. وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله على نبينا وعليهم ، ويقابلها قبور ثلاثه هى قبور أزواجهم، وعن يمين المقبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط فيه على درج رخام محكمة العمل، إلى مسلك ضيق يفضى إلى ساحة مفروشة بالرخام، فيها صور القبور الثلاثة ويقال إنها محاذية لها، وكان هنالك مسلك إلى الغار المبارك وهو الآن مسدود.

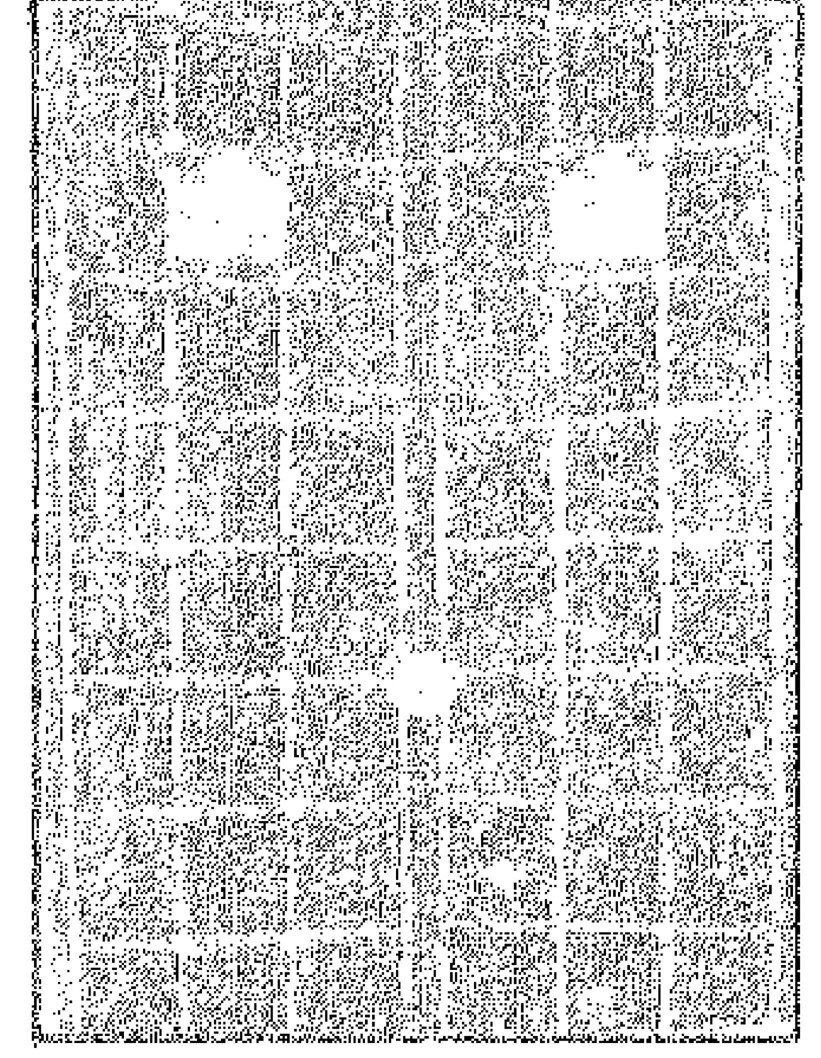
ويمضى ابن بطوطة فى وصفه فيقول: وقد نزلت بهذا الموضع مرات. ومما ذكره أهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك، ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازى، الذى سماه « المسفر للقلوب ، عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب » أسند فيه إلى أبى هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ: لما أسرى بى إلى بيت المقدس، مرَّ بى جبريل على قبر إبراهيم، فقال : انزل فَصَلِّ ركعتين، فإن هنا قبر أبيك إبراهيم، ثم مرّ بى على بيت لحم وقال : انزل فصلِّ ركعتين ، فإن هنا وُلِد أخوك عيسى (عليه السلام) ، ثم أتى بى إلى الصخرة » (وذكر بقية الحديث) .

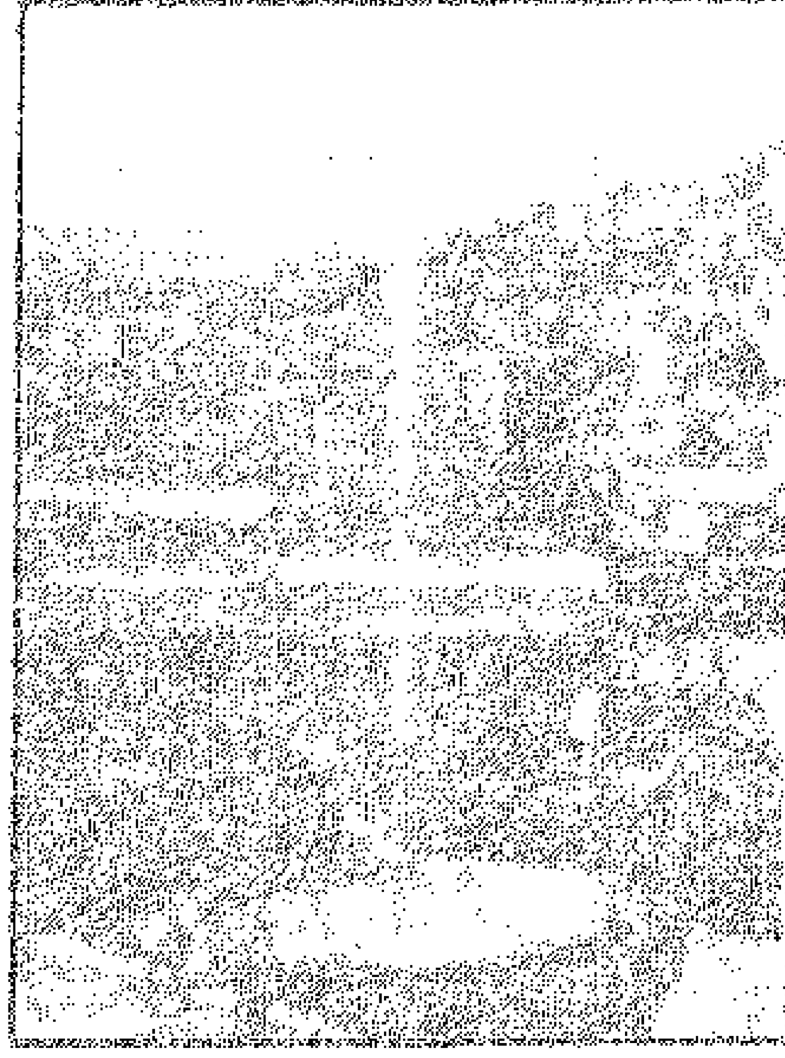
ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعبرى (انظر ترجمته فى م ١٢/ ١٨٩ - ١٩١) أحد الصلحاء المرضيين، والأئمة المشهورين، سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لى: كل من لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب — على نبينا وعليهم السلام — وقبور زوجاتهم، ولا يطعن فى ذلك إلا أهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف ، لا يشكُّ فيه . ويذكر أن بعض الأئمة دخل إلى هذا الغار، ووقف عند قبر سارة، فدخل شيخ فقال له :

أى هذه القبور هو قبر إبراهيم ؟ فأشار له إلى قبره المعروف، ثم دخل شاب فسأله كذلك، فأشار له إليه، ثم دخل صبى فسأله أيضا، فأشار له إليه، فقال الفقيه : أشهد أن هذا قبر إبراهيم عليه السلام لا شك فيه. ثم دخل المسجد فصلى به، وارتحل من الغد (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٤٤، ٤٥) يقول الأستاذ محمود الشرقاوى لم ينسب



رسم تقريبى للحرم الإبراهيمى الشريف يبين السور والمئذنتين وأماكن أضرحة الأنبياء وزوجاتهم والمحراب والمنبر ودكة المؤذنين ومدخل الغار


قبر إبراهيم الخليل

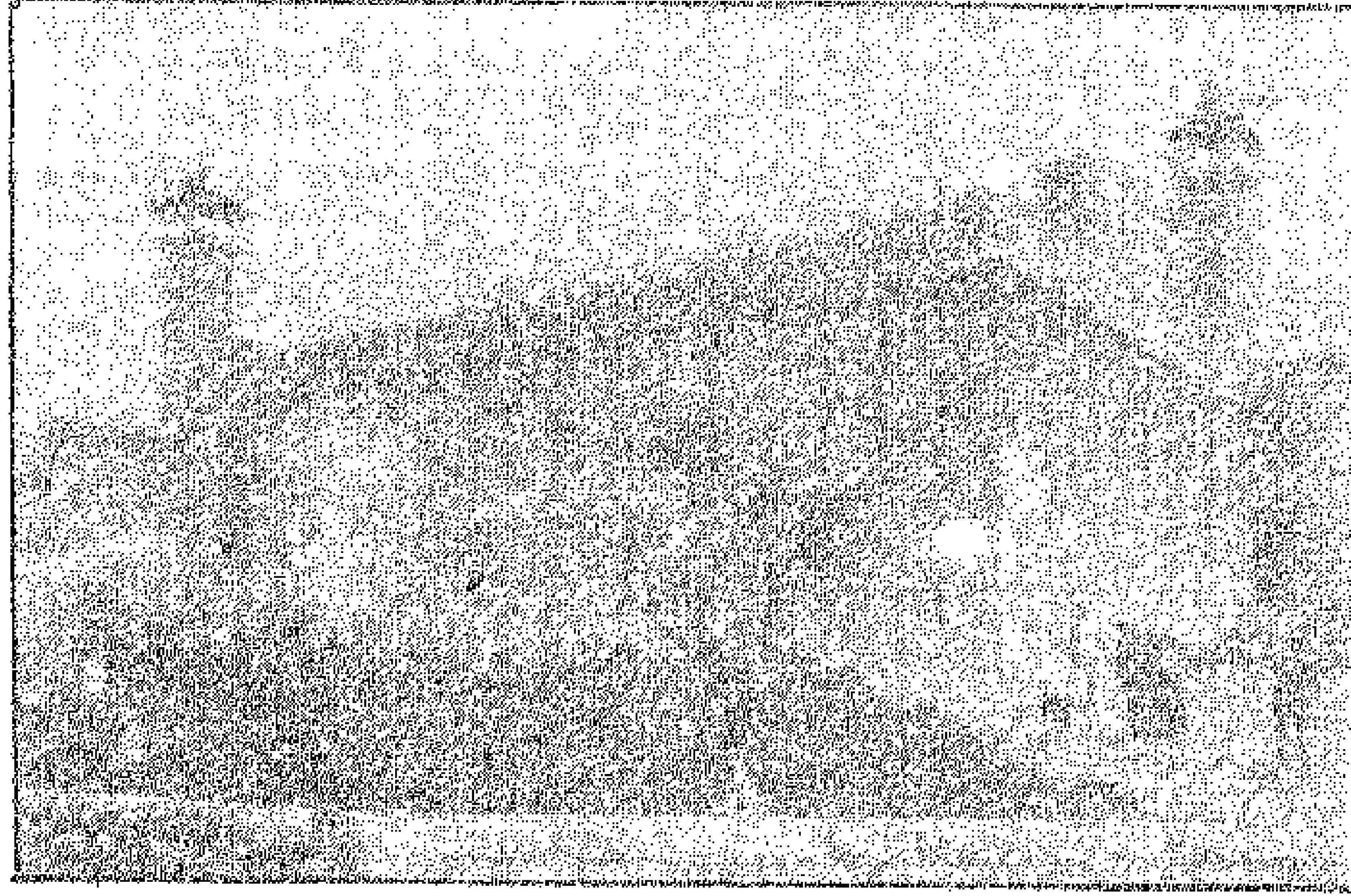

حول نوفرة الحرم الابراهيمي

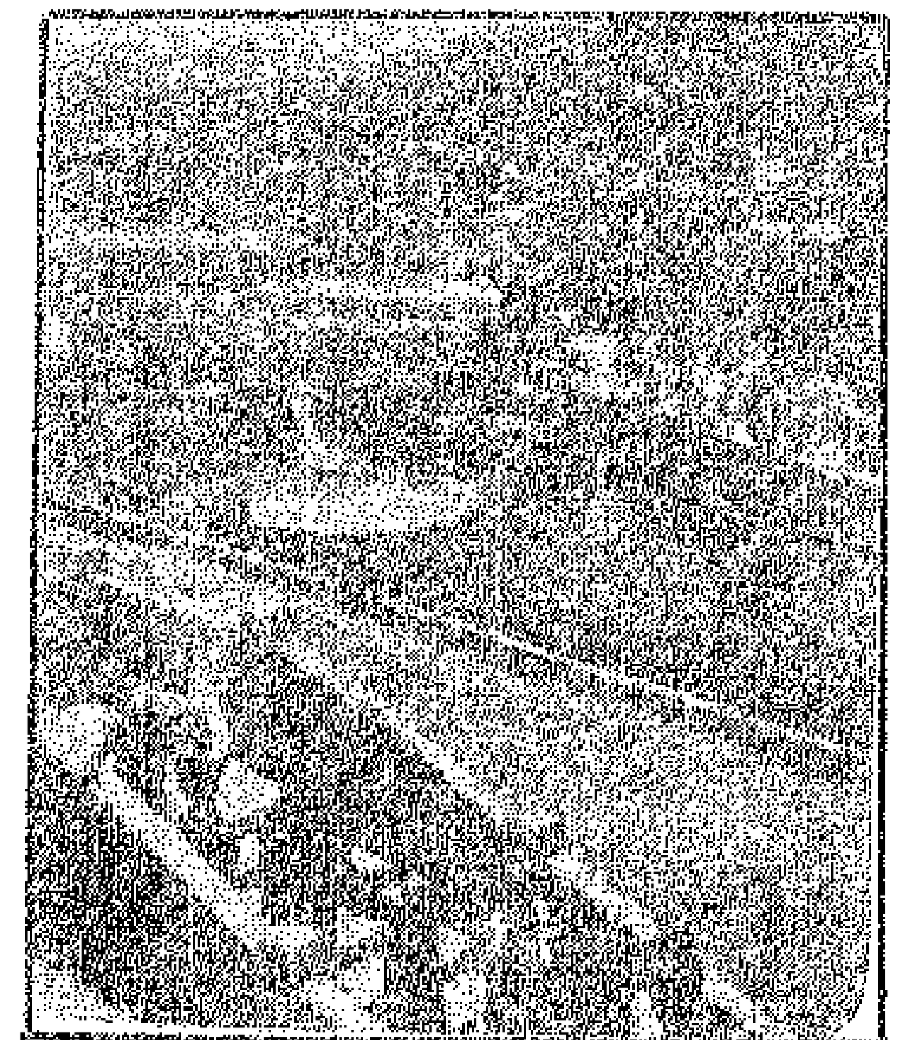
وقد عنى بذلك أنه لم تعلم مواقع مقابر الأنبياء والرسل، فيما عدا قبرى محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام على وجه الجزم واليقين، أما قبر محمد ففى المدينة، أما قبر إبراهيم الخليل ففى «حبرون» (الأنبياء فى القرآن الكريم / ١٠٠).

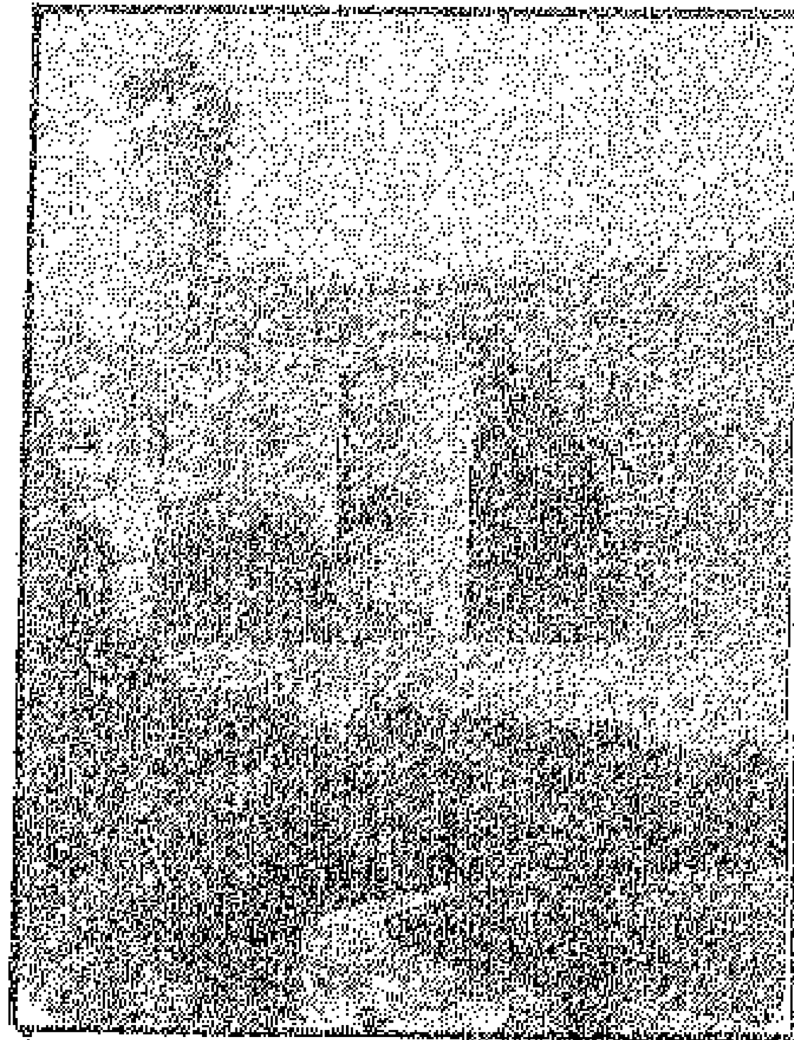
ويمضى ابن بطوطة فى وصفه الحرم الإبراهيمى فيقول :

وبداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام، وبشرقى حرم الخليل تربة لإبراهيم الخليل قبر غير هذا القبر الموجود فى المغارة، وقد أخذ المؤرخ المشهور الحافظ ابن حجر الهيثمى (انظر ترجمته فى م ١٣) الذى عاش فى أوائل القرن التاسع الهجرى، بالإجماع والتواتر على صحة وجود القبر فى هذه المغارة، وقال فى ذلك شعرا :

ولم تعلم مقابرهم بأرض
يقينا غير ما سكن الرسول


الحرم الابراهيمي


على درجات الحرم الابراهيمي


حديقة الحرم الابراهيمي

وفى «حبرون» أيضا ثم غار
به رسل كرام والخليل

لوط عليه السلام، وهى على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام، وعلى قبره أبنية حسنة، وهو فى بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه. وهنالك بحيرة لوط، وهى أجاج، يقال إنها موضع ديار قوم لوط. وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين، وهو على تل مرتفع، له نور وإشراق ليس لسواه، ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيمه. وفى المسجد بمقربة من بابه، موضع منخفض، فى حجر صلد، قد هُيئ فيه صورة محراب، لا يسع إلا مصلّيا واحدا. ويقال إن إبراهيم سجد

فى ذلك الموضع شكرا لله تعالى عند هلاك قوم لوط. وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين ابن على وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام نقش فى أحدهما بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وما برأ وعلى خلقه كتب الفناء، وفى رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها. وفى اللوح الآخر منقوش: صنعة محمد بن أبى سهل النقاش بمصر؛ وتحت ذلك هذه الأبيات :

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه
بالرغم منى بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة
بنت الأئمة، بنت الأنجم الزُّهُر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر؟

(مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٤٤ ـ ٤٦).

وقد شيد مسجد إبراهيم الخليل أو الحرم الإبراهيمى فى أوائل عهد بنى أمية، وظل يحظى برعاية الخلفاء العباسيين والفاطميين وسلاطين الأيوبيين والمماليك تقديسًا للمسجد وتعظيما لشأنه فى نفوس الناس، فبداخله رفات الأنبياء الذين اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا هداة للناس يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم، طريق الحق والهداية والرشاد. («الخليل وآثارها الإسلامية الخالدة» / ٥٢).

يشاهد الزائر إلى الحرم الشريف أول ما يشاهد سوره الضخم المبنى من الحجارة الصلدة البالغة الضخامة التى قد يصل طول الواحد منها سبعة أمتار وارتفاعه مترا ونصف المتر. ويعلو السور جزء يحتوى على شرفات، وقد بنى هذا الجزء فى وقت لاحق على بناء السور، وهو بناء إسلامى محض.

والحجارة الضخمة التى بنى بها السور منحوتة الأطراف مصقولتها، إلا أوسط الوجه الظاهر منها فقد ترك بارزاً مخشوشناً قليلا. وقد رص بعضها فوق بعض بدون ميلاط.

وتعلو السور منارتان: إحداهما فى الشرق منه، وثانيتهما فى جهة الغرب.

ويؤدى إلى داخل الحرم بابان، يقع أحدهما فى الجهة الجنوبية الغربية، ويقع ثانيهما فى الجهة الشمالية الغربية، ينفصل منها إلى مراق عظيمة تؤدى إلى رواق معقود فى الجهة الشرقية يحتوى على باب صغير للحرم فى وسط السور الشرقى.

فإذا دخلت الحرم من الباب الصغير الموجود فى وسط السور الشرقى رأيت على يمينك صحنا مكشوفا يقسم المكان إلى قسمين غير متساويين، أحدهما فى الجنوب، ويحتوى على الجامع المعقود الذى يضم ضريحى إبراهيم وسارة، فى قبتين مسدستى الأضلاع، بينهما رواق مربع صغير، معقود له فى جداره الجنوبى باب زينت جوانبه بالفسيفساء، يدخل منه الداخل إلى الجامع.

ويتصدر الجامع محراب بديع الصنعة مرخم زين أعلاه بالفسيفساء المذهبة، وفوقه فتحت نافذة ركب فيها زجاج ملون.

وإلى جانب المحراب يرتفع منبر يعود تاريخه إلى سنة ٤٨٤ هجرية، وهو مصنوع من خشب الجوز التركى المحفور، وبعض ألواحه الأمامية من خشب الأبنوس وهى مطعمة بالعاج تطعيما يعد غاية فى الفن والإتقان.

وتقول الكتابة الكوفية التى حفرت فيه أنه صنع فى زمن المستنصر بالله أبى تميم معد الفاطمى خليفة مصر ليوضع بمشهد عسقلان «قرية بالقرب من المجدل على بعد نحو ٢٠ كيلو متراً من شمال غزة، هى الآن فى فلسطين المحتلة» الذى قيل إن رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما موجود فيه.

وفى سنة ١٩٣٦ ظهر السوس فى بعض ألواح المنبر الخشبية، فاهتم المجلس الإسلامى الأعلى بالأمر، وأحضر مهندسا مصريا قام بإصلاح المنبر، واستغرق العمل فيه ثلاث سنوات، وتم إصلاحه على نسق ما كان عليه دون تغيير أو تبديل، ومنها الكلمات المحفورة عليه بالخط الكوفى المذهب على مدخل المنبر وهى :

(بسم الله الرحمن الرحيم. نصر من الله وفتح قريب.

لعبد الله ووليه معد أبى تميم عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين، صلاة باقية إلى يوم الدين . مما أمر بعمل هذا المنبر السيد الأجل أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناظر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين، أبى النجم بدر المستنصرى، عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، أدام الله قدرته وأعلى كلمته، للمشهد الشريف . بثغر عسقلان، مسجد مولانا أمير المؤمنين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب فى شهور سنة أربع وثمانين وأربعمائة) (الأنبياء فى القرآن الكريم / ١٠٠، ١٠١) .

وكان السلطان صلاح الدين الأيوبى قد أمر بنقل هذا المنبر من ثغر عسقلان بعد تدميره ليحفظ بمقام إبراهيم عليه السلام ، وذلك بعد أن فتح بيت المقدس واستردها من الصليبيين إثر انتصاره على قواتهم فى معركة حطين سنة ٥٨٤ هـ (« الخليل وآثارها الإسلامية الخالدة » / ٥٤) (فى مصادر أخرى تاريخ موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) .

أقيمت أضرحة فى ساحة الحرم، وهى ضريح إبراهيم، يقابله ضريح زوجته سارة، ويفصل بينهما رواق. وفى وسط الجزء المغطى داخل الجامع ضريح إسحاق عليه السلام، ومقابله ضريح زوجته رفقة فى غرفتين مربعتين صغيرتين متقابلتين .

وفى القسم الثانى من البناء الواقع فى الجهة الشمالية من الحرم يوجد ضريح يعقوب عليه السلام وآخر لزوجته « لائقة » فى قبتين متقابلتين أيضا بينهما رواق .

وبين الجزءين الشمالى والجنوبى من البناء رواق مستطيل إلى الجهة الغربية فيه مصلى للنساء. وفى وسط هذا الرواق باب يؤدى إلى ضريح يوسف عليه السلام ، نقل إليه بعد وفاته فى مصر. وهذا الضريح موجود داخل قبة جميلة واقعة خلف السور وملاصقة له من جهة الغرب، ويؤدى إلى هذا الضريح باب فتح فى السور تقع مراقد الأنبياء فى داخل المغارة، أو الغار الشريف كما يسمونه . وما الأضرحة العليا إلا إشارات لهذه المراقد، وللمغارة ثلاثة أبواب أو مداخل : اثنان منها مسدودان، أحدهما بإزاء المنبر، والثانى بين ضريحى إسحق وزوجته . أما الثالث فهو كما ذكرنا موجود تحت القبة وله غطاء من النحاس .

ويذكر ياقوت الحموى فى كتاب معجم البلدان نقلا عن الهروى أنه قال :

دخلت القدس فى سنة ٧٦٥، واجتمعت فيه وفى مدينة الخليل بمشايخ حدثونى أن فى سنة ٥١٣ ، فى أيام بردويل انخسف موضع فى مغارة الخليل، فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك، فوجدوا فيه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وقد بليت أكفانهم ، وهم مستندون إلى الحائط، وعلى رءوسهم قناديل ورءوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع .

قال : وقرأت على السلفى أن رجلا يقال له الأرمنى، قصد زيارة الخليل، وأهدى لقيم الموضع هدايا جمة، وسأله أن يمكنه من النزول إلى جثة إبراهيم عليه السلام، فقال له أما الآن فلا يمكن، لكن إذا أقمت إلى أن ينقطع الجثل وينقطع الزوار فعلت . فلما انقطعوا قطع بلاطة هناك . وأخذ معه مصباحا ، ونزلا فى نحو سبعين درجة إلى مغارة واسعة، والهواء يجرى فيها، وبها دكة عليها إبراهيم ، عليه السلام، ملقى، وعليه ثوب أخضر، والهواء يلعب بشيبته، وإلى جانبه إسحاق ويعقوب . ثم أتى به إلى حائط المغارة فقال له : إن سارة خلف هذا الحائط، فهم أن ينظر إلى ما وراء الحائط فإذا بصوت يقول . إياك والحرم قال : فعدوت من حيث نزلت .

بنى سور الحرم فى زمن بعيد فى القدم كما أسلفنا ، وقام بعض ملوك البيزنطيين ببناء بيعة لهم على جزء من الحرم وترك الباقى لتعبد غيرهم . ويذكر صاحب الأنس الجليل أن أعلى المسجد الحالى « المغطى » هو بقية بناء الروم، وأنهم الذين فتحوا باب السور بعد أن بقى مسدودا مدة طويلة . على هذا كان حال الحرم فى العهد السابق على الإسلام .

ولما فتح العرب فلسطين فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب قام المسلمون بترميم مقام إبراهيم عليه السلام وكان الفرس قد خربوه فى إحدى غاراتهم سنة ٦١٤ ميلادية . وفى عهد الدولة الأموية تم تشييد القباب التى فوق مراقد إبراهيم

ويعقوب وزوجتيهما . أما فى العصر العباسى فقد فتح الخليفة المهدى باب السور الحالى من جهة الشرق وبنيت له المراقى الجميلة من ناحيتى الشمال والجنوب . وأمر المقتدر بالله ببناء القبة التى على ضريح يوسف الصديق .

احتل الصليبيون مدينة الخليل، وجعلوا منها أسقفية، كما حولوا الحرم إلى كنيسة، ولكن صلاح الدين الأيوبى استعاد المدينة منهم عام ١١٨٧ م، وجلب المنبر الفاطمى من عسقلان، ووضعه فى الحرم، كما عمر المحراب ودكة المؤذنين .

وأعاد الملك الظاهر بيبرس بناء مسجد الخليل وعمل له الشرفات الموجودة فوق السور. وقد حظر هذا الملك على غير المسلمين دخول الحرم (ذكر الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور فى كتابه « الظاهر بيبرس » أن بيبرس رمم مقام الخليل عليه السلام وجدد قبته وأصلح أبوابه) .

وقام الملك المنصور قلاوون بترخيم الحجرة الشريفة الخليلية سنة ٦٨٦ هـ . وأدخل ابنه السلطان محمد الناصر من العمارة والزينة على المسجد ما جعله من أفخم المساجد فى العالم. وذلك على يد الأمير تناكز، كفيل الممالك الشريفة الشامية . فهو الذى رخم جدران المسجد وزين محرابه بالرخام والفسيفساء، وفتح نافذتين زينتا بالزجاج الملون، كما شيد القبة اللطيفة التى فوق باب الغار الشريف، وإلى هذا العهد أيضا يرجع إنشاء الرواق الشرقى، والأبواب المزخرفة والسبل التى بجوار الحرم .

وجدد اليغمورى، ناظر أوقاف الخليل، فى زمن السلطان الظاهر برقوق بناء ضريح يوسف عليه السلام بعد أن فتح له بابا فى السور الغربى .

وللحرم الشريف أوقاف كثيرة من جميع خلفاء المسلمين وملوكهم، وهى منتشرة، وقد أوقفت الضياع والعقارات على نفقة الحرم الإبراهيمى وتعميره. وهناك أراضى عشر قرى فى لواء الخليل، وقرى كثيرة يبلغ عددها المائتين فى ألوية أخرى يقع معظمها الآن فى الجزء المغتصب من فلسطين، موقوفة وقفا صحيحا على الحرم الإبراهيمى بحجج شرعية ثابتة ومحفوظة فى صندوق فى الحرم اسمه « صندوق العمل » وهناك عشر عائلات خليلية تقوم على خدمة الحرم، منها المشايخ والمدرسون والمؤذنون والسدنة وحاملو الأعلام. وقد منحت هذه العائلات شرف خدمة الحرم منذ حوالى سبعمائة سنة .

والحرم تديره مديرية الأوقاف العامة التى يرأسها قاضى قضاة الأردن وتقوم هذه المديرية بانتقاء وتعيين موظفى الحرم الشريف (الأنبياء فى القرآن الكريم / ١٠٠ ـ ١٠٤) .

وأهم ما زيد فى الحرم من الخارج، المسجد الذى أنشأه أبو سعيد سنجر الجاولى، وهو مرتفع على اثنتى عشرة سارية قائمة فى وسط يعلوه قبة جميلة .

وعلى الرغم من أن مدينة الخليل وجزءاً من قضائها لم تستعمر وتحتل من قبل إسرائيل بعد عام ١٩٤٨ م، إلا أنه على أثر نكسة ١٩٦٧ م، وقعت المدينة ولواؤها كغيرها من مدن وألوية الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلى .

يقول الدكتور محمد عبد الرحمن : يتعرض الحرم الإبراهيمى الشريف فى الوقت الراهن إلى عملية تهديد سافرة، وذلك بتحويله إلى معبد يهودى، حيث وضعوا فى داخله خزانة بها كتبهم الدينية، كما وضعوا لافتات على أضرحة الأنبياء باللغة العبرية، ويخططون لإنشاء كنيس يهودى فى فناء المدرج الذى يصعد إلى الحرم الشريف (قصة مدينة ـ الخليل / ٩٢، ٥٨) . وفى ٣ مارس ١٩٧٢ استدعى الحاكم العسكرى الإسرائيلى مدير أوقاف الخليل ورئيس قيمى الحرم وأبلغهما قراره بسقف صحن المسجد الداخلى المكشوف، وتخصيصه لليهود، وزيادة عدد الكراسى، ووضع خزائن لحفظ التوراة، ومنع المسلمين من الصلاة على موتاهم فيه، وتقليص عدد الساعات المسموحة لهم للصلاة.

وفى فجر يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٤١٤ هـ/ ٢٥ فبراير ١٩٩٤ م حدثت المذبحة فى الحرم الإبراهيمى، وارتكبها إرهابى إسرائيلى مسلح، فتح النار على جموع المصلين الذين كانوا يؤدون صلاة الفجر، وقد ذهب ضحية

هذه المجزرة حوالى تسعين شهيدا، وثلاثة أضعاف هذا العدد من الجرحى (مجلة الوعى العربى / ٦) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٤٤ - ٤٦ ، و « الخليل وآثارها الإسلامية الخالدة » - الأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز، مجلة الوعى الإسلامى . العدد (٥٨) . السنة الخامسة . شوال ١٣٨٩ هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٦٩م / ٥٢، ٥٤ والأنبياء فى القرآن الكريم - محمود الشرقاوى / ١٠٠ - ١٠٤ ، وقصة مدينة ، الخليل - د. محمد عبد الرحمن . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية . سلسلة المدن الفلسطينية (١٩) / ٩٢ ، ٥٨ ، ومجلة الوعى الإسلامى . العدد (٣٣٨) . السنة الثلاثون ، شوال ١٤١٤ هـ - مارس ١٩٩٤ م / ٦ وانظر أيضا اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق محمد حامد الفقى / ٣٣١ ، ٣٣٢) .

الحرم الشريف :

اسم يطلق على أبنية المسجد الأقصى فى القدس الشريف ، (المنجد / ١٥٦) .

انظر : قبة الصخرة، المسجد الأقصى .

حرم المدينة المنورة

عن حدود حرم المدينة المنورة يقول الإمام الزركشى :

عن أبى هريرة قال : حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتى المدينة (اللابة : أرض ذات حجارة سود . والمدينة بين لابتين شرقية وغربية) .

قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ترتع بين لابتيها ما ذعرتها (ما أخفتها ونفرتها) وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى . رواه مسلم وفى لفظ للبخارى عنه مرفوعا : حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى . قال أبو عوانة فى صحيحه المخرج على مسلم . قال مالك : المدينة بريد فى بريد (البريد مسافة طولها ستة عشر فرسخا، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع) واللابتان من الحجر، وهما الحرتان . وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ قال : المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها (صحيح مسلم / ٩٩٤) الحديث . وفى مسند البزار من حديث يعلى بن عبيد ثنا أبو بكر، وهو المفضل، عن جابر قال : حرم رسول الله ﷺ المدينة بريدا من نواحيها . قال : والمفضل بن مبشر روى عنه يعلى بن عبيد ومروان بن معاوية ، وزياد بن عبد الله وهو صالح الحديث، وأخرج أيضا عن سليمان بن كنانة قال : حدثنى عبد الله بن أبى سفيان عن عدى بن زيد، وكانت له صحبة قال : حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريدا فى بريد لا يخبط شجره، ولا يعضد . وعن على : قال النبى ﷺ: المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور. رواه البخارى (فى كتاب الفرائض) وفى رواية له ما بين عائر إلى كذا، وفى رواية لمسلم ما بين عير إلى ثور (مسلم / ٩٩٥) وقد استشكل هذه الرواية جماعة . وقالوا: ليس بالمدينة ثور إنما هو بمكة ، ولهذا جاء فى أكثر روايات البخارى من كذا، إلى كذا . وفى بعضها من عائر إلى كذا، ولم يبين النهاية . فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم فأسقطه . ونقل مثل ذلك عن مصعب الزبيرى وأبى عبيد وقرره الحافظ أبو بكر الحازمى وغيرهم قال أبو عبيد . كأن الحديث من عير إلى أحد . وهكذا رواه الزبير بن بكار من حديث عبد الله بن سلام مرفوعا . وقال الحافظ الحازمى فى كتابه - المؤتلف فى أسماء الأماكن، فى الحديث حرم رسول الله ﷺ ما بين عير إلى أُحد . هذه الرواية صحيحة . وقيل إلى ثور، وليس له معنى انتهى . وقال النووى : يحتمل أن يكون ثور كان اسما لجبل هناك إما أُحد أو غيره ثم خفى اسمه انتهى . ولما ذكر ياقوت قول عياض قال بعضهم : ليس بالمدينة ولا على مقربة منها جبل يعرف بأحد هذين الاسمين . قال : قلت أنا : هذا وهم . فإن عيرا جبل مشهور بالمدينة انتهى .

وقال ابن السيد فى المثلث : عير اسم جبل بقرب المدينة . وهو بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف . وذكر الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصرى : أنه لما خرج رسولا من صاحب المدينة إلى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن والأجبل فلما وصلا إلى أحد إذا بقربه جبل صغير فسأله : ما اسم هذا الجبل ؟ قال : هذا يسمى ثورا انتهى . قال شيخنا : وسمعت الشيخ محمدا أبا المليحى

يقول : إن المحب الطبرى قال : ثور جبل بالمدينة رأيته غير مرة وحددته انتهى .

وقال المطرى : بل خلف جبل أُحد من شماليه تحته جبل صغير مدور يسمى ثورا، يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف . ووعرة شرقيه وهما حد الحرم كما نقل . وقال الموفق ابن قدامة يحتمل أنه ﷺ أراد قدر ما بين ثور وعير اللذين بمكة شرفها الله تعالى أو يحتمل أنه أراد جبلين بالمدينة وسماهما عيرا وثورا تجوزا . وقال أبو العباس بن تيمية ، عير جبل عند الميقات يشبه العير وهو الحمار، وثور هو جبل من ناحية أُحد وهو جبل ثور الذى بمكة انتهى . وقال بعض المتأخرين : لا ينبغى الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان ، فإن كثيرا من الأسماء تتغير أو تنسى أسماؤها أو لا يعلمها كثير من الناس باعتبار تطاول الأزمنة ، ألا ترى الحديث المشهور فى إحرام النبى ﷺ من ذى الحليفة وهى ميقات إحرام المدينة ثم نسى هذا الاسم الآن وبقى مشهورا ببئر على ، وكذلك بمكة ، قزح جبل صغير آخر مزدلفة ، وهو يتعلق به نسك عظيم ، وهو لا يكاد يعرف هناك ، ولا يعرفه كثير من أهل مكة ولقد حرصت على ذلك فلم أجد من يعرفه بل وما هو أشهر منه ، وهو الأبطح . سألت هناك فلم أخبرَ عنه . وكذلك المأزمان ووادى محسر وغيره ، فإذا جهل هذا مع تكرر الناس إليه وتعلق المناسك به مع تطاول الأزمنة فما ظنك بغيره ، وأيضا فقد يكون للشىء اسمان أو أكثر فيعرف بأحدهما ويشتهر به دون الأخر، فيذكر فى الحديث بأحد اسميه كما يقال : قزح ، والمشعر الحرام ، وهو شىء واحد ، وكما يقال : مزدلفة والمحصب والأبطح وكما يقال : ألال وجبل عرفات (جاء فى هامش المحقق أن « ألال » ليس اسما لعرفات كما قال المصنف وإنما هو اسم لموضع) .

(إعلام الساجد بأحكام المساجد للإمام محمد بن عبد الله الزركشى - تحقيق فضيلة الشيخ أبى الوفا مصطفى المراغى / ٢٢٦ - ٢٢٩) .

الحرم المكى :

انظر : الحرم .

الحرمل:

ذكره المظفر الرسولى فى الأدوية المفردة ، وقد رمز لمصادره بالحروف التالية :

ع : عبد الله البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية .

ج : ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال :

الحرمل : « ع » الحرمل نوعان : أبيض ، وأحمر . فالأبيض هو الحرمل العربى ، ويسمى باليونانية مولى ، والأحمر هو الحرمل العامى المعروف ويسمى بالفارسية إسفند ، وقوته لطيفة حارة فى الدرجة الثالثة . ولذلك صار يقطع الأخلاط الغليظة اللزجة ، ويخرجها بالبول ، وإذا سحق بالعسل والشراب ومرارة الدجاج والزعفران وماء الرازيانج الأخضر ، وافق ضعف البصر ، وهو يخرج حب القرع من البطن ، وينفع من القولنج ، وعرق النسا ، ووجع الورك ، إذا نُطّل بمائه ، ويجلو ما فى الصدر والرئة من البلغم اللزج ، ويحلل الرياح العارضة فى الأمعاء ، ويستعمل للسوداء ، وهو غاية المصروعين وينفع من برد الدماغ والبدن . وقال : الحرمل يسدر ويصرع ويدُر الطمث والبول ، ويصفى اللون ، ويسمن ... وإذا استف منه وزنه مثقال ونصف غير مسحوق اثنتى عشرة ليلة ، شفى وجع عرق النسا ، مجرب . وبدله : وزنه من القردمانا أو الحرمل العربى ، وهو الأبيض . « ج » هو حار يابس فى الدرجة الثالثة ، وقيل فى الرابعة ، وهو مقطع ملطف ، ينفع من وجع المفاصل طلاء ، وإذا خلط بالعسل ومرارة القبج والدجاج وماء الرازيانج قوى البصر ، وهو يدر البول والطمث ، وينفع من القولنج شربا وطلاء ، وهو يسكر ويقيئ بقوة . « ف » ينفع من الفالج ، واللقوة ، والتشنج ، وعلل الكلى والمثانة ، ويسهل مرارا أسود ، وبلغما لزجا . والشربة منه : درهم ونصف (المعتمد ١ / ٩٢) .

وقال عنه الأنطاكى :

الحرمل : نبت يرتفع ثلث ذراع ويفرع كثيرا ، وله ورق كورق الصفصاف ومنه مستدير وزهره أبيض يخلف ظروفا مستديرة مثلثة داخلها بزر أسود كالخردل سريع التفرك ثقيل الرائحة يدرك أوائل حزيران وتبقى قوته أربع سنين وهو حار فى آخر الثانية يابس فى الثالثة يذهب الباردين وأمراضهما

كالصداع والفالج واللقوة والخدر والكزاز وعرق النسا والجنون ونحوه والصرع ووجع الوركين والمغص والإعياء والقولنج واليرقان والسدد والاستسقاء والنسيان ويحسّن الألوان ويزيل الترهل ... شربا وطلاء وإذا غسل بالماء العذب ثم سحق وضرب بالماء الحار والشيرج والعسل وشرب نقى المعدة والصدر والرأس وأعالى البدن من البلغم واللزوجات الخبيثة بالقيء تنقية لا يعدله فيها غيره وإن طبخ بالعصير أو الشراب وشرب ثلاثين يوما أبرأ من الصداع العتيق والصرع المزمن وأعاد الحمل بعد منعه وعلامة صلاحه القيء آخرا وإذا شرب اثنى عشر يوما متوالية قطع عرق النسا وإذا تسعط بعصارته أو ما طبخ فيه نقى حمرة العين وقطع النوازل، وإذا غلى فى ماء الفجل والزيت وقطر أزال الصمم ودوىّ الأذُن وقوى السمع ويجلو البياض كحلا والرمد ووجع الأسنان بخورا وإذا خلط مع البزر وعجن بالعسل ولوزم استعماله أذهب ضيق النفس فإن أضيف إليه الزجاج المحرق فتت الحصى وأدر الطمث والبول وغزر اللبن ومع ماء الرازيانج والزعفران والعسل والشراب ومرارة الدجاج يزيل ضعف البصر الكائن عن الامتلاء ويحبس البخار شربا وطلاء، وإذا طبخ بالخل ونطلت به الأعضاء قواها وسود الشعر وأزال الخدر أو بالماء والدهن بالغا وتمودى على شربه أزال السل وأمراض الكبد ... وهو يورث الغثيان والصداع ويصلحه الرمان المز والتفاح أو السكنجبين وشربته إلى مثقال وشرابه إلى أوقية، قيل وبدله القردمانا وقيل إن شرط شربه للنساء غير مسحوق وأن يدعك بالماء الحار بعد غسله وتجفيفه ويصفى ويشرب للقيء وأن المعمول منه للصرع جزء فى عشرين جزءا من الشراب أو العصير والمأخوذ كل يوم أوقيتان (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢١، ١٢٢).

قال الشيخ عبد الغنى النابلسى : والحرمل يزرع بزره فى آذار ولا يتحمل الماء الكثير ولا الزبل، ويجمع بزره فى حزيران وتموز، وهو ينبت وحده كثيرا وتناسبه الأرض المحجرة. ورقه كورق الخلاف، له نوار كنوار الياسمين أبيض طيب الرائحة، وهو حار يابس فى الرابعة، وقيل فى الثالثة، ينفع من وجع المفاصل طلاء ... إلخ (علم الملاحة / ١٥٣، ١٥٤).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ٩٢، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢١، ١٢٢، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١٥٣ . انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٤) .

الحُرمة :

الحرمة : بالضم وسكون الراء فى الشرع هو الحكم بطلب ترك فعل ينتهض فعلة سببا للعقاب ويسمى بالتحريم أيضا وذلك الفعل يسمى حراما ومحظورًا قالوا الحرمة والتحريم متحدان ذاتا ومختلفان اعتبارا فالطلب احتراز عن غير الطلب وبقيد ترك فعل خرج الواجب والمندرب وبقولنا ينتهض فعله ... إلخ خرج المكروه وفى قولنا سببا للعقاب إشارة إلى أنه يجوز العفو على الفعل وقيد الحيثية معتبر أى ينتهض فعله سببا للعقاب من حيث هو فعل فخرج المباح المستلزم فعله ترك واجب كالاشتغال بالأكل والشرب وقت الصلاة إلى أن فاتت فإن فعل مثل هذا المباح ليس سببا للعقاب من حيث إنه فعل مباح بل من جهة إنه مستلزم لترك واجب إن قيل يخرج من الحد المحظور المخير وهو أن يكون المحرم واحدا لا بعينه من أمور متعددة كما إذا قال الشارع هذا حرام أو هذا فلا ينتهض فعل البعض وترك البعض سببا للعقاب بل يكون فعل الجميع سببا له فاختص الحد بالمحظور المعين قلت المراد بانتهاض فعله سببا للعقاب هو الانتهاض بوجه ما وهو فى المحظور المخير أن يفعل جميع الأمور ولهذا قيل الحرام ما ينتهض فعله سببا للذم شرعا بوجه ما من حيث هو فعل له فالقيد الأول احتراز عن الواجب والمندوب والمكروه والمباح، والثانى أى قوله بوجه ما ليشتمل المحظور المخير وقيد الحيثية للاحتراز عن المباح المستلزم فعله ترك واجب .

اعلم أن أبا حنيفة وأبا يوسف رحمهما الله لم يقولا بإطلاق الحرام على ما ثبت حرمته بدليل قطعى أو ظنى ومحمد رحمه الله يقول إن ما ثبت حرمته بدليل قطعى فهو حرام ويعرّف الحرام بما كان تركه أولى من فعله مع منع الفعل وثبت ذلك بدليل قطعى فإن ثبت بدليل ظنى يسمى مكروها كراهة التحريم . ثم الحرام عند المعتزلة فيما تدرك جهة قبحه بالعقل هو ما اشتمل على مفسدة .

التقسيم : الحرام قد يكون حراما لعينه وقد يكون حراما لغيره . توضيحه أنه قد يضاف الحل والحرمة إلى الأعيان كحرمة الميتة والخمر والأمهات ونحو ذلك وكثير من المحققين على أنه مجاز من باب إطلاق اسم المحل على الحال أو هو مبنى على حذف المضاف أى حرم أكل الميتة وشرب الخمر ونكاح الأمهات لدلالة العقل على الحذف . وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة لوجهين : أحدهما أن الحرمة معناها المنع ومنه حرم مكة وحريم البئر فمعنى حرمة الفعل كونه ممنوعا بمعنى أن المكلف منع من اكتسابه وتحصيله ومعنى حرمة العين أنها منعت من العبد تصرفا فيها فحرمة الفعل من قبيل منع الرجل عن الشيء كما يقال للغلام لا تشرب هذا الماء ومعنى حرمة العين منع الشيء عن الرجل بأن يصب الماء مثلا وهو أوكد .

وثانيهما أن معنى حرمة العين خروجها عن أن يكون محلا شرعا كما أن معنى حرمة الفعل خروجه عن الاعتبار شرعا فالخروج عن الاعتبار متحقق فيهما فلا يكون مجازا وخروج العين عن أن يكون محلا للفعل يستلزم منع الفعل بطريق أوكد وألزم بحيث لا يبقى احتمال الفعل أصلا فنفى الفعل فيه وإن كان طبعا أقوى من نفيه إذا كان مقصودا ولما لاح على هذا الكلام أثر الضعف بناء على أن الحرمة فى الشرع قد نقلت عن معناه اللغوى إلى كون الفعل ممنوعا عنه شرعا وكونه بحيث يعاقب فاعله وكان مع ذلك إضافة الحرمة إلى بعض الأعيان مستحسنة جدا كحرمة الميتة والخمر دون البعض كحرمة خبز الغير سلك صدر الشريعة فى ذلك طريقة متوسطة وهو أن الفعل الحرام نوعان :

أحدهما ما يكون منشأ حرمته عين ذلك المحل كحرمة أكل الميتة وشرب الخمر ويسمى حراما لعينه .

والثانى ما يكون منشأ الحرمة غير ذلك المحل كحرمة أكل مال الغير فإنها ليست لنفس ذلك المال بل لكونه ملك الغير، فالأكل ممنوع لكن المحل قابل للأكل فى الجملة بأن يأكله مالكه بخلاف الأولى فإن المحل قد خرج عن قابلية الفعل ولزم من ذلك عدم الفعل ضرورة عدم محله ففى الحرام لعينه المحل أصل والفعل تبع بمعنى أن المحل قد أخرج أولا من قبول الفعل ومنع ثم صار الفعل ممنوعا ومخرجا عن الاعتبار فحسن نسبة الحرمة وإضافتها إلى المحل دلالة على أنه غير صالح للفعل شرعا حتى كأنه الحرام لنفسه، ولا يكون ذلك من إطلاق المحل وإرادة الفعل الحال فيه بأن يراد بالميتة أكلها لما فى ذلك من فوات الدلالة على خروج المحل عن صلاحية الفعل بخلاف الحرام لغيره فإنه إذا أضيفت الحرمة فيه إلى المحل يكون على حذف المضاف أو إطلاق المحل على الحال . فإذا قلنا الميتة حرام فمعناه أن الميتة منشأ لحرمة أكلها وإذا قلنا خبز الغير حرام فمعناه أن أكله حرام أما مجازا أو على حذف المضاف وذكر فى الأسرار أن الحل والحرمة صفتا فعل لا صفتا محل الفعل لكن متى أثبت الحل أو الحرمة لمعنى العين أضيف إليها لأنها سببه كما يقال جرى النهر لأنه سبيل الجريان وطريق يجرى الماء فيه فيقال حرمت الميتة لأنها حرمت لمعنى فيها ولا يقال حرمت شاة الغير لأن الحرمة هناك لاحترام الملك كذا فى التلويح .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٦٧ ـ ٣٦٩) .

حرملة (١٦٦ ـ ٢٤٣ هـ / ٧٨٢ ـ ٨٥٨ م) :

حرملة بن يحيى التجيبى ، مولاهم ، المصرى، أبو عبد الله ، فقيه ، من أصحاب الشافعى . كان حافظا للحديث، له فيه « المبسوط » و « المختصر » . مولده ووفاته بمصر (الأعلام ٢ / ١٧٤) .

قال عنه الإمام النووى :

حرملة : صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه حقيقة أحد رواة كتبه تكرر فى المهذب والوسيط والروضة وقولهم قال فى حرملة أو نص فى حرملة معناه قال الشافعى فى الكتاب الذى نقله عنه حرملة فسمى الكتاب باسم راويه مجازا كما يقال قرأت البخارى ومسلما والترمذى والنسائى وسيبويه والزمخشرى وشبهها . وهو أبو عبد الله وقيل أبو حفص حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قراد المصرى التجيبى بتاء مثناة فوق ثم جيم مكسورة والمشهور ضم التاء وقيل بفتحها منسوب إلى تجيب قبيلة معروفة من العرب فى اليمن قال السمعانى هو نسبة إلى تجيب وهى اسم امرأة وهى أم عدى وسعد ابنى أشرس بن شبيب بن السكون قاله أحمد بن الحباب النسابة قال وهذه القبيلة نزلت مصر وبها محلة تنسب إليها .

سمع حرملة جماعات من الأئمة منهم الشافعي وابن وهب وأبوه يحيي وغيرهم .

روى عنه جماعات من الأئمة منهم مسلم بن الحجاج في صحيحه وأكثر عنه وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وابن ماجه والحسن بن سفيان وآخرون وكان إماما حافظا للحديث والفقه ويكفيه جلالة إكثار مسلم بن الحجاج عنه في صحيحه وصنف المبسوط والمختصر قال ابن ماكولا ولد حرملة سنة ست وستين ومائة وتوفي في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وقال ابن عدى توفي سنة أربع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى . روينا عن أبي سليمان الخطابي في أول كتابه معالم السنن شرح سنن أبي داود أن أصحاب الشافعي المتقدمين يعتمدون روايات المزني والربيع المرادي عن الشافعي ما لا يعتمدون حرملة والربيع الجيزي رحمهم الله أجمعين (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

وقال عنه الإمام ابن عبد البر وقد ذكر أن وفاة حرملة سنة ٢٦٦ : يُكنى أبا حفص وكان جليلاً نبيل القدر، ويقال إن الشافعي نزل عنده . وروى عن الشافعي من الكتب ما لم يروه « الربيع » منها كتاب « الشروط » ثلاثة أجزاء، ومنها كتاب «السنن » عشرة أجزاء، ومنها كتاب « ألوان الإبل والغنم وصفاتها وأسنانها »، ومنها كتاب « الشجاج » وكتب كثيره انفرد برواياتها سوى سماعه مع « الربيع » توفي بمصر سنة ست وستين ومائتين وكان أسن أصحاب الشافعي (الانتقاء / ١٠٩) .

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٧٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووي ١ / ١٥٥ ، ١٥٦ ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء للإمام ابن عبد البر / ١٠٩) .

الحرمين (علماء -) :

من بين العلماء الذين أحصاهم وترجم لهم القنوجي علماء الحرمين وهم :

الشيخ على بن محمد بن عريق .
الشيخ أبو الحسن البكرى .
الشيخ أبو بكر بن سالم اليمنى الحضرمى .
شهاب الدين أحمد بن حجر المكى الهيثمى .
الشيخ أحمد أبو الحرام .
الشيخ محمد البهنسى .
جعفر المدنى .
الشيخ أحمد بن على بن عبد القدوس الشناذى .
الشيخ أحمد القشاشى .
عبد الرحمن الإدريسى، المحجوب .
الشيخ شمس الدين محمد بن العلاء البابلى .
الشيخ عيسى الجعفرى المغربى .
الشيخ إبراهيم الكردى .
محمد بن محمد بن سليمان المغربى .
الشيخ حسن العجيمى .
الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردى .
الشيخ تاج الدين الحنفى القلعى .
الشيخ محمد حياة السندى المدنى .
الشيخ صالح بن محمد بن نوح .
الشيخ محمد عابد السندى .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

الحَرّة :

قال ياقوت تحت عنوان : ذكر الحرار في ديار العرب :

قال صاحب كتاب العين : الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع الحرات والأحرّون والحرار والحرُّون ؛ وقال الأصمعى : الحرة الأرض التى ألبستها الحجارة السود، فإن كان فيها نجوة الأحجار فهى الصخرة، وجمعها صخر، فإن استقدم منها شيء فهو كراع ؛ وقال النضر ابن شميل : الحرة الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث، فيها حجارة أمثال الإبل البروك كأنها تشطب بالنار، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود وإنما سوّدها كثرة حجارتها وتدانيها ؛ وقال أبو عمرو: تكون الحرة مستديرة فإذا كان فيها شيء مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع واللابة والحرة بمعنى، ويقال للطلمة الكبيرة، وهى الخبزة التى تنضج بالملة : حرة ، والحرة أيضا : البثرة الصغيرة، والحرة أيضا :

العذاب الموجع ؛ والحرار فى بلاد العرب كثيرة ، أكثرها حوالى المدينة إلى الشام ، وأنا أذكرها مرتبة على الحروف التى فى أوائل ما أضيفت الحرة إليه ا هـ .

ثم يحصيها كما قال ونكتفى فيما يلى بأسمائها فحسب ومن شاء التفاصيل فليرجع إلى معجم البلدان ٢ / ٢٤٥ ـ ٢٥٠) وإليك أسماءها :

حرة أوطاس ، حرة تبوك ، حرة تقدة ، حرة حقل ، حرة الحمارة ، حرة راجل ، حره راهص ، الحرة الرجلاء ، حرة رماح ، حرة سُليم ، حرة شرج ، حرة شوران ، حرة طرغد ، حرة عبّاد ، حرة عذراء ، حرة عسعس ، حرة غُلاس ، حرة قباء ، حرة القوس ، حرة لُبن ، حرة لفلف ، حرة ليلى ، حرة معشر ، حرة ميطان ، حرة النار ، حرة واقم ، وفيها كانت وقعة الحرة المشهورة ، ويأتى بيانها فيما بعد ، وحرة الوبرة ، وحرة بنى هلال .

(معجم البلدان ، / ٢٤٥ ـ ٢٥٠) .

حرة واقم :

انظر : الحرة ، الحرة (وقعة ـ) .

الحَرّة (وقعة ـ) (٦٣ هـ / ٦٨٣ م) :

خلع أهل المدينة المنورة طاعة الخليفة يزيد إلا القليل منهم ، وحاصروا الأمويين هناك . فأرسل يزيد بن معاوية جيشا لحربهم بقيادة مسلم بن عقبة المزنى . فجاء إلى المدينة وأقام خارجها فى الحرة ودعا القوم للطاعة ثلاثة أيام ، فلما أبوا إلا القتال حاربهم وهزمهم رغم أنهم أقاموا بينهم وبينه خندقا . ثم استباح المدينة لجنده ثلاثة أيام كما أمره يزيد . فقتلوا الكثير من أهل المدينة وأغلظ مسلم فى معاملة أهلها ، واستبيحت فى أموالها ونسائها . لذلك يقول السلف فى مسلم : مُسرف بن عقبة لأنه أسرف فى القتل فى مدينة رسول الله ﷺ وكلهم من المهاجرين والأنصار (معجم المعارك الحربية / ١٢٤) .

وقد ذكر يا قوت هذه الوقعة الشنيعة تحت عنوان « حرة واقم » فقال عنها :

حَرّةُ واقم : إحدى حرتى المدينة ، وهى الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم ، وكان قد نزلها فى الدهر الأول ، وقيل : واقم اسم أُطُم من آطام المدينة إليه تضاف الحرة ، وهو من قولهم : وقمت الرجل عن حاجته إذا رددته ، فأنا واقم ؛ وقال المرار :

بحرة واقم ، والعيس صُعْر
ترى لِلْحَى جماجمها تبيعا

وفى هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة فى أيام يزيد ابن معاوية فى سنة ٦٣ وأمير الجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المرى ، وسموه . لقبيح صنيعه مُسرفا ، قدم المدينة فنزل « حرة واقم » وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه ، فكسرهم وقتل من الموالى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ومن الأنصار ألفا وأربعمائة ، وقيل ألفا وسبعمائة ، ومن قريش ألفا وثلاثمائة ، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال وسبوا الذرية واستباحوا [النساء] وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن ، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة ، ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد ابن معاوية ، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه ، وجاؤوا بعلى بن عبد الله بن العباس ، فقال الحصين بن نمير : يا معاشر اليمن عليكم ابن أختكم ، فقام معه أربعة آلاف رجل ، فقال لهم مسرف : أخلعتم أيديكم من الطاعة ؟ فقالوا : أما فيه فنعم ، فبايعه عليٌّ على أنه ابن عم يزيد بن معاوية ، ثم انصرف نحو مكة وهو مريض مدنف فمات بعد أيام وأوصى إلى الحصين ابن نمير ، وفى قصة الحرة طول ، وكانت بعد قتل الحسين ، رضى الله عنه ، ورمى الكعبة بالمنجنيق من أشنع شيء جرى فى أيام يزيد ؛ وقال محمد بن بحرة الساعدى :

فإن تقتلونا يوم حرة واقم ،
فنحن على الإسلام أول من قُتِلْ
ونحن تركناكم ببدر أذلة ،
وأبنا بأسياف لنا منكم نفَلْ
فإن ينج منكم عائذ البيت سالما ،
فما نالنا منكم ، وإن شفّنا ، جلل

عائذ البيت : عبد الله بن الزبير؛ وقال عبيد الله بن قيس الرُّقيات :

وقالت : لو أنا نستطيع لزاركم
طبيبان منا عالمان بدائكا
ولكن قومي أحدثوا بعد عهدنا
وعهدك أضعافا ، كلفن نسائكا
تذكرني قتلى بحسرة واقم
أصبن ، وأرحاما قطعن شوائكا

(معجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٤٩ ، ٢٥٠) .

انظر : الحَرَّة .

الحروب الإسلامية :

يلخص الأستاذ الدكتور أحمد شوقى الفنجرى مفهوم الحرب فى الإسلام، أو العقيدة العسكرية الإسلامية فى عدد من النقاط الرئيسية :

(أولا) أن السلام هو الغاية والهدف ... والحرب إحدى وسائل تحقيق السلام وفى ذلك يقول القرآن الكريم .

ـ ﴿ **ادخلوا فى السلم كافة** ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

ـ ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** ﴾ [الأنفال : ٦١] .

ـ ﴿ **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** ﴾ [النساء : ٩٠] .

(ثانيا) أن الحرب فى الإسلام نوعان :

أ ـ دفاعية : لحماية أرض المسلمين وعقيدتهم : وفى ذلك يقول القرآن : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ [البقرة : ١٩٤] ﴿ **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾ [النساء : ١٠٢] .

ـ ﴿ **وخذوا حذركم** ﴾ [النساء : ١٠٢] .

ـ ﴿ **أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا** ﴾ [الحج : ٣٩] .

ب ـ هجومية : وليس الهدف منها الغزو والاستعمار وقهر الشعوب وليس الهدف هو إكراه الأمم على اعتناق الدين : ولكن الهدف تحرير إرادتها وحريتها لكى تختار الدين الحق ... دون قهر من الحكام أو الغزاة وفى ذلك يقول تعالى :

ـ ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ـ ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ [البقرة : ٢٥] .

ثالثا : أن الشدة فى القتال لا تعنى القسوة ولا الوحشية ولا الظلم : فقد أمر المسلمون بالشدة فى القتال بمعنى العزم والحزم وعدم التراجع فقال :

﴿ **فلا تولوهم الأدبار** ﴾ [الأنفال : ١٥] .

﴿ **حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق** ﴾ [محمد : ٤٧] .

﴿ **جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾ [التوبة : ٧٣] و [التحريم : ٩] .

ب ـ وفي نفس الوقت أمروا بالرحمة والعدل والرفق بعد الانتصار فقال تعالى :

﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** ﴾ [الإنسان : ٨] .

﴿ **فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾ [محمد : ٤٧] .

﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ [النساء : ٥٨] .

﴿ **ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ [البقرة : ١٩٠]

كان هذا هو الجانب العقائدى تحدثنا عنه بإيجاز شديد (العلوم الإسلامية ٣ / ٣١ ، ٣٢) .

ويوضح ذلك كله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فيقول عن الحرب فى الإسلام :

﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

الإسلام دين الحجة والبرهان . دين الأمن والسلام، دين التعاون والتآخى، دين التعمير والبناء، وهو لا يعدل عن الحجة ما وجد منها سبيلا إلى هدفه، وهو إقرار الحق فى نصابه، وتمتع الناس بحريتهم الطبيعية، وثمار العدل والمساواة، فإذا ما التوت بالعقول السبل واختلس الإنسان من

سكان الكهوف، والمغاور أخلاقهم وطيشهم، فعبث بالحياة، وأراق الدماء، وسخر الضعفاء، وتحكم بجبروته في الحقوق، وانقض على الهادئين فزلزل عليهم أمنهم، وعلى المالكين فاغتصب حقوقهم، وانتزع منهم أوطانهم، وفتنهم في دينهم ودنياهم.

فهنا وهنا فقط ـ حفظا لعرض الإنسانية أن يثلم، ولحكمة الله في خلق الإنسان أن تذهب ـ لا يجد بدا من ارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال فيأذن بها لأهله حتى يرد أهل البغي والعناد وليحترموا حقوق الإنسانية المكرمة ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة: ٢٥].

الإسلام دين الواقع:

وما كان للإسلام، وهو دين عملي واقعي، أن يتجاهل سنة الاجتماع البشري التي كثيرا ما يندفع بها الناس إلى التنازع وارتكاب المظالم، والتنكر للحق والاعتداء على الحريات على هذا ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى ﴾ [العلق: ٦، ٧] اعترف الإسلام بالحرب، واتخذها حيث لا تنفع الحجة والبرهان وسيلة عملية لمكافحة البغي ورد العدوان، وإزالة العقبات، والقضاء على المفاسد والطغيان ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ [النساء: ٨٤] ﴿ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ [النساء: ٩١].

اعترف الإسلام بالحرب في تلك الدائرة وجعلها ذروة سنامه وأفرغ عليها صبغة الجهاد في سبيل الله، يقيم بها العدل والميزان ويمهد بها سبل الحياة الطيبة السعيدة، وحينما يصل المسلمون بالحرب إلى هذه الغاية، أوجب أن تضع الحرب أوزارها، وأوجب الكف عنها ﴿ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة: ١٩٣] ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ [النساء: ٩٠].

وهو إذ يقررها ويدعو إليها وسيلة لإقامة العدل والميزان، يحوطها بالتشريع الذي من شأنه أن يحقق هدفها، وهو إخضاع قوى الشر والفساد، والذى من شأنه في الوقت نفسه أن يخفف من ويلاتها ويضمد من جراحها: لا يترك أهله يفتحون بها على الناس، أبواب الجحيم من كل جانب، لا يترك لهم أن يبقروا فيها بطون الحبالي، ولا أن يمثلوا بجثث الشيوخ والرضع.

هذا الجحيم الذى نرى دعاة الحضارة والمدنية، وحقوق الإنسان، يدقون ناقوسه لسبب ولغير سبب، ويوقدون ناره في جميع الآفاق، فلا تلبث أن تلتهم المشرق والمغرب، ويصير الناس فيها كمثل قوم في سفينة، أخذتها الأعاصير من كل جانب، واضطربت بهم في بحر لجي، يغشاه موج من فوقه موج، من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، يكاد اليم يبتلعها بمن فيها. أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود في بيت مغلق النوافذ، وقد تقطعت بهم أسباب النجاة، فجمدوا في أماكنهم، شاخصة أبصارهم، يشهدون التهام النار متاعهم ونفائسهم وأموالهم وأبناءهم وأنفسهم، ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكنا، أو يلتمسوا طريقا للخلاص من هول ما هم فيه سوى العويل والصياح، والاستغاثة من الخطر الذى دهمهم وحل بهم وبدارهم، إلى أن تخمد أنفاسهم ويصيروا جثثا هامدة تحت أنقاض البيوت وعروش العمائر!!

حرب المدنية:

هذه هي مدينة القرن العشرين مدنية العلم الذى أنعم الله به على الإنسان، ليسعد به الإنسانية فأشقاها، ويحييها فأماتها. هذا هو حربها، وهذا هو سلامها الذى يتغنى به الخراصون الأفاكون، والذى نسجوا من اسمه أحبولة يكيدون بها للسلام الحق، وبها يفسدون حكمة الله في خلق الإنسان (من توجيهات الإسلام / ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

وعن الإسلام بين الحرب والسلام جاء هذا البيان للناس:

إن الدعوة الإسلامية دعوة الرحمة والسلام والأمان، والإسلام لم ينتشر بالسيف، وما كان القتال في حياة المسلمين إلا دفاعا أو تأمينا لطريق الدعوة، وإذا كانت هناك نصوص تدل بظاهرها على الأمر المطلق بالقتال فهناك نصوص أخرى تقيدها.

ونريد أن نؤكد هنا أن القتال إذا شرع في الإسلام للأغراض المشروعة، فإنه روعى فيه القدرة عليه والاضطرار إليه،

والظروف القائمة حينذاك، فعندما أمر الله المؤمنين بالقتال بقوله : ﴿ **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ قال بعد ذلك : ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ [الأنفال : ٦٥ ، ٦٦] وأعفى الضعفاء وذوى الأعذار من الجهاد فقال : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل** ﴾ [التوبة : ٩١] .

وحبب الإسلام فى السلام وكان من ضمن تشريعاته : قبول الصلح إذا عرض على المسلمين، والوفاء بالعهد المأخوذ بينهم وبين العدو، والإخلاص عند عقد المواثيق، فلا تتخذ الأيمان دخلا تنقض حسب الأهواء والمصالح الشخصية، حتى لو اتخذها العدو خداعا فليعمل المسلمون على منع الحرب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ﴿ **وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله** ﴾ [الأنفال : ٦٢] .

وإذا كان الإسلام بهذه الصورة الداعية إلى السلام فلماذا جاءت نصوص تنهى وتمنع المسلمين أن يدعوا إليه، وتشدد فى قتال العدو دون قيد أو شرط؟ ولماذا عاهد النبى ﷺ الأعداء وعقد معهم صلحا لوقف القتال؟ لا بد من العلم أن لكل نص ظروفه وغرضه، وأن العام قد يكون له مخصص، والمطلق قد يكون له مقيد، وذلك بنص آخر أو بتطبيق النبى ﷺ لهذه النصوص. وتطبيقه تشريع كما هو معروف، مراعيا فيه الظروف القائمة التى تتلاقى مع نصوص القرآن الكريم ولا تعارضها، فإذا كانت بالمسلمين قوة بقوا على أصل دعوتهم السلمية، ولم يبادروا بطلب الصلح من عدوهم حتى لا يسىء بهم الظن أو يعتقد أن فيهم ضعفا ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** ﴾ [محمد : ٣٥] ولكن مع ذلك إذا جاءت المبادرة من العدو فلا يرفضون المصالحة حتى لو كان يريد بها خداعهم ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين** ﴾ [الأنفال : ٦١، ٦٢] .

أما إذا كان بالمسلمين ضعف أيا كان نوعه، وإذا كانت الظروف لا تساعد على خوض المعركة لسبب أو لآخر، فلو بادر العدو بطلب الصلح كان قبولهم له أولى من قبوله وهم أقوياء، فإن لم يبادر هل يسعى المسلمون إليه أو لا ؟ قال بعض المسلمين: لا يجوز السعى إلى الصلح مهما كان حال المسلمين، ففى ذلك ذلة ومهانة وإطماع للعدو فيهم ، وقال بعض آخر: لا مانع من المبادرة بطلب الصلح تحقيقا للمصلحة ومنعا للضرر، مستأنسين بمعاهدة النبى ﷺ لليهود عند هجرته إلى المدينة، وبالسعى للتصالح مع العدو فى غزوة الأحزاب ليرجع دون قتال، فى مقابل عوض يدفع إليه من تمر المدينة .

واختصارا للحديث فى هذا الموضوع نكتفى بنقل ما جاء فى « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾ [الأنفال : ٦١] حيث قال ما خلاصته : إن هذه الآية مختلف فيها ، هل هى منسوخة أم لا ، فقيل منسوخة بقوله تعالى : ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ [التوبة : ٥] وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة** ﴾ [التوبة : ٣٦] أو بقوله تعالى : ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم** ﴾ [محمد : ٣٥] وقيل : ليست منسوخة، بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية، وقد صالح أصحاب رسول الله ﷺ فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ومن بعده من الأئمة كثيرا من بلاد العجم على ما أخذوه منهم ، وتركوهم على ما هم فيه وهم قادرون على استئصالهم ، وكذلك صالح رسول الله ﷺ كثيرا من أهل البلاد على مال يؤدونه، من ذلك خيبر.

ثم نقل القرطبى كلاما لابن العربى يقول فيه : فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة وشدة شديدة فلا صلح ، كما قال الشاعر :

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا
وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وإن كان للمسلمين مصلحة فى الصلح لنفع يجلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد صالح الضمرى وأكيدر دومة وأهل

نجران، وقد هادن قريشا لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابة على هذا السبيل التى شرعناها سالكة، وبالوجوه التى شرحناها عاملة . اهـ .

بقيت نقطة أخرى وهى : هل هناك تحديد للمدة التى يتم عليها الصلح وتقف الحرب ؟

جاء أيضا فى تفسير القرطبى (٨ / ٤٠) : قال القشيرى : إذا كانت القوة للمسلمين فينبغى ألا تبلغ الهدنة سنة، وإذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين، وقد هادن رسول الله ﷺ أهل مكة عشر سنين . وجاء فى « ص٤١ » : وقال ابن حبيب عن مالك رضى الله عنه : تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث وإلى غير مدة ، كما جاء فيه : ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو، لموادعة النبى ﷺ عيينة بن حصن الفزارى والحارث ابن عوف المرى يوم الأحزاب على أن يعطيهما ثلث تمر المدينة وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم، وكانت هذه المقاولة مراوضة ولم تكن عقدا، ولم يقبل الأنصار ذلك ، فنزل النبى ﷺ عند رأيهم اهـ .

وبهذا التوضيح يمكن أن يفهم ما أعلنه ـ المؤتمر الرابع للمجمع ـ عن رفض الصلح مع العدو، وما أعلنه بعد ذلك عن جواز هذا الصلح، فلكل مقام مقال (بيان للناس من الأزهر الشريف ٢ / ٣٦٨ ـ ٣٧١) .

ويرتبط بهذا كله ما يمكن أن يسمى آداب الحروب الإسلامية ، ومن ذلك ما كتبه اللواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ عن الحرب العادلة فى الإسلام حيث يقول بعد أن تكلم عن الغاية من الجهاد :

والحق أن الجهاد فضيلة إنسانية عليا ، وأن الباعث إليه فضيلة أيضا، إذ هو إعلاء كلمة الله ، ورد الاعتداء ، ويستقيم مع هذا المعنى أن تكون الفضيلة الإسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد سلما وحربا، ورعايتها فى الحروب تعلى من قدر من يتمسك بها ، لأنه يتمسك بها فى أصعب الظروف وأشد المواقف . ويراعى الفضيلة فى موقف أبيحت فيه النفوس .

من أجل ذلك فلا غرابة فى أن تكون حروب الإسلام حروبا فاضلة . فهى حروب مقيدة بقانون السماء . ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات وإهدار الكرامة الإنسانية .

وهكذا انطوت حرب الإسلام العادلة على الآداب والفضائل مثل منع قتل غير المحاربين ومنع التخريب ومنع قتل الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال وحسن معاملة الأسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى أو قتلهم . والوفاء بالعهد والتأمين للمحارب ومجاملة رسل العدو. وعدم التعرض بالأذى لهم وحسن معاملة الشعوب المغلوبة وكان للإسلام فضل سبق القانون الدولى فى هذا المجال .

وقد اتفق رجال الاستراتيجية على أن الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على « سلام أفضل » (أى أفضل من حالة ما قبل الحرب) وأنه من الضرورى أن يضع القادة فى اعتبارهم باستمرار ـ وهم يديرون دفة الحرب ـ السلام الذى يرغبون فيه ومن أجل ذلك عليهم أن يراعوا أن تحدث «ضرباتهم » أقل ما يمكن من الأضرار « الدائمة » وذلك لأن عدو اليوم هو حليف المستقبل وينبه « الاستراتيجيون » إلى أنه كلما زادت وحشية الوسائل، فإن مقاومة الخصم سوف تزداد وأنه عند بلوغ الهدف العسكرى « أى النصر » فإن المنتصر إذا زاد من مطالبه تجاه الجانب الآخر واستخدم أساليب القهر والتسلط الغاشم، فإنه لن يحصل على « سلام حقيقى ومستقر» بعد انتهاء الحرب ...

ويصف « الاستراتيجيون » تلك الحالة من السلم بأنها «سلم مشوه يحتوى على جراثيم حرب تالية » !!

والتاريخ حافل بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى إدارة الحروب لا يهيئان مناخا لقيام سلام مستقر أو دائم :

فهناك سلسلة الحروب الواسعة ـ وعلى رأسها الحرب الثلاثينية ـ التى دفعت رجال السياسة فى القرن الثامن عشر إلى إدراك هذه الحقيقة، وإلى إدراك ضرورة كبح أطماعهم وأهوائهم الخاصة، وتجنب الشطط والمبالغة فى كل الأعمال التى قد تطيح بالآمال المعقودة على حالة ما بعد الحرب .

وهناك حروب نابليون التى امتدت قرابة العشرين عاما ... وقد كان نابليون يتصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب تلو الحرب، فجاءت النتيجة على عكس تصوره، بل وصل الأمر إلى حد انهيار الإمبراطورية النابليونية !

وهناك الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ التى رفع فيها المنتصرون شعار « ويل للمغلوب » فكانت قسوتهم فى

معاملة ألمانيا وكان فرضهم للعقوبات الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الألمانى سببا فى أن السلام الذى حصلوا عليه جاء « مشوها يحمل جراثيم حرب تالية »... فإن تلك القسوة بالذات كانت الدافع الرئيسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على إنهاض ألمانيا، وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

حروب الإسلام :

أما حروب الإسلام، فقد كانت « خالية من جراثيم حرب تالية » ولم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلام حقيقى ومستقر، بل كانت تجعل جراح المغلوبين « تلتئم بسرعة » وكان الحصول على مثل هذا النوع من السلام هدفا من أهم الأهداف العسكرية الإسلامية .

وغزوة الفتح خير مثل يضرب فى هذا المجال، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش، ولو كان هم رسول الله ﷺ أن يحقق النصر على أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد النصر، ما نفذ ذلك المخطط العبقرى الذى وضعه وحقق به فتح مكة بلا قتال...

وإذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة فإن الرسول القائد ﷺ - رغم كل ما فعلت قريش ضد الإسلام والمسلمين — لم يفعل شيئا من ذلك ، بل كان كل همه أن يؤلف قلوب المشركين ويجعلها تقبل على الإسلام الذى هو دين السلام .

ومن ثم كان تصرفه فى أهل مكة بعد الفتح وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم تطبيقا لمبادئ الإسلام السمحة وفضيلة الجهاد العليا، بل كان مثلا فذا للعبقرية السياسية والعسكرية معا، فقد قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ... ولقد حققت تلك السماحة آثارها الاستراتيجية فى قريش فإن قريشا تحولت وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للإسلام ، إلى أحرص الناس عليه وعلى رفع راية الجهاد فى سبيله ، وليس هذا فحسب، بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ، قدر لهم - كما يقول مونتجمرى : أن يكونوا من أعظم القادة العسكريين مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

الفتوح الإسلامية :

وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد عصر النبوة، فها هو ذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول خليفة للمسلمين يوصى قائد الجيش وهو يستعد للخروج .

« إذا سرت فلا تعنف أصحابك فى السير ولا تغضبهم وشاور ذوى الآراء منهم ، واستعمل العدل وباعد عنك الجور، فإنه ما أفلح قوم ظلموا ، ولا نصروا على عدوهم : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله**﴾ .

« وإذا نصرتم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا » .

« ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجرا، ولا تذبحوا بهيمة، إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم، ولاتنقضوا إذا صالحتم ، وستمرون على قوم فى الصوامع رهبان ترهبوا لله ، فدعوهم وما انفردوا إليه ، وارتضوه لأنفسهم ، ولا تهدموا صوامعهم ، ولا تقتلوهم ، والسلام » .

وعلى نفس النهج أوصى عمر سعد بن أبى وقاص قائده - رضى الله عنهما - الذى وجهه لفتح فارس فقال :

« أما بعد فإنى أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فى كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراسا من المعاصى من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم نكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية، كان لهم الفضل علينا فى القوة، وإن لم ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، وأبعد منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به » .

وهكذا كانت الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين

الفاتحين، وتنضم إليهم أحيانا لتنجو من عسف الفرس والروم وتستظل بوارف من العدل والسماحة والحرية، ولقد تحقق لهذه الشعوب ما أملته، وسرعان ما دان أكثرها بالإسلام عن رغبة واختيار، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلا للإسلام، وصار أهلها من دعاته وحملة لوائه ومن المجاهدين في سبيله، حتى لقد أثار ذلك دهشة (مونتجمرى) في كتابه « الحرب عبر التاريخ » فقال : « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الإسلامية في فتح أسبانيا بين عامي ٧١٠ ــ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين » ...

وقد علل مونتجمرى نفسه سر هذه الفتوحات الإسلامية وكيف وصلت مداها الواسع بأن المسلمين كانوا يستقبلون في كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة، فزاد إيمان الشعوب بهم ... وقد ظلت جميع المناطق التي فتحوها في القرن السابع حتى يومنا هذا ـ ما عدا أسبانيا ـ تحتفظ بالدين الإسلامي وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الإسلامي .

شهادة الأجانب :

ويقول جوستاف لوبون « إن القوة لم تكن عاملا في نشر القرآن وإن العرب تركوا المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى . وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم . والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ... » .

(« الآثار الاستراتيجية للحرب العادلة في الإسلام » / ٦٢٠ ـ ٦٢٣) .

قالت المؤلفة : لما كان قد فاتنا إدراج مادة « الجزية » في موضعها في حرف الجيم، رأينا إدراجها هنا لارتباطها بما جاء أعلاه على لسان « جوستاف لوبون » :

لقد ورد لفظ « الجزية » في القرآن الكريم في آية واحدة في قوله تعالى : ﴿ **حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وتعرف الجزية في هذه الآية الكريمة بأنها الخراج المقدر على رءوس أهل الذمة (كلمات القرآن / ١١٠) .

وثمة تعريف آخر هو : الجزية ضريبة مالية تؤخذ من أهل الذمة، في مقابل أن يسكنوا تحت حماية المسلمين، ويدفعها المحاربون ، ويعفى منها العاجزون عن الحرب بصرف النظر عن أسنانهم ، وتختلف باختلاف يسار الذمي وإعساره (مختصر الأحكام الفقهية / ٢١٠) .

وجاء في اللسان ما يلي : الجزية : خراج الأرض ... وجزية الذمي منه . الجوهري : والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة ... وقد تكرر في الحديث ذكر الجزية في غير موضع ، وهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة ... ومنه الحديث : « ليس على مسلم جزية » أراد أن الذمي إذا أسلم، وقد مر بعض الحول ، لم يطالب من الجزية بحصَّة ما مضى من السنة ، وقيل : أراد أن الذمي إذا أسلم وكان في يده أرض صولح عليها بخراج، توضع عن رقبته الجزية ــ وعن أرضه الخراج، ومنه الحديث : « من أخذ أرضا بجزيتها » ، أراد به الخراج الذي يؤدى عنها ، كأنه لازم لصاحب الأرض كما تلزم الجزية الذمي، قال ابن الأثير : هكذا قال أبو عبيد ، هو أن يسلم وله أرض خراج ، فترفع عنه جزية رأسه ، وتترك عليه أرضه يؤدي عنها الخراج (لسان العرب ٨ / ٦٢١ ، ٦٢٢) .

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى آداب الحروب الإسلامية ، جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة ما يلي :

حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية (أي تعيين القواد وتسليمهم الأعلام) : بسم الله وعلى عون الله وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة. ولا تسرفوا عند الظهور (أي الغلبة) ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفي شن الغارات . ولا تغلوا عند الغنائم (غل في الغنيمة : جعلها لنفسه ولم يوزعها) .

انظر : الغلول ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، وأبشروا بالرياح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ...

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [الأنفال : ٤٥ ، ٤٦] (من كتاب عيون الأخبار / ٤٠ ، ٤١) .

(العلوم الإسلامية ــ د . أحمد شوقى الفنجرى ٣ / ٣١ ، ٣٢ ، ومن توجيهات الإسلام ـ فضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٢٢٥ ــ ٢٢٧ ، وبيان للناس من الأزهر الشريف ٢ / ٣٦٨ ــ ٣٧١ ، و «الآثار الاستراتيجية للحرب العادلة فى الإسلام ـ لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر . الجزء الخامس ، السنة التاسعة والستون ، جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ـ يناير ١٩٨٧ م/ ٦٢٠ ـ ٦٢٣ ، وكلمات القرآن ـ تفسير وبيان ــ فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف / ١١٠ ، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى ــ تحقيق يوسف البدرى ، مراجعة د . محمد أحمد عاشور / ٢١٠ ، ولسان العرب لابن منظور ٨ / ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ومن كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة . وزارة الثقافة والإرشاد القومى . المختار من التراث العربى (١٠) مديرية إحياء التراث العربى . دمشق ١٩٧٧ / ٤٠ ، ٤١) .

حروب الإيرانيين فى العراق:

من مخطوطات التاريخ بمكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١٩٥٢

لسليمان فائق بن طالب أغا المتوفى سنة ١٣١٤ هـ ــ ١٨٩٦ م .

الأول (الحمد لله الذى قيض للتاريخ رجالا ضبطوا لأخلافهم أخبار أسلافهم ...) .

وهو كتاب فى أخبار الوزير أحمد باشا وولده حسن باشا وما حدث فى أيامهم وضعه المؤلف باللغة التركية وعربه محمد خلوصى بن سعيد التكريتى الناصرى ... بدأ فيه المؤلف بحوادث سنة ١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م وانتهى منه بحوادث سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م .

نسخة عليها تعليقات حديث الخط .

القياس ٦١ ص   ٣٤,٥ × ٢١,٥ سم   ١٩ س

معجم المؤلفين العراقيين ٢ / ٦٢ .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٧) .

الحروب الصليبية :

يقدم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس فى أطلسه النفيس دراسة مستفيضة عن الحروب الصليبية رأينا أن نجعلها الجزء الرئيسى فى هذه المادة ، وهى كما يلى :

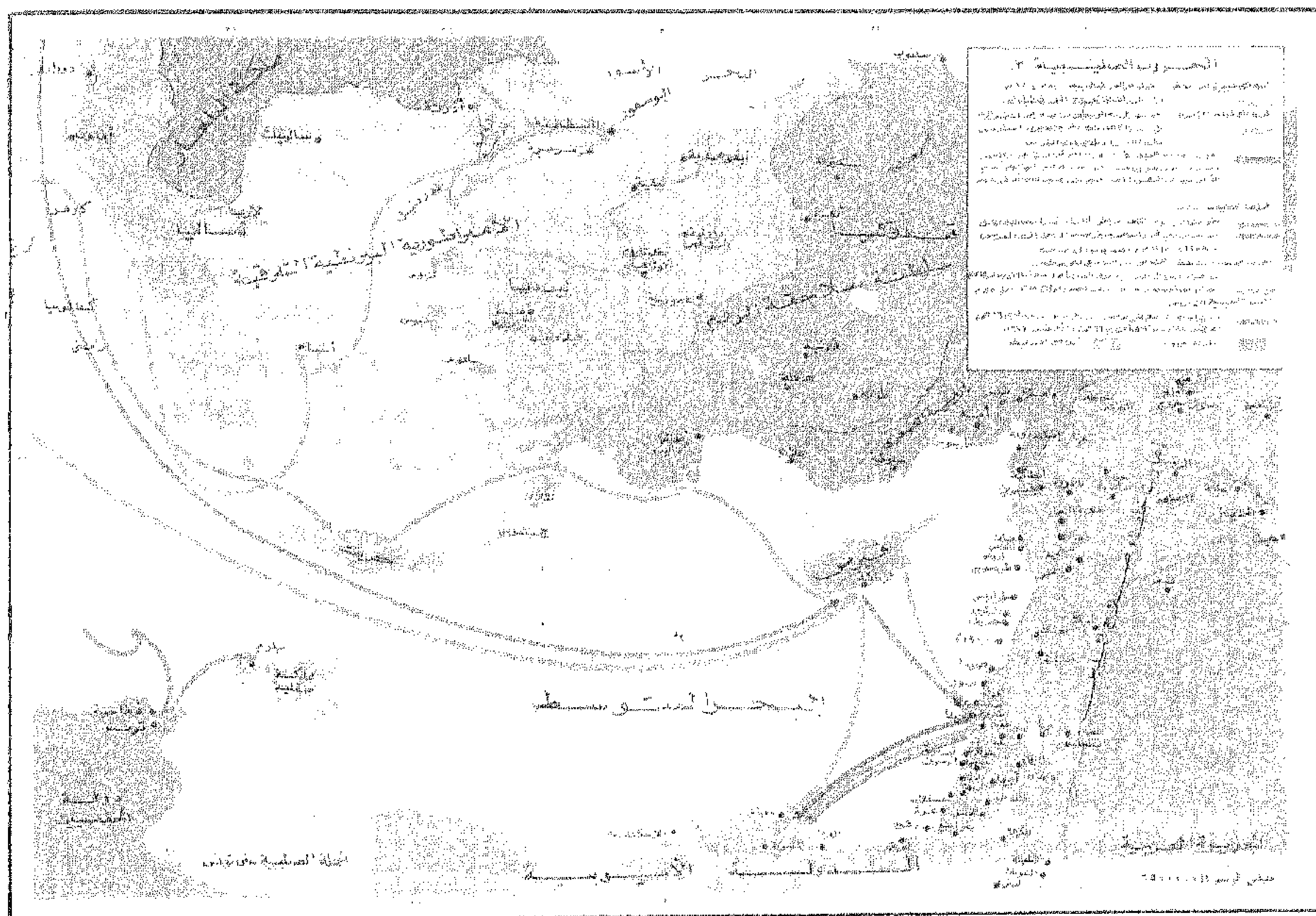
تعتبر الحروب الصليبية من أعاظم الحوادث فى التاريخ الإسلامى العام ، وهى كذلك من أكبر حوادث التاريخ العالمى ، لأن الذى فكر فى الحروب الصليبية وقام بها هو الغرب المسيحى بتوجيه أوّلى من البابوية ، بغرض الاستيلاء على المقدسات المسيحية فى فلسطين وبخاصة مدينة القدس وقبر المسيح عيسى ابن مريم فى بيت لحم القريبة من القدس . والحركة بدأت فى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، واستمرت فى عنف إلى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

أصل الحروب الصليبية .

وليس هنا مكان دراسة أسباب هذه الحروب وتطور هذه الأسباب ، ولكننا نكتفى بأن نقول إن أصل الحركة كلها عند البابوية ، وكان من أول أهدافها تقوية مركز البابوية فى العالم المسيحى ، وتوحيد العالم المسيحى كله تحت سلطانها ، وأول من فكر فى ذلك كان البابا جريجورى السابع ، وهو ألمانى اسمه الأول هلدبراند وكان رجلا واسع الطموح والنشاط ، وكان قد شجع رهبان دير كلونى ، وهو دير كاثوليكى فى فرنسا ، نشأت فيه حركة حماس دينى وتجرد رجاله لنشر المسيحية بين قبائل وسط أوروبا من المجر وشمالها من الشعوب النورماندية ، وأحس البابا جريجورى أن تحت يده قوة يمكن أن يستخدمها لفرض إرادته على بلاد الغرب الأوروبية وتوحيدها تحت لوائه ، وفى ذلك الوقت تلقى البابا استغاثة من الإمبراطور ألكسيوس كومنين إمبراطور الدولة البيزنطية يطلب فيها أن يمده الغرب الأوروبى بجنود يعاونونه على دفع الخطر السلجوقى .

وكان السلطان السلجوقى ألب أرسلان قد انتصر على الإمبراطور البيزنطى رومانوس الرابع فى موقعة ملاذكرد سنة

١٠٧١ م فى أقصى شمالى أذربيجان ، وفتح الطريق أمام قبائل الأتراك لتدخل آسيا الصغرى التى كانت معتبرة إذ ذاك من أراضى الدولة البيزنطية ، بما فى ذلك جزء كبير من بلاد الأرمن ، وكان الأرمن إذ ذاك منتشرين على مساحات واسعة تمتد من شرق البحر الأسود جنوبا إلى شمالى بلاد الجزيرة والموصل ، وعقب انتصار ملاذكرد تدفقت جموع من الأتراك السلاجقة فدخلت آسيا الصغرى ، واستقرت فى شرقها ، وأنشأت فيها سلطنة سلجوقية عرفت باسم سلطنة سلاجقة الروم ، وأولهم قلج أرسلان ، وأخذت هذه السلطنة تمتد شرقا حتى استحوذت على النصف الشرقى من آسيا الصغرى ، وجعلت عاصمتها فى مدينة قونية ، وأخذت تزحف إلى الغرب ، وهذا هو الخطر الذى جعل ألكسيوس كومنين يستغيث بالبابوية ، على الرغم من أنه كان هناك انشقاق دينى وسياسى بين الدولة البيزنطية والكنيسة الكاثوليكية فى روما منذ



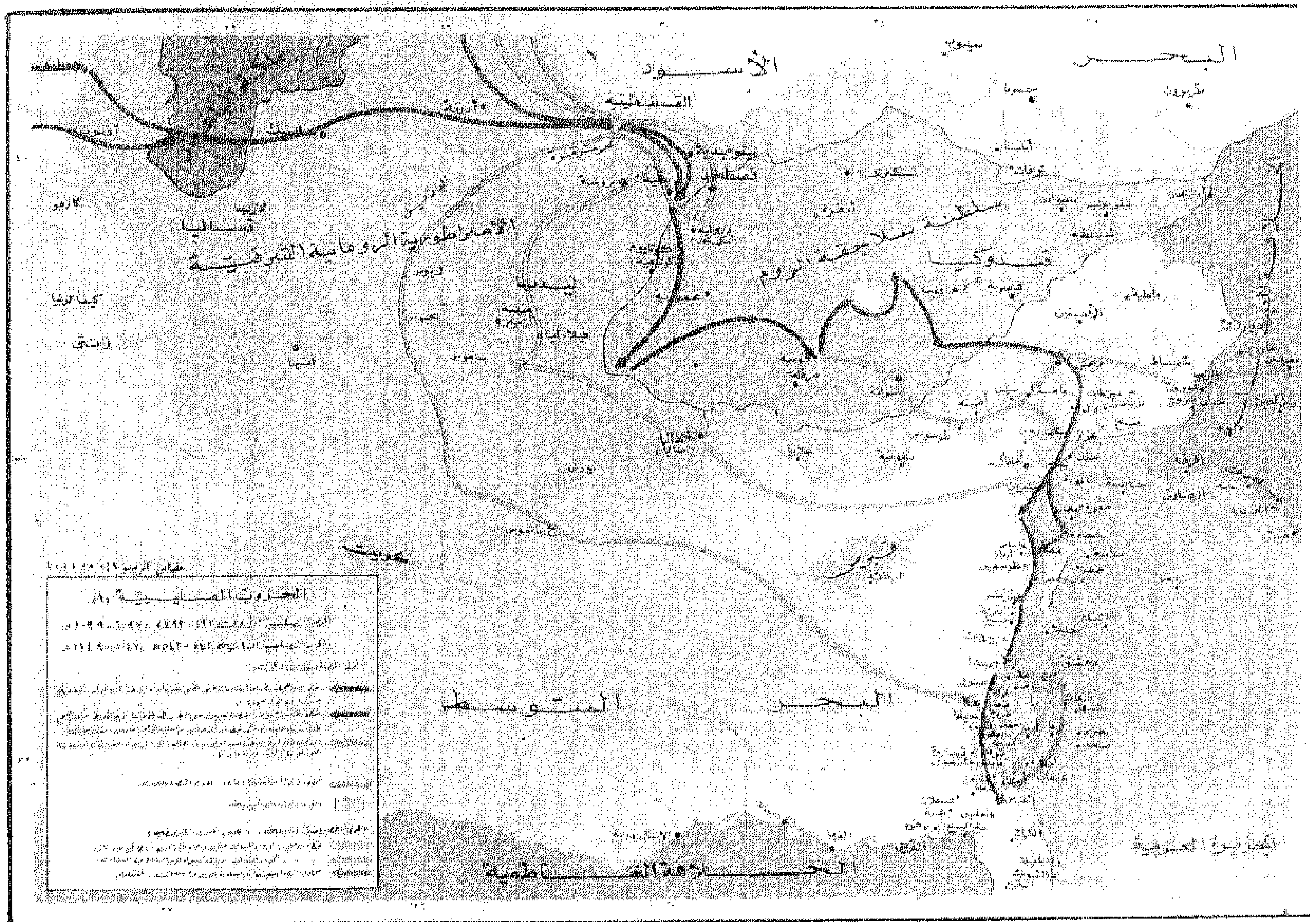
سنة ١٠٥٤ م . وهذا هو الانشقاق الديني الواسع الذي يوصف بالكبير وبدلاً من أن يبادر البابا جريجوري بالاستجابة لما طلبه الإمبراطور البيزنطي فكر في استنهاض همم الرهبان الكونيين وبقية رجال الكنيسة في الغرب للدعوة إلى توحيد الغرب الأوروبي تحت لواء البابوية وإنشاء مملكة مسيحية دينية واحدة يسيطر عليها البابوات .

ولم تسنح الفرصة للبابا جريجوري السابع بالسير في مشروعه إلى أكثر من ذلك فقد توفي سنة ١٠٨٥ م وخلفه البابا أوربان الثاني ، وكان تلميذا للبابا جريجوري ومتحمسا لآرائه .

حرب الاسترداد في الأندلس :

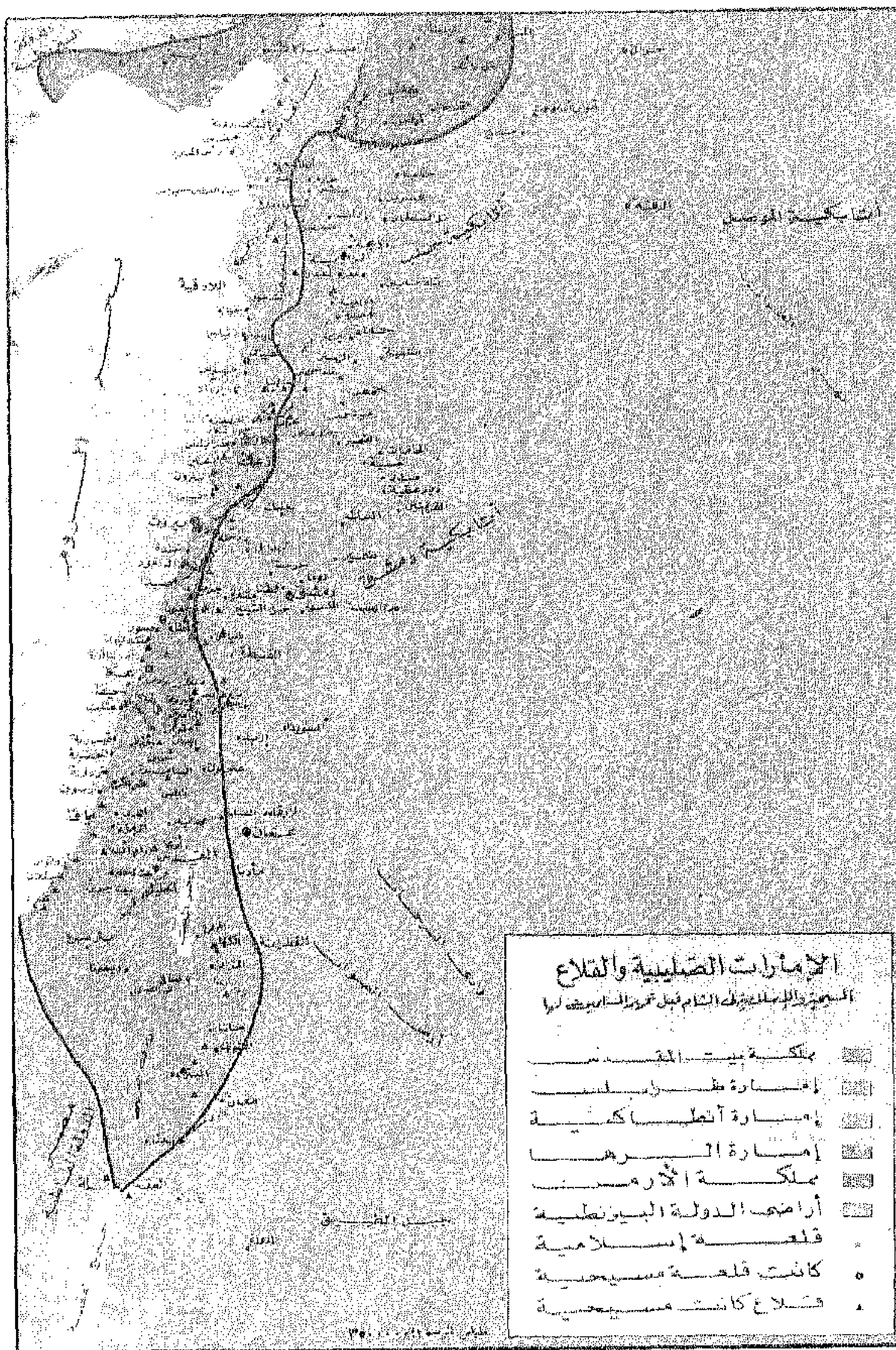
وفي ذلك الوقت كانت الحرب بين الإسلام والنصرانية في الأندلس ـ وهي شبه الجزيرة الأيبيرية ـ قد تطورت إلى ما يعرف بحرب الاسترداد « الريكونكيستا » أي استرداد بقية أرض شبه الجزيرة من المسلمين وذلك عقب سقوط الخلافة الأموية الأندلسية سنة ١٠٣١ م وانقسام الأندلس الإسلامي إلى

دويلات متنازعة عرفت باسم دول الطوائف، أو ممالك الطوائف، وقد بدأ حرب الاسترداد هذه فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة سنة ١٠٥٧ م وصارت السياسة الرئيسية للممالك النصرانية المتاخمة للأندلس. ثم صارت حقيقة واضحة المعالم فى الاستراتيجية والتاكتيك عندما استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على مملكة طليطلة فى ٦ مايو سنة ١٠٨٥ م واستعاد عاصمة القوط القديمة ونقل عاصمة مملكته إليها، وتطورت الحرب بين المسلمين والنصارى تطورا حاسما واتجهت همة المسيحيين فى الغرب بقيادة الممالك المسيحية فى إسبانيا إلى القيام بحرب عامة على الأندلس الإسلامى أخذت طابعا دينيا، ووضع المقاتلون فيها شارة الصليب على صدورهم وظهورهم ودروعهم، وأصبحت كل قوة عسكرية من أولئك الذين يحملون شارة الصليب تسمى حملة صليبية « بالإسبانية Cruzada » ومن هنا جاء اسمها فى اللغات الأوروبية (Kreuzzug - Crusade - Groisade - Cruciatae) وفى نفس الوقت تمكن



النورمان من استعادة صقلية من أيدى المسلمين « ١٠٦١ ـ ١٠٩١ م » وعمت الغرب الأوروبى روح من الحماس الدينى زادها قوة أن سكان الغرب الأوروبى زادوا خلال القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين زيادة تقدر بضعف عدد السكان واحتاجوا إلى أراض جديدة يتوسعون فيها ويزرعونها ، وتلك هى الظروف التى انتهزها البابا أوربان الثانى للدعوة إلى القيام بحرب مسيحية شاملة على بلاد الإسلام، وبخاصة بلاد الشام وفلسطين لاستعادة المقدسات المسيحية والأراضى التى عاش ودعا فيها المسيح ابن مريم .

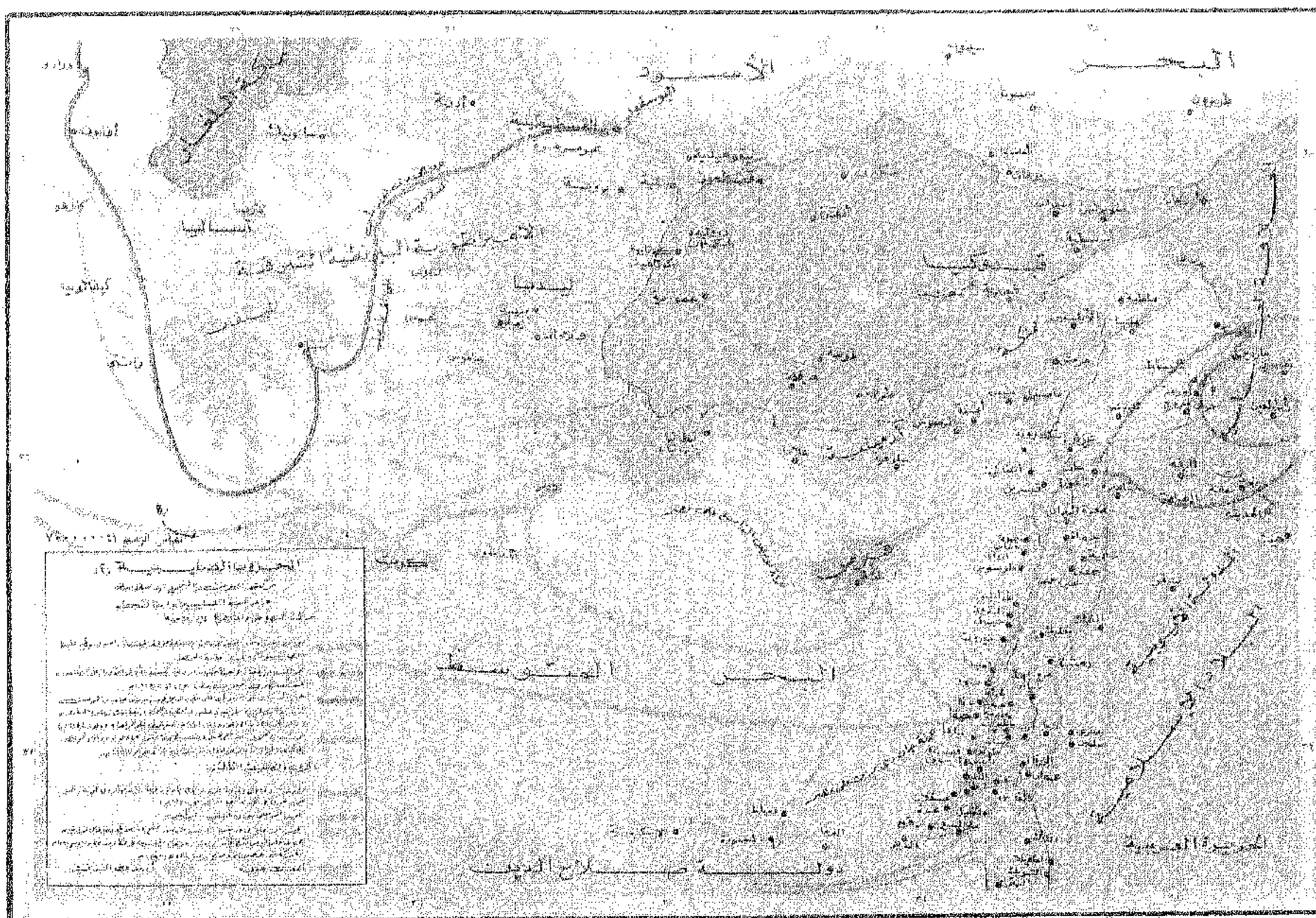
وشجع على نشاط هذه الحملة زيادة عدد الحجاج النصارى إلى الأراضى المقدسة المسيحية زيادة كبيرة، وما شاع فى ذلك الحين من أن الأتراك السلاجقة ـ وبخاصة سلاجقة الروم ـ يعترضون قوافل الحجاج المسيحيين القادمين من الغرب ويعتدون عليها ، وقيل كذلك ـ وهو غير صحيح



قطعا ـ إن المسلمين يعتدون على المقدسات المسيحية ، وقد بدأت الحركة الصليبية فى سنة ١٠٨٨ م عندما دعا البابا أوربان الثانى إلى توثيق الروابط بين الغرب المسيحى والدولة البيزنطية وشد أزرها بمعاونتها بالجنود لمحاربة المسلمين .

بدء الحملات الصليبية .

وفى سنة ١٠٩٥ م دعا البابا أوربان الثانى فى مجمع دينى عقد فى مدينة كليرمونت إلى تجنيد جيش مسيحى وتسييره إلى بلاد المسلمين لتحقيق ذلك الغرض، ومن ذلك الحين بدأ ما يسمى بالحروب الصليبية أو الحركة الصليبية ، لأنها فى الحقيقة حركة طويلة المدى استمرت من أواخر القرن الحادى عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، بل لدينا أخبار عن حملات مسيحية بعد ذلك، وخلال الفترة التى ذكرناها قام الغرب الأوروبى بإرسال أكثر من خمس عشرة حملة صليبية كبيرة على بلاد المسلمين اشتركت فيها كل بلاد أوروبا المسيحية ، من إنجلترا وإسكتلندا إلى بلاد المجر، وعمت كل بلاد الأناضول والشام ومصر، ولم تخمد الحركة إلا





□ جيوش المسلمين

بعد أن تأكد الغرب الأوروبى من عجزه عن الاستيلاء على بلاد المسلمين فى الشرق .

وفى أثناء الفترة الطويلة التى استمرت فيها الحركة الصليبية دخلت عوامل وأهداف أخرى لا علاقة لها بالأراضى المقدسة ، منها طمع الكثيرين من نبلاء الغرب فى إنشاء ممالك لهم فى بلاد المسلمين ، وتطلع الفرسان والمقاتلين الأوروبيين إلى الغارات على بلاد المسلمين ونهبها ، وسلب ما تيسر لهم سلبه من خيراتها .

حملتان صليبيتان وصحوة إسلامية .

وفى العادة يكتفى المؤرخون للحروب الصليبية فى الغرب بتفصيل الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية لأنهما كانتا بالفعل حملتين عسكريتين بحريتين بريتين استنفدتا كل جهود أوروبا خلال قرنين كاملين من الزمان. وكان العالم الإسلامى ضعيفا مفككا عند وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام سنة ١٠٩٩ م بسبب انهيار سلطنة السلاجقة وخلو بلاد الإسلام من دولة موحدة تجمع المسلمين لمواجهة الخطر الصليبى، مما شجع الغرب على بذل أقصى جهده فى الحروب الصليبية فى الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية بعد أن تمكن المسيحيون من الاستيلاء على بيت المقدس وإنشاء مملكة صليبية مسيحية فى فلسطين عاصمتها القدس، وثلاث إمارات مسيحية ، اثنتان منها فى الشام، هما أنطاكية وطرابلس، والثالثة فى بلاد الجزيرة من شمال العراق، وهى إمارة الرها، ثم استيقظ العالم الإسلامى من سباته، ودخل فى حركة نهوض وتجمع واسعة المدى، بدأت فى بلاد الجزيرة والموصل ثم اتسع نطاقها فشملت بلاد الشام، بفضل أتابكة الموصل وحلب، ثم بلغت النهضة الإسلامية أوجها فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى بعد انضمام مصر إلى الحركة على يد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى، ثم انتقال قيادة الحركة إلى مصر عند قيام الدولة الأيوبية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى وانتصاره الحاسم على الصليبيين فى بلاد الشام فى معركة حطين، فى صيف سنة



□ فارس من فرسان صلاح الدين.



فنقول : إن الاستجابة الرسمية من ملوك الغرب الأوروبى وأمرائه فاقت كل ما كان البابا أوربان الثانى يتوقع، فقد أثارت الدعوة حماسا شديدا فى فرنسا وإيطاليا، ونهض عدد من أشراف نواحى فرنسا بفرسانهم لقيادة الحركة، لهذا كانت الحملة الصليبية الأولى فى جملتها حملة فرنجية على بلاد المسلمين، ولذا فإن المؤرخين المسلمين يسمون كل المشاركين من الأوربيين فى الحملات الصليبية كلها بالفرنجة .

ويطلق على الصليبيين عموما اسم الفرنجة عندنا، وهو يقابل مصطلح Les Francs الذى تستعمله النصوص الغربية، لأن الفرنسيين كانوا من أكثر الناس حماسة للحملات الصليبية، وإليك بيانا بأهم قادة الحرب الصليبية الأولى، وهم الذين سيدخلون بيت المقدس، وينشئون مملكة بيت المقدس، والإمارات الصليبية الثلاث التى سنذكرها . ولولا نجاح هذه الحملة الأولى لما استمرت الحركة الصليبية ، ولتوقفت مسيرتها بعدها :

ريمون الرابع كونت تولوز وكان أكبر فرسان الصليبيين وأعتاهم، وكان أول الأمر شبه قائد عام لجيوش الحملة الصليبية الأولى لأن لقبه كان : ادفو كاتور Advocator أى المدافع والمحامى عن بيت المقدس.

وقد رافقه الأسقف أدهماردى مونتيل أسقف لى بويه .

وكذلك أخوه بولدوين البولونى دوق اللورين السفلى .

وذهبت من شمال فرنسا جماعة أخرى يقودها روبرت الثانى كورتوز دوق نورماندى وروبرت الثانى كونت فلاندر واستيفان هنرى كونت بلوا وهيو كونت فيرمندو ومن إيطاليا الكونت بوهيموند بن روبرت جيسكارد دوق أبوليا .

وقد وصلت الحملة الأولى إلى القسطنطينية، واخترقت

١١٨٧ م ، واستعادته القدس، وبذلك انكسرت حدة الموجة الصليبية ابتداء من الحملة الصليبية الثالثة كما سنرى .

وفى خرائط هذا الفصل بالحروب الصليبية اجتهدنا فى تصوير الحملتين الصليبيتين : الأولى والثانية ، وكذلك حركة النهوض والتجمع الإسلامى .

خريطة ١٢٨

الحروب الصليبية (١)

الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية .

صورنا فى هذه الخريطة الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية، وكذلك الحملة الصليبية التى قادها بطرس الناسك الفرنسى، وتكونت من جمهور غير منظم من المسيحيين، خدعهم بطرس بخطبه الحماسية، وصور لهم بلاد المسلمين على أنها أرض مفتوحة لا يحميها أحد، وغنية بالخيرات التى تنتظر من يغتنمها، إلى جانب سهولة الوصول إلى بيت المقدس، واستعادة كنيسة القيامة وقبر السيد المسيح ابن مريم من أيدى المسلمين، وهذه الحملة وصلت فعلا إلى آسيا الصغرى وتوغلت فيها، حتى لاقتها جيوش سلاجقة الروم وأبادتها سنة ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٦ م .

الحملة الأولى .

ونبدأ بالكلام ـ باختصار ـ عن الحملة الصليبية الأولى

بلاد سلاجقة الروم وهزمتهم عند دوروريليوم فى يوليو ١٠٩٧ م ووصلت إلى أنطاكية وحاصرتها .

وقبل الوصول إليها انفصل عن كتلة الحملة الصليبية بولدوين أخو جودفروا عند مرعش، واتجه شرقا فى الجزيرة الفراتية واستولى على الرها، وأنشا فيها أول إمارة صليبية فى بلاد المسلمين فى مارس ١٠٩٨ م و كانت منطقة تسكنها غالبية من الأرمن المسيحيين، وذلك هو الذى سهل له الاستيلاء على البلد وإنشاء الإمارة .

خريطة ١٢٩

الإمارات الصليبية والقلاع المسيحية والإسلامية قبل تحرير المسلمين لها

سقوط القدس

وسارت كتلة الجيش الصليبى حتى أنطاكية وحاصرتها فى أكتوبر ١٠٩٧ م واستمر الحصار إلى يونيو ١٠٩٨ م وسقطت أنطاكية فى أيدى الصليبيين فى ٣ يونيو ١٠٩٨ م وعندما حاول الأمير كربوغا أتابك الموصل إغاثة أنطاكية انهزم أمام الصليبيين فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م، وتقدم الصليبيون نحو الجنوب دون أن يجدوا مقاومة تذكر، نحو بيت المقدس، واقتحموا أسوارها فى ١٥ يوليو ١٠٩٩م وأنزلوا بأهلها مذبحة قتل فيها سبعون ألفا من سكانها، وبعد ذلك بقليل توفى جودفروا صاحب بولونيا، فاستدعى أخوه بولدوين صاحب الرها وعين ملكا على بيت المقدس، وبذلك قامت مملكة بيت المقدس، وبعد ذلك أنشئت إمارتان صليبيتان أخريان، الأولى فى أنطاكية والثانية فى طرابلس فيما بين سنتى ١١٠٢ و ١١٠٩ م، وبذلك أصبح فى بلاد الشام والجزيرة الفراتية مملكة صليبية وثلاث إمارات صليبية أيضا .

وبعد ذلك وصلت إلى بلاد الشام الحملة الصليبية الثانية بقيادة لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك ألمانيا، وتجمعت الجيوش عند بيت المقدس، ثم سازوا للاستيلاء على دمشق، ولكنهم فشلوا فى ذلك، وبذلك تنتهى الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية .

خريطة ١٣٠

الحروب الصليبية (٢)

حركة النهوض والتجمع الإسلامية والحرب الصليبية الثالثة

أثار سقوط القدس واحتلال الصليبيين لسواحل الشام وإنشاء الإمارات الصليبية مخاوف المسلمين جميعا، وإذا كان الملوك والأمراء قد تقاعسوا فى الدخول فى حرب مع المحتلين والمعتدين فإن جماهير المسلمين أخذت تتحرك مطالبة أولياء الأمور بالقيام لحرب المعتدين وتخليص القدس الشريف ثالث الحرمين، وهو من مقدسات المسلمين، وتجمهر الناس فى بغداد، وهاجموا قصر الخليفة العباسى يطالبونه بإعلان الجهاد، وتحريض الأمراء على التجمع لحرب الفرنجة المعتدين ، وخطب الخطباء فى المساجد منادين بالجهاد إلى أن تحرك الأمراء . هذا إلى أن الصليبيين لم يكتفوا باحتلال ما ذكرناه من الأراضى الإسلامية وحكم من فيها من المسلمين والاعتداء على المقدسات الإسلامية وجباية الأموال من المسلمين، بل زادوا على ذلك بالتعرض لتجار المسلمين وقوافلهم ونهبها، مما أثار عواطف المسلمين وحفزهم على التجمع تحت راية الجهاد، وأخيرا تحرك أمراء المسلمين، وكان أول من تحركوا هو مودود أتابك الموصل، وهو تركى، فجمع جنوده واقتحم أراضى إمارة الرها فى بلاد الجزيرة، وخرب الكثير من بلاد الأرمن الساكنين هناك، وأسر عددا من جنود الصليبيين، فكان هذا فاتحة لحركة النهوض الإسلامية والتجمع لحرب الفرنجة .

التحرك المضاد ضد الصليبيين .

وكان أول من تشجع على مهاجمة أراضى الصليبيين ومواجهة قواتهم فى ميدان القتال هو نجم الدين إيلغازى صاحب ماردين - من بلاد الجزيرة - ودخل الأراضى التى كانت تسيطر عليها إمارة الرها، والتقى بقوة صليبية عند بلدة قسطون جنوبى حلب سنة ٥١٣ هـ/ ١١١٩ م وانتصر عليها، وكان هذا أشبه ببداية لحركة الجهاد الإسلامى التى أخذت تشتد قوة من ذلك الحين، فقد كان لانتصار نجم الدين إيلغازى على الصليبيين صدى بعيد فى بلاد الإسلام وإن كان الانتصار فى ذاته صغيرا، ولكنه دل على أن مواجهة الفرنجة والانتصار عليهم أمر ممكن. بعبارة أخرى انكسرت الأسطورة الفرنجية، وتطلع المسلمون لكسب المزيد من النصر، وعقب ذلك تشجع عماد الدين زنكى أمير الموصل فاستولى على حلب

ووحد إمارتي الموصل وحلب، ودعا للجهاد فخف المجاهدون المسلمون من كل مكان إليه، حتى تجمعت تحت لوائه قوات إسلامية كبيرة من المجاهدين، ما بين فرسان ومشاة، وكانت إمارته واسعة تشمل الجزيرة الفراتية ـ عدا ما احتلته إمارة الرها من أراض ـ حلب وحمص وحماة وبعلبك ومعرة النعمان وديار بكر، فسار على رأس جيش قوى واستولى على إمارة الرها وما يتبعها من بلاد سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م وكان هذا نصرا عظيما ارتجت له جوانب العالم الإسلامي، وتطلعت نفوس المسلمين للمزيد من النصر. وفي نفس الوقت أثار ذلك الحادث مخاوف المسيحيين في بلاد الغرب، فبدأت الدعوة هناك إلى حملة صليبية جديدة، وشيئا فشيئا تجمعت القوات التي تكونت منها الحملة الصليبية الثالثة.

نور الدين وصلاح الدين.

في أثناء ذلك استطاع نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي أمير الموصل أن يضم إمارة حلب إلى بلاده بعد أن كانت قد تفرقت بعد موت أبيه، ومضى هذا الرجل يعمل أكثر من عشر سنوات مناضلا الصليبيين في كل ناحية من نواحي الشام، حتى تمكن في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م من ضم إمارة دمشق إلى بلاده، وكانت تلك الإمارة وصاحبها معين الدين أنور معادية لجبهة الجهاد ومحالفة في أحيان كثيرة للفرنجة المعتدين، وكانت تقف عقبة أمام توحيد الجبهة الإسلامية، وبضم دمشق أصبحت جبهة الجهاد عريضة واسعة تشمل بلاد العراق والجزيرة الفراتية بما في ذلك الموصل وبلاد الشام، واستمر نور الدين في جهاده يستكمل توحيد بلاد المسلمين، وقد بينا على الخريطة حدود الجبهة الإسلامية حتى وفاة عماد الدين زنكي، وحدودها عند وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م، وأكبر ما عمله نور الدين بعد ضم دمشق إلى جبهة الجهاد هو اجتهاده في القضاء على دولة الفاطميين التي كانت حليفة أو مهادنة للصليبيين، وقد تمكن نور الدين من الانتصار على الصليبيين ومن كان يؤيدهم من الفاطميين ورجالهم، والفوز بمصر بمعاونة قائده أسد الدين شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين أيوب الذي تمكن من أن يفرض نفسه وزيرا للخليفة الفاطمي الشيعي العاضد، وبعد وفاة نور الدين محمود اختلف خلفاؤه وأمراؤه على الوصاية على ابنه إسماعيل للفوز بالولاية من بعده، ولكن صلاح الدين الأيوبي تمكن من التغلب على كل المنافسين، واستطاع أن يعلن نفسه سلطانا على بلاد المسلمين الموحدة التي وقفت متأهبة لإكمال العمل العظيم، وهو الاستيلاء على القدس، واستعادتها من أيدي الفرنجة، أي القضاء على مملكة بيت المقدس الصليبية، وبقية الإمارات الصليبية في الشام.

وواصل صلاح الدين الجهاد وتجمعت حوله القوات الإسلامية من كل ناحية، وكذلك انضمت إلى قواته ألوف بعد ألوف من المتطوعة، وهم المسلمون المجاهدون في سبيل الله دون أجر ودون أن يكونوا جندا سلطانيا، وفي ربيع الآخر ٥٨٣ هـ / يونيو ١١٨٧ م كسب صلاح الدين نصر حطين على القوات الصليبية التي تجمعت لحربه، وبعد ذلك النصر الكبير دخلت قوات الإسلام بيت المقدس في رجب ٥٨٣ هـ / سبتمبر ١١٨٧ م. وقد بينا على الخريطة السابقة مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية.

الإمارات الصليبية ومملكة بيت المقدس قبل معركة حطين واستعادة القدس على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧ م.

وقد بينا في الخريطة معظم مواقع بلاد الشام المهمة التي يرد ذكرها في تاريخ الحروب الصليبية، كما بينا حدود مملكة بيت المقدس، وإمارات أنطاكية وطرابلس والرها قبل أن يبدأ المسلمون في القضاء عليها.

لم يكن ما قام به صلاح الدين من جهد لكسب نصر حطين باليسير، فإن قوات الصليبيين كانت قبل حطين في مركز عسكري ممتاز، فهي تملك مملكة بيت المقدس التي تصل شمالا إلى جنوبي دمشق وجنوبا إلى قلعة الكرك، وتصل إلى البحر الأحمر وتحتل ميناء العقبة، وتصل كذلك أراضيها إلى البحر المتوسط جنوبي غزة عند الداروم، وتصل في الشمال حتى شمالي بيروت، وكل هذه الأراضي كانت محمية بالقلاع الحصينة التي يسكن فيها الألوف من الفرسان المسلحين بأحسن سلاح، وإلى شمالي أراضي مملكة بيت المقدس وإمارة طرابلس الصليبية على ساحل البحر كانت تمتد أراضي إمارة أنطاكية التي كانت تصل شمالا إلى جبل أماتوس على حدود مملكة الأرمن في آسيا الصغرى وجنوبا

إلى اللاذقية على البحر، وتليها إلى الجنوب إمارة طرابلس التي كانت تصل إلى جبالة، ويلي إمارة أنطاكية شمالا فى مداخل آسيا الصغرى وجزء كبير من سواحلها الجنوبية الشرقية مملكة إرمينية الصغرى التي توسعت أراضيها بمساعدة الصليبيين حتى أصبحت مملكة كبيرة ذات قوة يحسب لها كل حساب، أما بقية آسيا الصغرى فقد كانت بيد الإمبراطورية البيزنطية التي انتعشت بفضل الصليبيين، وإن كانت على علاقات سيئة معهم لأنها كانت تخشاهم على أراضيها، إلى جانب ذلك كانت إمارة أنطاكية تضع يدها على جزيرة قبرص.

الحملة الصليبية الثالثة.

ومن هذا يتبين أن ما كان الصليبيون يملكونه من أراضى الشام قبل حطين يفوق من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية ما كان المسلمون يملكونه من أراضى الشام، ومن المعروف أن أراضى المنطقة الساحلية من بلاد الشام أغنى بكثير من الأراضى الداخلية، وبخاصة فى الجنوب، أى فى أرض فلسطين فيما بين البحر الميت والبحر المتوسط، فهناك كانت توجد أخصب بلاد الشام التي استولت عليها مملكة بيت المقدس، لذلك لا نندهش من أن سقوط مملكة بيت المقدس، واستعادة المسلمين لبيت المقدس ـ بما له من الأهمية الكبرى الدينية والمعنوية عند المسلمين خاصة ـ كان لهما وقع شديد جدا فى بلاد الغرب المسيحى، فلم تكد الأخبار تصل إلى الغرب حتى أسرع البابا سلستين جريجورى الثالث الذى خلف البابا كليمنت الثالث يدعو إلى إرسال حملة صليبية قوية إلى بلاد الشام لاستعادة بيت المقدس، واستجاب للدعوة نفر من ملوك أوروبا فى مقدمتهم ريتشارد الأول ملك إنجلترا الملقب بقلب الأسد لشجاعته، فترك مملكته لأخيه يوحنا وجمع جيشا قويا واتجه إلى الشرق، وكذلك فعل فيليب الثانى أغسطس ملك فرنسا، وفردريك الأول برباروسا إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة الألمانية، ومعنى ذلك أن أوروبا كلها تجمعت فى هذه الحملة الصليبية الثالثة وسارت لحرب المسلمين واستعادة بيت المقدس.

وكان من أول من سار من أولئك الملوك بجيشه فردريك برباروسا الذى بدأ رحلته على رأس جيش قوى فى مايو ١١٨٩م واخترق أوروبا ووصل إلى آسيا الصغرى ودخل القسطنطينية حيث استقبله الإمبراطور البيزنطى، ومن هناك اتجه بطريق البر عبر آسيا الصغرى قاصدا بلاد الشام، وفى طريقه انتصر على بقايا السلاجقة عند قونية سنة ١١٩٠ م ولكنه غرق فى نهر يسمى بنهر سالف، الذى يسمى كاليكادنوس «حاليا جوق صو» قرب سلوقية فى ولاية قيلقيا بآسيا الصغرى فى ١٠ يونيو ١١٩٠ م وعقب ذلك تفرق معظم جيشه وعاد إلى ألمانيا، ولم يكمل الرحلة إلى بلاد الشام إلا عدد قليل من الألمان، على رأسهم ابنه فردريك أمير سوابيا الذى اشترك فى الاستيلاء على عكا سنة ١١٩١ م وتوفى بعد ذلك.

سقوط عكا وصلح الرملة.

أما ريتشارد قلب الأسد فقد كان يملك إلى جانب إنجلترا مقاطعات كثيرة فى نورمانديا بشمال فرنسا، وأملاكه هذه كانت سببا فى نزاعات طويلة بينه وبين فيليب أغسطس ملك فرنسا الذى اشترك فى هذه الحملة بجيش كبير، ولم يكن بين ريتشارد والملك الفرنسى ثقة كبيرة، ولهذا فقد سار كل منهما فى طريق مع أنهما بارحا القسطنطينية بطريق البحر فى شهر واحد هو يوليو ١١٩٠ م، ومر ريتشارد قلب الأسد فى طريقه بجزيرة قبرص ومنها أبحر إلى عكا واشترك فى الاستيلاء عليها مع الملك الفرنسى، وكان صلاح الدين قد استعادها بعد حطين، وكانت عودة عكا إلى سلطان الصليبيين فى عام ١١٩١ م، وبدأ الملكان الصليبيان فى حصارها مع ملك بيت المقدس الذى كان قد انتقل إلى إمارة طرابلس بعد سقوط بيت المقدس ونقل إليها مقر تلك المملكة، مع أن هذا الرجل كان قد عاهد صلاح الدين على ألا يعتدى على بلاد المسلمين، ولكنه ما كاد يسمع بتجدد نشاط الغرب لحرب المسلمين فى الشام حتى نقض عهده وتقدم يحاصر عكا فى أغسطس ١١٨٩ م. وسقطت عكا فى أيدى جيوش الصليبيين المتحدة فى ١٢ يوليو ١١٩١ م بعد دفاع مستميت من جانب أهلها الذين أقسموا على الحرب حتى الموت، وبالفعل لم تسقط البلدة حتى هلك معظم رجالها، ويعتبر سقوط عكا على هذه الصورة من أكبر أحداث الحروب الصليبية، وعقب استيلاء الصليبيين على عكا استولوا على ما جاورها من موانئ المسلمين ومدنهم مثل: حيفا وقيصرية وأرسوف والخضيرة وعتليت، ثم دخلوا فى مفاوضات مع صلاح الدين انتهت

بعقد صلح الرملة الذى نص على أن يترك للصليبيين شريط من الساحل يمتد من صور إلى يافا مع السماح لهم بالحج إلى بيت المقدس . وبهذا العمل عادت مملكة بيت المقدس ـ التى انتقلت إلى إمارة طرابلس ـ إلى القوة بعد أن كانت قد انتهت ، وتمكن ملوكها من استعادة الساحل حتى بيروت ، وهذا الجزء الذى أضافته الحملة الصليبية الثالثة على الساحل من البترون حتى حيفا إلى الجنوب هو الذى عرف فيما بعد بمملكة بيروت ، وبعد أن استولى المسلمون على طرابلس وأنهوا مملكة بيت المقدس فى عصرها الثانى كان عليهم أن يستولوا على مملكة بيروت كما سنرى .

وهنا وبعد عقد صلح الرملة اعتبر فيليب أغسطس أن مهمته قد انتهت ، وأنه بر بقسمه « أن يفتح الطريق إلى بيت المقدس » وأقلع إلى بلاده من ميناء عكا فى ٨ يونيو ١١٩٢ م

أما ريتشارد فقد بقى فى بلاد الشام وأتم الاستيلاء على الموانئ الواقعة جنوب عكا حتى عسقلان ، ثم عقد صداقة مع صلاح الدين الذى اعتبره من أعاظم ملوك المسلمين ، وأتم حجه إلى بيت المقدس ووضع يده على قبرص ، وأعطاها إقطاعا للفارس جى دى لوزنيان ثم عاد إلى بلاده فى أكتوبر ١١٩٢ م .

وبذلك تكون معظم المكاسب التى حققها صلاح الدين فيما عدا استعادته لبيت المقدس قد ضاعت بسبب تنافس الأمراء الأيوبيين واختلاف كلمتهم .

خريطة ١٣١

الحروب الصليبية (٣)

الحملات الصليبية من الرابعة إلى الثامنة

الحملة الصليبية الرابعة .

لم يكف الباباوات عن تحريض الغربيين على القيام بحملة صليبية جديدة تستعيد بيت المقدس وتعيد إنشاء مملكة مسيحية فيه ، وأخيرا تمكن تيبو الثالث كونت شامبانيا ونفر آخر من نبلاء الغرب المسيحى أكبرهم بونيفاس دى مونتسرات بولدوين صاحب فلاندر من تكوين حملة صليبية جديدة باركها البابا إينوسنت الثالث ١١٩٨ ـ ١٢١٦ م واشترك فى تجهيزها دوج (هذه هى صورة لقب الدوق فى جمهورية البندقية ويراد به رئيس مجلس العشرة الذى يحكمها) البندقية إنريكو داندولو ، وعندما تجمعت الجيوش الصليبية فى البندقية وجد قادة الحملة أنهم لا يملكون المال الكافى للإبحار ، وبعد مجادلات طويلة تم الاتفاق بينهم على أن تتوجه هذه الحملة أولا نحو مدينة زارا لانتزاعها من ملك المجر على ساحل دلماشيا ، ورغم اعتراض البابا فقد توجهت الحملة إلى زارا واستولت عليها سنة ١٢٠٢م ، واحتج الإمبراطور أنجيلوس الثالث ، ووقع النزاع بينه وبين الصليبيين ، وانتهى الأمر باتجاههم نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها فى ١٢ أبريل ١٢٠٤م وإقامة دولة لاتينية فيها ، وبذلك تكون الحملة قد خرجت عن هدفها تماما ولم تصبح حملة صليبية ، ولهذا فإن مؤرخى الحروب الصليبية من أهل الغرب لا يعدون هذه الحملة صليبية ، أما نحن ـ العرب والمسلمين ـ فنعدها حملة صليبية ، ونسميها الحملة الصليبية الرابعة .

وعقب احتلال الصليبيين الذين يسمون باللاتين للقسطنطينية أقاموا فارسا من فرسانهم إمبراطورا على القسطنطينية ، وأنشأ أمير بيزنطى ـ طامع فى العرش ـ إمارة بيزنطية شمال شبه جزيرة البلقان ، تسمى بلاد الأبيروس .

أما الإمبراطور البيزنطى فقد اتجه إلى قلب آسيا الصغرى وأقام لنفسه إمبراطورية بيزنطية عرفت باسم دولة نيقية ، وكذلك أقام بعض أمراء أسرة كومنين دولة بيزنطية حول مدينة طرابزون على البحر الأسود .

الحملة الصليبية الخامسة .

يعتبر المؤرخون الأوروبيون هذه الحملة الرابعة لا الخامسة ، وقد دعا إلى هذه الحملة البابا إينوسنت الثالث ، وتم تنفيذها فى عهد خليفته هونوريوس الثالث ، ونجح فى جمع عدد من الفرسان تكون منهم جيش أقيم على رأسه الفارس جان دى بريين الذى كان مرشحا من البابوية ليكون ملكا على بيت المقدس إذا استعادها الصليبيون ، وقد رأى هذا الرجل أن خير وسيلة للقضاء على قوة المسلمين هى غزو مصر ، لأنها قلب القوة الإسلامية ، ولذلك فقد نزل جان دى بريين برجاله فى قبرص ، و منها اتجهت الحملة إلى مصر ونزلت عند دمياط سنة ١٢١٨ م وكان المفروض إذا استولوا عليها أن يحصلوا من المصريين على التنازل لهم عن بيت المقدس

لإقامة مملكتهم فيها فى مقابل الجلاء عن دمياط . وقد طال حصار دمياط وعانى الصليبيون فيه شقاء ومتاعب جمة لمدة سبعة عشر شهرًا، وفى نفس الوقت اشتدت مخاوف السلطان الأيوبى الكامل فوافق على التنازل عن بيت المقدس بحدودها القديمة غربى نهر الأردن فى مقابل جلاء الصليبيين عن دمياط، لكن الكاردينال بيلاجوس دى ألبانو الرئيس المعين للحملة من قبل البابا رفض ذلك، لأنه كان يأمل فى الوصول إلى القاهرة واحتلالها، وقد استولت الحملة على دمياط فى نوفمبر ١٢١٩ م، وبدأ الاستعداد للمسير نحو القاهرة، وضاع فى ذلك وقت طويل زاد على واحد وعشرين شهرا، وعندما وصل الجيش إلى قرب المنصورة فتح المصريون سدود القنوات فاندفعت مياه الفيضانات وغطت الأرض، ولم يستطع الصليبيون التقدم فعادوا إلى دمياط بعد أن تحملوا خسائر جسيمة، ومن دمياط عادوا إلى عكا فى أغسطس ١٢٢١ م، وبهذا انتهت هذه الحملة بكارثة للصليبيين .

الحملة الصليبية السادسة .

توقف نشاط الحملات الصليبية بعض الوقت حتى حركها الإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور الدولة الجرمانية المقدسة فى سنة ١٢١٥ م بأن لبس شارة الصليب وأعلن أنه خارج فى حملة صليبية، وكان الخلاف بينه وبين البابا هونوريوس الثالث شديدا، لأن البابا عندما تَوَّجَه إمبراطورا سنة ١٢٢٠ م حصل منه على وعد بالقيام بحملة صليبية ، ولكن فردريك تراخى فى الوفاء بوعده ، وبدلا من ذلك توجه إلى صقلية وإلى لومبارديا فى إيطاليا لتأكيد سلطانه وسلطان أسرته ـ وهى أسرة الهوهنشتاوفن ـ على إيطاليا، ولم يطمئن البابا لذلك لأن البابوية فى ذلك العصر كانت ترى أن إيطاليا وصقلية داخلتان فى الأملاك البابوية، ولهذا فقد اجتهد البيوس وخليفته البابا جريجورى التاسع فى إخراجه من إيطاليا وتوجيهه نحو الأراضى المقدسة وبلاد المسلمين. وأخيرا عندما تزوج الإمبراطور فردريك من بولندا بزوجته التى تسمى إيزابيلا ابنة جان دى برين قائد الحملة الصليبية الخامسة ـ الذى كان مرشحا لأن يكون إمبراطورا على بيت المقدس ـ زعم فردريك أن نتيجة لهذا الزواج يصبح مرشحا لأن يكون إمبراطورا على بيت المقدس ، ولهذا قرر الخروج فى حملة صليبية لكى يستعيد مملكته . وفى سبتمبر ١٢٢٧ م أبحر نحو سواحل الشام، ولكنه لم يلبث أن عاد مسرعا بحجة أنه لم يتحمل دوار البحر، فى حين أن أسطوله بما فيه من جنود وصل إلى سواحل الشام . وقد أغضب البابا هذا التصرف فأصدر قرارا بحرمان فردريك وطرده من الكنيسة، ورغم ذلك فقد رحل فردريك إلى سواحل الشام فى صيف ١٢٢٨ م للقيام بحملة ثانية رغم أنه كان طريد الكنيسة، ووصل إلى عكا واستعد للمسير إلى بيت المقدس، وبدلا من الدخول فى صراع مع المسلمين دخل فى مفاوضات مع الملك الكامل سلطان مصر والشام، وكان الكامل فى ذلك الحين فى نزاع شديد مع ابن أخيه الناصر صاحب دمشق، وفى هذه الظروف سارع الملك الكامل بعقد معاهدة مع الإمبراطور فردريك تنازل فيها عن بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وصيدا واللود، ولكن البابوية رفضت قبول هذه الشروط، وقالت : إن الفرسان الصليبيين يذهبون إلى بلاد الشام لحرب المسلمين لا للتفاوض معهم ، وأعلن البابا عن عزمه على إرسال حملة صليبية ضد أملاك فردريك فى إيطاليا، وعندما سمع فردريك بذلك أسرع بالحج إلى بيت المقدس لكى يزعم أنه دخلها وأصبح ملكها، وعاد مسرعا إلى أوروبا، وهذه الحوادث أضرت بسمعة الحروب الصليبية فى الغرب، ودلت على أنها فى جملتها لم تعد صليبية ولا دينية، وكانت البابوية تؤكد أن فردريك الثانى زنديق ملحد، وقد اشتهر فى أوروبا كلها بلقب الزنديق الأعظم ، بسبب التفاهم الذى كان بينه وبين المسلمين سواء فى صقلية أو فى بلاد الشرق .

وبعد ذلك بقليل تمكن الأيوبيون من تجنيد جيش من الأتراك الخوارزميين واستعادوا بيت المقدس وكل ما كان السلطان الكامل قد تنازل عنه للصليبيين .

الحملة الصليبية السابعة .

كان المحرك الأكبر لهذه الحملة الصليبية هو ملك فرنسا لويس التاسع الذى يلقب بلويس التقى ، فقد تحمس وجمع جيشا صليبيا ، وأعلن فى ديسمبر ١٢٤٤ م أنه خارج فى حملة صليبية وحمل شارة الصليب .

وقد أعد حملته بعناية كبيرة وزودها بخيرة الفرسان الفرنسيين والخيول والسلاح، ورحل إلى الشام فى ١٢٤٨م

وقد اختار لويس التاسع أن يذهب بحملته إلى دمياط ليقضى على القوة العسكرية المصرية ، وهناك من يقول : إنه كان ينوى الاستيلاء على دمياط فيستبدلها ببيت المقدس ، وبالفعل تمكن من الاستيلاء على دمياط بعد قتال شديد فى يونيو ١٢٤٩م وقد بذل السلطان الصالح أيوب جهدا كبيرا فى الاستعداد لمواجهة الصليبيين، ولكنه فى نفس الوقت كان مستعدا لمبادلة دمياط ببيت المقدس، وتقدم الملك الصليبى نحو المنصورة محاذرا الاقتراب من ضفة فرع دمياط حتى لا يجرى له ما جرى لجان دى برين قائد الحملة الصليبية الخامسة، ولكن جماهير المصريين هرعت لمهاجمة الجيش الصليبى، والقيام بما يشبه حرب العصابات ، حتى أنهكت القوات الصليبية ، وعندما اقترب الجيش الصليبى من المنصورة وعند بلدة شارم ساح لقيته القوات الأيوبية ، وفى تلك الأثناء مات الملك الصالح أيوب ، واستدعت زوجته السيدة شجرة الدر ابنه توران شاه من العراق فأقبل، وقبل أن يصل إلى جبهة القتال كان المصريون وفرسان الأيوبيين قد هزموا الجيش الصليبى وحاصروه وأرغموا الملك لويس التاسع على الاستسلام وأخذوه أسيرا، حيث سجن فى دار ابن لقمان بالمنصورة، واضطر لويس التاسع إلى افتداء نفسه بفدية كبيرة، ورحل عن دمياط بما تبقى له من جيشه فى مايو ١٢٥٠م بعد أن تعهد وأقسم على ألا يعود لحرب المسلمين .

نهاية الحملة السابعة .

ورحل لويس التاسع إلى فلسطين حيث نزل عكا وبقى فيها أربع سنوات يحاول أن يجمع جيشا صليبيا جديدا يستعيد به القدس، ودخل فى مفاوضات مع السلطان عز الدين أيبك المملوكى، وكان الخلاف شديدا بينه وبين الملك الناصر الأيوبى صاحب حلب ودمشق، وحاول الملك لويس التقى الذى حنث بقسمه الاتصال بالحشاشين الشيعيين أعداء الخلافة العباسية، وكذلك مع مونكوخان المغولى، لكنه لم يفلح فى شىء من ذلك رغم أن النساطرة من المسيحيين فى بلاد الشام والعراق بذلوا أقصى ما استطاعوا لمعاونته، وأخيرا اتجه لويس التاسع نحو فرنسا يرجو أن تبعث له قوة صليبية، ولكن جهوده لم تفلح، لأن البابا إينوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤ م) كان مشغولا بإعداد حملة عسكرية ضد الملك كونراد الرابع ملك الدولة الرومانية المقدسة وهو ابن فردريك الثانى، وأخيرا عاد لويس التاسع إلى فرنسا سنة ١٢٥٤م وتلك كانت آخر حملة صليبية كبيرة اتجهت إلى مصر والشرق، ولما كان العصر فى أوروبا عصر تدين شديد فقد انصرف الناس عن فكرة الحروب الصليبية ، وشاع بينهم أن الله لا يرضى عن هذه الحروب ولا يؤيدها .

وبعد ذلك بقليل تغيرت الأحوال فى بلاد المسلمين لأن دولة المماليك الأولى « البحرية » قامت فى مصر والشام سنة ١٢٥٠م وأنشأت قوة عسكرية عظيمة ظلت تحمى مصر والشام حتى قيام الدولة العثمانية، وهذه القوة المملوكية هى التى استعادت ما كان بيد الصليبيين من بلاد الشام ، وتمكنت من تصفية الوجود الصليبى فى الشام، هذا بالإضافة إلى ما قام به المماليك من جهود فى إنقاذ بلاد مصر والشام والمشرق العربى من إغارات المغول .

الحملة الصليبية الثامنة .

رغم ما مر به لويس التاسع من هزائم وخيبة أمل فى محاولاته للتغلب على المسلمين ظل يأمل فى قيام حرب صليبية جديدة ضدهم، وفى هذه المرة شعر أنه لا يستطيع مواجهة المماليك فوجه حملته نحو بلاد تونس، حاسبا أنه يستولى عليها دون مشقة، وبالفعل أعد حملة صليبية جديدة اتجهت نحو تونس سنة ١٢٧٠م وأيده فى ذلك أخوه شارل أنجو ملك صقلية، ولكن الجيش الصليبى عندما وصل إلى تونس وجد أنه يواجه هناك قوات يخشى بأسها من الأعراب المقاتلين ، بالإضافة إلى قوة جيش السلطان المستنصر سلطان الحفصيين، وبعد قليل من وصوله أصابته الحمى ومات ، وعاد جيشه برفاته إلى فرنسا .

وكان وصول لويس التاسع إلى قرطاجنة إلى جوار تونس فى آخر ذى القعدة سنة ٦٦٨ هـ/ ٢١ يوليو ١٢٧٠م وكانت وفاة لويس التاسع فى ١٠ محرم ٦٦٩ هـ/ ٣٠ أغسطس ١٢٧٠ م .

خريطة ١٣٢

تصفية الوجود الصليبى فى الشام بعد صلح الرملة .

انتهت بالفعل الموجات الكبيرة للحروب الصليبية بوفاة

لويس التاسع وبقيام دولة المماليك القوية فى مصر والشام ، ثم قامت بعد ذلك الدولة العثمانية واستولت بقواتها الكبيرة على بلاد مصر والشام وقضت على الدولة البيزنطية ، بل قامت بمحاربة البلاد المسيحية نفسها فى شرق أوروبا ووسطها، وغزتها، ومدت سلطانها حتى فيينا فى قلب أوروبا، وفى مثل هذه الظروف انقطعت آمال المسيحيين فى الغرب فى العدوان على بلاد الشرق الإسلامى، ولكن البابوات لم ينصرفوا قط عن فكرة العدوان المسلح على بلاد المسلمين، فما زالوا يحرضون أهل الغرب على القيام بغارات على بلاد المسلمين تحت شعار الصليب، ففى سنة ١٣٦٥ ميلادية وقعت غارة شديدة على الإسكندرية خربت البلد تخريبا بالغا نجد تفاصيله فى كتب الحوليات المصرية .

احتضار الوجود الصليبى .

وعندما نهضت الدولة العثمانية واشتد تهديدها للدولة البيزنطية نجح البابوات فى تكوين حملة صليبية اتجهت إلى بلاد العثمانيين ، ولكنها لقيت هزيمة شديدة عند نيقوبوليس فى آسيا الصغرى سنة ١٣٩٦ م ولكن القوة الصليبية تراجعت بعد ذلك التقدم فى بلاد العثمانيين حيث انهزمت مرة أخرى عند فارنا على سواحل البحر الأسود سنة ١٤٤٤م. ونشط فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يحتلون جزيرة رودس، وأقاموا فيها دولة فرنجية ثم مدوا سلطانهم على قبرص سنة ١٤٨٩م وأيدهم بعد ذلك البندقيون وشدوا أزرهم وظلوا يقومون بغارات على سواحل بلاد المسلمين، وظلت الفكرة الصليبية فى أذهان المسيحيين وظهرت فيما قام به ملوك النصرانية من أعمال العدوان على شواطئ بلاد المسلمين كما نرى ذلك فيما قام به الأمير هنرى الملاح البرتغالى من العدوان على بلاد المغرب، وكذلك حملة ألفونس دى البوكرك على بحار العرب، وفى المجمع الدينى الذى عقده فى أوجزبورج سنة ١٥٣٠م .

وقد انضم اللوثريون البروتستانت إلى البابوية فى فكرة حرب الأتراك العثمانيين ، ولكننا نستطيع القول بأن فكرة الحروب الصليبية نفسها انتهت بموت لويس التاسع .

وبعد قيام دولة المماليك اتجهت جهود سلاطينهم نحو القضاء على بقايا الإمارات الصليبية على سواحل الشام، وكان لويس التاسع أثناء مقامه فى بلاد الشام قد استولى على بعض الحصون الداخلية فيها ، أهمها صافيتا وقلعة صلاح الدين التى تسمى حصن الأكراد، كما أنشأ الصليبيون قلعة صليبية كبيرة تهدد المسلمين تسمى مونتفورت .

وعندما ثبت السلطان الظاهر بيبرس ملكه فى مصر والشام « ١٧ من ذى القعدة ٦٥٨ ـ المحرم ٦٧٦ هـ/ أكتوبر ١٢٦٠ ـ يونيو ١٢٧٧م » اجتهد فى إنشاء قوة بحرية كبيرة جعل مراكزها فى دمياط والإسكندرية، وعندما اتجه السلطان بيبرس إلى بلاد الشام سنة ١٢٦٣م أخذ يستعد للاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من حصون ومراكز الصليبيين الباقية فى بلاد الشام .

وتمكن من الاستيلاء على قيصرية ثم أرسوف فى جنوبها فى سنتى ١٢٦٥ و١٢٦٦م ، ثم استولى على صفد وكانت مركز أعمال العدوان التى كان يقوم بها فرسان الداوية على بلاد المسلمين .

وأخافت أعمال بيبرس هذه الصليبيين حتى سارعت الملكة إيزابيلا ملكة بيروت إلى عقد هدنة مع بيبرس سنة ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨م مدتها عشر سنوات .

وفى سنة ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م استولى السلطان بيبرس على مدينة يافا، وفى نفس السنة استولى على أنطاكية وكل البلاد الداخلة فى إمارتها .

وفى سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠م هاجم بيبرس طرابلس، فبدأ بالاستيلاء على بعض حصونها مثل حصن الأكراد وحصن عكا .

وعندما تولى السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م) استعاد مدينة اللاذقية سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م. وكانت آخر المعاقل التابعة لإمارة أنطاكية . وبعد ذلك بقليل (سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م) استولى المنصور قلاوون على طرابلس، وهى قاعدة ثالثة الإمارات الصليبية فى الشام .

وبعد موت المنصور قلاوون تولى عرش السلطنة المملوكية ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٤ م) ووجه همته إلى القضاء على آخر قواعد الصليبيين فى الشام، وهى عكا التى كانت الميناء الرئيسى للصليبيين فى الشام، وقد سقطت فى يده فى ٦٩٠ هـ/ ١٨ مايو ١٢٩١ م ،

وبسقوط عكا تمت تصفية بقية القواعد الصليبية القريبة منها مثل صور وصيدا وحيفا وبيروت وطرسوس، وهذه المجموعة من المدن هي التي سميت قبل ذلك بمملكة بيروت .

تصفية الوجود الصليبي في جزائر شرق البحر المتوسط قبرص ورودس .

ظلت جزيرة قبرص قاعدة صليبية تهدد أمن المسلمين، وقد سبق أن ذكرنا أن الملك ريتشارد قلب الأسد استولى على هذه الجزيرة التي كان البيزنطيون يزعمون أنها من أملاكهم، وأقطعها لجي دي لوزنيان فأنشأ فيها مملكة صليبية كرست كل جهودها لحرب المسلمين ومعاونة الصليبيين، وكان الكثيرون من مقاتلي الصليبيين يلجئون إليها بعد سقوط قواعدهم في الشام. ومن هؤلاء فرسان الداوية وهم المسمون في النصوص الغربية باسم The Templars أي فرسان المعبد، وكانوا من ألد أعداء المسلمين. وشيئا فشيئا تحولت هذه الجزيرة إلى قاعدة صليبية خطيرة، واشتهر من ملوكها اثنان بالجرأة على المسلمين والغارة على شواطئهم وقطع البحر على سفنهم، وخاصة في أيام أخطر هؤلاء المسمى بطرس الأول لوزينيان (١٣٥٠ - ١٣٦٩ م) وهذا الرجل هو الذي نظم وقاد الحملة المخربة التي نزلت مدينة الإسكندرية وأنزلت بها وبأهلها تدميرا وخرابا بعيدي المدى في أكتوبر ١٣٦٥م وقد اقتحمت هذه الحملة الإسكندرية وخربت الكثير من أسواقها، وقتلت الألوف من أهلها بينما هرب ألوف آخرون، وقد ألف فيها كاتب مصري هو محمد بن قاسم النويري المالكي السكندري كتابا سماه « الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية » (يوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في الهند وصورت منها صورة توجد في مكتبة جامعة الإسكندرية وألف فيها الفارس الفرنجي جيوم دي مانشو قصيدة أشبه بالملحمة في تسعة آلاف بيت) .

إغارة القبارصة على الإسكندرية .

ويستوقف النظر في مجال إهمال المسلمين لسواحلهم - بصفة عامة - أن ملك قبرص نفسه ظل في الإسكندرية أسبوعا كاملا، أما رجاله فمكثوا فيها نحو الأيام العشرة يدمرون ويقتلون ويحرقون وينهبون قبل أن تصل النجدة المملوكية إلى الإسكندرية. وقد كان لهذه الغارة صدى بعيد في عالم الإسلام حتى بلغت الأندلس فتحرك أهل مملكة غرناطة وهاجموا مدينة جيان التي كانت قد وقعت في أيدي الإسبان .

وردا على هذه الغارة قام الأمير يلبغا الخاصكي والي الإسكندرية بإعداد أسطول ضخم وجيش قوي من البحارة والمقاتلة والنفاطين، وقد زاد عدد السفن على مائتين، ولكن هذا الرجل مات مقتولا على أيدي مماليكه قبل أن ينفذ حملته سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ولكنها نبهت سلاطين المماليك إلى الخطر الصليبي، وضرورة تحصين الموانىء الإسلامية والمزيد من العناية بالأساطيل، وقد بدأ ذلك بالفعل من أيام الأشرف شعبان. فشرع في تحصين كل موانئ مصر والشام وتقويتها بالجنود والسفن، ونجح السلطان الأشرف شعبان في فك أسر المسلمين الذين أسرهم القبرصيون في تلك الغارة، في مقابل وعد من السلطان المملوكي بعقد معاهدة صلح مع قبرص، ولكن السلطان سوّف في عقد تلك المعاهدة لأنه كان قد قرر الانتقام من ملك قبرص. وأراد بطرس دي لوزينيان أن يخيف السلطان المملوكي فقاد غارة على ميناء طرابلس في أول ٧٦٩ هـ / سبتمبر ١٣٦٧م، ولكنه وجد الميناء محصنا والمسلمين متأهبين له، فارتد دون نجاح، بل حاول مجاهد مسلم قتله فرمى نفسه عليه وأخذ يضربه بالسيف فلم يصب منه مقتلا ولكنه أصابه بجراح كثيرة قبل أن يقتله حرس الملك، وحاول بطرس بعد ذلك الإغارة على اللاذقية، ولكن المسلمين أسروا إحدى سفنه وقتلوا كل من فيها وغرقت الاثنتان الباقيتان، ثم أرسل حملة على بانياس باغتت البلد ودخلته وأشعلت فيه النار، لكن المسلمين تمكنوا من اللحاق بالقوة المهاجمة وقتل معظم رجالها .

إغارة المماليك على قبرص والاستيلاء عليها .

وقد رد الأشرف شعبان على ذلك بحملة أرسلها إلى قبرص يقودها قائد بحر يسمى إبراهيم الغازي في رجب ٧٦٩ هـ / فبراير ١٣٦٩ م، فأغارت على ساحل الجزيرة وقتلت ونهبت وعادت بأسرى من بينهم راهب كهل، ثم لم يلبث الملك بطرس أن مات قتيلا على أيدي بعض رجاله سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م، وفي نفس السنة حاول الأسطول القبرصي الإغارة على الإسكندرية فتصدت له سفن الريس إبراهيم الغازي وأغرقت معظم سفنه فولت البقية هاربة .

وكـان من الضـرورى القضـاء على ذلك الـوكـر الصليبى . فلما تـولى الملك الأشـرف بارسبـاى، وهو آخر العظمـاء من سلاطيـن المماليك فى دولتهم الثـانية وهى البـرجية (٨٢٥ ـ ٨٤١ هـ/ ١٤٢٢ ـ ١٤٣٧ م) قرر تنفيذ ذلك فاحتفل احتفالا كبيرا بـإعداد السفن بشتى أنـواعها وإعـداد المقاتلـة والبحارة والمجاهـدين والخيل والمؤن. وقـد تم لبارسباى مـا أراد بعد ثلاث حملات : الأولى تمهيـدية ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٤ م أبحرت من دميـاط وأغارت علـى الجزيـرة واقتحمت ميناء ليماسـول «اللمســون » وخـربتـه ونهبت وأسـرت واستكشفت أوكـار القراصنة على ساحل الجـزيرة. وكانت الثانية سنة ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٥ م وكانت أكبـر من الأولى، وقد اتجهت إلـى طرابلس حيث انضمت لها سفن أخرى صنعـت فى طرابلس وبيروت، ومقاتلون آخـرون كثيرون. وقد تمكنت الحملة مـن النزول عند ميناء كـوربـاس على السـاحل الشمـالى الشـرقى للجـزيـرة واستولت عليها ، ثم نزلت قـوات المسلمين على ثلاثين ميلا من فاما جوستا « الماغوصية » فاستولت عليها ، ورفع حاكمها علم السلطـان بارسبـاى على قلعة البلـد، ثم اتجه الأسطـول نحو ناحية الملاحة جنوبى الجزيرة واستولى عليها وقضى على أسطول قبرص قرب سـاحلها. ثم واصل الأسطول سيره ووقف قبالة مـدينة لارناكا جنـوبى الجزيرة واستولى عليهـا ، ثم أخذ المجـاهدون ليمـاسـول « اللمسون » ورفعـوا العلم السلطـانى عليها، ثم اتجه المسلمون نحو العاصمة نيقوسيا، ولكن قائد الحملـة وهو الأميـر سيف الديـن جريـاش الظاهـرى علم أن جـانوس لـوزينيان ملك الجـزيرة استنجـد بالبنـدقية ، وأنهـا أرسلت قوة بحـرية كبيـرة لمعاونـة القبرصيين فقـرر العودة إلى مصر، وعاد الأسطول محملا بالغنائم والأسرى.

وكانت الحملـة الثالثة والأخيرة التى استـولت على قبرص سنـة ٨٢٩ هـــ/ ١٤٢٦م، وقد هيأ لهـا الأشـرف شعبـان كل وسـائل النصر، وقـد أبحرت سفن الأسطـول من الإسكندريـة واتجهت منها إلى قبرص رأسـا، وتمكن المسلمون من دخول نيقوسيا التـى تسمى فى النصوص العربية بـالأنقسية، وحاول الملك جانوس التعرض للمسلمين فى موضع يسمى خيرو كيتا فهزم وأسر. ودخل قائد الحملـة الأمير تغرى بردى المحمودى نيقـوسيـا ، وأعلن أن الجـزيـرة أصبحت من أراضى السلطـان الأشرف سيف الدين بارسباى، ورفع العلم السلطانى عليها ، واقتيد الملك جـانوس لوزينيان إلى الإسكندريـة حيث افتدى نفسه بمائتى ألف دينار، وهكـذا تم القضاء على تلك القاعدة الصليبية .

وقـد ظلت قبرص تـابعة لسلطنـة المماليك حتى استـولى العثمانيـون على مصر فى ذى الحجة سنة ٩٢٢ هـ/ ديسمبر ١٥١٧ م، فـانتقلت ملكيتها إليهم ، وظلـت تابعـة لهم حتى تنازل العثمانيـون عنها للإنجليز بمقتضى اتفـاق تم فى مؤتمر بـرلين سنة ١٨٧٨م ، وظل الإنجليز يحتلونها حتى أسلمـوها لليونـان بعد الحرب العـالمية الأولى . وبذلك بـدأت مشكلة قبـرص لأن الأتـراك القبـارصـة المسلمين ثاروا على الحكم اليونـانى بقيادة الزعيم التـركى المجاهد رءوف دنكتـاش الذى نجح بمعاونة تركيا فى الاستقـلال بالجزء الشمالى الإسلامى، وما زالت المشكلة قائمة .

الاستيلاء على رودس :

كـان الصليبيون قـد انتزعـوا جـزيرة رودس من البيـزنطيين عقب استيـلائهم على عكـا بمساعـدة آل لـوزينيـان ملـوك قبـرص، فمنحهـا ملك قبـرص لفـرسان الاسبتـاريـة . وكـان الاسبتارية من ألـد أعداء المسلمين، وقد قامـوا بغارات كثيرة على بلاد المسلمين، ولهذا أعلن السلطان بارسباى عن عزمه على الاستيـلاء على رودس بعد حصـوله على قبـرص، فشرع فـرسـان الاسبتاريـة فى تحصين جـزيـرتهم ، ولكن الأشـرف بارسباى لم يعش حتى يحقق حلمه .

وكان بارسباى مجاهدا عظيمـا ، فإلى جانب ما ذكرناه من أعماله قام بجهد كبيـر لإبعاد شاه رخ ملك فارس عن العراق. وقد قام بفتح رودس خليفته السلطان سيف الدين جقمق ٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م ولم يتم لجقمق الاستيلاء على رودس إلا بعد ثـلاث حملات. الأولى سنة ١٤٤٠ م، والثانية سنة ١٤٤٣م ، والثالثة سنة ١٤٤٤م ، وفى هذه الحملة الثالثة تم فتح رودس وضمهـا إلى أمـلاك سلطنـة الممـاليك . وقـد قادها اثنـان من كبار أمراء المماليك : إينـال العلائى للقوات البريـة ، وتمرباى للأسطـول والقوات البحرية. وقـد خرجت هـذه الحملة البحـرية الكبيـرة من دمياط وانضمت لهـا سفن أخرى من الشـام فى قبرص. ولم تستطع هذه الحملة الاستيلاء على رودس بسبب شـراسة فـرسان الاسبتاريـة فى الدفـاع عن

جزيرتهم ، وعلى الرغم من معاونة البندقية للمماليك فى محاولتهم الاستيلاء على رودس فإن الأوضاع البحرية كانت قد تغيرت بسبب دخول الإسبان والبرتغاليين والأتراك العثمانيين ميدان الصراع فى البحر المتوسط . وأخيرا تمكن تاجر فرنسى كبير كانت له مصالح تجارية ضخمة مع مصر من عقد صلح بين أهل رودس وسلطنة المماليك . وهذا التاجر يسمى جاك كير ثم إن الأتراك العثمانيين غزوا مصر سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م ، ودخلت مصر بكل أملاكها فى الدولة العثمانية ، وانتقلت مسئولية فتح رودس إلى الأتراك العثمانيين ، وقد حاول السلطان محمد الثانى الاستيلاء على الجزيرة سنة ١٤٨٠م فلم يوفق ، ولكن سليمان القانونى تمكن من ذلك سنة ١٥٢٢م ، بعد أن تكبد خسائر فادحة . وقد ظلت الجزيرة تابعة لتركيا حتى غزاها الإيطاليون سنة ١٩١٢م أثناء الحرب التى شنوها على الدولة العثمانية انتهازا لضعفها ، وفى نفس الوقت استولى الإيطاليون على جزر الدوديكانيز المجاورة . وكانت تابعة لتركيا أيضا ، وفى معاهدة الصلح التى أعقبت الحرب العالمية الثانية أعطيت رودس وجزر الدوديكانيز لليونان سنة ١٩٤٧م وظلت تحكم حكما عسكريا محليا حتى سنة ١٩٥٥م ، ثم أصبحت مقاطعة يونانية عادية عاصمتها مدينة رودس (أطلس تاريخ الإسلام / ٢٦٧ - ٢٧٢) .

وقد انتهت الحروب الصليبية بعد أن استمرت نحو قرنين ، ولم يتم للصليبيين شىء من بغيتهم مع ما أريق فيها من الدماء وبدد من الأموال . ولفشلهمْ هذا عدة أسباب منها :

أولا - اختلاف ملوكهم وأمرائهم فيما بينهم وتظاهر بعضهم على بعض ، مما أدى كثيرا إلى وقوع القتال بينهم .

ثانيا - وجود عدد عظيم من اللصوص والمجرمين والمتشردين بين جيوشهم ، فجر ذلك إلى الاختلال وقلة النظام .

ثالثا - اتحاد المسلمين وائتلافهم فى أكثر أزمان الحروب الصليبية وخاصة زمن صلاح الدين وما بعده .

رابعا - حسن نظام الجيوش الإسلامية وشجاعتها (تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى ١ / ٢٤١) .

وتأثر المسلمون بالحروب الصليبية ، إذ أحسوا لأول مرة بالخطر الأوروبى المشترك ، وعملوا على تكوين جبهة إسلامية متحدة مثلما حدث أيام صلاح الدين . وغذى هذا الإحساس طائفة من الشعراء والفقهاء والعلماء ، فظهرت القصائد والخطب والمواعظ التى تحض على القتال فى سبيل الوطن الإسلامى . وظهرت كذلك الكتب التى تناولت الجهاد والفروسية والسير التاريخية التى تشجع المسلمين على التفانى فى الدفاع عن البلاد والدين (تاريخ العالم الإسلامى / ٣٢٣) .

ويمكن القول إنه نشأ عن الحروب الصليبية ما يصح أن يسمى أدب الحروب الصليبية ، وقد أطلق بعضهم عليه اسم الجهاد باللسان وهو الحث على القتال والصمود والاستشهاد .

يقول الأستاذ الدكتور محمد على الهرفى عن شعر الجهاد فى الحروب الصليبية وقد جمع منه الكثير فى كتابه الذى يحمل هذا الاسم : تبين لى من دراسة شعر الجهاد أن هذا الشعر واكب الحروب الصليبية منذ بدايتها حتى نهايتها . وقد تحدث شعراء هذه الفترة عن الحروب الصليبية ، منذ بدأها عماد الدين زنكى ، وحتى انتهت بإخراج الصليبيين نهائيا من بلاد الشام .

وقد وصف هؤلاء الشعراء فى قصائدهم احتلال الصليبيين للبلاد الإسلامية فى بداية قدومهم لبلاد الشام ، كما وصفوا المعارك الهائلة التى خاضها قادة المسلمين لاسترجاع بلادهم ومقدساتهم .

وقام شعراء المسلمين فى هذه الفترة بجهود مشكورة فى حث المجاهدين على القتال ، ودفعهم للتضحية بأنفسهم فى سبيل الله ، وتشجيعهم على طرد الصليبيين من بلاد المسلمين .

وحمل الشعراء كذلك على بعض أمراء المسلمين الذين تركوا الجهاد ووالأوا الصليبيين ، كما هجوا الضعفاء والمتقاعسين ، وكشفوا خيانات الأعداء وحثوا على قتالهم .

وشعر الجهاد يعد وثيقة تاريخية هامة لدارسى الحروب الصليبية ، لأن شعراء المسلمين فى تلك الفترة وصفوا معظم المعارك التى وقعت بين المسلمين وأعدائهم ، كما تحدثوا عن أسلحة هذه المعارك ، وأماكنها التى وقعت فيها ، وأنواع الأسلحة التى استعملت فيها ، كما أشاروا فى قصائدهم إلى أسماء الشخصيات الهامة التى اشتركت فى هذه الحروب (شعر الجهاد فى الحروب الصليبية / ٩١) .

ونسوق فيما يلى نماذج من شعر الجهاد الذى نحن بصدده.

حين شاع خبر مجيء الصليبيين إلى بلاد الشام عام تسعين وأربعمائة كانت البلاد الإسلامية مفككة الأوصال، وقد اشتغل أمراء المسلمين بالمنازعات التى كانت دائرة بينهم، ولم يعدوا العدة لمقاومة الجيوش الغازية، وقد حاول الشاعر الدمشقى ابن الخياط (٤٥٠ ـ ٥١٧) تحريك همة عضب الدولة زعيم الجيوش فى دمشق (عَضُبَ السيف: صار قاطعا، فهو عضب. المعجم الوجيز / ٤٢٢) فقال قصيدة طويلة يحثه على إعداد العدة للجهاد مطلعها قوله:

فدتك الصواهل قُبًّا وجردا
وشمُّ القبائل شيبا ومُرْدا
وذلت لأسيافك البيض قُضبا
ودانت لأرماحك السمر مُلْدا

إلى أن يقول:

وإنى لمهد إليك القريض
يطوى على النصح والنصح يهدى
إلى كم وقد زخر المشركون
بسيل يُهال له السيل سدا
وقد جاش من أرض إفرنجة
جيوش كمثل جبال تردا
أنوموا على مثل هدِّ الصفاة
وهزلا وقد أصبح الأمر جدا
وكيف تنامون عن أعين
وترتم فأسهرتموهن حقدا
بنو الشرك لا ينكرون الفساد
ولا يعرفون مع الجور قصدا
ولا يردعون عن القتل نفسا
ولا يتركون من الفتك جُهدا
فكم من فتاة بهم أصبحت
تدق من الخوف نحرا وخدا
وأمّ عواتق ما إن عرفن
حرا ولا ذقن فى الليل بردا
تكاد عليهن من خيفة
تذوب وتتلف حزنا ووجدا

(ديوان ابن الخياط / ١٨٢ وما بعدها)

وبعد أن وصف الشاعر حال المشركين وقسوتهم، وحال المسلمين معهم بدأ يحرض عضب الدولة على الجهاد فقال:

فحاموا عن دينكم والحريم
محاماة من لا يرى الموت فقدا
وسُدُّوا الثغور بطعن النحور
فمن حقِّ ثغر بكم أن يُسَدَّا
فقد أينعت أرؤس المشركين
فلا تغفلوها قطافا وحصدا
فلا بد من حدهم أن يفل
ولا بد من ركنهم أن يهدا

وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فتح عماد الدين زنكى حصن بارين الذى وصفه ابن الأثير بأنه كان من أضر بلاد الفرنج على المسلمين، فمدحه ابن منير الطرابلسى، وذكر هزيمته للفرنج، بقصيدة حاول أن يقلد فيها أبا العتاهية فى قصيدته التى يقول فيها:

أتته الخلافة منقادة
إليه تُجرِّر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له
ولم يك يصلح إلا لها

فقال ابن منير:

فدتك الملوك وأيامها
ودام لنقضك إبرامها
وزلت لعيشك أقدامها
وزال لبطشك إقدامها
ولو لم تُسلِّم إليك القلو
بُ هواها لما صح إسلامها
أيا محيى الدين لمَّا نعا
ه أيامَى البرايا وأيتامها
ومستنقذ الدين من أمة
أزال المضارب أصنامها

دلفت لهـــــا تقتفيك الأســـــو
د والبيض والسمــــر آجـــامهـــا
جـــزرت جـــزيـــرتهـــا بـــالسيـــو
ف حتى تشـــاءمهـــا شـــامهـــا
وصـــارت عـــوارى أكنـــافـــه
متى شئت أرخص مستــــامهـــا

(الروضتين ١/ ٣٥).

تحدث ابن منير عن حبه لممدوحه ودعا الله أن يجعل ملوك الصليبيين فداء له ، وأن يزلزل أقدامهم ، ثم تحدث عن جهاده ، وأنه أحيا الدين وأنقذه عندما تخلى عنه الآخرون .

وقصيدة أخرى لابن منير قالها سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمناسبة انتصار نور الدين زنكى على الإفرنج فى معركة حصن فامية « وهو حصن منيع على تل مرتفع عال ، من أحصن القلاع وأمنعها ، وكان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماة وشيزر وينهبونها ، فأهل تلك الأعمال معهم تحت الذل والصغار » فسار إليه نور الدين وحاصره حتى فتحه وأنقذ المسلمين مما هم فيه .

وقد مدحه ابن منير الطرابلسى بقصيدة طويلة مطلعها :

أسنى الممـــالك مـــا أطلت منـــارهـــا
وجعلت مـــرهفـــة الشفـــار دثـــارهـــا
وأحق من ملك البــــلاد وأهلهـــا
رءوف تكنّف عـــدلـــه أقطـــارهـــا

وقد أشار ابن منير فى هذه القصيدة إلى الوضع المتدهور الذى كان عليه المسلمون فى السابق ، وكيف أن الله أعزهم بنور الدين فقال :

آل الـــرعيـــة وهى تجهل آلهـــا
ونعـــاف نطفتهـــا وتكـــره دارهـــا
فـأقـــر ضجعتهـــا وأنبت نيهـــا
وأســـاغ جـــرعتهـــا وأثبت زارهـــا

وقد وصف الشاعر هذه المعركة ، فذكر أن نور الدين أدرك ثأره من الصليبيين ، واستطاع أن يقضى على الصليب وأهله ، كما كانت هذه المعركة طريقا لإحلال العدل ، وسلما لوضع مهابة المسلمين فى قلوب أعدائهم ، يقول فى ذلك :

أدركت ثأرك فى البغـــاة وكنت يـــا
مختـــار أمـــة أحمـــد مختـــارهـــا
... ...
خـــر الصليب وقـــد علت نغمـــاتُهـــا
واستـــويلت صلـــواتـــه تكـــرارهـــا
... ...
مـــاض إذا قـــرع الـــركـــاب لبلـــدة
ألقت لـــه قبل القـــراع إزارهـــا
... ...
مـــلأ البـــلاد مـــواهبـــا ومهـــابـــة
حتى استـــرقت آيـــة أحـــرارهـــا

(الروضتين ١ / ٦٢ ، ٦٣).

وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة هاجم نور الدين حصن حارم « وهو للفرنج فحصره ، وخرب ربضه ، ونهب سواده ، ثم رحل عنه إلى حصن آنب فحصره ، فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية ، وساروا إليه ليرحلوه عن آنب فلم يرحل ، بل لقيهم ، وتصاف الفريقان ، واقتتلوا وصبروا ، وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر فى الحرب على حداثة سنه ما تعجب منه الناس ، وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج ، وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا . وفيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية ، وكان عاتيا من عتاة الفرنج ، وذوى التقدم فيهم » .

(الروضتين ١ / ٥٨) .

وقد مدح الشعراء نور الدين بعدة قصائد ، وهنأوه بهذا الفتح . ومن جملة هؤلاء ابن القيسرانى الذى قال قصيدة جميلة تذكرنا بقصيدة أبى تمام فى مدح المعتصم عندما فتح عمورية التى مطلعها :

السيف أصـــدق أنبـــاء من الكتب
فى حـــده الحـــدُّ بين الجـــد واللعب

فقال ابن القيسرانى قصيدته التى مطلعها :

هـــذى العـــزائم لا مـــا تـــدعى القضب
وذى المكـــارم لا مـــا قـــالت الكتب
وهـــذه الهمم الـــلاتى متى خطبت
تعثـــرت خلفهـــا الأشعـــار والخطب

ثم قال في وصف المعركة :

أغـــرت سيـــوفـك بـــالإفــــرنج راجفـــة
فـــــؤاد روميـــــة الكبــــرى لهــــا يجـب

ضـــــربت كبشهـم منهـــا بقـــاصمـــــة
أودى بهـــا الصلـب وانحطت بهـــا الصلب

قـل للطغـــــاة وإن صمـت مســـــامعهـــا
قــــــولا لصـم القنـــا فـي ذكـــــره أرب

أغـــــركـم خـــدعـــــة الآمـــــال ظنكـم
كـم أسلم الجهـل ظنـــا غـــــرة الكـــذب

غضبت للـــــــدين حتى لـم يفتـك رضـى
وكـــان دين الهـــدى مـــرضـــاتـــه الغضب

طهّـــــرت أرض الأعـــــادي من دمـــائهـم
طهـــــارة كـل سيف عنـــــدهـــــا جنب

حتى استطـــار شـــرار الــزنـــد قـــادحـــه
فـــالحـــرب تضـــرم والآجـــال تحتطب

والخيل مـن تحت قتـــلاهــــا تقـــر لهـــا
قـــــوائم خـــــانهن الـــــركض والخبب

والنقـع فـــــوق صقـــال البيض منعقـــد
كمـــــا استقل دخـــــان تحتـــــه لهب

... ...

والنبل كــــــالــــوبل هطـــــال وليس لـــــه
ســـوى القسي وأيـــد فـــوقهـــا سحب

خـــانـــوا فخـــانـت رمـــاح الطعن أيـــديهم
فــــاستسلمـــــوا وهي لا نبـع ولا غـــــرب

كـــــذاك مـن لم يـــــوق الله مهجتـــــه
لاقـى العـــدى والقنـــا فـي كفـــه قصب

وختم ابن القيسراني قصيدته بدعوة نور الدين إلى استرجاع بيت المقـدس وتطهيـر المسجـد الأقصى من نجاسـات المشركين ، فقال :

فـــانهـض إلى المسجـد الأقصى بـــذي لجب
يـــوليك أقصـى المنى فـــالقـــدس مـــرتقب

وائذن لمــــوجك فـي تطهيـــر ســــاحلــــه
فـإنمـــــا أنـت بحـــــر لجُّـــــه لجب

(الروضتين ١ / ٥٩) .

يقـول الدكتـور محمد علي الهـرفي : نـلاحظ أن الشاعـر وصف المعـركـة وصفـا دقيقـا ، فتحـدث عن الأسلحـة التي استعملت فيهـا ، كـالسيف ، والرمح ، والنبـال ، كمـا وصف حالة المشركين البائسة وهم يلاقون هذه الهزيمة المنكرة ، فلا يملكون إلا الاستسلام ، بعد أن لعب الموت فيهم ، يقول :

خـــانـــوا فخـــانـت رمـــاح الطعن أيـــديهم
فــــاستسلمـــــوا وهي لا نبـع ولا غـــــرب

... ...

أجســــادهم فـي ثيـــاب مـن دمـــائهـم
مسلـــوبـــة وكـأن القـــوم مـــا سُلُبـــوا

وقد تحـدث ابن منير الطـرابلسي عن هذا الفتح بقصيدة طويلة ، فذكـر أن نور الدين أعاد إلى الإسلام عـزته وكرامته ، وأعاد المسلمين إلى عصورهم الذهبية ، قال :

أقـــوى الضـــلالُ وأقفـــرت عـــرصـــاتُـــه
وعـــــلا الهـــدى وتبلجت قسمـــــاتـــــه

وانتـــــاش ديـن محمـــــد محمـــــوده
من بعـــد مـــا غلبت دمّـــا عبـــراتـــه

فتـح تعممـت السمـــــــاء بفخـــــــره
وهفت علـى أغصـــانهـــا عـــذبـــاتـــه

سبغت علـى الإســـلام بيض حجـــولـــه
واختـــال فـي أوضـــاحهـــا جبهـــاتـــه

(الروضتين ١ / ٦٠) .

ووصف الشاعـر المعركة التي خـاضها نـور الدين ، والتي استطاع فيها أن ينتصـر على الصليب وأهله ، وأن يقتل البرنس صاحب أنطاكيـة ، ويلقيه في العراء فريسة للذئاب والطيور ، يقول :

صـــدم الصليبَ علـى صـــلابـــة عـــوده
فتفـــرقت أيـــدي سبـــا خشبـــاتـــه

وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة
بالروح ممقر ما جنت غدراته
فانقاد فى خطم المنية أنفه
يوم الخطيم وأقصرت نزواته
تمشى القناة برأسه وهو الذى
نظمت مدار النيرين قناته
ما انقاد قبلك أنفه بخزامه
كلا ولا همت لها همداته
والآن ملقى بالعرا يقتاته
ما كان قبل يصيده يقتاته

(الروضتين ١ / ٦١ ، ٦٢).

(شعر الجهاد فى الحروب الصليبية / ٩١ ـ ٩٣ ، ٩٦ ـ ١٠١).

وفى سنة ٥٧٥ هـ نازل صلاح الدين الصليبيين قرب «بانياس » وأسر فرسانهم ، وشجعانهم ، وانهزمت جموعهم فى أول لقاء فكان من جملة الأسرى مقدم الداوية ، ومقدم الاسبتارية ، وصاحب طبرية ، وأخو صاحب جبيل ، وابن القميصية ، وابن بارزال صاحب الرملة وغيرهم ، ولذا مدح «ابن سناء » السلطان صلاح الدين بقصيدة نونية مطلعها : ـ

أبى صدها أن يجمع الحسن والحسنى
ووجدى بها أن أجمع الجفن والجفنا
ولما رأوه أدبروا حين عاينوا
أعنة خيل لا تعود ولا تثنى
وقد وقفوا لكن لأسر رقابهم
وقطف رءوس منهم آن أن تجتنى
ثبت لهم والسيف قد كسره الطلى
وجالدتهم والقرن قد سئم القرنا
بضرب يذيب الشمس فى الأفق حره
ويحرق ما بين القلوب من الشحنا
مضى ملكهم فى أول الأمر هاربا
يحس قفاه الطعن فيه ولا طعنا
ولم يقرع الناقوس بعد انهزامه
ولكنه من بعده قرع السنا
وأضحى أسيرا بادويل وغيره
قرون ملوك كم أبادوا لهم قرنا
أسارى جبارى لا يرجون فدية
ولا يأملون الدهر فكا ولا أمنا
بكى « الكند » واليسكند لا وحشه لهم
ولكن على نفسيهما أسبلا الجفنا
غدا « بادويل » وهو يلعن نفسه
وحق لتلك النفس أن تربح اللعنا

(ابن سناء الملك / ١٠٠ ، ١٠١) .

قالت المؤلفة : ولعل أروع النظم من شعر الجهاد فى الحروب الصليبية هو ذلك الذى جاء فى مدح صلاح الدين الأيوبى ، ووصف أمجاده وانتصاراته والمعارك التى خاضها ضد الصليبيين. ويخص الشعراء بعنايتهم فتح القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام ، بل إن للشاعر الحكيم أبى الفضل عبد المنعم بن عمر بن حسان الأندلسى الجليانى قصائد طوال عرفت بالقدسيات ، منها القصيدة التائية ، ومنها القدسية الكبرى وعدد أبياتها مائة واثنان وخمسون بيتا اهـ .

لقد وقف صلاح الدين أمام الصليبيين سدًّا منيعًا وصخرة عاتية ، تكسرت عليها آمالهم ، وانهارت مطامعهم ، وكانت قصائد ابن سناء الملك التسع التى مدح بها صلاح الدين ، وقصائد غيره من الشعراء ، كما نبين فيما بعد ، سجلا رائعا لتلك المعارك . وهذه الانتصارات قد سجل بها صلاح الدين اسمه فى سجل الخلود ، وأملى على الأحداث تاريخه المشهود ، وبهر الشعراء جميعا ، وهزت مواقفه نفوسهم ، وخلق بمواقفه البطولية فى صد الصليبيين نوعا من الشعر الدينى الحماسى الذى يلهب المشاعر.

والنماذج التى نسوقها فيما يلى قد أوردها صاحب الروضتين ، ونورد هنا من كل قصيدة بعض أبياتها .

قال العماد يهنىء صلاح الدين بفتح القدس وهو مخيم عليه ، ويعدد انتصاراته :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا
وتعتاض من ذكراكم وحشتى أنسا

وأسأل عنكم عافيات دوارس
غدت بلسان الحال ناطقة خرسا

... ...

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى

وقيل لنا فى الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا

سجيته الحسنى وشيمته الرضى
وبطشته الكبرى وعزمته القعسى

فلا عدمت أيامنا منه مشرقا
ينير بما يولى ليالينا الدمسا

جنودك أملاك السماء وظنهم
عداتك جن الأرض فى الفتك لا الإنسا

فلا يستحق القدس غيرك فى الورى
فأنت الذى من دونهم فتح القدسا

ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا

وطهرته من رجسهم بدمائهم
فأذهبت بالرجس الذى ذهب الرجسا

نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها
وألبستها الدين الذى كشف اللبسا

وعادت ببيت الله أحكام دينه
فلا بطركا أبقيت فيها ولا قسا

وقد شاع فى الآفاق عنك بشارة
بأن أذان القدس قد بطل النقسا

جرى بالذى تهوى القضاء وظاهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا

وكم لبنى أيوب عبد كعنتر
فإن ذكروا بالهاس لا يذكروا عبسا

وقد طاب ريانا على طبرية
فياطيبها مغنى ويا حسنها مرسى

وعكا وما عكا فقد كان فتحها
لإجلائهم عن مدن ساحلهم كنسا

وصيدا وبيروت وتبنين كلها
بسيفك ألفى أنفه الرغم والتعسا

ويافا وأرسوف وتبنى وغزة
تخذت بها بين الطلى والظبى عرسا

وفى عسقلان الكفر ذل بملككم
فنظره بل أمره اربد وأرجسا

وصار بصور عصبة يرقبونكم
فلا تبطشوا عنها وحسوهم حسا

توكل على الله الذى لك أصبحت
كلاءته درعا وعصمته ترسا

ودمر على الباقين واجتث أصلهم
فإنك قد سيرت دينارهم فلسا

ولا تنس شرك الشرق غربك مرويا
بماء الطلى من صاديات الظبى الخمسا

وأن بلاد الشرق مظلمة فخذ
خراسان والنهرين والترك والفرسا

وبعد الفرنج الكرك فاقصد بلادهم
بعزمك واملأ من دمائهم الرمسا

أقامت بغاب الساحلين جنودكم
وقد طردت عنه ذئابهم الطلسا

وللعماد أيضا من جملة القصيدة التى مدح بها حسام الدين بن لاجين :

قل للمليك صلاح الدين أكرم من
يمشى على الأرض أو من يركب الفرسا

من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى
صور فإن فتحت فاقصد طرابلسا

أثر على يوم أنطرسوس ذا لجب
وابعث إلى ليل أنطاكية العسسا

وأخل ساحل هذا الشام أجمعه
من العداة ومن في دينه وكسا
ولا تدع منهم نفسا ولا نفسا
فإنهم بأخذون النفس والنفسا
نزلت بالقدس فاستفتحته ومتى
تقصد طرابلسا فانزل على قُدسا

ومن قصيدة أخرى له أنفذها إلى الخليفة الناصر :

أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه
لقد تجلى الهدى والشرك منجاب
بفتحه القدس للإسلام قد فتحت
في قمع طاغية الإشراك أبواب
ففي موافقة البيت المقدس للـ
ـبيت الحرام لنا تيه وإعجاب
والصخر والحجر الملثوم جانبه
كلاهما لاعتمار الخلق محراب
نفى من القدس صلبانا كما نقيت
من بيت مكة أزلام وأنصاب

وللشريف النسابة المصرى محمد بن أسعد بن على بن معمر الحلبى المعروف بالجوانى نقيب الأشراف بالديار المصرية من قصيدة :

أترى مناما ما بعيني أبصر
القدس يفتح والفرنجة تكسر
وقمامة قمت من الرجس الذى
بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم
يُر قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشآم وطهر القدس الذى
هو في القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد
ماذا يقال له وماذا يذكر
يا يوسف الصديق أنت لفتحها
فاروقها عمر الإمام الأطهر
ولأنت عثمان الشريعة بعده
ولأنت في نصر النبوة حيدر
ملك غدا الإسلام من عجب به
يختال والدنيا به تتبختر
نثر ونظم طعنه وضرابه
فالرمح ينظم والمهند ينثر
حيث الرقاب خواضع حيث العيو
ن خواشع حيث الجباه تعفر
غاراته جمع فإن خطبت له
فيها السيوف فكل هام منبر
إذ لا ترى إلا طلى بسنابك
تحذى نعالا أو دماء تهدر
وصوافنا تختار أن تطأ الثرى
فيصدها عنه طلى وسنور
تمشى على جثث العدا عرج اولا
عرج بها لكنها تتعثر

(الروضتين ٢ / ١٠١ ـ ١٠٣ ، ١٠٥) .

وبعد ، فإن المؤرخين للحروب الصليبية يقفون بأحداثها عند نهايتها في الحقبة الزمنية التي حدثت فيها ، ومن ثم يقولون إن الحروب الصليبية قد انتهت . بيد أن المراقب للأحداث اليوم يرى أن الشعور السائد لدى المسلمين ، الخاصة منهم والعامة على السواء ، هو أن الحروب الصليبية لم تنته بعد ، وإن كانت تتخذ أشكالا مختلفة ، ودليلهم في هذا حرب الإبادة التى يشنها صرب يوغوسلافيا السابقة على مسلمي البوسنة والهرسك ، وتلك التى يشنها الروس على دولة تشيشنيا المسلمة والتى لم يخمد أوارها حتى يومنا هذا ،

الخميس ١٥ شوال ١٤١٥ هـ/ ١٦ مارس ١٩٩٥م، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(أطلس تاريخ الإسلام ــ د . حسين مؤنس / ٢٦٧ ـ ٢٧٢، وتاريخ مصر إلى الفتح العثماني ـ عمر الإسكندرى و أ . ج سفدج ١ / ٢٤١، وتاريخ العالم الإسلامى ــ د. إبراهيم أحمد العدوى / ٣٢٣، وشعر الجهاد فى الحروب الصليبية ـ د. محمد على الهرفى / ٩١ ـ ٩٣ ، ٩٦ ـ ١٠١ ، وابن سناء الملك ـ محمد إبراهيم نصر. أعلام العرب (٩٦) الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ / ١٠٠ ، ١٠١، والروضتين فى أخبار الدولتين لشهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة المقدسى، دار الجيل . بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م ، ١ / ٣٥، ٥٩، ٦٠ ــ ٦٣ ، ٢ / ١٠١ ــ ١٠٣، ١٠٥ . انظر أيضا « أرناط ... الفارس اللص » ـ د. برهان العابد . مجلة تاريخ العرب والعالم . السنة العاشرة . العددان ١١٩ ـ ١٢٠ محرم ـ صفر ١٤٠٩ هـ ــ سبتمبر ــ أكتوبر ١٩٨٨ م/ ١٢ ـ ٢٣ ، و « الجهاد باللسان فى عصر النبوة » ـ لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر الجزء الثالث ، السنة الخامسة والستون ، ربيع الأول ١٤١٣ هـ ــ سبتمبر ١٩٩٢ م/ ٣٣١ ـ ٣٣٦ ، والفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، عميد أ . ح محمود نديم أحمد فهيم / ١٨٢ ــ ١٩٢ ، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ٣١٠ ـ ٣٣٠، والإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين لأحمد بن على الحريرى ـ حقق نصه وعلق عليه وقدم له د. سُهيل زكار) .

حَرَوْراء:

قال ياقوت :

حَرَوْراء : بفتحتين، وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة؛ يجوز أن يكون مشتقا من الريح الحرور، وهى الحارة، وهى بالليل كالسموم بالنهار، كأنه أنث نظرا إلى أنه بقعة؛ قيل: هى قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فنسبوا إليها، وقال ابن الأنبارى: حروراء كورة، وقال أبو منصور : الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه، قال : ورأيت بالدهناء رملة وعثة يقال لها رملة حروراء .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٥) .

الحَرَوْرِيّة :

قال المقريزى ، وقد عد الحرورية الفرقة السادسة من النوع الثانى من الفرق وهو فرق أهل الإسلام : الحرورية : الغلاة فى إثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد فى النار مع وجود الإيمان ، وهم قوم من النواصب الخوارج ، وهم مضادون المرجئة فى النفى والإثبات والوعد والوعيد . ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك، ومذهب عامة الخوارج أنه كافر وليس بمشرك. وقال بعضهم هو منافق فى الدرك الأسفل من النار، فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا، والحكم فيه أنه يخلد فى النار، واتفقوا على أن الإيمان هو اجتناب كل معصية، وقيل لهم « الحرورية » لأنهم خرجوا إلى حروراء لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه وعدتهم اثنا عشر ألفا، ثم سار على رضى الله عنه إليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم إليهم جماعة حتى بلغوا اثنىْ عشر ألفا (المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٥٠) .

قال ياقوت :

الحرورية : منسوب فى قول النابغة الجعدى حيث قال :

أيـا دار سلمى بالحرورية أسلمى
إلى جانب الصمان، فالمتثلم
أقامت به البردين ثم تذكرت
منازلها ، بين الدخول فجرثم

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٣٥٠ ، ومعجم البلدان لياقوت ٢ / ٢٤٥) .

الحروف:

قال ابن الحاجب فى تعريف الحرف : الحرف ما دل على معنى فى غيره، ومن ثمت احتاج فى جزئيته إلى اسم أو فعل (الكافية/ ٤٢٢) .

ويعرف سيبويه حد الحرف بقوله : « وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثم ، وسوف وواو القسم ، ولا الإضافة ، ونحوها » .

وذكر أبو حيان الأندلسى صاحب « اللمحة البدرية » علامة الحرف المميزة، وهى تعريه من علامات كل من الاسم

والفعل فقال : ويعرف الحرف بأن يعرى عن خواص الاسم والفعل .

ويقول ابن هشام الأنصارى فى شرحه قول أبى حيان هذا :

أقول : لما انتهى تعريف الاسم والفعل ، شرع فى تعريف الحرف ، فذكر العلامة المشهورة له ، وهى أن لا يقبل شيئا من علامات الأسماء ، ولا من علامات الأفعال كـ (هل) و(قد) ، ألا ترى أنهما لا يقبلان الألف واللام ، ولا الجر ، فليسا باسمين ، ولا يقبلان تاء التأنيث الساكنة ، ولا ياء المخاطبة ، فليسا فعلين ؛ وإذا انتفت الاسمية والفعلية ، تعينت الحرفية إذ لا رابع .

ونظير جعل النحاة عدم العلامات علامة للحرف ، جعل واضع الخط علامة (الحاء إخلاؤها من النقطة ، لأنه لما وضع صورتها ، وصورة الجيم ، وصورة الخاء متحدة ، وأراد التفريق بينهن ، جعل للجيم نقطة سفلى ، وللخاء نقطة عليا ، فتميزت كل منهما عن الأخرى ؛ فجعل إهمال الحاء من النقطة علامة لها .

واعلم أن قول المصنف ، بأن يعرى عن خواص الاسم والفعل إما أن يريد جميع خواصها ، أو الخواص المذكورة ؛ فإن أراد الأول فهو إحالة على مجهول ، لأنه لم يذكر جميع الخواص ، وإن أراد الثانى ، قلنا هناك كلمات لا تقبل الخواص التى ذكرها ، وليست حروفا بالاتفاق ، بل هى إما أسماء نحو : إذ ، ولُكاع ، وغدار ولُكع وغدر: أو أفعال نحو « أفعل » فى التعجب ، وخلا ، وعدا ، وحاشى ، إذا نصبت ، والخواص جمع خاصة ، والخاصة عرض لازم لطبيعة واحدة كالضحك بالقوة للإنسان (شرح اللمحة البدرية / ١٧٥ ـ ١٧٧) .

قال أبو القاسم الحريرى فى تعريفة للحرف :

والحرف ما ليست له علامة

فقس على قولى تكن علامة

مثاله حتى ولا وثما

وهل وبلى ولو ولم ولما

(ملحة الإعراب / ٣) .

فالحريرى لا يرى للحرف علامة . أما الآثارى فيرى أن للحرف ثلاث علامات فيقول فى تعريف الحرف وعلاماته :

وهى ثلاث :

ما لا يرى الإسناد فيه العرف

أو جاب فى سواه فهو الحرف

وجعله واسطة بين الحدث

والذات برهان لمن به اكترث

ومن يقل ليست له علامه

حقت على صاحبه الملامه

ثم يقول عن صفة الحرف :

الحرف ركن بالبنا قد اتصف

ولقبوه الحرف إذ كان الطرف

(ألفية الآثارى / ٦٣) .

وجدير بالذكر أن لفظ « حرف » يجىء فى التراث اللغوى الإسلامى معبرا عن مستويات اللغة جميعها ، فهو على المستوى الصوتى « حرف » ويطلق عليه فى علم اللغة الحديث اسم « صوت » وفى الجمع يسميها « حروف الهجاء » أو حروف التهجى أو حروف المعجم ، وهو على المستوى الصرفى « حرف » ويميزونه فى الجمع باسم حروف المعانى ، وعلى المستوى الخطى هو أيضا « حرف » ولكن يميزونه باسم حروف الكتابة ونحن فى هذه المادة نستخدم مسميات المصنفات اللغوية فى التراث .

وفى الكلام على الحروف بصفة عامة يقال إن الحروف كلها مبنية ، وهى قليلة بحيث لا يتجاوز عددها ثمانين ، ويقال لها حروف المعانى ، أما حروف الهجاء فيقال لها حروف المبانى .

والحروف على المستوى الصوتى للغة تعالج من حيث مخارجها وصفاتها وأكثر ما يعنى بذلك علم التجويد لكى تتحقق صحة التلاوة ، وعلى المستوى الصرفى تقسم الحروف إلى خمسة أقسام وفقا للعدد ، فهى إما أحادية او ثنائية أو ثلاثية أو رباعية ، وهو تقسيم الرمانى ، وتضيف كتب قواعد اللغة العربية الحروف الخماسية ولم يأت منها إلا لكن للاستدراك ويأتى بيانها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

أما على المستوى الخطى فيعالج الحرف من حيث طريقة كتابته وفقا لموضعه من اللفظ أى إن وقع فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، وطريقة كتابته إن وقع بمفرده، كما يعالج من الناحية الجمالية باعتبار أن الحرف العربى يدخل فى متن كتابة المصاحف وفن الزخرفة وفن تزيين جدران المساجد والمنازل وفنون النقش بأنواعها ويأتى بيان هذا فى مادة « الخط (علم ـ) إن شاء الله تعالى .

وقد أفرد صاحب اللسان بابا فى ألقاب الحروف ، أى صفاتها كأصوات ، وطبائعها وخواصها جاء فيه ما يلى :

ذكر ابن كيسان فى ألقاب الحروف : أن منها المجهور والمهموس .

ومعنى المجهور منها أنه لزم موضعه إلى انقضاء حروفه ، وحبس النفَس أن يجرى معه ، فصار مجهورا ، لأنه لم يخالطه شىء يغيره . وهو تسعة عشر حرفا : الألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والباء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاى، والظاء، والذال، والميم، والواو، والهمزة ، والياء .

ومعنى المهموس منها أنه حرف لأنّ مخرجه دون المجهور، وجرى معه النفس، وكان دون المجهور فى رفع الصوت، وهو عشرة أحرف : الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء .

وقد يكون المجهور شديدا، ويكون رخوا، والمهموس كذلك .

وقال الخليل بن أحمد : حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاح، لها أحياز ومدارج؛ وأربعة أحرف جوف : الواو والياء، والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف؛ فلا تخرج فى مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة ، ولا مدارج اللسان، وهى فى الهواء، فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف .

وكان يقول : الألف اللينة والواو والياء هوائية، أى أنها فى الهواء . وأقصى الحروف كلها العين؛ وأرفع منها الحاء، ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منها ؛ ثم الهاء، ولولا هتة فى الهاء ـ وقال مرة أخرى ههّة فى الهاء ـ لأشبهت الحاء لقرب مخرجها منها؛ فهذه الثلاثة فى حيز واحد .

ولهذه الحروف ألقاب أُخر . الحلقية : العين ، والهاء، والحاء، والخاء، والغين؛ اللهوية : القاف، والكاف؛ الشجرية : الجيم، والشين، والضاد (والشجر مفرج الفم)؛ الأسلية : الصاد، والسين، والزاى، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهى مستدق طرفه؛ النطعية : الطاء، والذال، والتاء، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى؛ اللثوية : الظاء، والدال، والثاء، لأن مبدأها من اللثة؛ الذلقية : الراء، واللام، والنون الشفوية : الفاء، والباء، والميم (وقال مرة شفهية)؛ الهوائية : الواو ، والألف، والياء .

وأما ترتيب « كتاب العين » وغيره، فقد قال الليث بن المظفر: لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء فى« كتاب العين » أعمل فكره فيه ، فلم يمكنه أن يبتدئ فى أول حروف المعجم، لأن الألف حرف معتل . فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثانى أولا، وهو الباء، إلا بحجة وبعد استقصاء؛ فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولاها، فى الابتداء، أدخلها فى الحلق . وكان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف ثم يقول : اب، ات، اث، اج، اع فوجد العين أقصاها فى الحلق وأدخلها ، فجعل أول الكتاب العين؛ ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخر الحروف، فقلب الحروف عن مواضعها، ووضعها على قدر مخرجها من الحلق .

وهذا تأليفه وترتيبه : العين والحاء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاى والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والراء واللام والنون والفاء والباء والميم والياء والواو والألف .

وهذا هو ترتيب « المحكم » لابن سيده، إلا أنه خالفه فى الأخير، فرتب بعد الميم الألف والياء والواو. ولقد أنشدنى شخص بدمشق المحروسة أبياتا فى ترتيب « المحكم » ، هى أجود ما قيل فيها :

عليك حروفا هن خير غوامض
قيود كتاب جل شأنا ضوابطه
صراط سوى زل طالب دحضه
تزيد ظهورا ذا ثبات روابطه

لــــــــذلكم نلتـــــــذ فـــــــوزا بمحكم
مصنفـــــه أيضــــا يفـــوز وضــــابطـــــه

وقد انتقد هذا الترتيب على من رتبه .

وترتيب سيبـويه على هذه الصورة : الهمـزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين والقـاف والكاف والضاد والجيم والشين واللام والراء والنون والطاء والـدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والياء والألف والواو .

وأما تقارب بعضهـا من بعض وتباعدها ، فإن لهـا سرا فى النطق نكشفه متى تمعنـاه ، كمـا انكشـف لنـا سره فى حل المترجمات ، لشـدة احتياجنا إلى معرفة مـا يتقارب بعضه من بعض ويتباعد بعضه من بعض ، ويتركب بعضه مع بعض ولا يتركب بعضه مع بعض .

فإن من الحـروف ما يتكـرر ويكثر فى الكـلام استعمالـه ، وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ى ، ن .

ومنها ما يكون تكراره دون ذلك ، وهو ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج .

ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك ، وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ .

ومن الحروف ما لا يخلو منه أكثر الكلمات ، حتى قالوا إن كل كلمة ثلاثيـة فصاعدا لا يكون فيها حرف أو حـرفان منها ، فليست بعربية ؛ وهى ستة أحرف : د ، ب ، م ، ن ، ل ، ف

ومنها مـا لا يتركب بعضه مـع بعض ، إذا اجتمع فى كلمة إلا أن يقـدم ، ولا يجتمع إذا تأخر ، وهـو : ع ، ه ، فإن العين إذا تقدمت تركبت ، وإذا تأخرت لا تتركب .

ومنهـا ما لا يتـركب إذا تقدم ، ويتـركب إذا تأخر ، وهـو : ض ، ج ، فإن الضـاد إذا تقـدمت تـركبت ، وإذا تأخـرت لا تتركب فى أصل العربية .

ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا إن تقدم ولا إن تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ؛ فاعلم ذلك .

وأما خواصها : فإن لها أعمالا عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعـالجات وأوضاع الطلسمات ، ولهـا نفع شريف بطبائعها ، ولهـا خصوصية بالأفـلاك المقدسة وملاءمـة لها ، ومنافع لا يحصيها من يصفها ليس هـذا موضع ذكرهـا ؛ لكنـا لا بد أن نلوح بشىء من ذلك ، ننبه على مقدار نعم الله تعالى على من كشف له سرها ، وعلمـه علمها ، وأباح لـه التصرف بها . وهو أن منهـا ما هو حار يـابس طبع النار ، وهو : الألف والهاء ، والطـاء ، والميم ، والفاء ، والشين ، والـذال ، وله خصـوصية بـالمثلثة النـاريـة ؛ ومنها مـا هـو بارد يـابس طبع التـراب ، وهو : البـاء ، والواو ، واليـاء ، والنون ، والصـاد ، والتاء ، والضاد ، وله خصـوصية بالمثلثة الترابية ؛ ومنهـا ما هو حـار رطب طبع الهـواء ، وهو : الجيم ، والـزاى ، والكـاف ، والسين ، والقاف ، والثـاء ، والظاء ، ولـه خصوصية بـالمثلثة الهوائية ؛ ومنهـا ما هو بارد رطب طبع المـاء ، وهو : الدال ، والحـاء ، والـلام ، والعين ، والـراء ، والخـاء ، والغين ، ولـه خصوصية بالمثلثة المائية .

ولهذه الحروف فى طبائعها مـراتب ودرجات ودقائق وثوان وثوالث وروابع وخـوامس يوزن بهـا الكلام ، ويعـرف العمل به علماؤه ؛ ولـولا خوف الإطالـة ، وانتقاد ذوى الجهالـة ، وبعد أكثر النـاس عن تأمل دقائق صنع الله وحكمتـه ، لذكـرت هنا أسرارا مـن أفعال الكـواكب المقدسـة ، إذا مازجتهـا الحروف تحرق عقـول من لا اهتدى إليهـا ، ولا هجم به تنقيبـه وبحثه عليها .

ولا انتقاد علىَّ فى قـول ذوى الجهالة ؛ فإن الـزمخشرى ، رحمه الله تعـالى ، قال فى تفسيـر قولـه عز وجل : ﴿ **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** ﴾ [الأنبياء : ٣٢] قـال : عن آيـاتهـا ، أى عمـا وضع الله فيهـا من الأدلـة والعبر ، كالشمس والقمر ، وسائر النيرات ، ومسايرها وطلوعها وغروبهـا على الحساب القويم ، والتـرتيب العجيب ، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة .

قـال : وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنهـا ، ولم يذهب بـه وهمه إلى تدبـرها والاعتبار بهـا ، والاستدلال على عظمـة شأن من أوجـدهـا عن عـدم ، ودبـرهـا ونصبهـا هـذه النصبة ، وأودعهـا ما أودعها ممـا لا يعرف كنهـه إلا هو جلت قدرته ، ولطف علمه . هذا نص كلام الزمخشرى ، رحمه الله .

وذكر الشيخ أبو العباس أحمـد البونى ، رحمه الله ، قال : منازل القمر ثمـانية وعشرون ، منها أربعـة عشر فوق الأرض ؛ ومنها أربعـة عشر تحت الأرض . قـال : وكذلـك الحروف :

منها أربعة عشر مهملة بغير نقط ، وأربعة عشر معجمة بنقط ؛ فما هو منها غير منقوط فهو أشبه بمنازل السعود ؛ وما هو منها منقوط فهو منازل النحوس والممتزجات ؛ وما كان منها له نقطة واحدة فهو أقرب إلى السعود ؛ وما هو بنقطتين فهو متوسط فى النحوس ، فهو الممتزج ؛ وما هو بثلاث نقط فهو عام النحوس . هكذا وجدته .

والذى نراه فى الحروف أنها ثلاثة عشر مهملة وخمسة عشر معجمة ، إلا أن يكون كان لهم اصطلاح فى النقط تغير فى وقتنا هذا .

وأما المعانى المنتفع بها من قواها وطبائعها فقد ذكر الشيخ أبو الحسن على الحرالى والشيخ أبو العباس أحمد البونى والبعلبكى وغيرهم ، رحمهم الله ، من ذلك ما اشتملت عليه كتبهم من قواها وتأثيراتها ، ومما قيل فيها أن تتخذ الحروف اليابسة وتجمع متواليا ، فتكون متقوية لما يراد فيه تقوية الحياة التى تسميها الأطباء الغريزية ، أو لما يراد دفعه من آثار الأمراض الباردة الرطبة ، فيكتبها ، أو يرقى بها ، أو يسقيها لصاحب الحمى البلغمية والمفلوج والملووق ، وكذلك الحروف الباردة الرطبة ، إذا استعملت بعد تتبعها ، وعولج بها ، رقية أو كتابة أو سقيا ، من به حمى محرقة ، أو كتبت على ورم حار ، وخصوصا حرف الحاء لأنها ، فى عالمها ، عالم صورة . وإذا اقتصر على حرف منها كتب بعدده ، فيكتب الحاء مثلا ثمانى مرات ، وكذلك ما تكتبه من المفردات تكتبه بعدده . وقد شاهدنا نحن ذلك فى عصرنا ، ورأينا ، من معلمى الكتابة وغيرهم ، من يكتب على خدود الصبيان ، إذا تورمت ، حروف أبجد بكمالها ، ويعتقد أنها مفيدة ، وربما أفادت .

وليس الأمر كما اعتقد ، وإنما لما جهل أكثر الناس طبائع الحروف ، ورأوا ما يكتب منها ، ظنوا الجميع أنه مفيد فكتبوها كلها .

وشاهدنا أيضا من يقلقه الصداع الشديد ويمنعه القرآن ، فيكتب له صورة لوح ، وعلى جوانبه تاءات أربع ، فيبرأ بذلك من الصداع .

وكذلك الحروف الرطبة ، إذا استعملت رقى أو كتابة أو سقيا ... أدامت الصحة ...

وإذا كتبت للصغير حسن نباته ، وهى أوتار الحروف كلها .

وكذلك الحروف الباردة اليابسة ، إذا عولج بها من نزف دم بسقى أو كتابة أو بخور ، ونحو ذلك من الأمراض . وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى كتبه من ذلك جملا كثيرة .

وقال الشيخ على الحرالى ، رحمه الله : إن الحروف المنزلة أوائل السور ، وعدتها بعد إسقاط مكررها ـ أربعة عشر حرفا ، وهى : الألف والهاء والحاء والطاء والياء والكاف واللام والميم والراء والسين والعين والصاد والقاف والنون ، قال : إنها يقتصر بها على مداواة السموم ، وتقاوم السموم بأضدادها ، فيسقى للدغ العقرب حارها ، ومن نهشة الحية باردها الرطب ، أو تكتب له ؛ وتجرى المحاولة فى الأمور على نحو من الطبيعة ، فتسقى الحروف الحارة الرطبة للتفريح وإذهاب الغم ؛ وكذلك الحارة اليابسة لتقوية الفكر والحفظ ، والباردة اليابسة للثبات والصبر ، والباردة الرطبة لتيسير الأمور وتسهيل الحاجات وطلب الصفح والعفو .

وقد صنف البعلبكى فى خواص الحروف كتابا مفردا ، ووصف لكل حرف خاصية يفعلها بنفسه ، وخاصية بمشاركة غيره من الحروف على أوضاع معينة فى كتابه ؛ وجعل لها نفعا بمفردها على الصورة العربية ، ونفعا بمفردها إذا كتبت على الصورة الهندية ، ونفعا بمشاركتهما فى الكتابة ؛ وقد اشتمل من العجائب على ما لا يعلم مقداره إلا من علم معناه .

وأما أعمالها فى الطلسمات فإن الله سبحانه وتعالى فيها سرا عجيبا ، وصنعا جميلا ، شاهدنا صحة أخبارها ، وجميل آثارها .

وليس هذا موضع الإطالة بذكر ما جربناه منها ، ورأيناه من التأثير عنها ، فسبحان مسدى النعمة ، ومؤتى الحكمة ، العالم بمن خلق ، وهو اللطيف الخبير .

(لسان العرب ١/ ١٧ـ ٢٠) .

هذا ويأتى وصف الحروف باعتبارها أصوات عند إدراج كل حرف من هذه الحروف إن شاء الله تعالى .

واستكمالا لما جاء فى اللسان نضيف هنا ما أورده السيد العيدروسى عن الحروف العربية من حيث يقول ألقابها ، كما يعرج على طريقة نطقها فى اللهجات العربية فيقول :

الحروف التى تتكون منها الكلمات العربية تسمى حروف المعجم وحروف الهجاء وألف باء، وهى الألف والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء

وأما الألف فتطلق على الألف فى نحو أمر، وسأل. وتسمى بالألف اليابسة والهمزة. وتطلق على الألف فى نحو قال. وتسمى بالألف اللينة وألف المد. ولإظهار هذه الأخيرة، زاد بعضهم فى حروف الهجاء: لام ألف لأن ألف المد لا يمكن النطق بها إلا إذا سبقها حرف مفتوح (لام ألف مركب إضافى وقيل مركب مزجى ثم أعرب بإضافة أحد الجزئين إلى الآخر على أحد الوجوه) .

وإنما ذكرت الألف اللينة مع اللام ولم تذكر مع الحروف الأخرى من حروف المعجم قيل لخفة اللام فى النطق. وقال الأستاذ المرحوم الشيخ آدم إن فيها نكتة غامضة وهى المناسبة الخفية بين اللام والألف فى الحرف الأوسط حين ينطقان باسمهما لأن الألف هى الحرف الأوسط من اللام كما أن اللام حرف أوسط من الألف (وكان الأستاذ المرحوم من كبار علماء الهند تولى منصب العميد لكلية الباقيات الصالحات العربية فى مقاطعة مدراس مع منصب الإفتاء الشرعى. وكان فرضيا مشهورا وله مقدرة عجيبة لحل العويص من المسائل الفرضية وكان هو المرجع الأخير فى مثل هذه المسائل عند الحكومة وتوفى رحمه الله سنة ١٩٦٠م وله كتاب الفتاوى الآدمية تعتبر موسوعة علمية) .

وقيل إنهم خصوا اللام من حيث إنهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به أتوا بالهمزة فقالوا : الغلام فكمنا أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف. ليكون ذلك ضربا من التقارض (انظر خزانه الأدب طبعة السلفية ١ / ١٠٢ والمراد بالهمزة الألف لأن بعضهم يطلق الهمزة على الألف المتحركة ولو كانت تزول فى الدرج فعلى هذا يندفع اعتراض الدمامينى فى شرح المغنى) .

والوجه الأوفق ما قاله شيخنا الأستاذ المرحوم فيما يظهر ومن الأمر المدهش أننا نجد بعض الوضاعين حاك حول هذا الحرف رواية نسبت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام. لعله أراد بها إفحام المناقضين لوجود ألف لام فى الهجاء. وصورة الرواية هكذا : عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : سألت رسول الله ﷺ . فقلت يا رسول كل رسول يرسل . بم يرسل ؟ قال بكتاب منزل. قلت يا رسول الله . أى كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم. ألف باء تاء ثاء إلخ ... قلت يا رسول الله كم حرف ؟ قال تسعة وعشرون قلت يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت عيناه ثم قال يا أبا ذر والذى بعثنى بالحق نبيا. ما أنزل الله على آدم إلا تسعة وعشرين حرفا قلت أليس فيها ألف ولام؟ فقال ﷺ ألف لام حرف واحد. قال أنزله الله تعالى على آدم فى صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك. من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل عليّ. من لم يعد لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه. ومن لم يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدا. قال العراقى سئل عنه ابن تيمية فقال لا أصل له . ولوائح الوضع عليه ظاهرة ولا سيما فى آخره فهو كذب قطعا (انظر خزانة الأدب ١ / ١٠١ ، وانظر للحديث محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر / ٦٥) .

قالت المؤلفة : ذكر الإمام النووى الصفاقسى هذا الحديث (انظر تنبيه الغافلين / ٤٢ ، ٤٣) وحمل على من قال إنه موضوع .

وتعودوا على أن يكتبوا ألف لام مضفورة هكذا « لا » ثم اختلف الخليل وسيبويه فى الألف فيها فقال سيبويه. الألف هى الشعبية الشمالية وقال الخليل هى اليمينية .

وكما أن الألف تطلق على ما ذكر كذلك تطلق الواو على الواو فى نحو صفوا وعلى فى نحو محمود. وتسمى الثانية واو المد. والياء تطلق على الياء فى نحو « سعيا » و « جميل » وتسمى الأخيرة ياء المد. والجمهور لم يعدوا ألف المد من الهجاء كما لم يعدوا حرفى الياء والواو للمد اكتفاء ببيان أن الألف والواو والياء يجئن حروف مد. كما يجئن حروفا أصلية بغير مد.

وتسمى حروف المد حروفا مصوتة وباقى الحروف صامتة سواء أكانت متحركة أو ساكنة وعلى هذا تكون الحروف ثمانية وعشرين وإذا اعتبرت حروف مد مستقلة تكون إحدى وثلاثين

والحركات التى تصور بها الحروف أربع وهى : الفتحة

والضمة والكسرة والسكون، وإطلاق الحركة على السكون تغليب .

والتحقيق أن الحركة جزء من حرف المد فالفتحة جزء من ألف المد، والضمة جزء من واو المد، والكسرة جزء من ياء المد، ولولا هذه الأجزاء لما أمكن تحريك الحروف، فإذا طالت الحركة وجدت حروف المد كلها وظهرت، وعلى هذا يقال إن الحرف الساكن بسيط والمتحرك مركب من أمرين الأول جوهر الحرف ومادته، والثانى جزء من حرف المد، لكنهم فرقوا فى الكتابة بأن تكتب حروف المد، مثل جمال، ونذور، وكليم وأما جزء حروف المد التى توجد فى الحروف المتحركة فلا تكتب مثل جمل، ونذر وكلم ، للفرق بينهما فى النطق والمعنى .

وهذه الحروف والحركات تعرف بالأصلية لوجودها فى جميع ألسنة قبائل العرب بخلاف المتفرعة . فإنما هى لا توجد إلا فى لسان بعض القبائل فى مواضع خاصة . فإذا جاوزت هذه المواضع تعد لحنا . ولم يضعوا للمتفرعات شكلا مخصوصا كما وضعوا للأصلية .

والحروف المتفرعة أربعة عشر حرفا على ما ذكره أبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) فى ارتشاف الضرب فى لسان العرب ستة منها مستحسنة ، لوقوعها فى فصيح الكلام وستة منها مستقبحة لقلة ورودها فى لغة من ترضى عربيته . ولا تستعمل فى القرآن وفصيح الكلام كما ذكره سيبويه، واثنان مستحسنان فى موضع مستهجنان فى آخر . فالحروف المستحسنة الستة :

(١) حرف بين الصاد والزاى ينطق به بدل الصاد قياسا إذا كانت ساكنة وتلاها دال كأصدق وتصدير ويجوز النطق بها زايا خالصة كأزدق . كما يجوز جعل السين الساكنة زايا فى نحو أزدل فى أسدل . ويقل إذا كانت الصاد متحركة أو لم تكن الدال تالية . وصورته شبيهة بالزاى المفخمة كما ينطق الترك فى ضاد نحو رمضان . يقولون رمزان وكنطق عوام المصريين بالظاء فى مثل ظالم وظاهر .

(٢) تسهيل الهمزة بين صوتها الأصلى وبين الألف إذا كانت مفتوحة كسأل . وكذلك بعد ألف كتساءل .

(٣) التسهيل بين الهمزة والياء إذا جاءت الهمزة مكسورة وبعد أية حركة كانت كسئم ، ومستهزئين ، وسئل . وكذلك الهمزة المكسورة بعد الألف كقائل .

(٤) التسهيل بين الهمزة والواو إذا وقعت مضمومة وبعد أية حركة كانت كرؤف، ومستهزؤن، ورؤس ، وكذلك المضمومة بعد الألف . كتساؤل، يعنى أن الهمزة فى هذه المواضع تنطق حرفا بين الهمزة وبين حرف حركتها .

والتسهيل من أنواع تخفيف الهمزة والأصل فيها التحقيق، وهو لغة تميم وقيس، والتخفيف لغة قريش وأكثر الحجازيين، وهم لميل طبيعتهم للسهولة يكرهون الهمزة المحققة . لأنها نبرة فى الحلق . روى أن واحدا سأل رجلا من قريش أتهمز الفأرة يريد به هل تحقق الهمزة فى الكلام ، فلم يفطن المسئول مراد السائل، فأجاب ساخرا : إنما يهمزها القط .

وجاء عن على كرم الله وجهه أنه قال : نزل القرآن بلغة قريش، ليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا (تأريخ الأدب لحفنى ناصف / ١٣، الطبعة الثانية) .

(٥) حرف بين الألف والياء بدل الألف الخالصة ويسمى ألف الإمالة، وهى فى الأصل الميل بالفتحة إلى جانب الكسرة فيستلزم الميل بالألف إلى جانب الياء وهى لغة تميم وسائر العرب ما عدا الحجازيين ، وتكون لأسباب ثلاثة :

الأول : التناسب بين الفتحة الممالة وكسرة سابقة، كعماد أو لاحقة كعالم أو ياء سابقة كبيان وشيبان .

الثانى : التنبه على أصل الألف إذا كانت منقلبة عن ياء كباع أو واو مكسورة كخاف، أو على مصيرها عند التثنية كحبلى أو عند الإسناد للتاء كاستغنى .

الثالث : مراعاة فواصل الآى كما فى ﴿ **والضحى والليل إذا سجى** ﴾ [الضحى : ١] .

قال سيبويه : تجوز الإمالة قبل هاء التأنيث عند الوقف كميم فاطمة ورحمة وقال إنها لغة فاشية بالبصرة والكوفة وما قرب منهما يقال فى سبب ذلك أن معظم العرب الذين نزلوا فى هذين البلدين من غير الحجازيين الذين يخالفونهم فى الإمالة وأيضا اشتهر بالإمالة من القراء حمزة المتوفى سنة ١٥٦ هـ

وكان إمام القراء فى الكوفة . والكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ الذى ورث إمامة القراءة بالكوفة بعد حمزة . وكذلك خلف الذى توفى سنة ٢٢٩ هـ وهو أيضا كوفى .

وللإمام الكسائى مذهب خاص فى الإمالة كما فى كتب القراءات . قال أبو عبيد المتوفى سنة ٢٢٤ فى كتاب القراءات : كان الكسائى يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة بعضا وترك بعضا .

وبعض العرب يميل بالفتحة قبل ألف إمالة خفيفة كعابد، ويسمى ترفيقا أو إمالة صغرى .

(٦) حرف بين الألف والواو . ويسمى ألف التفخيم كما فى الصلاة والزكاة والحياة. وقد يكتبونها بالواو إشارة لذلك . وكما فى قام وسلام ودعى وغزا وساع وهى لغة أهل الحجاز .

الحروف المستهجنة الستة :

(١) حرف بين الجيم والكاف ينطق فى ثلاثة مواضع :

الأول بدل الكاف فى لغة اليمن وبغداد فيقولون : جامل، وجافر، فى كامل وكافر ومثل الجيم القاهرية .

الثانى بدل الجيم فى لغة البحرين وعكل . وهكذا ينطق عامة أهل القاهرة كالكاف الفارسية التى ترسم بالخطين .

الثالث بدل القاف وهى لغة أهل البوادى . وتسمى قافا معقودة وتفخم كتفخيم القاف . قال فى الارتشاف : وهى الغالبة فى لسان أهل البوادى حتى لا يكادون ينطقون بالقاف الخالصة المنقولة من أهل القرآن .

(٢) حرف بين الصاد والسين ينطق به بدل الصاد فى نحو صابر وصبغ وعليه أهل القاهرة .

(٣) حرف بين الطاء والتاء ينطق به بدل الطاء الخالصة . وهو كثير فى كلام العجم لأن الطاء معدومة فى لغتهم فيتكلفونها فتخرج بين الطاء والتاء وهكذا عامة أهل القاهرة أيضا . فى مثل سلطان . وطبق .

(٤) حرف بين الضاد والظاء ويسمى بالضاد الضعيفة . قال الفارسى كما إذا قلت ضرب ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه ولكن تخفف وتختلس فيضعف انطباقها . وقال السيرافى : فى لغة قوم ليس فى لغتهم ضاد فإذا احتاجوا للتكلم بها فى العربية اعتاصت عليهم فربما خرجوها ظاء أو بين الضاد والطاء . وأقول والعرب أيضا يعوص عليهم النطق بالضاد صحيحة إلا من يجيد القراءة كما صرح به علماء القراءة ، ولاعتياص النطق بالضاد قال الرسول ﷺ أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش .

(٥) حرف بين الضاد والثاء ينطق به بدل الطاء فى نحو ظالم ويجيء ذلك من المبالغة فى إخراج اللسان فكأن الناطق يقول ثالم بالثاء مع التفخيم .

(٦) حرف بين الباء والفاء ينطق به بدل الباء الصريحة فى نحو بلخ، وإصبهان قال السيرافى : هى كثيرة فى لغة العجم، وهى على ضربين أحدهما ما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء والآخر ما لفظ الفاء أغلب عليه من الباء وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء الخالصتين . ثم قال : وأظن أن العرب إنما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إياهم .

الحروف المستهجنة فى موضع والمستحسنة فى آخر اثنان

أولهما حرف بين الشين والجيم وينطق به بدل الشين استحسانا إذا كانت ساكنة وتلاها دال كأشدق ومشدود لأن الشين مهموسة رخوة والدال مجهورة شديدة فإذا أشربت الشين صوت الجيم تناسب صوت الحرفين، وينطق به بدل الجيم استهجانا إذا كانت ساكنة وتلاها دال أو تاء نحو أجدر. واجتمعوا . ومن اللحن النطق بها هكذا إذا كانت متحركة كجميل . أو لم يتلها تاء ولا دال كأجمل كما ينطق المغاربة وأهل الشام .

وثانيهما : حرف بين الواو والياء ينطق به استحسانا بدل الواو الخالصة أو الياء الخالصة فى نحو قيل وبيع واختير عند كثير من قيس وأكثر بنى أسد كفقعس ودبير وهم يشممون فى مثل هذه المواضع . وأما قريش ومن جاورهم فينطقون فيها بالكسرة الخالصة والهذيل بإخلاص الضم .

وينطق به استهجانا بدل واو المد التى بعدها راء مكسورة نحو مذعورين . فتميل بالضمة إلى جهة الكسرة ويتبع ذلك ميل الواو إلى جهة الياء قاله سيبويه .

وأما الحركات الفرعية فمتفرعة فى حقيقة الأمر عن الحروف الفرعية وهى ثلاثة اثنتان منها مستحسنتان أولاهما حركة بين الفتحة والكسرة ينطق بها بدل الفتحة الخالصة فى نحو عماد

وعالم وبيان، وشيبان وباع وخاف وحبلى والضحى ورحمة ، وتسمى فتحة ممالة كما مر، والأخرى حركة بين الفتحة والضمة كما هى لغة الحجاز فى نحو الصلاة والزكاة والحياة كما سبق .

وواحدة مستحسنة فى موضع ومستهجنة فى آخر، وهى الحركة بين الضمة والكسرة استحسانا بدل الضمة الخالصة فى نحو قيل، وبيع ، واختير، وليست ضمة خالصة ولا كسرة صريحة. فالبينية على الشيوع كما رواه الشاطبى .

روى المرادى عن بعض المتأخرين أنها تتركب من جزئين: جزء من الضمة سابق وجزء من الكسرة لاحق فالبينية عنده على الإفراز .

وهى مستهجنة بدل الضمة الخالصة فى نحو مذعورين كما تقدم (العرب والعربية ـ العيدروسى/ ١٣١ ، ١٣٦) .

ويعطينا التهانوى صاحب كشاف اصطلاحات الفنون وصفا شافيا للحروف بمعنى أصوات اللغة وكذلك للحروف بمعنى الوحدات الصرفية (المورفيمات) ، كما يعرج على تعريف الحروف فى اصطلاحات الصوفية فيقول :

الحرف بالفتح وسكون الراء المهملة فى العرف أى عرف العرب كما فى شرح المواقف يطلق على ما يتركب منه اللفظ نحو ا ب ت لا ألف وباء وتاء فإنها أسماء الحروف لا أنفسها كما فى النظامى شرح الشافية ويسمى عرف التهجى وحرف الهجاء وحرف المبنى وماهيته واضحة بديهية وجميع ما ذكر فى تعريفها المقصود منها التنبيه على خواصها وصفاتها وبهذا الاعتبار عرفه القراء بأنه صوت معتمد على مقطع محقق وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة أو مقطع مقدر وهو هواء الفم إذ الألف لا معتمد له فى شىء من أجزاء الفم بحيث إنه ينقطع فى ذلك الجزء ولذا يقبل الزيادة والنقصان ويختص بالإنسان وضعا وعرفه ابن سينا بأنه كيفية تعرض للصوت بها أى بتلك الكيفية يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تمييزا فى المسموع فقوله كيفية أى هيئة وضعية وقوله تعرض للصوت أراد به ما يتناول عروضها له فى طرفه عروض الآن للزمان فلا يرد ما قيل إن التعريف لا يتناول الصوامت كالتاء والطاء والدال فإنها لا توجد إلا فى الآن الذى هو بداية زمان الصوت أو نهايته فلا تكون عارضة له حقيقة إذ العارض يجب أن يكون موجودا مع المعروض وهذه الحروف الآنية لا توجد مع الصوت الذى هو زمانى .

وتوضيح الدفع أنها عارضة للصوت عروض الآن للزمان والنقطة للخط فإن عروض الشىء للشىء قد يكون بحيث يجتمعان فى الزمان وقد لا يكون وحينئذ يجوز أن يكون كالواحد من الحروف الآنية طرفا للصوت عارضا له عروض الآن للزمان .

وقوله مثله فى الحدة والثقل ليخرج عن التعريف الحدة والثقل فإنهما وإن كانتا صفتين مسموعتين عارضتين للصوت يمتاز بهما ذلك الصوت عما يخالفه فى تلك الصفة العارضة إلا أنه لا يمتاز بالحدة صوت عن صوت آخر يماثله فى الحدة ولا بالثقل صوت عما يشاركه فيه .

وقوله تمييزا فى المسموع ليخرج الغنة وهى التى تظهر من تسريب الهواء بعضها إلى جانب الأنف وبعضها إلى الفم مع انطباق الشفتين والبحوحة التى هى غلظ الصوت الخارج من الحلق فإن الغنة والبحوحة سواء كانتا ملذتين أو غير ملذتين صفتان عارضتان للصوت يمتاز بهما عما يشاركه فى الحدة والثقل لكنهما ليسا مسموعين فلا يكون التمييز الحاصل منهما تمييزا فى المسموع من حيث هو مسموع ونحوهما كطول الصوت وقصره وكونه طيبا وغير طيب فإن هذه الأمور ليست مسموعة أيضا . أما الطول والقصر فلأنهما من الكميات المحضة والمأخوذة مع الإضافة ولا شىء منهما بمسموع وإن كان يتضمن ههنا المسموع فإن الطول إنما يحصل من اعتبار مجموع صوتين صوت حاصل فى ذلك الوقت وهو مسموع وصوت حاصل قبل ذلك الوقت وهو ليس بمسموع. وأما كون الصوت طيبا أى ملائما للطبع أو غير طيب فأمر يدركه الوجدان دون السمع فهما مطبوعان لا مسموعان إذ قد تختلف هذه الأمور أعنى الغنة والبحوحة ونحوهما والمسموع واحد وقد تتحد والمسموع مختلف وذلك لأن هذه الأمور وإن كانت عارضة للصوت المسموع إلا أنها فى أنفسها ليست مسموعة فلا يكون اختلافها مقتضيا لاختلاف المسموع ولا اتحادها مقتضيا لاتحاده، بخلاف العوارض المسموعة فإن اختلافها يقتضى اختلاف المسموع

الذى هـو مجموع الصـوت وعارضـه واتحادهـا يقتضى اتحاد المسموع لا مطلقـا بل باعتبار ذلك العـراض المسموع والحق أن معنى التمييـز فى المسمـوع ليس أن يكـون مـا بـه التمييـز مسمـوعـا بل أن يحصل بـه التمييـز فى نفـس المسمـوع بأن يختلف بـاختلافـه ويتحد بـاتحـاده كالحـرف بخلاف الغنـة والبحوحة ونحوهما كذا فى شرح المواقف فى مبحث الأصوات

ويعـرف الحرف عنـد أهل الجفـر بأنـه بناء مفـرد مستقل بالدلالة وتسمى دلالة الحـروف دلالة أولية ودلالة الكلمة دلالة ثـانية وهـو موضع علم الجفـر وبهـذا صرح فى بعض رسـائل الجفر ولذا يسمى علم الجفر بعلم الحروف .

تقسيمـات حـروف الهجـاء الأول إلى المعجمـة وهى المنقوطة وغير المعجمة وهى غيـر المنقوطة وتسمى بالمهملة أيضا .

الثـانى إلى نـورانى وظلمـانى قـال أهل الجفـر الحـروف النورانيـة حروف فـواتح السور ومجمـوعها « صـراط على حق نمسكه » والباقيـة ظلمانية ومنهم من يسمى الحـروف النورانية بحروف الحق والظلمانية بحروف الخلق .

الثالث إلى المسرورى والملبوبى والملفوظى .

الرابع إلى المنفصلة وغيرها .

الخامس إلى المفـردة والمتزاوجة التى تسمى بالمتشـابهة أيضا .

السادس إلى المصوتـة والصامتة فالمصوتـة حروف المد واللين أى حروف العلة الساكنة التى حركة ما قبلها مجانسة لها والصامتـة ما سواها سـواء كانت متحركة أو سـاكنة ولكن ليس حركة مـا قبلها من جنسها فالألف أبـدا مصوته لوجـوب كونها سـاكنة ومـا قبلهـا مفتـوحا وإطـلاق اسم الألف على الهمـزة بالاشتراك اللفظى وأمـا الواو والياء فقد تكونـان صامتتين أيضا كذا فى شرح المواقف .

السابـع إلى زمانيـة وآنية وفى شـرح المواقف الحـروف إما زمانية صرفة كـالمصوتة فإنها زمانية عارضـة للصوت باقية معه زمانـا بلا شبهة وكـذا بعض الصوامت كالفـاء والقاف والسين والشين ونحـوهـا مما يمكن تمـديـدهـا بلا تـوهم تكـرار فإن الغالب على الظن أنها زمانية أيضا .

وإما آنية صرفة كالتـاء والطاء وغيرهما من الصوامت التـى لا يمكن تمديـدها أصـلا فإنها لا تـوجد فى آخـر زمان حبس النفس كما فى لفظ بيت وفرط أو فى أوله كما فى لفظ تراب أو فى آن يتـوسطهمـا كما إذا وقعت تلك الصـوامت فى أوسـاط الكلم فهى بـالنسبة إلـى الصوت كـالنقطـة والآن بالنسبـة إلى الخط والزمـان . وتسميتها بالحروف أولى من تسميتهـا بغيرها لأنها أطراف الصوت والحرف هو الطرف .

وإما آنية تشبه الزمانيـة وهى أن تتوارد أفرادا آنية مرارا فيظن أنها فرد زمانى كالـراء والحاء والخاء فإن الغالب على الظن أن الراء فى آخر الدار مثلا راءات متوالية كالواحد منها آنى الوجود الا أن الحس لا يشعر بامتياز أزمنتها فيظنهـا حرفا واحداً زمانيا وكذا الحال فى الحاء والخاء كذا فى شرح المواقف .

الثامن إلى المتماثلة والمتخالفـة فالمتماثلة ما لا اختلاف بينها بذواتها ولا بعوارضها المسماة بـالحركة والسكون كاليائين المتحركتين بنوع واحد من الحركة . والمتخالفة ما ليس كذلك سواء كانت متخالفة بالذات والحقيقة كالياء والميم أو بالعرض كاليـاء الساكنـة والمتحركـة كذا فى شـرح المواقف هـذا لكن المذكور فى فن الصرف أن المتمـاثلة هى المتفقة فى الحقيقة وإن كانت مختلفة بالعوارض قال فى الإتقان فى بحث الإدغام نعنى بـالمتماثلين مـا اتفقا مخرجـا وصفة كـاليائين والـلامين وبالمتجـانسين ما اتفقـا مخرجـا واختلفا صفـة كالطـاء والتاء والظاء والثاء وبـالمتقاربين ما تقـاربا مخرجا أو صفـة كالدال والسين والضاد والشين انتهى فالحـروف على هذا أربعة أقسام المتماثلة والمتجانسة والمتقاربة وما ليس شيئا منها .

التاسع إلى المجهـورة والمهموسة فالمجهـورة ما ينحصر جرى النفس مع تحركـه والمهموسة بخلافهـا أى ما لا ينحصر جـرى النفس مع تحـركـه والانحصـار الاحتبـاس وهى السين والشين والحـاء والخاء والثـاء المثلثة والتـاء المثناة الفـوقانيـة والصاد المهملة والفـاء والهاء والكاف . والمجهورة مـا سواها ففى المجهورة يشبع الاعتماد فى مـوضعه فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت والجهر هـو ارتفاع الصوت فسميت بها وكذا الحال فى المهموسة لانه بسبب ضعف الاعتماد يحصل الهمس وهو الإخفاء فإذا أشبعت الاعتمـاد وجرى الصوت كما فى الضاد والزاء [والـزاى] والعين والغين والياء فهى مجهورة رخـوة وإذا أشبعته ولم يجـر الصوت كـالقاف والجيم والطـاء

والدال فهى مجهورة شديدة قيل المجهورة تخرج أصواتها من الصدر والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها فى الفم وذلك مما يرخى الصوت فيخرج الصوت من الفم ضعيفا . ثم إن أردت الجهر بها و إسماعها أتبعت صوتها بصوت من الصدر لتفهم وتمتحن المجهورة بأن تكررها مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة رفعت صوتك بها أو أخفيته سواء أشبعت الحركات حتى تتولد الحروف نحو قا قا قا أو قو قو قو أو قى قى قى أو لم تشبعها نحو ققق فإنك ترى الصوت يجرى ولا ينقطع ولا يجرى النَّفس الا بعد انقضاء الاعتماد وسكون الصوت . وإما مع الصوت فلا يجرى وذلك لأن النفس الخارج من الصدر وهو مركب الصوت يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف إذ الاعتماد على موضع من الحلق أو الفم يحبس النفس وإن لم يكن هناك صوت وإنما يجرى النَّفَس إذا ضعف الاعتماد .

وإنما كررت الحروف فى الامتحان لأنك لو نطقت بواحد منها غير مكرر فعقيب فراغك منه يجرى النفس بلا فصل فيظن أن النفس إنما خرج مع المجهورة لا بعده فإذا تكرر وطال زمان الحرف ولم يخرج النفس مع تلك الحروف المكررة عرفت أن النطق بالحروف هو الحابس للنفس وإنما جاز إشباع الحركات لأن الواو والألف والياء أيضا مجهورة فلا يجرى مع صوتها النفس .

وأما المهموسة فإنك إذا كررتها مع إشباع الحركة أو بدونها فإن جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النفس فيخرج النفس ويجرى كما يجرى الصوت نحو ككك وقس على هذا .

العاشر إلى الشديدة والرخوة وما بينهما فالشدة ما ينحصر جرى صوته فى مخرجه عند إسكانه فلا يجرى الصوت والرخوة بخلافها . وأما ما بينهما فحروف لا يتم لها الانحصار ولا الجرى . وإنما اعتبر إسكان الحروف لأنك لو حركتها والحركات أبعاض الحروف من الواو والياء والألف وفيها رخاوة ما لجرت الحركات لشدة اتصالها بالحروف الشديدة إلى شىء من الرخاوة فلم يتبين شدتها فقيد الإسكان لامتحان الشديدة من الرخوة . فالحروف الشديدة الهمزة والجيم والدال والطاء المهملتان والباء الموحدة والتاء المثناة الفوقانية والكاف والقاف . والرخوة ماعدا هذه الحروف المذكورة وما عدا حروف لم يروعنا فإنها ليست شديدة ولا رخوة فهى مما بينهما وإنما جعل هذه الأحرف الثمانية أى اللام والميم والياء المثناة التحتانية والراء المهملة والواو والعين المهملة والنون والألف مما بينهما أى بين الشديدة والرخوة لأن الشديدة هى التى ينحصر الصوت فى مواضعها عند الوقف وهذه الأحرف الثمانية ينحصر الصوت فى مواضعها عند الوقف أيضا لكن يعرض لها أعراض توجب حصر الصوت من غير مواضعها أما العين فينحصر الصوت عند مخرجه لكن لقربه من الحاء التى هى من المهموسة ينسل صوته قليلا فكأنك وقفت على الحاء وأما اللام فمخرجها أعنى طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه من الحنك عند النطق به فلا يجرى منه صوت لكن لما لم يسد طريق الصوت بالكلية كالدال بل انحرف طرف اللسان عند النطق به خرج الصوت عند النطق به من متشدق اللسان فويق مخرجه وأما الميم والنون فإن الصوت لا يخرج عن موضعهما من الفم لكن لما كان لهما مخرجان فى الفم والخيشوم جرى الصوت من الأنف دون الفم لأنك لو أمسكت أنفك لم يجر الصوت بهما .

وأما الراء فلم يجر الصوت فى ابتداء النطق به لكنه جرى شيئًا لانحرافه وميله إلى اللام كما قلنا فى العين المائل إلى الحاء وأيضا والراء مكرَّر فإذا تكرر جرى الصوت معه فى أثناء التكرير . وكذلك حروف العلة لا يجرى الصوت معها كثيرا لكن لما كان [كانت] مخارجها تتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها من المهجورة كان الصوت معها يكثر فيجرى منه شيىء واتساع مخرج الألف لهواء صوته أكثر من اتساع مخرجى الواو والياء لهواء صوتهما فلذلك سمى الهاوى أى ذا الهواء كالناشب والنابل وانما كان الاتساع للألف أكثر لأنك تضم شفتيك للواو فتضيق المخرج وترفع لسانك قبل الحنك للياء وأما الألف فلا يعمل له شىء من هذا فأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو فهذه الحروف أخفى الحروف لاتساع مخارجها وأخفاهن الألف لسعة مخرجها أكثر .

اعلم أن الفرق بين الشديدة والمجهورة أن الشديدة لا يجرى الصوت بها بل إنك تسمع به فى آن ثم ينقطع والمجهورة لا اعتبار فيها لعدم جرى الصوت بل الاعتبار فيها

لعدم جرى النفس عند التصويت بها هذا كله ما ذهب اليه ابن الحاجب واختاره الرضي وبعضهم أخرج من المجهورة الأحرف السبعة التي هي من الرخوة أي الضاد والطاء والذال والزاء [و الزاي] والعين والغين والياء فيبقى فيها الحروف الشديدة وأربعة أحرف مما بينهما وهي اللام والميم والواو والنون فيكون مجموع المجهورة عنده اثني عشر حرفا وهي حروف ولمن أجدك قطبت وهذا القائل ظن أن الرخاوة تنافي الجهر وليس بشيء لأن الرخاوة أن يجرى الصوت بالحرف والجهر رفع الصوت بالحرف سواء جرى الصوت أو لم يجر .

الحادي عشر إلى المطبقة والمنفتحة فالمطبقة ما ينطبق معه الحنك على اللسان لأنك ترفع اللسان إليه فيصير الحنك كالطبق على اللسان فتكون الحروف التي يخرج بينهما مطبقا عليهما وهي الصاد والضاد والطاء والظاء . وأما ما قال ابن الحاجب من أنها ما ينطبق على مخرجه الحنك فليس بمطرد لأن مخرج الضاد حافة اللسان وحافته ينطبق عليها الأضراس وباقي اللسان ينطبق عليه الحنك . قال سيبويه لولا الإطباق في الصاد لكان سينا وفي الظاء لكان ذالا وفي الطاء لكان دالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من الحروف في موضعها غيرها والمنفتحة بخلافها لأنه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها وهي ما سوى الحروف الأربعة المطبقة .

الثاني عشر إلى المستعلية والمنخفضة فالمستعلية ما يرتفع بسببها اللسان وهي الحروف الأربعة المطبقة والخاء والغين المعجمتان والقاف لأنه يرتفع بهذه الثلاثة أيضا اللسان لكن لا إلى حد انطباق الحنك عليها والمنخفضة ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع وهي ما عدا المستعلية . وبالجملة فالمستعلية أعم من المطبقة إذ لا يلزم من الاستعلاء الإطباق ويلزم من الإطباق الاستعلاء ولذا يسمى الأحرف الأربعة المطبقة مستعلية مطبقة .

الثالث عشر إلى حروف الذلاقة والمصمتة فحروف الذلاقة ما لا ينفك عنه رباعي أو خماسي إلا شاذا كالعسجد والدهدقة والزهزقة والعسطوس وهي الميم والراء المهملة والباء الموحدة والنون والفاء واللام والمصمتة بخلافها وهي حروف ينفك عنها رباعي وخماسي وهي ما سوى حروف الذلاقة والذلاقة الفصاحة والخفة في الكلام وهذه الحروف أخف الحروف ولذا لا ينفك عنها رباعي وخماسي فسميت بها والشيء المصمت هو الذي لا جوف له فيكون ثقيلا فسميت بذلك لثقلها على اللسان .

الرابع عشر إلى حروف القلقلة وغيرها فحروف القلقة ما ينضم إلى الشدة فيها ضغط في الوقف وذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة معا فالجهر يمنع النَّفَس أن يجرى معها والشدة تمنع الصوت أن يجرى معها فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة فيحتاج إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضع حتى يجرى صوتها فيسمع وهي القاف والدال المهملة والطاء المهملة والباء الموحدة والجيم. وقال المبرد ليس القاف منها بل الكاف وغيرها ما سواها .

الخامس عشر إلى حروف الصفيرة وغيرها فحروف الصفيرة ما يصفر بها أي يصوت بها وهي الزاء [الزاي] المعجمة والصاد والسين المهملتان سميت بها لوجود الصفير عند النطق بها وغيرها غيرها .

السادس عشر إلى حروف العلة وغيرها فحروف العلة الألف والواو والياء سميت بها لكثرة دورانها على لسان العليل فإنه يقول واي وغيرها غيرها وحروف العلة تسمى بالحروف الجوفية أيضا لخروجها من الجوف ثم إن حروف العلة إذا سكنت تسمى حروف لين ثم إذا جانسها حركة ما قبلها فتسمى حروف مد فكل حرف مد لين ولا ينعكس والألف حرف مد أبدا والواو والياء تارة حرفا مد وتارة حرفا لين هكذا ذكر في بعض شروح المفصل. وكثيرا ما يطلقون على هذه الحروف حرف المد واللين مطلقا فهو إما محمول على هذا التفصيل أو تسمية الشيء باسم ما يئول إليه هكذا في جاربردي شرح الشافية في بحث التقاء الساكنين.

وقيل بتباين المد واللين وعدم صدق أحدهما على الآخر لكن من المحققين من جعل بينهما عموما وخصوصا مطلقا كذا في تيسير القاري .

السابع عشر إلى حروف اللين والمد وغيرها وقد عرفت قبيل هذا .

الثامن عشر إلى الأصلية والزائدة فالأصلية ما ثبت في تصاريف اللفظ كبقاء حروف الضرب في متصرفاته والزائدة ما

سقط في بعضها كواو قعود في قعد ثم إذا أريد تعليم المتعلمين فالطريق أن يقال إذا وزن اللفظ فما كان من حروفه في مقابلة الفاء والعين واللام الأولى والثانية والثالثة فهو أصلي وما ليس كذلك فهو زائد وليس المراد من الزائد ههنا ما لو حذف لدل الكلمة على ما دلت عليه وهو فيها فإن ألف ضارب زائدة لو حذفت لم يدل الباقي على اسم الفاعل كذا في جاربردي حاشية الشافية .

وحروف الزيادة حروف اليوم تنساه أعني أنه إذا وجد في الكلمة زائد لا يكون إلا من تلك الحروف لا من غيرها ولمعرفة الزائد من الأصلي طرق كالاشتقاق وعدم النظير وغيرهما يطلب من الشافية وشروحه في بحث ذي الزيادة .

والحروف في اصطلاح الصوفية الصورة المعلومية في عرصة العلم الإلٰهي قبل انصباغها بالوجود العيني كذا قال الشيخ الكبير صدر الدين في النفحات وفي الإنسان الكامل في باب أم الكتاب : أما الحروف فالمنقوطة منها عبارة عن الأعيان الثابتة في العلم الإلهي والمهملة منها نوعان مهملة تتعلق بها الحروف ولا تتعلق هي بها وهي خمسة الألف والدال والراء والواو واللام فالألف إشارة إلى مقتضيات كمالاته وهي خمسة الذات والحياة والعلم والقدرة والإرادة إذ لا سبيل إلى وجود هذه الأربعة إلا للذات فلا سبيل إلى كمالات الذات إلا بها ومهملة تتعلق بها الحروف وتتعلق هي بها وهي تسعة فالإشارة بها إلى الإنسان الكامل لجمعه بين الخمسة الإلٰهية والأربعة الخلقية وهي العناصر الأربعة مع ما تولد منها فكانت أحرف الإنسان الكامل غير منقوطة لأنه خلقها على صورته ولكن تميزت الحقائق المطلقة الإلٰهية عن الحقائق المقيدة الإنسانية لاستناد الإنسان إلى موجد يوجده ولما كان هو الموجد فإن حكمه أن يستند إلى غيره ولذا كانت حروفه متعلقة بالحروف وتتعلق الحروف بها . ولما كان حكم واجب الوجود أنه قائم بذاته غير محتاج في وجوده إلى غيره مع احتياج الكل إليه كانت الحروف المشيرة إلى هذا المعنى من الكتاب مهملة تتعلق بها الحروف ولا تتعلق هي الحروف منها ولا يقال إن لام ألف حرفان فإن الحديث النبوي قد صرح بأن لام ألف حرف واحد فافهم .

(قالت المؤلفة : انظر ما سبق أن أوردناه من القول بأن هذا الحديث موضوع) .

واعلم أن الحروف ليست كلمات لأن الأعيان الثابتة لا تدخل تحت كلمة كن إلا عند الإيجاد العيني وأما هي ففي أوجهها وتعيينها العلمي فلا يدخل عليها اسم التكوين فهي حق لا خلق لأن الخلق عبارة عما دخل تحت كلمة كن وليست الأعيان في العلم بهذا الوصف لكنها ملحقة بالحدوث إلحاقا حكميا لما تقتضيه ذواتها من استناد وجود الحادث في نفسه إلى قديم فالأعيان الموجودة المعبر عنها بالحروف ملحقة في العالم العلمي بالعلم الذي هو ملحق بالعالم فهي بهذا الاعتبار الثاني قديمة انتهى كلامه .

والحرف في اصطلاح النحاة كلمة دلت على معنى في غيره ويسمى بحرف المعنى أيضا وبالأداة أيضا يسميه المنطقيون بالأداة ومعنى قولهم على معنى في غيره على معنى ثابت في لفظ غيره فإن اللام في قولنا الرجل مثلا يدل بنفسه على التعريف الذي هو في الرجل وهل في قولنا قام زيد يدل بنفسه على الاستفهام الذي هو في جملة قام زيد وقيل المعنى على معنى حاصل في غيره أي باعتبار متعلقه لا باعتباره في نفسه وهذا هو التحقيق ثم الحروف بعضها عاملة جارة كانت أو جازمة أو ناصبة صرفة كأن وأخواتها أو مع الرفع كالحروف المشبهة بالفعل وهي إن وأن وكأن وليت ولعل ولكن فإنها تنصب الاسم وترفع الخبر على عكس « ما » و « لا » المشبهتين بليس وبعضها غير عاملة كحروف العطف كالواو وأو وبل ونحوها مما يحصل به العطف وحروف الزيادة التي لا يختل بتركها أصل المعنى كإنْ المكسورة المخففة وتسمى بحروف الصلة وحروف النفي الغير العاملة وحروف النداء التي يحصل بها النداء كـ « يا » وحروف الاستثناء وحروف الاستفهام وحروف الإيجاب كنعم وبلى وحروف التنبيه كها وألا وحروف التحضيض كهلاَّ ألا وحروف التفسير كأي وحروف التنفيس كالسين وسوف وحرف التوقع كقد وحرف الردع أي الزجر والمنع وهو كلا وغير ذلك (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣١٨- ٣٢٦) وسيأتي بيان كل منها في موضعه إن شاء الله تعالى .

وثمة تقسيم آخر للحروف هو ذلك الذي أورده ابن المظفر الرازي في أحد فصول رسالته في حروف العربية إذ يقول :

الحروف ثلاثة أنواع :

فكرية ، ولفظية ، وخطية .

فالحروف الفكرية ، هى صور روحانية فى أفكار النفوس ، مصورة فى جوهرها قبل إخراجها ، معانيها : الألفاظ .

والحروف اللفظية ، هى : أصوات محمولة فى الهواء ، مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة .

والحروف الخطية هى : نقوش خطت بالأقلام فى وجوه الألواح ، وبطون الطوامير ، مشركة بالقوة الناظرة ، بطريق العينين .

والحروف الخطية وضعت ليدل بها على الحروف اللفظية ، والحروف اللفظية وضعت ليدل بها على الحروف الفكرية التى هى الأصل .

والحروف اللفظية إنما هى أصوات تحدث فى الحلقوم والحنكين وفى اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة ، بعد ترويحها الحرارة الغريزية التى فى القلب .

وهى ثمانية وعشرون فى العربية ، وتزيد وتنقص فى سائر اللغات .

(يعلق الدكتور العبيدى محقق الرسالة على ذلك فى هامش ٣ فيقول :

(إذا جعلنا الألف حرفا ، فإنها تكون تسعة وعشرين حرفا ، ولذلك قال الخليل بن أحمد : « حروف العربية تسعة وعشرون حرفا ؟ منها خمسة وعشرون حرفا صحاح لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف : الواو والياء والألف اللينة والهمزة) .

ثم يعقد المؤلف فصلا يسوق فيه أبياتا من تأليفه مشتملة على ذكر بعض الحروف فيقول :

قد اتفقت لى أبيات مشتملة على ذكر بعض الحروف ، فأردت أن لا أخلى عنها الكتاب .

وقد ذكر المؤلف عشر قطع نختار منها ما يلى :

القطعة الأولى : (من الطويل ، قافية المتواتر) :

زمانى رمانى بالنوى وأذاقنى
سموما وأبكانى الدماء كما النصل
وأسقطنى من كل جمع ووصلة
كأنى نون الجمع أو ألف الوصل

الثانية : (من الوافر ، قافية المتواتر) :

أرى ذا المال فى الدنيا مهيبا
وبعد الياء باء ليس نون
فإما مال عنه المال فانقط
فويق الباء وانظر ما يكون

السابعة : (من البسيط ، قافية المتراكب) :

الناس شتى وفى الأيام معتبر
من بين مختلف فوضى ومؤتلف
فنائم محرز للألف مالكه
وقائم مفلس فى العرى كالألف

الثامنة : (من الطويل ، قافية المتدارك) :

ومن كان جهميا فزد بعد هائه
إذا شئت نونا ثم منه تجهّم

(يريد : صيره : جهنميا ، بزيادة النون على « جهميا »

فلا خير فى جهم بن صفوان عندنا
وجهم سيصلى النار نار جهنم

(رسالة فى حروف العربية / ٩٣ ـ ٩٦) .

انظر مادة « الجهمية » فى م ١٢ / ٤٢٥ ـ ٤٣١ من هذه الموسوعة .

ويحصى ابن الحاجب الحروف كما يلى : حروف الجر ، الحروف المشبهة بالفعل ، الحروف العاطفة ، حروف التنبيه ، حروف النداء ، حروف الإيجاب ، حروف الزيادة ، حروف التفسير ، حروف المصدر ، حروف التحضيض ، حرف التوقع ، حرفا الاستفهام ، حروف الشرط (الكافية / ٤٢٤ ـ ٤٢٨) .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون . ط مصطفى البابى الحلبى / ٤٢٢ ـ ٤٢٨ ، وشرح اللمحة البدرية فى علم العربية لأبى حيان الأندلسى ـ ابن هشام الأنصارى ـ تحقيق وشرح وتعليق وتبويب د. صلاح رواى . الطبعة الثانية رقم الإيداع ١٨٨٤ ، ١ / ١٧٥ ـ ١٧٧ ، وملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى / ٣ ، وألفية الأثارى لزين الدين شعبان بن محمد القرشى الآثارى ـ حققه وقدم له د. زهير زاهد والأستاذ هلال ناجى / ٦٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١ / ١٧ ـ ٢٠ ، والعرب والعربية ـ السيد عبد الرحمن السيد محمد العيدروسى / ١٣١ ـ ١٣٩ ،

وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣١٨ ـ ٣٢٦، ورسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى . مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤ م / ٩٣ـ٩٧) .

انظر الأدوات :

حروف الاستفهام :

حرفا الاستفهام : الهمزة وهل ، لهما صدر الكلام ، تقول: أزيد قائم ، وأقام زيد، وكذلك هل، والهمزة أعم تصرفا، تقول : أزيدا ضربت، وأتضرب زيدا ، وهو أخوك، وأزيد عندك أم عمرو، وأثم إذا ما وقع، وأفمن كان، وأوَمَن كان، دون هل .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات الفنون ط مصطفى البابى الحلبى / ٤٢٧) .

الحروف (ألقابها) :

انظر : الحروف .

حروف الإيجاب :

حروف الإيجاب : نعم، وبلى، وإى، وأجل، وجير ، وإن، فنعم مقررة لما سبقها ، وبلى مختصة بإيجاب النفى، وإى: إثبات بعد الاستفهام، ويلزمها القسم، وأجل، وجير، وإن تصديق للمخبر.

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٦) .

حروف التحضيض :

حروف التحضيض : هلا، وألا ، ولولا، ولوما لها صدر الكلام ، ويلزم الفعل لفظا أو تقديرا.

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٣) .

الحروف (ترتيبها) :

انظر : ترتيب حروف التهجى .

حروف التفسير :

هما حرفان : أى ، وأن ، فأن مختصة بما فى معنى القول

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٧) .

حروف التنبيه :

هى ألا ، وأما ، وها .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٦) .

حروف التهجى فى فواتح السور :

انظر : الحروف المقطعة فى أوائل السور.

حروف التوقع :

هو حرف واحد : قد ، وفى المضارع للتقليل .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٧) .

حروف الجر :

قال ابن الحاجب :

حروف الجر ما وضع للإفضاء بفعل أو معناه إلى ما يليه ، وهى : من ، وإلى ، وحتى ، وفى ، والباء ، واللام ، ورب ، وواوها ، وواو القسم ، وباؤه ، وتاؤه ، وعن ، وعلى ، والكاف ، ومذ ، ومنذ ، وحاشا ، وعدا، وخلا .

فمن للابتداء والتبيين والتبعيض وزائدة فى غير الموجب خلافا للكوفيين والأخفش ، وقد كان من مطر وشبهة متأول . وإلى للانتهاء، وبمعنى مع قليلا، وحتى كذلك ، وبمعنى مع كثيرا ، وتختص بالظاهر خلافا للمبرد . وفى للظرفية ، وبمعنى على قليلا ، والباء للإلصاق ، والاستعانة ، والمصاحبة ، والمقابلة ، والتعدية ، والظرفية ، وزائدة فى الخبر فى الاستفهام ، والنفى قياسا ، وفى غيره سماعا ، مثل: بحسبك زيد ، وألقى بيده . واللام للاختصاص والتعليل وزائدة، وبمعنى عن مع القول، وبمعنى الواو فى القسم للتعجب . ورب للتقليل ، ولها صدر الكلام مختصة بنكرة موصوفة على الأصح، وفعلها ماض محذوف غالبا ، وقد تدخل على مضمر مبهم مميز بنكرة منصوبة ، والضمير مفرد مذكر خلافا للكوفيين فى مطابقة التمييز، وتلحقها ما ، فتدخل على الجمل . وواوها تدخل على نكرة موصوفة . وواو القسم إنما تكون عند حذف الفعل لغير السؤال مختصة بالظاهر. والتاء مثلها مختصة باسم الله تعالى . والباء أعم منهما فى الجميع ويتلقى القسم باللام . وإن وحرف النفى ، ويحذف جوابه إذا اعترض ، أو تقدمه ما يدل عليه ، وعن للمجاوزة . وعلى للاستعلاء وقد يكونان اسمين بدخول من

عليهما . والكاف للتشبيه وزائدة ، وقد يكون اسما ، وتختص بالظاهر. ومذ ، ومنذ للابتداء فى الزمان الماضى ، والظرفية فى الحاضر، نحو : ما رأيته مذ شهرنا ، ومنذ يومنا . وحاشا ، وعدا وخلا للاستثناء (الكافية / ٤٢٣ ، ٤٢٤) .

وقد صيغت حروف الجر نظما فى كل من ألفية ابن مالك وملحة الإعراب ، أما ألفية ابن مالك فقد جاء فيها ما يلى ، مع ملاحظة أن الحرف (ص) يرمز إلى النص ، وأن الحرف (ش) يرمز إلى شرح ابن عقيل . قال الناظم :

(ص) هاك حروف الجر وهى من إلى
حتى خلا حاشا عدا فى عن على
مذ منذ رب اللام كى واو وتا
والكاف والبا ولعل ومتى

(ش) هذه الحروف العشرون كلها مختصة بالأسماء وهى تعمل فيها الجر وتقدم الكلام على خلا وحاشا وعدا فى الاستثناء وقل من ذكر (كى ولعل ومتى) فى حروف الجر فأما (كى) فتكون حرف جر فى موضعين : أحدهما إذا دخلت على ما الاستفهامية نحو « كيمه » أى لمه فما استفهامية مجرورة بكى وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها وجىء بالهاء للسكت الثانى قولك جئت كى أكرم زيدا فأكرم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد كى وأن والفعل مقدران بمصدر مجرور بكى والتقدير جئت كى إكرام زيد أى لإكرام زيد وأما (لعل) فالجر بها لغة عقيل ومنه قوله

* لعل أبى المغوار منك قريب *

وقوله :

لعل الله فضلكم علينا
بشىء أن أمكم شريم

فأبى المغوار والاسم الكريم (الله) مبتدآن وقريب وفضلكم خبران و (لعل) حرف جر زائد دخل على المبتدأ فهو كالباء فى بحسبك درهم وقد روى على لغة هؤلاء فى لامها الأخيرة الكسر والفتح وروى أيضا حذف اللام الأولى فتقول «عل » بفتح اللام ، وكسرها وأما (متى) فالجر بها لغة هذيل ، ومن كلامهم : أخرجها متى كمه ، يريدون من كمه

ومنه قوله :

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج

وسيأتى الكلام على بقية العشرين عند كلام المصنف عليها ولم يعد المصنف فى هذا الكتاب (لولا) من حروف الجر وذكرها فى غيره ، ومذهب سيبويه أنها من حروف الجر لكن لا تجر إلا المضمر، فتقول: لولاى، ولولاك، ولولاه، فالياء والكاف والهاء عند سيبويه مجرورات بلولا وزعم الأخفش أنها فى موضع رفع بالابتداء ووضع ضمير الجر موضع ضمير الرفع فلم تعمل (لولا) فيها شيئا كما لم تعمل فى الظاهر نحو : لولا زيد لأتيتك ، وزعم المبرد أن هذا الترتيب (فى طبعة المعاهد الأزهرية) « التركيب » أعنى لولاك ونحوه لم يرد من لسان العرب وهو محجوج بثبوت ذلك عنهم كقوله :

أتطمع فينا من أراق دماءنا
ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسن

وقول الآخر :

وكم موطن لولاى طحت كما هوى
بأجرامه من قنة النيق منهوى

(ص) بالظاهر اخصص منذ مذ وحتى
والكاف والواو ورب والتا
واخصص بمذ ومنذ وقتا وبرب
منكرا والتاء لله ورب
وما رووا من نحو ربه فتى
نزر كذا كها ونحوه أتى

(ش) من حروف الجر ما لا يجر إلا الظاهر وهى هذه السبعة المذكورة فى البيت الأول فلا تقول منذه ولا مذه وكذا الباقى ولا تجر منذ ومذ من الأسماء الظاهرة الا أسماء الزمان فإن كان الزمان حاضرا كانت بمعنى (فى) نحو (ما رأيته منذ يومنا) أى فى يومنا وإن كان الزمان ماضيا كانت بمعنى (من) نحو « ما رأيته مذ يوم الجمعة » أى من يوم الجمعة وسيذكر المصنف هذا فى آخر الباب وهذا معنى قوله « واخصص بمذ

ومنذ وقتا » وأما (حتى) فسيأتي الكلام على مجرورها عند ذكر المصنف له وقد شذ جرها الضمير كقوله :

فـلا والله لا يلفـى أنـاس

فتـى حتَّـاك يـا ابـن أبي زيـاد

ولا يقاس على ذلك خلافا لبعضهم ، ولغة هذيل إبدال حائها عينا وقرأ ابن مسعود « فتربصوا به عتى حين » وأما الواو، فمختصة بالقسم وكذلك (التاء) ولا يجوز ذكر فعل القسم معهما فلا تقول : أقسم والله ولا أقسم تالله ، ولا تجر التاء إلا لفظ الله ، فتقول : تالله لأفعلن ، وقد سمع جرها لرب مضافا إلى الكعبة ، قالوا تربِّ الكعبة وهذا معنى قوله .

« والتاء لله ورب » وسمع أيضا : تالرحمن ، وذكر الخفَّاف في شرح الكتاب ، أنهم قالوا : تحياتك ، وهذا غريب ، ولا تجر (رب) إلا نكرة نحو : رب رجل عالم لقيت وهذا معنى قوله : وبرب منكرا ، أي واخصص برب النكرة ، وقد شذ جرها ضمير الغيبة كقوله :

واه رأبت وشيكـا صـدع أعظمـه

وربـه عطبـا أنقـذت من عطبـه

كما شذ جر الكاف كقوله :

خلى الـذنـابـات شمـالا كثبـا

وأم أو عـال كهـا أو أقـربـا

وقوله :

ولا تـرى بعـلا ولا حـلائلا

كـه ولا كهـن إلا حـاظـلا

وهذا معنى قوله : وما رووا البيت أي والذى روى من جر (رب) المضمر نحو « ربه فتى » قليل وكذلك جر الكاف المضمر نحو « كها » .

(ص) *بعض وبيـن وابتـدئ في الأمكنـه*

بمـن وقـد تأتـي لبـدء الأزمنـه

وزيـد فـي نفـي وشبهـه فجـر

نكـرة كمـا لبـاغ مـن مفـر

(ش) تجيء من للتبعيض ولبيان الجنس ولابتداء الغاية في غير الزمان كثيرا وفي الزمان قليلا وزائدة فمثالها للتبعيض قولك : أخذت من الدراهم ومنه قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله** ﴾ ومثالها لبيان الجنس قوله تعالى ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ ومثالها لابتداء الغاية في المكان قوله تعالى ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ ومثالها لابتداء الغاية في الزمان قوله تعالى ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ وقول الشاعر :

تخيـرن مـن أزمـان يـوم حليمـة

إلى اليـوم قـد جُـرِّبـن كل التجـارب

ومثال الزائدة « ما جاءني من أحد » ولا تزاد عند جمهور البصريين إلا بشرطين : أحدهما : أن يكون المجرور بها نكرة، الثاني : أن يسبقها نفي أو شبهه ، والمراد بشبه النفي : النهي ، نحو « لا تضرب من أحد » والاستفهام نحو « هل جاءك من أحد » ولا تزاد في الإيجاب ، ولا يؤتى بها جارة لمعرفة فلا تقول : « جاءني من زيد » خلافا للأخفش ، وجعل منه قوله تعالى ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم** ﴾ وأجاز الكوفيون زيادتها في الإيجاب بشرط تنكير مجرورها ، ومنه عندهم قد كان من مطر أي قد « كان مطر » .

(ص) *لـلانتهـا حتـى ولام وإلـى*

ومـن وبـاء يفهمـان بـدلا

(ش) تدل على انتهاء الغاية : إلى ، وحتى ، واللام ، والأصل من هذه الثلاثة إلى ، فلذلك تجر الآخر وغيره نحو «سرت البارحة إلى آخر الليل ، أو إلى نصفه ولا تجر (حتى) إلا ما كان آخرا أو متصلا بالآخر كقوله تعالى : ﴿ **سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾ ولا تجر غيرهما فلا تقول : « سرت البارحة حتى نصف الليل » واستعمال اللام للانتهاء قليل ومنه قوله تعالى : ﴿ **كل يجرى لأجل مسمى** ﴾ وتستعمل من والباء بمعنى بدل فمن استعمال من بمعنى بدل قوله عز وجل ﴿**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ﴾ أي بدل الآخرة وقوله تعالى : ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون**﴾ أي بدلكم ، وقول الشاعر :

جـــــاريـــــة لم تـأكل المـــــرقّقـــا
ولـم تـــــــذق من البقــــول الفُستقـــــا

أي بدل البقـول ومن استعمال الباء بمعنى بـدل ما ورد في الحـديث « مـا يسـرني بهـا حمـر النعم » أي بـدلهـا . وقـول الشاعر:

فليت لي بهـم قـــــومــــا إذا ركبــــوا
شنــوا الإغــارة فــرســـانـا وركبـــانـا

أي بدلهم .

(ص) والــــلام للملـك وشبهـــــه وفـي
تعـــــديــــــة أيضـــــا وتعليل قفـي
وزيـــــد والظــــرفيـــــة أستبـن بيـــا
وفـي وقــــــد يبينـــــان السببـــــا

(ش) تقدم أن الـلام تكون للانتهـاء وذكر هنا أنهـا تكون للملك ، نحو ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ والمال لـزيـد ، ولشبـه الملك ، نحـو الجل للفـرس والبـاب للـدار وللتعدية نحو وهبت لزيد مالا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ وللتعليل ، نحو جئتك لإكرامك وقوله :

وإنـي لتعـــرونـي لــــذكـــراك هـــزة
كمـــا انتفض العصفـــور بللـــه القطـــر

وزائدة قياسا نحو لزيد ضربت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ وسماعا نحو : ضـربت لزيد ، وأشار بقولـه « والظرفية استبن إلى آخـره » إلى معنى الباء وفي فـذكر أنهما اشتركا في إفادة الظرفية والسببية فمثال الباء للظرفية قوله تعالى ﴿ وإنكم لتمـرون عليهم مصبحين وبـالليل ﴾ أي وفـي الليل ومثالها للسببية قـوله تعالى : ﴿ فبظلم من الـذين هادوا حـرمنـا عليهم طيبـات أحلت لهم وبصـدهم عن سبيل الله كثيرا ﴾ ومثال في للظـرفية قولك زيد في المسجـد وهو الكثير فيها ومثـالها للسببيـة قولـه ﷺ : « دخلت امرأة النـار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض »

(ص) بـــالبـــا استعن وعـــدّ عـــوّض ألصق
ومثل مـــع ومـــن وعـــن بهــــــا انطق

(ش) تقدم أن الباء تكون للظرفيـة وللسببية وذكر هنا أنها تكون لـلاستعانـة نحو : كتبت بالقلـم ، وقطعت بالسكين ، وللتعديـة ، نحو ذهبت بزيـد ، ومنه قولـه تعالى ﴿ ذهب الله بنورهـم ﴾ وللتعويض نحو اشتريت الفرس بألف درهـم، ومنه قوله تعالى ﴿ أولئك الـذين اشتروا الحيـاة الدنيـا بالآخـرة ﴾ وللإلصـاق نحو : مـررت بزيد، وبمعنـى مع ، نحو : بعتك الثوب بطـرازه، أي مع طرازه ، أو بمعنى مـن كقوله : شـربن بماء البحر ، أي من ماء البحر ، أو بمعنى عن ، نحو ﴿ سأل سـائل بعـذاب ﴾ أي عن عـذاب ، وتكـون البـاء أيضـا للمصاحبة، نحو ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ .

(ص) على لـــلاستعـــلا ومعنى فـي وعن
بعـن تجـــاوزًا عنى مـن قـــــد فطـن
وقـــــد تجي مــــوضـع بعـــــد وعلـى
كمــــا على مـــوضـع عـن قــد جعـــلا

(ش) تستعمل على للاستعـلاء كثيرا، نحـو ، زيد على السطح وبمعنى في نحـو قوله تعـالى ﴿ ودخل المدينـة على حين غفلـة من أهلهـا ﴾ أي في حين غفلـــة وتستعمل عن للمجاوزة كثيرا نحـو رميت السهم على القوس ، وبمعنى بعد نحو ، قوله تعالى ﴿ لتـركبن طبقـا عن طبق ﴾ أي بعد طبق وبمعنى على ، نحو قوله :

لاه ابـــن عمـــك لا أفضلـت فـــي حســـب
عنـي ولا أنـت ديـــــانـي فتخـــــزونـي

أي لا أفضلت فـي حسب علي ، كمـــا استعملـت على بمعنى عن في قوله :

إذا رضيـت علـى بنــــــو قشيـــــــر
لعمـــــــر الله أعجبنـي رضـــــاهــــا

أي إذا رضيت عني

(ص) شبـــه بكـــاف وبهـــا التعليل قــــد
يعنـي وزائدا لتــــــوكيــــــــد ورد

(ش) تأتي الكاف للتشبيـه كثيرا كقـولك زيد كـالأسد، وقد تأتي للتعليل كقوله تعالى ﴿ واذكروه كمـا هداكم ﴾ أي

لهدايته إياكم ، وتأتي زائدة للتوكيد ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ أي ليس مثله شيء ومما زيد فيه قول رؤبة

* لواحق الإقراب فيها كالمقق *

أي فيها المقق ، أي الطول وما حكاه الفراء أنه قيل لبعض العرب كيف تصنعون الأقط فقال كهين أي هينا .

(ص) واستعمل اسما وكذا عن وعلى
من أجل ذا عليهما من دخلا

(ش) استعملت الكاف اسما قليلا كقوله :

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط
كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

فالكاف اسم مرفوع على الفاعلية والعامل فيه ينهى والتقدير ولن ينهى ذوى شطط مثل الطعن واستعملت على وعن ، اسمين عند دخول من عليهما وتكون على ، بمعنى فوق ، وعن بمعنى جانب ومنه قوله :

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها
تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أي غدت من فوقه وقوله :

ولقد أراني للرماح دريئة
من عن يميني تارة وأمامي

أي من جانب يميني (ص)

ومذ ومنذ اسمان حيث رفعا
أو أوليا الفعل كجئت مذ دعا
وإن يجرا في مضى فكمن
هما وفي الحضور معنى استبن

(ش) تستعمل مذ ومنذ اسمين إذا وقع بعدهما الاسم مرفوعا أو وقع بعدهما فعل فمثال الأول ما رأيته مذ يوم الجمعة أو مذ شهرنا فمذ مبتدأ خبره ما بعده وكذلك منذ وجوز بعضهم أن يكونا خبرين لما بعدهما ومثال الثاني جئت مذ دعا فمذ اسم منصوب المحل على الظرفية والعامل فيه جئت وإن وقع ما بعدهما مجرورا فهما حرفا جر بمعنى من إن كان المجرور ماضيا نحو « ما رأيته مذ يوم الجمعة » أي من يوم الجمعة

وبمعنى في إن كان حاضرا نحو ما رأيته مذ يومنا أي في يومنا

(ص) وبعد من وعن وباء زيد ما
فلم يعق عن عمل قد علما

(ش) تزاد ما بعد من ، وعن ، والباء ، فلا تكفها عن العمل كقوله تعالى : ﴿ مما خطاياهم أغرقوا ﴾ [قراءة] وقوله تعالى ﴿عما قليل ليصبحن نادمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ .

(ص) وزيد بعد رب والكاف فكف
وقد يليهما وجر لم يكف

(ش) تزاد « ما » بعد الكاف ورب فتكفهما عن العمل ، كقوله :

فإن الحُمُرَ من شر المطايا
كما الحبطات شر بنى تميم

وقوله :

ربما الجامل المؤبل فيهم
وعناجيج بينهن المهار

وقد تزاد بعدهما فلا تكفهما عن العمل وهو قليل كقوله :

ماوى يا ربتما غارة
شعواء كاللذعة بالميسم

وقوله :

وننصر مولانا ونعلم أنه
كما الناس مجروم عليه وجارم

(ص) وحذفت رب فجرَّت بعد بل
والفا وبعد الواو شاع ذا العمل

(ش) لا يجوز حذف حرف الجر وإبقاء عمله إلا في رُب ، بعد الواو فيما سنذكره وقد ورد حذفها بعد الفاء ، وبل ، قليلا فمثاله بعد « الواو » قوله :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترقن *

ومثاله بعد « الفاء » :

فمثلك حُبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذى تمائم محول

ومثاله بعد « بل » قوله :

بل بلد ملء الفجاج قتمه

لا يشترى كتانه وجهرمه

والشائع من ذلك حذفها بعد الواو ، وقد شذ الجر برب محذوفة من غير أن يتقدمها شيء كقوله :

رسم دار وقفت فى طلله

كدت أقضى الحياة من جلله

(ص) *وقد يجر بسوى رب لدى*

حذف وبعضه يرى مطردا

(ش) الجر بغير رب محذوفا على قسمين : مطرد وغير مطرد فغير المطرد كقول رؤبة لمن قال له كيف أصبحت ؟ «خير والحمد لله » التقدير على خير، وقول الشاعر:

إذا قيل أى الناس شر قبيلة

أشارت كليب بالأكف الأصابع

أى أشارت إلى كليب وقوله :

وكريمة من آل قيس ألفته

حتى تبذخ فارتقى الأعلام

أى فارتقى إلى الأعلام والمطرد كقوله بكم درهم اشتريت هذا فدرهم مجرور بمن محذوفة عند سيبويه والخليل وبالإضافة عند الزجاج فعلى مذهب سيبويه والخليل يكون الجار قد حذف وأبقى عمله وهذا مطرد عندهما فى مميز «كم» الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر (شرح ابن عقيل / ٩٧-١٠٠) .

ومن النظم أيضا ما ورد فى ملحة الإعراب حيث يقول الحريرى عن حروف الجر:

والجر فى الاسم الصحيح المنصرف

بأحرف هن إذا ما قيل صف

من وإلى وفى وحتى وعلى

وعن ومنذ ثم حاشا وخلا

والباء والكاف إذا ما زيدا

واللام فاحفظها تكن رشيدا

ورُب أيضا ثُم مُذ فيما حضر

من الزمان دون ما منه غبر

تقول ما رأيته مذ يومنا

ورُب عبد كيس مرَّ بنا

ورُب تأتى أبدا مصدَّره

ولا يليها الاسم إلا نكره

وتارة تضمر بعد الواو

كقولهم وراكب بجاوى

(ملحة الإعراب / ١٠ ، ١١) .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط أمين عبد المجيد محمد الديدى / ٩٧ـ١٠١ ، وط الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية / ١٨٧ـ١٩٥ ، وملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى / ١٠ ، ١١ .

انظر أيضا تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ١٤٤ـ١٤٩) .

الحروف الزائدة فى رسم المصحف :

إن ما يزاد من حروف الهجاء فى رسم المصاحف ثلاثة : الألف ، والياء ، والواو .

ولا بد لزيادة هذه الحروف من علامة تدل على أنها ساقطة خطا ولفظا (وعند بعض المشارقة هكذا × وهو ضعيف) . والصحيح المعمول به أنها دارة صغيرة توضع فوق الحرف المزيد منفصلة عنه على الصحيح هكذا ﴿لأاْذبحنه﴾ (وقيل متصلة به) .

الألف : أما الألف التى تحتاج إلى علامة تدل على زيادتها فقد وقعت فى عشرة أنواع :

وتنحصر فى ثلاثة أشياء :

الأول ـ إذا جاورت الألف همزة مفتوحة أو مكسورة سواء وقعت قبل الهمزة أم بعدها ـ وهو ثلاثة أنواع :

(١) إذا وقعت بعد همزة مفتوحة معانقة للام على

الراجح ــ وذلك فى ﴿ لأأذبحنه ﴾ بالنمل [٢١] اتفاقا ﴿ولأأوضعوا خلالكم ﴾ بالتوبة [٤٧] عند الأكثرين ﴿لأأتوها﴾ بالأحزاب [١٤] ﴿ لأأنتم ﴾ بالحشر [١٦] على بعض الأقوال فيهما .

(٢) إذا وقعت الألف قبل همزة مكسورة معانقة لـلام ـ وذلك فى ﴿ لإالـى الله ﴾ بآل عمران ﴿ لإالى الجحيم ﴾ بالصافات .

(٣) إذا وقعت الألف قبل همزة مفتوحة وقبل الألف كسرة وذلك فى (مائة ـ ومائتين وثلثمائة) .

الثانى ـ إذا وقع بعد الألف ياء وهو نوعان :

(١) أن تقع بعد الألف يـاء متولـدة من كسرة قبل الألف وذلك فى ﴿ وجاىء بالنبيين ﴾ [الزمر : ٦٩] ﴿ وجاىء يومئذ بجهنم ﴾ [الفجر : ٢٣] .

(٢) أن تقع بعد الألف ياء ساكنة وقبل الألف فتحة وذلك فى ﴿ ولا تايئسوا إنـه لا يايئس ﴾ بيوسف [٨٧] و ﴿ أفلم يايئس الذين آمنوا ﴾ بالرعد [٣١] وكذا ﴿ فلما استايئسوا منه﴾ [يوسف : ٨٠] ﴿ حتى إذا استـايئس الرسل ﴾ فى يوسف [١١٠] على القول بإثبات الألف فيهمـا (والعمل فيهما عندنا على حـذف الألف) ﴿ ولا تقولن لشـاىء ﴾ بالكهف .

الثـالث ـ إذا وقعـت الألف بعد واو متطرفـة وهو خمسة أنواع :

(١) أن تقع تقع الألف بعد واو الجمع نحو ﴿ قالوا ﴾ .

(٢) أن تقع الألف بعد واو الفرد نحو ﴿ إنما أدعوا ربى﴾ [الجن : ٢١] .

(٣) أن تقع الألف بعد واو وقعت صورة للهمزة على غير قياس وذلك فى (تفتؤا) ، و (جزؤا) وبابهما .

(٤) أن تقع الألف بعد واو وقعت عوضا عن ألف متطرفة نحو ﴿ الربوا ﴾ (ومثله من ربا على القول بكتابته بالواو شاذا)

(٥) أن تقع الألف بعـد واو وقعت صـورة للهمـزة على القيـاس وذلك فى ﴿ إن امـرؤا ﴾ ومثله ﴿ لؤلـؤا﴾ مرفوعا ومجرورا عند من زادها .

وقد اختلف فى احتياج مـا بقى من أنواع زيادة الألف إلى هذه العلامة . وهو أربعة أنواع :

الأول : « لأهب » على قراءة الياء .

الثانى : « ابن » .

الثالث : « إذا » و « لنسفعا » و « ليكونا » .

الرابع : لكنا وأنا والظنونا والرسولا والسبيلا .

والعمل على تجريـد الأنـواع الثلاثـة الأول من العـلامـة ووضع دارة صغيرة مستطيلة هكذا (٥) على النوع الرابع بشرط ألا يقع بعـد الألف سـاكن ، فإن وقع بعدهـا سـاكن أهملت مطلقا نحو ﴿ أنا النذير ﴾ [الحجر: ٨٩] (السبيل / ٤٧ ، ٤٨)

ويفـرد الإمام أبـو عمرو الـدانى بـابا فى نقـط ما زيـدت الألف فى رسمـه ـ وقـد ذكـر بعضا ممـا سبقت الإشارة إليـه ـ يقول فيه :

اعلم أن كتَّاب المصاحف زادوا الألف فـى الرسم بإجماع منهم فى أصل مطـرد، وخمسة أحـرف مفتـرقة . فأمـا الأصل المطرد فهـو ما جاء من لفظ « مائة » و « مـائتين » [الأنفال : ٦٥ ، ٦٦ » وأما الخمسة الأحرف فأولها فى [التوبة : ٤٧] : ﴿ ولأاوضعوا خلالكم ﴾ وكـذا فى [النمل : ٢١] : ﴿ أو لأاذبحنه ﴾ وفى [يوسف : ٨٧] : ﴿ ولا تايئسوا من روح الله إنـه لا يـايئس من روح الله ﴾ وفى [الـرعـد : ٣١] : ﴿ أفلم يايئس الذين آمنوا ﴾ .

وحكى محمـد بن عيسى الأصبهـانى أن فى المصـاحف كلها ﴿ ولا تقولن لشاىء ﴾ فى [الكهف : ٢٣] بـألف بين الشين والياء . قـال : وكذلك ذلك فى مصـاحف عبد الله فى كل القرآن .

وفى مصـاحف أهل بلـدنـا القـديمـة المتبع فى رسمهـا مصاحف أهل المدينة ﴿ وجاىء بالنبيين ﴾ فى [الزمر : ٦٩] و ﴿ جاىء يومئذ بجهنم ﴾ فى [الفجـر : ٢٣] بألف زائدة بين الجيم واليـاء . وفيهـا أيضـا فى [آل عمـران : ١٥٨] : ﴿لإالى الله تحشرون ﴾ وفى [الصـافـات : ٦٨] : ﴿ لإالى الجحيم ﴾ بزيادة ألف . ولم أجد أنا ذلـك كذلك مرسوما فى شىء من مصاحف أهل العراق القديمة .

فأما زيادتهم الألف فى « مائة » فلأحد أمرين . إما للفرق بين « مائة » وبين « منه » ، ومن حيث اشتبهت صورتهما . ثم ألحقت التثنية بالواحد ، فزيدت فيها الألف ، لتأتيا معا على طريقة واحدة من الزيادة . وهو قول عامة النحويين . قال القتبى : زادوا الألف فى « مائة » ليفصلوا بها بينها وبين « منه » ألا ترى أنك تقول : « أخذت مائة » و « أخذت منه » . فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ . وإما تقوية للهمزة ، من حيث كانت حرفا خفيا بعيد المخرج . فقووها بالألف، لتتحقق بذلك نبرتها . وخصت الألف بذلك معها من حيث كانت من مخرجها، وكانت الهمزة قد تصور بصورتها . وهذا القول عندى أوجه لأنهم قد زادوا الألف بيانا للهمزة وتقوية لها فى كلم لا تشتبه صورهن بصور غيرهن . فزال بذلك معنى الفرق، وثبت معنى التقوية والبيان . لأنه مطرد فى كل موضع .

فإذا نقط هذا الضرب جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها من فوقها نقطة بالحمراء، فى الياء نفسها . وجعل على الألف دارة صغرى، علامة لزيادتها فى الخط وسقوطها من اللفظ . سواء جعلت فرقا بين مشتبهين فى الصورة ، أو تقوية وبيانا .

وقد غلط بعض أئمتنا فى لفظ هذا الضرب غلطا فاحشا . فزعم أن الهمزة تقع فيه على الألف دون الياء، إذ الألف صورتها، من حيث كانت متحركة بالفتح ، والياء هى المزيدة وهذا ما لم يتقدمه إلى القول به أحد من الناس، ممن علم وممن جهل .

هذا مع علم هذا الرجل بأن الألف فى ذلك زيدت للفرق، فكيف تكون مع ذلك صورة للهمزة، وبأن الهمز إنما ترسم صوره على حسب ما تؤول فى التسهيل، دلالة على ذلك . والهمزة فى ذلك إذا سهلت أبدلت ياء مفتوحة، لانكسار ما قبلها؛ فالياء صورتها، لا شك . ولا تجعل بين الهمزة والألف رأسا، لأن الألف لا يكون ما قبلها مكسورا . فكذلك لا يكون ما قرب بالتسهيل منها . وهذا قول جميع النحويين . والله يغفر له .

وأما زيادتهم الألف فى ﴿ ولأاوضعوا ﴾ و ﴿ أو لأاذبحنه ﴾ فلمعانٍ أربعة . هذا إذا كانت الزائدة فيهما المنفصلة عن اللام . وكانت الهمزة المتصلة باللام . وهو قول أصحاب المصاحف .

فأحدها أن تكون صورة لفتحة الهمزة، من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها . فلذلك جعلت صورة لها ، ليدل على أنها مأخوذة من تلك الصورة، وأن الإعراب قد يكون بهما معا .

والثانى أن تكون الحركة نفسها . لا صورة لها . وذلك أن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط . فكانت تصور الحركات حروفا، لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بهن . فتصور الفتحة ألفا، والكسرة ياء، والضمة واوا . فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث، من الفتح والكسر والضم .

ومما يدل على أنهم لم يكونوا أصحاب شكل ونقط، وأنهم كانوا يفرقون بين المشتبهين فى الصورة بزيادة الحروف، وإلحاقهم الواو فى « عمرو » فرقا بينه وبين «عمر» وإلحاقهم إياها فى « أولئك » فرقا بينه وبين « إليك » وفى « أُولى » فرقا بينه وبين « إلى » . وإلحاقهم الياء فى قوله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأييد ﴾ [الذاريات : ٤٧] فرقا بين « الأيد » الذى معناه القوة وبين « الأيدى » التى هى جمع « يد » . وإلحاقهم الألف فى « مائة » فرقا بينه وبين « مِنْهُ » و « مِنَّةٌ » و « مَيِّة » من حيث اشتبهت صورة ذلك كله فى الكتابة .

وحكى غير واحد من علماء العربية ، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن السرى وغيره، أن ذلك كان قبل الكتاب العربى . ثم ترك استعمال ذلك بعد، وبقيت منه أشياء لم تغير عما كانت عليه فى الرسم قديما، وتركت على حالها . فما فى مرسوم المصحف من نحو ﴿ ولأاوضعوا ﴾ [التوبة : ٤٧] هو منها .

والثالث أن تكون دليلا على إشباع فتحة الهمزة وتمطيطها فى اللفظ، لخفاء الهمزة وبعد مخرجها، وفرقا بين ما يحقق من الحركات وبين ما يختلس منهن . وليس ذلك الإشباع

والتمطيط بالمؤكد للحروف، إذ ليس من مذهب أحد من أئمة القراءة. وإنما هو إتمام الصوت بالحركة لا غير .

والرابع أن تكون تقوية للهمزة وبيانا لها ، ليتأدى بذلك معنى خفائها. والحرف الذى تقوى به قد يتقدمها ، وقد يتأخر بعدها .

وإذا كانت الزائدة من إحدى الألفين المتصلة فى الرسم باللام، وكانت الهمزة المنفصلة عنها، وهو قول الفراء وأحمد ابن يحيى وغيرهما من النحاة ، فزيادتها لمعنيين ـ :

أحدهما الدلالة على إشباع فتحة اللام وتمطيط اللفظ بها

والثانى تقوية للهمزة، وتأكيدا لبيانها بها . وإنما قويت بزيادة الحرف فى الكتابة، من حيث قويت بزيادة المد فى التلاوة ، لخفائها وبعد مخرجها وخصت الألف بتقويتها وتأكيد بيانها، دون الياء والواو ، من حيث كانت الألف أغلب على صورتها منهما ، بدليل تصويرها، بأى حركة تحركت من فتح أو كسر أو ضم ، بها دونهما ، إذا كانت مبتدأة . هذا مع كونها من مخرجها. فوجب تخصيصها بذلك دون أختيها .

فإذا نقط ذلك على المذهب الذى تكون فيه الهمزة المختلطة باللام ، وتكون الألف الزائدة المنفصلة عنها جعلت الهمزة نقطة بالصفراء فى الطرف الأول من طرفى اللام ألف، لأنه الألف التى هى صورة الهمزة. وجعلت حركتها نقطة بالحمراء فى رأس الألف الزائدة المنفصلة، إذا جعلت صورة لها (يعنى إذا جعلت صورة لحركة الهمزة) .

وإذا جعلت الحركة نفسها (يعنى إذا جعلت الألف الزائدة الحركة نفسها ، أى حركة الهمزة) لم تجعل النقطة عليها ، ولا على الهمزة. وأعريتا معا منها، لأن الحرف لا يحرك بحركتين، إحداهما نقط والثانية خط .

وإذا جعلت بيانا للهمزة، أو علامة لإشباع فتحتها ، جعلت النقطة الحمراء التى هى الحركة على الهمزة نفسها . وجعل على الألف دارة صغرى، علامة لزيادتها فى الخط وسقوطها من اللفظ، من حيث رسمت لمعنى يتأدى بصورتها فقط .

وصورة نقط ذلك على الأول كما ترى : ﴿ولاأوضعوا﴾ ﴿أو لاأذبحنه﴾ وعلى الثانى : ﴿ولاأوضعوا﴾ ﴿أو لاأذبحنه﴾ وعلى الثالث والرابع : ﴿ولاأوضعوا﴾ ﴿أو لاأذبحنه﴾ .

وإذا نقط ذلك على المذهب الذى تكون فيه الهمزة المنفصلة عن اللام. وتكون الألف الزائدة المختلطة بها ، جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، على الألف المنفصلة. وجعل على الألف المختلطة باللام دارةٌ صغرى، علامةً لزيادتها. سواء جعلت تقوية للهمزة، أو علامة لإشباع حركتها . وصورة نقط ذلك كما ترى : ﴿ولا أوضعوا﴾ ﴿أو لا أذبحنه﴾ .

وجاء ما يلى فى هامش (١) للمحقق :

وقع هاهنا خرم فى الأصل المخطوط مقداره عشر ورقات، وهى الكراسة الثامنة بأكملها من الأصل .

ويبدو أن هذا الخرم يشمل الأبواب الآتية :

١ - قسم من آخر (باب ذكر نقط ما زيدت الألف فى رسمه).

٢ - باب ذكر نقط ما زيدت الواو فى رسمه .

وقد أجمع كتاب المصاحف على زيادة واو بعد الهمزة فى قوله :

﴿أولئك﴾ و ﴿أولئكم﴾ و ﴿أولى﴾ و ﴿أولوا﴾ و ﴿أولت﴾ و﴿أولاء﴾ حيث وقع ذلك . وصرح أبو عمرو الدانى أنه وجد فى مصاحف أهل المدينة وسائر العراق ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾ فى [الأعراف: ١٤٢] و ﴿سأوريكم ءاياتى﴾ فى [الأنبياء: ٣٧] بواو بعد الألف . وذكر أيضًا أن هذه المصاحف قد اختلفت فى قوله تعالى : ﴿ولأصلبنكم﴾ فى [طه: ٧١]، و [الشعراء: ٤٩]، وأنه فى بعضها بإثبات واو بعد الهمزة، وفى بعضها بغير واو . (انظر فى ذلك كله المقنع ٥٦ ـ ٥٧).

٣ ـ باب ذكر نقط ما زيدت الياء فى رسمه

وقد زاد كتاب المصاحف الياء فى تسعة مواضع . فى قوله : ﴿أفأين مات أو قتل﴾ فى [آل عمران : ١٤٤]، وفى قوله تعالى: ﴿من نبأى المرسلين﴾ فى [الأنعام: ٣٤]، وفى قوله

تعالى: ﴿من تلقائى نفسى﴾ فى [يونس: ١٥] ، وفى قوله تعالى: ﴿وإيتائى ذى القربى﴾ فى [النحل: ٩٠]، وفى قوله تعالى: ﴿ومن ءانائى الليل﴾ فى [طه: ١٣٠]، وفى قوله تعالى: ﴿أفأين مت﴾ فى [الأنبياء: ٣٤]، وفى قوله تعالى: ﴿أو من ورائى حجاب﴾ فى [الشورى: ٥١]، وفى قوله تعالى: ﴿والسماء بنينها بأييد﴾ فى [الذاريات: ٤٧]، وفى قوله تعالى: ﴿بأييكم المفتون﴾ فى [القلم: ٦] .

وذكر أبو عمرو الدانى أن فى كتاب الغازى بن قيس ﴿بلقائى ربهم﴾ ﴿ولقائى الآخرة﴾ فى [الروم: ١٦] بالياء فى الحرفين. وصرح أيضًا أنه رأى فى مصاحف أهل المدينة وأهل العراق وغيرهما ﴿وملإيه﴾ ﴿وملإيهم﴾ فى جميع القرآن بالياء بعد الهمزة . (انظر فى ذلك كله المقنع ٥٠ ـ ٥٢) .

٤ ـ قسم من أول (باب ذكر نقط ما نقص هجاؤه) .

وقد ذكر المؤلف كيفية نقط أكثر هذه الحروف باختصار فى (باب ذكر أحكام نقط ما نقص هجاؤه) وفى (باب ذكر أحكام نقط ما زيد فى هجائه) من «كتاب النقط» (١٤٦ ـ ١٤٩) الذى ألحقه بكتاب «المقنع ») . (المحكم: ١٧٤ ـ ١٨٠).

الياء: أما الياء التى تحتاج إلى علامة تدل على زيادتها فقد وقعت فى ثلاثة أنواع:

أولاً: زيدت بعد همزة مكسورة لم يتقدمها ألف وذلك فى ﴿أفإين مات﴾ بآل عمران و ﴿أفإين مت﴾ بالأنبياء و﴿من نبإىء المرسلين﴾ بالأنعام وفى ملأ المجرور والمضاف إلى الضمير على الراجح .

ثانيا: زيدت بعد همزة مكسورة قبلها وذلك فى (تلقاءى) وأخواته كآناءى ـ ومثله اللاءى على القول بزيادة الياء فيه .

ثالثا: زيدت بعد ياء ساكنة وذلك فى ﴿تأييد﴾ فى الذاريات على ما هو المختار .

أما ﴿بأييكم المفتون﴾ فى سورة [ن] فضبطه أن تعرى الياء الأولى من العلامة مع تشديد الثانية للإدغام وهو الصحيح المعمول به .

الواو: وأما الواو التى تحتاج إلى علامة تدل على زيادتها فقد اتفق الرسام على أنها وقعت فى أربع كلمات مبدوءة بهمزة مضمومة وهى (أولو ـ وأولت ـ وأولى ـ وأولاء) كيف تصرفت وفى ﴿سأوريكم﴾ بالأعراف والأنبياء ﴿ولأوصلبنكم﴾ فى طه والشعراء على بعض الأقوال .

وكذا (هؤلاء) عند النحاة وصورته عندهم هكذا: (هؤلاء) لأن الواو عندهم زائدة مثلها فى (أولاء) و (أولى) وليس معمولا به عندنا) (السبيل / ٤٧ ـ ٤٩) .

أما عن الدارة التى سبقت الإشارة إليها، والتى تجعل على الحروف الزوائد والحروف المخففة، وأصلها ومعناها فيقول عنها الإمام أبو عمرو الدانى:

اعلم أن نُقاط سلف أهل المدينة وأهل بلدنا اصطلحوا على جعل دارة صغرى بالحمراء على الحروف الزوائد فى الخط، المعدومة فى اللفظ، وعلى الحروف المخففة باتفاق أو اختلاف، علامة لذلك، ودلالة على حقيقة النطق به .

فالحروف الزوائد نحو الألف فى قوله: ﴿مائة﴾ و ﴿مائتين﴾ [الأنفال: ٦٥ ، ٦٦] و ﴿لا تايئسوا﴾ [يوسف: ٨٧] و ﴿إنه لا يايئس﴾ [يوسف: ٨٧] و ﴿أفلم يايئس﴾ [الرعد: ٣١] وكذلك: ﴿تفتؤا﴾ [يوسف: ٨٥] و ﴿يعبؤا﴾ [الفرقان: ٧٧] و ﴿يبدؤا﴾ . وكذلك: ﴿لن ندعوا﴾ [الكهف: ١٤] و ﴿ليبلوا﴾ [محمد: ٤]، وكذلك: ﴿أنا ومن اتبعنى﴾ [يوسف: ١٠٨] و ﴿أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١] و ﴿أنا ربك﴾ [طه: ١٢] وشبهه . ونحو الياء فى قوله: ﴿من نبإى المرسلين﴾ [الأنعام: ٣٤] و ﴿أفأين مت﴾ [الأنبياء: ٣٤] و ﴿أفأين مات﴾ [آل عمران: ١٤٤] و ﴿ملإيه﴾ [الأعراف: ١٠٢] و [يونس: ٧٥] و ﴿ملإيهم﴾ [يونس: ٨٣] وشبهه، على مذهب من جعل الألف قبلها هى الهمزة . ونحو الواو فى قوله: ﴿أولئك﴾ و ﴿أولى﴾ و ﴿أولوا﴾ و ﴿أولت﴾ [الطلاق: ٤ ، ٦] وشبهه .

والحروف المخففة باتفاق نحو قوله: ﴿العادون﴾ [المؤمنون: ٧] و ﴿من العالين﴾ [صٓ: ٧٥] و ﴿صدق المرسلون﴾ [يسٓ: ٥٢] و ﴿قطعنا دابر﴾ [الأعراف: ٧٢] و ﴿ترى الذين كذبوا﴾ [الزمر: ٦٠] و ﴿ربت﴾ [الحج: ٥]

و[فصلت: ٣٩] و ﴿مكروا﴾ [آل عمران: ٥٤] و ﴿مكرنا﴾ [النمل: ٥٠] و ﴿من ثلثى الليل﴾ [المزمل: ٢٠] و ﴿يا صاحبى السجن﴾ [يوسف: ٣٩، ٤١] و ﴿تعيها﴾ [الحاقة: ١٢] و ﴿حملناه﴾ [القمر: ١٣] و ﴿حملت الأرض﴾ [الحاقة: ١٤] وشبهه .

والمخففة باختلاف نحو: ﴿وخرقوا له﴾ [الأنعام: ١٠٠] (وقد قرأ نافع «وخرَّقوا» بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها) و﴿أمن هو قانت﴾ [الزمر: ٩] (وقد قرأ الحرميان وحمزة «أمن هو» بتخفيف الميم والباقون بتشديدها) .

و﴿ما كذب الفؤاد﴾ [النجم: ١١] . (وقد قرأ هشام «ما كذَّب الفؤاد» بتشديد الذال، والباقون بتخفيفها) و ﴿فقدَرنا﴾ [المرسلات: ٢٣] (وقد قرأ نافع والكسائى «فقدَّرنا» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها، و ﴿عرَّف بعضه﴾ [التحريم: ٣] (وقد قرأ الكسائى «عَرف بعضه» بتخفيف الراء، والباقون بتشديدها) و ﴿فقَدر عليه﴾ [الفجر: ١٦] (وقد قرأ أبو جعفر وابن عامر «فقدَّر» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها) و ﴿جمَع مالاً﴾ [الهُمزة: ٢] (وقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى «جمَّع مالاً» بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها) وشبهه .

وقد كان بعض شيوخنا من أهل النقط لا يجعلون الدارة إلا على الحروف الزوائد لا غير، لعدمها فى النطق. ولا يجعلونها على الحروف المخففة، من حيث كان عدمها من علامة التشديد دليلاً على تخفيفها. فلم تحتج لذلك [إلى] علامة أخرى. وهو مذهب حسن .

غير أنى بقول أهل المدينة أقول، وبما جرى عليه استعمالهم أنقُط. كما حدثنا أحمد بن عمر، قال نا محمد بن أحمد، قال نا عبد الله بن عيسى، قال نا قالون، قال: فى مصاحف أهل المدينة ما كان من حرف مخفف فعليه دارة حمرة .

***

قال أبو عمرو: وهذه الدارة التى تجعل على الحروف الزوائد، وعلى الحروف المخففة هى الصفر اللطيف الذى يجعله أهل الحساب على العدد المعدوم فى حساب الغبار، دلالة على عدمه، لعدم الحرف الزائد فى النطق، وعدم التشديد فى الحرف المخفف سواء. فمن الصفر أخذت الدارة، وهو أصلها .

وليس شيء من الرسم، ولا من النقط اصطلح عليه السلف، رضوان الله عليهم، إلا وقد حاولوا به وجهًا من الصحة والصواب، وقصدوا فيه طريقًا من اللغة والقياس، لموضعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة. علم ذلك من علمه، وجهله من جهله. والفضل بيد الله، يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم. (المحكم/ ١٩٣-١٩٦) .

أما ما جاء عن الحروف الزائدة فى رسم المصحف من نظم فقد أورد الإمام الخراز صاحب «مورد الظمآن» بابا فى الحروف الزائدة ننقله فيما يلى، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص :

باب الحروف الزائدة

٣٣٦ وهاك ما زيد ببعض أحرف ... من واو أو من ياء أو من ألف

٣٣٧ فمائة ومائتين فارسمن ... بألف للفرق مع لأاذبحن

٣٣٨ ومع لكنا لشيء وهما ... فى الكهف وابن وأنا قل حيثما

٣٣٩ لا تايئسوا يايئس وقل عن بعضهم ... فى استايئسوا استايئس أيضا قد رسم

٣٤٠ لأ اوضعوا وابن نجاح نقلا ... جيء لأانتم لأاتوها لإالى

٣٤١ وجاء أيضًا لا إلى جائْ معا ... لدى العقيلة وكل نسفعا

٣٤٢ إذًا يكونا لأهب ونونا ... لدى كأين رسموا التنوينا

٣٤٣ وزيد بعد فعل جمع كاعدلوا ... واستعوا وواو كاشفوا ومرسلوا

٣٤٤ لكن من باءوا وتبوءو رووا ... إسقاطها وبعد واو من سعو

٣٤٥ فى سبأ ومثلهـا إن فـاءوا
عتـوا عتـواً وكـذاك جـاءو
٣٤٦ وبعـد واو الفـرد أيضـا ثبتت
وبعـد أن يعفـو مع ذو حـذفت
٣٤٧ ولـؤلـؤاً منتصبـا يكـون
بألف فيـه هـو التنـوين
٣٤٨ وزاد بعض فى سـوى ذا الشكل
تقـويـة للهمـز أو للفصل

فصل زيادة الياء

٣٤٩ فصل ويـاء زيـد من تلقـاىء
وقبل ذى القـربى أتى إيتـاىء
٣٥٠ وقبل فى الأنعـام قبل من نبـاىء
ومـا خفضت من مضـاف مـلا
٣٥١ بـأييكـم أو مـن وراىء ثـم مـن
ءانـاىء مع حـرف بأييـد أفـائن
٣٥٢ والغـاز فى الـروم معـا لقـاىء
واليـاء عـن كـلٍّ بلفظ الثـى

فصل زيادة الواو

٣٥٣ فصل وفى أولى أولـوا أولات
واو وفى أولاء كيف يـاتـى
٣٥٤ وعن خـلاف ساوريكم دون مين
ولأصلبنكـم فى الآخـريـن

(متن ورد الظمآن/ ٣٢ ، ٣٣) .

وقال بعضهم :

القـول فيمـا زاد فى الهجـاء
مـن ألـف أو واو أو مـن يـاء
فكل مـا الألـف فيـه أدخـلا
كقـولـه لا أذبحـن لا إلـى
وشبهـه ممـا بقى فـالمتصل
بـالـلام صـورة وقيل المنفصل
وزيـد فى مـائة وجـائ
وتـايئسـوا وشبهـه مجيئـا
وبعـد واو الفـرد ثم تفتـؤا
وبـابـه وفى الـربـوا وفى امـرؤا
وزيـد أيضـا يـاء من آنـاءى
وبـابـه والـواو فى أولاء
وآخـر اليـاءين من بأييـد
للفـرق بينـه وبين الأيـدى
فـدارة تلـزم ذا المـزيـدا
من فـوقـه عـلامـة إن زيـدا
وشـدد الثـانى من بأييكم
وعَسـرٌ أولا لمـا قـد يـدغم

(السبيل/ ٤٩) .

(السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ـ فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار / ٤٧ ـ ٤٩ ، والمحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو الدانى ـ عنى بتحقيقه د. عزة حسن/ ١٧٤ ـ ١٨٠ ، ١٩٣ ـ ١٩٦ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص ، ومتن مورد الظمآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز ـ حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى/ ٣٢ ، ٣٣) .

انظر : حذف الألفات فى رسم المصحف ، حذف اللام فى رسم المصحف ، حـذف الـواوات فى رسم المصحف ، حذف الياءات فى رسم المصحف .

الحروف (صفاتها)

مما يتصل بعلم التجويد والتلاوة معرفة صفات الحروف ، وعن هـذه الصفات يقول الأستاذ الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل :

المخرج للحرف كالميزان تعرف به ماهيته وكميته ، والصفة كالمحك والناقد تعرف بها هيئته وكيفيته ، فبيان مخرج الحرف يعرف مقداره فلا يزاد فيه ولا ينقص ، وإلا كان لحنًا ، وببيان صفته تعرف كيفيته عند النطق به من سليم الطبع كجرى الصوت وعدمه .

وتحقيق ذلك : أن الهواء الخارج من الرئة وهو موضع النفس، والقلب كالغشاء، إن خرج بدفع الطبع من غير أن يسمع يسمى «نفَسًا» ـ بفتح الفاء ـ وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج يسمع بسبب جسمين يسمى «صوتا» وإن عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب اعتماده على مقطع أى مخرج محقق ، وهو الذى ينقطع فيه الصوت كجزء من الحلق، أو اللسان، أو الشفتين، أو الخيشوم، أو اعتماده على مخرج مقدر وهو الذى لم ينقطع فيه الصوت، بل قدروا له مخرجا هو الجوف والحلق والفم سمى ذلك الصوت «حروفا» .

وإن عرض للحروف كيفيات أخر بسبب جرى الصوت وعدمه، أو قوة الاعتماد على المخرج وعدمها أو نحو ذلك سميت تلك الكيفيات «صفات» ثم إن النفس الخارج إن تكيف بكيفية الصوت، وكان ذلك الصوت قويا كان الحرف مهموسًا، وإذا انحصر صوت الحرف فى مخرجه انحصارًا تامًّا حتى لا يكون له جريان أصلا سمى الحرف شديدًا، فإذا وقفت على «حجج» ـ مثلا ـ وجدت صوتك محصورًا حتى لو أردت مد صوتك لا تستطيع إلى ذلك سبيلاً .

وأما إذا جرى جريانا تاما بحيث لا يكون له انحصار أصلاً فإن ذلك الحرف يسمى رخوًا ، كما لو وقفت على «العرش» فإنك تجد صوت الشين جاريًا تستطيع أن تمده حيث شئت .

فإن لم يكن الانحصار تاما، ولا الجرى كاملا فإن هذا الحرف يكون متوسطا بين الشدة والرخاوة، كما لو وقفت على « الظل » فإنك تجد أن صوتك لا ينحصر انحصاره فى الوقف على « حجج »، ولا يجرى جريه فى الوقف على « العرش » بل يكون معتدلا متوسطا وقس ما لم تذكره على ما ذكرناه .

فائدة معرفة الصفات :

لمعرفة صفات الحروف فوائد :

الأولى : تمييز الحروف المشتركة فى المخرج .

قال الإمام ابن الجزرى : « كل حرف شارك غيره فى المخرج فإنه لا يمتاز عنه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره فى الصفات فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج ولولا ذلك لاتحدت أصوات الحروف فى السمع، فكانت كأصوات البهائم لا تدل على معنى، ولما تميزت ذواتها .

وهذا معنى قول المازنى : « إذا همست وجهرت، وأطبقت وفتحت اختلفت أصوات الحروف التى من مخرج واحد » .

وقال الرمانى وغيره : لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، لأنه ليس بينهما فرق إلا الإطباق، ولصارت الظاء ذالا، ولصارت الصاد سينا .

الفائدة الثانية : معرفة القوى من الضعيف، ليعلم ما يجوز إدغامه وما لا يجوز فإن ما له قوة ومزية على غيره لا يجوز إدغامه فى ذلك الغير، لئلا تذهب تلك المزية .

الفائدة الثالثة : تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج .

فقد اتضح لك بهذا أن فائدة معرفة الصفات التمييز والتحسين ومعرفة القوة والضعف .

معنى الصفة :

والصفة فى اللغة ما يقوم بغيره كالعلم والجهل، والفرح والحزن ، والصبر والجزع . وما إلى ذلك من الصفات التى تقوم بالإنسان . وكالسواد والبياض، والزرقة والاصفرار، إلى غير ذلك من الصفات التى تقوم بالإنسان وغيره، فلا فرق فى الصفة بين أن تكون معنوية أو حسية .

وفى الاصطلاح : كيفية يوصف بها الحرف عند حلوله فى مخرجه وتوجب مراعاتها تحسين النطق بالحرف : كالهمس، والجهر، والاستعلاء والاستفال . إلى غير ذلك .

وبهذه الصفات تتميز الحروف المشتركة فى المخرج بعضها من بعض .

تقسيم الصفات :

تنقسم الصفات باعتبار اللزوم والعروض إلى قسمين :

القسم الأول ـ الصفات الذاتية اللازمة للحرف، بحيث لا تنفك عنه مطلقا سواء كان ساكنا أم متحركا بأية حركة .

القسم الثانى ـ الصفات العرضية التى تعرض للحرف حينا وتفارقه حينا .

فأما الصفات الذاتية :

فقد اختلف العلماء قديما وحديثا فى عددها على مذاهب متعددة ، والذى جنح إليه إمام الفن العلامة ابن الجزرى أنها سبع عشرة صفة ، وقد اقتفى أثره جمهور من أتى بعده من العلماء فعدوها سبع عشرة أيضا . ولنبدأ ببيان الصفات الذاتية وما يتعلق بها ، ثم نثنى ببيان الصفات العرضية ـ إن شاء الله تعالى فنقول :

تنقسم الصفات الذاتية بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين : قسم له ضد ، وهو خمس صفات ، وضده كذلك ، وقسم لا ضد له وهو سبع صفات . فالصفات الخمس التى لها ضد : الهمس وضده الجهر ، والشدة ، وضدها الرخاوة ، والاستعلاء وضده الاستفال ، والإطباق وضده الانفتاح ، والاذلاق وضده الإصمات فتلك عشر صفات .

والصفات التى لا ضد لها سبع وهى . الصفير ، والقلقلة ، واللين ، والانحراف ، والتكرير ، والتفشى ، والاستطالة ، فتكون جملة الصفات سبع عشرة صفة كما ذكرنا وعلى هذا لا يكون التوسط بين الشدة والرخاوة صفة وهذا مذهب ابن الجزرى ومن حذا حذوه ، والذى أراه أن التوسط صفة مستقلة لأن حقيقته تغاير حقيقة غيره من الصفات .

واعلم أن كل حرف من حروف الهجاء لا بد أن يتصف بخمس صفات من المتضادة ، فيتصف بالهمس أو الجهر ، وبالشدة أو الرخاوة أو التوسط ، وبالاستعلاء أو الاستفال ، وبالإطباق أو الانفتاح ، وبالإذلاق أو الإصمات ، فيكمل له خمس صفات وأما غير المتضادة فقد يتصف منها بصفة ، وقد يتصف بصفتين ، وقد لا يتصف منها بشىء ، فحينئذ لا تقل صفات أى حرف عن خمس صفات . ولا تزيد عن سبع .

(أ) الصفات التى لها ضد :

هى : ١ ـ الهمس ٢ ـ الجهر ٣ ـ الشدة ٤ ـ الرخاوة (انظر كلا تحت عنوانه) ٥ ـ التوسط بين الشدة والرخاوة :

التوسط معناه فى اللغة : الاعتدال وفى الاصطلاح : اعتدال الصوت عند النطق بالحرف ، وحروفه خمسة جمعها بعضهم فى قوله : « لن عمر » وهى اللام ، والنون ، والعين ، والميم ، والراء .

ووصفت هذه الحروف بالتوسط لتوسط أمر الصوت والنفس معها ، حيث إنهما لم ينحبسا مع هذه الحروف انحباسهما مع حروف الشدة ، ولم يجريا معها جريانهما مع حروف الرخاوة ، بل يكونان فى حال متوسطة بين الإحباس والجرى . قال بعض الكاتبين : وبالمثال يظهر الفرق فلو نطقت بالجيم ساكنة بأن وقفت على « الحج » لوجدت صوتك راكدا محصورا ، ولو أردت أن تمده لم يمكنك ، ولو نطقت بالسين ساكنة كأن وقفت على « الناس » لوجدت صوتك جاريا غير محصور تستطيع أن تمده حيث تريد . ولو نطقت باللام ساكنة بأن وقفت على « يعمل » لوجدت صوتك بين بين أى : ليس محصورا انحصاره مع الشدة ، ولا جاريا جريانه مع الرخاوة ، بل يكون فى حال متوسطة بين الصفتين : الشدة والرخاوة .

واعلم أن كلا من حروف الشدة وحروف الرخاوة ينقسم إلى مجهورة ومهموسة . أما الشديدة المجهورة فهى ستة أحرف الهمزة وحروف « قطب جد » وأما الشديدة المهموسة فالكاف والتاء الفوقية .

وأما الرخوة المجهورة فثمانية أحرف ، الضاد ، والظاء ، والذال ، والغين المعجمة والزاى والألف والواو والياء سواء كانا مديين أم لا .

وأما الرخوة المهموسة فثمانية أحرف ، وهى حروف الهمس ما عدا الكاف والتاء ، وأما الحروف البينية فكلها مجهورة .

فظهر من هذا التفصيل أن كلا من المجهورة والمهموسة تنقسم إلى شديدة ورخوة وإن كان للمجهورة قسم آخر وهو البينية .

ثم أعلم أن مبدأ أصوات جميع الحروف عند الجهر بالقراءة جهرى . ولو كان الحرف مهموسا ، وأن صوت الحرف ولو كان مجهورا لا يتحقق بدون النفس ؛ لأن حقيقة الصوت هو النفس المسموع ، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس معه ، وجريه يستلزم جريه .

وأن نفس الحرف وإن كان مهموسا لا ينفك عن الصوت ؛ لأن حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج ــ كما سبق ــ وأن نفس الحرف المجهور قليل، ونفس الحرف المهموس كثير، فما ذكر أنه قد يجرى النفس ولا يجرى الصوت كالكاف والتاء فمعناه أنه يجرى النفس الكثير ولا يجرى الصوت القوى الذى حصل فى مبدأ الحرف، وليس المراد نفى جريان الصوت بالكلية، ألا ترى أنه ذكر أن صوت الشين فى « العرش » يجوز لك أن تمده إن شئت، مع أن الشين مهموس كالكاف والتاء .

وما ذكر أنه قد يجرى الصوت ولا يجرى النفس كالضاد والغين المعجمتين فمعناه أنه يجرى القوى ولا يجرى معه نفس كثير كما يجرى مع المهموس وليس المراد نفى جريان النفس بالكلية . ألا ترى أن الرخاوة جريان الصوت والنفس معا ؟

إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحروف ونَفَسه إما أن تحتبسا بالكلية فيحصل صوت شديد، وذلك فى حروف الشدة، أو لا يحتبسا أصلا بل يجريان جريانا كاملا، وذلك فى حروف الرخاوة، أو يتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجرى وذلك فى الحروف البينية، فهذه ثلاثة أنواع :

ففى النوع الأول : إن جرى بعد ذلك الاحتباس نَفَسٌ كثير فالحرف شديد مهموس، وإن لم يجر فالحرف شديد مجهور.

وفى النوع الثانى : إن كان صوت الحرف جاريا كله مع نفس قليل فالحرف رخو مجهور، وإن كان جاريا كله مع نفس كثير فالحرف رخو مهموس .

وقد عرفت أن المهموس فى اصطلاحهم ما كان بعض صوته خفيا عند الجهر بالقراءة، وهو آخره، لأن مبدأه جهرى ألبتة، ولا تجد حرفا كل صوته خفى عند الجهر بالقراءة، فمن عد الكاف والتاء من المجهورة بناء على أن الشدة تؤكد الجهر فقد وهم . إذ لو كان كذلك لكانت جميع الحروف مجهورة .

والنوع الثالث : مجهور كله .

فإن قيل : الهمس جريان النفس وهو يستلزم جريان الصوت والشدة احتباس الصوت وهو يستلزم احتباس النفس فبين الهمس والشدة تناقض فكيف تكون الكاف والتاء، مهموستين شديدتين ؟

قلت : الشدة فى وقت والهمس فى وقت آخر، فشدتهما باعتبار الابتداء وهمسهما باعتبار الانتهاء، فإن الصوت يجرى معهما آخراً؛ وشرط التناقض أن تكون الزمن متحدا، وهنا قد اختلف فلم يوجد تناقض . ففى كل منهما صوتان : الأول : قوى، والثانى : ضعيف .

وقولنا : والثانى ضعيف احتراز عن حروف القلقلة، فإنها وإن كان فيها صوتان إلا أن ثانيهما قوى .

٦ ـ الاستعلاء : سبق أن أوردناه فانظره فى موضعه فى م ٤/ ٢٧٤ .

٧ ـ الاستفال : سبق أن أوردناه فانظره فى موضعه فى م ٤/ ٢٨٢ .

٨ ـ الإطباق : سبق أن أوردناه فانظره فى موضعه فى م ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣ .

٩ ــ الانفتاح، ومعناه فى اللغة : الافتراق، وفى الاصطلاح : افتراق اللسان عن الحنك الأعلى بحيث يخرج الريح من بينهما عند النطق بحروفه، وحروفه خمسة وعشرون حرفا. وهى ما عدا حروف الإطباق الأربعة ووصفت هذه الحروف بالانفتاح لافتراق وتجافى اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بها حتى لا يكون الصوت محصورا بينهما .

والانفتاح أعم من الاستفال، فكل مستفل منفتح ولا عكس، لأن القاف والخاء والغين المعجمتين منفتحة وليست مستفلة .

قال بعضهم : إن الحنك الأعلى ينطبق على وسط اللسان وينحصر الصوت بينهما عند خروج الجيم ، فكان مقتضى هذا أن تعد من حروف الإطباق فَلِمَ لَمْ تعد من حروفه وعدت من حروف الانفتاح ؟

ثم أجاب عن ذلك : بأن حقيقة الإطباق لا تتحقق إلا باستعلاء أقصى اللسان عند النطق بالحرف. ولما كان هذا المعنى منتفيا عند النطق بالجيم لم تعد من حروف الإطباق .

١٠ ـ الذلاقة : سبق أن أوردناها تحت عنوان « الإذلاق » فانظرها فى موضعها فى م ٣/ ٥٠١، ٥٠٢ .

١١ ـ الإصمات : الإصمات ، ومعناه فى اللغة : المنع ، لأنه من صمت إذا منع نفسه من الكلام ، وفى الاصطلاح : منع انفراد هذه الحروف أصولا فى كلمة تزيد عن ثلاثة أحرف بأن كانت أربعة أو خمسة ، وذلك أن كل كلمة عربية بنيت على أربعة أحرف أو خمسة أصول لا بد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف أو أكثر من الحروف المذلقة ، وإنما وصفت هذه الحروف ، بالإصمات لأنها حروف ، أصمت ، أى منعت أن تختص ببناء كلمة فى لغة العرب إذا كثرت حروفها بأن كانت أربعة أو خمسة من غير أن يوجد معها حرف من حروف الإذلاق .

وعلة ذلك : أن حروف الإصمات صعبة على اللسان ، وحروف الإذلاق سهلة عليه ، فمنعوا انفراد حروف الإصمات واشترطوا أن يكون معها حرف أو أكثر من حروف الإذلاق ، لتعادل خفة المذلق ثقل المصمت ، ومن ثم قيل : إن كلا من كلمة « عسجد » اسم للذهب ، وكلمة « عسطوس » اسم للخيزران ـ دخيل فى كلام العرب لتمخض تركيبه من الحروف المصمتة ومثل ذلك كل كلمة رباعية أو خماسية لم يوجد فيها حرف مذلق .

واعلم أن هاتين الصفتين الإذلاق والإصمات ، لا دخل لهما فى تجويد الحروف فكان الأولى عدم عدهما من الصفات ، لأن الكلام فى الصفات إنما يعنى الصفات التى يطلب من القارئ مراعاتها من تحقيق التلاوة وجودة الأداء ، ومراعاة هاتين الصفتين لا يترتب عليه شىء من ذلك ، ومن أجل هذا أهمل ذكرهما كثير من المحققين منهم : الإمام الشاطبى رضى الله عنه .

واعلم أن كل صفة من هذه الصفات الإحدى عشرة تضاد الأخرى ويوصف الحرف بإحدى الصفتين المتضادتين ، فالهمس يضاد الجهر ، والشدة تضاد التوسط والرخاوة ، والاستعلاء يضاد الاستفال ، والإطباق يضاد الانفتاح ، والإذلاق يضاد الإصمات .

فكل حرف لا بد أن يأخذ صفة من الصفتين المتضادتين فيكمل له خمس صفات حتما ما عدا الألف والواو والياء المديتين فإن هذه الأحرف الثلاثة لا تتصف بشىء من هذه الصفات الإحدى عشرة .

وإلى هنا تم الكلام على الصفات التى لها ضد .

(ب) الصفات التى لا ضد لها :

هى : ١٢ الصفير ١٣ ـ القلقلة ١٤ ـ اللين (انظر كلا تحت عنوانه) .

١٥ ـ الانحراف : ومعناه فى اللغة : الميل عن الشىء والعدول عنه ، وفى الاصطلاح : الميل بالحرف عن مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره ، وهو صفة لازمة لحرفين ، اللام والراء . وإنما وصفا بالانحراف لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما ، فاللام فيها انحراف وميل إلى طرف اللسان ، والراء فيها انحراف إلى ظهر اللسان جانحة قليلا إلى جهة اللام .

١٦ ـ التكرير : ومعناه فى اللغة : إعادة الشىء مرة بعد أخرى ، وفى الاصطلاح ارتعاد رأس اللسان ـ أى اهتزازه ـ عند النطق بالحرف وهو صفة لازمة للراء ، ووصفت الراء بالتكرير لقبولها له . فهو وصف لها بالقوة لا بالفعل ، كوصفهم إنسانا بالضحك إذا كان غير ضاحك بالفعل ، باعتبار كونه قابلا لهذه الصفة ، وكوصفهم أميا بالقراءة والكتابة نظرا لكونه مستعدا لهما ، ومهيأ لقبولهما .

قال الإمام مكى فى الرعاية : والراء حرف قابل للتكرير ، ويظهر تكريره جليا إذا كان مشددا فيجب على القارئ أن يخفى تكريره ولا يظهره فمتى أظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفا ، ومن المخفف حرفين . ثم قال : والتكرير فى الراء المشددة أظهر وأحوج إلى الإخفاء منه فى المخففة انتهى .

وقال العلامة الجعبرى : وطريق السلامة منه ـ أى التكرير ـ أن يلصق اللافظ به رأس لسانه بأعلى حنكه لصقا محكما ، مرة واحدة بحيث لا يرتعد لأنه متى ارتعد حدث من كل مرة راء ، فهذه الصفة يجب أن تعرف لتجتنب ولا يؤتى بها ، وذلك كالسحر يعرف ليجتنب ، بخلاف سائر الصفات فإنها تعرف ليعمل بها . انتهى .

وقال المرعشى : ليس معنى إخفاء تكريره إعدام تكريره بالكلية بإعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية ، لأن ذلك لا يمكن إلا بالمبالغة فى إلصاق رأس اللسان باللثة بحيث ينحصر

الصوت بينهما بالكلية كما فى الطاء المهملة وذلك خطأ لا يجوز ؛ لأن ذلك يؤدى إلى أن تكون الراء من الحروف الشديدة مع أنه من الحروف المتوسطة ، بل معناه تقوية ذلك الإلصاق بحيث لا يتبين التكرار والارتعاد فى السمع لئلا يتولد من الراء مثلها انتهى .

١٧ ـ التفشى ، ومعناه فى اللغة : الانتشار والانبثاث ، وقيل : معناه لغة : الاتساع ، يقول : تفشت القرحة إذا اتسعت ، وفى الاصطلاح : انتشار الريح فى الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء المشالة ، ووصفت الشين بالتفشى لأنها لرخاوتها ينتشر الريح فى الفم ... اللفظ بها حتى يتصل بمخرج الظاء ، ولكن هذا على سبيل التخيل والتوهم لا على سبيل الحقيقة ؛ لأن الريح لم يتصل بمخرج الظاء حقيقة بل كان قريبا من مخرجها ، فلقربه من مخرجها يخيل للسامع أنه متصل به .

قال الإمام مكى فى الرعاية : معنى التفشى : كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطة فى الخروج عند النطق بالحرف .

وجعل بعض العلماء التفشى صفة لبعض الحروف غير الشين وهى الفاء ، والثاء والصاد ، والضاد ، والسين ، والراء ، انتهى .

وقال المرعشى : وبالجملة فالحروف المذكورة مشتركة فى كثرة انتشار خروج الريح ، ولكن الانتشار فى الشين أكثر ، ولذلك اتفق العلماء على تفشيه ، وفى الباقى من الحروف المذكورة قليل بالنسبة إلى الشين ، ولذلك لم يصفها أكثر العلماء بالتفشى . انتهى .

١٨ ـ الاستطالة :

قالت المؤلفة : سبق أن أوردنا نبذة قصيرة عن الاستطالة تحت عنوانها فى م ٤ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، وندرجها هنا مستوفاة لارتباطها بالموضوع ، وإتماما للفائدة .

الاستطالة ، ومعناها فى اللغة : الامتداد . وفى الاصطلاح : امتداد الصوت من أول إحدى حافتى اللسان إلى آخرها وهى صفة لازمة للضاد المعجمة ، ووصفت بالاستطالة لامتدادها فى مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام .

والفرق بين الاستطالة والمد مع أن فى كل منهما امتداد ـ أن الاستطالة امتداد الحرف فى مخرجه المحقق مع انحصاره فيه ، وأما المد فهو امتداد الصوت عند النطق بحروفه دون انحصار فى المخرج إذ ليس له مخرج محقق حتى ينحصر فيه ، بل مخرجه مقدر ، فلا ينقطع المد إلا بانقطاع الهواء .

هذا وقد أوصل الإمام مكى بن أبى طالب فى كتابه « الرعاية » صفات الحروف إلى أربع وأربعين صفة ، وعد منها الثمانى عشرة صفة التى سبق شرحها .

ومنها صفة الجرس : وتوصف بها الهمزة ، فيقال : الهمزة حرف جرس ، وصفت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها ، ولذلك استثقلت فى الكلام فجاز فيها التحقيق ، والتخفيف بالبدل ، والحذف ، والتسهيل إلى غير ذلك . والجرس فى اللغة : الصوت ، وجميع الحروف وإن كان يصوت بها عند النطق ولكن للهمزة مزية على غيرها فى ذلك .

ومنها صفة الهتف : وتوصف بها الهمزة أيضا فيقال : الهمزة حرف مهتوف وصفت بذلك لخروجها من الصدر ، فيحتاج إلى ظهور صوت قوى شديد ، والهتف : الصوت ، يقال : هتف به إذا صوت .

وهو فى المعنى بمنزلة تسميتهم الهمزة حرفا جرسيا ؛ لأن الجرس : الصوت الشديد ، والهتف الصوت الشديد ، فوصفت الهمزة بذلك لشدة الصوت بها وقوته ، وذكر بعض العلماء فى موضع « المهتوف » بتاءين . قال لأن الهمزة إذا وقف عليها لانت ، وصارت إما واوا ، وإما ياء ، وإما ألفا .

ومنها صفة الإمالة : أوردناها تحت عنوانها فى م ٦ / ٣٤ فانظرها فى موضعها .

وكما قلنا أنها توصف بها الحروف الثلاثة : الألف ، والراء ، وهاء التأنيث ، وسميت حروف الإمالة لأن الإمالة فى

كلام العرب لا تكون إلا فيها ، لكن الألف وهاء التأنيث لا يمكن إمالتهما إلا بإمالة الحرف الذى قبلهما . وهاء التأنيث لا تمال إلا فى الوقف، والراء تمال وصلا ووقفا، ومثلها الألف إذا وقعت قبل محرك .

ومنها صفة المزج والخلط : وتوصف بها بعض الحروف الفرعية مثل الهمزة المسهلة ، والصاد التى مزج صوتها بصوت الزاى، والألف الممالة وسميت هذه الحروف بذلك لما فيها من مزج وخلط أحد حرفين أصليين بالآخر حتى تولد منهما حرف فرعي ويقال لها : الحروف المشربة والمخالطة ـ بكسر اللام وفتحها ـ لما فيها من إشراب حرف بحرف آخر، ومخالطة كل من الحرفين للآخر .

ومنها صفة التفخيم ، وتوصف بها حروف الإطباق ، وحروف الاستعلاء، والراء ، واللام ، والألف فى بعض أحوالهن (مختصر أحكام التجويد / ٨١ـ١٠٣) .

قالت المؤلفة : أوردنا مادة التفخيم والترقيق فى م ١٠/ ٩٨ ـ ١٠٢ فانظرها فى موضعها .

ومنها صفة الغُنَّة ، ونفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى وقد صاغ صفات الحروف هذه نظما الإمام ابن الجزرى فقال :

صفاتها جهر ورخو مستفل
منفتح مصمتة والضد قل
مهموسها فحثه شخص سكت
شديدها لفظ أجد قط بكت
وبين رخو والشديد لن عمر
وسَبْعُ عُلو لن خَصَّ ضَغْط قِظْ حَصِر
وصاد ضاد طاء ظاء مطبقه
وفر من لُبِّ الحروف المذلقه
صفيرها صاد وزاى سين
قلقلة قطب جد ، واللين :
واو وياء سكنا وانفتحا
قبلهما والانحراف صححا
فى اللام والراء بتكرير جعل
وللتفشى الشين ضادا استطل

(إيضاح تحفة الأطفال / ١٣ ، ومتن الجزرية / ١١ ـ ١٤) .

كما قال الإمام ابن الجزرى أيضا فى استعمال الحروف :

وهمز الحمد أعوذ اهدنا
الله ثم لام لله لنا
وليتلطف وعلى الله ولا الض
والميم من مخمصة ومن مرض
وباء برق باطل بهم بذى
فاحرص على الشدة والجهر الذى
فيها وفى الجيم كحب الصبر
وربوة اجتثت وحج الفجر
وبين مقلقلا إن سكنا
وإن يكن فى الوقف كان أبينا
وحاء خصحص أحطت الحق
وسين مستقيم يسطو يسقو

(متن الجزرية / ١٧ ، ١٨) .

وقال الإمام الشاطبى فى صفات الحروف :

وغنة تنوين ونون وميم إن
سكن ولا إظهار فى الأنف يجتلى
وجهر ورخو وانفتاح صفاتها
ومستفل فاجمع بالأضداد أشملا
فمهموسها عشر حثت كسف شخصه
أجدَّت كقطب للشديدة مُثلا
وما بين رخو والشديدة عمر فل
وواى حروف المد والرخو كملا

وقظ خص ضغط سبع علو ومطبق
هو الضاد والظا أعجما وإن أهملا
وصاد وسين مهملان وزايها
صفير وشين بالتفشى تعمَّلا
ومنحرف لام وراء وكررت
كما المستطيل الضاد ليس بأغفلا
كما الألف الهاوى وآوى لعلة
وفى قطب جد خمس قلقلة علا
وأعرفهن القاف كل يعدها
فهذا مع التوفيق كاف محصلا

(متن الشاطبية / ١٧٩ ، ١٨٠) .

ومن المنظومات أيضا منظومة الشيخ إبراهيم بن سعد تلميذ الشيخ حسن الجرسى الكبير الموسومة بإغاثة الملهوف فى عدد صفات الحروف .

قالت المؤلفة : ورد عنوانها فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى ص ٢١٩ « إغاثة الملهوف فى مخارج الحروف » وهو خطأ فلزم التنويه . قال الناظم :

الحمد لله على الدوام
منزِّل القرآن بالأحكام
ثم الصلاة والسلام دائما
على نبى قد سَمَا ثُم نما
محمد وصحبه والآل
ومقرئ القرآن ثم التالى
وبعد هذا النظم فى الصفات
لكل حرف عد فى الآيات
تصريح ما قد قرر ابن الجزرى
فى نظمه المقدمه فاستقرى
سميته : إغاثة الملهوف
فى عدد الصفات للحروف
للحرف قل بخمسة أو ستة
أو سبعة فعى لهذا واثبت
وإن لحرف قلت وسَّط عنده
مابين رخو والشديد عُدَّه
أرجو به أن ينفع المحتاجا
بفهمه يكن له سراجا
للهمز جهر شدة ثم استفل
وافتح وأصمت قل له خمس نقل
للباء جهر شدة مستفله
كذا افتحن وأذلقن مقلقله
ست له والتا له خمس نقل
فاهمس وشد افتح له كذا استفل
وأصمت كذا لثا أهمس رخاء وافتحا
واستفل اصمت خمسة قد صححا
والجيم فاجهر شُدَّ واستفل بها
كذا افتح اصمت قلقلن ستٌّ لها
ثم اهمس الحاء رخ واستفل كذا
وافتح وأصمت خمسة قد أخذا
والخا اهمسن مع رخوة واستعلا
فتح وإصمات بخمس تجلى
ثم اجهر الدال شديدا مستفل
وافتح وأصمت قلقلن ست جعل
للذال جهر ثم رخو واستفا
لة فتح وإصمات فخمس يكتفى

للـراء قل سبع فـاجهـر وسِّطـا
كذا استفله ثم فافتح أذلقا [وسِّطن ، أذلقن]
كـذا انحـراف ثم تكـريـر جعل
فـذا تمـام سبعـة لهـا نقل
وخـذ صفـات الـزاى يـا من يعقل
جهـر ورخـو ثم فتح مستفل [مسفل]
وأصمتن وتـم بـالصفيـر
ست لهـا أتت بـلا نكيـر
واهمـس لسيـن ثـم رخ واستفـل
وافتـح وأصمـت واصفـرن ست نقل
وبعـد همس الشيـن رخ واستفل
وافتـح وأصمـت والتفشى قـد جعل
فهـذه ست وقـل للصـاد
همس ورخـو أطبقن يـا بـادى
مستعليـا زد الصفيـر مصمتـا
ست لهـا فـاحفظ لقـولى يـافتى
للضـاد ستـة بـلا شقـاق
جهـر ورخـو ثم بـالإطبـاق
مستعليـا ومصمتـا مستطـلا
فـاقبل وخـذ للطـاء ستـا تجمـلا
جهـرا وشـدة كـذا الاستعـلا
وأطبقـن وأصمتـن مقلقـلا
والظـا اجهـرن بـالـرخـو والإطبـاق
مستعليـا ومصمتـا يـا راقى
بـالخمس خـذ والعين فـافتح واجهـرا
كـذا استفـل وسِّط وأصمت تظفـرا
فهـذه خمس وقـل للغيـن
خمس أتـت أيضـا بغيـر مين
فـاجهـر ورخ وافتحن مستعليـا
وأصمتـن وكن لقـولى صـاغيـا
ثـم اهمس الفـاء رخـاء مـذلقـا
كـذا استفلهـا وافتحـن خمسـا ثقـا
للقـاف جهـر شـدة والصمت
واستعـل وافتـح قلقلـن ذى ست
واهمس بشـدة لكـاف وأصمتن
واستفـل افتـح خمسـة لهـا اثبتن
واحفـظ لست قـد أتت لـلام
فـاجهـر ووسِّط واستفل يـا سـامى
وافتـح وأذلقـن بـالانحـراف
والميم والنـون بـلا خـلاف
فـاجهـرهمـا وسطهمـا أسفلهمـا
وافتحهمـا أذلق فخمس لهمـا
للهـاء صمت ثم رخـو همس
واستفـل افتحهـا فتلك خمس
للـواو ستـة كمـا لليـاء
جهـر ورخـو واستفـل يـا رائى
كـذا افتحـن وأصمتن بـاللين
واحفـظ لنظمى تـدع بـالفطين
أبيـاتـه در زكـى فـاحسُب
مقـال إبـراهيم سعـد المـذنب
يغفـر لـه ذنـوبـه الغفـار
فإنـه مهيمـن ستـار
ثـم الصـلاة والسـلام سـرمـدا
على ختـام الأنبيـاء أحمـدا

والآل والصحب والأنصـــــــــار
وكـل عــــالـم وكـل قـــــارى
مــــا هبت النسيم فـى الأسحـــــار
أو مـــالـت الأغصــان بـــالأشجـــار

(مجموع مهمات المتون/ ٢١٩ـ ٢٢١، وكفاية المستفيد/ ٢٨٠ـ ٢٨٢). وعن تقسيم الصفات يقول الأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل:

تنقسم الصفات من حيث القوة والضعف إلى قسمين : قوية وضعيفة .

فالقوية : إحدى عشرة صفة وهى : الجهر، الشدة، الاستعلاء، الإطباق، الصفير، القلقلة . الانحراف، التكرير، التفشى، الاستطالة ، الغنة .

والضعيفة : ست : الهمس، الرخاوة ، الاستفال، الانفتاح، اللين ، الخفاء .

وتنقسم الحروف الهجائية من حيث القوة والضعف إلى خمسة أقسام :

وذلك أن الحرف إما أن تكون صفاته كلها قوية أم لا ، فإن كانت صفاته كلها قوية فهو أقوى الحروف، وإن لم تكن صفاته كلها قوية ، بل كان بعضها قويا ، وبعضها ضعيفا ، فإن كان معظمها قويا فإن الحرف حينئذ يكون قويا ، ويوصف بالقوة ، وإن كان معظمها ضعيفا فإن الحرف يكون ضعيفا ويوصف بالضعف . وإن تعادلت فيه صفات القوة وصفات الضعف فإنه يكون متوسطا ويوصف بالتوسط ، وإن كانت صفاته كلها ضعيفة فإنه يكون أضعف ويوصف بكونه من أضعف الحروف، فحينئذ تكون الأقسام خمسة ـ كما ذكرنا .

القسم الأول : الحرف الذى صفاته كلها قوية وهو الطاء فهو أقوى الحروف على الإطلاق .

القسم الثانى : الحروف التى معظم صفاتها قوى فتوصف بالقوة ويقال فيها : حرف كذا قوى أو من الحروف القوية وهى ثمانية أحرف : الباء ، الجيم ، الدال ، الراء، الصاد ، الضاد الظاء، القاف .

القسم الثالث : الحروف التى معظم صفاتها ضعيف فتوصف بالضعف ويقال فيها : حرف كذا ضعيف، أو من الحروف الضعيفة وهى عشرة أحرف: التاء، الخاء، الذال، الزاى، السين ، الشين ، العين ، الكاف، الواو ، الياء .

القسم الرابع : الحروف التى تعادلت فيها صفات القوة وصفات الضعف، فتوصف بكونها متوسطة ويقال فيها : حرف كذا متوسط وهى خمسة أحرف : الهمزة، الغين، اللام، الميم ، النون .

القسم الخامس : الحروف : التى صفاتها كلها ضعيفة فتوصف بكونها أضعف الحروف. ويقال فيها : حرف كذا أضعف أو من أضعف الحروف وهى سبعة أحرف: الثاء، الحاء، الفاء، الهاء، وحروف المد الثلاثة وهى : الألف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسورة ما قبلها (ملخص أحكام التجويد/ ١٠٥، ١٠٦) .

قال الشيخ السمنودى فى منظومته ، تحت عنوان ، «تقسيم الحروف» :

قـــوى أحـــرف الهجـــاء ضـــاد
بـــاقـــاف جيم دال ظـــا را صـــاد
والطـــاء أقـــوى والضعيف سين
ذال وزاى تـــــا وعيـن شيـن
واو ويــــاء ثـم خـــاء كـــافهـــا
والمـــد مع « فحثـــه » أضعفهـــا
والـــوسط همـــز غين مع لام أتـت
والميم والنـــون فخمســـا قسمت

(تلخيص لآلئ البيان/ ٥) .

الحرف	عدد صفاته	بيـــــان						
		(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
الغين	٥	جهرى	رخوى	مستعل	منفتح	مصمت		
الفاء	٥	مهموس	,,	مستفل	,,	مذلق		
القاف	٦	جهرى	شديد	مستعل	,,	مصمت	مقلقل	
الكاف	٥	مهموس	,,	مستفل	,,	,,		
اللام	٦	جهرى	متوسط	,,	,,	مذلق	منحرف	
الميم	٥	,,	,,	,,	,,	,,		
النون	٥	,,	,,	,,	,,	,,		
الهاء	٥	مهموس	رخوى	,,	,,	مصمت		
الواو الصحيحة	٥	جهرى	رخوى	,,	,,	,,		
الياء الصحيحة	٥	,,	,,	,,	,,	,,		
حروف المد الثلاثة	٥	جهرية	رخوية	مستفلة	منفتحة	مصمتة		
الواو والياء اللينان	٦	جهريان	رخويان	مستفلان	منفتحتان	مصمتان	لينان	

الحرف	عدد صفاته	بيـــــانها (١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
الهمز	٥	جهري	شديد	مستفل	منفتح	مصمت		
الباء	٦	،،	،،	،،	،،	مذلق	مقلقل	
التاء	٥	مهموس	،،	،،	،،	مصمت		
الثاء	٥	،،	رخوى	،،	،،	،،		
الجيم	٦	جهري	شديد	،،	،،	،،	،،	
الحاء	٥	مهموس	رخوى	،،	،،	،،		
الخاء	٥	،،	،،	مستعل	،،	،،		
الدال	٦	جهري	شديد	مستفل	،،	،،	،،	
الذال	٥	،،	رخوى	،،	،،	،،		
الراء	٧	،،	متوسط	،،	،،	مذلق	منحرف	مكرر
الزاى	٦	،،	رخوى	،،	،،	مصمتْ	صفيرى	
السين	٦	مهموس	،،	،،	،،	،،	،،	
الشين	٦	،،	،،	،،	،،	،،	متفش	
الصاد	٦	،،	،،	مستعل	مطبق	،،	صفيرى	
الضاد	٦	جهري	،،	،،	،،	،،	مستطيل	
الطاء	٦	،،	شديد	،،	،،	،،	مقلقل	
الظاء	٥	،،	رخوى	،،	،،	،،		
العين	٥	،،	متوسط	مستفل	منفتح	،،		

(ملخص أحكام التجويد ـ د . شعبان محمد إسماعيل / ٨١ ـ ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، وإيضاح تحفة الأطفال ـ الشيخ محمد أحمد إبراهيم الطنطاوى / ١٣ ، ومتن الجزرية للشيخ محمد بن الجزرى / ١١ـ ١٤ ، ١٧ ، ١٨، ومتن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع للقاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبى الرعينى ـ صححه وراجعه متولى عبد الله الفقاعى . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده / ١٧٩ ، ١٨٠ ومجموع مهمات المتون / ٢١٩ـ ٢٢١ ، وكفاية المستفيد فى فن التجويد ـ الحاج محب الدين عبد القادر الخطيب / ٢٨٠ ـ ٢٨٢ . انظر أيضا هداية المستفيد فى أحكام التجويد ـ الشيخ محمد المحمود المشهور بأبى ريمه ، صححه وراجعه وضبطه الشيخ أحمد محمد شاكر / ٢٩ ، ٣٠ ، وفتح المجيد ـ شرح كتاب العميد فى علم التجويد للشيخ محمود على بسه ـ شرح وتعليق وضبط وتحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٦١ ـ ٧٠ وقد نقلنا منه الجدول المصاحب لهذه المادة ، وتلخيص لآئى البيان فى تجويد القرآن ـ الشيخ إبراهيم على على شحاته السمنودى / ٤ ، ٥) .

الحروف العاطفة :

انظر : حروف العطف .

الحروف العربية :

انظر : الحروف .

حروف العطف:

قال ابن الحاجب : الحروف العاطفة : الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأو، وإما، وأم، ولا، وبل، ولكن، فالأربعة الأول للجمع ، فالواو للجمع مطلقا ولا ترتيب فيها ، والفاء للترتيب ، وثم مثلها بمهلة، وحتى مثلها، ومعطوفها جزء من متبوعه، ليفيد قوة أو ضعفا. وأو، وإما، وأم لأحد الأمرين مبهما، فأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام يليها أحد المستويين، والآخر الهمزة بعد ثبوت أحدهما لطلب التعيين، ومن ثمت لم يجز، أرأيت زيدا أم عمرا، ومن ثمت كان جوابها بالتعيين دون نعم أو لا، والمنقطعة كبل، والهمز، مثل: إنها لإبل أم شاء، وإما قبل المعطوف عليه لازمة مع إما، جائزة مع أو . ولا وبل ولكن لأحدهما معينا، ولكن لازمة للنفى (الكافية / ٤٢٥ ، ٤٢٦) .

أما عن النظم فلدينا النماذج التالية :

١ ـ ملحة الإعراب للحريرى وقد أوردها تحت عنوان «حروف العطف» .

٢ ـ ألفية ابن مالك (شرح ابن عقيل) وقد أوردها تحت عنوان « عطف النسق » .

٣ـ ألفية الأثارى وقد أوردها تحت عنوان « عطف النسق »

٤ ـ ألفية السيوطى النحوية وقد أوردها تحت عنوان «حروف العطف» (ص ٥٦ ـ ٥٨) وسوف نكتفى بالثلاثة نماذج الأولى .

١ ـ قال صاحب ملحة الإعراب :

وأحرف العطف جميعا عشرة ... محصورة مأثورة مسطرة

الواو والفاء وثم للمهل ... ولا وحتى ثم أو وأم وبل

وبعدها لكن وإما إن كسر ... وجاء فى التخيير فاحفظ ما ذكر

٢ ـ وقد أورد بيانها ابن مالك فى ألفيته تحت عنوان «عطف النسق » مما ننقله لك فيما يلى مشفوعا بشرح ابن عقيل ، مع ملاحظة أن الحرف (ص) يرمز إلى النص، والحرف (ش) يرمز إلى الشرح . قال الناظم :

(ص) *تال بحرف متبع عطف النسق ... كاخصص بود وثناء من صدق*

(ش) عطف النسق هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف التى ستذكر كاخصص بود وثناء من صدق فخرج بقوله : المتوسط إلى آخره بقية التوابع :

(ص) *فالعطف مطلقا بواو ثم فا ... حتى أم أو كفيك صدق ووفا*

(ش) حروف العطف على قسمين أحدهما ما يشرك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقا أى لفظا وحكما وهى الواو نحو : جاء زيد وعمرو، وثم ، نحو : جاء زيد ثم عمرو، والفاء، نحو جاء زيد فعمرو، وحتى، نحو قدم

الحجاج حتى المشاة ، وأم ، نحو: أزيد عندك أم عمرو؛ وأو، نحو جاء زيد أو عمرو، والثاني : ما يشرك لفظا فقط وهو المراد بقوله :

(ص) وأتبعت لفظا فحسب بل ولا

لكن كلم يبد امرؤ لكن طلا

(ش) هذه الثلاثة تشرك الثاني مع الأول في إعرابه، لا في حكمه. نحو: ما قام زيد بل عمرو، وجاء زيد لا عمرو، ولا تضرب زيدا لكن عمرا.

(ص) فاعطف بواو سابقا أو لاحقا

في الحكم أو مصاحبا موافقا

(ش) لما ذكر حروف العطف التسعة شرع في ذكر معانيها فالواو لمطلق الجمع عند البصريين فإذا قلت جاء زيد وعمرو دل ذلك على اجتماعهما في نسبة المجيء إليهما واحتمل كون عمرو جاء بعد زيد أو جاء قبله أو جاء مصاحبا له، وإنما يتبين ذلك بالقرينة نحو جاء زيد وعمرو بعده وجاء زيد وعمرو قبله، وجاء زيد وعمرو معه، فيعطف بها اللاحق والسابق المصاحب ومذهب الكوفيين أنها للترتيب ورد بقوله تعالى : ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ [المؤمنون : ٣٧].

(ص) و اخصص بها عطف الذي لا يغني

متبوعه كاصطف هذا وابني

(ش) اختصت الواو من بين حروف العطف بأنها يعطف بها حيث لا يكتفى بالمعطوف عليه نحو : اختصم زيد وعمرو، ولو قلت : اختصم زيد لم يجز، ومثله اصطف هذا وابني، وتشارك زيد وعمرو، ولا يجوز أن يعطف في هذه المواضع بالفاء ولا بغيرها من حروف العطف فلا تقول: اختصم زيد فعمرو ولا ثم عمرو .

(ص) والفاء للترتيب باتصال

وثم للترتيب بانفصال

(ش) أي تدل الفاء على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متصلا به ، وثم على تأخره عنه منفصلا أي متراخيا عنه، نحو : جاء زيد فعمرو ومنه قوله تعالى : ﴿ الذي خلق فسوى﴾ [الأعلى : ٢] وجاء زيد ثم عمرو، ومنه قوله تعالى ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ﴾ [فاطر : ١١] .

(ص) واخصص بفاء عطف ما ليس صلة

على الذي استقر أنه الصلة

(ش) اختصت الفاء بأنها تعطف ما لا يصلح أن يكون صلة لخلوه عن ضمير الموصول، على ما يصلح أن يكون صلة لاشتماله على الضمير نحو : الذي يطير فيغضب زيد الذباب، ولو قلت : ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد لم يجز، لأن الفاء تدل على السببية فاستغنى بها على الرابط ولو قلت : الذي يطير ويغضب منه زيد الذباب، جاز، لأنك أتيت بالضمير الرابط .

بعضا بحتى اعطف على كل ولا

يكون إلا غاية الذي تلا

(ش) يشترط في المعطوف بحتى أن يكون بعضا مما قبله وغاية له في زيادة أو نقص، نحو : مات الناس حتى الأنبياء، وقدم الحجاج حتى المشاة .

وأم بها اعطف إثر همز التسوية

أو همزة عن لفظ أي مغنية

(ش) أم على قسمين ، منقطعة وستأتي ومتصلة وهي التي تقع بعد همز التسوية، نحو : سواء علي أقمت أم قعدت ومنه قوله تعالى : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ [إبراهيم : ٢١] والتي تقع بعد همزة مغنية عن أي نحو : أعندك زيد أم عمرو ؟ أي أيهما عندك .

(ص) وربما أسقطت الهمزة إن

كان خفا المعنى بحذفها أمن

(ش) أي قد تحذف الهمزة يعني همزة التسوية والهمزة المغنية عن أي عند أمن اللبس وتكون أم متصلة كما كانت والهمزة موجودة ومنه قراءة ابن محيصن «سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم» بإسقاط الهمزة من أنذرتهم، وقول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا

بسبع رمين الجمر أم بثمان

أي أبسبع .

(ص) وبـانقطـاع وبمعنـى بل وَفَـتْ
إن تـك ممـا قيـدت بـه خلـت

(ش) أي إذا لم يتقدم على أم همزة التسوية ولا همزة مغنية عن أى فهى منقطعة وتفيد الإضراب كبل، كقوله تعالى: ﴿لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨] أى بل يقولون افتراه ومثله: إنها لإبل أم شاء أي بل هى شاء.

(ص) خَيِّـر أبح قَسِّم بـأو وأبهم
وأشكُك وإضـراب بهـا أيضًـا نمى

(ش) أى تستعمل أو للتخيير نحو: خذ من مالى درهما أو دينارًا، وللإباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين، والفرق بين الإباحة والتخيير أن الإباحة لا تمنع الجمع والتخيير يمنعه، وللتقسيم نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، وللإبهام على السامع نحو: جاء زيد أو عمرو، إذا كنت عالما بالجائى منهما وقصدت الإبهام على السامع، ومنه قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤] وللشك نحو: جاء زيد أو عمرو إذا كنت شاكا فى الجائى منهما، وللإضراب كقوله:

مـاذا تـرى فى عيـال قـد بـرمت بهم
لـم أُحْـصِ عـدَّتَهم إلا بعـدَّاد
كـانـوا ثمـانين أو زادوا ثمـانيـة
لـولا رجـاؤك قـد قتلت أولادى

أى بل زادوا.

(ص) وربمـا عـاقبت الـواو إذا
لـم يلـف ذو النطق للبس منفـذا

(ش) قد تستعمل «أو» بمعنى الواو عند أمن اللبس، كقوله:

جـاء الخـلافـة أو كـانت لـه قـدرًا
كمـا أتى ربـه مـوسى على قـدر

أى وكانت له قدرًا.

(ص) ومثل أو فى القصـد إمـا الثـانيـة
فى نحـو إمـا ذى وإمـا النـائيـة

(ش) يعنى أن «إما» المسبوقة بمثلها تفيد ما تفيده «أو» من التخيير نحو «خذ من مالى إما درهما وإما دينارًا» والإباحة نحو «جالس إما الحسن وإما ابن سيرين» والتقسيم نحو: «الكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف»، والإبهام والشك نحو: «جاء إما زيد وإما عمرو» وليست «إما» هذه عاطفة ـ خلافا لبعضهم ـ وذلك لدخول الواو عليها وحرف العطف لا يدخل على حرف العطف.

(ص) وأول لكـن نفيـا أو نهيـا ولا
نـداء أو أمـرًا أو إثبـاتـا تـلا

(ش) أى: إنما يعطف بلكن بعد النفى نحو: «ما ضربت زيدا لكن عمرا» وبعد النهى نحو «لا تضرب زيدًا لكن عمرا» ويعطف بلا بعد النداء نحو: «يا زيد لا عمرو» وبعد الأمر نحو: «اضرب زيدا لا عمرا» وبعد الإثبات نحو: «جاء زيد لا عمرو» ولا يعطف بلا بعد النفى نحو: «ما جاء زيد لا عمرو» ولا يعطف بلكن فى الإثبات نحو: «جاء زيد لكن عمرو».

(ص) وبل كلكـن بعـد مصحـوبيهـا
كـلم أكـن فى مـربع بـل تيهـا
وأنقـل بهـا للثـان حكـم الأول
فـى الخبـر المثبت والأمـر الجلى

(ش) يعطف ببل فى النفى والنهى فتكون كلكن فى أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو «ما قام زيد بل عمرو» «ولا تضرب زيدا بل عمرا» فقررت النفى والنهى السابقين وأثبتت القيام لعمرو والأمر بضربه، ويعطف بها فى الخبر المثبت والأمر فتفيد الإضراب عن الأول وتنقل الحكم إلى الثانى حتى يصير الأول كأنه مسكوت عنه نحو: «قام زيد بل عمرو»، «واضرب زيدا بل عمرا».

(ص) وإن علـى ضميـر رفـع متصـل
عطفت فـافصل بـالضميـر المنفصل
أو فـاصل مـا وبـلا فصل يـرد
فى النظـم فـاشيـا وضعفـه اعتقـد

(ش) إذا عطفت على ضمير الرفع المتصل وجب أن

تفصل بينه وبين ما عطفت عليه بشيء، ويقع الفصل كثيرا بالضمير المنفصل نحو قوله تعالى: ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ [الأنبياء: ٥٤] فقوله: ﴿وآباؤكم﴾ معطوف على الضمير في ﴿كنتم﴾ وقد فصل بأنتم، وورد أيضا الفصل بغير الضمير وإليه أشار بقوله أو فاصل ما، وذلك كالمفعول به نحو: أكرمتك وزيد، ومنه قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح﴾ [الرعد: ٢٣] فمن معطوف على «الواو» في «يدخلونها» وصح ذلك للفصل بالمفعول به وهو «الهاء» من يدخلونها ومثله الفصل بلا النافية كقولها تعالى: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فآباؤنا معطوف على «نا» وجاز ذلك للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بلا، والضمير المرفوع المستتر في ذلك كالمتصل نحو: اضرب أنت وزيد ومنه قوله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥] فزوجك معطوف على الضمير المستتر في اسكن، وصح ذلك للفصل بالضمير المنفصل، وهو أنت، وأشار بقوله: وبلا فصل يرد إلى أنه قد ورد في النظم كثيرًا العطف على الضمير المذكور بلا فصل، كقوله:

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى
كنعاج الفلا تعسفن رملا

فقوله وزهر معطوف على الضمير المستتر في أقبلت، وقد ورد ذلك في النثر قليلا، حكى سيبويه رحمه الله، مررت برجل سواء والعدم برفع العدم بالعطف على الضمير المستتر في سواء، وعلم من كلام المصنف أن العطف على الضمير المرفوع المنفصل لا يحتاج إلى فصل نحو: زيد ما قام إلا هو وعمرو وكذلك الضمير المنصوب المتصل والمنفصل نحو: زيد ضربته وعمرا، وما أكرهت إلا إياك وعمرا، وأما الضمير المجرور فلا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له نحو: مررت بك وبزيد ولا يجوز مررت بك وزيد: هذا مذهب الجمهور، وأجاز ذلك الكوفيون، واختاره المصنف وأشار إليه بقوله:

(ص) وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلا
وليس عندى لازمًا إذ قد أتى
في النظم والنثر الصحيح مثبتا

(ش) أي جعل جمهور النحاة إعادة الخافض إذا عطف على ضمير الخفض لازمة، ولا أقول به، لورود السماع نثرًا ونظما بالعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض فمن النثر قراءة حمزة ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام﴾ [النساء: ١] بجر الأرحام عطفا على «الهاء» المجرورة بالباء، ومن النظم ما أنشده سيبويه رحمه الله تعالى:

فاليوم قد بتَّ تهجونا وتشتمنا
فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام عطفا على الكاف المجرورة بالباء.

(ص) والفاء قد تحذف مع ما عطفت
والواو إذ لا لبس وهي انفردت
بعطف عامل مزال قد بقى
معموله دفعا لوهم اتقى

(ش) قد تحذف الفاء مع معطوفها للدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: فأفطر فعليه عدة من أيام أخر فحذف «أفطر» والفاء الداخلة عليه، وكذلك الواو، ومنه قولهم: راكب الناقة طليحان أي: راكب الناقة والناقة طليحان، وانفردت الواو من بين حروف العطف بأنها تعطف عاملا محذوفا بقي معموله ومنه قوله:

إذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا

فالعيون مفعول بفعل محذوف والتقدير: وكحلن العيون والفعل المحذوف معطوف على زججن.

(ص) وحذف متبوع بدا هنا استبح
وعطفك الفعل على الفعل يصح

(ش) قد يحذف المعطوف عليه للدلالة عليه وجعل منه قوله تعالى: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ [الجاثية: ٣١]

قال الزمخشري: التقدير: ألم تأتكم آياتي «فلم تكن تتلى عليكم» فحذف المعطوف عليه وهو ألم تأتكم وأشار بقوله: وعطفك الفعل إلى آخره إلى أن العطف ليس مختصًا بالأسماء بل يكون فيها وفي الأفعال نحو: يقوم زيد ويقعد، زيد مشى وركب، واضرب زيدا وقم.

(ص) واعطف على اسم شبه فعل فعلا
وعكسا استعمل تجده سهلا

(ش) يجوز أن يعطف الفعل على الاسم المشبه للفعل كاسم الفاعل ونحوه، ويجوز أيضًا عكس هذا وهو أن يعطف على الفعل الواقع موقع اسم فمن الأول قوله تعالى: ﴿فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا﴾ [العاديات: ٣، ٤] وجعل منه: قوله تعالى: ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله﴾ [الحديد: ١٨] ومن الثاني قوله:

فألفيته يوما يبير عدوه
ومجر عطاء يستحق المعابرا

(شرح ابن عقيل / ١٣٣ ـ ١٣٧).

٣ ـ وقال الأثاري في ألفيته:

واعطف بواو مطلقا عطف النسق
وألفا لترتيب وعقّب ما سبق
مع اتصال ثم للإمهال
وحذف ترتيب مع انفصال
واعطف بحتى بعض مذكور على
كل وأم في الوصل همزة تلا
وفي انقطاعه يكون مثل بل
واجهل بأو واعلم بأم معها وهل
إما كأو إذا بمثل تسبق
لكن بنفي أو بنهي تعلق
وبل كلكن وبأمر أو خبر
لا، في الندا والأمر أيضا والخبر
ومضمر الرفع بمضمر فصل
واعطف بحذف خافض أو يتصل
ويعطف الفعل على فعل سبق
واسم على اسم ومع الخلف اتفق

(الكافية لابن الحاجب مجموع مهمات المتون/ ٤٢٥، ٤٢٦، وملحة الإعراب لأبي القاسم الحريري/ ٣٤، ٣٥، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط أمين عبد المجيد محمد الديدي/ ١٣٣ ـ ١٣٧، وط الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية / ٢٤٨ ـ ٢٥٣، وألفية الآثاري: كفاية الغلام في إعراب الكلام لابن الآثاري ـ حققه وقدم له د. زهير زاهد والأستاذ هلال ناجي/ ١٠١، ١٠٢. انظر أيضا ألفية السيوطي النحوية/ ٥٦ ـ ٥٨، وشرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري/ ١٠٩، ١١٠).

حروف العلة

وعن حروف العلة يقول أبو القاسم الحريري في منظومته:

والواو والياء جميعا والألف
هن حروف الاعتلال المكتنف

أي الواو التي قبلها ضمة والياء التي قبله كسرة والألف التي قبلها فتحة تسمى حروف العلة وحروف المد واللين.

(ملحة الإعراب لأبي القاسم الحريري / ٧).

انظر: الإعلال.

حروف الفواتح:

انظر الحروف المقطعة في أوائل السور

الحروف في اللهجات العربية:

انظر: اللهجات العربية

حروف القراء:

انظر القراءات

حروف القرآن الكريم:

انظر القرآن الكريم

حروف القسم:

حروف القسم ثلاثة، هي الباء والواو والتاء، وهي تجر الاسم المقسم به، إلا أن الباء تدخل على المظهر والمضمر

نحو: أقسم بالله، والواو لا تدخل إلا على المظهر، والتاء تختص باسم الله. يقول عنها صاحب ملحة الإعراب:

ثم تجر الاسم باء القسم
وواوه والتاء أيضًا فاعلم
لكن تخص التاء باسم الله
إذا تعجبت بلا اشتباه

(ملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى/ ١١).

الحروف (كتاب):

كتاب «الحروف» رسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى، تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدى الذى يقول عنها: ولقد رأيت تنوع أغراضها، وتعدد مراميها ومقاصدها، وفائدة فصولها التى عقدها المؤلف فى كل ما يمت إلى حروف المعجم بصلة وخصوصًا فى مجاميع الحروف، وأحيازها، وأصواتها، وخطها وإعجامها، وإهمالها، وإدغامها وإبدالها، والحروف المقطعة فى أوائل سور القرآن وغير ذلك ... وقد ضم الكتاب الفصول التالية:

- مقدمة.
- الفصل الأول فى ابتداء خلق الحرف.
- فصل فى أنواع الحروف واستعمالاتها وإبدالاتها، بدون تمثيل.
- فصل فى أبجد هوز ... ضظغ .. على حساب الجمل.
- فصل فى مخارج الحروف.
- فصل فى نظم حروف المعجم.
- فصل فى معانى الحروف.
- فصل فى نظم مؤلف الكتاب فى معانى الحروف، وتفسيرها.
- فصل فى اجتماع أربعة نفر يتذاكرون فى الحروف على سبيل التلطف، والاستظراف.
- فصل فى (الحرف) ومعناها.
- فصل أنواع الحروف: الفكرية - اللفظية - الخطية.
- فصل فى شعر للمؤلف يشتمل على ذكر بعض الحروف.
- فصل فى أنواع الحروف واستعمالاتها وإبدالاتها، مع التمثيل.
- فصل فى النقط والإهمال.
- فصل فى حروف المعجم فى أوائل السور، وأنهى هذا الفصل بأبيات قيلت فى هذه الحروف.
- وبذلك يكون مجموع فصول هذا الكتاب خمسة عشر فصلا موزعة فى كل ما يتصل بحروف المعجم من استعمال أو معنى.

تلك كانت مقدمة المحقق/ ١٠، ٦١.

وجاء فى خطبة الكتاب ما يلى بعد البسملة والحمدلة:

وبعد..

فهذا كتاب فى «حروف المعجم»، ينفع العرب والعجم، والفصيح والأعجم، ومن أقدم ومن أحجم، والروامح والأجم، والراتع فى الأجم، فهو كالماء الجم، والفرس المسرج والملجم.

ورتبته على فصول:

الفصل الأول: فى ابتداء هذا الأمر:

قال كعب الأحبار: خلق الله القلم من نور أخضر، ثم أنطقه بثمانية وعشرين حرفًا هن أصل الكلام، وهيأها بالصوت الذى يسمع وينطق به، فنطق بها القلم، فكان أول ذلك كله نقطة، فنظرت إلى نفسها، فتصاغرت وتواضعت لربها، وتمايلت هيبة له وسجدت، فصارت همزة، فلما رأى الله عز وجل - تواضعها، مدَّها وطوَّلها، فصارت ألفا، فتكلم بها، ثم جعل القلم ينطق بحرف حرف إلى ثمانية وعشرين حرفا، فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبارات كلها إلى يوم القيامة. وجمعها كلها فى «أبجد» (انظر مادة «أبجد») وجعل الألف، لتواضعه مفتاح أول أسمائه، ومقدما على الحروف كلها.

ثم يعقد الرازى فصلا جاء فيه ما يلى :

الحروف المهموسة : ص، ك، هـ، س، ح .

الحروف المجهورة : أ، ل، م، ز، ع، ط، ق، ى، ن .

الحروف الشديدة : أ، ط، ك، ق .

الحروف الرخوة : ل، م، ر، ص، ع، غ، س، ح، ن، ى .

الحروف المطبقة : ص، ط .

الححروف المنفتحة : أ، ل، م، ر، ك، ع، س، ح، ق، ن، ى .

الحروف المستعلية : ق، ص، ط (وفى التهذيب هى خمسة : ط، ض، ص، ظ، ق) .

الحروف المنخفضة : أ، ل، م، ز، ك، ى، ع، س، ج، ن (عن الخليل أنها تسعة حروف وهى : ك، ج، ش، ز، س، ر، ت، ذ، ث، التهذيب ١/ ٥١ وهى مختلفة عما هنا) .

ويعلق المحقق على ما قاله المؤلف عن الحروف المهموسة فيقول إنها ناقصة، والصواب أنها عشرة كما فى اللسان ٧/ ٣ .

قالت المؤلفة : ذكر الأستاذ الدكتور/ محمد كمال بشر أن عددها اثنا عشر وهى : ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ (علم الأصوات/ ٨٧) .

(رسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى - تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى : مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول . ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ مايو ١٩٧٤م/ ٥١، ٥٢، ٦٠، ٦١، ٦٣، وعلم الأصوات - د. محمد كمال بشر/ ٨٧) .

انظر : الحروف . الحروف (كتب فى) .

الحروف (كتب فى):

يذكر الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدى فى مقدمة تحقيق كتاب الحروف للرازى الكتب المؤلفة فى الحروف العربية فيقول :

بدأ التصنيف فى : « الحروف» العربية، منذ عهد مبكر، فى تاريخ اللغة العربية ودراساتها، وإذا صح ما ينسب للخليل ابن أحمد الفراهيدى : (١٠٠ ـ ١٧٧ هـ) فى هذا الموضوع كتاب «الحروف» فإن فى ذلك ما يدل على أن العناية بهذا الفن من علوم العربية كان قد بدأ ببداية التفكير فى تقعيد اللغة ووضع أصولها وقوانينها (كتاب الحروف هذا نشره الدكتور رمضان عبد التواب فى القاهرة عام ١٩٦٩، ط جامعة عين شمس) .

والواضح أن الدراسات الأولى فى الحرف العربى كانت تدور حول خصائص الحرف العربى، وتصويته، وميزات كل حرف فى إخراجه من مخرجه الأصلى من أول الحلق إلى الشفة، وكانت دراسة الخليل فى كتاب «العين» هى الرائدة فى هذا المضمار، بحيث وضعت لكل حرف ميزته، وقسمت الحروف إلى مجاميع، وهى : ع ح هـ خ غ حروف الحلق، ق ك حرفان لهويان، ج ش ض الحروف الشجرية، (والشجر مفرج الفم) ص س ز حروف الأسلية (لأن مبدأها من أسلة اللسان)، ط د ت حروف نطعية (لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى)، ظ ذ ث حروف لثوية، ر ل ن حروف ذولقية، ف ب م حروف الشفة، أ و ى حروف هوائية أو جوفية .

ولقد عنى بهذا الترتيب المخرجى جماعة من المصنفين فى المعاجم بعد الخليل كالبشتى (٣٢٥ هـ) وأبى الأزهر البخارى (٣٤٨ هـ)، وأبى تراب إسحاق بن الفرج، والأزهرى (٣١٨ هـ) وجماعة غيرهم، فوضعوا معاجم لغوية مرتبة على هذا النهج، ونظم بعض الشعراء هذا الترتيب شعرًا، فقال (هو أبو الفرج سلمة بن عبد الله المعافرى) :

يا سائلى عن حروف العين دونكها ... فى رتبة ضمها وزن وإحصاء

العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكفاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاى بعدها طاء

والـــــدال والتـــــاء ثم الظـــــاء متصل
بـــــالظـــــاء ذال وثـــاء بعـــدهـــا راء
والـــــلام والنـــــون ثم الفـــــاء والبـــاء
والميم والـــــواو والمهمـــــوز واليـــــاء

هذه الدراسة الخاصة بالحروف هى نوع من أنواع العنايات المختلفة الأخرى ، وهى دراسة ذوقية صرفة لا علاقة لها بخواص الحروف فى إفرادها وتركيبها، وعلاقتها بأمور الفلاكة والنجوم وحساب الجمل، مما خصه علماء كثيرون برسائل ومؤلفات، وكانت العرب تضع لكل حرف رقمًا وحسابًا مرتبة ذلك على: أبجد هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ. تبتدىء من الألف وحسابه: واحد وتنتهى بالغين، وحسابه: ألف (انظر مادة «أبجد» فى م ٢/ ٨٤ ـ ٨٨ من هذه الموسوعة).

وهذه الدراسات تدخل فى باب الطلسمات والرموز والمعانى الخفية التى لا يعرفها إلا المتخصصون فى هذا الموضوع . ولقد نقل حاجى خليفة فى الكشف فى أول «باب علم الحروف والأسماء» (انظر مادة «الحروف والأسماء (علم ـ)») كلامًا طويلاً فى خواص الحروف فى إفرادها وتركيبها، وتعلقها بأمور الفلك والتنجيم . وفى طبائعها . . عن داود الأنطاكى وابن خلدون والبونى . ثم ذكر أن له كتابًا خاصًا فى هذا الباب أسماه: «روح الحروف»، وذكر بعده جملة من التصانيف فى هذا الموضوع ؛ تزيد على المائتين والثلاثين كتابًا مرتبة على حروف الهجاء .

قالت المؤلفة: عددها فى نسختى مائتان وثلاثة وعشرون كتابًا، ثم خص ثلاثة منها باسم: «الحروف» وهى «الحروف السبعة فى الكلام» لأبى عبد الله الحسين بن جعفر المراغى، ضمنه الرد على المعتزلة من أهل البدع .

و «الحروف الوضعية فى الصور الفلكية» لعبد الحق بن إبراهيم بن سبعين المتوفى سنة ٦٦٩ هـ .

و «الحروف المدغمة» لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى . ثم ذكر مجموعة أخرى فى خواص الحروف تحت عناوين رمزية .

والواضح من اسم الكتابين الأول والثانى أنهما خاصان بموضوع التنجيم والرموز، ومن هذا النوع كتاب ابن عربى: «الحروف فى علم الموصوف» .

أما الدراسات اللغوية الصرفة التى تعنى بمخارج الحرف وإصاتته، وكيفية نطقه، وقواعد إبداله وإدغامه، فهى التى سبقت عناية علماء اللغة فى القرن الأول ومطلع القرن الثانى بها، وهى التى وضعت فيها الكتب والرسائل اللغوية فروى فيها كتاب للخليل باسم الحروف، وثان لأبى عمرو الشيبانى: (٩٤ هـ ـ ٢١٣ هـ) باسم الحروف ـ أيضًا ـ وكتاب الحروف للكسائى: (١٨٩ هـ)، والحروف لابن السكيت: (٢٤١ هـ)، والحروف فى معانى القرآن (إلى سورة طه)، لمحمد بن يزيد المبرد: (٢١٠ هـ ـ ٢٨٥ هـ)، والحروف للحسن بن على الدورقى، كما روى لسائر أئمة اللغة رسائل فى هذا الجانب من علم اللغة .

ومن الطبيعى أن نجد أن هناك تمايزًا واختلافا بين مناهج المؤلفين فى هذا الضرب من التأليف، وإن كانت جميعها فى اللغة، فقد قيل عن كتاب «الحروف» لأبى عمرو الشيبانى أنه «اللغات» وهو كتاب فى نوادر الحروف، ويقصد بالحروف: الألفاظ والكلمات، أسماء كانت أو أفعالاً، كما يقصد بالحروف معناها الاصطلاحى المتعارف عليه بين النحاة، وهو القسم الثالث من تقسيم الكلام إلى الاسم والفعل والحرف. ويسمونها حروف المعانى .

وربما قصدوا بحروف القرآن . قراءاته . قال الأزهرى: «وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفًا، يقرأ هذا فى حرف ابن مسعود، أى: فى قراءة ابن مسعود» .

وفى حديث النبى ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف . .» أراد: وجوه القراءات .

قالت المؤلفة: ورد هذا الحديث الشريف فى الجامع الأنور بلفظ: «نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء فى القرآن كفر ثلاث مرات فما عرفتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه» للإمام أحمد بن حنبل بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

يصدقه حديثه ﷺ الآخر: «أتاه جبريل عليه السلام وهو عند أضاة بنى غفار، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تقرئ أمتك على سبعة أحرف» (الفائق للزمخشرى ١/ ٤٦) وفسر أبو عبيد القاسم «سبعة الأحرف» باللغات (انظر مادة الأحرف السبعة فى م ٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٤ من هذه الموسوعة).

هذا كله فضلاً عن معنى الحرف ـ فى الأصل ـ من حروف الهجاء. وكتاب الحروف للرازى (انظر مادة «الحروف (كتاب)») يختص بالنوع الأخير من هذه الأنواع، فهو يعنى بدراسة الحرف الهجائى، ومعنى كل حرف، وطرق استعماله ـحرف معنى وأحياز الحروف، ودراسة أصواتها، ومخارجها، وإدغامها، وإبدالها. والحروف المقطعة فى أوائل سور القرآن.

(رسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد العشرون. الجزء الأول. ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ مايو ١٩٧٤م/ ٥٦ ـ ٦٠، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور للحافظ المناوى ٣/ ٥٧ ورقة ب).

الحروف التى تحذف من الكتابة:

أفرد الأستاذ عبد العليم إبراهيم الباب الرابع من كتابه القيم للحروف التى تحذف من الكتابة، وقد جاء فيه ما يلى:

أشهر هذه الحروف: الألف، وأل، والميم، والنون، والواو، والياء.

حذف الألف:

الألف التى تحذف من أول الكلمة:

أولا: تحذف الألف من كلمة «ابن» وكلمة «ابنة»:

١ ـ إذا كانت كل منهما مفردة، وواقعة بين علمين متصلين، وكانت نعتًا للعلم الأول، ولم تقع فى أول السطر؛ وتفصيل هذه الشروط كما يلى:

(أ) أن تكون كلمة «ابن» أو «ابنة» مفردة، مثل: فتح مصر عمرو بن العاص، وسميت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين، فإذا ثنيت أو جمعت لا تحذف ألفها، مثل: اشتهر العباس وحمزة ابنا عبد المطلب، وتفوق على وأحمد وأسامة أبناء مصطفى، ونجحت فاطمة وخديجة ابنتا حسين.

(ب) أن تقع بين علمين لا يفصل بينهما شىء آخر غيرها، أما نحو: الفلاح ابن الفلاح أدرى من غيره بشئون الزراعة فلا تحذف ألف ابن؛ لأنها وقعت بين اسمين غير علمين، ونحو: فتح الأندلس طارق هو ابن زياد: لا تحذف ألف ابن؛ لأن كلمة «هو» قد فصلت بين العلمين:

ويشمل العلم الاسم الذى وضع علمًا، مثل: إسماعيل وزينب، والكناية عن شخص لا يعرف اسمه، مثل: فلان بن علان؛ والكنية المعروفة فى النحو بأنها ما صدرت بأب أو أم، مثل: حضر أبو الفضل بن أبى المجد، ونجحت أم الخير بنة أم العز؛ واللقب مثل: قابلت الهادى بن زين العابدين.

(جـ) أن تكون كلمة «ابن» أو «ابنة» نعتًا للعلم قبلها، فإذا كانت خبرًا مثلاً لا تحذف ألفها، مثل: يوسف ابن يعقوب، جوابا لمن سأل: ابن من يوسف؟ ومثل: السيدة سكينة ابنة الحسين، جوابا لمن سأل: ابنة من السيدة سكينة؟

(د) ألا تقع كلمة «ابن» أو «ابنة» فى أول السطر، وإلا بقيت الألف.

٢ ـ إذا دخلت عليها همزة الاستفهام، نحو أبن البواب هذا؟ أى هل هذا ابن البواب؟ ومثل أبنة الريف تفوق ابنة المدينة فى التعليم الجامعى؟

٣ ـ إذا وقعت بعد حرف النداء «يا» مثل: يا بن الأكرمين، يا بنة النيل.

ثانيًا: تحذف همزة الوصل إذا وقعت بعد همزة الاستفهام، مثل: أسمه مجدى؟ ومثل ﴿أصطفى البنات على البنين؟﴾ [الصافات: ١٥٣] إلا إذا كانت همزة الوصل هى همزة أل التعريفية فإنها لا تحذف بعد همزةالاستفهام، وإنما تكتب هى وهمزةالاستفهام ألفاعليها مدة، مثل: آلشاهد قال هذا؟

ثالثا: تحذف الألف من كلمة «اسم» فى البسملة الكاملة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما نحو: باسم الوطن، وباسم العلى القادر، وباسمك اللهم فلا تحذف.

رابعا : تحذف ألف «أل» إذا دخل عليها اللام، سواء أكانت مكسورة ؛ مثل: لام الجر في : للفنون أثر في الأمم، أم كانت مفتوحة ، مثل لام الابتداء في ﴿وللآخرة خير﴾ [الضحى: ٤] ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل: ١٢] ولام الاستغاثة، نحو يا للرجال، واللام بعد يا التعجبية، نحو : يا للماء ! ويا للسماء ! .

الألف التي تحذف من وسط الكلمة :

١ ـ تحذف الألف من لفظ الجلالة «الله» ومن كلمة «إله» بدون أل أو مع أل «الإله» .

٢ ـ وتحذف من كلمة «الرحمن» إذا كانت علمًا مقرونا بأل، أما نحو: لا زلت كريما رحمانا فلا حذف ؛ لأنها ليست علمًا، وخالية من أل .

٣ ـ تحذف من بعض كلمات أخرى، أشهرها : «لكن» ساكنة النون، أو مشددة النون، والسموات، وأولئك، ومن «طه» (الألف الوسطى) .

ملاحظة :

اقتصرنا هنا على الكلمات التي يجب حذف ألفها من الكتابة، وتركنا الكلمات التي يكون هذا الحذف جائزًا فيها لا واجبًا، مثل: ثلثمائة وثلاثمائة، ومثل: هرون وهارون .

الألف التي تحذف من آخر الكلمة :

١ ـ تحذف الألف من ما الاستفهامية إذا سبقت بحرف جر، مثل: فيم تفكر ؟ لم سافرت ؟ عم تسأل ؟ مم تعبت ؟ بم تكتب ؟ علام عولت ؟ حتام تنتظر ؟ إلام الخلف بينكم ؟ أو سبقت بمضاف، مثل: بمقتضام تصرفت هذا التصرف ؟

ويشترط في هذا الحذف ألا تركب «ما» مع «ذا» فإذا ركبت لا تحذف ألفها ، مثل : لماذا ـ بماذا ؟ .

٢ ـ وتحذف أيضا من آخر كلمة « طه » .

٣ ـ ومن حرف النداء « يا » إذا دخل على علم مبدوء بهمزة غير ممدودة، زائد على ثلاثة ولم يحذف منه شيء، وهو حذف جائز لا واجب نحو: يأنور ، يأسعد ، يأحمد . فإذا كانت همزة العلم ممدودة، مثل : آدم وآزر لا تحذف ألف « يا » فتكتب يا آدم، يا آزر، وإذا حذف من العلم شيء بقيت ألف يا ، مثل : يا إبرهيم ، يا إسمعيل ، يا إسحق (على رأى من يحذفون الألفات المتوسطة من هذه الأسماء) .

أو إذا دخلت « يا » على كلمة « أهل » أو « أي » أو « أية » نحو : يأهل المروءة. يأيها الإنسان. يأيتها المربية .

٤ ـ وتحذف الألف أيضا من كلمة « ذا » إذا كانت اسم إشارة مقرونا باللام الدالة على البعد. مثل : ذلك. ذلكما ـ ذلكم ـ ذلكن .

٥ ـ وتحذف الألف من « ها » التنبيهية إذا دخلت على :

(أ) اسم إشارة ليس مبدوءا بالتاء أو الهاء، وليس بعده كاف، مثل: هذا، هذه، هذى، هؤلاء .

أما اسم الإشارة المبدوء بتاء فلا تحذف معه ألف (ها) مثل : هاتا ـ هاتى، هاتان، وكذلك المبدوء بهاء، مثل : هاهنا .

وكذلك اسم الإشارة الذى لحقته كاف الخطاب لا تحذف معه ألف « ها » مثل : هاذاك .

(ب) ضمير مبدوء بهمزة، مثل: هأنا، هأنتما، هأنتم ـ هأنتن .

٦ ـ تحذف ألف الضمير « أنا » إذا دخلت عليه « ها » التنبيهية ، وجاء بعده كلمه « ذا » مثل : هأنذا .

حذف أل

تحذف أل إذا سبقت بلام، وكان بعدها لام ، سواء أكانت اللام السابقة مكسورة مثل : لليمون فوائد، أما لليل من آخر ؟ أم كانت مفتوحة ، مثل : للهو البريء أمتع للنفس، وللعفو أليق بالأحرار.

وتشمل هذه القاعدة الاسم الموصول للمثنى وجماعة الإناث، فإذا دخلت عليه اللام مكسورة أو مفتوحه حذفت أل من أوله، مثل :

الجائزة للذين يسبقان، للذان شهدا زورا أحق بالعقاب، الفضل للتين سهرتا على راحة المريض. للتان تتطوعان لخدمة المرضى جديرتان بالثناء. المجد للاتى (للائى) يحسن تربية الأطفال . للاتى (للائى) يحسن إدارة منازلهن ويسعدن أزواجهن خير من العاملات المهملات .

حذف الميم

يحذف من الفعل « نعم » المكسور العين إذا أدغمت ميمة فى « ما » نحو : ﴿ نعمّا يعظكم به ﴾ [النساء : ٥٨] .

حذف النون

١ ـ تحذف من كلمتى « عن ، مِن » إذا دخلتا على « مَن » نحو : عمن ، ممن ، أو على « ما » سواء أكانت « ما » استفهامية . نحو : عم تبحث ؟ ومم تنفق ؟ أم كانت زائدة ، نحو : عما قليل أعود، و ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] أم كانت موصولة ، نحو : تجاوزت عما قلته ، وأنفق مما كسبته ، أم كانت مصدرية نحو : عفوت عما أسأت ، وعجبت مما أسرعت .

٢ ـ وتحذف ـ كذلك ـ من إن الشرطية إذا جاء بعدها « ما » الزائدة نحو : ﴿ فإما ترين من البشر أحدًا ﴾ [مريم : ٢٦] ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾ [الإسراء : ٢٣] أو جاء بعدها « لا » النافية ، مثل إلا تثبتوا فاتكم النصر .

٣ ـ وتحذف أيضا من أن المصدرية الناصبة للمضارع إذا جاء بعدها « لا » النافية مثل : يجب ألا تتسرع ، أما أن المخففة من الثقيلة وبعدها « لا » النافية فلا تحذف نونها ، مثل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وكذلك أنْ المفسرة وبعدها لا النافية ، لا تحذف نونها مثل : أوحيْت إليه أن لا فائدة من الإلحاح .

حذف الواو

تحذف تخفيفا من الكلمات :

داود ، طاوس ، ناوس (مقبرة النصارى) هاون (ما يدق فيه) .

حذف الياء

١ ــ تحذف من الكتابة الياء الناشئة من إشباع الحرف المكسور فى الشعر ، مثل لفظى العلم والحرم فى قول الشاعر :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

٣ ـ وتحذف ياء الاسم المنقوص المعرف بأل إذا وقف عليه بإسكان ما قبل الياء فى لغة ، نحو : الداع . والمتعال . والتلاق ، فى الداعى ، والمتعالى ، والتلاقى .

(الإملاء والترقيم فى الكتابة العربية ـ عبد العليم إبراهيم / ٧٥ ـ ٨٠)

الحروف التى تزاد فى الكتابة :

يقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم :

زيادة الألف

الألف لا تقع إلا فى وسط الكلمة ، أو فى آخرها :

١ ـ فتزاد وسطا فى كلمة « مائة » مفردة أو مركبة ، مثل : ثلاثمائة ، أربعمائة ، خمسمائة ، ستمائة ، سبعمائة ، ثمانمائة ، تسعمائة ، وكذلك إذا كانت مثناة نحو ، مائتان ، مائتين ، أما المجموعة فلا تزاد فيها ألف ، مثل : مئات ، مئون ، مئين ، وكذلك المنسوب إليها لا تزاد فيه ألف . مثل النسبة المئوية ، والعيد المئوى .

٢ ـ وتزاد طرفا فى المواضع الآتيه :

(أ) بعد واو الجماعة . نحو : جلسوا ، ولم يتكلموا ، وقلت لهم تحدثوا . أما الواو التى هى حرف علة ولام الفعل فلا تكتب بعدها ألف ؛ مثل : يدعو . نرجو وكذلك الواو علامة الرفع فى جمع المذكر السالم المضاف والملحق به المضاف . لا يكتب بعدها ألف ، مثل : مهندسو المشروع ضاربو المثل فى الصبر والإخلاص . وبنو العروبة يأبون العار ، والحق يعرفه ذوو الإنصاف وانتهت سنو الشدة .

(ب) فى آخر بيت الشعر إذا كانت للإطلاق نحو :

قفى يا أخت يوشع خبرينا
أحاديث القرون الغابرينا

(جـ) فى آخر الاسم المنصوب المنون ، نحو تنزهت عصراً . بشرط ألا يكون الاسم منتهيا بتاء التأنيث المربوطة . فلا زيادة فى تنزهت فترةً أو منتهيا بهمزة فوق ألف ، فلا زيادة فى : أصلحت خطأً ، وبنينا مخبأ . أو منتهيا بهمزة قبلها ألف ، فلا زيادة فى : لقيت جزاءً . وسمعت نداءً .

زيادة الواو

لا مجال لزيادة الواو إلا فى وسط الكلمة أو فى آخرها .

فتزاد وسطا فى :

(أ) « أولى » الإشارية . وكذلك « أولاء » بدون الكاف ، أو معها « أولئك » أما « الألى » اسما موصولا فلا تزاد فيها الواو . مثل : نحن الألى سبقوا بالفضل . (يفهم من هذا ومما سبق أن كلمة « أولئك » فيها حرف زائد لا ينطق به وهو الواو ، ومنها حرف محذوف ينطق به وهو الألف بعد اللام) .

(ب) وفى كلمتى « أولو . أولى » بمعنى أصحاب . وهما الملحقتان بجمع المذكر السالم ، مثل : ﴿ نحن أولو قوة ﴾ [النمل : ٣٣] إن أولى النعم محسودون . هذه تذكرة لأولى الألباب .

(جـ) وفى كلمة « أولات » بمعنى صاحبات ، وهى الملحقة بجمع المؤنث السالم فى إعرابه ، مثل : الأمهات أولات الأطفال واجبهن ثقيل .

٢ ـ وتزاد طرفا فى كلمة « عمرو » مرفوعة أو مجرورة ؛ للتفرقة بينها وبين كلمة « عمر » مثل : كان عمرو بن العاص من دهاة العرب ، ومعاوية مدين لعمرو بن العاص فى نجاح خطته .

أما عمرو المنصوبة فلا تشتبه بكلمة عمر المنصوبة ، ولذا لا تزاد فيها الواو ، فنقول : إن عمرًا داهية ، ونقول : إن عُمر عادل ، ففى آخر عمرًا المنصوبة ألف لأنها منونة ، أما عُمر فهى غير منونة ؛ فلا تلحقها ألف ، وذلك كاف للتفرقة بينهما ، وتزاد الواو فى عمرو المنصوبة إذا كانت غير منونة . وذلك فى حالة وصفها بكلمة « ابن » مثل : إن عمرو بن هند قد أثار عمرو بن كلثوم ؛ وذلك لأن حذف الواو فى هذه الحالة يجعلها تلتبس بكلمة « عُمر » .

ويشترط فى زيادة الواو فى كلمة عمرو ما يأتى :

(أ) أن تكون كلمة « عمرو » علما على شخص ، فإذا لم تكن علما بأن كانت مصدرا ، مثل : مصدر الفعل « عَمَرَ » « عَمْر » لا تزاد فيها الواو وكذلك كلمة « عَمْر » بمعنى اللحمة المتدلية من الأسنان .

(ب) ألا تضاف إلى ضمير .

(جـ) ألا تصغر .

(د) ألا تقرن بأل .

(هـ) ألا تكون منسوبة .

فإذا فقد أحد هذه الشروط لا تزاد الواو فى آخرها .

(الإملاء والترقيم فى الكتابة العربية ـ عبد العليم إبراهيم / ٨١ـ٨٣)

حروف المبانى :

هى حروف الهجاء .

انظر : حروف المعانى .

الحروف (مخارجها) :

مخارج الحروف أى موازينها جمع مخرج .

تعريف المخرج :

والمخرج لغة . محل الخروج . واصطلاحا محل خروج الحرف الذى ينقطع عنده صوت النطق به فيتميز عن غيره (ومعرفة المخرج للحرف كمعرفة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة كالمحك والمعيار) .

طريقة معرفة مخرج الحرف :

والطريقة لمعرفة مخرج حرف هو النطق به ساكناً أو مشددا بعد همز وصل محرك بأية حركة ثم تصغى إليه فحيث ما انقطع صوت النطق بالحرف فهو مخرجه .

مخارج الحروف العامة والخاصة :

والمخارج إما عامة وهى المشتملة على مخرج فأكثر، وأما خاصة وهى المحددة التى لا تشتمل إلا على مخرج واحد .

اختلاف العلماء فى عدد مخارج الحروف :

وقد اختلف علماء التجويد واللغة فى عدد المخارج العامة والخاصة .

رأى الجمهور فى عدد مخارج الحروف :

ذهب الجمهور ومنهم ابن الجزرى والخليل بن أحمد إلى أن المخارج الخاصة سبعة عشر مخرجا تنحصر فى خمسة مخارج عامة وهى :

١ـ الجوف : ويشتمل على مخرج واحد .

٢ـ الحلق : ويشتمل على ثلاثة مخارج .

٣ـ اللسان : ويشتمل على عشرة مخارج .

٤ـ الشفتان : ويشتمل على مخرجين .

٥ـ الخيشوم : ويشتمل على مخرج واحد .

رأى الشاطبى وسيبويه وموافقيهما فى عدد مخارج الحروف :

وذهب بعض علماء التجويد واللغة ومنهم الشاطبى وسيبويه إلى أن المخارج الخاصة ستة عشر مخرجا (قالت المؤلفة : وكذلك ابن الحاجب كما سيأتى) تنحصر فى أربعة مخارج عامة وهى :

١ ـ الحلق بمخارجه الثلاثة .

٢ ـ اللسان بمخارجه العشرة .

٣ ـ الشفتان بمخرجيهما .

٤ ـ الخيشوم بمخرجه .

وأسقطوا الجوف ، ووزعوا الحروف التى تخرج منه وهى حروف المد على مخارج أخرى ، فجعلوا الألف المدية مع الهمزة من أقصى الحلق ، والياء المدية مع غير المدية من وسط اللسان ، والواو المدية مع غير المدية من الشفتين (فتح المجيد/ ٥٠ ، ٥١) .

ذكر ابن حاجب فى الشافية أن عددها ستة عشر ، وذكر ابن الجزرى فى الجزرية أن عددها سبعة عشر . قال ابن الحاجب :

ومخارج الحروف ستة عشر تقريبا ، وإلا فلكل حرف مخرج ، فللهمزة والهاء والألف أقصى الحلق ، وللخاء والعين وسطه ، وللغين والخاء أدناه ، وللقاف أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، وللكاف منهما ما يليهما ، وللجيم والشين والياء وسط اللسان ، وما فوقه من الحنك ، وللضاد أول إحدى حافتيه ، وما يليهما من الأضراس ، وللام ما دون طرف اللسان إلى منتهاه وما فوق ذلك ، وللنون ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ، وللراء منهما ما يليهما ، وللطاء والدال والتاء طرف اللسان وأصول الثنايا ، وللصاد والزاى والسين طرف اللسان والثنايا ، وللظاء والذال والثاء طرف اللسان وطرف الثنايا ، وللفاء باطن الشفة السفلى وطرف الثنايا العليا ، وللباء والميم والواو ما بين الشفتين . ومخرج المتفرع واضح (الشافية / ٥٤٤،٥٤٥) .

قال ابن مالك فى فصل فى باب مخارج الحروف :

لهذه الحروف فروع تستحسن ، وهى الهمزة المسهلة ، والغنة ومخرجها الخيشوم ، وألفا الإمالة والتفخيم ، والشين كالجيم ، والصاد كالزاى ؛ وفروع تستقبح وهى كاف كجيم ، وبالعكس ، وجيم كشين ، وصاد كسين ، وطاء كتاء ، وظاء كثاء ، وباء كفاء ، وضاد ضعيفة .

(فصل) : من الحروف مهموسة ، يجمعها : « سكت فحثه شخص » ، وما عداها مجهورة ، ومنها شديدة يجمعها : « أجدك تطبق » ، ومتوسطة يجمعها : « لم يروعنا » ؟ (فى مصادر أخري« لم يروِّعنا») وما عداها رخوة . والصاد والضاد والطاء والظاء مطبقة ، وما عداها منفتحة . والمطبقة مع الغين والخاء والقاف مستعلية ، وما عداها منخفضة ، وأحرف القلقلة : « قطب جد » ، واللينة : « واى » والمعتلة هن والهمزة ، والمنحرف اللام ، والمكرر الراء ، والهاوى الألف ، والمهتوت الهمزة ، وأحرف الذلاقة : « مر بنفل » ، والمُصمتة ما عداها ، وما سوى هذه من ألقاب الحروف نسب إلى مخارجها أو ما جاورها (تسهيل الفوائد/ ٣١٩ ، ٣٢٠) .

رأى الفراء وموافقيه فى عدد مخارج الحروف :

وذهب بعض علماء التجويد واللغة ومنهم الفراء ويحيى وقطرب والجرمى إلى أن المخارج الخاصة أربعة عشر مخرجا تنحصر فى أربعة مخارج عامة وهى :

١ ـ الحلق بمخارجه الثلاثة .

٢ ـ اللسان بمخارجه الثمانية .

٣ ـ الشفتان بمخرجيهما .

٤ ـ الخيشوم بمخرجه .

وأسقطوا الجوف ، ووزعوا الحروف التى تخرج منه كالمذهب السابق وزادوا أن اللام والنون والراء تخرج من مخرج واحد وهو طرف اللسان ، وبذلك جعلوا مخارج اللسان ثمانية بدلا من عشرة .

تعدد مخارج الحروف بعدد الحروف فى الحقيقة :

والحقيقة كما أرى أن الاختلاف السابق فى عد مخارج

الحروف مبنى على التقريب لا على التحديد، إذ أن المخارج لا بد أن تتعدد بتعدد الحروف الهجائية التى لا بد لكل منها مخرج خاص به يميزه عن غيره من الحروف، فالأقوال السابقة المبنية على خروج حرفين أو ثلاثة من مخرج واحد إنما هى على سبيل التجوز والتقريب لا على سبيل الحقيقة والتحديد.

تفصيل مخارج الحروف :

واليك فيما يلى مخارج الحروف تفصيلا على مذهب الجمهور لأنه المختار مرتبة بترتيبها فى نظم الجزرى :

الجوف وحروفه وما تسمى به ووجه هذه التسمية :

أما الجوف ففى اللغة : الخلاء . وفى الاصطلاح : الخلاء الواقع داخل الحلق والفم ، ومنه تخرج الألف المدية المفتوح ما قبلها نحو (قال) والياء المدية المكسور ما قبلها نحو (قيل) والواو المدية المضموم ما قبلها نحو (يقول) وتسمى جوفية لخروجها من الجوف ، وتسمى مدية لامتداد الصوت فى يسر عند النطق بها ، وتسمى حروف العلة لتأوه العليل أى المريض بها .

مخارج الحلق وحروفه وما تسمى به ووجه هذه التسمية :

وأما الحلق ففيه ثلاثة مخارج تخرج منها ستة أحرف، وهى :

١ ـ أقصى الحلق : ومنه تخرج الهمز فالهاء .

٢ ـ وسط الحلق : ومنه تخرج العين فالحاء .

٣ ـ أدنى الحلق : ومنه تخرج الغين فالخاء .

وتسمى جميعا بالحروف الحلقية لخروجها من الحلق . والمراد بأقصى الحلق أبعده من الداخل، وبأدناه أقربه إلى الخارج، وبوسط الحلق ما بين الأقصى والأدنى .

مخارج اللسان وحروفه وما تسمى به ووجه هذه التسمية :

وأما اللسان ففيه عشرة مخارج تخرج منها ثمانية عشر حرفا ، وهى :

١ ـ أقصى اللسان من فوق مما يلى الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ومنه تخرج القاف .

٢ ـ أسفل أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ومنه تخرج الكاف وتسميان لهويتين لخروجهما من قرب اللهة .

٣ ـ وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ومنه تخرج الجيم فالشين مطلقا فالياء بشرط أن تكون متحركة بالفتح نحو (يعلمون) أو بالكسر نحو (هين) أو بالضم نحو (يؤمنون) أو ساكنة مفتوح ما قبلها نحو (خير) . أما الياء الساكنة المكسور ما قبلها فقد تقدم أنها تخرج من الجوف على المذهب المختار. ومن وسط اللسان على غيره ، وأما الياء الساكنة المضموم ما قبلها فلم ترد فى القرآن ولا فى اللغة، وتسمى الجيم والشين والياء التى تخرج من وسط اللسان شجرية لخروجها من شجر الفم أى مقدمه .

٤ ـ حافة اللسان مما يلى الأضراس العليا ، أى جانبه من الداخل، ومنها تخرج الضاد . فالضاد تخرج من إحدى حافتى اللسان مما يلى الأضراس العليا من اليسرى أو من اليمنى، من اليسرى أيسر وأكثر استعمالا. وتسمى مستطيلة لاستطالة مخرجها، والنطق بالضاد كاملا من مميزات العربى، إذ لا توجد الضاد فى أية لغة غير اللغة العربية ، ولذلك تسمى لغة الضاد، وقد تميز النبى ﷺ بكمال نطقه بها، فقال : « أنا أفصح من نطق بالضاد » ويقول الشاعر فى مدحه بذلك :

ثم صلاة الله ما ترنم ... حاد بسوق العيس فى أرض الحمى

على نبينا الحبيب الهادى ... أجل كل ناطق بالضاد

٥ ـ أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مما يلى الأنياب، أى جانبه من الخارج مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، ومنه تخرج اللام، فاللام تخرج من أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا والأنياب من اليمنى أو من اليسرى، من اليمنى أيسر وأكثر استعمالا، ومن اليسرى أصعب وأقل استعمالا، ومنهما مما أعز وأقل استعمالا.

٦ ـ طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ومنه تخرج النون .

٧ ـ أدنى اللسان من ظهره أدخل من النون قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، ومنه تخرج الراء وتسمى اللام والنون والراء حروفا ذلقية لخروجها من ذلق اللسان أى من طرفه

٨ ـ طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ومنه تخرج الطاء والدال والتاء، وتسمى نطعية لخروجها من نطع الفم أى غاره ونهاية تجويفه.

٩ ـ طرف اللسان مع ما فوق الثنايا السفلى ـ أو مع ما بين الثنايا السفلى والعليا، ولا فرق بينهما، لأن ما فوق الثنايا السفلى هى بالضبط ما بين الثنايا السفلى والعليا، وقد جاء فى بعض الكتب بيان هذا المخرج بالتعبير الأول كالجزرية، وفى بعضها بالتعبير الثانى كالشاطبية، والعلة فى اختلاف التعبيرين ضرورة الشعر التى دعت كلاًّ إلى التعبير بما يتسع له نظمه. ومن هذا المخرج تخرج الصاد والزاى والسين، وتسمى أسلية لخروجها من أسلة اللسان أى مستدقه.

١٠ ـ طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ومنه تخرج الظاء والذال والثاء، وهى الحروف التى جرت عادة القراء على النصح بإخراج اللسان عند النطق بها، وتسمى لثوية لقرب مخرجها من لثة الأسنان.

مخرجا الشفتين وحروفهما :

وأما الشفتان ففيهما مخرجان :

١ ـ بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، ومنه تخرج الفاء.

٢ ـ الشفتان معا، ومنهما تخرج الباء والميم مع انطباق، والواو مع انضمام أو انفتاح. والمراد بالواو التى تخرج من الشفتين الواو المتحركة بفتح نحو (ذروا) أو كسر نحو (وقرا) أو ضم نحو (ولد) والساكنة المفتوح ما قبلها نحو (خوف) أما الواو الساكنة المضموم ما قبلها فقد تقدم أنها تخرج من الجوف على المذهب المختار ومن الشفتين على غيره.

وأما الواو الساكنة المكسور ماقبلها فلا توجد فى القرآن ولا فى اللغة، وتسمى الفاء والباء والميم والواو شفوية لخروج الفاء من بطن الشفة السفلى، وخروج الباقى من الشفتين معا.

الخيشوم وما يخرج منه :

وأما الخيشوم وهو أعلى الأنف وأقصاه من الداخل فمنه تخرج الغنة المركبة فى جسم النون ولو تنوينا والميم فقط (فتح المجيد / ٥٠ ـ ٥٥).

أما عن المنظومات فى مخارج الحروف فلدينا النماذج التالية :

١ ـ الشاطبية : قال الإمام الشاطبى فى باب مخارج الحروف وصفاتها التى يحتاج القارئ إليها :

وهاك موازين الحروف وما حكى
جهابذة النقاد فيها محصلا
ولا ريبة فى عينهن ولا ربا
وعند صليل الزيف يصدق الابتلا
ولا بد فى تعيينهن من الأولى
عنوا بالمعانى عاملين وقولا
فابدأ منها بالمخارج مردفا
لهن بمشهور الصفات مفصلا
ثلاث بأقصى الحلق واثنان وسطه
وحرفان منها أول الحلق جمِّلا
وحرف له أقصى اللسان وفوقه
من الحنك احفظه وحرف بأسفلا
ووسطهما منه ثلاث وحافة الـ
لسان فأقصاها لحرف تطولا
إلى ما يلى الأضراس وهو لديهما
يعز وباليمنى يكون مقللا
وحرف بأدناها إلى منتهاه قد
يلى الحنك الأعلى ودونه ذو ولا
وحرف يدانيه إلى الظهر مدخل
وكم حاذق مع سيبويه به اجتلى
ومن طرف هن الثلاث لقطرب
ويحيى مع الجرمى معناه قُوِّلا

ومنـه ومن عُلَيَا الثنـايـا ثـلاثـة
ومنـه ومن أطـرافهـا مثلهـا انجلى
ومنـه ومن بين الثنـايـا ثـلاثـة
وحـرف من أطـراف الثنـايـا هي التمـلا
ومـن بـاطن السفلى من الشفتين قـل
وللشفتين اجعل ثـلاثـا لتعـدلا
وفى أول مـن كلـم بيتين جمعهـا
سـوى أربع فيهـن كلمـة أوَّلا
أهـاع حشـا (غـاو) خـلا قـارئٌ كمـا
جـرى شـرط يسرى ضـارع لاح نـوفـلا
رعـى طهـر دين تمـه ظـل ذى ثنـا
صفـا سجـل زهـد فـى وجـوه بنـى مـلا

(متن الشاطبية / ١٧٧ ـ ١٧٩) .

٢ ـ الجزرية : قال الإمام ابن الجزرى فى مخارج الحروف وقد جعلها ـ بخلاف ابن الحاجب ـ سبعة عشر :

مخـارج الحـروف سبعـة عشـر
علـى الـذى يختـاره مـن اختبـر
فـألف الجـوف وأختـاهـا وهى
حـروف مـد للهـواء تنتهى
ثـم لأقصى الحلق همـز هـاء
ثـم لـوسطـه فعين حـاء
أدنـاه غين خـاؤهـا والقـاف
أقصى اللسـان فـوق ثـم الكـاف
أسفـل والـوسط فجيم الشين يـا
والضـاد مـن حـافتـه إذ وليـا
الأضـراس مـن أيسـر أو يمنـاهـا
والـلام أدنـاهـا لمنتهـاهـا
والنـون من طـرفـه تحت اجعلـوا
والـرا يـدانيـه لظهـر أدخلـوا
والطـاء والـدال وتـا منـه ومن
عليـا الثنـايـا والصفيـر مستكـن
منـه ومـن فـوق الثنـايـا السفلى
والظـاء والـذال وثـا للعليـا
مـن طـرفيهمـا ومـن بطـن الشفـه
فـالفـا مع أطـراف الثنـايـا المشرفـه
للشفتين الـواو بـاء ميم
وغنـة مخـرجهـا الخيشـوم

(فتح المجيد ـ شرح كتاب العميد فى علم التجويد ـ الشيخ محمود على بسه . شرح وتعليق وضبط وتحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٥٠ ـ ٥٥ ومتن الشافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ومتن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع للقاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبى الرعينى ـ صححه وراجعه متولى عبد الله الفقاعى . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ـ د . ت / ١٧٧ ـ ١٧٩ ، ومتن الجزرية فى معرفة تجويد الآيات القرآنية للعلامة الشيخ محمد بن الجزرى / ٧ ـ ١١ .

انظر أيضا تلخيص لآلئ البيان فى تجويد القرآن ـ إبراهيم على على شحاته السمنودى / ٢ ـ ٤ ، والعرب والعربية ـ السيد عبد الرحمن السيد محمد العيدروسى / ١٣٩ ـ ١٤٧ ، ورسالة فى الحروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى ـ تحقيق د . رشيد عبد الرحمن العبيدى . مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول ، ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤ م / ٧٨ ـ ٨١) .

الحروف المشبهة بالفعل :

عن الحروف المشبهة بالفعل يقول ابن الحاجب :

إنَّ ، وأنَّ ، وكأن ، ولكن ، وليت ، ولعل لها صدر الكلام سوى أنَّ فهى بعكسها ، وتلحقها ما فتلغى على الأفصح ، وتدخل حينئذ على الفعل ، فإن لا تغير معنى الجملة ، وأن مع جملتها فى حكم المفرد ، ومن ثمت وجب الكسر فى موضع الجمل والفتح فى موضع المفرد فكسرت ابتداء ، وبعد القول والموصول ، وفتحت فاعلة ، ومفعولة ، ومبتدأة ، ومضافا إليها ، وقالوا : لولا أنك لأنه مبتدأ ، ولو أنك لأنه فاعل ، فإن جاز التقديران جاز الأمران ، مثل : من يكرمنى فإنى أكرمه .

و * إذا أنه عبد القفا واللهازم *

وشبهه، ولذلك جاز العطف على اسم المكسورة لفظا أو حكما بالرفع دون المفتوحة، مثل: إن زيدا قائم وعمرو، ويشترط مضى الخبر لفظا، أو حكما خلافا للكوفيين، ولا أثر لكونه مبنيا خلافا للمبرد والكسائى فى مثل: إنك وزيد ذاهبان. ولكنَّ كذلك ولذلك دخلت اللام مع المكسورة دونها على الخبر، أو على الاسم إذا فصل بينه وبينها، أو على ما بينهما، وفى لكن ضعيف، وتخفف المكسورة فيلزمها اللام، ويجوز إلغاؤها، ويجوز دخولها على فعل من أفعال المبتدإ خلافا للكوفيين فى التعميم، وتخفف المفتوحة، فتعمل فى ضمير شأن مقدر، وتدخل على الجُمل مطلقا، وشذ إعمالها فى غيره، ويلزمها مع الفعل السين، أو سوف، أو قد، أو حرف النفى. وكأن للتشبيه وتخفف فتلغى على الأفصح، ولكن للاستدراك، تتوسط بين كلامين متغايرين معنى، وتخفف فتلغى، ويجوز معها الواو. وليت للتمنى، وأجاز الفراء: ليت زيدا قائما، ولعل للترجى، وشذ الجر بها.

(الكافية لابن الحاجب. مجموع مهمات المتون / ٤٢٤، ٤٢٥)

حروف المصدر:

حروف المصدر: ما، وأنْ، وأنَّ، فالأولان للفعلية، وأن للاسمية.

(الكافية لابن الحاجب. مجموع مهمات المتون / ٤٢٧).

حروف المعانى:

سبق أن ذكرنا أن الحروف تقسم فى مصنفات التراث اللغوى إلى: حروف المعانى، وحروف الهجاء أو التهجى ويقال لها حروف المبانى.

فأما عن حروف المعانى فيسميها علم اللغة الحديث «مورفيمات»، أى الوحدات الصرفية ذات الدلالة، وتقسم فى التراث الإسلامى وفقا للعدد، فهى إما آحادية، أو ثنائية، أو ثلاثية، أو رباعية، وهو تقسيم الرمانى فى كتابه «معانى الحروف».

ونورد أولا سردًا بأسماء حروف المعانى التى أوردها الرمانى، ثم نتبعه ببيان تلك التى وردت فى مصدر آخر وزيد فيها على إحصاء الرمانى:

الحروف الأحادية: الهمزة، الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام، الواو.

(فى كتاب قواعد اللغة العربية عددها ثلاثة عشر).

الحروف الثنائية: أل، أم، أن، إن، أو، أى، لا، ما، وا، ها، يا، بل، عن، فى، مِنْ، قد، كى، لن، لم، لو، هل، مذ.

الحروف الثلاثية: منذ، نعم، بلى، ثم، جير، خلا، رُبَّ، على، سوف، إنَّ، أنَّ، ليت، ألا، إلى، إذا، أيا، هيا.

الحروف الرباعية: حاشا، حتى، كأنَّ، كلاَّ، لولا، لوما، لعل، إلا، أما، إما، هلاَّ، لما، لكن (معانى الحروف / ١٩٨، ١٩٩).

وإليك بيانها كما ورد فى كتاب قواعد اللغة العربية، مع ملاحظة الفرق بينه وبين إحصاء الرمانى:

أما الأحادية فثلاثة عشر وهى الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء (فالهمزة) للاستفهام وللتسوية وللنداء نحو ﴿ **أقريب أم بعيد ما توعدون** ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ [البقرة: ٦].

* **أجارتنا إنا مقيمان هاهنا** *

والألف: للاستغاثة وللتعجب وللندبة وللفصل بين النونين وللدلالة على التثنية نحو يا يزيدا لآمل نيل بر. يا ما أو يا عُشبا. واحسينا. وقد أسلماه مبعد وحميم.

والباء: للإلصاق وللسببية وللقسم وللاستعانة نحو أمسكت بأخى.

﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم** ﴾ [المائدة: ٣] أقسم بالله وآياته. كتبت بالقلم.

وتجىء زائدة نحوَ ﴿ **أليس الله بكاف عبده** ﴾ [الزمر: ٣٦].

والتاء: للتأنيث وللقسم نحو ﴿ **قالت امرأة العزيز** ﴾ [يوسف: ٥١] ﴿ **تالله لقد آثرك الله علينا** ﴾ [يوسف: ٩١].

والسين : للاستقبال نحو :

* ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا *

والفاء : للترتيب مع التعقيب ولربط الجواب نحو دخل عند الخليفة العلماء فالأمراء . ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران : ٣١] وتجيء زائدة لتحسين اللفظ نحو خذ سبعة فقط .

والكاف : للتشبيه وللخطاب نحو العلم كالنور . ﴿ إن فى ذلك لعبرة ﴾ [آل عمران : ١٣] و [النور: ٤٤] .

وتجيء زائدة نحو ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] .

واللام : للأمر وللابتداء وللقسم وللاختصاص نحو ﴿لينفق ذو سعة من سعته ﴾ [الطلاق : ٧] ﴿ ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ﴾ [يوسف : ٨] ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ﴾ [الحشر : ١٢] الجنة للطائعين .

والميم : للدلالة على جمع الذكور نحو ﴿ ذلك بما كنتم تفرحون فى الأرض ﴾ [غافر : ٧٥] .

والنون : للوقاية من الكسر وللتوكيد نحو ﴿ وأوصانى بالصلاة ﴾ [مريم : ٣١] ﴿ لنسفعن بالناصية ﴾ [العلق : ١٥] .

والهاء : للسكت فى الوقف نحو لِمَهْ وقِهْ وعِهْ وللغيبة نحو إياه وإياهم فإن الضمير هو إيا فقط وما بعده لواحق تدل على الغيبة كما هنا أو على الخطاب كما فى إياك وإياكم أو على التكلم كما فى إياى وإيانا .

والواو : لمطلق الجمع وللاستئناف وللحال وللمعية وللقسم نحو يسود الرجل بالعلم والأدب . ﴿ لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء ﴾ [الحج : ٥] ﴿ خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾ [البقرة : ٢٤٣] سرت والجبلَ .

﴿ والتين والزيتون ﴾ [التين : ١] .

والياء : للتكلم نحو إياى .

وأما الثنائية : فستة وعشرون وهى آ وإذ وأل وأم وأن وإن وأو وأى وإى وبل وعن وفى وقد وكى ولا ولم ولن ولو وما ومذ ومن وها وهل ووا ويا والنون الثقيلة .

آ للنداء نحو آ عبد الله .

و إذ : للمفاجأة بعد بينا وبينما وللتعليل نحو .

... ...

فبينما العسر إذ دارت مياسير

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم

إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

و أل لتعريف الجنس أو جميع أفراده أو فرد منه معين نحو الرجل خير من المرأة . ﴿ إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا ﴾ [العصر : ٢، ٣] ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ [الحشر : ٧] وتجيء زائدة نحو الآن والنعمان .

وأم : للمعادلة بعد همزة الاستفهام أو التسوية نحو ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠٩] ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ [البقرة : ٦] وتجيء بمعنى بل نحو ﴿ هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ [الرعد : ١٦] .

وأن : تكون مصدرية ومفسرة وزائدة ومخففة من أنَّ نحو ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك ﴾ [المؤمنون : ٢٧] ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ [يوسف : ٩٦] ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ [المزمل : ٢٠] .

و إن : للشرط وللنفى وتجيء زائدة ومخففة من إنَّ نحو إن تَرحم تُرحم . إن هم إلا فى غرور .

ما إن ندمت على سكوت مرة

ولقد ندمت على الكلام مرار

﴿ وإن نظنك لمن الكاذبين ﴾ [الشعراء : ١٨٦] .

و أو : لأحد الشيئين نحو خذ هذا أو ذاك . وتجيء فى مقابلة إما نحو العدد إما زوج أو فرد وبمعنى بل نحو ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ [الصافات : ١٤٧] .

وأى : للنداء وللتفسير نحو أى رب . هذا عسجد أى ذهب وإى للجواب ويذكر بعده قسم دائما نحو ﴿ ويستنبئونك

أحق هو قل إى وربى إنه لحق ﴾ [يونس : ٥٣] والغالب وقوعها بعد الاستفهام كما رأيت .

وبل : للإضراب عن المذكور قبلها وجعله فى حكم المسكوت عنه نحو ما ذهب خالد بل يوسف .

وعن : للمجاوزة وللبدلية نحو خرجت عن البلد . ﴿ لا تجزى نفس عن نفس شيئا ﴾ [البقرة : ١٢٣] .

وفى للظرفية وللمصاحبة وللسببية نحو فى البلد لصوص . ادخلوا فى أمم . دخلت امرأة النار فى هرة حبستها .

وقد : للتحقيق وللتقليل وللتوقع نحو ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس : ٩] قد يجود البخيل . قد يقدم المسافر الليلة .

وكى : للتعليل أو للمصدرية وهذه مع ما بعدها فى تأويل مصدر كأن نحو أخلصوا النيات كى تنالوا أعلى الدرجات . جد لكى تجد .

ولا : تكون ناهية وزائدة ونافية نحو ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] ﴿ فلا صدَّق ولا صلى ﴾ [القيامة : ٣١] وقد تقع النافية جوابا وعاطفة وعاملة عمل إن نحو قالوا أتصبر ؟ قلت لا . أكرم الصالح لا الطالح . لا سمير أحسن من الكتاب .

ولم : لنفى المضارع وجزمه وقلبه إلى المضى نحو ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ [الإخلاص : ٣] .

و لن : لنفى المضارع ونصبه وتخليصه للاستقبال نحو .

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولو : للشرط وللمصدرية نحو لو أنصف الناس استراح القاضى . ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] ويقال لها فى نحو المثال الأول حرف امتناع لامتناع أى انتفاء الجواب لانتفاء الشرط .

وما : تكون نافية وزائدة وكافة عن العمل ومصدرية نحو ﴿ ما هذا بشرا ﴾ [يوسف : ٣١] ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . ﴿ كأنما يساقون إلى الموت ﴾ [الأنفال : ٦] ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ [التوبة : ٢٥] وقد يلحظ الوقت مع المصدرية فيقال لها مصدرية ظرفية نحو ﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ [مريم : ٣١] .

ومذ : للابتداء أو الظرفية نحو ما كلمته مذ سنة ولا قابلته مذ يومنا .

ومن : للابتداء وللتبعيض وللتعليل نحو ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ [الإسراء : ١] ﴿ منهم من كلم الله ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ﴿مما خطيئاتهم أُغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] وتجيء زائدة بعد النفى والنهى .

والاستفهام نحو . لا يبرح من أحد ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ [فاطر : ٣] .

وها : للتنبيه تدخل على أسماء الإشارة كهذا وهذه والضمائر كهأنذا وهأنتم والجمل نحو ها إن صاحبك بالباب .

وهل : للاستفهام نحو هل طلع النهار ؟ وتفارق الهمزة فى أنها لا تدخل على نفى ولا شرط ولا مضارع حالى ولا إن .

و وا : للندبة نحو واحسيناه .

ويا : للنداء وللندبة وللتنبيه نحو ﴿ يأيها الناس ﴾ [البقرة: ٢١] وغيرها يا حسيناه . ﴿ يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ [يس : ٢٧] .

و النون الثقيلة : تدخل على الفعل لتوكيده نحو ﴿ليسجنن ﴾ [يوسف : ٣٢] ولا تلحق الماضى أبدا .

وأما الثلاثية : فخمسة وعشرون وهى آى وأَجَلْ وإذا وإذن وألا وإلى وأما وأن وإنَّ وأيا وبلى وثم وجلل وجير وخلا ورب وسوف وعدا وعلَّ وعلى ولات وليت ومنذ ونعم وهيا .

وآى : للنداء نحو آى صاعد الجبل .

وأجل : للجواب نحو .

يقولون لى صفها فأنت بوصفها
خبير أجل عندى بأوصافها علم

وإذا للمفاجأة نحو ظننته غائبا إذا إنه حاضر وتربط الجواب بالشرط نحو ﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ [الروم : ٣٦] . والأشهر أنها ظرف .

وإذن : للجواب والجزاء نحو إذن تبلغ القصد في جواب (سأجتهد) مثلا .

وألا : للتنبيه والاستفتاح وللطلب برفق وهو العرض أو بحث وهو التحضيض نحو ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم** ﴾ [يونس : ٦٢] ألا تحل بنادينا ، ألا تجتهد .

وإلى : للانتهاء نحو ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ [الإسراء : ١] .

وأما : للتنبيه ويكثر بعدها القسم نحو أما والله لأعاتبنه .

وأن للتوكيد والمصدرية نحو أعطيته لأنه مستحق وتلحقها ما فتنكف عن العمل وتفيد الحصر نحو ﴿ **يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وإن : للتوكيد نحو ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ [البقرة : ٢٠] وغيرها وتلحقها ما فتنكف أيضا وتفيد الحصر نحو ﴿ **إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ [الزمر : ٩] وقد تجيء للجواب نحو .

ويقلن شيب قد علا
ك وقد كبرت فقلت إنّه

وأيا للنداء نحو .

أيا جبلي نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمها

وبلى : للجواب نحو ﴿ **ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وأكثر ما تقع بعد الاستفهام ويجاب بها بعد النفي كما رأيت .

وثم : للترتيب مع التراخي نحو خرج الشبان ثم الشيوخ .

وجلَلْ : للجواب كنعم قالوا نظمت عقود الدرّ قلت جَلَلْ

وجَيْرِ : للجواب أيضا نحو أتقتحم المنون فقلت جَيْرِ .

وخلا : للاستثناء نحو رافق الناس خلا المضلين .

ورب : للتقليل وللتكثير نحو رب أمنية جلبت منية . رب ساع لقاعد . وقد تحذف الواو ويبقى عملها نحو .

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

ويقال للواو واو رب

وسوف : للاستقبال نحو سوف يرى .

وعدا : للاستثناء نحو حسِّن الظن بالناس عدا الخائنين .

وَعلَّ : للترجي والتوقع نحو .

لاتهين الفقير علّك أن تر
كع يوما والدهر قد رفعه

وعلى : للاستعلاء والمصاحبة نحو ﴿ **وعليها وعلى الفلك تحملون** ﴾ [المؤمنون : ٢٢] . ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾ [الرعد : ٦] .

ولات للنفي كليس نحو .

ندم البغاة ولات ساعة مندم
والبغي مرتع مبتغيه وخيم

وليت للتمني نحو .

ألا ليت الشباب يعود يوما
فأخبره بما فعل المشيب

ومنذ : للابتداء أو الظرفية كمذ نحو ما كلمته منذ سنة ولا قابلته منذ يومنا .

ونعم : للجواب فتكون تصديقا للمخبر ووعدا للطالب وإعلاما للسائل تقول نعم في جواب . البغي آخره ندم . و﴿ **افعل ما تؤمر** ﴾ [الصافات : ١٠٢] . وهل أديت ما عليك . ومثلها في ذلك أجل وجير .

وهيا : للنداء نحو هيا ربنا ارحمنا .

وأما الرباعية : فخمسة عشر وهي إذما وألا وإلا وأمّا وإمّا وحاشا وحتى وكأن وكلا ولكن ولعل ولما ولولا ولوما وهلا .

فـ إذ ما : للشرط نحو إذ ما تتق ترتق .

وألا : للتحضيض نحو ألا راعيتم حق الأخوة .

وإلا : للاستثناء نحو لكل داء دواء إلا الموت .

وأمّا : للشرط والتفصيل والتوكيد نحو ﴿ **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق** ﴾ [البقرة : ٢٦] .

وإما : للتفصيل نحو ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان : ٣] .

وحاشا للاستثناء نحو أقدموا على البهتان حاشا واحد .

وحتى : تقع حرف جر للانتهاء نحو ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ [القدر : ٥] ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ﴾ [البقرة : ١٨٧] وحرف عطف للغاية نحو قدم الحجاج حتى المشاة وحرف ابتداء نحو :

* فواعجبا حتى كليب تسبني *

وكأن : للتشبيه وللظن نحو كأن لفظه الدر المنثور. كأنه ظفر ببغيته، وقد تخفف نحو ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] .

وكلا للردع والزجر نحو ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] وقد تجيء للتنبيه والاستفتاح نحو ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥]

ولكن : للعطف أو الاستدراك نحو ما قام زيد لكن عمرو

ولعل : للترجي والتوقع نحو لعل الجو يعتدل .

ولما : لنفى المضارع وجزمه وقلبه إلى الماضى نحو أشوقا ولما يمضى لى غير ليلة . وتجيء للشرط نحو ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ﴾ [يوسف : ٦٥] ويقال لها حينئذ حرف وجود لوجود والأشهر فى نحو هذا أنها ظرف بمعنى حين .

ولولا : للتحضيض وللشرط نحو ﴿ لولا تستغفرون الله ﴾ [النمل : ٤٦] ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة : ٢٥١] ويقال لها حينئذ حرف امتناع لوجود أى انتفاء الجواب لوجود الشرط .

ولوما : كلولا فى معنييها المذكورين نحو ﴿ لوما تأتينا بالملائكة ﴾ [الحجر : ٧] .

لوما الإصاخة للوشاة لكان لى
من بعد سخطك فى رضاك رجاء

وهلا : للتحضيض نحو : هلا ترسل إلى صديقك .

(وأما الخماسية) فلم يأت منها إلا « لكن » وهى للاستدراك ، نحو فلان عالم لكنه جبان ، والاستدراك رفع وهم نشأ من الكلام السابق .

ومما تقدم يعلم أن الحروف تنقسم إلى أصناف فكل طائفة منها اشتركت فى معنى أو عمل تنسب إليه فيقال :

أحرف الجواب لا ونعم وبلى وإى وأجل وجلل وجير وإنْ

وأحرف النفى : لم ولما ولن وما ولا ولات وإنْ .

وأحرف الشرط : إن وإذما ولو ولولا ولوما وأما .

وأحرف التحضيض : ألا وألاَّ وهلا ولولا ولوما .

والأحرف المصدرية : أنْ وأنَّ وكى ولو وما .

وأحرف الاستقبال : السين وسوف وأن وإن ولن وهل .

وأحرف التنبيه : ألا وأما وها ويا .

وأحرف التوكيد : إن وأن والنون ولام الابتداء وقد .

ومن ذلك حروف الجر والعطف والنداء ونواصب المضارع وجوازمه وقد مر بيانها .

وتنقسم الحروف إلى عاملة كان وأخواتها وغير عاملة كأحرف الجواب .

وتنقسم أيضا إلى مختصة بالأفعال كأحرف التحضيض ومختصة بالأسماء كحروف الجر ومشتركة كما ولا النافيتين والواو والفاء العاطفتين .

(قواعد اللغة العربية / ٩١-١٠١) .

أما من حيث النظم فلدينا ما يلى :

١ - ألفية السيوطى النحوية / ٣٩ ، ٤٠ .

٢ - ألفية الأثارى / ٦٣ ، ٦٤ .

٣ - منظومة الشيخ معروف النودهى الموسومة بفتح الرءوف فى معانى الحروف، أو القطوف الدوانى فى حروف المعانى ونقتصر على ما أورده الإمام السيوطى فى ألفيته النحوية ، مع ملاحظة أن كل ما كان بين قوسين فهو من زيادات السيوطى على ألفية ابن مالك . قال الناظم :

إلى لـلانتهـا (ومعنى فى ومع
ومن وعند ولتبيين تقع)
والباء للإلصاق والتعدية
والسببية والاستعانة

ومثــل مــع ومــن وعــن وفــى علــى
وبـــــدلا وزائدا وكـإلـى
حتـى لـــلانتهـــاء فى اسم ظــاهــر
(وخصت الآخـــر أو كـــالآخــر
ورب للتقليـل والتكثيـــــر)
وخصت المنكـــر (مع ضميـــر)
علـى تكـــون اسمـــا (كفـــوق) يلُفى
وتُعطى الاستعـــلا (كثيـــرا) حـــرفـا
ومثل عـن (ومع ومن والـــــلام) فـى
(والبـــا ولكن ومـــزيـــدة تفى)
بعن تجـــاوز (ابتـــدا) استعل (ابـــدل
أو خـــذ كفى والبـــا) وبعـــد (علل)
وفى لظـــرفـى المكـــان والـــزمن
(وكـإلى على ومع) والبـــا (ومن)
بـــالكـــاف شبـــه زد وعلل وتخص
بمظهـــر واسمـــا أتت فـــاجـــرر بنص
وكـى (لتعليل وتختص بمـــــا
وأن مـن المصـــدر مـــا مستفهمـــا)
لـــلاختصـــاص الـــلام والتعـديـة
والملك والتـــوكيـــد (والصيـــرورة)
والعلـــــة (التمليك أو كفى على
وعنـــد بعـــد من وعـن ومع) إلى
مـن ابتـــدأ بهـــا وبين (علل)
بعض (وللفصل أتت) والبـــدل
(والنـص للعمـــــوم أو مثل إلـى
وعـن وفى وعنـــد والبـــا وعلى)
وزيـــد فى نفى وشبهـــه (فخص)
نكـــرة (واسمـــا أتت مفعـــول نـص)
ومـــذ ومنـــذ ولـــوقت ذان جـــر
كمـن بمـــاض وكفى فيمـــا حضـــر
واسمـــان إن تليهمـــا الجملـــة أو
رفـع وجـــر غيـــر مظهـــر أبـــوا
وزيـــد مـــا فى من وعن ليس يكف
والبـــا وفى الغـــالب رب الكـــاف كف
وأُضمـــرت رُب فجُـــرت بعـــد بل
واو وفـــا وهـــو بغيـــر رب قل

(ألفية السيوطى النحوية / ٣٩ ، ٤٠) .

(معانى الحروف للرمانى ـ حققه وخرَّج شواهده وعلق عليه وقدم له د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى / ١٩٨ ، ١٩٩ ، وقواعد اللغة العربية ـ حفنى ناصف وزملائه / ٩٢ ـ ١٠١ ، وألفية السيوطى النحوية / ٣٩ ، ٤٠ . انظر أيضا ألفية الآثارى : كفاية الغلام فى إعراب الكلام لزين الدين شعبان بن محمد القرشى الآثارى ـ حققه وقدم له د . زهير زاهد والأستاذ هلال ناجى / ٦٣ ، ٦٤ ، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى ـ دراسة وتحقيق السيد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى ، والسيد محمود أحمد ، والشيخ محمد عمر القرداغى . المجموعة الأصولية ، القسم الخامس / ٣٢٠ ـ ٣٧٠ ، والوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى ـ حققه وقدم له د . عبد العزيز الدسوقى ١ / ٨٠ ـ ٩٣ ، والإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٩٨ ـ ٢٣٤ وقد جعل معرفة الحروف وما شاكلها التى يحتاج إليها المفسر النوع الأربعين من علوم القرآن) .

حروف المعجم :

انظر : الحروف .

الحروف المقطعية فى أوائل بعض السور :

يقول فضيلة الشيخ محمود عبد الحليم الرفاعى :

لهذه الحروف فى أوائل بعض سور القرآن معان جمة وفوائد لطيفة جليلة الشأن، وما كان الله سبحانه لينزل فى كتابه ما لا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه ولا من اصطفاهم بما لا يفهمونه وقد أنزل القرآن بيانا للناس وشفاء لما فى الصدور وفى تخصيص هذه الحروف وهى أربعة عشر حرفا حكمة بل حكم وفى إنزالها مقطعة على هيئة التهجى فوائد لا تحصى وفى تخصيصها بأوائل السور مقاصد سامية .

وقال الألوسى فى تفسيره وفهم المراد منها : علم مستور وسر محجوب عجزت العلماء عن إدراكه وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه « لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل

السور » وقال الشعبى : « هو سر الله فلا تطلبوه » ولا يعرفه بعد رسول الله ﷺ إلا الأوليـاء وجهل أمثالنـا بالمراد منهـا لا يضر، فإن من الأفعال التى كلفنا الله بها ما لا نعرفه ولا نعرف الحكمة منه كـرمى الجمـرات والسعى بين الصفـا والمـروة وكـالـرمل والاضطباع (انظر مادة « الاضطباع » فى م ٥ / ٢٥٧ ، ٢٥٨) وغير ذلك (البيان المبين / ٥٩) .

قال الإمام الصفـاقسى : الحروف المقطعة المرسـومة فى أوائل بعض السور الشريفة . هى سر القرآن وصفوته كما قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سر، وسر الله فى القرآن فى أوائل السور وقال على رضى الله عنه : إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى اهـ (تنبيه الغافلين / ٤٥) .

ونبدأ بالإحصاء التالى الذى أورده المختار الرازى صاحب كتـاب الحـروف حيث يقـول فـى فصل بعنـوان « فى حـروف المعجم فى أوائل السور » مع مـلاحظة أننـا أدخلنا فى النص هـوامـش المحقق الـدكتـور رشيـد عبـد الـرحمـن العبيـدى ووضعناها بين أقواس .

يقـول المؤلف : هى فى أوائل تسـع وعشرين سـورة (فى إعجاز القرآن للباقلانى ـ حاشية الإتقان للسيوطى / ٦٥ ، ٦٦ أنها ثمان وعشرون سورة) .

الٓمٓ : [البقرة : ١] .

الٓمٓ : [آل عمران : ١] .

الٓمٓصٓ : [الأعراف : ١] .

الٓر : ﴿ الٓرۚ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] .

الٓر : ﴿ الٓرۚ كتاب أحكمت آياتُه ثم فُصِّلت من لدُنْ حكيم خبير ﴾ [هود : ١] .

الٓر : ﴿ الٓرۚ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [يوسف : ١] .

الٓمٓر : ﴿ الٓمٓرۚ تلك آيات الكتاب ﴾ [الرعد : ١] .

الٓر : ﴿ الٓرۚ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم : ١] .

الٓر : ﴿ الٓرۚ تلك آيات الكتاب وقرءانٍ مبين ﴾ [الحجر: ١]

كٓهيعٓصٓ : ﴿ مريم : ١] .

طه : [طه : ١] .

طسٓمٓ : [الشعراء : ١] .

طسٓ : ﴿ طسٓ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ [النمل : ١] .

طسٓمٓ : [القصص : ١] .

الٓمٓ : [العنكبوت : ١] .

الٓمٓ : [الروم : ١] .

الٓمٓ : [لقمان : ١] .

الٓمٓ : [السجدة : ١] .

يسٓ : [يسٓ : ١] .

صٓ : ﴿ صٓ والقرآن ذى الذكر ﴾ [صٓ : ١] .

حمٓ : [غافر : ١] .

حمٓ : [فصلت : ١] أو [حمٓ السجدة : ١] .

حمٓ عٓسٓقٓ : ﴿ حمٓ * عٓسٓقٓ ﴾ [الشورى : ١ ، ٢] .

حمٓ : [الزخرف : ١] .

حمٓ : [الدخان : ١] .

حمٓ : [الجاثية : ١] .

حمٓ : [الأحقاف : ١] .

قٓ : ﴿ قٓ والقرآن المجيد ﴾ [قٓ : ١] .

نٓ : ﴿ نٓ والقلم وما يسطرون ﴾ [القلم : ١] أو [نٓ : ١]

وهى كلهـا سبعة وسبعـون حرفـا ، والـذى لم يتكرر منهـا حرفان: ك (فى قوله تعالى ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١])، ن (فى قوله تعالى: ﴿نٓ والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١]) .

والذى تكرر مرتين أربعة :

ع : فى قوله تعالى: ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ ، ٢] .

ق : فى قولـه تعالى : ﴿ قٓ والقرآن المجـيد ﴾ [قٓ : ١]، و ﴿عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١] .

هـ : فى قوله تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم : ١] و ﴿طه﴾ [طه : ١] .

ى: فى قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] و ﴿يس﴾ [يس: ١].

ص: والذى تكرر ثلاث مرات حرف واحد: ص: (فى قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]، و ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾ [ص: ١]، و ﴿المص﴾ [الأعراف: ١]).

ط: والذى تكرر أربع مرات حرف واحد: ط (فى قوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: ١]، و ﴿طسم﴾ [الشعراء: ١] و ﴿طسم﴾ [القصص: ١] و ﴿طس﴾ [النمل: ١]).

س: والذى تكرر خمس مرات حرف واحد: س (فى قوله تعالى: ﴿حم * عسق﴾ [الشورى: ١] و ﴿يس﴾ [يس: ١] و ﴿طسم﴾ [الشعراء: ١] و ﴿طسم﴾ [القصص: ١] و ﴿طس﴾ [النمل: ١]).

ر: والذى تكرر ست مرات حرف واحد: (فى قوله تعالى: ﴿الر﴾ [يونس: ١] و ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [هود: ١] و ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ [يوسف: ١] و ﴿المر تلك آيات الكتاب﴾ [الرعد: ١] و ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] و ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١]).

ح: والذى تكرر سبع مرات حرف واحد: ح فى قوله تعالى: ﴿حم﴾ [غافر: ١] و ﴿حم﴾ [فصلت: ١] أو [حم السجدة: ١] و ﴿حم * عسق﴾ [الشورى: ١، ٢] و ﴿حم﴾ [الزخرف: ١]، و ﴿حم﴾ [الدخان: ١] و ﴿حم﴾ [الجاثية: ١] و ﴿حم﴾ [الأحقاف: ١].

والذى تكرر ثلاث عشرة مرة حرفان: أ، ل.

تكرر الألف ﴿الر﴾ خمس مرات، وفى ﴿الم﴾ ست مرات، وفى ﴿المص﴾ مرة، وفى ﴿المر﴾ مرة، وتكررت اللام فيها جميعًا والذى تكرر سبع عشرة مرة حرف واحد: م: فى ﴿الم﴾ ست مرات، و ﴿المر﴾ و ﴿المص﴾ مرتين، و ﴿حم﴾ سبع مرات، و ﴿طسم﴾ مرتين. المجموع سبع عشرة مرة.

والمنقوط منها ثلاثة: ق، ن، ى.

وغير المنقوط أحد عشر: أ، ح، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ.

ومدار الكل نصف حروف المعجم: أربعة عشر: أ، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ك، ل، م، ن، هـ، ى.

وعدد سورها عدد حروف المعجم (وهى التسعة والعشرون حرفا) ومنها من الحروف المهموسة، نصفها، وهى: ص، ك، هـ، س، ح، ومن المجهورة نصفها: أ، ل، م، ر، ع، ط، ق، ى، ن، ومن الشديدة نصفها: أ، ط، ك، ق، ومن الرخوة، نصفها، وهى: ل، م، ر، ص، هـ، ع، س، ح، ز، ى، ومن المطبقة نصفها: ص، ط، ومن المنفتحة نصفها: أ، ل، م، ر، ك، هـ، ع، س، ح، ق، ن، ى.

ومن المستعلية نصفها، وهى: ق، ص، ط، ومن المنخفضة نصفها: أ، ل، ر، م، ر، ك، هـ، ى، ع، س، ح، ن، ومن حروف القلقلة نصفها، وهى: ق، ط (انظر مادة «الحروف (صفاتها)»).

وهذه الحروف على خمسة أعداد، وحدان، وثنائى، وثلاثى، ورباعى، وخماسى.

فالوحدان: ثلاث: ص، ق، ن (سورة ص، وسورة ق، وسورة القلم).

والثنائى تسع: طه، طس، يس، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، (السور: طه والنمل ويس وغافر والسجدة والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف فهذه عشر سور وليست تسعا كما ذكر المؤلف).

والثلاثى ثلاثة عشر: الم، الم، الم، الم، الم، الم، الر، الر، الر، الر، الر، طسم، طسم، (السور: البقرة، آل عمران، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الشعراء، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة).

والرباعى اثنان: المص، المر (سورتا الأعراف والرعد).

والخماسى اثنان: كهيعص، حم عسق (سورتا مريم والشورى).

وسبعة منها آية آية، وهى: ﴿كهيعص﴾، ﴿المص﴾،

﴿الٓمٓ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿يسٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، فيكون ثمانى عشرة آية، (مريم ـ الأعراف ـ العنكبوت والروم ولقمان والسجدة ـ الشعراء والقصص ـ طه ـ يس ـ والحواميم وهى: غافر ـ فصلت ـ الشورى ـ والزخرف والدخان ـ والجاثية ـ والأحقاف. وفى الشورى آيتان فيكون المجموع ثمانى عشرة كما ذكر المؤلف).

وستة منها ليست بآية، وهى: المر، الر، طس، ق، ن.

(وهى: الٓر: يونس، والٓر: هود، و الٓر: يوسف، والٓمر: الرعد، والٓر: إبراهيم، والٓر: الحجر، وطٓس: النمل، و: صٓ، و: قٓ، و نٓ: القلم. ويلاحظ أن المتكرر بعد آية واحدة فى إحصاء هذه الحروف المقطعة. أى أن مثل ﴿الٓر﴾ يعد آية واحدة، وإن تكرر).

وواحد آيتان، وهى: ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ (وهما آيتا الشورى، كل مقطع منهما آية ﴿حمٓ﴾ آية و ﴿عسٓقٓ﴾ آية.

فإن قيل: كيف عد ما هو فى حكم كلمة واحدة آية، قلنا: كما عد ﴿الرحمن﴾ وحده ـ آية تامة. و ﴿مدهامتان﴾ آية. وهو على طريق التوقيف (أى: أن ما وصلنا فى آى القرآن الكريم إنما هو توقيف من الله على البشر لا اصطلاحى ولا عرف، وهو كالأمور التشريعية من صيام وصلاة وحج).

فإن قيل: كيف عد ﴿يسٓ﴾ آية ولم تعد: ﴿طسٓ﴾ آية، قلنا: إن ﴿طسٓ﴾ أشبه: «قابيل» من حيث الوزن والحروف الصحاح، و ﴿يسٓ﴾ أوله حرفا علة، وليس مثل ذلك فى الأسماء المفردة، فأشبه الجملة والكلام التام، وشاكل ما بعده من رؤوس الآى (فى معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٧١: أن ﴿يسٓ﴾ بمعنى: يا رجل، وهو فى العربية بمنزلة حرف الهجاء، كقولك: حم ... وأشباهها).

فإن قيل: كيف عد: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ آية واحدة تامة، و ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ آيتين؟ قلنا: لأن أهل التأويل لم يختلفوا فى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وأخواتها أنها حروف التهجى لا غير، واختلفوا فى ﴿حمٓ﴾ فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلوها فعلا، وقالوا: معناها: «حُمَّ»، أى، قضى ما هو كائن، فيكون، ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ فى تقدير كلامين.

(قال فى الإتقان: ١/ ٦٦: «إن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع، كمعرفة السورة قال: فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى أول القرآن، وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن وعما قبلها وما بعدها فى غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك ... وقال الزمخشرى: الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ولذلك عدوا: الٓمٓ آية، حيث وقعت، والمٓصٓ ولم يعدوا: المر والر، وعدوا: حم: آية فى سورها، وطه ويس ولم يعدوا: طس. قال السيوطى ومما يدل على أنه توقيفى ما أخرجه أحمد فى مسنده .. عن ابن مسعود: قال: أقرأنى رسول الله ـ ﷺ ـ سورة من الثلاثين من آل حم، قال: يعنى الأحقاف، وقال: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين .. الحديث).

فإن قيل: فكيف لم يقطع: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وقطع: ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾، قلنا: لأنها بين سور أوئلها: ﴿حمٓ﴾ فجرى مجرى نظائرها قبلها وبعدها، فكان ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، و ﴿عسٓقٓ﴾ خبره، ولأنهما عدا آيتين، وعدت أخواتها آية واحدة، فكتبت موصولة، وكتبت: ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ مفصولة ليعلم أنهما آيتان.

فإن قيل: فهل يمكن من مجموع هذه الحروف تخريج كلام مفهوم، ومعنى معلوم؟! قلنا: نعم! أما الحروف التى عليها مدار هذه الحروف وهى: أربعة عشر: أ: ح: ر: س: ص: ط: ع: ق: ك: ل: م: ن: هـ: ى. تخرج منها ـ بحذف الصاد ـ كلام مفهوم: بتقديم البعض: وتأخيره: وهو: «أحرس قطع كل منهى» وإن ضممت: ﴿الٓر﴾ إلى ﴿حمٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ يخرج منه: ﴿الرحمن﴾: ويجوز أن تقول: «الرحمن حق» بتكرير الحاء، كما هو مكرر فى الأصل، ويخرج منه «قطع الرحم نقص» بتكرير القاف: كما هو مكرر فى الأصل، أو يخرج منه «قنص المرء حكمة» أو يخرج منه: «احرص على العلم» بتكرير العين واللام: كما هو مكرر فى الأصل.

أو يخرج منه: «حرم الله كل منهى» وإن حسبت الحروف

التى عليها مدار هذه الحروف: تجىء ستمائة وثلاثا وتسعين: سبعمائة إلا سبعًا (يعنى إذا حسبت لكل حرف قيمته فى حساب الجُمّل كالألف وهو واحد واللام وهو ثلاثون، والراء وهو مائتان ... إلخ الحروف. كان مجموعها: ٦٩٣. وحساب الجمل يكون على الترتيب الأبجدى، وهو أبجد هوز حطى .. إلخ).

وذلك قريب مما قيل: أن تكون مدة بقاء هذه الآية إلى قيام الساعة، فقد ذكروا أن فى المائة السابعة تظهر الآيات الكبرى، والعلامات العظمى، والله أعلم.

(حاشية الأصل بيتان هما:

إذا بلغ الزمان إلى حروف
ببسم الله مع ميم تماما
فذاك علامة المهدى حقا
فمن عندى تبلغه السلاما)

وقد وردت أبيات فى هذه الحروف المقطعة، فى أوائل السور، فمن ذلك قول شريح بن أوفى العبسى: (من الطويل ـ قافية المتدارك).

تُذكّرنى حاميم والرمح شاجر
فهلاّ تلا حاميم، قبل التقدُّم

(رسالة فى حروف العربية / ١١٣ ـ ١٢١).

وقد أدرج الإمام البدر الزركشى ضمن النوع السابع من أنواع علوم القرآن الكريم أسرار الفواتح والسور، ومن بينها الاستفتاح بحروف التهجى، وننقله لك فيما يلى:

استفتاح السور بحروف التهجى نحو: الٓمٓ، الٓمٓصٓ، الٓمٓرٰ، كٓهيعٓصٓ، طه، طسٓ، طسٓمٓ، حمٓ، حمٓ عٓسٓقٓ، قٓ، نٓ. وذلك فى تسع وعشرين سورة.

قال الزمخشرى: (الكشاف ١/ ١٣، ١٤) «وإذا تأملت الحروف التى افتتح الله بها السور وجدتها نصف أسامى حروف المعجم، أربعة عشر: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والخاء، والقاف، والنون. فى تسع وعشرين عدد حروف المعجم. ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف: المهموسة والمجهورة والشديدة والمطبقة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقلة. ثم إذا استقريت الكلام تجد هذه الحروف هى أكثر دورًا مما بقى، ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورًا جاءت فى معظم هذه الفواتح، فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته!». انتهى.

(يعلق محقق الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم على ذلك بقوله فى هامش ١:

كذا نقله المؤلف؛ وفى الكلام اختصار؛ وعبارة الكشاف: «ثم إذا نظرت فى هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة عى أنصاف أجناس الحروف؛ بيان ذلك: أن فيها من المهموسة نصفها: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء. ومن المجهورة نصفها: الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون. ومن الشديدة نصفها: الألف والكاف والطاء والقاف. ومن الرخوة نصفها: اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون. ومن المطبقة نصفها: الصاد والطاء. ومن المنفتحة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون. ومن المستعلية نصفها: القاف والصاد والطاء. ومن المنخفضة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون. ومن حروف القلقلة نصفها: القاف والطاء. ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها؛ فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته!»).

قيل: وبقى عليه من الأصناف: الشديدة والمنفتحة، وقد ذكر تعالى نصفها. أما حروف الصفير فهى ثلاثة ليس لها نصف؛ فجاء منها السين والصاد، ولم يبق إلا الزاى. وكذلك الحروف اللينة ثلاثة، ذكر منها اثنين: الألف والياء، أما المكرر وهو الراء، والهاوى وهو الألف، والمنحرف وهو اللام فذكرها؛ ولم يأت خارجًا عن هذا النمط إلا ما بين الشديدة والرخوة؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف. وهذا التداخل موجود فى كل قسم قبله، ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها. ووهم الزمخشرى فى عد حروف القلقلة؛ إنما ذكر نصفها، فإنها خمسة ذكر منها حرفان: القاف والطاء.

وقال القاضي أبو بكر: إنما جاءت على نصف حروف المعجم ؛ كأنه قيل: من زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقي، ويركب عليه لفظا معارضة للقرآن . وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق .

واعلم أن الأسماء المتهجاة في أول السور ثمانية وسبعون حرفا، فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد، والعين والياء والها والقاف كل واحد في مكانين، والصاد في ثلاثة، والطاء في أربعة، والسين في خمسة، والراء في ستة، والحاء في سبعة، والألف واللام في ثلاثة عشر ، والميم في سبعة عشر، وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما :

كن واحد عيهق اثنان ثلاثة صا

د الطاء أربعة والسين خمس علا

والراء ست وسبع الحاء آل ودج

وميمها سبع عشر تم واكتملا

(كلمة «ودج» تعني العدد ثلاثة عشر بحروف الجُمَّل) .

وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفًا ؛ يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر» ؛ وجمعها السهيلي في قوله: «ألم يسطع نور حق كره» .

وهذا الضابط في لفظه ثِقَل، وهو غير عذب في السمع ولا في اللفظ ؛ ولو قال: «لم يكرها نص حق سطع» لكان أعذب .

ومنهم من ضبط بقوله: «طرق سمعك النصيحة» ، و «صن سرا يقطعك حمله»، و «على صراط حق يمسكه» . وقيل: «من حرص على بطه كاسر» وقيل: «سر حصين قطع كلامه» .

ثم بنيتها ثلاثة حروف موحدة: صٓ قٓ نٓ، وعشرة مثنى: طه، طسٓ، يسٓ، حمٓ أ. واثنا عشر مثلثة الحروف: الٓمٓ، الٓر، طسٓمٓ، واثنان حروفها أربعة: الٓمٓصٓ، الٓمٓر . واثنان حروفها خمسة: كهيعص ، حمٓ عسٓقٓ .

وأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها: ما هو ثلاثة أحرف، وما هو أربعة أحرف سورتان، وما ابتدئ بخمسة أحرف سورتان .

وأما ما بدئ بحرف واحد فاختلفوا فيه، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفا وإنما جعله اسما لشيء خاص . ومنهم من جعله حرفا وقال: أراد أن يتحقق الحروف مفردها ومنظومها .

فأما ما ابتدئ ثلاثة أحرف ففيه سر، وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولاً كانت همزة، وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف، وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم. وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ؛ أعني الحلق واللسان والشفتين، وترتبت في التنزيل من البداية، إلى الوسط، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة، التي يتفرع منها ستة عشر مخرجًا ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفًا ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين، مع تضمنها سرا عجيبا، وهو أن الألف للبداية، واللام للتوسط، والميم للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية، والنهاية ، والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه، مشتملة على خلق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر . فتأمل ذلك في البقرة، وآل عمران، وتنزيل السجدة، وسورة الروم .

وأيضًا فلأن الألف واللام كثرت في الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها في الكلام .

وأيضًا من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرئة ؛ فهي أعمق الحروف، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم ؛ فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم، والميم مطبقة ؛ لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقا، ويرمز بهن إلى باقي الحروف ؛ كما رمز ﷺ بقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمها . (نقله السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١١٠ عن البخاري ومسلم ؛ ولفظه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» . عن أبي هريرة).

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها : وهى الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات. والسين مهموس رخو مستفل صفير منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها، كالسين والهاء ؛ فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف .

وتأمل السورة التى اجتمعت على الحروف المفردة: كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ؛ فمن ذلك : ﴿قٓ والقرآن المجيد﴾ [قٓ : ١] فإن السورة مبنية على الكلمات القافية : من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارًا، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر السابق، والقرين، والإلقاء فى جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرن، والتنقيب فى البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسى فيها، وبُسوق النخل، والرزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد، وغير ذلك .

وسر آخر وهو أن كل معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة «صٓ» من الخصومات المتعددة ؛ فأولها خصومة الكفار مع النبى ﷺ. وقولهم : ﴿أجعل الآلهة إلٰها واحداً ... ﴾ [صٓ : ٤] ، إلى آخر كلامهم ، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى فى العلم، وهو الدرجات ، والكفارات، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانيا فى شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

وكذلك سورة ﴿ نٓ والقلم ﴾ ؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية .

وتأمل سورة الأعراف زاد فيها « ص » لأجل قوله تعالى : ﴿فلا يكن فى صدرك حرج ﴾ [الأعراف : ٢] وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء، ولهذا قال بعضهم : معنى ﴿الٓمٓصٓ ﴾، ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [الانشراح : ١] وقيل : معناه المصور، وقيل: أشار بالميم لمحمد، وبالصاد للصديق ؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصديق لمحمد ومتابعته له .

وجعل السهيلى هذا من أسرار الفواتح، وزاد فى الرعد «راء» لأجل قوله تعالى : ﴿ الله الذى رفع السمٰوات ﴾ [الرعد : ٣] ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما .

واعلم أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله : ﴿ الٓمٓ * ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] وقد جاء بخلاف ذلك فى العنكبوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك .

ثم يسوق الإمام الزركشى هذه التنبيهات فيقول :

ثم لا بد من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة :

الأول : أن البصريين لم يعدوا شيئا منها آية ؛ وأما الكوفيون فمنها ما عدوه آية، ومنها ما لم يعدوه آية ؛ وهو علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ؛ كمعرفة السورة ؛ أما ﴿ الٓمٓ ﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها ، وهى ست (سورة البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم، لقمان ، السجدة) ، وكذلك ﴿الٓمٓصٓ ﴾ آية ،و ﴿ الٓمٓر ﴾ لم تعد آية ، و ﴿ الٓر ﴾ ليست بآية من سورها الخمس، و ﴿ طسٓمٓ ﴾ آية فى سورتيها، و ﴿طه ﴾ و ﴿ يسٓ ﴾ آيتان، و ﴿ طسٓ ﴾ ليست بآية، و ﴿حمٓ﴾ ، آية فى سورها كلها، و ﴿ حمٓ * عسٓقٓ ﴾ آيتان، و ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ آية واحدة ، و ﴿ صٓ ﴾ ، و ﴿ قٓ ﴾ ؛ و ﴿نٓ﴾ لم تعد واحدة منها آية ؛ وإنما عد ما هو فى حكم كلمة آية ، كما عد ﴿ الرحمن ﴾ [الرحمن : ١] وحده ، و ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن : ٦٤] وحدها آيتين على طريق التوقيف .

وقال الواحدى فى « البسيط » فى أول سورة يوسف : لا

يعد شيء منها آية إلا فى ﴿ طه ﴾، وسره أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رءوس الآى، فلهذا لـم يعد آية؛ بخلاف ﴿ طه ﴾ فإنها تشاكل ما بعدها.

الثانى : هذه الفواتح الشريفة على ضربين : أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب، نحو ﴿ كَهيعَصَ ﴾ . و الثانى ما يتأتى فيه؛ وهو إما أن يكون اسما مفردًا كصَ، و قَ، و نَ، أو أسماء عدة مجموعها على زنـة مفرد كـ« حمَ »، و « طَس » ، و « يَس » فإنها مـوازنة لقـابيل وهابيل ، وكذلك « طَسَمَ » يتأتى فيها أن تفتح نـونهـا فتصير (ميم) [ميمـا] مضمـومـة إلى « طَس » فيجعلا اسما واحدا كدارانجرد .

فالنوع الأول محكى ليس إلا .

أما النوع الثانى فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية (ذكره الزمخشرى فى الكشـاف ١ / ١١ ونقله عـن سيبويه فى بـاب أسمـاء السـور ـ ٢ / ٣٠، ٣١) .

الثالث : أنه يوقف على جميعها وقف التمام ؛ إن حملت على معنى مستقل غير محتـاج إلـى مـا بعـده، وذلك إذا لم تجعل أسمـاء للسـور، وينعق بهـا كما ينعق بـالأصـوات؛ أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف؛ كقوله تعالـى : ﴿الٓمٓ * الله ﴾ [آل عمـران : ١، ٢] أى هذه السـورة « الٓمٓ » ثم ابتـدأ فقال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ .

الـرابع : أنها كتبت في المصـاحف الشـريفة على صـورة الحروف أنفسهـا، لا على صـورة أسـاميهـا، وعلل ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبـة من ذوات الحروف، واستمرت العادة متى تهجيت، ومتى قيل للكـاتب : اكتب : كيت وكيت، أن يلفظ بـالأسماء، وتقع فى الكتـابـة الحروف أنفسهـا؛ فحمل على ذلك للمشاكلة المألـوفة فى كتابة هـذه الفواتح . وأيضا فإن شهرة أمرها، وإقامة ألسنة الأحمر والأسود لها؛ وأن اللافظ بهـا غير متهجـاة لا يجيء بطـائل فيهـا، وأن بعضها مفـرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها . وقد اتفقـت فى خط المصحف أشياء خـارجة عن القيـاسات التى يبنى عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بنكير ولا نقصـان لاستقـامـة اللفظ وبقـاء الحفظ، وكـان اتبـاع خط المصحف سنة لا تخالف . أشار إلى هـذه الأحكام المذكورة صاحب الكشاف .

وقد اختلف الناس فى الحروف المقطعة أوائل السور على قولين .

أحـدهما أن هـذا علم مستور، محجـوب استأثر الله بـه، ولهذا قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سر، وسره فى القرآن أوائل السـور. قال الشعبى : إنهـا من المتشابـه، نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل .

قال الإمام الرازى : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجـوز أن يـرد فى كتـاب الله مـا لا يفهمـه الخلق، لأن الله تعـالى أمـر بتدبـره، والاستنبـاط منـه؛ وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعنـاه، ولأنه كما جاز التعبـد بما لا يعقل معناه فى الأفعال ، فلم لا يجوز فى الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقـف على معناه، وتارة بمـا لا نقف على معنـاه، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم !

القول الثانى أن المراد منها العلوم، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها؛ فمنها البعيد، ومنها القريب .

أحـدها : ويـروى عن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانـه، فالألف مـن « الله »، واللام من « لطيف » والميم من « مجيد »، أو الألف من « آلائه »، واللام من « لطفه » ، والميـم من « مجده » . قال ابن فارس : وهذا وجه جيد، وله فى كلام العرب شـاهد :

* قلنا لها قفى فقالت قَ *

فعبر عن قولها « وقفت » بقَ .

قالت المؤلفة : جاء فى لسان العرب (١ / ١٥) :

* قلتُ لها قفى فقالت قِ *

فنطق بقاف فقط، تريد أقف. وأنشد أيضا :

نـــــــاديتهم أن ألجمـــــوا ألا تـــــــا !

قــــالـــــوا جميعـــا كلهـم : ألا فـــا !

قال تفسيره : نادوهم أن ألجموا ألا تركبون ؟

قالوا جميعا : ألا فاركبوا ؛ فإنما نطق بتاء وفاء كما نطق الأول بقاف ا هـ .

الثاني : أن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذى يقرؤه محمد هو الكتاب المنزل لا شك فيه ، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان . وما فى كتب الله المنزلة باللغات المختلفة ، وهى أصول كلام الأمم بها يتعارفون، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿ الفجر ﴾ ﴿ والطور ﴾ ؛ فكذلك شأن هذه الحروف فى القسم بها .

الثالث : أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه عز وجل ، أو آلائه ، أو بلائه ، أو مدة أقوام أو آجالهم ، فالألف سنة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون؛ روى عن الربيع بن أنس. قال ابن فارس: وهو قول حسن لطيف ، لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدع نظما عجيبا ، ولا علما نافعا إلا أودعه إياه ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضا فى قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ . أنا الله أعلم ، وفى ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ أنا الله أفصل . و ﴿الٓر﴾ أنا الله أرى ، ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسماء للسور فـ ﴿ الٓمٓ ﴾ اسم هذه ، و ﴿حمٓ ﴾ اسم لتلك ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز؛ فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ، ونقله الزمخشرى عن الأكثرين وأن سيبويه نص عليه فى كتابه (٢ / ٣٠) وقال الإمام فخر الدين : هو قول أكثر المتكلمين فإن قيل : فقد وجدنا ﴿ الٓمٓ ﴾ افتتح بها عدة سور ، فأين التمييز ؟ قلنا : قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميزان بأن يقال : زيد الفقيه ، وزيد النحوى ، فكذلك إذا قرأ القارئ: ﴿الٓمٓ * ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] فقد ميزها عن ﴿ الٓمٓ * الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢].

السادس : أن لكل كتاب سرا ، وسر القرآن فواتح السور ، قال ابن فارس : وأظن قائل ذلك أراد أنه من السر الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم . واختاره جماعة ، منهم أبو حاتم بن حبان .

قلت : وقد استخرج بعض أئمة المغرب من قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ * غلبت الروم ﴾ [الروم : ١ ، ٢] فتوح بيت المقدس واستنقاذه من العدو فى سنة معينة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، وقال بعضهم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ [فصلت : ٢٦] فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ، ويكون تعجبهم سببا لاستماعهم ، واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده ، فترق القلوب وتلين الأفئدة .

الثامن : أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى : أ ، ب ، ت ، ث ... فجاء بعضها مقطعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعقلونها ، ويبنون كلامهم منها .

التاسع : واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا؛ فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادة منه للدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا ، لأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكون الله عز وجل قد وضعها هذا الوضع فسمى بها ، وأن كل حرف منها فى آجال قوم وأرزاق آخرين ، وهى مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى فى إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سمع ، وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد ﷺ بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

العاشر : أنها كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل، والأخذ فى التفاضل ، وهى بمنزلة زمجرة الرعد قبل النظر فى الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام. وما هذا شأن خليق بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه .

الحادى عشر : التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط، ولم يعان الطريقة، على ما قال تعالى : **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾** [العنكبوت : ٤٨] .

الثانى عشر : انحصارها فى نصف أسماء حروف المعجم، لأنها أربعة عشر حرفا على ما سبق تفصيله ؛ وهذا واضح على من عدَّ حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفا، وقال لا » مركبة من اللام والألف؛ والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفا ، والنطق « بلا » فى الهجاء كالنطق فى « لا رجل فى الدار » ، وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف المعجم صدر اسمه إلا الألف، فإنه لما لم يمكن أن يبتدأ به لكونه مطبوعا على السكون فلا يقبل الحركة أصلا توصل إليه باللام ؛ لأنها شابهته فى الاعتداد والانتصاب ، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : فقد تقدم اسم الألف فى أول حروف الهجاء ؟ قلت : ذلك اسم الهمزة لوجهين : أحدهما أنه صدره، والثانى أنها صدر ما تصدر من حروف المعجم لتكون صورته ثلاثا؛ وإنما كانت صدره لأن صورتها كالمتكررة أربع مرات ؛ لأنها تلبس صورة العين وصورة الألف والواو والياء لما يعرض من الحركة والسكون، ولذلك أخروا ما بعد الطاء والظاء والعين ؛ لأن صورتها ليست متكررة. وجوابه على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه ، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز .

الثالث عشر : مجيئها فى تسع وعشرين سورة بعدد الحروف . فإن قلت : هلا روعى صورتها كما روعى عددها؟ قلت : عرض لبعضها الثقل لفظا فأهمل .

ثم يعقد الزركشى فصلا جاء فيه ما يلى :

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضرورية فى النطق، واجبة فى الهجاء، لازمة التقدم فى الخط والنطق ـ إذ المفرد مقدم على المركب ـ فقدمت هذه المفردات على مركباتها فى القرآن، فليس فى المفرد ما فى المركب، بل فى المركب ما فى المفرد وزيادة. ولما كان نزول القرآن فى أزمنة متطاولة ، تزيد على عشرين سنة ، وكان باقيا إلى آخر الزمان ؛ لأنه ناسخ لما قبله، ولا كتاب بعده، جعل الله تعالى حروفه كالعلائم، مبينة أن هذه السورة هى من قبيل تلك التى أنزلت من عشر سنين مثلا ، حتى كأنها تتمة، لها وإن كان بينهما مدة .

وأما نزول ذلك فى مدد وأزمنة، أو نزول سور خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع. وأما ترتيب وضعها فى المصحف ـ أعنى السور ـ فله أسباب مذكورة فى النوع الثالث عشر (انظر البرهان ١/ ٢٣٣ـ ٢٤٣) .

وأما زيادة بعض الحروف فى بعض السور وتغيير بعضها، فليعلم أن المراد الإعلام بالحروف فقط؛ وذلك أنه متى فرض الإنسان فى بعضها شيئا، مثل ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة لزمه فى مثلها مثله ، كألف لام ميم البقرة؛ فلما لم يجد دله ذلك الثانى على بطلان الأول، وتحقق أن هذه الحروف هى علامات المكتوب والمنطوق . وأما كونها اختصت بسورة البقرة فيحتمل أن ذلك تنبيه على السور، وأنها احتوت على جملة المنطوق به من جهة الدلالة؛ ولهذا حصلت فى تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف، ولو كان القصد الاحتواء على نصف الكتاب لجاءت فى أربع عشرة سورة؛ وهذا الاحتواء ليس من كل وجه ، بل من وجه يرجع إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية؛ وما يقتضى أن يقع فيه التعجيز. ويحتمل أن يكون لمعان أخر، يجدها من يفتح الله عليه بالتأمل والنظر؛ أو هبة من لدنه سبحانه .

ولا يمتنع أن يكون فى بقية السور أيضا كما فى ذوات

الحروف، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تعلم عليها السور، لينبه على فضلها، وهذا من باب الاحتمال. والأولى أن الأحرف إنما جاءت فى تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف، فتكون السور من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين (البرهان ١ / ١٦٥ـ١٧٨).

(البيان المبين فى كتاب الله رب العالمين ـ فضيلة الشيخ محمود عبد الحليم الرفاعى . هدية مجلة الأزهر . جمادى الآخرة ١٤١١ هـ/ ٥٩ ، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبى الحسن على بن محمد النورى الصفاقسى / ٤٥ ، ورسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر ابن المختار الرازى ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى . مجلة معهد المخطوطات العربية . جامعة الدول العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول . ربيع الأخر ١٣٩٤ هـ ــ مايو ١٩٧٤م / ١١٣ ـ ١٢١ ، والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٦٥ ـ١٧٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . انظر أيضا كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقى . دار الكتب العلمية . بيروت . د . ت / ١١٩ ، ١٢٠ ، وتأريخ القرآن ــ إبراهيم الإبيارى / ١٥٨ ـ١٦٢ ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن ـ فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ١ / ٢٢٥ ــ ٢٢٨ ، وفضائل القرآن وآداب التلاوة للإمام القرطبى ــ تحقيق د. أحمد حجازى السقا / ٨٩ ، ٩٠ ، وتفسير النسفى ١ / ٨ ،٩ والإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به للقاضى أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ــ عرف الكتاب وقدمه للقراء وكتب هوامشه صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى / ١٠٧ ـ ١٠٩ ، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، دار الغد العربى م ٢ / ٣٣٦ـ٣٣٨).

الحروف المقطوعة والموصولة فى رسم المصحف :

أفرد الإمام أبو عمرو الداني بابا في ذكر ما رسم فى المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل والموصولة على اللفظ، وقد نقلنا بعضه فى مواضعه من هذه الموسوعة ونبينه فيما يلى، ثم نسوق ما لم يسبق ذكره : أن لا ، أن لن ، أم من ، أينما ، إن ما ، أن ما ، ابن أم .

أما ما لم يسبق ذكره فهو كما يلى : قال الإمام أبو عمرو الدانى :

« مِن ما » بالنون :

أخبرنا الخاقانى قال أخبرنا الأصبهانى قال حدثنا الكسائى قال حدثنا ابن الصباح قال : قال محمد بن عيسى « فمن ما » مقطوعة ثلاثة أحرف : فى النساء [س ٤ ـ آ ٢٥] ﴿ **فمن ما ملكت أيمٰنكم** ﴾ وفى الروم (س ٣٠ آ ٢٨) ﴿ **من ما ملكت أيمٰنكم من شركاء** ﴾ وفى المنافقين [س ٦٣ آ ١٠] ﴿ **من ما رزقنٰكم** ﴾ قال أبو عمرو : فأما قوله تعالى ﴿ **من مال الله** ﴾ و ﴿ **من ماء** ﴾ وشبهه من دخول « من » على اسم ظاهر فمقطوع حيث وقع ، فأما إذا دخلت على « من » نحو قوله ﴿**ممن منع**﴾ و ﴿ **ممن افترى** ﴾ و ﴿ **ممن كذب** ﴾ و ﴿ **ممن دعا** ﴾ و ﴿ **ممن معك** ﴾ وشبهه فلا خلاف فى شيء من المصاحف فى وصل ذلك وحذف النون منه ، وكذا كتبوا ﴿**مم خلق** ﴾ [س ٨٦ آ ٥] .

« عن ما » .

قال أبو عمرو : وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر «عما» فهو بغير نون إلا حرفا واحدا فى الأعراف (س ٧ آ ١٦٦) قوله تعالى ﴿ **عن ما نهوا عنه** ﴾ فإنه بالنون. حدثنا فارس بن أحمد المقرئ قال حدثنا جعفر بن أحمد قال حدثنا محمد بن الربيع وحدثنا الخاقانى قال حدثنا أحمد بن أسامة قال حدثنا أبى قالا حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : قال لى على بن كيسة « عن ما نهوا عنه » فى الكتاب « عن » وحدها و « ما » وحدها ، وحدثنا محمد بن على قال حدثنا ابن الأنبارى قال ﴿ **عن ما نهوا عنه** ﴾ حرفان ولم يقطع فى كتاب الله عز وجل غيرهما .

« وإن ما » :

قال محمد بن عيسى عن إسحاق بن الحجاج عن عبد الرحمن بن أبى حماد عن حمزة بن حبيب الزيات وأبى حفص الخزاز : ليس فى القرآن « وإن ما » بالنون إلا حرفا واحدا فى الرعد (س ١٣ آ ٤٠) ﴿ **وإن ما نرينك** ﴾ وحدثنا محمد بن على قال حدثنا ابن الأنبارى قال حدثنا إدريس قال حدثنا

خلف قال : لم يقطع من « إن » « ما » فى المصحف إلا حرف واحد فى آخر سورة الرعد ﴿ وإن ما نرينك ﴾ .

« فإن لم » :

قال أبو عمرو : وكتب فى كل المصاحف فى هود (س ١١ آ ١٤) ﴿ فإلم يستجيبوا لكم ﴾ بغير نون ، وفى القصص (س ٢٨ آ ٥٠) ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ بالنون ، قاله لنا محمد بن أحمد عن ابن الأنبارى ، وقاله محمد عن نصير فى اتفاق المصاحف .

« عن من » :

قال أبو عمرو : وكتبوا فى كل المصاحف فى النور (س ٢٤ آ ٤٣) ﴿ ويصرفه عن من يشاء ﴾ وفى النجم (س ٥٣ آ ٢٩) ﴿ عن من تولى ﴾ بالنون وليس فى القرآن غيرهما . فأما قوله تعالى ﴿ عمــــا قليل ﴾ (س ٢٣ آ ٤٠) و ﴿ عم يتساءلون ﴾ (س ٧٨ آ ١) فموصولان بلا خلاف .

« فى ما » مقطوع :

قال محمد بن عيسى : وعدوا « فى ما » مقطوعا أحد عشر حرفا ، وقد اختلفوا فى البقرة (س ٢ آ ٢٤٠) ﴿ فى ما فعلن أنفسهن من معروف ﴾ وفى المائدة (س ٥ آ ٤٨) ﴿ ليبلوكم فى ما آتكم ﴾ وفى الأنعام ﴿ ليبلوكم فى ما آتكم ﴾ (س ٦ آ ١٦٥) و ﴿ قل لا أجد فى ما أوحى إلىَّ محرما ﴾ (آ ١٤٥) وفى الأنبياء (س ٢١ آ ١٠٢) ﴿ فى ما اشتهت أنفسهم ﴾ وفى النور (س ٢٤ آ ١٤) ﴿ فى ما أفضتم فيه ﴾ وفى الشعراء (س ٢٦ آ ١٤٦) ﴿ فى ما هٰهنا ءامنين ﴾ وفى الروم (س ٣٠ آ ٢٨) ﴿ فى ما رزقنٰكم ﴾ وفى الزمر (س ٣٩ آ ٣) ﴿ فى ما هم فيه يختلفون ﴾ وفيها أيضا ﴿ فى ما كانوا فيه يختلفون ﴾ (آ ٤٦) وفى الواقعة (س ٥٦ آ ٦١) ﴿ وننشئكم فى ما لا تعلمون ﴾ قال : ومنهم من يصل كلها ويقطع التى فى الشعراء ﴿ فى ما هٰهنا آمنين ﴾ وروى محمد بن يحيى عن سليمان بن داود عن بشر بن عمر عن معلى قال : كنا إذا سألنا عاصما عن المقطوع والموصول قال سواء لا أبالى أقطع ذا أم وصل ذا إنما هو هجاء . قال أبو عمرو : وأحسبه يريد المختلف فى رسمه من ذلك دون المتفق على رسمه منه .

« كل ما »

قال محمد : و ﴿ كل ما ﴾ مقطوع حرفان : فى النساء (س ٤ آ ٩١) ﴿ كل ما ردوا إلى الفتنة ﴾ وفى إبراهيم (س ١٤ آ ٣٤) ﴿ من كل ما سألتموه ﴾ قال : ومنهم من يصل التى فى النساء . حدثنا محمد بن على قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابن سعدان قال : فى مصحف عبد الله « كل ما » منقطعة فى كل القرآن .

« لكى لا » :

قال محمد : « لكيلا » موصولة ثلاثة أحرف : فى الحج (س ٢٢ آ ٥) ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ وفى الأحزاب (س ٣٣ آ ٥٠) ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ وفى الحديد (س ٥٧ آ ٢٣) ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ قال أبو عمرو وقال محمد عن نصير فى اتفاق المصاحف فى آل عمران (س ٣ آ ١٥٣) ﴿ لكيلا تحزنوا ﴾ موصولة ، وكذلك رسمه الغازى بن قيس فى كتابه .

« يوم هم » :

قال أبو حفص الخراز ﴿ يوم هم ﴾ مقطوع حرفان ليس فى القرآن غيرهما : فى المؤمن [غافر] (س ٤٠ آ ١٦) ﴿ يوم هم بٰرزون ﴾ وفى والذاريات (س ٥١ آ ١٣) ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ وكذلك قال معلى بن عيسى الوراق ، وقال لنا ذلك محمد بن على عن ابن الأنبارى قال أبو عمرو : و « هم » فيهما فى موضع رفع فى الابتداء وما بعده خبر فلذلك فصل «اليوم» منه و « هم » فيما عداها فى موضع خفض بالإضافة فلذلك وصل « اليوم » به .

« فمال » :

قال أبو عمرو : وكتبوا فى كل المصاحف فى النساء (س ٤ آ ٧٨) ﴿ فمال هٰؤلاء القوم ﴾ وفى الكهف (س ١٨ آ ٤٩) ﴿ مال هذا الكتب ﴾ وفى الفرقان (س ٢٥ آ ٧) ﴿ مال هذا الرسول ﴾ وفى المعــــارج (س ٧٠ آ ٣٦) ﴿ فمال الذين كفروا ﴾ هذه الأربعة المواضع بقطع لام الجر مما بعده على المعنى ، وقال محمد بن عيسى « فمال » مقطوع أربعة مواضع فذكرها .

« ويكأن » :

وكتبوا أيضا ﴿ ويكأن الله ﴾ و ﴿ ويكأنه ﴾ فى موضعين فى القصص (س٢٨ آ٨٢) بوصل الياء بالكاف . قاله لنا محمد عن ابن الأنبارى .

« ولات حين » :

وكتبوا ﴿ ولات حين مناص ﴾ فى ص (س ٣٨ آ٣) بقطع التاء من الحاء وحدثنا خلف بن إبراهيم قال حدثنا أبو عبيد قال فى الإمام مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه « ولا تحين مناص » التاء متصلة بـ « حين » قال أبو عمرو : ولم تجد ذلك كذلك فى شىء من مصاحف أهل الأمصار، وقد رد ما حكاه أبو عبيد غير واحد من علمائنا إذ عدموا وجود ذلك كذلك فى شىء من المصاحف القديمة وغيرها . قال لنا محمد بن على قال لنا ابن الأنبارى : كذلك هو فى المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من « حين » وقال نصير: اتفقت المصاحف على كتابة ﴿ ولات حين مناص ﴾ بالتاء - يعنى منفصلة .

قال أبو عمرو : وكتبوا فى جميع المصاحف « على ال ياسين » فى الصافات (س ٣٧ آ ١٣٠) بقطع اللام من الياء .

وكتبوا ﴿ كالوهم أو وزنوهم ﴾ المطففين (س ٨٣ آ٣) موصولين من غير ألف بعد الواو. قاله لنا الخاقانى عن أحمد عن على عن أبى عبيد وبالله التوفيق .

(المقنع/ ٧٤ـ ٨١).

وإليك ما جاء فيها من نظم :

١ ـ منظومة مورد الظمآن للإمام الخراز :

قال فى باب المقطوع والموصول :

باب حروف وردت بالفصل
فى رسمها على وفاق الأصل
أن لا يقولوا لا أقول فصلا
ثم معا بهود ليس الأولا
وآخر التوبة مع يسٓ
والحج والدخان ثم نٓ
والامتحان وكذاك رويا
عن بعضهم أيضا بحرف الأنبيا
فصل وغير النور من ما ملكت
وفى المنافقين من ما قطعت
والخُلف للدانى فى المنافقين
ولأبى داود فى الروم يبين
وقطع من مع ظاهر مع إنَّ ما
من قبل توعدون الأولى عنهما
وعن من الحرفان قل وعن ما
نهوا وفى الرعد أتى وإن ما
كذاك أن لم مع إن لم فُصلا
إلا فإلم يستجيبوا الأولا
ومع غنمتم كثرت بالوصل
وإنما عند كذا فى النحل
لكنه لم يأت فى الأنفال
لابن نجاح غير الاتصال
وأن ما تدعون عنه يُقطع
ثان وبالحرفين جاء المقنع
فصل وأمَّن قطعوه فى النسا
أم من خلقنا ثم أم من أسَّسا
كذاك أم من رسموا فى فُصِّلت
ومثلها ولات حين شُهِّرت
فصل فمال هؤلاء فاقطعا
مال الذين مال هذا الأربعا
وحيث ما ثم بطول يوم هم
والذاريات وكذا قال ابن ام
فصل وقل من كل ما سألتموه
بالقطع من غير اختلاف رسموه
لكن فى النساء قبل ردوا
وجاء أمة بخُلف عدُّوا

وكلما ألقى أيضا ثُقِلا
واختار فى تنزيله أن يوصلا
والخلف فى المقنع قبل دخلت
وظاهر التنزيل وصل إذ سكت
فصل وفيما واحد وعشرة
فى ما فعلن ثانيا فى البقرة
ووسط العقود حرف ومعا
فى سورة الأنعام كل قطعا
والأنبيا والشعرا ووقعت
والنور والروم كذاك وقعت
ومثلها الحرفان أيضا فى الزمر
وخُلف مُقنع بكل يستطر
وخلف تنزيل بغير الشعرا
والأنبيا واقطعهما إذ كثرا

ثم قال عن الموصول :

القول فى وصل حروف رسمت
على وفاق اللفظ إذ تألفت
فأينما فى البكر والنحل فصل
وفى النساء عن سليمان نُقل
وعنه أيضا جاء فى الأحزاب
وذان للدانى بإضراب
وعنهما معا خلاف أثرا
فى موضع وهو الذى فى الشعرا
فصل وقل بالوصل بئسما اشتروا
وعن أبى عمرو فى الأعراف رووا
وخُلْفُه لابن نجاح رسما
وعنهما كذاك فى قل بئسما
فصل لكيلا جاء من ذا الباب
فى الحج والحديد والأحزاب
ثان وعن خلف بآل عمران
وباتفاق ويكأن الحرفان
فصل وصل ألن معا فى الكهف
وفى القيامة بغير خُلف
كذاك فى المزمل الوصل ذكر
فى مقنع عن بعضهم وما شُهر
فصل وربما وممن فيم ثم
أما نعما عم صل وبنؤم
كالوهم أو وزنوهم مما
خلق مع كأنما ومهما

(متن مورد الظمآن / ٣٧ـ ٤٠) .

٢ـ منظومة الجزرية لابن الجزرى :

قال الإمام ابن الجزرى تحت عنوان « باب المقطوع والموصول وحكم التاء » :

واعرف لمقطوع وموصول وتا
فى مصحف الإمام فيما قد أتى
فاقطع بعشر كلمات أن لا
مع ملجأ ولا إله إلا
وتعبدوا يس ثانى هود لا
يشركن تشرك يدخلن تعلوا على
أن لا يقولوا لا أقول إن ما
بالرعد والمفتوح صل وعن ما
نُهوا اقطعوا من ما بروم والنسا
خُلف المنافقين أم من أسسا
فصلت النسا وذبح حيث ما
وأن لم المفتوح كسر إن ما
الأنعام والمفتوح يدعون معا
وخلف الأنفال ونحل وقعا
وكل ما سألتموه واختلف
ردوا كذا قل بئسما والوصل صف
خلفتمونى واشتروا فيما اقطعا
أوحى أفضتم اشتهت يبلو معا

ثـــــانى فعلن وقعت روم كـــــلا
تنـــزيل شعـــرا وغيـــر ذى صـــلا
فـأينمـــا كـــالنحل صل ومختلف
فى الشعـــرا ، والأحـــزاب والنســا وصف
وصل فإن لم هـــود أن لـن نجعـــلا
نجمع كيـــلا تحـــزنـــوا تـأســوا على
حـج عليك حـــــــرج وقطعهـم
عـن من يشـــاء من تـــولى يــوم هـم
ومــــال هــــذا والـــذين هـــؤلاء
تحين فـى الإمـــام صل ووهـــلا
ووزنـــــوهم وكـــالــــوهم صل
كـــذا من ال وهـــا ويـــا لا تفصل

(متن الجزرية / ٣٢ ـ ٣٧) .

قالت المؤلفة : البيت الذى يبدأ بـ « فأينمـا النحل » يبدأ عجزه بلفظ « فى الظلـة » بـدلا من « فى الشعـرا » وذلك فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢١١) .

(المقنع فى رسم مصاحف الأمصار للإمام أبى عمرو الدانى ـ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٧٤ ـ ٨١ ، ومتن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام الخراز / ٣٧ ـ ٤٠ ، ومتن الجزرية فى معرفة تجويد الآيات القرآنية للشيخ محمد بن الجزرى / ٣٢ ـ ٣٧ ، ومجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢١٠ ، ٢١١ ، وكفاية المستفيد فى فن التجويد ـ الحاج محيى الدين عبد القادر الخطيب / ٢٧٨) .

الحروف النورانية والظلمانية :

قال فى مدينة العلوم : إن الحروف قسمان : أحدهما حروف نورانية تستعمل فى أعمال الخير، وهى : نص حكيم له سر قاطع ، والآخر حروف ظلمانية تستعمل فى الشر، وهى ما عدا الحروف النورانية ؛ وأجمعوا على أنه ليس فى سورة الفاتحة ولا فى المقطعات فى أوائل السور القرآنية شىء من الحروف الظلمانية . وتفصيل هذا العلم فى كتاب (غاية المغنم فى أسرار العلم الأعظم) انتهى (أبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٨٩) .

قال صاحب مفتاح السعادة : وتفصيل هذا العلم فى كتب الشيخ أحمد البونى ، يجدها من يطلبها (مفتاح السعادة ٢ / ٥٤٨) .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق ١ / ٢٨٩ ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٤٨) .

حروف الهجاء :

انظر : الحروف .

حروف الهجاء فى فواتح السور :

انظر : الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور .

الحروف الهجائية (فى فن الخط العربى) :

انظر : الخط (فى الفنون الإسلامية)

الحروف والأسماء (علم ـ) :

قال صاحب كشف الظنون :

قال الشيخ داود الأنطاكى : وهو علم باحث عن خواص الحروف إفرادا وتركيبا ؛ وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب وصورته تقسيمها كما وكيفا وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها وفاعله المتصرف ؛ وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعا وانتزاعا . ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة . قال ابن خلدون فى المقدمة : علم أسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا نقل وصفه الطلسمات إليه فى اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام فى الخاص ، وحدث هذا العلم فى الملة بعد الصدر الأول عند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات فى عالم العناصر ، وزعموا أن الكمال الأسمائى مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء فهى سارية فى الأكوان، وهو من تفاريع علوم السيميا لا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تآليف البونى وابن العربى وغيرهما . وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية فى عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن

الحروف المحيطة بالأسرار السارية فى الأكوان . ثم اختلفوا فى سر التصرف الذى فى الحروف بم هو ؟ فمنهم من جعله للمزاج الذى فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر ، واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف فى طبيعتها فعلا وانفعالا بذلك الصنع فتنوعت الحروف بقانون صناعى يسمونه التكسير ، ومنهم من جعل هذا السر للنسبة العددية فإن حروف (أبجد) دالة على أعدادها المتعارفة وضعا وطبعا، وللأسماء أوفاق كما للأعداد، ويختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوفاق الذى يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف، وامتزج التصرف من السر الحرفى والسر العددى لأجل التناسب الذى بينهما فأما سر هذا التناسب الذى بينهما يعنى بين الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسر على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وإنما مستندهم فيه الذوق والكشف . قال البونى: ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلى، وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهى، وأما التصرف فى عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركبة فيها وتأثر الأكوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا، وقد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب أسماء الطلسمات واحد، وليس كذلك. ثم ذكر الفرق بينهما وأطال ؛ وقد ذكرنا طرفا من التفصيل فى كتابنا المسمى (بروح الحروف) والكتب المصنفة فى هذا العلم كثيرة جدا انتهى ما فى كشف الظنون قال القنوجي وقد أطال ابن خلدون فى بيان هذا العلم إلى ثلاثة عشر ورقا ، وعقد له فصولا لسنا بصدد ذكره لقلة الفائدة منه فى هذا العصر، وعدم الحاجة إليه فى ذلك الدهر (كشف الظنون ١ / ٦٥٠ ، ٦٥١ ، وأبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٨٧-٢٨٩) .

وذكر صاحب كشف الظنون عددا من الكتب المؤلفة فى هذا العلم عددها ٢٢٣ كتابا نسوق بعضا منها فيما يلى :

أزهار الآفاق ـ

أساس العلوم والمعانى ـ

أسرار الحروف ـ

الأسرار الشافية الروحانية ـ

الإشارة المعنوية ـ

إظهار الرموز

إكسير الأسماء ـ

ألواح الذهب ـ

الإيماء إلى علم الأسماء ـ

الباقيات الصالحات ـ

بحر الفوائد الحرفية ـ

بحر الوقوف ـ

بدر رياض المعارف ـ

برقة الأنوار ـ

البرقة الربانية ـ

بروق الأنوار ـ

بغية الطالب ـ

البهاء الأمجد ـ

بهجة الأسرار

بهجة الآفاق ـ

بيان المغنم ـ

التعليقة الكبرى ـ

تمييز الصرف ـ

تنزيل الأرواح ـ

التوسلات الكتابية ـ

تيسير العرف ـ

تيسير المطالب ـ

جامع اللطائف ـ

جنة الأسماء ـ

الجواهر الخمس ـ

الحائز للعون الناجز ـ

حدائق الأسماء ـ

حديقة الأحداق ـ

الحديقة السندسية ـ

الحرز الأسنى ـ

حرز الأقسام ـ

حرز الأمان ـ
الحروف الوضعية ـ
حقائق الحروف ـ
حقائق السبوحية ـ
حل رموز الأسماء ـ
حل الرموز ـ
حلة الكمال ـ
خافية أفلاطون وجعفر الصادق وهرمس ـ
خواص الأسرار ـ
خواص الأسماء ـ
خواص القرآن ـ
الخواطر السوانح ـ
الدر المنظم ـ
الدر المنظوم ـ
الدر النظيم ـ
درة الأسرار ـ
درة الآفاق ـ
درة تاج السعادة ـ
درة فنون الكتاب ـ
درة المعارف ـ
الدرة الناصعة ـ
الرسالة اللاهوتية ـ
رسالة الخفاء ـ
الرمز الأعظم ـ
رمز الحقائق ـ
رموز دلكشا ـ
روض الأسرار ـ
روض المعارف ـ
روضة الأسرار ـ
روضة الأنوار ـ
زبدة المصنفات ـ
سر الصرف ـ
سجل الأرواح ـ
سجنجل الأرواح ـ
سجنجل الجمال ـ
السر الأبجدى ـ
سر الأسرار ـ
السر الأسنى ـ
السر الأفخر ـ
سر الأنس ـ
السر الجامع ـ
سر الجمال ـ
السر الخفى ـ
السر الربانى ـ
سر السعادة ـ
سر الصون ـ
السر الغامض ـ (كشف الظنون ١/ ٦٥٠ـ ٦٥٤) .

هذا بيان بأربعة وثمانين كتابا ، وإذا شئت معرفة المزيد يمكنك الرجوع إلى كشف الظنون ١/ ٦٥٥ـ ٦٦٠ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٥٠ ـ ٦٥٤ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ٢ق ١/ ٢٨٧ـ٢٨٩) .

الحروفية :

فرقة شيعية نشأت فى القرن الرابع عشر الميلادى . انضم إليها الدراويش البكاشية لقِّبوا بالحروفية لأن لهم حساب مستخرج من حساب الجمال بالأحرف، وله شأن كبير فى معتقداتهم . يقولون إن الكون أبدى يتحرك حركة أبدية (المنجد/ ١٥٦) .

ومؤسس الحروفية فضل الله بن عبد الرحمن الحسينى ، الشاعر الفارسي المتخلص بنعيمى، وهو الداعية، وولادته بشروان سنة ٧٤٠ هـ من أسرة صوفية من الاتحادية ... له فى عقائدهم ثلاثة كتب هى « الجاودان نامه » ، أى كتاب الخلود، و « محبة نامه » و « عرش نامه » ، وهما أشعار مقدسة ، وكتب أخرى غير مقدسة ، ولما قتل فضل الله تفرق

من بقى من أتباعه ، واستمر دعوتهم حتى دخلت الحروفية الكثير من التفاسير الصوفية ، وكان ابن عربى من الحروفيين ، وضمن « الفتوحات المكية » من الباب الثانى إلى السابع بعض هذه المعارف الحروفية ، مطابقا بين عدد الحروف الثمانى والعشرين ، ومنازل القمر ، ومطابقا السباعات للكواكب السيارة، ورابطا عدد الأسماء الحسنى بعدد العوالم، وحقيقتها بحقيقة هذه العوامل يجمعها الاسم الأعظم المستغرق لكل الحقائق ووحدة الوجود .

وللحلاج عند الحروفيين مقام سام حتى جعلوه رأسا من رءوسهم ، وكذلك الشبلى ، وابن عربى ، والعطار ، وابن أدهم ، وفى ذلك يقول الشاعر نسيمى :

الشبلى قطـــرة من بحـــرنـــا

وأدهم نقطـــة من حـــروفنـــا

وقد بدأ نقد الحروفية الصوفية باعتبار مذهبهم أوسع من التصوف ، ثم زادوا فنقدوا المُثل الصوفية ، وسموا الصوفية بأهل الظاهر (الموسوعة الصوفية/ ١٢٣، ١٢٤) .

(المنجد / ١٥٦ ، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٢٣ ، ١٢٤) .

أبو حريبة (جامع ـ) :

انظر : قجماس الإسحاقى (جامع ـ) .

أبو حريبة (الشيخ ـ) ١٢١٨ـ١٢٦٨هـ / ١٧٩٣ـ١٨٥١م) :

أبو حريبة . هو الشيخ أحمد الشنتناوى من قرية بأعمال المنوفية تعرف بشنتنا ، وأصله من مدينة قنا بالصعيد الأعلى . يقال إن نسبه ينتهى إلى سيدي عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه ، قرأ القرآن ثم اشتغل فى صغره بالفلاحة ونسج الصوف ونحوه واشتغل بالسلوك فى طريق القوم فأخذ طريقة الخلوتية عن الشيخ الشنتناوى ، ثم طريق الشاذلية عن الشيخ أبى النجا بطنتدا، وأخذ طريق القادرية والرفاعية، ثم أذن له فى التسليك ، ثم حضر إلى القاهرة وفتح دكان عطارة ، ثم اشتغل بحرفة الكتابة عند نصرانى فى مخبز بحارة درب سعادة، ثم أخذ طريق الختمية عن بعض خلفاء الشيخ عثمان المرغنى المعروف بالختم ، فرأى بركة ذلك الشيخ وتعلقت آماله بالاجتماع به فتوجه إلى مكة المشرفة واجتمع به وأخذ عنه مباشرة وأقام معه أياما ، وبعد أداء فريضة الحج وزيارة قبر النبى ﷺ رجع إلى مصر وقد فتح الله عليه فتحا إلهيا، وطار صيته واعتقده الخاص والعام وأخذ عنه الطريق جم غفير ، منهم : شيخ الإسلام الشيخ حسن القويسنى، وشيخ الإسلام الشيخ إبراهيم البيجورى، والشيخ الخنانى ، وكان لا يسأل عن مسألة إلا بين حكم الله فيها بالنصوص الصحيحة من غير أن يمارس العلم ، وسئل عن اللوح المحفوظ فقال : هو صدر العارف متى توجه لشيء وجده أمامه ، وكان يقول : علم النحو كذب فلا أشتغل به ومع ذلك له مؤلفات عديدة منها قصيدة فى أسماء الله الحسنى نحو مائة بيت ، وأخرى نحو ثلاثين ، وتائية تحكى تائية ابن الفارض لكنها أكبر منها فإنها نحو ألف ومائتى بيت، وتائية ابن الفارض ثمانمائة بيت، وتفسير صغير الحجم للقرآن العظيم (ذكر الزركلى أن اسمه « فتح الرحمن فى معانى القرآن» وأنه فى الخزانة التيمورية ٣/ ٧٤) وكتاب يشتمل على نحو سبعين فنا ، وله شرح على حكم شيخه نحو سبعين كراسة، وذيل قصيدة شيخه المرغنى وشرحها بنحو ثمانى عشرة كراسة ، وله توسلات ومناجاة وأوراد وصلوات وغير ذلك، وكان يرى النبى ﷺ كثيرا ومن كلامه فى ذلك :

تجلى الجمـــال الفـــرد بـــالعلم الفـــردى

فأشهـــدنـى غيبى وأوجـــدنـى فقـــدى

إلى أن قال :

أشـــاهـــده فى كل غيب وحـــاضـــر

وألحظـــه بـــالعين فى القـــرب والبعـــد

فهـــا أنـــا فى حـــان المحبين حـــاكم

أنفـــذ أحكـــام المـــدامـــة فى جنـــدى

وكان كريم النفس باذلا للفقراء زاهدا ورعا لا يقبل من أحد شيئا، أرسل له العزيز محمد على الأكبر خمسمائة جنيه مصرية فردها ، وأنعم عليه المرحوم عباس باشا بأطيان فلم يقبلها ، وقد أسلم على يديه أكثر من ستين نفسا، ولعل ذلك هو حكمة إقامته فى المخبز. ولم يزل فى ترق فى إنعامات إلى أن توفى قبيل فجر يوم الأحد لخمس عشر خلت من ربيع

الأول سنة ثمان وستين ومائتين وألف وعمره ستون سنة ، ودفن بجامع قجماس وعمل له بعض تلامذته مقصورة بالصدف وعمل له مولد كل سنة وله حضرة وزيادة . هكذا أملاه بعض تلامذته الشيخ سيد البيجورى الشافعى أحد مدرسى الأزهر .

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ٤/ ١٠٣ ، ١٠٤ ، والأعلام ١/ ١٣٦) .

الحرير :

عن تحريم لبس الحرير جاء ما يلى مما أورده الإمام ابن الديبع ، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت فى النص :

١ ــ عن أبى عثمان النهدى قال : « كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد . فقال : يا عتبة ، إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ، ولا كد أمك ، فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحلك ، وإياكم والتنعم ، وزى أهل الشرك ولبوس الحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير إلا هكذا ، ورفع لنا رسول الله ﷺ الوسطى والسبابة وضمهما » أخرجه الخمسة .

٢ ــ وعن على رضى الله عنه قال : « أخذ رسول الله ﷺ حريرا فجعله فى يمينه ؛ وذهبا فجعله فى شماله فقال : إن هذين حرام على ذكور أمتى » أخرجه أبو داود والنسائى .

وفى أخرى للترمذى والنسائى ، عن أبى موسى : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحل لإناثهم » .

٣ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة » أخرجه الشيخان والنسائى .

٤ ـ وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » أخرجه الشيخان .

٥ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « رأى عمر رضى الله عنه حلة من استبرق تباع فأتى بها النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : ابتع هذه فتجمل بها للعيد والوفود فقال رسول الله ﷺ : إنما هذه لباس من لا خلاق له . ثم لبث عمر ما شاء الله أن يلبث فأرسل إليه بجبه ديباج فأتى عمر رضى الله عنه ؛ فقال : يارسول الله ، قلت : إنما هذه لباس من لا خلاق له ، ثم أرسلت إلى بهذه ؟ فقال ﷺ : إنى لم أرسلها إليك لتلبسها ، ولكن لتبيعها وتصيب بها حاجتك » أخرجه الستة إلا الترمذى . (الإستبرق) ما غلظ من الديباج .

٦ ـ وعن على رضى الله عنه قال : « كسانى رسول الله ﷺ حلة سيراء فخرجت بها ، فرأيت الغضب فى وجهه فأطرتها خمرا بين نسائى » أخرجه الخمسة إلا الترمذى .

٧ ـ وفى رواية لمسلم : « أن أكيدر دومة الجندل أهدى إلى النبى ﷺ ثوب حرير فأعطاه عليا ، وقال : شققه خمرا بين الفواطم » .

والفواطم : جمع فاطمة ، وهن : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وفاطمة بنت أسد : أم على بن أبى طالب ، وفاطمة بنت حمزة . وقيل الثالثة فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، وكانت قد هاجرت . (الحلة السيراء) المخططة بالإبريسم والقز و(أطرتها) شققتها وقسمتها بينهن (تيسير الوصول ٤ / ١٤٤ ، ١٤٥) .

كما أورد الحافظ ابن حجر العسقلانى عن لبس الحرير ما يلى ، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت فى النص :

٨٢٢ ـ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبة مجيبة بحرير . فقال : طوق من نار يوم القيامة . رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط . ورواته ثقات .

قوله : مجيبة ـ بالجيم والمثناة والموحدة : أى لها جيب من حرير .

٨٢٣ ــ وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا . رواه أحمد ورواته ثقات .

٨٢٤ ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : من مات من أمتى وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها فى الجنة . ومن مات من أمتى وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة رواه أحمد ورواته ثقات ، والطبرانى .

٨٢٥ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه، وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها فى يده . فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك، وانتفع به، فقال : لا والله لا آخذه، وقد طرحه رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

٨٢٦ـ وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يمنع أهل الحلية والحرير، ويقول : إن كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسوها فى الدنيا . رواه النسائى والحاكم .

٨٢٧ـ وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه فى حظيرة القدس، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونه إياه فى حظيرة القدس . رواه البزار بسند حسن . (الترغيب والترهيب/ ٢٤٠، ٢٤١) .

أما المباح من لبس الحرير فقد أورده الإمام ابن الديبع كما يلى :

١ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المصمت من الحرير، وأما العلم وسدى الثوب فلا بأس به » أخرجه أبو داود .

٢ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « رخص رسول الله ﷺ للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عنهما فى لبس الحرير لحكة كانت بهما » .

٤ ـ وعن سويد بن غفلة قال : « خطب عمر رضى الله عنه بالجابية، فقال : نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع إصبع أو إصبعين أو ثلاث أو أربع » . أخرجه مسلم .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ١٤٤ ـ ١٤٦، والترغيب والترهيب، انتقاء شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر العسقلانى ـ صححه وضبطه محمد المجدوب / ٢٤٠، ٢٤١) .

الحريرة:

من الأطعمة المغربية التى ذكرها الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته الطبية المعروفة بالشقرونية، والحريرة هى الحساء التقليدى بالمغرب، ومكونها كما يلى :

دقيق أبيض، خميرة، عدس، بسلة صغيرة، طماطم، بصل، زيت، كزبرة، بقدونس، فلفل، ملح، زعفران، زنجبيل . وننقل فيما يلى الأبيات التى جاءت عنها، وقد احتفظنا بأرقامها كما وردت فى النص . قال الناظم :

١٤٨ ـ *خير الحريرة التى قد وقفت*
على شرائط لها قد عُرفت

١٤٩ ـ *أفضلها من خالص الخمير*
مفوها بنعنع يسير

١٥٠ ـ *تجود الهضم لكل آكل*
وتبعث الشهوة للمآكل

١٥١ ـ *لا سيما إن شربت بالتين*
أو الزبيب الأحمر الثمين

(الطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د . عبد الهادى التازى / ٩٥) .

الحريرى (٤٤٦ـ٥١٦ هـ / ١٠٥٤ـ١١٢٢م) :

نشأته وحياته :

محمد القاسم بن على البصرى عربى صميم من بنى حرام . ولد بقرية يقال لها المشان، ونشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها . وكان فى أول أمره يبيع الحرير أو يصنعه فلقب بالحريرى، وصرفه عن ذلك شغفه بالعلم وولوعه بالأدب، فجد فى الدرس والتحصيل حتى سمت منزلته واستطارت شهرته فى وقوفه على أساليب العرب وحفظه لأخبارهم وأشعارهم فقربه الأمراء وأمّة الأدباء يستفيدون من علمه ويستزيدون من أدبه .

صفاته وأخلاقه

كان الحريرى دميما قصيرا بخيلا قذر الثوب مولعا بنتف لحيته عند التفكير فعاضه الله من ذلك برائع أدبه، ورقيق

ملحه، وسعة صدره واعترافه بالحق لأهله. ولذلك كان الحديث عنه خيرا من النظر إليه. سمع بشهرته رجل غريب فجاءه يتلقى عنه الأدب، فلما رآه استزرى شكله، وفهم الحريري منه ذلك. فلما التمس منه أن يملي عليه قال له اكتب:

ما أنت أول سار غره قمر ... ورائد أعجبته خضرة الدمن

فاختر لنفسك غيرى إننى رجل ... مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف.

نثره وشعره

الحريرى كاتب مكثر وشاعر مقل كالبديع. وهو من ساقة أتباع ابن العميد ومن الممهدين لظهور الطريقة الفاضلية بالقصد إلى البديع، والمبالغة فى الصنعة، والإفراط فى تدبيج اللفظ، والتفريط فى جانب المعنى، حتى تراءت معانيه من خلال ألفاظه عليلة ضئيلة كالعروس المسلولة جمّلوها بالأصباغ وأثقلوها بالغلائل والحلى. وشعره كنثره فى الكلف بالبديع والعناية باللفظ. وضع منه كثيرا فى ثنايا المقامات وجمع فى ديوان خاص.

مؤلفاته

له من المؤلفات كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » **انتقد فيه أهل عصره فى خروجهم عن حدود العربية فى بعض الألفاظ والتراكيب**. وكتاب ملحة الإعراب فى النحو، وديوان رسائل، ثم المقامات وهى أجود آثاره (تاريخ الأدب العربى / ٢٤٥، ٢٤٦) سماها مقامات أبى زيد السروجى، وصدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور، فى التاريخ، وتوشيح البيان، نقل عنه الغزولى (الأعلام٥/ ١٧٧).

قالت المؤلفة نسختى من « ملحة الإعراب » ط محمد على صبيح وأولاده. د. ت. كما أن نسختى من المقامات الحريرية ط مصطفى البابى الحلبى. الطبعة الثالثة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م. وقد أوردنا لك نبذا من المقامة الإسكندرانية، والبصرية، والحرامية وغيرها فانظرها فى مواضعها.

مقاماته:

له خمسون مقامة نحلها أبا زيد السروجى على لسان الحارث بن همام ونسجها على منوال البديع. جمع فيها من اللغة والأمثال والأحاجى ما لا غاية بعده فهى ديوان ممتع للألفاظ العربية، والنوادر اللغوية، والصناعة اللفظية، ولعل ذلك هو السبب فى عناية الأدباء من العرب والفرنج بها وانتشارها بينهم. فقد ترجمها أكثر من عشرين مستشرقا من الفرنسيين والألمان والإنجليز، . وطبعت بالإنجليزية فى لندن سنة ١٨٥٠، وباللاتينية فى هبسبرج سنة ١٨٣٢، ونقلت إلى الفارسية سنة ١٢٦٣، ثم التركية وطبعت بالأستانة. ولا تزال تدرس فى بعض جامعات أوربا بالشرح الذى وضعه لها رأس المستشرقين سلفستر دساسى سنة ١٨٢٢.

عيوبها:

مما ينتقدها به عليها قصرها، ووحدة مغزاها، وأن المؤلف لم يعن فيها بتصوير الأشخاص على نحو ما ألفه اليونان والرمان قديما، وإنما صرف همه إلى تحسين اللفظ وتزيينه. هى بعد ذلك تكاد لا تخرج عن خيال متكرر فى صور مختلفة، وإن فى إنشائها تكلفا لا تسمح به طبيعة البدوى الذى قيلت على لسانه.

سبب وضعها:

سبب وضع المقامات أن الحريرى كان جالسا بمسجد **بنى حرام بالبصرة، فدخل المسجد شيخ ذو طمرين عليه** أهبة السفر، رث الحال، فصيح المقال. فسأله الحاضرون: من أين الشيخ؟ فقال: من سروج. فاستخبروه عن كنيته، فقال أبو زيد. فأنشأ الحريرى المقامة الحرامية (انظر الحرامية المقامة ـ) وعزاها إلى أبى زيد وجعل الراوى فيها الحارث بن همام مريدا نفسه آخذا بالحديث المأثور: كلكم حارث وكلكم همام. واشتهرت تلك المقامة حتى بلغ خبرها شرف الدين وزير المسترشد بالله، فأعجب بها وأشار على الحريرى أن يضم إليها أمثالها فأتمها خمسين.

مختار من كلامه :

قال يشكر أحد الوزراء : دعاء العبد للوزير دامت جدوده سعيدة ، وسعوده جديدة، وعلياؤه محسودة ، وأعداؤه محصودة . دعاء من يتقرب بإصداره ، على بعد داره ، ويقصر عليه ساعاته ، مع قصور مسعاته . وشكره للإنعام الذى أوصله إلى التجميل والتأميل ، وجمع له بين التنويه والتنويل ، شكر من أطلق من أسره، وأذيق طعم اليسر بعد عسره. ولو نهضت به القدمان ، وأسعده عون الزمان ، لقدم اعتمار الباب المعمور، وأسرع إليه إسراع العبد المأمور ، ليؤدى بعض حقوق الإحسان ، ويقرأ صحف الشكر باللسان ولكن أنى ينهض المقعد ؟ ومن له بأن يصعد فيسعد ؟

ومن شعره في الحكم قوله :

لا تـزر من تحب فى كل شهر
غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم
ثم لا تنظر العيون إليه

وقال أيضا :

لا تقعدن على ضر ومسغبة
لكى يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة
من النبات كأرض حفها الشجر؟
فعد عما تشير الأغبياء به
فأى فضل لعود ما له ثمر ؟
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به
إلى الجناب الذى يهمى به المطر
واستنزل الرى من در السحاب فإن
بلت يداك به فليهنك الظفر

(تاريخ الأدب العربى / ٢٤٥ـ٢٤٧) .

قالت المؤلفة : ومن شعر الحريرى أيضا النموذجان التاليان مما كان مقررا على المدارس الابتدائية فى زماننا حيث كانت النصوص تهدف إلى ترسيخ القيم الإسلامية ، ومن ثم تسوق الموعظة للناشئة ، وتزجى لهم النصيحة : يقول الحريرى :

سامح أخاك إذا خلط
منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه
إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده
شكر الصنيعة أو غمط
وأطعه إن عاصى وهن
إن عز وادن إذا شحط
واقن الوفاء ولو أخلّ
بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبت
مهذبا رمت الشطط
من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط؟

البيت ٣ ـ غمط : لم يشكر.

البيت ٤ ـ شحط : بعُد

البيت ٥ ـ اقن : قناه يقنيه احتفظ به .

اسمع أخى وصية من ناصح
ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة
فى مدح من لم تبلُه أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى
وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
فهناك إن تر ما يشين فواره
كرما وإن تر ما يزين فأفشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى
خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا
لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه
لدروس بزته ورثة فرشه

البيت ١ : شاب : خلط ، محض : خالص .

البيت ٢ : مبتوتة : بحكم بات أي قاطع ، تبله : تختبره ، خدشه : ذمّه .

البيت ٣ : تجتلى : تتبين .

البيت ٤ : يشين : يزرى ، فواره : فداره ، فأفشه : فأظهره .

البيت ٥ : التبر : الذهب فى تراب معدنى ، الثرى : التراب والأرض ، يستثار : يستخرج ، نبشه : إخراج الشيء المستور .

البيت ٧ : رقشه : نقشه .

البيت ٨ : لدروس بزته : لخلوقة ثيابه (مجموعة من النظم والنثر / ١٧ ، ١٨) .

له ترجمة فى : « وفيات الأعيان » ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٣١ ، و «شذرات الذهب » ٤ / ٥٠ ـ ٥٣ ، و « خزانة الأدب » ٣ / ١١٧ و « إنباه الرواة » ٣ / ٢٣ ، و « نزهة الجليس » ٢ / ٢ وما بعدها ، و « طبقات الشافعية الكبرى » ٤ / ٢٩٥ ، و «معجم الأدباء » ٦ / ١٦٧ ـ ١٨٤ ، و « دائرة المعارف الإسلامية » ٧ / ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ، و « الفلاكة والمفلوكون » ١١٨ ، و « بغية الوعاة » ٣٧٨ ، و « مرآة الجنان » ٣ / ٢١٣ ، و « اللباب » لابن الأثير ١ / ٢٩٥ ، و « معاهد التنصيص » ٣ / ٢٧٢ (كتاب الوفيات / ٢٦٩) .

(تاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، والأعلام للزركلى ٥ / ١٧٧ ، ١٧٨ وما جاء بالهامش من مراجع ، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ١٧ ، ١٨ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٦٩ ، ٢٧٠ وهامش المحقق) .

الحريم :

قال ياقوت :

الحريم : بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، وميم؛ أصله من حريم البئر وغيرها، وهوما حولها من حقوقها ومرافقها ثم اتسع فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه حريم؛ وبذلك سمي حريم دار الخلافة ببغداد، ويكون بمقدار ثلث بغداد، وهو في وسطها ودور العامة محيطة به، وله سور يتحيز به، ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كهيئة نصف دائرة، وله عدة أبواب، وأولها من جهة الغرب باب الغربة، وهو قرب دجلة جدًّا، ثم باب سوق التمر، وهو باب شاهق البناء أغلق فى أول أيام الناصر لدين الله بن المستضيء واستمر غلقه إلى هذه الغاية، ثم باب البدرية ثم باب النوبى، وعنده باب الغتبة التى تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد، ثم باب العامة، وهو باب عمورية أيضًا، ثم يمتد قرابة ميل ليس فيه باب إلا باب بستان قرب المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو غلوتى سهم فى شرقى الحريم، وجميع ما يشتمل عليه هذا السور من دور العامة ومحالها وجامع القصر، وهو الذى تقام فيه الجمعة ببغداد يسمى الحريم، وبين هذا الحريم المشتمل على منازل الرعية وخاص دار الخلافة الذى لا يشركه فيه أحد سور آخر يشتمل على دور الخلافة وبساتين ومنازل نحو مدينة كبيرة ؛ وقرأت فى كتاب بغداد تصنيف هلال بن المحسن الصابى : حدثنى خواشاذه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان مثل شيراز، قال : وسمعت هذا القول من جماعة آخرين أولى خبرة .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٥٠ ، ٢٥١) .

حريم دار الخلافة ببغداد:

انظر: الحريم.

الحريم الطاهرى:

قال ياقوت:

الحريم الطاهرى: بأعلى مدينة السلام بغداد فى الجانب الغربى، منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، وبه كانت منازلهم، وكان من لجأ إليه أمن، فلذلك سمى الحريم، وكان أول من جعلها حريما عبد الله بن طاهر بن حسين، وكان عظيما فى دولة بنى العباس، ولا أعلم أحدا بلغ مبلغه فيها حديثا ولا قديما، وكان أديبا شاعرًا شجاعا جوادا ممدحا، وكانت إليه الشرطة ببغداد وهى أجلّ ما يلى يومئذ، وكان يلى خراسان وبها نوابه والجبال وبها نوابه وطبرستان وبها نوابه والشام ومصر وبها نوابه، ولما أراد عمارة قصره ببغداد وهو الحريم هذا، وقد كانت العمارات متصلة وهو فى وسطها، وأما الآن فقد خرب جميع ما حوله وبقى كالبلدة المفردة فى وسط الخراب، وهو عامر، فيه دور وقصر مطل متصل به شارع دار الرقيق، وبعضه عامر، وفيه أسواق، وله سور يحيزه، بصر برجل يستغيث وبيده قصة، فأمر من أخذها منه، فقرأها فإذا فيها أن وكيله أخذ داره غصبًا وهدمها وأدخلها فى قصره، فأحضر الوكيل وسأله عن القصة فقال: إن تربيع القصر لا يتم إلا بها وقيمتها ثلاثمائة دينار فبذلتها له فامتنع فبلغنا ألف دينار، فأخبرت قاضى المسلمين خبرة فرأى الحجر عليه ونصب أمينا فباع الدار وقبضناه المال، وهو عنده، فقال عبد الله: أتعرف موضع الدار؟ قال: نعم، فإذا هى قد وقعت فى شمالى حجرة، فأمر عبد الله بهدم البنيان، فلما رأى صاحبها الجد منه فى الهدم قال: لا حاجة لى فى ذلك وقد أذنت فى البيع، فقال: هيهات بعد الشكوى والمطالبة! ولم يزل جالسًا والشمس تبلغ إليه وينفتل عنها وينفض التراب عن وجهه وموكبه واقف حتى كشف عن العرصة وجرد الأساس القديم وأمر برد بناء الدار وتأديب الوكيل واستحل الرجل بماله وبقيت الدار طاعنة فى داره إلى الآن ترى بروزها من البناء؛ ثم رأى يومًا دخانًا مرتفعًا كريه الرائحة فتأذى به فسأل عنه فقيل له: إن الجيران يخبزون بالبعر والسرجين، فقال: إن هذا لمن اللؤم أن نقيم بمكان يتكلف الجيران شراء الخبز ومعاناته، اقصدوا الدور واكسروا التنانير واحصوا جميع من بها من رجل وامرأة وصبى وأجروا على كل واحد منهم خبزه وجميع ما يحتاج إليه، فسميت أيامه الكفاية.

والحريم أيضًا: موضع بالحجاز كانت به وقعة بين كنانة وخزاعة. والحريم أيضًا: قرية لبنى العنبر باليمامة. والحريم أيضًا: واد فى ديار بنى نمير فيه مياه لهم. والحريم أيضًا: موضع فى ديار بنى تغلب قريب من ذى بهدا.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٥١، ٢٥٢).

الحرية فى الإسلام:

الحرية خلوص الإنسان من ضيق الحجر، وتمتعه بكل حق إنسانى سوغه العقل، وقضى به الشرع، وهى حق طبعى للناس إذا حرموه فقد سلبوا إرادتهم، وفقدوا إنسانيتهم؛ لهذا قررها الإسلام ورفع من شأنها ومنع من العبث بها. وجعل الإنسان:

١ـ حر النفس. ٢ـ حر العقل.

حرية النفس:

قرر الإسلام للناس حرية نفوسهم، وأخرجهم من ذل العبودية إلا لله تعالى، ومن الخضوع إلا لشرعه القويم، فلا سلطان لأحد من رؤساء الدين والدنيا على روح المسلم، ولا سيطرة لهم على سريرته، ولا واسطة بينه وبين ربه إلا العمل بكتابه، وما بينه رسوله ﷺ، ولا يستطيع أحد من هؤلاء حرمانه من ثواب الله ورحمته، ما دام مستقيما على طريقته، ولا يملكون غفران ذنبه إذا خالف أمر ربه، بل ذلك كله لله وحده، يقول الله تعالى مبينا وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام: **﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾** [الأنعام: ٤٨] فلا سيطرة لهم على سرائر الناس، وليس لهم حق إكراههم وإجبارهم. بل أمرهم إلى ربهم بعد تبشيرهم وإنذارهم. ويقول عز وجل لمحمد ﷺ: **﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾** [الغاشية: ٢١، ٢٢]. ويقول رسول الله ﷺ: «يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا: يا صفية بنت عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا: يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئًا».

نعم تجب على المسلمين طاعة الرسول وأولى الأمر ، ولكن فيما ينفذون من شرع الله تعالى لأنها طاعة له عز وجل ؛ لهذا يقول تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء : ٨٠] . أما فى غير ذلك فقد كان للصحابة حرية الرأى مع الرسول فى المصالح العامة التى لم ينزل فيها وحى . وكان عليه الصلاة والسلام يرجع إلى رأى الواحد منهم إذا تبين له صوابه . وفى أمر الله تعالى له بالمشاورة فى الشئون الدنيوية ما يرشدك إلى هذا ؟ فإنه لا تكون مشاورة إلا مع حرية ، وإذا كان هذا شأن المسلمين مع الرسول صلوات الله عليه ، فأولى أن يكون هذا حالهم مع غيره من الخلفاء والرؤساء . وقد كانوا كذلك فى عهد الخلفاء الراشدين : عليهم الطاعة فيما أمر الله تعالى ، ولهم الحرية فيما وراء ذلك .

وهذا أبو بكر رضى الله عنه يقول فى أول خطبة له بعد الخلافة :

« أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى » . وفيها يقول : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم» . ومن كلام عمر فى بعض خطبه : « أيها الناس ! من رأى فيَّ اعوجاجا فليقومه » . فقام إليه رجل فقال : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » . فقال عمر : «الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » . فانظر إلى أى حد بلغت حرية الضمائر فى المسلمين فى الصدر الأول وبها عزُّوا وسادوا .

حرية العقل

كما جعل الإسلام الناس أحرار النفوس أطلق لهم حرية العقول، فأباح التفكر فى ملكوت السموات والأرض، بل حث على ذلك وأغرى به ، بل جعل النظر الصحيح أساس الاعتقاد الصحيح . وأثنى القرآن على الذاكرين المتفكرين ونعى على الغافلين الضالين ، فقال فى الأولين : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١] وقال فى الآخرين : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** ﴾ [البقرة : ١٧٠] والكتاب الكريم من أوله إلى آخره يناشد العقل، ويحاكم إليه ، ويهيب بالفكر إلى التأمل، ويحفزه إلى البحث؛ ليستدل الإنسان ببديع الصنع على عظمة الصانع جل وعز؛ وليتعلم ويبتكر وينتفع بما خلق الله فى السموات والأرض، وما أودع الكون من قوى وأسرار (الدين الإسلامى ٢ / ١٠٨ـ١١٢) .

ولفضيلة الشيخ محمد أحمد أبى زهرة رحمه الله بحث من أبحاثه النفيسة بعنوان « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام» تكلم فيه على الحرية فى الإسلام مما ننقله فيما يلى . قال فضيلته رحمه الله :

الإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية ، حرية الإقامة، وحرية الانتقال، وحرية التدين ، وحرية الفكر والرأى، وحرية الدولة . ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان، فليس لإنسان أن يتحكم فى غيره، وليس للدولة أن تتحكم فى الناس، ولكن لها أن تحكم عليهم إن اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم ، وحتى العقوبات فى الإسلام كانت لا تتجه إلى تقييد الحرية ، لأن التقيد دائما منع للحركة ، والحركة هى الحياة ، والإسلام دين الحياة .

إن كل النظم الاجتماعية والقانونية فى الإسلام تتجه إلى حماية الحريات العادلة وكذلك كل النظم الدولية التى سنها الإسلام، إنما هى لمنع الاعتداء على الغير ولتثبيت دعائم العدل، فلم يدخل الإسلام فى الحرب إلا لمنع الفتنة فى الدين ، وإطلاق حرية التدين، وترك الدعوة الإسلامية تسير فى طريقها من غير تدخل فى حرية الاعتقاد، فهو لا يُكره الناس على الدين ولكنه يمنع الوقوف أمام الدعوات الدينية السليمة ، والناس بعد بيانه أحرار فى اعتناقها، إن شاءوا ، وإن الإسلام حمى الحريات بكل أنواعها ، وهى تتناول حرية الملك ، وحرية الاعتقاد، وحرية الفكر، وحرية

العمل، والقول، والتصرف، والحرية السياسية والاجتماعية.

حرية الملك :

منح الله الأشخاص حق الامتلاك الفردي، ولكنه مقيد في موضوعه، ومقيد في حدوده وتترتب عليه حقوق ثابتة للغير، أما تقييده في موضوعه، فلأنه ليس كل شئ قابلا للامتلاك، فمن الأشياء ما يضر امتلاكه، كالمعادن التي في الأرض، سواء أكانت سائلة أم كانت جامدة، وسواء أكانت الجامدة فلزات قابلة للطرق والسحب والانصهار بالنار أم كانت غير قابلة، ويشمل ذلك الجواهر التي تلفظها البحار أو تصطاد، فإن هذه الأنواع كلها لا تقبل الامتلاك، لأنها تجيء بغير جهد يتناسب مع الفائدة منها، وامتلاكها يوجد تفاوتا كبيرا بين الناس من الناحية المالية عن غير عمل واضح بين.

وأما من ناحية القيود، فإنه ككل حق من الحقوق مقيد بألا يضر بحق الغير، فإذا كانت حرية الانتفاع بالملك تؤدى إلى الاضرار بالغير، فإنها تمنع حتى تكون في حدود منع الضرر، لأن النبي ﷺ يقول: لا ضرر ولا ضرار.

ولولي الأمر أن يتدخل بالمنع إذا تجاوز المالك حدود التصرف العادل في ملكه، وروى في ذلك الإمام أبو جعفر الصادق محمد الباقر عن أبيه الإمام على زين العابدين أنه قال: « كان لسمرة بن جندب نخل في حائط رجل من الأنصار (أي بستانه) وكان يدخل هو وأهله فيؤذيه، فشكا الأنصاري ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام لصاحب النخل: « بعه فأبى فقال له الرسول عليه السلام فاقطعه ... فأبى . قال : فهبه له ولك مثله في الجنة فأبى، فالتفت إليه النبي ﷺ. قال: أنت مضار. ثم التفت إلى الأنصاري، وقال : اذهب فاقطع نخله » ونرى من هذا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يحترم تلك الملكية المعتدية، ومنع حرية المالك إذا أدت إلى الإضرار بالغير.

وليس للمالك حرية المنع عن ملكه منعا مطلقا، فقد يتعلق حق الغير بالملك فلا يكون حق المنع عنه، والأساس في ذلك هو أن الحقوق مهما تكن شخصية لا يمكن أن تكون منفصلة انفصالا كاملا عن حقوق الناس، فثمة شركة إنسانية في الأملاك، وإن كانت تختفي قضاء فإنها تظهر ديانة، بل تظهر أحيانا في القضاء، فالجيران لهم حقوق مشتركة دينا بلا ريب، وإذا اضطرت الحاجة تكون قضاء .

ومن هذه الحقوق حق مرور الماء إذا كان لا يضر صاحب الأرض، يروى في موطأ الإمام مالك رضى الله عنه أن رجلا اسمه الضحاك ساق خليجا من العريض (الخليج مجرى صغير) فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى، فكلم فيه عمر رضى الله عنه، فأمر أن يخلي سبيله، فقال : لا والله، فقال عمر: لِمَ تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع؟ تسقى أولا وآخرا، وهو لا يضرك، فقال محمد: لا، فقال عمر: « والله ليمرن ولو على بطنك، فأمره عمر أن يمر به » .

وإنه كلما اشتدت الحاجة عظم حق الناس في الأموال المملوكة، وضيقت حرية التصرف والانتفاع وحرية المنع والامتناع، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بعد عام الرمادة: لو كانت السَّنَة مرة أخرى لأدخلت على أهل كل بيت مثلهم، لأن الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم » .

ويروى أبو سعيد الخدري فيقول: « كنا في سفر، فقال النبي ﷺ: « من كان عنده فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له، ومن عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، وأخذ يعدد أصناف الأموال حتى ظننا أن ليس لنا من أموالنا إلا ما يكفينا » .

وأن من تحت يده أرض زراعية سواء أكانت ملكا أم كانت يده يد اختصاص لا تنزع من يده، إلا لمصلحة راجحة، ويعوض عنها إذا كان قد كسبها بكسب طيب لا خبث فيه .

وقد تنزع منه لأحد أمرين، أحدهما لأنها قد يؤدى استمرار يده عليها إلى الاحتكار، كالذين كانت في أيديهم إقطاعات كبيرة ولا يتمكن الضعفاء من أن ينالوا من الأراضي شيئا فكان من الحق أن يأخذوا .

والثاني أن يكون في النزع نفع عام، وقد روى أن النبي ﷺ حمى أرضا بالمدينة ومنع ملكيتها الخاصة، وجعلها لعامة المسلمين ينتفعون بها، كما منع أرضا أخرى يسترعى فيها خيول المسلمين .

وقد نهج عمر رضى الله عنه نهج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحمى أرضا بالربذة ، « أى منع حيازتها » وجعل كلأها لكل المسلمين، وجاء إليه أهلها يشكون إليه قائلين : يا أمير المؤمنين إنها أرضنا، قاتلنا عليها فى الجاهلية ، وأسلمنا عليها ، علام تحميها ، فأطرق الإمام العادل ، وقال «المال مال الله، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر » .

ولقد جعل عمر هذه الأرض للفقراء ترعى فيها ماشيتهم ، ومنع منها الأغنياء ، وقال لواليه الذى أرسله لتنفيذ ما قرره، اضمم جناحك على الناس، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، وأدخل رب الصريمة (وهى الإبل القليلة) والغُنَيْمة (الغنم القليلة) وامنع نعم بن عفان وابن عوف، فهما إن هلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاءنى ببنيه يصرخ يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا؟ لا أب لك ، فالكلأ أيسر علىَّ من الذهب والورق (أى الفضة) وأنها لأرضهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها، وإنهم ليرون أنى ظلمتهم ولولا النعم التى يحمل عليها فى سبيل الله ما حميت على الناس شيئا من بلادهم .

وننتهى من هذا إلى أن الملكية حق ثابت، وأن حرية التملك ثابتة إذا اتخذت أسبابها المشروعة ، وأن المالك حر فيما يملك لا يمنع من حق انتفاع بملكيته بالوسائل التى لا ضرر فيها لأحد وإن كان الضرر منعت حريته فى التصرف أو الانتفاع ، منعا للإضرار، فإن كل ضرر فى الإسلام مدفوع، وأنه لا تنزع الملكية من يده إلا لدفع ضرر مؤكد أو يغلب على الظن وقوعه، أو لتأكد مصلحة أكبر من مصلحة المالك فى الانتفاع بملكه، وفى الحالين يجب تعويضه ما دام قد كسب الملكية بسبب مشروع لا خبث فيه، وإذا لم تكن مصلحة ولا دفع ضرر لا يجوز التعرض للمالك فى حرية الملك، يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه » وقد روينا ذلك من قبل .

حرية التدين :

احترم الإسلام حرية الاعتقاد ، وقاتل من أجلها ، واعتبر الفتنة فى الدين أكبر من القتل، وجعل الأساس فى الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالى من كل إكراه، أو حمل على الاعتقاد بأى وسيلة من وسائل الحمل، وأن يكون أساس الاختيار سليما ، فلا يكون إغراء ، وأن يقوم بكل ما يوجبه عليه دينه طائعا مختارا إن أراد، وعلى ذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة :

أولها ـ تفكير حر غير خاضع للتقليد ، أيا كان من يقلده، سواء أكان الآباء الأولين ، أم الأقوياء الحاضرين .

ثانيها ـ منع الإكراه على عقيدة معينة بتهديد أو تعذيب .

ثالثها ـ أن يكون حرا فى العمل بمقتضى دينه، لا يمنعه اضطهاد من الظهور بدينه وإقامة شعائره، وقد حمى الإسلام هذه العناصر الثلاثة، فدعا إلى التحرر من ربقة التقليد، ودعا إلى التفكير على أساس الدليل والبرهان ، وتعرف الحقائق من آيات الله تعالى الكونية فى السموات والأرض، وإنك تفتح المصحف فتجد الآيات القرآنية تدعو إلى التأمل الحر فى السموات والأرض وما بينهما من غير أى تقيد، إلا بالأدلة العقلية الهادية المرشدة، ولقد منع الإسلام الإكراه فى الدين ، فقال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وقد أراد أحد الأنصار أن يحمل ابنين له على الإسلام كرها، فنهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك.

وإن المسلمين الأولين كانوا حريصين كل الحرص على ألا يُكرهوا أحدا، وأنه ليروى فى ذلك أن عجوزا نصرانية قابلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحاجة لها عنده، وبعد أن أداها دعاها إلى الإسلام فامتنعت فخشى عمر أن يكون فى كلامه وهو الإمام القوى إكراه لها ، فقال : اللهم إنى لم أكرهها ثم تلا قوله تعالى :

﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ .

غير المسلمين فى ظل الإسلام :

إن غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين قسمان : المستأمنون، وهم الذين يقيمون مع المسلمين إقامة مؤقتة غير دائمة، وقد أشرنا إلى ما ينبغى لهم من معاملة فى أثناء كلامنا فى العدالة الدولية ، والقسم الثانى الذميون الذين يقيمون مع المسلمين إقامة دائمة ، وسموا ذميين ، لأنهم أقاموا مع

المسلمين على أساس أن لهم عهدا وذمة، على أن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم .

والأصل أن المسلمين كانوا إذا دخلوا بلدا وأقاموا فيه كانوا يعلنون أن من يرضون بالإقامة مع المسلمين على أن يكون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم - ما عدا ما يتعلق بالدين - يكونون ذميين ما داموا لم يعترضوا على ذلك، ويكون هذا بمثابة عقد بينهم وبين المسلمين .

وأنهم بهذا يلتزمون أمرين : أحدهما - التزام التكليفات المالية على القادرين منهم لكى يسهموا فى بناء الدولة، ويشتركوا فى ميزانها المالى .

ثانيهما - أن يلتزموا أحكام الإسلام فى المعاملات المالية وفى الخضوع للعقوبات الإسلامية ليكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، أما نظام الأسرة من زواج وطلاق فإنهم يتركون وما يدينون، وذلك لصلة أحكام الأسرة بأصل الدين، فكان من المحافظة على حريتهم فى التدين أن يتركوا فى العبادات وأحكام الأسرة إلى دينهم الذى ارتضوا البقاء عليه، ولقد قرر بعض الفقهاء وهم أبو حنيفة وأصحابه أن يعفوهم من عقوبة الخمر، لزعمهم أن ذلك مما يتعلق بالتدين، ولكن الجمهور الأعظم من الفقهاء على غير ذلك، لأن الخمر محرمة فى كل الديانات السماوية ولأن شربها جريمة، وعقوبتها لتطهير المجتمع من أدران هذه الرذيلة، ولحماية العقول من آثارها، ولأن من لا عقل له يكون كَلاًّ على المجتمع، وما داموا قد صاروا أعضاء فى الدولة الإسلامية فلا بد أن تتوافر فيهم السلامة التى يجب توافرها فى كل رعايا هذه الدولة .

وقد قرر كثيرون من الفقهاء أن المجوسى المستظل براية الدولة الإسلامية إن تزوج ابنته أو أمه لا يتعرض له ما دامت أحكام الأسرة قد تركت لهم، ولكن إذا ترافعا أو ترافع أحدهما إلى القاضى قال جمهور الفقهاء : تطبق أحكام الإسلام فيحكم ببطلان الزواج، لأن نظام المحرمات فى الزواج من النظام العام لا يطبق سواه، ولكن أبا حنيفة قال : إذا كان الخلاف فى أصل وجود العقد تطبق الأحكام الإسلامية، وإن كان يتعلق بالنفقة التى تطالب بها الزوجة، فإن القاضى المسلم يحكم حتى لا تتعرض المرأة للجوع والعرى وعدم المأوى .

وإن النظم الإسلامية فى هذا قد ارتفعت إلى مستوى فى حماية الحرية الدينية لم ترتفع إليه أى دولة من دول العالم المتحضر الآن، فليس فى دولة أيا كانت من تترك من هم على غير دينها من الرعايا يتمتعون بأحكام دينهم فى الزواج ولقد صدر منذ بضع سنين فى إنجلترا قانون يمنع الاعتراف بأى زواج يصدر بمقتضى الشريعة الإسلامية، ولو كان بين اثنين مسلمين، فلو تزوج مسلم بمسلمة فى إنجلترا، فإن المحاكم لا تعترف بهذا الزواج، ولو تزوج مسلم بمسيحية كذلك، بل إنها لو تزوجت غيره، وهى تعاشره يصح الثانى ما دام على مقتضى الشريعة الإنجليزية، ولا يلتفت إلى الأول مع أنه الصحيح، والثانى هو الباطل، بينما الإسلام لا يسمح لأى إنسان أن يتزوج المجوسية المتزوجة، ولو كان مسيحيا أو يهوديا، لأنها مهما يكن زواجها باطلا، فإنه قد أوجد حقوقا بين الزوجين .

وإن الإسلام تسامح فى الأسرة فى ولم يتسامح فى المعاملات المالية والعقوبات، لأن المعاملات فى الدولة تجرى بين المسلمين وغير المسلمين، فيكون التبادل قائما بين كل الرعايا، ثم إن المعاملات المالية أساس النظام الاقتصادى، وتبادل المنافع بين آحادها، وليس من المعقول أن ينحاز غير المسلمين فى محلة يتعاملون فيها دون سائر الناس، وإلا كانوا دولة فى داخل دولة وإن ذلك لا يتفق مع الاندماج الذى قبله، إذ قبل أن يكون جزءا من كيان الدولة، فيجب أن يعتبر كذلك فيما يتعلق بالنظام الاقتصادى والاجتماعى، والعقوبات لإصلاح النظام الاجتماعى، وتطهيره من أرجاس الرذائل .

والأسرة ليست كذلك، لأنها لا تتجاوز الشخص وزوجه وذوى قرابته، ولا تتصل بالمجتمع، وهى كالعقيدة وإقامة الشعائر الدينية، يكونان عادة منقطعين عن الجماعة، ولا تبادل فيهما بينه وبين المسلمين .

ولهذا كان من حماية الحرية الدينية، أن يترك أمر الأسرة

والعقيدة فى الناس لما يدينون به ، على أنه يلاحظ أن ذلك حق أعطيه غير المسلم بمقتضى أحكام الإسلام، ولذلك كان الرجوع فيه إلى الأحكام الإسلامية ، فإن شكا من مظلمة فإنصافه من واجب الحاكم المسلم، وليس له أن يستعين بدولة أخرى لإنصافه ، لأن ذلك يكون نقضا لعقد الذمة ، ولأنه لا توجد دولة تعامل رعاياها تلك المعاملة العادلة فيما يتعلق بنظام الأسرة .

هذه حقوق أعطيها غير المسلم المستظل بالدولة الإسلامية ، وهى قائمة إلى اليوم وهناك واجب آخر ، وهو أوضح الواجبات التى يلتزم بها الذمى ، وهو الجزية ، وقد حسب بعض الكتاب أنها مفروضة عليهم لإذلالهم ، أو أنها مظهر السيطرة عليهم ، والحق أن إعطاءها مظهر الطاعة ، ولكن العدالة أوجبتها ، وهى جزء من العدالة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية ، ذلك أنها فرضت على الذمى فى نظير ما يفرض على المسلم من زكوات وكفارات ونذور وفديات لترك العبادات كما أشرنا .

وإن الجزية إذا نظر إليها نظرة حسابية يتبين له أنها تقل عما يؤديه المسلم من واجبات مالية بمقتضى دينه ، فإنه يؤدى عما يملك من أموال منقولة ما مقدار ربع العشر من رأس المال ويؤدى العشر من صافى غلات الأموال الثابتة ثم إن الدولة تشاركه فيما يغنمه من الحروب، فتأخذ الخمس ، وعلى المسلم كفارات ونذور، فكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم إذا حلف وحنث، وكفارة الإفطار فى نهار رمضان متعمدا إطعام ستين مسكينا ... وهكذا غير ذلك من الكفارات التى يؤديها بمقتضى دينه ، وهى مصادر لتمويل التكافل الاجتماعى الذى ينتفع منه المسلم وغير المسلم فى أحيان كثيرة .

وإنه لا يمكن تكليف غير المسلم بهذه التكليفات المالية المأخوذة من أحكام العبادات الإسلامية ، حتى لا يتدخل ولى الأمر فى حريته الدينية ، ولا بد أن يسهم فى بناء الدولة التى يعيش فى ظلها ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بفريضة لا تخضع للدين ، فكانت الجزية .

وهى تصرف على المرافق العامة للدولة الإسلامية ، وتصرف فى معونة من يحتاج من غير المسلمين ، ولا يأخذ المحتاجون من المسلمين شيئا منها ، ولها بيت مال قائم بذاته ، ويسمى بيت مال الخراج والجزية ، ومن بيت المال هذا تجرى الوظائف على الفقراء العاجزين من أهل الذمة ، إذ تكون لهم مرتبات منها ، كما فعل الإمام عمر، وكما كان يفعل من بعده .

وإن حماية غير المسلمين واجبة على الدولة الإسلامية ، فدَمُهُ مصون ، ومن اعتدى عليه يقتص منه ؛ وأمواله مصونة ، وحريته الشخصية مصونة ليس لأحد أن يمسها ، وكرامته محترمة ، لأنه إنسان معصوم الكرامة كالمسلم على سواء .

ولا شك أن تنفيذ هذه المبادئ مع اختلاف الدين قد يكون صعبا على بعض النفوس ، ولذلك كانت المبالغة فى احترام حقوق الذميين ، حتى لا تذهب الحماسة الدينية الرعناء إلى الاعتداء ولذلك شدد النبى ﷺ، فى احترام حقوق الذميين ، وقال عليه السلام : « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » .

وعمر بن الخطاب كان يبث العيون على ولاته ليعرف مقدار إقامتهم للعدل فى رعاياهم ، وأول ما يهتم بالسؤال عنه معاملتهم لأهل الذمة ، وإذا جاءته الوفود من الأقاليم ، أو التقى بهم فى الحج يسألهم عن حكامه ، وأول ما يسأل عنه معاملتهم لأهل الذمة ، فحسن المعاملة لهم دليل على العدالة للجميع .

وكان لا يمتنع عن القصاص ممن يظلمهم ، ويروى فى ذلك أن ابن عمرو بن العاص والى مصر تسابق مع شاب قبطى فسبقه الشاب فضربه ابن عمرو بالسوط ، وقال له أتسبق ابن الأكرمين فذهب الشاب القبطى إلى عمر فى المدينة ، فأحضر عَمرا وابنه . وأمر الشاب القبطى أن يضرب حتى يشتفى لنفسه ، فأخذ يضربه ، وعمر يطلب الزيادة كلما سكت ، ويقول زد ابن الأكرمين ، فلما اشتفى الشاب لنفسه أزاح عمر العادل عمامة عمرو عن رأسه ، وقال للشاب القبطى اضرب على صلعة عمرو، فباسمه ضربك ، فامتنع الشاب ، وقال عمرو ما علمت بهذا ، فقال الحاكم الحر حقا وصدقا : «متى يا عمرو تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » وهذه كلمة يتحدث بها الأحرار فى كل مكان ، لأنها شعار الحرية ، إذا الحر هو الذى لا يستعبد غيره ولا يرضى بالضيم .

وقد كان الفقهاء فى كل أدوار الاجتهاد الفقهى حريصين

كل الحرص على أن يوصوا حكام المسلمين بالعدل مع أهل الذمة، ومن ذلك ما جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف .

« وقد ينبغى يا أمير المؤمنين آثرك الله أن تتقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والتفقد لأحوالهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شىء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « من ظلم معاهدا أى ذميا، أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة » وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند وفاته « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم » (الخراج لأبى يوسف / ١٤٦ ، والحاكم الذى يخاطبه هرون الرشيد) .

وهكذا نجد الرفق فى المعاملة مع غير المسلمين الذين يعيشون فى ظل الإسلام يستمتعون بالحرية الكاملة فى شئون دينهم ولا يكرهون ، ولا يؤذون ، ولا يخصون بمعاملة إلا أن تكون أرفق وأنصف ولذلك بقيت منهم ذرية إلى اليوم تعلن سماحة الإسلام ، ورعايته لحرية من يكونون من رعاياه من غير نظر إلى دينهم ، فإن العدل مطلوب دائما، ومن أسلم منهم فقد أسلم عن رضا واختيار واطمئنان، والله سبحانه وتعالى يتولى عباده برحمته . .

حرية الرأى والفكر :

الرأى هو الثمرة التى ينتجها الفكر السليم، والاتجاه المستقيم إلى طلب الحقائق وإعلانها، والإسلام يقرر أن حقائق الكون وطبائع الأشياء تجب دراستها، وإعلان ما ينتهى إليه العقل والفكر الحر غير المأسور بتقاليد سابقة لأن الإسلام نهى عن التقليد، وأمر المؤمن أن يفكر فيما تحت يده فى الأرض، وما فوقه من أفلاك، ليتعرف كنهها، لأنها سخرت له وذللت لإرادته، اقرأ قوله تعالى :

﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** ﴾ [الحج : ٦٥] .

وإن العقيدة الإسلامية بنيت براهينها على النظر فى الكون ودراسته ، وإذا كان قد ظهر بعض الذين يظهرون التشدد فى التدين، وضاق صدرهم حرجا ببعض الدراسات ، فسبب ذلك أحد أمرين : إما عجز منهم ستروه بالاستنكار، وإما أنهم رأوا الذين يتكلمون فى الكون قد نقلوه عن فلاسفة اليونان، وظهر منهم انحراف عن العقيدة، ومهما يكن، فقد ظهر علماء متدينون متشددون فى تدينهم قد درسوا الكون وما فيه، ومن هؤلاء الكندى، وقد ذكر أنه تلقى الكثير منه عن الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه .

ولا يمكن أن يدرس الكون دراسة علمية إلا إذا كانت حرية الفكر المستقيم، وإذا كانت دراسة الكون يطلبها الإسلام على سبيل الفرض الكفائى، فإن حرية الرأى وإعلانه واجبة .

وإن الإسلام أعلى شأن العقل فى إدراك المسائل، حتى لقد قال علماء الإسلام : إن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، وقالوا : إن الأساس فى فهم المعجزات والأدلة الشرعية هو العقل .

وإن الإسلام حرر الفكر من سلطان الجماعات التى لا تدرك، وأوجب على المؤمن أن يفكر طالبا الهداية من الله تعالى، وأن يتبع ما تهديه إليه الدراسة، وافق على ذلك من حوله أم خالفوه، وقال تعالى ، ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقد يقول قائل كيف يكون التفكير الحر ولو خالف الجماعة سائغا فى الإسلام ؟ مع أن الإجماع فى الإسلام حجة، ومع أن من يستقل بعقله قد يضل عن الحقائق الدينية؟ ونقول فى الجواب عن ذلك :

بالنسبة للأمر نقول : إن ذلك فى الأحكام التكليفية الشرعية لا فى الدراسات الكونية، إذ الأولى أساسها العقل، وفهم العقل، والإجماع على فهم العقل يجعله حجة قطعية لا سبيل لإنكارها ، أما الأمور الكونية، فالأساس فيها النظر الفاحص والدراسات العقلية ، وقد ينتهى الباحث إلى أمور قطعية، وما عند الناس ظنون واحتمالات، وأما ضلال بعض الباحثين فى الكون ، وانحرافهم عن الدين فليس منشأ ذلك الدراسة العقلية المستقيمة إنما منشؤه انحراف الفكر ابتداء

فهو قد درس بقلب غير سليم ، وإعلانه ما هو ضد الدين ، ليس فيه إضافة علم بالأكوان مستمر جديد ، إنما يكون فيه عقم في الإدراك .

إن حرية الرأى فى الإسلام لا تكون مستقيمة إلا إذا قامت على النظر العلمى القويم ، ولا يعلن منها إلا ما يكون قطعيا ، بالدليل ، لا ما يكون خيالا يتخيل أو ظنا يظن ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ، ولا يعلن منها إلا ما يكون فى إعلانه فائدة مؤكدة للناس ، وإذا توهم متوهم من الباحثين أمرا يخالف العقيدة اليقينية ، أيكون الخير نشر وهمه ، إن ذلك يكون تضليلا ، ولا يكون تعليما . .

الحرية السياسية :

صان الإسلام الحرية السياسية بأمور ثلاثة : أولها ـ أنه جعل أمر المسلمين شورى فيما بينهم ، وهذا يجعلهم شركاء فى الحكم يتحملون مغبة اختيارهم ، فيستمتعون بحسن الاختيار ، ويذوقون سوءه إن كان ، وعليهم حينئذ أن يعالجوا جماعتهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وثانيها ـ أنه ليس فى الإسلام من ذاته مصونة لا تمس ، بل الجميع أمام الشرع سواء ، وكل يخطئ ويصيب ، حتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان فيما يعمله برأيه من غير وحى يوحى به إليه يخطئ ويصيب ، وينبه إلى خطئه إن كان الأمر يتعلق بمبدأ من مبادئ الإسلام .

وإن اضطهاد الآراء منشؤه أن يعتقد الحاكم فى نفسه النزاهة عن الخطأ ، أو يزين له من حوله من المنافقين ذلك ، أو يجعلون ذلك أساسا من أسس العلاقة بينه وبين الناس ، وحينئذ يكون التضييق على الأفكار وعلى الآراء .

ثالثها ــ ما أوجبه الإسلام من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن ذلك الواجب سهل على الناس إبداء آرائهم ، ولقد أباح الإسلام للناس أن يبدوا آراءهم فى أعمال الحاكمين ، من غير فتنة ولا تحريض على الفساد ، ولقد كان بعض الناس يتطاولون على مقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويعترضون على بعض ما يقوم به من أعمال ، ومع ما انطوت نفوسهم عليه من مرض النفاق ، ما كان يلومهم على قولهم ، حتى لا يتخذه بعض الأمراء من بعده مسوغا لمنع الناس من إبداء آرائهم ، فكان يتحمل صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك مع مرارته ، ويأخذهم بالرفق خشية أن يفتح الباب لمن يجيء بعده ، ولقد سجل القرآن ذلك ، فأشار إلى ما كان يقوله المنافقون ، فقال تعالى ، ﴿ **ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ [التوبة : ٥٨] .

ولقد كان الخلفاء من بعده يدعون الناس إلى نقدهم ، دعا إلى ذلك خليفة رسول الله الصديق ، ودعا إلى ذلك أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وكان يقبل النقد من كل من يخالفه ويستمع إليه ، ولقد وقف مرة يدعو إلى وضع حد أعلى للمهور منعا للمغالاة فيها لأن هذه المغالاة تصعب الزواج على من يبتغيه فعارضته امرأة وقالت له : « ليس هذا لك يا أمير المؤمنين » ، وتلت قوله تعالى : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا** ﴾ [النساء : ٢٠] فطأطأ الإمام العظيم رأسه ، وقال « كل الناس يعلم القرآن إلا أنت يا عمر » .

ولقد كان يعارض رضى الله عنه فى تصرفاته وأقواله ، ولا يجد غضاضة فى معارضته ، بل إنه كان يقبل الاتهام أحيانا ، ويتلقاه بصدر رحب ، ويناقش من يتهمه ، حتى يقنعه أو يستغفر الله عما فعل ، يروى فى ذلك أنه جاءته غنائم فيها ثياب ، ومن بينها ثوب ممتاز بجودته ، فأعطاه بعض الشبان ، فظن سعد بن أبى وقاص ذلك محاباة ، فحلف ليضربن رأس عمر بثوبه الذى وزع عليه وقال لأمير المؤمنين تكسونى البرد (أى الثوب) وتكسو ابن أخى بُرْداً أفضل منه ، فقال الفاروق يا أبا اسحاق إنى كرهت أن أعطيه أحدكم ، فيغضب الآخرون ، فأعطيته فتى نشأ نشأة حسنة ، لا يتوهم فيها أحد أنى أفضله عليكم فقال سعد : لقد حلفت أن أضرب بالبرد الذى أعطيتنى رأسك ، فمال عمر برأسه ، وقال رأسى عندك يا أبا أسحاق وليرفق الشيخ بالشيخ ، فضرب رأسه بالبرد .

ولقد لاقى الإمامان العادلان الشهيدان عثمان ، وعلى من معارضيهما أشد النقد واللوم والسب ، فما استخدما سطوة الحاكم ، ولا غلبة السلطان .

وقد كان على كرم الله وجهه يصدم بالكلمة النابية ، وهو يخطب فلا يهيج ولا يثور بل يرد فى رفق وأناة وبيان للحق ، يروى فى ذلك أنه كان يخطب ، فقال له بعض الخوارج : لا حكم إلا الله ، فأجابهم على الإمام الحكيم بقوله :

« كلمة حق يراد بها باطل نعم إنه لا يحكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلا لله ، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل فى إمرته المؤمن، ويستأمن فيها الكافر، ويبلغ فيها الأجل، ويقاتل بها العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوى، حتى يستريح بره ويستراح من فاجر » .

وهكذا تكون قوة الاحتمال للرأى الحر، ولو كان من غير صالح.

تقرير المصير:

وإذا كانت حرية الآحاد مكفولة، فإن حرية الجماعات أشد ضمانا، وإذا كان الآحاد يقررون مصيرهم فى ظل الدولة أو الإسلام، فالدول تقرر مصيرها فى ظل الله تعالى والعدل، والأمن والسلام .

وقد تبين مما سقنا من نصوص أن أساس العلاقات بين الناس العدل والسلام والتعارف، ومنها التعاون الإنسانى الكامل، وقد نهى الإسلام المسلمين عن الخضوع للذل أينما كانوا، فقد نهاهم عن أن يقيموا فى ظل من لا يرعون حريتهم الدينية ، ولا يمكنونهم من إقامة شعائرهم .

وبالنسبة لغير المسلمين فإن المسلمين لم يرهقوهم ولم يظلموهم ، ولم يفسدوا عليهم أمورهم بأن يتركوهم ما تركوهم يقررون مصيرهم ، وإذا توقع المسلمون اعتداء، طلبوا إليهم أن يعاهدوهم أو يدخلوا فى دينهم أو يقاتلوهم ، وإن الذميين الذين عاهدهم المسلمون كانوا يتركون لهم الأمر إذا عجزوا . عن حمايتهم أو الوفاء بعهدهم ، وإنه يروى فى ذلك أن أبا عبيدة عامر بن الجراح عند دخول الشام قد عاهد أهل حمص على أن يدافع عنهم فى نظير مال يدفعونه لجيش المسلمين، وقد دفعوا المال، فلما تفشى الطاعون فى جيشه عجز عن الدفاع عنهم ، فأرسل إليهم يرد أموالهم لعجزه عن الدفاع عنهم ، فردوا المال إليه ، وهبُّوا مع المسلمين لمقاتلة الرومان .

وفى الجملة إن الإسلام لا يرهق الشعوب من أمرها عسرا، بل يسير بها فى أمن وسلام، وكل يختار لنفسه من يتفق معه، ومن يختاره له وليا ، والشعوب كالآحاد حرة فى اختيارها من تنضم إليه ومن تبتعد عنه ، وكل تدخل فى ذلك ضد الحرية ، وإكراه، وحرمان للاختيار . (« المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » / ٤٣٥-٤٤٨) .

ولفضيلة الشيخ صادق إبراهيم عرجون بحث فى حرية الرأى فى الإسلام ومما جاء فيه ما يلى : كان المسلمون الأولون يعظمون حرية الرأى تعظيما جعل منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لا يمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير. وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الإسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [الشورى : ٣٨] وأمر الله به نبيه ﷺ وليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] إلا قاعدة من قواعد حرية الرأى وتقديسها، فاستمع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذه السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه .

روى البخارى فى صحيحه « أن رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله ﷺ: معى من ترون ، وأحب الحديث إلىَّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين .

إما السبى، وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم - وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا : فإنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد، فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل، فقال الناس :

قد طيبنا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » .

هذا الحديث الشريف يصور أقصى ما تبلغ إليه الأمم الناهضة من حرية الرأى ونظام النيابة الفاضلة ومحو الاستبداد. وفيه من الفوائد العظيمة التى تدنو منا فى عصرنا

هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الرأى، ما يجل عن الوصف. ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذى عقدنا هذا المقال لأجله :

أول ما يبده القارئ من هذا الحديث قول النبى صلوات الله عليه لهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث إلىّ أصدقه » ليشعرهم بقانون الإسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى، والتجافى عن روح الاستبداد، والحكم الفردى، فكأنه يقول: إن الأمر صار إلى الأمة، ولا بد من أخذ رأيها، مع أنه لو فعل شيئا ما طرفت عين بمخالفته **﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾** [النساء : ٦٥].

ثانيا ــ لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها، بل خيرهم بين إحدى الطائفتين: إما المال، وإما السبى، وفى ذلك من احترام الرأى ما لا يحتاج إلى بيان .

ثالثا ــ عرض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة إخوانهم، وقال لهم : إنى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم ، ثم أطلق لهم حرية الرأى، وأبان أنه لا يحكم إلا بما تطيب به نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، أفتراه ـ وهو الرسول الأمين ـ قام إلى سبى هوازن فرده إليهم اتكالا على إجابة عامة من حشد المسلمين، كيف؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم، والمسلمون سواء أمام التشريع العام، لكل مسلم رأيه، ولكل رأى اعتباره، لا ، لم يتفرد النبى برأيه، ولكنه عمد إلى أدق نظم حرية الرأى، وأحراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا إلى أنفسهم، ويتعرفوا منها الرضا، أو الإباء، وينضجوا رأيهم، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا إليه ما استقر عليه رأيهم .

نظام بلغ أسمى آيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة، أليس هو أحدث ما تطمح إليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ؟ فليتبصر الذين لا يعرفون من الإسلام إلا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الإسلام فى الصميم .

اشترع النبى ﷺ هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد ملّكه المسلمون رقابهم وأموالهم، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان .

ولقد سرت تعاليم الإسلام فى المسلمين، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقومه : «والله ولو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوّم عوج عمر ! إنما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمر أمة لا تلين لها فى الحق قناة .

وإذا تأملنا فى أن رسول ﷺ صعد إلى الرفيق الأعلى ولم يخلف على المسلمون رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الإسلام. وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب إلا بعد أن فوض إليه المسلمين ذلك. روى ابن الجوزى « أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال : إنه قد نزل بى ما ترون ، ولا أظننى إلا ميتا لما بى، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتى، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمّرتم فى حياة منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقيم لهم ، فرجعوا إليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا، قال : فعليكم عهد الله على الرضا، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

فإذا كانت حرية الرأى فى الإسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف، كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية : فأما التشريع فحسب القارئ الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الإسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصدرون فى رأى إلا عن كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة، حتى إن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه

والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده، ولا حجر عليه رأيه .

حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين، وهيمنته على سائر الأديان، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، وأنه لا حاجة معها إلى قانون آخر. قال العلامة ابن القيم : « ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ماتضمنته من المصالح، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها، وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نعنى بحرية الرأى ما يفهم من كلمة « الفوضى » حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول فى الشريعة برأيه، وإنما نعنى أن العالم الثقة إذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله، فلا سبيل عليه، ولا تحجير على فضل الله (« حرية الرأى فى الإسلام» / ٦٠٠-٦٠٢) .

(الدين الإسلامى - الشيخ حسن منصور، والشيخ عبد الوهاب خير الدين، والشيخ مصطفى عنانى ٢ / ١٠٨ - ١١٢، و « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » - فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة . المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية. الأزهر . جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - أكتوبر ١٩٦٦ م/ ٤٣٥-٤٤٨، و « حرية الرأى فى الإسلام » - فضيلة الشيخ صادق إبراهيم عرجون، إعداد عبد الفتاح حسين الزيات، مجلة الأزهر - الجزء السادس، السنة الثانية والستون، جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ٦٠٠-٦٠٢) .

*** الحزب :**

حزب : الحزب جماعة فيها غلظ، قال عز وجل : ﴿أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ [الكهف : ١٢] وحزب الشيطان وقوله تعالى ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾ [الأحزاب : ٢٢] عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبى ﷺ ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة : ٥٦] يعنى أنصار الله وقال تعالى ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب ﴾ [الأحزاب : ٢٠] وبُعيده ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾ [الأحزاب : ٢٢] (المفردات / ١١٥) .

والحزب أيضا أحد أقسام المصحف الشريف، إذ بعد تجزئة القرآن ثلاثين جزءا، كان تقسيم الأجزاء الثلاثين إلى أحزاب، كل جزء ينقسم إلى حزبين، ثم تقسيم الحزب إلى أرباع، كل حزب ينقسم إلى أربعة أرباع، وذلك كله تيسيراً على الحافظين. وعلى هذا التقسيم طبعت المصاحف وهى تحمل الإشارات الجانبية الدالة على مكان الأجزاء والأحزاب وأرباع الأحزاب (تاريخ القرآن / ١٥٢، ١٥٣) وقد بسطنا الكلام فى تجزئة القرآن فى مادة أجزاء القرآن (م ٢ / ٤٣٢ ـــ ٤٤٢) فانظرها فى موضعها .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٥، وتاريخ القرآن - إبراهيم الإبيارى / ١٥٢، ١٥٣) .

*** الحزب :**

قال عبد الله التليدى : الحزب هو الورد المعمول به تعبدا ونحوه، وهو فى الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكير، والتعوذ من الشر، وطلب الخير، واستنتاج المعارف، وحصول العلم، مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك. ولم تكن فى الصدر الأول ولا من بعدهم بقريب، لكن جرت على أيدى مشايخ الصوفية وصالحى الأمة لحكم التصريف والنظر السديد إشغالا للبطالين، وإعانة للمريدين، وتقوية للمحبين، وحرمة للمنتسبين، وترقية لهمم المجتهدين من العباد والزهاد. ذكره سيدى أحمد زروق فى شرح حزب البحر للشاذلى، وعنه نقله الفاسى فى المرآة ص ٧٤، ٧٥ .

(المطرب بذكر بعض مشاهير أولياء المغرب - عبد الله التليدى / ١٧٦ هامش ١) .

*** الحزب الأعظم والورد الأفخم :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف . قال حاجى خليفة :

الحزب الأعظم والورد الأفخم : للعالم الفاضل على ابن سلطان محمد الهروى القارى نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف جمع فيه ما ورد فى الحديث من

الأدعية وعليه شرح الشيخ الإسكندراني المكي الضرير (هو محمد بن سلامة بن إبراهيم) المالكي نزيل مكة المتوفى سنة ١١٤٤ أربع وأربعين ومائة وألف تقريبا [١١٤٩] وهو شرح حافل في مجلدين . أوله : الحمد لله الذي منح أهل العلم رفعة وشرفا إلخ . وشرح إبراهيم الساقزي سماه فيض الأرحم وفتح الأكرم وشرح في حاشيته رؤياه النبي ﷺ على حالة الضيافة للأنبياء عليهم السلام وطولها وحكى فيها ما رأى . قال في آخر الشرح تم هذا الشرح في رجب سنة ١١٣٤ أربع وثلاثين ومائة وألف . وشرح الشيخ عثمان العرياني الكليسي الراحل إلى مكة في سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومائة وألف للمجاورة بها أوله : الحمد لله الذي أجاب دعوة المضطرين وهو شرح مضبوط فرغ عنه في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائة وألف سماه « رمز الكامل » (كشف ١ / ٦٦٠، ٦٦١) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد) وقد أدرج في فهرس التصوف وجاء بيانه كما يلي :

لما رأى المؤلف تعلق بعض السالكين بأوراد المشايخ المعتبرين ، وبأحزاب العلماء المكرمين كالدعاء السيفي وأربعين الأسماء وجد بعض العوام يحرفون بعض الأدعية فألف هذا الحزب ...

المؤلف : نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي ، القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٤ هـ / ١٦٠٦ م .

أوله : الحمد لله الذي دعا للإيمان ، وهدانا بالقرآن ، وأجاب دعوتنا بالفضل والإحسان ، والصلاة والسلام على سيد الخلق الداعي إلى دعوة الحق ...

آخره : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي الذي آمن بك وبكتابك وأعطه أفضل رحمتك ...

الخط نسخي جميل ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بماء الذهب .

اسم الناسخ : مصطفى الكاملي .

ملاحظات : نسخة خزائنية مذهبة ومزخرفة الورقة الأولى .

وتوجد أربع نسخ أخرى أرقامها على التوالي هي ٣٦٢٩ ، ٩٧٢٤ ، ١٩٦ ، ٣٦٢٣ .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات / ١٧٩٢

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، البدر الطالع ١ / ٤٤٥ طبعات الكتاب : ١ ـ أستانه على الحجر سنة ١٢٦٢ هـ ، ٢ ـ بولاق سنة ١٣٠٠ هـ ، ٣ ـ بولاق سنة ١٣٠٧ ، ٤ ـ حجر بمكة سنة ١٣٠٧ هـ .

(مخطوطات الظاهرية ١ / ٤١٤ ـ ٤١٧) .

ويوجد أيضا مخطوطه في مكتبة متحف « مولانا » في قونيا وجاء بيانه كما يلي ، تحت عنوان « الحزب الأعظم » :

لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري المتوفى (١٠١٦هـ ١٦٠٧ م) .

انظر معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، بروكلمان ٢ / ٣٩٤ ـ ٣٩٨ ، وذيله ٢ / ٥٣٩ ـ ٥٤٣ ، مطبوع ، انظر معجم سركيس ص ١٧٩٢ .

واسم الكتاب كاملا : الحزب الأعظم والورد الأفخم ، جمع فيه ما ورد في الحديث من الأدعية سبعة أجزاء . كل جزء مجلد لوحده وقد جمع داخل محفظة .

في الورقة الأولى من كل جزء صورة وقفية داخل دائرة ذهبية .

الحزب الأعظم الأول يوم السبت ٧ أوراق ، في كل ورقة ١٣ سطرا . الورقة الأولى معنونة بالذهب . حافات الأوراق مجدولة بالذهب ومكتوبة بخط أسود . كتب هذا الجزء : السيد أحمد نهالي من تلاميذ محمود المشتهر بجلال الدين سنة ١٢٧٩ هـ .

الحزب الأعظم الثاني كتبه نفس كاتب الجزء الأول وبنفس التاريخ . وهذا الحزب في يوم الأحد ، ٨ أوراق .

الحزب الأعظم الثالث يوم الإثنين ٨ أوراق لم يذكر اسم الكاتب ولكنها بنفس الخط .

الحزب الأعظم الرابع يوم الثلاثاء ٨ أوراق كتبه « نهالي » نفسه وبنفس التاريخ .

الحزب الأعظم الخامس في يوم الأربعاء ٨ أوراق .

الحزب الأعظم السادس في يوم الخميس ٦ أوراق .

الحزب الأعظم السابع في يوم الجمعة (وقد ذكر مؤلف

الفهرست بأنه في يوم الأحد وهو خطأ) ٩ أوراق كتبه « نهالى» بنفس المواصفات ونفس السنة .

(لم نجد ترجمة أحمد نهالى . أما أستاذه محمود جلال الدين فهو من داغستان . ومدفون فى حضرة الشيخ مرادى . توفى فى ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩ م) .

مقياس المجلد : ١٩,٥ × ١٢,٣ .

مقياس الكتابة : ١٣ × ٧ .

رقمه فى الخزانة : ١١١٥ - ١١٢١ .

رقم المجلد : ١١٢ (مخطوطات متحف قونيا / ١٨١ ، ١٨٢).

ويوجد مخطوط بدار الكتب القطرية .

أوله : « الحمد لله الذى دعانا للإيمان ، وهدانا للقرآن ... » ٦٤ ورقة ضمن مجموعة من ١ ـ ٧٤ .

الكتاب الأول فى المجموعة رقم ٣٢٤ (مخطوطات دار الكتب القطرية / ٤٣) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٠ ، ٦٦١ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤١٤ ـ ٤١٧ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨١ ، ١٨٢ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٣) .

* **حزب الإمام النووى :**

مخطوط بدار الكتب القطرية جاء بيانه كما يلى :

حزب الإمام النووى (ت ٦٧٦ هـ) أوله : « بسم الله أكبر ... أقول على نفسى وعلى دينى » ورقتان ضمن مجموعة من ١١ ـ ١٣ . المقاس ١٦ × ١١ سم . مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب الثالث ضمن المجموعة رقم ٢٢٧ .

وتوجد نسخة أخرى فى ورقة واحدة . مسطرتها ١٥ سطرا . رقم ٩ فى المجموعة رقم ٢٦٣ من ٨٧ ـ ٨٨

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤) .

انظر حزب النووى .

* **حزب الأنس :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٩٣٢١ .

أحزاب وأوراد وأدعية .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ...

آخره : اللهم صل على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وعلى حملة العرش الكروبين وعلى زوار البيت المعمور من المقربين وعلى سائر الملائكة أجمعين وعلى عباد الله الصالحين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة عادية .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤١٧) .

* **حزب البحر :**

حزب البحر ـ للشيخ نور الدين أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الحميد المغربى الشاذلى اليمنى المتوفى سنة ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة وهو دعاء مشهور سمى به لأنه وضع فى البحر وللسلامة فيه حين سافر فى بحر القلزم فتوقف عليهم الريح أياما فرأى النبى ﷺ فى مبشرة فلقنه أياه فقرأه فجاء الريح ويسمى أيضا بالحزب الصغير .

أوله يا الله يا على يا عظيم يا حليم ... إلخ قال العلماء بالله تعالى إن فيه اسم الله الأعظم . وجاء عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه قال : لو ذكر حزبى فى بغداد لما أُخذت وهو العدة الكافية التى فيها تفريج الكروب، وما قرئ فى مكان إلا سلم من الآفات، وفى ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، وفرج كربته، ورفع

بين الناس قدره ، وشرح بالتوحيد صدره ، وسهَّل أمره ، وكفاه شر الإنس والجن ، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ، وإذا قرأه عند جبار أمن من شره ، ومن قرأه عقيب كل صلاة أغناه الله سبحانه وتعالى عن خلقه ، وآمنه من حوادث دهره ، ويسر له أسباب السعادة فى جميع حركاته وسكناته . ومن ذكره فى الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته فى القلوب .

وقال بعضهم : من كتبه على شىء كان محفوظا بحول الله سبحانه وتعالى ، ومن استدام على قراءته لا يموت غريقا ولا حريقا ، ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار دائرا عليها حرسها الله سبحانه وتعالى من شر طوارق الحوادث والآفات ، وله منفعة جليلة فى الحروب ، ومن وضعه فى رق طاهر والمريخ فى شرفه أو فى الساعة الأولى من يوم السبت والقمر زائد النور بجمع همة وحسن حال شاهد من بديع سر الله سبحانه وتعالى ما تقصر عنه الألسنة . وهو دعاء النصر والغلبة على الخصوم وخواصه كثيرة .

وله شروح منها شرح الشيخ أبى سليمان داود بن عمر الشاذلى نزيل الإسكندرية المتوفى بها سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة سماه الرسالة المرضية فى شرح دعاء الشاذلية . وشرح الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الشهير بزروق المتوفى سنة ٨٩٩ تسع وتسعين وثمانمائة . وشرح على بن سلطان محمد الهروى القارى (كشف ١ / ٦٦١ ، ٦٦٢) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٧٩٥٨

حزب مشهور الدعاء به عند جميع الطوائف الصوفية ومجرب عندهم لتفريج الكروب .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربى وعلمك حسبى فنعم الرب ربى ونعم الحسب حسبى ...

آخره : اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى لحمى ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية .

أولها : كالسابقة .

الرقم ١١٣٤٤ .

آخرها : إن وليى الله الذى نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثلاثا حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

الخط نسخ معتاد سىء ، الحبر : أسود مجدولة بالأحمر.

كما توجد سبع نسخ أخرى أرقامها على التوالى هى : ١٠٩٤٨ ، ٤٠١٢ ، ١١١٤٢ ٦٤٤٤ ، ٨٠١٥ ، ٩٧٢٤ ، ١١٣٩٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الرسالة : طبعت كثيرا منها :

١ ـ ضمن مجموع الأوراد الكبير ص ٧٦ طبع صبيح .

٢ ـ ضمن أوراد منسوبة للشيخ الطيب ص ٩ طبع أكثر من خمس مرات .

٣ ـ ضمن الأوراد الأسبوعية لابن عربى ص ٥٧ طبع استانبول .

٤ ـ ضمن الأوراد الأسبوعية طبع حلب ص ٥٦٩ ـ بليبيا ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ص ٩ ـ ١١ جمع عبد القادر زكى بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٧٦ و٢٨٩ و ٢٩٧ (فهرس الظاهرية ١ / ٤١٧ ـ ٤٢٠) .

وتوجد نسخة بدار الكتب القطرية .

ورقتان ضمن مجموعة من ٨ ـ ١٠ . المقاس ١٦ × ١١ سم مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب الثانى فى المجموعة رقم ٢٢٧ .

وتوجد نسخة أخرى مجموعة ٣١ ـ ٣٢ . المقاس ١٦×١١سم ـ مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب السادس فى المجموعة رقم ٢٢٧ (المنتخب ق ٣ / ٤٣) .

كما توجد نسختان بمكتبة الأوقاف المركزية فى العراق ، النسخة الأولى رقم ت / مجاميع / ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، والنسخة الثانية رقم ت / ٢٢١ ، ٢٢٢ (فهرس المركزية ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦١ ، ٦٦٢ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤١٧ ـ ٤٢٠ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٣ ، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية بالسليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد ، ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

*** حزب البحر :**

من مصنفات التراث الإسلامى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦٨٩٩ .

أدعية وأوراد على مشرب السادة الصوفية .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى الحنفى الخلوتى القادرى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م .

أوله : الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وسيرنا فى البر والبحر بسلطانه المبين ... وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها .

آخره : اللهم سق لنا النسائم الطيبة والروائح الحاملة للغادى والرايح وحملنا حمل العناية إلى منازل الهداية ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود ويعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢١) .

*** حزب البر :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ١٠٢٢٤ .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : **﴿إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم بديع السماوات والأرض﴾** ...

آخره : **﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له ﴾** ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

تاريخ النسخ : ٩ رمضان سنة ١٢٥٣ هـ .

ملاحظات : قوبل على المطبوعة فوجد صحيحا .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، جامع كرامات الأولياء للنبهانى ٢ / ١٧٥ .

طبعات الكتاب : طبع كثيرا مقرونا مع حزب البحر وطبع ضمن مجموع وظائف وأحزاب على الحجر سنة ١٣٢٦ هـ من ص ١٤ ـ ٢٣ .

٢ ـ وضمن مجموعة الأوراد من ص ٦٥ ـ ٧٦ طبع صبيح بمصر بدون تاريخ .

٣ ـ وطبع فى النفحة العلية من ص ١٦١ ، ١٦٢ على أنه حزب البر للشاذلى ولكن يختلف بالحجم والصياغة .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٩٦ و ٣٢٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢١ ، ٤٢٢) .

*** حزب البر :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٩٣٢١ .

المؤلف : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر المرسى المتوفى سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م .

أوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾** ...

آخره : وسخر لنا كل شىء يا من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه يا على يا عظيم يا حليم يا عليم ... قاف آدم حم ها آمين والحمد لله رب العالمين .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة عادية .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ١ / ١٧٩ ، أعلام الإسكندرية ١٩٢ ـ ٢١٢ طبعة الرسالة طبعت ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ١٢٣ ـ ١٣١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٢ ، ٤٢٣) .

*** حزب التوسل :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ١١٣٤٤ .

توسلات بالله عز وجل وببعض آياته .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم إنى أتوسل بك إليك ، اللهم إنى أقسم بك عليك ، اللهم كما كنت دليلنا عليك ، فكن شفيعنا إليك ، اللهم إن حسناتى من عطائك ...

آخره : اللهم إنى سمعى وبصرى وأمامى وقلبى وعقلى بيدك ، لم تملكنى شيئا من ذلك ، فإذا قضيت بشىء فكن أنت وليى واهدنى إلى أقرب سبلك ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر

اسم الناسخ : رسلان التقى .

تاريخ النسخ سنة ١٢٨٢ هـ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية لعبد القادر زكى من ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٣ ، ٤٢٤) .

*** حزب الحفظ والحراسة من الهموم الدافع الرافع ضر سجف الغموم :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٦٨٩٩ .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م

أوله : لك الحمد يا من هو المحمود باللسان المطلق ... وبعد فهذا ورد يتلى للحفظ والحماية واللحظ والرعاية ...

آخره : اللهم مدنا بمددهم أجمعين وأعد علينا من بركاتهم يا رب العالمين ، واحرسنا واحفظنا بإسعافاتهم ياقوى يا متين ، ما ذكر ذاكر اسم الجلالة ...

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر ٧٤ ، فهرس الخديوية ٧ / ١٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ ، الأعلام ٨ / ١٤١ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة ٩ / ٤٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٤ ، ٤٢٥) .

*** حزب الحفظ والصون وسر تسخير عالم الكون :**

حزب الحفظ والصون وسر تسخير عالم الكون : للشيخ أبى الحسن الشاذلى أوله بسم الله افتتحت .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الحماية والاعتصام ـ الذى هو لسرب الغواية قصام :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصرف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد)

الرقم ٦٨٩٩ .

ألف هذا الحزب سنة ١١٥٨ و ذلك بعد أن ألف ورد

الأيام والليالى فمزقه ولم ينشره فألف هذا الحزب على نسقه .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ/ ١٧٤٩ م .

أوله : الحمد لله المنعم المنان بجزيل الإكرام ، الملهم الحنان تجميل الأفهام والإعلام، والصلاة والسلام على إمام كل إمام ومقدام كل مقدام همام ضرغام ...

آخره : والصلاة والسلام على صاحب الإسعاف والإتحاف ، جد الأشراف ومستند أهل الإشراف ... وأتباعه وأشياعه وأحزابه ما احتبس محتبس حلال زلال الخندريس ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : جاء فى آخره : بلغ مقابلة على نسخة صححها المؤلف قدس الله سره .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٧٥ ، فهرس الخديوية ٧ / ٢٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ ، الأعلام ٨ / ١٤١ .

بعض نسخ الكتاب : دار الكتب المصرية مجموعة رقم ٩ / ٥٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٥) .

*** حزب الحمد :**

لأبى الحسن الشاذلى وهو ورده بعد العصر . أوله الفاتحة وآية الكرسى (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب أبى حمزة الغزالى :**

من مخطوطات التصوف والآداب الشرعية بدار الكتب القطرية .

٩ ورقات ضمن مجموعة من ١٤ ـــ ٢٣ . المقاس ١٦×١١سم ، مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب الرابع فى المجموعة رقم ٢٢٧ .

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ٤٤) .

*** حزب الخلوتية :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٧٠٨١ .

رسالة تتضمن أذكار طائفة الطريقة الخلوتية وأحزابها .

المؤلف : ؟

أولها : الحمد لله جابر كسر من أناب ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأحباب ، وعلى آله وصحبه الأنجاب وبعد : فيبدأ التالى بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مرة ثم الفاتحة ...

آخرها : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وعلى أصحاب الحقوق علينا وأتباعهم وارض عنهم ، وارض عنها بهم ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٧٦ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٦) .

*** حزب الرجاء والانتهاء :**

حزب الرجاء والانتهاء : للشيخ عبد القادر بن أبى صالح الكيلانى المتوفى سنة ٥٦١ إحدى وستين وخمسمائة أوله : سبحان الله تسبيحا يليق بحال من ... إلخ (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الرغبة والرهبة :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق ؟ أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٨٥٨ .

المؤلف : أبو محمد عبد السلام بن مشيش المتوفى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م .

أولها : اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجزت الخلائق ...

آخرها : ﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ ﴿**ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا** ﴾ ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

مصادر عن المؤلف : النبهانى جامع كرامات الأولياء ٢ / ٦٩ .

طبعة الرسالة : طبعت ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ص ١٥ ـ ١٨ وتتفق المخطوطة مع المطبوعة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٦ ، ٤٢٧) .

انظر : شرح صلاة ابن مشيش ، شرح صلوات ابن مشيش ، صلاة ابن مشيش .

*** حزب الرفاعي :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٨٢٢٢ .

حزب مكون من آيات وأدعية وأذكار يشبه الحزب الصغير له .

المؤلف : السيد أحمد بن على بن يحيى الحسينى الرفاعى الأنصارى صاحب الطريقة الرفاعية المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .

أوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ...

آخره : كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة ، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٤٧ هـ .

الرقم ٥٢٣٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : يوسف أفندى .

تاريخ النسخ : الأحد ٢٣ رمضان سنة ١٢٦٢ هـ .

ملاحظات : نسخة عادية ليس عليها تملكات .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ٢٥ ، الأعلام ١ / ١٦٩ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن مجموعة الأوراد ص ٨٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٨) .

*** حزب الشكوى :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٥٦٦١ .

أدعية صوفية وأوراد والمؤلف أحد أساتذة الإمام الشعرانى .

المؤلف : أبو السعود محمد الجارحى المتوفى سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م .

أوله : وصلى الله على سيدنا محمد ... يا من عاقبة أمرى ومآلى رب إنى ناصيتى بيدك وأمورى كلها ترجع إليك وأحوالى لا تحصى عليك ...

آخره : فأطلقنى من سجن الحجاب ، وامنن على بما مننت به على الأولياء الأحباب ، وطهر قلبى من الشك والشرك والارتياب وثبتنى فى الحياة الدنيا وعند الممات ...

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود مجدولة بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤٠١ ، معجم المؤلفين ٩ / ١٤٦ ، فهرس الخديوية ٧ / ١٢٢ .

مصادر عن المؤلف : الشعرانى : الطبقات الكبرى ٢ / ١٢٧ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة ٨٦/ ٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٨ ، ٤٢٩) .

*** الحزب الصغير :**

انظر : حزب البحر .

*** حزب ابن عربى :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦١٣٩ .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الأندلسي المشهور بالشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .

أوله : اللهم يا حيي يا قيوم بك تحصنت فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقية برهان حرز أمان بسم الله ...

آخره : واجعل لي نورا أمشي به في الناس ...

الخط نسخ على القاعدة المغربية ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : علي بن شماخ الدهمشي .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٤ هـ .

نسخة ثانية .

الرقم ٤١٣٤ .

أولها : كالسابقة .

آخرها : يا الله يا الله يا الله يا نافع يا رحمن يا رحمن يا رحمن يا رحيم يا رحيم يا رحيم أسألك بحرمة هذه الأسماء ...

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

ملاحظات : نسخة عادية .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٣٢ .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين ١١ / ٤٠ .

طبعات الرسالة : استانبول بدون تاريخ بآخر الأوراد الأسبوعية من ص ٥٧ . ٦٣ . ٢ ـ بحلب ضمن الأوراد الأسبوعية ٦٠ ـ ٦٧ . ٣ ـ مطبعة العلم بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٩ ، ٤٣٠) .

* **حزب ابن عربي :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٢٣ .

أدعية وصلوات وأذكار للفتح والترغيب للمريد .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي المشهور بالشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .

أوله : وربنا الفتاح العليم ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ [غافر : ٦٠] ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه** ﴾ [الحجر : ٢١] ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

آخره : وأفضل الصلاة والسلام والتسليم على سيدنا محمد منبع الكمالات والآيات ومشرع السعادات وعلى كل منسوب لجنابه المجيد ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد بن أحمد بن سعد الكلشني .

تاريخ النسخ : الجمعة ١٥ ربيع الثاني سنة ١٠٣٧ هـ .

ملاحظات : نسخة جيدة بخط أحد العلماء وترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ٣ / ٤٦٨ .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٣٢ .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين ١ / ٤٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٠ ، ٤٣١) .

* **حزب الفتح :**

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩٢٠٥ .

ـ حزب افتتحه مؤلفه بالآيات ثم بالأدعية والابتهالات وغير ذلك .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال البكري الصديقي المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ .

أوله : ﴿ **الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ... ثم فاتحة البقرة وألهكم التكاثر ...

آخره : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا ، واجعل

خشيتك أخوف الأشياء عندنا ، واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك واقرر أعيننا بك مع أهل اصطفائك يا الله ...

الخط نسخي واضح ، الحبر أسود .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣١) .

*** حزب الفتح من مانح النجح :**

حزب الفتح من مانح النجح : للشيخ أبي العباس أحمد ابن يوسف الحريثي المدني الزبيدي وفي فتحه تأليف للشيخ كمال الدين محمد بن أبي الوفا بن الموقع سماه الفتح لمغلق حزب الفتح (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الفتح والنور وتجلي الرحمانية بالرحمة في عالم الظهور :**

حزب الفتح والنور وتجلي الرحمانية بالرحمة في عالم الظهور : للشيخ أبي محمد عبد الحق ابن سبعين المتوفى سنة ٦٦٩ تسع وستين وستمائة أوله : بسم الله فاتح الوجود ... إلخ (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الفرج الطيب الأرج :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٨٩٩ .

خطر ببال المؤلف غب مضي شهر المولد أن يؤلف وردا يتلوه الوالد أي وقت أراد لنيل أرج الفرج .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي الحنفي المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م .

أوله : نحمد الله على فيض جلاله ، ومدد عز قدسه ونواله ، ونشكره على نعمه وأفضاله ، وجوده ومنّه وإقباله ونصلي ونسلم على مظهر جماله ...

آخره : وامددنا اللهم بمددهم أجمعين لننجوا بهم من عذاب الجبار وارض اللهم عن الأئمة الأربعة المجتهدين الأبرار ومن مقلديهم وأتباعهم إلى يوم القرار ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٧٤ .

مصادر عن المؤلف . معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ ، الأعلام ٨ / ١٤٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٢) .

*** حزب الفرج والاستخلاص بسر تحقيق كلمة الإخلاص :**

حزب الفرج والاستخلاص بسر تحقيق كلمة الإخلاص : لابن سبعين أوله : إلهي وسعت كل شيء رحمة وعلما ... إلخ (كشف ١ / ٦٢٢) .

*** حزب الفلاح :**

للشريف الجزولي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت ٨٧٠ هـ)

خط لا بأس به .

المقاس ١٦ × ١٠ سم مسطرتها ١٣ سطرا .

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤) .

*** الحزب الكبير :**

الحزب الكبير : للشيخ أبي الحسن الشاذلي صاحب حزب البحر (انظره في موضعه) أوله إن الله اشترى من المؤمنين الآية (كشف ١ / ٦٦٢) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ٩٧٢٤ .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ...** ﴾ .

آخره : ﴿ **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين** ﴾ [المؤمنون : ١١٨] هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين والحمد لله رب العالمين ...

قالت المؤلفة : نص الآية في [غافر : ٦٥] بدون واو قبل لفظ « الحمد » .

الخط نسخي جميل جدا، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بماء الذهب .

ملاحظات : نسخة خزائنية مذهبة قيمة .

نسخة ثانية .

الرقم ٩٣٢١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٠ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن النفحة العلية في أوراد الشاذلية من ص ٢ ـ ٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

*** الحزب الكبير :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٨٠٨٩ .

يتضمن أدعية وابتهالات وصلوات .

المؤلف : أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن موسى الكيلاني الحسني المتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م .

أوله : الفاتحة ثم افتتاح سورة البقرة وألهكم التكاثر إلى آخرها ...

آخره : يا حبيب التوابين تب عليَّ وعلى عبادك المسلمين أجمعين بحق جاه سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم الأنبياء والمرسلين المصطفى الأمين حبيب رب العالمين ...

الخط نسخي واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصدرها : هدية الأستاذ محمد سعيد حمزة .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٣٠٧، جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ٨٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

*** حزب الكيلاني :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٣٠٢ ، أوراد ١٦ .

أدعية واستغفارات .

المؤلف : أبو محمد محيي الدين عبد القادر الكيلاني الحسني المتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م .

أوله : هذا الحزب الكبير الأعظم الأفخم سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني ... بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ...

آخره : فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : ملحق به بعض أوراد ابن عربي والنابلسي وغيرهم بصورة غير مرتبة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٤، ٤٣٥) .

*** حزب اللطف :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩٧٢٤ .

صلوات وأدعية وتوسلات .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم اجعل أفضل صلواتك وأنمى البركات في أكمل الأوقات على سيدنا محمد أكمل أهل الأرضين والسماوات وسلم عليه يا ربنا بأزكى التحيات في جميع الحضرات .

آخره : اللهم صل على من أرسلته رحمة للعالمين سيدنا

محمد وآله وصحبه أجمعين وارض عن السادة الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ... لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الخط نسخى جميل جدا ، الحبر أسود مجدولة بماء الذهب .

ملاحظات : نسخة خزائنية قيمة مذهبة .

مصادر عن الكتاب : فهرس الخديوية ٧ / ١٢٥ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة رقم ٨٨ / ٤ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٥) .

* **حزب النصر :**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٠٩٤٨ .

أدعية وتوسلات فى الانتصار بالله عز وجل وطلب نصره .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم بسطوة جبروت قهرك ، وبسرعة إغاثة نصرك ، وبغيرتك لانتهاك حرماتك ، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك ، نسألك يا الله يا الله يا سميع يا مجيب ...

آخره :

إن أبطأت غـارة الأرحـام وابتعـدت
فأقـرب الشىء منـا غـارة الله
يـا غـارة الله جـدى السيـر مسرعـة
فى حل عقـدتنـا يـا غـارة الله

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود معنونة بالأحمر .

نسخة ثانية .

الرقم : ١١٣٤٥

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى واضح ، الحبر : أسود .

ملاحظات : بهامشه فضائل قراءة حزب النصر .

نسخة ثالثة .

الرقم ١٠٢٢٤

أولها : وآخرها كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

ملاحظات : بعض كلماته مشكلة .

نسخة رابعة .

الرقم ٥٢٣٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : يوسف ؟

تاريخ النسخ : الأحد ٢٣ رمضان سنة ١٢٦٢ هـ .

نسخة خامسة .

الرقم : ٥٩٥٠

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : المجموع بخط محمد بن عبد الرحمن الزواوى .

تاريخ النسخ : رجب سنة ١١٧٠ .

مصادر عن الرسالة : فهرس الخديوية ٧ / ٥١٢ و٥٧٣ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٢٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعات الرسالة : طبع كثيرا مقرونا مع حزب البحر منها :

١ ـ ضمن مجموعة الأوراد ص ٨٠ طبع صبيح بمصر .

٢ ـ ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ١٣ ـ ١٥ وغير ذلك .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة رقم ٥ / ٦ و ٨٧ / ٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٦ ـ ٤٣٨) .

* **حزب النور :**

حزب النور : للشيخ أبى الحسن الشاذلى ويسمى أيضا حزب البحر (انظره فى موضعه) وهو ورده بعد صلاة الفجر يقال إنه السبب فى الفتح عليه ، أوله : يا الله يا نور ... إلخ ... (كشف ١ / ٦٦٢) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٩٣٢١ .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : يا الله يا نور يا حق يا مبين افتح قلبى بنورك وعلمنى من علمك وفهمنى عنك وأسمعنى منك وبصرنى بك وأقمنى بشهودك ، وعرفنى الطريق إليك وهونها على بفضلك وألبسنى التقوى منك وبك ...

آخره : جل ربى أن يوجد بشىء، أو يفقد بشىء ، إنه لن يضر معه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم والحمد لله رب العالمين ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات نسبه فى النفحة العلية لابن عطاء الله الإسكندرى صاحب الحكم .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الرسالة : طبع ضمن النفحة العلية من ص ١٤٧ ـ ١٥٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٨ ، ٤٣٩) .

* **حزب النووى :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٨٠٨٩ .

أوراد وأحزاب وأدعية ضمنها كثيرا من الآيات والأخبار .

المؤلف : أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م .

أوله : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بسم الله الله أكبر الله أكبر أقول على نفسى وعلى دينى وعلى أهلى وعلى أولادى ...

آخره : **﴿وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾** [الإسراء : ٤٦] **﴿فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾** [التوبة : ١٢٩] لا طاقة لمخلوق مع قدرة الخالق حسبى الله ونعم الوكيل .

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم ٥٨٥٧ : أوراد ٤٦ .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

نسخة ثالثة .

الرقم ٣٦٠٢ أوراد : ١٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر

نسخة رابعة .

الرقم ٩٧٢٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل : الحبر : أسود مجدولة بماء الذهب

ملاحظات : نسخة خزائنية قيمة مذهبة .

مصادر عن الرسالة : فهرس الخديوية ٧ / ٥١١ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٢ .

بعض نسخ الرسالة : الأوقاف ببغداد ٢٨٩ ، دار الكتب المصرية مجموعة ٥ / ٤ قال واضع الفهرس : وأحتفظ بشرح الشيخ حسن المدابغى .

طبعة الرسالة : طبعة ضمن مجموعة الأوراد .

٢ ـ وطبعة المرحوم عزة حصرية فى مطبعة العلم بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٩ ، ٤٤٠) .

انظر : شرح حزب النووى .

*** ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦ هـ / ٩٩٤-١٠٦٤ م)**

ترجم له الأستاذ عبد السلام هارون فقال عنه :

ابن حزم هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسى ، مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب ، القرشى بالولاء ، الأندلسى الدار . وكان جده يزيد أول من أسلم من أجداده . كما كان جده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه .

ولد بقرطبة من بلاد الأندلس فى سلخ شهر رمضان سنة ٣٨٤ ، ونشأ فى نعمة سابغة وجاه عريض ؛ إذ كان أبوه « أحمد » عالما جليلا ، ووزيرا من وزراء المنصور محمد بن أبى عامر ، وابنه المظفر .

أما صاحبنا فقد استوزره صديقه الخليفة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام، عندما بويع بالخلافة سنة ٤١٤ ولكن ذلك لم يدم طويلا؛ إذ قتل عبد الرحمن بعد توليته بسبعة أسابيع، وسجن ابن حزم إثر ذلك دهرا، ثم وزر ثانية للخليفة هشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر . ثم نبذ الوزارة وأقبل على العلم فطلبه أشد ما يكون الطلب .

وكان حافظا لعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة ضاربا بسهم وافر فى المعرفة



تمثال ابن حزم تتزين به مدينة قرطبة

بالسير والأخبار، كما شارك فى المنطق وألف فيه «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه » ، وجعله بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة، جاعلا أمثلته فيه من الأمثلة الفقهية . ولكنه أعرض بعد عن علم المنطق وأقبل على علوم الإسلام فنال ما لم ينله أحد، كما يقولون .

وسمع ابن حزم سماعا جما ، وجمع من الكتب شيئا كثيرا، وألف قدرا كبيرا فى مختلف العلوم لم يفقه أحد قبله فيه، إلا ما كان من أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى؛ فإنه كان أكثر أهل الإسلام تصنيفا .

وقد درس فى أول أمره فقه المالكية كما قرأ الموطأ، ثم درس مذهب الشافعي وتعصب له ، ثم انتقل بعد إلى مذهب الظاهرية . مذهب داود بن على بن خلف الأصبهانى (٢٠٢ - ٢٧٠) ، الذى كان كذلك من أكثر الناس تعصبا للشافعى .

وقد عمل ابن حزم على تنقيح مذهب داود . وجادل عنه جدالا، وصنع الكتب فى بسطه وتفسيره، ثم اتخذ لنفسه مذهبا خاصا وأقوالا تفرد بها ، (أتباعه يسمون « الحزمية » الموسوعة الصوفية / ١٢٤) أشار إليها أبو بكر بن العربى فى كتابه « العواصم من القواصم » ، وتولى ابن العربى فى هذا الكتاب الرد عليه . كما أن أحد أسباطه وهو أحمد بن محمد ابن حزم ، ألف فى الرد عليه كتابا سماه « الزوائغ والدوامغ » تابع فيه أبا بكر بن العربى فى كتابه الآخر الذى رد فيه على ابن حزم . وسماه « الدواهى والنواهى » . كما فى البغية للسيوطى (بغية الوعاة / ١٥٨) .

وقد عرف ابن حزم بالجدل والمناظرة ، ويذكر المؤرخون ما كان بينه وبين أبى الوليد سليمان الباجى الفقيه المالكى من مناظرات ، وكان ابن حزم يقول فيه : « لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب إلا مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم » كما يذكر المؤرخون جرأته على تخطيئ أعلام العلماء والطعن فيهم بلسان قيل كان هو وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين؛ وذلك لكثرة وقوعه فى الأئمة ، فتمالأ عليه علماء وقته وأجمعوا على تضليله ، وحذروا سلاطينهم من فتنه ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه . فتعرض بذلك لسخط الولاة، فعملوا على إيذائه وإبعاده ونفيه ، ومحاربة كتبه وتمزيقها ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأحرقوا كتبه علانية ، فقال يذكر ما أحرق ابن عباد له من كتبه :

فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس، بل هو فى صدرى

يسير معى حيث استقلت ركائبى ... وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى

دعونى من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى

(جمهرة أنساب العرب / ٥ - ٧) .

وما أشبه ما جرى له بما جرى للإمام ابن تيمية ، فكلاهما لم يصانع أحدا (الموسوعة الصوفية / ١٢٥) فرحل إلى بادية لبلة (من بلاد الأندلس) فتوفى فيها (الأعلام ٤ / ٢٥٤) .

وكانت وفاة ابن حزم فى لبلة ، لليلتين بقيتا من شهر شعبان ست وخمسين وأربعمائة، وقيل إنه توفى فى مَنْتَ ليشم، وهى قرية كانت ملكا له ، وكان يتردد إليها . كما ذكر ابن خلكان (جمهرة أنساب العرب / ١٢) ، وقيل توفى فى قرية « أوفيه » إذ يقول الأستاذ الكنونى :

ومات أبو محمد بن حزم رحمه الله فى قرية أوفيه بعد أن ملأ دنياه دويا وشغل أهل زمانه . وترك من تراثه ما سلم من الاضطهاد والمصادرة وديعة للأجيال (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢٠) .

شيوخه وتلاميذه :

قرأ ابن حزم على أبى عمر أحمد بن الحسين ، ويحيى ابن مسعود ، وأبى الخيار مسعود بن سليمان الظاهرى ، ويونس بن عبد الله القاضى، ومحمد بن سعيد بن سانى، وعبد الله بن الربيع التميمى، وعبد الله بن يوسف بن نامى ، وغيرهم ممن يمكن تعقبهم بمطالعة فهرس الأعلام الذى صنعته لهذا الكتاب .

وروى عنه أبو عبد الله الحميدى صاحب جذوة المقتبس، فأكثر الرواية عنه ، كما روى عنه بالإجازة سريج بن

محمد بن سريج المقبرى، فكان خاتمة من روى عنه . ونشر علمه بالمشرق ولده أبو رافع، كما روى عنه ابناه: أبو أسامة يعقوب، وأبو سليمان المصعب . وممن تلمذ له الوزير الإمام أبو محمد بن المغربى، صحبه سبعة أعوام سمع فيها جل مصنفاته، واستمرت قراءته عليه إلى سنة وفاته سنة ٤٥٦ (جمهزة أنساب العرب / ٥ ـ ٧) .

ومن شيوخ ابن حزم أيضا هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ عبد السلام أحمد الكنونى (بالكاف المغربية) إذ يقول : أخذ ابن حزم العلم عن شيوخ الأندلس فى زمانه منهم :

أحمد بن إسماعيل بن دليم الحضرمى (ت ٤٤٠) .

أحمد بن عمر بن أنس العذرى بن الدلائى المرى المحدث المسند توفى ٤٧٣ .

أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ القرطبى المحدث (ت ٤٣٠) حمام بن أحمد بن حمام القرطبى أبو بكر القاضى المحدث (ت ٤٢١) . . عبد الله بن ربيع التميمى المحدث اللغوى (ت ٤١٥) .

عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاف البلثى حيدرة القاضى الفقيه المحدث (٤١٧) .

عبد الله بن يوسف بن تامى الرهونى القرطبى المقرئ الصالح (ت ٤٣٥) .

المهلب بن أحمد أسيد بن أبى صفرة الأسدى أبو القاسم المرى الفقيه المحدث العالم (ت ٤٣٦) .

يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى إمام عصره ، وفريد دهره صاحب التصانيف (ت ٤٦٣) .

محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن سعيد بن نبات الأموى القرطبى الحافظ (ت ٤٢٩) (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢١٩ ، ٢٢٠) .

بعض أقوال العلماء فيه :

يقول الذهبى فى تذكرة الحفاظ منصفا له : « ابن حزم رجل من العلماء الكبار . فيه أدوات الاجتهاد كاملة . تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك . إلا رسول الله ﷺ » .

ويقول فيه أبو حامد الغزالى : « وقد وجدت فى أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم، يدل على عظم حفظه، وسيلان ذهنه » .

ويقول تلميذه الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى : « ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه » .

وقال عز الدين بن عبد السلام : « ما رأيت فى كتب الإسلام مثل المحلى لابن حزم، والمغنى للشيخ الموفق » .

ويقول المراكشى (كان حيا سنة ٦٢١) صاحب المعجب، بعد ذكر ترجمته : « وإنما أوردت هذه النبذة من أخبار الرجل وإن كانت قاطعة للنسق، مزيحة عن بعض الغرض لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم . وأكثرهم ذكرا فى مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء، وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب، واستبداده بعلم الظاهر، ولم يشتهر به قبله عندنا أحد ممن علمت . وقد أكثر أهل مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم » (جمهرة أنساب العرب / ٨) .

قال ابن بشكوال فى حقه : كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار. كتب بخطه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة .

(أبجد العلوم ٣ / ١٥٠) .

وقال عنه المؤرخ الأندلسى ابن حيان (٣٧٧ ـ ٤٤٩ هـ) وهو معاصر له :

« كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة فى كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله فى بعض تلك الفنون كتب كثيرة . وكان يحمل عمله هذا ويجادل عنه من خالفه فيه ولا يدع المثابرة عليه والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف . حتى كمل من مصنفاته فى فنون العلم وقر بعير: إن تحرك بالسؤال تفجر منه بحر علم لا يكدره الدلاء ولا يقصر عنه الرشاء » .

وقال القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي (٤٢٠ ـ ٤٦٢ هـ) في طبقات الأمم :

« كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة في علوم اللسان ، ووفر حظه من البلاغة والشعر والخطابة والمعرفة بالسير والأخبار » .

وقال الحافظ ابن كثير : (٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ) .

« ابن حزم الظاهري الإمام الحافظ العلامة ، اشتغل بالعلوم الشرعية النافعة ، وبرز فيها وفاق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، وكان أديبا طبيبا شاعرا فصيحا له في الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت وزارة ورئاسة ووجاهة ومال ونزوة» (المدرسة القرآنية في المغرب / ٢٢٠ ، ٢٢١) .

كما قيل عنه : كان فقيها ، مفسرا ، محدثا ، أصوليا ، متكلما ، منطقيا ، طبيبا ، أديبا ، شاعرا ، مؤرخا ، عاملا بعلمه (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٧) .

وقد أبطل ابن حزم ما لا يستند إلى القرآن والحديث ، ولم يأخذ إلا بظاهر لفظهما ، وأنكر التوسل بالأولياء ومذاهب المتصوفة الذين ادعوا أن الولي أفضل من النبي ومن الملائكة ، أو قالوا إن من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنه التكاليف والشرائع ، أو قالوا بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه كالحلاج وغيره ، أو ذهبوا إلى تأويل كلام الله ، وادعاء النبوة ، أو تلاعبوا فقرروا صلوات غير الصلاة ، أو عددا لها غير عددها . ويقول ابن حزم محذرا منهم جماعات المسلمين : فلا يغرنكم أهل الكفر والإلحاد ومن موّه الكلام بغير برهان على خلاف ما أتى به كتاب الله وكلام نبيه ، فلا خير فيما سواهما ، فدين الله تعالى ظاهر ولا باطن فيه ، وهو جهر ولا سر تحته ، وكله برهان ولا مسامحة فيه ، وكل من يدعو أو يتبع بلا برهان فهو متهم ، وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهي دعاوى ومخارق ، ورسول الله لم يكتم من الشريعة كلمة ، إلا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة ، أو ابن عم ، أو صاحب ، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر ، ولا رمز ، ولا باطن ، غير ما دعا الناس كلهم إليه ، ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر ، ومن قال هذا فهو كافر ، فإياكم وكل قول لم تبن سبيله ، ولا وضح دليله ، وتعوجا عما مضى عليه نبيكم ﷺ ، وأصحابه رضي الله عنهم ، فالزموا ما نص عليه ربكم تعالى في القرآن بلسان عربي مبين ، لم يفرط فيه من شيء ، تبيانا لكل شيء ، وما صح عن نبيكم برواية الثقاة من أئمة أصحاب الحديث ، مسند إليه عليه السلام ، فهما طريقتان يوصلانكم إلى رضا ربكم عز وجل .

وكان فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة ، ودافع عن سنن السلف الصالح بأدلة لم يسبق إليها مع أنها مستقاة من القرآن والحديث ، إلا أن حريته في الجدل والمناظرة جلبت عليه عداوة الكثيرين من علماء سائر المذاهب ومشايخ الصوفية (الموسوعة الصوفية / ١٢٤ ، ١٢٥) .

ولكن ذلك لم يفت في عزيمته أو يجعله يتحول عنه ، بل قال قولته : « اللهم إني أقول كما قال عامر : أكون والله مع القرآن أحيا متمسكا به ، وأموت إن شاء الله متمسكا به ولا أبالي بمن سلك غير القرآن ولو أنهم جميعا أهل الأرض غيري» .

(المدرسة القرآنية في المغرب / ٢٢٠ عن معجم فقه ابن حزم الظاهري ـ محمد المنتصر الكتابي ١ / ٣٥) .

مؤلفاته :

قال الأستاذ عبد السلام هارون : روى عن ولده الفضل أبي رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربعمائة مجلد ، تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة .

ويذكر التاريخ أن معظم كتب ابن حزم قد أحرق علانية ، ومعنى هذا أنه حدث عدوان على مكتبته ومراجعه ، شمل قدرا من مؤلفاته التي أكملها أو شرع فيها . ومع هذا قد استنقذ له التاريخ بقايا من ذلك النشاط العلمي الذي نسوق ما بدا لنا منه فيما يلي ، وهو مقدار جليل :

١ ـ إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (لخص ابن حزم هذا الكتاب نفسه . وقد نشر هذا الملخص بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني بمطبعة جامعة دمشق سنة ١٣٧٩) .

٢ ـ الإجماع ومسائله على أبواب الفقه . ذكره الحميدي ، وابن خلكان .

٣ ـ الإحكام في أصول الأحكام . ياقوت ، وابن خلكان (نشر بتحقيق المغفور له الشيخ أحمد شاكر بمطبعة السعادة سنة ١٣٤٥ ـ ١٣٤٨ في ثمانية أجزاء) .

٤ ـ الأخلاق والسير، في مداواة النفوس. طبع عدة طبعات باسم مداواة النفوس .

٥ ـ أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم ، نشر محققا في ذيل جوامع السيرة له من ص ٣٥٣. ٣٨٠ بعناية محققيها .

٦ ـ أسماء الصحابة والرواة، وما لكل واحد من العدد. نشر محققا في ذيل جوامع السيرة له من ص ٢٧٥ ـ ٣١٥ . بعناية محققيها .

قالت : المؤلفة : نشرت مجلة الأزهر في الهدية المجانية جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ، كتابا بعنوان « الرسائل الخمس » لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ـ أعدها وقدم لها وعلق عليها فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب ، ومن بين هذه الرسائل الخمس الرسالة رقم ٦ بعنوان «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد من ص ١٣ ـ ٦١ ، وقد نقلنا لك معظم محتوياتها في المجلد الخامس / ١٥٢ ـ ١٧٣ من هذه الموسوعة مبتدئين بلفظ « أصحاب » ـ فانظرها في موضعها أما رقم ٥ في الفاتحة أعلاه وهو « أسماء الخلفاء والولاة وذكر عددهم » فقد نشر باعتباره الرسالة الخامسة في الجزء الثاني من كتاب « الرسائل الخمس » الذي نحن بصدده (شعبان ١٤١٣ هـ) .

٧ ـ أسماء الله تعالى . وهو الكتاب الذي قرظه الغزالي . نفح الطيب .

٨ ـ أصحاب الفتيا، من الصحابة ومن بعدهم عن مراتبهم في كثرة الفتيا .

نشر محققا في ذيل جوامع السيرة له من ص ٣١٩ ـ ٣٣٥ بعناية محققي جوامع السيرة .

قالت المؤلفه : هذه هي الرسالة الثالثة من الرسائل الخمس لابن حزم التي أشرنا إليها آنفا ، نشرت في الجزء الثاني من هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤١٣ هـ .

٩ ـ إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم منها مما لا يحتمل التأويل . الحميدي ، والذهبي. وقد طبع مضمنا في كتابه الفِصَل ج١ : ١٦٦ و٢ : ١ـ٩١ .

١٠ ـ الإمامة والسياسة ، في قسم سير الخلفاء ومراتبها، والندب والواجب منها . ذكره ياقوت .

١١ ـ الإمامة والمفاضلة ، مضمن في كتابه الفصل ٤ : ٨٧ـ١٧٨ .

١٢ ـ الإيصال إلى فهم الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام ، في الواجب والحلال والحرام ، والسنة والإجماع . في أربعة وعشرين مجلدا .

(وقد اختصر بعض هذا الكتاب ابنه أبو رافع ، ليكمل بعض أجزاء المحلى . انظر فهرس دار الكتب المصرية ١ / ٥٥١) الحميدي، وياقوت ، والذهبي ، وابن خلكان .

١٣ ـ التقريب بحد المنطق والمدخل إليه . الحميدي، والقفطي، والذهبي وابن خلكان .

١٤ ـ التلخيص والتخليص، في المسائل النظرية وفروعها، التي لا نص عليها في الكتاب ولا في الحديث، ياقوت، والذهبي، والمقري .

قالت المؤلفة : أورده الأستاذ الكتوني (انظر ثبت المراجع) تحت عنوان « التخليص والتحصيل » (ص ٢٢٢) وتحت عنوان « رسالة التلخيص لوجوه التخليص » (ص)

١٥ ـ الجامع في صحيح الحديث، باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها، واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها . ياقوت، والذهبي.

١٦ ـ جمل فتوح الإسلام بعد رسول الله ، نشر محققا في ذيل جوامع السيرة من ص ٣٣٩ ـ ٣٥٠ بعناية محققي الجوامع .

قالت المؤلفة : النسخة التي عندي طبعت تحت عنوان «الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ » مكتبة التراث الإسلامي. رقم الإيداع ١٩٧٧ .

كما طبعت باعتبارها الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس لابن حزم التي سبقت الإشارة إليها ، الجزء الثاني ـ أعدها وقدم لها وعلق عليها فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب. شعبان ١٤١٣ هـ/ ٩١ ـ ١٠٤ .

١٧ ـ جمهرة أنساب العرب، وقد أفرد له قولا الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه (ص ١٣ ـ ١٨) ونقلناه لك في مادة « جمهرة الأنساب » م ١٢ / ٣٤٥ ـ ٣٤٨ فانظره في موضعه .

قالت المؤلفة : النسخة التي عندي تحقيق وتعليق

عبد السلام محمد هارون . ط دار المعارف . رقم الإيداع ١٩٨٢ .

ومما هو جديرا بالذكر أن الأستاذ كامل سلمان الجبورى قد قام بتشجير جمهرة أنساب العرب فى كتاب له بعنوان «قلائد الذهب فى جمهرة أنساب العرب » وقد نقلنا لك منه شجرة عن ولد عدنان والصريح من ولد إسماعيل فى مادة «إسماعيل عليه السلام » فى م ٤ / ٥٨٤ ، وشجرة نسب السيدة آمنة بنت وهب فى م ٢ / ١٩ .

١٨ ـ جوامع السيرة ، ذكره الذهبى فى قوله : « وله السيرة النبوية فى مجلد » طبع فى دار المعارف سنة ١٩٥٦ بتحقيق إحسان عباس ، وناصر الأسد .

قالت المؤلفة : أدرجه الأستاذ الكنونى (انظر ثبت المراجع) بلفظ « السير » (ص ٢٢٤) .

١٩ ـ حجة الوداع . طبع فى دار اليقظة العربية بدمشق سنة ١٩٥٩ .

بتحقيق ممدوح حقى .

٢٠ ـ رسالة فى فضل الأندلس ، أثبت نصها المقريزى فى نفح الطيب (٤ / ١٥٤ ـ ١٧٠) بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين .

٢١ ـ شرح أحاديث الموطأ . ياقوت ، والذهبى ، والمقرى .

٢٢ ـ الصادع والرادع ، على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين ، والرد على من قال بالتقليد . ياقوت ، والذهبى . والمقرى .

٢٣ ـ طوق الحمامة ، فى الألفة والألاف . لم يذكره من ترجموا له . وقد كشف عنه المستشرق دوزى . وطبع لأول مرة فى ليدن ١٩١٤ بعناية المستشرق بتروف ، ثم أعيد طبعه فى مصر ودمشق (وقد طبع طبعة شعبية باسم « أصول الحب » نشره فائق الجوهرى فى سلسلة كتب للجميع سنة ١٩٥٣) .

٢٤ ـ الفِصَل ، فى الملل والأهواء والنحل . وهو من أشهر كتبه . ذكره ياقوت بعنوان « الفصل بين أهل الآراء والنحل » ، والمقرى بعنوان .

« الفصل ، بين أهل الأهواء والنحل » . وقد طبع لأول مرة بالعنوان الأول فى المطبعة الأدبية ١٣١٧ ، وأعيد طبعه بعد ذلك .

٢٥ ـ القراءات المشهورة فى الأمصار ، الآتية مجىء التواتر . نشر محققا فى ذيل جوامع السيرة ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ . بعناية محققى الجوامع .

قالت المؤلفة : نشر هذا الكتاب باعتباره الرسالة الأولى فى كتاب بعنوان « الرسائل الخمس » لابن حزم ـ أعدها وقدم لها وعلق فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر الجزء الأول ، جمادى الآخرة / ٧ ـ ١٠ .

٢٦ ـ قصيدة فى الهجاء ذكرها السبكى فى طبقات الشافعية (٢ / ١٧٩ ـ ١٨٩) ، رد فيها على قصيدة هجائية وردت من نقفور فوقاس الثانى ، إمبراطور بيزنطة .

٢٧ ـ كتاب فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعى جمهور العلماء ، وما انفرد به كل واحد ولم يسبق إلى مثاله . ذكره ابن حزم فى المحلى فى أثناء الكلام على الفرائض ، كما ذكره الذهبى فى التذكرة .

٢٨ ـ كشف الالتباس ، ما بين الظاهرية وأصحاب القياس . ياقوت ، والذهبى ، والمقرى .

٢٩ ـ المجلّى ، وهو المتن الذى عمل عليه شرحا سماه بالمحلى ، وهو التالى لهذا .

٣٠ ـ المحلى بالآثار ، فى شرح المجلى بالاختصار . طبع لأول مرة بتحقيق الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد الرحمن الجزيرى ، وأتمه محمد منير الدمشقى ، فى ١١ مجلدا .

ـ مداواة النفس ، فى تهذيب الأخلاق ، والزهد فى الرذائل . طبع عدة طبعات أشار إليها سركيس فى معجم المطبوعات / ٨٦ . وانظر : الأخلاق والسير .

٣١ ـ مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات والاعتقادات . نشره القدسى سنة ١٩٥٧ م ومعه نقد مراتب الإجماع لابن تيمية .

٣٢ ـ مسائل أصول الفقه . طبع بالقاهرة مع تعليقات لابن الأمير الصغانى والقاسمى . كما ذكر سركيس .

٣٣ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ . ويبدو أنه لابن حزم آخر غيره ، فإن اسم المؤلف فى النسخة المطبوعة منه على هامش

تفسير الجلالين، طبع ١٣٠٨ ، ١٣٢١ ، هو « أبو عبد الله محمد بن حزم » .

٣٤ ـ منتقى الإجماع وبيانه، من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف . ياقوت والذهبي، والمقرى . وانظر رقم (٣١) فلعله هو .

ـ الناسخ والمنسوخ . انظر : معرفة الناسخ والمنسوخ .

٣٥ ـ النصائح المنجية ، من الفضائح المخزية والقبائح المردية ، من أقوال أهل البدع : المعتزلة والخوارج والمرجية والشيع . وهذا الكتاب مضمن فى كتاب الفصل ٤ / ١٧٨ ـ ٢٢٧ باسم « ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجية والشيع » . وانظر الكلام عليه بتفصيل فى دائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٤٠ .

٣٦ ــ نقط العروس ، فى تواريخ الخلفاء، ذكره ابن خلكان . نشره زيبولد سنة ١٩١١ م فى مجلة الدراسات التاريخية بغرناطة، ثم نشره محققا عن نسخة أوفى وأتم من الأولى صديقنا الأستاذ الدكتور شوقى ضيف، فى مجلة كلية الآداب بالجزء الثانى من المجلد ١٣ فى ديسمبر سنة ١٩٥١ .

٣٧ ـ نكت الإسلام، ذكره الذهبى، ونقل كلاما فيه لأبى بكر بن العربى . (جمهرة أنساب العرب / ٥ ـ ١٢) نشر وترجم إلى الإسبانية فى غرناطة (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢٥) .

وقد قدم الأستاذ الكنونى سردا بمؤلفات ابن حزم بدأه بقوله :

وتلفت إلى ما يشهد به تراث ابن حزم من خصب العطاء وسخاء الجهد، وسعة المجال، ورحابة الأفق، وقد أحصيت كتبه فلقيت سبعين كتابا فى مختلف الدراسات الفقهية والأصولية والمذاهب والكلام والمنطق والملل والنحل . والتاريخ والسير والأنساب والسياسة والأدب (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢١) .

ويمكنك الرجوع إلى هذا السرد فى كتابه المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢١ ــ ٢٢٦، مع مراعاة مقابلة أسماء المؤلفات مع تلك التى أوردها الأستاذ عبد السلام هارون أعلاه إذ وقعت بالكتاب الأول بعض الأخطاء المطبعية ومن المصادر التى أحصت مؤلفات ابن حزم أيضا كتاب المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب للدكتور أحمد بكير محمود (ص ٣٨ ـ ٤٠) ويمكنك الرجوع إليه أيضا لمعرفة المذهب الظاهرى أو الفرقة « الحزمية » وقد فصل المؤلف فيها القول فى الكتاب كله

وقد رأينا كيف أن الفقهاء تألبوا على ابن حزم إلى أن نفوه وأخرجوه من قرطبة ، وأتم حياته مشردا يعلِّم صبيان القرية المنفى فيها ، وألف بعض الفقهاء فى نقص كتبه، مثل ابن زرقون الفقيه المالكى المتوفى سنة ٥٠٣ الذى ألف كتابه «المعلى فى الرد على كتاب المحلى » ، وكثيرا ما سمى هذا الكتاب « المخلى » بالخاء المعجمة ، ومن أكبر الرادين على ابن حزم أبو الوليد الباجى، وقد كان هذا الموضوع رسالة أطروحة دكتوراه بالفرنسية (عبد المجيد التركى : الجدل بين الباجى وابن حزم . ط الجزائر) (المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب / ٥٥) .

يقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله : ترك ابن حزم مؤلفات ضخمة تدل على سعة اطلاعه وغزير علمه وعظيم أدبه ، وقد ملأ المغرب بعلمه وكتبه ومذهبه ، وشغل أهله طرفا صالحا من حياته أحقابا طوالا، حتى لكأنه أمة وحده لا فرد من أمة ... اعتز به الأندلس، وباهى بفضله العراق الذى كان يومئذ يعج بحضارة ما رأى التاريخ لها مثيلا، ويتجلى من كتبه ورسائله أنه كان يتمتع بفكر ثاقب، وبصيرة نافذة، وملاحظة دقيقة (العلوم عند العرب / ١٧١) .

له ترجمة فى : « جذوة المقتبس » / ٣٠٨ ــ ٣١١ ، الترجمة رقم ٧٠٨ ، و « الصلة » ٢ / ٤١٥ ـ ٤١٧، الترجمة رقم ٨٩٤ ، و « بغية الملتمس » الترجمة رقم ١٢٠٤ ورقم ٤١٢، و« تذكرة الحافظ » ٣ / ٣٤١ طبعة حيدر آباد، و «وفيات الأعيان » ٣ / ١٣ ــ ١٧ ، و « أخبار الحكماء » / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، و « معجم الأدباء » ٥ / ٨٦ ـ ٩٧، و « دائرة المعارف الإسلامية » ١ / ١٣٦ ـ ١٤٤ وما بها من مراجع ، و «نفح الطيب » ١ / ٣٦٤ وما بعدها ، طبعة بولاق ، و « لسان الميزان » ٤ / ١٩٨ ـ ٢٠٢ ، و « الذخيرة » المجلد الأول من القسم الأول / ١٤٠ وما بعدها ، و « اللباب » ١ / ٢٩٧ ، و«الاعلام » ٥ / ٥٩ ، و « مقدمة ابن خلدون » / ٣٥٧ و ٤٦٧ و ٨٠١ ، و « دائرة معارف وجدى » ٣ / ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ، و « شذرات الذهب » ٣ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، و « فوات الوفيات»

٢/ ٢٧١ ، و « الكامل فى التاريخ » انظر فهرسته ، و«التكملة» لابن الأبار الترجمة رقم ٤٣٢ ، و « دائرة المعارف البريطانية » ١٢ / ٣٥ ، و « فهرست ما رواه عن شيوخه » / ٤٨٦ و ٤٩٢ و ٥١٢ و ٥١٧ ، و « المغــــرب فى حلى المغرب» ١٢ / ٣٥٤، و « النجوم الزاهرة » ٥ / ٧٥ ، و «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » / ٣٢ ، و « مطمح الأنفس » / ٥١١ طبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ ، و « تاريخ آداب اللغة العربية » ٣ / ١٠٤ ، ١٠٥ طبعة ١٩٥٧، و « علم التاريخ عند المسلمين » لفرانز روزنثال ترجمة الدكتور صالح العلى / ٥٤ ، ٥٥ وانظر فهرسته . و « ابن حزم » لمحمد أبى زهرة (كتاب الوفيات / ٢٤٧_٢٤٩) .

(جمهرة أنساب العرب لأبى محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى ـ تحقيق وتعليق عبد السلام هارون / ٥ ـ ١٢ ، والموسوعة الصوفية ـ د . عبد المنعم الحفنى / ١٢٥ ، ومرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٧ ، والمدرسة القرآنية فى المغرب ـ عبد السلام أحمد الكنونى (بالجيم المغربية وهى كاف فوقها ثلاث نقط) ١ / ٢١٩ ـ ٢٢١ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٥٠ ، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٢٤ ، ١٢٥ و الأعلام للزركلى ٤ / ٢٥٤، والمدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب ـ د. أحمد بكير محمود . دار قتيبة ، . بيروت ، دمشق . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠م / ٥٥ ، والعلوم عند العرب ـ قدرى حافظ طوقان / ١٧١ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٤٧ ـ ٢٤٩ هامش ٢ للمحقق . انظر أيضا « التربية عند ابن حز م ـ إعداد الأستاذ سعيد الأفغانى . من أعلام التربية العربية الإسلامية .

مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م ، ٢ / ٢٦٥ ـ ٢٩٠) .

* **الحُزن :**

جاء فى اللسان : الحُزن بالضم والحزن ـ بالفتح ـ نقيض الفرح ، وهو خلاف السرور ، قال الأخفش : والمثالان يعتقبان هذا الضرب باطراد، والجمع أحزان ، لا يُكسّر على غير ذلك ... الجوهرى : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم، وقد قرئ بهما . وفى الحديث : أنه كان إذا حزنه أمر صلى، أى أوقعه فى الحزن . ويروى بالباء ... وفلان يقرأ بالتحزين إذا أرق صوته . وقال سيبويه : أحزنه جعله حزينا، وحزنه جعل فيه حزنا ... وعام الحزن : العام الذى ماتت فيه خديجة ، رضى الله عنها ، وأبو طالب ، فسماه رسول الله ﷺ، عام الحزن ، حكى ذلك ثعلب عن ابن الأعرابى ، قال : وماتا قبل الهجرة بثلاث سنين الليث : للعرب فى الحزن لغتان ، إذا فتحوا ثقّلوا ، وإذا ضموا خففوا، يقال : أصابه حزن شديد (بفتح الحاء) وحزن شديد (بضمها) . أبو عمرو : إذا جاء الحزن منصوبا فتحوه ، و إذا جاء مرفوعا أو مكسورا ضموا الحاء كقول الله عز وجل : ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن** ﴾ [يوسف : ٨٤] ، أى أنه فى موضع خفض، وقال تعالى فى موضع آخر : ﴿**تفيض من الدمع حزنا**﴾ [التوبة : ٩٢] ، أى أنه فى موضع نصب . وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿ **إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله** ﴾ [يوسف : ٨٦] ضموا الحاء ههنا... وقوله تعالى : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن** ﴾ [فاطر : ٣٤] قالوا : فيه : الحزن هم الغداء والعشاء ، وقيل هو كل ما يحزن من حزن معاش أو حزن عذاب أو حزن موت ، فقد أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان (لسان العرب ١٠ / ٨٦١) .

قال الإمام الراغب الأصفهانى :

قوله تعالى : ﴿ **ولا تحزنوا** ﴾ ﴿ **ولا تحزن** ﴾ فليس ذلك بنهى عن تحصيل الحزن فالحزن ليس يحصل بالاختيال ولكن النهى فى الحقيقة إنما هو عن تعاطى ما يورث الحزن واكتسابه وإلى معنى ذلك أشار الشاعر بقوله :

من سره أن لا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يبالى له فقدا

وأيضا يجب للإنسان أن يتصور ما عليه جبلت الدنيا حتى إذا ما بغتته نائبة لم يكترث بها لمعرفته إياها ، ويجب عليه أن يروض نفسه على تحمل صغار النوب حتى يتوصل بها إلى تحمل كبارها (المفردات / ١١٥ ، ١١٦) .

وقد عقد اللغوى أبو منصور الثعالبى فى كتاب فقه اللغة فصلا فى تفصيل أوصاف الحزن قال فيه :

الكمد حزن لا يستطاع إمضاؤه . البث أشد من الحزن . الكرب الغم الذى يأخذ بالنفس . السدم هم فى ندم . الأسى واللهف حزن على الشىء يفوت . الوجوم حزن يسكت صاحبه . الأسف حزن مع غضب . من قوله تعالى ﴿ **ولما**

رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾ [الأعراف : ١٥٠] الكآبة سوء الحال والانكسار مع الحزن . الترح ضد الفرح (فقه اللغة وأسرار العربية / ١١٨) .

وقد أفرد الإمام القشيري فى رسالته بابا فى الحزن جاء فيه ما يلى :

قال الله عز وجل : ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا على بن حبيش قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا أسامة بن زيد الليثى عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت عطاء بن يسار قال سمت أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من شيء يصيب العبد المؤمن من وصب أو نصب حزن أو هم يهمه إلا كفر الله تعالى عنه من سيآته » . الحزن حال يقبض القلب عن التفرق فى أودية الغفلة والحزن من أوصاف أهل السلوك . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين وفى الخبر أن الله تعالى يحب كل قلب حزين . وروى أن رسول الله ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر. وقال بشر ابن الحرث : الحزن ملك فإذا سكن فى موضع لم يرض أن يساكنه أحد وقيل القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال أبو سعيد القرشى : بكاء الحزن يعمى وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمى قال الله تعالى : ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ وقال ابن خفيف : الحزن حصر النفس عن النهوض فى الطرب وسمعت رابعة العدوية رجل يقول واحزناه فقالت قل واقِلَّة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وقال سفيان بن عيينة : لو أن محزونا بكى فى أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه . وكان داود الطائى الغالب عليه الحزن وكان يقول بالليل : إلهى همك عطل علىَّ الهموم وحال بينى وبين الرقاد وكان يقول : كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب فى كل وقت .

وقيل الحزن يمنع من الطعام، والخوف يمنع من الذنوب، وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل : فقال بكثرة أنينه. وقال سرى السقطى : وددت أن حزن كل الناس أُلقى علىَّ . وتكلم الناس فى الحزن فكلهم قالوا إنما يحمد حزن الآخرة، وأما حزن الدنيا فغير محمود إلا أبا عثمان الحيرى فإنه قال : الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن ما لم يكن بسببه معصية لأنه إن لم يوجب تخصيصا فإنه يوجب تمحيصا . وعن بعض المشايخ أنه إذا كان سافر واحد من أصحابه يقول له إن رأيت محزونا فأقرئه منى السلام . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها : هل طلعت اليوم على محزون ؟ وكان حسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة . وقال وكيع : لما مات الفضيل : ذهب الحزن اليوم من الأرض .

وقال بعض السلف : أكثر ما يجده المؤمن فى صحيفته من الحسنات الهمُّ والحزن ، سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت على بن بكران يقول سمعت محمد بن على المروزى يقول سمعت أحمد بن أبى روح يقول سمعت أبى يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول كان السلف يقولون إن على كل شيء زكاة وزكاة العقل طول الحزن، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت أبا عثمان الحيرى يوما عن الحزن فقال الحزن لا يتفرغ إلى سؤال الحزن فاجتهد فى طلب الحزن ثم سل (الرسالة القشيرية / ١١٠ ، ١١١) :

كما أفرد الإمام ابن الجوزى الباب الثامن عشر من كتابه «الطب الروحانى » فى دفع فضول الحزن قال فيه :

اعلم أن العاقل لا يخلو من الحزن؛ لأنه يتفكر فى سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه ، وفيما قال العلماء والصالحون فيحزن لفوته .

بسنده إلى مالك بن دينار قال : إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب (أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢ / ٣٦٠ عن مالك بن دينار بلفظ : « إذا لم يكن فى القلب حزن خرب ، كما إذا لم يكن فى البيت ساكن يخرب »)

وبسنده إلى إبراهيم بن عيسى قال : ما رأيت أطول حزنا من الحسن وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة . (أبو نعيم فى الحلية ١٠ / ٣٩٣ قال أبو نعيم : إبراهيم بن عيسى الزاهد صحب معروفا الكرخى وسمع من أبى داود الطيالسى ومحمد بن المقرئ) .

وبسنده إلى مالك بن دينار قال بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وإذ قد تبين أن الحزن لا يزال ملازما قلوب المتقين فينبغى أن يتقى إفراطه لأن الحزن إنما يكون على الفائت وقد عرفنا طريق الاستدراك .

وجاء فى الحديث : « بقية عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات » فإن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن ، وإن كان دينا فينبغى أن يقاومه برجاء الفضل والرحمن ليعتدل الحال ، فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها فذلك الخسران المبين ، فليدفعه العاقل عن نفسه . وأقوى علاجه أن يعلم أنه لا يرد فائتا و إنما يضم إلى المصيبة فتصير اثنتين ، والمصيبة ينبغى أن تخفف عن القلب وتدفع ، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلا ، قال ابن عمرو إذا استأثر الله بشيء فاله عنه ثم فى الخلف عن الفائت ما يسلى ، فإن عدم ما يسلى اجتهد فى صرف ذلك عن قلبه ، وليعلم أن الداعى إلى الحزن الهوى ، لا العقل ، لأن العقل لا يدعو إلى ما لا ينفع ، وليعلم أنه سيسلو بعد حين ، فليجتهد فى تقديم المؤخر ، وليرتح ما بين الزمانين ، ومما يمحق الحزن العلم بأنه لا يفيد ، والإيمان بالثواب ، ويذكر من أصابه أكثر من مصيبته . (الطب الروماني / ٤٠ ، ٤١) .

(لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٦١ ، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١١٨ ، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ١١٠ ، ١١١ ، والطب الروحانى للعلامة الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ تحقيق أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول / ٤٠ ، ٤١ . انظر أيضا المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م / ٤٨٦ ، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٥ ، ١١٦) .

حَزن بن أبى وهب (١١ هـ) :

قال صاحب الرياض المستطابة : حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ المخزومى العائذى .

جد سعيد بن المسيب سيد التابعين ، اختلف فى هجرته والصواب أنه من مسلمة الفتح الطلقاء ، سماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم سهلا فقال « حزن » : لا أغير اسما سمانيه أبى ، السهل يوطأ ويمتهن . قال سعيد بن المسيب : فثبتت الحزونة فينا حتى الساعة .

أخرج له البخارى حديثين أحدهما مسند ، وهو قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت سهل » ؛ والآخر موقوف ، وهو قوله : « جاء سيل فى الجاهلية فكسا ما بين الجبلين » ، وخرَّج عنه أبو داود . وعنه ، ابنه المسيب . وقد استشهد «حزن» فى قتال أهل الردة ، قيل ببزاخة ، وقيل باليمامة ، فى خلافة الصديق رضى الله عنه ، سنة إحدى عشرة .

(الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٥ ، ٥٦) .

الحُزُنْبُل :

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب . قال عنه داود الأنطاكى :

حزنبل هو كف النسر ويقال كف الدبة ويعرف فى الكتب القديمة بالمريافلن وقد شحنت الكتب بوصفه وذكر منافعه نظما ونثرا وهو حرى بذلك وهو نبات متراكم الأوراق العريضة الشبيهة بورق اللفاح لكنها مزغبة وفى وسطها قصبة مجوفة بين صفرة وحمرة مزغبة يحيط بها أوراق صغار وزهر إلى بياض وصفرة وترتفع فوق ذراعين ثم يتكون فى رأسها جسم إسفنجى داخله رطوبة يسيرة وفى أطرافه شوك صغار ويبلغ هذا النبات باغشت أعنى آب ومسرى وتبقى قوته إلى عشرين سنة وأجوده الحاد الرائحة اللين كالشمع الحلو الضارب إلى مرارة يسيرة وهو حار فى أول الثالثة يابس فى وسط الثانية يحل الصداع العتيق ويمنع تصاعد الأبخرة حتى يقوى الدماغ به على الأشياء الشاقة كحمل الثقيل والصبر فى الحمام ويقطع النزلات والرمد وأوجاع اللهات واللثة والصدر والسعال والربو وضيق النفس وضعف المعدة والرياح الغليظة والقولنج والسدد وضعف الكبد والطحال ويفتت الحصى شربا بالعسل وإن أخذ كل يوم على الريق إلى أسبوعين قطع الاستسقاء اللحمى وأسهل الزقى وفى أسبوع يخرج الريحى وإن شرب بالسكنجبين لطَّف الأخلاط وحسَّن الألوان والأبدان وكساها بهجة وإشراقا ومع لب البطيخ يصلح الكلى ومع الجلنار يقطع الدم وإذا شرب بماء الكراث أسقط البواسير من غير قطع .

ومع الصبر يقطع وجع المفاصل والنسا وإن طبخ مع السذاب والثوم في الزيت حتى يتهرى كان طلاء مجربا في النسا والفالج واللقوة والخدر والكزاز وإن قطر في الأذن فتحها وإن سحق واكتحل به قطع البياض والظفرة والسلاق وأما فعله في السموم فأمر إجماعي خصوصا بالشراب أكلا وطلاء وإن نقع في اللبن وشرب أمن من السم سنة وقيل الدهر وقيل إنه يضر الرئة ويصلحه الأنيسون وشربته إلى ثلاثة ولا بدل له ومن النعم كثرة وجوده خصوصا بطرسوس والمقدس .

(تذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٢٣ . انظر أيضا المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي . صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ٩٥) .

*** حزيران :**

من شهور الروم (الشهور السريانية) قال عنه القزويني :

(حزيران) ثلاثون يوما ، في الحادي عشر منه نوروز الخليفة ببغداد فيه اللعب ورش الماء وغيرهما مما هو مشهور، وفي السادس عشر يتنفس نيل مصر وتفور المياه ، وفي الثامن عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو الامتلاء الأكبر يعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفي، وفي الثاني والعشرين يوضع المنجل في الزرع وتدرك الفاكهة والبطيخ والتين والعنب ويشتد الحر، وفي الخامس والعشرين مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وابتداء السمائم بالهبوب وهي أحد وخمسون يوما ويمتد جيحون ، وفي الثامن والعشرين آخر البوارح ، وفي التاسع والعشرين ينظر أصحاب التجارب بمصر فإن كثر فيه الندى قالوا يمتد النيل وإن لم يكثر قالوا لا يمتد .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٥٧ ، ٥٨) .

وشهر حزيران يقابله من الشهور الميلادية شهر يونيه .

انظر : أسماء الشهور .

*** الحساب :**

قال الراغب الأصفهاني في مادة « حسب » :

حسب : الحساب استعمال العدد، يقال حسبت أحسب حسابا وحسبانا قال تعالى : ﴿ **لتعلموا عدد السنين والحساب**﴾[يونس : ٥] وقال تعالى : ﴿ **وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا** ﴾ [الأنعام : ٩٦] وقيل لا يعلم حسبانه إلا الله . وقال عز وجل : ﴿ **ويرسل عليها حسبانا من السماء** ﴾ [الكهف : ٤٠] قيل نارا وعذابا وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه وفي الحديث أنه قال ﷺ في الريح « اللهم لا تجعلها عذابا ولا حسبانا » وقال : ﴿**فحاسبناها حسابا شديدا** ﴾ [الطلاق : ٨] إشارة إلى نحو ما روى : من نوقش في الحساب معذب ، وقال . ﴿ **اقترب للناس حسابهم** ﴾ [الأنبياء : ١] نحو ﴿ **وكفى بنا حاسبين**﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقوله عز وجل : ﴿ **ولم أدر ما حسابيه** ﴾ [الحاقة : ٢٦] ﴿ **إني ظننت أني ملاق حسابيه** ﴾ [الحاقة : ٢٠] فالهاء منها للوقف نحو : ماليه وسلطانيه وقوله تعالى : ﴿ **إن الله سريع الحساب** ﴾ [إبراهيم : ٥١] وقوله عز وجل: ﴿ **جزاء من ربك عطاء حسابا** ﴾ [النبأ : ٣٦] فقد قيل كافيا وقيل ذلك إشارة إلى ما قال : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ [النجم : ٣٩] وقوله تعالى : ﴿ **يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ [البقرة : ٢١٢] و [النور : ٣٨] ففيه أوجه .

الأول : يعطيه أكثر مما يستحقه .

والثاني : يعطيه ولا يأخذه منه .

والثالث : يعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه كقول الشاعر :

*** عطاياه يحصى قبل إحصائها القطر ***

والرابع : يعطيه بلا مضايقة من قولهم حاسبته إذا ضايقته .

والخامس : يعطيه أكثر مما يحسبه .

والسادس : أن يعطيه بحسب ما يعرفه من مصلحته لا على حسب حسابهم وذلك نحو ما نبه عليه بقوله تعالى : ﴿**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن**﴾ الآية [الزخرف : ٣٣] .

والسابع : يعطي المؤمن ولا يحاسبه عليه ، ووجه ذلك أن المؤمن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر ما يجب وكما يجب وفي وقت ما يجب ولا ينفق إلا كذلك ويحاسب نفسه فلا يحاسبه

الله حسابا يضره كما روى « من حاسب نفسه فى الدنيا لم يحاسبه الله يوم القيامة » .

والثامن : يقابل الله المؤمنين فى القيامة لا بقدر استحقاقهم بل بأكثر منه كما قال عز وجل : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ [البقرة : ٢٤٥] وعلى نحو هذه الأوجه قوله تعالى : ﴿ فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ [غافر : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ [ص : ٣٩] وقد قيل : تصرف فيه تصرف من لا يحاسب أى تناول كما يجب وفى وقت ما يجب على ما يجب وأنفقه كذلك . والحسيب والمحاسب من يحاسبك ، ثم يعبر به عن المكافى بالحساب ، وحسب يستعمل فى معنى الكفاية ﴿ حسبنا الله ﴾ [آل عمران : ١٧٣] أى كافينا هو و﴿حسبهم جهنم ﴾ [المجادلة : ٨] ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ [النساء : ٦] و [الأحزاب : ٣٩] أى رقيبا يحاسبهم عليه . وقوله تعالى : ﴿ ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء ﴾ [الأنعام : ٥٢] فنحو قوله تعالى ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [المائدة : ١٠٥]ونحوه ﴿ وما علمى بما كانوا يعملون * إن حسابهم إلا على ربى ﴾ [الشعراء : ١١٢، ١١٣] وقيل معناه ما من كفايتهم عليك بل الله يكفيهم وإياك من قوله تعالى : ﴿ عطاء حسابا ﴾ [النبأ : ٣٦] أى كافيا من قولهم حسبى كذا ، وقيل أراد منه عملهم فسماه بالحساب الذى هو منتهى الأعمال .

وقيل احتسب ابنا له : أى اعتد به عند الله والحسبة فعل ما يحتسب به عند الله تعالى ﴿ الٓمٓ * أحسب الناس ﴾ [العنكبوت : ١، ٢].

﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات ﴾ [العنكبوت : ٤] ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ [إبراهيم : ٤٢] ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ [إبراهيم : ٤٧] ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ [البقرة : ٢١٤] فكل ذلك مصدره الحسبان . والحسبان أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الأصبع ، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك ، ويقارب ذلك الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما على الآخر (المفردات / ١١٦ ـ ١١٨) .

أما عن يوم الحساب فقد ورد ذكره فى الآيات الكريمة الآتية :

قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب﴾ [ص : ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ [ص : ٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿ من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ [غافر : ٢٧] .

يقول الإمام القرطبى رضى الله عنه عن يوم الحساب : معناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءه يعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر .

وعن محاسبته تعالى للمكلفين معا يقول رحمه الله : وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » فقيل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معا ولا يحاسبهم واحدا بعد واحد، والمحاسبة حكم . فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه . قال الله تعالى : ﴿ ألا له الحكم ﴾ [الأنعام : ٦٢] وقال تعالى : ﴿وهو خير الحاكمين ﴾ [يوسف : ٨٠] .

ثم يقول القرطبى رحمه الله عن مدى كرم الله : وفى الخبر: أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له : يا شيخ، ما أنصفت غذوتك بالنعم صغيرا فلما كبَّرتك عصيتنى . أما إنى لا أكون لك كما كنت لنفسك . اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل ، وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب ، فإذا وقف تضعضعت أركانه، واصطكت ركبتاه ، فيقول الرب جل جلاله : أما استحييتنى، أما راقبتنى ، أما خشيت نقمتى ، أما علمت أنى مطلع عليك . خذوه إلى أمه الهاوية .

وقيل إن الملائكة يحاسبون بأمر الله ، كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى . وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ [آل عمران : ٧٧] وإن لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حسابا يسيرا من غير ترجمان إكراما لهم ، كما أكرم موسى عليه السلام فى الدنيا بالتكلم، ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة ، ويميزهم بذلك عن أهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لإحداث خلائق كثيرة معا . قال الله تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ [لقمان : ٢٨] أى إلا كخلق نفس واحدة .

ثم يقول الإمام القرطبى رحمه الله عن محاسبة الخلق فى ساعة واحدة : ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال : « كما يرزقهم فى غداة واحدة، كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة » (التذكرة / ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

قال الإمام اللقانى فى جوهرة التوحيد :

وفى الزمن قولان والحساب
حقٌ وما فى حقِّ ارتياب
فالسيآت عنده بالمثل
والحسنات ضوعفت بالفضل

وفى شرحه للمنظومة المسمى « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » يقول شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى :

(قوله والحساب حق) أى ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ففى الكتاب ﴿ سريع الحساب ﴾ وفى السنة « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وأجمع المسلمون عليه وهو لغة العدد واصطلاحا توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا بعد أخذهم كتبهم ويكون للمؤمن والكافر إنسا وجنا إلا من استثنى منهم ففى الحديث «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا ليس عليهم حساب فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادنى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادنى ثلاث حثيات بيده الكريمة » أو كما ورد والثلاث حثيات ثلاث دفعات من غير عدد فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى الرحمة فيدخل الجنة من غير حساب وإذا كان من الكافرين من يكون أدنى إلى الغضب فيدخل النار من غير حساب فطائفة تدخل الجنة بلا حساب وطائفة تدخل النار بلا حساب وطائفة توقف للحساب فلا تنافى بين النصوص فى مثل ذلك وقد اختلف فى المراد بتوقيف الله الناس على أعمالهم فقيل المراد به أن يخلق الله فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب وهذا قول الفخر وقيل المراد به أن يوقفهم بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وهذا القول نقل عن ابن عباس وفيه قصور لأن الحساب غير قاصر على هذا المقدار، وقد ورد أن الكافر ينكر فتشهد جوارحه وقيل المراد به أن يكلمهم فى شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب فيسمعهم كلامه القديم وهذا هو الذى تشهد له الأحاديث الصحيحة ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعا معا حتى إن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده وكيفيته مختلفة فمنه اليسير والعسير والسر والجهر والتوبيخ والفضل والعدل وحكمته إظهار تفاوت المراتب فى الكمال وفضائح أهل النقص ففيه ترغيب فى الحسنات وزجر عن السيآت (قوله وما فى حق ارتياب) أى ليس فى وقوع حق شك أى لا ينبغى أن يقع فيه ذلك (قوله فالسيآت عنده بالمثل) أى جزاؤها عنده تعالى مقدر بمثلها إن جازاه عليها وله أن يعفو عنها إن لم تكن كفرا وإلا خلد فى النار والسيآت جمع سيئة وهى ما يذم فاعله شرعا صغيرة كانت أو كبيرة وسميت سيئة لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة والمراد التى

عملها العبـد حقيقة أو حكما بأن طرحت عليه إظلامـة الغير بعـد نفاد حسنـاتـه فإنـه يـؤخذ من حسنـات الظـالم ويعطى للمظلـوم فإذا نفدت حسنـات الظـالم طـرح عليه من سيـآت المظلوم ثم قذف بالظالم فى النـار.

وقوله والحسنات ضوعفت بالفضل أى ضاعفها الله تعالى بفضله لا وجوبا عليه والحسنـات جمع حسنة وهى ما يمدح فاعله شـرعا وسميت حسنة لحسن وجه صاحبهـا عند رؤيتها يوم القيامة والمراد الحسنات المقبـولة الأصلية المعمولة للعبد أو مـا فى حكمها بأن عملهـا عنـه غيره كمـا إذا تصدق غيـرك عنك بصـدقة لا المأخـوذة فى نظير ظـلامة فخـرج بالمقبـولة المردودة بنحو ريـاء فلا ثواب فيها أصلا وبالأصليـة الحاصلة بالتضعيف فـلا تضاعف ثـانيا وبالمعمـولة أو مـا فى حكمها الحسنة التى هم بهـا فتكتب واحدة من غيـر تضعيف وكذلك من إذا صمم علـى المعصيـة ثم تركها فلـه حسنة مضاعفة وبقـولنا لا المأخـوذة فى نظيـر ظـلامة الحسنة التى يأخذها المظلوم من ظالمـه فلا تضـاعف والتضعيف من خصائص هذه الأمة وأما غيرها من الأمم فكانت حسنتهم بحسنة واحـدة وأقل مـراتب التضعيف عشرة وقـد تضـاعف إلى سبعين إلى سبعمـائة أو أكثـر من غيـر انتهاء إلى حد تقف عنده وتفاوت مراتب التضعيف بحسب ما يقترن بـالحسنـة من الإخـلاص وحسن النية .

(تحفة المريد / ١٠٧ ، ١٠٨) .

(المفـردات فى غـريب القـرآن للـراغـب الأصفهـانى ـــ تحقيق وضبط محمد سيد كيـلانى / ١١٦ ، ١١٨ ، والتـذكرة فـى أحوال الموتـى وأمور الآخرة للإمام القرطبى ـ حققـه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وتحفة المريـد على جوهرة التوحيـد لشيخ الإسلام إبراهيم ابن محمد البيجورى / ١١٤ ، ١١٥) .

انظر : أسماء يوم القيامة فى م ٤ / ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

*** الحساب الإسلامى (علم ـ) :**

العناصر الرئيسة التى منها تكوّن علم الحساب الإسلامى هى : حساب الستين ، وحسـاب اليد ، والحسـاب الهندى . انظر كلا تحت عنوانه .

(رسـالتان فى الحسـاب العربى ـــ تحقيق د. أحمد سليم سعـيدان . مجلة معهد المخطـوطات العربية ، جامعة الـدول العربية . م ١٣ حـ ١ ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ م / ٤٣) .

جدول ١ ـ نظاما الرمز إلى العدد بحروف الهجاء فى المشرق والمغرب العربيين .

	الأعـداد ورمـوزهـا								
	واحد	اثنان	ثلاثة	أربعة	خمسة	ستة	سبعة	ثمانية	تسعة
فى المشرق	أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط
فى المغرب	أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط
	عشرة	عشرون	ثلاثون	أربعون	خمسون	ستون	سبعون	ثمانون	تسعون
فى المشرق	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
فى المغرب	ي	ك	ل	م	ن	ص	ع	ف	ض
	مائة	مائتان	ثلاثمائة	أربعمائة	خمسمائة	ستمائة	سبعمائة	ثمانمائة	تسعمائة
فى المشرق	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
فى المغرب	ق	ر	س	ت	ث	خ	ذ	ظ	غ
	ألف	ألفان	ثلاثة آلاف	أربعة آلاف	خمسة آلاف	ستة آلاف	سبعة آلاف	ثمانية آلاف	تسعة آلاف
فى المشرق	غ	بغ	جغ	دغ	هغ	وغ	زغ	حغ	طغ
فى المغرب	ش	بش	جش	دش	هش	وش	زش	حش	طش

* **حساب الجمل:**

قالت المؤلفة : كنا قد أوردنا بعض المعلومات عن حساب الجُمّل في مادة « أبجد » مع بعض النماذج ، وذلك في م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨ . وقد رأينا أن نفرد مادة خاصة لحساب الجُمّل ، حيث إنه يرتبط بمادة « أبجد » ويعد توضيحا وتفصيلا لها.

جاء في اللسان: حساب الجمل، بتشديد الميم : الحروف المقطعة على أبجد ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا ، وقال بعضهم: هو حساب الجمل، بالتخفيف، قال ابن سيده: ولست منه على ثقة (اللسان ٨ / ٦٨٦) .

قال الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم:

حروف حساب الجمل وهي أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ هذا على ما يستعمله المنجمون والحساب : فأما على ما تعرفه العرب فأبو جاد هواز حطي كلمون يعفص قرشات ويزعمون أنها أسماء ملوك كانوا للعرب العاربة وقد وضعت الحروف على نحو ما يستعمله المنجمون في جدول ووضعت عدد كل حرف منها بإزائه وهذا هو الجدول :

ا	ب	حـ	د	ه	و	ز	ح	ط	
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	
يا ١١	يب ١٢	يج ١٣	يد ١٤	يه ١٥	يو ١٦	يز ١٧	يح ١٨	يط ١٩	ى ١٠
كا ٢١	كب ٢٢	كج ٢٣	كد ٢٤	كه ٢٥	كو ٢٦	كز ٢٧	كح ٢٨	كط ٢٩	ك ٢٠
لا ٣١	لب ٣٢	لج ٣٣	لد ٣٤	له ٣٥	لو ٣٦	لز ٣٧	لح ٣٨	لط ٣٩	ل ٣٠
ما ٤١	مب ٤٢	مج ٤٣	مد ٤٤	مه ٤٥	مو ٤٦	مز ٤٧	مح ٤٨	مط ٤٩	م ٤٠
نا ٥١	نب ٥٢	نج ٥٣	ند ٥٤	نه ٥٥	نو ٥٦	نز ٥٧	نح ٥٨	نط ٥٩	ن ٥٠
سا ٦١	سب ٦٢	سج ٦٣	سد ٦٤	سه ٦٥	سو ٦٦	سز ٦٧	سح ٦٨	سط ٦٩	س ٦٠
عا ٧١	عب ٧٢	عج ٧٣	عد ٧٤	عه ٧٥	عو ٧٦	عز ٧٧	عح ٧٨	عط ٧٩	ع ٧٠
فا ٨١	فب ٨٢	فج ٨٣	فد ٨٤	فه ٨٥	فو ٨٦	فز ٨٧	فح ٨٨	فط ٨٩	ف ٨٠
صا ٩١	صب ٩٢	صج ٩٣	صد ٩٤	صه ٩٥	صو ٩٦	صز ٩٧	صح ٩٨	صط ٩٩	ص ٩٠
قا ١٠١	قب ١٠٢	قج ١٠٣	قد ١٠٤	قه ١٠٥	قو ١٠٦	قز ١٠٧	قح ١٠٨	قط ١٠٩	ق ١٠٠
ق ١٠٠	ر ٢٠٠	ش ٣٠٠	ت ٤٠٠	ث ٥٠٠	خ ٦٠٠	ذ ٧٠٠	ض ٨٠٠	ظ ٩٠٠	غ ١٠٠٠
غ ١٠٠٠	بغ ٢٠٠٠	جغ ٣٠٠٠	دغ ٤٠٠٠	هغ ٥٠٠٠	وغ ٦٠٠٠	زغ ٧٠٠٠	ح غ ٨٠٠٠	طغ ٩٠٠٠	يغ ١٠٠٠٠

عشرات الألوف	يغ	كغ	لغ	مغ	نغ	سغ	عغ	فغ	صغ
	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
مئات	قغ	رغ	شغ	تغ	ثغ	خغ	ذغ	ضغ	ظغ
الألوف	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠

جدول ٢ – حساب الجمّل عن المشروع العربي

أو ما يسمونه بالنظام العشرى (تراث العرب العلمى / ٤٧) هذا وتختلف أرقام الجمل عن الأرقام الهندية فى أنها تكتب بالمعكوس إذ تكون آحادها على اليسار، وعشراتها على اليمين مفتاح الحساب / ٢٨٩ هامش ٥٠)

آحاد	ا واحد	ب اثنان	ج ثلاثة	د اربعة	ه خمسة
	و ستة	ز سبعة	ح ثمانية	ط تسعة	
عشرات	ى عشرة	ك عشرون	ل ثلاثون	م اربعون	ن خمسون
	س ستون	ع سبعون	ف ثمانون	ص تسعون	
مئات	ق مائة	ر مائتان	ش ثلاثمائة	ت اربعمائة	ث خمسمائة
	خ ستمائة	ذ سبعمائة	ض ثمانمائة	ظ تسعمائة	

فإذا ركبت منها اثنين ـ أو ثلاثة فإن سبيلك أن تقدم الأكثر وتؤخر الأقل مثال ذلك يب اثنا عشر وكذلك قكج مائة وثلاثة وعشرون وقد يكتب بهذه الحروف كما يكتب حساب الهند وهو أن تكتب بتسعة أحرف منها الألف إلى الطاء وتوضع هذه العلامة فى المواضع الخالية مكان الصفر فى حساب الهند كى يحفظ بها الترتيب فقط (مفاتيح العلوم / ١١٤ ، ١١٥) .

وقال الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله :

اقتبس العرب فكرة حساب الجُمّل عن البلاد التى استولوا عليها فى إبان الفتح الإسلامى . وقد وجدوا أن المصريين يستعملون نظام الترقيم بالحروف القبطية بينما فى سوريا تستعمل الحروف اليونانية . فوضعوا لكل حرف رقما خاصا يدل عليه . (انظر الجداول) .

ورمزوا الأعداد التى تزيد على الألف بضم الحروف بعضها إلى بعض فكان يقابل ٢٠٠٠ بع و ٣٠٠٠ جغ و ٢٠٠٠٠ كغ وهلم جرا .

ولم يعد لهذا النظام أية قيمة . فقد تركه العرب واستعاضوا عنه بالنظام الهندى فى الترقيم ، القائم على الوضعية للأرقام

وعن الرمز إلى العدد بحروف الهجاء جاء ما يلى فى كتاب العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية :

ترجع فكرة استعمال حروف الهجاء كرموز دالة على الأعداد إلى عهد سحيق ، كما تدل على ذلك مثلا النقوش اليونانية القديمة منذ حوالى القرن الخامس قبل الميلاد ، كذلك نجد أن هذه الفكرة وجدت طريقها أيضا عند الساميين (كما ورد فى المزمور) من يهود وسريان وأحباش وعرب .

ولقد كان الرمز إلى العدد يتبع عادة إما حروف الأبجدية بترتيبها الأصلى كما كان الحال فى الرموز اليونانية مثلا ، وإما يتبع حروفا تدل على مختصرات من أسماء الأعداد (مثل حروف خ للدلالة على خمسة ، وحرف ع للدلالة على عشرة وحرف م للدلالة على مائة فى اللغة العربية الجنوبية قبل الإسلام) .

وضع العرب أرقامهم ـ عموما ـ على ترتيب حروف : أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ . وذلك عند أهل المشرق العربى . أما بالنسبة لأهل المغرب فقد كان هناك خلاف فى دلالة بعض حروف الهجاء على الأعداد كما هو

موضح بالجدول رقم ١ . وقد أطلق العرب على هذا النظام «حساب أبجد » أو « حساب الجُمَّل » حيث إنه مبنى على استعمال حروف الهجاء حسب ترتيبها فى الأبجدية السامية القديمة (جدول ١) .

وقد فرق العرب بين الحاء والجيم بأن كتبوا الجيم بلا ذيل: حـ ، وتركوا الحاء على أصلها : ح ، كذلك لم ينقطوا الباء والجيم على وجه العموم سواء أفرد هذان الحرفان أو تركبا، وأما النون والفاء والقاف والشين والتاء والثاء والخاء والضاد والظاء والغين فينقطونها سواء أفردت أو تركبت ، وقد اتجهت الكتابات العربية فى القرون المتأخرة إلى بيان النقط لكل الحروف . هذا وتكاد تكون كل الحروف فى مخطوطات كتب البيرونى منقطة بالرغم من أنها تنتمى إلى فترة الصدارة فى الحضارة العربية .

كذلك التزم العرب تقدم الأكثر على الأقل . فرقم ستة وثلاثون مثلا يكتب : لو ، ورقم تسعة وخمسون يكتب : نط (جدول ٢) ، وإذا كان العدد من تضاعف الألوف قدم عدد التضعيف على غيره، فيقال فى خمسة آلاف مثلا : هغ، وفى تسعة آلاف : طغ عند أهل المشرق العربى .

ولنورد فى هذا المجال ما كتبه العالم الجليل أبو الريحان البيرونى (٩٧٣ ـ ١٠٥١ م) فى مصنفه « كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » (مخطوط المتحف البريطانى رقم : شرقى ٨٣٤٩ ، الصحيفة ٤٠ وما بعدها) .

كيف يمكن إثبات الأعداد كحروف العرب

هذا مواضعة واصطلاح ، فقد كان يمكن أن يجعل ترتيب العدد فى حروف المعجم المنضودة على أ ب ت ث ، فإنها تستوفى عدة الآحاد التسعة والعشرات التسع والمائتين التسع والألف معها ، لأن عدتها ثمانية وعشرون . ولكن القوم جعلوا ترتيب هذه الأعداد فى حروف الجمل ، لأن هذا الترتيب هو الفاشى فيما بين من تقدم العرب من أهل الكتاب وهو : أبجد، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص، قرشت ، ثخذ ، ضظغ . وحصصها من العدد مثبتة فى هذا الجدول (وهنا يورد البيرونى جدولا يقابل فيه بين حروف الهجاء والأعداد التى ترمز إليها هذه الحروف) .

هل اختلف فيها

الغرض فى هذه الحروف هو اختصار فى إثبات الأعداد فى الجدول . ومن أولى الجداول هم المنجمون ، ولم يختلفوا فيما بينهم ، وإنما خالفهم من ليس هذه صناعته . فجعل مكان سعفص صعفض ، وجعل الضاد غير المعجمة ستين ، والمعجمة تسعين ، وجعل مكان قرشت ، قرست غير معجمة السين ، وإنما حدا بعضهم على ذلك أبينه للكلام لغوية . وبعضهم تأويلات لأغراض فى اعتقاد ، وهو كالهذيان . ولولا إطباق المستعملين على هذا الترتيب لجوزنا خلافهم ولكنه خروج عن العادة .

كيف يكون تركيبها

إذا جمع من العدد مراتب كالآحاد والعشرات والمائتين . فابدأ بالأعظم أعنى بالمايين ثم بالعشرات ثم بالآحاد .

مثال ذلك : مائة وخمسة عشر، فاكتبه قيه ، وخط فوقه خطا يدل على أنه حساب لا كلمة .

فإذا كان العدد مائة وخمسة ، فاكتبه قه .

وإن كان اثنين وأربعين ، فاكتبه مب .

فإن كان ألف واثنين ، فاكتبه غب، فإن احتجنا إلى كتبه ألفين ، فاكتبه بغ، لأن تقدم الأصغر على الأعظم تفصله عن غب، ويدل على أنه لأمر ما .

والعادة جارية فى هذه الحروف أن لا يعطف الجيم فرقا بينها وبين الحا . وقل ما يحتاج إلى الخا لأن حسابات النجوم تقصر على ثلثمائة وستين . وأن يعطف اليا إلى الورا، لأن ما يشابه النون مع النقطة، ويكون الكاف مبسوطة غير مشابه للام. وتكون النون أكبر من الزاء ومنقوطا للفرق بينهما . فإن الزاء منقوطة ، والراء غير منقوطة والفرق بين السين والشين أن الشين منقوطة، وساير ما بعدها كذلك معجمة ، ومتى تركب النون والياء مع آحاد تشابها ، تكون نقطة النون فاصلا بينهما ، والاحتياط يوجب بإعجام الياء أيضا .

وإن احتيج إلى كتابة صفر ليملأ الموضع الفارغ ، عملت دايرة وفوقها خط يماسها ليفرق بينه وبين الهاء .

(يظهر فى كتاب البيرونى على هذه الصورة : ٥، ويشير رضا إيرانى فى بحثه المنشور فى مجلة سنتورس عام ١٩٥٥ بنسبة هذا الشكل إلى الإغريق، ولكن هذا غير صحيح كما يقطع بذلك كلام البيرونى حيث إن هذا الشكل ما هو إلا الدائرة الممثلة للصفر يماسها خط فوقها حتى لا يحدث لبس بينها وبين الهاء) .

فأما فى الأرقام الهندية فليس يحتاج إلى الخط المماس إذ ليس هناك ها .

تابع جدول ٢ ـ حساب الجمل فى المشرق العربى

عشرات	يغ	كغ	لغ	مغ	نغ	سغ	عغ	فغ	صغ
الألوف	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
مئات	قغ	رغ	شغ	تغ	ثغ	خغ	ذغ	ضغ	ظغ
الألوف	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠

قد نكون قد أسهبنا بعض الشيء في الكلام عن الرمز إلى العدد بحروف الهجاء، إلا أنه هناك ما يبرر ذلك إذ أنه بالرغم من ذيوع استعمال الرموز الهندية الأصل في الحساب العربي، إلا أن الفلكيين والمنجمين دأبوا في كتاباتهم على استعمال حساب الجمل، وذلك طيلة فترة امتداد الحضارة العربية كما تشهد على ذلك أزياجهم وحساباتهم الفلكية .

هذا ومن الواضح أن الرمز إلى العدد بحروف الهجاء نظام معقد توقف بسببه علم الحساب عن إحراز تقدم ذي بال في الحضارة الإغريقية، حتى جاء أهل الهند بالرموز التسع، وطلع العرب على العالم بالنظام العشري .

إنه عند تركيب الجمل يراعى أن يكون الحرف ذو العدد الأكثر هو المقدم، ثم يليه العدد الأصغر فالأصغر وهكذا. ولنقدم بعض الأمثلة التي توضح هذا الأسلوب :

رب = ٢٠٠ + ٢ = ٢٠٢ ذلك لأن ر = ٢٠٠، ب = ٢

خس = ٦٠٠ + ٦٠ = ٦٦٠ ذلك لأن خ = ٦٠٠، س = ٦٠

ريح = ٢٠٠ + ١٠ + ٨ = ٢١٨ ذلك لأن ر = ٢٠٠، ى = ١٠، ح = ٨

ثمة = ٤٠٠ + ٤٠ + ٥ = ٤٤٥ ذلك لأن ث = ٤٠٠، م = ٤٠، هـ = ٥

شعب = ٣٠٠ + ٧٠ + ٢ = ٣٧٢ ذلك لأن ش = ٣٠٠، ع = ٧٠، ب = ٢

وقد بقي هذا الأسلوب يتبعه العرب في العلوم لمدة طويلة، ويظهر تأثيره بوجه خاص في الجداول الفلكية، وحساب الأوزان المختلفة للفلزات. ففي كتاب (القانون المسعودي) لأبي الريحان البيروني يكثر استعمال طريقة حساب الجمل. من ذلك يتضح أن علماء العرب والمسلمين ظلوا يستعملون طريقة حساب الجمل حتى بعد ظهور الأرقام الهندية العربية .

يقول محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه (الموجز في تاريخ العلوم عند العرب) : « إن الأمم لم تعرف الأعداد دفعة واحدة، فقد عبرت عنها بالألفاظ أولا، غير أن الألفاظ لا يمكن أن تأتلف وطرائق الجمع والطرح والضرب والقسمة، فكان لا بد من وضع رموز ترمز إليها ، وكانت هذه الرموز حروف الهجاء، إذ الألفاظ تتألف من حروف، ومن هنا نشأت الأرقام الحرفية، فحرف الألف يرمز إلى الواحد، وحرف الباء يرمز إلى الاثنين، وحرف الجيم يرمز إلى الثلاثة ، وحرف الياء يرمز إلى العشرة إلخ .(العلوم الرياضية ١ / ٢٩ـ٣٦) .

وقد تناول السيد محمد رشيد رضا موضوع حساب الجمل وما شاع من الاستدلال به على عمر الدنيا وقيام الساعة وذلك في المحاورة الثالثة من المحاورات الثانية عشرة التي تضمنها كتابه الطريف « الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية » . وتدور المحاورات بين شخصين : شيخ مقلِّد، وشاب مصلح .

وقبل أن ننقل لك المحاورة الثالثة التي نحن بصددها نشير إلى أن المؤلف ذكر في نهاية المحاورة الثانية قضية اليهود الذين أرادوا أن يفسروا الحروف المقطعة في أوائل بعض السور (انظر هذه المادة في موضعها) باستخدام حساب الجمل. يقول المؤلف على لسان « المقلِّد » :

لا أراك تقوى على إبطال حساب الجمَّل لأنه استعمال قديم. روى عن أبي العالية رضي الله عنه أنه كان يرى أن أوائل السور تدل على مدد أقوام وآجالهم مستدلا بحديث اليهود وهو أن النبي ﷺ قرأ على اليهود لما جاءوه (آلَمَ البقرة) فحسبوه وقالوا : كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله ﷺ فقالوا : فهل غيره ؟ فقال « آلَمَصَ والَر والَمَر » فقالوا : خلطت علينا فلا ندري بأيها نأخذ . ووجه الدلالة أنه أقرهم على استنباطهم بعدم الاعتراض وبتلاوته لا لَمَص وما بعدها على هذا الترتيب .

وينتقل المؤلف إلى المحاورة الثالثة وإليك بعضا مما جاء فيها :

(المصلح) لا أنكر أن هذا الشيء الذى يسمونه الجمل قديم وأنه انتقل إلى العرب من السريانيين والعبرانيين ولكن دلالته ليست عقلية ولا طبيعية وإنما تكون بالمواضعة والاصطلاح ولم يتفق للعرب ولا لغيرهم اصطلاح يصح أن تؤخذ أية كلمة وتحسب ويحكم بعددها على أنه تحديد لزمن أمة من الأمم فى وجودها واستقلالها بل لا يوجد فى اللغة رموز حسابية أو غير حسابية تدل على الحوادث المستقبلة وقصارى ما يمكن أن يستفاد من هذا الحساب بطريقة وضعية اصطلاحية يفهمها كل من يعرف الاصطلاح الوضعى فيها هو نحو ما جرى عليه الناس من التاريخ بها بأن تذكر كلمة أو كلام يعين بوقوعه بعد لفظ مخصوص كالألفاظ المركبة من مادة (أرخ) ويجعل ما يحصل من حروفها بالجمل بيان سنة حدث فيها شيء يراد توقيته ومعرفته ولا بد من ذكر ذلك الشيء بعبارة يفهم منها كل من تلقى إليه ما يراد منها . ومن هذا النحو قول بعضهم فى بيان تاريخ مولد الأئمة الأربعة المجتهدين ووفاتهم ومدة حياتهم وهو :

تاريخ نعمان يكن صيف سطا

٨٠ ١٥٠ ٧٠

ومالك فى قطع جوف ضبطا

٩٠ ١٧٩ ٨٩

والشافعى صين بير تد

١٥٠ ٢٠٤ ٥٤

وأحمد يسبق أمر جعد

٦١٤ ٢٤١ ٧٧

فخذ على ترتيب نظم الشعر

ميلادهم فموتهم فالعمر

فلولا البيت الأخير الذى أرشد إلى المراد لما اتضح لقارئه وسامعه وحينئذ لا تكون دلالته صحيحة ولا يصح أن يقصد العاقل ما ليس بصحيح لأنه لغو فكيف يصح أن يكون مثل هذا اللغو مضافا إلى كتاب الله تعالى وهو نقص ومناف للبيان الذى وصف الله به القرآن بمثل قوله تعالى : ﴿ طسٓمٓ * تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [الشعراء : ١، ٢] وقوله عز وجل ﴿حمٓ * والكتاب المبين ﴾ [الدخان : ١، ٢] فلو كانت هذه الحروف رموزا ومعميات لما وصلت بهذا الوصف الشريف الذى هو من أخص أوصاف القرآن ، وقد أنكر علماء الكلام أن يكون فى القرآن كلام غير مفهوم للناس واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل فلا يصح للمقلد أن يترك كلامهم وهم حماة العقائد وأنصار الدين لكلام القاصين والدجالين ...

وأما ما روى عن اليهود وذكرته فى مجلسنا الماضى فلا يصح وقد أخذه المفسرون الذين لا يتحرون فى النقل من كتب السير والمغازى وأكثر ما فى تلك الكتب لا يعتمد عليه كما علمت وقد رأيت فى شرح الإحياء ما نصه : « وقال السهيلى لعل عدد الحروف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة قال الحافظ ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس النهى عن (أبا جاد) والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له فى الشريعة ا هـ ولو سلمنا صحته رواية لكان لنا أن نبحث فيه من حيث الدراية بمثل ما ذكرناه مختصرا وأطال فيه بعض المتكلمين والمفسرين كالإمام الرازى على أنه لا يدل على ما ذكرت إذ يجوز أن يكون ما أجاب به ﷺ ياسرا وحيا ابنى أخطب مرادا به إبطال دلالتهما ودحض شبهتهما لعلمه بأنهما يقصدان التلبيس والإبهام فاضطرهما إلى التصريح بالتلبيس حيث قال حى « قد لبس علينا أمرك يا محمد » .

(المقلد) إن فى بعض كلامك حجة عليك وهو قولك إن (أبا جاد) الذى هو أصل حساب الجمل مأخوذ من اللغة السريانية وهى لغة الملائكة فأى مانع يمنع أن يكون فى القرآن شيء من لغة الملائكة يدل على الأمور الغيبية ويكون فهمه مخصوصا بالخواص الذين يعرفون كلام الملائكة كالأنبياء والأولياء ، فقد روى عن سيدى القطب الغوث الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره العزيز : إن أهل الديوان الباطنى لا يتكلمون إلا بالسريانية لاختصارها فإن الحرف الواحد منها يدل على معانى كثيرة لا سيما حروف أوائل السور ولعلك اطلعت على هذا فى كتاب (الذهب الإبريز) .

(المصلح) : إننى لم أعن بقولى « السريانيين » الملائكة

وإنما أعني جيلا من الناس أمرهم معروف في التاريخ كانوا يسمون يوم السبت أبجد ويوم الأحد هوز والإثنين حطى والثلاثاء كلمن والأربعاء سعفص والخميس قرشت والجمعة العروبة . وقد وضع السريان هذه الكلمات مشتملة على حروف الهجاء عندهم وأخذها العرب عنهم وأضافوا إليها كلمتين مؤلفتين من باقي حروف الهجاء العربية التي لا توجد في اللغة السريانية وهما ثخذ وضظغ وسموها الروادف أي اللواحق ووافقوا السريان أيضا في ضبط مراتب الحساب بهما وزادوا عليهم بما في لغتهم من الحروف الزائدة بجعل كل حرف يزيد على ما قبله ١٠٠ فالثاء ٥٠٠ والخاء ٦٠٠ إلخ وساعدهم الجد أن وافق الحرف الأخير (غ) آخر مراتب العدد عندهم وهو الألف وزعم بعض المؤرخين أن العرب كانوا يسمون أيام الأسبوع بما ذكرناه عن السريان أيضا .

أما الملائكة فاعتقادي فيهم أنهم عالم روحاني غيبي وأن قياسهم على عالم المادة الذي يتفاهم عقلاؤه بأصوات تكيفها الحروف قياس غير صحيح أو كما يقول الأصوليون قياس مع الفارق وأن كل ما غاب علمه عن الناس ولم ينله كسبهم لا يقبل فيه إلا قول عالم الغيب وهو الله تعالى ، وليس عندي نص قطعي في تفاهم الملائكة وتخاطبهم وأما ما ذكرت عن أهل الديوان الباطني فلا أخوض فيه الآن بل أدعه للبحث التفصيلي في أمراض الأمة الإسلامية إن دخلت معي فيه وأكتفي الآن بأن أقول إن ما ذكرت عنهم لا تقوم عليه حجة مرضية ولا بينة شرعية . فإن خالفتني طالبتك بالنص .

ثم يذكر السيد محمد رشيد رضا على لسان « المقلد » كيف أن بعضهم استخرج من قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ * غُلبت الروم** ﴾ [الروم : ١ ، ٢] أن البيت المقدس يفتحة المسلمون في سنة ٥٨٣ (وفقا لحساب الجمل) وأنه ذكر ذلك لبعض علماء الحنفية فقال : إن هذه الرواية مذكورة في البحر وعبارته هكذا ـ وأخرج الشيخ من جيبه ورقة وقرأ فيها ما نصه «كان شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يحكي عن أبي الحكم ابن برجان أنه استخرج من قوله تعالى ﴿ **الٓمٓ * غلبت الروم** ﴾ إلىٰ قوله ـ ﴿**سنين** ﴾ [الروم : ١ ، ٤] افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه ويومه ، وكان إذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى ، وأن ابن برجان مات قبل الوقت الذي عينه للمفتح وأنه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه أبو الحكم » فتعين الاعتماد على هذا والأخذ به .

ويفند « المصلح » هذا الكلام بقوله إن التاريخ إنما يثبت لنا الوقائع الجزئية ، ونحن نحكم عليها بما يعطينا العقل من القواعد العامة ، فإذا صحت رواية أبي الحكم فصحتها لا تثبت لنا قاعدة عامة وهي على ما هي عليه من الإبهام والغموض بل هي إلى الاتفاق الذي يسمونه « الصدفة » أقرب (الوحدة الإسلامية / ١٣ ـ ١٨) .

(لسان العرب لابن منظور ٨ / ٦٨٦ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي / ١١٤ ، ١١٥ ، وتراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ـ قدري حافظ طوقان / ٤٧ ، والعلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية ـ د . جلال شوقي ، ود. علي الدفاع ١ / ٢٩ ـ ٣٦ ، والوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ـ السيد محمد رشيد رضا / ١٣ ـ ١٨ .

انظر أيضا مفتاح الحساب لجمشيد غياث الدين الكاشي ـ تحقيق وشرح الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ، ود. محمد حمدي الحفني الشيخ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ هامش التحقيق) .

انظر : أبجد ، الأرقام العربية .

*** حساب الخطأين :**

من الطرق الحسابية التي كانت شائعة عند العرب .

يقول الأستاذ الدكتور جلال شوقي تحت عنوان استخراج المجهولات بحساب الخطأين : لقد عرفت هذه الطريقة منذ فجر الحضارة الإسلامية ، حيث ظهرت في مؤلفات رياضية كثيرة ، فقد وردت ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في كتابات قسطا بن لوقا البعلبكي (٢٠٥ ـ ٣٠٠ هـ / ٨٢٠ ـ ٩١٢ م) ، وأبي كامل شجاع بن أسلم الحاسب المصري (من القرن ٣ هـ / القرن ٩ م) ، وأبي يوسف يعقوب بن محمد الرازي ، وأبي يوسف يعقوب بن محمد المصيصي (من القرن ٤ هـ / القرن ١٠ م) ، وأبي الحسن بن أبي المعالي الدسكري المنجم ، وكمال الدين ـ يونس الصدفي المصري (٣٣٩ ـ ٣٩٩ هـ / ٩٥٠ ـ ١٠٠٩ م) ، والحسن بن الهيثم (٣٥٤ ـ ٤٣٠ هـ) (منظومات ابن الياسمين / ١٩٣) .

ويقول محققا كتاب « مفتاح الحساب » (انظر ثبت المراجع) :

وأول مخطوط قديم احتوى على طريقة الخطأين هو كتاب « الرياضة فى تسعة أجزاء » الصينى، وبعد ذلك تظهر هذه الطريقة مرة أخرى فى الرياضة الإسلامية (العربية) ثم ينتقل استخدام هذه الطريقة بعد أن طورها الرياضيون العرب إلى رياضة أوروبا فى عصر النهضة وما بعده، وظلت هذه الطريقة تستخدم كقاعدة أساسية فى جميع الكتب التعليمية الأوروبية حتى نهاية القرن الثامن عشر، وفى بعض الأحيان نجدها حتى فى كتب القرن التاسع عشر، ويرجع شيوع هذه الطريقة على نطاق واسع إلى أنها ما هى إلا الجوريشم - منهج ــ حسابى بسيط لحل أى معادلة خطية ذات مجهول واحد، دون حاجة إلى تحليل حسابى ودون حاجة أيضا إلى استخدام الرموز الجبرية والتى لم تظهر إلا فى وقت متأخر وتدريجيا ابتداء من القرن السادس عشر ولم تدخل فى برامج المدارس المتوسطة إلا فى القرن التاسع عشر ومن ثم انتفت الحاجة إلى قاعدة الخطأين وألغيت من مناهج مقررات الحساب، ومن الشيق أن نعرف أنه من السهل استخدام قاعدة الخطأين فى المسائل الأكثر تعقيدا والمشتملة على مجموعة من المعادلات الخطية فى أكثر من مجهول .

ولقد استخدمت هذه الطريقة فى « الرياضة فى تسعة أجزاء » فى حل المعادلات ذات المجهولين (مفتاح الحساب / ٣١٤) .

وقد عد صاحب « مفتاح السعادة » حساب الخطأين من فروع علم العدد وهو علم الحساب وقال عنه :

وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية إذا أمكن صيرورتها فى أربعة أعداد متناسبة . ومنفعته : نحو منفعة الجبر والمقابلة ، إلا أنه أقل عموما منه وأسهل عملا ، وإنما سمى حساب الخطأين لأنه يفرض المطلوب فيه شيئا ويختبر، فإن وافق ، فذاك ، وإلا حفظ الخطأ وفرض المطلوب شيئا آخر، ويختبر ، فإن وافق، فذاك ، وإلا حفظ الخطأ الثانى، ويستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين. وعلى هذا إذا اتفق وقوع المسألة أولا فى أربعة أعداد متناسبة، أمكن استخراجها بخطأ واحد .

ومن الكتب الكافية فيه :

كتاب لزين الدين المغربى وبرهن ابن الهيثم على طرقه (مفتاح السعادة ١ / ٣٧٠) .

وقد ذكره صاحب « مفاتيح العلوم » فقال : هو من تدابير الحساب لاستخراج مسائل الوصايا ونحوها يسمى ذلك لأنه يؤخذ عدد ما يستعمل فيه شرائط المسئلة فإن خرجت وإلا حفظ مقدار ما وقع فيها من الخطأ وأخذ عدد آخر وعمل به مثل ذلك فإن خرجت وإلا حفظ مقدار الخطأ الثانى ثم يستخرج من هذين الخطأين حقيقة الصواب (مفاتيح العلوم / ١١٦ ، ١١٧).

وقد عرفه صاحب « مفتاح الحساب » فقال عن استخراج المجهول بالخطأين :

وهو يصح إذا سئل عن مجهول عمل عليه كذا وكذا صار عددا معينا، مثل أن نصف أو ضوعف أو زيد عليه أو نقص منه نصفه أو ضعفه، أو ضرب فى عدد معلوم غير المجهول، وإن أوتى فى المسألة ضرب مجهول آخر أو قسمة مجهول على مجهول آخر، واحتيج إلى استخراج جذر أو كعب أو مثلهما لا يصح به : [١٦٥] :

وهو أن نفرض المجهول أى عدد شئنا، ونعمل عليه ما فهمنا من كلام السائل حتى يحصل حاصل، فإن وافق العدد المعلوم فهو المطلوب ، وإلا نأخذ التفاضل بين ما حصل من عملنا والعدد المعلوم وهو المسمى بالخطأ الأول .

ثم نفرض المجهول عددا آخر، ونعمل عليه كما عملنا حتى يحصل حاصل ثان، فإن وافق المعلوم فهو المطلوب ، وإلا فنأخذ التفاضل بينه وبين المعلوم وهو المسمى بالخطأ الثانى ثم نستخرج من هذين الخطأين صوابا بأن نضرب المفروض الأول فى الخطأ الثانى ، وكذا المفروض الثانى فى الخطأ الأول ، فإن كان الخطآن زايدين معا على المعلوم أو ناقصين معا منه ، فنقسم التفاضل بين حاصلى الضربين على التفاضل بين الخطأين فما خرج فهو المجهول المطلوب .

وإن كانا مختلفين فى الزيادة والنقصان ، نقسم مجموع الحاصلين على مجموع الخطأين فما خرج فهو المطلوب (مفتاح الحساب / ٢٠٢) .

ويسوق ابن الهائم هذه المسألة كمثال للحل بطريقة حساب الخطأين .

فلو قيل : مال زيد عليه ثلثان ودرهم فكان عشرة، كم هو؟

فافرضه ما شئت، فكأنه تسعة . فإذا زدت عليه ثلثيه ودرهما كان المجتمع ستة عشر، وكان ينبغي أن يكون عشرة ، فالخطأ بستة بالزيادة، فافرض آخر وكأنه ستة فإذا زدت عليه ثلثيه ودرهما كان المجتمع أحد عشر. فالخطأ بواحد وهو زائد أيضا . فاضرب المال الأول فى الخطأ الثانى، والمال الثانى فى الخطأ الأول ، واقسم الفضل بين الحاصلين وهو سبعة وعشرون على الفضل بين الخطأين وهو خمسة ، يخرج خمسة وخمسان وهو المطلوب .

ولو فرضت المال الأول درهما ونصفا ، والثانى ثلاثة ، لكان الخطآن ناقصين ، والأول ستة ونصفا، والثانى أربعة . فإذا ضربت المال الأول فى الخطأ الثانى، والمال الثانى فى الخطأ الأول ، وقسمت الفضل بين الحاصلين ، وهو ثلاثة عشر ونصف، على الفضل بين الخطأين ، وهو اثنان ونصف يخرج المطلوب .

كذلك ولو فرضت المال الأول ستة، والثانى ثلاثة ، لكان الخطآن مختلفين ، فاقسم مجموع حاصلى الضرب وهو سبعة وعشرون ، على مجموع الخطأين وهو خمسة ، يخرج المطلوب. فقس على هذا المثال ما يرد من أشباهه (المعونة فى علم الحساب / ٣٠٤) .

ويسوق الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله مسألة أخرى لتوضيح طريقة « حساب الخطأين » التى كانت شائعة عند العرب ، ومستعملة فى كتبهم الرياضية القديمة ، وقد استعملوها فى كثير من معاملتهم قائلا :

ويجد القارئ فى طريقة حساب الخطأين طرافة كما يجد فيها الراغبون فى الرياضيات متاعا وانتفاعا . ونحن هنا نورد المثل الآتى : ـ « أوجد العدد الذى إذا أضيف إليه ثلثاه وثلاثة كان الناتج ١٨ » لحل هذه المسألة على طريقة الخطأين تفرض المجهول ما شئت وتسميه المفروض الأول ثم تتصرف فيه بحسب السؤال فإن طابق فهو المطلوب وإن لم يطابق وكان الخطأ بالزيادة أو النقصان فهو الخطأ الأول . ثم تفرض مجهولا آخر وهو المفروض الثانى فإن أخطأ حصل الخطأ الثانى . بعد ذلك اضرب المفروض الأول فى الخطأ الثانى وتسميه المحفوظ الأول ، والمفروض الثانى فى الخطأ الأول وتسميه المحفوظ الثانى فإن كان الخطآن زائدين أو ناقصين فاقسم الفضل (الفرق) بين المحفوظين على الفضل بين الخطأين وإن اختلفا فمجموع المحفوظين على مجموع الخطأين ليخرج المجهول، أى أن : ـ

المفروض الأول ٣ وإذا تصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج

$٣ + \frac{٢}{٣} \times ٣ + ٣ = ٣ + ٢ + ٣ = ٨$

∴ يكون الخطأ الأول ١٨ - ٨ = ١٠ ناقص .

وإذا فرضنا المفروض الثانى ٦ وتصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج $٦ + \frac{٢}{٣} \times ٦ + ٣ = ١٣$

∴ يكون الخطأ الثانى ١٨ - ١٣ = ٥ ناقص .

وعلى هذا فالمحفوظ الأول = ٣ × ٥ = ١٥

والمحفوظ الثانى = ٦ × ١٠ = ٦٠

والفرق بين ٦٠ و ١٥ هو ٤٥ والفرق بين الخطأين ١٠-٥= ٥

وعلى هذا فالجواب هو $\frac{٤٥}{٥} = ٩$

(تراث العرب العلمى / ٥٦) .

وأما ما جاء من النظم فى حساب الخطأين فلدينا منه ما أورده السيد محمد حسين الموسوى فى منظومته حيث يقول عنه :

خذ ما تشا مصرفا بد العمل

فرضا به اتبع سؤال من سئل

فحين يحظى القدر الذى يرد

فدعه وافرض ثانيا مما تجد

فإن يكن أخطأ فاضرب ما سبق

من فرضه بالخطأ الذى لحق

واحفظـــه واضـــــرب مـــا فـــرضـت بعـــد

فـــي الخطأ الأول واحفـظ عـــــــــــد

ثـم إذا مــــــا الخطـــــــآن اختصـــــا

فـــــاختلفـــــا زيـــــادة ونقصــــا

فـــاقسم علـى مجمـــوع مـــا أخطـى بـــه

مجمـــوع مـــا حفظتـــه من ضـــربـــه

أمـــــا إذا يتفقـــــان فـــاعتبـــر

بفضـل مـــا بينهمـــا فيمـــا سطـــر

وخـــــذ بفضـل بيـن محفـــوظيـــــه

واجعلـــه مقســـومـــا هنـــا عليـــه

فخـــــــارج القسمـــــة حيـن يحصـل

ينبـئ عمـــــا فـي الســــؤال يجهـل

(منظومة شعرية / ٧٢) .

(منظومات ابن الياسمين في أعمال الجبر والحساب ـ تحقيق ودراسة د. جلال شوقي / ١٩٣ ، ومفتاح الحساب لجمشيد غياث الدين الكاشي ـ تحقيق وشرح الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ود. محمد حمدي الحفني الشيخ / ٣١٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٨٩ هـامش ٥٠ للمحققين، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٠، ومفاتيح العلوم للخوارزمي / ١١٦، ١١٧ ، والمعونة في الحساب الهوائي لابن الهائم ـ دراسة وتحقيق خضير عباس محمد المنشداوي / ٣٠٤ ، وتراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ــ قدري حافظ طوقان / ٥٦ هامش ١ ، ومنظومة شعرية في الحساب للسيد محمد حسين الموسوي القزويني ـ إعداد وتصويب ونشر نوري محمد حسين / ٧٢) .

*** حساب الدرهم والدينار (علم ـ) :**

علم حساب الدرهم والدينار هو علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية التي تزيد عدتها على المعادلات الجبرية ، ولهذه الزيادة لقبوا تلك المجهولات بالدرهم والدينار والفلس وغير ذلك .

ومنفعته كمنفعة الجبر والمقابلة فيما يكثر فيه الأجناس المعادلة ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب لابن فلوس إسماعيل ابن إبراهيم بن غازي الماريديني الحنبلي المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، والرسالة المغربية ، والرسالة الشاملة للخرقي ، والكافي للكرخي ومختصره للسموءل بن يحيى بن عباس المغربي الإسرائيلي المتوفى سنة ست وسبعين وخمسمائة . كذا في (إرشاد القاصد) وكتاب لابن المحلي الموصلي . ومن المبسوطة فيه : الكافي والكامل لأبي القاسم ابن السمح .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي حـ ٢ ق ١ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧١) .

*** حساب الدور والوصايا (علم ـ) :**

علم حساب الدور والوصايا هو علم يتعرف منه مقدار ما يوصى به إذا تعلق بدور في بادئ النظر . مثاله رجل وهب لمعتقه في مرض موته مئة درهم لا مال له غيرها فقبضها ومات قبل موت سيده وخلف بنتا والسيد المذكور ثم مات السيد ؛ فظاهر المسألة أن الهبة تمضى من المائة في ثلثها ، فإذا مات المعتق رجع إلى السيد نصف الجائز بالهبة فيزداد مال السيد من إرثه وهلم جرا . وبهذا العلم يتعين مقدار الجائز بالهبة . وظاهر أن منفعة هذا العلم جليلة ، وإن كانت الحاجة إليه قليلة .

ومن كتبه كتاب لأفضل الدين الخونجي . أقول : هذا العلم يؤول إلى علم الجبر والمقابلة ، وفيه تأليف لطيف لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وكتاب نافع لأحمد بن محمد الكرابيسي ، وكتاب مفيد لأبي كامل شجاع بن مسلم . ذكر فيه كتاب الوصايا بالجزور للحجاج بن يوسف .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي جـ ٢ ق ١ / ٢٩٢ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٠ ، ٣٧١) .

انظر : حساب الفرائض (علم ـ) .

*** حساب الستين :**

من العناصر الرئيسية التي تكون منها علم الحساب الإسلامي ، ويسمى أيضا حساب المنجمين .

يقول الدكتور أحمد سليم سعدان عن حساب الستين :

يبنى هذا الحساب على نظام للعد تقوم فيه الستون بالدور الذى تقوم به العشرة فى النظام العشرى الدارج .

ففى السلم العشرى تكون كل منزلة عشرة أمثال المنزلة التى دونها وعشر المنزلة التى فوقها .

وفى السلم الستينى تكون كل منزلة ٦٠ ميلا من المنزلة التى دونها و $\frac{1}{60}$ من التى فوقها .

ففى السلم العشرى نتخذ العدد ٩٣٢ على أنه $2 \times 1 + 3 \times 10 + 9 \times 10^2$.

وفى السلم الستينى نتخذه على أنه $2 \times 1 + 3 \times 60 + 9 \times 60^2$.

والمنزلة فى السلم العشرى قد يكون فيها أى رقم من الواحد إلى التسعة ، ولكن المنزلة في السلم الستينى قد تحوى عددا ذا رقمين بين ١٠ و ٥٩ .

والنظام الستينى قديم ، استعمله البابليون، وعنهم أخذه الإغريق ، واستعملوه فى حساباتهم الفلكية ، أما فى شئون حياتهم العامة فقد آثروا أن يعبروا عن الأعداد الصحيحة بنظام العد الطبيعى ، أى العشرى، واستعملوا سلم الستين للتعبير عن الكسور. ثم هم أدخلوا على النظام البابلى تعديلين : فقد اتخذوا الإشارة Ō لتدل على الصفر، ولم يكن لدى البابليين إشارة خاصة به ؛ وقد استعاضوا عن الرموز المسمارية البابلية للأعداد بحروف من أبجديتهم .

ويبدو أن العرب وجدوا هذا النظام قائما فى العالم الذى بسطوا نفوذهم عليه . فقد استعملوا من قبل أن يتصلوا اتصالا مباشرا بالكتب الإغريقية ، وسموه حساب الستين، أو حساب الدرج والدقائق، أو طريق المنجمين ، والتسمية الأخيرة تشير إلى أن هذا النظام كان عند العرب أيضا خاصا بالفلكيين .

وقد سمى العرب المنازل الستينية من منزلة الآحاد نزولا: درجا ودقائق وثوانى ... إلخ .

وفى المخطوطات التى كتبها فلكيون نجد المنازل التى تلى منزلة الآحاد صعودا تسمى مرفوعات ، فمرفوع أول، ومرفوع ثانٍ (أو مثانى) ومرفوع ثالث (أو مثالث) ... إلخ .

وقد استعمل العرب الإشارة الإغريقية للصفر، وهى تظهر فى المخطوطات بأشكال شتى كلها مما ينجم عن كتابتها باليد على عجل. واستعملوا للدلالة على الأعداد حروف الأبجدية العربية بالترتيب المعروف بالجمل ، وهو :

أبجد ، هوز، حطى، كلمن ، سعفص، قرشت ، ثخذ، ضظغ . وهذا جدول بهذه الحروف ودلالاتها العددية :

أ	١	ى	١٠	ق	١٠٠	غ	١٠٠٠
ب	٢	ك	٢٠	ر	٢٠٠		
ج	٣	ل	٣٠	ش	٣٠٠		
د	٤	م	٤٠	ت	٤٠٠		
هـ	٥	ن	٥٠	ث	٥٠٠		
و	٦	س	٦٠	خ	٦٠٠		
ز	٧	ع	٧٠	ذ	٧٠٠		
ح	٨	ف	٨٠	ض	٨٠٠		
ط	٩	ص	٩٠	ظ	٩٠٠		

فإذا أرادوا أن يكتبوا ١٠ كتبوا ى ، وإذا أرادوا أن يكتبوا ١١ كتبوا يا .

وإذا أرادوا أن يكتبوا ١١١ كتبوا قيا ، وإذا أرادوا أن يكتبوا ١١١١ كتبوا غقيا .

وإذا أرادوا أن يكتبوا ٢٣٤٥ كتبوا بغشمه ، حيث بـغ تشير إلى الألفين .

وإذا أرادوا أن يكتبوا ٢٢ درجة و٣٠ دقيقة و٥٩ ثانية كتبوا كب ل نط .

وقلما وضعوا النقط على الحروف؛ وفى هذا ما فيه من لبس (انظر : حساب الجمل) .

ولم تصل إلينا رسالة عربية عن حساب الستين وحده ، ولكنا نجد سلمه العشرى فى كتب حساب اليد. ورسالة أصول حساب الهند لكوشيار تستهدف فى الثانية من مقالتيها استعمال الأرقام الهندية فى حساب الستين . وفى كتاب

التكملة فى الحساب لأبى منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى (القرن ١١ م) فصل عن حساب الستين نجد فيه أثرا واضحا للحساب الهندى .

من هذا التراث نستنتج أن سلم الستين الكامل، للصحاح والكسور، كان استعماله قاصرا على الفلكيين، وكان هؤلاء يجرون بعض العمليات الحسابية عقليا، كما فى حساب اليد، ويستعينون فى بعضها بجداول لضرب الأعداد من ١×١ إلى ٥٩ × ٥٩ ، وجداول لتعيين منازل حاصل الضرب وخارج القسمة ، وهذه تقابل القانونين :

$$٦٠^{م} \times ٦٠^{ن} = ٦٠^{م+ن}$$

$$٦٠^{م} \div ٦٠^{ن} = ٦٠^{م-ن}$$

أما غير الفلكيين فيبدو أنهم لم يستعملوا هذه الجداول بل اكتفوا بحساب اليد (« رسالتان فى الحساب العربى » / ٤٣ ـ ٤٥) .

وقد جعله الكاشى فى « مفتاح الحساب » المقالة الثالثة، وأدرجه تحت عنوان « فى طريقة حساب المنجمين » ، وجعل المقالة تشتمل على ستة أبواب هى : الباب الأول : معرفة أرقامهم وكيفية وضعها ، الباب الثانى فى التضعيف والتنصيف والجمع والتفريق، الباب الثالث فى الضرب، الباب الرابع فى القسمة ، الباب الخامس فى استخراج الضلع الأول من المضلعات ، والباب السادس فى تحويل الأرقام الستينية إلى الهندية .

وقد جمع الموسوى القزوينى معظم هذه الأبواب فى مقدمة منظومته فى الحساب فقال :

الجمع ضم عدد إلى عدد
والطرح أن تنقصه عما ورد
وسمة التضعيف أن يكرر
بمرة من مثله لا أكثر
والضرب أن تزيده تكرارا
بعدة من غيره مرارا
ويعرف التنصيف والتقسيم
بأن يجزى العدد المعلوم
جزئين فى ذا متساويين
وذاك فى أكثر من جزئين

(منظومة شعرية فى الحساب / ٦٢) .

وقبل أن نتطرق إلى الأبواب المذكورة آنفا ننقل ما أورده محققا كتاب « مفتاح الحساب » عن ماهية وتاريخ الحساب الستينى، وهو كما يلى مع ملاحظة أن الكاشى قد أدرجه تحت عنوان « حساب المنجمين » :

يرمز الكاشى للصفر فى النظام الستينى بالرمز δ وهذا الرمز انحدر من علامة الصفر عند علماء العصر الهلينى، الذين استخدموا الكسور الستينية فى حساباتهم الفلكية وكانوا يكتبون أرقامهم مستخدمين حروف لغتهم من ١ إلى ٥٩ ، وعندما كانوا يريدون الدلالة على أن الحرف يدل على رقم كانوا يضعون شرطة فوقه، وكان الصفر فى الكسور الستينية يكتب هكذا $\bar{o}$ (أو ميكرون) حيث أن هذا الحرف هو أول حروف الكلمة الإغريقية التى تعنى « لا شيء » ثم تحورت هذه العلامة إلى δ ، وفى هذا النظام كانت لا توجد رموز للتعبير عن الرقم ٧٠ فى الكسور الستينية .

أما النظام الستينى للكسور والأعداد الصحاح المبنى على استخدام علامتين مركبتين للواحد الصحيح والعشرة فقد ظهر فى بابل منذ أكثر من ألفى عام قبل الميلاد .

ولقد كان هذا النظام نظاما غير كامل نظرا لعدم وجود علامة للدلالة على الصفر ، وبناء على ذلك فإن الرمز ١٢ ، ٢٥ حسب طريقتنا الحالية يمكن أن تدل فى ذلك النظام على العدد $١٢ \times ٦٠^{ن} + ٢٥ \times ٦٠^{م}$ حيث م ، ن أى عددين صحيحين (ولكن م> ن) ، أما القيم المطلقة للأرقام فكان يحددها النص المرافق .

وحوالى منتصف الألف سنة الأولى بعد الميلاد ظهرت علامة الصفر لتدل على خلو إحدى الخانات، وهكذا أصبح الرمز ١٣ ، ٥ ، ٢٥ يدل على $١٢ \times ٦٠^{ن} + ٢٥ \times ٦٠^{ن+٢}$

وفى العصر الهلينى استخدم الرياضيون كسورا ستينية أيضا غير أنهم كانوا يكتبون الأعداد الصحاح مستخدمين فى

كتابتها النظام العادى (شبه العشرى) المتبع لـدى الإغريق ، وهذه الطريقة المختلفة فى كتابة الصحاح ، والكسور هى التى اتبعها كل من بطليموس وتيمون الإسكندرى ، كما نـرى هذه الطريقة (مع استخدام رموز وأصفار أخرى) مستخدمة لدى كل من محمد الخوارزمى ويوحنا الإشبيلى ، أما النظام الستينى الموحد بالنسبة للصحاح والكسور فمرده للعلماء العرب ، ومما لا شك فيه أن هذا النظام قد ظهر كنتيجة للتحليل الواعى والدراسة المنطقية للأفكار التى وردت فى الحساب الهندى والتى قام بها محمد الخوارزمى ، وكذا دراسة النظام الستينى القديم الذى كان منتشرا فى المناطق التى كانت تابعة فى يوم ما لمملكة بابل .

وأقدم وصف لهذا النظام الستينى الموحد نراه قد ورد فى الجزء الثانى من الرسالة الصغيرة المسماة « أصول الحساب الهندى » لمؤلفها قشيار بن لبان الجيلى المولود فى جيلان (جنوب البحر الكسبى) والذى عاش نحو ٩٧١ ــ ١٠٤٢ ميلادية .

وفى كتاب الجيلى نرى الرقم ٣٧ ، ٨ ، ١٦ ، صفر ، ٤٣ (ثانية) تعنى .

٤٣×٦٠^{٢} + صفر × ٦ + $١٦ \times ٦٠^{\text{صفر}}$ + ٨×٦٠^{-١} + ٣٧×٦٠^{-٢} أما الأرقام من ١ إلى ٥٩ فكانت تكتب حسب الجدول الذى أوردناه فيما سبق من أرقام الجمل ، وكان هذا الرقم يقرأ فيما بعد كما هو متبع لدى الكاشى على النحو التالى ٤٣ مرفوعة مرتين ، صفرا مرفوعا ، ١٦ درجة وثمان دقائق وسبع وثلاثون ثانية .

وبالمثل نرى أن الكاشى كان يستخدم الدرجات التصاعدية والتنازلية للعدد الستينى .

أما لدى الخوارزمى ويوحنا الإشبيلى فلم تكن هناك حاجة للخانات المرفوعة ، حيث إن الأرقام الصحاح كان يعبر عنها بالنظام العشرى الذى آحاده درجات .

ولا شك أن استخدام هذا النظام الموحد (رغم صعوبته) كان له أثر كبير فى وضع أسس المنطق الرياضى ونظرية الأعداد مما كان له بعد ذلك فضل استخدام النظم الأخرى والتى ثبتت قيمتها العملية فى عصرنا الحالى إذ يستخدم عدة نظم مثل النظام الثنائى (أى الذى أساسه اثنين) على نطاق واسع فى الآلات الحاسبة الإلكترونية ــ النوع الرقمى ـ وكذلك تستخدم النظم الثمانية والأربع والستينية فى ترجمة الأرقام الثنائية التى تتعامل بها هذه الآلات .

انظر ــ حل المسائل الهندسية على الآلات الحاسبة الرقمية ـ باللغة الروسية .

تأليف كاجان ــ ترميكاثيليان ــ مطبعة الطاقة ــ موسكو ـ لينينجراد ١٩٦٤ . فى نظرية الأعداد انظر كذلك .

الجبر العالى ـ تأليف هول ، نايت ـ الترجمة العربية ـ وزارة المعارف العمومية ـ الجزء الثالث ـ المطبعة الأميرية ١٩٢٦ ص ٣٧٣ وما يليها .

ولقد أورد الجيلى فى رسالته جدول الضرب حتى ٥٩ × ٥٩ الذى يجب أن يحتفظ به الحُسَّاب فى حوزتهم ، ذلك أن تذكر حواصل الضرب الداخلة فيه وعددها ٥٩ × ٣٠ = ١٧٧٠ حاصلا ليس بمستطاع فى حين أن جدول الضرب العشرى يحتاج لتذكر ٩ × ٥ = ٤٥ حاصلا وهو أمر هين .

ويتكلم الكاشى عن هذا الجدول فى البابين الثالث والرابع من المقالة الثالثة من « مفتاح الحساب » ، ويورد الجيلى أيضا قواعد تحديد منازل (درجات) حاصل الضرب على الأساس الستينى الموحد وكذلك ناتج القسمة (كانت هذه القواعد موجودة أيضا لدى الخوارزمى ، غير أنها كانت خاصة بالجزء الكسرى فقط حيث أن الصحاح كانت عشرية النظام) .

انظر ــ الرسالة الحسابية لمحمد بن موسى الخوارزمى ـ باللغة الروسية .

أعمال معهد تاريخ العلوم والمعارف التكنيكية ــ الجزء الأول ـ ١٩٥٤ .

تأليف يوسسكيفتش ـ ص ٢١٢ .

أما خواص وقواعد حساب المتوالية الهندسية الناتجة عن استخدام هذه الكسور فترجع إلى أرشميدس ، وقد وردت

هـذه القواعـد أيضا فى مفتـاح الحسـاب فى البابين الثـالث والرابع من المقالة الثالثة .

ونرى كذلك أن الجيلى رغم أنـه قام بحساباتـه مستخدما النظـام الستينى الموحـد عنـدمـا يقـوم بـالضـرب والقسمـة واستخـراج الجـذر التـربيعى فإنـه عنـدمـا يستخـرج الجـذر التكعيبى فإنه يستخدم النظام العشرى .

ولا ينسب الجيلى إلى نفسه إنشاء النظام الستينى الموحد رغم أنـه لـلآن لم يكتشف أى نص لأى مـؤلف قبل الجيلى استخدام النظام الموحد .

ومن المرجح أن النظـام الستينى الموحد كـان مقصورا فى استخدامه على الحسابات الفلكية وحدها ، ويعزز هذا الرأى ما قرره النسوى - تلميذ الجيلى - فى مقدمة مؤلفه « الكفاية فى الحسـاب الهندى » أن كتـاب الجيلى هو مـؤلف موضـوع فى مسائل الفلك .

ولا نجـد أى شىء يتعلق بـالنظـام الستينى المـوحـد فى المـؤلفات التى ظهـرت فى الفترة بين الجيلى والكـاشى والتى امتدت نحـو أربعة قرون ، ولا يظهر هـذا النظام إلا فى بعض المؤلفات الرياضية العربيـة المنسوبة إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى . من كل هذا ومن كتاب الكاشى نفسه يمكن افتراض أن هذا النظـام الموحد كان مقصـورا على الاستخدام فى علم الفلك .

ولذا نجد أن الكثير من الـرياضيين الأوروبيين يستخدمون النظام الستينـى فى حساباتهـم فى الفترة الممتدة حتـى القرن السـادس عشر - استخدمه فينة فى ١٥٥٥ .

ونلاحظ أن الكاشى لا يستخدم ألفاظ « منازل » و « أبراج » ... إلخ ممـا لا يتسق مع وحدة وبسـاطـة الاستخدام للنظـام الستينى إلا فى القليل النـادر ـــ مثل وصفـه لعملية الضـرب - مقتـرحـا تحـويل أرقـام هـذه الخـانـات إلى النظـام الستينى العـادى .

وننقل فيمـا يلى بعض مـا جـاء فى الأبـواب التى ذكـرهـا الكـاشـى ، مع إدخـال مـا ورد فى كل منهـا من نظـم فـى مواضعـه :

١ - البـاب الأول : فى معرفة أرقامهم وكيفية وضعها :

أرقام أعدادهم على ترتيـب حروف أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ وهى ثمانية وعشرون حرفا ، تسعة آحاد وتسعة عشرات ، وتسعة مئات وواحد ألف .

وتركيب باقى الأعداد من هذه الحروف ، فتقدم الأكثر على الأقل ، وإذا تكرر عدد الألوف قدم عددها على حرف الغين ، وهو معروف بحساب الجمل ، مشهور مستعمل فى الزيجات وسـائر كتبهم فى العمل ، ولا يوضـع نقط الباء والجيم والـزاء والياء ولا يتم بدون الجيم ليتميز عن الحاء [٥٠] .

واعلم أن محيط الـدائرة يجـزون بثـلاثمـائة وستين قسمـا متساويـة ، ويسمون كل قسم درجة ، وكل ثـلاثين درجة من دائرة البروج تسمى برجا ، وهكذا فى الدوائر التى فى مفهومها حركـة تجوزا سوى معدل النهـار ، فيكون كل اثنى عشر بـرجا دورا ، ويقسمون كـل درجة بستين قسمـا متساويـة ، يسمون الدقائق وكل دقيقة بستين ثانية ، وكل ثانية بستين ثالثة ، وكل ثالثة بستين رابعة ، وهكذا إلى ما لا نهاية له .

والدرجـات إما توضع بتـركيب الحروف كما ذكـرنا ، وإذا جاوزت عن ثلاثمـائة وستين تطرح عنها ، وإما تـوضع ما كان أقل من بـرج ، ويـرفعون البـروج إلى يمين الـدرجـات ، وإذا جاوزت البروج عن اثنى عشر يطرحون عنها فى أكثر الحال .

ويضعـون الدقـائق على يسار الـدرجات ، والثـوانى على يسـار الدقـائق ، وعلى هذا بـالغا مـا بلغ فى جانب النـزول ، ونجعل هذا فى جانب الصعود ، يرفعون فى محاسباتهم لكل ستين درجـة أو غيـرهـا من الأعـداد الصحـاح بـواحـد تسمى بالمرفوع مرة .

ويـرفعون لكل ستين من المـرفـوع مرة إلى المـرفوع مـرتين وبعدهـا على الولاء ، وبـالمرفـوع ثلاث مرات ثـم أربع مرات وهكذا .

وبعضهم يسمونهـا بالمرفـوع والمثانى والمثـالث والمرابع إلى ما لا نهاية له .

ومواضعها فى الكتابة على يمين الدرج على الولاء .

فكما أن فى الحساب بالأرقام الهندية يرفع بكل عشرة إلى

اليسار ، فهاهنا يرفع بكل ستين إلى اليمين وكما أن هناك يسمى أول مراتب الصحاح بالآحاد ، فهاهنا يسمى بالدرج باسم المكان ، وكما أن سلسلة « ٦٩ » المراتب هناك كانت واحدة فهاهنا سلسلتان إحداهما فى جانب الصعود والأخرى فى جانب النزول ، والدرج وسط بين السلسلتين ، ونحن جعلناك هناك أيضا سلسلتين .

فمراتب المتسلسلتين كلها متوالية على نسبة واحدة ، ويضعون فى كل مرتبة لا يكون فيها العدد صفرا لئلا يتخلل ، وإذا وضعوا الأرقام فى الجدول يكتبون أسامى كل مرتبة فوق الجدول بإزاء تلك المرتبة ، وإلا يعينون أولى المراتب أو آخرتها ليتعين البواقى ، إلا إذا كانت القرينة دالة عليها .

ويسمى مفردا ما كان فى مرتبة واحدة فى أى متسلسلة كان ، ومجردا ما كان عقده واحدا ومركبا ما كان فى مرتبتين أو أزيد .

٢ ـ الباب الثانى : فى التصنيف والتضعيف والجمع والتفريق :

(أ) التضعيف (يأتى النظم عن التضعيف فيما بعد) :

أما التضعيف فنضع الأرقام ونبدأ من اليسار ونضعف ما فى كل مرتبة بصورته ، ونضع الحاصل تحته إن كان من الستين ، وإلا فما زاد عليه نرفع الستين بواحد إلى حاصل تضعيف ما فى يمينه ، ويكون رفع الدرجات إلى البروج بكل ثلاثين درجة .

مثال :

أردنا أن نضعف سبعة بروج وثمانى عشرة درجة ، واثنتين وعشرين دقيقة وتسع ثوان وثلاثا وخمسين ثالثة ، وضعناه هكذا فى الجدول .

بروج	درجات	دقائق	ثوان	ثوالث	
ز	يح	كب	ط	نج	ج
حـ	و	مد	نط	مو	١

ولو نخط بين كل مرتبتين خطا فهو أولى ، فبدأنا من اليسار وضعفنا نجـ حصل ا مو ، وضعنا مو نخط نجـ وحفظنا للرفع فى الذهن ، ثم ضعفنا ط حصل يح زدنا عليه الواحد المحفوظ فى الذهن حصل ط وضعناه تحت ط ، ثم ضعفنا كب صار مد وضعناه تحت كب ، ثم ضعفنا يح وهو درج فرفع برجا وبقى وضعناه تحت يح ، وضعفنا ر البروج ، وأسقطنا الدور من الحاصل بقى ب زدنا عليه الواحد الذى حصل «٧٠» بالرفع بلغ حـ وضعناه تحت ر فما حصل تحت العدد فهو المطلوب .

(ب) التنصيف :

وأما التنصيف فبدأنا من جانب اليمين وننصف ما فى كل مرتبة ، ونضع نصفه تحته إن كان زوجا وإلا الصحيح من النصف ، ويحفظ لكسر النصف الذى مع الصحيح إن كان برجا خمسة عشر فى الذهن وإلا يحفظ ثلاثين فى الذهن حتى إذا ننصف ما فى يساره نزيد المحفوظ على نصفه إن كان فى يساره عدد وإلا نضع المحفوظ تحت يساره .

مثاله هكذا :

ز	يح	كب	ط	نجـ		ج
حـ	كد	يا	د	نو	ل	٢

وأما الجمع فإن كان المزيد والمزيد عليه غير متفقين فى واحد من المراتب ، نضع ما كان مراتبه أعلى مراتب الآخر على يمينه ، ونربط بينهما بالأصفار إن احتيج إليها وهو ظاهر ، وإن كانا متفقين فى المراتب أو فى بعضها نضعهما بحيث يكون البروج حذاء البروج والدرج حذاء الدرج ، وكذا كل مرتبة حذاء جنسها ، ثم نبدأ من الجانب الأيسر ، ونزيد ما فى مرتبة على ما تحاذيه ، ونضع الحاصل تحتهما إن كان أقل من الستين ، وإلا فما زاد عليه ، ونرفع الستين بواحد إلى اليمين كما ذكرنا فى التنصيف ، ونخط بينهما وبين الحاصل خطا للتمييز :

مثاله هكذا :

أسامي المراتب	بروج	درجات	دقائق	ثواني
العددان اللذان نريد أن نجمعهما	د ط	كه يه	م كـ	يح حـ
الحاصل	ب	ما	ب	كا

ح٣

مثال آخر في الأعداد الكثيرة هكذا :

أسامي المراتب	مرفوع مرتيب	مرفوع مرة	درجات	دقائق	ثواني
الأعداد التي نريد أن نجمعهما		كـ مـ ل	يح ن بر	م مح نو	نا لو ـے
الحاصل	أ	لحـ	كو	مه	لر

ح٤

مثال آخر فيما لا يرفع الدرج إلى البروج هكذا :

مرفوع مرتين مرفوع من درجات

علامات المراتب	درجات المطالع	دقائق	ثواني	ثوالث
العددان اللذان نريد أن نجمعهما	قضب رعد	يح كـ	ما يحـ	ل م
الحاصل	قو	لح	نه	ـے

ح٥

حاشيـة : أقول وتصحيح الجدول الذى الـدرج لم ترفع ، أن نجمع ل م فيصير ا ب ، فوضعنا ـے تحتـه وحفظنا الواحد للرفع ، ثم جمعنا ما يحـ وزدنا عليه الواحد المحفوظ فصار نه ، فجمعنا يح كـ فصار لح ، فجمعنا ب د فصـار و ، ثم جمعنا ص ع فصـار ق س ثم جمعنـا ق ر فصـار ق ش ، وصـورة المجموع هكـذا ق س ق ش و وإذا أسقطنا الـدور شس يبقى قو وهو الذى رقمه فى سطر الحاصل (مفتاح الحساب / ٢٨٩ ـ ٢٩١) .

قال الموسوى القزوينى فى منظومته ، المشار إليها آنفا ، عن التنصيف :

ابـــدء بمـــا على اليســـار إن تـــرد
تنصيف أى عـــدد ممـــا تجـــد

وضـع لكـلٍّ نصفـــه مـــا تحتـــه
إن كـــان زوجـــا فيـــه مـــا نصَّفتـــه
وإن يكـن فـــردا فخـــذ صحيح مـــا
فـى نصفـــه وارسم كمـــا تقـــدمـــا
واحفـظ لكســـر النصف خمســـة تضم
لنصف مـــا على يمينـــه ارتسم
فإن خـــلا اليمين أو مـــا وجـــدا
فيـــه يكـــون واحـــدا لا أزيـــدا
فـــارسم بـــه الخمســـة عينـــا وإذا
تنصف الـــواحـــد فـــاعمل هكـــذا
وارسـم على مخـــرجـــه إذا فضـل
لـــديك كســـرحين ينتهى العمـل

(حـ) التفريق :

يقول الكاشى : وأمـا التفريق فنضع العددين كمـا ذكرنا ، ونبدأ من الجانب الأيسر وننقص ما فى كل مرتبة من المنقوص عما يحاذيـه من المنقوص منه ، وإن لم يمكن « ٧١ » نقصان ما فى مرتبـه عما يحاذيه نأخذ واحـدا مما فى يمين المنقوص منه فيكـون بالنسبـة إلى تلك المرتبة ستين فننقصـه منه ونـزيد الباقى على المحاذى من المنقوص منه .

مثاله :

أردنا أن ننقص هذا العدد د كـ ما مح ثانية عن هذا ح ط حـ ن ثانية .

وضعناهما كما ذكرنا ، وبدأنا من اليسار ، ونقصنا مح عن ن بقى ب وضعنـاه تحتـه ، ولما لم يمكـن نقصان بـا من حـ أخذنا عن ط واحدا كان ستين بالنسبة إلى مرتبة حـ و نقصنا ما منه ، وما بقى زدنا عليه حـ نـ وضعناه تحت حـ ، ولا يمكن نقصان كـ عن ح .

الباقى أخـذنا من البـروج واحدا كـان ثلاثين درجـة نقصنا كـ منه ، وما بقى زدناه على ح الباقى عن ط صار يو وضعناه تحت ط ثم نقصنا د عن ر الباقى من البـروج بقى حـ وضعناه تحت ح هكذا .

أسامي المراتب	بروج	درجات	دقائق	ثواني
المنقوص والمنقوص منه	د ح	كب ط	ما حـ	مح ى
الباقي	حـ	نو	نب	ب

وإن لم يكن المنقوص والمنقوص منه متفقين في المراتب أو في بعضها، نقص من آخر مراتب المنقوص منه واحدا، ونضع على يساره نط واحدا بعد واحد إلى أن يبلغ إلى مرتبة يكون آخر مراتب المنقوص، فنضع هناك س، ثم ننقص المنقوص من المنقوص منه .

ومن يقدر على هذه الأعمال لم يحتج إلى وضع الأعداد، ووضع الحواصل تحتها أو فوقها بل ينظر إلى الجداول التي فيها الأعداد، ويضع الحواصل في جداول أخرى، لكن للمبتدئين والمتعلمين هكذا أسهل، فلهذا بسطنا الكلام فيها (مفتاح الحساب / ١٠٦ ، ١٠٧) .

يقول عن التفريق الموسوى القزويني في منظومته المشار إليها آنفا :

ضع تحت كل مثلــــه إذا وجـــــد
وضع بـــه صفـــرا إذا منـــه فقـــد
وفـــرق المنقـــوص إمـــا تـــلا
أو كـــان للمنقـــوص منـــه مثـــلا
وان يـــزد فـــاطـــرح من المنقـــوص مـــا
بقـــدر المنقـــوص منـــه رسمـــا
ومـــا من المنقـــوص بعـــد ذا فضل
فـــاستثنـــه من بعـــد إتمـــام العمل
أمـــا إذا المنقـــوص منـــه جـــاءا
بصـــورة بهـــا تـــرى استثنـــاءا
فـــاجمع لـــذاك الفضل مـــا يستثنى
فيـــه وصيـــره معـــا مستثنى
وان يلك المنقـــوص وحـــده ورد
مستثنيـــا فيـــه من الجنس عـــدد
فكل مـــا استثنى فيـــه وضعـــا
يضم للمنقـــوص منـــه جمعـــا
ففيـــه جبـــر للـــذى منـــه سقط
بقـــدر مـــا زيـــد على الثـــانى فقط
وبعـــد ذا تجـــرى بـــه مـــا مـــرا
من عمل بـــه القيـــاس يجـــرى
على إذا استثنى فيهمـــا معـــا
تفعل مـــا مـــر عليك أجمعـــا

د ـ الجمع :

كما يقول عن الجمع :

حـــاصل جمع بعضهـــا لبعض
تـــرسمـــه مـــا تحت خط عـــرضى
مـــراعيـــا فيهـــا على القيـــاس
حكم المحـــاذاة من الأجنـــاس
واجمع لكل مثلـــه إذا اتفق
واعطف إذا مـــا اختلفت عطف النسق
والـــزائد ارسمـــه بجمع منفـــرد
ومثلـــه النـــاقص كيفمـــا وجـــد
واستثن مـــا يفضل بعـــد أن يحط
مـــا اشتـــركـــا فيـــه من الجنس فقط

(منظومة شعرية / ٧٣ ، ٧٤).

ويقول عن الجمع والتضعيف :

ارسم لـــدى الجمع سطـــورا مـــا ورد
مـــراعيـــا فيهـــا مـــراتب العـــدد
وضم كل عـــدد منهـــا إلى
مـــا في محـــاذيـــه وخـــذ مـــا حصلا
وانقل لسطـــر الجمع عين مـــا تجـــد
منـــه إذا كـــان محـــاذيـــه فقـــد
وارسم بـــه حـــاصل ذاك الضم
مخصصـــا آحـــاده بـــالـــرسم

واحفظ لـديك واحـدا ممـا حصل
لكل عشـرة فـذا عنهـا بـدل
وزده فـى المـرتبـة التـى تلـى
وهكـذا إلـى انتهـاء العمـل
فـإن خلـت عـن عـدد منهـا فضـع
صـورتـه عينـا بسطـر مـا اجتمـع
وهكـذا تعمـل فـى سـواهـا
مـرتبـة مـرتبـة تـرعـاهـا
مبتـدئـا مـن اليمـين فيـه
ومثـل ذا تضعيـف مـا تبغيـه
فـاجمـع إلى أمثـالهـا المـراتـب
فيـه ورسـم المثل غيـر واجـب

(منظومة شعرية / ٧٣ ، ٧٤ ، ٦٣) .

ونكتفي بما ذكرناه من البابين الأول والثاني من حساب الستين كما أورده الكاشي في « مفتاح الحساب » ويمكنك إن شئت الاستزاده الرجوع إلى المصدر ص ١١٣ ـ ١٢٨ .

(« رسالتان في الحساب العربي » ـ تحقيق د. أحمد سليم سعدان . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية . م ١٣ جـ ١ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ م / ٤٣ ـ ٤٥ ، ومنظومة شعرية فى الحساب للسيد محمد حسين الموسوى القزوينى ـ إعداد وتصويب ونشر نورى محمد حسين / ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٦٣ ، ومفتاح الحساب لجمشيد غياث الدين الكاشى ـ تحقيق وشرح الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ود. محمد حمدى الحفنى الشيخ / ٢٨٩ ـ ٢٩١ هامش ٥١ للمحققين ، ١٠٣ ـ ١٠٧) .

* **الحساب (علم ـ) :**

يعدد صاحب مفتاح السعادة هذه الفروع وهى : علم الجبر والمقابلة (انظر فى موضعه) علم حساب الخطأين ، علم حساب الدور والوصايا ، علم حساب الدرهم والدينار ، علم حساب الفرائض ، علم حساب الهواء ، علم حساب العقود ، ونوردها تحت عناوينها مع تأخير لفظ « علم » كما تعودنا ، وعلم أعداد الوفق وقد أوردناه فى حرف الألف فى م ٥ / ٣١١ ، ٣١٢ ، وعلم خواص الأعداد المتحابة ويأتى فى حرف الخاء إن شاء الله تعالى وعلم التعابى العددية فى الحروب وقد أوردناه فى مادة « التعبئة فى العسكرية الإسلامية » م ٩ / ٥٣٣ ـ ٥٤٩ .

وقد أورده القنوجى فجمع بين ما جاء فى مفتاح السعادة ، وكشف الظنون ، ومدينة العلوم ، ومقدمة ابن خلدون فقال .

علم الحساب هو علم بقواعد تعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة من الجمع والتفريق والتضعيف والضرب والقسمة والمراد بالاستخراج معرفة كمياتها .

وموضوعه العدد ؛ إذ يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، والعدد هو الكمية المتألفة من الوحدات ، فالوحدة مقومة للعدد ، وأما الواحد فليس بعدد ولا مقوم له . وقد يقال لكل ما يقع تحت العد فيقع على الواحد .

ومنفعته ضبط المعاملات وحفظ الأموال وقضاء الديون وقسمة المواريث والتركات وضبط ارتفاعات الممالك وغير ذلك ، ويحتاج إليه فى العلوم الفلكية وفى المساحة والطب وقيل : يحتاج إليه فى جميع العلوم بالجملة ، ولا يستغنى عنه ملك ولا عالم ولا سوقة ، وزاد شرفا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وبقوله تعالى : ﴿ ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ [يونس : ٥] وقوله تعالى : ﴿ فاسأل العادين ﴾ [المؤمنون : ١١٣] ولذلك ألف فيه الناس كثيرا ، أو تداولوه فى الأمصار بالتعليم للولدان . ومن أحسن التعليم عند الحكماء الابتداء به لأنه معارف متضحة وبراهينه منتظمة فينشأ عنه فى الغالب عقل مضىء يدل على الصواب ، وقد يقال : إن من أخذ نفسه بتعلم الحساب أول أمره يغلب عليه الصدق لما فى الحساب من صحة المبانى ومنافسة النفس فيصير له ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا ، وهو مستغلق على المبتدئ إذا كان من طريق البرهان .

وهذا شأن علوم التعاليم لأن مسائلها وأعمالها واضحة ، وإذا قصد شرحها وهو التعليل فى تلك الأعمال ظهر من

العسر على الفهم ما لا يوجد فى أعمال المسائل . وهو فرع علم العدد المسمى بالأرتماطيقى (انظره فى م ٣ / ٥٥٩ ـ ٥٦١) وله فروع أوردها صاحب « مفتاح السعادة » بعد أن جعل علم العدد أصلا وعلم الحساب مرادفا له مع كونه فرعا حيث قال : الشعبة الثامنة فى فروع علم العدد ، وقد يسمى بعلم الحساب فعرفه بتعريف مغاير لتعريف علم العدد . قال فى (مدينة العلوم) : ولعلم الحساب فروع منها علم حساب التخت والميل وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد وتغنى عما عداها بحفظ المراتب، وتنسب هذه الأرقام إلى الهند انتهى .

وقال صاحب الكشف : بل هو علم بصور الرقوم الدالة على الأعداد مطلقا ، ولكل طائفة أرقام دالة على الآحاد كالأرقام الهندية والرومية والمغربية والإفرنجية والنجومية وغيرها . ويقال له : التخت والتراب أيضا انتهى (فى كشف الظنون ١ / ٦٦٣ » التخت « بالحاء المهملة ، وكذلك فى مفتاح السعادة ١ / ٣٦٨) .

ونفع هذا العلم ظاهر؛ ولابن الهيثم كتاب برهن فيه بمعرفة أصول أعماله ببراهين عددية لما فيه من تسهيل الأعمال الحسابية . ومن الكتب الشاملة فيه كتاب نصير الدين الطوسى ، وكتاب البهائية وشرحه ، وكتاب المحمدية لعلى القوشجى وغير ذلك من الكتب التى لا تحصى . ولأهل المغرب طرق ينفردون بها فى الأعمال الجزئية من هذا العلم فمنها قريبة المآخذ كطرق ابن الياسمين ، ومنها بعيدة كطرق الحضار. كذا فى المدينة .

(أبجد العلوم جـ٢ ق ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩١) .

لقد أولى علماء المسلمين العمليات الحسابية اهتماما كبيرا ، إذ أنهم اعتبروا علم الحساب من أهم العلوم التى يحتاج إليها فى المعايش اليومية والمعاملات والمبادلات التجارية وقسمة الإرث وما إلى ذلك من أمور، وقد وردت كتابات كثيرة فى التعريف بعلم الحساب وفضل هذا العلم وعظم نفعه ، وتشتمل عمليات الحساب الأساسية على عمليات التضعيف والجمع والطرح والضرب والتنصيف والتفريق والقسمة ، كما أن عمليات الحساب هذه يمكن إجراؤها على الأعداد الصحيحة ، فتعرف بحساب الصحاح ، كذلك يمكن إجراؤها على الكسور فتعرف بحساب الكسور .

وسنشير هنا بإيجاز إلى مفهوم العرب للعمليات الحسابية عموما :

التضعيف هو زيادة مثل العدد ، أى أن تضرب العدد فى اثنين .

الجمع أو الضم : هو ضم عدد إلى عدد أو أكثر ليعبر عن الحاصل بجملة واحدة .

الطرح : هو رمى أو إلقاء أو إسقاط عددمن عدد مرة أو أكثر، عرفه ابن البناء المراكشى (١٢٥١ ـ ١٣٢١ م) بقوله هو طلب الباقى بعد إسقاط أحد العددين من الآخر .

الضرب : هو تضعيف أى تكرير أحد المضروبين بعدة آحاد الآخر، وعملية الضرب على أنواع ، فمنها ضرب بتنقيل ، وضرب بلا تنقيل ، وضرب بنصف تنقيل .

التنصيف : هو أخذ نصف العدد، أى أن تقسم العدد الذى تريد تنصيفه على اثنين .

التفريق أو القسمة : هو حل المقسوم إلى أجزاء متساوية ، عدتها كعدة آحاد المقسوم عليه ، وهى نوعان : أحدهما القمسة على غير مجانس ، كقسمة دراهم على رجال، والغرض من هذا النوع معرفة ما يخص الواحد منهم ، والنوع الثانى القسمة على مجانس كقسمة دراهم على دراهم، والغرض منه معرفة نسبة أحد المقدارين إلى الآخر. قسمة القليل على الكثير تلقبها المغاربة بالتسمية لتسمية القليل من الكثير .

هذا وقد فرق علماء المسلمين بين إجراء عمليات الحساب بطريق التدوين وبين إجرائها عملا بالفكر دون تدوين ، فسموا النوع الأول « حساب التخت أو الغبار » وسموا النوع الثانى « بالحساب الهوائى » فالنوع يقصد به الحساب المكتوب حيث يستعمل الورق أو التخت يفرش عليه رمل أو غبار، ومن هنا جاءت تسميته بالغبار، وأما النوع الثانى فهو

الحساب الذهنى الذى يتم بإعمال الفكر دون استخدام القلم، ويسمى أيضا « بالحساب المفتوح » .

ونسوق فيما يلى بعض الكتابات العربية التى تعرف بعلم الحساب وتشيد بفضله وعلو نفعه .

وعن التعريف بعلم الحساب وفضله يقول المؤلفان :

يقول ابن خلدون فى الفصل الرابع عشر من مقدمته : «فى العلوم العددية » معرفا بعلم الحساب :

« ومن فروع علم العدد صناعة الحساب .

وهى صناعة علمية فى حساب الأعداد بالضم والتفريق : فالضم يكون فى الأعداد بالإفراد وهو الجمع .

وبالتضعيف تضاعف عددا بآحاد عدد آخر، وهذا هو الضرب .

والتفريق أيضا يكون فى الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد، ومعرفة الباقى، وهو الطرح .

أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلته، وهو القسمة .

وسواء كان هذا الضم والتفريق فى الصحيح من العدد أو الكسر.

ومعنى الكسر نسبة عدد إلى عدد، وتلك النسبة تسمى كسرا .

وكذلك يكون بالضم والتفريق فى الجذور، ومعناها العدد الذى يضرب فى مثله، فيكون منه العدد المربع، فإن تلك الجذور أيضا يدخلها الضم والتفريق .

وهذه الصناعة حادثة احتيج إليها للحساب فى المعاملات، وألف الناس فيها كثيرا، وتداولوها فى الأمصار بالتعليم للولدان . ... »

ويقول الشيخ عبد الله الشنشورى فى شرحه على كتاب «الوسيلة فى علم الحساب » لابن الهائم (مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٤٢ ، الصحيفة ٣) .

« علم الحساب هو مزاولة الأعداد بنوعى التفريق والجمع، وقال بعضهم هو عبارة عن كيفية استخراج المجهولات العددية من معلوماتها ، وهو قسمان : الأول حساب المعلوم ، والثانى حساب المجهول .

وإنما كان علم الحساب على قسمين، لأنه إما أن يكون الغرض منه معرفة المجهولات من المفروضات المعلومات كلها ابتداء، أو يكون الغرض منه معرفة المجهولات من المفروضات المعلوم بعضها والمجهول بعضها الآخر، إذا كانت بينها وصلة تقتضى ذلك .

فالقسم الأول ويسمى بالمعلوم وبالمفتوح أيضا نوعان ، لأنه إما أن يكون محسوبا بالفكر من غير قلم ، فهو العلم الهوائى ، وإما أن يكون محسوبا بالقلم بوضع أشكال هندية أو غبارية، فهو علم الغبار، ورسموه بأنه علم يعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية وسرعتها بوضع الأشكال الهندية أو الغبارية .

والقسم الثانى ويسمى بالمجهول نوعان أيضا ، لأنه إما أن يفرض فيه المجهول مبهما كالشىء والمال والكعب وغيرها، أو لا يفرض فيه كذلك ، فإن كان الأول فهو علم الجبر والمقابلة، وإن كان الثانى فهو ما يستخرج بالنسبة ، والخطأين، وغيرهما ، مما استخرجوا به المجهولات » .

كذلك يعرض الشيخ عبد الله بن بهاء الدين محمد العجمى الشنشورى الشافعى (ت ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م) إلى بيان فضيلة علم الحساب، فيقول فى كتابه « بغية الراغب فى شرح مرشدة الطالب » (مخطوط بالمكتبة الأحمدية بحلب ــ رقم ١٢٤٢ ، الصحيفة الأولى) .

« اعلم أيها الطالب، وفقنى الله وإياك ، أن علم الحساب من العلوم القديمة المطلوبة ، ويحتاج إليه فى كثير من العلوم، واتفق العلماء وأهل المدن قديما وحديثا على محبته ومدحه والاعتناء به » ...

وقال القحطانى (مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٤٢ ، الصحيفة الأولى) .

« لولا الحساب وضربه وكسوره
لتخاصم البنتان والولدان »

كذلك جاء فى ذكر فضائل علم الحساب النظم التالى :

(عن مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩٨٥ بعد متن رسالة برهان الدين الشربيني : « تشنيف السامع بعلم حساب الأصابع ») .

« وبعد فالحساب علم نافع
ولا يشك في مقالي سامع
وإنه عند عزيز الفهم
أشرف قدرا من كثير العلم
به يقوم القسط في المصاري
ويعرف الحق بلا تماري
وتقسم الزكاة في الأموال
والإرث للنساء والرجال
هذا وإن العلما صنفوا
في علم ذاك كتبا وألفوا
حتى أتوا بكل تصنيف بهي
ينفع به كل مبتد ومنتهي »

هذه بعض نماذج مما سطره العرب والمسلمون نثرا ونظما في فضل علم الحساب وأهمية تعلمه، ومدى فائدته في معاملات الناس، ومن ثم فإن الحضارة الإسلامية تزخر بعدد هائل من المصنفات الخاصة بعلم الحساب في شتى نواحيه (العلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية / ٦٧ ـ ٧٢) .

ونحن نجد أن الإمام لابن غلبون، في شرحه على الرحبية، يحرص على إفراد باب للحساب الحقيقي (أي غير حساب الفرائض) ، وذلك لأهميته ، وباعتبار أن صاحب الرحبية قد أغفله ، ومن ثم يقول : اعلم أن علم الفرائض مشتمل على ثلاث جمل: الفقه، والحساب ، والعمل. وهو الذي ذكره المصنف في هذا الباب وأطلق عليه أنه حساب لأجل تأصيل المسائل وتصحيحها .

وحاصله أن المصنف ذكر اثنين : الفقه، والعمل، ولم يذكر الحساب الحقيقي، مع أنه لا بد للخائض في هذا الفن (أي فن الفرائض) من معرفته لعدم استغناء مسائل الفرائض عنه . فينبغي تعلمه و إتقانه لكون ذلك وسيلة إلى المطلوب .

وها أنا أذكر لك نبذة صالحة منه والله الموفق للصواب .

ثم يبدأ ابن غلبون في الكلام على علم الحساب وأبوابه مما ننقله لك فيما يلي بتمامه إذ ينبني عليه نظم الأخضري الذي يعقبه مع ملاحظه أننا تركنا الأرقام المستعملة في المغرب العربي يقول ابن غلبون :

واعلم قبل ذلك أيها الطالب أن علم الحساب من العلوم القديمة المطلوبة، ويحتاج إليه في كثير من العلوم .

واتفق العلماء وأهل الرأي قديما وحديثا على محبته والاعتناء به قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : من تعلم الحساب جزل رأيه . وقال الفقيه أبو الحجاج الطرطوشي :

إن علم الحساب علم رفيع
فيه عون أن تشتري وتبيع
لم يضع قط درهم بحساب
وألوف بلا حساب تضيع

وقال بعضهم :

إن الحساب من العلوم جليل
وعلى دقيقات الأمور دليل
فاحرص على [علم] الحساب فإنه
برياضة المستضعفين كفيل
لولا الحساب لعلم كل فريضة
لم يعلم التحريم والتحليل

وقال ابن هيدور:

الحساب ركن من أركان الدين ، وبه تعرف القبلة وأوقات الصلاة، وبه حساب الأعوام والشهور والأيام، وجرى الشمس في البروج، وحركات الكواكب، وحلول القمر في المنازل، ومعرفة الساعات النهارية والليلية . وأكثر مسائل علم الفقه الشرعي يدخل فيها الحساب، من العبادات وغيرها وبين ذلك وأطال ثم قال : وأكثر المسائل الفقهية يدخلها العدد.

وكفى بالحساب جلالة وشرفا أنه صفة من صفات الكمال إذ اتصف به الجليل جل جلاله فأضافه إليه تعالى في قوله :

﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقال تعالى :

﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام : ٦٢] وقال تعالى مضعفا لعلم الحساب : ﴿ وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [يونس : ٥] .

فهذا كله دليل على فضل الحساب وجلالته والله أعلم .

أبواب الحساب

وقد اشتمل علم الحساب على سبعة أبواب :

الأول : فى صورة حروفه .

الثانى : فى الجمع .

الثالث : فى الضرب .

الرابع : فى القمسة .

الخامس : فى الطرح .

السادس : فى الاختيار.

السابع : فى التسمية .

وها أنا أذكرها لك جميعا إلا باب التسمية ، وهو باب الكسور فانظره فى محله إن شئت .

وأما باب الاختيار فألحق كل باب اختباره ولم أجعل له من النثر بابا .

الباب الأول : فى صور حروفه وهى تسعة .

هندية هكذا : ٩٨٧٦٥٤٣٢١

وغبارية هكذا : 987654321

ثم مراتبها أربعة : آحاد ، وعشرات ، ومئون ، والآف فالأولى مرتبة الآحاد والثانية مرتبة العشرات ، والثالثة مرتبة المئين ، والرابعة مرتبة الآلاف .

وهذا معنى قولهم أحد ، عشر ، مائة ، ألف .

ثم تعود مرتبة الآلاف أحادا بالنسبة لما بعدها .

تقول : آحاد آلاف ، عشرة آلاف ، مئو آلاف،آلاف آلاف .

ثم ألف ألف آحاد لما بعدها وهكذا ما تناهت المراتب وامتدت .

فصورة الواحد ، والعشرة ، والمائة ، والألف واحدة والمراتب تبين ، . فإن وجدته فى المرتبة الأولى فواحد ، وفى الثانية عشرة وفى الثالثة مائة ، وفى الرابعة ألف ، وفى الخامسة عشرة آلاف ، وفى السادسة مائة ألف ... إلخ .

وهكذا الاثنان إلى التسعة .

فإذا قيل لك نزل أحد عشر ومائة ألف وعشرة آلاف ومائة ألف فضعها هكذا (111111) أو اثنين وعشرين ومائتين وألفين وعشرين ألفا ومائتى ألف هكذا : (222222)

وكذلك الثلاثة وما بعدها قياسا على الواحد والاثنين ولا يخفى .

الباب الثانى فى الجمع :

وهو ضم الأعداد بعضها إلى بعض ليتلفظ بها بلفظ واحد وهذا الباب على ثلاثة أقسام :

[أ] الأول : يرفع من المجموعين آحادا لا غير .

[ب] الثانى : أن يرفع منهما عشرات لا غير .

[جـ] الثالث : أن يرفع منهما آحادا وعشرات .

والعمل فيه أن تجمع الآحاد إلى الآحاد ، والعشرات إلى العشرات كل واحدة إلى نظيرتها ، وكذلك المئون والآلاف إلى آخر الأعداد .

مثال : ما إذا ارتفع لك من المجموعين آحادا لا غير إذا قيل لك جمع أربعة وخمسين وسبعمائة ، إلى خمسة وثلاثين ومائتين .

فضع ذلك هكذا .

754
235
―――
989

واجعل خطا تحت الجمع اجمع الأربعة مع الخمسة تكن تسعة . ضعها تحت الخط مسامتة للمجموعين .

ثم الخمسة مع الثلاثة تكن ثمانية ضعها تحتها .

ثم السبعة مع الاثنين تكن تسعة ضعها أيضا تحتها ، يكن الخارج تسعة وثمانين وتسع مائة .

واختباره

إنك تطرح الخارج تسعة ، وما فضل فاجعله فوق ناحية خط مقطوع بخط . وإن لم يبق شىء فضع صفرا .

ثم احسب جميع المجموع واجعله كله آحادا وأسقطه

أيضا تسعة تسعة فإن بقي لك شيء مثل ما بقي من الخارج فضعه على ناحية الخط المقطوع الثانية ، والعمل صحيح ، وإلا ففاسد .

ففي المثال المذكور طرحنا الخارج تسعة تسعة بقيت ثمانية وضعناها هكذا : 8 | 8 ثم طرحنا المجموعتين كذلك ، فوجدنا الباقي ثمانية وهي المقابلة للثمانية وضعناها على ناحية الخط الثانية . فعلمنا أن العمل صحيح .

وهذا اختبار الجمع في جميع ما يرد عليك .

ومثال ما إذا ارتفع لك من المجموعين عشرات لا غير إذا قيل لك : اجمع ثلاثة وسبعين وأربعمائة إلى سبعة وعشرين وخمسمائة فضع ذلك هكذا :

473
527
1000

ثم اجمع الثلاثة إلى السبعة يجتمع لك عشرة، ضع تحت الخط صفرا، وادخل أيضا بالعشرة بصورة الواحد على السبعة تكن ثمانية مع الاثنين يجتمع عشرة ضع أيضا صفرا وادخل بالعشرة على الأربعة تكن خمسة مع الخمسة يجتمع لك عشرة أيضا ضع تحتها صفرا واجعل العشرة صورة واحد بعد الصفر تحت الخط يكن الخارج ألفا . واختباره كالأول .

ومثال ما إذا اجتمع لك آحاد وعشرات ، إذا قيل لك اجمع سبعة وستين وثلاثمائة إلى ثمانية وتسعين وتسعمائة فضع ذلك هكذا :

367
998
1 365

ثم اجمع السبعة مع الثمانية تكن خمسة عشر ضع تحت الخط خمسة ، وادخل بالعشرة بصورة الواحد على الستة والتسعة تكن ستة عشر، ضع تحت الخط الستة ، وادخل أيضا بالعشرة بصورة الواحدعلى الثلاثة والتسعة تكن ثلاثة عشر ضع الثلاثة تحتها بصورة الواحد بعدها يكن الخارج ألفًا وثلاثمائة وخمسة وستين. واختباره كالأول أيضًا .

والدخول بالعشرة بصورة الواحد، والعشرين بصورة الاثنين، والثلاثين بصورة الثلاثة ... إلخ .

فإذا قيل لك انزل واحدًا ضعه هكذا (1) وعشرة هكذا (10) ومائة (100) هكذا وألفا هكذا (1000) إلى آخر المراتب .

والصفر لا يحسب بل يدل على منزلته ويحفظها وقس على ذلك والله الموفق للصواب .

الباب الثالث : في الضرب الصحيح

وهو: تضعيف العدد بقدر ما في الآخر من العدد .

فإذا قيل لك اضرب اثنين في اثنين، فكرر الاثنين مرتين يكن الحاصل أربعة .

والثلاثة في الثلاثة تسعة، والأربعة في الأربعة ستة عشر، والتسعة في التسعة واحد وثمانون، إلى آخر ما أردت .

وله أنواع أفيدها ضرب المجنح .

وهو: أن تجعل أحد المضروبين في سطر أعلا كل مرتبة في مرتبتها .

والثاني في سطر آحاده تحت آخر السطر الأول . وعشراته بعد ذلك ... إلخ .

وتجعل على الأول خطا إلى أن تنتهي إلى آخره . ثم تجنحه وتمده على السطر الثاني ... إلخ .

ثم تضرب آخر الأول في آخر الثاني ، وما خرج ضعه فوق الخط ، آحاده مسامتة لآخر الثاني، وعشراته بعد ذلك يسرة على الخط .

ثم كذلك التي قبلها إلى أن تنتهي جميع مراتب الثاني كلها مع آخر الأول .

ثم تحوز آخر الأول مع جميع الثاني بخط وتقهقره بأن تجعل آخر الثاني تحت الذي يليه يمنته ثم الذي تحت الذي يليه يمنته .

ثم الذي يليه تحت الذي يليه أيضا إلى أن تجعل آحاده تحت الذي يلي الآخر، واضربه في الآخر كما فعلت في آخر الأول بدءا ووضعا إلى أن تنتهي جميع مراتب الثاني مع ثاني الأول .

ثم كذلك تقهقره ذلك في جميع مراتب الأول إلى أن تنتهي ولا خفاء .

مثـالـه : إذا قيل لك اضــرب خمسـة وسبعين فى أربعـة وثلاثين فضع ذلك .

هكذا :

2550

20

15

28

21 | 7 | 5

34

34

ثم اضرب السبعـة آخر الأول فى الثلاثة آخر الثـانى يخرج واحد وعشرون .

ضع الـواحد مسـامتا للثـلاثة على الخط والعشـرين على صورة الاثنين يسرته .

ثم اضرب السبعة فى الأربعة يخـرج ثمانية وعشرون . ضع الثمانية على الخط مسامتة للأربعة والعشرين على الواحد فى المراتب يسـرته على صورة الاثنين . ثم تحز السبعـة مع كامل الثانى وتقهقـر الثلاثة بأن تجعلهـا تحت الأربعة تحت الخط والأربعة تحت الخمسة أول الأول .

وتضـرب الخمسـة فى الثـلاثة يخـرج خمسـة عشـر ضع الخمسة مسامته للثلاثة فوق الثمـانية والعشرة فوق التى يسرتها على صورة الواحد فوق الاثنين والواحد .

ثم تضرب الخمسـة فى الأربعة يخرج عشـرون . ضع فوق الخط سمت الأربعـة صفرا والعشـرين على صورة اثنين فـوق التى يسـرتهـا فـوق الخمسـة والثمـانيـة ثم تجعل خطـا فـوق المجموع الذى فوق الخط .

وتجمع مـا فـوق الخط كـالجمع الأول يكن الخـارج فى المثال المذكور ألفين وخمسمائة وخمسين .

واختباره :

بأن تطرح الخارج تسعا تسعا وما بقى فاحفظه .

ثم اطـرح السطـر الأعلى المضـروب الـذى تحت الخط كذلك وما بقى فاحفظه ثم صحح .

ثم اطرح السطـر الثانى المضروب فيه كـذلك وما بقى من السطر الثانى فاضربـه فيما بقى من السطر الأول وأسقطه أيضا تسعا تسعا .

وما بقى فقابـل ما بقى من الخارج بعد الطـرح . فإن ماثله فالعمل صحيح ، وإلا ففاسد .

ففى المثال المذكور وجدنا الخارج خمسة وخمسة واثنين المجمـوع اثنا عشـر طرحنـا منها تسعـة بقى ثلاثـة وضعناهـا هكذا :

3|3

ثم وجدنا السطر الأول المضروب خمسة وسبعة المجموع اثنا عشر طرحنا تسعة بقى ثلاث خفضناها . ثم وجدنا السطر الثانى الأصل المضروب فيه أربعـة وثلاثة ، المجموع سبعة . ضـربناهـا فيما بقى من السطـر الأول وهى ثلاثـة خرج واحـد وعشرون .

طرحناهـا تسعة بقى ثلاثة ضعها مقابلـة لما فى الخارج ، فعلمت أن العمل صحيح . وهكذا اختبار كل مجنح .

واضرب وقس على هذا ما يرد عليك . اختباراً وضرباً .

تنبيه

اعلم أنك إذا وجـدت صفرا فى وسط مـراتب السطر الأول المضـروب وقبله عـدد فقهقـر له ، واجعل صفـرا فـوقه فـوق الخط ، وحزه بخط مع جميع الثانى ، وقهره للذى يلى إلى آخر ما تقدم .

وإذا وجـدت صفرا أو أصفـارا متطرفـة فـلا تقهقر لهـا بل اجعل كل صفر سمته فوق الخط .

مثال : مـا إذا توسط صفر أو تطـرف فى أى منزلـة كان إذا قيل لك اضرب :

عشـــرين وألفين فى أربعين وعشـــرة آلاف فـــاجعل ذلك هكذا :

20280800

08

00000

2|2   2 8 | 2 | 0 | 2 0

2 0 0

1 0 0 4 0

1 0 0 4 0

1 0 0 4 0

ثم اضرب الاثنين آخر الأول فى الواحد آخر الثانى يخرج اثنان، لأن المضروب في الواحد أبدا هو المضروب عينه . مسامتة للواحد فوق الخط .

ثم الاثنين من الصفر قبل آخر الثانى بصفر، لأن المضروب فى الصفر أبدا صفر، ضعه فوق ثم كذلك الصفر الثاني... إلخ الثانى .

وتحزه وتقهقر الواحد بأن تجعله تحت الصفر، والصفر تحت الصفر الثانى ، والثانى تحت الأربعة والأربعة تحت الصفر والصفر تحت الصفر الأعلى الذى يلى آخره، وضع صفرا مسامتا للأعلى فوق الخط ثم تحزه أيضا مقهقرا للاثنين وتضربها كما تقدم .

ثم تجعل الصفر المتطرف فى الأول فوقه ولا تقهقر له وتجمع وتختبر كما تقدم يكن الخارج فى المثال المذكور عشرين ألف ألف ومائتى ألف وثمانين ألفا وثمانمائة .

واختباره : اثنان صحيح .

وإذا قيل لك اضرب مائة فى مائة فاجعل ذلك هكذا :

```
10000
------
  000
   ___
10|100
------
  100
```

وقس على ذلك ولا يخفاك .

الباب الرابع : فى القسمة

وهو باب مهم ، والعمل فيها أن تضع المقسوم فى سطر وتجعل تحته خطا .

وتضع تحت آخر المقسوم المقسوم عليه إن ساواه أو كان أقل منه .

وإن كان المقسوم عليه أكثر فضعه تحت الذى يلى الآخر والآخر عدد عشرات .

ثم تفنى ذلك العدد المقوم عليه ، وتجعل عدد مرات الفنى تحت السطر مسامتة لذلك المُفْنَى .

وإن زاد شيء تجعله فوق المفنى .

ثم تجعل المقسوم عليه تحت الذى يليك يمنته من المقسوم .

والزائد يكون بالنظر لذلك عشرات .

فإن لم يكن زائدا وساوى المقسوم عليه المقسوم المسامت له أو كان أكثر منه فنيته به ، وجعلته كالمتقدم .

وإلاَّ ضع تحته صفرا واجعل المقسوم عليه تحت الذي يمنته من المقسوم الذي انتقلت منه يكون عدده عشرات وتفنى ذلك كذلك إلى آخر المقسوم .

مثال ذلك :

إذا قيل اقسم : ألفين ومائتين وعشرة على أربعة فضع ذلك هكذا .

```
21| 2
------
 2210
  444
------
  552
```

ثم اجعل الأربعة المقسوم عليها تحت التى تلى آخر المقسوم ، لأن آخر المقسوم اثنان أقل من المقسوم عليه .

ثم تفنى به اثنين وعشرين ففيها خمس مرات ضعها تحت الخط مسامتة ويبقى اثنان .

ضعها فوق الاثنين مسامتة أيضا .

ثم ضع المقسوم عليه الأربعة يمنة تحت الواحد وافنى بها واحدا وعشرين فتفنى ذلك خمس مرات ضعها أيضًا تحت الخط يبقى واحد ضعه فوق الواحد على رأسه ثم ضع الأربعة المقسوم عليها تحت الصفر يمنة وإفنى فيها العشرة تفنيها مرتين . ضعها يمين الخمسة ويبقى لك اثنان اخرجهما زائدين .

يكن الحاصل لكل واحد من الأربعة ما تحت الخط وهو خمسمائة واثنان وخمسون .

والاثنان المذكوران زائدان .

واختبار ذلك : إن تضرب بالمجنح الأربعة المقسوم عليها فيما خرج وزده الزائد بعد الضرب ، إن كان صحيحا يخرج لك كل المقسوم وإلا ففاسد .

[مثال ثان]

وإن قيل لك اقسم : ألفا وخمسمائة وثمانية على أربعة وعشرين فضع ذلك هكذا :

6|20
1508
2424
62

ثم تجعل الأربعة والعشرين المقسوم عليه تحت الصفر وافنى بها مائة وخمسين لأن الواحد أقل من الأربعة والعشرين، وكذلك الخمسة عشر كما عرفت فتفنيها ست مرات؛ يبقى ستة ضعها علي رأسها.

واجعل الأربعة والعشرين تحت الثمانية وافني بها ثمانية وستين تفنيها مرتين ضعها يمين الستة تحت الخط تبقى عشرون زائدة. ؟

يكن الحاصل لكل واحد اثنان وستون من غير الزائد.

مثال ثالث

وكذلك إذا قيل لك اقسم ثلاثة الآف وخمسمائة على أربعة وعشرين فضع ذلك هكذا :

1114 20
3500
242424
145

ثم تفنى الخمسة والثلاثين بالأربعة والعشرين، تفنيها مرة ضعها تحت الخط ويبقى أحد عشر ضعها على رأس الخمسة واجعل الأربعة والعشرين تحت الصفر يمنته وافن بها مائة وعشرة لأن الأحد عشر بالنظر إلى الصفر مائة تفنيها أربع مرات ضعها تحت الخط يمين الواحد وتبقى أربعة عشر ضعها يمين الأحد عشر فوق الخط ثم اجعل الأربعة والعشرين تحت الصفر الثاني وافن بها مائة وأربعين تفنيها خمس مرات وتبقى عشرون زائدة.

يكن الخارج لكل واحد من الأربعة والعشرين مائة وخمسة وأربعين من غير العشرين الزائدة. واختباره كما عرفت.

وافعل كذلك في جميع ما يرد عليك، وقس على ذلك والله الموفق.

الباب الخامس : في الطرح

وهو إسقاط قليل من كثير لتعلم الفضلة بينهما. والعمل فيه : أنك تضع المطروح منه في سطر أعلى وتضع المطروح تحته، كل مرتبة مسامتة لنظيرتها آحادا أو غيرها إن وجدت وإلا فصفر.

ثم تجعل خطا تحت السطرين.

وتبدأ بطرح الآحاد، فإن تساويا فضع تحت الخط صفرا وإن زاد عدد المطروح منه على المطروح فاجعل ذلك الزائد تحت الخط مسامتة.

وإن زادت مرتبة المطروح على المطروح منه فزدها عشرة هوائية، واطرح من الجميع ذلك العدد، وما بقي ضعه تحت السطر.

ثم تدخل بالعشرة الهوائية المذكورة بصورة الواحد تجمعه مع التي تليها يسرته من المطروح، واسقط الجميع من المرتبة العليا إن تساويا أو كان أقل، وإلا فزد أيضا عشرة وافعل كما تقدم.

والحاصل متى ما أخذت عشرة هوائية فإنك تدخل بها بصورة الواحد على التي تليها من المطروح ولا بد أن يكون آخر المطروح أقل من التي قبل الآخر من المطروح منه.

مثال ذلك :

إذا قيل لك اطرح من ثلاثين ألفا وثلاثين، واحدا وعشرين ألفا وثلاث مائة وسبعة وعشرين فضع ذلك هكذا :

30030
21327
08703
30030

ثم تطرح السبعة من الصفر لا تنطرح لأن الصفر علامة الخلا فخذ عشرة هوائية واطرح منها السبعة يبقى ثلاثة ضعها تحت الخط مسامته للسبعة.

ثم تدخل بالعشرة الهوائية المذكورة تحت الاثنين بصورة الواحد يجتمع ثلاثة مساوية للثلاثة.

المطروح منه والمطروح ضع صفرا مسامتا تحت الخط أيضا ثم اطرح الثلاثة يسرته من عشرة هوائية أيضا لأن الذى فوقها صفر تبقى سبعة ضعها مسمتة تحت الخط .

ثم تدخل بالعشرة الهوائية أيضا بصورة الواحد على الواحد يسرته يجتمع اثنان اطرحهما من عشرة هوائية لأن الأعلى صفر تبقى ثمانية .

ضعها تحت الخط أيضا مسامتة ثم تدخل بالعشرة الهوائية بصورة الواحد أيضا على الاثنين يسرته يجتمع ثلاثة مطروحة من الثلاثة أعلاه مساوية . ضع صفرا تحت الخط .

يكن الفاضل ثمانية آلاف وسبعمائة وثلاثة .

واختباره

بأن تجعل تحت الخارج الفاضل خطا، وتجمع المطروح والفاضل يخرج المطروح منه ، وإلا ففاسد .

ففي المثال المذكرو جمعنا السبعة مع الثلاثة خرج عشرة جعلنا صفرا تحت الخط مقابلا للصفر الأعلى المطروح منه ، ودخلنا بالعشرة بصورة الواحد مع الاثنين صارت ثلاثة ، وضعناها تحت الخط .

وافعل كذلك كما عرفت في الجمع .

مثال ثان

وإن قيل لك اطرح سبعة وتسعين ومائتين . من ألف ، فضع ذلك هكذا .

1000
0297
603

يكن الفاضل سبعمائة وثلاثة .

واختباره كما تقدم .

وقس على ذلك طرحا واختبارا .

ثم ينهى ابن غلبون باب الحساب بهذا الدعاء الطريف الذى يلقى ضوءًا على أسلوب الخاتمة فى مصنفات التراث الإسلامى ، وارتباط المؤلف بقارئه فيقول :

وأدخلني يا أخي في صالح دعواتك فى خلواتك وجلواتك فإنى فقير إلى ذلك .

وشد يدك على هذه النبذة فَقَلَّ ما تجدها مبينة هكذا ، رزقنى الله وإياك العلوم النافعة ، والعمل بها والقبول وسعادة الدارين مع كفاية همهما فهو المتفضل المنعم سبحانه وتعالى لا رب غيره ولا معبود سواه .

(التحفة فى علم المواريث / ١٥٣ ـ ١٦٧)

وهذا الذى أورده الإمام ابن غلبون عن الحساب جاء منظوما فى أحد متون العلوم ، وهو « رسالة فى علم الحساب » لعبد الرحمن بن محمد الأخضرى ، من علماء القرن العاشر يذكر فيها جميع أبواب الحساب التى ذكرها ابن غلبون ، بما فيها باب « التسمية » وهو باب الكسور التى آثر ابن غلبون أن يضرب صفحا عنها . ونحن ننقل لك هنا هذه المنظومة التى يهدف بها الناظم ـ كما هو الحال دائما بالنسبة للعلماء المسلمين ـ إلى تيسير الحفظ على الدارسين ، وقد جعلناها المرجع الذى نحيل إليه عند ورود كل باب من الأبواب الحساب فى هذه الموسوعة .

يقول الناظم رحمه الله بادئا بحروفه ، وهى حروف الغبارى التى سبق الكلام عليها :

الباب الأول : فى حروف الغبارى :

حروفه معلومة مشهوره
من واحد لتسعة مذكوره
وجعلوا صفرا علامة الخلا
وهو مدور كحلقة جلا
وأربع مراتب الأعداد
أولها مرتبة الآحاد
والعشرات بعدها المئونا
من بعدها الآلاف يذكرونا
ومن هنا تبدّل الأعداد
وترجع الآلاف كالآحاد
الجمع ضم عدد لعدد
لكى تعده بلفظ مفرد
فتجمع الآحاد للآحاد
وهكذا الباقى على التمادى
ضف كل رتبة إلى الموضوع
من تحتها وانظر إلى المجموع
فإن يكن تسعا فأدنى فلتضع
جملته فوق الذي منه اجتمع

وما يكون زائدا عليها
فانزل به تحت الذي تليها
واجمعها مع أعدادها بالضبط
فخارج ما كان فوق الخط
وإن جمعت عددا لصفر
فاطلع إذا بعدد لتدري
فإن جمعت ههنا صفرين
فاطلع بواحد من الاثنين
وإن تكرر الذي قد نزلا
به لكون الجمع قد تسلسلا
فاجمعه مع أعداد ما به عَرَى
من دون تغيير له كذا جرى

الباب الثالث: في الطرح

الطرح إسقاط قليل من كثير
وهو على ستة أقسام يصير
فإن طرحت القدر من كثير
فالطرح فيه واضح التقدير
والحمل في قسمين إن صفر علا
أو كان الأعلى أدن مما سفلا
فاحمل عليهما بعشر وافيه
واطرح وأدخل واحدا في الثانيه
والصفر كاف إن طرحت العددا
من مثله كالصفر من صفر بدا
وإن يك الصفر الذي من أسفلا
فاقنع إذا بعدد قد اعتلى
وكل ما ذكرت من أقسام
فيما عدا الآخر ذي الإتمام
لأنه حتما يكون أكثرا
من الذي من تحته قد شهرا

الباب الرابع: في الضرب

اعلم بأن الضرب تضعيف العدد
بقدر ما في آخر من العدد
فاجعلهما سطرين كل مرتبه
مقرونة بأختها مرتبه
فكل رتبة لأعلى تنسب
في رتبة الآخر طرًّا تضرب
واحسب من المضروب للمضروب فيه
والترك لا من واحد تكن نبيه
ولتجعل الخارج فوق الأسطر
بقدر ذلك الحساب الأشهر
ويجمع الخارج ثم يجعل
من فوقه وبعد ذاك يفعل
وإن ضربت واحدا في واحد
فواحد يكون دون زائد
وإن ضربت ذاك في الأعداد
فقدر ما فيها من الآحاد
فاقنع بصفر إن ضربت الصفر في
نظيره أو عدد فلتقتفي

الباب الخامس: في القسمة

وعمل القسمة في الحساب
من أحسن الفصول والأبواب
فلتجعل المقسوم فوق الآخر
وتجعل الأمام تحت الآخر
ولا يجوز أن يكون الأكثر
تحت الأقل منه بل يقهقر
ثم تروم عددا يضرب فيه
من تحته تفني به الذي عليه
وما بقي فضعه فوق ذاكا
وقهقر الأمام من هناكا
فإن تعدى رتبة فلتجعلا
صفرا قبالة المُعَدَّى أسفلا
وافعل كما ذكرته إلى التمام
فخارج ما تحت ذلك الأمام

وما بقى من الكسور يطلب
فوق الأمام ثم منه ينسب

فصل

وإن تشأ فتأخذ الموفقين
واعمل عليهما بغير مين
أو حل مقسوما عليه واقسما
على أئمة له لتعلما
أو تقسم المقسوم بالتفضيل
وتجمع الخارج بالتعديل

الباب السادس : فى التسمية

تسمية نسبتك القليلا
من الكثير فاعرف التمثيلا
فألقه أئمة لتقسما
من بعد أن تحله فلتعلما
والبدء فى تنزيلها بالأكبر
والبدء فى قسمتها بالأصغر
وما بقى من الكسور يرسم
فوق الأمام ثم منه يعلم
واقسم على الذى يليه ما خرج
وافعل كما ذكرته فلا حرج
فكل ما على الأئمة تصب
هو المسمى مثل كسر ينتسب
وإن تشأ فانظر إلى الأوفاق
واعمل عليها عند الاتفاق

فصل : فى حل الأعداد

قد ذكروا لحله مقدمه
لازمة لكل من تعلمه
النصف والعشر مع الخمس لما
الصفر فى أوله تقدما
وإن يكن مفتتحا بالخمسه
فذاك ذو خمس تفهم اسه
واعلم بأن جملة الأعداد
مقسومة للزوج والإفراد
وليطرح الزوج بطرح التسعة
مع الثمان ثم طرح السبعة
فإن طرحته بتسع فالسدس
له وتسع مع ثلث فاقتبس
وحيث ست أو ثلاث عَبَرا
فالسدس والثلث له قد شهرا
وإن بقى ثلاثة فالسدس له
والثلث أيضا فادر تلك المسئله
واطرحه إن بقى غير ذلك
طرح الثمان تتبع المسالك
فبالثمن والربع له إن انطرح
وإن بقى ربع فربع اتضح
وإن بقى ما عدا ما قد شرح
فاطرحه طرح سبعة إن انطرح
فذاك ذو سبع وإن لم ينطرح
فليس إلا النصف فردا يتضح
وفردها بطرح تسع يطرح
وطرح سبعة بذاك يوضح
فإن طرحته بتسع فالتُّسع
له وثلث فتفهَّم واتبع
وإن بقى ثلاثة أو ستة
فذاك ذو ثلث فحسب يثبت
وإن بقى غير ما قد ذكرا
فاطرحه طرح سبعة واعتبرا
فإن طرحته بذاك الطرح
فذاك ذو سبع تفهم شرحى

وإن يكن لم ينطرح فهو الأصم
فسم من أجزائه ما قد علم

الباب السابع : في الاختبار

الاختبار آلة قد علما
يفيد في جمع ما تقدما
فاختبار الجمع ذو وجهين
إما بطرح أحد السطرين
من خارج فاعلم ويبقى الآخر
فواضح بيانه وظاهر
أو تطرح الخارج والباقي الجواب
فجيما اجعل فوقه بلا ارتياب
ثم اطرح السطرين واجمع ما بقى
واطرحه يبقى كالجواب السابق
واختبر الطرح بجمع الطرفين
لكي يكون وسطا بغير مَيْنِ
كذا بطرح ما بقى من أوسط
يبقى كمثل وسط بلا شطط
أو تطرح الباقي فباقيه الجواب
واطرح بذاك الآخرين باحتساب
واطرح بقيَّ أسفل مما بقى
من أوسط وبعد ذاك وفِّق
فإن يكن أقل منه فاحملا
عليه مثل ما به الطرح جلا
والضرب في اختباره وجهان
فاحفظهما تصل إلى البيان
فاختبروا بقسم خارج على
سطر من السطرين فاعلم مسجلا
كذا بطرح كل سطر منهما
بواحد من الطروح فاعلما
فما بقى في واحد فاضربه في
ما قد بقى لآخر لتقتفي
فما بدا فاطرحه مثل ما أُلف
فما بقى فهو الجواب قد عرف
واطرح بذاك خارج الحساب
يبقى كمثل ذلك الجواب
وإن ترد كيف اختبار القسمة
فاعمل على قولي تكن ذا همة
فتضرب الخارج في الأمام
فيخرج المقسوم بالتمام
أو تطرح المقسوم والباقي المرام
واطرح بذاك خارجا مع الأمام
واضرب بقي واحد فيما بقى
لواحد واطرحه مثل السابق
فإن يكن ما بقى كالجواب
فهو صحيح دون ما ارتياب
والسبع حيثما كسور تقع
فخارج الباقيتين تجمع
وإن تسل عن اختبار التسميه
فافعل كما أقوله بالتسويه
فابدأ بضرب أول المسمى
فما يلي ما تحت ذا المسمى
واجمعه للذي عليه وافعلا
في خارج كما فعلت أولا
فإن يك المجموع كالمنسوب
فهو صحيح العمل المطلوب
هذا اختبار التسمية المعهودهْ
واختبر الأئمة الموجوده
بضرب ما قدمته فيما أتى
من بعده على الولاء يا فتى
وخارجا فيما قد استقرا
من بعده إلى هلمَّ جرا
فيخرج المنسوب منه بالتمام
واحفظ جميع ما ذكرت والسلام

باب الكسور ويشتمل على فصلين.

قالت المؤلفة : قال الأستاذ قدرى حافظ طوقان (تراث العرب العلمى / ٥٥) عن الكسور إن طرق العرب فيها لا تختلف عن الطرق المعروفة الآن .

الفصل الأول فى أقسامها .

والكسر منه مفرد ومختلف
مبعَّض منتسب كذا عرف
فذو اختلاف مثل ثلث وربع
وذو انتساب مثل خمس وسبع
خمس وذو التبعيض ينتسب
بالعكس من كسر أمامه نُسب
وبسط ذى الإفراد وافق الأمام
وبسط ذى التبعيض فافهم الكلام
بضرب ما على الأمام الأول
فى كل ما يليه فليكمل
وذو انتساب كاختبار النسبةْ
وقد مضى تقديره بالجملةْ
والمختلف بضرب بسط ما قصد
فى كل ما من تحت غيره عهد
وضرب بسط ذاك فى أمام ذا
ويحمل المجموع فافعل هكذا
وإن يكن هنا صحيح يدرى
كأنه بسط الكسور شَهرا

الفصل الثانى فى أعمال الكسور:

وإن ترد ضرب الكسور فاضربا
البسط فى البسط وكن مرتبا
فقدم الكبير فى الأئمة
يبدو لك المطلوب بعد القسمة
ووصف قسمة الكسور هكذا
بضرب بسط ذاك فى أمام ذا
والعكس واقسم خارج المقسوم
عن خارج الأمام كالمعلوم
وهكذا تسمية الكسور
ويقسم الأدنى على الكثير
ومثل ذاك الجمع لكن تجمع
والخارجات بعده تـوزع
والطرح يطرح الأقل منهما
من الكثير فيه ثم تقسما
واختبر الطرح بطرح بسط ما
بدا وسطريه كما تقدما
وخارجا فابسطه كالمقسوم فى
جمع وقسمة ونسبة تفى
يطرح بسط ما بقى وما ظهر
من ذينك الشطرين طرحا يختبر

(رسالة فى علم الحساب / ٢٢٥ـ٢٣٣) .

وننتقل الآن إلى مآثر العلماء المسلمين فى علم الحساب .

يقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى عن استخدام المسلمين للحساب العشرى، ونبذ الحساب الستينى (انظره فى موضعه) :

عندما نزل القرآن الكريم كانت هناك عدة طرق للحساب والترقيم، فقد كان هناك الحساب الستينى الذى لا يزال يستخدم فى قياس الزمن، حيث نقول إن الساعة ٦٠ دقيقة والدقيقة ٦٠ ثانية ... كما كان هناك أيضا الحساب العشرى وفيه تستعمل تسعة أرقام فقط هى الأرقام من ١ إلى ٩ ، وللرقم الواحد قيم مختلفة تتوقف على الخانة التى يشغلها، فمثلا الرقم ٤ فى خانة العشرات هو ٤٠ ، وفى خانة المئات هو ٤٠٠ ، وفى خانة الألوف هو ٤٠٠٠ وهكذا ...

وقد أخذ القرآن الكريم بالحساب العشرى ونبذ الحساب الستينى وهكذا فعل المسلمون وأدخلوا الصفر (زيرو) ليملأ الخانة الخالية من الأرقام ويدل عليها . كما استخدموا

الكسور العشرية ، وهي أكبر خطوة حقيقية أدت إلى تقدم علوم الرياضة . وقد تم كل ذلك بإيحاء من القرآن . انظر مثلا إلى قوله تعالى :

١ ـ ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

٢ ـ ﴿ فى كل سنبلة مائة حبة ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

٣ ـ ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ [الأنفال : ٦٥]

٤ ـ ﴿ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ [سبأ : ٤٥] .

٥ ـ ﴿ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ﴾ [ص : ٢٣] وتقرر هذه الآية الأخيرة مبدأ حساب النسبة المائوية حيث إن مجموع ٩٩ + ١ = ١٠٠ (« تراث المسلمين فى ميدان العلوم » / ٢٥٠) .

ثم يقول :

الحساب العشرى والحساب الستينى :

بعد الذى قدمناه ، وبيان كيف أخذ القرآن الكريم بالحساب العشرى نضرب مثلا بسيطا من أجل زيادة الفهم وإدراك الفرق فى سهولة الحساب فى حالة الحساب العشرى : مثلا العدد ١٥٧ , ١ هو :

$$١ + \frac{١}{١٠} + \frac{٥}{١٠٠} + \frac{٧}{١٠٠٠}$$

أما العدد ١٥٧ , ١ فى الحساب الستينى فهو :

$$١ + \frac{١}{٦٠} + \frac{٥}{٣٦٠٠} + \frac{٧}{٢١٦٠٠٠}$$

وأولئك الذين يعرفون معنى الأس يمكنهم كتابة هذا العدد على النحو الآتى :

$١ + ١٠^{-١} + ٥ + ١٠^{-٢} + ٧ + ١٠^{-٣}$ فى الحساب العشرى .

وبرع المسلمون بعد ذلك فى إجراء عمليات الضرب والقسمة . وقد وضح جمشيد بعض تلك الطرق فى كتابه (مفتاح الحساب) الذى حقق ونشر فى مصر، كما وضح العديد من عمليات حساب المواريث ، والتركات والزكاة ونحوها مما اهتم به المسلمون (« تراث المسلمين فى ميدان العلوم» / ٢٥٠ ، ٢٥٢) .

ويقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله معددا مآثر المسلمين فى علم الحساب :

برع العرب فى العلوم الرياضية وأجادوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة أثارت الإعجاب والدهشة لدى علماء الغرب ، فاعترفوا بفضل العرب وأثرهم الكبير فى تقدم العلم والعمران . لقد اطلع العرب على حساب الهنود فأخذوا عنه نظام الترقيم ، إذ رأوا أنه أفضل من النظام الشائع بينهم ـ نظام الترقيم على حساب الجمَّل وكان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام ، هذَّب العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين ، عرفت إحداهما : بالأرقام الهندية وهى التى تستعملها هذه البلاد وأكثر الأقطار الإسلامية والعربية ، وعرفت الثانية : باسم الأرقام الغبارية وقد انتشر استعمالها فى بلاد المغرب والأندلس . وعن طريق الأندلس وبوساطة المعاملات التجارية والرحلات التى قام بها بعض علماء العرب ، والسفارات التى كانت بين الخلفاء وملوك بعض البلاد الأوربية ، دخلت هذه الأرقام إلى أوربا وعرفت فيها باسم الأرقام العربية (انظر هذه المادة فى م ٣ / ٦٢٥ ـ ٦٣٣ من هذه الموسوعة) ، وليس المهم هنا تهذيب العرب للأرقام وتوفيقهم فى اختيار هاتين السلسلتين أو إدخالهما إلى أوربا ، بل المهم إيجاد طريقة جديدة لها ـ الإحصاء العشرى ـ واستعمال الصفر لنفس الغاية التى نستعملها الآن .

ولقد كان الهنود يستعملون (سونيا) أو الفراغ لتدل على معنى الصفر. ثم انتقلت هذه اللفظة الهندية إلى العربية باسم (الصفر) ، ومن هنا أخذها الأفرنج واستعملوها فى لغاتهم فكان من ذلك Gipher و Ghiffre ، ومن الصفر أتت الكلمة Zyphyr و Gipher ثم تقلصت عن طريق الاختصار فأصبحت Zero وعلى ذكر الأرقام العربية أو الأرقام الهندية نقول : إن لهذه الأرقام مزايا عديدة ؛ منها : أنها تقتصر على عشرة أشكال بما فيها الصفر. ومن هذه الأشكال يمكن تركيب أى عدد مهما كان كبيرا ، بينهما نجد أن الأرقام الرومانية تحتاج

إلى أشكال عديدة وتشتمل على أشكال جديدة للدلالة على بعض الأعداد. أما الأرقام اليونانية والعربية القديمة القائمة على حساب الجمل، فإن عددها كان بقدر عدد حروف الهجاء.

ومن مزايا الأرقام العربية أو الهندية أنها تقوم على النظام العشرى، وعلى أساس القيم الوضعية بحيث يكون للرقم قيمتان، في نفسه وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التي تقع فيها.

ولعل من أهم مزايا هذا النظام، إدخال الصفر في الترقيم واستعماله في المنازل الخالية من الأرقام.

ومما لا شك فيه: أن هذا النظام هو من المخترعات الأساسية والرئيسية ذات الفوائد الجُلّى التي توصل اليها العقل البشرى، فلم تنحصر مزاياه في تسهيل الترقيم وحده، بل تعدته إلى تسهيل جميع أعمال الحساب، ولولاه لما رأينا سهولة في الأعمال الحسابية ولاحتاج المرء إلى استعمال طرق عويصة وملتوية لإجراء عمليتي الضرب والقسمة، حتى أن هاتين العمليتين كانتا تقتضيان جهدا كبيرا ووقتا طويلا، ولو قدر لأحد علماء اليونان من الرياضيين أن يبعث، فقد يعجب من كل شيء ولكن عجبه سيكون على أشده إذ يرى أن أكثر سكان الأقطار في أوربا وأميركا يتقنون عمليتي الضرب والقسمة ويجرونهما بسرعة ودون عناء.

ولسنا بحاجة إلى القول إنه لولا الصفر واستعماله في الترقيم لما فاقت الأرقام العربية والهندية غيرها من الأرقام، ولما كان لها أية ميزة بل لما فضلتهما الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة في الترقيم.، والنظام المستعمل والشائع الآن يقضي بجعل قيمة الرقم تتغير منزلته، أي أنهم أوجدوا منازل للأرقام تكسب الرقم الواحد قيما مختلفة إذا نقل من منزلة إلى أخرى، فالرقم الذي على اليمين يدل على الآحاد والذي يليه على العشرات والذي يليه على المئات وهكذا ... وإذا أردنا أن نكتب العدد (ثلاثة وأربعين) فإننا نضع الثلاثة في المنزلة الأولى أي منزلة الآحاد والأربعة في المنزلة الثانية أي منزلة العشرات وتكتب هكذا (٤٣) وهنا نجد أن الثلاثة رفعت الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار وأعطتها قيمة الأربعين. ولكن إذا أردنا أن نكتب بالرقم العدد (أربعين) فمعنى ذلك أنه علينا أن نجد رقما يدفع الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار وبذات الوقت لا يزيد في المجموع شيئا، ومن هنا استعمل الصفر، ووضع علماء الهند علامة له لتملأ المرتبة الخالية، فجاءت مكملة لطريقة كتابة الأعداد بالأرقام (للاستزادة من المعرفة عن فوائد الصفر مفصلة انظر كتاب المؤلف « بين العلم والأدب » في فصل (فضل الصفر على المدنية).

وللصفر فوائد أخرى: هي من عظم الشأن في مكان عظيم لا يقل خطرها عن التي ألمحنا إليها؛ فلولاه لما استطعنا أن نحل كثيرا من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي نحلها بها الآن؛ ولما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهود، وبالتالي لما تقدمت المدنية هذا التقدم العجيب. ومن الغريب أن الأوربيين لم يتمكنوا من استعمال هذه الأرقام إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها، أي أنه لم يعم استعمالها في أوروبا والعالم إلا في أواخر القرن السادس عشر للميلاد.

والعرب هم الذين وضعوا علامة الكسر العشرى وعرفوا شيئا عنه. فقد أعلن الأستاذ لوكي الألماني أن اختراع الكسور العشرية يجب أن ينسب إلى العالم الرياضي غياث الدين جمشيد الكاشي الذي عاش قبل ستيفن بحوالي ١٧٥ سنة.

وفي كتاب الكاشي « الرسالة المحيطية » وردت النسبة بين محيط الدائرة وقطرها ـــ وهي التي يطلق عليها ط ـــ بالكسر العشرى. وقد أعطى قيمة (٢ ط) صحيحة لستة عشر رقما عشريا كما يلي:

٦,٢٨٣١٨٥٠٧١٧٩٥٨٦٥ = ٢ ط. ولم يسبقه أحد في إيجاد هذه النسبة بهذه الدقة المتناهية.

وكذلك أدخل في كتابه « مفتاح الحساب » فصولا في الكسور الستينية والعشرية واستعمالها.

قالت المؤلفة: نفرد مادة خاصة لهذا الكتاب الجليل إن شاء الله تعالى:

وقد وضع العرب مؤلفات كثيرة في الحساب وترجم

الغربيون بعضها وتعلموا منها وكان لها أكبر الأثر في تقدمه .

ومن هذه المؤلفات كانوا يقسمون الحساب إلى أبواب : منها ما يتعلق بحساب الصحاح ، ومنها ما يتعلق بحساب الكسور ، ويذكرون في كل منهما أعمالا مختلفة يضعونها في فصول : الأول في الجمع والتضعيف ، والثانى في التنصيف ، والثالث في التفريق (الطرح) ، والرابع في الضرب ، والخامس في القسمة ، والسادس في التجذير واستخراج الجذور . وكان لهم أسلوب خاص في إجراء هذه العمليات ، ويذكرون لكل منها طرقا عديدة ومن هذه الطرق ما هو خاص بالمبتدئين وما يصح أن يتخذ وسيلة للتعليم . ولقد انتبه بعض رجال التربية في أوروبا إلى قيمة هذه الأساليب المسطورة في كتب الحساب العربية من وجهة التربية ، فأوصوا بها وباستعمالها عند تعليم المبتدئين . جاء في مجلة التربية الحديثة : « ... وهذا ما حدا بنا إلى درس الأساليب المتنوعة المذكورة في كتب الحساب القديمة بشىء من التوسع والتعمق ، وفعلا قد وجدنا بينها طرقا عديدة يحسن الاستفادة منها في التعليم » ولهذا السبب أتت المجلة على بعض هذه الأساليب ودللت على فوائدها في أحد أعدادها ليستفيد منها الأساتذة والمعلمون في تدريس الحساب .

وتوسعوا في بحوث النسبة وقالوا بأنها على ثلاثة أنواع : العددية والهندسية والتأليفية ، وأبانوا كيفية استخراج الأنغام والألحان من الأخيرة . وكذلك أجادوا في موضوعات التناسب وكيفية استخراج المجهول بوساطتها ، وعدوا بعض خاصيات النسبة يتعلق بالأبعاد والأثقال من العجائب التى تثير الاستغراب والدهشة ومن الأمثلة التى وردت في « رسائل إخوان الصفا » وكتب الحساب ؛ يتبين أن العرب كانوا يستعينون بقوانين الحساب أو مبادئه في حل مسائل العلوم الطبيعية والمثلثات والفلك ، ويرون أنه لولا ذلك لما أمكن الاستفادة من هذه العلوم التى ذكرناها والتوسع فيها . وقد جاء في « رسائل إخوان الصفا » بعد إيراد أمثلة مختلفة عملية على النسبة والتناسب « ... فقد بان أن علم نسبة العدد علم شريف جليل ، وأن الحكماء جميع ما وضعوه من تأليف حكمتهم فعلى هذا الأصل أسسوه وأحكموه وقضوا لهذا العلم بالفضل على سائر العلوم ، إذ كانت كلها محتاجة إلى أن تكون مبنية عليه . ولولا ذلك لم يصح عمل ولا صناعة ولا ثبت شىء من الموجودات على الحال الأفضل » .

أما الكسور فإن طرق العرب فيها لا تختلف عن الطرق المعروفة الآن .

وقد بحثوا استخراج المجهولات وبرعوا في الطرق التى اتبعوها لذلك ، فقالوا باستخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة ، وبحساب الخطأين ، وبطريقة التحليل والتعاكس ، وبطريقة الجبر والمقابلة وكانوا يكثرون من الأمثلة والتمارين في مؤلفاتهم ، ويأتون بمسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه العصر ، ويدور على المعاملات التجارية والصدقات وإجراء الغنائم والرواتب على الجيوش ، كما تطرق إلى البريد واللحاق به وإلى طرق البيع والشراء . وهذه ميزة امتازت بها المؤلفات العربية القديمة . فلقد كان رياضيو العرب يفضلون المسائل العملية التى تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته .

وحبذا لو يتبع المؤلفون الطرق التى كان يسير عليها العرب في وضع المسائل الرياضية ، ففى ذلك ما يعود على الطلاب بأكبر الفوائد مما يجعلهم يدركون أهمية العلوم الرياضية عمليا في نواحى الحياة المختلفة ، واتصالها الوثيق بحياة الإنسان المادية .

ولم يقف العرب عند هذا الحد ، بل أخذوا الأعداد وتعمقوا في نظرياتها وأنواعها وخواصها . وكانوا — كما كان اليونان من قبلهم — يرون في علم العدد والأعداد نوعا من القداسة ، ولكن هذه القداسة لم تمنعهم من تطبيق الأعداد والرياضيات في شئون الحياة العملية . ولقد قدم الحكماء النظر في علم العدد قبل النظر في سائر العلوم الرياضية « ... لأن هذا العلم مركوز في كل نفس بالقوة . وإنما يحتاج الإنسان إلى التأمل بالقوة الفكرية من غير أن يأخذ لها مثالا في علم آخر ، بل منه يؤخذ المثال على كل معلوم ... » .

قال علماء العرب في خواص بعض الأعداد ما يلى : ما من عدد إلا وله خاصية أو عدة خواص . ومعنى الخاصية أنها الصفة المخصوصة للموصوف الذى لا يشاركه فيها غيره .

فخاصية الواحد أنه أصل العدد ومنشؤه، وهو يعد العدد كله الأزواج والأفراد جميعا . ومن خاصية الاثنين أنه أول العدد مطلقا وهو يعد نصف العدد الأزواج دون الأفراد. ومن خاصية الثلاثة أنها أول عدد الأفراد وهى تعد ثلث الأعداد تارة وتارة الأزواج. ومن خاصية الأربعة أنها أول عدد مجذور.

وتحفل كتب الحساب والرسائل التى وضعها علماء العرب بتفسيرات لهذه الخاصيات .

لقد قسموا الأعداد إلى قسمين : أزواج وأفراد، وبينوا معنى كل منهما ، وذكروا أنواعها بالتفصيل، وأن العدد من جهة أخرى ينقسم إلى ثلاثة أنواع : فإما أن يكون تاما أو زائدا أو ناقصا وأن هناك أعدادا متحابة وكذلك عرفوا المتواليات الحسابية والهندسية على أنواعها ، وذكروا قوانين خاصة لجمعها كما أتوا على قواعد لاستخراج الجذور ولجمع المربعات المتوالية والمكعبات، وبرهنوا على صحتها وتوصلوا إلى نتائج طريفة فيها متاع وانتفاع، تتجلى لنا فى كثير منها قوة الاستنباط والاستنتاج عند العرب ولقد ظهر لنا فى بعض المخطوطات والمؤلفات، أنهم استعملوا مسائل يجد فيها من يحاول حلها ما يشحذ الذهن ويقوى الفكر، وأبدعوا فى المربعات السحرية، يعترف بذلك « دى فو » وغيره من علماء الإفرنج (تراث العرب العلمى / ٤٧ ـ ٥١ ، ٥٣ ـ ٦٠) .

ويقدم لنا الأستاذ الدكتور جلال شوقى نماذج من المسائل الحسابية المنظومة ننقل لك بعضا منها فيما يلى مع ترقيمها وفقا للنماذج التى اخترناها :

(١) جاء على هامش أحد المخطوطات المسألة المنظومة الآتية وجوابها، وهى مذيلة باسم بدر الدين الزركشى (عن مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩٨٥ هامش الصفحة ٣٦ . هامش متن كتاب ابن الهائم : النزهة فى الحساب) :

« عجبت المال صار ثلثان ثلثه

[وثلثا] ثلث الثلث ثلث ودرهم

أيا معشر الحساب هذى فضيلة

فكم كان هذا المال قبل انقسامه»

الجواب :

« قل المال قبل القسم دالا وقد أتى

جوابك فى رمز فكن متفهما

وضابطه بسط غدا منه مقامه

كنسبة لذى الجهل والعما

مجموع هذا المال تنصيف تسعة

وهذا جواب الشيخ والله أعلما

بدر الدين الزركشى »

(٧٤٥ ـ ٧٩٤ هـ)

(١٣٤٤ ـ ١٣٩٢ م)

يبين من الشطر الأول للبيت الأول أن الحد الأول من المعادلة الواردة بالبيت يحوى الكسر.

$\frac{٢}{٣} \times \frac{١}{٣}$ المال الأصلى (قبل انقسامه) فلنفرضه تسعة .

حتى يكون الناتج عددا صحيحا ، وبذلك فإنه حسب منطوق المسألة :

ثلثا ثلث المال $= \frac{٢}{٣} \times \frac{١}{٣} \times ٩$ (المال المفروض) $= ٢$

ثلثا ثلث ثلث المال $= \frac{٢}{٣} \times \frac{١}{٣} \times \frac{١}{٣} \times ٩$ (المال المفروض) $= \frac{٢}{٣}$

فيكون المجموع : $٢\frac{٢}{٣}$ ولما كان المجموع حسب منطوق المسألة هو $١\frac{١}{٣}$ فقط ، فإن المال لا بد وأن يساوى $\frac{٩}{٢}$ كما جاء بالجواب المنظوم .

(٢) على هامش متن كتاب ابن الهائم المصرى : «مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب » جاءت المسألة الآتية (مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩٨٥ ، هامش الصفحة ٤٦) :

« دفعت إليه ثلث دارى هدية

وربعا وسدسا فاستقل عطيتى

فقلت له والثمن خذه فلم يجب

فضفت إليه نصف ربع هديتى

وأبقيت لى عشرين بيتا لحاجتى

وبيتا لأضيافى وأهل مودتى

فقال لي كم في الـــــدار بيت وقسم
البيـــــوت على تأصيل أصل قضيتي »

«إنه بحسب البيت الأول تكون الهدية المقترحة .

($\frac{١}{٣}+\frac{١}{٤}+\frac{١}{٦}$) عدد البيوت

زيد عليها $\frac{١}{٨}$ العدد حسب الشطر الأول من البيت الثاني ، وبذلك تكون جملة البيوت المقترحة .

($\frac{١}{٣}+\frac{١}{٤}+\frac{١}{٦}+\frac{١}{٨}$) أي $\frac{٧}{٨}$ ما يملك ، فإذا أضيف إلى هذه الهدية نصف ربعها ـ طبقا لما جاء بالشطر الثاني من البيت الثاني ـ

تصبح الهدية $\frac{٧}{٨}\times\frac{٩}{٨}$ مجموع البيوت أي $\frac{٦٣}{٦٤}$ جملة البيوت ، أي أن ما تبقى لمقدم الهدية يمثل $\frac{١}{٦٤}$ فحسب مما عنده ، وهذا يساوي ٢١ بيتا ، وبالتالي فإن الدار تتكون من ٦٤ × ٢١ = ١٣٤٤ بيتا .

هذا ويمكن التحقق من ذلك بتطبيق ما جاء بنص النظم ، حيث $\frac{١}{٣}+\frac{١}{٤}+\frac{١}{٦}+\frac{١}{٨}$ البيوت = $\frac{٧}{٨}\times ١٣٤٤ = ١١٧٦$ بيتا .

يضاف إلى ذلك نصف ربع هذا العدد، أي ١٤٧ بيتا .

فإن نحن احتسبنا ما تبقى وهو عشرون بيتا لحاجة الواهب وبيت واحد للضيوف ، صار أصلا عدد البيوت : ١١٧٦ + ١٤٧ + ٢١ = ١٣٤٤ بيتا ...

(٣) وعلى هامش مخطوط آخر نجد هذه المسألة (كتاب « رد الجواب في علم الحساب » للشيخ عبد القادر الحلاق الحلبي . مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ١٧٧١ : هامش المخطوط في موضع الفصل الثامن من الباب الخامس) :

« خـــذوا ثلث مــالي بعــد إسقـاط عشــره
وخصــــوا بــــه أهل التقى والبصـــائر
وثلث الـــــذي يبقى وخمس جميعـــــه
لآل رســـــول الله خيــــر الأواخــــر
ويبقى إذا أمضيت بعـــــــد وصيتي
ثمـــان وعُشـــر بين عمـــر وعـــامـــر »

فإذا رمزنا لأصل المال بالرمز الحديث س لمجرد اليسر في التعبير، فإن المال بعد إسقاط عشره يساوي $\frac{٩}{١٠}$ س .

ويكون ما يؤخذ حسب ما جاء بالبيت الأول هو :

$\frac{١}{٣}\times\frac{٩}{١٠}$ س = $\frac{٣}{١٠}$ س ...

وبذلك يبقى من المال $\frac{٦}{١٠}$ س .

ويكون ما يؤخذ ـ حسب البيت الثاني فحسب ـ هو

($\frac{١}{٣}\times\frac{٦}{١٠}$ س + $\frac{١}{٥}$ جميع ما أخذ)

أي ($\frac{٢}{١٠}$ س + $\frac{١}{٥}$ [$\frac{٣}{١٠}$ س + $\frac{٢}{١٠}$ س]) = $\frac{٣}{١٠}$ س ...

وبذلك تصل جملة ما أخذ كما جاء بالبيتين الأولين

(مجموع (١) ، (٢)) هو $\frac{٦}{١٠}$ س

ويصير ما تبقى من أصل المال = $\frac{٩}{١٠}$ س − $\frac{٦}{١٠}$ س = $\frac{٣}{١٠}$ س

وهذا يساوي ـ حسب ما جاء بالبيت الثالث ـ ثمانية وعشر

∴ $\frac{٣}{١٠}$ س = ٨ $\frac{١}{١٠}$ = $\frac{٨١}{١٠}$ ، وبالتالي تكون س أصل المال = ٢٧

(٤) نظم بعضهم هذه المسألة (مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٤٢ : الصفحة ١٨٥ ب) :

« إذا قيل رطل منهمـــــا بثـــــلاثــــة
وخمســـــة أرطـــــال بـــدرهم واحـــد
فخـــذ من كـــلا النـــوعين إن كنت حـــاسبـا
بـــدرهم رطـــلا واحـــدا غيـــر زايـــد »

قيل هذا النظم في المسألة التاسعة من النوع الخامس عشر من باب التكملة فيما يتعلق باستخراج المجهول في كتاب ابن الهائم « مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب » ، ونص المسألة كالآتي (نفس المخطوط السابق : الصفحات ١٨٤ أ حتى ١٨٥ أ) . « نوعان متفاضلان في السعر، الرطل من أحدهما بثلاثة دراهم ، ومن الآخر بخمسة دراهم ، بيع رطل منهما بدرهم ، كم فيه من كل نوع ، وكم ثمنه .

فاضرب الرطل في كل من السعرين ، فإن أردت ثمن الأعلى ، فاضرب سعره في فضل الدرهم ـ مجموع الثمنين ـ على الخمس، وذلك أربعة أخماس ، واقسم الحاصل ـ وهو

اثنان وخمسان - على الفضل بين السعرين - وهو اثنان وأربعة أخماس - يخرج ستة أسباع درهم ، فاقسم ذلك على ثلاثة يخرج سبعا رطل .

وإن أردت ثمن الأدنى ، فاضرب سعره في فضل الثلاثة أكثرالخارجين على الدرهم - مجموع الثمنين - وذلك اثنان وسمّ الحاصل - وهو خمسان - مجموع الثمنين وذلك اثنان ، وسمّ درهم ، فسمه من خمس الدرهم ، يخرج خمسة أسباع رطل »

يبين الشارح أن النوعين يختلفان من حيث الكمية بحيث إن نسبة كمية الأغلى إلى كمية الأرخص تساوى نسبة فضل سعر الخليط - وهو درهم - على سعر الأرخص وهو $\frac{١}{٥}$ إلى فضل سعر الأغلى - وهو ثلاثة - على سعر الخليط وهو درهم واحد .

أى أن $\frac{\text{كمية النوع الأغلى}}{\text{كمية النوع الأرخص}} = \frac{(١ - \frac{١}{٥})}{(٣ - ١)}$

وينص الحل على أن :

ثمن النوع الأغلى = $٣ \; \frac{(١ - \frac{١}{٥})}{(٣ - \frac{١}{٥})}$ درهم

وثمن النوع الأرخص = $\frac{١}{٥} \; \frac{(٣ - ١)}{(٣ - \frac{١}{٥})}$ درهم

وبقسمة كل من الثمنين على سعر كل نحصل على كمية كل منهما على الوجه التالى :

كمية النوع الأغلى = $\frac{١ - \frac{١}{٥}}{٣ - \frac{١}{٥}} = \frac{\frac{٤}{٥}}{\frac{٤}{٥}} = \frac{٢}{٧}$ رطل

وكية النوع الأرخص = $\frac{٣ - ١}{٣ - \frac{١}{٥}} = \frac{٢}{٢\frac{٤}{٥}} = \frac{٥}{٧}$ رطل

هذا ويمكن حل هذه المسألة بمعادلة جبرية من الدرجة الأولى كما يلى :

	النوع الغالى	الخليط	النوع الرخيص
الكمية :	س	١ رطل	(١ - س) رطل
السعر :	٣	١ درهم	$\frac{١}{٥}$ درهم
فضل السعر:	(٣ - ١)		$(١ - \frac{١}{٥})$ درهم

فضل سعر الغالى على سعر الرخيص : $(٣ - \frac{١}{٥})$ درهم

وحيث إن مجموع ثمنى الكميتين = ثمن رطل واحد من المزيج .

∴ $٣ \text{س} + \frac{١}{٥} (١ - \text{س}) = ١$ درهم × ١ رطل .

أى أن س كمية النوع الأعلى سعرا = $\frac{٢}{٧}$ رطل .

وكمية النوع الأدنى سعرا = $\frac{٥}{٧}$ رطل

ومن الواضح أن الحل الذى أورده الشارح الفاضل حل صحيح .

من الطريف أن التعبيرات الرياضية لم يقتصر استخدامها على المسائل الحسابية ذات الطابع العلمى ، وإنما تعدى ذلك إلى جوانب أخرى ، نسوق منها المثال التالى فى معرض الغزل :

(عن مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب - رقم ٩٨٥ هامش صفحة ٤٤ هامش متن كتاب ابن الهائم : « مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب) .

« عروس بدا فى غلسة الصبح وجهها
فأخجل منها كل من رام رؤيتى
فناديتها والقلب منى محرق
تقرظنى على الوجنات منك ثلاثى
ميات أتى من قبلها مثل عشريها
ومثل خمس العشر فافهم إشارتى »

(فى المخطوط : « عشرها » ، ونرى أنه تحريف تكشفه إشارة الشاعر إلى جميع أيام السنة) .

يشير الشاعر هنا بطريق خفى إلى تقريظ على الوجنات يبلغ عدده عدد أيام السنة ، حيث تبدأ إشارة العد من نهاية البيت الثانى بثلاث مئات ، يليها عشراها أى .

$\frac{٢}{١٠} \times ٣٠٠ = ٦٠$

ثم تختتم بخمس عشرها أى $\frac{١}{٥} \times \frac{١}{١٠} \times ٣٠٠ = ٦$

وبذلك يبلغ مجموع هذه الأعداد ٣٦٦، وهو عدة أيام السنة الكبيسة (العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقى ود. على الرفاع / ٢٩٤ـ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١ـ٣٠٣) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٢٢ ـ ٦٦٥، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٦٨ ـ ٣٧٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار ذكار جـ ٢ ق ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩١، والعلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقى ود. على الرفاع ١ / ٦٧ ـ ٧٢، ٢٩٤ ـ ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١ ـ ٣٠٣، والتحفه فى علم المواريث لابن غلبون ـ حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح على حسين / ١٥٣ ـ ١٦٧، ورسالة فى علم الحساب لعبد الرحمن بن محمد الأخضرى، المطبوعة فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢٢٥ ـ ٢٣٣، و « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » ـ د. محمد جمال الدين الفندى، دراسات فى الحضارة الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤٧ ـ ٥١ انظر أيضا أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية : فى العلوم والطبيعة د. عبد الحليم منتصر / ١٩٥ ـ ١٩٧) .

*** حساب العقود (علم ـ) :**

والمراد بالعقود : عقود الأصابع . وقد وضعوا كلا منها بإزاء أعداد مخصوصة ، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع، آحاد وعشرات ومئات وألوف، حتى وضعوا قواعد يتعرف بها حساب يمكن معرفة عشرة آلاف بيد واحدة، وهذا عظيم النفع للتجار، سيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر، وعند عدم حضور آلات الكتابة . والعصمة عن الخطأ فى هذا العلم أكثر من حساب الهواء . وكان هذا العلم يستعمله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . كما وقع فى الحديث، فى كيفية وضع اليد على الفخذين فى التشهد، أنه عقد خمسا وخمسين ، يعنى : أن النبى ﷺ، عقد أصابع اليد غير السبابة والإبهام ، وحلق الإبهام معها . وهذا الشكل فى علم العقود دال على العدد المذكور. فراوى الحديث، ذكر مدلول ذلك الوضع فى الأصابع، وأراد داله، أعنى الهيئة الموضوعة للعدد المذكور، وهذا دليل على شيوع علم العقود عندهم . وكذا السلف، لما ذكروا أقسام الدلالات من أنها طبيعية أو وضعية؛ وكل منهما إما لفظية أو غير لفظية . مثلوا للطبيعية اللفظية كلمة « أُحْ » ـ بضم الهمزة وسكون المهملة ـ الدالة على السعال : وهو وجع الصدر...

ومثلوا بالطبيعية الغير اللفظية بحركة النبض . ومثلوا بالوضعية اللفظية بالألفاظ المستعملة . ومثلوا للوضعية الغير اللفظية بالخطوط والعقود والإشارات والنصب . وأرادوا بالخطوط: نقوش الكتابة، فإنها ليست بلفظ، وموضوعة بإزاء الألفاظ . وأرادوا بالإشارات : الإشارة باليد والشفة والحاجبين وأمثالها . وبالنصب : الأحجار المنصوبة للدلالة على موضع العبور فى الأنهار العظام . وعلى موضع تمييز الأراضى بعضها عن بعض . وأرادوا بالعقود: عقود الأصابع الموضوع كل منها بإزاء عدد مخصوص .

قال صاحب مفتاح السعادة : وفى هذا العلم أرجوزة لابن الحرب أورد فيها مقدار الحاجة . وفيها رسالة لشرف الدين اليزدى أورد فيها الكفاية . وسمعت فى هذا العلم كتابا مطولا لكن ما رأيته .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٢، ٣٧٣) .

انظر : حساب اليد .

*** حساب الفرائض (علم ـ) :**

قال القنوجى :

علم حساب الفرائض : هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها ، وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعا فى الفريضتين إلى فروضهم من غير تجزئة . وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحد واثنين، وتتعدد لذلك بعدد أكثر، وبقدر ما تتعدد تحتاج إلى الحسبان ، وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصح على

الـوجهين حينئذ ، وينظـر مبلغ السهـام ثم تقسم التركـة على نسب سهام الـورثة من أصل الفريضـة؛ وكل ذلك يحتاج إلى الحسبان ، وكـان غالبـا فيه وجعلـوه فنا مفـردا . وللناس فيـه تآليف كثيرة أشهرها عند المـالكية من متأخرى الأندلس كتاب ابن ثـابت ومختصـر القلحـوفى ثم الجعـدى ومن متأخـرى إفريقية ابن النمر الطرابلسى وأمثالهم ، وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تآليف كثيـرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع فى الفقه والحساب .

وقـد يحتج الأكثـر من أهل الفن على فضلـه بـالحـديث المنقول عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الفرائض ثلث العلم ، وأنها أول مـا ينسى ، وفى رواية : نصـف العلـم . خـرجـه أبـو نعيم الحافظ ، واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة . والذى يظهر أن هذا المحمل بعيد ، وأن المراد بالفرائض إنمـا هى الفرائض التكليفية فى العبادات والعـادات والمـواريث وغيرهـا ، وبهـذا المعنى يصح فيهـا النصفيـة والثلثية ؛ وأمـا فروض الـوراثة فهى أقل من ذلك كلـه بالنسبـة إلى علم الشريعة كلها ، ويعين هـذا المراد أن حمل لفظ الفـرائض على هـذا الفن المخصـوص أو تخصيصـه بفروض الوراثـة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهـاء عند حدوث الفنـون والاصطلاحـات ، ولم يكن صدر الإسـلام يطلق على هذا إلا على عمومه مشتقا من الفرض الذى هو لغة التقدير أو القطع ، وما كـان المراد به فى إطلاقه إلا جميـع الفروض كما قلناه ، وهى حقيقتـه الشرعية فـلا ينبغى أن يحمل إلا على ما كـان يحمل فى عصرهم فهـو أليق بمرادهم منـه والله سبحانـه وتعالى أعلم ، وبه التوفيـق . انتهى كلام ابن خلدون ملخصا (أبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤) .

وقال صاحب مفتاح السعادة :

وهـو علم يتعـرف منـه قـوانين تتعلق بحسـاب الفـرائض المتعلقـة بقسمـة التـركة ، وهـذا وإن كـان من فـروع العلـوم الشرعيـة لتعلقه بـالفرائض ، ولكنـه ـ من حيث كـونه قـواعد حسابية ـ يكون من فروع علم العدد (مفتاح السعادة ١ / ٣٧١) .

وقد ذكـرنا فى بـداية هذه المـادة أن حساب الفـرائض هو معـرفة فـروض الـوراثة ، وتصحيـح سهام الفـريضـة باعتبـار الأصول أو مناسختها . وتنقل لك فيمـا يلى ما ورد فى منظومة الـرحبيـة عن ذلك ونتبعهـا بشرح سبط المـارديني وقـد رقمنـا الأبيات ليسهل الرجوع إليها قال الإمام الرحبى رحمه الله تحت عنوان «باب الحساب» :

١ ـ *وإن تـرد معـرفـه الحسـاب* — *لتهتـدى بـه إلى الصـواب*

٢ ـ *و تعـرف القسمـة والتفصيـلا* — *وتعلـم التصحيـح والتأصيـلا*

٣ ـ *فـاستخـرج الأصـول فى المسـائل* — *ولا تكـن عـن حفظهـا بـذاهـل*

٤ ـ *فـإنهـن سبعـة أصـول* — *ثـلاثـة منهن قـد تعـول*

٥ ـ *وبعـدهـا أربعـة تمـام* — *لا عـول يعـروهـا ولا انثـلام*

٦ ـ *فـالسـدس من ستـة أسهـم يـرى* — *والثلـث والـربـع مـن اثنـى عشـرا*

٧ ـ *والثمن إن ضـم إليـه السـدس* — *فـأصلـه الصـادق فيـه الحـدس*

٨ ـ *أربعـة يتبعهـا عشـرونـا* — *يعـرفهـا الحُسَّـاب أجمعـونـا*

٩ ـ *فهـذه الثـلاثـة الأصـول* — *إن كثـرت فـروعهـا تعـول*

١٠ ـ *فتبلغ الستـة عقـد العشـرهْ* — *فـى صـورة معـروفـة مشتهـره*

١١ ـ *وتلحق التى تليهـا بـالأثـر* — *فـى العـول إفـرادا إلى سبع عشـر*

١٢ ـ *والعـدد الثـالث قـد يعـول* — *بثمنـه فـاعمل بمـا أقـول*

١٣ ـ *والنصف والبـاقى أو النصفـان* — *أصلهمـا فـى حكمهـم اثنـان*

١٤ ـــ والثلث من ثـــلاثـــة يكـــون
والــــربع مـن أربعــــة مسنــــون

١٥ ـــ والثمـن إن كـــان فمن ثمــــانيــه
فهـــذه هـي الأصـــول الثــــانيــه

١٦ ـــ لا يـدخل العـــول عليهـــا فــاعلم
ثـم اسلـك التصحيح فيهـــا واقسم

١٧ ـــ وإن تكـن من أصلهـــا تصح
فتـــرك تطـــويـل الحســـاب ربح

١٨ فـأعط كـــلا سهمــه من أصلهـــا
مكمَّـــلا أو عـــائلا من عـــولهـــا

وجاء شرح سبط المارديني على النحو التالى :

الأبيات ١ ـ ٥ :

أى : حساب مسائل الفرائض وهو تأصيلها وتصحيحها لا علم الحساب المعروف مع أنه لا بد من معرفته لمن يريد إتقان علم الفرائض .

هذه الأبيات الثلاثة الأول كلها حشو والغرض بيان أصول المسائل أولا ، وأصل كل مسألة هو أقل عدد يصح منه فرضها أو فروضها وأصول مسائل الفرائض المتفق عليها (سبعة) اثنان وثلاثة وأربعة وستة وثمانية واثنا عشر وأربعة وعشرون وهى قسمان : قسم منها قد يعول وهو ثلاثة أصول، وقسم منها لا يعول وهو الأربعة الباقية وقوله : (ولا انثلام) كمل به البيت لأجل القافية (الثلمة : الخلل فى الحائط وغيره) .

الأبيات ٦ ـ ١٢ :

كل مسألة فيها (سدس) وما بقى أصلها من (ستة) كأم وابن ، وكأبوين وابن فأصلها من ستة ، وكذلك إذا كان مع السدس نصف أو ثلث أو ثلثان كأم وبنت وعم وكأم وولديها وعم وكأم وبنتين وعم ، وكذلك إذا كان فيها نصف وثلث كزوج وأم وعم ، وكل مسألة فيها ربع وسدس فأصلها من اثنى عشر كزوج و أم وابن ، وكذلك إذا كان مع الربع ثلث أو ثلثان كزوجة وأم وعم ، وكزوج وبنتين وعم فأصلها من اثنى عشر وفى كثير من النسخ .

(والثلث والربع من اثنى عشر) وهى صحيحة كأم وزوجة وعم وكل مسألة فيها ثمن وسدس فأصلها من أربعة وعشرين وهو معنى قوله : (أربعة يتبعها عشرونا) كابن وزوجة وأم وكذلك إذا كان مع الثمن ثلثان كزوجة وبنتين ومعتق . وقوله : (الصادق فيه الحدس) حشو لأجل القافية (والحدس) فى اللغة الظن والتخمين (فهذه الأصول الثلاثة) تعول إذا كثرت فروضها فزاد مجموعها إلى المال كزوج وأختين لأم وأختين لأب فإن فيها نصفا وثلثا وثلثين فيتحاصص أصحاب الفروض فى المال على نسبة فروضهم فتجمع سهامهم من أصل المسألة ويقسم المال على مجموع السهام يخرج حصة كل سهم وهذا هو العول لأن العول فى اللغة الارتفاع والزيادة ، وفى الاصطلاح زيادة فى عدد سهام أصل المسألة ونقصان من مقادير الانصباء .

شرع يبين عول هذه الأصول الثلاثة وما يبلغه كل أصل منها بالعول فـ (الستة) تعول إلى سبعة وإلى ثمانية وإلى تسعة وإلى عشرة فتعول أربع مرات على توالى الأعداد إلى أن تبلغ (عشرة) وذلك (فى صورة معروفة مشهورة) بأم الفروخ بالخاء المعجمة وستأتى فتعول إلى سبعة فى زوج وأختين لأبوين أو لأب ، أو مختلفين فللزوج النصف ثلاثة وللأختين الثلثان أربعة ومجموعها سبعة فسم المال بينهما أسباعا للزوج نصف عائل وهو ثلاثة أسباع وللأختين ثلثان عائلان وهما أربعة أسباع وفى أم وأخوين لأم وأختين لغيرها وتعول إلى ثمانية كزوج وأم وأختين لغيرها وكزوج وأم وأخت شقيقة أو لأب وتلقب هذه الصورة بالمباهلة ويصير نصف الزوج فى الصورتين ربعا وثمنا ويصير فرض الأم فى الأولى ثمنا وفى الثانية ربعا وتعول إلى تسعة كزوج وأم وثلاث أخوات متفرقات للزوج النصف وللشقيقة النصف ولكل واحد من الثلاث الباقيات السدس . وكزوج وأختين لأم وأختين لأبوين أو لأب وتلقب هذه الصورة بالغراء لاشتهارها كالكوكب الأغر وإلى عشرة كزوج وأم وأختين لأم وأخت شقيقة وأخت لأب وكزوج وأم وأختين منها وأختين من غيرها وتلقب هذه الصورة بأم الفروخ بالخاء المعجمة لكثرة ما فرخت بالعول والاثنى عشر تعول ثلاث مرات على توالى (الأفراد) إلى ثلاثة عشر وإلى خمسة عشر و (إلى سبعة عشر) فتعول إلى ثلاثة عشر كبنتين وأم وزوج ، وكزوجة وأم وأخت لأم وأخت لغيرها وإلى خمسة عشر كبنتين وزوج وأبوين ، وكزوجة وأختين لأم وأختين لغيرها ، وإلى سبعة عشر كزوجة وأم وولديها وأختين لغيرها

وكجدتين وثلاث زوجات وأربع أخوات لأم وثمان أخوات لأبوين أو لأب وتلقب هذه الصورة بأم الأرامل وبأم الفروج بالجيم لأنوثة الجميع وبالسبعة عشرية بفتح العين والأربعة والعشرون وهو الأصل الثالث من الأصول العائلة قد تعول وتلقب بالمسألة البخيلة لقلة عولها مرة واحدة بثمنها إلى سبعة وعشرين كأربع بنات ابن وأربع جدات وجد وثلاث زوجات كزوجة وبنتين وأبوين وتلقب هذه الصورة بالمنبرية .

الأبيات ١٣-١٦ :

لما فرغ من بيان القسم الأول من أصول المسائل وهى الأصول الثلاثة التى تعول شرع الآن فى بيان القسم الثانى وهو الأصول الأربعة التى لا تعول فكل مسألة فيها نصف وما بقى كزوج وعم أو نصف ونصف كزوج وأخت شقيقة أو لأب فأصلها (اثنان) والصورتان الأخيرتان تلقبان بالنصفيتين لأن كلا منهما فيها نصف ونصف ، وباليتيمتين لأنهما لا نظير لهما وكل مسألة فيها ثلث وما بقى كأم وعم أو ثلثان وما بقى كبنتين وعم أو ثلث وثلثان كأختين لأم وأختين لأب فأصلها ثلاثة وكل مسألة فيها ربع وما بقى كزوج وابن أو ربع ونصف وما بقى كزوج وبنت وعم فأصلها أربعة وكل مسألة فيها ثمن وما بقى كزوجة وابن أو ثمن ونصف وما بقى كزوجة وبنت وعم فأصلها ثمانية وقوله : (من أربعة مسنون) السنن هى الطريقة فهذه الأصول الأربعة لا يدخلها العول كما تقدم فإذا عرفت أصل المسألة فاسلك طريق (التصحيح) بعد ذلك تسلم من الخطأ فى القسمة فقد تصح المسألة من أصلها وقد تحتاج إلى ضرب .

البيتان ١٧ ، ١٨ :

إذا كانت المسألة (تصح) من أصلها بأن انقسم نصيب كل فريق على عدد رءوسه كأم وعمين وكزوج وثلاثة بنين وكثلاث زوجات وأم وخمسة أعمام وكأم الأرامل فيقتصر فى القسمة على تأصيلها ولا يحتاج إلى تصحيح فلا تضرب بعض الرءوس فى بعض والحاصل فى أصل المسألة ولا تنظر بين الرءوس والسهام لأن هذا كله (تطويل) فى (الحساب) من غير فائدة فتركه (ربح) للراحة (فأعط) كل وارث (سهمه من أصلها) كاملا إن لم تكن المسألة عائلة و (عائلا) إن كانت عائلة ففى ثلاث زوجات وأم وخمسة أعمام أصلها اثنا عشر ومنها تصح ربعها ثلاثة أسهم على ثلاث زوجات منقسمة عليهن لكل زوجة سهم وثلثها أربعة للأم والباقى خمسة منقسمة على الأعمام لكل عم سهم وفى المباهلة وهى زوج وأم وأخت لغيرها أصلها ستة وتعول إلى ثمانية للأم ثلث عائل وهو سهمان من ثمانية فهو فى الحقيقة ربع و لكل من الزوج والأخت نصف عائل وهو ثلاثة أثمان وفى أم الأرامل وهى وجدتان وثلاث زوجات وأربع أخوات لأم وثمان أخوات لأبوين أو لأب أصلها اثنا عشر وتعول إلى سبعة عشر للجدتين السدس عائلا وهو سهمان من سبعة عشر سهما لكل جدة سهم وللزوجات الربع عائلا وهو ثلاثة أسهم من سبعة عشر لكل زوجة سهم وللأخوات للأم الثلث عائلا وهو أربعة لكل أخت سهم وللأخوات الباقيات الثلثان عائلان وهما ثمانية لكل منهن سهم فتعول إلى سبعة عشر وعدة الورثة سبعة عشر وكانت التركة فيها سبعة عشر دينارا ولذلك تلقب بالسبعة عشرية .

باب السهام : ثم ينتقل الناظم إلى الكلام على السهام فيقول رحمه الله :

١ ـ *وإن تر السهام ليست تنقسم*
على ذوى الميراث فاتبع ما رسم

٢ ـ *واطلب طريق الاختصار فى العمل*
بالوفق والضرب يجانبك الزلل

٣ ـ *واردد إلى الوفق الذى يوافق*
واضربه فى الأصل فأنت الحاذق

٤ ـ *إن كان جنسا واحدا أو أكثرا*
فاتبع سبيل الحق وأطرح المرا

٥ ـ *وإن تر الكسر على أجناس*
فإنها فى الحكم عند الناس

٦ ـ *تحصر فى أربعة أقسام*
يعرفها الماهر فى الأحكام

٧ ـــ مماثل من بعده مناسب
وبعده موافق مصاحب

٨ ـــ والرابع المباين المخالف
ينبيك عن تفصيلهن العارف

٩ ـــ فخذ من المماثلين واحدا
وخذ من المناسبين الزائدا

١٠ ـــ واضرب جميع الوفق في الموافق
واسلك بذاك أنهج الطرائق

١١ ـــ وخذ جميع العدد المباين
واضربه في الثاني ولا تداهن

١٢ ـــ فذاك جزء السهم فاحفظنه
واحذر هديت أن تزيغ عنه

١٣ ـــ واضربه في الأصل الذي تأصلا
وأحص ما انضم وما تحصّلا

١٤ واقسمه فالقسم إذا صحيح
يعرفه الأعجم والفصيح

١٥ ـــ فهذه من الحساب جمل
يأتي على مثالهن العمل

١٦ ـــ من غير تطويل ولا اعتساف
فاقنع بما بُيّن فهو كاف

ويشرح سبط المارديني الأبيات على النحو التالي :

إذا لم (تنقسم) سهام كل فريق من أصل المسألة على عدد رءوس فريقه من الورثة قسمة صحيحة من غير كسر بأن انكسر نصيب فريق أو أكثر عليه (فاتبع ما رسم) أي اتبع الأثر الذي رسمه العلماء (واطلب طريق الاختصار في العمل بالوفق) وهو طلب الموافقة بين سهام كل فريق وعدد رءوسهم وبين الرءوس بعضها مع بعض واضربه في أصل المسألة واعمل بالوفق (والضرب) لأن كل مسألة إذا ما ضربت رءوس فريقها بعضها في بعض ، والحاصل في أصلها صح قسمها من الحاصل سواء كان فيها انكسار على كل الفرق أو على بعضها على جهة التباين أو التوافق أو لم يكن فيها انكسار فإن لم يكن فيها انكسار تصح من أصلها ولا تحتاج إلى ضرب كما عرفت وإن كان فيها انكسار فقد لا تحتاج إلى ضرب الرءوس في الرءوس كما إذا خلف خمس جدات وخمس أخوات لأم وخمسة أعمام أصلها من ستة للجدات السدس سهم يباين عددهن ، وللأخوات الثلث سهمان يباين عددهن والباقي ثلاثة للأعمام يباين عددهم فرءوس الفرق الثلاثة متماثلة فاضرب عدد الرءوس إحدى الفرق وهو خمسة في أصل المسألة وهو ستة فتصح من ثلاثين ، ولو ضربت الرءوس بعضها في بعض والحاصل في أصلها لصحت من سبعمائة وخمسين ، وإذا كانت المسألة تصح في عدد قليل فتصحيحها من عدد أكثر منه خطأ في الصناعة الحسابية .

فإذا سلك الحاسب طريق الاختصار بالوفق والضرب جانبه الخطأ وذلك بأن تنظر إن وقع الكسر على فريق واحد وكانت السهام تباين رءوس الفريق المنكسر عليه كأم وخمسة أعمام فاضرب عدد رءوسهم في أصل المسألة إن لم تكن عائلة أو في مبلغها بالعول إن عالت يحصل المطلوب ، ففي المثال اضرب عدد الأعمام وهو خمسة في أصلها ثلاثة تصح من خمسة عشر ، وفي زوج وثلاث أخوات لأبوين أصلها ستة وتعول إلى سبعة ثلاثة للزوج منقسمة عليه وأربعة للأخوات تباين عددهن فاضرب عددهن وهو ثلاثة في مبلغ أصلها بالعول وهو سبعة تصح من أحد وعشرين للزوج تسعة ولكل أخت أربعة وإن كانت السهام توافق رءوس الفريق فـ (اردد) الفريق الموافق إلى وفقه (واضربه في) أصل المسألة إن كان المنكسر عليه فريقا واحدا يحصل المطلوب كأم وستة أعمام أصلها من ثلاثة للأم سهم صحيح ينقسم عليها ويفضل سهمان على ستة أعمام لا ينقسمان عليهم ويوافقان عددهم بالنصف فرد عدد رءوسهم إلى نصفه ثلاثة واضربه في أصلها فتصح من تسعة وفي زوج وعشرين أختا لأب أصلها ستة وتعول إلى سبعة ثلاثة للزوج صحيحة تنقسم عليه وأربعة للأخوات لا تنقسم عليهن وتوافق عددهن بالربع فرد عددهن إلى ربعه خمسة واضرب الخمسة في مبلغ أصلها بالعول وهو سبعة تصح من خمسة وثلاثين وقوله (أو أكثر) يأتي حكمه

عقبه . إذا وقع الكسر على أكثر من صنف واحد بأن انكسر على كل من الفريقين أو أكثر نصيبه وهو قوله : (وإن الكسر على أجناس) فانظر الفريق الذى تباينه سهامه وتحفظه كاملا والفريق الذى توافقه سهامه ترده إلى وفقه وتحفظ وفقه ثم تنظر فى المحفوظين أو فى محفوظ من المحفوظات فأحوالهما منحصرة (فى أربعة أقسام) إما أن يكونا متماثلين وهما المتساويان كخمسة وخمسة وإما أن يكونا متناسبين وهو أن يكون أقلهما جزءا من أكثرهما أى ينسب إلى الأكثر بالجزئية كنصفه وثلثه وعشره ونصف ثمنه وهذا تعبير العراقيين من المتقدمين ، والمتأخرون يعبرون عنهما بالمتداخلين وإما أن يكونا متوافقين وهو أن يكون بينهما موافقة بجزء من الأجزاء كالأربعة والستة فإنهما متوافقان بالنصف وإما أن يكونا متباينين وهو أن لا يكون بينهما موافقة بجزء من الأجزاء كالخمسة والثمانية ، فإذا علمت ذلك فقد يكون الانكسار على فريقين فقط وقد يكون على ثلاث فرق ، وقد يكون على أربعة ولا يتجاوزها ولكل حالة حكم اقتصر المصنف على بيان ما إذا وقع الانكسار على فريقين فقط .

يضيف الأستاذ كمال يوسف الحوت محقق الكتاب تعليقا على البيت السابع فيقول فى هامش (١) :

العددان المتماثلان مثل خمسة وخمسة أو ستة مع ستة وهكذا فى كل عدد ، والعددان المتناسبان ، كالثمانية مع الأربعة ، والثلاثة مع الستة ويسمى مثل هذا العدد متداخلا أيضا لدخول قليله فى كثيره ولأن أقله يغنى عن أكثره ، والعددان المتوفقان كالثمانية مع الستة لأن لكل واحد منهما نصفا يوافق به الآخر ، والعددان المتباينان كالخمسة مع الثلاثة أو مع الأربعة أو الستة وهكذا ، فالمتماثلان يكتفى باحدهما عن الثانى ، والمتناسبان يكتفى بالأكبر منهما لدخول الأصغر فيه ، والمتوافقان بضرب وفق أحدهما فى جميع الآخر والمتباينان يضرب كل واحد منهما فى كل الآخر فما حصل يصح منه التقسيم . انتهى من الحاشية .

ويمضى سبط الماردينى فى شرحه للأبيات فيقول :

إذا كان الكسر على فريقين فقط وحفظت عدد الفريق الذى باينته سهامه ووفق الفريق الذى وافقته سهامه فانظر إلى المحفوظين المثبتين فإن كانا متماثلين فـ(خذ) أحدهما وإن كانا متناسبين فـ (خذ الزائد) منهما وإن كانا متوافقين فـ (اضرب) وفق أحدهما فى جميع الآخر ، وإن كانا متباينين فاضرب جميع أحدهما فى جميع الآخر ؛ فالحاصل فى كل حالة من الحالات الأربع هو جزء سهم المسألة فاضربه فى أصلها إن لم تكن عائلة وفى مبلغها بالعول إن كانت عائلة يحصل التصحيح وهو (العدد) الذى يصح منه قسم المسألة فاقسمه على الورثة كما سنبينه . فالمحفوظات المتماثلات كأم وخمسة إخوة لأم وخمسة أعمام أو خمسة عشر عمًّا وكأم وعشرة إخوة لأم وخمسة عشر عما جزء سهمهما خمسة فى الصور الثلاث وتصح من ثلاثين فالمتناسبان كأم وأربعة إخوة لأم وأربعة أعمام أو اثنى عشر عما جزء سهمهما أربعة وتصحان من أربعة وعشرين ، والمتوافقان كأم وخمسة عشر أخا لأم وعشرة أعمام أو ثلاثين عما وكأم وثلاثين أخا لأم وعشرة أعمام أو ثلاثين عما والتوافق فيها كلها بين المحفوظين بالخمس وجزء سهم كل صورة منها ثلاثون وتصح من مائة وثمانية ، والمتباينات كأم وثلاثة إخوة لأم وعمين أو ستة أعمام وكأم وستة إخوة لأم وعمين أو ستة أعمام جزء سهم كل صورة منها ستة وتصح من ستة وثلاثين فاقسم كل صورة ما صحت منه المسألة على الورثة بأن تضرب (جزء) سهم المسألة فى نصيب كل فريق من أصل المسألة وتقسم الحاصل على عدد رءوس ذلك الفريق يحصل نصيب كل رأس منه من جملة التصحيح وإن وقع الانكسار على ثلاث فرق أو على أربع فرق فانظر ما بين كل فريق وسهامه واحفظ عدد رءوس الفريق المتباين ووفق رءوس الفريق الموافق ثم انظر المحفوظات فإن كانت كلها متماثلة فأحدها هو جزء سهم وإن كانت متداخلة فأكثرها جزء السهم ، وإن كانت متباينة فاضرب بعضها فى بعض فالحاصل جزء السهم وإن كانت كلها متوافقة أو مختلفة فانظر فى محفوظين منها وخذ أحدهما إن تماثلا وأكبرهما إن تناسبا والحل من ضرب أحدهما فى وفق الآخران توافقا وفى جميعه إن تباينا ثم انظر بين ما أخذته وبين محفوظ ثالث وخذ أحدهما أو أكبرهما أو الحاصل من ضرب أحدهما فى وفق الآخر أو فى كله على ما سبق فالمأخوذ ثانيا هو جزء سهم المسألة إن كانت

المحفوظات ثلاثة فإن كانت أربعة فانظر بين ما أخذته ثانيا وبين المحفوظ الرابع وخذ أحدهما أو أكبرهما أو مضروب أحدهما فى وفق الآخر أو فى كله فهو جزء سهم المسألة اضربه فى أصلها كما تقدم يحصل التصحيح، فلو خلف خمس جدات وخمسة إخوة لأم وخمسة أعمام فجزء سهمها خمسة للتماثل وتصح من ثلاثين، أو خلف خمسة إخوة لأم وعشر جدات، وعشرين عما فجزء سهمها عشرون للتداخل وتصح من مائة وعشرين، أو خلف عشر جدات وخمسة عشر أخا لأم وخمسة وعشرين عما فجزء سهمها مائة وخمسون للتوافق بين الرءوس بالخمس وتصح من تسعمائة، ولو خلف جدتين وثلاث إخوة لأم وخمسة أعمام أو جدتين وستة إخوة لأم وخمسة عشر عما فجزء سهم كل من الصورتين ثلاثون لتباين المحفوظات. وتصح من مائة وثمانين ولو خلف أربع زوجات وثمان جدات وستة عشر أخا لأم وأربعة أعمام فأصلها اثنى عشر ووقع الكسر فيها على أربع فرق وجزء سهمها أربعة لتماثل المحفوظات وتصح من ثمانية وأربعين، ولو خلف زوجتين وست جدات وعشرة إخوة لأم وسبعة أعمام لكان جزء سهمها مائتين وعشرة لتباين المحفوظات وصحت من ألفين وخمسمائة وعشرين، وإن خلف أربع زوجات وخمس جدات وسبع بنات وجدا فأصلها أربعة وعشرون وتعول إلى سبعة وعشرين وجزء سهمها مائة وأربعون وتصح من ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانين.

تنبيه :

(الجزء) بضم الجيم مهموز الآخر ويجوز فى الزاى السكون والضم (والحذر) بالحاء المهملة والذال المعجمة الاحتراز (والزيغ) بالزاى وآخره غين معجمة هو الميل والإحصاء الضبط (والضم) هنا الجمع و(القسم) بفتح القاف مصدر قسم وبكسر القاف النصيب وكلامه يحتملهما والأظهر الفتح (والأعجم) الذى لا يفصح عن مقصوده ولا يبينه (والفصيح) ضده وغالب ذلك حشو.

(الجمل) بفتح الميم جمع جملة بسكونها أى : (فهذه جمل من الحساب) مجردة عن المثل يأتى بها (العمل) على هذه الصفة المطلوبة (من غير تطويل) فى العبارة ولا ارتكاب غير طريق العمل، والمثال الصفة التى تصف المراد، والتطويل هنا ضد الاختصار، (والاعتساف) بكسر الهمزة هو الأخذ على غير الطريق (واقنع) من القناعة وهى الرضا بالقسم والماضى قنع على وزن فرح فهو قنع وقانع قنوع وقنيع و (بين) مضموم الأول مكسور الثانى مشدد مبنى لما لم يسم فاعله أى وضح، (والكافى) المغنى عن غيره، والبيتان كلاهما حشو وتطويل لا يحتاج إليهما.

باب المناسخة (أو المناسخات) ثم ينتقل الإمام الرحبى رحمه الله إلى الكلام على المناسخة فيقول :

وإن يمت آخر قبل القسمهْ
فصحح الحساب واعرف سهمهْ
واجعل له مسألة أخرى كما
قد بُيِّن التفصيل فيما قُدِّما
وإن تكن ليست عليها تنقسم
فارجع إلى الوفق بهذا قد حُكِمْ
وانظر فإن وافقت السهاما
فخُذ هُديت وفقها تماما
واضربه أو جميعها فى السابقهْ
إن لم تكن بينهما موافقهْ
وكل سهم فى جميع الثانيهْ
يضرب أو فى وفقها علانيهْ
وأسهُمُ الأخرى ففى السهام
تضرب أو فى وفقها تمام
فهذه طريقة المناسخهْ
فارق بها رتبة فضل شامخه

ويشرح سبط الماردينى الأبيات فيقول :

هذا باب نوع من تصحيح المسائل لكن الذى قبله تصحيح بالنسبة إلى ميت واحد وهذا تصحيح بالنسبة إلى ميتين فصاعدا فلهذا ذكره عقبه، والمناسخة فى الاصطلاح أن يموت إنسان ثم لم تنقسم تركته حتى يموت من ورثته وارث أو

أكثر سميت مناسخة لأن المسألة الأولى انتسخت بالثانية أو لأن المال ينتقل فيها من وارث إلى وارث ، والنسخ فى اللغة الإزالة أو النقل ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه .

إذا مات إنسان ثم مات (آخر) من ورثة الأول (قبل قسمة) تركته (فصحح) مسألة الميت الأول (واعرف) سهام الميت الثانى منها واعمل للثانى (مسألة أخرى) بأن تصحح مسألته وتقسمها كما تقدم ثم اقسم سهام هذا الميت الثانى من مسألة الأول على مسألته هو فإن انقسمت فواضح لأنها لا تحتاج إلى عمل، مثاله : ماتت امرأة عن زوج وأم وعم ثم مات الزوج عن ثلاثة بنين أو عن أبوين فمسألة الميت الأول تصح من أصله ستة، للزوج ثلاثة ، وللأم سهمان، وللعم سهم ، ومسألة الثانى وهو الزوج فى الصورتين تصح من ثلاثة وسهامه من الأولى ثلاثة منقسمة على مسألته فتصح المناسخة كلها من الستة وهذا مراده بقوله : (كما قد بين التفصيل فيما قدما) وإن لم (تنقسم) سهام الثانى على مسألته (فارجع إلى الوفق) بأن تنظر هل بين سهام الثانى ومسألته موافقة أو مباينة (فإن وافقت) سهام مسألته (فخذ) وفق مسألته (واضربه) فى المسألة السابقة وهى مسألة الميت الأول ، و(إن لم يكن) بين سهام الميت الثانى وبين مسألته (موافقة) بأن تباينا فاضرب مسألته جميعها فى السابقة ، يحصل فى الحالين تصحيح المناسخة ، مثاله والمسألة الأولى بحالها مات الزوج عن ستة بنين أو عن أم وأخوين لأم وأخ لأب فمسالته فى الصورتين تصح من أصلها ستة وسهامه من الأولى ثلاثة لا تنقسم على مسألته بل توافقها بالثلث فاضرب ثلث مسألته وهو سهمان فى مسألة الأول وهى ستة تصح المناسخة من اثنى عشر للأم فى الأولى أربعة ولعمها سهمان ولورثة الزوج ستة ، وإن مات الزوج فيها عن عشرة بنين أو عن بنت وخمسة إخوة لأبوين أو لأب، صحت مسألته فيها من عشرة ، لكل ابن سهم وللبنت خمسة ، ولكل أخ سهم ، وسهامه أى الزوج من الأولى ثلاثة تباين العشرة فاضرب العشرة جميعها فى الأولى تصح (المناسخة) من ستين ، لعم الأولى منها عشرة، ولأمها عشرون ولورثة الزوج ثلاثون ، فإذا أردت أن تقسم المناسخة فاضرب سهام كل وارث من المسألة الأولى فى جميع المسألة الثانية عند مباينتها لسهام صاحبها وفى وفق الثانية عند موافقتها واضرب سهام كل وارث من الثانية فى جميع سهام مورثه عند التباين، وفى وفقها عند التوافق ففى صورة زوج وأم وعم مات الزوج عن ستة بنين تقدم أنها تصح من اثنى عشر لموافقة مسألة الثانى سهامه بالثلث لأم الميتة الأولى من مسألتها سهمان، فى وفق الثانية وهو سهمان ، فلها أربعة ولعمها سهم فى السهمين يحصل له سهمان ، ولكل من أولاد الزوج من الثانية سهم فى ثلث سهام مورثه وهو سهم يحصل له سهم ، وفى صورة زوج وأم وعم مات الزوج عن بنت وخمسة إخوة تقدم أنها تصح من ستين لمباينة سهام الثانى مسألته فاضرب لأم الأولى سهمين فى عشرة جميع الثانية يحصل لها عشرون ، ولعمها سهما فى العشر فله عشرة واضرب لبنت الميت الثانى وهو الزوج خمسة من مسألته فى سهامه الثلاثة فلها خمسة عشر، واضرب لكل من إخوته سهما فى الثلاثة فله الثلاثة أسهم وقس على ذلك وقد اختصر المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكر سوى ما إذا مات ميتان فقط لأجل التسهيل على المبتدى ولم يذكر كيفية قسمة التركات وهى الثمرة المقصودة بالذات فنحن نذكرها وذلك أن التركة إذا كانت من الأمور المعدودة المتساوية قدرا وقيمة كالدراهم والدنانير ففيها طرق منها أن تضرب سهام كل وارث من المسألة فى التركة وتقسم الحاصل على المسألة يحصل نصيبه من التركة فلو مات عن أم وزوجة وعم وترك مائة دينار، فالمسألة من اثنى عشر سهما . للزوجة : ثلاثة وللأم أربعة ، وللعم خمسة ، فاضرب للزوجة ثلاثتها فى المائة واقسم الحاصل وهو ثلاثمائة على المسألة ، يخرج لها خمسة وعشرون دينارا واضرب للأم أربعتها فى المائة واقسم الحاصل وهو أربعمائة على المسألة يخرج لها ثلاثة وثلاثون وثلث ، واضرب للعمل خمسة فى المائة واقسم الحاصل على المسألة، يخرج له أحد وأربعون دينارا وثلثان ، ومنها أن تقسم التركة على المسألة ، وتضرب الخارج فى سهام كل وارث يحصل نصيبه ففى المثال اقسم المائة على المسألة ، وهى اثنى عشر يخرج ثمانية وثلث، اضربها فى ثلاثة للزوجة ، وأربعة للأم ، وخمسة للعم ، يحصل لكل واحد ما ذكرناه ،

ومنها أن تنسب سهام كل وارث من المسألة إليها وتأخذ من التركة بتلك النسبة ، فالمأخوذ حصته فنسبة ثلاثة للزوجة إلى المسألة ربعها فخذ لها ربع المائة وهو خمسة وعشرون ونسبة أربعة الأم إلى المسألة ثلث فلها ثلث المائة وهو ثلاثة وثلاثون وثلث ونسبة خمسة العم ربع وسدس فله ربع المائة خمسة وعشرون وسدسها ستة عشر وثلثان وهذا الوجه يعمل به في التركة المعدودة وغيرها سواء كانت أجزاؤها متصلة أو منفصلة وهي متساوية القيمة أو مختلفتها (شرح الرحبية في الفرائض / ٥٦ - ٦٧) .

وثمة منظومة أخرى في الفرائض بعنوان « خلاصة الفرائض » لعبد الملك الفتني وجاء فيها عن المناسخات ما يلي :

هاك المناسخات في الميراث
وتلك موت أحد الوراث
قبل اقتسامهم عن الدنيا
قد غايروا قسمة الأولينا
فاعرف نصيب الثان من مصحح
لأول ثم لثان صحح
مسألة واقسم عليها سهمه
فإن وفى فأول للقسمة
صح لثلاثين وإن لم ينقسم
لكنه وافقها فقد حكم
بضرب أول بوفق ما تلا
وإن يباينها فبالكل انجلى
وحاصل الضرب يسمى جامعة
وقسمة الوراث فيها واقعة
فاضرب سهام وارث من أول
في وفق تصحيح تلا أو أكمل
واضرب سهام وارث الأخير في
وفق لحظ الثان أو كل وفي
فحاصل لوارث نصيبه
واجمع له من ذين ما يصيبه
واجعل بموت ثالث ذي الجامعة
مسألة أولى وصحح شافعة

(مجموع مهمات المتون / ٧٥) .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ، جـ٢ ق ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧١ ، وشرح الرحبية في الفرائض لأبي عبد الله محمد بن علي الرحبي ، شرح الشيخ محمد بن محمد سبط المارديني / ٥٦ - ٦٧ ، ومجموع مهمات المتون ط مصطفى البابي الحلبي / ٧٥ . انظر أيضا التحفة في علم المواريث لابي غلبون - حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح علي حسين / ١٦٧ - ١٧٠) .

* **الحساب (كتاب -) :**

كتاب الحساب : لابن البناء المراكشي وهو مفيد لخص فيه ضوابط أعماله ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدى لما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر كان المشايخ في المغرب يعظمونه وهو جدير بذلك ساوق فيه المؤلف كتاب فقه الحساب والكامل ولخص براهينهما وغيرها عن اصطلاح الحروف فيها إلى علل معنوية ظاهرة وهي سر الحروف وزبدتها وهي كلها مستغلقة . وكتاب الحساب لابن محلي الموصلي ولابن فلوس (شمس الدين إسماعيل بن إبراهيم) المارديني المتوفى سنة ٦٣٧ سبع وثلاثين وستمائة ولسموءل بن يحيى توفي بمراغة سنة ٥٧٠ .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١١ ، ١٤١٢) .

* **حساب الكفات :**

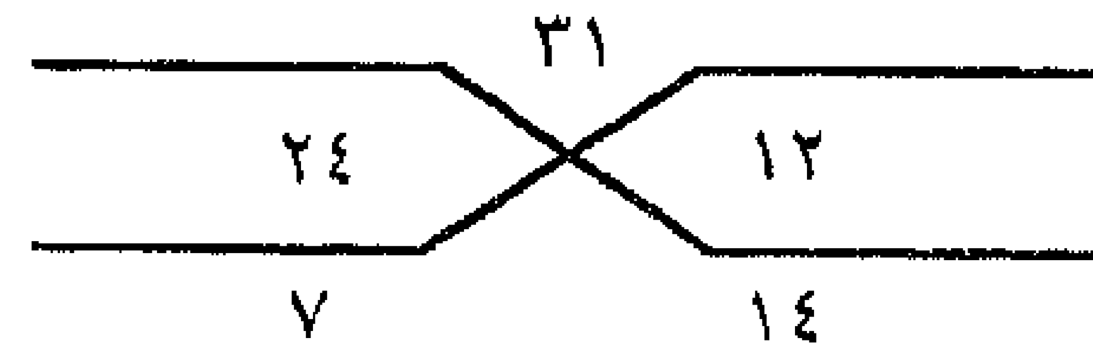
قال عنه الأستاذ قدري حافظ طوقان رحمه الله : هناك طريقة في الحساب تعتمد على حساب الخطأين (انظر في موضعه) .

استعملها بعض علماء العرب في مؤلفاتهم الحسابية فكانوا يطلقون عليها اسم « حساب الكفتين أو حساب الكفات » وقد وجدتها مذكورة في كتاب حساب قديم «للقلصادي» الذي أفرد لها بابا سماه « باب العمل في الكفات » .

ونورد هنا مسألة وردت في كتاب « القلصادي » (ص ٣٠)

مع حلها على طريقة العمل فى الكفات إذا قيل لك مال جمع ثلثه وربعه فكان واحدا وعشرين ... » وجاء الحل على الصورة الآتية : ـ

« فضع الواحد والعشرين على القبة واتخذ إحدى الكفتين من اثنى عشر والثانى أربعة وعشرين هكذا .



ثم قابل الجزء من الاثنى عشر بها على القبة [إذا فرضت المال ١٢ فإن ثلثه وربعه = ٧] نجد الفضل بينهما [أى بين ٧ و ٢١] أربعة عشر ضعها تحت الكفة . ثم افعل كذلك فى الكفة الثانية تجد الفضل بينهما ٧ ضعها تحت الكفة الثانية أيضا . ثم اضرب فضل الكفة الأولى وهو ١٤ فى الكفة الثانية يخرج لك ستة وثلاثون وثلاثمائة [٣٣٦] . احفظه ثم اضرب فضل الكفة الثانية وهو ٧ فيما فى الكفة الثانية يخرج لك أربعة وثمانون اطرحها من المحفوظ يتولد اثنان وخمسون ومائتان [٢٥٢] اقسم على ٧ وهو الفضل بين الكفة الأولى والثانية يخرج لك ستة وثلاثون وهو العدد المجهول » .

أى أنك إذا فرضت المال ١٢ فإن $\frac{1}{3}$ × ١٢ + $\frac{1}{4}$ × ١٢ = ٧

ثم تفرض المال ٢٤ فإن $\frac{1}{3}$ × ٢٤ + $\frac{1}{4}$ × ٢٤ = ١٤

٢١ - ١٤ = ٧ تضعه فى أسفل الكفة اليسرى

ولإيجاد المال نجرى العمل هكذا

$$\frac{١٢ \times ١٤ - ٢٤ \times ٧}{١٤ - ٧}$$ = ٣٦ وهو المال المطلوب

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٥٦ ، ٥٧) .

* **حساب المثلثات (علم ـ) :**

يعتبر علم المثلثات علما عربيا ، فرياضيو العرب فصلوا علم المثلثات عن علم الفلك بعدما كانا علمين متداخلين ، ونظموه تنظيما فيه الكثير من الدقة . وقد كان اليونان يستعملون وتر ضعف القوس فى قياس الزوايا ، فاستعاض رياضيو العرب عن الوتر بالجيب ، فأدت هذه الاستعاضة إلى تسهيل كثير من الأعمال الرياضية .

والرياضيون العرب كانوا السباقين إلى إدخال « الظل » فى عداد النسب المثلثية ، والظل هو المماس ، غير أن لفظة الظل تستعمل اليوم فى علم المثلثات ، ولفظة المماس تستعمل فى الهندسة . كما استخدم العرب « الظلال » «وظلال التمام » و « القواطع » و « قواطع التمام » و «الجيوب» و « جيوب التمام » ، وذلك فى قياس الزوايا والمثلثات .

من جهة ثانية اكتشف الرياضيون العرب العلاقات النسبية بين الجيوب وجيوب التمام ، والظلال وتمامها ، والقواطع وتمامها .

واكتشفوا طريقة مكنتهم من حساب مساحة المثلثات الكروية وهى مثلثات تحد أقواس من الدائرة الكبرى للكرة .

(علماء العرب ـ إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٣٦ ، ٣٧) .

* **حساب المنجمين :**

انظر : حساب الستين .

* **حساب النجوم (علم ـ) :**

علم حساب النجوم فهو علم يتعرف منه قوانين حساب الدرج والدقائق والثوانى والثوالث بالضرب والقسمة والتجذير والتفريق ومراتبها فى الصعود والنزول ، وفيه كتب مفردة غير ما بين فى مبسوطات الكتب الحسابية .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى جـ ٢ ق ١ / ٢٩٥) .

* **الحساب الهندى :**

منذ القرن التاسع الميلادى أخذ ينتشر فى العالم الإسلامى فن جديد لإجراء العمليات الحسابية بالأرقام الهندية ، سماه العرب الهندى أو حساب الهند، وسموه أيضا حساب التخت أو التراب أو الغبار .

والتسميتان الأوليان تشيران إلى أن العرب اعتبروا هذا الفن هندى المنشأ والأسماء الأخرى اقتضاها أن النظام الجديد

يتطلب استعمال لوحة (تخت) يبسط عليها الحاسب الرمل أو التراب ثم يخط عليه بالقلم ما شاء من أعداد .

والحساب الهندى كما يبدو فى أقدم المخطوطات العربية أخذه العرب لمزايا محددة قدروها ولكنهم وجدوا فيه نقائص حاولوا تلافيها .

أما المزايا فمنها أن النظام الهندى عشرى يعتمد فى الدلالة على الأعداد على تسعة إشارات للأرقام من الواحد إلى التسعة بالإضافة إلى إشارة للصفر .

ثم هو يشتمل على طرق بينة محددة للعمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة واستخراج جذور، فى حين أن هذه العمليات تجرى فى حساب اليد عقليا ، ومن ثم فهى غير واضحة المعالم ويجرى بعضها فى حساب الستين باستعمال جداول لا تتوفر فى كل حين .

يضاف إلى ذلك أن الحساب الهندى يشتمل على فكرة واضحة عن الكسر العادى المطلق الذى لا يتقيد بقيود حساب اليد أو حساب الستين .

وأبرز نقائص الحساب الهندى أنه يعتمد فى كل عملياته على التخت والمحو ، فالعمليات تجرى بحيث تمحى الأرقام تدريجيا باليد فلا يبقى فى النهاية سوى الجواب . ومن ثم لا يبقى مجال لمراجعة خطوات الحل أو رؤيتها ككل .

فلجمع ٥٤ إلى ٧٦ يكتب العددان على التراب أحدهما تحت الآخر، ثم يجمع الحاسب ٥ إلى ٧ فيمحوها بالأصابع ويضع فى مكان أعلاهما١٢ ، ثم هو يجمع ٤ إلى ٦ فيمحوها ويضع فى مكان الأعلى صفرا ، ويمحو الاثنين من ١٢ ويضع فى مكانها ٣ ، وهكذا يصير ما على التخت ١٣٠ ، وهو حاصل الجمع .

إن عرض العملية الحسابية كخطوات متتالية تتجلاها العين ويتابعها الذهن أمر لم يتوفر إذن فى الحساب الهندى . فإذا اعتبرنا حساب اليد فنا شفهيا ، والحساب الحالى (الإسلامى) كتابيا ، فإن الحساب الهندى ، كان مرحلة وسطا بين الاثنين .

وفى أقدم كتاب عربى وصل إلينا عن الحساب الهندى ، وهو كتاب الفصول لأبى الحسن أحمد بن إبراهيم الأقليدسى (كتبه فى دمشق سنة ٣٤١ هـ) نجد ذكرا لهذه النقائص ومحاولة جادة لتلافيها .

* * *

واستكمالا للعناصر الرئيسية التى تكون منها علم الحساب الإسلامى ، نضيف هنا أن العرب عندما اطلعوا على التراث الإغريقى عرفوا ما كان الإغريق يسمونه بالأرثماتيكا وأضافوه إلى ذخيرتهم الحسابية . والأرثماتيكا تتكون من موضوعات تدخل تحت ما نسميه اليوم بنظرية الأعداد .

ثم إن العرب اتصلوا بالصينيين ، وكان لدى هؤلاء معرفة بالكسور العشرية وطريقة لاستخراج الجذر الرابع وما بعده ، ولكن نرجح أن العرب اكتشفوا هذه الطريقة ، كما اكتشفوا الكسور العشرية ، مستقلين عن الصينيين . وقد أخذ العرب من الصينيين فكرة المربعات السحرية ولكنهم استعملوها فى الكيمياء وكتابة الحجب ولم يستعملوها كمادة حسابية .

(« رسالتان فى الحساب العربى » ـ تحقيق د . أحمد سليم سعيدان . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية . م ١٣ جـ ١ ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ / ٤٨ ، ٤٩) .

* **حساب الهواء :**

انظر : حساب اليد .

* **حساب اليد (علم ـ) :**

من العناصر الرئيسية التى تكون منها الحساب الإسلامى .

لا يتضمن هذا النظام أى رموز للأرقام ، بل تكتب الأعداد بألفاظها كاملة .

والنظام أصلا عشرى، وعملياته الحسابية تجرى شفهيا ويستعين الحاسب فى إجرائها على أصابع اليدين ، فيعقدها بأشكال مختلفة لتدل على الأعداد المختلفة ، وقد كان يستطيع أن يعبر بأصابعه عن أى عدد بين الواحد و ٩٩٩٩ .

فإذا هو أراد أن يجمع ١٧ إلى ٢٣ مثلا؛ عقد بأصابعه ٢٣ ، ثم يضيف إليها ١٠ عقليا ويغير العقد إلى ٣٣، ثم يضيف ٧ فيغير العقد إلى ٤٠ .

وأقدم المخطوطات التى تحمل اسم الحساب بدون تمييز

إنما تختص بهذا النظام فهو الذى كان شائعا . أما التمييز فقد صار ضروريا بعد شيوع الحساب الهندى ، فميز الأقليدسى (القرن ١٠ م) حساب اليد بأن سماه حساب الروم والعرب ، لأنه كان شائعا أيضا لدى البيزنطيين ؛ وسماه البغدادى المشار إليه آنفا حساب اليد ، وسماه بعض المتأخرين الحساب الهوائى بالمقارنة مع الحساب الهندى الذى كان يسمى حساب التراب أو الغبار .

ومخطوطات حساب اليد لا تشرح طريقة عقد الأصابع للدلالة على الأعداد المختلفة ، بل تعتبر أن القارئ يعرفها . وهى تعنى خاصة بالضرب والقسمة والنسبة ويدور معظمها حول المقادير الكسرية . ذلك أن حساب اليد كان ينطوى على ثلاثة أنظمة كسرية .

النظام الأول هو الكسور الستينية ، وكل كتاب فى حساب اليد يخصص صفحات لتحويل الكسور إلى النظام الستينى (انظر الحساب الستينى) .

والنظام الكسرى الثانى يستهدف تحويل أى كسر إلى مجموعة كسور بسوطها وحدة ، ومقاماتها من ٢ إلى ١٠ فالكسر $\frac{٣}{٤}$ مثلا يعبر عنه بنصف وربع ، والكسر $\frac{١}{١٥}$ يعبر عنه بثلث خمس . ونجد إلحاحا على هذا النوع من التعبير وقواعد موضوعة لذلك ، وجداول . حتى إن كسرا مثل $\frac{٣}{١١}$ لا يمكن تحويله بدقة تعطى له قيمة تقريبية حسب قواعد مبينة .

وهم يبررون هذا الإجراء بقولهم : إن العربية تحوى تسعة أسماء للكسور هى النصف والثلث ... إلى العشر ، فينبغى إذن أن يعبر عن كل كسر عدا هذه بدلالتها ، إما بالإضافة كما فى نصف سدس ، أو بالعطف كما فى ثلث وربع ، أو بالاستثناء كما فى نصف إلا سبع .

من هذا نستدل على أن هذا النظام الكسرى قد يكون عربى المنشأ إلا أن المصريين القدماء كانوا أيضا يلحون على تحويل الكسر إلى مجموعة كسور بسوطها واحدة .

والنظام الكسرى الثالث الذى نجده فى حساب اليد يستهدف التعبير عن أى كسر بأجزاء من وحدات القياس المحلية . فإذا كان الدرهم ٢٤ قيراطا والقيراط ٨ حبات ، والحبة ٦ أرزات ، مثلا ، عبروا عن الأعداد الصحيحة بالدراهم ، وعن الكسور بالقراريط والحبات والأرزات . فالقيراط $\frac{١}{٢٤}$ ، والحبة $\frac{١}{٨ \times ٢٤}$ ، والأرزة $\frac{١}{٦ \times ٨ \times ٢٤}$ من الوحدة .

ولما كانت وحدات القياس تختلف من مكان إلى مكان ، وتختلف فى المكان الواحد من جيل إلى جيل ، فإن دراسة هذا النظام الكسرى بالنسبة إلى الباحث المعاصر ترتبط بدراسة تاريخ وحدات القياس فى العالم الإسلامى .

ومع انتشار الحساب الهندى ، وما ينطوى عليه من فكرة واضحة عن الكسرى العادى المطلق ، تناقص الاهتمام بهذه الأنظمة الكسرية حتى لنجد الكتب المتأخرة فى حساب اليد تكاد تقتصر على قواعد مختصرة للضرب والقسمة .

لقد اختفى حساب اليد ، أو هو اندمج فى الحساب الهندى فخلفا معا علم الحساب الإسلامى ، ولكن دراسة حساب اليد ونشر مخطوطاته أمر يبقى على جانب كبير من الأهمية ، لأن علم الجبر الإسلامى نما فى بيئة حساب اليد وتحت ظله .

وأهم ما وصل إلينا من كتب فى حساب اليد ـــ قبل أن ينكمش بتأثير الحساب الهندى ـ كتابان هما كتاب الكافى فى الحساب للكرجى (القرن ١١ م) وكتاب المنازل السبع لأبى الوفاء البوزجانى (القرن ١٠ م) .

أما كتاب الكافى فنجد فيه عرضا شاملا لهذا النظام وللجبر الإسلامى فى مراحله الأولى كما نجد أن مؤلفه لا يجهل الحساب الهندى . وقد عنى المتقدمون بهذا الكتاب ووضعوا له عدة شروح وصل إلينا بعض منها .

قالت المؤلفة : كتاب « الكافى فى الحساب » لأبى بكر محمد بن الحسن الكرجى عندى نسخة منه ، دراسة وتحقيق وشرح د. سامى شلهوب . منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمى العربى . سلسلة مصادر دراسات فى تاريخ الرياضيات العربية (٥) ١٤٠٦ هـــ ١٩٨٦ م .

وأما كتاب المنازل السبع فاسمه الكامل : ما يحتاج إليه

العمال والكتاب من صناعة الحساب . وفيه أيضا عرض شامل لنظام حساب اليد ولكنه يعنى في الدرجة الأولى باستعراض المشاكل الحسابية التي يجابهها موظفو الدولة من جباة ومحاسبين ومساحين ومثمنين ... إلخ . ولذا فللكتاب عدا قيمته الرياضية قيمة كبيرة لدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العصر الإسلامي .

ولكن هذين الكتابين كبيرا الحجم تحتاج دراستهما إلى جهد وافر. ولذا آثرنا في هذه المرحلة نشر رسالة في حساب اليد أقل حجما وأقل تأثرا بالحساب الهندي لتعطي فكرة تمهيدية عن هذا النظام قبل القيام بنشر كتاب مثل الكافي أو المنازل السبع (« رسالتان في الحساب العربي » / ٤٥ ـ ٤٨) .

قالت المؤلفة : ذكر المؤلف آنفا أن بعض المتأخرين سمى حساب اليد « الحساب الهوائي » وقد وجدنا تلك التسمية في كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زاده (ونقله عنه القنوجي) إذ يقول : علم حساب الهواء علم يتعرف منه كيفية حساب الأموال العظيمة من الخيال بلا كتابة ولها طرق خاصة وقوانين عجيبة . وهذا النفع للتجار في الأسفار ، وفي مواضع لا تتيسر فيها الكتابة . وأعظم منافعها لأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة أصلا ، وللخواص إذا عجزوا عن إحضار آلات الكتابة . وفي هذا العلم رسائل شريفة يعرفها أهلها .

ومن الكتب المختصرة فيه :

كتاب لابن محلي الموصلي ومختصر لابن فلوس الماريني ؛ ومختصر السموءل بن يحيى المغربي .

ومن المبسوطة :

« الكافي » [للكرجي] و « الكامل » لأبي القاسم بن السمح ؛ و « شرح شمسية الحساب » ؛ و « شرح مختصر الصلاحي » .

و « أساس القواعد في شرح أصول الفوائد البهائية » لكمال الدين حسن الفارسي ؛ وغير ذلك مما لا يدخل تحت الضبط

(مفتاح السعادة ١ / ١٣٧ ، ٣٧٢ ، وأبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٩٤) .

(« رسالتان في الحساب العربي » ـ تحقيق د. أحمد سليم سعيدان . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية م ١٣ جـ ١ ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ م / ٤٥ ـ ٤٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي جـ ٢ ق ١ / ٢٩٤) .

انظر : حساب العقود .

*** حسام الحكام المحققين لصد البغاة المعتدين عن أوقاف المسلمين :**

إحدى مجموعة رسائل « التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية » لأبي الإخلاص حسن بن عمار بن يوسف الوفائي الشرنبلالي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ ـ ١٦٥٩ م .

أحد مخطوطات الفقه الحنفي بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

لخص المؤلف هذه الرسالة من رسالته : حسناء الأوصاف في حفظ الأوقاف ، لما سئل عن بيع وقف عامر من غير مسوغ لبيعه وقد وقفه مشتريه بعد تكرر البيع والشراء .

أولها بعد البسملة : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الأمين .

آخرها : وهذا حق الفقراء قد أقمنا البرهان والحجة لإثباته ، ودفعنا عنه تمويهات الظن وشبهاته .

تمت تأليفا سنة ١٠٥٠ هـ عليها مقابلة على نسخة المؤلف سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٢٧٩ ـ ٢٩٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ١٧١ ، ١٧٢ ، والعنوان فيه بلفظ « المحقين »)

توجد منه نسخة بمكتبة البلدية بطنطا .

(مجلة معهد المخطوطات العربية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة . الطبعة الثانية م ٤ جـ ٢ / ٣٧١ ، والعنوان فيه بلفظ «المحققين ») .

*** حسام أمير المؤمنين :**

من الألقاب الإسلامية حسام أمير المؤمنين : مرادف للقب « سيف أمير المؤمنين » وإن كان أقل منه في المرتبة في عرف كتاب ديوان الإنشاء المملوكي .

وقد أطلق على أبى سعيد بورى بن أتابك فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٥١٤ هـ فى جبانة دحداح بدمشق . ويلاحظ أنه فى النص أطلق لقب « سيف أمير المؤمنين » على قتلغ أتابك أبى سعيد طغتكين .

وقد أورد ابن شيث لقب « حسام أمير المؤمنين » ضمن ألقاب الأمراء الأعيان فى عصره وجعله ابن فضل الله العمرى فى « عرف التعريف » مع « الجناب الشريف » « والجناب الكريم » « والجناب العالى » ، ولم يورد لقبا أدنى منه بالإضافة إلى « أمير المؤمنين » ، بل اقتصر على ما يضاف إلى « الملوك والسلاطين » وأما تقى الدين بن ناظر الجيش فقد أورده مع « المجلس العالى » أى أنه أنزله رتبة عن ابن فضل الله .

وقد حاول القلقشندى تعليل انخفاض«حسام أمير المؤمنين» عن «سيف أمير المؤمنين » على أساس لغوى : فقال إن الحسام مأخوذ عن الحسم وهو القطع ، أما السيف فمأخوذ من (ساف) إذا هلك ، ومعنى الإهلاك أبلغ من معنى القطع الذى قد يقع فى بعض البدن مما لا يتضمن الإهلاك .

(الألقاب الإسلامية د. حسن الباشا / ١٩٩).

*** الحسامية (خانقاه) (٥٨٥ هـ):**

من خانقاوات دمشق

أوقفتها الخاتون ست الشام ، أخت صلاح الدين ، وأم حسام الدين ، وهى التى أوقفت الشامية البرانية ، وكان وقفها فى حدود سنة ٥٨٥ هـ

وكانت هذه الخانقاه بالصالحية شمال المدرسة الشبلية البرانية ، قرب تربة العفيف أبى الفوارس . وقد أسرع الخراب إليها ، بعكس المدرسة ، واندثرت تربة العفيف أيضا ، ونقلت التربة الشبلية لتستقر على ضفاف نهر ثورا ، الى الغرب مما يعرف اليوم بـ « دوار الميسات» .

وثمة « الخانقاه الحسامية » فى الشرف القبلى ، مكان مبانى الجامعة اليوم ، وهى غير هذه .

(خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبى / ٣٩٦) .

*** الحسامية (مدرسة) :**

قال المقريزى : هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريبا من حارة الوزيرية . بناها الأمير حسام الدين طرنطاوى المنصورى نائب السلطنة بديار مصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية ... ويسلك منها إلى درب العداس وإلى حارة الوزيرية وإلى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٣٨٦ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٣) .

*** حسان بن ثابت (ـ٥٤ هـ / ـ٦٧٤ م) :**

قال عنه الإمام النووى :

حسان بن ثابت الصحابى رضى الله عنه شاعر رسول الله ﷺ مذكور فى المهذب فى الشهادات وجواز الشعر هو أبو عبد الرحمن ويقال أبو الوليد ويقال أبو الحسام حسان ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى النجارى المدنى . وأمه الفريعة بنت خالد . روينا عن محمد بن إسحاق وآخرين بأسانيد قالوا عاش حسان بن ثابت وأبوه ثابت وأبوه المنذر وأبوه حرام كل واحد من الأربعة مائة وعشرين سنة وهذه طرفة عجيبة لا تعرف فى غيرهم كذا قاله أبو نعيم وجماعات من الأئمة قالوا عاش حسان ستين سنة فى الجاهلية وستين فى الإسلام وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين وشاركه فى هذا حكيم بن حزام فعاش ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الإسلام وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين ولا يعرف لهما ثالث فى هذا (وجد فى نسخة ما نصه . ولهما ثالث أيضا حويطب بن عبد العزى مات سنة أربع وخمسين ابن مائة وعشرين سنة وهو مثل حكيم بن حزام وهو من مسلمة الفتح ومن المؤلفة وممن حضر دفن عثمان وممن أمره عمر بتجديد أنصاب الحرم . قال له مروان بن الحكم : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث فقال الله المستعان والله لقد هممت به غير مرة كل ذلك يعوقنى عنه أبوك وينهانى يقول كيف تترك شرفك ودين آبائك

لدين محدث وتصير تبعا فأسكت مروان وندم على ما قال اهـ) .

والمراد بالإسلام من حين انتشر وشاع فى الناس وذلك قبل هجرة رسول الله ﷺ بنحو ست سنين . روى عن حسان ابنه عبد الرحمن وسعيد بن المسيب . وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان : اهج المشركين وروح القدس معك » يعنى جبريل عليه السلام . وفى رواية « اللهم أيده بروح القدس » والأحاديث الصحيحة بمعنى ما ذكرته كثيرة قالوا ويقال له أبو الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ وتقطيعه الكفار بشعره وتمزيق أعراضهم قال العلماء : كان المشركون يهجون الصحابة والإسلام فانتدب لهجوهم ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فكان حسان وكعب يعارضانهم فى الوقائع والأيام والمآثر ويذكران مثالبهم وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وبعبادة الأوثان فكان قوله أهون عليهم من قول صاحبيه فلما أسلموا وفقهوا كان قول عبد الله أشد عليهم . وقال أبو عبيدة أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل المدن حسان .

(تهذيب الأسماء ١ / ١٥٦) .

قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى ﷺ فى النبوة ، وشاعر اليمانيين فى الإسلام . وكان شديد الهجاء فحل الشعر . قال المبرد فى « الكامل » : أعرق قوم كانوا فى الشعراء آل حسان ، فإنهم يعدون ستة فى نسق ، كلهم شاعر ، وهم : سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . توفى فى المدينة (الأعلام ٢ / ١٧٦) وجاء فى الإصابة : مات حسان قبل الأربعين فى قول خليفة وقيل سنة أربعين وقيل خمسين وقيل أربع وخمسين وهو قول ابن هشام حكاه عنه ابن البرقى وزاد : وهو ابن عشرين ومائة سنة أو نحوها . وذكر ابن إسحاق أن النبى ﷺ قدم المدينة ولحسان ستون سنة . قلت : فلعل هذا يكون على قول من قال إنه مات سنة أربعين بلغ مائة أو دونها ، أو فى سنة خمسين مائة وعشرة ، أو سنة أربع وخمسين مائة وأربع عشرة ، والجمهور أنه عاش مائة وعشرين سنة ، وقيل عاش مائة وأربع سنين جزم به ابن أبى خيثمة عن المدائنى . وقال ابن سعد : عاش فى الجاهلية ستين وفى الإسلام ستين ، ومات وهو ابن عشرين ومائة (الإصابة ٢ / ٨، ٩) .

ويقى حسان شطر حياته الأخير فى الإسلام يعيش فى زمن رسول الله مما اقتنى وخلف له أهله ، ومما كان يقسمه له رسول الله من الغنائم والهدايا . وقد وهب له سيرين أخت مارية القبطية أم ولد رسول الله (انظر إبراهيم ابن النبى ﷺ) وهما من الهدية التى بعث بها المقوقس إليه فأولدها حسان ابنه عبد الرحمن .

وكان له اطم (أى بناء عال) يسكنه بالمدينة يسمى فارعا .

وكان الخلفاء يفرضون له فى العطاء بعد رسول الله مثل ما كان يفرض لكبار الصحابة المقيمين بالمدينة .

شعره ـ كان آل حسان من أعرق بيوت العرب فى الشعر ؛ فكان أبوه وجده شاعرين ، وكان ابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين ، وكان هو أشعر أهل بيته ... وأجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر، وهم أهل المدينة ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس .

وكان أجزل شعره وأقواه وأحصفه ما قاله فى شبيبته وكهولته فى الجاهلية ، أى من مثل ما ناقض به قيس بن الخطيم فى وقائع الأوس ، والخزرج ومدح به آل جفنة وآل النعمان بن المنذر. ولما أسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة ولكنها لم تطفئ من شعلة خاطره ولم تقل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله ﷺ بقيه من النكاية لأعدائه أبقاها فيه انطباعه على الهجاء منذ شب، ودعا الله أن يؤيد فيه هذه البقية بروح القدس وحكمة الدعاء بتأييد الله له فى الهجاء وهو سباب أن الهجاء كان عند العرب من أقوى الأسباب فى خضد شوكة أعدائهم وكسر حدتهم وإدخال الغم والذل على نفوسهم ، فهو سلاح من أقوى الأسلحة فى توهين العدو وكف غربه .

وكان رسول الله إذا سمع هجاءه في أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

ولذلك يرى العارفون أن شعره في الإسلام كان لا يزال كعهده في زمن الشباب قويا حصيفا رصيفا في مواضع خاصة في هجائه المشركين ، وعند هيجه بمعارضة شعرهم ، وفي فخره وحماسته . ويرون أيضا أن كثيرا مما وجد فيها من شعره لينا ضعيفا لم تكن نسبته إليه صحيحة وإنما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازي والسير . قال الأصمعي مرة : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال أبو حاتم : تأتي له أشعار لينة ، فقال الأصمعي : تنسب له أشياء لا تصح عنه .

(وقد بيَّن بعض هذا المنحول لحسان المؤرخ المحقق ابن هشام صاحب السيرة النبوية التي اختصرها من سيرة ابن إسحاق الكبيرة فبعد أن يأتي ابن هشام على بعض قصائد نسبت لحسان أو على أبيات منها ناقلا لها عن ابن إسحاق يعقِّب عليها فيقول في موضع : وأهل العلم بالشعر ينكرونها لحسان ، وفي موضع آخر : وتروى هذه الأبيات لفلان ، أي لغير حسان ، وكرر هذا القول في غير موضع وكذلك قال في قصائد نسبت لغيره من الصحابة أو من المشركين) .

وأما ما يُستلان من شعره فهو بعض ما قاله في وصف عقائد الإسلام وشعائره وتعداد فضائله ، أو قاله في توحيد الله وتنزيه صفاته وتهجين عبادة الأوثان وما أعد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ما قاله في مدح رسول الله وأصحابه ، أو بعض ما قاله في رثاء من استشهد في الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه .

ويمكن تعليل ذلك بأسباب :

١ ـ منها أن سبب لينه فيما يتعلق بعقائد الإسلام انبهاره بما قال القرءان الكريم ، ونطق به رسول الله أبلغ العرب من خُطبه ومواعظه وأحاديثه في مثل هذه الأغراض ، والمعروف أن الضعيف إذا أحس من نفسه العجز عن محاكاة ما يأتي به العظيم ازدادت نفسه خورا وفسولة عند ما يرغب أن يخوض في حديث من مثله .

٢ ـ ومنها أن الأصمعي يعلل لينه في غير الهجاء وقوته في الهجاء بأن الشعر نكد يقوى في الشر ويضعف في الخير. وهو تعليل مقبول في جملته .

٣ ـ ومنها أن لين شعره الإسلامي علله حسان نفسه فيما روى عنه ، وقد قيل له : لان شعرك أو هرم في الإسلام يا أبا الحسام (وكان يكنى بذلك أحيانا) فأجاب : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .

٤ ـ ومنها أن كثيرا من شعره الإسلامي قاله بعد ما بلغت منه السن ، والشعر صورة من صورة النفس يشيخ إذا شاخت .

٥ ـ ومنها أن كثيرا من شعره الإسلامي قاله ارتجالا عند حدوث الوقائع الداعية إليه .

أغراض شعره

وقد قال حسان الشعر في أكثر أغراضه ، وأهمها في شعره الهجاء والمدح والفخر والحكمة .

فأما الهجاء فأول ما قاله منه في الجاهلية مناقضته لقيس ابن الخطيم ، ولم يكن متناول الذم فيها بين الشاعرين معايبها الشخصية بل معايب القبيلتين الأوس والخزرج حقا أو باطلا .

ولما نافح عن رسول الله بشعره لم يكن متناول الهجو قريشا كلها بل المشركين منها بعامة وأشدهم على رسول الله بخاصة : من مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان . وهم من أقرب قريش نسبا إليه ، فكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن في أصل نسبه وذم عشيرته بل في نفي نسبه عن نسبهم وأنه دعي فيهم أو لصيق أو متبنى أو عبد ، ثم يذكر ما يستقبح من صفاته الخَلقية والخُلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهْدة الموت في المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك وقعة بدر وهزيمة قريش فيها ، وربما أقذع .

وأما مدحه في الإسلام فقلما أتى فيه بقصائد مطولة مستقلة بالمدح خاصة به على مثال لامية كعب بن زهير، وإنما يأتي بمدحه النبي ـ صلوات الله عليه ـ متصلا بهجائه أعداءه من قريش فيعير المهجو بمعاداة نبي أتى بكذا وكذا وصفته كذا وكذا .

ومـدح كثيـرا من أصحـاب رسـول الله وخلفـائه وفرسـان المسلمين بمقطعات بليغة تراها فى ديوانه .

وأما فخره فكثير ، فتـارة يكون بذكر مآثر قـومه الأنصار إذا هاجى قريشا أو ثقيفا أو هذيلا فيذكر تنكيلهم بقريش فى وقعة بدر ويكـون بذكر مـآثر الخزرج أو رهطـه بنى النجار إذا لاحى قيس بن الخطيم شاعر الأوس فى الجاهلية .

والحق أن فخـره من أفخـر شعره حتى مـا قـالـه منه بعـد الإسلام وشيخوخته .

وأمـا حكمته وضـربـه المثل فذلـك كان عـزيـزة فيه منـذ الجاهلية وزادهمـا الإسلام رونقا وصوابا ، وقلمـا تخلو قصيدة من شعره من حكمة أو ضرب مثل أو موعظة رائعة .

ولـه رثـاء يشجـو القلب ويستـذرف الـدمع ، ومنـه بضع قصائد مطولة رثى بها رسول الله ﷺ وقصائد متوسطة أو قصيدة رثى بها الخلفاء وكبار الصحابة .

أسلوب شعره ومعانيه :

ويختلف أسلـوب شعـر حسـان وعبـارتـه فى شعـره عن أسلوب معاصريه فى الجاهليـة والإسلام بقلة تكلفه وتنوقه فى تجويد الرصف وتنقيح اللفظ وتهذيبه ، كما كان يفعل النابغة والأعشى وخـاصة الحطيئة ، بـل يرسل الشعـر كما تجـود به القريحـة وعلى ما خيلت ، فيكون منـه الجيد البالغ الغـاية ، والمفجج الكثير الثغر للطاعن والناقد .

ومن هنا تعرف سبب قلة اطـراد الغريب فى شعره ، فتجد لفظ غريبا بجانب ألفاظ كثيرة سهلة لينة .

ودخل فى شعره كثير جدا من ألفاظ القرآن الكريم وضرب أمثالـه وكناياتـه وألفاظ العبادة والشعـائر الدينيـة مما لم يكن مستعمـلا ولا معروفـا فى الجـاهليـة ، وسمى بعـد بالألفـاظ الإسلامية .

وأكثر معانيه فى الإسلام مستمـد من معانى القرآن الكريم والآيات التى نزلت فى غزوة بدر وأحد والخندق وحكاية حجج المشـركين والـرد عليهم ومن إرشـاد القـرآن ووعظـه وحكمتـه وضرب مثله .

والخلاصة أن شعر حسان مظهـر من مظاهر تأثير الإسلام والقرآن فى الأدب العـربى ، ويكاد هـذا التأثير يفقـد فى شعر الحطيئة مع أنه من المخضـرمين ، لأن الحطيئة أسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام على طمع وجشع ورقة دين وقلة وفاء ، فلم يتملأ بالروح الإسلامى كغيره (المفصل فى تاريخ الأدب العربى ١ / ١٠٧ ـ ١١٣) .

وفيما يلى نموذج من شعره وهو ما قاله يوم فتح مكة ، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها :

قال حسان رضى الله عنه :

١ ـ *عفت ذات الأصـابع فـالجـواء*
إلى عـذراء منـزلهـا خـلاء

٢ ـ *ديـار من بنى الحسحـاس قفـر*
تُعَفِّيهـا الـروامس والسمـاء

٣ ـ *وكـانت لا يـزال بهـا أنيس*
خـلال مـروجهـا نعم وشـاء

٤ ـ *فـدع هـذا ، ولكن من لطيف*
يـؤرقنى إذا ذهـب العشـاء ؟

٥ ـ *عـدمنـا خيلنـا إن لم تـروهـا*
تثيـر النقع مـوعـدهـا كـداء

٦ ـ *يبـارين الأسنـة مصغيـات*
على أكتـافهـا الأسل الظمـاء

٧ ـ *تظل جيـادنـا متمطـرات*
تلطمهـن بـالخمـر النسـاء

٨ ـ *فإمـا تعـرضـوا عنـا اعتمـرنـا*
وكـان الفتح وانكشف الغطـاء

٩ ـ *وإلا فـاصبـروا لجـلاد يـوم*
يعين الله فيـه مـن يشـاء

١٠ ـ *وقـال الله : قـد يسـرت جنـدا*
هـم الأنصـار عـرضتهـا اللقـاء

١١ ـ *لنـا فى كل يـوم مـن معـدٍّ*
قتـال أو سبـاب أو هجـاء

١٢ ـ فنحكم بالقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

١٣ ـ وقال الله : قد أرسلت عبدا
لحق القول إن نفع البلاء

١٤ ـ شهدت به ، وقومي صدقوه
فقلتم : ما نجيب ، وما نشاء

١٥ ـ وجبريل أمين الله فينا ،
وروح القدس ليس له كفاء

١٦ ـ ألا أبلغ أبا سفيان عني
فأنت مجوف نخب هواء

١٧ ـ بأن سيوفنا تركتك عبدا
وعبد الدار سادتها الإماء

١٨ ـ هجوت محمدا ، فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

١٩ ـ أتهجوه ، ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء

٢٠ ـ فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء

٢١ ـ فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وفاء

وإليك شرح معاني بعض الألفاظ :

البيت ١ : ذات الأصابع ، والجواء ، وعذراء مواضع بالشام .

البيت ٢ : الروامس : الرياح التي تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .

البيت ٣ : النَّعم : الإبل والشاة ، أو خاص بالإبل .

البيت ٤ : العشاء من المغرب : إلى العتمة ، والمعنى دع الحديث في الأطلال ، وأرشدني إلى من يدفع عني طيف الخيال الذي يؤرقني إذا اشتد ظلام الليل .

البيت ٥ : كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

البيت ٦ : المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أي أن الخيل تسابق الأسنة التي يضعها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجري معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أي مائلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

البيت ٧ : تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر: جمع خمار، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أي أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

البيت ٨ : فإما : أصلها إن ما ، وهي إن الشرطية المدغمة في ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهي زيارة البيت الحرام ، أي إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

البيت ١٠ : عرُضتها : أي همتها وقوتها ، أي أن الأنصار قوتها في اللقاء والقتال .

البيت ١٢ : حكم الفرس : جعل للجامه حكمة ، فأخضعه ، أي نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

البيت ١٣ : البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

البيت ١٥ : الكفاء : أي المكافئ أي المساوي .

البيت ١٦ : المجوف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ (المنتخب ١ / ٤٤ ـ ٤٦) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ / ١٥٦ ، ١٥٧ ، والأعلام للزركلي ٢ / ١٧٦ ، والإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني ٢ / ٨ ، ٩ ، والمفصل في تاريخ الأدب العربي ـ أحمد الإسكندري وزملائه ١ / ١٠٧ ـ ١١٣ ، والمنتخب من أدب العرب ـ طه حسين وزملائه ١ / ٤٤ ـ ٤٦) .

*** حسان (جامع ـ) (٥٥٧ هـ) :**

من المساجد الجامعة بدمشق . في قصر حجاج إلى الشمال من حمام الزين وينسب إلى الأمير الأجل أبي طالب محمد بن علي بن كرد الذي بناه سنة ٥٥٧ هـ .

وفى سنة ١٣٢٨ كان يسمى مدرسة الشيخ محمد القاسمى الحلاق وكان فيه ثمانى عشرة غرفة وثلاثون طالبا .

وقد تعرض المسجد للهدم فى مناسبات كثيرة ، لكنه رُمِّم وبقى قائما حتى اليوم ، وهو يُعدّ من المساجد القديمة التى بنيت فى عصر نور الدين (خطط دمشق / ٣٢٤) .

على باب المسجد عتبة فيها « بسم الله الرحمن الرحيم ، عمره الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير المقرب نجم الدين مجد الإسلام أبو طالب محمد بن على كرد ، لوجه الله ، فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة » .

وقد سكن فيه الخطيب عبد الله بن حسان ، فنسب إليه . وتوفى فى سنة ٦٥٠ هـ قال صاحب الشذرات : « وفيها الخطيب العدل عبد الله بن حسان بن رافع خطيب المصلى : توفى بقصر حجاج بالمسجد المعروف به ودفن بسفح قاسيون (دور القرآن فى دمشق / ٤٩) .

(خطط دمشق - أكرم حسن العلبى / ٣٢٤ ، ودور القرآن فى دمشق لعبد القادر بن محمد النعيمى - صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد / ٤٩) .

*** ابن الحسبانى (٧٤٨ - ٨١٥ هـ / ١٣٤٦ - ١٤١٢ م) :**

هو أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال ، قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس الدمشقى الشافعى المعروف بابن الحسبانى .

مولده فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

كان إماما عالما فقيها ، بارعا فى الفقه ، والعربية ، والحديث ، وغير ذلك ، تصدر للإقراء والتدريس والفتيا عدة سنين ، وولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق وخطابتها غير مرة ، وقدم القاهرة مرارا عديدة .

قال المقريزى : وتفقه بأبيه وغيره ، وسمع من أصحاب الفخر ، وطلب بنفسه فأكثر جدا بدمشق والقاهرة ، ولم يزل يسمع حتى سمع ممن هو دون شيوخه مع ذكاء وتفنن ، وكتب تفسيرا أجاد فيه لو كمل ، وعلق على الحاوى فى الفقه شرحا ، وخرج أحاديث الرافعى وسماه « شافى العى فى تخريج أحاديث الرافعى » وشرح ألفية ابن مالك فى النحو ، وناب فى الحكم بدمشق مدة ، ثم ولى قضاء القضاة بها غير مرة ، فلم تحمد سيرته ، وكان لا يزال يخرج على السلطان ويترامى على الشر ، ويلج فى مضايق الفتن حبا فى الرئاسة ، انتهى كلام المقريزى .

توفى بدمشق فى يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة ، عن خمس وستين سنة وسبعة أشهر وأيام .

وله ترجمة فى : الدليل الشافى ١ / ٤٠ رقم ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ١٤ / ١١٤ ، إنباء الغمر ٢ / ٥٢٣ رقم ٣ ، قضاة دمشق / ١٣١ ، السلوك ٤ / ٢٥٤ ، الضوء اللامع / ٢٣٧ ، شذرات الذهب ٧ / ١٠٨ .

(المنهل الصافى لابن تغرى بردى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣) .

*** الحسبة :**

من خصائص النظم الاجتماعية فى القرون الوسطى مراقبة المصالح العامة للتأكد من أنها تسير طبقا للمبادئ كما جاءت فى القرآن وفسرتها الشريعة ، وهذه المراقبة كانت تسمى بنظام الحسبة ، وهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما فرض على من ولى أمور المسلمين ، فكان يجب عليه أن يعين لذلك محتسبا يراه أهلا للقيام بهذه الوظيفة ، وعلى المحتسب أن يتخذ الأعوان لمراقبة ما يجرى من المنكرات وتعزير الناس وتأديبهم وحملهم على التمسك بأهداب الشريعة وتجنب كل ما من شأنه أن يضر بمصلحة الجمهور .

(الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عن العرب / ٣١٦) .

ولم يكن لبلاد الإسلام عهد بدار الحسبة قبل أن ينشئها أمير المؤمنين عمر « رضى الله عنه » بالمدينة المنورة ، فقد رأى بثاقب بصره وما حباه الله به من فطرة سليمة غذاها بما نهله من المعين الصافى بالصحبة الصادقة لرسول الهدى (ﷺ) أن ما وصلت إليه الفتوحات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها يتطلب وضع نظام ينفع ديار المسلمين وينشر عليهم لواء العدل والأمن والرخاء الذى كفله الإسلام

لكل فرد فى المجتمع مهما كانت جنسيته أو عقيدته ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] فأنشأ رضى الله عنه ديوانا أسماه « دار الحسبة » ـ البلدية ـ ، وجعل عليها رئيسا أسماه « المحتسب » ـ رئيس البلدية ـ وبذلك يكون قد سبق الزمن بإنشائها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحسبة « جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سواء فى ذلك عن ولاية الحرب مثل نيابة السلطان ، والصغرى مثل نيابة الشرطة وولاية الحكم أو ولاية المال وهى ولاية الدواوين المالية وولاية الحسبة » (المدينة المنورة / ١٣ ، ١٤) .

ويقول الإمام الماوردى : الحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا أظهر فعله . وقال الله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] (الأحكام السلطانية / ٢٠٧) .

لقد وضع العرب فى تنظيمهم للصناعات والمهن وعلاقات العمل تشريعا لقمع الغش ، ومراقبة أصحاب الصنائع والحرف يسمى « الحسبة » وسمى القائم بها « المحتسب » وهذه الوظيفة دينية ، وهى من باب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ويقتصر عمل المحتسب على ما يتعلق بالغش والتدليس (الطب عند العرب / ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

والحسبة وظيفة جليلة رفيعة الشأن وموضوعها التحدث فى الأمر والنهى والتحدث على المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته . قال الماوردى فى الأحكام السلطانية : وهو مشتق من قولك حسبك بمعنى اكفف لأنه يكفى الناس مؤونة من يبخسهم حقوقهم . قال النحاس : وحقيقة المحتسب فى اللغة المجتهد فى كفاية المسلمين ومنفعتهم ، إذ حقيقة افتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام / ٥١) .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته مجملا الكلام على الحسبة:

أما الحسبة فهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعيِّن لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة فى المدينة مثل المنع من المضايقة فى الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل والحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدى المعلمين فى المكاتب وغيرها فى الإبلاغ فى ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه وليس إمضاء الحكم فى الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس فى المعايش وغيرها فى المكاييل والموازين وله أيضا حمل المماطلين على الإنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم وكأنها أحكام ينزه القاضى عنها لعمومها وسهولة أغراضها فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت فى كثير من الدول الإسلامية مثل العُبيدِيين بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره علما فى أمور السياسة اندرجت فى وظائف الملك وأفردت بالولاية (مقدمة ابن خلدون / ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

وقال فضيلة الشيخ أحمد مصطفى المراغى :

الحسبة لغة كما فى لسان العرب اسم من الاحتساب وهو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالأخذ بأنواع البر والخير والقيام بها على الوجه المرسوم لها ابتغاء الأجر المرجو منها ، وفى حديث عمر رضى الله عنه :

أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته ؛ واسم الفاعل المحتسِب أى طالب الأجر .

وفى القاموس واحتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه ومنه المحتسب . فظاهر عبارة اللسان تدل على أن المحتسب

مأخوذ من احتسب أجرا عند الله إذا اعتده وادخره ، وصريح عبارة القاموس ترشد إلى أنه من احتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه ، ومن البين أن المناسبة جلية فى أخذه من المعنى الأول كما أشار إليه صاحب اللسان إذ طلب الأجر أسبق فى الفكر لدى المحتسب من إنكار عمل غيره ومنعه من فعله وإن كان هذا يحصل تبعا وعرضا لا قصدا أوليا من العمل .

معنى الحسبة شرعا :

أصل الحسبة الشرعية مشارفة السوق (شارف الشيء : قاربه ودنا منه) والنظر فى مكاييله وموازينه ، ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشترى من مأكول ومصنوع ، ورفع الضرر عن الطريق بدفع الحرج عن السابلة من الغادين والرائحين ، وتنظيف الشوارع والحارات والأزقة إلى نحو ذلك من الوظائف التى تقوم بها الآن المجالس البلدية . ومفتشو الصحة ومفتشو الطب البيطرى ومصلحة المكاييل والموازين وقلم المرور، ورجال الشرطة الموكول إليهم المحافظة على الآداب العامة إلى غير ذلك .

ثم اتسعت أعمالها فيما بعد حتى كانت من أهم الشئون التى عنى بها الخلفاء والسلاطين وصار لها ولاية خاصة (مصلحة خاصة) شملت كل أمر بمعروف، ونهى عن منكر، كإقامة الصلاة فى مواقيتها والنظر فى أحوال أئمة المساجد والمؤذنين وإلزامهم بأداء وظائفهم على حسب مقتضى الشرع ، ومن ثم قال بعض العلماء : الحسبة أمر بمعروف ظهر تركه ، ونهى عن منكر ظهر فعله ، وإصلاح بين الناس .

(المعروف كل فعل أو قول أو قصد حسن شرعا ، والمنكر كل فعل أو قول أو قصد قبح شرعا ، والإنكار فى ترك الواجب وفعل الحرام واجب ، وفى ترك المندوب وفعل المكروه مندوب) .

وأول من أحدثها فى الإسلام عمر بن الخطاب كما سبق القول ، فقد ولى عبد الله بن عقبة على النظر فى الأسواق والتفتيش على المكاييل والموازين ومنع الغش فيما يباع ويشترى وقد كان الخلفاء والولاة فى الصدر الأول يباشرون أعمالها بأنفسهم يبتغون إصلاح الرعية ويرجون جزيل الثواب ، فقد كان عمر يقوم بوظائف المحتسب ويشارف السوق ويراقب المكاييل والموازين ويأمر بإماطة الأذى عن الطريق .

(دفع الضرر ويشمل هذا كل ما يضر المارة من ازدحام فيها ووجود أنقاض وهدم يمنع من السير فيها ووجود مبان متداعية للسقوط فى جوانبها) .

روى المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يضرب حمالا ويقول : حملت جملك ما لا يطيق (مفتش قلم المرور الآن والرفق بالحيوان) .

وفى كنز العمال عن زيد بن فياض عن رجل من أهل المدينة قال : دخل عمر ـ رضى الله عنه ـ السوق وهو راكب فرأى دكانا (دكة) قد أحدث فى السوق فكسره (الحسبة فى الإسلام / ٤ ـ ٧) .

إلا أن لفظ « المحتسب » لم يستعمل إلا فى عهد الخليفة المهدى العباسى (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) (حضارة الدولة العربية / ١٤٤) .

وقبل أن نفصل هذين الأساسين اللذين بنيت عليهما الحسبة ، وهما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نسوق الأحاديث النبوية الشريفة الآتية :

١ ـ عن طارق بن شهاب « أن أول من بدأ بخطبة العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » أخرجه الخمسة إلا البخارى وهذا لفظ مسلم .

وعند الترمذى فقام رجل فقال : يا مروان خالفت السنة .

زاد أبو داود : أخرجت المنبر فى يوم عيد ولم يكن يخرج فيه ، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة ، وليس عند النسائى إلا المسند فقط .

٢ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : «ما من نبى بعثه الله تعالى فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من

بعدهم خلوف يقولون مـا لا يفعلون ويفعلون ما لا يـؤمرون ، فمن جاهـدهم بيده فهـو مؤمن ، ومن جاهـدهم بلسانـه فهو مؤمن ، ومن جـاهدهم بقلبه فهـو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . أخرجه مسلم .

« حوارى الرجل » خاصته وناصروه .

« والخلوف » جمع خلف بسكون اللام ، وهم الذين يأتون بعد من مضى ويكونون شرا منهم .

٣ ـ وعنه رضى الله عنه قـال « قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنـو إسـرائيل فى المعـاصى نهتهم علمـاؤهم فلم ينتهـوا فجـالسوهم وواكلـوهم وشاربـوهم فضـرب الله تعالى قلـوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود (الآية) ثم جلس وكان متكئا فقـال لا : والذى نفسى بيده حتى تـأطروهم على الحق إطرا » ومعنى « تأطروهم » تعطفوهم وتردوهم .

٤ ـ وعن قيس بن أبى حـازم قال : قال أبـو بكر رضى الله عنه ، بعد أن حمد الله تعالى وأثنـى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ﴿ **يا أيها الذين آمنـوا عليكم أنفسكـم لا يضـركم من ضـل إذا اهتـديتم** ﴾ [المائدة : ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب » أخرجهما أبـو داود والترمذى . ومعنى « يوشك » يقرب ويسرع .

٥ ـ وعن حذيفة رضى الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيـده لتأمرن بـالمعروف ولتنهـون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » أخرجه الترمذى .

٦ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنـه قـال : قال رسـول الله ﷺ : « إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم : فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله تعالى وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

٧ ـ وعن عرس بن عميرة الكندى رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : « إذا عملت الخطيئـة فى الأرض كـان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » أخرجهما أبو داود .

٨ ـ وعن أبى سعيـد رضى الله عنـه قال : قـال رسـول الله ﷺ: « إن من أعظم الجهـاد كلمة عـدل عند سلطـان جائر » أخرجه أبو داود والترمذى (تيسير الوصول ١ / ٣٢ ، ٣٣) .

والأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكـر دعـامة من دعـائم الدين وبه بعث الله النبيين أجمعين ، ولـولاه لنشطت الضلالة وعمت الجهالة وانتشر الفساد وخربت البلاد وهلك العباد .

وإنا لنرى الناس الآن بعد أن استولت على قلوبهم مداهنة الخلق وضعفت مـراقبة الخـالق، قد استـرسلوا فى الشهـوات وركنوا إلى اللذات ، وقَلَّ أن تجد مؤمنا صادقا لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن شمر عن ساعـد الجد وسد هذه الثغرة وأدى عمل الحسبة ابتغـاء مرضاة ربه أو قلـد وظيفتها وقام بأعبـائها مراقبا ربه فقد قام بقسط وافر فـى خدمة دينه ونال رضوان ربه ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ [التوبة : ٧٢] (الحسبة فى الإسلام / ٤ ـ ٧) .

يقول الإمام ابن قدامة :

اعلم : أن الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى بعث الله به النبيين ، ولو طوى بساطـه ، لاضمحلت الديانة ، وظهـر الفساد، وخربت البلاد .

قال الله تعـالى : ﴿ **ولتكن منكم أمـة يـدعون إلى الخيـر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ [آل عمـران : ١٠٤] وفى هـذه الآيـة بيـان أنـه فـرض على الكفاية لا فـرض عين ، لأنه قال : ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ ولم يقل : كونـوا كلكم آمرين بـالمعروف ، فإذا قـام به من يكفى سقط عن الباقين ، واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له . وفى القرآن العظيم آيـات كثيرة فى الأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنـه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مثل القائم على حدود

الله والواقع فيها والمداهن فيها . مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم ، فقالوا : لو خرقنا فى نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا » .

فصل فى مراتب الإنكار وبعض ما ورد فيه

فقد جاء فى الحديث المشهور من رواية مسلم . أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وفى حديث آخر : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

وفى حديث آخر : « إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له : أنت ظالم، فقد تودع منهم » .

وقام أبو بكر رضى الله عنه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ [المائدة : ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب » .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

فصل فى أركانه وشروطه ودرجاته وآدابه ونحو ذلك

اعلم : أن أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة :

أحدها : أن يكون المنكِر مكلفا مسلما قادرا، وهذا شرط لوجوب الإنكار . فإن الصبى المميز ، له إنكار المنكر، ويثاب على ذلك، لكن لا يجب عليه .

وأما عدالة المنكِر، فاعتبرها قوم وقالوا : ليس للفاسق أن يحتسب، وإنما استدلوا بقوله تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ [البقرة : ٤٤] وليس لهم فى ذلك حجة .

واشترط قوم كون المنكر مأذونا فيه من جهة الإمام أو الوالى، ولم يجيزوا لآحاد الرعية الحسبة ، وهذا فاسد، لأن الآيات والأخبار عامة تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عنه عصى، فالتخصيص بإذن الإمام تحكم .

ومن العجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم ، وهؤلاء أخس رتبة من أن يتكلموا ، لكن جوابهم أن يقال لهم إذا جاؤوا إلى القاضى طالبين حقوقهم : نصرتكم أمر بالمعروف ، واستخراج حقوقكم من يد من ظلمكم نهى عن المنكر، ولم يجىء زمان ذلك لأن الإمام لم يخرج بعد .

فإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية على المحكوم عليه ، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم، مع كونه حقا ، فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من السلطان .

قلنا : أما الكافر فممنوع من ذلك لما فيه من السلطة والعز، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة (مختصر منهاج القاصدين / ١٢٣ ، ١٢٤) .

ويقسم الإمام الماوردى كلا من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ثلاثة أقسام فيقول :

فأما الأمر بالمعروف فينقسم ثلاثة أقسام : أحدها يتعلق بحقوق الله تعالى . والثانى ما يتعلق بحقوق الآدميين ، والثالث ما يكون مشتركا بينهما .

فأما المتعلق بحقوق الله عز وجل فضربان : أحدها يلزم الأمر به فى الجماعة دون الانفراد كترك الجمعة فى وطن مسكون ، فإن كانوا أعددا قد اتفق على انعقاد الجمعة بهم كالأربعين فما زاد فواجب أن يأخذهم بإقامتها ويأمرهم بفعلها ويؤدب على الإخلال بها وإن كانوا عددا اختلف فى انعقاد الجمعة بهم فله ولهم أربعة أحوال :

أحدها أن يتفق رأيه ورأى القوم على انعقاد الجمعة بذلك العدد فواجب عليه أن يأمرهم بإقامتها وعليهم أن يسارعوا إلى

أمره بها ويكون فى تأديبهم على تركها ألين من تأديبه على ترك ما انعقد الإجماع عليه .

والحالة الثانية أن يتفق رأيه ورأى القوم على أن الجمعة لا تنعقد بهم فلا يجوز أن يأمرهم بإقامتها وهو بالنهى عنها لو أقيمت أحق .

والحالة الثالثة أن يرى القوم انعقاد الجمعة بهم ولا يراه المحتسب، فلا يجوز له أن يعارضهم فيها ولا يأمر بإقامتها لأنه لا يراه ، ولا يجوز أن ينهاهم عنها ويمنعهم مما يرونه فرضا عليهم .

والحالة الرابعة أن يرى المحتسب انعقاد الجمعة ولا يراه القوم فهذا مما فى استمرار تركة تعطيل الجمعة مع تطاول الزمان وبعده وكثرة العدد وزيادته ، فهل للمحتسب أن يأمرهم بإقامتها اعتبارا بهذا المعنى أم لا ؟ على وجهين لأصحاب الشافعى رضى الله عنه .

أحدهما وهو مقتضى قول أبى سعيد الإصطخرى أنه يجوز له أن يأمرهم بإقامتها اعتبارا بالمصلحة لئلا ينشأ الصغير على تركها فيظن أنها تسقط مع زيادة العدد كما تسقط بنقصانه ، فقد راعى زياد مثل هذا فى صلاة الناس فى جامعى البصرة والكوفة ، فإنهم كانوا إذا صلوا فى صحنه فرفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب فأمر بإلقاء الحصى فى صحن المسجد الجامع وقال لست آمن أن يطول الزمان فيظن الصغير إذا نشأ أن مسح الجبهة من أثر السجود سُنة فى الصلاة .

والوجه الثانى لا يتعرض لأمرهم بها لأنه ليس له حمل الناس على اعتقاده ولا أن يأخذهم فى الدين برأيه مع تسويغ الاجتهاد فيه وأنهم يعتقدون أن نقصان العدد يمنع من إجراء الجمعة . وأما أمرهم بصلاة العيد فله أن يأمرهم بها ، وهل يكون الأمر بها من الحقوق اللازمة أو من الحقوق الجائزة؟ على وجهين من اختلاف أصحاب الشافعى فيها هل هى مسنونة أو من فروض الكفاية ؟ فإن قيل إنها مسنونة كان الأمر بها ندبا، وإن قيل إنها من فروض الكفاية كان الأمر بها حتما .

فأما صلاة الجماعة فى المساجد وإقامة الأذان فيها للصلوات فمن شعائر الإسلام وعلامات التعبد التى فرق بها رسول الله ﷺ بين دار الإسلام ودار الشرك فإذا اجتمع أهل بلد أو محلة على تعطيل الجماعة فى مساجدهم وترك الأذان فى أوقات صلواتهم كان المحتسب مندوبا إلى أمرهم بالأذان والجماعة فى الصلوات ، وهل ذلك واجب عليه يأثم بتركه أو مستحب له يثاب على فعله ؟ على وجهين من اختلاف أصحاب الشافعى فى اتفاق أهل بلد على ترك الأذان والإقامة والجماعة، وهل يلزم السلطان محاربتهم عليه أم لا ؟

فأما ترك صلاة الجمعة من آحاد الناس أو ترك الأذان والإقامة لصلاته فلا اعتراض للمحتسب عليه إذا لم يجعله عادة وألفا لأنها من الندب الذى يسقط بالأعذار إلا أن يقترن به استرابة أو يجعله إلفا وعادة ويخاف تعدى ذلك إلى غيره فى الاقتداء به فيراعى حكم المصلحة به فى زجره عما استهان به من سنن عبادته ويكون وعيده على ترك الجماعة معتبرا بشواهد حاله ، كالذى روى عن النبى ﷺ أنه قال :

« لقد هممت أن آمر أصحابى أن يجمعوا حطبا وآمر بالصلاة فيؤذن لها وتقام ثم أخالف إلى منازل أقوام لا يحضرون الصلاة فأحرقها عليهم » .

وأما ما يأمر به آحاد الناس وأفرادهم كتأخير الصلاة حتى يخرج وقتها فيذكر بها ويأمر بفعلها ويراعى جوابه عنها ، فإن قال تركتها لنسيان حثه على فعلها بعد ذكره ولم يؤدبه ، وإن قال تركتها لتوان وهوان أدبه زجرا وأخذه بفعلها جبرا، ولا اعتراض على من أخرها والوقت باق لاختلاف الفقهاء فى فضل التأخير ولكن لو كانت الجماعات فى بلد قد اتفق أهله على تأخير صلواتهم إلى آخره والمحتسب يرى فضل تعجيلها فهل له أن يأمرهم بالتعجيل على وجهين لأن اعتبار الناس لتأخيرها يفضى بالصغير الناشىء إلى اعتقاد أن هذا هو الوقت دون تقدم ولو عجلها بعضهم ترك من أخرها منهم وما يراه من التأخير .

فأما الأذان والقنوت فى الصلوات إذا خالف فيه رأى المحتسب فلا اعتراض له فيه بأمر ولا نهى وإن كان يرى إذا ما يفعل مسوغا فى الاجتهاد لخروجه عن معنى ما قدمناه وكذلك الطهارة إذا فعلها على وجه سائغ يخالف فيه رأى المحتسب

من إزالة النجاسة بالمائعات والوضوء بماء تغير بالمذرورات الطاهرات ، أو اقتصار على مسح أقل الرأس أو العفو عن قدر الدرهم من النجاسات فلا اعتراض له في شيء من ذلك بأمر ولا نهي ، وكان له في اعتراضه عليهم في الوضوء بنبيذ التمر عند عدم الماء وجهان ، لما فيه من الإفضاء إلى استباحته على كل حال فإنه ربما آل إلى السكر من شربه ثم على نظائر هذا المثال تكون أوامره بالمعروف في حقوق الله تعالى :

(فصل) فأما الأمر بالمعروف في حقوق الآدميين فضربان : عام وخاص .

فأما العام فكالبلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذوي الحاجات فكفوا عن معونتهم ، فإن كان في بيت المال مال لم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر بإصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعونة بني السبيل في الاجتياز بهم ، لأنها حقوق تلزم بيت المال دونهم ، وكذلك لو استهدمت مساجدهم وجوامعهم ، فأما إذا أعوز بيت المال كان الأمر ببناء سورهم وإصلاح شربهم وعمارة مساجدهم وجوامعهم ومراعاة بني السبيل فيهم متوجها إلى كافة ذوي المكنة منهم ولا يتعين أحدهم في الأمر به ، وإن شرع ذوي المكنة في عملهم وفي مراعاة بني السبيل وباشروا القيام به سقط عن المحتسب حق الأمر به ولم يلزمهم الاستئذان في مراعاة بني السبيل ولا في بناء ما كان مهدوما ، ولكن لو أرادوا هدم ما يعيدون بناءه من المسترم والمستهدم لم يكن لهم الإقدام على هدمه فيما عم أهل البلد من سوره وجامعهم إلا باستئذان ولي الأمر دون المحتسب ليأذن لهم في هدمه بعد تضمينه القيام بعمارته وجاز فيما خص من المساجد في العشائر والقبائل ألا يستأذنوه ، وعلى المحتسب أن يأخذهم ببناء ما هدموه وليس له أن يأخذهم بإتمام ما استأنفوه ، فأما إذا كف ذوي المكنة عن بناء ما استهدم وعمارة ما استردم ، فإن كان المقام في البلد ممكنا وكان الشرب وإن قل مقنعا تركهم واياه . وإن تعذر المقام في البلد لتعطيل شربه واندحاض سوره نظر ، فإن كان البلد ثغرا يضر بدار الإسلام تعطيله لم يجز لولي الأمر أن يفسح في الانتقال عنه وكان حكمة حكم النوازل إذا حدثت في قيام كافة ذوي المكنة به وكان تأثير المحتسب في مثل هذا إعلام السلطان به ، وترغيب أهل المكنة في عمله ، وإن لم يكن هذا البلد ثغرا مضرا بدار الإسلام كان أمره أيسر وحكمه أخف ولم يكن هذا للمحتسب أن يأخذ أهله جبرا بعمارته ، لأن السلطان أحق أن يقوم به ، ولو أعوزه المال فيستجده فيقول لهم المحتسب ما استدام عجز السلطان عنه أنتم مخيرون بين الانتقال عنه أو التزام ما يصرف في مصالحه التي يمكن معها دوام استيطانه ، فإن أجابوه إلى التزام ذلك كلف جماعتهم ما تسمح به نفوسهم ولم يجز أن يأخذ كل واحد منهم في عينه أن يلتزم جبرا ما لا تسمح به نفوسهم من قليل ولا كثير ويقول : ليخرج كل واحد منكم ما سهل عليه وطاب نفسا به ومن أعوزه المال أعان العمل حتى إذا اجتمعت كفاية المصلحة أو يلوح اجتماعها لضمان كل واحد من أهل المكنة قدرا طاب به نفسا شرع حينئذ في عمل المصلحة وأخذ كل ضامن من الجماعة بالتزام ما ضمنه ، وإن كان مثل هذا الضمان لا يلزم في المعاملات الخاصة ، لأن حكم ما عم من المصالح موسع فكان حكم الضمان فيه أوسع . وإذا عمت هذه المصلحة لم يكن للمحتسب أن يتقدم بالقيام بها حتى يستأذن السلطان فيها لئلا يصير بالتفرد مفتاتا عليه إذ ليست هذه المصلحة من معهود حسبته ، فإن قلت وشق استئذان السلطان فيها أو خيف زيادة الضرر لبعد استئذانه جاز شروعه فيها من غير استئذان .

وأما الخاص فكالحقوق إذا مطلت والديون إذا أُخِّرت فللمحتسب أن يأمر بالخروج منها مع المكنة إذا استعداه أصحاب الحقوق ، وليس له أن يحبس بها لأن الحبس حكم، وله أن يلازم عليها لأن لصاحب الحق أن يلازم ، وليس له الأخذ بنفقات الأقارب لافتقار ذلك إلى اجتهاد شرعي فيمن تجب له ، ويجب عليه إلا أن يكون الحاكم قد فرضها فيجوز له أن يأخذ له بأدائها ، وكذلك كفالة من تجب كفالته من الصغار والاعتراض له فيها حتى يحكم بها الحاكم فيجوز حينئذ للمحتسب أن يأمر بالقيام بها على الشروط المستحقة فيها .

وأما قبول الوصايا والودائع فليس له أن يأمر فيها أعيان الناس وآحادهم ، ويجوز أن يأمر بها على العموم حثا على التعاون بالبر والتقوى . ثم على هذا المثال تكون أوامره بالمعروف في حقوق الآدميين .

(فصل) وأما الأمر بالمعروف فيما كان مشتركا بين حقوق

الله تعالى وحقوق الآدميين فكأخذ الأولياء بنكاح الأيامى أكفائهن إذا طلبن وإلزام النساء أحكام العِدد إذا فورقن وله تأديب من خالف في العدة من النساء وليس له تأديب من امتنع من الأولياء .

ومن نفى ولدا قد ثبت فراض أمه ولحوق نسبه أخذه بأحكام الآباء جبرا وعزره عن النفى أدبا ، ويأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء وأن لا يكلفوا من الإعمال ما لا يطيقون ، وكذلك أرباب البهائم يأخذهم بعلوفتها إذا قصروا وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق .

ومن أخذ لقيطا وقصر فى كفالته أمره أن يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته أو تسليمه إلى من يلتزمها ويقوم بها ، وكذلك واجد الضوال إذا قصر فيها يأخذه بمثل ذلكم من القيام بها ويكون ضامنا للضالة بالتقصير ولا يكون به ضامنا اللقيط .

وإذا أسلم الضالة إلى غيره ضمنها ؛ ولا يضمن اللقيط إلى غيره ، ثم على نظائر هذا المثال يكون أمره بالمعروف فى الحقوق المشتركة .

(فصل) وأما النهى عن المنكرات فينقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : ما كان من حقوق الله تعالى .

والثانى : ما كان من حقوق الآدميين .

والثالث: ما كان مشتركا بين الحقين .

فأما النهى عنها فى حقوق الله تعالى فعلى ثلاثة أقسام :

أحدها ما تعلق بالعبادات .

والثانى ما تعلق بالمحظورات .

والثالث ما تعلق بالمعاملات .

فأما المتعلق بالعبادات فكالقاصد مخالفة هيئاتها المشروعة والمعتمد تغيير أوصافها المسنونة مثلا من يقصد الجهر فى صلاة الإسرار، والإسرار فى صلاة الجهر أو يزيد فى الصلاة أو فى الأذان أذكارا غير مسنونة ، فللمحتسب إنكارها وتأديب المعاند فيها إذا لم يقل بما ارتكبه إمام متبوع، وكذلك إذا أخل بتطهير جسده أو ثوبه أو موضع صلاته أنكره عليه إذا تحقق ذلك منه ، ولا يؤاخذه بالتهم ولا بالظنون ، كالذى حكى عن بعض الناظرين فى الحسبة أنه سأل رجلا داخلا إلى المسجد بنعلين هل يدخل بهما بيت طهارته فلما أنكر ذلك أراد إحلافه عليه ، وهذا جهل من فاعله تعدى فيه أحكام الحسبة وغلب فيه سوء الظنة ، وهكذا لو ظن برجل أنه يترك الغسل من الجنابة أو يترك الصلاة والصيام لم يؤاخذه بالتهم ولم يعامله بالإنكار ، ولكن يجوز له بالتهمة أن يعظ ويحذر من عذاب الله على إسقاط حقوقه والإخلال بمفروضاته ، فإن رآه يأكل فى شهر رمضان لم يقدم على تأديبه إلا بعد سؤاله عن سبب أكله إذا التبست أحواله فربما كان مريضا أو مسافرا ويلزمه السؤال إذا ظهرت منه أمارات الريب ، فإن ذكر من الأعذار ما يحتمله حاله كف عن زجره وأمره بإخفاء أكله لئلا يعرض نفسه للتهمة ولا يلزم إحلافه عند الاسترابة بقوله لأنه موكول إلى أمانته ، فإن لم يذكر عذرا جاهر بالإنكار عليه مجاهرة ردع وأدبه تأديب زجر، وهكذا لو علم عذره فى كل أنكر عليه المجاهرة بتعريض نفسه للتهمة ، ولئلا يقتدى به من ذوى الجهالة ممن لا يميز حال عذره من غيره .

وأما الممتنع من إخراج الزكاة ، فإن كان من الأموال الظاهرة فعامل الصدقة يأخذها منه جبرا أخص وهو بتعزيره على الغلول إن لم يجد عذرا أحق . وإن كان من الأموال الباطنة فيحتمل أن يكون المحتسب أخص بالإنكار عليه من عامل الصدقة . لأنه لا اعتراض للعامل فى الأموال الباطنة ، ويحتمل أن يكون العامل بالإنكار عليه أخص لأنه لو دفعها له أجزاه ويكون تأديبه معتبرا بشواهد حاله فى الامتناع من إخراج زكاته ، فإن ذكر أنه يخرجها سرا وكل إلى أمانته فيها . وإن رأى رجلا يتعرض لمسألة الناس فى طلب الصدقة وعلم أنه غنى إما بمال أو عمل أنكره عليه وأدبه فيه وكان المحتسب بإنكاره أخص من عامل الصدقة قد فعل عمر رضى الله عنه مثل ذلك بقوم من أهل الصدقة ولو رأى عليه آثار الغنى وهو يسأل الناس أعلمه تحريمها على المستغنى عنها ولم ينكره عليه لجواز أن يكون فى الباطن فقيرا وإذا تعرض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله ، فإن أقام على المسألة عزره حتى يقلع عنها . وإن دعت الحالة عند إلحاح

من حرمت عليه المسألة بمال أو عمل إلى أن ينفق على ذى المال جبرا من ماله ويؤجر ذا العمل وينفق عليه من أجرته لم يكن للمحتسب أن يفعل ذلك بنفسه لأن هذا حكم والحكام به أحق فيرفع أمره إلى الحاكم ليتولى ذلك أو يأذن فيه .

وإذا وجد من يتصدى لعلم الشرع وليس من أهله من فقيه أو واعظ ولم يأمن اغترار الناس به فى سوء تأويل أو تحريف جواب أنكر عليه التصدى لما ليس هو من أهله وأظهر أمره لئلا يغتر به . ومن أشكل عليه أمره لم يقدم عليه بالإنكار إلا بعد الاختبار . قد مر على بن أبى طالب عليه السلام بالحسن البصرى وهو يتكلم على الناس فاختبره ، فقال له ما عماد الدين ؟ فقال الورع ، قال فما آفته ؟ قال الطمع ، قال تكلم الآن إن شئت . وهكذا لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولا خرق به الإجماع وخالف فيه النص ورد قوله علماء عصره أنكره عليه وزجره عنه ، فإن أقلع وتاب وإلا فالسلطان بتهذيب الدين أحق وإذا تعرض بعض المفسرين لكتاب الله تعالى بتأويل عدل فيه عن ظاهر التنزيل إلى باطن بدعة تتكلف له غمض معانيه أو تفرد بعض الرواة بأحاديث مناكير تنفر منها النفوس أو يفسد بها التأويل كان على المحتسب إنكار ذلك والمنع منه ، وهذا إنما يصح منه إنكاره إذا تميز عنده الصحيح من الفاسد والحق من الباطل ، وذلك من أحد وجهين ، إما أن يكون بقوته فى العلم واجتهاده فيه حتى لا يخفى ذلك عليه ، وإما بأن يتفق علماء الوقت على إنكاره وإبتداعه فيستعدون فيه فيعول فى الإنكار على أقاويلهم وفى المنع منه على اتفاقهم .

(فصل) وأما ما تعلق بالمحظورات فهو أن يمنع الناس من مواقف الريب ومظان التهمة فقد قال النبى ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

قالت المؤلفة : الحديث بتمامه أخرجه الإمام السيوطى بألفاظ مختلفة أربع مرات بيانها كما يلى :

١ ـ « دع ما يريبك إلا ما يريبك » رواه أنس والنسائى والحسن بن على والطبرانى فى الكبير عن وابصة بن معبد عن الخطيب عن ابن عمر وقال حديث صحيح .

٢ ـ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . ، فإن الصدق ينجى» رواه ابن قانع عن الحسن .

٣ ـ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، وإن الكذب ريبة »

رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن حبان فى صحيحه عن الحسن وقال : حديث صحيح .

٤ ـ « دع ما يريبك إلا ما لا يريبك ، فإنك لن تجد فقد شىء تركته لله » .

لأبى نعيم فى الحلية والخطيب عن ابن عمر وقال : حديث حسن .

ونستكمل الكلام بعد هذا الاستطراد على ما جاء به الإمام الماوردى عن الحسبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حيث يقول بعد أن أورد ذلك الحديث الشريف .

وإن كانت الوقفة فى طريق خال فخلو المكان ريبة فينكرها ولا يعجل بالتأديب عليها حذرا من أن يكون ذات محرم ، وليقل إن كانت ذات محرم فصنها عن مواقف الريب ، وإن كانت أجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك إلى معصية الله تعالى .

وإذا جاهر رجل بإظهار الخمر، فإن كان مسلما أراقها عليه وأدبه ، وإن كان ذميا أدبه على إظهارها .

واختلف الفقهاء فى إراقتها عليه ، فذهب أبو حنيفة إلى أنها لا تراق عليه ، لأنها عنده من أموالهم المضمونة فى حقوقهم . ومذهب الشافعى أنها تراق عليهم لأنها لا تضمن عنده فى حق مسلم ولا كافر .

وأما المجاهرة بإظهار النبيذ ، فعند أبى حنيفة أنه من الأموال التى يقر المسلمون عليها فيمتنع من إراقته ومن التأديب على إظهاره . وعند الشافعى أنه ليس بمال كالخمر وليس فى إراقته غرم ، فيعتبر والى الحسبة بشواهد الحال فيه فينتهى فيه عن المجاهرة ويزجر عليها إن كان لمعاقرة ولا يريقه عليه إلا أن يأمره بإراقته حاكم من أهل الاجتهاد ، لئلا يتوجه عليه غرم إن حوكم فيه . وأما السكران إذا تظاهر بسكره وسخف بجهره أدبه على السكر والجهر تعزيرا لا حدا لقلة مراقبته وظهور سخفه .

وأما المجاهرة بإظهار الملاهى المحرمة فللمحتسب أن يفصلها حتى تصير خشبا لتزول عن حكم الملاهى، ويؤدب على المجاهرة بها ، ولا يكسرها إن كان خشبها يصلح لغير الملاهى .

وأما اللعب فليس يقصد بها المعاصى وإنما يقصد بها الف البنات لتربية الأولاد وفيها وجه من وجوه التدبير تقارنه معصية بتصوير ذوات الأرواح ومشابهة الأصنام ، فللتمكين منها وجه وللمنع منها وجه ، وبحسب ما تقتضيه شواهد الأحوال يكون إنكاره وإقراره ...

وأما ما لم يظهر من المحظورات فليس للمحتسب أن يتجسس عنها ولا أن يهتك الأستار حذرا من الاستتار بها ، قال النبى عليه الصلاة والسلام : « من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم حد الله تعالى عليه » .

فإن غلب على الظن استتار قوم بها لأمارات دلت وآثار ظهرت فذلك ضربان : أحدهما أن يكون ذلك فى انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا بامرأة ليزنى بها أو برجل ليقتله ، فيجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات، وهكذا لو عرف ذلك قوم من المتطوعة جاز لهم الإقدام على الكشف والبحث فى ذلك والإنكار، كالذى كان من شأن المغيرة بن شعبة .

والضرب الثانى ما خرج عن هذا الحد وقصر عن حد هذه الرتبة ، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه .

حكى أن عمر رضى الله عنه : دخل على قوم يتعاقرون على شراب ويوقدون فى أخصاص فقال نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم ونهيتكم عن الإيقاد فى الأخصاص فأوقدتم ، فقالوا يا أمير المؤمنين قد نهاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت ، فقال عمر رضى الله عنه : هاتان بهاتين ، وانصرف ولم يتعرض لهم فمن سمع أصوات ملاة منكرة من دار تظاهر أهلها بأصواتهم أنكرها خارج الدار ولم يهجم عليه بالدخول ، لأن المنكر ظاهر وليس أن يكشف عما سواه من الباطن .

(فصل) وأما المعاملات المنكرة كالزنا والبيوع الفاسدة وما منع الشرع منه مع تراضى المتعاقدين به إذا كان متفقا على حظره فعلى والى الحسبة إنكاره والمنع منه والزجر عليه وأمره فى التأديب مختلف بحسب الأحوال وشدة الخطر.

وأما ما اختلف الفقهاء فى حظره وإباحته فلا مدخل له فى إنكاره إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه كربا النقد فالخلاف فيه ضعيف وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه ، فهل يدخل فى إنكاره بحكم ولايته أم لا ؟ على ما قدمناه من الوجهين .

وفى معنى المعاملات وإن لم تكن منها عقود المناكح المحرمة ينكرها إن اتفق العلماء على حظرها ، ولا يتعرض لإنكارها إن اختلف الفقهاء فيها إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه كالمتعة فربما صارت ذريعة إلى استباحة الزنا ، ففى إنكاره لها وجهان ، وليكن بدل إنكاره لها الترغيب فى العقود المتفق عليها .

ومما يتعلق بالمعاملات غش المبيعات وتدليس الأثمان فينكره ويمنع منه ويؤدب عليه بحسب الحال فيه . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ليس منا من غش » .

فإن كان هذا الغش تدليسا على المشترى ويخفى عليه فهو أغلظ الغش تحريما وأعظمها مأثما فالإنكار عليه أغلظ والتأديب عليه أشد، وإن كان لا يخفى على المشترى كان أخف مأثما وألين إنكارا ، وينظر فى مشتريه ، فإن اشتراه ليبيعه من غيره توجه الإنكار على البائع لغشه وعلى المشترى بابتياعه ، لأنه قد يبيعه لمن لا يعلم بغشه ؛ فإن كان يشتريه ليستعمله خرج المشترى من جملة الإنكار وتفرد البائع وحده، وكذلك القول فى تدليس الأثمان .

ويمنع من تصرية المواشي وتحفيل ضروعها عند البيع للنهى عنه فإنه نوع من التدليس .

ومما هو عمدة نظره المنع من التطفيف والبخس فى المكاييل والموازين والصنجات لوعيد الله تعالى عليه عند نهيه

عنه ، وليكن الأدب عليه أظهر والمعاقبة فيه أكثر . ويجوز له إذا استراب بموازين السوقة ومكاييلهم أن يختبرها ويعايرها ولو كان له على ما عايره منها طابع معروف بين العامة لا يتعاملون الا به كان أحوط وأسلم .

فإن فعل ذلك وتعامل قوم بغير ما طبع بطابعه توجه الإنكار عليهم إن كان مبخوسا من وجهين : أحدهما لمخالفته في العدول عن مطبوعه وإنكاره من الحقوق السلطانية والثاني للبخس والتطفيف في الحق وإنكاره من الحقوق الشرعية ، فإن كان ما تعاملوا به غير المطبوع سليما من بخس ونقص توجه الإنكار عليهم بحق السلطنة وحدها لأجل المخالفة ، وإن زوَّر قوم على طابعه كان المزور فيه كالمبهرج على طابع الدراهم والدنانير فإن قرن التزوير بغش كان الإنكار عليه والتأديب مستحقا من وجهين : أحدهما في حق السلطنة من جهة التزوير. والثاني من جهه الشرع في الغش وهو أغلظ التكوين ، وإن سلم التزوير من غش تفرد بالإنكار السلطاني منهما فكان أحقهما ، وإذا اتسع البلد حتى احتاج أهله فيه كيالين ووزانين ونقادين تخيرهم المحتسب ومنع أن ينتدب لذلك إلا من ارتضاه من الأمناء الثقات وكانت أجورهم من بيت المال إن اتسع لها ، فإن ضاق عنها قدَّرها لهم حتى لا يجرى بينهم فيها استزادة ولا نقصان فيكون ذلك ذريعة إلى الممايلة والتحيف في مُكيّل أو موزون . وقد كان الأمراء يقومون باختيارهم وترتيبهم لذلك ويثبتونهم بأسمائهم في الدواوين حتى لا يختلط بهم غيرهم ممن لا تؤمن وساطته ، فإن ظهر من أحد هؤلاء المختارين للكيل والوزن تحيف في تطفيف أو ممايلة في زيادة أدِّب وأخرج عن جملة المختارين ومنع أن يتعرض للوساطة بين الناس وكذلك القول في اختيار الدلالين يقر منهم الأمناء ويمنع الخونة ، وهذا مما يتولاه ولاة الحسبة إن قعد عنه الأمراء

وأما اختيار القسام والزراع فالقضاة أحق باختيارهم من ولاة الحسبة لأنهم قد يستنابون في أموال الأيتام والغيب .

وأما اختيار الحراسيين في القبائل والأسواق فإلى الحماة وأصحاب المعاون .

وإذا وقع في التطفيف تخاصم جاز أن ينظر المحتسب إن لم يكن مع الخصم فيه تجاحد وتناكر ، فإن أفضى إلى تجاحد وتناكر كان القضاة أحق بالنظر فيه من ولاة الحسبة لأنهم بالأحكام أحق وكان التأديب فيه إلى المحتسب ، فإن تولاه الحاكم جاز لاتصاله بحكمهم . ومما ينكره المحتسب في العموم ولا ينكره في الخصوص و الآحاد التبايع بما لم يألفه أهل البلد من المكاييل والأوزان التى لا تعرف فيه وإن كانت معروفة في غيره ، فإن تراضى بها اثنان لم يعترض عليهما بالإنكار والمنع ، ويمنع أن يرتسم بها قوم من العموم لأنه قد يعاملهم فيها من لا يعرفها فيصير مغرورا .

(فصل) وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحصنة فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره أو في حريم لداره أو في وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار لأنه حق يخصه فيصح منه العفو عنه والمطالبة به ، فإن خاصمه فيه كان للمحتسب النظر فيه إن لم يكن بينهما تنازع وتناكل وأخذ المتعدى بإزالة تعديه وكان له تأديبه عليه بحسب شواهد الحال ، فإن تنازعا كان الحاكم بالنظر فيه أحق ، ولو أن الجار أقر جاره على تعديه وعفا عن مطالبته بهدم ما تعدى فيه ثم عاد مطالبا بعد ذلك كان له ذلك وأخذ المتعدى بعد العفو عنه بهدم ما بناه، ولو كان قد ابتدأ البناء ووضع الأجذاع بإذن الجار ثم رجع الجار في إذنه لم يؤخذ الثاني بهدمه ، و لو انتشرت أغصان الشجرة إلى دار جاره كان للجار أن يستعدى المحتسب حتى يعديه على صاحب الشجرة ليأخذه بإزالة ما انتشر من أغصانها في داره ولا تأديب عليه ، لأن انتشارها ليس من فعله ، ولو انتشرت عروق الشجرة تحت الأرض حتى دخلت في قرار أرض الجار لم يؤخذ بقلعها ولم يمنع الجار من التصرف في قرار أرضه وإن قطعها و إذا نصب المالك تنورا في داره فتأذى الجار بدخانه لم يعترض عليه ولم يمنع منه ، وكذلك لو نصب في داره رحى أو وضع فيها حدادين أو قصارين لم يمنع لأن للناس التصرف في أملاكهم بما أجبوا وما يجد الناس من مثل هذا بدًّا . وإذا تعدى مستأجر على أجير في نقصان أجرة أو استزادة عمل كفه عن تعديه وكان الإنكار عليه معتبرا بشواهد حاله ، ولو قصَّر الأجير في حق

المستأجر فنقصه من العمل أو استزاده فى الأجرة منعه منه وأنكره عليه إذا تخاصما إليه ، فإن اختلفا وتناكرا كان الحاكم بالنظر بينهما أحق .

ومما يؤخذ ولاة الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع فى الأسواق ثلاثة أصناف : منهم من يراعى عمله فى الوفور والتقصير ، ومنهم من يرعى حاله فى الأمانة والخيانة ومنهم من يراعى عمله فى الجودة والرداءة .

فأما من يراعى فى الوفور والتقصير فكالطبيب والمعلمين لأن للطبيب إقداما على النفوس يفضى التقصير فيه إلى تلف أو سقم ، وللمعلمين من الطرائق التى ينشأ الصغار عليها ما يكون نقلهم عنها بعد الكبر عسيرا فيقر منهم من توفر عمله وحسنت طريقته ويمنع من قصر وأساء من التصدى لما يفسد به النفوس وتخبث به الآداب .

وأما من يراعى حاله فى الأمانة والخيانة فمثل الصاغة والحاكة والقصارين والصباغين لأنهم ربما هربوا بأموال الناس، فيراعى أهل الثقة والأمانة منهم فيقرهم ويبعد من ظهرت خيانته ويشهر أمره لئلا يغتر به من لا يعرفه ، وقد قيل إن الحماة وولاة المعاون أخص بالنظر فى أحوال هؤلاء من ولاة الحسبة وهو الأشبه، لأن الخيانة تابعة للسرقة .

وأما من يراعى عمله فى الجودة والرداءة فهو مما ينفرد بالنظر فيه ولاة الحسبة . ولهم أن ينكروا عليهم فى العموم فساد العمل ورداءته وإن لم يكن فيه مستعد . وأما فى عمل مخصوص اعتاد الصانع فيه الفساد والتدليس فإذا استعداه الخصم قابل عليه بالإنكار والزجر، فإن تعلق بذلك غرم روعى حال الغرم ، فإن افتقر إلى تقدير أو تقويم لم يمكن للمحتسب أن ينظر فيه لافتقاره إلى اجتهاد حكمى وكان القاضى بالنظر فيه أحق ، وإن لم يفتقر إلى تقدير ولا تقويم وإستحق فيه المثل الذى لا اجتهاد فيه ، ولا تنازع فللمحتسب أن ينظر فيه بإلزام الغرم والتأديب على فعله لأنه أخذ بالتناصف وزجر عن التعدى .

ولا يجوز أن يسعر على الناس الأقوات ولاغيرها في رخص ولاغلاء وأجازه مالك فى الأقوات مع الغلاء (الأحكام السلطانية / ٢١٠-٢٢١) .

و اعلم أن الحسبة لها خمس مراتب :

التعريف :

والوعظ بالكلام اللطيف .

الثالثة : السب والتعنيف ، ولسنا نعنى بالسب الفاحشة ، بل نقول له : يا جاهل يا أحمق ،ألا تخاف من الله تعالى ! ونحو ذلك .

والرابعة : المنع بالقهر ، ككسر الملاهى وإراقة الخمر .

والخامسة التخويف والتهديد بالضرب ، أو مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه ، فهذه المرتبة تحتاج الى الإمام دون ما قبلها لأنه ربما جر إلى فتنة .

واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض .

فان قيل : تثبت الحسبة للولد على الوالد ، والعبد على السيد ، والزوجة على الزوج ، والرعية على الوالى ؟ .

قلنا : أصل الولاية ثابت للكل . وقد رتبنا للحسبة خمس مراتب .

فللولد من ذلك الحسبة بالتعريف ، ثم بالوعظ والنصح باللطف .

وله من الرتبة الخامسة : أن يكسر العود، ويريق الخمر، ونحو ذلك ، وهذا الترتيب ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة

وأما الرعية مع السلطان ، فالأمر فيه أشد من الولد ، فليس معه إلا التعريف والنصح .

ويشترط كون المنكر قادرا على الإنكار ، فأما العاجز، فليس عليه إنكار إلا بقلبه ،ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى ، بل يلتحق به خوف مكروه يناله، فذلك فى معنى العجز .

وكذلك إذا علم أن إنكاره لا ينفع ، فينقسم إلى أربعة أحوال :

أحدها : أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه ، فيجب عليه الإنكار .

الحالة الثانية : أن يعلم أن كلامه لا ينفع وأنه إن تكلم ضرب، فيرتفع الوجوب عنه .

الحالة الثالثة : أن يعلم أن إنكاره لا يفيد ، لكنه لا يخاف مكروها ، فلا يجب عليه الأمر لعدم الفائدة ، لكن يستحب لإظهار شعائر الإسلام والتذكير بالدين .

الحالة الرابعة : أن يعلم أنه يصاب بمكروه ، ولكن يبطل المنكر بفعله ، مثل أن يكسر العود ، ويريق الخمر، ويعلم أنه يضرب عقيب ذلك ، فيرتفع الوجوب عنه ، ويبقى مستحبا لقوله فى الحديث : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

ولا خلاف أنه يجوز للمسلم الواحد أن يهجم على صفوف الكفار ويقاتل، وإن علم أنه يُقتل، لكن إن علم أنه لا نكاية له فى الكفار، كالأعمى يطرح نفسه على الصف ، حرم ذلك ، وكذلك لو رأى فاسقا وحده وعنده قدح خمر وبيده سيف ، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب الخمر لضرب عنقه، لم يجز له الإقدام على ذلك . لأن هذا لا يؤثر فى الدين أثرا يفديه بنفسه، وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر، وظهر لفعله فائدة ، كمن يحمل فى صف الكفار ونحوه .

وإن علم المنكر أنه يضرب معه غيره من أصحابه، لم تجز له الحسبة ، لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بإفضائه إلى منكر آخر، وليس ذلك من القدرة فى شىء . ولسنا نعنى بالعلم فى هذه المواضيع إلا غلبة الظن ، فمن غلب على ظنه أنه يصيبه مكروه ، لم يجب عليه الإنكار . وإن غلب على ظنه أنه لا يصيبه وجب، ولا اعتبار بحالة الجبان ، ولا بالشجاع المتهور، بل الاعتبار بالمعتدل الطبع، السليم المزاج . ونعنى بالمكروه : الضرب أو القتل ، وكذلك نهب المال، و الإشهار فى البلد مع تسويد الوجه . فأما السب والشتم ، فليس بعذر فى السكوت ، لأن الآمر بالمعروف يلقى ذلك فى الغالب .

الركن الثانى : أن يكون ما فيه الحسبة منكرا موجودا فى الحال ظاهرا، فمعنى كونه منكرا أن يكون محذور الوقوع فى الشرع ، والمنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر، فعليه أن يريق خمره ويمنعه ...

وقولنا : موجودا فى الحال ، احتراز ممن شرب الخمر وفرغ من شربها ، ونحو ذلك ، فإن ذلك ليس إلى الآحاد ، وفيه أيضا احتراز عما سيوجد فى ثانى الحال ، كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب الليلة ، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ

وقولنا : ظاهرا ، احتراز ممن تستر بالمعصية فى داره وأغلق بابه ، فإنه لا يجوز أن يتجسس عليه ، إلا أن يظهر ما يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير والعيدان . فلمن سمع ذلك أن يدخل ويكسر الملاهى ، فإن فاحت رائحة الخمر، فالأظهر جواز الإنكار .

ويشترط فى إنكار المنكر أن يكون معلوما كونه منكرا بغير اجتهاد ، فكل ما هو محل الاجتهاد ، فلا حسبة فيه ، فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله متروك التسمية ، ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه يسير النبيذ الذى ليس بمسكر .

الركن الثالث : فى المنكر عليه ، ويكفى فى صفته أن يكون إنسانا ، ولا يشترط كونه مكلفا كما بينا قبله من أنه ينكر على الصبى والمجنون .

الركن الرابع : نفس الاحتساب ، وله درجات وآداب .

الدرجة الأولى : أن يعرف المنكر، فلا ينبغى له أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار، ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر جيرانه ليخبروه بما يجرى، بل لو أخبره عدلان ابتداء أن فلانا يشرب الخمر، فله إذ ذاك أن يدخل وينكر.

الدرجة الثانية : التعريف ، فإن الجاهل يقدم على الشىء لا يظنه منكرا، فإذا عرف أقلع عنه ، فيجب تعريفه باللطف ، فيقال له : إن الإنسان لا يولد عالما . ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علّمنا العلماء ، فلعل قريتك خالية من أهل العلم . فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء . ومن اجتنب محذور السكوت عن المنكر، واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه ، فقد غسل الدم بالبول .

الدرجة الثالثة : النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله، ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد ، ويحكى له سيرة السلف،

ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ، وها هنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها ، وهو أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم ، وذل غيره بالجهل .

ومثال ذلك مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه ، وهو غاية الجهل ومذلة عظيمة ، وغرور من الشيطان ، ولذلك محك ومعيار، فينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه ، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه ، أو باحتساب غيره عليه . أحب إليه من امتناعه عنه باحتسابه، فإن كانت الحسبة شاقة عليه ، ثقيلة على نفسه ، وهو يود أن يكفى بغيره، فليحتسب فإن باعثه هو الدين ، وإن كان الأمر بالعكس ، فهو متبع هوى نفسه ، متوسل إلى إظهار جاهه بواسطة إنكاره، فليتق الله وليحتسب أولا على نفسه .

وقيل لداود الطائي : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ قال : أخاف عليه السوط . قيل : هو يقوى على ذلك ، قال : أخاف عليه السيف ، قيل : هو يقوى على ذلك ، قال : أخاف عليه الداء الدفين : العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، وإنما يعدل إلى هذا عند العجز عن المنع باللطف ، وظهور مبادئ الإصرار، والاستهزاء بالوعظ والنصح ، ولسنا نعنى بالسب : الفحش والكذب ، بل نقول له : يا فاسق ، يا أحمق ، يا جاهل، ألاتخاف الله ، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

الدرجة الخامسة : التغيير باليد ، ككسر الملاهي ، وإراقة الخمر، وإخراجه من الدار المغصوبة ، وفي هذه الدرجة أدبان:

أحدهما : أن لا يباشر التغيير ما لم يعجز عن تكليف المنكر عليه ذلك ، فإذا أمكنه أن يكلفه الخروج عن الأرض المغصوبة ، فلا ينبغي أن يجره ولا يدفعه .

والثاني : أن يكسر الملاهي كسرا يبطل صلاحيتها للفساد، ولا يزيد على ذلك ، ويتوقى في إراقة الخمور كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا ، وإن لم يقدر إلا بأن يرمى ظروفها بحجر أو نحوه ، فله ذلك ، وتسقط قيمة الظروف، ولو ستر الخمر بيديه ، فإنه يقصد يديه بالضرب ليتوصل إلى إراقة الخمر، ولو كانت الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ، بحيث إنه إذا اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق فمنعوه ، فله كسرها ، لأن هذا عذر، وكذلك إن كان يضيع الزمان في صبها ، وتتعطل أشغاله ، فله كسرها ولو لم يحذر من الفساق .

فإن قيل : فهلا يجوز الكسر زجرا ، وكذلك الجر بالرجل في الإخراج من الدار المغصوبة زجرا ؟

قلنا : إنما يجوز مثل ذلك للولاة ، ولا يجوز لآحاد الرعية ، لخفاء وجه الاجتهاد فيه .

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف كقوله : دع عنك هذا وإلا فعلت بك كذا وكذا ، وينبغي أن يقدم هذا على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه .

والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدد بوعيد لا يجوز تحقيقه ، كقوله : لأنهبن دارك ، ولأسبين زوجتك ، لأنه إن قال ذلك عن عزم، فهو حرام ، وإن قاله عن غير عزم ، فهو كذب .

الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة ، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف .

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر على الإنكار بنفسه ويحتاج إلى أعوان يشهرون السلاح . فإنه ربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدي إلى القتال ، فالصحيح أن ذلك يحتاج إلى إذن الإمام ، لأنه يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد .

وقيل : لا يشترط في ذلك إذن الإمام .

(مختصر منهاج القاصدين / ١٢٥ـ١٢٩) .

المحتسب :

وهو الذي يقوم بوظيفة الحسبة وهو من أرباب الوظائف الدينية الست المشهورة ، وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم . وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجله بمصر

والقاهرة على المنبر . ويده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها ويتقدم إلى الولاة بالشد منه ، ويقيم النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم ، ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم ، قال : ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحيانا (تاريخ البمارستانات فى الإسلام / ٥١ ، ٥٢) .

لقد ذكر العلماء تعريفات عن المحتسب كثيرة ، منها ما جاء فى كتاب معالم القربة للقرشى ، ما نصه (المحتسب إمام للمجتمع الإسلامى الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ومن الوظائف المتصلة بالأحكام الشرعية وظيفة المحتسب وكان يلقب « بالشيخ » ويتلخص عمل المحتسب فى المحافظة على النظام العام والآداب فى الجامعة وإلزام الناس باحترامها) ومما جاء فى كتاب الحسبة فى الإسلام لابن تميمة [تيمية] ما يلى : « ويأمر المحتسب بالجمعة والجماعات وبصدق الحديث وأداء الأمانات وينهى عن المنكرات من الكذب والخيانة وما يدخل فى ذلك من تطفيف المكيال والميزان والغش فى الصناعات والبياعات والديانات ونحو ذلك . ولئن كان أمير المؤمنين عمربن الخطاب «رضى الله عنه » أول من أنشأ « دار الحسبة » البلدية ـ كما سبق القول ـ فإنه رضى الله عنه لم يكن أول من استعمل المحتسب فى نظامه ، فقد ثبت أن رسول الله « ﷺ » تولى ذلك الأمر بنفسه ؛ فكان يتفقد الأسواق ويأمر وينهى ، فقد ورد أنه « ﷺ» مر بالسوق فرأى صبرة طعام (الصبرة : ما صنع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ﷺ : « يا صاحب الطعام، ما هذا » فقال أصابته السماء يا رسول الله ، قال « ﷺ أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ » ثم قال ﷺ « من غشنا فليس منا » (رواه الترمذى عن أبى هريرة) كما ثبت أنه ﷺ استعمل من أصحابه من يقوم بهذا الأمر حيث استعمل سعيد بن العاص على سوق « مكة المكرمة » واستعمل عمر بن الخطاب على سوق «المدينة المنورة » وكان رضى الله عنه يشارف السوق ويراقب الموازين والمكاييل والرفق بالحيوان فقد رؤى يضرب جمّالا ويقول : « حملت جملك ما لا يطيق » وإنه رضى الله عنه استعمل عبد الله بن عتبة على السوق .

من هذا يتضح أن وظيفة المحتسب كانت لرسول الله «ﷺ» أول الأمر . ثم استعمل من رآه أهلا لها ، وكان الخلفاء الراشدون معنيين بها إذ كان الخليفة يتولاها بنفسه أو يعين لها من يراه أهلا للقيام بها على نهج النبى « ﷺ » واقتداء بأمره ، وهذا يشير إلى شرف ذلك المنصب بانتسابه إلى رسول الله «ﷺ » ثم الخلفاء الراشدين ، ولذلك اهتم العلماء والفقهاء بعد عصر الراشدين بوضع المؤلفات فى قواعدها ودراسة أحكامها وكان ذلك بدء التأليف عن الحسبة فى كل الأقطار التى كانت فى ظل الإسلام (المدينة المنورة ٢ / ١٤ ـ ١٦) .

ويعقد الإمام ابن قدامة فصلا فى صفات المحتسب فيقول : وجملتها ثلاث صفات :

الأول : العلم بمواقع الحسبة ، وحدودها ليقتصر على حد الشرع .

والثانى : الورع ، فإنه قد يعلم شيئا ولا يعمل به لغرض من الأغراض .

والثالث : حسن الخلق ، وهو أصل ليتمكن من الكف، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع خلق حسن .

ومن الآداب : تقليل العلائق ، وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة ، فقد حكى عن بعض السلف أنه كان له سنور، وكان يأخذ لسنوره فى كل يوم من قصاب فى جواره شيئا من الغدد : فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار فأخرج السنور، ثم جاءه فأنكر على القصاب، فقال : لا أعطيك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال : ما أنكرت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك ، وهذا صحيح، فإن لم يقطع الطمع من الناس من شيئين لم يقدر على الإنكار عليهم .

أحدهما : من لطف ينالونه به .

والثانى : من رضاهم عنه وثنائهم عليه .

وأما الرفق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمتعين، قال الله تعالى ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ [طه : ٤٤] .

وروى أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنبا والناس يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه فى قليب ، ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى ، قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذى عافاكم . فقالوا : أفلا تبغضه ؟ فقال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه ، فهو أخى .

ومر فتى يجر ثوبه ، فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذا شديدا ، فقال صلة : دعونى أكفكم أمره ، ثم قال : يا ابن أخى ، إن لى إليك حاجة . قال ما هى؟ قال : أحب أن ترفع إزارك ، قال : نعم ونعمى عين (أى قرة عين ، يعنى : أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك) فرفع إزاره ، فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم ، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم .

ودعى الحسن إلى عرس ، فجيء بجام من فضة فيه خبيص ، فتناوله وقلبه على رغيف ، فأصاب منه ، فقال رجل : هذا نهى فى سكون (مختصر منهاج القاصدين / ١٢٩ ، ١٣٠) .

يقول المقريزى عن الحسبة والمحتسب فى القاهرة (أو دكة الحسبة) : وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة مكانها اليوم يعرف بالأبازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين ، قال ابن الطوير : وأما الحسبة فإن من تسند إليه لا يكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لأنها خدمة دينية ، وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعى القاهرة ومصر يوما بعد يوم ، ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره ، وكذلك الطباخون . ويتتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة ، وكذلك مع الحمالين على البهائم ، ويأمرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا ، وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق، وينذرون معلمى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا فى مقتل، وكذلك معلموا العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيئ المعاملة فينهونه بالردع والأدب ، وينظرون المكاييل والموازين ، وللمحتسب النظر فى دار العيار ، ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها . والولاة تشد معه إذا احتاج إلى ذلك ، وجاريه ثلاثون دينارا فى كل شهر (المواعظ والاعتبار ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤) .

ويفرد الإمام تاج الدين السبكى (انظر ترجمته فى م ٨ / ٣١٦ ــ ٣١٨) فى كتابه النفيس . « معيد النعم » المثال الخامس والأربعين للكلام على المحتسب وبخاصة فى بلاد الشام فيقول :

وعليه النظر فى القوت ، وكشف غُمة المسلمين فيما تدعو إليه حاجتهم من ذلك ، والاحتراز فى المشروب والطعام ؛ فطالما أوهم الطباخ أن لحم الكلاب لحم ضأن فليتق الله ربه ، ولا يكن سببا فى إدخال جوف المسلمين ما كرهه الله لهم من الخبائث ويحرم عليه التسعير فى كل وقت على الصحيح ، وقيل : يجوز فى زمان الغلاء ، وقيل : يجوز إذا لم يكن مجلوبا ، بل كان مزروعا فى البلد ، وكان عند الشتاء وإذا سعر الإمام انقادت الرعية لحكمه ، ومن خالفه استحق التعزير ومن مهمات المحتسب ــ لا سيما فى بلاد الشام ــ أمران ارتبطا به : أحدهما النقود من الذهب والفضة المضروبين ، ولا يخفى أن فى زغلهما هلاك أموال البشر، فعليه اعتبار العيار بمحك النظر ، والتثبت فى سكة الملسمين . وثانيهما المياه ، فعليه الاحتراز فى سياقتها . وقد جرت عادة أناس فى الشام أن يشترى بعضهم قدرا معلوما من ماء نهر ثورى أو باناس مثلا ، ويتحيَّل لصحته بأن يورد العَقد على مقره بما له فيه من حق الماء ، وهو كذا إصبعا ثم يسوقه، ويحمله على مياه الناس برضا طائفة يسيرة منهم . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدد النكير فى هذا وله فيه تصنيف سماه الكلام على أنهار دمشق ، والحاصل أن الخلق فى أنهار دمشق سواء يقدم الأعلى منهم فالأعلى . ولا يجوز بيع شيء من الماء ولا مقره (معيد النعم / ٦٥ ، ٦٦) .

وكان للمحتسب أعوان يدعون العرفاء ، تطابق وظيفته فى أيامنا تقريبا موظف التموين وشرطى البلدية ، والمفتش

القضائى مجتمعين فكان يتفقد نظافة البلاد ، ومراقبة السوقة والأسواق ، وكشف أنواع الغش والتدليس لأصحاب الحرف والصناعات فى مبيعاتهم ومعاملاتهم ، وكان يشرف على القضاء أحيانا ، بل كان يقصد مجالس الأمراء والولاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويعظهم بالشفقة على الرعية ، وكان المحتسب ينظر أيضا فى أمور عديدة تتعلق بالصحة والطب ، منها منع الدجالين من الشعوذة والتوجيل ومنع الناس من تصديقهم ، والإشراف على بيع العقاقير ، وعدم صرفها إلا بوصفة طبية ، لمرض معين . وكان المحتسب فوق ذلك ينظم اختيار الأطباء ويفحص معلوماتهم، ويشرف على امتحاناتهم ويتعرف على مقدرتهم وكفايتهم ، ودرجة إتقانهم للصناعة (الطب عند العرب / ٢٧٨)

ومع تطور المجتمع وتشعب المرافق العامة وتعددها احتاج المحتسب للقيام بوظيفته إلى مراجع توضح له نطاق عمله وتحدد بدقة مقتضيات المهن والصنائع الخاضعة للرقابة . فأخذ بعض العلماء يدونون هذه البيانات ويرتبونها فصولا متسلسلة بحيث يكون فى متناول المحتسب نوع من «الدستور » يستطيع الرجوع إليه . ولنذكر على سبيل المثال بعض هذه المؤلفات التى نشرت أخيرا :

١ ـ نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م وقد نشره سنة ١٩٤٦ الأستاذ السيد الباز العرينى (لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) .

٢ ـ معالم القربة فى أحكام الحسبة لضياء الدين محمد ابن الإخوة الذى عاش فى مصر . وقد نشره الأستاذ روبين ليفى فى لندن سنة ١٩٣٨ .

٣ ـ رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة .

٤ ـ رسالة أحمد بن عبد الرؤوف فى آداب الحسبة والمحتسب .

٥ ـ رسالة الجرسيفى فى الحسبة (انظر مؤلفات أخرى جاءت فى ثبت المراجع فى نهاية هذه المادة) .

وقبل أن نتكلم بالذات عن مراقبة الصيادلة نورد أسماء الصناعات التى وردت فى كتاب نهاية الرتبة للشيزرى .

الباب الأول مخصص لذكر ما يجب على المحتسب من شروط الحسبة ولزوم مستحباتها .

والباب الثانى : فى النظر فى الأسواق والطرقات .

والثالث والرابع : فى معرفة القناطير والأرطال والمثاقيل والدراهم والموازين والمكاييل ، وعيار الأرطال والمثاقيل . وابتداء من الباب الخامس يخصص الشيزرى بابا على حدة لكل من رجال الصناعة الآتى ذكرهم .

الحبوبيون والدقاقون ، الخبازون ، الفرانون ، صناعة الزلابية ، الجزارون والقصابون ، الشواؤون ، الرواسيون ، قلاؤو السمك ، الطباخون ، الهرائسيون ، النقانقيون ، الحلويون ، الصيادلة ، العطارون ، الشرابيون ، السمانون ، البزارون ، المنادون والدلالون ، الحاكة ، الخياطون ، القطانون ، الكتانيون ، الحريريون ، الصباغون ، الأساكفة ، الصيارف ، الصاغة ، النحاسون ، والحدادون ، البياطرة ، نخاسو العبيد والدواب ، الحمامات وقوامها ، الفصادون والحجامون ، الأطباء والكحالون والمجبرون والجرائحيون ، مؤدبو الصبيان ، أهل الذمة (الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة / ٣١٦ ـ ٣١٨) .

الحسبة فى الطب :

جاء فى كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » للشيزرى خاصا بالأطباء وصناعتهم ما يلى :

قال : وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط الذى أخذه على سائر الأطباء ، ويحلفهم أن لا يعطوا أحدا دواء مرا ، ولا يركبوا له سما ، ولا يصنعوا السمائم عند أحد من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، وليغضوا من أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ، ولا يفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار ، وينبغى للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال مما يحتاج إليه فى صناعة الطب ، غير آلة الكحالين والجرائحيين وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف بمحنة الطبيب فأما « محنة الأطباء » لجالينوس فلا يكاد واحد يقوم بما شرط عليهم .

وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق ، أعنى العشر المقالات فى العين . (هذا الكتاب قد علق عليه الأستاذ الدكتور مايرهوف العالم المستشرق الرمدى بالقاهرة وطبع لحساب الحكومة المصرية) فمن وجده فيما امتحنه به عارفا بتشريح العين وعدد طبقاتها السبع ، وعدد رطوباتها الثلاث ، وعدد أمراضها الثلاثة ، وما يتفرع من ذلك من الأمراض ، وكان خبيرا بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة أعين الناس ، وألا ينبغى أن يفرط فى شىء من آلات صنعته مثل سنانير السبل والظفرة ومحك الجرب ومباضع الفصد ودرج المكاحل وغير ذلك (السبل : داء فى العين شبه غشاوة ، والظفرة : زيادة من الملحمة) .

وأما كحالو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم ، إذ لا دين لهم يصدهم عن التهجم على أعين الناس بالقطع والكحل بغير علم وخبرة بالأمراض والعلل الحادثة ، فلا ينبغى لأحد أن يركن إليهم فى معالجة عينه ولا يثق بأكحالهم وشيافاتهم (الشياف : نوع من الأدوية السائلة لأمراض العيون) فإن منهم من يضع أشيافا أصلها من النشا والصمغ ويصبغها ألوانا مختلفة فيصبغ الأحمر بالإسريقون ، والأخضر بالكركم ، والنيل والأسود بالقاقيا ، والأصفر بالزعفران ، ومنهم من يجعل أشياف « ماميتا » أو يجعل أصله من ألبان المصرى ويعجنه بالصمغ المحلول ومنهم من يعمل كحلا من نوى الإهليلج المحرق والفلفل وجميع غشوش أكحالهم لا يمكن حصر معرفتها ، فيحلّفهم المحتسب على ذلك إذ لا يمكن منعهم من الجلوس لمعالجة الناس .

وأما المجبرون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش فولوس فى الجبر (وهو ترجمة حنين بن إسحاق) وأن يعلم عدد عظام الآدمى وهو مئتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، وصورة كل عظم فيها وشكله وقدره حتى إذا انكسر منها شىء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التى كان عليها فيمتحنهم المحتسب فى جميع ذلك .

وأما الجرائحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف بقطاجانوس فى الجراحات والمراهم ، وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الإنسان ، وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب ، ليتجنب ذلك فى وقت فتح المواد وقطع البواسير ، ويكون معه دست المباضع فيه مباضع مدورات الرأس والموربات وفأس الجبهة ومنشار القطع ومجرفة الأذن وورد السلع (السلع : مفردها سلعة : زائدة تحدث فى الجسد ، وتبدو فى أول الأمر صغيرة ثم تكبر تدريجيا ووردة السلع آلة لقطع هذه الزائدة) ومرهمدان المراهم ، ودواء الكندر القاطع للدم . وقد يبهرجون على الناس بعظام تكون معهم فيدسونها فى الجرح ثم يخرجونها منه بمحضر من الناس ويزعمون أن أدويتهم القاطعة أخرجتها ومنهم من يضع مراهم من الكلس المغسول بالزيت ثم يصبغ لونه أحمر بالمغرة أو أخضر بالكركم والنيل أو أسود بالفحم المسحوق . فيعتبر عليهم العريف جميع ذلك .

(تاريخ البيمارستانات / ٥٢ـ٥٥) .

وكان على المحتسب أيضا أن يشرف على العطارين ، وفى ذلك يقول الشيزرى ، صاحب كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » : « غشوش العطر كثيرة ، مختلفة أيضا لاختلاف أجناس الطيب وأنواعه وتجانس العقاقير الطبية وتقاربها من الرائحة » ثم يسرد ما اشتهر غشه ، وصنعته ، ويعرض عما خفى غشه وصنعه ولا يتعاطاه كثير من الناس .

وفى الحسبة على الشرابيين يقول : « لا يعقد الأشربة ويركب المعاجين والجوارشنات (هى الأطعمة الهاضمة) إلا من اشتهرت معرفته ، وظهرت خبرته ، وكثرت تجربته ، وشاهد تجريب العقاقير ، ومقاديرها من أربابها وأهل الخبرة لها . . ولا يركبها الشرابى إلا من الكناشات المشهورة ، والأقراباذنيات المعروفة ، قيل أقرباذى سابور وغير ذلك مما يوثق به وعلى أن يتقى الله عز وجل ، ويخشى اليوم الآخر من التهاون بها ، والتفريط بأوزانها ، وأن يدخل عليها ما ينافيها ويلبسها خاصيتها ... وينبغى أن يعتبر المحتسب الأشربة فى رأس كل شهر .

الحسبة على الصيادلة

تفيد المراجع أن العرب ، أول من فرض الرقابة على أعمال

الصيادلة ، فمنذ أيام المأمون ، الخليفة العباسى ، خضع الصيادلة للامتحان ثم اشترط المعتصم بعد ذلك على مزاولى هذه المهنة الحصول على رخصة عمل ثم ما لبثت هذه المهنة أن خضعت لرقابة المحتسب .

وكان الصيادلة ، كالأطبا يخضعون لامتحان يجريه عليهم رئيس الأطباء وكان المحتسب يقوم بدور المشرف على هذه الامتحانات ، إلى جانب تقويمه أعمال الصيادلة ومراقبة الصيدليات (الطب عند العرب / ٢٨٠ـ٢٨٢) .

وفيما يلى النص الكامل الخاص بالصيادلة لكى يتبين القارئ طريقة المراقبة التى كان يتبعها المحتسب فى تأدية وظيفته (انظر كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى ط العرينى ص ٤٢ ـ ٤٧) :

« تدليس هذا الباب والذى بعده كثير، لا يمكن حصر معرفته على التمام . فرحم الله من نظر فيه ، وعرف استخراج غشوشه ، فكتبها فى حواشيه تقربا إلى الله تعالى ، فهى أضر على الخلق من غيرها لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة ، والتداوى على قدر أمزجتها ، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج ، فإذا أضيف إليها غيرها أحرفها عن مزاجها فأضرت بالمريض لا محالة فالواجب على الصيادلة أن يراقبوا الله عز وجل فى ذلك .

وينبغى للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم العقوبة والتعزير، ويعتبر عليهم عقاقيرهم فى كل أسبوع . فمن غشوشهم المشهورة أنهم يغشون الأفيون المصرى بشياف ماميثا (الشياف فى اللغة نوع من الأدوية يتخذ قمعا أو تلبيسة لمعالجة أمراض المستقيم ، أو دواء لأمراض العيون والماميثا نبات ذكره ابن البيطار وعصارة النبات شيان ماميثا . ويغشونه أيضا بعصارة ورق الخس البرى ويغشونه أيضا بالصمغ ، وعلامة غشه أنه إذا أذيب فى الماء ظهرت له رائحة كرائحة الزعفران إن كان مغشوشا بالماميثا ، وإن كانت رائحته ضعيفة ، وهو خشن ، كان مغشوشا بعصارة الخس، والذى هو مر صافى اللون ضعيف القوة يكون مغشوشا بالصمغ . وقد يغشون الرواند بنبتة يقال لها راوند الدواب تنبت بالشام . وعلامة غشه أن الرواند الجيد هو الأحمر الذى لا رائحة له ، ويكون خفيفا ، وأقواه الذى يسلم من السوس ، وإذا نقع فى الماء كان فى لونه صفرة ، وما خالف هذه الصفة كان مغشوشا بما ذكرناه .

وقد يغشون الطباشير بالعظام المحروقة بالأتاتين ، ومعرفة غشها أنها إذا طرحت فى الماء رسب العظم وطفا الطباشير . وقد يغشون اللبان الذكر بالقلفونية والصمغ ومعرفة غشه أنه إذ طرح فى النار التهبت القلفونية ودخنت وفاحت رائحتها .

وقد يغشون التمر هندى بلحم الأجاص وقد يغشون الحضض بعكر الزيت ومرائر البقر ، فى وقت طبخه ومعرفة غشه أنه إذا طرح منه شىء فى النار فإن الخالص يلتهب ، ثم إذا أطفيته بعد الالتهاب يصير له رغوة كلون الدم ، وأيضا فإن الجيد منه أسود ويرى داخله ياقوتى اللون ، وما لا يلتهب وما لا يرغى يكون مغشوشا بما ذكرناه .

وقد يغشون القسط بأصول الراسن ومعرفة غشه أن القسط له رائحة وإذا وضع على اللسان يكون له طعم ، والراسن بخلاف ذلك . وقد يغشون زغب السنبل بزغب القلقاس . ومعرفة غشه أنه بوضعه فى الفم يغثى ويحرق . وقد يغشون الأفربيون بالباقلاء اليابس المدقوق ، وقد يغشون المصطكى بصمغ الأبهل ومنهم من يغشون المقل بالصمغ القوى .

ومعرفة غشه أن الهندى تكون له رائحة ظاهرة إذا نجر به ، وليس فيه مرارة والأفتيمون الإقريطشى يغشونه بالشامى ، وليس بضار ، ويغشونه أيضا بزغب البسبايج ومنهم من يغش المحمودة بلبن اليتوع المجمد ومعرفة غشها أن توضع على اللسان ، فإن قرصته فهى مغشوشة . ومنهم من يغشها أيضا بنشارة القرون ، وتعجن بماء الصمغ على هيئة المحمودة ، ومنهم من يغشها بدقيق الباقلاء ودقيق الحمص، ومعرفة غش ذلك كله أن الخالصة صافية اللون مثل الغرى، والمغشوشة بخلاف ذلك ، وقد يغشون المر بالصمغ المنقوع فى الماء ، وصفة غشه أن الخالص يكون خفيفا ولونه واحدا وإذا كسر ظهر فيه أشياء كشكل الأظفار ملساء ، أشبه الحصى وتكون له رائحة طيبة ، وما كان منه ثقيلا ولونه لون الزفت فلا خير فيه . ومنهم من يغش قشر اللبان بقشور شجر الصنوبر، وصفة غشه أن يلقى فى النار، فإن التهب وفاحت له رائحة طيبة فهو

خالـص ، وإن كان بالضـد فهو مغشـوش . ومنهم من يغش المرزنجوش ببذر الحندقوق .

وقد يغشون الشمع بشحم المعز وبـالقلفونية ، وقد يذرون فيـه عنـد سبكه دقيـق الباقـلاء أو الـرمل النـاعم ، أو الكحل الأسود المسحوق ، ثم يجعل ذلك بطانة في الشمعة ثم يغشى بالشمع الخالص ، ومعرفة غشه أنك إذا أشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك . وقد يغشون الزنجار بـالرخام والقلقند ومعرفة غشه أن تبل إبهامك وتغمسهـا فيه ، ثم تدلك بها السبـابة فإن نعم وصار كالزبد فهو خالص . وإن ابيض وتحبب فهو مغشوش ، وأيضا يتـرك منه شيء بين الأسنان ، فإن وجـدته كالـرمل فهو مغشـوش بالـرخام ، وأيضـا تحمى صفيحـة في النار ثم يـذر عليها فإن احمر فهو مغشوش بالقلقند وإن اسود فهو خالص .

وقـد يختـارون من الإهليلج الأسـود إهليلجـا أصفـر ، ويبيعـونـه مع الكـابلي ، ويختـارون من الإهليلـج الأصفر المعصب حباشـة الكابلي ويبيعـونه مع الكـابلي وقد يـرشون الماء على الخيـار شنبير وهو ملفوف في الأكيسـة عند بيعه ، فيزيد رطلـه نصف رطل . ومنهم من يأخذ اللك ويسبكه على النار ويخلط معـه الآجر المسحوق والمغرة ثم يعقـده ويبسطه أقراصـا . ثم يكسره بعـد جفافـه ويبيعه على أنـه دم الأخوين ومنهم من يـدق العلك دقا جـريشـا ، ثم يجعل فيه شيئـا من الجاوشير ويطبخه على النـار في عسل النحل ويلقى فيه شيئا من الزعفران فإذا غلى وأرغى ، طرح فيه العلك ، وحركه إلى أن يشتد ثم يعمله أقـراصا إذا برد ويكسره ويخلط معـه الجاوشير فلا يظهر فيه .

وأما جميـع الأدهان الطبية وغيـرها فإنهـم يغشونها بـدهن الخل بعد أن يغلى على النـار ويطرح فيه جوز ولـوز مرضوض ليزيل رائحته وطعمـه ثم يمزجونه بـالأدهان ، ومنهم من يأخذ نوى المشمش والسمسم ثم يعجنهمـا بعد دقهما ويعصـرهما ويبيع دهنهمـا على أنـه دهن لـوز . ومنهـم من يغش دهن البلسان بدهن السـوسن ومعرفة غشه أن يقطـر منه شيء على خـرقـة صوف ثـم يغسل ، فإن زال عنهـا ولم يؤثـر فيهـا فهـو خالص ، وإن أثر فيها كان مغشوشا ، وأيضا فإن الخالص منه إذا قطر في الماء ينحل ويصير في قوام اللبن والمغشوش يطفو مثل الزيت ويبقى كواكبا فوق الماء .

ويضيف المؤلف : وقد أعرضـت عن أشياء كثيرة في هذا الباب لم أذكرهـا لخفي غشها ولامتزاجها بالعقاقيـر مخافة أن يتعلمهـا من لا دين لـه فيـدلس بهـا على المسلمين . وإنمـا ذكرت في هـذا الباب وفي غيره مـا قد اشتهر غشـه بين الناس ويتعاطاه كثير منهم . وأمسكت عن أشياء غير مشهورة قد ذكر أكثرها صـاحب كتاب كيمياء العطر فـرحم الله من وقع في يده ذلك الكتاب ، فمزقه وحرقه تقربا إلى الله عز وجل .

ولـم يكتف البعض بـالتدليس والغش ، بل كانـت تذهب بهم الجرأة والاستهتـار إلى أبعد من ذلك ، فيدعـون أن لديهم جميع أصناف الأدوية ويدفعون لمن طلب منهم دواء أي دواء آخر معتمدين على أن الطالب عـادة غير ملم بمعرفة الأدوية . وقد ورد في عيون الأنباء خبر في غاية الطرافة يزيح الستار عن تصـرف مشين لأنـاس جهلـة تطفلـوا على مهنـة الصيـدلـة وجعلوها شبكـة لاصطياد السذج من الناس . وختـاما لبحثنا ننقل هـذا الخبر حـرفيا لطـرافته : قـال يوسف بن إبـراهيم : حدثني زكريا بن الطيفوري قال :

« كنت مع الأفشين (قائد جيـوش المعتصـم) والظافر في وقعة عموريـة سنة ٨٣٨ م) في معسكـره . و هو في محـاربة «بابـك » (زعيم فرقـة إسماعيليـة متطرفة تـدعى الخـدمية ، حاربه المعتصم وقهـره فقطع وصلـب سنـة ٨٣٨ م) . فـأمـر بإحصاء جميع من في عسكـره من التجار وحوانيتهم وصنـاعة رجل رجل منهم . فـرفع ذلك فلما بلغت القـراءة بالقـارئ إلى موضـع الصيادلـة قال لي : « يـا زكريا ضبـط هؤلاء الصيـادلة عندي أولى ما نقدم فيه . فامتحنهم حتى تعرف منهم الناصح من غيره ومن له دين ومن لا دين له .

فقلت : « أعـز الله الأمير إن يـوسف لقـوة الكيميائي كـان يدخل على المأمـون كثيرا ويعمل بين يديـه . فقال له يـوما : «ويحك يا يوسف ليس في الكيمياء شيء » فقال له : « بلى يا أمير المؤمنين وإنما آفة الكيمياء الصيادلة » .

قال له المأمون : « ويحك وكيف ذلك » ؟

فقال : « يا أمير المؤمنين إن الصيدلاني لا يطلب منه إنسان شيئا من الأشياء كان عنده أو لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ودفع إليه شيئا من الأشياء التي عنده وقال هذا الذي طلبت فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسما لا يعرف ويوجه جماعة إلى الصيادلة في طلبه ليبتاعه فليفعل » .

قال له المأمون : « قد وضعت الاسم وهو «سقطيثا» وسقطيثا ضيعة بقرب مدينة السلام . ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيثا فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئا من حانوته فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة فمنهم من أتى ببعض البذور ومنهم من أتى بقطعة من حجر . ومنهم من أتى بوبر . فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه ، وأقطعه ضيعة على النهر المعروف بنهر الكلبة . فهي في أيدي ورثته ومنها معاشهم فإن رأى الأمير أن يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل .

فدعا الأفشين بدفتر من دفاتر الأسروشنية فأخرج منها نحوا من عشرين اسما ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء فبعضهم أنكرها ، وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئا من حانوته . فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام في عسكره ونفى الباقين عن المعسكر ولم يأذن لأحد منهم في المقام ونادى المنادى بنفيهم وبإباحة دم من وجد منهم في معسكره وكتب إلى المعتصم يسأله البعثة إليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميلا ومتطببين كذلك . فاستحسن المعتصم منه ذلك ووجه إليه بما سأل » (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب / ٣١٨ـ٣٢٣) .

الحسبة على الفصادين والحجامين

نظرا لخطورة عملية الفصد ودقتها ، فقد وضع العرب شروطا على الفصادين ، وأخضعوا أعمالهم لمراقبة المحتسب. وفي ذلك يقول الشيزرى : « لا يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الأعضاء، والعروق، والعضل، والشرايين وأحاط بمعرفة تركيبها وكيفيتها لئلا يقع المبضع في عرق غير مفصود أو في عضلة أو شريان ، فيؤدى إلى زمانة العضو وهلاك المفصود، فكثير هلك من ذلك ــ ومن أراد تعلم صناعة الفصد فليدمن فصد ورق السلق ــ اعنى العروق التي في الورقة ـ حتى تستقيم يده . وينبغي للفاصد أن يمنع نفسه من عمل صناعة مهينة تكسب أنامله صلابة وعسر حس... وأن يراعى بصره بالأكحال المقوية له . وألا يفصد عبدًا إلا بإذن مولاه، ولا صبى إلا بإذن وليه .» وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم العهد والميثاق إلا يفصدوا إلا بعد مشاورة الأطباء . وينبغي أن يكون مع الفاصد مباضع كثيرة من ذوات الشعيرة وغيرها ، وكبة من حرير أو خز. أو شيء من آلة القيء، من خشب أو ريش، ووبر الأرنب ودواء الصبر والكندر... وأن يوسع الفاصد البضع في الشتاء لئلا يجمد الدم ، ويضيقه في الصيف لئلا يسرع الغشى ... » (نهاية الرتبة في طلب الحسبة / ٨٩ـ٩٥) .

وقد حذق العرب بهذه الصناعة لدرجة المفاخرة والتحدى لاثبات الأحذق بينهم . وفي ذلك يقول الشيزرى : « ولم أر في صناعة الفصد أحذق من رجلين رأيتهما بمدينة حلب، افتخر كل واحد منهما على صاحبه بالحذق فأما أحدهما فإنه لبس غلالة وشد يده من فوق الغلالة ، وانغمس في بركة ثم فصد يده في قاع الماء من فوق الغلالة ، وأما الآخر فمسك المبضع بإبهام رجله اليسرى ثم فصد يده » (نهاية الرتبة / ٩٠) .

أما الحجامة فهي عظيمة المنفعة ، وأقل خطرا من الفصادة ، وقد اشترط في الحجام أن يكون رشيقا ، خبيرا بالصناعة ، ويخضع الحجام لرقابة المحتسب فيمتحنه بالصاق ورقة على أجرَّة، ثم يأمره بشرطها ، فإن نفذ الشرط، كان ثقيل اليد سيء الصناعة . وعلامة حذق الحجام خفة يده، وألا يوجع المحجوم، وتستحب الحجامة وسط الشهر إذا تكامل النور في جرم القمر، لأن الأخلاط تكون هائجة وتكون الأدمغة زائدة في الأقحاف (القحف هو العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة) وأفضل أوقات الحجامة الساعة الثانية والثالثة من النهار (الطب عند العرب / ٢٨١ ـ ٢٨٤) .

ويتضح من وظائف المحتسب التي أوردناها آنفا مدى الشبه الكبير بينها وبين النظم الحديثة التي تقوم بتطبيقها بلدية

المدينة المنورة وباقي بلديات المملكة السعودية وكذلك جميع البلديات في العالم ، ولهذا لم يكن مبالغا فيه ما جاء بكتاب « عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة » للدكتور سليمان محمد الطماوى الذى يقول : « إن كثيرا من النظم السياسية والاجتماعية التى يعتز بها أبناء العصر الحاضر، ليست إلا صياغات جديدة لأصول نادى بها آباؤنا وأجدادنا منذ قرون عدة وشغلتنا عنها عصور التخلف التى فرضها علينا الاستعمار ... » .

لقد ظلت دار الحسبة فى المدينة المنورة ساهرة على تطبيق تلك النظم التى تعود بالنفع العام على المجتمع الإسلامى ، يقوم بتنفيذها محتسب إثر محتسب حتى العهد العثمانى الذى استبدل فيه بإسم دار الحسبة اسم (البلدية) وباسم المحتسب (رئيس البلدية) . وكان ذلك إيذانا بتغيير فى بعض الصلاحيات التى كانت مخولة للمحتسب فسلخت بعض اختصاصاته وألحقت بأجهزة أخرى تقوم على تنفيذها وزيد على الباقى الذى لا يظل معمولا به إلى الآن ما قضت به ضرورة العصر .

(المدينة المنورة ٢ / ١٣ ـ ٢٣) .

(الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بإشراف د. محمد كامل حسين / ٣١٦ ـ ٣٢٣ ، المدينة المنورة وأول بلدية فى الإسلام ـ صدقه حسن خاشقجى ومحمد عبد الجليل النمر ٢ / ١٣ ـ ٢٣ ، والطب عند العرب ـ د. حنيفة الخطيب / ٢٧٧ ـ ٢٨٤ ، وتاريخ البيمارستانات فى الإسلام ـ د . أحمد عيسى / ٥١ ـ ٥٥ ومقدمة ابن خلدون / ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، والحسبة فى الإسلام ـ صاحب الفضيلة الشيخ أحمد مصطفى المراغى / ٤ ـ ٧ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٤ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١ / ٣٢ ، ٣٣ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان. علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤط / ١٢٣ ـ ١٣٠ والأحكام السلطانية لعلى بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى / ٢٠٧ ـ ٢٢١ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ومعيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين عبد الوهاب السبكى . دار الحداثة . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٥/ ٦٥ ، ٦٦) .

انظر أيضا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق الشيخ إبراهيم إسماعيل عصر ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٢٠٢ ـ ٢٠٤ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٨٦ ـ ٨٩ ، ومن توجيهات الإسلام للإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ١٨٤ ـ ١٩٠ ، وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٩٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والحسبة فى الإسلام لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم ابن تيمية ـ تحقيق وتعليق أبى المنذر سامى أنور) انظر : آداب الحسبة (علم ـ) ، (الاحتساب) علم ـ) .

* الحسد :

الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعى فى إزالتها . وروى « المؤمن يغبط والمنافق يحسد» قال تعالى : ﴿ حسدا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] (المفردات فى غريب القرآن / ١١٨) .

وقال تعالى : ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ [الفتح : ١٥] وقال تعالى ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] .

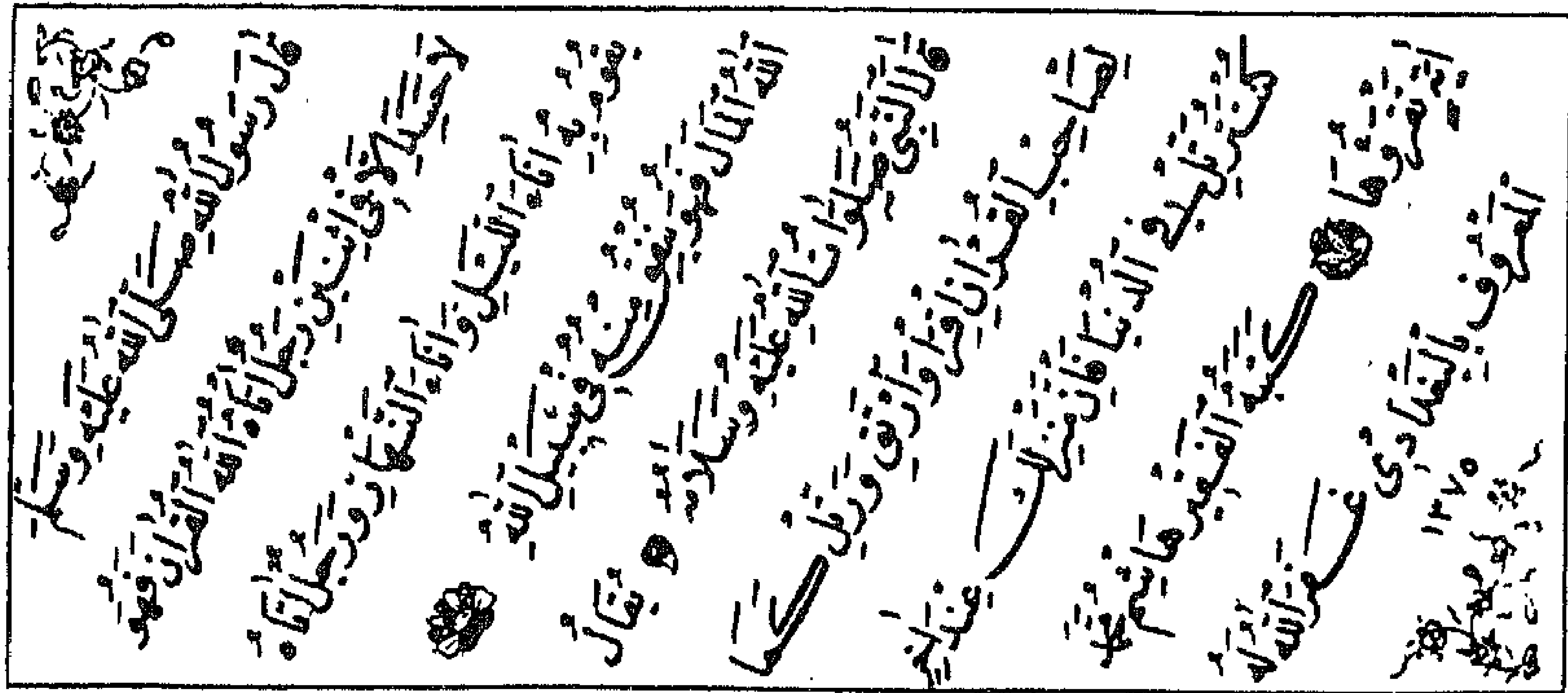
أما فى السنة المشرفة فقد وردت الأحاديث النبوية التالية :

١ ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها ، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق» أخرجه الشيخان .

٢ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله تعالى مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » . أخرجه الشيخان والترمذى .

٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب » أخرجه أبو داود .

٤ ـ وعن الزبير رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، وهى الحالقة ، أما إنى لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين ، والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا



٣٠٤ ـ لوحة بخط الثلث والنسخ بقلم هاشم البغدادي سنة ١٣٧٥ هجرية.

حتى تحابـوا ، ألا أدلكم على ما تحابـون بـه أفشوا السـلام بينكم» أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٢ / ٢١) .

وعن أنـس فى صحيح مسلم : « لا تحـاسـدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » (مختصر شعب الإيمان / ٧١) .

وقد أدرج صـاحـب مفتاح السعـادة « الحسد » فى الأصل الثانى من ربع المهلكات وقـال عنه تحت عنوان « فى الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه » :

اعلم : أن الحسد فـرع الحقد، وهـو فرع الغضب ، ليس الحسد إلا على نعمـة : فإما أن تـريد زوالهـا عن المنعم عليه وهو حرام، إلا نعمة لفاسق أو ظـالم جعلها آلة للشر، لكن لا تريد زوالها من حيث أنها نعمـة بل من حيث أنها آلة الفساد ؛ أو لا تـريد زوالهـا ولكن تشتهى لنفسك مثلها ، وهـذا يسمى غبطة وهذه ليست بحرام ، بل ربـمـا تكون واجبة كما فى نعمة العلم ، أو مندوبة كما فى نعمـة التصدق ، أو مباحة كما فى النعم المباحة .

ومذمـة الحسد فى الآثار والأخبار بل فى الطبـاع شهيرة لا نحتاج إلى تفصيلها . وأما مراتبه فأربع :

إحـداها : أن يحب زوال النعمـة عنه وإن كـانت لا تنتقل إليه ، وهو غاية الخبث ، وأنه مذموم محض .

وثانيتها : أن يحب زوال النعمة إليه فرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار حسنة أو ولاية نافذة ، وهذا أيضا مذموم .

وثـالثتها : أن لا يشتهى عينهـا بل يشتهى لنفسه مثلهـا ، فإن عجز عن مثلهـا أحب زوالها ، وهـذا أيضا مذمـوم إلا أنه أخف من الثانى .

ورابعتها : أن يشتهى لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها منه وهذا هو المعفو عنـه إن كان فى الدنيا ، والمندوب إليه إن كان فى الدين .

ثم إن للحسد أسبابا :

الأول : العداوة والبغضاء ، وهذه أشد أسبابه .

الثانى : التعـزز؛ وهو أن يثقل عليه أن يرتفع عليـه غيره ، ولا يريـد التكبر بل غرضـه أن يدفع كبره، وهـذا إذا نال بعض أقرانه ولاية أو علما أو مالا وهو لا تحتمل نفسه صلفه وتفاخره فيتعزز عليه .

الثـالـث : أن يكـون فى طبعـه أن يتكبر عليـه ويستصغـره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد لـه والمتابعة فى أغراضه ، فإذا نال نعمة خاف ألا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته ، أو ربما يتشرف على مساواته ، أو إلى أن يتـرفع عليه فيعود متكبرا بعد إن كان متكبرا عليه .

الرابع : التعجب ؛ كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية

إذ : ﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ [يس : ١٥] فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم ، جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة وأسباب أخر .

الخامس : الخوف من فوت المقاصد ، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلامذة عند الأستاذ .

السادس : حب الرياسة وطلب الجاه نفسه من غير توصل به إلى مقصود ؛ وذلك كتحاسد العلماء، فإن واحدا منهم لو سمع نظيره فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته وزوال نعمته من غير عداوة ولا تعزز ولا تكبر بينهما ولا خوف من فوات مقصود .

السابع : خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله . إذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم فرح به ، فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذونها من ملكه وخزانته ، ويختص مثله باسم الشحيح .

وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ، والأكثر اجتماع الأسباب وقلما ينفرد واحد منها .

ولما كان الحسد اقتضى سابقة الارتباط بين الشخصين كثر بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب دون شخصين فى بلدتين متباعدتين . ثم لما اشترط فى الحسد التزاحم حسد العالم العالم دون التاجر، والشجاع الشجاع دون الإسكاف، ونحو ذلك . نعم : من أحب الصيت ربما يزاحمه من فى أقصى العالم فى هذا دون الغرض فيحسده وأما أبناء الآخرة فلا يقع بينهم التحاسد إذ لا مزاحمة بينهم ولا ضيق فيها ، وكذا العلم إذ المعلوم الواحد يعرفه ألف إنسان .

المطلب السادس

دواء الحسد

وهو : أن تعرف أولا أنه ضرر عليك فى الدين والدنيا ، ولا ضرر به على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما جميعا .

أما ضرره فى الدين :

لأنه سخط لقضاء الله وكراهة لنعمه، وهذا قذى فى عين الإيمان، وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه ومشاركة إبليس، وهذه خبائث فى القلب تأكل الحسنات وتمحوها .

وأما فى الدنيا : فهو أنه الألم الحاضر والعذاب الدائم ، وأنت تريد الألم لعدوك فتنجزت فى الحال .

وأما أنه لا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح، لأن النعمة لا تزول بحسدك .

وأما منفعته فى الدنيا : فهو أن أهم مقاصد أبناء الدنيا إيصال الهم إلى أعدائهم وهو حاصل بالحسد، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، فأنت عدو لنفسك وصديق لعدوك ، ومع هذا كله قد أدخلت السرور فى إبليس وهو أعدى عدوك .

وإذا عرفت : فعليك أن تكلف نفسك نقيض الحسد، إذ كل مرض يعالج بضده ؛ مثلا يكلف لسانه بمدحه وثنائه ، ويتكلف التواضع له والاعتذار إليه ، ويلزم نفسه الإنعام عليه إن قدر، وهذه الأفعال تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد، ومهما ظهر حبه أحبه الحاسد ويتولد منه الموافقة ، ويصير ما يتكلفه أولا طبعا آخر، ولا يصدنك عن ذلك قول الشيطان : إن هذا عجز ونفاق وخوف ، لأن ذلك من خدع الشيطان ومكايده ، وهنا دواء الحسد إلا أنه مر، فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء .

ثم إن لك فى أعدائك ثلاثة أحوال :

أحدها : أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك ، وتمقت نفسك عليه وتود لو كان لك حيلة فى إزالة ذلك الميل منك ، وهذا معفو عنه لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثانى : أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك ، فهذا هو الحسد المحظور.

الثالث : وهو بين الطرفين : أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ، ومن غير إنكار منك على

قلبك، ولكن تحفظ جوارحك ، عن طاعة الحسد، وهذا محل الخلاف : والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ، والله المستعان (مفتاح السعادة ٣ / ٣٦٩ ـ ٣٧٣).

قال معاوية كل إنسان أقدر على أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة ، ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقى ولا يذر وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ، ونفس متابع . وقيل : من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ، ويغتاب إذا غاب ، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت وقال معاوية : ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود ...

وقيل الحاسد إذا رأى نعمة بهت وإذا رأى عثرة شمت وقيل إذا أردت أن تسلم من الحاسد فليس عليه أمرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه . وقيل إياك أن تتمنى فى مودة من يحسدك فإنه لا يقبل إحسانك ، وقيل إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرئ
ترى حاسديه له راحمينا

وأنشدوا :

كل العداوة قد ترجى إماتتها
إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال ابن المعتز :

قل للحسود إذا تنفس طعنة
يا ظالما وكأنه مظلوم

وأنشدوا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

(الرسالة القشيرية / ١٢٣ ، ١٢٤) .

وقد أفرد الإمام ابن الجوزى الباب الحادى عشر لدفع الحسد فقال :

الحسد تمنى زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصر للحاسد مثلها . وسبب ذلك حب الميزة على الجنس ، وكراهة المساواة . فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها ؛ فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود ، وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه فى باطنه ، ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك بل يأثم بالتمنى لزوال النعمة عن أخيه المسلم .

واعلم أن الحسد يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون ، وفساد المزاج ، ودوام الكمد .

قيل لأعرابى عاش مائة وعشرين سنة ما أطول عمرك فقال: تركت الحسد فبقيت .

واعلم أنه لا يقع الحسد إلا فى أمور الدنيا؛ فإنك لا ترى أحد يحسد قوّام الليل ولا صوّام النهار ، ولا العلماء على العلم بل على الصيت والذكر .

وعلاج هذا المرض أن يعلم الإنسان أولا أن الأقدار السابقة لابد أن تجرى، وأن الاحتيال فى صرف المقدور غير ممكن ، وأن القسام حكيم ، ثم هو مالك ؛ يعطى ، ويحرم، فهو الذى خلق الطرف السابق والكودن (الطرف : الكريم من الخيل ، والكودن : الفرس الهجين المعجم الوسيط ١ / ٥٥٥ ، ٧٨٠) وكأن الحاسد مضاد لإرادة المعطى سبحانه ؛ وقال بعض الحكماء :

ألا قل لمن كان لى حاسدا
أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله
لأنك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنى بأن زادنى
وسد عليك وجوه الطلب

ثم إن المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه ، ولم يأخذ شيئا من يده ، فقصد الحاسد زوال ما أعطيه ظلم محض . ثم ينبغى للحاسد أن ينظر فى حال المحسود ، فإن كان إنما نال الدنيا فقط، فهذا ينبغى أن يرحم ؛ لا أن يحسد ، لأن الذى ناله فى الغالب عليه ، لا له ، وهل فضول الدنيا إلا هموم كما قال المتنبى :

ذكـــر الفتى عمـــره الثـــانـي وحـــاجتـــه
مـــا قـــاتـــه وفضـــول العيش أشغـــال

وبيان هذا ، أن الكثير المال شديد الخوف عليه ، والكثير الجوارى شديد الحذر عليهن ، قوى الاهتمام بهن، أو لهن ، والوالى خائف من العزل . ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار، ثم هى قليلة اللبث ، والمصائب تردفها ، فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها ، أو زواله عنها ، ثم ليوقن أن ما يحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد ، فإن الناس يظنون فى أرباب المناصب أنهم فى غاية اللذة ، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر فإذا ناله برد عنه وصار عادة له، فهو يسمو إلى ما هو أعلى منه . وهذا الحاسد يرى الأمر بعين الجدة والغبطة . وليعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود لما ناله بأشد من الأذى الذى هو فيه ، فإن لم يتتفع بشيء من هذا العلاج فليسع فى التسبب إلى مثل ما نال المحسود .

فقد قال بعض السلف : لقد خشيت الهم حتى فى الحسد، فإن الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله ، أو على العلم سهر وتعلم ، فقد صار الناس يحبون البطالة ، ثم يذمون الواصل إلى المعالى ، وما أحسن ما قال الرضى :

ذنبى إلى البهم الكـــــوادن أننى الطـــــــ
ــــــرف المطهم والأغـــــر الأقـــــرح
يـــولـــــوننى خـــزر العيـــون لأننى
غلست فـى طلب العلـى وتصبحـــــــوا
وجـــذبت بـــالطَّـولِ الـــذى لـم يجـذبـوا
ومتحت بـــالغـــرب الـــذى لم يمتحـــوا
لـــو لـم تكن لـى فى العيـــون مهـــابـــة
لـم يطعن الأعـــداء فـىَّ ويقـــدحـــوا

فإن لم ينل ما نال المحسود فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن ثلبه ، وحبس ما فى قلبه (الطب الروحانى / ٢٣ ـ ٢٥) .

وفى كلامه على معاصى القلب يحدد الإمام الغزالى ثلاثا من خبائث القلب إذ هى أمهات لجملة من الخبائث سواها ، وهى الحسد ، والرياء، والعجب فيقول عن الحسد :

أما الحسد : فهو متشعب من الشح ، فإن البخيل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره، والشحيح : هو الذى يبخل بنعمة الله وهى فى خزائن قدرته لا فى خزائنه على عباد الله تعالى، فشحه أعظم . والحسود : هو الذى يشق عليه إنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس ، أو حظ من الحظوظ ، حتى إنه ليحب زوالها عنه وإن لم يحصل له من ذلك مصلحة ، وهذا منتهى الخبث، فلذلك قال رسول الله ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

قالت المؤلفة : سبق ورود هذا الحديث فى بداية المادة نقلا عن تيسير الوصول ٢ / ٢١ فارجع إليه .

والحسود : هو المعذب الذى لا يرحم ، ولا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا ، فإن الدنيا لا تخلو قط عن خلق كثير من أقرانه ومعارفه فمن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه ، فلا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا ، إلى موته ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ما لم يحب لسائر المسلمين ما يحب لنفسه ، بل ينبغى أن يساويهم فى السراء والضراء ، فالمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا شكا منه عضو اشتكى سائر الجسد ، فإن كنت لا تصادف هذا من قلبك ، فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات (بداية الهداية / ٥٨ ، ٥٩) .

ويبسط الإمام الماوردى الكلام فى الحسد باعتباره من أحوال أدب الرياضة ، وذلك حين تناول موضوع أدب النفس فى كتابه النفيس « أدب الدنيا والدين » ويفرق بين الحسد والمنافسة فيقول :

اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وإفساده للدين حتى لقد أمر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق : ٥] وناهيك بحال ذلك شرا . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، هى الحالقة ، حالقة الدين لا

حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » .

قالت المؤلفة : أخرج هذا الحديث الإمام السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، وهى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » من رواية أحمد فى مسنده والترمذى والضياء عن الزبير بن العوام وقال : حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ١٤) .

فأخبر ﷺ بحال الحسد وإن التحابب ينفيه وأن السلام يبعث على التحابب فصار السلام إذن نافيا للحسد . وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ [فصلت : ٣٤] قال مجاهد : معناه ادفع بالسلام إساءة المسيء ، وقال الشاعر:

قد يلبث الناس حينا ليس بينهم
ود فيزرعه التسليم واللطف

وقال بعض السلف : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء يعنى حسد إبليس لآدم عليه السلام وأول ذنب عصى الله به فى الأرض يعنى حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله . وقال بعض الحكماء : من رضى بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد . وقال بعض البلغاء : الناس حاسد ومحسود ولكل نعمة حسود. وقال بعض الأدباء : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود : نفس دائم ، وهم لازم، وقلب هائم . فأخذه بعض الشعراء فقال :

إن الحسود الظلوم فى كرب
يخاله من يراه مظلوما
ذا نفس دائم على نفس
يظهر منها ما كان مكتوما

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنئ يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كرما والسلامة منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية فى عدو ولا إضرار بمحسود . وقد قال معاوية رضى الله عنه : ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

وقال بعض الحكماء : يكفيك من الحاسدأنه يغتم فى وقت سرورك .

وقيل فى منثور الحكم : عقوبة الحاسد من نفسه .

وقال الأصمعى : قلت لأعرابى ما أطول عمرك ! قال : تركت الحسد فبقيت . وقال رجل لشريح القاضى : إنى لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم ووقوفك على غامض الحكم فقال : ما نفعك بذلك ولا ضرنى . وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى :

اصبر على كيد الحسو
د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل وهو غير المنافسة وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة فى الخير هى الحسد وليس الأمر على ما ظنوا لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم والحسد مصروف إلى الضرر لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضل له فهذا الفرق بين المنافسة والحسد فالمنافسة إذن فضيلة لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخبار الأفاضل وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «المؤمن يغبط والمنافق يحسد » وقال الشاعر :

نافس على الخيرات أهل العُلا
فإنما الدنيا أحاديث
كل امرئ فى شأنه كادح
فوارث منهم وموروث

وأعلم أن دواعي الحسد ثلاثة :

أحدها بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر أو منقبة (المنقبة : الفعل الكريم) تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاما وإن كان أضرها لأنه ليس يبغض كل الناس .

والثاني : أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسدا لولاه لكف عنه وهذا أوسطها لأنه لا يحسد الأكفاء من دنا وإنما يختص بحسد من علا وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز فلذلك صارت حسدا .

والثالث : أن يكون في الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست إليه فيمنع منها ولا بيده فيدفع عنها لأنها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط على الله عز وجل في قضائه ويسد على ما منح من عطائه ، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر ومنحه عليه أظهر. وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها إذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية فإن اقترن بشرٍّ وقدرة كان بورا وانتقاما وإن صادف عجزا ومهانة كان جهدا وسقاما . وقد قال عبد الحميد : الحسود من الهم كساقي السم ، فإن سرى سمه زال عنه همه .

واعلم أنه بحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فإن كثر فضله كثر حساده وإن قل قلوا ، لأن ظهور الفضل يثير الحسد وحدوث النعمة يضاعف الكمد، ولذلك قال النبي ﷺ : « استعينوا على قضاء الحوائج بسترها فإن كل ذي نعمة محسود » .

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام المناوي في الجامع الأزهر بلفظ : « استعينوا على نجاح حوايجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » للطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل (الجامع الأزهر ١ / ٥٥ ورقة أ) وأخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير بلفظ « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود » من رواية العقيلي في الضعفاء ، وابن عدى في الكامل ، والطبراني في الكبير ، وأبي نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل الخرائطي في اعتلال القلوب عن عمر عن الخطيب عن ابن عباس الخلعي في فوائده عن علي وقال عنه : حديث ضعيف (الجامع الصغير ١ / ٤٠) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجه (وردت « وجد » في نسخ أخرى) لها حاسدا فلو كان الرجل أقوم من القدح لما عدم غامزا وقد قال الشاعر :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص الحسود كم قال أبو تمام الطائي :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل
للحاسد النُّعْمى على المحسود

فأما ما يستعمله من كان غالبا عليه الحسد وكان طبعه إليه مائلا لينتفي عنه ويكفاه ويسلم من ضرره وعدواه فأمور هيَ له حسم ، إن صادفها عزم ، فمنها : اتباع الدين في اجتنابه والرجوع إلى الله عز وجل في آدابه فيقهر نفسه على مذموم خلقها وينقلها عن لئيم طبعها ، . وإن كان نقل الطباع عسرا لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب ويحبب منها ما أتعب وإن تقدم قول القائل من ربه خلقه كيف يخلى خلقه، غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق . قال أبو تمام الطائي :

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقا
ولم أجد الإفضال إلا تفضلا

ومنها العقل الذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه

ويستنكف من هجنة مساويه فيذلل نفسه أنفة ويطهرها حمية فتذعن لرشدها وتجيب إلى صلاحها . وهذا إنما يصح لذى النفس الأبية ، والهمة العالية وإن كان ذو الهمة يجل عن دناءة الحسد . وقد قال الشاعر :

أبى لـه نفسان : نفس زكية
ونفس إذا ما خافت الظلم تشمس

ومنها أن يستدفع ضرره، ويتوقى أثره، ويعلم أن مكانته فى نفسه أبلغ ومن الحسد أبعد فيستعمل الحزم فى دفع ما كده وأكمده ليكون أطيب نفسا وأهنا عيشا . وقد قيل : العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد . وقد قال الشاعر.

بصير بأعقاب الأمور كأنما
يرى بصواب الرأى ما هو واقع

ومنها من يرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه فيخافهم إما على نفسه من عداوة أو على عرضه من ملامة فيتألفهم بمعالجة نفسه ، ويراهم إن صلحوا أجدى نفعا وأخلص ودا . وقال ابن العميد رحمه الله تعالى :

داوى جوى بجوى وليس بحازم
من يستكف النار بالحلفاء

وقال المؤمل بن أميل :

لا تحسبونى غنيا عن مودتكم
إنى إليكم وإن أيسرت مفتقر

ومنها أن يساعد القضاء ويستسلم للمقدور ولا يرى أن يغالب قضاء الله فيرجع مغلوبا، ولا أن يعارضه فى أمره فيرد محروما مسلوبا . وقد قال أردشير بن بابك : إذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه . وقال محمود الوراق :

قدر الله كائن
حين يقضى وروده
قد مضى فيك علمه
وانتهى ما يريده
وأخو الحزم حزمه
ليس مما يزيده
فأرد ما يكون إن
لم يكن ما تريده

فإن أظفرته السعادة بأحد هذه الأسباب وهدته المراشد إلى استعمال الصواب سلم من سقامه وخلص من غرامه واستبدل بالنقص فضلا واعتاض من الذم حمدا فإن استنزل نفسه عن مذمة وصرفها عن لائمة فهو أظهر حزما وأقوى عزما ممن كفته النفس جهادها ، وأعطته قيادها ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خياركم كل مُفُتَّن [أى مُمْتَحن] تواب . وإن صدته الشهوة عن مراشده ، وأضله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم ، وغلب عليه الخلق الذميم ، حتى ظهر حسده واشتد كمده فقد باء بأربع مذام :

إحداهن : حسرات الحسد، وسقام الجسد، ثم لا يجد لسحرته انتهاء ، ولا يؤمل لسقامه شفاء . وقال ابن المعتز : الحسد داء الجسد .

والثانية : انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة ، لانحراف الناس عنه ، ونفورهم منه . وقد قيل منثور الحكم : الحسود لا يسود .

والثالثة : مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا ، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا ، فيصير بالعداوة مأثورا ، وبالمقت مزجورا . ولذلك قال النبى ﷺ : « شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه » .

والرابعة : إسخاط الله تعالى فى معارضته ، واجتناء الأوزار فى مخالفته ، إذ ليس يرى قضاء الله تعالى عدلا ولا لنعمه من الناس أهلا . ولذلك قال النبى ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (قالت المؤلفة : سبق تخريج هذا الحديث بتمامه فى أول المادة نقلا عن « تيسير الوصول » ٢ / ١) وقال عبد الله بن المعتز : الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده . وإذا بلى الإنسان بمن هذه حاله من حساد النعم وأعداء الفضل ، استعاذ بالله من شره ، وتوقى مصارع كيده ، وتحرز من غوائل حسده ، وأبعد عن ملابسته ، وإدنائه لعضل دائه . وإعواز دوائه ، فقد قيل : حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها . وقال بعض الحكماء : من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه ، فإن قلب الأعيان صعب المرام . وقال عبد الحميد : أسد تقاربه خير من حسود تراقبه . وقال محمود الوراق :

أعطيت كل الناس من نفسى الرضا
إلا الحسود فإنه أعيانى

مـــا إن لي ذنبـــا إليـــه علمتـــه
إلا تظـــاهـــر نعمـــة الـــرحمن
وأبى فمـــا يـــرضيـــه إلا ذلتي
وذهـــاب أمـــوالي وقطع لســاني

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا يسلم أحد منهن : الطيرة ، وسوء الظن ، والحسد . فإذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق [تتحقق] وإذا حسدت فلا تبغ »
(أدب الدنيا والدين / ٢٤١ـ٢٤٧ ، ٣٢٣ـ٣٢٩) .

وجاء للطغرائي ما يأتي في الأعداء والحساد :

جـــامل عـــدوك مـــا استطعت فإنـــه
بـــالـــرفق يطمع في صـــلاح الفـــاســـد
واحـــذر حســـودك مـــا استطعت فإنـــه
إن نمت عنـــه فليس عنك بـــراقـــد
إن الحســـــود وإن أراك تـــوددا
منـــه أضـــر من العـــدو الحـــاقـــد
ولـــربمـــا رضي العـــدو إذا رأى
منك الجميل فصـــار غيـــر معـــانـــد
ورضـــا الحســـود زوال نعمتك التي
أوتيتهـــا من طـــارف أو تـــالـــد
فـــاصبـــر على غيظ الحســـود فنـــاره
تـــرمي حشـــاه بـــالعـــذاب الخـــالـــد
أو مـــا رأيت النـــار تأكل نفسهـــا
حتى تعـــود إلى الـــرمـــاد الهـــامـــد
تصفـــو على المحســـود نعمـــة ربـــه
ويـــذوب من كمـــد فـــؤاد الحـــاســـد

(المنتخب ٢ / ٣١٧) .

وعن المبرد أنه أنشد :

عين الحسود عليك الـــدهـــر حـــارســـة
تبـــدي المســـاوئ والإحســـان تخفيـــه
يلقـــاك بـــالبشـــر بيـــديـــه مكـــاشـــرة
والقلـــب منكتم فيـــه الـــذي فيـــه
إن الحســـود بـــلا جـــرم عـــداوتـــه
وليس يقبل عـــذرا في تجنيـــه

(مختصر شعب الإيمان / ٧٢) .

ومن شعر أبي زيد الفازازي الأندلسي هذه الأبيات في ذم الحسد :

إن الكبـــائر للطـــاعـــات مفســـدة
وإن أفســـدهـــا للطـــاعـــة الحســـد
لا تضمـــرن على ذي نعمـــة حســـدا
إن الحســـود من الـــرحمن مبتعـــد
واقنع بـــرزقك فـــالأرزاق قـــد قسمت
سيـــان في الـــرزق بطّـــال ومقتصـــد
فإن حســـدت امـــرأ فيمـــا يخص لـــه
فـــاذهب فمـــا لك إلا الإثم والكمـــد
خلق ذميم وأغـــراض مـــذممـــة
ومقصـــد بلســـان الشـــرع منتقـــد
كـــرهـــت حـــالا أراد الله ثـــروتهـــا
فـــاقنع بمـــا قـــد قضـــاه الـــواحـــد الأحـــد

وقال في مثل ذلك :

يـــا حـــاســـد النعمـــة في غيـــره
وذا هبـــا في الغنى من مـــذهبـــه
بحـــر العطـــايـــا أنت في لجـــه
وتحســـد المسكين في مـــذنبـــه
وقـــد هـــدى جفنك بـــدر الـــدجى
وأنت لا تطـــرف عن كـــوكبـــه
تحســـده في كل أحـــوالـــه
وربمـــا زدت على مكسبـــه
في أكلـــه الطيب في شـــربـــه
في لبســـه النعم في مـــركبـــه

يـــا نـــائمـــا يحســـد إخـــوانـــه
الله قـــــد فضلهـم فـــانتبـــــه
انظـــــر بعيـن الفكـــــر فـي ذا وذا
مـــــا سنـن التحقيق بـــــالمشتبـــــه
حـــــالـك لا تبقـي ولا حـــــالـــــه
مـــا أقـــرب الظـــامئ من مشـــربـــه
والبـــــدر إن راقـك إشـــــراقـــه
فـإنـــــه يشجيـك فـي مغـــــربـــه

(آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي / ٦٧) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب نفائس الخط العربي - حسن قاسم حبش / ١٩٢ .

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١١٨ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٢ / ٢١ ، ومختصر شعب الإيماني للبيهقي - اختصار القزويني / ٧١ ، ٧٢ ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٩ - ٣٧٣ ، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والطب الروحاني للحافظ ابن الجوزي - تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول / ٢٣ - ٢٥ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٩ - ٣٧٣ ، وبداية الهداية لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي / ٥٨ ، ٥٩ ، وأدب الدنيا والدين لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ط المطبعة الأميرية / ٢٤١ - ٢٤٧ ، وط الدار المصرية اللبنانية - حققه وعلق عليه وطبع فهارسه محمد فتحي أبو بكر / ٣٢٣ - ٣٢٩ ، والمنتخب من أدب العرب - طه حسين وزملائه ٢ / ٣١٧ وآثار أبي زيد الفازازي الأندلسي - تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ٦٧ ، ٦٨ .

انظر أيضا شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري - تصحيح وتعليق حسين عبد الرحيم مكي ٢ / ١٩٤ ، ومنهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري / ١٨٦ ، ١٨٧م) .

*** الحسد بالعين :**

عن حكم الدين في الحسد بالعين يقول فضيلة الشيخ عطية صقر :

الحسد بالعين حقيقة ملموسة لا ينكرها أحد . وهي ظاهرة موجودة من قديم الزمان . وأن عجز بعض الناس عن تفسيرها تفسيرا علميا ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » رواه مسلم . وقد اتخذ النبي ﷺ لها إجراء وقائيا و إجراء علاجيا ، فقد ورد عن أبي سعيد أن النبي ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان .

كما روى الترمذي وصححه أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين ، فأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ، ولو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين » .

وجاء في مسند أبي داود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين ، وروى مالك أن عامر ابن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخَبَّأة . قال : فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ عامرا فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، ألا برَّكت ، اغتسل له » فغسل له عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب عليه ، فراح مع الناس ...

وقد ذكر ابن القيم في كتابه « زاد المعاد ج٣ ص ١١٦ » عدة أحاديث في هذا الموضوع ، علق عليها بقوله : أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين ، وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها . وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجابا ، وأكثفهم طباعا ، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها .

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وإن اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين . ثم ذكر ابن القيم وجهات نظر مختلفة وتفسيرات لكيفية الإصابة بالعين ، منها قوله : ان العائن اذا تكيف نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين ، فيتضرر . قالوا : ولا يستنكر هذا ، كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعي تتصل بالإنسان فيهلك . وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي إنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك ، فكذلك العائن . ثم قال : وهو يلتقي مع قول النبي ﷺ في الأبْتر وذي الطفيتين من الحيات أنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل

ويؤمن ابن القيم بذلك حتى قال : إن نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى فيوصف له شيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره .

وذكر ابن القيم علاج الإصابة بالعين مستوحى من الأحاديث النبوية ، مع أدعية واردة تفيد في هذا الموضوع ، وأفاض في بيان تأثير العلاج النبوى بالاغتسال بالماء الذي اغتسل به العائن بما لا يدع للشك في أهميته ، فارجع إليه إن شئت .

هذا ، والأبحاث النفسية الحديثة لا تنكر أثر العين ، بل أثر القوى الأخرى ، وهي تثبت صدق الرسول ﷺ في قوله ، وأثر الاستعاذة والتحصين في تقوية الروح لتدفع خطر العين .

(أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ــ فضيلة الشيخ عطية صقر ٢ / ١٢٤ ، ١٢٥)

* **الحسن :**

قال الإمام الراغب الأصفهاني :

حسن : الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن من جهة الحس . والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها ، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة كالفرس والإنسان وغيرهما فقوله تعالى : ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله** ﴾ [النساء : ٧٨] أى خصب وسعة وظفر ﴿ **وإن تصبهم سيئة** ﴾ [النساء : ٧٨] أى جدب وضيق وخيبة وقال تعالى : ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه** ﴾ [الأعراف : ١٣١] وقوله تعالى : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله** ﴾ [النساء : ٧٩] أى من ثواب ﴿ **وما أصابك من سيئة** ﴾ [النساء : ٧٩] أى من عتاب ، والفرق بين الحسن والحسنة والحسنى أن الحسن يقال فى الأعيان والأحداث ، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفا وإذا كانت اسما فمتعارف فى الأحداث ، والحسنى لا يقال إلا فى الأحداث دون الأعيان ، والحسن أكثر ما يقال فى تعارف العامة فى المستحسن بالبصر ، يقال رجل حسن وحسان وامرأة حسناء وحُسَّانة وأكثر ما جاء فى القرآن من الحسن فللمستحسن من جهة البصيرة ، وقوله تعالى : ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ [الزمر : ١٨] أى الأبعد عن الشبهة كما قال ﷺ : « إذا شككت فى شىء فدع » وقولوا للناس حسنا أى كلمة حسنة وقال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنا** ﴾ [العنكبوت : ٨] وقوله عز وجل : ﴿ **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين** ﴾ [التوبة : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ [المائدة : ٥٠] إن قيل حكمه حسن لمن يوقن ولمن لا يوقن فلم خص؟ قيل القصد إلى ظهور حسنه والاطلاع عليه وذلك يظهر لمن تزكى واطلع على حكمة الله تعالى دون الجهلة ، والإحسان يقال على وجهين أحدهما الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان ، والثانى إحسان فى فعله وذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا وعلى هذا قول أمير المؤمنين رضى الله عنه : « الناس أبناء ما يحسنون » أى منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة . وقوله تعالى : ﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه** ﴾ [السجدة : ٧] .

والإحسان أعم من الإنعام ، قال تعالى : ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** ﴾ [الإسراء : ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ [النحل : ٩٠] فالإحسان فوق العدل وذاك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له فالإحسان زائد على العدل فتحرى العدل واجب وتحرى الإحسان ندب وتطوع ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾ [النساء : ١٢٥] وقوله عز وجل : ﴿ **وأداء إليه بإحسان** ﴾ [البقرة : ١٧٨] ولذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين فقال تعالى : ﴿ **وإن الله لمع المحسنين** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ **إن الله يحب المحسنين** ﴾ [المائدة : ١٣] وقال تعالى : ﴿ **ما على المحسنين من سبيل** ﴾ [التوبة : ٩١] ﴿ **للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة** ﴾ [النحل : ٣٠] .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٨ ، ١١٩) .

*** أبو الحسن :**

محمـد بن الحسين . قال صاحب الفهرست : من مصنفاته كتاب شرح الجرمى ، وكتاب الهداية ، وكتاب العلل .

(الفهرست لابن النديم / ١٢٨) .

*** حُسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة :**

أحد مؤلفات صديق حسن خان القنوجى ، وهو كتاب فريد فى نوعه إذ لم يؤلف مثله قط ، حيث لم يترك المؤلف خلة من خلال النساء إلا أحصاها واستشهد لها بآية كريمة أو بحديث شريف . والكتاب ينقسم إلى مقدمة وكتابين وخاتمة؛ طبعة الجوائب ١٣٠١ هـ ، طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٧٩ م .

(مقدمة تحقيق كتاب « العلم الخفاق من علم الاشتقاق » لصديق حسن خان ـ تحقيق نذير محمد مكتبى مجلة البصائر ١ / ١٧٣ هامش ٣) .

*** أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ / ٨٧٤ ـ ٩٣٦ م) :**

على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى برده بن أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله ﷺ أبو الحسن المتكلم . ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ ، وقضى أواخر أيام حياته ببغداد وتوفى فيها سنة ٣٢٤ هـ .

كان مالكيا ، صنف لأهل السنة التصانيف ، وأقام الحجج على إثبات السنن ، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته وقدم كلامه وقدرته عز وجل ، وأمور السمع الواردة من الصراط والميزان ، والشفاعة ، والحوض ، وفتنة القبر الذى نفته المعتزلة ، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث ، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة، والدلائل الواضحة العقلية ، ودفع شبه المبتدعة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة ، وصنف فى ذلك التصانيف المبسوطة التى نفع الله بها الأمة ، وناظر المعتزلة وظهر عليهم .

وكان أبو الحسن القابسى يثنى عليه . وله رسالة فى ذكره لمن سأله عن مذهبه فيه ، أثنى عليه وأنصفه ، وأثنى عليه أبو محمد بن أبى زيد وغيره من أئمة المسلمين (طبقات المفسرين للداودى ١ / ٣٩٠ ، ٣٩١) .

وكان يغشى مجالس الفقهاء والمحدثين إلا أن أغلب وقته كان مع أستاذه أبى على الجبائى ليتلقى عنه العقائد ، ولهذا نشأ على مذهب الاعتزال ، وتتلمذ لرئيس المعتزلة فى عصره أبى على الجبائى ، ولفصاحته كان يتولى الجدل والمناظرات عن شيخه ، لأن الجبائى كان يجيد التصنيف ولا يجيد المناظرة ، واستمر على مذهب الاعتزال أربعين عاما ، ثم اختلف مع أستاذه فى بعض المسائل ، ومنها مسألة وجوب الصلاح والأصلح التى عجز أستاذه عن الإجابة على بعض ما وجهه الأشعرى إليه وهى :

ما قولك فى ثلاثة إخوة مات أحدهم صغيرا ومات الثانى كبيرا صالحا ، ومات الثالث كافرا ، فلو سأل الصغير ربه فقال : لم لم تبقنى حتى أنال منزلة أخى فى الجنة ؟ ماذا يقول له الرب ؟ فقال الجبائى : يقول علمت أنك لو كبرت لكفرت ، فكان الأصلح لك أن تموت صغيرا ، فقال له أبو الحسن : فلو سأله الثالث وقال : يا رب لِمَ لَمْ تمتنى صغيرا وأنا راض بما دون منزلة أخى ؟ ماذا يقول له الرب ؟ فبهت الجبائى (مذكرة الفرق / ١٢) .

ومثل هذه الأسئلة جعلته يبدأ البحث فى مسائل الاعتزال ، ووجد من نفسه ميلا إلى آراء الفقهاء والمحدثين .

فعكف فى بيته مدة قارن فيها بين أدلة الفريقين حتى اقتنع بمبادئ جماعته التى أعلنها حين خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة فى يوم جمعة وصعد على المنبر ونادى بأعلى صوته : أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرّفه بنفسى : أنا « فلان ابن فلان » كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها (أى بدون إرادة الله) وأنا تائب مقلع للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم . معاشر الناس : إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجح عندى شيء على شيء فاستهديت الله تعالى فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته

كتبى هذه . وقد انخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبى هذا . وانخلع من ثوب كان عليه ، ودفع إلى الناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين .

وقد تعقب الأشعرى خصومه من المعتزلة وأهل الأهواء فى كل مكان ، وبث أنصاره فى الجهات ، ولقبه أكثر العلماء بإمام أهل السنة والجماعة ، لأنه أخذ بكل ما جاء به الكتاب والسنة من عقائد، وأخذ بظواهر النصوص فى الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع فى التشبيه .

فلما قرأ أهل الفقه والحديث اتخذوه إماما لهم ونسب مذهبهم إليه ، وقد اشتهر أتباعه باسم الأشاعرة نسبة إليه (مذكرة الفرق / ١٣) .

يقول الأشعرى نفسه فى أسباب تحوله إن السبب فى هذا التحول إنما يعود إلى رؤيته للنبى ﷺ ثلاث مرات فى نومه آمرا له بنصرة المذاهب المروية عنه فإنها الحق وواعدا له فى المرة الأخيرة بتأييد الله له .

نشاطه العلمى بعد التحول :

يقول الدكتور حمودة غرابة :

وليس من شك فى أن فترة حياته بعد تحوله كانت تعتبر أخصب أيام عمره فقد أخذت دروسه فى المسجد الجامع بالبصرة تعج بطلاب العلم من كل فج ولعل مما زاد فى إقبالهم عليه ما كان يتمتع به الأشعرى من نفس طيبة وروح مرحة ودعابة لطيفة كانت تبدد الملل وتجدد نشاط الأرواح يضاف إلى ذلك هذا الصوت الحنون الذى كان يأسر النفوس ويأخذ بمجامع الألباب .

ولم تكن الدروس وحدها هى مظهر نشاطه فقد كان إلى جانب ذلك يجيب على كل مسألة أو استيضاح يرد إليه من سائر البلاد الإسلامية أما عن مؤلفاته فحدث ما شئت وفرة إنتاج وعمق بحث وتنوع درس وسعة أفق ووفرة معلومات وحسبك أن تلقى نظرة على كتابه « العمد » الذى تحدث فيه عن مؤلفاته كما نقله ابن عساكر لتعرف أى رجل هو ، فقد كتب فى (أدب الجدل) و(الحث على البحث) والرد على أرسطو فى كتابه السماء والعالم وكتاب الآثار العلوية كما رد على أصحاب التناسخ والدهرية والمجوس والمشبهة والخوارج وبقية الفرق الإسلامية ، وخص المعتزلة بالنصيب الأوفر من نشاطه فقد ألف كتبا عدة فى الرد على الجبائى والبلخى والإسكافى وأبى الهزيل وأبى هاشم والوراق وغيرهم بل أكثر من ذلك أنه كتب كتبا للرد على نفسه يوم أن كان معتزليا .

ولم يكن الأشعرى أستاذا فى علوم العقيدة فقط بل كان مؤرخا للعقائد من الصف الأول أيضا ، وحسبك كتابه «مقالات الإسلاميين » للبرهنة على ذلك حيدة واطلاعا ، والأعجب من ذلك أن الرجل كانت له قدم راسخة فى علوم الشريعة أيضا فقد ألف كتاب « القياس » وكتاب « الاجتهاد » وألف فى « خبر الواحد » والرد على ابن الراوندى فى إنكار التواتر ومسائل فى إثبات الإجماع وألف أيضا فى تفسير القرآن وفى الأخبار .

الأشعرى والمعتزلة :

لقد أدى منهج المعتزلة فى رأيهم إلى نفى الصفات عن الله فليس لله علم ولا قدرة مع أن ذلك مخالف للبداهة من جهة ، ويؤدى إلى نفى كونه عالما قادرا من ناحية أخرى ، لأن كونه عالما قادرا معلل فى العقل بأن له علما وقدرة فإذا انتفيا كما يقول المعتزلة انتفى كونه عالما قادرا ، لأن انتفاء الأصل والعلة يؤدى إلى انتفاء المعلوم قطعا وقد أداهم ذلك إلى وضع الله فى صورة مجردة لا يستطيع العقل أن يتصور وجودها . على أنهم قالوا أيضا إن الله لا يريد الشر مع أنه موجود فى العالم بل وغالب فيه ، ومعنى ذلك أن الله لا يريد أغلب ما يقع فى ملكه من أفعال وهذا يستلزم أن يكون موصوفا إما بالضعف فلا يستطيع أن يحول بين الشر وبين الوجود والغلبة ، وإما بالغفلة فهو لا يدرى ما يقع فى ملكه .

وإذا كان الناس باسم العقل عند المعتزلة هم الخالقون لأعمالهم خيرا كانت تلك الأعمال أم شرا فمعنى ذلك أن الله تعالى قد شاركه فى أخص صفاته وهى الخلق ملايين الشركاء

من البشر الذين يعتبرون فى هذه الصفة أقدر منه لأنه لا يخلق إلا الخير وهم يخلقون النوعين ولذلك كان مذهب المعتزلة فى رأى ـ الأشعرى ـ شرا من مذهب المجوس الذين جعلوا له شريكا واحدا هو الشيطان ولم يجعلوه أوسع اختصاصا من الخالق لأنه لا يخلق إلا الشر فى رأيهم ، ومن ناحية أخرى فإن الله فى رأى المعتزلة لا يملك الخيار حتى فى دائرة الخير من أعماله المخصصة له منهم بل واجبه أن يفعل الصلاح والأصلح حتما ومن واجبه أن يضع الطائعين فى الجنة وأن يقذف بالعصاة إلى النار من غير استثناء كما أن من واجبه أن يلطف بعباده فينصب الآيات الدالة على وجوده ويرسل الرسل وينزل الكتب التى تساعد على الهداية ويجب عليه أيضا وإلا لم يكن إلها أن يعوض الناس عن آلامهم فأى إله هذا الذى لا يملك صفة ولا خيارا بل يعيش محدودا فى نطاق خاص من الأعمال قد حددته له عقول المعتزلة ومنهجهم .

فإذا تركنا ذلك إلى القرآن الذى هو كلام الله فماذا قالت المعتزلة فيه ؟ إنهم تبعا لمنهجهم قد حكموا بحدوثه لفظا ومعنى وأحالوا أن يكون صفة لله تعالى فجعلوه مشابها فى الخلق والحدوث لجميع الأشياء الحادثة التى تنقصها القداسة بل وتنقصها الطهارة أحيانا ولم يكتفوا بذلك بل لجأوا إلى نصوصه فأولوا منها كثيرا من الآيات التى تتعارض مع آرائهم العقلية فأفسدوا معناه وذهبوا بحرمته وجعلوه تابعا لا فيصلا فى أوهامهم التى اعتنقوها باسم المنهج العقلى .

ثم ألم ينكر المعتزلة الرؤية باسم العقل فسلبوا بذلك المؤمن أسمى ما يطمع فيه فى الآخرة وهو رؤية خالقه الذى عبده على غيبة منه منذ سنين طويلة انتظارا لهذه اللحظة السعيدة التى يشرق فيها بطلعته على المخلصين من عباده ، ولم يكتفوا بالإنكار ويلتزموا الأدب مع حديث رسول الله وما ورد فى الكتاب العزيز الذى جاء به بل أولوا الآيات وأنكروا السنة وهى صريحة وصحيحة ففتحوا بذلك بابا للشكاك وأعداء الدين يستطيعون أن يدخلوا منه بعد أن فتحه المعتزلة للطعن فى الدين وإنكار أحد أصليه وهو السنة المطهرة ؛ بل وأنكروا الشفاعة أيضا وحكموا ظالمين بأن من أنفق حياته فى الطاعة ثم ارتكب لأمر ما كبيرة ثم مات بعد ذلك من غير توبة فهو خالد فى النار مع المشركين من خلق الله وليس له أمل فى عفو أو مغفرة لأن الله لا يملك أن يعفو عنه ناسين أو متناسين أن الإنسان إنسان له ضعفه وفيه عيوبه وأنه من الرحمة أو من العدالة أن نجيز أن مثل هذا العبد الذى فعل كثيرا من الخير إلى جانب خطئه قد يرحمه الله ويعفو عنه . وألم ينكر بعض المعتزلة دوام الجنة والنار وفيم المجهود والمشقة وحبس النفس على الطاعة والصبر عن المعصية إذن ، مع أن دليل الخلود والأبدية قائم ولكن ذلك ليس بغريب على المعتزلة الذين أجمعوا على إنكار عذاب القبر كما أنكروا الحوض تبعا لتحللهم من الالتزام بالسنة وتأويلهم ما ورد فى القرآن عن ذلك مع هدمهم القياس فى الأمور الفرعية وإبطالهم حجية الإجماع مما يؤدى إلى إبطال قاعدة من قواعد التشريع الأساسية .

ثم ألم يهاجم المعتزلة أصحاب رسول الله ﷺ رغم توصية الرسول بهم خيرا ورغم أنهم قد بذلوا من أنفسهم وأموالهم ، ما يرفع منزلتهم ويكف ألسنة السفهاء عنهم فحكموا عليهم بالفسق وكفَّروا كثيرا منهم حتى أبا موسى جد الأشعرى نفسه مع حب رسول الله له (أبو الحسن الأشعرى / ٦٢ ـ ٨٤) .

وأهم النقاط التى عارض بها الأشعرى المعتزلة سبع نقاط نلخصها فيما يلى :

١ ـ لله سبحانه وتعالى صفات أبدية مثل العلم والبصر والكلام . ولذلك فهو عليم وبصير ومتكلم ، بينما تقول المعتزلة إن الله سبحانه وتعالى ليس له صفات تنفصل عن جوهره .

٢ ـ تقول المعتزلة إن التعبيرات القرآنية نحو يد الله ووجه الله يجب أن تفسر على أنها جوهر أو جمال وما إلى ذلك . ويتفق معهم الأشعرى فى أنه لا يقصد بها تجسيد ، بيد أنه يعتقد أنها صفات حقيقية لا تدرك طبيعتها على وجه التحديد ، وعلى هذا الأساس فسر أيضا استواء الله سبحانه وتعالى على العرش .

٣ ـ تقول المعتزلة بخلق القرآن ، ولكن الأشعرى يرى أن القرآن كلام الله ، وأنه قديم ، ومن ثم فهو غير مخلوق .

٤ ـ تقول المعتزلة إن الله لا يُرى بالأبصار لأن ذلك يوحى بأن له جسدا وأنه محدود ، ويرى الأشعرى أن رؤية الله سبحانه وتعالى فى العالم الآخر أمر حقيقى ، وإن كنا لا ندرك الطريقة التى سوف يُرى بها .

٥ ـ تؤكد المعتزلة حقيقة الاختيار فى أفعال الإنسان ، ولكن الأشعرى أكد أن الله قادر على كل شىء ، وأن كل شىء ، سواء كان خيرا أو شرا ، إنما يقع بإرادة الله ، وهو الذى يخلق أفعال الناس بأن يخلق فيهم القدرة على أداء كل فعل .

٦ ـ كانت المعتزلة تؤمن بعقيدة « المنزلة بين المنزلتين » ، وبأن أى مسلم يرتكب إحدى الكبائر لا يكون مؤمنا ولا كافرا . غير أن الأشعرى يؤكد أن مثل هذا الشخص يظل مؤمنا ولكن يكون عرضة للعذاب فى النار .

وقد وضع الأشعرى فى مناهضة المعتزلة مؤلفات ضخمة يقال إنها بلغت الثلثمائة عددا ، ويذكر ابن عساكر عناوين ثلاثة وتسعين منها . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا منها إلا القليل . وقد طبع كتاب الأشعرى « الإبانة عن أصول الديانة » ومعه ثلاثة ملاحق فى حيدر آباد عام ١٣٢١ هـ كما طبع فى نفس المدينة كتابه « رسالة فى استحسان الخوض فى الكلام » عام ١٣٢٣ هـ . والأشعرى كان شافعى المذهب ، ويعد بما كتب من مقالات دينية فى حربه المعتزلة مؤسسا لعلم الكلام ، إذ أن غيره من العلماء الذين تصدوا لهذه المهمة لم يكن لديهم ما لدى الأشعرى من ثقافة بحيث يتحاشون الإساءة بالألفاظ فى هجومهم ، ولذلك لاقت طريقة الأشعرى قبولا وبخاصة لدى أتباع المذهب الشافعى وقد التف حول الأشعرى حلقة من التلاميذ خرج من بينهم عدد من مشاهير علماء الدين الذين عملوا على تنمية ونشر مبادئه ، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ الباقلانى ، والإسفرائينى ، والقشيرى ، والجوينى (إمام الحرمين) ، ونخص بالذكر الإمام الغزالى ، إذ أن الأشاعرة أخذوا يكسبون نفوذا وبخاصة عن طريق مؤلفات الغزالى ، وقد وجدوا فى المغرب بطلا متحمسا لهم هو ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وكان من أثر ذلك كله أن «كلام » الأشعرية أخذ يدرس فى كل مكان فى مدارس السنية ، وكفت عنهم معارضة المعارضين من أمثال الماتريدى وابن حزم .

٧ ـ يؤمن الأشعرى بحقيقة كل ما يتعلق بالموت والحساب والجنة والنار ، وبالحوض والميزان ، وبشفاعة رسول الله ﷺ، وهو ما تنكره المعتزلة أو تفسره تفسيرا يعتمد على منطق العقل .

ولم يكن الأشعرى أول من حاول تطبيق « الكلام » ، أى المناقشة المبنية على منطق العقل ، فى الدفاع عن العقيدة ، إذ أن الحارث بن أسد المحاسبى قام بمحاولة مماثلة من قبل ، غير أن الأشعرى يمتاز بأنه كان لديه معرفة مستفيضة بآراء المعتزلة كما يتضح من كتابه الوصفى « مقالات الإسلاميين » الذى طبع فى استانبول عام ١٩٢٩ .

(دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٤٨٠ ، ٦٩٤) .

رأى ابن تيمية فى الأشاعرة :

فى ذلك يقول الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله :

ويعتبر الأشاعرة من المائلين إلى الجبر ؛ بل يعتبر قولهم من الجبر ، ويرى أن قولهم الأفعال مخلوقات لله تعالى والكسب للعبد لا ينفى الجبر ، ويقول فى ذلك :

« وقال من المائلين للجبر هى (أى الأفعال) فعله (أى الله سبحانه) وهى كسب للعبد ، وقالوا إن قدرة العبد لا تأثير لها فى حدوث مقدورها : ولا فى صفة من صفاتها وأن الله أجرى العادة بخلق لمقدورها مقارنا لها . فيكون الفعل خلقا من الله وإبداعا ، وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته ، وقالوا إن العبد ليس محدثا لأفعاله ، ولا موجدا ، ومع هذا فقد يقولون إنا لا نقول بالجبر المحض ، بل نثبت للعبد قدرة حادثة ، والجبرى المحض لا يثبت للعبد قدرة » .

« وأخذوا يفرقون بين الكسب الذى أثبتوه . وبين الخلق فقالوا : الكسب عبارة عن اقتران بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة ، وقالوا أيضا : الكسب هو الفعل بمحل القدرة عليه : والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه » . (مجموعة الرسائل المسائل ٥ / ١٤٢) .

هذا مذهب الأشاعرة كما حكاه ابن تيمية ، وهو فى هذا

يراهم جبرية أو مائلين للجبرية ، ومذهبهم يؤدى إليها ، وقد صرح بذلك تلميذه ابن القيم .

ويأخذ عليهم ابن تيمية تفريقهم بين الفعل والكسب ؛ لأن الكسب إن كان مجرد اقتران لا تأثير فهو لا يصلح مناطا لتحمل المسئولية . واستحقاق العقاب والثواب ، وإن كان فعلا له تأثير وتوجيه وإيجاد وإحداث وصنع وعمل فهو مقدور، فإن قلت إنه لله فهو جبر، وإن قلت إنه للعبد فهو اعتزال(ابن تيمية / ٢٥٦) .

وفى مهاجمته للفرق المختلفة ينصف الإمام ابن القيم أبا الحسن الأشعرى فيقول فى قصيدته النونية الحافلة :

وخيار عسكركم فذاك الأشعرى
القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على
إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش
واستولى [واستوفى] مقالة كل ذى بهتان
فى كتبه طرا وقرر قول ذى
الإثبات تقريرا عظيم الشان
لكنكم أكفرتموه وقلتم
من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم
برآء إذ قربوا من الإيمان

(متن القصيدتين النونية والميمية / ١٥٥) .

مؤلفاته ووفاته :

ويعدد الحافظ الداودى مؤلفات أبى الحسن الأشعرى فيقول :

ولأبى الحسن من التآليف المشهورة كتب كثيرة جدا ، عليها معول أهل السنة ككتاب « الموجز » ، و « التوحيد والقدر » ، و « كتاب الأصول الكبير » ، وكتاب « خلق الأفعال » الكبير ، و « الصفات » ، و « الاستطاعة » ، و « الرؤية » و « الأسماء والأحكام » ، و « الخاص والعام » و« إيضاح البرهان » ، و « الحث عن البحث » ، و « النقض على البلخى » و « النقض على الجبائى » ، و « النقض على ابن الراوندى » ، و « النقض على الخالدى » ، و « الدافع » ، و « أدب الجدل » ، و « جوابات الطبريين » ، و « جوابات النعمانيين » ، و « جوابات الجرجانيين » ، و « الجوابات الخراسانية » ، و « جوابات السرامهرمزيين » ، و « جوابات الشيرازيين » ، و « النوادر » ، و « الرد على الفلاسفة » ، و«نقض كتاب الإسكافى » ، و « كتاب الاجتهاد » ، و « كتاب المعارف » ، و « الرد على الدهريين » ، و « الرد على المنجمين » ، و « مقالات الإسلاميين » ، و « المقالات » الكبير ، و « نقض كتاب التاج » ، و « كتاب النبوات » ، و«كتاب اللمع الكبير » ، و « كتاب اللمع الصغير » ، و«الشرحح و التفصيل » ، و « الإبانة عن أصول الديانة » ، و«وله الكتاب المسمى « بالمختزن فى علوم القرآن » وهو كتاب عظيم جدا بلغ فيه سورة الكهف وقد انتهى مائة جزء ، وقيل إنه أكبر من هذا . ومن وقف على تواليفه رأى أن الله تعالى أمده بتوفيقه ، وذكر أنه كان فى ابتدائه معتزليا ، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق ومذهب أهل السنة ، فكثر التعجب منه ، فسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبى ﷺ فى رمضان ـ كما سبق القول ـ وأمره بالرجوع إلى الحق ونصره ، فكان ذلك والحمد لله (طبقات المفسرين ١ / ٣٩١ ، ٣٩٢) .

وفاته :

وأخيرا بعد حياة حافلة بأنواع النشاط والخير مات الأشعرى فجأة سنة ٣٢٤ على ما صححه ابن عساكر وذكره ابن فورك ودفن طيب الله ثراه ببغداد بالقرب من الإمام أحمد بين الكرخ وباب البصرة ، وقد تنازعته المذاهب الفقهية بعد موته ، ويؤكد صاحب الطبقات أنه كان شافعى المذهب وأن الإمام البلاقانى هو الذى كان مالكيا لا الأشعرى كما يزعم بعضهم، وقد ذكر الداودى فى ترجمته أنه كان مالكيا (أبو الحسن الأشعرى / ٧٠) .

وكان أبو الحسن من أورع الناس وأزهدهم مع دعابة ومزاح ، وكان يعيش من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبى بردة ابن أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله ﷺ على ذريته ، وكان شافعى المذهب ، وممن نصر مذهبه الفخر الرازى

والغزالى، وقاربه فى مذهبه القاضى أبو منصور الماتريدى (الوسيط / ٢٤٠) .

وقال الحافظ الداودى :

ذكره عياض فى « المدارك » . وفى ترجمته فى كتاب «الوفيات » لابن خلكان ، والأشعرى : بفتح الهمزة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح العين المهملة : وبعدها ياء ، هذه النسبة إلى أشعر، واسمه نبت بن أدد بن زيد ، وإنما قيل له أشعر لأن أمه ولدته والشعر على بديه ، هكذا قاله ابن السمعانى (طبقات المفسرين ١ / ٣٩٢) .

له ترجمة فى الأنساب / ٣٩ أ ، البداية والنهاية ١١ / ١٨٧ ، تاريخ بغداد ١١ / ٣٤٦، تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢١ ، الجواهر المضيئة ١ / ٣٥٣ ، الديباج المذهب / ١٩٣ ، روضات الجنات / ٤٧٤ ، شذرات الذهب ٢ / ٣٠٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣ / ٣٤٧ ، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ورقة ٧ ب ، العبر ٢ / ٢٠٢ ، الفهرست لابن النديم / ١٨١ ، مفتاح السعادة ٢ / ١٥٢ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٥٩ ، وفيات الأعيان ٢ / ٤٤٦ ، المقريزى ٢ / ٣٥٩ (طبقات المفسرين ١ / ٣٩٠).

ملاحظة : أرقام الصحفات فى ثبت المراجع أعلاه هى الواردة فى مراجع محقق الكتاب .

(طبقات المفسرين للداودى ــ بتحقيق على محمد عمر ١ / ٣٩٠ - ٣٩٢ ، ومذكرة الفرق ــ الشيخ حسن السيد متولى / ١٢ ، ١٣ ، و أبو الحسن الأشعرى ــ د . حمودة غرابة / ٦٢ ــ ٨٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٤٨٠ ، ٦٩٤ ، وابن تيمية - الإمام محمد أبو زهرة / ٢٥٦ ، ومتن القصيدتين النونية والميمية لابن القيم / ١٥٥ ، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٢٤٠) .

استدراك

جاء فى مادة « الحديبية (صلح -) فى م ١٣ / ٢٤٥ نقلا عن كتاب محمد المصطفى ﷺ ص ١٠٣ أن صهيب الرومى كان من بين من أسلموا عام الحديبية ، والصحيح أنه أسلم هو وعمار بن ياسر قبل الهجرة، ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم وسيأتى بيان ذلك فى ترجمته تحت عنوان « صهيب بن سنان » فى حرف الصاد إن شاء الله تعالى . ونحن نشكر الأستاذ الفاضل محمد السيد زهران بالوحدة البيطرية، اخناواى - طنطا .

والله ولى التوفيق ,,,

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد الثالث عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد الرابع عشر

وأوله مادة :

حسن أغا الأزرقطلى (سبيل -) :

أعان الله على إتمامه

تجليـــــد



دار الغد العربى

تجليد هذه الموسوعة بهذا الشكل ملك خاص:
لدار الغـد العربى وحقوق إعادة الطبع والتجليد بهذه الصورة من حقوق ملكية الدار
ولا يجوز الطبع والتجليد إلا بإذن الدار وموافقتها قانونا

الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلـــوم الإســـلامية

الناشـر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت: ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد الرابع عشر

الناشر



دار الغد العربي

٣ شارع دانش - العباسية

ت : ٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الناشـــر



دار الغـد العربي
للطباعة والنشر والتـوزيع
٣ ش دانش - العباسية - عبده باشا - القاهرة
الإدارة: ٢٨٥٦١٢٢ / ٨٢٤٣٢٩ / ٢٨٤٣١١٥
فاكس: ٤٨٢٤٣٢٩
جمهوريـة مصر العربيـة

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الحاء

*** حسن أغا الأزرقطلى (سبيل ـ) :**

قال عنه على مبارك :

هو بشارع تحت الربع على يسار الذاهب من باب الخرق طالبا باب زويلة . أنشأه حسن أغا الأزرقطلى وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن المجيد، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين وألف وشعائرهما مقامة من ريع وقفهما بنظر بنت الواقف .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧٠ ، ١٧١) .

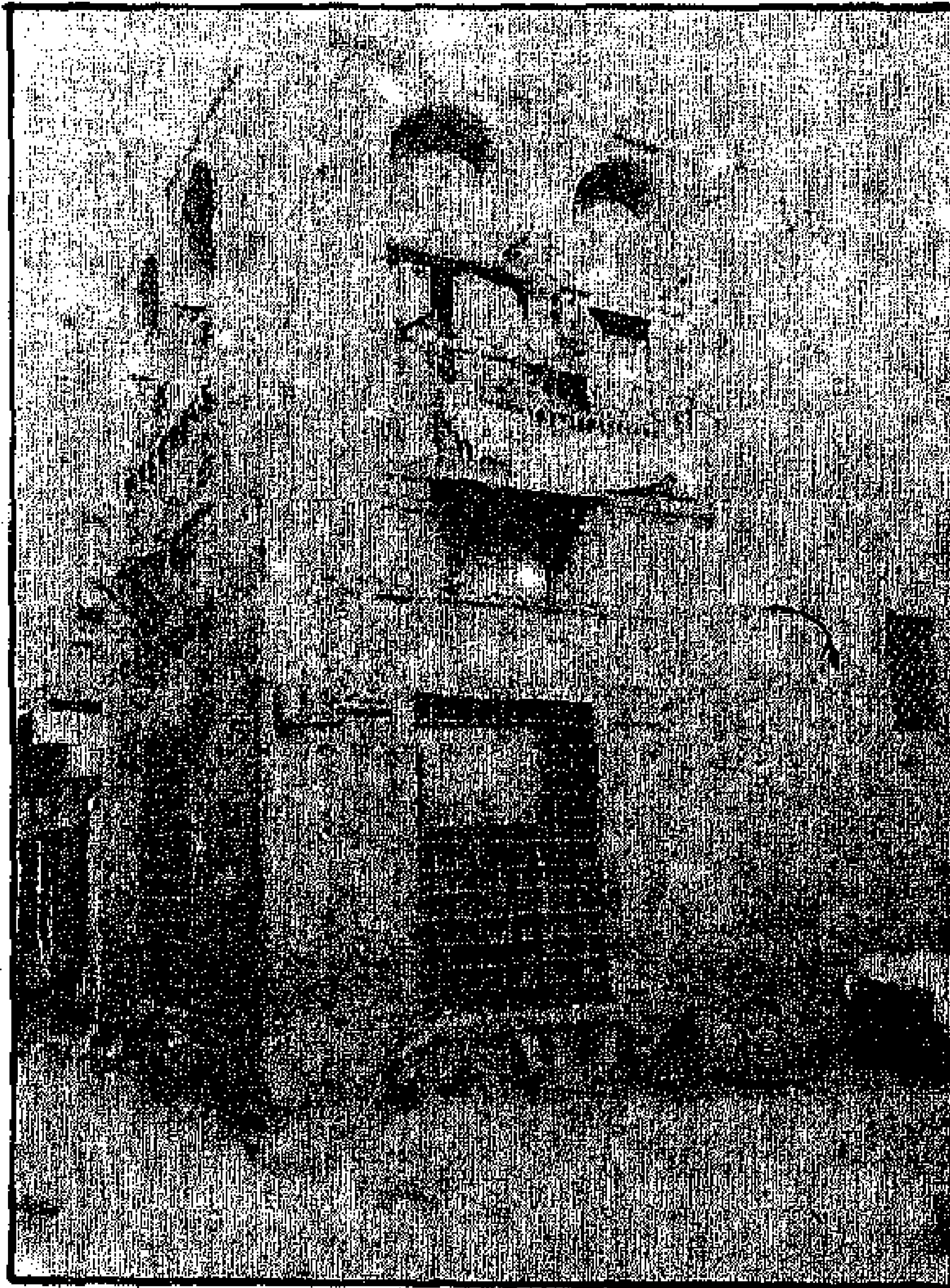
*** حسن أغا كوكليان (سبيل وكتاب ـ) (١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م) أثر ٢٤٣ :**

يقع بسويقة العزى بشارع سوق السلاح بالقرب من مدرسة سودن من زادة . وهو سبيل مستقل ، يعلوه كتاب ، وذو شباكين للتسبيل .

أنشأه حسن أغا كوكليان فى عام ١١٠٦ هـ حسبما ورد باللوحة التأسيسية بالواجهة الجنوبية والتى قرأها (Van Berchem) كالآتى : ـ

« أنشأ هذا السبيل الخليل وفوقه المكتب الجميل حسبة لله تعالى الأمير الكبير حسن أغا كوكليان ، ووافق تاريخه اسمه الخليل (الأصح أنها « الجليل ») ظاهر سنة ١١٠٦ هـ»

والسبيل ذو واجهتين حرتين على الشارع بينهما عمود ناصية مدمج وهما متشابهتان ، إحداهما هى الواجهة الجنوبية (لوحة ٦٧) التى يتوسطها شباك للتسبيل ذو مصبعات نحاسية يتقدمها لوح رخامى لوضع الكيزان ...



لوحة (٦٧)

واجهتا سبيل حسن أغا كوكليان الجنوبية والغربية بشارع سوق السلاح. أثر ٢٤٣.



لوحة (٦٨)

الواجهة الجنوبية لسبيل حسن أغا كوكليان بشارع سوق السلاح، أثر ٢٤٣. ويتضح فيها فتحة تزويد الصهريج بالماء.

والتكوين العام للسبيل : عبارة عن دهليز يلى باب الدخول السالف الذكر، يؤدى يمينا إلى سلم صاعد للكتاب ويسارا إلى حجرة ملحقة تتقدم حجرة التسبيل ، بها فوهة الصهريج، يليها حجرة التسبيل التي تأخذ الشكل المربع ، بضلعيها الجنوبى، والغربى دخلتان لشباكى التسبيل، بأرضية كل منهما حوض مربع رخامى مخصص للشرب وبصدر الحجرة يوجد دخلة الشاذروان التى تحتوى على لوح السلسبيل الرخامى ذات الزخرفة التقليدية البارزة .

أما عن أرضية الحجرة فمفروشة بالألواح الرخامية التى تكون فى وسطها دوائر متماسة ، تحصر فيما بينها أشكال هندسية ونجوم منفذة بالرخام الخردة المختلف الألوان .

أما عن جدران هذه الحجرة فقد كانت مغطاة بوزرة رخامية فى جزئها السفلى ما زالت بعض أجزائها باقية . والذى يؤكد أنها من عصر الإنشاء وليست مستحدثة ما ورد بالوثيقة حيث تذكر « ... المكمل الصهريج المذكور بالرخام الملون والوزرة... » .

فضلا عن ذلك فسقف حجرة التسبيل ، عبارة عن براطيم خشبية تحصر فيما بينها مربوعات ومستطيلات ، كما أنه مُلمَّع بأنواع الدهانات، ويجمع فى زخرفته بين الطابع المحلى والعثمانى (سبقه فى ذلك سبيل يوسف أغا الحبشى) معا، حيث الأطباق النجمية وأشكال النجوم وأنصافها

على يسار هذا الشباك وإلى أسفل نجد فتحة معقودة ـ مسدودة حاليا ـ مخصصة لتزويد الصهريج بالماء (لوحة ٦٨) كما يعلو الشباك نفيس عليه بلاطات خزفية (قاشانى) ، وعقد عاتق ، يعلوه لوحة تأسيسية ــ سبق ذكرها ـ هذا ويوجد على جانبى تلك اللوحة والعقد العاتق مناطق مربعة ومستطيلة بها زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ونجوم وأشكال سداسية محفورة فى الحجر.

تنتهى هذه الواجهة من أعلى بواجهة الكتاب وهى عبارة عن بائكة من عقدين على شكل حدوة الفرس يرتكزان على عمود أوسط مثمن .

غير أن هذه الواجهة كان يتوجها رفرف خشبى ـ اندثر حاليا ـ ما زالت بقايا كوابيله تدل عليه .

بالإضافة إلى ذلك يوجد على يسار الواجهة الجنوبية باب الدخول للسبيل والكتاب وهو مستطيل الشكل يعلوه عتب عاتق ومحاط بجفوت لاعبة .

بالإضافة إلى عناصر ذات طابع عثمانى متمثلة فى الأفرع النباتية التى تخرج منها زهور القرنفل والرمان وذلك فى البراطيم الخشبية ، أما فى المربوعات فتوجد أشكال دائرية من أربعة فصوص بداخلها ويحيط بها أفرع نباتية تخرج منها زهور الورد المحورة .

أما عن الكتّاب : فيأخذ شكل حجرة التسبيل ولكنه حاليا مجدد تماما نظرا لانشغاله بالسكان .

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ـ د. محمود حامد الحسينى / ١٩٢ ، ١٩٣) .

*** حسن أفندى (بن عبد الله) (ـــ ١٢٠٥ هـ) :**

من الخطاطين . ذكره الجبرتى فى وفيات سنة ١٢٠٥ وقال عنه : ومات الجناب المكرم المبجل المعظم جامع المعارف وحاوى اللطائف الأمير حسن أفندى بن عبد الله ، الملقب بالرشيدى ، الرومى الأصل ، مولى على أغا بشير دار السعادة ، المكتب المصرى ، اشتراه سيده صغيرا ، وهذبه ودربه وشغله بالخط فاجتهد فيه ، وجوده على عبد الله الأنيس ، وكان ليوم إجازته محفل نفيس ، جمع فيه المرءوس والرئيس ، ثم زوجه ابنته وجعله خليفته ولم يزل فى حال حياة سيده معتكفا على المشق والتسويد ، معتنيا بالتحرير والتجويد إلى أن فاق أهل عصره فى الجودة فى الفن ، وجمع كل مستحسن ولما توفى شيخ المكتبين المرحوم إسماعيل الوهبى جعل المُتَرْجَم شيخا باتفاق منهم ... وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق جمع فيه ما يتعلق بفنهم مع ذكر أسانيدهم وهو غريب فى بابه ... ولم يزل شيخا ومتكلما على جماعة الخطاطين والكتاب ، وعميدهم الذى يشار إليه عند الأرباب ، نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب . وأما نسخ الدلائل فكثرتها لا تدخل تحت الحساب ، إلى أن طافت به المنية طواف الوداع ، ونثرت عقد ذلك الاجتماع . وبموته انقرض نظام هذا الفن .

(تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ٢ / ١١٦ ، ١١٧) .

*** حسن أفندى كاتب عزبان (سبيل وكتاب ـ) (١١١٣ هـ / ١٧٠١م) أثر ٤٠٥ :**

يقع بشارع درب الحصر ، وهو مستقل غير ملحق بأبنية أخرى ويعلوه كتّاب ، كما أنه ذو شباك واحد للتسبيل .

وأنشأه الأمير حسن كتخدا عزبان بن المرحوم الأمير خليل جوربجى عزبان فى عام ١١١٣ هـ حسبما ورد بالنص التأسيسى على الواجهة الجنوبية الشرقية للسبيل والذى يقرأ كالآتى : ـ

« أنشأ هذا السبيل المبارك الفقير إلى رحمة ربى العلى حسن أفندى كاتب عزبان سنة ١١١٣ هـ » .

والسبيل ذو واجهة واحدة تفتح على شارع درب الحصر بشباك للتسبيل مغشى بمصبعات نحاسية ، ضاع الجزء السفلى منها ، وسد الآن بالحجارة خوفا من ضياع باقى التغشية . يعلو واجهة السبيل اللوحة التأسيسية السالفة الذكر ، هذا ونجد على يسار شباك التسبيل كتلة الدخول للسبيل والكتاب .

أما عن التكوين العام للسبيل : عبارة عن مدخل مستطيل يؤدى إلى دهليز يأخذ فى الضيق كلما اتجه إلى الداخل ، ويفتح يسارا بباب على حجرة التسبيل ، ثم يستمر فى الامتداد ليؤدى يسارا خلف حجرة التسبيل إلى ملاحق خلفية ، ويمينا إلى باب الصعود للكتاب . (هذه الملاحق تفتح بباب أيضا على حجرة التسبيل ، ومن المرجح أنها كانت تحتوى على فوهة الصهريج وحاصل الماء ، إلا أنها الآن لا تحتوى على شىء) .

أما عن حجرة التسبيل فهى مستطيلة الشكل ضلعها الأصغر يطل على الشارع بدخلة شباك التسبيل ، يقابله دخلة الشاذروان التى تمتد إلى أسفل السقف مباشرة وإلى اليسار منها دخلة أخرى أقل فى الارتفاع ، كما يوجد إلى اليمين باب يصل الملاحق بحجرة التسبيل . والسبيل هنا فى تكوينه يذكرنا بتخطيط سبيل على أغا دار السعادة .

وأرضيته حاليا من البلاط الحديث ، إلا أن الوثيقة تذكر أنها كانت من الرخام الملون .

أما السقف فهو خشبى مسطح محمول على ثلاثة فلوق خشبية خالية من الزخرفة ولكن الوثيقة تذكر أن السبيل كان «مسقفا نقيا » .

وإذا كان السبيل بهذه الحالة، فالكتاب فى حالة أسوأ حيث نجد سلم الصعود إليه متهدما، ويتم الوصول له من منزل مجاور للواجهة الجنوبية الشرقية، كما أنه مجدد تماما، وذلك لانشغاله حاليا بسكنى بعض الأسر (الأسبلة العثمانية / ١٩٧، ١٩٨).

وقد ذكره على مبارك تحت عنوان «سبيل حسن كتخدا» وجعل تاريخ الإنشاء سنة ١١١٢ هـ، وقال عنه :

هو بدرب الحصر أنشأه حسن كتخدا عزبان، وأنشأ فوقه مكتبا فى سنة اثنتى عشرة ومائة وألف، وبهذا السبيل شباك من النحاس بأعلاه لوح رخام فيه تاريخ الإنشاء، وبالمكتب عمود رخام وشباكان وشعائره معطلة ونظره لمحمد القنيلى (الخطط ٦ / ١٧١).

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ـ د. محمود حامد الحسينى / ١٩٧، ١٩٨، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧١).

* **حسن الانتهاء :**

حسن الانتهاء هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سمى براعة المقطع كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

وهذا دعاء للبرية شامل

(قواعد اللغة العربية / ١٣٧).

ويذكر صاحب مختصر تلخيص المفتاح «حسن الانتهاء» آخر المواضع الثلاثة التى ينبغى على المتكلم أن يتأنق فيها (انظر مادة «التأنق أو التأنيق م ٨ / ٣٩٩، ٤٠٠) وصاغه نظما الحافظ جلال الدين السيوطى فى منظومته على مختصر تلخيص المفتاح، الموسوعة بشرح عقود الجمان فقال :

وإن يجىء فى الانتهاء مؤذن

بختمه فهو البليغ الأحسن

هذا آخر المواضع التى يجب التأنق فيها لأنه آخر ما يعيه السامع ويرسم فى الذهن فإن كان حسنا تلقاه السمع واستلذه وجبر ماوقع فيما سبقه من تقصير وإلا فبالعكس، وربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق، مثاله قوله :

وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى

وأنت بما أملت فيك جدير

فإن تولنى منك الجميل فأهله

وإلا فإنى عاذر وشكور

وأحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف ألبتة كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

وهذا دعاء للبرية شامل

* * *

وسور القرآن فى ابتدائها

وفى خلوصها وفى انتهائها

واردة أبلغ وجه وأجل

وكيف لا وهو كلام الله جل

ومن لها أمعن فى التأمل

بأن له كل خفى وجلى

(شرح عقود الجمان / ١٧٥).

ومما ذكره صاحب مختصر تلخيص المفتاح ولم يرد فى نظم السيوطى قوله : وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية :

إن كان بين صروف الدهر من رحم

موصولة أو ذمام غير مقتضب

فبين أيامك اللاتى نصرت بها

وبين أيام بدر أقرب النسب

أبقت بنى الأصفر الممراض كاسمهم

صفر الوجوه وجلّتْ أوجه العرب

وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام كقوله :

فلا حطت لك الهيجاء سرجا

ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

(قواعد اللغة العربية ـ حفنى ناصف وزملائه / ١٣٧، وشرح عقود

الجمان للحافظ جلال الدين السيوطى / ١٧٥ ، والإيضاح فى علوم البلاغة . مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى / ٢٤٤).

*** أبو الحسن الأندقانى :**

قال عنه الإمام الداودى :

محمد بن أبى بكر أحمد الإسفراينى أبو الحسن الأندقانى الصوفى. توطن قزوين، وأعقب بها ، وكان له قبول عند الأكابر والعوام ، وحظ من التفسير والحديث والفقه والخلاق، وكتب بخطه الكثير من كل فن لحرصه على الجمع، وروى « صحيح البخارى » كما روى « غريب الحديث » لأبى عبيد الكاتب، وروى « تنبيه الغافلين »، و «مسند الشهاب » للقضاعى، وسمع بقزوين « صحيح مسلم » من الأستاذ إبراهيم الشحاذى سنة ست وعشرين وخمسمائة .

له ترجمة فى : تاريخ قزوين ١ / ٧٥ .

(طبقات المفسرين للداودى بتحقيق على محمد عمر ٢ / ٩٠) .

*** حسن الأنور (سيدى ـ) (ـ ١٦٨ هـ) :**

ابن السيد زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ويوجد مشهده على يمين الداخل إلى مصر القديمة من جهة سور القاهرة فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص. أمه أم ولد، حدثوا عنه أنه كان تقيا ورعا مجاب الدعوة ، وكان إماما عظيما عالما من كبار أهل البيت معدودا من التابعين .

وكان أبوه « زيد الأبلج » ــ رضى الله عنه ـ جليل القدر كريم الطبع يتولى صدقات رسول الله ﷺ، وكان يقصده الناس فيبرهم ويكرمهم ، ويفد إليه الشعراء فيمدحونه وينالون عطاءه، فكان ذلك سببا فى كتابة « سليمان بن عبد الملك » إلى عامله بالمدينة : أما بعد، فإذا جاءك كتابى هذا فاعزل «زيد بن الحسن » عن صدقات رسول الله ـ ﷺ ـ وادفعها إلى رجل سماه من ذوى قرابته ، ولكن « عمر بن عبد العزيز » حينما تولى الخلافة رده عليها . ومن الشعر الذى امتدح به قول محمد بن بشر الخارجى :

وزيد ربيع الناس فى كل شتوة
إذا اختلفت أبراقها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنه
سراج الدجى قد قارنتها سعودها

وحينما مات بكى عليه الناس كثيرا ورثاه الشعراء ومن ذلك قول قدامة بن موسى الجمحى :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه
فقد كان معروف هناك وجود

وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى
به وهو محمود الفعال حميد

جاء فى نور الأبصار أن « أبا جعفر المنصور » ولى « حسن الأنور » المدينة وقربه وأكرمه ، وكان قد انتهت إليه رئاسه بنى « الحسن » ومدحه الشعراء . جاءه شاعر يوما فمدحه بقصيدة أولها :

* الله فرد وابن زيد فرد *

فغضب « الحسن » وقال له : هلا قلت : الله فرد وابن زيد عبد ؟ ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض. وهذا يدل على تواضعه .

ومن الشعر الذى امتدح به الحسن ما يرويه زهر الآداب : كان « أبو عاصم الأسلمى » قد هجا « الحسن بن زيد» فلما ولى المدينة أتاه متنكرا فى زى الأعراب ، فقال :

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد
وتشهد لى بصفين القبور

قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو الحسن تعاديها الدهور

قبور لو بأحمد أو على
يلوذ مجيرها حمى المجير

هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير

فقال « الحسن »: من أنت ؟ قال : أنا الأسلمى قال : أدن حياك الله وبسط له رداءه وأجلسه عليه وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وكان لكرمه يطمع فيه الطامعون . حدث الحصرى قال : أتى « الغاضرى » المتطفل يوما « الحسن بن زيد » فقال : جعلت فداك ، إنى عصيت الله ورسوله ، قال : بئس ما صنعت ، وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله ﷺ قال : لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، وأنا أطعت امرأتى فاشتريت غلاما فهرب قال « الحسن » : فاختر واحدة من ثلاث : أن شئت فثمن الغلام . قال : بأبى أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها . قال : أعرض عليك الخصلتين . قال : لا . حسبى هذه .

وفى أثناء ولايته على المدينة أحسن إلى رجل فقير وقربه يقال له : ابن أبى ذئب حتى كثر ماله ، وقدمه إلى « المنصور» ولكن هذا الرجل قابل الإحسان بالإساءة ، فتحدث فى شأن «الحسن » أمام « المنصور » حتى غيره عليه فتنكر له «المنصور » وعزله ، ثم بعد فترة تبين للمنصور كذب ما أخبره به أبن أبى ذئب فرد « الحسن » إلى عمله وأحسن صلته ودفع إليه أمواله التى كان قد صادرها . وأبى « الحسن » بعد ذلك أن يعاقب الرجل، بل أمده بمال عظيم وكافأه بهدية عظيمة . وتلك شنشنة أهل البيت وعادتهم دائما فى مقابلة الإساءة بالإحسان. ويقال إن الذى رد إلى « الحسن » اعتباره «المهدى» وليس « المنصور » وكان ذلك فى اعتذار طويل قدمه إليه .

وقد أعقب « الحسن » من الذرية الكثير من الأبناء البررة ، وهم كما يسميهم الأستاذ صلاح عزام : أبو القاسم ومحمد وعلى وإبراهيم وزبير وعبد الله ويحيى وإسماعيل وأسماء وأم كلثوم ونفيسة وكلهم من أم سلمة ، وهى زينب ابنة الحسن عمه ابن الحسن بن على بن أبى طالب ، وقد تزوجت «نفيسة» من إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين —رضى الله عنهم جمعيا .

وكان « الحسن » شغوفا بنفيسه جدا إلى حد أنها كانت شغله الشاغل فى أيام معتقله على عهد المنصور ، فكان يسأل عنها ويوصى بها ويتابع ما حفظت من كتاب الله وعلوم دينها .

يقول « الشبلنجى» فى نور الأبصار نقلا عن كتاب : «مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » أن الإمام حسن الأنور قدم إلى مصر ومعه ابنته السيدة نفيسة ، ومن المعروف أن دخول السيدة نفيسة مصر كان حوالى سنة ١٩٣ هـ وكان ذلك فى ولاية الأمير « جانم حسن بن البجباج» أو الأمير جانم بن هرثمة ابن أعين وهما الواليان على مصر بالتعاقب فى نحو هذا التاريخ المشار اليه نقلا عن ابن إياس .

ويذكر ابن إياس فى تاريخه أن السيدة نفيسة دخلت مصر مع أبيها الأمير حسن فى بعض الأقوال . وفى مختصر التذكرة للشعرانى يقول بعد حديثه عن مشهد «على زين العابدين » والسيد « زين » : وبالقرب منهما مما يلى جامع القرافة قبر الإمام « حسن » أخى زين العابدين والد السيدة نفيسة . كما هو مكتوب فى عمود رخام موضوع على رأس القبر. وقوله : أخو زين العابدين . لعله يقصد الأخوة الروحية وإلا فهما ابنا عم .

ويقال : إن الإمام « زيد الأبلج » والد الإمام « حسن الأنوار» كان يأخذ بيد ولده « الحسن » ويدخل إلى قبر النبى ـ ﷺ ـ ويقول : يا سيدى يا رسول الله ، هذا ولدى الحسن أنا عنه راض، ثم يرجع وينصرف ، فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى المصطفى ـ ﷺ ـ يقول له : يا زيد ، إنى راض عن ولدى الحسن برضاك عنه ، والحق راض عنه برضاى عنه .

ويقال أيضا : إن الإمام «حسن الأنور » حينما ولدت له السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ كان يأخذ بيدها إلى قبر النبى ـ ﷺ ـ ويقول : يا سيدى يا رسول الله أنا راض عن ابنتك نفيسة ، فرأى فى المنام أن النبى ـ ﷺ ـ يقول له يا حسن أنا راض عن ابنتك نفيسة والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى .

وفى الطريق إلى مسجد السيدة سكينة ـ رضى الله عنها ـ بعد مسجد ابن طولون يوجد على يمين السالك زاوية يقال : إنها تضم رفات الإمام محمد الأنور شقيق الإمام حسن الأنور ومكتوب على بابها هذا البيت :

مسجـــــــد حل فيـــــه نجـل لـــــزيـــــد
ذلـك الأنـــــــور الأجـل محمـــــــــد

ويذكر « الشبلنجى » أن والدهما مـدفون بجوار مدفن ابنه حسن الأنـور، ويستدل على ذلك بـوجود حجر عتيق شـرقى مقام السيد حسن الأنور مرقـوم عليه نسب زيد، ثم يقول ومن شك فى ذلك فليذهب إلى هناك ليعلم ذلك بالمعاينة .

وعلى ساحل النيل فى مصـر القديمة تجاه جزيـرة الروضة يحدث « السخاوى » عن قبر يوجد يحمل اسم الشريف « أبى عبد الله محمد بن الحسن بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب » ـ رضى الله عنهم ، وقد توفى سنة ثلاثين وثـلاثمائة ، وقـد انفرد عن أولاد الشـريف الميمون بن حمـزة بالدفن . أما بقيتهم ففى قرافة مصر فى أماكن متفرقة .

ويعرف هذا الشريف بكنيته التى اشتهر بها « أبى الشفقة » وسبب هذه الكنية أن النيل كـان قد توقف فى بعض السنين ، فشق ذلك عليه وعلـى أهل مصر، فأخذ يسعى علـى الشاطئ ويبكى ويدعـو الله بالفيضان ، واهتم بهذا الأمـر اهتماما زائدا فصـار يسأل أهل العلم ومن له معـرفة بـالتاريخ عن الكتـاب الـذى أرسلـه عمر بن الخطـاب مع حـاطب بن أبى بلتعـة بن أسعد إلى المقوقس، فدلوه عليه ، فأخذه ووضعه إلى جانبه، فرأى فى ليلـة الإمام عمر بن الخطـاب ـ رضى الله عنه ـ يقول لـه : يـا أبا الشفقـة قم وألق الكتـاب فى النيل فقـام وألقـاه ، فكانت أخصب سنة على أهل مصر. فلما مات دفن قريبا من البحر، واشتهـر عند المصريين بسـاعى البحر . وربمـا يرجع سبب اهتمامـه بكتاب عمر بن الخطاب إلى أن النيل كـان قد توقف بعد فتح مصر ـ وكان مـن عادتهم أن يلقوا به جارية كل عام فأبطل عمـرو هذه العادة ـ فكتب إلى أميـر المؤمنين عمر يخبره بتوقف النيل حتى ضج المصريون فأرسل إليه عمر بطاقة أمره بأن يلقيها فى النيل كتب فيها : من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنـت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك . فألقى عمرو البطاقة فى النيل فجرى بإذن الله تعالى (خطط المقريزى ١ / ١٠٦) .

فأراد الشريف أبو الشفقة أن يلتمس آثار عمر ليستأنس بها فى دعائه إلى الله بفيضان النيل فحقق الله ظنه .

(نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشبلنجى / ١٩٤ ، ١٩٥ ، وأهل البيت فى مصر ـ الشيخ عبد الحفيظ فرغلى / ٨٠ـ ٨٦) .

انظر : حسن الأنور (مسجد سيدى ـ) .

* **حسن الأنور (مسجد سيدى ـ) :**

قال عنه زكى مبارك : مسجد سيدى حسن الأنور .

هـذا المسجـد بقـرب العيـون التى فـوقهـا مجـرى المـاء السلطانى الـواصل إلى القلعة فيما بينها وبين جـامع عمرو ، وقريب من فم الخليج فى وسط منازل صغيرة مسكونة بالفقراء وقبور كثيـرة . وهو مقـام الشعائر ، ولـه ميضأة ومرافـق وبئر، وكـان مهجورا متخـربا فجـدد وعمر فى سنـة ثمانين ومـائتين وألف على يد نـاظره الشيخ أبى زيد إسمـاعيل كما هو مـرقوم بأعلى بابـه الغربى ، وبه ضريح والـد السيدة نفيسة رضى الله عنها سيدى حسن المذكور، عليه قبـة جديدة ، وتحت تابوته حجر من الرخام مكتوب فيه اسم سيدى حسن الأنور رضى الله عنه ، وبجوار هذا الضريح ضـريحان : أحدهما لسيدى زيد الأبلج واسمه منقـوش على قطعة حجر تحت تابـوته، والآخر لسيدى جعفر، وليـس له إيراد وإنما يصرف عليـه من الأوقاف العمـومية ، وبجـوار ميضأتـه شجرتـان من اللبخ ونخـلات . ويقال : إن هـذا الجامع فى طرف من محل الجامع الجـديد الناصرى الذى قال المقـريزى فى خططه أنه بشاطئ النيل من ساحل مصـر الجديد، عمـره القاضى فخر الـدين محمد بن فضل الله نـاظـر الجيش بـاسم الملك النـاصـر محمـد بن قلاوون، وانتهت عمارته سنـة اثنتى عشرة وسبعمائة ، وأقيمت فيه الجمعة حينئذ . وله أربعة أبواب، وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمـودا، وذرعه أحـد عشـر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بـذراع

العمل ، وما برح من أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله انتهى .

ثم زالت آثاره بالكلية ، وقيل إنه كان في محل السبع السواقى ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج التى تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة . ويدل للأول ما اشتهر أن الفرنساوية زمن دخولهم مصر وجدوا هناك كثيرا من العمد الرخام الضخمة وأحجارا ونحو ذلك .

وفى خطط المقريزى أن سيدى حسن والد السيدة نفسية هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، كان له من الأولاد : القاسم ، ومحمد ، وعلى ، وإبراهيم ، وزيد ، وعبيد الله ، ويحيى ، وإسماعيل ، وإسحاق ، وأم كلثوم ، ونفيسة . وكان سيدى حسن والى المدينة البنوية من قبل أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، وكان فاضلا أديبا عالما ، وأمه أم ولد ، توفى أبوه وهو غلام وترك عليه دينا وهو أربعة آلاف دينا ؛ فحلف الحسن ولده أن لا يظل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله ﷺ أو بيت رجل يكلمه فى حاجة حتى يقضى دين أبيه ، فوفاه بعد ذلك . ويقال : إنه كان مجاب الدعوة ممدوحا ، وإن شخصا وشى به إلى أبى جعفر المنصور أنه يريد الخلافة لنفسه ، فإنه كان قد انتهت إليه رياسة بنى حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله . ثم ظهر له كذب الناقل عنه فمن عليه ورده إلى المدينة مكرما ، فلما قدمها بعث إلى الذى وشى به بهدية ولم يعاتبه على ما كان منه انتهى .

وذكر ابن خلكان خلافا فى قبر سيدى حسن هذا ، فقيل : إنه بمصر لكنه غير مشهور . وقيل : إنه توفى ببغداد ودفن فى مقبرة الخيزران . والصحيح أنه مات بالحاجر ، وكان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور ، وأقام بالولاية خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شىء له وحبسه ببغداد ، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور ، وولى المهدى فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شىء ذهب له . ولم يزل معه ، فلما حج المهدى كان فى حملته ، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك ، وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وصلى عليه على بن المهدى . والحاجر على خمسة أميال من المدينة انتهى .

وفى إسعاف الراغبين للشيخ الصبان قال الشعرانى فى منته : أخبرنى سيدى على الخواص رضى الله عنه أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريبا من جامع القراء ، بين مجراة القلعة وجامع عمرو ، وقد أشهر هذه التربة وبنى عليها قبة جليلة حضرة عبد الرحمن كتخدا ـ أحسن الله إليه وأسبل سرادقات لطفه عليه انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٨٢ ، ١٨٣) .

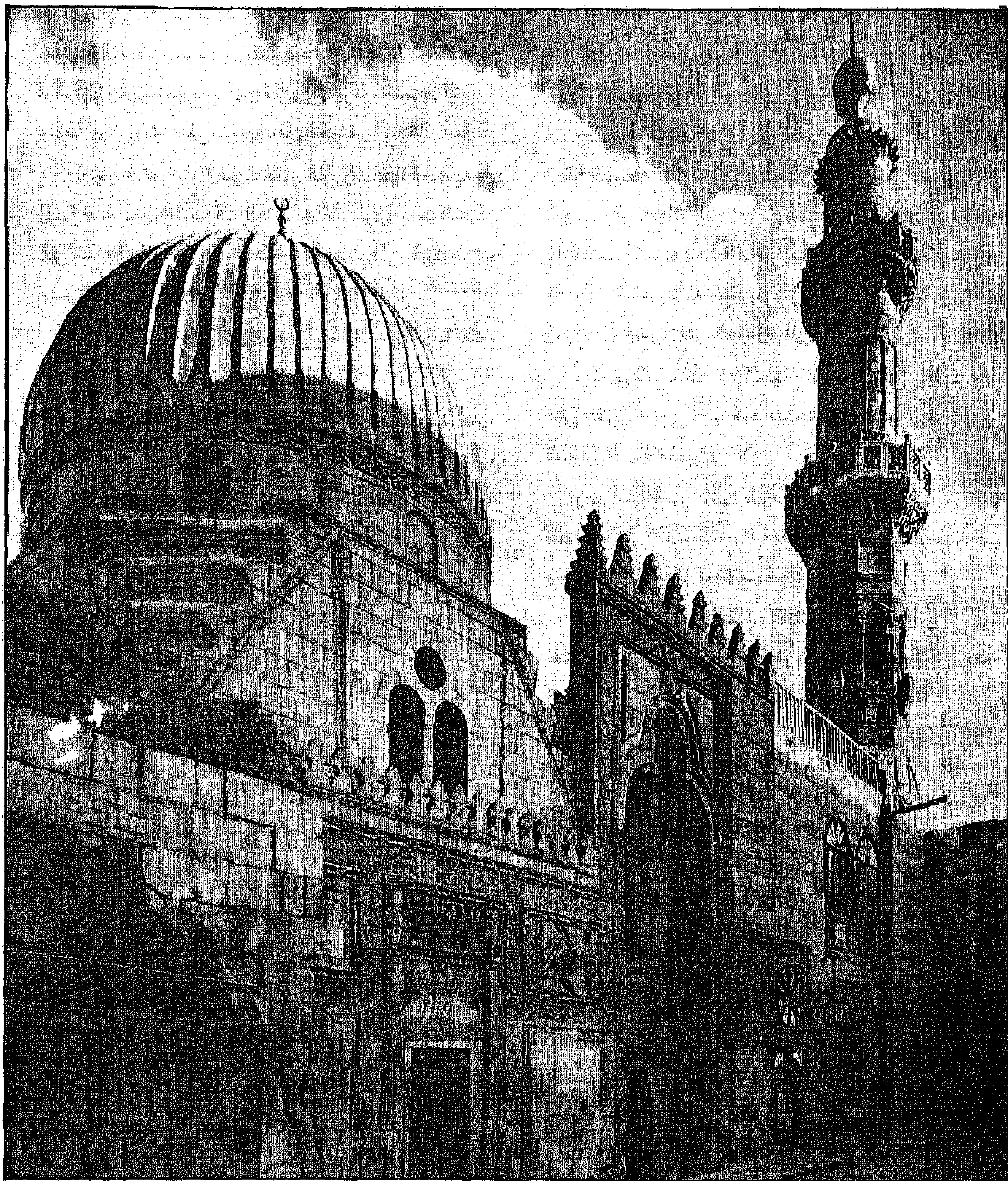
*** حسن باشا طاهر (مسجد ـ) (١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) أثر ٢١٠ :**

بعد وفاة محمد باشا طاهر الذى كان قائم مقام لوالى مصر ، عنى حسن باشا طاهر وأخوه عابدين بك ـ وكانا من الشخصيات البارزة فى عصر محمد على الكبير ــ ببناء القبة التى دفن فيها ، وأنشأ بجوارها مسجدا ألحقا به سبيلاً وكتاباً .

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة فى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . ويعد هذا المسجد من المساجد القيمة بالنسبة لمساجد عصره إذا استثنينا مسجد المغفور له محمد على باشا المنشأ بعده . فالوجهة القبلية تشتمل على القبة والباب الرئيسى والمنارة والسبيل والكتّاب ، والقبة بنيت بالحجر إلى نهاية الرقبة المنقوشة وأركانها مدرجة ، ثم بالطوب وبها تضليع بسيط ، ومكتوب على عتب شباكها : «لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٢٢٤ » ؛ يعلوه نفيس من القاشانى ثم نقوش ومقرنصات ، ويكتنف الشباك مربعات حليا بجفوت يتوسط أحدهما مفروكة ودائرة مفرغة .

وباب المسجد عقده مداينى مخوص يسترعى النظر فيه العمد الصغيرة المفرغة المكتنفة لشباكه الصغير ، والمعروفة عند المعماريين « بثلاثة وليه » ومكتوب على عتبه : « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى أفندينا حسن باشا طاهر والأمير عبدين بيك طاهر غفر الله لهم فى سنة أربع وعشرين ومائتين وألف . ويعلوه نفيس من القاشانى ونقوش مورقة .

وعلى يمين الباب سبيل بصنبورين مكتوب عليه ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ [الإنسان : ٢١] يعلوه مربع بداخله مثمن كسيت أضلاعه بالقاشانى ، يجاوره سبيل



مسجد حسن باشا طاهر
١٢٢٤هـ (١٨٠٩ م)

وكتاب ، وفى الطرف الشرقى المنارة ، وهى مكونة من دورتين ومبنية بالحجر، ولها مقرنصات متقنة الصناعة متنوعة الأشكال وشقق درابزين الدورة الأولى مفرغة بأشكال زخرفية متنوعة وتنتهى من أعلى بترس أسفل الخوذة .

وامتياز هذه المنارة غير مقصور على رشاقتها فحسب بل لأنها خالفت طرز المنارات العثمانية الأسطوانية ذات المسلة التى شاع إنشاؤها فى هذه الحقبة . وأنشئت على طرز منارات مصر المملوكية .

وقد حليت الوجهة بإفريز منقوش بزخارف مورقة كما نقش وجه حوض السبيل .

وتقوم القبة على يسار الداخل من الباب، وقد حلى وجهها بالنقوش والقاشانى والمقرنصات ، ومكتوب على عتب بابها ما نصه : « هذا مقام الأربعين والنازل بجوارهم أفندينا باشا طاهر، والأمير يوسف بيك رحمهم الله تعالى أجمعين سنه ١٢٢٤ » .

ويوسف بك مدفون مع طاهر باشا فى قبر واحد بداخل هذه القبة ومكتوب عليه :

وزير مصر للالالــه لقد مضى
لا اعتراض لحكم مولا قاهر
عليه رضا الرحمن قلت مؤرخا
فى جنة الفردوس محمد طاهر
١٢١٨

وعلى شاهد آخر : « هذا قبر المرحوم يوسف بيك طاهر توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ... شعبان سنة ١٢٢٣ »

كما توجد مقبرة أخرى مكتوب عليها : « هذا قبر المرحوم إبراهيم بيك ابن أمير اللواء طالب بيك توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ٢ شهر جماد آخر سنة ١٢٢٩ » وبها تابوت خشبى باسم الأربعين .

وأمام القبة وعلى يمين الداخل باب المسجد، يصعد إليه ببضع درجات على يمينه باب السبيل ، وقد فرشت أرضيته برخام دقيق، وبه حوض رخامى مستدير من قطعة واحدة وسقفه محلى برسوم وزهور ملونة ، ومكتوب على باب المسجد ما نصه : « وكان الفراغ من بنائه ونشوه فى شهر ذى الحجة المبارك من شهور سنة ألف ومايتين أربعة وعشرون من الهجرة الشريفة النبوية سنة ١٢٢٤ » .

ويشتمل من الداخل على ستة عمد من الرخام تحمل سقفا يتوسطه منور، وحليت جدرانه من أعلى بشبابيك من الجص والزجاج الملون . وزين عقد محرابه الحجرى وطاقيته بالزخارف، كما تعلوه قبة صغيرة منقوشة بها شبابيك جصية ، وله منبر خشبى بابه مستدير، وبطرفه البحرى الغربى دكة المبلغ ، محمولة على الجدار وعلى عمود رخامى .

وملحق بالمسجد من الجهة البحرية مصلى سقفها قائم على عمود رخامى ، لها محراب منحرف ، كما يوجد غربى المدفن حديقة صغيرة .

وقد أنشأ حسن باشا طاهر تجاه الجامع عمارة وقفها للصرف على المسجد باقية بعض دورها وهدم مدخلها وتخلف منه لوحة تاريخية مثبتة بالقبة ونصها :

« وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم حسن باشا طاهر، حرر ذلك فى يوم الجمعة المبارك ٢٩ خلت من شهر رجب الفرد سنة ١٢٣٨ » .

وكذلك نقل إلى دار الآثار العربية لوحة تاريخية كانت تعلو ربع شيخو بشارع الركبية رقم ٥٣ ونصها :

« وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر يوم الجمعة المبارك فى ٢٩ خلت من شهر رجب سنة ١٢٣٨ من هجرة من له العز والشرف » .

(تاريخ المساجد الأثرية - حسن عبد الوهاب / ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ٢ / ١٢٨) .

*** الحسن البصرى (٢١ - ١١٠ هـ) :**

هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن بن يسار البصرى . من سادات التابعين وكبرائهم ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه . قال ابن سعد فى طبقاته : كان جامعا عالما رفيعا فقيها ، حجة ، مأمونا، عابدا ، ناسكا، كثير العلم ، فصيحا، جميلا ، وسيما ، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من

خلافة عمر بن الخطاب (٢١ هـ) ونشأ فى وادى القرى واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية ، ثم استقر فى البصرة . ولما سئل نفر من المشهود لهم بالفضل ، أمثال ابن سيرين والشعبى عن استخلاف يزيد ، لم يجرؤ واحد منهم على الإدلاء برأيه ، أما الحسن فقد جهر بمخالفته لذلك . وقد عظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف فى الحق لومة لائم . وله مع الحجاج بن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه . قال أبو عمرو ابن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج ابن يوسف الثقفى ، فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ، وقال الإمام الغزالى : « كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء ، وأقربهم هديا من الصحابة ، وكان غاية فى الفصاحة ، تتصبب الحكمة من فيه » . أخباره كثيرة ، وله كلمات سائرة . توفى بالبصرة فى مستهل رجب سنة ١١٠ هـ .

(كتاب الوفيات / ١٠٩ ، ١١٠) .

قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشى ، عن أبى موسى الأشعرى ، وعلى أبى العالية ، عن أُبى بن كعب ، وزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب . وروى عنه أبو عمرو بن العلاء ، وسلام الطويل ، وعاصم الجحدرى ، وعيسى الثقفى وغيرهم . قال فيه الإمام الشافعى : لو أشاء أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته ، ومناقبه فى الزهد والورع أكثر من أن تحصر (القراءات الشاذة / ١٣ ، ١٤) .

وننقل لك فيما يلى عظة بالغة للإمام حسن البصرى هى الشاهد على فصاحته التى وصفه بها كل من أبى عمرو بن العلاء ، والإمام الغزالى ، والإمام الشافعى ، وهو ما أوردناه آنفا ، كما أنها شاهد على زهده وورعه ، والله تعالى يقول : ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

قال الإمام الحسن البصرى :

يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه ، الثواء ههنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أمتكم آخر الأمم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون ؟ المعاينة ؟ فكأن قد . هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها ، وبقيت الأعمال قلائد فى أعناق بنى آدم فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبى بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم . من رأى محمدا ﷺ فقد رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه . فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء ، علام تعرجون ، أتيتم ورب الكعبة . قد أسرع بخياركم وانتم كل يوم ترذلون ، فماذا تنتظرون ؟ إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا ﷺ على علم منه ، اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتا وبلغة ، ثم قال ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [الأحزاب : ٢١] فرغب أقوام عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له ربه ، فأبعدهم الله وسحقهم .

يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك ؟ واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . رحم الله رجلا نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر ، وأبصر فصبر ، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا ؟ فذهب الجزع بقلوبهم ، ولم يدركوا ما طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكر قوله تعالى ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ [الإسراء : ١٣ ، ١٤] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ، خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ، فليس الصفو ما عاد كدرا ، ولا الكدر ما عاد صفوا . دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم ، ظهر الجفاء ، وقلت العلماء وعفت السنة ، وشاعت البدعة ، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين ، وجلاء الصدور ، ولقد رأيت أقواما كانوا لحسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ،

وكانـوا فيما أحل الله لهـم من الدنيـا أزهد منكم فيمـا حرم الله عليكم منهـا ، مالى أسمـع حسيسا ، ولا أرى أنيسا؟ ذهب النـاس وبقى النسناس، لـو تكـاشفتم مـا تدافنتم ، تهـاديتم الأطباق، ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله امرءا أهدى إلينـا مساوينا . أعدوا الجواب فإنكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيـه ، ولكنه أخذه من قبل ربه ، إن هـذا الحق قد جهـد أهلـه وحال بينهـم وبين شهواتهم ، ومـا يصبر عليه إلا من عرف فضله ، ورجا عـاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقـاء الله إلا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، الإيمـان ليس بالتحلى ولا بـالتمنى ، ولكنـه ما وقـر فى القلب وصدقه العمل .

وكان إذا قرأ ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قال : عم ألهاكم ؟ عن دار الخلود، وجنـة لا تبيد، هـذا ، والله فضح القوم ، وهتك الستر وأبدى العوار، تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفا ، وتمنع فى حق الله درهمـا ؟ ستعلم يا لكع . النـاس ثـلاثة : مـؤمن وكافر ومنـافق . فأما المؤمن فقد لجمه الخوف ، وقـومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذعن بـالجزية ، وسمح بـالضـريبـة وأما المنـافق ففى الحجـرات والطرقـات ، يسـرون غيـر ما يعلنـون ، ويضمـرون غيـر مـا يظهرون. فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ، قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته ؟

وكان يقـول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعـرض عليه نفسه ، فـإن وافقه حمد ربـه وسألـه الزيادة مـن فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب، وراجع من قريب ، رحم الله رجلا واعظ أخـاه وأهله فقـال : يا أهلى ، صـلاتكم صلاتكم ، زكـاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، إخوانكم إخوانكم ، مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم . فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ [مـريم : ٥٥] يـا ابن آدم ، كيف تكـون مسلما ولم يسلم منك جـارك ؟ وكيف تكون مـؤمنا ولم يأمنك الناس ؟

وكان يقول : لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب النـاس بعيب هو فيـه ، ولا يأمـر بإصلاح عيوبهم حتى يبـدأ بإصـلاح ذلك من نفسه فإنـه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبـا إلا وجد فى نفسـه عيبا آخر ينبغى لـه أن يصلحه . فإذا فعل ذلك شغل بخاصـة نفسه عن عيب غيره . وإنك نـاظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقـرن شيئا من الشر وإن صغر، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه .

وكـان يقول : رحم الله عبـدا كسب طيبا، وأنفق قصـدا، وقدم فضلا ، وجهوا هذا الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمـر الله ، فإن من كان قبلكم كـانوا يأخـذون من الدنيـا بـلاغهم ، ويـؤثرون بـالفضل . ألا إن هـذا المـوت قد أضـر بالدنيا ففضحها ، فلا والله مـا وجد ذو لب فيها فرحا ، فإياكم وهذه السبل المتفرقـة التى جماعها الضلالة ، وميعـادها النار أدركت من صدر هـذه الأمة قوما كانـوا إذا جنهم الليل ، فقيام على أطـرافهم ، يفترشـون خـدودهم ، تجرى دمـوعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سـرتهم ، وسألـوا الله أن يتقبلهـا منهم ، وإذا عملـوا سيئـة ساءتهم ، وسألـوا الله أن يغفرها لهم . يـا ابن آدم ، إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شىء يغنيك ، وإن كان يغنيك ما يكفيك فـالقليل من الدنيـا يكفيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئا من الحق رياء ، ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيـا ، وكانوا يقضـون بعلمهم على أهل الدنيـا ما لا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها . وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبـة فـى علمهم ، فأصبح اليـوم أهل العلم يبـذلـون علمهم لأهل الـدنيـا رغبـة فى دنيـاهم ، فـرغب أهل الـدنيـا بدنيـاهم عنهم ، وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء مـوضعه عندهم .

وكان يقـول : لا أذهب إلى من يوارى عنى غنـاه ، ويبدى لى فقـره ، ويغلق دونى بـابـه ، ويمنعنى مـا عنـده ، وأدع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى إلى ما عنده .

وكـان يقـول : يـا ابن آدم ، لا غنى بـك عن نصيبك من الـدنيـا ، وأنت إلى نصيبك من الآخـرة أفقـر، مـؤمن مهتم ، وعلج أغتم ، وأعرابى لا فقـه له ، ومنافق مكـذب ، ودنياوى

متـرف . نعق بهم ناعـق فاتبعـوه ، فـراش نار، وذبـان طمع . والذى نفس الحسن بيـده ما أصبح فى هـذه القريـة مؤمن إلا أصبح مهموما رزينا ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس مـا داموا فى عـافية مستـورون ، فإذا نـزل بهم بلاء صـاروا إلى حقائقهم : فصار المـؤمن إلى إيمانه ، والمنافـق إلى نفاقه . أى قوم ، إن نعمـة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسـارعوا إلى ربكم فإنـه ليس لمؤمن راحـة دون الجنة ، ولا يـزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه .

وقال الحسن فى يوم فطـر ، وقد رأى الناس وهيآتهم : إن الله تبارك وتعـالى جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقـون فيه بطاعتـه إلى مرضاتـه، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخـرون فخابوا ، فـالعجب من الضاحك الـلاعب فى اليـوم الـذى يفـوز فيـه المحسنـون، ويخسـر فيـه المبطلـون. أما والله لـو إن كشف الغطـاء لشغل محسن بـإحسـانـه ومسىء بإسـاءتـه ، عن تـرجيل شعر، أو تجديد ثوب (البيان والتبيين ٣/ ٤٥٠_٤٥٤) .

وقـد تـوفى الإمـام الحسن البصرى بمـدينة البصـرة كما سبق القـول ، وفيمـا يلـى الـوصف المعمـارى لمقبرتـه التى دفن بهـا والتى دعيت بـاسمـه . ومـا تـزال هذه المقبرة مستخدمة للدفن :

يقوم مرقد الحسن البصرى بمقبرة بلـدة الزبير فى محافظة البصرة .

يتألف الضريـح من أكثر من غرفـة يظهر أنهـا شيدت فى أوقـات مختلفـة وأهمهـا تلك التى تضم القبـر وتمثل طـراز المشاهـد العراقيـة فى النصـف الثانى من القـرن السابع الهجرى، والنصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى . والغرفة مربعة الشكـل طول ضلعها ٣ أمتـار من الداخل ويقع مدخلها فى الضلع الشرقى ، ويتكون من باب مستطيل يتوسط الضلع يتقدمه بروز بنائى بعرض الضلع يتألف من عقد مدبب مطول مـؤطر بنطـاق أو حافـة شكلها مستطيل تبـرز قليلا عن مستوى العقـد . والبناء كلـه مشيد بـالطابـوق والجص ويعلو هذه الغـرفة رقبة مثمنـة تؤشر مـرحلة تحـويل المربع إلى دائرة لتجلس عليهـا القبـة . وتتـابع صفـوف من المقـرنصـات من الداخل والخـارج وخالية من الـزخارف سواء كـانت جصية أم منقوشة على الطابوق . وتنتهى صفوف المقرنصات أو الحنايا ذات العقود المدببة بشكل نجمة ثمانية تتربع عليها قاعدة رقبة طويلة نسبيا تنتهى برأس مقبب نصف كروى مدبب قليلا .



لوحة ٦٢ : مرقد الحسن البصرى

وقبة هذا البناء من الخارج ذات طابع مميز فهى تتألف من ستة صفوف من مقرنصات ذوات عقـود مدببة وبطون مسطحة وتبرز العقـود هنا إلى الإمام بميـلان [بميل] واضح نراه ولأول مرة فى تشكيلـة المقرنصات التى تختلف هنا عن نظـائرها فى قبة محمد الدرى وقبة زمـرد خاتون ففى هاتين التربتين جعلت الـرؤوس المدببـة المـائلة إلى الإمـام للجـدران الفاصلـة بين

مقرنصات كل صف من الصفوف لا للحنايا نفسها ، كما جعلت بطون مقرنصات القبتين منتفخة بخلاف مقرنصات قبة مرقد البصرى فهى شبه مستوية تقريبا (لو ح ٦٢) ومرقد الحسن البصرى خال من الكتابات التذكارية التى قد تساعد فى تأشير تاريخ العمارة . وليس هناك إشارات تاريخية إلى من قام ببنائه وتاريخ ذلك اللهم إلا إشارة واحدة تفيد أن المرقد تهدم وأعيد بناؤه بعد أن دالت دولة العباسيين . وليس أمامنا من سبيل سوى فحص هيكله وعناصره المعمارية مما يرجع للوهلة الأولى أنه يرجع إلى الربع الثالث من القرن السابع الهجرى (الربع الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى) (العمارات العربية الإسلامية ٢ / ١١١ - ١١٤) .

له ترجمة فى : « وفيات الأعيان » ١ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦ ، و«شذرات الذهب » ١ / ١٣٨ ـ ١٣٩ ، و « دائرة المعارف الإسلامية » ٧ / ٣٨١ - ٣٨٢ ، و « حلية الأولياء » ٢ / ١٣١ - ١٦٠ ، و « الفهرست » / ١٨٣ ، و « الحسن البصرى » لإحسان عباس ، و « ميزان الاعتدال » ١ / ٢٥٤ وما بعدها ، والأعلام ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ١٠٩ ، ١١٠ وهامش ١ للمحقق ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - الشيخ عبد الفتاح القاضى / ١٣ ، ١٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ ـ حققه وقدم لـه المحامى فوزى عطوى ٣ / ٤٥٠ - ٤٥٤ ، والعمارات العربية الإسلامية فى العراق ـ د . عيسى سلمان وزميلاه ٢ / ١١١ - ١١٤ . انظر أيضا .

« الإمام الحسن البصرى ونهجه فى النسخ والقراءات القرآنية » - د . محمد على الحسن . مجلة منار الإسلام . العدد الرابع ، السنة الرابعة عشرة غرة ربيع الأخر ١٤٠٩ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٨٨ م / ٦ - ١٣) .

*** أبو الحسن البكرى (٨٩٩ - ٩٥٢ هـ / ١٤٩٣ - ١٥٤٥ م) :**

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق ، أبو الحسن البكرى الصديقى (الأعلام ٧ / ٥٧) قال عنه على مبارك :

فى جانب يمين الداخل إلى دهليز قبة الشافعى مكان دفن فيه الشيخ أبو الحسن تاج العارفين البكرى شيخ الإسلام الفقيه المفسر المحدث الصوفى كان عظيم الشأن واضح البرهان أخذ العلوم عن جمع من الأعيان منهم شيخ الإسلام زكريا وبرهان الدين بن أبى شريف ودرس بالجامع الأزهر فى التفسير والتصوف . وله تصانيف كثيرة منها : تفاسير ثلاثة أصغر وأوسط وأكبر ، وشروح على المنهاج ثلاثة كذلك ، وشروح على الإرشاد ثلاثة كذلك ، وعدة متون فى الفقه ، وعدة رسائل فى التصوف وغير ذلك . توفى سنة نيف وعشرين وتسعمائة ذكره المناوى فى الطبقات . (الخطط التوفيقية ٥ / ٧٠)

وقال عنه الزركلى : مفسر ، متصوف ، مصرى ، من علماء الشافعية . مولده ووفاته بالقاهرة . كان يقيم عاما بمصر وعاما بمكة . من كتبه « تسهيل السبيل » فى تفسير القرآن ، ويسمى « تفسير البكرى » و « شرح العباب » للمزجّد، فقه ، و « شرح منهاج النووى » و « تحفة واهب المواهب فى بيان المقامات والمراتب » مخطوط فى المكتبة العباسية بالبصرة ، تصوف ، و « الدرة المكللة فى فتح مكة المبجلة » نظم ، و « عقد الجواهر البهية » فى الصلاة على خير البرية ، و « إرشاد الزائرين لحبيب رب العالمين » وغيرها (الأعلام ٧ / ٥٧) .

وقد ذكره الإمام الشعرانى فى طبقاته من بين من أدركهم وحظى بصحبتهم من غير أن يقرأ عليهم شيئا وقال عنه :

الشيخ الفقيه الصوفى المحدث ، نادرة الزمان الشيخ أبو الحسن البكرى رضى الله عنه ، أخذ العلوم عن جماعة من مشايخ الإسلام ، والتصوف عن الشيخ رضى الدين الغزى ، وتبحر فى علوم الشريعة من تفسير وحديث ، وغير ذلك .

وكان رضى الله عنه إذا تكلم فى علم منها كأنه بحر زاخر، لا يكاد السامع يتحصل من كلامه على شيء ينقله عنه لوسعه إلا إن كتبه فى قرطاس وأخبرنى بلفظه ونحن بالمطاف أنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق ، وقال : أنا أكتم ذلك عن الأقران خوفا من الفتنة ، وسبب ذلك كما وقع للجلال السيوطى رحمه الله تعالى ، هذا لفظه .

وكانت مدة اشتغاله على الأشياخ مدة سنتين ، ثم جاءه الفتح من الله تعالى واشتغل بالتأليف ، ولم يزل على ذلك إلى

أن مات ، وهو أول من حج فى محفة ثم تبعه الناس ، وقد عاشرته من حين كان بلا لحية ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل تربى فى نزاهة وعفة وطاعة وعزة نفس على أهل الدنيا ، لم يزل قط فى تحصيل معاشه لغيره ، بل كانت الدنيا تأتيه وهى راغمة ، وذلك كمال على كمال .

وحججت معه مرة فما رأيت أوسع أخلاقا منه ، ولا أكثر صدقة فى السر والعلانية ، فكان لا يعطى أحدا شيئا نهارا إلا نادرا ، وأكثر صدقته ليلا ، وكان له الإقبال العظيم عند الخاص والعام فى مصر والحجاز وشاع ذكره فى أقطار الأرض كالشام والروم واليمن والتكرور والمغرب مع صغر سنه رضى الله تعالى عنه .

وكانت له كرامات كثيرة وخوارق وكشوفات فما قاله أو وعده لا يخطئ وترجمه الناس بالقطبية العظمى .

وكان له النظم الشائع فى علم التوحيد ، وأطلعنى مرة على تائية عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخوله فى طريق القوم ، ثم غسلها وقال : إن أهل زماننا لا يحتملون سماعها ، لقلة صدقهم فى طلب الطريق ، وأوصافه الحسنة تضيق عنها الدفاتر (الطبقات الصغرى / ٧٨ ، ٧٩) .

ومن شعر الشيخ أبى الحسن ، وهى قصيدة مشهورة :

بوجودكم تتجمل الأوقات
وبجودكم تتنزل الأقوات
وبسركم تطوى الركائب سيرها
وبنشركم تتعطر النسمات
وبذكركم تطوى أحاديث العلى
وبفضلكم تتلى لنا الآيات
وبشكركم تتحدث الركبان والبـ
ـلدان والعمران والفلوات
وبرسمكم ينشا السحاب وباسمكم
يمحى العقاب وتغفر الزلات
أنتم معانى الكائنات فأينما
أنتم حللتم حلت البركات
لله ما أحلى قديم حديثكم
ذاك الذى هو للقلوب حياة
تحيى قلوب العارفين بذكركم
والجاهلون قلوبهم أموات
غنى الزمان بذكركم متهللا
فرحا فكل جهاته نغمات
طرب الوجود على لذيذ سماعكم
فكأنما نسماته نايات
رقت معانيكم فحار أولو النهى
واستعجمت برموزها الكلمات
وبدا سناء صباحكم فقلوبنا
كزجاجة وصدورنا المشكاة
وقع النداء لنا ألست بربكم
قلنا بلى وأجابت الذرّات
شهد الشهود وأثبت القاضى على
إشهادكم وتسجل الإثبات
وعلى قديم العهد نحن إلى اللقا
هيهات أن تتحول الحالات
جعل التعاون بيننا من ذلك الـ
ـعهد القديم وضمنا الميقات
ما فى الحمى إلا محب جمالكم
حتى حمام الأيك والأثلات
إن كان للأيام أعياد الهنا
أنتم لنا الأعياد والجمعات
فكلامكم من معدن الوحى الذى
ظهرت على إثباته الآيات
واها على أحوال قوم أعرضوا
عن بابكم كم فاتهم خيرات
وحياتكم من فاته من أنسكم
وقت فكل العمر منه فوات

ومن احتمى يوما بغير حماكم
حلت به الآفات والهلكات
لفقيدكم تجرى الكنوز من الثرى
وبعبدكم تتضامن السادات
يا نائمين تيقظوا من نومكم
لم يبق من قرب الحبيب سبات
يا معرضين عن الكريم تعرضوا
فلربكم فى دهركم نفحات
خلُّوا الغرور فكل شىء هالك
لا شك إلا الله والطاعات
أين الجبابرة الفراعنة التى
ضاقت لعظم جيوشها الفلوات
أين الملوك السالفون ومدحهم
أين البنود السود والرايات
بل أين ذو القرنين من دانت له
الآفاق والبلدان والظلمات
أين المعارف أين إخوان الصفا
والأخوة الأنساب والأخوات
جز فى ديارهم وسائل عنهم
يخبرك أنهم جميعا ماتوا
لله كم تحت الثرى من أمَّة
راحت وملء فؤادها حسرات
كانوا وكانت فى الحمى أوقاتهم
ماتوا وماتت معهم الأوقات
يبكى الزمان عليهم متأسفا
وتفيض من أجفانه العبرات
بالأمس كانوا فى المنازل كلهم
واليوم هم تحت التراب رفات
ثم الصلاة على النبى وآله
ما دامت الأزمان والساعات

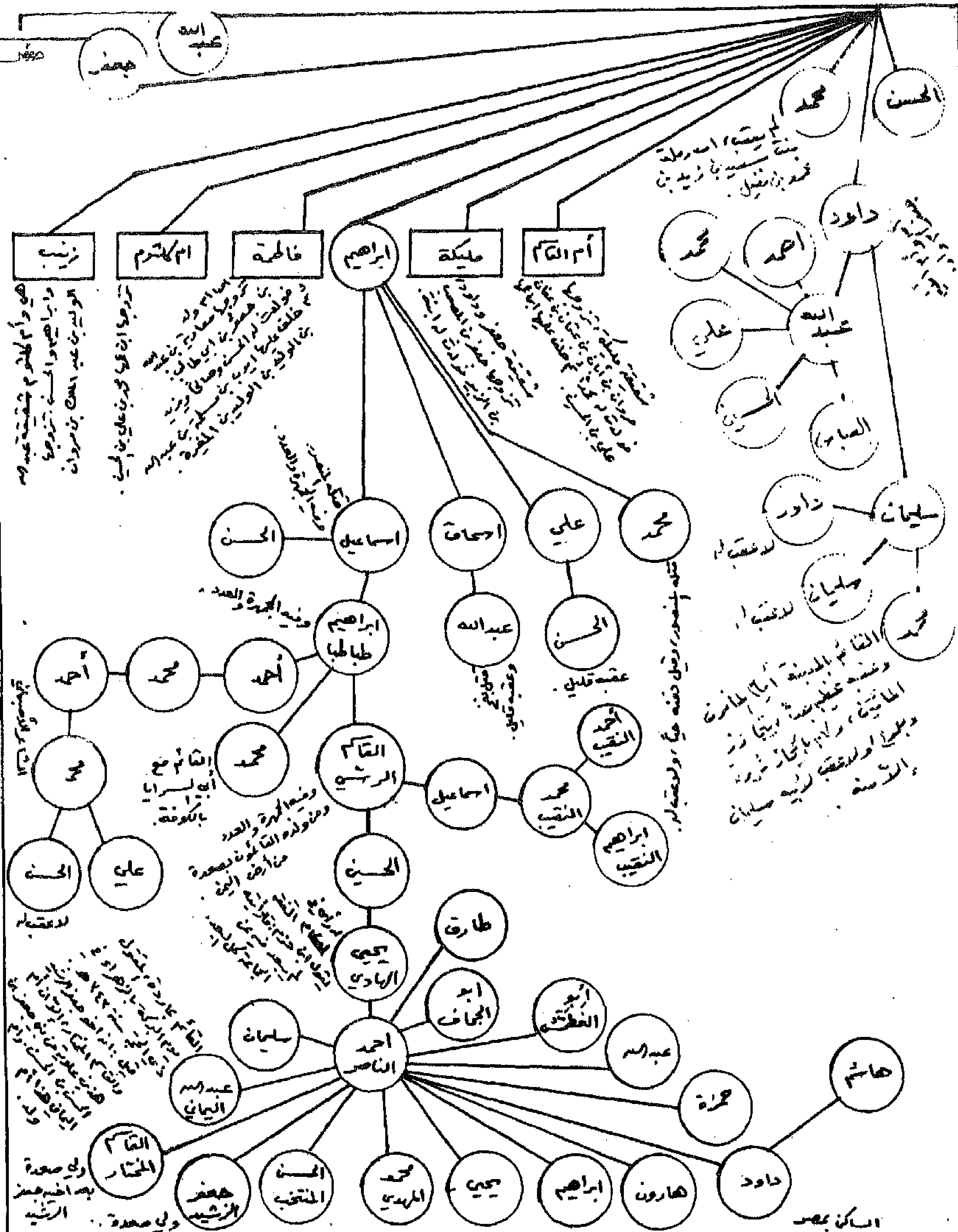
قال الشيخ نجم الدين الغزى :

قرأت بخط الشيخ المحدث العلامة نجم الدين الغيطى المصرى وأخبرنا عنه شيخنا العلامة نور الدين محمود البيلونى الحلبى إجازة أن الشيخ أبا الحسن البكرى توفى فى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وكانت جنازته مشهورة ودفن بجوار الإمام الشافعى (الكواكب السائرة ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧) .

(الأعلام للزركلى ٧ / ٥٧ ، والخطط التوفيقية الجديدة ـ إعداد متولى خليل عوض الله ٥ / ٧٠ ، والطبقات الصغرى للإمام أبى المواهب عبد الوهاب الشعرانى ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٧٨ ، ٧٩ ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧) .

*** الحسن بن الحسن (ـــ ٩٧ هـ) :**

هو الإمام الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنه وعنهم وهو المثنى كان جليلا مهابا فاضلا ورعا زاهدا وكان يلى صدقات أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالمدينة . يحكى أنه ساير الحجاج بالمدينة والحجاج إذ ذاك أميرها فقال له الحجاج : يا حسن أدخل معك عمك فى النظر على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك . فقال له الحسن : لا أغير شرطا شرطه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ولا أدخل فى صدقاته من لم يدخله . فقال الحجاج أنا أدخله معك قهرا. فأمسك الحسن عنه ثم ما كان إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصدا عبد الملك بن مروان . فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحيى ابن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال له . ما جاء بك فأخبره بخبره مع الحجاج فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم أدخل أنت وتكلم واذكر قصتك فسترى ما أفعل معك وينفعك الله به عنده . فدخل يحى ابن أم الحكم ثم دخل الحسن بن الحسن فلما جلس رحب به عبد الملك وأحسن مسائلته وكان الحسن قد أسرع إليه المشيب . فقال له ابن مروان قد أسرع بك المشيب يا أبا محمد فبدر يحيى بن أم الحكم وقال وما يمنعه يا أمير المؤمنين شيبته أمانى أهل العراق يقود إليه الركب بُعد الركب فى كل سنة يمنونه الخلافة ، فقال له الحسن بئس الله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت


الحسن
الحسن
محمد
داود
أحمد
محمد
عبد الله
علي
الحسن
العباس
سليمان
داود
سليمان
محمد
أم القاسم
مليكة
ابراهيم
فاطمة
ام كلثوم
زينب
جعفر
عبد الله
اسماعيل
الحسن
اسحاق
علي
محمد
ابراهيم طباطبا
عبد الله
الحسن
أحمد
محمد
أحمد
محمد
علي
الحسن
محمد
القاسم الرسي
اسماعيل
محمد النقيب
أحمد النقيب
ابراهيم النقيب
الحسين
يحيى الهادي
طارق
ابو الجحاف
أحمد الناصر
سليمان
عبد الله
عبد الله اليماني
القاسم المختار
جعفر الرشيد
الحسن المنتخب
محمد المهدي
يحيى
ابراهيم
هارون
داود
حمزة
هاشم
عقبه قليل .
لا عقب له

ولكنا أهل بيت يسرع إلينا المشيب وعبد الملك يسمع كلامه فأقبل عبد الملك على الحسن وقال له : لا عليك هلم حاجتك يا أبا محمد . فأخبره بقول الحجاج له فقال عبد الملك ليس ذلك له وكتب للحجاج كتابا يهدده فيه ويمنعه من ذلك ، ووصل الحسن بأحسن صلة وأجازه بأحسن جائزة وقابله بأحسن مقابلة وجهزه راجعا إلى المدينة على أحسن حال . وبعد أن خرج الحسن من عنده قصد يحيى بن أم الحكم إلى منزله فقال له كيف رأيت ما فعلت معك . قال والله إني عاتب عليك فيما فعلت ... فقال إنها لك والله ما ألوتك نفعا ولا ذخرت عنك جهدا . ولولا كلمتي هذه ما هابك ولا قضى لك حاجة واحدة فاعرف لي ذلك .

ويروى أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة فقال اختر يا بني إحداهما فتردد فقال له الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهم شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فتزوجها منه ، وحضر الحسن بن الحسن مع عمه رضي الله عنه بطف بكر بلاء فلما قتل عمه الحسين رضي الله عنه وأسر الباقون من أهله وأسر من جملتهم الحسن بن الحسن جاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأيدي وقال والله لا يوصل إليه أذى ، مات الحسن بن الحسن رضي الله عنه وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد حي وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم ابن محمد . ولما مات الحسن رضي الله عنه ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين فسطاطا على قبره وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت رضي الله عنها تشبه حور العين لجمالها فلما انتهى العام قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوّضوه سمعت قائلا يقول هل وجدوا ما فقدوا فأجابه الآخر بل يئسوا من وجوده فانصرفوا . وقبض الحسن بن الحسن رضي الله عنهما ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع (منهل الصفا / ٧٨ـ٨٠ ـ ونور الأبصار / ١٢٤, ١٢٥)

قال صاحب الرياض المستطابة : مات المثنى (وهو الحسن بن الحسن) سنة سبع وتسعين وله بضع وخمسون سنه ، وله من الولد ستة محمد وعبد الله وإبراهيم وحسن وجعفر وداود ، ومن الإناث خمس زينب وأم كلثوم وفاطمة ومليكة وأم القاسم (الرياض الستطابة / ٢٩٠) .

وقال الشيخ سيد الشبلنجي رحمه الله : وأعقب الحسن ابن الحسن خمسة رجال : عبد الله المحض ، وإبراهيم القمر ، والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، وداود ، وجعفر وأمهما أم ولد تدعى حبيبة ، كذا في بحر الأنساب (نور الأبصار / ١٢٥) .

(نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجي / ١٢٤ ، ١٢٥ ومنهل الصفا ـ السيد محمود أبو الفيض المتوفى / ٧٨ـ٨٠ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني / ٢٩٠) .

ملاحظة : صورة التشخير المصاحبة لهذه المادة مأخوذة من كتاب « قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ـ تقديم وتعليق وتشجير كامل سلمان الجبوري / ٣٧ .

*** الحسن بن حي :**

انظر : ابن حي .

*** الحسن بن الخطير (ـــ ٥٩٨ هـ) :**

ذكره الحافظ السيوطي فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه :

الحسن بن الخطير أبو علي النعماني الفارسي . كان فقيها حنفيا عالما بالتفسير والحساب والهيئة والطب ، مبرزا في النحو واللغة والعروض والأدب والتاريخ ، ألف تفسيرا ، وشرح الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وكتابا في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار . أقام بالقاهرة مدة يدرس إلى أن مات بها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وكان يقول : قد انتحلت مذهب أبي حنيفة ، وأنتصر له فيما وافق اجتهادي .

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٣١٤) .

*** الحسن بن زياد :**

انظر : اللؤلؤي .

*** الحسن بن زيد (٨٣ ـ ١٦٨ هـ / ٧٠٢ ـ ٧٨٤ م) :**

الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، أمير المدينة ووالد السيدة نفيسة . كان من الأشراف النابهين ، شيخ بني هاشم في زمانه . استعمله المنصور على

المدينـة خمس سنين ، ثم عزلـه . وخافه على نفسـه فحبسه ببغداد . فلما ولى المهدى أخرجه ، واستبقاه معه . مولده فى المدينة ووفاته بالحاجـر (على خمسة أميال منها) فى طريقه إلى الحج مع المهدى .

(الأعلام ٢ / ١٩١) .

*** الحسن بن سوار :**

أدرجه ظهير الدين البيهقى فى الحكماء .

وفى طبقات الأطباء : الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام ، وفى تـاريخ الحكمـاء : الحسن بـن سـوار بن بـابـا بهـرام ، وكذلك ورد نسبـه فى ابن نديم . وأورده ظهيـر الدين البيهقى تحت عنوان « الحكيم أبـو الخير الحسن بن بابـا بن سوار بن بهنام وقال عنه :

كان بغدادى المولد وقـد حمل إلى خوارزم ثم لما استولى السلطان محمود بن سبكتكين على خـوارزم حمله إلى غزنة ، وعرض عليه الإسلام فأبى ، وعمره جاوز المائة .

فمر يوما بمكتب فيه معلم حسن الصوت يقرأ سورة ﴿الٓمٓ * أحسب الناس﴾ [العنكبوت : ١ ، ٢] فـوقف وبكى سـاعة ومر ، فـرأى فى هذه الليلـة فى منامـه النبى عليه السـلام وهو يقول لـه : يا أبـا الخير مثلك مع كمـال علمك يقبح أن تنكر نبوتى . فأسلم أبو الخير فى منامه على يد رسول الله ﷺ .

فلما انتبه من منامه أظهـر الإسلام ، وتعلم الفقه على كبر سنه ، وحفظ القرآن ، وحسن إسلامه .

وقد حكم لـه أبو الريحان المنجـم بنكبة قاطعة ، فـدعاه السلطـان محمـود يـومـا ، لعـارض عـرض لـه ، وبعث إليـه مركوبه ، فمر على سـوق الخفافين فنفرت دابته ، وأهلكت أبا الخير . وتمام قصته وقصة ابنـه أبى على بن أبى الخير مذكور فى تاريخ آل سبكتكين . وقد صنف ذلك التاريخ أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى الكاتب .

وقـال أبو على بن سينـا فى بعض كتبـه : فأمـا أبو الخيـر فليس من عداد هؤلاء ولعل الله يرزقنا لقاءه فيكون إما إفادة وإما استفادة .

وبعض الناسخين يكتب فأما أبو نصر وهذا غلط عظيم ، لأن أبا نصر الفارابى مات قبل ولادة أبى على بثلاثين سنة .

وقد أفرد السلطـان محمود للحكيم أبى الخير نـاحية يقال ناحية خمـار ، ونسـب أبو الخير إلى تلك النـاحيـة . ، وقيل له أبو الخير خمـار ، تمييزا بينه وبين أبى الخير صـاحب البريد بقصدار (ناحية مشهورة قرب غـزنة وقد وردت كثيرا فى تاريخ العتبى) وقد سها من قال هو أبو الخير الخمار .

ولـه تصانيف كثيـرة فى أجـزاء العلـوم الحكمية ورأيت لـه (رسـالـة) إلى الوزيـر الأمين أبى سعيـد فيهـا كلمات نـافعـة شافية .

وقيل لأبى الخير بقراط الثانى وحق له ذلك فإن النبى عليه السلام سماه فى منامه عالما .

وسئل أبو الخيـر حين كان نصرانيا عمـا يأكل ويشرب كل يوم فقال : المدققة والمرققة والملبقة والمروقة .

وله تصانيف لطيفة فى تدبير المشايخ عجيب جدا .

ومما نقل عنه : أحسن القول ما وافق الحق .

من طلب ما فى أيدى الناس حقروه ومن صنع خيرا أو شرا فبنفسه ابتدأ .

المتمسك بالغرور كالمقتبس من ضوء البرق الخاطف .

(تاريخ حكمـاء الإسلام لظهير الـدين البيهقى ـ عنى بتحقيقـه ونشره محمد كرد على / ٢٦ ـ ٢٨) .

*** أبو الحسن بن الصائغ الدينورى (ــ ٣٣٠ هـ) :**

من الطبقة الثالثة للصوفية وهو أبو الحسن على بن محمد ابن سهل بن الصائغ الدينورى ، كان من كبار المشايخ . أقام بمصر ومات بها .

قال السلمى :

سمعت أبا عثمان المغربى يقول : « لم أر فيمن رأيت من المشايخ أنـور من أبى يعقوب النهرجورى ، ولا أكبـر همة من أبى الحسن بن الصائغ الدينورى .

سألت الشيـخ أبـا عثمـان : هل كـان أبــو الحسن من السـالكين ؟ فقـال : « كـان من العـامليـن المخلصين فى المعاملة » .

توفى بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

سئل عن صفة المريد ، فقال : صفته ما قال الله عز وجل : ﴿ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ [التوبة : ١١٨] .

من توالت عليه هموم الدنيا فليذكر هما لا يزول ، ليستريح منها .

وسئل : ما الذى يجب على الإخوان إذا اجتمعوا ؟ فقال : التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر . قال الله تعالى : ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ٣] .

ينبغى للمريد أن يترك الدنيا مرتين : يتركها مرة بنضارتها ونعيمها ، وألوان مطاعمها ومشاربها ، وجميع ما فيها . ثم إذا عرف بترك الدنيا ويبجل ويكرم بها ، فينبغى أن يستر إذ ذاك حاله بالإقبال على أهلها ، لئلا يكون ذكره فى ترك الدنيا ذنبا هو أعظم من الإقبال على الدنيا وطلبها ، أو فتنة أعظم منها .

من فساد الطبع التمنى والأمل .

كان بعض مشايخنا يقول من تعرض لمحبته جاءته المحن والبلايا بالأوقار (أى الأحمال الثقيلة) .

محبتك لنفسك هى التى تهلكها .

وسئل : ما المعرفة ؟ فقال : رؤية المنة فى كل الأحوال ، والعجز عن أداء شكر النعم من كل الوجوه ، والتبرى من الحول والقوة فى كل شىء .

الأحوال كالبروق ، فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملاءمة الطبع .

وسئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، فقال : كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين ، وهو ذو مثل ، على صفات من لا يشاهد الدنيا ، ولا يعاين ، ولا مثل له ولا نظير !؟ (طبقات الصوفية / ٧٥ ، ٧٦) .

وقد ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٣١ هـ وقال عنه :

أبو الحسن على بن محمد بن سهل الدينورى الصائغ الزاهد .

قال فى العبر : (٢ / ٢٢٧) أحد المشايخ الكبار ، توفى بمصر فى رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ومن كلامه : من أيقن أنه لفترة فما له يبخل بنفسه .

قال ابن كثير : ومن كراماته أن رئى يصلى بالصحراء فى شدة الحر، ونسر قد نشر جناحيه يظله من الحر .

وحكى صاحب المرآة أنه أنكر على تكين أمير مصر شيئا - وكان تكين ظالما - فسيره تكين إلى القدس ، فلما وصل القدس ، قال : كأنى بالبائس - يعنى تكين - وقد جىء به فى تابوت إلى هنا ، فإذا دنى من الباب عثر البغل ووقع التابوت، فبال عليه البغل . فلم نلبث إلا مدة يسيرة ، وإذا بقائل يقول : قد وصل تكين ، وهو ميت فى تابوت ، فلما وصل إلى الباب عثر البغل فى المكان الذى أشار إليه الدينورى ، فوقع التابوت وغفل عنه المكارى ، فبال عليه البغل ، وخرج الدينورى ، فقال للتابوت : جئت بالبائس إلى المكان الذى نفانا إليه ! ثم ركب الدينورى ، وعاد إلى مصر ، فمات بها ، ودفن بالقرافة (حسن المحاضرة ١ / ٥١٣ ، ٩٤) .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى - يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧٥ ، ٧٦ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥١٣ ، ٥١٤) .

*** الحسن بن الصباح (٤٢٨ - ٥١٨ هـ / ١٠٣٧ - ١١٢٤ م) :**

أدرجه الزركلى تحت عنوان « ابن الصباح الإسماعيلى » وقال عنه :

الحسن بن الصباح بن على الإسماعيلى : داهية شجاع ، عالم بالهندسة والحساب والنجوم . قيل إنه يمانى الأصل ، من حمير مولده فى مرو. تتلمذ لأحمد بن عطاش (من أعيان الباطنية فى عهد ملكشاه السلجوقى) ثم كان مقدم الإسماعيلية بأصبهان ، ورحل منها ، وطاف البلاد فدخل مصر وأكرمه المستنصر الفاطمى وأعطاه مالا وأمره بأن يدعو الناس إلى إمامته . فعاد إلى الشام والجزيره وديار بكر والروم، ورجع إلى خراسان ، ودخل كاشغر وما وراء النهر ، داعيا إلى المستنصر . ثم استولى على قلعة ألموت (Alamout من نواحى قزوين) وطرد صاحبها (سنة ٤٨٣ هـ) وضم إليها عدة

قلاع ، واستقر إلى أن توفى فيها . قال الذهبى فيه : «صاحب الدعوة النزارية ، وجد أصحاب قلعة ألموت . كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم » وفى تاريخ العراق : الإسماعيلية أصحاب حسن الصباح تدعى نحلتهم بالنزارية ، ومن بقاياهم اليوم ـ فى عصرنا الحاضر ـ الأغاخانية فى الهند ، ومن كتبهم المعروفة « روضة التسليم » و « مطيع المؤمنين » و « الهداية الآمرية » و « حقيقة الدين » و « الفلك الدوار » أقول : يسمى الأوربيون أصحاب « الحسن » هذا «أسَّاسَّان» Assassins ويذكرون أنهم فرقة من الإسماعيلية برزت فى الحروب الصليبية ، بقيادة الحسن بن الصباح ، فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (أواخر الخامس للهجرة) وأن كلمة « أساسان » أصلها « حشاشون » وفى كتابهم من يطلق هذا الاسم على الإسماعيليين جميعا . (الأعلام ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤) .

قيل إن الحسن أراد أن يكون أتباعه له طوع أمره فأغراهم بتدخين الحشيش ، ولما أفرطوا فى ذلك عرفوا بالحشاشين كما عرفوا بالفدائيين لاستهانتهم بالأخطار فى سبيل تنفيذ ما يعتزمون (تاريخ الفرق الإسلامية / ٥٨) .

(الأعلام ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤ عن الكامل لابن الأثير حوادث ٤٩٤ وما بعدها وتاريخ العلويين / ٢٧٣ وميزان الاعتدال ١ / ٢٣٢ وابن الوردى ٢ / ١٣ ، وصبح الأعشى ١ / ١٢١ ، وتاريخ العراق / ٣ الملحق الثانى ٦ ، وتاريخ الفرق الإسلامية ـ أحمد مجاهد مصباح ومحمود محمد زيادة / ٥٨ .

انظر مادة الإسماعيلية فى م ٤ / ٦٠١ .

*** الحسن بن عبد الله الجذامى :**

من قضاة الأندلس . قال عنه النباهى :

وأما الحسن بن عبد الله الجذامى المالقى ، فهو أول قضاة الدولة العامرية بكورة رية ، حسبما حكاه ابن أبى الفياض ونقله غيره ـ وكان ـ رحمه الله ! ـ فقيها ، نبيها فطنا ، متفننا ، بصيرا بمذاهب العلماء ، نفاعا للفقهاء ، شديدا على أهل الأهواء ، رفيقا بالضعفاء ، سكن بقرطبة مع أبيه ، إذ كان له بها مال وأصهار ، وتردد إليها . وصحب فيها ، أيام قراءته محمد بن أبى عامر وغيره من أهلها ، وأخذ عن أشياخها . وأصله من رية . من العرب الشأميين ، النازلين بها عند الفتح . واختص سلفه منهم بسكنى مالقة : وهى إحدى مدائن الكورة ؛ وحد عمالتها فى القديم ، من جهة الشرق، الحمة ، حيث الماء السخن العجيب الغريب ؛ ومن ناحية الغرب ، حصن الورد ، المعروف الآن بمنت ميور، القريب من مربلة ؛ ومن جهة الجوف ، وادى شنيل ، حيث حصن بنى بشير ، والرنيسول ، ثم الأرض المعروفة بالخنوس، إلى قرية جلسيانة القريبة من استبة إلى حوز مورور قال القاضى أبو عبد الله بن عسكر ، صدر كتابه الذى وصف فيه مالقة : أما الاسم المنطلق على جميع الكورة فرية ؛ وأظنها اسما عجميا . «والرى » عندهم الملك ونحوه ؛ وبهذا الاسم توجد فى كتب الأعاجم . وكان ابن الحسن المتقدم الذكر من أصحاب المنصور ، الملازمين له فى أسفاره ، لم يختلف عنه فى غزواته إلى بلد ، مدة حياته ، معقودا له على جند بلده ، معظما فى قطره ، مرجوعا إلى نظره ؛ وكان كثير البدار إلى ملاقاة العدو بنفسه . وكان هجيراه عند القتال . قول رسول الله ﷺ : « لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا »

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير من رواية مسلم وأبى داود عن أبى هريرة وقال عنه : حديث صحيح .

واستشهد ـ رحمه الله ـ فى غزوة جربيرة المشهورة ، فى جملة من استشهد من المسلمين ؛ وكانوا نحو ثمانمائة فارس : قتل فيهم رؤساء العسكر ، مثل يحيى بن مطرف ، وقاسم بن منصور ، والكثير من وجوه الناس . ثم نصر الله جنده وعسكره ؛ فحسن الظن وحقق الرجاء ، ومنح عباده الظفر ، بعد اليأس منه ، قال أحمد بن سعيد : وذلك برأى رآه المنصور بن أبى عامر . وهو أن عهد وشدد فى نقل المحلة إلى ربوة مشرفة ، أشرف منها على جميع النصارى ؛ فلما رأى الناس شخصه فى أعلاها ، وعلموا مكانه ، رجحوا ظنونهم ، مع ما ألقى الله تعالى فى قلوب الروم من الرعب ، وأن المسلمين فى قوة ، والمدد يأتيهم ، والأجناد تتكافل عليهم ؛

فانهزموا وتفرقوا ؛ وتبعهم المسلمون نحو عشرة أميال واستولوا على محلتهم . وعند ذلك كتب المنصور كتابه المشهور إلى من فر عنه من جنود ، يو بخهم .

ومن فصوله ما نصه : « وكثيرا ما فرط من قولكم ، وسبق من عزمهم ، أنكم تجهلون قتال المعاقل والحصون ، وتشتاقون ملاقاة الرجال على العجول . فحين جاءكم شانجه بالأمنية ، وقاتلكم بالشرطية ، وظهرت لكم رعلة الطائفة النصرانية ، أنكرتم ما عرفتم ، ونفرتم ما ألفتم ، حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل ، وأجفلتم إجفال الرئال عن المقتنصين ! فألحقتم العار بأنفسكم ، بعد اختياري لكم ؛ وطرقتم الشر على أعناقكم ، وضيعتم حرماتكم ، وأحضرتم ذمتكم ؛ فلا نعمتي رعيتم ، ولا تزييني حفظتم ، ولا وجوهكم أبقيتم ، ولا غضب الله ورسوله اتقيتم ! فقد قال الله عز وجل : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾** [**الأنفال : ٤٥**] **وقال : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾** [الأنفال : ١٦] ففيم ولم كان انحيازكم ؟ أشكا في وعد ربكم ؟ أم خورا في أصل طبعكم ؟ أم عجزا عن دفع باطلهم بحقكم ؟ ما كان إلا لسفه أحلامكم وسوء نظركم في عاقبة أموركم ! يا أحلام الأطفال ، وأخلاق الرجال ! أنجوتم إلى دار الفناء ، التي لا تنقطع همومها ولا ترتفع غمومها ؟ وتركتم النزوع إلى دار البقاء ، التي لا ينصرم نعيمها لولا رجال من الله صدقوا ، فرفضوا عنكم العار بجلادهم وحرروا رقابكم من الذل بجهادهم ، وبذلوا في الله ما بذلوه بحكم القرآن ، والرعاية لذمم الدين والسلطان ، لبرئت من جماعتكم ، وأوجبت المؤاخذة على كافتكم ، وخرجت الإمامة والأمة عن عهدتكم ، ونصحت المسلمين في الاستبدال منكم بغيركم ! ولن أعدم من الله العلي العظيم عاجل نصر وحسن عقبى لعباده المخلصين ، وأوليائه المتقين ! فلا بد أن ينصر دينه بما شاء **﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾** [التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩] .

وخلف القاضي بن الحسن بعد وفاته ، في مكان يتولاه ، أخوه أحمد بن عبد الله بن الحسن . قال عياض ، وقد ذكره في « مداركـــ »ــه : سمع من قاسم بن أصبغ وغيره . واستقضي بكورة رية إلى أن توفي . وكان مشاورا . وكتب عنه فيما قيل . توفي في آخر سنة ٣٩٢ .

(تاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن أبي الحسن النباهي المالقي الأندلسي / ٨٢ - ٨٤) .

*** الحسن بن عثمان الزيادي (١٦٠ - ٢٤٢ هـ / ٧٧٦ - ٨٥٨ م) :**

أجمل الكلام عليه صاحب الفهرست وذكر وفاته سنة ٢٤٣ هـ فقال : هو أبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي ، يروي عن الهيثم بن عدي وغيره ، وكان قاضيا فاضلا أديبا ناسبا جوادا كريما يعمل الكتب وتعمل له . وكانت له خزانة حسنة كبيرة ، وأخذ عنه الناس ، ومات هو والحسن بن علي ابن أبي الجعد في وقت واحد سنة ثلاث وأربعين ومائتين وله سبع وثمانون سنة وأشهر . وله من الكتب كتاب معاني عروة ابن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأمهات (الفهرست / ١٦٠) .

وللدكتور المشهداني بحث عن الحسن بن عثمان الزيادي ، حياته ومكانته العلمية ، ننقل لك بعضا منه فيما يلي .

موارد دراسة الحسن الزيادي .

لقد ترجم للحسن بن عثمان الزيادي عدد من المؤرخين ، وعلماء الجرح والتعديل ، ويتباين حجم تلك المعلومات التي تتحدث عن ترجمته بين الإسهاب والإطناب ، كما تتباين من ناحية نوعيتها خاصة وأنها وردت في مصادر متنوعة متباينة ، في زمن تدوينها أيضا .

ومن أقدم الذين ترجموا له ، ابن أبي حاتم الرازي (ت / ٣٢٧ هـ) وابن النديم (ت ، ٣٧٧ هـ) ، والتنوخي (ت ، ٣٨٤ هـ) والخطيب البغدادي (ت ، ٤٦٣ هـ) والسمعاني (ت ، ٥٦٢ هـ) وابن عساكر (ت ، ٥٧١ هـ) والحموي (ت ، ٦٢٦ هـ) وابن الأثير (ت ، ٦٣٠ هـ) وشمس الدين الذهبي (ت ، ٧٤٨ هـ) وابن كثير (ت ، ٧٧٤ هـ) وابن العماد الحنبلي (ت ، ١٠٨٩) وكتب عنه من المحدثين ، الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين .

اسمه ونسبه ، ولادته ووفاته :

هو أبو حسان الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان البغدادي ، القاضي وعرف بالزيادي لكون جده تزوج أم ولد كانت لزياد ابن أبيه وقال ابن عساكر : « وليس هو من سلالة زياد ابن أبيه ... » :

ولد أبو حسان الزيادي سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م ، وتوفي في شهر رجب سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٨ م ، وبذلك عاش ٨٩ سنة وأشهرا (في الفهرست ٨٧ سنة) .

شيوخه وتلاميذه :

روى الحسن بن عثمان الزيادي عن عدد من الشيوخ وبالأخص من الكوفة والبصرة ، ويبدو أنه زار الشام وذلك من خلال روايته عن عدد من المشايخ هناك وبالأخص في مدينة (دمشق) .

ولقد أكد الحموي روايته بالشام عن عدد من المشايخ ، عندما قال : « سمع بدمشق عدة من شيوخه » .

أما أبرز شيوخه الذين روى عنهم في الكوفة ، والبصرة ، وواسط ، والشام ، فيمكن عرضهم كما يأتي :

١ - أبوه عثمان الزيادي :

أكد ابن أبي حاتم روايته عنه .

٢ - أبو بكر بن أبي الدنيا .

أكد ابن أبي حاتم روايته عنه ، في حين روى هو عن الحسن بن حماد الزيادي ، كما أكد ذلك الحموي ، والذهبي ، وابن كثير .

٣ - شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفي الكوفي الكاتب ، وهو مقبول ، وأكد الخطيب البغدادي ، والحموي ، والذهبي ، سماعه عنه .

٤ - هارون بن عمر الدمشقي ، أكد ياقوت الحموي روايته عنه .

٥ - محمد بن إسحاق بن بلال بن أبي الدرداء ، أكد الحموي روايته عنه .

٦ - عمر بن سعيد الكوفي (ت ، بعد ١٠٠) وهو ثقة ، وأكد الحموي روايته عنه .

٧ - معروف بن عبد الله الخياط أبو الخطاب الدمشقي (ت ، بعد ١٣٠) وهو ضعيف ، وأكد الحموي روايته عنه .

٨ - حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري (ت ، ١٧٩) وهو ثقة ثبت وأكد الحموي ، وابن العماد الحنبلي سماعه عنه .

٩ - إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي (ت ، ١٨٠) وهو ثقة ثبت ، وأكد الخطيب البغدادي ، والذهبي سماعه عنه .

١٠ - الوليد بن محمد الموقري البلقاوي الشامي (ت ، ١٨٢) وهو ضعيف ، وأكد الحموي روايته عنه .

١١ - هشيم بن بشير الواسطي (ت ، ١٨٣) وهو ثقة ثبت ، وأكد الخطيب البغداد ، والحموي ، والذهبي سماعه عنه .

١٢ - إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري المدني نزيل بغداد (ت ، ١٨٥) وهو ثقة حجة ، وأكد الخطيب البغدادي ، والذهبي سماعه عنه .

١٣ - عباد بن العوام بن عمر الواسطي (ت ، ١٨٥) وهو ثقة وأكد الخطيب روايته عنه .

١٤ - جرير من عبد الحميد الضبي الكوفي (ت ١٨٨) وهو ثقة صحيح الكتاب ، وأكد الخطيب البغدادي ، والحموي ، والذهبي سماعه عنه .

١٥ - إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري المعروف بابن عُلَيَّة (ت ، ١٩٣) وهو ثقة حافظ ، وأكد الخطيب البغدادي سماعه عنه .

١٦ - الوليد بن مسلم الدمشقي (ت ، ١٩٥) وهو ثقة ، وأكد الخطيب البغدادي ، والذهبي ، وابن كثير روايته عنه ، في حين أكد الحموي سماعه عنه بدمشق .

١٧ - سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي (ت ، ١٩٨) وهو ثقة ، حافظ فقيه إمام حجة ، وأكد الحموي سماعه عنه .

١٨ - عمر بن عبد الواحد السلمي الدمشقي (ت ، ٢٠٠) وهو ثقة ، وأكد الحموي روايته عنه .

١٩ - سعيد بن زكريا القرشي المدائني (ت ، ٢٠٠ هـ) وهو صدوق ، وأكد الخطيب البغدادي روايته عنه .

٢٠ - سليمان بن داود ، أبو داود الطيالسي البصري (ت

٢٠٤) وهو ثقة حافظ، وأكد الخطيب البغدادي، والحموي روايته عنه .

٢١ ـ محمد بن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت، ٢٠٧) وهو ثقة في التاريخ، متروك في الحديث مع سعة علمه . وأكد الخطيب البغدادي، والذهبي، وابن كثير سماعه عنه، وقال الحموي عن الحسن بن عثمان الزيادي : « كان من أعيان أصحاب الواقدي » .

٢٢ ـ الهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت ، ٢٠٩) وهو ضعيف ، وأكد ابن النديم ، والحموي روايته عنه .

٢٣ ـ يحيى بن أبي زائدة الكوفي (ت، ٢٨٣) وهو ثقة متقن، وأكد الخطيب البغدادي ، والذهبي ، سماعه عنه .

٢٤ ـ معتمر بن سليمان التيمي البصري (ت، ٢٨٧) وهو ثقة، وأكد الخطيب البغداد روايته عنه .

٢٥ ـ شعيب بن إسحاق الدمشقي (ت ٢٨٩) وهو ثقة ، وأكد الخطيب والحموي روايته عنه .

٢٦ ـ وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي (ت، ٢٩٧) وهو ثقة حافظ عابد ، وأكد الخطيب البغدادي، والحموي ، وابن كثير، روايته عنه .

أما فيما يتعلق بتلاميذه، فلقد روى عنه عدد كبير من الرواة لعل من أبرزهم :

إسحاق بن الحسن الحربي، حيث أكد الخطيب، والذهبي، والحموي روايته عنه ، ومحمد بن محمد الباغندي، والذي أكد الخطيب البغدادي، والحموي ، والذهبي روايته عنه . ومن تلاميذه أحمد بن الحسين الصوفي الصغير، والذي أكد الخطيب، والذهبي روايته عنه ، وكذلك أبو محمد سليمان بن داود بن كثير، الذي أكد الخطيب والذهبي روايته عنه، وكذلك محمد بن يونس أبو العباس الكديمي، وأكد الخطيب، والحموي، والذهبي، روايته عنه، وكذلك علي بن عبد الله الفرغاني الحافظ ، والذي أكد ابن كثير روايته عنه .

توثيقه :

لقد أشاد المؤرخون والعلماء بالحسن بن عثمان الزيادي، ولعل من أبرزهم التنوخي (ت، ٣٨٤ هـ) الذي أشاد به ، وبفقهه، وعلمه بالحديث، وقال عنه ابن النديم (ت، ٣٨٥ هـ) : « كان قاضيا فاضلا ... جوادا كريما ... » ويعد الخطيب البغدادي (ت، ٤٦٣ هـ) من أبرز الذين أشادوا بالحسن الزيادي، حيث قال عنه : « كان أحد العلماء الأفاضل ، ومن أهل المعرفة والثقة والأمانة ... وكان صالحا دينا فهما، وكانت له معرفة جيدة بأيام الناس ... وكان كريما واسعا مفضالا وقال ياقوت الحموي (ت، ٦٢٦ هـ) : « كان أديبا فاضلا نسابة إخباريا جوادا كريما سمحا ، وأشاد بعلمه الذهبي (ت، ٧٤٨هـ) . فقال : « الإمام العلامة الحافظ مؤرخ العصر » وقال أيضا : « وكان رئيسا محتشما جوادا ممدحا كبير الشأن»، وأضاف : « ... وكان ثقة إخباريا مصنفا كثير الاطلاع » وقال المؤرخ ابن كثير (ت، ٧٧٤ هـ) : « كان صالحا دينًا ... » وأشاد به ابن العماد الحنبلي (ت، ١٠٨٩ هـ) فقال : « وكان إماما ثقة إخباريا مصنفا كثير الاطلاع » وأكد ابن العماد منزلته ومكانته العلمية عندما أشار إلى أن الإمام الشافعي نزل عليه ببغداد عند زيارته لها .

وبذلك يتبين لنا صدق الحسن بن عثمان الزيادي وثقته في ميدان الرواية التاريخية، وهذا مما يؤكد قيمة وأهمية الروايات التاريخية التي أوردها، ويؤكد كونه مصدرا مهما لعدد كبير من المؤرخين الذين اعتمدوا عليه في رواياتهم .

مؤلفاته :

كان الحسن بن عثمان الزيادي من بين المؤرخين الذين صنفوا عدة كتب، وبالأخص في حقل اختصاصهم، ولذلك قال عنه ابن النديم، والحموي : « وكان الزيادي يصنف الكتب ، ... وكانت له خزانة كتب حسنة كثيرة ، وله عدة كتب ... » وقال الخطيب البغدادي، وابن كثير: « ... قد عمل الكتب » ، أما الذهبي وابن العماد الحنبلي فقالا : «وكان ... مصنفا كثير الاطلاع » .

إن أبرز مؤلفاته كانت في ميدان التاريخ ، حيث كان له منهج خاص به ، قال الخطيب البغدادي » : « ... وكانت له معرفة بأيام الناس » وكان أبو حسان الزيادي يردد ما قاله حسان بن زيد ما نصه : « لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ سنة كم ولدت ؟ فإذا أقر بمولده عرفنا

صدقه من كذبه ! قال أبو حسان : فأخذت فى التاريخ فأنا أعلمه من ستين سنة » .

ومن أبرز كتبه :

١ ـ له « تاريخ حسن » ذكره الخطيب البغدادى ، وابن عساكر .

٢ ـ « التاريخ على السنين » ذكره الخطيب البغدادى ، والسمعانى وابن كثير .

٣ ـ « المغازى » ذكره ابن النديم ، ولعله رواه عن شيخه الوليد بن مسلم الدمشقى (ت ، ١٩٥ هـ) والذى تتلمذ عليه وسمع منه ، والذى كان له كتاب « المغازى » أيضا .

قالت المؤلفة : فى نسختى من كتاب الفهرست ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت . لم يرد ذكر كتاب «المغازى» المشار إليه أعلاه .

٤ ـ « عروة بن الزبير » ذكره ابن النديم ، والحموى .

٥ ـ « الآباء والأمهات » ذكره ابن النديم ، والحموى .

٦ ـ « طبقات الشعراء » ذكره ابن النديم ، والحموى .

٧ ـ « ألقاب الشعراء » ذكره ابن النديم ، والحموى .

وبذلك يكون الحسن بن عثمان الزيادى قد ساهم من خلال كتبه بتقديم معلومات تاريخية من خلال اطلاعنا على مروياته فى المصادر التاريخية العربية ، وبذلك قدم خدمة جليلة لمدرسة التاريخ العربى ، ولمحتواها الفكرى والتاريخى .

(« الحسن بن عثمان » ١٩٦ ـ ١٩٩) .

(الفهرست لابن النديم / ١٦٠ ، و « الحسن بن عثمان الزيادى » ـ د. محمد جاسم حمادى المشهدانى . مجلة المؤرخ العربى . تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب / ١٩٦ ـ ١٩٩) .

*** الحسن بن على رضى الله عنه (٣ ـ ٥٠ هـ / ٦٢٤ ـ ٦٧٠ م) :**

الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى ، أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين ، وآخرهم ، وثانى الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية (الأعلام ٢ / ١٩٩) .

الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما تكرر ذكره هو أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القريشى الهاشمى المدنى سبط رسول الله ﷺ وريحانته وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين عليها السلام . ولد فى المدينة المنورة فى نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة روى عن النبى صل الله عليه وآله وسلم أحاديث وروت عنه عائشة رضى الله عنها . وروى عنه جماعات من التابعين منهم ابنه الحسن بن الحسن وأبو الحوارى بالحاء المهملة ربيعة بن سنان والشعبى وأبو وائل وابن سيرين وآخرون . توفى بالمدينة مسموما سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين . ودفن بالبقيع وقبره فيه مشهور صلى عليه سعيد بن العاصى .

وكان الحسن رضى الله عنه شبيها بالنبى ﷺ سماه النبى ﷺ الحسن وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعرة فضة وهو خامس أهل الكساء قال أبو أحمد العسكرى سماه النبى ﷺ الحسن وكناه أبا محمد قال ولم يكن هذا الاسم يعرف فى الجاهلية ثم روى عن ابن الأعرابى عن المفضل قال إن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبى ﷺ ابنيه الحسن والحسين . قال قلت له فالذين باليمن ؟ قال ذاك حسن بإسكان السين وحسن بفتح الحاء وكسر السين .

أرضعته أم الفضل امرأة العباس مع ابنها قثم بن العباس ونقلوا أن الحسن رضى الله عنه حج حجات ماشيا وقال إنى أستحيى من الله تعالى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته . وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات فتصدق بنصفه حتى كان يتصدق بنعل ويمسك نعلا وخرج من ماله كله مرتين وكان حليما كريما ورعا دعاه ورعه وحلمه إلى أن ترك الدنيا والخلافة لله تعالى وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان رضى الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٨) .

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان ، قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سمت العرب بهما فى الجاهلية .

ولد الحسن رضى الله عنه فى نصف رمضان سنة ثلاث من

الهجرة، وروى له عن النبى ﷺ أحاديث ، وروت عنه عائشة رضى الله عنها وخلائق من التابعين : منهم ابنه الحسن ، وأبو الحوراء ربيعة بن سنان ، والشعبى ، وأبو وائل ، وابن سيرين .

وكان شبيها بالنبى ﷺ، سماه النبى ﷺ الحسن ، وعق عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء .

قال أبو أحمد العسكرى : لم يكن هذا الاسم يعرف فى الجاهلية .

وقال المفضل : إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبى ﷺ ابنيه الحسن والحسين .

وأخرج البخارى عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على .

وأخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن على على عاتقه وهو يقول : « اللهم إنى أحبه فأحبه » .

وأخرج البخارى عن أبى بكرة قال : سمعت النبى ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « هما ريحانتاى من الدنيا » يعنى الحسن والحسين .

وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى، قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

وأخرج الترمذى عن أسامة بن زيد ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين على وركيه فقال : « هذان أبناى وابنا ابنتى ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وأخرج عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ : أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبى ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقيه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ! فقال رسول الله ﷺ : « ونعم الراكب هو » .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال : أشبه أهل النبى ﷺ به وأحبهم إليه الحسن بن على ، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال : ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وأخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله ﷺ يدلع لسانه للحسن بن على، فإذا رأى الصبى حمرة اللسان يهش إليه .

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال : قام الحسن بن على يخطب ، فقام رجل من أزد شنوأة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه فى حبوته وهو يقول : « من أحبنى فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب » ولولا كرامة رسول الله ﷺ ما حدثت به أحدا (تاريخ الخلفاء / ١٨٨، ١٨٩) .

وقال معاوية يوما وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم : أخبرونى بأكرم الناس أبا وأما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة ، فقال مالك بن عجلان : وأومأ إلى الحسن بن على عليهما السلام ، فقال ها هو ذا، أبوه على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وجدته خديجة بنت خويلد وجده رسول الله ﷺ، وعمه جعفر الطيار فى الجنة وعمته أم هانئ بنت أبى طالب، فسكت القوم ونهض الحسن ، فقام رجل من بنى سهم وقال : أنت أمرت ابن عجلان على مقالته ، فقال ابن عجلان : ما قلت إلا حقا وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته ، بنو هاشم أنضركم عودا وأوراكم زندا كذلك يا معاوية ؟ فقال معاوية : اللهم نعم (محاضرة الأبرار ١ / ٣٩٠) .

وولى الخلافة بعد قتل أبيه على رضى الله عنه وكان قتل على لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وبايعه أكثر من أربعين ألفا كانوا بايعوا أباه وبقى نحو سبعة أشهر

خليفة بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ثم سار إليه معاوية من الشام وسار هو إلى معاوية ولما تقاربا (فى موضع يقال له « مسكن » بناحية من الأنبار ، علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرى فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة بعده وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وغير ذلك من القواعد فأجابه معاوية إلى ما طلب فاصطلحا على ذلك وظهرت المعجزة النبوية فى قوله ﷺ للحسن « أن ابنى هـذا سيـد يصلح الله بـه بين فئتين عظيمتين من المسلمين » قيل كان صلحهما لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . وقيل فى شهر ربيع الآخر وقيل فى نصف جمادى الأول من السنة المذكورة وكان وصى إلى أخيه الحسين رضى الله عنهما (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، والأعلام ٢ / ٢٠٠) وسمى هذا العام « عام الجماعة » لاجتماع كلمة المسلمين فيه (الأعلام ١ / ٢٠٠) .

روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن البراء قال « رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه » وفى صحيح البخارى عن أسامة « قال كان النبى ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول اللهم أنى أرحمهما فأرحمهما » وفى صحيح البخارى عن أبى بكرة قال « سمعت النبى ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال « لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على رضى الله عنهما» وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى ﷺ « هما ريحانتاى من الدنيا » يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما . وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال أبو بكر رضى الله عنه « ارقبوا محمدًا فى أهل بيته » وفى صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ « وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب ثم قال « وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى » وعن أسامة بن زيد قال « طرقت النبى ﷺ ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء قلت ما هذا فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » رواه الترمذى وقال حديث حسن ومناقبه رضى الله عنه كثيرة مشهورة (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٩) .

كان الحسن رضى الله عنه سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة ، جوادا ممدوحا ، يكره الفتن والسيف ، وكان يجيز الرجال الواحد بمائة ألف (تاريخ الخلفاء / ١٩٠) ، وكان فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة (الأعلام ٢ / ١٩٩) .

أخرج ابن سعد على علىّ بن زيد بن جدعان قال : خرج الحسن من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إنه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا ، ويعطى خفا ويمسك خفا .

وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال : قيل للحسن بن على : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ! أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له ، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء (تاريخ الخلفاء / ١٩٠ ، ١٩١) .

ومن كلام الإمام الحسن رضى الله عنه أنه سئل رضى الله عنه عن الصمت فقال ستر للعى وزين اللعقل وصيانه للعرض وفاعله فى راحة وجليسه فى أمن ولا أدب لمن لا عقل له ولا شدة لمن لا همة له ولا حياء لمن لا دين له . وقال رضى الله عنه هلاك الناس من ثلاث الكبر والحرص والحسد فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس والحرص هلاك النفس وبه أخرج آدم من الجنة والحسد رائد الشر وبه قتل قابيل أخاه هابيل . وقال رضى الله عنه دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يجود بنفسه فجزعت عليه فقال لى يا حسن لا تجزع فقلت يا أبى كيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة فقال يا بنى : احفظ عنى خصالا أربعا إن حفظتهن نلت بهن النجاة : « لا غنى أكثر من العقل ، ولا فقر مثل

الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألذ من حسن الخلق . واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكثر من مروءة الإعطاء وتمام البيعة خير من ابتدائها » .

ومن مكارمه رضى الله عنه :

أنه لما مات الحسن مسموما سأله أخوه الحسين ليخبره عن من فعل به هذا فلم يخبره وقال إن كان الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وإن كان غير ذلك فلا يؤخذ بى برىء وتوفى بالمدينة خامس ربيع الأول سنة خمسين ودفن بالبقيع ولما توفى رضى الله عنه ارتجت المدينة صياحا فلا تلقى إلا باكيا وقام أبو هريرة فى مسجد المصطفى ﷺ وبكى ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ وابنه فابكوه وعن أنس بن مالك قال شهدنا يوم مات الحسن ودفناه بالبقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان .

ولما حضرته الوفاة قال أخرجوا فراشى إلى الصحن فأخرجوه فقال اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنها أعز الأنفس على ثم قال للحسين ادفنونى عند أبى يعنى المصطفى ﷺ ولكن الناس سراع إلى الفتنة فإن خفتم فتنة فلا تسفكوا دما فادفنونى فى مقابر المسلمين . ثم قال للحسين : يا أخى إن آباك استشرف لهذا الأمر (الخلافة) فصرفه الله عنه وليها أبو بكر عمره كله ، فلما مات استشرف إليها فصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى لا تعدوه فصرفت عنه فوليها عثمان، ثم لما قتل بويع أبوك ثم توزع الأمر حتى جرد السيف فما صفت له . وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا آل البيت بين النبوة والخلافة فلا يستخفنك سفهاء الكوفة .

فلما توفى انتهى الحسين إلى قبر النبى ﷺ وقال احفروا ههنا فمنعه سعيد بن العاص فجعل عبد الله بن جعفر يقول للحسين يا ابن عم ألم تسمع إلى عهد أخيك أذكرك بالله أن لا تسفك الدماء وادفن أخاك إلى جنب أمه فإنه عهد إليك بذلك فأخذ الحسين بذلك وفعل وهو مجتهد مثاب وإلى الله المآب (منهل الصفا / ٦٢ ـ ٦٤) .

وحب رسول الله ﷺ للحسن والحسين معروف مشهور ومما يذكر أنه كان ﷺ حين يلاعبهما يطأطأ لهما فيركبان على ظهره، وفى ذلك يقول السيد الحميرى فى قصيدة طويلة مشهورة :

أتى حسنا وحسين الرسولُ — وقد برزا ضحوةً يلعبان

وضمّهما ثم فدّاهما — وكانا لديه بذاك المكان

وطأطأ تحتهما عاتقيه — فنعم المطيةُ والراكبان

(راجع طبقات الشعراء / ٣٥) .

يقول الزركلى : مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . وولد له أحد عشر ابنا . وبنت واحدة (يأتى الكلام على أولاده فيما بعد) وإليه نسبة الحسنيين كافة ، وكان نقش خاتمه : « الله أكبر وبه أستعين » (الأعلام ٢ / ٢٠٠) ، وفى محاضرة الأبرار (١ / ١٣٤) : كان نقش خاتمة العزة لله عز وجل وحده » .

قالت المؤلفة : أوردنا فى مادة « الأختام الإسلامية » م ٣ / ٩٥ هذين النقشين ونقشا ثالثا هو « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » .

كاتبه عبد الله بن أبى رافع (محاضرة الأبرار ١ / ١٣٤) .

أما عن خلافة الحسن رضى الله عنه فقد جاء هذان البيتان فى قصيدة الإمام السيوطى الجامعة فى أسماء الخلفاء ووفياتهم ، فقال بعد ذكر مقتل على كرم الله وجهه :

ثم ابنه السبط نصف العام ثم أتى — بنو أمية يبغون الوغى زمرا

فسلم الأمر فى إحدى ، لرغبته — عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا

(تاريخ الخلفاء / ٥١٧) .

وأما عن أبناء الحسن رضى الله عنه فقد أحصاهم النسابة ابن عنبة ويوضحهم التشجير التالى لكامل سلمان الجبورى :

الحارث

الحسن

الحسن
رضيع العهد والبيت
امه خولة بنت منظور بن زبان الفزارية

زيد
له عقب كثير
امه ام بشر بنت ابي مسعود الانصاري البدري

عمرو — محمد
فقيه محدث مشهور
انقرض عقبه

الحسين
لم يعقب

القاسم
قتل مع عمه الحسين رضي الله عنه
لم يعقب

ابو بكر
قتل مع عمه الحسين رضي الله عنه
لم يعقب

طلحة
امه ام اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله . لم يعقب .

عبد الرحمن
لم يعقب

عبد الله
قتل مع عمه الحسين رضي الله عنه
لم يعقب

محمد
لم يعقب

جعفر
لم يعقب

حمزة
لم يعقب

الحسن (بن زيد)
ولي امر المدينة لابي جعفر المنصور

القاسم

زيد — طاهر لا عقب

الحسن — الحسن، الحسن، الحسين، محمد

ابراهيم

اسماعيل

اسحاق — هرون، الحسن، الحسين

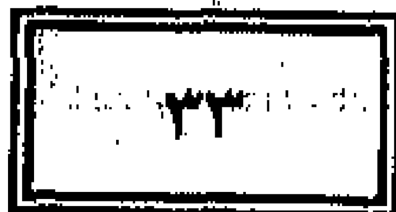
عبد الله — محمد، يحيى، علي، الحسن، زيد

علي — الحسين، الحسن، اسماعيل، ابراهيم، عبد العظيم، احمد، عبد الله

عبد الله — احمد — القاسم — الحسن
كان من أهل القرآن والعلم والفضل، عدلاً عند القضاة بالكوفة .

الحسن
القاسم
ابراهيم
اسماعيل

خط الحسين
خط علي
خط جعفر
خط عقيل



قال ابن عنبة :

وولد أبو محمد الحسن - فى رواية شيخ الشرف العبيدلى - ستة عشر ولدا منهم خمس بنات وأحد عشر ذكرا ، هم زيد والحسن المثنى والحسين وطلحة وإسماعيل وعبد الله وحمزة ويعقوب وعبد الرحمن وأبو بكر وعمر . وقال الموضح النسابة : عبد الله هو أبو بكر. وزاد و (القاسم) وهى زيادة صحيحة :

وأما البنات فهن أم الحسين (الخير) رملة ، وأم الحسن وفاطمة وأم سلمة وأم عبد الله [كذا] وزاد « الموضح » رقية فهن فى روايته ست بنات ، وجملة أولاده فى روايته سبعة عشر وقال أبو نصر البخارى : أولد الحسن بن على ثلاثة عشر ذكرا وست بنات . أعقب من ولد الحسن أربعة زيد، والحسن ، والحسين الأثرم ، وعمر إلا أن الحسين الأثرم وعمر انقرضا سريعا وبقى عقب الحسن من رجلين لا غير زيد والحسن المثنى فعقب الحسنين اثنا عشر سبطا ستة من ولد الحسن رضى الله عنه وستة من ولد الحسين رضى الله عنه وقد روى عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال : « سيكون من ولدى عدد نقباء بنى إسرائيل » ونظم ذلك بعض الشعراء فقال :

فموسى بلا عقب وأحمد معقب
وناهيك بالعقب الكرام الأعاظم
فستة أسباط الحسين ، وستة
من الحسن الهادى ، وكل لفاطم

(عمدة الطالب / ٦٨ ، ٦٩).

وقال الشيخ سيد الشبلنجى عن وفاته وأولاده :

توفى لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين وقيل تسع وأربعين وقيل غير ذلك من الهجرة وصلى عليه سعيد بن العاص فإنه كان واليا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد وكان عمره سبعا وأربعين سنة وكانت مدة خلافته منهم ستة أشهر وخمسة أيام وأما أولاده فقال ابن الخشاب أحد عشر ابنا وبنت واحدة وهم عبد الله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبد الله وعبد الرحمن وأحمد وإسماعيل والحسين وعقيل والبنت اسمها فاطمة وكنيتها أم الحسن وهى أم محمد الباقر بن على وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان فى الإرشاد أولاد الحسن بن على رضى الله عنهم خمسة عشر ولدا ما بين ذكر وأنثى وهم زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبى مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدى عمهم الحسين بن على بطف كربلاء وعبد الرحمن أمه أم ولد والحسين الملقب بالأثرم وأخوه طلحة وأخته فاطمة أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى : قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد .

ويقول الشيخ الشبلنجى رحمه الله عن أخلاق الحسن رضى الله عنه وكلامه ومروياته وكاتبه ومناقبه بادئا بتنبيهين :

الأول : قيل للحسن رضى الله عنه : لأى شىء نراك لا ترد سائلا وإن كنت على فاقة فقال إنى لله سائل وفيه راغب وأنا أستحى أن أكون سائلا وأرد سائلا وإن الله تعالى عودنى عادة عودنى أن يفيض نعمه على وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة يمنعنى العادة وأنشد يقول :

إذا ما أتانى سائل قلت مرحبا
بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل
وأفضل أيام الفتى حين يسئل

الثانى : كان ذات يوم جالسا فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئا من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البر فقال ماذا تدلنى عليه فقال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير فقال حفظنى إياها قال قل له الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك فذهب إلى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة وقال له بالله عليك أكلامك هذا قال لا بل كلام فلان

فقال صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى كذا في الكنز المدفون ...

ومروياته من الأحاديث ثلاثة عشر حديثا ، هكذا في المسامرات ، وكاتبه عبد الله بن أبي رافع .

وقد أورد القاضي النعمان في أرجوزته الموسومة بالأرجوزة المختارة ، قصة تولي الحسن بن علي رضي الله عنه الخلافة ، ثم خلعه نفسه ، ثم وفاته مسموما (كما ذكرت معظم المصادر) ، وننقل لك هذا الجزء من الأرجوزة فيما يلي ، مع ملاحظة أننا قد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص .

يقول الناظم :

١٧١٧ وكان قد أوصى علي إذ ظعن
بالناس فيما روى إلى الحسن

١٧١٨ فقام بالأمر على التقدم
من بعده ، وقتل ابن ملجم

١٧١٩ وبايع الناس له بالكوفه
فحل فيهم مدة معروفه

١٧٢٠ ثم دعى الناس إلى المسير
إلى ابن هند وإلى التشمير

١٧٢١ لحربه وقدَّم ابن سعد
قيسا فسار نحوه في جند

١٧٢٢ حتى إذا ولى ابن سعد تبعة
بنفسه قيل ومن كان معه

١٧٢٣ حتى إذا انتهى إلى المدائن
قام عليه كل غاو خائن

١٧٢٤ من جمع أهل الكوفة الأراذل
ففتك القوم به عن عاجل

١٧٢٥ وطعنوه قيل في وركيه
وانتزعوا الرداء عن كتفيه

١٧٢٦ وجذبوا بساطه من تحته
وأظهروا عصيانه في وقته

١٧٢٧ وخلعوا طاعته وانصرفوا
عن المسير معه ووقفوا

١٧٢٨ جبنا عن الضراب والطعان
والضيم لا يدفع بالجبان

١٧٢٩ فبلغ الأمر إلى ابن حرب
وكان من مسيره في كرب

١٧٣٠ فأرسل المرسل إليه يعلمه
بأنه يحفظه ويكرمه

١٧٣١ وينتهي من حقه ما يعرفه
لخوفه من أمره يستعطفه

١٧٣٢ فحمد الله على الأمان
لما تمادى القوم في العصيان

١٧٣٣ وصار للأمر الذي قد ينكره
إذ لم يجد من قومه من ينصره

١٧٣٤ وسلموا إلى ابن هند أمرهم
وسرهم من أمره ما ضرهم

١٧٣٥ فانفرد الحسن مع أصحابه
وكلهم من أمره لما به

١٧٣٦ فاجتمعوا بأسرهم إليه
وعرضوا أنفسهم عليه

١٧٣٧ وهم قليل في كثير الجهل
فلم ير اعتراضهم للقتل

١٧٣٨ وسار سيرة الوصي الفاضل
أبيه في أصحابه القلائل

١٧٣٩ وعادت الطاعة في استتار
منهم له خوفا من الأشرار

١٧٤٠ فلم يزل وهو لهم إمام
لو أظهر القيام فيهم قاموا

١٧٤١ قد نصبوه في استتار رأسا
يدعون في السر إليه الناسا

١٧٤٢ وكـــان قـــد أوصى إلى أخيـــه
دون بنيـــــه وبنـي أبيـــــه
١٧٤٣ أعنى الحسين وهـــو والى عهـــده
وهـــو إمـــام قـــومـــه من بعـــده
١٧٤٤ عـــرف ذاك كل من قـــد تـــابعـــه
وكـل من شـــايعـــه وبـــايعـــه
١٧٤٥ فلم يـــــزل وأمــــره معمّى
حتى إذا انتهى إليـــــه سمّـــــا
١٧٤٦ فمـــات صلّى منـــزل الآيـــات
عليـــه في المحيـــا وفي الممـــات

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ١ / ١٥٨ ـ ١٦٠ ، وتاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / ١٨٨ ــ ١٩١ ، ٥١٧ ، ومحاظرة الأبرار للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ١ / ٣٩٠ ، ١٠٢ ، ومنهل الصفا في تحقيق الوفا والود لآل بيت المصطفى ـ السيد محمود أبو الفيض المنوفي / ٦٢ ـ ٦٤ ، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب للنسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد ابن على الحسني المعروف بابن عنبة / ٦٨ ، ٦٩ ، ونور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجي / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والأرجوزة المختارة للقاضي النعمان ـ تحقيق وتعليق إسماعيل قربان حسين پوناوالا / ١٧٨ ـ ١٨٠) .

انظر أيضا الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني / ٢٩٠ ـ ٣٠٥) .

*** الحسن بن محمد ابن الحنفية (ـــ ١٠٠ أو ٩٩ هـ):**

الحسن بن محمد ابن الحنفية مذكور في المختصر في المتعة هو أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم القرشي الهاشمي المدني التابعي سمع سلمة ابن الأكوع وجابر بن عبد الله الصحابيين وسمع أباه وغيره من التابعين روى عنه عمرو بن دينار والزهري وآخرون واتفقوا على توثيقه روى له البخاري ومسلم . توفي سنة مائة أو تسع وتسعين رحمه الله .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١/ ١٦٠) .

*** الحسن بن مسعود اليوسي (ـــ ١١١١ هـ / ـــ ١٧٠٠ م) :**

نسبه وشيوخه وتلاميذه :

الحسن بن مسعود اليوسي الملقب بنور الدين المكنى بأبي علي الفقيه المتأدب صدر مشايخ المغرب على الإطلاق أخذ عن الشيخ محمد بن ناصر وعبد الملك التجمعوني وعبد القادر الفاسي وجماعة وأخذ عنه ما لا يحصى كثرة منهم أحمد بن مبارك وأبو سالم العياشي وأبو الحسن النوري وأبو عبد الله التازي تولى التدريس بفاس .

مصنفاته ووفاته :

ألف تآليف كثيرة منها زهر الأكم في الأمثال والحكم ، وحاشية على شرح السنوسي ، وقانون أحكام العلم والمحاضرات وله في الأصول الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع لم يتمه ، وله تقييد رد فيه على القرافي في تقسيم كلام الله إلى قديم وحادث .

توفي بفاس سنة ١١١١ هـ واليوسي نسبة إلى بني يوس من قبائل البربر .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ١١٨) .

*** الحسن بن مسلم :**

الحسن بن مسلم مذكور في المختصر في عدة الرجعة هو الحسن بن مسلم بن يناق بمثناة تحت مفتوحة ثم نون مشددة ثم ألف ثم قاف المكي سمع طاووسا ومجاهدا وسعيد بن جبير وغيرهم . وروى عنه حميد الطويل وعمرو بن مرة والحكم وسليمان التيمي وهؤلاء تابعيون وليس هو تابعيا وهذا من رواية الكبار عن الصغار وروى عنه أيضا ابن جريج وغيره من المتأخرين واتفقوا على توثيقه روى له البخاري ومسلم توفي قبل أبيه مسلم وقبل طاووس .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ / ١٦١) .

*** حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م) :**

هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ، مؤسس جمعية « الإخوان المسلمون » بمصر وصاحب دعوتهم ، ومنظم جماعتهم (الأعلام ٢ / ١٨٣) .

ولد حسن البنا فـي المحمودية بمصر في ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٠٦ ميلادية ١٣٢٤ هجـرية ، ونشأ في بيت عريق في العلم والدين . كان والده عالمـا في الحديث ، وله مصنفات كثيرة في هذا الباب (أفردنا له مادة بعنوان « أحمد عبد الرحمن البنا » في م ٢ / ٦٧٤ ـ ٦٧٨ فانظرها في موضعها) وكان منذ الصغر يـداوم على قيام الليل وصيـام الإثنين والخميس ، وحفظ نصف القرآن صغيرا ، ثم أتمه عندما بلغ الحلم . وقد ألف وهو طالب جمعية في المدرسة أسماها جمعيـة محاربة المنكرات .

وتخـرج من الثانـوية ، وكـان تـرتيبه الخـامس بين جميع طلبـة مصر . ودخل دار العلـوم . وتقـدم لامتحـانها النهـائي يحفظ ١٨ ألف بيت شعـر ومثلهـا من النثر . وتخـرج من دار العلـوم عـام ١٩٢٧ بتفوق لا نظيـر لـه ، إذ كـان الأول في دار العلوم .

تعين البنا مدرسـا في إحدى مـدارس الإسماعيليـة حيث تجثم القوات البريطانية ولا يبدو على الإسماعيلية سوى الطراز الأوروبي . فكأنها حي من أحياء لنـدن . ومعظم أهلها عمال مع شركة السويس البريطانية .

كـان البنـا يـرى الإنجليز وقـد أذلـوا الشعب المصـري . ويشاهد العمال كأنهم عبيد لهم .

ويـرى الإبـاحيـة والفسـاد والتحلل يستشـري في العـالم الإسلامي وبخاصـة بعد إسقاط الخلافة على يد أتـاتورك سنة ١٩٢٤ ويرى الغربيين جادين فـي اجتثاث الإسلام من جذوره وإقصائه من الوجـود والشهود . يرى هذا كلـه فتتمزق أحشاؤه كمـدا . ويذوب قلبـه أسى ، ويحـدث البنـا عن هذه الفتـرة فيقول :

(يعلم الله كم من الليـالي كنـا نقضيهـا : نستعرض حـال الأمة ، ومـا وصلت إليه في مختلف مظاهر حيـاتها ، ونحلل العلل والأدواء ، ونفكر فـي العلاج وحسم الداء ، ويفيـض بنا التأثر لمـا وصلنا إليه إلى حد البكـاء) واتصل البنا ببعض من توسم فيهم الخير . وتعاهد هـو وخمسة منهم على تكوين نواة العمل الإسلامي . وحتى لا يخـرجوا بـاسم جديد فقـد سموا أنفسهم باسم المسلمين ، فقالوا نحن « إخوان مسلمون » .

(الموسـوعة الحـركية م ١ / ٥٣ ، ٥٤) وكـان ذلك فـي شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٧ هـ / إبريل ١٩٢٨ م (الموسوعة الميسرة / ٢٣) واختار لنفسه لقب « المرشد العام » .

(الأعلام ٢ / ١٨٤) .

و « الإخـوان المسلمون » هي كبـرى الحركـات الإسلاميـة المعاصـرة ، نادت بالرجـوع إلى الإسلام كما هـو في الكتاب والسنة ، داعية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة ، وقد وقفت متصدية لموجة المـد العلماني في المنطقة العربية والإسلامية (الموسوعة الميسرة / ٢٣) .

وقـد بدأت الـدعـوة في الإسماعيليـة فأقـاموا بهـا أول دار « لـلإخـوان » وبـادروا إلـى إعـلان « الـدعـوة » بـالـدروس والمحاضرات والنشـرات ، وانفرد هو بزيـارة المدن الأخرى . ثم كان يوجـه بعض ثقاته في رحلات . فمـا عتم أن أصبح له في كل بلد سعـى إليه دار ، و « دار الإسماعيليـة » مركـز قيادة الـدعـوة . ولـم يقتصـر على دعـوة الـرجـال ، فـأنشأ في الإسماعيليـة « معهد أمهات المسلمين » لتـربية البنات تـربية دينية صـالحة ، ونقل « مـدرسا » إلـى القاهرة فـي عام ١٩٣٢ فانتقل معه « المركز العـام ومقر القيادة » ولقي فيها إقبالا على دعوته وعظم أمر « الإخوان » وناهز عددهم نصف مليون .

وكان الأستـاذ حسن البنا يعرف الإسلام في إحـدى خطبه الكثيرة ، بـأنه « عقيـدة وعبادة ووطن وجنسيـة وسماحـة وقوة وخلق ومادة وثقـافة وقانون » وأنشأ بـالقاهرة جريـدة « الإخوان المسلمين » يـومية فكـانت منبره الكتـابي إلى جـانب منابـره الخطابية (الأعلام ٢ / ١٨٤) .

ففي عام ١٣٥٢ هــ ١٩٣٣ م تم إصدار جريدة « الإخوان المسلمون » الأسبـوعية واختير الأستـاذ محب الدين الخطيب (١٣٠٣ ــ ١٣٨٩ هــ) (١٨٨٦ ــ ١٩٦٩ م) مـديـرا لهـا ثم صدرت النذير في ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ ، ثم الشهاب ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م ... وتتالت المجلات والجرائد الإخوانية .

ثم تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١ م من مائة عضو اختارهم الأستاذ البنا بنفسه .

وقد شارك الإخوان فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث دخلوا بقوات خاصة بهم وشاهدت ربى فلسطين وجبالها نماذج فريدة ما شاهدتها من قبل - أناسا يحبون الموت على الحياة ، ولقنوا اليهود دروسا قاسية ، وذاقوا منهم الويلات ، (الموسوعة الميسرة / ٢٤ ، والموسوعة الحركية / ٥٤) .

وقد سجل ذلك بالتفصيل الأستاذ كامل الشريف فى كتابه « الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين » .

وفى ٨ نوفمبر ١٩٤٨ م أصدر محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء المصرى آنذاك قراره بحل جماعة الأخوان المسلمين ومصادرة أموالها واعتقال أبرز قيادتها .

وفى ديسمبر ١٩٤٨ م اغتيل النقراشى واتهم الإخوان بقتله (الموسوعة الميسرة / ٢٤) .

ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز « جمعية الشبان المسلمين » فى القاهرة ، ليلا ، فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) .

فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا فجُرح البنا ونقل إلى المستشفى لإسعافه ولم يجد من يضمد جراحه ، فتوفى بعد ساعتين (الأعلام ٢ / ١٨٤) .

لقد كان الشيخ حسن البنا رحمه الله خطيبا فياضا ، ينحو منحى الوعظ والإرشاد فى خطبه ، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه ، منظما ، يعلم فى هدوء ، ويبنى فى اطمئنان . له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم « مذكرات الدعوة والداعية » (الأعلام ٢ / ١٨٤) ومن آثاره أيضا : أحاديث الجمعة ، المأثورات ، مجموعة الرسائل وهى : دعوتنا إلى أى شيء ندعو الناس ، نحو النور ، المؤتمر الخامس ، إلى الشباب ، الإخوان تحت راية القرآن ، دعوتنا فى طور جديد ، بين الأمس واليوم ، رسالة الجهاد رسالة التعاليم ، نظام الأسر ، العقائد ، نظام الحكم ، النظام الاقتصادى (الموسوعة الحركية / ٥٧) وكتب فى سيرته « روح وريحان من حياة داع ودعوة » ، مطبوع ، لأحمد أنس الحجاجى (الأعلام ٢ / ١٨٤) .

أما عن جمعية « الإخوان المسلمون » بعد استشهاد الشيخ حسن البنا ففى عام ١٩٥٠ م اختير الأستاذ حسن الهضيبى (١٣٠٦ أو ١٣٠٨ ـــ ١٣٩٣ هـــ) (١٨٩١ ـــ ١٩٧٣ م) ، مرشدا للإخوان ، وهو واحد من كبار رجال القضاء المصرى ، وقد اعتقل عددا من المرات ، وصدر ضده عام ١٩٥٤ م حكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد ، وأفرج عنه آخر مرة سنة ١٩٧١ م .

وبعد وفاة الأستاذ الهضيبى اختير عمر التلمسانى (١٩٠٤ - ١٩٨٦ م) مرشدا عاما ، وسلك بالإخوان طريقا بجنبهم المصادمات مع الحكومات ، وكرر دائما أن الدعوة ينبغى أن تعمل بالحكمة وأن تنبذ العنف والتطرف .

وبعد وفاة الأستاذ التلمسانى اختير محمد حامد أبو النصر مرشدا عاما ، وسار على طريقة الأستاذ التلمسانى وأسلوبه .

وهناك عدد من الشخصيات الإخوانية التى ظهرت خارج مصر نذكر منها :

١ - الشيخ محمد محمود الصواف والذى كان مؤسسا ومراقبا عاما للإخوان المسلمين فى العراق، له عدد من المؤلفات، وقد كان له دور نشط فى نشر الإسلام فى إفريقيا بعد هجرته من العراق سنة ١٩٥٩ م واستقراره فى مكة المكرمة .

٢ - الدكتور مصطفى السباعى (١٣٣٤ ـــ ١٣٨٤ هـــ) (١٩١٥ - ١٩٦٤ م) أول مراقب عام للإخوان المسلمين فى سوريا ، نال درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩ م ، قاد كتائب الإخوان إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ م كما رشح نفسه نائبا عن دمشق عام ١٩٤٩ م ، كان خطيبا مفوها لا يبارى، أسس كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٤ م وكان أول عميد لها ، له العديد من المؤلفات منها « السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى » ، « المرأة بين الفقه والقانون » ، « قانون الأحوال الشخصية » .

٣ - تأسست جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٩٤٥ م وكان أول رئيس لها الشيخ عبد اللطيف أبو قورة الذى قاد كتيبة الإخوان فى الأردن إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ م .

ـ فى ٢٦ / ١١ / ١٩٥٣ م انتخب الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المولود عام ١٩١٩ م مراقبا عاما للإخوان بالأردن وهو يحمل ثلاث شهادات علمية .

الأفكار والمعتقدات :

ـ يتصف فهم الإخوان للإسلام بالشمولية وعدم اقتصاره على جانب دون جانب آخر .

ـ حرص الإخوان على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية .

ـ يقول حسن البنا عن هذه الدعوة « إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » .

ـ يؤكد البنا بأن سمات حركة الإخوان هى :

١ ـ البعد عن مواطن الخلاف .

٢ ـ البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء .

٣ ـ البعد عن الأحزاب والهيئات .

٤ ـ العناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات .

٥ ـ إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات .

٦ ـ شدة الإقبال من الشباب .

٧ ـ سرعة الانتشار فى القرى والبلاد .

ـ ويذكر أن أخص خصائص الإخوان هى :

● أنها ربانية : لأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا أن يتقرب الناس إلى ربهم .

● وأنها عالمية : لأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها إخوة أصلهم واحد وأبوهم واحد ونسبهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل .

● وأنها إسلامية : لأنها تنتسب إلى الإسلام .

ـ ويقرر الأستاذ البنا أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هى :

١ ـ إصلاح نفسه حتى يكون قوى الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادرا على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة .

٢ ـ وتكوين البيت المسلم بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية .

٣ ـ إرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات .

٤ ـ تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى غير إسلامى ، سياسى أو اقتصادى أو روحى ...

ـ يقسم الأستاذ البنا مراحل الدعوة إلى ثلاث :

١ ـ التعريف .

٢ ـ التكوين .

٣ ـ التنفيذ .

ـ يقول الأستاذ البنا فى رسالة التعاليم : « أركان بيعتنا عشر فاحفظوها : الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » ثم يأخذ فى شرح كل ركن من هذه الأركان ثم يقول بعدها :

« أيها الأخ الصادق : هذا مجمل لدعوتك وبيان موجز لفكرتك ، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات : الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شرعتنا ، والجهاد سبيلنا ، والشهادة أمنيتنا . وأن تجمع مظاهرها فى خمس كلمات أخرى : البساطة ، والتلاوة ، والصلاة ، والجندية ، والخلق » .

ـ شعار الإخوان : سيفان متقاطعان يحيطان بمصحف شريف ، واللفظة القرآنية ﴿ وأعدوا ﴾ وثلاث كلمات هى : حق ، قوة ، حرية .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ أخذ الإخوان عن الدعوة السلفية التأكيد على ضرورة البحث عن الدليل وأهمية العودة إلى المنبعين الرئيسيين الكتاب والسنة والتحرز من كل نوع من أنواع الشرك وصولا إلى كمال التوحيد .

ـ تأثرت دعوتهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدعوة السنوسية ودعوة السيد رشيد رضا وأغلب هذه الدعوات امتداد لمدرسة ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ـ ١٣٢٨ م والمستمدة من مدرسة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

ـ أخذ الإخوان عن التصوف ما فيه من دعوة إلى تربية النفس وتهذيبها والرقى بها على ما كان عليه أوائل المتصوفة من صحة فى العقيدة وترك ونبذ للبدع والشطحات والاستكانة والسلبية .

ـ لقد جمع البنا المفاهيم السابقة فى دعوته وأضاف إليها ما فرضته عليه ظروف العصر والبيئة من وقوف أمام التيارات التى أخذت تسرى فى مصر بخاصة وفى المنطقة بعامة .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ بدأت الحركة فى الإسماعيلية ثم انتقلت إلى القاهرة ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر ، وقد بلغ عدد شعب الإخوان فى أواخر الأربعينات فى مصر (٣٠٠٠) شعبة ضمت أعدادا كبيرة من الأعضاء .

ـ انتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوى فى سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان وغيرها ... كما أن لها أتباعا فى معظم أنحاء العالم اليوم .

(الموسوعة الميسرة / ٢٣ ـ ٢٩) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٨٤ وجاء فى هامش (١) : عن روح وريحان وتقويم دار العلوم ٤٧٠ ، والصحف المصرية ٨ / ١١ / ١٩٤٩ ، وانظر بها أسماء قاتليه وما عوقبوا به ، ولا سيما جريدة القاهرة ٢ أغسطس ١٩٥٤ ومذكرات المؤلف . وفى مصادر الدراسة ٢ / ٢٠٩ ـ ٢١٢ مراجع أخرى لترجمته ولما كتب عنه انتهى ما جاء بهامش الأعلام ، والموسوعة الحركية . تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجرى ـ إعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية بإشراف فتحى يكن . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م / ٥٣ ـ ٥٧ ، والموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامى . الرياض ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م / ٢٣ ـ ٢٩) .

* **حسن البيان :**

من أنواع البديع المعنوى . يقول السيوطى :

حسن البيان زاده المصباح وذكره أصحاب البديعيات تبعا له قال : وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة قال : ويكون مع الإيجاز والإطناب . قال فى الإيضاح : وهذا تخليط لأنه وظيفة علم البيان محسن ذاتى والبديع وظيفته البحث عن المحسن الخارجي .

(شرح عقود الجمان / ١٤٠) .

(أفاد منه ابن أبى الإصبع وأورده بين أبواب البديع فى كتابه « بدائع القرآن » معتمدا فيما يبدو على ما قال الرمانى فى النكت) .

قال ابن أبى الإصبع (بدائع القرآن ٧٤ ـ ب) :

« حسن البيان إما أن يكون بالأسماء والصفات المفردة وإما بهما مؤتلفة ، ودلالة الأول متناهية ودلالة الثانى غير متناهية ... غير أن البيان فيه الأقبح والأحسن ، والوسائط بين هذين الطرفين ، فالأقبح كبيان « باقل » وقد سئل عن ثمن ظبى كان معه ، فأراد أن يقول أحد عشر ، فأدركه العى ففرق أصابع يديه وأطلع لسانه ، فأفلت الظبى . وهذا أقبح بيان مع أنه قد بالغ فى الإفهام ، لكونه أخرج تعريف العدد من السماع إلى العيان ، لكنه بيان ناقص لتخصيص البصر دون السمع ، وصناعة البيان يجب أن يكون المستحسن منها ما يختص بالسمع فإنها مختصة بالكلام والعبارة دون الإشارة ... وبيان الكتاب العزيز وكل بيان بليغ فصيح من الأحسن دون الأقبح ودون الوسائط البعيدة من البلاغة والقريبة ، وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث ينقسم أيضا ثلاثة أقسام : أحسن وأقبح وأوسط بالنسبة .

حقيقة حسن البيان إخراج المعنى فى أحسن الصور الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها . فإنه عين البلاغة . وقد تأتى العبارة عنه عن طريق الإيجاز ، وقد تأتى عن طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه الحال ، والإطناب بلاغة والإسهاب عى ... وقد أتى بيان الكتاب العزيز من الطريقين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كم

تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٧] وكقوله تعالى ـ وقد أراد أن يبين عن الوعد ـ : ﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾ [الدخان : ٥١] وكقوله عز وجل ـ وقد أراد أن يبين الوعيد ـ ﴿ إن يَوْمَ الفَصْلِ ميقاتُهم أجمَعِين ﴾ [الدخان : ٤٠] وكقوله في الاحتجاج القاطع للخصم : ﴿ وضَرب لنَا مثلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال من يُحيي العِظَامَ وهي رَميم قُلْ يُحْيِيها الذي أنشَأَها أول مرة ، وهو بِكُلِّ خَلْق عليم ﴾ [يس : ٧٨ ، ٧٩] وكقوله تبارك وتعالى وقد أراد أن يبين عن التحسير ﴿ ولنْ ينفَعَكُم اليومَ إذْ ظَلَمتُم أنكم في العَذَاب مُشْتَرِكُون ﴾ [الزخرف : ٣٩] وكقوله تعالى ـ وقَدْ أرادَ أن يبين عن العدل ـ : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذِبُون ﴾ [الأنعام : ٢٨] وأمثال هذه المواضع كثيرة .

(شرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٤٠ ، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها الأستاذ محمد خلف أحمد ، ود. محمد زغلول سلام / ١٩٤) .

* **حسن الترجمان (مكتبة) :**

من مكتبات الأسر المقدسية في القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . أسس هذه المكتبة حسن الترجمان الصالح فعُني بجمع كل ما وقع تحت يده من مخطوط ومطبوع حتى بلغ ما جمعه ثلاثة آلاف مجلد بينها تسعمائة مخطوط .

(معاهد العلم في بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلي / ٣٩١)

* **حسن التعليل:**

التعليل : علَّله بطعام وحديث ونحوهما : شغله بهما ، يقال : فلان يُعلل نفسه بتعلة : وتعلل به أي تلهى به .

التعليل هو حسن التعليل ، وقد ذكر ابن سنان الاستدلال بالتعليل ولم يعرِّفه (سر الفصاحة / ٣٢٧) ، وتحدث عبد القاهر عن التخييل ، ويفهم من كلامه أنه يريد به حسن التعليل فقد قال : « وجملة الحديث الذي أريد بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه » (أسرار البلاغة / ٢٥٣) .

وسماه الرازي « حسن التعليل » وقال : « هو أن يذكر وصفان أحدهما لعلة الآخر ويكون الغرض ذكرهما جميعا » (نهاية الإيجاز / ١١٦) كقول القائل :

فإن غادر الغدران في صحن وجنتي
فلا غرو منه لم يزل وابلا يهمي

وقال الحلبي والنويري : « هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو أربعة أضرب ، لأن الصفة إما ثابتة قصد بيان علتها أو غير ثابتة أريد إثباتها » (حسن التوسل / ٢٢٣ ، ونهاية الأرب ٧ / ١١٥) .

فالأولى : أن لا يظهر لها في العادة علة كقول المتنبي :

لم يحك نائلك السحاب وإنما
حُمَّت به فصبيبها الرحضاء

أو تظهر لها علة كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن
يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره .

الثانية : إما ممكنة كقول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت فينا إساءته
نجى حذارك إنساني من الغرق

فإن استحسان إساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر. أو غير ممكنة كقول الشاعر:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته
لما رأيت عليها عقد منتطق

وألحق به ما بني على الشك كقول أبي تمام :

ربا شفعت ريح الصبا لرياضها
إلى المُزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيِّبن تحتها
حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وذهب إلى ذلك القزويني في التعريف والتقسيم وإلحاق ما بني على الشك به (الإيضاح / ٣٦٧ والتلخيص / ٣٧٥) وتبعه شراح تلخيصه والسيوطي والمدني .

وعقد بعض البلاغيين فصلا باسم « التعليل » ، وقد قال المصرى : « هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول » (تحرير التحبير ٣٠٩ وبديع القرآن / ١٠٩) كقوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ [الأنفال : ٦٨] فسبق الكتاب من الله علة فى النجاة من العذاب . ومنه قول البحترى :

ولــو لـم تكـن ســاخطـا لم أكـن

أذم الـزمـان وأشكــو الخطــوبـا

فوجود سخط الممدوح هو العلة فى شكوى الشاعر الزمان

ونقل ابن الأثير الحلبى تعريف المصرى والآية الكريمة ، وقال ابن مالك : « التعليل أن تقصد إلى حكم فتراه مستبعدا لكونه قريبا أو عجيبا أو لطيفا أو نحو ذلك فتأتى على سبيل التطرف بصفة مناسبة للتعليل فتدعى كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه . فإن إثبات الحكم بذكر علته أروج فى العقل من إثباته بمجرد دعواه » (المصباح / ١١٠) .

وذكر العلوى تعريف ابن مالك وقسمه إلى نوعين (الطراز ٣ / ١٣٨) .

الأول : أن يأتى التعليل صريحا إما باللام كقول ابن رشيق يعلل قوله ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .

فقال فى معنى ذلك :

سـألـت الأرض لِـمْ جعلـت مصلّـى

ولـم كـانت لنـا طهـرا وطيبـا

فقـالت غيـر نـاطقـة لأنـى

حـويـت لكل إنسـان حبيبـا

ولقد أحسن فى الاستخراج وألطف فى التعليل ، فلأجل ما قاله كان ذلك علة فى كونها طهورا ومسجدا .

قال المؤلفة : الحديث الشريف المذكور أعلاه أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير عن أبى هريرة لداود عن أبى ذر وقال عنه : حديث ضعيف . بيد أن الإمام السيوطى أخرج حديثا آخر يزيد فى ألفاظه وهو « جُعلت لى كل أرض طيبة مسجدا وطهورا » لأحمد فى مسنده والضياء عن أنس وقال عنه : حديث صحيح .

الثانى : أن لا يكون التعليل صريحا فى اللفظ وإنما يؤخذ من جهة السياق والنظم والمعنى كقول بعض الشعراء ، ولعله مسلم بن الوليد :

يـا واشيـا حسنت منـا إسـاءتـه

نجـى حـذارك إنسـانـى من الغـرق

فلقد أبدع فيما قاله وأراد أن الواشى مذموم لا محالة لما يفعله من القبيح لكن العلة فى حسن إساءته وهو أنه يخاف على محبوبته من وشايته فامتنع دمع عينه من أجل الخوف فسلم إنسان عينه من أن يغرق بدموعه لما كان خائفا مذعورا من الوشاية ، فلا وجه لتعليل حسن الوشاة إلا هذا .

وقال الزركشى إن ذكر الشىء معللا أبلغ من ذكره بلا علة لوجهين :

أحدهما : أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول .

الثانى : أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها .

وغالب التعليل فى القرآن الكريم هو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن العلة .

وتختلف نظرة الزركشى عن الآخرين فى التعليل فهو يريد التعليل الحقيقى ولذلك تحدث عن الطرق الدالة على العلة كالتصريح بلفظ الحكم أو الإتيان بـ « كى » أو ذكر المفعول له ، أو الإتيان بـ « أن » وغير ذلك . ويريد البلاغيون به حسن التعليل الذى لا يقوم على علة حقيقية فى أغلب الأحيان ، ويبدو أن اتجاه الزركشى لم يؤثر فى البلاغيين كثيرا ، فالحموى عاد إلى ما قاله المصرى وابن مالك (خزانة الأدب / ٤١٦) غير أن السيوطى أوجز ما قاله الزركشى إيجازا لا يوضح المسألة (معترك ١ / ٣٧٢ ، الإتقان ٢ / ٧٥) ولعل سبب عودته إلى ذلك اتصال موضوعه بالقرآن الكريم (المعجم ٢ / ٢٩٨ - ٣٠١) .

وعن حسن التعليل جاءت هذه الأبيات فى منظومة الشيخ معروف النودهى الموسومة بغيث الربيع فى علم البديع وقد

رقمنا الأبيات لكي يسهل الرجوع إليها وأتبعناها بالشرح .
يقول الناظم :

١ مـــا بـــرقت سحـــابـــة وأسبلت
إلا بأن قـــد فـــرحت إذ ظللت
٢ من قبل بعث سيـــد الأنـــام
لـــذاك أبـــدت حسن الابتســـام
٣ لـــو لم يفض من كفـه المـا مـا غـدا
مـن ورده الشبـم ريٌّ للصـــدا
٤ يستحسن الفـاقـة صـاحب الغنى
ليبتغى نـــوالـــه فيأمنـــا
٥ فقـــرا بمـا قـد نـال من نـوالـه
وكـــان يخشى من ذهـــاب مـــالـه
٦ فـــالفقـــر إذ أوصلـــه إلى غنى
يـــدوم لا يفنى غـــدا مستحسنـــا
٧ للبـــدر فى مـــرآه لـــلأعـــلام
بـــالانشقـــاق أثـــر انثـــلام

وإليك شرح الأبيات :

البيت ١ : الغريب بورقت : أى لمعت . أسبلت : أى أمطرت . ظللت : أى صنعت له ظلا تحميه من الشمس .

المعنى : لم تلمح السحابة وما أمطرت إلا فرحا بكونها فى يوم من الأيام قد ظللت الرسول (ﷺ) أى أن سبب البرق والمطر هو ذلك الفرح .

الشاهد : وجود حسن التعليل القسم الأول منه وهو الذى يكون الوصف فيه ثابتا خفى العلة وموضع الشاهد قوله (ما برقت إلا بأن فرحت) ومعلوم أن وصف البريق للسحب ثابت والعلة فيه خفية حيث لم يعرف فى ذلك الوقت سبب البرق لذلك علله الناظم بعلة مناسبة غير حقيقية حصل بها تقوية للمقصود من المدح وحدث بسببها معنى لطيف وذلك أنه جعل علة لمعان السحابة بالبرق كونها فرحت بأنها ظللت النبى (ﷺ) فأظهرت علامات السرور والفرحة فتبسمت ومعلوم أن هذه العلة ليست هى العلة فى الواقع .

وفيه اقتباس : من قصة « ميسرة » عبد خديجة عندما ذهب الرسول قبل البعثة إلى الشام وما شاهده ميسرة من علامات ومنها تظليل السحابة للرسول فى يوم قائظ ، وإلى هذا أشار الناظم قدس سره فى البيت اللاحق بقوله : من قبل بعث إلخ .

وهذا زيادة من الناظم على الأصل إذ عبارته لم تحتو على هذا فهو قال : لم تبرق السحب إلا أنها فرحت إذ ظللته فأبدت حسن مبتسم .

البيت ٣ : الغريب : ورده : الوِرد بكسر الواو النصيب من الماء .

الشبم : بفتح الشين وكسر الباء البارد . رى : الرى ضد العطش . الصدى : العطش الشديد .

المعنى : يقول : لولا أن الماء نبع من بين أصابعه (ﷺ) ما روى بشربه الأنام فببركة نبعه من تلك البنان حصل به رى الظمآن .

الشاهد : فيه حسن التعليل النوع الثانى وهو الوصف الثابت الظاهر العلة وذلك أن العلة الظاهرة فى أن الماء يروى العطشان هى ما جعل الله فيه من الرطوبة والبرودة المقابلتين لما فى العطش من اليبوسة والحرارة والناظم علل ذلك بعلة مناسبة غير حقيقية وهى أن ذلك لكون الماء نبع من أصابعه (ﷺ) وأنت ترى ما فى هذه العلة من اللطف وكثرة المدح .

البيت ٤ : وفيه اقتباس من حديث نبع الماء من أصابعه (ﷺ) وهو مشهور .

الغريب : يستحسن : أى يعده حسنا . الفاقة : الفقر والحاجة نواله : النوال العطاء . الإعراب : الفاقة : مفعول به مقدم .

صاحب : فاعل مؤخر . فيأمنا : فاعله مستتر لصاحب الغنى .

البيت ٥ : الإعراب : فقرا : مفعول به ليأمنا فى البيت السابق .

البيت ٦ : الإعراب : فالفقر : مبتدأ . يدوم : الجملة فى موضع النعت لغنى . غدا : خبر المبتدأ .

المعنى العام للأبيات الثلاثة (٤ ـ ٦) :

يقول كان الحال فى زمن الرسول (ﷺ) أن أى فقير كان يأتى للرسول ويطلب منه عطاءه يصبح غنيا طول حياته ويأمن الفقر طول زمانه فكان الأغنياء الذين كانوا يحرصون على مالهم يتمنون الفقر ليذهبوا للرسول ويطلبوا منه العطاء ليأمنوا الفقر طول حياتهم فعلة استحسانهم للفقر هى أن الفقر الموصل إلى الغنى الدائم الغير الفانى يستحسنه كل إنسان .

الشاهد : حسن التعليل من القسم الثالث وهو الوصف الغير الثابت الممكن وموضع الشاهد (يستحسن الفاقة صاحب الغنى) لأن استحسان الفقر ليس صفة ثابتة مع إمكانه وقد علل الناظم استحسان الفقر بأن الغنى خائف على ذهاب ماله فيتمنى أن يحصل له الفقر ليسأل النبى (ﷺ) فينال من إحسانه ما يأمن به من الفقر فإذا كان الفقر موصلا إلى الغنى الذى لا يفنى كان مستحسنا .

البيت ٧ : الغريب : للبدر : البدر : القمر الممتلئ نورا . فى مرآه : أى فى منظره يقال امرأة حسنة المرأى والمرآة كما يقال حسنة المنظر والمنظرة . للإعلام : أى الإخبار ، أثر: يعنى به الأثر الذى بالبدر وهو السوار الذى يرى فيه . انثلام : الانثلام : مصدر انثلم الشيء إذا انكسر حرفه أى جانبه .

الإعراب : للبدر : خبر للمبتدأ مقدم . أثر : مبتدأ مؤخر وهو مضاف وأصل الجملة هكذا للبدر أثر انثلام فى مرآه ليعلمنا بالانشقاق الذى جرى له فى زمن الرسول (ﷺ) (الأعمال الكاملة ق ٤ / ٤٣٩ ـ ٤٤١) .

(معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ـ د. أحمد مطلوب ٢ / ٢٩٨ ـ ٣٠١ ، وتلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن القزوينى . المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ١٢٥ ، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى ـ دراسة وتحقيق السيد محمود أحمد وزملائه . المجموعة البلاغية ق ٤ / ٤٣٩ ـ ٤٤١) .

قالت المؤلفة : أوردنا لك التعليل كما جاء فى القرآن الكريم وذلك فى مادة « التعليل » فى م ١٠ / ٢٢ ـ ٢٦ فانظرها فى موضعها .

* **حسن التنبه فى التشبه :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم ٩٠٣٠ .

كتاب كبير فى قسمين الأول : فيمن يجب التشبه بهم وفى اكتساب مكارم الأخلاق وذكر فيه جميع الأخلاق الحسنة والثانى : فيما ورد من النهى عن التشبه بهم وذكر مساوئ الأخلاق بحيث لم يدع موضوعا إلا طرقه وذكر محاسنه ومساوئه وهو أجمع كتاب فى هذا الموضوع .

المؤلف : أبو المكارم نجم الدين محمد بن محمد الغزى العامرى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م .

الجزء الأول أوله : الحمد لله الذى بحمده يحسن الابتداء... أما بعد فيقول العبد ... هذا كتاب كريم تطمئن إليه قلوب الأتقياء ...

آخره : باب النهى عن التشبه بفرعون وهو أول من خضب بالسواد . روى الديلمى وابن النجار ...

الخط نسخ معتاد، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : المؤلف .

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومعلق عليها ، وعليها تملكات كثيرة .

نسخة ثانية الجزء الأول فقط .

الرقم ٤٠٥٤

أولها : كالسابقة .

آخرها : فائدة ينبغى لمن طلب من الدنيا شيئا من الله تعالى من ولد أو زوجة أو مالاً ...

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة على المؤلف من وقف أسعد باشا والى سورية .

نسخة ثانية الجزء الأول فقط قطعة منه .

الرقم ٨٥٨٥ .

أوله : مخروم عن الإمام الشافعى الرضى قوله لا تقل ... وروى ابن أبى الدنيا فى المداراة عن أيوب السختيانى قال لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عما فى أيدى الناس ...

آخره : نقل ابن عطاء الله فى اللطائف عن بعض العارفين أنه قال : إن لله عبادا كلما اشتبه بظله الوقت كلما قويت أنوار قلوبهم ...

الخط نسخ معتاد : الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف .

الجزء الثانى فقط :

الرقم ٣٨٩٠ .

يبتدئ بـرسالة ومعارف فائدة لمن طلب من الدنيا شيئا .

آخره : شعر أوله .

يــــا رب إن اجتهــــادى

علـى كمــــال التأسـى

آخر الشعر :

يــــا رب حقـق رجــــائى

واجمـل بــــذكــرك إنسى

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ : ١٠٤١ هـ

نسخة ثالثة تكون الجزء الثانى فقط :

الرقم ٨٥٨٦ .

أوله : أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص عن بلال ابن سعد قال لا تكن وليا لله فى العلانية وعدوا له فى السريرة ومعناه لا تلبس بأوصاف الأولياء ظاهرا ...

آخره : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومصححة .

نسخة رابعة تكون الجزء الثالث .

الرقم ٣٢٧٧ ، أدب ١٠٧ .

أوله : باب التشبه بالنبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

آخره : شعر أوله :

يــــا رب إن اجتهــــادى

علـى كمــــال التأسـى

آخر السطر :

والحمــــد لله ربـى

مــــا ازدان طــــرسى بنفسى

هذا تمام القسم الأول .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

الجزء الرابع من الكتاب نفسه .

الرقم ٣٢٧٨، أدب ١٠٨ .

القسم الثانى من الكتاب فى النهى عن التشبه بمن ورد النهى عن التشبه بهم ... قال تعالى ﴿ **وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين** ... ﴾ [يونس : ١٠٤ ، ١٠٥] .

آخره : وقد روى الدينورى فى المجالسة عن القاسم بن محمد ... أنه سمع رجلا يقول : ما أجرأ فلان على الله فقال القاسم : إن ابن آدم أهون وأخفض من أن يكون جريئا على الله ولكن قل ما أقل معرفته بالله وكذلك الاحتراز ... أصله الجهل بالله والجهل بعذابه .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

الجزء الخامس النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٧٩ ، أدب ١٠٩ .

أوله : النهى عن التشبه بفرعون ...

آخره : أخرج الإمام مالك فى الموطأ عن عائشة رضى الله

عنها أن النبي ﷺ قال « أردت أن أنهى عن الغيلة ثم ذكرت أن الروم وفارسا يفعلونه فلا يضرهم » ليس فيه أنه من النبي ﷺ ترك النهى عنها ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

الجزء السادس من النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٨٠ ، أدب ١١٠ .

يبتدئ : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية .

آخره : فإن قلت : ما معنى قوله ﷺ « من سعادة المرء أن يشبه أباه » أخرجه الحاكم فى مناقب الشافعى رضى الله عنه عن أنس . قلت : على وجهه الأول أن معناه أن يشبهه فى الصورة والخلقة لئلا يطعن فى نسبه ...

والثانى أن يشبه أباه فيما به السعادة من الإيمان ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الغزولى الكاتب .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٤١ هـ .

ملاحظات : عليه خط المؤلف وتصحيحه .

الجزء السابع من النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٨١ ، أدب ١١١ .

تبتدئ بـ : النهى عن التشبه بالبهائم والسباع والطير ...

آخره : وروى سعيد بن منصور فى الصلاة وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يسلم من صلاته قال : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ﴾ الآية ورواه الخطيب فى حديثه .

قال مؤلفه : هذا آخر كتاب حس التنبه .

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الغزولى الكاتب .

تاريخ النسخ : الخميس ١٤ ربيع الثانى سنة ١٠٤٢ هـ

ملاحظات : نسخة قيمة مقابلة على نسخة المؤلف ومراجعة عليه ، وعليها خطه ، ومن رقم ٦١٦ ـ ٦٢٠ المتقدم تكون نسخة كاملة ينقصها الجزء الأول والثانى ويجب أن تكون من سبعة أجزاء .

مصادر عن الكتاب : المنتخب من فهرس الحديث ص ٣٦٨ ، الأعلام ٧ / ٢٩٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١١ / ٢٨٨ .

قال واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الكتاب : رأيت نسخة كاملة بمجلدين بخط المؤلف مبيضته وعليها تعليقات نفيسة وهذه النسخة فى مكتبة الأستاذ الفاضل فخر الدين الحسنى حفيد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤١ ـ ٤٤٧) .

* **حسن التوسل إلى صناعة الترسل :**

أحد مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٣٢٦٥٦ .

لأبى الثناء محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحلبى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م .

الأول : (الحمد لله جاعل الإنسان مخبوءا تحت اللسان ...) .

وضعه المؤلف لمن يرغب تعلم كتابة الإنشاء ، ويشتمل على فن البديع والمكاتبات ووصف الحصون والحروب .

نسخة نفيسة ، كتبت بخط النسخ الجيد سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م .

٣٠٧ ص ١٨,٥ × ١٣,٥ سم ١٧ سم

معجم المؤلفين ١٢ / ١٦٧ ، الأعلام ٧ / ١٧٢ ، فهرس دار الكتب ٣ / ٨٤ (ذكرت وفاة المؤلف فى فهرس دار الكتب سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) .

طبعت أكثر من مرة ، آخرها بتحقيق د . أكرم عثمان ببغداد سنة ١٩٨٠ م .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٤٤ ، ١٤٥ .

انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٦٦ وفيه فى العنوان « فى صناعة » بدلا من « إلى صناعة ») .

توجد منه نسخة فى مكتبة الحرم المكى وأخرى فى دار الكتب الوطنية - طهران (مجلة معهد المخطوطات العربية م ١ جـ ١ ، رمضان ١٣٧٤ هـ - مايو ١٩٥٥ / ١٥٥ ، و م ٤ جـ ١ / ٢٠) .

* **حسن جلبى (٨٤٠-٨٨٦ هـ / ١٣٣٩-١٤٨١ م) :**

نسبه وشيوخه وتلاميذه :

حسن جلبى بن محمد شاه شمس الدين الفنارى الفقيه الحنفى الأصولى النحوى البيانى المفسر ولد سنة ٨٤٠ هـ ببلاد الروم ونشأ بها واشتغل على مـلاَّ فخر الدين وملا طوسى وملاَّ خسرو حتى برع واشتهر أمره فكان عالما فاضلا جامعا محققا مدققا نحويا بصيرا بالمعانى والبيان واقفا على الفروع والأصول وتفسير القرآن صالحا متدينا وقد حج سنة ٨٧٠ هـ وقدم القاهرة سنة ٨٨٠ هـ فقرأ مغنى اللبيب فى النحو على رجل مغربى كان خبيرًا بخبايا هذا الكتاب وقرأ صحيح البخارى على بعض تلامذة ابن حجر العسقلانى وعاد إلى بلاده فنشر العلم وقد تولى التدريس بالمدرسة الحلبية بأدرنة كما تولى التدريس بمدرسة أزنيق وغيرهما .

مصنفاته ووفاته :

من مصنفاته حواشيه على التلويح فى الأصول وحواشيه على شرح التلخيص والمطول فى علوم البلاغة وحواشيه على شرح المواقف وحواشيه على تفسير البيضاوى وكلها مملوءة بالتحقيقات والتدقيقات .

توفى رحمه الله ببروسا سنة ٨٨٦ هـ .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٥٥) .

* **الحسَن الخالص :**

انظر : الحسن العسكرى .

* **حُسنُ الخلق :**

الشعبة السابعة والخمسون من شعب الإيمان التى أحصاها الإمام البيهقى فقال :

من شعب الإيمان حُسنُ الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع لقوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[القلم : ٤] وقوله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

ولحديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشا ولا متفحشا ؛ وقال « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » وفى رواية : « إن من أحبكم إلىَّ أحسنكم أخلاقا » .

ولحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين أيضا أنها قالت : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » .

وبه أنبأنا أبو بكر البيهقى قال : ومعنى حسن الخلق سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال . وقد يكون ذلك فى ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس وهو فى ذات الله عز وجل أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه يفعل ما فرض عليه طيب النفس به سلسا نحوه وينتهى عما حُرِّم عليه راضيا به غير متضجر منه ويرغب فى نوافل الخير ويترك كثيرا من المباح لوجهه تعالى وتقدس ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشرا لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به وهو فى المعاملات بين الناس أن يكون سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفى ما يجب لغيره عليه منها فإن مرض ولم يعد أو قدم من سفر فلم يزر أو سلم فلم يرد عليه أو ضاف فلم يكرم أو شفع فلم يجب أو أحسن فلم يشكر أو دخل على قوم فلم يمكن أو تكلم فلم ينصت له أو استأذن على صديق فلم يؤذن له أو خطب فلم يزوج أو استمهل الدين فلم يمهل أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك ولم يغضب ولم يعاقب ولم يتنكر من حاله حال ، ولم يستشعر فى نفسه أنه قد جفى وأوحش وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله بل يضمر أنه لا يعتد بشىء من ذلك ويقابل كلا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر

والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى ثم يكون فى إيفاء ما يكون عليه كهو فى حفظ ما يكون له فإذا مرض أخوه المسلم عاده وإن جاء فى شفاعة شفَّعه، وإن استمهله فى قضاء دين أمهله وإن احتاج منه إلى معونته أعانه و إن استسمحه فى بيع سمح له ولا ينظر إلى أن الذى يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا وكيف يعامل الناس إنما يتخذ الأحسن إماما لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا .

وإنما يصح اكتسابه ممن كان فى غريزته أمثل منه فهو يضم باكتسابه إليه ما يتممه ومعلوم فى العادات أن ذا الرأى يزداد بمجالسة أولى الأحلام والنهى رأيا وأن العالم يزداد بمخالطة العلماء علما ، وكذلك الصالح والعاقل بمجالسة الصلحاء والعقلاء فلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولى الأخلاق الحسنة وبالله التوفيق (شعب الإيمان / ٩٢_٩٥) .

قال الله تعالى ﴿ **خذ العفو وأْمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] وقال تعالى ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقا .

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » .

وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى قال «لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب » .

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لأشج عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة » . وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد فى سبيل الله وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى .

وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب (مختصر رياض الصالحين / ٢٥٠_٢٥٣) .

ويصف الحكيم الترمذى صاحب الخلق ، ويتكلم على أصول الأخلاق ، وعلى مكارم الأخلاق ، وكله مما يندرج تحت « حسن الخلق » وننقله لك فيما يلى وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . قال الحكيم الترمذى :

مثل صاحب الأخلاق مثل ملك له خزانة وقواد ومملكة ، فإن كانت الخزانة قليلة كنوزها ، وكورته صغيرة (الكورة : المدينة والصقع) ضاق به هؤلاء القواد ، وقال بعضهم لبعض: هذا ملك له اسم الخزانة والكنوز ، وليس لكنوزه مادة يجرى علينا ويغنينا حتى نتخذ عدة للعدو الذى هو بمرصد منا ومن ملكنا هذا ، وليست له مملكة فسيحة ننتشر فيها ، فيأخذ كل قائد منا ناحية من المملكة ، فيتملك على أهل ناحيته ، وقوة الملوك فى الخزائن الجمة ، وبالكنوز والجوهر والقواد ، وحسن التدبير فى هذين ، فيدبر أمره وأمورنا بحسن ما عنده من الكياسة ، فيدر علينا كنوزه وقتا وقتا، وشهرا شهرا ، ويعد جواهره للنوائب العظام ، فلا نرى

هـا هنـا عـدة ولا فسحـة ؛ فتعـالـوا ننتقل عن هـذا إلى ملك لمملكته فسحة ومنتشر، نتسع في نواحيها ، ونعمل للقيادة ، فيعود الجند إلى ملك له كنـوز جمة ، ولكنوزه مادة من غلات المملكة ، فله كنوز وأمصار (الأمصار : جمع مصر، والمصر كل كورة يقسم فيهـا الفيىء والصدقـات) وقرى وبـر وبحر ، كملك الهند والروم والعرب ، ما نصنع بهذا الضعيف العاجز؟ يطلبون ملكـا بتلك الصفة ، ولا يثبتون مع هذا ، فـالملك هو القلب ، وخـزانتـه في جـوف القلب ، فيـه كنـوز المعـرفـة ، وجـواهـر العلم بـالله ، والعقـل وزيـره ، والصـدر فسحتـه ، وساحتـه ومملكته ؛ والأخلاق قواده ، والأركـان رعيته ، وهي الجـواهر السبع ؛ فهـؤلاء القواد قـد أحدقـوا بالقلب في هـذا الصدر، وأطافوا بباب القلب بين عينـى الفؤاد فإن الفؤاد هو ما ظهر من القلب ، والقلب ما بطن ، والقلب بعض في بعض، والعين على الفؤاد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ [النجم : ١١] (أى لم يكـذب قلب محمد ﷺ ليلـة المعراج ، وذلك أن الله تعالى جعـل بصره في فؤاده حتى رأى ربـه تعالى ، وجعل الله تلك رؤيـة (القرطبي / ١٧ ـ ٩٢) وقال الزمخشري في الكشاف (٢ / ٤١٦) : مـا كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصـره من صورة جبريـل عليه السلام ؛ أى مـا قال فؤاده لما رآه : لم أعرفك ، ولو قـال ذلك كاذبا ؛ لأنه عرفه ، يعنى أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق) .

وقول رسـول الله ﷺ: أتاكم أهل اليمن ألين قلـوبا ، وأرق أفئدة فوصف القلب باللين ، والفؤاد بالرقة (صحيح مسلم / ٧٢ ، وفي النهـاية : أرق قلوبـا ، أى ألين وأقبل للمـوعظة ، والمراد بالرقة ضد القسوة) .

فالأخلاق في الصدر قواد الملك ، قيام بين عينى الفؤاد ، والعقل شعاعه ، يشرق بين عينى الفؤاد ، ويدبر أمر القلب ، والنفس في الجوف رابضـة في مكان مظـانها ، والهـوى بباب النفس يتلهب ويتلظى بين يـدى بصيرة النفس ، فإذا خطرت الخـاطـرة في الصدر بين عينـى الفؤاد نظـر العقل ؛ فإن رآهـا حسنة وأمرا رشيدا قدر ودبـر ماذا يراد ؟ وكم يراد ؟ ومتى يراد ؟ وإلى متى يراد ؟ وإن رآهـا سيئة وغيا نفاها (أى أبعـدها) عن الصدر ؛ ففي هذا الوقت للنفس منازعة مع القلب وللهوى مع العقل .

في هـذه الخاطـرة النفس تشتهي ، والهوى يـزعج النفس ويشجعهـا ، والعـدو يـزين بمنى ويغـرى ، فإذا جـاء مـدد الأخلاق بطلت زينـة العدو وأمانيه ، وانكشف غـروره ، وارتد الهوى قهقـرى إلى معـدن مهنته ، وجـاء مدد الكنـوز : كنوز المعرفة ، ومـد الملك يده إلى جوهر الخـزانة فانمحقت (أى انمحت) الخاطـرة وأسبابهـا ، ومعتملها ، وجنودهـا وطليعة الخاطرة النفـس العدو إذا كانت خاطرة غـى ، وإن كان رشدا كانت طليعتـه الخاطرة الحـق، فعز هذا الملك ومنعتـه وقوام مملكتـه بهذه الكنـوز والقواد ، وكـذلك عز القلب ، ومنعتـه بكنوز المعرفة بالله تعالى ، وجواهر العلم بالله تعالى ، وبهذه الأخلاق التي أحدقت بالقلب بين عيني الفؤاد .

أصول الأخلاق :

فالأخلاق أصولها في الطبع ، ومـادتها من المعرفة والعلم بالله تعالى ، ومعتملها في الصدر .

فالموحدون هذه صفتهم ، والكفـار أخلاقهم أصولها في الطبع ، ومعتملهـا في الصـدر ، ومـادتهـا في الفـرح بمـدح الناس، وطلب العلو والشرف والذكر ؛ قال الله تعالى : ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**﴾ [القصص : ٨٣] .

فـالمـؤمنـون تخلقوا بخلق الله تعـالى ، وتـواضعـوا بـه لله تعالى، وأرادوا به وجه الله ، وتقربوا به إلى الله تعالى ، وتحببوا به إلى الله .

والكفار تخلقـوا بذلك الخلق ؛ فتكبـروا على الله تعالى ، فجاوزوا بها الحـدود، ولم يضعوها مواضعها بحقـه ، وتقربوا إلى الخلق ، وتحببـوا بـه إلى أهل العـلائق ، وتصنعـوا بـه ، واتخذوا جاها .

والأخلاق لها سلطان ؛ فإذا وجـد الخلق تفسحا ساح في فسحتـه ، فجاوز الحـدود في أموره ، فصـار مسرفا مضيعـا للحق ، وقد استمر به الهوى والنفس .

والمـؤمن يتخلق بذلك الخلق ، فإذا تفسح الخلق عقلـه (أى منعه) العقل عن المجاوزة ، ومنعـه عن التعدى ؛ ولهذا سمى عقـلا ؛ لأنه عقلـه عن الجهل ، ورده إلى العلم الـذى علمه الله تعالى ، وكان الله تعالى أعلم بذلك الأمر ، كم يراد؟ وإلى متى يـراد ؟ وبأى مقدار ؟ وإلـى متى ؟ فوكل بـه العقل حتى يهديه لذلك .

ألا تـرى إلى قـول الله عـز وجل ، حيث سألـوا رسـول الله ﷺ: كم تنفق من هــذا المـال الــذى حث الله تعـالى على إنفاقه ، وعظم فيه الثواب ؟ فنزلت قول الله تعالى : ﴿**يسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾[البقرة : ٢١٩] .

والعفـو : هو الفضل ، أى مـا فضل من نفسك وعيـالك الذين تعولهم .

وقال رسول الله ﷺ : « ابدأ بمن تعـول ، وخير الصدقة ما كـان عن ظهر غنى » (أى مـا كـان عفوا قـد فضل عن غنى ، وقيل : أراد ما فضل عن العيال) .

وقال رجل : يـا رسول الله ، عنـدى دينار ، مـا أصنع به؟ قال : أنفقـه على نفسك . قال : عنـدى آخر . قـال : أنفقه على عيالك ووالـدتك . قال : عندى آخر . قـال : أنفقه فى سبيل الله تعالى ؛ وذلك أدناهن .

فمن تخلق بالسخاوة ، فاستمـر به طبعه، وأعلنته نفسه ، وملك به هـواه ، وزين له عدوه ، وذهب فأنفق على أبـاعده ، وترك أقاربه . ، وعال من لم تلزمه عيالته ، وضيع عياله ، فهذا فعل من أراد بـذلك الخلـق علـوا فى الأرض ، وتصنعـا عنـد الخلق .

فالعقل يكشف عن هذا الغيب ، وما هو أدق من هذا .

الأسخياء والأجواد :

روى سليمــان بن الحــارث البصــرى : عن أبى هــلال الراسبى عن حميد بن هلال ، قال : تفاخر رجلان : رجل من بنى هاشم ورجل من بنى أمية ، فقـال هذا : قومى أسخى من قومك . وقال ذاك : بل قومى أسخى من قومك . فقال : سل فى قـومك ، وأسأل فى قـومى ؛ فـافترقـا على ذلك ؛ فسأل الأموى عشرة من قومه ، فأعطوه عشرة آلاف ، وجاء الهاشمى إلى عبـد الله بن عباس رضى الله عنهمـا ، فسأله فأعطـاه مائة ألف ، ثم أتى الحسن بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال : هل أتيت أحدا قبلى ؟ قال : نعـم عبد الله بن عباس رضى الله عنهمـا ، وأعطانى مـائة ألف ، فأعطاه الحسن رضى الله عنـه مائة ألف وثلاثين ألفا ، ثم أتى الحسين رضى الله عنه فسأله ، فقال : هل أتيـت أحدا قبلى ؟ قال : أخـاك الحسن بن على رضى الله عنهما فأعطـانى مائة ألف وثلاثين ألفا ، فقـال : لو أتيتنى قبل أن تأتيـه لأعطيتك أكثـر مـن ذلك ، ولكن لم أكن لأزيد على سيدى ؛ فأعطاه مائة ألف وثلاثين ألفا .

فهـذه سخــاوة مستمرة فى الطبع والنفس ، قــد منعهـا العقل، فزين هذا العقل من الحسين بن على رضى الله عنهم .

فـالكفـار كانـوا يتفـاخـرون ، ويباهـى أحدهم صـاحبـه بالأخلاق وأفعاله ، ويمارى حتى يتعادوا من أجله .

مكارم الأخلاق :

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما أتانا سبايا طيئ تكلمت فيه جارية جميلة نسيت جمالها لما رأيت من فصاحتهـا ، فقالـت : يـا محمد ، إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العـرب، فإنى ابنة سرة قـومى ، كان أبى يفك العانى (أى الأسير) ويحمى الذمار (الـذمار : ما يلزمه حفظه ورعـايته) ويقرى الضيف ويشبع الجـائع ، ويفرِّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم الطائى .

فقال رسول الله ﷺ: يا جاريـة ، هذه صفة المؤمن حقا ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق .

فقـام أبو بـردة رضى الله عنه ، فقـال : يا رسـول الله ، الله يحب مكارم الأخـلاق ؟ فقال : يا أبـا بردة ، لا يـدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق .

حدثنا الجارود ، أخبرنا بن هارون ، عن المسعودى ، عن القاسم ، قـال : قال عبـد الله : تجد الـرجل فظا (أى سيىء الخلق) فإذا بحثتـه وجدت سـريـرته الإيمـان ، وتجده حلـو الخلائق ، فإذا بحثته لـم تجد فيه من الإيمان شيئا ، ومن شاء الله جمع له حلاوة الدين وحلاوة الخلق .

الفظاظة ضد الكرم :

والفظاظة : ضد الكرم ، فمن كانت له فظاظة غلظ قلبه والكرم لين القلب وانقياده بمنزلة شجر الكرم أينما قدته انقاد ؛ ولذلك سمى جنة العنب كرما .

وكذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال « لا تقولوا للعنب كرما ، إنما الكرم قلب المؤمن » (فى الفائق (٢ / ٤٠٧) : « لا تسموا العنب الكرم، فإنما الكرم الرجل المسلم » قال الزمخشرى : أراد أن يقرر ويشدد ما فى قوله عز وجل : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ بطريقة أنيقة ومسلك لطيف ورمز خلوب : فبصر أن هذا النوع من غير الأناسى المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بألاتؤهلوه لهذه التسمية ولا تطلقوها عليه ، ولا تسلموها له ، غيرة للمسلم التقى ورباً به أن يشارك فيما سماه الله به ، واختصه بأن جعله صفته ، فضلا أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم ؛ وتعترفوا له بذلك ، وليس الغرض حقيقة النهى عن تسمية العنب كرما ، ولكن الرمز إلى هذا المعنى) .

وذلك لأنه لان ورطُب بالرحمة التى حلت به من الله تعالى . وانقاد لعبوديته ، والكافر كز (أى منقبض بخيل) قاسى القلب ، يابس كالصخر ؛ لأن رحمة الله لم تنله فيبسته حرارة النفس وشهواتها . وقواه التجبر والكبر ، فيبس وكز ؛ فإن كان فيه بعض هذه الأخلاق المحمودة فاستعملها ، فبجوهريته استعمل ، لا بمعرفة الله تعالى ، فيجاوز الحدود حتى أفرط وضيع ، وشان (أى عاب) ما حسن منه (**الأمثال من الكتاب والسنة / ٧٣ ـ ٨٢**) .

وفى تناوله لموضوع أدب النفس يتكلم الإمام الماوردى على حسن الخلق فيقول :

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى اختار لكم الإسلام دينا فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما » وقال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدوإ الداء ؟ قالوا بلى قال : الخلق الدنى واللسان البذى . قال بعض الحكماء : من ساء خلقه ضاق رزقه ، وعلة هذا القول ظاهرة.

وقال بعض البلغاء : الحسن الخلق من نفسه فى راحة والناس منه فى سلامة ، والسيء الخلق الناس منه فى بلاء وهو من نفسه فى عناء . وقال بعض الحكماء : عاشر أهلك بأحسن أخلاقك فإن الثواء فيهم قليل . وقال بعض الشعراء :

إذا لم تتسع أخلاق قوم
تضيق بهم فسيحات البلاد
إذا ما المرء لم يخلق لبيبا
فليس اللب عن قدم الولاد

فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار » . وقال بعض الحكماء : من سعة الأخلاق كنوز الأرزاق . وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الأصفياء المسعدين وقلة الأعداء المجحفين ولذلك قال النبى ﷺ : « أحبكم إلى أحسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة . وقد بين رسول الله ﷺ هذه الأوصاف فقال : « أهل الجنة كل هين لين سهل طلق » ولما ذكرنا من هذه الأوصاف حدود مقدرة ومواضع مستحقة كما قال الشاعر :

أصفو وأكدُرُ أحيانا لمختبرى
وليس مستحسنا صفو بلا كدر

وليس يريد بالكدر البذاء وشراسة الخلق فإن ذلك ذم لا يستحسن وعيب لا يرتضى وإنما يريد الكف والانقباض فى موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدود مقدرة ومواضع مستحقة فإن تجاوز بها الحد صارت ملقا وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والملق ذل والنفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا أثر مشكور . وقد روى حكيم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وروى مكحول عن أبى هريرة قال : قال

رسول الله ﷺ : « لا ينبغى لذى الوجهين أن يكون وجيها عند الله تعالى » وقال سعيد بن عروة : لأن يكون لى نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر أحب إلى من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين . وقال الشاعر :

خل النفاق لأهله
وعليك فالتمس الطريقا
وارغب بنفسك أن ترى
إلا عدوا أو صديقا

وقال إبراهيم بن محمد

وكم من صديق وده بلسانه
خؤن بظهر الغيب لا يتذمم
يضاحكنى عجبا إذا ما لقيته
ويقذعنى منه إذا غبت أسهم
كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا
وفى غيبه إن غاب صاب وعلقم

وربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة (الوطاء : السهولة واللين) والطلاقة عبوسا . فمن أسباب ذلك الولاية التى تحدث فى الأخلاق تغيرا وعلى الخلطاء تنكرا إما من لؤم طبع وإما من ضيق صدر . وقد قيل : من تاه فى ولايته ذل فى عزله وقيل : ذل العزل يضحك من تيه الولاية . ومنها العزل فقد يسوء منه الخلق ويضيق به الصدر إما لشدة أسف أو لقلة صبر . حكى حميد الطويل : أن عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه وقال : إنى وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام .

ومنها الغنى فقد تتغير به أخلاق اللئم وتسوء طرائقه أشرا . وقد قيل : من نال استطال وأنشد الرياشى .

غضبان يعلم أن المال ساق له
ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كرام الناس يسألنى
فأكرم الناس من كان له ورق

(الورق : بكسر الراء : الفضة مضروبة أو غير مضروبة ، وبفتح الراء : المال من دراهم وإبل وغير ذلك) .

وقال بعض الشعراء :

لئن تكن الدنيا أنالتك ثروة
فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الأثراء منك خلائقا
من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وبحسب ما أفسده الغنى كذلك يصلحه الفقر ، وكتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج أن أهل الشام قد التاثوا عليه فكتب إليه أن اقطع عنهم الأرزاق ففعل فساءت حالهم فاجتمعوا إليه فقالوا : أقلنا فكتب إلى الحجاج فيهم فكتب إليه إن كنت آنست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى . واعلم أن الفقر جند الله الأكبر يذل به كل جبار عنيد تتكبر . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لولا أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشىء الفقر والمرض والموت » .

ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الاستكانة أو أسفاعلى فائت الغنى . ولذلك قال النبى ﷺ : « كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر » .

وقال أبو تمام الطائى :

وأعجب حالات ابن آدم خَلقُهُ
يضل إذا فكرت فى كُنهه الفكر
فيفرح بالشىء القليل بقاؤه
ويجزع مما صار وهو له ذخر

وربما تسلى من هذه الحالة بالأمانى وإن قل صدقها فقد قيل : قلما تصدق الأمنية ولكن قد يعتاض بها سلوة من هم أو مسرة برجاء وقد قال أبو العتاهية :

حرِّك مُناك إذا اغتممت
فإنهن مراوح

وقال آخر

إذا تمنيت بت الليل مغتبطا
إن المنى رأس أموال المفاليس

ومنهـا الهمـوم التى تـذهل اللـب وتشغل القلب فـلا تتبع الاحتمال . ولا تقـوى على صبـر. وقـد قيل : الهم كـالسم .

وقال بعض الأدباء : الحزن كالداء المخزون فى فؤاد المحزون

وقال بعض الشعراء :

همـــومك بـــالعيش مقـــرونـــة
فمـــا تقطـع العيـش إلا بهـم

إذا تـم أمــــر بـــــدا نقصـــــه
تـــــرقَّب زوالا إذا قيـل تـم

إذا كنـت فـى نعمـــة فــــارعهـــا
فـإن المعـــــاصى تـــــزيـل النعـم

وحـــام عليهـــا بشكـــر الإلـــه
فـإن الإلــــه ســــريـع النقـم

حـــلاوة دنيـــاك مسمـــومـــة
فمـــا تـأكـل الشهـــد إلا بسُـم

فكـم قـــــدَّر دب فـى مهلـــــة
فلـم يعلـم النـــــاس حتى هجـم

ومنها الأمراض التى يتغير بهـا الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الأخلاق على اعتـدال ولا يقدر معها على احتمال .

وقد قال المتنبى :

آلـــة العيش صحـــة وشبـــاب
فـإذا وليـــا عـن المـــرء ولـى

أبـــدا تستـــرد مـــا تهب الـــدنـــيا فيـاليـت جـودهـا كـان بخـلا

ومنها علـو السن وحدوث الهرم لتأثيره فى الجسد كذلك يكـون تأثيـره فى أخـلاق النفس فكمـا يضعـف الجسـد عن احتمـال ما كـان يطيقـه من أثقال فكـذلك تعجـز النفس عن أثقال ما كنت تصبر عليه من مخالفة الـوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه . وقال منصور النميرى :

مـــا كنت أوفـى شبـابـى كنـه عـــزتـــه
حتى مضى فـإذا الـــدنيـــا لــــه تبع

أصبحـت لـم تطعمـى ثكـل الشبــــاب ولـم
تشجـى لغصتـــــه فــــالعـــذر لا يقـع

مـــا كـــان أقصــر أيـام الشبـــاب ومـــا
أبقـى حـــــلاوة ذكـــــراه التـى تـــدع

مـــا واجـــه الشيب من عين وإن رمقت
إلا لهـــا نبـــوة عنـــه ومـــرتـــدع

قـد كـدت تقضى علـى فـوت الشبـاب أسىً
لـــولا يعــــزيك أن العمـــر منقطع

فهذه سبعة أسبـاب أحدثت سوء خلق كان عـاما . وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذى تنفر منـه النفس فتحـدث نفورا عن المبغض فيـؤل إلى سـوء خلق يخصه دون غيره فـإذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالضد .

(أدب الدنيا والدين ط / ٢١٦ـ ٢٢٠ ، ط ٢٩٢ـ٢٩٧) .

ونختتم بما أورده الإمام ابن قدامة فى فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق . قال رحمه الله :

واعلم : أن الناس قـد تكلموا فى حسن الخلـق متعرضين لثمرتـه لا لحقيقته ، ولم يستوعبـوا جميع ثمراتـه ، بل ذكر كل منهم ما حضر فى ذهنـه ، وكشف الحقيقة فى ذلك أن يقال : كثيـرا مـا يستعمل حسن الخُلـق مع الخَلق ، فيقـال : فـلان حسن بالخَلق والخُلق ، أى حسن الظاهـر والباطن ، فالمراد بالخَلق : الصورة الظاهرة ، والمراد بالخُلق : الصورة الباطنة ، وذلك أن الإنسان مركب من جسد ونفس .

فالجسد مدرك بالبصـر ، والنفس مدركة بالبصيرة ، ولكل واحـدة منهمـا هيئـة وصورة إمـا جميلـة أو قبيحـة ، والنفس المدركـة بالبصيـرة أعظم قدرا من الجسـد المدرك بـالبصر ، ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى أمره فقال : ﴿ **إنى خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى** ﴾ [صٓ : ٧١ ، ٧٢] فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح منسوب إليه سبحانـه وتعالى ، فالخلق عبارة عن هيئـة للنفس راسخة تصدر عنهـا الأفعال بسهـولة ويسـر من غير حـاجة إلـى فكر

وروية ، فإن كانت الأفعال جميلة سميت خلقا حسنا ، وإن كانت قبيحة سميت خلقا سيئا .

وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة فاستثقل الرياضة ، أن الأخلاق لا يتصور تغييرها ، كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر.

والجواب : أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى ، وكيف تنكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشى يستأنس ، والكلب يعلم ترك الأكل ، والفرس تُعَلَّم حسن المشى وجودة الانقياد ، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح ، وبعضها مستصعبة .

وأما خيال من اعتقد أن ما في الجبلة لا يتغير ، فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية ، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط ، وأما قمعها بالكلية فلا ، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة ، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان . أو شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بالكلية ، لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه . وقد قال الله تعالى : ﴿ أشداء على الكفار ﴾ [الفتح : ٢٩] ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب ، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، ولم يقل : الفاقدين الغيظ .

وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والتقلل، قال الله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] إلا أن الشيخ المرشد للمريد إذا رأى له ميلا إلى الغضب والشهوة، حسن أن يبالغ في ذمهما على الإطلاق ليرده إلى التوسط ، ومما يدل على أن المراد من الرياضة الاعتدال أن السخاء خلق مطلوب شرعا ، وهو وسط بين طرفى التقتير والتبذير وقد أثنى الله عليه بقوله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

واعلم أن هذا الاعتدال . تارة يحصل بكمال الفطرة منحة من الخلق، فكم من صبى يخلق صادقا سخيا حليما ، وتارة يحصل بالاكتساب ، وذلك بالرياضة ، وهى حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب، فمن أراد تحصيل خلق الجود، فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعا له .

وكذلك من أراد التواضع تكلف أفعال المتواضعين ، وكذلك جميع الأخلاق المحمودة فإن للعادة أثرا في ذلك ، كما أن من أراد أن يكون كاتبا تعاطى فعل الكتابة ، أو فقيها تعاطى فعل الفقهاء من التكرار، حتى ينعطف على قلبه صفة الفقه ، إلا أنه لا ينبغى أن يطلب تأثير ذلك في يومين أو ثلاثة ، وإنما يؤثر مع الدوام ، كما لا يطلب في النمو علو القامة في يومين أو ثلاثة . وللدوام تأثير عظيم .

وكما لا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعات ، فإن دوامها يؤثر، وكذلك لا يستهان بقليل الذنوب .

وكما أن تعاطى أسباب الفضائل يؤثر في النفس ويغير طبعها ، فكذلك مساكنة الكسل أيضا يصير عادة ، فيحرم بسببه كل خير .

وقد تكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير ، فإن الطبع لص يسرق الخير والشر.

قلت : ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »

(مختصر منهاج القاصدين / ١٥٢ ، ١٥٣) .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٩٢ ـ ٩٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى / ٢٥٠ ـ ٢٥٣ ، والأمثال عن الكتاب والسنة لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى ـ تحقيق على محمد البجاوى . دار التراث . القاهرة د. ت / ٧٣ ـ ٨٢ ، وأدب الدنيا والدين ط المطبعة الأميرية / ٢١٦ ـ ٢٢٠ ، وط الدار المصرية اللبنانية ـ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر / ٢٩٢ ـ ٢٩٧ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٥٢ ، ١٥٣ . انظر أيضا المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية م ١ / ٣٩٢ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ١٥٢ ، ١٥٣) .

* حسن رضا (١٢٦٥-١٣٣٨ هـ / ١٨٤٩-١٩٢٠ م)

من الخطاطين . حسن رضا بن أحمد نظيف أفندى ولد

سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م في جهة أسكدار نال تعليمه في مدرسة قبطان باشا ثم مدرسة حافظ مغيب أفندي . وكانت بدايته في الخط في هاتين المدرستين ، ثم أخذ دروسا على يد صوحي حسين أفندي ويحيي أفندي .

بعد وفاة والده انتمى إلى فريق الموسيقى الهمايوني (السلطانية) وتعلم فيها حسن الخط على يد شفيق بك (الثلث والنسخ) وبعد ذلك أخذ فنون الخط عن قاضي عسكر (عزت أفندي) .

عمل إماما في نفس المدرسة المذكورة بعد تخرجه ثم معلما لحسن الخط ، وعند افتتاح مدرسة الخطاطين في استانبول في ٣١ مارس سنة ١٩١٤ عين فيها معلما لخطوط النسخ والثلث والريحاني .

انفصل عن العمل لمرض أصاب عينيه وفي ٢ مارس سنة ١٩٢٠ م (١٣٣٨ هـ) انتقل إلى رحمة الله تعالى (ذكر أن وفاته سنة ١٣١٧ و ١٣٣٦ . انظر مصور الخط ص ٣٥٣ . ناجي المصرف) .

إن عدد ما كتبه الشيخ حسن رضا من المصاحف الشريفة ثمانية عشر مصحفا بمختلف الحجوم ، وبصورة أجزاء متفرقة (مجلة الرسالة الإسلامية . العدد ١٣٤ و ١٣٥ السنة ١٣ ، مقالة عبد الله عبد المجيد السفوي : « الخطاط حسن رضا والمصاحف التي كتبها ») .

ومن تلاميذه الخطاط مصطفى حليم وعبد القادر توفيق .

(نفائس الخط العربي ـ حسن قاسم حبش / ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ملاحظة الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب بدائع الخط العربي لناجي زين الدين المصرف ، شكل ٢٩٧ ص ٣٣١ وجاء عنوانها كما يلي : صفحة نموذجية لتسويد حروف مفردة ومركبة بخط ثلث موزونة بمعيار النقط كتبها الحاج حسن رضا سنة ١٣١٨ هـ .

*** أبو الحسن السجلماسي (ـ ١٠٥٧ هـ / ـ ١٦٤٧ م) :**

علي بن عبد الواحد بن محمد بن سراج المكنى بأبي الحسن الجزائري الأنصاري يرتفع في نسبه إلي سعد بن عبادة نشأ بسجلماسة وأقام بمصر مدة واستقر بفاس أخذ عن أئمة أهل فاس منهم أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن علي بن طاهر الحسني ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي ، والشهاب المقري وغيرهم وكان إماما حافظا محدثا متقنا نصب مفتيا في الجبل الأخضر بفاس وأخذ عنه أبو مهدي عيسى الثعالبي وأبو عبد الله الموهوب وأحمد بن عبد الواحد وغيرهم .

له مؤلفات عدة منها : شرح التحفة ، ونظم السيرة النبوية ، وعقد الجواهر في نظم النظائر ، واليواقيت الثمينة في الفقه ، ومسالك الوصول في مدارك الأصول . وله نظم في علوم عدة .

توفي بالجزائر سنة ١٠٥٧ هـ .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ٩٥) .

*** أبو الحسن الشاذلي (٥٩١ ـ ٦٥٨ هـ / ١١٩٥ ـ ١٢٥٨ م) :**

قطب صوفي كبير، أسس الطريقة الشاذلية ، التي تفرعت منها نحو ١٥ طريقة صوفية ، كالوفائية ، والجزولية . تتلمذ في التصوف على أصحاب الجنيد ، وعلى عبد السلام بن مشيش .

جاء نسبه في طبقات الأولياء لابن الملقن بأنه علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي ، نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية ، الضرير الزاهد ، نزيل الإسكندرية ، وشيخ الطائفة الشاذلية . وقد انتسب ـ في بعض مصنفاته ـ إلى الحسن بن علي بن أبي طالب فقال بعد يوسف المذكور ـ بن يوشع بن برد بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وتوقف فيه اهـ .

وجاء نسبه في نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجي على النحو التالي ، وقد ذكر ولادته كانت سنة ٥٥١ هـ :

نقل ابن عباد نسبه من كتاب اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري بقوله هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن

حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد ابن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اهـ وفيه أنه لم يكن من أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب وإن الذي أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اهـ فصوابه محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب اللهم إلا أن يقال أن ولد الابن ابن قال بعضهم على أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية قرب تونس .

وقد ذكره البدر العيني في وفيات سنة ٦٥٦ هـ وقال عنه :

الشيخ العارف أبو الحسن علي بن عبد الله ، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ، الشاذلي الضرير .

مات بصحراء عيذاب وهو قاصد الحجاز، ودفن بحُمَيْثَرا حيث توفي .

وكان أحد المشايخ المشهورين بمعرفة الطريق ، وله في ذلك كلام كثير، وتصانيف معروفة (انظر هدية العارفين ١ / ٧٠٩) ، ونسبته إلى شاذلة قرية بإفريقية ورد منها إلى الإسكندرية وسكنها ، وحج مرارا، وصحبته جماعة فانتفعوا بصحبته ، وله حزب يقرأه الناس مشتمل على أدعية مباركة ولطائف حسنة يتبرك بقراءته (عقد الجمان ١ / ١٩٢ ـ ١٩٣) .

كما ذكره ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ في وفيات سنة ٦٥٦ .

وجاءت ترجمته على النحو التالي :

وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم ابن هرمز الشاذلي المغربي : رأس الطريقة الشاذلية ، من المتصوفة قال الصفدي : وهو رجل كبير القدر ، كثير الكلام، عالي المقام ، له نظم ونثر ، فيه متشابهات وعبارات، يتكلف له في الاعتذار عنها . ولد سنة ٥٩١ هـ في قرية غمارة من قرى الجمهورية التونسية ، وتفقه وتصوف بتونس ، وسكن شباذلة فنسب إليها . وقد انتسب في بعض مصنفاته إلى علي بن أبي طالب ، قال الحافظ الذهبي : «هذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت ، وكان الأولى تركه » .

وكان ضريرًا ، ورحل إلى المشرق فحج ودخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية توفي بصحراء عيذاب ، قاصدا الحج ، فدفن هناك (كتاب الوفيات / ٣٢٣ وهامش ١) .

ويضيف الزركلي قوله : نشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) ... وطلب « الكيمياء » في ابتداء أمره ، ثم تركها ثم إلى بلاد المشرق فحج ودخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية (الأعلام ٤ / ٣٠٥) .

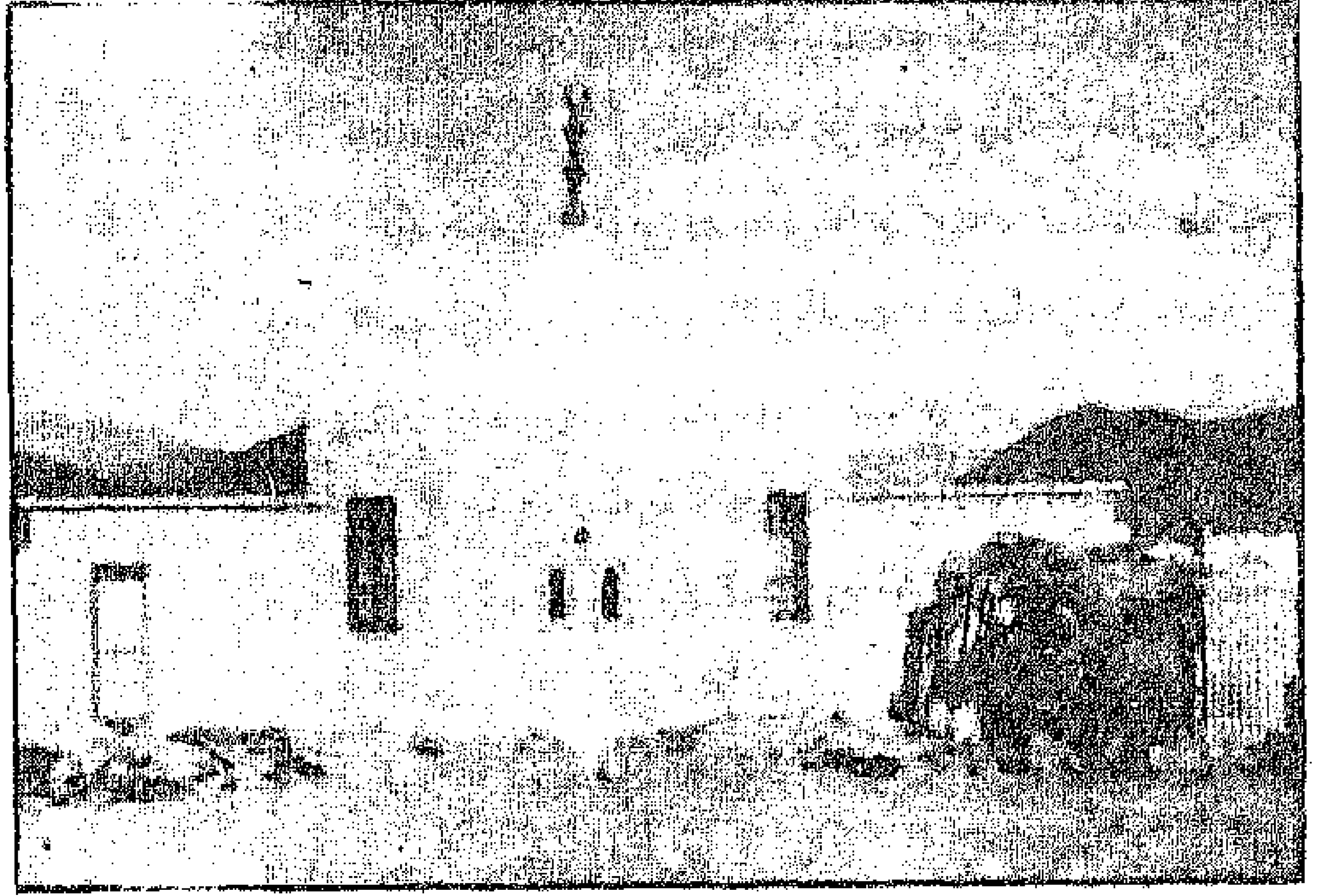
كما ذكره السيوطي فيمن كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية وقال عنه :

الشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية هو الشريف تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : ما رأيت أعرف بالله من الشاذلي .

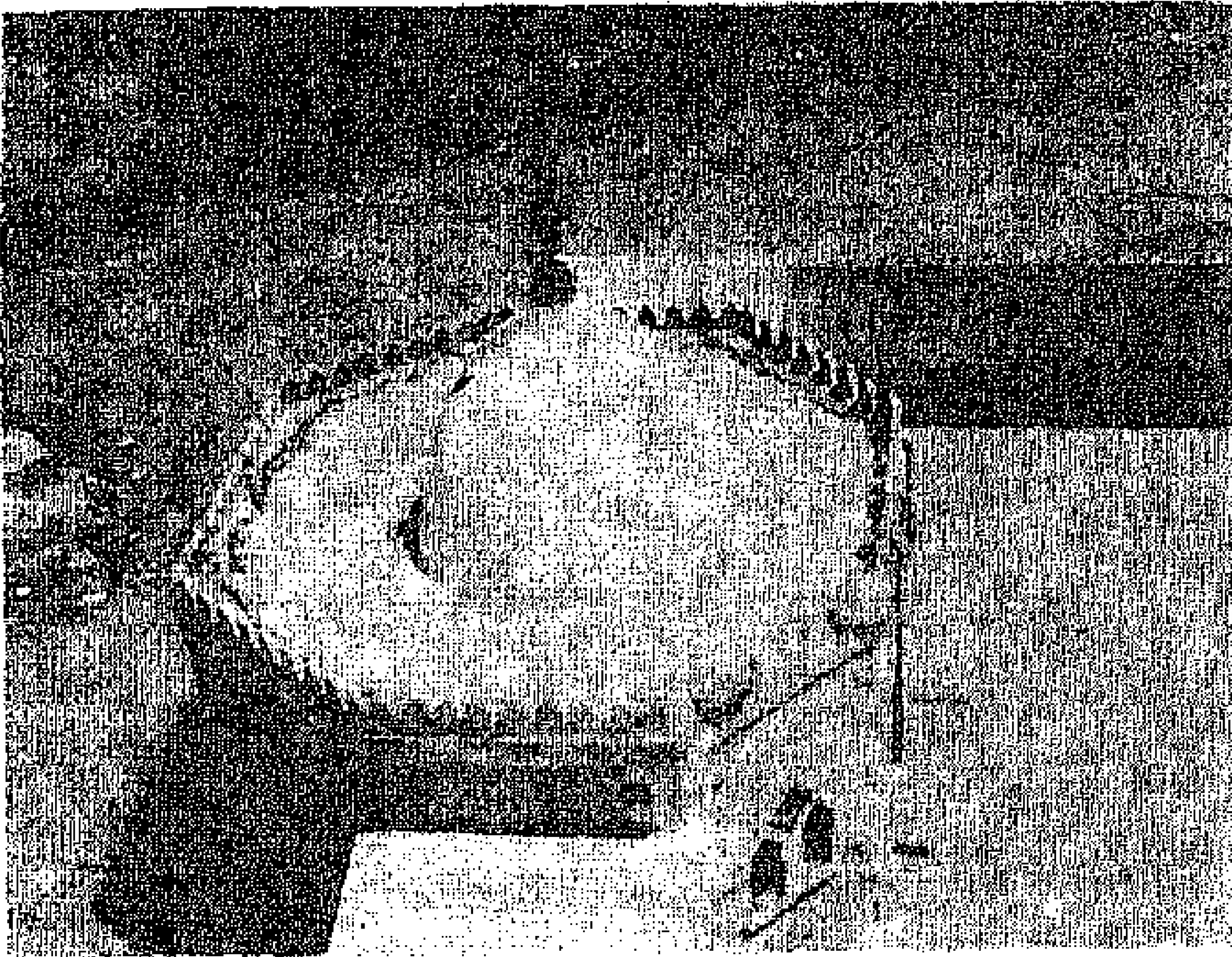
وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : منشؤه بالغرب الأقصى ، ومبدأ ظهوره بشاذلة ، وله السياحات الكثيرة ، والمنازلات الجليلة ، والعلوم الكثيرة ، لم يدخل في طريق الله حتى كان يعد المناظرة في العلوم الظاهرة ، وعلوم جمة ، جاء في هذا الطريق بالعجب العجاب ، وشرح من علم الحقيقة الأطناب ، ووسع للسالكين الركاب . وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يحضر مجلسه ، ويسمع كلامه . قال الشيخ تاج الدين : أخبرني والدي قال : دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، فسمعته يقول : والله لقد يسألونني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب ، فأرى الجواب مسطرا في الدواة والحصير والحائط مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة بصحراء عيذاب متوجها إلى مكة (حسن المحاضرة ١ / ٥٢٠) .

قال ابن الملقن : كان أبو الحسن الشاذلي كبير المقدار ، عالي المقام ، له نظم ونثر ومتشابهات ، وعبارات فيها رموز ، صحب الشيخ نجم الدين بن الأصفهاني نزيل الحرم . ومن أصحابه الشيخ أبو العباس المرسي .

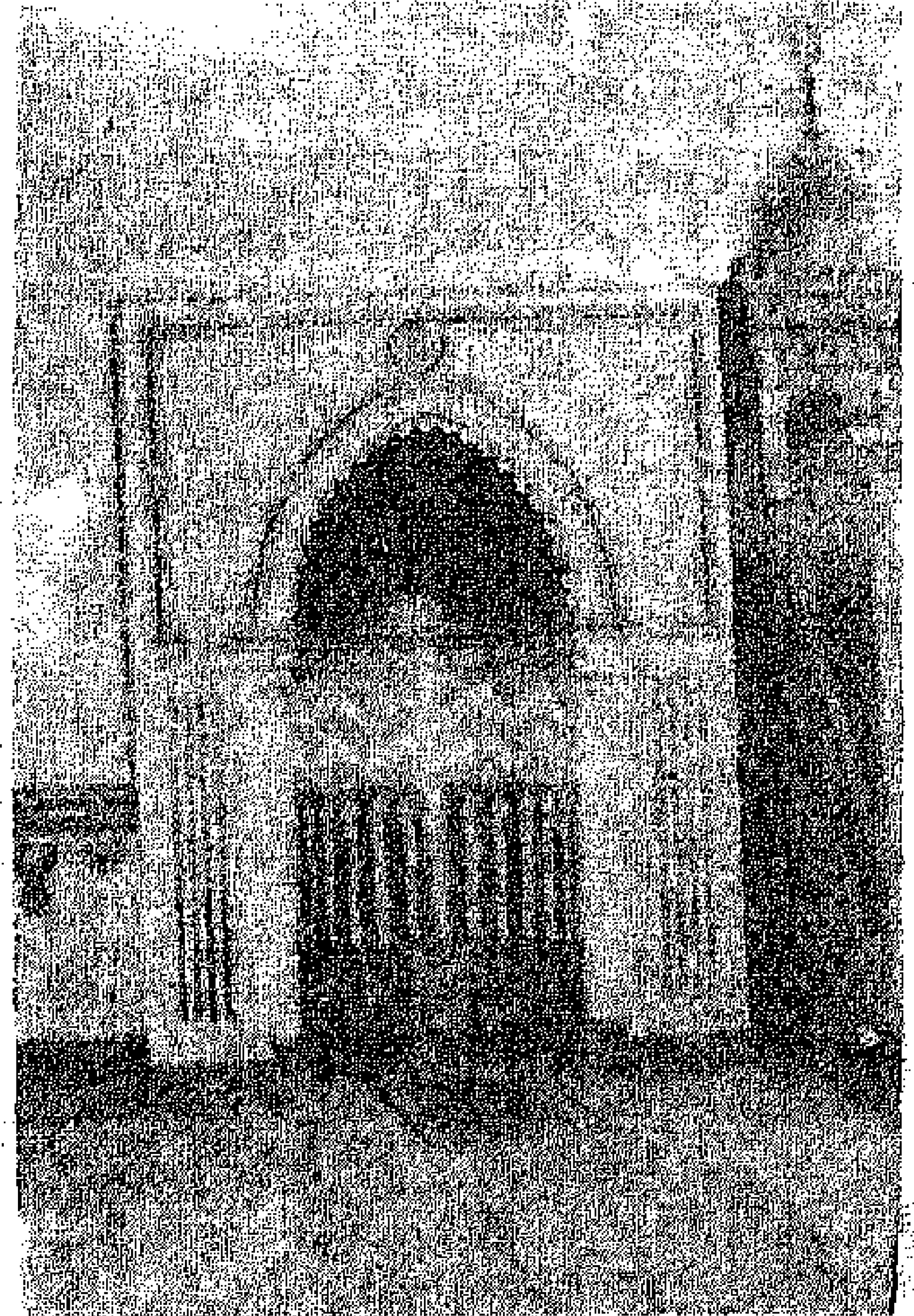
حج مرات ، ومات بصحراء عيذاب ، فدفن هناك ، في أول ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ .



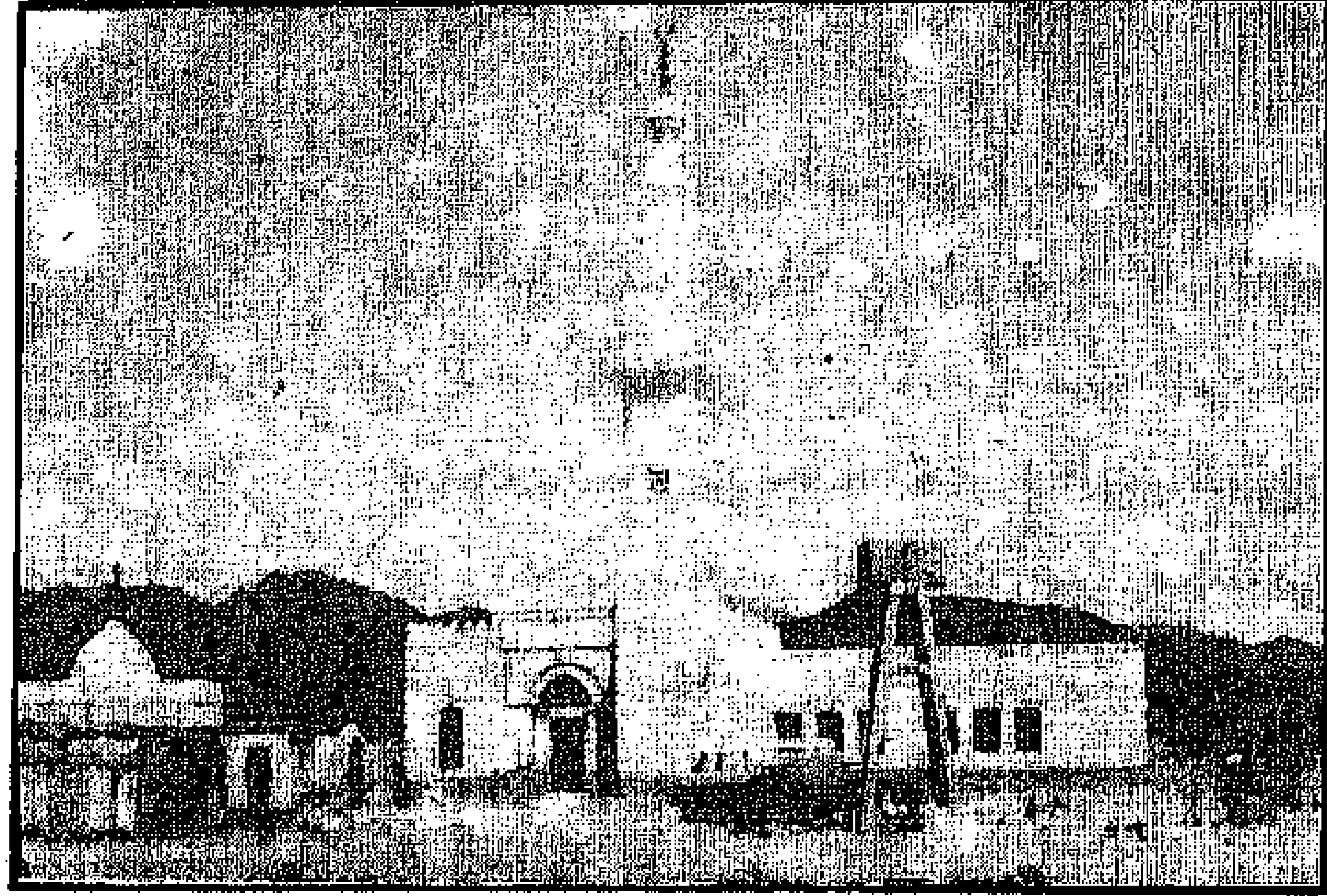
لوحة (١٤٢) ضريح سيدى أبي الحسن القديم بحميثرى قرب عيذاب



لوحة (١٤٣) قبة ضريح سيدى أبي الحسن الشاذلي القديمة



لوحة (١٤٤) محراب مسجد سيدى أبي الحسن الشاذلي الجديد



وتكلم فيه القبارى ، وقد انتصب بعض الحنابلة إلى حربه ، فرد عليهم ، وما هو من حزبه ا هـ (طبقات الأولياء / ٤٥٩)

وكتب عنه صاحب نور الأبصار يقول :

نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار فى الفضائل طيره وحمد فى الطريق سراه وسيره نظم فرفق ولطف وتكلم على الناس فقرط الآذان وشنف وطاف وجال ولقى الرجال وقدم الإسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلى رضى الله عنه ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية وسيرته النبوية وكان يقرأ ابن عطية والشفاء وأخذ عنه العز ابن عبد السلام وله أجزاء محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك فقال : أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فإنى استقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية انتهى قال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتى فإذا النداء يا على قد استجبنا لك وكان يقول قيل لى ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس عبد العظيم المنذرى وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان رضى الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبد السلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذرى وابن الصلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشفاء ويمشون بين يديه إذا خرج ...

وحج مرارا . قال ابن دقيق العيد، ما رأيت أعرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه يقدم عليكم مغربى زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه فدخل الإسكندرية فآذوه فظهرت كرامات أوجبت اعتقاده رضى الله عنه قال الشعرانى فى خاتمة المنن حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يقول لا يكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع :

شماتة الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء ، فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به .

ثم يذكر صاحب نور الأبصار وصية الشاذلى الجامعة فارجع إلى المصدر إن شئت الاستزاده فى طبعة دار الغد العربى ٤٣٧ - ٤٤٠ .

وقد ذكره الأستاذ عبد الله التليدى فى تراجمه لبعض مشاهير أولياء المغرب وقال عنه : ذلك القطب الكبير والغوث الشهير شيخ الطريقة الشاذلية وإمامها أبو الحسن سيدى على ابن عبد الله بن الجبار ، ينتمى نسبه إلى سيدى عمر بن مولاى إدريس المثنى بن مولاى إدريس الأكبر دفين زرهون وفاتح المغرب (أوردنا ترجمته تحت عنوان « إدريس عبد الله » فى م ٣ / ٣٧٠ - ٣٧٣ من هذه الموسوعة فانظرها فى موضعها) .

ولد أبو الحسن بقبيلة الأخماس الغمارية بقريه بنى زرويل بقرية اشتنواغل ، ولا يزال البيت الذى ولد فيه محفوظا متبركا بـه إلى الآن (وقد أنجبت هـذه القبيلة عـدة شخصيات كبيـرة كالإمام على بن عبد الحق أبى الحسن الصغير صاحب التقييد على المدونة والعارف بالله سيدى محمد بن سعادة ، والعارف سيدى عبد الوارث اليصلـوتى ، والعـارف بالله سيـدى أحمد أقطران ، والعـارف سيدى عبد الله الهبطى ، والعـارف سيدى يوسف التليدى وغيرهم من الأكابر . والأخماس : من عمالة شفشاون تكتنفهـا عدة قبـائل : فشرقـا بنو خـالد الغمـارية ، وشمالا بنو سجيل ، وغربا بنو يوسف ، وجنوبا اغزاوة ، وهذه القبيلة تمتاز كجاراتها بأشجار الزيتون والتين وكثرة المعز) .

نشأ ببلدته وحفظ القرآن ، وطلب العلم ، ورحل إلى فاس فقرأ على كبار علماء وقته حتى أصبح من كبار علماء الظاهر بحيث كان يعد للمنـاظرة فى العلوم الظاهـرة ، ثم تاقت نفسه لعبادة الله عز وجل فتزهد وتنسك وجاهد نفسه وراضها صياما وقياما وتلاوة وذكرا ، وساح وجال ، ولزم الخلوة والانقطاع عن النـاس . أخذ أولا طـريقة القـوم على وجـه التبرك بفـاس عن الشيخ ولى الله سيدى محمد بن حرازم ابن الشيخ سيدى على ابن حـرازم ، ثـم جعل يطلب القطب فبلغ بـه المطـاف إلى العـراق ، فـاجتمع بـالعارف أبى الفتح الـواسطى فقـال لـه : تطلب القطب بالعـراق وهو فى بلادك ارجع إلى بـلادك تجده فرجع إلى المغرب فـاجتمع بمولانا عبد السـلام ، وعندما أراد مغادرتـه أوصاه بوصـايا نافعـة : ... وأخبره بما سيقع لـه وأنه سيسكن مصـر ، وعين له بعض من يأخـذ عنه ، ثم انصـرف متوجها للديار الشرقية فمر فى طريقه على تونس وأقام بها مدة بشاذلـة ، ثم أوذى من طرف بعض أمرائها فـرحل إلى مصر ، وسكن الإسكندرية ، وحج مرارا .

وأخذ عنه أكابر أئمة الإسلام ، ومن أبرزهم وأشهرهم وارث سره العارف الكبير سيدى أبـو العبـاس المرسى ، والعـارف مكين الـدين الأسمر ، وسلطـان العلماء العـز بن عبد السـلام رضى الله تعالى عنهم ، وكـان معاصرا لابن العـربى الحاتمى وأبى الحسن الششترى وابن سبعين وقطب الـدين القسطلانى والحافظ عبـد العظيم المنذرى ، والقرطبى المفسـر ، وغيرهم من الأكابر .

تـرجمـه كثيـر من المـؤرخين (كمـا سيأتى بعـد) وأفـرده جماعة بالتأليف ومن أجمع مـا وضع فى حياته وأخباره كتاب أبى الحسن الشاذلى لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود [رحمه الله] ، وقـد ذكر ابن عطـاء الله فى « لطائف المنن » كثيـرا من أخباره وكلامه ومناقبه وكراماته وأثنى عليه جماعة من الأكابر ، وحلوه بأوسمـه رائقة ، ووصفـوه بالقطبانيـة الكبرى فـذكر ابن عطاء فى اللطائف أن الشيخ العراف مكين الدين الأسمر أخبره فقال : حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيبخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ محيى الدين بن سراقة ، والشيخ محيى الدين الأخيمى ، والشيخ أبو الحسن الشاذلى ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وهـم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صـامت إلى أن فرغ كـلامهم فقال الأسمر : يـا سيدى نـريد أن نسمع منك . فقال : أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم .

فقالوا : لا بد أن نسمع منك . قال : فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بـالأسرار العجيبـة ، والعلوم الجليلة ، فقـام الشيخ عـز الدين وخـرج من صدر الخيمـة وفارق مـوضعه وقـال : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله ا هـ .

وبالجملـة فأبو الحسن الشاذلى رضى الله تعـالى عنه من أفراد هـذه الأمة وأكابر أقطـابها ، ويعتبر المحور الـذى تدور عليه الطـرق الشاذليـة المنتشرة فى العـالم الإسلامـى ، ويعد المجدد لطريق التصوف فى القرن السابع الهجرى والناشر لها والداعى إليها ، وقد ترك بعده وخلف وراءه أئمة كبارا للتصوف والصـوفية لـو لم يكون منهـم إلا سيدى أبـو العباس المـرسى لكان كافيا ، فكيف بغيره من العباقرة والأعلام (المطرب / ١٢٦ ـ ١٢٨) .

ومـن كرامـات الشيـخ أبـى الحسن الشاذلـى ما نقلـه ابـن بطوطة فى رحلته قال : أخبرنى الشيخ ياقوت العرشى عن شيخه أبى العباس المرسى : أن أبا الحسن كان يحج فى كل سنة ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ، ويجاور بمكة شهر رجب ومـا بعـده إلى انقضاء الحـج ، ويزور القبـر الشـريف

ويعود على الدرب الكبير إلى بلده ؛ فلما كان فى بعض السنين (وهى آخر سنة خرج فيها) قال لخادمه : استصحب فأسا وقفة وحنوطا (الحنوط طيب يخلط للميت خاصة) وما يجهز به الميت ، فقال له الخادم : ولماذا يا سيدى ؟ فقال له : فى حميثرا سوف ترى ؛ وحميثرا فى صعيد مصر فى صحراء عيذاب ؛ وبها عين ماء زعاق (الزعاق : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه) وهى كثيرة الضباع . فلما بلغا حميثرا ، اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين ، وقبضه الله عز وجل فى آخر سجدة من صلاته ، ودفن هناك . وقد زرت قبره ، رضى الله عنه اهـ (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ١٧ ونور الأبصار / ٤٤١) .

ولأبى الحسن الشاذلى الأوراد المسماة « حزب الشاذلى » ، وللشيخ تقى الدين بن تيمية مصنف فى الرد على ما قاله فى حزبه ، و « الأمين » رسالة فى آداب التصوف رتبها على أبواب ، و « السر الجليل فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل » (كتاب الوفيات / ٣٢٣) ونزهة القلوب .

وبغية المطلوب ، مخطوط فى شستربتى (١ / ٦٩) ولأحمد بن محمد بن عياد كتاب « المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية » مطبوع ، فى سيرته (الأعلام ٤ / ٣٠٥) .

توفى سيدى أبو الحسن الشاذلى بصحراء عيذاب بمصر فى طريقه للحج سنة ست وخمسين وستمائة كما سبق القول ، ولا يزال ضريحه موجودا إلى الآن ، وقد جدد بناؤه مع غرف للزوار فى هذا العصر على يد بعض المصريين (المطرب / ١٣٠ ، ١٣١) .

وقد ورد فى رحلتى ابن جبير وابن بطوطة وفى الخطط المقريزية ، أن عيذاب كان فرضة (ميناء) على بحر القلزم ، وأنه لا عمارة فيها ، ولكنها كانت من أشهر المراسى فى البحار ، تأتى إليها سفن اليمن والحبشة والهند ، وكانت طريق الحج المصرى ، يسير إليها الحجاج . عن طريق قوص ، ثم يركبون منها إلى جدة ، وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى سنة يتوجهون إلى الحجاز عن طريق عيذاب ، ثم أبطل استعمال هذا الطريق فى سنة ٧٦٦ هـ وقد اندثرت عيذاب منذ القرن العاشر الهجرى وتلاشى طريقها ، وتحول عنها الحجاج والقوافل التى كانت تسير بين عيذاب وقوص إلى طريق السويس ، فالعقبة ، فالساحل الشرقى للبحر الأحمر إلى جدة .

ويصف ابن جبير طريق الحج من قوص إلى عيذاب فيقول : المقصد عن قوص إلى عيذاب على طريقين : أحدهما يعرف بطريق العبدين وهو أقصر ، أما الطريق الآخر فيعرف بالحميثرى ، وهو الطريق الذى سلكه شيخنا أبو الحسن فى رحلته الأخيرة إلى البلاد الحجازية حيث وافته المنية سنة ٦٥٦ ودفن بمنزلة حميثرى .

ويتكون ضريح سيدنا أبى الحسن الشاذلى القديم من مبنى مثمن الشكل بكل ضلع من أضلاعه السبعة نافذة ، واحدة مستطيلة والثانية على شكل قمارى (أى فتحتان معقودتان تعلوهما دائرة أو معين) وهكذا بالتناوب ، أما الضلع الثامن فيوجد به مدخل الضريح . ويتوسط الضريح ثمانية أعمدة تقوم فوقها قبة مرتفعة تعلوها قبة مدببة . وقد غطى الجزء المحصور بين القبة والمثمن الخارجى سقف مسطح ، كما زخرف أعلى جدران المثمن بشرافات مسننة . وفى جنوب الضريح أقامت وزارة الأوقاف الآن مسجدا ووصلت بينه وبين مدخل الضريح بممر مسقوف . وقد زودت المسجد بميضأة ودورة للمياه كما أقامت فى الجهة الجنوبية والغربية من المسجد مدرسة لتحفيظ القرآن وسكنا لشيخ المسجد والقائم بالتدريس فى المدرسة (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ / ٢٦٥ ـ ٢٦٧) .

له ترجمة فى : هدية العارفين ١ / ٧٠٩ ، الوافى بالوفيات ١٢ / ٩٢ ، ٩٣ ، طبقات الشعرانى ٢ / ٥ ـ ١٥ ، جامع الكرامات العلية / ١٥ ـ ٥٨ ، مناقب أبى الحسن الشاذلى للفاسى ؛ على سالم عمار : أبو الحسن الشاذلى دائرة المعارف الإسلامية : الشاذلى ؛ كشف الظنون / ٤٠٤ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، إيضاح المكنون ١ / ٥٥٩ ، ٢ / ٩٧ ، ٢٦٤ ، مجلة العالم الإسلامى (بالإنجليزية) السنة الثانية عشرة / ٢٥٧ ـ ٢٧٩ ، معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، شذرات

الذهب ٥ / ٢٧٨ ؛ لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، لابن عطاء السكندرى ؛ نفحات الأنس / ٥٦٧ ـ ٥٧٠ ؛ الكواكب الدرية ؛ جامع كرامات الأولياء ٢ / ١٧٥ ــ ١٧٧ ؛ أبو الحسن الشاذلى للدكتور عبد الحليم محمود ؛ المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية لأحمد بن محمد بن عياد ؛ نكت الهيمان / ٢١٣ ، العبر ج ٥ وفيات سنه ٦٥٦ هـ (كتاب الوفيات / ٣٢٣) .

(نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشبلنجى ط مكتبة الجمهورية القاهرة / ٢٤٣ ــ ٢٤٨ ، وط دار الغد العربى . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٨ / ٤٣٤ ـ ٤٣٦ ، وعقد الجمان لبدر الدين محمود العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ١٩٢ ، ١٩٣ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٢٣ وهامش ١ للمحقق ، والأعلام للزركلى ٤ / ٣٠٥ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٢٠ ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ــ حققه وخرجه نور الدين شريبة / ٤٥٩ ، والمطرب بذكر بعض مشاهير أولياء المغرب ـ عبد الله التليدى / ١٢٦ ـ ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ومهذب رحلة ابن بطوطة ـ أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولى . المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤ ، ١ / ١٧ ؛ ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٢ / ٢٦٥ـ٢٦٧) .

انظر : حزب البر ، الشاذلية (الطريقة ـ) .

*** حسن الشطى (١٢٠٥ـ١٢٧٤ هـ / ١٧٩٠ـ١٨٥٨ م) :**

نسبه ونشأته :

حسن بن عمر بن معروف الشطى الفقيه الحنبلى الفرضى الهندسى ولد سنة ١٢٠٥ هـ بدمشق وأصله من بغداد ورحل أهله إلى الشام ونزلوا بدمشق وهناك نشأ المترجم له فتعلم القرآن والعلوم ولازم العلماء وتخرج بهم ولم يزل يستزيد حتى عرف بين الناس بالتفوق والتبحر فقصدوه لأخذ العلم عنه ولم يشغله التدريس عن التصنيف .

مؤلفاته ووفاته :

من مؤلفاته شرح زوائد الغاية وشرح عقيدة السفارينى ، وبسط الراحة فى مسائل المساحة ، ورسائل فى البسملة الشريفة وفسخ النكاح والتقليد والتلفيق فى الأصول .

توفى رحمه الله سنة ١٢٧٤ هـ .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ــ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٥٣) .

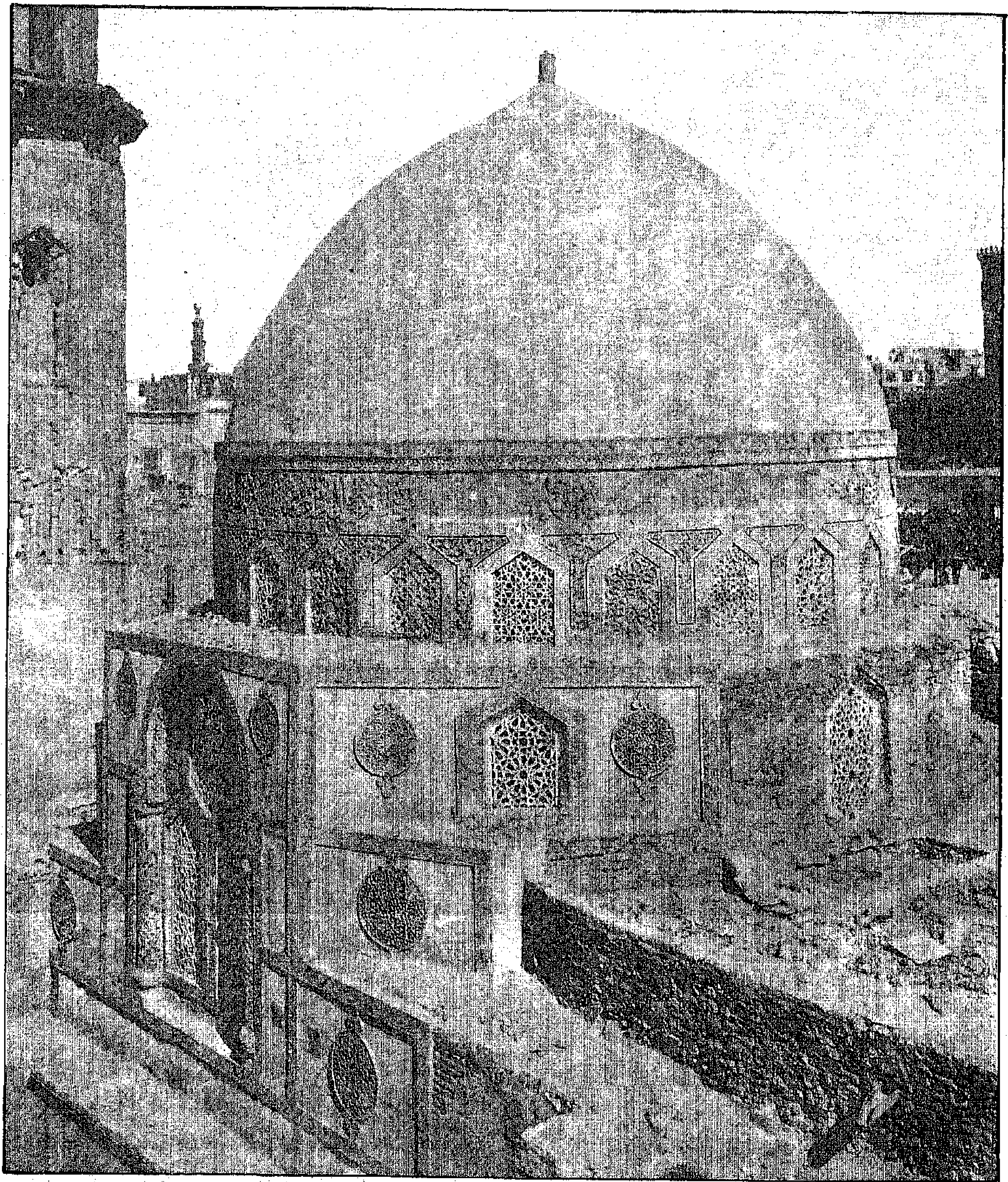
*** حسن صدقة (المدرسة السعدية ، مدرسة وقبة سنقر السعدى) (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) : أثر ٢٦٣ .**

تقع هذه القبة بشارع السيوفية وكانت ضمن المدرسة السعدية التى أنشأها الأمير شمس الدين سنقر السعدى أحد أمراء الناصر محمد بن قلاون سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) وقد سميت بقبة حسن صدقة بالنسبة إلى الشيخ حسن صدقة المدفون بها .

ولم يبق من هذه المدرسة سوى المدخل والقبة والمنارة . فالمدخل يقع فى طرف وجهة القبة يغطيه مقرنص من ثلاث حطات فوقه طاقية العقد وأسفله شباك على كل من جانبيه ثلاثة أعمدة رخامية صغيرة وتغطيه مقرنصات جميلة . وأسفل الشباك إطار زخرفى يحيط بعتب الباب الملبس بالرخام الأحمر والأبيض . هذا ويعلو المدخل زخارف جصية مفرغة غاية فى الدقة والجمال شأنها شأن الزخارف الجصية التى تحلى رقبة القبة وقاعدتها ، وهى أهم ما امتاز به هذا الأثر .

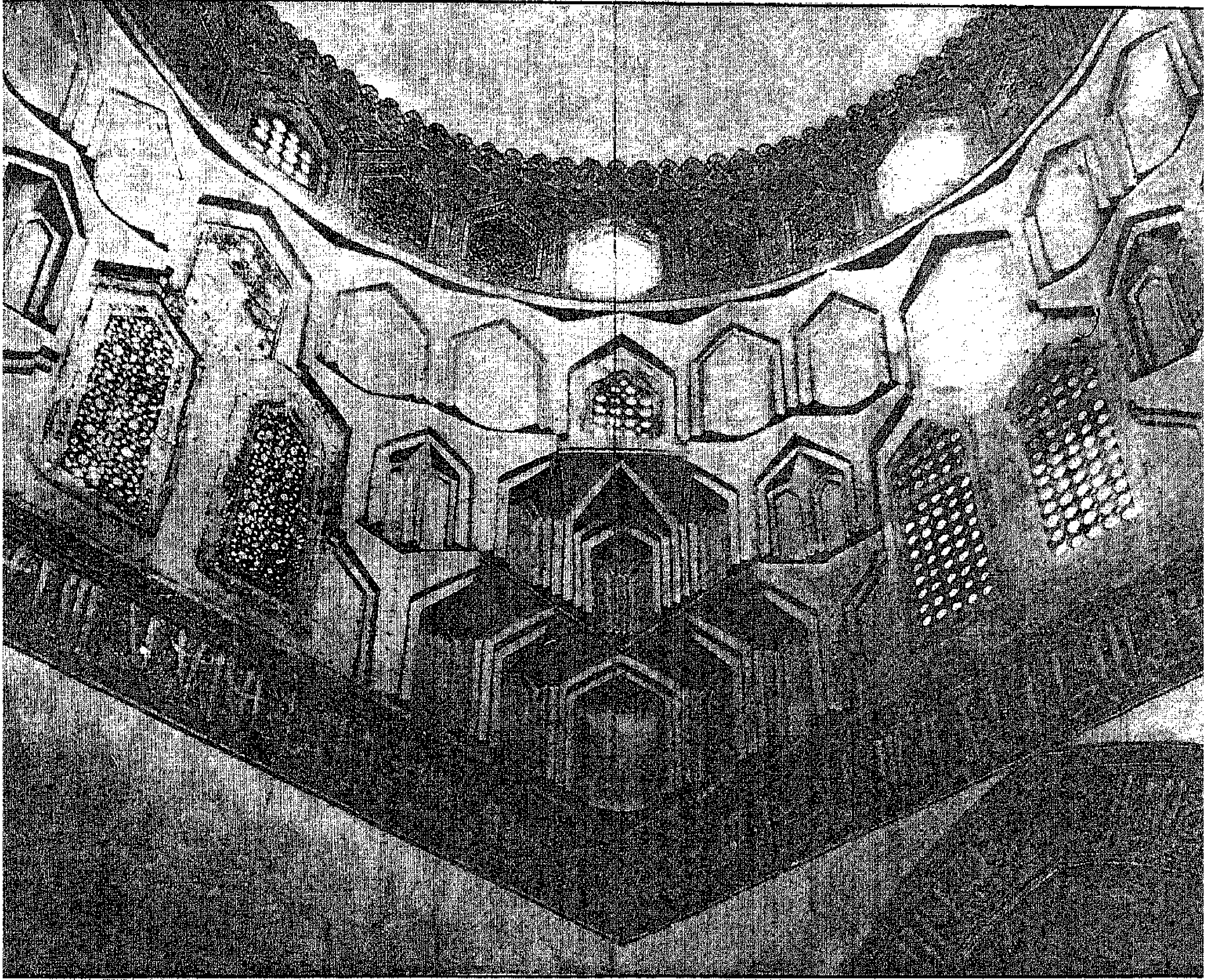
ووجهة القبة من أسفل بها صفتان تنتهيان بمقرنصات بكل منهما شباك يعلوه عتب يزدان بزخارف هندسية ذات أطباق نجمية يعلوه عقد مزرر، وبكل وجهة من وجهات منطقة الانتقال من المربع إلى الدائرة صفة معقودة بزخارف جميلة وعلى جانبيها عمودان حليا بزخارف دقيقة وبها ثلاثة شبابيك اثنان منها بعقد مثلث يعلوهما شباك مسدس كانت جميعها مملوءة بزخارف جصية مفرغة وإلى جانبى الصفة طبقان زخرفيان مستديران ، هذا ويحيط بدائر القبة أعلى هذه المنطقة نطاق زخرفى جميل يشتمل على طراز مكتوب به بالخط المملوكى المزهر آيات قرانية أسفله شبابيك جصية مفرغة يحيط بها زخارف جصية .

وتقوم المنارة على يسار المدخل وقد أنشئت على طراز المآذن التى شيدت فى هذه الحقبة من الزمن (أواخر القرن السابع وأوائل الثامن ـ أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع



القبة من الخارج

قبة حسن صدقه
٧١٥ هـ (١٣١٥م)



القبة من الداخل

ضريح حسن صدقة
٧١٥ هـ (١٣١٥ م)

عشر) وهى تتكون من بدن مربع تحلى وجهاته صفف معقودة وينتهى بدورة المؤذن التى يعلوها مثمن به ثمانى فتحات ذات عقود مورقة داخل صفف تغطيها عقود مخوصة ويعلو المثمن طبقتان من المقرنص المتعدد الحطات يعلوهما قبة مضلعة .

والقبة من الداخل محمولة فى الأركان على مقرنصات مكونة من ثلاث حطات بمنتصف الحطة الأولى من كل منها شباك ذو عقد مثلث مثل الشبابيك المجاورة له والسابق الإشارة إليها وأسفل هذه المقرنصات طراز مكتوب يحيط بالمربع .

ويقع المحراب فى منتصف الحائط الشرقى للقبة ، ويحيط به طراز مكتوب به أدعية وبنهايته تاريخ القبة مكتوبا بالأرقام (٧٢١ هـ) وبالقبة تابوت مكتوب به اسم منشىء المدرسة وتاريخ الإنشاء (٧١٥ هـ) كما تضم القبة رفات الشيخ حسن صدقة .

(مساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٥٥ ، ٥٦) .

*** أبو الحسن الصُّغَيِّر (- ٧١٩ هـ / - ١٣١٩ م) :**

ذكره تحت هذا الاسم صاحب فهرس مخطوطات خزانة القرويين وقال عنه :

أبو الحسن الصغير على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى المشهور بأبى الحسن الصغير بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة التحتية عرَّف به ابن الخطيب فى الإحاطة وأثنى عليه حفظا وتفننا وتولى القضاء بفاس فحمدت سيرته وظهر فضله توفى عام تسعة عشر وسبعمائة وفى مسند الفقه من المنح البادية أن سيدى عبد العزيز القروى هو صاحب التقييد المنسوب لأبى الحسن الصغير وهو أحسن التقايد وأصحها - انظر بقية ترجمته فى الديباج المذهب ص ٢٠٤ (فهرس المخطوطات ٢ / ٤١٢) .

وقد أدرجه صاحب الأعلام تحت اسم « الصُّغَيِّر » وقال عنه : على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى ، أبو الحسن ، المعروف بالصُّغَيِّر ، قاض معمر ، من كبار المفتين فى المغرب . ولاه السلطان « أبو الربيع » القضاء بفاس فحسنت سيرته . وكان يدرّس بجامع الأجدع فيها . له « التقييد على المدونة » مخطوط خمسة أجزاء ، فى الصادقية بتونس ، باسم « شرح تهذيب المدونة » ، فى فقه المالكية ، و « فتاوى وتقييدات » قيدها عنه تلاميذه ، وأبرزت تأليفا . عاش أكثر من مائة عام (الأعلام ٤ / ٣٣٤) .

(فهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢ / ٤١٢ ، والأعلام للزركلى ٤ / ٣٣٤ ، وانظر ما جاء بهامش ٣ من مراجع) .

*** حسن الصنيع شرح مليح البديع :**

من مخطوطات المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا

OP . 1496

جاء بيانه كما يلى :

مجلدة تضم القسمين الأول والثانى من الكتاب .

تأليف : على بن حسن بن بدر الدين البدرى الغزى الشافعى .

كتاب كبير تناول فيه الغزى شرح القصيدة المسماة « مليح البديع فى مديح الشفيع » للشيخ عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ للهجرة ، وجعله شرحا مبسوطا . بدأه بمقدمة ذكر فيها اتصاله بالشيخ النابلسى وسبب اختياره هذه القصيدة للاضطلاع بشرحها ، ثم أورد فى مقدمته ثبتا بأسماء الكتب التى اعتمدها مصادر ومراجع فى شرحه كخزانة الأدب للبغدادى . وقد حفل شرحه هذا بأنباذ كثيرة من النحو وطرائف أدبية كثيرة ، وضم فيه أشعارا وأخبارا وقضايا بلاغية ومسائل عروضية وغير ذلك مما يحتاج إليه توجيه شرحه .

وقسمه ثلاثة أقسام تضم هذه المجلدة منها قسمين .

أولهما : ويقع فى ١٢٥ ورقة .

والثانى : يقع فى ٣٧٨ ورقة .

وجاء فى آخر الثانى ما نصه : « يتلوه القسم الثالث وبه يتم الكتاب » .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى ما اشتمل عليه من أخبار كثيرة وتراجم لأدباء ونحاة وشعراء ، ، وما فيه من شعر ونصوص جمعها من مصادر متعددة ربما ضاع كثير منها .

أوله بعد البسملة والحمدلة : « وبعد فقد سبق فى العلم القديم ما اقتضته حكمة العزيز الحكيم ... » .

آخره : « تمت الجملة الأولى من القسم الثانى من الكتاب المسمى ... وتتلوها الجملة الثانية وبها يتم الكتاب » .

نسخة المجلدة تامة بحالة حسنة فرغ من كتابتها سنة ١١٣٢ هـ فهى إن لم تكن بخط المؤلف فلا بد أن تكون فى حياته ، فلم يذكر اسم ناسخ لها . خطها نسخ دقيق الحروف ، وعناوين المسائل بخط متميز .

(٥٠٣) ق (٢١,٥ × ١٥,٥ سم) (١٤ × ٩ سم) المسطرة (٢٧ س) .

المصادر : إيضاح المكنون ٢ / ٥٥٣ ، وذيل بروكلمان ٢ / ٤٧٦ .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا - وضعه د . عدنان درويش / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

*** حسن الصنيعة فى ضمان الوديعة :**

للشيخ تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة (كشف ١ / ٦٦٧) .

* **حسن الصوت فى التلاوة :**

أفرد الإمام النووى فصلا فى كتابه « التبيان » فى استحباب طلب القراءة الطيبة من حسن الصوت جاء فيه ما يلى :

اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرءوا وهم يستمعون ، وهذا متفق على استحبابه ، وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ؛ فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ «اقرأ على القرآن فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال إنى أحب أن أسمعه من غيرى، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [النساء : ٤١] قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان » رواه البخارى ومسلم . وروى الدارمى وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ عنده القرآن ، والآثار فى هذا كثيرة معروفة ، وقد مات جماعات من الصالحين بسبب قراءة من سألوه القراءة ، والله أعلم ، وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبى ﷺ ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من القرآن . ثم إنه ينبغى للقارئ فى هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويناسبه ، وأن تكون قراءته فى آيات الرجاء والخوف والمواعظ والتزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة والتأهب لها وقصر الأمل ومكارم الأخلاق .

(التبيان فى علوم القرآن للإمام النووى / ٧٨ ، ٧٩) .

* **حسن الطويل (١٢٥١ - ١٣١٧ هـ)**

حسن بن أحمد بن على ، أبو محمد الطويل ، فاضل مصرى مالكى (الأعلام ٢ / ١٨٣) . ممن نهضوا بالتصحيح من رجال الأزهر الشريف (الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ١ / ١٣٤) ترجم له ترجمة مستفيضة تلميذه العلامة أحمد تيمور باشا (انظر ترجمته تحت عنوان « تيمور باشا (أحمد) فى م ١١ / ١٩٩ - ٢٠٤) ذاكرا صلته به ، وما يدين له به من فضل فقال عنه :

الإمام العلامة ، شيخ الشيوخ ، وأستاذ الأستاذين ، وأحد من تفرد فى مصر بالبراعة فى المعقول والمنقول ، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلو النفس ، والتأدب بآداب الشرع والتمسك بالكمالات .

وهو حسن الطويل بن أحمد الطويل بن على ، أبو محمد ولد بمنية شهالة إحدى قرى المنوفية ، حوالى سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبى خطوة . وذكر الشيخ بشير الظافر فى كتابه اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة ، أنه ولد سنة ١٢٥٦ ، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها ، ثم انتقل إلى طندتا [طنطا] وهو صغير، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الأحمدى نحو سنتين أو ثلاث، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر، فقرأ على شيوخ العصر، مثل الشيخ محمد عليش المالكى فى الفقه والحساب وغيرهما وعلى الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، والشيخ إبراهيم السقاء ، والشيخ محمد الأشمونى، والشيخ محمد الأنبابى، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، فظهرت عليه النجابة ، وابتدأ فى حضور السعد، وكان من دأبه فى أول أمره معاكسة المشايخ فى الدروس بكثرة الأسئلة والمناقشات، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر، وسبب ذلك أن أبناء العمد وأقاربهم طلبوا للدخول فى الجندية بقانون وضع لذلك أمر به سعيد باشا والى مصر ، ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم .

تجنيده بأمر سعيد باشا :

وجند مع من جند فصار واحدا منهم ، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم فى التفريط فى الفروض ، فكان يواظب على الصلوات والأوراد ، وكان الوالى يكره من الجند من يصلى ، وحدث أن المترجم جاءه من شيخه الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى كتاب فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل صلاة ، رجاء أن تفرج كربه وتخلصه من الجندية ، فوقع الكتاب فى أيديهم ، وعدُّوه لذلك مذنبا ، وكان عقاب المذنبين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم فى السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة ، فكان المترجم

يشتغل فى هذه الأعمال بهمة رائدة تأديبا لنفسه ، لأنه ظن ما وقع له عقابا على جراءته على مشايخه ، وكان سعيد باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة ، والعاصين المذنبين بالنماردة ، فغضب مرة على النماردة وأمر بطردهم من الجيش، فخرجوا منه إلا أنهم بقوا تابعين له ، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ، وخرج المترجم معهم ، فأقام بقريته مدة ، وكان قبل ذلك يجتمع على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق فرأى أن يسافر إليه فسافر إلى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال منية ابن الخصيب ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق .

فراره :

ثم طلب إلى الجندية مرة ثانية فذهب إليه أبوه ليحضره وأراد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع أبيه إلى قريته فوجدهم أهملوا طلبه ، فحمد الله وأراد والده إبقاءه معه فى القرية خوفا من أن يعود إلى الصعيد ، فضاق المترجم بهذا الأمر وخرج من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئا ، فمشى على قدميه يبيت فى كل بلدة تصادفه حتى وصل إلى القاهرة ، ودخلها من جهة باب الحديد فاشترى بما معه شيئا أكله ، وذهب إلى الأزهر فصادف الشيخ محمد السقارى فى طريقه ، فلما رأى المترجم أسرع إليه وهش له ، وأخبره أنه يطلبه من مدة . ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهرا لا يتكلف شيئا من عنده ، وكان مراد السقارى نظم قصيدة يمدح بها أحد الأمراء، فنظمها له وأخذ السقارى عليها أربعين دينارًا جائزة . ولما انقضى الشهر حف الله المترجم بعنايته ، فطلبه الشيخ حسن العدوى لتصحيح البخارى ، وكان شرع فى طبعه فانتفع بأجر التصحيح . ثم طلب إلى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة ، وامتحنه فأعجب به ، وكاد يطير فرحا وقال عنه هذا جوهرة خفيت عنا ، واستخدمه فى الحال للتصحيح بهذا الديوان ، وسعى له حتى محوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه .

ثقافة شاملة :

وكان المترجم فى هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به ، مع القيام بالتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهل للتدريس فدرس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه فى شوال سنة ١٢٨٣ وابتدأ فيه بالقراءة فى الأزهرية . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر ، بل بحث ونقب ، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الأفغانى فتلقى عنه العلوم الحكمية ، وبرع فيها ، وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى ، ونظر فى الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية ، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر ، وطالع كتب اللغة والأدب ، ونظم الشعر السهل ، وكتب الترسل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علما إلا ويسعى إليه ويتلقاه عنه كائنا من كان ، حتى صار نسيج وحده ، وقريع دهره ، فى سائر العلوم مع بعد النظر فى السياسة ، وسعة العقل ، وسلامة العقيدة ، وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات فى الدين .

مشاهير تلاميذه :

وقد قرأ عليه فى الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين ، فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة ، والشيخ محمد عبده ، والسيد أحمد الشريف ، وإبراهيم بك اللقانى ، والشيخ محمد راضى البولينى ، ممن قرأ عليه فى الطبقة الأولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ محمد الغرينى ، والشيخ عبد الرحمن قراعه ، وقرأ عليه أيضا الشيخ محمد بخيت ، والشيخ داغر ، والشيخ محمد المغربى ، والشيخ أحمد الزرقانى ، وغيرهم ممن لا يحصون ، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ راضى البولينى ، والشيخ عبد الرحمن فودة ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، فكانوا يقرأون عليه فى داره دروسا غير الدروس الأزهرية، وصحبوه ولازموه فانتفعوا به فى دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه .

ثم نقل إلى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها ، ولما مات الشيخ زين المرصفى مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ ، وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثانى جعل المترجَم مفتشا ثانيا . ثم نقل مدرسا بمدرسة دار العلوم ، فعم الانتفاع به ، وتخرج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة المتخرجين

فى هذه المدرسة كالشيخ الفاضل حسن منصور ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ محمد الخضرى ، والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من أفاضل الوقت .

وفاته :

وبقى فى هذه المدرسة إلى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا فى الامتحان قبل الأجازة المدرسية كالعادة ، فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر سهر كعادته . ثم ذهب لداره معافى ليس به شىء ، واستيقظ فتوضأ وصلى الصبح . ثم طلب الإفطار والقهوة ، وأخذته غفوة كان فيها القضاء المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعاة ينعونه والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة فى موت كبار العلماء ، وأم داره شيخ الأزهر الشريف الشيخ عبد الرحمن الشربينى ، والشيخ محمد عبده المفتى ، وجميع العلماء والفضلاء ، وكبار نظارة المعارف ، وتلاميذه من الأزهر ودار العلوم ، وشيعت جنازته تشييعا سنيا ، فصلوا عليه فى الأزهر ودفنوه بمقابر المجاورين رحمه الله وغفر له عدد حسناته ويضيف أحمد تيمور قائلا : ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعا به مع قلة إجادته فيه ، فقال لى عند ما أراد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان ، وقد قربت الأجازة ، وصدرى ضيق فى هذه الأيام من الناس ، ونفسى تجنح للعزلة ، فهل تعرف لى مكانا أقضى فيه بعض أيام بعيدا عنهم ؟ فقلت يا سيدى إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معا إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال نعم الرأى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسنا ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ويسر له العزلة ، ولكن فى دار قراره ، فأصبت فيه مصيبة لم أصبها فى بعيد ولا قريب ، لما كان له علىّ من الفضل ولو لم يكن له علىّ سوى تصحيح العقيدة وتأديبى بآداب الحنيفية السمحاء لكفى .

الأستاذ يرشد :

أما سبب اجتماعى به وقراءتى عليه ، فإنى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا فى سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شىء من آثار التربية بهذه المدارس إلا أنى كنت مولعا من الصغر بالإسلام ومحاسنه ، والمطالعة فى السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدرى لأشياء ، وينقبض من أشياء تعرض لى فيها شبهات . ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها ، وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصرت أتردد على كثير من العلماء وغيرهم ، لعلى أجد عندهم مفرجا فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات ، حتى كدت أحكم بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين ، فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، وإما أن يكون ما نراه حقا ، ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل فى النفس . حتى أرشدنى بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفروننى منه حتى بالغ بعضهم عامله الله بما يستحق ورماه بالزندقة ، فقلت إذا كنت لم أجد طلبتى عند من تسمونهم بالصلاح والورع ، فلعلى أصيبها عند الزنادقة . ثم سعيت فى الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه ، والاهتداء بهديه ، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأعدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة . ثم قرأت طرفا من الحكمة فى شرح الدوانى على هياكل النور للسهروردى ، وشرح رسالة الزوراء وغير ذلك . ولما رآنى مجدا فى التحصيل ، قرر لى درسا ثانيا بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها ، وأنا فى كل هذه المدة أستوضح منه ما أشكل على فيحله لى ، فكان اجتماعى به ومصاحبتى إياه من أكبر نعم الله علىّ فى دينى ، وكثيرا ما كان يغضب منى ويؤنبنى إذا رأى منى تهاونا فى الصلاة .

وكان من عاداته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحا للنفس فكان يذهب إلى الأميرية من ضواحى القاهرة عند تلميذه الشيخ عبد الرحمن فودة فيقضى عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت فلما عرفته صار يذهب للأميرية بعض الأخمسة ويسافر فى بعضها إلى ضيعتنا التى بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ، فكنت أقضى معه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال حتى فى حالة المشى والتنزه كنت

أحمل الكتاب معي وأسمعه فيه فيقرر لي المسائل ونحن سائران .

كان متصوفا :

وكان رحمه الله سني العقيدة ، صوفي المشرب ، لا يحيد عن الشرع قيد أصبع ، آخذًا بمذهب الإمام ابن تيمية في مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى ، منكرًا على المبتدعة أشد إنكار ، آية من آيات الله في معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين ، متضلعا من الحديث ، متحصنا بالشريعة في كل علم يقرؤه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات ، وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية ، فكان أمره في ذلك عجبا وشأنه فيه مستغربا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومع انحراف العلماء عنه لإنكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه ، فإنهم كانوا مقرين بفضله ، وكثيرا ما كانوا يحتاجون إليه في معرفة أسرار الشريعة ، وحل مشكلاتها والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى أو المرتدين .

أخلاقه ومساعيه :

أما أخلاقه فزهد غريب ، وعلو نفس عن الدنايا ، وبعد عن الرياء ؛ وتواضع مع كل إنسان ، وسذاجة في المطعم والملبس والمسكن ، لا ينفق على نفسه من مرتبه إلا القليل ويتصدق بالباقي في الخفاء ؛ فلما مات قام الصراخ في دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل ، كان يعولهم في كل شهر بما فضل من نفقته ، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه وأخصهم به إلا بعد موته .

وكان كثير الاشتغال بأمور المسلمين ، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر في مشارق الأرض ومغاربها ، منتظرا فرجا يأتيهم ، ولطفا من الله يحفهم ، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين ، تقوى على جمع شملهم ؛ ولذلك لما قام المهدي بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد السودانية ، أحسن المترجم فيه الظن وقام بنصرته بقلبه ولسانه ، حتى اضطر الإنكليز أن يسيِّروا وراءه عينا يخبرهم بحركاته وسكناته ، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه لولا أن سلمه الله .

ولمداومة اشتغاله بالإقراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفا ، غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقيه من الدروس ، وكان يدرس التفسير بمدرسة دار العلوم ، شرع في جمع ذلك في كتاب سماه « عنوان البيان » لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦ ، أي قبل وفاته بسنة . (أعيان القرن الرابع عشر / ١٠٣-١١٣) .

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٨٣ ، والأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة - د. محمد كامل الفقي ١ / ١٣٤ ، وأعيان القرن الرابع عشر للعلامة أحمد تيمور / ١٠٣-١١٣) .

*** حسن الظن بالله سبحانه وتعالى :**

حسن الظن بالله سبحانه وتعالى : للشيخ أبي بكر عبد الله ابن محمد بن عبيد القرشي الشافعي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ إحدى وثمانين ومائتين وهو مختصر محذوف الأسانيد أوله الحمد لله وسلام على عباده ... إلخ .

(كشف ١ / ٦٦٧) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وقد أدرج تحت عنوان « حسن الظن بالله عز وجل » وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ٩٥٩٥ .

كتاب في حسن الظن بالله وما ورد في ذلك من الأخبار والقصص رواية أبي الحسن علي بن بشر المعدل عنه .

المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن قيس القرشي الأموي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م

أوله : أنبأنا أبو الفضل جعفر بن أبي البركات الهمداني المقرئ رحمه الله إجازة ... سند المؤلف إلى حكيم بن جعفر قال : مات لمضر ابن كانت فيه خلال تكره ، فحزن عليه مضر حزنا شديدا فقلت : هذا من مثلك كثير تحزن على ولد أرجو أن يكون ذلك ذخرا ...

آخره : حدثنا عبد الله عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «لله مائة رحمة وإنما أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون » .

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : سنة ٧٩١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة مراجعة ومقابلة عليها تملكات تختلف ترتيبها عن المطبوعة .

مصادر عن الكتاب : بروكلمان الترجمة العربية ٣ / ١٣٢ ، د. صلاح الدين المنجد معجم مصنفات ابن أبى الدنيا ص ٨ رقم ٥٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٦ / ١٣١ ، تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن مجموعة رسائل ابن أبى الدنيا سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م وهو ثالث الرسائل ص ٣٩ طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

بعض نسخ الكتاب : الأحمدية بحلب ــ مجلة المجمع العلمى بدمشق ١٠ / ٥٧٧ ، المحمودية بالمدينة المنورة ١٢٤ مجاميع (فهرس المخطوطات ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٧ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

*** حسن عبد الوهاب (١٣١٧ـ١٣٨٦ هـ / ١٨٩٩ـ١٩٦٧ م) :**

قال عنه صاحب الأعلام : حسن عبد الوهاب المصرى ، عالم بالآثار الإسلامية . عمل فى ابتدائه مصورا فى لجنة حفظ الآثار الإسلامية بالقاهرة . وسافر إلى البلدان العربية ودرس عمائرها الأثرية . وعين مفتشا للآثار العربية . وأنشأ مكتبة خاصة احتوت على نوادر فى موضوعها . واختير عضوا فى المجمع العلمى المصرى ، والجمعية التاريخية المصرية والمجلس الأعلى للآداب والفنون . له عدة كشوف وأبحاث ومؤلفات ، أهمها « مساجد القاهرة » جزءان ، و « ميدان صلاح الدين و ما حوله من الآثار » و « تخطيط القاهرة » و« بين الآثار الإسلامية » رسالة ، وكلها مطبوعة (الأعلام ٢ / ١٩٨) .

وله أيضا كتاب « تاريخ المساجد الأثرية » وسيأتى الكلام عليه فيما بعد .

وفى تصديره المستفيض لهذا الكتاب يعدد الأستاذ أحمد صليحة مآثر حسن عبد الوهاب فى مجال الآثار الإسلامية كشفا وتأليفا وتصويبا مما ننقله لك فيما يلى : ... بعد أن عين حسن عبد الوهاب كبيرا لمفتشى الآثار الإسلامية فى القاهرة ، ظل حتى وفاته فى سنة ١٩٦٧ مخلصا لعمله ، الذى أوقف عليه حياته ، فتعددت مؤلفاته ومكتشفاته الأثرية وكان منها :

محراب المعز لدين الله بالجامع الأزهر وكشف شرفاته الفاطمية .

تابوت المشهد الحسينى .

اسم مهندس مدرسة السلطان حسن « محمد بن بيليك المحسنى » .

فسيفساء مذهبة فى قبة الصالح نجم الدين الأيوبية .

مشكاوتيان من الزجاج المكتوب والمنقوش بالميناء ترجعان إلى العصر المملوكى فى قبة مسجد أبو النجا بفوه .

شباك من النحاس مكفت بالذهب والفضة عليه اسم الملك المظفر فى مسجد شيخو.

قطع كثيرة من مشكوات زجاجية مشغولة ومكتوبة بالميناء فى مسجد برقوق بالنحاسين .

مصحف شريف مكتوب فى القرن السادس الهجرى وعليه اسم كاتبه ومذهبه .

قبة أبى تراب الفاطمية بالعباسية .

قبة جمال الدين (القرن السادس عشر الميلادى) .

المساهمة فى كشف باب التوفيق الفاطمى .

تصويب عدد من تواريخ الأماكن الأثرية وأهمها :

قبة بدر الجمالى الفاطمية ، وقاعة الدردير الفاطمية ، وقبة يونس الدوادر المملوكية .

وقد أصدر العديد من الكتب الهامة منها :

بين الآثار الإسلامية . نشر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

الآثار الإسلامية بمصر . نشر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

العمارة فى عصر محمد على .

تاريخ الشرطة فى العصر الإسلامى .

دليل الطالب لآثار القاهرة .

العمارة الإسلامية فى مصر .

إدارة حفظ الآثار العربية رسالتها فى رعاية الآثار الإسلامية .

رمضان ... عناية المسلمين بهذا الشهر وتقاليدهم فيه .

اشتراكه فى كتابة تاريخ ووصف جامع الزيتون [الزيتونة] بتونس . (نشر فى الجزء الأول من كتاب العمارة الإسلامية للدكتور كريسويل) .

مسجد السلطان حسن وما حوله من الآثار بميدان صلاح الدين والقلعة .

هذا فضلا عن الكثير من المحاضرات والبحوث القيمة ومنها :

مميزات العمارة الإسلامية . محاضرة ألقيت فى مؤتمر الآثار ببغداد سنة ١٩٤٧ .

الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية .

محاضرة القيت فى مؤتمر الآثار ببغداد سنة ١٩٥٧ .

خانقاه فرج بن برقوق وما حولها من آثار صحراء قايتباى .

محاضرة ألقيت فى مؤتمر الآثار بالرباط سنة ١٩٥٩ .

العمارة العثمانية فى مصر . بحث ألقى فى مؤتمر المستشرقين بتركيا سنة ١٩٥١ .

بين خيال الظل والسينما . بحث ألقى فى مؤتمر السينما والثقافة فى بيروت سنة ١٩٦٢ .

توقيعات الصناع على الآثار الإسلامية . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

طراز العمارة فى الريف . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

الآثار المنقولة والمنتحلة . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

وحدة الفن فى العمارة الإسلامية والقبطية . ألقيت فى المعهد اليوسابى .

التأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر . ألقيت فى الحلقة الدراسية الأولى للتاريخ والآثار التى نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

ومن مقالاته :

سلسلة عن أثر المرأة فى العمارة الإسلامية . نشرت فى مجلة الهندسة .

القشانى فى الآثار الإسلامية بمصر . نشرت فى مجلة الهندسة .

سلسلة عن بعض الآثار المغبونة مثل رباط أحمد بن سليمان ومدرسة أبو بكر مزهر ومسجد أمام السلحدار وفن التصوير عند العرب .

اشترك فى كتابة تاريخ ووصف قصر الحمراء بغرناطة .

سلسلة عن العمارة الإسلامية (البناء بالطوب فى العصر الإسلامى) وأثر الفنون فى الحياة الإسلامية . نشرت فى مجلة العمارة .

بحثان عن علاقة مصر بالسودان فى العصر الإسلامى والإسكندرية فى العصر الإسلامى . نشر فى مجلة الكتاب .

فتوح الذوق فى الفنون (خصائص العمارة الإسلامية) نشر فى عدد خاص من مجلة الأزهر .

الأميرة فاطمة إسماعيل واضعة دعامة الجامعة المصرية . نشر فى مجلة الشهر .

الأفراح المشهورة فى العصر الإسلامى . حقوق المرأة فى الإسلام .

الآثار المصرية على أوراق النقد . نشر فى مجلة الإيماج .

فى كراسات التاريخ بالفرنسية . دار ابن لقمان بالمنصورة جامع عمرو بن العاص .

القاهرة : نشأتها وتطورها من العصر الفاطمى إلى العصر الحديث . نشر فى المجلة التاريخية المصرية . المساجد وأثرها فى التربية والتعليم . مكافحة المنكرات فى تاريخ مصر الة المرأة فى الإسلام . تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى.دور الفروسية فى العصر الإسلامى . أبحاث نشرت فى مجلة لواء

الإسلام.الجامع الأموى بدمشق . بغداد وآثارها الإسلامية . الآثار الإسلامية بالعراق . التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية بمصر . المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية . أبحاث نشرت فى مجلة القاهرة .

تاريخ وشرح العصر العربى بالمتحف . موجود بدليل الحضارة .

تاريخ البريد فى العصر الإسلامى . تاريخ الصيد ومواسمه فى مصر .

تونس الخضراء . عبر الجبرتى . مصايف القاهرة . الأزبكية .

الفنون والصناعات الإسلامية فى مصر . العيد الألفى للقاهرة .

قلعة قايتباى بالإسكندرية . الإسكندرية تاريخها وآثارها .

الإسكندرية ونهضتها العلمية . قلعة صلاح الدين بالقاهرة .

التراث الأندلسى المجيد والروابط الثقافية بين مصر والأندلس .

رشيد : ماضيها وحاضرها . مفخرة رشيد فى جلاء الإنجليز عنها .

تاريخ الأرمن فى مصر ومنشآتهم المعمارية . حوانيت الأزهار فى العصر الإسلامى .

دار ابن لقمان وموقعة المنصورة . مسجد النبى دانيال والبحث عن قبر الإسكندر . تاريخ ثلاثين مسجدا . نشرت تباعا فى شهر رمضان سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٥ م .

اشترك فى إخراج عدد الأهرام فى ٧٥ سنة من ١٨٧٦ حتى سنة ١٩٥٠ .

كذلك اشترك فى إخراج العدد الخاص بالقاهرة فى ألف سنة .

★ ★ ★

ومن هنا نرى أن معظم إسهامات ذلك العالم العبقرى الفذ جاءت فى صورة محاضرات ومقالات أكثر منها فى شكل الكتاب ، الأمر الذى قد يعرض هذا التراث إلى الفقدان والضياع مثلما ضاعت مكتبته العلمية الثمينة التى وجدت طريقها إلى إحدى البلدان العربية البعيدة وأصبح من العسير على الباحثين الاطلاع على ذخائرها وكنوزها ، والأمر يتطلب منا السعى إلى جمع هذه الدراسات القيمة وإعادة إصدارها فى مجلد أو سلسلة من الكتب تتيح للباحث المعاصر الاستفادة منها .

وعلى رأس مؤلفاته يأتى هذا الكتاب الهام « تاريخ المساجد الأثرية » الذى لعبت الأهواء السياسية دورها فى حجبه عن الظهور لفترة طويلة ، رغم قلة المراجع العربية الهامة عن التراث المعمارى الفنى للحضارة الإسلامية .

(تاريخ المساجد الأثرية / ١ ـ ٤) .

قالت المؤلفة : كتاب تاريخ المساجد الأثرية هذا هو الذى عندى طبع الهيئة المصرية العامة ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٩٨ ، وتاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ١ ـ ٤) .

*** الحسن العسكرى (٢٣٢ ـ ٢٦٠ هـ / ٨٤٦ ـ ٨٧٣ م) :**

ترجم له صاحب الأعلام تحت عنوان « الحسن الخالص » فقال عنه : الحسن بن على الهادى بن محمد الجواد الحسينى الهاشمى ، أبو محمد ، الإمام الحادى عشر عند الإمامية (انظر الرسم المصاحب لمادة « الإمامية » فى ٦ / ٥١ من هذه الموسوعة) . ولد سنة ٢٣٢ فى المدينة ، وانتقل مع أبيه . « الهادى » إلى سامراء (فى العراق) وكان اسمها «مدينة العسكر » فقيل له العسكرى ـ كأبيه ـ نسبة لها . وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه . وكان على سنن سلفه الصالح تقى ونسكا وعبادة .

وتوفى بسامراء (الأعلام ٢ / ٢٠٠) .

ونسبه صاحب نور الأبصار فقال : الحسن الخالص بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . ثم يعدد مناقبه وكراماته : مما ننقل بعضه فيما يلى :

أمه أم ولد يقال لها حديث وقيل سوسن (وكنيته) أبو محمد وألقابه الخالص والسراج والعسكرى (صفته) بين السمرة والبياض (شاعره) ابن الرومى (بوابه) عثمان بن سعد (نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات والأرض (معاصره) المعتز والمهتدى والمعتمد . ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة .

(ومناقبه) رضى الله عنه كثيرة ففى درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبى يبكى والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له أشترى لك ما تلعب به فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقال له فلماذا خلقنا قال للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك فقال من قوله تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون : ١١٥] ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضى الله عنه مغشيا عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك فقال إليك عنى يا بهلول إنى رأيت ووالدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإنى أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم .

كراماته : الأولى : وهى جامعة لكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفرى قال كنت فى الحبس الذى فى الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمرى وفلان وفلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن ابن على العسكرى وأخوه جعفر فحففنا بأبى محمد وكان المتولى الحبس صالح بن يوسف الحاجب وكان معنا فى الحبس رجل أعجمى فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سرا لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبر فيها بما تقولون فيه وهى معه فى ثيابه يريد الحيلة فى إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره قال أبو هاشم فما تمالكنا أن تحاملنا جميعا على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه فى ثيابه وهو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه وحذرناه وكان الحسن يصوم فى السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه قال أبو هاشم فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامى فجاء لى بكعك فذهبت إلى مكان خال فى الحبس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسى مع الجماعة ولم يشعر بى أحد فلما رآنى تبسم وقال أفطرت فخجلت فقال لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه وقال عزمت عليك أن تفطر ثلاثا فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث ...

الثانية : عن على بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى ابن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لى يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معى كتاب فيه تاريخ ولادتى فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال : هل رزقت ولدا قلت لا فقال اللهم ارزقه ولدا يكون له عضدا فنعم العضد الولد ثم أنشد :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته
إن الذليل الذى ليست له عضد

فقلت يا سيدى وأنت لك ولد فقال إنى والله سيكون لى ولد يملأ الأرض قسطا وعدلا وأما الآن فلا .

الثالثة : عن إسماعيل بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم قال قعدت لأبى محمد الحسن على باب داره حتى خرج فقمت فى وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت أنى لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه فقال تقسم وقد دفنت مائتى دينار وليس قولى هذا دفعا لك عن العطية أعطه يا غلام ما معك فأعطانى مائة دينار فشكرت له ووليت فقال ما أخوفنى أن تفقد المائتى دينار أحوج ما تكون إليها فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هى فى مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها فى مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك على فوجدت ابنا لى قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفدها ولم أحصل منها على شىء وكان كما قال الرابعة

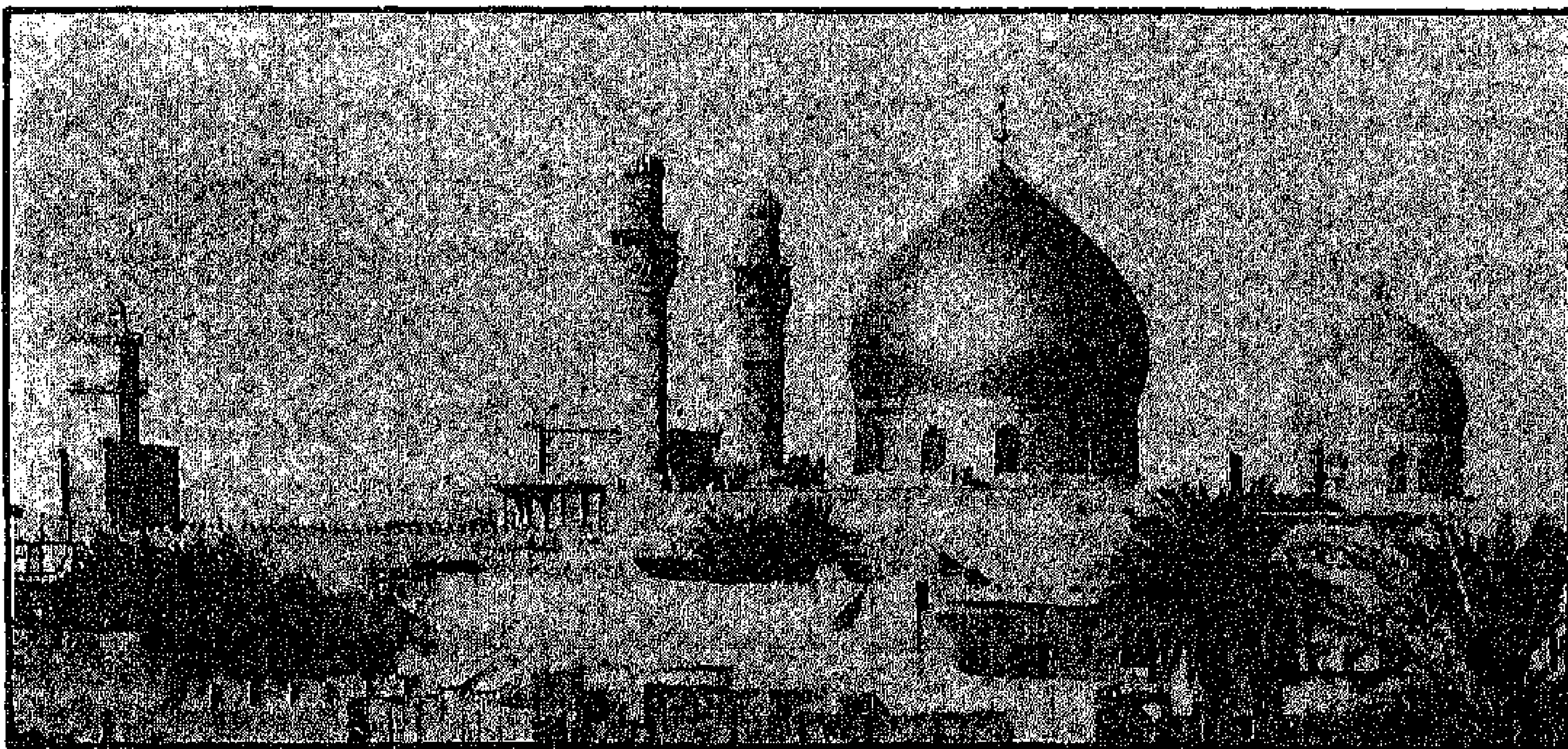
عن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدى أبي هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخيا لأبي محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لي بالغنى وكنت قد أملقت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثا سواك وهي واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك بالاقتصاد وإياك والإسراف فورد على المال والخبر بموت ابن عمى كما قال عن أيام قلائل وزال عنى الفقر وأديت حق الله تعالى فيه وبررت إخوتى وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل مبذرا (فائدة) عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول إن في الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إلى وقال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وعنه أيضا قال سمعت أبا محمد يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

في الكلام على وفاته وولده رضي الله عنه : في الفصول المهمة : ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صيحة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته فكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبي عيسى ابن المتوكل ليصلي عليه فصلى عليه ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن على في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وخلف من الولد ابنه محمدا (نور الأبصار / ٢٩٤ - ٢٩٧) .

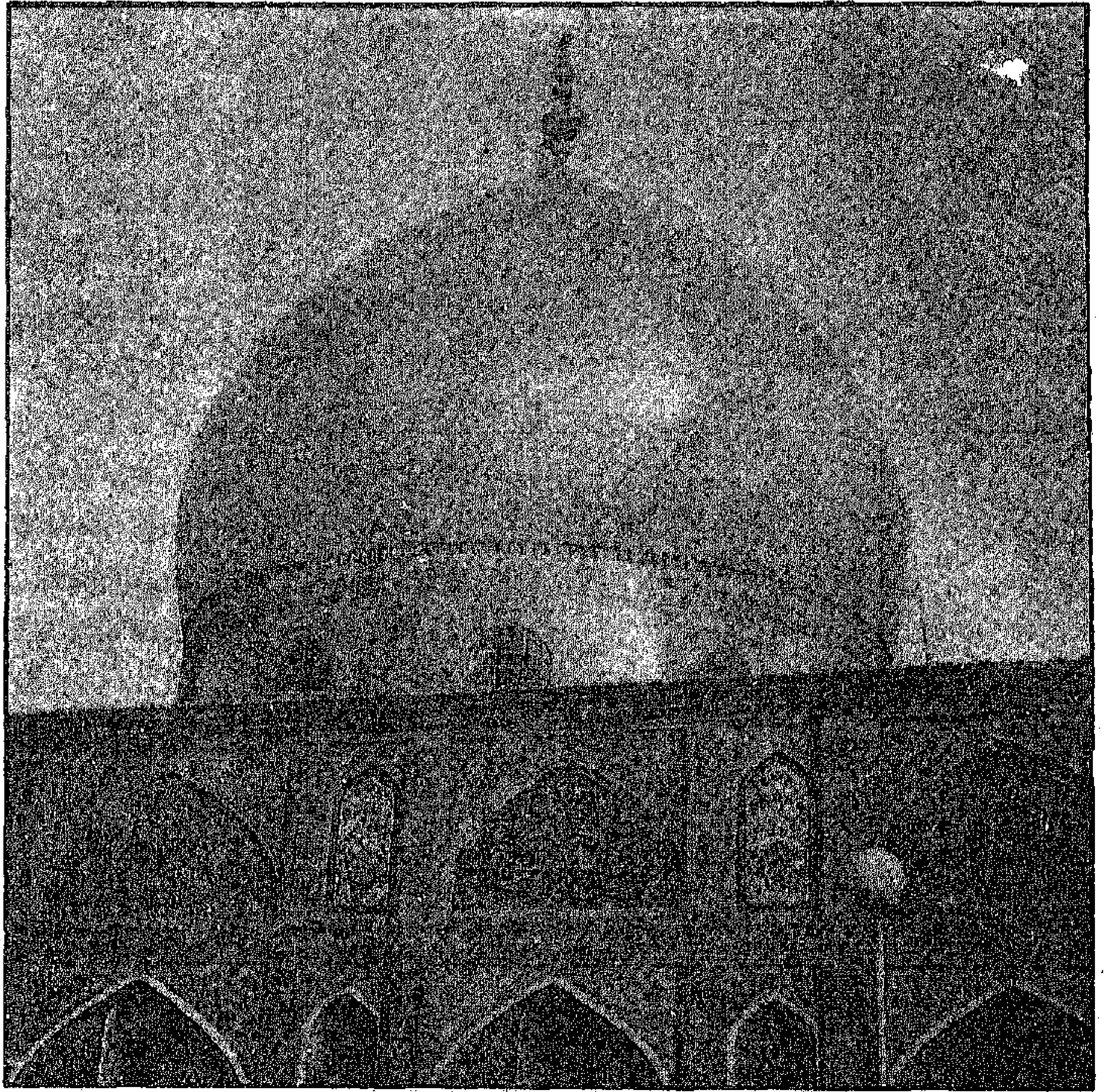
وفيما يلي الوصف المعماري لضريح الإمام الحسن العسكري في سامراء بالعراق ، ويسمونه « الروضة العسكرية » :

الروضة العسكرية في سامراء :

تضم هذه الروضة ضريح الإمامين على الهادى والحسن العسكرى ، والمعروف أن الإمام على الهادى قد توفى عام ٢٥٤ هـ - ٨٦٨ م ودفن داره في قرية عسكره وعندما توفى ابنه الحسن العسكرى عام ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م دفن إلى جواره ، وبعد أن هجرت مدينة سر من رأى ، أخذ البناء يتسع حول مدفن الإمامين وزاد البناء باستمرار بحيث أصبحت قرية العسكر نواة لمدينة سامراء الجديدة ، وتذكر كتب التاريخ أن أول من اهتم بمرقد العسكريين الأمير ناصر الدولة الحمداني الذي أمر بإقامة بناء عام ٣٣٥ هـ / ٩٤٤ م ويستشف من أخبار البناء هذا أنه كان يتألف من غرفة ذات جدران ضخمة عليها قبة ، وصادف أن احترقت أبنية الحضرة العسكرية فأمر الخليفة



لوح ١٢٠ : الروضة العسكرية وجامع المهدي

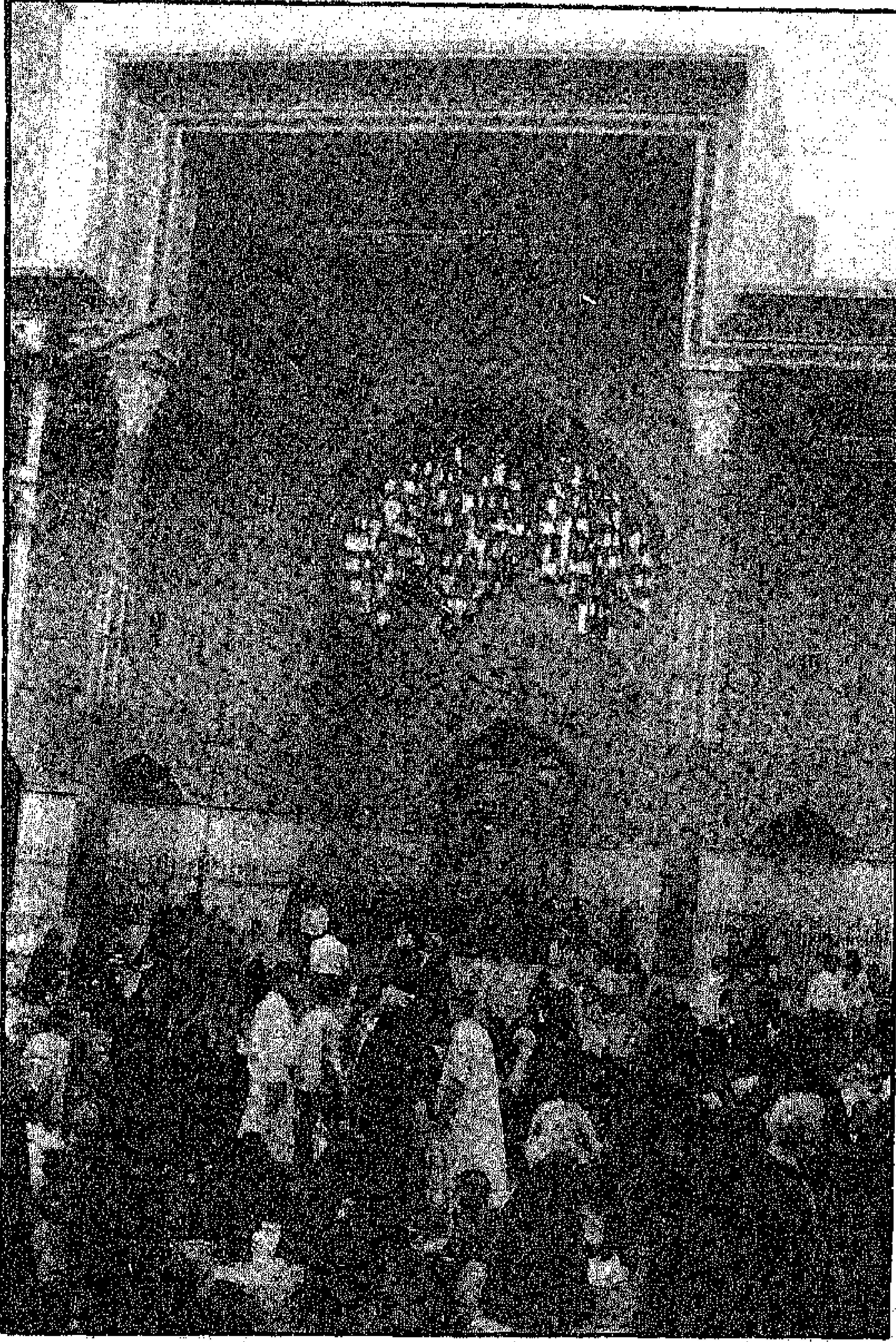


لوح ١٢١ : قبة الحضرة العسكرية

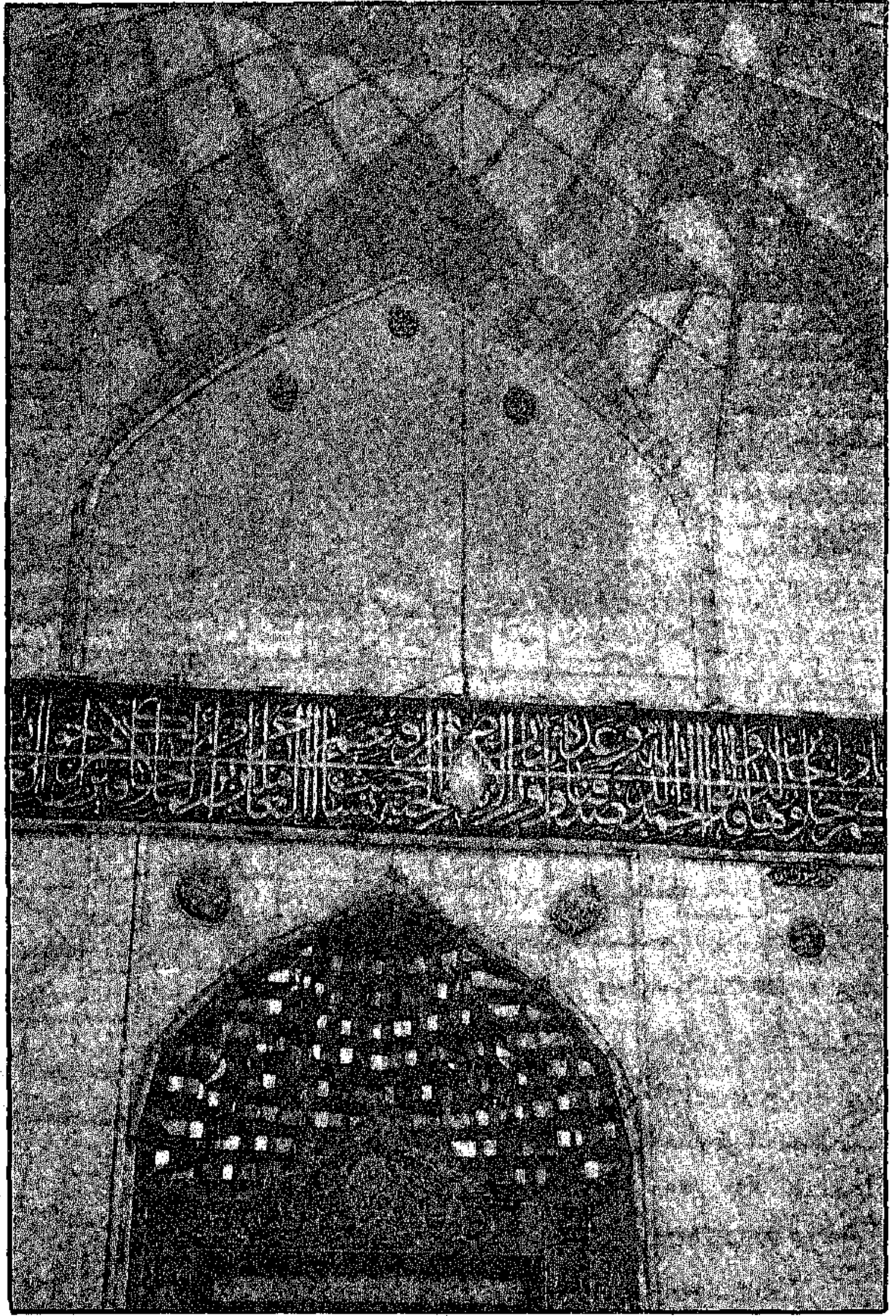
العباسى المشهور المستنصر بالله بتجديدها واهتم بسرداب الغيبة أيضا ومثل بقية أبنية الروضات والمشاهد تعرضت الروضة العسكرية إلى ترميمات وتجديدات وإضافات وتوسيعات متعددة ومتتالية ، وقد أثرت هذه العمليات على طابع معالمها الأصلية ومظهرها الأول وتم إدخال عناصر معمارية وزخرفية تعكس ماساد وازدهر فى كل مرحلة من مراحل التطوير .

شيد بناء الروضة الحالى عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وتم فيما بعد تذهيب القبة عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) يجاور الروضة هذه جامع المهدى . ويقوم الجامع فوق سرداب الغيبة الذى يزعم أن الإمام المهدى قد غاب فيه . وتذكر كتب التاريخ إن الخليفة العباسى المشهور الناصر لدين الله قد أمر ببناء هذا الجامع وتعمير سرداب الغيبة عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) وما زال مشبك سرداب الغيبة يحمل تاريخ التعمير إلى يومنا هذا ، وأمر الخليفة المستنصر بالله العباسى أيضا بتجديد الجامع ، والسرداب ، ولكننا لا نعرف حصرا نوع التجديدات أو أماكنها فى الجامع وبالإضافة إلى ذلك رمم الجامع وجدد عدة مرات فى فترات لاحقة كما يكشف البناء الحالى عن ذلك ، والمعروف أن الباب أو المدخل الرئيسى قد بنى فى عام ١٢٠٠ هـ إلى المصلى الشتوى فى هذا الجامع (لوح ١٢٠) تتوسط الروضة العسكرية بلدة سامراء الآن ، وتشغل مساحة أرض مربعة الشكل طول ضلعها ١١٥ م وتتألف من حضرة ضخمة تلتصق بالجدار الشمالى للروضة ، ويحيط بها صحن فسيح من جهات ثلاث ويسور هذا الصحن جدار ضخم يتألف من أواوين ومداخل ويفصل بين الصحن والطرق والأسواق والدور المجاورة للروضة . تخطيط الروضة العسكرية يشبه وإلى حد

كبير تخطيط الروضة الحيدرية ، ولا يقتصر التشابه على التخطيط حسب [فحسب] بل يمتد إلى التكوين المعمارى والعناصر المعمارية والزخرفية أيضا . والحضرة العسكرية مستطيلة الشكل وتواجه جدرانها الجهات الأربع - يبلغ طول ضلعها ٤٣ مترا من الشمال إلى الجنوب و٣٨ مترا من الشرق إلى الغرب ومن الخارج وتتكون الحضرة من غرفة مربعة تضم قبرى الإمام على الهادى والإمام الحسن العسكرى وتتوسط الحضرة ، وهذه الغرفة مربعة الشكل طول ضلعها ١٥ مترا من الخارج وتتسم بجدرانها الضخمة المتينة والتى ترتفع بحدود عشرة أمتار عن مستوى أرضية الغرفة ، واتبع المعمار أو المهندس عين الطريقة المستخدمة فى تشييد جدران الحضرة الحيدرية والكاظمية وهى استغلال سمك الجدران لفتح حنايا وأواين فيها غرضها الأساسى الاقتصاد فى المواد البنائية ، وبموجب ذلك هناك عدد من الحنايا والأواوين فى جدران غرفة الضريح تنفتح على الرواق فقط وبأعداد متناسبة مع تلك التى تطل على الرواق من الجهات المقابلة ، وتحمل جدران غرفة الضريح هذه قبة بصلية ضخمة ذات رقبة أسطوانية طويلة نسبيا وتتخللها عدة نوافذ ذات عقود مدببة منفرجة مثل معظم عقود الروضة العسكرية ، وقبة الحضرة العسكرية غير مزدوجة ويبلغ قطرها ١٥ مترا ، وهى مثل قبة الروضة الحيدرية مطلية بالذهب (لوح ١٢١) وتتصل غرفة الضريح بالرواق الذى يدور حولها بأربعة أبواب ومنافذ تتوسط الجدران فيها ، ويدور حول الغرفة هذه رواق مستطيل بعرض أربعة أمتار وترتفع جدرانه بارتفاع جدران غرفة الضريح ، وعرض جدران الرواق هذا أربعة أمتار أيضا وتنفتح فيه حنايا وأواين تطل على الداخل ، وكما ذكرنا إما من الخارج فتتألف جدران الرواق من حنايا بطابقين تخترق الصف الأسفل منها نوافذ وأبواب ، ويتألف سقفه من أقبية وعقود وقباب صغيرة ذات نوافذ .



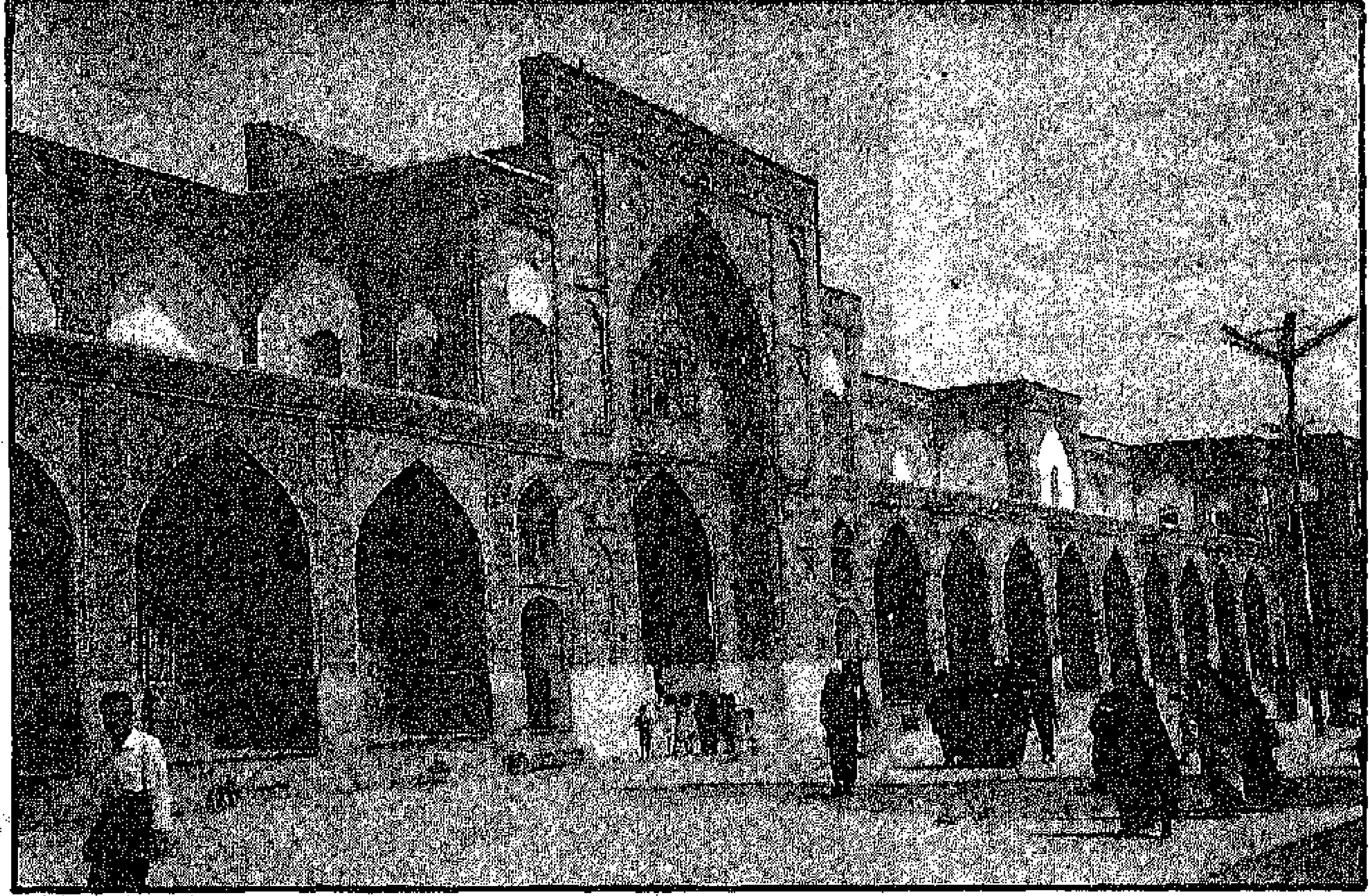
لوح: ١٢٢ : ايوان الذهب في الحضرة العسكرية



لوح ١٢٥: تشكيلات زخرفية تزين الحضرة من الداخل.

السابقة ، يختلف عن بقية الجدران حيث يتوسطه إيوان ضخم مرتفع يدعى بإيوان الذهب، وقد طليت أجواء واسعة منه ومقرنصاته العنقودية بألواح مطلية بالذهب ، ويشبه هذا الإيوان إيوان الذهب فى الحضرة الحيدرية (لوح ١٢٢) ويتوسط هذا الإيوان الباب الرئيسى الذى يقع على الخط المحورى للروضة والذى يربط بين المدخل الخارجي ومدخل الححضرة ، وتقوم فى ركنى الجدار الجنوبى هذا مئذنتان أسطوانيتان رشيقتان نسبيا ، ولكل منهما حوض يستند على أكثر من صف من المقرنصات ، وكسيت أبدانهما بطابوق مزجج وقراميد قاشانية مصفوفة بطريقة فنية نتجت عنها تشكيلات زخرفية جميلة وتطوق الأبدان عند قاعدتيهما ونهايتهما أنطقة ذات تشكيلات زخرفية رائعة، وكانت الرقاب مغطاة أيضا بقراميد قاشانية وطابوق مزجج (لوح ١٢٣) ولكن وقبل سنوات أزيلت هذه الكسوة وأبدلت بألواح معدنية مطلية بالذهب ، وتتقدم جدار إيوان الذهب سقيفة شبيهة بسقيفة الحضرة العباسية والحسينية ويبلغ عرضها مع الحضرة العسكرية عشرة أمتار ، وغطيت وجوه جدران الحضرة من الخارج عدا الحنايا والنوافذ بقراميد قاشانية تتصف بجمال تشكيلاتها وتنوع ورقة ألوانها وتناسق أشكالها الزخرفية فهى تتألف من تشكيلات نبتية

والدخول إلى الحضرة يكون عن طريق خمسة أبواب ، يتوسط الرئيسى منها جدار القبلة أو الجدار الجنوبى ، ويقع اثنان منها فى كل من الجدارين الشرقى والغربى ، وتصميم جدار الحضرة الجنوبى ، وكما هو الأمر فى أغلب المشاهد



لوح ١٢٧: مدخل الروضة الجنوبي

وزهرية وهندسية وكتابات ، ويتوج الجدران هذه نطاق من كتابات لآيات قرآنية رسمت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة .

شغلت أغلب حنايا أواوين الحضرة من الداخل بمقرنصات عنقودية وكسيت جدرانها بأروع التشكيلات الزخرفية ويسور المرقدين الشريفين صندوق مشبك ضخم معمول من الفضة بأدق صنعة وأجمل مظهر وأرضية الحضرة وجدرانها مكسوة إلى ارتفاع مترين بمرمر إيطالي أخضر مجزع ، ويؤطر هذه الكسوة من أعلى شريط من كتابات جميلة يدور مع العقود والإواوين ، وكسيت بقية الواجهات وزخارفها وباطن القبة ورقبتها بقطع المرايا والقراميد القاشانية الرائعة وألواح الذهب ويطوق رقبة القبة عند قاعدتها ونهايتها نطاق من كتابات جميلة لآيات قرآنية (لوح ١٢٥) والأبواب في هذه الحضرة مغشاة أيضا بالذهب والمينا وأروعها إيوان الذهب .

وصحن الروضة العسكرية فسيح يحيط بالحضرة من جهات ثلاث ، وطول ضلع الصحن ٧٧ مترا وعرضه ٨٥ / ٤٠ مترا ويحيط بهذا الصحن جدار مرتفع يتألف من جملة أواوين وبطايق واحد يبلغ عددها ٦٢ إيوانا وتطل على الصحن بعقود مدببة منفرجة ، ويتوسط الجدار الجنوبية في هذا السور مدخل ضخم مرتفع مغطى بقراميد قاشانية ذات تشكيلات زخرفية جميلة (لوح ١٢٧) ويتوسط إيوان هذا البناء الباب الرئيسي الذي يقابل باب إيوان الذهب ، وقد تم قبيل سنوات وبعد تحرير الجدار الغربي من الأبنية الملصقة به فتح باب فيه يتوسط إيوانا ضخما يشبه إيوان المدخل الرئيسي ، وكسيت واجهات جدران أواوين السور وأجزاء واسعة منه بقراميد قاشانية جميلة .

(الأعلام للزركلي ٢ / ٢٠٠ وما جاء بهامش ٢ من مراجع ، وقد أورده تحت عنوان « الحسن الخالص » ، ونور الأبصار في مناقب آل النبي المختار للشبلنجي ، ط دار الغد العربي / ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ، والعمارات العربية الإسلامية في العراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١٩٦ ـ ٢٠٥ . انظر أيضا .

منهل الصفا ـ السيد محمود أبو الفيض المنوفي / ١١١) .

*** حسن العطار (١١٩٠ ـ ١٢٥٠ هـ / ١٧٧٦ ـ ١٨٣٥ م) :**

الشيخ السادس عشر من شيوخ الأزهر الشريف ، تولى مشيخة الأزهر عام ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م (الأزهر في ألف عام / ١١٩) في الأعلام ٢ / ٢٢٠ تولى سنة ١٢٤٦ هـ)

أصله مغربي ولكنه ولد بالقاهرة سنة ١١٨٢ هـ (في الأعلام

٢ / ٢٢٠ سنة ١١٩٠، وفي الأزهر في ألف عام/ ١١٩ سنة ١١٨٠) كان أبوه عطارا واراد أن يعاونه ولده في حانوته لكنه مال لطلب العلم فتركه أبوه وكان ذا حافظة قوية وشغف بالعلم وخاصة لما راى أترابه يروحون ويغدون للأزهر وفي زمن قصير أجازه أساتذته للتدريس والفتوى ولم يقنع بالعلوم الدينية بل أقبل على العلوم العصرية ودرس الفلك والهندسة وكان حاد البصر يقرأ أدق الخطوط

حسن بن محمد العطّار:

عن « مجموعة » له ـ كلها بخطه ـ عندي . يقرأ البيت الأول : « والى يطوف بشمس كاسة   قمر تلثّم في نواسه » ، ويقرأ نهاية البيت الخامس « سيف اقترانه » ، وفي البيت ١٨ « نظم منثي النظم » ، وصدر البيت ٢٤ « لم يلتبس من شكله » ، وعجز البيت ٢٥ « لكأنه باني » ، وعجز البيت الأخير « والى يطوف .. »

فى ضوء القمر أو الشموع الضعيفة ولا يترك الكتاب حتى يستوعبه وكان كثير الاستعارة وبذلك استوعب علوم عصره وامتدحه رفاعة الطهطاوى واعتبره سابقا لعصره .

وله هوامش على كتب الطب غاية فى الروعة وأتقن الرصد للنجوم ودرس التشريح فكان موسوعة علمية واتصل بعلماء الحملة الفرنسية وأتقن الفرنسية ودرس علومهم الحديثة رغم أنه فر عند مجىء الحملة إلى أسيوط وعانى من الفقر والاضطراب ومرض الطاعون الذى اجتاح أسيوط .

وكتب فى ذلك إلى (العلامة الجبرتى) رسالة غاية فى الأهمية ووصف الطاعون وأعراضه وآراءه فى مقاومته .

وعاد للقاهرة بعد أن استقر الأمن وكان يرى فى مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر مكسبا علميا وبركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية وبهذا جمع الشيخ بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ورحل كثيرا إلى الخارج وأجاد عدة لغات منها التركية والفرنسية والألبانية وزار كثيرا من أوطان العرب وكان فى كل بلد يلقى محاضراته ويقبل عليه العلماء وكان شاعرا مجيدا وكاتبا عميقا ولهذا أسندت إليه (جريدة الوقائع المصرية) فرأس تحريرها وأعلن آراءه ودعا إلى إدخال العلوم الحديثة وجلاء التراث العربى ، وحث على الرجوع إلى أمهات الكتب وعدم الاكتفاء بالحواشى والمتون (ومنه تلقى رفاعة الطهطاوى) الذى أسهم فى نقل مصر من عصر التخلف إلى عصر النهضة والاحتكاك بالثقافات العالمية وكان شعار الشيخ العطار (إن بلادنا يجب أن تتغير أحوالها وتتجدد بها المعارف) وهو الذى وجه تلميذه « رفاعة الطهطاوى » لتسجيل كل ما تقع عليه عينه فى فرنسا وأن يستجلب معه كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب وهو الذى شجعه على الترجمة وتأسيس مدرسة الألسن .

وعالج علم الجغرافيا معالجة جديدة واهتم بالخرائط واستفاد من خبرة علماء الحملة وأكب على عيون الكتب المهجورة وبسطها لطلابه وبدأ أول خطوة فى « فن الفهرسة » بحيث يعود الطلاب إلى المراجع القديمة بسهولة .

وكان خلية دائبة يدرس ويصنف المؤلفات ويشرح الكتب ودفع طلابه إلى الخروج من التراكيب اللغوية العقيمة وتحرير الكتابة من قيود الصنعة التى شاعت فى عصور الانحطاط ، ورغم طغيان محمد على فقد كان يجله ويستشيره وأطلق يده فى النهضة العلمية ففتح الأبواب للعلوم الحديثة وأشرف على إنشاء المدارس المتعددة (ثم ولاه مشيخة الأزهر) سنة ١٢٤٦هـ . وجدد فى الشعر العربى وفتح الطريق أمام شعراء النهضة (كالبارودى وشوقى وحافظ) وأراد الرحيل إلى مكة ولكن طلابه تعلقوا به وهددوا بترك الدراسة حتى رضخ لهم وبقى فى مصر .

من مصنفاته :

- حاشية العطار على الجواهر المنتظمات فى عقود المقولات .
- حاشية العطار على التهذيب للإمام الخبيصى (شرح على تهذيب المنطق والكلام) .
- حاشية العطار على شرح إيساغوجى فى المنطق (وكان من أهم الكتب) .
- حاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية .
- حاشية العطار على كتاب نيل السعادات فى علم المقولات .
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه .
- رسالة فى علم الكلام .
- حاشية العطار على شرح الكتاب المسمى « بموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب » .
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه .
- حاشية فى علم الكلام .
- حاشية العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد .
- حاشية (فى النحو) .
- شرح السمرقندية فى (علم البيان) .
- منظومة العطار فى علم النحو .
- إنشاء العطار فى المراسلات والمخاطبات والتوثيقات .
- ديوان العطار (ويجمع مئات القصائد) .
- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس .
- رسالة فى كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط وهو علم الرصد .
- جمع وترتيب وشرح ديوان ابن سهل الأندلسى .

- شرح كتاب الكامل للمبرد .
- نبذة في علم الجراحة .

ولقى ربـه سنة ١٢٥٠ هـ (شيـوخ الأزهـر / ٢٣ ، ٢٤ والفتح المبين / ١٤٦ ، والأعلام ٢ / ٢٢٠) .

والشيخ العطـار يعتبر مصلحـا فى مصاف جمال الـدين الأفغانى ، والشيخ محمـد عبده ، وكـان ثائرا لتطويـر الأزهر لدرجـة أثرت فى تلاميـذه من بعده ، فلقـد سبق الكثيرين من المصلحين للأزهـر ، ووضع بذرة الإصلاح الثقـافى فى عهده لتتلقفهـا الأجيـال من بعده ، ولقـد كـان من تـلاميذه رفـاعـة الطهطاوى .

ونـرى من تهـافتـه على المعرفـة وتعلقـه بهـا أن كتب فى حاشيته على « شـرح الجلال المحلى على جمع الجوامع » : «أن من تأمل ما سطـرناه ومـا ذكر من التصدى لتـراجم الأئمة الأعلام ، علم أنهم كانوا مع رسـوخ قدمهم فى العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، لهم اطـلاع عظيم على غيرها من العلوم ، وإحاطـة تامـة بكلياتها وجـزئياتها حتى فـى كتب المخالفين والعقـائد والفـروع يـدل على ذلك النقل عنهـم فى كتبهم ، والتصـدى لـدفع شبههم ، وأعجب مـن ذلك تجـاوزهـم إلى النظر فى كتب غير أهل الإسلام » .

والشيخ العطار - لا شـك - كانت لديه نـزعة إلى التعلم ، والاطلاع على العلـوم العصرية التى كانت فى عصـره ، فلقد ذكر لنا فى كتاب لـه تجربة أجراها عندمـا وضع قارورة مقلوبة فوق سطح المـاء ، وشاهد تأثير الضغط الهوائى على سطحه - وتأثيره فى عمليـة التوتر السطحى ولقـد عبر عن هذه التجـربة بأنها « عقليات لا برهانيات » .

والشيخ حسن العطار كـان يهوى مع الموسيقى عـدة فنون (الأزهر فى ألف عام / ١٢٠ ، ١٢١) .

وكان يحسن عمل المـزاول الليلية والنهـارية (الأعـلام ٢ / ٢٢٠) .

وكان لـه هوامش على كتاب « تقديم البلـدان لإسماعيل أبى الفداء سلطـان حماة » ولقد كان الشيخ العطـار كما يقول عنه تلميذه رفاعـة الطهطاوى : يطلع على الكتب المعربة من تواريخ وغيـرها ، وكان لـه ولع بسائر المعارف البشـرية ، مع غاية الديانة والصيانة ، وله بعض تآليف فى الطب وغيره زيادة على تآليفـه المشهورة ، فلقـد تشبث من الآن فصاعـدا نجباء أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية ففازوا بدرجة الكمال .

(شيوخ الأزهر ولمحات عـن نظامه المعاصر / ٢٣ ، ٢٤ ، والأعلام للزركلى ٢ / ٢٢٠ وقـد أورده تحت اسم « العطار » والأزهـر فى ألف عام د. أحمد محمد عوف / ١٢٠ ، ١٢١) .

انظر كتاب « حسن العطار » لمحمد عبد الغنى حسن فى سلسلة نوابغ الفكر العربى . دار المعارف . مصر سنة ١٩٦٨ (التراجم والسير - محمد عبد الغنى حسن / ٥٣) .

*** أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى (- ٣٧١ هـ) :**

من الطبقـة الخـامسـة للصوفية قـال عنـه عبـد الـرحمن السلمى : هو أبو الحسن على بن إبـراهيم الحصرى ، بصرى الأصل . سكن بغـداد ، وكان شيخ العـراق ولسانها ، لـم نر فيما رأينا من المشـايخ أتم حالا منه ، ولا أحسن لسـانا منه ، ولا أعلى كلاما .

كـان أوحـد المشـايخ ولسـان الـوقت ، وكـان أوحـد فى طـريقته ، من أجل المشـايخ وأظرفهم وألطفهم له لسـان فى التوحيد يختص هو به ، ومقام فى التفريد والتجريد مسلم له ، لم يشاركه فيه أحد بعده .

وهو أستـاذ العراقيين ، وبـه تأدب من تأدب منهم صحب أبـا بكـر الشبلى ، وغيـره من المشايخ مـات ببغـداد فى يـوم الجمعة فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

- الصوفى لا ينزعج فى انزعاجه ، ولا يقر فى قراره .

- آدم فى محلـه كان محلا للعلـل ، فخوطب على حسب العلل . ﴿ إن لك ألا تجـوع فيها ولا تعـرى ﴾ [طـه : ١١٨] وإلا فما مقام المجاورة مما يؤثر فيه الجوع والعرى ! .

- علمنا الـذى نحن فيه يوجب إنكار كل معلـوم مرسوم ، ومحو كل معلوم معلول .

- لا أحد أقل قدرا ممن يشتغل بـالفضائل فيقدم ذا ويؤخر ذا . فى الدنيا يكون ناسا بناس مع ناس ، وفى الآخرة : ﴿ولكم

فيهـا مـا تشتهى أنفسكم ﴾ [فصلت : ٣١] مع المطـاعم والمشارب والمنـاكح ، ليت الجنـة على قفا أهلهـا ، لعلنا إذا نجونا منها ومن طالبيها تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته ، وبدأنا بأنواع مباره ، بل لو عرفناه ما شاهدنا سواه .

ـ دعـونى وبلائى ، هـاتـوا مـا لكم ، ألستم من أولاد آدم الـذى خلقـه الله بيـده ، ونفخ فيـه من روحـه ، وأسجـد لـه ملائكته ، ثم أمـره بأمر فخالفه ؟ إذا كـان أول الدن درديا كيف يكون آخره ؟ .

ـ من ادعى فى شىء من الحقيقـة كـذبته شـواهـد كشف البراهين .

ـ نظرت فى ذل كل ذى ذل فـزاد ذلى على ذلهم ، ونظرت فى عز كل ذى عز فزاد عزى على عزهم . ثم قرأ : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ [فاطر : ١٠] .

ـ الصوفى الـذى لا يـوجـد بعد عـدمـه ، ولا يعدم بعـد وجوده .

ـ الصوفى وجده وجوده ، وصفاته حجابه .

ـ الصوفى إن وجد جحد ، وإن تجلى كشف .

ـ الخوف من الله علة وحجاب ، لأنه إذا كان خوفى منه لا يـزيل مراده فى ، ورجـائى لا يـوصلنى إلى مـرادى منه ، فقـد تعطل عندى حكم الخوف والـرجاء للمتحققين . وأما أرباب الرسوم والعلوم فعليهم واجب التزام الأدب .

ـ ربط الكل بالحدود ، وقطع طريق الحق عن الكل ، فلا تـرى إلا واقفا مع نفسـه أو مع رسمـه ، لبينـونة القـدم أن لم يلحقـه شىء من الحـوادث ، إذا زفـرت جهنم زفـرة فإن الكل يقول . نفسى نفسى ! . والأجل الأدنى يرجع إلى حد الشفقة ، فيقـول : أمتى أمتى ! . فـلا يبقى فى أحـد نفس بـلا علـة ، فيقـول : ربى ربى ! ليعلم أن محـل الحـوادث لا يخلـو عن العلل .

ـ هو أعز من أن يعز على سواه ، وأعز من أن يذل له غيره ، وأعز من أن يذل لغيره ، بل هو أذل مالـه لماله ، وعزز ماله ، على مالـه ، وليس لمن أعز معنى عـز به ، ولا لمن أذل معنى ذل بـه ، بل هـو أظهـر الجميع ، ورسم بأنهم عـزوا وذلـوا ، وذلك هو العز الذى لا يرام .

ـ ضاقت على أوقـاتى وأنفاسى ، فلست أستـروح إلا أن تذكر أنفاس جرت منى بأنس البسط بصفاء الوذ ، مصونة عن شوب الأكدار ، وأنشد هذا البيت :

إن دهـــــرا يلـف شملى بسلمـى
لــــزمــــان يهـم بـــالإحســـان

(طبقـات الصـوفية لأبى عبـد الـرحمن السلمى ـ يسره ورتبـه أحمـد الشرباصى / ١٢٠ ـ ١٢١) .

*** أبو الحسن على بن بندار الصيرفى (ـ ٣٥٩ هـ) :**

من الطبقة الخـامسة للصوفية ، وهـو أبو الحسن على بن بندار بن الحسين الصيرفى . من جلة مشايخ نيسابور . ورزق من رؤيـة المشـايخ وصحبتهم مـا لم يـرزق غيـره . صحب بنيسابور أبا عثمان ومحفوظا ، وبسمرقند محمد بن الفضل ، وببلخ محمد بن حامد ، وبجوزجـان أبا على ، وبالرى يوسف ابن الحسين ، وببغداد الجنيـد بن محمد ورويمـا وسمنون ، وأبا العباس بن عطـاء ، وأبا محمد الحريرى ، وبالشـام طاهرا المقـدسى ، وأبا عبـد الله بن الجلاء ، وأبـا عمرو الـدمشقى ، وبمصر أبا بكر المصرى والزقاق ، وأبا على الروذبارى . وكتب الحديث الكثير ، ورواه ، وكان ثقة .

مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

أسند الحديث :

عن عائشة أن النبى ﷺ قال : « نعم الإدام الخل » .

ومن كلامه :

ـ سئل : ما التصوف ؟ فقال : إسقـاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا .

ـ فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله .

ـ دار أسست على البلوى بلا بلوى محال .

ـ يا بنى ، إياك والخلاف على الخلق ، فمن رضى الله به عبدا فارض به أخا .

ـ إياك والاشتغال بالخلق ، فقد عدم عليهم الربح اليوم .

ـ ورأى مرة فى يد ابنه كتابا فقال له : ما هذا ؟

فقال : كتاب « المعرفة » . فقال : ألم تكن المعرفة فى القلوب ؟ فقد صارت فى الكتب ! .

ـ ليس الفقير من يظهر فقره ، إنما الفقير من يكتم فقره ، ويأنس به ويفرح .

ـ زمان يذكر فيه بالصلاح ، زمان لا يرجى فيه صلاح .

ـ كنت يوما أماشى أبا عبد الله محمد بن خفيف فقال لى : تقدم يا أبا الحسن . فقلت : بأى عذر ؟ قال : بأنك لقيت الجنيد وما لقيته .

ـ ثوب أستجيز فيه الصلاة أكره أن أبدله للقاء الناس بخير منه .

ـ وقال لبعض أصحابه : إلى أين ؟ فقال : أخرج إلى النزهة . فقال : من عدم الأنس من حاله لم يزده التنزه إلا وحشة .

ـ الحق أمر عظيم يطلبه الخلق ، إنما الحق يطرح الدنيا والآخرة .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ١٢٣ ـ ١٢٤) .

*** حسن فتحى (١٣١٧ - ١٤١٠ هـ / ١٩٠٠ - ١٩٨٩ م) :**

شيخ المعماريين العالميين كما يسمونه ، المهندس المصرى العبقرى حسن فتحى ، مؤلف كتاب « الهندسة للفقير » وصاحب نظرية هندسية تفى بالحاجات الأساسية لأكثر من ثمانمائة مليون من سكان العالم الذين لا يجدون المسكن المناسب ، وبالمواد المناسبة (المجال / ٢٢) وهو من مواليد الإسكندرية . ولد فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٣١٧ هـ / ٢٣ مارس ١٩٠٠ م .

قالت المؤلفة : التاريخ الهجرى لمولده المذكور أعلاه وهو ١٣١٧ حصلت عليه من مركز المعلومات بمؤسسة الأهرام ، ولكن بالرجوع إلى مادة « التقويم الهجرى » فى م ١٠ / ٢٩٥ من هذه الموسوعة وجدت أن ما يقابل ١٩٠٠ م هو ١٣١٨ هـ ولعل سبب ذلك اختلاف الشهور .

أتم دراسته بمدرسة الهندسة عام ١٩٢٦ ، ثم عين أستاذا لقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٣٠ ثم رئيسا لقسم العمارة قبل إحالته إلى المعاش (الشرق الأوسط ١٤ وفى عالم البناء العدد ٥٣ ، يناير ١٩٨٥ ص ١١ : حصل على شهادة التعليم المعمارى مؤسس على قواعد وأسس مدرسة الفنون الجميلة) .

تعرفه الأوساط العلمية المتقدمة فى أنحاء العالم من خلال تجربته الأصيلة فى قرية القرنة بمنطقة البر الغربى ، فى مواجهة الأقصر ، التى وصفها فى كتابه الفريد « العمارة للفقراء » كنموذج لسياسة الإنشاء والتعمير ، التى يمكن للعالم الثالث أن يطبقها ويتغلب بها على كثير من العيوب والمصاعب التى تواجه الإسكان الحديث .

وخلاصة هذه السياسة أن الفقراء ، وهم الغالبية العظمى من سكان العالم الثالث ، لن يستطيعوا الحصول على مساكن صحية ملائمة إلا إذا شيدت من مواد البيئة الطبيعية نفسها ، لا من المواد المصنعة الباهظة التكاليف ، وإلا إذا روعيت فيها أيضا ، فى المحل الأول ، الظروف الطبيعية لهذه البيئة ، والحاجات الاجتماعية والاقتصادية لأهلها ، التى لا معدى عنها فضلا عن ضرورة الاهتمام بعناصر الجمال .

ترفض هذه النظرية استعارة العمارة الغربية ، لأنها تتنافر مع تراثنا الحضارى وحياتنا المعاصرة ، وتتمسك بتلك العمارة التى صاغتها البيئة فى تاريخها الطويل ، لسلامة ماهيتها الهندسية ، وتنمية اتجاهاتها التى تجاوبت مع الحاجات الأساسية للإنسان ، ومضت بها فى طريق الحياة .

ولم يتوصل حسن فتحى إلى وضع هذه النظرية إلا بعد تفهم الخلفية الفكرية للمنطقة العربية التى يقيم فيها أبنيته ، وبفضل حسه الدقيق بالوضع الاجتماعى والاقتصادى للسكان ، وأهدافه القريبة والبعيدة (العمارة الإنسانية / ٢٦ ، ٢٧)

وكانت قرية « باريس » بالواحات المصرية أول منشآت حسن فتحى (الشرق الأوسط / ١٤) .

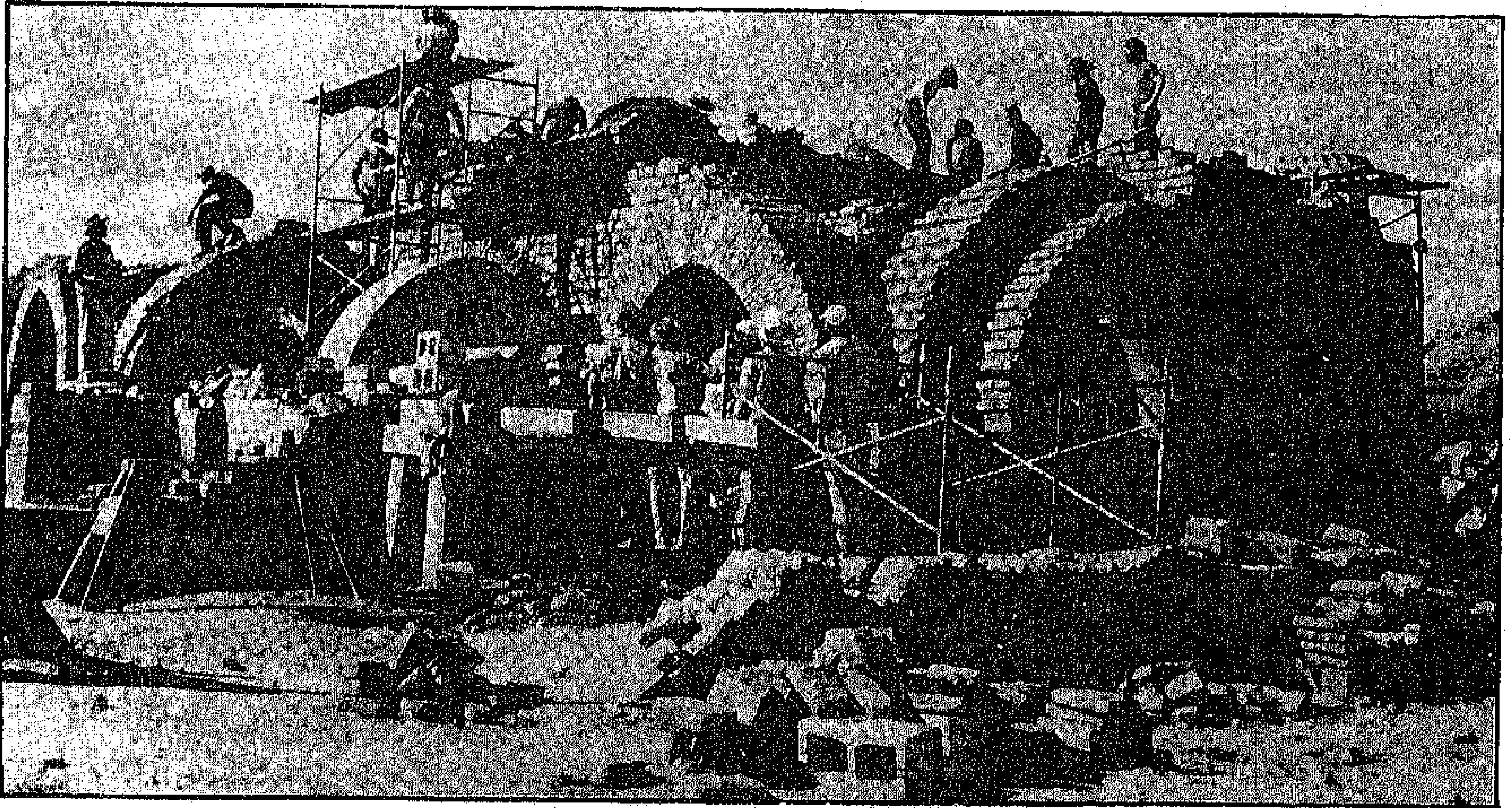
كتبت عنه صحيفة « ذى سمشسونيان أسوشييت » تقول : هو مهندس ذو شهرة عالمية ، موقر فى جميع أنحاء العالم . وهو مشهور . بكتابه : « الهندسة للفقير » الذى يعالج تجربة ضخمة قام بها ، وهى قرية القرنة ، قرب الأقصر ...

ونظريات الدكتور فتحى، التى يدرسها طلاب العلم بعناية فى كل مكان ، تركز على الاقتراب من الطبيعة ، واستخدام مواد البيئة الطبيعية . وهو يشدد على أن هندسة أمة ما هى إلا انعكاس لثقافتها وبيئتها ، « فكل الظروف لها هندستها » (المجال/ ٢٥) .

لقد ابتدع المهندس حسن فتحى للغة البناء



حسن فتحي يحاضر حول اساليبه الهندسية



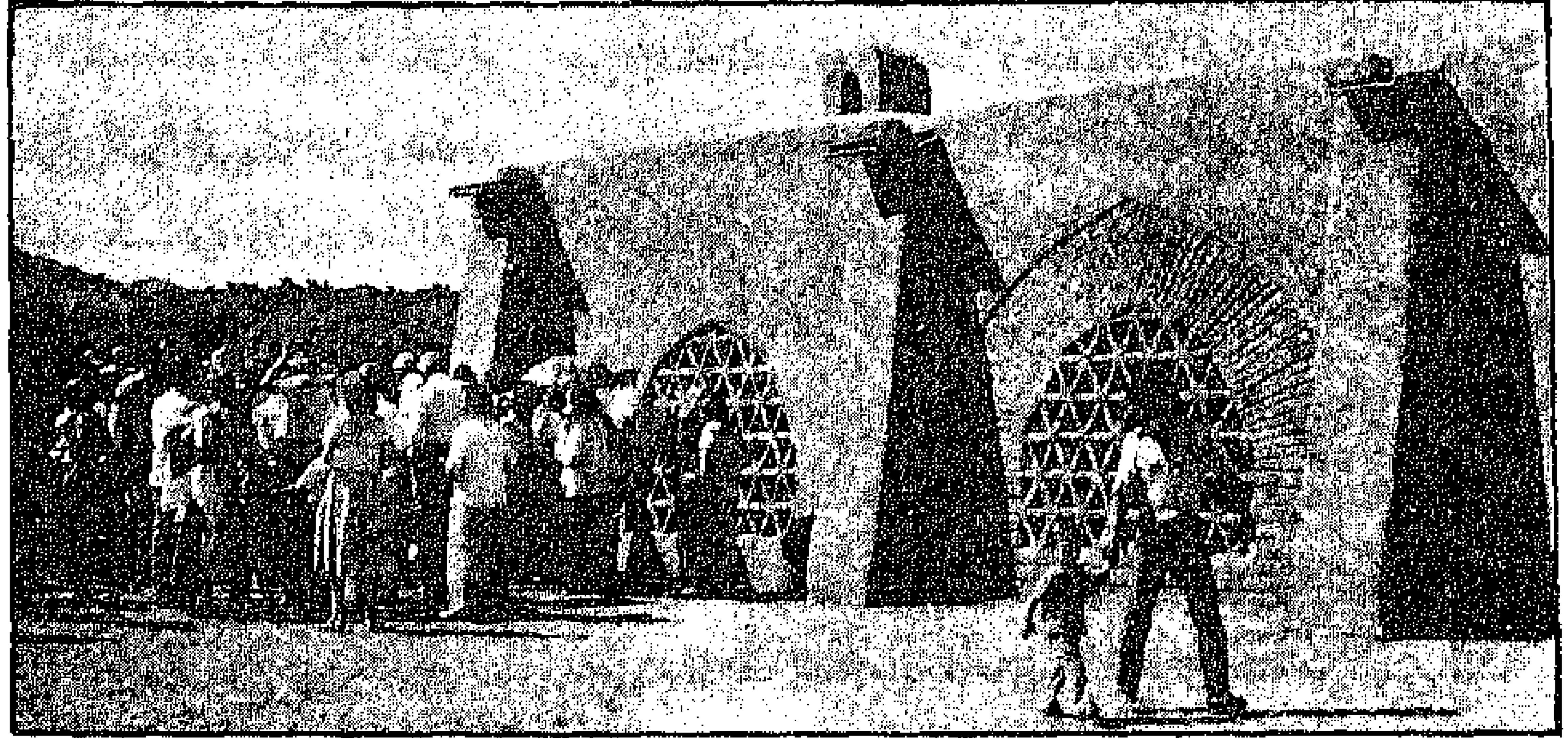
منظر عام للمبنى الجديد بكامله من الطوب اللبن .

مفردات جديدة وبسيطة ، مستغلاً خامات البيئة ومستفيدا من الخصائص الإيروديناميكية للعمارة فى تهيئة مناخ المبنى الذى يصممه فنجده يبحث عن الطوب الرملى لبناء مساكن فى البيئة الصحراوية ويزودها بالمشروبيات لكسر حدة الضوء

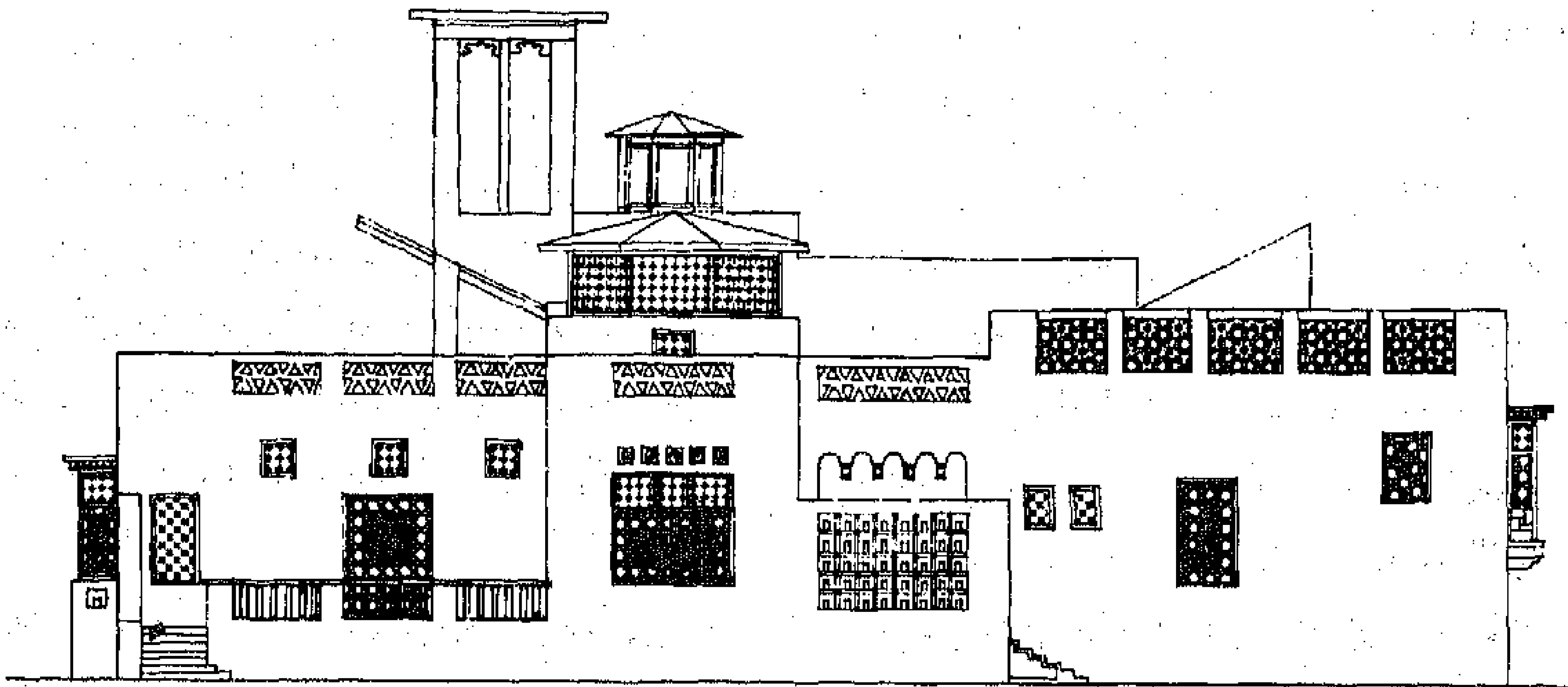
باريس بالواحات والتى قام ببنائها لم تتعد ١١ ألف جنيه ، لنقف على قلة التكلفة والتى تتيح لكل مواطن أن يكون له مسكن .

(الشرق الأوسط / ١٤) .

وهو فنان وشاعر، نالت محاولاته فى تكامل أساليب البناء المحلية مع التصميم الحديث ، شهرة عالمية . ومن أقواله



الى اعلى : زوار احتشدوا امام المسجد في ابيكيو بولاية نيومكسيكو يوم تدشينه بتاريخ ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٨١ . لاحظ كيف بني الطوب ، المصنوع باليد ، حول النافذة المبنى ليشكل عقدا شعاعيا جميلا .



ڤيلا نصيف في جدة ١٩٢٣

المشهورة : « لا يمكننا العودة إلى الوراء ، يجب علينا أن نستعيد الهندسة القديمة ، ثم نتحرك إلى الأمام . علينا أن

والقباب الدائرة لخلق مناخ رائع داخل المبنى ، ونجده يبنى منازل من الطوب اللبن (الطوب الطينى) فى الريف حيث امكانات البيئة توفر هذا ويكفى أن نعرف أيضا أن تكلفة قرية

نطبق العلم الحديث في تقييم هندستنا . بعد استبعاد الطارئ في الأسلوب ، والأحداث الزمنية التي لا علاقة لها بالثقافة » (المجال / ٢٥) .

وقد فهمته وقدرته دول العالم وعلى رأسها أمريكا التي دعته لبناء قرى كاملة في ولايتي أريزونا ونيومكسكو، ودرست أربع وأربعون جامعة في أمريكا منهجه المعماري وطريقته المتطورة في البناء المصري الأصيل ، فضلا عن جامعات الدول الإسكندنافية التي تقوم بتدريس منهجه حتى الآن (الشرق الأوسط / ١٤) .

وهو مصمم القرية المسلمة « دار الإسلام » في نيومكسكو بالولايات المتحدة . وقصة بناء هذه القرية بدأت بطرح فكرة تأسيس مركز إسلامي في الولايات المتحدة أدت إلى إنشاء مؤسسة سعودية لا تبغي الربح سميت « دار الإسلام » هدفها الإشراف على بناء قرية مسلمة ، وجمع الأموال اللازمة لذلك وقد اختير لها موقع في سهل مرتفع مشرف على نهر شاما ، وعلى بعد أربعين ميلا شمال غربي مدينة « سانتافي » بولاية نيومكسكو ، فتم شراء ألف فدان قيمتها ٣ , ١ مليون دولار .

والموقع يقع على خط عرض ٣٦ شمالا ، مما يجعله مشابها لكثير من الدول الإسلامية من حيث تضاريس الأرض والمناخ ، ولسكان هذه المنطقة تاريخ طويل من البناء بالطوب اللبن ، ولا يزالون يفعلون حتى اليوم . ومدينة «سانتافي » نفسها مشهورة في العالم أجمع بهندسة مبانيها التي تعتمد على الأشكال الوطنية المستوحاة من الهنود الأميركيين ، ومن المستوطنين الأسبان ، الذين استوحوها بدورهم من مصادر عربية وإسلامية في عهد الأندلس .

وعهدت المؤسسة إلى الدكتور حسن فتحي مؤلف «الهندسة للفقير » كما سبق القول ـ لتحقيق هذا الحلم .

وخطط الدكتور فتحي القرية ، وزار الولايات المتحدة صحبة اثنين من البنائين الإسوانيين . وكانت أول خطوة هي بناء قلب القرية ، وهو المسجد ، وبنى المسجد بطريقته الخاصة التي تعتمد على مواد البيئة وهي الطين ، وأسلوب البناء الذي يعتمد على القباب والعقود .

والواقع أن أي مسافر من الشرق الأوسط يزور المنطقة ، لا يشعر بالغربة في نيومكسيكو ، ومعظم المشتركين في العمل من أبناء الشرق الأوسط لاحظوا أن المكان يشبه المغرب ومصر والحجاز وأفغانستان . العنصر الوحيد الناقص كان منظر القباب والعقود التقليدية الموجودة في الشرق .

وجاء الدكتور فتحي ليغرس هذا « النبات » الجديد كجزء من عملية التهجين التي تميز الكثير مما يجرى في الولايات المتحدة ، حيث تلتقي عدة حضارات وتختلط . وقال الدكتور فتحي : « خط الواجب مستقيم وخط الجمال منحن» وهي ملاحظة شاعرية تحوى مفتاح واحدة من أعتى مشاكل هندسة وبناء منازل الفقراء . فالبيت العصري يستلزم ما قيمته تسعة آلاف دولار من الخشب ، وفي عام ١٩٩٠ سوف ترتفع هذه التكلفة إلى ٣٦ ألف دولار . وفي بيئة تمكن من الحصول من الأرض نفسها على مواد البناء (مثل الطوب اللبن ، والطين، والرمل ، والحصى) ليس من الصعب على الإنسان أن يقيم جدران بيته . والصعوبة الحقيقية والتكاليف الكبيرة ، تحدث عندما يبدأ في بناء السقف ، عندئذ عليه أن يشترى الأخشاب أو الأسمنت والحديد ، أو العوارض الخشبية أو الحديدية حتى يكمل البناء .

لكن استخدام الأسلوب الذى طوره الدكتور فتحي من أسلوب البنائين النوبيين في صعيد مصر ، يمكن من إقامة السقف باستخدام العقود والقباب بنفس الطوب اللبن الذى استخدم في بناء الجدران وهذه القباب والعقود لا تحتاج إلى قوالب خشبية . ومن ثم يمكن توفير تكاليفها ، فضلا عن توفير الوقت اللازم لإقامة وتحريك هذه القوالب . ويقول الدكتور فتحي « كلما كان البناء رخيصا كلما زادت الحاجة إلى الفن لماذا نظن أن الفقراء لا يعيشون عيشة أفضل من الأثرياء إلا إذا عاشوا في صناديق من الأسمنت المسلح ؟ والمسألة ليست مسالة بناء أربعة جدران فوقها قبة ، بل عليك أن تعالج الهندسة الداخلية » .

والمفارقة أن زيارة الدكتور فتحي جاءت في وقت كادت الدول العربية والإسلامية فيه أن تهمل تماما استخدام هندسة

البناء بالطوب معتبرين ذلك من مخلفات الماضى أو أنها مخصصة لاستخدام القرويين الفقراء . وأصبحت هندسة الشرق الأوسط الحديثة خليطا من الأشكال معظمها نسخ متكررة من الهندسة الغربية المعاصرة مع بعض عقود لإعطائها اللمسة الإسلامية أو العربية . يحدث هذا فى نفس الوقت الذى تشهد فيه المنطقة الواقعة فى جنوب غرب الولايات المتحدة ازدهار فى أسلوب البناء بالطوب اللبن . وقانون المبانى فى سنتافى يشترط أن تتشابه كل المبانى مع هذا الطراز المحلى ، وألا يتعدى ارتفاع اى مبنى ثلاثة طوابق . والضواحى النموذجية حول مدن البوكيرك . ونيومكسيكو ، وتوسكان ، وفونيكس بولاية إيرزونا . وبالم سبرنغز بولاية كاليفورنيا ، بنيت كلها من الطوب اللبن .

ويشترك علماء التربة ، ومهندسو الطاقة الشمسية ، والمهندسون المصممون ، فى بحوث مستفيضة لتطوير واستخدام هندسة الطوب اللبن ، وألف عدد متزايد من الكتب عن الموضوع ، فضلا عن صحيفة تسمى « اللبن اليوم » مخصصة كلها لعمليات البناء بالطوب اللبن .

وفى موقع الإسلام ، أقام المهندس حسن فتحى ورشة جعلها تجربة عملية لهذا النوع من البناء . وأحاط عدد ممن جذبهم حب الاستطلاع بالمهندس المصرى وعامليه ، من بينهم مطلعون ومسؤولون من مصلحة الإسكان والتطوير الحضرى بالحكومة الفيدرالية الأميركية ، وهم عازمون على التعلم . ليس بالمشاهدة فقط ، بل أيضا بممارسة العمل فى بناء المسجد بأيديهم ، وتنافست فرق من البنائين للاستفادة من مدة بقاء البنائين النوبيين ، لمعرفة طريقة بناء الطوب الذى يبدو أنه يتحدى الجاذبية ، وشهد الدكتور فتحى بأنه لم يزر مكانا زاد الحماس فيه لقبول أفكاره وأساليبه كهذا المكان وربما بعد انتشار هذه المبانى فى جنوب الغرب الأمريكى ، يصبح الأفق مرصعا بالخطوط الرشيقة للقباب والعقود ، ومن ثم يدخل عنصر جديد فى مفردات لغة المهندسين المحليين والبنائين .

ودار الإسلام مجموعة معظمها من المسلمين الأميركيين يعملون فى تخطيط وبناء هذه القرية المسلمة فى الولايات المتحدة . وأحد الأسباب الرئيسية لزيارة الدكتور فتحى ، بالإضافة إلى الندوة العملية والورشة ، هو دارسة المنطقة حتى يمكنه البدء فى عمل تخطيط للقرية . ومعروف أنه سبق أن خطط بعض القرى ، غالبا على المستوى الحكومى . ولديه خبرة وتجربة واسعين ، ليس فقط بالإسكان ، بل أيضا بالمدارس الداخلية منها والخارجية ، وبيوت الضيافة ، ودور المؤتمرات والندوات ، ومناطق الصناعة الخفيفة ، والبيوت الريفية ، ودور الترفيه والإدارة .

ويجرى تخطيط القرية على مراحل ، المرحلة الأولى لإيواء خمسين أسرة تتزايد حتى تصل إلى مئة أسرة خلال عشر سنوات ، وأكثر من ثلث الأرض الواقعة على ضفتى نهر شاما مخصص للزراعة التى يرجى أن توفر معظم الغذاء اللازم للقرية . وسيوفر الغذاء أيضا من منتجات الألبان . وذلك بتربية المواشى والأغنام والدواجن والنحل ، وبستان للفاكهة والكروم، ويرجو المؤسسون أن ينشأ فى المكان مجتمع إسلامى يمد جذوره فى المنطقة ويبقى ويتكاثر على مر السنين .

والنظرية الرئيسية فى اتجاه الدكتور فتحى فى البناء هى أن « الهندسة فن اجتماعى لا فردى » .

وتبعا لذلك . سيكون أول عمل لمؤسسة دار الإسلام هو إقامة مصنع للطوب سيكون أول صناعة تقام فى القرية وتوفر العمل لعدة أسر ، وتوفر مخزونا يستخدم محليا ويعرض للبيع . ثم تبدأ الهندسة « الاجتماعية » كما يصفها الدكتور فتحى فى كتاب « الهندسة للفقراء » فى خطين متكاملين .

الخط الأول : هو الخط التعاونى ، حيث يتبادل الناس العمل بغرض الإسكان لأن كل جار حين يساعد فى بناء بيت ، يكون له الحق فى أن يساعده الآخرون ، وهو بذلك يفتح حسابا فى « بنك العمل » فالبيت أساسا إنتاج اجتماعى فرجل واحد لا يمكنه أن يبنى بيتا واحدا لكن مائة رجل يستطيعون بسهولة بناء مائة بيت » .

والخط الثانى هو « التدريب أثناء العمل » لأنه « إذا كان

سكان القرية هم الذين سوف يبنونها فلا بد إذا من منحهم المهارات اللازمة ، ومهما كان الحماس الذى يولده النظام التعاونى فإنه سوف يكون قليل الفائدة إذا لم يعرف الناس كيف يبنون وعدد العمال المهرة الذين يحتاج إليهم بناء قرية . كبير لدرجة أن استخدام عمال من الخارج سوف يرفع التكلفة ارتفاعا كبيرا . ونحن فى حاجة إلى وسيلة لتعليم مبادئ البناء العملى ، حتى يستطيع ابن القرية أن يساهم فى بناء بيته وقريته .

وأحد أهداف مشروع دار الإسلام هو خلق بيئة تحافظ وترعى الأشكال التقليدية للحياة الإسلامية ومعنى هذا ليس تعليم القرآن والسنة فقط ، بل أيضا أسلوب وشكل حياة المسلمين خلال الأربعة عشر قرنا منذ ظهور الإسلام . هذه التقاليد هى التى طورت شكل ونمط البيوت التى يعيش فيها الناس ، وقررت علاقات بعضهم ببعض ، وبعد كل بيت من المسجد والسوق ، والأضواء والظلال وكيف تتكون الجيرة ، والعلاقة بين الأماكن العامة والخاصة ، وأسلوب تجميل المبانى ، وتحركات الرجال والنساء ، وعموما كل الشروط التى توفر التكامل بين القيم الروحية والحاجات العملية ، وهى مميزات وعبقرية الهندسة الإسلامية الأصيلة وحينما تدخل فى الحساب قيم مثل الخصوصية ، خاصة خصوصية رؤية أعضائه من النساء ، والجمال بلا غطرسة ، وهو الجمال الذى يؤدى إلى بساطة المظهر الخارجى ، وجمال وزخرفة الداخل ، والتكامل الناشىء عن الجدران المشتركة واتصال المجموعات السكنية والممرات التى تميز تكاثف المبانى ، تتكون أشكال تحترم القيم الإنسانية . وهذا مختلف تماما عن الأنماط الحالية التى تجرى على أساس ميكانيكى ، وهى الأنماط التى تبعد الإنسان عن معادلة الحياة والعيش . والنتيجة أن معظم مشروعات التخطيط المعاصرة مثالية بالنسبة للآلات ، ولكنها أقل من مثالية بالنسبة للآدميين .

وكما يقول الدكتور فتحى فى مقارنة الأشكال التقليدية بالأشكال المعاصرة : « الهندسة الإسلامية تبدأ بالداخل . ثم تتحرك إلى الخارج ووظيفة الفراغ أساسية . والشكل الخارجى يجب أن يعبر عن القوى العاملة فى الداخل . فى المنزل العربى تتلاقى الفراغات المختلفة كنغم موسيقى . والنغمات الموسيقية ينبغى أن تتناسق حتى تصبح موسيقى لا مجرد أصوات وضوضاء والهندسة الإسلامية مستمدة من منطق الفراغات لا الجدران . المبانى العالية فكرة بسيطة للسذج أى نوع من الحياة يمكن أن يوجده تكديس ألف شخص الواحد فوق الآخر ؟ اعتقد أنه توجد شروط مادية تشجع على المواجهة الإنسانية ليست المصاعد واحدا منها : المبانى المرتفعة تؤدى إلى الخوف لا الصداقة . وبعد ارتفاع معين . تفقد إنسانيتك » .

أحد الطرق التى يأمل الدكتور فتحى أن تحل مشكل التفاوت بين قيم التقاليد والأساليب . والنظريات الحديثة ، وهو من خلال رعاية مؤسسة أقامها مع آخرين باسم « المعهد الدولى للتكنولوجيا المناسبة » أحد فروع هذه المؤسسة سيكون فى دار الإسلام بالولايات المتحدة . وفى مقدمة أهداف المؤسسة أنه « منذ العصور السحيقة ، تفاعل الإنسان مع البيئة ، مستخدما ملكاته لتطوير أساليب وتكنولوجيات ، سواء لصنع الخبز أو صنع الطوب ، فى توازن مع الطبيعة وانسجام مع البيئة وكان ما خلقه طبيعيا ، وجاء من نفس المواد التى توفرها البيئة التى يعيش فيها الناس . وحينما تعلم الناس أن يعالجوا الطمى ، والحجر ، والمعادن ، والخشب ، غاصوا فى خصائصها الذاتية التى خلقها الله ، وأدت هذه الأساليب إلى التعبير عن آمالهم نحو التناسق مع الخالق .

« ومع تقدم الثورة الصناعية ، انمحت الأساليب الموروثة والمهارات اليدوية المكتسبة ، وفقدت فى عالم النسيان . وقللت الآلات الميكانيكية العالية الطاقة من إسهام الإنسان الشخصى فى صنع الأشياء . وبناء الهياكل ، وزراعة الغذاء ونحن نشاهد حولنا الآن مظاهر الاضطراب الاقتصادى والسياسى الناتج عن ذلك . وكان يمكن تحاشى الكثير من المعاناة ، لو لم يحرم الناس من فرصة سد حاجاتهم من واقع مهاراتهم اليدوية وإنتاج الجمال ، الذى امتازت به الملايين حل محله التصنيع - حتى للقمح والخبز لقد أفسدت الثورة

الصناعية الفطرة الإلهية للإنسانية ونحن فى حاجة عميقة لإعادة تقييم العلاقة بين الإنسان وما خلقه الله » .

فى مقال نشره مؤخرا العالم المسلم المشهور الدكتور سيد حسين نصر بعنوان « الإنسان والعالم » ، وضح الانقسام بين الاتجاهات التقليدية والحديثة قائلا « الإنسان التقليدى عرف على وجه اليقين من أين جاء ، ولماذا يعيش ، وإلى أين يذهب ويوضح القرآن هذا اليقين فى قوله تعالى ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ [البقرة : ١٥٦] وعموما فإن الإنسان الحديث لا يعرف من أين جاء ، وإلى أين يذهب ، ومن ثم لا يعرف لماذا يعيش » .

والإجابة على هذا السؤال . ومفتاح تقييم علاقة الإنسان بما خلقه الله ، موجود فى القرآن ، حيث الآية ٣٠ من سورة البقرة تقول : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ هذا الخليفة خلق من طين : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون** ﴾ [الحجر : ٢٨] هذه إذا هى العلاقة بين الطين والخليفة . وحينما يبدأ الإنسان فى تقييم موقفه باعتباره خليفة الله على الأرض فقط ، تتضح العلاقة الحيوية بمصدر الكائنات جميعا ، ويصبح التوازن الذى يمثله المجتمع التقليدى ممكنا مرة أخرى .

هذه هى الأفكار التى يلمح إليها الدكتور فتحى عندما يقول إن المبدأ الأساسى لعمله هو : « المحبة والبناء ، لا الكراهية والتدمير » وهو فى النهاية جوهر التعليم الإسلامى للتوحيد ، الذى يوفر الفهم الحيوى لحالة محتملة من الكيان ، يكتسب فيها كل نشاط إنسانى بُعده الأسمى ، ومن ثم يصبح كل شيء مقدسا ﴿ **سبح لله ما فى السموات والأرض** ﴾ [الحديد : ١] .

من الطين خلق الإنسان بروح من الله ، ورفع إلى أسمى مراتب المسئولية بالنسبة لحياته وحياة الأرض . هذه إذا هى الآية التى نسترشد بها فى بناء بيوتنا وملاجئنا أيضا من الأرض ، لنجعلها تنسجم مع الكون الإلهى الذى نعيش فيه . ﴿ **وفى الأرض آيات للموقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [الذاريات : ٢٠ ، ٢١] .

وقد تم تدشين المرحلة الأولى من القرية [عام ١٩٨١] فى احتفال أقيم بمناسبة الانتهاء من بناء المسجد ووضع حجر الأساس لمبنى المدرسة الإسلامية ، التى ستدرس العلوم الإسلامية باللغتين العربية والإنكليزية .

وكان المهندس حسن فتحى الذى وضع حجر الأساس للمسجد وأشرف على التدريب على بنائه من الطوب اللبن ، حاضرا (المجال / ٢٢ـ٢٥) .

وقد نال حسن فتحى أرفع الأوسمة فى عهد جمال عبد الناصر ، فقد حاز جائزة الدولة التشجيعية فى مصر سنة ١٩٥٩ ، والجائزة التقديرية سنة ١٩٦٩ ، كما حصل على جائزة بول هوفمان . للتنمية حيث يعد من القلائل الذين اهتموا بالفقراء فى العالم فصمموا لهم أحدث المنازل وأجملها بأقل التكاليف وهذا هو محور برنامج التنمية الذى يمنح الجائزة والتابع للأمم المتحدة ... كما نال الجائزة العالمية للسلام من الأمم المتحدة للبناء للفقراء أيضا .

وفى ديسمبر ١٩٨٠ نال الجائزة الأولى لمؤسسة أغاخان ، وقالت اللجنة التى منحته الجائزة : إن أعمال حسن فتحى وتعاليمه المبكرة ، كشفت عن النواة التى ازدهرت منها أعماله اللاحقة ، إن التزامه بالعمل لصالح الفقير ، وذوقه الجمالى الذى يسترعى النظر قادا محاولاته فى شبابه لتحسين مساكن العمال فى مزرعة أبيه ، وأدت فيما بعد إلى نضج تعبيره عن أفكاره كما تجسدت فى قرية القرنة الجديدة . وكمؤيد لأسلوب البناء البلدى ، أثبت أن الهياكل الرشيقة المشيدة من الطوب اللبن ، يمكن أن يكون بناؤها اقتصاديا ، ومتفقا بشكل يدعو إلى الإعجاب مع المناخ ، لقد علمنا حسن فتحى قيمة البيئة الوطنية وجعلنا نرى أن الدروس التى ينبغى تعلمها هى دروس حديثة ، لقد كان تأثيره عالميا . (المجال / ٢٥) .

كما حصل على جوائز من جامعه لدزان ، وأكاديمية الفنون البلجيكية ، وجائزة بلزان ، وهو أول من حصل على الميدالية الذهبية للاتحاد الدولى للمعماريين على مستوى العالم سنة ١٩٨٤ (الشرق الأوسط / ١٤) .

وقد جاء عن جائزة حسن فتحى العالمية لعمارة الفقراء ما يلى :

عندما كرس حسن فتحى حياته لتعميق مفهوم عمارة الفقراء ... ببعديها المعمارى والإنسانى ... وعندما أسبغ جهوده على البحث والتطبيق حتى استطاع تكوين مادة علمية تطبيقية تدرس فى المناهج المعمارية بالعديد من جامعات العالم ... إنما كان يهدف إلى إرساء القواعد ... ووضع اللبنة الأولى فى بناء باب واسع عسى أن يلج منه الملايين من فقراء العالم ... ليسلكوا طريقهم إلى الراحة ... والأمان ... وهما أدنى متطلبات العمارة فى جميع أنحاء العالم ... وفى جميع العصور .

ومن هذا المضمون ... خصصت جمعية إحياء التراث التخطيطى والمعمارى جائزة ... تحمل اسم المعمارى الراحل حسن فتحى ... سعيا إلى تفجير الطاقات الفكرية والفنية لدى المخططين والمعماريين والحرفيين والمؤسسات العلمية والفنية والأفراد المهتمين بهذه الرسالة فى كل أرجاء العالم ... لتقديم أفضل إنتاجهم لخدمة هذه الفئة المهضومة من فقراء العالم ... بيئيا وعمرانيا ... كما تهدف الجائزة إلى زيادة الوعى لدى المسئولين عن أعمال الإنشاء والتعمير والتعليم المعمارى والتخطيطى والأنشطة العملية والمهنية والأفراد والجمعيات الخيرية بهذه الدعوة الإنسانية وبذلك تأخذ الجائزة اتجاها انسانيا خاصا يحتاج إلى الإدارك بالمسئولية الاجتماعية والحضارية قبل فقراء العالم . وهذا ما كان يدعو إليه المعمارى الراحل حسن فتحى ويعمل فى سبيله إلى آخر لحظات حياته .

وعندما خصصت هذه الجائزة تقرر منحها لأحسن الأعمال أو البحوث أو المشروعات المعمارية أو التخطيطية التى تصمم بهدف الارتقاء بالبيئة العمرانية للفئات محدودة الدخل وتقرر منح هذه الجائزة مرة كل عامين فى شهر مارس وهو الشهر الذى ولد فيه المعمارى الراحل حسن فتحى .

(عالم البناء ، العدد (١٣٠ / ٢٤) حسن فتحى العالمية / ٢٤) .

والمهندس حسن فتحى كان يرأس المعهد الدولى للتكنولوجيا المناسبة بالقاهرة ، كما كان عضواً فخريا بالمعهد الأمريكى للمهندسين (١٩٧٦) (المجال / ٢٥) .

وكانت منظمة اليونسكو قد قررت إنتاج فيلم وثائقى قصير عن المهندس حسن فتحى رحمه الله ، يقوم بإخراجه المخرج اللبنانى برهان علوية ، الذى حضر إلى القاهرة ، والتقى بالمهندس المعمارى فى بيت الفنانين بالقلعة (يأتى الكلام عليه فيما بعد) تمهيدا للبدء فى إعداد الفيلم .

وكل هذا التقدير يرجع إلى أنه صاحب نظرية فى العمارة الإنسانية ، طبقها فى قرية القرنة جنوب وادى النيل ـ كما سبق القول ـ وصاغها باللغة الفرنسية فى كتاب « قرية القرنة ـ العمارة للفقراء » الذى ترجم إلى أكثر من لغة ليس بينها العربية ، وتدرس فى الجامعات الأوربية كنموذج متقدم للعمارة الريفية فى دول العالم الثالث (العمارة الإنسانية / ٥٠ ، ٣٥) .

ولتفانيه فى حب العمارة الإسلامية جعل حسن فتحى منزله بحارة اللبانة بحى القلعة العتيق مثلا حيا لطموحاته محافظا فى كل ركن من أركانه على روح التراث فنجد الموقد من العصر المملوكى والمدفأة بالخشب ونافخ الكير والأرض مغطاة بسجاد يدوى عربى متناثر عليها وسائد والموبيليا قليلة ذات طراز إسلامى من الخشب الأسود اللون ...

والشيء نفسه فى منزله (رحاب) فى طريق سقارة والمبنى من الطوب الرملى وذى القباب الدائرية والمشربيات ... (الشرق الأوسط / ١٤) .

قالت المؤلفة : هذا الذى أشير إليه بأنه منزل حسن فتحى هو فى الواقع منزل على لبيب (آخر القرن ١٢ هـ / آخر القرن ١٨ م . أثر رقم ٤٩٧) ويعرف أيضا بدار الفنانين ، حيث استأجر الفنانون ، ومنهم المهندس حسن فتحى غرفها وأدوارها واتخذوها مراسم لهم . وهو يقع بدرب اللبانة إلى الشمال من مسجد قانيباى الرماح (أمير آخور) بمنطقة القلعة وقد قمت بزيارته يوم الأحد ٢٠ مايو ١٩٨٤ ، والطريق الذى سلكته بدأ من مسجد قانيباى الرماح المواجه لمسجد الرفاعى ، وعند نهايته انحرفت يسارا لأجد المنزل على اليسار

وقد كانت تجرى فيه أعمال الترميم آنذاك فلم أستطع الصعود إلى طبقاته ، واكتفيت بدخول الفناء الأول للاستطلاع ، وشاهدت بعض الفنانين عاكفين على أعمالهم بجوار النوافذ المطلة على هذا الفناء ، وسنفرد لهذا المنزل مادة خاصة بعنوان « على لبيب (منزل ـ) » فى حرف العين إن شاء الله تعالى .

لقد عاش حسن فتحى رحمه الله واشتغل فى فترة تزايد سكانى مفرط ، وتطور تكنولوجى محدود . تأمل وتفحص طوال حياته العملية المشاكل التى يسببها تعدد المصالح والاستخدامات نتيجة للتكنولوجيا الجديدة ، وافتقاد التجديد فى المهارات التقليدية ، وكذلك تواجد الفقر والرخاء فى تصميم المأوى للإنسان . ومن قلب هذه المشاكل بحث الجذور الثقافية للبناء ، وحث المعماريين والفنانين والجمعيات على الاشتراك معا فى بناء مساكنهم . وهذا الجهد فى البحث عن مدلول ثقافى لا يوضح الدروس المستفادة من التكنولوجيا القديمة والتقليدية فحسب ، ولكن يوضح أيضا الصفات الروحية التى أضافت أهمية كبرى للإنسان فى منشأته الثقافية والاجتماعية .

وتتعدد الدروس المستفادة من حسن فتحى ، ولكن أهمها هو تفانيه فى مهنة العمارة بكل جوانبها . وكلما استخدم المعماريون التكنولوجيا الحديثة وطوروها مستقبلا كلما توصلوا إلى الأسس والمبادئ الأساسية التى طبقها حسن فتحى خلال حياة عملية مثالية (عالم البناء ، العدد ٥٣ / ١١) .

له مؤلفات ومقالات ومحاضرات عديدة فى بلاده وفى الخارج ، عن أسلوبه الذى يهدف إلى إحياء الهندسة الإسلامية التقليدية وتطويرها ، ومن محاضراته « العمارة العربية بالشرق الأوسط » ألقاها فى جامعة بيروت العربية ٢٩ نيسان ١٨٧١ .

قالت المؤلفة : من بين مؤلفاته كتاب عندى بعنوان «المنزل العربى فى الوسط الحضرى » وهو محاضرة عربية ألقاها فى جامعه اسكس فى ٣ نوفمبر ١٩٧٠ وهى المحاضرة العربية الرابعة لشركة كاريراس ، طبع لونجمانز لجامعة اسكس ، و « العمارة العربية بالشرق الأوسط » وهى محاضرة بجامعة بيروت العربية ، ٢٩ نيسان ١٩٧١ (القيم الجمالية / ٣٤٣) وقد ذكر له الدكتور ثروت عكاشة فى ثبت الهوامش رقم ٥١ « القاعة العربية فى المنازل القاهرية » من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس ـ إبريل ١٩٦٩ . ألفية القاهرة . وزارة الثقافة . مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ .

توفى رحمه الله فى ٢ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ / ٣١ نوفمبر ١٩٨٩ م .

(« قرية مسلمة فى نيومكسكو » ـ عبد الله نور الدين دوركى . المجال العدد (١٢٩) صفر ١٤٠٢ هـ ـ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨١ / ٢٢ ـ ٢٥ ، والشرق الأوسط . السنة الحادية عشرة ، العدد ٣٥٥٠ الأربعاء ٥ محرم ١٤٠٩ هـ ـ ١٧ أغسطس ١٩٨٨ م / ١٤ ، وعالم البناء العدد (٥٣) ١٤٠٥ هـ ـ يناير ١٩٨٥ / ١١ ، والعمارة الإنسانية للمهندس. حسن فتحى ـ نبيل فرج مكتبة الأنجلو المصرية د.ت / ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، وعالم البناء . العدد (١٣٠) ١٤١٢ هـ ـ مايو ١٩٩٢ م / ٢٤ ، والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٣٤٣ ، ٣٤٤) .

*** حسن قائمى بابا السرائى :**

أدرجه الخانجى بين شعراء البوسنة حماها الله ، وقال عنه :

حسن قائمى بابا السرائى البوسنوى : ولد فى بلدة «سراى» وارتحل فى صغره إلى مدينة صوفيا فلازم الشيخ مصلح الدين من بلدة « أوزيجه » وكان شيخ الطريقة الخلوتية ومكث عنده حتى أجازه للإرشاد ، ثم رجع إلى بلد ولادته ، ولكنه تصادم مع أهل العلم فأنكروا عليه كلامه فذهب إلى بلدة « أزوورنيق » فمكث بها إلى أن توفى سنة إحدى وتسعين وألف وبنى الناس على قبره تربة ، وكان ممن أولع بعلم الجفر.

(علم الجفر : علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم ...

وقد أوردناه لك تحت عنوان « الجفر والجامعة (علم ـ) فى م ١٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ فانظره فى موضعه) .

وألف كتابا منظوما سماه « بالواردات » ملأه بالأخبار عما يأتى من انكسار دولة وقيام أخرى ، وغلبة جيش وانهزام آخر ،

وفتح بلدة وضياع آخر [أخرى] وغير ذلك ، وكل ذلك يستخرج بحساب مخصوص . وقد كان بعض بسطاء الناس أقبلوا على كتابه يستخرجون منه الأخبار الغيبية فإذا رأوها كذبت قالوا : غلطنا فى الحساب . وللمترجم أيضا أشعار باللغة البوسنوية .

(وذكر محمد طاهر البروسوى أن له ديوان شعر مرتبا قال ويفهم منه أنه كان قادرى الطريقة هذا وقد عرفت أن شيخه خلوتى) .

(المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجى ، هدية مجلة الأزهر . ذو الحجة ١٤١٢ هـ / ١٠٤ ، ١٠٥) .

*** حسن كافى الأقحصارى :**

انظر : الأقحصارى .

*** حسن المآل فى عد مناقب الآل :**

انظر : وسيلة المآل فى عد مناقب الآل .

*** الحسن المثنى :**

انظر : الحسن بن الحسن .

*** حسن المجاز بضبط علاقات المجاز :**

انظر : المجاز .

*** أبو الحسن الكندى (٥٠٠ـ٥٦٥ هـ / ١١٠٦ـ١١٦٩ م) :**

من الخطاطين . وهو أبو الحسن على بن ثروان بن زيد بن الحسن الكندى ، وهو ابن عم تاج الدين أبى اليمن الكندى . أصله من الخابور .

ولد ببغداد ونشأ بها ، وقرأ الأدب على الشيخ أبى منصور الجواليقى وعلى غيره مَن كبار علماء الأدب واللغة .

وسمع الحديث الشريف من أبى البركات هبة الله البخارى، وأبى القاسم السمرقندى . وهو الذى أفاد ابن عمه تاج الدين وأحضره مجالس مشايخ الأدب ورغبه فى ذلك وحثّه عليه من صغره .

انتقل أبو الحسن من بغداد إلى دمشق ، وسكنها ، واستفاد منه الناس ، وتقدم عند الأمراء ، واتصل بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وصار من أخصائه . وكان يكتب خطًّا جيدا بديعا ، يشبه خط شيخه أبى منصور الجواليقى . وقد كتب نسخة من كتاب الحماسة بخطه البديع فى غاية الإتقان والنفاسة .

وكان مشهودا له بالفضل والمعرفة بين العلماء ، وكان أديبا كاملا ، وله شعر حسن ، ومنه قوله وقد كتبه على باب أحد أصدقائه :

حضر الكندى فعناكم فلم
يركُم من بعد كدٍّ وتعب
لو رآكم لتجلى همُّه
وانثنى عنكم بحسن المنقلب

توفى أبو الحسن فى دمشق سنة خمس وستين وخمسمائة ودفن هناك .

(جمهرة الخطاطين البغداديين ـ وليد الأعظمى / ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

*** حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة :**

من مؤلفات الحافظ جلال الدين السيوطى ، فى جزأين ، وهو تاريخ للبلاد المصرية والقاهرة عاصمتها ، مع بعض فصول إضافية فى النظم المملوكية وأساليبها وطبقات العلماء والأصلاء والصوفية فى مصر (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٤) .

والكتاب يضم أخبار مصر منذ القدم حتى عصر المؤلف فيذكر المواضع والأحاديث التى وقع فيها ذكر مصر ثم ما أورده المؤلفون من أخبار مصر بقصد الكشف عن حياة مصر العلمية والأدبية .

ويصف السيوطى فى الجزء الأول من كتابه إقليم مصر ومن نزل بها من أولاد آدم ، ومن ملكها قبل الطوفان وبعده ، ومن دخلها من الأنبياء وأخبار الصديقين والسحرة الذين آمنوا بموسى .

ويذكر بعد ذلك عجائبها وخاصة الأهرام ومنارة الإسكندرية وعجائبها . ثم دخول العرب مصر فى خلافة عمر وبناء المسجد الجامع والدور والحمامات ، ومن دخلها من الصحابة بعد ذلك ، ويأخذ بعد ذلك فى الترجمة لمشاهير من كان بمصر من الأئمة المجتهدين وحفاظ الحديث ونقاده

وفقهاء الشافعية و المالكية والحنفية والحنابلة ، وكذلك أئمة القراءات والنحو واللغة والحكماء والأطباء والمنجمين والوعاظ والقصاص والمؤرخين والشعراء والأدباء ، ويترجم لنفسه مع هؤلاء .

أما الجزء الثانى فيتناول فيه جلال الدين السيوطى أمراء مصر منذ أن فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد ، ثم بنو أيوب ، ثم من قام بها من الخلفاء العباسيين .

ويذكر قضاة مصر ووزرائها وكتّاب السر، ويتحدث عن مساجد مصر ، وأمهات المدارس .

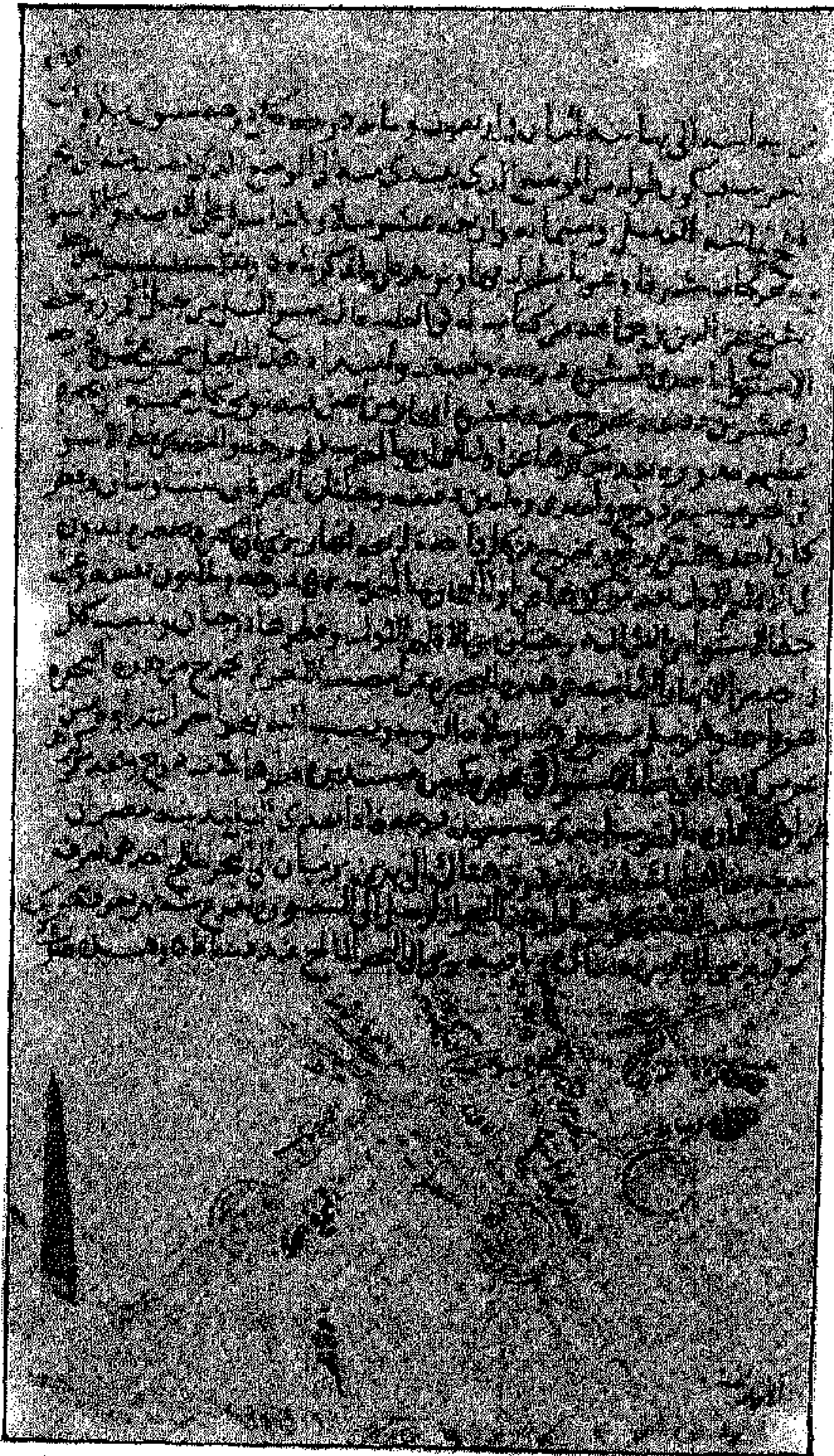
ثم يتحدث عن أمور متفرقة ، فيذكر الحوادث الغريبة بمصر ، وحمام الرسائل ، والزى والكتابة على التقاليد والمعاملة ولطائف مصر ، والنيل وجزيرة الروضة والمقابر والخليج وبركة الحبيس .

ويختتم الكتاب بالحديث عن الأزهار والفواكه الموجودة بمصر ، وما جاء فيها من أشعار .

فكتاب حسن المحاضرة كتاب فى تاريخ وجغرافية مصر إلى جانب ما فيه من دراسات اجتماعية (فى مصادر التراث العربى / ٢٣٣ ـ ٢٣٥) .

وقد كتبه السيوطى فى عصر السلطان قايتباى ، واعتمد فى تأليفه على ثمانية وعشرين مؤلفا عدّدها فى مقدمته ، وقد لخص ذلك عن آثار المتقدمين ، ولا سيما ابن عبد الحكم والكندى والقضاعى (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٤ ، ٢١٥) ومن هذه التآليف المتنوعة فى التاريخ وعلوم الهيئة وكتب التراجم وكتب الأدب واللغة والفقه التى ذكرها :

فتوح مصر لابن عبد الحكم ـ فضائل مصر للكندى ـ تاريخ مصر لابن ميسر ـ الخطط للمقريزى ـ المسالك لابن فضل الله العمرى ـ مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارى ـ تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزى ـ الإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ـ طبقات الحفاظ للذهبى طبقات الشعراء للذهبى ـ طبقات الشافعية للسبكى ـ تاريخ الإسلام للذهبى ـ البداية والنهاية لابن كثير ـ الطالع السعيد فى أخبار الصعيد



٥ ـ صفحة من كتاب حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

للكمال الأدفوى ـ سجع الهديل فى أخبار النيل لأحمد بن يوسف التيفاشى ـ ثمار الأوراق لابن حجة ، وغيرها الملاحظ على السيوطى دقته وأمانته فى نسبة المنقول إلى قائله وفى الاعتراف بجهد السابقين . هذا وقد طبع الكتاب طبعة سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبعة أخرى سنة ١٣٢١ هـ وإن كانت الطبعتان فى حاجة إلى إعادة تحقيق لطبعة جديدة سليمة (فى مصادر التراث العربى / ٢٣٥) .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم طبع دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م ، وقد عدد المحقق طبعات الكتاب فى مقدمته ص ٥ ، ٦ .

وهو من أفضل كتب السيوطى . وبدأه بذكر المواضع التى وقع فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

كما أنه من أهم مراجع تاريخ مصر وأعلامها .

أما غرضه من تأليف هذا الكتاب فقد ذكره فى مقدمته حيث قال :

هذا كتاب : سميته حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

أوردت فيه فوائد سنية ، وغرائب مستعذبة مرضية ، تصلح لمسامرة الجليس وتكون للوحيد نعم الأنيس ... (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٥) .

يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

لجلال الدين السيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد، المتوفى سنة ٩١١ هـ(بروكلمن ٢ / ١٥٧ وملحق ٢ / ١٩٦) .

أوله : « الحمد لله رب العالمين الذى فاوت بين العباد ، وفضل بعض خلقه على بعض حتى فى الأمكنة والبلاد » .

وآخره :

كأنه بيض دجاج وقد

لطخها الكاتب بالزعفران

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ٢٢٢ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرا تمت كتابة سنة ٩٧٤ هـ على يد أحمد المحلى .

UNESCO [الزاوية الحمزاوية ٧٠]

(فهرست المخطوطات المصورة جـ٢ ق ٤ / ١٥٢ ، ١٥٣) .

كما توجد خمس نسخة مخطوطة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى :

النسخة الأولى : الرقم ٩٨٧٠

الأول : « الحمد لله الذى فاوت بين العباد وفضل بعض خلقه على بعض حتى فى الأمكنة والبلاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد ... » .

وهو كتاب فى تأريخ مصر لخصه المؤلف من ثمانية وعشرين كتابا ذكر فيه أخبار الأنبياء والملوك والحكماء الذين دخلوا مصر ثم ذكر الأهرام والإسكندرية وفتح المسلمين لمصر ومن دخلها من الصحابة والتابعين . بعد ذلك ذكر مبانيها من مدارس وجوامع وغيرها .

نسخة نفيسة ترقى للقرن العاشر الهجرى / القرن السادس عشر الميلادى ولعلها كتبت فى حياة المؤلف الورقتان الأولى والأخيرة كتبتا بخط أحدث من الأصل . وفى الصفحة ٢٤٢ من هذه النسخة رسمت خارطة للبحيرات والأنهار أحدث من أصل المخطوط .

القياس ٥٤٠   ٢٦ × ١٧,٥ سم   ٢٧ س

معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨

★ ★ ★

نسخة أخرى .

الرقم ١٨٤٨ .

جيدة الخط كتبها بقلم النسخ يوسف بن محمد الوكيل الملوى فى ٨ ذى الحجة سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م تملكها على الترجمان .

القياس ٥٨٠ ص   ٢٧,٥ × ١٧,٥ سم   ٢٣ س

نسخة أخرى

الرقم ٧٣٩٨

كتبت بقلم النسخ الجيد بالمدادين الأسود والأحمر ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى القرن السابع عشر الميلادى ناقصة قليلا من الأول والآخر .

القياس ٥٠٢ ص   ٣٠,٥ × ٢٠ سم   ٢٣ س

نسخة أخرى

الرقم ٩٨٠٩

كتبها بخط النسخ محمد بن محمد الزيدى القرشى سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م عليها حواش وشروح فى آخرها فائدة

عن زيارة محمد بن مراد خان لمصر سنة ١٠٢٠ هـ/ ١٦١١ م ناقصة قليلا من الأول .

القياس ٣٧٨ ص ٢١ × ١٦ سم ٢٥ س

نسخة أخرى .

الرقم ٨٩٥١/ ٤

تتضمن قسما من الكتاب تنتهى بفتح مصر ترقى للقرن العاشر / الهجرى السادس عشر الميلادى عليها قراءة لعبد المعبود بن عثمان بن عبد الرحمن سنة ٩٩٩ هـ/ ١٥٩٠ م

القياس ٥٩ ص ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم ٢٧ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٥٨ ـ ١٦٠) .

وله ترجمة بالتركية فى مخطوط بدار الكتب القومية بعنوان « ترجمه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » ترجمه أحمد بن سليمان الحنفى .

وترجمه المترجم إلى التركية لوالى مصر عبد الرحمن باشا .

أول الترجمة ـ حمد وشكر أولسون سكا خالق كون ومكان ... أما بعد ، سبب ترجمة كتاب بعناية الملك الوهاب يعنى أول وزير عاليشان ... محافظ مصر عبد الرحمن باشا ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد ، بقلم فارسى عادى ، بدون تاريخ ، فى ٥٦ ورقة ، مسطرتها ٢٧ سطرا ، فى ٢٧ × ١٦,٥ سم .

بآخرها وقفة الكاتب .

(١٢٨ ـ م تاريخ تركى)

وقد قام بترجمة هذا الكتاب إلى التركية أيضا يوسف بن محمد ميلوى (وكيل زاده) (فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ١٩٦) .

وإليك نماذج من كتاب حسن المحاضرة :

(١) فى ذكر البشارة بوفاء النيل :

جرت العادة كل سنة إذا أوفى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بذلك إلى البلاد لتطمئن قلوب العباد ، وهذه عادة قديمة ، إذ لم يزل كُتَّاب الإنشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة . فمن إنشاء القاضى الفاضل فى وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين بن أيوب :

نعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من أضوئها بزوغا ، وأفضاها سبوغا ، وأصفاها ينبوعا ، وأمدها بحر مواهب ، وأضمنها حسن عواقب . النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويفيضها مَدُّه وجَزْره ، ويروى النبات غمره ، ويحيى مطلعه الحيوان ، وثمرات الأرض صنوان وغير صنوان .

وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا ، فأسفر وجه الأرض وإن كان تنقب ، وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب . ورأينا الإبانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ، ووفت بالرزق المضمون ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [النحل : ٧٩] و [النمل : ٨٦] و [العنكبوت : ٢٤] و [الروم : ٣٧] و[الزمر : ٥٢] .

(٢) فى ذكر جزيرة الروضة :

ذكر جزيرة مصر ، وهى المسماة الآن بالروضة ، قال المقريزى : اعلم أن الروضة تطلق فى زماننا على الجزيرة التى بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة ، وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة ، وجزيرة مصر ، ثم قيل لها : جزيرة الحصن . وعرفت الروضة من زمن الأفضل ابن أمير الجيوش . إلى اليوم انتهى .

وقال ابن المتوج فى كتابه « إيقاظ المتغفل ، واتعاظ المتأمل » : إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبحر النيل حائز لها ودائر عليها . وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها

ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة ، فلما طال حصارها وهرب الروم منها ضرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها .

واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون فى سنة ثلاثمائة وستين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل .

وقال المقريزى : اعلم أن الجزيرة التى هى الآن فى بحر النيل كلها حادثة فى الإسلام ما عدا الجزيرة التى تعرف اليوم

بالروضة تجاه مدينة مصر، فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى أرض مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتى فتحه الله عنوة على المسلمين، كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر، لم يبلغنى إلى الآن متى حدثت، وأما غيرها من الجزائر كلها فقد تجددت بعد فتح مصر .

وإلى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لما فتح الله على المسلمين النصر، وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط » .

(٣) فى ذكر من كان بمصر من المؤرخين :

... أبو الحسن على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغرناطى الأديب الإخبارى الشهير، صاحب التصانيف الأدبية، ولد بغرناطة سنة عشر وستمائة، وأخذ عن الشلوبين وغيره، وجال فى الأقطار، ودخل مصر والشام وبغداد، وألّف : المغرب فى حلى المغرب . والمشرق فى حلى المشرق، والطالع السعيد فى تاريخ بلده، مات بتونس سنة خمسة وثمانين وستمائة .

ـ الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار، صاحب التاريخ المسمى بزبدة الفكرة، من أحد عشر مجلدا، والتفسير . مات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

ـ ابن المتوج تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج ابن صالح الزبيرى، أحد العدول بمصر ولد بها فى ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وستمائة وسمع وحدث، وألف تاريخ مصر، سماه : إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل . روى عنه البدر بن جماعة، مات بمصر فى المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة » (فى مصادر التراث العربى / ٢٣٧ـ٢٣٩) .

(صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة / ٢١٤، ٢١٥، وفى مصادر التراث العربى ـ د. السعيد الدرقى / ٢٣٣ـ ٢٣٩، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٢، ١٥٣، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٨ ـ ١٦٠، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠، ١ / ١٩٦ . انظر أيضا كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٧) .

*** حسن (مدرسة السلطان ـ) (٧٥٧ـ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ـ١٣٦٣ م)**

أثر ١٣٣ :

مدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين تجاه قلعة الجبل، ويطلق عليها أيضا اسم « مسجد ومدرسة السلطان حسن » .

السلطان حسن ـ السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون ولد فى سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) . وسمى أولا قمارى، ولما ولى ملك مصر اختار اسم حسن فعرف به، ولى الملك فى ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (ديسمبر سنة ١٣٤٧م) . وعمره ثلاث عشرة سنة . ولصغره ناب عنه فى إدارة شئون الدولة الأمير بيبغا روس نائب السلطنة، وأنعم على الأمير منجك اليوسفى وعين فى الوزارة والأستادارية .

وفى سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) . أثبت القضاة أنه بلغ سن الرشد وقبض على الأميرين منجك وبيغا روس، مما دعا الأمراء إلى التآمر عليه وإقصائه عن الملك فى ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . واعتقاله فى الدور السلطانية وتعيين أخيه الملك الصالح صالح (تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٥، والخطط التوفيقية ٤ / ١٧٤) وظل فى معتقله مشتغلا بالعلم حتى أعيد إلى السلطنة مرة أخرى فى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) وظل متربعا فى دست الحكم إلى أن قتل سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) (مساجد مصر ١ / ٦٨) .

وفى الثانى من شهر شوال سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) أعيد الناصر حسن إلى ملك مصر فاستبد بالمملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد فى الحكم، فبالغ فى أسباب الطمع إلى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) حيث تزايد سلطانه وكثرت مماليكه . وأهدى إليه بعض ملوك اليمن خيمة غريبة الشكل تتكون من قاعة وحمام محلاة بالنقوش .

ومن أجل تغير الجو فى مصر خرج مع حاشيته إلى ضواحى الجيزة فأقام بها ثلاثة أشهر . وفى هذه الفترة اشتدت الفتنة بينه وبين الأمير يلبغا الخاصكى، وحاول السلطان حسن الفتك به فلم يوفق، فهاجمه يلبغا فى القلعة فهرب السلطان حسن، ثم قبض عليه وعلى من معه جهة المطرية،

وذلك فى جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) وهنا يقول أغلب المؤرخين : كان هذا آخر العهد به ، وقيل : إنه خنق وألقى فى البحر ولم يعرف له قبر .

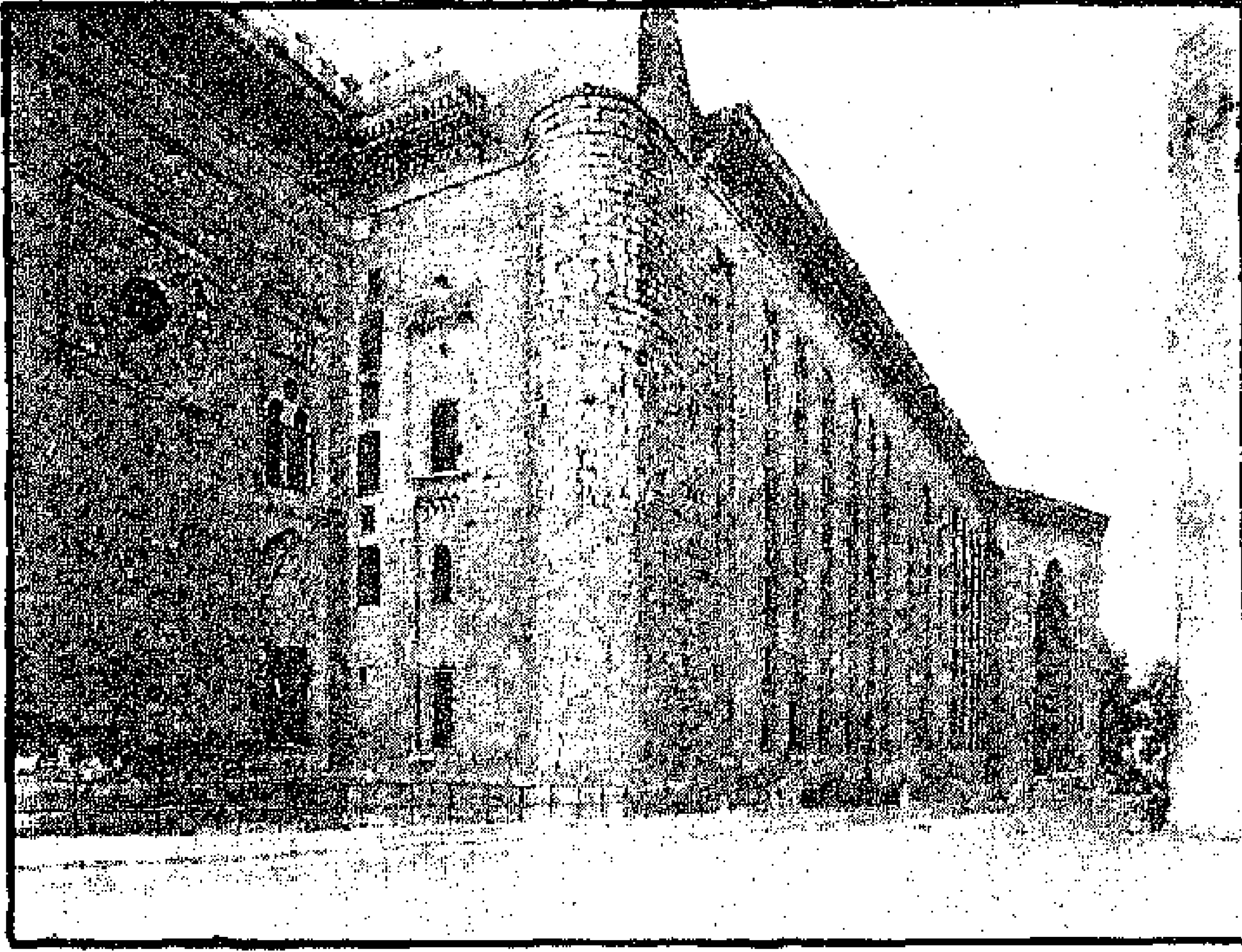
ويقول المقريزى : إنه دفن فى مصطبة كان يركب عليها من داره بقلعة الكبش . كما قيل : إنه دفن بكيمان مصر وأخفى قبره . وتبعه فى الأخذ برواية دفنه فى مصطبة داره ابن أبى الفلاح المؤرخ .

كان رحمه الله ملكا حازما شجاعا منزها عن كثير من نقائص المماليك . وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من أبناء الأسر ويعينهم فى حاشيته .

مدرسة السلطان حسن يصفها الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله فيقول : إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجبا بمدرسة السلطان حسن التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ؛ فقد جُمعت شتى الفنون فيها .

ويعرف موقعها قديما بسوق الخيل ، وكان به قصر من أجل القصور، أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) لسكنى الأمير يلبغا اليحياوى . وقد بقى هذا القصر حتى هدمه الملك الناصر حسن وبنى محله هذه المدرسة (تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦) وقيل إن المدرسة أقيمت مكان قصرين للأميرين يلبغا اليحياوى ، والطنبغا الماردانى بعد هدمهما وابتدأ العمل بها عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م ، واستمر لمدة ثلاث سنوات دون توقف (القاهرة الإسلامية / ٧) .

وفى كتاب وقفيته المحفوظة فى خزانة الدفاتر المصرية المؤرخة فى رجب الحرام سنة ستين وسبعمائة المحفوظة بالدفترخانة المصرية ما ملخصه : أن هذا الجامع أصله مكان كان بسوق الخيل على يمنة السالك من سويقة العزى طالبا سوق الخيل ، وعلى يسرة السالك من سوق الخيل طالبا سويقة العزى . وخلط به قطعة بجواره بها بئر ساقية ، ويحيط بذلك المكان وبالقطعة الأرض وبالساقية حدود أربعة ، القبلى : إلى الطريق المسلوك إلى سوق الخيل ، وفيه شبابيك



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

القبة والمدرستين . والبحرى : إلى « اسطبل منجك » ويتوصل منه إلى البئر المعروفة بالبغالة . والشرقى : إلى الطريق المسلوك منها إلى سوق الخيل وغير ذلك ، وفيه البوابة والسلم والشبابيك . والغربى : إلى الطريق المسلوك منها إلى حدرة البقر، وهو شارع السيوفية وسوق الخيل ، وهو المعروف بالرميلة سابقا ، ويعرف الآن بميدان محمد على وغير ذلك ، وبعضه إلى المجرى التى يصل منها الماء إلى الاصطبل السلطانى (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٧٥) .

ففى سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) بدأ هذا السلطان فى بنائها وعنى بها عناية شديدة واستمرت العمارة جارية فيها مدة حياته ، وكان يصرف عليها بسخاء عظم .

ونسب الطواشى مقبل الشامى إلى السلطان حسن أنه قال : « لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » وليس بمستبعد أن يقول هذا ؛ فالبناء شامخ يدل على العظمة والجبروت وعلى المقدرة الفنية ، كما ينم عن كثرة النفقات . وقد ابتكر مهندسه فى هذا البناء الضخم زخارف دقيقة وكتابات ونقوشا ونحاسا مكفتا آية فى الحسن والبهاء .

ويصفه المقريزى المؤرخ بقوله : « فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها» (المقريزى ٢ / ٣١٦ ،وتاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦) .

ويصفه على مبارك بقوله :

وفى هذا الجامع عجائب من البنيان ، منها أن ذرع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها . ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع (انظر مادة إيوان كسرى وصورتى الإيوان فى م٦ / ٣٠٢ ـ ٣٠٤) ومنها القبة العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها، ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ، ومنها البوابة العظيمة ، ومنها المدارس الأربعة التى بدور قاعة الجامع ، إلى غير ذلك (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٧٤) .

وقد أجمع على هذا الرأى جميع المؤرخين والرحالة الذين زاروها ، فيقول عنها ابن تغرى بردى « إن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بناء بنى فى الإسلام » (منتخبات من حوادث الدهور ، الفصل الثانى ص ٢١٩) .

ويقول عنها غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ما ملخصه : « ليس لها نظير فى الدنيا ؛ فقد حكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بعمارتها طلب مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسته ـ ولم يعمر أعلى منها ـ فعمرت وعُمّر بها أربع منارات وقيل : ثلاث فى ارتفاع المدرسة أيضا ؛ ثم هدم بعض المنارات واستمرت الآن على اثنتين ، وهى عجيبة من عجائب الدنيا » (زبدة الممالك / ٣١) .

ووصفها السلطان سليم وقد زارها سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بقوله : هذا حصار عظيم .

ويقول الورثيلانى الرحالة المغربى ـ وقد زار مصر فى القرن الثانى عشر الهجرى ، (الثامن عشر الميلادى) ـ : « إنه مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء ونباهته ، وارتفاعه وإحكامه ، واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة ، تصفق الرياح فى أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل فى شواهق الجبال . وفى أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى ؛ وفيها نقوش عجيبة » (الرحلة الورثيلانية / ٢٦٥) .

ويصفه عبد الغنى النابلسى ـــ وقد زاره سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) فيقول ـ : « إن هذا الجامع من أعظم الجوامع على شكل القاعة العظيمة ، ونظرنا إلى إيوانه القبلى الذى فيه المنبر والمحراب فإذا هو إيوان كبير عظيم » (الحقيقة والمجاز / ١٠٣) .

وقد أحصى هرتس باشا أقوال الرحالة والمؤرخين الأجانب فى هذا المسجد فنقتطف منها ما يأتى : بيترو دى لاڤالليه سنة ١٦١٦ م : « وتجاه القلعة جامع لم أر أجمل منه منظرا ، ولا أبدع منه شكلا . وأحسن ما راقنى منه قبته وشكلها الغريب التى لم أشاهد مثلها ، فإنك بينما تراها ضيقة من الأسفل تتسع فى عينك كلما تعلو ثم تأخذ فى الضيق على هيئة بيضة الدجاج » (تاريخ جامع السلطان حسن / ١٥ ، ١٦) .

مسيو تيڤنو ـــ وقد جاء مصر سنة ١٦٥٧ م ووصفه فى رحلته ببلاد الشرق ص ٢٦٦ :

« هذا الجامع متقن البناء عظيم الارتفاع وكله مبنى بحجر الآلة » .

كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية : « إنه جامع جميل بل من أجمل مبانى القاهرة بل الدولة المصرية بأسرها » . وقد بالغ واضع هذا الفصل فى ضخامة قبته وارتفاع منارتيه ، وذكر الكتابات المنقوشة على جدرانه فقال : « إنها ملونة بألوان شتى . وأشار إلى المصابيح الجميلة المعلقة فى عقود إيوانه وفى قبة التربة ... » .

وقد عنى حضرة الأستاذ الجليل مسيو جاستون ڤييت مدير دار الآثار العربية بجمع طائفة كثيرة من تلك الآراء فى بحثه الذى نشره تحت عنوان جامع السلطان حسن ، وأبدأ بفقرات من وصفه له : « وقد يكون فى وصف الجامع وصفا مسهبا ما يدعو إلى السآمة والملل وبالرغم من أن الجزئيات تشترك فى إبراز الكليات . ولكن هذا الأثر بحاجة إلى قلم بليغ وأسلوب شاعرى حتى يمكن إبراز دقائقه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه

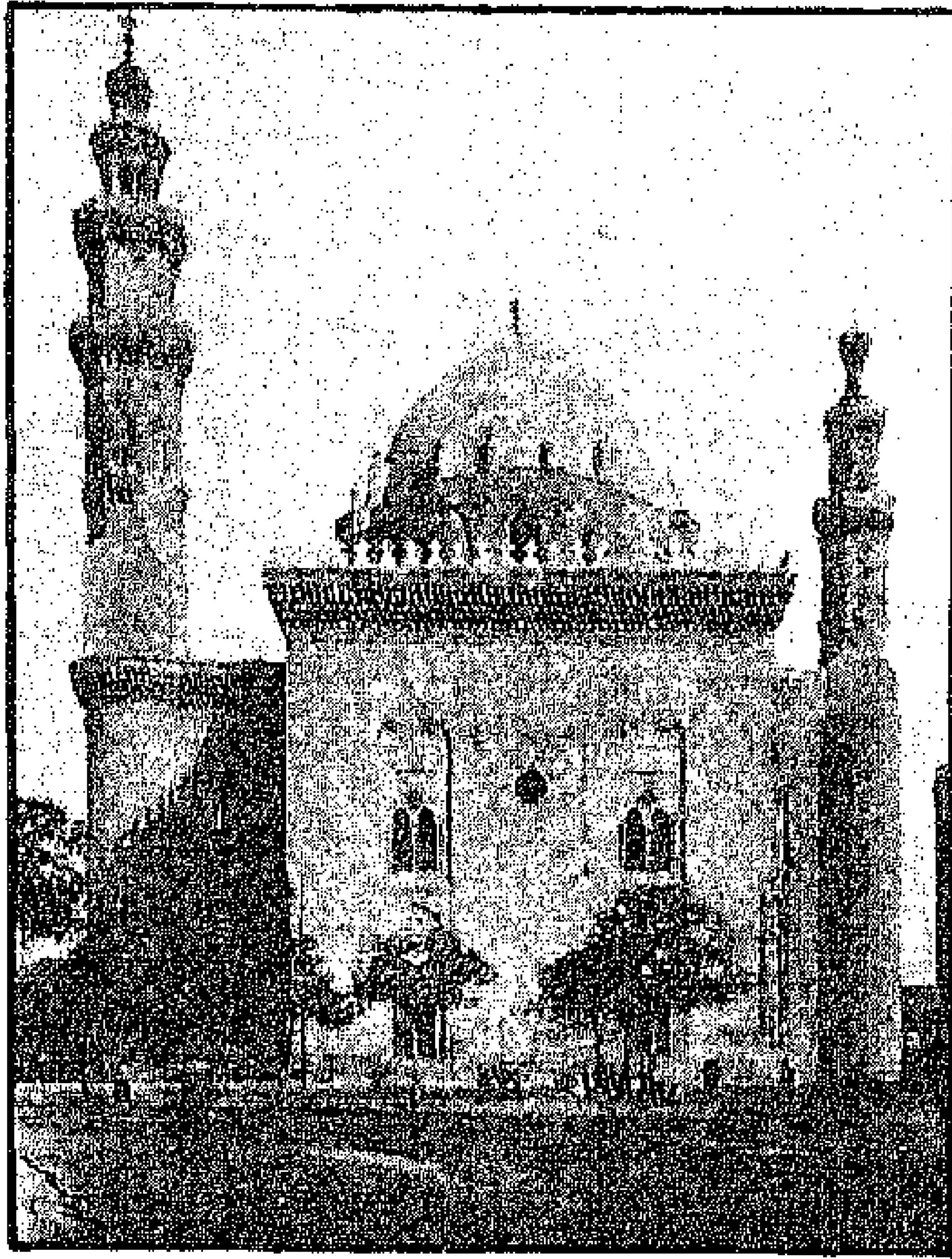
القارئ قاصرا على هذه الجزئيات فحسب ، وإن كانت بعض هذه الجزئيات غاية فى الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء . والفنان فى هذا الجامع لم يوجه همه إلى الزخرفة كعامل جوهرى فى العمارة بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها للكل فأدت أغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذى يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وجمالها . وأثره قوى فى نفوسنا إذ له خصائصه التى لا يشترك معه فيها غيره . إن جامع السلطان حسن هو العمل العظيم فى الإسلام الذى روعى فى تشييده متانة البناء ، فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربى من أن الزمن هو الذى يقاوم قوة هذه المبانى الضخمة . ولا ريب فى أن البناء العالمى الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الإسلام وقوته وعظمته مقررة معترف بها » .

وقال إيبرس « إن كل ما نراه فى الجامع مركب فى مكانه تركيبا هادئا منسجما ؛ فإذا أمعنت النظر فى زخارف إيوان القبلة وقاعة القبر جزءا جزءا أحست إحساس الرضا . فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بارعة » .

وكتب جومار فى كتاب وصف مصر : « إنه من أجل مبانى القاهرة والإسلام ، ويستحق أن يكون فى الرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبته العالية ، وارتفاع مئذنتيه وعظم اتساعه وفخامة وكثرة زخارفه التى تكسو الأرضية والحيطان فى أوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة ، كما أن حشوات الخشب والبرونز التى تكسو الأبواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرا فنيا » .

وكتب عنه المصور لينوار : « أن جامع السلطان حسن المملوكى يشرف على القاهرة كلها ، وأسلوب بنائه من أرقى الأساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ؛ ولذا يعد أجمل جامع فى الشرق كله بلا نزاع » .

وقال آرثررونيه : « إن العبقرية هى التى أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسية فبث فيها روحا من عنده ؛ فلكل زخرفة فى جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى » .



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

تصميم المدرسة ـ وقد وضع تصميمها على طريقة التعامد (Cruciform) التى تشتمل على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف وكان المقرر فى مشروع بنائها أربع منارات فرغ من بناء ثلاث : منها اثنتان تكتنفان القبة بالوجهة الشرقية ، والثالثة كانت على الكتف الأيمن للباب العمومى ، وقد سقطت يوم السبت ٦ ربيع الآخر سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) (المقريزى ٢ / ٣١٦) فأبطل السلطان حسن بناء المنارة الرابعة التى كان مقررا لها الكتف الأيسر للباب المذكور ، واكتفى بالمنارتين .

(تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦ ـ ١٦٨) .

وتعتبر مئذنة السلطان حسن القديمة أجمل الأمثلة للمآذن التى أنشئت فى عهد دولة المماليك البحرية وقد تمت طريقة تحويل مربع القاعدة إلى المثمن الأوسط بطريقة المثلثات بوضع قواعدها إلى أعلى ورؤوسها إلى أسفل ـ وبكل واجهة تجويف معقود به فتحة مستطيلة يكتنفها عمودان متصلان صغيران . والشرفة الجميلة التى تفصل هذا الدور المثمن القطاع عن المثمن العلوى محمولة على صفوف من المقرنصات ـ والمثمن الثانى العلو أقل ارتفاعا وقطاعه أصغر

من السفلى وتزخرف أضلاعه الصماء أشرطة أفقية من الرخام الملون ـ وينتهى هذا المثمن الأخير أيضا بشرفة محمولة على المقرنصات ويعلو الأخيرة سقيفة مثمنة محمولة على أعمدة رفيعة من الرخام ويتوجها كورنيش بارز من المقرنصات بقمته نهاية منتفخة (العمارة الإسلامية فى مصر / ٩٠ ، ٩١) .

وفى شهر جمادى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) قتل السلطان حسن ، وكانت المدرسة كاملة عدا بعض أعمال تكميلية أتمها من بعده الطواشى بشير الجمدار .

أعمال بشير الجمدار ـ قد قام الطواشى بشير بأعمال تكميلية كثيرة بهذه المدرسة دون أن يتمها أيضًا . منها أعمال الرخام بالوزرات والأرضيات ، ولذلك نراها بسيطة ويدخل فيها الكسوة الرخامية لأبواب المدارس بالصحن ، ولذلك يقرأ على كل منها ما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة» . (مع ذكر المذهب المخصصة له المدرسة : المذهب الشافعي أو المذهب الحنفى إلخ) ويسترعى النظر فيها مزرَّراتها وتطعيم القاشانى والنفيس المكتوب فيه لفظ الجلالة .

كما أتم قبة الفسقية بالصحن سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) ، وهى قبة خشبية أقيمت على ثمانية عمد رخامية وكتب بدائرها آية الكرسى وتاريخ الفراغ منها سنة ست وستين وسبعمائة .

وعمل المصراعان النحاس للباب الكبير الموجود الآن فى جامع المؤيد ؛ إذ يقرأ عليهما ما نصه : «أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالى حسن ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى سنة أربع وستين وسبعمائة» .

كما أتم بناء القبة الكبيرة وكتب بإفريزها آية الكرسى ، ثم : «وكان الفراغ من هذه القبة ، المباركة فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة» . والمرجح أنه لم يتمم بناء القبة ، كما كان مقررًا لها ، ببناء عظيم يتناسب مع الجدران الضخمة التى أعدت لحملها ، بل أقامها من الخشب وغطاها بألواح من الرصاص . وعلى ذلك تكون هذه رابع قبة خشبية كبيرة فى مصر؛ إذ الأولى قبة الإمام الشافعى ، ثم قبة مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى ، فقبة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين .

هذه هى أعمال بشير الجمدار ـ أما الزخارف وبقية أعمال الرخام بالوجهات فقد تركها دون أن يتممها كما تركها السلطان حسن .

غير أن وفاة السلطان حسن قبل إجراء باقى الأعمال التكميلية ليس معناه أن المدرسة لم تفتتح فى حياته ، فقد احتفل السلطان حسن بافتتاحها وصلى بها الجمعة وأنعم على البنائين والمهندسين ، وأقيمت بها الدروس فى حياته أيضًا . كما حرر لها وقفية مؤرخة فى شهر رجب سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩م) ، ورصد عليها وعلى غيرها عقارات وأراضى تغل للصرف عليها ، وعين بها الموظفين والقراء ، وفرشها وعلق بها الثريات والمشكاوات الجميلة ، وعين لها إمامًا .

وصف المدرسة ـ إن المطلع على رسم هذه المدرسة يرى فى وضعها بعض آزورار ، بل يصعب عليه تحديد شكلها . وغاية ما ينتهى إليه الوصف أنه شكل كثير الأضلاع . وتبلغ مساحتها ٧٩٠٦ متر مربع ، إذ امتداد أكبر طول ١٥٠ مترا ، وأطول عرض ٦٨,٠ مترا ، ولها أربع وجهات : شرقية وبها القبة ومنارتان أقدمهما القبلية ؛ ويبلغ ارتفاعها عن صحن الجامع ٨١,٦٠ ، وبحرية وقد سقطت سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) وجددت فى عمارة إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ .

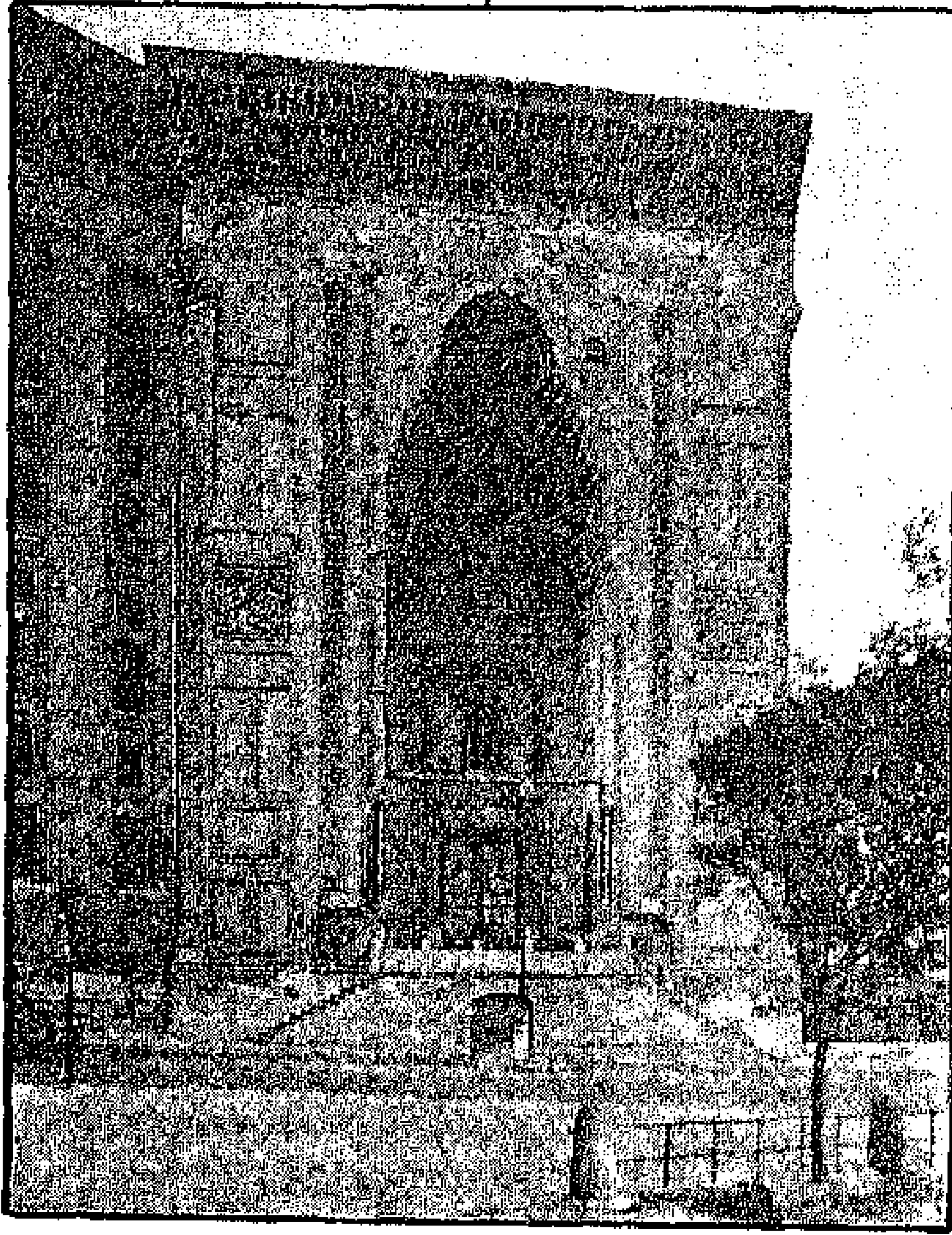
وقد حليت أعتاب شبابيك القبة بمقرنصات وعقود غريبة ، كما طعمت بأشرطة من القاشانى . وحليت نواصيها بعمد من الحجر ظريفة بها كتابات كوفية . ويتجلى منظرها من ميدان صلاح الدين ومن أعلى القلعة .

وأخرى قبلية بها شبابيك مدرستى الحنابلة والحنفية ، وغربية وتحتها دورة المياه ، وأمامها الساقية التى كانت توصل المياه إلى المدارس وإلى المسجد بواسطة مجراة على كوابيل بالوجهة القبلية . وبحرية ويبلغ ارتفاعها عند الباب ٣٧,٧٠

وهى الوجهة العمومية ، وبطرفها الغربى الباب العمومى ، وهذا الباب طرفة أثرية ؛ فقد حلى من جانبيه بالزخارف المتنوعة الممتدة إلى أعلى . وأكثرها لم يتم إلى الآن . كما أن أجزاء كثيرة فى الباب والوجهات كان مزمعًا تلبيسها بالرخام ولم يتم . ويكتنف هذا المدخل حنيتان برأسيهما مقرنصات لبستا بالرخام الأخضر بأشكال هندسية وكتب أعلاهما بالخط الكوفى المزهر قوله تعالى : ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينا * ليغفر لك الله**﴾ [الفتح : ١ ، ٢] ، يعلوهما تربيعتان كتب على إحداهما بالكوفى المربع «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وبالأخرى : «أبو بكر ـ عمر ـ عثمان ـ على» وقد كان لهذا الباب مصراعان من الخشب مغشيان بالنحاس من أنفس الأبواب النحاسية ، نقلهما السلطان المؤيد شيخ إلى مسجده بالسكرية سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦م) . ويغطى هذا الباب مجموعة كبيرة من المقرنصات رأينا هرتس باشا يأخذ على مهندسها بعض الهفوات فى وضعها . ويحلى نهاية الوجهات مقرنصات بارتفاع ستة مداميك ، وبرزت بمقدار ١,٤٠ أضيفت إليها شرفة مورقة فى وقت ما قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالتها من الوجهة البحرية .

ويقرر هرتس باشا أن زخارف هذا الباب الكثيرة لا نظير لها فى الديار المصرية ، وأن أمثالها كثيرة الوجد فى آثار آل سلجوق التى تمتاز الأبواب فيها عن باقى البناء بكثرة زخارفها .

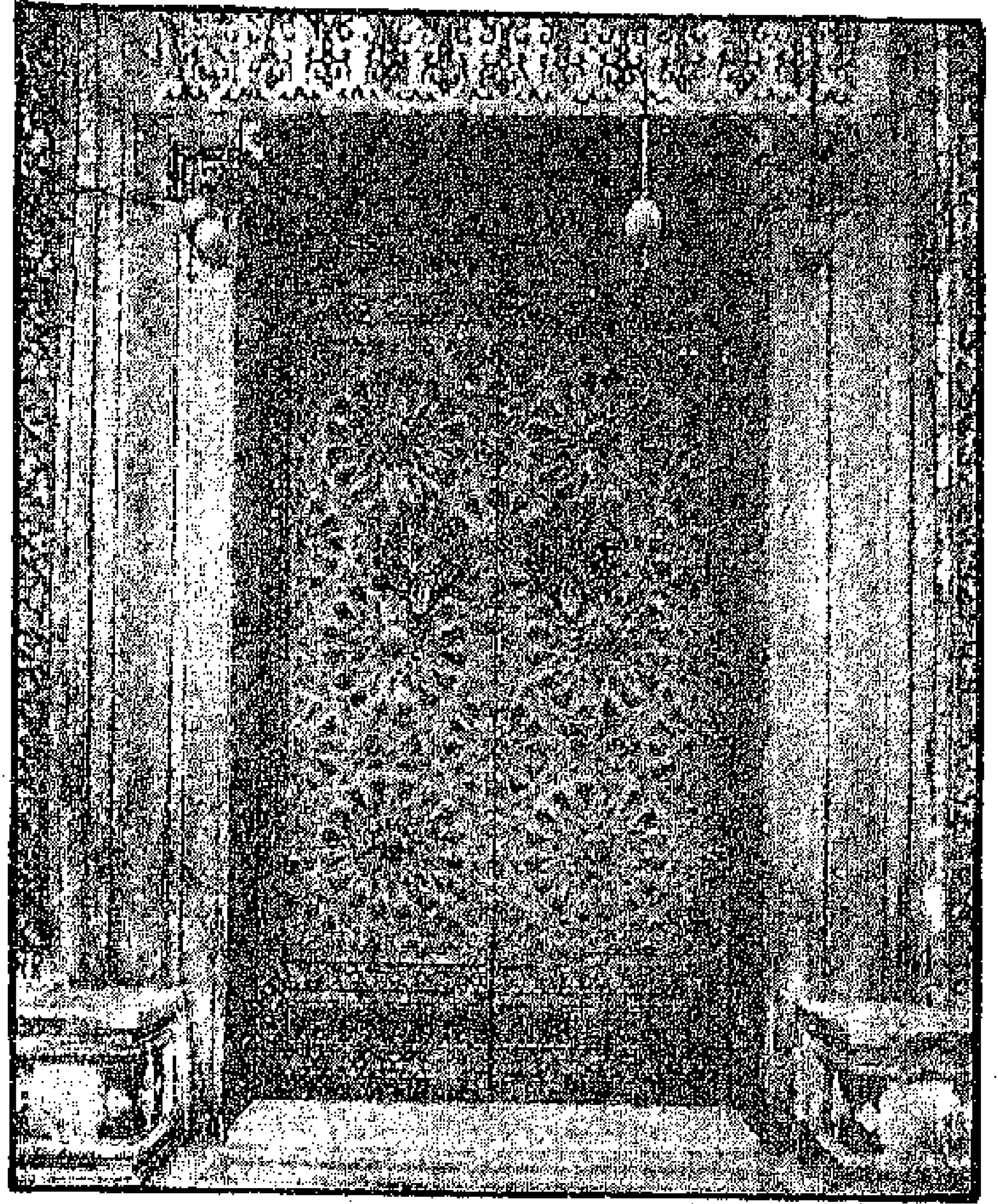
وهذا الباب يؤدى إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات يتوسطها قبة ملبَّسة بالحجر الأحمر ، وبصدر هذا المدخل مسطبة حلى صدرها بالرخام الملون الملبس فى الرخام الأبيض ؛ وشباك من الجص ودوائر ومستطيلات زخرفية دقت فى الحجر لا تقل دقة عن الأويمة فى الخشب أو الجص ، ومن هذا المدخل يتوصل إلى سلم ذى خمس درجات يؤدى إلى دهليز معقود ينثنى دفعة واحدة إلى اليسار وينتهى إلى صحن كبير مفروش بالرخام الملون مساحته ٣٤,٦٠ متر فى ٣٢,٠٠ مترًا ، يتوسطه فسقية تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة مكتوب بدائرها آية الكرسى وتاريخ الفراغ منها ، وبها تاريخ عمارة أجريت بها



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

سنة ١٠٨٨ هـ (١٦٧٧ م) ، (تاريخ المساجد الأثرية/ ١٦٦ ـ ١٧٢) . وفى كل ركن من أركان الصحن الأربعة ، يؤدى باب إلى إحدى المدارس الأربع ، والتى كانت كل واحدة منها مخصصة لتدريس أحد المذاهب . وأكبر هذه المدارس هى المدرسة الحنفية ، التى تقع فى الجهة الجنوبية ، وتبلغ مساحتها ٨٩٨ مترًا مربعًا ، أما المدارس الثلاث الأخرى الشافعية والمالكية والحنبلية ، فهى فى الثلاثة أركان الباقية من الصحن (القاهرة الإسلامية/ ٨) .

وحول الصحن إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو إيوان كبير لا نظير له فى سعته وارتفاعه ، إذ تبلغ فتحته ١٩,٢٠ ، يحيط به إفريز نادر من الجص مكتوب عليه بالخط الكوفى المزهر ما نصه : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**فوزًا عظيمًا**﴾ [الفتح : ١ ـ ٥] ، ويتخلل الكتابة زخارف دقيقة ، ويتوسطه دكة من الرخام يلفت النظر فيها تلبيس عمد الرخام الملون فى نواصيها ، وبصدره المحراب المغشى بالرخام الملون والمحلى بزخارف مورقة تتخللها عناقيد العنب ويجاور المحراب منبر من الرخام له باب من النحاس



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

المفرغ، (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٢) يعتبر من النماذج الفريدة للمنابر الرخامية (القاهرة الإسلامية/ ٩) ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى قبة الضريح خلف المحراب أحدهما قبلي مغشى بالنحاس المكفت بالذهب وعليه اسم السلطان حسن، والآخر فقدت كسوته . وعلى جانبي المحراب لوحتان مكتوب عليهما : «جدد هذا المكان المبارك حسن أغا خزيندار - الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢ »(تاريخ المساجد الأثرية/ ١٧٢) .

وجدران الضريح مكسوة بالرخام الملون، بارتفاع ثمانية أمتار، يعلوه إطار من الخشب، يبلغ عرضه ثلاثة أمتار، محلى بكتابات نسخية يأتي بيانها بعد (القاهرة الإسلامية/ ٩) .

والقبة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٢١,٠٠ مترًا، وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨,٠٠ مترًا ، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة، ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار، يعلوها إفريز خشبي به كتابة بارزة نصها : «بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية .

وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شهور سنة أربع وستين وسبعمائة وصلى الله على محمد» . يعلو ذلك شبابيك ودوائر جصية ومقرنصات خشبية محلاة بزخارف ملونة ومذهبة وغطاء القبة الحالي ليس هو القديم، فقد كانت القبة خشبية مكسوة بالرصاص .

وقد زار مصر السائح بيترودي لافالليه وكتب رحلته سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) . ومن وصفه للقبة يعتبر طرازها كطراز القباب السمرقندية ؛ كذلك ذكر بريس دفين أن القبة سقطت سنة ١٠٧١ هـ (١٦٦١ م)، وكانت أعظم ارتفاعا، وباطنها حافل بالنقوش . وقد جددها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧١م)، وهي محاطة من الخارج بدعامات أسطوانية الشكل، ويتوسط القبة تركيبة من الرخام صنعت لتكون قبرًا للسلطان حسن، كتب عليها أنها أنشئت سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته . ولكن السلطان حسنًا لم يدفن فيها كما شرحناه في ترجمته ودفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦م) . وابنه إسماعيل وقد أودع بهذه القبة كرسي المصحف المكون من حشوات سن وآبنوس وخشب دقت بالأويمة الدقيقة وهو يعد أقدم كرسي مصحف عثر عليه بمصر (تاريخ الآثار الإسلامية/ ١٧٢، ١٧٣، والقاهرة الإسلامية/ ٩) .

ووضع القبة خارجًا عن سمت جدار المحراب وخارجًا عن المسجد يعتبر وضعًا شاذًا سبقه فيه المشهد الحسيني، ونسج على منواله فيما بعد في مساجد أمير حسين والمحمودية والتي برمق بمصر وبعض مساجد الوجه البحري . ويتدلى من عقود الإيوانات مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية مشغولة بالمينا وعليها اسم السلطان حسن، وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٣٤ مصباحًا مع ثريتين من النحاس بدار الآثار العربية إحداهما باسم الأمير قوصون .

وبمناسبة الثريات النحاسية (التنانير) الخاصة بالمسجد أذكر أن الملك المؤيد شيخ . كان نقل إحداهما إلى مسجده مع الباب النحاسي .

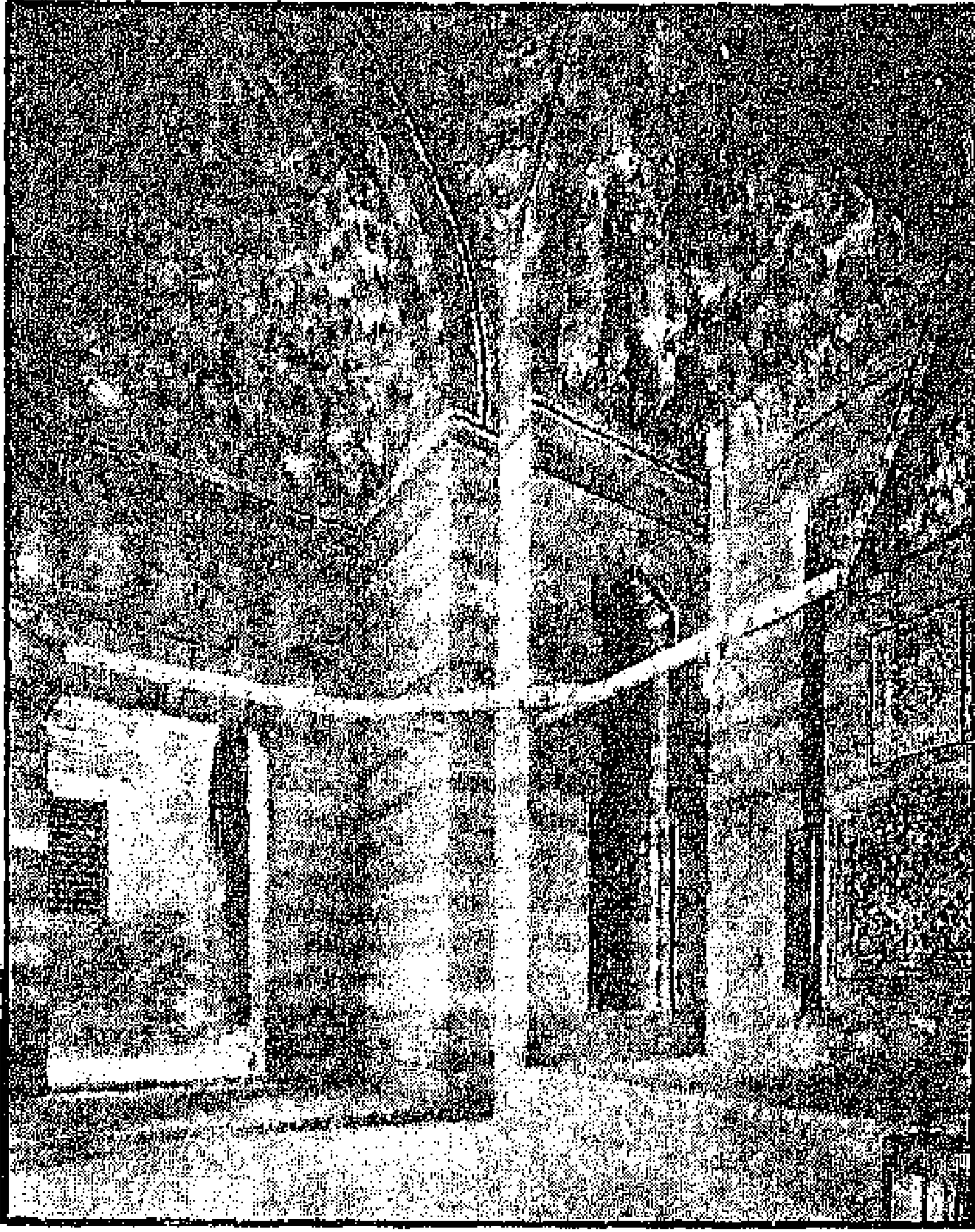
ويحيط بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة محدقة بالجامع الكبير ، أكبرها المدرسة الحنفية التى تقع فى الجهة الجنوبية ، إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ مترًا ، ويبلغ عمق إيوانها ٢٠ , ١٩ مترًا ، وتشتمل على العديد من روائع الفن الإسلامى . فجدرانها مكسوة بالرخام والأحجار الملونة . وأعلاها إطار من الزخارف الجصية ، بداخله كتابة بالخط الكوفى المزهر، عبارة عن آيات من القرآن الكريم ، تتخللها زخارف نباتيه دقيقة ، أما المدارس الثلاث الأخرى الشافعية والمالكية والحنبلية ، فهى فى الثلاثة أركان الباقية من الصحن . ويتكون كل منها من إيوان وصحن تتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الوجهات (تاريخ المساجد الأثرية/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، والقاهرة الإسلامية/ ٨ ، ٩).

وقد نقش على كل باب من أبواب المدارس الأربع النص التالى : «بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذلك فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة»، ثم ذكر المذهب الذى خُصصت له المدرسة بعد ذلك (القاهرة الإسلامية/ ٩) .

وباق فى اثنتين منها طراز جصى مكتوب بالخط الكوفى على مثال الإيوان الشرقى ، أحدهما فى مدرسة المالكية . ومكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾** [الحج : ٤١] اللهم أكثر الخير وأتبع العطا نسألك وأنت خير مسئول دوام دولة من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الأعظم الما ... والمساكين ... يته ... فى عقبه ... » .

نظام المدارس : وقد قرر السلطان حسن لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات نثبتها فيما يلى : (الخطط الجديدة ٤ / ٨٤ ، ٨٥) .

قرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب ، من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون ، وعين مدرسا لتفسير القرآن ، وعين معه ثلاثين طالبا عهد إلى بعضهم أن يقوموا بعمل الملاحظة ، وعين مدرسا للحديث النبوى ، ومقرئا لقراءة الحديث ، وثلاثين طالبا يحضرون يوميا عهد إلى بعضهم أن يقوموا بوظيفة النقيب والبعض الآخر يقوم بوظيفة داع للسلطان عقب الدروس . ثم عين بالإيوان القبلى بالجامع شيخا عالما مفتيا ، ورتب معه مقرئا مجيدا للقراءة على أن يحضر أربعة أيام من كل أسبوع ، منها يوم الجمعة ؛ فيقرأ المقرئ ما تيسر من القرآن وما تيسر من الحديث الشريف ، وعين مدرسا حافظا لكتاب الله عالما بالقراءات السبع ليجلس كل يوم ما بين صلاة الصبح والزوال بالإيوان القبلى ، وقارئا آخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده ، ثم عين اثنين لمراقبة الحضور والغياب ، أحدهما بالليل والآخر بالنهار . وأعد مكتبة عين لها أمينا ، وألحق بالمدرسة مكتبين بمدرسيهما لتعليم الأيتام القرآن والخط ، وقرر لهم الكسوة والطعام ؛ فكان إذا أتم اليتيم القرآن حفظا يعطى خمسين درهما ويمنح مؤدبه خمسين درهما مكافأة له .



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ(١٣٥٦-١٣٦٣م)

وعين طبيبين مسلمين أحدهما باطنى والآخر للعيون ، يحضركل منهما كل يوم بالمسجد ليداوى من يحتاج علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب طبيبا ثالثا جراحا . وقد أرصد في وقفيته مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين . وقيمة ما يصرف لهم من المأكل كل ليلة جمعة وما يصرف لهم فى الأعياد .

المدرسة كقلعة ـ لوقوع هذه المدرسة أمام قلعة الجبل اتخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن أنفسهم أمامها ؛ فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الأمراء وغيرهم إلى أعلى مدرسة السلطان حسن ويضربون القلعة . ففى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩م) نصبت مكحلة (أى مدفع) أعلى المدرسة رمى بها على باب السلسلة فهرب المماليك . ولما تكررت هذه الحوادث أمر السلطان الظاهر برقوق فى ٨ صفر سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) بهدم السلم الموصل إلى سطح المدرسة وسد ما وراء الباب النحاسى الكبير ، ثم فتح شباك من شبابيك المدرسة يوصل إلى داخلها .

وفى شهر رمضان سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) صُرح بالأذان فى المنارتين وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الذى أخذه المؤيد شيخ .

ولما عاد الأمراء إلى مهاجمة القلعة من منارة المدرسة أمر السلطان أبو سعيد جقمق بهدم السلالم الموصلة إلى المنارات، وذلك فى سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .

وفى ٢٩ ذى الحجة سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) عهد السلطان أبو النصر إينال إلى المهندسين بفحص المنارة القبلية للمدرسة خوفا من حدوث خلل بها . وبفحصها تبين لهم سلامتها ، ولكن تبين أن رصاص القبة به ثغرات من كثرة إصابتها بالمكاحل فى أيام الحروب ، واعوجاج هلالها فرفع وبقيت القبة بدونه .

وفى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) كانت موقعة اقبردى ؛ فحاصر القلعة وضربها من أعلى المدرسة بمكحلة أصاب أول حجر منها باب السلسلة ، فقوبل الاعتداء بمثله وصوبت المكحلة المعروفة بالمجنونة إلى من فى مدرسة السلطان حسن فأصاب المدفع شباك المدرسة فقتل ثلاثة من المماليك . ونهبت بسط المدرسة وقناديلها ورخامها .

وفى سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) جدد الأمير طومانباى الدوادار الثانى جدران المدرسة وأصلح ما تلف منها ، وأقيمت الخطبة بها بعد أن كانت معطلة نحو عشرة أشهر .

وفى سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) هدم الأشرف جان بلاط جزءا بسيطا خلف محراب القبة بصعوبة ثم أوقف الهدم .

ولما ولى ملك مصر الملك العادل طومانباى أمر بترميم جميع ما فسد من جدران مدرسة السلطان حسن فى مدة محاصرة القلعة .

ولما زار مصر الرحالة المغربى الورثيلانى سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) وجد جدارا كبيرا مهدوما من المسجد وكان العمل جاريا فى رفع أنقاضه . وبعودته من الحج بعد سنة ونصف سنة وجدهم قد فرغوا من ترميمه . ولعل هذه العمارة لإصلاح ما هدمه جان بلاط ، أو من أثر المعركة التى قتل فيها أحد عشر أميرا فى بيت محمد بك الدفتردار سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) وتسبب عنها سد الباب الكبير مرة ثانية لمدة ٥١ سنة ؛ إلى سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م) حيث أصلح المسجد سليم أغا وفتح بابه وأزال الدكاكين التى أحدثت بأسفله ؛ وبنى له سلالم ومصطبة جديدة .

ومن هذه الحوادث نرى كيف كافحت هذه المدرسة وصمدت أمام تلك التقلبات وبقيت محتفظة بكيانها أكثر من القلعة .

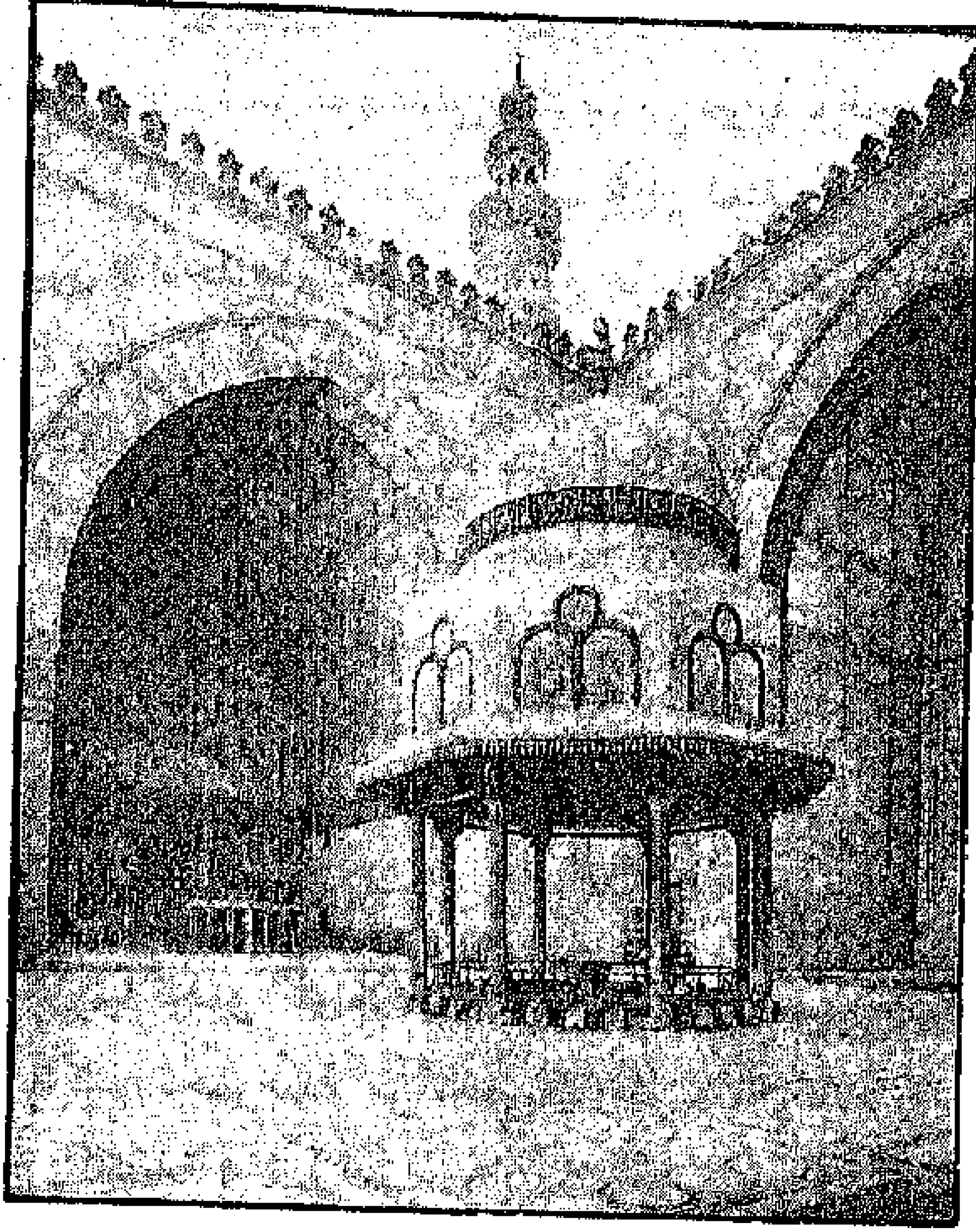
ملحقات الجامع ــ وقد اتخذت خلف الدركاة والإيوان الغربى أبنية فرعية ؛ الدور الأرضى منها يشتمل على دورة مياه فسيحة مساحتها ٤١٢ مترًا وتركت الجهة الوسطى من هذا المكان مكشوفة لتجديد الهواء ودخول الضوء .

وتنخفض أرضية هذه الجهة عن أرضية الجامع بستة أمتار ونصف متر . ويتوصل إليها من باب فى غاية الجمال ، وفى وسطها ميضأة من الرخام الأبيض ، وعلى امتداد جدران هذا المكان مرافق ومنافع متنوعة ، ومن ملحقات الجامع أيضا الساقية ، وهى فى الزاوية القبلية الغربية .

المهندس ـ وأخذ المرحوم « هرتس باشا » على مهندس السلطان حسن اتخاذه مقرنصات مقلوبة لتحلية قواعد الأعمدة . ومنها استنتج أن المهندس أجنبى عن هذه البلاد، وعلق على ذلك بقوله : « ولكن أنى لنا العلم ببلده وهو لم يترك لنا اسمه ولا أثره ؛ ولذلك جعلنا جميعا متشوقين لمعرفته» .

واستطرد فقال : « ولم يذكر أحد من المؤرخين ـ حتى ولا المقريزى الذى يكثر الكلام على الآثار ـ اسم هذا المهندس، كما أننا لم نعثر على شيء يتضمنه فى الكتابات الكثيرة المنقوشة على جدران الجامع ؛ ولذلك تضطرنا الحال إلى معاودة البحث فى عمله عن أثر يدلنا عليه ، أو إشارة تهدينا إليه بالتأمل فى كيفية تصميم دقائق البناء وكيفية توقيعها . وللوصول إلى هذه الغاية جعلنا الدعامة الصغرى المركبة على أحد وجوه كتف الباب محل نظرنا فدلتنا على أن المهندس ـ لعدم استطاعته تدوين اسمه فى عمله ـ اكتفى بنسبة الفخر إلى وطنه فأشار إليه إشارة لبيب فى ركن صغير . وهى إشارة تخفى على العامة ، ولكنها كافية لأن يهتدى بها من كان بسر الأحجار عليما .

وبيان ذلك أن هذه الدعامة ترى عليها ستة سطوح بعضها فوق بعض متعاقبة بين صغير وكبير، وكلها محلاة برسوم بارزة أما الكبار فرسومها متشابهة أو تكاد تكون كذلك ؛ فإن فى جميعها أقواسا ستينية مرتكزة على زوج من العمد الصغيرة ، وهذه الأقواس ـ وإن لم يكن فيها ما يستوقف النظر خلاف كون الرسومات الزهرية النباتية التى فى السطح الباطن جلية البيان ـ فإن العمد تسترعى النظر بأبدانها المهندمة الدالة على أنها من طراز قديم عن الطراز العربى . أما الرسومات المنقوشة فى السطوح الصغير فأغرب من ذلك ؛ إذ قد مثل فى الأسفل منها بيت صغيرة ذو طبقتين سطحه على شكل جملون وبجانبه بناءان أعلى منه ، ومن الباطن بناء آخر له باب وعدة نوافذ، وفى السطح الذى يليه كنيسة ، وطبقة أرضية عالية لها باب ينتهى عالية بشكل جملون ، وعليها طبقة أخرى أقل منها فى الأهمية ومتخذة قاعدة لقبة يزيد حجمها عن نصف كرة ، وهى ترتكز على قاعدة مخروطة .



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ(١٣٥٦-١٣٦٣م)

واستخلص من هذا الوصف مستنتجا ان المهندس وضع هذه الدقائق فى الرسم ليكشف بها عن جنسيته ، ورجح أن المهندس بيزنطى تلقى أصول الطرز الإسلامى فى أحد البلاد السلجوقية ، مما مكنه من تصميم بناء فائق فى بابه مثل جامع السلطان حسن . وهو رأى يؤيده ما كان من الروابط والعلاقات المستمرة بين بيزنطة وملوك بنى سلجوق .

وإن الغموض الذى أحاط بالفنان الذى أبدع هذه المدرسة أحاط غيره من بقية المنشآت المعمارية فى مصر . ولكن عبقرية هذا الفنان كانت حافزة دائما لمعرفته ؛ لأنه شاد بناء عظيما لم يسبق ولم يلحق .

وفى هذا الصدد كتب الأستاذ الجليل مسيو جاستون ڤييت عند بحثه لهذه المدرسة : أن جامع السلطان حسن عمل عظيم خالد ، ولكن شخصية الفنان العبقرى الذى ابتدعه يكتنفها الظلام .

يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله : وفى يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ـ أثناء اشتغالى بمراجعة كتابات الجامع لنشرها مع أستاذى الجليل مسيو ڤييت ضمن مجموعة الكتابات التاريخية الجارى نشرها ـ عثرت فى المدرسة

الحنفية على اسم المهندس مكتوبا فى طرازها الجصى بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما فى صدورهم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٥ ـ ٤٨] اللهم يا دائم لا يفنا [يفنى] يا من نعمه لا تحصا [تُحصى] أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين ببقاء من أيدت به الإسلام والمسلمين وأحييت ... ... حسن ابن مولانا السلطان الـ ... ... عنه على ما وليته وخلد فى ذريته كتبه تحمو [تحمي] دولته . وشاد عمارته محمد ابن [بن] بيليك المحسنى .

وكِتْبة تحمو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته) وقد كتب تحمو بدلا من تحمى ـ ومثل هذا الخطأ وقع فى نفس الكتابة ؛ فقد كتب : « يا دائم لا يفنا يا من نعمه لا تحصا » بالألف بدل الياء .

والمعروف أن السلطان حسنا ، حينما شرع فى عمارة مدرسته ، أشرف عليها مهندسين ومشيدين (ملاحظى عمارة) فإذا وجدنا اسم ابن بيليك بجانب اسم السلطان حسن فلا شك أنه لأكبر مهندس فيهم ، خصوصا إذا عرفنا أنه من البيوتات الكبيرة الذين اصطفاهم السلطان حسن وقربهم ، منه ، وكان من أمراء الألوف .

ومن تتبع تراجم أسرة ابن بيليك ـ وقد نشأت هذه الأسرة فى عصر المنصور قلاوون ، وتقلب أفراد أسرتها فى وظائف الدولة فى عهد هذه الأسرة ، وكثير منهم تسمى بمحمد ـ وجدنا المؤرخين يخلطون فيهم . وآخرهم محمد بن بيليك الذين خلطوا ترجمته بترجمة أبيه . وكل ما عرفناه عنه أنه كان من أمراء الألوف ومن أولاد الناس ، وأنه وقف بجانب السلطان حسن فى محنته مع يلبغا . ولم نقف على بقية ترجمته ولا سنة وفاته .

ولا ضير علينا فى عدم العثور على نعته بالمهندس فى الفقرات الصغيرة التى بين أيدينا من ترجمته ؛ لأن كثيرا من المهندسين لم يكونوا محترفين للهندسة ، بل اشتغل بها ملوك وأمراء وعلماء ، كما اشتغلوا بغيرها من الفنون والصناعات . والشواهد كثيرة . فقد ثبت أن الناصر محمد بن قلاوون هندس بنفسه قصر الأمير يلبغا البحياوى وقد كان قصرا عظيما ، وأن الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون كان مغرما بالصناعات وأجاد صناعة الزجاج وغيرها ، وأن الأمير قطلوبك ابن قرا سنقر أحد أمراء الطبلخاناه كان مهندسا للرى . فقد عمر قناة بالقدس واستقدمه الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر ليعهد إليه بمشروع عمل قناة للماء من بركة الحبش .

وأن العلامة أحمد بن على بن إبراهيم الغسانى الأسوانى المصرى كان عالما كاتبا شاعرا مؤرخا مهندسا ، وأن الأمير سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى وزير الديار المصرية كان خبيرا بالسياسة والعمارة . وهو الذى نفذ منشآت المنصور قلاوون .

هذا عدا الكثير من الملوك والوزراء والأمراء الذين اشتغلوا بكثير من العلوم ونبغوا فيها .

ولدينا مسألة طريفة تعزز أن ابن بيليك هو المهندس . ذلك أن كلمة بيليك التركية معناها بالعربية سعد .

وقد كتب المؤرخون أن السلطان حسنا لما صلى صلاة الجمعة فى المسجد لافتتاحه أنعم على البنائين والمهندسين ، كما كافأ الفعلة لكل واحد عشرة دنانير؛ فأنشد الشاعر ابن نباتة المصرى مقطوعة فى المعنى ضمنها اسم المهندس فقال :

مليك التقى هُنيتَ بالجامع الذى
وجدت إلى مبناه سعدا موافقا

وشعراء هذا العصر من دأبهم تضمين الأسماء فى شعرهم ؛ فنجد أن هذا الشاعر قد هنأ الملك الكامل شعبان بملك مصر بأبيات منها :

طلعة سلطاننا تبدت
بكامل السعد فى الطلوع
فاعجب لها كيف منه أبدت
هلال شعبان فى ربيع

وإذا لم يكن محمد بن بيليك هذا مهندسا فلما استطاع بناء هذه المدرسة وما أذن له بوضع اسمه بجانب اسم السلطان ، ولا لهج الشعراء باسمه مع اسم السلطان .

وقد قيض الله لهذه المدرسة لجنة حفظ الآثار فبذلت فى إصلاحها مجهودا جبارا فأكملت بناء منارتيها وأصلحت جدرانها ورخامها ونجارتها وأرضيتها حتى أعادت إليها رونقها، بعد أن صرفت عليها ٤٠ ألف جنيه .

وانتهت هذه الأعمال فى منتصف سنة ١٩١٥ تحت إشراف المهندس الكبير هرتس باشا كبير مهندسيها ، وصاحب الفضل فى تعمير الكثير من الآثار الإسلامية بمصر اهـ . (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٣ ـ ١٨١) .

هذا وقد قامت هيئة الآثار المصرية التابعة لوزارة الثقافة بترميم شامل لهذا الأثر الجليل فى ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ م ، وقد شمل الترميمي ما يأتى :

أولا : الترميم المعمارى.

أ ـ دركاة المدخل .

ب ـ صحن المسجد .

جـ ـ المدارس .

د ـ إيوان القبلة .

هـ ـ الضريح .

و ـ الأخشاب والنحاس والرخام .

ثالثا : أعمال الكهرباء

رابعا : خدمات سياحية :

أقيمت حديقة متحفية فى الجهة الشمالية الغربية للمسجد، وزينت بعدد من القطع الأثرية ، ووضعت نافورة فى وسطها ومقاعد لاستراحة الزوار ، مع عمل دورات مياه سياحية لخدمتهم . كما تم إنشاء بيت للهدايا وغرفة للتذاكر ـ انظر تفاصيل هذا كله فى المرجع (القاهر الإسلامية . مساجد ميدان صلاح الدين / ٧ ـ ١٦) .

(تاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ١٦٥ ـ ١٨١ ، والقاهرة الإسلامية ، مساجد ميدان صلاح الدين وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية / ٧ ـ ١٦ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٦٨ ، والعمارة الإسلامية فى مصر ـ د. كمال الدين سامح / ٩٠ ، ٩١) .

انظر أيضا الفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ١٩٦ ـ ١٩٩ ، ودليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ـ محمود أحمد / ١٣٥ ـ ١٤٢ .

*** الحسن المراكشى (القرن ١٣ م) :**

أدرجه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله فى « عصر الطوسى » وهو الذى يشتمل على علماء القرن الثالث عشر للميلاد وقال عنه :

هو « أبو على الحسن بن على بن عمر المراكشى » من علماء المغرب الذين ظهروا فى مراكش فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، واشتهروا فى الفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، وعمل الساعات الشمسية .

له : « رسالة تلخيص العمل فى رؤية الهلال » .

ـ « كتاب جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات » يقول عنه صاحب « كشف الظنون » : « ... وهو أعظم ما صنف فى هذا الفن ؛ أوله : أما بعد حمدا لله والصلاة على محمد : ... رتبه على أربعة فنون :

الأول : فى الحساب ، وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلا .

الثانى : فى وضع الآلات . وهو يشتمل على سبعة أقسام .

الثالث : فى العمل بالآلات وهو يشتمل على خمسة عشر بابا .

الرابع : فى مطارحات يحصل بها الدربة والقوة على الاستنباط . وهو يشتمل على أربعة أبواب فى كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة ... » (كشف ١ / ٣٨٤ فى نسخة المؤلف) .

ويظهر من كتابه هذا ؛ أنه اعتمد على مؤلفات «الخوارزمى» و « البتانى » و « الفرغانى » و « أبى الوفاء » و«البيرونى » و « ابن سينا » و « الزرقالى » و « جابر بن الأفلح»، فى الفلك والرياضيات .

وفى الكتاب بحوث فى المثلثات ، وأدخل فيها الجيب، والجيب تمام ، و السهم Versed Sine

وبين أن : حا (٩٠ - س) = جتا س .

وأن : حا (س - ٩٠) = - جتا س .

وعمل أيضـا الجـداول للجيب (لكل نصـف درجـة) . وكذلك جداول للسهم . وأورد تفصيلات عن أكثر من ٢٤٠ نجمـا لسنـة ٦٢٢ هـ . وفيه أيضـا حلـول (بطـريق الـرسم والتخطيط) لبعض المسائل الفلكية .

ويقـول « سـارطـون » : إن « كتـاب الجـامع » من أحسن الكتب ، وفيه بحوث نفيسة فى المثلثات ، والساعة الشمسية المتنوعة (مقدمة لتـاريخ العلم ٢ / ٦٢٣) ويعتـرف « سيديـو » بفضل « المـراكشى » فى تصحيحـات العـرب الجغـرافيـة . فيقـول : « ... وأمـا طـول البحـر المتـوسط الـذى جعلـه «بطلميوس» ٦٢ درجة ، ثم جعله العرب فى كتاب رسم الأرض ٥٤ درجـة ، فقـد قدر بعـد ذلك بـ ٤٢ درجة ، غيـر أننـا لم نستفـد من ذلك الرصـد بخلاف مـا عمله « أبـو على الحسن المـراكشى » المشهـور سنـة ١٢٣٠ م ، من التصحيح المهم الذى كان به كتابه من أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيا ... » (خلاصة تاريخ العرب / ٢٢٣ ، ٢٣٠) .

وكـذلك جـدد « المـراكشى » فى خـارطـة المغـرب التى رسمت فى الزمن الأول ، بخلاف غيره من الذين نقلوا الخارطة على ما هى عليه من الغلط .

ويقول « سيديو » أيضا : ـ

« ... وأبو على الحسن المهندس الفلكى له كتـاب ـ أى الجـامع ـ بـه أول استعمـال الخطوط الـدالـة على الساعـات المتسـاويـة ، فإن اليونـان لم يستعملـوهـا قط . وقط فصل صناعـة الخطوط الدالة على السـاعات الزمنية المسمـاة أيضا بـالساعـات القديمـة ، والمتفاضلـة ، واليهوديـة . واستعمل خواص القطوع المخروطية فى وصف أقواس البروج الفلكية ، وحسب خطوط المعـادلة ، ومجـاور تلك المنحنيات لمعـرفة عرض محل الشمس وانحـرافها ، وارتفاع الـربع الميقاتى » (خلاصة تاريخ العرب / ٢٢٣ ، ٢٣٠) .

وترجم « إمانويل سيديو » : « كتاب الجامع » الذى سبق ذكره ، ونشـر ابنه « لـويس أميلى سيديو » التـرجمة المـذكورة فيما بعد ١٨٣٤ هـ ـ ١٨٣٦ م .

كما نشر « كـارادى قو Carra De Vaux » ، فصلا من «كتاب الجامع » يفصل فيه الاسطرلاب .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤١٦ ، ٤١٧ . انظر أيضـا معجم العلمـاء العـرب ـ بـاقـر أمين الـورد المحامى، راجعه الأستاذ كوركيس عواد ١ / ١٢٣) .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة لكتاب أبى الحسن المراكشى « جامع المبادئ والغايات فـى علم الميقات » المذكور أعلاه ، وذلك فى م ١١ / ٥٧٨ ـ ٥٨٢ مصحوبـة بصورتى مخطوطين ص ٥٧٩ و ٥٨٠ فانظرها فى موضعها .

*** أبو الحسن المزين (-٣٢٨ هـ) :**

من الطبقـة الرابعـة للصـوفية ، وهـو أبـو الحسن على بن محمد المزين ، من أهل بغداد ، صحب الجنيد ، وسهل بن عبـد الله ومـن فى طبقتهمـا من البغـداديين ، وأقـام بمكـة مجاورا ، ومات بها . قال عنه الإمام عبد الرحمن السلمى :

وكان من أورع المشايخ وأحسنهم حـالا ، توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

ـ الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

ـ وسئل عن المعرفة ، فقال : أنت تعرف الله تعالى بكمال الربوبيـة ، وتعرف نفسك بالعبوديـة . وتعلم أن الله تعالى أول كل شىء ، وبه يقوم كل شىء ، وإليه مصير كل شىء ، وعليه رزق كل شىء .

ـ الطرق إلى الله تعالى تعالى بعدد النجوم ، وأنا مفتقر إلى طريق واحد فلا أجده .

ـ من طلب الطريق إليه بنفسـه تاه فى أول قدم ، ومن أريد بـه الخيـر دل على الطـريـق ، وأعين على بلـوغ المقصـد ، فطـوبى لمن كـان قصده إلـى ربه ، دون عـرض من أعـراض الأكوان .

ـ من استغنى بالله أحوج الخلق إليه ، ومن افتقر إلى الله ، وصح فقره إليه بملازمة آدابه ، أغناه الله عن كل ما سواه .

ـ وكان يوما بالتنعيم ، يريد أن يحرم بعمرة ، فأخذ يبكى طول طريقه وينشد :

أنـــــــافـــى دمعــى فــأبكيـــك

هيهـــــات ! مــــــا لـى مطمـع فيـك !

فلم يزل كذلك حتى بلغ باب مكة .

ـ متى ظهرت الآخرة فنيت فيها الدنيا ، ومتى ظهر ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة ، فإذا تحققت الأذكار فنى العبد وذكره وبقى المذكور بصفاته .

ـ للقلوب خواطر يشوبها شيء من الهوى ، لكن العقول المقرونة بالتوفيق تزجر عنها وتنهى .

ـ وسئل عن التوحيد ، فقال : أن توحد الله بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة ، وتوحده بالرجوع إليه فى كل ما لك وعليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه ، فالله تعالى بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه ، باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاته حدثا .

ـ ورئى يوما متفكرا ، ثم اغرورقت عيناه ، فقيل له : ما لك أيها الشيخ ؟ فقال : ذكرت أيام تقطعى فى إرادتى ، وقطعى المنازل يوما فيوما ، وخدمتى لأولئك السادة من أصحابى ، وتذكرت ما أنا فيه ، من الفترة عن شريف الأحوال . وأنشأ يقول :

منـــــازل كنت تهـــواهـــــا وتألفهـــــا

أيـــــام أنت على الأيـــــام منصـــــور

ـ المعجب بعمله مستدرج ، والمستحسن لشيء من أحواله ممكور به ، والذى يظن أنه موصول فهو مغرور ، وأحسن العبيد حالا من كان محمولا فى أفعاله وأحواله ، لا يشاهد غير واحد ، ولا يأنس إلا به ، ولا يشتاق إلا إليه .

ـ وسئل عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يسكن إلى مضمون الله له ، ويزعجه دخول الأرفاق عليه ، من أى وجه كان .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٩٣ ، ٩٤) .

*** حسن مصطفى مأمون (ـ ١٨٩٤ م / ـ ١٩٧٣ م) :**

الشيخ الثامن والثلاثون من شيوخ الأزهر الشريف .

ولد بالقاهرة فى سنة ١٨٩٤ وكان والده شيخا لمسجد الفتح بقصر عابدين الذى يصلى فيه الملك وحفظ القرآن الكريم واتجه إلى المعهد الدينى ثم مدرسة القضاء الشرعى وتخرج سنة ١٩١٨ وأتقن اللغة الفرنسية .

فى سنة ١٩١٩ عين موظفا قضائيا بمحكمة الزقازيق الشرعية ثم انتقل لمحكمة القاهرة الشرعية سنة ١٩٢٠ ورقى بعد ذلك إلى قاض وتنقل بين عدة محاكم إلى أن ارتقى إلى منصب قاض عام ١٩٣٩ ثم صدر مرسوم ملكى بتعيينه قاضيا لقضاة السودان سنة ١٩٤١ .

وكانت له مواقف وطنية أغضبت الإنجليز ثم تمت ترقيته إلى عضو بالمحكمة الشرعية العليا سنة ١٩٤٧ ثم عين مفتيا سنة ١٩٥٥ ثم عين شيخا للأزهر سنة ١٩٦٤ .

وظل حريصا على إلقاء دروسه على طلاب قسم التخصص بكلية الشريعة .

وكان عالما فقيها وقاضيا نزيها .

وأشرف على إصدار الموسوعة الفقهية الكبرى وكتب بعض موادها .

ومات سنة ١٩٧٣ م .

وقد وقف من الاستعمار مواقف كريمة فناهضه فى السودان وقاوم قيام دولة إسرائيل وشارك فى مقاومة الاحتلال وناشد (الملك السنوسى) ألا يسمح بإقامة قواعد استعمارية عسكرية على أرضه لأنها خنجر مصوب لمصر ولما دبرت إسرائيل حرق المسجد الأقصى وجه الإمام نداء لكل المسلمين يدعو فيه للجهاد .

وأصدر مجموعة من الفتاوى القيمة نقى بها الإسلام من البدع والخرافات .

من مصنفاته :

١ ـ الفتاوى .

٢ ـ دراسات وأبحاث فقهية متنوعة نشرها أو راجعها .

٣ ـ السيرة العطرة .

٤ ـ الجهاد فى الإسلام .

٥ ـ تفسير لقصار السور .

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ٤٥) .

* **أبو الحسن المقدسى (٦١٧-٦٩٩ هـ / ١٢٢٠-١٢٩٩ م) :**

ذكر فى الخطاطين البغداديين .

وهو أبو الحسن على ابن العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير المقدسى النابلسى الصالحى الحنبلى . ولد سنة ٦١٧ هـ وقيل قبل ذلك . وسمع من البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسى والحسين بن المبارك ابن الزبيدى ، وعلم الدين على بن محمود ، وسمع من أبى المنجا عبد الله بن اللتى جزء أبى الجهم .

وسمع من الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى ومن أبى صادق الحسن بن صباح ومكرم بن محمد ابن أبى الصقر ومحمد بن غسان وأبى موسى عبد الله بن عبد الغنى ، وأبى حمزة أحمد بن عمر ابن أبى عمر بن قدامة والفخر محمد بن إبراهيم الإربلى وجعفر بن على الهمدانى وأبى الحسن على بن هبة الله بن الحميرى .

وقدم بغداد فسمع بها من أبى إسحاق إبراهيم بن عثمان الكاشغرى والمؤتمن يحيى بن أبى السعود نصر بن القميرة .

وحدث ببغداد وسمع منه أبو العلاء محمود بن أبى بكر الفرضى .

وكان ابن عبد الدائم شيخا ثقة جليلا زاهدا . وقد حرر القرآن الكريم بخطه البديع الحسن ونسخ بخطه كثيرا . وكان قليل الرواية .

ثم رحل إلى بعلبك ، وسكن فيها وصحب الشيخ الفقيه محمد بن أحمد اليونينى وخدمه . ثم قصد البصرة وعاد بعدها إلى الشام . وحدَّث عنه المحدث نجم الدين إسماعيل ابن الخباز فى حياة والده .

وكان ابن عبد الدائم دائم التلاوة للقرآن الكريم . وأقعد فى آخر عمره . وتوفى شهيدا على أيدى التتار فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة .

(جمهرة الخطاطين البغداديين ـ وليد الأعظمى ٢ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، عن العبر للذهبى ٥ / ٤٠١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٨٠ ، وشذرات الذهب ٥ / ٤٥١ ، والقلائد الجوهرية ٢ / ٢٨٨ ومنتخب المختار ص ١٣٤) .

* **حسن المقصد فى عمل المولد :**

قال عنه حاجى خليفة :

حسن المقصد فى عمل المولد : للجلال السيوطى أورده فى حاويه وذكر فيه اجتماع الناس فى مبدأ أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما وقع فى مولده (كشف ١ / ٦٦٧) .

وفيما يلى ما جاء بهذه الرسالة . يقول الحافظ جلال الدين السيوطى بعد البسملة :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوى فى شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع ؟ وهل هو محمود أو مذموم ؟ وهل يثاب فاعله أو لا ؟

والجواب عندى أن أصل عمل المولد الذى هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبى ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ، وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين على بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة وهو الذى عمَّر الجامع المظفرى بسفح قاسيون ، قال ابن كثير فى تاريخه : كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مثواه ، قال : وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلدا فى المولد النبوى سماه التنوير فى مولد البشير النذير

فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته فى الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة .

وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : حكى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد أنه عد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوى وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ، قال وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلثمائة ألف دينار وكانت له دار ضيافة للوافدين من أى جهة على أى صفة فكان يصرف على هذه الدار فى كل سنة مائة ألف دينار وكان يستفك من الفرنج فى كل سنة أسارى بمائتى ألف دينار وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز فى كل سنة ثلاثين ألف دينار هذا كله سوى صدقات السر، وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كرباس غليظ لا يساوى خمسة دراهم قالت فعاتبته فى ذلك فقال لبسى ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقى خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير والمسكين .

وقال ابن خلكان فى ترجمة الحافظ أبى الخطاب بن دحية : كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز باربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتنى بالمولد النبوى فعمل له كتاب التنوير فى مولد البشير النذير وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار قال : وقد سمعناه على السلطان فى ستة مجالس فى سنة خمس وعشرين وستمائة انتهى .

وقد ادعى الشيخ تاج الدين عمر بن على اللخمى السكندرى المشهور بالفا كهانى من متأخرى المالكية أن عمل المولد مذمومة وألف فى ذلك كتابا سماه المورد فى الكلام على عمل المولد وأنا أسوقه هنا برمته وأتكلم عليه حرفا حرفا .

قال رحمه الله : الحمد لله الذى هدانا لاتباع سيد المرسلين وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين ويسر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع فى الدين ، أحمده على ما مَنَّ به من أنوار اليقين وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل فى الشرع أو هو بدعة وحدث فى الدين ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا والإيضاح عنه معينا فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب إجماعا ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت وهذا جوابى عنه بين يدى الله تعالى إن عنه سئلت ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما وحينئذ يكون الكلام فيه فى فصلين والتفرقة بين حالين .

أحدهما أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يجاوزون فى ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة إذ لم يفعله أحد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام سرج الأزمنة وزين الأمكنة .

والثانى أن تدخله الجناية وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء أخذ المال بالحياء كأخذه

بالسيف لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات إما مختلطات بهن أو مشرفات والرقص والتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر : ١٤] وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات فإنا لله وإنا إليه راجعون بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ ، ولله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازناه :

قد عرف المنكر واستنكر الـ
ـمعروف في أيامنا الصعبه
وصار أهل العلم في وهدة
وصار أهل الجهل في رتبه
حادوا عن الحق فما للذي
ساروا به فيما مضى نسبه
فقلت للأبرار أهل التقى
والدين لما اشتدت الكربه
لا تنكروا أحوالكم قد أتت
نوبتكم في زمن الغربه

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب ، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه ﷺ ـ وهو ربيع الأول ـ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه ، وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول .

هذا جميع ما أورده الفاكهاني في كتابه المذكور ، وأقول : أما قوله لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة فيقال عليه نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود ، وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر أصلا من السنة واستخرجت له أنا أصلا ثانيا وسيأتي ذكرها بعد هذا ، وقوله : بل هو بدعة أحدثها البطالون إلى قوله ولا العلماء المتدينون يقال عليه قد تقدم أنه أحدثه ملك عادل عالم وقصد به التقرب إلى الله تعالى وحضر عنده فيه العلماء والصلحاء من غير نكير منهم وارتضاه ابن دحية وصنف له من أجله كتابا فهؤلاء علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه ، وقوله ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع يقال عليه : إن الطلب في المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين الآتي ذكرهما ، وقوله ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين كلام غير مسلم لأن البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات البدعة في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال : والطريق في ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فهي محرمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة ، وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة إلى أن قال : وللبدع المندوبة أمثلة ، منها إحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول ، ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوف وفي الجدل ، ومنها المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى (جاء في هامش (١) التعليق التالي :

هذا التقسيم لم يسبق إليه العز بن عبد السلام لأنه أول من قسم البدعة وهو خرق للإجماع قبله وفي إيراده إحداث الربط والمدارس من البدع الممدوحة غير مسلم لأن هذا من الشرع انظر الاعتصام) .

وروى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي عن الشافعي قال : المحدثات من الأمور ضربان ، أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة ، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، وهذه محدثة غير مذمومة ، وقد قال عمر رضي الله عنه في

قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه يعنى أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى ـ هذا آخر كلام الشافعى ، فعرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين ولا جائز أن تكون مباحا إلى قوله : وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة إلى آخره لأن هذا القسم مما أحدث وليس فيه مخالفه لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع فهى غير مذمومة كما فى عبارة الشافعى وهو من الإحسان الذى لم يعهد فى العصر الأول فإن إطعام الطعام الخالى عن اقتراف الآثام إحسان فهو من البدع المندوبة كما فى عبارة ابن عبد السلام ، وقوله : والثانى إلى آخره هو كلام صحيح فى نفسه غير أن التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التى ضمت إليه لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد بل لو وقع مثل هذه الأمور فى الاجتماع لصلاة الجمعة مثلا لكانت قبيحة شنيعة ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة كما هو واضح ، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع فى ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح فهل يتصور ذم الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التى قرنت بها ؟ كلا بل نقول أصل الاجتماع لصلاة التراويح سُنة وقربة وما ضم إليها من هذه الأمور قبيح وشنيع وكذلك نقول أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة وما ضم إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع ، وقوله مع أن الشهر الذى ولد فيه إلى آخر جوابه أن يقال أولا : أن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا والشريعة حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب ، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهى إظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن فى هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته وقد قال ابن رجب فى كتاب اللطائف فى ذم الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لأجل قتل الحسين لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف ممن هو دونهم .

وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج فى كتابه المدخل على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا ، وحاصله مدح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر ، وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات ، وأنا أسوق كلامه فصلا فصلا قال :

فصل فى المولد : ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ما يفعلونه فى شهر ربيع الأول من المولد وقد احتوى ذلك على بدع ومحرمات جملة فمن ذلك استعمالهم المغانى ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع ومضوا فى ذلك على العوائد الذميمة فى كونهم يشتغلون فى أكثر الأزمنة التى فضلها الله تعالى وعظمها ببدع ومحرمات ولا شك أن السماع فى غير هذه الليلة فيه ما فيه فكيف به إذا انضم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذى فضله الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبى الكريم فآلة الطرب والسماع أى نسبة بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذى من الله علينا فيه بسيد الأولين والآخرين فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير شكرا للمولى على ما أولانا به من هذه النعم العظيمة وإن كان النبى ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئا من العبادات وما ذاك إلا لرحمته ﷺ بأمته ورفقه بهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمته رحمة منه بهم لكن أشار عليه السلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذى سأله عن صوم يوم الإثنين : « ذاك يوم ولدت فيه » فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى ولد فيه فينبغى أن نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة . وهذا منها لقوله عليه السلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » « آدم فمن دونه تحت لوائى » وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصها الله به من العبادات التى تفعل فيها لما قد علم أن الأمكنة والأزمنة لا تشرف لذاتها وإنما يحصل لها التشريف بما خصت به من المعانى فانظر إلى ما خص الله به هذا الشهر الشريف ويوم الإثنين ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه ﷺ ولد فيه ؟ فعلى هذا ينبغى إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به اتباعا له ﷺ فى كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات ألا ترى إلى قول ابن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس

بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان » فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا فإن قال قائل : قد التزم عليه الصلاة والسلام في الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد علم ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره فالجواب أن ذلك لما علم من عادته الكريمة أنه يريد التخفيف عن أمته سيما فيما كان يخصه ألا ترى إلى أنه عليه السلام حرم المدينة مثل ما حرم إبراهيم مكة ومع ذلك لم يشرع في قتل صيده ولا في قطع شجره الجزاء تخفيفا على أمته ورحمة بهم فكان ينظر إلى ما هو من جهته ، وإن كان فاضلا في نفسه فيتركه للتخفيف عنهم فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه ويكره له تعظيما لهذا الشهر الشريف وإن كان ذلك مطلوبا في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراما كما يتأكد في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم فيترك الحدث في الدين ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي وقد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة وغيرهما وياليتهم عملوا المغاني ليس إلا بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالتهوك والطرق المهيجة لطرب النفوس وهذا فيه وجوه من المفاسد ...

وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع فإن خلا منه وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع فيسعنا ما وسعهم انتهى .

وحاصل ما ذكره أنه لم يذم المولد بل ذم ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو عمل المولد الذي استحسناه فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن وإطعام الطعام وذلك خير وبر وقربة ، وأما قوله آخر إنه بدعة فإما أن يكون مناقضا لما تقدم أو يحمل على أنه بدعة حسنة كما تقدم تقريره في صدر الكتاب أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله فهو بدعة بنفس نيته فقط وبقوله ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوي به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه وهذا إذا حقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه لأنه حث فيه على زيادة فعل البر وما ذكر على وجه الشكر لله تعالى إذ أوجد هذا الشهر الشريف سيد المرسلين ﷺ وهذا هو معنى نية المولد فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولا وأما مجرد فعل البر وما ذكر معه من غير نية أصلا فإنه لا يكاد يتصور ولو تصور لم يكن عبادة ولا ثواب فيه إذ لا عمل إلا بنية ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف وهذا معنى نية المولد فهي نية مستحسنة بلا شك فتأمل :

ثم قال ابن الحاج : ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم ولكن له فضة عند الناس متفرقة كان قد أعطاها في بعض الأفراح أو المواسم ويريد أن يستردها ويستحيي أن يطلبها بذاته فيعمل المولد حتى يكون ذلك سببا لأخذ ما اجتمع له عند الناس وهذا فيه وجوه من المفاسد ، منها أنه يتصف بصفة النفاق وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضة ، ومنهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم أو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له وهذا أيضا فيه من المفاسد ما لا يخفى انتهى ، وهذا أيضا من نمط ما تقدم ذكره وهو أن الذم فيه إنما حصل من عدم النية الصالحة لا من أصل عمل المولد .

وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا قال : وقد ظهر لي تخرجها على أصل ثابت وهو ماثبت في

الصحيحين من أن النبى ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به فى يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة ، و الشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى نبى الرحمة فى ذلك اليوم وعلى هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى فى يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد فى أى يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه ، فهذا ما يتعلق بأصل عمله .

وأما ما يعمل فيه فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة ، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغى أن يقال ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضى السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى انتهى .

قلت : وقد ظهر لى تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه فى سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات ، ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزرى قال فى كتابه المسمى عرف التعريف بالمولد الشريف ما نصه : قد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك ؟ فقال : فى النار إلا أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعى ماء بقدر هذا ـ وأشار لرأس أصبعه ـ وأن ذلك بإعتاقى لثويبة عند ما بشرتنى بولادة النبى ﷺ وبإرضاعها له ، فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى ﷺ به فما حال المسلم الموحد من أمة النبى ﷺ يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته ﷺ لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم .

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه المسمى مورد الصادى فى مولد الهادى : قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار فى مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبى ﷺ ثم أنشد :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه
وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الإثنين دائما
يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره
بأحمد مسرورا ومات موحدا

قال الكمال الأدفوى فى الطالع السعيد : حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتى المالكى نزيل قوص أحد العلماء العاملين كان يجوز بالمكتب فى اليوم الذى فيه ولد النبى ﷺ فيقول يا فقيه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فيصرفنا ، وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره وهذا الرجل كان فقيها مالكيا متفننا فى علوم متورعا أخذ عنه أبو حيان وغيره ومات سنة خمس وتسعين وستمائة .

فائدة : قال ابن الحاج : فإن قيل : ما الحكمة فى كونه عليه الصلاة والسلام خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول ويوم الاثنين ولم يكن فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر ولا فى الأشهر الحرم ولا فى ليلة النصف من شعبان ولا فى يوم الجمعة وليلتها ؟ فالجواب من أربعة أوجه :

الأول ما ورد فى الحديث من أن الله خلق الشجر يوم الإثنين وفى ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التى يمتد به بنو آدم ويحيون وتطيب بها نفوسهم :

الثانى أن فى لفظة ربيع إشارة وتفاؤلا حسنا بالنسبة إلى اشتقاقه وقد قال أبو عبد الرحمن الصقلى لكل إنسان من اسمه نصيب .

الثالث : أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها وشريعته أعدل الشرائع وأسمحها .

الرابع : أن الحكيم سبحانه أراد أن يشرف به الزمان الذى ولد فيه فلو ولد فى الأوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها تم الكتاب ولله الحمد والمنة : (الحاوى ١ / ١٨٩ - ١٩٧) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٧ ، والحاوى للفتاوى للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٨٩ - ١٩٧) .

* **الحسن (من الحديث) :**

إليك أولا هذه التعاريف الموجزة عن الحديث الحسن كما وردت فى المعجم :

الترمذى : هو ما لا يكون فى إسناده متهم ولا يكون شاذا ويروى من غير وجه نحوه .

- الخطابى : هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله .

- أبو الفرج ابن الجوزى : الحسن ما به ضعف قريب يحتمل .

- ابن دقيق العيد : الحسن كل حديث خال عن العلل ، وفى سنده المتصل مستور له به شاهد أو مشهور قاصر عن درجة الإتقان .

- ابن الصلاح : هو قسمان :

أحدهما : ما لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق أهليته ، وليس مغفلا كثير الخطأ ، ولا ظهر منه سبب مُفَسِّق ، ويكون متن الحديث معروفا برواية مثله أو نحوه من وجه آخر .

الثانى : أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجة الصحيح لقصوره فى الحفظ والإتقان ، هو مرتفع عن حال من يعد تفرده منكرا .

الجرجانى (فى التعريفات) ، والأحمد نكرى : الحسن من الحديث أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة الحديث الصحيح لكونه قاصرا فى الحفظ والوثوق ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من دونه .

- الطيبى : الحسن مسند من قرب من درجة الثقة ، أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه وسلم من شذوذ وعلة .

- ابن حجر : الصحيح ما نقله عدل تام الضبط متصل السند غير معل ولا شاذ ؛ فإن خف الضبط فهو الحسن لذاته .

- السخاوى : هو الذى اتصل سنده بالصدوق الضابط المتقن غير تامهما ، أو بالضعيف بما عدا الكذاب إذا اعتضد مع خلوهما عن الشذوذ والعلة .

- الجرجانى (فى رسالته) : الحسن هو مسند من قرب من درجة الثقة أو مرسل ثقة وروى كلاهما من وجه وسلم من شذوذ وعلة .

- الكافيجى : هو الذى يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة مع قصور فى حفظه وإتقانه ، أو مستور الحال ، مع ألا يكون كثير الخطأ ولا متهما بالكذب بحيث لا يكون فيه علة قادحة ولا إنكار وشذوذ يضر .

- تقى الدين الشمنى : الحسن خبر متصل قل ضبط راويه العدل وارتفع عن حال من بعد تفرده منكرا ، وليس بشاذ ولا معلل .

حسن الحديث : من ألفاظ التعديل . انظر : (الجرح والتعديل) (معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣١ ، ٣٢) .

وإليك تفصيل ذلك . قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

الحسن بفتحتين نعت من الحسن فمعانيه كمعانيه وأما المحدثون فقد اختلفوا فى تفسيره فقال الخطابى الحسن ما عرف مخرجه واشتهر رجاله أى الموضع الذى يخرج منه الحديث وهو كونه شاميا أو عربيا أو عراقيا أو مكيا أو كوفيا أو نحو ذلك وكان الحديث من رواية راو قد اشتهر برواية أهل بلدة كقتادة فى البصريين فإن حديث البصريين إذا جاء عن قتادة كان مخرجه معروفا بخلافه عن غيرهم وذلك كناية عن الاتصال إذا المرسل والمنقطع والمعضل لعدم ظهور رجالها لا يعلم مخرج الحديث منها . والمراد بالشهرة الشهرة بالعدالة والضبط قال ابن دقيق العيد : ليس فى عبارة الخطابى

كثير تلخيص وأيضا فالصحيح ما عرف مخرجه فيدخل الصحيح في حد الحسن قيل المراد شهرة رجاله بالعدالة والضبط المنحط عن الصحيح . وقال ابن الجوزي الحسن ما فيه ضعف قريب محتمل واعترض ابن دقيق العيد على هذا الحد أيضا بأنه ليس مضبوطا يتميز به القدر المحتمل عن غيره وإذا اضطرب هذا الوصف لم يحصل التعريف المميز عن الحقيقة وقال الترمذي : الحسن : الحديث الذي يروى من غير وجه نحوه ولا يكون في إسناده راو متهم بالكذب ولا يكون شاذا وهو يشتمل على ما إذا كان بعض رواته مسيئ الحفظ ممن وصف بالغلط والخطأ غير الفاحش أو مستورا لم ينقل فيه جرح ولا تعديل وكذا إذا نقل فيه ولم يترجح أحدهما على الآخر أو مدلسا بالعُنْعَنة لعدم منافاتها نفي اشتراط الكذب وأيضا يشتمل الصحيح فإن أكثره كذلك وأيضا يرد على قوله ويروى من غير وجه نحوه الغريب الحسن فإنه لم يرو من وجه آخر قيل أراد الترمذي بقوله غير متهم أنه بلغ في العدالة إلى غاية لا يتهم فيها بكذب بخلاف الصحيح فإنه لا يكفي فيه ذلك بل لا بد من الضبط وأراد بقوله ويروى من غيره وجه نحوه أنه لا يكون منكرا يخالف رواية الثقات فلذلك قال ونحوه ولم يقل ويروى هو أو مثله ولذلك يقول في أحاديث كثيرة حسن غريب ، وقيل إن الترمذي يقول في بعض الأحاديث حسن وفي بعضها صحيح وفي بعضها غريب وفي بعضها حسن صحيح وفي بعضها حسن غريب وفي بعضها صحيح غريب وفي بعضها حسن صحيح غريب وتعريفه هذا إنما وقع على الأول فقط . وقيل في خلاصة الخلاصة : الحسن على الأصح حديث رواه القريب من الثقة بسند متصل إلى المنتهى أو رواه ثقة بسند غير متصل وكلاهما مروى بغير هذا السند وسالم عن الشذوذ والعلة فخرج الصحيح من النوع الأول بالقرب من الثقة ومن النوع الثاني بعدم الاتصال إذ يشترط في الصحيح ثبوت الوثوق واتصال الإسناد وخرج الضعيف منهما بقوله وكلاهما مروى إلخ فإن تكثر الرواة يخرجه من الضعف إلى الحسن؛ وأما التقييد بالاتصال في الأول وبالوثوق في الثاني فلإخراج ما لم يتصل عن الأول وما لم يكن مرويا من الثقة عن الثاني وإن كانا مرويين من غير وجه فإن كثرة الرواة لن تخرج غير المتصل المروي عن غير الثقة عن الضعيف إذا لم ينجبر بمجردها ضعفه وخرج الشاذ والعليل بما خرج من الصحيح وما يرد على التعريف شيئ إلا الحسن الفرد .

والحسن حجة كالصحيح ولكن دونه لأن شرائط الصحيح معتبرة فيه إلا أن العدالة في الصحيح يجب أن تكون ظاهرة والإتقان بإسناده كاملا وليس ذلك شرطا في الحسن وأما إذا روى من وجه فيلحق في القوة إلى الصحيح لاعتضاده بالجهتين بخلاف الضعيف فإنه لم يكن حجة ولم ينجبر بتعدد الطرق ضعفه لكذب راويه أو فسقه انتهى وفي شرح النخبة وشرحه خبر الواحد بنقل عدل خفيف الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الحسن لذاته أي لا بشيء خارج والحسن بشيء خارج ويسمى بالحسن لغيره هو الذي يكون حسنه بسبب الاعتضاد نحو حديث الراوي المستور إذا تعددت طرقه وكذالك كل ما كان ضعفه بسوء حفظ راويه كعاصم بن عبد الله العدوي فإنه مع صدقه كان مسيىء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ بحيث ضعفه الأئمة فإذا توبع ارتقى حديثه إلى الحسن والمراد بخفيف الضبط في تعريف الحسن لذاته أن يكون الراوي متأخرا عن درجة الحافظ الضابط تأخرا يسيرا غير فاحش لم يبلغ إلى مرتبة الراوي الضعيف الفاحش الخطأ وفوائد القيود تعلم في لفظ الصحة في فصل الحاء من باب الصاد والحسن لذاته مشارك للصحيح في الاحتجاج به ولذا أدرجه طائفة منهم في الصحيح وإن كان دونه في القوة انتهى . وظاهر هذا يدل على أن إطلاق الحسن على الحسن لذاته والحسن لا لذاته بطريق الاشتراك اللفظي فائدة لو قيل هذا حديث حسن الإسناد أو صحيحه فهو دون قولهم حديث صحيح أو حديث حسن لأنه قد يصح ويحسن الإسناد لاتصاله وثقة رواته وضبطهم دون المتن لشذوذ أو علة وأما قولهم حسن صحيح فللتردد الحاصل من المجتهد في الناقل أي حسن قوم باعتبار وصفه صحيح عند قوم باعتبار وضعه فهذا دون ما قيل فيه صحيح فقط لعدم التردد هناك وهذا حديث يحصل من الناقل التفرد بتلك الرواية بأن لا يكون الحديث ذا سندين وإن لم يحصل التفرد فباعتبار إسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن فهو فوق ما قيل فيه صحيح فقط إذا كان فردا لأن كثرة الطرق تقوى .

(كشاف اصطلاحات الفنون ۱ / ۳۸٦ـ۳۸۸) .

وقال الإمام المقدسي :

بيان الحديث الحسن

ذكر ماهيته

قال العلامة الطيبي : « الحسن مسند من قرب من درجة الثقة ، أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه ، وسلم من شذوذ وعلة » وهذا الحد أجمع الحدود التي نقلت في الحسن وأضبطها ، وإنما سمى حسنا لحسن الظن براويه » .

بيان الحسن لذاته ولغيره

اعلم : أن ما عرفناه أولا هو الحسن لذاته ؛ قال ابن الصلاح : « الحسن لذاته أن تشتهر رواته بالصدق ، ولم يصلوا في الحفظ رتبة رجال الصحيح ؛ والحسن لغيره أن يكون في الإسناد مستور لم تتحقق أهليته ، غير مُغفَّل ، ولا كثير الخطأ في روايته ، ولا متهم بتعمد الكذب فيها ، ولا ينسب إلى مفسق آخر ، واعتضد بمتابع أو شاهد ؛ فأصله ضعيف ، وإنما طرأ عليه الحسن بالعاضد الذي عضده فاحتمل لوجود العاضد ، ولولاه لاستمرت صفة الضعف فيه ، ولاستمر على عدم الاحتجاج به » كذا في فتح المغيث (السخاوي شرح ألفية العراقي في الحديث / ۱۱ ، الهند ، دلهي ، طبع حجر) .

ترقي الحسن لذاته إلى الصحيح بتعدد طرقه

اعلم : أن الحسن إذا روى من وجه آخر ، ترقَّى من الحسن إلى الصحيح ، لقوته من الجهتين ، فيعتضد أحدهما بالآخر ؛ وذلك لأن الراوي في الحسن متأخر عن درجة الحافظ الضابط مع كونه مشهورا بالصدق والستر ، فإذا روى حديثه من غير وجه ولو وجها واحدا قوى بالمتابعة وزال ما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظ راويه ، فارتفع حديثه من درجة الحسن إلى الصحيح . قال السيد الشريف : « ونعني بالترقي أنه ملحق في القوة بالصحيح ، لا أنه عينه » .

بيان أول من شهر الحسن

قال الإمام النووي في التقريب وشارحه السيوطي : « كتاب الترمذي أصل في معرفة الحسن وهو الذي شهره ، وأكثر من ذكره وإن وجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله » .

وقال الإمام تقي الدين بن تيمية قدس سره في بعض فتاويه : « أول من عرف أنه قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، أبو عيسى الترمذي ، ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله ؛ وقد بين أبو عيسى مراده بذلك ، فذكر أن الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيهم متهم بالكذب ، ولم يكن شاذا . وهو دون الصحيح الذي عرف عدالة ناقليه وضبطهم » وقال : « الضعيف الذي عرف أن ناقله متهم بالكذب ، ردىء الحفظ ، فإنه إذا رواه المجهول ، خيف أن يكون كاذبا ، أو سيء الحفظ ؛ فإذا وافقه آخر لم يأخذ عنه ، عرف أنه لم يتعمد كذبه واتفاق الاثنين على لفظ واحد طويل قد يكون ممتنعا ، وقد يكون بعيدا ؛ ولما كان تجويز اتفاقهما في ذلك ممكنا ، نزل من درجة الصحيح » . ثم قال تقي الدين قدس سره : « وأما من قبل الترمذي من العلماء فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثي ، لكن كانوا يقسمونه إلى صحيح وضعيف والضعيف كان عندهم نوعان : ضعيف ضعفا لا يمتنع العمل به ، وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي ، وضعيف ضعفا يوجب تركه ؛ وهو الواهي .

معنى قول الترمذي « حسن صحيح » .

للعلماء في ملحظ الترمذي بهذه العبارة وجوه نقلها السيوطي في التدريب (٥٢ ، ٥٣) قالوا : « العبارة المذكورة مما استشكل ، لأن الحسن قاصر عن الصحيح ، فكيف يجتمع إثبات القصور ونفيه في حديث واحد ؟ وأجاب ابن دقيق العيد : بأن الحسن لا يشترط فيه القصور عن الصحة إلا حيث انفرد الحسن ، أما إذا ارتفع إلى درجة الصحة فالحسن حاصل لا محالة تبعا للصحة ، لأن وجود الدرجة العليا وهي الحفظ والإتقان ، لا ينافي وجود الدنيا كالصدق ، فيصح أن يقال : حسن ، باعتبار الصفة الدنيا ، صحيح باعتبار العليا ويلزم على هذا أن كل صحيح حسن . وقد سبقه إلى نحو ذلك ابن المواق ، قال الحافظ ابن حجر : وشبه ذلك قولهم في الراوي صدوق فقط ، وصدوق ضابط ، فإن الأول قاصر

عن درجة رجال الصحيح ، والثاني منهم فكما أن الجمع بينهما لا يضر ولا يشكل ، فكذلك الجمع بين الصحة والحسن » انتهى .

الجواب عن جمع الترمذي بين الحسن والغرابة على اصطلاحه

قد أنكر بعض الناس على الإمام الترمذي تحديده للحسن بما حُدَّ به من كونه يروى من غير وجه ، لقوله في بعض الأحاديث : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . والغريب الذي انفرد به الواحد . وأجاب الحافظ ابن حجر في شرح النخبة : « بأن الترمذي لم يعرف الحسن مطلقا ، وإنما عرفه بنوع خاص منه وقع في كتابه ، وهو ما يقول فيه : حسن من غير صفة أخرى . وذلك أنه يقول في بعض الأحاديث : حسن ، وفي بعضها : صحيح ، وفي بعضها : غريب ، وفي بعضها : حسن صحيح ، وفي بعضها : حسن غريب ؛ وفي بعضها : صحيح غريب ؛ وفي بعضها حسن صحيح غريب وتعريفه إنما وقع على الأول فقط ؛ وعبارته ترشد إلى ذلك حيث قال في آخر كتابه : « وما قلنا في كتابنا : حديث حسن ، فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا ، إذ كل حديث يروى ، لا يكون راويه متهما بكذب ويروى من غير وجه نحو ذلك ، ولا يكون شاذا ، فهو عندنا : حديث حسن » ؛ فعرف بهذا أنه إنما عرف الذي يقول فيه : حسن فقط . أما ما يقول فيه : حسن صحيح ، أو حسن غريب ، أو حسن صحيح غريب ، فلم يعرج على تعريف ما يقول فيه : صحيح فقط ، أو : غريب فقط وكأنه ترك ذلك ، استغناء لشهرته عند أهل الفن . واقتصر على تعريف ما يقول فيه في كتابه : حسن فقط ، إما لغموضه وإما لأنه اصطلاح جديد ولذلك قيده بقوله : « عندنا » ولم ينسبه إلى أهل الحديث كما فعل الخطابي » انتهى .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية في فتوى له : «الذين طعنوا على الترمذي لم يفهموا مراده في كثير مما قاله . فإن أهل الحديث قد يقولون : « هذا الحديث غريب » أي : من هذا الوجه . وقد يصرحون بذلك فيقولون : غريب من هذا الوجه ؛ فيكون الحديث عندهم صحيحا معروفا من طريق واحد . فإذا روي من طريق آخر ، كان غريبا من ذلك الوجه ، وإن كان المتن صحيحا معروفا . فالترمذي إذا قال : حسن غريب ، قد يعني به أنه غريب من ذلك الطريق ، لكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن » انتهى (انظر ما ورد في ألفية السيوطي عن ذلك ، ويأتي فيما بعد) .

مناقشة الترمذي في بعض ما يصححه أو يحسنه

قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية : « بعض ما يصححه الترمذي ، ينازعه غيره فيه ، كما قد ينازعونه في بعض ما يضعفه ويحسنه ؛ فقد يضعف حديثا ويصححه البخاري ، كحديث ابن مسعود لما قال له النبي ﷺ : « ابغني أحجارًا أستنفض بهن ؛ قال : فأتيته بحجرين وروثة ؛ قال : فأخذ الحجرين وترك الروثة وقال : إنها رجس » (في البخاري هي من حديث أبي هريرة في كتاب الوضوء) فإن هذا اختلف فيه على أبي إسحاق السبيعي ، فجعل الترمذي هذا الاختلاف علة ، ورجح روايته له عن أبي عبيدة عن أبيه ، وهو لم يسمع من أبيه ؛ وأما البخاري فصححه من طريق أخرى ، لأن أبا إسحاق ، كان الحديث يكون عنده عن جماعة ، يرويه عن هذا تارة ، وعن هذا تارة ، كما كان الزهري يروي الحديث تارة عن سعيد بن المسيب ، وتارة عن أبي سلمة ، وتارة يجمعهما ؛ فمن لا يعرفه ، فيحدِّث به تارة عن هذا ، وتارة عن هذا ، يظن بعض الناس أن ذلك غلط ، وكلاهما صحيح ، وهذا باب يطول وصفه » .

بيان أن الحسن على مراتب

نبه الأئمة على أن الحديث الحسن على مراتب كالصحيح . قال الحافظ الذهبي : « فأعلى مراتبه : بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ؛ وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وابن إسحاق عن التيمي ، وأمثال ذلك مما قيل فيه إنه صحيح ، وهو أدنى مراتب الصحيح ثم بعد ذلك ما اختلف في تحسينه وضعفه ، كحديث الحارث بن عبد الله ، وعاصم ابن ضمرة وحجاج بن أرطاة ونحوهم » .

بيان كون الحسن حجة في الأحكام

قال الأئمة : « الحسن كالصحيح في الاحتجاج به ، وإن كان دونه في القوة ، ولهذا أدرجه طائفة من نوع الصحيح ، كالحاكم ، وابن حبان ، و ابن خزيمة ، مع قولهم بأنه دون الصحيح المبين أولا » .

وقـال السخـاوى فى « الفتح » (أى فى كتـابـه « فتح المغيث») : « منهم مـن يـدرج الحسـن فى الصحيح لاشتراكهما فى الاحتجاج ، بل نقل ابن تيمية إجماعهم إلا الترمذى خاصة عليه » .

قال الخطابى : « على الحسن مدار أكثر الحديث ، لأن غالب الأحاديث لا تبلغ رتبة الصحيح ، وعمل بـه عـامـة الفقهاء، وقبلـه أكثر العلماء ، وشـدد بعض أهل الحديث ، فـرد بكل علة ، قـادحـة كانت أم لا ، كمـا روى عن ابن أبى حاتم أنه قال : سألت أبى عن حديث فقال : « إسناده حسن» فقلت : « يحتج به ؟ » فقال : « لا ! » انتهى .

والصواب مع الجمهور لما بيَّنه الخطابى ؛ هذا فى الحسن لذاته وأما الحسن لغيره فيلحق بذلك فى الاحتجاج لكن فيما طرقه عند قوم .

قبول زيادة راوى الصحيح والحسن

قال الحافظ ابن حجر فى « النخبة » وشرحها : « وزيادة راويهمـا ـ أى الصحيح والحسن ـ مقبولة مـا لم تقع منافية لرواية من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة ؛ لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافى بينها وبين رواية مـن لـم يذكرها ، فهذه تقبل مطلقا ، لأنهـا فى حكم الحديث المستقل ، الذى ينفرد به الثقـة ، ولا يرويـه عن شيخه غيره ؛ وإما أن تكـون منافيـة ، بحيث يلـزم من قبـولها رد الروايـة الأخـرى ، فهـذه التى يقع الترجيح بينها وبين معـارضهـا ، فيقبل الـراجح ، ويـرد المرجوح ، واشتهر عن جمع من العلماء القول بقبول الزيادة مطلقا من غير تفصيل ، ولا يتأتى ذلك على طريق المحدثين الذيـن يشترطون فى الصحيح أن لا يكون شاذا ، ثـم يفسرون الشذوذ بمخالفة الثقة من هو أوثق منه ، والعجب ممن أغفل ذلك ، مع اعترافه باشتراط انتفاء الشذوذ فى حد الحديث الصحيح وكـذا الحسن ؛ والمنقـول عـن أئمـة الحـديث المتقدمين ، كعبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى القطان ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى ، والبخـارى ، وأبى زرعـة ، وأبى حـاتم ، والنسـائى ، والدارقطنى ، وغيرهم ، اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة وغيرها ؛ ولا يعرف عن أحد منهم إطلاق قبول الزيادة » انتهى

بيان ألقاب للحديث تشمل الصحيح والحسن وهى الجيد والقوى والصالح والمعروف والمحفوظ والمجود والثابت والمقبول

هـذه الألفـاظ مستعملـة عنـد أهـل الحـديث فى الخبر المقبول ، والفرق بينهما أن الجودة قـد يعبَّر بها عن الصحة ، فيتساوى حينئذ الجيد والصحيح ، إلا أن المحقق منهم ، لا يعدل عن الصحيح إلى جيد إلا لنكتة كأن يرتقى الحديث عنده عن الحسن لذاته ويتردد فى بلوغه الصحيح ، فالوصف به حينئذ أنزل رتبة من الوصف بصحيح وكذا القوى . وأما الصـالح فيشمل الصحيح والحسن ، لصلاحيتهما للاحتجاج ؛ ويستعمل أيضا فى ضعيف يصلح للاعتبار.

وأما المعروف ، فهو مقابل المنكر ، والمحفوظ مقابل الشاذ .

والمجود والثابت ، يشملان الصحيح والحسن » كذا فى «التدريب » (تدريب الراوى شرح التقريب للنووى / ٥٨) وقد عرف الحافظ ابن حجر المقبول فى شرح النخبة بالذى يجب العمل به عند الجمهور، والمراد بالذى لم يرجح صدق المخبر به (قواعد التحديث / ١٠٥ ـ ١١١) .

وقد صاغ هذا كله نظما الحافظ زين الدين العراقى فى ألفيته فقال عن الحديث الحسن باعتباره النوع الثانى من أنواع الأحاديث :

والحسن المعروف مخرجا وقد
اشتهرت رجاله بذاك حد
حمد وقال الترمذى : ما سلم
من الشذوذ مع راو ما اتهم
بكذب ، ولم يكن فردا ورد
قلت : وقد حسَّن بعض ما انفرد
وقيل : ما ضعف قريب محتمل
فيه ، وما بكل ذا حد حصل
قد بان لى فيه بإمعان النظر
أن له قسمين كل قد ذكر

قسما ، وزاد كونه ما عُلّلا
ولا بنكر أو شذوذ شملا
والفقهاء كلهم يستعمله
والعلماء الجل منهم يقبله
وهو بأقسام الصحيح ملحق
حُجيَّة ، وإن يكن لا يُلحق
فإن يقل : يحتج بالضعيف
فقل : إذا كان من الموصوف
رواته بسوء حفظ يجبر
بكونه من غير وجه يُذكر
وإن يكن لكذب أو شذًّا
أو قوى الضعف فلم يجبر ذا
ألا ترى المرسل حيث أُسندا
أو أرسلوا كما يجيء اعتضدا
والحسن : المشهور بالعدالة
والصدق راويه ، إذا أتى له
طرق أخرى نحوها من الطرق
صحَّحته كمتن « لولا أن أشق »
إذ تابعوا محمد بن عمرو
عليه فارتقى الصحيح يجري
قال : ومن مظنة للحسن
جمع أبي داود ، أي في السنن
فإنه قال : ذكرت فيه
ما صح أو قارب أو يحكيه
وما به وهن شديد قلته
وحيث لا ، فصالح خرَّجته
فما به ولم يصحح وسكت
عليه عنده له الحسن ثبت
وابن رشيد قال وهو متجه .
قد يبلغ الصحة عند مخرجه

وللإمام اليعمري إنما
قول أبي داود يحكي مسلما
حيث يقول : جملة الصحيح لا
توجد عند مالك والنبلا
فاحتاج أن ينزل في الإسناد
إلى يزيد بن أبي زياد
ونحوه ، وإن يكن ذو السبق
قد فاته أدرك باسم الصدق
هلاًّ قضى على كتاب مسلم
بما قضى عليه بالتحكم
والبغوي إذ قسَّم المصابحا
إلى الصحاح والحسان جانحا
أن الحسان ما رووه في السنن
رد عليه إذ بها غير الحسن
كان أبو داود أقوى ما وجد
يرويه والضعيف حيث لا يجد
في الباب غيره ، فذاك عنده
من رأي أقوى قاله ابن منده
والنسائي يخرج من لم يجمعوا
عليه تركا مذهب متسع
ومن عليها أطلق الصحيحا
فقد أتى تساهلا صريحا
ودونها في رتبة ما جعلا
على المسانيد فيدعى الجفلا
كمسند الطيالسي وأحمدا
وعدُّه للدارمي انتُقدا
والحكم للإسناد بالصحة أو
بالحُسن دون الحكم للمتن رأوا
واقبله إن أطلقه من يعتمد
ولم يعقِّبه بضعف ينتقد

واستُشكل الحسن مع الصحة في
متن ، فإن لفظا يرد فقل صف
به الضعيف ، أو يرد ما يختلف
سنده ، فكيف إن فرد وصف
ولأبي الفتح في الاقتراح
أن انفراد الحسن ذو اصطلاح
وإن يكن صح فليس يلتبس
كل صحيح حسن لا ينعكس
وأوردوا ما صح من أفراد
حيث اشترطنا غير ما إسناد

(نفائس / ١٧٢ ـ ١٧٤) .

كما نظمه الحافظ جلال الدين السيوطي في ألفيته ، مع ملاحظة أن ما جاء بين قوسين فهو من زيادات السيوطي على ألفية العراقي .

وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص . قال الحافظ السيوطي :

٧٥ - المرتضى في حده ما اتصلا
بنقل عدل قل ضبطه ولا
٧٦ - شذ ولا علل (وليرتب
مراتبا) والاحتجاج يجتبي
٧٧ - الفقها وجُلُّ أهل العلم
فإن أتى من طرق أخرى ينمي
٧٨ - إلى الصحيح ، أي لغيره ، كما
يرقى إلى الحسن الذي قد وسما
٧٩ - ضعفا لسوء الحفظ (أو إرسال أو
تدليس أو جهالة) إذا رأوا
٨٠ - مجيئه من جهة أخرى ، وما
كان لفسق أو يرى متهما
٨١ - (يرقى عن الإنكار بالتعدد
بل ربما يصير كالذي بدي
٨٢ - والكتب الأربع ثمَّت السُّنن
للدارقطني من مظنات الحسن)
٨٣ - قال أبو داود عن كتابه
ذكرت ما صح وما يشابه
٨٤ - وما به وهن أُقُل وحيث لا
فصالح ، فابن الصلاح جعلا
٨٥ - ما لم يضعفه ولا صح حسن
لديه (مع جواز أنه وهن)
٨٦ - فإن يقل : قد يبلغ الصحة له
(قلنا : احتياطا حسنا قد جعله)
٨٧ - فإن يقل : فمسلم يقول : لا
يجمع جملة الصحيح النبلا
٨٨ - فاحتاج أن ينزل للمصدق
وإن يكن في حفظه لا يرتقي
٨٩ - هلا قضى في الطبقات الثانيه
بالحسن مثل ما قضى في الماضيه؟
٩٠ - أجب بأن مسلما فيه شرط
ما صح فامنع أن لذي الحسن يحط)
٩١ - فإن يقل : في السنن الصحاح مع
ضعيفها ، والبغوي قد جمع
٩٢ - مصابحا وجعل الحسان ما
في سنن (قلنا : اصطلاح ينتمي)
٩٣ - يروي أبو داود أقوى ما وجد
ثم الضعيف حيث غيره فقد
٩٤ - والنسائي من لم يكونوا اتفقوا
تركا له (والآخرون ألحقوا
٩٥ - بالخمسة ابن ماجه ، قيل : ومن
ماز بهم فإن فيهم وهن)
٩٦ - تساهل الذي عليها أطلقا
صحيحة (والدارمي والمنتقى)

٩٧ - ودونهـا مسـانـد (والمعتلى
منهـا الـذى لأحمـد والحنظلى)

ثم يورد السيوطى تحت عنوان « مسألة » أجوبة عن قول الترمذى : « حسن صحيح » فيقول :

٩٨ - الحكم بـالصحـة والحسن على
متـن رواه التـرمـذى واستشكـلا

٩٩ - فقيـل : يعنى اللغـوى ، ويلـزم
وصـف الضعيف ، وهـو نكـر لهم

١٠٠ - وقيل : بـاعتبـار تعـدد السنـد
وفيـه شىء ، حيث وصف مـا انفـرد

١٠١ - وقيل : مـا تلقـاه يحـوى العليـا
فـذاك حـاو أبـدا للـدنيـا

١٠٢ - كـل صحيـح حسـن لا ينعكـس
(وقيـل : هـذا حيث رأى يلتبس

١٠٣ - وصـاحب النخبـة : ذا إن انفـرد
إسنـاده ، والشـان حيث ذو عـدد)

١٠٤ - وقـد بـدا لى فيـه معنيـان
لم يـوجـدا لأهـل هـذا الشـان :

١٠٥ - أى حسـن لـذاتـه صحيح
لغيـره، لمـا بـدا التـرجيح

١٠٦ - أو حسن على الـذى بـه يُحد
وهـو أصح مـا هنـاك قـد ورد

١٠٧ - والحُكم بـالصحـة لـلإسنـاد
والحسـن دون المتـن للنقـاد

١٠٨ - (لعلـة أو لشـذوذ) واحكـم
للمتـن إن أطلـق ذو حفـظ نمـى

١٠٩ - (وللقبـول يطلقـون جيـدا
والثـابت الصـالح والمجـودا

١١٠ - وهـذه بين الصحيح والحسن
وقـربـوا مشبّهـات من حسن

١١١ - وهل يخص بـالصحيح الثـابت
أو يشمـل الحسـن ؟ نـزاع ثـابت)

وإليك شرح العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله على بعض الأبيات :

البيت ٨١ : أمـا إذا كـان ضعف الحديث لسـوء حفظ الـراوى أو نحو ذلك فإنه يـرقى إلى درجة الحسن أو الصحة بتعدد طـرقه إن كانت كـذلك . وأما إذا كـان ضعف الحديث لفسق الراوى أو اتهـامه بالكـذب ثم جاء من طـرق أخرى من هـذا النوع ، فإنـه لا يرقـى إلى الحسن ، بل يزداد ضعفـا إلى ضعف ، إذ أن تفرد المتهمين بالكذب أو المجروحين في عد التهم بحـديث لا يرويـه غيرهم يـرجح عند البـاحث المحقق التهمة ، ويؤيـد ضعف روايتهم . وبذلك يتبين خطأ المؤلف هنا وخطؤه فى كثير من كتبه فى الحكم على أحاديث ضعاف بالترقى إلى الحسن مع هذه العلة القوية .

البيت ٨٤ : اختصر الحـافظ عبد العظيم المنـذرى سنن أبى داود ، وتكلم على أحـاديثهـا وأبـان عن ضعف الضعيف منهـا مما لـم يبينه أبـو داود ، ولـذلك قال كثيـر من العلمـاء بالحـديث : إن ماسكت عنـه أبو داود والمنذرى فهـو صالح للاحتجـاج ، وهذا لا بأس بـه ، ومع ذلك فقد فـاتهما بعض الأحـاديث لم يذكـرا عنهـا ضعفا ، فعلى المنصف أن يـدقق النظـر ويحتـاط فى تصحيح الأحـاديث . والتـوفيق من الله سبحانه .

البيت ٩٢ : ألف البغوى كتاب « مصـابيح السنة » وجعل كل باب منه قسمين : الصحاح والحسان ، وأراد بالصحاح ما فى الصحيحين أو أحـدهما ، وبالحسـان ما فى أحـد السنن الأربعة ، وقد اعترضوا عليه فى صنيعه هذا ، لأنه اصطلاح لا يعـرف عند أهل الحـديث ، فإن فى السنن الصحيح والحسن والضعيف . وأجاب عنه المؤلف هنا بأن هذا اصطلاح خاص لـه ولكن ضعف الجواب ظـاهر ، لأن هـذا الاصطلاح يـوهم الناظر فى كتـابه بأن ما سماه من الحسـان ينطبق عليه تعريف الحسن عند المحدثين .

البيت ٩٦ : أما الدارمى فإنـه يريد به كتـاب السنن للإمام

بى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، وقد اشتهر باسم « مسند الدارمى » وأظن ذلك خطأ ، وأن المسند كتاب آخر له لم يوجد . وسنن الدارمى كتاب جيد ، طبع فى الهند مرارا ، قال الحافظ ابن حجر : « ليس دون السنن فى الرتبة ، بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه ، فإنه أمثل منه بكثير » .

وأما المنتقى فهو للإمام أبى محمد عبد الله بن على بن الجارود النيسابورى ، وهو كتاب جيد أيضا ، وقد طبع فى الهند سنة ١٣٠٩ هـ ، ولو جعل سادس الكتب السنة ، بدلا من ابن ماجه ـ لكان أقرب إلى الصواب .

البيت ٩٧ : يريد مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند الإمام إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه ، والثانى منهما لم يطبع ، ويوجد منه قطعة محفوظة أوراقها ٣٠٦ فى دار الكتب المصرية . وأما مسند الإمام أحمد فإنه مطبوع .

البيت ١٠٦ : يعلق الشيخ أحمد محمد شاكر على هذه المسألة برمتها فيقول رحمه الله :

الذى أراه أن كل هذه الأجوبة عن قول الترمذى : « حسن صحيح » عقب أحاديث كثيرة فى سننه ـ : فيها تكلف ظاهر قيبد له باصطلاح لعله لم يتقيد به ، وما أظنه يريد بهذا إلا تأكيد صحة الحديث : بالترقى به من الحسن إلى الصحة . والله أعلم بالصواب (ألفية السيوطى فى علم الحديث / ١٥ ـ ١٩) .

ومن النظم أيضا ما أورده الإمام البيقونى فى منظومته الموسومة بالبيقونية ، حيث يقول عن الحديث الحسن ، البيت الخامس :

والحسن المعروف طرقا وغدت
رجاله لا كالصحيح اشتهرت

واستدرك الشيخ عبد الستار على الناظم هذا فقال :

والحسن الخفيف ضبطا إذا غدت
رجاله لا كالصحيح اشتهرت

(التعليقات الأثرية / ١١) .

(مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣١ ، ٣٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمى ـ تحقيق محمد بهجة البيطار ، تقدم محمد رشيد رضا / ١٠٥ ـ ١١١ ، ونفائس ـ بتحقيق وتعليق محمد حامد الفقى ، و ألفية مصطلح الحديث للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى / ١٧٢ ـ ١٧٤ ، وألفية السيوطى فى علم الحديث ـ بتصحيح وشرح فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاكر / ١٥ ـ ١٩ ، والتعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية لطه بن محمد البيقونى ـ قدم لها وعلق عليها على حسن على عبد الحميد / ١١ انظر أيضا الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ـ أحمد محمد شاكر / ٣٧ ـ ٤٤ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القمى النيسابورى ـ تحقيق إبراهيم على سالم / ٢٢ ، والمختصر فى أصول الحديث للإمام أبى الحسن الجرجانى ـ تحقيق المستشار د. فؤاد عبد المنعم أحمد / ٤٣ ـ ٤٧) .

*** حسن النجفى (ـ١٢٦٢ هـ / ـ١٨٤٦ م) :**

حسن بن جعفر النجفى من فقهاء الشيعة الإمامية . ولد بالحلة بالعراق ونشأ بها ثم سكن النجف وفيها كان نشاطه العلمى واشتهاره ونبوغه وإنتاجه . وكان تشيُّعه واعتناقه مذهب الإمامية (انظر مادة « الإمامية » فى م ٦ / ٥٠ ـ ٥٢) ناشئا عن بيئته التى عاش فيها والوسط الذى درج فيه ، فإن النجف مكان بظهر الكوفة ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والمترجم له من أئمة الشيعة الذين جدوا فى ترويجها بالدعوة والتأليف .

من مؤلفاته كتاب فى الفقه كبير الحجم جمع فيه الأحكام التى أداه إليها بحثه واجتهاده وجدُّه ، وكتاب العمل ، وكتاب شرح به أصول كشف الغطاء .

توفى رحمه الله فى الوباء الذى انتشر فى تلك الربوع سنة ١٢٦٢ هـ بالنجف ودفن بها .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٥٠ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ١٨٦ وقد أدرجه تحت اسم « النجفى ») .

*** حسن نظمى دده البوسنوى (ـ١١٢٥ هـ) :**

من علماء البوسنة حماها الله . ولد حسن نظمى دده

البوسنوى فى مدينة « سراى » وأخذ العلم والتصوف عن «توكلى دده» وحضر دروسه فى « المثنوى » ثم رحل إلى استانبول فأخذ إجازة الإرشاد ثم سافر إلى « قونيه » وزار قبر جلال الدين الرومى ، ثم توجه إلى مصر ، فلما وصلها عُيِّن بها شيخا للطريقة المولوية فقضى بقية عمره فى تدريس المثنوى ، ووعظ الناس ، ثم رجع إلى استانبول لشغل ظهر له ، فأدركته الوفاة بها سنة خمس وعشرين ومائة وألف وله أشعار باللغة التركية ذكر أمثلة منها شيخى زاده فى ذيله .

(المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجى / ١٠٧ ، ١٠٨).

*** حسن الهضيبى (١٣٠٨ـ١٣٩٣ هـ / ١٨٩١ـ١٩٧٣ م) :**

ولد حسن الهضيبى فى عرب الصوالحة مركز شبين القناطر سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩١ ميلادية .

قرأ القرآن فى كتاب القرية .

التحق بعدها بالأزهر لما كان يلوح فيه من روح دينية وتقى مبكر.

ثم تحول إلى المدرسة المدنية حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٧ .

التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١١ .

التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها عام ١٩١٥ .

قضى فترة التمرين بالمحاماة فى القاهرة حيث تدرج محاميا .

عمل فى حقل المحاماة فى مركز « شبين القناطر » لفترة قصيرة ، ورحل منها إلى سوهاج لأول مرة فى حياته دون سابق علم بها ودون أن يعرفه فيها أحد ، وبقى فيها حتى عام ١٩٢٤ حيث التحق بسلك القضاء .

كان أول عمله بالقضاء فى « قنا » وانتقل إلى « نجع حمادى » عام ١٩٢٥ ثم إلى « المنصورة » عام ١٩٣٠ ، وبقى فى « المنيا » سنة واحدة ، ثم انتقل إلى أسيوط فالزقازيق فالجيزة عام ١٩٣٣ حيث استقر سكنه بعدها بالقاهرة .

تدرج فى مناصب القضاء ، فكان مدير إدارة النيابات ، فرئيس التفتيش القضائى ، فمستشارا بمحكمة النقض (الموسوعة الحركية / ٢٨٩) .

ويؤثر عنه أنه عندما حلف اليمين القانونية أمام ملك مصر، لم ينحن كما كان العرف واقتدى به آخرون ، ولما اغتيل زعيم الإخوان الشيخ حسن البنا رحمه الله عام ١٩٤٩ اتجهت الأنظار إلى الهضيبى واختير خلفا له سنة ١٩٥١ (الأعلام ٢ / ٢٢٥) .

اعتقل للمرة الأولى مع إخوانه فى ١٣ يناير ١٩٥٣ ، وأفرج عنه فى شهر مارس من نفس العام .

اعتقل للمرة الثانية أواخر عام ١٩٥٤ حيث حوكم وصدر عليه الحكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد .

نقل بعد عام من السجن إلى الإقامة الجبرية لإصابته بالذبحة ولكبر سنه .

رفعت عنه الإقامة الجبرية عام ١٩٦١ .

أعيد اعتقاله يوم ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٦٥ فى الإسكندرية وحوكم بإحياء التنظيم ، وصدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات على الرغم من أنه قد جاوز السبعين ، أخرج لمدة خمسة عشر يوما إلى المستشفى ثم إلى داره ، ثم أعيد لإتمام مدة سجنه .

مددت مدة السجن بعد انتهاء المدة حتى تاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٧١ حيث تم الإفراج عنه (الموسوعة الحركية / ٢٩٠) فأقام منزويا فى داره بالقاهرة إلى أن توفى (الأعلام ٢ / ٢٢٥).

انتقل إلى رحمة ربه تعالى فى الساعة السابعة صباح يوم الخميس ١٤ شوال ١٣٩٣ الموافق ١١ نوفمبر « تشرين الثانى» ١٩٧٣ .

من آثاره :

ـ دعاة لا قضاة .

ـ الإسلام والداعية (مجموعة كتابات جمعها أسعد سيد أحمد) (الموسوعة الحركية / ٢٩٠ـ ٢٩٥) .

(الموسوعة الحركية ـ بإشراف فتحى يكن / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، والأعلام للزركلى ٢ / ٢٢٥ وقد أدرجه تحت اسم « الهضيبى ») .

*** الحسن والحسين رضى الله عنهما :**

١ ــ عن البراء رضى الله عنه قال : : « رأيت رسول الله ﷺ، والحسن على عاتقه ، يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه » أخرجه الشيخان والترمذى .

٢ ــ وفى رواية للترمذى : « أن النبى ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال : اللهم إنى أحبهما فأحبهما » .

٣ ــ وعن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال : « صلى أبو بكر رضى الله عنه صلاة العصر ثم خرج يمشى ومعه على ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان ، فحمله على عاتقه وقال : بأبى ، شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى . وعلى رضى الله عنه يضحك » أخرجه البخارى .

٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « سئل النبى ﷺ ، أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : الحسن والحسين ، وكان يقول لفاطمة : ادعى لى ابنىَّ فيشمهما ويضمهما إليه رضى الله عنهما » أخرجه الترمذى .

٥ ـ وعن يعلى بن مرة قال : « قال رسول الله ﷺ : حسين منى وأنا من حسين ، أحب الله تعالى من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » أخرجه الترمذى .

(السبط) ولد الولد ، وأسباط بنى إسرائيل أولاد يعقوب وهم فيهم كالقبائل فى العرب ، وقد جعل النبى ﷺ : حسينا واحدا من أولاد الأنبياء .

٦ ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » أخرجه الترمذى وصححه (تيسير الوصول ٣ / ٢٤١) .

قال الحافظ السيوطى : حديث « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

أخرجه أحمد والترمذى عن أبى سعيد .

والترمذى عن حذيفة بن اليمان .



والطبرانى عن عمر بن الخطاب وعلى وجابر بن عبد الله والحسين بن على وأسامة بن زيد والبراء بن عازب وقرة بن إياس ومالك بن الحويرث وأبى هريرة .

وابن عدى عن ابن عمر وابن مسعود وأنس .

وابن عساكر عن بريدة وابن عباس (الأزهار المتناثرة / ٧١) .

٧ ــ وعن عبد الله بن شداد عن أبيه رضى الله عنه قال

«خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا ، فتقدم النبى ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها قال أبى فرفعت رأسى فإذا الصبى على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودى . فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قيل يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك . قال : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » أخرجه النسائى .

٨ ـ وعن سلمى امرأة من الأنصار قالت : « دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وهى تبكى فقلت : ما يبكيك . قالت : رأيت الآن رسول الله ﷺ فى المنام وعلى رأسه ولحيته التراب . فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفا » أخرجه الترمذى .

٩ ـ وعن عمارة بن عمير قال : « لما جىء برأس عبيد الله ابن زياد وأصحابه نُضِّدت رؤوسهم فى المسجد فى الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت ، فجعلت تخلل الرؤوس حتى دخلت فى منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيْهة ثم خرجت فذهبت ثم عادت فدخلت فيه ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . أخرجه الترمذى وصححه .

نضدت : أى جعل بعضها فوق بعض مرتبا (تيسير الوصول ٣/ ٢٤١ ، ٢٤٢) .

ومن المقتطفات التى أوردها الأستاذ الحاج أحمد بن شقرون من كتاب العلامة سيدى محمد كنون (بالجيم المغربية) قوله :

قد اشتهر على الألسنة أن الحسنين رضى الله عنهما توأمان ، وليس الأمر كذلك ، فإن سيدنا الحسن ، ولد فى نصف رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ، على الأصح ومات سنة خمسين ، على ما عليه الأكثر ، وسيدنا الحسين ، ولد لخمس خلون من شعبان ، سنة أربع على الأصح ، علقت به مولاتنا فاطمة رضى الله عنها بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة ، ولم يكن بينهما إلا طهر واحد (« اللؤلؤ المكنون » / ٦٠) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « بدائع الخط العربى » ـ ناجى زين الدين المصرف / ٢٠٨ .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر . صفر ١٤٠٩ هـ / ٧١ ، و « اللؤلؤ المكنون من بحر العلامة سيدى محمد كنون » ـ الحاج أحمد بن شقرون . مجلة الإحياء التى تصدرها رابطة علماء المغرب . م ٦ جـ ٢ . محرم ـ جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ ـ نوفمبر ـ إبريل ١٩٨٧ م / ٦٠ .

انظر أيضا المحدثون فى مصر والأزهر ـ أ . د الحسينى هاشم ، و أ . د أحمد عمر هاشم / ٢٢٥ ، وفضائل الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى / ١٩ ـ ٢١) .

انظر : الحسن بن على رضى الله عنه ، الحسين بن على رضى الله عنه .

*** الحُسْن والقبح :**

الحسن بالضم وسكون السين يطلق فى عرف العلماء على ثلاثة معان لا أزيد وكذا ضد الحسن وهو الفتح :

الأول : كون الشىء ملائما للطبع وضده القبح بمعنى كونه منافرا له فما كان ملائما للطبع حسن كالحلو ، وما كان منافرا قبيح كالمر وما ليس شيئا منهما فليس بحسن ولا قبيح كأفعال الله تعالى لتنزهه عن الغرض وفسرها البعض بموافقة الغرض ومخالفته فما وافق الغرض حسن وما خالفه قبيح وما ليس كذلك فليس حسنا ولا قبيحا وقد يعبر عنهما باشتماله على المصلحة والمفسدة فما فيه مصلحة حسن وما فيه مفسدة قبيح وما ليس كذلك فليس حسنا ولا قبيحا ومآل العبارات الثلاث واحد فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه وملائم لطبعه لميله إليه بسبب اعتقاد النفع والمخالف له مفسدة له غير ملائم لطبعه وليس المراد بالطبع المزاج حتى يرد أن الموافق للغرض قد يكون منافرا للطبع كالدواء الكرية للمريض بل الطبيعة الإنسانية الجالبة للمنافع والدافعة للمضار :

والثانـي كون الشيء صفـة كمال وضـده القبح وهو كـونه صفة نقصـان فما يكـون صفة كمـال كالعلم حسن ومـا يكون صفة نقصان كـالجهل قبيح . وبالنظر إلى هذا فسـره الصوفية بجمعية الكمالات فى ذات واحـدة وهذا لا يكون إلا فى ذات الحق سبحانه كما وقع فى بعض الرسائل .

والثالث : كـون الشئ متعلق المدح وضـده القبح بمعنى كونه متعلق الذم فما تعلق بـه المدح يسمى حسنا وما تعلق به الذم يسمى قبيحا وما لا يتعلق به شيء منهما فهو خارج عنهما وهذا يشتمل أفعال الله تعالى أيضـا ولو أريد تخصيصه بأفعال العباد قيل الحسن كـون الشيء متعلق المدح عاجـلا والثواب آجلا أى فى الآخـرة والقبح كونه متعلق الذم عـاجلا والعقاب آجـلا فالطـاعـة حسنة والمعصيـة قبيحـة و المباح والمكـروه وأفعـال بعض غيـر المكلفين مثل المجنون والبهـائم واسطـة بينهما . وأما فعل الصبى فقد يكون حسنا كالواجب والمندوب وقد يكون واسطة هذا وكـذا الحاصل عند من فسر الحسن بما أمر بـه والقبيح بما نهـى عنه فإنه أيضـا مختص بأفعـال العباد راجع إلى الأول لأن هـذا تفسيـر الأشعـرى الـذاهب إلى كـون الحسن والقبح شرعيين إلا أن الحسن على هذا هـو الواجب والمندوب والقبح هـو الحرام وأما المباح والمكـروه وفعل غير المكلف كالصبيـان والمجانين والبهـائم فواسطـة بينهما إذ لا أمر ولا نهى هناك .

وقال صدر الشريعة : الأمـر أعم من أن يكون للإيجاب أو للإباحة أو للندب فـالمباح حسن وفيه أن المباح ليس بمأمور به عنده فكيف يدخل فى الحسن وقيل الحسن ما لا حرج فى فعله والقبيح ما فيه حرج فعلى هذا المباح وفعل غير المكلف حسن إذ لا حـرج فى الفعل والقبيح هـو الحـرام لا غيـر وأمـا المكروه فلا حرج فى فعلـه فينبغى أن يكون حسنا اللهم إلا أن يقـال عـدم لحوق المـدح الـذمى فى التـرك حـرج فى الفعل فيكـون قبيحـا والحرج إن فسـر بـاستحقـاق الذم يكـون هـذا التفسير راجعا إلى الأول إلا أنه لا تتصور الواسطة بينهما حينئذ وإن فسـر بـاستحقـاق الـذم شرعـا يكـون راجعـا إلى تفسيـر الأشعرى إلا أنه لا تتصور الواسطة حينئذ أيضـا ويكون فعل الله تعالى حسنا بعـد ورود الشرع وقبله إذا لا حرج فيـه مطلقا وإما على تفسير من قال الحسن مـا أمر الشارع بالثنـاء على فاعله والقبيح ما أمر بذم فاعله فإنما يكون حسنا بعد ورود الشرع لأنه تعالى أمر بـالثناء على فاعله لا قبلـه إذ لا أمر حينئذ اللهم إلا أن يقال الأمر قديم ورد أو لم يرد وهذا التفسير راجع إلى تفسير الأشعرى أيضا كما لا يخفى .

اعلم أن فعل العبـد قبل ورود الشـرع حسن بمعنى مـا لا حرج فيـه وواسطة بينهما على تفسير الأشعرى وهـذا التفسير الأخير، وأما بعد ورود الشـرع فهو إما حسن أو قبيح أو واسطة على جميع التفاسير وبعض المعتزلـة عرف الحسن بما يمدح على فعله شرعـا أو عقلا والقبيح بما يذم عليـه فاعله ولا شك أنـه مسـاو للتعـريف الأول إلا أن يبنى التعـريف الأول على مذهب الأشعرى .

وبعضهم عرَّف الحسن بمـا يكون للقادر العالم بحـاله أن يفعله والقبيح بما ليس للقادر العـالم بحاله أن يفعله . القادر احتراز عن فعل العـاجز و المضطر فإنـه لا يوصف بحسن ولا قبيح وقيـد العـالم ليخـرج عنـه فعل المجنـون والمحـرمـات الصـادرة عمن لم يبلغـه دعوة نبـى أو عمن هو قـريب العهـد بالإسلام والمـراد بقوله أن يفعله أن يكون الإقدام عليـه ملائما للعقل وقس عليـه القبيح فالحسن على هذا يشتمـل الواجب والمندوب والمباح والقبيح يشتمل الحـرام والمكروه وهو أيضا راجع إلى الأول وبالجملـة فمرجع الجميع إلى أمر واحـد وهو أن القبيح ما يتعلق به الذم والحسن ما ليس كذلك أو ما يتعلق بـه المدح فتـدبر ولا تكن ممن يتـوهم من اختلاف العبـارات اختلاف المعبـرات من أن المعانى للحسن والقبيـح أزيد من الثلاثة .

اعلم أن الحسن والقبح بـالمعنيين الأولين يثبتـان بـالعقل اتفاقا من الأشاعرة والمعتزلـة وأما بالمعنى الثالث فقد اختلفوا فيه وحاصل الاختلاف أن الأشعرية وبعض الحنفية يقولون إنه ما أمـر به فحسن وما نهى عنه فقبيح فـالحسن والقبح من آثار الأمـر والنهى وبـالضـرورة لا يمكن إدراكـه قبل الشـرع أصـلا وغيــرهم يقــولــون إن حسن فأمــر بــه وقبيـح فنهى عنــه

فالحسن والقبيح ثابتان للمأمور به والمنهى عنه فى ـ أنفسهما قبل ورود الشرع والأمر والنهى يـدلان عليه دلالة المقتضى على المقتضِى .

ثم المعتـزلـة يقـولـون إن جميـع المأمـورات بهـا حسنـة والمنهيـات عنهـا قبيحـة فى أنفسهـا والعقل يحكم بـالحسن والقبح إجمـالا وقد يطلع على تفصيل ذلك إمـا بالضـرورة أو بـالنظر وقـد لا يطلع . وكثير مـن الحنفية يقـولون بـالتفصيل فبعض المأمـورات والمنهيـات حسنهـا وقبحهـا فى أنفسهـا وبعضها بالأمر والنهى هذا هو المذكور فى أكثر الكتب . وفى الكشف نقلا عن القـواطع أن أكثر الحنفيـة والمعتزلـة متفقون على القول بـالتفصيل هذا كله خـلاصة ما فى شـرح المواقف والعضدى وحواشيه والتلويح وحاشيته للمولوى عبد الحكيم

فائدة : قال المعتزلة ما تـدرك جهة حسنه أو قبحه بالعقل من الأفعال الغير الاضطرارية ينقسم إلى الأقسام الخمسة لأنه إن اشتمل تـركـه على منفعـة فـواجب وإن اشتمل فعلـه على مفسـدة فحرام وإلا فإن اشتمل فعلـه على مصلحة فمنـدوب وإن اشتمل تركه على مصلحة فمكروه وإلا أى وإن لم يشتمل شيء من طـرفيه على مفسـدة ولا مصلحة فمبـاح وأما مـا لا تـدرك جهة حسنـه أو قبحـه بالعقل فـلا يحكم فيـه قبل ورود الشرع بحكم خاص تفصيلى فى فعل وإما على سبيل الإجمال فى جميع تلك الأفعـال فقيل بـالحظر أى الحـرمـة والإباحـة والتوقف وبالجملة فإذا لوحظت خصوصيات تلك الأفعال لم يحكم فيهـا بحكم خاص وأمـا إذا لـوحظت بهذا العنـوان أى بكونهـا مما لا يدرك العقل جهـة حسنها وقبحهـا فيحكم فيها بالاختـلاف المذكور وهذا الحكم كـالحكم بأن كل مؤمن فى الجنة وكل كافر فى النار مع التـوقف فى المعين منهما فاندفع ما قيل عـدم إدراك الجهة يقتضى التوقف فكيف قيل بـالحظر والإباحة .

وأما الأشاعرة فلما حكموا بأن الحاكم بالحسن والقبح هو الشرع لا العقل فـلا تثبت الأحكام الخمسة المذكـورة عندهم للأفعال قبل ورود الشرع كذا فى شرح المواقف .

فائدة : المأمـور به فى صفة الحسن نـوعان حسن لمعنى فى نفسـه ويسمى حسنـا لعينه أيضـا وحسن لمعنى فى غيـره ويسمى حسنا لغيره ومن الحسن لغيره نوع يسمى بالجامع وهو ما يكون حسنـا لحسن فى شرطه بعد مـا كان حسنا لمعنى فى نفسه أو لغيره وهى القدرة التى بها يتمكن العبد من أداء ما لزمه فإن وجـوب أداء العبـادة يتوقف علـى القدرة كتـوقف وجـوب السعى على وجوب الجمعة فصار حسنـا لغيره مع كونه حسنا لذاته (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٨٤ـ٣٨٦) .

وفى منـاقشته للعقيدة عنـد ابن القيم ، وهـو محور كتـابه النفيس، يتناول الأستاذ الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين مـوضوع الحسن والقبح ، أو الحسن والقبيح ، فيـذكر مواقف علمـاء الكلام، ثم مـوقف ابن القيم ، مما ننقلـه لك فيما يلى يقول المؤلف :

سادسا : ابن القيم والحسن والقبيح :

ما الحسن وما القبيح ؟ الاصطـلاحات فى الحسن والقبح ثلاثة :

مـوقف علمـاء الكـلام من الحسن والقبيح : مـوقف المعتزلة . موقف الأشاعرة موقف الماتريدية . موقف ابن القيم وموافقته الماتريدية أدلة ابن القيم على مذهبه ، تعقيب .

ما الحسن وما القبيح :

الحسن من أفعال العباد ما يكون متعلق المدح فى العاجل والثواب فى الآجل ويقع برضاء الله تعالى .

والقبيح مـا يكـون متعلق الـذم فى العـاجل والعقـاب فى الآجل، ولا يرضى عنه الله كالكفر، قال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ [الزمر : ٧] .

الاصطلاحات فى الحسن والقبح ثلاثة :

وهنـاك اصطـلاحـات ثـلاثـة فى إطـلاق لفظ الحسن والقبيح : ـ

الاصطـلاح الأول : الأفعـال تنقسم إلى مـا يـوافق غـرض الفـاعل، وإلى مـا يخـالفه وإلى مـا لا يـوافق ولا يخـالف ، فالمـوافق يسمى حسنا ، والمخالف يسمى قبيحـا ، والثالث يسمى عبثـا ، ولم يرض الغـزالى عن هـذا الاصطلاح وقـال : «وعلى هذا الاصطـلاح إذا كان الفعل موافقا لشخص مخـالفا لآخر فهـو حسن فى حق من وافقه قبيح فى حق من خـالفه ؛ حتى أن قتل الملك الكبير يكـون حسنا فى حق أعـدائه قبيحا فى حق أوليـائه ، فإطـلاق اسم الحسن والقبح على الأفعـال

عند هؤلاء كإطلاقه على الصور ، فمن مال طبعه إلى صورة أو صوت شخص قضى بحسنه ، ومن نفر طبعه عن شخص استقبحه ، فالحسن والقبح عند هؤلاء عبارة عن الموافقة والمنافرة ، وهما أمران إضافيان ، لا كالسواد والبياض ، إذ لا يتصور أن يكون الشيء أسود فى حق زيد ، وأبيض فى حق عمرو » (المستصفى للغزالى ١ / ٥٦) .

الاصطلاح الثانى : إطلاق الحسن على ما حسنه الشرع بالثناء على فاعله ، فيكون فعل الله تعالى حسنا فى كل حال خالف الغرض ، أو وافقه ، يكون المأمور به شرعا ندبا كان أو إيجابا حسنا ، والمباح لا يكون حسنا .

الاصطلاح الثالث : إطلاق الحسن على كل ما لفاعله أن يفعله ، فيكون المباح حسنا مع المأمورات ، وفعل الله يكون حسنا على كل حال (المستصفى للغزالى ١ / ٥٦) .

موقف علماء الكلام من الحسن والقبيح :

من المسائل التى شغلت الأذهان ، ودرست فى علم الكلام مسألة الحُسن والقبح ، وقد أثارها المعتزلة ، وجروا فيها شوطا بعيدا ، ومن المحتم قبل بيان موقف ابن القيم منها أن نشير إلى رأى المعتزلة ثم الأشعرية ، ثم الماتريدية ثم نعقب عليها برأى ابن القيم مع مقارنته بكل من هذه الآراء :

موقف المعتزلة :

أما المعتزلة فيرون أن الحسن والقبح ذاتيان فى الأفعال ، فالصدق والشجاعة والكرم ، والعفة الحسن فيها ذاتى ، والكذب ، والجبن ، والبخل القبح فيها ذاتى بمعنى أن حسنها يرجع إلى صفة فيها وقبحها يرجع إلى صفة فيها ، والشرع يأمر بالفعل لما فيه من حسن ، وينهى عنه لما فيه من قبح ، فأمره بالمحافظة على الأنفس والأعراض والأموال لما فى كل منها من حسن ، ونهيه عن القتل والسرقة لما فى كل منها من قبح ، فصفة الحسن ثابتة فى الفعل ، والعقل يستحسن الفعل لصفة الحسن التى فيه ، والشرع يأمر به لهذه الصفة ، وصفة القبح ثابتة فى الفعل القبيح ، والعقل يدرك هذه الصفة ، فيستقبحه ، والشرع ينهى عنه لهذه الصفة ، وقد رتب المعتزلة على هذا أن الإنسان مكلف قبل الشرع بما دل عليه العقل كشكر المنعم ، ومكلف بمكارم الأخلاق ، ولو لم يصل إليه شرع . قال الشهرستانى : وقال أهل العدل : «المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح » .

(الملل والنحل ١ / ٥٣ والمراد بأهل العدل : المعتزلة ومذهبهم قائم على أصول خمسة : « التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد بنوا على التوحيد استحالة رؤية الله ؛ لأنها تقتضى الجسمية والجهة وأن الصفات ليست شيئا غير الذات . وإلا تعدد القدماء ، وأن القرآن مخلوق ؛ لأنهم نفوا صفة الكلام عن الله . والمراد بالعدل أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد بل العباد يخلقون أفعالهم بقدرة أودعها الله فيهم ليتم التكليف ، وأن الله لا يأمر إلا بما أراد ، ولا ينهى إلا عما كره . وأما الوعد والوعيد فهو مجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته ، وأما المنزلة بين المنزلتين فهى للفاسق فهو ليس مؤمنا لأنه لم يجمع خصال الخير ، وليس كافرا لأنه يشهد بالله ، ويقوم بأعمال الخير ، وإذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهما واجبان على المؤمنين نشرا لدعوة الإسلام . انظر الانتصار لأبى الحسين الخياط ، ومقالات الإسلاميين للأشعرى ، والملل والنحل للشهرستانى ١ / ٥٥ ، ٥٦ ومروج الذهب للمسعودى ٢ / ١٩٠ ، ١٩١) .

وممن نادى بهذه النظرية من المعتزلة أبو الهذيل العلاف ، فقد أوجب على العقل معرفة الله والإقدام على الحسن والقبيح ولو لم يرد بهما شرع قال الشهرستانى معددا القواعد التى أخذ بها أبو الهذيل : « السابعة قوله فى الفكر قبل ورود السمع إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر ، وإن قصر فى المعرفة استوجب العقوبة أبدا ، ويعلم أيضا حسن الحسن ، وقبح القبيح فيجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل والإعراض عن القبيح كالكذب والجور » (الملل والنحل ١ / ٦٥) .

وقال ابن القيم : « والمعتزلة تقول : قبحها والعقاب عليها ثابتان بالعقل » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧) . وأقوى ما تمسك به المعتزلة من الأدلة على هذه النظرية أن الناس قبل الشرع كانت

تتحاكم إلى العقل ، وكانوا يستعينون فى أحكامهم بما فى الأشياء من حسن وقبح ذاتيين ، فإنقاذ الغرقى ، وتخليص الهلكى حسن ولو لم يرد به شرع ، والظلم والبخل قبيحان ولو لم يرد بهما شرع (ضحى الإسلام ٣ / ٤٨) .

موقف الأشاعرة :

أما الأشاعرة فيرون أن الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله ، والقبيح ما ورد الشرع بذم فاعله ، فالحسن يتبع أمر الشرع والقبح يتبع نهيه ، فهم ينفون الحسن والقبح الذاتيين ، والأفعال حسنة لأمر الله بها وقبيحة لنهيه عنها ، وهذا الأمر والنهى يثبتان الحسن والقبح فى الأفعال أما المعتزلة فيرون أن الأمر والنهى يخبر عن الحسن والقبح ولا يثبت واحدة منهما (ضحى الإسلام ٣ / ٤٩) .

قال صاحب فواتح الرحموت فى شرحه مسلم الثبوت :

« فعند الأشاعرة التابعين للشيخ أبى الحسن الأشعرى المعدودين من جملة أهل السنة أيضا شرعى ، أى يجعله إياه متصفا بهما فقط لا غير من غير حكمة وصلوح للفعل فما أمر به الشارع حسن ، وما نهى عنه قبيح ؛ ولو انعكس الأمر أى أمر الشارع لانعكس الأمر أى أمر الحسن والقبح فيصير ما كان حسنا قبيحا وبالعكس » (فواتح الرحموت ١ / ٢٥ ، والمراد بجعله إياه « أى يجعل الله العمل متصفا بالحسن والقبح) .

قال ابن القيم : « فالنفاة يقولون : ليست فى ذاتها قبيحة وقبحها والعقاب عليهما إنما ينشآن بالشرع » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧ ، الطبعة الأولى بمطبعة المنار سنة ١٣٣١) .

وقد أبطل الأشعرية ما تمسك به المعتزلة من استحسان واستقباح قبل الشرع بأن كلا من الاستحسان والاستقباح يرجع إلى شرائع سابقة أو عادات مألوفة ، فلو خلق إنسان كامل العقل تام الفطرة دون أن يتخلق بأخلاق قوم ويتأدب بآداب الأبوين ، ولا تربى تربية الشرع ، ولا تعلم من معلم ، ثم عرض عليه أمران : أحدهما : أن الاثنين أكبر من الواحد ، والثانى : أن الكذب قبيح لم يتوقف فى الأول ، وتوقف فى الثانى ، وهذا يدل على أن الاستحسان والاستقباح يرجعان إلى عادات الناس من تسمية ما ينفعهم حسنا وما يضرهم قبيحا » (ضحى الإسلام ٣ / ٤٩ ، ٥٠) .

موقف الماتريدية :

أما الماتريدية فيرون أن الحسن والقبح عقليان أى يدرك العقل حسن الحسن وقبح القبيح ، وهم فى هذا يتفقون مع المعتزلة ، ويخالفون الأشعرية النفاة للحسن والقبح الذاتيين ، ويخالفون المعتزلة فى قولهم بتوقف الثواب والعقاب على الشرع ، إذ المعتزلة يقولون : « إن الثواب والعقاب عقليان يجبان بالعقل قبل ورود الشرع » .

قال صاحب فواتح الرحموت : « وعندنا معشر الماتريدية والصوفية ، الكرام من أهل السنة معظم والجماعة وعند المعتزلة عقلى أى لا يتوقف على الشرع ، لكن عندنا من متأخرى الماتريدية لا يستلزم هذا الحسن والقبح حكما من الله سبحانه فى العبد ، بل يصير موجبا لاستحقاق الحكم من الحكيم الذى لا يرجح المرجوح ، فالحاكم هو الله تعالى ، والكاشف هو الشرع فما لم يحكم الله تعالى بإرسال الرسل وإنزال الخطاب ليس هناك حكم أصلا ، فلا يعاقب بترك الأحكام فى زمان الفترة ومن هاهنا اشترطنا بلوغ الدعوة فى تعلق التكليف فالكافر الذى لم تبلغه الدعوة غير مكلف بالإيمان أيضا ، ولا يؤاخذ بكفره فى الآخرة » (فواتح الرحموت على مسلم الثبوت ١ / ٢٥ ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٢هـ) .

فهذا يفيد أن الحسن والقبح عندهم عقليان ، وأن الثواب والعقاب شرعيان ، وهذا ما يراه ابن القيم كما يظهر فيما يأتى :

موقف ابن القيم :

أما ابن القيم فلم يرض عن مسلك المعتزلة ، لأنهم رتبوا الثواب والعقاب على الحسن والقبح عقلا ، ولم يرتبوه على أمر الشرع ، ونهيه ، ولم يرض عن مسلك الأشعرية النافين للحسن والقبح العقليين ، فلم يعجبه ترتب الثواب والعقاب على الحسن والقبح العقليين ، كما لم يعجبه نفى الحسن والقبح عن طريق العقل ، وهو ما ذهب إليه الأشعرية ، وقد أبطل هذا الاتجاه فى كتبه « مفتاح دار السعادة » و « مدارج السالكين » و « شفاء العليل » و « تحفة النازلين بجوار رب العالمين » وقد تحاشى النقص الذى وجد فى كل من الاتجاهين وكان رأيه يعتمد على أمرين :

أولا : الحسن والقبح فى الأفعال عقليان يدركهما العقل ، والله فطر عباده على استحسان الصدق ، والعدل ، والعفة ، والإحسان ، ومقابلة النعم بالشكر وفطرهم على استقباح أضدادها ، وبذا سلم من الطعن الذى وُجِّه إلى الأشعرية .

ثانيا : الثواب والعقاب شرعيان يتوقفان على أمر الشارع ، ونهيه ، ولا يجبان عن طريق العقل كما ذهب المعتزلة .

قال ابن القيم : « والحق الذى لا يجد التناقض إليه السبيل أن الأفعال فى نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضارة ، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهى ، وقبل ورود الأمر والنهى لا يكون العمل القبيح موجبا للعقاب مع قبحه فى نفسه ، بل هو فى غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والأوثان ، والكذب ، والزنى ، والظلم والفواحش كلها قبيحة فى ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧) .

وقال : « فإن الله سبحانه إنما أقام الحجة على العباد برسله قال تعالى : ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ فهذا صريح بأن الحجة إنما قامت بالرسل وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة ، وهذا يدل على أنه لا يعذبهم قبل مجيء الرسل إليهم ؛ لأن الحجة حينئذ لم تقم عليهم ، فالصواب فى المسألة إثبات الحسن والقبح عقلا ونفى التعذيب على ذلك إلا بعد بعثة الرسل ، فالحسن العقلى لا يستلزم الثواب وإنما يستلزمه اتباع المرسلين ، والقبح العقلى لا يستلزم التعذيب وإنما تستلزمه مخالفة المرسلين » (مفتاح السعادة ٢ / ٤٢) .

من هذا ترى أن ابن القيم يتفق مع الماتريدية فالثواب والعقاب عندهم شرعى كما هما عند ابن القيم .

أدلته على مذهبه :

ولم يفت ابن القيم أن يستدل على مذهبه فى مسألة الحسن والقبح ، وقد اتخذ من القرآن مادة للتدليل على شطرى دعواه قال : « وقد دل القرآن على أنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل ، وأن الفعل فى نفسه حسن وقبيح ، ونحن نبين دلالته على الأمرين : أما الأول ففى قوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ [الإسراء : ١٥] وفى قوله تعالى ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ [النساء : ١٦٥] وفى قوله تعالى : ﴿ **كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء** ﴾ [الملك : ٨ ، ٩] فلن يسألوهم عن مخالفتهم للعقل ، بل للنُّذر ، وبذلك دخلوا النار ، وقال تعالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ثم قال فى الأنعام بعدها : ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون** ﴾ [الأنعام : ١٣١] وعلى أحد القولين وهو أن يكون المعنى لم يهلكهم بظلمهم قبل إرسال الرسل ، فتكون الآية دالة على الأصلين : أن أفعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة ، وأنه لا يعاقبهم عليه إلا بعد الإرسال ، وتكون هذه الآية فى دلالتها على الأمرين نظير الآية التى فى القصص : ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ [القصص : ٤٧] فهذا يدل على أن ما قدمت أيديهم سبب لنزول المصيبة بهم ، ولولا قبحه لم يكن سببا ، لكن امتنع إصابة المصيبة لانتفاء شرطها : وهو عدم مجيء الرسول إليهم ، فمنذ جاء الرسول انعقد السبب، ووجد الشرط ، فأصابهم سيئات ما عملوا ، وأما الأمر الثانى وهو دلالته على أن الفعل فى نفسه حسن وقبيح فكثير جدا كقوله تعالى : ﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربى بالقسط ....** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **قل إنما حرَّم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ [الأعراف : ٢٨ - ٣٣] فأخبر سبحانه أن فعلهم فاحشة قبل نهيه عنه وأمره بأخذ الزينة .

وقال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ [الأعراف : ٣٢] دل على أنه طيب قبل التحريم وأن وصف الطيب فيه مانع من تحريمه ، فتحريمه مناف للحكمة ... فالظلم ظلم فى نفسه قبل النهى وبعده ، والقبيح قبيح فى نفسه قبل النهى وبعده ، والفاحشة كذلك ، وكذلك الشرك ، لا أن هذه الحقائق صارت بالشرع

كذلك ، نعم الشارع كساها بنهيه عنها قبحا إلى قبحها فكان قبحها فى ذاتها ، وازدادت قبحا عند العقل بنهى الرب تعالى عنها ، وذمه لها ، وإخباره ببغضها وبغض فاعلها ، كما أن العدل ، والصدق والتوحيد ومقابلة نعم المنعم بالثناء والشكر حسن فى نفسه ، وازداد حسنا إلى حسنه بأمر الرب به ، وثنائه على فاعله ، وإخباره بمحبته ذلك ومحبته فاعليه ، بل من أعلام نبوة محمد ﷺ أنه يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ؛ ولهذا قيل لبعض الأعراب وقد أسلم لما عرف دعوته ﷺ : «عن أى شىء أسلمت ؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله ؟ قال : ما أمر بشىء فقال العقل : ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شىء فقال العقل : ليته أمر به ، ولا أحل شيئا فقال العقل : ليته حرَّمه ، ولا حرم شيئا فقال العقل : ليته أباحه » .

فانظر إلى هذا الأعرابى ، وصحة عقله ، وفطرته ، وقوة إيمانه ، واستدلاله على صحة دعوته بمطابقة أمره لكل ما هو حسن فى العقل ، ومطابقة نهيه لما هو قبيح فى العقل ، وكذلك مطابقة تحليله وتحريمه ، ولو كانت جهة الحسن والقبح والطيب والخبث مجرد تعلق الأمر والنهى والإباحة والتحريم به لم يحسن منه هذا الجواب ، ولكان بمنزلة أن يقول : « وجدته يأمر، وينهى ويبيح ، ويحرم وأى دليل فى هذا ؟ » .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ [النحل : ٩٠] .

تعقيب :

يبدو مما تقدم أن ما ذهب إليه ابن القيم يوافق تماما ما ذهب إليه الماتريدية فهو ليس بدعا فى هذا الرأى كما يبدو ، وأنه قد سلم مما يمكن أن يتوجه إلى المعتزلة والأشعرية من طعن فمذهبه جمع بين الحسن من كل منهما فكان مذهبا وسطا يخرج من بين فرث ودم لبنا كما قال هو عنه ، وبيان ذلك أن المعتزلة أعطوا العقل سلطة واسعة النطاق بقولهم بتوقف الثواب والعقاب عقلا على الحسن والقبح العقليين غافلين عن الحدود التى يجب أن يقف العقل عندها ، فإذا جاز له أن يحكم بالحسن والقبح فلا يجوز له أن يتجاوز هذه الدائرة ، فيحكم بالثواب والعقاب فإنها جزاء من الله للعبد على عمله ، وما كان بين الله والعباد لا يجوز للعقل التدخل فيه ، وإن وقع المعتزلة فى هذا الخطأ فقد وقع الأشعرية فيما لا يقل عنه ، وذلك أنهم اعتبروا الحسن والقبح والثواب والعقاب شرعيين فأصابوا فى الشطر الثانى ، وأخطأوا فى الشطر الأول ، وذلك أنهم بهذا أهملوا العقل إهمالا تاما إذ حرموه من الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ، وهذا يخالف ما نحسه فى نفوسنا من التفرقة بين الحسن والقبيح دون توقف على أحكام الشرع ، ومن يرجع إلى تاريخ الأمة العربية يجد أنهم كانوا يستحسنون الشجاعة ، والكرم ، وحماية المستجير، والدفاع عن العشيرة بمحض عقولهم قبل أن يأتى الرسول إليهم .

وبعد هذا العرض الموجز نرى أن مذهب ابن القيم ـ دون تحيز ـ قد سلم من الطعن فقد أعطى العقل حقه ، ولكنه أوقفه عند حده ، إذ لم يعتبره أهلا للحكم بالثواب والعقاب، وإنما مرد ذلك إلى الشرع (ابن قيم الجوزية / ٣٨١ـ٣٩١) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٨٤ـ٣٨٦ ، وابن قيم الجوزية ، عصره ومنهجه وآراؤه فى الفقه والعقائد والتصوف ـ د . عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ٣٨١ـ٣٩١) .

*** أبو الحسن اليزيدى (٥٠٥ـ٥٧١ هـ) :**

أحد الذين تولوا مشيخة مدرسة الإمام أبى حنيفة ببغداد . وهو أبو الحسن مسعود بن الحسين بن سعد القاضى اليزيدى .

ولد سنة ٥٠٥ هـ . وكان من الفقهاء المعدودين الكبار على مذهب الإمام أبى حنيفة ، كما أنه من المدرسين الثقات واشتغل بالقضاء والإفتاء ، وذاع صيته وانتشر فضله وقد ولى التدريس بمدرسة الإمام أبى حنيفة بالمشهد سنة ٥٦٥ هـ وعين مدرسا فى مدرسة السلطان ، ثم سافر إلى الموصل ، فأقام فيها يدرس هناك ، وينوب فى القضاء .

وتوفى بالموصل فى جمادى الآخرة سنة ٥٧١ هـ .

(مدرسة الإمام أبى حنيفة ـ وليد الأعظمى / ٥٥) .

*** أبو الحسنات اللكنوى (١٢٦٤ـ١٣٠٤ هـ / ١٨٤٧ـ١٨٨٦ م) :**

محمد عبد الحى ابن الشيخ الحافظ محمد عبد الحليم

ابن محمد أمين اللكنوى الفقيه الحنفى الأصولى ويكنى المترجَم له بأبى الحسنات ولد رحمه الله فى بلدة باندة فى أواخر ذى القعدة سنة ١٢٦٤ هـ وكان والده مدرسا بها وشرع فى حفظ القرآن وهو ابن خمس سنين وانتهى من حفظه فى العاشرة من عمره وتعلم الخط أثناء حفظ القرآن وقرأ بعض كتب الفارسية وشرع فى تعلم العلم وهو فى الحادية عشرة ولما بلغ السابعة عشرة كان ملما بكثير من العلوم الدينية والعربية وكان لوالده فضل كبير فى تثقيفه وتعليمه كما تلقى على الأستاذ محمد نعمة الله من علماء الهند المعروفين ومنذ ذلك الحين أخذ يدرس ويصنف وقد حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة مرتين مرة مع والده سنة ١٢٧٩ ومرة أخرى سنة ١٢٩٢ هـ .

كان رحمه الله معنيا بالتأليف وقد بلغت مؤلفاته أربعمائة وأربعين كتابا منها آكام النفائس فى أداء الأذكار بلسان فارس فى الأصول ، والآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة فى الحديث ، وإمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام ، فى الفقه ، وتحفة الأخيار فى إحياء سنة سيد الأبرار ، فى الحديث ، والتعليق العجيب على متن التهذيب فى المنطق ، والفوائد البهية فى تراجم الحنفية . توفى رحمه الله سنة ١٣٠٤ هـ (الفتح المبين ٣ / ١٥٨) .

وقد ذكره الكتانى فيمن ألفوا كتبا فى علم المصطلح وذكر شرحه لمختصر الجرجانى فى علوم الحديث الذى سماه «ظفر الأمانى فى مختصر الجرجانى » (الرسالة المستطرفة / ١٦٢) .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٥٨ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٦٢) .

*** حسنة الأيام :**

من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من الوزراء والقضاة ومن فى معناهم . والحسنة خلاف السيئة ، والمراد أن الأيام أحسنت بالامتنان به ويصلح اللقب لكل من له ماض فى الكتابة وهو بعيد المأخذ . وورد اللقب فى بعض الدساتير عن نائب الشام فى ألقاب بعض كتاب السر العلماء .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٦ ، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٢) .

*** الحسنة والسيئة :**

قال الإمام ابن الجوزى : وهما فى القرآن على ستة أوجه :

أحدها : الحسنة التوحيد والسيئة الشرك ، ومنه فى النمل : ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكُبَّت وجوههم فى النار** ﴾ [النمل : ٨٩ ، ٩٠] وفى القصص : ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾ [القصص : ٨٤] .

والثانى : الحسنة النصر والغنيمة ، والسيئة القتل والهزيمة ، ومنه فى آل عمران ﴿ **إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وفى النساء ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ [النساء : ٧٩] .

والثالث : الحسنة المطر والخصب ، والسيئة قحط المطر والجدب ، ومنه فى الأعراف ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيَّروا بموسى ومن معه** ﴾ [الأعراف : ١٣١] وفيها ﴿ **ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة** ﴾ [الأعراف : ٩٩] وفيها ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات** ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

والرابع : الحسنة العافية والسيئة البلاء والعذاب ، ومنه فى الرعد ﴿ **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** ﴾ [الرعد : ٦]

والخامس : الحسنة قول المعروف والسيئة قول المنكر ، ومنه فى القصص ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾ [القصص : ٥٤] وفى حم السجدة (أو فصلت) ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ [فصلت : ٣٤] .

والسادس : الحسنة فعل نوع من الخير والسيئة فعل نوع من الشر، ومنه فى الأنعام ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها** ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزي ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩٧ ، ٩٨ . انظر أيضا الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ط دار الغد العربى م ٤ / ٢١١) .

*** الحُسْنى :**

قال ابن القاسم : الحسنى كلمة مستغنى عن وصفها

ونعتهـا ، لأن العـرب تـوقعها الخلـة المحبـوبـة ، والخصلـة المرغـوب فيها ، فكـان الذى يعلمه العـرب من علمها أمـرها يغنى عن نعتها .

والحسنى فى القرآن على ستة أوجه :

أحـدهـا : الجنـة ، ومنـه فى يـونس ﴿ للـذين أحسنـوا الحسنى ﴾ [يـونس : ٢٦] ، وفـى الأنبياء ﴿ سبقت لهم منا الحسنى ﴾ [الأنبيـاء : ١٠١] وفى النجم ﴿ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] .

والثانى : البنـون ، ومنه فى النحل ﴿ أن لهم الحسنـى ﴾ [النحل : ٦٢] .

والثالث : الخير ، ومنه فى براءة ﴿ إن أردنا إلا الحسنى ﴾ [التوبة : ١٠٧] .

والـرابع : العليـا ، ومنـه فى الأعـراف ﴿ ولله الأسمـاء الحسنى ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

والخـامس : الخلف ، ومنـه فـى الليل ﴿ وصـدَّق بالحسنى ﴾ [الليل : ٦] .

والسادس : البـر ، ومنه فـى الأحقاف ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر للإمـام ابن الجـوزى ـ تحقيق ودراسة محمـد السيد الصفطاوى ، ود. فؤاد عبـد المنعم أحمد / ٩٦ـ٧٩) .

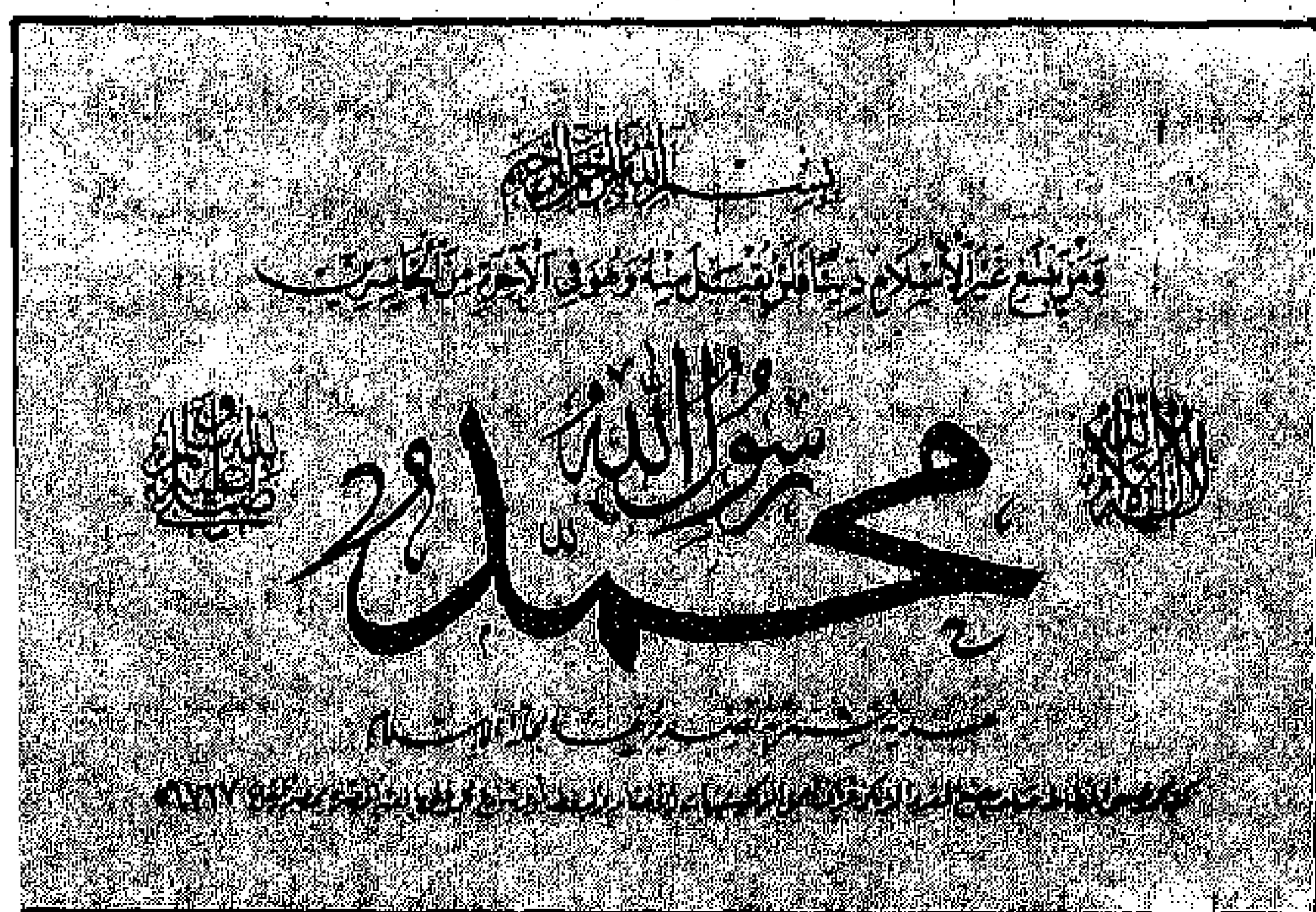
*** حسنى الخطاط (ـ١٣١٩ هـ) :**

محمـد حسنى الخطاط دمشقى ، سـورى الأصل ، تلقى الخط عن المرحوم يوسف رسـا . وحضر إلى مصر واستوطنها منذ سنة ١٩١٢ م . اشتغل حسنى بالخط اشتغالا تاما إلى أن نبغ فيه ونال شهـرة واسعة ، كما اشترك فى التـدريس بمدرسة تحسين الخطوط بـالقاهرة فى بدء إنشـائها سنة ١٩٢١ ، كمـا اشتهـر حسنى من الكتـابة الخطيـة فى الصحف إلى جـانب معاصريه مثل سيد إبراهيم ، ونجيب هواوينى ، ومحمد على معمار زاده . يمكن اعتباره نهاية سلسلة عباقرة الخط فى مصر

(نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش/ ٢٧٣) .

وهذه اللوحات نماذج من خطه :





ملاحظـة : الصورتـان المصاحبتـان لهذه المـادة كنماذج لأعمـال حسنى الخطـاط أخـذتـا من كتـاب «بـدائع الخط العربى» ـ ناجى زين الدين المصرف ص ٢٠٥ ، ٢٧١ .

* **حسنين محمد مخلوف (-١٤١٠ هـ/ ١٨٩٠-١٩٩٠):**

فضيلة الإمام الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف العدوى مفتى مصر الأسبق وابن وكيل الأزهر سابقا: أسرته من «بنى عدى» - مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر («فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف» / ٥٦٦).

ولد فى يوم السبت ٦ من مايسو ١٨٩٠ م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم بصحن الأزهر الشريف ثم جوَّد قراءته على شيخ القراء فى عهده الشيخ محمد على خلف الحسينى.

وفى الحادية عشرة من عمره التحق بالأزهر طالبا، وتلقى عن كبار الشيوخ وكان منهم المغفور له والده المرحوم العلامة الجليل الشيخ «محمد حسنين مخلوف» العدوي المالكى وكيل الأزهر الشريف ومدير المعاهد الدينية المتوفى سنة ١٩٣٥ م - والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد الهادى مخلوف والشيخ على إدريس العدوى والشيخ عبد الفتاح المكاوى والشيخ محمد الطوخى والشيخ يوسف الدجوى والشيخ عبد الحكم عطا والشيخ محمد راضى البحراوى والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ أحمد نصر الفذى والشيخ محمد البيجرمى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى وغيرهم من مشاهير علماء الأزهر الشريف.

ولما أتم دراسة العلوم الأزهرية وتلقى علم الحساب والجبر بمسجد المؤيد وأكمل دراسته بجد واجتهاد التحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى، وكانت فى ذلك الوقت تابعة للأزهر، ودرس فيها العلوم الشرعية ومختلف العلوم الحديثة لمدة أربع سنوات نال بعدها «الشهادة العالمية» وقد أدى الامتحان أمام اللجنة العالمية الكبرى المؤلفة برئاسة المغفور له الإمام الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر وعضوية المغفور لهم السيد بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ عبد الكريم سلمان عضو المحكمة العليا الشرعية ونال شهادة العالمية بتفوق عظيم فى يونيو سنة ١٩١٤ م ولم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين.

وأخذ يلقى دروسه العلمية فى الأزهر متبرعا فقرأ شرح الملوى على السلم فى علم المنطق وكتاب الولدية فى آداب البحث وكتاب المقولات الحكيمة فى علم الفلسفة بحاشية



والده عليها وكتاب ابن مسكويه فى علم الأخلاق. واستمر فى ذلك إلى أن عين قاضيا شرعيا فى شهر يونيو سنة ١٩١٦ م وما زال يرقى فى القضاء من درجة إلى درجة حتى عين رئيسا لمحكمة الإسكندرية الشرعية سنة ١٩٤١ م ثم رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة العدل «الحقانية» آنئذ وقد سبق اختياره سنة ١٩٢٨ م مفتشا للمحاكم الشرعية بوزارة الحقانية وتوثقت الصلة بينه وبين وزيرها «على ماهر باشا» ونهض بأعباء التفتيش والمشاركة فى المشروعات الإصلاحية الهامة بالوزارة ومنها إصلاح «قانون المحاكم الشرعية» وقوانين «المجالس الحسبية» وندب فى ذلك الوقت لتدريس الشريعة الإسلامية فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات. وفى أكتوبر سنه ١٩٤٤ عين نائبا للمحكمة العليا الشرعية وهو المنصب الذى كان يجب أن يشغله من وقت طويل («المحدثون فى مصر والأزهر» / ٤٤٣، ٤٤٤).

وعين عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر ١٩٤٨ م، ثم

عضوا بمجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م . .

كما كان عضوا مؤسسا برابطة العالم الإسلامي ...

وكان عمل الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف بالإفتاء أوضح ما تميز به تاريخه العلمي ، فقد تصدى للإفتاء العام عندما خلا هذا المنصب بانتهاء مدة الشيخ عبد المجيد سليم ، فصدر قرار ملكي بتعيين الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مفتيا للديار المصرية ، وكان ذلك في الثالث من شهر ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الموافق ٥ من يناير ١٩٤٦ م وظل بالمنصب حتى ٢٠ من رجب ١٣٦٩ هـ الموافق ٧ من مايو ١٩٥٠ م تاريخ انتهاء مدة خدمته القانونية ، فاشتغل بإلقاء الدروس بالمشهد الحسيني إلى أن أعيد مفتيا للديار المصرية مرة ثانية في مارس ١٩٥٢ م وحتى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٤ م .

وبعدها عمل رئيسا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف لفترة طويلة (« مفتى مصر الأسبق » / ٥٦٧) .

وأخذ بعد ذلك في متابعة مجهوده العلمي بإلقاء الدروس العلمية الشرعية بالمشهد الحسيني يوميا - كما سبق القول - ويصدر الفتاوى في جريدة منبر الشرق في باب الإفتاء الذي أنشأه خصيصا لهذا الغرض صاحب الجريدة المرحوم الشيخ على الغاياتي فكان في ذلك نفع كبير للمسلمين في سائر البلاد الإسلامية وتم طبعها في جزئين « فتاوى شرعية وبحوث إسلامية » .

كما اختير عضوا تأسيسيا برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان من مؤسسي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة واشترك في إعداد الكثير من البحوث والاجتماعات بها (المحدثون في مصر والأزهر / ٤٤٤) .

يقول فضيلة الشيخ محمد حسام الدين في ترجمته له :

ولقد كرم هذا الشيخ فمنح كسوة التشريفة العلمية مرتين : الأولى وهو رئيس لمحكمة طنطا ، والثانية وهو مفتي الديار المصرية .

ولقد أصدر الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مؤلفات عديدة أغلبها رسائل لطيفة : ومن أهمها :

- كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » .
- صفوة البيان لمعاني القرآن .
- آداب تلاوة القرآن وسماعه .
- شرح عدة الحصن الحصين للإمام ابن الجزري .
- شرح نصيحة الإخوان للإمام ابن طاهر الحضرمي .
- شرح الحكم للإمام عبد الله بن علوى الحداد الحضرمي .
- رسالة الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية .
- رسالة : التفسير والمفسرون .
- أحكام الشريعة الإسلامية في بدع المآتم وما ينفع الموتى من أعمال الأحياء .
- رسالة في أحكام الميراث .
- مجموعة الفتاوى .
- رسالة الأخلاق الإسلامية .
- شفاء الصدور الحرجة شرح قصيدة المنفردة .

ومنها :

- شرح جالية الكدر بنظم أسماء أهل بدر .
- شرح المدحة النبوية للأستاذ أبو الوفا (الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي) .
- رسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد .
- رسالة في تعاليم الشيعة الإسماعيلية .
- شرح لمعة الإسرار للإمام الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي
- رسالة في أخطار المعاصي والآثام ووجوب التوبة منها .
- رسالة في فضل تلاوة القرآن العظيم .
- رسالة في شرح أسماء الله الحسنى .
- رسالة في تفسير سورة القدر .
- أدعية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية .
- نفحات زكية من السيرة النبوية .
- شرح تشطير البردة للشيخ الشرقاوي .
- شرح مشكاة الأنوار في أوصاف المختار .
- شرح البيقونية في مصطلح الحديث .

ومما يلفت النظر أن أهم مؤلفات هذا العالم الجليل صدرت بعد الإحالة إلى المعاش ، ولم يخلص منها للفقه ، وعلم الفروع إلا رسالة : « أحكام الشريعة الإسلامية في بدع المآتم » .

ورسالة فى الميراث ، ومجموعة الفتاوى .

وفيما عدا هذه الرسائل فإن جملة مؤلفاته ، تتعلق بالقرآن الكريم ، أو بالتصوف ، والمدائح النبوية ، والأخلاق ، ثم العقائد ، ومصطلح الحديث .

وكانت كتبه فى تفسير القرآن الكريم أشهر كتبه على الإطلاق . وأوضح هذه المؤلفات كتابان :

الأول : « كلمات القرآن : تفسير وبيان » .

وقد صدرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٥٦ م بالقاهرة ، ثم أعاد الشيخ مراجعته وطبعه ثلاث مرات : إحداها بمكة المكرمة ، وكانت المراجعة والطبعة الأخيرة لهذا الكتاب فى يناير سنة ١٩٦٥ م بالقاهرة .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦ وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ فى نهاية الكتاب ص ٤٤٣ أنها الطبعة الثامنة وأنة تمت مراجعتها فى شهر المحرم سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

وقد كتب فى مقدمته : « أما بعد » فهذا تفسير لما يحتاج إلى التفسير والبيان من كلمات القرآن ، يوضح معانيها ، ويعين على فهم الآيات التى هى فيها ، وضعت فيها الكلمات على ترتيب الآيات فى السور ، وعن يمين كل كلمة رقم آيتها ، وعن يسارها تفسيرها فى دقة وإيجاز .

ثم شرح الشيخ مقصده بالتفسير فى هذا الكتاب فقال : «فسرنا كلمات القرآن بالمعانى المرادة منها فى الآيات ، وقد تكون المعانى حقيقية ، وقد تكون مجازية أو كنائية » ...

ومعنى هذا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ أراد بالكتاب تجلية المقاصد فى التعبير القرآنى ، سواء كانت هذه المقاصد مستفادة بدلالة المفرد فى ذاته ، أو بدلالته فى نظمه فى سياق الآية ، أو بدلالة قرينة خارجية لم يشملها النظم القرآنى .

وفى هذا تقريب لمعانى القرآن الكريم من جمهرة قراء عصرنا المتعجل ، وإيراد لها فى معانيها الشرعية ، لا معانيها الوضعية اللغوية ، التى لا تقصد شرعا فى الكثير الغالب من الدلالات القرآنية .

وأما الكتاب الثانى فهو : « صفوة البيان لمعانى القرآن » وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بالمملكة العربية السعودية ، ثم طبعته دولة الإمارات العربية المتحدة فى احتفالاتها بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م . وجعلته للإهداء مجانا ومنحة للمسلمين .

وقد جاء فى كلمة الوزارة مقدمة للكتاب / (الطبعة الأولى) « ولما كان من أهداف الوزارة نشر علم كتاب الله بين الناس ليتفقهوا فى دينهم ، ولتستنير بصائرهم ، فقد رأت إعادة طبع هذا الكتاب النافع ، فاستأذنت الشيخ الفاضل ـ حفظه الله » فأذن ـ جزاه الله خيرا ـ بذلك مجانا ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلبا للأجر والمثوبة ... أ هـ .

وقد جعل الشيخ رحمه الله كتابه الأول أساسا للتفسير فى كتابه الثانى : قال : « بدأت بشرح مفردات القرآن شرحا وافيا على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة ، أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التى انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدت الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصدت ، وإن لم تشتمل على غريب القرآن ، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به ، واكتمل من الجميع هذا التفسير الذى سميته : « صفوة البيان لمعانى القرآن » ...

هذا : وقد بدت ثقافة الشيخ واضحة بهذا الكتاب فقد التزم فى بيان مقاصد الآيات فى مسائل العقيدة بما عليه السلف والأشاعرة عموما وفى إيجاز مقبول . لكنه كان يتوسع فى بيان الأحكام الفقهية بما تتجلى به مواهبه وملكاته العظيمة فى هذا العلم .

ومثلا : لو استعرضنا شيئا مما كتبه الشيخ فى جانب العقائد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ [البقرة : ٢٦] .

ألفيناه يقول : ﴿ **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما** ﴾ أى ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة فى نظركم . كالبعوض والذباب ، والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق ...

وفى الآية إشعار بصحة نسبة الحياء إليه تعالى ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه

وكيفيته إلى الله تعالى ، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات . واختاره الألوسى .

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمه ، وهو ترك ضرب الأمثال بها ، لأن الاستحياء من الحياء ، وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب ، ويذم به ، أو هو انقباض النفس عن القبائح ، وهذا المعنى محال فى حقه تعالى . فيصرف اللفظ إلى لازم معناه . وهو الترك ... اهـ .

ومن الواضح أن الشيخ ـ رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية ـ أخذ أولا بمذهب السلف بإمرار نسبة الحياء إلى الله تعالى على ما ورد عليه النص ، مع تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ...

ثم أورد بعد ذلك رأى من يتجه إلى التأويل فى مثل هذه الصفات من خلف الأشاعرة بصرف اللفظ عن ظاهر معناه ، وإرادة لازمه ـ فيكون المراد بقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ « أن الله لا يترك ضرب الأمثال بمثل هذه المخلوقات » .

وشرح الشيخ أسباب الميل إلى هذا التأويل بقوله : لأن الاستحياء من الحياء وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب ويذم إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا . ثم قال : «وهذا محال فى حقه تعالى ، فيصرف اللفظ إلى لازم معناه » .

ومعلوم أن التفويض مذهب السلف وأن الأشعرى ـ رحمه الله ـ لزم فى كتابه « الإبانة » مذهب التفويض . وأنه فى كتابه «اللمع » مال إلى إعمال العقل فى غير شطط ، لكنه لم يتناول مسألة الصفات فى هذا الكتاب إلا من طرف بعيد .

وهذا لا ينفى أن كثيرا من تلاميذ الأشعرى ، من أمثال أبى المعالى الجوينى ، وأبى بكر الباقلانى ، وغيرهما ثم من بعدهم من الخلف . من مثل ابن دقيق العيد وغيره مالوا أحيانا إلى تغليب جانب التأويل فى غير إسراف ، رغبة منهم فى كمال التنزيه لله سبحانه وتعالى .

وفى الحق أن الأشعرى كان أقرب إلى تفويض السلف منه إلى منحى التأويل ، وهذا واضح من جداله مع المعتزلة والجهمية ، ورفضه تأويل آيات الاستواء على العرش ، واحتجاجه فى كتاب « الإبانة » لمبدأ التفويض ، واستشهاده لهذا المذهب بكثير من الآيات التى تتحدث عن الجهة ، كقوله سبحانه : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ [السجدة : ٥] ﴿ **أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾ [الملك : ١٦] ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ [النحل : ٥٠] إلى غير هذه الآيات .

وهكذا نجد شيخنا الشيخ مخلوف ملتزما فى تفسيره بمذهب السلف فى التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشاعرة فى التنزيه والتأويل . بل وإنه ليتابع أيضا مذهب الأشاعرة فى غير هذا الجانب من المسائل العقدية .

ففى مثل ما كتبه تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ [البقرة : ٢٦] قال : الفسق الخروج عن الطاعة ، ويقع بالقليل والكثير من الذنوب . ولكن تعورف فيما كان كثيرا . وهو أعم من الكفر . فيقال للعاصى : فاسق ، وللكافر فاسق لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة ، والإضلال خلق فعل الضلال فى العبد ، كما أن الاهتداء خلق الاهتداء فيه ... انتهى ...

فقد فسر الفسق هنا بأنه : « الخروج عن الطاعة » وأنه «يقع بالقليل والكثير من الذنوب » .

ولم يفسره بأنه منزلة بين الإيمان والكفر ـ على ما قالت به المعتزلة فى مرتكب الكبيرة . قال الأشعرى فى « اللمع » : «كان الناس قبل واصل بن عطاء رئيس المعتزلة على مقالتين : منهم خوارج يكفرون مرتكبى الكبائر ، ومنهم أهل استقامة يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ولم يقل منهم قائل : إنه ليس بمؤمن ولا كافر قبل حدوث واصل بن عطاء .

وأيضا فإن الشيخ أى فضيلة الشيخ مخلوف عندما فسر قوله تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ قال : الإضلال خلق فعل الضلال فى العبد كما أن الهداية خلق الاهتداء فيه . انتهى ... وهكذا يتابع الشيخ مذهب الأشاعرة فى خلق أفعال العباد ... (مفتى مصر السابق / ٥٦٨ ـ ٥٧١) .

وفى التمثيل لمنحى التفويض ، ومنحى التأويل فى الصفات ، وقد أخذ بهما الشيخ معا ، نذكر تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات** ﴾ [البقرة : ٢٩] .

قال الشيخ: ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ علا إليها وارتفع من غير تكييف، ولا تحديد ولا تشبيه، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات وقد سئل مالك - رضى الله عنه - عن الاستواء على العرش فقال: « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ».

ثم قال الشيخ: أو المعنى: أقبل وعمد إلى خلقها بإرادته انتهى.

هذه فقرات مما كتبه الشيخ « رحمه الله » فى تفسيره، تكشف عن منهجه فى تناول المسائل العقدية على مذهب الأشاعرة، وتوضح مأخذه بخطة التأويل التنزيهى، إلى جانب التفويض الورع فى الصفات.

وأما إيضاح الشيخ للأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية، فقد بدت فيه ملكته الفقهية بارعة متمكنة، وهو ملتزم دائما برأى جمهور الفقهاء، لا يميل إلى رأى ضعيف، فإذا اختلف آراء الفقهاء ذكر كل رأى منها ونسبه إلى صاحبه.

هذا: مع الإيجاز وسهولة التعبير، والحسم بالرأى فى الموضوع، وعلى سبيل المثال ما ورد فى تفسير قوله تعالى: ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال: حاضرو المسجد الحرام: هم أهل مكة، وأهل الحِل الذين منازلهم داخل المواقيت، أو هم أهل مكة خاصة. أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة.

وإلى الأول ذهب الحنفية، وإلى الثانى المالكية، وإلى الثالث أحمد والشافعى - رحمهما الله - وتفصيل الأدلة فى الفروع. انتهى.

وفى تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

قال: ﴿ لا تأكلوا الربا ... ﴾ نهى عن تعاطى الربا، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائدة الربوية، فقوله: ﴿ أضعافا مضاعفة ﴾ ليس لتقييد النهى به بل هو بيان لما كانوا عليه فى الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدى إلى استئصال المال. وقد حرم الله أصل الربا ومضاعفته ... انتهى

وفى تفسير قوله تعالى: ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور: ٣] - خلص الشيخ إلى فهم فى غاية الدقة وجميل الاستنباط، . لقد خلص فى تفسير الآية إلى آراء مقنعة، وخرج بها عن الحشد الكبير من الآراء التى تمتلىء بها كتب التفسير توجيها لأحكام هذه الآية، وبخاصة ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ قال الشيخ رحمه الله: ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية ﴾ نزلت لزجر المؤمنين عن نكاح الزانيات، بعد زجرهم عن الزنا، أى أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء اللاتى على خلاف صفته، وإنما يرغب فى نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا ترغب غالبا فى نكاح الصلحاء من الرجال بل تنفر منهم، وإنما ترغب فيمن هو من شكلها من الفسقة والمشركين: لأن المشاكلة علة الألفة، والمخالفة سبب للنفرة، وهو كقولهم: لا يفعل الخير إلا تقى، فإنه جار مجرى الغالب، وقد يفعله من ليس بتقى، و ﴿ حرم ذلك على المؤمنين ﴾ تحريم تنزيه وعبر عنه بالتحريم مبالغة فى الزجر، أو حرم عليهم ما فى ضمن عقده من المفاسد كالتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة، والطعن فى النسب وغير ذلك، فلا تكون الحرمة راجعة إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزوانى والزانيات باطلا للإجماع على صحته. وأما نكاح المشرك والمشركة، فإن كانت الآية نزلت قبل تحريمه - وقد حرم بعد الحديبية - فالأمر ظاهر، وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمته مستندة إلى أدلة أخرى » ... أ هـ.

هذا السمت العام للتفسير فى كتاب « صفوة البيان لمعانى القرآن » يجعل له شأنا ومقاما حسنا بين كتب التفسير بعامة، ويفتح له باب السبق بين المؤلفات المنشأة فى عصرنا بصفة خاصة.

فتياه:

أما فتيا الشيخ فكانت أبرز أعماله، وكان عمله بالقضاء مجالا من مجالات الفتيا والرأى، بيد أن القضاء يتميز بأن له قوة النفاذ والإلزام. على ما هو مقرر ...

والسمت العام لفتيا الشيخ سمت بارز فقد جمعت فتياه سعة الفقه والإحاطة بوجوه الرأى، مع دقة استخراج الحكم، ولطيف الملمح، وحسن الاستدلال.

لكنا نلمح فى فتواه مع هذا كله أنه كان شديد الاحتياط ، قوى الحذر لا يميل إلى تبرير مستحدثات الأمور ، أو مستوردات الوقائع والسلوك .

وقد اخترت له بعضا من الفتاوى — على ضخامة تراثه الفقهى - منها ما يتعلق بالوقف . ومن سمت هذا النوع من الفتوى أنه ينبىء عن عمق الرأى لديه ، وحسن التعليل ، ووجاهة الترجيح ، وحريته ، ما لم تستظل الواقعة بقانون ، فإذا استظلت بقانون أعمل الشيخ فيها نصوص هذا القانون ووقف عن الترجيح بين الآراء .

ولقد كان التصرف فى بعض المال بالوقف شائعا معبرا عن اتجاه اجتماعى إسلامى وبخاصة فى العهد العثمانى .

وعلى حد تعبير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى مقدمته لمجموعات فتاوى الوقف الصادرة عن دار الإفتاء . قال : «وكان الوقف وجها من أوجه التعاون على البر، وتحصين الثروات العقارية ، ولما تعاقبت القوانين بعد صدور القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بإلغاء الوقف على غير الخيرات انكمشت سبل البر فلم نعد نسمع أن أحدا قد أوقف وقوفا على المساجد أو المستشفيات أو الملاجىء أو المدارس أو تحفيظ القرآن ، بل ولقد تبددت وقوف كثيرة كانت مددا للدعوة الإسلامية ، وعونا لطلاب العلم بالأزهر ومعاهده ، وغير هذا من طرق البر » أ . هـ .

ولقد كانت الفتاوى فى مواد الوقف غزيرة . وبخاصة فيما يتصل ببعض شروط الواقفين ، وفيما يتعلق بالتصرف فى الأعيان التى تخربت أو انعدم ريعها .

وكانت الفتوى محكومة بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة ، ثم خضعت لأحكام القوانين بداية بالقانون الصادر برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ لأحكام الوقف .

وقد سئل الشيخ — رحمه الله — عن مال وقف على ملء صهريج معد لخزن الماء العذب ، لسقيا الناس ، وعلى عمارته ومرمته ، وعلى منزل موقوف على ذرية الواقف ، فإذا انقرضت الذرية كان ريع الوقف مصروفا للخيرات ، وتبين من السؤال أن هذا الوقف ليس له حجة ، وأن الصهريج قد اندثر واستغنى عنه ، وأن المنزل قد هدم وبيعت أنقاضه .

(الفتوى مسجلة برقم ٦٨ - م ٦٨ ص ١٢٩ فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ بدار الإفتاء) .

فأجاب :

إن الصهريج وما وقف على ملئه وعمارته ومرمته وقف خيرى صحيح ، وإن لم يصرح فى الإشهاد بجهة البر الدائمة التى يصرف إليها ريعه مالا ، إذ قد جرى العرف على أن من وقف وقفا كهذا يريد تأبيده كما فى الوقف على المسجد المعين — وأما المنزل فلا شبهة فى أنه وقف أهلى ، وإقرار الواقف فى حجته بأن الملاليح (يقصد الملاحات) المذكورة وقف عليه وعلى الصهريج إقرار معتبر شرعا ، فتكون هذه الملاليح موقوفة عليهما بالسوية ، وبتهدم الصهريج واستغناء الناس عنه بعد موت الواقف يبقى مكانه وقفا إلى الأبد على قول أبى يوسف الذى اخترناه للفتوى فى هذه الحادثة ، وهو أولى من قول محمد بعودته إلى ملك الواقف إن كان حيا وورثته إن كان ميتا .

وبناء على ذلك يصرف ما وقف على الصهريج إلى أقرب جهة بر إليه عند أبى يوسف كالمساجد أو المستشفيات أو نحوها ولكن بعد صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ تطبق عليه المادة ١٩ منه التى تقضى بصرفه بإذن المحكمة على من يكون محتاجا من ذرية الواقف ووالديه بقدر كفايته ، ثم إلى المحتاج من أقاربه كذلك . ثم إلى الأولى من جهات البر حتى صدور القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣ بتعديل المصارف الخيرية الذى نشر بالوقائع المصرية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٥٣ ، ومن حين العمل به تطبق أحكامه ، ويجوز بإذن المحكمة استبدال أرض هذا الصهريج بما هو أنفع للخيرات » انتهى .

وهكذا أخذ الشيخ بقول أبى يوسف مبقيا وقف الصهريج خيريا إلى الأبد ، ورجحه على قول محمد بعودته إلى ملك الواقف أو ورثته بعد أن تهدم ، أخذ الشيخ بقول أبى يوسف فى الفترة التى سبقت صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بأحكام الوقف وأما الفترة التى تلت صدور هذا القانون فقد أعمل فيها ما تقضى به نصوصه أخذا بقول محمد بن الحسن ...(« مفتى مصر السابق ») / ٦٨٢ - ٦٨٥) .

وهناك فتوى أخرى ... فقد ورد سؤال من السيد المحترم

مدير عام قسم التشريع لوزارة الشئون البلدية والقروية بكتاب سرى خاص طلبا لبيان حكم الشريعة فى إحراق جثث الموتى من المسلمين فى حالة الأوبئة ، وفى حالة الوصية بذلك .

(فتوى مسجلة برقم - س ٧٠ - م ٤٤١ - ٢٩ يولية سنة ١٩٥٣ م) .

ومما يلاحظ أن صاحب هذا الاستفتاء تذرع له بحال الأوبئة أو الوصية . وربما كان هذا من باب الاستدراج للفتوى للانتقال عن الإلف الإسلامى ولو لمسافة خطوة واحدة ، فقد درج الكثير على محاولة نقل المجتمع عن ثوابته واجتهدوا لتغيير تقاليده ، وما يقف عنده من حدود .

ولقد أجاب الشيخ على هذه الفتوى فى ثبات حاسم قطع السبيل على كل تطلع لإحداث تغيير فى المفاهيم الاجتماعية التى تساندها أحكام الإسلام . قال الشيخ رحمه الله :

أنه لا خلاف بين المسلمين فى أن للإنسان حرمة وكرامة حيا وميتا كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ [الإسراء : ٧٠] ومن كرامته بعد موته دفنه فى اللحد أو القبر بالكيفية المسنونة التى بينها النبى - ﷺ - فيما ورد عنه من السنن الصحيحة ودرج عليها أصحابه والتابعون وسائر المسلمين إلى الآن - فلا يجوز بحال إحراق جثث موتى المسلمين ، ولو أوصى إنسان بذلك فوصيته باطلة لا نفاذ لها ، ولم يعرف الإحراق للجثث إلا فى تقاليد المجوس ، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما يصنعون مما لا يوافق شريعتنا الغراء والله تعالى أعلم .

ولعل الشيخ يريد ما جاء بمخالفة المشركين فيما يصنعون وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان : (خالفوا المشركين : أحفوا الشوارب ، وأوفروا اللحى) .

ولقد تذرع السائل فى هذه المسألة بافتراض وجود الوباء ، وافتراض وجود الوصية رغبة منه فى استدراج الفتوى للإباحة على طرائق الفلسفة المادية .

لكن الشيخ - رحمه الله - سد عليه منافذه ، وأفاد بأن « أمر المسلمين على ما سنه النبى ﷺ من سنن صحيحة ، وعلى ما درج عليه أصحابه والتابعون ، وسائر المسلمين إلى الآن . فلو أوصى إنسان بغير هذه السنن كانت وصيته باطلة لا نفاذ لها » اهـ .

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد حسام الدين : إن فى تراث الشيخ كثيرا من المفاخر والمآثر ينبغى أن يلتفت إليها الدارسون ...

وحسب الشيخ فضلا ونعمة أن يسر الله حياته : طفولة ، ويفاعة وشبابا ، وكهولة مباركة مثمرة لخدمة الإسلام .

وتقديرا لهذا منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٣ هـ .

وكذلك منحته مصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٢ م .

والشيخ فى فضله وذخائر تراثه العلمى ، وإنابته إلى الله جدير بالتكريم والإجلال .

ثم مضى الشيخ إلى رحمة ربه فى يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠ هـ - الموافق للخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٩٠ م .

يجزل الله مثوبته ، ويتقبل جهاده وعمله وينفع به المسلمين ، ويجزيه عما خدم به القرآن والإسلام خيرا ، آمين اهـ . (« مفتى مصر الأسبق » / ٧٦٦-٧٦٨) .

(« مفتى مصر الأسبق فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف » - فضيلة الشيخ محمد حسام الدين . مجلة الأزهر . الجزء الخامس ، السنة الثالثة والستون ، جمادى الأولى ١٤١١ هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٠ / ٥٦٦ - ٥٧١ ، والجزء السادس ، السنة الثالثة والستون ، جمادى الآخرة ١٤١١ هـ - ديسمبر - يناير ١٩٩١ م / ٦٨٢ - ٦٨٥ ، والجزء السابع ، السنة الثالثة والستون ، رجب ١٤١١ هـ - يناير - فبراير ١٩٩١ م / ٧٦٦ - ٧٦٨ ، والمحدثون فى مصر والأزهر - أ . د. الحسينى هاشم و أ . د. أحمد عمر هاشم / ٤٤٣ ، ٤٤٤ . انظر أيضا « رحم الله شيخنا فضيلة الأستاذ حسنين محمد مخلوف - د. على أحمد الخطيب . مجلة الأزهر . الجزء العاشر ، السنة الثانية والستون ، شوال ١٤١٠ هـ - مايو ١٩٩٠ م / ٩٨١ - ٩٨٥ ، ١٠٧٠) .

* **الحسنية (مدرسة -) (قبل ٧٦٢ هـ) :**

إحدى مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . وتقع بباب الأسباط فى الجهة الشمالية من المسجد الأقصى .

تنسب المدرسة الحسنية إلى واقفها شاهين الحسنى الطواشى المتوفى سنة ٨١٥ هـ ، كما يذكر السخاوى وأما ما ذكره مجير الدين الحنبلى حيث قال : « والظاهر أن واقفها توفى قبل انبرام أمرها ، والله أعلم » فإنه غير صحيح .

وأما تاريخ وقفها فكان حوالى سنة ٧٦٢ هـ ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلى أن واقفها « من دولة الملك الناصر حسن ، المتوفى فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وقد بنيت المدرسة فى عهده ، وبهذا تكون هذه المدرسة قد بنيت قبل سنة ٧٦٢ هـ . وأضاف مجير الدين « أنه لم يطلع على كتاب وقف لها ، ولم يتحقق من أمرها ، ولكنه أخبر بوقفها » (الأنس الجليل ٢ / ٤٠) .

ولا شك أن هذه المدرسة قد قامت بدورها فى الحركة الفكرية فى بيت المقدس . ولعل واقفها رتب الوظائف فيها . وقد ذكر أنه كان يتولى نظر الخانقاه البيبرسية . فهل صنع بالحسنية مثل ما كان عليه الأمر بالبيبرسية ؟

ذكر مجير الدين الحنبلى أنه « لم يكن لها حكم المدارس فى النظام والشعائر ، وإنما صارت منزلا تتخذ للسكن » (الأنس الجليل ٢ / ٤٠ ، ٤١) وهذا لا يعنى أنها كانت كذلك منذ إنشائها فلعلها أصبحت كما تحدث عنها مجير الدين فى عهده (٨٦٠ ـ ٩٢٨ هـ) ومن المرجح أنها كانت تقوم بدورها قبل ذلك . وهى دارسة الآن .

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ٧٢ ، ٧٣) .

* **الحسنية (مدرسة —) (٨٣٧ هـ) :**

إحدى مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . وقد سبق الكلام على مدرسة تحمل نفس الاسم وتقع بباب الأسباط وقد أنشئت سنة ٧٦٢ هـ . أما هذه المدرسة التى نحن بصددها فتقع بباب الناظر ، غربى الحرم ، فوق رباط علاء الدين البصير ، وهى واقعة بجوار المدرسة المنجكية ، وقد أنشئت سنة ٨٣٧ هـ .

يقول عنها الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى ، وعن دورها فى الحركة الفكرية فى بيت المقدس :

تنسب المدرسة الحسنية إلى واقفها الأمير حسام الدين أبى محمد الحسن بن محمد بن عبد الله الشهير بالكشكلى الحنفى المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وقد عمرها فى سنة ٨٣٧ هـ ووقف عليها أوقافا ، ورتب فيها وظائف من التصوف وغيره . وكان تاريخ وقفها فى الأول من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومن الجدير بالإشارة أن الأمير حسام الدين كان يتولى نظر الحرمين الشريفين ، ونيابة السلطنة بالقدس الشريف .

ذكر السخاوى أنه « لما بنى الأمير حسن الكشكلى مدرسة بالمسجد الأقصى بعد سنة خمس وثلاثين وثمانمائة » قرر ابن أبى الوفاء شيخا لمدرسته هذه ، فتولى مشيختها ، والتدريس فيها ، وسكن فيها كذلك (الضوء اللامع ١١ / ٨٥) وقد قرره فيها فى سنة ٨٣٨ هـ ، أو بعد ذلك فى أغلب الظن .

وأما شيخها هذا ، فهو الشيخ تقى الدين أبو بكر بن محمد بن على بن أحمد ... الحسينى المقدسى الشافعى الوفائى المعروف بابن أبى الوفاء ، وهو مقدسى المولد والنشأة ، فقد ولد فى بيت المقدس فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وقيل ٧٩٣ هـ ونشأ ، وتلقى تعليمه فيه ، فقرأ القرآن ، وتلاه تجويدا ، وممن قرأ عليهم شمس الدين الجزرى شيخ الصلاحية آنذاك . وسمع الحديث على عدد من العلماء من أمثال شمس الدين الجزرى ، وشمس الدين القلقشندى ، وشمس الدين الديرى ، وغيرهم . ومما سمعه صحيح مسلم ، وغيره من كتب الحديث .

ودرس الفقه ، فحفظ كتبا فيه ، مثل كتاب « المنهاج » للإمام محيى الدين النووى ، وكتاب « التنبيه » فى فروع الشافعية للشيخ أبى إسحاق الشيرازى . ثم بحث فى الكتابين



بوابة المدرسة الحسنية

المذكورين على زين الدين عبد المؤمن الحلبي ، وشهاب الدين بن الهائم ، فقد بحث في المنهاج على أولهما ، وبحث في التنبيه على ثانيهما .

ودرس العربية ، فقد حفظ كتبا فيها مثل كتاب « ملحة الإعراب » للحريري . وبعض ألفية النحو لابن مالك . وبحث في النحو على شهاب الدين بن الهائم في هذين الكتابين ، كما بحث عليه كتاب « السماط » في النحو . وهو كتاب صنفه ابن الهائم نفسه .

وسلك طريق التصوف ، وأخذه عن عدد من المتصوفة من أمثال والده . وزين الدين الحافي الحنفي ، وعبد الهادي بن عبد الله البسطامي ، (وهو تقي الدين أو زين الدين عبد الهادي بن عبد الله بن خليل الأسد آبادي الأصل ، المقدسي، نزيل القاهرة ، ويعرف كأبيه بالبسطامي .

نشأ في بيت المقدس ، وأخذ عن عدد من العلماء فيها ، فقد سمع الحديث ورحل ، ورافق ابن حجر العسقلاني في السماع . قدم القاهرة ، واجتمع عليه فيها أتباع أبيه . استوطن القاهرة .

وذكر السخاوي أنه سمع من نظم البسطامي هذا في بيت المقدس ، وأنه رافقه في بعض السماع على بعض المشايخ ، توفي في سنة ٨٣٩ هـ ، ولم يبلغ الثلاثين من عمره .

انظر : الضوء اللامع ٥ / ٩١ - ٩٢) ، كما درس طريق التصوف أيضا على يوسف الصفدي (وهو الشيخ يوسف بن إبراهيم بن أحمد الصفدي . ذكر السخاوي أنه كان شيخا حسنا معتقدا ، وله كلام على طريقة الصوفية) وعلى غيرهم . وقرأ كتبا في التصوف ، فقد قرأ كتاب « آداب المريدين » للشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ، على زين الدين الحافي ، وقرأ في كتاب « إحياء علوم الدين » للغزالي ، على برهان الدين المزي ، وباحثه فيه . وقرأ غالبه ثانية على يوسف الصفدي . وقرأ كتبا أخرى مثل كتاب « عوارف المعارف » لشهاب الدين عمر بن عبد الله السهروردي ، وكتاب « شمس المعارف » للشيخ أحمد البوني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ .

(وهو تقي الدين أحمد بن علي بن يوسف البوني القرشي، متصوف ، مغربي الأصل ، وينسب إلى بونة بالمغرب . توفي بالقاهرة . وله مصنفات كثيرة) .

وكتاب « اللباب » ، وهو لباب إحياء علوم الدين للشيخ أحمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ ، وغيرها . وقد قرأ هذه الكتب كلها على الشيخ يوسف الصفدي ، في بيت المقدس . وذكر أن ابن أبي الوفاء أراد قراءة كتب ابن عربي ، فاستشار شيخه يوسف الصفدي فأشار عليه بعدم قراءتها ، ثم استشار شيخه زين الدين الحافي ، فوافق الحافي ما ذهب إليه الصفدي ... وصار ابن أبي الوفاء شيخ الصوفية في بيت المقدس ، ووصف بأنه « أمثل المتصوفة » في زمانه وقد «انتهت إليه رياسة الفقراء بالقدس الشريف » ، وكان شيخ الوفائية فيها .

ورحل ابن أبي الوفاء إلى بلاد عديدة ، طالبا العلم ، فقد توجه إلى الخليل ، والشام ، وحلب ، وبعلبك ، والقاهرة ، وسمع في كل منها .

هكذا كان ابن أبي الوفاء من كبار العلماء في بيت المقدس عندما تولى مشيخة المدرسة الحسنية هذه ، ولا شك أنه أقرأ فيها في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتصوف وقد عني بالفقة ، والحديث ، والتصوف عناية كبيرة، ودرس كتبا في كل موضوع من هذه الموضوعات ، ولعله درس الكتب التي كان معنيا بها في دراسته ، وأخذ عنه العديدون من طالبي العلم ، فقد ذكر السخاوي أنه قد « أخذ عنه جماعة من أهل بلده ، والقادمين إليها » . وقد اجتمع به السخاوي نفسه ، وأخذ عنه جزءا ، وأملى عليه نسبه وكان ابن أبي الوفاء صاحب قدرة على إبداء ما في نفسه بعبارة حسنة، غالبا سجع .

وقد استمر ابن أبي الوفاء مشتغلا بالتدريس والتصوف ، في بيت المقدس ، إلى أن توفي في سنة ٨٥٩ هـ .

ومن الجدير بالإشارة أن ابن أبي الوفاء ، لم يقتصر دوره على المجال الفكري ، فقد كان المرجع إليه في الأمور المعضلة في القدس وبلادها ، وقد عمل على « تخليص المظالم من النواب وسائر الظلمة » ، وكان يحظى بمكانة كبيرة عند الملوك وغيرهم . واشتهر ابن أبي الوفاء ، فكان «شيخ القدس ، ومقصد زواره ، وملجأ ذوي الضرورات فيه ، وصار له أتباع ومريدون ، وزوايا ، وخلفاء في كل بلد » .

ثم خلفه في مشيخة هذه المدرسة ابنه تاج الدين أبو الوفا محمد ، فقد ذكر السخاوي أن تاج الدين « خلف أباه في

المشيخة ببيت المقدس ، فصار شيخ الزاوية الوفائية ، والمدرسة الحسنية .

وكان تاج الدين قد أقام بالقاهرة ، وأخذ فيها عن المناوى، وحصل على إذن منه .

وذكر السخاوى أن تاج الدين سمع معه ومع غيره فى بيت المقدس ، على عدد من العلماء ، ومنهم والده . وتقى الدين القلقشندى ، وغيرهما . وأضاف السخاوى أنه اجتمع وتاج الدين بالقاهرة .

وقد أصبح إماما عالما ، وقد صنف فى التصوف ، ونظم شعرا .

ولا شك أن تاج الدين درّس الفقه ، والتصوف ، وغيرهما بالمدرسة الحسنية . واستمر كذلك إلى أن توفى فى سنة ٨٩١ هـ عن عمر يبلغ خمسين عاما (المدارس فى بيت المقدس / ١٢٤ ـ ١٢٧) .

نلاحظ من هذا أن المدرسة الحسنية عاشت فترة طويلة ربما قاربت أربعة قرون . لكنها بعد ذلك درست كغيرها وتحولت إلى دار سكن (يقطنها جماعة من آل البديرى) وفى هذا القرن الأخير ضم قسم من مبناها إلى المدرسة المنجكية لتصبح المدرستان مقرا للمجلس الإسلامى الأعلى ثم من بعده مقرا لرئيس الهيئة العلمية الإسلامية ودائرة الأوقاف فى القدس ومفتى القدس أما القسم الآخر فهو دار سكن (معاهد العلم فى بيت المقدس / ٢١٥ والمدارس فى بيت المقدس / ١٢٩) .

واستمرت المدرسة الحسنية تقوم بدورها فى الحركة الفكرية حتى أواخر العصر المملوكى ، بل استمرت تقوم به بعد ذلك ، فقد ذكر أنه تولى مشيختها بعض العلماء فى القرن الثانى الهجرى (المدارس فى بيت المقدس ٢ / ١٢٩) .

ويورد الدكتور كامل جميل العسلى نص وقفية المدرسة فيقول :

وفيما يلى نص وقفية المدرسة ما وجدناها فى سجل الأراضى باستانبول رقم ٥٢٢ ص ١٨ :

وقف مدرسة حسام الدين محمد الحسن بن ناصرى محمد بالقدس الشريف .

الشروط بعد العمارة :

الشيخ وشروطه الإمامة بالمدرسة ... لتلقين كتاب الله . له خبز كل يوم بالرطل القدسى رطل ومن الدبس فى كل شهر رطل ونصف وعليه أن يحضر بعد صلاة العصر وظيفة التصوف وصحبته الفقراء القاطنون بالخلاوى وغيرهم عشر فقراء أفاقية لكل واحد منهم باليوم ربع رطل خبز وثلث درهم وعشر [وعشرة] أنفار صوفية لكل واحد منهم خبز فى اليوم نصف رطل أحدهم خادم وهو الفراش له فى الشهر ثلاثون درهم والآخر بواب له فى الشهر ثلاثون درهما والثالث [فقيه] للأيتام له فى الشهر ثلاثون درهما وعدة الأيتام عشرة من أيتام المسلمين [يقرأون] فى القبة فى الجدار القبلى لكل منهم ربع رطل خبز وفى كل شهر سبع [سبعة] دراهم ونصف يلقن القاطنين والقاصرين ما يتيسر له تلقينهم من كتاب الله تعالى فى اليوم خبز نصف رطل فى الشهر ثلاثون درهما ، للشعالة فى الشهر ثلاثون درهما ...

الناظر علوفته فى الشهر مائة درهم وهو شيخ المدرسة المذكورة بمشاركة شيخ الصلاحية . وعلى شيخ المدرسة المذكورة ومن معه من الفقراء الأفاقية والصوفية والشايل والعامل وكاتب الغيبة والأيتام ومؤدبهم والمعيدين يجتمعون صبح كل جمعة من كل أسبوع بالمدرسة المذكورة ويقرأون سورة الكهف ويسّ والواقعة وتبارك ويختمون قراءتهم بالدعاء ...

ويهدون ذلك للواقف ثم شرط الواقف أربعة من حفاظ كتاب الله تعالى يقرأون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب برواق باب الناظر ويهدون ثواب ذلك للواقف وزوجاته وأخيه . ويصرف لرئيس القراء فى كل شهر تسع [تسعة] دراهم وللثلاثة الباقين أحد وعشرون درهما ويصرف أيضا لكل نفر من الأفاقية فى كل يوم أوقية واحدة من الخبز ويزاد على ما عين له فى كل شهر عشرون درهما . وشرط على البواب الاستقاء على الصهريج بالمدرسة و ... المسقاة منها وتنظيفها وتنوير القناديل بباب المدرسة والدركاة والمستوضأ بما له من المعلوم المقرر له وشرط أن يقبض من معلوم المصدر شيخ

الأفـاقية فى كل شهـر خمسـة عشر درهمـا ويصـرف له بقية المعلوم وهو خمسـة عشر درهما مع ما لـه من ... المقرر فإن تعـذر الصـرف المذكـور أولا وآخـرا قـدم العمارة ثم جـرايـة المستحقين ... التنور ومعلـوم مؤدب الأيتـام والفقراء الأفـاقية والبواب ...

فإن فضل بعـد ذلك شيء صرف من النـاظر فى مـوسمى رجب وشعبـان فى كل سنة ثمن حلـو لتفرقتـه بالمدرسـة وفى عيدى الفطـر والأضحى وطعام يفـرق بالمـدرسة فى كـل سنة مايتا درهم ، فإن تعذر الصرف إلى من عينه أولا وآخرا يصرف على الفقراء والمساكين بالقدس الشريف على ما يراه الناظر .

تاريخ الوقفية ٩٣٨ ؟

قرية	قرية	قرية
دير دبوان تابع	كفر طوبى تابع	عنب تابع
قدس	قدس	قدس شريف
١٢ ط (= قيراط)	٨ ط	١٦ ط
قرية	مزرعة	قرية ؟
... تابع	مالحة الكبرى	تابع خليل
قدس	تابع قدس	١٢ ط
٦ ط	تماما	

(معاهد العلم فى بيت المقدس / ٢١٥ ، ٢١٦) .

(المدارس فى بيت المقـدس فى العصرين الأيوبى والمملـوكى ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٩ ، ومعاهد العلم فى بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلي / ٢١٥ ، ٢١٦) .

*** حسونة النواوى (١٢٥٥ ـ ١٣٤٣) هـ :**

فضيلة الشيـخ حسونة بن عبـد الله النواوى الشيخ الثـالث والعشرون من شيوخ الأزهر الشريف .

وولد بقريـة (نواى) من أعمال ملوى محافظـة أسيوط سنة ١٢٥٥ هـ وحفظ القـرآن ووفد إلى الأزهر وحضـر دروسه على العلمـاء الكبـار كـالشيخ الانبـابى والشيخ البحـرى والشيخ الأسيوطى وعمل أستـاذا بدار العلوم ومدرسـة الحقوق ثم ألف كتـابا هـاما هـو سلم المستـرشدين فى أحكـام الفقه والـدين أوضح فيه المشكـلات الفقهية وتقـرر تدريسـه بكل المدارس

ولما مـرض الشيخ الانبـابى انتدب للقيـام بشئون الأزهـر سنة ١٣١١ هـ وعين فى لجنـة خماسية كان من أعضـائها الشيخ محمـد عبـده والشيخ سليمـان العبـد والشيخ أبـو الفضل الجيزاوى للبحث فى إصلاح الأزهر سنة ١٣١٢ ثم عين شيخا للأزهر سنـة ١٣١٣ هـ ثم أخـذ الإفتـاء أيضـا سنـة ١٣١٥ وانتخب عضوا فى المجلس العالى بالمحكمة الشرعية إلى أن عزل من مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧ هـ وتولاها ابن عمه (الشيخ عبد الـرحمن النـواوى) لأنـه عـارض إصلاح المحـاكم الشرعية ... وعرض على مجلس شـورى القوانين اقتراح بندب قاضيين مـدنيين من محكمة الاستئناف الأهلية ليشـاركا قضاة المحكمة الشرعيـة العليا فى الحكم فوقف ضـد هذا الاقتراح وأشيع أن الحكومـة تريـد هدم الشريعـة وحاول الخـديوى أن يقنع الشيخ بقبول هذا الاقتـراح فرفض فتم عزله وبعـد محاولة تعيين نحو ستة فى منصب المشيخـة لم يستقروا فى المنصب عاد الشيخ حسـونة إلى مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٤ هـ لكنه آثر ترك المنصب بعد قليل لاختلاف الأحوال واستقال سنة ١٣٢٧ هـ حتى لقى ربه سنة ١٣٤٣ هـ .

وفى عهـده صـدر قـانون شـامل بإصـلاح الأزهـر نظمت بمقتضاه إدارتـه وأجهزته ، وفى عهده أيضـا تم جمع مكتبات الأزهر والمسـاجد الأخرى فى مكتبـة واحدة وسـاعده الشيخ محمد عبده فى كل محاولات الإصلاح .

من مصنفاته :

ـ غيـر كتاب « سلم المستـرشدين » الـذى سبقت الإشارة إليه .

ـ قانون تنظيم الأزهر .

(شيوخ الأزهر ولمحـات عن نظامه المعاصر / ٢٨ ، ٢٩ انظر أيضا أعيان القرن الرابع عشر الهجرى لأحمد تيمور / ٤٣ ـ ٤٩) .

*** الحسيب :**

الحسيب من أسماء الله الحسنى (انظر هذه المادة فى م ٤ / ٤٧١ ـ ٤٨١) ويشرحه حجة الإسلام الغزالى فيقول :

هـو الكافى ، وهـو الذى مـن كان لـه كان حسبـه ، والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه .

وهـذا وصف لا يتصور حقيقتـه لغيره ؛ فإن الكفـاية إنمـا يحتاج إليها المكفـى لوجوده ولدوام وجـوده ولكمال وجوده .

وليس فى الوجود شىء هو وحده كاف لشىء إلا الله تعالى ؛ فإنه وحده كاف لكل شىء لا لبعض الأشياء ... أى هو وحده كاف يتحصل به وجود الأشياء ، ويدوم به وجودها ، ويكمل به وجودها .

ولاتظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس وغير ذلك ـــ فقد احتجت إلى غيره ولم يكن هو حسبك ؛ فإنه هو الذى كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماء ... فهو حسبك .

ولا تظنن أن الطفل الذى يحتاج إلى أمه ترضعه وتتعهده ـ فليس الله حسيبه وكافيه ؛ بل الله كفاه إذ خلق أمه ، وخلق اللبن فى ثديها ، وخلق لها الهداية إلى التقامه ، وخلق الشفقة والمودة فى قلب الأم حتى مكنته من الالتقام ودعته إليه وحملته عليه . فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب ، والله وحده هو المنفرد بخلقها لأجله .

ولو قيل لك : إن الأم وحدها كافية للطفل وهى حسبه ـ لصدقت به ولم تقل : إنها لا تكفيه لأنه يحتاج إلى اللبن ، فمن أين تكفيه الأم إذا لم يكن لبن ؟ ولكنك تقول : نعم يحتاج إلى اللبن ولكن اللبن أيضا من الأم فليس محتاجا إلى غير الأم . فاعلم أن اللبن ليس من الأم ، بل هو والأم من الله ومن فضله وجوده .

فهو وحده حسب كل أحد ، وليس فى الوجود شىء وحده هو حسب شىء سواه ، بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى .

تنبيه : ليس للعبد مدخل فى هذا الوصف إلا بنوع من المجاز بعيد وبالإضافة إلى بادئ الرأى وسابق الظن العامى .

أما كونه مجازا : فهو أنه إن كان كافيا لطفله فى القيام بتعهده أو لتلميذه فى تعليمه حتى لم يفتقر إلى الاستعانة بغيره ـ كان واسطة فى الكفاية ولم يكن كافيا ؛ لأن الله تعالى هو الكافى ؛ إذ لا قوام له بنفسه ، ولا كفاية له بنفسه ... فكيف يكون هو كفاية غيره ؟

وأما كونه بالإضافة إلى سابق الظن : فهو أنه وإن قدر أنه مستقل بالكفاية وليس بواسطة فهو وحده لا يكفى إذ يحتاج إلى محل قابل لفعله وكفايته . هذا أقل الأمور . فالقلب الذى هو محل العلم لا بد منه أولا ليكون هو كافيا فى التعليم . والمعدة التى هى مستقر الطعام لا بد منها ليكون هو كافيا بإيصال الطعام إلى بدنه . هذا مع ما يحتاج إليه من أمور كثيرة لا يحصيها ولا يدخل شىء منها فى اختياره . وأقل درجات الفعل حاجته إلى فاعل وقابل ، فالفاعل لا يكون دون القابل أصلا ، وإنما صح هذا فى حق الله تعالى لأنه خالق الفعل وخالق المحل القابل وخالق شرائط قبوله وما يكتنفه .

ولكن بادى الرأى ربما سبق إلى الفاعل ويخطر بالبال غيره فينظر أن الفاعل حسبه وحده وليس كذلك .

نعم الحظ الذى منه للعبد أن يكون الله وحده حسبه بالإضافة إلى همته وإرادته وهو أنه لا يريد إلا الله ولا يريد الجنة ولا يشغل قلبه بالنار ليحذر منها ، بل يكون مستغرق الهم بالله وحده . وإذا كاشفه بجلاله قال : ذلك حسبى فلست أريد غيره ولا أبالى فإننى غيره أو لم يفت (المقصد الأسنى / ١٠٢ ، ١٠٣) .

أما الإمام الفخر الرازى فيقول فى تفسير اسمه تعالى «الحسيب» :

قال تعالى : ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ [النساء : ٦] وفى تفسيره وجوه .

الأول : أنه الكافى فعيل بمعنى مفعل ، كقولك أليم بمعنى مؤلم ، تقوله العرب نزلت بفلان فأكرمنى ، وأحسبنى أى أعطانى ما كفانى ، حتى قلت حسبى ومنه قوله تعالى ﴿يأيها النبى حسبك الله ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

واعلم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالله ، فإنه ليس فى الوجود إلا هو ومخلوقاته ؛ فكل كفاية حصلت فإنما حصلت إما به أو بشىء من مخلوقاته ؛ وكل كفاية حصلت بمخلوقاته فهى فى الحقيقة إنما حصلت به . لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى خلقها وأعدها لجهات الحاجات وإلا لما حصلت تلك الكفاية ، وكان الكافى فى الحقيقة هو الله .

فإن قيل : فإذا كان الكافى هو الله سبحانه وتعالى . فلم قال : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾

[الأنفال : ٦٤] ؟ فإذا كان هو كافيا فأى حاجة إلى من اتبعه من المؤمنين .

قلنا : نقل عن ابن عباس أنه قال : معنى الآية الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين : وهو تفسير حسن .

الوجه الثانى : أن الحسيب بمعنى المحاسب كالنديم بمعنى المنادم . والجليس بمعنى المجالس . قال تعالى : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ [الإسراء : ١٤] أى محاسبا . فإن الله تعالى يحاسب خلقه يوم القيامة قال عليه الصلاه والسلام : « إن الله تعالى يدخل الجنة سبعين ألفا من هذه الأمة بغير حساب وإن عكاشة منهم ، وإن كل واحد يشفع فى سبعين ألفا » .

ومنهم من يحاسبه حسابا يسيرا وهم المؤمنون الصالحون ومصيرهم إلى نعيم أبدى لا يزول . ومنهم من يحاسبه حسابا شديدا على النقير والقطمير وهم الكفار المجرمون ؛ فيكون مرجعهم إلى الجحيم .

واعلم أن محاسبة الله للعبيد تذكيرهم بما عملوا فى الدنيا من الحسنات والسيئات وتعريف جزاء أعمالهم من الثواب والعقاب . فيرجع ذلك أيضا إلى صفات الفعل .

الوجه الثالث : أن الحسيب بمعنى الشريف . والحسب الشرف . والحسيب الشريف الذى له خصال الشرف ، فعلى هذا الحسب لله بمعنى أن صفات المجد والشرف ونعوت الكمال والجلال ليست إلا له (يأتى الكلام على لقب الحسيب فيما بعد)

وأما حظ العبد : فإن فسرناه بالكافى فهو أن يجتهد العبد فى أن يصير سببا فى الظاهر لكفاية حاجات المحتاجين . وإن فسرناه بالمحاسب فنصيب العبد منه ما قاله عليه الصلاة والسلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وإن فسرناه بالشرف فشرف العبد ليس إلا فى معرفة الله وطاعته .

وأما المشايخ فقالوا : الحسيب من يعد عليك أنفاسك . ويصرف بفضله عنك بأسك .

وقيل الحسيب الذى يرجى خيره ، ويؤمن شره .

وقيل : هو الذى يكفى بفضله ، ويصرف الآفات بطوله .

وقيل : هو الذى إذا رفعت إليه الحوائج قضاها . وإذا حكم بقضية أبرمها وأمضاها (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٦٨ ـ ٢٧٠) .

والحسيب من الحسب ، والحسب : الكرم والشرف الثابت فى الآباء وقيل هو الشرف فى الفعل وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة . ولو أن البعض يقرر أن الحسب قد يكون فى الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف . وهذا اللقب فخرى يطلق على الشرفاء من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها والحسيبى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٠٦) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٢ ، ١٠٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازى ، وهو الكتاب المسمى « لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٦ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ١٣ ولسان العرب مادة « حسب ») .

*** ابن الحسين :**

من علماء المسلمين فى الرياضيات وهو « أبو جعفر محمد بن الحسين » ظهر فى القرن الحادى عشر للميلاد ، اشتغل بالرياضيات وكان له فيها ولع خاص .

كتب بعض رسائل فى : « خواص المثلث القائم الزاوية» .

وفى « كيفية إيجاد الوسط التناسبى بين خطين معلومين بطرق هندسية » .

وكذلك حل المعادلة الآتية :

$$س^{٢} = حـ = ص^{٢}$$

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٣٤٠) .

*** حسين الأجميرى (الأمير ـ) (ـ ٦٠٧ هـ) :**

الأمير حسين الأجميرى ، عربى من السادة الحسينية ، أحد أمراء العرب فى الهند .

الأمير السيد الشريف حسين بن أبى عبد الله الحسينى المشهدى ـ أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح ، ولاه السلطان شهاب الدين الغورى أميرا على بلدة (أجمير) حين ملكها فلم يزل بها إلى أن مات ، وأسلم على يده خلق كثير من الوثنيين فسخط عليه عباد الأصنام وقتلوه ، وكان يحب العلماء والصلحاء وخاصة الشيخ معين الدين حسن السجزى ، وكان صاحبه مدة حياته بتلك المدينة وكان يلقب (جنك سوار) معناه راكب الفرس .

قتل فى عاشر رجب سنة سبع وستمائة كما فى كتاب أخبار الأصفياء .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ــ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥١) .

*** أبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب (ـ ٣٥٠ هـ) :**

من أهل أصبهان وفضلائها ، ومن أصحاب الرسائل ، وكان معاصرا لحمزة بن الحسن الأصبهانى ، وله من الكتب : كتاب الاختيار من الرسائل ، لم يسبق إلى مثله ، كتاب فقر البلغاء ، كتاب الحلى والثياب ، كتاب المنطق ، كتاب الهجاء ، وتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، وكان بين حمزة وبينه محادثات شفوية . (راجع مقدمة ديوان أبى نواس / ١٧ والتنبيه على حدوث التصحيف / ١٦٨) .

(الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهانى ـ حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش ١ / ١٦) .

*** حسين باشا البلغرادى) (٩٥٨ ـ ١٠٢٣ هـ) :**

من شعراء البوسنة حماها الله . قال عنه الخانجى :

(حسين باشا البلغرادى) ترجمه صاحب (خلاصة الأثر) فقال : حسين باشا بن رستم المعروف بـ (باشا زاده الرومى) نزيل مصر ، واحد الدهر على الإطلاق المحقق الفهامة ، ورأس الفضلاء فى وقته ، رأيت خبره فى كثير من التحريرات والمجاميع وذكره الشيخ مدين القوصونى ، وقال ــ فى ترجمته : مولده ببلغراد فى يوم الأربعاء ثانى عشر شوال وكان ذلك فى أوائل فصل الخريف من سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وقدم إلى مصر فى سنة سبع وسبعين وتسعمائة وحج منها إلى بيت الله الحرام ، ثم رجع إلى البلاد الرومية ، وعاد إلى مصر ثانيا وأقام بها ، وكان والده من موالى السلطان سليمان ، ثم إنه لم يزل يتنقل فى الولايات حتى صار أمير الأمراء بـ « طمشوار » و « بودين » وكانت وفاته بها .

وأما والدته فهى بنت إياس باشا الذى كان رأس الوزراء فى دولة السلطان سليم ، وكان من موالى السلطان بايزيد بن محمد ، وأخذ صاحب الترجمة من جماعة من الموالى العظام بالديار الرومية منهم :

المولى يحيى الذى كان متقاعدا عن إحدى المدارس الثمان ، وكان أخا للسلطان سليمان من الرضاع ، وكان السلطان المذكور يعظمه ويزوره أحيانا ، ويقبل شفاعته ، ومنهم :

المولى عبد الغنى ، ومنهم :

المولى محمد بن بستان المفتى ، ومنهم :

المولى فضيل بن المفتى علاء الدين الحمالى ، ومنهم :

المولى محمد بن أخى ، ومنهم :

المولى أبو السعود المفتى العمادى صاحب التفسير .

وصار ملازما بمدرسة السلطان سليم الأول بقسطنطينية ، ثم ترك ذلك وعزم على الإقامة بمصر ، وطلب من السلطان أن يعين له من بيت المال ما يكفيه هو ومن معه من العيال ، من الدراهم والغلال ، فعين له ذلك ، ثم قدم إلى مصر ، وأقام بها بالعزة والاحترام مع الإحسان والشفاعات فى العلوفات والجرايات للخاص والعام ، وأنشأ بيتا متسعا مطلا على «بركة الفيل » (مكان بالقاهرة لا زال يحمل هذا الاسم قريب من حى السيدة زينب) ، جعله محلا للجلوس فيه للواردين عليه .

قال صاحب الخلاصة : ورأيت له ترجمة فى بعض المجاميع وأظنها من إنشاء بعض المصريين قال فيه ـ بعد ذكر اسمه وشهرته : غرة جبهة الزمان ، وواسطة عقد الفضائل المزدى بعقود الجمان ، جر على هامة المجرة ذيله ، وأنار بقمر فضله ليله ، فأصبح وهو عزيز مصره ، والفاخر ذو التاج المحجب فى قصره ، أجرى بمصر نيله ، فأخجل نيلها وما زال مانح الفضائل والفواصل ومنيلها .

وأما أدبه : فمادة البراعة والإحسان ، القاصر عن نظمه ونثره سحبان ، وما برحت كواكب فضله مشرقة لائحة ، وسواكب أفضاله غادية ورائحة ، حتى وافته بأجله وفاته ، وعفت آثاره وبكت عليه عفاته .

قال المحبي : وأثبت له من شعره ما كتب به إلى القاضي محمد بن دراز المكي قوله :

على ألمعي شاقني بخياله
سلام يحاكي منه طيب خصاله
عشقت وما أبصرته غير أنني
سمعت من الحاكين وصف كماله

وكتب إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي :

عندي لودك — فاعلم — ذاك ميثاق
وللتملي بمرأى منك أشتاق
وللحلول بأرض أنت ساكنها
قلبي بحادي الشوق ينساق

وقال المحبي : وظفرت له بقصيدة أثبتها له في ترجمته في كتابي « النفحة » (اسمه نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة » زيل بها على » ريحانة الألباء » للشهاب الخفاجي) ومطلعها :

أراك تروم المجد ثم تساهل
وزاملة العمر اليسير تناقل

وهي قصيدة لا بأس بها ، فارجع إليها في الكتاب المذكور ، وكانت وفاته بمصر في آخر يوم الجمعة ثالث رجب سنة ثلاث وعشرين وألف ودفن يوم السبت بالقرب من قبر القاضي بكار رحمه الله تعالى ا هـ .

وقال المحبي — في النفحة (ونقلناه من نسخة مخطوطة منها) : حسين بن رستم المعروف بـ « باشا زاده » نزيل مصر صنديد بطل . ومنطيق غير ذي خطأ أو خطل ، نهجه مستقيم والدهر بمثله عقيم ، بِشِيَم اقتضاها جده وأورثه أياها أبوه وجده ، ومفخرة يتوشح بردائها ، ومأثرة يترشح لابتدائها إلى أخلاق ألطف من نعمة الوصال ، وأرق من نسمة الشمال تهديها البكور والآصال ... إلخ .

وله أخبار نشرت أعلام إفادتها في كل نادي ، وأشعار لها لفصاحتها عند قس الإيادي أيادي ، فمنها قوله من قصيدة كتب بها إلى « المفتي سعد الدين » يمدحه بها ومطلعها :

أراك تروم المجد ثم تساهل
وزاملة العمر اليسير تناقل
ونفسك زادت زمعها لا نزوعها
وتغفل عما خلفتك الأوائل

(المختار من الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجي هدية مجلة الأزهر . ذو الحجة ١٤١٢ هـ / ١٠٨ — ١١٢ — رئيس التحرير د. علي أحمد الخطيب وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس في ثنايا النص) .

*** حسين باشا (جامع ـ) (١٢٨٨ هـ) :**

قال عنه علي مبارك :

هذا المسجد داخل حارة شق الثعبان بين مسجد الخلوتي ومسجد رحبة عابدين ، وكان يعرف أولا بمسجد القمري . . ولما وهي جدده الأمير حسين باشا أبو أصبع فنسب إليه ، وجاء في غاية الحسن والبهجة ، وبه أربعة أعمدة من الرخام ، وبه منبر جميل ودكة ، وأرضه مبلطة بالحجر ، وسقفه بالخشب النقي ، وبأعلاه قبة من الزجاج الملون ، ومكتوب على بابه تاريخ إنشائه سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف . ومنافعه تامة وشعائره مقامة من أوقافه اهـ .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك ٤ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) .

*** أبو الحسين البصري (— ٤٣٦ هـ / — ١٠٤٤ م) :**

محمد بن علي الطيب ، أبو الحسين ، البصري ، أحد أئمة المعتزلة ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها . قال الخطيب البغدادي : « له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته » من كتبه « المعتمد في أصول الفقه » جزءان ، و« تصفح الأدلة » ، و « غرر الأدلة » و « شرح الأصول الخمسة » كلها في الأصول ، وكتاب في « الإمامة » و « شرح أسماء الطبيعي » .

(الأعلام للزركلي ٦ / ٢٧٥ ، وانظر مصادره في هامش ٣) .

*** حسين بك آلاي بكي زاده (-١١٠٢ هـ) :**

من شعراء البوسنة حماها الله . قال عنه الخانجي :

حسين بك آلاي بكي زاده المتخلص بـ « ميري » وسماه محمد طاهر باسم حسين . أصله من بوسنة ، وولد في بلدة

« بودين » وسلك طريق التعلم ، فأخذ عن علماء استانبول وجد واجتهد إلى أن صار مدرسا ، فدرس فى مدارس عديدة وكان مدرسا فى مدينة « سراى » وبها توفى سنة اثنتين ومائة وألف ، وكان لعلمه وحسن سيرته محترما بين الأكابر والأصاغر ، وكان شاعرا ماهرا باللغة التركية له أشعار كثيرة مدونة فى ديوان مستقل ، وذكر « شيخى زاده » منها مثالا .

(المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجى . هدية مجلة الأزهر . ذو الحجة ١٤١٢ هـ ـ رئيس التحرير د . على أحمد الخطيب / ١١٤) .

*** أم حسين بك (سبيل ـ) (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) :**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه :

هو بشارع جامع البنات بين قنطرة الموسكى وقنطرة الأمير حسين . أنشأته المرحومة والدة حسين بيك نجل العزيز محمد على فى سنة سبعين ومائتين وألف ، وهو فى غاية الحسن أرضه مفروشة بالرخام وواجهته من الرخام أيضا وبه ثلاث مزملات بشبابيك نحاس أصفر وعلى بابه هذه الأبيات :

لأم حسين شهرة بمحاسن من الخير ذكراها تدوم مدى الدهر
لقد أنفقت فيها احتسابا وأخلفت فيارب نولها الكثير من البر
على باب خير جاء تاريخه سنا بها حسنات أجرها سرمدا برى

وهو عامر إلى الآن ويصرف عليه من ريع وقفه بمعرفة ديوان الأوقاف اهـ . (الخطط التوفيقية الجديدة ٣ / ٧٦ و ٦ / ١٦٩)

وقد أورده الأستاذ جمال الغيطانى فى قائمة أسبلة القاهرة كما هى اليوم فقال إنه يقع بشارع بين النهدين أمام مسجد عبد الغنى الفخرى (قاهريات / ٣٦) .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٣ / ٧٦ و ٦ / ١٦٩) وقاهريات ـ جمال الغيطانى . مكتبة مدبولى . القاهرة ١٩٨٤ / ٣٦) .

*** أم حسين بك (سبيل ـ) (١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م) :**

يقول الأستاذ جمال الغيطانى إن هذا السبيل وسبيل أم عباس الذى يقع بشارع الصليبة هما آخر سبيلين تم بناؤهما فى القاهرة وإنه يقع فى نهاية شارع الجمهورية قرب نهايته من ناحية ميدان رمسيس ، أنشىء عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م ، وبعده لم يقم فى القاهرة سبيل آخر .

كما أورده فى قائمة أسبلة القاهرة كما هى اليوم وقال عنه إنه يقع بالقرب من ميدان رمسيس (أولاد عنان) وإنه يمتاز عن الأسبلة الأخرى برشاقة عمده وانسجامها مع الكتّاب الذى يعلوه وبجمال نقوشه .

(قاهريات ـ جمال الغيطانى / ٢٨ ، ٣٧) .

*** حسين البكرامى [البلكرامى] (الأمير ـ) (١٢٦٠ ـ ١٣٤٤ هـ) :**

عربى من السادة الحسينية فى شبه القارة الهندية .

الأمير الفاضل السيد حسين بن كرامة حسين الحسينى الواسطى البلكرامى أحد مشاهير الهند .

ولد بمدينة « كيا » بفتح الكاف سنة ١٢٦٠ هـ وطلب من صغر سنه وقرأ العلوم العربية مدة ثم دخل المدرسة الإنكليزية بمدينة (بهاكلبور) ثم فى المدرسة الإنكليزية بمدينة (عظيم آباد) وحصل على شهادتها بامتياز سنة ١٢٨٠ هـ فأراد والده أن يوظفه فى الوظائف الحكومية ولم يرض بها لاشتغاله بالعلم فتولى التدريس فى « المدرسة الكلية » بمدينة « لكهنو » مع إكبابه على مطالعة الكتب وحفظ نوادرها . وتعلم العلوم العربية ، ولم يزل مجدا فى ذلك حتى اشتهر فضله فى العلم مع معرفته اللغتين العربية والإنكليزية . وطار صيته فى الآفاق فاستقدمه ، نواب متخار الملك الوزير الكبير إلى حيدر آباد وقربه إلى نفسه ورقاه درجة بعد درجة حتى صار سكرتيرا لصاحب الدكن وناظرا على المدارس كلها ، وفى سنة ١٣٠١ هـ لقبه بـ « عماد الدولة » وفى سنة ١٣٠٤ هـ لقبه بـ « عماد الملك » حتى أحيل على التقاعد .

وسافر إلى لندن وصار عضوا خاصا فى مجلس وزير الهند فأقام بها مدة ثم رجع إلى حيدر آباد وسكن بها ، ولما ولى الوزارة بحيدر آباد « يوسف على بن لائق على بن مختار الملك » جعله مستشارا للوزير وبقى بهذا المنصب نحو سنتين ثم اعتزل عنها .

وتفرغ لترجمة القرآن الكريم إلى الإنكليزية ، وخلال ذلك ضعف بصره وانحرفت صحته فلم يكمل منها إلا ستة عشر جزءا ، توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة ١٣٤٤ هـ .

كان السيد حسين نادرة عصره فى معرفة اللغات العربية

والإنكليزية والفرنسية مطلعا على الأدب العربى والشعر الجاهلى ويحفظ الكثير منه عاكفا على المطالعة شغوفا بجمع الكتب النادرة مولعا بالبحوث العلمية ، يحب العلم والعلماء .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ــ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٦، ٤٧) .

*** حسين بن أحمد الأشعرى :**

عربى من ذرية الصحابى أبى موسى الأشعرى فى شبه القارة الهندية .

الأمير الكبير عين الملك فخر الدين الحسين بن شرف الملك رضى الدين أبى بكر أحمد الأشعرى ، أحد أجواد الدنيا . من ذرية الصحابى أبى موسى الأشعرى .

استوزره السلطان ناصر الدين قباجه ملك السند فخدمه من سنة اثنتين وستمائة إلى سنة خمس وعشرين وستمائة . ولما هلك ناصر الدين وملك بلاده شمس الدين الأيتمش الدهلوى التحق به فاستوزره لولده ركن الدين فيروز شاه .

وكان فاضلا كبيرا محبا لأهل العلم محسنا إليهم صنف له نور الدين محمد بن محمد العوفى كتابه « لباب الألباب » سنة سبع عشرة وستمائة (ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥٠) .

*** أبو الحسين بن بشران (٣٢٨ ـ ٤١٥ هـ / ٩٤٠ ـ ١٠٢٤ م) :**

على بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموى أبو الحسين البغدادى المعدل ، من رجال الحديث . مولده ووفاته ببغداد من آثاره « الفوائد » مخطوط ، جزء منه ، فى دار الكتب بمصر (الأعلام ٤ / ٣٢٧) .

ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فيمن ألَّف أجزاء حديثية فقال :

وجزء أبى الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران السكرى البغدادى المعدل الثقة أحد شيوخ البيهقى المتوفى سنة خمس عشرة وأربعمائة عن سبع وثمانين سنة (الرسالة المستطرفة / ٦٦) .

(الأعلام للزركلى ٤ / ٣٢٧ وقد أدرجه تحت اسم « ابن بشران » ، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٦٦) .

*** أبو الحسين بن بنان :**

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسين بن بنان ، وهو من جلة مشايخ مصر . صحب أبا سعيد الخراز ، وإليه ينتمى ، وكان يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق له ، مات فى التيه (شبه جزيرة سيناء) .

ومن كلامه :

ــ الناس يعطشون فى البرارى ، وأنا عطشان على شط النيل .

ـ كل صوفى يكون هم الرزق قائما فى قلبه ، فلزوم العمل أقرب له إلى الله ، وعلامة ركون القلب والسكون إلى الله أن يكون قويا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه وفقده إياها ، ويكون بما فى يد الله أقوى وأوثق منه بما فى يده .

ـ اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام .

ـ الحرية أن يكون السر حرا إلا من عبودية سيده ، يصح له بذلك العبودية للحق ، والحرية عن الخلق .

ـ ذكر الله باللسان يورث الدرجات ، وذكره بالقلب يورث القربات .

ـ الوحدة جليس الصديقين .

ـ آثار المحبة إذا بدت ، ورياحها إذا هاجت ، أماتت قوما وأحيت قوما ، وأفنت أسرارا وأبقت أسرارا ، تؤثر آثارا مختلفة ، وتبدى سرائر مكنونة ، وتكشف عن أحوال مستترة .

ـ لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٩٥) .

*** أبو الحسين بن السراج (٥٦٠ ـ ٦٥٧ هـ) :**

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٦٥٧ هـ وأن عمره كان يقرب من مائة سنة ، كما ذكره باسم أبى الحسن .

وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصارى ، أبو الحسين بن السراج . فقيه مالكى ، محدث ، من أهل إشبيلية ، ولد سنة ٥٦٠ هـ ، وأخذ عنه كبار العلماء فى بلده ، وأجاز له غيرهم . خرج من إشبيلية بخروج أهلها عند تغلب الإفرنج عليها فى رمضان سنة ٦٤٦ هـ ، وأجاز

البحر إلى سبتة وأقام بها قليلا ، ثم انتقل إلى بجاية سنة ٦٤٧ هـ واستوطنها إلى أن توفى يوم الأحد لسبع مضين من صفر سنة ٦٥٧ هـ . قال المراكشى : « وكان سريا فاضلا من بيت خير ودين ونباهة ، راوية مسندا ثقة فيما يحدث به ، صحيح السماع صدوقا ، عمر طويلا وأسن حتى كان آخر الرواة بالسماع عن أكثر الأكابر من شيوخه » .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٢٣ ـ ٣٢٤ وهامش ٣ للمحقق) .

*** الحسين بن على رضى الله عنه (٤ ـ ٦١ هـ / ٦٢٥ ـ ٦٨٠ م) :**

سيدنا الحسين ، أبو الشهداء ، الذى ورد فى فضله من الأحاديث الشريفة والآثار الكريمة ما يجل عن الحصر . وهو الحسين بن على بن عبد مناف أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف أبو عبد الله بن أبى الحسن الهاشمى القرشى ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وأحد سيدى شباب أهل الجنه ، ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة ، وقيل ولد لست سنين وأربعة أشهر من الهجرة ، وشهد صفين مع أبيه على عليه السلام وكان أميرا على القلب يومئذ ، وهم همدان .

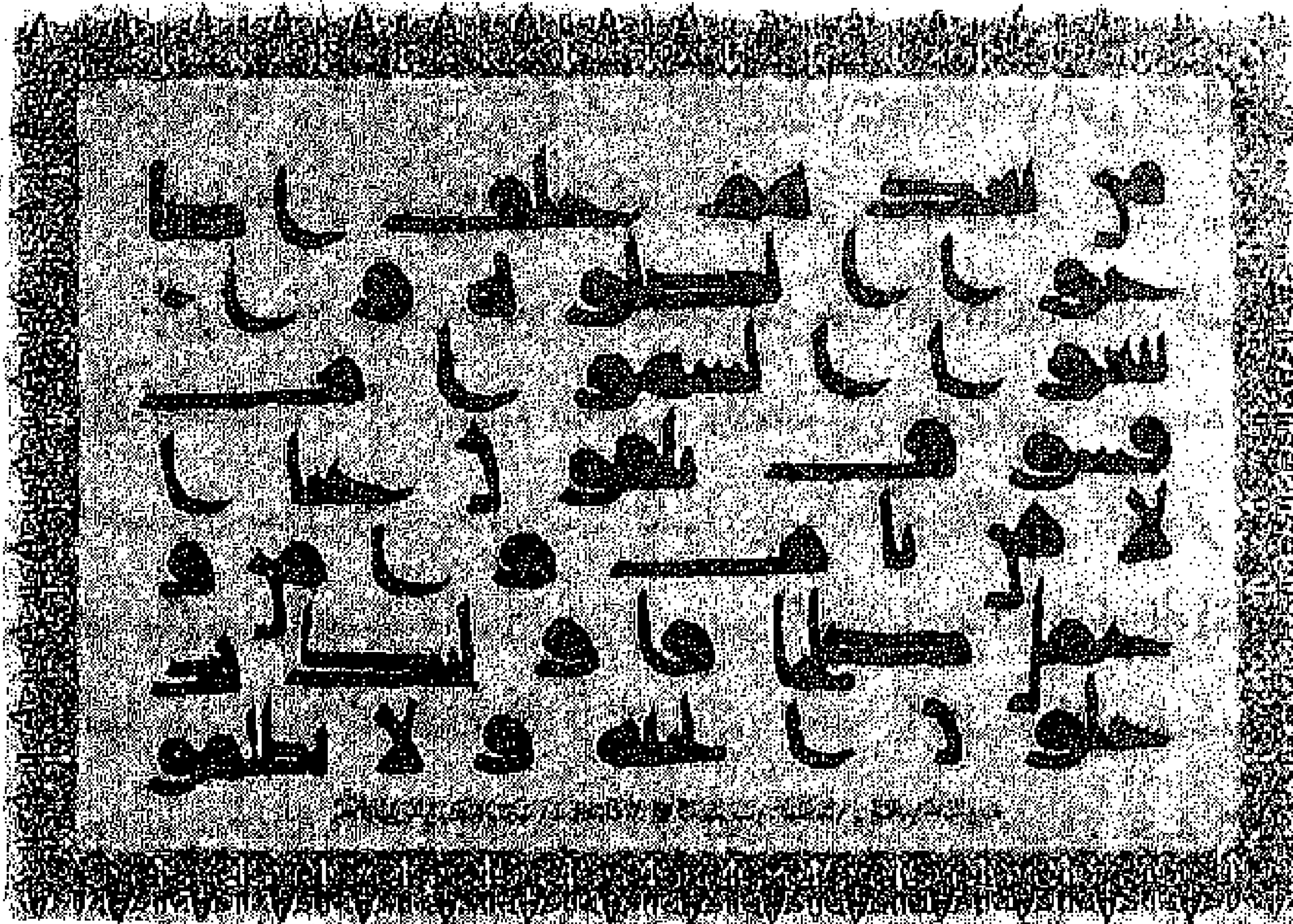
وغزا القسطنطينية فى الجيش الذى كان يزيد بن معاوية أميره ، فقد اجتاز بحلب فى طريقه من دمشق إليه .

حدث عن جده رسول الله ﷺ ، وعن أبيه على بن أبى طالب وأمه فاطمة عليهما السلام .

روى عنه ابنه على بن الحسين زين العابدين وابنه عبد الله ابن الحسين وابنتاه فاطمة وسكينة وابن أخيه زيد بن الحسن ابن على ، وأبو هريرة ، و طلحة بن عبيد الله العقيلى ، وعامر الشعبى وعكرمة مولى ابن عباس وعبيد بن حسين ، وشعيب ابن خالد ويوسف الصباغ ، وزياد بن شابور ، وحميد بن سلم ، وسنان بن أبى سنان الدئلى ، ومحمد بن الصائغ ، وهمام بن غالب الفرزدق ، وعبد الله بن سليمان بن نافع مولى بنى هاشم ، والعيزار بن حريث ، وأبو سعد الميثمى وأبو هشام وأبو خازم الأشجعى ، والمطلب بن عبد الله بن حنطب وعبيد الله بن أبى يزيد وبشير بن غالب (الحسين بن على / ٢١)

يقول الشيخ الشبلنجى فى موجز آخر :

ولد الحسين رضى الله عنه بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة وهكذا صح النقل فى ذلك وحنكه ﷺ بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعق عنه بكبش وقال لأمه احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن وكنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه الرشيد والطيب والزكى والوفى والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط وأشهرها الزكى وأعلاها رتبة ما لقبه به ﷺ فى قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال حسين سبط من الأسباط وكان الحسين رضى الله عنه أشبه الخلق بالنبى ﷺ من سرته إلى كعبه وشاعره يحيى بن الحكم وجماعة غيره وبوابه أسعد الهجرى ونقش خاتمه لكل أجل كتاب (فى الأعلام ٢ / ٢٤٣ : نقش خاتمه « الله بالغ أمره ») ومعاصره يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومروياته من الأحاديث ثمانية .



صفحة من المصحف المنسوب خطه إلى الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المستشهد سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م ، تتضمن الآيتين ٥٩ ، ٦٠ من سورة مريم . الأصل محفوظ فى المشهد الرضوى .

وهذه نبذة من الأحاديث الواردة فى حقه : أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامرى أن النبى ﷺ قال « حسين منى وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة وفى لفظ إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على وروى خيثمة ابن سليمان عن أبى هريرة أن النبى ﷺ جلس فى المسجد فقال أين لكع فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره فجعل أصابعه فى لحية رسول الله ﷺ ففتح رسول الله ﷺ فمه أى الحسين فأدخل فاه فى فيه ثم قال اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أبى هريرة قال رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسن كما يمتص الرجل الثمرة (نور الأبصار / ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : طرقت النبى ﷺ ذات ليلة فى بعض الحاجة ، فخرج النبى ﷺ وهو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو ، فلما فرغت من حاجتى قلت : ما هذا الذى أنت مشتمل عليه ؟ فكشفه ؛ فإذا الحسن والحسين على وركيه ! فقال : « هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وروى بالإسناد عن بريدة رضى الله عنه أنه قال : كان النبى ﷺ يخطبنا ، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ [التغابن : ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » .

وروى بالإسناد إلى عمر بن أبى سلمة ربيب النبى ﷺ قال : نزلت هذه الآية على النبى ﷺ : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ فى بيت أم سلمة . فدعا النبى ﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلىٌّ خلف ظهره . ثم قال : « هؤلاء أهل بيتى ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك ، أنت إلى خير (الحسين ابن على / ٧٦) .

فضائله :

وفضائله رضى الله عنه وفضائل أمه وأبيه وأخيه الحسن وأخته وذريته رضى الله عنهم أشهر من أن تذكر ، والآثار الواردة فيهم لا تحصى ، وقد ورد أن الحسين رضى الله عنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وروى أيضا أن أخاه الحسن كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وجمع بعضهم بين الروايتين بأن الحسن رضى الله عنه أشبه الناس بالنبى ﷺ من جهة أعلاه ، والحسين أشبه الناس به ﷺ من جهة أسفله ، وهو أول من سمى بالحسين ، وكذا أخوه أول من سمى بالحسن ، وأما أمهما السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - فكانت أشبه الناس برسول الله ﷺ فى السمت والهدى - كما فى رواية حسنها الترمذى - ما رأيت أحدا أشبه سمتا ولا هديا ولا حديثا برسول الله ﷺ من فاطمة وفى قيامها وقعودها رضى الله عنها .

كان شجاعا مقداما من حين كان طفلا ، ووردت فى حقه آثار كثيرة تدل على مزيد فضله ، منها قول النبى ﷺ : «حسين منى وأنا من حسين ، اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » وقوله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على » وقوله ﷺ : « اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه » .

ورأى ابن عمر الحسين مقبلا فقال : هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وجاء رجل إلى الحسن يستعين به فوجده معتكفا فى خلوة فاعتذر إليه فذهب إلى الحسين فاستعان به فقضى حاجته ، وقال : لقضاء حاجة فى الله عز وجل أحب إلى من اعتكافى شهرا (الخطط التوفيقية الجديدة ٤) ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٤) .

قال الإمام أحمد : حدثنا تليد بن سليمان كوفى ثنا أبو الحجاف عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : « نظر النبى ﷺ إلى على والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم » تفرد بهما الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن يزيد

ابن أبى زياد عن أبى نعيم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى وغيره عن يزيد بن أبى زياد ، وقال : حسن صحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس ابن الربيع عن أبى المقدام عبد الرحمن الأزرق عن على قال : « دخل رسول الله ﷺ وأنا نائم ، فاستسقى الحسن أو الحسين، فقام رسول الله ﷺ إلى شاة لنا كى يحلبها فدرَّت فجاءه الآخر فنحاه ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ، ولكنه استسقى قبله ، ثم قال : إنى وإياك وهذين وهذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة » رواه أحمد .

قال أبو عبد الله العجلى أنا يونس بن بكير نا ابن إسحاق حدثنى والدى إسحاق بن يسار أخبرنى شيخ من بنى سعد بن بكر قال : قدم على ابن عم لى من أهل البادية فقال : إن ابن أخ لى أصاب دما عمدا فطلبت إلى أهل الدم أن يقبلوا منى العقل ففعلوا فأسلمتنى عشيرتى وأبوا أن يحملوا معى وقالوا : إنما نحمل الخطأ فأما العمد فلا . فقد قدمت ألتمس المعونة من هذا الحى من قريش . فأمرت لى بخزيرة فصنعت فغديناه منها . ثم قلت له : انطلق بنا إلى خير القوم وسيدهم ابن بنت رسول الله ـ ﷺ ـ الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ فخرجنا نلتمسه فى بيته لم نجده فخرجنا فلقيناه بالبلاط فقلت : عندك الرجل . فاستوقفناه فوقف واستند إلى الجدار فقلت : يا بن بنت رسول الله ، إن ابن أخ لى أصاب دما ـ فقص قصته ـ وقدمت أستعين هذا الحى من قريش على ديته فرأيت أن أبدأ بك . فقال : والله الذى نفس حسين بيده ، ما أصبح فى بيتى دينار ولا درهم وما غدوت إلى السوق إلا لألتمس العينة فى بعض نفقاتنا وما لا بد منه ولكنى أراك رجلا جلدا وقد حان حصاد مالى بذى المروة عين يحَّنس فاخرج إليها فقم عليها بعماله ثم احصد ودق وبع فإنها مودية عنك ولا تسأل أحدا شيئا ، فقال : أفعل ، بأبى وأمى . وكتب إلى قيِّمه : انظر فلان ابن فلان فخل بينه وبين حصاد أرضك فإنى قد أعطيته إياه فخرج فحصدها فباع منها بعشرين ألف درهم فأدى اثنى عشر ألفا واستفضل ثمانية آلاف .

فقال المقنع مقنع الأنصارى يبكى حسينا حين قتل :

كان إذا شب له ناره ... يرفعها بالسند الماثل

كيما يراها قابس مرمل ... أو فرد قوم ليس بالآهل

مفارغ الشيزى على بابه ... مثل حياض النعم الناهل

لا تستري شفرا على مثله ... فى الناس من حاف ولا ناعل

ابن النبى المرسل المصطفى ... وابن ابن عم المصطفى الفاضل

(مكارم الأخلاق / ١٣٨ ، ١٣٩) .

وقال محمد بن سعد : أخبرنى يعلى بن عبيد ثنا عبد الله ابن الوليد الرصافى عن عبد الله بن عبيد الله بن عُميرة ، قال : حج الحسين بن على خمسا وعشرين حجة ماشيا وتجائبه تقاد بين يديه (استشهاد الحسين / ١٣٧ ـ ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣) .

قالوا : وكان الحسين رضى الله عنه فاضلا كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٣) وينسب إليه رضى الله عنه كثير من الحسينيين ، وله عدة أحاديث فى كتب السنة ، وله فضائل كثيرة ، وصنفت فى سيرته ومناقبه عدة كتب (مرجع العلوم الإسلامية / ٥٥) .

كلامه :

ومن كلامه رضى الله عنه : اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا من تلك النعم فتعود نقما ، واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار . ومن كلامه رضى الله عنه : من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا .

والتزم يوما ركن الكعبة وقال : إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة

بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم (الخطط التوفيقية ٤ / ١٩٤) .

ومن كلامه الذى يبين منهجه فى الحياة ما يرويه العقاد عنه فى أثناء توديعه لأبى ذر ـ وقد نفاه عثمان من المدينة الى الربذة : ـ « يا عماه ، إن الله قادر أن يغير ما قد ترى ، والله كل يوم فى شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، وما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا» (أهل البيت فى مصر / ٤١ ، ٤٢) .

شعره :

من الأشعار التى رويت عنه ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما :

إغن عن المخلوق بالخالق
تسد على الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله
فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه
فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه
زلت به النعلان من حالق

وعن الأعمش أن الحسين بن على قال :

كلما زيد صاحب المال مالا
زيد فى همه وفى الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيـ
ـش ويا دار كل فان وبالى
ليس يصفو لزاهد طلب الزهـ
ـد إذا كان مثقلا بالعيال

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغنى أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

ناديت سكان القبور فأسكتوا
وأجابنى عن صمتهم تُرب الحصا
قالت أتدرى ما فعلت بساكنى
مزقت لحمهم وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم ترابا بعد ما
كانت تأذى باليسير من القذا
أما العظام فإننى مزقتها
حتى تباينت المفاصل والشوا
قطّعت ذا زاد من هذا كذا
فتركتها رمما يطوف بها البلا

(استشهاد الحسين / ١٤٦) ، وفى الحسين بن على / ٥٥ ورد صدر البيت الأخير هكذا :

* قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا *

كما ورد فى البيت الذى قبله لفظ « فرقتها » موضع «مزقتها» .

وأنشد بعضهم للحسين رضى الله عنه :

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة
فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت
فقتل فى سبيل الله أفضل
وإن كانت الأرزاق شيئا مقدرا
فقلة سعى المرء فى الكسب أجمل
وإن كانت الأموال للترك جمعت
فما بال متروك به المرء يبخل

(الحسين بن على / ٥٤ ، وقد وردت الأبيات بتغيير طفيف فى استشهاد الحسين / ١٤٧) .

ولما التقى الجيشان فى كربلاء وفر عنه أكثر أصحابه أنشد يقول :

أنا ابن على الخير من آل هاشم
كفانا بهذا مفخرا حين أفخر

وجـــدي رســـول الله أكـــرم من مشـى
ونحن ســـراج الله فـى الأرض يـــزهـــر
وفـــاطمـــة أمي ســـلالـــة أحمـــد
وعمـي يـــدعى ذا الجنـــاحين جعفـــر
وفينـــا كتـــاب الله ينـــزل صـــادقـــا
وفينـــا الهـــدى والـوحـي والخيـر يـــذكـــر

ومن شعره أيضا قوله :

إذا استنصـــر المـــرء امـــرأ لاغنا بـــه
فنـــاصـــره والخـــاذلـــون ســـواء
أنـــا ابـن الـــذي قـــد تعلمـــون مكـــانـــه
وليس على الحق المبيـــن جفـــــــاء
أليس رســـول الله جـــدي ووالـــدي
أنـــا البـــدران غطى النجـــوم خفـــاء
ألم ينـــزل القـــرآن حـــول بيـــوتنـــا
صبـــاحـــا ومن بعـــد الصباح مســـاء

(منهل الصفا / ٦٥ ، ٦٦) .

أولاده :

جاء في الخطط التوفيقية :

ورزق الحسين من الأولاد خمسة وهم : علي الأكبر ، وعلي الأصغر وله العقب ، وجعفر ، وفاطمة ، وسكينة المدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة رضي الله عنها ، كذا قال المناوي والشعراني ، وزاد الشعراني أن عليا الأصغر هو زين العابدين . وقال كثيرون : أولاده ستة ، وزادوا عبد الله . فأما علي الأكبر فقاتل بين يدي أبيه حتى قتل ، وأما زين العابدين فكان مريضا بكربلاء ، وأما جعفر فمات في حياة أبيه دارجا ، وأما عبد الله فجاءه سهم وهو طفل فقتله بكربلاء ، وقيل : كان له من الذكور ستة ، ومن الإناث ثلاث ، فأما الذكور فعلي الأكبر ، وعلي الأوسط وهو زين العابدين ، وعلي الأصغر ، ومحمد ، وعبد الله ، وجعفر ثم ذكر أن المقتول طفلا بكربلاء وهو علي الأصغر ، وأن عبد الله قتل مع أبيه شهيدا (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٨) .

وقال صاحب الرياض المستطابة :

وخلَّف الحسين رضي الله عنه ستة بنين وثلاث بنات . أما البنون فعلي الأكبر واستشهد مع أبيه ، وعلي الأصغر زين العابدين ـ ومنهم من يزعم أنه الأكبر ـ والعقب من ولد الحسين في ذريته . وعبد الله استشهد مع أبيه أيضا ، ومحمد وجعفر . وأما البنات فزينب وسكينة وفاطمة ... رضي الله عنهم .

ثم قال في موضع آخر :

وأما أولاد الحسين فقد قدمنا أنهم تسعة إلا أن العقب منهم في زين العابدين علي بن الحسين ، وكان رضي الله عنه نهاية في العلم غاية في العبادة . وكان له في اليوم والليلة أوراد لا يطيق القيام بها جماعة من الناس ، وله في ذلك أخبار واسعة ... قال الزهري : ما رأيت قرشيا أفضل منه ، مات سنة ثلاث وتسعين . ولم يبق على وجه الأرض حسيني إلا من نسله ، وكان أولاده يدنون من العشرة ، برع بالفضل منهم خمسة ، منهم محمد الباقر وهو أكبرهم ، وكان له فضل واسع ، ومات بالمدينة سنة بضع عشرة ومائة . ومنهم زيد بن علي صاحب المذهب ، وله مناقب عديدة وتصانيف مفيدة ، وكان قد قام بالخلافة فقتله جند هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين ومائة . وكان مولده سنة ثمانين وقبره بخراسان . ثم قام بعده ولده يحيى بن زيد فقتله أيضا جند هشام وقبره بالجورجان من بلاد العجم . ولم يعقب . ومن أولاد زيد عيسى ومحمد والحسن ، ولم يدع أحدهم الخلافة . وعقيب قتله زالت دولة الأمويين على يد أبي مسلم الخراساني داعية العباسيين . واستقبل أهل البيت أيضا محنة أخرى على يد العباسيين . ومنهم عبد الله وعمر والحسين لم يدَّع أحد منهم الخلافة إلا ما سبق من خبر زيد وابنه رضي الله عنهم . وأما أولاد الباقر فعدة ، وبرع في الفضل منهم والرواية والحفظ والدراية جعفر الصادق مرة بالمدينة ومرة بالعراق . ودعاه النفس الزكية إلى الخروج معه فاعتذر بكبر السن وجهز معه ولديه عبد الله وموسى . ومات الصادق وعبد الله ، وكانا من حفاظ الحديث . ومات الصادق سنة ثمان وأربعين بعد المائة رضي الله عنه ورحمه ، وخلف تسعة من الولد أنجب منهم خمسة : إسماعيل ومات قبل أبيه ، وإليه ينسب الإسماعيلية وزعمت أن منتظرها بعده ولده محمد . وعبد الله

ومحمد وموسى وإسحاق ... وكان هؤلاء أهل فضل ودراية ، وقام منهم بـالخلافـة محمد بن جعفر . بـويع له بـالحجاز ، وكان يصوم يوما ويفطر يومـا ، وله علم واسع وكرامات ظاهرة قبض عليـه المأمون فلـم يزل عنـده حتى تـوفى ، وقبره ببـلاد العجم . وأمـا مـوسى بن جعفـر ويعـرف بـالكـاظم فلم يقم بالإمامة ولا ادعاها مع تأهلـه لها . ولما رآه الرشيد العباسى قد استجمع الخصال مع كثرة المال سجنـه حتى مات سنة ثلاث وثمانين بعـد المائة ، ويقال مـات بالسم . وزعمت فـرقة من الإسماعيلية وهى الرافضـة أنه حى ؛ وخلَّـف من الولـد نحو ثلاثين ما بين ذكر وأنثى أنجب منهم أحمد وعلى ، وكان على أفضلهمـا ، وهو المسمى بـالرضا . ولمـا ظهـر فضله كلفـه المأمون أن يبـايع له فبايع ثـم نفاه إلى بلاد العجم ومـات سنة ثـلاث ومـائتين ولـم يستكمل الخمسين ، ولـم يعلم أحـد من أولاد الرضا كان له شأن ودعا الناس إلى طاعته ، والله أعلم .

(الرياض المستطابة / ٢٨٩ ، ٢٩٢_٢٩٤) .

أخواته :

وأخـواتـه رضى الله عنه ثمـانيـة وثـلاثون ، منهم الـذكـور عشرون ، والإناث ثمـانى عشرة على خلاف فى ذلك ، منهم أشقاؤه خمسـة : الحسن ، والمحَسِّن بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة ، وزينب ، وأم كلثوم ، ورقية . والذين أعقبوا من الـذكور خمسـة : هـو ، والحسن ، ومحمـد ابن الحنفية ، والعباس ابن الكابية ، وعمرو ابن التغلبية .

(الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٩) .

خروجه إلى العراق واستشهاده .

كانت إقامـة الحسين رضى الله عنه بالمدينـة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهده وبقى معه إلى أن قُتل ، ثم مع أخيه إلى أن انفصل ، فرجع إلى المـدينة ، واستمر بها إلى أن مات معاوية (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٤) . وكان معاوية قـد نقض شرط الحسن بن على (انظر تـرجمته) بعد مـوته وبـايع لابنه يـزيد . وامتنع الحسين من بيعتـه ، وأعمل معـاوية الحيلـة حتى أوهم الناس أنـه بايعـه وبقى على ذلك حتى مات . وأراده يزيد على البيعة وكتب بذلك إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان عـامله على المدينة فلم يبـايعه وخرج إلى مكة (عمدة الطالب / ١٩١) .

وينبئنـا التاريخ بعـد ذلك عن مأسـاة كـربلاء التى هـزت قلوب المسلمين ، ولا يزال الحزن عليها حتى اليوم (انظر مادة أدب بكاء آل البيت) وقبل أن يسرد صاحب الفخرى وصفا موجزا لهذه المأساة يسوق هذه المقدمة فيقول :

هـذه قضيـة لا أحـب بسط القـول فيهـا استعظـامـا لهـا واستفظاعا . فإنها قضية لم يجر فى الإسلام أعظم فحشا منها ولعمرى إن قتل أمير المؤمنين رضى الله عنه هو الطامة الكبرى ولكن هـذه القضيـة جـرى فيهـا مـن القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعـر له الجلود . واكتفيت أيضـا عن بسط القول فيها بشهرتهـا فإنها أشهر الطامات . فلعن الله كل من بـاشرها وأمـر بها ورضى بشىء منهـا ولا تقبَّل الله منه صـرفا ولا عـدلا وجعله من الأخسرين ﴿ أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الـدنيـا وهم يحسبون أنهم يحسـنون صنعـا ﴾ [الكهـف : ١٠٣ ، ١٠٤] ونص الآية ١٠٣ : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ وجملة مـا جرى فى ذلك أن يزيـد لعنه الله (يأتى الكـلام على مسـألة لعن يـزيـد) لما بـويع لم يكن لـه هم إلا تحصيل بيعـة الحسين رضى الله عنه والنفـر الـذى حذره أبـوه منهم . فأرسل إلى الـوليد بن عتبـة بن أبى سفيان وهـو يومئـذ أميـر المدينـة يأمره بأخـذ البيعـة عليهم فاستـدعاهم فحضـر الحسين عنده . فأخبـره بموت معاوية رضى الله عنـه ، ودعاه إلى البيعة فقال له الحسين رضـى الله عنه « مثلى لا يبايع سرا ولكن إذا اجتمع الناس نظـرنا ونظـرت » ثم خرج الحسين من عنده وجمع أصحابه وخرج من المـدينـة قاصدا مكة متأبيا من بيعة يزيد آنفا من الانخراط فـى زمره رعيته . فلما استقر بمكة اتصل بأهل الكوفة تأبيـه من بيعة يزيد وكانوا يكـرهون بنى أمية خصوصـا يزيـد لقبح سيرته ومجـاهرتـه بالمعـاصى واشتهاره بالقبـائح . فراسلـوا الحسين وكتبوا إليـه الكتب يدعـونه إلى قـدوم الكوفـة ويبذلـون له النصرة على بنى أمية . واجتمعـوا وتحـالفـوا على ذلك وتـابعـوا الكتب إليـه فى هـذا المعنى . فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بـن عقيل بن أبى طالـب رضى الله عنه . فلما وصل إلى الكوفة فشا الخبر إلى عبيد الله بن زياد ،

لعنه الله وأحله دار الخزى ، وكان يزيد قد أمّره على الكوفة حين بلغه مراسلة أهلها الحسين عليه السلام . وكان مسلم قد التجأ إلى دار هانئ بن عروة رضى الله عنه وكان من أشرف أهل الكوفة ، فاستدعاه عبيد الله بن زياد وطلبه منه فأبى ، فضرب وجهه بالقضيب فهشمه ، ثم أحضر مسلم بن عقيل رضى الله عنهما فضربت عنقه فوق القصر فهوى رأسه واتبع جثته رأسه . وأما هانئ فأخرج إلى السوق فضربت عنقه ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

(طويل)

وإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى

إلى هانئٌ فى السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه

وآخر يهوى من طمار قتيل

(الطمر : الثوب الخلق البالى ، الجمع : أطمار . المعجم الوجيز / ٣٩٤) .

ثم إن الحسين رضى الله عنه خرج من مكة متوجها إلى الكوفة ، وهو لا يعلم بحال مسلم ، فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر وحذروه فلم يرجع ، وصمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس ، فأرسل ابن زياد إليه عسكرا أميره عمر بن سعد بن أبى وقاص ، فقاتل الحسين وأصحابه حين التقى الجمعان قتالا لم يشاهد أحد مثله ، حتى فنى أصحابه وبقى هو وخاصته ، فقاتلوا أشد قتال رآه الناس ، ثم قتل الحسين قتلة شنيعة ، ولقد ظهر منه من الصبر والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بآداب الحرب والبلاغة ، ومن أهله وأصحابه رضى الله عنهم من النصر له والمواساة بالنفس وكراهية الحياة بعده والمقاتلة بين يديه عن بصيرة ما لم يشاهد مثله ، ووقع النهب والسبى فى عسكره وذراريه رضى الله عنهم ، ثم حمل النساء ورأسه صلوات الله عليه إلى يزيد بن معاوية بدمشق ، فجعل ينكت ثنايا الحسين بالقضيب ، ثم رد نساءه إلى المدينة .

وكان قتل الحسين فى يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين اهـ .

(الفخرى / ١٠٦ ، ١٠٧) وهو العاشر من المحرم ، والذى يعتبر يوم حزن وكآبة عند المسلمين جميعا الذين تألموا لاستشهاده ، ويسمى عام الحزن ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من أصحابه مبارزة فيهم الحسن بن يزيد لأنه بارز وقتل مع الحسين ثم قتل جميع بنيه إلا عليا المسمى بزين العابدين فإنه كان مريضا فأخذ أسيرا بعد قتل أبيه وقتل أكثر إخوة الحسين وبنى أعمامه .

يا عين ابكى بعبرة وعويل

واندبى إن ندبت آل الرسول

سبعة كلهم لصلب على

قد أصيبوا وتسعة لعقيل

(التذكرة للقرطبى / ٦٥٦) .

قالت المؤلفة : أورد ابن الآبار البيتين بلفظ « عينى ابكى » فى البيت الأول ، كما أورد البيت الثانى كما يلى (درر السمط / ١٠٥)

ستة كلهم لصلب على

قد أصيبوا وخمسة لعقيل

وروى أنه لما قدم برأس الحسين وأصحابه إلى الشام فقد خالد بن عفران وكان أحد الزهاد العباد أياما فسئل عن ذلك فقال : أما ترون ما نزل بنا ثم أنشا يقول :

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد

متزملا بدمائه تزميلا

وكأنما بك يا بن بنت محمد

قتلوا جهارا عامدين رسولا

قتلوك عطشانا ولم يترقبوا

فى قتلك التنزيل والتأويلا

ويكبرون بأن قُتلت وإنما

قتلوا بك التكبير والتهليلا

(الرياض المستطابة / ٢٨٩) .

قال الإمام جعفر الصادق وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة واختلفوا فيمن قتله فقال يحيى بن معين أهل الكوفة يقولون إن الذى قتل الحسين عمر بن سعد

ابن أبي وقاص قال يحيى وكان إبراهيم بن سعيد يروى فيه حديثا أنه لم يقتله عمر بن سعد وقال ابن عبد البر إنما نسب قتل الحسين إلى عمر بن سعد لأنه كان الأمير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين وأَمَّر عليهم عمر بن سعد ووعد أنه يوليه الرى إن ظفر بالحسين وقتله وكان فى تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن وكان سليمان بن قتة يقول إن دم الحسين اشترك فيه جماعة ولعلهم من ذكرنا من أهل مصر واليمن وقيل قتله سنان بن أويس النخعى وقال مصعب النسابة الثقة قتل الحسين بن على سنان ابن أبي سنان النخعى وهو جد شريك القاضى ويصدق ذلك قول الشاعر :

وأى رزيـــة عـــدلت حسينـــا

غـــداة تبيـــره كفـــا سنـــان

وقال خليفة بن خياط الذى ولى قتل الحسين هو شمر بن ذى الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير فحز رأسه وأتى به إلى عبيد الله بن زياد وقال :

أوقـــر ركـــابى فضـــة وذهبـــا

إنـــى قتلـــت الملـــك المحجبـــا

قتلت خيـــر النـــاس أمـــا وأبـــا

وخيـــرهـــم إذ ينسبـــوه نسبـــا

ا هـ . ذكره ابن عبد البر.

(فى الخطط التوفيقية ٤ / ١٩٧ : إذ يذكرون نسبا).

وقال غيره تولى حمل الرأس بشر بن مالك ودخل به على ابن زياد وهو يقول هذا الشعر فغضب ابن زياد من قوله وقال فإذا علمت أنه كذلك فلم قتلته والله لا نلت منى خيرا أبدا ولألحقنك به ثم قدمه فضرب عنقه وقال بعضهم إن يزيد بن معاوية هو الذى قتل قاتل الحسين .

وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله ﷺ نصف النهر أشعث أغبر ومعه قارورة فيها دم يتتبعه من الأرض ويلتقطه فيها فقلت يا رسول الله ما هذا فقال هذا دم الحسين أو أصحابه لم أزل ألتقطه من الأرض منذ اليوم قال عمار بن ياسر فحفظنا ذلك اليوم فوجدنا الحسين قد قتل ذلك اليوم .

قال الإمام القرطبى وهذا سند صحيح لا مطعن فيه قال ابن عباس وساق القوم حرم رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم كما تساق الأسارى حتى إذا بلغوهم إلى الكوفة خرج الناس وجعلوا ينظرون اليهم وكان فى الأسارى يومئذ على بن الحسين رضى الله عنهما وكان شديد المرض قد جمعت يداه إلى عنقه وزينب بنت على من فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وفاطمة وسكينة بنتا الحسين وساق الفسقة معهم رءوس القتلى وكان محمد ابن الحنفية رضى الله عنه يقول قتل مع الحسين بن على ستة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول قتل مع الحسين بن على ستة عشر رجلا وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا (التذكرة للقرطبى / ٦٥٦ ـ ٦٥٨) .

وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة ، وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين ، قتله إبراهيم بن الأشتر فى الحرب وبعث برأسه إلى المختار بن أبى عبيد ، وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى على بن الحسين ، ونصب فى المسجد بدل نصب رأس الحسين .

وقد روى أن جبريل أخبر النبى ﷺ بأن الحسين يقتل ، وأراه الأرض التى يقتل بها . وفى رواية أنها كربلاء ، وفى أخرى أنها أرض الطَّفِّ ، وفى بعض الروايات أنه يقتل بشاطىء الفرات . ولا تعارض بينها لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهى من بلاد كربلاء .

وورد من طريق أراه عن على رضى الله عنه عن المصطفى ﷺ أنه قال : قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا . وروى : أول من يبدِّل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد . وروى أيضا : لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد .

وقد أجمعوا على فسقه ، وقال الإمام أحمد بكفره ، وأجاز قوم من العلماء لعنه بخصوص اسمه ، وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز إذ حقيقة اللعن الطرد من رحمة الله ، ولا يكون

إلا لمن علم موته على الكفر كـأبى جهل وأضرابه ، وأما لعن من قتل الحسين أو أمـر بقتلـه أو أجـازه أو رضى بـه من غيـر تسمية فمتفق على جوازه . وعن إبـراهيم النخعى أنه قال : لو كنت ممن قـاتل الحسين رضى الله عنـه ثم أدخلت الجنـة لاستحييت أن أنظر إلى وجه المصطفى ﷺ . وعن الزهرى : لم يبق أحد ممن حضر قتل الحسين إلا عـوقب فى الدنيا قبل الآخـرة ، أما بـالقتل أو سـواد الوجـه أو تغير الخلقـة أو زوال الملك فى مـدة يسيرة . وذكـر ابن الأنبارى أن السيـدة زينب بنت الإمام على رضى الله عنهما لما قتل أخوها الحسين رضى الله عنه أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها :

مـــاذا تقـــولـــون إن قـــال النبى لكم
مـــــاذا فعلتم وأنتم آخـــــر الأمـم
بعتـــــرتى وبأهلى بعــــد فــــرقتكم
منهـم أســـارى ومنهـم خضبـــوا بــــدم
مــا كـــان هــذا جـزائى إذ نصحت لكم
أن تخلفــــونى بســــوء فى ذوى رحمـى

(الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨) .

قالت المؤلفـة : ذكر الإمام الشعرانى أنهـا السيدة سكينة أخت الحسين رضى الله عنهما (مختصر تذكرة القرطبى / ٢٤٢) وورد البيت الثـانـى بلفظ « مفتقـدى » بـدلا مـن «فـرقتكم» ، وبلفظ « ضرجوا » بدلا من « خضبوا » .

وروى أنه قتل بسبب زكـريا عليه الصلاة والسـلام لما قتل سبعون ألفا وقتل بسبب الحسين سبعمائة ألف أو كما قال اهـ (مختصر تذكرة القرطبى / ٢٤٢) .

وعن الانتقـام من قتلة الحسين رضى الله عنـه يقول الإمـام القرطبى :

وقد قتل الله تعـالى قاتل الحسين المسمى شمر أشـد قتلة وقاسى حزنا طويلا وألقى رأسه المذموم فى الموضع الذى كان ألقى فيه رأس الحسيـن رضى الله عنه وذلك بعـد قتله الحسين بستة أعوام وبعث المختار به إلى المـدينة فوضع بين يدى بنى الحسين رضى الله عنهم وكذلك ضربت أعنـاق عمر بن سعد وأصحابـه وماتوا شـر قتلة وقد كـان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول لـو لم يكن على قاتل الحسين من الإثم والمقت إلا إغضاب رسـول الله ﷺ لكان فى ذلك كفـاية ثم إنـه رضى الله عنه يحلف ويقـول والله لو أنه كـان لى فى دم الحسين مدخل وخيرت بين دخول الجنة والنار لاخترت النار خوفا من أن يرانى رسول الله ﷺ فى الجنة فينظر إلى نظرة غضب اهـ .

وروى الترمذى عن عمـارة بن عمر قـال لما جىء بـرأس عبيد الله بن زياد وألقيت تلك الرؤوس فى رحبة المسجد صار كل من دخل يقـول خاب عبيد الله وأصحـابه وخسـروا دنياهم وآخرتهم ثم تباكى الناس حتى انتحبوا من البكاء على الحسين وأولاده وأصحابـه فبينما النـاس كذلـك إذ جاءت حيـة سوداء فـدخلت فـى منخـرى عبيـد الله بن زيـاد فمكثـت هنيهـة ثم خرجت فغابـت ثم جاءت فدخلت منخريه ثـانيا حتى فعلت ذلك ثلاث مرات من بين تلك الرؤوس يقـولون قد خاب عبيد الله وأصحابه وخسروا .

(قال العلمـاء) وكان ذلك مكـافأة له على مـا فعل برأس الحسين وهى من علامات العذاب الظاهر الذى حل به فضلا عن العـذاب البـاطن ثم إن الله تعـالى سلط المختـار على أصحاب عبيد الله كلهم فقتلهم شر قتلة حتى أوردهم النار / تذكرة القـرطبى ٦٦٠ ، ٦٦١) واستضيم المسلمـون فى قتل الحسين وشيعتـه استضـامـة عظيمـة حتـى كأنهم لم تصبهم مصيبة قبلها وسمى ذلك العام عام الحزن .

(الرياض المستطابة / ٢٨٧) .

وكان اليوم الذى قتل فيه الحسين رضى الله عنه يوم الجمعة عاشر محـرم سنة إحدى وستين من الهجـرة وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين سنـة وقيل غير ذلك ووجد به ثـلاث وثلاثون طعنـة وثلاث وثـلاثـون ضـربة قـال ابن الصبـاغ ودفن بأرض كـربلاء بـالعراق ومشهـده رضى الله عنه بهـا معروف يـزار من جميع الآفاق (يأتى الكلام عليه فى مادة « الحسين (المشهد ـ بكـربلاء » فـانظـره فى مـوضعه) . وكـانـت عـدة القتلى التى حملت رؤوسهـا إلى عبيـد الله بن زيـاد صحبـة رأس الحسين رضى الله عنه سبعين ودفن أهل العامرية وهم قوم من بنى عامر من بنى أسـد الحسين وأصحابه رضى الله عنهـم أجمعين بعد قتلهم بيوم (نور الأبصـار / ٢٣٣) وقد حـزن الناس على الحسين كثيـرا ، رضى الله عنـه ، وأكثروا فيـه المـراثى (تهذيـب الأسماء واللغات ١ / ١٦٣) ونورد لك بعضا منها فيما بعد .

قال الحافظ ابن كثير عن قبر الحسين رضى الله عنه :

وأما قبر الحسين رضى الله عنه ، فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه فى مشهد على بمكان من الطف عند نهر كربلاء ، فيقال : إن ذلك المشهد مبنى على قبره . فالله أعلم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر ، وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين .

وذكر هشام بن الكلبى أن الماء أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره ، نضب الماء بعد أربعين يوما . فجاء أعرابى من بنى أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى ؛ وقال بأبى أنت وأمى ما كان أطيبك وأطيب تربتك !! ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر

(استشهاد الحسين / ١٣٤) .

قال عنه ابن الأبار : تناولته الأيمان وتناقلته الركبان ، تسير به تسيل ، فجثمانه حيث الفرات ، وجمجمته حيث النيل (يعنى كربلاء والقاهرة) :

يا بعد مصرع جثة من رأسها
رأس بمصر وجثة بالرخج

الرخج : قرية قرب بغداد (درر السمط / ١١٢) .

تحقيق مقر الرأس الشريف .

يقول على مبارك فى خططه :

ثم إن التواريخ مشحونة بذكر سيرة الحسين بن على رضى الله عنهما وسبب نقل الرأس الشريف إلى القاهرة وكيف كان ذلك ، فكل ذلك مشهور غنى عن البيان ، لكن حيث كان هذا المشهد القاهرى إنما هو للرأس الشريف منفصلا عن الجثة ، ناسب أن نذكر طرفا ملخصا مما ذكروه فى ذلك فنقول : قال المقريزى فى خططه - نقلا عن الفاضل بن ميسر: إن الأفضل بن أمير الجيوش لما ملك القدس دخل عسقلان ، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله فى سفط إلى أجل دار بها ، وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الرأس الشريف على صدره وسعى ماشيا إلى أن أحله فى مقره ، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . وقيل : إن مشهد عسقلان بناه أمير الجيوش وكمله ابنه الأفضل ، ثم حمل الرأس الشريف من عسقلان إلى القاهرة ، وكان وصوله إليها يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، والذى وصل به من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها ، وحل فى القصر فى العاشر من جمادى المذكورة .

ويذكر أن الرأس الشريف لما أخرج من مشهد عسقلان وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريح المسك ، فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل إلى الكافورى ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة ، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء عند القبر الإبل والغنم ، ويكثرون النوح ، ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

ويقول العالم الأثرى حسن عبد الوهاب رحمه الله :

وهنا تضاربت الأقوال : فمن قائل بأمر تجهيز الرأس إلى المدينة ودفنه بها : وقيل : إنه أعيد إلى الجسد بعد أربعين يوما ودفن معه بكربلاء . ومن قائل إنه دفن عند باب الفراديس بدمشق . وهناك رواية أخرى أن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقى بها حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) فحمل الرأس فى ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه فى مقابر المسلمين . وقيل : إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس . والله أعلم ما صنع به . ويروى أن الرأس نقل فى وقت ما إلى عسقلان . وبقى بها غير مشتهر إلى أن زارها بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، فأرشد إلى مكانه فأخرجه وأنشأ عليه مشهدا كبيرا . وزعم بعضهم أن أبا مسلم الخراسانى : لما استولى على دمشق نقل الرأس منها إلى مرو، فدفن بها فى دار الإمارة ثم بنى عليه رباطا .

وبجانب هذه الروايات المتضاربة وجدت فى الأقطار الإسلامية مشاهد متعددة باسم الإمام الحسين أذكر منها :

مشهد مرو ــ على فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا : إن فيه رأس الحسين بن على رضى الله عنه .

مشهد حلب ـ وفى حلب مشهد الحسين ؛ وهو فى وسط جبل جوشن ، بنى فى أيام الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين .

مشهد دمشق ـ المشهد الحسينى بدمشق بصحن المسجد الأموى ؛ وكتب عنه كثير من المؤرخين ، وعاينه خليل الظاهرى لما دخل دمشق سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) . وكتب عنه ابن فضل الله العمرى ما نصه « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفى خارجه مكان الرأس على ما ذكروا . وقد جاء فى أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن » .

قالت المؤلفة : قمنا بزيارته مرتين فى دمشق : الأولى فى ٣ صفر ١٤١٢ هـ / ٣ أغسطس ١٩٩١ م ، والثانية فى ١٣ ربيع الأول ١٤١٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٩٩٣ م .

مشهد عسقلان ـ ذكره أيضا ابن فضل الله بقوله : « كان رأسه بها ، فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون الرأس إلى القاهرة ، ودفن بها فى المشهد المعروف بها على زعم من قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق ، والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان » .

هذا جزء من تضارب أقوال المؤرخين . وفى الوقت نفسه توجد لهم أقوال تناقض بعض هذه الروايات فنرى المسعودى ينقض عن غير قصد رواية دفن الرأس بالبقيع . إذ يقول بمناسبة دفن الحسن بن على ببقيع الغرقد مع أمه ـ وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها : « الحمد لله مبيد الأمم ومحيى الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين والحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن الحسين بن على ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين » .

فلو كان الإمام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم .

وقد أورد هذه الأقوال أيضا ابن كثير المؤرخ ، وناقش رواية إحضار الرأس إلى مصر ولم يأخذ بها .

وناقش هذه الأقوال عمر بن أبى المعالى أسعد بن عمار ابن سعد بن عمار رحمه الله فى كتابه « الفاصل بين الصدق المبين فى مقر رأس الحسين » ووهنها وضعفها ورجح أنه بالمدينة حتى كاد يبلغ به مبلغ القطع فقال ما معناه : أما قولهم : إنه كان فى خزائن بنى أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وإن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدا . لأن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان . والذى فتح دمشق هو عبد الله بن على بن عباس . فكيف يتصور أن ينقله ؟ أو يمكن من ينقله إلى مولاهم بخراسان ؟ ولو أنه ظفر به فى خزائن بنى أمية لأظهره للناس ، ليزدادوا لبنى أمية بغضا .

وأيضا فقد ولى العبد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وبعيد أنه كان يترك رأس ابن بنت رسول الله ﷺ فى خزائن السلاح ولم يواره .

وقولهم إنه كان بالمدينة عند أمه ـ قاله محمد بن سعد فى طبقاته ، وابن أبى الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمى خطيب خوارزم .

وأما قولهم إنه كان بعسقلان ، فلا يوجد فى تاريخ من التواريخ أنه نقل إلى عسقلان ، ولا إلى مصر . ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم تكن بها الشيعة علوية .

أوردت هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر . ولما كانت عسقلان هى قنطرة وصول الرأس إلى القاهرة ، فإنى أورد أقوال من أخذ بها من المؤرخين .

فممن أخذ بها ابن المؤرخ ، وخلط بين بدر الجمالى وابنه الأفضل شاهنشاه فى بناء مشهد عسقلان ، ولكنه قال : وكان حمل الرأس إلى القاهرة ووصوله إليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

أما القلقشندى فإنه يقرر نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .

وأيضا إبراهيم بن وصيف شاه ، وسبط بن الجوزى ــ فقد ذكر الأول أن الرأس نقل من عسقلان إلى مصر سنة ٥٤٩ هـ . وذكر الثانى أنه نقل سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

واعترف بمشهد الرأس ابن المأمون المؤرخ . فذكر فى حوادث سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) أن الآمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلا ذهبيا له سلسلة فضية .

وأخذ ابن إياس برواية مشهد عسقلان ونقل الرأس إلى

بمصر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، وزاد عليها أنه نقل إلى ثلاث أماكن قبل أن يحضر إلى القاهرة .

أما المقريزى عميد مؤرخى مصر . فقد كان لبقا كيسا أمام هذا التضارب ، وعبر تعبيرا جميلا يبعث على الارتياح إذ يقول :

« ولحفظة الآثار ، وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهى بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية » .

ثم ذكر رواية وجود الرأس بعسقلان نقلا عن ابن عبد الظاهر . وأن المشهد هناك بناه أمير الجيوش بدر الجمالى ، وأتمه ابنه الأفضل شاهنشاه . وأنه لما خيف من سقوط عسقلان فى أيدى الفرنج نقل الرأس إلى القاهرة .

ورواية وجود الرأس فى عسقلان معززة بنص تاريخى منقوش على المنبر الذى كان موجودا فى مشهد الرأس بعسقلان .

(عسقلان مدينة بفلسطين فى التوراة عسقلون . استولى الفرنج عليها سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ومكثوا بها ٣٥ سنة ، واستخلصها منهم السلطان صلاح الدين ، ثم خربها فى سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) مخافة استيلائهم عليها مرة أخرى) .

ولما خيف من سقوطها فى أيدى الفرنج نقل الرأس الشريف إلى مصر، ونقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس، وهو باق به إلى الآن .

وهو منبر فخم ، جميع حشواته الخشبية مدقوقة بالأويمة الدقيقة وهو غاية فى الدقة والجمال ومكتوب على قوائمه :

« الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطهرة [الطاهرة] سبحان من أقام لموالينا الأئمة نسبهما مجدا ورفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين ... ربها فضلا عظيما وعناية . وكان من معجزه تعالى إظهاره رأس مولانا الإمام الشهيد أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون لعنهم الله ستروه فيه إعفاء لنوره الذى وعد تعالى آية لإظهاره لعنة الله على الظالمين وأباد الله تجاذبه به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين (به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين) الذين علم صفاء ضمائرهم فى الولاء والدين وإنجاز الحجة على العالمين ورزق الله على فتى مولانا وسيدنا معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبا النجم بدر المستنصرى إظهاره فى أيامه فاستخرجه من مكانه وخصه بإجلاله وتكريم مقامه وتقدم بانشاء هذا المنبر برسم المشهد الشريف الذى أنشأه ودفن فيه هذا الرأس فى أشرف محلة قبلة الأمير وصلاة المتقبلين وشفيع المستشفعين والزائرين وبناه من أسه إلى علوه وابتاع له الأملاك وحبس منافعها على عمارته وسدنته وجماله لليوم وما بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وأنفق على جميع ذلك من فضل ما آتاه الله من حل ماله وخالص ما ملكه ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه واتباع رضوانه وإعلان شرف هذا الإمام ونشر أعلامه بقوله تعالى ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾ [التوبة : ١٨] وقال النبى ﷺ : « خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين» ويجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيمه وتشريفه والنظر فى مصالحه وعمارة ما يحتاجه فى أوانه وتطهيره . وكان إنشاء هذا المنبر فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة » .

ومكتوب على باب المنبر ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة

المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بثغر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهما فى شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة » .

ولما زار الإمام الهروى الرحالة ثغر عسقلان سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) قال : وبعسقلان مشهد الحسين كان رأسه به . فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة ، وذلك سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) وذكره القزوينى أيضا ووصفه بأنه مشهد عظيم . وتابعه ابن الطولونى الحنفى المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) بقوله : «وبعسقلان مشهد الحسين كان به رأسه ، فلما أخذها الفرنج نقله المسلمون إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ » (تاريخ المساجد الأثرية / ٨٣٧٩)

وعن الرأس الشريف يقول الإمام القرطبى :

واختلف الناس فى موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد فروى الحافظ أبو العلاء الهمدانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة مع أقوام من موالى بنى هاشم وضم إليهم جماعة من موالى أبى سفيان وبعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا وقد أمر لهم بها وكان الذى تلقى رأس الحسين بالمدينة حين قدموا بها عمر بن سعيد وهو إذ ذاك عامل على المدينة ليزيد فقال عمر : وددت أنه لم يبعث به إلىّ ثم أمر عمر بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها . قال الإمام القرطبى وهذا أصح ما قيل فيه وبه قال الزبير بن بكار الذى هو أعلم بالأنساب .

وقال الإمامية إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما قال القرطبى رحمه الله تعالى وما ذكر من أنه دفن بعسقلان فى المشهد المعروف بها أو بالقاهرة فهو شيء باطل لا يصح اهـ .

ويعلق الإمام الشعرانى على قول الإمام القرطبى هذا فيقول :

قلت قد ثبت أن طلائع بن رزيك الذى بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل فى نقلها [نقله] نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره فتلقاه من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس هو وعسكره والرأس فى برنس حرير أخضر فى القبر الذى هو فى المشهد موضوعة على كرسى من خشب الأبانوس ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب كما أخبرنى بذلك خادم المشهد .

ومما وقع لى أننى قلت لسيدى الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى مفتى المسلمين رضى الله عنه أترى أن تزور معنا رأس الحسين فى المشهد بخان الخليلى فقال إنه لم يثبت كون الرأس هناك فقلت له نزوره بالنية على تقدير صحة ذلك فقال نعم فلما دخلنا مقصورته بالمشهد قلت للشيخ اجلس مراقبا بقلبك الرأس فجلس متخيلا لها فى ذهنه فحصل له ثقل رأس فنام فرأى نقيبا مشدود الوسط قد خرج من القبر فما زال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله إن الشيخ شهاب الدين بن الشلبى وعبد الوهاب الشعرانى يزوران رأس ولدك الحسين فقال ﷺ تقبل منهما اهـ .

فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه وقال آمنت وصدقت بأن الرأس هنا وحكى الواقعة ولم يزل يزوره حتى مات فزر يا أخى هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف فقول الإمام القرطبى رحمه الله تعالى إن دفن الرأس فى مصر باطل صحيح فى أيام القرطبى فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رزيك بعد موت القرطبى فافهم والله تعالى أعلم (مختصر تذكرة القرطبى / ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

ثم إنه جاء فى كتاب « العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد» أن المرحوم عبد الرحمن كتخدا لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسينى قيل له : إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ، ونزل الأستاذ الجوهرى الشافعى والأستاذ الشيخ الملوى المالكى وكانا من كبار العلماء العاملين ، وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه ، وهو كرسى من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستار من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله

رأس الشريف ، فانبنى على إخبارهما تحقيق هذا المشهد ، بنى المسجد والمشهد ، وأوقف عليه أوقافا يصرف المسجد ن ريعها (أهل البيت فى مصر / ٤٧ ، ٤٨)

وعن الرأس الشريف يقول الحافظ ابن كثير ، وهو ممن كروا وجوده فى المشهد الحسينى كما سبق القول :

ـ وأما رأس الحسين رضى الله عنه ، فالمشهور عند أهل تاريخ وأهل السير ، أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندى أن الأول أشهر الله أعلم .

ـ ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فيه الرأس ، روى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع .

ـ وذكر ابن أبى الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح ـ وهما ضعيفان ـ أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى .

ـ وذكر ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة ريا حاضنة يزيد ابن معاوية ، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه ، تمثل بشعر ابن الزبعرى يعنى قوله :

ليت أشياخى ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ، ثم وضع فى خزائن السلام ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جىء به إليه ، وقد بقى عظما أبيض فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه فى مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوّدة ـ يعنى بنى العباس ـ نبشوه وأخذوه معهم .

ـ وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة . والله أعلم .

ـ وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذى يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسمائة .

ـ وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء ، فى دولتهم فى حدود سنة أربعمائة .

ـ قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاءوا برأس فوضعوه فى مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم ، واعتقدوا ذلك ، والله أعلم (استشهاد الحسين / ١٣٥ ، ١٣٦) .

وممن أنكروا وجود الرأس الشريف فى مصر أو فى الشام شيخ الإسلام ابن تيمية فى جوابه على عدد من الأسئلة وردت إليه وهى :

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على تحقيق الحق المبين وإخماد شغب المبطلين : فى المشهد المنسوب إلى الحسين رضى الله عنه بمدينة القاهرة : هل هو صحيح أم لا ؟

وهل حمل رأس الحسين إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، أم حمل إلى المدينة من جهة العراق ؟

وهل لما يذكره بعض الناس من جهة المشهد الذى كان بعسقلان من صحة أم لا ؟ .

ومن ذكر أمر رأس الحسين ، ونقله إلى المدينة النبوية دون الشام ومصر ؟ .

ومن جزم من العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن مشهد عسقلان ومشهد القاهرة مكذوب ، وليس بصحيح ؟

وليبسطوا القول فى ذلك ، لأجل مسيس الضرورة والحاجة إليه ، مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى (رأس الحسين / ١٥٣)

المراثى :

وقد أكثر الناس فى سيدنا الحسين المراثى حزنا عليه ، وأوردنا ثلاثة نماذج منها فى مادة « أدب بكاء آل البيت » م ٣ / ٢٩٠ ، ٢٩١ . ونبدأ المراثى هنا بقول منصور النميرى من قصيدة له :

تقتل ذرية النبى ويرجون خلود الجنات للقاتل

ويلك يا قاتل الحسين لقد
بؤت بحمل ينوء بالحامل
أي حباء حبوت أحمد في
حضرته من حرارة الثاكل
بأي وجه تلقى النبي وقد
دخلت في قتله مع الداخل
هلم فاطلب غدا شفاعته
أو لا فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندي في حال قاتله
لكنني قد أشك في الخاذل
نفسي فداء الحسين يوم غدا
إلى المنايا غدو لا قافل
ذلك يوم أخنى بشفرته
على سنام الإسلام والكاهل
حتى متى أنت تعجلين : ألا
تنزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما
ربك عما ترين بالغافل
وعاذلي أنني أحب بني
أحمد فالتُّرب في فم العاذل
قد دنت ما دينكم عليه فما
وصلت من دينكم إلى طائل
دينكم جفوة النبي وما الـ
ـجافي لآل النبي كالواصل

وفي درر السمط يبدأ عجز البيت الثاني بلفظ « فئت » موضع « بؤت » كما ورد البيت الخامس على النحو التالي :

تعال غدا واطلب شفاعته
وانهض فرد حوضه مع الناهل

كما ورد عجز البيت السادس بدون لفظ « قد » (درر السمط / ١١٥ ، عن الأغاني ، دار الفكر ١٢ / ٢٤) .

ويلخص ابن الآبار مأساة كربلاء وآثارها على المسلمين فيقول : أية فتنة عمياء وداهية دهياء ، لا تقوم بها النوادب ، ولا تبلغ معشارها النوائب ! طاشت لها النهى وطارت ، وأفلت شهب الدجا وغارت . لولاها ما دخل ذل على العرب ، ولا ألف صيد الصقر بالخرب (الخرب : طائر الحبارى ، والمعنى أن الوضيع قهر الشريف) وقصف النبع بالغرب ، فانظر إلى ذوي الاستبصار ، خضّع الرقاب نواكس الأبصار (درر السمط / ١١٤) .

عن ابن عائشة قال : وقف سليمان بن قنة بمصارع الحسين وأصحابه بكربلاء فاتكأ على قوسه وجعل يبكي ويقول :

إن قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقابا من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد
فلم أرها أمثالها يوم حُلَّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها
وإن أصبحت منهم برغمي تخلَّت
ألم تر أن الأرض أمست مريضة
لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم عادوا رزية
لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني قال : أنشدنا محمد بن محمد الدهقان الإمام بجامع بلخ ، قال : أنشدت لسليمان بن قنة :

مررت إلى أبيات آل محمد
فلم أرها أمثالها يوم حُلَّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها
وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
ألا إن قتلى الطف من آل هاشم
أذلت رقاب المسلمين فذلت

وكانوا غياثا ثم أضحوا رزية
لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت

(الحسين بن علي / ١٢٧ ، ١٢٨) .

وقال قبلها كما يرويه ابن الأثير في أسد الغابة :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة
لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده
وأنجمها ناحت عليه وصلت

(أهل البيت في مصر / ٤٨) .

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد السمعاني قال : سمعت أبا السعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب الواسطي بالنعمانية . مذاكرة من حفظه ـ يقول : سمعت القاضي أبا يوسف عبد السلام بن محمد القزويني يقول : اجتمعت ـ يعني ـ بأبي العلاء أحمد ابن عبد الله ابن سليمان المعري .

فجرى بيننا كلام ، فقال أبو العلاء : ما سمعت في مراثي الحسين بن علي رضي الله عنهما مرثية تكتب ، قال : فقلت له : قد قال رجل من فلاحي بلدنا أبياتا يعجز عنها شيخ تنوخ فقال لي : أنشدنيها ، فأنشدته :

رأس ابن بنت محمد ووصيه
للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع
لا جازع فيهم ولا متفجع
كحلت بمنظرك العيون عماية
وأصمَّ رزؤك كل أذن تسمع
أيقظت أجفانا وكنت أنمتها
وأنمت عينا لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا تمنت أنها لك
تربة ولخطٌ قبرك مضجع

فقال أبو العلاء : والله ما سمعت أرق من هذا .

قال ابن العديم : قد رثي الحسين رضوان الله عليه بأشعار كثيرة لو بسطت يدي إلى إيراد جملة منها لطال ذكرها ، وامتنع حصرها (الحسين بن علي / ١٢٩ ، ١٣٠) .

وللشاعر دعبل الخزاعي مرثية بليغة أوردنا لك بعضا من أبياتها في مادة « أدب بكاء آل البيت » م ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ فانظرها في موضعها .

ويسجل القاضي النعمان أحداث مأساة كربلاء في أرجوزته الجامعة المعروفة بالأرجوزة المختارة ، وننقل هنا الجزء الخاص بالإمام الحسين رضي الله عنه ، كما نتبعها بشرح بعض الألفاظ ، وقد أبقينا على أرقام الأبيات كما وردت في النص ، قال الناظم :

١٧٤٧ - *وقام بعد الحسن الحسين*
فلم تزل لهم عليه عين
١٧٤٨ - *ترعى لهم أحواله وتنظره*
في كل ما يسره ويجهره
١٧٤٩ - *وشردوا شيعته عن بابه*
وأظهروا الطلب في أصحابه
١٧٥٠ - *ليمنعوه كل ما يريد*
وكان قد وليهم يزيد
١٧٥١ - *فأظهر الفسوق والمعاصي*
وكان بالحجاز عنه قاصي
١٧٥٢ - *ومكره يبلغه ويلحقه*
وعينه بما يخاف ترمقه
١٧٥٣ - *ولم يكن هناك من قد يدفعه*
عنه إذا هم به أو يمنعه
١٧٥٤ - *وكان بالعراق من أتباعه*
أكثر ما يرجوه من أشياعه
١٧٥٥ - *فسار فيمن معه إليهم*
فقطعوا بكربلا عليهم
١٧٥٦ - *في عسكر ليس لهم تناهي*
أرسله الغاوي عبيد الله
١٧٥٧ - *يقدمه في البيض والدلاص*
عمرو بن سعد بن أبي وقاص

١٧٥٨ - فجـــاء مثل السيل حين يـــأتـي
فحــــال بين القـــوم والفـــرات

١٧٥٩ - وإذ رأى الحسين مـــا قـــد رابـــه
نـــاشـــدهم بـــالله والقـــرابـــه

١٧٦٠ - وجـــده وأمـــه الصـــديقـــه
وبعلهـــــا أن يـــــذروا طـــــريقـــه

١٧٦١ - وجـاء فـي الـوعظ وفي التحـذيـر
لهم بقـــــول جـــــامع كثيـــــر

١٧٦٢ - فلـم يـــزدهم ذاك إلا حنقـــا
ومنعـــوا المـــاء وســـدوا الطـــرقـــا

١٧٦٣ - حتى إذا أجهـــده حـــر العطش
وقـــد تغطـى بـــالهجيـــر وافتـــرش

١٧٦٤ - حـرارة الـرمضـاء ، نـادى : ويلكم
أرى الكـــلاب فـي الفـــرات حـــولكم

١٧٦٥ - تلـغ في المـــاء وتمنعـــونـــا
وقـــد لغينـــا ، ويلكم فـــاسقـــونـــا

١٧٦٦ - قـــالـــوا : لـــه : لست تنال المـاءا
حتـى تنـــــال كفـك السمـــــاءا

١٧٦٧ - قـــال : فمـــا تـــرون فـي الأطفـــال
وســـــائر النســـــاء والعيـــــال

١٧٦٨ - بنـي علـيٍّ وبنـــات فـــاطمـــه
عيـــونهم لـــذاك تهمـي ســـاجمـــه

١٧٦٩ - فهل لكـم أن تتـركـــوا المـــاء لهم
فـإنكم قـــــد تعلمـــــون فضلهم

١٧٧٠ - فإن تـــرونـي عنـدكـم عـــدوكـم
فشفعـــــوا فـي ولـــــدي نبيكـم

١٧٧١ - فلم يـــروا جـــوابـــه وشـــدوا
عليـــه ، فـــاستعـــد واستعـــدوا

١٧٧٢ - فثبتـــوا أصحـــابـــه تكـــرمـــا
من بعـــد أن قـــد علمـــوا وعَلِمـــا

١٧٧٣ بـأنهـم فـي عــــدد الأمــــوات
لمـــا رأوا مـن كثـــرة العـــداة

١٧٧٤ - فلـم ينـــالـــوا منهم قتيـــلا
حتـى شفـى مـن العـــدى الغليـــلا

١٧٧٥ - واستشهـــدوا كلهم من بعـــد مـــا
قـــد قتلـــوا أضعـــافهم تقحمـــا

١٧٧٦ - واستشهـــد الحسين صلـى ربـــه
عليـــه لمـــا أن تـــولـى صحبـــه

١٧٧٧ - مع ستـة كـــانـــوا أصيبـــوا فيـــه
بـــالقتـل أيضـــا من بنـي أبيـــه

١٧٧٨ - وتسعـــــة لعمـــــه العقيـل
لهفـي لـــذلك الـــدم المطلـــول

١٧٧٩ - وأقبلـــوا بـــرأســـه مـع نسـوتـــه
ومـع بنيـــه ونســـاء إخـــوتـــه

١٧٨٠ - حـــواســـرا يبكينـــه سبـــايـــا
علـى جمـــال فـــوقهـــا الـــولايـــا

١٧٨١ - ووجهـــوا بهم علـى البـــريـــد
حتـى أتـــوا بهم إلـى يـــزيـــد

١٧٨٢ - فكيف لـم يمت علـى المكـــان
مـن كـــان فـي شـيء مـن الإيمـــان

١٧٨٣ - أم كيف لا تهمـي العيـون بـالـدم
ولـم يـــذب فـــؤاد كـل مسلم

١٧٨٤ - وقـــد بكتـــه أفق السمـــاء
فـأمطـــرت قطـــرا مـن الـــدمـــاء

١٧٨٥ - وحـــزن البـــدر لـــه فـــانكسفـــا
ونـــاحـت الجن عليـــه أسفـــا

١٧٨٦ - فيـــا لتسكـــاب دمـــوع عينـي
إذا ذكـــرت مصـــرع الحسين

(الأرجوزة المختارة / ١٨٠ - ١٨٤) .

وفيما يلى شرح بعض الألفاظ

البيت ١٧٥١ : قاصى : قصا المكان يقصو قُصُوًّا : بعد فهو قصى .

البيت ١٧٥٢ : ترمقه : رمق : رمقه يرمقه رمقا : نظر إليه ، ورمقته ببصرى ورامقته إذا أتبعته بصرك تتعهده وتنظر إليه وترقبه .

البيت : ١٧٥٤ : أشياعه : شيعه ، الجمع شيع وأشياع .

البيت ١٧٥٧ : البيض : الأبيض : السيف والجمع البيض .

الدلاص : اللين البراق . يقال : درع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع لفظ واحد .

البيت ١٧٦٣ : الهجير : الهاجرة ، والهاجرة : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يسكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا ، وشدة الحر والجمع هواجر .

البيت ١٧٦٥ : تلغ ، لغينا : ولغ الكلب فى الإناء يلغ ولوغا أى شرب ما فيه بأطراف لسانه .

البيت ١٧٦٨ : تهمى : همى الماء والدمع يهمى هميًا وهميانا : سال . ساجمة : سَجم الدمع سُجوما وسجاما : قطر .

البيت ١٧٧٥ : تقحُّما : قحم فى الأمر قحوما : رمى بنفسه فيه من غير روية وتقحيم النفس فى الشىء : إدخالها فيه من غير روية .

البيت ١٧٧٧ : مع ستة كانوا أصيبوا فيه : هم عباس وعثمان وجعفر وعبد الله أمهم أمن البنين ، وأبو بكر بن على أمه ليلى بنت مسعود ، ومحمد الأصغر بن على أمه أم ولد .

البيت ١٧٧٨ : وتسعة لعمه العقيل : هم مسلم وعبد الرحمن وعبد الله ، وجعفر وعبد الله بن مسلم ومحمد بن مسلم .

قالت المؤلفة : لم يذكر الشارح سوى ستة كما أنه لم يرد فى عمدة الطالب (٣٢ - ٣٥) شىء عن ذلك .

البيت ١٧٧٨ : الدم المطلول : أطل دمه وطله الله وأطله أهدره ، وطل دمه فهو مطلول .

البيت ١٧٨٠ : حواسرا : الحاسر من لا مِغفر له ولا درع ولا جُنة له .

البيت ١٧٨٦ : فيا لتسكاب دموع عينى : سكبت الماء سكبا أى صببته . وماء مسكوب أى يجرى على وجه الأرض من غير حفر . وسكب الماء بنفسه سكوبا وتسكابا (الأرجوزة المختارة / ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة لابن العديم - حققه وقدم له د. سهيل زكار / ٢١ ، ٧٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ونور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشبلنجى . ط دار الغد العربى / ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٣ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٩٠ ، واستشهاد الحسين للإمام الحافظ ابن كثير / ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٣٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى ١ / ١٦٣ ، ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٥٥ ، وأهل البيت فى مصر - الشيخ عبد الحفيظ فرغلى / ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ومكارم الأخلاق للحافظ ابن أبى الدنيا - تحقيق ا وتعليق مجدى السيد إبراهيم / ١٣٨ ، ١٣٩ ، منهل الصفا فى تحقيق الوفا والود لآل بيت المصطفى - السيد محمود أبو الفيض المنوفى / ٦٥ ، ٦٦ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى ٢٨٩ ، ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ٢٨٧ ، وعمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب لابن عنبة / ١٩١ ، والفخرى فى الآداب السلطانيه والدول الإسلامية لمحمد بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى - راجعها ونقحها محمد عوض بك إبراهيم والأستاذ الشيخ على الجارم / ١٠٦ ، ١٠٧ ، والتذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى - حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٦٥٦ - ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ومختصر تذكرة القرطبى للقطب الصمدانى الإمام الشعرانى / ٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ودرر السمط فى خبر السبط لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار - تحقيق د. عز الدين موسى ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، وتاريخ المساجد الأثرية حسن عبد الوهاب / ٧٩ - ٨٣ ، ورأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبوع فى كتاب استشهاد الحسين للإمام الحافظ ابن كثير - تقديم د. محمد جميل غازى/ ١٥٣ ، والأرجوزه المختارة للقاضى النعمان -

تحقيق إسماعيل قربان حسين يوناوالا / ١٨٠ - ١٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ . انظر أيضا الحسن والحسين - أحمد الشهاوى سعد شرف الدين . مطبعة التأليف ١٩٧٨ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية - د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٥٩ - ١٦١)

انظر : آل البيت ، أدب بكاء آل البيت ، التوابون ، الحسينى (المشهد - بالقاهرة) ، الحسين (المشهد - بكربلاء) .

*** أبو الحسن بن هند الفارسى :**

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسين على بن هند الفارسى القرشى . من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم . صحب جعفرا الحذاء ، ومن فوقه من المشايخ بفارس ، وصحب أيضا الجنيد وعمر المكى ، ومن فى طبقتهم . وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية .

ومن كلامه :

- ليس حكم ما وصفنا حكم ما نازلنا .

- المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الآفات ، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شىء من أمور دينه ودنياه ، بل يجرى فى أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة ، يأخذ أشياء من معدنها ، ويضعها فى معدنها .

- استرح مع الله ، ولا تسترح عن الله ، فإن من استراح مع الله نجا ، ومن استراح عن الله هلك . والاستراحة مع الله تروّح القلب بذكره ، والاستراحة عن الله مداومة الغفلة .

- أصول الخيرات أربعة : السخاء ، والتواضع ، والنسك ، وحسن الخلق .

- أصل كل خير ملازمة الأدب فى جميع الأحوال والأعمال .

- عمارة القلب فى أربعة أشياء : فى العلم ، والتقوى ، والطاعة ، وذكر الله . وخرابه من أربعة أشياء : فى الجهل ، والمعصية ، والاغترار ، وطول الغفلة .

- دم على الصفاء إن كنت تطمع فى الوفاء .

- الاستقامة تقوّم العبيد فى أحوالهم ، لا الأحوال تقوّمهم .

- من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر ، أوقع حرمته فى قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوبهم ، فلا تراه إلا ممقوتا ، وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله لأن النبى ﷺ قال : « من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » .

- حسن الخلق على معان ثلاثة : مع الله بترك الشكوى ، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس ، ومع الخلق بالبر والحلم .

- القلوب أوعية وظروف ، وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات : فقلوب الأولياء أوعية المعرفة ، وقلوب العارفين أوعية المحبة ، وقلوب المحبين أوعية الشوق ، وأوعية المشتاقين أوعية الأنس . ولكل من هذه الأحوال آداب ، من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة .

- اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال ، فإنه ملجأ الكل ، فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى - يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٩٧ ، ٩٨) .

*** الحسين (حىّ -) :**

سمى كذلك نسبة لوجود مسجد الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو يبعد عن الجامع الأزهر بخطوات قليلة حيث لا يفصلهما سوى ميدان واسع .

وأهم مميزات الحى وآثاره الهامة :

- شارع الموسكى ، وهو شارع تجارى كبير جدا - مواز لشارع الأزهر ، وعلى جانبيه محال ودكاكين حتى ميدان العتبة - حى خان الخليلى ... يوجد بين ميدان العتبة وشارع المعز وشارع الموسكى وهذا المكان كان عبارة عن مقابر للفاطميين ، تسمى « جبانة الزعفرانة » ، وأمر السلطان «برقوق» بنقل المقابر إلى مكان آخر ... ونفذ الأمر الأمير «الخليلى » الذى بنى لنفسه بيتا ليبيت فيه التجار والمسافرون فسمى الحى باسمه .

ومن أهم آثاره : المسافرخانة ، وكان فى الأصل فندقا ثم أصبح مرسما للفنانين ، وبه غرف كثيرة على الطراز الإسلامى وبه مشربيات وأبواب وشبابيك ، وبنى السلطان الغورى «خان

الخليلى » من جديد ، واشتهر خان الخليلى ببيع التحف المصرية الجميلة فرعونية كانت أو عربية ، وتشتهر بأنها مطعمة بالصدف والمشغولات النحاسية والمسابح والفضيات والملابس وهى منطقة جذب سياحى . ورغم ضيق شوارعها وحواريها إلا أنها تزخر بمحلات بيع التحف الثمينة الغالية والنادرة .

ــ أهم آثار الحى ... هو مسجد سيدنا الحسين الذى يحيط به ثلاثة شوارع وميدان الحسين . ولقد استشهد سيدنا الحسين فى معركة كربلاء بالعراق ، وله مسجد هناك ، وجاء رأسه الشريف للقاهرة ليدفن بالمسجد ، وهو مسجد رائع وجميل وآية من آيات الروعة والجمال ويضم المسجد بعض الآثار النبوية . والمسجد تم تجديده فى عهد الفاطميين ولم يعد باقيا من المسجد القديم سوى الباب الأخضر .

(موسوعة محافظات ـ مصر القاهرة والجيزة جمهورية مصر العربية . وزارة الإعلام . الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٨ / ١٦) .

انظر : الأزهر (حى ـ) ، الحسين بن على رضى الله عنه .

*** أبو الحسن الصوفى (٢٩١ - ٣٧٦ هـ / ٩٠٣ - ٩٨٦ م) :**

قال عنه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله :

هو أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفى الرازى

كان الصوفى من أفاضل المنجمين ، ومصنفى الكتب الجليلة فى الفلك ولد « بالرى » سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ، وتوفى سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م .

اتصل « بعضد الدولة » من سلاطين الدولة البويهية ، وكان محل احترامه وإجلاله وتقديره .

« وكان عضد الدولة إذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول : معلمى فى النحو ؛ « أبو على الفارسى الفسوى » ، ومعلمى فى حل الزيج ؛ « الشريف بن الأعلم » ، ومعلمى فى الكواكب الثابتة وأماكنها وسيرها ؛ « الصوفى » ... » (ابن القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء / ١٥٢) واعترف « للصوفى » « ابن النديم » و « ابن القفطى » وغيرهما .

وقال ابن العبرى المؤرخ : « كان الصوفى فاضلا نبيها نبيلا » ، كما اعترف علماء الإفرنج بقيمة مؤلفاته فى الفلك ، ودقة وصفه لنجوم السماء مما يساعد على فهم التطورات التى تطرأ على النجوم .

وقد قال « سارطون » . ــ « إن الصوفى من أعظم فلكى الإسلام » (« سارطون » : مقدمة لتاريخ العلم مجلد ١ / ٦٦٥) .

« كتاب الكواكب الثابتة (مصورا) » (انظر الصورة المصاحبة لهذه المادة) « كتاب الأرجوزة فى الكواكب الثابتة (مصورا) » .

« كتاب التذكرة » .

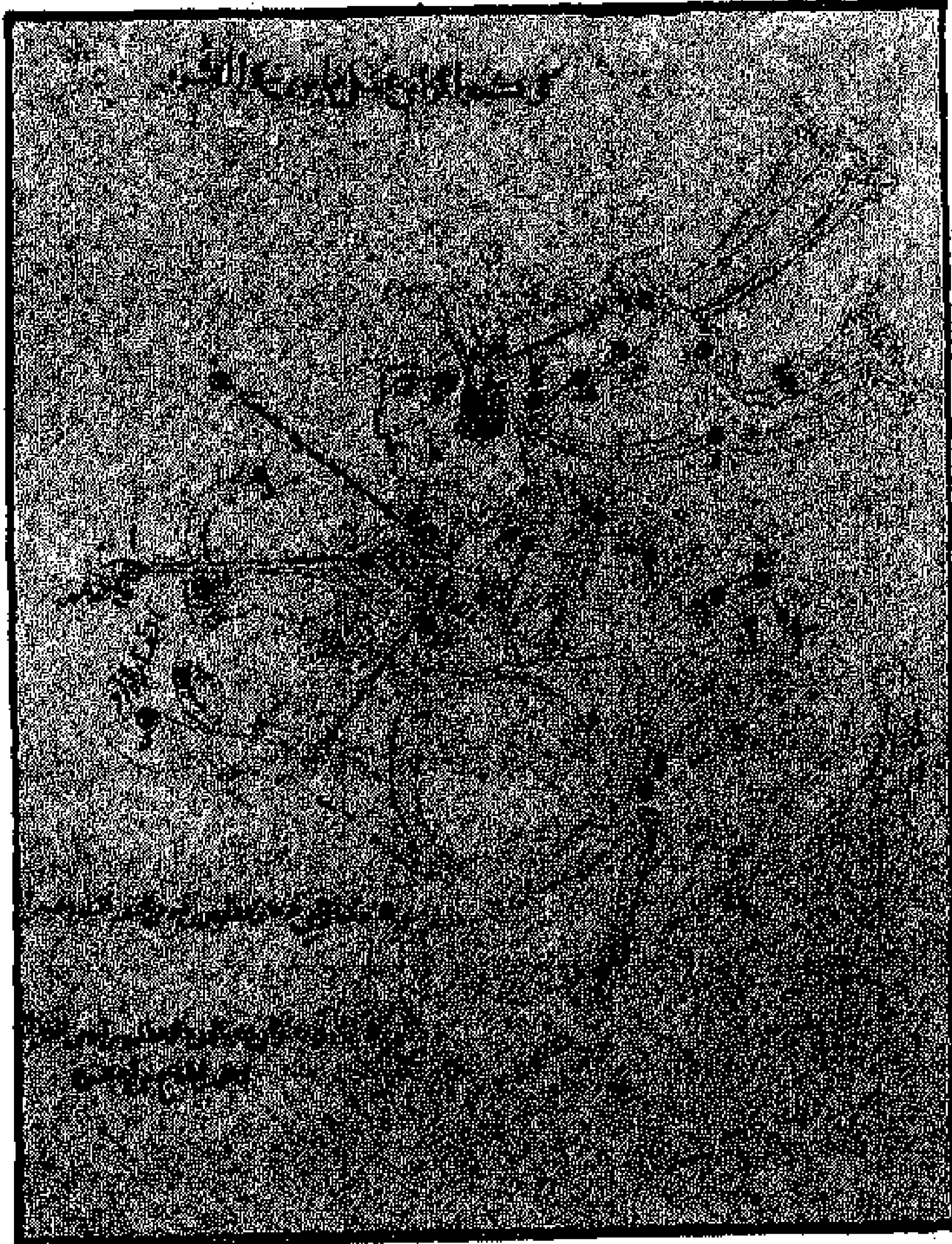
« كتاب مطارح الشعاعات » .

وفى مكتبات أوربا والأسكوريال ، وباريس ، وأكسفورد وكوبنهاجن ، وبطرسبورج نسخ من بعض هذه المؤلفات .

وفى سنة ١٨٧٤ م نشر « شيلرب » الفلكى الدينماركى . ترجمة فرنسية لكتابين عربيين من كتب « الصوفى » :

أحدهما : فى المكتبة الملكية « بكوبنهاجن » ، والثانى : فى « بطرسبورغ » وقد نشر « ألاردغور » فى إحدى المجلات الإنكليزية ، مقالا عن « كتاب الصوفى فى الكواكب الثابتة » جاء فيه :

« إن الصوفى « بنى كتابه على كتاب بطلميوس ـ المجسطى » وأنه لم يكتف بمتابعته ، بل رصد « الصوفى »



النجوم جميعا نجما نجما ، وعين أماكنها وأقدارها بدقة تثير إعجابه .

وقد اكتفى عند البحث فى أماكنها بإصلاحها بالنسبة إلى مبادرة الاعتداليين ، واعتمد فى الأقدار على رصده ، وهو يذكر قدر الكواكب بحسب « بطلميوس » ، إذا كان مخالفا للقدر الذى ظهر له ، ومن هنا كان - ولا يزال - لكتابه فائدة عظمى فى الاستدلال على تفسير أقدار النجوم من عصر «بطلميوس » أو « هبرخس » ، إلى عصر « الصوفى » ثم إلى العصر الحاضر ، ولم يكتف « الصوفى » بذلك كله ، بل قابل بين أقدار بعض الكواكب .

ويقول « ألاردغور » : وأكثر الأقدار التى أوردها «الصوفى» ، مثل أقدارها المعتمد عليها الآن فى أزياج «أجلندر » و « هيس » ، ولو خالفت أقدار « المجسطى » .

ومما تمتاز به أرصاد « الصوفى » : أنه لم يذكر لون الشعرى العبور مع أن « بطلميوس » و « هبرخس » قالا : إن لونها ضارب إلى الحمرة ، فكأن احمرارها كان قد زال فى أيامه ، وصار لونها كما هو الآن .

وقد بين الأستاذ « سى » الفلكى : أن لون الشعرى كان أحمر فى الأزمنة الغابرة ، وقال « سنكا » : إنها كانت أشد حمرة من المريخ .

ويتابع المستر « ألاردغور » مقاله ، فيقول : بأن «الصوفى» يقول إن لون الغول أحمر ، وهو الآن أبيض . ولذلك فلونه أو لون تابعه قد تغير عن عصر « الصوفى » إلى الآن . وذكر السديم الذى بالمرأة المسلسلة ، ولم يذكره أد فى أوربا قبل سنة ١٦١٢ م ، حين ذكره « سمعان ماريوس » . أما « الصوفى » فيذكره كشىء مشاهد فى عصره .

وتكلم « الصوفى » عن مبادرة الاعتداليين فقال : إن «بطلميوس » وأسلافه راقبوا حركة دائرة البروج فوجدوها درجة كل مئة سنة . أما هو فوجدها درجة كل ٦٦ سنة . وهى الآن درجة كل ٧١ سنة ونصف سنة .

وعلل استخدام منجمى العرب لمنازل القمر باعتمادهم على الشهر القمرى ، وقال : إن كثيرين يحسبون عدد النجوم الثابتة ١٠٢٥ ، والحقيقة أن عدد النجوم الظاهرة أكثر من ذلك ، والنجوم الخفية أكثر من أن تحصى ، وعد ١٠٢٢ من النجوم ، ٣٦٠ منها فى الصور الشمالية ، و٣٤٦ فى دائرة البروج ، و ٣١٦ فى الصور الجنوبية .

وأخيرا يقول « ألاردغور » : إن كتاب « الصوفى » أصح من كتاب « بطلميوس » ، وزيجه أصح زيج وصل إلينا من كتب القدماء (المقتطف م ٣٣/ ٦٠) .

ويقول « سارطون » : (مقدمة لتاريخ العلم ١ / ٦٦٦) إن كتاب « الصوفى » فى الكواكب الثابتة ، أحد الكتب الرئيسية الثلاثة التى اشتهرت فى علم الفلك عند المسلمين . أما الكتابان الآخران ، فأحدهما : « لابن يونس » ، والآخر : «لألغ بك » .

ويمتاز « كتاب الكواكب الثابتة » فى رسومه الملونة للأبراج وبقية الصور السماوية ، وقد مثلها على هيئة الأناسى والحيوانات . فمنها : ما هو بصورة كهل فى يده اليسرى قضيب أو صولجان ، وعلى رأسه قلنسوة وعمامة فوقها تاج .

ومنها : ما هو على صورة رجل فى يده اليمنى عصا ، أو رجل مد يديه ؛ إحداهما إلى مجموعة من الجمع ، والثانية : إلى مجموعة أخرى .

ومنها أيضا : ما هو على صورة امرأة جالسة على كرسى له قائمة كقائمة المنبر .

وكذلك منها : ما هو على صورة دب صغير قائم الذنب ، أو صورة الأسد ، أو الظباء ، أو التنين ، وغير ذلك مما يطول الكلام فيه .

ومن رغب فى الاستزادة ، فليرجع إلى الفصل الأخير من كتاب « بسائط علم الفلك للدكتور يعقوب صروف » وفيه بحث مفصل عن وصف صور السماء ، مأخوذة عن نسخة من « كتاب الصوفى » وغيره ، محفوظة بدار الكتب المصرية فى القاهرة .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٢٢٣ - ٢٢٦ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٣ / ٣١٩) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة هى صورة

مخطوط كتاب « الكواكب الثابتة » ، وهو من أقدم المخطوطات الإسلامية التى بقيت حتى اليوم . وقد نسخ المخطوط ورسم صوره فى سنة ١٠٠٩ - ١٠١٠ م رجل يقال إنه ابن المؤلف ، ونرى فيه « كوكبة الرامى » يمثلها « قنطور » وهو كائن خرافى نصفه رجل ونصفه فرس ، يمسك بيده قوسا مزدوجا (أو قوسا آسيويا) كما يكون محفورا أو مرسوما على سطح الكرة السماوية .

*** حسين المدنى (١٨٧٩ - ١٩٥٧ م) :**

مولانا حسين أحمد المدنى ، أحد زعماء الهند البارزين فى السياسة والدين معا وكان صاحب صوت مسموع وكلمة مطاعة فى الشئون السياسية والدينية على السواء فى شبه القارة الهندية ...

كان شيخا للحديث فى مدرسة دار العلوم بديوبند ، وهى مدرسة أنشأها جلة من علماء الهند المسلمين أمثال الشيخ محمد قاسم النانتوى والشيخ رشيد أحمد الكنوكوهى والشيخ أمداد الله ، وهؤلاء وأمثالهم هم الأساتذة الذين تخرج على أيديهم مولانا حسين المدنى وغيره من عظماء العلماء الهنود أمثال الشيخ محمود الحسن والشيخ محمد أشرف .

كان يرى أن الدين واستقلال الوطن وعزته - فى نظر الإسلام - مرتبط بعضه ببعض ولا يجوز لمسلم أن يسكت على الاحتلال الأجنبى لبلاده ، وينعزل عن الحركة الوطنية .

كانت آراؤه الثورية التحررية ، سببا فى اضطهاده ، ثم فى سجنه ونفيه ، وقد اعتقل منفيا فى مالطة ثلاث سنوات ...

رأس جمعية علماء الهند ، إلى جانب منصب شيخ الحديث فى دار العلوم .

يقول عنه بعض مؤرخيه :

« تعتبر حياة العالم الوطنى الفذ الشيخ حسين المدنى نموذجا حيا للعالم الفاهم الذى يعرف مكانته ورسالته ، ويدرك حق ربه وحق وطنه وأمته من كافة النواحى الروحية والتعليمية والسياسية والوطنية .

لقد كانت حياته جهادا موصولا وكفاحا دائما وأسوة حسنة لمن يريد أن يعرف الطريق إلى خدمة الدين والوطن والناس ...

كان ميلاده فى السادس من أكتوبر سنة ١٨٧٩ وكانت وفاته فى الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٧ فى منزله بجوار مدرسة دار العلوم بديوبند حيث دفن قريبا من المعهد الذى شع منه نوره على المسلمين فى الهند .

رحمه الله ورضى عنه ...

(« مولانا حسين أحمد المدنى » - العوضى الوكيل . الوعى الإسلامى . السنة الخامسة . العدد ٥٨ شوال ١٣٨٩ هـ - ١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ م / ١٠٠) .

*** حسين المرصفى (- ١٣٠٧ هـ / - ١٨٨٩ م) :**

حسين بن أحمد بن حسين المرصفى ، أديب محاضر أزهرى مصرى ، ضرير . تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذا للأدب العربى وتاريخه فى دار العلوم بالقاهرة سنة ١٢٨٨ هـ . وتعلم اللغة الفرنسية . له « الكلم الثمان » فى الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والتربية ، و « زهرة الرسائل » ، و « دليل المسترشد ، فى فن الإنشاء » ثلاثة أجزاء ، و « الوسيلة الأدبية فى العلوم العربية » مجلدان ، وهو مجموع محاضراته فى دار العلوم .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى من كتاب الوسيلة الأدبية - حققها وقدم لها الدكتور عبد العزيز الدسوقى ، طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢ ، ويقع فى جزءين .

نسبته إلى مرصفى (من قرى القليوبية بمصر) ولمحمد عبد الجواد كتاب « الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول للعلوم الأدبيه بدار العلوم » مطبوع ، جاء فيه وصف «دليل المسترشد » (الأعلام ٢ / ٢٣٢) .

قالت المؤلفة : للدكتور عبد العزيز الدسوقى كتاب «حسين المرصفى » سلسلة نقاد الأدب (٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ ، وهو عندى .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٣٢ عن آداب شيخو ٢ / ٨٠ وأعلام من الشرق والغرب / ٦٧ - ٨١ ، وعصر إسماعيل لعبد الرحمن الرافعى / ٢٦٩ ومعجم المطبوعات/ ١٧٣٥ ، وقد أدرجه تحت اسم « المرصفى »)

*** أبو الحسين الوراق النيسابورى (ـ قبل ٣٢٠ هـ) :**

من الطبقة الثالثة للصوفية ، وهو أبو الحسين محمد بن سعد الوراق ، وهو من كبار مشايخ نيسابور، ومن قدماء أصحاب أبى عثمان ، وله كلام على سنن كلام أبى عثمان . وكان عالما بعلوم الظاهر ، ويتكلم فى دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال .

مات قبل العشرين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

ـ الكرم فى العفو ألا تذكر جناية صاحبك بعد أن عفوت عنه .

ـ اللئيم لا يوفق فى ذكرى الحى الذى لا يموت ، والعيش الهنئ مع الله لا غير .

ـ لا يصل العبد إلى الله إلا بالله ، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم فى شرائعه ، ومن جعل الطريق إلى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد ، ومن وصل اتصل، وما رجع من رجع من الطريق إلا من الإشفاق على النفس وطلب الراحة ، لأن الطريق إلى الله صعب لمن لم يدخل فيه بوجد غالب وشوق مزعج ، فيهون عليه إذ ذاك حمل الأثقال ، وركوب الأهوال ، فإذا انقادت له النفس على ذلك ، وهان عليه ما يلقى فى طلب المحبوب سهل الله عليه سبيل الوصول .

ـ أجل شىء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى . فإن منه يتشعب جميع الخيرات ، وأسباب القربة والتقرب ، وأصل التقوى والإخلاص ، وحقيقته التخلى عن كل شىء إلا ممن إليه تقواك .

ـ الصدق استقامة الطريق فى الدين ، واتباع السنة فى الشرع .

ـ الشهوة أغلب سلطان على النفس ، ولا يزيلها إلا الخوف المزعج .

ـ اليقين ثمرة التوحيد ، فمن صفا فى التوحيد صفا له اليقين .

ـ من لم يفن عن نفسه وسره ورؤية الخلق لا يحيا سره لمشاهدة الخيرات والمنن .

ـ مخافة خوف القطيعة أذبلت نفوس المحبين ، وأحرقت أكباد العارفين ، وأسهرت ليل العابدين ، وأظمأت نهار الزاهدين ، وأكثرت بكاء التائبين ، ونغصت حياة الخائفين .

ـ التوكل استواء الحال عند العدم والوجود ، وسكون النفس عند مجارى المقدور .

ـ علامة محبة الله تعالى متابعة حبيبه ﷺ .

ـ أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثانى الوفاء ، والثالث الشكر ، والرابع الصبر ، والخامس الرضا .

ـ فى رؤية النفس نسيان منن الله تعالى عليك .

ـ أنفع العلم العلم بأمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، وأعلى العلوم العلم بالله وصفاته وأسمائه .

ـ الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة إليهم حمق ، والسكون إليهم عجز ، والاعتماد عليهم وهن ، والثقة بهم ضياع . وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره ، وتوكله عليه ، وصان سره عن النظر إليهم ، وظاهره عن الاعتماد عليهم .

ـ من غض بصره عن محرم أورثه الله تعالى بذلك حكمة على لسانه ، ينتفع بها سامعوه ، ومن غض بصره عن شبهة نور الله قلبه بنور يهتدى به إلى طرق مرضاته .

ـ من أسكن نفسه محبة شىء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ، ومن طمع فى شىء ذل ، وبذله هلك وقديما قيل :

أتطمع فى ليلى ، وتعلم أنما
يقطع أعناق الرجال المطامع ؟

ـ لا يصل العبد إلى شىء من التقوى وعليه بقية من الزهد والورع ، والتقوى مقرونة بالراحة قال الله تعالى ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾ [الطلاق : ٢] .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧١ ـ ٧٢) .

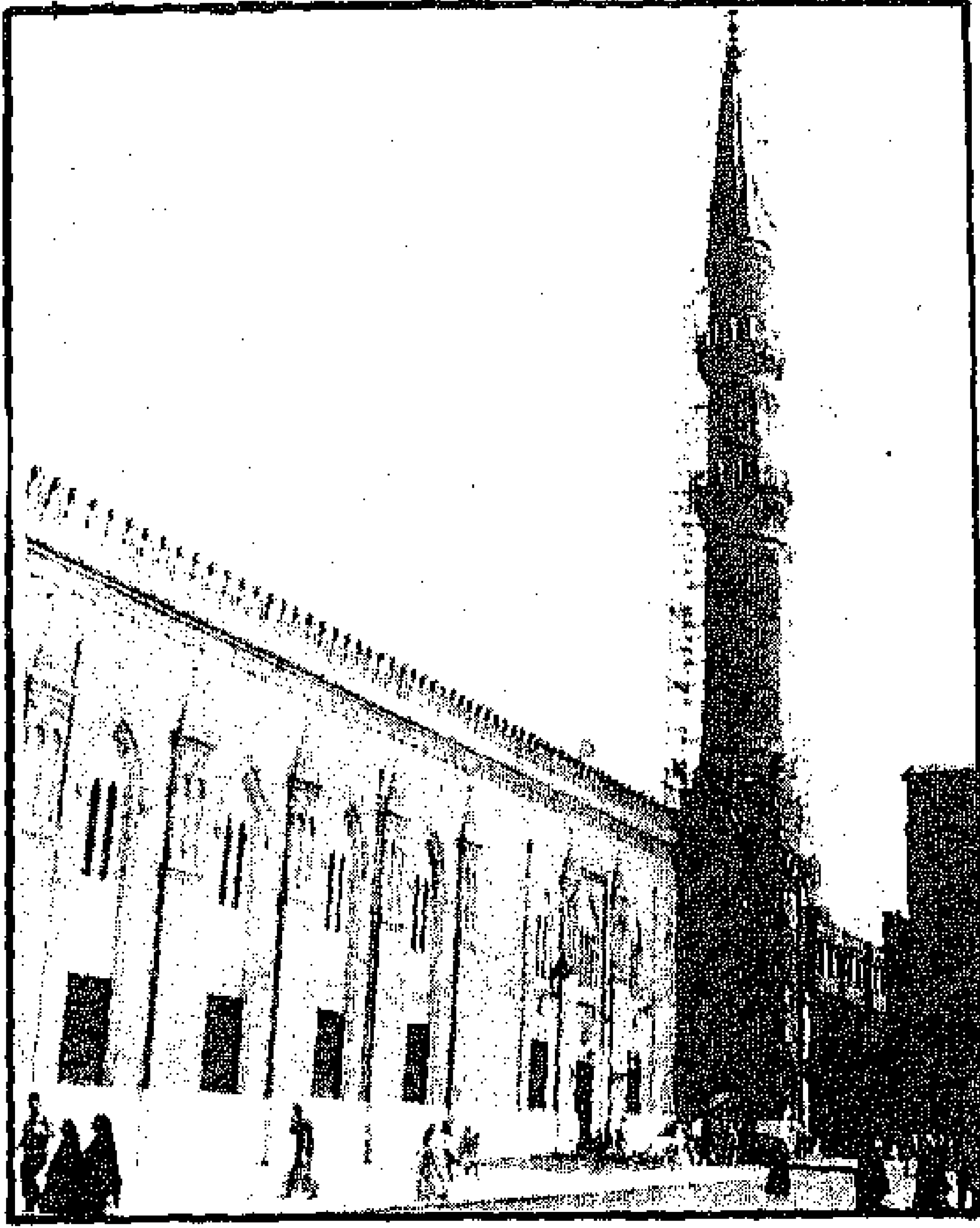
*** الحسينى (المشهد ـ بالقاهرة) (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) أثر ٢٨ :**

نبدأ الكلام على هذا المشهد الجليل بما أورده عنه على باشا مبارك صاحب الخطط التوفيقية ، ووصفه لما كان عليه المشهد فى زمانه ، مما يتيح لنا مقارنته بما كان عليه آنذاك ،

وما هـو عليه الآن بعد الترميم الأخير الـذى تم سنة ١٩٨٥ .

يقول على مبارك .

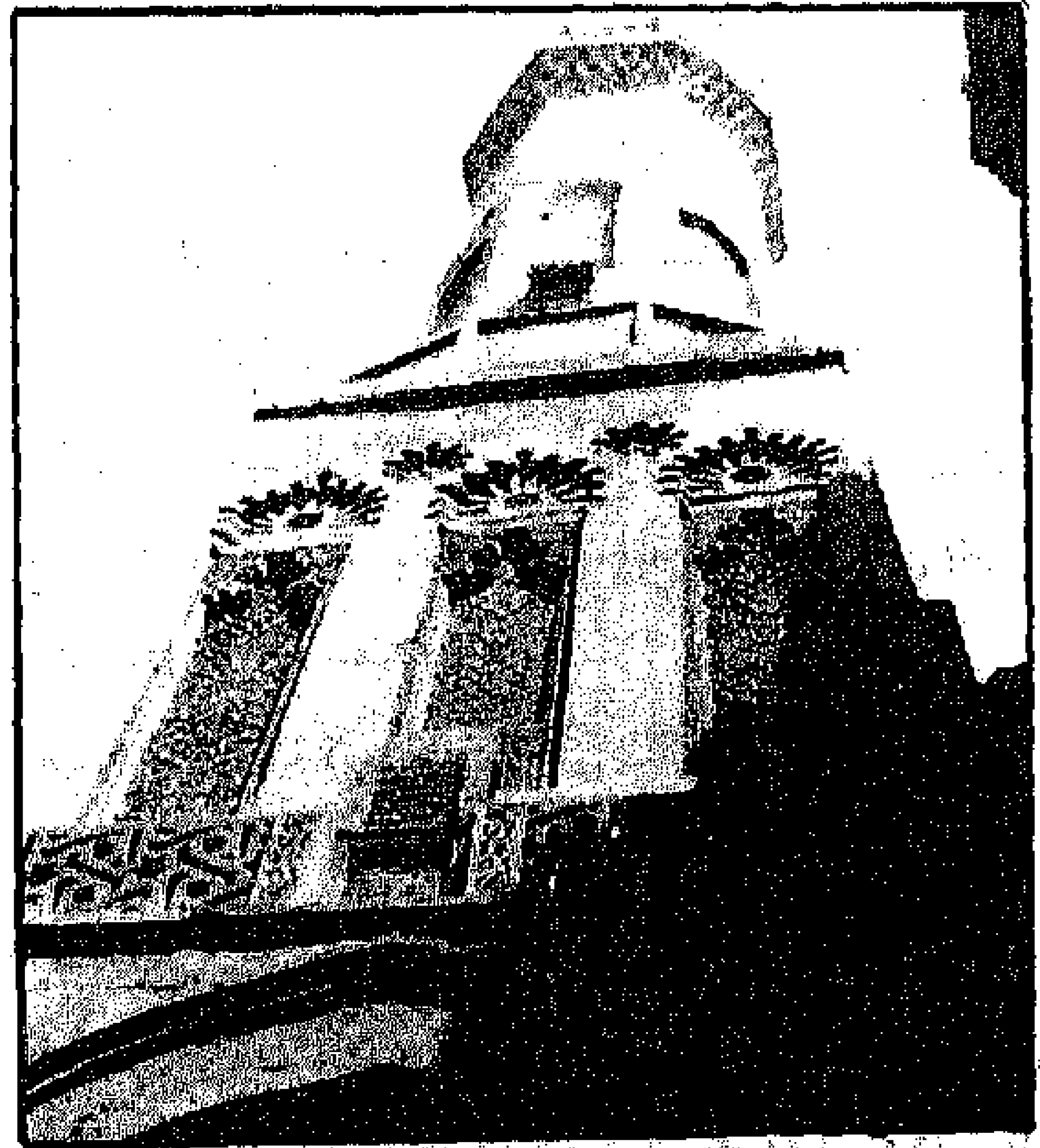
هذا الجامع فى ثُمْنِ الجمـالية ، بالقاهرة المعـزية ، قرب جـامع الأزهـر ، فيما بينـه وبين قصـر الشـوك ، بجوار خـان الخليلى. أنشىء حيث مشهد رأس الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى أنشأه لـه الفاطميون سنة تسع وأربعين وخمسمـائة على يـد الصـالـح طـلائع بن رزيك فى خلافة الفـائز بنصر الله ، وهو جامع كبير شهير عـامر ، مقام الشعائر من لدن إنشائه إلى اليوم بالأذان والجمعة والجماعات وتـلاوة القـرآن ودروس العلم الشـرعى والـزوار والأذكـار ليـلا ونهارا، ولا يـدانيه فى ذلك مشهـد فى سائر القطـر ، ولا يزال كذلك إن شـاء الله تعالى ، فهـو الحرم المصـرى ، والمشهد الحسينى ، المنفـرد بـالمـزايـا السنية ، والأنـوار الحسيـة والمعنـوية ، ولعظيم وقعـه ونفعـه ، وكثرة احتفـالـه وجمعـه ، وتعدد نفحاتـه ، وتزايد بركاته ، اعتنى الأكـابر والأمراء فى كل عصر بعمارته وزخرفته وتحليته ، وإعـلاء شأنه وفرشه بالفرش النفيسة ، وتنـويره بالشموع والـزيوت الطيبة فى قنـاديل البلور ونجفـاتـه ، ورتبـوا لـه فـوق الكفـايـة من الأئمـة والمـؤذنين



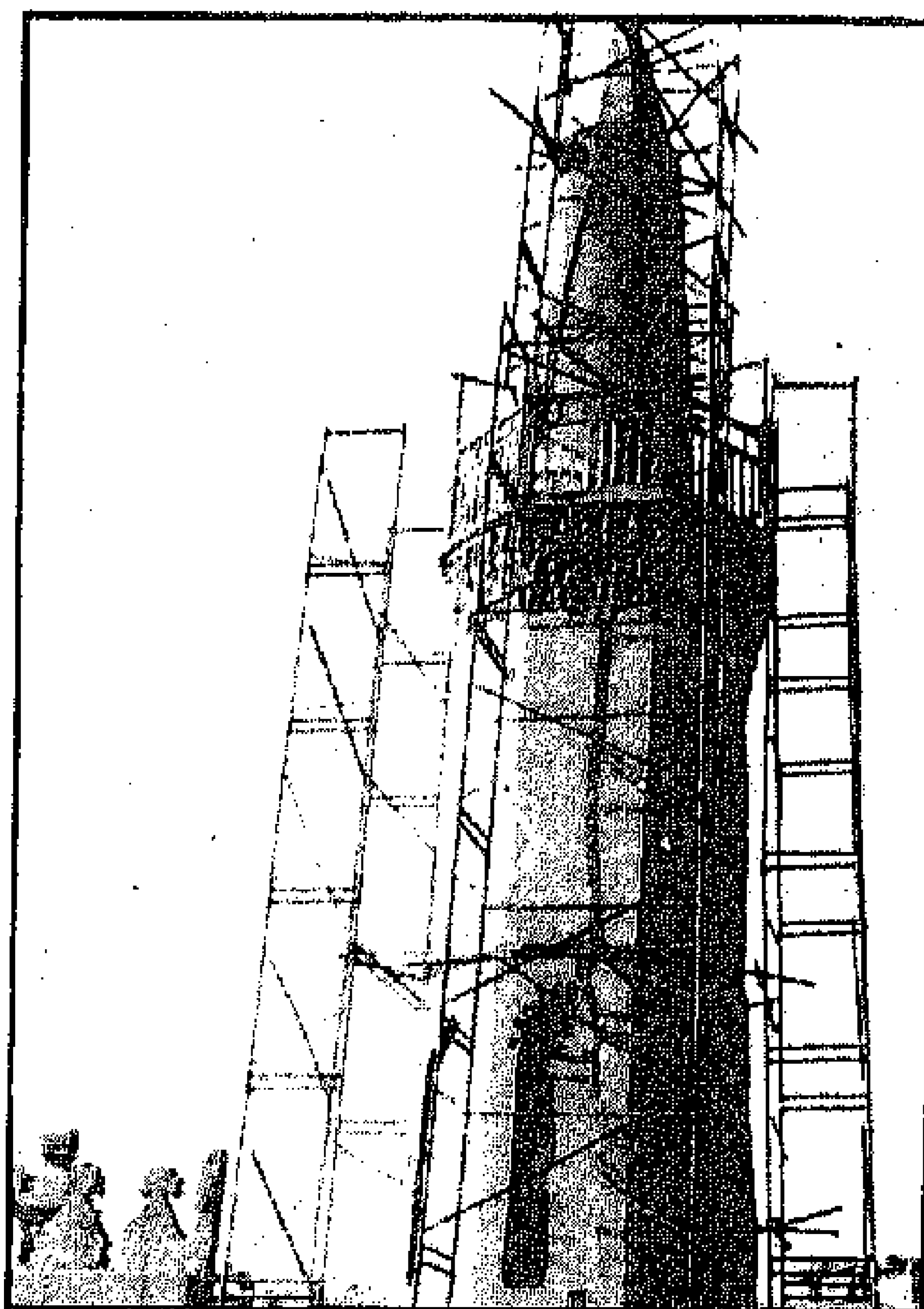
الواجهة الجنوبية الغربية للمسجد – أثناء الترميم .

والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين والوقادين والسقائين ونحـو ذلك ، وجعلوا للضـريح خـدمة تخصـه ، ورتبوا قـراء للقرآن والـدلائل والتوسلات ، ووقفـوا عليه أوقافـا جمة يبلغ إيرادها الآن نحو ألف جنيه فى السنة ، ولزيادة المحافظة على نظافته واحترامه ترى على كل باب من أبوابه جمعا من البوابين للغلق والفتح ، ولهم رفـوف من الخشب أو الجـريد يضعـون عليهـا نعال الـداخلين ، ويمنعـون الدخـول بأعـواد الدخـان ونحوها .

وآخر من عمـره قبل عمارة الخـديو إسماعيل هـذه الأمير عبد الـرحمن كتخدا فإنه فى سنـة خمس وسبعين ومائة وألف أجرى فيه عمـارة عظيمة وزاد فى تحسينة ورونقه ، وكـانت به عمد من الرخام الأبيض ، وكان فـى جانبه الأيمن إيوان كبير، وعن شمـال المحـراب ركبـة مـن البنـاء فيهـا قبـور لبعض الصالحيـن يعرف بعضهم بالأميـن ، وهناك قبر الشيـخ أحمد الملوانـى شيخ السادة المـالكية ، وكانـت حنفيته فى مكـانها اليوم ، وميضأته أقـل من عشر فى عشر ، ومرافقـه قليلة ، وله منارتان ، وصهريج فوقه سبيل . وكان المرحوم عباس باشا فى



المنارة القديمة أعلى الباب الأخضر

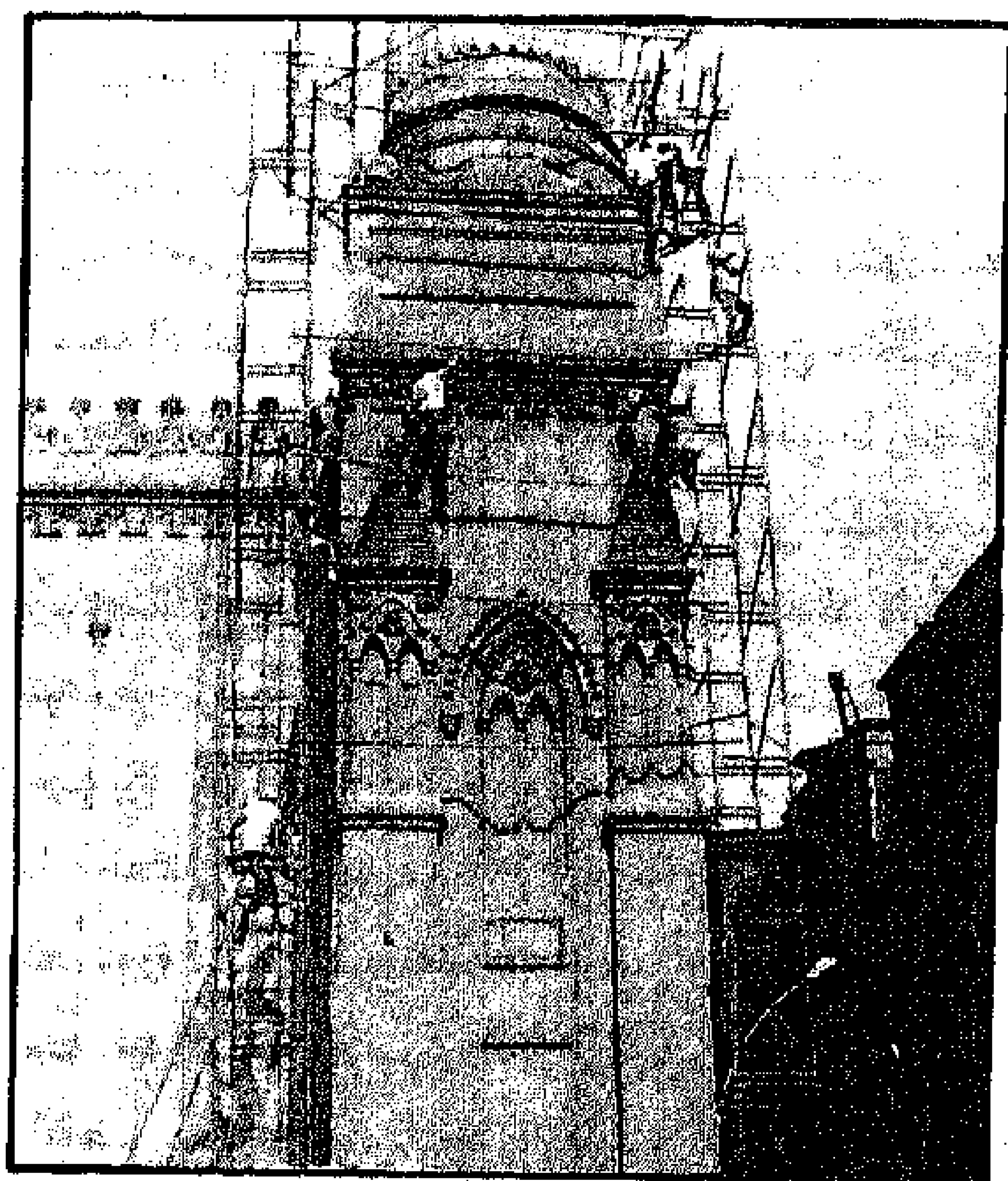


المئذنة القديمة - أثناء الترميم .

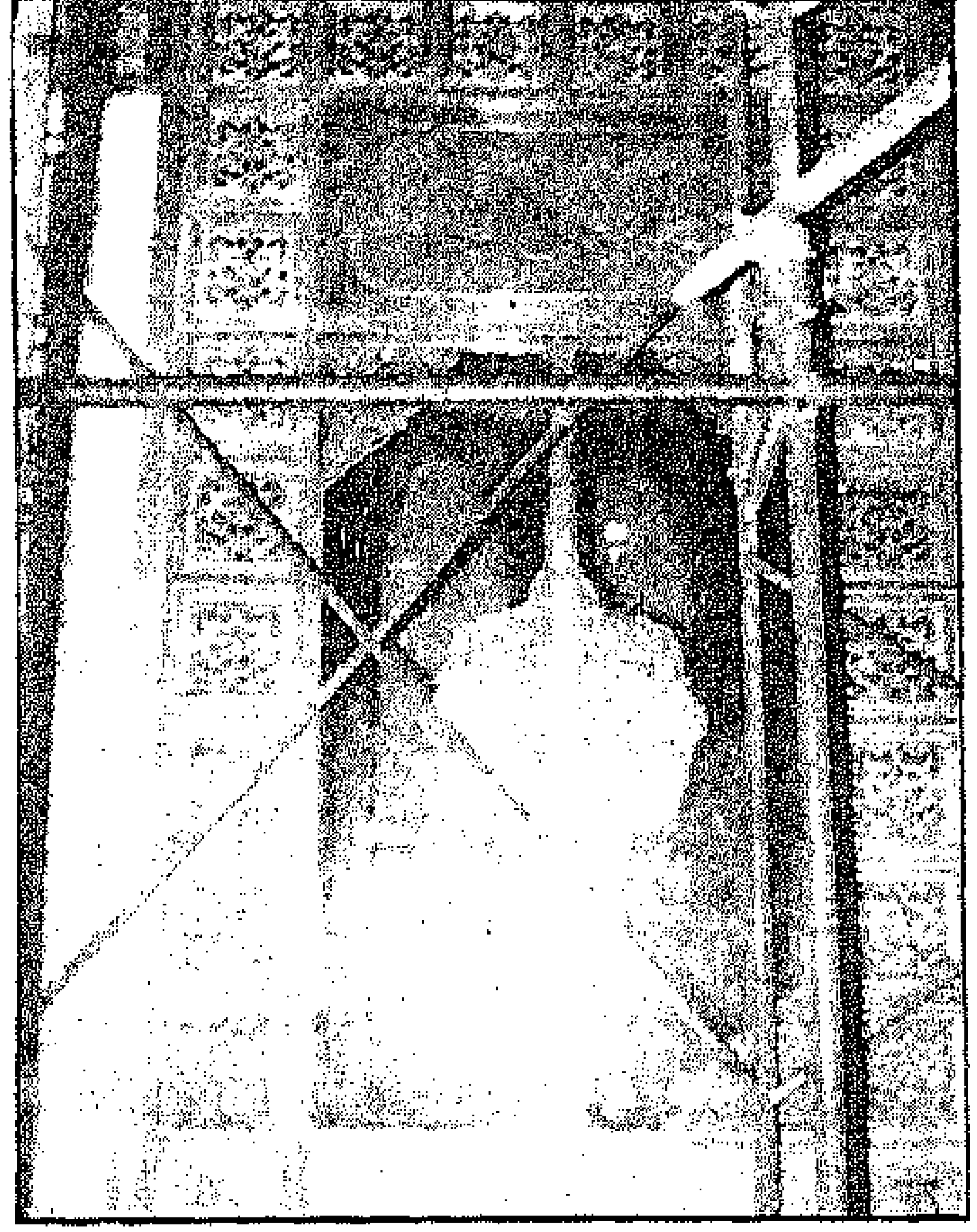
ولايته على ديار مصر قد عزم على توسعته والزيادة فى تحسينه ـ على عادته من الاعتناء بعمارة مشاهد أهل البيت ــ فاشترى الأملاك التى بجواره وهدمها وشرع فى البناء فوضع الأساس ، ثم اخترمته المنية فبطلت العمارة .

وبقيت الأرض براحا إلى أن اشتراها مصطفى بيك العنانى ، وعمرها لنفسه رباعا وفنادق للاستغلال ويقال إنه وجد بها كنزا عظيما خلف قبة المشهد الحسينى .

ولما أخذ الخديو إسماعيل باشا بزمام ولاية الديار المصرية سنة تسع وسبعين ومائتين وألف أمر بتجديده وتوسعته وتوسعة رحابه وطرقه ، لما رأى من أهميته وازدحام الناس عليه وضيقه بهم ، لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فج على العربات والخيل والبغال والحمير حتى تزدحم أبوابه وطرقه ، فيضر ذلك بالمارة خصوصا أزمان المواسم ، ففتح بجواره شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلول البرقية وندبنى لعمل رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن ، فبذلت الهمة فى ذلك وامتحنت الجامع وما حوله من الأماكن ، وعملت له الرسم اللائق بعظيم شأنه ، بحيث لو وضع عليه لكان مبرأ من العيوب ، مع الاتساع العظيم داخلا وخارجا ، إذ جعلته منفصلا من كل جهة عن المساكن بشوارع وميادين رحيبة وجعلت شكله قائم الزوايا ، وجعلت حدّه الأيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجداران واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ، ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع ، وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذى به محرابها بحيث يكون الجداران واحدا ، والحد الرابع الذى يلى خان الخليلى هو الذى له الآن ، وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن للجامع ـ أعنى فى محل الإيوان القديم بجوار عمارة العنانى ــ وتكون عن يمين ذلك المطهرة والأخلية / والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العنانى ، فيكون الجامع آمنا من انعكاس روائح الأخلية إليه كما هو الشأن فى وضع الأخلية ، وفى هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجا عن الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب ، داخلا فى الصحن فى جهته اليسرى ، وجعلت للضريح بابا إلى الجامع ، وبابا إلى الصحن ، وبابا على شارع الباب الأخضر لزيارة النساء ، وجعلت سعة الشارع فى غربيه وشرقيه نحو ثلاثين مترا ، وفى بحريه نحو أربعين ، فلما قدمته له وقع منه موقع الاستحسان



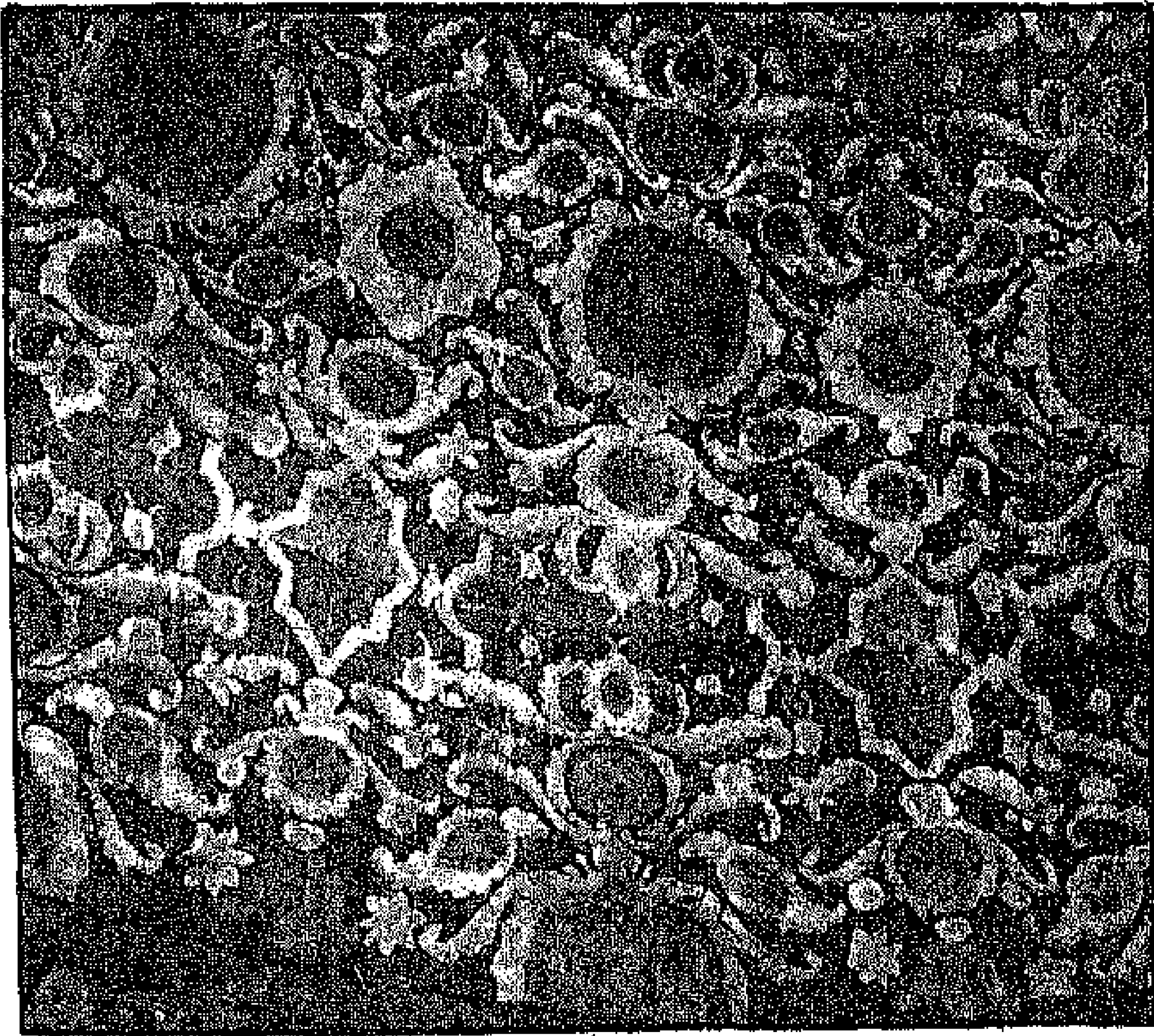
أعمال التنظيف الميكانيكى للمنارة الغربية .



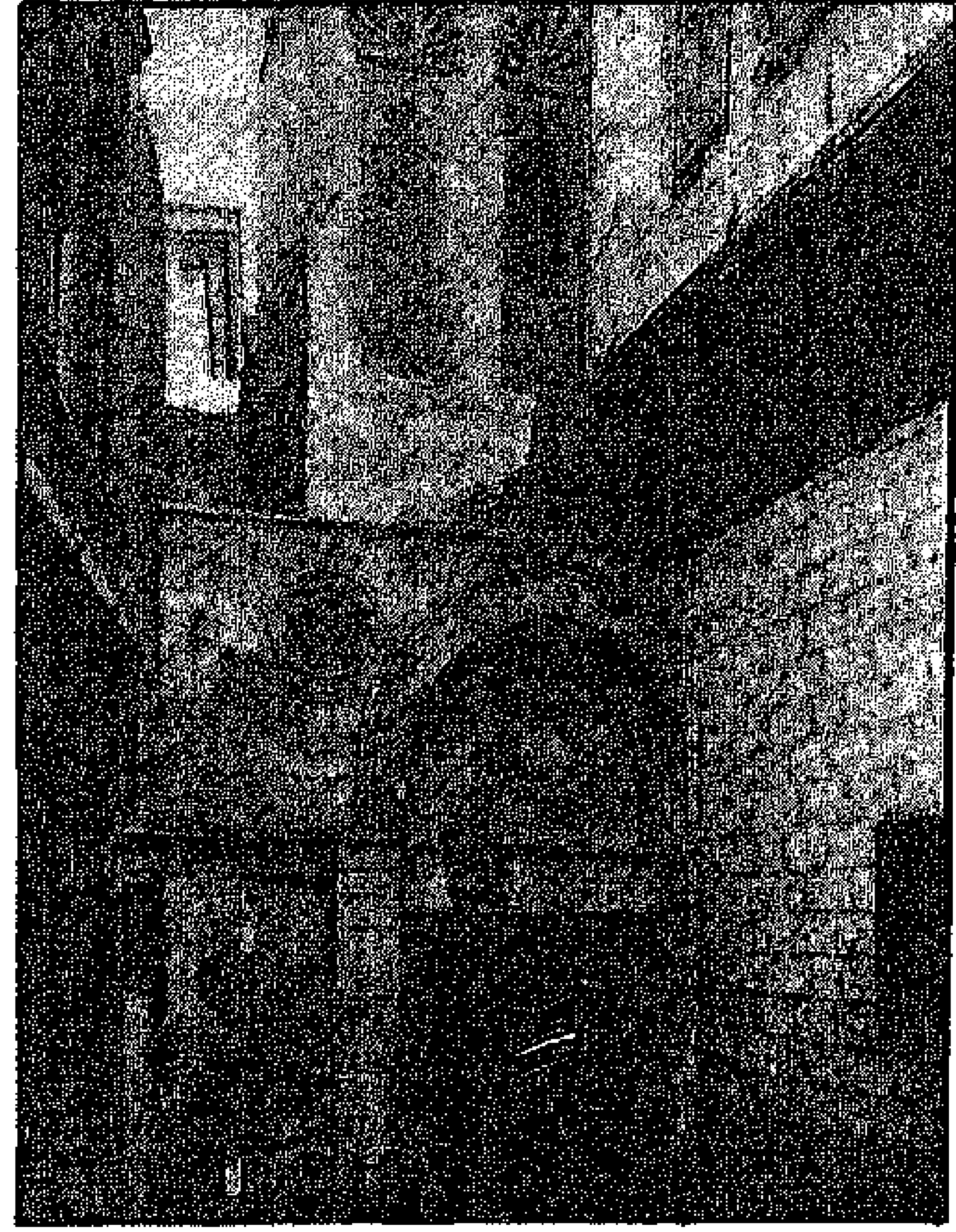
باب حجرة المخلفات النبوية الشريفة .

ورآه موافقا لمرامه ، فأحضر الأمير راتب باشا الكبير رحمه الله ـ وهو يومئذ ناظر ديوان الأوقاف المصرية ـ وأمره بإجراء العمارة على هذا الرسم ، والتزم زاده الله توفيقا بما يلزم له من الرخام ونحوه من ماله ، ثم شرعوا فى هدمه فهدم جميعه ما عدا القبة والضريح الشريف ، وشرعوا فى بنائه وذلك فى الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف . وفى ثمان وعشرين من شهر شعبان سنة تسعين تم جميعه إلا المنارة فتمت سنة خمس وتسعين ، لكن لم يجر المرحوم راتب باشا فى وضع هذا الجامع على ما رسمنا زاعما أن هذا الرسم يلزمه خروج بعض الجامع إلى الشارع ، مع أنه لا يلزم ذلك عند التأمل فى الرسم ، على أنه قد لا يكون مانع شرعا من توسعة الشارع من الجامع ، ففى حاشية العلامة ابن عابدين على الدر المختار فى باب الوقف والمعتمد الذى عليه المتون أنه يجوز عند الضرورة ، وتسقط حرمة المرور فيه للضرورة ، لكن لا يسقط عنه جميع أحكام المسجد ، فلا يجوز فيه المرور لجنب وحائض ودواب إلى آخر ما بينه فيه اهـ ملخصا . لكنه لم ير لتحسين الوضع أهمية ولا قانونا يرجع إليه ، بل اتبع آثاره القديمة وأقام جدرانه على أصولها تقريبا ، واعتمد على ما يخطر ببال المباشرين والمعمارية مع ما استحسنه من رسمنا ، كإزالة بناء القبور التى كانت عن شمال القبلة ، وأدخلها فى الجامع واشترى دورا كنا نبهنا عليها فوسع بها الصحن ، وبنى الجامع كما ترى غير قائم الزوايا فإن ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر ، وكذا الضلعان الآخران غير متساويين ، فأوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة ، بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين ، وصار الجامع مع سعته وارتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء ، ولسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الارتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف . ومن العجيب أن منحنيات قواصر الأساطين جاءت على شكل مخالف لأشكال المنحنيات الهندسية ، إلى غير ذلك من الأسقام .

ولما تقلدت نظر الأوقاف ، وجدت ثلاثة أضلاعه قد تمت وارتفع أساس الرابع وتمت أضلاع الصحن ، ووجدت الرأى ضالا عن محل وضع المرافق ، والمساكن متصلة به من جهتى القبلة والشمال ليس بينهما إلا ممر ضيق ، فأسفت على ما فات هذا الحرم من المحاسن ، وأعملت الفكر فى رسم يرجى به إصلاح بعض ما أساءت أيدى الأنظار ،



الزخارف على الألواح الخشبية المغلفة لباطن القبة .



الباب الأخضر ٥٤٩ هـ (١١٥٤/٥٥م) وقاعدة المئذنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧م)

المشهد الحسينى ٥٤٩ هـ (١١٥٤/٥٥م)

واشتريت فى هاتين الجهتين دورا تجعل فى محلها الميضأة والمرافق والطرق والميدان الموجود الآن ، وقد تعسر جعل المنافع عن يمين الجامع إذ وجدتُ العنانى قد بنى ذلك الموضع لنفسه رباعا ، ولم يرض بإعطاء شىء منها إلا بأضعاف قيمتها ، ثم انفصلت عن الأوقاف فتمموا المنافع على ما هى عليه الآن ، ولم يتبعوا فيها أيضا جميع ما رسمته ولا تحروا قانونا حسنا ، وكل هذا مع كثرة ما صرف على عمارة هذا الجامع مما لا يدخل تحت الحسبان ، فقد صرف عليه من خزينة الأوقاف سبعة آلاف ألف قرش وثمانمائة وستون ألف قرش ومائة واثنان وخمسون قرشا وواحد وعشرون نصفا فضة عملة ديوانية ، غير ما تبرع به الخديو إسماعيل من خزينة ماله الخاص به ، فقد أرسل إلى دار السلطنة فأحضر جميع عمد الرخام التى به وبالصحن والميضأة وهى تنيف عن ستين عمودا بجلساتها ، فلو أنه وضع على قوانين الرسوم الهندسية لجاء فريدا فى محاسن الجوامع والمشاهد :

يـــريـــد العبـــد أن يعطى منـــاه

ويـأبـى الله إلا مـــــا أرادا

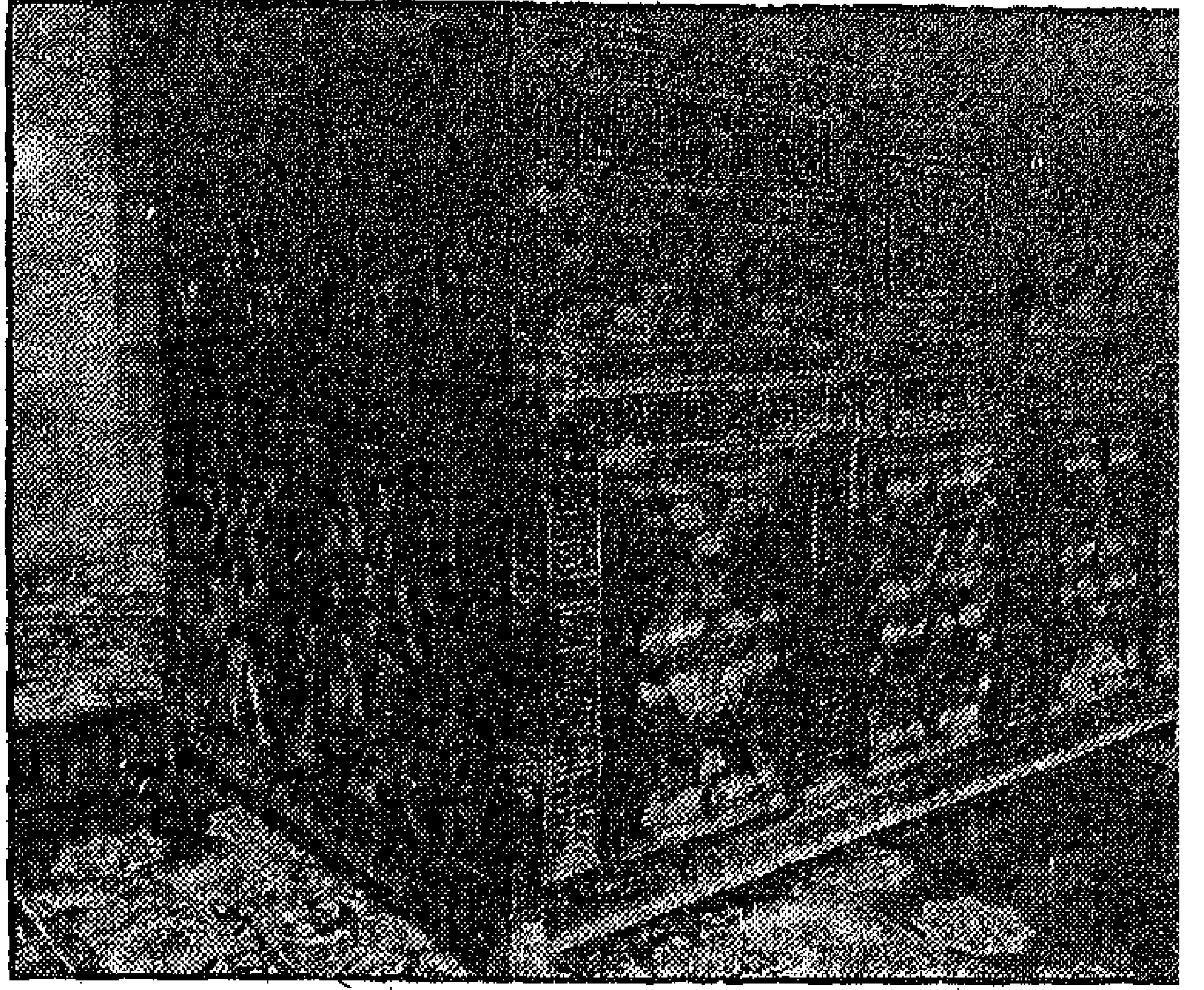
ثم إن جميع بناء هذا الجامع بالحجر الفص النحيت، وله إلى جهة خان الخليلى ثلاثة أبواب مبنية بالرخام الأبيض كأعتابها ، ويكتنف كل باب عمودان من الرخام ، ومثلها الباب الأخضر الذى بجوار القبة عند الباب المعروف بباب المتولى ، يقولون : إن القطب يدخل منه كل يوم لزيارة الضريح الشريف . ويدعو الزائرون عنده كثيرا ، كما يقولون : إن سيدى أحمد البدوى يأتى للزيارة فيقف عند العمود الذى بجوار المنبر أمام باب القبة ، ويسمونه بعمود السيد البدوى ويقبلونه ويدعون عنده ويقرؤون الفاتحة ، وله باب إلى عمارة العنانى غير مستعمل ، وباب بين الميضأة والساقية غير باب الميضأة ، وبالجامع منبر خشب بديع مطلى بالليقة الذهبية ، وهو منبر جامع أزبك الذى كان عند العتبة الخضراء بالأزبكية نقل إليه بعد تخريبه ، وفى مؤخره دكة تبليغ كبيرة وبداخله أربعة وأربعون عمودا عليها بوائك حاملة للسقف ، وهو من الخشب المتقن الصنعة المنقوش باللازورد والليقة الذهبية ، وفى وسط السقف ثلاثة مناور مرتفعة البناء مسقوفة كذلك ، وبها نحو ثلاثين شباكا صغيرة عليها شبابيك من ألواح الزجاج ، وبأربع جدران الجامع والصحن نحو ثلاثين شباكا عليها شبابيك من النحاس المطلى بالليقة الذهبية ، يعلوها فى الجهة البحرية شبابيك صغيرة دوائرها من الرخام ، وفى الجامع بجدار الضريح باب خزانة البسط ونحوها ، وصحنه مكشوف الوسط وبدائره أربع بوائك مسقوفة على اثنى عشر عمودا ، وميضأته أكثر من عشر فى عشر مسقوفة على أربعة أعمدة من الرخام ، ويفصلها من الأخلية طرقة ضيقة ، وله أحد وعشرون بيت خلاء ومصنعان للحموم ، وساقية قديمة كانوا قد استغنوا عنها بحسب إجراء ماء النيل إلى المطهرة بمواسير من الرصاص واستعمل كذلك نحو ثلاث سنين ، ثم رأوا أن ماء النيل يسرع إليه التغير دون ماء الآبار فأصلحوها واستعملوها للميضأة والأخلية ، وله منارتان إحداهما بجوار القبة وهى قديمة قصيرة ، والأخرى فى مؤخره تجاه خان الخليلى ذات حسن وارتفاع ، جددت مع الجامع وتم بناؤها سنة خمس وتسعين ومائتين وألف . وفى وسط الجامع تحت المنور الكبير نجفة كبيرة معلقة بسلسلة بالسقف وحولها ثمان نجفات صغار، وأما القبة فباقية على بنائها القديم ، وهى كبيرة كروية منقوش باطن أعلاها بالليقة الذهبية ، وجدرانها من الحجر الجيد النحيت مكسوة بالرخام الملون إلى أكثر من قلامتين وبها محراب يكتنفه عمودان من حجر السماق ،

الأصفر الجيد الصنعة بابها منها وفيه حلقتان من النحاس يحركهما بعض الزائرين وينشد هذا البيت :

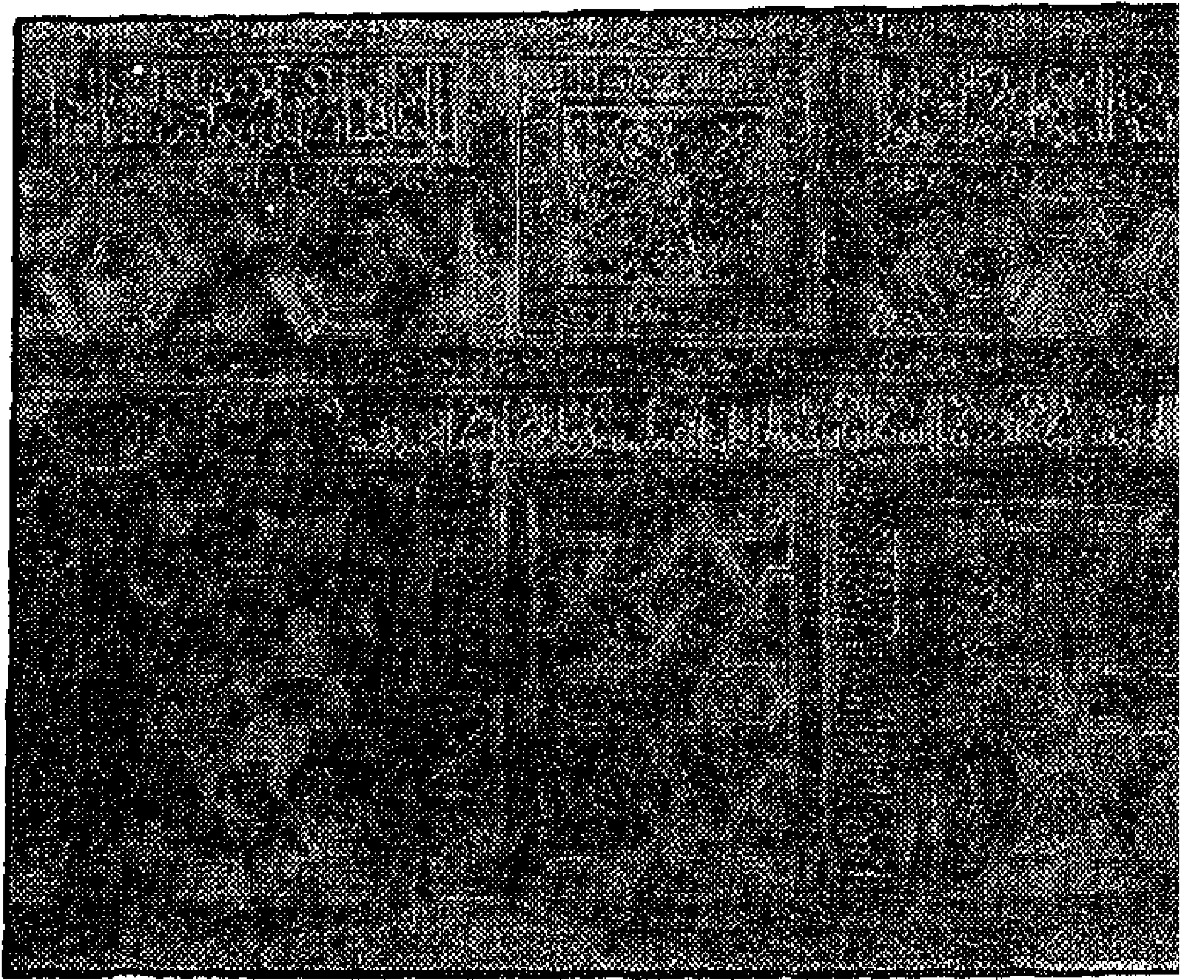
لـن يخيب اليـــــوم من رجـــائك من
حـــرك من دون بـــابك الحلقـــه

ويعلوها قبة صغيرة من الخشب ، وبجانبها الأيسر دكة خشب برسم الشمعدانات ، وعلى القبر الشريف تركيبة عليها تابوت من الآبنوس مكسو بالإستبرق الأحمر المزركش ، مخيشا بالأصفر والأخضر ومغطى بكشامير الفرمش ، وعليه عمامة من الحرير الأخضر عليها كشمير فرمش أيضا ، وبجوانبه أربعة عساكر من الفضة ، وبداخل المقصورة شبكة من سلوك الحديد لزيادة الحفظ ولا تفتح إلا لمقتض أكيد كإبدال الكسوة أو تنظيفها ، وبدائر المقصورة والقبة ألواح فيها الخطوط المذهبة من الخط الثلث والكوفى ، ومنها ما هو لبعض الملوك العثمانية ، ولها باب إلى الباب الأخضر ، وبابان إلى الجامع على كل منهما ضفتان من الخشب الجيد المصفح بصفائح الفضة المنقوشة ، وبكل ضفة حلقة حلة من الفضة ، وبأعلى الباب الذى يلى المنبر ما صورته : الشفاء فى تربته ، والإجابة تحت قبته ، والأئمة فى ذريته أو عترته ، وبأعلى الذى يليه ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور** ﴾ [الشورى : ٢٣] . وبينهما شباكان كبيران عليهما شباكان من النحاس الأصفر ، وعلى الجميع ستائر الجوخ الأخضر ، وفوق ذلك ألواح فيها آيات قرآنية وأحاديث نبوية بالخط الثلث المذهب . وللقبة إمام غير إمام الجامع ، وخدمة يتعهدونها على الدوام ، وهناك صندوق النذور يجلس عنده شيخهم ، ويعرف بشيخ القبة وشيخ الصندوق وأمينه . فيحفظ ما يضعه به الزائرون من النذور والهدايا والصدقات ليفرق بينهم كل شهر مثلا على حسب ما اصطلحوا عليه من القسمة ، وذلك غير ما هو لهم من مرتب الأوقاف ، وهكذا سائر الأضرحة الشهيرة كضريح السيدة زينب ، والسيدة نفيسة ، والإمام الشافعى ، وغيرهم رضى الله عنهم .

وحضرة هذا المشهد الشريف كل ليلة ثلاثاء ، يجتمع فيها مشاهير القراء من عصر يوم الإثنين إلى الصبح ، فيفتتح القراءة شيخهم بالترتيل ثم الذى يليه ، وهم يستمعون



تابوت الخشبى . أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)



التابوت الخشبى . أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)

وحلقتان من الحديد تحتهما كرسيان من الرخام الجيد برسم الشمعدانات ، وعلى الضريح الشريف مقصورة من النحاس

محافظين على أحكام التجويد إلى آخر القرآن وفى أول الليل يجتمع أهل دلائل الخيرات فيقرؤونها مجتمعين بصوت مرتفع، وفى وقت العشاء تنشد المدائح والتوسلات وكذا بعد الفجر ويختمون بعد طلوع الشمس بالأدعية وإنشاد الموشحات وآخر البردة بالألحان والتطريب حتى تكون لهم ضجة عظيمة تخلط على المصلين والقارئين ، وقبل الختم تفرق عليهم الجرايات المرتبة من ديوان الأوقاف وغيره ، ويزدحم الزوار تلك الليلة ويومها ، ويمتلىء المشهد من النساء قبيل الظهر فلذا تطوى البسط يومئذ (الخطط ٤ / ١٨٤ ـ ١٨٨) .

ثم يقول على مبارك في موضع آخر :

ثم إن هذا الجامع عند حفر أساسات أساطينه فى هذه العمارة الأخيرة ، وجدت به أبنية كثيرة مقبية بهيئة قبور ، فلا بد أن ذلك من قبور الفاطميين ، فإنها كانت فى محل خان الخليلى ممتدة إلى هذا المشهد .

قال السخاوى فى كتاب المزارات : إن المدرسة التى بجانب المشهد الحسينى جعل بها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب تدريسا ووقف لها وقفا ، ولما وزر معين الدين بن حمويه فوض إليه الأمر بالمشهد ، فجمع أوقافا وبنى به إيوانا للتدريس وبيوتا للفقهاء العلوية .

والمقبرة التى كانت إلى جانب هذا المشهد كبيرة تسمى تربة الزعفران والتربة المعزية (الخطط ٤ / ٢٠١) .

ويسوق لنا على مبارك (ت ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م) وصفا طريفا لاحتفال المصريين فى زمانه بمولد مولانا الحسين رضى الله عنه ، وذلك بالمشهد الحسينى ؛ وكذلك سائر الاحتفالات الدينية التى كانت تقام فيه فيقول :

ومولده السنوى فى ربيع الثانى يستغرق أغلب الشهر ، ويوقد فى الليلة كثير من القناديل والشموع ، ويصرف فى الليلة الواحدة نحو عشرين جنيها فى الشمع والزيت والقهوة والشربات والمآكل فى بعض الليالى ، ويعطى المنشدون والقراء وأهل الدلائل والأشاير والخدمة ونحو ذلك ، فأولا يبتدأ بخزينة الوقف فيصرف منها على ثلاث ليال ، ثم للخديو إسماعيل باشا ليلة يصرف فيها جميع ما يلزم لها مع التوسعة ، ثم لابن أخيه الأمير إبراهيم باشا ليلة كذلك ، ثم لغيرهم من أعيان مصر كالسادات الوفائية ، والشيخ الجوهرى ، ومحمود بيك عبد المعطى ، والسيد ياسين شيخ سجادة الرفاعية ، ثم لبعض أعيان الوجه البحرى كالشيخ أبى حشيش من ناحية مرصفة ، والشيخ عبد الرحمن السيسى من ناحية الهياتم بالغربية ، فلكل واحد من هؤلاء وغيرهم ليلة يلتزم كفايتها ، وبعضهم جعل لها وقفا يصرف عليها كل سنة من ريعه .

ومن أول المولد ينعقد مجلس القراء داخل القبة كل ليلة من وقت العصر إلى آخر الليل فيقرؤون كل ليلة ختمة كاملة ، ثم تنعقد مجالس أخر من قراء طندتا وغيرهم فى بعض أنحاء الجامع ، وقرب آخره تكثر المقارىء ومجالس الأذكار ، ويكون أكثر المأكول هناك الفول النابت والخبز ، حتى فى آخر ليلة يكون عند كل عمود تقريبا مقرأة فيها سحارات الفول والخبز والمخلل والزيتون ونحو ذلك ومناقد القهوة والشربات ، فيتعفش المسجد وتطوى منه الحصر ، وفى الليلة الكبيرة تزين الأسواق القريبة منه وتوقد الوقدات الكثيرة بالشموع والزيوت على هيئات شتى ، ويصل ذلك إلى قرب باب النصر وباب الفتوح وخارج باب زويلة ، وتكثر الولائم وختمات القرآن وأنواع السماع فى الدور والخانات والأزقة ، ويوسع الناس على عيالهم بأنواع الحلاوة والفواكه ، ثم تعمل ليلة داخل الجامع تعرف باليتيمة ، تكثر فيها الشربات ونحوها ، وربما يعقبها ليال أخر لبعض المحبين .

ومن أول المولد تنتصب أنواع الملاعب فى الشارع إلى قرب تلول البرقية ، كأرجوز والمنجنيق والطبل والحاوى ، إلا أن ذلك قليل بالنسبة لغيره من الموالد لكونه داخل البلد ، وأعظم ما يكون الاحتفال بهذا المشهد فى شهر رمضان ، فإنه يغص بالناس كل يوم من قبيل العصر إلى الغروب ، وكل ليلة من سدس الليل الأخير إلى الصبح ، ففى وقت العصر يكون به حلق العلم والوعظ والقرآن وكثير من الكتب المعرضة للبيع ونحو ذلك ، وفى وقت السحر يكون به التهجد وتلاوة القرآن ، واستماعة من شيخ من كبار القراء مرتب لقراءة سورة طه على كرسى فى وسط الجامع ، وكذا يغص بأهله فى ليلة المعراج ،

فى ليلة نصف شعبان ، وليلتى العيد ويوم عاشوراء ، ويوم المولد النبوى ، فينعقد فيه يومئذ مجلس يقرأ فيه مولد النبى ﷺ ويحضره عزيز مصر والعلماء والأكابر ، ويبخر الجامع بالعود وماء الورد ونحو ذلك .

وفى شهر شوال تحمل إليه كسوة الكعبة الشريفة بموكب ، فتخاط فيه وتحمل منه بموكب ، إلى غير ذلك من العوائد الجليلة التى تعمل فيه ، ولم يزل هذا المشهد من وقت إنشائه عامرا مبجلا مجللا محتفلاً به ، ولا يزال كذلك إلى ما شاء الله تعالى ، كيف وهو مشهد من لولا جده لم تخلق الدنيا من العدم .

قال ابن عبد الظاهر : إن الصالح طلائع بن رزيك كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج ، وبنى جامعه خارج باب زويله ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا : لا يكون ذلك إلا عندنا . فبنوا له هذا المكان ونقلوا الرخام إليه ، وذلك فى خلافة الفائز على يد الصالح بن رزيك سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ولما ملك السلطان الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء ، وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلفه الضريح .

فلما وزر معين الدين بن حسين ابن شيخ الشيوخ بن حمويه وصار إليه أمر هذا المشهد بعد إخوته ، جمع من أوقافه ما بنى به إيوان التدريس وبيوت الفقهاء العلوية خاصة .

وفى سنة بضع وأربعين وستمائة فى الأيام الصالحية احترق هذا المشهد ، بسبب أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئا فسقطت منه شعلة ، فوقف الأمير جمال الدين بنفسه حتى طفىء وفى هذا المعنى :

قالوا تعصب للحسين ولم يزل
بالنفس للهول المخوف معرضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح الـ
ـمسود من تلك المخاوف أبيضا
أرضى الإله بما أتى فكأنه
بين الأنام بنعله موسى الرضا

قال : ولحفظة الآثار ما إذا طولع وقف منه على المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهى بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية .

وقال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم : ومن جملة مبانيه الميضأة قريبا من مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه بالقاهرة ، والمسجد والساقية ، ووقف عليها أراضى قريبا من الخندق ظاهر القاهرة ، ووقفها دار جار. ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنته ، وجد فيه شىء من الطلسم لا يعلم لأى شىء هو ، فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم أمه انتهى - المقريزى .

وفى رحلة ابن جبير التى صنفها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة عقيب رحلته الأولى : إن من مشاهد القاهرة المشهد العظيم حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضة مدفون تحت الأرض ، قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ، ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها فى أنوار فضة خالصة ، ومنها مذهبة ، وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا ، فى مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسنا وجمالا ، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون ، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون . والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التأنق والغرابة ، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة [المذكورة] وشمالها بنيان على تلك الصفة ، وأستار الديباج البديعة الصنعة معلقة على الجميع . ومن أعجب ما شاهدناه فى الدخول إلى هذا المسجد حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل ، شديد السواد والبصيص ، يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصقل .

والناس منكبة على استلام هذا القبر الشريف والطواف حوله مزدحمين عليه ، داعين باكين متوسلين إلى الله تعالى ببركة التربة المقدسة ، وبالجملة ، فما أظن فى الوجود كله مصنعا أحفل منه ، ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع منه ، قدس الله العضو الكريم الذى فيه بمنه وكرمه انتهى (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٨٣ - ١٩٢) .

قالت المؤلفة : هذه الفقرة الأخيرة وردت فى نسختى من رحلة ابن جبير (ط عبد الحميد أحمد مصطفى . القاهرة د . ت / ٣٧)

على النحو التالى : وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التى عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة ومتضرعين بما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم وإنما وقع الإلمام بنبذة من صفته مستدلا على ما وراء ذلك إذ لا ينبغى لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز وبالجملة لاأظن فى الوجود كله مصنعا أحفل منه ولامرأى من البناء أعجب ولا أبدع قدس الله العضو الكريم الذى فيه بمنه وكرمه (رحلة ابن جبير / ٣٧) .

ويمضى على مبارك فيقول : وفى تاريخ الجبرتى : إن الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفى وسع المشهد الحسينى ، واشترى عدة أماكن بماله وأضافها إليه ووسعه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعما بالصدف مضببا بالفضة ، وجعل عليه سترا من الحرير المزركش بالمخيش ، ولما تمموا صناعته وضعه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال ، على جوانبه أربع عساكر من الفضة مطليات بالذهب ، ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم ، وبين أيديهم المباخر الفضة وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشون منها على الناس ، وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد ووضع ذلك الستر على المقام .

وكان الجلفى إنسانا خيرا له بر ومعروف وصدقات وإحسان، وكان حسن الاعتقاد مات سنة أربع وعشرين ومائة وألف انتهى .

وفى كتاب إسعاف الراغبين فى أهل البيت الطاهرين ، للشيخ محمد الصبان : إن هذا المشهد الحسينى القاهرى جدده الأمير الكبير عبد الرحمن كتخدا سنة خمس وسبعين ومائة وألف ، وذكر قبل ذلك أن أصحاب السير والتواريخ اختلفوا فى رأس الحسين فى أى موضع دفن ، فقيل : إنه دفن بعسقلان ثم نقله الصالح طلائع وزير الفاطميين إلى مصر ، وبنى عليه هذا المشهد وأنفق على نقله مالا جزيلا . ومال قوم ـ منهم الزبير بن بكار والعلاء الهمدانى ـ إلى أنه حمل إلى أهله فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما من المقتل ، واعتمد القرطبى الثانى . والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى . وذكر بعض أهل الكشف والشهود أنه دفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهرى ، لأن حكم الحال فى البرزخ حكم إنسان تدلى فى تيار جارف فيطف بعد ذلك فى مكان آخر ، فلما كان الرأس منفصلا طف فى هذا المحل من المشهد .

وفى كتاب مشارف الأنوار ، فى فوز أهل الاعتبار، للشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، قال العلامة الأجهورى : الذى تواتر عن أهل الكشف ، أن الرأس الشريف فى مشهده القاهرى بلا شك ، لوجود هذه الروحانية والأنوار التى تبهر العقول . قال الشيخ عبد الفتاح الشهير بالوسام الشافعى فى رسالة له تسمى نور العين عن النجم الغيطى ، عن الشمس اللقانى ، عن أبى المواهب التونسى ، أن الغوث الجامع يأتى كل يوم ثلاثاء فيزور هذا المشهد .

وفى مختصر التذكرة للشعرانى ، أنه قد ثبت أن طلائع بن رزيك ـ الذى بنى المشهد الحسينى بالقاهرة ـ نقل الرأس إلى هذا المشهدوبذل فى ذلك نحو أربعين ألف دينار ، وخرج هو وعسكره فتلقاه من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس ، وهو فى برنس حرير أخضر فى القبر الذى فى المشهد ، على كرسى من خشب الآبنوس، مفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب . قال : كما أخبرنى بذلك خادم المشهد .وقول القرطبى « إن دفن الرأس الشريف فى مصر باطل» صحيح فى أيام القرطبى ، فإن الرأس إنما نقل إلى مصر بعد موت القرطبى انتهى .

قال الحفنى فى رسالته : كان بعض العارفين يهيم فى مقام الحسين وأنشد فقال :

منزل كمل الإله سناه
تتوارى البدور عند لقاه
خصه ربنا بما شاء فى الأر
ض تعالى من فى السماء إله
صانه زانه حماه وقاه
وكساه بمنه ورضاه
أن غدا مسكنا لغرة آل الـ
ـبيت من تم قدره وعلاه

الإمـــام الحسين أشـــرف مـــولى

أيــد الــدين ســره ووقــاه

مــدحتــه آى الكتــاب وجــاءت

سنــة الهــاشمى طــرز حــلاه

وينبغى زيـارة هـذا المشهد العظيـم ؛ فإن صاحبه بـاب تفريج الكروب ، وبـه تزول الخطوب ، ومن الاستغاثـات به ما أنشده سيدى محمد جلبى محشى العزية ـ الشهير بابن الست ـ هذه الأبيات :

أيحــوم حــول من التجــا لكمــو أذى

أو يشتكى ضيمــا وأنتم ســادتـــه

حــاشــا يــرد من انتمى لجنــابكم

يــا آل أحمــد أو تســر شــوامتــه

لكم السيــادة من ألست بــربكم

ولكم نطــاق العــز دارت هــالتــه

هل ثم بــاب للنبى ســواكمــو

من غيــركم من ذا الــورى ريحــانتــه

تبــا لطــرف لا يشــاهــد مشهــدا

يحــوى الحسين وتستلمــه ســلامتــه

فــالــزم رحــابــا ضم سبط محمــد

مــا أمَّــه راج وعيقت حــاجتــه

انتهى (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٢ ، ١٩٣) .

وفيما يلى مـا أورده العالم الأثرى حسن عبد الـوهاب عن المشهد الحسينى :

قال رحمه الله :

كان نقل الرأس الشريف من عسقلان ووصوله إلى القاهرة فى يـوم ٨ جمادى الآخرة سنـة ٥٤٨ هــ (١١٥٣ م) . ولمـا وصل إلى مصر حمل فى سـرداب إلى قصر الـزمرد . ثم دفن فى قبـة المشهـد الـذى أنشىء خصيصـا لـه سنـة ٥٤٩ هــ (١١٥٤م) .

ولمـا ولى ملك السلطـان صلاح الـدين سنـة ٥٦٧ هــ (١١٧١ م) أنشأ مـدارس للمـذاهب الأربعـة ؛ منها مـدرسة بجـوار هذا المشهـد ، غلب عليها اسم المشهـد ، وقرر بهـا مدرسين وعهد بالإشراف عليها إلى الفقيه البهائى الدمشقى ، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلف الضريح .

وهـذا الـوصف يجعلنى أعتبـر أن المسجـد الحـالى حل محل تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .

وقـد عاين المشهـد والمـدرسة فـى مبدأ الـدولـة الأيوبيـة الرحالـة ابن جبير أثناء رحلته من بلاد الأنـدلس قاصدا الحج سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، ووصفه مشوقـا بقوله : (ذكـرناه آنفا) .

وفى سنـة ٦٣٣ هــ (١٢٣٥ م) بـدأ أبو القـاسم بن يحيى ابن ناصر السكـرى المعروف بالزرزور بإنشاء منارة على باب المشهـد، أتمها ابنه سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) ، وهى المنارة الحـافلة بـالـزخارف الجصية فوق البـاب المعـروف بالبـاب الأخضـر. والباقـى منها قـاعـدتها المـربعـة وعليهـا لوحتـان تذكريتان نصهما :

« ... الشيخ الصـالح المـرحـوم أبـو القــاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة ثلاثـة وثلاثين وستة مائة عفا الله عنه » .

وعلى الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة علـى باب مشهد السيد الحسين تقربـا إلى الله ورفعا لمنـار الإسـلام الحـاج إلى بيت الله أبـو القـاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل الله منه . وكان المباشر بعمارتهـا ولده لصلبه الأصغر الـذى أنفق عليها من مالـه بقية عمارتها خارجا عما أوصى به والـده المذكور. وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » .

وممن عنى بـالمشهـد وزاد فيه العـلامـة معين الـدين ابن شيخ الشيوخ ، وزير الصالح نجم الدين . فقد ألحق به إيوانا وبيوتا للفقهاء .

وفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) حصل حريق بـالمشهد ، فلم يلبث أن أصلح . ولـذلك لما زاره الرحـالة ابن بطـوطة ، الذى زار مصر حوالى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) وصفه بقوله :

« ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن على عليهما السلام . وعليه رباط ضخم عجيب البناء على خشب أبوابه حلق الفضة وصفائحها وهو موفى الحق من الإجلال والتعظيم » .

وتابعه خالد البلوى الرحالة المغربى ، الذى زار مصر سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م)، فوصفه بوصف خلاب ، اقتبسه من وصف ابن جبير . .

وممن عنى بالمشهد وأصلحه وزخرفه والى مصر من قبل الدولة العثمانية السيد محمد باشا الشريف ، الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ - ١٠٠٦ هـ (١٥٩٥ - ١٥٩٧ م) .

كذلك عنى به الأمير حسن كتخذا عزبان الجلفى المتوفى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) فإنه وسع المشهد وزاد فيه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعم بالصدف والفضة . وجعل عليه سترا من حرير مزركش ، نقله إليه باحتفال كبير .

وفى سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) طلب من الشيخ عبد الله الشبراوى أن ينظم أبياتا من الشعر لتكتب على باب الإمام الحسين ، وأخرى على المقصورة فأنشأ برسم ما يكتب على الباب الأول من الخارج :

يا كرام الأنام يا آل طه
ما على من يهيم فيكم ملام
بابكم كعبة الهدى وحماكم
منهل فيه للأنام ازدحام
باب فضل لما سما أرخوه
من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه
وصلاة منى لكم وسلام

وفى سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وأثبت تاريخ عمارته على عتب رخامى نصه :

« مسجد للحسين أصل المعالى
لا يضاهيه فى البقاع علاء
فيه فضل الرحمن للعبد نادى
زر وأرخ لك الهنا والرضاء »

وفى سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) قام بعمارات وزيادات فيه السيد على أبو الأنوار ، وأثبت تاريخ عمارته بالباب البحرى للقبة . وهو باب مكسو بالرخام المنقوش وله مصراعان مكسوان بالنحاس . وبتواشيح الباب دوائر كتب فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله - الإمام على - الإمام الحسين - الإمام الحسن - ويعلوه عتبان كتب على أحدهما :

أنشا على أبو الأنوار سيدنا
بابا لسبط رسول الله ذى الرشد
وحسن إشراق نور الله أرخه
باب حماه عظيم الجاه والمدد

عناية الأسرة العلوية بالمشهد - عزم على توسيع هذا المسجد عباس باشا الأول ، فاشترى الأملاك اللازمة لذلك وهدمها وشرع فى البناء ثم توفى إلى رحمة الله تعالى .

وفى سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) أمر المغفور له الخديو إسماعيل باشا بتجديده والزيادة فيه ، فوضعت المشروعات اللازمة وفتح شارع السكة الجديدة وروعى فى التصميم الجديد ترك القبة على حالها فلم يتناولها التجديد . ونقل إليه منبرا جميلا كان فى جامع أزبك من ططخ بالأزبكية . وكذلك أمر الخديو إسماعيل بشراء العمد الرخامية من استامبول على حسابه الخاص .

وقد تم بناء المسجد سنة ١٢٩٠ هـ . ومنارته سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٣ - ١٨٧٨ م) ، وأمر بعمل ستر مزركش له سنة ١٢٩٠ - ١٢٩٢ هـ . وقد انتقد تصميمه المرحوم على باشا مبارك وله كل الحق .

وفى سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) كسى المحراب بالقاشانى المغربى عبد الواحد التازى وكتب عليه آيات من القرآن ما نصه : « اللهم كن برحمتك خير مجازى لمنشئه عبد الواحد التازى سنة ١٣٠٣ هـ » .

وفى سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) أمر المغفور له الخديو عباس حلمى الثانى بإعادة نقوش القبة ، وفتح نوافذ جديدة بها مع المحافظة على كتاباتها ونصوصها التاريخية .

وقد أمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، بعمل ستر جديد

له ، أنجز عمله فى عصر الملك (الصالح) فاروق الأول . وقد بلغت نفقاته ٧٠٠٠ جنيه .

وفى عهد الملك فاروق الأول أصلحت أرضية القبة ، وأخرج التابوت الخشبى النادر وتم إصلاحه :

ما تخلف من المشهد القديم ـ لم يبق من المشهد الفاطمى سوى أحد أبوابه وهو المعروف بالباب الأخضر ، وهو باب مبنى بالحجر على يساره دائرة مفرغة بزخارف ، وتعلوه بقايا شرفة جميلة .

وقد تخلف من المنارة الأيوبية التى أنشأها فوق هذا الباب أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ، القسم الأسفل منها ، وهو المربع الحافل بالزخارف الجصية النادرة ، وتاريخ إنشائها . وهى منارة حلى وجه قاعدتها المربعة بمستطيلات ، شحنت بالزخارف الجصية يلحظ فيها التأثيرات الأندلسية .

أما القبة ؛ فالمرجح أن قسمها العلوى ، هو ومثمن المنارة من أثر عمارة المرحوم عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) ، وأيضا مصاريعها المكسوة بصفائح الفضة .

أما مربعها الأسفل ، فقد كسيت وجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بالصدف . وكذلك محيطها الداخلى ، مؤزر بالرخام ، والأجزاء الدقيقة منه المطعمة بالصدف ترجع إلى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) والأجزاء العلويه من دوائر وتواشيح ترجع إلى العصر العثمانى ، ولعلها عملت ضمن أعمال النقش والتذهيب التى أجريت بها سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) .

تابوت المشهد الحسينى ـ وأهم ما بقى من المشهد القديم، التابوت الخشبى الذى كان محتجبا تحت المقصورة، وهو تابوت يزرى بالذهب والفضة ، ظل هذا التابوت محتجبا عن الأنظار نحو ثمانية قرون ، لم يسعد برؤياه سوى المرحوم السيد محمود الببلاوى ، شيخ المسجد الحسينى فى كتابه « التاريخ الحسينى » سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) وسماحة السيد محمد الببلاوى ، لعلاقتهما الوثيقة بالمشهد ، وكذلك عاينه السيد محمد عرفة وكيل مشيخة المسجد ، ومعه المرحوم المعلم محمد سيور النجار، ولكن لم تكتحل به عين أحد من الأثريين (تاريخ المدارس الأثرية / ٨٣ ـ ٨٧ ، ومساجد مصر ١ / ٣٣) إلى أن كانت سنة ١٩٣٩ حيث أمر الملك فاروق الأول بإصلاح أرضية القبة وفرشها بالرخام ، فانتهزت إدارة حفظ الآثار العربية هذه الفرصة للتحقق من وجود هذا التابوت ، ولما وجدته وعاينته تبين لها أنه تحفة رائعة جديرة بالحفظ والصيانة ، فرفعته من مكانه وأصلحته ثم نقلته إلى دار الآثار العربية ليعرض بها فى ٢٢ يناير ١٩٤٥ (مساجد مصر ١ / ٣٤ ، وتاريخ المساجد الأثرية / ٨٨)

والحجرة التى وجد بها التابوت ، هى أسفل أرضية القبة الحالية وتشغل جزءا منها طوله ٥,٢٦ ، مقسمة إلى قسمين : القسم الخارجى ٢,٣٨ ، ويهبط إليه من فتحتين بأرضية القبة مقاس كل منهما ٠,٦٠ × ٠,٤٥ .

والقسم الداخلى به فتحة مشروعة فى الجدار الفاصل بينهما ، مقاسها ٢,٦٠ بها تركيبة حجرية لصق الجدار الشرقى ، مغطاة بلوح رخامى ، أحيطت بها ثلاثة أجناب التابوت الخشبى .

ومن فحص التابوت ، تبين أنه قاصر على الأجناب الثلاثة ولا رابع لها مما يعزز أنه عمل لهذا الوضع ومقاسه ١,٨٥ × ١,٣٢ × ١,٣٥ وهو مصنوع من خشب ساج هندى مكون من جنب ورأسين ، ومقسم إلى مستطيلات رأسية وأفقية ، يحيط بها ويفصلها بعضها عن بعض إطارات مكتوبة بالخطين الكوفى المزهر والبسيط ، والنسخ الأيوبى . وهذه المستطيلات تحتوى على حشوات نجمية ، ومسدسة ، محفور بها زخارف نباتية مورقة ، تنوعت أشكالها فى جميع التابوت .

وقد أحيطت الحشوات المسدسة بقوائم وأفاريز كتب فيها بالخط الكوفى البسيط كلمات منها : « الملك لله » ، «وما توفيقى إلا بالله » ، « وثقتى بالله » « نصر من الله وفتح قريب و « الملك لله » ، « العزة لله » ، « التوفيق بالله » ، و « وما بك من نعمة فمن الله » .

وقد روعى فى اختيار الآيات القرآنية ما يناسب تابوت جثمان طاهر من فرع الدوحة المحمدية ، فيقرأ مما هو مكتوب على الوجه بالسطر العلوى بالخط الكوفى البسيط :

« بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهـ

البيت إنه حميد مجيد . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

ومكتوب بالسطر السفلى بالقوائم المحيطة بالمستطيلات المكتوبة والمنقوشة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] بالخط النسخ الأيوبى ، وقوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ [النور : ٣٥] .

ومكتوب بالخط الكوفى حول المصراع المربع الأوسط : «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾ [الزمر : ٧٤] .

والقسم الأسفل من هذا الجنب مقسم إلى ثلاثة مستطيلات ، مكتوب حولها بالخطين الكوفى والنسخ الأيوبى . فمما هو مكتوب بالخط الكوفى المزهر « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة** » ﴾ [الأعراف : ٢٠١ـ٢٠٣] .

ومما هو مكتوب على الجنب الأيمن للتابوت بالخط الكوفى الصغير البسيط بالسطر العلوى . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك** ﴾ [البينة : ٧ ، ٨] .

ومكتوب بالخط الكوفى الكبير المزهر : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾ [هود : ٧٣]

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسدسة والنجمية بالخط النسخ الأيوبى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾ [الأحزاب : ٤١ـ٤٦] .

ومكتوب بالخط الكوفى الكبير المزهر حول المستطيلين بالجزء الأسفل منه قوله تعالى : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١] .

ومكتوب بالخط النسخ بالقوائم المحيطة به قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ [آل عمران : ١١٠ ـ ١٣٤] .

ومما هو مكتوب بالجنب الأيسر للتابوت بالخط الكوفى الصغير البسيط : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **مستقرا ومقاما** ﴾ [الفرقان : ٧٤ـ٧٦] .

ومكتوب بالخط الكوفى الكبير قوله تعالى : ﴿ **لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا** ﴾ [الشورى : ٢٢ ، ٢٣] .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسدسة والنجمية وبالخط النسخ الأيوبى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ [آل عمران : ٦٨ ـ ٩٧] .

ومكتوب بالخط الكوفى المزهر حول المستطيلين :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية** ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] إلى قوله تعالى : ﴿ **أولئك هم خير البرية * جزاؤهم** ﴾ [البينة : ٧ ، ٨] .

وإن أبرع وصف لهذا التابوت لا يفيه حقه ، فقد تنوعت أشكال الحشوات وزخارفها تنوعا دل على عبقرية الصانع ، كما تنوعت أشكال الخط الكوفى .

ومن وصف أبى جبير الرحالة ، نفهم أن التابوت كان تحت الأرض منذ إنشاء المشهد .

وقد فحصت هذا التابوت ، وقرأت جميع كتاباته فإذا هى آيات من القرآن الكريم لا أثر معها لنصوص تاريخية . ولكن دقة الزخارف وطرازها ؛ وقاعدة كتابة الخطين الكوفى

والنسخى ، واجتماع أحدهما بالآخر يضعانه ضمن مصنوعات الدولة الأيوبية .

وكذلك مقارنته بشبيهه تابوت الإمام الشافعى تدل على أنه معاصر له ، بل تجعلنى أرجح أنهما صنعا فى عصر واحد وبيد صانع واحد . وتاريخ عمل تابوت الشافعى سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م)، أى فى دولة ملك مصر صلاح الدين الأيوبى .

وبما أنه ثبت أن لصلاح الدين صلة وعناية بالمشهد الحسينى ، إذ أنشأ مدرسة بجواره، فنرجح أنه أمر بصنع هذا التابوت ، كما أمر بصنع تابوت الإمام الشافعى ولم يكتب اسمه على كليهما .

وإذا ثبت ذلك نكون قد اهتدينا إلى اسم صانعه أيضا ، وهو النجار البارع الذى صنع تابوت الشافعى ، واسمه عبيد النجار المعروف بابن معالى .

المخلفات النبوية ـ هذه المخلفات مودعة فى حجرة أنشئت خصيصا لها عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، مجاورة للقبة من الجهة القبلية ، ويتوصل لها من بابين أحدهما فى جدارها الغربى والآخر فى جدارها البحرى ، وقد كتب على جدرانها ما نصه : ... ...

تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية الشريفة على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة ومرودين ، وقطعة من القضيب الشريف (العصا الشريفة) وشعرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى : أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، والآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه ... أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا الخديوى المعظم عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه وكان انتهاؤه فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣١١ هجرية .

وللآثار النبوية بمصر أخبار تتسلسل فى التواريخ ، وتتنقل بالباحث من زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى مكان ، حتى تصل به إلى هذا المكان . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع ، ثم اشتراها الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن حنا (بكسر الحاء) ونقلها إلى مصر وبنى لها رباطا على نيل مصر وهو باق إلى الآن ، ومعروف برباط الآثار جهة أثر النبى . وكانت مكونة من قطعة من الحربة الصغيرة ومرود وملقط .

انظر مادة الآثار النبوية فى المسجد الحسينى بالقاهرة م ١ / ١٢٧ ـ ١٢٩ من هذه الموسوعة .

ولما زار ابن بطوطة هذا الرباط وصف هذه الآثار . وزاد عليها مصحف أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

وقد بقيت هذه الآثار فى هذا الرباط حتى أتم السلطان الغورى بناء قبته بالغورية سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) ، فاستصدر فتوى بنقل الآثار التى كانت بالرباط ، ونقل المصحف العثمانى إلى مدرسته ، ونقل إليها أيضا الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب وهى التى كانت بخانقاه بكتمر .

وزاد ابن إياس أثرا آخر ، فقد ذكر فى حوادث سنة ٩٢٦هـ (١٥١٩ م) ، حينما توقف النيل عن الوفاء ، أنه أحضر من الآثار الشريفة القميص من القبة الغورية ، ووضع فى فسقية المقياس وغسلوه فى الماء الذى بها ، وتضرعوا إلى الله تعالى بطلب الزيادة .

ثم رؤى نقلها من قبة الغورى ، فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) إلى المسجد الزينبى ، ثم إلى القلعة . وقد أمر الخديو توفيق باشا بنقلها إلى المشهد الحسينى ، فأحضرها من ديوان الأوقاف عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) إلى قصر عابدين وأمر أن تحفظ فى شقق من الديباج الأخضر ، مطرزة بسلوك من فضة مذهبة . ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد ، يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) احتفالا فخما سار فيه العلماء والوزراء إلى أن وصلوا بها إلى المسجد .

وفى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) تم بناء الحجرة التى أنشئت خصيصا لها فأودعت بها . وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة ، وأخبرنى السيد محمد عرفة أنه ضمت إليها شعرة مهداة من السيدة خديجة هانم كريمة المغفور له أحمد طلعت باشا الكبير .

وبمناسبة الشعرات الشريفة ، أقول : إنه كان يوجد بمصر وغيرها ، شعرات نسبت إلى النبى ﷺ . استقصاها المرحوم أحمد تيمور باشا فى بحثه الشيق عن الآثار النبوية الذى نشر منه فصولا ممتعة فى مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ .

انظر مادة « الآثار النبوية فى م ١ / ١٢١ ـ ١٢٧ من هذه الموسوعة»

أما المصحف المنسوب إلى سيدنا على فلعله أحد اثنين

المصحف الذى كان موجودا فى جامع عمرو بن العاص حتى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) وعنى به الآمر بأحكام الله ، أو الذى كان فى رباط الآثار . ولم تثبت نسبته إليه لأسباب فنية وتاريخية . وكذلك المصحف الثانى المنسوب إلى سيدنا عثمان ، قد عرفنا مصدره فقد كان بالمدرسة التى أنشأها القاضى الفاضل سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ، بدرب ملوخيا (حارة قصر الشوك) بالقرب من المشهد الحسينى ، وبقى إلى أن استحوذ عليه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى .

وهو مصحف كبير تجاوزت أوراقه الألف . ومكتوب على رق بالخط الكوفى البسيط الخالى من الإعجام والشكل . ولكل صفحة منه اثنا عشر سطرا . وقد حليت رءوس السور بأفريز زخرفى ، يتكون من دوائر محاطة بنقوش . ومنها ما هو على شكل سلسلة . وهى زخارف بسيطة تدل على بداءتها . ويلاحظ أن آخره ، ابتداء من قوله تعالى : ﴿ **وامرأته حمالة الحطب** ﴾ [المسد : ٤] مكتوب بخط كوفى أحدث من خطه .

ومن قاعدة خطه ، وبساطة زخارفه ، أرجح أنه مكتوب فى نهاية القرن الثانى الهجرى أو أول القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . وأوله مهلهل وعلى حافاته احمرار يزعمون أنه دم عثمان ، وهو زعم غير صحيح .

ولهذا المصحف صندوق من الخشب المغلف بجلد ، مخرم بأشكال هندسية منكرة بالذهب . وله مفصلات مذهبة عليها اسم السلطان الغورى بما نصه : « برسم المصحف الشريف العثمانى السلطان ـ الملك الأشرف قانصوه الغورى»

وعلى أحد وجهيه ما نصه : « جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذى من إذا حلف به صادقا نجا وكان له من كل ضيق مخرجا . ومن حلف به فاجرا كف وهان وأصبح فى ذل ومقت وخذلان بخط من رتب سوره وآياته وأجزاءه ومن ختمه فى كل ركعة من صلاته وبه اقتدى من سماه نبينا بالأمين ذى النورين زوج بنتيه ورفيقه فى الدارين من استحيت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى كان الله له وتجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت تقبل الله ذلك منة عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعد دولته بمحمد وآله » .

ويلاحظ فى هذه الكتابة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى كان ...) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتاب . مما يؤكد أن القائم بعمل هذا الصندوق غيره ولعله السلطان قايتباى وأن السلطان الغورى أصلحه وعمل المفصلات ثم غيَّر فى الكتابة وكتب اسمه عليه .

أما الزعم بأنه مصحف عثمان فهو زعم منقوض لأسباب كثيرة . أهمها قاعدة الخط والزخرف فانها لا تتفق والقرن الأول وأيضا فإن نسبة مصحف عثمان لازمت كثيرا من المصاحف الموجودة فى قرطبة وفى بلاد المغرب . وفى الشام والحجاز تراجع أخبارها فى المراجع المذيلة بها هذه الصفحة ، ولم يثبت أن عثمان رضى الله عنه كتب بخطه مصحفا .

ولذلك نستطيع الجزم مطمئنين بأن هذا المصحف غير مصحف عثمان رضى الله عنه .

(المراجع المذيلة بها هذه الصفحة هى بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس / ٣٤ ، وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية / ٢٣ ، وزبدة كشف الممالك / ٤٥ ، ونفح الطيب ١ / ٣٥٦ ، والرحلة الحجازية / ٢٤٨ ، ومسالك الأبصار ١ / ١٩٥ ، والمقريزى ٢ / ٢٥٥) (تاريخ المساجد الأثرية / ٨٣ ـ ٩٣) .

ويشتمل المسجد على خمسة صفوف من العقود المحمولة على أعمدة رخامية ، ومحرابه من الخردة الدقيقة التى اتخذت قطعها الصغيرة من القاشانى الملون بدلا من الرخام ، وهو مصنوع سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) وبجانبه منبر من الخشب يجاوره بابان يؤديان إلى القبة ، وثالث يؤدى إلى حجرة المخلفات التى بنيت سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) حيث أودعت فيها المخلفات النبوية .

والمسجد مبنى بالحجر الأحمر على الطراز الغوطى ، أما منارته التى تقع فى الركن الغربى القبلى فقد بنيت على نمط المآذن العثمانية فهى اسطوانية الشكل ولها دورتان وتنتهى بمخروط . وللمشهد ثلاثة أبواب بالوجهة الغربية ، وباب بالوجهة القبلية وآخر بالوجهة البحرية يؤدى إلى صحن به مكان الوضوء .

(مساجد مصر ١ / ٣٣) :

قبة المشهد :

المشهد ويعنى مبنى قد دفن به شهيد ويشمل كل العناصر المعمارية من جدران ومنطقة انتقال وطاقية وكل هذه العناصر يطلق عليها اسم القبة أو الضريح .

وتتميز قبة وضريح الإمام الحسين (رضى الله عنه) عن معظم القباب المقامة فى العمائر الإسلامية وذلك من حيث اختلاف أبعاد واتجاهات الحوائط الحاملة للقبة ، الأمر الذى جعلها ليست مربعة تماما ولكنها أقرب إلى الاستطالة ـ تبلغ أبعادها ١٠,٨٥ × ١١,٦٠ مترا ، أما طاقية القبة فهى أقرب إلى الشكل البيضاوى .

وتختلف سمك حوائط الضريح عن بعضها فبينما تبلغ فى بعضها ثمانين سنتميترا يبلغ سمك البعض الآخر مترين ، وترتفع القبة عن سطح الأرض بحوالى إحدى وعشرين مترا ويبلغ قطرها اثنى عشر مترا تقريبا .

وقد بنيت جميع حوائط الضريح بالأحجار الجيرية (من محاجر المقطم) بالتبادل مع الطوب الأحمر ومن المرجح أنها ترجع للعصر العثمانى وقد ملئت داخل الجدران بحشو من الدبش ومونة القصرمل .

وقد كسيت جدران القبة حتى ارتفاع طاقية المحراب بأشرطة من الرخام والفسيفساء الرخامية التى تشكل زخارف هندسية ويتوسط حائط القبلة المحراب ويكتنفه عامودان من الرخام الأحمر (السحائى) ويحتوى باطن المحراب على زخارف هندسية وأشرطة من الرخام ويوجد بجدران القبة خمسة أبواب بابان بالحائط الشمالى الشرقى يؤديان إلى حجرة الحريم وباب بالحائط الجنوبى الغربى يؤدى إلى حجرة المخلفات النبوية الشريفة ، وبابان بالضلع الشمالى الغربى يؤديان إلى المسجد . وفى أعلى الجدران شباكان يطلان على المسجد ويتقدم حائط القبلة عقد نصف دائرى يرتكز على كتفين على جانبى الحائط .

أما جدران القبة العلوية من الداخل فهى مزخرفة برسوم نباتية متنوعة الألوان قوامها فروع وأوراق وزهور وتتخللها أشرطة كتابية من آيات قرآنية وأبيات من الشعر .

وقد أكد عالم الآثار الإسلامية الأستاذ كريزويل أثرية المشهد الحسينى بأكمله بعد أن قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية مؤكدا ما جاء فى تاريخ الجبرتى والخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك وهى جميعها مضمون قرار التسجيل الصادر عن لجنة حفظ الآثار العربية فى قرارها رقم ٤٤ بالكراسة رقم ٥ لعام ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ م حيث ضمن عداد الآثار الإسلامية منذ ذلك الوقت وكانت اللجنة مشكلة برئاسة محمد حمدى باشا مدير عموم الأوقاف وعضوية : مصطفى باشا فهمى ناظر الحربية ومحمد باشا شاكر وكيل الدائرة السنية وتيجران باشا وكيل نظارة الخارجية وإسماعيل باشا الفلكى رئيس مدرسة المهندسخانة ومسيو إيدجارفينسينت مستشار المالية ومسيو كولينى سكوت مونجريف وكيل نظارة الأشغال العمومية وآخرين .

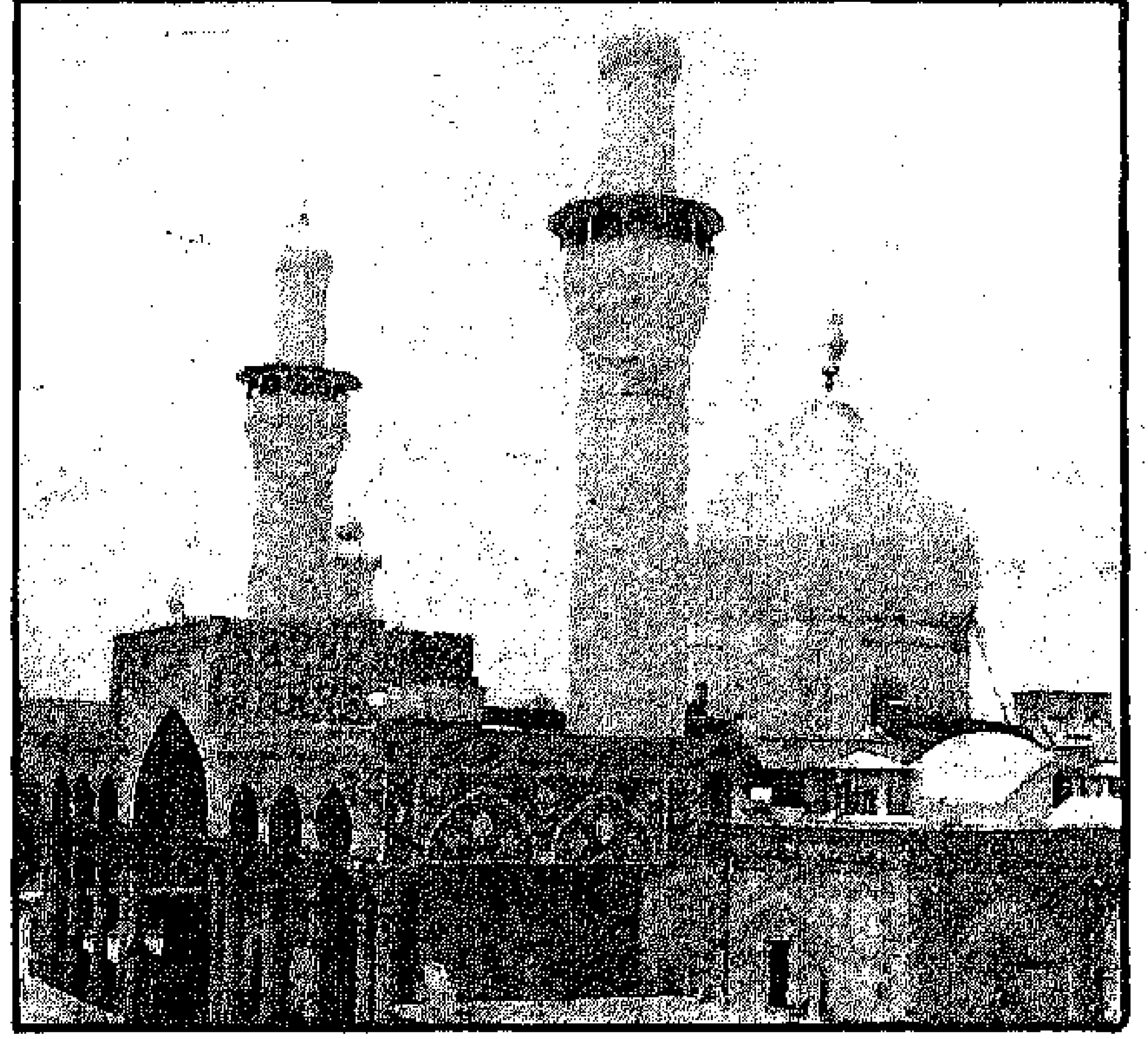
وقد أعملت مقومات الزمن والتلوث آثارها السلبية فى قبة المشهد ـ حيث لم تتناوله أعمال الترميم منذ عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ـ فأسندت وزارة الأوقاف عملية ترميم المشهد الحسينى لإحدى شركات المقاولات تحت إشراف هيئة الآثار .

وقد أجرى الترميم المعمارى والدقيق للقبة والمنارة والباب الأخضر فى عام ١٩٨٥ (القاهرة الإسلامية / ١٠ ، ١١ ، ١٤) .

وقد نشرت صحيفة الأهرام فى عددها الصادر فى الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٢ خبرا تحت عنوان « قبة الحسين عادت من جديد » ، ومما جاء فيه ما يلى :

ارتفعت أمس قبة الحسين فوق موقعها الأصلى أعلى المشهد الحسينى ... وذلك فى احتفال شعبى ورسمى مهيب وقد قام برفع القبة التى تزن ٢٨ (ثمانية وعشرين) طنا أحد الأوناش العملاقة ، ثم بدأ خبراء هيئة الآثار المصرية فى عملية تركيب القبة التى استغرقت ٣٠ (ثلاثين) دقيقة ... وعقب الانتهاء من تركيب القبة أعلن بدء عملية الترميم الدقيق التى تشمل تركيب القبة الأثرية المصنوعة من الخشب بداخل القبة المعدنية ، وعمل التكسيات الرخامية للمشهد ،

الحسينى وتركيب الشرائط الكتابيه للآيات القرآنية تمهيدا لافتتاح « المشهد » رسميا فى ٧ يناير القادم (١٩٨٦) مع بدء الليلة الكبيرة لمولد شهيد كربلاء وحفيد رسول الله ﷺ اهـ .



لوح ٨٣ : قبة الروضة الحسينية

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٨٣ ـ ١٩٣ ، ورحلة ابن جبير ط عبد الحميد أحمد مصطفى / ٣٧ ، وتاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ٨٣ ـ ٩٣ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٣٣ ، والقاهرة الإسلامية . المشهد الحسينى . وزارة الثقافة . هيئة الآثار المصرية ـ ١٩٨٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، والأهرام ، الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ ١٢ ديسمبر ١٩٨٥ م / ١٢) .

انظر : الآثار النبوية ، الآثار النبوية فى المسجد الحسينى ، بالقاهرة ، الحسينى (المشهد ـ بكربلاء) .

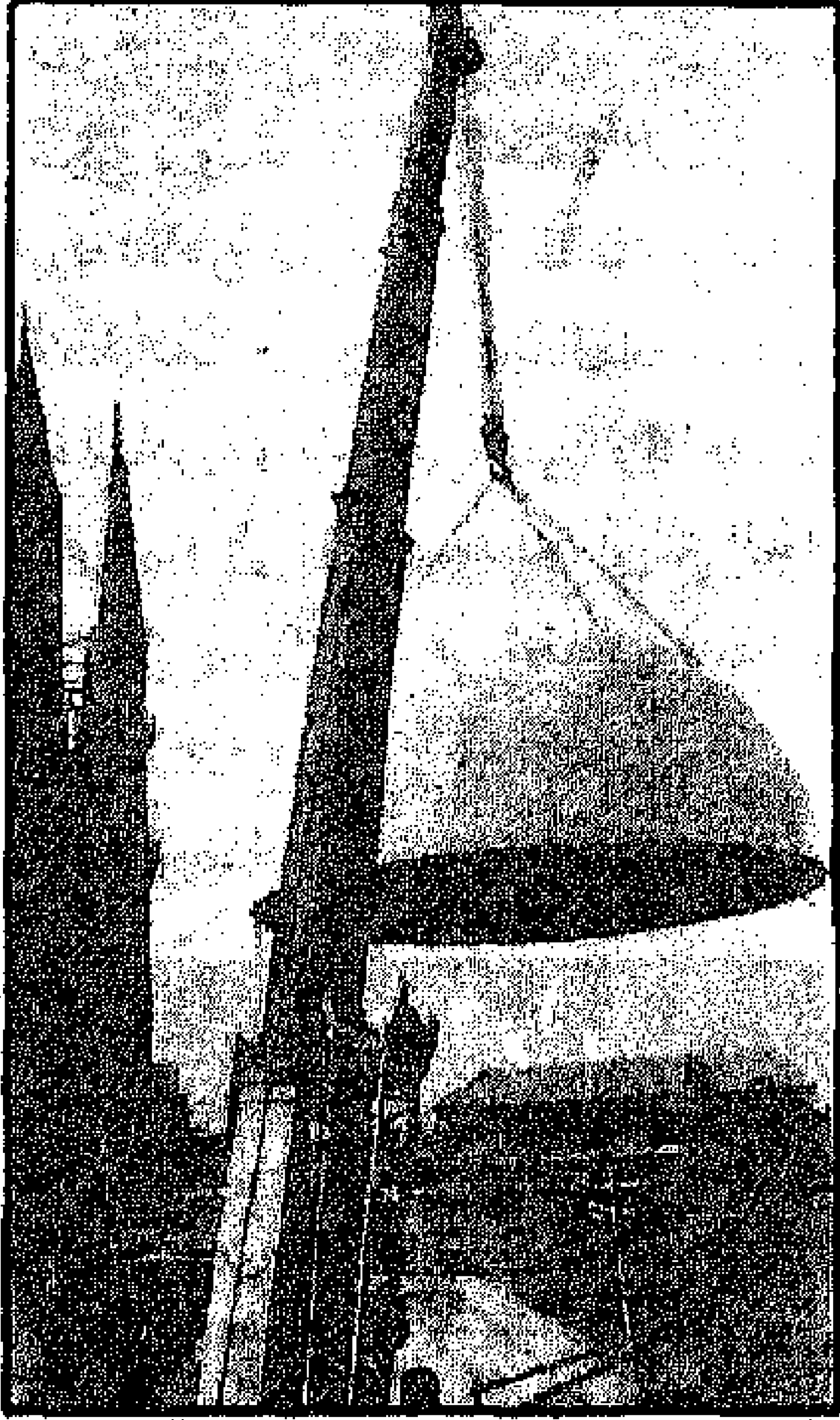
* **الحسينى (المشهد ـ بكربلاء) :**

قال عنه زكى مبارك دون أن يشاهده :

وللإمام الحسين رضى الله عنه بمدينة كربلاء مقام ، جليل ، ومشهد جميل . أخبر بعض من رآه من الأعاجم أن قبته مكسوة بصفائح الذهب ، ومقصورته من الذهب المكلل بالألماس ، وعليها سلسلة من الذهب معلقة بالقبة ، بطرفيها قطعة ياقوت مدلاة على التابوت كبيضة النعامة ، وحول المقصورة سبعة وعشرون شمعدانا من الذهب مكللة باليواقيت، كل واحد كقامة الإنسان طولا ، وله خزانة اجتمع فيها سنة إحدى وستين ومائتين وألف اثنان وثلاثون مليونا من الطمان ، والطمان يساوى نصف جنيه إنجليزى ، وله جامع بقدر جامع ابن طولون الذى بمصر ، فيه جم غفير من طلبة العلم، ولهم مرتبات كافية ويأكلون من المطبخ الحسينى اهـ (الخطط التوفيقية ٤ / ١٨٩) .

وقد أسعدنا الحظ بزيارة هذا المشهد الجليل يوم الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٨٤ ، فى رحلة إلى كل من النجف وكربلاء نظمها اتحاد المرأة العراقية . وفيما يلى وصف للمشهد ويسمونه الروضة الحسينية أو الحضرة الحسينية .

تقع الروضة الحسينية فى المنطقة المعروفة بالحاير فى



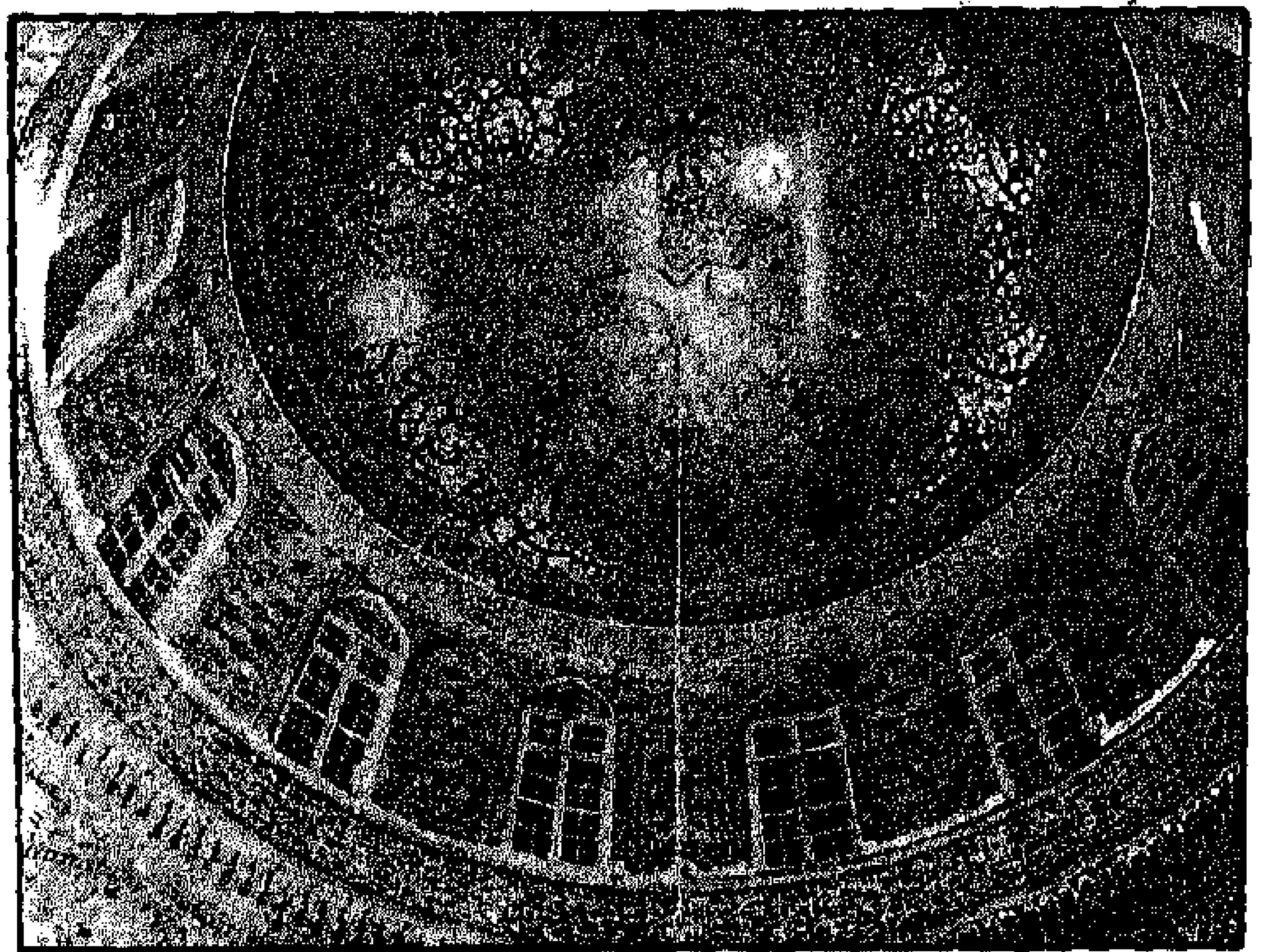
القبة المعدنية اثناء تركيبها

مدينة كربلاء وتضم بالإضافة إلى رفات الحسين رضى الله عنه رفات سبعة عشر من شهداء واقعة كربلاء المشهورة . والمعروف أنه تم تأسيس عمارة على قبور الشهداء عام ٦٥ هـ (٦٨٤ م) ويظهر أن عدة تجديدات ، وإصلاحات وترميمات قد أجريت على العمارة فى عهود متلاحقة ، أما العمارة

الحالية فهى ما أمر به السلطان أويس الجلائرى عام ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقد استغرق البناء حوالى ١١ عاما حيث أكملت عام ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) واهتم الصفويون بمشهد الحسين ابن على رضى الله عنه وبذلوا الأموال الطائلة لتزيينه وطلاء قبته ومئذنته وأبوابه بالذهب والفضة والمرايا والمينا . وكان ذلك عام ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) كما تم توسيع الصحن وبناء برج ساعة . وساهم العثمانيون فى تجديده وإضافة مبانٍ ومرافق جديدة إليه فقد أمر سليمان القانونى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) بتجديد القبة والمئذنتين .

وتشغل أبنية الروضة الحسينية مساحة أرض مستطيلة طول ضلعها من الشمال إلى الجنوب ١٢٥ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٩٥ مترا من الخارج . وتتكون من أبنية الحضرة الضريح وصحن واسع نسبيا يحيط بهذه الأبنية من جميع الجهات ، وبناء يسور الصحن ويفصل الروضة عما يجاورها من أسواق ودور سكن . وتخطيط أبنية هذه العمارة يشكل النموذج أو المثال لعدد من عمارات من ذات نوع هذه العمارة ويعتبر صيغة متقدمة فى هذا المجال إذا ما قورنت مع تخطيط الحضرة القادرية وجامع أبى حنيفة وإذا ما اعتبر هذا التخطيط أصيلا أى يعود إلى عهد السلطان أويس الجلائرى فإنه أكمل تخطيط يمثل طرازا ساد فى تخطيط عدد من أبنية العتبات المقدسة اللاحقة .

وبناء الروضة متين مشيد بطابوق وحصن ومكسو بأروع



لوح ٨٥: قبة الروضة الحسينية من الداخل



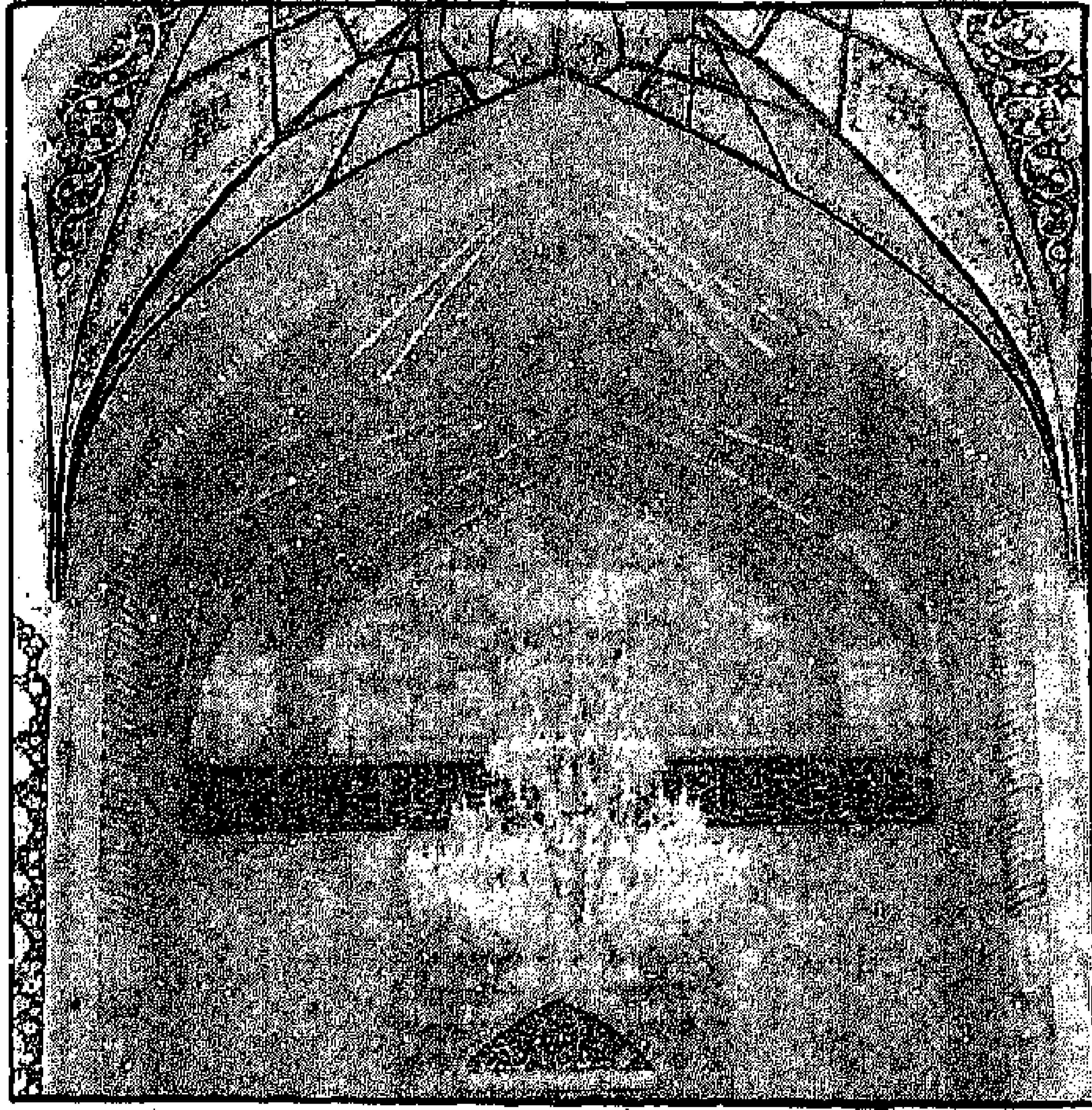
لوح ٨٦ : صندوق الحضرة الحسينية

التحليات الزخرفية المعمولة من ذهب ومرايا وقراميد مزججة ومينا ، وتحتل أبنية الحضرة قلب العمارة وشكلها مستطيل وأبعادها ٥٥ × ٤٠ مترا يتوسط قبر الحسين غرفة القلب فى هذه البناية وتقوم فوق هذه الغرفة قبة مرتفعة تتربع على أربع دعامات ضخمة مستطيلة (٣,٥٠ × ٢,٥٠ مترا) وترتفع قمة القبة بحدود ٢٧ مترا عن مستوى سطح الأرض . والقبة بصلية الشكل ذات رقبة طويلة تتخللها نوافذ ذوات عقود مدببة ، وقد طليت القبة والرقبة بالذهب عدا نطاق يتوج الرقبة مشغول بكتابات جميلة من آيات قرآنية خطت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة (لوح ٨٣) ومن الداخل توصل الدعامات عقود مدببة حيث تشكل أربعة أبواب توصل بين غرفة القبر ، وما يحيط بها من أروقة وتشغل الدعامات من الداخل حنايا جدارية تطل على القبر من الأركان ، وهناك حنايا مرحلة الانتقال من الشكل المربع إلى الوضع المثمن لتهيئة قاعد مناسبة للقبة شغلت هذه الحنايا جميعا بمقرنصات عنقودية بارزة دقيقة فى تكوينها وجميلة فى مظهرها حيث كسيت كوشات العقود وبطونها ، بمرايا غاية فى الجودة والإتقان تمتد نقوش التحلية فتشغل ما بين النوافذ ولكنها هنا مطرقة بنطاقين من كتابات من آيات قرآنية على نمط النطاق الخارجى

يقع النطاق الأول ، عند قاعدة الرقبة تحت خط النوافذ مباشرة، ويتوج الثانى الرقبة . وأروع ما فى غرفة القبر هو التشكيلات الزخرفية الحلزونية التى تشغل القبة من الداخل ومغطاة بالمرايا (لوح ٨٥) .

ومما يزيد فى جمال غرفة القبر من الداخل الصندوق الفضى الذى يغلف القبر، ويعتبر من أجمل ما أنتجته أيدى صناع هذا النوع من الصناديق . وهذا الصندوق مشهور برمانات ذهبية ترتفع فى أركانه الأربعة ، ويبلغ قطر كل منها ٥٠ سم (٨٦) والمعروف أن هذا الصندوق يغلف صندوقين أحدهما معمول من خشب مطعّم بعاج وثانيهما مصنوع من الفولاذ .

يحيط غرفة القبر ومن ثلاث جهات رواق عريض نسبيا مصمم بطريقة بحيث يكون القسم الشمالى منه بهيئة مسجد تقام فيه الصلوات ، حيث يتقدمه قبر الشهيد الحسين . وتبلغ مساحة المسجد هذا ٢٥ × ١٠ أمتار . ويتصل عند منتصف جداره الشمالى بالرواق الآخر أو الرواق الثانى . ويتناظر الرواق الشرقى مع الرواق الغربى تقريبا ، ويتصل كل منهما بالرواق الثانى بباب ذى عقد مدبب وسقوف هذه الأروقة مقبية ومحلاة بعقود وحنايا مشغولة بمقرنصات عنقودية بمرايا يحيط الرواق الثانى الذى يبلغ عرضه أربعة أمتار، كما سبق ذكره ، من أبنية من الجهات الأربع وهو أضيق من الرواق الداخلى . والدخول إلى هذا الرواق يكون من الصحن ببابين من الجهة الشرقية ، ومثلهما من الجهة الغربية وباب رئيسى من الجهة الجنوبية . وجدران الرواق هذا سميكة جدا من الخارج يتخللها عدد من الغرف والأواوين ينفتح قسم منها إلى الداخل، ويطل القسم الآخر على الصحن من الجهات الشرقية والغربية والشمالية . أما الجهة الجنوبية فتفتح غرفها من الخارج على الطارمة الواسعة التى تتقدم هذا القسم من الحضرة . ومن الجهة الجنوبية يرتفع سقف هذه الطارمة بمستوى أعلى من بقية أجزاء هذا البناء عدا القبة والمئذنتين ، ويستند على أعمدة خشبية ضخمة جدا ذات تيجان جميلة وهذه الطارمة مستطيلة عمقها ٦ أمتار وعرضها ٢٠ مترا ، يتوسط هذه الطارمة إيوان مرتفع يؤدى إلى الرواق الثانى ومنه إلى القبر مباشرة ، ويعرف هذا الإيوان بإيوان الذهب حيث

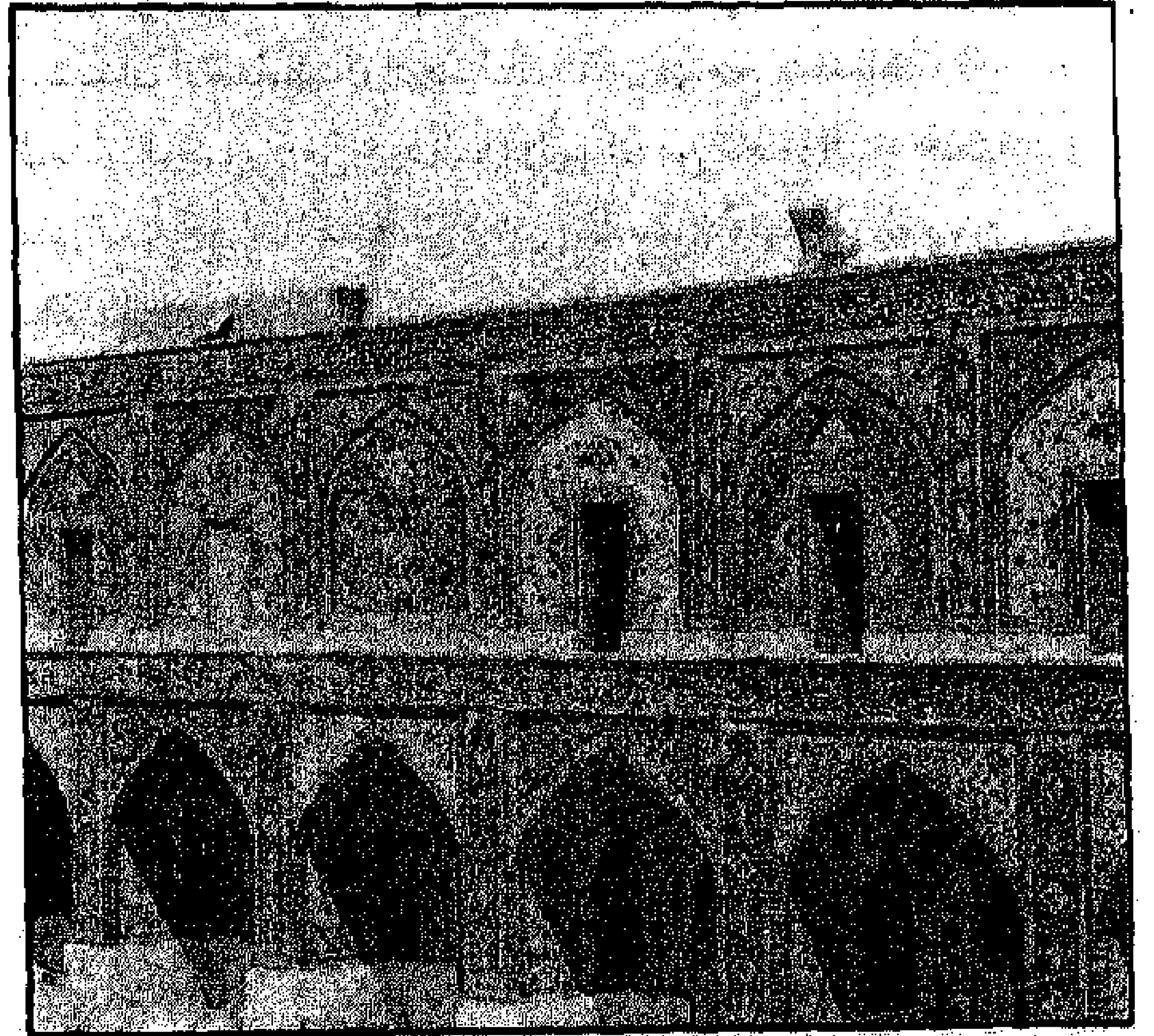


لوح ٨٨: إيوان مدخل الحضرة الحسينية الرئيس.

تغطى المقرنصات العنقودية التى تشغل حنية عقده بالذهب وكذلك جوانبه (لوح ٨٨) .

وتحيط بهذا الإيوان وعلى مسافة معينة من فتحته الخارجية المئذنتان الاسطوانيتان الجميلتان اللتان تندمج قاعدتاهما فى الجدار الجنوبى من هذا البناء وتبرزان من سطح البناء حيث تظهران بشكل متناظر على جانبى القسم الأوسط المرتفع من سقف الطارمة ومتقدمتان بتناظر أيضا على قبة الضريح . ويغلف كل من المئذنتين ألواح ذهبية تمتد إلى المقرنصات التى يستند عليها الحوض والرقبة ورأسها . وتتميز هاتان المئذنتان بوجود سقف للحوض، فهى تستند من الخارج على عدد من أعمدة رشيقة ترتكز على حافة الحوض، وتنتهى كل من المئذنتين برأس مضلع بصلى الشكل يتناسب وشكل القبة الرئيسة (لوح ٨٣) . زينت الجدران الخارجية لهذه الأبنية بتشكيلات زخرفية غاية فى الدقة والإتقان ، وتتألف من أشكال نباتية وهندسية وزهرية وكتابات من آيات قرآنية . وأروع ما فيها ذلك النطاق الذى يتوج الجدران من الخارج ، وتشغله كتابات نقشت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة وتناظر رقة الألوان وتدرجاتها وانسجامها وروعة التنسيق

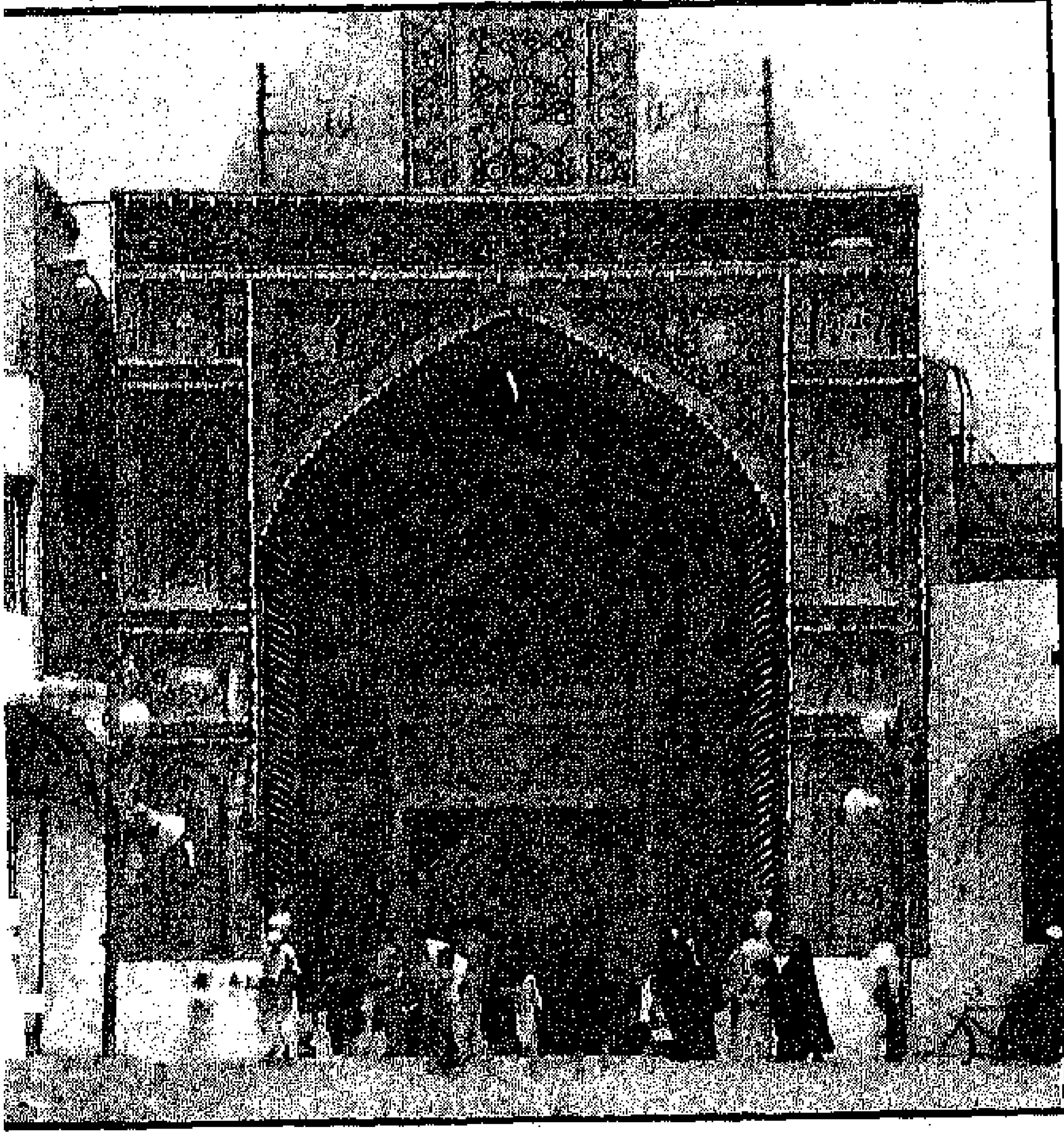
بين هـذه التشكيلات المتنـوعـة . وصحن الـروضة الحسينيـة واسع تفصلـه عن الشوارع التى تحيط بـالعمارة مجموعـة من الأبنيـة تضم تكايـا ومساجـد وغـرفا عـديدة لـرواد الحسين ، وتختـرق هـذه الأبنيـة عدد من المـداخل أشهـرهـا المـدخل المعروف ببـاب القبلة الـذى يتوسط أبنيـة هذه الجهـة ، ويقع على الخط المحـورى لبـاب إيوان الـذهب ، ومـدخل بـاب القبلة هـذا إيوان ضخم مرتفع زينت واجهتـه بقراميد قاشـانية رائعة (لوح ٩٠) وهناك عشرة مداخل أخرى تتوزع فى جدران هـذه المـرافق من الجهـات الأخـرى أشهـرهـا بـاب قـاضى الحاجات الـذى يقع فى الجدار الشرقى وتنفتح على الصحن سلسلة من غرف صغيـرة عددها ٦٥ يتصدر كـل منها إيوان ، ومعظم هذه الغرف استخدمت كمـدافن ويستخدم قسم منها لطلبـة العلـوم الـدينيـة ورواد الحسين . وعقـود أواوين هـذه الغرف مـدببة وقد زينت وجوه الجـدران المطلة على الصحن وجوانب الأواوين وسقوفها ، بأجمل القراميد القاشانية التى لا تقل من حيث التقنيـة والجمـال عـن تلك التى تـزين جـدران البنـايـة الرئيسيـة من الخارج (لـوح ٩١) ومن بين أبنية هـذه المـرافـق مـدرسـة تشغل القسم الشمـالى من هـذه الأبنيـة



لوح ٩١: أواوين بعض الغرف التي تحيط بصحن الروضة الحسينية.

ويتوسطها إيـوان ضخم تبلغ أبعاده من الداخل ١٠ × ٧ أمتار ويقع المسجـد فى الجدار الشـرقى ، وكانت لـه مئذنـة تعرف بمئذنة العبد ، هـدمت عام ١٩٣٥ . والمعرفـو أن أمين الدين مرجان قد أمر ببنائها عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م .

تتميز عمارة الروضة الحسينية بسمات ومظاهر قلما نجدها مجتمعـة فى عمارات المشـاهد والتـرب السـابقة . فهى نقلـة نوعيـة فى تخطيطها حيث جعل المـرقد والمسجـد وما يحيط بهمـا من أروقـة فى قلب المسـاحـة أو المكان الـذى تشغلـه



لوح ٩٠: باب القبلة حي الروضة الحسينية.

العمـارة . وكما سنـرى أن هذه الصيغـة مقلـدة فى المشاهـد اللاحقـة ، وهى فى الأساس خروج على صيغ الطـراز الحيرى فى التخطيط . وكـان هذا الطراز هـو السائد فى معظـم الأبنية الدينية والمدنية قبل سقوط بغداد عام ١٢٥٨ م .

والحقيقة أن الطراز الجديد فى تخطيط المشاهد يرجع إلى القرن الـرابع عشر الميـلادى ، وقد تبلـورت معالمـه فى العهد الإيلخانى والجـلائرى فى العراق ، وصاحب هـذا التطور فى التخطيط تطـور واضح فى العناصـر المعمـاريـة ، وأبرز هـذه العناصـر زوج من المآذن ترتفع على جـانبى إيوان ضخم يقع فى نهـاية المـدخل الرئيسى إلى المـرقد . وهـذه السمة غيـر موجودة فى العمارات السابقة خصوصا المساجد والمشاهد ، وهى ترجع أيضا إلى الفترة الإيلخـانية والجلائرية وتتسم مآذن

هـذه الفترة بأنهـا غليظة وتجلس أحـواضها على صفـوف من مقرنصات جميلة ومعقدة . والاهتمام الكبير بضخامة المدخل هو أحد السمات المظهريـة التى اتسم بها ذلك العصر بصورة عامة .

والقبة البصلية هى أيضـا أحد العناصر المعمـارية المهمة فى هذه الروضة ، وتعتبر ضخامة إيوان المدخل سمة معمارية أخرى جديدة فى تلك الفترة . أمـا المقرنصات العنقودية فهى وبدون شك إحـدى أهم مميزات هذه العمـارة . واستخدمت المقرنصات هنا لا لتسند ثقل قاعدة بل كعنصر زخرفى ، الغاية منـه زيادة فى ضخـامـة الحنايـا فى الأواوين وحنـايا الأركـان وغيرها ، ولا يعنى هذا أن المقرنصات لم تستخدم فى الروضة الحسينية لغرض إسناد أبنية تبـرز عن مستوى وجوه الجدران . أما السمـات الزخرفية الأخـرى مثل تغطية مساحـات كبيرة من وجوه الجـدران الداخليـة والخارجية بمـرايا وقراميـد قاشـانية وذهـب ، فإنها عن عصر لاحق لفترة إنشاء العمارة ، وهى كما ذكرنا من إضافات القرن السادس عشر الميلادى والغرض منها زيادة فى أبهة المظهر وإشراقه .

(العمارات العربية الإسلامية فى العـراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١٤١ـ١٥٦) .

انظر : الحسينى (المشهد ـ) بالقاهرة .

* **الحسينية :**

انظر : النَّجَّارية .

* **ابن الحشّاء (ـ نحو ٦٤٧ هـ / ـ نحو ١٢٥٠ م) :**

أحمد بن محمـد أبو جعفر ، ابن الحشّـاء ، فقيه حكيم . كان معاصرًا لأبى زكريا الحفصى بتونس . وبإشارته صنف ابن الحشاء كتابـه « مفيد العلوم » مخطوط فى خزانة الـرباط الرقم (٩٥٥ د) وهـو معجم مختصـر غـزيـر الفـائدة ، فى أسمـاء العقـاقيـر الطبيـة وأعضـاء الإنسـان ، والأمـراض ، وبعض الحيوانـات البرية والبحـرية ، ويسمى أيضا « تفسيـر الألفاظ الطبية واللغوية الواقعـة فى كتاب الطب المنصورى لأبى بكر الرازى .

(الأعلام للزركلى/ ١ / ٢١٩) وما جاء بهامش (٢) من مراجع) .

* **الحشاشون :**

أوردت الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة بيانـا تفصيليا لهذه الطائفة ننقله لك فيما يلى ، عمـلا بمبدأ كشف الضلال والمضلين :

التعريف :

الحشاشون : طـائفة إسماعيلية فـاطمية نزارية مشـرقية ، انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء من نسلـه ، أسسها الحسن بن الصباح الـذى اتخذ من قلعة « آلموت » مركزا لنشر دعوته وترسيخ أركان دولته .

وقد تميزت هذه الطائفـة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسيـة ودينية متعصبـة وكلمة الحشـاشين (ASSASSIN) دخلت بأشكال مختلفة فى الاستخدام الأوروبى بمعنى القتل خلسة أو غدرا أو بمعنى القاتل المحترف المأجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ ـ الحسن بن الصباح :

ـ ولد بالرى عام ٤٣٠ هـ ونشأ نشأة شيعية ثم اتخذ الطريقة الإسماعيلية الفاطمية وعمره (١٧) سنة ، وفى عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ذهب إلى إمامـه المستنصر بالله حاجـا ، وعاد بعد ذلك لينشـر الدعـوة فى فـارس ، وقـد احتل عددا من القـلاع أهمها قلعة آلموت (٤٨٣ هـ) التى اتخذها عاصمة لدولته .

ـ فى عهـده مـات الإمـام المستنصـر بـالله (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) وقـام الوزيـر بدر الجمـالى بقتل ولى العهـد والابن الأكبر « نـزار » لينقل الإمامـة إلى الابن الأصغر « المستعلى » الذى كان فى نفس الوقت ابـن أخت الوزير . وبذلك انشقت الفاطمية إلى نزارية مشرقية ، ومستعلية مغربية .

ـ أخذ الحسين بن الصبـاح يدعو إلى إمامة نـزار ، مدعيا بأن الإمامة قد انتقلت إلى حفيد لنزار أحضر سرا إلى « آلموت» وأنه طفل جرى تهريبه من مصر إلى فارس ، أو أن محظية لنزار كانت حـاملا منه أخذت إلى آلمـوت حيث وضعت حملها . وبقى أمر هذا الإمام الجديد طى الكتمان والسرية .

ـ توفى الحسن الصبـاح عام (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) من غير سليل لأنه كان قد أقدم على قتل ولديه أثناء حياته .

٢ ـ كيـابزرك آميد : حكم من ٥١٨ هـ / ١١٢٤م إلى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م :

كان أول أمره قائدا لقلعة « لامـاسار » لمدة عشرين سنة ،

وخلال فترة حكمه دخل في عدة معارك مع جيرانه السلاجقة، كما أنه كان أكثر تسامحا وسياسة من الحسن الصباح .

٣ ـ محمد بن كيابزرك آميد : حكم من سنة ٥٣ هـ / ١١٣٨ م إلى سنة ١١٦٢ م :

كان يهتم بالدعاية للإمام ، كما كان يفرض الاحترام الخارجي للفرائض الإسلامية ، فقد أقدم على قتل كثير من أتباعه ممن اعتقدوا بإمامة ابنه وطرد وعذب آخرين .

٤ ـ الحسن الثانى بن محمد : حكمه من ١١٦٢ م إلى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦م :

أعلن في شهر رمضان ٥٥٩ هـ قيام القيامة ، وأنهى الشريعة ، وأسقط التكاليف وأباح الإفطار ، ثم أقدم بعد ذلك على خطوة أخطر وذلك بأن ادعى بأنه من الناحية الظاهرية حفيد لكيابزرك ولكنه في الحقيقة إمام العصر وابن الإمام السابق من نسل نزار .

٥ ـ محمد الثانى بن الحسن الثانى : من ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م إلى ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م :

طور نظرية القيامة ورسخها ، وقد ساعده على ذلك انحلال سلطنة السلاجقة في عهده وضعفهم وظهور التركمان وبداية التوسع التركى .

٦ ـ جلال الدين الحسن الثالث بن محمد الثانى : من ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م إلى ١٢٢١ م :

رفض عقائد آبائه في القيامة ، ولعنهم وكفرهم ، وأحرق كتبهم وجاهر بإسلامه ، وقام بوصل حباله مع العالم الإسلامى فقد أرسل إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله وإلى السلطان السلجوقى خوارزم شاه والملوك والأمراء يؤكد لهم صدق دعوته إلى التعاليم الإسلامية ، ففرحت البلاد الإسلامية بذلك وصار أتباعه يعرفون بالمسلمين الجدد .

٧ ـ محمد الثالث بن الحسن الثالث (وبعض الكتب تسميه علاء الدين محمود) : كان حكمه من سنة ١١٢١ م إلى سنة ١١٢٥ م :

خلف أباه وعمره (٩) سنوات ، وظل وزير أبيه حاكما لآلموت، وقد عاد الناس في عهده إلى المحرمات وارتكاب الخطايا والإلحاد . حكم الصبى خمس أو ست سنوات ثم أصيب بلوثة عقلية ، فانتشرت السرقة واللصوصية وقطع الطرق والاعتداءات .

٨ ـ ركن الدين خورشاه : ١٢٥٥ / ١٢٥٨ م :

قاد هولاكو حملة سنة ١٢٥٦ م وكان هدفه قلاع الإسماعيلية ، وما زال يتقدم حتى استسلم له ركن الدين وسلمه قلعة آلموت سنة ٦٥٤ هـ وأربعين قلعة وحصنا كلها سويت بالأرض ، فاستقبله هولاكو بترحاب وزوّجه فتاة مغولية، وفي عام ١٢٥٨م انتهى منه بقتله غيلة ، وبذلك انتهت دولة الحشاشين سياسيا في فارس .

٩ ـ شمس الدين محمد بن ركن الدين :

تقول روايات الإسماعيليين بأن ركن الدين قد أخفى ابنه شمس الدين محمد الذى هرب من بطش هولاكو متنكرا إلى جهة ما بجنوب القوقاز ، ثم استقر في قرية « أنجودا » على الطريق بين أصفهان وهمدان . وبقى فيها إلى أن مات في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة وكان من عقبه سلسلة من الأئمة في القرن التاسع عشر ومنهم ظهرت أغاخان .

انقسم الحشاشون بعد شمس الدين إلى قسمين :

ـ بعضهم نادى بإمامة محمد شاه واعترفوا به وبالأئمة من نسله حتى انقطعت سلسلتهم في منتصف القرن العاشر الهجرى وكان آخرهم الإمام طاهر شاه الثالث المعروف (بالدكنى) والذى هاجر إلى الهند وتوفى هناك حوالى سنة ٩٥٠ هـ وانقطع هذا الفرع على الرغم من وجود أتباع له إلى الآن في مصياف والقدموس بسوريا .

ـ وأصحاب الفرع الثانى اعتقدوا بإمامة قاسم شاه ، وهؤلاء يشكلون العدد الأكبر من هذه الطائفة وقد هاجروا إلى أعالى نهر جيحون .

الحشاشون في بلاد الشام :

ـ ظهر لهم في بلاد الشام عدد من القادة مثل بهرام الاسترابادى، والداعى إسماعيل الفارسى، وقد استفادوا من استمالة رضوان بن تتش والى حلب إلى مذهبهم فوفد إليها عدد كبير من إسماعيلية فارس مما قوى شوكتهم في بلاد الشام .

ــ أبرز شخصية هو شيخ الجبل سنان بن سليمان بن محمود المعروف برشيد الدين الذى نشأ فى البصرة ، وتلقى علومه فى قلعة آلموت وكان زميلا لولى العهد الحسن بن محمد الذى أمره بالرحيل إلى بلاد الشام عندما صار الأمر إليه

ـ انتقل إلى بلاد الشام وجمع الإسماعيلية حوله وصار لهم نفوذ وسلطان ، واعترف الناس بإمامته غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بآلموت وقد كان شخصا مخيفا وهم يذكرونه على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق .

ـ امتلكوا عددا من القلاع ، وقاوموا الزنكيين ، وحاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبى عدة مرات .

ـ خلفه أمراء ضعاف مما سهل إنهاءهم والقضاء عليهم على يد الظاهر بيبرس .

ــ من قلاعهم فى بلاد الشام : قلعة بانياس، حصن قدموس، حصن مصياف، الكهف ، الخوابى ، المنيقة ، القليعة .

الأفكار والمعتقدات :

١ ـ تلتقى معتقداتهم مع معتقدات الإسماعيلية عامة من حيث ضرورة وجود إمام معصوم ومنصوص عليه على أن يكون الابن الأكبر للإمام السابق .

٢ ــ كل الذين ظهروا من قادة الحشاشين إنما يمثلون الحجة والداعية للإمام المستور باستثناء الحسن الثانى وابنه فقد ادعيا بأنهما إمامان من نسل نزار.

٣ ـ إمام الحشاشين بالشام رشيد الدين سنان بن سليمان قال بفكرة التناسخ فضلا عن عقائد الإسماعيلية التى يؤمنون بها ، كما ادعى أنه يعلم الغيب .

٤ ـ الحسن الثانى بن محمد : أعلن قيام القيامة ، وألغى الشريعة ، وأسقط التكاليف .

٥ ـ الحج لديهم ظاهره إلى البيت الحرام وحقيقته إلى إمام الزمان ظاهرا أو مستورا .

٦ ــ كان شعارهم فى بعض مراحلهم « لا حقيقة فى الوجود وكل أمر مباح » .

٧ ــ كانت وسيلتهم الاغتيال المنظم ، وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء والإيمان بكل ما يلقى إليهم ، وعندما يشتد ساعدهم يدربونهم على الأسلحة المعروفة ولا سيما الخناجر، ويعلمونهم الاختفاء والسرية وأن يقتل الفدائى نفسه قبل أن يبوح بكلمة واحدة من أسرارهم . وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التى أفزعوا بها العالم الإسلامى آنذاك .

٨ ـ كانوا يمتنعون فى سلسلة من القلاع والحصون ، فلم يتركوا مكانا مشرفا إلا أقاموا عليه حصنا ، ولم يتركوا قلعة إلا ووضعوا نصب أعينهم احتلالها .

٩ ـ يقول عنهم المؤرخ كمال الدين بن العديم : فى عام ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م : « انخرط سكان جبل السماق فى الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين ، واختلط الرجال والنساء فى حفلات الشراب ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته ، وارتدت النساء ملابس الرجال ، وأعلن أحدهم بأن سنانا هو ربه » .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ أصولهم البعيدة شيعية ثم إسماعيلية .

ـ بموت الإمام المستنصر بالله أخذوا يدعون إلى إمامية ابنه الأكبر نزار الذى قتل هو وابنه قبل تسلمه الإمامة .

ـ فكرة تربية الفدائيين نقلها الحسن بن الصباح عن إمامه المستنصر عندما كان فى زيارته .

ــ كان القتل والاغتيال وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم ونشر الخوف فى قلوب أعدائهم .

ــ فكرة التناسخ التى دعا إليها رشيد الدين مأخوذة عن النصيرية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ــ انطلقت دعوتهم من كرمان ويزد إلى أواسط إيران وأصفهان ثم خوزستان ثم هضبة الديلم واستقرت فى قلعة آلموت ، وشرقا وصلوا مازندران ثم إلى قزوين واحتلوا منطقة رودبار ولاماسار وكوهستان ... واحتلوا كثيرا من القلاع وامتدوا إلى نهر جيحون .

ـ وصلت دعوتهم إلى سوريا ، وامتلكوا القلاع والحصون على طول البلاد وعرضها ومن قلاعهم بانياس ومصياف والقدموس والكهف والخوابي وسلمية .

ـ كان زوالهم في إيران على يد هولاكو المغولي وفي سوريا على يد الظاهر بيبرس .

ـ لهم أتباع إلى الآن في إيران وسوريا والهند وفي أجزاء من أواسط روسيا السوفيتية .

(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م / ٢٠٣ ـ ٢٠٨) .

*** الحشر :**

الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ، وروى « النساء لا يحشرن » أي لا يخرجن إلى الغزو ، ويقال ذلك في الإنسان وفي غيره ، يقال حشرت السنة مال بني فلان أي أزالته عنهم ولا يقال الحشر إلا في الجماعة قال الله تعالى : ﴿ **وابعث في المدائن حاشرين** ﴾ [الشعراء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ **والطير محشورة** ﴾ [ص : ١٩] وقال عز وجل : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ [التكوير : ٥] وقال تعالى ﴿ **لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ [الحشر: ٢] ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ [النمل : ١٧] وقال تعالى في صفة القيامة : ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء** ﴾ [**الأحقاف** : ٦] ﴿ **فسيحشرهم إليه جميعا** ﴾ [النساء : ١٧٢] ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ [**الكهف** : ٤٧] وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر، ورجل حشر الأذنين أي في أذنه انتشار وحدة (المفردات في غريب القرآن / ١١٩ ، ١٢٠) .

والحشر هو سوقهم جميعا إلى الموقف بعد بعثهم من قبورهم ، ولا فرق في ذلك بين من يجازى كالإنس والجن ومن لا يجازى كالبهائم والطيور .

وذهبت طائفة : إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى .

وأما السقط فإن ألقي بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه كأهل الجنة وإن ألقي قبل نفخ الروح كان كبقية الأجسام يحشر ثم يكون ترابا .

ومراتب الناس في الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهو المتقي ومنهم الماشي على رجليه وهو قليل العمل ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر .

والحشر : ثابت بالكتاب والسنة والإجماع مع كونه من الممكنات فهو حق ومنكره كافر قال تعالى : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا *ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا** ﴾ وقال : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون* من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم* وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ وقال : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير** ﴾ وأنواع الحشر أربعة : أحدها ما ذكر .

والثاني سوق الناس من الموقف إلى الجنة أو النار.

والثالث إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام .

والرابع سوق الناس إلى الحشر قرب قيام الساعة (مذكرة التوحيد ٤ / ٢٩ ، ٣٠) .

ويجيب الحافظ السيوطي على أسئلة تتصل بالحشر نسوقها لك فيما يلي :

مسألة ــ قوله ﷺ : « يحشر الناس حفاة عراة » هل هو على عمومه بدليل قوله : « فيكون أول من يكسى إبراهيم » أو هو مخصوص بغير الأنبياء ؟

الجواب ـ هو مخصوص وليس على عمومه فقد نص البيهقي على أن بعض الناس يحشر عاريا وبعضهم يحشر في أكفانه وحمل على ذلك قوله ﷺ : « يبعث الميت في ثيابه التي يموت فيها » رواه أبو داود ، وابن حبان ، والحاكم ، وقول معاذ بن جبل : « أحسنوا أكفان موتاكم فإن الناس يحشرون في أكفانهم » رواه ابن أبي الدنيا ، وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن الخطاب مثله ، وهذان الموقوفان لهما حكم الرفع . ونص القرطبي على أن حديث الحشر عراة مخصوص بغير الشهداء وأن حديث أبي داود ونحوه في الشهداء، وأخرج الدينوري في المجالسة عن الحسن قال : يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد ، وإذا خص من الحديث الشهداء أو أهل الزهد فالأنبياء من باب أولى .

مسألة ـ أحاديث الحشر عراة عارضها أحاديث أخر صرح

فيها بأن الناس يحشرون في أكفانهم ، واختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من سلك مسلك الترجيح فرجح أحاديث الحشر في الأكفان على أحاديث الحشر عراة وهذا رأى القليل ، والأكثرون سلكوا مسلك الجمع فجمعوا بين الأحاديث بأن أحاديث الحشر في الأكفان خاصة بالشهداء وأحاديث الحشر عراة في غيرهم ـ هكذا نقله القرطبي ـ وجمع البيهقي بأن بعض الناس يحشر عاريا وبعضهم يحشر في أكفانه ولم يعين شهداء ولا غيرهم ، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن أبي ذر قال : حدثني الصادق المصدوق ﷺ أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج : فوج طاعمين كاسين راكبين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أبو داود ، والترمذي ، ومن حديث معاوية بن حيدة أخرجه أحمد . والترمذي . والنسائي وفي المجالسة للدينوري عن الحسن قال : يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد وهذا له حكم المرفوع المرسل .

مسألة :

: ما قول حبر بحر أفكاره
أبدى عجيبا عم في عصره
وفاض منه أنهرا بالهدى
في سائر الأقطار من دره
تأليفه صاغ لنا عسجدا
عاطره قد ضاع في نشره
حكى لنظم الدر في جيده
وحاز السبك في نثره
في الطفل إن مات صغيرا فهل
يحشر في الأخرى على عمره
وفي جنان الخلد يبقى كذا
أو بعد حشر زيد في قدره
وهل له في الحور من زوجة
ينكحها ما القول في أمره ؟
وأمر ولدان حكاهم لنا
رب العلا الرحمن في ذكره
أمن بني آدم أم خلقهم
كالحور يا من فاق في دهره
لكم علوم أعجزت من مضى
ومن بقي قد صار في فكره
وسلموا أن الذي نلتمو
منحة رب العرش من سره
يثيبكم جنّاته مثل ما
بذلتم الإجهاد في نصره

الجواب :

الحمد لله على يسره
وأشكر الهادي على نشره
الطفل يأتي مثل ما قد مضى
في خلقه والقدر في حشره
وعندما يدخل جناته
يزداد كالبالغ في قدره
وكم له في الخلد من زوجة
من بشر والحور في قصره
والحور والولدان جنس سوى
ليسوا بني آدم فاستقره

(الحاوي ٢ / ١٩٦ ـ ١٩٨) .

والإيمان بحشر الناس هو الشعبة الثامنة من شعب الإيمان كما بينها الإمام البيهقي إذ يقول :

الإيمان بحشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى الموقف لقوله تعالى : ﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [المطففين : ٤ ـ ٦] ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في صحيح مسلم : يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه (أي في عرقه) (مختصر شعب الإيمان / ١٧) .

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١١٩ ، ١٢٠ ، ومذكرة التوحيد ـ حسن السيد متولي ٤ / ٢٩ ، ٣٠ ، والحاوي للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢ / ١٩٦ ـ ١٩٨ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقي ـ اختصار

القزوينى / ١٧ . انظر أيضا التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى ـ حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٢٣٥ ـ ٢٤٩ ، وقد بسط القرطبى الكلام فيه فانظره فى موضعه إن شئت الاستزادة ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤) .

* **الحشر (سورة ـ) :**

السورة رقم ٥٩ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف مدنية وعدد آياتها أربع وعشرون اتفاقا ورءوس آياتها الحكيم (١) الأبصر (٢) النار (٣) العقاب (٤) الفسقين (٥) قدير (٦) العقاب (٧) الصدقون (٨) المفلحون (٩) رحيم (١٠) لكذبون (١١) لاينصرون (١٢) لا يفقهون (١٣) لا يعقلون (١٤) أليم (١٥) العلمين (١٦) الظلمين (١٧) تعملون (١٨) الفسقون (١٩) الفائزون (٢٠) يتفكرون (٢١) الرحيم (٢٢) يُشركون (٢٣) الحكيم (٢٤)

وفيها من مشبه الفاصلة المتروك خمسة مواضع (١) لم يحتسبوا (٢) وأيدى المؤمنين (٣) ولا ركاب (٤) أحدا أبدا (٥) بينهم شديد .

(سعادة الدارين / ٧٣) .

ويجمل الإمام الفيروزابادى خصائص سورة الحشر فى البصيرة التاسعة والخمسين من بصائره ، وقد ذكرها باسم سبّح ... الحشر، فيقول :

السورة مدنية بالاتفاق . آياتها أربع وعشرون . كلماتها أربعمائة وخمس وأربعون . حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة . فواصل آياتها (من بر) على الباء آيتان : العقاب فى موضعين . سميت سورة الحشر ؛ لقوله تعالى : ﴿لأول الحشر﴾ [الحشر : ٢] .

معظم مقصود السورة : الخبر عن جلاء بنى النضير ، وقسم الغنائم ، وتفصيل حال المهاجرين والأنصار ، والشكاية من المنافقين فى واقعة قريظة ، وذكر برصيصاء العابد، والنظر إلى العواقب، وتأثير نزول القرآن ، وذكر أسماء الحق تعالى وصفاته ، وبيان أن جملة الخلائق فى تسبيحه وتقديسه فى قوله تعالى : ﴿الأسماء الحسنى﴾ إلى آخر السورة [الحشر : ٢٤] . ليس فيها منسوخ .

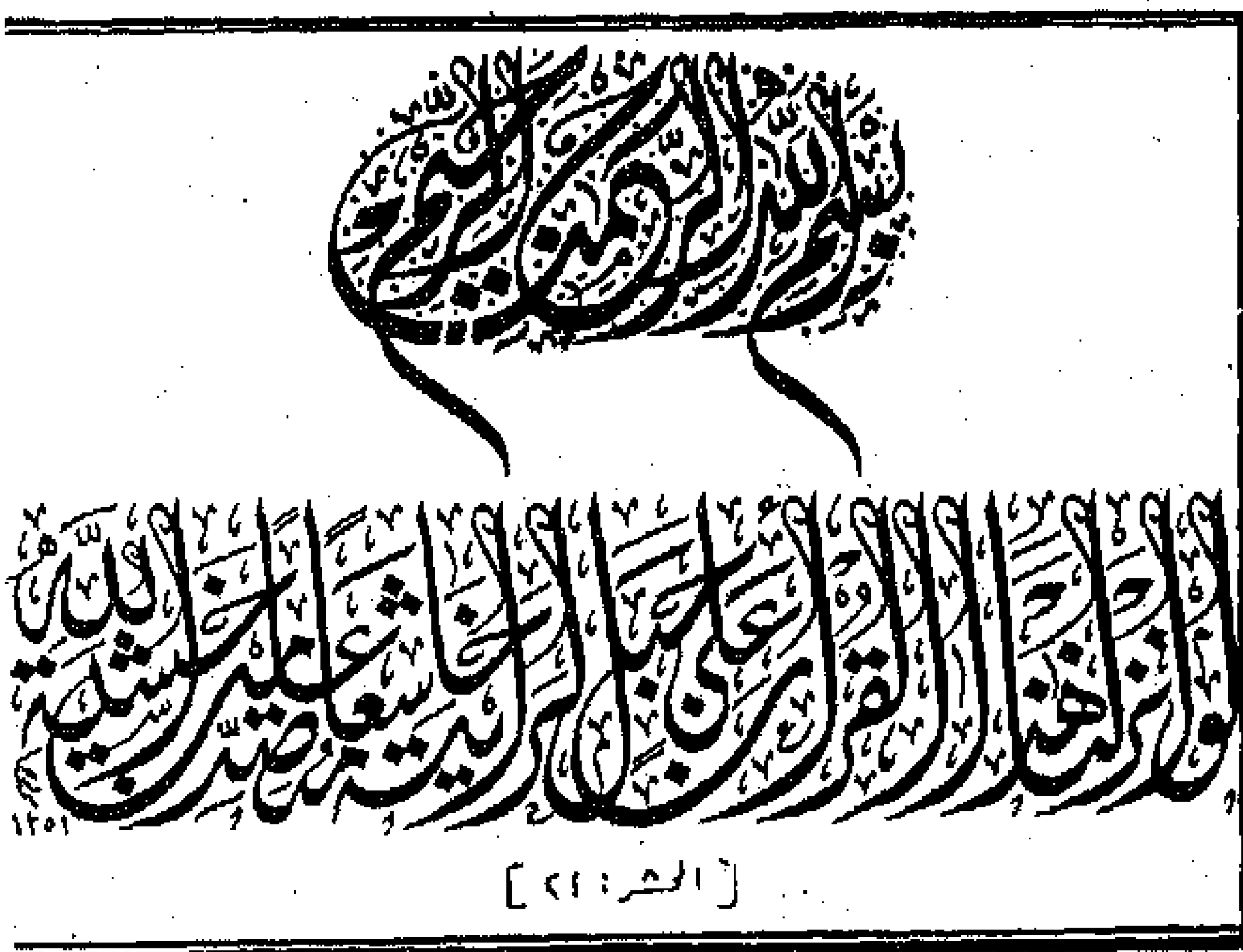
المتشابهات :

قوله تعالى : ﴿وما أفاء الله﴾ [٦] وبعده : ﴿ما أفاء الله﴾ [٧] بغير واو ؛ لأن الأول معطوف على قوله : ﴿ما قطعتم﴾ [٥] والثانى استئناف ليس له به تعلق.. وقول من قال : إنه بدل من الأول مزيف عند أكثر المفسرين .

قوله : ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ [١٣] وبعده : ﴿قوم لا يعقلون﴾ [١٤] لأن الأول متصل بقوله تعالى : ﴿لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله﴾ [١٣] لأنهم يرون الظاهر ، ولا يفقهون على ما استتر عليهم ، والفقه معرفة ظاهر الشىء وغامضه بسرعة فطنة ، فنفى عنهم ذلك ، والثانى متصل بقوله تعالى : ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ [١٤] أى لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ، ولم يتفرقوا .

فضل السورة

فيه أحاديث منكرة ، منها حديث أبَىّ : من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ، ولا نار ، ولا عرش ، ولا كرسى، ولا حجاب، ولا السموات السبع ، والأرضون السبع ، والهوام ، والريح ، والطير ، والشجر ، والدواب ، والجبال والشمس ، والقمر ، والملائكة ـ إلا صلوا عليه . فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا ، وحديث على : يا على من قرأها قال الله عز وجل له يوم القيامة : عبدى استظل بظل عرشى ، وكل من



الشكل (١١٧)

ثمـار جنتى حتى أفرغ إليك . فإذا فرغ الله عـز وجل من حسـاب الخلائق وجهـه إلى الجنـة ، فيتعجب منـه أهل الموقف . وله بكل آية قرأها مثل ثواب إسحاق و إبراهيم (بصائر ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩) .

وعن حكمة وقوع سـورة الحشر بعد سورة المجـادلة يقول الإمام السيـوطى : آخر سورة المجـادلة نزل فيمن قُتل أقـرباؤه من الصحابة يوم بدر (وهـو قوله تعالى : ﴿ أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [٢٢] . وقيل هم : أبـو عبيدة قتل أباه يوم بدر، وأبو بكر هم بقتل ولده عبد الرحمن ، ومصعب بن عميـر قتل أخاه عبيدا ، وعمـر قتل قـريبا لـه ، وحمزة وعلى وعبيـدة بن الحارث قتلوا عقبة وشيبة والـوليد بن عتبة . طبقات ابن سعد ٣ / ١ / ٣٠٠) .

وأول الحشـر نـازل فى غزوة بنى النضيـر ، وهى عقبهـا ، وذلك نوع من المنـاسبة والـربط وفى آخر تلك : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾ [٢١] وفى أول هذه : ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ [٢] .

وفى آخـر تلك ذكـر من حـاد الله ورسولـه [٢٢] وفى أول هـذه ذكر من شـاق الله ورسولـه [٤] (تنـاسـق الـدرر / ١٢٢ ، ١٢٣) .

أما عن الأسماء التى أبهمت فى هذه السورة فقد أورد الإمام السهيلى ما يلى :

قوله عز وجل : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا ﴾ [٢] هم بنو النضير حين أجلاهم النبى ﷺ من حصونهم المجاورة له إلى خيبر ثم أجلاهم عمر بعـد ذلك إلى تيماء وأريحاء وذلك بكفرهم ونقض عهـدهم وهى من بلاد الشـام وذلك حين بلغه الخبر عن النبى ﷺ « لا يبقين دينان فى جزيرة العرب » ﴿لأول الحشر ﴾ وآخر الحشر حين تحشر النار الناس إلى الشام عند قيام الساعة وقد روى أنهم قالـوا إلى أين تخرجنا يا محمد إلى الحشر . ذكـره بكر بن العـلاء القشيرى يـريد أن الشـام إليها يحشر النـاس وكان بنو النضيـر وقريظة وبنـو قينقاع فى وسط أرض العرب من الحجاز و إن كـانوا يهودا والسبب فى ذلك أن بنى إسـرائيل كـانت تغير عليهم العمـاليق من أرض الحجـاز وكان [وكـانت] منازلهم يثرب والجحفة إلى مكـة فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام فوجه إليهم جيشا وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلـوا وتركوا منهم ابن ملكهم كان غلاما حسنا فرقوا لـه ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات فقالت بنو إسرائيل لهم قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا أنرجع إلى البلاد التى غلبنا عليها فنكـون بها فرجعوا إلى يثرب فاستوطنوها وتنـاسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم إلى الإسـلام . ذكر هذا الخبر أبو الفرج الأصفهانى .

وقـريظة والنضيـر يقـال لهما الكـاهنـان وقد نسبهمـا ابن إسحاق إلى هـارون عليه السلام ونسبتهم إلى هـارون صحيحة لأن النبى ﷺ قال لصفية ووجدها تبكى لكلمة قيلت لها فقال لهـا أبوك هـارون عليـه السلام وعمك مـوسى وبعلك محمـد والحديـث معروف مشهـور وهو أطول مـن هذا وأمـا الحصون فأسمـاؤها فى السيـر منهـا : الـوطيح ، والنطاة ، وسـلالم ، والكتيبة ، وغيره ممن قد سماه ابن إسحاق وغيره .

(الوطيح : حصن من حصون خيبر، وهو أعظمها .

ونطاة : حصن بخيبر.

والسلالم : حصن بخيبر، كان من أحصنها وآخرها : فتحا على رسول الله ﷺ .

والكتيبة : هو حصن من حصـون خيبر، لما قسمت خيبر كان القسم على نطاة والشق والكتيبة ، فكانت نطاة والشق فى سهـام المسلمين وكـانت الكتيبـة خمس الله وسهم النبى ﷺ وسهم ذوى القـربى واليتـامـى والمسـاكين وطُعم أزواج النبى وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح) .

(التعريف والإعلام / ١٦٥ ، ١٦٦) .

وقال الإمـام السيوطى : ﴿ لأول الحشـر ﴾ [٢] قال ابن عباس : هو الشأم . أخرجه ابن أبى حاتم ﴿ من أهل القرى ﴾ [٧] : قال مقاتل : يعنى قريظـة والنضير وخيبر . أخرجه ابن أبى حاتم ﴿ إذ قال للإنسان اكفر ﴾ [١٣٦] : هو بـرصيصا العابد ذكره ابن كثير (مفحمات الأقران / ١٠٧) .

ويشـرح الإمام السيـوطى أسباب نـزول بعض آيات سـورة

الحشر فيقول ، مع ملاحظة أن الحرف « ك » يرمز إلى زيادات السيوطى على الواحدى :

أخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين ، قال : لا ، ولكن تكفونهم المؤنة وتقاسمونهم الثمرة والأرض أرضكم ، قالوا رضينا ، فأنزل الله ﴿ والذين تبوءوا الدار ﴾ [٩]

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله أصابنى الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال ألَا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله . فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله ؛ فذهب إلى أهله ؛ فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا .

قالت والله ما عندى إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئى السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت .

ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ .

فقال : لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة ، فأنزل الله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [٩].

وأخرج مسدد فى مسنده وابن المنذر عن أبى المتوكل الناجى أن رجلا من المسلمين فذكر نحوه ، وفيه أن الرجل الذى أضاف ثابت بن قيس بن شماس ، فنزلت فيه هذه الآية .

وأخرج الواحدى من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك ، فنزلت ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [٩] .

ك ، وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال : أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون ، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، فنزلت هذه الآية فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم ﴾ [١١] (أسباب النزول للسيوطى / ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

ويوضح الإمام الرازى ما يمكن أن يوهم بوجود تناقض بين بعض آيات هذه السورة ، وذلك بطريقة « فإن قيل ـ قلنا » ، وهو كما يلى :

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ [٩] والإيمان ليس مكانا يتبوأ لأن معنى التبوء اتخاذ المكان منزلا ؟

قلنا : فيه إضمار تقديره : وأخلصوا الإيمان كقول الشاعر:

* علفتها تبنا وماء باردا *

أى وسقيتها ماء باردا .

الثانى : أنه على ظاهره بغير إضمار ولكنه مجاز ، فمعناه أنهم جعلوا الإيمان مستقرا وموطنا لتمكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما جعلوا دار الهجرة كذلك وهى المدينة .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ ولئن نصروهم ﴾ [١٢] بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم وحرف الشرط إنما يدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه .

قلنا : معناه : ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى للنبى ﷺ : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ [الزمر : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] والله تعالى كما يعلم ما يكون قبل كونه ، فهو يعلم مالا يكون أن لو كان كيف يكون .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى للمؤمنين : ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ [١٣] أى فى صدور المنافقين أو اليهود على اختلاف القولين ، وظاهره لأنتم أشد خوفا من الله ، فإن كان « من » متعلقا بأشد لزم ثبوت الخوف لله تعالى كما تقول : زيد أشد خوفا فى الدار من عمرو، وذلك محال ، وإن كان من الله متعلقا بالخوف فأين الذى فضل عليه المخاطبون ، وأيضا فإن الآية تقتضى إثبات زيادة الخوف للمؤمنين ، وليس المراد ذلك باتفاق المفسرين ؟

قلنا : رهبة مصدر رهب مبنيا لما لم يسم فاعله ، فكأنه قيل أشد مرهوبية ، يعنى أنكم فى صدورهم أهيب من الله فيها ، كذا فسره ابن عباس رضى الله عنهما ونظيره قولك : زيد أشد ضربا فى الدار من عمرو ، يعنى مضروبية .

فإن قيل : كيف يستقيم التفضيل بأشدية الرهبة مع أنهم كانوا لا يرهبون الله ، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر ؟

قلنا : معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم ، وكانوا يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله تعالى .

فإن قيل : كيف قال إبليس ﴿ إنى أخاف الله ﴾ وهو لا يخاف الله تعالى لأنه لو خافه لما خالفه ثم أضل عبيده ؟

قلنا : قد سبق هذا السؤال وجوابه فى سورة الأنفال .

فإن قيل ما فائدة تنكير النفس والغد فى قوله تعالى : ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ [١٨] ؟

قلنا أما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمت للآخرة كأنه قال : ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ، وأين تلك النفس . وأما تنكير الغد فلعظمته وإبهام أمره كأنه قال لغد لا يعرف كنهه لعظمه .

فإن قيل : كيف قال تعالى ﴿ لغد ﴾ وأراد به يوم القيامة ، والغد عبارة عن يوم بينه وبيننا ليلة واحدة ؟

قلنا : الغد له مفهومان : أحدهما ما ذكرتم . والثانى مطلق الزمان المستقبل ، ومنه قول الشاعر :

وأعلم ما فى اليوم و الأمس قبله

ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وأراد به مطلق الزمان المستقبل كما أراد بالأمس مطلق الزمان الماضى ، فصار لكل واحد منهما مفهومان ، ويؤيده أيضا قوله تعالى ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] وقيل إنما أطلق على يوم القيامة اسم الغد تقريبا له كقوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ [القمر : ١] وقوله تعالى : ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ [النحل : ٧٧] وكأنه تعالى قال : إن يوم القيامة لقربه يشبه ما ليس بينكم وبينه إلا ليلة واحدة ، ولهذا روى عن النبى ﷺ أنه قال «عمل لليلة صبيحتها يوم القيامة » قالوا أراد بتلك الليلة ليلة الموت .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ [٢١] ؟

قيل : معناه : أنه سبحانه لو جعل فى جبل على قساوته تمييزا كما جعل فى الإنسان ثم أنزل عليه القرآن ، لتشقق خشية من الله تعالى وخوفا أن لا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن . والمقصود توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن ، و إعراضه عن تدبر قوارعه وزواجره .

فإن قيل : ما الفرق بين ﴿ الخالق ﴾ و ﴿ البارئ ﴾ [٢٤] حتى عطف تعالى أحدهما على الآخر ؟

قلنا : الخالق هو المقدر لما يوجده ، والبارئ هو المميز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة . وقيل الخالق المبدئ والبارئ المعيد (مسائل الرازى وأجوبتها / ٣٣٩ ــ ٣٤٢ والأنموذج الجليل ٦ / ٤٧٨ ـ ٤٨١) .

أما من حيث النسخ فقد سبق أن ذكرنا فى بداية هذه المادة نقلا عن الفيروزابادى فى بصائره أنه لا يوجد نسخ فى سورة الحشر، ويوضح الإمام ابن الجوزى ذلك فيقول :

قوله تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ﴾ [٧] اختلف العلماء فى المراد بهذا الفىء على قولين :

الأول : أنه الغنيمة التى يأخذها المسلمون من أموال الكفار عنوة وكانت فى بدء الإسلام للذين سماهم الله هاهنا دون الغالبين الموجفين عليها ثم نسخ بقوله تعالى فى الأنفال : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شىء ﴾ [الأنفال : ٤١] هذا قول قتادة ويزيد بن رومان فى آخرين .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال : أبنا عمر بن عبيد الله ، قال : أبنا ابن بشران ، قال : أبنا إسحاق بن أحمد ، قال : أبنا عبد الله بن أحمد ، قال : حدثنى أبى قال : بنا عبد الصمد عن همام عن قتادة ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى و اليتامى ﴾ الآية ، قال : كان الفىء بين هؤلاء فنسختها الآية التى فى الأنفال ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ﴾ .

قال أحمد : وبنا معاوية بن عمرو ، قال : أبنا أبو إسحاق عن شريك عن جابر، عن مجاهد وعكرمة ، قالا : نسخت سورة الأنفال سورة الحشر قال أحمد : وبنا وكيع ، قال : بنا

إسرائيل عن جابر عن مجاهد ، وعكرمة قالا : كانت الأنفال لله وللرسول ، فنسختها : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول) .

والثاني : أن هذا الفيء ما أخذ من أموال المشركين مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، كالصلح والجزية والعشور ومال من مات منهم في دار الإسلام ولا وارث له ، فهذا كان يقسم في زمان رسول الله ﷺ خمسة أخماس فأربعة لرسول الله يفعل بها ما يشاء والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية . واختلف العلماء فيما يصنع بسهم الرسول ﷺ بعد وفاته ، فقال قوم : هو للخليفة بعده ، وقال قوم : يصرف في المصالح فعلى هذا تكون هذه الآية مبينة لحكم الفيء والتي في الأنفال مبينة لحكم الغنيمة فلا يتوجه نسخ .

أخبرنا ابن ناصر ، قال : أبنا على بن الحسين بن أيوب قال : أبنا ابن شاذان ، قال : أبنا أبو بكر النجاد . قال : أبنا أبو داود السجستاني ، قال : أبنا أحمد بن محمد ، قال : سمعت على بن الحسين ، يقول : روى لنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت آية الفيء في آية الغنائم ، قال أحمد بن شبويه هذا أشبه من قول قتادة ، وسورة الحشر نزلت بعد الأنفال بسنة فمحال أن ينسخ ما قبل ما بعد . قال أبو داود : وبنا خشيش بن أصرم ، قال بنا يحيى بن حسان ، قال : بنا محمد بن راشد ، قال : بنا ليث بن أبي رقية ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد ، أن سبيل الخمس سبيل الفيء (نواسخ القرآن / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

ويقسم حجة الإسلام الغزالي آيات القرآن الكريم إلى جواهر ودرر ، فيعرّف الجواهر بأنها تلك الآيات التي وردت في ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة ، وهو القسم العلمي . وأما الدرر فهي ما ورد فيه بيان الصراط المستقيم والحث عليه وهو القسم العملي .

فمن الجواهر في سورة الحشر أربع آيات :

قوله : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [٢١ ـ ٢٤] .

ومن الدرر آيتان :

قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ [١٨ ، ١٩] .

(جواهر القرآن ودرره / ١١٦ ، ١٦٧) .

أما من حيث رسم المصحف بالنسبة لسورة الحشر فقد ذكر الإمام أبو عمرو الداني ما يلي :

١ ـ حذف الألف بعد واو الجمع في ﴿ تبوءو ﴾ [٩] و﴿ جاءو ﴾ [١٠] .

٢ ـ رسم الواو صورة للهمزة على مراد الاتصال أو التسهيل في ﴿ جزاؤا ﴾ [١٧] وذكر الخوارزمي ما يأتي :

٣ ـ ﴿ **يأولى** ﴾ [٢] بألف واحدة .

٤ ـ ﴿ كى لا ﴾ [٧] مقطوع .

(المقنع / ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ وموجز كتاب التقريب / ٨٧) .

وأما بالنسبة لأنواع الوقف وهي التام ، والكافي ، والحسن ، والقبيح بالنسبة لسورة الحشر فيبينها الإمام الداني على النحو التالي :

﴿ **وهو العزيز الحكيم** ﴾ [١] تام ﴿ **لأول الحشر** ﴾ [٢] كاف ومثله ﴿ **أن يخرجوا** ﴾ ، ومثله ﴿ **في قلوبهم الرعب** ﴾ ﴿ **يا أولى الأبصار** ﴾ أكفى مما قبله ﴿ **شاقوا الله ورسوله** ﴾ [٤] كاف ﴿ **شديد العقاب** ﴾ تام . ﴿ **على من يشاء** ﴾ [٦] كاف ومثله ﴿ **بين الأغنياء منكم** ﴾ [٧] ﴿ **فانتهوا** ﴾ كاف إن كان ﴿ **واتقوا الله** ﴾ نسقا عليه ، وإن كان مبتدأ ، فهو تام . وتمام الآية ﴿ **وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله** ﴾ فقوله تعالى ﴿ **واتقوا الله** ﴾ إما نسق فيكون الوقف على ﴿ **فانتهوا** ﴾ كافيا وإما استئناف كلام جديد فيكون تاما) ﴿ **بهم خصاصة** ﴾ [٩] تام ،

والفواصل قبل وبعد كافية ﴿ غلا للذين آمنوا ﴾ [١٠] كاف ﴿رحيم ﴾ تام ، ومثله ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ ﴿ لننصرنكم ﴾ [١١] كاف ﴿ أو من وراء جدر ﴾ [١٤] تام ﴿ وقلوبهم شتى ﴾ كاف ومثله ﴿ وبال أمرهم ﴾ [١٥] ومثله ﴿ خالدين فيها ﴾ [١٧] وقال الأخفش ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ﴾ [١٥] تمام الكلام ، أي حديثا ، قال ثم قال الله ﴿ ذاقوا وبال أمرهم ﴾ ﴿وذلك جزاء الظالمين ﴾ [١٧] تام ، ومثله ﴿ وأصحاب الجنة ﴾ [٢٠] الأول ، ومثله ﴿ الفائزون ﴾ ومثله ﴿ يتفكرون ﴾ [٢١] وكذلك الفواصل إلى آخر السورة ﴿ من خشية الله ﴾ [٢١] تام ﴿ المتكبر ﴾ [٢٣] كاف ، ومثله ﴿ الأسماء الحسنى ﴾ [٢٤] ومثله ﴿ والأرض ﴾ .

(المكتفى / ٣٤٩) .

وأما من حيث القراءات السبع كما أوردها ابن مجاهد فهى كما يلى :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ يخربون بيوتهم ﴾ [٢] .

قرأ أبو عمرو وحده : ﴿ يخرِّبون بيوتهم ﴾ مشددة .

وقرأ الباقون : ﴿ يخرِبون﴾ خفيفة .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ أو من ورآء جدر ﴾ [١٤] .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (أو من ورآء جدار) بألف .

وقرأ الباقون : ﴿ جدرِ ﴾ جماعة .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ إنى أخاف الله ﴾ [١٦] .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : (إنىَ أخاف) بفتح الياء وأسكنها الباقون (كتاب السبعة فى القراءات / ٦٣٢) .

وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى رحمه الله :

وفى رسلى اليا يخربون الثقيل (حـ) ـز
ومع دولة أنث يكون بخلف (لـ) ـلا
وكسر جدار ضم والفتح واقصروا
(ذ)وى (أ) سوة إنى بياء توصلا

(متن حرز الأمانى / ١٨٦) .

ومن حيث القراءات العشر : قرأ أبو جعفر (كى لا تكون) [٧] بالتاء ، (دولة) بالرفع ، وقرأ الباقون ﴿ يكون ﴾ بالياء ، ﴿دولة ﴾ بالنصب(المبسوط فى القراءات العشر / ٤٣٣) .

أما عن القراءات الشاذة فى سورة الحشر فقد أوردها ابن خالويه فى « مختصر فى شواذ القرآن » / ١٥٤ ، ١٥٥ ، وابن جنى فى « المحتسب » ٢ / ٤١١ ، والشيخ عبد الفتاح القاضى فى « القراءات الشاذة » / ٨٩ ويمكنك الرجوع إلى هذه المصادر إن شئت .

(سعادة الدارين فى بيان وعد آى معجز الثقلين ـ محمد بن على بن خلف الشهير بالحداد / ٧٣ ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٢٢ ، ١٢٣ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص ، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القاسم السهيلى / ١٦٥ ـ ١٦٧ ، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن للعلامة جلال الدين السيوطى ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البغا / ١٠٧ ، وأسباب النزول للسيوطى أيضا ـ تحقيق وتعليق قرنى أبى عميرة / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٣٩ ـ ٣٤٢ ، وهو نفسه بعنوان « الأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيل ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ونخبة من علماء مجلة الأزهر . هدية مجلة الأزهر . رجب ١٤١٠ هـ / ٤٧٨ ـ ٤٨١ ونواسخ القرآن للحافظ ابن الجوزى / ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وجواهر القرآن ودرره لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى / ١١٦ ، ١٦٧ والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار لأبى عمرو الدانى ـ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ ، وموجز كتاب التقريب فى رسم المصحف العثمانى ليوسف بن محمود الخوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٨٧ ، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٤٩ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ٦٣٢ ، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى للإمام الشاطبى ، ومعه كتاب تقريب النفع فى القراءات السبع ـ الشيخ على محمد الضباع / ١٨٦ ، والمبسوط فى القراءات العشر لابن مهران الأصبهانى ـ تحقيق سبيع حمزة حاكى / ٤٣٣ . انظر أيضا أسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء الكرمانى ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٩١ ، وألفية التفسير ـ

حسين على دحلى / ٦١ ، ٦٢ ، وأسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى / ٢٧٨ ــ ٢٨١ ، وإبراز المعانى من حرز الأمانى للإمام أبى شامة / ٦٩٩ ، ومختصر فى شواذ القرآن عن كتاب البديع لابن خالويه / ١٥٤ ، ١٥٥ ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغه العرب ــ عبد الفتاح القاضى / ٨٩ ، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى - بتحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢ / ٤١١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١ / ١٨٠ ، ١٨١) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب موسوعة الخطوط العربية وزخارفها ــ معروف زريق / ٢١٥ شكل ١١٧ .

*** الحشو :**

قال صاحب اللسان : حشو البيت من الشعر : أجزاؤه غير عروضه وضربه ، وهو من ذلك . والحشو من الكلام : الفضل الذى لا يعتمد عليه (اللسان ١٠ / ٨٩١) .

وقال صاحب فقه اللغة فى فصل فى الحشو :

العرب تقيم حشو الكلام مقام الصلة والزيادة وتجريه فى نظام الكلمة وهو على ثلاثة أضرب ضرب منها ردئ مذموم كقول الشاعر :

صدودكم والديار دانية

أهدى لرأسى ومفرقى شيبا

فقوله مفرقى مع ذكر الرأس حشو بغيض . وكقول الآخر :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ

نصيب ولا حظ تمنى زوالها

والنصيب والحظ بمعنى واحد : وأما الضرب الأوسط فكقول امرئ القيس :

ألا هل أتاها والحوادث جمة

بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

فقوله والحوادث جمة حشو مستغنى عنه ولكن لا بأس به فى موضعه .

(فى كتب اللغة بيقر هلك وفسد ومشى كالمتكبر وخرج إلى حيث لا يدرى وخرج من الشام إلى العراق وهاجر من أرض إلى أرض) .

وكقول النابغة :

لعمرى وما عمرى على بهين

لقد نطقت بطلا علىّ الأقارع

فقوله وما عمرى على بهين حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد .

وأما الضرب الثالث فهو الحشو والحسن اللطيف كقول عوف بن محلم :

ان الثمانين وبلغتها

قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو مستغنى عنه فى نظم الكلام ولكنه حسن فى مكانه وأوقع فى المعنى المقصود . وكان ابن عباد يسمى هذا الحشو حشو اللوزينج لأن حشو اللوزينج خير من خبزته . ومن هذا الضرب قول طرفة .

فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها حشو ولكن ما لحسنه نهاية . ومن ذلك قول عدى بن زيد لأبيه زيد وعدى فى حبس النعمان :

فلو كنت الأسير ولا تكنه

إذن علمت معد ما أقول

فقوله ولا تكنه حشو لا يخفى حسنه وبراعته . ومن ذلك قول البحترى :

إن السحاب أخاك جاد بمثل ما

جادت يداك لو انه لم يضرر

فقوله أخاك حشو ولكن ما لحسنه غاية . ومن ذلك قول ابن المعتز :

إن يحيى لا زال يحيا صديقى

وخليلى من دون هذى الأنام

فقوله لا زال يحيا حشو يربى على حشو اللوزينج . ومن ذلك قول أبى الطيب المتنبى :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب
يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

فقوله وحاشاه حشو يجمع الحسن والطيب . ومن ذلك قول ابن عباد :

قل لأبى القاسم إن جيته
هنيت ما أعطيت هنيته
كل جمال فائق رائق
أنت برغم البدر أوتيته

فقوله برغم البدر حشو يقطر منه ماء الظرف . ومن ذلك قول أبى محمد الخازن الأصبهانى رحمه الله للصاحب :

فايه طربة للعفو إن الكريم وأنت معناه طروب

فقوله وأنت معناه حشو يعجز الوصف عن حسنه وحلاوته (فقه اللغة / ٢٦٠ـ٢٦٢) .

وقال صاحب العمدة فى الحشو وفضول الكلام ، وهو يمدنا بمزيد من الأمثلة :

وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون فى داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذلك فى القافية فهو استدعاء ، وقد يأتى فى حشو البيت ما هو زيادة فى حسنه وتقوية لمعناه : كالذى تقدم من التتميم ، والالتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكر آنفا .

من ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلا :

صببنا عليها ظالمين سياطنا
فطارت بها أيد سراع وأرجل

فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ، وبالغ فى المعنى أشد مبالغة من جهته ، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه اللفظة التى هى حشو فى ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتتميم ...

وقال الفرزدق :

ستأتيك منى إن بقيت قصائد
يقصر عن تحبيرها كل قائل

فقوله « إن بقيت » حشو فى ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائدا ، وهوشبيه بالالتفات من جهة ، وبالاحتراس من جهة أخرى ، فما كان هكذا فهو الجيد ، وليس بحشو إلا على المجاز ، أو بعد أن ينعت بالجودة والحسن ، أو يضاف إليه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .

وقد أتى العتابى بما فيه كفاية حيث يقول :

إن حشو الكلام من لكنة المر
ء وإيجازه من التقويم

فجعل الحشو لكنة ، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة ، وإنما أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبى صفوان الأسدى يذكر بازيا :

ترى الطير والوحش من خوفه
حواجر منه إذا ما اغتدى

فقوله « منه » بعد قوله « من خوفه » حشو لا فائدة فيه ، ولا معنى له ، وكذلك قول أبى تمام يصف قصيدة :

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى
والليل أسود حالك الجلباب

فقوله « الدجى » حشو ؛ لأن فى القسيم الثانى ما يدل عليه من زيادة استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن فى القسيم الأول حشو كان القسيم الثانى بأثره فضلة .

وقال أبو الطيب فى نحو من ذلك :

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض
ومن فوقها والبأس والكرم المحض

فقوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنس والجن جميعا ، والبأس والكرم جميعا ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم فى قول الله تعالى : ﴿ **فيهما فاكهة ونخل ورمان** ﴾ [الرحمن : ٦٨] فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى : ﴿ **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** ﴾ [البقرة : ٩٨] فإن هذا سائغ وليس بحشو حينئذ .

ومن الحشو قول الكلحبه اليربوعى :

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت
حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد تقدم ، إلا أن يريد فى قوله بالفتى الزراية والأطنوزة فإنه يحتمل .

(الأطنوزة : من الطنز ـ بفتح الطاء وسكون النون ، وفى آخره زاى ـ وهو السخرية ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز ـ بالفتح وتشديد النون ـ قال صاحب المختار : « وأظنه مولدا أو معربا » .

وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير :

يقول : أرى زيدا وقد كان معدما
أراه لعمرى قد تمول واقتنى

فقوله « أراه لعمرى » حشو واستراحة يستغنى عنها بقوله «أرى زيدا » .

ومما يكثر به حشو الكلام « أضحى ، وبات ، وظل ، وغدا ، وقد ، ويوما » وأشباهها ، وكان أبو تمام كثيرا ما يأتى بها ، ويكره للشاعر استعمال « ذا ، وذى ، والذى ، وهو ، وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب مولعا بها ، مكثرا منها فى شعره ، حتى حمله حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة فى قوله :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو
عقمت بمولد نسلها حواء

وكذلك يكره للشاعر قوله فى شعره « حقا » إلا أن تقع له موقعها فى قول الأخطل :

فأقسم المجد حقا لا يحالفهم
حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فإن قوله ههنا « حقا » زاد المعنى حسنا وتوكيدا ظاهرا .

ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى قوله لابن المعتز :

ولو قبلت فى حادث الدهر فدية
لقلنا على التحقيق نحن فداؤه

فقوله « على التحقيق » حشو مليح فيه زيادة فائدة .

ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفادا ، وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم .

قضى لها الله حين صورها الـ
ـخالق أن لا يكنها سدف

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم الله تعالى قد تقدم .

ووجدت الحذاق يعيبون قول ابن الحدادية ــ وهى أمه ، واسمه قيس بن منقذ :

إن الفؤاد قد أمسى هائما كلفا
قد شفه ذكر سلمى اليوم فانتكسا

لحشوه بـ « قد » فى موضعين من البيت ثم بـ « أمسى » وبـ « اليوم » على تناقضهما وعاب الحاتمى على الأعشى قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شاته
فأصبت حبة قلبها وطحالها

لأن تكرير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا تعسف من الحاتمى لأن قلبه غير قلبها ؛ فإنما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته فى أكثر النسخ « حبة قلبه وطحالها » وهو غلط ، ومن ههنا عابه فيما أظن ، ومن الناس من روى «فرميت غفلة عينه عن شاته » وهى رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبى العيال الهذلى قوله :

ذكرت أخى فعاودنى
صداع الرأس والوصب

لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ، وعلى جميل قوله :

وما ذكرتك النفس يا بثن مرة
من الدهر إلا كادت النفس تتلف

فتكرير « النفس » ليس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل ـ بالفاء ـ وزعم قوم أنه بالعين كأنهم يجعلونه اعوجاجا من قولهم : ناب أعصل ، وجعله آخرون بالعين وضاد معجمة ، كأن عندهم من : تعضل الولد ، إذا عسر خروجه واعترض فى الرحم ،

وظاهر البيت الذى أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل ـ بالفاء ـ وهو قول دريد بن الصمة :

وبلّغ نميرا ـ إن عرضت ـ ابن عامر
وأى أخ فى النائبات وطالب

ويجرى هذا المجرى قول أبى الطيب ، بل هو أقبح منه :

حملت إليه من لسانى حديقة
سقاها الحيا سقى الرياض السحائب

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ، وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق » من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها .

(العمدة ٢ / ٦٩ ـ ٧٢) .

وقال صاحب كشاف اصطلاح الفنون :

الحشو بالفتح وسكون الشين المعجمة فى اللغة بمعنى درميان افتاده زائد وشتران خرد ومردم فرومايه كما فى كنز اللغات وعند النحاة هو الصلة فى اللباب القضية التى بها يتم الموصول تسمى صلة وحشواه وعند أهل العروض والشعراء هو الركن الأوسط من المصراع كما فى رسالة قطب الدين السرخسى وعروض سيفى وعند أهل المعانى هو أن يكون اللفظ زائدا لا لفائدة بحيث يكون الزائد متعينا فبقيد لالفائدة خرج الإطناب وبقيد التعين خرج التطويل الذى سماه صاحب جامع الصنائع بالحشو القبيح . وهو قسمان لأن ذلك الزائد إما أن يكون مفسدا للمعنى أو لا يكون فالحشو المفسد كلفظ الندى فى بيت أبى الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى
وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

أى المنية يعنى لا فضيلة فى الدنيا للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء فإن الشجاع إذا تيقن بالخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوف الهلاك وكذا الصابر إذا تيقن بالدوام وبزوال الحوادث والشدائد هان عليه الصبر على المكروه لوثوقه بالخلاص عليه بخلاف العطاء فإن الخلود يزيد فى الحاجة إلى المال فيزيد فضل العطاء مع الخلود .

أقول قوله : والندى ليس بحشو كما زعموا لأن المال مخلوق لوقاية النفس عن الهلاك لأنه يتوسل به إلى دفع الجوع الذى يفضى إلى الهلاك ، لأن البدن بسبب اشتغال الحرارة الغريزية يتحلل ويتجفف فلو لم يصل إليه بدل ما يتحلل من المأكولات والمشروبات يشرف على الهلاك بل يهلك ، وأيضا يتشبث بالمال إلى رفع الأمراض التى توصل إلى الإفناء لو لم يصل إليه الدواء فلا جرم أن المال وسيلة البقاء فإذا علم الجواد أنه يحتاج إلى المال فى الحال وفى المآل ومع هذا يجود به على الأغيار كان فى غاية الفضل كما مدح الله تعالى الذين يبذلون أموالهم مع احتياجهم إليها بقوله ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ [الحشر : ٩] فلو لم يكن الموت والردى لم يكن فضل للجود والندى . والحشو الغير المفسد للمعنى كلفظ قبله فى قول زهير بن أبى سلمى :

فأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكننى عن علم ما فى غد عمى

فقوله « قبله » صفة الأمس بتقدير الكائن قبله وهو الوصف للتأكيد وهو حشو إذ لا فائدة فى التأكيد فيه بخلاف أبصرته بعينى وسمعته بأذنى وضربته بيدى فإنه يدفع التجوز بالإبصار والسماع عن العلم بلا شبهة وبالضرب عن الأمر به فهذه إنما تقال فى مقام افتقر إلى التأكيد ومثل هذا وقع فى التنزيل نحو ﴿ **فويل لهم مما كتبت أيديهم** ﴾ [البقرة : ٧٩] ونحو ﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم** ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ونحو ﴿ **ما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ [الأنعام : ٣٨] هذا كله خلاصة ما فى المطول والأطول .

ثم يقول صاحب كشاف اصطلاحات الفنون عن الحشو فى العروض :

الحشو فى العروض وهو الأجزاء المذكورة بين الصدر

والعروض وبين الابتداء والضرب من البيت مثلا إذ كان البيت مركبا من مفاعيلن ثماني مرات فمفاعيلن الأول صدر والثاني والثالث حشو والرابع عروض والخامس ابتداء والسادس والسابع حشو والثامن ضرب وإذا كان مركبا من مفاعيلن أربع مرات فمفاعيلن الأول صدر، والثاني عروض، والثالث ابتداء، والرابع ضرب، فلا يوجد فيه الحشو هكذا في رسالة السيد الجرجاني (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٩٥، ٣٩٦).

(لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٩١، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي / ٢٦٠ ـ ٢٦٢، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصّله وعلّق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ٢ / ٦٩ ـ ٧٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٣٩٥، ٣٩٦).

*** الحشوية:**

الحشوية بسكون الشين وفتحها وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة قال السبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما فقال ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم والجسم حشو فعلى هذا القياس فيه الحشوية بسكون الشين نسبة إلى الحشو.

وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد ويفوضون التأويل إلى الله وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف انتهى. وقيل طائفة يجوّزون أن يخاطبنا الله بالمهمل ويطلقون الحشو على الدين فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهما حشو أي واسطة بين الله ورسوله وبين الناس كذا ذكر الخفاجي في سورة البقرة في حاشية البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [البقرة: ٣٨] (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٩٦، ٣٩٧).

والحشوية إحدى طائفتي المشبهة، وهما الرافضة من الشيعة، والحشوية من أهل الحديث الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التي تشعر بالتشبيه، وهذه الطائفة يمثلها عبد الله ابن محمد بن كلاب، ولقد كان تمسكهم في تشبيههم بأحاديث موضوعة ومدسوسة على الدين الإسلامي، أو بالظاهر من بعض الآيات والأحاديث (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ١٠٠).

وقال الشهرستاني في معرض كلامه على المشبهة:

غير أن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل: الهاشميين من الشيعة. ومثل مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي وغيرهم من الحشوية قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض، إما روحانية، وإما جسمانية. ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن.

وأما مشبهة الحشوية؛ فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي: ـ أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة. وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض.

وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا، وأن يزوره ويزورهم.

وحكي عن داود الجواربي أنه قال:

وقال: إن معبوده جسم، ولحم، ودم. وله جوارح وأعضاء من يد، ورجل، ورأس، ولسان، وعينين، وأذنين. ومع ذلك جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحوم، ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه شيئا من المخلوقات، ولا يشبهه شيء ...

وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء، والوجه واليدين، والجنب، والمجيء، والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها في قوله عليه الصلاة والسلام: « خلق آدم على صورة الرحمن » وقوله

«حتى يضع الجبار قدمه فى النار» وقوله «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» وقوله «خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحا» وقوله «وضع يده أو كفه على كتفى» وقوله «حتى وجدت برد أنامله على كتفى» إلى غير ذلك ؛ أجروها على ما يتعارف فى صفات الأجسام .

وزادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، وأكثرها مقتبسة من اليهود ، فإن التشبيه فيهم طباع ، حتى قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وإن العرش لتئط من تحته كأطيط الرحل الحديد ، وإنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع (يئط : يرسل صوتا من ثقل ما يحمل) .

وروى المشبهة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : «لقينى ربى فصافحنى وكافحنى ، ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أنامله» (الملل والنحل ١ / ١٠٥ ، ١٠٦) .

وفى قصيدته النونية الجامعة يهاجم الإمام ابن القيم أولئك الذين لقبوا أهل الحديث بالحشوية ، ويبين أنهم هم أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب فيقول :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى
بالوحى من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوا فى الوجو
د وفضلة فى أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا
رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفى السما
ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن فى للظرف والر
حمن محوى بظرف مكان
والله لم يسمع نذا من فرقة
قالته فى زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما
ذا قولهم تبا لذى البهتان
بل قولهم إن السموات العلى
فى كف خالق هذه الأكوان
حقا كخردلة ترى فى كف
ممسكها تعالى الله ذو السلطان
أترونه المحصور بعد أم السما
يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
كم ذا مشبهة وكم حشوية
فالبهت لا يخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب
وسنة المختار حشوا فاشهدوا ببيان
أنا بحمد إلهنا حشوية
صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمّت شيوخكم بهذا
الاسم فى الماضى من الأزمان
سمّى به ابن عبيد عبد الله ذا
ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرا كما ورثوا
لعبد الله أنى يستوى الإرثان
تدرون من أولى بهذا الاسم
وهو مناسب أحواله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من
بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوىّ لا أهل الحد
يث أئمة الإسلام والإيمان
وردوا عذاب مناهل السنن التى
ليست زبالة هذه الأذهان

(متن القصيدتين النونية والميمية / ١٠١ ، ١٠٢) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى . ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين -

طـه عبد الـرءوف سعد ومصطفى الهـوارى / ١٠٠ ، والملل والنحل للشهرستـانى ـ تحقيق محمـد سيـد كيـلانى ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ومتن القصيدتين النونية والميمية للعلامة ابن القيم / ١٠١ ، ١٠٢) .

*** الحشيش :**

سئل شيخ الإسـلام ابن تيميـة فيمن يأكـل الحشيش مـا يجب عليه ؟

فأجاب رحمه الله قائلا :

الحمد لله . هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء أسكر منها أو لم يسكـر، والسكـر منها حـرام بـاتفـاق المسلمين ، ومن استحل ذلك وزعم أنـه حـلال فإنه يستتـاب ، فإن تـاب وإلا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين وأما إن اعتقد ذلك قربة وقال هى لقيمـة الذكر والفكر ، وتحرك العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ، وتنفع فى الطـريق ، فهو أعظم وأكبر ، فإن هذا من جنس دين النصارى الذين يتقربون بشرب الخمر ، ومن جنس من يعتقـد الفواحش قربة وطـاعة قال الله تعالى **﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقـولون على الله ما لا تعلمون ﴾** [الأعـراف : ٢٨] ومن كـان يستحل ذلك جاهـلا وقـد سمع بعض الفقهاء يقول :

حـــرمـــوهـــا مـن غيـــر عقل ونقـل
وحــــرام تحــريم غيــــر الحــــرام

فإنـه مـا يعرف الله ورسـولـه وأنهـا محـرمة والسكـر منهـا حرام، بـالإجماع ، وإذا عرف ذلك ولم يقر بتحـريم ذلك فإنه يكون كـافرا مرتدا كمـا تقدم ، وكل ما يغيب العقل فإنـه حرام وإن لم تحصل بـه نشـوة ولا طـرب ، فإن تغيُّب العقل حـرام بإجمـاع المسلمين ، وأمـا تعاطى البنج الـذى لم يسكـر ولم يغيب العقل ففيه التعـذير وأمـا المحققون من الفقهـاء فعلموا أنهـا مسكـرة ، وإنمـا يتنـاولها الفجـار لمـا فيهـا من النشـوة والطـرب، فهى تجـامع الشـارب المسكـر فى ذلك والخمـر توجب الحركـة والخصومة وهذه توجب الفتور والـذلة . وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهـوة وما توجبه من الدياثة مما هى من شـر الشراب المسكر وإنما حدثت فى النـاس بحدوث التتـار، وعلى تناول القليل منهـا والكثير حـد الشرب ثمانون سوطا أو أربعون ، إذا كان مسلما يعتقد تحريم المسكـر ويغيب العقل ، وتنـازع الفقهاء فى نجـاستهـا على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها ليست نجسة .

والثانى : أن مائعها نجس وإن جامدها طاهر .

والثالث : وهـو صحيح أنها نجسة كالخمـر ، فهذه تشبه العذرة وذلك يشبه البول وكلاهما من الخبائث التى حرمها الله ورسوله ، ومن ظهر منه أكل الحشيشة فهو بمنزلة من ظهر منه شرب الخمر وشر منه من بعض الـوجوه ويهجر ويعاقب على ذلك .

كما يعاقب هذا للوعيد الوارد فى الخمر ، مثل قوله ﷺ : « لعن الله الخمر وشاربهـا وساقيها وبائعها ومبتاعهـا وحاملها وآكل ثمنها » .

قالت المـؤلفة : هـذا الحديث الشريف أخرجـه الحافظ السيوطى فى الجـامع الصغير بلفظ « لعن الله الخمر وشـاربها وسـاقيها وبـائعها ومبتـاعها وعـاصرهـا ومعتصرهـا وحاملهـا والمحمولـة إليه وآكل ثمنها » من روايـة أبى داود والحاكم عن ابن عمر وقال عنه حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ١٢٩) .

ومثل قوله « من شرب الخمـر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ، فإن تـاب تاب الله عليه فإن عاد وشـربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ، فإن تاب تاب الله عليه ، وإن عاد فشربها فى الثـالثـة أو الـرابعة كـان حقـا على الله أن يسقيـه من طينـة الخبال » وهى عصارة أهل النار .

وقد ثبت فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال « كل مسكر حرام » وسئل عن هذه الأشـربة وكان قد أوتى جـوامع الكلم فقال ﷺ «كل مسكر حرام » .

وسئل أيضـا مـا يجب على آكل الحشيشـة ومن ادعى أن أكلها جائز حلال مباح .

فأجاب رحمه الله قائلا : أكل هـذه الحشيشة الصلبة حرام وهى من أخبث الخبـائث المحرمـة وسواء أكل منهـا قليلا أو

كثيرا ، لكن الكثير المسكر منها حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهودى والنصرانى ، وسواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الفكر والذكر ، وأنها تحرك العزم الساكن إلى أشرف الأماكن وأنهم كذلك يستعملونها وقد كان بعض السلف ظن أن الخمر تباح للخاصة متأولا قوله تعالى : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا**﴾ [المائدة : ٩٣]

فلما رفع أمرهم إلى عمر بن الخطاب وتشاور الصحابة فيهم اتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على الاستحلال قتلوا ، وهكذا حشيشة العشب من اعتقد تحريمها وتناولها فإنه يجلد الحد ثمانين سوطا أو أربعين ، وهذا هو الصواب .

وقد توقف بعض الفقهاء فى الجلد ، ولأنه ظن أنها مزيلة للعقل غير مسكرة كالبنج ونحوه مما يغطى العقل من غير سكر ، فإن جميع ذلك حرام باتفاق المسلمين إن كان مسكرا ففيه جلد الخمر ، وإن لم يكن مسكرا ففيه التعزير بما دون ذلك . ومن اعتقد حل ذلك كفر وقتل (انظر مادة « التعزير » م ٩ / ٦٠٢ـ٦٠٧ من هذه الموسوعة) .

والصحيح أن الحشيشة مسكرة كالشراب فإن آكليها ينشون بها ، ويكثرون تناولها بخلاف البنج وغيره ، فإنه لا ينشى ولا يشتهى ، وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحد . وما لا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير، والحشيشة مما يشتهيها آكلوها ويمتنعون عن تركها ، ونصوص التحريم فى الكتاب والسنة على من يتناولها كما يتناول غير ذلك ، وإنما ظهر فى الناس أكلها قريبا من نحو ظهور التتار، فإنها خرجت وخرج معها سيف التتار .

وسئل أيضا : هل يجوز لآكل الحشيشة أن يؤم الناس ؟ وهل للجماعة إذا علموا ذلك أن يصلوا خلفه وهل يجوز لناظر المكان عزله أم لا ؟

فأجاب رحمه الله : لا يجوز أن يولى الإمامة بالناس من يأكل الحشيشة أو يفعل شيئا من المنكرات المحرمة مع إمكان تولية من هو خير منه ، كيف وفى الحديث « من ملك رجلا عملا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » وفى حديث آخر « إذا أمَّ الرجل القوم وفيهم من هو خير منه لم يزالوا فى شقاء » .

وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنا » فأمر النبى ﷺ بتقدم الأفضل فى العلم والكتاب والسنة ، ثم الأسبق إلى العمل الصالح بنفسه ، ثم بفعل الله تعالى .

وفى سنن أبى داود وغيره أن رجلا من الأنصار كان يصلى بقوم إماما فبصق فى القبلة فأمرهم النبى ﷺ أن يعزلوه عن الإمامة ولا يصلوا خلفه ، فجاء إلى النبى ﷺ فسأل هل أمرهم بعزله : فقال : نعم إنك أذيت الله ورسوله . فإذا كان قد أمر بعزله عن الإمامة لأجل إتيانه فى الصلاة ببصاقة إلى القبلة فكيف بالمصر على أكل الحشيشة ، لا سيما إن كان مستحلا لذلك كفر بلا نزاع وأما احتجاج المعارض لما ذكر من قوله تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر فهذا غلط فيه لوجوه .

أحدها : أن هذا الحديث لم يثبت عن النبى ﷺ بل فى سنن ابن ماجه عنه « لا يؤم فاجر مؤمنا إلا أن يقهره بسوط أو عصا » .

الثانى : أنه قد يجوز للمأموم أن يصلى خلف من ولى فإن كان توليه لا يجوز فليس للناس أن يولوا عليهم الفساق ، وإن كان قد ينفذ حكمه أو تصح الصلاة خلفه .

الثالث : أن الأئمة متفقون على كراهية الصلاة خلف الفاسق لكن اختلفوا فى صحتها ، فقيل : لا تصح كقول مالك وأحمد فى إحدى الروايتين عنهما ، وقيل بل تصح كقول أبى حنيفة . والشافعى والرواية الأخرى عنهما ، ولم يتنازعوا أنه لا ينبغى توليته .

الرابع : أنـه لا خلاف بين المسلمين فى وجـوب الإنكار على هؤلاء الفساق الذين يسكرون من الحشيشة بل الذى عليه جمهور الأئمـة أن قليلها وكثيرهـا حرام بل الـواجب أن آكليها يحدون بهـا وهى نجسة وإذا كان آكلها لم يغتسل منهـا كانت صلاته باطلة ولو اغتسل منها فهى خمر .

وفى الحديث « من شرب الخمـر لم تقبل له صلاة أربعين يوما فإن تـاب تاب الله عليه فإن عاد فشربها لم تقبل فإن عاد فشربهـا فى الثالثـة أو الرابعـة كان حقا علـى الله أن يسقيه من طينـة الخبال ، قيـل يارسـول الله : ومـا طينـة الخبال ؟ قـال عصارة أهـل النار » وإذا كـانت صلاتـه تارة بـاطلة وتـارة غير مقبولة وأنه يجب الإنكار عليـه باتفاق المسلمين فمن لم ينكر عليه كان عاصيا لله ورسولـه ، ومن منع المنكر عليه فقد ضاد الله ورسوله . ففى سنن أبى داود عـن النبى ﷺ أنه قال : « من حالت شفاعته دون حدود الله فقد ضاد الله فى أمره ، ومن قال فى مؤمن مـا ليس فيه حبس فى ردغة الخبال حتى يخـرج مما قـال ، ومن خاصم فى بـاطل وهو يعلم لم يـزل فى سخط الله حتى ينزع ، فالمخاصمون عنه مخاصمون فى الباطل وهم فى سخط الله وكل من علم حاله ولم ينكر عليه بحسب قدرته فهو عاص لله ورسوله » .

وسئل أيضا فى رجال كهول وشبـاب وهم حجاج مواظبون على أداء ما افترض عليهم من صـوم وصلاة وعبادة وفيهم كبير القدر يشار إليه معروفون بالثقة والأمانة ، ليس عليهم شىء من ظواهر السوء والفسوق وقد اجتمعت عقولهم وأذهانهم ورأيهم على أكل العبراء . وكـان قولهم واعتقـادهم فيها أنهـا معصية وسيئة غير أنهم مع ذلك يقولون فى اعتقادهم بدليل كتاب الله سبحانه وتعالى وهو أن ﴿ **الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ [هود : ١١٤] وذكـروا أنهـا حـرام غيـر أن لهم وردا بـالليل وتعبـدات ويـزعمون أنهـا إذا حصلت شيشـاتها بـرءوسهم تأمـرهم بتلك العبادة ولا تأمـرهم بسوء ولا فـاحشة ويثبتـوها أن ليس لهـا ما يوجب حدا مـن حدود، إلا أنها تتعلق بمخالفة أمـر من أمور الله سبحانه وتعالى، والله يغفـر ما بين العبد وربه واجتمع بهم رجل صـادق وذكـر عنهم ذلك ووافقهم على أكلهـا بحكمهم عليه وحديثهم له واعترف على نفسه بذلك ، وهل يجب على آكلها حد شارب الخمر أم لا ؟

فأجـاب قائلا : نعم يجب على آكلهـا حد شـارب الخمر وهؤلاء القوم ضلال جهال عصـاة لله ورسوله وكفى برجل جهلا أن يعرف بأن هذا العمل محرم وأنه معصية لله ولرسوله ثم يقول أنه تطيب له العبادة وتصلح له حاله . ويح هذا القائل أيظن أن الله سبحانه وتعالى ورسوله حرم على الخلق ما ينفعهم ويصلح لهم حالهم ؟ نعم قـد يكون فى الشىء منفعة وفيه مضـرة أكثر من منفعته فيحـرمه الله سبحانـه وتعالى لأن المضـرة إذا كانت أكثر من المنفعة بقيت الزيادة مضـرة محضة وصار هذا الرجل كأنه قال لـرجل خذ منى هذا الدرهـم وأعطنى دينارا، فجهله يقول لـه هو يعطيك درهما فخذه ، والعقل يقـول إنما يحصل الدرهم بفـوات الدينار وهـذا ضرر لا منفعة لـه ، بل جميع ما حرمـه الله ورسوله إن ثبت فيه منفعـة ما فلا بد أن يكـون ضرره أكثر .

فهذه الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله وسخط رسـوله وسخط عباده المـؤمنين المعرضـة صاحبها لعقوبة الله إذا كانت كما يقول الضالون من أنها تجمع الهمة وتدعو إلى العبادة فإنها مشتملة على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعـه أضعاف ما فيها من خيـر ولا خير فيها ، ولكن هى تحلل الرطوبات فتتصاعد الأبخرة إلى الدماغ وتورث خيـالات فـاسـدة ، فيهون على المـرء مـا فعلـه من عبـادة ، ويشغله بتلك التخيلات عن إضرار الناس وهذه رشوة الشيطان يـرشو بهـا المبطلين ليطيعـوه فيها بمنـزلـة الفضة القليلـة فى الـدرهم المغشـوش وكل منفعـة تحصـل بهـذا السبب فإنهـا تنقلب مضرة فى المـآل ولا تبادل لصاحبها فيهـا ، وإنما هذا نظير السكـران بالخمـر فإنها تطيش عقلـه حتى يسخو بمـاله ويتشجع على أقرانه فيعتقد الغر أنها أورثته السخاء والشجاعة وهو جاهل ، وإنما أورثته عدم العقل ومن لا عقل له لا يعرف قدر النفس فيجوز بجهله لا عن عقل فيه ...

ثم إن كثيـرها يسكر حتى يصـد عن ذكر الله وعـن الصلاة وهى وإن كـانت لا توجب قـوة نفس صـاحبها حتى يضـارب

ويشائم فكفى بالرجل شرا أنها تصده عن ذكر الله وعن الصلاة إذا سكر منها ، وقليلها وإن لم يسكر فهو بمنزلة قليل الخمر، ثم إنها تورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وانفتاح شهوته ما لا يورثه الخمر، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر مفسدة ليست فيها وهى الحدة فهى بالتحريم أولى من الخمر لأن ضرر أكل الحشيشة على نفسه أشد من ضرر الخمر وضرر شارب الخمر على الناس أشد إلا أنه فى هذه الأزمان لكثرة أكل الحشيشة صار الضرر الذى منها على الناس أعظم من الخمر ، وإنما حرم الله المحارم لأنها تضر أصحابها وإلا فلو ضرت الناس ولم تضره لم يحرمها إذ الحاسد يضره حال المحسود ولم يحرم الله اكتساب المعالى لدفع تضرر الحاسد.

هذا وقد قال رسول الله ﷺ كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام وهذه مسكرة ولو لم يشملها لفظه بعينها لكان فيها من المفاسد ما حرمت الخمر لأجلها مع أن فيها مفاسد أخر غير مفاسد الخمر توجب تحريمها والله أعلم (الفتاوى جـ ٢ م ٤ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ـ ٢٤٠) .

قال الشيخ قطب الدين العسقلانى خليفة شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله : إن فى الحشيشة مائة وعشرين مضرة دنيوية وأخروية وقال الحكماء : إنها تورث أكثر من ثلاثمائة داء فى البدن ... منها تنقيص القوى ، وإحراق الدماء ، وتقليل الحياء ، وتثقيب الكبد ، وتقريح الجسد ، وتجفيف الرطوبات ، وتضعيف اللثات ، وتصفير اللون ، وتحفير الأسنان .

وهى علاوة على ذلك ، تورث البخر فى الفم وتورث السوداء والجذام والبرص والخرس ، واللقوة ، وموت الفجأة ، وتولد الخيال الفاسد ، ونسيان الحال والمآل ، والفراغ من أمور الآخرة ، وتنسى العبد ذكر ربه ، وتجعله يفشى أسرار الإخوان ، وتكثر المراء وتنفى الفتوة ، والمروءة وتكشف العورة، وتمنع الغيرة ، وتتلف الكيس ، وتجعل صاحبها جليسا لإبليس، وتفسد العقل ، وتقطع النسل ، وتجلب الأمراض والأسقام ... وتولد الرعشة ، وتحرك الدهشة ـ وتسقط شعر الأجفان وتظهر الداء الخفى ، وتظهر العلة ، وتحبس البول ، وتزيد فى الحرص ، وتسهر الجفون ، وتضعف العيون وتورث الكسل عن الصلاة ، وحضور الجماعات والوقوع فى المحظورات ، وارتكاب الإجرام والوقوع فى الحرام ، وغير ذلك من الأسقام والأمراض ـ كداء السل ، واحتراق السوداء وضيق النفس والاستسقاء ، وسوء الخاتمة ـ والعياذ بالله ـ ومتناولها إذا أكل لا يشبع ، وإذا أعطى لا يقنع ، وإذا كلم لا يسمع ... ولذلك تعين على كل ذى عقل سليم ، وطبع مستقيم ، اجتنابها ومن قبائحها أنها تنسى الشهادتين عند الموت ، وقد نقل إلينا أن البهائم لا تتناولها ، وما قدر مأكول تنفر البهائم عن تناوله ؟

فمن نحا نحو آكلها ، وحذا حذوه فهو المفتون المغبون الذى بلغ الشيطان فيه غاية أمله ، بعد أن كان يتربص به ريب المنون ، لأنه لعنه الله ، إذا أحل عبدا فى هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبى بالكرة ، إذ ما يريد منه شيئا إلا وسابقه إلى فعله ، لأن العقل الذى هو آلة الكمال زال من محله ، فصار كالأنعام ، بل هو أضل سبيلا ومن أهل النيران فبئس ما رضيه لنفسه ، مبيتا ومقيلا ، وأفٍّ لمن باع نعيم الدنيا والآخرة، بتلك الصفقة الخاسرة (« اللؤلؤ المكنون » / ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط دار الغد العربى جـ ٢ م ٤ ، ١٩٨٨ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ـ ٢٤٠ ، و « اللؤلؤ المكنون من بحر العلامة محمد كنون » ـ الحاج أحمد بن شقرون . مجلة الإحياء التى تصدرها رابطة علماء المغرب جـ ٢ م ٦ . محرم ـ جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ ـ نوفمبر ـ إبريل ١٩٨٧ م / ٤٥ ، ٤٦) .

*** الحصّار (ـ٦٠٩ هـ):**

أحمد بن على .

ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٠٩ هـ وقال عنه :

أحمد بن على بن يحيى بن عون الله ، أبو جعفر الأنصارى الأندلسى الدانى المعروف بالحصار نزيل بلنسية .

قرأ القرآن على أبى إسحاق إبراهيم بن حسين بن محارب صاحب أبى عبد الله محمد ابن غلام الفرس . وقرأ القراءات

ببلنسية على أبى الحسن بن هـذيل ، وسمع منه ، ومن أبى الحسن ابن النعمـة ، وأبى عبد الله محمـد بن يـوسف بن سعـادة . وأجاز لـه أبـو عبـد الله محمـد بن عبـد الرحيم الغـرناطى ، والحـافظ عبد الحق الإشبيلى . وتصـدر للإقـراء ورأس فى ذلك أهل عصره .

قال الأبـار : كانت الرحلة إليـه فى وقته ، ولم يكـن أحد يدانيه فى الضبط والتجويد والإتقان ، وتصدر فى حياة شيوخه ؛ أخذ عنـه الآباء والأبناء ، واضطـرب بآخرة فى روايتـه فأسند عن جماعة أدركهم ، وكان بعض شيـوخنا ينكر عليه ذلك مع صحة روايته عن المذكـورين قبل وإكثاره عنهم حتى لقد انفرد بقـراءة تأليف أبى الحسن ابن النعمة فى التفسيـر المترجم بـ «رى الظمآن » .

قلت : فعلى هذا تكـون روايته للقـراءات عن أبى عبد الله ابن غلام الفرس مزلزلة ، ولهذا لم يذكرها الأبار .

ثم قال : أخذ عنه والدى القراءات وأخذتها عنه بعد ذلك بمدة وسمعت منه جملـة . وتوفى فى ثالث صفـر قبل الكائنة العظمى على المسلمين بوقعـة العقاب من ناحية جيَّـان بأيام وقد قارب الثمانين .

قلت : قـرأت للسبعـة على شيخنـا بـرهـان الـدين الإسكنـدرانى عن قـراءته على علـم الدين القـاسم بن أحمـد الأندلسى ، وقال له : قـرأت القراءات وقرأت « التيسير » على جماعة منهـم : أبو جعفر أحمد بن على ويعـرف بالحصار ، وكتب له الحصار بخط يده أنه رواه ، يعنى « التيسير » عن أبى عبد الله محمد بن الحسن ابن غلام الفرس ، وقال الحصار : لم ألق مثله فى الإقراء ومنه أخذت التجويد وقرأ على أبى داود وابن الدش ، ثم قال : وقرأ الحصار أيضا به على ابن هذيل . وممن قرأ على الحصـار أبو بكر محمد بن محمـد بن مشليون وأبو جعفـر أحمد بن على بن الفحام المالقى ، وأبـو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جوبر البلنسى . قال ابن مُشْليون : كان ينسخ «التيسيـر » فى الأسبوع ويبيعـه ويقتـات بذلك فيـرغب الطلبة فى كتابته لإتقانه ـ رحمه الله ـ .

تـرجم له الأبـار فى التكملة ١ / ١٠٠ ، ١٠١ ، والذهبى فى سيـر أعلام النبلاء ١٣ / الورقـة ١٢١ ، ومعـرفة القـراء ، الورقة ١٨٥ ، والعبر ٥ / ٣٠ ، وابن الجزرى فـى غاية النهاية ١ / ٩٠ ، وابن العماد فى الشذرات ٥ / ٣٦ .

(تاريخ الإسلام لشمس الدين الـذهبى ـ حققه وعلق عليـه د . بشار عواد معروف .

ساعدت جامعة بغداد على نشره . طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ، ١٨ / ٣٤٢ ـ ٣٤٤) .

*** الحصار :**

أبو بكر بن عبد الله :

أدرجـه الأستاذ قـدرى حافظ طـوقـان رحمه الله فى عصـر الخيام وقال عنه :

اشتغل « أبو بكر » بالرياضيـات ، وترجم مؤلفاته « موسى ابن تيبون اليهودى » إلى العبرية .

وقد استعمل أبو بكر الطرق الآتية فـى أحد مؤلفاته لإيجاد القيم التقريبية للجذر التربيعى :

إذا كانت $\text{م} = \text{ب}^{٢} + \text{هـ}$

فإن $\sqrt{\text{م}} = \text{ب} + \frac{\text{هـ} + ١}{٢\text{ب} + ٢}$

وكذلك $\sqrt{\text{م}} = \text{ب} + \frac{\text{هـ}}{٢\text{ب}} - \frac{\left(\frac{\text{هـ}}{٢\text{ب}}\right)^{٢}}{٢\left(\text{ب} + \frac{\text{هـ}}{٢\text{ب}}\right)}$

فإذا كانت م = ١٠ أو $\text{م} = ٣^{٢} + ١$

فإن $\sqrt{١٠} = ٣ + \frac{٣ + ١}{٦ + ٣} = ٣ + \frac{١}{٢} = ٣$

وهـذه القيمة أكثـر من القيمة التقـريبيـة للجذر التـربيعى لعشرة .

وإذا استعملنا الطريقة الثانية ينتج أن : ـ

$\sqrt{١٠} = ٣ + \frac{١}{٦} - \frac{\left(\frac{١}{٦}\right)^{٢}}{٢\left(٣ + \frac{١}{٦}\right)} = ٣ + \frac{١}{٦} \quad \frac{١}{٣٦} \times \frac{٣}{١٩} = ٣ \frac{٣٧}{٢٢٨}$

وهذه القيمة قريبة جدا من القيمة الحقيقية .

(راجع « سمث » فى كتابه تاريخ الرياضيات مجلد ١ ص ٢١٠ ، مجلد ٢ ص ٢٥٤) .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٣٨٨) .

* **الحصار بالمنجنيق وحفر الخنادق فى سبيل الله تعالى :**

أدرجه الإمام ابن جماعة الحموى تحت الباب الخامس والعشرين فقال :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : حاصر النبى ﷺ أهل الطائف فلم ينل منهم شيئا فقال : إنا قافلون غدا إن شاء الله ، فقال المسلمون : أو نرجع ولم نفتحه ؟ قال لهم رسول الله ﷺ « اغدوا على القتال غدا فأصابهم جراح فقال رسول الله ﷺ إنا قافلون غدا إن شاء الله فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله ﷺ (صحيح البخارى ٥ / ١٠٢ ، وصحيح مسلم ١١ / ١٢٣) .

وعن أبى البخترى أن جيشا من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسى ، حاصروا قصرا من قصور الفرس ، فقالوا : « يا أبا عبد الله ، ألا ننهد إليهم ، فقال ؛ دعونى أدعهم بما سمعت من رسول الله ﷺ يدعو ، وساق الحديث، قال : ثم قال : انهدوا إليهم فنهدنا إليهم ففتحنا ذلك القصر » (صحيح الترمذى ٧ / ٣٢) .

وعن أنس رضى الله عنه ، أن عمر رضى الله عنه سأله : كيف تصنعون إذا حاصرتم حصون العدو ؟ قال : قلت نحاصرهم ، ثم نبعث رجالا فليحفرون أساسه . قال : أرأيت إن رمى رجل بحجر فأصابه أيقتله ؟ قلت : نعم . قال : ما أحب أن تفتحوا حصنا فيه أربعون مقاتلا بدم رجل من المسلمين يقتل ضياعا . رواه ابن خزيمة وعن على رضى الله عنه « أن النبى ﷺ نصب المنجنيق على الطائف » وعن سهل ابن سعد رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكبادنا فقال رسول الله ﷺ «اللهم » لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار» (صحيح البخارى ٥ / ٤٥ ، وصحيح مسلم ١٢ / ١٧٢) .

وعن البراء بن عازب قال : « كان النبى ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه ، أو اغبر بطنه ، وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

(صحيح البخارى ٥ / ٤٧ وصحيح مسلم ١٢ / ١٧٠ ـ ١٧١ . قيل إن هذه الأبيات قد رجزها سلمة بن الاكوع بعد أن قفل رسول الله ﷺ من خيبر فسأله الرسول ﷺ من قال هذا ؟ قال : حكت أنها لأخى وكان أخوه قد ارتد عليه سيفه فقتله . وقال عنه الرسول ﷺ إنه من الشهداء) .

(مستند الأجناد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى / ٨٥ ، ٨٦ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

* **حصار بنى هاشم وبنى المطلب فى الشّعب :**

الشّعب : واحد شعاب مكة ، وهى الوهاد والطرقات بين الجبال حيث كانت تسكن بعض عشائر قريش وكان هذا الحصار لبنى هاشم وبنى المطلب فى ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة ، وظلوا محاصرين إلى السنة العاشرة وقيل بل إلى السنة التاسعة .

وقد أورد الإمام ابن عبد البر قصة ذلك الحصار فى باب بعنوان « ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشعب وما لقوا من سائر قريش فى ذلك » وجاء فيه ما يلى :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود قال : أخبرنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة عن محمد ابن عبد الرحمن أبى الأسود . وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : أخبرنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، قال : حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب . وأخبرنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا محمد بن بكر، قال : حدثنا أبو داود . قال : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى ، قالا : حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب . دخل حديث بعضهم فى بعض ، قال :

ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرهم واتفق رأيهم على قتل

رسـول الله ﷺ ، وقالـوا : قد أفسـد أبناءنـا ونساءنـا ، فقالـوا لقومه : خـذوا منا ديته مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش ، وتريحوننـا وتريحون أنفسكم . فأبى قومـه بنو هاشم من ذلك وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف .

فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان متجرا لقـريش ، وكان يثنى على النجـاشى بأنـه لا يظلم عنده أحـد فانطلق المسلمون إلى بلده . وانطلق إليهـا عامة من آمن بالله ورسولـه ودخل بنو هـاشم وبنـو المطلب شعبهم : مؤمنهم وكـافرهم ، فـالمؤمن دينـا ، والكـافر حميـة (يعلق الدكتـور شوقى ضيف محقق الكتاب هنا بقوله :

قلت : هذه حجـة الشافعى فى إلحـاق بنى المطلب ببنى هاشم دون بنى عبـد شمس وغيرهم . وجـاء فى حديث : أن بنى هاشـم وبنى المطلب لم يفترقـوا فى جاهليـة ولا إسلام . ومذهب مالك أن بنى المطلب كغيرهم ، وأن الخصوصية فى تحريم الصدقات ونحو ذلك لبنى هاشم خاصة . والله أعلم) فلما عرفت قـريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قـومه أجمعوا ألا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئا من الرفق (الرفق : ما استعين به) ، وقطعوا عنهـم الأسواق ، ولم يتركوا طعـاما ولا إداماً ولا بيعـاً إلا بادروا إليـه واشتـروه دونهم (أرادوا بذلك قطع الميـرة عنهم ويقال إنهم كـانوا لا يخرجـون من شعبهم إلا من موسم إلى موسم) ولا يناكحوهم ، ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوا بذلك صحيفـة وعلقوها فى الكعبة ، وتمـادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتـد البلاء على بنى هاشم فى شعبهم وعلى كل من معهم . فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم قوم من بنى قصى ، ممن ولـدتهم بنو هـاشم وممن سواهم ، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضـة ، فأكلت ولحست مـا فى الصحيفة من ميثاق وعهد . وكان أبـو طالب فى طول مدتهم فى الشعب يأمر رسـول الله ﷺ فيأتى فراشه كل ليلـة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة . فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمـه ، فـاضطجع على فـراش رسـول الله ﷺ ، وأمـر رسول الله أن يأتى بعـض فرشهم فيرقـد عليها ، فلم يـزالوا فى الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين . فلما أكملوها تلاوم رجال من قريش وحلفائهم وأجمعوا أمرهم على نقض ما كانوا تظاهروا عليه من القطيعة والبراءة . وبعث الله على صحيفتهم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيهـا من عهد لهم وميثاق ، ولم تترك فيها اسما لله عز وجل إلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من من شرك أو ظلم أو قطيعـة رحم . فأطلع الله عز وجل رسـوله على ذلك . فذكر ذلك رسـول الله ﷺ لأبى طالب ، فقال أبو طـالب : لا والثواقب مـا كـذبتنى (الثواقب : النجـوم ، وفى القرآن الكريم ﴿ والنجم الثاقب ﴾ [الطارق : ٣]) فـانطلق فى عصـابة مـن بنى عبد المطلب حتى أتـوا المسجـد ، وهم خائفون ، لقريش ، فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك ، وظنـوا أنهم خرجـوا من شـدة البـلاء ليسلموا رسـول الله ﷺ برمته إلى قريش ، . فتكلم أبو طالب ، فقال : قد جرت أمور بيننـا وبينكم لم نـذكـرهـا لكم ، فأتـوا بصحيفتكم التى فيهـا مواثيقكم ، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك أبـو طالب خشيـة أن ينظروا فى الصحيفـة قبل أن يأتوا بهـا . فأتـوا بصحيفتهم متعجبين لا يشكـون أن رسول الله ﷺ يـدفع إليهم . فوضعـوها بينهم ، وقالوا لأبى طـالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أخذتم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو طالب : إنما أتيتكم فى أمر هو نصف بيننا وبينكم ، إن ابن أخى أخبرنى ، ولم يكذبنى ، أن هذه الصحيفـة التى بين أيديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تـترك فيها اسما له إلا لحستـه ، وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بـالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا ، فـلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخـرنا ، وإن كـان الـذى يقـول بـاطـلا دفعنـا إليكم صـاحبنـا فقتلتم أو استحييتم . فقالوا قد رضينا بـالذى تقول . ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح . فلمـا رأت قريش صـدق ما جـاء بـه أبو طـالب عن النبى ﷺ قالوا: هذا سحر ابن أخيك . وزادهم ذلك بغيا وعدوانا .

وأمـا ابن هشـام فقـال (١ / ٣٧٥) قـد ذكـر بعض أهل العلم أن رسـول الله ﷺ قـال لأبى طالب : يـا عم إن ربى قـد

سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما لله إلا أثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى وساق الخبر بمعنى ما ذكرنا (يعلق المحقق هنا بقوله :

اتفق الطريقان على أن الله عز وجل غار لأسمائه الحسنى ، فلم يجمع بينها وبين القطيعة والظلم فى الصحيفة إما بأن محا أسماءه وترك ظلمهم ، وإما بأن محا ظلمهم وترك أسماءه . وهو من جنس قوله عليه الصلاة والسلام : فوالله لا تجتمع ابنة عدو الله وابنة رسول الله فى بيت رجل واحد أبدا . وفيه ما يدل على أن الكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل اللذين بأيدى أهل الكتاب لا يجوز امتهانها وإن اشتملت على الكفر لاشتمالها أيضا على أسماء الله ، وإذا أردنا محوها غسلناها أو حرقناها) .

وقال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما فى تمام ذلك الخبر : وندم منهم قوم ، فقالوا : هذا بغى منا على إخواننا وظلم لهم . فكان أول من مشى فى نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث (فى ابن هشام ٢ / ١٤ : ابن ربيعة بن الحارث) من بنى عامر بن لؤى ، وهو كان كاتب الصحيفة ، وأبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى . والمطعم بن عدى .

إلى ههنا تم خبر ابن لهيعة عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن المعروف بيتيم عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب . وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق ، إلا أن ابن إسحاق قال :

الذين مشوا فى نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث ابن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى لقى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى فعيره بإسلامه أخواله . وكانت أم زهير عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ . فأجابه زهير إلى نقض الصحيفة . ثم مضى هشام إلى المطعم ابن عدى بن نوفل فذكره أرحام بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف . فأجابه المطعم إلى نقضها . ثم مضى إلى أبى البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد ، فذكّره أيضا بذلك ، فأجابه ثم مضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فذكره ذلك ، فأجابه . فقام هؤلاء فى نقض الصحيفة .

اخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعى ، قال : حدثنى الزهرى : أن أبا سلمة ابن عبد الرحمن حدثه عن أبى هريرة ، قال :

قال رسول الله ﷺ وهو بمنى : نحن نازلون عند خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر . يعنى بذلك المحصب . قال : وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ .

قال : أبو عمر :

وأراد أبو بكر الصديق أن يهاجر إلى أرض الحبشة ، فلقيه ابن الدغنة ، فرده .

(الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ـ تحقيق د . شوقى ضيف / ٥٣ ـ ٥٧) .

* **الحصد :**

قال الراغب الأصفهانى :

حصد : أصل الحصد قطع الزرع ، وزمن الحصاد والحصاد كقولك زمن الجَداد والجِداد وقال تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ [الأنعام : ١٤١] فهو الحصاد المحمود فى إبانه وقوله عز وجل ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ﴾ [يونس : ٢٤] فهو الحصاد فى غير إبانه على سبيل الإفساد . ومنه استُعير حصدهم السيف . وقوله عز وجل ﴿ **منها قائم وحصيد** ﴾ [هود : ١٠٠] فحصيد إشارة إلى نحو ما قال : ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** ﴾ [الأنعام : ٤٥] ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ [قٓ : ٩] أى ما يحصد مما منه القوت وقال ﷺ « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » فاستعارة ،

وحبل محصد ، ودرع حصداء ، وشجرة حصداء ، كل ذلك منه ، وتحصَّد القوم تقوى بعضهم ببعض .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٠) .

* **الحصر :**

قال الراغب الأصفهانى :

حصر : الحصر التضييق ، قال عز وجل : ﴿**واحصروهم**﴾ [التوبة : ٥] أى ضيقوا عليهم وقال عز وجل ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾ [الإسراء : ٨] أى حابسا ، قال الحسن معناه مهادا كأنه جعله الحصير المرمول، فإن الحصير سمى بذلك لحصر بعض طاقاته على بعض ، وقال لبيد :

ومعالم غلب الرقاب كأنهم
جن لدى باب الحصير قيام

أى لدى سلطان وتسميته بذلك إما لكونه محصورا نحو محجَّب وإما لكونه حاصرا أى مانعا لمن أراد أن يمنعه من الوصول إليه ، وقوله عز وجل : ﴿ **وسيدا وحصورا** ﴾ [آل عمران : ٣٩] فالحصور الذى لا يأتى النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة . والثانى أظهر فى الآية ، لأن بذلك يستحق المحمدة ، والحصر والإحصار المنع من طريق البيت ، فالإحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض ، والحصر لا يقال إلا فى المنع الباطن فقوله تعالى : ﴿ **فإن أُحصرتم** ﴾ [البقرة : ١٩٦] فمحمول على الأمرين وكذلك قوله تعالى : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله** ﴾ [البقرة : ٢٧٣] وقوله عز وجل : ﴿**أو جاءوكم حصرت صدورهم** ﴾ [النساء : ٩٠] أى ضاقت بالبخل والجبن وعبر عنه بذلك كما عبر عنه بضيق الصدر ، وعن ضده بالبر والسعة .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٠ ، ١٢١) .

* **الحصر والاختصاص (علم ـ) :**

النوع الخامس والخمسون من أنواع علوم القرآن الكريم ، فصله الحافظ السيوطى فى الإتقان (٢ / ٦٤ ـ ٦٩) واختصره طاش كبرى زاده على النحو التالى :

أما الحصر ، ويقال له القصر أيضا ، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ؛ ويقال أيضا : إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه ، وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف . وكل منهما إما حقيقى أو مجازى .

وقصر الموصوف على الصفة حقيقيا لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بجميع الأوصاف وإثبات بعض منها ، ونفى ما عداه بالكلية .

وينقسم الحصر أيضا إلى أقسام أخر باعتبار آخر ؛ وهو : قصر الأفراد وقصر التعيين ، وقصر القلب . وتفصيل هذه القواعد فى علم البيان .

ثم إن من أتقنها يسهل عليه معرفتها من القرآن . ثم إن طرق الحصر كثيرة :

أحدها : النفى والاستثناء ، سواء كان النفى بلا أو ما أو غيرهما ، وسواء كان الاستثناء بلا أو غير .

وثانيها : إنما المكسورة ، قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم .

وثالثها : أنما بالفتح عند الزمخشرى والبيضاوى فى قوله تعالى : ﴿ **قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] وصرح التنوخى فى (أقصى القرب فى صناعة الأدب) ، بأنه فرع إنما المكسورة ، وما يثبت للأصل يثبت للفرع ، ما لم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه . ورد أبو حيان على الزمخشرى بأنه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانية . وأجيب بأنه حصر مجازى باعتبار المقام .

الرابع : العطف بلا وبل ؛ اتفق عليه أهل البيان ، إلا أنه نازع فيه الشيخ بهاء الدين السبكى فى : « عروس الأفراح » فقال : أى قصر فى العطف بلا إنما فيه نفى وإثبات ، فقولك : زيد شاعر ولا كاتب، لا : تعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر إنما يكون بنفى الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازا ، وليس هو خاصا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب . وأما العطف ببل فأبعد منه ، لأنه لا يستمر فيها النفى والإثبات .

الخامس : تقدم المعمول ، نحو : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] وخالف فيه قوم .

السادس : ضمير الفصل ، نحو : ﴿ فالله هو الولى ﴾ [الشورى : ٩] .

السابع : تقديم المسند إليه ، على ما قال الشيخ عبد القاهر: قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى . والحاصل على رأيه أن له أحوالا :

أحدها : أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتا فيأتى للتخصيص نحو : أنا قمت ، وأنا سعيت فى حاجتك .

والثانى : أن يكون المسند منفيا ، نحو : أنت لا تكذب .

وثالثها : أن يكون المسند إليه نكرة مثبتا ، نحو : رجل جاءنى ، أى لا امرأة أو رجلان .

ورابعها : أن يلى المسند إليه حرف النهى ، ويقيده ، نحو : ما أنا قلت هذا ، أى لم أقله ، مع أن غيرى قاله : هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر، ووافقه السكاكى ، وزاد شروطا وتفاصيل بسطوا فيها القول فى موضعه .

الثامن : تقديم المسند ، ذكره ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما . ورده صاحب « الفلك الدائر » بأنه لم يقل به أحد، وهو ممنوع ، إذ قد صرح به السكاكى وغيره بأن تقديم ما حقه التأخير، يفيد التخصيص ، ومثلوه بنحو : تميمى أنا .

التاسع : ذكر المسند إليه ، ذكره السكاكى والزمخشرى فى ﴿ الله يبسط الرزق ﴾ [الرعد : ٢٦] وفى قوله تعالى : ﴿والله يقول الحق ﴾ [الأحزاب : ٤] .

العاشر : تعريف الخبر . ذكر الإمام فخر الدين الرازى فى « نهاية الإيجاز » أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : المنطلق زيد . ومثله الزملكانى « بالحمد لله » قال إنه يفيد الحصر ، أى الحمد لله لا لغيره .

الحادى عشر : نحو : جاء زيد نفسه ، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثانى عشر : نحو إن زيدا لقائم نقله المذكور آنفا .

الثالث عشر : نحو قائم فى جواب : زيد إما قائم أو قاعد . ذكره الطيبى فى « شرح التبيان » .

الرابع عشر : قلب بعض حروف الكلمة ، فإنه يفيد الحصر على ما نقل فى الكشاف ، فى قوله تعالى : ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ [الزمر : ١٧] .

واعلم أن أهل البيان أطبقوا على أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا ، ومثلوا بـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وخالفهم ابن الحاجب فى خطبة « المفصل » فى قوله : الله أحمد ، وقال التقديم للاهتمام والاختصاص الذى يتوهمه كثير من الناس وهم . واعترض أيضا أبو حيان بنحو : ﴿ أفغير الله تأمرونى ﴾ [الزمر : ٦٤] .

وأجيب : بأنه لما كان من أشرك بالله غيره ، كأنه لم يعبد الله ، كان أمرهم بالشرك ، كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة . ورد أيضا صاحب « الفلك الدائر » بقوله تعالى : ﴿كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ﴾ [الأنعام : ٨٤] وهو أقوى ما رد به . وأجيب : بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة ، وقد يخرج الشىء عن الغالب .

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى قوله تعالى : ﴿ أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ [الأنعام : ٤٠] ، ﴿ بل إياه تدعون ﴾ [الأنعام : ٤١] فإن التقديم الأول ليس للاختصاص والثانى للاختصاص . هذا وقال والده الشيخ تقى الدين السبكى فى كتاب « الاقتناص » ما حاصله وتلخيصه أن البيانيين على إفادة تقديم المعمول الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ، ويقول إنما يفيد الاهتمام فقط . إلا أن الاختصاص غير الحصر ، والفضلاء لم يقولوا إنه يفيد الحصر ، بل قالوا يفيد الاختصاص . والفرق بينهما أن الحصر إثبات المذكور ونفى غير المذكور ؛ والاختصاص فصل الخاص من جهة خصوصه ، إذ الخصوص مركب من معنى عام مشترك بين الشيئين أو أشياء ، ومن معنى ينضم إليه يفصله عن غيره ، فقد يقصد إفادة جهة عمومه ، كقولك : ضربت زيدا ؛ وقد يقصد إفادة جهة

خصوصه ، كقولك : زيدا ضربت . وهذا هو الاختصاص ، وأنه هو الأهم عند المتكلم ، وهو الذى قصد إفادته للسامع من غير تعرض ، ولا قصد لغيره ، بإثبات ولا نفى ، وفى الحصر معنى زائد عليه ، وهو نفى ما عدا المذكور ، وإنما جاء هذا فى ﴿ إياك نعبد ﴾ للعلم بأن قائليه لا يعبدون غير الله ، ولذا لم يطرد فى بقية الآيات .

فالحصر على ثلاث مراتب :

إحداها : ما وإلا ، وهو أقوى طرقه لأنه بالمنطوق .

الثانية : الحصر بإنما ، وهو قريب من الأول ، ودونه ، لعدم ذكر النفى منطوقا .

الثالثة : الحصر الذى قد يفيده التقديم ، وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين بل هو فى قوة جملتين .

إحداهما : ما صدر به الحكم نفيا كان أو إثباتا وهو المنطوق .

والأخرى : ما فهم من التقديم ، والحصر يقتضى نفى المنطوق فقط دون ما دل عليه المفهوم ، لأن المفهوم لا مفهوم له ، فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك ، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا تكرمه . ثم طول السبكى فى الكلام وقال آخر :

وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ، ونحن نمنع ذلك ، ونقول إنه اختصاص ، وأن بينهما فرقا . قلت : ما ذكره من الفرق بين الحصر والاختصاص ، مما استخرجه فكرى أيضا .

(مفتاح السعادة ومصباح السيادة لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ٢ / ٤١٦ ـ ٤٢٠ . انظر أيضا الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ٦٤ ـ ٦٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

* **الحصرم :**

الحِصْرِم : الثمر قبل النضج . ويعرف فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب كما يأتى قال الأنطاكى :

الحصرم هو الأخضر من العنب وأجوده الخالى عن الحلاوة ويدرك بحزيران وهو بارد يابس فى الثانية أو يبسه فى الأولى يقمع الأخلاط الصفراوية والدوخة والعطش ويزيل الاسترخاء والترهل مطلقا ومبادئ الحصف والحكة دلكا خصوصا يابسه ويطيب العرق وماؤه فى ذلك أشد وإذا طبخ به ورق الزيتون حتى يصير درهما قلع الأسنان إذا وضع عليها بلا آلة وإذا عصر وجفف فى الشمس ورفع كانت هذه نافعة من الخناق وأورام الحلق واسترخاء المقعدة وسقوط اللهاة والرعاف وقذف الدم مطلقا والجدرى والإسهال المزمن شربا وطلاء وتصلح القلاع وتعرف هذه برب الحصرم والأولى تجفيفها فى نحو الزجاج لا فى نحاس أحمر لأنه يضر الحوامل ومتى مزج هذا الماء أو العصارة الجافة بشىء من العسل ووضع فى الشمس كان شرابا جيدا كما ذكر فى العصارة وإذا حلت بماء الكراث جففت البواسير طلاء أو حملت فرزجة نقت الرحم وأصلحته بالغا وهو يضر الصدر ويحدث السعال ويصلحه الجلنجبين وشراب الخشخاش وإصلاحه أن لا يستعمل قبل سنة وشربة العصارة إلى مثقال والشراب إلى رطل وبدله ماء التفاح الحامض (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢٤) .

كما أورده المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال :

حصرم ــ « ع » هو غض العنب ، وعصارته تسمى بالفارسية غورا فشرج ، ومعناه رب الحصرم ، وقوته فى البرودة من الدرجة الثانية ، ومن اليبوسة فى الثالثة ، وهو عاقل للبطن ، قامع للمرة والدم ، ويولد رياحا ومغصا ، ومن أدمن عليه أضعف معدته ، وإذا جفف فى الظل وسحق ، ودلك به البدن فى الحمام ، نفع من الحصف (انظر مادة «الحصف») وقوى البدن ، ومنع من أن يحدث فيه الحصف فى تلك السنة ، ويبرد البدن ، وعصارته تجفف فى الشمس ، وقد

تعقـد بالطبخ ، وتـوافق بالعسل أو بـالشراب الحلـو ، عضـل اللسان والحلق واللهاة ، والقلاع ، واللثـة الرخوة ، التى تسيل إليها الفضـول ؛ وتنفع من وجع الأذن التى يسيل منها القيح ، وإذا خلطت بالخل نفعت النواصير والقروح المزمنة الساعية ، وإذا اكتحل بهـا أحدت البصـر ، ووافقت خشـونة العيـون ، ويحتقن بها لقـرحة الأمعـاء ، ولسيلان الـرطوبة مـن الرحم . وشراب الحصرم نافع للحـوامل من النساء ، يقوى معدتهن ، ويمنعهـا من قبـول الكيمـوسات الـرديئـة اللـزجـة ، ويمسك الجنين من أن يسقط . وبدل عصارة الحصرم : عصير التفاح الحامض . « ج » بارد فى الدرجـة الأولى ، يابس فى الثانية ، ينفع من الصفراء والحـرارة الملتهبة ، ويولد ريـاحا ومغصا ، ويصلحـه الجلنجبين « ف » معـروف . وهــو يقمع الصفـراء جدا . وينفع المعـدة والكبد ، ويصلحـه العسل والأنيسون . والشـربـة منـه : بقـدر الحـاجـة . وإذ مـزجت بإسفيـداج ولطخت ، نفعت الحمـرة والنملة . « ج » هو حشيشـة يجلى بها الـزجاج ، فيهـا قبض مع رطوبـة ، ملصق ملين ، يسكن الأورام البلغميـة ، ويجعل فى قيـروطى للنقـرس ، وعصـارتـه تزيل البـواسير ، وتنفع من السعـال المزمن . والشربـة منه : درهمان (المعتمد ١ / ٩٧ ، ٩٨) .

(تذكـرة أولى الألباب لـداود بن عمر الأنطـاكى ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسـولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ٩٧ ، ٩٨) .

الحَصَف :

هكذا ضبطه صاحب كتاب « التنوير » ، وعرفه بأنه حكاك واحتراق ، يحدثان فى ظاهر البـدن ، من كثرة العرق وملوحته (كتاب التنوير / ٣٠) .

والحصف من الأمـراض التى وصفها داود الأنطاكـى فقال عنه :

حارة تبقى بعد رشح العرق فى البلاد الحارة عند برد الهواء فتتكثف به وتخرج كالذرة فمـا دونها بيسير حكة ووجع يسمى بمصر (حمو النيل) لحدوثها عند زيادة النيل وغالب أسبابها قلة التنقية وكثرة الماء البارد وعلاجها ما لم تعظم الطلاء بدقيق الشعيـر والاسفيداج ، والليمـون والخل والطين الأرمنى ودهن الورد والحمام فإن عظمت فالفصد والإسهال مع ما ذكر .

(كتاب التنوير فى الاصطلاحـات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفـاء تقى الدين / ٣٠ ، والنـزهة المبهجة المطبـوع بذيل تذكرة أولى الألباب / ١٥٩ وكلاهما لداود بن عمر الأنطاكى) .

* **الحصكفى (٨٥٧ـ٩٣٤ هـ) :**

ابن أبى اللطف .

ممن عملـوا بالتدريس فـى القدس الشريـف ، أعاده الله ديار إسلام .

علاء الدين أبو الفضل على بن محمد بن على بن منصور ابن أبى اللطف الحصكفى ، المقدسى ، الشافعى :

درس علاء الدين بالمدرسة الصلاحية فى بيت المقدس ، فقد عين معيدا فيهـا ، وتلقاها عن شيخه كمـال الدين بن أبى شريف ، وكان ابن أبى شريف قد قرره معيدا بها .

وكـان عـلاء قـد ولـد فى بيت المقـدس « بيت المشيخـة الصلاحية المقدسية » ونشأ فى بيت المقدس ، وتلقى تعليمه فيـه ، فحفظ القرآن عنـد أحـد الفقهاء ، « وصلـى به فى قبـة السلسلة فى رمضان سنة ٨٦٥ هـ » كما يذكر السخاوى (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٦) وجد علاء الدين فى الاشتغال بالعلم ، فحفظ الشاطبيـة ، وألفية الحديث ، والمنهـاج ، وجمع الجوامع ، وألفية ابن مالك ، ثم عرض محفوظه على عدد من المشتغلين بالتدريس بالصلاحية ، من أمثال شمس الدين أبى مساعد ، وكمال الدين بن أبى شريف (الضوء الـلامع ٥ / ٣٢٦) وقد لازم كمال الدين بن أبى شريف نحـو عشر سنين ، وقرأ عليه عددا من أمهــات كتب الحـديـث ، مثل : البخــارى ، وألفيــة الحديث ، وغيـرهما ، وقـد قرأ عليـه البخارى أكثر من مرة ، وكـانت قـراءته عليـه قـراءة بحث جـاد وسمع على عـدد من العلماء الآخرين الـذين درسوا بالصلاحيـة ، من أمثال جمال الـدين بن جماعـة ، وتقى الـدين القلقشندى ، وزين الـدين عمـر بن عبـد المـؤمن الحلبى ، كمـا سمع على عـدد من العلماء الـوافدين إلى بيت المقدس ، من أمثال كمـال الدين إمام الكاملية ، وغيره .

واستمر عـلاء الدين مشتغـلا بالعلم فى بيـت المقدس ،

فقرأ الفقه فى كتاب « المنهاج » على عبد القادر النووى ولازمه وقرأ عليه قراءة عميقة جادة ، فكانت تصحيحا أولا ، وحلا ثانيا . وحضر دروسا متعددة عند زين الدين ماهر المصرى . ودرس الفقه والأصول على كمال الدين ابن أبى شريف .

ودرس علاء الدين القراءات ، فتلا بالسبع إفرادا على شمس الدين ابن عمران ، ما عدا قراءتى نافع وحمزة . وقرأ عليه المقدمة الجزرية ، والشاطبية سنة ٨٦٨ هـ .

ودرس العربية فى نحوها ، ومعانيها ، وبيانها ، على شمس الدين أبى مساعد ، وكمال الدين بن أبى شريف ، كما تقدم .

ثم توجه إلى القاهرة ، عدة مرات ، طالبا العلم ، وكانت أولى تلك المرات فى سنة ٨٧٣ هـ ، وسمع فيها على عدد من العلماء ، ودرس الفقه وأصوله على عدد آخر من العلماء من أمثال محيى الدين الكافياجى ، وتقى الدين الحصنى وعلاء الدين الحصنى ، وغيرهم ، وقد قرأ على أولهم عدة من تصانيفه ، مثل : كتاب « الأنوار فى التوحيد » وقرأ عليه المعانى والبيان . وقرأ النحو ، والمعانى ، والبيان على تقى الدين الحصنى وعلاء الدين الحصنى .

وتوجه إلى الشام فى سنة ٨٧٤ هـ ، ودرس فيها الفقه على نجم الدين بن قاضى عجلون ، وقرأ عليه عددا من مصنفاته (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٦) .

وتوجه إلى مكة ، وجاور فيها مع تقى الدين بن قاضى عجلون ، ودرس فيها على عدد من العلماء ، ثم عاد ، واستوطن دمشق منذ سنة ٨٧٨ هـ ، ولازم تقى الدين بن قاضى عجلون ، ودرس عليه فنونا مختلفة فى المعرفة ، فقد درس عليه « الفقه وأصوله ، والنحو ، والتفسير ، واختص به ، ولازمه فى السفر والحضر » . وسمع علاء الدين بدمشق ، من عدد من العلماء . وحصل على إجازات عديدة بالإفتاء والتدريس . ثم درس بدمشق (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٧ ، شذرات الذهب ٨ / ٢٠٣) .

وهكذا كان علاء الدين فى تكوينه الثقافى ، وفى خبرته بالتدريس ، ثم قرر معيدا بالصلاحية كما تقدم . ذكر مجير الدين الحنبلى أنه « لما توفى شيخ الإسلام كمال الدين بن أبى شريف ، مدرس الصلاحية ، قرره معيدا بها ، كما تقدم أيضا . ولا شك أنه درس موضوعات عديدة فى العلوم الدينية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم العقلية ، بالمدرسة الصلاحية ، وغيرها ، ومما يؤكد هذا دراسته الكثير من هذه العلوم دراسة عميقة جادة . وذكر السخاوى أنه « تولع بفن الأدب ونظم الشعر » وكان كثير الاشتغال بالتدريس ، وذلك واضح فى قول ابن العماد : و « له همة مع الطلبة ، ومهابة ، ومودة للخاص والعام » .

واستمر علاء الدين يشتغل بالعلم ، إلى أن توفى سنة ٩٣٤ هـ بدمشق .

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ٣٣١ ـ ٣٣٥) .

* **الحصكفى (١٠٢٥ ـ ١٠٨٨ هـ / ١٦١٦ ـ ١٦٧٧ م) :**

محمد بن على بن محمد ، الحصنى ، المعروف بعلاء الدين الحصكفى ، مفتى الحنفية بدمشق ، الفقيه الحنفى ، النحوى ، المفسر .

ولد بدمشق ومات فيها ، وقرأ على والده وغيره ، ثم رحل إلى الرملة فأخذ عن خير الدين الرملى ، وهو شيخ الحنفية فى عصره ، ثم رحل إلى القدس ، وأخذ عن علمائها ، وحج ، وأخذ بالمدينة عن علمائها ، ثم عاد إلى دمشق ، وعكف على التدريس والإفتاء والإفادة .

وكان رقيق الحال كثير الحفظ ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، وكان فقيها ومحدثا ونحويا وأصوليا ، ومعترفا له بغزارة العلم وكثرة الاطلاع .

ونسبه « الحصكفى » إلى حصن كيفا ، بلدة فى ديار بكر ، جنوب شرقى تركيا ، وتعرف اليوم باسم « شرناخ » . أما نسبة الحصنى فهو إلى بلدة الحصن موضع بين حلب والرقة بسورية .

من كتبه « الدر المختار » فى شرح تنوير الأبصار للتمرتاشى « فى فقه الحنفية » و « الدر المنتقى شرح ملتقى الأبحر » فى الفقه ، و « شرح قطر الندى » فى النحو ، و« إفاضة الأنوار على أصول المنار » فى أصول الفقه ،

و « تعليقـه على صحيح البخـارى » و « تعليقـه على تفسير البيضاوى » (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

ومن مصنفاته أيضا « مسند الإمام الأعظم أبى حنيفة » .

وإذا عرفت أن الحصكفى نفسه كـان من أهل الحديث : عرفنا أيضا أن هذا المسند من مـروياته هو عن أبى حنيفة ، إذ حـذف الأسانيـد إلى أبى حنيفـة ، لأنهـا أحاديث صحيحـة مرويـة عن غير أبى حنيفة من أهل السنة ، فليست فى حـاجة كبيرة ـ منـه إلى أبى حنيفة ـ إلى السند . لأن صحتهـا وثبوتها من الطرق الأخرى تغنى عن السند . وأغلب من روى عن أبى حنيفة فعل ذلك ، إلا ابنه حمادا ، وتلاميذ الإمام رحمهم الله ، فإنهم أسندوا منهم هم عن أبى حنيفة إلى رسول الله ﷺ (مسند الإمام أبى حنيفة / ٢٤) .

(مـرجع العلـوم الإسـلامية ـــ د . محمـد الـزحيلى / ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ومسند الإمـام أبى حنيفة برواية الإمـام الحصكفى ـ قدم له وقـام بتصحيحه عبد الرحمن حسن محمود ـ مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٨١ / ٢٤) .

*** الحصن :**

حصن : الحصـن جمعـــه حصـــون قـــال الله تعـــالى : ﴿**مانعتهم حصونهم من الله**﴾ [الحشر : ٢] وقوله عز وجل : ﴿ **لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة** ﴾ [الحشر : ١٤] أى مجعولة بالإحكـام كالحصون ، وتحصَّن إذا اتخذ الحصن مسكنـا ثم يتجوز بـه فى كل تحـرز ومنه درع حصينـة لكونهـا حصنا للبدن ، وفرس حصان لكونـه حصنا لراكبه وبهذا النظر قال الشاعر :

*** إن الحصون الخيل لا مدن القرى ***

وقوله تعالى : ﴿ **إلا قليـلا مما تحصنـون** ﴾ [يوسف : ٤٨] أى تحـرزون فى المـواضع الحصينـــة الجـاريـة مجـرى الحصن . (المفردات فى غريب القرآن / ١٢١) .

ومن الناحية العسكرية الحصن : الموضع الحصين الذى لا يوصل إلى جوفه . وهو نـوعان : واحد يشكِّل بناء منفصلا قائما بذاته يبنى على السـواحل أو طرق القوافل أو فى المراكز العسكـريـة الحسـاسـة المشـرفـة ، أو على حـدود البلـدان وثغورهـا . وآخر تـابع لبناء سور أو خـان أو قصر أو مـدينة ، يسيطـر على البوابـات أو يحتل الأركان . ولكن بعض المـدن الأولى التى بناهـا المسلمون لم تكن لهـا حصون كـالفسطاط لأنهم عـدوا مكانهـا آمنا بعيـدا عن خطـر الأعداء ، وكـذلك سامراء عـاصمة المعتصم ، وهذا ما ساعـدها على الامتداد، والقاهرة لم تحصَّن قبل العصر الفاطمى .

قال ياقـوت : وهذا القصر (يعنى قصر الـرصافة) حصن دون دار الخلافة فى بغداد (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٣٣) .

وقـد عنى مصنفو التـراث الإسـلامى فى الفنـون الحربيـة الإسـلامية بكل مـا يتصل بقتال الحصـون وحصارهـا ، ومن هؤلاء « الهرشمى » الـذى أفرد الباب الرابع والثـلاثين من كتابه «مختصر سياسة الحروب » لممارسة الحصون ، وهو ما ننقله لك فيما يلى ، وقـد وضعنا تعليقـات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص :

قـالوا : إن الحصـون ليست هى القـلاع الشامخـة المبنى عليهـا الأسـوار فقط : هى القـلاع والمطـاميـر ، والجبـال والغياض والمدن والخنادق والرمال والوحول والآجام والبحار، كل هذه وما أشبهها حصون ومعاقل .

(المطـاميـر جمع مطمـورة وهى الحفيـرة تحت الأرض ، والغيـاض جمع غيضـة وهى الأجمـة ، ومجتمع الشجـر فى مغيض المـاء ، والآجام مفـردهـا أجمة وهى الشجـر الكثيف الملتف) .

وقد يجتمع للحصن الواحد من هذه الأصناف العشرة عدة أصناف ، ولكل صنف منها ضروب من العمل والتدبير، وقطَّان كل مـوضع منها أحـرى وأحذق وأصبـر فيه وفيما أشبهـه ممن ليس من أهلـه ، وكل صنف منها ضـروب مختلفة الأحـوال ، فى صعـوبته وسهـولته ومأتـاه (أى الطريق الـذى يهاجم منـه ويفتح بـه) ، ووجه محـاربة أهله ، كـالقلاع والمـدن ، فإن منهـامـا يحتـاج فيـه إلى المطـاولة والمصابـرة واتخـاذ الحصـون وبنائها خرابا (أى بنـاء الحصون للجند حوله ، ولو تركت خرابا ، لإشعـار أهل الحصن بدوام الحصار) . والمقام عليـه السنين الكثيـرة ، ومنهـا ما يحتـاج فيه إلى المعـالجـة والمناجزة ، وكبير فيه دور الحيلة والأيـام اليسيرة، وبين هـذين

ضروب كثيرة مختلفة من التدبير والأحوال، يحتاج في كل شيء من ذلك إلى ضرب من الآلات والأدوات والتدبير والمحاربة .

والقول الخاص في هذا الباب من الحصار هو القلاع والمدن وما أشبه ذلك ، والقول العام فيه هو لجميع الحصون والمعاقل .

إن أمكنك ستر قصدك للحصن ، والحيلة لأن تفجأه خيلك على غرة، فهو أكبر التدبير فيه .

إن أمكنك المكيدة لأن تخرج مقاتلة الحصن منه وتفجأه خيلك وهو خلو فهو الظفر بإذن الله .

أول عمل الحصار أن تحصر أهله من ساعة تنزل عليهم، حصرا لا يقدرون معه على أن يخرج منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ولا يسمعون له كلاما ولا ينظرون منه إشارة ، ولا يبلغه لهم رمية (المراد من إبعاده عن مرمى سهامهم ، لئلا يتفاهم معهم عن طريق الرسائل التي تربط على السهام) . فاحتل في ذلك بكل حيلة ، وقدمه على كل عمل، واحتمل فيه كل مشقة ، وإن اتفق أن كان بعيدا فألصق بالحصن واحتل في تناول الماء من بعد .

الذي في الحصار العمل في استمالة بعض حاميته والتحرز منهم ، وإدخال الرعب عليهم ، والعمل في كل خصلة من هذه الخصال الثلاثة وجوه من الحيل والمكائد كثيرة : -

ابدأ بطلب الحيلة لاستسلام أهل الحصن أو دخولهم في الطاعة واستمالة من أمكن منهم واترك المناهضة ما داموا مستشعرين للخوف ، فإن المناهضة تدنيهم إليك ، وربما كانوا بعدها أسكن روعا وأجرأ مقدما ، مع ما قد يظهر لهم عندها من مواضع الخلل، ويسنح لهم من وجوه الحيل .

احترس من رسلهم ولا تتركن أحدا يقربهم ، ولا يكلمهم إلا العقلاء الثقات ، واحذر أن يظفر أحد منهم منكم بشيء حتى يعود إلى موضعه، وليكن الرسول إليهم من يوثق بنصحه ووفائه وعقله وذهنه ومكره وخداعه جامع القلب، صنع اللسان (أي مقداما بليغ اللسان) عارفا بمقادير الكلام ومواضعه .

كن في معرفة مواضع عورات الحصن ، والعمل فيما يحتاج إليه فيه مع تحصين عسكرك ، ولا تؤخر ذلك للمناظرة .

اعرف المواضع الصعبة والذليلة ، والمنيعة والممكنة في العمل ، واعرف مواضع المعابر، والمخاوض والقناطر والجسور . اعرف مواضع نصب المناجيق والعرّادات ومواضع أحجارها وقدر نكايتها ، اعرف مواضع الرمي للنشاب والحنشان والمقالع والنيران والأوهاق .

(المخاوض جمع مخاضة وهي جزء من النهر قريب القاع، يمكن عبوره للناس مشاة وركبانا، و المناجيق جمع منجيق وهو أداة ضخمة من أسلحة الحصار ترمي الأسوار بحجارته كمدافع الميدان والعرادة نوع منه مصغر، و الحنشان الحيات والثعابين وجمعه الصحيح أحناش كما في القاموس والمقالع أهداف الرمي، ويجوز أن تكون جمعا للمقلاع المعروف .

والأوهاق جمع وهق ، وهو الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان) .

اعرف مواضع العجل والدبابات ، والأبواب والصفائح ، ووجوه العمل بها .

اعرف مواضع التطريق والتسريب والنقوب والتعليق (المعاليق هي الخطاطيف والكلاليب وهي حدائد معقوفة تقتص بها الأشياء، ويتسور الجند بها الحصون) .

اعرف مواضع السلاليم والكلاليب والخطاطيف والمعاليق، واعرف مواضع التسليق والتسور، والمكايدة بلطف لمعرفة موضع المدخل والمخرج الخفي والباطن .

قد يكون للحصن منفذ لا يقطعه ، أو تدبير لانتهاز الفرصة منه ، فإنه إن كان ذلك لهم ولا معرفة لك به فليسوا في حصار.

أعدَّ من أصناف المقاتلة والصناع والفعلة كل من تحتاج إليه ، واعمل في ذلك بالاستظهار، ليأخذ الصناع في عمل الآلات والسلاح، ولا يؤخر ذلك لغيره .

عَجِّل نصب المناجيق إن كان لها عمل، ولتكن في حرز،

وقدِّر جميع مواضع المقاتلة ، ولتعجل فيها ولا تنتظر بذلك انقضاء مناظرة (المناظرة : الانتظار والمثابرة) أهل الحصن .

إن احوجوا إلى المناهضة بعد الإعذار نوهضوا ولا يرفع عنهم رمى المناجيق وغير ذلك ، من كل ما فيه النكاية ليلا ونهارا ، ولا يفتر عنهم ساعة واحدة .

ليقاتلوا قتال القلاع والمدن وبآلاتها على حسب الحاجة إلى ذلك ، ووجوه العمل فى هذا كثيرة :

هى على حسب هيئة الحصن وموقعه وقدر أهله والإمكان فيه ، يقاتلون بالسلاح الأيسر فالأيسر، ويؤخرون العظيم المهول إلى ما يقاتلون به .

إن كانوا أهل مناجزة طوولوا ، وإن كانوا أهل مطاولة نوجزوا على أن المطاولة فى الحرب رأس المكيدة ، والذى يأمر به الحزمة أن يطاف بالحصن فى كل يوم أو اثنين ، فيشار إليه ويقدر له ، ويتكلم فيه بما يرغِّب أهله ، ويكسف إليهم بالهم بأن يظهر لهم بعض ما يعمله الصناع من آلات الحرب، والاستحثاث بذلك والانكماش فيه .

اعلم أنك محصور منهم كما حصرتهم ، وأنهم لا يفترون عن مكايدتك ، فلا تأمنن خروجهم عليك ومواثبتهم لك ، إن أمكنتهم الفرصة منك فى ليل أو نهار .

اتخذ لنفسك خنادق إن احتجت إلى ذلك وأمكنك ، وضع على قدر غلوة (مقدار رمية السهم) من أبواب حصن عدوك إن احتجت إلى ذلك رابطة على متون خيرهم ركبانا بمنزلة طلائعك ، يكون فيها كفاية وشغل لهم إن خرجوا عليك (الرابطة : الجند المرابطون) .

ثم ينتقل الهرثمى بعد ذلك إلى الكلام على المدافعة عن الحصون وذلك فى الباب الخامس والثلاثين فيقول :

قالوا : أول ما يحتاج إليه صاحب الجيش هو أن يكون فى حال الأمن ـ وقبل أن يفجأه عدوه ـ قد حصن نفسه ، وأحكم مواضع المقاتلة فيه والمدافعة عنه ، ورم كل ما يحتاج إلى أن يرمه منه ، وشحنه بكل آلة وعدة تعين على طول الحصار ، وتنكأ العدو عند المناهضة ، وألا يخليه فى حال من الأحوال من المقاتلة ، والأخلياء الذين لا صنعة لهم غيره ، ولا يزال شبيها بالمتوقع لعدوه فإن فاجأه وجده معدا ، وليعلم أنه لا يقصر فى شىء من ذلك فى وقته قبل الحصار ، أو فى شىء من عمله وتدبيره بعده ، إلا كان عليه فيه من الوهن والخلل ، وقوة عدوه وظفره بحسبه .

رأس سلاح المحصور أول ما يبدأ به هو أن يحضض أصحابه (أى يحضهم على الصبر والمناجزة) ويصف لهم عواقب الصبر ، ويحذرهم العار، ويعدهم ما فيه الظفر ، وما أشبه ذلك من كل ما يسكِّن به أنفسهم ، ويحمون به على عدوهم .

ليرم العدو بقدر غاية مراميه وقدر نكايتها فما لم يبلغ حاجته منها ، لا يتعرض له ولا يظهر لعدوه . ليعرف منتهى سلاح عدوه وقدر نكايته ،ليكون عمله على حسب ذلك .

يستعمل من الآلات ما فيه الإفساد والدفع والإبطال لآلات عدوه ، لا يرمى من السلاح ولا يعمل إلا بما يثق أنه ينكأ به عدوه ، ولا يناهض إلا عند الضرورة إلى الدفع عن نفسه ، ولا يقاتل ما وجد إلى الحيلة والخديعة سبيلا .

يعمل علي المطاولة والمدافعة ، ويغتنم اليوم والساعة واللحظة يدفعها بالحيلة .

ينتظر حوادث الأيام والزمان بما يحب ، ويترصد مواضع الغرة من عدوه ، ولا يدع اقتراصها فى ليل أو نهار إذا أمكنته ، ويكتنف بالرجال والقوة المواضع التى يظن أن عدوه إليها أسرع ذهابا ، ونحوها أشد اعتمادا .

ينازل عدوه فى أحصن مواضع الحصن ؛ ليظن أنه أهم المواضع إليه ، ويشغله به عن غيره ، ويتغافل عن موضع الخلل المجهول من حصنه ويخفيه لئلا يعثروا عليه ، مع التفقد منه له ، والتوكيل به خفيا من أصحابه يرعاه بالقصد والقناعة والتشمير والحركة ، ويقدر من كل ما يفوق ويقوى قدرا ويوقت لكل عمل من الأعمال وقتا لا يجاوز إلى غيره ، كالمطعم والمشرب والاستقاء والنوم ، والتغوط والحراسة والديدبة ، والتدخين والإيقاد وغير ذلك .

يوكل القائد بكل موضع من الحصن من يقوم به كالأبواب والأركان والبروج ، والشرف والستر والسدد، والمحارس

والمناظر والمراتب والخنادق والفارقينات ، ومواضع المقاتلة والمدافعة وغير ذلك ، ويأخذ الموكل به بما يحدث فيه . (السدد جمع سدة وهى باب الدار ، والمناظر جمع منظرة وهى مكان الجلوس فى القصور العظيمة ، ولعل اسم المنضرة العامية مأخوذ منها ، والفارقينات جمع فارقين وهو الخندق باللغة الفارسية) .

يستعمل الصناع فيما يحتاج إليه من آلاته ، ولا يبقى من أصحابه أحد يقدر على عمل ينتفع به إلا عمله .

لا يأنف من عمل المهنة ويضع يده مع أصحابه فى كل عمل يعملونه للمنفعة ، يحتال أن يظهر من فعله وقوله لعدوه كل ما يظهر به استغناؤه وقوته . يتحرز من كل فعل وقول يظهر به أو يتوهم له النقص فى شىء من أمره .

يأمرهم برفض ما لا يحتاجون إليه والتمسك بما يحتاجون إليه، وألا يخرج أحد منهم شيئا ولا يضيعه .

يأمرهم ألا يسوطوا مواضع الشرب (أى لا يخلطوها بشىء آخر أو يلوثوها) ولا يزدحموا على الماء إذا استقوا . يأمرهم بالوقار والحلم ، والاحتمال وحسن الخلق .

ينهاهم عن الشغب والنزق وكثرة الضجاج واللغط ، وكل ما يدعو إلى الفشل .

ينهاهم عن الفضول والخطل ، وكل ما لا ينتفعون به من القول والعمل .

ينهاهم عن الفحش والسفه على عدوهم ، وعن الإجابة لهم على مثل ذلك من قولهم .

يأمرهم ألا يدعوا أحدا من عدوهم يقرب منهم بالكلام فيسمعهم ما يكرهون فى أنفسهم ، أو بعض ما تفسد به قلوب بعضهم .

لا يدع أحدا يكثر السرار فيهم ، وينكل بالمرجفين والمخرّجين ويعاقبهم أشد العقوبة (السرار : المحادثة فى السر، المرجفون والمخرجين : الذين يشيعون الشائعات الضارة) .

يتحرز ممن معه من أهل الصناع والأموال والعيالات الخارجة من حصنه ، ومن أهل الطمع والحقد والفساد، ويتأتى فى كل شىء من ذلك بما يصلحه ويحسمه به .

يجتهد فى إحكام الآفات (أى العيوب الضارة بصاحبها) التى لا تكاد أن تؤدى بالمحصور إلى الظفر به ، بعد الغلبة بالنصر والتأييد ، الذى ليس هو إليه ولا إلى المحاصر له إلا منها ، وهى نفاد الماء والطعام فيحسن تقديرهما ، والثانية التحارب من أصحابه والبغى من بعضهم على بعض ، فيجتهد فى اجتماع كلمتهم ، والثالثة عورات حصنه فلا يغفل عنها ، ويحسن الستر والتدبير لها ، ويكون مما يأمر به أصحابه أن لا يزالون يتذاكرون فناء الدنيا وانقطاع ما فيها ، فإنه لا يموت أحد إلا بأجله ، لا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، فإنهم موقنون بذلك ، فعلام يحتملون مع هذا العار والسبة ، والذلة الباقية فيهم وفى أعقابهم آخر الدهر ؟ فى أن يتركوا حصنهم أو يتراخوا عنه ، هذا وما أشبهه من كل ما يوطنون له أنفسهم على الاستبسال والصبر .

يأمرهم أن لايزالون يتذاكرون طلبهم القيام بحصنهم ، وضمانهم المجاحشة (أى المدافعة) عنه ، والبذل لأنفسهم دونه ، وما لهم فى الوفاء بذلك من الحسن والنفع ، وما عليهم فى الغدر به من الفتح والضرر فى العاجل والآجل ، هذا وما أشبهه من كل ما يتمسكون به بالوفاء والمحافظة .

يأمرهم أن لا يزالون يطرحون الحسنة ويقولون بالفأل والزجر والأمارات وتأويل الرؤيا وما أشبهه ذلك مما يتطيرون به ويتيمنون به .

يأمرهم أن لا يزالون يتحدثون بالفكاهات وكل ما يدفعون به الضجر والتبرم ، ويسلُّون به الغموم والأحزان العارضة لهم .

إن كان محصورا على التمام وله من ورائه من يحوطه ، صيَّر له فى عسكر عدوه من يسعى فيه بالفساد، ويلقى إليه خبره إن كان محصورا وله من ورائه من يرجو غياثه ، احتال لإيصال ما بينه وبينه بالمكاتبة والمراسلة بكل حيلة . إن كان محصورا ولم يكن له فى عسكره من ثقاته المؤتمنة ، أو مستأمنة البلاد من يسعى فيه بالفساد (أى فى معسكر الأعداء) ويلقى إليه أخباره ، احتال فى ذلك بإخراج المستأمنة إليه من حصنه ليقوموا له به .

إن كان محصورا تلطف لوصول كتبه إلى من له فى عسكر

عدوه بالرمى بها من الحصن وألا تصير إلا إليه ، وإن كان له فى حصنه مدخل ومخرج خفى ، فخاف قوة عدوه على قطعه إن تنبه إليه ، ستر ذلك جهده ، وإن أمنه أظهر قوته ، وإنما يكون محصورا حقا إذا لم يكن ذلك له ، وإن رجع عنه عدوه لا يتبعه إلا أن يوقن بالظفر به أو النكاية له (مختصر سياسة الحروب / ٥٦ ـ ٦٤) .

وعلى غرار ما تقدم نجد أن الهروى صاحب كتاب التذكرة الهروية قد أفرد الباب الحادى والعشرين « فى قتال الحصون وحصارها ومكائد ذلك والحيلة فيه » وجاء فيه ما يلى :

وليحذر أن ينزل على حصن يكون أكبر منه وأقوى من جيشه فيقهره فإن رحيله عن الموضع بعد نزوله عليه ومباشرته له بالحرب عار وهزيمة ولا ينزل على حصن منيع ولا ثغر حصين إلا بعد استمالة قلوب أهله وأجناده ومقدمته وقواده بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه وخدع الأمراء والأكابر بما يرومونه ويضمن لهم ما يطلبونه وذلك قبل الحركة إليهم والنزول عليهم ولعل [ولعله] يجد فرصة ينتهزها أو حيلة يعملها أو يبلغه من ثقاة الجواسيس وأصحاب النواميس أن الحصن قليل الذخائر أو خال من الرجال أو قد قل به القوت أو ليس له ماء فليرحل إليه وينزل عليه ويغتنم الفرصة ليأمن الغصة وليسارع بالنزول عليه والزحف إليه وليبهت أهله بشدة القتال ومرارة الزحف ولا يضيع الحزم فيه [حتى] يتم الظفر وتنال المطالب وليستصغر المشقة إذا أدت إلى منفعة ولا يمل ويضجر فإن ذلك يوهن جانبه ويضعف قوته . وليعلم أن أخذه لحصن منيع وثغر حصين وهتكه إياه بشدة وطأته وإخراق ناموسه بعظيم سطوته وفتحه إياه عنوة أو صلحا يؤدى إلى اضطراب البلاد من الخشية وعظيم السطوة وشدة البأس . ولا يتعب بعد ذلك على حصن ينزل عليه أو ثغر يقصده بل ربما كاتبه أهله وراسله أصحابه وطلبوا تسليمه إليه خوفا منه وطمعا فى ملكه وخشية من سلطانه .

وإذا قصد بلدا يملكه وفى نفسه أن لا يتركه فليؤمّن الفلاحين والرعية المستضعفين وليرسل إليهم من يحميهم ومن شر العسكر يكفيهم وذلك لفائدتين :

إحداهما أنهم يجلبون العلوفة ويميرون العسكر بالنعمة وما يحتاج إليه الناس من المؤنة ، والأخرى أن أهل الحصن المحصور والبلد المقهور يبلغهم ذلك فيعلمون أنه مالك لا مغير فيفشلون ويقصرون وتفتر هممهم وتختلف آراءهم وليكاتب أهل الحصن ويراسل أهله ومقدمته ويضمن لهم ما يطلبونه وليظهر لهم أن بعضهم يكاتبونه ويريدونه ولا يعين أحدا منهم وليترك الأمر مكتوما والحال مغموما فيظن كل واحد منهم فى صاحبه ويطلب التقدم لنفسه ليأخذ بذلك عند الملك يدا ، ويجعله له سندا وليعدهم بالزيادة على إقطاعهم وبلادهم وضياعهم ليبلغ مقصوده ، وينال مطلوبه باليسير من التعب والقليل من النصب ولا يهمل مكاتبة القسوس وأصحاب المناصب وأتباعهم ومن يجرى مجراهم فإن عندهم من قلة الديانة واستعمال العذر والخيانة والرغبة فى الدنيا والزهد فى الآخرة والتهور والطيش والخفة والحرص على حطام الدنيا والمثابرة على الجاه والتقدم عند الملوك والأكابر واتباع الرخص فى فتائهم أنفسهم ما يبلغ بهم جميع مقاصده التى يرومها ، وليحذر الرهبان وأصحاب الصوامع فإنه لا يبلغ بهم مراده ولا يدرك مقصوده فإن عندهم من الشدة فى الدين والمسكة وإهمال الدنيا ما يردعهم على الخوض فى أمور العالم وأحوالهم وقد جربت هؤلاء وهؤلاء تجربة لا أشك فيها ولا أعرف ما ينافيها .

ولينزل على الأماكن العالية المشرفة على الحصن وليحبس عنه الميرة ويقطع المياه إن قدر عليها وليتفقد دائر الحصن وليسترق منه موضعا ويستضعف منه مكانا ولا يشعر به أحد ولا يعلمه جاسوس وليتقدم إلى بعض الأمراء المشهورين والفرسان المذكورين ممن قد عرف بالنجدة ووصف بالشدة وليمكّنه من العدة والعدد والكبورة والزرد وقوارير النفط وجميع آلة الحرب والزحف والنقب كالسلالم والحبال والمعاول والأمخال والرماح العوالى والطوارق والجنويات والكلاليب والجفتيات والكباش والزحافات . ولينزل الأمير المذكور قريبا من المكان المطلوب والموضع المقصود ، وليعرض أصحابه وعسكره لئلا يقع تفريط ، ولا يجرى تخليط ، ولا يمكّن أحدا

من القتال على البقعة المشهورة ، والرقعة المذكورة ، ليقل احتراسهم منها ، ويميلوا عنها ، وليقصد الملك أقوى الأماكن ، وأصعب المواضع ، والجنبة القوية ، والناحية الحمية ، وينصب عليها القتال ، ويشغلهم بنار الحرب ، ويذيقهم مرارة الزحف ، فلا بد وأن يميلوا إلى جهة القتال ، وموضع الحرب والنزال ، ويتركوا باقى الحصن ، وتملكهم الغفلة ، ويستولى عليهم الوله ، وتأخذهم الحيرة ، وتذهلهم المصيبة ، فبهذا التدبير ربما يملك الأمير المذكور الناحية المشار إليها من السور ، وتدخله النقابون وتستولى عليه الرجال وإياه فى تلك الساعة من الغفلة ، وليحذر الفترة فربما يتيقظون ومن رقدتهم ينتبهون ، بل يذيقهم مرارة الزحف وشدة القتال ليعاينوا الموت ويذهلهم الرعب ويشتد بهم الخوف ويعظم بهم الجزع فهم لا شك يطلبون الأمان ويستجيرون بالسلطان فإن شاء أمّنهم وإن شاء ملكهم (التذكرة الهروية / ٢٣ ـ ٢٥) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢١ ، وموسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحيم غالب / ١٣٣ ، ومختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون ـ تحقيق عبد الرؤوف عون ، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٥٦ ـ ٦٤ ، وكتاب التذكرة الهروية فى الحيل الحربية لعلى بن أبى بكر الهروى / ٢٣ ـ ٢٥) .

انظر : الحروب الإسلامية .

*** الحصن :**

قال ياقوت :

الحصن : بالكسر ، والحصن مأخوذ من الحصانة وهو المنعة : وهو ثنية بمكة بموضع يقال له المفجر خلف دار يزيد بن منصور ، وقال أبو بكر بن موسى : الحصن ثنية بمكة بينها وبين دار يزيد بن منصور فضاء يقال له المفجر . والحصن أيضا : موضع بين حلب والرقة ؛ ينسب إليه محمد ابن حفص الحصنى ، يروى عن معمر وأبى حنيفة ؛ كذا قال أبو سعد . وهناك حصن يقال له حصن عديس كما نذكره فى حصن الأكراد . والحصن الأبيض ، وليس بحصن : موضع باليمن من أعمال سنحان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

*** حصن الإسلام :**

حصن الإسلام : لمولانا غانم محمد البغدادى الحنفى المتوفى فى حدود سنة ١٠٣٠ ثلاثين وألف وهو مختصر ذكر فيه أنه سأله بعض الطلبة جمع ألفاظ الكفر فأجاب وزاد عليه العقائد والأحكام ليتم به النفع ورتب على خمسة فصول أوله : أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الحى ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٨) .

*** حصن الأكراد :**

قلعة الحصن أو حصن الأكراد ، وتشرف على ممر حمص ـ طرابلس ، قرب تل كلخ . وأصل بنائها غامض ، وقد احتلها الصليبيون سنة ١١١٠ ثم صارت بيد « الاسبتارية » وهم فرقة دينية عسكرية من الصليبيين وبقيت لهم حتى سنة ١٢٧١م إذ استسلموا للظاهر بيبرس .

وتعد قلعة الحصن من أكمل الأبنية الحربية الباقية فى سوريا : بأسوارها وأبراجها ومخازنها العميقة وخنادقها (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٠٦) .

قال عنه ياقوت :

وحصن الأكراد : هو حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين بعلبك وحمص ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه برجًا وجعل فيه قوما من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقا فتديروها بأهاليهم ثم خافوا على أنفسهم فى غارة فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم ، فنازلوه فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وملكه الفرنج ، وهو فى أيديهم إلى هذه الغاية ، وبينه وبين حمص يوم ، ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من أيديهم ؛ وقال الحافظ أبو موسى الأصبهانى عن أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى قال : ذكر ابن أبى حاتم محمد بن حفص الحصنى وقال : موضع بين الرقة وحلب ، وهذا يقال له حصن الأكراد قلت أنا : وقوله وهذا يقال له حصن الأكراد من لبس أبى موسى وهو خطأ لما

ذكرنا ، وأما ما ذكره ابن أبي حاتم فخبرني الوزير القاضي الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي ، أدام الله حراسته ، أن بين بالس ومنبج موضعا يقال له حصن عديس ، وهذا بين الرقة ونواحي حلب حصن الداوية ، ويقال : الديوية ، حصن حصين بنواحي الشام ، والديوية الذين ينسب الحصن اليهم قوم من الإفرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره ، ولهم أموال وسلاح ، ويتعاونون القوة ويعالجون السلاح ، ولا طاعة عليهم لأحد .

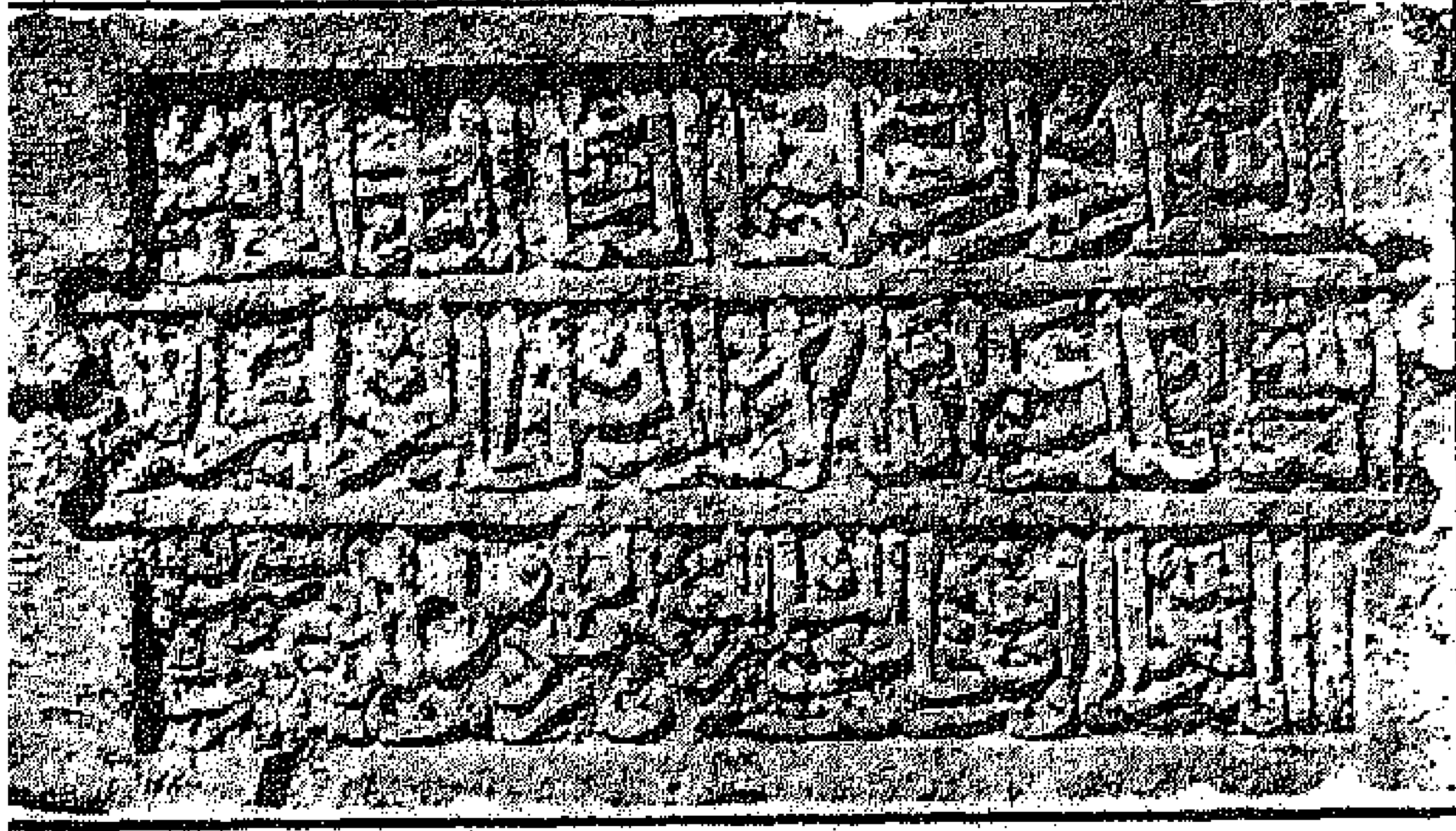
(تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ـ أنور الرفاعي / ١٠٦ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٢٦٤) .

انظر : حصن الأكراد (بيمارستان ـ) .

*** حصن الأكراد (بيمارستان ـ) (٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) :**

أنشأ هذا المارستان أحد المماليك بهذا الحصن ووجد مكتوبا على عتبة باب هذا المكان ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البيمارستان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى بكتمر بن عبد الله الأشرفي نائب السلطنة المعظمة بحصن الأكراد أثابه الله تعالى وأوقفه على



شكل ١٦ — ما هو مكتوب على باب بيمارستان حصن الأكراد منقولة عن نان برشم

مرضى المسلمين المقيمين والواردين وذلك في شهور سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) .

وهذا المارستان لم يبق من آثاره إلا هذه الكتابة وبعض الأحجار المستعملة الآن في بناء بعض المنازل الصغيرة المجاورة للبيمارستان وقد أرصد بكتمر بعض الأوقاف للصرف على هذا البيمارستان . قال ناقل هذه الكتابة : وقد وجدت في بعض البيوت المتخربة قطعة من نص وقفية بكتمر على البيمارستان وهذا نصها :

... ... وبسوق البز وجميع الدار المجاورة للبيمارستان من جهة الشمال والربع والثمن من الحانوت بسوق السمانين ومن شروطه أن يبدأ من ريع ذلك بعمارة المارستان وما هو موقوف عليه أثابه الله تعالى . ووجدت وقفية أخرى مكتوبة فوق حجر في جدار أحد المنازل الصغيرة مقابلة للكتابة السابقة وهذه صورتها ونصها :

« أوقفت الحاجة مريم زوجة ابن المسروري أثابها الله تعالى على هذا الوقف المبارك أربعة عشر سهما من البستان بقرية السحارة (الآن خراب وتبعد بمقدار ساعة ونصف عن حصن الأكراد) .



شكل ١٧ — صورة وقف بيمارستان حصن الأكراد منقولة عن فان برشم

وحصن الأكراد فى السهل المسمى البقاعية يحده من الجنوب جبل عكار وجبل لبنان ومن الشمال جبال النصيرية . وسبب تسميته بحصن الأكراد أن أحد أمراء حمص المرداسيين وهو شبل الدولة نصر بن مرداس صاحب حمص أسكن فيه جماعة من الأكراد الذين أقاموا به هم وأولادهم لحماية الطريق ، وذلك سنة ٤٢٢ هـ فنسب إليهم وكان من قبل يسمى حصن الصفح وقد استولى عليه الصليبيون وبقى فى أيديهم إلى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧١ م) ثم استرده منهم الملك بيبرس قسيم أمير المؤمنين .

(تاريخ البيمارستان فى الإسلام - د. أحمد عيسى / ٢٤٨ - ٢٥٢) .

انظر : البيمارستان .

*** حصن بابليون :**

انظر : بابليون (حصن -) .

*** الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين :**

أورده صاحب مفتاح السعادة فى علم الأدعية والأوراد باعتباره من فروع علم الحديث (٢ / ٥٥٢) وقال عنه صاحب كشف الظنون :

الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين : للشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٩ تسع وثلاثين وسبعمائة [٨٣٣] وهو من الكتب الجامعة للأدعية والأوراد والأذكار الواردة فى الأحاديث والآثار ذكر فيه أنه أخرجه من الأحاديث الصحيحة وأبرزه عدة عند كل شدة ولما أكمل ترتيبه طلبه عدوه وهو تيمور فهرب منه مختفيا وتحصن بهذا الحصن فرأى سيد المرسلين ﷺ جالسا على يمينه وكأنه عليه الصلاة والسلام يقول له ما تريد ؟ فقال يا رسول الله ادع الله لى وللمسلمين، فرفع يديه فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم وكان ذلك ليلة الخميس فهرب العدو ليلة الأحد وفرج الله سبحانه وتعالى عنه وعن المسلمين ببركة ما فى هذا الكتاب الجامع ما لم يجمعه مجلدات من التآليف ورمز للكتب (المأخوذ عنها) بالرموز المعهودة بين أهل الحديث وذكر مقدمة تشتمل على أحاديث فى فضل الدعاء والذكر وآدابه وأوقات الإجابة وأمكنتها ثم الاسم الأعظم والأسماء الحسنى ثم ما يقال فى الصباح والمساء وفى الحياة إلى الممات ثم الذكر العام ثم الاستغفار ثم فضل القرآن ثم الدعاء ثم ختمه بفضل الصلاة على النبى ﷺ وفرغ من تأليفه يوم الأحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بمدرسته التى أنشأها برأس عقبة الكتان داخل دمشق وجميع أبوابها مشيدة بالأحجار والناس فى جهد عظيم من الحصار والمياه مقطوعة والأيدى إلى الله سبحانه وتعالى مرفوعة ، وكل أحد خائف على نفسه وماله وقد أحرق ظواهر البلد ونهب أكثره ولقد أحسن من قال :

(شعر)

إن نابك الأمر المهول اذكر إله العالمينا

وإذا بغى باغ عليك فدونك الحصن الحصينا

ثم شرحه شرحا مفيدا بالقول وسماه مفتاح الحصن أوله : الحمد لله على ما علم ... إلخ ذكر فيه أنه وعد عند تأليفه أن يجعل فى آخره فصلا لحل مشكلاته ولما انتهى سارت به الركبان فى البلدان وكذا مختصر عدة الحصن والجنة كلاهما له ولما مضى نحو من أربعين سنة وفى بما وعد به من ذلك الشرح وفرغ فى رمضان سنة ٨٣١ إحدى وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز . ثم إن الشيخ على ابن السلطان محمد الهروى المعروف بالقارى نزيل مكة المكرمة المتوفى بها بعد الثلاثين وألف (سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف) شرح الحصن شرحا ممزوجا بسيطا وسماه الحرز الثمين للحصن الحصين أوله :

الحمد لله الذى جعل ذكره حصنا حصينا ... إلخ وفرغ فى النصف الأخير من جمادى الآخرة سنة ١٠٠٨ ثمان وألف . وأما مختصره المسمى بعدة الحصن فهو على عشرة أبواب أوله : الحمد لله الذى جعل ذكره عدة ... إلخ . ولهذا المختصر ترجمة بالفارسية مسماة بغرفة الحصن للسيد أصيل الدين عبد الله بن عبد الرحمن الحسينى الواعظ أوله : الحمد لله الجميل الذى يحب الجمال ... إلخ ذكر أنه زاد عليه بعضا من المهمات ورتب على خمسة فصول وخاتمة وفرغ فى

جمادى الأولى سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمانمائة ببلدة هراة ولـلأصل أيضا ترجمة تركية ليحيى بن عبد الكريم سماها مصباح الجنان وجعلها على بابين مشتملة على زيادة من خصائص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولها : الحمد لله الحميد ... إلخ (كشف ١ / ٦٦٩ ، ٦٧٠) .

يوجد مخطوطه فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم الحفظ ٢٧٣ ـ ف .

بداية المخطوطة : لا إله إلا الله عدة للقائه . اللهم صل على سيد الخلق ... قال الشيخ الإمام ... أما بعد حمد الله الذى جعل الدعاء ، رد القضاء .

نهاية المخطوطة : وقد أجزت لأولادى أبا الفتح محمد وأبا بكر أحمد وأبا القاسم عليا وأبا الخير محمدا ... روايته عنى ... حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

الخط نسخ جميل ، تاريخ النسخ : القرن ١٣ هـ ـ ١٩ م نسخة جيدة وكاملة مزخرفة ومزوقه (فهرس المصورات المكيروفيلمية ٢ / ٢١٠) .

كما توجد نسخة بمكتبة «مولانا» فى قونيا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين :

لشمس الدين محمد بن محمد الجزرى المتوفى (٧٣٩هـ) .

معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ ، كشف الظنون ١ / ٦٦٩ ، بروكلمان ٢ / ٢٠١ ، ٢٠٣ ، وذيله ٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٨ . أورده سركيس فى معجمه ص / ٦٣ . طبع بولاق ١٣٢٠ ، مصر ١٢٧٧ .

الصفحة الأولى مذهبة والأوراق الأخرى مجدولة بالذهب ومكتوبة بخط النسخ الجميل ولكن يبدو أن الخطاط جاهل لوقوعه فى أخطاء إملائية كثيرة .

ترجم الكتاب إلى التركية على يد أحمد بن العارفين .

أوله : بعد البسملة ، وجدت فى نسخة أم الأم المكتتب منها... آخره : وليكن ذلك آخر ما نعدده من عدة الحصن الحصين ...

تم الحصن الحصين سنة سبع وستين ومائتين بعد الألف ... نمقه السيد امرالله الحمدى القيصرى .

مقياس المجلد : ١٠,٨ × ١٠,٥ .

مقياس الكتابة : ١١,٣ × ٦,٤ .

عدد الأوراق : ٧٨ .

رقمه فى الخزانة : ١١١٣ .

رقم المجلد : ١١٠ (المخطوطات العربية ق ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣)

وقد ذكر عبد الحى الحسنى شروحا للحصن الحصين من المؤلفات فى الهند فقال : فمن ذلك شرح عليه للشيخ حاجى محمد الكشميرى المتوفى سنة ١٠٠٦ ، وشرح عليه بالفارسى للشيخ فخر الدين بن محب الله البخارى الدهلوى ، وشرح عليه للشيخ منور بن عبد المجيد اللاهورى ، وشرح عليه بالفارسى للشيخ محمد فيض بن محمد صادق البلكرامى ، وحاشية عليه للشيخ عبد الحى بن عبد الحليم الأنصارى اللكهنوى ، والظفر الجليل شرحه بالأردو للمولوى قطب الدين خان الدهلوى (الثقافة الهندية / ١٥٥) .

قالت المؤلفة : وقد اختصر الإمام ابن الجزرى كتابه هذا فى كتاب أسماه « عدة الحصن الحصين من كتاب سيد المرسلين » ، وهو عندى ، بشرح فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف . مطبعة المدنى . الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، ويقع فى ١٩٧ صفحة ، والفهرس ٣ ص .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٥٢ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، وفهرس المخطوطات المكيروفيليمة بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م / ٢١٠ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا» فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، والثقافة الإسلامية فى الهند « معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى / ١٥٥) .

* حصن الرأس :

قال ياقوت : حصن الرأس : باليمن من مخلاف صداء من أعمال صنعاء (معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

* **حصن زياد :**

حصن زياد : بأرض أرمينية ويعرف اليوم بخرتبرت ، وهو بين آمد وملطية ، وهو إلى ملطية أقرب (معجم البلدان ٢/ ٢٦٤)

* **حصن سلمان :**

حصن سلمان : ذكر البلاذرى أن سلمان بن ربيعة كان فى جيش أبى عبيدة مع أبى أمامة الصدرى بن عجلان صاحب رسول الله ، ﷺ ، فنزل حصنا بقورس من العواصم فنسب ذلك الحصن إليه وعرف به ، ثم قفل من الشام فيمن أمد به سعد بن أبى وقاص إلى العراق ، وقيل : إن سلمان كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه إلى أرمينية فعسكر عند هذا الحصن وقد خرج من مرعش فنسب إليه ، وقيل : إن هذا الحصن نسب إلى سلمان بن أبى القرات بن سلمان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

* **حصن سنان :**

حصن سنان : فى بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك ابن مروان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

* **حصن طالب :**

حصن طالب : قلعة مشهورة قرب حصن كيفا ، فيه كانت أكراد يقال لهم الجوبية ، فغلبهم عليه قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا بعد سنة ٥٦٠ .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٥) .

* **حصن العارفين من فتن الزمان :**

لإبراهيم حقى الأرضرومى الصوفى المتوفى سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨١ م .

مخطوط بالخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٢٢٣٤٠ / ٤

٢٤ ص ٢١ × ١٦ سم ٢١ سطرا

معجم المؤلفين ١ / ٢٥

(مخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٦ / ٣٦) .

* **حصن العيون :**

قال ياقوت :

حصن العيون : فى بلاد الثغور الرومية ، غزاه سيف الدولة وفتحه ؛ فقال أبو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان :

لقد سخنت عيون الروم لما ... فتحنا ، عنوة حصن العيون

ودوخنا بلادهم بجُرد ... سواهم شزب قبٍّ البطون

عليها من ربيعة كلُّ قرم ... فقيد المثل ، ليس بذى قرين

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٥) .

* **حصن كيفا :**

قال ياقوت :

حصن كيفا : ويقال كيبا ، وأظنها أرمنية : وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وهى كانت ذات جانبين ، وعلى دجلتها قنطرة لم أر فى البلاد التى رأيتها أعظم منها ، وهى طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران ، وهى لصاحب آمد من ولد داود بن سقمان بن أرتق .

(معجم البلدان/ ٢٦٥) .

وللشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله بحث مستفيض عن مملكة حصن كيفا الأيوبية التى يشير إليها بأنها حلقة مفقودة من سلسلة التاريخ الإسلامى . يقول رحمه الله فى مقدمة بحثه :

عنيت منذ خمس سنين بدراسة واسعة عن الدولة الأيوبية وإماراتها وعصرها . وكان مما عثرت عليه أثناء دراسة العصر الأيوبى ، والممالك الأيوبية مملكة مستقلة قامت فى مدينة «حصن كيفا» وعاشت نحوا من ثمانية عشر ومائتى عام .

ومن العجيب أن تعمر سلطنة مثل هذا العمر الطويل ولا تدخل فى سجل التاريخ ولا يشير إليها أحد من المؤلفين إلا عفوا .

فمعلمة الإسلام لم تشر إليها فى بحث الأيوبيين ، وبحث « حصن كيفا » ونقلت عن كتاب « شرف نامه » عبارة تدل على هذه السلطنة دلالة مبهمة .

فقد جاء فى بحث « أوزون حسن » أنه انتزع « حصن كيفا» من أيدى الأكراد الأيوبيين ، وهذا كل ما أشارت إليه . ولم نر لهذه المملكة ذكرا فى الأجزاء المطبوعة من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزى ، ولا فى تاريخ الحافظ ابن كثير ، وفى تاريخ القرمانى مع ولوعه باستقصاء الممالك والسلطنات والإمارات .

وأشار لهذه المملكة القلقشندى بما لايشفى الغليل ، ومعظم ما نقله عن كتابى التعريف والتثقيف، وكانت نُقُول كتاب التثقيف مضطربة مشوشة مثل نقول القلقشندى فهما لم يستندا فى بحثهما إلى تحقيق علمى ، وإنما أخذا معلوماتهما من أفواه بعض التجار والقصاد وقد استطعنا أن نجمع حلقات هذه السلسلة الأيوبية من كتب التراجم بعد أن أعيانا البحث عنها فى كتب التاريخ السياسى ، ولكنا لم نستطع التعرف إلى على خمسة من ملوكها وإن كنا قد علمنا أسماءهم .

حصن كيفا :

مدينة من مدن الجزيرة الفراتية ، قائمة على الشاطىء الأيمن ، من نهر دجلة ، وهى فى منتصف الطريق تقريبا بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وتبعد عن كل منهما مسيرة ثلاثة أيام .

وهذه المدينة عريقة فى القدم ، فالمغاور والكهوف التى لا تزال فيها ترجع إلى ما قبل العصر الكلدانى وأصبحت (حصن كيفا) حسب التنظيم الإدارى التركى جزءا من قضاء العوينة فى لواء ماردين (ولاية ديار بكر) وهى قائمة بين قضاءى العوينة ومدياد . وسكانها أتراك وأكراد وأرمن وسوريون مسيحيون .

تاريخها الإسلامى :

انضمت هذه المدينة مع بقية الجزيرة إلى المملكة العربية الإسلامية بين سنتى (١٨ ـــ ١٩ هـــ) أيام خلافة عمر بن الخطاب . ولما ضعفت الخلافة العباسية دخلت حصن كيفا تحت سلطة بنى حمدان ، ثم بنى مروان ، ثم بنى أرتق الذين جعلوها عاصمة لهم منذ سنة (٤٩٥ هـ) فبلغت فى عهدهم أقصى فخامتها وروعتها . وفى سنة (٥٧٩ هـ) حاصر صلاح الدين بن أيوب مدينة آمد وجاء لخدمته نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا فأحسن صلاح الدين لقاءه ووعده بآمد . فلما فتحها صلاح الدين فى السنة المذكورة وفّى بوعده لصاحب حصن كيفا وأعطاه آمد ، ومن ذلك الوقت خضعت حصن كيفا للمملكة الأيوبية خضوعا معنويا مع استقلالها الذاتى . وبين سنتى (٦٢٩ ـــ ٦٣٠ هـــ) أخذ الملك الكامل صاحب مصر مدينة آمد مع حصن كيفا من الملك المسعود ابن الملك الصالح أبى الفتح محمود بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان ابن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقمان بن أرتق .

وأصبحت يومئذ من الممتلكات الأيوبية وفى حدود سنة (٦٣١ ـــ ٦٣٢ هـــ) أعطى الملك الكامل حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب فبقى فيها حتى مات أبوه فترك الحصن وتوجه إلى الشام وحصلت له وقائع كثيرة حتى صار ملكا على مصر سنة (٦٣٧ هـ) وكان أبقى فى الحصن ابنه الملك المعظم توران شاه جد ملوك الحصن وهم الذين وضع هذا البحث فيهم .

ثم يحصى الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله ملوك حصن كيفا ويترجم لكل منهم ، ونذكرهم فيما يلى وننقل ترجمة من لا ترد ترجمته فى هذه الموسوعة .

١ ـ الملك المعظم توران شاه / وهو جد ملوك حصن كيفا وأصلهم الذى يرجعون فى النسب إليه . انظر ترجمته فى م ١١ / ٦١ ـ ٦٣ من هذه الموسوعة .

١ ـ الملك الموحد تقى الدين عبد الله بن الملك المعظم توران شاه :

يعد هذا الملك أول ملوك الحصن من الأيوبيين المستقلين بها ولكنا لا نعرف عنه شيئا غير ما ذكره عنه أبو الفداء فى تاريخه فقال عنه فى حوادث سنة (٦٣٨ هـ) : إنه بعد ذهاب أبيه توران شاه إلى مصر بقى مالكا لحصن كيفا إلى أيام التتر وطالت مدته بها .

٢ ـ الملك الكامل مجير الدين أبو بكر شادى :

وهو ثانى ملوك الحصن ، ولا نعرف عنه غير كنيته ولقبه جاء ذكرهما عفوا فى الدرر الكامنة فى ترجمة ابنه أيوب ونصه : كان المعظم لما تقرر فى سلطنة الديار المصرية نقلا من حصن كيفا ترك ولده الموحد تقى الدين عبد الله فاستمر فى مملكة الحصن المذكور. وتولى بعده ولده الكامل أبو بكر. وهذا كل ما عرف عنه . وفى الضوء اللامع للسخاوى ما يفيد بأن اسمه شادى ولقبه مجير الدين . وفى شذرات الذهب أيضا ما يفيد بأن اسمه شادى . وقد خلف ولدين توليا بعده ، أحدهما أيوب ، والآخر محمد .

٣ ـ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن أبى بكر شادى ، وهو ثالث ملوك الحصن . انظر ترجمته فى هذه الموسوعة تحت عنوان « الملك الصالح » .

٤ ـ الملك الكامل مجير الدين محمد :

وهو رابع ملوك الحصن ، وهو ابن أبى بكر شادى ، والمظنون أنه هو الذى قتل أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن أبى بكر شادى ، ولا نعرف عنه أكثر من ذلك .

٥ ـ الملك المجاهد شهاب الدين غازى .

ويعد الملك الخامس من ملوك الحصن ، وهو ابن مجير الدين محمد ولا نعرف عنه شيئا .

٦ ـ الملك العادل فخر الدين سليمان (٧٨٠) ، وهو السادس من ملوك الحصن . انظر ترجمته فى هذه الموسوعة تحت عنوان « سليمان بن غازى » .

الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان :

وهو السابع من ملوك الحصن ترجمه صاحب الشذرات وصاحب الضوء اللامع بأنه صاحب حصن كيفا وأعمالها من ديار بكر ، وليها بعد أبيه فى سنة سبع وعشرين وكان مشكور السيرة محببا لرعيته لوفور عقله وسياسته وديانته مع فضل وميل زائد إلى الأدب ومشاركة فى فنون وكرم وشجاعة وظرف ذكره ابن حجر فى أنباء الغمر ، وقال : إنه خرج فى عسكره لملاقاة السلطان (الأشرف برسباى) على حصار آمد فاتفق أنه نزل لصلاة الصبح فوقع به فريق من التركمان فأوقعوا به على غرة فقتل وذلك فى شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ودفن بحصن كيفا . ويقول ابن حجر عنه : إنه كان فاضلا أديبا له شعر حسن ووقف على ديوان شعره وهو يشتمل على نوائح فى أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك و إنه كان جوادا محبا للعلماء .

٨ ـ الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد :

وهو الملك الثامن من ملوك الحصن . وهو خليل بن أحمد بن سليمان بن غازى بن محمد أبى بكر بن عبد الله بن توران شاه الملك الصالح ثم لقب بالملك الكامل أبو المكارم . استقر فى مملكة الحصن بعد قتل والده سنة ؟ ٨٣٦ هـ) وكان محبا للعلماء خصوصا الشافعية ، وسار فى بلاده سيرة حسنة ونشر العدل ، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه من أهل الفضل وأن له نظما وأنه أرسل بديوان من شعره على عادة أبيه إلى الديار المصرية فقرظه له الأدباء .

٩ ـ الملك العادل ناصر بن خليل بن أحمد :

وهو التاسع من ملوك الحصن قتل أباه وتملك بعده فبقى نحو سبعة أشهر ثم ثار عليه ابن عمه حسن بن عثمان ابن الملك العادل سليمان فقتله ثأرا لأبيه .

١٠ ـ الملك الكامل أحمد بن خليل بن أحمد بن سليمان :

وهو العاشر من ملوك الحصن ، ولما قتل أخوه ناصر أباهما الملك الكامل خليل فر خوفا من أخيه إلى جهانشاه ملك تبريز ، فلما ثار ابن عمه على أخيه ناصر وقتله استدعاه ابن عمه من تبريز وجعله ملكا على الحصن فبقى فيه ملكا نحو سنتين ، ثم حصلت ثورة فى بلاده وتغلب على ملكه ابن عمه خلف بن محمد ففر إلى قلعة أرغيس من معاملة الحصن ثم إلى بغداد ثم إلى مصر فأكرمه عتيق جده مرجان العادلى مقدم المماليك وتوفى فى مصر أيام الملك الظاهر خشقدم .

الملك العادل خلف بن محمد بن سليمان بن أحمد :

وهو الحادى عشر من ملوك حصن كيفا ثار على ابن عمه الملك الكامل أحمد فى حدود سنتى (٨٥٨ ـ ٨٥٩) ففر الملك الكامل واستولى على المملكة فبقى مالكا سبع سنين . ثم جرى له ما فعله بسلفه ، فثار عليه أبناء عمه : زين العابدين، وأيوب وعبد الرحمن أبناء على بن محمود بن

العادل سليمان فقتلوه وولده هارون فى حدود سنة (٨٦٥ هـ) وذكره صاحب الشذرات فيمن توفى سنة (٨٦٧ هـ) وكان العادل شجاعا مقداما ذا بطش وقوة وله نظم ليس بالجيد . وإليه الإشارة بقول الصدر بن البارزي مما كتب به إليه :

قالوا بموت الكامل الحصن وهت
وعزها قد حاد عنها وصدف
فقلت إن كان مضى كاملها
فإن فيها خلفا عن من سلف

١٢ ـ الملك الصالح زين العابدين

وهو الثانى عشر من ملوك الحصن ثار هو وأخواه أيوب وعبد الرحمن أبناء على بن محمود بن العادل سليمان فقتلوا ابن عمهم العادل خلف بن محمد وتملك زين العابدين على الحصن وبقى أيوب وعبد الرحمن كالوزراء ثم اختلف الثلاثة فيما بينهم فهاجم الحصن حسن بيك الطويل (أزون حسن) ابن قرايلوك عثمان صاحب آمد واستولى على الحصن وقتل الثلاثة بين يديه صبرا فى ذى القعدة سنة (٨٦٦ هـ) وبذلك انقرضت هذه السلالة الأيوبية .

١٣ ـ الملك خليل الثانى ابن سليمان

ولما مات أوزون حسن اضطربت الأحوال ، فانتهزها الأيوبيون فرصة وعادوا إلى حكمهم الأول ، فقد جاء خليل الثانى ابن الملك سليمان فسيطر على سعود أولا ثم على حصن كيفا .

وفى فترة ، قام خليل الثانى بزيارة حميه الشاه إسماعيل ولكنه أوقف فى تبريز وسجن ، غير أنه فى أثناء فتوحات ياووز سليم تخلص من سجنه وعاد لمملكته ، وفى خلال غيابه كان قائما على حصن كيفا ولده الملك سليمان الثانى ، فلما عاد والده استعاد ملكه وجلس على عرشه للمرة الثانية وبعد مدة عاد سليمان الثانى مرة ثانية إلى الملك ولكن المنافسة دبت بينه وبين أخويه محمد وعلى ، وحصل بسبب ذلك اضطراب أدرك معه سليمان أن لا قبل له بمواجهته ووجد نفسه مجبرا على تقديم مفاتيح حصن كيفا سنة (٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٤م) إلى والى العثمانيين على ديار بكر حينئذ خسرو باشا فكافأه السلطان سليمان القانونى على ذلك بأن ولاه زعامة الرها وغلتها ٧٠٠ ألف آقجه . وهكذا فقد ألحق حصن كيفا بتركية (العثمانية) . وانقرضت مملكة أيوبية حصن كيفا كلية بعد وقت طويل ملىء بالاضطرابات وبوادر الانحلال (انتهى) .

هذه خلاصة ما أطلقنا عليه من أخبار هذه السلالة ، وأكثرها لا يعدو تراجم ، ولكنها بمجموعها تعطينا فكرة عن هذه الإمارة . وبعد ذلك نتساءل لماذا كانت أخبار هذه الإمارة غامضة فى أول نشأتها فلم يعرف عن أحوالها إلا النزر اليسير ، ولماذا لم يعرف عن ملوكها الخمسة الأول ، وما السبب فى أن المؤرخين أخذوا يذكرون تراجم ملوكها منذ منتصف القرن الثامن الهجرى ؟

إنى أرى أن صغر هذه الدولة وضعفها كان له أكبر الأثر فى ذلك ، يضاف إليه أن هذه الدولة تعتبر صاحبة الحق الشرعى فى اعتلاء عرش المملكة فى مصر والشام كما تعتبر دولة المماليك البحرية (مماليك جدملوك حصن كيفا) مغتصبة لعرش الأيوبيين ، وهاضمة لحقهم ، ومنكرة لنعمتهم ، وعاقة لولائهم .

لذلك كان من المعقول أن لا يجرؤ أحد من المؤرخين على ذكر دولة ملوك الحصن إلا رمزا خوف تنبه الأفكار إليها ، بخلاف ملوك حمص وحماه التى بقيت إمارتهم مستقلة استقلالا إداريا فى عهد المماليك ، لأنهم ليس لهم صبغة قانونية فى حق العرش ولم يسبق لأحد من أجدادهم أن امتلك دمشق أو حلب أو مصر ، وهى العواصم الكبيرة التى كان يقوم فى كل منها مملكة أيوبية كبرى .

لذلك كان أبناء ملوك هذه البلدان الثلاث موضع ريبة وحذر فى دولة المماليك البحرية ، وكانوا موضع بطش وانتقام من هذه الدولة أيضا (فى رحاب دمشق / ٢٤٠ـ٢٥٣) .

ويورد « زامباور » قائمة بفرع بنى أرتق بحصن كيفا ثم بآمد ، وهى كما يلى :

(أ)	معين الدين سقمان [الأول] بن أرتق	سنة ٤٩٥ هـ
(ب)	إبراهيم بن سقمان	٤٩٨
(جـ)	ركن الدولة داود بن سقمان	حول ٥٠٢

(د) فخر الدين أبو الحارث قرا آرسلان بن داود ٥٣٩

(هـ)نور الدين محمد بن قرا آرسلان (تسلم آمد

سنة ٥٧٩ من يد صديقه صلاح الدين ٥٦٢

(و) قطب الدين سقمان [الثاني] بن محمد ،

الملك المسعود ٥٨١

(ح) ركن الدين مودود بن محمود ٦١٩

(ط) الملك المسعود ٦٢٩

عزله الملك الكامل محمد [الثاني] بن المظفر غازي صاحب ميافارقين سنة ٦٢٩ (معجم الأنساب / ٣٤٤) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٦٥ ، وفى رحاب دمشق ـ محمد أحمد دهمان / ٢٤٠ ــ ٢٥٣ ، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى لزامباور ـ د . زكى محمد حسن وزملائه / ٣٤٤) .

*** الحصواتي (قبة ـ) (منتصف القرن الثالث هـ / منتصف القرن الثاني عشر م) أثر ٣١٥ :**

من المشاهد المتخلفة من العصر الفاطمي مشهد الحصواتي الذى لا يعرف شيء عن تاريخه . وهو كذلك مشهد صغير مربع القاعدة ، مبنى من الآجر ، يتكون من طوابق ثلاثة ، الطابق الأرضى ، فطابق المقرنصات فالقبة الكروية ، الشبيهة هي ومقرنصاتها بقبة إخوة يوسف ، غير أنها لا تحوى طابقا مثمنا بين المقرنصات والقبة . ويمتاز هذا المشهد بوجود طاقات محارية حول الواجهات الخارجية لطابق المقرنصات ، كما يمتاز بمحرابه البديع الذى يتكون من طاقة محارية من ثلاث حطات ، يحيط بها إطار عريض مستطيل ، تمتد عليه كتابة كوفية بديعة على أرضية من الزخارف النباتية .

(مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الفاطمى ١ / ٣٥ ، ٣٦) .

*** حصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٣٤٤٨ تاريخ ٩٢ .

كتاب فى بيان ما حصل للعارف خالد المجددى النقشبندى وقت الوفاة وذلك بناء على طلب مريديه من المؤلف الذى هو أخو زوجته فصنف هذا الكتاب ذاكرا أحواله مع أقاربه وأهله وخدمه .

المؤلف : إسماعيل بن عبد الغنى بن محمد الغزى العامرى الدمشقى المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣٢ م .

أوله : سبحان من تفرد بالبقاء والقدم ، سبحان من لا يعتريه المنون ولا يلحقه العدم ، سبحان من لا تفنيه الأيام والسنون ، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون .

آخره : ولو أردت أن استقصى لك المبشرات والمرائى التى اشتهرت عنه بين الناس لضاق عن تقريرها القرطاس . ثم ساق بعض القصائد فى المرائى بشأنه أولها :

كأس الحمام على البرية جارى
والدمع من فقد الأحبة جارى

آخرها :

وأباح سحب الفضل تهطل دائما
بفناء مسك لا تكاد تزول
ما قال إسماعيل يرثى سيدا
ما للجبال الراسيات تميل

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد اللطيف بن حسين بن إسماعيل العامرى الغزى حفيد المؤلف .

تاريخ النسخ : ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٦ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة عليها تملك باسم محمد أسعد الصاحب .

نسخة ثانية

الرقم ٥٠٣٣

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد المجيد بن علي تلميذ أبي الفتح الخطيب .

تاريخ النسخ : ١٨ صفر سنة ١٣٠٣ هـ

ملاحظات : نسخة مراجعة .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤٠٦

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٧ ، روض البشر للشطي ص ٥٢ طبعة الكتاب : نشره الأخ الأستاذ أسامة التكريتي في دمشق سنة ١٣٩٠ هـ بـ ١١٢ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤٨ ـ ٤٥٠) .

* **حصول الرفق بأصول الرزق :**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٤٣٩٢

رسالة في موضوع الرزق ضمنها فصلين وخاتمة الأول في الشكر ، الثاني فيما ورد به في الأفعال ، والخاتمة الأشياء الجالبة للرزق .

المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

أوله : الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعده : فقد سألني سائل عما ورد في الأحاديث من الأفعال والأذكار والأفعال الجالبة للرزق ليلازمها من ضاق عليه رزقه ...

آخره : خاتمة وجدت في مجموع : من كتب يوم الجمعة بعد الصلاة قوله تعالى : ﴿ **ولقد مكناكم في الأرض** ﴾ إلى قوله ﴿ **تشكرون** ﴾ [الأعراف : ١٠] وجعلها في بيته أو حانوته كثّر الله خيره ورزقه ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : مصطفى .

تاريخ النسخ : سنة ١١٢٧ هـ

ملاحظات : نسخة مراجعة معلق عليها .

نسخة ثانية :

الرقم ٦٣٨٢

أولها : كالسابقة .

آخرها : قصيدة منسوبة للغزالي مطلعها :

إذا ما كنت ملتمسا لرزق ... ونجح القصد من عبد وحر

وتظفر بالذي ترجو سريعا ... وتأمن من مخالفة وعذر

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة .

الرقم ١٣٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد عبد العزيز.

تاريخ النسخ : السبت ٧ صفر سنة ١٠٧٦ هـ

مصادر عن الرسالة : الكشف ١ / ٦٧٠ ، جامعة الرياض فهرس خاص بمؤلفات السيوطي ص ١٨ رقم ٥٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ ، النور السافر ٥٤ .

قال الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس : بعض نسخ الرسالة أحتفظ بأوراق منها .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ محمد رياض المالح ١ / ٤٥٠ ـ ٤٥٢) .

* **الحصون :**

انظر : الحصن .

* **الحصى :**

عرّفه صاحب كتاب التنوير بأنه حجارة تتولد في الكلى أو في المثانة (كتاب التنوير / ٢٦) وتكلم عليه داود بن عمر الأنطاكي تحت عنوان « الحصا والرمل فتكلم عن الأعراض والأسباب والعلاج فقال :

الحصا والرمل : أجساد تصلبت عن حرارة غريبة فى مادة غليظة لـزجة وتكـون في أى فضـاء لحَّت (أى التصقت) بـه وتتـابع عليها الخلط المشـاكل مثل الكبد والطحـال والجنين وإنما عـدت فى أمـراض الكلى والمثانـة لكثرة تـوليدهـا فيها وأسبابها أخذ ماء لزج وسدد كالهريسة والبيض النضيج والماء الكدر وقلة الحـركة وعلامتها الثقل والتلهـب والتمدد والكرب حالة النـوم على الوجه وأوجاع القطن والكلى فيهـا والعانة ... وعسر البول فى المثانة ورسوب مثل الرمل فى البول ضاربا إلى الحمرة فى الكلى والغبـرة فى المثانـة وغالب حصـى الكلـى فى الكهـول والسمــان والمثـانـة فـى الصبيـان والـذكـور والمهازيل ...

العلاج : تنقى المـادة بالفصد وغيره ويبـالغ فى النطولات بنحو طبخ الحسك والبـابونج والمـذيب للحصى كالشجـرنيا والكـاكنج ومعجـون الليـون والبـزورات المـدَّرات والحمـام والانتقاع فى الأبازين وزرق الأدهان والألعبة بكثرة والمرخ بها والاحتقان بالملينات خصوصا عند السدد وأجودها البنفسجى ودهن العقـارب شربـا وطلاء وزرقا وطبيـخ أجزاء شجـرة الغار والفجل والعليق بدهن اللوز الحلو مجرب وكذا الشونيز بدهن الغار والعسل والغاريقون أكلا والزجاج المكلس .

ورمـاد النـاخـواه كـذلك وإذا حشى الفجل بـزر السلجم وشـوى فى العجين حتى ينضج وأكـل بـالعسل فتت الحصى مجرب والزباد بالحلتيت أكلا وقطورا كذلك ؛ ومن المجربات المجمع على صحتها من عهد جالينوس أن يؤخذ تيس قد ولد عنـد استواء العنب فيـذبح حين يستكمل أربع سنين ويجمع دمـه فى قـدر نظيف ويغطى بخـرقـة فى الشمس ويثقب كل وقت بـالإبر ويراق مـا يخرج منـه من المائيـة فإذا جف سحق ورفع درهم منه بملعقة من ماء الكرفس يسقط الحصاة من وقته وجالينوس يسمى هذا الدواء يـد الله وقالوا إن أفراخ الحمام إذا طبخت بـالشيرج وحـده دون غيره ولـوزم أكلها فتت الحصـاة وحجر اليهود والإسفنج نافع شربا (النزهة المبهجة / ٩١ـ ٩٣) .

(كتاب التنوير فى الاصطلاحـات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفـاء تقى الدين/ ٢٦ ، والنـزهة المبهجة المطبـوع بذيل تذكرة أولى الألباب / ٩١ ـ ٩٣ وكلاهما لداود بن عمر الأنطاكى) .

حصى الجمار :

انظر : الجمرات .

*** الحصيرى (٥٤٦ ـ ٦٣٦ هـ / ١١٥١ ـ ١٢٣٨ م) :**

محمــود بن أحمـد بن عبـد السيـد بن عثمـان ، أبــو المحامـد ، جمال الدين البخارى الحصيـرى ، فقيه ، انتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانـه . مولده فى بخارى ، ونسبته إلى محلـة فيهـا كان يعمل بهـا الحصيـر ، سكن دمشق ، ودرَّس بالمدرسـة النورية ، وتوفى بها . من كتبه « التحـرير فى شرح الجـامع الكبيـر » مخطوط فقـه ، سبع مجلـدات ، و « خيـر مطلـوب فى العلم المـرغـوب » مخطـوط فقـه ، و «الطـريقـة الحصيريـة فى الخلاف بين الشـافعية والحنفيـة » مخطوط ، و«النجم الهـادى السارى إلى حـل ألفاظ صحيح البخـارى » مخطـوط . الجـزء الأول منه ، فى مكتبـة عيـدروس الحبشى بالغرفة ، بحضرموت ، و « الوجيز » مخطوط . فتاوى فى فقه الحنفية .

(الأعلام للزركلى ٧ / ١٦١) .

*** أم الحصين الأحمسية :**

قال صاحب الإصابة :

أم الحصين الأحمسية ـ ثبت حديثها فى صحيح مسلم من طريق زيـد بن أبى أنيسة عن يحيى بن الحصين عن جـدته أم الحصين قـالت حججت مع النبى ﷺ حجـة الـوداع فـرأيت أسامة وبـلالا أحدهما آخذ بخطام نـاقة النبى ﷺ والآخر رافع ثوبه يستـره من الحر حتى رمى جمرة العقبة قـال أبو عمر روى عنهـا يحيى بن الحصيـن والعيـزار بن حـريث وسمى أبـاهـا إسحاق ولم أرها لغيـره ورواية العيزار بن حريث عنهـا عند ابن منده من طريق أبى نعيم عن يونس بن أبى إسحاق عن العيزار ابن حريث قال سمعت الأحمسية يعنى أم الحصين تقول رأيت على رسـول الله ﷺ بردا قد التحف بـه من تحت إبطـه يقول : «يا أيها الناس اتقوا الله وإن أُمِّر عليكم عبد حبشى فاسمعوا له وأطيعوه ما أقام فيكم كتاب الله تعـالى » وأخرجه من طرق عن أبى إسحاق عن يحيى بن الحصين عن جدته مطولا ومختصرا ورواه إسرائيل عن جده أبى إسحاق عن العيزار بن حريث عن

أم الحصين وعن أبى إسحاق عن يحيى بن الحصين عن جدته رواه أبو نعيم فى المعرفة ووقع لنا بعلو فى فوائد أبى بكر بن أبى الهيثم (الإصابة جـ٨ م ٤ / ٢٢٣) .

وقال صاحب الرياض المستطابة :

شهدت حجة الوداع ، فروى عنها حديثين فرق أحدهما فى موضعين وخرج عنها الأربعة . روى عنها حفيدها يحيى بن الحسين والعيزار بن حريث رضى الله عنها ورحمها .

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى م ٤ جـ٨ / ٢٢٣ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٣٣٠ ، ٣٣١) .

انظر : حجة الوداع .

* **الحضارة الإسلامية :**

من البحوث القيمة التى ألقيت فى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بحث بعنوان « أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » للأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع جاء فيه ما يلى مع بعض الاختصار :

١ ـ فى اللغة العربية ألفاظ ثلاثة متقاربة الدلالة ، يحاول بعض الباحثين ـ رغبة فى الدقة والوضوح أن يخضعوها لشىء من التخصيص والتحديد ، تلك الألفاظ هى : « الثقافة » ، و« المدنية » و « الحضارة » فأصل مادة التثقيف فى العربية التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطانة . ومعاجمنا تعرفها فى الاستعمال المحدث بأنها : العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها (المعجم الوسيط) . ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها والأخذ بأسباب الحضارة . وأصل معنى الحضارة (بفتح الحاء وكسرها) الإقامة فى الحضر، وقد استعمل ابن خلدون (توفى سنة ٨٠٨ هـ) الكلمة كثيرا وشرحها وعرفها فى غير موطن (من مقدمته) وخلاصة كلامه فيها : « أن الحضارة فى الأمصار من قبل الدول ، وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها وأنها أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه ، وتفاوت الأمم فى القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر، وتقع فيها عند كثرة التفنن فى أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ، ويحتاج كل صنف فيها إلى القومة عليه والمهرة فيه» (مقدمة ابن خلدون / ٨٧١ـ٨٧٧) .

والمعاجم الحديثة تعرف الحضارة فى استعمالها المولد «بأنها مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى الحضر » (المعجم الوسيط) .

ومما يلحظ أن اللفظتين الافرنجيتين المقابلتين لألفاظنا العربية الثلاثة وهما :

Culture و Civilization فيهما ما فى ألفاظنا من تقارب وتداخل، وقد جرى عليهما ما يجرى الآن على ألفاظنا من محاولة التحديد والتخصيص .

على أن كثيرا من علماء الإنسانيات فى الغرب قد اصطلحوا منذ القرن الماضى على أن يقصروا دلالة Culture (وتقابلها عندنا ثقافة) على الجوانب الروحية والأدبية من حياة الأمة ممثلة فى دينها ولغتها ونظم أخلاقها وفلسفتها وآدابها وفنونها مما يتصل بتثقيف العقل والنفس ، ويصرفوا دلالة Civilization (وتقابلها عندنا مدنية أو حضارة) إلى الجوانب المادية ممثلة فى العلم والاختراع والكشف ، مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة فى صناعتها وزراعتها ومواصلاتها وزيادة ثرواتها ، ورفع مستوى معيشة المواطنين فيها .

ولكن مع هذا التحديد الاصطلاحى يبقى لكلمة Civilization عند كثير من العلماء استعمالها الواسع الذى يشمل مظاهر الرقى المعنوى والمادى للإنسانية عامة فى مراحل تاريخها الكبرى، أو لكل أمة من الأمم التى ظهرت شخصيتها فى تاريخ الإنسانية بمقومات بارزة ، وكان لها نصيب ملحوظ فى دفع عجلة التطور البشرى إلى الأمام : كالحضارة المصرية القديمة ـ مثلا ـ فيما قدمته للجنس البشرى من اختراع الكتابة وتطوير فن العمارة ، وكالحضارة اليونانية فيما قدمته من الفلسفة والدراما . وقد مثل ذلك فى حضارات « آشور وبابل والصين والهند وفارس والحضارة الإسلامية وحضارة الغرب الحديث » .

كذلك الأمر عندنا ـ بصفة عامة ـ فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية نقصد بها فى الغالب تراثنا الروحى

والتاريخى والفلسفى واللغوى والأدبى والفنى ، وحين نتحدث عن الحضارة أو المدنية الإسلامية ، لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامى وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها ، ولا نقصد الثقافة وحدها ، وإن كانت هى العنصر الجوهرى فى الحضارة ، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات وإن كانت تلك مظاهر مهمة من مظاهر الحضارة ، ولكننا نقصد كل ذلك مجتمعا متكاملا ، مؤلفا شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية ، وإذا أردنا مزيدا من التحديد اللغوى كان لنا أن نصطلح على أن نعنى «بمدنية» جانب العلم والاختراع وآثارهما المادية وأن نوسع مدلول « حضارة » ليشمل الجوانب الروحية والمادية معا (أو الثقافة والمدنية بمعناهما الضيق) .

٢ ـ على هذا الأساس نستطيع أن نقول : إن الحضارة الإسلامية هى تلك الحضارة التى قامت على أساس رسالة سماوية ـ هى « الإسلام » ـ جاءت خاتمة لرسالات السماء ، مصدقة لما بين يديها من الرسالات مؤيدة من الله بمعجزة من كلامه فى صورة كتاب عربى مبين ، نزل به الوحى ، وثبتت صحته ثبوتا تاريخيا قاطعا ، وتضمنت سوره وآياته الأسس الكبرى لتعاليم تلك الرسالة ، كما فصلت الكثير منها ووضحته أقوال الرسول وأعماله التى بذل علماء الإسلام من مختلف أقطاره جهوداً خالدة فى تتبع روايتها واستقصاء أسانيدها ، فكانت ثمرة ذلك مجموعة من كتب « الصحاح » يعدها المسلمون المصدر الثانى بعد القرآن لشريعتهم .

هذا ـ إذن ـ هو المقوم الأول من مقومات الحضارة الإسلامية وذلك أنها قامت على أساس من رسالة إلهية .

وقد بدأت هذه الرسالة حياتها فى بلاد العرب ، وكافح المؤمنون بها وهم قلة ثلاثا وعشرين سنة ، تحت قيادة الرسول ﷺ . وحين أكمل الله للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام دينا ، ولحق الرسول بربه ، كانت نواة الدولة الإسلامية قد تكونت فى المدينة ، وكان خلفاء الرسول وأصحابه وأنصاره قد استعدوا لتلقى راية الدعوة ، ومواجهة الحضارتين الكبيرتين المحيطتين بمهد الإسلام شمالا وشرقا وغربا ، وهما « الفارسية والرومانية » اللتان أظهرتا العداء للدعوة وتهددتاها من أطرافها . وهنا اندفع المسلمون الأولون من شبه الجزيرة يدعون إلى الله فى غير إكراه ، ويزلزلون عروش القياصرة والأكاسرة كى لا يحول الملوك والرؤساء بين رعاياهم والاستماع لدعوة التوحيد .

ولم يمض قرن من الزمان حتى كانت راية الإسلام قد أظلت العالم القديم . ثم توالى اتساع المجتمع الإسلامى ، وتغلغلت الدعوة إلى أواسط آسيا وما وراءها ، وإلى أقاليم أوربا الجنوبية وإلى ومختلف أرجاء القارة الإفريقية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، من مختلف الأجناس والألسنة والألوان ، ولم يكونوا يعتنقون الإسلام طواعية فحسب ، ولكنهم كانوا يهبون لنشره والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم ، ويقبلون عن رضا واختيار على تعلم « العربية » لغة كتابه ورسوله ، فيتقنها الكثير منهم ، ويؤلفون بها علوم الدين والدنيا ، بل يشاركون مشاركة رائدة فى تقنين تلك اللغة والتأليف فى أسرارها وخصائصها وفى أدبها ولغتها ، وينبغ منهم فى مختلف ميادين المعرفة أئمة مجتهدون حفظ تاريخ الإسلام أسماءهم ومذاهبهم وتراثهم .

وهنا يصل بنا الحديث إلى السمة الثانية الهامة من سمات الحضارة الإسلامية وهى سماحتها وإنسانيتها وعالميتها ، ذلك أنها كانت ـ وظلت ـ وستبقى ثمرة الجهود المشتركة من كل من أظلتهم راية الدولة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين على اختلاف نِحلهم ولغاتهم القومية : فقد وفرت الدولة لغير المسلمين حرياتهم ، واحترمت شعائرهم وأماكن عباداتهم ، وفتحت أمامهم أبواب مناصبها وإداراتها ، وأغدقت عليهم من التشجيع ما أتاح لهم القيام بدور كبير فى نقل الثقافات القديمة ولا سيما الفارسية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية ، فازدادت بذلك حضارة الإسلام خصبا وتفتحا ، وازدهرت بها العلوم والمعارف والآداب والفنون ازدهارا يشهد به التراث الإسلامى فى مؤلفاته التى شارك الغرب الحديث فى العناية بتحقيق الكثير منها ونشره ، وتشهد به ألوف المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة فى مختلف

المكتبات الكبرى فى العالم ، ثم يشهد به علماء العصور الوسطى وعصر الإحياء فى أوربا ممن تتلمذوا على كتب « ابن سينا (٤٢٨ ـ ١٠٣٧) ، وابن رشد (٥٩٥ ـ ١١٩٨) ، والرازى (٩٢٥ م) ، والغزالى (٥٠٢ ـ ١١١١) وابن خلدون» وغيرهم ، ويشهد به المنصفون من محدثى علماء الغرب ممن كتبوا عن فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية فى الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك وأدب الرحلات والآداب الرومانسية وغيرها من ميادين المعرفة .

ولا حاجة بنا هنا إلى الإفاضة فى جوانب تراث الحضارة الإسلامية ولا إلى مناقشة القضايا والتجنيات التى أثيرت فى الماضى ضد تلك الحضارة : كقضايا تخلف البلاد الإسلامية ومركز المرأة فى المجتمع الإسلامى وكالمزاعم التى كان يقذف بها بعض المغرضين من غير المسلمين من أن الإسلام مضاد للتطور، وأنه انتشر بالسيف ، وأن الحضارة الإسلامية حضارة ناقلة وليست مبدعة ، وأن الإسلام ليست عنده الحلول المرضية لمشكلات الحياة الحديثة ، وأن بعض نواحيه كنظام الإرث لا تتمشى والتطور الحديث، فهذه وأمثالها قضايا ومزاعم أشبعها علماؤنا منذ بدء حركة الإصلاح فى العالم الإسلامى نقاشا وتنفيدا .

(ممن أبلوا فى هذا بلاء حسنا :

(أ) الإمام الشيخ محمد عبده فى كتبه ومقالاته .

(ب) محمد كرد على فى كتابه « الحضارة الإسلامية » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة فى مجلدين . الأول (ط ثانية) ١٩٥٠ والثانى (ط ٢) ١٩٥٩ .

(جـ) أمير على فى كتابه Spirit Of Islam

(د) رشيد رضا وفريد وجدى وعباس محمود العقاد) .

وقد أوشكت أن تنتهى تلك المرحلة التى كنا مضطرين فيها أن نلتزم موقف الدفاع عن حضارتنا ضد هجمات الخصوم والمغرضين . والآن بفضل التحرر السياسى والاقتصادى لكثير من بلادنا الإسلامية الكبرى ، ونهضة الثقافة والعلم فيها دخلنا مرحلة ايجابية جديدة نقف فيها موقف الاعتزاز الحق بحضارتنا ، ونعرض على العالم كله ما قدمته تلك الحضارة ، وما تستطيع أن تقدمه لرقى البشرية وسعادتها .

٣ ـ إن مكتبتنا الإسلامية حافلة بكل ما نحتاج معرفته من مقومات حضارتنا وإنسانية اتجاهاتها وسماحة تعاليمها ، والتطبيق الناجح لتلك التعاليم : فعندنا كتاب الله وتفاسيره وعلومه ، وسنة الرسول ﷺ وما تضمنت من رسم معالم الطريق للحياة الإنسانية الفاضلة وما أوحت به من بحوث ودراسات ، وعندنا سير الخلفاء الراشدين وخطبهم وتوجيهاتهم للولاة والقضاة فى الأقاليم والأنظمة التى أقاموها لبناء الحضارة الإسلامية . وبحسبنا أن نشير من نماذج توجيهاتهم إلى خطبة « أبى بكر » حين ولى الخلافة ؛ وكتاب «عمر بن الخطاب » إلى « أبى موسى الأشعرى » حين ولاه قضاء البصرة ؛ وعهد « الإمام على » إلى « الأشتر النخعى » حين ولاه مصر ؛ وكتاب « طاهر بن الحسين » إلى « ابنه عبيد الله » حين ولاه « المأمون » الرقة ومصر ولنا تراثنا الضخم فى التشريع والأصول والملل والنحل ، والتصوف والأخلاق والفلسفة ، وعلوم اللغة والأدب والبلاغة والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات ، وعلوم الطبيعة والكيمياء والإحياء والرياضة والفلك . وعندنا ذخيرة من الرسائل والكتب فى آداب الدنيا والدين ، والسياسة الشرعية ، ومن الموسوعات التى ترسم منهجا مفصلا للحياة الصالحة فى مختلف جوانبها على هدى من فقه الشريعة وأسرار الحقيقة ولعلمائنا المحدثين جهود موفقة فى إبراز مقومات المدنية الإسلامية والردود المفحمة لخصومها وجلاء عبقرياتها والرجوع إلى تعاليمها فى حل مشكلات الحياة المعاصرة وممن أبلوا فى هذا بلاء حسنا « جمال الدين الأفغانى » فى دعوته الإصلاحية و « محمد عبده » فى كتبه ومقالاته ، و « محمد إقبال » فى فلسفته وشعره ودراساته لتجديد التفكير الإسلامى . و « أمير على » فى ما كتب عن روح الإسلام « وكرد على » فى دفاعه عن « الحضارة الإسلامية » ... [والشيخ محمود] شلتوت فى كتبه وفتاواه ...

وقد أضاف بعض باحثينا المعاصرين إلى المكتبة

الإسلامية جديدا نافعا في دراسة بعض البيئات والمفاهيم الإسلامية ـ مثل أندونيسيا والهند ، والعدالة الاجتماعية في الإسلام ، واشتراكية الإسلام ، وموقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان ، والفكر الإسلامي والاستعمار الغربي .

نحن ــ إذن ــ في موقف يسمح لنا أن نبرز ما قدمته حضارتنا سابقا وما يمكن ـ بل يجب ــ أن تقدمه الآن لرقي البشرية وسعادتها ، وتوطئة لذلك سنذكر أنفسنا في إيجاز بالمقومات الأساسية للحضارة الإسلامية :

٤ ـ إن هذه الحضارة تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع ـ كما قلنا ـ من وحى رسالة سماوية تمدها بالروح والقوة والتماسك ، وتوجهها إلى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل ، وعن المادية الجامحة المفسدة لإنسانية الحياة :

فهي في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله ، وتنزيهه عن الشريك والولد ، وإفراده بالعبادة والتعظيم ، ومراقبته في السر والعلن ، والتصديق برسالاته ، والتمسك بما شرعه من آداب المعاملة والسلوك .

وهي في نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة ، والمساواة بين الناس ، واحترام حقوق الإنسان، والتزود بكل أسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن ، وعدم الاعتداء إلا على المعتدين، والتعايش السلمي بين الأمم .

ونظامها الأخلاقي يقوم على خلوص النية ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالبشرية إلى الكمال .

ونظامها الاجتماعي يقوم على الأسرة المتماسكة المبنية على المودة والرحمة والإخلاص المتبادل ، ويقوم على التكافل الاجتماعي ، والتقريب بين الغني والفقير ، وقيام كل راع بمسئوليته ، وتعاون المواطنين على الخير والبر .

ونظامها الاقتصادي يقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام ، والترغيب في البذل والإنفاق لخير المجتمع ولزوم القصد ، والبعد عن الإسراف والشح في أمور المعيشة ، والتنفير من كنز الأموال ومن تعطيل استثمارها فيما يعود على الجميع بالنفع والرفاهية .

ونظامها التشريعي يقوم على أصول رئيسية واسعة ــ قررها كتابها وسنتها مع ترك المجال واسعا للاجتهاد في تطبيقها تطبيقا يحقق المنافع ويدرأ الأضرار . وقد تمثلت هذه الناحية التشريعية في ثروة من الفقه الإسلامي تجلت فيها عبقرية الحضارة الإسلامية في تنظيم العلاقات والمعاملات على أسس سليمة ، وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى ، فأثمرت طائفة من المذاهب الفقهية الكبرى التي انتشرت في العالم الإسلامي كله .

والنظام الثقافي للحضارة الإسلامية يعتمد على طلب المعرفة من كل وجه ممكن، واستخدام العقل في كسب المعارف ، وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للإنسانية ، يشارك في تنميتها كل مواطن مستطيع ، وكل جيل من الناس ، ويأخذ فيها اللاحق عن السابق ، ويضيف ما يضيف ثم يورث ذلك مَن بعده . وقد عنيت الثقافة الإسلامية أولاً بخدمة دراسات كتابها وسنة رسولها ، وتقنين لغتها وأدبها وبلاغتها ، وتسجيل تاريخ الإنسانية ، ثم ضمت إلى هذا الازدهار الداخلي الإفادة من تراث الأمم القديمة عن طريق الترجمة ، ومن الناحيتين معا استقام لها تراث فكرى عليه طابع عبقريتها في الفلسفة والعلوم والآداب والفنون ، وبرز من مفكريها فلاسفة حاولوا التوفيق بين الشريعة والحكمة ، وعلماء وأدباء من مختلف البيئات والمجتمعات الإسلامية خلد التاريخ أسماءهم ، وتتلمذ عليهم كثير من مفكرى الغرب في عصوره الوسطى وبدء نهضته الحديثة واعترف بهذا علماء الغرب قديما وحديثا .

نستطيع ـ إذن ـ أن نقرر ونحن مطمئنون ـ والتاريخ ومقارنة الحضارات شاهدان على ما نقول ـ أن البشرية لم تعرف في تاريخها القديم أو الحديث حضارة بمثل هذه الميزات والمقومات : فالحضارات الأخرى إما قديمة لا تمثل رشد

العقل البشرى ونضجه ، وإما مادية لا روح فيها ولا قيم تسندها وتهذبها ، وإما روحية مسرفة فى زهدها ودعوتها إلى اعتزال الحياة . وما قام من الحضارات الأخرى على أسس دينية فهو إما محلى فى دعوته ونظامه ، وإما مجرد من الأسس المنظمة للحياة فى شتى مرافقها وأوضاعها .

وقد ازدهرت حضارتنا الإسلامية وكان لها أثرها فى تقدم البشرية حين عرف أهل هذه الحضارة أركانها ومقوماتها ، واستمسكوا بها وطبقوا تعاليمها ، ولم يتركوا ثغرا من ثغورها إلا رعوه وحافظوا عليه ، وأصابها فى بعض مراحل تاريخها عارض الضعف والتأخر حين أهمل أهلها بعض مقوماتها : كالعدل فى الرعية ، وعدم الخضوع لشهوات النفوس ، وإطلاق الحرية للعقل يجدد فى معارفه ، ويبدع فى تطبيق تلك المعارف لخدمة أغراض الحياة . وربما طالت مدة الضعف والتأخر بسبب غاصب أجنبى يهدد سلطان الدولة الإسلامية ، أو مستعمر يطمع فى إسلاب خيراتها وثرواتها .

لهذا أدركت الأمم الإسلامية فى نهضتها الحديثة ضرورة الرجوع إلى مقوماتها الأصيلة وإحيائها وإعادة تنظيم الحياة الإسلامية على أساسها ، وعرفت أن كل ذلك لن يستقيم لها إلا إذا تحررت أوطانها من ربقة الاستعمار الأجنبى ، وأمسكت زمام أمورها بيدها .

والدارس الآن لكثير من نهضات البلاد الإسلامية التى استخلصت حقوقها وحريتها بكفاحها ونضالها ــ يدرك مدى قوة الروح الإسلامى فى قادتها وشعوبها ، ومبلغ حرصها على أن تصل حاضرها ومستقبلها بماضيها المجيد .

٥ ـ وبعد فإن ما قدمناه من عرض للخطوط الرئيسية لتطور الحضارة الإسلامية وأهم مقوماتها يعطينا الجواب على السؤالين اللذين أدرنا حولها هذا البحث ، وهما : ماذا كان نصيب الحضارة الإسلامية فى تقدم البشرية وسعادتها فى القديم ؟ وماذا تستطيع أن تقدمه اليوم لحل مشكلات العالم المعاصر ، والإسهام فى رقيه وتقدمه ، والسير به فى طريق الطمأنينة والسلام والرفاهية والإخاء ؟

فأما فى القديم فقد وضح من سياق العرض الذى قدمناه أن الحضارة الإسلامية :

(أ) وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت إليه من صنع عبقريتها المبدعة .

(ب) أنقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب وانهيار فى الحضارات واستعباد وظلم اجتماعى .

(جـ) أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى أسمى صورها وأصفاها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع .

(د) أعطت الإنسانية ذخيرة ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب فى عصر الإحياء والنهضة واعتمد عليها العالم الإسلامى فى يقظته الحديثة وفى بناء نهضته المعاصرة .

(هـ) وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث ـ كطريقة الشك عند « الغزالى » كما فتحت آفاقا جديدة فى البحوث الإنسانية ــ كفلسفة التاريخ عند « ابن خلدون » ، وعلم البصريات على يد « ابن الهيثم » (١٠٣٩ م) وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور علوم الرياضة على يد « الخوارزمى » (٣٨٠ ـ ٨٥٠) ، « عمر الخيام » (٥١٥ ـ ١١٢٣) وغيرهما .

(و) ساعدت بآدابها على نهضة الآداب فى أوربا ، وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتّابه .

(ز) ساعد خلفاؤها وقادتها ــ بسلوكهم الأخلاقى وبنماذج المروءة والشرف التى تحلوا بها على إشاعة المُثل الأخلاقية الرفيعة ، مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السّلم أو فى الحرب من رؤساء العالم المسيحى وقادته .

أما العالم المعاصر : فقد يكون من المفيد فى بحثنا هذا أن ننظر منه أولا إلى الأمم الإسلامية ، التى تؤلف قرابة خُمس سكانه . إن الناظر فى أحوال هذه الأمم اليوم يجد عددا كبيرا منها قد قطع أشواطا فى نهضته بعد أن تحرر من ربقة الاستعمار الأجنبى وقد أخذ مكانه فى المجتمع الدولى ، وبدأ يوجه كثيرا من جهده لمناصرة الشعوب المكافحة فى سبيل الحرية والتقدم ، ويناهض الاستغلال والاستعمار فى كل صورهما ، كما أخذ من جهة أخرى يحاول أن يحقق لمواطنيه ما دعا إليه الإسلام من عدالة ومساواة وتكافؤ فى الفرص ، ويزيد فى إنتاجه بما يضمن للمواطنين كفاية ورفاهية ومعيشة

كريمـة . ومن الواضح أن العالـم الإسلامي يستطيع أن يحقق لنفسه قـدرا كبيرا من التقدم والسعادة . إذا رجع إلى مقـومات حضارته وأعـاد بناء حياته الجـديدة على أساسهـا ، وقوى ما شـرع الإسلام مـن روابط الأخوة والتعـاون والاشتـراك فى القيم والمُثل بين المسلمين فى أنحــاء الأرض كـافـة ، وهى روابط إيجـابية بنـاءة لا تهدد ولا تعتـدى ، ولكنها تجمع الصفـوف وتيسر تبادل المنافع ، وتزيـد الشعوب الإسلامية قوة ، وتصرف عنهـا أطمـاع المستغلين والمستعمـرين ، وبـذلك تسهم فى إقرار الأمن والسلام فى العالم .

لا شك أن لدى المسلمين أكبر ذخيرة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، وإذا هم نهجوا نهج أسلافهم الأولين فى الإفادة من تلك القيم فى إصـلاح حياتهم وتنظيم صفوفهم وجمع كلمتهم استطاعوا أن يكونوا عامـلا مؤثرا فى توجيه سير الإنسانيـة إلى الخير، وفى مقاومة عـوامل الجشع والاستغلال التى تعكر السلام ، وتفسد العلاقـات الدولية ، وتهدد العالم بالدمار والفناء ...

إن التاريخ الحقيقى لتقرير حقوق الإنسان فى الغرب يبدأ من القرن الثامن عشر الميلادى ، أى بعد ظهور الإسلام بأحد عشر قـرنا . والخطوات التى اتخذت فى هـذه السبيل ـ وعلى الأخص فى المنظمـات الـدوليـة ـ خطوات تتأثـر بتطـورات السياسـة وبأطماع الدول، ولا تـزال القرارات فى واد والتطبيق فى واد آخر .

ولكن الموقف فى الحضارة الإسلامية جد مختلف : ففى القرن السـابع الميـلادى ظهر الإسلام ـ لا فى صـورة إصلاح مدينـة معينة ، ولا فى صـورة نظرية فلسفيـة أو دعوة أخـلاقية محدودة ، ولكن فـى صورة رسالـة خالـدة للإنسـانية عـامة : غنيها وفقيـرها ، وأبيضها وأسودهـا ومشرقها ومغربهـا ، وكان لب هذه الرسالة تقريرفى عقيدته وتفكيره وشخصيته ومعيشته ، وتـوجيه الاهتمـام إلى جـوهر الإنسـانيـة من روح وعقل وخلق وفضيلـة ، والتهويـن من شأن الفوارق المـاديـة التى لا تتصل بذلك الجوهـر اتصالا وثيقا . ولم يجىء تقريـر هذه المبادئ فى الإسلام فى صورة وثيقة منفصلة ، محدودة بزمانها ومكانها وظروف الاجتماع المحيطة بها ، ولكنهـا جاءت ثمرة من ثمار عقيدة شاملة توضح العلاقـة بين الانسان وخالقة ، وبين أفراد البشر بعضهم وبعض فى اجتماعهـم ومعاملتهم وسياستهم ، وهكذا كسبت قداسة من العقيدة وخلودا من الشريعة التى هى جزء من لبها وجوهرها ، وتغلغلت مع الدين فى ضمير أجيال من البشـريـة ، وانتشـرت مع حضـارة الإسـلام فى المشـارق والمغارب، وقد صحبهـا منذ البداية التطبيق الـواضح على يد الـرسول وخلفـائه والصالحيـن من أئمة المسلمين وحكـامهم وأولى الأمر فيهم خلال العصور ، وظهرت أوضح ما ظهرت فى معـاملـة المسلمين لـلأمم التى دانت لهـم ، على اختـلاف أجناسهـا وعقائدهـا ، واكتسبت فى الإسلام صفـة الدوام فلم تحتج أصـولها لتعديل أو تغييـر ، ولكنها فتحت البـاب على مصراعيه للتوسع فى تطبيقها ، والترقى فى فهمها حسب ترقى البشريـة فى ثقافتهـا وتفكيرهـا الاجتماعى والسيـاسى (« أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » / ٣٨٤ـ٣٩٥) .

وفى سنة ١٩٨٧ صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤلف بعنـوان « أثر العـرب والإسلام فى النهضـة الأوربية » ، إشـراف مركـز تبـادل القيم الثقافية بـالتعاون مع منظمـة الأمم المتحدة للتربيـة والعلوم والثقافـة (يـونسكو) ، يشتمل على بحـوث لعلمـاء مصريين فـى ميـادين تسعـة هى : الأدب ، والفلسفـة ، والعلـوم الطبيعيـة ، والطب ، والجغـرافيـا ، والمعارف المـلاحية ، والتاريخ ، والعمـارة والتحف الفنية ، والموسيقى ، وهى ترد فى مواضعها من هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى . وقد لخص هذه البحوث الأستاذ محمد خلف الله أحمد فى مقـدمة نفيسة تعـد سجلا حافلا لحصـاد الحضارة الإسلامية فى ميادين العلم والمعرفة ، وننقلها لك فيما يلى :

إن الدارس لبحوث هـذا الكتاب ونتائجها يجـد أنها تمثل إضـافة ذات قيمـة الدراسـات الاتصـال الحضارى ، وتسيـر بالبحث فى موضوع أثر العـرب والحضارة الإسلامية فى نهضة أوربا إلى أحـدث مراحله ، فقد تتبعت الفصول التسعـة ـ كل منها فى موضوعه ـ المسالك التى نفذت منها الحضارة العربية الإسـلامية إلى الغـرب فى أول عصـر النهضة وفى ثنـائه ، من طريق الازدهار الثقافى لتلك الحضارة فى بعض أجزاء أوروبا ، والانصهار الثقـافى للسكان المسلمين والمسيحيين فـى نواح

منها ـ وعلى الأخص فى الأندلس ، وترجمة مئات الكتب العربية فى مختلف ميادين العلم والفلسفة إلى اللغة اللاتينية وبعض اللغات الأوربية الأخرى ، والاعتماد على بعض تلك الكتب فى الدراسات الجامعية الأوربية إلى مرحلة متأخرة ، واتصال بعض الأوربيين بالشرق فى أثناء الحروب الصليبية ، ومعيشتهم فيه ، وسماعهم من أهله ، ونقلهم من مؤلفيه ، وتقليد الغرب لأساليب الفن الإسلامى فى عمارته وزخارفه وموسيقاه ، وبعض ألوان شعره واتجاهات قصصه ، وإفادة الملاحين والكاشفين الأوربيين من معارف العرب البحرية والفلكية والجغرافية وكتبهم ، واستعارة اللغات الأوربية كثيرا من الألفاظ العربية للدلالة على مختلف المفاهيم العلمية والعملية الجديدة .

وإذا كانت الفصول التسعة قد اشتركت فى الصورة العامة التى حاول كل منها أن يرسمها فى موضوعه ، وفى الموضوعية التى التزمتها فى عرض نواحى التأثير والتأثر، فإن كلا منها قد طوع طريقة معالجته لمادة موضوعه ، وعرض وجهات من النظر فى أساليب البحث فى ذلك الموضوع ونتائج الدراسات السابقة فيه .

وشىء آخر حرصت هذه الفصول على أن تضيفه ــ كلما كان ذلك مفيدا وكاشفا ـ وهو أن تتوسع فى تحليل عناصر التشابه والتخالف فى الجهة التى يرجح أنها كانت موضعا للتأثير .

ولعل نظرة مجملة إلى بعض الخطوط الرئيسية لهذه الفصول توضح ما أشرنا إليه فى خصائص معالجتها :

١ ـ ففى الفصل الخاص بالأدب ـ وهو ميدان كان يظن أن احتمال التأثير فيه قليل ـ نبه البحث إلى ما كان من الازدهار السريع للثقافة العربية فى أسبانيا تحت الحكم الإسلامى، وما حدث من عملية الامتزاج الاجتماعى والثقافى الواسع النطاق فى المجتمع الأندلسى ، وما كان من انتشار اللغة العربية لغة ثقافة وأدب فى ذلك المجتمع ، ومن شيوع اللغة اللاتينية الدارجة إلى جانبها بين المسيحيين والمسلمين الأندلسيين ، ثم ما نتج عن ذلك كله من ظهور لون جديد من الشعر الأندلسى فى أواخر القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى إلى جانب القصيدة العربية التقليدية ، هو الذى عرف بالموشحة ، وعنه تفرع لون آخر أكثر إمعانا فى الشعبية هو الزجل . وعن طريق هذا التطور الجديد استطاع الشعر العربى أن يترك آثارا ملحوظة فى الآداب الأوربية المجاورة .

وقد تتبع هذا الفصل جهود العلماء الغربيين إلى اليوم ـ وعلى الأخص فى أسبانيا ـ فى دراساتهم حول موضوع تأثير الموشحات الأندلسية فى شعراء التروبادور البروفانسيين ، ومساهمة الباحثين من العرب المحدثين فى هذه الدراسات ، ثم أضاف إلى ذلك نظرة تاريخية مقارنة للشعر الأوربى الغنائى وأبرز شخصياته فى المراحل الأولى من نشأته ، وما كان لهؤلاء من اتصالات بالحضارة العربية الإسلامية ، وقارن بين المقطوعات الأوربية الغنائية والموشحات ، مبرزا ما بين هذه وتلك من أوجه التشابه وأوجه التخالف فى الموضوعات وفى المفاهيم الشائعة . مشيرا إلى الكتب العربية التى يرجح أنها كانت ذات أثر فى ذلك .

ثم عرض هذا الفصل المجموعات القصصية العربية التى وصلت أوربا فى أوائل عصر النهضة ، وما عرف لها من ترجمات إلى اللاتينية ، مثل « كليلة ودمنة » وقصة «السندباد» وتتبع آثارها فى الأدب الأسبانى وفى الآداب الأوربية المجاورة وعرض للمقامات العربية وللقصص العربى الفلسفى والصوفى وترجماته ، و« لألف ليلة وليلة » والانتقال المبكر لبعض قصصها إلى الأدب الأسبانى .

ووقف البحث وقفة خاصة عند كبيرين من أدباء أوائل النهضة الأوربية أحدهما شاعر وهو « دانتى » والآخر كاتب وهو « بوكاتشيو » وناقش ما للعلماء من آراء ونظريات فى احتمال تأثر كليهما بالأدب الإسلامى .

وخصص البحث الجزء الأخير منه للكلام عن الشعر الملحمى والمسرح ، ووقف عند ملحمة « السيد » وما لها من وشائج عربية . وأشار إلى ما أثبتته النصوص من أن ألوان الأدب المسرحى الإغريقى لم تكن مجهولة تماما بين العرب وأن البلاد الشيعية قد ظهر فيها ضرب من المسرح سابق

للمسرح الديني الذى عرفته أوروبا المسيحية منذ القرن الثالث عشر ، وهو المعروف بمسرح « الأسرار » ، وأن المجتمع العربى فى خلال العصور الوسطى عرف مسرح « خيال الظل » وهو ضرب من مسرح العرائس ، ورجح ـ معتمدا على بعض الشواهد ـ أن يكون العرب فى الأندلس قد عرفوا الأدب التمثيلى وعالجوه .

وهكذا يعطينا هذا الفصل صورة حديثة شاملة للصلات الأدبية فى مختلف نواحيها بين الحضارة العربية الإسلامية والفكر الأوربى فى أوائل عصر النهضة ، مفرقا بين الثابت والراجح من ضروب التأثير .

٢ ـ وبنيت خطة الفصل الخاص بالفلسفة على ثلاث نقاط رئيسية : أولاها خصائص الفلسفة الإسلامية ، والثانية انتقال جوانب من تلك الفلسفة إلى الفكر الغربى ، و الثالثة أثرها فيه . والنقاط الثلاث تدور كلها حول جوهر فكرة التأثير وتخدمها . فى ناحية الخصائص أبرز البحث كيف استطاعت الفلسفة الإسلامية بطابعها الدينى أن تقترب من الفلسفة المدرسية ، وباعتدادها بالعقل البشرى والبحث فيه أمكنها أن تثير فى أوربا فى القرن الثالث عشر حركة فكرية قوية . وبما حاولته من التوفيق بين الفلسفة والدين ، ثم بين فلسفتى أفلاطون وأرسطو عبدت للفلسفة المسيحية طريق البحث فى هذين الميدانين ، ووجهت أنظار المسيحيين إلى « أرسطو » وحملتهم على ترجمة كتبه ودراستها والتعليق عليها . وكان لما حققته الفلسفة الإسلامية من التآخى بين العلم والفلسفة صداه فى الفلسفة المسيحية فى القرن الثالث عشر وما بعده .

وحين عالج البحث انتقال الفلسفة الإسلامية إلى الغرب مهد لذلك بالبحث عن وسائل النقل الحضارى بصفة عامة ، ثم انتقل إلى الحديث عن ترجمة الكتب الفلسفية العربية إلى اللاتينية ، مفصلا الكلام فى هذا عن كبار فلاسفة الإسلام «كالكندى » والفارابى وابن سينا والغزالى » مؤرخا لما ترجم من كتبهم . مبينا عناية اللاتينيين بكل كتاب وأثره فى تفكيرهم ودراساتهم .

وفى القسم الثالث من هذا الفصل يلم البحث خيوط الفكرة ، ويؤرخ لانشغال الغربيين بها ويلخص ما كشف عنه الدرس من أثر الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة الغربية فى الجانبين المنهجى والموضوعى .

والسمة البارزة فى هذه المعالجة أنها تضع أمام القارئ نماذج من القضايا الفلسفية الكبرى كما أثارها الفلاسفة المسلمون ، وأصداء تلك القضايا فى الفلسفة المسيحية فى عصر النهضة ، بعد أن اتصل الأوروبيون بحضارة العرب المسلمين وتفكيرهم .

٣ ـ ونبه الفصل الخاص بالطب إلى خطأ القول : بأن الحضارة العربية كانت أرضا جرداء حتى جاءها العلم اليونانى فرواها وأخصبها ، فقد كانت للعرب علومهم الخاصة بهم كالفقه واللغة والنحو والعروض وعلوم التفسير والحديث، وقد أعدتهم هذه العلوم لاستقبال العلوم التى لم يكن لهم بها عهد .

وأيد هذا الفصل فكرة أن الحروب الصليبية ـ وقد كانت إحدى مواطن الاتصال بين الحضارتين ـ لم تكن ذات شأن كبير فى تأثير الطب العربى فى الطب الغربى ، ذلك أن أكثر الغربيين الذين شاركوا فى الحملات الصليبية كانوا قليلى الحظ من الثقافة ، ولم يكن بينهم عالم حقا إلا « وليم الصورى المؤرخ » . ولكن الموقف اختلف فى الموطنين الآخرين ـ صقلية والأندلس فقد كان لملوك النورمان عناية بالعلوم العربية وترجمتها ، وقامت فى الأندلس حركة قوية للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، تناولت كتب رجال العصر الذهبى فى الطب العربى : « كالرازى » ، و « على بن العباسى المجوسى » ، و « ابن سينا » ، كما تناولت كتب مشاهير المشتغلين بالعقاقير الطبية « كابن البيطار » ، و «داود الأنطاكى » . وقد بلغت هذه الحركة أوجها فى « طليطلة » فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تحت حكم « الفونسو» ، كما ظلت ترجمات بعض هذه الكتب ، « كالحاوى » ، «والقانون » « وكامل الصناعة » تدرس فى جامعات أوربا حتى أواسط القرن السادس عشر .

وحاول البحث أن يجيب عن سؤال كثر ترديده فى الأوساط

العلميـة فى الموضـوع وهو : مـاذا أضاف العـرب إلى الطب اليونانى ؟ وفى هذا نبه البحث إلى خطأ المؤرخين فى التقسيم القومى لتطـور العلوم الطبية ، إذ أن طبيعة هـذه العلوم تجعل التقدم فيها عالميـا لا يتعلق ببلد بعينه ثم لخص النواحى التى تعـد ذات شأن فى المـوضوع : فـذكـر أن العرب لـم يحدثـوا جديـدا فى فلسفة الطب، ولا فـى الكليات التى قـام عليها ، وأنهم ظلوا على إيمانهم بالأخلاط والقوى والأمزجة ، ولكنهم خالفوا « جالينوس » فى بعض أشياء ، وكان أكبر ما عملوه فى التشـريح ووظائف الأعضـاء هـو ما عملـه « ابن النفيس » فى شـرح الـدورة الـدمـوية الصغـرى ، وابتـدعـوا بـاب تـدوين المشاهدات الدقيقة ، وعنوا بالعقاقير عناية خاصة .

على أسـاس هذه النـواحى ومـا ثبتت ترجمتـه من الكتب العـربية إلـى اللاتينيـة فى أوائل عصـر النهضـة ، وما سجلـه التـاريخ من أقـوال علمـاء الغرب منـذ تلك المـرحلـة لخص البحث مـا أفـاده الغـربيـون من الطب الغـربى بأنـه : الكتب الجامعة التى تتناول جميع العلوم الطبية المعروفة إذ ذاك وخير مثل لهـذا « قانـون ابن سينـا » ، والمادة العلميـة الغزيـرة فى الطب الإكلينيكى . ويمثلهـا كتاب « الحـاوى للرازى » (انظر مـادة « أبـو بكـر الـرازى » فى م ٧ / ٣٤٥ ـ ٣٥١) والعلم بالعقاقير والأدوية المركبة والمفردة ـ وقد ظل كتاب « ابن البيطار » (انظر مـادة « ابن البيطـار » فى م ٨ / ١٨١ ـ ١٨٦) مرجعا لهـا فى أوروبا حتى أواسط القرن الثـامن عشر ، وخبرة العرب فى الجـراحة ـ وكان كتـاب « الزهـراوى » فيها معروفـا عند معظم من مـارسوا الطب فى أوروبـا حينذاك ، ونظـام البيمـارستانـات التى عنى العرب بإقامة المستشفيات على غرارها (انظر « البيمارستان » فى م ٨ / ٢٣٧ ـ ٢٤٤) .

٤ ـ وتناول الفصل الخـاص بالرياضيـات والعلوم الطبيعية ميدانـا واسعا تعددت فيـه البحوث ، وقـامت الشواهد الـدالة على ما كـان لعلماء الحضارة العـربية الإسلاميـة فيه من سبق وأصالة . وهنا تصادفنـا الأسماء الإسلامية فى التأليف الغربى الرياضى : « كالخوارزمى والخازن وابن الهيثم » ممن نبه كثيرا من بـاحثى الغرب على أن كتبهم ظلت مـراجع معتمدة لـدى أهل الصناعة فـى أوربا حتى أواخر القرن السابـع عشر ، كما تصادفنا الإنجازات المحققة للعرب فى علوم الحياة والكيمياء والصيدلة والتعدين .

ومن المعـروف فى هـذه الميادين أن كتـاب « القانــون » لابن سينا ـ مثلا ـ ترجم إلى اللغات الأوروبية وطبع بها مرات، وأن كتب « جابر» فى الكيمياء (انظر «جـابر بن حيـان» فى م ١١ / ٣٩٢ ـ ٤٠٢) .

ترجمت إلى اللاتينية وظلت المراجع المعتمدة فى ميدانها عدة قرون ، وبعض العلماء الغربيين يعدون أبا بكر الرازى من مؤسسى الكيمياء الحديثة .

وقـد أضـاف هـذا الفصل إلى بحـوث الغـرب فى التأثيـر العـربى إشارات إلى بحـوث بعض علمـاء العرب المحـدثين ممن تعمقوا فى دراسـة رياضيـات « الخوارزمى » وبصـريات «ابن الهيثم » وغيرهما .

٥ ـ وتحدث الفصل الخاص بـالجغرافيا عن العوامل التى جعلت العـرب فى جـاهليتهم يعنـون بـالمعـارف الجغـرافيـة والفلكية بحكم ظـروف بيئتهم ، وفى إسلامهـم بحكم اتساع رقعة الدولـة وضرورة الوقوف على أحوال البلاد ومعـرفة الطرق والمسافـات ، وبحكم اعتماد بعض العبادات الشـرعية على أحوال جغرافية وفلكية .

ووقف البحث وقفة خاصة عند الإدريسى (انظر : «الإدريسى فى م ٣ / ٣٨٠ ـ ٣٨٧) وجهوده العلمية فى بلاط « زوجار » ملك صقلية ، واتخـذ منها مثـلا للتعاون الـذى نشأ بين المسلمين والمسيحيين فى ميـادين الفكر ، ومـا نتج عن ذلك من ذيـوع المعارف الجغرافيـة ، وأبرز ما كان للعرب من مساهمـة فعالة فى حركة الكشف الجغرافية وما سجلوه فى كتب رحلاتهم من المعلومات عن اقتصاديات البلاد التى عرفوها وثروتها المعدنية وإنتاجها الـزراعى وطرقها ومسالكهـا ، وعن السكان وحياتهم الاجتمـاعية . إلى غيـر ذلك مما أفـاد منـه الرحـالون والـرواد الأوربيـون فى عصر النهضـة . كمـا وقف البحث كذلك عنـد شخصية الخبير المـلاحى العربى « شهاب الدين بـن ماجد » الذى تعـد كتبه فى علوم البحـار كتبا رائدة . وذكـر نماذج من الأجهـزة العلمية الـدقيقة التى اختـرعها العـرب أو نقلوهـا عن

غيرهم كالإبرة المغناطيسية والمزولة الشمسية ، ونوه بمعرفة العرب بالنجوم ومطالعها ومغاربها واستخدام مجموعتها فى التعرف على الاتجاهات فى عرض البحار، مما لايزال شواهده قائمة فى كتب الملاحة الغربية فى صورة الأسماء العربية المستعملة للنجوم .

ويشترك هذا البحث مع سائر بحوث الكتاب فى التوقف تجاه بعض القضايا الخلافية التى لا توجد أدلة كافية لإثباتها أو نقضها ، ومن هذه فى الميدان الجغرافى نسبة كشف أمريكا إلى العرب فقد تحفظ فيها البحث لعدم كفاية الأدلة .

٦ - وركز بحث المعارف البحرية على محددة تختص بالملاحة العملية يستدل منها على أن الحضارة العربية مدت للغرب يد المساعدة فى هذا الميدان، وأن أوربا نقلت عن العرب بعض فنون قيادة السفن ، واسترشدت بالمعارف الملاحية العربية : فمن الثابت أن « فاسكو دى جاما » استعان بالمعارف الملاحية المترجمة عن العربية ، وبملاح عربى مسلم من الهند ، وبكتب عربية للملاحة استولى عليها من سفينة هندية ، وقد ظل اسم الملاح « ابن ماجد » على شواطئ بحر الهند حتى القرن الماضى ، كما ترك وثائق هامة للملاحة فى البحار الشرقية أهمها كتاب « الفوايد فى أصول البحر والقواعد » (انظر : «البحرية الإسلامية » فى م٦ / ٤٤٨) .

ووقف البحث موقف التحفظ من موضوع انتقال البوصلة من العرب إلى الأوربيين أو العكس إذ لم يجد من الأدلة ما ينفى أو يؤكد هذه القضية ، كما حذر من أن يؤدى التحمس للحضارة العربية إلى القول بإرجاع كل تقدم ملاحى فى الغرب إلى أبناء تلك الحضارة .

وتحريا للدقة الموضوعية فى هذه القضية حدد البحث الأسس التى يمكن أن يبنى عليها تقييم أثر الملاحة على أوربا فى عصر الرينسانس وتدور هذه الأسس من ناحية حول طبيعة الملاحة والتجارة وكونهما من مظاهر العمران ومن وسائل الاتصال بين الأمم ، وكون الملاحة فنا من أدق الفنون يستلزم كثيرا من العلم والمعرفة ، وتدورمن ناحية أخرى حول المعارف العربية الجغرافية التى لدى العرب فى جاهليتهم وفى امبراطوريتهم الإسلامية الواسعة ، والدور الذى قام به التجار والملاحون من العرب والفرس فى التمهيد للتوسع والانتشار الإسلامى ، والدراسات الجغرافية التى سجلها الرحالون والمؤلفون العرب، ثم تدور من ناحية ثالثة حول الدور الذى قامت به الحضارة العربية الإسلامية بين الحضارات الكبرى القديمة وحضارة العصر الحديث والذى تمثل - لا فى النقل والترجمة فحسب ، ولكن فى التفسير والإضافة المبدعة الواعية .

وفى ضوء مناقشة الأسس، وشهادة النصوص والمراجع المعتمدة وبحوث المختصين من علماء الشرق والغرب أقام الباحث تقييمه الذى حرص على أن يضعه فى حدوده العملية دون تزيد أو تحمس عاطفى .

٧ - وفى الفصل الخاص بالأثر التاريخى - وهو ميدان جديد نسبيا - استقصاء لحوليات ومؤلفات غربية يبدو فيها الأثر العربى إما فى صورة روايات تاريخية سمعها مؤلفوها من مصادر عربية ، أو اعتمدوا فيها اعتمادا كبيرا على المؤلفات التاريخية العربية ، أو فى صورة أحداث نقلت عن المراجع العربية واستخدمت مادة لبعض السير التى كتبها الكتاب الأسبانيون وغيرهم - كملحمة « السيد » : أو تاريخ عام للخليقة - ككتاب التاريخ العام المنسوب إلى « الفونسو العالم » - استمدت كثيرا من معلوماته عن الشعوب القديمة من المؤرخين العرب . وهناك مؤلفات كتبها المؤرخون الإفرنج، وصفوا فيها حروب الحملات الصليبية ووقائعها فى الشرق ، أو أرخوا فيها للصراع بين بعض أمراء الشرق والأمراء الصليبيين - كالمؤرخ « وليم الصورى » . وهذه الكتب مدينة فى مادتها إلى النتاج العربى التاريخى من جهة ، وإلى الاتصال والاحتكاك بالشرق والمعيشة فيه ، والاطلاع على أحواله وعاداته من جهة أخرى ولكل من هذه الاحتمالات شواهده ودلائله : من كتب عربية ثبتت ترجمتها إلى بعض لغات الغرب ، أو نص أوربى صرح فيه بالرجوع إلى المصادر العربية .

هذا البحث يثير قضايا لم تحظ من قبل بنصيب كبير من عناية الباحثين الغربيين ، وهو يسير بالموضوع إلى ما بعد القرن السادس عشر ، وينبه إلى اهتمام الباحثين الغربيين فيما

بعد عصر النهضة بدراسة الإسلام ونبيه وقرآنه وتاريخه ، ويذهب إلى أن فى هذا الاهتمام وما أثمره من دراسات لونا من ألوان تأثير الحضارة العربية الإسلامية فى نهضة الغرب فى الميدان التاريخى .

٨ ـ وأشار الفصل الخاص بالعمارة والتحف الفنية إلى النهضة العمرانية الكبيرة التى صاحبت انتشار الإسلام : من إنشاء المدن ونشاط حركة البناء والعمارة ، وما طرأ على فن البناء والزخرفة من إضافة أساليب جديدة أو تعديل أخرى قديمة ، ومن استخدام للأشكال الهندسية ولزخارف الكتابة العربية .

وقد أوضح البحث ما كان من العلاقات الفنية بين العالم الإسلامى وأوربا منذ القرن الثانى الهجرى ـ الثامن الميلادى ، مما مهد السبيل لعملية التأثير والتأثر ، وفصل القول مؤيدا بالشواهد الكثيرة القائمة فى التأثير فى ناحية العمارة وفى التحف الفنية ، مشيرا إلى ما صادفته هذه الناحية من عناية كثير من الباحثين الشرقيين والغربيين وما أجمعت عليه دراسات ـ « هؤلاء » وأولئك من التأثير الظاهر للحضارة العربية الإسلامية فى نهضة العرب المعمارية والفنية ، لا يشذ عن ذلك إلا فن التصوير الذى يبدو أنه لم يكن مجالا لتأثير يذكر

٩ ـ وسجل بحث الموسيقى افتنان العرب فى فنون الغناء والعزف وفى ألوان التأليف الموسيقى ، وأشار إلى بعوث أوربا إلى حواضر البلاد العربية وإلى مدرسة زرياب الأندلسية فى القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى ، وقرر معتمدا على الشواهد الكثيرة أن أوروبا تدين للعرب فى كثير من آلاتها الموسيقية ، وأظهر مثل لذلك آلة العود التى احتفظت أربع عشرة لغة أوروبية باسمها العربى . وهذا الميدان كسابقه خصب فى بحوثه ، وقد ازدادت عناية علماء الشرق به فى السنين الأخيرة ، واتجهت بعض الجهود فيه إلى إحياء التراث الموسيقى العربى وتحقيق كتبه ودراسة أعلامه وأعمالها . ومن المرجح أن تكشف هذه الجهود عن نواح جديدة من تأثير الشرق الإسلامى فى الغرب ...

وينهى الأستاذ محمد خلف الله أحمد هذه المقدمة القيمة الشاملة بقوله :

وإذا كان هذا الكتاب قد حاول أن يرسم أحدث صورة لبحوث تأثير الحضارة العربية الإسلامية فى أوروبا ـ فى تسعة من أهم ميادينها ، فليس هناك من شك فى أن ميادين أخرى لم تشملها هذه البحوث ـ كدراسات الاجتماع ، والفكر السياسى ، وفلسفة التشريع ، وعلم الدين المقارن ، ستظل تنتظر المزيد من الجهد فى بحثها ، وليس من شك أيضا فى أن الميدان كله سيبقى مفتوحا للجديد من الكشوف والتحقيقات ووجهات النظر . ونقد الآراء والنظريات السابقة من شرقية وغربية (أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية / ٧ ـ ١٥) .

قالت المؤلفة : هذا وقد أصدرت الهيئة المصرية العامة فى سنة ١٩٨٥ ، بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى ثلاثة مجلدات بعنوان « دراسات فى الحضارة الإسلامية » وهى عندى وقد جاء التعريف بكل منها كما يلى : يتناول هذا الكتاب مصادر الحضارة الإسلامية خلال أربعة عشر قرنا هجريا . من هذا الحصاد مؤلفات أساطين الفقه والتشريع الإسلاميين سواء أكانوا أصحاب مذاهب أو فقهاء أجلاء ، وكبار الفلاسفة وأهل التصوف والكلام ، والمؤرخين والجغرافيين ، وكبار أهل الفلك والرياضيات ، والبارزين فى ميادين العمارة والزخرفة والموسيقى ، وأساتذة النباتيين والكيميائيين ، وقد امتزجت أعمالهم بتيار الحضارة الإنسانية ، وأصبحت حصادا إنسانيا عاما اهـ .

(« أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » ـ الأستاذ محمد خلف الله أحمد الأزهر مجمع البحوث الإسلامية . المحرم ١٣٨٥ هـ ـ مايو ١٩٦٥ م . المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية / ٣٨٤ ـ ٣٩٥ ، وأثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية . جمهورية مصر العربية الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) مقدمة رئيس التحرير الأستاذ محمد خلف الله أحمد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ / ٧ ـ ١٥ . انظر أيضا أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية ـ أحمد على الملا / ١٠٧ ـ ٢١١ ، والإسلام فى المشارق والمغارب ـ د. جمال الدين الرمادى / ١١٤ ، ١١٥ ، والحضارة العربية الإسلامية ـ د. رشيد الجيلى / ١٥٥ ، ٢١٦ ـ ٢٢٦ ، والعرب فى حضارتهم وثقافتهم ـ د. عمر فروخ ، والتراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ـ د. أحمد فؤاد باشا . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

، والطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ ، و « مقومات الحضارة الإسلامية » ـ د . سليمان حزين . الأزهر . مجمع البحوث الإسلامية . المحرم ١٣٨٥ هـ ـ مايو ١٩٦٥ م . المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية / ٣٧٢ ـ ٣٨٣ ، والحضارة الإسلامية ـ د . على حسنى الخربوطلى . سلسلة كتابك (٢٧) دار المعارف ١٩٧٧ ، والعلوم الإسلامية ـ د . أحمد شوقى الفنجرى ١ / ٢٦ ـ ٣٠ ، ودائرة معارف الشعب ٦٤ / ٢٢٩ ـ ٢٣٣ ، وحضارتنا بين العقيدة والتطور ـ د . محمود بن الشريف « الفيصل . العدد (٢٣) جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ ـ إبريل ١٩٧٩ م / ٣٠ ـ ٣٢ ، و « مدخل إلى تراث العرب العلمى وأهميته فى تاريخ العلم والحضارة » ـ د . محمد عبد الرحمن مرحبا . الفيصل . العدد (٢٤) جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ ـ مايو ١٩٧٩ م / ٥٣ ـ ٥٥) .

انظر : الثقافة الإسلامية .

*** الحضانة :**

الحضانة لغة : الحفظ والصيانة . وشرعاً : صيانة العاجز والقيام بمصالحه ، وهى لصيانة المولود والتنبيه على سعة رحمة الله تعالى بعباده . وحكمها : الوجوب على الأب وحده وعلى الأم فى حولى رضاعته إذا عدم الأب ولم يكن له مال ولم يقبل غيرها ، ومن ليس له أب معروف فحضانته فرض كفاية على الجميع (درة الغواص / ٢١٧ هامش التحقيق ، عن لباب اللباب ٦ / ١٢) .

وفى فتوى للإمام الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر قال فضيلته عن الحضانة :

إن الحضانة مأخوذة من الحضن وهو الجنب .

يقال : حضن الصبى يحضنه حضنا وحضانة ، أى جعله فى حضنه وضمه إلى صدره .

وفى هذا معنى إمساك الولد وتربيته منذ أول وجوده مولودا ، وفى اصطلاح الفقهاء : الحضانة تربية الولد فى سن معينة ، ورعاية شئونه ممن له حق الحضانة شرعا من النساء أو الرجال

هل الحضانة حق للصغير أم للحاضن ؟

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذا : فذهب الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى أنها حق الحاضنة لاحتمال عدم قدرتها فلا تجبر عليها إلا إذا تعينت لذلك ، بأن لم يوجد غيرها أو لم يكن لوالد الصغير ولا للصغير ذاته مال ، ذلك رعاية لحقه .

وفى قول البعض الآخر من الحنفية أن الحضانة حق الصغير ، ومن ثم تجبر الأم على الحضانة حتى لا يضيع حق الولد ، وهو موافق لأحد أقوال فقهاء المالكية .

وفى « مواهب الجليل » للحطاب المالكى أن الحضانة حق للحاضن ـ وللمحضون وليست حقا خالصا لأيهما ، ويرون أن حق الولد أقوى وهذا ما نميل للافتاء به ، فإذا أسقطت الحاضنة حقها تعرض الصغير للضرر ولحاجته إلى من يعنى به ويحافظ عليه ويقوم على شئونه فتجبر إذا تعينت .

حق الحاضنة :

الأصل أن تكون الحضانة للنساء منذ ولادة الطفل ، لتميزهن بالشفقة والحنو والصبر على رعاية الطفل فى سنى عمره الأولى .

والأم أحق النساء بحضانة ولدها ما لم يقم بها مانع ، ثم قرابتها من النساء مقدمون على الأب وقرابته فى ترتيب هذا الحق .

ويشترط فى الحاضنة أن تكون حرة عاقلة قادرة على تدبير مصالح المحضون والمحافظة عليه ، خالية مما يعجزها أو يصيب الولد بأذى ، كالمرض المعدى أو المنفر أو الشيخوخة ، وألا تكون مشغولة بما يمنعها عن تمام الرعاية والعناية بالطفل بأن كانت كثيرة الخروج من المنزل سواء بسبب مشروع أو غير مشروع ، وأن تكون أمينة مأمونة عليه فى خَلقه وخُلقه ، وألا تكون متزوجة بغير محرم له .

مدة الحضانة :

لم يشر القرآن ولا السنة النبوية لأمد تنتهى فيه الحضانة ، ومن ثم اختلفت كلمة الفقهاء . فيرى الحنفية أن حضانة النساء للطفل منذ ولادته وحتى بلوغه السابعة من العمر على القول المفتى به ، وفى قول فى المذهب حتى التاسعة .

ويرى الفقه المالكى أن الصبى يبقى مع الأم أو من يحل محلها من النساء حتى يبلغ الحلم ، وعندئذ يذهب حيث

يشـاء ، أمـا الأنثى فتبقى مع الأم حتى تتـزوج ويـدخل بها الزوج ...

وعند الشافعيـة أن الولد ذكرا كـان أم أنثى يبقى فى حضانة النساء حتى يبلغ سن التمييز ، وهى السابعة وعندها يخير بين أبويـه أو بين من يحل محل كل منهمـا أو أحدهمـا ... وعند الحنابلة أن حضانة النساء تنتهى ببلـوغ الغلام السابعة وبعدها يخيـر بين أبويـه وهـو صحيح المـذهب ، وحتى تبلغ الأنثى التاسعة من العمـر على المشهور فى هذا المذهب ــ وبعدها يكون الأب أحق بها من غير تخيير لها .

من يحل محل الأم :

إذا فقدت الأم أو قام بها مانع من الحضـانة كانت حضانة الطفل لأمها متى توافرت فيها الشروط .

(« متى تستبعد حضانة الأم » / ٥٠٤ ، ٥٠٥) .

ويجعل الإمـام أبـو شجـاع مـا جـاء عن الحضـانـة فى المذهب الشافعى فيقول :

إذا فارق الرجل زوجته وله منها ولد فهى أحق بحضانته إلى السبع سنين ثم يخير بين أبويه فأيهمـا اختار سلم إليه وشرائط الحضانة سبع العقل والحـرية والدين والعفة والأمانـة والإقامة والخلـو من زوج فإن اختل منهـا شـرط سقطت . (متن الغـاية والتقريب / ٤٨) .

وعن أحكام زواج الحاضنة بأجنبى جاء ما يلى :

مذهب الحنفية :

الأحنـاف قالـوا : أحق الناس بحضـانة الطفل هى أمـه ، لكن بشرط ألا تكون الأم ذات زوج أجنبى من الصغير .

والمراد بالأجنبى عندهم هنا من ليس رحما محرما من جهة النسب ، فإن تزوجت الأم من أجنبى فلا حق لها فى الحضانة ، وذلك لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابنى هذا كانت بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثـديى له سقاء ، ويزعم أبوه أن ينزعه منى .

فقـال رسول الله ﷺ : « أنت أحق بـه منه مـا لم تنكحى » (فى تيسير الوصول ٢ / ٢٠ أخرجه أبو داود) .

وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : طلق عمر رضى الله عنـه أم ابنـه عاصم رضـى الله عنه ، فلقيهـا ومعهـا الصبى ، فنازعهـا ، وارتفعا إلى أبى بكر الصـديق رضى الله عنه فقضى أبو بكر الصـديق رضى الله عنه بإعطاء عاصم بن عمـر لأمه ما لم يشب أو تتزوج ، وقـال : إن ريحها وفـراشها خيـر له حتى يشب أو تتزوج ، وذلك بمحضر من الصحـابة ، ولأن الصغير يلحقـه الجفاء والمـذلة ، وإذا تـزوجت الحـاضنة بـذى رحم محـرم من الصبى فلا يسقط حقهـا فى الحضانـة كالجـدة إذا تـزوجت بجـد الصبى أو تـزوجـت الأم بعم الصبى ، لكن لـو تزوجت من عمه رضـاعا أو من ابن عمه نسبا هو عمـه رضاعا سقط حقها فى الحضانة ، وإذا فـارقت الأم الأجنبى عاد إليها حقها فى الحضانة .

(كتاب بـدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكـاسانى ٤ / ٤٢ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هـ المطبوع فى مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر ، ورد المحتار على الدر المختار شرح تنويـر الأبصار مع حاشية ابن عابدين ٢ / ٨٣٧ طبع المطبعة العالمية سنة ١٣٠٤ هـ) .

مذهب المالكية :

قال فى المـدونة : تزوج الحـاضنة أجنبيـا من المحضون يسقط حضانتها بدخولها لا قبل الـدخول . قال ابن عرفة : لو علم الوالد بتزوجها ولـم يقسم بأخذ الولد حتى طالت المدة ثم خلت من الـزوج فليس له أخـذه منهـا لأنه يعـد بـذلك تاركـا لحقه .

وسئل ابن رشد عمن تـزوج وبقيت بنتها معها ثلاثـة أعوام ثم أراد الأب أخـذهـا ، قـال : لا سبيل لـه إلى ذلك ، وقـال اللخمى يصح بقـاء حق المرأة فى الحضـانـة وإن كان الـزوج أجنبيا فى ست مسائل :

١ ـ أن تكون وصية على اختلاف فى هذا الوجه .

٢ ــ أو يكون الـولد رضيعـا لا يقبل غيرهـا أو يقبل غيرهـا وقالت الظئر لا أرضعه الا عندى فـلا ينزع عن أمه لأن كونه فى رضاع أمه وإن كانت ذات زوج أرفق به من أجنبية يسلم إليها ، لا سيما إن كانت ذات زوج .

٣ ـ أو كـان من إليه الحضانة بعـدها غير مأمون أو عـاجزًا عن الحضانة أو غير ذلك من الأعذار .

٤ ـ أو يكون الولد لا قرابة له ، أى أقرباء من الرجل ولا من النساء .

٥ ـ أو كان الأب عبدا وهى حرة ، قال المتيطى : إن كان الزوج عبدا والزوجة حرة فلا يكون للأب أن ينتزعه منها ، قال ابن القاسم : إلا أن يكون مثل العبد المقيم لأمور سيده فيكون أولى بذلك إذا تزوجت الأم ، وأما العبد الذى يخارج فى الأسواق فلا ، وفى الوصية روايتان .

قال اللخمى : إن كانت الأم وصية فقال مالك مرة إن جعلت لهم بيتا يسكنون فيه وما يصلحهم لم ينزعوا منها لأنها إذا تزوجت غلب زوجها على جل أمرها حتى تفعل غير الصواب .

(مواهب الجليل لشرح مختصر أبى الضياء خليل وبهامشه التاج والإكليل ٤ / ٢١٦ ، ٢١٧ مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ) .

مذهب الشافعية :

لهم فى حضانة الأم إذا تزوجت رأيان :

أحدهما : أن ذلك يسقط حضانتها سواء تزوجت من أجنبى أو بغير أجنبى .

والثانى : وهو الأصح عندهم أنها لا تسقط حضانتها إلا إذا تزوجت من أجنبى ، والأجنبى عندهم من ليس بذى رحم للصغير . (نهاية المحتاج لشرح المنهاج لابن شهاب الدين الرملى مع حاشية الشبراملسى ٧ / ٢١٨ ، ٢١٩ طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر سنة ١٣٥٧ هـ والمهذب للشيرازى ٢ / ١٦٩) .

مذهب الحنابلة :

الحنابلة قالوا : إذا تزوجت الأم بأجنبى ، والمراد بالأجنبى عندهم من ليس بذى رحم للصغير ، سقطت حضانتها ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على هذا وقضى به شريح ، ونقل عن أحمد : إذا تزوجت الأم وابنها صغير أخذ منها ، قيل له : فالجارية مثل الصبى ، قال : لا ، الجارية تكون معها إلى سبع سنين .

فظاهر هذا أنه لم يزل الحضانة عن الجارية لتزويج أمها وأزالها عن الغلام .

ووجه ذلك ما روى أن عليا وجعفرا وزيد بن حارثة تنازعوا فى حضانة ابنة حمزة فقال على : ابنة عمى وأنا أخذتها .

وقال زيد : بنت أخى (لأن رسول الله ﷺ آخى بيت زيد وحمزة) .

وقال جعفر : بنت عمى وعندى خالتها .

فقال رسول الله ﷺ : « الخالة أم » وسلمها إلى جعفر ... رواه أبو داود ... فجعل لها الحضانة وهى مزوجة .

قال فى المغنى : والصحيح أنه لا فرق بين الغلام والجارية لأن حضانتها تسقط بالنسبة لهما لقول الرسول ﷺ للمرأة : « أنت أحق به ما لم تنكحى » ولأنها إذا تزوجت اشتغلت بحقوق الزوج عن الحضانة .

وأما بنت حمزة فإنما قضى بها لخالتها ، لأن زوجها من أهل الحضانة .

وعلى هذا متى كانت المرأة متزوجة لرجل من أهل الحضانة كالجدة تكون زوجة للجد لم تسقط حضانتها لأنه يشاركها فى الولادة والشفقة على الولد ، فأشبه الأم إذا كانت متزوجة من الأب ، وظاهر قول الخرقى أن التزويج بأجنبى يسقط الحضانة بمجرد العقد وأن عرى عن الدخول .

(المغنى لابن قدامة ٩ / ٣٠٦ ، ٣١٠) .

مذهب الظاهرية :

الظاهرية قالوا : الأم أحق بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا المحيض أو الاحتلام أو الإنبات مع التمييز وصحة الجسم سواء كانت أمة أو حرة تزوجت ـ ولو بأجنبى أو بقريب ـ أو لم تتزوج ، برهان ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** ﴾ [الأحزاب : ٦] .

وقول الله تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] بهذا لم يأت نص صحيح قط بأن الأم إذا تزوجت يسقط حقها فى الحضانة ، وأما قولنا إنه لا يسقط حق الأم فى الحضانة بزواجها إذا كانت مأمونة وكان الذى تزوجها مأمونا فللنصوص التى ذكرنا (المحلى لابن حزم ١٠ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

مذهب الزيدية :

الزيدية قالوا : حق الحضانة ثابت للأم إجماعا لقول رسول الله ﷺ للمرأة : « أنت أحق به ما لم تنكحى » ويبطل حقها

فى الحضانة بالنكاح وفى الطلاق الرجعى ، لأن حكم الزوجية باق فيها . وفى قول الرسول ﷺ : « ما لم تنكحى » تنبيه على أن المانع اشتغالها بالزوج ولا يبطل حقها فى الحضانة إن نكحت ذا رحم له إذ يكون كالأب (البحر الزخار ٣ / ٣٨٤ ـ ٣٨٦)

مذهب الإمامية :

الإمامية قالوا : لو تزوجت الأم بغير الأب مع وجوده كاملاً من أجنبى سقطت حضانتها للنص والإجماع . فإن لم يكن موجودا لا تسقط حضانتها وإن تزوجت وكذا لو كان غير كامل كما لو كان رقا أو كافرا أو مجنونا لا تسقط حضانتها بالتزويج ولو لم يكن الأب موجودا لم تسقط حضانتها بالتزويج مطلقا سواء كان الولد ذكرا أم أنثى (الروضة البهية ٢ / ١٤١) .

مذهب الاباضية :

وقال الاباضية : المشهور فى المذهب أن الأولاد يكونون مع أمهم ما لم يبلغ الذكر خمس سنين أو يعرف لبس ثيابه وغسل يديه أو تبلغ الأنثى ، وقيل ما لم تتزوج ، وقيل ما لم يبلغ الذكر أيضا كالأنثى . فإذا بلغا اختارا .

وفى الأثر رجل توفى وترك ابنته وامرأته ثم إن المرأة تزوجت غير ولى الصبى وبلغت اثنتى عشرة سنة هل يجوز لولى الصبية أن ينزعها من أمها وهى كارهة ؟ قال : المرأة إذا تزوجت كان الولى أحق بالصبية ما لم تبلغ ، فإن بلغت كانت مخيرة بنفسها حيث شاءت (شرح النيل ٧ / ٣٢٥) (موسوعة جمال عبد الناصر ٣ / ١٣٨ ـ ١٤١) .

أما عن النظم فنسوق لك النماذج التالية :

١ ـ من نظم الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى (مجموع / ٩٠) :

والأم بابنها أحق فى الصغر
إلا إذا ما نكحت نص الأثر
وبعد أن يبلغ سبعا خير
فى أى والديه شا فليختر
وخالة كالأم حيث تفقد
لما أفاده الحديث المسند
وفى الأصح الأب منها أقدم
وقيل إجماعا وحيث انعدموا
يعين الأصح من أقارب
وبعده الأصلح من أجانب

٢ ـ من صفوة الزبد للشيخ أحمد بن رسلان / ٩٠ ، ٩١ (فى الفقه الشافعى) .

وشرطها حرية وعقل
مسلمة حيث كذاك الطفل
أمينة وترضع الرضيعا
أمٌّ فأمهاتها جميعا
قدمن فالأب فأمهات
الأب فالجد فوالدات
جد فما للأبوين يولد
وبعده الخالات ثم الولد
لولد للأبوين فلأب
ثم بنات ولد أم انتسب
يتلوه فرع الجد للأصلين ثم
الفرع من أب فعمة لأم
فبنت خالة فبنت عمه
فولد عم حيث إرث عمه
تقدم الأنثى بكل حال
أخواته أولى من الأخوال
ووالد مسافر لنقله
أو نكحت لغير حاضن له
وإن يميز وأبواه اختاره
يأخذه وأم لها الزياره

٣ ـ من منظومة الفتح الربانى / ٥٧ (فى الفقه المالكى) :

ثم الحضانة فى الأم تعتبر
بعد الفراق للبلوغ فى الذكرْ

ولدخول الزوج بالأنثى فإن
تزوجت فأم الأم إن تبن
عنها فجدة لأم الطفل ثم
خالته ثم لخالة للأم
فجدة للأب مطلقا فالأب
فالأخت فالعمة فالوصى هب
فالأخ فابن الأخ ثم العم ثم
ابنه والشقيق أولى فللأم

(درة الغواص فى محاضرة الخواص (ألغاز فقهية) لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكى ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبى الأجفان ، وعثمان بطيخ / ٥٧ هامش التحقيق ، و « متى تستبعد حضانة الأم ثم لمن تئول بعدها ؟ » فتوى للإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، السنة الثالثة والستون ، جمادى الأولى ١٤١١ هـ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٠ م / ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ومتن الغاية والتقريب للإمام الفقيه القاضى أبى شجاع أحمد بن الحسين ابن أحمد الأصفهانى / ٤٨ ، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٣ / ١٣٨ ـ ١٤١ ، ومجموع : السبل السوية لفقه السنن المروية ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٩٠ ، ومتن الزبد فى الفقه للشيخ أحمد بن رسلان الشافعى / ٩٠ ، ٩١ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة بن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى / ٥٧ . انظر أيضا فقه السنة ـ الشيخ السيد سابق م ٢ جـ ٧ / ٤٨١ ـ ٤٩٦ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٦٤ ـ ٤٦٦ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢٠ ، وفتاوى ابن الصلاح ـ حققه وخرج حديثه وعلق عليه د. عبد المعطى أمين قلعجى / ٢٦٧ ، وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للإمام محمد بن محمد بن سليمان ١ / ٢٤٠) .

*** الحضراوى (١٢٥٢ - ١٣٢٧ هـ / ١٨٣٦ - ١٩٠٩ م) :**

الحضراوى المؤرخ :

ذكره صاحب كتاب نشر النور والزهر فى رجال مكة وقال عنه :

أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبده بن أحمد بن أحمد بن حسن بن سعد بن مسعود الحضراوى الشافعى . ولد بثغر اسكندرية فى جمادى سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف، ولما بلغ من العمر سبع سنين قدم به والده إلى مكة المعظمة وتوطناها ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ العلم عن جملة من الأعيان ، وحضراوى نسبة إلى محل ببلدة منصورة من أعمال مصر ، بها قبة جده الكبير سعد المذكور ، وكان جده أحمد بن عبده مفتى الأحناف بها كما أخبر هو بذلك ، وممن أخذ عنهم وقرأ عليهم شيخ العلماء ومفتى السادة الأحناف الشيخ جمال ، والشيخ محمد سعيد بشارة ، وتسلك فى الطريقة الشاذلية على الشيخ الفاسى ثم المكى وكان عالما فاضلا صالحا متواضعا كاتبا . كتب بخطه كثيرا من الكتب مشتغلا بتأليف التواريخ وله من التآليف : العقد الثمين فى فضائل البلد الأمين ، ورسالة فى فضائل زمزم ، وتخريج رواة أحاديث كشف الغمة (ذكر الزركلى أن اسمه « سراج الأمة فى تخريج أحاديث كشف الغمة . ثلاث مجلدات) وكانت وفاته بمكة سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين ودفن بالمعلاة وأعقب ابنه العالم الفاضل الشيخ محمد سعيد .

(وله مؤلفات منها : تاريخ فى ثلاثة مجلدات فى الحوادث ـ تراجم أفاضل القرن الثانى والثالث عشر فى مجلدين (ذكر الزركلى أن اسمه « تاج تواريخ البشر، من ابتداء الدنيا إلى آخر القرن الثالث عشر ») .

ـ نفحات الرضى والقبول فى فضائل المدينة وزيارة الرسول .

ـ ألفية فى السيرة النبوية ـ اللطائف فى تاريخ الطائف ، رسالة .

ـ الجواهر المعدة فى تاريخ جدة .

ـ مبادئ العلوم ـ رسالة أدبية فى الحماسة على لسان أهل الطائف وجدة والمفاضلة بينهما (سماها الزركلى : المفاضلة بين جدة والطائف) .

ـ تاريخ الأعيان ـ حسن الصفا فيمن تولى أمارة الحج ، (بشرى الموحدين فى أمور الدين) .

ـ سير وتراجم صفحة ٦٠ ـ وذكر المرحوم الشيخ عبد الوهاب الدهلوي : أن كتاب حسن الصفا اختصره وذيله الشيخ الحضراوي من كتاب حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج للشيخ أحمد الرشيدي وسماه مختصر حسن الصفا، وكلاهما موجودان في المكتبة الفيضية (مجلة المنهل عدد شعبان ١٣٦٦ هـ) ...

وأضاف الزركلي : فضائل مكة والمدينة ، وتاريخ الأعيان.

(المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة للشيخ عبد الله مرداد أبي الخير ـ اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي ـ عالم المعرفة . جدة الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م / ٨٤ ، ٩٥ ، والأعلام للزركلي ١ / ٢٤٩) .

* **حَضْرَمَوْت :**

منطقة بجزيرة العرب ، على خليج عدن والبحر العربي ، كانت جزءا من مجمعات عدن ، وهي الآن بجمهورية اليمن قاعدتها وأهم موانيها المكلا ، ومن مدنها الأخرى شبام وسينون [سيون] سكانها عناصر مستقرة تعيش في مدن وقرى تقوم على جانبي وادي حضرموت الذي يجري من الغرب إلى الشرق، محاذيا للساحل ، وعلى بعد ٢٠٠ كم . ويمتد حوالي ٣٢٠ كم ، وينتهي إلى البحر العربي عند سيموت (الموسوعة الثقافية / ٤٠٤) .

قال عنها صاحب كتاب « أئمة اليمن » عند ذكر الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى في وفيات سنة ١٣١٤ :

الحضرمي : نسبة إلى حضرموت بفتح الحاء المهملة والراء والميم وقيل يضم الميم على وزن عنكبوت . وهو مخلاف واسع من مخاليف اليمن . وقيل سمي باسم حضرموت بن سبأ الأصغر . وقيل غير ذلك .

والنسبة إليه حضرمي والجمع حضارم . حدوده شمالا رمال بلاد نجد والربع الخالي ، وشرقا شعب وادي النبي هود، وجنوبا البحر الهندي ، وغربا عين بامعبد ويافع ودثنية واحور وبلاد البيضاء . والمسافة لها من الشمال إلى الجنوب نحو خمسة عشر يوما ، ومن الغرب إلى حدود مهرة بالجهة الشرقية الجنوبية نحو خمسة عشر يوما بالسير المعتدل . وجل هذه المسافة جبال صخرية جرداء قاحلة خالية عن النبات والعيون ما عدا القليل . وسكانها نحو ثلثمائة ألف نسمة حضرا وبدوا لا تدخل مهرة فهم كبادية حضرموت (أئمة اليمن / ٢٠٨) .

قال عنها ياقوت بدأ الكلام بمقدمة لغوية مفيدة كعادته فقال :

حضرموت : بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء والميم : اسمان مركبان ، طولها إحدى وسبعون درجة ، وعرضها اثنتا عشرة درجة ، فأما إعرابها فإن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعربت الثاني بإعراب ما لا ينصرف فقلت : هذا حضرَموتُ ، وإن شئت رفعت الأول في حال الرفع وجررته ونصبته على حسب العوامل وأضفته على الثاني فقلت ؛ هذا حضرُموتٍ ، أعربت حضرا وخفضت موتا ، ولك أن تعرب الأول وتخير في الثاني بين الصرف وتركه ، ومنهم من يضم ميمه فيخرجه مخرج عنكبوت ، وكذلك القول في سر من رأى ورامهرمز، والنسبة إليه حضرمي ، والتصغير حضيرموت تصغير الصدر منهما ، وكذلك الجمع ، يقال : فلان من الحضارمة مثل المهالبة ، وقيل : سميت بحاضر ميت وهو أول من نزلها ، ثم خفف بإسقاط الألف ؛ قال ابن الكلبي : اسم حضرموت في التوراة حاضرميت ، وقيل : سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالخ ، وقيل : اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس ابن وائلة بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وقيل : حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا حضر حربا أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، ثم سكنت الضاد للتخفيف ، وقال أبو عبيدة : حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمي به ، فهو اسم موضع واسم قبيلة . وحضرموت : ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود ، عليه السلام ، وبقربها بئر برهوت، ولها مدينتان يقال لإحداهما تريم وللأخرى شبام ، وعندها قلاع وقرى؛ وقال ابن الفقيه : حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال ، وبينه وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخا، وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخا ، وقيل : مسيرة أحد عشر يوما ، وقال الإصطخري : بين حضرموت وعدن مسيرة شهر.

وأما فتحها : فإن رسول الله ، ﷺ، كان قد راسل أهلها فيمن راسل فدخلوا فى طاعته وقدم عليه الأشعث بن قيس فى بضعة عشر راكبا مسلما ، فأكرمه رسول الله ، ﷺ، فلما أراد الانصراف سأل رسول الله ، ﷺ ، أن يولى عليهم رجلا منهم، فولى عليهم زياد بن لبيد البياضى الأنصارى وضم إليه كندة ، فبقى على ذلك إلى أن مات رسول الله ، ﷺ ، فارتدت بنو وليعة بن شرحبيل بن معاوية ؛ وكان من حديثه أن أبا بكر، رضى الله عنه ، كتب إلى زياد بن لبيد يخبره بوفاة النبى ، ﷺ، ويأمره بأخذ البيعة على من قبله من أهل حضرموت ، فقام فيهم زياد خطيبا وعرَّفهم موت النبى ، ﷺ، ودعاهم إلى بيعة أبى بكر ، فامتنع الأشعث بن قيس من البيعة واعتزل فى كثير من كندة وبايع زيادا خلق آخرون وانصرف إلى منزله وبكّر لأخذ الصدقة كما كان يفعل، فأخذ فيما أخذ قلوصا من فتى من كندة ، فصيَّح الفتى وضج واستغاث بحارثة بن سراقة بن معدى كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد بن الحارث : الولادة يا أبا معدى كرب ! عقلت ابنة المهرة ، فأتى حارثة إلى زياد فقال : أطلق للغلام بكرته ، فأبى وقال : قد عقلتها ووسمتها بميسم السلطان ، فقال حارثة : أطلقها أيها الرجل طائعا قبل أن تطلقها وأنت كاره ! فقال زياد : لا والله لا أطلقها ولا نعمة عين ! فقام حارثة فحل عقالها وضرب على جنبها .

فخرجت القلوص تعدو إلى ألفها ، فجعل حارثة يقول :

يمنعها شيخ بخديه الشيب
مُلمَّع كما يلمَّع الثوب
ماض على الريب إذا كان الريب

فنهض زياد وصاح بأصحابه المسلمين ودعاهم إلى نصرة الله وكتابه ، فانحازت طائفة من المسلمين إلى زياد وجعل من ارتد ينحاز إلى حارثة ...

فكان زياد يقاتلهم نهارا إلى الليل ، وجاءه عبد له فأخبره أن ملوكهم الأربعة ، وهم : مخوس ومشرح وجمد وأبضعة وأختهم العمرَّدة بنو معدى كرب بن وليعة فى محجرهم قد ثملوا من الشراب ، فكبسهم وأخذهم وذبحهم ذبحا ؛ وقال زياد :

نحن قتلنا الأملاك الأربعه :
جمدا ومخوسا ومشرحا وأبضعه

وسموا ملوكا لأنه كان لكل واحد منهم واد يملكه ؛ قال : وأقبل زياد بالسبى والأموال فمر على الأشعث بن قيس وقومه فصرخ النساء والصبيان ، فحمى الأشعث أنفا وخرج فى جماعة من قومه فعرض لزياد ومن معه وأُصيب ناس من المسلمين وانهزموا ، فاجتمعت عظماء كندة على الأشعث فلما رأى ذلك زياد كتب إلى أبى بكر يستمده، فكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبى أمية ، وكان واليا على صنعاء قبل قتل الأسود العنسى ، فأمره بإنجاده ، فلقيا الأشعث ففضا جموعه وقتلا منهم مقتلة كبيرة ، فلجؤوا إلى النجير حصن لهم ، فحصرهم المسلمون حتى أجهدوا ، فطلب الأشعث الأمان لعدة منهم معلومة هو أحدهم ، فلقيه الجفشيش الكندى واسمه معدان بن الأسود بن معدى كرب ، فأخذ بحقوه وقال : اجعلنى من العدة ، فأدخله وأخرج نفسه ونزل إلى زياد بن لبيد والمهاجر فقبضا عليه وبعثا به إلى أبى بكر، رضى الله عنه، أسيرا فى سنة ١٢ ، فجعل يكلم أبا بكر وأبو بكر يقول له : فعلت وفعلت ، فقال الأشعث : استبقنى لحربك فوالله ما كفرت بعد إسلامى ، ولكنى شححت على مالى فأطلقنى وزوجنى أختك أم فروة فإنى قد تبت مما صنعت ورجعت منه من منعى الصدقة ، فمن عليه أبو بكر، رضى الله عنه ، وزوجه أخته أم فروة ، ولما تزوجها دخل السوق فلم يمر به جزور إلا كشف عن عرقوبها وأعطى ثمنها وأطعم الناس، وولدت له أم فروة محمدا وإسحاق وأم قريبة وحبانة ، ولم يزل بالمدينة إلى أن سار إلى العراق غازيا ، ومات بالكوفة ، وصلى عليه الحسن بعد صلح معاوية (معجم البلدان ٢/ ٢٦٩ـ ٢٧١)

قال عنها صاحب أئمة اليمن فى زمانه :

ومن وفود حضرموت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائل بن حجر الحضرمى، وكليب بن أسد بن كليب الحضرمى القائل حال قدومه على رسول الله ﷺ :

من وشز برهوت تهوى بى عذافرة
إليك يا خير من يمشى وينتعل
تجوب فى صفصف غبرا مناهله
تزداد عفوا إذا ما كلت الإبل

شهـــريـن أعملهـــا نصبـــا على وحـل
أرجـــو بـــذاك ثـــواب الله يـــا رجـل
أنـت النبى الـــــذى كنـــا نخبّـــره
وبشـــرتنـــا بـك التـــوراة والـــرسل

وعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حضرموت هو زياد بن لبيد الأنصارى البياضى، وهاجر إليها السيد الإمام المهـاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب سنة ٣١٧ سبع عشرة وثلاثمائة للهجرة.

وفيها من ذريته بـالعصر الحاضر ذكورا وإناثا نحو خمسة عشر ألف نسمة، وفى بلاد جاوى وما إليها منهم زيادة على عشرين ألف نسمة. وفى سنغافورة وما إليها من البلاد الهندية الصينية منهم نحو ثمانية آلاف نسمة. هكذا أفادنى شيخنا الحافظ الباحث المرشد محمد بن عقيل العلوى رحمه الله.

ومن أشهر قبـائلها: قضاعة، نـواح، نهد، كندة، مذحج، آل كثير، آل بـاجرى، آل جابر، العوامر، آل خرير، الجعدة، الحموم، الحسان، السيبان، العوابثة، بنوظنة وغيرهم.

وعاصمة البلاد الحضرمية مدينة تريم سكانها نحو عشرة آلاف نسمة، وفيها نحو مائة وثلاثين مسجدا، ومدينة شبام فيها نحو خمسة آلاف نسمة ونحو خمسة وعشرين مسجدا. ومدينة سيون سكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة، وفيها نحو ثمانين مسجدا. ومدينة قعوضة العمودى سكانها نحو عشرة آلاف نسمة. ومدينة حريضة فيها نحو سبعة آلاف نسمة. ومدينة الحزيبة سكانها نحو سبعة آلاف نسمة. ومدينة قيدون سكانها نحو سبعة آلاف نسمة، وفى أهلها يقول بعض الأدباء النبلاء:

مـــررت بـــوادى حضـــرمـــوت مسلّمـــا
فألفيتـــه بـــالفضل مبتسمـــا رحبـــا
وألفيت فيـــه مـن جهـــابـــذة العـــلا
أفـــاضل لا يلقـــون شـــرقـــا ولا غـــربـــا

وبلاد مهرة تضاف إلى حضرموت عرفا وهى متصلة بظفار الحبوظى، وبعمان ورمالها وسكانها نحو المائة وثلاثين ألفا. ومن مزروعات البلاد الحضرمية الحنطة والذرة، والدخن.

وقال بعض الباحثين المعاصرين:

مساحة حضرموت على حدودها مائة وعشرون ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها مائتا ألف مسلم شافعى. وفيها حكومة القعيطيين، وحكومة الكثيريين، وعاهدت حكومة القعيطيين الإنكليز فى سنة ١٣٠٦ ست وثلاثمائة وألف هجرية. والسلطان القعيطى فيها مصدر السلطة. وفى تاج العروس شرح القاموس من أسماء الفقهاء والمحدثين من الحضرميين بإملاء صحيفة كبيرة. وفى مرسية وغرناطة وإشبيلية وبطليوس وقرطبة وغيرها من البلاد الأندلسية من ينتسب إلى حضرموت (أئمة اليمن / ٢٠٨ـ٢١٠).

يقول الدكتور أحمد رمضان أحمد عند الكلام على حضرموت وكندة: لعل حضرموت. من أقدم الممالك العربية التى ما تزال تحتفظ باسمها منذ نشأتها حتى الآن، فقد سجله اليونان والرومان فى كتاباتهم، وكذا فى الكتابات العربية الجنوبية، وكانت منذ أقدم العهود مجاورة لمنازل (عاد) الذين كانوا يسكنون الأحقاف.

ويقال إنه نشأ بحضرموت قبيلتان، إحداهما «مهرة» وهى من قضاعة ومن انضم إليها. والثانية قبيلة حضرموت وهى من «حمير» وقد سكنت «مهرة» ومن انضم إليهم من قضاعة سواحل حضرموت، وهى ناحية الشحرة وهى مجموعة من البلدان تمتد إلى ظفار، ولا تزال الناحية الشرقية من «الشجر» خاصة بهم أما الناحية الغربية منها فقد محى اسمهم منها.

أما القبيلة الثانية وهى حضرموت التى سميت الناحية باسمها فقد سكنت فيما بين الساحل والربع الخالى وخاصة الجهة الشرقية والوسطى من وادى حضرموت. ويرجع نسب «بنو حضرموت» كما يقول نشوان بن سعيد الحميرى إلى ابن سبأ الأصغر ابن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث ـ إلى أن ينتهى إلى ابن سبأ الأكبر بن يشجب.

أما عن الآثار التى اكتشفت فى موضع يقال له «الحريضة» بحضرموت، فهى آثار معبد الإله «سين» أى معبد القمر، كما عثر على عدد من الكتابات تبين أن بعضها سبئية وقد عثر فى حضرموت على مواضع كثيرة قديمة حضرمية وسبئية

ينسبها الناس إلى اليوم إلى « عاد » و« ثمود » ففى ملتقى «وادى منوة » بوادٍ ثقبة صخور كبيرة ، نقرت ومهدت لتكون مأوى ومواضع للسكنى كما وجدت على المرتفعات بقايا بيوت ومساكن ، وكذا كتابات دونت بلون أحمر قيل إنها كتابات سبئية ، وإنها أسماء أشخاص لعلها أسماء من اجتاز هذا المضيق سواء من المسافرين أو الجنود .

وقد ذهب بعض علماء الآثار واللغات القديمة إلى أن حضارة حضرموت وكذا باقى حضارة العربية الجنوبية ، كانت قد تأثرت بمؤثرات الحضارة العراقية فى بادئ الأمر وذلك فى عهد (المكربيين) ولكنها أخذت تبتعد عن مؤثرات الحضارة العراقية منذ القرن الأول قبل الميلاد ، بينما أخذت تتقرب من مؤثرات حضارة البحر المتوسط وكذا المؤثرات الحضارية الفارسية وذلك نتيجة اتصال الرومان والفرس بالعربية الجنوبية .

كما اكتشف فى حضرموت حصن أثرى عرف باسم «حصن عر » لعله من حصون ملوك حضرموت . وهو حصن عال يقع فى تل يرتفع قرابة خمسين قدما ، ولا تزال بقايا جدرانه وأبراجه قائمة .

كذلك أعطانا بعض المستكشفين الذين زاروا حضرموت وصف مواضع أثرية فى حضرموت مثل المكنون و « ثوبه » و «العر » كما اكتشفوا منطقة أثرية بحضرموت يزعم المجاورون لها أنها أرض عاد .

ويحدثنا علماء الآثار عن ميناء هام من موانى حضرموت يعرف باسم ميناء « قنا » كانت تنقل منه الصادرات والواردات إما بالبحر أو بالبر عن طريق القوافل ويقع هذا الميناء إلى الشرق من ميناء عدن ، كما يوجد بالقرب منه جزيرتان هما جزيرة « أورنيون » أو جزيرة الطيور والجزيرة الثانية هى جزيرة «ترولا » على أن أكثر الباحثين والأثريين أن ميناء « قنا » هو المحل المعروف الآن باسم « حصن غراب » . ويقع حصن غراب على مرتفع من الصخر الأسود على حرة من حرات البراكين وقد ورد اسمه فى الكتابات القديمة وقد سمى فيها باسم « عرمريت » و « عرماوية » وهو الاسم القديم للحصن الذى يعرف اليوم باسم « حصن غراب » (تطور علم التاريخ الإسلامى / ١١٧ـ١١٩) .

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٤ ، وأئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى ـ من مجاميع محمد بن يحيى بن أحمد زبادة الحسنى الصنعانى / ٢٠٨ ـ ٢١٠ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧١ ، وتطور علم التاريخ الإسلامى ـ د. أحمد رمضان أحمد / ١١٧ـ١١٩) .

انظر الخريطة المصاحبة لمادة « الأحقاف » فى م ٢ / ٩٨

* الحضرة :

الحضرة فى اللغة الفناء وحضرة الرجل قربه وفناؤه . وقد استعمل اللفظ كلقب فخرى ، وهو أحد ألقاب الكناية المكانية التى يطلق عليها فى مصطلح كتاب المماليك اسم «الألقاب الأصول » وقد استعير المكان للتعبير عن الشخص ، وهو بهذا المعنى « لقب أصل » لمؤنث غير حقيقى ، وهو من أوائل هذه الألقاب ظهورا . وتدل النقوش الأثرية والوثائق التاريخية على أنه كان مستعملا فى القرن الرابع الهجرى ، وربما بدأ أول ما بدأ للكناية عن الخليفة . وعندما احتجب الخلفاء وفوض إلى الوزراء الكتابة عنهم صار هؤلاء إذا أرادوا التعبير عن الخليفة فى مكاتباتهم يشيرون إلى مكانه بدلا من اسمه ، وذلك زيادة فى التوقير والاحترام . ولذا كان اللقب بالمكاتبات أخص .

وتؤيد بعض نسخ المكاتبات أنه كان يطلق فى المكاتبات على الخليفة فقد أورد ابن تغرى بردى كتابا كتبه يعقوب بن كلس عن الخليفة العزيز الفاطمى إلى عضد الدولة بحضرة الخليفة الطائع العباسى جاء فيه « وصل رسولك إلى حضرة أمير المؤمنين » وقد أجابه عضد الدولة بكتاب أشاد فيه بفضل أهل البيت وخاطب الخليفة الفاطمى « بالحضرة الشريفة » .

وإذا كان اللقب قد استعمل للتعبير عن الخليفة منذ ظهوره وكان يتصف « بالشريفة » تارة و « بالمطهرة » تارة أخرى إلا أنه قد استعمل مجردا من الصفات للإشارة إلى بنى بويه . ثم استعمله السلاجقة . ولم يقتصر استعماله على الخلفاء والملوك من المسلمين بل تعداهم إلى بعض الملوك من المسيحيين .

وفى العصر الأيوبى تدهورت قيمة اللقب فيقرر ابن شيث إنه خوطب به من هم دون الوزراء فى المرتبة فجعل مجلس الحضرة دون المجلس السامى . وفى عصر المماليك

استعمل اللقب فى حالات متعددة فأجاز كتاب ديوان الإنشاء أن يطلق لقب الحضرة على بعض ملوك الدول الإسلامية الأخرى حين المكاتبة إليهم من ديوان الإنشاء . ثم استعمل اللقب لملوك النصارى بإضافة أداة التعريف إليه أو مجرد عن أداة التعريف مع الإضافة . هذا وقد استعمل لفظ « الحضرة » فى بعض الألقاب المضافة إلى مثنى ، مثل « عميد الحضرتين » وهكذا

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٦ ، ١٠٧ ، عن الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٦٠ ـ ٢٦٤) .

* **الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف والرحلات مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٦١٣ جغرافيا ورحلات ٦٦ .

انظر الرحلة القدسية .

ـ كتاب وصف به رحلته من دمشق إلى القدس سنة ١١٠١ هـ وما زار فيها من أضرحة الأنبياء والأولياء والصالحين مع وصف كل منهم .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى الصالحى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الغنى عن عبده الفقير ، الذى يسر له الرحلة والمسير من دمشق نشأته إلى القدس حضرته ، على خيول العبادة والذكر ... هذه الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية جمعنا فيها لطائف الأخبار وظرائف الأشعار ...

آخره قصيدة مطلعها :

بحمد الله سن ألهم

وعنا قد أزال الهم

ومنه زادنا فضلا

وبالتوفيق قد أنعم

آخرها :

وزاد الله إنعاما

علينا لم يزل أروم

ونلنا فضله أرخ

(برحلة قدسه الأكرم) ١١٠١

قد تم ما أوردنا جمعه والحمد لله

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد النابلسى .

تاريخ النسخ : الخميس جمادى الأولى سنة ١٣١٧ .

ملاحظات : بعد مقابلتها على المطبوعة تبين أن هذه أوسع بكثير من المطبوعة وأن المطبوعة قد تكون مختصرا لها .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات / ١٨٣٣ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو تراجم بعض أعيان دمشق ص ٦٧ .

طبعة الكتاب : ١ ـ طبع بمطبعة جريدة الإخلاص بمصر سنة ١٩٠٢ م بـ ٨٨ ص بعناية ديمترى أفندى نقولا صاحب مجلة الفكاهة .

٢ ـ بمصر سنة ١٩٧١ م على نفقة مكتبة القاهرة بـ ٨٨ ص

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣) .

* **الحضرة الحسينية :**

انظر الحسينى (المشهد ـ بكربلاء) .

* **الحضرى والسفرى من الآيات (علم -) :**

قال حاجى خليفة :

هو من فروع علم التفسير ذكره المولى أبو الخير لمجرد تكثير السواد وإلا فلا وجه لعده علما برأسه وكذا أكثر ما ذكره من التفاريع قال وأمثلة الحضرى كثيرة وأما أمثلة السفرى فقد ضبطوها وارتقت إلى نيف وأربعين كما فى الإتقان (كشف ١ / ٦٧١) .

ففى الإتقان جعل الإمام السيوطى النوع الثانى من أنواع علوم القرآن هو معرفة الحضرى والسفرى ، أما فى التحبير فقد جعله النوع الثالث والرابع . قال فى الإتقان .

أمثلة الحضرى كثيرة . وأما السفرى فله أمثلة تتبعتها . منها ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] نزلت بمكة عام حجة الوداع . فأخرج ابن أبى حاتم وابن

مردويه عن جابر قال : لما طاف النبى ﷺ قال له عمر : هذا مقام أبينا إبراهيم الخليل ؟ قال : نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت . وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب : أنه مر بمقام إبراهيم فقال : يا رسول الله أليس نقوم مقام خليل ربنا ؟ قال : بلى ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت . وقال ابن الحصار : نزلت إما فى عمرة القضاء أو فى غزوة الفتح أو فى حجة الوداع . ومنها .

﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ [البقرة : ١٨٩] روى ابن جرير عن الزهرى أنها نزلت فى عمرة الحديبية . وعن السدى أنها نزلت فى حجة الوداع . ومنها ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ [البقرة : ١٩٦] فأخرج ابن أبى حاتم عن صفوان بن أمية قال : « جاء رجل إلى النبى ﷺ مضمخ بالزعفران عليه جبة فقال : كيف تأمرنى فى عمرتى ؟ فنزلت ، فقال : أين السائل عن العمرة ؟ ألق عنك ثيابك ثم اغتسل » الحديث . ومنها ﴿ **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه** ﴾ [البقرة : ١٩٦] نزلت بالحديبية ، كما أخرجه أحمد عن كعب بن عجرة الذى نزلت فيه ، والواحدى عن ابن عباس . ومنها ﴿ **آمن الرسول** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، قيل نزلت يوم فتح مكة ولم أقف له على دليل . ومنها ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه** ﴾ [البقرة : ٢٨١] نزلت بمنى عام حجة الوداع فيما أخرجه البيهقى فى الدلائل . ومنها ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول** ﴾ [آل عمران : ١٧٢] أخرج الطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس أنها نزلت بحمراء الأسد . ومنها : آية التيمم فى النساء أخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك أنها نزلت فى بعض أسفار النبى ﷺ . ومنها ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ [النساء : ٥٨] نزلت يوم الفتح فى جوف الكعبة كما أخرجه سنيد فى تفسيره عن ابن جريج ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس . ومنها ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ [النساء : ١٠٢] نزلت بعسفان بين الظهر والعصر كما أخرجه أحمد عن أبى عياش الزرقى . ومنها ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾ [النساء : ١٧٦] أخرج البزار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبى ﷺ فى مسير له .

ومنها : أول المائدة ، أخرج البيهقى فى شعب الإيمان - أسماء بنت يزيد أنها نزلت بمنى . وأخرج فى الدلائل عن عمرو عن عمها أنها نزلت فى مسير له ، وأخرج أبو عبيدة - محمد بن كعب قال : نزلت سورة المائدة فى حجة الود فيما بين مكة والمدينة . ومنها ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** [المائدة : ٣] فى الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة ، الجمعة عام حجة الوداع . وله طرق كثيرة لكن أخرج ا مردويه عن أبى سعيد الخدرى أنها نزلت يوم غدير خم وأخرج مثله من حديث أبى هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر ذى الحجة مرجعه من حجة الوداع ، وكلاهما لا يصح ومنها : آية التيمم فيها فى الصحيح عن عائشة أنها نزل بالبيداء وهم داخلون المدينة . وفى لفظ : بالبيداء أو بذا الجيش . قال ابن عبد البر فى التمهيد : يقال إنه كان فى غز بنى المصطلق . وجزم به فى الاستذكار وسبقه إلى ذلك ا سعد وابن حبان . وغزوة بنى المصطلق هى غزوة المريسيع واستبعد ذلك بعض المتأخرين قال : لأن المريسيع من نا مكة بين قديد والساحل ، وهذه القصة من ناحية خيبر لقو عائشة بالبيداء أو بذات الجيش ، وهما بين المدينة وخيبر ك جزم به النووى ، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هى الحليفة . وقال أبو عبيد البكرى : البيداء هو الشرف الذ قدام ذى الحليفة من طريق مكة . قال : وذات الجيش ، المدينة على بريد .

ومنها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ** **قوم** ﴾ [المائدة : ١١] أخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذ لنا أنها نزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل فى الغز السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطل الله على ذلك : ومنها ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ [المائد ٦٧] فى صحيح ابن حبان عن أبى هريرة أنها نزلت السفر ، وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر أنها نزلت فى ذات الرقاع بأعلى نخل فى غزوة بنى أنمار . ومنها : أ الأنفال نزلت ببدر عقب الواقعة كما أخرجه أحمد عن سعد ، أبى وقاص . ومنها ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ [الأنفال : نزلت ببدر أيضا كما أخرجه الترمذى عن عمر . ومنها ﴿ **والذي يكنزون الذهب** ﴾ [التوبة : ٣٤] نزلت فى بعض أسفاره ك

أخرجه أحمد عن ثوبان . ومنها قوله تعالى : ﴿ **لو كان عرضا قريبا** ﴾ [التوبة : ٤٢] نزلت فى غزوة تبوك كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس . ومنها ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾ [التوبة : ٦٥] نزلت فى غزوة تبوك كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عمر . ومنها ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** ﴾ [التوبة : ١١٣] أخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت لما خرج النبى ﷺ معتمرا وهبط من ثنية عسفان فزار قبر أمه واستأذن فى الاستغفار لها . ومنها : خاتمة النحل . أخرج البيهقى فى الدلائل والبزار عن أبى هريرة أنها نزلت بأُحد والنبى ﷺ واقف على حمزة حين استشهد وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى بن كعب أنها نزلت يوم فتح مكة . ومنها : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها** ﴾ [الإسراء : ٧٦] أخرج أبو الشيخ والبيهقى فى الدلائل من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم نزلت فى تبوك . ومنها : أول الحج . أخرج الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين قال : لما نزلت على النبى ﷺ ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [الحج : ١ ، ٢] أنزلت عليه هذه وهو فى سفر، الحديث . وعن ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنها نزلت فى مسيره فى غزوة بنى المصطلق .

ومنها ﴿ **هذان خصمان** ﴾ [الحج : ١٩] الآيات ، قال القاضى جلال الدين البلقينى : الظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بهذان .

ومنها ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل** ﴾ [الفرقان : ٤٥] قال ابن حبيب : نزلت بالطائف ، ولم أقف له على مستنده .

ومنها : أول الروم روى الترمذى عن أبى سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت ﴿ **الم • غلبت الروم** ﴾ إلى قوله ﴿ **بنصر الله** ﴾ [الروم : ١ - ٥] قال الترمذى : غلبت يعنى بالفتح . ومنها ﴿ **واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا** ﴾ [الزخرف : ٤٥] قال ابن حبيب : نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء ومنها ﴿ **وكأين من قرية هى أشد قوة** ﴾ [محمد : ١٣] قال السخاوى فى جمال القراء : قيل إن النبى ﷺ لما توجه مهاجرا إلى المدينة وقف فنظر إلى مكة وبكى فنزلت .

ومنها : سورة الفتح . أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . وفى المستدرك أيضا من حديث مجمع بن جارية أن أولها نزل بكراع الغميم . ومنها ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ [الحجرات : ١٣] أخرج الواحدى عن ابن أبى مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لما رقى بلال على ظهر الكعبة وأذن فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة . ومنها ﴿ **سيهزم الجمع** ﴾ [القمر : ٤٥] قيل إنها نزلت يوم بدر ، حكاه ابن الغرس، وهو مردود لما سيأتى فى النوع الثانى عشر، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده ومنها : قال النسفى قوله تعالى ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ [الواقعة : ١٣] وقوله تعالى ﴿ **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون** ﴾ [الواقعة : ٨١] نزلتا فى سفره ﷺ إلى المدينة ، ولم أقف له على مستند . ومنها ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ [الواقعة : ٨٢] أخرج ابن أبى حاتم من طريق يعقوب عن مجاهد عن أبى حرزة قال : نزلت فى رجل من الأنصار فى غزوة تبوك لما نزلوا الحجر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك ، فدعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من المنافقين : إنما مطرنا بنوء كذا ، فنزلت . ومنها آية الامتحان ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** ﴾ [الممتحنة : ١٠] أخرج ابن جرير عن الزهرى أنها نزلت بأسفل الحديبية ، ومنها : سورة المنافقين . أخرج الترمذى عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلا فى غزوة تبوك . وأخرج عن سفيان أنها فى غزوة بنى المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره . ومنها : سورة المرسلات . أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال « بينما نحن مع النبى ﷺ فى غار بمنى إذ نزلت عليه والمرسلات » الحديث . ومنها : سورة المطففين أو بعضها ، حكى النسفى وغيره أنها نزلت فى سفر الهجرة قبل دخوله ﷺ المدينة . ومنها : أول سورة اقرأ ، نزل بغار

حراء كما فى الصحيحين . ومنها : سورة الكوثر . أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها نزلت يوم الحديبية ، وفيه نظر . ومنها : سورة النصر . أخرج البزار والبيهقى فى الدلائل عن ابن عمر قال : أنزلت هذه السورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع ، فأمر بناقته القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة (الإتقان ١ / ٢٤ـ٢٧) .

كما أورد الإمام السيوطى « الحضرى والسفرى » أيضا فى «التحبير » باعتبارها النوعين الثالث والرابع من علم التفسير وفيه بعض ما أورده فى « الإتقان » فقال الحضرى والسفرى : الأول كثير، وللثانى أمثلة ذكر البلقينى منها قليلا :

أحدها : وهو مما لم يذكره ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

ففى الصحيح من حديث كعب بن عجرة قال : كنا مع النبى ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وكانت لى وفرة فجعلت الهوام تتساقط على وجهى فمر بى النبى ﷺ فقال : أيؤذيك هوام رأسك ؟ فقلت : نعم فأنزلت هذه الآية .

ثانيها : ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] نزلت بمنى فيما رواه البيهقى فى الدلائل .

ثالثها : ﴿ ءامن الرسول ... ﴾ [البقرة : ٢٨٥] إلى آخر السورة ، قيل : نزلت يوم فتح مكة .

رابعها : ولم يذكره البلقينى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [آل عمران : ١٢٨] نزلت بأحد ، فروى الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم أحد : اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن صفوان بن أمية ، فنزلت : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ... ﴾ وفى الصحيح أن ذلك كان فى الركعة الأخيرة من صلاة الصبح

خامسها : ولم يذكره ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ [آل عمران :١٤٤] نزلت بأحد ، فقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق آدم عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن أبيه أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال له : أشعرت أن محمد قد قُتل ؟ فقال : إن كان محمد قد قُتل فقد بلَّغ ، فقاتلوا عن دينكم فنزلت .

سادسها : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء : ٥٨] نزلت يوم الفتح فى شأن مفتاح الكعبة .

سابعها : آية الكلالة ـ نزلت بين مكة والمدينة مرجعه ﷺ من حجة الوداع .

ثامنها : ولم يذكره : أول المائدة ، ففى شعب الإيمان من طريق سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة المائدة على النبى ﷺ بمنى إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة ، وفى الدلائل من حديث عاصم الأحول عن أم عمرو بنت عيسى عن عمها : كان النبى ﷺ فى مسير فنزلت عليه سورة المائدة فاندقَّت كتف راحلته العضباء من ثقل السورة .

وروى أبو عبيد عن عمر بن طارق عن يحيى بن أيوب عن أبى صخر عن محمد بن كعب القرظى قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته فانصدع كتفها فنزل عنها رسول الله ﷺ

تاسعها : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] ففى الصحيح من حديث عمر أنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع .

عاشرها : آية التيمم ، ففيه من حديث عائشة : أنها نزلت بالبيداء أو بذات الجيش قرب المدينة فى القفول من غزوة المريسيع .

حادى عشرها : أول الأنفال ، فقد روى أحمد عن سعد ابن أبى وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به النبى ﷺ فقال : اذهب فاطرحه ، فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى ، قال : فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال فقال رسول الله ﷺ : اذهب فخذ سيفك .

ثانى عشرها : ولم يذكره : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ [الأنفال : ٩] ففى الصحيح عن عمر قال : نظر النبى ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ، وجعل يهتف بربه فأنزل الله هذه الآية .

ثالث عشرها : ولم يذكره :﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾

الآية [الأنفال : ١٦] روى النسائى عن أبى سعيد الخدرى أنها نزلت يوم بدر .

رابع عشرها : آيات من أثناء براءة فى غزوة تبوك .

خامس عشرها : ولم يذكره : ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ... ﴾ الآيتين [التوبة : ١١٣ ، ١١٤] فقد روى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس أنه ﷺ لما أقبل من غزوة واعتمر، فلما هبط من ثنية عسفان نزل على قبر أمه وبكى ودعا الله أن يأذن له فى الشفاعة لها فنزل جبريل بهاتين الآيتين .

سادس عشرها : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ... ﴾ إلى آخر السورة . فأخرج البيهقى فى الدلائل والبزار فى مسنده من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به ، فذكر الحديث إلى أن قال : لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل والنبى ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ إلى آخر السورة ، فهو صريح فى نزولها بأحد، وعزى البلقينى هذا الحديث إلى الغيلانيات وهو قصور .

وأخرج الترمذى من حديث أبى بن كعب قال : لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال : فلما كان يوم الفتح أنزل الله : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [النحل : ١٢٦] قال الترمذى : حسن غريب ، قال البلقينى : وقد يقال لا معارضة بين الحديثين لأن إعمال هذا الصبر إنما وقع يوم فتح مكة .

قلت : المعارضة واقعة بين قوله نزلت والنبى واقف على حمزة ووقوفه بأحد، وقوله : فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ، وأى جمع حصل من كلامه المذكور ؟ وإنما يجمع بما تقدم عن ابن الحصار أنها نزلت أولا : بمكة ثم ثانيا : بأحد ثم ثالث : يوم الفتح تذكيرا من الله لعباده .

سابع عشرها : ولم يذكره أول الحج ، ففى الترمذى عن عمران بن حصين قال : أنزلت على النبى ﷺ : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ إلى قوله : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] وهو فى سفر فقال : أتدرون أى يوم ذلك ؟ الحديث . وفى المستدرك عن أنس مثله .

ثامن عشرها : ﴿ هذان خصمان اختصموا ﴾ إلى قوله : ﴿ الحميد ﴾ [الحج : ١٩ ـ ٢٥] ففى البخارى عن أبى ذر أنه كان يقسم أن هذه الآية نزلت فى حمزة وصاحبيه ، وعتبة وصاحبيه .

قال البلقينى : فالظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بهذين .

تاسع عشرها : ولم يذكره ﴿ أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا ... ﴾ [الحج : ٣٩] ــ ففى المستدرك عن ابن عباس : لما أخرج أهل مكة النبى ﷺ قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت هذه الآية .

قال ابن الحصار : استنبط بعضهم من هذا الحديث أنها نزلت فى سفر الهجرة .

العشرون : ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن ... ﴾ [القصص : ٨٥] قيل : نزلت بالجحفة فى سفر الهجرة .

الحادى والعشرون : أول الروم كما تقدم .

الثانى والعشرون : سورة الفتح بجملتها ، كذا قال البلقينى وتمسك بظاهر ما رواه البخارى من حديث عمر : بينما هو يسير مع النبى ﷺ فذكر الحديث وفيه : فقال رسول الله ﷺ : لقد أنزلت علىَّ الليلة سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس فقرأ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [الفتح : ١ ، ٢] ولا دليل فيه على نزولها تلك الليلة ، بل النازل فيها أولها وقد وردت أحاديث بنزول سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . لطيفة : ورد تبيين الموضع الذى نزلت فيه وهو كراع الغميم رواه الحاكم أيضا .

الثالث والعشرون : ولم يذكره : سورة المنافقون ، فقد روى الترمذى من طريق إسرائيل عن السدى عن أبى سعيد الأزدى قال : أخبرنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ

وكان معنا ناس من الأعراب ، فسبق أعرابى فملأ الحوض ، فأتى رجل من الأنصار أعرابيا فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه ورفع الأعرابى خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجه، فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب وقال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ثم قال لأصحابه : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأخبرت عمى فأخبر رسول الله ﷺ فحلف وجحد قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنى فجاء عمى فقال : ما أردت إلى أن مقتك رسول الله ﷺ وكذَّبك فوقع علىَّ من الهم ما لم يقع على أحد، فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ فى سفر قد خفقت رأسى من الهم إذ أتانى رسول الله ﷺ فعرك أذنى وضحك فى وجهى فلحقنى أبو بكر فقال : ما قال لك رسول الله ؟ قلت : ما قال شيئا إلا أنه عرك أُذنى وضحك فى وجهى : فقال : أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين قال الترمذى : حسن صحيح .

ففى هذا الحديث مع كونها نزلت بالسفر ما يقتضى أنها نزلت بالليل ثم روى أيضا من حديثه أن ذلك فى غزوة تبوك ، ومن حديث جابر بن عبد الله نحو ذلك ، وفيه قال سفيان : يروون أنها نزلت فى غزوة بنى المصطلق وقال فى كل من الحديثين حسن صحيح ، وهو فى الصحيحين بدون قول سفيان وذكر ابن إسحاق أيضا أنها نزلت فى غزوة بنى المصطلق .

الرابع والعشرون : سورة النصر ، روى البيهقى والبزار عن ابن عمر أنها نزلت أواسط أيام التشريق عام حجة الوداع (التحبير / ٢٨ـ٣٣) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٧١ ، والإتقان فى علوم القرآن للشيخ الإمام أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى ١ / ٢٤ـ٢٧ ، والتحبير فى علم التفسير للسيوطى أيضا / ٢٨ـ٣٣) .

*** حضيرة القدس :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩١٦

رسالة فى أن الفاتحة هى حضيرة القدس وما ورد فى فضائلها وخواصها .

المؤلف : ؟

أولها : عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لما أنزل الله فاتحة الكتاب وآية الكرسى وشهد الله ... » .

آخرها :

عساك يا رب تزيل الشقا
وتؤمن الخوف بحسن المتاب
وتجبر المكسور يا سيدى
ويسمع المسكين رد الجواب

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٣ ، ٤٥٤) .

*** الحظ (فن ـ) :**

انظر : الحظيات .

*** الحطاب (٩٠٢ـ٩٥٤ هـ / ١٤٩٦ـ١٥٤٧ م) :**

أدرجه صاحب الفتح المبين تحت عنوان « الحطاب المالكى » وقال عنه :

نسبه وشيوخه ومكانته وتلاميذه :

محمد بن محمد الحطاب المكنى بأبى عبد الله . ولد بمكة ونشأ بها ، وأخذ عن والده ، ومحمد بن عبد الغفار ، والعارف بالله محمد بن عراف ، وقاضى المدينة محمد بن أحمد السخاوى ، وعبد الحق السنباطى وغيرهم من أفاضل العلماء ، وكان حافظا محققا ورعا متبحراً فى العلوم نقليها وعقليها ، وكان قوى العارضة فى المجادلة . أخذ عنه ابنه يحيى ، وعبد الرحمن التاجورى ، ومحمد المكى ، ومحمد القيسى وغيرهم .

مصنفاته ووفاته :

له مؤلفات عدة تدل على تبحره فى العلوم ، وقوة ملكته ،

وجودة فهمه ، وكان يستدرك على كثير ممن تقدمه من العلماء والجهابذة كابن عرفة وابن عبد السلام والسيوطي .

ومن مؤلفاته : مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء سيدى خليل ست مجلدات في فقه المالكية وقرة العين شرح ورقات إمام الحرمين في الأصول، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام (يأتي الكلام عنه فيما بعد) ، والقول المبين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين ، وكتاب استقبال عين القبلة وجهتها، وحاشية على البيضاوي ، وحاشية على الإحياء ، وشرح قواعد عياض، وتعليق على ابن الحاجب، وهدية السالك المحتاج في مناسك الحج .

توفي بطرابلس الغرب سنة ٩٥٤ (الفتح المبين ٣/ ٧٥) .

ويضيف الدكتور الزحيلي إلى هذه المصنفات : « شرح نظم نظائر رسالة القيرواني لابن غازي » و « تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب » و« استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة » و «أجزاء في اللغة » و « تفسير القرآن » لم يكمله (مرجع العلوم الإسلامية / ٤١٣) .

ولما كان قد فاتنا إدراج كتاب « تحرير الكلام في مسائل الالتزام » في حرف التاء فقد رأينا أن ندرجه هنا إتماما للفائدة يقول عنه الدكتور عبد السلام محمد الشريف في بحث له بعنوان « الحطاب وكتابه تحرير الكلام في مسائل الالتزام» : إنه تصنيف فريد من نوعه لم يسبقه أحد إلى مثله كما قال هو نفسه (أي الحطاب) في مقدمة كتابه : « لم يكن له في كتب أهل المذهب باب ولا فصل مقرر ولا علمت فيه مصنفا يؤخذ حكمه منه ويحرر بل مسائله متفرقة في الكتب والأبواب » .

وهو كتاب حسن في موضوعه ، عظيم النفع في مجاله ، لا يستغني عنه المتخصصون من رجال الفقه والقضاء ، يغني عن غيره ولا يغني غيره عنه . ويمضي الدكتور في بحثه فيقول :

منهج الحطاب في تأليف الكتاب

المتتبع لكتاب الحطاب يلاحظ من حيث الأسلوب أن أبرز ما يتميز به البساطة في التعبير والابتعاد عن كل تعقيد فقد اختار الأسلوب الذي يفهمه المتخصص وغير المتخصص هدفه من وراء ذلك إشاعة العدل بين الناس فيما يتعلق بالمعاملات الالتزامية ، ووسيلته الوحيدة لبلوغ هذا الهدف هو اجتهاده الشخصي من جهة واعتماده على ما خلفه علماء التوثيق أمثال المتبطي وابن سلمون وابن زرب وابن سهل والبرزلي وابن عبد الرفيع وابن هشام وغيرهم من جهة أخرى .

وأما من حيث المنهج فقد اعتمد الحطاب المنهج الاستقرائي لمسائل الالتزام من أمهات كتب المذهب ولم يكتف بالنقل على عادة غيره من علماء عصره بل كان يتعقب جل مسائل الالتزام التي يعثر عليها في مظانها إن لم نقل كلها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نبوغ الحطاب ونضجه العلمي، وأنه في حلبة الفقه فارس مغوار ويكفي ، دليلا على ذلك نظريته في الالتزام ، في كتابه تحرير الكلام .

مصادر الكتاب المطبوع منها والمخطوط

استقى الحطاب المادة العلمية لكتابه تحرير الكلام من مصادر معروفة مشهورة في المذهب وإليك حوصلة لبعض ما تيسر لنا الاطلاع عليه منها وهي :

١ ـ الموطأ الذي رواه عن الإمام مالك العديد من العلماء لا يقدم الحطاب عليه غيره .

٢ ـ المدونة الكبرى رواية سحنون بن سعيد القيرواني ت ٢٤٠ هـ قال أبو الحسن الصغير : المدونة أفضل كتب المالكية مقدمة على غيرها من الدواوين ولا يوجد ديوان في الفقه بعد الموطأ أفيد منها ، وهي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو ، وهي التي تسمى الأم ، وتعرف بالمدونة والمختلطة .

٣ ـ المستخرجة وهي العتبية لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد العزيز القرطبي ت ٢٥٥ هـ وتتناول مسائل خلافية في الفقه .

٤ ـ البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل لابن رشد الجد ت ٥٢٠ هـ وهو موسوعة فقهية تتكون من أجزاء كثيرة ألفه صاحبه على المستخرجة .

وقفت على نسخة خطية منه في خمسة أجزاء بدار الكتب

الوطنية بتونس وقد سهّل الله أخيرا طبع الكتاب وإخراجه للناس في طبعة جميلة أنيقة عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٥ م .

٥ ـ مختصر ابن الحاجب الفقهي المسمى جامع الأمهات والمختصر يشتمل على جمع الأقوال من الأمهات وأكثر هذه الأقوال مقال عن الترجيح والتصحيح .

وقد اعتمد ابن الحاجب في جميع مختصره أسلوبا مبتكرا في اختصار المسائل الفقهية انفرد به حتى قيل إن كتابه على اختصاره وصغر حجمه جمع أربعين ألف مسألة ذكر ذلك ابن دقيق العيد .

وقد اعتنى بهذا المختصر العلماء ، ودونوا عليه الدواوين شرحا وتعليقا .

توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٧٧٩١ ، اطلعت عليها واستفدت منها في توثيق النصوص .

٦ ـ مختصر الشيخ خليل بن إسحاق الجندي ت ٧٧٦ هـ وهو مختصر مهم في بيان ما به الفتوى وما هو الراجح وطرح الاختلاف باعتماد ما قرر لديه ، وكان في تعينه للمراجع المعتمد موفقا كل التوفيق ، وبذلك امتاز عن غيره من المختصرات وتعلق به العلماء شرحا وتعليقا حتى بلغ ما كتب عليه مائة شرح أو يزيد .

٧ ـ معين الكلام لإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي ت ٧٢٣ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣١٠١٣ وقد قام أحد الطلبة بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتحقيق الجزء الخاص بأحكام الأسرة وذلك في نطاق أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة .

٨ ـ الإعلام بنوازل الأحكام لعيسى بن سهل الأزدي أبو الإصبغ ت ٤٨٦ هـ قال عنه ابن فرحون في الديباج (جـ ٢ ص٧٠ وما بعدها) بأنه كتاب حسن عول عليه شيوخ الفتوى والحكام وقد اعتنى بهذا الكتاب الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف وقام بدراسة مجموعة مختاره من الوثائق كشف لنا من خلالها جوانب بالغة القيمة من حياة المجتمع الأندلسي خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخه الإسلامي .

٩ ـ تبصرة اللخمي ـ علي بن محمد الربعي ت ٤٦٨ هـ قال عنها ابن فرحون : « هي تعليق كبير على المدونة » توجد نسخة خطية بمكتبة الجامع الأعظم بمدينة تازه بالمغرب رقم تصنيفها ٢١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١٩ .

١٠ ـ التوضيح للشيخ خليل وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب توجد نسخة خطية اطلعت عليها بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٢٢٥٥ ، ١٢٢٥٦ ـ وأخرى بجامعة قاريونس تحت رقم ١٠١١ .

١١ ـ الشامل للشيخ بهرام . قال الشيخ زروق : جمع كل ما حصله في شامله . اطلعت على جزء منه مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٣٧٦٢ .

١٢ ـ نوازل البرزلي وقيل ديوان البرزلي أو فتاوى البرزلي وعنوانه « جامع سائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام » .

وهو أهم أثر من آثار البرزلي العلمية القيمة كيف لا وقد وصفه أستاذه وشيخه الإمام ابن عرفة حيث قال في مقولته الشهيرة (كيف أنام وأنا بين أسدين الأبي بفهمه وعقله ، والبرزلي بحفظه ونقله) .

وقفت على نسخة مخطوطة للنوازل بدار الكتب الوطنية بتونس في أربعة أجزاء أرقامها كالآتي ١٢٧٩٢ ، ١٢٧٩٣ ، ١٢٧٩٤ ، ١٢٧٩٥ ، وللكتاب نسخ أخرى متعددة .

وصف الكتاب ابن مريم بقوله إنه الديوان الكبير في الفقه والفتوى ، وهو من كتب المذهب الأصيلة أجاد فيه البرزلي ما شاء (ابن مريم : البستان ص ١٥٢) .

١٣ ـ مختصر جامع الدعوى والإقرار والإنكار لأبي عبد الله محمد بن الحسن الرعيني وقفت على نسخة خطية منه بمكتبة الأوقاف سابقا ، والتي آلت إلى مركز جهاد الليبيين أخيرا والرقم هو ٥٩٩ ح ١ ـ ٢٥٥ وللكتاب نسخة خطية أخرى

وقد حاولت مع زميلي الدكتور محمد أبو الأجفان أستاذ الفقه بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين التعرف على

المؤلف فيما تيسر لنا الاطلاع عليه من كتب التراجم والسير فلم نظفر بشيء وربما يعثر على ترجمة للمؤلف أحد المتخصصين من أهل الخبرة ويتم إخراج الكتاب على الوجه المطلوب .

١٤ - مختصر ابن عرفة الفقهي ت ٨٠٣ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه مختلفة الأجزاء بدار الكتب الوطنية بتونس أرقامها كالآتي ١٠٨٤٤ ، ١٢٨٤٧ ، ١٠٨٤٦ ، ١٠٨٤٨ .

١٥ - ابن ناجي على المدونة له شرحان على المدونة الأول يسمى بالشتوي والثاني يسمى بالصيفي وقفت على الأول بدار الكتب الوطنية بتونس مخطوط تحت رقم ١٢٥١٧ ، ١٢٥١٨ ، ١٣٧٦ .

١٦ - الجواهر لصاحبه أبي محمد عبد الله بن شاس ت ٦١٠ هـ ، وهو كتاب ألفه على طريقة الغزالي سماه «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» قال ابن فرحون : « فيه دلالة على غزارة علمه ، والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده » .

وقفت على نسخة خطية منه رقم تصنيفها بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٣٩٨٢ ، ١٣٩٨٣ .

١٧ - شرح ابن عبد السلام على مختصر ابن الحاجب .

وقفت على نسخة خطية من هذا الشرح بدار الكتب الوطنية بتونس أرقامها كالآتي ١٢٢٤٢ ، ١٢٢٤٣ ، ١٢٢٤٤ ، ١٢٢٤٥ ، ١٢٢٤٦ والشرح يعتبر خلاصة دروس ابن عبد السلام ت ٧٤٩ هـ جاء فيه بأسلوب مبتكر في التدريس والتأليف سلك فيه طريقة التعليل وتوليد البحوث والمسائل مما أصبح به فريدا من نوعه .

١٨ - التفريع لابن الجلاب - عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري ت ٣٧٨ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣٤٩٩ وله نسخ أخرى في مكتبات العالم وقد تم تحقيقه ونشره أخيرا عن دار الغرب الإسلامي خلال عام ١٩٨٥ م .

هذه قائمة ببعض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها الحطاب في تأليف كتابه القيم وغيرها كثير ضربت عن ذكرها طلبا للاختصار ، ومن رام مزيدا من التفصيل يمكنه مراجعة كتاب تحرير الكلام القسم الدراسي بتحقيقنا .

وإن كان لنا من كلمة أخيرة حول مصادر الحطاب نقول إن هذه المصادر المتنوعة تدل على سعة اطلاع الحطاب وقدرته الفائقة على جمع المصادر واختيارها ، وهذا يحتاج إلى غزارة في العلم وقوة إرادة وجميل صبر على البحث والاستقراء .

محتويات كتاب تحرير الكلام :

افتتح الحطاب كتابه بتمهيد بليغ تحدث فيه عن السبب الذي حمله على تأليفه ، وأنه تأليف مبتكر لم يسبق إلى مثله رغم شيوع الحكم بالالتزام في الفكر المالكي وكثر السؤال عن الالتزام عند التشاجر والخصام لم يفرد من ألف في الفقه بابا ولا فصلاً يجمع فيه مسائل الالتزام بل تركت مسائله متفرقة في الكتب والأبواب إلى أن تنبه الحطاب إلى ضرورة وضع مصنف يؤخذ منه حكم الالتزام ويقرر، وأنه لا بد من جمع مسائله وضمها إلى بعضها لأن الحكم بالالتزام مع تفرق مسائله ليس بصواب فأقبل على جمع ما تيسر له من مسائله ، وضبط أقسامه ، وتبيين مشكله ، وتحرير أحكامه ورتبه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ، أما المقدمة ففي بيان معنى الالتزام وبيان أركانه وشروط كل ركن منها .

وأما الباب الأول ففي الالتزام الذي ليس بمعلق وهو إلزام الشخص نفسه شيئا من المعروف من غير تعليق على شيء ، وبذلك شمل الصدقة والهبة والحبس والعارية والعمرى والعرية والمنحة والإرفاق والإخدام والإسكان والنذر إذا كان غير معلق والضمان والالتزام بالمعنى الأخص أعني بلفظ الالتزام ، تحدث بشيء من التفصيل عن هذه المسائل في فصول تحتها فروع .

والباب الثاني خصصه في الالتزام المعلق على فعل الملتزم بكسر الزاي وهو على نوعين :

أ - إما أن يكون القصد بالالتزام الامتناع من ذلك الفعل المعلق عليه كقوله لزوجته إن تزوجت عليك فلك ألف دينار .

ب ـ وإما أن يكون القصد منه حصول ذلك الفعل كقوله إن قدمت من هذا السفر فلفلان على ألف دينار وهذا النوع من باب النذر .

والباب الثالث تكلم فيه عن الالتزام المعلق على فعل الملتزم له بفتح الزاى وهو على سبعة أنواع :

١ ـ النوع الأول : فى الالتزام المعلق على الفعل الذى ليس باختيارى كقوله لزوجته إن ولدت غلاما فلك كذا وكذا ، وحكمه إن وجد المعلق عليه حكم الالتزام المعلق فى الزوج والقضاء به .

٢ ـ النوع الثانى : فى الالتزام المعلق على الفعل الواجب على الملتزم به بفتح الزاى كقوله إن جئتنى بعبدى الآبق أو بعيرى الشارد أو متاعى الضائع فلك عندى كذا وكذا فإن ذلك غير لازم للملتزم ، ولا يحكم به عليه هذا إذا كان واجبا عليه على التعيين أما ما كان واجبا على الكفاية فيلزم الالتزام المعلق عليه كقوله إن غسلت هذا الميت فلك كذا وكذا .

٣ ـ النوع الثالث : فى الالتزام المعلق على فعل محرم على الملتزم له كقوله إن قتلت فلانا أو شربت خمرا فلك عندى كذا وكذا ، وحكمه أن ذلك غير لازم .

٤ ـ النوع الرابع : فى الالتزام المعلق على الفعل الجائز الذى لا منفعة فيه لأحد كقوله لرجل إن صعدت هذا الجبل فلك كذا وكذا وهو من باب الجعل ، وقد اختلف فيه هل يشترط أن يكون فى العمل المجعول عليه منفعة أم لا يشترط ؟ على قولين المشهور منهما اشتراط المنفعة للجاعل .

٥ ـ النوع الخامس : فى الالتزام المعلق الذى فيه منفعة للملتزم بكسر الزاى ، وهو على أربعة أوجه وتحت كل وجه من الوجوه الأربعة فروع .

٦ ـ النوع السادس : فى الالتزام المعلق على الفعل الذى فيه منفعة للملتزم له بفتح الزاى كقولك لشخص إن تزوجت فلك كذا ، وحكمه حكم الالتزام المعلق على غير فعل الملتزم والملتزم له .

٧ ـ النوع السابع : فى الالتزام المعلق على الفعل الذى فيه منفعة لغير الملتزم والملتزم له كقولك إن أسكنت فلانا دارك سنة فلك عندى كذا وكذا .

والباب الرابع جعله فى الالتزام المعلق على غير فعل الملتزم والملتزم له ، وحكمه حكم الالتزام المعلق .

والخاتمة فى التنبيه على مسائل حكم فيها بعدم اللزوم لكونها من باب إسقاط الحق قبل وجوبه أو لكون الالتزام فيها مخالفا لمقتضى العقد ، وفيها فصلان : الأول فى إسقاط الحق قبل وجوبه ، ويندرج تحت هذا العنوان مسائل عديدة تتعلق بالشفعة والوصية والهبة والإبراء والحضانة والقصاص والعيب والمهر والجائحة وغير ذلك .

والثانى فى الشروط المنافية لمقتضى العقد وفيه مسائل تتعلق بالشروط فى النكاح والخلع والبيع والقرض والرهن .

وختم الحطاب كتابه بالتأكيد على بلوغ الهدف وإنجاز الغرض الذى قصده فى بيان أنواع الالتزام وأقسامه فجاء بعون الله كتابا مفيدا فى بابه عظيم النفع لمن أمعن النظر فيه من طلاب العلم والمعرفة .

إن الاهتمام بتحقيق نوادر المخطوطات من كتب التراث الإسلامى لهو عمل عظيم حقا تفتخر به المكتبة الإسلامية لا سيما مصنفات الحطاب الشهيرة المحشوة بالمعلومات المفيدة والتحقيقات الفريدة .

وكتاب الحطاب « تحرير الكلام » أبرز فيه نوعا خاصا من الابتكار فى ميدان التأليف وسلك فيه مسلكا لم يسلكه غيره فى توليد المسائل الفقهية وتبويبها وتقسيمها مع دقة عرضها وتحليلها وتوثيقها لذلك فهو جدير بأن ينال عناية كبيرة من قبل الباحثين والمتخصصين بتحقيقه ودراسته ونشره بين الناس ليعم نفعه فى الحاضر والمستقبل كما عم نفعه فى الماضى خصوصا وأنه بحث فقهى رفيع المستوى يحتاج إليه أهل الفقه والمنخرطين فى سلك القضاء والمحاماة والمهتمين بالفتوى والتشريع .

ومما يدل على أهمية الكتاب وتداوله بين أهل الاختصاص منذ عصر المؤلف كثرة نسخه وانتشارها شرقا وغربا ، واختلاف تواريخ النسخ حتى أن الشيخ عليش أدرج الكتاب برمته فى فتاويه المشهورة عندما سئل عن مسألة تتعلق بموضوع الالتزام فأجاب بما حواه الكتاب من المقدمة إلى

الخاتمة (الشيخ عليش . فتح العلي المالك ١ / ٢١٧ وما بعدها . الطبعة الأخيرة . مطبعة الحلبي) .

قيمة الكتاب العلمية :

إن الفقه الإسلامي من أثرى العلوم لما توفر له من أفكار واقعية عملت طوال قرون ـ وفق معطيات الواقع وملابساته ـ على تنمية الاجتهاد الذي كان ميدانا للأفكار الواقعية والكشف عنها ، وإيجاد الحلول لها ، وحمل الناس عليها قولا وعملا ، ولكن هذه الثروة الفقهية بقدر اتساعها كانت عسيرة على الباحثين إلا من أوتي قوة في الفهم وعمقا في التحليل مثل الحطاب ، وهذه الناحية المستعصية في الفقه لم تخف على علماء الإسلام فحاولوا تقريب الفقه بوسائل وطرق خاصة لكي يجد الباحث ضالته ويظفر بالمسألة بسهولة ويسر .

ولعل الأمر الذي حمل العلماء المتأخرين إلى الدعوة لتقريب الفقه إحساسهم بأهمية وعظمة الثروة الفقهية التي خلفها فقهاء السلف هذه الثروة المستمدة من صميم الأصول الإسلامية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والصالحة في أصولها وفروعها لمسايرة العقل البشري في مختلف العصور وتباين الأزمان .

ولقد استفاد من هذه الثروة الفقهية الهائلة المسلمون وغيرهم على حد سواء يشهد بذلك الدراسات المقارنة والتي تشير بوضوح إلى أن أهم القوانين الوضعية وهي القوانين الفرنسية اقتبست من الفقه الإسلامي واعتمدته أصلا وبخاصة الاجتهاد المالكي .

وبذلك اهتمت الجامعات الفرنسية بدراسة موطأ مالك وكانت تحرض الطلبة المسلمين المهتمين بالشريعة الإسلامية على أن تكون بحوثهم منصبة على دراسة وتحليل موطأ مالك باعتباره أساس المدرسة الفكرية المالكية .

ومن أبرز ما يمتاز به كتاب تحرير الكلام منهجه المتميز بخصائص غير موجودة ولا متوفرة في غيره ، ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا إن مسلك المؤلف في تأليف هذا الكتاب يتمثل في تقريب المسائل الفقهية من الباحث ، والكشف عنها في مظانها حتى لا يترك الباحث يتيه في صحراء كأنها لا نهاية لها لكثرة تشعب المسائل وصعوبة استخراجها من الأمهات ...

ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا إن الحطاب أسس نظرية الالتزام في الشريعة الإسلامية وفق مبادئ وأسس انتهى إليها الحطاب ، واستخلصها من كتب الفروع .

والاعتقاد السائد عند فقهاء القانون الوضعي حتى اليوم ممن لم يتيسر لهم الاطلاع على هذا الكتاب بأن نظرية الالتزام ينفرد بها القانون الوضعي ، وإن الشريعة الإسلامية لا تعرف هذا النوع من التصرفات الالتزامية .

ولكن بعد أن يسر الله لنا تحقيق هذا الكتاب ونشره هلل الجميع وكبروا واعترفوا بأن الفقه الإسلامي نظام كامل شامل لكل ما تتطلبه الحياة البشرية العامة والخاصة للأفراد والجماعات في كل زمان ومكان .

ولعل من المفيد في النهاية التذكير بالأسس التي بنى عليها الحطاب نظرية الالتزام وهي كالآتي :

١ ـ للالتزام عند الحطاب أركان أربعة الملتزم والملتزم له والملتزم به والصيغة .

٢ ـ قسم الحطاب الالتزام إلى أقسام أربعة تنحصر في الآتي : الالتزام المطلق ويقصد به الالتزام غير المعلق على شيء وثلاثة أقسام أخرى تشمل الالتزام المعلق ، وجعل معيار التفرقة بين هذه الأقسام الثلاثة راجعا إلى نوع التعليق الذي قد يكون على فعل الملتزم أو على فعل الملتزم له أو تعليقا على غير فعل أي منهما وقد ساق الحطاب أمثلة كثيرة تشمل جميع أقسام الالتزام في نظره .

٣ ـ وقد انتهى الحطاب في عرض نظريته إلى تفريع لها جمع فيه مسائل حكم فيها بإسقاط اللزوم لكونها من باب إسقاط الحق قبل وجوبه أو لكون الالتزام فيها مخالفا لمقتضى العقد .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ٧٥ ، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلي / ٤١٣ ،

و « الحطاب وكتابه تحرير الكلام فى مسائل الالتزام » ـ إعداد د . عبد السلام محمد شريف . مجلة الوثائق والمحفوظات . مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى . السنة الثانية ، العدد الثانى ١٩٨٧ / ٤٦٨ ـ ٤٧٨) .

*** الحَطْم :**

حطم : الحطم كسر الشىء مثل الهشم ونحـوه ، ثم استعمل لكل كسر متناهٍ ، قال الله تعالى : ﴿ **لا يحطمنكم سليمان وجنوده** ﴾ [النمل : ١٨] وحطمته فانحطم حطما وسائق حطم يحطم الإبل لفرط سوقه وسميت الجحيم حطمة ، قال الله تعالى فى الحطمة ﴿ **وما أدراك ما الحطمة** ﴾ [الهمزة : ٥] وقيل للأكول حطمة تشبيها بالجحيم تصورا لقول الشاعر :

*** كأنما فى جوفه تنور ***

ودرع حطمية منسوبة إلى ناسجها أو مستعملها ، وحطيم وزمزم مكانان ، والحطام ما يتكسر من اليبس ، قال عز وجل : ﴿ **ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما** ﴾ [الزمر : ٢١] وقيل الحطمة : اسم من أسماء النار ، وقيل باب من أبواب جهنم (اللسان ١١ / ٩١٦) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١١ / ٩١٦) .

*** الحُطَمة :**

انظر : الحَطْم .

*** الحطيات :**

من علوم القرآن يقوم فن « الحطيات » على إحصاء شامل لما فى القرآن من حروف وكلمات ، وجمل مكررة أو متشابهة ! وظهرت مدرسة « الحطيات » بالمغرب فى حدود أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، ومن أبرز مشايخها ـ بجنوب المغرب ـ أبو عبد الله أعجلى ، ـ وبالشمال ـ أبو العباس الميزورى :

١ ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أعجلى الباعقيلى السوسى . اشتهر فى قبائل سوس بفن « الحطيات » . له مؤلفات فى ذلك (ت ١٢٧١ هـ) .

من آثاره :

ـ « ميم الجمع » رتبه على الحروف الهجائية ، قال فيه : إنه كتاب عظيم ، جمع فيه ميم الجمع كله الموجود بعد الحروف الأربعة : الهمزة ، التاء ، الكاف ، الهاء .

ـ رسالة فى هاء الضمير ، مرتبة على حروف المعجم .

ـ تقييد التنوين الذى جاء فى آخر الكلمة فى القرآن العظيم ، وفيه ثلاثة أنواع :

المضموم ، المنصوب ، المكسور ، وهو مرتب على حروف المعجم .

ـ « الهداية لمن أراد الكفاية ، على ضبط أواخر الكلمة بما صح بالرواية » .

ـ « الاتصال الكبير » وهو مجموع متداول بين الناس ، أضيفت إليه إضافات ، وزيدت عليه زيادات ، مما جعل نُسخه تختلف اختلافا بيّنا ، وتتفق فى مجموعها على الموضوعات التالية : الاتصال ، الانفصال ، الوزن ، وهى مرتبة حسب سور القرآن .

٢ ـ أبو العباس أحمد بن عبد الله الميزورى ، ولد بأوائل النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى بقرية مازورة فى بنى مسارة ـ إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب ، على بعد نحو ٢٠ كلم من وزان .

تعلم ببلده ، وأخذ القراءات عن شيوخ الجبل ، وكان آية فى الذكاء والحفظ ، جمع بين المدرستين الحطية والعددية ، سهل عليه النظم حتى استوى عنده مع النثر ، وكان له إلمام بالعربية ، ويقال إنه ألف أجرومية بأسلوب مبسط ، وبعث بها إلى شيوخ فاس فانتقدوه ، وزيفوا عمله .

وأبو العباس الميزورى من الشيوخ الذين ذاع صيتهم بهذه الجبال ، دخلت انظامه [منظوماته] وقصائده كل مدرسة وكتّاب ، بل صار بعضها من الأمثال السائرة بين الطلاب ، مثل قوله :

أما حروف كفظش * فأكثر من عام وأنا أنفش * ولا وجدتهم ورش * سوى متميلا وقصائده فى الثبت والحذف أشهر من « قفانبك » .

قضى أبو العباس أكثر حياته فى تعليم كتاب الله ،

ومن أهم المراكز التى أقرأ بها « أنفزى » بقبيلة بنى مسارة ، وكان الطلبة يحجون إليه من كل جهة ومكان، وكانت له مهارة عجيبة فى فن الحط، تسأله عن كلمة من القرآن ، فيذكر لك عددها ونظائرها ، وما جاء منها بالثبت والحذف ، والوقف وغير الوقف إلى غير ذلك ، فيملى عليك فى الموضوع ما يصلح أن يكون كتابا ، وينظم ذلك فى حينه .

خلف تلاميذ كثيرين أذاعوا فى الناس قصائده ودواوينه ، وخصوصا « الأنصاص» التى يعتبر المخترع الأول لها .

توفى فى حدود نيف وعشرين وثلاثمائة وألف ، له عدة منظومات فى الثبت والحذف، ودواوين فى الأنصاص وسواها .

قالت المؤلفة : يقصد بالأنصاص كما شرح هذا اللفظ فى صفحة ١٧٠ : النصوص التى تساعد على حفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه .

(القراء والقراءات بالمغرب ـ سعيد اعراب / ٦٧ ، ٦٨ ، ١٦٧ ـ ١٦٩) .

*** الحطيات (مدرسة ـ) :**

انظر : الحطيات .

*** الحطيم :**

قال صاحب شفاء الغرام :

اختلف فى الحطيم وفى سبب تسميته بذلك فقيل إنه ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل وهو مقتضى ما حكاه الأزرقى عن ابن جريج وفى كتب الحنفية أن الحطيم الموضع الذى فيه الميزاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الحطيم الجدار قال المحب الطبرى يعنى جدار حجر الكعبة قال وقد قيل الحطيم هو الشاذروان سمى بذلك لأن البيت رفع وترك هو محطوما فيكون فعيلا بمعنى مفعول قال : وقد قيل لأن العرب . كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثياب فيبقى حتى يتحطم من طول الزمان فيكون فعيلا بمعنى فاعل انتهى، وقيل فى سبب تسميته أنه سمى بالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان فقلَّ من دعا هنالك على ظالم إلا هلك وقلَّ من حلف هنالك آثما إلا عجلت له العقوبة ، روينا ذلك عنه فى تاريخ الأزرقى .

ومن فضائل الحطيم ما ذكره الفاكهى لأنه قال وحدثنى أحمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى النبى ﷺ: أى البقاع خير ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال قلت يا رسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام؟ قال صدقت، إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام، وإن فيها بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة ، فمن صلى فيه أربع ركعات نودى من بطنان العرش أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل . انتهى .

ومن فضائل الحطيم أن فيه قبر تسعة وتسعين نبيا لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم حدثنى جدى قال حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم قال سمعت عبد الرحمن ابن سابط يقول سمعت عبد الله بن حمزة السلولى يقول ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا جاءوا حُجَّاجا فقبضوا هنالك . وحدثنى مهدى بن أبى المهدسى قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم عن حماد بن مسلم عن عطاء بن السائب عن محمد بن سابط عن النبى ﷺ قال : كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فيتعبد فيها النبى ومن معه حتى يموت فمات بها نوح ، وهود، وصالح، وشعيب، وقبورهم بين زمزم، والحجر، وذكر الأزرقى خبرا يقتضى أن فى الحطيم قبر تسعين نبيا وسمى منهم فى هذا الخبر غير من لم يسم فى الخبر الذى رواه عن ابن سابط لأنه قال : وأخبرنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج فذكر أخبارا ثم قال قال عثمان وأخبرنى مقاتل قال فى المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر تسعين نبيا منهم هود وصالح وإسماعيل وقبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام فى بيت المقدس، انتهى، وذكر الأزرقى خبرا يقتضى أن قبر إسماعيل فى الحجر .

وذكر الأزرقى خبرا يوهم أن فى الحطيم قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه حدثنى جدى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول إن هذا المحدودب قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام يعنى مما يلى الركن الشامى من المسجد الحرام قال ذلك الموضع تسوى بين المسجد فلا

ينسب أن يعود محدودبا منذ كان . انتهى ، وإنما كان هذا الخبر موهما لما ذكرناه لأنه يحتمل أن تكون القبور المشار إليها مما يلي الركن الشامي من جهة الحجر الأسود وأن تكون مما يلي الركن الشامي مما يلي الحِجْر بسكون الجيم فعلى الاحتمال الأول تكون القبور المشار إليها في الحطيم وعلى الثاني لا تكون فيه وذلك على اعتبار بناء الكعبة على أساس إبراهيم من جهة الحجر وأما على اعتبار بنائها اليوم فقد تكون القبور المشار إليها في الحطيم على كلا الاحتمالين، والله أعلم .

وقد ذكر هذا الخبر الفاكهي في أخبار مكة نحوه وذكر الخبر الذي رواه الأزرقي عن عبد الله بن ضمرة وفي خبر الفاكهي أن ابن ضمرة يرويه عن كعب يعني كعب الأحبار وابن سابط راوي الخبر ليس بصحابي وذكر الفاكهي خبرا يقتضي أن فيما بين دار الندوة وباب بني سهم ، يعني باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة قبور قوم صالح الذين آمنوا به ورحلوا معه إلى مكة وأقاموا بها حتى ماتوا . قال: وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه وعزا هذا الخبر لوهب ابن منبه وهو في تاريخ الأزرقي إلا أن في الخبر الذي ذكره الأزرقي فتلك قبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة وبين دار بني هاشم كذا رأيته في نسختين من تاريخ الأزرقي ودار بني هاشم وصوبه وباب بني سهم كما في خبر الفاكهي لأن به يستقيم الكلام والله أعلم . وهذه القبور وإن لم تكن في الحطيم فذكرها في أخباره لمناسبة وهي تكون الموطنين في المطاف فيجتمع بذكر ذلك في هذه الترجمة شيء من فضل المطاف .

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي ١ / ١٩٧ ، ١٩٨ . انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١١ / ٩١٧) .

* **حِطِّين :**

قال عنها المقريزي : هذه المدينة آثارها إلى اليوم باقية فيما بين حبوة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميه العرب أبا العروق، وهو شرقيها . وهذه المدينة تنسب إلى حطين، ويقال حطي ابن الملك أبي جاد المديني . وأهل قطية اليوم يسمون تلك الأرض بلاد حطين والجفر . وملك هذا أرض مصر بعد موت أبيه ، وكان صاحب حرب وبطش، وكان ينزل بقلعة في جبال الأردن قريبا من طبرية ، وإليه تنسب قرية حطين التي بها الآن قبر شعيب بالقرب من صفد (الخطط ١/ ٢٢٧، ٢٢٨) .

وحطين : يسميها اليهود اليوم . قرني حطيم : قرني حطين قرون حطيم . وهي قرية عربية تاريخية . جلا معظم سكانها العرب عنها عام ١٩٤٨م . وهي في مقاطعة طبرية في شرق الجليل الأدنى . وتشتهر بخصوبة أرضها . (من كتاب معجم البلدان ١ / ٢٠٠) .

وقال عنها ياقوت :

حِطِّين : بكسر أوله وثانيه ، وياء ساكنة ، ونون :

قرية بين أرسوف وقيسارية ، وبها قبر شعيب عليه السلام . كذا قال الحافظان أبو القاسم الدمشقي، وأبو سعد المروزي، ونسبا إليها أبا محمد هيَّاج بن محمد بن عبيد بن حسين الحطيني الزاهد نزيل مكة . سمع أبا الحسن علي بن موسى ابن الحسين السمسار، وأبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن معدان الدمشقي، وأبا القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز السراج وأبا الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنائي بدمشق، وأبا أحمد بن سهل القيسراني بقيسارية ، وأبا العباس إسماعيل بن عمر النحاس، وأبا الفرج النحوي المقدسي وغيرهم . وسمع منه جماعة من الحفاظ، منهم محمد بن طاهر المقدسي، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، وأبو جعفر محمد بن أبي علي وغيرهم ، وكان زاهدا فقيها مدرسا، يفطر كل ثلاثة أيام ويعتمر كل يوم ثلاث عمر، ويلقي على المستفيدين كل يوم عدة دروس، ولم يكن يدخر شيئا، وكان يزور رسول الله عليه الصلاة والسلام كل سنة حافيا ويزور ابن عباس بالطائف، وكان يأكل بمكة أكلة وبالطائف أخرى، واستشهد بمكة في وقعة وقعت بين أهل السنة والرافضة ، فحمله أميرها محمد بن أبي هاشم فضربه ضربا شديدا على كبر السن ، ثم حمل إلى منزله فعاش بعد الضرب أياما ثم مات في سنة ٤٧٢ وقد جاوز الثمانين .

قال المؤلف رحمة الله عليه : كان صلاح الدين يوسف بن

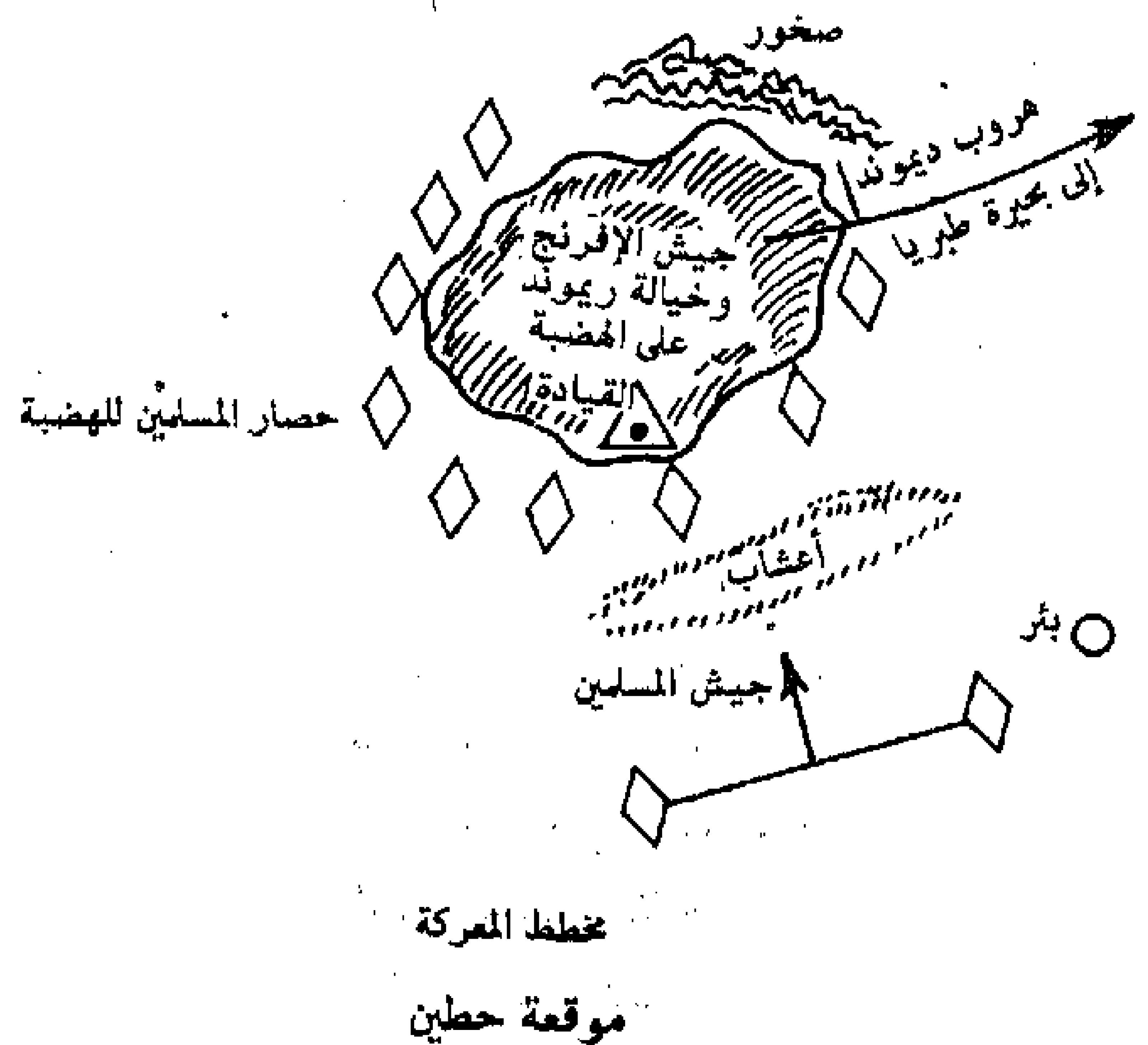
أيوب قد أوقع بالإفرنج فى منتصف ربيع الآخر سنة ٥٨٣ وقعة عظيمة منكرة ظفر فيها بملوك الإفرنج ظفرا كان سببا لافتتاحه بلاد الساحل، وقتل فرعونهم أرباط صاحب الكرك والشوبك، وذلك فى موضع يقال له حطين بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين . بالقرب منها قرية يقال لها خيارة، بها قبر شعيب عليه السلام وهذا صحيح لا شك فيه وإن كان الحافظان ضبطا أن حطين بين أرسوف وقيسارية ضبطا صحيحا، فهو غير الذى عند طبرية، وإلا فهو غلط منهما .

قالت المؤلفة : يأتى الكلام على موقعة حطين هذه في المادة التالية إن شاء الله تعالى .

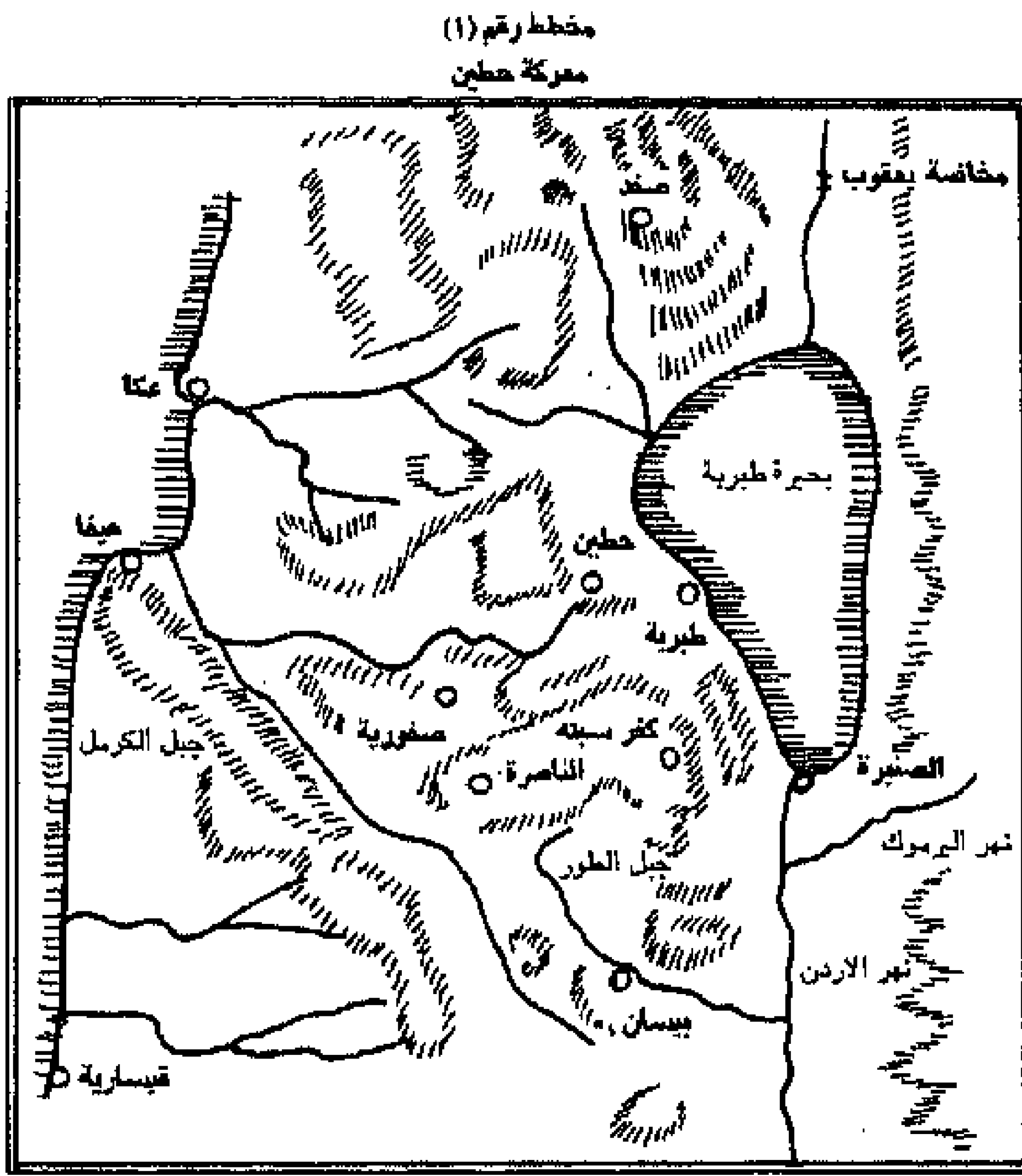
(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١ / ٢٢٧، ٢٢٨، ومن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان . السفر الأول، البلدان الفلسطينية / ٢٠٠ هامش ٢، ومعجم البلدان ٢ / ٢٧٣، ٢٧٤) .

*** حطين (موقعة ـ) (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) :**

اشتبك صلاح الدين مع الصليبيين قبل سنة ١١٨٥ م فى معارك صغيرة، بسبب حركات صليبية مناوئة له، وأهمها حركات أرناط، أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس. ذلك أن هذا الأمير الصليبى تحكم بحصنه فى طرق



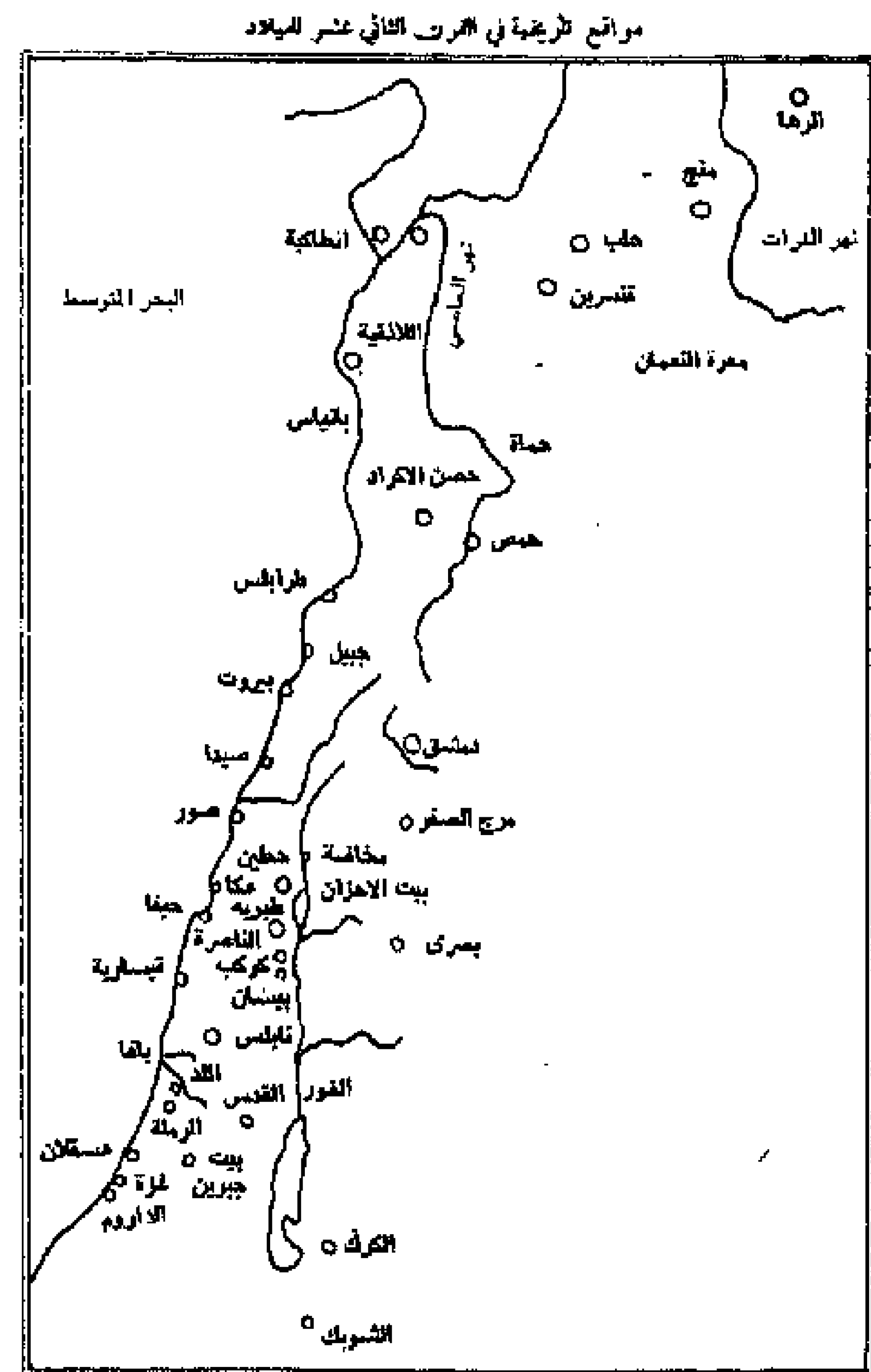
مخطط المعركة
موقعة حطين



القوافل بين مصر والشام، ولم يهتم بالمهادنات التى عقدها صلاح الدين مع مملكة بيت المقدس. وعزم أرناط على الاستيلاء على مكة والمدينة والآثار النبوية بهما . فأعد سنة ١١٨٣ م سفنا، حمل أخشابها وقلاعها إلى خليج العقبة، حيث جهز منها أسطولا، نقل جنود الصليبيين فى البحر الأحمر إلى شاطىء الحجاز. وكان صلاح الدين غائبا فى العراق وقتذاك، فأسرع نائبه فى مصر، وهو أخوه العادل، ولحق بالصليبيين عند مرفأ الحوراء شمالى ينبع. واستطاع العادل القضاء على الصليبيين قبل تحقيق أهدافهم وحمل كثيرا منهم أسرى إلى مصر (تاريخ العالم الإسلامى / ٣١١) .

واستفحل خطر الفرنج وكثرت اعتداءاتهم على المسلمين، وخاصة « أرباط » صاحب الكرك الذى اعتدى على قافلة للحجاج المسلمين. وكان صلاح الدين الأيوبى حاكم بلاد الشام ومصر نذر عند مرضه أن يكرس بعد شفائه كل قوته لحرب الفرنج فطلب من حكام المدن أن يرسلوا له الجيوش، وتوجه بقواته إلى طبرية فاحتلها عدا قلعتها، وشدد الحراسة على شواطىء البحيرة حتى لا يستفيد الفرنج من مياهها، ثم توجه إلى حطين، بعد أن درس حال الفرنج ومواقعهم، وقطع عنهم كل مصادر المياه . بدأ هجومه صباح السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فطلعت الشمس على وجوه الفرنج، واشتد الحر، وقوى بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيما . وكان ذلك عليهم

مواقع تاريخية في القرن الثاني عشر الميلاد



مشؤوما . فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط فرموه فتأجج نارا تحت سنابك خيولهم . فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر السلاح وحر رشق النبال . وحمل المسلمون حملة صادقة على أعدائهم ، فتمكنوا منهم وقتلوا منهم أعدادا كبيرة، ووقع في الأسر جميع ملوكهم عدا صاحب طرابلس الذى فر من المعركة . ولما مثل أمراء الفرنج أمام صلاح الدين أحسن معاملتهم إلا صاحب الكرك فقد أمر بضرب عنقه . أما حاكم طرابلس فإنه مات بعد فراره متأثرا بجراحه . ثم استولى الناصر على قلعة طبرية وعكا وغيرها من المدن . وكانت هذه الموقعة أشهر وأهم مواقع الحروب مع الصليبيين . وكان وقعها أليما في أوربا مما دفع ملوكها وأمراءها لتجهيز حملة جديدة وصلت إلى الشرق. وحق لصلاح الدين أن يحمل بعد هذا النصر لقب الناصر .(معجم المعارك الحربية / ١٢٥ ، ١٢٦) .

وقد أدرج صاحب الروضتين معركة حطين في أحداث سنة ٥٨٣ ، وأورد وصف العماد في كتاب البرق فبدأ بقوله : وهي السُّنة الحسنة المحسنة، والزمان الذى تقضت على انتظار إحسانه الأزمنة، وطهر فيه المكان المقدس ، الذى سلمت لسلامته الأمكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة الممتحنة ، وكفى الله شر الشرك ، وحكم على دماء الكفر بالسفك ... ويمضي العماد في وصفه بأسلوب ينبض بالحياة فيجعلنا ونحن نقرأ وصفه نكاد نسمع صليل السيوف، ووقع سنابك الخيل، وأصوات النقب في أبراج القلاع .

وكل ذلك في أسلوب أدبي رفيع نفتقده اليوم في مؤلفاتنا، وسجع محبب مقبول . وهو يبدأ بمعركة العمورية ، وما تلاها من احتلال طبرية ، حتى النصر المؤيد من الله في حطين . وقبل أن نسوق بعضا من وصف العماد نورد نبذة عن معركة صفورية .

قرر صلاح الدين في ربيع عام ١١٨٧ م إرسال غارة استطلاعية نحو عكا لتجمع له المعلومات وتختبر قوة الصليبيين ومعنوياتهم . فجهز قوة تعادل فرقة عهد بقيادتها إلى حاكم الرها « مظفر الدين كوكبرى » ولكي يختبر صدق إخلاص « ريموند » أمير طرابلس طلب إليه أن يسمح لهذه القوة بالمرور من أراضي الجليل نحو عكا . فسمح هذا للقوة بالمرور وهو ممتعض . ولما علم قائد الداوية « جيرار دى ريد فورد » بمرور هذه القوة جمع جيشا من جماعته والاسبتارية قرب صفورية لصدها . فدارت معركة رهيبة قتل فيها معظم قوة جيرار ومنهم قائد الاسبتارية ولم ينج إلا جيرار مع بضعة أشخاص فقط ، ولما وصلت إليهم النجدات كانت المعركة قد انتهت فأسر العرب قوة النجدة بكاملها (معارك الحرب الحاسمة / ١٢٢ ، ١٢٣) .

ويبدأ العماد وصفه فيقول عن صلاح الدين بعد أن سار فنزل على الكرك ثم إلى الشوبك : ووصل عسكر مصر فتلقاه بالقربتين ، وفرقه على أعمال القلعتين ، وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين ، والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء ، في جمع عظيم من العظماء ، وعنده الجحافل الحافلة ، والحواصل الحاصلة ، والعساكر الكاسرة ، والقساور القاسرة ، وهو ينتظر أمرا من أبيه ، ويكتب إليه ويقتضيه ، وانقضى من السنة شهران ، وطال بهم انتظار السلطان ، فأنهض منهم سرية سرية ، وأمرها بالغارة على أعمال طبرية ، ورتب على خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران ، وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرم بن باروق، وعلى

عسكر دمشق وبلادها صارم الدين قايماز النجمي ، فساروا مدججين ، وسروا مدلجين ، وصبَّحوا صفورية وساء صباح المنذرين ، فخرج إليهم الفرنج في حشدهم ، فأتاهم الله النصر الهني ، والظفر السني ، وشفوا منهم حنين الحنايا ، وأدركوا فيهم منى المنايا ، وفازوا وظفروا ، وقتلوا وأسروا ، وهلك مقدم الاسبتار (الاسبتارية هم « فرسان المستشفى » وهم فرسان القديس يوحنا وسموا كذلك لأن منظمتهم اعتمدت أول الأمر على رهبان مستشفى القديس يوحنا في القدس معارك العرب الحاسمة / ١٢٢) ، وحصل جماعة من فرسانهم في قبضة الإسار ، وأفلت مقدم الداوية وله حصاص (الداوية : فرسان الهيكل ، وسميت بذلك لأن بناء منظمتهم قد شيد حيث كان يقوم هيكل سليمان . معارك العرب الحاسمة / ١٢٢) ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلاك خلاص . وعادوا سالمين سالبين غانمين غالبين ، فكانت هذه باكورة البركات ، ومقدمة ما بعدها من ميامين الحركات ، وجاءتنا البشرى ونحن في نواحي الكرك والشوبك (انظر الخريطة) .

فسار السلطان وواصل السير بالسرى ، وختم بعشترا ، والقدر يقول له تعيش وترى ، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذرى ، وامتد العسكر فراسخ عرضا وطولا ، وملأ بالملأ حزوناً وسهولا ، وما رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر ، ولا أكرث للكفر ولا أكثر ، وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض ، وما شاهده إلا من تلا ﴿ ولله جنود السماء والأرض ﴾ [الفتح : ٤] وعرض العسكر في إثنى عشر ألف مدجج ، في ليل العجاج مدلج ، ولما تم العرض ، حسم الفرض ، وسالت بأفلاك السماء والأرض ، وتعين الجهاد ، وتبين الاجتهاد ، ثم رتب السلطان للعسكر أطلابا ، وحزَّبه أحزابا ، وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر ، عازما على دخول الساحل ، فأناخ ليلة السبت على خسفين ، ثم سار في الأردن إلى ثغر الأقحوانة ، وأقام هناك خمسة أيام ، وقد عيَّن مواقف الأمراء وشعارهم ، وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط ، وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط . ولما سمع الفرنج باجتماع كلمة الإسلام عليهم ، وسير ذلك الجيش إليهم ، علموا أنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وأن الإيمان كله قد برز إلى الشرك كله ... إلخ ويمضي العماد في وصفه حتى معركة حطين (ص٧٦ - ٨٠) فانظر إليه في موضعه إن شئت الاستزادة (الروضتين ٢/ ٧٥، ٧٦) وانظر وصفا مفصلا للمعركة في معارك العرب الحاسمة / ١١٢ - ١٣٠ . انظر ثبت المراجع) .

بعد حطين :

كانت وقعة حطين وقعة فاصلة ، حتى وصفها بعض المعاصرين من مؤرخي الحروب الصليبية الأوربية بأنها بداية النهاية في تاريخ الحروب الصليبية ، ولم يكن في هذا القول شيء من المبالغة ، إذ حشد الصليبيون زهرة شبابهم في حطين ، ولم يبق لديهم قوات لمواجهة الخطة الخاطفة التي رسمها صلاح الدين لنفسه بعد حطين ، إذ سلمت له مدينة بيت المقدس في أكتوبر سنة ١١٨٧ م بعد حصار دام أسبوعا واحدا . ثم استمر صلاح الدين في هجومه على مدن الصليبيين في الشام وفلسطين ، فبلغ مدينة اللاذقية شمالا، وحصن الكرك جنوبا ، ولم تأت سنة ١١٨٩ م حتى سقطت معظم المدن الصليبية التي هددت المسلمين، وبدا كأن الصليبيين سيخرجون جميعا من الشام ، لأنه لم يبق في حيازتهم سوى أنطاكية وصور، وبعض المدن الساحلية الصغيرة وأهمها صور (تاريخ العالم الإسلامي / ٣١٢ ، ٣١٣) .

وممن وصف كسرة حطين أيضا القاضي أبو المحاسن بن شداد فقال : اندفع السلطان قاصدا بلاد العدو في وسط نهار الجمعة ، وكان أبدا يقصد بوقعاته الجُمَع لا سيما أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر فربما كانت أقرب إلى الإجابة . وبلغه أن الفرنج اجتمعوا في فرج صفورية بأرض عكا فقصد نحوهم للمصاف معهم فسار ونزل على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبرة ورحل من هناك ونزل غربي طبرية على سطح الجبل لتعبية الحرب منتظرا أن الفرنج إذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من منزلتهم فنزل جريدة على طبرية وترك الإطلاب على حالها قبالة وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها فهجمها وأخذها في ساعة من نهار ... وامتنعت القلعة وحدها فرحل الفرنج وقصدوا طبرية للدفع عنها فأخبرت الطلائع الإسلامية الأمراء بحركة الفرنج فسيروا إلى السلطان من عرفه ذلك فنزل على طبرية من يحفظ قلعتها

ولقى العسكر هو ومن معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربى منها وحال الليل بين الفئتين فباتتا على مصاف شاكيتين في السلاح إلى صبيحة الجمعة فركب العسكران وتصادما وذلك بأرض قرية تسمى اللوبيا ولم تزل الحرب إلى أن حال بينهم الظلام وجرى فى ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والأمور الجسيمة ما لم يحك عن من تقدم وبات كل فريق فى سلاحه ينتظر خصمه فى كل ساعة وقد أقعده التعب عن النهوض حتى كان صباح السبت الذى بورك فيه فطلب كل من الفئتين مقامه وعلمت كل طائفة أن المكسورة منهما مدحورة الجنس معدومة النفس وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا ينجيهم إلا الله وكان الله قد قدر نصر المسلمين فيسره وأجراه على وفق ما قدَّره فحملت الإطلاب الإسلامية من الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فألقى الله الرعب فى قلوب الكافرين ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم : ٤٧] .

وكان القمص ذكى القوم وألمعيهم فرأى إمارات الخذلان قد نزلت بأهل دينه ولم يشغله ظن محاسنة جنسه عن يقينه فهرب فى أوائل الأمر قبل اشتداده وأخذ طريقه نحو صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا وحده وأمن الإسلام كيده وأحاط أهل الإسلام بأهل الكفر والطغيان من كل جانب فانهزمت منهم طائفة فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها واحد واعتصمت الطائفة الأخرى بتل حطين وهى قرية عنده وعندها قبر النبى شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون على التل وأشعلوا حولهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفا من القتل فأسر مقدموهم وقُتل الباقون وأسروا وكان الواحد العظيم منهم يخلد إلى الأسر خوفا على نفسه .

ولقد حكى لى من أثق به أنه لقى بحوران شخصا واحدا ومعه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيرا يجرهم وحده بخذلان وقع عليهم وأما القمص الذى هرب فإنه وصل إلى طرابلس وأصابه ذات الجنب فأهلكه الله بها وأما مقدمو الاسبتارية والداوية فإن السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة أبيهم .

وأما البرنس أرناط فكان السلطان قد نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك أنه كان عبر به بالشوبك قفل من الديار المصرية فى حالة الصلح فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الله والصلح الذى بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبى ﷺ وقال قولوا لمحمدكم يخلصكم وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله فلما فتح الله عليه بالنصر والظفر جلس فى دهليز الخيمة فإنها لم تكن نصبت والناس يتقربون إليه بالأسارى وبمن وجدوه من المقدمين ونصبت الخيمة وجلس فرحا مسرور شاكرا لما أنعم الله به عليه ثم استحضر الملك جفرى وأخاه والبرنس أرناط وناول الملك شربة من جلاب بثلج فشرب منه وكان على أشد حال من العطش ثم ناول بعضها البرنس أرناط فقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذى تسقيه وإلا أنا ما سقيته وكان على جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصد بذلك الجرى على مكارم الأخلاق ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عين لنزولهم فمضوا وأكلو شيئا ثم عاد استحضرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم فأقعد الملك فى الدهليز واستحضر البرنس أرناط وأوقفه على ما قال وقال ها أنا أنتصر لمحمد ﷺ ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل ثم سل البيمجاه وضربه بها فحل كتفه وتمم عليه من حضر وعجل الله بروحه إلى النار فأخذ ورمى على باب الخيمة فلما رآه الملك قد أخرج على تلك الصورة لم يشك فى أنه يثنّى به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فإنه جاوز حده فجرى ما جرى وبات الناس فى تلك الليلة على أتم سرور وأكمل حبور ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح فى يوم الأحد فنزل رحمه الله على طبرية وتسلم فى بقية ذلك اليوم قلعتها وأقام بها إلى يوم الثلاثاء .

قلت وذكر محمد بن القادسى فى تاريخه أنه ورد فى هذه السنة كتب إلى بغداد فى وصف هذه الوقعة منها كتاب من عبد الله بن أحمد المقدسى يقول فيه : كتبت هذا الكتاب من عسقلان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنه ثلاث وثمانين وخمسمائه وفيه : ولو حمدنا الله عز وجل طول أعمارنا

ما وفينا بعُشر معشار نعمته التى أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم فإنا خرجنا إلى عسكر صلاح الدين وتلاحق الأجناد حتى جاء الناس من الموصل وديار بكر وإربل فجمع صلاح الدين الأمراء وقال هذا اليوم الذى كنت أنتظره وقد جمع الله لنا العساكر وأنا رجل قد كبرت وما أدرى متى أجلى فاغتنموا هذا اليوم وقاتلوا لله تعالى لا من أجلى فاختلفوا فى الجواب وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار فعرض جنده ورتبهم وجعل تقى الدين فى الميمنة ومظفر الدين فى الميسرة وكان هو فى القلب وجعل بقية العسكر فى الجناحين ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا الأقحوانة فتركوا بها أثقالهم وساروا حتى نزلوا بكفر سبت فأقاموا يومين ينتظرون أن يبرز لهم الكفار .

وكان عسكر الكفار على صفورية فلم يبرزوا فعاد صلاح الدين حتى نزل على طبرية فتقدم فرسانه وحماته ورماته والنقابون فدخلوا تحت الحصن فلما تمكن النقب منه انهال من غير وقود نار ودخل المسلمون يوم الخميس وأصبحوا يوم الجمعة فشرعوا فى نقب القلعة فلما كان وقت الصلاة جاء الخبر أن الكفار قد توجهوا إلينا فارتحل صلاح الدين على صفوفه فلقيهم ثم لم يزالوا يتقدمون حتى صار المسلمون محيطين بهم وصار قلب المسلمين خلفهم فترامـوا ساعة وبات كل فريق على مصافهم ثم أصبحوا فسار الكفار يقصدون طبرية والمسلمون حولهم يلحون عليهم بالرمى فاقتلع المسلمون منهم فوارس وقتلوا خيالة ورجالة فانحاز المشركون إلى تل حطين فنزلوا عنده ونصبوا الخيام وأقام الناس حولهم إلى أن انتصف النهار وهبت الرياح فهجم المسلمون عليهم فانهزموا لا يلوون على شىء ولم يفلت منهم إلا نحو من مائتين وكانوا كما قيل اثنين وثلاثين ألفا وقيل ثلاثة وعشرين ألفا لم يتركوا فى بلادهم من يقدر على القتال إلا قليلا وكان الذى أسر الملك هو درباس الكردى وغلام الأمير إبراهيم المهرانى أسر الإبرنس وقتل صلاح الدين الإبرنس بيده لأنه كان قد غدر وأخذ قافلة من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين إلى طبرية فأخذ قلعتها بالأمان .

وورد كتاب آخر فيه هذه الفتوح التى ما سمع بها قط هذا ذكر بعضها مختصرا مع أنه لا يقدر أحد يصف ذلك لأن الأمر أكبر من ذلك الذى يبشر به المسلمون أن مدينة طبرية فتحت بالسيف وأخذت قلعتها بالأمان واجتمع عسكر الأفرنج جميعهم والتقوا بالمسلمين عند قبر شعيب النبى ﷺ وقتل من الإفرنج ثلاثون ألفا وكان عدد الإفرنج ثلاثة وستين ألفا بين فارس وراجل وأسر منهم ثلاثون ألفا وبلغ ثمن الأسير بدمشق ثلاثة دنانير واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك وما سلم من عسكر الفرنج سوى قمص إطرابلس مع أربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات وأخذ جميع أمراء الفرنج ...

وكان القاضى الفاضل غائبا عن هذه الكسرة بدمشق فلما بلغته كتب إلى السلطان (ليهن المولى إن الله قد أقام به الدين القيم وإنه كما قيل أصبحت مولاى ومولى كل مسلم وأنه قد أسبغ عليه النعمتين الباطنة والظاهرة ، وأورثه الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة ، كتب المملوك هذه الخدمة والرؤوس إلى الآن لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما فكر الخادم أن البيع تعود وهى مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال اليوم فيه إنه الواحد ، جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه ، وتارة يفيض من جفنه ، وجزاء يوسف خيرا عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون أمر المولى فكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عوّل على دخول حمام طبرية تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك الفتح لا عمان واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن وللألسنة بعد فى هذا الفتح شرح طويل وقول جليل .

وقد ألهب نصر صلاح الدين فى معركة حطين، وما كان من أسر الملك « جودفرى » وأخيه الملك « بلدوين » ، و«أرناط » صاحب الكرك والشوبك قرائح الشعراء ، فراحوا يتغنون به ، ويزدهون بقائد الإسلام ، ويندّدون بهذه الهزيمة النكراء التى لحقت بالصليبيين وللعماد رحمه الله قصائد يذكر فيها وقعة حطين منها قوله :

يـا يـوم حطين والأبطال عابسة

وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا

رأيت فيـه عظيم الكفـر محتقـرا
معفَّـرا خـده والأنف قـد تعسـا
يـا طهـر سيف بـرى رأس البـرنس فقـد
أصـاب أعظم من بـالشـرك قـد نجسـا
وغـاص إذ طـار ذاك الـرأس في دمـه
كأنـه ضفـدع في المـاء قـد غطسـا
مـا زال يعطس مـزكـومـا بغـدرتـه
والقتل تسميت من بـالغـدر قـد عطسـا
عـرى ظبـاه من الإغمـاد مهـرقـة
دمـا من الشـرك ردا هـابـه وكسـا
من سيفـه فـي دمـاء القـوم منغمس
من كـل من لم يـزل فـي الكفـر منغمسـا
أفنـاهم قتلهم والأسـر فـانتكسـوا
وبيت كفـرهـم من خبثهم كنسـا

وقال أيضا يخاطب صلاح الدين رحمه الله

سحبت على الأردن ردنـا من القنـا
ردينيـة ملـدا وخطيـة ملسـا
حططت على حطين قـدر ملـوكهم
ولم تبق من أجنـاس كفـرهم جنسـا
ونعم مجـال الخيل حطين لم تكـن
أسـاود تبغي من نحـور العـدا نهسـا
أتـوا شكس الأخـلاق خشنـا فلُيِّنت
حـدود الـرقاق الخشن أخلاقهـا الشكسـا
طـردتهم فـي الملتقـى وعكستهم
مجيـدا بحكم العـزم طـردك والعكسـا
فكيف مكست المشـركين رؤوسهم
ودأبـك في الإحسـان أن تطلق المكسـا
كسـرتهم إذ صح عـزمك فيهم
ونكستهم إذ صـار سهمهم نكسـا
بـواقعـة رجت بهـا الأرض جيشهم
دمـارا كمـا بست جبـالهم بسًّـا
بطـون ذئاب الأرض صـارت قبـورهم
ولم تـرض أرض أن تكـون لهم رمسـا
وطـارت على نـار المـواضي فـراشهم
صـلاء فـزادت من خمـودهم قبسـا
وقـد خشعت أصـوات أبطـالهـا فمـا
يعي السمع إلا من صليل الظبى همسـا
تقـاد بـدأمـاء الـدمـاء ملـوكهم
أسـارى كسفـن اليم نطت بهـا القلسـا
سبـايـا بـلاد الله مملـوءة بهـا
وقـد شـريت بخسـا وقـد عـرضت نخسـا
يطـاف بهـا الأسـواق لا راغب لهـا
لكثـرتهـا كـم كثـرة تـوجب الـوكسـا
شكـا يبسـا رأس البـرنس الـذي بـه
تنـدى حسـام حـاسم ذلك اليبسـا
حسـا دمـه مـاض الغـرار لغـدره
ومـا كـان لـولا غـدره دمع يحسى
فللـه مـا أهـدى يـدا فتكت بـه
وأطهـر سيفـا معـدما رجسـه النجسـا ... إلخ

ثم قال العماد : وأما القصيدة الفتحية الناصرية فأولها :

فـي بـاطن الغيب مـا لا تـدرك الفكـر
فـذو البصيـرة في الأحـداث يعتبـر
مـا لـي أرى ملك الإفـرنـج في قفص
أين القـواضب والعسـالـة السمـر
والاستبـار إلى الـداويـة التامـوا
كـأنهم سـد يأجـوج إذا استجـروا
والنفس مـولعـة عجبـا بسيـرتهـا
وفي المقـاديـر مـا تسلي بـه السيـر
يـا وقعـة التل مـا أبقيت من عجب
جحـافل لم يفت من جمعهـا بشـر
ويـا ضحى السبت مـا للقـوم قـد سبتـوا
تهـودوا أم بكأس الطعن قـد سكـروا

ويـا ضـريـح شعيب مـا لهـم جثمـوا
كمـدين أم لقـوا رجفـا بمـا كفـروا
حطـوا بحطين ملكـا كـافيـا عجبـا
فـى سـاعـة زال ذاك الملك والقـدر
أهـوى إليهم صـلاح الـدين مفتـرسـا
وهـو الغضنفـر أعـدى ظفـره الظفـر
أملى عليهم فصـاروا وسط كفتـه
كسـرب طيـر حـواهـا القـانص الـذكـر
وأنجـز الله للسلطـان مـوعـده
ونـذره فى كفـوردينـه البطـر
وعـاين الملك الإبـرنس فى دمـه
فمـات حيـا وحيى وهـو يعتـذر
رأى مليكـا ملـوك الأرض تتبعـه
والنجـم يخـدمـه والشمس والقمـر
إذابـدا تبهـر الأعيـان هيبتـه
ويختفـى وهـو فى الأذهـان مشتهـر
تقـدم الجيل فى أخـرى الـزمـان بـه
على صـدور عـلا من قبلنـا صـدروا

(الروضتين ٢ / ٧٥) .

وقال ابن الساعاتى قصيدة عظيمة فى هذا الفتح مطلعها :

جلت عـزمـاتك الفتح المبينـا
فقـد قـرت عيـون المـؤمنينـا

وأدلى ابن سناء بدلوه فأنشد قصيدة طنانة منها :ـ

هـل الكـرك الثكلى بأولادهـا انتهت
عن النسل ممـا جـرعتـه من الثكل
وكـانـوا لهـا كـالعقـد لكنـه وَهَى
وأضحى لهـا جيش ابن أيـوب كـالغل
أتـاهم بمثل الـرمل ينقل خيلهم
إلى الأفق منـا فـوق الطـريق من الـرمل

(ابن سناء الملك / ١١٣ ، ١١٤) .

(تاريخ العالم الإسلامى ـ د. إبراهيم أحمد العدوى / ٣١١ـ٣١٣ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ومعارك العرب الحاسمة ـ صبحى عبد الحميد / ١٢٢ ، ١٢٣ ، والروضتين فى أخبار الدولتين للمقدسى ٢ / ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ـ٨٣ ، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وابن سناء الملك ـ محمد إبراهيم نصر / ١١٣ ، ١١٤) .

انظر : الحروب الصليبية .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من معجم المعارك الحربية / ١٢٥ ، وكتاب معارك العرب الحاسمة / ١١٧ ، ١٢٤ .

*** الحظ الأوفر فى الحج الأكبر :**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩٠٢٣

تأليف : نور الدين على بن سلطان محمد الهروى القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٦ م .

وهو جواب سؤال عما اشتهر على الألسنة من إطلاق الحج الأكبر على الوقوف فى يوم الجمعة ، وما يتعلق به من الأخبار النقلية والآثار العقلية .

أوله : الحمد لله العلى الكبير ، الذى أنعم على عباده وأفضل وأكبر .

وآخره : أنه رأى موسى ويونس عليهما السلام فيما بين الحرمين الشريفين ، محرمين ملبين [ملبيين] ، متضرعين إلى المولى ، فلا ريب أنه بهذا المنصب فى زمان ولايته أولى .

نسخة عادية ، ضمن مجموع .

الخط نسخ واضح .

[٦٢ـ٧٣] ق   ١٥ س   ٢١ × ١٥ سم

المراجع : معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، كشف الظنون ١ / ٦٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

*** الحظ الوافر من المغنم في استدراك الكافر إذا أسلم :**

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . ذكره صاحب كشف الظنون مع حذف « إذا أسلم » من العنوان . وهى مسألة وجوابها :

فالمسألة هى : الكافر إذا أسلم وأراد أن يقضى ما فاته فى زمن الكفر من صلاة وصوم وزكاة هل له ذلك وهل ثبت أن أحدا من الصحابة فعل ذلك حين أسلم ؟

الجواب ـ نعم له ذلك ، وذلك مأخوذ من كلام الأصحاب إجمالا وتفصيلا أما الإجمال فقال النووى فى شرح المهذب : اتفق أصحابنا فى كتب الفروع على أن الكافر الأصلى لا تجب عليه الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج وغيرها من فروع الإسلام ، ومرادهم أنهم لا يطالبون بها فى الدنيا مع كفرهم وإذا أسلم أحدهم لم يلزمه قضاء الماضى فاقتصر على نفى اللزوم فيبقى الجواز ، وعبارة المهذب فإذا أسلم لم يخاطب بقضائها لقوله تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾ [الأنفال : ٣٨] ولأن فى إيجاب ذلك عليهم تنفيرا فعفى عنه فاقتصر على نفى الإيجاب فيبقى الجواز أو الاستحباب .

وأما التفصيل فإن الفقهاء قد قرنوا فى كتاب الصلاة بين الكافر، والصبى ، والمجنون ، والمغمى عليه ، والحائض فى عدم وجوب الصلاة ، ونص بعضهم على أن الصبى إذا بلغ وقد فاتته صلاة يسن له قضاؤها ولا تجب عليه ، وأن المجنون ، والمغمى عليه يستحب لهما قضاء الصلاة الفائتة فى زمن الجنون ، والإغماء ـ كذا نقله الأسنوى عن البحر للرويانى ، ونقل عنه وعن شرح الوسيط للعجلى أن الحائض يكره لها القضاء ، فهذه فروع منقولة والكافر فى معنى ذلك فيجوز له القضاء إن لم يصل الأمر إلى درجة الاستحباب ولا يمكن القول بالتحريم بل ولا بالكراهة ، ويفارق الحائض فإن ترك الصلاة للحائض عزيمة وبسبب ليست متعدية به والقضاء لها بدعة ، ولهذا قالت عائشة لمن سألتها عن ذلك : أحرورية أنت ؟ وقد انعقد الإجماع على عدم وجوب الصلاة عليها ، وترك الصلاة للكافر بسبب هو متعد به وإسقاط القضاء عنه من باب الرخصة مع قول الأكثرين بوجوبها عليه حال الكفر وعقوبته عليها فى الآخرة كما تقرر فى الأصول، فاتضح بهذا الفرق بينه وبين الحائض حيث يكره لها القضاء ولا يكره له بل يجوز أو يندب ، ويقاس بصلاة الكافر جميع فروع الشريعة من زكاة وصوم . هذا ما أخذته من نصوص المذهب .

وأما الأدلة فوردت أحاديث يستنبط منها جواز ذلك بل ندبه : منها ما أخرجه الأئمة الستة وغيرهم عن عمر بن الخطاب أنه قال : « يا رسول الله إنى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال : أوف بنذرك » قال النووى فى شرح مسلم : من قال إن نذر الكافر لا يصح ـ وهم جمهور أصحابنا ـ حملوا الحديث على الاستحباب أى يستحب لك أن تفعل الآن مثل الذى نذرته فى الجاهلية انتهى، وفى هذا دلالة على أن الكافر يستحب له أن يتدارك القُرَب التى لو فعلها فى حال كفره لم تصح منه ولو كان مسلما لزمته ، وهذه دلالة ظاهرة لا شبهة فيها ، وقال الخطابى فى معالم السنن : فى هذا الحديث دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفرائض مأمورون بالطاعة ، وقال القمولى من متأخرى أصحابنا فى الجواهر : إذا نذر الكافر لم يصح نذره لكن يندب له الوفاء إذا أسلم فلو نذر اليهودى أو النصرانى صلاة أو صوما ثم أسلم استحب له الوفاء ويفعل صلاة شرعنا وصوم شرعنا لا صلاة شرعه وصومه ـ هذا كلام القمولى ، وقال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : استدل بهذا الحديث من يرى صحة النذر من الكافر وهو قول أو وجه فى مذهب الشافعى والأظهر أنه لا يصح لأن النذر قربة والكافر ليس من أهل القرب ، ومن يقول بهذا يحتاج إلى أن يؤول الحديث بأنه أمر أن يأتى باعتكاف يوم يشبه ما نذر فأطلق عليه أنه منذور لشبهه بالنذر وقيامه مقامه فى فعل ما نواه من الطاعة (كلام ابن دقيق العيد هنا منقول بالمعنى انظر الشرح ٤ / ١٥٥) ، وعلى هذا يكون قوله : « أوف بنذرك » من مجاز الحذف أو مجاز التشبيه ، ومنها ما أخرجه مسلم عن حكيم بن حزام قال : «قلت يا رسول الله أشياء كنت أفعلها فى الجاهلية ـ يعنى أتبرر بها ـ فقال رسول الله ﷺ أسلمت على ما سلف لك من الخير قلت : فوالله لا أدع شيئا منعته فى الجاهلية إلا فعلت فى الإسلام مثله» قلت : هذا الحديث يؤخذ منه بدلالة الإشارة استدراك ما فات فى الجاهلية فإنه لما صدر منه ما صدر من القربات فى الجاهلية كأنه لم يرها تامة لفقد وصف الإسلام

فأعاد فعلها فى الإسلام استدراكا لما فات من وصف التمام ، وأخرج الحاكم فى المستدرك عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أعتق حكيم مائة رقبة وحمل على مائة بعير فى الجاهلية فلما أسلم أعتق مائة وحمل على مائة بعير » هذا الحديث فيه التصريح بوفائه بما وعد به ، ومنها ما روى أن أبا سفيان لما أسلم قال : يا رسول الله لا أترك موقفا قاتلت فيه المسلمين إلا قاتلت مثله الكفار ولا درهما أنفقته فى الصد عن سبيل الله إلا أنفقت مثله فى سبيل الله ، هذا الحديث صريح بمنطوقه فى استدراك تكفير ما مضى فى الكفر من فعل المناهى وهو غير لازم فيحمل على الندب ويؤخذ من فحواه استحباب استدراك ما مضى فى الكفر من ترك الأوامر، وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه عن عكرمة بن أبى جهل قال قال : « لى النبى ﷺ يوم جئت : مرحبا بالراكب المهاجر مرحبا بالراكب المهاجر فقلت : والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها إلا أنفقت مثلها فى سبيل الله » هذا أيضا من استدراك تكفير ما مضى من فعل المنهيات فى حال الكفر .

(كشف الظنون ١ / ٦٧١ ، والحاوى للفتاوى للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ١/ ٢٧ـ ٢٩) .

*** الحظر والإباحة :**

قال الإمام الجوينى إمام الحرمين فى الحظر والإباحة ، وهو الموضوع بين أقواس ، وما عداه هو شرح الجلال المحلى :

(وأما الحظر والإباحة فمن الناس من يقول : إن الأشياء) بعد البعثة (على الحظر) أى على صفة هى الحظر (إلا ما أباحته الشريعة) فإن لم يوجد فى الشريعة ما يدل على الإباحة فيستمسك بالأصل وهو الحظر (ومن الناس من يقول بضده ، وهو أن الأصل فى الأشياء) بعد البعثة أنها على (الإباحة إلا ما حظره الشرع) والصحيح التفصيل ، وهو أن المضار على التحريم ، والمنافع على الحل، أما قبل البعثة فلا حكم يتعلق بأحد ، لانتفاء الرسول الموصل إليه .

(ومعنى استصحاب الحال) الذى يحتج به كما سيأتى : (أن يستصحب الأصل) أى العدم الأصلى (عند عدم الدليل الشرعى) بأن لم يجده المجتهد بعد البحث الشديد عنه بقدر الطاقة ، كأن لم يجد دليل [دليلاً] على وجوب صوم رجب فيقول : لا يجب باستصحاب الحال ، أى لعدم الأصل، وهو حجة جزما ، وأما الاستصحاب المشهور الذى هو ثبوت أمر فى الزمن الثانى لثبوته فى الأول فحجة عندنا دون الحنفية، فلا زكاة عندنا فى عشرين دينارا ناقصة تروج رواج الكاملة بالاستصحاب ا هـ(شرح الورقات / ٧١ـ ٧٣) .

قال قاضى خان فى « فتاواه » ، فى كتاب الحظر والإباحة : تعلم الكلام والنظر فيه ، والناظرة به قدر الحاجة منهى «عنه » لما ورد عن حماد بن أبى حنيفة رحمه الله ، أنه كان يتكلم فى الكلام ، فنهاه أبوه عن ذلك ، فقال له حماد : رأيتك وأنت تتكلم ، فما بالك تنهانى ؟ فقال : يا بنى ، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه ، وأنتم اليوم تتكلمون ، كل واحد يريد أن يزل صاحبه، فكأنه أراد أن يكفِّر، ومن أراد أن يكفِّر صاحبه ، فقد كفَر قبل أن يكفِّر صاحبه (مفتاح السعادة ٢ / ١٣٥) .

(شرح الورقات فى علم أصول الفقه لجلال الدين المحلى على ورقات أبى المعالى إمام الحرمين / ٧١ ـ ٧٣ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ١٣٥) .

*** حُفَّاظ الإسلام :**

هم كما أحصاهم وترجم لهم القنوجى :

تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية الحرانى .

شمس الدين محمد بن أبى بكر، ابن القيم الجوزى .

أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصفهانى الظاهرى .

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى .

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى .

أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى، ابن الصلاح .

أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى .

أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الواحدى .

أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى .

القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى .

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى .

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ، ابن العربى .

أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الخضر ، ابن تيمية الحرانى .

يوسف بن عبد البر بن محمد النمرى القرطبى .

أبو بكر بن أحمد بن الحسين البيهقى .

أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى .

عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن الخضر، مجد الدين ، أبو البركات ابن تيمية الحرانى .

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى .

كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن الزملكانى .

محمد بن على بن وهب بن مطيع ، تقى الدين ، أبو الفتح ، ابن دقيق العيد .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣/ ٢٩٧ ، ٢٩٨) .

وسنورد تراجم بعضها فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

*** حفاظ الحديث :**

أما الحفاظ فهم الرجال الذين امتازوا بحفظ حديث رسول الله ﷺ . ولا يكتفى فى الحافظ بحفظ المتن نفسه ، بل عليه أن يحفظ سلسلة سند الحديث لا يخرم منه حرفا ، ولا يسقط راويا . وفى ذلك من المشقة وإجهاد الحافظة وتطلب القوة فيها ما ليس فى رواة الأدب والشعر. وكان لحفاظ الحديث فى ذلك مقدرة عجيبة ، فقد حكموا أن عبد الله بن سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٣١٦ هـ كان يحدث فى دار الوزير على بن عيسى ، وقد نصب له السلطان منبرا يحدث عليه ، فلما خرج مرة إلى سجستان سأله أهلها أن يحدثهم ، فقال : ما معى أصل ! فقالوا : ابن أبى داود وأصول ؟ ! فأملى عليهم من حفظه ثلاثين ألف حديث ، فلما قدم بغداد قال البغداديون : مضى ابن أبى داود إلى سجستان ولعب بالناس ! ثم فيجوا فيجا بستة دنانير إلى سجستان ليكتب لهم النسخة فكتبت وجيء بها ، وعرضت على حفاظ بغداد ، فخطّأوه فى ستة أحاديث ! لم يكن أخطأ إلا فى ثلاثة منها .

وتبين لنا القصة التالية وجه المشقة فى حفظ الحديث أكثر من حفظ الشعر ، فقد جاء أبو الفضل الهمذانى المتوفى ٣٩٨ هـ نيسابور فأعجب الناس بكثرة حفظه وتعصبوا له ولقبوه ببديع الزمان . وأعجب الهمذانى بنفسه لأنه كان يحفظ المائة بيت إذا أنشدت بين يديه مرة ، وينشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة ، وبلغ به الإعجاب أنه أنكر على الناس قولهم : فلان الحافظ فى الحديث ، وقال : هل حفظ الحديث مما يذكر؟؟ فسمع به الحاكم النيسابورى، فوجه إليه بجزء من الحديث ، وأمهله أسبوعا فى حفظه ، فرد بديع الزمان إليه الجزء بعد الأسبوع قائلا : من يحفظ هذا ؟ محمد بن فلان ، وجعفر بن فلان، عن فلان ! أسام مختلفة ، وألفاظ متباينة ! فقال له الحاكم : إذن فاعرف نفسك ! واعلم أن حفظ هذا أضيق مما أنت فيه !

هؤلاء هم حفاظ الحديث، وهذه هى مقدرتهم فى حفظ الحديث النبوى، وقد ألفت كتب فى تراجمهم وطبقاتهم ، من أقدمها كتاب « طبقات الحفاظ » للمؤرخ شمس الدين الذهبى « ٧٤٨ هـ »، وقد اقتطعه من كتابه الواسع فى التاريخ وطبقات المشهورين الأعلام . وقد ذيل عليه جماعة من العلماء والمؤرخين ، منهم الحافظ الحسينى الدمشقى «٧٦٥ هـ »؛ والحافظ ابن فهد المكى « ٨٧١ هـ » فى كتابه «لحظ الألحاظ ، بذيل طبقات الحفاظ » ؛ والحافظ السيوطى المؤرخ (٩١١ هـ) التراجم والسير / ٦٠ـ ٦٢) .

وقد كتب العلماء كتبا مستقلة عن حفاظ الحديث وذكر حالاتهم ومن هذه الكتب :

١ ـ « أسماء الحفاظ » للعلامة أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز الأندلسى المشهور بابن الدباغ المتوفى سنة ٥٤٦ هـ قال عنه الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ : « وله جزء لطيف فى أسماء الحفاظ » .

٢ ـ « أخبار الحفاظ » للعلامة ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ونسخة هذا الكتاب مخطوطة موجودة فى المكتبة

الظاهرية بدمشق. والكتاب ليس مقصورا على علماء الحديث وإنما تناول الحفاظ فى الفنون والعلوم الأخرى .

٣ ـ « كتاب أربعين الطبقات » للحافظ شرف الدين أبو الحسن المتوفى سنة ٦١١ هـ .

٤ ـ « طبقات الحفاظ » لشيخ الإسلام تقى الدين ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٣ هـ .

٥ ـ « تذكرة الحفاظ » للحافظ شمس الدين الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى أربعة مجلدات طبع دائرة المعارف الإسلامية (حيدر آباد الدكن) وأعيد طبعه .

٦ ـ « نظم تذكرة الحفاظ » للحافظ إسماعيل بن محمد المعروف بابن بردوس المتوفى سنة ٧٨٦ هـ .

٧ ـ « بديعة البيان فى وفيات الأعيان » لحافظ الشام ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

٨ ـ « التبيان لبديعة البيان » لحافظ الشام ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

٩ ـ « ذيل التبيان » للحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

١٠ ـ « طبقات الحفاظ » للحافظ ابن حجر وقال صاحب كشف الظنون : إنه يقع فى مجلدين .

١١ ـ « تذكرة الحفاظ » للحافظ نجم الدين عمر بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

وغير ذلك كثير وكثير (الإمام ابن ماجه صاحب السنن / ٢٢ ، ٢٣) .

على أننا لا يجدر بنا إغفال كتاب « الكمال » الذى ألفه أبو محمد عبد الغنى المقدسى الجماعيلى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ وجعله معجما مطولا لأسماء رجال الحديث الذين وردوا فى كتب الحديث الستة ، ورتبه على حروف الهجاء . ثم جاء أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فهذبه فى كتاب أسماه « تهذيب الكمال » ، وجاء المؤرخ الذهبى فرتب التهذيب ولخصه وزاد عليه وأسماه « تذهيب تهذيب الكمال » ، ثم جاء ابن حجر العسقلانى المؤرخ المحدث الحافظ (٨٥٢ هـ) فهذب تهذيب الكمال فى كتاب أسماه « تهذيب تهذيب الكمال ، فى معرفة الرجال » طبع بالهند فى اثنى عشر جزءا سنة ١٣٢٥ هـ ، فكان آخر ما انتهت إليه طبقات رجال الحديث من التهذيب والإتقان .

على أننا لا ننسى معاصرا لابن حجر ألف كتابا فى « طبقات المحدثين » من زمن الصحابة إلى أوائل القرن التاسع ، وهو سراج الدين عمر بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ هـ .

كما أن الهيثم بن عدى (٢٠٧ هـ) ألف كتابا فى طبقات الفقهاء والمحدثين ، فكان بذلك أقدم من نعرف من المؤلفين فى طبقات رجال الحديث (التراجم والسير / ٦٠) .

قالت المؤلفة : نضيف هنا كتابا عندى هو طبقات الحفاظ للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، وبه ١١٩٠ ترجمة .

(التراجم والسير ـ محمد عبد الغنى حسن / ٦٠ ـ ٦٢ ، والإمام ابن ماجه صاحب السنن ـ أ . د عبد العزيز عزت عبد الجليل . هدية مجلة الأزهر . ذى القعدة ١٤١٠ هـ / ٢٢ ، ٢٣) .

انظر : الحافظ .

* **حفاظ القرآن ورواته :**

معرفة حفاظ القرآن ورواته هو النوع العشرون من علوم القرآن الكريم كما صنفها الحافظ السيوطى الذى يقول :

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب » أى تعلموا منهم . والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبدوء بهما ، واثنان من الأنصار ، وسالم هو ابن معقل مولى أبى حذيفة ومعاذ هو ابن جبل . قال الكرمانى : يحتمل أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده : أى أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك . وتعقب بأنهم لم ينفردوا ، بل الذين مهروا فى تجويد القرآن بعد العصر النبوى أضعاف المذكورين ، وقد قتل سالم مولى أبى حذيفة فى وقعة اليمامة ، ومات معاذ فى خلافة عمر ومات أبى وابن مسعود فى خلافة عثمان ، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة فى القراءة وعاش

بعدهم زمنا طويلا فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم فى الوقت الذى صدر فيه ذلك القول ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد فى ذلك الوقت شاركهم فى حفظ القرآن ، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة . وفى الصحيح فى غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا . روى البخارى أيضا عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال أربعة كلهم من الأنصار : أُبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قلت : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتى . وروى أيضا من طريق ثابت عن أنس قال : مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين : أحدهما التصريح بصيغة الحصر فى الأربعة ، والآخر ذكر أبى الدرداء بدل أبى ابن كعب وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر فى الأربعة .

وقال المازرى : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع فى نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى البلاد ؟ وهذا لا يتم إلا إن كان لقى كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع فى عهد النبى ﷺ، وهذا فى غاية البعد فى العادة . وإذا كان المرجع إلى ما فى علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره . سلمناه ولكن من أين لهم أن الواقع فى نفس الأمر كذلك ، سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبى : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل فى عهد النبى ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا فى ذهنه دون غيرهم . وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : الجواب عن حديث أنس من أوجه .

أحدها : أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه .

الثانى : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها إلا أولئك .

الثالث : لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك .

الرابع : أن المراد بجمعه تلقيه من فى رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدوا إلى إلقائه وتعليمه فاشتهروا به ، وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة . فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه . وأما هؤلاء فجمعوه كتابه وحفظوه عن ظهر قلب .

السابع : المراد أن أحدا لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك ، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك ، لأن أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية ، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير .

الثامن : أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه . وقد أخرج أحمد فى الزهد من طريق أبى الزاهرية أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال : إن ابنى جمع القرآن ، فقال : اللهم غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع . قال ابن حجر: وفى غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير. قال : وقد ظهر لى احتمال آخر، وهو أن المراد بإثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط ، فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين لأنه قال ذلك فى معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ، كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس : منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن أبى ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر، ومن حمته الدبر عاصم

ابن أبي ثابت : أى ابن أبى الأقلح ، فقال الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ، فذكرهم . قال : والذى يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله ﷺ، ففى الصحيح أنه بنى مسجدا بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن . وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك . قال : وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبى بكر على تلقى القرآن من النبى ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة : إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشيا . وقد صح حديث « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » وقد قدمه ﷺ فى مرضة إماما للمهاجرين والأنصار، فدل على أنه كان أقرأهم اهـ . وسبقه إلى نحو ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشتة فى المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : مات أبو بكر ولم يجمع القرآن ، وقتل عمر ولم يجمع القرآن . قال ابن أشتة : قال بعضهم : يعنى لم يقرأ جميع القرآن حفظا . وقال بعضهم : هو جمع المصاحف . قال ابن حجر: وقد ورد عن على أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ﷺ. أخرجه ابن أبى داود وأخرج النسائى بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو قال «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ النبى ﷺ فقال : «اقرأه فى شهر » الحديث . وأخرج ابن أبى داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظى قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصارى . وأخرج البيهقى فى المدخل عن ابن سيرين قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبى بن كعب، وأبو زيد، واختلفوا فى رجلين من ثلاثة : أبى الدرداء وعثمان ، وقيل عثمان وتميم الدارى . وأخرج هو وابن أبى داود عن الشعبى قال : جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ ستة : أُبى ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعيد بن عبيد، وأبو زيد ومجمع بن جارية ، وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاثا . وقد ذكر أبو عبيد فى كتاب القراءات : القراء من أصحاب النبى ﷺ، فعدَّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة . ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد، وصرح بأن بعضهم إنما كمله بعد النبى ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور فى حديث أنس . وعد ابن أبى داود منهم تميما الدارى وعقبة بن عامر . وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعرى ، ذكره أبو عمرو الدانى .

[تنبيه] أبو زيد المذكور فى حديث أنس اختلف فى اسمه ، فقيل سعد بن عبيد بن النعمان أحد بنى عمرو بن عوف . ورد بأنه أوسى وأنس خزرجى ، وقد قال : إنه أحد عمومته ، وبأن الشعبى عده هو وأبو زيد جميعا ، فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدل على أنه غيره . وقال أبو أحمد العسكرى : لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد . وقال محمد بن حبيب فى المحبر: سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبى ﷺ . وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبى داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبى صعصعة وهو خزرجى يكنى أبا زيد فلعله هو . وذكر أيضا سعيد بن المنذر ابن أوس زهير وهو خزرجى أيضا ، لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد . قال : ثم وجدت عند ابن أبى داود ما رفع الإشكال ، فإنه روى بإسناد على شرط البخارى إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذى جمع القرآن اسمه قيس بن السكن . قال: وكان رجلا منا من بنى عدى بن النجار أحد عمومتى ومات ولم يدع عقبا ونحن ورثناه . قال ابن أبى داود : حدثنا أنس بن خالد الأنصارى ، قال : هو قيس بن السكن بن زعوراء من بنى عدى بن النجار، قال ابن أبى داود : مات قريبا من وفاة رسول الله ﷺ، فذهب علمه ولم يؤخذ عنه ، وكان عقبيا بدريا . ومن الأقوال فى اسمه ثابت وأوس ومعاذ .

فائدة : ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدها أحد ممن تكلم فى ذلك ، فأخرج ابن سعد فى الطبقات : أنبأنا الفضل بن دكين ، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع قال : حدثتنى جدتى عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، وكانت

قد جمعت القرآن « أن رسول الله ﷺ حين غـزا بدرا قالت له : أتأذن لى فأخرج معك أداوى جـرحاكم وأمرض مـرضاكم لعل الله يهدى لى شهادة ؟ قال : إن الله مهد لك شهادة » وكان ﷺ قد أمـرها أن تؤم أهل دارها وكـان لها مؤذن ، فغمها غـلام لها وجارية كانـت قد دبرتهما فقتلاها فى إمـارة عمر، فقال عمر: صدق رسـول الله ﷺ كان يقـول « انطلقوا بنـا نزور الشهيـدة » (الإتقان ١ / ٩٣ـ٩٦) .

(الإتقان فى علوم القرآن ١ / ٩٣ـ٩٦) . لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٩٣ـ٩٦) .

*** الحفر فى الحجر والجص:**

انظر : الحجر والجص والرخام .

*** الحفر فى الخشب :**

انظر : الخشب .

*** الحفر فى العاج والعظم :**

انظر : العاج والعظم .

*** الحفر فى المعادن :**

انظر : المعادن .

*** حفص بن سليمان (٩٠ـ١٨٠ هـ / ٧٠٩ـ٧٩٦ م) :**

أحد راويى عاصم (حفص وشعبة)

وهـو حفص بن سليمان بن المغيـرة أبو عمـر بن أبى داود الأسدى الكوفى الغاضرى البزاز ويعرف بحفيص .

أخـذ القـراءة عـرضا وتلقينـا عن عـاصم وكـان ربيبـه ابن زوجته .

ولد سنة تسعين ، قال الدانى وهـو الذى أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة ، ونزل بغداد فأقـرأ بها وجاور بمكة فأقرأ بها أيضا ، وقال يحيى بن معين الرواية الصحيحة التى رويت عن قـراءة عاصم روايـة أبى عمـر حفص بن سليمـان ، وقال أبـو هشـام الرفـاعى: كـان حفص أعلمهم بقـراءة عاصم . وقـال الذهبى أمـا القراءة فثقـة ، ثبت ضابط لهـا بخلاف حـاله فى الحديث قال ابـن المنادى قرأ على عاصم مـرارا وكان الأولون يعـدونه فى الحفظ فـوق أبى بكر بن عيـاش ويصفونـه بضبط الحروف التى قرأ على عاصـم ، وأقرأ الناس دهرا وكانت القراءة التى أخذها عن عاصم ترتفع إلى على بن أبى طالب رضى الله عنـه ، فقد روى عن حفص أنـه قال قلت لعـاصـم : أبو بكـر شعبة يخالفنى فى القراءة فقال : أقرأتك بما أقرأنى به أبو عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طـالب وأقرأته بما أقـرأنى به زر بن حبيش عن عبـد الله بن مسعود ، قـال ابن مجاهـد بينه وبين أبى بكـر من الخلف فى الحـروف خمسمـائة وعشـرون حرفا فى المشهـور عنهما وذكر حفص أنه لم يخـالف عاصما فى شىء من قراءته إلا فى حرف الروم (س ٣٠ ، ٥٤) ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ [الروم : ٥١] قرأه بـالضم وقرأه عاصم بالفتح .

وروى القراءة عنه عرضا وسماعا أناس كثيرين منهم حسين ابن محمـد المروزى وحمـزة بن القـاسم الأحول وسليمـان بن داود الزهرانى وحمـدان بن أبى عثمـان الـدقاق والعبـاس بن الفضل الصفـار وعبد الرحمن بـن محمد بن واقد ومحمـد بن الفضل زرقـان وخلف الحـداد وعمـرو بن الصبـاح وعبيـد بن الصباح وهبيـرة بن محمد التمار وأبـو شعيب القواس والفضل ابن يحيى بـن شـاهـى بن فـراس الأنبـارى وحسيـن بن على الجعفى وأحمـد بن جبيـر الأنطاكى وسليمـان الفقيمى تـوفى سنة ثمانين ومائة على الصحيح (البحث والاستقراء / ٤٤ / ٤٥) .

يلزم القارئ برواية حفص أن يعرف مذهبه فيما يلى :

١ ـ سهَّل حفص الهمـزة الثـانيـة بين بين أى بينهـا وبين الألف فـى لفظ : ﴿ ءاعجمـى ﴾ فى قـوله تعالى فـى سورة فصلت : ﴿ ءاعجمى وعربى ﴾ ولم يسهِّل فى القـرآن إلا فى هذه الهمزة .

٢ ـ أمال الـراء والألف فى لفظ : ﴿ مجريها ﴾ فى قوله تعالى فى سورة هود ﴿ بسم الله مجريها ومرسيها ﴾ ولم يمل فى القرآن إلا فى هذا اللفظ .

٣ ـ له فى نـون ﴿ تأمنـا ﴾ فى سـورة يوسف وجهـان : الإشمام والروم .

٤ ـ لـه الإظهار والإدغـام فى الكلمـات الآتية : ﴿ يلهث ذلك ﴾ فى سورة الأعراف [١٧٦] ، ﴿ اركب معنا ﴾ فى سورة هود ، ﴿ يسٓ * والقـرآن الحكيم ﴾ صدر سـورة يس، ﴿ نٓ والقلم ﴾ أول سورة القلم .

٥ ـ له فتح الضاد وضمها في كلمة : ضعف : وكلمة «ضعفا» في قوله تعالى في سورة الروم : ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم : ٥٤] .

٦ ـ له إشباع هاء الضمير بقدر حركتين عند الوصل في كلمة (فيه) في قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ .

٧ ـ تجوز له القراءة بالسين والصاد في الكلمات الآتية : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ في سورة البقرة . ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ في الأعراف ، ﴿ أم المسيطرون ﴾ في الطور ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ في الغاشية .

٨ ـ يجوز له السكت وتركه عند الوصل على ألف ﴿عوجا﴾ في قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ وعلى ألف ﴿ مرقدنا ﴾ في قوله تعالى في سورة يس : ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ وعلى (نون) ﴿ من ﴾ في قوله تعالى في سورة القيامة : ﴿وقيل من راقٍ ﴾ وعلى لام ﴿ بل ﴾ في قوله تعالى في سورة المطففين : ﴿ كلا بل ران ﴾ (ملخص أحكام التجويد / ١٣٦ ، ١٣٧) .

وقد صاغ ذلك نظما الشيخ محمد بن محمد جابر المصري فقال :

وما كان حفص ساكتا عند قصره
وسكتا على إظهار باركب فأهملا
وفي عوجا مع إخوة خُصَّ سكته
بما قبل همز إن بالأربع يهملا
وترقيق فرق خص بالمد واقصُرَن
بحذفك آتاني لدى الوقف مبتلا
وسكتا له خصص بالاثبات وامنعا
لسكت بضم حرف ضعف ومالا
ويس بالإظهار خص بسكته
كسين مسيطر صاد غاشية تلا
وقصرا وسكتا خصصن لحفصهم
بحذف له وقفا بحرف سلاسلا
واظهار يلهث خصصن بمده
وسكتا بموصول بالإظهار أهملا

(مختصر قواعد التحرير / ٣٦) .

وعن تحديد حفص في نوعي المد قال الشيخ السمنودي :

والمد قبل الهمز وسط وامددا
خمسا وكالمتصل قف بست زائدا
والرفع أشمم مطلقا ورمه
كالجر بالذي به تصله
ثلاثة نصبا وخمسة بجر
وأوجه الرفع ثمان تعتبر
وفي اجتماعه بذي انفصال
أو جمعه مع وصل ذي اتصال
أربعة نصبا وستة بجر
وعشرة في حالة الرفع تقر

(تلخيص لآلئ البيان / ١٢) .

قالت المؤلفة : ورمز حفص في الشاطبية هو (ع) .

(البحث والاستقراء في تراجم القراء ـ محمد الصادق قمحاوي / ٤٤ ، ٤٥ ، وملخص أحكام التجويد ـ د. شعبان محمد إسماعيل / ١٣٦ ، ١٣٧ ، ومختصر قواعد التحرير ـ محمد بن محمد جابر المصري . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه / ٣٦ ، وتلخيص لآلئ البيان في تجويد القرآن ـ إبراهيم علي علي شحاتة السمنودي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده . للطبعة الثانية ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤م/ ١٢ انظر أيضا الأعلام للزركلي ٢ / ٢٦٤ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٣٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري ١ / ٢٥٤) .

انظر : الدوري .

* **حفص بن عمر :**

انظر : الدوري .

* **حفص بن غياث (١١٧ - ١٩٤ هـ / ٧٣٥ - ٨١٠ م) :**

حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الأزدي الكوفي ، أبو عمر ، قاض ، من أهل الكوفة . ولي القضاء

ببغداد الشرقية لهارون الرشيد ، ثم ولاه قضاء الكوفة ومات فيها (الأعلام ٢ / ٢٦٤) .

ولد حفص بالكوفة سنة ١١٧ هـ ونشأ وتربى بها وتعلم أولا بها وتلقى عن رجالها ثم أخذ العلم عن شيوخ عصره وأعلامه الثقات من أمثال هشام بن عروة وإسماعيل بن أبى خالد وسليمان الأعمش وأبى إسحاق الشيبانى وجعفر بن محمد بن على وسفيان الثورى ومن فى طبقتهم .

وتلقى عنه أعلام مشهود لهم بالورع والتقى والصلاح والاستقامة ، من أمثال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى ابن المدينى و إسحاق بن راهويه وعامة الكوفيين .

وكان حفص كثير الحديث حافظا له ، ثبتا فيه ، وكان مقدما عند المشايخ الذين سمع منهم الحديث . وكان يحدث بالكوفة وبغداد من حفظه لم يخرج كتابا وكتبوا عنه أربعة آلاف حديث من حفظه .

وكانت تربطه صداقة ومودة وزمالة علمية بكل من عبد الله ابن إدريس ووكيع بن الجراح وقد بلغ ثلاثتهم فى العلم والعمل شأوا بعيدا حتى أصبحوا ممن يشار إليهم بالبنان ، وكان ثلاثتهم ممن وقع عليهم اختيار الرشيد من رجال دولته ليسند إليهم القضاء ، أما صاحباه فاحتال كل منهما للتخلص من مسئولية القضاء وأما غياث فأسند إليه القضاء (اعلام القضاء فى الإسلام / ١٥٤) .

له « كتاب » فيه نحو ١٧٠ حديثا من روايته . وهو صاحب أبى حنيفة ، ويذكره الإمامية فى رجالهم (الأعلام ٢ / ٢٦٤) انظر : الإمامية .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٦٤ ، وأعلام القضاء فى الإسلام - د. محمد إبراهيم الجيوشى / ١٥٤) .

*** حفص الدورى :**

انظر : الدورى .

*** حفص القارئ :**

انظر : الدورى .

*** أبو حفص النيسابورى (ـ ٢٧٠ هـ أو نحوها) :**

أدرجه الإمام أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقات الأولى للصوفية .

هو أبو حفص عمرو (أو عمر) بن سلمة ـ وقيل ابن سلم ـ والأول أصح ، وصناعته الحدادة ، ولذلك يقال أبو حفص الحداد (الموسوعة الصوفية / ٣٩٨) وهو من أهل قرية يقال لها « كورداباذ » على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى . توفى أبو حفص سنة سبعين ومائتين وقيل سنة سبع وستين ومائتين (طبقات الصوفية / ٢٧) وتخرج عليه عامة أعلام صوفية نيسابور ، ومنهم أبو عثمان النيسابورى ، وشاه الكرمانى ، وكان من أصحاب أحمد بن خضرويه ، وكلامه وسلوكه فى الفتوة، فهو الفتى حقا ، والتصوف عنده ليس إلا الآداب ، ولكل وقت أو مقام أدبه ، ومن لزم الآداب بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن أنه قريب، ومردود من حيث يرجو القبول (الموسوعة الصوفية / ٣٩٨، ٣٩٩) .

صحب عبيد الله بن مهدى الأبيوردى ، وعليا النصراباذى ، ورافق أحمد بن خضرويه البلخى ، وكان أحد الأئمة والسادة ، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرمانى ، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل ـ كما سبق القول ...

وقال محمش الجلال . « صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط، وما يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة ، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله ، حتى كان يرى ذلك جميع من حضره » .

وكان أبو حفص إذا غضب تكلم فى حسن الخلق حتى يسكن غضبه ، ثم يرجع إلى حديثه . ومن كلامه :

ـ المعاصى بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت .

ـ وقال مرة ـ وقد ذكر الله تعالى، وتغير عليه حاله ـ فلما رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين ! فما أظن أن محقا يذكر الله من غير غفلة ، ثم يبقى بعد ذلك حيا ، إلا الأنبياء ، فإنهم أيدوا بقوة النبوة ، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم .

ـ من إهانة الدنيا أنى لا أبخل بها على أحد، ولا أبخل بها على نفسى ، لاحتقارها واحتقار نفسى عندى .

ـ وقال محمد بن بحر الشجينى أخو زكريا : « كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال . فقال لى يوما أبو حفص : إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يغنيك . فذهب خوف الفقر من قلبى رأسا » .

ـ الفقير الصادق الذى يكون فى كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته ، يستوحش منه وينفيه .

ـ ما أعز الفقر إلى الله ، وأذل الفقر إلى الأشكال ، وما أحسن الاستغناء بالله ، وأقبح الاستغناء باللئام .

ـ واجتمع مشايخ بغداد عند أبى حفص ، وسألوه عن الفتوة ، فقال : تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان . فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوى عندى أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته .

ـ ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من فيها من المشايخ والفتيان ، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ، ما هى؟ فقال : « الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة ، لا نطقا » فتعجبوا من كلامه .

ـ وسئل : هل للفتى من علامة ؟ قال : نعم ، من يرى الفتيان ، ولا يستحى منهم فى شمائله وأعماله ، فهو فتى .

ـ ما دخل قلبى حق ولا باطل منذ عرفت الله .

ـ تركت العمل فرجعت إليه ، ثم تركنى العمل فلم أرجع إليه .

ـ الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله لاحتياجك إليه .

ـ وقال له رجل : إن فلانا من أصحابك ، أبدا يدور حول السماع ، فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه . فقال أبو حفص : أى شىء يعمل الغريق ؟ يتعلق بكل شىء يظن نجاته فيه .

ـ حرست قلبى عشرين سنة ، وحرسنى قلبى عشرين سنة ، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعا .

ـ من تجرَّع كأس الشوق يهيم هياما ، ولا نفيق إلا عند المشاهدة واللقاء .

ـ إذا رأيت المحب ساكنا هادئا فاعلم أنه وردت عليه غفلة ، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ ، بل يزعجه فى الدنو والبعد ، واللقاء والحجاب .

ـ التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب . فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول .

ـ الحال لا يفارق العلم ، ولا يفارق القول .

ـ من يعطى ويأخذ فهو رجل ، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل ، ومن لا يعطى ولا يأخذ فهو همج لا خير فيه . وسئل أبو عثمان الحيرى النيسابورى راوى هذا الكلام عن أبى حفص عن معناه فقال : « من يأخذ من الله ويعطى لله فهو رجل ، لأنه لا يرى فيه نفسه بحال ، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل لأنه يرى نفسه فى ذلك ، فيرى أن له ـ بألا يأخذ ـ فضيلة ، ومن لا يأخذ ولا يعطى فهو همج ، لأنه يظن أنه الآخذ والمعطى ، دون الله تعالى » .

ـ ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه .

ـ وسئل عن قول الله عز وجل : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ [النساء : ١٩] فقال : المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما ساءك ، ومن كرهت صحبتها .

ـ وسئل عن البخل فقال : ترك الإيثار عند الحاجة إليه .

ـ وسئل : من الولى؟ فقال : من أيد بالكرامات ، وغيب عنها

ـ ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح .

ـ وسئل عن أحكام الفقر وآدابها على الفقراء فقال : حفظ حرمات المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر ، وترك الخصومات فى الأرزاق ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الادخار ، وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة فى أمور الدين والدنيا .

ـ وسئل : من العاقل؟ فقال : المطالب نفسه بالإخلاص .

ـ وسئل عن العبودية ، فقال : ترك ما لك ، والتزام ما أمرت به .

- من رأى فضل الله عليه في كل حال أرجو ألا يهلك .

- لا تكن عبادتك لربك سببا لأن تكون معبودا .

- إني لا أدعي حسن الخلق، لأني أحس من نفسي سرعة الغضب وإن لم أظهره، ولا أدعي السخاء، لأني لست آمن من نفسي أن تلاحظ فعله ، أو تلتفت إليه ، أو تذكر عطاءه وقتا ما .

- وسئل : ما البدعة ؟ فقال : التعدي في الأحكام، والتهاون في السنن ، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع .

- وسئل : من الرجال؟ فقال : القائمون مع الله تعالى بوفاء العهود . قال الله تعالى : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

- الإيثار أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك ، في أمر آخرتك ودنياك .

(الموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفني / ٣٩٨، ٣٩٩، وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي - يسره ورتبه أحمد الشرباصي / ٢٧-٢٩) .

***حفصة بنت عمر بن الخطاب (١٨ ق هـ-٤٥ هـ / ٦٠٤-٦٦٥م) :**

حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرشية العدوية رضي الله عنها . صحابية جليلة صالحة من أزواج النبي ﷺ . أمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح (السمط الثمين / ٦٧ والأعلام ٢ / ٢٦٥) . ولدت بمكة وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي ، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها ، فزوجه إياها ، سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة ، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها (الأعلام ٢ / ٢٦٥) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما « أن عمر حين تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، وكان من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرا، وتوفي بالمدينة ، قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة . فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ؟ فقال : سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيته ، فعرضت عليه . فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي فلقيت أبا بكر رضي الله عنه . فقلت له : إن شئت أنكحتك حفصة ابنة عمر ؟ فصمت، ولم يرجع إلي شيئا . فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبثت ليالي . ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر رضي الله عنه . فقال : لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا . فقلت : نعم . فقال : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها . أخرجه البخاري والنسائي .

(تأيمت) المرأة : إذا مات زوجها أو فارقها، وقيل الأيم التي لا زوج لها تزوجت أو لم تتزوج، والرجل أيضا أيم (تيسير الوصول ٤ / ٢٢٢) .

يقول السيد محمد رشيد رضا :

نعم إن رسول الله ﷺ تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة فكان هذا قرة عين لصاحبه ووزيره الأول وخير مكافأة له في الدنيا على صدقه وإخلاصه، فلما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني رأى أن يساوي بينه وبين أبي بكر في تشريفهما بمصاهرته ، ولم يكن في الإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا . فتزوج حفصة في السنة الثالثة وقيل في الثانية ولولا ذلك لكانت حسرة في قلب عمر ، فما أجل سياسته ﷺ وما أعظم وفاءه للأوفياء له .

ويقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلي رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته وهؤلاء الأربعة أعظم أصحابه في حياته وخلفاؤه في إقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته (نداء الجنس اللطيف / ٦٢) .

قال صاحب السمط الثمين :

ذكر من شهد من بيت حفصة رضي الله عنها بدرا :

شهد بدرا من بيتها أبوها عمر رضي الله عنه وعمها زيد وزوجها خنيس بن حذافة السهمي وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة بنو مظعون والسائب بن عثمان بن مظعون ابن خالها ذكره الدارقطني .

ذكر وفاة حفصة رضى الله عنها :

قال الواقدى توفيت حفصة رضى الله عنها فى شعبان سنة خمس وأربعين فى خلافة معاوية وهى ابنة ستين سنة وقيل سنة إحدى وأربعين وكذلك حين بايع الحسن معاوية وقيل سنة سبع وعشرين فى خلافة عثمان ذكره أبو سعيد الملا وأوصت إلى أخيها عبد الله بما كان أوصى به إليها عمر رضى الله عنه من صدقته ذكره أبو عمر وصاحب الصفوة وصلى عليها أخوها عبد الله (السمط الثمين / ٦٩) .

قال صاحب الأعلام : روى لها البخارى ومسلم فى الصحيحين ٦٠ حديثا (الأعلام ٢ / ٢٦٥) أما صاحب الرياض المستطابة فقال : خرّج لها الجماعة ، ولها فى الصحيحين عشرة أحاديث ، اتفقا على أربعة ، ولمسلم ستة . روى عنها أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجته صفية بنت أبى عبيد (الرياض المستطابة / ٣١٢) .

قال الإمام النووى : وروى ابن سعد بإسناده عن عمر رضى الله عنه أنه قال . ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين ، وأوصى عمر إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بن عمر. وروى ابن سعد عن نافع قال : ما ماتت حفصة حتى ما تفطر، قال ابن سعد: قال الواقدى: توفيت حفصة فى شعبان سنة خمس وأربعين وهى بنت ستين سنة . وقال أبو معشر : توفيت سنة إحدى وأربعين . وقال ابن أبى خيثمة : توفيت أول ما بويع معاوية ، وبويع معاويه فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وقال أحمد بن محمد بن أيوب: توفيت سنة سبع وعشرين ونحوه . قال ابن قتيبة فى المعارف قال : توفيت فى خلافة عثمان ، وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة خمسين . وروينا فى تاريخ دمشق عن مصنفه قال لا أدرى قول من قال توفيت سنة ثمان وعشرين محفوظا . وروى ابن سعد أن مروان بن الحكم صلى عليها ، وحمل بين عمودى سريرها من عند دار آل حزم إلى دار المغيرة بن شعبة ، وحمله أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها . ونزل فى قبرها أخواها عبد الله وعاصم ، وبنو أخيها سالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله وروى لها عن رسول الله ﷺ ستون حديثا والله أعلم (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩)

(السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين أحمد ابن عبد الله الطبرى / ٦٧ ، ٦٩ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ٢٢٢ ، ونداء الجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٦٢ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٣١٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، انظر أيضا المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م ، ١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٧٥ ، والأنباء المستطابة فى مناقب الصحابة والقرابة لابن سيد الكل - تحقيق عبد الجبار زكار ود. على أحمد / ١٠٤ ، وصفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - ضبطها وكتب هوامشها رمضان وسعيد اللحام ٢ / ٢٨ ، ٢٩) .

*** الحفصية :**

قال صاحب التعريفات : هم أصحاب أبى حفص بن أبى المقدام ، زادوا على الإباضية أن بين الإيمان والشرك معرفة الله فإنها خصلة متوسطة بينهما (التعريفات / ١٢٢) .

وقال صاحب الفَرق بين الفِرق : هؤلاء قالوا بإمامة حفص ابن أبى المقدام ، وهو الذى زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله تعالى وحدها ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه : من رسول ، أو جنة ، أو نار ، أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر المحرمات ، فهو كافر برىء من الشرك ومن جهل بالله تعالى وأنكره فهو مشرك ... ثم قالوا بعد هذا كله : إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل ، وهذا نقيض قولهم إن الفصل بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده ، وإن من عرفه فقد برىء من الشرك وإن كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار ، فصار قولهم فى هذا الباب متناقضا (الفَرق بين الفِرق / ٧١) .

(التعريفات للشريف الجرجانى - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٢٢ ، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى / ١/ ١ . انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٠٩ ، والملل والنحل للشهرستانى - تحقيق محمد سيد كيلانى ١/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى ، ومعه كتاب المرشد الأمين

إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين طه عبد الرءوف سعد ومصطفى الهوارى / ٦٦ ، ١٠٥) .

* **الحفصيون (١٢٢٨ ـ ١٥٣٤ م) :**

كتب بدر الدين العينى فى أحداث سنة ٦٥٣ هـ عن الحفصيين يقول : وقال الشيخ الفاضل ركن الدين (هو ركن الدين بن قويع التونسى) : الحفصيون الذين ملكوا تونس أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، بتاءين مثناتين من فوق ، وهى قبيلة من المصامدة ، ويزعمون أنهم قرشيون من بنى عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... ثم يذكر العينى من ملك تونس من الحفصيين حتى اللحيانى الذى يقول إنه « صاحب تونس فى زماننا هذا ، وهو سنة ثمانى عشرة وسبعمائة (عقد الجمان ١ / ١٠٠ ، ١٠٧) .

وجاء عن الحفصيين فى الموسوعة الثقافية ما يلى : أسرة من البربر حكمت إفريقية (تونس) أولها أبو حفص يحيى بن عمرو الهنتاتى ، وهو ينتسب إلى فرع من الموحدين . قام بدور هام فى تدعيم نفوذ الموحدين فى المغرب والأندلس . تمتعت الدولة الحفصية من بعده باستقلال واتساع ملك ، وظلت فى الحكم زهاء ثلاثة قرون ونصف قرن على الرغم من الأحداث التى واجهتها (الموسوعة الثقافية / ٤٠٦) .

(عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ١٠٠ ، ١٠٧ ، والموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٦ . انظر أيضا « النظام السياسى عند الحفصيين » ـ الأستاذ صالح أبو دياك . بحوث فى تاريخ الحضارة الإسلامية فى ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكرى / ٢١٩ ـ ٢٣٥) .

٥٦ ـ بنو حفص

(بتونس)

١ ـ أبو زكريا يحيى [الأول] ، (استقل عن الموحدين)[1] ... سنة ٦٢٥ هـ

٢ ـ أبو عبد الله محمد [الأول] المنتصر [2] ... ٦٤٧

٣ ـ أبو زكريا يحيى [الثانى] ، الواثق ، (خلعه إبراهيم الأول) ٦٧٥

٤ ـ أبو إسحاق إبرهيم [الأول] ، (أعدم سنة ٦٨١) ٦٧٨

الانقسام :

أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة [3] (الدعى) ... رمضان ٦٨١

٥ ـ أبو حفص عمر [الأول] ، (بتونس) ٦٨٣

أبو زكريا يحيى المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم [الأول] ٦٨٣ (ببجاية حتى سنة ٦٩٨) ... ...

٦ ـ أبو عبد الله (أبو عصيده) محمد [الثانى] المنتصر بن يحيى[الثانى] (بتونس) أبو البقاء خالد الناصر [الأول] (ببجاية . ثم انفرد بالحكم بعد ذلك) ٦٩٩ ٦٩٤

٧ ـ أبو بكر [الأول] الشهيد بن يحيى [الأول] (ببجاية . ثم انفرد بالحكم) ... ٧٠٩

٨ ـ أبو البقاء خالد [الأول] الناصر ، (وحده) ٧٠٩

أبو بكر [الثانى] المتوكل ، (بقسنطينة وبجاية) ٧١١

٩ ـ أبو يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد ، (بتونس)[4] ٧١١

١٠ ـ أبو ضربه محمد [الثالث] المستنصر ، (بتونس) ٧١٧

١١ ـ أبو يحيى أبو بكر [الثانى] المتوكل ، (وحده) ٧١٨

١٢ ـ أبو حفص عمر [الثانى] ٧٤٧

الاحتلال المرينى ٧٤٧

أبو العباس أحمد [الأول] الفضل (بقسنطينة وبجاية) ٧٤٩

أبو زيد عبد الرحمن بن أبى بكر [الثانى] ، (بقسنطينة) ٧٤٩

أبو عبد الله محمد المنصور بن أبى بكر الثانى ، (ببجاية) ٧٤٩

١٣ ـ أبو العباس أحمد [الأول] الفضل المتوكل ، (نهائيا) ٧٥٠

(١) اتخذ لقب أمير.

(٢) بعد أن طرد العباسيون من بغداد سنة ٦٥٦ اتخذ لنفسه لقب الخليفة وأمير المؤمنين وأيده شريف مكة أبو نمى محمد الأول . ذكر ابن خلدون (ج ٦ ص ٢٨٠) ولين بول « دول إسلامية » ترجمة خليل أدهم (ص ٥٤) أن لقبه المستنصر ، المترجم .

(٣) انظر ابن خلدون (ج٦ ص ٣٠٢) . المترجم .

(٤) يذكر ابن خلدون (جـ٦ ص ٣٢٥) إن اسمه أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن اللحيانى . المترجم .

١٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم [الثاني] المستنصر (بتونس) (حتى سنة ٧٧٠) ٧٥١

استولى بنو مرين على بجاية ٧٥٤

احتل بنو مرين افريقية كلها للمرة الثانية ٧٥٨

أبو إسحق إبراهيم [الثاني] المستنصر، (استقر بتونس، توفى فى ٨ المحرم سنة ٧٩٣ (١)) ٧٥٨

أبو عبد الله محمد المنصور بن أبي بكر [الثاني] ، (استقر ببجاية) ٧٦١

١٥ ـ أبو البقاء خالد [الثاني] بن إبراهيم [الثاني]، (بتونس) ٧٧٠

١٦ ـ أبو العباس أحمد [الثاني] المستنصر، (وحده) ٧٧٢

١٧ ـ أبو فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد [الثاني] ٧٩٦

١٨ ـ أبو عبد الله محمد [الرابع] المنتصر بن محمد ... ... ذو الحجة ٨٣٧

(١) بمدينة قسنطينة بالجزائر .

١٩ ـ أبو عمر عثمان بن محمد [الرابع](٢) صفر ٨٣٩

٢٠ ـ أبو زكريا يحيى [الثالث] بن مسعود بن محمد [الرابع] ٨٩٣

٢١ ـ أبو عبد الله محمد [الخامس] المتوكل ابن الحسن بن مسعود ٨٩٩

٢٢ ـ أبو عبد الله محمد الحسن بن محمد [الخامس] ٩٣٢

الفتح التركي الأول بقيادة خير الدين بارباروس ٩٤١

الحسن، (أعيد إلى الحكم كعامل لشارل الخامس) ٩٤٢

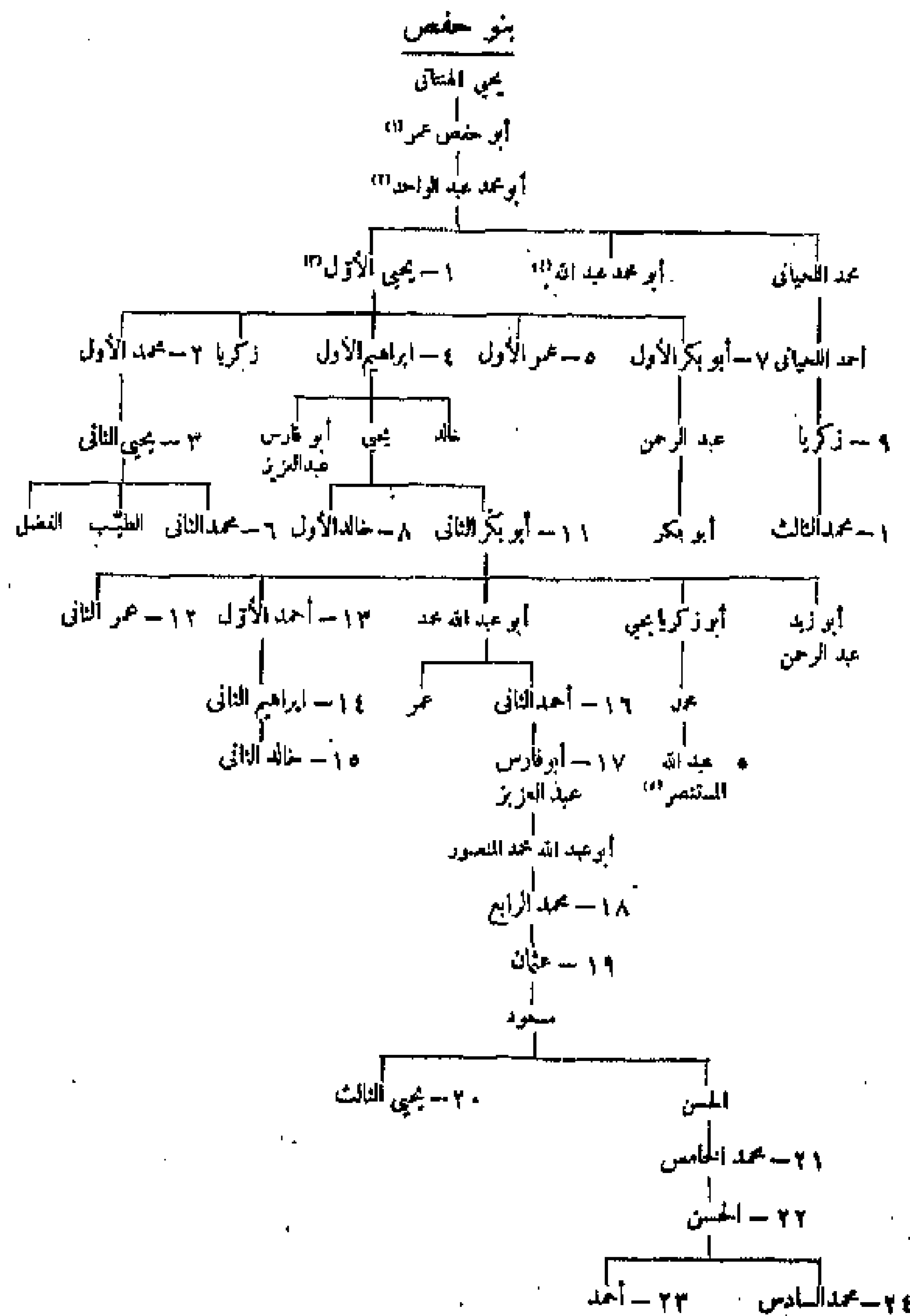
٢٣ ـ أحمد بن الحسن ٩٤٨

الفتح التركي الثاني ... ... رجب ٩٧٧

٢٤ ـ أبو عبد الله محمد [السادس] بن الحسن، (عامل إسبانيا) ٩٨١

فتح الأتراك تونس نهائيا ٩٨٢

(٢) وجاء بقلعة قفنة نقش باسمه يرجع إلى سنة ٨٣٩ .



*** حفظ الأبدان :**

يقول ابن رشد فيما يعد نموذجا للطب الإسلامى :

إن جنس حفظ الأبدان بالجملة من الأمراض التى قد استعدت لقبولها بظهور إحدى العلامات فيها الدالة على حدوث الأمراض هو ضرورة من جنس إبطال ذلك المرض إذا حدث ، مثال ذلك إذا حفظ البدن عن الوقوع فى الجذام هو بعينه يلتئم بالأشياء التى بها تكون معالجة هذه العلة ، وكذلك فى مرض ، مرض ، ومن أشهر هذه الاستعدادات الحالة المسماة إعياء حادثا من تلقاء نفسه ، وذلك أن هذه الحال متى حصلت فى الأبدان استعدت بها لقبول آفات كثيرة فلذلك كان إفرادها بالقول ضروريا هاهنا ، وليس الأمر كذلك فى الاستعدادات الخاصة بمرض مرض ، فإن الوجه فى إبطال تلك الاستعدادات هو الوجه فى إبطال تلك الأمراض فلذلك لا معنى هاهنا لتكريرها ، وكذلك أيضا القول فى حفظ الأبدان عند فساد الأهوية هو ضرورى ها هنا فلنبتدئ من الحالة المسماة إعياء فنقول : إنه قد قيل فى كتاب المرض إن هذه الحال ثلاثة أصناف : صنف يعرض بالإعياء القروحى ، وأن فاعل هذا هى الأخلاط الحارة أعنى الحادث منه من تلقاء نفسه ، وهو الذى القول فيه هاهنا ، وصنف ثان تمددى ، وإن فاعل هذا هو كثرة الدم ، وصنف ثالث ورمى . وهو مركب من فاعل القروحى ، ومن فاعل التمددى ويخص هذا أنه يعرض فى الأعضاء منه تزيد فى أقطارها ، ولذلك عد هذا الثالث فى البسائط ، أولا فهو مركب منها ، فينبغى أن نبدأ أولا بالعلاج العام لجميعها ثم نسير بعد إلى ما يخص واحدا واحدا فنقول : إن العلاج العام لجميع هذه الأنواع من جهة أن فاعلها مزاج مادى هو الإحالة فيما يمكن فيه إحالته واستفراغ ما لا يمكن ذلك فيه ، والإحالة تفعلها الطبيعة بالأدوية ، وبالأغذية التى شأنها أن تلطف الأخلاط وتهيئها للإحالة ، وقد يفعل ذلك أيضا التجويع . وطلب النوم ، والهدوء .

وأما الاستفراغ فيكون بالأدوية المدرة للبول والعرق ، وبالأدوية المسهلة ، وبالرياضة ، ويكون بشق العروق ، وهذا كله إنما تتقبل فيه الصناعة الطبيعة ، فهذا هو العلاج العام لجميع هذه الأصناف .

وأما الخاص بواحد ، واحد منها فينبغى أن نقول فيه ، فإنه ليس فى كل واحد منها يستفرغ بنوع واحد من الاستفراغ ، ولا يستعمل فيه نوع واحد من الإحالة ، ونبتدئ من ذلك بالإعياء القروحى فنقول :

إن هذا الإعياء فاعله بالجملة كما قال أخلاط لذاعة ، وقد علمت أن الخلط اللذاع إما أن يكون صفراويا أو سوداويا ، أو بلغميا مالحا ، فإن كل واحد من هذه يلذع ، أما الصفراء فبحدتها ، وأما السوداء فبحمضيتها ، وأما البلغم المالح فبملوحته ، وهذه الأخلاط لا تخلو أن تكون إما تحت الجلد فقط ، وإما أن تكون مع هذا غائرة فى العضل فقط ، وإما أن تكون مع أنها فى العضل هى أيضا فى الأوراد أنفسها ، وعلى الجهة التى شأن هذه الأخلاط أن توجد فى الدم ، أعنى بالقوة القريبة ثم لا يخلو أن يكون مع هذه الأخلاط فى البدن أخلاط بلغمية خامية أو لا تكون ، وإن كانت فيه فلا تخلو تلك الأخلاط الخامية أيضا أن تكون فى اللحم فقط أو فى الأوراد أنفسها ، وما كان من هذه الأخلاط فى الأوراد أنفسها أعنى الصفراوية ، أو السوداوية ، أو البلغمية المالحة ، أو الخامية ، فلا يخلو أن تكون مع قلة الدم ، أو كثرته ، وإنما يكون الدم كثيرا متى كانت هذه الأخلاط وتيحة فى الأوراد ولم تبعد جدا عن مزاج الدم ، فإن بعضها الوجود لها بالفعل إنما هو قبل أن يستحيل إلى الدم ، وبعضها هو أن يستحيل بمنزلة الصفراء أو السوداء ، وهى تتفاضل فى ذلك بالقرب والبعد ، فمتى بعدت جدا من الدم إما بأنها تحتاج إلى استحالة طويلة ، وحينئذ تنصرف دما وقد استحالت بعد أن كانت دم استحالة كثيرة ، فإن الدم ضرورة فى هذه الحال قليل وتيح فهذه جميع الأوجه التى يمكن أن تتصور عليها الأبدان فى حال هذا الأعياء ولكل واحد منها علاج خاص فنقول :

أما إذا كانت الأخلاط الفاعلة لهذا الإعياء إنما هى تحت الجلد فقط فقد يكتفى فى علاجها بالرياضة المسكنة ، وبالاستحمام ، واستعمال الأغذية اللطيفة الرطبة كما الشعير ، وشراب السكنجبين ، وما أشبه ذلك ، وأما متى كانت هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء يوجد حسها غائرا فى اللحم فليس ينبغى حينئذ أن تستعمل الرياضة ، بل يستعمل الهدوء ، والنوم ما أمكن ، والإمساك عن الطعام ، وذلك أن هذه الأفعال مما تنضج بها تلك الأخلاط ، فإذا كان عشى

ذلك اليوم حممناه بالماء المعتدل، وغذوناه بغذاء جيد الكميوس لطيف بعد أن سقيناه أيضا شراب سكنجبين ، أو شراب العسل إن لم يكن مزاجه محرورا وذلك أن هذه الأشربة من شأنها أن تستفرغ بالبول والعرق، وما ليس يمكن فيه أن يستحيل عن الطباع ، فإن سكن هذا العارض فقد أصبنا فيما ظننا ، من أن هذا الخلط إنما هو في العضل فقط، وإن لم يسكن واضطرب نوم هذا العليل فهذه الأخلاط حينئذ ليست في العضل فقط، بل وفي الأوراد، ولذلك قد ينبغي أن تتثبت وتنظر هل مع هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء أخلاط خامية أم لا، وإن كانت فهل هي في الأوراد أم لا، فننزل أولا أن ليس معها أخلاط خامية ، وأن هذه الأخلاط الفاعلة للأعياء في الأعضاء أنفسها ، وفي الأوراد، فحينئذ أيضا ينبغي أن نتأمل هل معها كثرة دم أم ليس معها كثرة دم وهل تلك الأخلاط بعيدة من جوهر الدم أم ليست ببعيدة، وإن كانت مع قلة دم وهي بعيدة من جوهره ، فينبغي أن نستعمل هاهنا الاستفراغ بالإسهال لنوع الخلط الذي يحدس أنه فاعل الإعياء، وذلك إما صفراويا كما سلف، وإما سوداويا وإما بلغميا مالحا ، فإن الأخلاط إذا خرجت عن الطبع في كيفيتها فاستفراغها يكون بالدواء الجاذب لتلك الأخلاط بأعيانها ، وأما إذا خرجت في كميتها فاستفراغها يكون بشق العرق .

وأما إذا كانت هذه الأخلاط في الأوراد مع كثرة دم فينبغي أن يستفرغ بالفصد، ثم بالإسهال بعد، وأما إن كان مع هذه الأخلاط في البدن أخلاط خامية نظرنا أيضا ، فإن كانت الأخلاط في الأوراد مع دم كثير، وهي مع هذا غير بعيدة من جوهر الدم ، فينبغي أيضا أن يستفرغ بالفصد ، وإسهال تلك الأخلاط ، فإنها متى كانت قريبة من جوهر الدم ، لم تكن في نهاية الغلظ فتستعصي على الدواء المسهل ، وأما إذا كانت هذه الأخلاط الخامية في الأوراد كثيرة مع دم قليل ، وهي مع هذا بعيدة من جوهر الدم فهاهنا ليس ينبغي أن يشق العرق ولا أن نسهله وذلك أنا متى شققنا العرق هاهنا قتلنا ، ومتى أيضا رمنا الاستفراغ بالدواء لم تجبنا تلك الأخلاط لغلظها ، وأيضا فإنها تتقدم فتسد المجاري عن أن يجري فيها غيرها من الأخلاط، ووجه الحيلة فيمن هذا شأنه أن تأمره بالسكون والدعة ، وتجعل أدويتهم وأغذيتهم أدوية ملطفة مقطعة من غير إسخان شديد [لئلا] تنتشر تلك الأخلاط الخامية في البدن، وأوفق الأشياء لهم شراب السكنجبين البزوري، الذي حجب ييسه بعروق السوس، وماء الشعير جيد لهم ، لمن كان منهم شابا ، مع يسير من أصل الرازيانج، وماء العسل أوفق لهم مفردا ، ومع شيء من زوفاء ، وعروق السوس، وهؤلاء تنتفخ بطونهم ، وتعتريهم رياح غليظة، ولذلك قد يطعمهم جالينوس الدواء المعمول بالثلاثة الفلافل والجوارش الكموني، لكن قد ينبغي في إقليمنا هذا إذا استعملت هذا العلاج أن تستعمله بحذر، وتوقٍّ، وإلا جلبت الحمى من ساعتك على المريض، فإن إقليم جالينوس أبرد من إقليمنا ، وإنما كان جالينوس يستعمل هذه المعالجة في زمان الشتوة، وفي غير سن الشباب، اللهم إلا أن يكون المرض يقتضي ذلك بطبعه اقتضاء كثيرا ، وإن اتخذ هاهنا مركب من الأدوية الملطفة المقوية للأعضاء الباطنة، التي هي أقل حرارة من هذا كان أيضا حميدا مثل الدارصيني والأسارون، والعود، والعنبر، والقرنفل، والسليخة، وما أشبه ذلك من الطيوب، لكن جالينوس إنما أحسبه تجنب هذه الأدوية هاهنا لمكان القبض الذي فيها ، فإن أنت خلطت الجنسين فعلت مركبا حسنا ، لأن هؤلاء الأعضاء الرئيسية منهم في غاية الضعف، وبخاصة فم المعدة، ولذلك ليس يجب أن يخلو هذا المركب من المصطكي، وأما الورد فلا أحمده في هذا المركب، لمكان برده، وقبضه، وإن كان فيه تقوية الأعضاء ، والاسطوخدوش دواء حميد الموقع ، في هذا المركب، وكما تتجنب الاستفراغ في هذا الحال بالإسهال، كذلك نتجنبه بالقيء، فإنا كما نتخوف أن نكون قد حركنا الأخلاط بالإسهال إلى باطن البدن، من غير أن نكون أخرجناها، كذلك نتخوف أن نكون باستعمال القيء قد حركناها إلى ظاهر الجسم .

وأما إذا كانت الأخلاط الخامية في العضل، وكان دم الأوراد نقيا، فقد ينبغي هاهنا ألا نحذر الأشياء القوية الإسخان، المدرة للبول، فإنه قد أمن في هذا الموضع انتشار الخلط، وجالينوس يستعمل هاهنا الدواء الفوذنجي، ولن يخفى عليك علاج ما تركب من هذه الأصناف، وكذلك أيضا

لست أحتاج أن أصف هاهنا العلامة الدالة على غلبة خلط ، خلط من هذه الأخلاط على البدن ، ولا مقدار كميته ، وموضعه ، فإنك قد علمت جميع هذا من كتاب العلامات (نورد هذه المادة فى حرف العين إن شاء الله تعالى) فاعتمد على البول فى تمييز جنس الأخلاط التى تكون فى الأوراد ، وعلى العرق فى التى تكون داخل العضل ، وذلك أيضا من لونه ، ومذاقته ، فاعتمد على الوقوف على كثرة ذلك الخلط وقلته من التدبير المتقدم ، والمزاج المناسب له ، والفضل المناسب ، وسائر الأشياء التى قيلت فى كتاب العلامات .

وأما الإعياء الورمى والتمددى فهما ضرورة يكونان مع كثرة من الدم فلذلك ما ينبغى أن نفصد هؤلاء ضرورة ، ونُقدِّر كمية ما يخرج من جهة الفصل ، والسن ، والمزاج وينبغى أن تتفقد الأعضاء فى هذا الإعياء ، فإن كان الثقل أكثر ذلك إنما هو فى الرأس فافصد له القيفال ، وإن كان أكثر ذلك فى الصدر فافصد له الباسليق ، وإن كان فيهما على السواء فافصد له الأكحل .

وقد بقى من هذا الجزء أن نقول كيف تحفظ الأبدان من المرض فى الأهوية الخارجة عن الطبع فنقول :

إن الهواء كما قيل فى غير هذا الموضع إما أن يخرج عن طبعه فى كيفياته ، وإما أن يتغير فى جملة جوهره ، وذلك بأن يتعفن ، والهواء إذا كان بهذه الصفة أعنى بأحد هذه الحالات استعدت به الأبدان لحدوث أمراض مشاكلة لذلك المزاج ، إلا أنه ليس جميع الأبدان تلقى ذلك ، وإنما يلقى ذلك منها أكثرها استعدادا ، وإلا مرض كل إنسان فى الهواء الوبائى ولهذا كله الاعتماد فى التدبير فى هذه الأوقات إنما هو عام لجميع هذه التغايير بتفتيح السدد ، ومنع أسباب العفونة بالجملة .

وأما ما يخص صنفا من هذه التغايير الحادثة فى الهواء فإنه متى خرج فى أحد كيفياته ، فينبغى أن يقاتل ذلك بالتدبير المضاد ، مثال ذلك أنه إذا أفرط فى الحر واليبس تدبر بالأغذية الباردة الرطبة ، ولزمت المجالس الشمالية المعتدلة الهواء بالماء والرياحين ، ونفصد أيضا إذا أمكن ، ولم يمنع من ذلك شدة البرد أو الحر إلى استفراغ الفضل المناسب لذلك الخلط المتولد فى ذلك الفصل .

وأما الهواء الفاسد فى جملة جوهره ، فينبغى أيضا أن يقابل بالاستفراغ العام ، وبالأشياء التى تمنع الوباء بجملة جوهرها ، وتجعل الأغذية باردة يابسة ، بعيدة من العفونة بمنزلة الخل ، والعدس ، ويبخر الهواء بالأشياء المانعة للعفونة بمنزلة القسط ، والكندر ، والميعة ، وللقطران فى ذلك تأثير كبير ، وأخذ الترياق الكبير فى هذا الزمان حافظ عظيم من الوباء ، وذلك بأن يؤخذ منه نحو قيراط إلى درهم ، ويبقى عليه حتى ينهضم فى الأعضاء كلها ، وذلك نحو تسع ساعات ، وبالجملة فمتى تغير الهواء تغيرا ينذر بأمراض ستحدث ، فينبغى أن يتحفظ من حدوث تلك الأمراض ، وذلك بالتدبير المضاد لطبائعها ، والطين الأرمينى بالخل فى الهواء الوبائى نافع وكذلك الطين المختوم وذكروا أنه متى أخذ من الصبر جزء ، ومن الزعفران جزءان والمر جزء وسقى فى أوان الوباء منه كل يوم اثنى عشر قيراطا ، وذلك ست وثلاثون حبة مع أوقية خمر ممزوجة انتفع به ، وإنه لم ير أحد فعل هذا إلا سلم من الوباء ، وينبغى أن يتخير الهواء النقى الصافى المتحرك فى زمان الصيف ، وذلك أن تسكن المواضع المرتفعة أو الغرف العالية إن لم تكن المواضع المرتفعة ، اللهم إلا فى وقت تغير الهواء فى جوهره فإنه ينبغى حينئذ أن تلزم البيوت المصلحة الهواء على ما وصفنا ، وتجنب جميع الفواكه فى مثل هذه الأهوية ضرورى جدا ، فإن الدم المتولد عنها يجيب إلى العفونة بسرعة ، وكذلك ينبغى أن تتجنب اللحوم فإنها أيضا سريعة الاستحالة إلى التعفن ، وإن استعملت فليستعمل من ذلك الطيور الجبلية . والحيتان فى هذا الفصل من أردأ شىء ، وشراب السكنجبين الذى ماؤه ماء الورد الصادق الحموضة إذا أضيف إليه بعض البزور التى فيها إدرار ، وهى مع هذا باردة تدبير جيد ، فى هذه الأوقات ، وتعاهد تليين الطبيعة بالجملة بالأشياء اللينة فى كل فصل تدبير حافظ للصحة ، بإجماع من الأطباء ، مثل التمر الهندى ، والراوند ، والبنفسج ، والأهليلجات ، والخيار شنبر ،

والترنجبين ، واللبلاب، والرمان المعصور بشحمه وما أشبه هذه من الأمور اللينة ، مما يخرج الأخلاط الصديدية التى كونها فى البدن يتولد فيه عفونة بمنزلة الخمير فى العجين للتخمير، وهذا الذى قلنا فى هذا الجزء من هذا العلم بحسب غرضنا فى الإيجاز (الكليات فى الطب ٣٣٤ـ ٣٤٠) .

ولدينا منظومة « حفظ الأبدان » وهى لامية لخير الدين خضر بن محمود بن عمر العطوفى المرزفونى ، (المتوفى سنة ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م) نظمها للسلطان بايزيد وأولها : «الحمد لله من أعلى المقال ... » .

ـ مخطوط مكتبة نور عثمانية بتركيا ـ رقم : ٣٤٥٦ (٢) ، الكتاب الثانى ضمن مجموع ، الأوراق : ١٨١ / ب ـ ١٨٣ / ب ، كتبت بخط النسخ (العلوم العقلية / ٦٥٤) .

(الكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبى ، مراجعة د. أبى شادى الروبى / ٣٣٤ ـ ٣٤٠ ، والعلوم العقلية فى المنظومات العربية ـ أ. د. جلال شوقى / ٦٥٤) .

*** حفظ الأصفرين عن اعتقاد من زعم أن الحرام لا يتعدى لذمتين :**

رسالة من مجموعة التحقيقات القدسية (انظرها فى موضعها) للعلامة الشرنبلالى وعدة هذه الرسائل ستون رسالة ورقمها ٥٣٤٩ ، وهذه الرسالة هى الواحدة والخمسون .

يوجد مخطوط التحقيقات القدسية بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٥٣٤٩

يذكر المؤلف أنه قد كثر السؤال عن قول من قال : إن الحرام لا ينتقل لذمتين ونسبه لمذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رحمه الله ، فألف المؤلف رسالته رادا على من قال ذلك

أولها : حمدا لمن مَنَّ علينا بتعليم الأحكام، وتفضل تبيين الحلال والمشتبه والحرام .

آخرها : أستفيد هذا من شراح الكنز والهداية ، وفى هذا القدر كفاية لإثبات ما أردناه .

انتهت تأليفا سنة ١٠٦١ هـ .

عليها مقابلة سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٤٩١ ـ ٤٩٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ١٨٣) .

*** حفظ الله :**

الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية عن عناية الله أو حفظ الله وهو كما يلى ويتبعه شرح الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى :

عن أبى العباس عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « كنت خلف النبى ﷺ يوما ، فقال لى : يا غلام، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، إن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ترجمة الراوى :

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ولقب بترجمان القرآن ، وكان يسمى البحر لغزارة علمه وصح أن النبى ﷺ دعا له بقوله : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، روى له ألف وستمائة حديث وستون حديثا ، وتوفى بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال : مات والله اليوم خير [حبر] هذه الأمة .

المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وأصل كبير فى رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه فى لفظ ظاهر بيِّن سهل بسيط .

الشرح :

قوله ﷺ : « احفظ الله يحفظك » ، أى احفظ أوامره وامتثلها ، وانته عن نواهيه ، يحفظك فى تقلباتك ودنياك وآخرتك ، قال الله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ [النحل : ٩٧] وما يحصل للعبد من البلاد والمصائب بسبب تضييع أوامر الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى : ٣٠] .

قوله ﷺ : « تجده تجاهك »، أي أمامك، قال ﷺ : «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » وقد نص الله تعالى فى كتابه : أن العمل الصالح ينفع فى الشدة وينجى فاعله ، وأن عمل المصائب يؤدى بصاحبه إلى الشدة، قال الله تعالى حكاية عن يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤] ولما قال فرعون : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ﴾ [يونس : ٩٠] قال له الملك : ﴿ الآن ، وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [يونس : ٩١] وقوله ﷺ : « إذا سألت فاسأل الله » إشارة إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله، بل يتوكل عليه فى سائر أموره، ثم إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجر العادة بجريانها على أيدى خلقه ، كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، سأل ربه ذلك ، وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدى خلقه، كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور، سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول: اللهم أحنن علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك ، ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق، لأنه ﷺ سمع عليا يقول : «اللهم أغننا عن خلقك »، فقال : « لا تقل هكذا، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك » . وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم ، ويروى عن الله تعالى فى الكتب المنزلة : أيقرع بالخواطر باب غيرى وبابى مفتوح؟ أم هل يؤمل للشدائد سواى وأنا الملك القادر؟ لأكسون من أمل غيرى ثوب المذلة بين الناس ... إلخ قوله : « واعلم أن الأمة ... إلخ » لما كان الإنسان قد يطمع فى بر من يحبه، ويخاف شر من يحذره قطع الله اليأس من نقى الخلق بقوله : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ [يونس : ١٠٧]ولا ينافى هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ [الشعراء : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ﴾ [طه : ٤٥]

وكذا قوله تعالى : ﴿ خذوا حذركم ﴾ [النساء : ٧١] إلى غير ذلك ، بل السلامة بقدر الله والعطب بقدر الله، والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [النساء : ١٠٢]، قوله ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر » ، قال ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا، فإن الله مع الصابرين » وكذلك الصبر على الأذى فى موطن يعقبه النصر ، قوله ﷺ : « وإن الفرج مع الكرب » والكرب هو شدة البلاء، فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى بالفرج .كما قيل : « اشتدى أزمة تنفرجى » ، قوله ﷺ : «وإن مع العسر يسرا » قد جاء فى حديث آخر أنه ﷺ قال : «لن يغلب عسر يسرين »، وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين وذكر اليسر مرتين، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت، لأن اللام الثانية للعهد، وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت فالعسر ذكر مرتين معرفا ، واليسر مرتين منكرا فكان اثنين ، فلهذا قال ﷺ : « لن يغلب عسر يسرين » (رواه الحاكم مرسلا عن الحسن) .

أفكار الحديث

١ ـ من حافظ على أوامر الله حفظه الله فى الدنيا والآخرة .
٢ ـ من امتثل أوامر الله أخرجه الله من الشدة .
٣ ـ من أراد أن يسأل فليسأل الله .
٤ ـ إن بعد كل كرب فرجا .
٥ ـ أن بعد كل عسر يسرا .
٦ ـ لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له .

فقه الحديث

١ ـ ما من مصيبة تنزل إلا بما اقترفت يداه .
٢ ـ الأعمال الصالحة ترفع البلاء .
٣ ـ التوجه إلى الله فى كل حاجة (شرح متن الأربعين النووية / ٧٣ـ٧٦) .

ويشرح هذا الحديث النبوى الشريف أيضا الإمام ابن دقيق العيد فيقول بادئا برواية أخرى غير الترمذى :

وفى رواية غير الترمذى « احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن

النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا » .

مناقب عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر من أن تحصر وقد دعا له النبى ﷺ فقال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ودعا له بأن يؤتى الحكمة مرتين ، وثبت عنه أنه رأى جبريل مرتين . وهو بحر هذه الأمة وحبرها : وقد رآه رسول الله ﷺ أهلا للوصية مع صغره فقال له « احفظ الله يحفظك » و معناه : كن مطيعا لربك ، مؤتمرا بأوامره ، منتهيا عن نواهيه . وقوله « احفظ الله تجده تجاهك » أى اعمل له بالطاعة ولا يراك فى مخالفته ، فإنك تجده تجاهك فى الشدائد كما جرى للثلاثة الذين أصابهم المطر فأووا إلى غار فانحدرت صخرة فانطبقت عليهم ، فقالوا : انظروا ما عملتم من الأعمال الصالحة فاسألوا الله تعالى بها . فإنه ينجيكم ، فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه ، فانحدرت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون وقصتهم مشهورة فى الصحيح وقوله ﷺ « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» أرشده إلى التوكل على مولاه ، وأن لا يتخذ إلها سواه ، ولا يتعلق بغيره فى جميع أموره ما قلّ منها وما كثر، وقال الله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه ؛ وكذلك الخوف من غير الله . وقد أكد النبى ﷺ ذلك فقال «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك » وكذلك فى الضر وهذا هو الإيمان بالقدر . والإيمان به واجب خيره وشره . وإذا تيقن المؤمن هذا ؛ فما فائدة سؤال غير الله والاستعانة به ؟ وكذلك إجابة الخليل عليه الصلاة والسلام جبريل عليه السلام حين سأله وهو فى الهواء : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . وقوله « رفعت الأقلام وجفت الصحف » هذا تأكيد أيضا لما تقدم : أى لا يكون خلاف ما ذكرت لك بنسخ ولا تبديل .

ثم قال « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا » فنبهه على أن الإنسان فى الدنيا ـ ولا سيما الصالحون ـ معرضون للمصائب ، لقوله عز وجل **﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾** [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧] وقال تعالى **﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾** [الزمر : ١٠] (شرح الأربعين النووية / ٥٠ ـ ٥٢) .

(شرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٧٣ ـ ٧٦ ، وشرح الأربعين النووية ـ الإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٥٠ ـ ٥٢) .

*** حفظ الله خان الجنوتى (الأمير) :**

من أمراء العرب فى الهند .

الأمير الفاضل حفظ الله بن سعد الله التميمى الجنوتى ـ كان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح .

ولاه السلطان عالمكير بن شاهجهان أميرا على بلاد (كشمير) سنة ثمان وتسعين وألف فبقى بها أربع سنين فأصلح الأمور وقطع دابر الفساد ثم ذهب إلى بلدة (جمون) وفتحها بالقوة ثم ذهب إلى معسكر السلطان المذكور فولاه أميراً على بلدة « سيوستان » سنة ثلاث ومائة وألف فبقى بهذا المنصب مدة حياته .

وكان عادلا سخيا كريما يدعو على مائدته يوم مولد النبى عليه الصلاة والسلام ألف رجل ، ويصب الماء على يد الضيوف بنفسه . وكان من كبار الشعراء .

مات ببلدة « سيوستان » سنة اثنتى عشرة ومائة وألف فأرخ لموته السيد غلام على البلكرامى من قوله تعالى **﴿ فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴾** [السجدة : ١٩] .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥٢ عن نزهة الخواطر ٦ / ٧٤ ، ٧٥) .

*** حفظ الأوقات :**

من الوصايا التسع التى أحصاها صاحب منظومة « هداية الأذكياء » ، وجاءت فيها الأبيات التالية ننقلها مع شرح السيد بكرى المكى ، وهو شرح ممزوج ، وتتميز أبيات المنظومة بوضعها بين قوسين ، وقد حذفنا إعراب الأبيات :

(واصرف إلى الطاعات وقتك كله
لا تتركن وقتا سدى متساهلا)

يعني يجب عليك أن تصرف وقتك كله فى الطاعات وأن تترك فضول الكلام وكل ما لا يعنيك قال عليه السلام « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فإذا رأيت نفسك تتطلع إلى كلام الناس وملاقاتهم من غير حاجة وضرورة فاعلم أن ذلك فضول ساقه إليك الفراغ والبطر فإذا لزمت العبادة وجدت حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله واشتغلت عن الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم ويجب عليك أن لا تترك أوقاتك سدى أى مهملة متساهلا فيها لأنك إن تركتها كذلك صرت كالبهائم لا تدرى ما تشتغل به فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا فتخسر خسرانا مبينا فإن أوقاتك عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى النعيم المؤبد فى جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهر لا قيمة له وإذا فات لا عود له فينبغي أن لا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فإنهما رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وأولادك وأصدقاؤك .

(وتصيير أوقات المباح بنيّة
مصروفة فى الخير فاصح بلا ائتلا)

هذه الجملة واقعة فى جواب سؤال ناشيء مما قبله تقديره كيف تأمرنا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات مع أن ذلك لا يتأتى إذ لا بد لنا من فعل المباح كأكل وشرب ونوم وغير ذلك . وحاصل الجواب أن ذلك يأتى بالنية إذ المباح ينقلب طاعة بها كما قال ابن رسلان :

لكن إذا نوى بأكله القوى
لطاعة الله له ما قد نوى

فإذا نويت بالأكل والشرب التقوى على العبادة لا الاستلذاذ وبالنوم دفع الملل والسآمة فى العبادة لا إراحة النفس... انقلب ذلك طاعة تثاب عليها . واعلم أنه يتضاعف العمل الواحد بقدر النيات فيه كجلوس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة عن الناس والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر فينبغي للإنسان أن يستحضر عند كل عمل النيات الصالحة فيه لأجل المضاعفة .

(ووزّع بعون الله وقتك واصرفن
كلا بما هو لائق متبتلا)

لما أمر أولا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات ذكر ما يعين على ذلك فقال وزع ... إلخ يعنى وزع أوقاتك وفصّلها وحددها واصرف كل وقت فى طاعة معينة ورتب الأوراد والوظائف عليك وعين لكل وقت شغلا لا يتعداه، والسبب فى الأمر بتوزيع الأوقات إلى الطاعات أن النفس إذا وردت على نمط واحد من الطاعات أظهرت الملال والاستثقال لكونها مجبولة على السآمة فكان من اللطف بها أن تروح بالنقل من نوع إلى نوع آخر بحسب كل وقت لتزيد لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الأوقات وأكثرها فإن النفس مائلة بطبعها إلى ملاذ الدنيا قال الإمام الغزالى فى الإحياء : فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق جميع أوقاته بالطاعة ومن أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه .

(فإذا بدا فجر فصل تخشعا
متدبرا لقراءة ومكملا)

هذا تفصيل وشرح للبيت السابق بين به كيفية توزيع الأوقات وصرفها فى الطاعات، والمعنى إذا ظهر الفجر أى الصادق فصل سُنة الصبح وفرضه حال كونك متخشعا متدبرا لما تقرؤه فى صلاتك أى متأملا فى معانيه مكملا لها بأن تأتى بجميع السنن والهيآت والآداب، والتخشع : تكلف الخشوع وقد اختلفوا فى تفسيره فقيل هو غض البصر وخفض الصوت وقيل أن لا يلتفت المصلى يمينا وشمالا وقيل أن لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره وقيل هو جمع الهمة والإعراض

عما سوى الصلاة وهذا الأخير هو التحقيق لأنه عبارة عن عمل الجوارح وعمل القلب فيكون المصلى خاشعا بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه وبجوارحه بأن لا يعبث بواحد منها واعلم أنه مما يحصل الخشوع استحضاره أنه بين يدى ملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى وأنه يناجيه وأنه ربما تجلى عليه إذا لم يخشع بصفة القهر فرد عليه صلاته وعاقبه .

(واجهد لتحضر فى صلاتك قلبكا
جهدا بليغا كى تنال فضائلا)

يعنى اجتهد وابذل الوسع فى صلاتك اجتهادا بليغا لأجل أن تحضر قلبك فيها فتنال بذلك الفضائل قال ﷺ « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » وعن الحسن البصرى أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع وقال النيسابورى الصلاة أربعة أشياء حضور وشهود وخضوع وخشوع فالحضور بالنفس فمن لم يحضر بالنفس فهو ساهٍ ومن لم يشهد بالقلب فهو لاهٍ ومن لم يخضع بالأركان فهو واهٍ ومن لم يخشع بالسر فهو مُضاهٍ قال تعالى ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] وقد أنشد الشيخ أبو حيان فى ذم من ينتمى إلى الفلاسفة فقال :

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا
لصون دمائهم أن لا تسالا
فيأتون المناكر فى نشاط
ويأتون الصلاة وهم كسالى

ثم ذكر الناظم ما يعين على حضور القلب فى الصلاة فقال :

(لا تنس أن الله ناظر قلبكا
وحضوره وشهوده لك فايجلا)

أى إذا قمت إلى الصلاة فلا تنس أن الله ناظر إلى قلبك ومطلع عليه وأنه حاضر مشاهد لك وقوله فايجلا أى خف من الله أن يرى قلبك غافلا فى صلاتك فإنه بئس الصنيع . (لطيفة) حكى عن شخص من أشياخ الطريقة أنه صلى من الليل ركعات ثم نام فرأى قصرا عظيما مشيدا عاليا فأعجبه ذلك القصر فقال ليت شعرى لمن هذا القصر ؟ فقيل له إنه لك وإنه ثواب ركعاتك البارحة فمشى حوله فوجد منه نحو شرافتين قد سقطتا فقال لو كانتا عليه لكان أحسن فقيل إنهما كانتا عليه ولكنك التفت وأنت تصلى فسقطتا . حكى عن رابعة العدوية رضى الله عنها أنها أتت بركعات من الليل ثم نامت فرفعت لها شجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة خضرة الأوراق باسقة الفروع عليها ثمر ... يلمعن فى الضحى كالشموس وفى الدجى كالأقمار فأعجبتها فقالت ليت شعرى لمن هذه الشجرة فقيل لها إنها لك وإنها ثواب ركعاتك التى صليتهن البارحة فدنت منها ومشت تحتها فوجدت قد تساقط منها ثمرة كلون الذهب الإبريز فقالت لو كانت هذه الثمرة الساقطة عليها كان أحسن فقيل لها إنها كانت عليها لكنك تفكرت وأنت فى الصلاة فى العجين هل اختمر أم لا فتساقطت هذه من عليها .

(لا تتركن جماعة قد فضلت
بالسبع والعشرين من فضل علا
ولم التعلُّم إن تكن تتساهل
فى مثل هذا الربح أخسر أجهلا)

لما كانت الجماعة فى الصلاة من أهم ما يطلب فيها لما ورد فيها من الثواب الجزيل وفى تركها من الوعيد الشديد صرح بالنهى عن تركها فقال لا تتركن إلخ يعنى لا تترك الجماعة فى المكتوبات الخمس لأن الصلاة مع الجماعة تفضل على صلاة الفذ أى المنفرد بسبع وعشرين درجة وقيل بخمس وعشرين درجة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام وقال ﷺ « ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان » أى غلب « فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم وقال ﷺ « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله » رواه أبو داود وغيره وصححه ابن حبان وغيره وقال بعض السلف إذا

قامت الجماعة نظر الله إلى قلب الإمام إن كان فيه خير رضى عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وإن لم يكن فيه خير نظر إلى قلوب المأمومين فإن كان فيهم من فى قلبه خير رضى عنهم وقبل صلاتهم ، وإن لم يكن فيهم من فى قلبه خير نظر إلى اجتماعهم فى الصلاة وإلى قيامهم بين يديه فيرضى عنهم ويتقبل صلاتهم ويغفر لهم .

وقوله : ولِمَ التعلم ... إلخ أى ولأى شىء التعلم للعلم .

إن تكن تتساهل فى مثل هذا الربح الكثير الذى هو فائدة رأس مال تجارة الآخرة وذلك لأنه لا فائدة لك فى طلب العلم الذى تزعم أنك حريص على اقتباسه فإنما ثمرة العلم النافع العمل به ومن أفضله صلاة الجماعة فى المسجد فإن تعذرت فيه ففى بيتك لا سيما مع أهلك تحصيلا لثوابها لهم وتمرينا لهم عليها .

طريفة : حكى أن رجلا أعمى كان مولعا بصلاة الجماعة فيأتيها من غير قائد يقوده فوقع يوما فى الطريق فشجت رأسه فحمل إلى داره فقالت زوجته يا هذا إن صلاة الجماعة غير واجبة عليك وأنت على تلك الحالة فقال لها إن كان الله تعالى قد أخذ نور بصرى فقد أبقى على نور قلبى فلا أنقطع عن الجماعة فنام تلك الليلة فرأى النبى ﷺ فى منامه فقال له لم تشاجرت مع زوجتك ؟ فقال من أجل اتباع سنتك يا رسول الله فمسح رسول الله ﷺ بيده الكريمة على عينيه فعاد بصيرا ببركة النبى ﷺ وبركة سنته ...

(ثم اشتغل بالورد لا تتكلمن
مستقبلا ومراقبا ومهللا
بطريقة معهودة لمشايخ
لترى به نارا ونورا حاصلا
فيضىء وجه القلب بالنور الجلى
ويصلى مذموم الطبائع زائلا
فتصير أهلا للمشاهدة التى
هى نعمة عظمى لصبر متأملا)

يعنى ثم إذا فرغت من صلاة الصبح مراعيا للآداب المتقدمة فاشتغل بالورد من الأذكار والتسبيح والأدعية والآيات التى وردت فى فضلها إلى طلوع الشمس ، قال عليه السلام : « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » قال حجة الإسلام الغزالى إن هذا الوقت أعنى ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ [التكوير : ١٨] وتمدحه به إذ قال ﴿ **فالق الإصباح** ﴾ [الأنعام : ٩٦] وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى ﴿ **فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾ [طه : ١٣٠] وقوله عز وجل ﴿ **ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** ﴾ [طه : ١٣٠] وقوله تعالى ﴿ **واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا** ﴾ [الإنسان : ٢٥] وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع : أدعية وأذكار ويكررها فى سبحته وقراءة قرآن وتفكر وكيفيته ترجع إلى فنين :

أحدهما أن يتفكر فيم ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ثم يرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه خلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين .

الفن الثانى : فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها له ، وفى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة ا هـ . ملخصا وقوله لا تتكلمن إلخ بيان لكيفية اشتغاله بالورد أى وكيفيته أن لا تتكلم فى هذا الوقت وأن تكون مستقبلا للقبلة

ومراقبا والمراقبة علم القلب بنظر الله إليك ومهللا أى قائلا لا إله إلا الله على الطريقة أى الكيفية المعهودة للمشايخ نفعنا الله بتراب أقدامهم وأمدنا بمددهم وذلك لأن للذكر طريقات كثيرة وكيفيات عديدة عند المشايخ منها أن يبدأ بقول لا إله من فم القلب كأنه يخرج منه ما سوى الله ويمد العنق والرأس إلى الجانب الأيمن ثم الأيسر ويضرب بكلمة إلا الله على فم القلب كأنه يدخل فيه شيئا من أنوار الله تعالى ويجهر بصوت الربط وهو الضرب بكلمة التوحيد فى القلب اللحمى الصنوبرى، ثم علل الإتيان بالتهليل على طريقة المشايخ بقوله لترى به نارا ونورا حاصلا فكأنه قال وائت بالتهليل على ما ذكر لأجل أن ترى نارا ونورا والمراد بنار الذكر تخلى القلب من الكدورات النفسانية وبنوره تخلى القلب بالأنوار المستلزمة لصفاء الروح والأسرار والثانى تابع للأول فأولا تصل حرارة نار الذكر إلى القلب وتحرق كل وصف ذميم فيه ثم يظهر فيه نور التجلى من حضرة المتجلى وهذا هو المراد بقوله فيضىء وجه ... إلخ أى إذا حصل فى القلب نار الذكر ونوره يضىء وجه القلب أى ذاته بالنور الجلى أى الواضح الحاصل من تأثير نار الذكر ويصير مذموم الطبائع أى المذموم من الطبائع أى أوصاف الطبيعة زائلا عن النفس وإذا زالت من قلبك الأوصاف الذميمة وتحلى بالأوصاف الحميدة زدت نورا على نور وصرت أهلا للمشاهدة التى هى نعمة عظمية عليك فصرت متأهلا لهذه النعمة العظيمة بمواظبتك على الذكر فعلى قدر المواظبة على الذكر بشرائطه تظهر النتيجة .

تنبيه : قد علم مما تقرر أنه لا بد للمريد من ذكر وورد يواظب عليه لأن الذكر يكون كالمصباح فى يده يستضىء به وتحصل الواردات فى قلبه بقدر ذكره ووروده قال سيدى الشيخ عبد الرحمن السقاف : من لا له ورد فهو قرد ومن ليس له أذكار فليس بذكر ومن لا يطالع الإحياء ليس له حياء ومن لم يقرأ المهذب ما عرف المذهب ومن لا له أدب فهو دب، ويتخذ المريد ما يأمره به شيخه من الأذكار وإذا فقد الشيخ المرشد فالأذكار النبوية الواردة عن النبى ﷺ هى أفضل من غيرها ويكفى منها الورد اللطيف للقطب الحداد فإن الأذكار التى فيه هى أمهات الأذكار المأثورة وكذا يكفيه تلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ، وذكر العلامة سيدى عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر فى شرحه على صلاة سيدى أحمد البدوى وفى كتابه المسمى مرآة الشموس فى مناقب آل العيدروس أنه يعدم المربون فى آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبى ﷺ مناما ويقظة وأن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبى ﷺ فإنه مقطوع بقبولها إكراما له ﷺ وحكى اتفاق العلماء على ذلك .

(حتى إذا شمس بدت كرميحنا
صلى لإشراق وقرآنا تلا
حزبا فأكثر باتعاظ مع أدب
وحضور قلب خاشعا ومرتلا)

حتى : تفريعية والمفرع عليه محذوف : أى ولا يزال مشتغلا بالورد إلى طلوع الشمس فإذا طلعت كرمح صلى ركعتى الإشراق بنية الإشراق يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم** ﴾ [النور : ٣٥] وفى الثانية ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ [النور : ٣٦ ـ ٣٨] واختلفوا هل صلاة الإشراق هى صلاة الضحى أو غيرها ؟ ذهب بعضهم إلى الأول وبعضهم إلى الثانى وعليه جرى الناظم لأنه ذكر هنا صلاة الإشراق وسيذكر صلاة الضحى ثم إذا فرغ من الصلاة المذكورة تلا قرآنا حزبا واحدا أو أكثر فهو مخير فى ذلك ويكون قراءته باتعاظ بها ولا يحصل إلا بالتدبر فيها ، قال سيدنا على كرم الله وجهه : لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها ، وتكون أيضا مع الأدب فيها بأن يصون جوارحه من العبث حال القراءة ويكون على طهارة مستقبلا للقبلة وأن يلبس أنظف ثيابه وأن يتعمم ويتطيلس وأن يكون

مع حضور القلب بحيث يبعد عنه حديث النفس وأن يكون خاشعا كأنه يقرأ على الله وهو ناظر إليه ومستمع منه أو كأن الله يتكلم معه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه قال رسول الله ﷺ «اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وأن يقرأ مرتلا قراءته لأن الترتيل يعين على التدبر وهو تبيين الحروف وفصل كل كلمة عن أختها وإخراج كل حرف من مخرجه والوقف في محله .

(ودواء قلب خمسة فتلاوة
بتدبر المعنى وللبطن الخلا
وقيام ليل والتضرع بالسحر
ومجالسات الصالحين الفضلا)

لما ذكر فيما تقدم أنه إذا صلى الإشراق يقرأ قرآنا مشتملا على ما مر من الحضور وغيره ذكر هنا ما تعين ملاحظته على تلاوته والمواظبة عليه وهو أنه من جملة أدوية القلب الخمسة فقال مصرحا به وبسائر الأدوية ودواء قلب خمسة ... إلخ يعني أن دواء القلب أي أسباب صلاحه الذي إذا وجد وجد صلاح سائر الأعضاء كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام خمسة أشياء : أولها تلاوة القرآن ، وثانيها إخلاء البطن ، وثالثها قيام الليل ، ورابعها التضرع وقت السحر، وخامسها مجالسة الصالحين ، وقد نظمها بعضهم في قوله :

دواء قلبك خمس عند قسوته
فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره
كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه
وأن تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم سادسا وهو أكل الحلال قال وهو رأسها ، وقد قيل إذا صمت فانظر على طعام من تفطر فإن الرجل ليأكل الأكلة فتشغل قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا . وإنما كانت تلاوة القرآن العظيم من أدوية القلب لأنه ينشرح بها ويستنير ويحصل له الخشية والحزن لكن بشرط مراعاة الآداب السابقة واللاحقة ، قال الحسن البصري : والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا وكثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته ، وقال وهب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره . وإنما كان خلاء البطن من الأدوية أيضا لأن فيه راحة القلب والسلامة من الطغيان والبطر وخفة البدن للعبادات ودفع الأمراض وفي الشبع أضدادها وقد ورد في مدح الجوع وذم الشبع أحاديث كثيرة ذكرها السيوطي في لباب الحديث منها قوله ﷺ « سيد العمل الجوع » ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « الجوع مخ العبادة » ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق » وقوله عليه الصلاة والسلام « أقربكم مني يوم القيامة أكثركم جوعا وتفكرا » وقوله عليه الصلاة والسلام « من كثر طعامه كثر عذابه» وقوله عليه الصلاة والسلام « لا صحة مع كثرة النوم ولا صحة مع كثرة الأكل ولا شفاء بحرام » وقوله عليه الصلاة والسلام « ثلاثة تورث قسوة القلب حب النوم وحب الراحة وحب الأكل » وقوله عليه الصلاة والسلام « من شبع في الدنيا جاع يوم القيامة ومن جاع في الدنيا شبع يوم القيامة » وسيذكر الناظم آفات الشبع .

قالت المؤلفة : أوردنا النظم المشار إليه في مادة « آفات الشبع » في م ١ / ٤٧٨ ـ ٤٨٠ فانظرها في موضعها .

وإنما كان قيام الليل من الأدوية أيضا لأنه مذهب كيد الشيطان وناه عن الإثم ودافع الداء عن الجسد ومرضي الرب ودأب الصالحين والمراد بقيام الليل فعل العبادة فيه بصلاة أو غيرها كما ذكره الصاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل** ﴾ [المزمل : ١، ٢] فقال : المعنى قم للصلاة والعبادة قال الحبيب عبد الله الحداد في نصائحه : واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولا سيما بعد النوم وإنما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الأمر ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله تعالى وحلاوة المناجاة له ولذة الخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام فضلا عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفي عيش

طيب ، وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر، وقال آخر أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، وقال آخر لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان في الله ما أحببت البقاء في الدنيا وأخبارهم في ذلك كثيرة مشهورة وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضي الله عنهم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام : ٩٠] فعليك رحمك الله بقيام الليل والمحافظة عليه وبالاستكثار منه « و » كن من ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ [الفرقان : ٦٣ ، ٦٤] واتصف ببقية أوصافهم التي وصفهم الله بها في هذه الآيات إلى آخرها ، وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه قال الله تعالى ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ [المزمل : ٢٠] أي في القيام من الليل وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بقيام الليل ولو ركعة » وما أحسن وأجمل الذي يقرأ القرآن الكريم أن يقرأ كل ليلة في قيامه بالليل شيئا منه ويقرأه على التدريج من أول القرآن إلى آخره حتى تكون له في قيام الليل ختمة إما في كل شهر أو في كل أربعين أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب النشاط والهمة اهـ وإنما كان التضرع في السحر من الأدوية أيضا لأنه وقت مناجاة الله والدعاء فيه أقرب إلى الإجابة قال رسول الله ﷺ « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » وإنما أفرده بالذكر وعده نوعا مخصوصا مع أنه مندرج فيما قبله لشرفه على غيره من بقية أجزاء الليل لما مر آنفا ولأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى . وإنما كانت مجالسة الصالحين من الأدوية أيضا لأنها تورث الاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وتدعو إلى أن لا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم ولا أن يكون في الخير دونهم فتبعثه المنافسة على مساواتهم أو الزيادة عليهم فيصيرون سببا لسعادته وباعثا على استزادته والصالحون هم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكي ابن السيد محمد شطا الدمياطي على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ٤٥ - ٥٥) .

*** حفظ الثقة :**

في علم مصطلح الحديث : حفظ الثقة لما يقرأه على الشيخ .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د . على زوين / ٣٢) .

*** حفظ الصحة :**

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم ٢٥٨٧٢

لعلي ناصح بن محمد الطبيب السمناني المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣ م .

وهو كتاب باللغة العربية في تعريف علم حفظ الصحة والمأكولات والمشروبات والألبسة وغيرها من الأمور المتعلقة بالصحة كتبت بخط المؤلف في أولها فهرس (مخطوطات/ ٩١)

وهناك مخطوط آخر لنفس المؤلف بنفس العنوان .

الرقم ٢٥٨٦٤

الأول : « سبحانك اللهم يا قدوس ... » .

وهو الجزء السابع عشر من دائرة المعارف الطبية (انظرها في موضعها) وكتب هذا الجزء باللغة العربية (مخطوطات / ٩١ ، ٩٢) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي / ٩١ ، ٩٢) .

*** حفظ الصحة (علم -) :**

تعنى مصنفات التراث الإسلامي في الطب بعلم حفظ الصحة وتوليه اهتمامها ، وقد أورده ابن رشد، وابن النفيس وابن سينا وغيرهم .

أما ابن رشد فيقول :

هذا الجزء هو أشرف الغايتين المطلوبتين بهذه الصناعة ، وهو بالجملة ينقسم أولا إلى قسمين أحدهما يقال فيه كيف تحفظ الصحة والآخر كيف تبطل الاستعدادات للأمراض المتكونة في الأبدان الصحيحة ، وكأن هذا الجزء هو وسط بين

حفظ الصحة ، وإزالة الأمراض وهذه الصناعة إنما فى قدرتها أن تحفظ أبداننا من الفساد الداخل عليها بالعَرَض، وذلك يكون فى الأكثر من تولد فضول الأغذية فى أبداننا، فإنه من البين بنفسه أنه ليس بأى تدبير اتفق، ولا بأى أغذية اتفقت تكون سلامة أبداننا ، على حال واحدة ، وهذا هو أحد الأصول الموضوعة فى هذه الصناعة، وإلا لم تكن صناعة فاعلة ، فأما مقدار ما تبلغ من ذلك ، فهو المقدار الذى تبلغه الصنائع التى غاياتها ممكن على الأكثر حصولها، وأعنى بذلك حصولها لأكثر موضوعاتها فى أكثر الأزمنة ، مثال ذلك أن التدبير الذى يصفه جالينوس للمعتدل المزاج هو تدبير فى الأكثر، يبلغ به من مزاجه ذلك المزاج أقصى ما فى طباعه أن يبلغه من العمر، فإن الهرم الطبيعى هو الذى يكون باستيلاء البرد واليبس لا تأثير لهذه الصناعة فيه ، وإلا أمكن أن يكون ناس خالدين، وهذا كله بيِّن بنفسه، والسبب فى أن غاية هذه الصناعة قد يخل وجودها فى موضوعاتها على الأقل هو السبب فيما يشبهها من الصنائع الممكنة كقيادة الجيوش، والملاحة، وذلك ليس أكثر من الاستعدادات الهيولانية، فإنه غير ممتنع أن نتوهم شخصين معتدلى المزاج قد تدبرا تدبيرا واحدا ، أحدهما بلغ بذلك التدبير أقصى ما فى طباعه أن يبلغه من العمر، والآخر تولدت عن ذلك التدبير فيه أخلاط رديئة فقتلته ، وذلك من رداءة استعداد فى مزاجه يتولد تلك الأخلاط، وإن كان لم يظهر لنا ذلك الاستعداد، لأن رب استعداد فى الطباع ليس عليه علامة ولا دليل، إذ كانت الاستعدادات غير متناهية ، ومن يرى أن ذلك التدبير الذى يصفه جالينوس لذلك المزاج يبلغ به ضرورة صاحبه أكلأ العمر فهو جاهل بجهة حصول غاية هذه الصناعة عن أفعالها، على ما نرى ذلك يعتقده عوام الأطباء ، ومن هذا قيل إن الآجال بقدر. وكذلك أيضا ليس يمتنع أن يكون إنسان مزاجه هذا المزاج يتدبر بغير هذا التدبير، ويبلغ من عمره الغاية التى يبلغها من يتدبر التدبير الكثير التخليط، لكن هذا كله فى الأقل، وبالعرض ، ولذلك ليس يخل هذا بالصناعة، ولا يسقط فائدتها ، وكثير من الناس يتفق لهم أن تكون شهواتهم ومهنهم موافقة لطبائعهم ، فتطول أعمارهم، وربما كان الأمر بالعكس ومن نسب الأمراض إلى ما يوجد عن الاختيار، وعن الأشياء التى من خارج فقد نسبها إلى نصف أسبابها، إذ كانت هذه الأشياء منزلتها منها فقط منزلة الأسباب الفاعلة، لكن لموضع شهرة هذا السبب تكاد الأطباء أن تنسب جميع ما يطرأ من الأمراض والآفات العارضة إليه، وإن طرأ أمر لم يتقدمه تدبير ردىء تحيروا، وقالوا : إن ذلك بأمر إلهى ، وذلك جهل منهم ضرورة .

وإذ قد قلنا فى مقدار ما تفيده هذه الصناعة، فلنرجع إلى حيث كنا من تعديد الأسباب المدخلة علينا الفساد بالعرض التى يمكننا بهذه الصناعة التحرز منها ، وتلك هى الأسباب الفاعلة فقط، ومن هذه ما كان وجه التحرز منها غير بيِّن بنفسه ، لأن تحرز الإنسان من حرق النار، وقطع السيف، ورض الحجر، ليس يحتاج فى ذلك إلى صناعة، إذ كان ما هو من ذلك إلى اختيارنا فالتحرز منه بيِّن بنفسه ، وما لم يكن من ذلك لاختيارنا فلا تأثير لنا فيه فنقول: ومن الأشياء المدخلة علينا الفساد بالعرض تغير الأهوية، والرياضة الغير ملائمة، مثل الصنائع الصعبة التناول، والعوارض النفسانية، مثل الغضب والفزع، وبالجملة جميع الأشياء التى تكسب سوء المزاج المادى والغير المادى، ولما كانت هذه الأشياء هى التى تدخل علينا الفساد العرضى كانت هى بأعيانها التى تلتئم إما بالتحفظ منها ، أو بإتيان الوسط فيها ، إن كان مما له وسط فى حفظ الصحة ، ولذلك ليس يلتئم حفظ الصحة بشىء سوى استعمال الأطعمة المعتدلة الكيموس، مقدرة الكمية، والوقت ، والوضع ، واستفراغ الفضول، وإصلاح الأهوية وتجنب العوارض النفسانية المكسبة سوء المزاج، وأملك هذه هو استعمال الأغذية على القانون الطبى ، واستفراغ الفضول، وهذه هى التى القول فيها أكثر فى هذه الصناعة، والفضول تستفرغ بالرياضة، والدلك ، والاستحمام، وقد تستفرغ بالأدوية ، وبخاصة الأمزجة الغير معتدلة ، وهذا النوع من الاستفراغ بالرياضة والدلك والاستحمام والأدوية هو داخل فى جنس الحفظ الذى هو التوقى مما شأنه أن يحدث ، ولذلك قد ينبغى أولا أن نقول هاهنا فى أنواع الدلك ، وأفاعيله، وأنواع الرياضة وأفاعيلها

ثم نسير بعد ذلك إلى كيف يحفظ مزاج ، مزاج من الأمزجة التسعة . (الكليات فى الطب / ٣١٥ ، ٣١٦) .

ويقسم ابن النفيس الجزء العملى من الطب إلى قسمين هما : علم حفظ الصحة ، وعلم العلاج ، فيقول عن علم حفظ الصحة :

ولنبتدئ بحفظ الصحة ، والطبيب لا يلتزم إبقاء الشباب والقوة ، ولا أن يبلّغ كل شخص الأجل الأطول فضلا عن أن يمنع الموت ؛ وذلك لأن البدن لا يمكن تكونه إلا من رطوبة مقارنة لحرارة تنضجها ، وتغذوها ، وتدفع فضلاتها ، فهى لا محالة تحللها ، وإذا دام المؤثر الواحد فى المتأثر الواحد اشتد تأثيره فى كل وقت ، وإذا كثر التحلل فنيت الحرارة لفناء مادتها ، وضعف الهضم وقل إيراده البدل الذى لولاه لم يبق البدن مدة تكونه فضلا عن استكماله ، ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة وتطفأ الحرارة ، وذلك هو الموت الطبيعى المقدر أجله لكل شخص بحسب مزاجه وقوته ، فغاية الطبيب أن يبلّغ كل شخص منتهى الأجل إن لم يتفق له مفسد خارجى ، وأن يحفظ صحة كل سن على ما يليق به ، وذلك بحماية الرطوبة عن العفونة البتة وحراستها عن التحلل الزائد على المجرى الطبيعى .

وملاك الأمر فى ذلك هو تعديل الأسباب الضرورية .

تدبير المأكول : كل صحة أردنا حفظها على حالها أو أردنا عليها الشبيه فى الكيفية ، فإن أردنا نقلها إلى أفضل منها أوردنا الضد ، ولنقتصر من الغذاء على الخبز النقى من الشوائب الردية كالشيلم ، واللحم الحولى من الضأن والعجول والأجدية والدجاج والقبج (وهو جنس طيور تصاد) والطيهوج ، والحلو الملائم ، ومن الفاكهة التين والعنب والرطب فى البلاد المعتاد فيها أكله .

وأما الأغذية الدوائية كلها فلا يلتفت إليها إلا لتعديل مزاج أو مأكول ، ولا يؤكل بلا شهوة ، ولا تدافع الشهوة الهائجة ، وليؤكل فى الصيف الغذاء البارد بالفعل ، وفى الشتاء الحار بالفعل ، وإدخال الطعام على طعام آخر لم ينهضم ردىء ، ودونه إطالة زمان الأكل فيختلف المهضوم .

وتكثير الألوان محير للطبيعة ، والغذاء اللذيذ أحمد لولا الإكثار منه ، وملازمة التفه (التفه من الأطعمة ما ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة ، ومنهم من يجعل الخبز واللحم منها) يسقط الشهوة ويكسّل ، والحامض يسرع الهرم ويجفف ويضر العصب ، والحلو يرخى الشهوة ويحمى البدن ، والمالح يجفف البدن ويهزله فلتدفع مضرة الحلو بالحامض ، والحامض بالحلو والتفه بالمالح أو الحريف وهما به ، وليترك الغذاء وفى النفس منه بقية ، وملازمة الحمية تنهك البدن وتهزله ، بل هى فى الصحة كالتخليط فى المرض ، ومراعاة العادة فى الواجبات وغيرها واجبة ، ومن اعتاد أن يستمرئ الأغذية الرديئة فلا يغتر بها فتستولد على طول الأيام أمراضا ، فلتترك بتدريج ، والصفراوى غذاؤه مبرد مرطب ، والدموى مبرد قامع ، والبلغمى مسخن ملطف ، والسوداوى مرطب ، وقد نهى المجربون عن الجمع بين أغذية يعسر علينا إثبات كثير من ذلك بالقياس .

قالوا : لا تجمع بين سمك ولبن فيولّدان أمراضا مزمنة كالجذام والفالج ، ولا لبن مع حامض ، حتى نهوا عن الجمع بين المضيرة والإجاصية (المضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير (الحامض) ، والإجاص : المشمش والكمثرى بلغة الشاميين ، وفى الوسيط : كان يُطلق فى مصر على البرقوق وثمره) ولا السويق على الأرز باللبن ، ولا الغيب على الروس ، ولا الرمان على الهريسة ، ولا الخل والأرز .

تدبير المشروب : قالوا : لا تجمع بين ماء البئر والنهر ما لم ينحدر أحدهما ، وأفضل المياه مياه الأنهار وخصوصا الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب ، أو على حجارة فيكون أبعد من قبول العفونة وخصوصا الجارية إلى الشمال أو المشرق وخصوصا المنحدرة إلى أسفل وخصوصا إذا بعد المنبع ، فإن كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه أنه حلو ، ولا يحتمل الشراب منه إلا غليلا ، فذلك هو البالغ وخصوصا إذا كان غمرا شديد الجرية ، وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من غلظ ، وأردأ منه ماء البئر ، وماء النز أردأ ، وإنما ينبغى أن يستعمل الماء بعد شروع الغذاء فى الهضم ، وأما عقيبه فيفجج ، وفى خلله أردأ ، على أن من الناس من ينتفع بذلك وهو حار المعدة ، ومن الناس

من تكون شهـوته للغذاء ضعيفـة ، فإذا شرب المـاء قـويت شهوته ، وذلك لتعديله حرارة المعدة .

وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة ... وعقيب المسهل القوى والحمام وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردىء جدا مـاء كان المشروب أو شرابا ، فإن لم يكن بد فقليل من كـوز ضيق الرأس امتصاصًا ، وكثيرا ما يكون عطشٌ عن بلغم لزج أو مالح .

تدبير الحركة والسكون البدنيين :

بقاء البدن بدون الغذاء محـال ، وليس غذاء يصير بجملته جزء عضو ، بل لا بد أن يبقى منه عند كل هضم أثر ولطخة ، فإذا تركت وكثرت على طول الزمان اجتمع شيء لـه قدر يضر بكيفيته ، بأن يسخن بنفسـه أو بالعفن أو يبرد بنفسـه أو بإطفاء الحـرارة ، وبكميتـه بأن يسد ويثقـل البدن ويـوجب أمـراض الاحتباس ، وإن استفـرغت تأذى البدن بالأدوية ، لأن أكثـرها سمية ، ولأنها لا تخلو من إخراج الخلط الصالح المنتفع به ، فهذه الفضلات ضارة تركت أو استفرغت .

والحركة أقوى الأسباب فى منع تولدها بما يسخن الأعضاء وتسيِّل فضـلاتها فـلا تجتمع على طـول الـزمان ، وهى تعـوِّد البـدن الخفـة والنشـاط ، وتجعلـه قـابـلا للغـذاء ، وتصلِّب المفاصل وتقـوى الأوتار والربـاطات والأعصـاب ، وتؤمن من جميع الأمـراض المـاديـة . وأكثـر المـزاجيـة إذا استعملت المعتدلـة منها فـى وقتها وكان بـاقى التدبيـر صوابـا ، ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء وكمال هضمه ، والرياضة المعتدلة هى التى تحمـر فيها البشرة وتربـو ويبتدئ العرق . وأمـا التى يكثر فيهـا سيلان العرق فمفرطـة ، وأى عضو كثرت ريـاضته قـوى ، وخصوصـا على نوع تلك الـريـاضـة ، بل كل قوة هـذا شـأنها ، فـإن من استكثر من الحفظ قـويت حافظتـه وكذلك المستكثر من الفكر أو التخيل ، ولكل عضو رياضة تخصه ، فللصـدر القـراءة ، وليبتـدئ فيهـا من الخفيـة إلى الجهـريـة بتدريج ، والسمـع يرتاض بـالأنغام اللـذيذة ، والبصـر بقراءة الخط الدقيق أحيـانا وبـالنظر إلى الأشياء الجميلـة ، وركوب الخيل باعتـدال رياضة البـدن كله وتحلل أكثـر مما تسخن ، وتنفع النـاقهين بتحليل بقـايـا أمـراضهم وكـذلك التمـرجح بـالـرفق ، وأمـا طـرد الخيـل فيحلل كثيـرا ويسخن ، واللعب بالصولجان ريـاضة للبدن والنفس بما يلزمه مـن الفرح بالغلبة والغضب بـالانقهـار ، وكـذلك المسابقـة بـالخيل . وركـوب السفن محرك للأخـلاط ، مثور لها ، قالع للأمـراض المـزمنة كالجذام والاستسقاء لمـا يختلف على النفس من فرح وفزع ، ويقـوى المعـدة والهضم وإذا هاج منـه غثيـان وقىء بإخـراج الفضول فلا يبادر إلى حبسه .

ومن جملة الرياضة الدلك ، ومنه خشن أى بأيد خشنة ، فيحمر اللـون ويخصِّب ما لم يقـع منه إفراط قـوى التحليل ، ومنـه صلب فيشـد ويقـوى الأعضـاء الضعيفـة ، ومنـه لين فيرخى ، ومنه كثير فيهـزِّل ، ومنه معتدل فيخصِّب ، وينبغى أن نقدم على الرياضة دلْكٌ للاستعداد لها وبعدها دلْكٌ لاسترداد القوة وتحليل ما أبقتـه الرياضة فى العضل وقـريبا من الجلد ، وليكن بأيد كثيرة لتختلف مواقعها على العضل .

تدبير النوم واليقظة :

أفضل النوم هو الغرق المتصل المعتدل المقدار ، الحادث بعد هضم الغـذاء وشروعه فى الانحدار ، وسكون مـا يتبعه من نفخة .

ومن استعـان بـالنـوم على الهضم فينبغى أن يبتـدىء أولا على اليمين قليـلا لينحدر الغذاء إلـى قعر المعدة لميلـه إلى اليمين لسهولة جذب الكبـد له فهناك الهضم أقوى ، ثم على اليسار طويلا ، ليشتمل الكبد على المعدة فيسخنها ، فإذا تم الهضم عاد إلى اليمين ليعين على الانحدار إلى جهة الكبد . والنوم أكثر تعريفـا من اليقظة على سبيل الاستيلاء من الطبيعة على المادة . واليقظـة أكثر تعريفا على سبيل الإسـالة . ومن عرق فى نومـه كثيرا ولا سبب له ظاهر فبـدنه ممتلىء من غذاء أو خلط .

تدبير الاستفراغ والاحتباس :

يجب أن يعتنى بـالطبيعة فتليـن إن احتبست بمثل المرقـة الـدهنة ، اسفيـذبـاجـة (وهى نبات مليـن للطبيعة) . كثيرة السلق ، أو بالإسفـانـاخ ، أو بـالليمونيـة بالقرطـم . وأما التين بـالقـرطم فنعم الملين وخصـوصـا للمشـايخ ، وبمثل الفتل المسهلة ، والحقن اللينـة ، والاحتقان بالـدهن ينفع المشايخ

بالتليين وترطيب الأمعاء وتسخينها . ولتحبس الطبيعة إذا أفرط لينها بمثل السُّمَّاقية والحصرمية ، والزرشكية ، والحماضية ، والتفاحية . وليقلل الدهن والسلق .

ومن المستفرغات المعتادة في حال الصحة الحمام ...

الحمام : أفضله ما كان قديم البناء ، عذب الماء ، واسع الفضاء ، معتدل الحرارة . والبيت الأول مبرد مرطب ، والثانى مسخن مرطب ، والثالث مسخن مجفف ، ولا يدخل البيت الحار إلا بتدريج ، فكيف الخروج منه ، وطول المقام فيه يوجب الغشى والكرب والجفاف ، ويابس المزاج يستعمل الماء أكثر من الهواء ، وقد يضطر إلى رش البيت بالماء وحبسه على أرض الحمام ليكثر تبخيره كما يفعل بالمدقوقين ، ومرطوب المزاج يستعمل الهواء أكثر من الماء ، وقد يضطر إلى إفراط العرق قبل استعمال الماء كما يفعل بالمستسقين . وما دام الجلد يربو فلا إفراط ، فإذا أخذ البدن فى الضمور والركب فى التزيد فقد وقع إفراط ، وليزد الدثار بعد الحمام وخصوصا فى الشتاء ؛ لأن البدن ينتقل من هواء الحمام إلى أبرد منه ، ولأن ما يتشربه البدن من ماء الحمام تزول عنه حرارته العرضية فيبرد البدن . ولا يدخل الحمام من به ورم أو تفرق اتصال ، أو حمى عفنية لم تنضج .

وقد يستعمل الحمام عقيب الغذاء فيسمن لكن يخاف منه السدد فليحترز عنها بالسكنجبين الساذج أو البزورى بحسب الأمزجة (السكنجبين مركب من الخل والعسل . ويسمى بهذا الاسم وإن كان مكان العسل سكر ومكان الخل رب السفرجل) وقد يغتذى عقيب الحمام فيسمِّن باعتدال مع أمن من السدد ، وكذلك استعمال الحمام بعد الهضم . وقد يستعمل الحمام على الخلاء فيهزِّل ويجفف . وقليل الرياضة ينبغى له أن يستكثر من الحمام المعرق ، والاغتسال بالماء البارد يقوى البدن وينشِّطه ويجمع القوى ويقويها ، وإنما يستعمل وقت الظهيرة فى قوة الصيف لمن هو حار المزاج معتدل اللحم شاب ، ويمنع منه الصبى والشيخ ومن به إسهال أو تخمة أو نزلة . والاغتسال بمياه الحمامات الكبريتية تحلل الفضول وتنفع من الفالج والرعشة والتشنج وتزيل الحكة والجرب ، وتنفع عرق النساء وأوجاع الورك (الحكة هى خلط رقيق بورقى يحدث تحت الجلد ولا يحدث منه مدة بل شىء كالنخالة ، وهو سريع الزوال) .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة للحمامات باعتبارها من المنشآت الصحية التى حرص السلف على إقامتها فى المدينة الإسلامية .

تدبير الفصول :

وليتلق الربيع بالفصد والاستفراغ بالقىء ، واستعمال المطفئات ومسكنات المواد ، وتجتنب الحركات كلها ، كالحركة المفرطة والحمام ، والشراب القوى ، والمسخنات كلها ، ويقلل الغذاء ، ويكثر الشراب الممزوج ، ويلبس فيه السنجاب والمضربات الخفيفة (المضربات جمع مضربة : كساء أو غطاء كاللحاف) .

ويلتزم فى الصيف الهدوّ ، والدعة ، والظل ، والأغذية الباردة القامعة اللطيفة كالرمانية ، ويهجر كل ما يسخن ويجفف ، وينقص الأغذية ، ويكثر من الفاكهة الرطبة كالإجاص والخيار والبطيخ الرقى ، ويلبس فيه الكتان العتيق .

ويجتنب فى الخريف كل ما يجفف ... والاغتسال ، بالماء البارد ، وشربه ، وكشف الرأس ، والاستكثار من الفاكهة .

وأما القىء فيه فيجلب الحمى ، ويحترز من برد الغدوات وحر الظهائر ، ويستقبل الشتاء بالدثار ولبس العبب والنيفق . وأما الحواصل والدلق فمفرطان لا يحتملهما إلا المبرود والمرطوب ، وتلزم الأغذية القوية الغليظة كالهريسة ، والاستكثار من اللحوم ، واستعمال الملطفات كالرشاد والأبزار الحارة والشراب القوى ، والقىء فيه يضعف ، والحركات القوية العنيفة فيه نافعة . (الرشاد : بقلة سنوية من الفصيلة الصليبية ، تزرع وتنبت برية ، ولها حب حريف يسمى حب الرشاد) وقد أوردناها تحت عنوان الحُرف بضم الحاء فى م ١٣ / ٣٧١ ، ٣٧٢ فانظرها فى موضعها .

وكذلك فعل ابن سينا ، فقد قسم الجزء العملى من أرجوزته الطبية إلى قسمين هما : علم حفظ الصحة ، وعلم العلاج أو ما أسماه « برء العلة » . وننقل لك الأبيات فيما يلى وقد احتفظنا بأرقامها المسلسلة كما وردت فى النص ، كما احتفظنا بالعناوين الفرعية التى وضعها الناظم : وسنتبع الأبيات بشرح لبعضها . قال الناظم :

القسم الثاني من الأرجوزة الطبية

وهو الجزء العملي

٧٨١ - وإذ نظمت في كتاب العلم
في الطب ما سمعته من نظم

٧٨٢ - وكان أن أنظمه في أملي
فها أنا مبتدئ بالعمل

٧٨٣ - قد قلت في مبتدأ الكتاب
ما احتجت أن أذكر في ذا الباب

٧٨٤ - وعمل الطب على ضربين
فواحد يعمل باليدين

٧٨٥ - وغيره يعمل بالدواء
وما يقدر من الغذاء

٧٨٦ - أما الذي يعمل بالتدبير
فذاك أمر ليس بالحقير

٧٨٧ - وهو على ضربين عند القسمه
فواحد يدعى بحفظ الصحه

٧٨٨ - وجزؤه الأخير برء العلمه
وهو لعمري غاية الأطبه

« تقسيم عمل حفظ الصحة »

وهو الأول من العمل ، بالدواء والغذاء :

٧٨٩ - والحفظ للصحة في الصحيح
منا بقول مطلق صريح

٧٩٠ - وللذي صحته لم تكمل
وهو على ضربين عند العمل

٧٩١ - ما ضعفه شيب بكل ذاته
وكل وقت كان من أوقاته

٧٩٢ - كالشيخ والناقه أو كالطفل
فضعفهم مختلط بالكل

٧٩٣ - ومن ترى في جسمه دليلا
يخاف منه أن يرى عليلا

٧٩٤ - ومن ترى الضعف ببعض جسمه
من جلده أو لحمه أو عظمه

٧٩٥ - كمن ترى معدته ضعيفه
باردة في طبعها سخيفه

٧٩٦ - ومنه ما آفته في الرحم
كأصبع سادسة أو ورم

٧٩٧ - وما يرى بحسب الأسنان
وفي زمان دون ما زمان

٧٩٨ - كلين المزاج في صباه
ضعف وفي كبره قواه

٧٩٩ - ويابس يضعف في الخريف
وليس في الربيع بالضعيف

« تدبير الصحيح ، بقول مطلق ، في هوائه جملة ، وخاصة في صيفه »

٨٠٠ - للحفظ في الصحة جنس مشتمل
من عمل الطب على ضربي عمل

٨٠١ - إن المزاج إن ترد بقاءه
بحاله شبه به غذاءه

٨٠٢ - والجسم إن تعزم على إخراجه
من طبعه فالضد من مزاجه

٨٠٣ - ودبر الصحيح بالإطلاق
كيما يرى على الصلاح باق

٨٠٤ - اسكن بلاد رابع الإقالم
ما كان منها ذا بخار سالم

٨٠٥ - وما على الصحراء منها يشرف
واعتمد الشرقي فهو ألطف

٨٠٦ - ومل لدى الصيف إلى الجبال
والبلد المفتوح للشمال

٨٠٧ - والليل في العالي من المجالس
وبالنهار انزل إلى الدهالس

٨٠٨ - واعدل عن الأصواف والأقطان
ومل إلى الخفيف من كتان

٨٠٩ - واستعمل البارد من ريحان
ومثل دهن الورد من أدهان

٨١٠ - واحتط على عينك من غبار
ومن دواخن ومن بخار

٨١١ - ومن شعاع الشمس والسموم
ومن لقاء الوهج من جحيم
٨١٢ - ولا تطل قراءة التدقيق
نقش وخط مُدمج التعليق

« تدبير المأكول بالجملة ، وخاصة في الصيف »

٨١٣ - أقل ما يؤكل في النهار
والليل مرة من المرار
٨١٤ - وأكثر الأكلات مرتين
والأوسط الثلاث في يومين
٨١٥ - أطل زمان الأكل تستتمه
ودقق الممضوغ تستهضمه
٨١٦ - وكل ما يأبى عليك خضمه
فإنه صعب عليك هضمه
٨١٧ - وكل ما تختار من شهي
يكره أن يغذى به دني
٨١٨ - فاقصد بحكمة إلى علاجه
بضده المصلح من مزاجه
٨١٩ - رب مزاج ليس بالسواء
يصلح بالردي من غذاء
٨٢٠ - وعادة الإنسان مثل القوه
فلا تضيع من مكان الشهوه
٨٢١ - وكل عادة تضر أهلها
فاقطع بتدريج الزمان أصلها
٨٢٢ - وقدم الرطب وأخر قابضا
وامزج بطعم الحلو طعما حامضا
٨٢٣ - وأصلح اليابس باللدونه
وأصلح البارد بالسخونه
٨٢٤ - وإن يكن سخنا فشب بالبرد
وإن يكن رطبا فشب بالضد
٨٢٥ - وإن تخف وخامة السمين
وما يسيء الهضم من دهين
٨٢٦ - نشبه بالملح أو الحريف
إنهما عون على التلطيف

أوقات الأكل :

٨٢٧ - بعد الرياضات يكون الأكل
وبعد ما يخرج منك الثفل
٨٢٨ - فاطلب لأكلك زمان الراحه
وفي مكان بارد رياحه
٨٢٩ - واجعل لذلك زمانا باردا
وكن لذا التدبير فيه قاصدا

تدبير المأكل في الصيف :

٨٣٠ - وقلل الغذاء في المصيف
ومل بما تغدو إلى اللطيف
٨٣١ - واجتنب الغليظ من لحمان
ومل إلى البقول والألبان
٨٣٢ - والسمك الطري والجديان
ووسط السن من الحملان
٨٣٣ - ومن فراريج ومن دجاج
ولحم طيهوج ومن دراج
٨٣٤ - من كزبريسة ومن سكباج
وحصرميسة وزيرباج
٨٣٥ - وجنِّب الحلواء كالخبيص
وعجة الكسراث والفصوص
٨٣٦ - ومل إلى الهلام والقريص
وكل من الطفشيل والمصوص

« تدبير المشروب »

٨٣٧ - إن شئت أن تنجو من التيات
فالجوف قسِّمه إلى ثلاث
٨٣٨ - للنفس الثلث وللغذاء
ثلث وباقيه مكان الماء
٨٣٩ - قليل ماء بارد يرويكا
وكثرة الفاتر لا يشفيكا
٨٤٠ - والثلج لا تكثره في الشراب
فإنه يضر بالأعصاب
٨٤١ - لا تسق ثلجا لسوى السمين
الندموى اللحم والمتين

٨٤٢ - حرصك لا تشرب على الخوان
إن لم يكن لشرق الإنسان
٨٤٣ - لا تأخذ الماء على الطعام
ولا على الخروج من حمام
٨٤٤ - ولا على الرياضة القويه
أو الجماع إنه بليه
٨٤٥ - وإن دعت لذلك الضروره
من قلة الصبر فخذ يسيره
٨٤٦ - حتى إذا ما ميل بالطعام
فى أسفل الجوف إلى انهضام
٨٤٧ - فخذ من الماء الذى يرويكا
أو خذ من الشراب ما يكفيكا
٨٤٨ - حتى إذا أخذت منه ريّك
عن شبع أو عن شراب أسكرك !
٨٤٩ - وجاءك العطش فلتجانب
فإن ذا العطش أمر كاذب ...

« تدبير النوم »

٨٦٢ - لا تطل النوم فتؤذى النفسا
ولا تؤرقها فتؤذى الحسا
٨٦٣ - وطول النوم لغير المنهضم
من الطعام أو على إثر التخم
٨٦٤ - ولا تطل نوما بوقت الجوع
تبخر الرأس من الترجيع
٨٦٥ - نم بامتداد إثر الطعام
حتى يحل موضع انهضام

« تدبير الحركة »

٨٦٦ - لا ترتض الرياضة القويه
ولا تودع بل على السويه
٨٦٧ - ورض من الأعضاء كى تعنينا
ما خفت أن يجمع خلطا دونا
٨٦٨ - بالمشى إن شئت أو الصراع
حتى ترى النفس فى إسراع
٨٦٩ - ولا ترض من كان ذا نحول
كى لا تزيد منه فى التحليل
٨٧٠ - ورض كثير الشحم والسمينا
ومنطقنه إن يكن بطينا
٨٧١ - وانقص من التعب فى المصيف
فأنت بالعرق فى تلطيف
٨٧٢ - وقد ذكرت فى كتاب العلم
تدبير ما تحتاجه فى الجسم
٨٧٣ - من فرغ ما يفضل أو من حبس
وما تزيد من معانى النفس

« تدبير باقى فصول العام » :

٨٧٤ - وكل ما ذكرته فى الصيف
مما أنا دبرته فى الكيف
٨٧٥ - فافعله فى المحرو والشبان
وفى الجنوبى من البلدان
٨٧٦ - وفى الشتاء فامتثل بضده
كيما تقاوم من أليم برده
٨٧٧ - وامض على الربيع والخريف
بين الشتاء منك والمصيف
٨٧٨ - وجفف الربيع والخريفا
رطبه بل جنب به التجفيفا
٨٧٩ - باقى الربيع وابتدا الخريف
دبرهما كالحال فى المصيف
٨٨٠ - وأول الربيع فى التدبير
كمثل الخريف فى الأخير
٨٨١ - دبرهما كالحال فى الشتاء
أعنى بما يسخن من غذاء
٨٨٢ - هذا الذى يفعل فى حال الحضر
ومن يسافر فاعتمده فى السفر

(من مؤلفات ابن سينا الطبية / ١٥٢ - ١٥٩) .

وإليك شرح بعض الأبيات :

٧٨٩ - أى الصحيح الجسم .

٧٩٠ - المعنى أن علم حفظ الصحة يقسم إلى قسمين : حفظ صحة الجسم ، وحفظ صحة من لم تكتمل صحته .

٧٩٢ - يقول ابن سينا : الشخص العادى الصحيح ، إذا أصيب بمرض ، فإن مرضه ينحصر فى عضو معين وزمن معين . أما الشيخ والناقه والطفل فضعفهم يشمل جميع الأعضاء وفى كل وقت .

٧٩٨ - عجز البيت : أى تضعف فى كبره قواه .

٨٠١ - المعنى : اجعل صفات الغذاء كمزاج الجسم ، إذا أردت أن يبقى على طبعه : أما إذا أردت أن تخرج الجسم من طبعه فانتخب الغذاء المضاد للطبع .

٨٠٤ - صدر البيت : رابع الأقاليم : أى الإقليم الرابع .

٨١٦ - خضمه : أى قلعه بالأضراس .

٨١٩ - يقول ابن رشد : وقد يوجد أمزجة ليست بمعتدلة توافقها أغذية رديئة ، فليس ينبغى أن يمنع عنها . ثم يقول : إن العادة تشبه الطبيعة ، وينبغى أن يعتمد فى الأغذية على إعطاء المريض ما تشتهيه نفسه .

٨٣١ - من لحمان : أى من أنواع اللحوم .

٨٣٣ - أسماء طيور .

٨٣٤ - ٨٣٦ أسماء أنواع من الطبيخ .

٨٦٣ - يقول ابن رشد : لأن النوم يجيد الهضم ، فإذا كان الطعام ، من غير قابل للهضم ، كان النوم معينا على هضمه ، وكذلك يفعل فى التخم ، أعنى أنه يصلح ما فسد فيها من الطعام بالإنضاج .

وإن النوم على الجوع يبخر الرأس من الرجيع وسائر الأخلاط التى فى البدن . لأن النوم هو انصراف الحرارة الحسية إلى معونة الحرارة الطبيعية فى الهضم . فإذا لم يكن هنالك غذاء فعلت فى الأخلاط فتولد عنها بخار فاسد فصعد فى الدماغ .

٨٦٤ - الرجيع هو الروث ، وما تجتره الإبل .

٨٧١ - يقول ابن رشد : واجعل رياضة الصيف أقل من رياضة الشتاء ، لأن الإنسان بالعرق الذى يكون فى الصيف فى تحليل دائم . وقد ذكرت فى الجزء العلمى ما يجب أن يستفرغ من الأخلاط وما يجب أن يحبس . وذكرت هنالك كيف ينبغى أن يكون من يريد حفظ صحته فى الأعراض النفسانية .

٨٧٢ - صدر البيت : كتاب العلم : أى فى القسم العلمى من الأرجوزة .

٨٧٤ - يقول ابن رشد : وكل ما ذكرته من تدبير الأبدان المعتدلة فى الصيف ، مما وصفت أنا فيه كيفيه التدبير ، فامتثل مثل ذلك فى المحرور المزاج والشباب ، وكذلك ينبغى أن يفعل فى البلاد الجنوبية لحرارتها .

٨٧٧ - ودبر الأبدان فى الربيع والخريف تدبيرا وسطا ، فى التسخين والتبريد ، أى بين تدبيرها فى الصيف وتدبيرها فى الشتاء .

(الكليات فى الطب لابن رشد / ٣١٥ ، ٣١٦ ، والموجز فى الطب لابن النفيس - تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوى ، ومراجعة د. أحمد عمار / ٥٥ - ٦٦ ، ومن مؤلفات ابن سينا الطبية - دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا / ١٥٢ - ١٥٩) .

ولدينا منظومة أخرى فى حفظ الصحة هى ألفية « رايقة النفحة فى حفظ الصحة » للشيخ رضى الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامرى الغزى ، أبى الفضل (ت ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م) ونوردها فى موضعها فى حرف الراء إن شاء الله تعالى .

*** حفظ اللسان :**

من شعب الإيمان السبع والسبعين التى أحصاها الإمام البيهقى حفظ اللسان فيقول عنها :

حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش إذ القرآن والسنة مشحونان بذلك كقوله تعالى : ﴿ **والصادقين والصادقات** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [التوبة : ١١٩] وقوله تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقوله ﴿ **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ...** ﴾ [الزمر : ٣٢] ﴿ **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾

[الزمر : ٣٣] وقوله تعالى ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ [يونس : ٦٩] .

ولحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » (أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ... باب قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ومسلم فى كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله) .

وحديث أبي شريح الخزاعي فيه أيضا « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (أخرجه البخارى فى كتاب الأدب « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » ومسلم فى كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها) (شعب الإيمان، ٥٤ ، ٥٥) .

وقال الإمام النووى : قال الله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [قٓ : ١٨] روى الشيخان عن أبي موسي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب « ومعنى يتبين يفكر أنه خير أم لا » .

وروى البخارى عن أبى هريرة أيضا عن النبى ﷺ قال إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أيضا عن النبى ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » قال الإمام النووى بعده « وهذا صريح فى أنه ينبغى أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته ومتى شك فى ظهور المصلحة فلا يتكلم وقال اعلم أنه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير فى العادة والسلامة لا يعدلها شىء » (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٦١ ، ٢٦٢) .

ويفرد أسامة بن منقذ فى كتابه النفيس « لباب الآداب » فصلا فى الصمت وحفظ اللسان يسوق فيه كعادته أمثلة من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والشعر ، وإليك ما جاء فيه :

قال الله تبارك و تعالى فى سورة النساء : ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [١١٤] .

ومنها : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴾ [١٤٨] .

ومن سورة قٓ : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [١٦ ـ ١٨] .

ومنها : ﴿ إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير * يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ [قٓ : ٤٣ ـ ٤٥] .

ومن سورة المجادلة : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير * يـأيها الذين ءامنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوىٰ واتقوا الله الذى إليه تحشرون * إنما النجوىٰ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [٨ ـ ١٠] .

أحاديث (ما بين أقواس هو من تعليقات المحقق) :

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « رحم الله امرءا قال فغنم ، أو

سكت فسلم » (نقلـه فى الجامع الصغيـر بمعناه من حـديث أبى أمـامة (رقم ٤٤٢٦) ومن حديث الحسن (٤٤٢٥) ومن حديث خالد بن أبى عمران (٤٤٢٧) وكلها بأسانيد ضعاف)

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنـه : « يا معاذ ، أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أو لك » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وقال ﷺ : « لسان العـاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبـه ، فإن كـان له تكلم ، وإن كـان عليـه سكت » (يقول المحقق إنه لكم يجد هذا الحديث) .

وروى عن النبى ﷺ : « أنه قـال لعمه العبـاس رضوان الله عليه : يعجبنى جمـالك . قال : ومـا جمال الـرجل ؟ قا ل : لسانه » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وقال النبى ﷺ : « أكثر الناس ذنوبا أكثرهم كلاما فيما لا يعنيهم » .

(نقله فـى الجامع الصغير (رقم ١٣٨٦) من حديث أبى هريرة وعبد الله بن أبى أوفى ، وأشار إلى أنه حديث حسن) .

وقال أميـر المؤمنين على رضوان الله عليه : اللسـان معيار العقل : أطيشه الجهل ، وأرجحه العقل .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينـه » (رواه الترمذى وابن ماجه وغيـرهمـا . وانظـر تفصيل الكـلام عليـه فى الترغيب (ج ٤ ص١٠ ـ ١١) وجامع العلوم والحكم (ص٧٩ ـ ٨٤) .

وعنـه ﷺ أنه قـال : « طوبى لمن ملك لسـانه ، ووسعـه بيتـه ، وبكى على خطيئتـه » (الحـديث نقلـه المنـذرى فى الترغيب عن ثوبان ، ونسبه إلى الطبرانى فى الأوسط والصغير وحسن إسنـاده (ج٤ ص ٣) ، ونسبه السيـوطى فى الجـامع الصغير إلى أبى نعيم فى الحلية (رقم ٥٣٠٨) .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : « أنـه قال : يا رسول الله ، ما كان فى صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : كان فيها : ينبغى للعاقل ـ ما لم يكن مغلوبا على عقله ـ : أن يكون حافظـا للسانـه ، عارفا بـزمانه ، مقبـلا على شانـه ، فإنه من حسب كلامـه من عمله قل كلامـه إلا فيما يعنيه » (هـذا جزء من حـديث طـويل نقل المنـذرى بعضـه فى التـرغيب (ج٣ ص١٤٧ ـ ١٤٨) ونسبه لابن حبان والحاكم فى صحيحيهما)

وروى فى حديث طويل عن أبى ذر الغفارى رحمه الله أنه قال ـ فى حديث طويل : « واجعل كـلامك كلمتين : كلمة نافعـة فى أمر دنياك ، وكلمـة باقيـة فى أمر آخرتك ، والثـالثة تضر ولا تنفع » .

وروى عن سيدنـا عيسى المسيح على نبينا وعليـه الصلاة والسلام أنـه قال : كل كلام ليس بـذكر الله تعالى فهـو لغو ، وكل سكـوت ليس بتفكر فهو غفلـة ، وكل نظرة ليسـت بعبرة فهى لهو . فطـوبى لمن كان تكلمه ذكرا ، وسكـوته افتكارا ، ونظره اعتبارا .

وعن لقمان أنه قال لابنـه : يا بنى ، من يصحب صاحب السـوء لا يسلم ، ومَن يـدخل مـدخل السـوء يتهم . ومن لا يملك لسانه يندم .

وعن عبد الله بن عمرو رحمـه الله أن رسول الله قال : « من صمت نجا » (رواه أحمـد فى المسند (رقم ٦٤٨١ و ٦٦٥٤ ج٢ ص١٥٩ و ١٧٧) ونسبـه المنـذرى فـى التـرغيب (ج٤ ص٩) للترمذى والطبرانى) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يسلم فليلـزم الصمت » (نسبـه المنـذرى (ج٤ ص٩) لابن أبى الـدنيا وأبى الشيـخ ، ونسبه السيـوطى (رقم ٨٧٤٦) للبيهقى .

وعن عقبة بن عامر رحمه الله قال : « قلت : يا رسول الله ، مـا النجـاة ؟ قـال : املك عليك لسـانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .

(الحديـث نقله المنـذرى (ج٤ ص٣) ونسبـه لأبى داود والترمذى وغيرهمـا) .

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى رحمه الله قال : « قلت : يا رسـول الله ، حدثنى بأمـر أعتصم به . قـال : قل ربى الله ، ثم استقم . قال : قلت : يـا رسول الله ، ما أخوف مـا تخاف علىَّ؟ فأخذ بلسـانه ، ثم قال : هذا » (نقلـه المنذرى (ج٤ ص٤ ، ٥) ونسبه للترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ : « لا يستكمل أحـدكم حقيقة الإيمان حتـى يخزن من لسـانه » (يقول المحقق لم يجد هذا الحديث) .

وقال ﷺ : « إذا رأيتـم من الرجل المـؤمن زهدا فى الـدنيا

وقلة منطق فاقتربوا منه ، فإنه يلقى الحكمة » رواه ابن ماجه (ج٢ ص ٢٧١) من حديث أبى خلاد ، ونقله السيوطى (رقم ٦٣٥) ونسبه أيضا لأبى نعيم والبيهقى من حديث أبى خلاد ومن حديث أبى هريرة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ، تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » . (نقله المنذرى (ج٤ ص٨) ونسبه للترمذى وابن أبى الدنيا ونقله السيوطى (رقم ٤٥٤) ونسبه لابن خزيمة والبيهقى) .

التكفير : الخضوع والانقياد هاهنا .

وعن شقيق رحمه الله : أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان على الصفا يلبى ويقول : يا لسانى قل خيرا تغنم ، واصمت تسلم من قبل أن تندم . فقيل له : ياأبا عبد الرحمن ، هذا شيء تقوله أو سمعته ؟ قال : لا ، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وعن صدقة بن عبد ربه رحمه الله قال : لما كبر آدم عليه السلام جعل بنو بنيه يعبثون به ، فيقول له آباؤهم : ألا تنهاهم؟ ! فيقول : يا بنى ، إنى رأيت ما لم تروا وسمعت ما لم تسمعوا ، رأيت الجنة وسمعت كلام ربى تبارك وتعالى ، وقال لى حين أخرجنى منها : إن حفظت لسانك أعدتك إليها .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله عند لسان كل قائل ، فليتق الله عبد ولينظر ما يقول » (نقله السيوطى (رقم ١٧٥٠) ونسبه لأبى نعيم فى الحلية عن ابن عمر ، وللحكيم الترمذى عن ابن عباس) .

قال أبو حاتم رحمه الله : طلب رجلان العلم ، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر، فكتب المتكلم إلى الصامت :

وما شيء أردت به اكتسابا
بأجمع فى المعيشة من لسان

فكتب إليه الصامت :

وما شيء أردت به كمالا
أحق بطول سجن من لسان

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله (نسبهما فيما بعد لأبى نواس ، وهو الصواب)

خلِّ جنبيك لرام
وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير
لك من داء الكلام
إنما السالم من أل
جم فاه بلجام

قالوا : أكثر ما تعرض الآفات للحيوان إنما تعرض لعدمها الكلام ، وتعرض للإنسان من قبل الكلام .

وقالوا : رب كلمة تقول : دعنى ، ورب كلمة سلبت نعمة .

وقال الشاعر :

واحذر لسانك لا تقول فتبتلى
إن البلاء موكل بالمنطق

وقال إبراهيم بن هرمة :

أرى الناس فى أمر سحيل فلا تزل
على حذر حتى ترى الأمر مبرما
فإنك لا تستطيع رد الذى مضى
إذا القول عن زلاته فارق الفما
فكائن ترى وافر العرض صامتا
وآخر أردى نفسه إن تكلما

(أبوه هرمة ـ بفتح الهاء وسكون الراء ـ وهو من مخضرمى شعراء الدولتين . ويقول أصحاب اللغة إنه آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم فى العربية . وهذه الأبيات قالها حين انصرف عن المدينة ، حين خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوصى بها أحد أصحابه من بنى مخزوم . أمالى الزجاجى ص٥).

(«و الحبل السحل والسحيل » الذى يفتل على قوة واحدة، وهذا حبل ضعيف « والمبرم » هو الحبل الذى جمع بين مفتولين ففتلا حبلا واحدا) .

وقال آخر :

إن كنت تبغى الذى أصبحت تظهره
فاحفظ لسانك واخش القال والقيلا

مـا بـال عبـد سهـام المـوت تـرشقـه
يكـون عن ربـه بـالنـاس مشغـول

كـان بكـر بن عبـد الله المـزنى رحمـه الله يطيل الصمت وينشد :

لسـان الفتى سبع، عليـه شـذاتـه
فإلا يـزع من غـربـه فهـو آكلـه
ومـا الغى إلا منطـق متتـرع
سـواء عليـه حق أمـر وبـاطلـه

(يقال « إنى لأخشى شذاة فلان » أى شره وشدته وجرأته ، وأصله القوة والحدة وقوله : « يزع » من قولهم « وزع الرجل عن هواه » كفه ، والعزب : الحدة يقال : « فى لسانه غرب » أى حدة وسفه ويقال « تترع إلى الشيء » تسرع، وتترع إلى الناس بالشر، والمتترع : الشرير المتسرع إلى ما لا ينبغى له).

وقال آخر:

سـامح النـاس ودع عـمـر
ضـك وقفـا للسبيـل
وأعـر سمعـك وقـرا
عنـد إكثـار العـذول
والـزم الصمت إذا خفـ
ـت غيـات الفضـول
فلـزوم الصمت خيـر
لـك مـن قـال وقيـل

وقال أبو العتاهية، وتروى لابنه محمد :

قـد أفلح السـاكت الصمـوت
كـلام راعـى الكـلام قـوت
مـا كـل نطق لـه جـواب
جـواب مـا تكـره السكـوت

وقال آخر :

إنطق مصيبـا بخيـر لا تكن هـذرا
عيـابـة نـاطقـا بـالفحش والـريب
وكـن رزينـا طـويل الصمت ذا فكـر
فـإن نطقت فـلا تكثـر مـن الخطب
ولا تجب سـائلا من غيـر تـرويـة
وبـالـذى عنـه لـم تسأل فـلا تجب

وقال أبو العتاهية :

(هى فى ديـوانـه (ص٢٨٢) وقـد نسبهـا البحترى فى حماسته لصالح بن عبد القدوس وهو عندنا أوثق . (الحماسة ص٢٢٩ مطبوعة اليسوعيين) ورواية البيت الأول فيها :

لا تكثـرن حشـو الكـلا
م إذا اهتـديت إلى عيـونـه)

لا خيـر فـى حشـو الكـلا
م إذا اهتـديت إلـى عيـونـه
والصمـت أجمـل بـالفتـى
مـن منطـق فـى غيـر حينـه

وقال أحيحة بن الجلاح :

والصمـت أجمـل بـالفتـى
مـا لـم يكـن عـيٌّ يشينـه
والقـول ذو خطـل إذا
مـا لـم يكـن لـب يعينـه

وقال آخر :

تعهـد لسـانك إن اللسـان
سـريع إلى المـرء فـى قتلـه
وهـذا اللسـان بـريـد الفـؤاد
يـدل الـرجـال على عقلـه

وقال آخر :

استـر العـى مـا استطعت بصمت
إن فـى الصمت راحـة للصمـوت
واجعـل الصمت إن عييت جـوابـا
رب قـول جـوابـه فـى السكـوت

وقال آخر :

متـى تطبـق علـى شفتيـك تسلـم
وإن تفتحهـمـا فقـل الصـواب
فمـا أحـد يطيـل الصمت إلا
سيأمـن أن يـنـدم وأن يعـابـا

فقل خيراً أو اسكت عن كثير
من القول المحل بك العقابا

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر رحمهم الله :

أيها المرء لا تقولن قولا
لست تدري ماذا يعيبك منه
والزم الصمت إن في الصمت حكما
وإذا أنت قلت قولا فزنه
وإذا القوم ألغطوا في كلام
ليس تعني بشأنه فاله عنه

وقال آخر :

إن السكوت سلامة ولربما
زرع الكلام عداوة وضرارا
فلئن ندمت على سكوتك مرة
فلتندمن على الكلام مرارا

(لباب الآداب / ٢٦٩ ـ ٢٧٨) .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقي . اختصار القزويني ـ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٥٤ ، ٥٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهاني / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر / ٢٦٩ ـ ٢٧٨ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص)

* **الحفظة عليهم السلام :**

من الملائكة الذين أحصاهم القزويني قال :

ومنهم الحفظة عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون : قال ابن جريج : هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وقال بعضهم : هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلا ولا نهارا . وللكفار أيضا حفظه لأن آية الحفظة نزلت في شأن الكفار وهي قوله تعالى : **﴿ كلا بل تكذبون بالدين * وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين *يعلمون ما تفعلون ﴾** [الانفطار : ٩ ـ ١٢] وفي الخبر : « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه » وفي رواية أخرى : « فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه : اتق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات ، فيفعل صاحب الشمال » وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا : يا رب قبضت عبدك فلانا فإلى أين نذهب ؟ قال الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدونني وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني ، اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة » (عجائب المخلوقات / ٤٥) .

قال صاحب الجوهرة :

بكل عبد حافظون وكلوا
وكاتبون خيرة لن يهملوا
من أمره شيئا فعل ولو ذهل
حتى الأنين في المرض كما نقل
فحاسب النفس وقل الأملا
فرب من جد لأمر وصلا

(مجموعة مهمات المتون / ١٥ ، ١٦) .

وفيما يلي مسألة عن الحافظين وردت إلى الحافظ السيوطي وأجاب عنها :

مسألة ـ *ماذا جواب إمام لا نظير له*
في العصر كلا ولا في سالف الدهر
في الحافظين على الإنسان إذ كتبا
هل بالمداد وحبر عد للبشر
وكاغد يكتبا ما كان مع قلم
أولا كذلك يا من ضاء كالقمر
أثابكم ربكم جناته كرما
بجاه خير الورى المبعوث من مضر

الجواب ـ *الله أحمد حمدا غير منحصر*
ثم الصلاة على المختار من مضر

مـداده السـريق فيمـا قـد أتى ولسـا
ن الخلق أقـلامهم قـد جـاء فـى الأثـر
وفـى الصحيفـة كتب والبطـاقـة جـا
من غيـر تعيين جنس صح فى الخبـر

(الحاوى ١ / ٣٧٧) .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٤٥ ، وجوهرة التوحيد للإمام اللقانى ، المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ١٥ ، ١٦ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٣٧٧) .

* **حفنة :**

قال عنها على مبارك : قرية من قسم بلبيس من مديرية الشرقية واقعة على ترعة منية يزيد التى فمها من بحر مويس غربى منية يزيد على بعد نصف ساعة ، ومصبها بمصرف بلبيس الواردة فيه مياه الشيبينى أحد فروع ترعة الشرقاوية ، وهى قرية صغيرة بها بعض نخيل ومن مزروعاتها صنف الحناء وليس لها سوق وإنما يتسوق أهلها من سوق بلبيس .

ثم قال : وإليها ينسب كما فى حوادث سنة إحدى وثمانين ومائة وألف من تاريخ الجبرتى القطب الكبير والإمام الشهير أوحد أهل زمانه علما وعملا ، المشهود له بالكمال والتحقيق ، والمجمع على تقدمه فى كل فريق شمس الملة والدين الإمام محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى (أوردنا ترجمته تحت عنوان « الحفنى (محمد بن سالم) فانظرها فى موضعها » (الخطط ١٠ / ١٦٨)

كما ينسب إليها أخوه الشيخ يوسف الحفنى ، وقد أوردنا ترجمته تحت عنوان « الحفنى (يوسف بن سالم) » فانظرها فى موضعها . وقد ذكرها الجبرتى فى تاريخه (١ / ٣٣٩) بألف مقصورة هكذا «حفنا » .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ــ إعداد عزت عبد المجيد الشلقانى ١٠ / ١٦٨) .

* **الحفنى (جامع ـ) (١١٧٢ هـ / ١٧٥٩ م) أثر ٤٥١ :**

أدرج هذا الأثر فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة (ص ٩) تحت عنوان « واجهة جامع الحفنى » مما يفهم منه أن الواجهة هى الأثر الباقى . وقد ذكر الأستاذ محمد كمال السيد محمد أن الجامع أزيل فى توسيع شارع الخليج . وصفه على مبارك كما كان فى زمانه فقال عنه :

هذا الجامع بقنطرة الموسكى ، بين منزل الشيخ محمد المهدى العباسى شيخ الجامع الأزهر سابقا وبين جامع القاضى يحيى زين الدين الاستدارى . أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف . وقد تخرب وبقى مغلقا غير مقام الشعائر مدة ، ثم جدد فى سنة تسعين على طرف الأوقاف ، ووجد بأعلى بابه لوح من الرخام مكتوب عليه بيت شعر وهو :

أحيـا لنـا الله بعـد مـا دثـرا
تـاريخـه مسجـد الـرحمن لا دثـرا

سنة ١١٧٢

وله أوقاف تحت نظر الديوان ، ولما مات الشيخ الحفنى دفن بالقرافة الكبرى ، وله ضريح شهير يزار ويعمل له مولد مع مولد العفيفى يصرف فيه الشيخ المهدى كثيرا .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٠٤ ، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ١٠٩) .

وقد أوردنا ترجمة الشيخ الحفنى المذكور أعلاه تحت عنوان «الحفنى (محمد بن سالم) » فانظره فى موضعه .

* **الحفنى(قنطرة ـ) :**

كانت على الخليج جنوبى تقاطعه مع شارع الأزهر بقليل . وقد أنشأ عبد الرحمن كتخدا ـ الشهير بما أجراه فى القاهرة من عمارات ومساجد ــ هذه القنطرة للشيخ الحفنى ــ وهو الثامن ممن تولوا مشيخة الأزهر على الترتيب الذى ذكره الجبرتى ليصل منها إلى الدار والمسجد اللذين أنشأهما له . وقد عرفت القنطرة باسم قنطرة الحفنى وقد أزيل الجامع المذكور فى توسيع شارع الخليج .

(أسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ١٠٩) .

* **الحفنى (محمد بن سالم) (١١٠٠ أو ١١٠١ ـ ١١٨١ هـ / ١٦٨٩ أو ١٦٩٠ ـ ١٧٦٧ م) :**

الشيخ محمد بن سالم الحفنى أو الحفناوى الشيخ الثامن من شيوخ الأزهر الشريف .

ولد ببلدة (حفنا) من أعمال بلبيس بمحافظة الشرقية فى سنة ١١٠٠ هـ .

وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر الشريف وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره واجتهد حتى أجازه أساتذته للتدريس والإفتاء ومن أهم شيوخه الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت درس عليه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى واستوعب كل كتب الحديث الشهيرة وتوافد عليه الطلاب من كل فج .

وكان من الأشراف ينتسب إلى العترة النبوية الشريفة شديد الحياء نقى النفس وبرع فى فن النثر ونظم الشعر .

وذاق مرارة الفقر ثم أقبلت عليه الدنيا فكثر ماله لكنه لم يتخل عن واجبه العلمى ومال للصوفية فكان من أقطابها يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل يظل فيها الليالى متعبدا متأملا فسمت به الصوفية .

ووجه طلابه إلى دراسة المصادر العلمية العميقة مثل الأشمونى

فى النحـو والصـرف وجمع الجـوامع فى أصـول الفقـة للسبكى ومختصر السعد فى البلاغة :

وكان ذا مهـابة يهـابه الأمـراء والحكام ولكنـه كان متـواضعا مع الفقـراء سخى اليد وتـرددت بين الناس كـراماته فـازداد مكانـة فى القلوب وتولـى المشيخة سنة ١١٧١ وتسابق العلماء إلـى استجازته وكتبوا عنه وألف العلامة الشيخ حسن المكى كتـابا فى مناقبه ونسبه وكذلك الشيخ محمد الدمنهورى المعروف بالهلباوى ألف كتابا فى مدائح الشيخ وأفـرد له الجبـرتى صفحات طويلـة وامتدحـه بما لم يمتدح أحدا (شيوخ الأزهر / ١٦ ، ١٧) .

وننقل لك ترجمة الجبرتى لـه فيما يلى قال رحمه الله فى وفيات سنة ١١٨١ هـ .

ومات الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد أهل زمانه علما وعملا ومن أدرك مـا لـم تـدركـه الأول المشهـود لـه بـالكمـال والتحقيق والمجمع على تقدمـه فى كل فريق شمس الملة والـدين محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلـوتى ، وهو شريف حسينى من جهة أم أبيه وهى السيدة ترك ابنة السيـد سالم بن محمد بن على بن عبد الكريم ابن السيـد برطع المدفـون ببركة الحـاج ، وينتهى نسبه إلى الإمام الحسين رضى الله عنه ، وكان والده مستوفيا عند بعض الأمراء بمصر وكـان على غايـة من العفاف ولـد على رأس المائة الحـادية عشرة ببلده حفنا بالقصر، قرية من أعمال بلبيس، وبها نشأ والنسبة إليها حفنـاوى وحفنى وحفنوى، وغلبت عليه النسبة حتى صار لا يذكر إلا بها ، وقرأ بها القرآن إلى سورة الشعراء ثم حجزه أبوه بإشارة الشيخ عبـد الرؤوف البشبيشى وعمـره أربع عشـرة سنة بـالقاهـرة ، فكمل حفظ القرآن ثم اشتغل بحفظ المتون ، فحفظ ألفية ابن مالك والسلم والجوهرة والرحبية وأبـا شجاع وغير ذلك . وأخذ العلم عن علماء عصره واجتهد ولازم دروسهم حتى تمهر واقرأ ودرس وأفاد فى حيـاة أشياخـه، وأجازوه بـالإفتاء والتـدريس فأقـرأ الكتب الدقيقـة كالأشمونى وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعـد، وغير ذلك من كتب الفقـه والمنطق والأصـول والحديث والكـلام ، عـام اثنين وعشرين ، وأشيـاخه الذين أخذ عنهم وتخرج عليهم الشيخ أحمد الخليفى والشيخ محمـد الـديربى والشيخ عبـد الـرؤوف البشبيشى والشيخ أحمـد الملـوى والشيخ محمد السجـاعى والشيخ يـوسف الملوى والشيخ عبده الديـوى والشيخ محمد الصغيـر ، ومن أجل شيوخه الذين تخرج بالسنـد عنهم الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهيـر بـابن الميت أخـذ عنـه التفسيـر والحـديث والمسنـدات والمسلسـلات، والإحيـاء لـلإمـام الغـزالـى ، وصحيح البخـارى ومسلم، وسنن أبـى داود، وسنن النسـائى ، وسنن ابن مـاجـه ، والمـوطأ، ومسنـد الشافعى والمعجم الكبيـر للطبـرانى، والمعجم الأوسط والصغيـر لـه أيضـا، وصحيح ابن حبـان، والمستـدرك للنيسـابورى، والحليـة للحافظ أبى نعيم ، وغيـر ذلك . وشهد لـه معاصروه بالتقـدم فى العلوم وحين جلس لـلإفادة لازمـه جل طلبة العلم ومن بهم يسمو المعقـول والمنقول وكـان إذ ذاك فى شدة من ضيق العيش والنفقة ، فـاشترى دواة وأقلامـا وأوراقا واشتغل بنسخ الكتب فشق عليه ذلك خوفا من انقطاعه عن العلم . وكان يتردد إلى زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل ويمكث فيها الليالى متحنثا

وأقبل على العلم وعقـد الـدروس وختم الختوم بحضـرة جمع العلماء ، وقرأ المنهاج مـرات وكتب عليه، وكذلك جمع الجوامع والأشمـونى ومختصر السعـد وحاشيـة حفيـده عليه ، كتب عليهـا وقرأها غيـر مرة، وكان الشيخ العلامة مصطفى العـزيزى إذا رفع إليه سؤال يرسله إليه . واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعانى النظم والنثـر، وتخرج عليـه غالب أهل عصـره وطبقته ومن دونهم كأخيـه العلامـة الشيخ يوسف والشيخ إسماعيل الغنيمى صـاحب التـآليف البديعـة والتحريـرات الرفيعـة المتوفى سنة إحـدى وستين ، وشيخ الشيوخ الشيخ على العدوى والشيخ محمد الغيلانى والشيخ محمد الزهار نزيل المحلة الكبرى وغيرهم.

وكان على مجالسه هيبة ووقار ولا يسأله أحد لمهابته وجلالته . وكـان كريم الطبع جـدا وليس لـلدنيا عنـده قدر ولا قيمـة، جميل السجـايـا مهاب الشكل عظيم اللحيـة أبيضهـا ، كأن على وجهـه قنديلا من النور .

وكان فى الحلم على جانب عظيم ومن مكـارم أخلاقه إصغاؤه لكـلام كل متكلم ولـو من الخزعبـلات مع انبسـاطـه إليه وإظهـار المحبة ولو أطال عليه، ومن رآه مدعيا شيئا سلم له فى دعواه ، ومن مكارم أخلاقه أنه لو سأله إنسان أعز حـاجة عليه أعطاها له كائنة ما كـانت ، ويجـد لـذلـك أنسا وانشـراحـا، ولا يعلق أملـه بشىء من الدنيـا، وله صدقـات وصلات خفية وظـاهرة ، وكـان راتب بيته من الخبز فى كل يـوم نحو الأردب والطاحون دائمة الـدوران ، وكذلك دق البن وشـربـات السكر، ولا ينقطـع ورود الواردين ليـلا ونهـارا، ويجتمع على مائدته الأربعـون والخمسون والستون ، ويصرف على بيوت أتبـاعه والمنتسبين إليـه . وشاع ذكـره فى أقطار الأرض وأقبل عليـه الوافـدون بـالطول والعـرض، وهادتـه الملـوك وقصده الأمير والصعلـوك، فكل من طلب شيئا من أمـور الدنيـا والآخرة وجـده . وكان رزقـه فيضا إلاهيا . وللشيخ رضـى الله عنه مناقب ومكـاشفات وكرامـات وبشارات وخـوارق عادات يطـول شرحهـا ذكرهـا الشيخ حسن المكى المعروف بشمـه فى كتابـه الذى جمعـه فى خصوص الأستـاذ، وكـذلك العـلامة الشيـخ محمد الـدمنهـورى المعـروف بالهلباوى له مؤلف فى مناقب الشيخ ومدائحه وغير ذلك (عجائب الآثار ١ / ٣٣٩ - ٣٤١) .

وكان صوفيا خلوتيـا تلقن الطريق عن السيد مصطفى بن كمال الـدين البكـرى الصـديقى . ولقن الحفنـى الكثيـرين من المشـايخ المشهـورين مثل الشيخ محمـد المنيـر والشيخ محمـد السنهـورى والشيخ محمـد الـزعيـرى والشيخ محمـد السقـا . والشيخ محمـد الفشنى والشيخ محمـود الكـردى والشيخ أحمـد العـدوى الشهيـر

بالدردير. والشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر ورئيس الديوان الذى أنشأه الفرنسيون . وغيرهم كثيرون . ومن يلقنه الشيخ من المريدين يجعله خليفة ويجيزه فى أخذ العهود والتسليك .

وأسلم على يده كثيرون . منهم الشيخ محمد المهدى سكرتير الديوان الذى أنشأه نابليون . وهو جد الشيخ محمد العباسى المهدى الشيخ الحادى والعشرين من شيوخ الأزهر. والذى كان على يده أول إصلاح للأزهر فى العصر الحديث فى عهد إسماعيل سنة ١٨٧٢ م بتنظيم امتحانات له .

وكان مطاع الرأى . لا يبرم أمر من الأمور إذا عارضه . وكان فى وقته التنافس بين على بك الكبير قبل أن يستقل بشؤون مصر وبين خليل بك بلفيا وعصبته من أمراء المماليك . وانحاز على بك الكبير ومعه صالح بك إلى الصعيد متحالفين على يد شيخ العرب همام وكان خليل بك ومن معه قد عزلوا الوالى العثمانى وأقاموا خليل بك قائمقام مكانه حتى يعين غيره من استانبول . وأراد الأمراء بمصر تجهيز حملة عسكرية - أو تجريدة كما كانوا يسمونها ضد على بك. فعارضهم الشيخ الحفنى بأن استمرار هذا الوضع خراب للبلاد. ولا بد من الصلح والتفاهم الودى. فرضخوا لرأيه مكرهين .

وتوفى الشيخ الحفنى بعد هذا المجلس بأيام قليلة . والأرجح أنه مات مسموما بمعرفتهم سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) . ويرى الجبرتى أن هزيمتهم بعد ذلك أمام على بك الكبير كانت بسبب هذه الفعلة النكراء .

وكان مليح التخريج . فقد ذكر الجبرتى أنه فسر الديباجة الشائعة فى (حواديت) العجائز من النساء : أحدتك حدوتة . بالزيت ملتوتة . حلفت ما أكلها . حتى يجى صاحبها ... إلخ فسرها كما يأتى . قال :

(أحدتك حدوتة بالزيت ملتوتة) يعنى السر الإلهى والسلاف الأحمدى الأواهى الممزوج براح القرب والتقريب المدار من الحبيب.

(حلفت ما أكلها) « أتناولها فإن القصد لا يتم بلا وسيلة . والسالك قبل كل شىء يحصل دليله .

(حتى يجى صاحبها) « أى المرشد الكامل والمربى الواصل»

(وصاحبها فوق السطوح) « يتلقى معاريج الروح . لا يذهب ولا يروح . بل إليه يراح . وبه تنتعش الأرواح

(والسطوح عاوز سلم) « يتوصل به إليه . إذ لا يمكن الصعود بلا معراج » .

(والسلم عند النجار) « أى له صاحب مخصوص وهو الأستاذ الكامل المسلك الواصل .

(والنجار عاوز مسمار) « يثبت به سلم القرب والوصول .

(والمسمار عند الحداد) « صانعه المخصوص.

(والحداد عاوز بيضة) « يعنى لا يكون شىء بلا شىء. ومن عمل عملا استحق عليه الأجر.

(والبيضة فى بطن الفرخة) « مخبوءة فى صدفها ومنفردة فى صنفها فمن أرادها فلينصب للحصول عليها .

(والفرخة عاوزة قمحة) « كى تتنفس بها فتلفظ ما فى جوفها

(والقمحة فى الأجران) « مكانها الطبيعى .

(والأجران عاوزة الدراس) « الجد والاجتهاد ... » .

وهذه درجات فى التصوف لا بد أن يسلكها السالك حتى يصل .

وكان رحمه الله حسن الفكاهة . فقد ألف عنه الشيخ حسن شمة مقامة سماها : (فيض المغنى بمدح الحفنى) ذكر فيها أنه (أى الشيخ حسن ألّف مواليا :

قالوا تحب المدمس — قلت بالزيت الحار

والعيش الأبيض تحبه — قلت والكشكار

قالوا تحب المطبق — قلت بالقنطار

قالوا إيش تقول فى الخضارى — قلت عقلى طار

وعرضها على الشيخ الحفنى فضحك وقال : إنما أحبه بالسمن لا بالزيت . وقال بداهة :

قالوا تحب المدمس — قلت بالمسلى

والبيض المشوى تحبه — قلت والمقلى

(أسماء ومسميات / ١١٠ - ١١٢) .

من مؤلفاته :

- الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية (فى التاريخ) .
- حاشية على شرح الأشمونى (لألفية ابن مالك فى النحو) .
- أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى) (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد) .
- حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة العضدية (فى علم الوضع) .
- رسالة فى النقلية فى الفروع فى أصول الفقه .
- حاشية على شرح الفوائد الشنشورية للشنشورى (فى المواريث) .
- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ﷺ .
- رسالة فى فضل التسبيح والتحميد فى الفضائل والآداب .

ـ رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى (فى البلاغة) .

ـ شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا) .

ـ مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه إقرارا بقدرتهم على الدرس والفتوى .

ومات فى ٢٧ ربيع الأول ١١٨١ هـ (شيوخ الأزهر / ١٦ ، ١٧) .

وأضاف الزركلى إلى مؤلفات الحفنى « فرائد عوائد جبرية » حاشية فى الحساب ، و « حاشية على الجامع الصغير للسيوطى . مطبوع فى جزء ين (الأعلام ٦ / ١٣٥) .

وفيما يلى بيان مخطوط كتاب الحفنى « أنفس نفائس الدرر » وهو موجود فى مكتبة المتحف العراقى الرقم ١٧٩٠ .

الأول : « حمدا لمن جعل أحبابه أدلاء على سبيل الهداية ، وأمرهم بلوامع الأنوار وسواطع الأسرار » .

وهى حاشية على شرح الهمزية لابن حجر الهيثمى .

قالت المؤلفة : جاء فى كتاب شيوخ الأزهر / ١٧ كما ذكرنا آنفا أن هذا الكتاب حاشية على همزية البوصيرى .

نسخة جيدة ، كتبت فى حياة المؤلف ، وعنوان الكتاب كتب بخط المؤلف .

٤٨ ص　　　٢١,٥ × ١٦ سم　　　٢٤ س

معجم المؤلفين ١٠ / ١٥ ، هدية العارفين ١ / ١٣٥ ، فهرس الأوقاف ٣ / ١٤ (مخطوطات الأدب / ٥٢ ، ٥٣) .

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ١٦ ، ١٧ ، وعجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ٣٣٩ ـ ٣٤١ ، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ١١٠ ـ ١١٢ ، والأعلام للزركلى وما جاء بهامش (١) من مصادره ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٢ ، ٥٣ .

انظر أيضا الأزهر فى ألف عام ـ د. أحمد محمد عوف / ١١٣) .

انظر : الحفنى (يوسف بن سالم) .

*** الحفنى (يوسف بن سالم)**

شقيق الشيخ محمد بن سالم الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ هـ نعته الجبرتى بالإمام العالم العلامة والمدقق الفهامة (الجبرتى ١ / ٣٢٩) وهو يوسف بن سالم ، ولد بحفنا (قرية بجوار بلبيس) ، وتلقى بالأزهر عن مشايخ عصره وعن أخيه محمد. انظر : الحفنى (محمد بن سالم) ثم نبغ واشتهر بالأدب والشعر، ومن أبدع مصنفاته النحوية « حاشية » على شرح الأشمونى تنافس فيها الفضلاء، ولكن الصبان تتبعها فى حاشيته هو على الأشمونى وفند كثيرا منها ، توفى سنة ١١٧٨ هـ (نشأة النحو / ٣٠٦) .

وقد ذكرها الجبرتى من بين مؤلفاته كما ذكر حاشية على مختصر السعد ، وحاشية على شرح الخزرجية لشيخ الإسلام ، وحاشية على جمع الجوامع لم تكمل ، وحاشية على الناصر وابن القاسم ، وشرح [على] شرح الأزهرية لمؤلفها ، وشرح على شرح السعد لعقائد النسفى ، وحاشية الخيالى عليه ، توفى فى شهر صفر سنة ١١٧٨ هـ (عجائب الآثار ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠) .

ويضيف الزركلى صاحب الأعلام إلى مؤلفاته فيقول : له «مقامتان » ، ورسالة فى « علم الآداب » و « شرحها » و « ديوان شعر» و « حاشية على شرح الرسالة العضديه » و « شرح التحرير » فى الفقه ، وحاشية على « شرح آداب البحث » للمنلاحنفى ، و «حاشية على شرح إيساغوجى » (الأعلام ٨ / ٢٣٢) .

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٣٠٦ ، والأعلام للزركلى ٨ / ٢٣٢ وفيه وفاته سنة ١١٧٦ نقلا عن : برنستون ٢٨٧ ، والكتبخانة ٦ / ٦٨ .

انظر أيضا الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠ / ١٧٠) .

*** الحَفِىّ :**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حفى » :

حفى : الإحفاء فى السؤال التنزع فى الإلحاح فى المطالبة أو فى البحث عن تعرف الحال وعلى الوجه الأول يقال أحفيت السؤال وأحفيت فلانا فى السؤال قال الله تعالى ﴿ **إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا** ﴾ [محمد : ٣٧] وأصل ذلك من أحفيت الدابة جعلتها حافيا أى منسحج الحافر، والبعير جعلته منسحج الخف من المشى حتى يرق وقد حفى حفا وحفوة ومنه أحفيت الشارب أخذته أخذا متناهيا ، والحفى البر اللطيف ، قوله عز وجل : ﴿ **إنه كان بى حفيا** ﴾ [مريم : ٤٧] ويقال أحفيت بفلان وتحفيت به إذا عنيت بإكرامه ، والحفى العالم بالشىء .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٥) .

قالت المؤلفة : وقال تعالى : ﴿ **يسألونك كأنك حفىٌّ عنها** ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

*** الحفيظ :**

من أسماء الله الحسنى : يفسره حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فيقول :

هو الحافظ جدا ...

ولن يفهم ذلك إلا بفهم معنى الحفظ ... وهو على وجهين :

أحدهما إدامة وجود الموجودات و إبقاؤها . ويضاده الإعدام . والله تعالى هو الحافظ للسموات ، والأرض ، والملائكة ، والموجودات التى يطول أمد بقائها ، والتى لا يطول أمد بقائها مثل : الحيوان ، والنبات ، وغيرهما .

والوجه الثانى : وهو أظهر معنى الحفظ ... صيانة المتعاديات والمتضادات بعضهـا عن بعض . وأعنى بهذا التعادى مـا بين الماء والنار؛ فإنهما يتعاديان بطباعهما ، فإما أن يطفىء الماء النار، وإما أن تستحيل النـار الماء إن غلبت فيصير بخارا ثم هـواء . والتضاد والتعادى ظـاهر بين الحرارة والبـرودة؛ إذ تقهر إحداهمـا الأخرى . وكذا بين الرطوبة واليبوسة، وسائر الأجسام الأرضية المركبة من هذه الأصول المتعـادية؛ إذ لابد للحيوان من حـرارة غريـزية لـو بطلت لبطلت حياتـه ، ولا بد لـه من رطوبة تكـون غذاء لبدنـه كالـدم وما يجرى مجراه ، ولا بد من برودة تكسـر سورة الحرارة حتى تعتدل ولا يحترق فرقه ولا يحلل الرطوبات الباطنة بسرعة .

وهذه متعاديـات متنازعات وقد جمع الله بيـن هذه المتضـادات المتنـازعـات فـى إهـاب الإنسـان وبدن الحيـوان والنبـات وسـائر المـركبات ولـولا حفظه إيـاها لتنـافـرت وتباعـدت وبطل امتزاجهـا واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذى صار مستعـدا لقبوله بالتركيب والمزاج وحفظ الله إياها بتعديل قواها مرة وبإمداد المغلوب منها ثانيا

أما التعديل فهـو أن يكون مبلغ قوة النار مثل مبلـغ قوة الحار، فإذا اجتمعـا لم يغلـب أحـدهمـا الآخـر، بل يتـدافعـان؛ إذ ليس أحـدهما بأن يُغلـب أولى من أن يَغلب ، فيتقاومـان ، ويبقى قـوام المركب بتقـاومهما أو تعـادلهما ... وهـو الذى يعبـر عنه بـاعتدال المزاج .

والثـانى : إمداد المطلـوب منهمـا بما يعيد قـوته حتى يقـاوم الغالب . ومثاله : أن الحرارة تفنى الـرطوبة وتجففها لا محالة ، فإذا غلبت ضعفت البرودة والـرطوبة وغلبت الحرارة واليبوسـة . ويكون إمداد الضعيف بـالجسم البارد الرطب وهـو الماء . ومعنى العطش هو الحاجة إلى البارد الرطب . فخلق الله تعالى البارد والرطب مدته البرودة والرطـوبة إذا غلبتا . وخلق الأطعمة والأدوية وسـائر الجواهر المتضادة ، حتى إذا غلب شيء عـورض بغيره فانقهر ... وهـذا هو الإمداد .

وإنمـا تـم ذلك بخلق الأطعمـة والأدويـة ، وخلق الآلات المصلحة لها ، وخلق المعـرفة الهادية إلى استعمـالها . وكل ذلك لحفظ أبـدان الحيـوان والمركبـات من المتضـادات . وهـذه هى الأسباب التى تحفظ الإنسان من الهلاك الداخل .

وهو متعـرض للهلاك من أسبـاب خارجـة : كسباع ضـارية ، وأعـداء منازعـة ... فحفظـه عن ذلك بما خلـق له من الجـواسيس المنذرة بقرب العدو ، وهى طلائعـه : كالعين ، والأذن ، وغيرهما . ثم خلق له اليد البـاطشة والأسلحة الدافعة : كـالدرع، والترس، والقـاضية : كـالسيف ، والسكين ، ثم ربمـا يعجـز مع ذلك عن الدفع ؛ فـأمده بآلـة الهرب وهى الـرجل للحيوان المـاشى والجناح للطائر .

وكذا شمـل حفظه جلت قدرتـه كل ذرة فى ملكـوت السموات والأرض ، حتى الحشيش الذى ينبت من الأرض يحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بـالرطوبـة . وما لا ينحفـظ بمجرد القشـر يحفظه بالشوك النابت منه ليندفع بـه بعض الحيوانات المتلفة له . فالشوك سلاح للنبات كالقـرون والمخالب والأنيـاب للحيوانـات ، بل كل قطرة مـن ماء فمعها حـافظ يحفظها عـن الهواء المضاد لهـا ؛ فإن الماء إذا جعل فى إناء وترك مـدة استحال هواء، وسلب الهواء صفة المائية عنه . ولو غمست الإصبع فـى الماء ورفعتها ونكستها تدلت منهـا قطرة تبقـى منكسـة لا تنفصل مع أن من شأنهـا الهـوى إلى أسفل ، ولكنهـا لـو انفصلت وهى صغيـرة استـولى الهـواء عليهـا وأحالها . ولا تزال تمكث متدلية حتى يجتمع إليها بقية البلل فتكبر القطـرة فتجـرى على خـرق الهواء بسرعـة ولا يستـولى الهـواء على إحـالتها وليس ذلك منهـا حفظا لنفسها عن معـرفـة بضعفها وقـوة ضدها وحاجة استمدادها من بقية البلل، وإنما ذاك حفظ من ملك موكل بها بـواسطة معنى من ذاتها . وقد ورد فى الخبـر : أنه لا تنزل قطرة من المطـر إلا ومعها ملك يحفظها إلى أن تصل إلى مستقرها من الأرض . وذلك حق المشـاهدة البـاطنة لأربـاب البصـائر، وقـد دلت عليه وأرشدت إليه ؛ فآمنوا بالخبر لا عن تقليد بل عن بصيرة

والكلام أيضـا فى شرح حفـظ الله تعالى السموات والأرض وما بينهما ـ طويل كما فى سائر الأفعال ، وبه يعرف معنى هذا الاسم لا بمعرفة الاشتقاق فى اللغة . وتوهم معنى الحفظ على الإجمال .

تنبيه : الحفيظ من العبـاد : من حفظ جوارحـه وقلبه ، وحفظ دينه ، عن سطوة الغضب، وجلابة الشهوة ، وخداع النفس، وغرور الشيطان ؛ فإنـه على شفا جرف هـار، وقد اكتنفته هـذه المهلكات المفضية إلى البوار (المقصد الأسنى / ١٠٠، ١٠١) .

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره بقوله :

قال تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ [البقـرة : ١٥٥] وقـال : ﴿فالله خير حافظا ﴾ [يوسف : ٦٤] .

وقال تعـالى : ﴿ إنـا نحن نزلنـا الذكـر وإنا لـه لحافظـون ﴾ [الحجر : ٩] وقال : ﴿ وحفظا من كل شيطان مارد ﴾[الصافات : ٧]

واعلم أن الحفيظ أشـد مبالغة من الحـافظ كالعليم والعـالم ، وللحفظ معنيان :

أحدهما ضد السهـو والنسيـان ، ويرجع معناه إلى العلم ، فهو تعالـى حفيظ للأشيـاء بمعنى أنه يعلم جملهـا وتفاصيلهـا علما لا يتبدل بالزوال ، والسهـو والنسيان .

والثانى : الحفيظ الـذى هو ضـد التضييع ، وهو حـراسة ذات الشىء، وجميع صفـاتـه وكمـالا تـه عن العـدم ، قـال تعـالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] أى لا تهملوهـا ولا تضيعوهـا . فهو سبحانـه وتعالى حـافظ السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ وحافظ الكتب التى أنزلها عن التحريف والتبديل، قال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ثم تأمل أحـوالك فـى دينك ودنيـاك ، أمـا الـدين فـانظـر إلى الأكابر الذين زاغوا بأدنى شبهة ، أمـا إبليس فانظر كم عبد الله وكم

أطاعه ، ثم ضل بأدنى شبهـة !! وانظـر إلى أكـابـر الطبيعيين ، وحذاق المهندسين والمنجمين ، كيف زاغوا بأخس شبهة !! حتى تعرف أنك إنمـا بقيت على الحق بحفظ الحق وعنايتـه ، وانظر إلى الخليل عليـه السلام مع جـلالة قدره كيف قال : ﴿ رب هب لـي حكما وألحقنى بـالصالحين ﴾ [الشعـراء : ٨٣] وقـال : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] وقال الكليم عليه السلام . ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ [طه : ٢٥] وقال تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ ولولا أن ثبتناك ﴾ [الإسراء : ٧٤] الآية وقال : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ [المائدة : ٧٦] وقال المـؤمنون ، ﴿ ربنا لا تزغ فى قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٧] .

وأمـا الـدنيا فـاعـرف كم فيهـا من جهات الآفـات ، وأسبـاب المخافـات !! ثم تأمل من الذى دفعهـا عنك ، كما قـال تعالى : ﴿ قل من يكلؤكم بالليـل والنهار من الرحمن ﴾ [الأنبيـاء : ٤٢] وأيضـا وكل على عبـاده أشخـاص من المـلائكـة ليحفظـوهم عن الآفات ، قال تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [الرعد : ١١] أى بأمـره ، وأيضا يحفظ على الخلق أعمالهم ، ويحصى عليهم أقوالهم ، كما قال تعالى : ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ [الأنفال : ٤٣] وكما قال ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٩٢] .

بل هاهنا بحث أعلى ذكـرناه ، وهو أنه ثبت بالبـرهان أن كل ما كان ممكن الوجود فإنه كما يحتاج إلى المرجح حال حدوثه ، فكذا يحتاج إليه حال بقائه ، ولولا المبقى لما بقى شىء من الممكنات ، فالحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظ جميع الممكنات من العود إلى العدم ، وأيضا الحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظ السموات عن الهوى والسقوط ، كما قال ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ [فاطر : ٤١]وهو الـذى خلق الأرض على وجه البحر، ثم إنه بقـدرته يحفظهـا عن الغوص بكليتها فـى البحر. مع أن طبع الأرض الغوص فى المـاء ، وهو الذى مـرج بين العناصـر المتضادة الفوارة بعضها عن بعـض بالطبع ، فهو سبحانه وتعـالى ركب أبدان الحيـوانات منهـا ، وأمسك كل واحـد منهـا مع ضده على خـلاف مقتضى طبعه .

وأما حظ العبد : أما فى قوتـه النظرية فهو أن يجتهد فى حفظها عن اتباع الشبهات والبـدع ، وأما فى قوته العمليـة فهو أن يحفظها عن الانقيـاد لمقتضى الشهـوة والغضب ، وقـد بينا فيمـا تقـدم أن الفضيلة فى الـوسط ، والرذيلـة فى الطرفين ، والـوسط بين الشمس والظل هو الخط المستقيم ، وهو طول لا عرض له ألبتة ، فكان أحدّ من السيف لا محالة ، وأدق من الشعرة ، وأنه هو الصراط المستقيم الذى يجب عليه السعى فى هذا اليوم ، وهو طريق ممدود على متن جهنم ، فيجب على الإنسان أن يحفظ نفسه عن الميل إلى الطرفين

ومن المعلوم أن المشى فى الـدنيا على هـذا الصراط المستقيم مختلف ، فمنهم من يمشى عليـه كـالبـرق الخـاطف ، ومنهم من يمشى عليه بأنواع التعب والشدة .

أما المشايخ : فقالوا : الحفيظ الـذى صانك فى حال المحنة عن الشكوى ، وفى حال النعمة عن البلوى .

وقيل : الحفيظ من هداك إلى التوحيـد ، وخصك فى الخدمة بأنواع الحفظ والتسديد .

وقيل الحفيظ الـذى حفظ سرك عن مـلاحظـه الأغيار ، وصـان ظاهرك عن موافقة الفجار .

قـال بعضهم : مـا من عبد حفـظ جوارحـه إلا حفظ الله عليـه قلبه ، وما مـن عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله حجـة على عباده (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٦٣ـ ٢٦٦) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغـزالى ـ دراسة وتحقيق محمـد عثمان الخشت / ١٠٠ ، ١٠١ ، وشـرح أسماء الله الحسنى لفخر الـدين الرازى ـ راجعه وقـدم له وعلق عليه الأستاذ طـه عبد الرءوف سعد / ٢٦٣ـ ٢٦٦) .

* **الحق :**

قال الراغب الأصفهانى :

الحق : أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة والحق يقال على أوجه :

الأول : يقال لموجد الشىء بسبب مـا تقتضيه الحكمـة ولهذا قيل فى الله تعـالى هـو الحق ، قال الله تعـالى : ﴿ ثم ردوا إلـى الله مولاهم الحق ﴾ [الأنعام : ٦٢] وقيل بُعَيْـد ذلك : ﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ [يونس : ٣٢] .

والثانى : يقـال للموجـد بحسب مقتضى الحكمة ولهـذا يقال فعل الله تعالى كله حـق ، وقال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمـر نورا ﴾ إلى قـوله تعـالى : ﴿ مـا خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ [يونس : ٥] وقال ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق ﴾ [يونس : ٥٣] ﴿ وتكتمون الحق ﴾ [آل عمران : ٧١] وقوله عز وجل ﴿ الحق مـن ربك ﴾ [البقـــرة : ١٤٧] و [آل عمران : ٦٠] ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] .

والثالث : فى الاعتقاد للشىء المطابق لما عليه ذلك الشىء فى نفسه كقولنـا اعتقاد فلان فى البعث والثواب والعقـاب والجنة والنار حق ، قال الله تعالى : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لمـا اختلفوا فيه من الحق ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

والرابع : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفى الـوقت الذى يجب كقـولنـا فعلك حق وقولك حق ، قـال الله تعالى ﴿ كذلك حقت كلمة ربك ﴾ [يونس : ٣٣] ﴿ حق القول منى لأملأن جهنم ﴾ [السجدة : ١٣] وقوله عز وجل : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ [المـؤمنون : ٧١] يصح أن يكون المـراد به الله تعالى ويصح أن يراد به الحكم الذى هو بحسب مقتضى الحكمة . ويقال أحققت كـذا أى أثبته حقـا أو حكمت بكونـه حقا ، وقـوله تعالى : ﴿ ليحق الحـق ﴾ [الأنفـال : ٨] فإحقــاق الحق على

ضربين : أحدهما بإظهار الأدلة والآيات كما قال تعالى : ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ [النساء : ٩١] أى حجة قوية .
والثانى بإكمال الشريعة وبثها فى الكافة كقوله تعالى : ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ [الصف : ٨، ٩] وقوله تعالى : ﴿الحاقة* ما الحاقة﴾ [الحاقة : ١، ٢] إشارة إلى القيامة كما فسره بقوله ﴿يوم يقوم الناس﴾ [المطففين : ٦] لأنه يحق فيه الجزاء، ويقال حاققته فحققته أى خاصمته فى الحق فغلبته وقال عمر رضى الله عنه : « إذا النساء بلغن نص الحقاق فالعصبة أولى فى ذلك » وفلان نزق الحقاق إذا خاصم فى صغار الأمور، ويستعمل استعمال الواجب واللازم والجائز، نحو ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم : ٤٧] ﴿ كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين﴾ [يونس : ١٠٣] وقوله تعالى ﴿ حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ [الأعراف : ١٠٥] قيل معناه جدير، وقرئ حقيق علىَّ قيل واجب، وقوله تعالى ﴿ وبعولتهن أحق بردهن﴾ [البقرة : ٢٢٨] والحقيقة تستعمل تارة فى الشيء الذى له ثبات ووجود كقوله ﷺ لحارثة : «لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » أى ما الذى ينبئ عن كون ما تدعيه حقا ، وفلان يحمى حقيقته أى ما يحق عليه أن يحمى . وتارة تستعمل فى الاعتقاد كما تقدم وتارة فى العمل وفى القول فيقال فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرائيا فيه ، ولقوله حقيقة إذا لم يكن فيه مترخصا ومستزيدا ويستعمل فى ضده المتجوز والمتوسع والمتفسح ، وقيل الدنيا باطل والآخرة حقيقة تنبيها على زوال هذه وبقاء تلك . وأما فى تعارف الفقهاء والمتكلمين فهى اللفظ المستعمل فيما وضع له فى أصل اللغة ، والحِق من الإبل ما استحق أن يحمل عليه والأنثى حقة والجمع حقاق وأتت الناقة على حقها أى على الوقت الذى ضربت فيه من العام الماضى (المفردات / ١٢٥، ١٢٦) .

وعن الحق وأوجه وروده فى القرآن الكريم يقول الإمام ابن الجوزى :

الحق : الصواب والصحيح وضده الباطل .

والحقيقة : ما يصير إليه حق الأمر، وحق الشيء: إذا وجب، وحاق فلان فلانا إذا خاصمه ، وادعى كل واحد منها الحق فإذا غلبه قيل حقه وأحقه ، ويقال : احتقوا فى الدين إذا ادعى كل واحد الحق ، والحاقة : القيامة ، لأنها تحق بكل والحقة من أولاد الإبل التى استحق أن يحمل عليها ، والجمع حقاق والحقة معروفة ، والجمع حقق ، والحقحقة أرفع السير وأتعبه للظهر .

قال مطرف :

إن خيـر الأمـور أوسطها
وإن شـر السيـر الحقحقـة

والحق فى القرآن على ثمانية عشر وجها :

أحدها : الله عز وجل ، ومنه قوله تعالى فى المؤمنين ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ [المؤمنون : ٧١] .

الثانى : القرآن ، ومنه قوله تعالى فى الأنعام ﴿ فقد كذبوا بالحق﴾ [الأنعام : ٥] ، وفى القصص ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ [القصص : ٤٨] وفى الزخرف ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ [الزخرف : ٢٩] .

والثالث : التوحيد ، ومنه فى المؤمنين ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ [المؤمنون : ٧٠] وفى القصص ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ [القصص : ٧٥] ، وفى العنكبوت ﴿ أو كذب بالحق لما جاءه﴾ [العنكبوت : ٦٨] وفى الصافات ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ [الصافات : ٣٧] .

والرابع : الإسلام ومنه فى الأنفال ﴿ ليحق الحق﴾ [الأنفال : ٨]، وفى بنى إسرائيل ﴿ وقل جاء الحق﴾ [الإسراء : ٨١] وفى النمل ﴿ إنك على الحق المبين﴾ [النمل : ٧٩] .

والخامس : العدل ، ومنه فى الأعراف ﴿ افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف : ٨٦] وفى النور ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ [النور : ٢٥] ، وفى الأنبياء ﴿ قال رب احكم بالحق﴾ [الأنبياء : ١١٢] وفى صَ ﴿ فاحكم بيننا بالحق﴾ [صَ : ٢٢]

والسادس : الصدق ، ومنه فى الأنعام ﴿ قوله الحق﴾ [الأنعام: ٧٣] وفى يونس ﴿ قل إى وربى إنه الحق﴾ [يونس : ٥٣] .

والسابع : المال، ومنه فى البقرة ﴿ وليملل الذى عليه الحق﴾ [البقرة : ٢٨٢] وفيها ﴿ فإن كان الذى عليه الحق سفيها﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

والثامن : الوجوب ، ومنه فى تنزيل السجدة ﴿ حق القول منى﴾ [السجدة : ١٣] وفى المؤمن ﴿ حقت كلمة ربك﴾ [غافر: ٦] ، وفى الأحقاف ﴿ حق عليهم القول﴾ [الأحقاف: ١٨].

والتاسع : الحاجة ، ومنه فى هود ﴿ ما لنا فى بناتك من حق﴾ [هود : ٧٩] .

والعاشر : الحظ، ومنه فى سأل سائل ﴿ فى أموالهم حق معلوم﴾ [المعارج : ٢٤] .

والحادى عشر : البيان ، ومنه فى البقرة ﴿ الآن جئت بالحق﴾ [البقرة : ٧١] ، وفى هود ﴿ وجاءك فى هذه الحق﴾ [هود : ١٢٠] .

والثانى عشر : أمر الكعبة، ومنه فى البقرة ﴿ ليكتمون الحق﴾ [البقرة : ١٤٦] .

والثالث عشر : إيضاح الحلال والحرام ، ومنه فى البقرة ﴿ **بأن الله نزل الكتاب بالحق** ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

والرابع عشر : لا إله إلا الله ، ومنه فى الرعد ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ [الرعد : ١٤] .

والخامس عشر : انقضاء الأجل ، ومنه فى قَ ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ [ق : ١٩] .

والسادس عشر : المنجز ، ومنه فى براءة ﴿ **وعدا عليه حقا** ﴾ [التوبة : ١١١] وفى الكهف ﴿ **وكان وعد ربى حقا** ﴾ [الكهف : ٩٩] .

والسابع عشر : الجرم ، ومنه فى البقرة ﴿ **ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ [البقرة : ٦١] وفى آل عمران ﴿ **بغير حق** ﴾ [آل عمران : ٢١ ، ١١٢] .

والثامن عشر : الحق المضاد للباطل ، ومنه فى يونس ﴿ **مولاهم الحق** ﴾ [يونس : ٣٠] .

وفى الحج ﴿ **ذلك بأن الله هـو الحق** ﴾ [الحـج : ٦٣] وفـى الروم ﴿ **وما بينهما إلا بالحق** ﴾ [الروم : ٨] (منتخب قـرة العيون / ١٠٠ ـ ١٠٤) .

ويجمل هذه الأوجه فضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمـه الله فى بحث من بحوثـه النفيسة فيقـول تحت عنوان «الناس أمام الحق فريقان :

﴿ **يأيهـا الناس قـد جاءكـم الحق من ربكم فمن اهتدىٰ فإنمـا يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** ﴾ [يونس : ١٠٨] .

إن الإسلام ـــ وهو دين الله العام الـذى بعث به كل رسلـه وأنزل لبيانه كل كتبه ـ تدور شرائعه وأحكامه مهما تعددت وتنوعت ، حول كلمة واحدة هى « الحق » .

والحق هـو مـا تشهـد به الفطر التى لم تفسـد ، وتطمئن إليـه النفوس التى لم تدنس ، وتطيب به الحياة التى لم ينحرف أهلها عن الصراط المستقيم .

والحق يتنوع إلى : حق فى العقيدة : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمـد * لم يلـد ولم يـولد * ولم يكـن له كفـوا أحـد** ﴾ [سورة الإخلاص] وحق فى العبادة : ﴿ **ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خلق كل شيء فاعبـدوه وهو على كل شيء وكيل** ﴾ [الأنعام : ١٠٢] وحق فى المعـاملة : ﴿ **كونـوا قوامين بـالقسط شهداء لله ولـو على أنفسكم** ﴾ [النساء : ١٠٣] وحق فى السلوك : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حـولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** ﴾ [آل عمران : ٥٩] ﴿ **ولا تستـوى الحسنة ولا السيئـة ادفع بـالتى هى أحسن فإذا الـذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ [فصلت : ٣٤] وللحق فى الأنفس والآفـاق والمجتمعـات ، شـواهد وآثـار ، تميزه وتجليـه وتهـدى إليـه ، وليس كل النـاس سـواء فى نقـاء الفطـرة ، وصفـاء النفس ، وسلامة التصـور فيعرفونه من دلائلـه وآثاره ، ويؤمنون بـه ، وينزلون على حكمه ، فى العقيدة والعبادة ، والمعاملة والسلوك .

ومن هنا كانوا أمام الحق فـريقين ، فريق تسلم فيه قوة الخير ، فيعرف الحق ويعمل به فى خاصة نفسه ، فيكمل بالعلم والعمل ، ثم يندفع بحكم الـرحم الإنسانى وابتغاء مرضـاة الله ، ومحبة الخير لعبـاده ، إلى تكميل النـاس بمـا كمل بـه نفسـه ، فيـدعـوهم إلى الحق ، ويعمل جهده فـى إنقاذهم من الباطل الـذى تحجب عنهم غشاوته نو ر الحق ، وتقطع دونهم مدده .

وفريق آخر تنمو فى نفسه قوة الشر بتأثير بيئة فـاسـدة ، أو وراثة ضالة أو شهوة طائشة ، وبـذلك يتخيل أن إيمانه بما قر فى الضمير الإنسانى أنه حق ، يزلزل مكانتـه فى قومه ، أو يقطعه عن سلفه ، أو يسد عليه منافذ شهوته ، فينفـر منه ويعرض عنه ، ويقع عنده موقع السخط والإنكار وينطلق فى الحياة كالـوحش فى الفلاة يفترس من الأحيـاء مـا أمكنه أن يفتـرس ، وينتهك من الأعـراض مـا أمكنـه أن ينتهك ، ويستلب من الأموال ما أمكنـه أن يستلب ، وليس لديه من الموازين ما يتحاكم إليه فى معرفة ما ينبغى أن يفعل فيفعله ، وما لا ينبغى أن يفعل فلا يفعله ، ولا يقف فى ذلك عند نفسه ، بل يشتط ويعمل جاهـدا فى صرف النـاس عن الحق وتأليبهم عليـه ، يلبسه بالباطل ويلقى عليه الشبه والشكـوك ليطمس معالمه ، ويطفئ نوره إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

فريقان : فريق يهتدى ويهدى ﴿ **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ [الأعراف : ١٨١] .

وفريق يَضل ويُضل ﴿ **ومن الناس من يجـادل فى الله بغير علم ولا هـدى ولا كتٰب منير * ثـانى عطفـه ليضل عن سبيل الله لـه فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ [الحج : ٨ ، ٩] .

وقد كـان رسل الله وأتباعهم مـن بعدهم ، يمثلون فـى العصور المختلفة ، الفـريق الأول ، يعرفـون الحق ، ويشرق عليهـم نوره ، فيؤمنون به ، ويخلصون فى الدعوة إليه .

وكان غيرهـم من رءوس الكفر والنفاق ، ودعاة الإباحية ـ أرباب الجاه الزائف أو السلطـان الغاشم أو التصور الفاسـد ، الذين ابتلى الله بهم عبـاده المخلصين فى كل عصـر وفى كل مكـان ـــ يمثلـون الفريق الثـانى ، يكفرون بالحق ويصـدون عن سبيلـه ، ويفتنـون الناس فيه .

وقد صـور الله إعراضهم عن الحق ودعوتـه بما حكى عنهم فى أنفسهـم ﴿ **قلوبنـا فى أكنة مما تدعـونا إليه وفى آذاننا وقـر ومن بيننا**

وبينك حجـاب ﴾ [فصلت : ٥] وكــذلك صـور طــريقتهم فى محاولـة صرف الناس عن الحق بمـا حكى عنهم أيضا بـالنسبة إلى الدعوة ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦]. وبالنسبة إلى الداعى : ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ [المنافقون : ٧] .

وهذان طريقـان يسلكهما أهل الضلال فى كل عصـر لمحاربة الحق ودعوتـه ، ينكرونه ويظهـرون التبرم به ، ويحـذرون الإنصات إليه ، ويضربون الحصار على أهله .

وبذلك وقع الصراع فى حياة الناس ، وفيما يرى من مظـاهرها بين « الحق والباطل » .

والله هو الحق . والحق دعوته والشيطـان هو الباطل ، والباطل دعوته ، وقـد ضرب الله المثل للحق والباطل ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾ [الرعد : ١٧] .

وقد رسم لعبـاده المخلصين ما يقيهم ويقى دعوتهم شـر التأثر بأراجيف المبطلين وكيدهم فكفل لهم بوعده الحق، النصر والتأييد مـا استقاموا على طـريقته وتمسكـوا بحقـه ، وجـاهدوا فى سبيلـه ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩].

وأكد لهم أن كل ما يبذله المعـارضون أعداء الحق فى مكافحته وإضعـاف سلطـانـه والتضييق علـى أهلـه سينقلب عليهم شـره ، وسترتد أسلحتهم إلى نحورهم حادة قتالة ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونهـا ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

وكذلك يؤكدلهم بإيمـانهم وإخلاصهم فى الدعوة إلى الحق ، وصبرهم على مشاقهـا فى حضانته ومعيته ﴿ إن الله مع الذيـن اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] معيـة حفظ ورعـايـة ، ونصر وتأييد، يربط بها على قلوبهم فلا يصل إليها شىء من بواعث الخوف والحزن ﴿ إن الذين قـالوا ربنا الله ثم استقامـوا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ [فصلت : ٣٠] .

ثم يرشدهـم إلى سمو مكانتهم عنده ، وأنهم بالدعوة إلى الحق أو التضحية فى سبيله بمنزلة لا يوجد فى حكمه وقضائه أحسن منها ولا أسمى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

هذا ولـدعوة الحق صور وجوانـب ، فالدعوة إلى الإيمـان بالله وتوحيده فى العبادة والاستعانة ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى مكافحة الظلم والطغيان ، وإقرار العدل بين الناس دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى تطهير النفوس والمجتمعات من الأخلاق الفاسدة والتقاليد الضارة دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى تحرير البـلاد وتخليصها من مخالب المستعمرين لتكون خالصة لأهلها ، ينظمون بأحكام الله شئونها ، ويستثمرون بما رسم خيرها ، دعوة إلى الحق .

والـدعـوة إلى الخيـر والأمر بـالمعـروف والنهى عن المنكـر ، والتحذيـر من موالاة الأعـداء، واتخاذهم بطـانة من دون المـؤمنين دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى نبذ الأمور الشخصيـة والتحلل من المعانى الذاتية فى سبيل الصالح العام والتضامن العام ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى نشر دين الله ، وبث تعاليمه خالصة نقية من عمل الدساسين ، وبـدع الضالين ، الذين يكتبون بأيديهم ويقـولون هذا من عند الله ، دعوة إلى الحق .

والـدعـوة إلى الحق فى جميع صـورهـا ، دعـوة إلى الله (مـن توجيهات الإسلام / ٢٥ ـ ٢٩) .

(المفـردات فى غريب القـرآن للـراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمـد سيـد كيـلانى / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ومنتخب قرة العيـون النـواظـر فى الوجـوه والنظائر فى القـرآن الكريم لـلإمام ابـن الجوزى ـ تحقيـق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٠٠ ـ ١٠٤ ، ومن توجيهات الإسلام ـ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق / ٢٥ ـ ٢٩) .

* **الحق :**

« الحق » من أسمـاء الله الحسنى ويشرح الإمـام الغزالى معنـاه فيقول :

هو الذى فى مقابلة الباطل ...

والأشياء قـد تستبان بأضدادها . وكل مـا يخبر عنه فإمـا باطل مطلقا وإما حق مطلقا، وإما حق من وجه ـ باطل من وجه .

فالممتنع بـذاته هـو البـاطل مطلقا، والـواجب بذاتـه هو الحق مطلقا، والممكن بذاتـه الواجب بغيره هو حق من وجـه ـ باطل من وجه فهو من حيث ذاتـه لا وجود له فهو باطل، وهـو من جهة غيره مستفيد للوجود فهو من الوجـه الذى يلى مفيد الوجود فهو من ذلك الوجه حق ، ومن جهة نفسـه باطل . ولذلك : ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] وهو كذلك أزلا وأبدا ليس فى حال دون حـال لأن كل شىء سـواه أزلا وأبـدا من حيث ذاتـه لا يستحق الوجود . ومن جهته يستحق ؛ فهو باطل بذاته حق بغيره .

وعند هذا تعرف الحق المطلق هو الموجود الحقيقى بذاته الذى منه يأخذ كل حق حقيقته .

وقد يقال أيضـا للمعقول الذى صادف بـه العقل الموجود حتى طـابقه أنـه حق، فهـو من حيث ذاته يسمـى موجـودا، ومن حيث إضافته إلى العقل الذى أدركه على ما هو عليه يسمى حقا .

فإذن أحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى؛ فإنه حق فى نفسه، أى مطابق للمعلوم أزلا وأبدا، ومطابقة لذاته لا لغيره لا كالعلم بوجود غيره، فإنه لا يكون إلا ما دام ذلك الغير موجودا، فإذا عدم عاد ذلك الاعتقاد باطلا، وذلك الاعتقاد أيضا لا يكون حقا لذات المعتقد؛ لأنه ليس موجودا لذاته، بل هو موجود لغيره

وقد يطلق ذلك على الأقوال، فيقال: قول حق، وقول باطل. وعلى ذلك فأحق الأقوال قول لا إله إلا الله؛ لأنه صادق أبدا وأزلا لذاته لا لغيره.

فإذن يطلق الحق على الوجود فى الأعيان، وعلى الوجود فى الأذهان وهو المعرفة، وعلى الوجود الذى فى اللسان وهو النطق.

فأحق الأشياء بأن يكون حقا هو الذى يكون وجوده ثابتا لذاته أزلا وأبدا، ومعرفته حقا أزلا وأبدا، والشهادة له حقا أزلا وأبدا، وكل ذلك لذات الموجود الحقيقى لا لغيره.

تنبيه: حظ العبد من هذا الاسم أن يرى نفسه باطلا، ولا يرى غير الله حقا، والعبد إن كان حقا فليس حقا بنفسه، بل هو حق بالله فإنه موجود به لا بذاته، بل هو بذاته باطل لولا إيجاد الحق له. فقد أخطأ من قال: أنا الحق. إلا بأحد تأويلين: أحدهما: أن يعنى أنه بالحق. وهذا التأويل بعيد؛ لأن اللفظ لا ينبىء عنه، ولأن ذلك لا يخصه، بل كل شىء سوى الحق فهو بالحق. التأويل الثانى: أن يكون مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره. وما أخذ كلية الشىء واستغرقه فقد يقال إنه هو هو كما يقول الشاعر:

*** أنا من أهوى ومن أهوى أنا ***

ويعنى به الاستغراق.

وأهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤية فناء أنفسهم من حيث ذاتهم كان الجارى على لسانهم من أسماء الله تعالى فى أكثر الأحوال هو الحق؛ لأنهم يلحظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك فى نفسه.

وأهل الكلام لما كانوا أبعد فى مقام الاستدلال بالأفعال كان الجارى على لسانهم فى الأكثر اسم البارى الذى هو بمعنى الخالق.

وأكثر الخلق يرون كل شىء سواه فيستشهدون عليه بما يرونه، وهم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿ **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء** ﴾.

والصديقون لا يرون شيئا سواه فيستشهدون به عليه، وهم المخاطبون بقوله: ﴿ **أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد** ﴾ (المقصد الأسنى/ ١١٢، ١١٣).

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره على النحو التالى:

قال تعالى ﴿ **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق** ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال: ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل** ﴾ [لقمان: ٣٠] وهو أيضا محق الحق، قال. ﴿ **ويحق الله الحق بكلماته** ﴾ [يونس: ٨٢] وأيضا وعده حق، قال تعالى: ﴿ **إن وعد الله حق** ﴾ [لقمان: ٣٣].

واعلم أن الحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، وإذا كان الشىء واجب الوجود لذاته كان اعتقاد وجوده، والإقرار بوجوده يكون مستحق التقدير والإثبات، فلا جرم يسمى هذا الاعتقاد، وهذا الإقرار حقا، أما إذا كان واجب العدم كان اعتقاد وجوده، والإقرار بوجوده مستحق العدم، فلا جرم يسمى هذا الاعتقاد وهذا الإقرار باطلا.

إذا عرفت هذا فنقول: الشىء إما أن يكون واجبا لذاته، أو ممتنعا لذاته، أو ممكنا لذاته، أما الواجب لذاته فإنه حق محض لذاته، وأما الممتنع لذاته فهو باطل محض لذاته، والممكن لذاته مثل هذا لا يترجح وجوده على عدمه إلا بإيجاد موجد، فلو لم يوجد ذلك الموجد لبقى على العدم، فإذا كل ممكن فهو من حيث هو باطل وهالك، فلهذا قال تعالى ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ [القصص: ٨٨] ولهذا المعنى يقول العارفون: لا موجود فى الحقيقة إلا الله. وأيضا فكل ممكن فهو إنما يكون موجودا بتكوين واجب الوجود، فواجب الوجود هو الذى يجعل كل ما سواه حقا، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ **ويحق الله الحق بكلماته** ﴾ [يونس: ٨٢] فهو سبحانه حق لذاته، ويحق الحق بكلماته، فما أحسن مطابقة هذه الدلائل البرهانية على هذه الرموز القرآنية.

ولما ثبت أنه سبحانه حق لذاته، كان اعتقاد وجوده. واعتقاد كونه موصوفا بصفات التعالى والعظمة حق الاعتقادات، لأن المعتقد لما كان ممتنع التغير امتنع تغير ذلك الاعتقاد من كونه حقا إلى كونه باطلا، وكذا الإقرار به والإخبار عن وجوده، فهو سبحانه أحق الحقائق بأن يكون حقا، ومعرفته أحق المعارف بالحقيقة، والإقرار به أحق الأقوال بالحقية، ثم هاهنا سؤالات.

الأول: ما معنى قول الحسين بن منصور الحلاج: أنا الحق؟

والجواب: أما القول بالاتحاد فظاهر البطلان، لأنه إذا اتحد شيئان فإن بقيا فهما اثنان، وإن فنيا كان الثالث شيئا آخر، وإن بقى أحدهما وفنى الآخر امتنع الاتحاد، لأن الموجود لا يكون نفس المعدوم، فبقى أن يطلب لكلام هذا الرجل تأويل. وتأويله من وجوه.

الأول أنا بينا بالبرهان النير أن الموجود هو الحق سبحانه، وأن كل ما سواه فهو باطل، فهذا رجل ما سوى الحق عن نظره، وفنيت نفسه أيضا عن نظره، ولم يبق فى نظره موجود غير الله، فقال فى ذلك الوقت أنا الحق، كأن الحق سبحانه أجرى هذه الكلمة على لسانه، حال فنائه بالكلية عن نفسه، واستغراقه فى أنوار جلال الله تعالى، ولهذا المعنى لما قيل له. قل أنا بالحق أبى، فإنه لو قال أنا بالحق لصار قوله أنا إشارة إلى نفسه، والرجل كان فى مقام محو ما سوى الله.

التأويل الثانى: أنه ثبت أنه سبحانه هو الحق، ومعرفته هى

المعرفة الحقية ، وكما أن الإكسير إذا وقع على النحاس قلبه ذهبا ، فكذا إكسير معـرفة الله إذا وقع على روحه انقلب روحه مـن الباطلية إلى الحقية ، فصار ذهبا إبريزا، فلهذا قال : أنا الحق .

التأويل الثـالث : أن من غلب عليـه شيء يقـال إنـه هـو ذلك الشيء على سبيل المجاز ، كمـا يقال فلان جود وكـرم ، فلما كان الرجل مستغرقا بالحق لا جرم قال : أنا الحق .

والفرق بين هذا الجواب وبين الأول أن فى الأول صار العبد فانيا بالكليـة عن نفسه ، غرقا فى شهـود الحق ، فقوله . أنـا الحق كلام أجراه الحق على لسانه فى غلو سكره ، فيكون القائل فى الحقيقة : هو الله ، وأما فى الجواب الثانى فـالعبد هو الذى قال ذلك ، ومراده منـه المبـالغة ، وبين المقـامين فـرق عظيم ، إن كنت من أربـاب الذوق .

التأويل الرابع : لا يبعد أنه لما تجلى فى روحه نور جلال الله ، وزالت حجب البشـرية ، لا جـرم بلغـت روحـه إلى أقصى منـازل السعادات ، فقد صـار حقا يجعل الله إياه حقا ، كمـا قال تعالى : ﴿ويحق الله الحق بكلمـاته﴾ [يـونس : ٨٢] فيصدق قـوله أنـا الحق لأن الحق أعم من الحق بذاته ، ومن الحق بغيره .

فإن قيل : فبهـذا الـوجـه كـل مـوجـود حق ، فمـا معنى التخصيص؟

قلنا : لأنـه لما تجلى فى روحـه نور عالم الإلهية صار كـاملا حاصلا فى هذه الدرجة ، فلاختصاصه بمزيد الكمال ذكر ذلك .

التأويل الخـامس : أنـه يحمل ذلك على حـذف المضـاف ، والمعنى أنا عابد الحق ، وذاكر الحق ، وشاكر الحق .

السـؤال الثـانى : مـا السبب فـى أن الجـارى على لسـان أهل التصوف من أسماء الله سبحانه فى الأغلب هو الحق ؟

والجواب : قال الغزالى : لأن مقام الصـوفية مقام المكاشفة ، ومن كان فى مقام المكاشفة رأى الله حقا ، ورأى غيره باطلا .

أما المتكلمـون : فهم فى مقام الاستدلال بغيـر الله على وجود الله ، فلا جرم كان الغالب على ألسنتهم اسم البارى تعالى .

وأما الفقهـاء : فهم فى البحث عن كيفية التكليف ، فـلا جرم كان الغـالب على ألسنتهم اسم الشرع (شـرح أسمـاء الله الحسنى / ٢٨٩_٢٩٢) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامـد الغزالى _ دراسة وتحقيق محمـد عثمان الخشت / ١١٢ ، ١١٣ ، وشـرح أسماء الله الحسنى لفخر الـدين الرازى _ راجعه وقـدم له وعلق عليه الأستاذ طـه عبد الرءوف سعد / ٢٨٩_٢٩٢) .

*** الحق المبين فى دفع شبهات المبطلين :**

من مخطوطـات الفقه الحنفى بـدار الكتب الظاهريـة (بمكتبة الأسد الآن)

الرقم ٥٣٨٩

ويسمى أيضـا : السيف المسلـول فى الـرد على صـاحب المنخول (هو الإمام الغزالى) .

ويسمى أيضـا : الـدرة المنيفـة فى انتصـار الإمـام الأعظم أبى حنيفة .

تأليف : أبى الوجـد محمد بن عبد الستار بن محمـد العمادى الكردرى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م .

وهو فى ستة فصول :

الفصل الأول : فى ذكر طعنه وبيان بطلانه .

الفصل الثانى : فيما يفضى إليه طعنه .

الفصل الثالث : فى بيان دعواه وما يبطلها .

الفصل الرابع : فى بطلان مسالكه الثلاثة .

الفصل الخامس: فى بيان ما يلزم المجتهد وغيره .

الفصل السادس : فى بعض مناقب الإمام أبى حنيفة رحمه الله

أوله : الحمد لله ناصر الحق بـالبراهين، ومخذل الباطل وأهله الطاعنين .

وآخـره : يـا أبا حنيفـة أخلصت المعـرفـة وخـدمت فأحسنت الخدمة ، فقد غفرنا لك ولمن تبعك ، ولمن كان على مذهبك إلى يوم القيامة . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكافة المسلمين .

نسخة جيدة .

الخط نسخ جيد مشكول . بعض الكلمات مكتـوبة بالحمرة .

كتبه محمد بن إبراهيم الخضرى سنة ١٠٤٦ هـ .

المراجع : معجم المؤلفين ١٠ / ١٦٧ .

نسخة ثانية :

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

الرقم ٦٩٧٧

الخط نسخ جيد. كتبه محمد أبو الخير بن أحمد بن عبد الغنى ابن عمر بن عابدين سنة ١٣١١ هـ .

٢٦ ق ٢٥ س ٢٢ × ١٧ سم

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهـريـة . الفقه الحنفى _ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

*** حق اليقين فى معرفة رب العالمين :**

حق اليقين فى معرفة رب العـالمين _ للشيخ محمود الشبستري صـاحب الكلشن « المتوفى سنـة ٧٢٠ » وهـو رسالـة فارسيـة على ثمانية أبواب مشتملة على فوائد وحقائق من علم التصوف .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣) .

*** حقائق الأرصاد فى دقائق الإرشاد :**

حقـائق الأرصـاد فى دقـائق الإرشـاد : فى استخـراج أوسـاط الكواكب وتقـاويمها على طول تـرمذ وهو من (جزائر) الخـالدات صط ح وعرضه لـر [لز] ح (حبط ق وعرضه لـرق) على ما رصده

مصنفه الشيخ تاج الدين أبو الفتح أحمد الآلي (اللارى) ابن البدر محمد بن حجاج العمادى الكمالى وفرغ منه فى حدود سنة ٨٠٠ ثمانمائة .

(كشف الظنون ١ / ٦٧١) .

* **حقائق الاستشهاد :**

من مصنفات العلوم فى التراث الإسلامى . جاء بيان مخطوطه كما يلى :

تأليف مؤيد الدين أبى إسماعيل الحسين بن على بن محمد الأصفهانى الطغرائى (٤٥٥ـ ٥١٣ هـ) .

(بروكلمان ١ / ٢٤٧ وملحق ١ / ٤٣٩) .

أوله بعد الديباجة : أسعدك الله بطاعته وجعلك من الفائزين برحمته ... وكنت قد حدثتنى منذ زمان وشكوت إلى الشكوك التى أعرضت (؟) صدرك فى حقيقة معانى الفن المسمى عند أهل الحكمة على الإطلاق وعند العامة « الصنعة » ... وإن المتعرض له ممقوت عند الخاصة والعامة ، محكوم عليه بسوء الاختيار ... إلخ .

وآخره : تم كتاب حقائق الاستشهاد بقول الحكيم الجواد .

ـ نسخة بقلم معتاد بدون تاريخ فى ١٦ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا .

٢٠ × ٣٠ سم

[دار الكتب المصرية ـ ١٧٠ طبيعة] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ٣٧)

* **حقائق الاستشهادات فى الكيميا :**

حقائق الاستشهادات فى الكيميا : لمؤيد الدين حسين بن على الطغرائى المتوفى سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة بين فيه إثبات الصناعة ورد على ابن سينا فى إبطالها بمقدمات من كتاب الشفاء .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

* **حقائق أسرار الطب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

المؤلف : الشيخ مسعود بن محمد السجزى الطبيب (ت بعد ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) .

(ذكره أغابزرك فى الذريعة بالسنجرى وورد عنوان الكتاب فى كشف الظنون بحقائق الأسرار فى الطب دون ذكر اسم المؤلف . (الذريعة ٧ / ٢٩ ، كشف ١ / ٦٧٢) أما بروكلمان فقد أورد اسم المؤلف كما جاء أعلاه ذيل بروكلمان٢ / ٢٩٩) .

يوجد مخطوطه بمكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٢٠٣٧٧٠

الأول « الحمد لله على أياديه المتواترة ، وصنايعه المتقاطرة ، والصلاة على كاشف الغمة ، وشفيع الأمة محمد وآله الأتقياء وأصحابه الأصفياء ... » .

وضعه المؤلف لصدر الدولة قاسم بن عراق بن جعفر ورتبه على ثلاثة فنون وجعل كل فن على أقسام وفصول .

الفن الأول : فى ماهيات الأشياء التى تتعلق بكليات الطب وهو فى ثلاثة أقسام . القسم الأول فى ١٣ فصلا . القسم الثانى فى ٩ فصول . القسم الثالث فى ٩ فصول .

الفن الثانى : فى كيفيات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول الطب وهو فى قسمين . القسم الأول فى ٤ فصول . والقسم الثانى فى ٣ فصول .

الفن الثالث : فى كميات أشياء كلية وجعله فى تسعة أقسام وكل قسم على فصول . فرغ منه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م .

نسخة نفيسة كتبت بقلم النسخ مؤطرة الصفحات بمداد أحمر كتبها حسين بن عبد القادر بن قطب الدين الطبيب فى ذى القعدة سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م عليها حواش وشروح .

القياس ٧٣ ص   ٢١,٥ × ١٢,٥ سم   ٢١ س

(بانكيبور ٤ / ١٠٣ ، الذريعة ٧ / ٢٩ ، ذيل بروكلمان ٢ / ٢٩٩) (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ٩٢ / ٩٣) .

ثم جاء وصف المخطوط فى مجموع خطى نادر للأستاذ أسامة ناصر النقشبندى مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية وجاء وصفه كما يلى :

وهو مختصر فى ماهيات الأشياء المتعلقة بكليات الطب ، وأنواع العلل ، والأدوية المركبة والمفردة المناسبة لها ، وكيفية اتخاذها . وضعه المؤلف لصدر الدولة قاسم بن عراق بن جعفر حيث قال فى مقدمة الكتاب : « ... أقول لما اتصلت بخدمة مولانا صدر الدولة والدين أبى المفاخر قاسم بن عراق بن جعفر، وألفيت بابه المحروس ، وجنابه المأنوس ، قبلة الفضلاء ، وكعبة العلماء، ومنبع الفواضل ، ومطلع الفضائل ، يجتمع فيه مشاهير الأقطار، ونحارير الأمصار... وددت أن أكون منخرطا فى سلك جملتهم ، منظما فى عقد زمرتهم ، فجمعت هذا الكتاب ... » .

رتبه المؤلف على ثلاثة فنون ، وجعل كل فن على أقسام وفصول وهى كما يلى :

الفن الأول : فى ماهيات الأشياء التى تتعلق بكليات الطب ، وجعله فى ثلاثة أقسام : فى تعريف الألفاظ الكلية التى يحتاج إليها أرباب صناعة الطب ، وفى تعريف العلل والأمراض المشهورة ، وفى تعريف الأدوية المركبة وأفعالها وما يتعلق بها .

الفن الثانى : فى كيفيات الأعمال ، والصناعات المتعلقة

بأصـول الطب، وجعله فى قسمين . فى كيفية اتخاذ الأدوية والتقاطها وحفظها وما يتعلق بهذه الأمور، وكيفية استعمال الأدوية من الدق والطبخ والسحق والإحراق، وغير ذلك .

الفن الثالث : فى كميات أشياء كلية ، وتقسيماتها الثنائية والثلاثية والرباعية إلى تقسيماتها العشارية .

فرغ منها المؤلف سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م كتبت بخط النسخ الجيد بالمدادين الأسود والأحمر سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٣٤ م فى آخرها نبذة فى أسماء الأدوية . تقع فى خمس وسبعين صفحة (مجموع خطى نادر / ٧٦) .

كما يوجد مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس وجاء بيانه كما يلى :

أوله : كسابقه .

آخره : الصلبة ثمانية (كذا) وأربعون عضلة ، البطن ثمان عضلات ، القضيب أربع عضلات ، المقعد والمثانة خمس عضلات ، الفخذان اثنان (كذا) وعشرون عضلة ، الركبة ثمانية (كذا) عضلات القدم سبع عضلات ، الأصابع اثنان (كذا) وعشرون عضلة ، والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله أولا وآخرا .

سنة النسخ : ٩٢٥ هـ .

الناسخ : أحمد بن عرفات الخطيب .

عدد الأوراق : ٦٤ ورقة (١٤ ـ ٧٧) .

المسطرة : ١٩ سطرا .

المكتبة : دار الكتب الوطنية ــ تونس ــ ١٨٣٢٩ (مجموع) [٤٦٣] .

ملاحظات : قسم المؤلف الكتاب على ثلاثة فنون . الفن الأول فى ماهيات الأشياء التى تتعلق بكليات الطب ورسومها التقريبية . وقسم هذا الفن إلى ثلاثة أقسام :

الأول : فى تعريف الألفاظ الكلية التى يحتاج إليها أرباب صناعة الطب .

الثانى : فى تعريف أسماء العلل المشهورة والأمراض المعروفة .

الثالث : فى تعريف أسماء الأدوية المركبة والمفردة وأفعالها .

الفن الثانى فى كيفيات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول الطب .

وقسم هذا الفن إلى قسمين :

الأول : فى كيفية اتخاذ الأدوية والتقاطها وحفظها وما يتعلق بهذه الأمور .

الثانى : فى كيفية استعمال الأدوية من الدق والطبخ والسحق والإحراق وغير ذلك .

الفن الثالث فى كميات أقسام الأمور المنقسمة انقساما كليا . وقسم هذا الفن إلى عشرة أقسام :

الأول : فى كمية أشياء كلية منقسمة بقسمين فحسب .

الثانى : فى كمية أشياء كلية منقسمة بثلاثة أقسام فحسب .

الثالث : فى كمية أشياء كلية منقسمة بأربعة أقسام فحسب .

وهكذا تتضاعف إلى العشرة على هذا النسق والترتيب .

وقد كتبت النسخة بخط معتاد .

انظر برلين٢ / ٦٢٣٦ .

بروكلمان : الملحق الثانى ـ ٢٩٩ .

وتوجد نسخة ثانية .

أوله : كسابقه .

آخره : عضلات المقعدة والمثانة خمس عضلات ، الفخذين (كذا) اثنان وعشرون عضلة الركبة ثمان عضلات ، القدم سبع عضلات الأصابع اثنان وعشرون عضلة . تم الكتاب بعون الله .

سنة النسخ : ١١١٣ هـ .

عدد الأوراق : ٢٥ ورقة .

المسطرة : ٢٥ سطرا .

المكتبة : مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم (مجموعة آل يحيى) ٦٧ طب .

[٨١] (فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٥ ـ ٧٧) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٢ ، ٩٣ ، ومجموع خطى نادر فى الطب والصيدلة للأستاذ أسامة ناصر النقشبندى أيضا ، مستله من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم م ١ جـ١ ، ربيع الأول ــ شعبان ١٤٠٢ هــ ـ يناير ـ يونيو ١٩٨٢ م / ٧٦ ، وفهرس المخطوطات الطبية المصورة ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى ، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٧٥ ـ ٧٧) .

*** حقائق الأسرار فيما يعتمدون به الأبرار :**

حقائق الأسرار فيما يعتمدون به الأبرار : من تأليف تمر الإسحاقى ألفه للظاهر قانصو ورتب على عشرة فصول : العقل ، والعلم ، والسياسة ، وأدب النفس ، واللسان ، وحسن السيرة والأخلاق ، والزهد ، ومقالات المشايخ والحكماء ، والبلاغة ،

أوله : الحمد لله الذى علمنا ما لم نعلم ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

*** حقائق الأسما فى شرح أسماء الله الحسنى :**

من مخطوطات التصوف والأخلاق الإسلامية فى الخزانة الطلسية بحلب ، وجاء بيانه كما يلى :

للعلامة صدر المحققين صدر الدين أبى المعالى محمد بن إسحاق القونوى تلميذ الشيخ ابن عربى (ت ـ ٦٧٢ هـ) [انظر بروكلمان ١ / ٤٤٩ والذيل ١ / ٨٠٧] .

وهو في جزء لطيف أوله « الحمد لله الذى نور سماء الوجود بمصابيح أسمائه الحسنى وفتح أبواب خزائن الجود بمفاتيح صفاته الأسنى . . أما بعد فلما كانت الأسماء الإلهية مواد الكائنات وأصول الممكنات التي لا يمكن ظهور عين من أعيان الكون إلا بها ولا تثبت قواعد أركان عالم إلى مكان إلا عليها ... وقد بدأه بمقدمة مطولة شرح فيها مذاهب المتصوفة فى أسماء الله تعالى ورأى المتصوفة فى ذلك . وآخرها شرح أسماء الله « الصبور » وهو مكتوب بقاعدة نسخية حسنة قديمة لعلها ترجع إلى القرن الثامن أو صدر التاسع . وعلى صدر الورقة الأولى أسماء جمهرة من علماء حلب الذين ملكوا النسخة وهم :

العلامة الشيخ أحمد بن شنان الحلبى الحجازى المترجم فى أعلام النبلاء . السيد محمد صديق جابرى زاده الحلبى . الحاج يوسف بن الحاج إسماعيل الجمالى .

مقياسه : ١٢ × ١٨

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٥٤) .

* **حقائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان :**

حقائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان : فارسى مختصر للشيخ على بن محمد المعروف بمصنفك ألفه بهراة سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمانمائة ورتب على خمسة أبواب مشتملة على مسائل الإيمان والعبادات .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

* **حقائق التأويل فى دقائق التنزيل :**

أحد مخطوطات تفسير القرآن وعلومه بمكتبة « مولانا » فى مدينة « قونيا » بتركيا ، وجاء بيانه كما يلى :

لعبد الرزاق الكاشانى (كمال الدين) المتوفى سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م .

انظر معجم المؤلفين ٥ / ٢١٥ ، إيضاح المكنون ١ / ٥١٦ ، ٥٧٣ .

المجلد الأول منه ، يبدأ بالفاتحة إلى أوائل تفسير سورة المائدة .

مكتوب بخط النسخ . هناك بعض التفسيرات التوضيحية على الحواشى ولم يرد ذكر اسم كاتب الحواشى .

كتب « الكاشانى » تفسيره هذا بطلب من الشيخ نور الدين ، يتناول المؤلف شرح الآية من الناحية اللغوية ووجوه الإعراب والمعنى والتفسير الظاهرى والتأويل الباطنى .

أوله : « الحمد لله الذى أبرز حقائق المعانى فى عجايب صور تراكيب الكلام ... ولى الحق والتحقيق أمام أهل الولاية وسراج أرباب الهداية شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين مرشد الطالبين الصادقين نور الحق والملة والدين هادى المستبصرين من المؤمنين عبد الصمد بن على النطنزى قدس الله روحه وأعظم من عنده فتوحه فأرشدنى إلى تحصيل العلوم ... وجرى على لسانه ذكر من كان فى عهده ينبوع الحكمة واليقين المولى السعيد شمس الحق والملة والدين الكبشى ... بالغ فى تعظيم قدر من يؤلف تفسيرا يشتمل تقريره على خمسة فصول فى كل آية ... » .

آخره : إلى قوله تعالى : ﴿ على القوم الفاسقين ﴾ . اللغة الجبار فقال من جبره على الأمر .

مقياس المجلد ٥ , ٢١ سم - ٥ , ١٤ سم .

مقياس الكتاب ١٥ سم × ٥ , ١٠ سم .

عدد الأوراق ٢٥١ .

عدد الأسطر فى كل صفحة ١٧ .

رقمه فى الخزانة ٦٣ رقم المجلد ١ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ٥٣ ، ٥٤) .

* **حقائق الحدائق :**

حقائق الحدائق : فارسى مختصر مشتمل على قواعد أشعار الفرس لأشرف بن محمد الرامى ألفه للسلطان أويس وجعله على قسمين : قسم فى اصطلاح المتقدمين ، وقسم فى تصرف المتأخرين ، وهو على منوال حدائق الوطواط كما ذكره وأقر بفضله (كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

* **حقائق الدقائق ، على رقائق الحقائق :**

(شرح رقائق الحقائق فى حساب الدرج والدقائق للماردينى) .

لحسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتى المتوفى سنة ١١٨٨ هـ .

(بروكلمان ٢ / ٣٥٩ ، وهو شرح كتاب محمد بن محمد بن أحمد سبط الماردينى . بروكلمان ٢ / ١٦٨ ، تصنيف رقم ١١) .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

أوله بعد الديباجة : لما قرأت رسالة الرقائق فى حساب الدرج والدقائق ، للعلامة سبط الماردينى ، خطر ببالى مع ضعف حالى أن أعلق عليها .

وآخره : ثم تقسم الحاصل على فضل البيتين يحصل المطلوب ، والله أعلم .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ٤٩ ميقات ، ٣٠ ق تقريبا ، فيها بعض الجداول ، القياس ٢٠ × ٣٠ سم ، ف ١٠٤١ .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٣ ق١/ ٣١) .

* **حقائق الطب :**

أحد مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١٠١٩٤٢

للحاج كريم خان بن إبراهيم القاجارى الكرمانى المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م .

(ذكر بروكلمان اسم المؤلف محمد خان الكرمانى وقال عن هذا الكتاب أن المؤلف فرغ منه سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٩ ذيل بروكلمان ٢ / ٨٢٧ ؛ .

الأول : « الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة على أعدل الكون ... » .

فرغ منها المؤلف سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م . وهذه النسخة بخطه . إلا أن آخرها أكمل بخط مغاير لخط المؤلف، كما أن اسم المؤلف أزيل وكتب بدلا عنه وبقلم مغاير لبقية الكتابة اسم « محمد تقى بن محمد هادى » (الذريعة ٧ / ٣٤) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٩٣) .

*** حقائق فضل الله المألوف الواردة على ترتيب الحروف :**

حقائق فضل الله المألوف الواردة على ترتيب الحروف : للشيخ شمس الدين أبى الحسن محمد البكرى المصرى وهو رسالة فى ست أوراق كتبها سنة ٩١٩ تسع عشرة وتسعمائة وجمع فيه كلمات المشايخ أوله : الحمد لله العليم الحكيم ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

*** الحقائق فى التفسير .**

الحقائق فى التفسير - للشيخ أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤١٢ اثنتى عشرة وأربعمائة وهو مختصر على لسان التصوف أوله : الحمد لله رب العالمين أولا وآخر ... إلخ ذكر فيه أن أكثر أهل الظاهر جمع فى أنواع فوائد القرآن ولم يشتغل أحد بفهم خطابه على لسان الحقيقة ولا بجمعه إلا آيات متفرقة نسبت إلى العباس بن عطاء ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق وكان قد سمع منهم فى ذلك حروفا فضمها إلى مقالتهم ورتبها على السور الفرقانية فكانت كالتفسير قرأه الثعلبى على مصنفه لكن المفسرون من أهل الظاهر تكلموا فيه على ما هو دأبهم فى أمثاله فقال الواحدى زعم أنه صنف حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر وطعن فيه ابن الجوزى أيضا .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣) .

*** حقائق القرآن :**

من مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش بالمغرب ، وجاء بيانه كما يلى :

حقائق القرآن : لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد ابن موسى الأزدى السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤١٢ هـ وهو مختصر فى التفسير على طريقة أهل التصوف الموجود الجزء الأخير .

يعود تاريخ نسخه للثامن والعشرين من شهر صفر عام ١١٥٥ هـ .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٢١٨) .

*** الحقائق (كتاب -) :**

من مخطوطات العلوم والكيمياء والطبيعيات بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف جابر بن حيان الصوفى .

وهو المقالة التاسعة والأربعون من « كتاب السبعين » .

أوله : قد سبق لنا من الكتب قبل كتابنا هذا ثمان وأربعون كتابا ، فيها تدابير وأعمال وتفاسير ليس يدرك ما يقصده منها غير ما يستحسنه فى اللفظ ، ولا يدرى مع ذلك مرموز هو ، أم لا ؟ فيفسد ولا يدرى ، وقد جعلت كتابى هذا ، وهو التاسع والأربعون ، حاويا للحد المستعمل فى كتبنا هذه من التدابير فى هذه الثلاثة الأبواب ليقرب بذلك مأخذها ، ويسهل على الطالب الدارس ... إلخ .

وآخره : وكل ماء قاطر ودهن ونار وأرض مستخرجة من جميع الأجناس يدبر بهذا التدبير أو بغيره مما هو مثله ، فهى واحدة لا يخلط بعضها ببعض ، فاعمل بعضها ببعض لا خطأ فيه فاعرفه .

- نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ .

ومسطرتها ١٧ سطرا   ١١ × ١٧ سم

(ضمن مجموعة من ص ٢٩٤ - ٣٠٠) .

[مكتبة بروسه حسين جلبى - ١٥] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء ، والطبيعيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ١١٥ ، ١١٦) .

*** الحقائق المحمدية :**

الحقائق المحمدية : للعلامة صدر الدين محمد الشيرازى المتوفى فى حدود سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة [٩٠٤] وهى رسالة فى معرفة الواجب تعالى وصفاته .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣) .

*** حقائق المنظومة :**

(ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ١ / ٦٧٣) بعنوان «الحقائق فى شرح المنظومة النسفية » وقال إنه يأتى فى الميم) من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٨٢٦٧

وهي شرح لمنظومة الخلافيات .

المنظومة تأليف نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م .

الحقائق : تأليف أبي المحامد محمود بن محمد بن داود الإفسنجي اللؤلؤي البخاري المتوفى سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م .

المنظومة مرتبة على عشرة أبواب :

الباب الأول : في قول الإمام .

الباب الثاني : في قول أبي يوسف .

الباب الثالث : في قول محمد .

الباب الرابع : في قول الإمام مع أبي يوسف .

الباب الخامس : في قوله مع محمد .

الباب السادس : في قول أبي يوسف مع محمد .

الباب السابع : في قول كل واحد منهم .

الباب الثامن : في قول زفر .

الباب التاسع : في قول الشافعي .

الباب العاشر : في قول مالك .

أتمها سنة ٥٠٤ هـ وعدد أبياتها ٢٦٦٠ ، وانتهى الشارح من شرحه سنة ٦٦٦ هـ .

أوله : الحمد لله الأحد بذاته ، الواحد في صفاته ، الواسع بحسن رأفته .

وآخره : ورجائي واثق بكرم ربي أن يمتعني بها وجميع المسلمين في الدارين وهو أفضل مأمول .

نسخة جيدة وقديمة .

الخط نسخ جيد من خطوط القرن الثامن الأبيات مشكولة كتبه محمد بن محمود بن فخر الإسلام .

المراجع : كشف الظنون ٢ / ١٨٦٧ ، معجم المؤلفين ٧ / ٣٠٥ ، ١٢ / ١٩٥ ، فهرس الخديوية ٣ / ٤١ .

نسخة ثانية :

تتفق مع الأولى في بدايتها وتنقص الورقة الأخيرة .

نسخة جيدة أصابتها الرطوبة وأضرت بعض أطرافها .

الخط نسخ معتاد . من خطوط القرن العاشر . الأبيات مشكولة

نسخة ثالثة :

الرقم : ٦٦٨٨

ناقصة من أولها ثماني ورقات وتنتهي بنهاية الكتاب .

أولها : وروايـة عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، قال بعض المشايخ ينبغي أن يأخذ في الصيف بقولهما .

نسخة جيدة قديمة مصححة .

الخط نسخ معتاد المنظومة مشار فوقها بخطوط حمراء . كتبه سيد بن من تشا بن سليمان البغدادي سنة ٨٤٧ هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٥ ـ ٢٨٨) .

*** الحقد :**

جاء في اللسان : الحقد : إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها . والحقد : الضغن، والجمع أحقاد وحقود ... وحقد علي يحقد حقدا وحقِد ، بالكسر ، حقدا وحقدا فهو حاقد ، فالحقد (بفتح الحاء) الفعل ، والحقد (بكسر الحاء) الاسم ، وتحقد كحقد (اللسان ١١ / ٩٣٨) .

قال صاحب مفتاح السعادة :

اعلم : أن الغضب إذا عجز صاحبه عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ، ومعنى الحقد : أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه ، وأن يدوم ذلك ويبقى . والحقد يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد . وهو أن يحملك الحقد أن تتمنى زوال النعمة عنه ، فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به ، وهذا من فعل المنافقين ، وستعرف ذمه .

الثاني : أن تزيد في إضمار الحسد في الباطن ، فتشمت بما أصابه من البلاء .

الثالث : أن تقطعه وتصارمه وإن أقبل عليك .

الرابع : وهو دونه : أن تعرض عنه استصغارا له .

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر أو هتك ستر وغيره .

السادس : أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه .

السابع : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

الثامن : أن تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام .

ثم للحقود ثلاث أحوال عند القدرة :

أحدها : أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان ، وهو العدل ، وهو اختيار الصالحين .

ثانيها : أن يحسن إليه بالعفو والصلة ، وذلك هو الفضل واختيار الصديقين .

وثالثها : أن يظلمه بما لا يستحقه ، وهو اختيار الأراذل (مفتاح السعادة ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

وعن دفع الحقد يقول العلامة الإمام ابن الجوزي :

الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في نفس . ولعمري إن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل .

وبسنده إلى عبد الله بن كعب بن مالك ، قال سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فذكر القصة

ونزول توبته ، قال فدخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، قال فكان كعب لا ينساها لطلحة . أخرجاه في الصحيحين (أخرجه البخاري ٦ / ٤، ومسلم التوبة/ ٥٣) .

فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى، فالقبيح كذلك ، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب . وعلاج ذلك أن يكون بالعفو والصفح وللعفو محلان :

أحدهما : رؤية الثواب للعافي.

والثاني: شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو ، وذلك في منزلة من يهفو ، ومن كمال العفو حصول الرضا وذلك بمحو ما في القلب .

وههنا علاج أدق من هذا ، وهو أن يرى الإنسان أن الذى سلط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه أو لتكفير خطأ، أو لرفع درجة ، أو لاختياره في صبره، وثم علاج أدق من هذا وهو أن يرى الأشياء من المقدر (الطب الروحاني / ٢٦) .

وكعادة الثعالبي فيما جرى عليه في كتابه « اللطائف والظرائف » يسوق ما جاء في مدح الشيء وما جاء في ذمه، ومن ثم يقول في باب « مدح الحقد » :

قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك بن صالح الهاشمي في كلام جرى بينهما : أنت حقود، فقال : إن كنت تريد بقاء الخير والشر عندى فأنا كذلك. ويقال إنه قال له : أنا خزانة تجمع الخير والشر، فقال يحيى: هذا والله جبل قريش، وما رأيت أحدا يمدح الحقد ويحسنه غيره بمثل هذا ، وقد أخذ معناه ابن الرومي وزاد فيه وحسنه فقال :

وما الحقد إلا توأم الشكر للفتى
وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
إذا الأرض كسرّت كل ما أنت زارع
من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

وبعدها يقول في باب ذم الحقد، وقد جعل من الحقد الحسد:

قال رسول الله ﷺ: « أعظم الذنوب عند الله الحسد، والحاسد مضاد لنعمة الله، خارج عن أمر الله ، تارك لعهد الله » (في عيون الأخبار ٤ / ١٠ ، وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسد عدو نعمتي متسخط لقضائي، غير راض بقسمي بين عبادى) . وقال عز وجل ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] وأمر رسول الله ﷺ أن نستعيذ من شره .

وقال معاوية رضي الله عنه : « كل إنسان أقدر أن أرضيه إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها . وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، غم دائم ونفس متتابع . وقال الشاعر :

إن الحسود الظلوم في كرب
يخاله من يراه مظلوما
من نفس دائم على نفس
يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الإمام : أنشدني أبو منصور البوشنجي لنفسه في هذا المعنى (هو الملقب بمضراب الشعر، أحد شعراء بخارى ، ذكره في اليتيمة ٤ / ١٥٩) :

قالوا يقود سعيد
جيشا لهم يسود
وكيف ذاك وأنى
وهو الحقود الحسود
ولا يسود حسود
ولا يقود حقود

كان يقال : الحقد داء دوى. ويقال: من كثر حقده ، دوى قلبه . ويقال: الحقد مفتاح كل شر. ويقال : حل عقد الحقد، ينتظم لك عقد الود. ويقال : الحقود والحسود لا يسودان .

وقال آخر :

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من غم العداوات

ويقال: لا يوجد العجول محمودا، ولا المغضوب مسرورا، ولا الحر حريصا ، ولا الكريم حسودا، ولا الشره غنيا ، ولا الملول ذا إخوان .

وقال بعض الحكماء : وجدت أول الأشياء منفعة ، وأضر لها في العاقبة : الحاجة، ووجدت أنكر العيش عيش الحسود .

وقال الشاعر :

لا يحزنك فقر إن عراك ولا
تتبع أخا لك في مال له حسدا
فإنه في رخاء في معيشته
وأنت تلقى بذاك الهم والنكدا

وقال آخر :

إذا ما المرء كان لنا حسودا
فأف لذاك من باغ حسود

(اللطائف والظرائف / ١٣٩ ـ ١٤١) .

(لسان العرب لابن منظور ١١ / ٩٣٨، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩، والطب الروحاني للعلامة الحافظ ابن الجوزي ـ تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول / ٢٦ ، واللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي دار المناهل . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م/ ١٣٩ ـ ١٤١) .

* حقوق ال البيت (كتاب ـ) :

كتاب من تأليف شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية . قال رحمه الله في مقدمته بعد البسمله :

قال الشيخ الإمام العالم العامل فريد عصره ، مفتي الفرق ، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه ، وأعلى درجته :

هذا الكتاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون. الذين يحبون الله ورسوله ، ومن أحبه الله ورسوله ، ويعرفون من حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله ، فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته ، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته .

كما قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩].



مخطوط كتاب حقوق آل البيت

وقال النبي ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

(الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الجهاد باب ١٠٩ ، وكتاب الاعتصام باب ٢ ، وكتاب الأحكام باب١ . ومسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة حديث ٣٢ . والنسائى فى سننه فى كتاب البيعة باب ٢٧ . وابن ماجه فى سننه فى المقدمة باب ١ ، وفى كتاب الجهاد باب ٣٩ . والإمام أحمد فى المسند ٢ / ٩٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٥١١) .

وقال ﷺ فيما رواه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : « إنما الطاعة فى المعروف » .

(أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الأحكام باب ٤ وفى الآحاد باب١ ، وفى المغازى باب ٥٩ ، ومسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة حديث ٣٩ ، ٤٠ . وأبو داود فى سننه فى كتاب الجهاد باب ٨٧ . والنسائى فى سننه فى البيعة باب ٣٤ . والإمام أحمد فى المسند ١/ ٨٢ ، ٩٤ ، ١٢٤ . وأشار السيوطى فى الجامع الصغير حديث رقم ٩٩٠٢ إلى أنه حديث صحيح) .

وقال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

(الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ، والحاكم فى مستدركه عن عمران بن الحصين . وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : « رجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه البغوى عن النواس ، وابن حبان عن على بلفظ « لا طاعة لبشر فى معصية الله » وله شواهد فى الصحيحين . وأورده الإمام السيوطى فى الجامع الصغير وصححه) .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونصلى على إمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبده ورسوله ، ﷺ تسليما كثيرا ، أما بعد ... إلخ .

(حقوق آل البيت للإمام العلامة تقى الدين بن تيمية ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩ ، ٢٠) .

* حقوق الأبناء :

أما حقوق الأبناء على الآباء فيجب على والد الأطفال أن يربيهم بالتغذية ، ويجملهم بالكسوة ، ويلاحظهم فى حركاتهم وسكناتهم ، ويعلمهم الأدب وحسن الأخلاق ، والعفة ، والمروءة ، والصدق ، والأمانة ، ويغذى أرواحهم بالتعليم ، ويعلمهم العلوم الشرعية والأدبية ، لينشأوا نشأة دينية دنيوية صحيحة ، كما يربى أجسامهم بالطعام والشراب ، إلى أن يبلغوا الحلم ، قادرين على الكسب .

ويقوم بواجب البنات من طعام وشراب وكسوة ، حتى يتزوجن ، ويجب على الوالدين أن يربوا البنات تربية منزلية ، من طبخ ،

وغسل، وكي للثياب، وكنس، وخياطة، وتطريز، وكل ما يختص بخدمة المنزل، ليكن أمهات في المستقبل قادرات على تربية الأطفال تربية صحيحة، ولتشارك الزوج في الحياة، ويعلموهن الدين، والحياء، والمروءة، والعفة، والصدق، والأمانة، ولزوم الحجاب إلا ما تدعو إليه الضرورة، ليكن أمهات صالحات لتربية الأولاد في المستقبل. قال حافظ ـ رحمه الله تعالى ـ في قصيدته القافية:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الأعراق

ولما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه الشيخان وأحمد والترمذي وأبو داود).

قال الشاعر:

وكلكم راع ونحن رعية

وكل يلاقي ربه فيحاسبه

وقال ﷺ: « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » (رواه الترمذي والحاكم. انظر كتاب « تحفة العباد » في حقوق الزوجية والوالدين والأولاد).

وقال ﷺ: « من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له حجابا من النار » (رواه مسلم والبخاري).

وقد جاء في تفريح البنات بما يدخل عليهن السرور أجر عظيم. قال الشاعر:

وكل من فرح أنثى يفرح

في الفزع الأكبر نعم الفرح

وجاء في الحديث الشريف: « إن من حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ » (رواه ابن النجار).

وأن يعلمه العلوم الشرعية، والقرآن الشريف، والآداب المسنونة، كالسواك. وهذه الحقوق مندوبة في حق الأب.

وأما الحقوق الواجبة عليه فمنها الصلاة، وأن النبي ﷺ بعثه الله نبيا ورسولا، إلى الخلق كافة، بشيرا ونذيرا، وأنه ﷺ ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة، وتوفي ودفن بها ﷺ.

ويسن في حق الوالد، أن يعق عن المولود له يوم السابع، ويسميه اسما حسنا، ذكرا كان أو أنثى، فإذا بلغ عمره سبع سنين أمره بالصلاة، ذكرا كان أو أنثى، ويفرق بينهم في المضاجع، بأن ينام كل واحد في ثوب، فإذا بلغ عشرا يضربه عليها ضربا لا يكسر عظما، ولا يشق لحما. قال الشاعر:

يضرب الصبي بعد عشر

وبعد سبع يكتفي بأمر

وينبغي للوالد أن يكون رحيما عطوفا على أولاده، اقتداء برسول الله ﷺ، لأنه كان ﷺ رحيما عطوفا بالمسلمين، خصوصا الأطفال منهم.

ويطلب من الوالد أن يعامل أولاده بالحسنى، ويوسع عليهم في النفقة ما أمكنه، ويكسيهم، ويدخل عليهم السرور، ويعلمهم الآداب الدينية الإسلامية، لينشأوا نشأة طيبة تجعلهم أحسن رجال للمستقبل.

وفي الحكمة من أدب ولده صغيرا سره كبيرا. قال الشاعر:

قد ينفع الأدب للأحداث في صغر

وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

والولد ثمرة القلب، والأب مجبول على محبته. سئل أحد العقلاء: أي الثمار أشهى ؟ قال: الولد. وهو من نخل الجنة.

قال أبو تمام الشاعر الطائي المشهور:

وإنما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم

لامتنعت عيني من الغمض

قال الله تعالى: ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وكان رسول الله ﷺ يحب الحسن والحسين وأمهما فاطمة رضي الله عنهم وكان ﷺ يقول: « اللهم إني أحبهما، فأحب من يحبهما ».

ومحبة الولد شيء طبيعي في الإنسان والحيوانات ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [الأحزاب: ٢١] (محاسن الإسلام / ١٧٧ ـ ١٧٩).

ويفرد ابن العديم الباب الثامن من كتابه الموسوم بالدراري في ذكر الدراري للكلام على ما يجب للأبناء على الآباء جاء فيه ما يلي:

ينبغي للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ويحسن عنده الحسن ويقبح عنده القبيح ويحثه على المكارم وعلى تعلم العلم والأدب ويضربه على ذلك.

قال النبي ﷺ : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » (أورده صاحب كنز العمال (١٦ / ٤١٧) باب بر الأولاد وحقوقهم ، وقال : رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة .

ـ وأورده الزبيدى فى الإتحاف (٦ / ٣١٨) كتاب آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة ، باب حقوق الوالدين والولد، عن عائشة ، وقال : فيه عبد الصمد بن النعمان وهو ضعيف .

وانظر القرطبى (١٨ / ١٩٥) ـ وحلية الأولياء (١ / ١٨٤) .

عن عمرو بن دينار أن ابن عمر وابن عباس كانا يضربان أولادهما على اللحن .

قال النبي ﷺ : « تخيروا لنطفكم » (أخرجه الدارقطني في سننه (٣ / ٢٩٩) كتاب النكاح ـ عن عائشة ، ولفظه : « تخيروا لنطفكم ، لا تضعوها إلا فى الأكفاء » .

وأورده الزيلعى فى نصب الراية (٣ / ١٩٧) كتاب النكاح ـ فصل فى الكفاءة . عن عائشة ولفظه : « تخيروا لنطفكم ، وانكحوا الأكفاء » ـ وقال : هذا الحديث روى عن طريق عائشة ، وعن طريق أنس ، وعن طريق عمر بن الخطاب ، من طرق عديدة كلها ضعيفة ، والكلام عليها فى « كتاب الإسعاف بأحاديث الكشاف » فى أول سورة النساء .

وانظر علل الحديث (١ / ٤٠٣) ـ والكنز (١٦ / ٣٠١) ـ وحلل الأولياء (٣ / ٣٧٧) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » .

(أورده الزبيدى فى الإتحاف (٥ / ٣٤٨) وقال : روى أبو موسى المدينى فى « كتاب تضييع العمر والأيام » من حديث ابن عمر، وقال : وطرق الحديث ضعيفة وأخرجه صاحب الإحياء (٢ / ٤٢) كتاب آداب النكاح ـ باب فيما يراعى حالة العقد) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم »

أخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٢١١) كتاب الآداب ـ باب بر الولد والإحسان إلى البنات ـ عن أنس بن مالك .

وأورده الذهبى فى الميزان (١ / ١٤٤) ـ وانظر الخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ٢٨٨) ـ والترغيب (٣ / ٧٢) ـ وابن عساكر (٥ / ٢٠٢) ، (٦ / ١٦٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما نحل والد ولده أفضل من عمل صالح » (أخرجه الترمذى فى سننه (٤ / ٣٣٨) كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء فى أدب الولد ، ولفظه « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » وقال : هذا عندى حديث مرسل .

انظر مشكاة المصابيح (٢) كتاب الآداب ـ والكنز (١٦ / ٤٥٦)

وقال أبو حيان التوحيدى رحمه الله : يجب على الرجل أن يستقبل عمره بولده ليستمتع كل منهما بصاحبه ، وأن يمهد له المعيشة ، وأن يختار أمه واسمه ويختنه ويؤدبه ولا يستأثر دونه ، وأن يختار له زوجة صالحة ومعيشة جميلة كافية ، وأن يكفيه العار وسوء الحديث .

وفى الحديث : « من كان له صبى فليستصب له » .

(أورده صاحب الكنز (١٦ / ٤٥٧) وقال : أخرجه ابن عساكر عن معاوية ، ولفظه « من كان له صبى فليتصاب له » .

قرأت فى ربيع الأبرار للزمخشرى قال : من حق الولد على والده أن يوسع عليه ماله كيلا يفسق . وقرأت فى العقد لابن عبد ربه قال : خير الآباء للأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .

وإذا راهق الصبى فينبغى لأبيه أن يزوجه فقد ورد فى الحديث :

« من بلغ له ولد وأمكنه أن يزوجه فلم يفعل وأحدث الولد كان الإثم بينهما » (راهق الصبى إذا قارب الاحتلام ، والمراهق : الغلام الذى قد قارب الحُلُم ، وذلك بين العشر إلى إحدى عشرة) .

(أخرجه الديلمي فى (مسند الفردوس) عن ابن عباس ، ولفظه « من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثا فالإثم عليه » .

انظر الكنز (١٦ / ٤٤٢) ...

قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سره كبيرا . قالوا : أطبع الطين ما كان رطبا وأغمز العود ما كان لدنا . وقال : من أدب ولده غم حاسده . وقالوا : ما أشد فطام الكبير وأعسر منه رياضة الهرم .

وقال الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفك ؟ قال : مات واستراح من الكتاب ، قال : وبلغ الكتاب منك هذا المبلغ ، والله لا حضرت أبدا ، ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة وكان أميا .

وقال صالح بن عبد القدوس :

وأن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذى أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى فى ثرى رمسه

(ثرى رمسه : تراب قبره)

وقال آخر :

لا تسه عن أدب الصغير ... وإن شكا ألم التعب

ودع الكبير لشأنه ... كبر الكبير عن الأدب

(تذكرة الآباء / ٤٨ ـ ٥٥) .

ويدرج الإمام البيهقى حقوق الأولاد والأهلين باعتبارها الشعبة الستين من شعب الإيمان فيقول :

من شعب الإيمان حقوق الأولاد والأهلين ، وهى قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه لقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ [التحريم : ٦] قال الحسن : أى مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير وقال على علموهم وأدبوهم .

ولحديث أنس فى صحيح مسلم « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا ـ وضم أصبعيه » .

(مختصر شعب الإيمان / ٩٦ ، ٩٧) .

(محاسن الإسلام ـ محمد سعد بن عبد الله الرباطابى العباسى . ط مصطفى البابى الحلبى / ١٧٧ ـ ١٧٩ ، وتذكرة الآباء وتسلية الأبناء المسمى الدرارى فى ذكر الذرارى للإمام الشيخ كمال الدين عمر بن أحمد ابن هبة الله بن العديم ـ حققه وعلق عليه علاء عبد الوهاب محمد ، دار السلام . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م / ٤٨ ـ ٥٥ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى اختصار القزوينى ـ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٩٦ ، ٩٧) .

*** حقوق الأخوة :**

يبين الإمام ابن قدامة ما على الإنسان لأخيه من الحقوق فيقول :

الحق الأول : قضاء الحاجات والقيام بها ، وذلك درجات : أدناها : القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة لكن مع البشاشة والاستبشار .

وأوسطها : القيام بالحوائج من غير سؤال .

وأعلاها : تقدم حوائجه على حوائج النفس .

وقد كان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضى حوائجهم .

الحق الثانى : على اللسان بالسكوت تارة ، وبالنطق أخرى .

أما السكوت ، فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى حضوره وغيبته ، وعن الرد عليه ومماراته ومناقشته ، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله . ولا يسأله إذا لقيه ، إلى أين ؟ فربما لا يريد إعلامه بذلك ، وأن يكتم سره ولو بعد القطيعة ، ولا يقدح فى أحبابه وأهله ، ولا يبلغه قدح غيره فيه .

الحق الثالث : وينبغى أن يسكت عن كل ما يكرهه ، إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت ، فإن مواجهته بذلك إحسان إليه فى المعنى .

واعلم : أنك إن طلبت منزها عن كل عيب لم تجد ، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية .

وقال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب الزلات .

وقال الفضيل : الفتوة : الصفح عن زلات الإخوان .

وينبغى أن تترك إساءة الظن بأخيك ، وأن تحمل فعله على الحسن مهما أمكن ، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .

واعلم : أن سوء الظن يدعو إلى التجسس المنهى عنه ، وأن ستر العيوب والتغافل عنها سيمة أهل الدين .

واعلم : أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ، ولا شك أنك تنتظر من أخيك أن يستر عورتك ، وأن يسكت عن مساويك ، فلو ظهر لك منه ضد ذلك اشتد عليك فكيف تنتظر منه ما لا تعزم عليه له ؟

ومتى التمست من الإنصاف ما لا تسمح به دخلت فى قول الله تعالى : ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ [المطففين : ٢ ، ٣] ومنشأ التقصير فى ستر العورة والمغرى بكشفها الحقد والحسد .

واعلم : أن من أشد الأسباب لإثارة الحقد والحسد بين الإخوان المماراة ، ولا يبعث عليها إلا إظهار التميز بزيادة الفضل والعقل واحتقار المردود عليه ، ومن مارى أخاه ، فقد نسبه إلى الجهل والحمق ، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشىء على ما هو عليه ، وكل ذلك استحقار ، وهو يوغر الصدر ويوجب المعاداة ، وهو ضد الأخوة .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق ، فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن المكروه ، تقتضى النطق بالمحبوب ، بل هو أخص بالأخوة ، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما يراد الأخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص منهم ، لأن السكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ، ويتفقده فى أحواله ، ويسأله عما عرض له ، ويظهر شغل قلبه بسببه ، ويبدى السرور بما يسر به

وفى الصحيح من رواية الترمذى : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » .

ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه .

ومن ذلك أن يثنى عليه بما يعرفه من محاسن أحواله عند من يؤثر الثناء عنده ، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وأفعاله ، حتى فى خلقه وعقله وهيئته وخطه وتصنيفه وجميع ما يفرح به من غير إفراط ولا كذب .

وكذلك ينبغى أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد .

ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك، وأن تذب عنه فى غيبته إذا قصد بسوء، فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة .

وفى الحديث الصحيح : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، ومتى أهمل الذب عن عرضه يكون قد أسلمه ، ولك فى ذلك معياران :

أحدهما : أن تقدر أن الذى قيل فيه ، قد قيل فيك وهو حاضر، فتقول ما تحب أن يقوله .

الثانى : أن تقدر أنه حاضر وراء جدار يتسمع عليك ، فما تحرك فى قلبك من نصرته فى حضوره ينبغى أن يتحرك فى غيبته . ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق .

ومن ذلك التعليم والنصيحة ، فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، وإذا كنت غنيا بالعلم فواسه وأرشده .

وينبغى أن يكون نصحك إياه سرا، والفرق بين التوبيخ والنصيحة الإعلان والإسرار، كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء ، فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه إصلاح أخيك بالإغضاء ، فأنت مدار ، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن .

ومن ذلك : العفو عن الزلات ، فإن كانت زلته فى دينه فتلطف فى نصحه مهما أمكن ، ولا تترك زجره ووعظه ، فإن أبى فالمصارمة .

الحق الخامس : الدعاء للأخ فى حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك .

وفى أفراد مسلم من حديث أبى الدرداء، أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم . وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو فى السحر لستة نفر .

وأما الدعاء بعد الموت ، فقال عمرو بن حريث : إذا دعا العبد لأخيه الميت ، أتى بها ملك قبره، فقال : يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ عليك شفيق .

الحق السادس : الوفاء والإخلاص ، ومعنى الوفاء : الثبات على الحب إلى الموت ، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه ، وقد أكرم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عجوزا وقال : « إنها كانت تغشانا فى أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان » .

ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه فى التواضع وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه .

واعلم : أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين ، فقد كان الشافعى رحمه الله آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقربه ويقبل عليه ، فلما احتضر قيل له : إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومىء إليه فقال : إلى أبى يعقوب البويطى، فانكسر لها محمد، ومع أن محمدا كان قد حمل مذهبه، لكن البويطى كان أقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعى رحمه الله المسلمين وترك المداهنة، فانقلب ابن عبد الحكم عن مذهبه، وصار من أصحاب مالك .

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا يصادق عدو صديقه .

الحق السابع : التخفيف وترك التكلف والتكليف، وذلك أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه، بل يروح سره عن مهماته وحاجاته، ولا يستمد من جاهه ولا ماله ولا يكلفه التفقد لأحواله والقيام بحقوقه والتواضع له ، بل يكون قصده بمحبته الله وحده، والتبرك بدعائه، والاستئناس بلقائه، والاستعانة على دينه ، والتقرب إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه، وتمام التخفيف طى بساط الاحتشام حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى فيه من نفسه .

قال جعفر بن محمد : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى .

وقال بعض الحكماء : من سقطت كلفته دامت ألفته ، ومن تمام هذا الأمر أن ترى الفضل لإخوانك عليك ، لا لنفسك عليهم ، فتنزل نفسك معهم منزلة الخادم .

(مختصر منهاج القاصدين / ١٠٠ ـ ١٠٤) .

وللإمام الشافعى رحمه الله فى المؤاخاة :

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا
فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففى الناس أبدال وفى الترك راحة
وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه
ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلا خير فى ودٍّ يجىء تكلفا
ولا خير فى خلٍّ يخون خليله
ويلقاه بعد المودة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده
ويظهر سرا كان بالأمس فى خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها
صديق صدوق يصدق الوعد منصفا

(مجموعة من النظم والنثر / ٥٢ ، ٥٣) .

ويفرد حجة الإسلام الغزالى الباب الثانى من الإحياء فى حقوق الأخوة والصحبة يبدؤه بقوله :

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح فكذا عقد الأخوة فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق .

ثم يعدد الحقوق الثمانية ، ونكتفي هنا بذكر عناوينها على النحو التالي .

١ ـ المال .

٢ ـ الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات، والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة .

٣ ـ في اللسان ، بالسكوت مرة وبالنطق أخرى . أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ، ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه .

٤ ـ (على اللسان بالنطق) فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره ، تقتضي أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور .

٥ ـ العفو عن الزلات والهفوات .

٦ ـ الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به .

٧ ـ الوفاء والإخلاص .

٨ ـ التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه (إحياء علوم الدين ٢ / ١٥٢ ـ ١٦٦) .

(مختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ــ قدم له محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٠٠ ـ ١٠٤ وقد وضعنا التعليقات بين أقواس في ثنايا النص، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ٥٢ ، ٥٣ ، وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ٢ / ١٥٢ ـ ١٦٦) .

*** حقوق أخوة الإسلام :**

حقوق أخوة الإسلام : للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفى سنة ستين وتسعمائة أولها : الحمد لله بحمده (نحمده) ونستعينه إلخ ذكر فيه أن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الأمة حقوقا وللمسلمين بعضهم على بعض حقوقا ففي معاشرة الصديق مع الصديق والشيخ مع المريد والعالم مع المتعلم والأمير مع الرعية والجار مع الجار والضيف مع المضيف والوالد مع الولد والغني مع الفقير والزوج مع الزوجة والقريب مع الغريب والسيد مع المملوك والمسلم مع الذمي أو الحربي والصالح مع الطالح والمبتدع حقوق وشرائط وآداب ذكرها كلها وفيه تأليف آخر قيل هو للغزالي .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣ ، ٦٧٤) .

*** حقوق الأقارب والرحم :**

يقول الإمام ابن قدامة :

وأما حقوق الأقارب والرحم ، ففي الحديث الصحيح ، من رواية عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الرحم معلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله » .

وفي حديث آخر من أفراد البخاري : « ليس الواصل بالمكافيء ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » .

وفي حديث آخر من أفراد مسلم أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، قال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» . والمعنى أنك منصور عليهم ، وقد انقطع احتجاجهم عليه بحق القرابة ، كما ينقطع كلام من سف المل ، وهو الرماد الحار . والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة في صلة الرحم ، وفي حقوق الوالدين ، وفي تأكد حق الأم (مختصر منهاج القاصدين / ١٠٨ ، ١٠٩) .

قال ﷺ : « يقول الله : أنا الرحمن ، وهذه الرحم ، شققت لها اسم من اسمي فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته » ؛ وقال ﷺ : « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتق وليصل رحمه»روى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ـ إنما قال ذلك لأن التجاور ربما يورث القطيعة (مفتاح السعادة ٣ / ٢٦٨) .

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٠٨ ، ١٠٩ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٢٦٨) .

*** حقوق الله :**

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر ـ رضي الله عنه ــ عن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » . حديث حسن رواه الدارقطني وغيره .

راوي الحديث كان من مشاهير الصحابة وممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ست من الهجرة ، مات، في الشام وهو ساجد سنة خمس وتسعين ومروياته أربعون حديثا .

مقدمة الحديث : هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وهو يحوي أصول الدين وليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه منه ، ولهذا قال السمعاني : من عمل به فقد حاز الثواب وأمن من العقاب .

الشرح : قوله ﷺ : « وحرم أشياء فلا تنتهكوها » ، أى فلا تدخلوا فيها .

أفكار الحديث : ١ ـ المحافظة على الفرائض

٢ ـ اجتناب المحرمات ٣ ـ النهى عن كثرة السؤال

فقه الحديث :

١ ـ لا يجوز لأى شخص أن يشرع حدوداً أو أحكاماً .

٢ ـ الأصل فى الأشياء الإباحة .

٣ ـ يستحيل على الله سبحانه وتعالى النسيان .

(شرح متن الأربعين النووية للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ١٠٣ ، ١٠٤ . انظر أيضا شرح الأربعين حديثا النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٧٤ ، ٧٥) .

*** حقوق الإنسان فى الإسلام :**

انظر مادة « الحرية فى الإسلام » فى م ١٣ / ٥١٢ ـ ٥٢٢ .

*** حقوق الجار:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم الحديث .

مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ـ البهراقية) . وهى الآن تحت رعاية الأوقاف وجاء بيان المخطوط كما يلى :

تأليف : الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز الذهبى : ٦٧٧ ـ ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨ م .

أورد فيه المصنف الأحاديث النبوية التى جاء فيها ذكر الجار وحقوقه .

أوله : قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين أبو سهل محمد : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

آخره : ... ولا تودهم كما تود المسلم آخر الجزء وهو حقوق الجار ... ابن قايماز الذهبى رحمه الله والحمد لله وحده ...

نسخة عادية كتبها ناسخ المجموع الذى ضمت إليه بخط نسخى كبير الحروف وهو يونس بن ملاح سنة ٩١٨ هـ . وبعض الكلمات بالحمرة .

(٢٥) ق المسطرة (١٥) س الأحمدية (٣١٠) مج الحديث بروكلمان ٢ / ٤٦ ملحق بروكلمان ٢ / ٤٥ .

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٩٩) .

قالت المؤلفة : هذا الكتاب عندى ولكنه مطبوع تحت عنوان «حق الجار » ، نشرته دار عالم الكتب بالرياض فى سلسلة الأجزاء الحديثية (١) تحقيق أبى إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا ، مراجعة أبى عبد الله محمود بن محمد الحداد . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ، ويقع فى ٥٠ صفحة ومن ٥١ ـ ٦٣ فهارس وفوائد وتعاليق .

وقد سبق أن أوردنا مادة بعنوان « الجار » فى م ١١ / ٤٣١ ، ٤٣٢ وفاتنا إدراج أحاديث للحافظ السيوطى وأخرى للحافظ المناوى رأينا أن نوردها هنا إتماما للفائدة .

أما الحافظ السيوطى فقد أورد فى الجامع الصغير ثلاثة أحاديث عن حقوق الجار :

أولها : « الجار أحق بصقبه » رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى رافع عن النسائى وابن ماجه عن الشريد بن سويد . حديث صحيح وعن لفظ « صقبه » جاء فى المعجم الوسيط (١ / ٥١٨) صقب صقبا : قرب ودنا ، والحديث : « الجار أحق بصقبه » معناه بما يليه ويقرب منه ، يقولونها فى الشفعة .

وأما الحديث الثانى فهو « الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها وإن كان غائبا إذا كان طريقهما واحدا » رواه أحمد فى مسنده عن جابر .

والحديث الثالث هو : « الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، والزاد قبل الرحيل » للخطيب فى الجامع عن علىّ . حديث ضعيف (الجامع الصغير ١ / ١٤٩) .

وقد أورد الحافظ المناوى منها حديثين بلفظ « بسغبه » بدلا من « بصقبه » وهو خطأ من الناسخ حيث أن الكتاب مخطوط مصور ، وجاء إسناد الحديثين كما يلى : « الجار أحق بسغبة [بصقبة] ما كان أحوج إليه » . رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى الكبير عن السويد [الشريد] بن سويد وإسناد أحمد جيد . وإسناد الحديث الثانى : « الجار أحق بسغبه [بصقبه] » للطبرانى فى الأوسط عن سعيد بن مالك وابن عمر وفى الأول عبد الكريم بن أمية ضعيف ، وفى الثانى عبيد بن كثير التمار متروك (الجامع الأزهر ١ /٢١٨ ورقة أ) كما أورد الحافظ المناوى حديثا ثالثا هو « جار السوء فى دار الإقامة قاصمة الظهر » رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس وفيه من لا يعرف (الجامع الأزهر ١ /٢١٧ ورقة أ) . كما أنه أورد حديثا رابعا هو : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق . فأما الذى له حق فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار . وأما الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار . وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم » رواه الطبرانى فى الكبير عن جابر وفيه شيخه عبد الله محمد بن الحازمى وضاع (الجامع الأزهر ١ / ٢١٨ ورقة ب ، ٢١٩ ورقة أ) .

*** حقوق غير المسلمين فى ظل الإسلام :**

انظر مادة الحرية فى الإسلام فى م ١٣ / ٥١٥ ـ ٥١٨ . انظر أيضا « حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية » ـ د . عبد الله مبروك النجار . مجلة الأزهر ، الجزء الثالث ، السنة السادسة والخمسون ، ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٣م / ٤٠٢ ـ ٤١١ .

* **حقوق المرأة فى الإسلام :**

عن حقوق المرأة فى الإسلام يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فى بحث نفيس له :

إن الإسلام قد أتى بمبدأ لم يسبق إليه، ولعله إلى الآن لم يلحق به، وهو ما يتعلق بالمرأة ، لأن المرأة فى الإسلام نالت حقوقا لم تنلها فى الشرائع السابقة على الإسلام ، خصوصا الشرائع غير الدينية ، وما نالته من هذه الحقوق لم تصل المرأة الأوربية إلى الكثير منها ، ونلخص ذلك فيما يلى :

(أ) كانت المرأة هملا فى بيت الزوجية ، ولم تكن لها أى شخصية قبل الزواج ، فكان أبوها أو وليها لا إرادة لها بجوار إرادته، وإذا تزوجت انتقلت السلطة المطلقة من الولى إلى الزوج ، فجاء الإسلام وجعل لها من الحقوق مثل ما عليها من واجبات ، وكانت قبلا عليها واجبات وليس لها حقوق، كما كان الأمر بالنسبة للرقيق عند الرومان والفرس ، فجاء القرآن وقرر تلك القضية العادلة التى تربط بين الحق والواجب بـربـاط وثيق ، لأنه يتفق مع البديهة العقلية ، فقال تعالى :

﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

(ب) ولم تكن المرأة ذات ولاية على نفسها ما دامت لم تتزوج ، فإذا تزوجت كانت الولاية عليها لزوجها ولم تكن لها شخصية منفردة عن شخصية زوجها ، فجاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقرر أن للمرأة ولاية على نفسها ، وإذا كان للولى شأن فى زواجها فليس له أن يجبرها ، وإنما الأمر إليها أولا وبالذات ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « الأيم أحق بنفسها من وليها » ، وصلته بها صلة أدبية لصيانتها ومنعها من السقوط ومعاونتها فى اختيار الزوج ، وإذا اختارت الكفء ولم يرض هـو لا يلتفت لاعتراضه ، وبعد الزواج ليس للزوج ولاية عليها إلا بمقدار ما ينظمه عقد الزواج من حقوق بين الزوجين .

(جـ) والمرأة إذا كانت بالغة عاقلة رشيدة لها الولاية الكاملة على مالها من غير تدخل من قبل أبيها أو غيره من قرابتها ، وإذا تزوجت كانت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها ، فلها أموالها وله أمواله كل يدبر ماله من غير تدخل من الآخر ، لها أن تتبرع من مالها بما تشاء كما يتبرع الرجل ، وما يكون من قيود للرجال فى تصرفاتها تكون لها أيضا فى تصرفاتهم هذه القيود ، وفى الجملة المرأة والرجل على سواء بالنسبة لإدارة كل واحد منهما ماله ، ولا يكون للزوج أى قدرة على التصرف فى مال زوجته إلا بتوكيل حر يكون لها الاختيار الكامل والرضا التام فيه ، ويكون مبناه الثقة بلا ريب ، وإن أساء الإدارة كان لها عزله فى أى وقت تريد ، وعقد الزواج فى الشريعة الإسلامية لا يقتضى ولاية مالية ، ولا شركة فى المال ، ولا وكالة إجبارية ، لأن العقد فى الإسلام لا يقتضى ذلك .

وازن بين هذا وبين القوانين الأوربية فيما يتعلق بالزواج ، إنها تعتبر الزوج شريكا ووليا فى مالها وليس لها التصرف فى أى قدر من مالها إلا بإذنه ، وليس لها أن تودع مالها ، فى المصارف على ذمتها ، لأن ذمتها غير منفصلة عن ذمة الزوج ، بينما الزوج له ذلك ، وأخيرا صدرت قوانين تخفف من ذلك ولا تمنعه ، وآخر تعديل فرنسى فى القانون المدنى الفرنسى سوغ للمرأة أن تودع أموالها باسمها ، وذلك الجزء الصغير وصلت المرأة إليه فى الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، وهو الذى أخذت منه على قلة أجزاء فى تلك القوانين التى أدغمت حق المرأة المالى فى الزوجة ولم تدغم مال الرجل فى مالها .

(د) والمرأة كانت فى نظر النظم القديمة كالشيطان ، ينظر إليها على أنها شىء مقيت ، حتى إنه ورد فى بعض عبارات التوراة المحرفة تلك الكلمة « المرأة أمر من الموت » .

كان ينظر إلى المرأة تلك النظرة ، فلما جاء الإسلام أكرمها وبالغ فى إكرامها بمقدار مبالغة العرب والرومان والفرس فى مقتها ، كانت المتزوجة تورث من ابن زوجها ، له هو أن يزوجها من غيره إن شاء وأن يرث زواجها من أبيه إن شاء ، فجاء الإسلام ومنع ذلك منعا باتا ، وسماه المسلمون تبعا للقرآن نكاح المقت ، فقد قال تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** ﴾ [النساء : ٢٢] ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ [النساء : ١٩] والإسلام اعتبر المرأة الصالحة كنزا من كنوز الدنيا هو السعادة كلها ، فقد قال عليه الصلاة و السلام : « ألا إن خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها أطاعته » وكان يوصى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنساء دائما ، ويعتبر من أعظم الفضائل الإنسانية معاملة الرجل لامرأته معاملة حسنة ، ويقول عليه الصلاة والسلام «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»

ولنترك الكلمة لكاتب أوربى هو جوستاف لوبون ، فهو يقول «تعامل المرأة المسلمة باحترام عظيم » وينقل فى ذلك عن مسيو دى أمسيس الذى لم يكن مناصرا للمبادئ الإسلامية فى أقواله « إن المرأة فى الشرق تعامل بنبل وكرم على العموم ، فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها فى الطريق ، ولا يجرؤ جندى أن يسىء إلى أشد نساء الشعب بذاءة لسان حتى فى أثناء الشغب ، وفى الشرق يشمل البعل زوجته بعين من رعايته ، وفى الشرق بلغ الاهتمام بالأم درجة العبادة ، وفى الشرق لا تجد رجلا يقدم على الاستفادة من كسب زوجته ، والزوج هو الذى يدفع المهر ، وإذا طلقت الزوجة فى الشرق أو هجرت أعطاها الرجل نفقة لتعيش عن سعة ، وإن حمل الزوج بعد الفراق على القيام بهذا الإنفاق يمنعه من إساءة معاملتها حذر مطالبته بالفراق » (حضارة العرب لجوستاف لوبون ـ ترجمة الأستاذ عادل زعيتر) .

وما نقلنا هذا الكلام لنتخذ منه حجة ، لأن الحقائق الإسلامية براهين قوتها مستمدة من ذاتها لا من أمر خارج عنها ، ولكننا نقدمها لأولئك الذى يتبعون كتّاب الغرب ، ويقلدونهم ، لأنهم لا يعتمدون على المنطق المجرد ، ولكن يعتمدون على التقليد فقط ، فأتينا بشهادة من يتبعونهم ولو كان الاتباع عن غير بينة .

ولعل أبلغ كلام سيق فى تقدير المرأة ما روى منسوبا إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « الجنة تحت أقدام الأمهات » وقد استرعت هذه الكلمة الكتاب المنصفين من الغرب فعلقوا على معناها تعليقا يدل على تمجيدها .

(هـ) أثبت الإسلام للمرأة ميراثا من أبيها وزوجها وأخيها ولم يكن لها شيء من الميراث فى النظم القديمة إلا فى بعض الأحوال ، ومن المؤكد أنها لم يكن لها ميراث كزوجة ، وننقل إلى القارئ كلمة عن كتّاب الفرنجة ، فقد قال جوستاف لوبون فى ذلك : « ومبادئ الميراث التى ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف » . ويقول : « ويظهر من مقابلتى بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة منحت حقوقا فى الميراث لاتجد مثلها فى قوانينا » (الكتاب المذكور ص٣٧٤) وبذلك الكلام يتبين أن الزوجة أعطيت حق الميراث فى الشريعة الإسلامية منذ نحو أربعة عشر قرنا ولم تعط ذلك الحق إلى الآن فى بعض القوانين الأوربية ، ومع ذلك يتبجح بعض الكتاب من الشرق والغرب بأن المرأة مظلومة فى الإسلام منقوصة الحقوق ، وهذا مما يشهد به بعض كتابهم ، وإن ذلك الكاتب يتوهم أن القرآن اتبع فى تشريعه ما كان عند العرب **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾** [الكهف : ٥] فهل كانت المرأة ترث عند العرب قبل الإسلام ، وهل كان نظام الطلاق والزواج والمحرمات فى الإسلام كما كان عند العرب .

(و) تعدد الزوجات هذا حق أعطى للزوج ولم تعطه المرأة بالبداهة ، ومع ذلك نعتبر فائدته تعود على المرأة أكثر مما تعود على الرجل ، وذلك لسببين :

أولهما ــ أن العرب كانوا يعددون الزوجات إلى غير عدد محدود ، والتوراة التى بأيدينا تبيح التعدد إلى غير عدد محدود أيضا ، ونذكر أن بعض النبيين عددوا لغير عدد ، وبعض المفسرين للتوراة حدد العدد بثمانى عشرة امرأة ، ولقد جاء الإسلام فحدد العدد بأربع ، واشترط العدالة والقدرة على الإنفاق ، وهو شرط فى كل زواج ولو كان واحدا ، وهو شرط دينى يأثم من يخالفه ولايبطل الزواج بتخلفه ، وليس للقضاء دخل فيه ، ولا شك أن تنقيص العدد إلى أربع فيه فائدة للمرأة بدل الانطلاق ، وإن عدم تدخل القضاء وترك الأمر لحرية العاقدين واختيارهما ورضاهما ، وجعل الأمر بالنسبة للشرطين العدالة والقدرة على الإنفاق للتدين ، فيه احترام لإرادة المرأة وعدم اعتبارها قاصرا ترعاها القوانين بدلا من أن ترعى هى نفسها بوزن الأمور وحسن اختيارها وتقديرها للمصلحة ، وفوق ذلك قد يكون التزوج إقالة لها من عثرة سقطت فيها مع الرجل الذى تتزوجه وله زوجة أخرى ، وكان الزواج منه رفعا لها من كبوة وردا لاعتبارها .

السبب الثانى ـ أن الزواج المتعدد فيه مصلحة للمرأة على وجه عام ، وإن كان فيه إدخال الألم على الزوجة الأولى ، ولا شك أن ذلك مضرة ، ولكن بالموازنة بين الضرر الذى يلحق المتزوجة ابتداء والضرر الذى يلحق بمجموع النساء عامة يتبين أن ضرر المنع أشد من ضرر الإباحة ، وقد بينا أن القياس للأحكام الشرعية هو أن تكون لأكبر نفع ولدفع أكبر ضرر ، ولقد ثبت بالعرف ومجرى الأمور أن المرأة لا تقدم على الزواج من رجل متزوج إلا إذا كانت مضطرة ، إما لأنه استهواها واستهوته ولا مناص لها من الاتصال فى الحلال أو الحرام ، ولا شك أن حلالا معيبا أولى من حرام مؤكد ، وإن زواجا تصان فيه المرأة وتثبت لها كل حقوق الزوجة ولأولادها كل حقوق الأولاد أولى من سفاح لا يثبت لها حقوقها ولا لأولادها نسبا ولا ميراثا .

ولو منع الزواج الرسمى لكثر الزواج من غير توثيق وأدى إلى ضياع الحقوق للنساء والأولاد ، وقد يكون إقدام المرأة على الزواج من رجل متزوج إذا لم يتقدم لها أحد ، لأنها إذا لم تتزوج فإما أن تنحرف ، وإما أن تموت أنوثتها وتضطرب أعصابها ، إلا أن تكون من ذوات الإرادات الخارقة ، وكلاهما ضرر شديد بالمرأة ، وقد ثبت أنه فى البلاد التى يمنع فيها حق التعدد تكثر الخلائل أو اتخاذ الأخدان ، وخير للمرأة أن تكون حليلة بدل أن تكون خليلة .

ولنترك الكلمة لوجستاف لوبون فهو يقول : « إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصا بالإسلام ، فقد عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد ، ولم تر الأمم التى انتحلت الإسلام فيه جديدا ... ولا نعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تحول الطبائع فتمنع مثل ذلك المبدأ الذى هو وليد جو الشرقيين وعورقهم ، وفى الغرب حيث الجو والمزاج أقل هيمنة لم يكن مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة فى غير القوانين لا فى الطبائع حيث يندر ... ولا أرى سببا يجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوربيين ، مع أننى أبصر بالعكس ما يجعله أسمى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظرهم شزرا إلى هذا الاحتجاج » (حضارة العرب ص ٤٨٣ ترجمة الأستاذ المرحوم عادل زعيتر) .

« وقد ثبت أن الخيانة الزوجية فى الأمم القائلة بالاقتصار على زوجة واحدة تزيد باضطراد ، فقد دلت الإحصاءات الرسمية التى

نشرت على أن عدد قضايا الزنا فى فرنسا سنة ١٨٨٠ أصبح تسعة أمثال ما كان عليه سنة ١٨٢٦ » (هامش الكتاب المذكور ص ٤٩٦) .

هذه حقائق ثابتة ، ومنذ بضع سنين قرر كبير الأساقفة فى انجلترا أنه لا سبيل لصد تيار الانحلال الاجتماعى إلا إباحة تعدد الزوجات فى القوانين الإنجليزية ، وقد أدرك بثاقب نظره أنه ليس فى المسيحية نص يمنع تعدد الزوجات ، ولكنه من تقاليد الكنيسة وليس من نصوص الأناجيل ولا رسائل الرسل .

(ز) الطلاق : لعل القارئ الجليل يعجب أن حق الطلاق الذى أعطيه الزوج أكسب المرأة حقوقا ، ونزيل هذا العجب فنقول؛ إن الطلاق قبل الإسلام عند العرب كان يتخذ مضارة للمرأة فكان الرجل يطلق بأى عدد ، وإذا طلق فإنه بمجرد أن تقارب مدتها الانتهاء لتتزوج زوجا آخر يبادر بمراجعتها ، ويمسكها ضرارا بها ، ويستمر على هذا الحال ، ويكررها مضارة ولعضلها عن الزواج ، فجاء الإسلام وجعل الطلاق لا يتجاوز ثلاثا ، ولا يحلها له بعدها إلا أن تتزوج غيره ، ليخرجها من ربقته ويفتح لها باب الزواج الذى كان يحاول إغلاقه وعضلها عنه .

وإن الطلاق الذى أبيح فى الإسلام أحيط بضمانات قوية تجعل الرجل لا يقدر عليه إلا إذا استحكمت النفرة ، ولنشر إلى هذا بكلمات يسيرة توضح أن الزواج لا يبقى إلا حيث تكون الرحمة والمودة كما بيَّن القرآن ذلك ، ولكن سبحان مقلب القلوب ، فقد تتحول المحبة إلى بغض والمودة إلى منابذة ومنافرة ، فإذا استحكمت النفرة لم يكن سبيل للبقاء ، ولا مصلحة لأحدهما فى أن تبقى تلك العلاقة التى تنافرت فيها القلوب ، فكان الفراق أمرا لا بد منه ، ولا سبيل لأن يكون أمام القضاء ، لأنه ليس من مصلحة الزوجة أن تذكر أسباب النفور منها أمام القضاء ، ولا شك أنهما إذا اتفقا على الفراق كان ذلك أمرا مقبولا ، لأن العقد الذى بالتراضى يلغى بالتراضى على فسخه ، وإذا لم يكن تراض فإن الحل يكون بيد الزوج ويترتب عليه مغارم مالية ، فما أنفق فى سبيل هذا الزواج كبير عادة ، وما يعقب الطلاق كبير أيضا ، وهذه المغارم بلا شك كوابح مادية تمنعه من الطلاق إلا إذا كان متهورا ولا مصلحة لها فى معاشرته .

والإسلام قيد الطلاق فى حدود نفسية مع هذه القيود المادية ، فجعل الطلاق ثلاثا لا يقع دفعة واحدة ، والواحدة بالنسبة للمدخول بها تكون رجعية ، له أن يراجعها فى أثناء العدة لأنه عسى أن يكون قد نطق بكلمة الطلاق فى نوبة غضب جامح من غير ترو، فإذا راجعها تحسب عليه طلقة ويكون هذا إنذارا ، فإذا طلقها ثانية كان له مراجعتها فى أثناء العدة ، فإذا راجعها يكون هذا إنذارا ثانيا ، فإن كانت الثالثة كانت البتة ، وإن لم يراجعها فى أثناء العدة كان ذلك دليلا على الإصرار الكامل .

وقيدت السنة الطلاق تقييدا نفسيا آخر ، فقررت أنه لا يكون فى حال الحيض ولا فى طهر جامعها فيه ولا فى الحيض قبله ، وأن تكون واحدة ، والمحققون من العلماء قرروا أن الطلاق فى غيرما بينه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منهاجا للسنة لا يقع ، فقد قرر الإمامية والزيدية وابن تيمية وابن القيم والشوكانى وغيرهم ذلك ، وأخذوا ذلك من السنة النبوية ومن أقوال كثيرين من الصحابة .

والمرأة عند إنشاء عقد الزواج تستطيع أن تحمى نفسها من الطلاق وآثاره بأن تجعل مؤخر المهر كبيرا أو تجعل المهر كله مؤخرا ، وإن لم يقبل فذلك دليل على سوء نيته ، فإن قبلت مع ذلك تكون راضية بالطلاق ابتداء ، ولا بد أن تحزم هى وأولياؤها الأمر عند إنشاء العقد ، وأبيح للمرأة طلب الطلاق فى نظير دفع ما قدم من مال إذا أبغضته ولم تطق البقاء معه ، ويسمى ذلك خلعا .

هذا وقد بينا نسبة الطلاق إلى الزواج فى بحث قدمناه فى العام الماضى ، وفيه تبين أنه أقل عددا من نسبة الافتراق الجسدى بين الكاثوليك («المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » / ٣٦١ ـ ٣٦٧)

وقد بسط السيد محمد رشيد رضا القول فى قضية حرية المرأة المسلمة من حيث سبق الإسلام فى إصلاح أحوالها ورفع شأنها باعتبارها إنسانة لها حقوق وعليها واجبات ، ويبدأ بالكلام على المرأة قبل البعثة المحمدية ، ثم ينتقل إلى ما قرره الإسلام بشأنها وذلك فى عدة نقاط ننقل لك بعضها فيما يلى :

يقول السيد محمد رشيد رضا مخاطبا نساء العالمين :

كانت المرأة تشترى وتباع ، كالبهيمة والمتاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء ، وكانت تورث ولا ترث ، وكانت تُملك ولا تَملك ، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج الحق فى التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال فى بعض البلاد فى كونها إنسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفى كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟ وفى كونها تدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع فى رومية أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة ، وأن يكمم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك ومن الكلام لأنها أحبولة الشيطان ، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق فى قتل بنته بل وفى وأدها « دفنها حية » أيضا . وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل فيقتل المرأة ولا دية .

وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسى فى أوربا بعد ميلاد محمد ﷺ وقبل بعثته أن قرروا بعد خلاف وجدال أن المرأة إنسان إلا أنها خلقت لخدمة الرجل .

ولد محمد ﷺ فى سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام ،

وأصدر الفرنسيس هذا القرار النسوى فى سنة ٥٨٦ أى بعد مولده بخمس عشرة سنة ، ولم يكن يدرى هو ولا غيره بما سيجيء به من الإصلاح البشرى العام ، والإصلاح النسوى الخاص .

فهل أتاكن يا بنات حواء أنباء ما جاء به محمد نبى الرحمة من التعاليم فى حقكن ؟ هذا ما اقترح على أن أقصه عليكن ، وعلى رجال الأمم كلها فى هذه الرسالة فى هذا اليوم من ذكرى مولد محمد ﷺ سنة ١٣٥١ من هجرته ...

بعث محمد ﷺ فى أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشرا ونذيرا للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى إصلاح أنفسهم التى أفسدتها التقاليد الدينية ، والعصبيات القومية والوطنية ، وكان للنساء حظ كبير من هذا الإصلاح لم يسبق الإسلام به دين ، ولم يبلغ شأوه تشريع ، ودونكن التفصيل .

١ ـ المرأة إنسان هى شقيقة الرجل

قام محمد ﷺ يتلو على البشر آيات الله عز وجل فى كون النساء والرجال من جنس واحد ، لا قوام للإنسانية إلا بهما . وهذه أربع شهادات منها :

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [الحجرات : ١٣].

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ [النساء : ١] .

﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل : ٧٢] .

وكان ﷺ يقول : « إنما النساء شقائق الرجال » (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة أم المؤمنين والبزار عن أنس) .

٢ ـ إيمان النساء كالرجال

قام محمد ﷺ يتلو على الناس ما أثبته الله تعالى من إيمان النساء كالرجال ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنت مهجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة : ١٠]

ومنه قوله تعالى ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتنا وإثما مبينا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وقوله تعالى ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ [البروج : ١٠] .

وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعا بقوله :

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [محمد : ١٩] .

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن على النساء ما على الرجال من أركان الإسلام، إلا أن الصلاة تسقط عن المرأة فى زمن الحيض والنفاس مطلقا ، فتتركها ولا تعيدها لكثرتها، وأما الصيام فيسقط عنها فى زمنها وتقضى ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها ، وأما حجها فيصح فى كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهى طاهرة .

٣ ـ جزاء المؤمنات فى الآخرة كالمؤمنين

وقام يتلو على العالم فى جزاء المؤمنات كالمؤمنين آيات من الله تعالى ، منها قوله تعالى :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوٰة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقوله تعالى ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ [غافر : ٤٠] .

وقوله تعالى ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ النساء : ١٢٣ ، ١٢٤] .

وقوله تعالى فى أولى الألباب الذين يذكرونه كثيرا ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ويدعونه ﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عمل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ [آل عمران : ١٩٥] وفيها وعدهم جميعا بإدخالهم الجنة وحسن الثواب .

وقوله تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقوله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ٧٢] .

٤ ـ مشاركة النساء للرجال فى الشعائر الدينية والأعمال الاجتماعية والسياسية

النساء يشاركن الرجال فى العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، فتشرع لهن ، ولكن لا تجب عليهن تخفيفا عليهن، وصح أن النبى ﷺ أذن للحيض منهن بحضور اجتماع العيد فى المصلى دون صلاته . (الحيض بتشديد الياء جمع حائض، ومصلى العيد كان خارج البلد) .

وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن كالرجال كما تقدم ،

ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين فى أيديهن مدة الإحرام ، وقد شرع لهن من الأمور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٧١] فأثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالى والاجتماعى ، وولاية النصرة الحربية والسياسية ، إلا أن الشريعة أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، فكان نساء النبى وأصحابه يخرجن فى الغزوات مع الرجال يسقين الماء ، ويجهزن الطعام ، ويضمدن الجراح ، ويحرضن على القتال . وقد ثبت فى الصحيحين : أن عائشة زوج رسول الله ﷺ كانت تحمل قرب الماء هى وأم سليم وغيرها إلى الجرحى فى غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم . ولما جرح رسول الله ﷺ تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده .

٥ ـ أمان المرأة للحربيين

ومن حقوق المرأة السياسية فى الإسلام أنها إذا أجارت أو أمنت أحدا من الأعداء المحاربين نفذ ذلك ، فقد قالت أم هانئ للنبى ﷺ ـ وهى بنت عمه أبى طالب ـ يوم فتح مكة « إنى أجرت رجلين من أحمائى . فقال ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » وهذا حديث صحيح متفق عليه . وفى بعض الروايات : أنها أجارت رجلا فأراد أخوها على كرم الله وجهه قتله ، فشكته إلى النبى ﷺ فأشكاها وأجاز جوارها . وفى حديث حسن عند الترمذى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعنى تجير على المسلمين اهـ وفى معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت « إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز » ونقل ابن المنذر : أن المسلمين أجمعوا على صحة إجارة المرأة وأمانها .

٦ ـ أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر

وما فى الآية من فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة ، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والأمراء فمن دونهم ، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به .

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تغالى الناس فى مهور النساء حين اتسعت دنياهم فى عصره ، فخاف عاقبة ذلك ، وهو ما يشكو منه الناس منذ عصور، فنهى الناس أن يزيدوا فيها على أربعمائة درهم، فاعترضت له امرأة من قريش فقالت : أما سمعت ما أنزل الله ؟ إذ يقول ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ [النساء : ٢٠] فقال : اللهم غفرا، كل الناس أفقه من عمر. وفى رواية أنه قال : امرأة أصابت وأخطأ عمر. وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله .

٧ ـ مبايعة النبى ﷺ للنساء كالرجال

كان النبى ﷺ يبايع الرجال على السمع والطاعة والنصرة وكانت أول بيعة منه لنقباء الأنصار فى عقبة منى قبل الهجرة على بيعة النساء كما فى السيرة ، ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه ـ أى حمايته ـ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ـ وبايع المؤمنين تحت الشجرة فى الحديبية على أن لا يفروا من الموت ، سنة ست من الهجرة ـ وخصت بيعة النساء بذكر نصها فى سورة الممتحنة وهو قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولٰدهن ولا يأتين ببهتٰن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ١٢] . نزلت يوم فتح مكة وبايع النبى ﷺ بها النساء على الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الإسلام والجهاد . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبلغه عنهن وهو واقف أسفل منه .

وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهى منتقبة متنكرة مع النساء لئلا يعرفها رسول الله ﷺ وهى التى كانت أخرجت كبد عمه حمزة رضى الله عنه يوم قتل فى أُحُد فمضغتها ولاكتها شماتة وانتقاما . ولكنها كانت تتكلم عند كل جملة . قال رسول الله ﷺ « أبايعهن « ﴿ على أن لا يشركن بالله شيئا ﴾ فرفعت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال ـ وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد ـ فقال النبى ﷺ ﴿ ولا يسرقن ﴾ فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصبت من ماله هنات فلا أدرى أيحل لى أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شىء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ، فقال ﴿ ولا يزنين ﴾ فقالت أو تزنى الحرة ؟ فقال ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فأنتم وهم أعلم ، وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضى الله عنه وتبسم رسول الله ﷺ فقال ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ وهو أن تقذف ولدا على زوجها وليس منه ـ قالت هند : والله إن البهتان لقبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال ﴿ ولا يعصينك فى معروف ﴾ قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء . فأقر النسوة بما أخذ عليهن .

وكان ﷺ يقول لهن عند المبايعة « فيما استطعتن وأطقتن » فيقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا .

أقول : وأية رحمة ويسر فى الإسلام أوسع من تقييد الله طاعة رسوله بالمعروف، وهو لا يأمر إلا بالمعروف (ومنه منع عادات

الجاهلية فى الموتى) ثم تقييد الرسول نفسه بالاستطاعة والطاقة وفاقا لقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] وقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] وقوله تعالى ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨]

وقتل الأولاد يدخل فيه ما كان يفعله بعض العرب من وأد البنات أى دفنهن حيات ، اتقاء لعارهن أن يسبين أو يفجرن ، وقتل الصغار لأجل الفقر أو خوف الفقر إذا كبرن ، وقال بعض المفسرين : إن منه تعمد المرأة إسقاط الجنين لأى سبب من الأسباب . وأما البهتان الذى أخذ عليهن ألا يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فهو أن يلحقن بالرجل ولدا ليس له كما فسر فى الحديث ـ أى ولو لقيطا يلتقطنه فإن المرأة تضع طفلها كذلك ، وهذه الكناية من أبدع كنايات القرآن بلاغة ونزاهة .

ثم بايع رسول الله ﷺ الرجال بيعة النساء كما فى حديث عبادة ابن الصامت المتفق عليه ، قال « كنا مع رسول الله ﷺ فى مجلس فقال : تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ـ وقرأ الآية التى أخذت على النساء : ﴿ إذا جاءك المؤمنات ﴾ فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه» .

وروى الإمام أحمد أن فاطمة بنت عتبة جاءت تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿ أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ الآية ـ فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا ، قالت : فنعم إذا . فبايعها بالآية » .

٨ ـ حقوق النساء فى التعليم والتأديب

بيَّن الله تعالى فى مواضع من كتابه أنه أرسل نبيه محمدا ﷺ فى الأميين ليخرجهم من الأمية ، فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ومدح العلم فى آيات كثيرة ومدحه رسوله فى مواضع لا محل لسرد شيء منها هنا ، وقد فسر بعضهم الكتاب فى هذه الآيات بصناعة الكتابة لأنه فى الأصل مصدر كتب ، ثم أطلق على المكتوب ، وكان النبى ﷺ يحث أصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها فى آية الدين [البقرة : ٢٧٢] وقد ثبت من عدة طرق أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علَّمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة .

وقد اشتركت النساء مع الرجال فى اقتباس العلم بهداية الإسلام ، فكان منهن راويات الأحاديث النبوية والآثار، يرويه عنهن الرجال ، والأديبات والشاعرات والمصنفات فى العلوم والفنون المختلفة وكانوا يعلمون جواريهم وقيانهم كما يعلمون بناتهم وقد أجمع المسلمون على أن كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما ندبهم إليه فالرجال والنساء فيه سواء ، إلا ما استثنى مما هو خاص بالنساء لأنوثتهن فى الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتال وغير ذلك مما هو معروف .

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله وخاتم النبيين بتعليم النساء وتربيتهن أن ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى أجرهم مرتين يوم القيامة ـ أى مضاعفا ـ قوله « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » فقرن ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذى كان يرغِّب فيه كثيرا ، فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه . والحديث متفق عليه عن أبى موسى رضى الله عنه وله ألفاظ أخرى .

وإن حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات باتفاق علماء الإسلام وإن لم يرد فيه لفظ (ومسلمة) وقد صحح فى الجامع الصغير بعض طرقه . وأما متنه فصحيح بالإجماع .

وسيأتى فى الكلام على أمهات المؤمنين أن الغرض الأول من تعددهن أن يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون إليهن فيما يشكل عليهم من بعض الأحكام الشرعية ، ولا سيما السيدة عائشة رضى الله عنها .

(انظر مادة « تعدد الزوجات » فى م ٩ / ٥٥٥ ـ ٥٦٢) .

٩ ـ حقوق النساء المالية

قد أبطل الإسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك ، أو التضييق عليهن فى التصرف بما يملكن ، واستبداد أزواج المتزوجات منهن بأموالهن ، فأثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة ، فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال ، وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية ؛ وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك ، ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة .

١٠ ـ حقهن فى الميراث

قال الله تعالى فى إبطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الإرث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قَلَّ منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء : ٧] .

ثم بيَّن نصيب كل وارث من الرجال والنساء فى آيات المواريث من هذه السورة (أعنى ١٠ ـ ١٢ و ١١٦) وهى مبنية على قاعدة ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء : ١١] من الآية الحادية عشرة المفصلة فى سائر الآيات . وحكمة جعل نصيب المرأة نصف

نصيب الرجل أن الشرع الإسلامى أوجب على الرجل أن ينفق على المرأة فبهذا يكون نصيب المرأة مساويا لنصيب الرجل تارة وزائدا عليه تارة أخرى باختلاف الأحوال إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأنثى وترك لهما ثلاثة آلاف دينار مثلا كان للذكر ألفان ولأخته ألف ، فإذا تزوج هو فإن عليه أن يعطى امرأته مهرا وأن يعد لها مسكنا وأن ينفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية ، ففى هذه الحالة تكون الألفان له ولزوجه ، فيكون نصيبه بالفعل مساويا لنصيب أخته أو أقل منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شىء وفى هذه الحالة يكون ماله الموروث دون مال أخته .

فإنها إذا تزوجت ، كما هو الغالب ، فإنها تأخذ مهرا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها أن تستغل ما ورثته من أبيها وتنميه لنفسها وحدها ؛ فلو لم يكن للوارثين إلا ما يرثونه من أمواتهما لكانت أموال النساء دائما أكثر من أموال الرجال ، إذا اتحدت وسائل الاستغلال ، فيكون إعطاؤهن نصف الميراث تفضيلا لهن عليهم فى أكثر الأحوال ؛ إلا أن سببه أن المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ؛ ولها من شواغل الزوجية وما يتصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الأمومة ما يصرفها عن الكسب الذى تقدر عليه ، وهو دون ما يقدر عليه الرجل فى الغالب ـ فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والدار والأولاد على الرجل ظلما له وتفضيلا للمرأة عليه فى المعيشة ووجه إعطاء المرأة ما تعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتح لها الزواج أو مات زوجها ولم يترك لها ما يقوم بأودها ، فهو من قبيل المال الاحتياطى لها وللأسرة .

١١ ـ مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الإسلامية المحمدية فى تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التى يجرى عليها البشر فى الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترن بها مهرا مقدما على البناء بها من حيث تفرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع هى المهر للرجل ـ ولكنهم يسمونه باسم آخر فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالاً تقدمه لمن يقترن بها إذا لم يكن لها ولى من والد أو غيره يبذل لها هذا المال ، وكثيرا ما تركب الأوانس الناعمات أخشن المراكب وتتعرض للعنت والتفريط فى العرض والشرف ، فى سبيل تحصيل هذا المال .

وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهرا لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها ، لأنه ليس لها أن تتصرف بمالها وهى متزوجة .

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضا حتما وحرم عليه أن يأكل شيئا منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال **﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾** [النساء : ٤] والنحلة فى اللغة العطاء الذى لا يقابله عوض ، فقول الفقهاء إن المهر فى معنى ثمن الاستمتاع مخالف للغة ، ورد عليهم شيخنا الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية رحمه الله) فقال : كلا إن الصلة بين الزوجين أعلا وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ، ولذلك قال «نحلة » فالذى ينبغى أن يلاحظ أن هذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى وتوثيق عرى المودة والرحمة ، وإنه واجب حتم لا تخيير فيه ، كما يتخير المشترى والمستأجر ، وترى عرف الناس جاريا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه بالهدايا والتحف اهـ كلامه ولكنه قال فى موضع آخر : إن حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برياسة الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ، وسيأتى .

والخطاب يحتمل وجها آخر وهو أن الخطاب للأولياء الذين يزوِّجون اليتامى وغير اليتامى ، فقد كان ولى المرأة فى الجاهلية يزوجها ويأخذ صداقها لنفسه دونها فنهى الله الأولياء فى الإسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى **﴿ فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾** [النساء : ٤] أى فإن طابت أنفسهن عن شىء من المهر فأعطينه من غير إكراه ولا إلجاء بسبب سوء العشرة ، ولا إخجال بالخلابة والخديعة ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : من غير ضرار ولا خديعة **﴿ فكلوه هنيئا مريئا ﴾** أى سائغا لا غصص فيه ولا تنغيص ، فإذا طلب منها شيئا فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تخفى .

١٢ ـ الزواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب فى الجاهلية أنواع من الزواج الفاسد الذى كان يوجد عند كثير من الشعوب ، ولا يزال بعضه إلى اليوم فى البلاد التى تغلب عليها الهمجية ـ فمنها اشتراك الرهط من الرجال فى الدخول على امرأة واحدة و إعطاؤها الحق فى الولد أن تلحقه بمن شاءت منهم .

ومنها نكاح الاستبضاع وهى أن يأذن الرجل لزوجه إن تمكن من نفسها رجلا معينا من الرؤساء والكبراء الممتازين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله .

وهذان النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائمة فى بعض البلاد ، وكان عند العرب موقتا ومقيدا بما ذكرنا .

ومنها : السفاح بالبغاء العلنى وكان عند العرب خاصا بالإماء دون الحرائر ومنها اتخاذ الأخدان أى الصواحب العشيقات ، وكان عرب الجاهلية يستترون به ويعدون ما ظهر منه لؤما وخسة ـ وهذان النوعان عامان شائعان فى بلاد الإفرنج كلها جهرا ، وقد سرى منهم إلى بلاد الشرق التى غلب نفوذهم عليها أو على حكامها .

ومنها : نكاح المتعة وهو الموقت ، وقد شاع فى بلاد الإفرنج أخيرا ويسمونه نكاح التجربة .

ومنها : نكاح البدل والمبادلة وهو أن ينزل رجلان كل منهما

عن امرأته للآخر ونكاح الشغار، وهو أن يزوج كل من الرجلين الآخر بنته أو أخته أو غيرهن ممن تحت ولايتهما بدون صداق ــ وهذان النوعان مبنيان على قاعدة حسبان المرأة ملكا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله ، ولا يزالان يوجدان في بعض الشعوب الفاسدة أو الهمجية كالغجر. والغبن في كل ذلك على النساء ، فهن اللائى يحملن أثقاله وأوزاره الجسمية والأدبية والمالية.

وأما المرتقون من العرب كقريش، فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون وبعض الشعوب الراقية ، من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي أقره الإسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرها أو عضلهن أي منعهن من الزواج أو أكل مهورهن ، وكذا تعددهن بغير حد في العدد ولا قيد في المصلحة ولا شرط في العدل ولا في الحقوق ـ أبطل الإسلام كل المظالم الخالصة وقيد منها ما فيه وجهان بما يرجح المصلحة على المفسدة والعدل على الظلم .

١٣ ـ ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه

جمع الإسلام بين جعل حق التزويج لولي المرأة وحق المرأة في قبول من ترضاه من الأزواج ورد من لا ترضاه ، فمنع الأولياء من الاستبداد في تزويج مولياتهم من بنات وأخوات وغيرهن بغير رضاهن، وكان من ظلم الجاهلية لهن ، بل لا يزال الوالدان يكرهان البنات على الزواج بمن يكرهن من الرجال في جميع الأمم على ما فيه من الشقاء والفساد، كذلك منع المرأة من التزوج بغير كفء يرضاه أولياؤها وعصبتها فيكون تزوجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم وبين عشيرته بالتبع له ، بدلا من تجديد مودة وتعاون بمصاهرته. وليس للأولياء ولا للوالد نفسه أن يمتنع من زواجها بأي كفء ترضاه .

روى الجماعة كلهم (الجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تنكح الأيم (الأيم : بتشديد الياء غير المتزوجة بكرا كانت أم ثيبا) حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن ــ قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » ورووا ـ إلا البخاري ـ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها » أي سكوتها يكتفى به ، فلا تكلف التصريح لحيائها كما روى عن عائشة « أنها سألت النبي ﷺ عن استئذان البكر فقالت إن البكر تستأذن فتستحي فتسكت فقال : سكاتها إذنها » متفق عليه وروى الجماعة إلا مسلما عن خنساء بنت خذام الأنصارية « أن أباها زوجها وهي ثيب ، فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها أي أبطله » قال بعض المحققين لا يكون سكوت البنت إذنا للأب بتزويجها إلا إذا كانت تعلم ذلك . فإن كانت لا تعلم فينبغي إعلامها .

وروى أحمد والنسائي من حديث ابن بريدة ، وابن ماجه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال « جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته قال فجعل ﷺ الأمر إليها ، فقالت قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من شيء » تعني أنه ليس لهم إكراههن على التزوج بمن لا يرضينه .

قالت المؤلفة : أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الموسوم بفقه الكتاب والسنة ورفع الحرج عن الأمة » فصلا في إجبار الأب ابنته على الزواج (ص ١٨٠ ـ ١٨٧) فارجع إليه إن شئت الاستزادة .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ورواه من حديث أبي حاتم المزني بلفظ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه » ... إلخ ورواه أبو داود في المراسيل .

١٤ ـ أركان الزوجية الفطرية في الإسلام

أرشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم إلى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان (أو أقانيم) يجب عليهم تحريها فيها ، وهي ما أشرنا إليه في صدر هذه الرسالة وصدرناها بآيتها من قوله عز وجل ﴿ **ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [الروم : ٢١] .

فالسكون النفسي الجنسي وهو الركن الأول من هذه الأركان خاص بالزوجين ...

وإنما تكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى إليه من قصد الإحصان في النكاح وهو أن يقصد به كل من الزوجين إحصان الآخر ـ أي إعفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية إلى المسافحة أو اتخاذ الأخدان لأجل اللذة فقط ، وقصارى هذا الإحصان أن يقصر كل منهما هذا الاستمتاع على الآخر ، ويقصد حكمته أي وسيلة النسل وحفظ النوع البشري على أسلم وجه وأفضله قال الله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء ﴿**وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسفحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة** ﴾ [النساء : ٢٤] ثم قال بعدها في نكاح الإماء : ﴿ **فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنت غير مسفحت ولا متخذت أخذن** ﴾ [النساء : ٢٥] .

وقال في سورة المائدة ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان** ﴾ [المائدة : ٥] .

والركن الثاني من أركان الزوجية المودة ، أي المحبة التي يظهر

أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما ـ والركن الثالث الرحمة التى لا تكمل للإنسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة ورحمتهما لأولادهما، فيكون لكل البشر أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة، إذا لم يكن فساد التربية والمعاشرة أو تعاليم العداوات والعصبيات بين البشر مفسدة لها أو قاصرة لها على المشاركين فى القومية أو العقيدة أو الوطن، ومن تفكر فى هذه الأركان الثلاثة حق التفكر علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التى هى جل سعادة الإنسانية. ولذلك قال تعالى بعد بيانها ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١] كما ترد فى [الرعد : ٣] و [الزمر : ٤٢]، و [الجاثية : ١٣] ولكن المؤلف قصد آية الروم

١٥ ـ المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

إن الإصلاح الأكبر الذى جاء به الإسلام، ونزل به القرآن فى شأن النساء هو الآية ٢٢٨ من سورة البقرة، فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والدعاوى والعادات والتقاليد التى يستبد بها الرجال الأقوياء ويستعلون على النساء الضعيفات فى أنفسهن وأموالهن وأولادهن. وقد فسرنا هذه الآية فى الجزء الثانى من تفسيرنا بما بينا به هذه الدرجة وننشر هنا ملخصه وهذا نصه :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة : ٢٢٨].

هذه كلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير، فهى قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر عنه بقوله تعالى ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء ﴾ [النساء : ٣٤] وقد أحال فى معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى أهليهن، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم، فهذه الجملة تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشئون والأحوال، فإذا همَّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما « إننى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى لهذه الآية ».

وليس المراد بالمثل المثل لأعيان الأشياء وإنما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها إن لم يكن مثله فى شخصه، فهو مثله فى جنسه، فهما متماثلان فى الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل، أى أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر فى مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به، ويكره ما لا يلائمه وما ينفر منه، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر، ويتخذه عبداً يستذله ويستخدمه فى مصالحه لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة التى لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه.

قال الأستاذ الإمام قدس الله روحه : هذه الدرجة التى رفع النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق و لا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده، وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها فى الحضارة والمدنية أن بالغت فى تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ـ لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها. وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف ...

وأما قوله تعالى ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء، ذلك أن هذه الدرجة هى درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء : ٣٤] فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه فى الخلاف، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة، ويختل النظام، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هى مطالبة بطاعته فى المعروف ... إلخ.

١٦ ـ مقتضى الفطرة فى أعمال الزوجين

هذا و إن ما تقرر فى السنة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة ـ والإسلام دين الفطرة ـ فقد فضل الله الرجل فى خلقته بقوة فى الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالأسرة، والعام للأمة والدولة، ومن ثم فرض عليه النفقة، وبها كان الرجال قوامين على النساء، يتولون الرياسة العامة والخاصة التى لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها، فعليه جميع الأعمال الخارجية فى أصل الفطرة، وهذا ما عليه جميع أمم الحضارة.

ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الأطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شئونه، ولها الرياسة فى جميع الأعمال الداخلية المحضة فيه. قال النبى ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » الحديث وهو متفق عليه.

ولا ينازع فى تفضيل الله الرجل على المرأة فى نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر، فهو أكبر دماغا وأوسع عقلا، وأقوى عضلا، وأعظم استعدادًا للعلوم وأقدر على مختلف الأعمال ...

ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جناية سوء التربية

وفساد النظام يرى أن الثابت فى غرائزهن أن خير الأزواج وأولاهم بالاختيار من كان قادرا على الكسب وحماية النسل وصيانته . وما تتوقف عليه تربيته إلى أن يبلغ أشده وقد ألقت غير واحدة من الصحف الإفرنجية ولا سيما الإنكليزية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الأزواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا .

على أن هذا النظام الفطرى الشرعى فى الزوجية لا يمنع غير الزوجات والأمهات من المسلمات أن يشتغلن بالتوسع فى بعض العلوم والأعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهن ، وإنما الأفضل والأنفع لهن ولأمتهن وللإنسانية كلها أن يتقن العلوم والأعمال الخاصة بالزوجية والأمومة ، وقد صارت فى هذا العصر كبيرة وكثيرة .

١٧ ـ رياسة الرجل فى البيت شورية لا استبدادية

وردت النصوص الكثيرة فى كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين فى جعل إدارة المنزل والأسرة مقيدة بأوامر الشريعة ونواهيها ، وبالعرف المرعى بين الناس فى المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة فى حالتى الحب والكره والرضا والسخط قال الله تعالى ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ [النساء : ١٩] ...

والقاعدة الشرعية فى نظام المنزل : التزام كل من الزوجين العمل بإرشاد الشرع فى كل ما هو منصوص عليه ، والتشاور والتراضى فى غير المنصوص عليه ومنع الضرر والضرار بينهما ، وعدم تكليف أحدهما الآخر ما ليس فى وسعه ، والأصل فى قاعدة هذه الأحكام كلها قوله تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** ﴾ [البقرة : ٢٢٣] وهى فى الوالدات المطلقات فالثابتات الزوجية أولى منهن بالتراضى والتشاور مع الوالد فيما فيه المصلحة لولدهما . وهو يدخل فى وصفه تعالى للمؤمنين بقوله ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [الشورى : ٣٨] .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » رواه الترمذى عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبرانى عن معاوية وهو صحيح . وقال : « خيركم خيركم للنساء » رواه الحاكم عن ابن عباس وقال : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » رواه ابن عساكر عن على وهو صحيح كما علم عليه السيوطى فى الجامع الصغير (٢ / ١٢) . وقال ﷺ لعمر حين سأله عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضة « ألا أخبرك بخير ما يكنز ؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » رواه ابن أبى شيبة وأبو داود وأبو يعلى وغيرهم .

١٨ ـ وظائف الرجال والنساء وأعمالهما

قال الله تعالى فى سورة النساء ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما** ﴾ [النساء : ٣٢] .

ذكرنا فى الجزء الخامس من تفسير المنار أنه ورد فى سبب نزول هذه الآية وموضوعها ثلاث روايات :

الأولى : عن مجاهد أن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت « يا رسول الله : يغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصف الميراث » .

الثانية : عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال .

الثالثة : عن قتادة والسدى قالا : لما نزل قوله تعالى ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ [النساء : ١١] قال الرجال : إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن فى الميراث ، فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء . وقالت النساء : إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال فى الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم فى الدنيا . كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفى غيره مما فى معناه . ونقلنا عن أستاذنا الإمام فى تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة فى فهم الآية ومعناها ظاهر، وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء . وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لأحد أن يتمنى ما هو مختص بالآخر، وجعل الخطاب عاما للفريقين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء ، وهو الولادة وتربية الأولاد وغير ذلك مما هو معروف ، وإنما كان النساء هن اللواتى تمنين عمل الرجال ، وأى عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولة ، وهو حماية الذمار والدفاع عن الحق بالقوة ، ففى هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن ، وهى موضع للرأفة والرحمة لضعفهن وإخلاصهن فيما تمنين . والحكمة فى ذلك أن لا يظهر ذلك التمنى الناشىء عن الحياة الملية الشريفة منهن فإن تمنى مثل هذا العمل غريب عن النساء جدا ، وسببه أن الأمة فى عنفوان حياتها يكون النساء والأطفال فيها مشتركين مع الرجال فى هذه الحياة وفى آثارها ، وأنها لتسرى فيها سريانا عجيبا ، ومن عرف تاريخ الإسلام ونهضة العرب به وسيرة النبى ﷺ والمؤمنين به فى زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال فى كل منقبة وكل

عمل، فقد كن يأتين ويبايعن النبى ﷺ تلك المبايعة المذكورة فى(سورة الممتحنة) كما كان يبايعه الرجال وكن ينفرن معهم إذا نفروا للقتال، يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الأعمال ، فأراد الله أن يختص النساء بأعمال البيوت والرجال بالأعمال الشاقة التى فى خارجها ليتقن كل منهما عمله ، ويقوم به كما يجب مع الإخلاص له . وتنكير لفظ « نصيب » لإفادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه ، وإنما الأجر على ما عمل بالإخلاص ـ أى ففى الكلام حث ضمنى عليه ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أى ليسأله كل منكم الإعانة والقوة على ما نيط به حيث لا يجوز له أن يتمنى ما نيط بالآخر. ويدخل فى هذا النهى تمنى كل ما هو من الأمور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة فى تمنيها لمن لم يعطها . ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الإنسان من الأمور الكسبية ، إذ يحمد من الناس أن ينظر بعضهم إلى ما نال الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيرا منه بالسعى والجد ، كأنه يقول : وجهوا أنظاركم إلى ما يقع تحت كسبكم ؛ ولا توجهوها إلى ما ليس فى استطاعتكم، فإنما الفضل بالأعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم اهـ المراد نقله .

١٩ ـ درجة الرجال على النساء : الرياسة

بعد هذا النهى لكل من الرجال والنساء عن تمنى ما اختص به الآخر بمقتضى الفطرة التى أكملها الله بدين الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفضيل بقوله :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء : ٣٤] .

وقد كتبت فى تفسيرها من الجزء الخامس (من تفسير المنار) ما نصه :

أى أن من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهم الجهاد دونهم ، فإنه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن ، لأن عليهم من النفقة ما ليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء فى أصل الخلقة ، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت فى التكاليف والأحكام ، أثر التفاوت فى الفطرة والاستعداد ، وثم سبب آخر كسبى يدعم السبب الفطرى ، وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم ، فإن فى المهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال ، فالشريعة كرمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة ، وهو أن يكون زوجها قيما عليها فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التى يتواضع الناس عليها بالعقود لأجل المصلحة ، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة ، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هى درجة القيامة والرياسة ، ورضيت بعوض مالى عنها ، فقد قال تعالى : **﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾** [البقرة : ٢٢٧] فالآية أوجبت لهم هذه الدرجة التى تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة إعطاؤها عوضا ومكافأة فى مقابلة هذه الدرجة ، وجعلها بذلك من قبيل الأمور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين ، ولا يقال إن الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض ، فإنا نرى النساء فى بعض الأمم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذى لا يستطيع عصيانه إلا بعض الأفراد ؟

الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشادة والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه أى ملاحظته فى أعماله وتربيته ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ، ولو لنحو زيارة أولى القربى ، إلا فى الأوقات والأحوال التى يأذن بها الرجل ويرضى .

قال : والمراد بتفضيل بعضهم عن بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهن) أو قال (بتفضيلهم عليهن) لكان أخصر وأظهر فيما قلنا إنه المراد ، وإنما الحكمة فى هذا التعبير هى عين الحكمة فى قوله **﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾** وهى إفادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد . فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن .

أقول : يعنى أنه لا ينبغى للرجل أن يبغى بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة إن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها ، فإنه لا عار على الشخص أن كان رأسه أفضل من يده وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فإن تفضيل بعض أعضاء البدن على بعض بجعل بعضها رئيسيا دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله ؛ لا ضرر فى ذلك على عضو ما ، وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الأعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة فى فضل الرجل على المرأة فى القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذى يتيسر لها به القيام بوظيفتها الفطرية وهى الحمل والولادة وتربية الأطفال وهى آمنة فى سربها ، مكفية ما يهمها من أمر رزقها . وفى التعبير حكمة أخرى، وهى الإشارة إلى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها فى العلم والعمل به وفى قوة البنية والقدرة على الكسب ؟ ... إلخ (نداء للجنس اللطيف / ٢ ـ ٣١) .

وكما بسط العلماء القول فى قضية حقوق المرأة فى الإسلام على النحو الذى أوردناه آنفا ، تلك القضية التى لا يزال أعداء الإسلام يخوضون فيها حتى يومنا هذا ، فإن الناظم لم يفته أن يدلى بدلوه فى الدلاء ، فنجد السيد عبد الحميد الخطيب يضمّن هذا كله قصيدته الحافلة الموسومة بسيد ولد آدم محمد ﷺ مما ننقل بعضه فيما يلى : قال الناظم :

وظائف المرأة والرجل :

والشـــرع قـــدر حـــالـــة الأنثى فـأو
لاهـــا عظيم العطف والعجـــزات
وأنــــالهـــا شأنـــا عظيمـــا فى الـــورى
حتى غـــدت فى مــوضع المهجـــات
يسعى الـــرجـــال لـــوصلهـــا ويقـــدمـــو
ن لهـــا عـــزيـــز المـــال والحليـــات
ليتـــوجـــوهـــا الملك فى بيت لهم
هـــو مـــوطن الإسعـــاد والبهجـــات
والله قـــد قسم الـــوظـــائف بينهم
كل بمـــا يستطيع من فعـــلات
وبمـــا أعـــد الله فيـــه من القـــوى
ومـــؤهـــلات الجسم والميـــزات
وللطفهـــا قـــد خصهـــا بـــوظـــائف
فى البيت تعجـــز كـــامل القـــوات
هـــو أمـــر حمل الطفل ثم رضـــاعـــه
مع حفظ صحتـــه من الآفـــات
وغـــذائه بـــالعلم والتثقيف كى
يغـــدو كـــريم الخلق والعـــادات
وإدارة البيت التى من شـأنهـــا
تـــدبيـــره فعـــلا وبـــالحكمـــات
أمـــا الـــرجـــال فهم أولـــو بأس وأعـــ
ـــظم فى القـــوى وأشـــد فى العضـــلات
ولـــذلك قـــد عهـــد الإلـــه إليهم
بـــالسعى فى دأب على النفقـــات
متحملين لمـــا يكـــون وراء ذا
من غـــربـــة وعظـــائم العقبـــات
وقضى عليهم أن يعـــولـــوا نســـوة
ممن يلـــذن بهم ومن زوجـــات
ويفكـــروا فيمـــا يـــؤمّن سعـــدهن
ويـــدفعـــوا عنهن شـــر بغـــاة
ويجـــاهـــدوا فى الله حق جهـــاده
ويحصنـــوا الأوطـــان بـــالآلات
وعليهم قـــد أوجب الإنفـــاق إذ
هم فى الحقيقـــة واضعـــو البـــذرات
وهم الـــذين تسببـــوا فى حملهن
معـــرضين لأعظم الـــويـــلات
بل إنهم جلبـــوا لهن مشـــاغـــلا
عظمى بهم وبـــزهـــرة الفلـــذات
وإدارة البيت الـــذى هـــو للـــرجـــا
ل وسيلـــة الإسعـــاد والـــراحـــات
ورعـــايـــة الأطفـــال بل ورضـــاعهم
من ثـــديهن أطـــايب الأقـــوات
وكـــذاك تـــربيـــة البنين فإنهن
مـــدارس الأخـــلاق فى النسمـــات
فإذا تفـــرغ كل حـــزب للـــذى
قـــد خصـــه من تلكم القسمـــات
وتضـــافـــر الجنســـان فيمـــا بينهم
عـــاشـــا معًـــا فى أحسن الحـــالات
وإذا ابتغى كل وظـــائف غيـــره
وتشـــاركـــا فى معظم المهنـــات
وتشـــاغـــلا فى غيـــر مـــا من أجلـــه
خلقـــا فـــذاك المفســـد الفطـــرات
والله فصّـــل فى الكتـــاب جميع مـــا
يختص بـــالأزواج والـــزوجـــات
وقضى بطـــاعتهن لـــلأزواج خشـــ
ـــية فـــرقـــة لتنـــازع السلطـــات
ولأن فى هـــذا الخضـــوع وسيلـــة
لتبـــادل الآراء بـــالحكمـــات
ويتم تـــدبيـــر المعيشـــة بينهم
بمحبـــة وتفـــاهم وثقـــات

ثم يهاجم الناظم دعاة تحرير المرأة الذين ظلموها بإقحامها فيما لم تعدها الفطرة لـه . وينتقل بعد ذلك إلى تقرير حقيقة هى أن رسول الله ﷺ هو أول محرر للمرأة ، فيقول عن دعاة تحرير المرأة :

وغـــدا الـــذين دعـــوا إلى تحريرهـــ
ـــن أشـــد من يغلى من النقمـــات

ولو أنهم راموا النصيحة للنسا
ء لأحجموا عن هذه البدعات
ولصارحوها القول أن نبينا
هو وحده من حرَّر الفتيات
إذ كان وأد البنت أمرا شايعا
والأمهات يبعن كالسلعات
فأتى وحارب ما عليه قومه
من ظلمهن وسيء العادات
بل إنه شرع التساوي في الحقو
ق وما قضاه الله من طاعات
وأبى عليهن المذلة إذ رمى
باللؤم من يغلبهن بالقسوات
وخيار خلق الله سمى من غدا
خيراً بهن ومحسن العشرات
ودعا لتقديم الإناث على الذكو
ر إذا أريد القسم للصدقات
ودعا إلى تعليمهن وخصهن
بدرسه في تلكم الأوقات
وعنى بعائشة وقال لنا خذوا
عنها فما في قولها ريبات
ولها أشار بأن تعلم حفصة
علم الخطوط كرقية النملات
ولغاية التوقير قال وقرن دو
مًا في البيوت كأعظم الملكات
ترعين صالحها وليس لكنَّ أن
تمشين مشي السوء في الطرقات
لتصيِّد الرائين أو إيقاع من
تلقينه في السوق في الشبكات
وتخالط الجنسين موضع ريبة
لا سيما في حالة الخلوات
لا يستساغ لما يجر وراءه
من فتنة وعظائم البلوات
ولهن أعطى الحق في أموالهن
وفي اختيار التزوج في حالات
وكذاك في تقرير كل حقيقة
تكذيبها يستوجب اللعنات
ولهن حق الاعتراض على الذي
لا يستقيم وأمر عالي الذات
من دون أن يفرض عليهن المتا
عب أو يحملهن من تبعات
مما يحملهن أهل الغرب من
ضرر لأخذ الرأي في الجلسات

(سيد ولد آدم / ١٠٩ ـ ١١٢) .

قالت المؤلفة : بالنسبة للبيت الثاني عشر أعلاه أورد يحيى سلوم العباسي الخطاط من بين النساء الخطاطات حفصة بنت عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وقال عنها : أخذت الكتابة عن الشفا بنت عبد الله العدوية ، وهي التي قال عنها النبي ﷺ « علمي حفصة رقية النمل كما علمتها الكتابة » (الخط العربي / ١١١) انظر حفصة بنت عمر بن الخطاب .

ويمضي الناظم بعد ذلك في الكلام على مسئولية المتعصبين ضد المرأة ، ونضال المرأة وواجب الرجل فارجع إلى النص إن شئت في ص ١١٢ ـ ١١٥ .

(« المجتمع الإنساني في ظل الإسلام » ـ فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة . الأزهر . مجمع البحوث الإسلامية . جمادى الآخر ١٣٨٦ هـ ـ أكتوبر ١٩٦٩ م ، المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية / ٣٦١ ـ ٣٦٧ ، ونداء للجنس اللطيف ـ السيد محمد رشيد رضا / ٢ ـ ٣١ ، وسيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ١٠٩ ـ ١١٢ . انظر أيضا الدين الإسلامي ـ الشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عناني / ١٢٢ ـ ١٣٤ ، ومحاسن الإسلام ـ محمد سعد بن عبد الله الرباط ابن العباسي / ١٧٩ ـ ١٨٤ ، وفقه الكتاب والسنة ورفع الحرج عن الأمة للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية ـ تحقيق وتعليق فريد بن أمين الهنداوي / ١٨٠ ـ ١٨٧ ، والخط العربي : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسي الخطاط / ١١١) .

انظر آداب المرأة المسلمة في م ١ / ٣٦٣ ـ ٣٦٨ .

*** حقوق المسلم :**

عن حقوق المسلم يقول الإمام النووي تحت عنوان « درس في حقوق المسلمين وقضاء حوائجهم » :

قال الله تعالى ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ [النور : ١٩] روى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا » وروى الشيخان عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس» وفى رواية مسلم زيادة وإذا استنصحك فانصح له وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره» وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه «معنى النجش أن يزيد فى ثمن سلعة ينادى عليها فى السوق ونحوه ولا رغبة له فى شرائها بل يقصد أن يضر غيره وهذا حرام قاله النووى رحمه الله تعالى (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٣١-٢٣٤) .

وعن حقوق المسلم أيضا يقول الإمام ابن قدامة :

فمن حقوق المسلم : أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبر قسمه ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك . وجميع هذا منقول فى الآثار.

ومنها : أن لا تؤذى أحدا من المسلمين بقول ولافعل ، وأن تتواضع للمسلمين فلا تتكبر عليهم ، ولا تسمع بلاغات الناس بعضهم فى بعض ، ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض .

ومنها : أن لا تزيد فى الهجرة على ثلاثة أيام لمن تعرفه ، للحديث المشهور فى ذلك .

وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاثة أيام ، فإذا مرت به ثلاثة أيام فلقيه فليسلم عليه ، فإن رد عليه السلام ، فقد اشتركا فى الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة » .

واعلم : أن هذه الهجرة إنما هى فيما يتعلق بالدنيا ، أما حق الدين ، فإن هجران أهل البدع والأهواء والمعاصى ينبغى أن تدوم ، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق .

ومنها : أن يحسن إلى كل من يقدر أن يحسن إليه من المسلمين ما استطاع ، وأن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه ، ويستأذن ثلاثا فإن لم يأذن انصرف .

ومنها : أن يخالق الناس بخلق حسن ، وذلك أن يعامل كلا منهم بحسب طريقته ، فإنه متى لقى الجاهل بالعلم ، واللاهى بالفقه ، والغبى بالبيان ، أذى وتأذى .

ومنها : أن يوقر المشايخ ، ويرحم الصبيان ، وأن يكون مع الخلق كافة طلق الوجه رقيقا ، وأن يفى لهم بالوعد ، وينصف الناس من نفسه ، ولا يأتى إليهم إلا ما يحب أن يُؤتى إليه .

قال الحسن : أوحى الله إلى آدم عليه السلام أربع كلمات ، قال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين الخلق . فأما التى لى : فتعبدنى لا تشرك بى شيئا . وأما التى لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه ، وأما التى بينى وبينك : فعليك الدعاء وعلىَّ الإجابة وأما التى بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به .

ومنها : زيادة توقير ذوى الهيئات .

ومنها : إصلاح ذات البين ، وستر عورات المسلمين .

واعلم : أنه من تأمل ستر الله تعالى على العصاة فى الدنيا اقتدى بلطفه ، فإنه جعل الشهادة فى الزنى أن يشهد أربعة من العدول أنهم شهدوا ذلك كالميل فى المكحلة ، وهذ لا يتفق ، ومن هذا أثر كرمه فى الدنيا يرجى منه ذلك فى الآخرة .

ومنها : أن يتقى مواضع التهم ، صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن به ، وألسنتهم عن غيبته .

ومنها : أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ، ويسعى فى قضاء حوائجهم .

ومنها : أن يبدأ بالسلام كل مسلم قبل أن يكلمه ، ومن السنة المصافحة ، فقد روى عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من مُسْلِمَيْنِ التقيا ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، إلا كان حقا على الله عز وجل أن يحضر دعاءهما ، وأن لا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما » .

وفى حديث آخر : « إذا صافح المؤمن المؤمن نزلت عليهما مائة رحمة ، تسعة وتسعون لأبشهما وأحسنهما خلقا » (قال الحافظ العراقى : رواه البزار فى مسنده ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الشعب ، وفى إسناده نظر) .

ولا بأس بتقبيل يد المعظَّم فى الدين ، ولا بأس بالمعانقة .

وأما الأخذ بالركاب لتوقير العلماء ، فقد فعل ذلك ابن عباس بزيد ابن ثابت رضى الله عنهما ، والقيام على سبيل الإكرام لأهل الفضل حسن، وأما الانحناء فمنهى عنه .

ومنها : أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم الغير، ويناضل دونه وينصره .

ومنها : أنه إذا ابتلى بذى شر، فينبغى أن يجامله ويتقيه ، لحديث عائشة رضى الله عنها .

وقال محمد ابن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله عز وجل له فرجا .

ومنها : أن يجتنب مخالطة الأغنياء، ويختلط بالمساكين ، ويحسن إلى الأيتام .

ومنها : عيادة مرضاهم .

ومن آداب العائد : أن يضع يده على المريض، ويسأله كيف هو ، ويخفف الجلوس ، ويظهر الرقة، ويدعو له بالعافية ، ويغض البصر عن عورات المكان .

ويستحب للمريض أن يفعل ما أخرجه مسلم فى أفراده، من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

وجملة آداب المريض : حسن الصبر ،و قلة الشكوى والتضجر، والفزع إلى الدعاء ، والتوكل على الله سبحانه .

ومنها : أن يشيع جنائزهم ، ويزور قبورهم .

والمقصود من التشييع : قضاء حق المسلمين، والاعتبار.

قال الأعمش : كنا نحضر الجنائز، فلا ندرى من نعزى لحزن القوم كلهم والمقصود من زيارة القبور: الدعاء ، والاعتبار ، وترقيق القلب .

ومن آداب تشييع الجنائز : المشى ، ولزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكير فى الموت ، والاستعداد له (مختصر منهاج القاصدين / ١٠٥ ـ ١٠٨) .

وقد أورد طاش كبرى زاده صاحب مفتاح السعادة هذا الذى أورده الإمام ابن قدامة ونقلناه أعلاه ، ثم أجمل الكلام عليه بقوله .

وجملة الكلام : أن لا تستصغر أحدا منهم حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدرى لعله خير منك ، وإن كان فاسقا فلعله يختم بالصلاح وتختم أنت بمثل حاله ، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم فى دنياهم فإن الدنيا صغيرة إلى الله ، وإذا عظمت تستحق المقت ، ولا تبذل دينك لدنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير، ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ولاتنال الغرض، ولا تطمع أن يكون لك فى الغيب والسر كما فى العلانية، فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به، ولا تتكبر عليهم لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على فعلك، وإذا قضى أحد حاجتك فهو أخ مستفاد فإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا، ثم إنك لا تقدر مقاساته .

ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك، ولا تعظ إلا إرسالا من غير تنصيص على أحد، وإذا رأيت منهم خيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك إليهم ، وإذا رأيت شرا أو بلغك منهم غيبة أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم ، ولا تشغل بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر ، ولا تقل لهم : لم لا تعرفون قدرى وموضعى، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض للقلوب، وكن سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم .

واحذر صحبة أكثر الناس: فإنهم إن صحبوك لا يقيلون العثرة، ولا يغفرون الزلة ، ولايسترون العورة ، ويحاسبون على التقير والقطمير، ويحسدون على القليل والكثير، يتنصفون ولا ينصفون ويؤاخذون ولا يعفون، يعيرون الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة أكثرهم خسران ، وقطيعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليجبهوك بها فى غضبهم ووحشتهم .

ولا تعول على مودة من لم تخبره فى حق الخبرة ، بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد، فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره، وتسافر معه أو يعاملك فى الدينار والدرهم ، أو تقع فى شدة فتحتاج إليه . فإن رضيته فى هذه الأحوال فاتخذه أبا لك إن كان كبيرا أو ابنا إن كان صغيرا أو أخا إن كان مثلك .

(مفتاح السعادة ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦) .

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٢٣١ ـ ٢٣٤ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان علق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط / ١٠٥ ـ ١٠٨ ، ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٦) .

*** حقوق المملوك :**

انظر : الرق .

*** حقوق الوالدين :**

انظر مادة « بر الوالدين » فى م٦ / ٥٥٨ ـ ٥٦٢

* **حقى : (١٢٩٠ - ١٣٦٥ هـ) :**

من الخطاطين ولد فى استانبول عام ١٢٩٠ هـ ، وتوفى فيها عام ١٣٦٥ هـ . برع فى رسم الطغراء ، وكتب عدة مقالات عن الخطاطين فى مجلات تركية ، حلل فيها مقدرتهم الفنية .

(كيف نعلم الخط العربى - معروف زريق / ٤١ ، وموسوعة الخطوط العربية وزخارفها للمؤلف نفسه / ١٢٥) .

* **الحقيقة :**

قال الشيخ زين الدين فى منظومته :

إن الطريق شريعة وطريقة
وحقيقة فاسمع لها ما مُثلا

ثم قال :

وحقيقة لوصوله للمقصد
ومشاهدة نور التجلى بانجلا

فالحقيقة فى علم التصوف هى وصول السالك للمقصود وهو معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدة نور التجلى : قال الغزالى : التجلى ما ينكشف للقلب من أنوار الغيب ، ويحتمل أن يراد بالتجلى هنا المتجلى وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو يوافق ما قاله القشيرى فى الفرق بين الشريعة والحقيقة من أن الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية أى رؤيته إياها بقلبه .

بانجلا : الباء للتصوير متعلقة بمحذوف حال من مشاهد : أى حال كون المشاهدة مصورة بالانجلاء : أى الانكشاف التام (كفاية الأتقياء / ٩ ، ١٢) .

قال التهانوى : الحقيقة تطلق بالاشتراك فى عُرف العلماء على معان : منها قسم من الاستعارة ويقابلها المجاز وهذا اصطلاح أهل الفرس ... ومنها ما هو مصطلح أهل الشرع والبيانيين من أهل العرب قالوا : كل من الحقيقة والمجاز تطلق بالاشتراك على نوعين لأن كلا منهما إما فى المفرد ويسميان بالحقيقة والمجاز اللغويين ، وإما فى الجملة ويسميان بالحقيقة والمجاز العقليين . قال الأصوليون : الحقيقة الشرعية واقعة خلافا للقاضى أبى بكر وهى اللفظ المستعمل فيما وضع له فى عرف الشرع أى وضعه الشارع لمعنى بحيث يدل عليه بلا قرينة سواء كان ذلك لمناسبة بينه وبين المعنى اللغوى فيكون منقولا أولا فيكون موضوعا مبتدأ .

وأثبت المعتزلة الحقيقة الدينية أيضا وقالوا بوقوعها وهى اسم لنوع خاص من الحقيقة الشرعية وهو ما وضعه الشارع لمعناه ابتداء بأن لا يعرف أهل اللغة لفظه أو معناه أو كليهما وزعموا أن أسماء الذوات أى ما هى من أصول الدين أو ما يتعلق بالقلب كالمؤمن والكافر والإيمان والكفر من قبيل الدينية دون أسماء الأفعال أى ما هى من فروع الدين أو ما يتعلق بالجوارح كالمصلى والمزكى والصلاة والزكوٰة والظاهر أن الواقع هو القسم الثانى من الحقيقة الدينية فقط أعنى ما لم يعرف أهل اللغة معناه ولا نزاع فى أن الألفاظ المتداولة على لسان أهل الشرع المستعملة فى غير معانيها اللغوية قد صارت حقائق فيها بل النزاع فى أن ذلك بوضع الشارع وتعيينه أياها بحيث تدل على تلك المعانى بلا قرينة لتكون حقائق شرعية كما هو مذهبنا أو بغلبتها فى تلك المعانى فى لسان أهل الشرع والشارع إنما استعملها فيها مجازا بمعونة القرائن فتكون حقائق عرفية خاصة لا شرعية كما هو مذهب القاضى فإذا وقعت مجردة عن القرائن فى كلام أهل الكلام والفقه والأصول ومن يخاطب باصطلاحهم تحمل على المعانى الشرعية وفاقا .

وأما فى كلام الشارع فعندنا تحمل عليها إذ الظاهر أن يتكلم باصطلاحه وهذه المعانى هى الحقائق بالقياس إليه وعند القاضى تحمل على معانيها اللغوية لأنها غير موضوعة من جهة الشارع فهو يتكلم على قانون اللغة فإن القاضى ينفى كونها حقائق شرعية زاعما أنها مجازات لغوية والحق أنه لا ثالث لهما فإنه ليس النزاع فى أنها هل هى بوضع من الشارع على أحد الوجهين وهو مذهب المعتزلة والفقهاء أو لا فيكون مجازات لغوية وهو مذهب القاضى فلا ثالث لها حينئذ . ومنهم من زعم أن مذهب القاضى أنها مبقاة على حقائقها اللغوية فتصير المذاهب ثلاثة كونها حقائق لغوية وكونها مجازات لغوية وكونها حقائق شرعية وإن شئت الزيادة على هذا القدر فارجع إلى العضدى وحواشيه .

ومنها المفهوم المستقل الملحوظ بالذات كمفهوم الاسم وهذا المعنى من اصطلاحات أهل العربية أيضا قال السيد السند قد تستعمل الحقيقة بهذا المعنى فى بعض استعمالاتهم كذا فى الأطول فى بحث الاستعارة التبعية ومنها الماهية بمعنى ما به الشيء هو هو وتسمى بالذات أيضا والحقيقة بهذا المعنى أعم من الكلية والجزئية والموجودة والمعدومة ...

قال المولوى عبد الرحمن الجامى فى شرح الفصوص فى الفص الأول أن الحقائق عند الصوفية ثلاث :

الأولى : حقيقة مطلقة فعالة واحدة عالية واجبة وجودها بذاتها وهى حقيقة الله سبحانه .

والثانية : حقيقة مقيدة منفعلة سافلة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض والتجلى وهى حقيقة العالم .

والثالثة : حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقييد والفعل والانفعال والتأثير والتأثر فهى مطلقة من وجه مقيدة من آخر فعالة من جهة منفعلة من أخرى وهذه الحقيقة أحدية جمع الحقيقتين ولها مرتبة الأولية والآخرية وذلك لأن الحقيقة الفعالة المطلقة فى مقابلة الحقيقة المنفعلة المقيدة وكل متفرقتين فلا بد لهما من أصل هما فيه واحد وهو فيهما متعدد مفصل وظاهرية هذه الحقيقة هى

المسماة بالطبيعة الكلية الفعالة من وجه والمنفعلة من آخر فإنها تتأثر من الأسماء الإلهية وتؤثر فى موادها وكالواحد من هذه الحقائق الثلاث حقيقة الحقائق التى تحتها انتهى . وللحقيقة بهذا المعنى تقسيمات أخر .

منها الماهية باعتبار الوجود فعلى هذا لا تتناول المعدوم ، وإطلاق الحقيقة بهذا المعنى أكثر من إطلاقها بمعنى الماهية مطلقا قال شارح الطوالع وشارح التجريد إن الحقيقة والذات تطلقان غالبا على الماهية مع اعتبار الوجود الخارجى كلية كانت أو جزئية انتهى فعلى هذا لا يقال ذات العنقاء وحقيقتها كذا بل ماهيتها كذا .

ومنها ما هو مصطلح الصوفية فى كشف اللغات وفى مجمع السلوك أما الحق والحقيقة فى اصطلاح مشايخ الصوفية فالحق هو الذات والحقيقة هى الصفات فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات ثم إنهم إذا أطلقوا ذلك أرادوا بـه ذات الله تعالى وصفاته خاصة وذلك لأن المريد إذا ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى ودخل فى عالم الإحسان يقولون دخل فى عالم الحقيقة ووصل إلى مقام الحقائق وإن كان بعد عن عالم الصفات والأسماء فإذا وصل إلى نور الذات يقولون وصل إلى الحق وصار شيخا لائقا للاقتداء به وقلما يستعملون ذلك فى ذوات أخر وفى صفاتهم لأن مقصودهم الكلى هو التوحيد . وقال الديلمى : الحقيقة عند مشايخ الصوفية عبارة عن صفات الله تعالى والحق ذات الله تعالى : وقد يريدون بالحقيقة كل ما عدا الملكوت وهو عالم الجبروت والملكوت عندهم عبارة من فوق العرش إلى تحت الثرى وما بين ذلك من الأجسام والمعانى والأعراض . والجبروت ما عدا الملكوت وقال بعضهم الكبار وأما عالم الملكوت فالعبد له اختيار فيه ما دام فى هذا العالم فإذا دخل فى عالم الجبروت صار مجبورا على أن يختار ما يختار الحق وأن يريد ما يريده لا يمكنه مخالفته أصلا انتهى وقيل الحقيقة هى التوحيد وقيل هى مشاهدة الربوبية (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكسى ابن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ٩ ، ١٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

انظر : حقيقة القرآن ومجازه ، الحقيقة والمجاز .

*** حقيقة الإنسان :**

هذا هو النوع الأول من الأنواع السبعة التى قسم إليها القزوينى أنواع الحيوان : فقال عنه :

اعلم أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ، ركبه الله تعالى فى أحسن صورة روحا وبدنا وخصصه بالنطق والعقل سرا وعلنا وزين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وباطنه بالقوى ما هو أشرف وأقوى ، وهيأ للنفس الناطقة الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة ، وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميره والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك مريده والأعضاء خدمه والبدن محل مملكته والحواس يسافرون فى جميع الأوقات فى عالمهم ويلتقطون الأخبار والموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة ، وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف ، فمن هذا الوجه فالإنسان عالم صغير ، ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات ، ومن حيث إنه يحس ويتحرك قالوا حيوان ، ومن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار مجمعا لهذه المعانى فإذا صرف همه إلى جهة من هذه الجهات ليلتحق بها ، فإن كان قد صرف همته إلى الجهة الطبيعية فيكون راضيا من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول ، وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غضوبا كسبع أو أكولا كبقر أو شرها كخنزير أو جزعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع هذا كله فيكون شيطانا مريدا ، وإن كان صرف همته إلى الجهة الملكية فيكون متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى فيكون مرادا من قوله عز وجل ﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ والله الموفق للصواب .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٠٠)

*** الحقيقة فى سلوك الطريقة :**

أحد مخطوطات دار الكتب الظاهرية (ولعله بمكتبة الأسد الآن) وقد أدرج فى الفهرس فى كتب الكيمياء والصنعة والإكسير والسيمياء ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

لاحظ تخفيف الهمزة فى ألفاظ مثل آلايه [آلائه] ونعمايه [نعمائه] ، وقصر الممدود كما فى الأشيا [الأشياء] .

الرقم : مجموع رقمه ٩٧٦٩

تأليف : ؟ ...

مواضيع المخطوط :

يتضمن عدة أبواب ومطالب وفصول منها :

فصل لا بد لكل طالب من أربعة أشياء ويقال لها المطلب وهى : هل هو ، وما هو ، وكيف هو ، ولم هو ...

فصل فى أوزان التركيب ...

والبحث فى الحجر وصفاته وتركيبه ...

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب الحقيقة فى سلوك الطريقة الحمد لله على آلايه والشكر لله على نعمايه والصلاة على جميع أنبيائه .

إن الذى حدانا إلى وضع هذه الرسالة أمران : أحدهما شده ظن الفلاسفة بهذا الفن الشريف وتقفية آثاره بعد الوقوف على كنه حقيقته وإحاطة العلم بأصوله وفروعه ... الثانى كثرة ما دخل فى الكتب والمساطير من الحشو والكذب والألغاز الباطلة والأشيا التى لا حقيقة وتولع المحتالين والمزغلين بهذا الفن الشريف وتدوينهم المساطير الخارجة عن القياس العقلى والبرهان بالعلم الطبيعى ...

خاتمة المخطوط :

... فصل فى أوزان التركيب ... فانظر يا أخى ما أطراف قوله فدانقه يمتد منها على رطل لأنه أراد من الحجر الواحدخمسة دوانيق ومن الحجر الآخر دانقا واحدا فصار مجموع الاثنين الرطل الذى قصد دانقه لأنه لا يمكن إنسان يعمل هذا التدبير فى عمره مرتين حتى يعرف الصواب من الخطأ بل كل إنسان تكلم على قدر ما ظهر له ونحن نستغفر الله تعالى على قدر ما أوردناه إنه ولى الإحسان .

نسخة حسنة ، كتبت بخط نسخى وحبر أسود، وهى فى مجموع يتضمن : مقالة الفوز للإمام الغزالى فى سبع ورقات ، ومن كتاب الحقيقة فى سلوك الطريقة فى ثمان ورقات : من/ ٨ ـ ١٥/ ومن كتاب الأصول الكبير وشمول التدبير مختصر ابن وحشية للتنوخى وهو العلم الحقيقى فى ست ورقات . ومن كتاب سراج الظلمة وشمس الحكمة لعبد الكريم بن يحيى بن عثمان المعروف بالمختفى فى/ ١٧ / ورقة، وأخيرا من رسالة الأسقف دوفيس فى ثلاث ورقات بحاجة إلى ترميم وتجليد ، كتبت بالحبر الأحمر أسماء الفصول والأبواب ورؤوس الفقر والعبارات وكثير من الكلمات الهامة ، ترك لها هامش بعرض/ ٥ ,٣ سم . / عليه بعض الشروح والتعليقات، لها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة . يستشهد المؤلف بهرمس الأكبر، وفيثاغورس، ودومقراطيس، وبالس الأكبر، وفرفوريوس ، وسقراط ، وأفلاطون، وأرسطاطاليس. وعلى بن موسى الأندلسى الذى نظمه شعرا وسماه ديوان شذور الذهب، وغيرهم ... أكثر حروفها غير منقوطة ، عليها تملك باسم السيد عثمان السيوظلى سنة/ ٢٦٨ / هـ .

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ . عدد أوراقها ثمان ورقات . جلدها من الكرتون المغلف بورق مزهر له تكعيبة من الجلد البنى القديم ودفته الثانية مشقوقة وناقصة بقياس (١٨ × ٥ ,١٣ سم) . وعدد السطور/ ١٥ / سطرا .

المصادر عن المؤلف والكتاب : ؟ ...

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ/ ٤٣٥ ـ ٤٣٧) .

*** الحقيقة القاصرة :**

الحقيقة القاصرة هى عند أهل العربية استعمال اللفظ فى جزء معناه كما فى التجريد والأكثرون على أنها مجاز كذا ذكر المولوى عبد الحكيم فى حواشى الخيالى فى شرح قول الشارح المتوحد بجلال الذات فى شرح الخطبة كما أن الأمر حقيقة فى الوجوب والوجوب عبارة عن جواز الفعل مع حرمة الترك فإذا استعمل فى معنى الندب وهو عبارة عن جواز الفعل مع رجحانه أو استعمل فى معنى الإباحة وهو جواز الفعل مع جواز الترك فهو عند البعض حقيقة قاصرة لأن كلا منهما مستعمل فى بعض معنى الوجوب والأكثرون على أنه مجاز لأنه جاوز أصله وهو الوجوب لأن الوجوب جواز الفعل مع حرمة الترك والإباحة جواز الفعل والترك والندب رجحان الفعل مع جواز الترك فكان لكل واحد منها معان متباينة هكذا فى كتب الأصول .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣٤) .

*** حقيقة القرآن ومجازه :**

النوع الثانى والخمسون من علوم القرآن وفقا لتصنيف الإمام جلال الدين السيوطى فى الإتقان (ص ٤٧ ـ ٥٤) والنوع الثالث والأربعون وفقا لتصنيف الإمام بدر الدين الزركشى فى البرهان ، وهو ما ننقله فيما يلى . يقول البدر الزركشى :

لا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق ، وهى كل كلام بقى على موضوعه كالآيات التى لم يتجوز فيها ؛ وهى الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، والداعية إلى أسمائه وصفاته، كقوله تعالى : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة** ... ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **أمّن خلق السموات والأرض** ... ﴾ [النمل : ٦٠]، ﴿ **أمن جعل الأرض قرارا** ... ﴾ [النمل : ٦١] ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ... ﴾ [النمل : ٦٢] ﴿ **أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر** ﴾ [النمل : ٦٣] ﴿ **أمن يبدأ الخلق ثم يعيده** ... ﴾ [النمل : ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **من يحيى العظام وهى رميم** ﴾ [يّس : ٧٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم ما تمنون** ﴾ [الواقعة : ٥٨] ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾ [الواقعة : ٦٣] ﴿ **أفرأيتم الماء الذى تشربون** ﴾ [الواقعة : ٦٨] ﴿ **أفرأيتم النار التى تورون** ﴾ [الواقعة : ٧١] .

قيل : ومنه الآيات التى لم تنسخ، وهى كالآيات المحكمات والآيات المشتملة، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمائه وإحسانه ، وهذا أكثر الكلام ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ [البقرة : ٤] وأكثر ما يأتى من الآى على هذا .

وأما المجاز فاختلف فى وقوعه فى القرآن ، والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة ، منهم ابن القاص من الشافعية ، وابن

خويز منداد من المالكية . وحكى عن داود الظاهرى وابنه ، وأبى مسلم الأصبهانى .

(« ابن القاص » هو أحمد بن أحمد الطبرى المعروف بابن القاص ، أحد فقهاء الشافعية ، وصاحب المصنفات المشهورة كالتلخيص والمفتاح وأدب القاضى ، توفى بطرسوس سنة ٣٣٥ . أما « خويز منداد » بمعجمتين أو إهمال الأولى ، من علماء المالكية ؛ تلميذ الأبهرى ، من أهل البصرة ، توفى فى حدود الأربعمائة . وأما « داود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بالظاهرى » ، فهو صاحب المذهب المستقل ، وأتباعه يعرفون بالظاهرية ، توفى سنة ٢٧٠ ، وبعد وفاته جلس ابنه محمد فى حلقته ، وتمذهب بمذهبه ، وتوفى سنة ٢٩٧ . وأما « أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى » فهو من فقهاء المعتزلة ، وصنف تفسيرا على طريقهم ، وتوفى سنة ٣٧٠) .

وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وهو مستحيل على الله سبحانه .

وهذا باطل ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ، وتثنية القصص وغيره ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن .

وقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوعى .

(هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم الشهير بالعز بن عبد السلام ، الشافعى الدمشقى المتوفى سنة ٦٦٠ ، وطبع كتابه فى إستانبول سنة ١٣١٢ ؛ وهو المسمى بكتاب الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز) .

وأما معناه ، فقال الحاتمى : معناه طريق القول ، ومأخذه مصدر « جزت مجازا » كما يقال : « قمت مقاما » .

قال الأصمعى : كلام العرب إنما هو مثال شبه الوحى .

نوعا المجاز :

وله سببان : أحدهما الشبه ، ويسمى المجاز اللغوى وهو الذى يتكلم فيه الأصولى .

والثانى : الملابسة ، وهذا هو الذى يتكلم فيه أهل اللسان ، ويسمى المجاز العقلى ، وهو أن تسند الكلمة إلى غير ما هى له أصالة بضرب من التأويل ، كسبَّ زيد أباه ، إذا كان سببا فيه .

المجاز فى المركب وأقسامه :

والأول مجاز فى المفرد ، وهذا مجاز فى المركب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ [الأنفال : ٢] ، نسبت الزيادة التى هى فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ﴾ [فصلت : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يذبح أبناءهم ﴾ [القصص : ٤] ، والفاعل غيره ، ونسب الفعل إليه لكونه الآمر به .

وكقوله تعالى : ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، نسب النزع الذى هو فعل الله إلى إبليس لعنه الله ، لأن سببه أكل الشجرة ، وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين .

وقوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ [البقرة : ١٦] ، جعل التجارة الرابحة .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ [محمد : ٢١] لأن الأمر هو المعزوم عليه ؛ بدليل : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] فنسب الإحلال الذى هو فعل الله إلى أكابرهم ؛ لأن سببه كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر .

وقوله تعالى : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ [الزلزلة : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ [طه : ١١٧] .

وقد يقال إن النزع والإحلال يعبَّر بهما عن فعل ما أوجبهما ؛ فالمجاز إفرادى لا إسنادى .

وقوله تعالى ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] ، يحتمل معناه : يجعل هوله ، فهو من مجاز الحذف .

وأما قوله تعالى : ﴿ فى عيشة راضية ﴾ فقيل : على النسب ، أى ذات رضا . وقيل : بمعنى « مرضية » ، وكلاهما مجاز إفراد لا مجاز إسناد ؛ لأن المجاز فى لفظ « راضية » لا فى إسنادها ؛ ولكنهم كأنهم قدروا أنهم قالوا : رضيت عيشته ، فقالوا : « عيشة راضية » .

وهو على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما طرفاه حقيقتان ، نحو : أنبت المطر البقل ، وقوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ [الأنفال : ٢] وقوله تعالى : ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ [الزلزلة : ٢] .

والثانى : مجازيان ، نحو : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ [البقرة : ١٦] (قال السيوطى فى الإتقان ٢ / ٣٦ : « أى ما ربحوا فيها ، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز ») .

والثالث : ما كان أحد طرفيه مجازا دون الآخر، كقوله : ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٥] وقوله تعالى : ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ [محمد : ٤] .

قال بعضهم : ومن شرط هذا المجاز أن يكون للمسند إليه شبه بالمتروك، فى تعلقه بالعامل .

المجاز الإفرادى وأقسامه :

وأنواع الإفرادى فى القرآن كثيرة يعجز العد عن إحصائها .

كقوله تعالى : ﴿ كلا إنها لظى * نزاعة للشوى * تدعو ﴾ [المعارج : ١٥ـ١٧] قال : الدعاء من النار مجاز .

وكقوله تعالى : ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطانا ... ﴾ [الروم : ٣٥] والسلطان هنا هو البرهان ، أى برهانا يستدلون به ، فيكون صامتا ناطقا ، كالدلائل المخبرة ، والعبرة والموعظة .

وقوله تعالى : ﴿ فأمه هاوية ﴾ [القارعة : ٩] فاسم الأم الهاوية مجاز ؛ أى كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له ، كذلك أيضا النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع .

وقوله تعالى : ﴿ قتل الخراصون ﴾ [الذاريات : ٥] ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس : ١٧] ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [المنافقون : ٥] والفعل فى هذه المواضع مجاز أيضا ، لأنه بمعنى أبعده الله وأذله .

وقيل : قهره وغلبه وهو كثير، فلنذكر أنواعه لتكون ضوابط لبقية الآيات الشريفة .

الأول : إيقاع المسبب موقع السبب :

كقوله تعالى : ﴿ قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ [الأعراف : ٢٧] وإنما نزل سببه ، وهو الماء .

وكقوله : ﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ [الأعراف : ٢٧] ولم يقل : « كما فتن أبويكم » ، لأن الخروج من الجنة هو المسبب الناشئ عن الفتنة ، فأوقع المسبب موقع السبب، أى لا تفتتنوا بفتنة الشيطان ، فأقيم فيه السبب مقام المسبب، وهو سبب خاص، فإذا عدم فيعدم المسبب، فالنهى فى الحقيقة لبنى آدم ، والمقصود عدم وقوع هذا الفعل منهم ، فلما أخرج السبب من أن يوجد بإيراد النهى عليه ، كان أدل على امتناع النهى بطريق الأولى .

وقوله تعالى : ﴿ ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ﴾ [غافر : ٤١] وهم لم يدعوه إلى النار، إنما دعوه إلى الكفر؛ بدليل قوله : ﴿ تدعوننى لأكفر بالله ﴾ [غافر : ٤٢] ؛ لكن لما كانت النار مسببة عنه أطلقها عليه .

وقوله تعالى : ﴿ فاتقوا النار ﴾ [البقرة : ٢٤] أى العناد المستلزم للنار .

وقوله تعالى : ﴿ إنما يأكلون فى بطونهم نارا ﴾ [النساء : ١٠] لاستلزام أموال اليتامى إياها .

وقوله تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ﴾ [النور : ٣٣] إنما أراد ـ والله أعلم ـ الشيء الذى ينكح به ، من مهر ونفقه وما لا بد للمتزوج منه .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] أى لا تأكلوها بالسبب الباطل الذى هو القمار .

وقوله تعالى : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [المدثر : ٥] أى عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها .

وقوله تعالى : ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ [التوبة : ١٢٣] أى وأغلظوا عليهم ، ليجدوا ذلك ، وإنما عدل إلى الأمر بالوجدان تنبيها على أنه المقصود لذاته ، وأما الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل لتجدوه .

الثانى عكسه ، وهو إيقاع السبب موقع المسبب :

كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] .

وقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] سمى الجزاء الذى هو السبب سيئة واعتداء ، فسمى الشيء باسم سببه وإن عبَّرت السيئة عما ساء ـ أى أحزن ـ لم يكن من هذا الباب ، لأن الإساءة تحزن فى الحقيقة ، كالجناية .

ومنه : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ تجوز بلفظ « المكر » عن عقوبته لأنه سبب لها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] إنما جعلت المرأتان للتذكير إذا وقع الضلال لا ليقع الضلال ؛ فلما كان الضلال سببا للتذكير أقيم مقامه .

ومنه إطلاق اسم الكتاب على الحفظ ، أى المكتوب فإن الكتابة سبب له ، كقوله تعالى : ﴿ سنكتب ما قالوا ﴾ [آل عمران : ١٨١] أى سنحفظه حتى نجازيهم عليه .

ومنه إطلاق اسم السمع على القبول ، كقوله تعالى : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ [هود : ٢٠] أى ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به ، لأن قبول الشيء مرتب على سماعه ومسبب عنه . ويجوز أن يكون نفى السمع لابتغاء فائدته .

ومنه قول الشاعر :

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها

فليس لمخضوب البنان يمين

أى وفاء يمين .

ومنه إطلاق الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة ، كقوله تعالى : ﴿ وما كـان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقـرة : ١٤٣] . ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفـرون ببعض ﴾ [البقـرة : ٨٥] أى أفتعملـون ببعض التوراة ـ وهو فداء الأسارى ـ وتتركون العمل ببعض ـ وهو قتل إخوانهم وإخراجهم من ديارهم ؟

وجعل الشيخ عز الدين من الأنواع نسبة الفعل إلى سبب سببه ، كقوله تعالى : ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ [البقرة : ٣٦] أى كما أخرج أبويكم فلا يخـرجنكما من الجنة ﴿ ينزع عنهما لبـاسهما ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

المخرج والنازع فى الحقيقة هو الله عز وجل ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب أكل الشجـرة وسوسة الشيطان ومقاسمتـه على أنه من النـاصحين . وقد مثـل البيانيـون بهـذه الآية للسبب وإنمـا هى لسبب السبب .

وقوله تعالى : ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] لما أمـروهم بالكفـر الموجب لحلول النـار نسب ذلك إليهم لأنهم أمروهم به ؛ فـالله هو المحل لدار البوار ، وسبب إحـلالها كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر الموجب لحلول النار .

الثالث : إطلاق اسم الكل على الجزء :

قال تعالى : ﴿ يجعلون أصـابعهم فى آذانهم من الصواعق ﴾ [البقرة : ١٩] أى أنـاملهم وحكمة التعبير عنهـا بالأصـابع الإشارة إلى أنهم يدخلون أناملهم فى آذانهم بغيـر المعتاد فرارا من الشدة ، فكأنهم جعلوا الأصابع .

وقال تعالى : ﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ﴾ [المائدة : ٦] واليد حقيقة إلى المنكب ، هـذا إن جعلنا « إلى » بمعنى « مع » ولا يجب غسل جميع الوجه إذا ستره بعض الشعور الكثيفة .

وقـوله تعـالى : ﴿ والسـارق والسـارقـة فاقطعـوا أيـديهمـا ﴾ [المائدة: ٣٨] والمراد هو البعض الذى هو الرسغ .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ [البقرة : ٢٤٩] أى من لم يذق .

وقوله تعالى : ﴿ تعجبك أجسامهم ﴾ [المنافقون : ٤] والمراد وجوههم ؛ لأنه لم ير جملتهم .

ومنه قـوله تعـالى : ﴿ فمن شهـد منكم الشهـر فليصمه ﴾ [البقرة: ١٨٥] استشكله الإمام (هو إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله) فى تفسيره؛ من جهة أن الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر، وهو اسم لثلاثين يوما . وحاصل جوابه أنه أوقع الشهر وأراد جزءا منه ، وإرادة الكل باسم الجزء مجاز شهير.

ونقل عن على رضى الله عنـه أن المعنى من شهـد أول الشهـر فليصم جميعه ، وأن الشخص متى كان مقيما أو فى البر ثم سافر، يجب عليه صوم الجميع . والجمهور على أن هذا عام ، مخصص بقوله : ﴿ فمن كان منكم مـريضا ... ﴾ [البقـرة : ١٩٦] ويتفـرع على هذا أن من أدرك الجـزء الأخير من رمضان : هل يلزمـه صوم ما سبق إن كان مجنونا فى أوله ؟ فيه قولان :

الرابع : إطلاق اسم الجزء على الكل :

كقوله تعالى : ﴿ كل شىء هـالك إلا وجهـه ﴾ ، أى ذاتـه . ﴿ويبقى وجه ربك ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

وقولـه تعالى : ﴿ وجـوه يومئـذ خـاشعة * عـاملـة ناصبـة ﴾ [الغـاشية : ٢ ، ٣] ؛ يريـد الأجسـاد ، لأن العمـل والنصـب من صفاتها . وأما قوله تعالى : ﴿ وجـوه يومئذ ناعمة ﴾ [الغاشية : ٨] فيجوز أن يكـون من هـذا ؛ عبر بالـوجوه عـن الرجـال . ويجوز أن يكون من وصف البعض بصفـة الكل لأن التنعم منسوب إلى جميع الجسد .

ومنه : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ [القيامة : ٢٢] ؛ فالوجه المراد به جميع ما تقع به المواجهة لا الوجه وحده .

وقد اختلف فى تأويل « الـوجه » الذى جاء مضـافا إلى الله فى مـواضع من القـرآن ، فنقل ابـن عطيـة عن الحـذاق أنـه راجع إلى الـوجود ، والعبـارة عنه بـالوجـه مجاز ؛ إذ هـو أظهر الأعضـاء فى المشاهـدة وأجلها قدرا . وقيل ـ وهو الصـواب ـ : هى صفة ثـابتة بالسمع ، زائدة على ما توجبه العقول من صفات الله تعالى . وضعفه إمام الحرمين . وأما قوله تعالى : ﴿ فثم وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] فالمراد الجهة التى وجهنا إليها فى القبلة . وقيل : المراد به الجاه ، أى فثم جلال الله وعظمته .

وقوله تعالى : ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشـورى : ٣٠] ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ [البقرة : ١٩٥] تجوّز بذلك عن الجملة .

وقوله تعالى : ﴿ واضربـوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفـال : ١٢] البنان الإصبع ؛ تجوز بها عن الأيـدى والأرجل ، عكس قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم ﴾ [البقرة : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة ﴾ [المجادلة : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ سنسمه على الخـرطوم ﴾ [ن : ١٦] عبـر بالأنف عن الوجه .

﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ [الحاقة : ٤٥] .

وكقوله تعالى : ﴿ فإنه آثم قلبه ﴾ [البقـرة : ٢٨٣] ، أضـاف الإثم إلى القلب وإن كانت الجملة كلها آثمة ؛ من حيث كان محلا لاعتقاد الإثم والبـر كما نسبت الكتابة إلى اليـد من حيث إنها تفعل بها فى قوله تعالى : ﴿ مما كتبت أيديهم ﴾ [البقرة : ٧٩] وإن

كانت الجملة كلها كاتبة ولهذا قال : ﴿ وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة: ٧٩] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقيل : المعنى على حذف المضاف؛ لأن المدرك هو الجملة دون الحاسة ، فأسند الإدراك إلى الأبصار ، لأنه بها يكون .

وكقوله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، أي إياه .

﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ [المائدة ١١٦] .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [النور : ٣٠] وحكى ابن فارس عن جماعة أن « من » هنا للتبعيض ؛ لأنهم أمروا بالغض عما يحرم النظر إليه .

وقوله تعالى : ﴿ قم الليل ﴾ [المزمل : ٢] أي صل في الليل ؛ لأن القيام بعض الصلاة .

وكقوله تعالى : ﴿ وقرآن الفجر ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي صلاة الفجر .

ومنه « المسجد الحرام » والمراد جميع الحرم .

وقوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ [البقرة : ٤٣] أي المصلين .

﴿ يخرون للأذقان سجدا ﴾ [الإسراء ١٠٧] ، ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾ [الإسراء : ١٠٩] . أي الوجوه .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ [آل عمران : ٥] فعبر بالأرض والسماء عن العالم ؛ لأن المقام مقام الوعيد ؛ والوعيد إنما يحصل لو بيّن أن الله لا يخفى عليه أحوال العباد ؛ حتى يجازيهم على كفرهم وإيمانهم ، والعباد وأحوالهم ليست السماء والأرض بل من العالم ؛ فيكون المراد بالسماء والأرض العالم ؛ إطلاقا للجزء على الكل .

وقوله تعالى : ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ [التوبة : ٦١] ، قال الفارسي: جعله على المجاز « أذنا » لأجل إصغائه ؛ قال : ولو صغرت « أذنا » هذه التي في هذه الآية ، كان في لحاق التاء فيها وتركها نظر .

وجعل الإمام فخر الدين قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ [البقرة : ١٢٥] المراد به جميع الحرم ، لا صفة الكعبة فقط ، بدليل قوله : ﴿ أنا جعلنا حرما آمنا ﴾ [العنكبوت : ٦٧] وقوله : ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ [المائدة : ٩٥] والمراد الحرم كله ، لأنه لا يذبح في الكعبة ، قال : وكذلك « المسجد الحرام » في قوله : ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨] ؛ والمراد منعهم من الحج وحضور مواضع النسك .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ بلى قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ [القيامة : ٤] أي نجعلها صفحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير ، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة ، كالكتابة والخياطة ونحوها من الأعمال التي يستعان فيها بالأصابع ، قالوا : وذكرت البنان لأنه قد ذكرت اليدان ؛ فاختص منها ألطفها .

وجوز أبو عبيدة ورود البعض وإرادة الكل ؛ وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ﴾ [الزخرف : ٦٣] أي كله ، وقوله تعالى : ﴿ وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وأنشد بيت لبيد :

تراك أمكنة إذا لم أرضها
أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قال : والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ؛ ويقال للمنية : علوق، وعلاقة . انتهى (جعله السيوطي قسما مستقلا ، وألحقه بقسم إطلاق الجزء على الكل ، ونقل قول أبي عبيدة) .

وهذا الذى قاله فيه أمران :

أحدهما : أنه ظن أن النبي يجب عليه أن يبين في شريعته جميع ما اختلفوا فيه ؛ وليس كذلك ؛ بدليل سؤالهم عن الساعة وعن الروح وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله . وأما الآية الأخرى، فقال ثعلب : إنه كان وعدهم بشيء من العذاب : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقال : يصبكم هذا العذاب في الدنيا ، - وهو بعض الوعيد - من غير نفي عذاب الآخرة .

الثاني : أنه أخطأ في فهم البيت ؛ وإنما مراد الشاعر ببعض النفوس نفسه هو ، لأنها بعض النفوس حقيقة ؛ ومعنى البيت : أنا إذا لم أرض الأمكنة أتركها إلى أن أموت ؛ أي إذا تركت شيئا لا أعود إليه إلى أن أموت ، كقول الآخر :

إذا انصرفت عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر ترجع

وقال الزمخشري : إن صحت الرواية عن أبي عبيدة ، فيدخل فيه قول المازني في مسألة « العلقى » : كان أجفى من أن يفقه ما أقول له . وأشار الزمخشري بذلك إلى أن أبا عبيدة قال للمازني : ما أكذب النحويين ! فقلت له : لم قلت ذلك ؟ قال : يقولون : هاء التأنيث تدخل على ألف التأنيث وإن الألف التي في « علقى » ملحقة ليست للتأنيث ، قال : فقلت له : وما أنكرت من ذلك ؟ قال سمعت رؤبة ينشد :

* فحط في علقى وفي مكور *

فلم ينونها ، فقلت : ما واحد العلقى ؟ فقال : علقاة ، قال المازني : فأسفت ولم أفسر له لأنه كان أغلظ من أن يفهم مثل هذا!

(العلقى : شجرة تدوم خضرتها في القيظ ؛ ولها أفنان طوال

دقاق وورق لطاف ... والمكور : جمع مكرة ؟ وهي نبتة تميل إلى الغبرة ، تنبت في السهل وفي الرمل، لها ورق وليس لها زهر، وبعده:

* بين تواري الشمس والذرور *

انظر خبر أبي عبيدة مع المازني في إنباه الرواة ١ / ٢٥٣) .

قلت : ويحتمل قوله تعالى : ﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] أو الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه ، فكيف بعضه ! ويدل قوله تعالى في آخر هذه السورة : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينكم فإلينا يرجعون ﴾ [غافر : ٧٧] وفيها تأييد لكلام ثعلب أيضا .

وقد يوصف البعض ، كقوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ [غافر : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ [العلق : ٥] الخطأ صفة الكل فوصف به الناصية ، وأما الكاذبة . فصفة اللسان (جعله السيوطي قسما خاصا سماه « وصف البعض بصفة الكل . وانظر الإتقان ٢ / ٣٧) .

وقد يوصف الكل بصفة البعض كقوله تعالى : ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ [الحجر : ١٦] والوجل صفة القلب .

وقوله تعالى : ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ [الكهف : ١٨] والرعب إنما يكون في القلب .

الخامس : إطلاق اسم الملزوم على اللازم:

كقوله تعالى : ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ [الروم : ٣٥] ، أي أنزلنا برهانا يستدلون به ، وهو يدلهم ، سمى الدلالة « كلاما » لأنها من لوازم الكلام .

وقوله تعالى : ﴿ صم وبكم في الظلمات ﴾ [الأنعام : ٣٩] فإن الأصل « عمي » لقوله في موضع آخر : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة: ١٨] ؛ لكن أتى بالظلمات لأنها من لوازم العمى .

السادس : إطلاق اسم اللازم على الملزوم:

كقوله تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ [الصافات : ١٤٣] أي المصلين .

السابع : إطلاق اسم المطلق على المقيد :

كقوله تعالى : ﴿ فعقروا الناقة ﴾ [الأعراف : ٧٧] والعاقر لها من قوم صالح قدار ؛ لكنهم لما رضوا الفعل نزلوا منزلة الفاعل .

الثامن : عكسه :

كقوله تعالى : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ [آل عمران : ٦٤] والمراد كلمة الشهادة ، وهي عدة كلمات .

التاسع : إطلاق اسم الخاص وإرادة العام :

كقوله تعالى : ﴿ إني رسول رب العالمين﴾ [الزخرف: ٤٦] أي رسله .

وقال : ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ [المنافقون : ٤] أي الأعداء .

﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] أي الذين .

وقوله تعالى : ﴿ علمت نفس ﴾ [التكوير : ١٤] أي كل نفس

وقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] أي كل سيئة .

وقوله تعالى : ﴿ يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ﴾ [الأحزاب : ١] الخطاب للنبي ﷺ، والمراد الناس جميعا .

العاشر: إطلاق اسم العام وإرادة الخاص :

كقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ [الشورى : ٥] أي للمؤمنين، بدليل قوله في موضع آخر : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر : ٧] ولما خفي هذا على بعضهم زعم أن الأولى منسوخة بالثانية .

وكقوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] أي أهل طاعته ، لا الناس أجمعون ، حكاه الواحدي عن ابن عباس وغيره ، واختاره الفراء (في معاني القرآن ١ / ٧٤، ونص عبارته عند شرح الآية : « يريد مطيعون ، وهذه خاصة لأهل الطاعة ليست بعامة ») .

وقوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] قيل : المراد بالناس هنا نوح ومن معه في السفينة . وقيل آدم وحواء

وقوله تعالى : ﴿ وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران : ٣٣] أي عالمي زمانه ، ولا يصح العموم؛ لأنه إذا فضل أحدهم على العالمين فقد فضل على سائرهم؛ لأنه من العالمين ، فإذا فضل الآخرين على العالمين فقد فضلهم أيضا على الأول ؛ لأنه من العالمين ، فيصير الفاضل مفضولا؛ ولا يصح .

وقوله : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ [الذاريات : ٤٢] أي شيء يحكم عليه بالذهاب ، بدليل قوله : ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ [الأحقاف : ٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥] ولم تجتح هودا والمسلمين معه .

وقوله تعالى : ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ [الأنعام : ٤٤] أي كل شيء أحبوه.

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ [النور : ٣٩] أي مما ظنه وقدره .

وقوله تعالى حكاية عن نبيه ﷺ: ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام : ١٦٣] وعن موسى ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولم يرد الكل ؛ لأن الأنبياء قبله ما كانوا مسلمين ولا مؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء : ٢٢٤] ولم يعن كل الشعراء .

وقوله تعالى : ﴿ فإن كان له إخوة ﴾ [النساء : ١١] أى أخوان فصاعدا .

وقوله تعالى ﴿ وادخلوا الباب سجدا ﴾ [الأعراف : ١٦١] أى بابا من أبوابها ، قاله المفسرون .

وقوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] وإنما قاله فريق منهم .

﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ [الإسراء : ٥٩] وأراد الآيات التى إذا كذب بها نزل العذاب على المكذب .

وقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ [الشورى : ٥] أى من المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق ﴾ [الأنعام : ٦٦] والمراد بعضهم ، فإن منهم أفاضل المسلمين والصديق وعليا رضى الله عنهما .

وقوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فإن ﴿ الناس ﴾ الأولى لو كان المراد به الاستغراق لما انتظر قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ إن الناس ﴾، ولأن ﴿الذين﴾ من ﴿ الناس ﴾ ؛ فلا يكون الثانى مستغرقا، ضرورة خروج ﴿ الذين ﴾ منهم، لأنهم لم يقولوا لأنفسهم .

وقوله : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] والمراد شهران وبعض الثالث .

الحادى عشر : إطلاق الجمع وإرادة المثنى :

كقوله تعالى : ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ [التحريم : ٤] ؛ أطلق اسم القلوب على القلبين .

الثانى عشر: النقصان :

ومنه حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله : ﴿واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] أى أهلها .

وقوله : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ﴾ [آل عمران : ١٩٤] أى على لسان رسلك .

وقالوا : ﴿ نحن أنصار الله ﴾ . أى أنصار دين الله .

وقال : ﴿ وأشربوا فى قلوبهم العجل ﴾ [البقرة : ٩٣] أى حبه .

﴿ واختار موسى قومه ﴾ [الأعراف : ١٥٥] أى من قومه . قالوا : وإنما يحسن الحذف إذا كان فيه زيادة مبالغة ، والمحذوفات فى القرآن على هذا النمط، وسيأتى الإشباع فيه ، وفى شروطه إن شاء الله تعالى (الأسلوب الثانى من أساليب القرآن فى النوع السادس والأربعين) وذهب المحققون إلى أن حذف المضاف ليس من المجاز؛ لأنه استعمال اللفظ فيما وضع له ، ولأن الكلمة المحذوفة ليست كذلك ، وإنما التجوز فى أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف ، كالأمثلة السابقة .

الثالث عشر : الزيادة :

كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] ذكره الأصوليون .

وللنحويين فيها قولان :

أحدهما : أن «مثل» زائدة ؛ والتقدير: ليس كهو شيء .

والثانى ـ وهو المشهور ـ : أن الكاف هى الزائدة ، وأن « مثل » خبر ليس . ولا خفاء أن القول بزيادة الحرف أسهل من القول بزيادة الاسم .

وممن قال به ابن جنى والسيرافى وغيرهما ، فقالوا : المعنى ليس مثله شيء ، والكاف زائدة ، وإلا لاستحال الكلام ، لأنها لو لم تكن زائدة كانت بمعنى « مثل » وإن كانت حرفا ، فيكون التقدير: ليس مثل مثله شيء ، وإذا قدر هذا التقدير ثبت له مثل، ونفى الشبه عن مثله ؛ وهذا محال من وجهين :

أحدهما : أن الله عز وجل لا مثل له .

والثانى : أن نفس اللفظ به محال فى حق كل أحد، وذلك أنا لو قلنا : ليس مثل مثل زيد، لاستحال ذلك ، لأن فيه إثبات أن لزيد مثلا ، وذلك يستلزم جعل زيد مثلا له؛ لأن ما ماثل الشيء فقد ماثله ذلك الشيء . وغير جائز أن يكون زيد مثلا لعمرو، وعمرو ليس مثلا لزيد، فإذا نفينا المثل عن مثل زيد، وزيد هو مثل مثله ، فقد اختلفا . ولأنه يلزم منه التناقض على تقدير إثبات المثل، لأن مثل المثل لا يصح نفيه ضرورة كونه مثلا لشيء وهو مثل له .

وأجيب عن الأول بأنا لا نسلم لزوم إثبات المثل ، غاية ما فيه نفى مثل مثل الله ؛ وذلك يستلزم ألا يكون له مثل أصلا ، ضرورة أن مثل كل شيء فذلك الشيء مثله ، فإذا انتفى عن شيء أن يكون مثل عمرو انتفى عن عمرو أن يكون مثله .

وأما الثانى فهو مبنى على أن هذه العبارة يلزم منها إثبات المثل، ونحن قد منعناه ، بل أحلناه من العبارة .

وقيل : ليست زائدة . إما لاعتبار جواز سلب الشيء عن المعدوم ، كما تسلب الكتابة عن زيد وهو معدوم ، أو يحمل المِثل على المَثل ، أى الصفة، كقوله تعالى : ﴿ مثل الجنة ﴾ [الرعد : ٣٥] و[محمد : ١٥] أى صفتها ، فالتقدير : ليس كصفته شيء .

وبهذين التقديرين يحصل التخلص عن لزوم إثبات « مثل » وإن لم تكن زائدة .

وأما القائلون بأن الزائد «مثل »، وإلا لزم إثبات المثل، ففيه نظر

لاستلزام تقدير دخول الكاف على الضمير؛ وهو ضعيف لا يجيء إلا في الشعر. وقد ذكرنا ما يخلص من لزوم إثبات المثل .

وقيل : المراد الذات والعين ، كقوله تعالى ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ [البقرة : ١٣٧] وقول امرئ القيس :

* على مثل ليلى يقتل المرء نفسه *

فالكاف على بابها ، و ليس كذلك ، بل المراد حقيقة المثل ليكون نفيا عن الذات بطريق برهاني كسائر الكنايات . ثم لا يشترط على هذا أن يكون لتلك الذات الممدوحة مثل في الخارج حصل النفي عنه؛ بل هو من باب التخييل في الاستعارة التي يتكلم فيها البياني .

فإن قيل : إنما يكون هذا نفيا عن الذات بطريق برهاني أن لو كانت المماثلة تستدعي المساواة في الصفات الذاتية وغيرها من الأفعال ؛ فإن اتفاق الشخصيتين بالذاتيات لا يستلزم اتحاد أفعالهما .

قيل : ليس المراد بالمثل هنا المصطلح عليه في العلوم العقلية ، بل المراد من هو مثل حاله في الصفات المناسبة لما سيق الكلام له ، وليس المراد من هو مثل في كل شيء لأن لفظة « مثل » لا تستدعي المشابهة من كل وجه .

وقال الكواشي (ت ٦٨٠ هـ وله تفسيران : أحدهما كبير سماه التبصرة ، والثاني صغير سماه التلخيص) : يجوز أن يقال : إن الكاف و « مثل » ليسا زائدتين ، بل يكون التمثيل هنا على سبيل الفرض ، كقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] وتقدير الكلام : لو فرضنا له مثلا لامتنع أن يشبه ذلك المثل المفروض شيء؛ وهذا أبلغ في نفي المماثلة .

وأما قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، فقيل : إن « ما » فيه مصدرية . وهذا فيه نظر؛ لأن « ما » لو كانت مصدرية لم يعد إليها من الصلة ضمير ، وهو الهاء في ﴿ به ﴾ لأن الضمير لا يعود على الحروف، ولا يعتبر اسما إلا بالصلة ، والاسم لا يعود عليه ضمير ما هو صفته ؛ إذ لا يحتاج في ذلك إلى ربط .

وجوابه أن تكون « ما » موصولة ، صلتها ﴿ آمنتم به ﴾ .

وقيل : مزيدة ، والتقدير فإن آمنوا بالذي آمنتم به ، أي بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما جاء به الأنبياء .

وقيل : إن « مثلا » صفة لمحذوف تقديره : فإن آمنوا بشيء مثل ما آمنتم به . وفيه نظر ، لأن ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا بذلك المثل .

وحكى الواحدي عن أكثر المفسرين في قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله ﴾ . البقرة : ١١٥] أن « الوجه » صلة ، والمعنى فثم الله يعلم ويرى ، قال : والوجه قد ورد صلة مع اسم الله كثيرا ، كقوله : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ [الرحمن : ٢٧] ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ [الإنسان : ٩] ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] .

قلت : والأشبه حمله على أن المراد به بالذات ، كما في قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله ﴾ [البقرة : ١١٢] وهو أولى من دعوى الزيادة .

ومن الزيادة دعوى أبي عبيدة ﴿ يسمعونكم إذ تدعون ﴾ [الشعراء : ٧٢] أن ﴿ إذ ﴾ زائدة .

وقوله تعالى : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

وقوله تعالى : ﴿ و إن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وقد سبق .

الرابع عشر : تسمية الشيء بما يئول إليه :

كقوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ [نوح : ٢٧] أي صائرا إلى الفجور والكفر .

وقوله تعالى : ﴿ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا ﴾ [يوسف : ٣٦] أي لأن الذي تأكل الطير منه إنما هو البُرُّ لا الخبز . ولم يذكر العلماء هذا من جملة الأمثلة ؛ إنما اقتصروا في التمثيل على قوله تعالى : ﴿ أعصر خمرا ﴾ [يوسف :٣٦] أي عنبا ، فعبر عنه لأنه آيل إلى الخمرية . وقيل : لا مجاز فيه ، فإن الخمر العنب بعينه ، لغة لأزد عمان ؛ نقله الفارسي في « التذكرة » (ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في مجلدات ، لخصه أبو الفتح عثمان ابن جني » ﴾ عن « غريب القرآن » لابن دريد .

وقيل : اكتفى بالمسبب ، الذي هو الخمر، عن السبب، الذي هو العنب . قاله ابن جني في « الخصائص » (الخصائص ٣/ ١٧٧)

وقيل : لا مجاز في الاسم بل في الفعل، وهو ﴿ أعصر ﴾ ؛ فإنه أطلق وأريد به أستخرج ، وإليه ذهب ابن عزيز في غريبه (هو السجستاني صاحب غريب القرآن) .

وقوله تعالى : ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] سماه زوجا لأن العقد يئول إلى زوجية ، لأنها لا تنكح في حال كونه زوجا .

وقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ [الصافات : ١٠١] ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ [الذاريات : ٢٨] وصفه في حال البشارة بما يئول إليه من العلم والحلم .

تنبيه : ليس هذا من الحال المقدرة ـ كما يتبادر إلى الذهن ـ لأن الذي يقترن بالفاعل ، أو المفعول إنما هو تقدير ذلك و إرادته ، فيكون المعنى في قوله : ﴿ فتبسم ضاحكا ﴾ [النمل : ١٩] مقدرا ضحكه .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وخروا له سجدا ﴾ [يوسف : ١٠٠] على

قول أبي علي . وهذا حمل منه للخرور على ابتدائه ، وإن حمله على انتهائه كانت الحال الملفوظ بها ناجزة غير مقدرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ [الزمر : ٧٣] أي ادخلوها مقدرين الخلود فيها ، فإن من دخل دخلاً كريما مقدرا ألا يخرج منه أبدا كان ذلك أتم لسروره ونعيمه ، ولو توهم انقطاعه لتنغص عليه النعيم الناجز مما يتوهمه من الانقطاع اللاحق .

الخامس عشر : تسمية الشيء بما كان عليه :

كقوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ [النساء : ٢] أي الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ . وقيل : بل هم يتامى حقيقة ، وأما حديث : « لا يتم بعد احتلام » فهو من تعليم الشرع لا اللغة ، وهو غريب .

وقوله : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ﴾ [النساء : ١٢] وإذا متْن لم يكن أزواجا ، فسماهن بذلك لأنهن كن أزواجا .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ [البقرة: ٢٣٤] أي الذين كانوا أزواجهن وكذلك : ﴿ ويذرون أزواجا﴾ لانقطاع الزوجية بالموت .

وقوله تعالى ﴿ من يأت ربه مجرما ﴾ [طه : ٧٤] سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام .

وقوله تعالى : ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ [يوسف : ٦٥] ولكن ما رد عليهم مالهم ، وإنما كانوا قد اشتروا بها الميرة ، فجعلها يوسف في متاعهم ، وهي له دونهم ، فنسبها الله إليهم ، بمعنى أنها كانت لهم .

السادس عشر : إطلاق اسم المحل على الحال

كقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ [العلق : ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ [الواقعة : ٣٤] أي نساؤه ، بدليل قوله : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء ﴾ [الواقعة : ٣٥] .

وكالتعبير باليد عن القدرة ، كقوله تعالى : ﴿ بيده الملك ﴾ [الملك : ١] ونحوه .

والتعبير بالقلب عن الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩] أي عقول . وبالأفواه عن الألسن كقوله تعالى : ﴿ الذين قالوا آمنا بأفواههم ﴾ [المائدة : ٤١] ﴿يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

وإطلاق الألسن على اللغات ، كقوله : ﴿ بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء : ١٩٥] والتعبير بالقرية عن ساكنها ، نحو : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] .

السابع عشر : إطلاق اسم الحال على المحل :

كقوله تعالى : ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ [آل عمران : ١٠٧] أي في الجنة لأنها محل الرحمة .

وقوله تعالى : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [سبأ : ٣٣] أي في الليل .

وقال الحسن في قوله : ﴿ إذ يريكهم الله في منامك ﴾ [الأنفال: ٤٣] أي في عينك ، واستبعده الزمخشري وقدر: يعني في رؤياك .

وقوله تعالى : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وصف البلد بالأمن، وهو صفة لأهله . ومثله : ﴿ وهذا البلد الأمين﴾ [التين : ٣] ﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾ [الدخان : ٥١]

وقوله تعالى : ﴿ بلدة طيبة ﴾ [سبأ : ١٥] وصفها بالطيب وهو صفة لهوائها .

وقد اجتمع هذا والذي قبله في قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وذلك لأن أخذ الزينة غير ممكن ؛ لأنها مصدر فيكون المراد محل الزينة ، ولا يجب أخذ الزينة للمسجد نفسه فيكون المراد بالمسجد الصلاة ، فأطلق اسم المحل على الحال وفي الزينة بالعكس .

الثامن عشر : إطلاق اسم آلة الشيء عليه :

كقوله تعالى ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ [الشعراء: ٨٤] أي ذكرا حسنا ، أطلق اللسان وعبر به عن الذكر؛ لأن اللسان آية الذكر .

وقال تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ [القمر : ١٤] أي بمرأى منا، لما كانت العين آلة الرؤية .

وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [إبراهيم: ٤] أي بلغة قومه .

التاسع عشر : إطلاق اسم الضدين على الآخر :

كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى : ٤٠] وهي من المبتدئ سيئة ومن الله حسنة ، فحمل اللفظ على اللفظ .

وعكسه : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] سمي الأول إحسانا لأنه مقابل لجزائه وهو الإحسان ، والأول طاعة، كأنه قال : هل جزاء الطاعة إلا الثواب !

وكذلك : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] حمل اللفظ على اللفظ ، فخرج الانتقام بلفظ الذنب ، لأن الله لا يمكر .

وأما قوله تعالى : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [الأعراف : ٩٩] ، فهو وإن لم يتقدم ذكر مكرهم في اللفظ لكن تقدم في سياق الآية قبله ما يصير إلى مكر، والمقابلة لا يشترط فيها ذكر المقابل لفظا، بل هو، أو ما في معناه .

وكذلك قوله : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] ، لما

قال : بشر هؤلاء بالجنة قال : بشر هؤلاء بالعذاب ؛ والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر .

وقوله : ﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم ﴾ [هود : ٣٨] والفعل الثاني ليس بسخرية .

العشرون : تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه :

لما بينهما من التعلق، ذكره السكاكي ، وخرّج عليه قوله تعالى : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] يعني « ما دعاك ألا تسجد » ؟ واعتصم بذلك في عدم زيادة « لا » :

وقيل : معناه : ما حماك في ألا تسجد ـ أي من العقوبة ـ أي ما جعلك في منعة من عقوبة به ترك السجود .

وهذا لا يصح ؛ أما الأول فلم يثبت في اللغة وأما الثاني فكأن تركيبه : « ما يمنعك » سؤالا عما يمنعه لا بلفظ الماضي ، لأنه لا تخويف بماض .

ويجاب بأن المخالفة تقتضي الأمنة ، كأنه قيل : ما أمنك حتى خالفت ! بيانا لاغتراره وعدم رشده، وأنه إنما خالف وحاله حال من امتنع بقوته من عذاب ربه، فكنى عنه بـ « ما منعك » تهكما ، لا أنه امتنع حقيقة وإنما جسر جسارة من هو في منعة .

ورد أيضا بأنه أجاب بـ ﴿ أنا خير ﴾ ، وهو لا يصلح جوابا إلا لترك السجود .

وأجيب بأنه لم يجب ، ولكن عدل بذلك عن جواب ما لا يمكن جوابه .

الحادي والعشرون : إقامة صيغة مقام أخرى :

وله صور :

فمنه « فاعل » بمعنى « مفعول » ، كقوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ [هود : ٤٣] أي لا معصوم .

وقوله تعالى : ﴿ من ماء دافق ﴾ [الطارق : ٦] أي مدفوق .

و ﴿ في عيشة راضية ﴾ [القارعة : ٧] أي مرضية بها . وقيل على النسب، أي ذات رضا، وهو مجاز إفراد لا تركيب .

وقوله تعالى : ﴿ أنا جعلنا حرما آمنا ﴾ [العنكبوت : ٦٧] أي مأمونا .

وعكسه : ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ [مريم : ٦١] ، أي آتيا .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ حجابا مستورا ﴾ [الإسراء : ٤٥] أي ساترا، وحكى الهروي في « الغريب » عن أصل اللغة، «وتأويل الحجاب الطبع » .

وقال السهيلي : الصحيح أنه على بابه، أي مستورا عن العيون، لا يحس به أحد ، والمعنى « مستور عنك وعنهم » ، كما قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقال الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) : « أي حجابا على حجاب، والأول مستور بالثاني ، يراد بذلك كثافة الحجاب ، لأنه جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا » .

قال أبو الفتح (عثمان بن جني) في كتابه « هذا القد » : وسألته ـ يعني الفارسي ـ إذا جعلت فاعلا بمعنى مفعول، فعلام ترفع الضمير الذي فيه ؟ أعلى حد ارتفاع الضمير في اسم الفاعل أم اسم المفعول ؟ فقال : إن كان بمعنى « مفعول » ارتفع الضمير فيه ارتفاع الضمير في اسم الفاعل، وإن جاء على لفظ اسم الفاعل ،

ومنه « فعيل » بمعنى « مفعول » كقوله تعالى ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾ [الفرقان : ٥٥] أي مظهورا فيه، ومنه ظهرت به فلم ألتفت إليه .

أما نحو : ﴿ فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] فقال بعض النحويين : إنه بمعنى « مؤلم » ورده النحاس، بأن « مؤلما » يجوز أن يكون قد آلم ثم زال، و « أليم » أبلغ، لأنه يدل على الملازمة ، قال: ولهذا منع النحويون إلا سيبويه أن يعدى « فعيل » .

ومنه مجيء المصدر على « فعول » ، كقوله تعالى : ﴿ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ [الفرقان : ٦٢] وقوله : ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ [الإنسان : ٩] فإنه ليس المراد الجمع هنا ، بل المراد: لا نريد منكم شكرا أصلا، وهذا أبلغ في قصد الإخلاص في نفي الأنواع .

وزعم السهيلي أنه جمع « شكر » ، وليس كذلك لفوات هذا المعنى .

ومنها إقامة الفاعل مقام المصدر، نحو: ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ [الواقعة : ٢] أي تكذيب، وإقامة المفعول مقام المصدر، نحو : ﴿ بأيكم المفتون ﴾ [القلم : ٦] أي الفتنة .

ومنه وصف الشيء بالمصدر، كقوله تعالى: ﴿ فإنهم عدو لي ﴾ [الشعراء : ٧٧] ، قالوا : إنما وحّده ، لأنه في معنى المصدر، كأنه قال : « فإنهم عداوة » .

ومجيء المصدر بمعنى المفعول؛ كقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أي من معلومه .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ [النجم : ٣٠]، أي من العلوم .

وقوله تعالى: ﴿ صنع الله ﴾ [النمل : ٨٨] ، أي مصنوعه .

وقوله تعالى : ﴿ هذا رحمة من ربي ﴾ [الكهف : ٩٨] أي مترحم، قاله الفارسي .

وكذا قوله تعالى : ﴿ فأعينوني بقوة ﴾ [الكهف : ٩٥] أي مقوى به، ألا ترى أنه أراد منهم زبر الحديد والنفخ عليها !

وقوله : ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ [طه : ١١١] أي مظلوما فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾ [يوسف : ١٨] أي مكذوب فيه ، وإلا لو كان على ظاهره لأشكل، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام. وقال الفراء : يجوز في النحو « بدم كذبا » بالنصب على المصدر؛ لأن ﴿ جاءوا ﴾ فيه معنى « كذبوا كذبا » ، كما قال تعالى : ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ [العاديات : ١] لأن « العاديات » بمعنى « الضابحات » .

وعكسه : ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ [يوسف : ٦٨] .

ومنه « فعيل » بمعنى الجمع ؛ كقوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم : ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ خلصوا نجيا ﴾ [يوسف : ٨٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وشرط بعضهم أن يكون المخبر عنه جمعا، وأنه لا يجيء ذلك في المثنى؛ ويرده قوله تعالى : ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ [قٓ : ١٧] فإنه نقل الواحدى عن المبرد، وابن عطية عن الفراء أن « قعيد » أسند لهما .

وقد يقع الإخبار بلفظ المفرد عن لفظ الجمع ، وإن أريد معناه لنكتة ، كقوله تعالى : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ [القمر: ٤٤] فإن سبب النزول وهو قول أبى جهل « نحن ننتصر اليوم » يقضى بإعراب « منتصر » خبرا .

(فى تفسير الكشاف : عن أبى جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر، فتقدم فى الصف وقال : نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه ، فنزلت : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾) .

ومنه إطلاق الخبر وإرادة الأمر، كقوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أى ليرضع الوالدات أولادهن .

وقوله : ﴿ يتربصن بأنفسهن ﴾ [البقرة : ٢٣٤] أى تتربص المتوفى عنها .

وقوله تعالى : ﴿ تزرعون سبع سنين دأبا ﴾ [يوسف : ٤٧] والمعنى : « ازرعوا سبع سنين »، بدليل قوله : ﴿ فذروه فى سنبله ﴾ [يوسف : ٤٧] .

وقوله : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون ﴾ [الصف : ١١] ، معناه آمنوا وجاهدوا ، و لذلك أجيب بالجزم فى قوله : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويدخلكم جنات ﴾ [الصف : ١٢] ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام فى قوله : ﴿ هل أدلكم ﴾ [الصف : ١٠] لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة ؛ قاله أبو البقاء والشيخ عز الدين .

(أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى فى كتابه : « إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب فى القرآن » ٢ / ١٤٠ . والعبارة فيه : « وقال الفراء : هو جواب الاستفهام على اللفظ ، وفيه بعد : لأن دلالته إياهم لا توجب المغفرة لهم » .

والشيخ عز الدين هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام فى كتابه : « الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز » ص٢٧، والعبارة فيه : « ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام فى قوله: ﴿ هل أدلكم ﴾ لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة ؛ وهذا من مجاز التشبيه، شبه الطلب فى تأكده بخبر الصادق الذى لا بد من وقوعه، وإذا شبهه بالخبر الماضى كان آكد») .

والتحقيق ما قاله النيلى أنه جعل الدلالة على التجارة سببا لوجودها، والتجارة هى الإيمان، ولذلك فسرها بقوله : ﴿ تؤمنون ﴾ [الصف : ١١] فعلم أن التجارة من جهة الدلالة هى الإيمان ، فالدلالة سبب الإيمان ، والإيمان سبب الغفران ، وسبب السبب سبب. وهذا النوع فيه تأكيد؛ وهو من مجاز التشبيه، شبه الطلب فى تأكده بخبر الصادق الذى لا بد من وقوعه ، وإذا شبهه بالخبر الماضى كان آكد .

ومنه عكسه كقوله تعالى : ﴿ فليمدد له الرحمن مدا ﴾ [مريم : ٧٥] والتقدير: مده الرحمن مدا .

وقوله : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾ [العنكبوت : ١٢] أى نحمل .

قال الكواشى : والأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم، نحو: إن زرتنا فلنكرمك. يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم ، كذا قال الشيخ عز الدين ؛ مقصوده تأكيد الخبر؛ لأن الأمر للإيجاب يشبه الخبر فى إيجابه .

(فى كتابه الإشارة ص ٢٨ وعبارته « النوع السادس » : التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيدا للخبر، لأن الأمر للإيجاب، فيشبه به الخبر فى إيجابه، وله مثالان : أحدهما قوله : ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ تقديره: قل من كان فى الضلالة يمد له الرحمن مدا. الثانى قوله : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾ تقديره. اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم ») .

وجعل الفارسى منه قوله تعالى : ﴿ إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ [النحل : ٤٠] قال : ﴿ كن ﴾ لفظه أمر والمراد الخبر، والتقدير: « يكون فيكون » أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ؛ أى فهو يكون، قال : ولهذا أجمع القراء على رفع ﴿فيكون ﴾ ورفضوا فيه النصب ؛ إلا ما روى عن ابن عامر، وسوغ النصب لكونه بصيغة الأمر قال : ولا يجوز أن يكون معطوفا على ﴿نقول ﴾ فيجى النصب على الفعل المنصوب ؛ لأن ذلك لا يطرد، بدليل قوله : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] ؛ إذ لا يستقيم هنا العطف المذكور، لأن ﴿ قال ﴾ ماض .

﴿ ويكون ﴾ مضارعا ، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما .

قلت : وهذا الذى قاله الفارسى ضعيف مخالف لقواعد أهل السنة .

ومنه إطلاق الخبر وإرادة النهى ، كقوله تعالى ﴿ لا تعبدون إلا الله ﴾ [البقرة : ٨٣] ومعناه : « لا تعبدوا » .

وقوله تعالى : ﴿ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٤] أى لا تسفكوا ولا تخرجوا .

وقوله تعالى : ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ [البقرة : ٢٧٢] أى ولا تنفقوا .

الثانى والعشرون : إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلوين : وغير ذلك من المعانى الستة عشر وما زيد عليها من أنواع المجاز ؛ ولم يذكروه هنا فى أقسامه .

الثالث والعشرون : إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له فى الحقيقة :

إما على التشبيه ، كقوله تعالى : ﴿ جدارا يريد أن ينقض ﴾ [الكهف : ٧٧] فإنه شبه ميله للوقوع بشبه المريد له .

وإما لأنه وقع فيه ذلك الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ غلبت الروم ﴾ [الروم : ١ ، ٢] فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ، . . ثم قال : ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ [الروم : ٢] فأضاف الغلب إليهم ، وإنما كان كذلك ، لأن الغلب وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم .

ومثله : ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] ﴿ويطعمون الطعام على حبه ﴾ [الإنسان : ٨]فالحب فى الظاهر مضاف إلى الطعام والمال؛ وهو فى الحقيقة لصاحبهما .

ومثله : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [الرحمن : ٤٦] ﴿ذلك لمن خاف مقامى ﴾ [إبراهيم : ١٤] أى مقامه بين يدى .

وإما لوقوعه فيه ، كقوله تعالى : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] .

وإما لأنه سببه ، كقوله تعالى : ﴿ فزادتهم إيمانا ﴾ [التوبة : ١٢٤] ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ﴾ [فصلت : ٢٣] ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ [الأعراف : ٢٧] ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] كما تقدم فى أمثلة المجاز العقلى .

وقد يقال : إن النزع والإحلال يعبر بهما عن فعل ما أوجبهما . فالمجاز إفرادى لا إسنادى .

وقوله تعالى : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] أى يجعل هوله؛ فهو من مجاز الحذف .

الرابع والعشرون : إطلاق الفعل والمراد مقاربته ومشارفته لا حقيقته :

كقوله تعالى : ﴿ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن ﴾ [الطلاق : ٢] أى قاربن بلوغ الأجل ، أى انقضاء العدة ، لأن الإمساك لا يكون بعد انقضاء العدة ، فيكون بلوغ الأجل تمامه ؛ كقوله تعالى : ﴿فإذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٢] أى أتممن العدة وأردن مراجعة الأزواج . ولو كانت مقاربته لم يكن للولى حكم فى إزالة الرجعة ؛ لأنها بيد الزوج ، ولو كان الطلاق غير رجعى لم يكن للولى أيضا عليها حكم قبل تمام العدة ، ولا تسمى عاضلا حتى يمنعها تمام العدة من المراجعة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ﴾ [النحل : ٦١] المعنى قارب ، وبه يندفع السؤال المشهور فيها ، إن عند مجىء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير .

وقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ﴾ [البقرة : ١٨٠] أى قارب حضور الموت .

وقوله تعالى : ﴿ كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة ﴾ [الشعراء : ٢٠٠ ـ ٢٠٢] أى حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها .

ويحتمل أن تحمل الرؤية على حقيقتها ؛ وذلك على أن يكون : يرونه فلا يظنونه عذابا ﴿ وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ﴾ [الطور : ٤٤] ولا يظنونه واقعا بهم ، وحينئذ فيكون أخذه لهم بغتة بعد رؤيته .

ومن دقيق هذا النوع قوله تعالى : ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ [هود : ٤٥] ، المراد قارب النداء ، لا أوقع النداء ، لدخول الفاء فى ﴿فقال﴾ فإنه لو وقع النداء لسقطت ، وكان ما ذكر تفسيرا للنداء ، كقوله تعالى : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال ﴾ [آل عمران : ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب ﴾ [مريم : ٣ ، ٤] لما فسر النداء سقطت الفاء .

وذكر النحاة أن هذه الفاء تفسيرية ؛ لأنها عطفت مفسرا على مجمل ، كقوله : « توضأ فغسل وجهه » ، وفائدة ذلك أن نوحا عليه السلام أراد ذلك ، فرد القصد إليه ولم يقع ، لا عن قصد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ﴾ [النساء : ٩] أى وليخش الذين إن شارفوا أن يتركوا ، وإنما أول الترك بمشارفة الترك؛ لأن الخطاب للأوصياء إنما يتوجه إليهم قبل الترك؛ لأنهم بعده أموات .

وقريب منه إطلاق الفعل وإرادة إرادته ، كقوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ [النحل : ٩٨] أى إذا أردت .

وقوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ﴾ [المائدة: ٦] أى إذا أردتم ؛ لأن الإرادة سبب القيام .

﴿ إذا قضى أمرا ﴾ [مريم : ٣٥] أى أراد .

﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم ﴾ [المائدة : ٤٢] أى أردت الحكم .

ومثله : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس ﴾ [النساء : ٥٨] .

﴿ إذا ناجيتم الرسول ﴾ [المجادلة : ١٢] أى أردتم مناجاته .

﴿ إذا طلقتم النساء ﴾ [الطلاق : ١] .

وقوله : ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ﴾ [الأعراف : ١٧٨] قال ابن عباس : من يرد الله هدايته ؛ ولقد أحسن رضى الله عنه لئلا يتحد الشرط والجزاء .

وقوله : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، أي أردتم القول .

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، أي أرادوا الإنفاق .

وقوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴾ [الأعراف : ٤] لأن الإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس ، وإنما خص هذين الوقتين ـ أعني البيات والقيلولة ـ لأنهما وقت الغفلة والدعة ، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع .

وقوله تعالى : ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ﴾ [الأنبياء : ٦] أي أردنا إهلاكها . ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم ﴾ [الأعراف : ١٣٦] أي فأردنا الانتقام منهم ؛ وحكمته أنا إذا أردنا أمرا نقدر فيه إرادتنا ، وإن كان خارقا للعادة .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ [هود : ٣٢] أي أردت جدالنا وشرعت فيه ؛ وكان الموجب لهذا التقدير خوف التكرار ، لأن « جادلت » « فاعلت » ، وهو يعطي التكرار ، أو أن المعنى : لم ترد منا غير الجدال له لا النصيحة .

قلت : وإنما عبروا عن إرادة الفعل بالفعل ؛ لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل وإرادته وقصده إليه ، كما عبر بالفعل عن القدرة على الفعل في قولهم : الإنسان لا يطير ، والأعمى لا يبصر ؛ أي لا يقدر على الطيران والإبصار ؛ وإنما حمل على ذلك دون الحمل على ظاهره للدلالة على جواز الصلاة بوضوء واحد ، والحمل على الظاهر يوجب أن من جلس يتوضأ ، ثم قام إلى الصلاة يلزمه وضوء آخر ، فلا يزال مشغولا بالوضوء ولا يتفرغ للصلاة ، وفساده بيِّن .

الخامس والعشرون : إطلاق الأمر بالشيء للتلبس به والمراد دوامه :

كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا آمنوا ﴾ [النساء : ١٣٦] هكذا أجاب به الزمخشري وغيره ، وأصل السؤال غير وارد ؛ لأن الأمر لا يتعلق بالماضي ولا بالحال ، وإنما يتعلق بالمستقبل المعدوم حالة توجه الخطاب ، فليس ذلك تحصيلا للحاصل بل تحصيلا للمعدوم ؛ فلا فرق بين أن يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك الفعل أم لا ، لأن الذي هو عليه عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به . والحاصل أن الكل مأمور بالإنشاء ، فالمؤمن ينشئ ما سبق له أمثاله ؛ والكافر ينشئ ما لم يسبق منه أمثاله .

السادس والعشرون : إطلاق اسم البشرى على المبشر به :

كقوله تعالى : ﴿ بشراكم اليوم جنات ﴾ [الحديد : ١٢] قال أبو علي الفارسي : التقدير : بشراكم دخول جنات أو خلود جنات ، لأن البشرى مصدر ، والجنات ذات ؛ فلا يخبر بالذات عن المعنى .

ونحوه إطلاق اسم المقول على القول ، كقوله تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون ﴾ [الإسراء : ٤٢] .

ومنه : ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴾ [الإسراء : ٤٣] أي عن مدلول قولهم .

ومنه : ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] أي من مقولهم ؛ وهو الأدرة .

وإطلاق الاسم على المسمى ؛ كقوله تعالى : ﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ﴾ [يوسف : ٤٠] أي مسميات .

﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى : ١] أي ربك .

وإطلاق اسم الكلمة على المتكلم كقوله تعالى : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ [يونس : ٦٤] أي لمقتضى عذاب الله و ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ [آل عمران : ٤٥] تجوز بالكلمة عن المسيح ، لكونه تكوَّن بها من غير أب ، بدليل قوله : ﴿ وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران : ٤٥] ولا تتصف الكلمة بذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ اسمه المسيح عيسى ﴾ [آل عمران : ٤٥] فإن الضمير فيه عائد إلى مدلول الكلمة ، والمراد بالاسم المسمى ، فالمعنى : المسمى المبشر به المسيح ابن مريم .

وإطلاق اسم اليمين على المحلوف به : كقوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٤] أي لا تجعلوا بيمين الله أو قسم الله مانعا لما تحلفون عليه من البر والتقوى بين الناس .

إطلاق الهوى عن المهوى ، ومنه : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠] أي عما تهواه من المعاصي ، ولا يصح نهيها عن هواها ، وهو ميلها ، لأنه تكليف لما لا يطاق ؛ إلا على حذف مضاف ، أي نهى النفس عن اتباع الهوى .

التجوز عن المجاز بالمجاز :

وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ؛ فتتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما .

مثاله قوله تعالى ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] فإنه مجاز عن مجاز ؛ فإن الوطء تجوز عنه بالسر ، لأنه لا يقع غالبا إلا في السر وتجوز بالسر عن العقد ؛ لأنه مسبب عنه ، فالصحيح للمجاز الأول الملازمة ، والثاني السببية ، والمعنى : « لا تواعدوهن عقد نكاح » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾ [المائدة : ٥] إن حمل على ظاهره كان من مجاز المجاز ، لأن قول : « لا إله إلا الله » مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالمقول عن المقول فيه ؛ والأول من مجاز السببية ؛ لأن توحيد اللسان ، مسبب عن توحيد الجنان .

قلت : وهذا تسمية ابن السيد مجاز المراتب (هو ابن السيد البطليوسى صاحب «الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب » وغيره من كتب اللغة توفى سنة ٤٤٤) وجعل منه قوله تعالى : ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ [الأعراف : ٢٦] فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس؛ بل الماء المنبت للزرع، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس .

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٢٥٤ - ٢٩٩، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . انظر أيضا الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٤٧ ، ٥٤، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ٤١٣) .

انظر : الحقيقة والمجاز .

* **الحقيقة والمجاز :**

عن الحقيقة والمجاز يقول الإمام الفيروزابادى فى باب أفرده لذلك :

والكلام المفيد ينقسم إلى حقيقة ومجاز وقد وردت اللغة بالجميع ونزل به القرآن ومن الناس من أنكر المجاز فى اللغة . وقال ابن داود ليس فى القرآن مجاز وهذا خطأ لقوله تعالى ﴿ **جدارا يريد أن ينقض** ﴾ [الكهف : ٧٧] ونحن نعلم ضرورة أنه لا إرادة للجدار، وقال تعالى : ﴿ واسئل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ونحن نعلم ضرورة أن القرية لا تخاطَب فدل على أنه مجاز .

فأما الحقيقة فهى الأصل وحدها : كل لفظ يستعمل فيما وضع له من غير نقل وقيل ما استعمل فيما اصطلح على التخاطب به ، وقد يكون للحقيقة مجاز كالبحر حقيقة للماء المجتمع الكثير ومجاز فى الفرس الجواد والرجل العالم فإذا ورد اللفظ حمل على الحقيقة بإطلاقة ولا يحمل على المجاز إلا بدليل وقد لا يكون له مجاز وهو أكثر اللغات فيحمل على ما وضع له .

وأما المجاز فحده ما نقل عما وضع له وقَلَّ التخاطب به وقد يكون ذلك بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير واستعارة . فالزيادة كقوله عز وجل ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ [الشورى : ١١] والمعنى ليس مثله شيء والكاف زائدة والنقصان كقوله تعالى ﴿ **واسئل القرية** ﴾ والمراد أهل القرية فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، والتقديم والتأخير كقوله عز وجل ﴿ **والذى أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى** ﴾ [الأعلى : ٤، ٥] والمراد أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء فقدم وأخر، والاستعارة كقوله تعالى ﴿ **جدارا يريد أن ينقض** ﴾ فاستعار فيه لفظ الإرادة وما من مجاز إلا وله حقيقة لأنا قد بينا أن المجاز ما نقل عما وضع له وما وضع له هو الحقيقة (انظر : الاستعارة) .

فصل : ويعرف المجاز من الحقيقة بوجوه منها أن يصرحوا بأنه مجاز وقد بين أهل اللغة ذلك وصنف أبو عبيدة كتاب المجاز فى القرآن وبين جميع ما فيه من المجاز ، ومنها أن يستعمل اللفظ فيما لا يسبق إلى الفهم عند سماعه كقولهم فى البليد حمار والأبله تيس ومنها أن يوصف الشيء ويسمى بما يستحيل وجوده كقوله ﴿ **واسئل القرية** ﴾ ومنها أن لا يجرى ولا يطرد كقولهم فى الرجل الثقيل جبل ثم لا يقال ذلك فى غيره وفى الطويل نخلة ثم لا يقال ذلك فى غير الآدمى، ومنها أن لا يتصرف فيما استعمل فيه كتصرفه فيما وضع له حقيقة كالأمر فى معنى الفعل لا تقول فيه أمر يأمر كما تقول فى الأمر بمعنى القول (اللمع / ٥) .

كذلك يقول صاحب تلخيص المفتاح : المجاز ضربان : مرسل واستعارة .

وفى منظومته على تلخيص المفتاح للقزوينى ، يقول السيوطى عن الحقيقة والمجاز بادئا بالكلام على الضرب الأول من المجاز وهو المجاز المرسل :

الأول الكلمة المستعمله ... فى الاصطلاح فى الذى توضع له

وغيره مع قرينة على ... وجه يصح وإرادة جلا

عدمها فهو المجاز المفرد ... فالزم علاقة وكل عدد

يعزى لعرف ولشرع ولغه ... والعرف عم أو فخص مبلغه

كدابة الأربع والإنسان ... والفعل للفظ وللحدثان

كذا الصلاة للسجود والدعا ... وأسد لسبع والشجعا

ومن يزد تحقيقا أو تأويلا ... فى الحد زاد فيهما تطويلا

هذا هو القصد الثانى من علم البيان والمقصود المجاز وذكر الحقيقة لأنها أصله . فالحقيقة الكلمة المستعملة فى معنى وضعت له فى اصطلاح التخاطب ، فخرج بالمستعملة المهملة وبما بعده الغلط والمجاز وبقولنا فى اصطلاح التخاطب المستعمل فيما وضع له اصطلاح آخر غير الذى يقع به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء فإنها تكون مجازا لاستعمالها فى غير ما وضع له شرعا وإن وضع له لغة ، والمجاز مفرد ومركب، فالأول الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى

اصطلاح التخاطب على وجه تصح معه قرينة عدم إرادته ، فقولى «وغيره » بالجر أى والمستعملة فى غير الذى وضعت له فى الاصطلاح ... إلخ فخرج المهملة فليست حقيقة ولا مجازا والحقيقة وما له معنى آخر باصطلاح آخر كالصلاة فى العبادة والغلط لأنه ليس على وجه يصح ، والكناية لفقد قرينة عدم الإرادة

وزاد السكاكى فى حد الحقيقة والمجاز لفظ التأويل والتحقيق فقال : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل ، والمجاز الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له بالتحقيق وأتى بذلك ليخرج من الأول الاستعارة ويدخلها فى الثانى بناء على أنها مجاز لغوى لأنها مستعملة فيما وضعت له لكن بالتأويل ، وهو ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغير متعارف بالتحقيق ورد بأن لفظ الوضع إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل فلا حاجة إلى زيادة فى الحد لأنه تطويل والحدود تصان عن التطويلات وهذا معنى قولى* **ومن يزد تحقيقا ... إلخ** * وهو مذكور فى التلخيص فى أواخر الباب فى فصل عقده لمناقشات مع السكاكى ولا بد للمجاز من العلاقة ليخرج الغلط ، وكل من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى لغوى وشرعى وعرفى خاص متعين ناقله كالنحوى والصرفي وعرفى عام .

فالأول : كالأسد للسبع حقيقة لغوية والشجاع مجازا لغويا .

والثانى : كالصلاة للعبادة المخصوصة حقيقة شرعية والدعاء مجازا شرعيا .

والثالث : كالفعل للفظ المخصوص حقيقة عرفية خاصة أى نحوية ومطلق الحدث مجازا نحويا .

والرابع : حقيقة عرفية عامة والإنسان مجازا عرفيا عاما .

ثم المجاز المرسل العلاقه
لا شبه وغيره استعاره

وغالبا يطلق فى استعمال سم
مشبه به لمشبه رسم

فالطرفان المستعار منه له
والمستعار اللفظ ثم المرسله

كاليد فى القدرة والتسميه
بالكل أو بالجزء أو بالآله

أو سبب مسبب حال محل
مجاور آل له عنه انتقل

المجاز أقسام : عقلى ، وتغييرى وخال عن الفائدة وذكره فى الإيضاح والتبيان كإطلاق المقيد على المطلق كاستعمال المرسن فى أنف إنسان مجازا ، وهو موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون مرسونا ، ومرسل واستعارة .

فالمرسل ما علاقته المصححة له غير المشابهة والاستعارة ما علاقته المشابهة ، فهى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى لعلاقة المشابهة كأسد فى قولنا رأيت أسدا يرمى ، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على فعل المتكلم : أى استعمال اسم المشبه به فى المشبه ويكون حينئذ بمعنى المصدر والطرفان حينئذ أى المشبه به والمشبه مستعار منه ومستعار له واللفظ أى لفظ المشبه به مستعار .

ومثال المرسل كاليد فى النعمة والقدرة وأصلها الجارحة أطلقت عليهما لأن النعمة منها تصدر والقدرة بها تكون ، ومن استعمالها فى النعمة حديث الصحيحين أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا : أى أكثركن عطاء ومنه فى القدرة كقوله تعالى ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ [الفتح : ١٠] وكاستعمال الجزء فى الكل إذا كان له مزيد اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل كإطلاق العين على الربيئة أى الرقيب وهى جزؤه ومثل له فى الإيضاح (الإيضاح ، مختصر تلخيص المفتاح) بقوله تعالى ﴿ **قم الليل** ﴾ [المزمل : ٢] فأطلق القيام وهو جزء الصلاة عليها لأنه أظهر أركانها ، وعكسه أعنى استعمال الكل فى الجزء كالأصابع فى الأنامل من قوله تعالى ﴿ **يجعلون أصابعهم فى آذانهم** ﴾ [البقرة : ١٩] وكحديث مسلم « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين » أى الفاتحة وتسمية الشىء باسم آلته نحو ﴿ **واجعل لى لسان صدق فى الآخرين** ﴾ [الشعراء : ٨٤] أى ثناء حسنا واللسان آلته أو سببه نحو رعينا الغيث أى النبات الذى سببه الغيث ، أو مسببه نحو أمطرت السماء نباتا ، أو حاله أى ما يحل فى ذلك الشىء نحو : ﴿ **وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله** ﴾ [آل عمران : ١٠٧] أى فى الجنة التى تحل فيها الرحمة ، أو محله أى ما يحل فيه ذلك الشىء نحو: ﴿ **فليدع ناديه** ﴾ [العلق : ١٧] أى أهل ناديه الحالّ فيه وهو المجلس، أو مجاوره كإطلاق الراوية على المزادة وهى للبعير أو ما يئول إليه نحو ﴿ **إنى أرانى أعصر خمرا** ﴾ [يوسف : ٣٦] أى عصيرا يئول إلى الخمر، أو ما كان عليه نحو : ﴿ **وآتوا اليتامى أموالهم** ﴾ [النساء : ٢] أى الذين كانوا يتامى إذ لا يُتْم بعد البلوغ فهذه عشر علاقات وذكرت علاقات أخر ترجع إليها (شرح عقود الجمان / ٩١-٩٣) .

ومن أمثلة النظم أيضا ما أورده عبد الرحمن بن محمد الأخضرى ، من علماء القرن العاشر ، فى أرجوزته الموسومة بالجوهر المكنون فى الثلاثة فنون :

حقيقة مستعمل فيما وضع
له بعرف ذى الخطاب فاتبع

ثم المجاز قد يجىء مفردا
وقد يجى مركبا فالمبتدا

كلمـة غـايـرت المـوضـوع مع
قـرينـة لعلقـة نلت الـورع
كـاخلع نعـال الكـون كي تـراه
وغض طـرف القلب عن سـواه
كـلاهمـا شـرعي أو عـرفي
نحـو ارتقي للحضـرة الصـوفي
أو لغـوي والمجـاز مـرسل
أو استعـارة فأمـا الأول
فمـا سـوى تشـابـه عـلاقتـه
جـزء وكل أو محل آلتـه
طـرف ومظـروف مسبب سبب
وصف لمـاض أو مـا آل مـرتقب

(متن الجوهر المكنون / ١٤ ومجموع مهمات المتون / ٧٢٨، ٧٢٩)

ومن النظم أيضا ما جاء عن الحقيقة والمجاز في « ملحة البيان» لزين المرصفي (ت ١٣٠٠ هـ) إذ يقول تحت عنوان « باب الحقيقة والمجاز » :

حقيقـة لفظ بـه المـراد
يعني بـلا عـلاقـة تـراد
وقل مجـاز إذ بهـا يفـاد مع
قـرينـة بنصبهـا الأصل امتنع
وقسمـوا كـلا إلى الشـرعي
واللغـوي ثمت العـرفي
ورجحـوا اشتـراط سمع النـوع في
عـلاقـة كمـا بـوضع يقتفي
والأصـل نقـل اللفـظ عـن حقيقـي
وعن مجـاز جـاز في التحقيق
وينبني أيضـا على الكنـايـه
وقـاسهـا عليـه في العنـايـه
وقـد أتى كـل بلحظ واسطـه
تكـون بين المعنيين رابطـه
كيـا بني آدم قـد أنـزلنـا
فبين ذا وذاك وفـرق يعنـي
وقـد رأى أستـاذنـا امتنـاعـه
والبعض منهم حـاول انـدفـاعـه
واستظهـر الفقيـر في الأغصـان
تفصيلـه بأجمل البيـان
وفـرقـوا بين المجـاز والكـذب
بمـا من التأويل فيـه قـد نصب
ولاستعـارة ومـرسل قسم
والكل منهمـا ببـاب قـد علم

باب المجاز المرسل

ومـرسل لـه عـلاقـات أتت
تسعـا وعشـرا في أصح مـا ثبت
ورجحـوا اعتبـارهـا من أصل
لا مـن مجـاز بل ولا مـن كل
فـلازميـة كقصـد الشمس
من ضـوئهـا والعكس مثل العكس
آليـة كـألسن في الأثنيـه
ومبـدل كـالـدم في معنى الـديـه
وبـدل نحـو القضـاء في الأدا
لكن بغيـر مـا بـآي وردا
وسببيـة مسببيـة
كـالغيث في نبت وعكس يثبت
جـزئيـة كليـة كـالعين في
ربيئـة وإصبع في طـرف
ثم اعتبـار مـا مضى كـاليتم
لمن تبـدى بـالغـا للحلم
والأول نحـو الخمـر في معنى العنب
وقيل بل ذا لغـة كمـا وجب
حـاليـة كـرحمـة في الجنـة
وعكسهـا نحـو سـؤال القـريـة
كـذا عمـوم نحـو لفظ النـاس في
أم يحسـدون النـاس في القـول الـوفي
والعكس كـالضـاحك لـلإنسـان
بـالفعل لا بقـوة وشـان
ومطلق كعـالـم في عـامل
وعكسـه كعـالم من عـاقل
تجـاور في العلم جـا في الظن
لأنـه مجـاور في الـذهن
كـذا التعلق الـذي تحققـا
في مصـدر مع الصفـات مطلقـا
ومـا أتى في بعضهـا مع بعض
ودرجهـا في غيـرهـا ذو نقض

واعتبروا الملحوظ فى علائق
وعند جهل فاعتبر ما لائق
مرشحا مجردا ومطلقا
يأتى وفى الأعلام قد تحققا
على الأصح وهو أيضا أصلى
وتبعى حسب نص النقل

(مجموع مهمات المتون / ٥٩٢ ـ ٥٩٤) .

أما الضرب الثانى من المجاز وهو الاستعارة فقد أفردنا لها مادة وبسطنا فيها القول فى م ٤ / ٢٦٨ ـ ٢٧٣ فارجع إليها .

(اللمع فى أصول الفقه للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى / ٥ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٩١ ـ ٩٣ ، والجوهر المكنون فى الثلاثة فنون لعبد الرحمن بن محمد الأخضرى / ١٤ ، والمطبوع فى مجموع مهمات المتون ، ط مصطفى البابى الحلبى / ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، وملحة البيان لزين الدين المرصفى ، المطبوع فى مجموع مهمات المتون ٥٩٢ ـ ٥٩٤ . انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣٠ ـ ٣٣٤ ، والإيضاح فى علوم البلاغة ، مختصر تلخيص المفتاح للقزوينى / ١٥١ ـ ١٥٨ ، وفى مجموع مهمات المتون / ٦٧٨ ـ ٦٨٧ ، والوجيز فى أصول الفقه للإمام الكراماستى ـ تحقيق د. أحمد حجازى السقا / ٨ ـ ١٠ ، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكانى / ٢١ ـ ٢٩) .

* **الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٣٢٢٦

انظر : الرحلة الحجازية .

ـ رحلة رحل بها المؤلف لكثير من الأصقاع الشامية والحجازية وزار بها الصلحاء والأولياء ، واستغرقت ثلاثمائة وثمانية وثمانين يوما ضمنها كثيرا من شعره الصوفى الرائق ومناجاته وكلامه مع الأولياء والصلحاء الذين اجتمع بهم .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الذى بمعونته تتم الأمور ... لقد كنت فى ما تقدم من الزمان مع جملة من الأصحاب والإخوان أتمنى الاستيعاب فى زيارة الصالحين من الأحياء والأموات والتبرك بنفحات مجالسهم وهاتيك الحضرات ويكون ذلك بالحج الشريف ...

آخره : إن أكمل ما تراسلت به حمائم الأرواح الأنسية ...

... ثم قصيدة مطلعها :

نصب عينى ذاك الحمى والمقام
فعلى الأهل والديار السلام

خاتمتها :

وهو هادى إلى السبيل بحق
فعليه الصلاة منى السلام

الخط نسخ معتاد الحبر أسود .

تاريخ النسخ : سنة ١١٢٧ هـ .

ملاحظات : نسخة مقابلة على نسخة المؤلف وعليها تملك باسم محمد بن إبراهيم الدكدكجى تلميذ المؤلف .

نسخة ثانية :

الرقم : ٤٧٥٣

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد بن محمد النابلسى .

تاريخ النسخ : ١٥ شعبان سنة ١٣١٩ هـ .

ملاحظات : نسخة جامعة كاملة مضبوطة .

نسخة ثالثة :

الرقم : ٣٢٢٥ أدب ٥٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة رابعة :

الرقم : ٤٦٤٢

أولها كالسابقة .

آخرها : مخروم ينتهى بـ فى اليوم الثالث والثلاثين وكان هناك ـ فى بركة البداوى ـ الرجل الصالح الشيخ عبد القدوس المصرى الأصل فسلمنا عليه وزرناه وسألنا منه الدعاء ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأزرق .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤١٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦) .

* **حقيقة اليقين وزلفة التمكين :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٢٤٥

ـ رسالة قسمها المؤلف إلى جواهر وأعراض الجوهر الأول فى التوحيد والعرض المفارق فى السؤال عن وارد الوقت .

المؤلف : قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى القادرى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م .

أولها : حمدا لله لصفاته ، توحيدا لذاته ، فهو الواحد لا عن توحيد ، المحمود قبل الحمد والتحميد ، أحمده حمد صفاته لذاته ... أما بعد فإن التوحيد عظيم شأنه ، عال مكانه ...

آخرها : فقل في العالم ما تقوله في الصفات إن شئت قلت إن الذات عينها صدقت ... قل العالم محدث باعتبار الذى يقتضيه العالم ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد المجذوب .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٢ هـ .

نسخة ثانية :

الرقم : ١٢٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد بن أحمد بن سعد الكلشنى .

تاريخ النسخ : جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ هـ .

نسخة ثالثة :

الرقم : ٧٤٥١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤١٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٣١٣، الأعلام ٤ / ١٧٥ .

قال واضع الفهرس : بعض نسخ الرسالة : الأوقاف ببغداد ٢٩٥ وأحتفظ بنسختين مخطوطتين إحداهما قديمة والأخرى مراجعة ومصححة بقلم الشيخ محمد المبارك الكبير .

(فهرس مخطوطات الظاهرية ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

له ترجمة بالتركية يوجد مخطوطها بدار الكتب القومية وجاء بيانه كما يلى :

ترجمةُ حقيقة اليقين وزلفة التمكين .

تأليف عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلى القادرى المتوفى سنة ٨٢٠ هـ ، ترجمة عبد الباقى بن السيد محمد بن إبراهيم بن العلى المعروف بلعلى زاده المتوفى سنة ١١٥٩ هـ (عثمانلى مؤلفلرى ١ / ١٥٩ ، وفى كشف الظنون : عبد الكريم بن الشيخ عبد القادر الكيلانى) .

وهى فى التصوف والتوحيد ، تمت ترجمتها سنة ١١٥٤ هـ .

أولها : « الله عظيم الشانك حمدى صفاتى ايله در . توحيدى ذاتى ايله در ... إلخ » .

ـ نسخة مخطوطة ، متوجة بحلية ذهبية بديعة ومجدولة ومحلاة بالذهب ، بقلم تعليق معتاد تمت كتابتها سنة ١١٨١ هـ ، بخط السيد محمد حسيب بن إبراهيم الحسينى ، الكتاب العاشر ضمن مجموعة من ورقة ١٩٦ ـ إلى ورقة ٢٠٢ مسطرتها ٢٣ سطرا فى ٢١ × ١٣,٥ سم .

(٨ مجاميع تركى طلعت) .

وتوجد نسخه أخرى أولها كالسابقة

ـ مخطوطة ، بقلم تعليق ، تمت كتابتها سنة ١٢٧١ هـ ، ضمن مجموعة من ورقة ١٥٧ ـ ١٦٤ ، مسطرتها ٢١ سطرا ، فى ٢٢ × ١٢ سم .

(٨٠٥ مجاميع تركى طلعت) .

ونسخة ثالثة أولها كالسابقة

ـ مخطوطة ، بأولها حلية ذهبية ، مجدولة بالذهب والمداد الأسود ، بقلم نسخ معتاد تمت كتابتها فى استانبول سنة ١٢٨٧ هـ بخط الحاج أحمد بن حسن الأنقروى المعروف بعرب شيخ زاده ، ضمن مجموعة آثار الفحول ، من ورقه ٣٠ ـ ٣٣ ، مسطرتها ٣٥ سطرا ، فى ٣٢ × ٢١ سم .

(١٤٨ مجاميع تركى طلعت) .

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ١٩٧) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ م ، ١ / ١٩٦) .

*** الحكّاك :**

من بين من يرتكبون عيوب المؤاكلة الواحدة والثمانين التى أحصار الشيخ بدر الدين الغزى فى رسالته التى تحمل ذلك العنوان ، ما أسماه « الحكاك » (انظر مادة « آداب الأكل » فى م ١ / ٢١٦) وقال عنه :

الحكاك : وهو الذى يحك رأسه وموضعا فى بدنه بعد غسل يده وقبل الأكل ، فقد حكى بعضهم أن رجلا غسل مع المأمون يده ، وأبطأ الطعام ، فسبقته يده إلى رأسه ، فقال له المأمون : أعد غسل يدك ، فغسلها ثم لم يلبث أن سبقت يده إلى لحيته ، فقال له : أعد غسلها ، قال : ولا يلى غسل اليد إلا الخبز .

(رسالة آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين محمد الغزى ـ حققها عمر موسى باشا / ١٥) .

*** حكايات :**

يوجد عدد من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى تحت هذا العنوان ننقلها وفقا لترتيب أرقامها التسلسلية :

٣١٠ـ حكايات :

لتاج الدين الحسن بن راشد الحلى الذى كان حيا سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م .

وتتناول هذه الحكايات قصص الأئمة ، وبعض الخلفاء والرجال ، وما قيل فيهم من بديع الشعر والنثر .

نسخة جيدة، ناقصة الطرفين .

الرقم : ٣١٤٢٧/ ٢ .

١١٨ ص ٢٠ × ١٤ سم ١٥ س .

معجم المؤلفين ٣/ ٢٢٤ .

والمؤلف مؤرخ ، فقيه ، شاعر، أديب، متكلم من آثاره : أرجوزة فى تاريخ الملوك والخلفاء ، أرجوزة فى تاريخ القاهرة ، مختصر بصائر الدرجات ، الجمانة البهية ، وصباح المهتدين (معجم المؤلفين ٣/ ٢٢٤) .

٣١١ـ حكايات :

لصالح بن محمد المنتفقى :

الأول : (الحمد لله خالق الأرض والسماوات ، الجواد الذى جاد علينا ببعث سيد الكائنات ...) .

وهى مجموعة من القصص، منها قصة الجمل والغزال، وقصة حاتم وأبى الفوارس وقصة بدور وغيرها .

نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨ م ، عليها تملك مؤرخ سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣م .

الرقم : ١٩٣٧ .

٤٣٠ ص. ٢١ × ١٥ سم. ١٣ س.

٣١٢ـ حكايات :

تبدأ بحكاية أبى شحمة ومجالس لعلماء وبعض رجال الصوفية، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ١٦١٤٥ .

١٤٠ ص. ٢١ × ١٦ سم . ١٧ س.

٣١٣ـ حكايات :

كتبت بخط النسخ ، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ٢٦٠١٤ .

٧٦٠ ص. ٢٢ × ١٦ سم. ١٦ س.

٣١٥ـ حكايات :

تتضمن أخبارا وقصصا لبعض الزهاد ، والمتصوفة ، كحكاية ذى النون المصرى ، وكعب الأحبار، والجنيد البغدادى ، وعبد الله الجوهرى ، وإبراهيم الخواص .

نسخة جيدة الخط .

الرقم : ١٧٨١/ ٢ .

١٤ ص. ٢٠ × ١٤ سم . ١١ س.

٣١٦ـ حكايات :

وهى مجموعة من القصص والنوادر منها حكاية أبو الحسن الخليع ، والحمال والنساء، وحكاية نديم وبديع ، ونوادر الأصمعى ، وحكاية قمر الزمان ، وسيف الملوك وغيرها ، وقد كتبت أغلب الحكايات بأسلوب قريب إلى اللهجة العامية الدارجة .

نسخة جيدة ، ترقى إلى القرن الحادى عشر الهجرى / القرن السابع عشر الميلادى .

الرقم : ٢٣٢٢٠ .

٢٤٨ ص. ٢١ × ١٥ سم. ٢٠ س.

٣١٧ـ حكايات :

وتتضمن حكاية الجارية تؤدد، وحكاية عبد الله بن مبارك والراهب مع أبى بكر.

نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠ م .

الرقم : ٢٤١٦٧ .

٤٤ ص. ٢٢ × ١٦ سم . ١٧ س .

طبعت حكاية الجارية تؤدد، وهى من قصص ألف ليلة وليلة (برواية أبى بكر عبد الرحمن بن هشام اليمانى) ببولاق سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ م .

٣١٨ـ نسخة أخرى :

تتضمن حكاية الجارية تؤدد، كتبها فى بغداد خليل بن إبراهيم ابن حسين سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦ .

١٢٦ ص. ١٩ × ١١ سم. ١٦ س.

٣١٩ـ نسخة أخرى :

ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ١٦٩٠٢ .

١٦٠ ص. ٢١ × ١٥ سم. ١٥ س.

٣٢٠ـ حكايات :

وهى مجموعة من القصص والحكايات منها قصص السندباد البحرى ، ومسرور النصرانى وغيرهما .

ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى، ناقصة الآخر .

الرقم : ١٤١٣ .

٣٤٩ ص. ٢١ × ١٤ سم. ٢٠ س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٤٥ ـ ١٤٨) .

* **الحكايات :**

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٥٤١ .

ـ حكايات في المواعظ والزهد والتوكل .

المؤلف : أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م .

أوله : أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن ... السلمي الدمشقي ... عن محمد بن محمد بن الحسين قال : كتب رجل إلى بعض الزهاد : أنا ـ أكرمك الله ـ رجل من إخوانك قد أوثقتني ذنوبي وكثرت عيوبي فأخبرني كيف تصف دواء للب علي ما ...

آخره : أخبرنا أبو الفتح الحربي ... عن أبي سعيد الخراز قال : دخلت ذات يوم الكوفة وبي فاقة شديدة وكنت كثيرا ما أقصد إنسانا يعرف بالجراري كان يبيع الجرار، فقصدته في حانوته فلم أجده فدخلت مسجدا في جواره انتظره فلما وضعت رجلي في المسجد قلت ... فإذا داخل قد دخل وهو يقول السلام علينا وعلى عباد الله الكذابين ... ثم خرج فخرجت فلم يعط إنسان خبره ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود .

اسم الناسخ : المؤلف .

ملاحظات : نسخة قيمة تبتدئ من الجزء الخامس وهي أجزاء صغيرة وعليها سماعان على المؤلف وسماع على تلميذ المؤلف أحمد بن عبد الدايم المقدسي وسماع على المحدث شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر طرخان الصالحي تاريخ السماع الأول سنة ٥٩٢ هـ والثاني سنة ٦٠٠ هـ والثالث سنة ٦٧٢ هـ وسماع على محمد بن إسماعيل بن كثير سنة ٧٢٤ هـ وعليها خط ابن عبد الهادي .

مصادر عن الكتاب : هدية العارفين ١/ ٥٨٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧٥، مرآة الجنان لليافعي ٣/ ٤٩٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٨ ، ٤٥٩) .

* **حكايات الصالحين :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٩٥١٣ .

كتاب في ذكر حكايات وأشعار عن الصالحين مخروم الأول والآخر معنون بخط حديث باسم حكايات الصالحين .

المؤلف : ؟

أوله مخروم يبتدئ بـ : قال نفسك التي بين جنبيك تشهد اليوم عليك قلت لا يلومني اليوم في محبتك عذول أتأذن لي أن أقول ... ثم ذكر قصة توبة رحمة بنت عبد الله المخزومي رحمهما الله تعالى قال : حدثنا عبد الملك بن جبير قال حدثنا محمد بن سليمان قال بلغنا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان جالسا في ملأ من أصحابه ...

آخره مخروم ينتهي بـ : وأما قولك قاسمتك في مالي فقد قبلت منك مكافأة للإيمان والمعرفة، وأما قولك لأرعى غنمك بلا أجرة فقد أوجبت لك جنتي قلت يا رب مستجيرا ...

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود معنونة بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

* **حكايات الصالحين (علم) :**

قال صاحب مفتاح السعادة :

وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرة . وقد اعتنى بأحوال الصلحاء والأبرار طائفة وأفردوها بالتدوين . وموضوعه ، وغايته ، وغرضه ظاهرة جدا ، ومنفعته أجل المنافع وأعظمها كما لا يخفى .

ولقد صنف في ذلك ابن الجوزي كتاب : « صفوة الصفوة » .

واليافعي كتاب : « روض الرياحين في حكايات الأبرار والصالحين » وغير ذلك من الكتب اهـ .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

قالت : المؤلفة : النسخة التي عندي من كتاب الإمام ابن الجوزي المذكور أعلاه ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام نشرت الكتاب دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م تحت عنوان « صفة الصفوة » ، ويشتمل على أربعة أجزاء في مجلدين .

* **حكايات فحول الرجال :**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي :

الرقم : ١٩٦٤ .

وتتضمن أخبار وحكايات بعض الأعلام والمتصوفة منهم سفيان الثوري، وذو النون المصري ، وإبراهيم بن أدهم ويوسف الصديق ومنصور بن عمار وغيرهم .

نسخة جيدة ، ناقصة قليلا من الأول، ترقى إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

١١٢ ص . ١٧,٥ × ١٣ سم . ١٧ س .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة نـاصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٤٨) .

*** الحكايات (كتاب ـ) :**

كتاب الحكـايات : فى الفروع لمحمد بن شجـاع « بن محمد ابن بكر اللفتوانى المتوفى سنة ٥٣٣ ، ولأبى جعفر الطحاوى .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٣) .

*** حكايات وقصص :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

وهى مجموعـة من القصص والحكايـات المنقولة من مصادر مختلفة ، ناقصة الطرفين فى أولها قصائد لعدد من الشعراء منهم : محمد مهدى الكاظمى ، وابن مقرب والقطامى والمتنبى ، وسعيد ابن يوسف وغيرهم .

نسخة جيدة حديثة الخط ، كتبت على ورق أزرق .

الرقم :

١٧٢ ص .	٢٢ × ١٦,٥ سم .	٢١ س .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العـراقى ـ أسامة نـاصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٤٦) .

*** حكاية :**

من مخطـوطات الأدب فى دار الكتب الظـاهـرية (أو بمكتبـة الأسد) .

الرقم ٣٨٢٤ .

رواها صالح بن على الهاشمى : عن المهتدى بالله ورجوعه عن مقالة خلق القرآن

أولها : « قـال صالح بن على الهاشمى حضرت المهتـدى بالله أمير المـؤمنين وجلس للنظر فى أمـور المظلومين فى دار العـامة ، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها ... » .

آخرها : « قال المهتدى بـالله : فرجعت عن هذه المقالة وأظن أن الواثق رجع عنها من ذلك الـوقت . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد ... » .

الخط نسخ معتاد دقيق كتبه أحمد بن حسن بن عبد الهادى .

(١٤٤ـ١٤٥أ) ٢ ق	٢٧س	١٣,٥ × ١٨ سم

(فهرس مخطـوطات دار الكتب الظاهـرية . الأدب ـ وضعـه ريـاض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٧٨) .

*** الحكاية :**

فيما يلى مـا أورده ابن مالك فى ألفيته عن أحكام الحكـاية فى النحـو مشفوعـا بشـرح ابن عقيل لـلأبيات ، وقـد أشيـر إلى النص بالحرف (ص) وإلى الشرح بالحرف (ش) . قال الناظم :

(ص) احـك « بأى » مـــا لمنكـــور سئل
عنـــه بهـــا فى الـــوقف أو حين تصل
ووقفـــا احـك مـــا لمنكـــور بـــ « من »
والنـــون حـــرك مطلقـــا وأشبعـن
وقـل « منـــان ومنيـن » بعـــد « لـى
إلفـــان بـــابنيـن » وسكـن تعـــدل
وقـل لمـن قـــال أتـت بنـت « منـــه »
والنـــون قبـل تـــا المثنى مسكنـــه
والفتـح نـــزر وصـل التـــا والألـف
بمـن بـإثـــر « اذا بنســــوة كلـف »
وقـل « منـــون ومنيـن » مسكنـــا
إن قيـل « جـــا قـــوم لقـــوم فطنـــا »
وإن تصـــل فلفـــظ « مـــن » لا يختلـــف
ونـــادر « منـــون » فى نظـم عـــرف

(ش) إن سئل « بأى » عن منكور مذكـور فى كلام سابق حكى فى « أى » ما لذلك المنكور من إعراب وتذكير وتأنيث وإفراد وتثنية وجمع ويفعل بها ذلك وصلا ووقفا فتقول لمن قال « جاءنى رجل » أىٌّ ولمن قـال « رأيت رجلا » أيًّـا ، ولمن قـال « مررت بـرجل » أىٍّ وكذلك تفعل فى الوصل نحو أىٌّ يافتى وأيًّا يا فتى وأىٍّ يا فتى وتقول فى التأنيث أيةٌ وفى التثنية أيان وأيتـان ، رفعا وأيين وأيتين جرا ونصبا وفى الجمع أيون وأيات رفعا ، وأيين وأيات جرا ونصبا .

وإن سئل عن المنكـور المذكور « بمـن » حكى فيها ما لـه من إعراب وتشبع الحركة التى على النون فيتـولد منها حرف مجانس لها ويحكى فيها ما له من تأنيث وتذكير وتثنية وجمع ولا تفعل بها ذلك كله إلا وقفا فتقول لمن قـال « جاءنى رجل » منو، ولمن قال « رأيت رجلا » مَنَـا ولمن قال « مررت بـرجل » منى وتقول فى تثنية المـذكر «منان» رفعا ومنين نصبا وجرا وتسكـن النون فيهما، فتقول لمن قال «جاءنى رجلان » منان ، ولمن قـال « مررت برجلين » مَنَيْن ، ولمن قال «رأيت رجلين » مَنَيْن وتقول للمؤنثة منه رفعا ونصبا وجرا فإذا قيل أتت بنت ، فقل منْه رفعا ، وكذا فى الجر والنصب، وتقول فى تثنية المؤنث « منْتان » رفعا ومنتين جرا ونصبا بسكون النون التى قبل التاء وسكـون نون التثنية وقد ورد قليـلا فتح النـون التى قبل التاء نحـو «مَنَتَـان ومَنَتَين » وإليه أشـار بقـوله « والفتـح نزر » وتقـول فى جمع المؤنث «منَـاتْ » بالألف والتـاء الزائدتين كهنـدات فإذا قيل « جاء نسوة » فقل « مناتْ » وكذا تفعل فى الجر والنصب، وتقول فى جمع المذكر «منـون » رفعا ومنين نصبا وجرا بسكـون النون فيهما فإذا قيل «جاء قـوم» فقل مَنونْ ، وإذا قيل « مررت بقوم » أو « رأيت قـوما ! » فقل منينْ .

وهـذا حكم من إذا حكى بهـا فى الـوقف فإذا وصلت لم يحك فيها شىء من ذلك لكن تكون بلفظ واحد فى الجمع فتقول « مَنْ يا فتى» لقائل جميع مـا تقدم وقـد ورد فى الشعر قليلا منون وصلا .

وقال الشاعر:

أتـــوا نـــارى فقلت مَنـــونَ أنتم
فقـــالـــوا الجن قلت عمـــوا ظـــلامـــا

فقال: منون أنتم، والقياس من أنتم

(ص) والعلم أحكينــه من بعــد « مــن »

إن عــريت من عطف بهــا اقتــرن

(ش) يجوز أن يحكى العلم « بمن » إن لم يتقدم عليها عاطف فتقول لمن قال « جاءنى زيد » مَنْ زيد، ولمن قال « رأيت زيدا » من زيدا، ولمن قال « مررت بزيد » مَنْ زيدٍ فتحكى فى العلم المذكور بعد « من » ما للعلم المذكور فى الكلام السابق من الإعراب.

ومن مبتدأ والعلم الذى بعدها خبر عنها أو خبر عن الاسم المذكور بعد من. فإن سبق « من » عاطف لم يجز أن يحكى فى العلم الذى بعدها ما لما قبلها من الإعراب بل يجب رفعه على أنه خبر عن « من » أو مبتدأ خبره « من » فتقول لقائل: « جاء زيد أو رأيت زيدا أو مررت بزيد ومن زيد ».

ولا يحكى من المعارف إلا العلم فلا تقول لقائل « رأيت غلام زيد » من غلامَ زيد بنصب غلام بل يجب رفعه فتقول « من غلامُ زيد » وكذلك فى الرفع والجر. (شرح ابن عقيل / ١٦٧، ١٦٨).

وقال عنها أيضا الآثارى فى ألفيته:

فــى اللفظ إن سئلــت عــن منكــور

بـأى اتبع حــالــة المــذكــور

وصــلا ووقفــا ولــدا وقـف بمن

والنــون أشبـع ومـن الأنثى سكـن

وبعــد « مـن » اتبع حكــايــة العلم

بــدون عــاطـف وإلا الــرفـع عم

قال التهانوى:

الحكاية بالكسر فى اللغة، معنى حكاية الحال الماضية فى عرف العلماء أن يفرض أن ما كان فى الزمان الماضى واقع فى هذا الزمان يعبر عنه بلفظ المضارع وقد يعبر عنه بلفظ اسم الفاعل وليس معناها أن اللفظ الذى فى ذلك الزمان يحكى الآن على ما يلفظ به كما فى قولهم « دعنى من تمرتان » على ما زعمه السيد الشريف فى حواشى شرح المفتاح بل المقصود حكاية المعنى وإنما يفعل هذا فى الفعل الماضى المستغرب كأنك تحضره للمخاطب وتصوره ليتعجب عنه كما تقول رأيت الأسد فآخذ السيف فأقتله وهذا المعنى أخذه المحقق التفتازانى من كلام الكشاف حيث قال: ومعنى حكاية الحال الماضية أن يقدر أن ذلك الماضى واقع فى حال التكلم كما فى قوله تعالى ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ﴾ [البقرة: ٩١] وقد استحسنه الرضى وذكر الأندلسى أن معناها أن تقدر نفسك كأنك موجود فى ذلك الزمان أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن. هذا كله خلاصة ما ذكره الفاضل الجلبى فى حواشى المطول فى بحث الحال.

أقول: اعلم أن العدول من الماضى إلى المضارع لإفادة استحضار صورة ما مضى لأن المضارع مما يدل على الحال الذى من شأنه أن يشاهد فكأنه تستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة الماضية العجيبة ليشاهدها الحاضرون ولا يفعل ذلك إلا فى أمر يهتم بمشاهدته لغرابة أو فظاعة أو تنبيه أو تحسين أو تقبيح أو تهويل أو تعظيم أو إهانة أو غيرها كما فى قوله تعالى ﴿ فتثير سحابا ﴾ بعد قوله تعالى ﴿ والله الذى أرسل الرياح ﴾ [فاطر: ٩] استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة يعنى صورة السحاب مسخرا بين السماء والأرض على الكيفية المخصوصة والانقلابات المتفاوتة هكذا فى المطول فى بحث لو (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٩٨).

ومن الألغاز فى باب الحكاية هذه الأبيات، التى أوردها الأستاذ أحمد محمد الشيخ وعلق عليها قال: قال الملغز النحوى فى هذا الباب:

(فرج بن لب الأندلسى: شرح منظومة الألغاز النحوية، ورقة رقم ٩ مخطوط دار الكتب المصرية (٧ مجاميع ش) أيضا السيوطى الأشباه والنظائر فى النحو جـ٣ ص ٥١، ٥٢).

ومــا الــذى بنى وفى آخــره

دليل إعــراب لــدى تبيــان

وذلك الإعــراب فى اسم ســابق

وذلك الــدليل فى اسم ثــان

يلفى لــديـه عـوضــا من خبــر

أم ليس لــذاك يجتمعــان

مــا حــرف إعــراب بمبنى وقــد

نــاب عن اسم حـل فى المكــان

يعنى هذه الأبيات الأربعة حكاية النكرات بمن نحو (منو) فى حكاية المرفوع و (مَنًا) فى حكاية المنصوب (منى) فى حكاية المجرور، فمن مبنية وهذه العلامة اللاحقة دليل الإعراب الذى فى الاسم السابق، ومن مبتدأ أغنت تلك العلامة عن خبره وقامت مقامه ولذلك لا يجمع بينها وبين الخبر فلا يقال (منو ومنا الرجل)

والبيت الرابع محصل لما تقدم فى الأبيات الثلاثة فالاقتصار عليه وحده مغن عما قبله فيقال:

مــا حــرف إعــراب بمبنى وقــد

نــاب عن اسم حـل فى المكــان

وقال الآخر ملغزا:

(العلامة العصامى « شرح منظومة الألغاز النحوية » ورقة ٨ مخطوطة دار الكتب رقم ٢٩ نحو ش).

« وأين أضحى القــول فى المحكيــه

بــالقــول حتمــا يــا لهــا أحجيــه

وأقول: حاصل هذا البيت فى أى موضع وجب فتح « أن » مع أنها أى بجملتها محكية بالقول؟ والجواب أن ذلك فى مثل قولك

«إن قال زيد أنك عالم أكرمتك » فتفتح « أن » هنا وجوبا لأنها فى الكلام الذى حكيته كانت مفتوحة لكونها مجرورة بلام التعليل المحذوفة ، إذ الأصل : « لأنك عالم أكرمتك » ذكره الدماميني وهو ظاهر » .

وألغز الآخر فى مسائله فقال : « مسألة : اسم مقدر الإعراب بالحرف للتعذر ؟ .

الجواب : هو « تمرتان » في قول الإعرابى (دعنى من تمرتان) على سبيل الحكاية فإنه فى تقدير « دعنى من تمرتين » ذكره مولانا عصام الدين فى شرح الكافية » .

وقال فى أحكام هذا الباب ملغزا (الزمخشرى : الأحاجى النحوية ص٣٣، ٣٤ : تحقيق مصطفى الحدرى، نشر مكتبة الغزالى ، سوريا) .

« أخبرنى عما ينصب ويجر وهو رفع ، وعما تدخله التثنية وهو جمع .

الأول : قول أهل الحجاز لمن يقول « رأيت زيدا مَنْ زيدا ؟ » ولمن يقول « مررت بزيد، من زيدٍ ؟ » يحكون منصوبه ومجروره ويوقعونهما محكيين فى محل الرفع فيمن يقول « من زيد ؟ » فهما مرفوعان محلا على الابتداء وإن كان اللفظ بخلافه، وكما تقول لمن قال « عندى تمرتان : دعنى من تمرتان » فيكون مرفوع اللفظ مجرور المحل وكذلك : قرأت : « الحمدُ لله » و « سورةٌ أنزلناها » مرفوع اللفظ منصوب المحل .

فإن قلت : فإذا قال الحجازى لمن قال جاءنى زيد (من زيد؟) هل لمرفوعه لفظ ومحل كما كان لمنصوبه ومجروره ؟ قلت : أى وعهد الله! هو حاك لمرفوعه بالفاعلية وهو مرفوع بالابتداء، فإن قلت : فلو قال « عندى زيد فقال من زيد » قلت الأمر كذلك للمحل رفع ابتدائى غير محكي عن الرفع الابتدائى المحكى الذى فى اللفظ » .

وقال علم الدين السخاوى رحمه الله معلقا على ذلك وباسطا القول فيه (تنوير الدياجى فى تفسير الأحاجى ، ورقة ٤٣ مخطوطة ميكروفيلم . جامعة الدول العربية ، مصر) « وأقول مستعينا بالله : قوله ينصب ويجر ليس بمستقيم لأن النصب والجر إنما يكون بعامل فى الجر له فى هذا للحكاية، وليست مما أوجبه العامل وليست حكاية الإعراب فى لفظ من قال « مررت بزيد أو رأيت زيدا » بإعراب ، وإذا لم تكن إعرابا لم يكن إطلاق الجر والنصب على ذلك صوابا .

واعلم أنك إذا استفهمت عن علم فعلى لغة أهل الحجاز يحكى إعرابه ، وبنو تميم يرفعون فى الأحوال كلها قال سيبويه : وهو أقيس القولين ، وإنما قال ذلك لأنه إذا قال « رأيت زيدا فقلت من زيدٌ ؟ » علم أنك تريد الاستفهام عمن ذكره ، وذهاب الوهم إلى غير ذلك من البعيد .

وأهل الحجاز يحكون فيقولون إذا قال « مررت بزيدٍ من زيدٍ ؟ » ورأيت زيدا من زيدا » « وجاءنى زيد من زيد ؟ » حرصا على البيان ومبالغة فيه وهذا الخلاف يختص بالأعلام لأنها أكثر ما يقع الإخبار عنه فجاؤوا بالحكاية لئلا يتوهم أنهم بدأوا بالاستفهام عن غير ما ذكر فلو قال قائل : « جاءني أخو زيد ورأيت أخا زيد ، ومررت بأخي زيد » لم يكن للمستفهم عن ذلك إلا الرفع فى اللغتين جميعا، وترك أهل الحجاز الحكاية فى هذا لأنه لم يكثر الإخبار به كثرة العلم ، ولم يقع فى ترك الحكاية ليس ما جروه على القياس وكذلك إن أدخلت على « من » حرف عطف فقلت لمن قال « رأيت زيدا ومن زيدٌ » لم يكن إلا الرفع ولم يخل أهل الحجاز لأن العاطف « يؤذن بأنك لست بمبتدىء وإذا قال « رأيت زيدا وعبدَ الله) قيل « ومن زيدٌ وعبدُ الله » على المذهبين وقد أجاز بعضهم الحكاية في هذا لاحتمال الابتداء والذى أقول أن ينساق هذا الكلام علي طوله لا يتوهم معه الابتداء ووقوع كلام طويل على صورة ما ذكر الأول يرتفع معه توهم الابتداء ، والمحكيان على لغة أهل الحجاز فى موضع رفع على الابتداء والخبر، وفعلك لمن قال «عندى تمرتان دعنا من تمرتان » فتمرتان في موضع جر وفى اللفظ حكاية وقوله فيكون مرفوع اللفظ مجرور المحل ، والرفع هاهنا فى قوله « عندى تمرتان » على الابتداء وقول الآخر « دعنى من تمرتان » حكاية قوله ، وأما قوله (قرأتُ « الحمدُ لله » وقرأت « سورةٌ أنزلناها») فالحمد لله اسم للسورة وكذلك « سورة أنزلناها » كقولك «شَاب قرناها » .

والحكاية على نوعين : حكاية المستفهم للفظ المخبر .

وحكاية ما هو على خلاف ذلك .

فأما حكاية المستفهم للفظ المخبر فأهل الحجاز يأتون بذلك على لفظ المخبر من رفع ونصب وجر وإنما فعلوا ذلك حرصا على البيان ومبالغة فيه ، وخصوا بذلك الأعلام من الكنى وغيرها ، وإنما خصوا به الأعلام لأن العلم قد دخله التغيير بنقله إلى العلمية فالتغيير يؤنس بالتغيير، وأما بنو تميم فلا يحكون ويعربون على أنه مبتدأ وخبر بالرفع فى جميع ذلك والحركة التى يأتى بها أهل الحجاز على اللفظ الذاكر ليست بحركة إعراب وإنما هى حركة حكاية وقال بعضهم : هى فى حال النصب والجر نائبة عن الرفعة التى يستحقها الخبر عن المبتدأ وعلى قولهم هذا يلزم أن تكون فى حال الرفع هى الحركة التى يستحقها الجر لإنابته عنها . وقالوا أيضا: إذا قال « جاءنى زيدٌ فقلت من زيدٌ ؟ » رفعته على أنه فاعل فعل محذوف ليكون محكيا لأن الأول فاعل وكأنك قلت « أجاءك زيدٌ ؟» وهذا ضعيف ساقط لمن تأمل ، وكذلك قالوا فى النصب والجر .

وأما فى الاستفهام عن النكرة فلا يحكى لفظ الذاكر باتفاق بل تقول لمن قال : « جاءنى رجلٌ مَن الرجلُ ؟ » فدلت الألف واللام على أنك تريد الأول لأنَ إذا تقدم أعادت الألف واللام الذاكر إليه ، فإن وقفت جاز أن تأتى بالألف واللام وأن تلحق واوا إذا رفع مخاطبك وياء إن جر ، وألفا إن نصب .

ويحكون أيضا « بأيٍّ » فيقولون لمن قال (جاءنى رجل) أيٌّ فى الرفع وأيًّا فى النصب وأيٍّ فى الجر وأيّان فى التثنية وأيون فى الجمع وأيّين وأيين فى النصب والجر و « أيّة وأيتـان وأيّتين وأيّات » فأفـاد إعراب « أي » البيـان فاستغنى بـه وهذا كله لا يسقـط شيءٌ منه فى الوقف ولا فى الوصل لأنك جعلت ذلك نائبا عن الذى تضاف إليه « أيٌّ » وكـان الأصل « أيُّ رجلٍ ؟ » فحذف ذلك واستغنى بإعـراب « أيٌّ» فلـذلك ثبت فـى الـوقف بخـلاف مـا يـوقف عليـه من المغربيـات . و «أيًّا وأيٌّ » فى حـال النصب والجرّ فى موضع مبتدأ والخبر محذوف أو هو خبر والمبتدأ محذوف والتقدير « أيًّا المذكور أو أيًّا الـرجل » وهذا الذى ذكـرناه فى الاستفهام عن النكـرة فإن كان الاستفهام عن معرفة فالرفع لا غير فى كل حال ، تقول « أى عبد الله وأيُّ الرجل ؟ » وأحد الاسمين مبتدأ والآخر الخبر أيهما شئت جعلته المبتدأ .

ومن الحكاية فى غير الاستفهام ما تراه مكتوبا فتحكيه أو تسمعه فكما سمعته تؤديه وذلك كقوله « رأيت على خاتم الشافعى يثق بالله محمد بن إدريس » فهذه الجملة فى موضع نصب ولا يعرب لفظها ولكن يحكى كما هو ومن ذلك قول الشاعر (من الشواهد النحوية . كتاب سيبويه ٢/ ٦٥ ونسبه إلى بشر بن خازم) :

وجـــــدنـــــا فـى كتـــــاب بنـى تميم

أحق الخيل بـــــالــــركـب المعــــارُ

فأحق الخيل مبتـدأ والمعار خبره ولا يعـرب بوجـدنا بل يحكى لأن العـامل لا يدخل علـى عامل ، والعـامل فى هـذا الابتداء فهـو بمنـزلة الفعل والفـاعل فى قولـه (من الشـواهد النحـوية من بـاب الحكاية) :

سمعت النـــــاس ينتجعـــــون غيثـــــا

فقلت لصيـــــدح انتجعـى بـــــلالا

ومن ذلك قول من قال « دعنا من تمرتان » وأما قول الشاعر :

وأصفـــــر من ضـــــرب دار الملـــــوك

يلـــــوح على وجهــــه جعفـــــرا

قيل كان عليه جعفرا فحكاه ، « وأريد بذلك اقصدوا جعفرا » ولا تثنى هذه الحكاية ولا تجمع ولا تضاف لأنه تزول معانيها باختلاف ألفاظها . قال أبو العباس (أبو العباس أحمد بن ثعلب) :

ألا تـرى أنك إذا رأيت « أحق الخيل بـالـركض المعـار » فى مكـانين لم يجـز أن تثنيه كمـا تقـول رأيت زيديـن وإنما حق هـذه الأسماء التأدية فإن سميت بالمبتدأ والخبر من قولك « زيد الطويل» قلت « رأيت زيـدٌ الطـويل » ومـررت بـزيـدٌ الطـويلُ « ورأيت زيـدٌ الطويلُ » فإن سميت بزيد الطويل من قولك « جاءنى زيدٌ الطويل » قلت (مررت بزيدٍ الطويل) لأن الطويل فى هذا صفة وكذلك «رأيت زيدًا الطويلَ » وقـد وقع فى التسمية على أنه صفة ومـوصوف ، وأما حين كان المسمى بالمبتدأ والخبر فإنه وقع مرفوعا بالمبتدأ كما كان المبتدأ مرفوعا بالابتـداء وكذلك النداء لا يعمل كما لم يعمل غيره ، فلو سميت بمبتدأ وخبر قلت : يا زيـدٌ منطلقٌ ولو بزيدٌ الطويلُ من قولك « جـاءنى زيدٌ الطويلُ » لقلـت « يا زيدًا الطـويل أقبل » لأنه شبه بـالمضاف لطـوله ، وإن سميت بمقسم بـه قلت « رأيت وزيدٍ وجاءنى وزيدٍ » لأن الواو عاملة بمنزلة الباء إذا سميت بزيدٍ ألا ترى أنك تقـول وكذلك الـواو العاطفـة مع المعطوف إذا سميت بـذلك لأنك لا تقول وزيـدٌ إلا وقبله مرفوع وكذلـك إن سميته « وزيداً » أو سميته « وزيدٍ تحكيه » (كتب الألغاز والأحاجى اللغوية/ ٥٧٦-٥٨٢)

(شـرح ابن عقيل على ألفية ابن مـالك ط أمين عبـد المجيد محمـد الـديدى / ١٦٧ ، ١٦٨ ، وط الإدارة المركـزية للمعـاهد الـدينية / ٣٠٥، ٣٠٦، وألفية الآثـارى : كفاية الغلام فى إعـراب الكلام صنعة زَيـد الدين شعبان بن محمد القرشى الآثارى ـ حققه وقدم له د. زهيـر زاهد والأستاذ هلال نـاجى / ١٠٦ ، وكشـاف اصطلاحـات الفنون للتهـانوى ١/ ٣٩٨، وكتب الألغاز والأحاجى اللغوية ـ أحمد محمد الشيخ / ٥٧٦ـ ٥٨٢) .

*** حكاية أبى بكر أحمد بن العباس بن مجاهد المقرئ:**

من مخطـوطات الأدب فى دار الكتب الظـاهـرية بـدمشق (أو بمكتبـة الأسد) جـزء فيـه حكايـة أبى بكـر أحمد بن العبـاسى بن مجاهد المقرئ .

الرقم ٣٨١٦مجاميع ٨٠

أولـه : « أخبرنـا الشيخ الشريف يـونس بن يحير بن أبى الحـر الهاشمى قراءة عليه ، وأنا أسمع ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن عبيـد الله بن نصر بن الزاغـونى ، قراءة عليه ، وأنا حـاضر أسمع ، فأقر به وأجازه ، قيل له : أخبركم الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الواحد بن على بن محمد بن فهد العلاف قراءة عليه وأنا حاضر أسمع ... » .

آخره : « فإذا فيها رقعة مكتوب فيها : من وصلت إليه هذه الصرة فلـه فى كل حـول مثلها ، فقـال : يـا هـذا خذ هـذه واحتفظ بهـذه الـرقعة ، ولك فى كل سنـة مثلهـا . قال : فأخـذت الصـرة والرقعـة ورجعت إلى منزلى وكان سبب غنائى بركة الشيخ ابن مجاهد رحمه الله .

آخر الجزء .

ووافـق الفراغ فى يـوم السبت ١٦ من شوال سنـة ٥٧٤ بـالقاهـرة حماها الله تعالى . وكتب إسماعيل بن عمر بن أبى بكر المقدسى »

النسخة قديمة ومقابلة وعليها سماع فى سنة ٥٧٤ هـ .

(٩ـ ١٤)٥ق ١١س ١٠×١٤سم

(فهرس مخطـوطات دار الكتب الظاهـرية . الأدب ـ وضعـه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٠) .

*** حكاية أصحاب الكهف :**

من مخطـوطات الأدب فى دار الكتب الظـاهرية بـدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٣٧٩ .

المؤلف : مجهول .

ضمنها مؤلفها شيئا من الوعظ والزهد .

أولها : « وسئل ابن عباس رضى الله عنه قال : أى آية أعظم فى القرآن ؟ قال : آية الكرسى . قال : فأى آية أعجب فى القرآن ؟ قال : قوله ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ ... »[الكهف : ٩] .

آخرها : « قال ابن عباس : فقبض الله تعالى أرواح أهل الكهف، وأمر جبريل أن (؟) عليهم الكهف، فلما أبطأ على الملك أقبل الملك ومن معه إلى الكهف، وانطبق الكهف عليهم بإذن الله تعالى، فلم يقدر على الدخول، فسلموا عليهم برؤوس أصابعهم (أناملهم) ورجعوا إلى مدينتهم . تمت » .

نسخة مكتوبة بخط نسخ معتاد، كتبها ناسخ المجموع إسماعيل بن يعقوب بن إسحاق بن عرب الحنفى سنة ٧٣٣.

(٢٤١ب-٢٤٦أ) ٥ق ٢١س ١٧,٥×٢٥,٥سم

نسخة أخرى :

الرقم ٢٦٤

تختلف عن النسخة الأولى قليلاً فى أولها وآخرها .

كتبت بخط نسخ معتاد. بعض الكلمات بالحمرة .

كتبها على بن زيد سنة ١١٨٦ .

(٥٢- ٧٨) ٢٧ق ٩س ١٠×١٥سم

(فهرس الظاهرية ١/ ١٧٨، ١٧٩) .

قالت المؤلفة : أدرج هذا المخطوط فى فهرس التصوف تحت عنوان « حكاية أهل الكهف » بالرقم التسلسلى ٦٣٨ وجاء بيانه كما يلى :

حكاية أهل الكهف :

الرقم ٢٦٤.

قصة أهل الكهف انتقاها الناسخ من بعض كتب الوعظ وفيها شيء من الموعظة والزهد .

المؤلف : ؟

أولها : سئل معاذ بن جبل رضى الله عنه عن هذه الآية وهى قوله تعالى ﴿ إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ فقال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان فى مدينة طرطوس ملك يقال له دقيانوس وكان أهلها من العمالقة ...

آخرها : قال أيها الملأ اصبروا مكانكم حتى أدخل على إخوتى وأخبرهم بما قد جرى لأنهم يظنون أن الزمان كما كان وهم خائفون من دقيانوس فقال نعم ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : على بن زيد .

تاريخ النسخ : سنة ١١٨٦ هـ .

(فهرس الظاهرية . تصوف ١/ ٤٦٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٧٨، ١٧٩، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٦٠) .

* **حكاية الأصوات :**

انظر : الصوت .

* **حكاية أهل الكهف :**

انظر : حكاية أصحاب الكهف .

* **حكاية البسطامى:**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

الرقم ٢٤٠٣٣/ ٥

لم يعلم المؤلف .

الأول : (روى بعض المشايخ الراشدين، أنه كان فى القرن الخامس ولىٌّ يقال له أبو يزيد البسطامى ...) .

وهى حكاية ذات نسيج أدبى صوفى، تحكى أحلام أبى يزيد البسطامى وسفره إلى الحج، وما جرت له من أحداث عند سفره ...

نسخة جيدة، كتبت سنة ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥م .

٨ص ١٩×١٥ سم . ١٨ س .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٤٩) .

انظر : أبو يزيد البسطامى .

* **حكاية بنى هلال :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

الرقم ٣٣٦٣٦.

لم يعلم المؤلف .

وهى حكاية تتضمن قصص أبى زيد الهلالى، وبطولات بنى هلال .

نسخة حديثة ناقصة الأول .

٢٥٧ص . ٢٣×١٧ سم . ٢٣ س .

طبعت أكثر من مرة معجم ٢٠١٥ .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٤٩) .

* **الحُكرى (٦٧٢أو ٦٧٣. ٧٤٩هـ) :**

قال عنه الإمام ابن الجزرى :

إبراهيم بن عبد الله بن على بن يحيى بن خلف أبو إسحاق الحكرى القرشى الشافعى شيخ مشايخ الإقراء بالديار المصرية أستاذ كامل ماهر، ولد سنة اثنتين وسبعين وستمائة، قرأ القراآت بكتب شتى على التقى محمد بن أحمد الصايغ والنور على بن

يوسف بن حريز الشطنوفي والجمال أبي بكر بن أبي العز ناصر المبلط وقرأ قراءة أبي عمرو ثم قراءة ابن كثير إلى آخر سورة النساء على النور علي بن ظهير بن شهاب بن الكفتي وعلى شرف الدين محمد الضرير إمام مسجد الشرابيشي وعرض الشاطبية على الصايغ وعلى الرشيد إسماعيل بن المعلم وقرأها مع الرائية على الحسن بن عبد الكريم سبط زيادة وسمع الحديث من الحافظ الدمياطي وغيره وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس، وتصدر للإقراء وقرأ عليه خلق وانتهت إليه رياسة القراءة والتجويد مع حسن الصوت وجودة الأداء في الديار المصرية ورحل الناس إليه من الأقطار وكان ذا مروءة ونزاهة وقضاء لحقوق الأصحاب مع فقر وجودة طباع ودين، قرأ عليه شيخنا محمد بن أحمد بن علي بن اللبان والشيخ خليل بن عثمان القرافي وإبراهيم بن أحمد الشامي وعباس بن حسين ويوسف بن العالمة الحمصي والعماد أبو بكر النحوي وأحمد بن بيدس الحاجب وزين الدين عبد الرحمن بن الشاهد الدمشقي والشيخ عمر الزيلعي، مات عاشر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالطاعون بالقاهرة (غاية النهاية ١/ ١٧، ١٨) .

وقد أدرجه الدكتور أحمد عيسى في الأطباء في معجمه، وقال بالإضافة إلى بعض ما تقدم : أخذ النحو عن الشيخين بهاء الدين ابن النحاس وأبي حيان ، والأصول عن الشيخ تاج الدين البارنباري، والمنطق عن الشيخ سيف الدين البغدادي، وسمع وحدَّث ودرَّس وأفتى وشغل بالعلم .

وممن أخذ عنه القاضي محب الدين ناظر الجيش، والشيخان زين الدين العراقي وسراج الدين بن الملقن ، وولي تدريس التفسير بالقبة المنصورية بعد موت الشيخ أبي حيان ، ومشيخة الخانقاه النجمية ظاهر القاهرة ، وخطب بجامع الأمير حسين بن صدر، وتصدر به مرة . قال الأسنوي: كان فقيها عالما بالنحو والتفسير والقراءات طبيبا خيرًا متوددًا كريما مع فاقة ، متواضعا ماشيا على طريقة السلف في طرح التكلف . وقال الصلاح الصفدي: أقرأ الناس في أصول ابن الحاجب وتصريفه . وفي التسهيل ، وكان يعرف الطب والحساب وغير ذلك ... إلخ (معجم الأطباء / ٥٧، ٥٨ عن طبقات ابن شهبة / ٧٨) .

وقد أورد الزركلي ترجمة بنفس العنوان للحُكري (إبراهيم بن عبد الله الحُكري، برهان الدين (ـــ ٧٨٠ هـ ـــ ١٣٧٨ م) وقال عنه : نحوي ، من أهل « الحكرة» بقرب الطائف . سكن مصر، وتولى القضاء بالمدينة، وناب بالحكم في القدس والخليل . له «شرح الألفية» لابن مالك في النحو . (الأعلام ١/ ٤٩) .

(غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ١٧ ، ١٨ ومعجم الأطباء، ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ـ د.) أحمد عيسى/ ٥٧، ٥٨، والأعلام للزركلي ١/ ٤٩ عن بغية الوعاة/ ١٨٢ وهدية العارفين/ ١٧) .

* حكَم (ح ك م) :

قال الإمام الراغب الأصفهاني في مادة « حكم » وقد جمع فيها ما نفصله فيما بعد إن شاء الله تعالى :

حكم : حكم أصله منع منعًا لإصلاح ومنه سميت اللجام حكمة الدابة فقيل حكمته وحكمت الدابة منعتها بالحكمة وأحكمتها جعلت لها حكمة وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها، قال الشاعر:

* أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم *

وقوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ [الحج : ٥٢] والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه ، قال تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال :

فاحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمام سراع وارد الثمد

الثمد الماء القليل . وقيل معناه كن حكيما ، وقال عز وجل: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠]، وقال تعالى : ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ [المائدة ٥٠] ويقال حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس، قال الله تعالى: ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] والحكم المتخصص بذلك فهو أبلغ قال الله تعالى : ﴿ أفغير الله أبتغي حكما ﴾ [الأنعام : ١١٤] وقال عز وجل: ﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾ [النساء : ٣٥] وإنما قال حكما ولم يقل حاكما تنبيها أن من شرط الحكمين أن يتوليا الحكم عليهم ولهم حسب ما يستصوبانه من غير مراجعة إليهم في تفصيل ذلك ، ويقال الحكم للواحد والجمع وتحاكمنا إلى الحاكم، قال تعالى : ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ [النساء : ٦٠] وحكمت فلانا ، قال تعالى : ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥] فإذا قيل حكم بالباطل فمعناه أجرى الباطل مجرى الحكم .

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ [لقمان : ١٢] ونبه على جملتها بما وصفه بها . فإذا قيل في الله تعالى هو حكيم فمعناه بخلاف معناه إذا وصف به غيره ، ومن هذا الوجه قال الله تعالى : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ [التين : ٨] وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة نحو : ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] وعلى ذلك قال ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر* حكمة بالغة ﴾ [القمر : ٤، ٥] وقيل معنى الحكيم المحكم نحو : ﴿ أُحكمت آياته ﴾ [هود: ١] وكلاهما صحيح فإنه محكم ومفيد للحكم ففيه المعنيان جميعا . والحكم أعم من

الحكمة فكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة ، فإن الحكم أن يقتضى بشىء على شىء فيقول هو كذا أو ليس بكذا ، قال ﷺ : «إن من الشعر لحكمة » أى قضية صادقة وذلك نحو قول لبيد :

*** إن تقوى ربنا خير نفل ***

قال الله تعالى : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيا** ﴾ [مريم : ١٢] وقال ﷺ : « الصمت حكم، وقليل فاعله » : أى حكمة ، ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ [الجمعة : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ [الأحزاب : ٣٤] قيل تفسير القرآن ويعنى ما نبه عليه القرآن من ذلك ﴿ **إن الله يحكم ما يريد** ﴾ [المائدة : ١] أى ما يريده يجعله حكمة وذلك حث للعباد على الرضى بما يقضيه . قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ **من آيات الله والحكمة** ﴾ [الأحزاب : ٣٤] هى علم القرآن ناسخه ومنسوخه ، محكمه ومتشابهه وقال ابن زيد : هى علم آياته وحكمه . وقال السدى هى النبوة ، وقيل فهم حقائق القرآن وذلك إشارة إلى أبعاضها التى تختص بأولى العزم من الرسل ويكون سائر الأنبياء تبعا لهم فى ذلك . وقوله عز وجل : ﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا** ﴾ [المائدة : ٤٤] فمن الحكمة المختصة بالأنبياء أو من الحكم قوله عز وجل ﴿ **آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ [آل عمران : ٧] فالمحكم مالا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى والمتشابه على أضرب تذكر فى بابه إن شاء الله ، وفى الحديث : « إن الجنة للمحكَّمين » قيل هم قوم خيِّروا بين أن يقتلوا مسلمين وبين أن يرتدوا فاختاروا القتل ، وقيل عن المخصصين بالحكمة .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٦ـ ١٢٨) .

*** حكم :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

الرقم ٣٣٤٢٧ .

تتضمن مجموعة من الحكم والنصائح ، كتبت على لسان الحيوانات ورتبت على أساليب ورياض ، القسم الأول من هذه النسخة ناقص ، وفى أوراقه تقديم وتأخير .

نسخة جيدة ، مؤطرة الصفحات بمداد أحمر ، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى .

٦٤ص . ٢١ × ١٥ سم . ٢١ س .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٤٩ ، ١٥٠) .

*** الحِكَم :**

أحد مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

حكم صوفية أول حكمة : اعلم أن الوقوف مع العبودية هو منتهى أهل المشاهد الملكوتية . وآخر حكمة : يتم بدرك أيها المنتبه إن تحققت فى كل حال أنك به .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الحنفى الدمشقى الخلوتى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م .

أولها : الحمد لله على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم وعلم ، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم والحبيب الأكرم وعلى آله وأصحابه ... فهذه نبذة فى الحكم مرتبة على حروف المعجم ...

آخرها : اللهم يا من هو الحكم العدل ، وله الحكم والتصويف وهو القاهر فوق عباده فلا ينفذ إلا بمداده وهو الخبير اللطيف ... وعلى آله وأصحابه النجوم الطوالع ما بدت لمريد فى سلوكه الطوالع ...

الخط رقعى حديث ، الحبر أسود معنونة بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد خير بن إبراهيم غزال .

تاريخ النسخ : ٣٥ رجب الخير سنة ١٣٤٣ هـ .

نسخة ثانية :

الرقم : ١٠٠٤٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد دقيق ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٦١ ، ٤٦٢) .

*** ابن أبى الحكم (ـ ٥٧٠ هـ / ـ ١١٧٤م) :**

هو محمد بن عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلى ، أفضل الدولة ، أبو المجد بن أبى الحكم : طبيب عالم بالهندسة والنجوم والموسيقى . من أهل دمشق . أندلسى الأصل ، عمل « ارغنا » وبالغ فى إتقانه . وكان يضرب على العود ويزمر (بالناى) وله يد فى سائر آلات الطرب ولما بنى السلطان نور الدين الشهيد البيمارستان بدمشق تولى أعماله ، فكان يدور على المرضى فيه ويكتب لهم ما هم فى حاجة إليه ، فإذا فرغ من ذلك خرج إلى القلعة ليتفقد مرضى السلطان وغيرهم ثم عاد إلى البيمارستان ، فجلس بين يديه الأطباء ، والتلاميذ ، ويستمر فى مباحث طبية مدة ثلاث ساعات .

(معجم علماء العرب ــ باقر أمين الورد ، راجعه كوركيس عواد ١ / ٣٦ ، ٣٧ ، عن الأعلام للزركلى ٧ / ١٤١٠ ، وطبقات الأطباء ٢ / ١٥٥ ، والوافى بالوفيات ٣ / ٣٣٠) .

*** حِكَم أبى مدين :**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٤٤٨ تصوف ١٣٠ .

حكم إلهية ومواعظ على طريقة أهل التحقيق من الصوفية .

المؤلف : أبو مدين شعيب بن الحسن المغربي الأنصاري الأندلسي التلمساني المتوفي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م .

أولها : الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال، فأيما قلب رآه مؤثرا لـه حفظه من طوارق المحن ومعضلات الفتن، الحق تعالى يجرى على ألسنة علماء كل زمان ما يليق بأهله ...

آخرها : وكان آثار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط، ومع الصوفية بالأدب والارتباط، ومع المشايخ بالأدب والاغتباط ... ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار، والصلاة والسلام على نبيه المختار...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : مكي بن عبد النافع بن أبي الوفا بن علوان الحموي.

تاريخ النسخ : جمادى الأولى سنة ١٠١٩ هـ .

ملاحظات : نسخة عادية مراجعة من وقف أسعد باشا العظم .

نسخة ثانية :

الرقم : ٤٠٤٢

أولها وآخرها : كالسابقة مع زيادة بسيطة .

الخط نسخي دقيق، الحبر أسود مجدولة بالأزرق .

اسم الناسخ : محمد بن حسن بن محمد القابوني الشافعي القادري.

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٧ هـ .

مصادر عن الرسالة : فهرس الخديوية ٧/ ٢٢٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٣٠٢/٤، الأعلام ٢٤٥/٣ اكتاد لى التشوف إلى رجال التصوف ص٣١٦ـ٣٢٥ طبع الرباط سنة ٩٥٨ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة ١٧٨ / ٧، المتحف البريطاني متسلسل ٢٣٧رقم ٤٢٧٣ق ٦٨ـ ٧٥ .

قال واضع الفهرس :

طبعة الرسالة : اطلعت عليها مطبوعة مع شرح لها في مكتبة المرحوم الشيخ يعقوب المهتدي .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٧٠، ٤٧١) .

***الحكم الإسلامي :**

عن كيفية الحكم يقول الإمام ابن الديبع :

١ ـ عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة يرفعه إلى معاذ رضي الله عنه « لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال له : كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال : أقضي بكتاب الله . قال : فإن لم تجد؟ قال : أقضي بسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم تجد في سنة رسول ﷺ ولا في كتاب الله؟ قال : قلت أجتهد برأيي ولا آلو. قال : فضرب رسول الله ﷺ صدري، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » . أخرجه أبو داود والترمذي (لا آلو) أي لا أقصر .

٢ ـ وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « سمع رسول الله ﷺ جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال : إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، ولعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، فمن قضيت لـه بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو ليذرها » أخرجه الستة .

٣ ـ وفي رواية للشيخين : « إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضهم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » .

ومعنى (ألحن بحجته) أي أقوم بها منه وأقدر عليها ، من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة .

٤ ـ وعن الأشعث بن قيس : « أنه اشترى رقيقا من الخُمُس من عبد الله بعشرين ألفا فأرسل إليه عبد الله في ثمنهم . فقال : إنما أخذتهم بعشرة آلاف . قال عبدالله : فاختر رجلا يكون بيني وبينك. فقال الأشعث : كن أنت بيني وبين نفسك . فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلف البيعان وليس بينهما بينة ، فهو ما يقول رب السلعة أو يتاركان » . أخرجه أبو داود، وأخرج النسائي منه المسند فقط (تيسير الوصول ٤ / ٤٨، ٤٩) .

وقد أجمل الإمام الشيخ محمود شلتوت ما يتعلق بالحكم الإسلامي في كتابه النفيس «من توجيهات الإسلام» فقال رحمه الله :

السيادة والحكم لله والأمة مستخلفة :

يقرر القرآن الكريم صراحة : أن الله سبحانه هو الخالق للكون وما فيه من كائنات، فهو رب الناس، رب العالمين، وأنه مالك الملك يؤتيه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء، فهو السيد المطلق وحده، والناس كلهم عبيده، وهم سواء في درجة العبودية لله، كما أنهم سواء في نسبتهم إلى الخالق المالك، لا يتفاضلون إلا بمبلغ إيمانهم بالله، واستمساكهم بشرعه، ومدى ما يقدمونه من خدمات لصالح المؤمنين .

ويقرر القرآن الكريم أن الله استخلف آحادا من الناس خصهم برحمته، وحملهم هدايته إلى الناس، ابتغاء سعادتهم في الدنيا والآخرة ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ [البقرة : ٣٠] ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة** ﴾ [ص : ٢٦] ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا** ﴾ [آل عمران : ٣٣] ... إلخ .

كما أنه تعالى استخلف الشعوب والجماعات، ووكل إليها مثل ما وكل إلى الرسل والهداة من رسالات ﴿ **وجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح** ﴾ [الأعراف : ٦٩] وتلك سنة الله في الناس منذ خلقهم : يستخلف شعبا أو جماعة يحملها الرسالة العامة ، ثم يصطفي منها فردًا يجعله مناط وحيه، ورسوله إلى الناس بالهداية . ولن تلغي

مسئولية الرسول مسئولية الشعوب أو الجماعات ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

ولقد اتجه القرآن الكريم في خطابه العام بجميع أنواع التشريع إلى الجماعة، لأن لها الاعتبار الأول في الرعاية والمسئولية فناداها بوصف الإنسانية تارة وبوصف الإيمان تارة، وخاطبها بإطلاق تارة أخرى . « يأيها الناس ... يأيها الذين آمنوا ... أقيموا الصلاة ... افعلوا الخير. فاقطعوا ... فاجلدوا . إلخ » .

وبهذا سلط الجماعة على الفرد وكلفها بتنفيذ الشرع واختيار طريقة التنفيذ والإشراف على المنفذين من الأفراد. وجعل الحكم أمانة يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل، وخدمة للمسلمين عامة، ولم يجعل لغيره بالحكم أي لون من ألوان السيادة على العامة ، لأنه وحده السيد المطلق والناس جميعا عبيده . وقطعا لما عساه يتوهم من سيادة للحاكم على المحكومين كما كان شائعا قبل الإسلام ، جعل الحكم حقا له في الأصل وللأمة المستخلفة بطريق التبعية ، وللخليفة بطريق الوكالة عن الأمة التي نصبته ، ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [يوسف : ٤٠] ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ [هود : ٤٥] ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] وهكذا يجعل الإسلام الحكم حقا للأمة التي استخلفها في الأرض واستعمرها فيها، ومنحها وصف السيادة عن هذا الطريق على كل فرد منها ولو كان حاكما .

الشورى أساس الحكم :

وزيادة في تأكيد هذا المعنى السامي الذي لم يسبق الإسلام إليه ، قرر أن يكون الحكم شورى بين المسلمين، وأمر الرسول المعصوم أن يشاور المسلمين في أمرهم ، وهو بالطبع لا يشاورهم فيما هو من شأن الوحي والتشريع ، بل في غيره . وأهم أمر المسلمين مما لا دخل للوحي فيه، هو أمر الحكم، وهو موضع الشورى بينهم لا يستبد به الحاكم ولو كان رسولا معصوما ﴿وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى : ٣٨] ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [ق: ٤٥] .

أما ما هو شكل الشورى؟ وما هو مداها ؟ فقد ترك ذلك للأمة تشكله حسب ما ترى من مصلحتها في كل مكان وزمان ، فالمبدأ ثابت دائم ولا رأي لأحد فيه . ولا تملك الأمة تغييره لأنه تشريع دائم والشكل متغير متطور. للأمة الرأي في تغييره وتطويره برأي ذوي العلم والخبرة من بنيها، وهم أولياء أمرها وأهل الحل والعقد فيها .

ولقد كان هذا مفهوما عند المسلمين الأولين ، فهذا الحباب بن المنذر يغير الوضع الحربي للمسلمين في بدر، بعد أن علم أن الرسول لم ينزلهم المنازل الأولى التي عدل عنها بوحي. وهذا سعد ابن معاذ يمزق ورقة المعاهدة التي عقدها الرسول مع أهل الطائف في غزوة الأحزاب ، بعد مفاوضات طويلة بين الرسول وبينهم . وذلك أن الحصار اشتد على المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا، فرأى عليه السلام أن يصنع شيئا يخفف به متاعبهم ويفرق جمع الأعداء، فدخل في مفاوضات مع أهل الطائف، واتفقوا على أن يرجع الطائفيون ولهم ثلث ثمار المدينة ، فسأل سعد رسول الله عن ذلك وهل للوحي دخل فيه ؟ فقال له عليه السلام : إنما هو أمر صنعته لكم رجوت من ورائه الخير، فأخذ سعد المعاهدة ومزقها ــ وقد كانت معدة للتوقيع ـ قائلا : إنهم لم ينالوا منا ثمرة إلا قِرَى، أفبعد أن أعزنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة؟ لا والله فلم يغضب الرسول، وسر بذلك المسلمون جميعا .

وهذه الحادثة تضع تقليدا دستوريا هاما للمسلمين ، هو أن الحاكم ـ ولو كان رسولا معصوما ، يجب عليه ألا يستبد بأمر المسلمين، ولا أن يقطع برأس في شأن هام ، ولا أن يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأي التزام دون مشورتهم ، وأخذ آرائهم ، فإن فعل كان للأمة حق إلغاء كل ما استبد به من دونهم ، وتمزيق كل معاهدة لم يكن لهم رأي فيها ...

أهل الحل والعقد :

وليضمن الإسلام تنفيذ أوامره أمر أن تكون في الأمة جماعة دائمة، تدعو إلى الخير. وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وهذه الجماعة غالبا تكون من أهل العلم والبصر بأمور الدين والدنيا. ومن كل ذي رأي وخبرة في ناحية من نواحي الحياة . وكل فرد من المسلمين يرى نفسه أهلا للقيام بذلك ، فحق عليه كالصلاة والزكاة والصيام والحج أن يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والغرض من ذلك ضمان صلاح المسلمين في دينهم ودنياهم، وتقويم المعوج من أمورهم. وبهذا يتضامن أفراد الأمة جميعا في كفالة صوالحها ودفع الشر عنها . وكل فرد هذا شأنه مسئول عن صالح الأمة مسئولية تامة لا يخلصه منها إلا أداؤها واحتمال تبعاتها بصبر وأمانة ، ولا يعفيه من الحساب عليها عذر مهما كان .

من هذه المسئولية ينشأ التضامن الجماعي بين الأمة، وتنشأ مسئولية الجماعة عن أمورها كافة، وتحمل من تبعة فساد أمرها مثل ما يحتمله الحاكم الذي جرى الفساد على يديه، إن لم تكن مسئوليتها أكبر وأخطر.

الحاكم وكيل الأمة :

ولهذا كان من حق الأمة أن تختار حكامها، تعينهم ، وتعزلهم، وتراقبهم في كل تصرفاتهم الشخصية والعامة ، فالحاكم يجب أن يكون حميد السيرة، فإن ساءت سيرته فللأمة عزله، ويجب أن يكون عادلا، فإن ظلم فللأمة عزله . ويتفق الفقهاء على أن « خليفة المسلمين » هو مجرد وكيل عن الأمة يخضع لسلطان موكله في جميع أموره؛ وهو مثل أي وكيل لفرد من الأمة في البيع والشراء يخضع لما يخضع له الوكيل الشخصي.

كما يجمعون أن موظفى الدولة الذين يعينهم الخليفة أو يعزلهم، لا يعملون بولايته ولا ينعزلون بعزله باعتباره الشخصى، وإنما بولاية الأمة وعزل الأمة التى وكلته فى التولية والعزل، ولهذا إذا عُزل الخليفة لا ينعزل ولاته وقضاته؛ لأنهم يعملون باسم الأمة وفى حق الأمة، لا باسم الخليفة ولا فى خالص حق الخليفة.

خليفة المسلمين فرد عادى:

كما أجمع الفقهاء على أن خليفة المسلمين ورئيس دولتهم ليس إلا فردا عاديا من الأفراد. لا يمتاز على واحد منهم إلا بثقل مسئوليته كوكيل عنهم؛ فيؤخذ بالقصاص إذا قتل عمدا، ويحتمل المغارم التى يلحقها بالناس، ويلزم برد ما يغتصبه من الأفراد ويجلد حد الزنى إذا زنى، وتقطع يده إذا سرق، والأمة صاحبة الولاية عليه فى كل ذلك، تقيم عليه الحدود وتنفذ عليه الأحكام.

ومن هنا نفهم لماذا كان القضاة فى صدر الإسلام يحكمون على الخلفاء، ويسوون بينهم وبين خصومهم فى مجالس القضاء، وينفذون عليهم أحكام الله. لأن هؤلاء القضاة كانوا يفهمون: أن الخليفة الذى يحاكمونه إنما ولاهم بسلطان الأمة، فهم قضاتها لا قضاته.

وإذا عرفنا أن الرسول ﷺ كان يقيد من نفسه ويقول: « من جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ... إلخ »، وأن الراشدين جميعا كانوا يشترطون لطاعة الناس لهم أن يطيعوا الله فى سيرتهم الشخصية وسيرتهم العامة، لأنه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ».

وإذا كان الفسوق الشخصى فى السيرة الخاصة معصية لله، فالظلم فى الرعية، والجور فى الحكم، وأكل حقوق الناس بالباطل، وتعطيل حرياتهم من أكبر المعاصى عند الله، ومن هذا ترون أن كلمة « السلطان ظل الله فى الأرض » لا أصل لها فى الإسلام.

الحريات العامة وحدود التمتع لها:

وإذا كان الإسلام يقرر الحريات العامة للناس كافة، حرية العقيدة، حرية الرأى حرية الاستيطان، حرية التملك، حرية التنقل، وكل ما تشتمله كلمة حريات، ويرى أن إطلاق الحريات فى مصلحة الدولة نفسها بقدر ما هو فى مصلحة الأفراد، فإنه يشترط لتمتع كل فرد بحرياته، ألا يكون ذلك عن طريق الطغيان على حريات الآخرين، أو عن طريق الإضرار بصالح الدين والدولة فإذا اعتدى فرد على حرية فرد آخر، أو كان تمتعه بحريته مضرا بالدين أو الدولة، مثل أن يستغل حريته فى الطعن على الإسلام، أو إفساد أسرار الدولة، أو التجسس عليها ونقل أخبارها إلى أعدائها وما شابه ذلك، وجب على الدولة أن تقيد حرية الفرد، لأن ذلك هو مصلحته ومصلحة الدين والدولة، ويقابل هذا أن الدولة لا تملك حق تقييد الحريات إلا عن هذا الطريق، فإذا قيدت حرية شخص مّا بلا موجب، فلا طاعة لها عليه.

التنظيم الاقتصادى:

والإسلام أول تشريع عام يربط السياسة بالاقتصاد، ويرتب على هذا الربط أمن المجتمع واستقراره، فهو يقرر الزكاة وهى نسبة معلومة على قدر معلوم من الأموال والحيوان والزروع والثمار، ويقرر الإنفاق المطلق على كل غنى حسبما يملى عليه إيمانه وشعوره بالمسئولية لصالح الدين والدولة وأفرادها، ولم يحدد فيه نسبة خاصة امتحانا للمؤمنين، واختيارا لمدى شعورهم بالصالح العام الذى يتطلب غالبا نفقات تقصر عنها موارد الزكاة المحددة، فإذا لم ينفق كل ذى سعة من سعته فللدولة أن تشرع ما يلزم الأغنياء بالإنفاق على حاجات الدولة عند اللزوم، حتى رأينا « أبا ذر » يبالغ فى ذلك، ويحاول أن يحمل معاوية والخليفة عثمان على أن يقرَّاه على أن يمسك الغنى قوته ويتصدق بكل ما يزيد عليه، فأجابه عثمان: دع الناس لما تركه الله إليهم: فإنا لا نكره الناس على الطاعة.

وإلى جانب هذا يأمر بالتصدق تطوعا عند الاقتضاء، إذكاء لروح التكافل والتضامن بين المسلمين.

وبنظرة بسيطة إلى مصارف الزكاة والإنفاق والصدقات، ترى أن الإسلام يعمل على تمليك كل فقير محروم، ليشعره بعزة وكرامة، وليجعل منه لبنة قوية فى بناء الدولة، لا يلبث كثيرا حتى يكون من المساهمين مع غيره فى إنشاء هذه الملكيات الصغيرة الجديدة التى يهدف الإسلام إلى نشرها والإكثار منها فى دولته، حملا للناس على العمل، وقضاء على التعطل، وإشعارا لهم بالكرامة، وإرضاء لما فى غرائزهم من حب التملك، فى الوقت الذى يهذب فيه هذه الغرائز ويحد من جموحها فى الموسرين.

وإذا ضممت إلى ذلك نظرة إلى تشريع الإسلام فى المواريث، وجدت بوضوح أنه يعمل على الحد من تضخم الثروات بتجزئة التركات، كما يحد منه بالزكاة، والإنفاق والصدقة ... وفى نفس الوقت الذى يهد فيه التضخم فى الملكيات والثروات يبنى ملكيات صغيرة وثروات صغيرة.

وهو بذلك يعالج أخطر مشاكل البشرية علاجا ناجعا حاسما باسم الدين الذى لا مناص من التزامه: مشكلة الفقر الذى يدفع إلى الحسد والجريمة، والتربص بالأغنياء، ومشكلة الغنى الفاحش الذى يدفع إلى البخل، والخوف من الفقراء. وكراهيتهم، والعمل على إذلالهم وظلمهم وإضعافهم، حتى لا يسلبون ما فى يد الأغنياء، ولو أدى ذلك إلى الجريمة، ومشكلة الغرور القاتل فى نفوس الأغنياء، والتعالى والتجبر بكثرة المال، ومنعهم من الجنوح إلى الشر فى الحفاظ على أموالهم والحد من جموح غرائز التملك فيهم، ومشكلة الشعور بالحرمان عند الفقراء الذى يدفعهم إلى إرضاء غرائز التملك فيهم ولو عن طريق الجريمة، والقضاء على الميل إلى الشر فيهم.

وعن طريق هذا العلاج المزدوج المادى والروحى، يضمن

الإسلام فى مجتمعه سيادة المحبة والمودة والرحمة ، كما يضمن أمن المجتمع واستقراره، وإشاعة السلام فيه وهو أمر لم تزل البشرية جاهدة فى بلوغه، وإدراك أسبابه . وهيهات هيهات أن تصل إليه إلا عن طريق الإسلام .

خلاصة المبادئ الإسلامية فى الحكم :

ومن هذا نخلص إلى المبادئ الآتية :

١ ـ السيادة : لله وحده لأنه الخالق المالك . وهى فى كل شعب للشعب نفسه بعد الله الذى استخلفه فى وطنه .

٢ ـ الحكم : لله وهو حقه وحق الشعب يباشره نيابة عن الله .

٣ ـ الحاكم : وكيل للأمة وليس له عليها سيادة بل هى سيدته وهو خادمها الأمين .

٤ ـ الشورى : أساس الحكم وكل حكم لا يقوم على الشورى لا يكون شرعيا .

٥ ـ التضامن الجماعى : الأفراد جميعا يتضامنون فى المسئولية عن صوالحهم وصالح الدين والدولة .

٦ ـ الرقابة الشعبية : حق للأمة أن تراقب حكامها، وتحاسبهم، وترسم لهم خطوط تدبير مصالحها، وتشرف على التنفيذ، وتعدله حسب مصلحتها .

٧ ـ عزل الخليفة : للأمة إن جار وظلم وظهر غشمه ولم يرعو لناصح أو زاجر فإن رفض العزل عزلته بالقوة ، ولو أدى ذلك إلى نصب الحرب وشهر السلاح فى وجهه إذا رأت الأمة ذلك فى مصالحها .

٨ ـ أهل الحل والعقد : هم أهل العلم والرأى والخبرة فى كل نواحى النشاط الحيوى بالأمة، وهم لسانها المعبر عن رضاها وسخطها، ومن حقهم ترشيح أصلحهم للخلافة، وتقديمه للأمة لترى رأيها فيه عن رضى واختيار، دون ضغط أو قهر، ومن حق كل مسلم أن يكون له رأى فى اختيار الخليفة، وأن يمكن من إعلان رأيه بحرية تامة ، دون أن يضار بسبب رأيه ولو خالف الأغلبية ، وعليه مع هذا أن يلزم الجماعة (من توجيهات الإسلام/ ٥٢٨ـ٥٣٦) .

وللشيخ الإمام محمد أبى زهرة بحث نفيس بعنوان « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » سبق أن أوردنا جزءا منه فى مادة « حقوق المرأة فى الإسلام »، وهذا الجزء الذى ننقله هنا يختص بتعريف أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم ، وتطبيق ذلك فى عصر الراشدين . قال رحمه الله :

لا نريد أن نبسط فى هذا الموضوع : نظام الحكم فى الإسلام، سواء أكان مشتقا من أعمال الحكام الذين حكموا وسيطروا، أم كان مما استنبطه العلماء من أحكام تتعلق بالحكم وواجبات شعبه المختلفة، ووظيفة كل شعبة من الشعب، لأن ذلك موضوع يطول القول فيه ، وهو علم يدرس فى الدراسات العليا بكليات الحقوق، وفيه بحوث مستفيضة تصدى لها باحثون من المشتغلين بالعلم، الإسلامى، ولكنا نكتب فى أصول الحكم الإسلامى والينابيع التى تستمد منها سلطاته المختلفة ، ونقصد إلى ذلك ، لأن كثيرين ممن يعملون على تشويه الحكم الإسلامى يتكلمون فى هذا الحكم ويأخذونه من معاملة الحاكمين لرعاياهم ، ويزعمون أن ذلك هو حكم الإسلام وما هو إلا حكم الطغيان، ولقد كان أولئك الحكام يرتكبون ما يرتكبون باسم أنهم خلفاء الإسلام ، ومنهم من تطاول فى القول حتى سماهم خلفاء الله تعالى، كما كان يجرى على لسان الحجاج بن يوسف الثقفى وأشباهه ممن كانوا يضيفون قدسية إلى ملوكهم الذين ولوهم وأرادوا تثبيت ملكهم بكل الوسائل ما حل منها وما حرم .

وكان من هؤلاء الملوك من كانوا إذا فتحوا بلدا إسلاميا فرضوا عليه الجزية كما فرض سلطان الأتراك الجزية على مصر وغيرها من البلدان المفتوحة، ومع ذلك تسمى أولئك السلاطين بأمراء المؤمنين، وكانوا يفرضون سلطانهم باسم الدين ، ويلزمون الناس بطاعتهم باسم أنهم أمراء المؤمنين، متمسحين بقوله تعالى :

﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ [النساء : ٥٩] .

فأخذوا بجزء من الآية، وتركوا الجزء الآخر، ومن الناس من ذهب به فرط ضلاله إلى وجوب طاعة الحاكم مطلقا ولو كان غير مسلم يمتص خيرات المسلمين ، وأدخلوه فى ضمن أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم ، لذلك حق علينا أن نبين من هو جدير بذلك الاسم، اسم ولى أمر المسلمين، ولا نستمد ذلك من أعمال الحكام الذين جاءوا بعد عصر الراشدين، ولا من أقوال الذين لا يستمدون أقوالهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نستمده من الكتاب والسنة . وننظر إلى تطبيق ذلك فى عصر الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين .

وأول أمر ترى الإسلام شدد فيه هو أن يكون أمر المسلمين شورى فيما بينهم ، فالخليفة يختار بالشورى وأعماله كلها تكون مقيدة بالشورى، وقد جاء النص القرآنى الكريم بوجوب الشورى فى أساس الحكم ، وفى فروعه فقد قال تعالى فى وصف المؤمنين الصادقين فى إيمانهم :

﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون** ﴾ [الشورى : ٣٨، ٣٩] .

وترى من هذا النص أن الله تعالى يوجب أن يكون فى المؤمن

خمس خصال هى بناء الجماعة الإسلامية، والأولى هى الطاعة لله تعالى بالاستجابة إليه وحده وعدم الاستجابة لغيره إلا من وراء الاستجابة له سبحانه، بمعنى أنه لا يطاع إلا فيما يكون فيه طاعة لله تعالى، والخصلة الثانية تطهير قلبه بالعبادات التى تطهر القلب وتهذب النفس وتربى الوجدان، وذكر أوضحها فى ذلك وهى الصلاة، والخصلة الثالثة أن يكون حكم المسلمين بالشورى الجامعة لا بالاستبداد المفرق، والخصلة الرابعة: التعاون المادى بسد حاجة المحتاجين، والخصلة الخامسة: ألا يخضعوا لظلم قط، وأن يدفعوه حيث كان وأنى يكون، فليس بمسلم صادق الإيمان من يرضى بالدنية فى دينه، ومن يرضى بالظلم ينزل به، ولقد روينا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: « أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر » وهذا هو الذى أشار إليه النص الكريم بقوله تعالى:

﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ [الشورى: ٣٩].

وقد أكد طلب الانتصاف من الظلم وحمل الباغى على الحق بتأكيدات بلاغية واضحة، ولقد قال تعالى آمرا نبيه بصفته الحاكم الأعلى:

﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فجعل المشاورة واجبة قبل العمل، وكثيرا ما كان يرى النبى الرأى فى أمر الحرب وينبهه إلى خطأ الرأى بعض أصحابه، كما حدث فى المنزل الذى اختاره للقتال فى غزوة بدر، فنبهه بعض الصحابة إلى غيره فعدل بعد أن اقتنع.

ولقد قرر فى غزوة أحد أن يبقى فى المدينة حتى إذا جاءت قريش إلى أزقتها وطرقاتها الضيقة انتصف المسلمون منهم، وقد رأى ذلك الرأى شيوخ المدينة، ولكن شبابها وخصوصا الذين لم يحضروا بدرا رأوا غيره وكانوا الكثرة فنزل عند رأيهم وإن كان رأيه غيره، لأنه يسير على نظام الشورى ويربى الأمة عليه، ويبتدئ هو بفرض الخطأ فى رأيه ولا يفرض الصواب دائما، وإن الفرق بين الحاكم المستبد والحاكم الحر الذى يفرض الأمر شورى هو أن المستبد دائما يفرض فى رأيه الصواب الذى لا يحتمل الخطأ، ويتحكم فيفرض فى رأى غيره الخطأ الذى لا يقبل أن يكون صائبا، هذا إذا كان مخلصا فى طلب الحق وإن كان مستبدا، أما إذا كان غير مخلص فإنه يجعل شهواته حكما ورغباته رأيا مفروضا لا رجوع فيه.

والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى تدبير شئون السياسة وفى تنظيم الأمور الخاضعة للمبادئ المقررة الثابتة النازلة بوحى من السماء كان يعمل الاستشارة دائما، لا على أنها تبرع يتبرع بها بل على أنها واجب عليه بصفته حاكما، ولذا روى عن النبى عليه السلام أنه قال: « ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار » ومعنى استخار أى بحث عن خير الأمور وطلبها، فالنبى يطلب ممن يقوم بعمل عام أو خاص أمرين:

أحدهما - أن يتخير الأمور بعقل خال من الهوى والشهوات ليدرك الحسن منها.

وثانيهما - أن يستشير غيره، فإن القرطاس لا يقرأ إلا من وجهه، ونظره هو مهما يكن خاليا من الهوى قد يكون جانبيا، فيجب أن يستعين بغيره ليرى من كل الجوانب، وإذا كان ذلك أمرا لازما بالنسبة للأعمال الآحادية فهو ألزم وأوجب بالنسبة للأعمال الجماعية.

وإن الشورى فوق أنها تعريف للصواب هى تربية للأمة على الإدراك الصحيح فى عامة الأمور، وهى التى تتفق مع النظام الحر السليم، وخير للجماعات أن تخطئ فى رأى تبديه وهى حرة، من أن تفرض عليها آراء صائبة، فإن صوابها يكون مقترنا بإرهاق نفسى وضغط للإرادة، وذلك أشد ضررا فى تكوين الأمم.

ومع أن الحكماء قرروا أن أمثل نظام للحكم هو حكم الفرد العادل، قرروا أنهم لا يوصون به، بل يوصون بحكم الشعب، لأن صلاح حكم الفرد قريب من فساده، وأخطر حكم هو حكم الفرد الفاسد، على أن نقول إن الفرد العادل الصالح لن يرضى لنفسه أن ينفرد من غير استشارة. لأن العادل لا يفرض الصواب المطلق فى فعله دائما.

ــ هكذا حكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينفذ الأحكام المقررة بالشورى، أما ذات المبادئ التى تنفذ فإنها بوحى من الله تعالى.

ولما جاء بعد وفاته عليه السلام الراشدون من أصحابه أقاموا دعائم الشورى فى أصل اختيار الحاكم الأعلى وفى تنظيم الأمور، كما كان يفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وخصوصا الأمور التى تكون أصلا لنظام معين يريد اتباعه ويرسم فيها منهاجا، فإن الراشدين كانوا يستشيرون فيه، أما اختيار الحاكم الأعلى بالشورى، فقد سلكوا له ثلاث طرق.

أولها ــ الاختيار الحر من غير ارتباط بوصية الحاكم السابق، وهذا ما كان فى اختيار أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن كبار الصحابة اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة وتداولوا فيما بينهم فيمن يكون خليفة أيكون من المهاجرين أم يكون من الأنصار، وقد انتهى رأيهم على أن يكون من قريش، لمكان قريش فى العرب، ولأن الحاكم الأعلى يجب أن يدين له العرب، وخصوصا أن الإسلام بعد لا يزال جديدا فيهم، والأعراب منهم أسلموا، ولمّا يدخل الإيمان قلوبهم، كما قال الله تعالى:

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ [الحجرات: ١٤].

ولقد بيّن أبو بكر فى خطبته ضرورة أن يكون الإمام من قريش، وجاء فى آخر خطبته « لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش » وبايعه الناس على ذلك.

الطريقة الثانية - أن يوصى الخليفة الخليفة من بعده، ومعنى

ذلك أنه لا يريد أن يكون أمر المسلمين من بعده فوضى يتحيرون فى اختيار رجل، فيرشح من يراه أمثل ومن يرى أنه شاركه فيما قام به من أعمال، ولا يعد وليا للعهد، إنما هو اقتراح منه، كما يفعل ذلك بعض رؤساء الجمهوريات فى ترشيح من يخلفهم والدعاية لهم أحيانا، وقد فعل ذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه فهو الذى رشح الإمام عمر، ودعا إلى بيعته والموت يدب إليه دبيبا فى مرضه الذى مات فيه، وقد تمت البيعة لعمر رضى الله عنه بهذا الترشيح، وكان الانتخاب الحر هو تلك البيعة الصحيحة التى تشبه العقد بين الحاكم والمحكوم، وهو يفرض على المحكوم الطاعة فيما لا معصية فيه لله ولرسوله، ويفرض على الحاكم العدل وتنفيذ أحكام القرآن والسنة، والقيام بما هو فى مصلحة المسلمين، ولا شك أن هذه الطريقة لا ضرر منها ما دام الحاكم يرشح من غير هوى، فلا يرشح قريبا لقرابته، ولا رجلا لمجرد محبته، وما دام يترك الناس أحرارا فى الموافقة على الترشيح بالبيعة الحرة التى لا يعتريها ريب، وحسب هذه الطريقة فضلا أن سلوكها جاء بعمر رضى الله عنه.

الطريقة الثالثة - أن يرشح الخليفة عددا ليختار المرشحون واحدا منهم اختيارا سليما من كل الوجوه ويعين لهم مدة للاختيار حتى لا يطول الأمد، وبطول الأمد يستمر الاختلاف وقد يتفاقم، وقد فعل ذلك الإمام عمر رضى الله عنه، فقد رأى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تركها من غير وصية، ورأى أن أبا بكر أوصى بها، فتركها وسطا لم يعين واحدا، بل عينها فى ستة مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض، وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وقد فوض ثلاثة منهم الأمر لعبد الرحمن بن عوف، واجتمع الناس فى المسجد فعرض عبد الرحمن علىّ عليٍّ أن تكون البيعة له على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبى بكر وعمر من بعده، فقال متعهدا أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومن بعد يجتهد رأيه، ثم قال لعثمان مثل ما قال لعلى رضى الله عنهما فأجاب أنه يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين من بعده، فبايع عثمان، ولا نستطيع أن نقول إن هذه الطريقة غير سليمة، وإنها لصحيحة وقد اختارها عمر، وهو الذى قال فيه النبى: « إن الله كتب الحق على لسان عمر وقلبه ».

ولكن هل نفذت وصية عمر تنفيذا دقيقا؟ أحسب أن التنفيذ الدقيق أن يختار كل منهم واحدا، سواء أكان منفردا أو متبادلا الرأى مع سائرهم، والفكرة التى عرضها الصحابى الجليل عبد الرحمن ابن عوف كان يجب عرضها على أهل الشورى، وهم هؤلاء الستة قبل أن تعرض على عثمان وعليٍّ فى المسجد الجامع للمسلمين، وهى التزام الخليفة الجديد أن يعمل بسنة الشيخين، وإن ذلك التطبيق الذى سلكه ذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ينتهى إلى أن الأمر كأنه فوض إليه فقط، لأن الآخرين تركوا آراءهم، وانتهى الأمر بمبايعة الناس لعثمان بدل على، ومهما يكن فقد انتهى الأمر باختيار ذى النورين رضى الله عنه، فهو من السابقين المقربين الفائزين برضوان من الله، وقضى الله بذلك أمرا كان مفعولا.

هذه هى الطرق الثلاث التى كان يسلكها الصحابة فى اختيار الخليفة الأعظم، وكلها طرق شورية، وليس منها أن يعهد الخليفة إلى ابنه، لأنه فى هذه الحال يلتبس الحق بالمحبة الأبوية، وتصير مُلكا بعد أن كانت شورى، ولذلك ورد الأثر بما يشير إلى أنها صارت ملكا، فقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: « الخلافة بعدى ثلاثون، ثم تصير ملكا عضوضا » أى يعض عليه بالنواجذ، وذلك هو الذى كان فإن خلافة الإمام على كرم الله وجهه تنتهى سنة أربعين من الهجرة، أى بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاثين سنة، وهى آخر خلافة شورية، قام الحكم فيها على الشورى، وهى التى لم يكن رأى فيها لأهل الشام الذين كانوا محكومين بهرقل ملك الروم، وكان لهم أنس أو خضوع للملكية فى كل صورها.

وكانت الأمور فى عهد الراشدين تسير بالشورى، فأبو بكر كان ينفذ ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن تنفيذ ذلك الحكم لا مجال للرأى فيه، فإن لم يكن أو كانت الأمور التنفيذية ملتبسة فإن الشورى هى أساس حكمه، فكان كلما ادلهم أمر جمع الصحابة واستشارهم، وقد نفذ أمر الله فى أهل الردة، وقد ارتد العرب ما عدا مكة والمدينة، فوقف الصديق خليفة الرسول وقفة أنقذ الإسلام بها، وكانت هى الصدمة الأولى التى صدم بها حكمه فصمد وصبر، وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى ».

وقد قبل المرتدون الصلاة أولا وامتنعوا عن الزكاة، فكان من الصحابة وعلى رأسهم عمر من رأى أن يقبل منهم ذلك، حتى يستقيم الأمر وتدين العرب بالطاعة للمدينة والخلافة الكبرى، ولكن أبا بكر رضى الله عنه وهو الضعيف فى بدنه القوى فى إيمانه أبى، وقال: إما سلم مخزية وإما حرب مجلية، وقال: والله لو منعونى عقالا أعطوه للرسول لقاتلتهم عليه، ودعا الصحابة إلى هذا الرأى بقوة الإيمان والحجة لا بقوة السلطان، كما توهم بعض الناس، فقد قال رضى الله تعالى عنه: « والله لو أفردت من جمعكم لقاتلتهم حتى أهلك مهلكا أو أنال مطلبا » وما زال بهم حتى وافقوه، واستمر فى الحرب من غير تلبث، وكان الله تعالى مع المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وانتصر الإسلام على الردة.

وكان ذلك هو شأن أبى بكر فى كل أمر من الأمور، ينفذ حكم الله إن كان صريحا، ويأخذ الرأى فى طريقة تنفيذه من غير تاون فى أمر الله تعالى ونهيه، ثم يأخذ الرأى فيما لم يكن فيه نص، وهو حريص فى كل ما يفعل على الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم ، ويتوقف فى كل أمر لم يجد فيه لرسول الله تعالى أمرا، كما وقف فى جمع القرآن فى مصاحف جامعة وأخذ يستشير الصحابة الأولين حتى وجد كثرة موافقة فشرح الله تعالى صدره فألف لجنة من كبار الحفاظ له وجمعته .

ـ وفى عهد الإمام عمر اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل فى حكم المسلمين أمم ذوات حضارات قديمة ، واختلطت تلك الحضارة وكونت مزيجا اجتماعيا لم يأتلف، فتفتحت العقول الإسلامية، واتسعت آفاقها ، وأخذ عمر رضى الله تعالى عنه ينظم أمور الدولة ، وهو العبقرى الذى لم يفر فريه فى الإسلام أحد، كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكانت الشورى هى القوة التى يستعين بها على حكم هذه البلاد المترامية الأطراف، وقد حث الناس جميعا على أن يرشدوه إذا أخطأ ويقوموه إذا اعوج، وهو الذى يقول « من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقوّمه » فقال له بعض السامعين : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فحمد الله على ذلك، وقال الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عمر بسيفه إذا اعوج ، وكان يطلب التوجيه إلى الحق من الناس ، قال له بعض الناس اتق الله يا عمر، فقال بعض الذين يدهنون إلى الحكام: أو تقول لأمير المؤمنين : اتق الله ؟ فقال الفاروق رضى الله عنه : « ألا فلتقولوها لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها » .

ولقد ابتدأ عمر ينظم الشورى، فكان له منها الشورى الخاصة ، وفيها يستشير كبار العلماء من الصحابة كعلى بن أبى طالب وعثمان ابن عفان وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، وغيرهم من كبار الصحابة وخصوصا علماؤهم كعبد الله بن مسعود، وهؤلاء يستشيرهم فى أكثر أمور الدولة ، وخصوصا ما يحتاج فيها إلى فقه الشرع وتخريج أحكامه .

والقسم الثانى من الشورى وهى الشورى العامة ، وهى التى يحتاج فيها إلى تقرير مبدأ، أو يكون الأمر فيها خطيرا، ومن هذا النوع تقسيم الأراضى المفتوحة بين الفاتحين، أو بقاؤها فى أيدى أصحابها الأصليين على أن تكون محبوسة على مصالح المسليمن وغلاتها تعود إليهم ، ويد واضعى اليد يد اختصاص لا يد ملك، وكان رأى الغزاة أن تقسم بينهم قسمة ملك ، ومكثت المناقشة ثلاثة أيام ، وانتهت بأن أقروا رأى عمر بالإجماع لما ساقه من نصوص وكان يستشيرهم فيما يتعلق بشخصه إذا اتصل بمصلحة عامة ، فإنه يروى أنه لما تكاثفت جيوش الفرس على الجيش الإسلامى خشى الفاروق على المسلمين ، فأراد أن يخرج إلى الفرس بنفسه، فاستشار كبار الصحابة فى ذلك ، ولننقل لك من هذه المناقشة الطريفة مشورة علىّ رضى الله عنه، فقد قال الإمام علىّ موجها الكلام إلى الإمام عمر:

« إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله الذى أظهره، وجنده الذى أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم من الأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا هم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع، فكن قطبا، واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ماتدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكليهم عليك ، وطمعهم فيك . . فأما ما ذكرت من سير القوم إلى قتال المسلمين ، فإن الله سبحانه وتعالى أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم ، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة » . (نهج البلاغة ١/ ٢٨٢ شرح الأستاذ الإمام محمد عبده) .

وجاء عهد ذى النورين عثمان رضى الله عنه ، فكانت الشورى لها مكانتها فى خلال ست سنين من خلافته، حتى كأنها امتداد لخلافة الإمام عمر رضى الله عنهما، وكانت من بعد ذلك أحداث جعلت صوت الشورى يختفى فى ضجتها، حتى انتهت تلك الضجات بمقتل ذلك الشهيد التقى رضى الله عنه، وأكبر أسبابها ما وقع من أغلاط بعض أهل بيته الأمويين الذين لم يراعوا حقه فى شيخوخته .

وجاء عهد على رضى الله عنه، فقامت الشورى قوية، وأراد رضى الله عنه أن يعيدها عمرية، وكان أقدر الناس لو كان بعد عمر، ولكن توسط بين العهدين لين سيدنا عثمان، ثم خروج معاوية عليه وقضاها رضى الله عنه فى حروب، حتى قتل غيلة، وكان آخر الراشدين عدلا وحكما وشورى.

أهل الشورى وطريقتها :

ـ كان أهل الشورى فى عهد الراشدين هم أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وتلاميذهم، وقد علمت أن أهل الشورى الخاصة فى عهد عمر كانت كبار الصحابة، وقد كان حريصا رضى الله تعالى عنه على أن يبقيهم فى المدينة لا يغادرونها ليستعين بهم فيما يعرض له من أمور، ولا يخرج أحد منهم من المدينة إلا إذا أراد أن يعلم أهل إقليم شئون دينهم ، كما بعث بعبد الله بن مسعود إلى الكوفة ، وذكر أنه آثرهم على نفسه، إذ كان يود أن يبقى بجواره لينتفع به فى شوراه الخاصة .

ومنع كبار قريش من الذهاب إلى الأقاليم، حتى لا يكونوا فيها ارستقراطية، ويحسبون أنهم صنف قائم بذاته، وهو الحاكم الذى

لا يفرق بين الناس قط، وأهل الإيمان كلهم عند الله وفى الحق سواء، وكان رضى الله عنه يقول: «لآخذن بحلاقيم قريش لأمنعهم من أن يتجاوزوا الحرتين».

ولما جاء سيدنا عثمان أباح الخروج، فلما جاء على رضى الله عنه منع كبار قريش كما منعهم عمر رضى الله عنه، وكان هذا من أسباب انتقاض قريش.

وكانت الشورى العامة هى أهل المدينة أجمعين، وأن هذا يشبه نظام أثينا فى عهد بيركليس ـ فقد كان كل أفراد أثينا يشتركون فى سياسة الدولة ونظامها ـ فكان كل المؤمنين بلا استثناء يشتركون فى هذه الشورى العامة، ولم يكن هناك انتخاب، لأن عدد المؤمنين لم يكن يسمح باختيار بعضهم دون بعض، ولم يكن أهل الأقاليم المفتوحة داخلين فى شورى الخليفة الأكبر، ولكن كانوا يستشارون هم والمؤمنون فى أقاليمهم.

ولم يضع الإسلام نظاما للشورى، لأن النظام يختلف باختلاف الأقاليم، إنما دعا إليها باعتبارها مبدأ يجب تحققه فى الحكم لأنه أساسه، وما دامت المساواة ثابتة، وما دامت الطبقات ملغاة، وكل مؤمن تهيأ له الفرص ليعمل بمقدار ما وهبه الله، فلا بد أن تكون الشورى أساس الحكم، لأن الحكم الاستبدادى إنما يكون حيث فرض التفاوت بين الناس فى الدم، أو النسب، ولا شىء من ذلك فى الإسلام قط، فتكون الشورى هى الأساس فى الحكم بمقتضى منطق الإسلام وبمقتضى نصوص القرآن والسنة، وبمقتضى عمل الرسول، صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وبمقتضى عمل الصديقين الراشدين من صحابته الكرام. وقد نفذها عليه السلام، كما نفذها صحابته من بعده، على ما يقتضيه عصرهم.

فالشورى ـ كيفما كانت ـ مبدأ أمر به الإسلام، وأكد الأمر به، كما أمر بالعدل وأكد الأمر به، وكما أمر بالمصالح الإنسانية وأكد الأمر بها، ونهى عن المفاسد، وأكد النهى، ولم يبين الإسلام بنصوصه طرق تحقيق العدالة بين الجماعات، أتكون بطريق أن يكون القضاء على درجتين؟ أم بدرجة واحدة؟ كما لم يبين طرق من الأحكام، وهكذا.

وإن كون الشورى تختلف طرائق تحققها باختلاف الأمم من غير إهمال لمعناها، ومن غير تحيف ـ بفرض عدم المساواة بالنسب أو الجنس أو اللون ـ هو ما قرره علماء الاجتماع، وما قرره الذين درسوا سياسة الجماعات دراسة عميقة، ولقد قال فى ذلك جوستاف لوبون ما نصه: «من قصر النظر أن نقف عند ثقافتنا الاجتماعية التقليدية، فنرى أن من الممكن تطبيق نظم لازمت أمة بتعاقب الأزمان على أمة أخرى، إن ذلك لا يختلف كثيرا عن محاولة حمل السمك على التنفس فى الهواء، بحجة أن جميع أنواع الحيوان العليا تتنفس فى الهواء، فالسمك يموت حيث تحيا ذوات الثدى» (حضارة العرب لجوستاف لوبون، ترجمة الأستاذ عادل زعيتر).

الأهلية للولاية العامة:

ـ يشترط الكثيرون من العلماء فى اختيار الخليفة الأعظم شروطا:

أهمها ـ أن تكون مبايعته بمشورة المسلمين، وقد بينا ذلك، ولكن من هم أهل الشورة الذين يختارون، وأن هذا يختلف باختلاف الأزمان، وباختلاف الأحوال، وباختلاف الأقاليم، وكل ذلك تابع للمصلحة الراجحة فى كل عصر، وتدبير هذه المصلحة للمسلمين أنفسهم، ولا يصح أن تفرض هذه المصلحة من غير الشعوب، فالشعوب هم الذين يعرفون مصلحتهم، إما بعرض ممن يتولون الأمور مؤقتا، والموافقة عليه موافقة حرة، وإما بانتخاب عام لمن يمثلونهم فيما يشبه جماعة مؤسسة لنظام الحكم، واختيار نوع الشورى، وفرض المصلحة من غير استشارة الشعوب ضد نظام الشورى، والكلمة السامية فى القرآن الكريم: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى: ٣٨] هى الميزان الكامل للحكم، ولاختيار الحاكم، ومتابعة أعمال الحاكمين، ولقد قال عمر رضى الله عنه «من اختار رجلا بغير مشورة المسلمين، فلا يبايع، ولا الذى بايعه»

والشرط الثانى: أن تؤخذ على الحاكم المواثيق ـ بأن يبايع بأخذ العهد عليه ـ بأن يقيم الحكم على أساس العدل وتنفيذ الشرع، ورعاية مصالح العباد فى ظل القرآن والسنة، غير مخالف لأمر جاء به الدين، وعلم منه بالضرورة.

والشرط الثالث: أن يكون غير معروف بالفسق، بل يجب أن يكون معروفا بالأمانة والاستقامة والعدالة، وأن يرجى منه الخير، وأن يكون قويا قادرا على إقامة الحق، وخفض الباطل لا يخشى فى الله لومة لائم.

وهذا شرط متفق عليه بين علماء المسلمين وجماهيرهم، وهو معلوم من الإسلام بالضرورة وذلك لورود النص القرآنى بذلك وهو قوله تعالى:

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به﴾ [النساء: ٥٨].

ويتكلم العلماء فى فروض واقعية، وهى حال ما إذا اختير على أنه عدل تقى، فظهر أنه فاسق ظالم، أو كان عدلا عند الولاية، فانقلب إلى فاسق ظالم لشيعة سوء أحاطت به، أو لغلبة هوى عليه أو لضعف اعترى قلبه، وسبحان مقلب القلوب.

فرض الفقهاء ذلك الفرض، ولم يفرضوا أن هنالك نظاما للشورى يلزم الظالم بالعدل، والمنحرف بالاستقامة، أو على الأقل يخفف ظلمه، ويقوّم اعوجاجه ما أمكن ذلك من غير كسر، ولا

تفريق للجماعة، أو يتولى العزل من غير فتنة يلتبس فيها الحق بالباطل، وتتفرق فيها الكلمة، ويضيع الرأى الصائب وسط الهوى المتبع، والشح المطاع، كما ورد عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم.

ومهما تبين النقص فى النظام الذى يراه الفقهاء من حيث كمال الشورى جعلها الله تعالى قوام أمر المسلمين، ونظام الحكم فيهم، فإننا نسوق علاج الفقهاء لمثل هذه الحال، غير مقيدين به، لأنه استنباط بالرأى، يخطئ ويصيب، ولأنهم لم يجمعوا على أمر فى ذلك ولأننا نحسب أنهم فى كثير من أقوالهم كانوا متأثرين بعصورهم، وفسروا النصوص على ضوئها، أو متأثرين بأحوالها.

ولقد اختلف الفقهاء فى علاج ظلم الحكام إذا فسقوا عن أمر ربهم، وأثرت عنهم أقوال ثلاثة فى فسق الحاكم.

أولها ـ أنه يرد جميع أمره ويعمل على عزله، فلا يطاع فى طاعة ولا معصية، لأن بقاءه بغير الحق، وولايته فى ذاتها ظلم، والخضوع له إقرار للظلم وعمل على استمراره وبقائه، ورد الظلم واجب، فلا يطاع فى أى صورة.

ثانيها ـ أن يطاع فى الطاعة، ويعصى فى المعصية، لأن الآثار واردة بأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، ولأن الطاعة فى حال اتفاق حكمه من أوامر الله تعالى هى طاعة لله وللدين، وليست طاعة له، ولو خولف فى ذلك لكان معصية، لأنه مخالفة لأمر الله تعالى، ولأن عصيانه فى كل شىء إثارة للفتن، والفتن ينزل فيها مظالم أشد وأنكى.

ثالثها ـ أنه يختلف حال الحكام الفاسقين، فإن كان الفاسق هو الإمام الأعظم الذى تستمد منه الولايات كلها، وليس فوقه أحد إلا رب العالمين، فإنه يطاع فى الطاعة ويعصى فى المعصية لما ذكر فى القول السابق، أما إذا كان الفاسق أحد الولاة الذين يستمدون السلطان من الحاكم الأعظم، فإنه ترد طاعته، ولا يقر بقاؤه، ويعمل على تغييره بالرجوع إلى من ولاه، والفرق بينه وبين الحاكم الأعلى أن هذا لا يمكن تغييره إلا بفتنة، أما الآخر فتغييره يكون بغير فتنة، والفتنة تتقى كيفما كانت صورتها، لأن الله تعالى يقول:

﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال: ٢٥]. (والآراء الثلاثة مذكورة فى كتاب منهاج السنة لابن تيمية ص٧٦، ٧٧ جـ٢).

ولا شك أن الرأى الوسط هو أمثل هذه الآراء، ولكنا نرى أن الاحتياط لشطط الحكام يوجب وضع النظم المانعة منه ـ وليس ذلك بخروج عن أقوال الفقهاء الثلاثة التى ذكرناها، ولكنه احتياط لمنع التحكم، وهو يتلاقى إلى حد كبير مع القول الثانى الذى اختاره الجمهور الأكبر من الفقهاء، ولكنه احتياط مستمد من روح القرآن والسنة ـ وهو تحكيم الشورى فى كل شىء، لقد كان عمر يحكم الشورى فى عمله بموجب دينه وتقواه، فكان الإلزام بها من ضميره الدينى، وإنه يمكن أن يوضع نظام يمكن أن تطبق الشورى فيه لا بحكم الضمير الدينى فقط، بل بحكم العمل النظامى.

بيت الخلافة:

هل للإمامة الكبرى فى الإسلام بيت خاص، أو شرط خاص بالنسبة لنسب الإمام؟ قد خاض العلماء فى ذلك خوضا كبيرا، وتشعبت أقوالهم، فمنهم من اشترط أن تكون الخلافة فى بنى على، سواء كانوا من أولاد فاطمة، أم لكم يكونوا، وأولئك هم الكيسانية، وقد انقرضوا، ومنهم من اشترط أن يكون من أولاد على من فاطمة، سواء كانوا من أولاد الحسن أم كانوا من أولاد الحسين، وأولئك الزيدية، ومنهم من اشترط أن يكونوا من بنى هاشم وأولئك العباسية والإسماعيلية بطوائفها المختلفة، ومنهم من اشترط أن يكونوا من بنى هاشم وأولئك العباسية، والجمهور الأكبر من العلماء على أن القرشية شرط فى اختيار الخلافة الكبرى وقد رووا فى ذلك آثارا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله تعالى عليه وسلم قال « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم » وقد روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » وفى الخبر عن معاوية أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » (منهاج السنة ٢/٥).

وإننا نرى أن الأحاديث الواردة فى هذا الباب لا تدل دلالة قاطعة على أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش، فحديث « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى اثنان » غير واضح الدلالة فى الخلافة، لأن الأمر ما هو؟ هو أمر السلطان أم أمر الدين؟ وهذا الحديث أهو إخبار عما يقع فى المستقبل أم هو تقرير حكم شرعى؟ وهو ألا يتولى أمر المسلمين غيرهم، وما روى عن أبى هريرة فى الصحيحين لا يدل أيضا على الخلافة، بل يدل على مكانة قريش وتبعية الناس لهم فى أحوالهم ولغتهم، والناس هم العرب، وليسوا كل المسلمين، وكذلك حديث « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » لا يدل إلا على مكانتهم، وأما حديث معاوية فإنا نقبله، لأن البخارى رواه، ويقول إنه لا يدل على حكم شرعى، وإنما يدل على أمر واقعى، وفوق ذلك فما هو هذا الأمر، أهو السلطان أم شىء آخر؟

وننتهى من هذا إلى أن أحاديث اشتراط القرشية فيها دلالة واضحة على أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش، ومع ذلك عارضها أمران آخران قويان:

ـ أحدهما: ما ورد من آثار على وجوب الطاعة لكل أمير غير ظالم عادل يقيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال:

«اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ، وروى البخاري ومسلم عن أبي ذر أنه قال : « أن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن ولي عبد حبشي مجدوع الأنف » (منهاج السنة ٢/٨٧).

فهذه الأحاديث صريحة قاطعة الدلالة في أن الطاعة واجبة وأن تولي عبد حبشي ما دام يقيم كتاب الله تعالى ، وما دام المسلمون قد اختاروه، وهذا يدل على عدم التقيد باشتراط القرشية أو الهاشمية أو العلوية أو غيرهم .

والأمر الثاني ـ أن كبار المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ليختاروا خليفة لرسول الله ، ولم يذكر أحد منهم . أخبارا عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على أن القرشية شرط ولو كانت القرشية شرطا في رواية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ما غابت عنهم جميعا ، فإن أحاديث الآحاد الصحيحة ، قد تغيب عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولكن لا تغيب عن كلهم . ولو كان ذلك معروفا ما طالب الأنصار أن تكون الإمرة فيهم ، ولا أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، ولو كان ذلك الخبر عن النبي معروفا لاحتج به أبو بكر الصديق ، وما احتاج إلى الاحتجاج بفضل المهاجرين ، وما قصر اعتماده إلا على قوله : « لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش» .

ومن المقررات في علم الحديث أن حديث الآحاد لا يؤخذ به إذا كان في أمر من شأنه أن يعلم به الكافة ، ولا شك أن الخلافة وما يتعلق بها من شرط ، أمر لا يخص طائفة ، ولكنه يتعلق بالكافة ، فلا بد وقد قام جدل حوله أن يعلمه الأكثرون ، أو على الأقل يكون من الأكثرين من يعلمه ، وقد تبين أنه يجهله الأكثرون، وأنه ليس بين كبار الصحابة الذين تجادلوا حول هذا الأمر عقب انتقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى من يعلمه ، وما كان معقولا أن يسمع معاوية وحده ذلك الخبر ، ولا يعلمه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ، ولا معاذ بن جبل ، ولا زيد بن ثابت ، ولا سعد بن عبادة ، وهم الذين لازموا الرسول بعد هجرته وقبلها ، ثم يعلمه معاوية الذي لم يدخل في الإسلام إلا في العام الثامن واتصل بالرسول سنتين .

وبهذا يتبين أن اشتراط القرشية لا دليل عليه ، وهو يعارض المبدأ الإسلامي العام من المساواة العامة بين الناس ، وتهيئة الفرصة لكل ذي طاقة من أن يعمل بطاقته ، وقد يكون أدنى الناس نسبا أكفأهم لولاية أمر المسلمين ، فهل يحرم المسلمون من كفايته لأنه ليس قرشيا ، أو ليس ذا نسب رفيع؟ إن ذلك ليس منطق الإسلام ، بل هو منطق العصبية الجاهلية ، التي نهى عنها الإسلام ، وخصها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستنكار الشديد .

الولاية بغير الشورى :

لا بد لتحقيق معنى الخلافة الإسلامية أو بعبارة أدق معنى الإمامة الكبرى في الإسلام من الاختيار العام ، والمبايعة الحرة ، وأخذ المواثيق من الوالي والرعية على تنفيذ حكم الله تعالى ، والطرق التي تجب لتنظيم الاختيار متروكة لجماعة المؤمنين ، وقد تكون بتفكير من علمائهم ، وإقرار من جماعاتهم .

ولكن إذا لم يمكن تنفيذ ذلك الشرط الجوهري ، فماذا يكون الحكم ؟

إنه يتعذر في كثير من الأحوال تنفيذ شرط الاختيار والمبايعة ، وقد تعذر في الماضي تحقيق الاختيار الإسلامي من جماهير المسلمين ، وكانت المبايعة تشبه الصورية ، إذ كان الضغط والإكراه أساسها ، أو على الأقل عدم تفكير الناس في أهمية الولاية ، وكان التعذر سببه عدم وجود نظام مقرر ثابت ، واتساع رقعة الإسلام ، فقد كان الاختيار في عهد الراشدين سهلا ، لأنه كان ـ بحكم الواقع والمصلحة ـ اختيارًا مقصورا على أهل المدينة ، فكان من السهل أن يبايعوا ، وكان من السهل أن يختاروا .

والحكم في هذه الحال أقرر فيه أولا ما قرره الفقهاء ، ثم أقرر بعد ذلك ما أراه ، وأرجو ألا ابتعد فيه عن روح الإسلام ومرماه في إنشاء الحكم الصالح .

أما ما قرره الفقهاء في حال تعذر الاختيار ، فقد قالوا : إنه إذا تغلب متغلب على الحكم الإسلامي وكان عدلا أمينا مصلحا قادرا على القيام بعبء الحكم الإسلامي ، وارتضاه الناس ، فإنه يكون حاكما واجب الطاعة ولا يرضى كثيرون من الفقهاء أن يسموه خليفة ، بل يسمونه ملكا عادلا .

ويقسمون لذلك الخلافة إلى قسمين : خلافة نبوية ، وهي التي استوفت شروط الخلافة كاملة ، من قرشية في نظرهم ، ومشورة ومبايعة حرة لا إكراه فيها ، وسميت خلافة نبوية ، لأنها هي التي جاءت بها النبوة ، وهي التي أمرت بها وصرح القرآن الكريم بوجوبها ، ولأن الحاكم يكون نائبا في الحكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تنفيذ أحكام القرآن والسنة ولذلك سمي الذين يتولون الحكم بهذه الشروط خلفاء ، لأنهم يخلفون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تنفيذ الأحكام الشرعية ، وتبليغا للناس .

والقسم الثاني : خلافة ليست نبوية ، ويسميها ابن تيمية خلافة الملوك ، وأقول إنه يصح أنه تسمى ولاية دنيوية ، ولا تستوفي الشروط الإسلامية ، سواء أكان الذين يتولونها يقصرون الولاية على بيت من البيوت تنتقل بينهم بالوراثة ، أم كانت الولاية برئيس من الرؤساء يتولى بشخصه ، ولا تنتقل الولاية إلى غيره ، ولا يعد من يتولى على هذا النحو ، خليفة أو أميرا للمؤمنين ، وليا له حق الطاعة ما دام عادلا ، وقد قرر جمهور الفقهاء أنه إذا تولى السلطان رجل كفء عادل ، ولو بطريق التغلب لا بطريق الاختيار وجبت طاعته ،

ويعتبره بعض العلماء أميرا للمؤمنين إذا ارتضاه المؤمنون لعدله، وصيانته للمؤمنين، وأن الاختيار اللاحق للخلافة يكون كالاختيار السابق من حيث المعنى والمصلحة.

ولقد نظر ابن تيمية فى تاريخ الخلافة فى الإسلام، فقرر أن الخلافة النبوية التى استوفت شروط الخلافة: من مشورة ومبايعة وعدالة وغيرها، استمرت ثلاثين سنة فقط، كما أشرنا من قبل. وأنها بعد ذلك صارت ملكا عضوضا، يعض عليه بالنواجذ، ويستشهد على ذلك بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا»، ويقول فى ذلك رضى الله عنه: «الذى فى السنن خلافة بالنبوة ثلاثون، ثم تصير ملكا» ويعتبر دولة بنى أمية، وبنى العباس ملوكا سموا أنفسهم بأسماء الخلفاء، ويقول فى حكم يزيد بن معاوية «يعتقد أهل السنة أنه ملك جمهور المسلمين، وخليفتهم فى زمانهم وصاحب السيف» ثم يقول: «فيزيد فى ولايته هو واحد من هؤلاء الملوك المسلمين المستخلفين فى الأرض» وأن الإسلام مع أنه اشترط شروطا للخليفة، ولم يقرر أن الملك الوراثى له أصل شرعى، لاحظ أنه لا بد من حكومة تقوم، ولا بد من رياسة إسلامية سواء أكانت رياسة إقليمية، أم كانت رياسة إسلامية عامة، وأنه إذا لم يكن الحكم المثالى، كان الحكم الواقعى، حتى لا تكون أمور الناس فوضى، لا ضابط لها، وخير للناس أن يكون لهم حاكم، ولو جاء من غير طريق الشورى من ألا يكون حاكم قط.

ولذلك قرر الشافعى ومالك وأحمد أن كل متغلب تجب طاعته حتى يغير من غير فتنة ولا فساد فى الأرض، ولأنهم ما دام لا ينازعهم إمام عدل أمين، فإنه لا مناص من الطاعة لهم فيما هو ليس بمعصية، ولأنهم مهما تكن حالهم ينظمون الولايات ويقيمون الحدود ويحاربون أعداء المسلمين، وإذا كانوا فجارا يقرر الفقهاء أن طاعتهم فيما لا يخالف أوامر الدين واجبة، أما فى المعصية فلا، ويستمر ذلك حتى يغيروا، ويسعى فى تغييرهم من غير فتنة كما أسلفنا من قول. ويقول فى ذلك ابن تيمية: والصواب الجامع فى هذا الباب أن من حكم أو قسم بعدل نفذ حكمه وقسمته، وأن من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أعين على ذلك، إذا لم تكن فى ذلك مفسدة راجحة، وأنه لا بد من إقامة الجمعة والجماعة، فإن أمكن تولية إمام بر لم يجز تولية فاجر، ولا مبتدع يظهر بدعته، فإن هؤلاء يجب الإنكار عليهم بقدر الإمكان، ولا تجوز توليتهم، فإن لم يمكن إلا تولية أحد رجلين: أحدهما فيه دين وضعف عن الجهاد، والآخر فيه منفعة فى الجهاد مع ذنوبه، كانت تولية هذا الذى ولايته أنفع للمسلمين خيرا من تولية من ولايته أضر على المسلمين» (منهاج السنة ٢/ ٢٤٠).

وهذا الذى يذكره ابن تيمية هو الذى يراه جمهور فقهاء أهل السنة، وأساسه كما رأيت هو النظر لمصلحة المسلمين، فإنه إذا تعذرت ولاية من تنطبق عليه شروط الخلافة النبوية، فإنه يكتفى بمن يكون أصلح للمسلمين، ولو لم يكن برا تقيا. وروى أن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن أميرين أحدهما تقى ضعيف، والآخر فاسق قوى فتحت قيادة أيهما يعمل؟ فقال رضى الله عنه: «مع الفاسق القوى، لأن فسقه على نفسه وقوته للمسلمين، وأما التقى الضعيف فتقواه لنفسه وضعفه على المسلمين» وقد روينا ذلك من قبل.

ومؤدى ذلك أن الحكام الفساق أو الذين لم يختاروا اختيارا حرا، يطاعون فى غير المعصية، لا لأنهم موضع رضا، بل لأن الحكم فى ظلهم ضرورة لحفظ الإسلام والمسلمين والضرورات تبيح المحظورات، أى ما كان يصح أن يخضعوا لذلك الحكم غير العادل، ولكن لأن مصلحة الإسلام والمسلمين فى الخضوع، والضرورة توجبه، خضعوا مضطرين غير مختارين ونفذوا ما فيه طاعة.

ولكن هل يجب الخضوع المستمر لهم ولا يسعى فى تغييرهم، ويعتبرون حكمهم قضاء من الله تعالى لا يقبل التغيير، فلا يفكر إلا فى طاعتهم، وحولهم منافقون يدهنون لهم، ويفسدون الحكم معهم؟ قرر الفقهاء أن السعى يتجه إلى أحد أمرين:

أحدهما ـ إصلاحهم بالحسنى وبكل الوسائل الممكنة لأن الدين النصيحة، فيجب إسداء هذه النصيحة ما أمكن، ولو تعرض الناصح الأمين للأذى الذى يحتمل، وإن توالى النصح إن كان لا يؤدى إلى تغيير حاله، فهو يؤدى إلى تخفيف شره.

الثانى: السعى فى التغيير من غير فتنة ولا فساد فى الأرض ولا قتال. ولقد قال فى هذا المعنى ابن تيمية: «المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى، ولا نكاد نعرف طائفة خرجت على ذى السلطان إلا كان فى خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذى أزالته، والله تعالى لم يأمر بقتال أى ظالم، وكل باغ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، بل قال تعالى:

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات: ٩] فلم يأمر بقتال الفئة الباغية ابتداء.

وفى صحيح مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «سيكون بعدى أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضى وتابع!

قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا » فقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتالهم مع إخباره أنهم يأتون أمورا منكرة، وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إنكم سترون بعدى أثرة، وأمورا تنكرونها ، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ، « قال تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم » وقد قال عليه السلام : « من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية ولا ينزعن يدا عن طاعة » (منهاج السنة ٢/ ٨٧) .

هذه هى الأسس التى يقوم عليها الحكم فى الإسلام، فهو يقوم ابتداء على الشورى والعدل وطاعة الله تعالى ورسوله، وأن يكون اختيار الحاكم حرا مبنيا على المبايعة .

وإن قوما من الأوربيين الذين يدرسون الإسلام لا يأخذون الإسلام من مبادئه المقررة الثابتة ، إنما يأخذونه من أحوال المسلمين الواقعة ، ومن أخيلة يتخيلونها ، ومن أقوال بعض الفرق التى ترفع الأئمة إلى مراتب قدسية، ويبنون على ذلك أن المسلمين يقدسون ملوكهم ، وأن الإسلام لم يأت بنظام للحكم صالح ، ولم يضع أسسا سليمة يمكن أن يقوم عليها حكم صالح وهم فى كل ذلك مخطئون ، قد أخطأوا فى الطريق إلى الحق، وأخطأوا بالتالى فى النتائج التى وصلوا إليها ، ولم يحاولوا أن يتعرفوا الوجهة الحق ليسلكوا، ولا نفرض فيهم إلا أنهم ساروا فى الطريق الذى أخطأوا فى اختياره إلى أقصى مداه، متنكبين طريق الصواب خطأ ابتداء وعمدا انتهاء .

والحقيقة ، ما شرحناه من أن الإسلام وضع المبادئ العادلة السليمة التى تتفق مع الفطرة، ومع المبادئ المقررة فيه وهو أن الناس سواء، وأنه يجب تهيئة الفرص لكل القوى لتظهر الطاقات المختلفة المتفاوتة، وتوسد لكل طائفة ماتهيئها له طاقتها، ومنها الولاية وإدارة دفة الدولة. وبيّنا المصادر التى تشير إلى المبادئ الأصلية فى الحكم ، ولا عيب على المبادئ إذا خولفت، وقد بينا أن تنفيذ الشورى تنفيذا كاملا يختلف باختلاف الجماعات واختلاف البيئات .

وتبين لك مما سبق أن المسلمين عندما ارتضوا حكم الملوك أو أشباههم لم يكن ذلك إلا عن معذرة، وهو ألا يقعوا فى الفتن، وتأكلهم تلك الفتن المفسدة المظلمة المتوالية، التى يسيطر فيها الهوى المتبع والشح المطاع، وإذا كانت قد وردت أحاديث دالة على الاستنكار القلبى، والاستسلام الظاهرى، فقد وردت أحاديث أخرى موجبة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل الطرق الممكنة ،كما وردت بذلك آيات قرآنية محكمة، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدى الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو خاصة الإسلام، وقد بينا أنهما الأساس لتكوين رأى عام فاضل، وأن الرأى العام هو الذى يهذب الحكام الفاسدين، وهم لا يجدون حربا عليهم أقوى منه ، ولا يجدون مهذبا لطغواهم أشد منه ، ويجب أن يعمل المسلمون دائما على تكوين ذلك الرأى العام الفاضل، فهو المرشد القائم المستمر، وهو المهذب اللائم، ويجب على العلماء والمصلحين أن يتكلموا ولا يصمتوا، وكل أذى ينالهم فى سبيل كلمة الحق التى هى من الجهاد أو من أفضله كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر» وليتقدم لقولها العلماء المصلحون ، فإنها إن لم ترشد الجبارين وتهديهم تزلزل قواهم أمام الشعوب .

وإذا كان النبى صلى الله تعالى عليه نهى عن الفتنة والفتنة بالقتل والقتال، فهو لم ينه عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والاستمرار عليه، ولو أدى إلى أذى من يقوم به ، والأمر فيه إلى كياسته ، وحسن تأتيه للأمور، وليلبس لكل حال لبوسها من غير ممالأة فى باطل، ولا مداهنة فى شر، ولا تأييد لظالم ، وليذكر قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « من مشى مع ظالم، فقد سعى إلى النار » .

وإن القيام بحق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو السبيل للتغير المتدرج ، فإن كان من بعد ذلك أمر من الأمور فإنه يكون قد جاء فى إبانه ، ولم يتخلف عن زمانه ، وبذلك، يكون الخير.

وإذا كنا نوجه اللوم إلى الذين أخذوا حكم الإسلام من أحوال المسلمين ، فإنا نوجه اللوم إلى علماء المسلمين والمصلحين فيهم، فإن توانيهم ومداهنة الكثيرين منهم فى حدود الله قد أدى إلى الحكم الظالم على الإسلام وكانت حال المسلمين هى المسوغة ولو ظاهرا للحكم به .

السلطات الثلاث فى الإسلام :

أخذنا على أنفسنا أن نأخذ نظر الإسلام إلى الحكم من الكتاب والسنة وأفعال الراشدين الذين عاينوا عهد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وقبسوا منه واتبعوه، وهم أقدر الناس على فهمه .

وبرجوعنا للقرآن الكريم نجد حد الأصل الذى يقوم عليه الحكم، وهو يتكون من ثلاث شعب : الشورى والعدالة والحكم بما أنزل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة ، واعتبارهما المصدر الوحيد للحكم فى الإسلام، فقد قال تعالى :

﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [النساء : ٥٩] ويقول سبحانه :

﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [النساء : ٨٣] .

والرد إلى الرسول بعد وفاته ، هو الرجوع إلى سنته، والرد إلى الله تعالى هو الرجوع إلى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولقد قال تعالى :

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ [النساء : ١٠٥] ويقول سبحانه :

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ [المائدة : ٤٩] .

تلك بعض نصوص القرآن التى تبين مصادر الحكم العادل فى الإسلام ، وقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم تلك الأحكام القرآنية ، وما كان يوحى به إليه على أكمل وجه من وجوه العدالة المسوية بين الناس، وكان عليه السلام يجمع فى يده السلطات الثلاث، التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، وكل الذين يتولون واحدا منها إنما يستمد سلطانه منه عليه السلام ، فالنبى كانت منه السلطة التشريعية، لأنه هو المفسر الأول للقرآن، وكان يوحى إليه من عند الله، وهو بهذا الاعتبار مرجع شرعى أصلى، فوق أنه هو المفسر فى حياته للمرجع الأول، وكان يتولى تطبيق هذه الأحكام المقرره، قضاء وتنفيذا، فقد كان يقضى بين أصحابه فيما ينجم بينهم من خلاف، وكان فى قضائه بشرا، لا يوحى إليه بذات الحكم فى القضية إلا أن يكون نظرا لقضية يحتاج إلى سن مبدأ لم يكن من قبل، ولقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنكم تختصمون إلىَّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أقتطع له قطعة من النار » (انظر تخريج هذا الحديث فى أول المادة نقلا عن تيسير الوصول ٤/٤٩) .

وكان القضاء فى الأقاليم هو الذى يرسم لهم الحدود وهو الذى يعينهم وهو الذى يعين الولاة ، ويجعل لكل فرع من فروع الولاية رجلا خاصا بها ، لا يتجاوز اختصاصه، فللحرب وال، وللصدقات وال، وكل يكون حسابه عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وجاء من بعده الراشدون فسلكوا مسلكه، ولكنهم لم يكن ينزل عليهم الوحى، وكانوا يبحثون عن الحكم الذى يحكمون به فى كتاب الله تعالى، فإن وجدوه اهتدوا به فى حكمهم ، وطبقوه وإن لم يجدوه تعرفوا سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ، فإن وجدوها حكموا بها غير خارجين ، عنها . وإن لم يجدوها اجتهدوا آراءهم ، وكان اجتهادهم أحيانا اجتهاد تفسير، بأن يقيسوا الواقعة التى بين أيديهم على واقعة وجد نصها فى الكتاب أو السنة ويلتمسوا علة الحكم فى النص، فإن وجدوها تنطبق على الواقعة الجديدة طبقوه فيها ، وهذه طريقة تفسيرية متبعة فى شرح القوانين الوضعية ، وهى تسمى القياس، وأحيانا يحكمون بمقتضى المصلحة فيما لا نص فيه ، على أن تكون من جنس المصالح التى أقرها الإسلام، ولا تخالف نصا من نصوصه ، ويكون فى الأخذ بها دفع حرج أو سد حاجة .

وكانوا هم الذين يقضون فى المدينة بين الناس، كما كان يفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما فى خارج المدينة، فإنهم كانوا يرسلون القضاة، كما يرسلون الولاة .

وعلى رضى الله عنه من بينهم لما شغلته الحروب عن أن يكون فى الكوفة دائما يقضى بين الناس عهد إلى شريح القاضى التابعى، وقد استمر فيها إلى عهد معاوية . ويلاحظ أنه بينما تجتمع فى قصبة الدولة السلطة القضائية والسلطة التنفيذية فقد كانوا يفصلون السلطتين فى الأقاليم ، فكان الإمام عمر رضى الله عنه يعين قاضى الإقليم الأول، كما يعين الوالى ، وكل يستمد السلطان من الرئيس الأعلى مباشرة، ولا يستمده من الوالى الذى يتولى السلطة التنفيذية، والقارئ للتاريخ الإسلامى فى عهد الراشدين يرى ذلك واضحا ، فكتاب القضاء الذى يعد دستور القضاء إلى يومنا هذا كتبه الإمام عمر إلى أبى موسى الأشعرى مباشرة، وبذلك نرى أن السلطتين منفصلتان .

وإنما تجتمع السلطتان فى يد أمير المؤمنين، لأنه المختار من الشعب، فاجتماعهما فى يديه إنما هو اجتماع السلطتين فى يد الأمة مصدرهما .

وننتهى من هذا إلى أن السلطات الثلاث تلتقى فى يد الإمام، ولكن السلطة التشريعية مقيدة بأن تكون فى ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا تخرج عنهما، وتنفذ ما نص عليه فيهما من غير شطط فى التأويل، ولا تحريف للمقاصد .

فهو مقيد بالنص ، ومقيد فيما يجتهد فيه بالرأى بالحمل على النصوص، ومراعاة المصلحة التى اعتبرها الإسلام مصلحة من غير مصادمة للنصوص .

ويلاحظ أن الإمام فى عهد الراشدين ما كان يجتهد بالرأى منفردا، بل كان يجمع علماء الصحابة ويعرض عليهم الأمر، فما يقررونه يتبعه، ويكون العرض أولا ليعرف أوَرَدَ فى ذلك سنة أم لم يرد؟ فإن كانت وردت سنة اتبعها ، وحكم بمقتضاها ، وإن لم تكن هناك سنة اجتهد رأيه، وعرض رأيه على المجتمعين، فإن أقروه أخذ به ، وإن لم يقروه رجع إلى قولهم ، وإن رأى الصواب فى غيره جادلهم بالتى هى أحسن، حتى يقرروا الأمر مجتمعين من غير اختلاف، وكان عمر له شوراه الخاصة يتعرف منها الرأى قبل أن يعلنه .

وبذلك يتبين أن التشريع يرجع إلى الكتاب والسنة ، وأن

استخراج الأحكام منهما كان منوطا بالصحابة ، وخصوصا علماءهم الذين يردون أحكام الحوادث إليهما ، وما يكون للحاكم من رأى لا يتبع إلا إذا أقره عليه الصحابة ، وكثيرا ما كان ينعقد الإجماع على الأمر .

أما السلطتان القضائية والتنفيذية ، فإن الأمر فيهما إلى البشر ابتداء ، يطبقان فيهما كتاب الله وسنة رسوله ، وما يوجبه العدل وتقتضيه المصلحة .

تطبيق الشريعة فى هذا العصر :

لا يمكننا أن نقرر أن حكم الإسلام كان مطبقا تطبيقا كاملا إلا فى عهد الراشدين بعد عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، أما بعد ذلك فما كان التطبيق كاملا ، لأن الحكم لم يقم على أساس من الشورى ، فلم يكن اختيار الحاكم بالشورى ، ولم تكن الشورى هى التى تسود أعمال الحكام ، وكان هوى الحاكم هو الذى يوجه الأمور ، فلم يكن اختيار الولاة إلا لهوى الرئيس الأعلى للدولة ، وكان تطبيق النظم الإسلامية تبعا لهواه ، فإن وافقته نفذها ، وإن خالفته أهملها .

والآن ، ونحن نريد أن نجعل الإسلام دواء لأدواء العالم اليوم وحلا لمشاكله ، فهل يمكن تطبيق أحكامه فى نظم الحكم ، وهى الأساس فى العلاج ، إذ لا يمكن أن يقال : إن العلاج إسلامى إلا إذا كانت نظم الحكم إسلامية أولا بين المسلمين ، ثم تسرى إلى غيرهم ، وبذلك يتمكن الإسلام من العلاج .

ونقول فى ذلك : إن تنفيذ الإسلام ممكن وإن كان يحتاج إلى علاج وتعبيد الطرق ، وهو علاج النفوس ، وتعبيد الطرق إلى القلوب .

إنه لا بد من أمر جامع للمسلمين ، ولا يكون من الملوك والرؤساء الذين أدهنوا لأعداء الإسلام ، ولكن يكون من الشعوب الإسلامية المؤمنة ورجالها المؤمنين والمصلحين الذين يرجون للإسلام وقارا ، والذين يريدون أن يعود الإسلام كما بدأ نورا للعالمين ، وهاديا مرشدا ، ورافعا راية السلام وعلم القرآن .

ولا يمكن فى هذا العصر أن تتكون حكومة إسلامية واحدة ، بل يكون لكل إقليم دولته ، وتلتقى جميعها على كلمة من الله تعالى ، تنشر التعاون بين الناس ، وتربط العلاقات على أسس من الوحدة الإنسانية العامة ، ويكون المسلمون فيما بينهم دعاة حق ، يتحد اقتصادهم ، وتتحد سياستهم ، وتتحد أو تتقارب جيوشهم ، وكل إقليم له رئيسه المختار اختيارا حرا من شعبه من غير أن تكون له موالاة لغير المسلمين ، فلا يتولى قوما غيرهم إلا أن يكون هذا الغير مع بقية الأقاليم الإسلامية على علاقة تقوم على العدل والاتحاد الإنسانى والتعاون مع الدول التى لا ترفض ذلك ولا تتجانف لإثم .

وكل إقليم إسلامى ينفذ حكم الشرع فى داخله ، وقد يقول قائل : كيف يمكن سن ذلك من غير تعرض للاضطراب ومن غير أن تصاب الأقاليم بطفرة؟ ونقول فى ذلك :

إن القوانين القائمة فى البلاد الإسلامية ليس كلها مخالفا للإسلام ، بل فيها المخالف لأحكامه ، وفيها الموافق ، فالموافق يبقى ، والمخالف يبعد ، فيبعد من القوانين كل النظم التى يكون فيها ربا ، وكل العقود التى يكون فيها غرر وجهالة ، وقد نهى عنهما فى الإسلام .

وقوانين العقوبات ناقصة فإذا أضيف إليها أحكام الحدود والقصاص كانت كاملة والباقى يستمر وذلك لأنها تعزيرات ، والتعزير جائز فى الإسلام برأى ولى الأمر يقيد به أحكام القضاة .

ونعتقد أنه فى الإمكان إذا أريد التخلص عن ربقة الأجنبى فى القوانين - كما هو الواجب أو على الأقل هو ما ينبغى - بأن تؤلف لجنة من علماء المذاهب الإسلامية لاستنباط قانون إسلامى من ثنايا المدون فى هذه المذاهب ، بحيث يكون ملائما لروح العصر ، ولا يكون مجافيا لها ، وما يكون فى العصر من أمور لم يعالجها فقهاء المسلمين ، فإنهم يجتهدون فيها اجتهادا جماعيا كما كان يفعل السلف الراشد ، وأن الأمر يحتاج إلى عزمة إسلامية ولا يحتاج لغير ذلك والله هو المعين (« المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام» / ٤١٤ - ٤٣٥) .

وينقلنا ختام هذا البحث النفيس لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة رحمه الله إلى قضية المسلم الذى يقضى بغير الإسلام ، وهى القضية التى ضمنها الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت فتاويه ، وننقلها لك فيما يلى : قال رحمه الله مجيبا على السؤال : ما رأيكم فى رجل يحكم فى قضية ما حكما غير إسلامى هل يعتبر مرتدا عن الدين ؟

السؤال لا يختص بالقاضى :

هذا السؤال لا يختص بالقاضى الذى يحكم حكما غير إسلامى ؟ وإنما يتناول الحكام المسلمين الذين يأمرون بتقنين أحكام غير إسلامية ، والمقننين المسلمين الذين يتولون وضع هذه الأحكام والمتخاصمين المسلمين الذين يتحاكمون إليها ويرضون بها ، بل إن حاجة هؤلاء إلى معرفة حكم الإسلام فيهم أشد من حاجة القضاة الذين يحكمون بتلك الأحكام ، وخاصة من يكونون منهم فى بلد إسلامى ، ليس لغيره عليه سلطان فى تشريعه وأحكامه .

وقد شاع على ألسنة كثير من المسلمين المتدينين أن القضاة الذين يحكمون بالقانون الوضعى الذى تخالف أحكامه أحكام الإسلام كفار مرتدون عن الإسلام معتمدين فى ذلك على ظاهر قوله تعالى من سورة المائدة ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم**

الكفرون ﴾ [المائدة : ٤٤] ويلزمهم أن يحكموا بكفر المقننين والآمرين بالتقنين، فإن هؤلاء ـ وإن لم يكونوا يحكمون بها ـ قد وضعوها بأنفسهم أو أمروا بوضعها، ولا شك أن واضعيها والآمرين بوضعها تبعتهم أشد من تبعة الحاكمين بها .

الحكم الإسلامي نوعان : قطعي واجتهادي :

ولمعرفة الجواب لهذا السؤال يجب أن نعلم أولا أن الحكم الإسلامي نوعان :

حكم نص عليه القرآن أو السنة نصًا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يقبل الاجتهاد.

ومثاله في الأحوال الشخصية حرمة المطلقة ثلاثة مرات على مطلقها حتى تتزوج غيره .

وفي المدنيات حرمة الأرباح التي استغلت في سبيل الحصول عليها حاجة الفقير المحتاج المستحق للمعونة، وتقسيم الميراث الذي ورد في القرآن .

ومثاله في العقوبات قطع يد السارق الذي توافرت فيه سرقته شروط العقوبة .

هذا نوع، والنوع الآخر: حكم لم يرد به قرآن ولا سنة، أو ورد به أحدهما ولكن لم يكن الوارد به قطعيا فيه، بل محتملا له ولغيره، وكان بذلك محلا لاجتهاد الفقهاء والمشرعين، فاجتهدوا فيه، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره. وأكثر الأحكام الإسلامية من هذا النوع الاجتهادي .

في النوع الاجتهادي متسع للقاضي :

وإذا علمنا هذا استطعنا أن نقول في الجواب عن السؤال: إن الحكم في النوع الثاني ــ وهو النوع الاجتهادي ــ ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الإسلامية فإنه ما دام أساسه تحري العدل والمصلحة لا اتباع الهوى والشهوة، فإن الإسلام لا يمنعه ولا يمقته فضلا عن أن يراه ردة يخرج القاضي به عن الإسلام؛ ذلك أن الإسلام، ليس له في هذا النوع حكم معين وإنما حكمه هو ما يصل إليه المجتهد باجتهاده المبني على تحري المصلحة والعدل، فمتى وجد العدل والمصلحة فثم شرع الله وحكمه .

متى تحكم بالكفر ؟

أما النوع الأول وهو الحكم القطعي المنصوص عليه في كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة التي لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال ــ فإن الحكم بغيره إن كان مبنيا على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه هو لا يحقق العدل ولا المصلحة كان ولا شك ردة يخرج به القاضي عن الإسلام .

أما إذا كان القاضي الذي حكم بغيره مؤمنا بحكم الله وأنه هو العدل والمصلحة دون سواه، ولكنه في بلد غير إسلامي أو بلد إسلامي مغلوب على أمره في الحكم والتشريع، واضطر أن يحكم بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والإنكار، فإن الحكم في تلك الحالة لا يكون كفرا وإنما يكون معصية، وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمتها .

الواجب على القاضي المسلم :

وإذن يجب على القاضي المسلم أن يرد نفسه عن الحكم متى استطاع إلى ذلك سبيلا، وإذا لم يستطع أن يرد نفسه خوفا من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته فإن الإسلام يبيح له ذلك ارتكابا لأخف الضررين ما دام قلبه مطمئنا إلى حكم الله .

تخريج آية المائدة :

أما قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [المائدة : ٤٤] فقد جاء في قوم يملكون أنفسهم وتشريعهم ويعرفون حكم الله ويرفضونه مؤثرين عليه حكم الهوى والشهوة؛ وفي جوهم يقول الله : ﴿ **من الذين قالوا ءامنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ [المائدة : ٤١] ويقول تعالى : ﴿ **ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ [المائدة: ٤٩] .

ومن هنا يتبين أن الآية الكريمة وهي ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ليست في حق كل من حكم حكما غير إسلامي في قضية ما (الفتاوى/ ٣٧ـ٤٠) .

ونختتم هذه المادة بما أورده صاحب « الاقتضاب » عن كتاب الحكم . يقول السيد البطليوسي :

أمور الأحكام جارية في شريعة الإسلام على أربعة أوجه : حكم القضاء، وهو أجلها وأعلاها . ثم حكم المظالم . ثم حكم الديوان: وهو حكم الخراج ثم حكم الشرطة .

فينبغي لكاتب القاضي أن يكون عارفا بالحلال والحرام، وبصيرا بالسنن والأحكام . وما توجبه تصاريف الألفاظ، وأقسام الكلام ؛ ويكون له حذق ومهارة بكتب الشروط والإقرارات، والمحاضر والسجلات .

وقد ذكر الناس في أوضاعهم من هذه المعاني ما فيه كفاية . غير أنا نذكر من ذلك نكتا يسيرة (النكتة تطلق على المسائل الحاصلة بالنقل، المؤثرة في القلب، التي يقارنها نكْت الأرض غالبا بنحو الإصبع . تاج العروس) :

فجملة الشروط : أن يذكر المشترط عليه بأسمائهما وأنسابهما، وتجارتهما إن كانا تاجرين، وصناعتهما إن كانا صانعين، وأجناسهما وأسماء بلدانهما . ثم يذكر الشيء الذي وقع فيه الشرط. فإن كان بيعا، ذكر البيع ووصفه، وحدد المبيع إن كان فيما يحدد. ثم ذكر الثمن ومبلغه ونقده ووزنه، والقابض منهما والمقبوض منه . وتفرقهما بعد الرضا على رأي من يرى ذلك من

الفقهاء ثم ضمن - البائع الدرك للمشترى . (الدرك : اللحاق والوصول إلى الشيء) .

وإن كان إجارة، ذكر الإجارة ، ومدتها، والشيء المستأجر. وحدد ما يجب أن يحدد منه ، ووصف ما لا يحدد، وذكر مدة الإجارة، وجعلها على شهور العرب دون غيرها. وذكر مال الإجارة، ووقت وجوبه وقبض المستأجر ما استؤجر عليه، ورضاه بذلك ، وتفرقهما بعد الرضا، على رأى من يرى ذلك .

وإن كان فيما استؤجر نخل أو شجر، أتى بذلك وذكر مواضعه من الأرض، وجعله فى آخر الكتاب معاملة ومساقاة بجزء من الثمر، إذ لا يجوز غير ذلك فى الأحكام، وضمن المؤاجر الدرك للمستأجر، على رأى من يرى التضمين فى ذلك .

وإن كان صلحا ، ذكر ما وقع فيه الصلح ، وإن كان براءة وصفها، وذكر ما تبرأ منه. وإن كانت البراءة بعوض، ذكر العوض. وإن كان إقرارا بدين، ذكر مبلغه، وهل هو حال أو مؤجل. وإن كان مؤجلا، ذكر أجله ووقت حلوله، وحدد ذلك بالشهور العربية .

وإن كان وكالة، سمى الوكيل ونسبه، وذكر ما وكل فيه من خصومه ، أو منازعة، أو قبض، أو صلح، أو بيع، أو شراء، أو غير ذلك ، مما تقع الوكالة فيه . وقرر الوكيل بالقبول .

وإن كان رهنا ، ذكر أولا الدين فى صدر الكتاب ووقت محله ثم ذكر الرهن، وسماه، ووصفه، وحدد ما يجب تحديده منه. ثم قرر المرتهن على قبض ذلك . وإن وكله على بيعه عند حلول أجله، وذكر ذلك بعد الفراغ من ذكر الدين والرهن .

وإن كان وصية، قرر الموصى بعد تسميته إياه فى صدر الوصية، ثم ذكر أنه أوصى بكذا وكذا، وبدأ بالدين، وقرره على مبلغه. ثم ذكر الوصية بعد الدين. ثم ذكر تسبيل ذلك فى الوجه الذى سُبِّل فيه. وذكر الموصى إليه وسماه، وقرره على القبول إن كان حاضرا . ثم يؤرخ ذلك بالشهور العربية . ثم يوقع الشهادة على المشترطين والمشترط عليهم ، وأن ما عقدوه على أنفسهم كان فى صحة منهم ، وجواز من أمرهم . وأنهم أقروا بذلك طوعا بعد فهمه، ومعرفه ما فيه .

وأما المحاضر، فإن الكاتب يكتب: حضر القاضى رجلان، فادعى أحدهما على صاحبه بكذا، فأقر له. ويكتب الأسماء والأنساب والتاريخ وإن لم يكن القاضى يعرفهما بأسمائهما ونسبهما قال : ذكر رجل أنه فلان ابن فلان، ويصفه ويحليه (الحلية : الهيئة يقال : عرفه بحليته أى بهيئته. وحليت الرجل : بينت حليته)

وذكر رجل أنه فلان ابن فلان ، ويصفه ويحليه أيضا . فادعى فلان . أو الذى ذكر أنه فلان ، أو على الذى ذكر أنه فلان : كذا وكذا، فأقر له بذلك .

وإن كانت وكالة قال : فذكر أنه وكل فلان ابن فلان، ويذكر ما وكله فيه، ويقول: وحضر فلان ابن فلان، فذكر أنه وكل فلان ابن فلان ، ويذكر ما وكله فيه، فقبل ذلك منه ، وتولاه له .

وإن أحضر المدعى كتابا يريد أن يثبته بحق أو بيع أو غير ذلك، قال : وأحضر معه كتابا ادعى على فلان ابن فلان ، أو الذى ذكر أنه فلان ابن فلان ، ما فيه نسخته كذا . ويقول وأحضر من الشهود فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان ، وادعى شهادتهما له بما تضمنه الكتاب الذى أحضره، فسألهما القاضى عما عندهما فى ذلك ، فشهدا أن فلان ابن فلان أشهدهما على نفسه فى صحة منه، وجواز من أمره، بما سمى فيه ووصف عنه ، فقبل القاضى شهادتهما بذلك وأمضاها . وإن أراد القاضى أن يسجل بذلك، وليس يجوز أن يسجل إلا على من قد عرف ، فليذكر فى صدر الكتاب تسجيل القاضى، ويسميه وينسبه فى مجلس قضائه، ويقول: وهو يلى القضاء، لفلان ابن فلان على فلان، كذا، ويذكر لقبه، والناحية التى استقضاه عليها ، وحضور من حضره، ونسخة الكتاب الذى ادعى عنده ما فيه، ويذكر شهادة الشاهدين فيه . ثم يقول: فأنفذ القاضى الحكم، بما ثبت عنده من إقرار فلان بجميع ما سمى، ووصف فى الكتاب المنسوخ فى صدر هذا التسجيل بشهادة الشاهدين المذكورين فيه، وحكم بذلك وأمضاه: بعد أن سأله فلان ابن فلان ذلك . ثم يشهد عليه بإنفاذ جميع ذلك، ويؤرخ الكتاب بالوقت الذى يقع التسجيل فيه .

فهذه جملة من هذا الشأن مقنعة .

وينبغى للكاتب أن يحتاط على الألفاظ ، فلا يذكر لفظا فيه اشتراك، مثل استعمال كثير من أصحاب الشروط ، فى موضع ذكر التسليم، أن يقولوا بغير دافع ولا مانع ، فيوقعونه مكان قولهم : بلا دافع ولا مانع، ويظنون أن غيرا هاهنا تنوب مناب « لا » ، إذا كانت جحدا، وليس الأمر كذلك ، لأن « لا » حرف جحد، لا يحتمل فى هذا الموضع إلا معنى واحد، و « غير » قد يكون بمعنى الكثرة ، كقولك : لقيت فلانا غير مرة ، وجاءنى غير واحد من الرجال ، بمعنى لقيته أكثر من مرة واحدة ، وجاءنى أكثر من واحد من الرجال، فإذا قال الكاتب بغير دافع جاز أن يتأول متأول أنه أراد أكثر من دافع واحد. فإذا قال : بلا دافع ، كان أسلم من التأويل، وأصح بمعنى الكلام (الاقتضاب ١/ ١٥١ - ١٥٥) .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ٤٨، ٤٩، ومن توجيهات الإسلام - فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٥٢٨ - ٥٣٦، و « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » - فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة . الأزهر. مجمع البحوث الإسلامية . جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - اكتوبر ١٩٦٦م . المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية / ٤١٤ - ٤٣٥، والفتاوى -

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٣٧ ـ ٤٠ ، والاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لأبى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ـ بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١، ١/ ١٥١ـ١٥٥ .

انظر أيضا « أركان وضمانات الحكم الإسلامى » ـ د. محمد أحمد مفتى . مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . جامعة الكويت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . السنة الخامسة ، العدد الثانى عشر. ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٨ / ٧٥ ـ ١١٧، والوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ـ السيد محمد رشيد رضا / ١١٧، ١١٨) .

*** الحكم الإلهية :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩٨١

انظر شرحها : روح الكبريت الأحمر على حكم الشيخ الأكبر .

حكم إلهية فريدة فى بابها الحكمة الأولى : أفن ما أضيف إليك تبقى بما أضيف إليه ، والحكمة الأخيرة : من عرف حقيقة وجوده فاز من ربه بشهوده ، وهى من ١٦٠ حكمة .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن على الطائى الأندلسى المشهور بالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م .

أولها : الحمد لله الذى أودع لبيانه الألى بديع المعانى الفاخرة، وجعل من الكلم ما يقرب فى حد الإعجاز أمد الفصاحة الباهرة ...

آخرها : الاعتبار فى الافتكار، والتوبة فى اليقظة ، والعلم فى التواضع ، والكرم فى الجود، والابتلاء فى المحبة ، والخشوع فى البكاء ، والقرب فى النوافل والحمد لله وحده ...

الخط نسخى جيد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

الرقم : ٨٠٨٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ جيد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم: ٥٩١٦

الخط نسخى جميل ، الحبر: أسود.

ملاحظات : نسخة قيمة مقروءة عدة مرات وعليها بعض التعليقات بالهامش ومراجعة سنة ١٣٢٠هـ / ١٣٢٧ هـ ومراجعة على شيخ محمد المبارك الكبير .

نسخة رابعة :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم : ٦٨٥٠

الخط نسخ معتاد مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : على بن أحمد البعلى .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة خامسة :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم : ٦٩١٦

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة عليها تملكات منها باسم محمد شاكر الحمزاوى تاريخه سنة ١٢٩٥ هـ وتملك تاريخه سنة ١١٩٨هـ .

نسخة سادسة :

الرقم : ٨٦٠١

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة سابعة :

الرقم : ٤٠١١

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

نسخة ثامنة :

الرقم : ٢٦٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : خالد الحكواتى .

نسخة تاسعة :

الرقم : ٥٩٠٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : عبد القادر المبارك .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٤هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومصححة .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٣٢، فهرس الخديوية ٧/ ٣٧٩

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧/ ١٧٠، معجم المؤلفين ١١/ ٢٤٠

طبعة الرسالة : طبعت بحلب بعناية المرحوم محمد رجب الطائى بـ ١٦ ص قطع الصغير بدون تاريخ ٢ ـ وطبعت ضمن مجلة النادى من ص ١٥١ ـ ١٤٧ ص التى كان يصدرها الدكتور أنريكوا أنسبتو فى إيطاليا

ومصر وهى التى كان تجسد أفكار التصوف وتنشره عبر أوربا، الجزء التاسع من السنة السادسة إبريل ١٩١٠م ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ .

قال واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الرسالة : الأوقاف ببغداد ١٤٩١/ ٩، الإسكندرية ١٥ و ٤٢ تصوف . برلين ٨٦٨٧، دار الكتب ١/ ٢٩٠ ، وأحتفظ بنسخة مخطوطة منها ورأيت نسخة أخرى عند الأستاذ فخر الدين الحسنى بدمشق وعند الأستاذ محمد مطيع الحافظ نسخة من شرحها المسمى بروح الكبريت الأحمر للدامونى وقد أعددتها للطبع مع بعض الانتقاء من شرحها للدامونى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٦٢ـ ٤٦٦) .

*** الحكم الإلهية فى الكمالات الإنسانية :**

الحكم الإلهية فى الكمالات الإنسانية : للشيخ محمد بن مصطفى الإماسى قال فى آخر بعض تأليفه ومن أراد أن يطلع على تفاصيل الحكم اللدنية فليطالع رسالتنا المذكورة لأنها رسالة غريبة فى الأسئلة العجيبة تركتها مقفولة بلا أجوبة لمن يجد مفتاحها .

(كشف الظنون ١/ ٦٧٤) .

*** حكم الإمام الجليل سيف الله الغالب على بن أبى طالب :**

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٤١٣٤

المؤلف : مجهول .

أوله : « المساكين خلانى، العدل إحسان ، الظلم عدوان ، الذاكر غانم ، الصامت سالم ، الغنى مفتون، المحتكر ملعون، التواضع شرف ، التكبر تلف، النية عمل، الدنيا دول، الاستغفار يكفر، الإصرار يدمر، العزلة عبادة ، الجود سيادة ... » .

آخره ناقص ينتهى بقوله :

« أقرب شىء مع العسر اليسر والفرج من الكرب، أول من يدعى إلى الجنة الحمادون ، أول من يجوز الصراط المؤمنون ، أفضل الناس عقلا أوفرهم حلما ، أكثر الناس فى الدنيا خوفا أكثرهم فى الآخرة أمنا ، أحب الأخلاق إلى الله » .

النسخة ناقصة من الآخر .

(١٤٣أ ـ ١٥٠ب)ق ١٣س ١٠×١٥سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الأدب ـ وضعه رياض عبدالحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٢، ١٨٣) .

*** الحكم بلا تقدم دعوى وخصومة :**

انظر : الرسائل الزينية فى فقه الحنفية .

*** الحكم بن هشام (١٥٤ـ٢٠٦هـ/٧٧١ـ٨٢٢ م) :**

أدرجه صاحب الأعلام تحت اسم « الحكم الرَّبَضى » وقال عنه : الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموى، أبو العاص، من أفحل ملوك بنى أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبهة، وأول من جند بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابه، وهو الذى مهد الملك لعقبه فى تلك البلاد. كان يباشر الأمور بنفسه ، شديدًا، جبارًا، ضابطًا لأمر مملكته، يقظًا، يلقب بالربضى لإيقاعه بأهل الربض (وهى محلة متصلة بقصره) نمى إليه أنهم يدبرون مكيدة للإيقاع به فقتلهم وهدم ديارهم . مولده ومنشأه بقرطبة . وولى الأمر بها بعد أبيه (سنة ١٨٠ هـ) وقامت فى أيامه فتن فاشتغل فى حسمها ، فجاءه أن مجاوريه من الفرنج أخذوا يفسدون فى الثغور، فسار إليهم بنفسه فافتتح الحصون وخرب النواحى العاصية وعاد إلى قرطبة ظافرا، وهابه الناس، فاستقر له الأمر إلى أن توفى بقرطبة . وكان كثير العناية بالأدب والعلم ، خطيبا، له شعر يتفكه بنظمه (الأعلام ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨) .

قال عنه صاحب العقد الفريد : ثالث خلفاء بنى أمية فى الأندلس ، ولى الخلافة بعد أبيه هشام بن عبد الرحمن فى صفر ستة ثمانين ومائة وكانت ولايته سبعا وعشرين سنة . ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين، وهو ابن خمسين سنة .

وكانت فيه بطالة إلا أنه كان شجاع النفس، باسط الكف، عظيم العفو متخيرا لأهل عمله ولأحكام رعيته، أورع من يقدر عليه وأفضلهم ، فيبسطهم على نفسه، فضلا عن ولده وسائر خاصته .

وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته ، بفضله وعدله وورعه وزهده، فمرض مرضا شديدا، واغتم له الحكم غما شديدا؛ فذكر يزيد فتاه أنه أرق يوما وليلة وبعد عنه نومه وجعل يتململ على فراشه، فقلت : أصلح الله الأمير، إنى أراك متململا وقد زال النوم عنك ، فلم أدر ما عرض لك ! قال : ويحك ، إنى سمعت نائحة هذه الليلة ، وقاضينا مريض، فما أراه إلا قد قضى نحبه ، وأين لنا بمثله ؟ ومن يقوم للرعية مقامه؟ ثم إن القاضى مات، واستقضى الحكم بعده سعيد بن بشير؛ فكان أقصد الناس إلى حق، وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى، وأنفذهم لحكم ...

وكان سعيد بن بشير القاضى إذا خرج إلى المسجد أو جلس فى مجلس الحكم ، جلس فى رداء معصفر وشعر مفرق إلى شحمة أذنيه؛ فإذا طلب ما عنده وجد أورع الناس، وأفضلهم .

وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة عرفاء، تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح ، فإذا بلغه عن ثائر فى طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره، فلا يشعر حتى يحاط به .

وأتاه الخبر: أن جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان فى الجسر، فدعا بعريف من أولئك فأشار إليه أن يخرج من تحت يده إلى جابر بن لبيد، ثم فعل مثل ذلك بأصحابه من العرفاء، فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين، فلما رأى ذلك عدوه سقط فى أيديهم وظنوا أن الدنيا قد حشرت لديهم، فولوا مدبرين .

وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الربض :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا
وقدما رأيت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغورى هل بها اليوم ثغرة
أبادرها مستنضى السيف دارعا
وشافه على أرض الفضاء جماجما
كأجفان شريان الجبير لوامعا
ولما تساقينا سجال حروبنا
سقيتهم سُما من الموت ناقعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم
فوافوا منايا قدرت ومصارعا

قال عثمان بن المثنى المؤدب : قدم علينا عباس بن قاصح من الجزيرة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فاستنشدنى شعر الحكم، فأنشدته، فلما انتهيت إلى قوله :

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم

قال : لو جوثى الحكم فى حكومة لأهل الربض لقام بعذره هذا البيت .

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨ وقد أدرجه تحت اسم «الحكم الربضى ومصادره فى هامش١، والعقد الفريد لابن عبد ربه، بتحقيق محمد سعيد العريان ٥/ ٢٥٢ـ ٢٥٤) .

*** الحكم بين الناس بالعدل :**

من شعب الإيمان التى أحصاها الإمام البيهقى الحكم بين الناس بالعدل لقوله تعالى ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿ **ولا تكن للخائنين خصيما** ﴾ [النساء : ١٠٥] ﴿ **وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ [الحجرات : ٩٠] .

ولحديث عبد الله بن مسعود فى الصحيحين « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، وآخر ءاتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٨٥) .

*** الحَكَمُ جل جلاله :**

الحَكَم بالفتح، الاسم التاسع والعشرون من أسماء الله الحسنى، قال سيدى الدردير فى منظومة « أسماء الله الحسنى » :

ويا حكم يا عدل حكِّم قلوبنا
بعدلك فى الأشيا وبالرشد قونا

قال عنه حجة الإسلام الغزالى :

هو الحاكم المحكم : والقاضى المسلم، الذى لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه .

ومن حكمه فى حق العباد : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى** ﴾ [النجم : ٣٩، ٤٠] ﴿ **إن الأبرار لفى نعيم* وإن الفجار لفى جحيم** ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] .

ومعنى البر والفاجر بالسعادة والشقاوة أن يجعل البر والفجور سببا يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة، كما جعل الأدوية والسموم أسباب تسوق متناوليها إلى الشفاء والهلاك .

وإذا كان معنى الحكمة ترتيب الأسباب وتوجيهها إلى المسببات كان حكما مطلقا لأنه مسبب كل الأسباب جملتها وتفصيلها .

ومن الحكم ينشعب القضاء والقدر :

فتدبيره أصل وضع الأسباب ليتوجه إلى المسببات ـ حكمه ونصبه الأسباب الكلية الأصلية الثابتة المستقرة التى لا تزول، ولا تحول : كالأرض، والسموات السبع، والكواكب، والأفلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التى لا تتغير ولا تتقدم إلى أن يبلغ الكتاب أجله ـ قضاؤه ... كما قال : ﴿ **فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها** ﴾ [فصلت : ١٢] .

وتوجيه هذه الأسباب : تحريكاتها المتناسبة المحدودة المقدورة المحسوبة إلى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة ـ قدره . فالحكم هو التدبير الأول الكلى والأمر الأول الذى هو كلمح البصر .

والقضاء هو الوضع الكلى للأسباب الكلية الدائمة .

والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المحدودة المعدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص .

ولذلك لا يخرج شىء عن قضائه وقدره . ولا يفهم ذلك إلا بمثال ... ولعلك شاهدت صندوق الساعات التى بها يتعرف أوقات الصلاة، وإن لم تشاهدها فجملة ذلك أنه ما فيه من آلة على شكل أسطوانة تحوى مقدارا من الماء معلوما، وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيه فوق الماء، وخيطا مشدودا أحد طرفيه فى هذه الآلة المجوفة، وطرفه الآخر فى أسفل ظرف صغير موضوع فوق الأسطوانة المجوفة فيها كرة وتحتها طاس آخر بحيث لو سقطت الكرة وقعت فى الكأس وسمع طنينها، ثم يثقب أسفل الآلة الأسطوانية ثقب على قدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا، فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذى فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس ...

إلى أن ينتكس فتتدحرج منه الكرة وتقع فى الطاس ويطن . وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وإنما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه، وذلك بتقدير سعة الثقب الذى يخرج منه الماء . ويعرف ذلك بطريق الحساب ، فيكون لنزول الماء بمقدار معلوم سبب يقدر سعة الثقب بقدر معلوم . ويكون انخفاض أعلى الماء بذلك المقدار، وبه يتقدر انخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها وتولد الحركة فى الطرف الذى فيه الكرة .

وكل ذلك بتقدير مقدار سبب لا يزيد ولا ينقص . ويمكن أن يجعل وقوع الكرة فى الطاس سببا لحركة أخرى، وتكون الحركة الأخرى سببا لحركة ثالثة ، وهكذا إلى درجات كثيرة حتى يتولد منه حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم .

فإذا تصورت هذه الصورة ، فاعلم أن واضعها يحتاج إلى ثلاثة أمور :

أولها : التدبير، وهو الحكم بأنه ما الذى ينبغى أن يكون من الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدى إلى حصول ما ينبغى أن يحصل . وذلك هو الحكم .

والثانى : اتحاد هذه الآلات التى هى الأصول، وهى الآلة الأسطوانية ليحوى الماء، والآلة المجوفة ليوضع تحت الماء، والخيط المشدود به الطرف الذى فيه الكرة ، والطاس الذى يقع فيه الكرة . وذلك هو القضاء .

والثالث : نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة . وهو ثقب أسفل الآلة ثقبا مقدر السعة ، ليحدث بنزول الماء منه حركة فى الماء، تؤدى إلى حركة وجه الماء، ثم إلى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، ثم إلى حركة الخيط ، ثم إلى حركة الطرف الذى فيه الكرة ، ثم إلى حركة الكرة ، ثم إلى تنبيه الحاضرين وإسماعهم ، ثم إلى حركاتهم فى الاشتغال بالصلوات والأعمال عند معرفتهم انقضاء الساعة . وكل ذلك يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر، سبب تقدر جميعها تقدر الحركة الأولى ، وهى حركة الماء .

فإذا فهمت أن هذه الآلات أصول لا بد للحركة منها ، وأن الحركة لا بد من تقدرها ليتقدر ما يتولد منها ـ فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التى لا يتقدم منها شىء ولا يتأخر إذا جاء أجلها (أى حضر سببها) ، وكل ذلك بمقدار معلوم ، وأن الله بالغ أمره ؛ إذ جعل الله لكل شىء قدرا .

فالسموات ، والأفلاك ، والكواكب ، والأرض ، والبحر ، والهواء ، وهذه الأجسام العظام فى العالم ... كتلك الآلات .

والسبب المحرك للأفلاك ، والكواكب ، والشمس ، والقمر ـ بحساب معلوم ... كتلك الثقبة الموجبة نزول الماء بقدر معلوم .

وإفضاء حركة الشمس والقمر والكواكب إلى حصول الحوادث فى الأرض ... كإفضاء حركة الماء إلى حصول تلك الحركات المفضية إلى سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة . ومثال تداعى حركات السماء إلى تغيرات الأرض : هو أن الشمس بركاتها إذا بلغت إلى المشرق استضاء العالم وتيسر على الناس الإبصار، فيتيسر عليهم الانتشار فى الأشغال . ووإذا بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك، فرجعوا إلى المساكن . وإذا قربت من وسط السماء سمت رءوس أهل الأقاليم ، حمى الهواء، واشتد اليقظ ، وحصل نضج الفواكه . وإذا بعدت حصل الشتاء ، واشتد البرد (يلاحظ أن الأرض هى التى تدور حول نفسها وحول الشمس وأن هذا الدوران هو سبب حدوث الليل والنهار والفصول الأربعة) .

وإذا توسطت حصل الاعتدال، وظهر الربيع، وأنبتت الأرض، وظهرت الخضرة فقس بهذه المشهورات التى تعرفها الغرائب التى لا تعرفها . واختلاف هذه الفصول كلها مقدر معلوم، لأنها منوطة بحركات الشمس والقمر ، و : ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ [الرحمن : ٥] أى : حركاتهما بحسبان معلوم .

فهذا هو التقدير . ووضع الأسباب الكلية هو القضاء . والتدبير الأول ـ الذى هو كلمح البصر ـ هو الحكم . والله تعالى حكم عدل باعتبار الأمور .

وكما أن حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة، بل ذلك هو الذى أراده بوضع الآلة ... فكذلك كل ما يحدث فى العالم من الحوادث : شرها وخيرها ، نفعها وضرها ـ غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله تعالى، ولأجله دبر أسبابه . وهو المعنى بقوله : ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ [هود : ١١٩] .

وتفهيم الأمور الإلهية بالأمثلة العرفية عسير، ولكن المقصود من الأمثلة التشبيه ، فدع المثال، وتنبه للغرض، واحذر من التمثيل والتشبيه .

تنبيه : قد فهمت من المثال المذكور ما إلى العبد من الحكمة والتدبير والقضاء والتقدير. وذلك أمر يسير، وإنما الخطير منه ما إليه فى تدبير الرياضيات والمجاهدات وتقدير السياسات التى تفضى إلى مصالح الدين والدنيا . وبذلك استخلف الله تعالى عباده فى الأرض واستعمرهم فيها لينظر كيف يعملون .

وأما الحظ الدينى من مشاهدة هذا الوصف لله تعالى : فأن تعلم أن الأمر مفروغ منه وليس بالآنف، وقد جف القلم بما هو كائن، وأن الأسباب قد توجهت إلى مسبباتها ، وانسياقها إليها فى إحيائها وآجالها ـ حتم واجب . فكل ما يدخل فى الوجود فإنما يدخل بالوجوب ... بالقضاء الأزلى الذى لا مرد له ؛ فيعلم أن المقدور كائن، وأن الهم فضل . فيكون العبد فى رزقه مجملا فى الطلب، مطمئن النفس، ساكن الجأش، غير مضطرب القلب .

فإن قلت : فليزم منه إشكالان :

أحدهما : أن الهم كيف يكون فضلا وهو مقدور ؟ لأنه قدر له سبب، إذا جرى سببه كان حصول الهم واجبا .

والثاني : أن الأمر إذا كان مفروغا منه ففيم العمل وقد فرغ عن سبب السعادة والشقاوة ؟

فالجواب عن الأول : أن المقدور كائن ، والهم فضل ليس معناه أنه فضل على المقدور خارج عنه ، بل إنه فضل أى لغو لا فائدة فيه ؛ فإنه لا يدفع المقدور ؛ لأن سبب الهم بما يتوقع كونه هو الجهل المحض؛ لأن ذلك إن قدر كونه فالحذر والهم لا يدفعه، وهو استعجال نوع من الألم خوفا من وقوع الألم . وإن لم يقدر كونه فلا معنى للغم به . فبهذين الوجهين كان الهم فضلا .

وأما العمل : فجوابه قوله عليه الصلاة والسلام : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى . وأخرجه أيضا الطبرانى ورجاله ثقات ، والبزار ورجاله رجال الصحيح) .

ومعناه : أن من قدرت له السعادة قدرت بسبب فتيسر له أسبابها وهو الطاعة . ومن قدرت له الشقاوة قدرت بسبب وهو بطالته عن مباشرة أسبابها .

وقد يكون سبب بطالته أن يستقر فى خاطره أنه إن كان سعيدا فلا احتياج له إلى العمل ، وإن كان شقيا فلا ينفعه العمل . وهذا جهل ؛ فإنه لا يدرى أنه إن كان سعيدا فإنما يكون سعيدا لأنه يجرى عليه أسباب السعادة من العلم والعمل . وإن لم يتيسر له ذلك ولم يجر عليه فهو أمارة شقاوته . ومثاله : كالذى يتمنى أن يكون فقيها بالغا درجة الإمامة فيقال له : اجتهد وتعلم وواظب . فيقول : إن قضى الله تعالى لى فى الأزل بالإمامة فلا احتياج إلى الجهد، وإن إن قضى الله تعالى لى بالجهل فلا ينفعنى الجهد . فيقال له : إن سلط عليك هذا الخاطر فهذا يدل على أنه قضى لك بالجهل ؛ فإن من قضى له فى الأزل بالإمامة فإنما يقضيها بأسبابها . فيجرى عليه الأسباب ، ويستعمله بها ، ويدفع عنه الخواطر التى تدعوه إلى الكسل والبطالة . بل الذى لا يجتهد لا ينال درجة الإمامة قطعا . والذى يجتهد ويتيسر له أسبابها ويصدق رجاؤه فى بلوغها إن استقام على جهده إلى آخر أمره ولم يستقبله عائق يقطع عليه الطريق ـ نالها قطعا .

فكذلك ينبغى أن يفهم أن السعادة لا ينالها إلا من أتى الله بقلب سليم . وسلامة القلب صفة تكتسب بالسعى كفقه النفس وفقه الإمامة من غير فرق .

نعم العباد فى مشاهدة الحكم على درجات :

فمن ناظر إلى الخاتمة أنه بماذا يختم له .

ومن ناظر إلى السابقة أنه بماذا قضى له فى الأزل ... وهو أعلى لأن الخاتمة تبع السابقة .

ومن تارك للماضى وللمستقبل ... هو ابن وقته ، فهو ناظر إليه ، راض بمواقع الله وما يظهر منه ... وهو أعلى مما قبله .

ومن تارك للحال والماضى والاستقبال ... مستغرق القلب بالحكم ... ملازم فى الشهود . وهذه الدرجة العليا (المقصد الأسنى/ ٨٥ـ ٨٩) .

وعن « الحكم » من أسماء الله الحسنى يقول الإمام الفخر الرازى : القول فى تفسير اسمه « الحكم » وفيه مسائل .

الأولى : قال الزجاج الحاكم والحكم واحد : كالواسط والوسط، وأصل الحكم المنع ، ومنه الحكمة ، لأنها تمنع الفرس من التمرد، وكذا الحكمة تمنع الرجل عن السفاهة ، ومنه الحكم لأنه يمنع الخصمين عن التعدى، ومنه قولهم « فى بيته يُؤْتَى الحَكَم » ووصف الله نفسه بأنه أحكم الحاكمين ومنه قوله : ﴿ **ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين**﴾ [الأنعام : ٦٢] وقوله تعالى ﴿ **له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ [القصص : ٧٠] وقوله تعالى : ﴿ **أنت تحكم بين عبادك** ﴾ [الزمر : ٤٦] .

واعلم أن الحكم بهذا التفسير هو كلامه ، فيكون من صفات الذات ، وقد يقال أيضا : حكم لفلان بالنعمة أى أنعم عليه ، وحكم على فلان بالنقمة إذا أوقعه في المحنة ، فعلى هذا يكون ذلك من صفات الفعل ، وقد يستعمل الحكم أيضا بمعنى الحكيم، وسيجىء بيانه .

المسألة الثانية : قال أكثر العقلاء إن حكم الله تعالى بجميع الكليات والجزئيات قد حصل من الأزل إلى الأبد ، وأما المعتزلة : فقد سلموا ذلك فى كل الحوادث إلا فى أحوال الحيوانات .

لنا وجوه : الأول : أن أفعال العباد موقوفة على إرادتهم . وهى حادثة ، فلا بد لها من مؤثر ، والمؤثر إما أن يكون حادثا أو قديما ، فإن كان حادثا كان الكلام فيه كالأزل ويفضى إلى التسلسل ، ولا يمكن حصولها بنفسها بأسرها دفعة لأن وجود أسباب ومسببات لا نهاية لها دفعة واحدة محال ، بل لا بد وأن يكون كل واحد مسبوقا بآخر لا إلى بداية ، وهذا قول الفلاسفة الإلهيين ؛ ولأجل هذا الحرف أثبتوا حوادث لا أول لها ، وزعموا أن الأفلاك قديمة .

وأما إن كان المؤثر فى حدوث تلك الإرادة شيئا قديما ، فذلك القديم يمتنع أن يكو موجبا بالذات ، وإلا لزم من قدم العلة قدم المعلول، فيلزم كون الإرادة المحدثة قديمة ، وذلك محال ، فلا بد وأن يكون ذلك القديم فاعلا مختارا وهذا مذهب جمهور أصحاب السنة والجماعة .

وعلى التقديرين فجميع الكليات والجزئيات مقدرة بأوقات مخصوصة ، وأحوال مخصوصة ، لا يجوز على المتقدم أن يتأخر، ولا المتأخر أن يتقدم ، فثبت أن على القولين لا بد من القطع بأن

حكم الله في جميع الكليات والجزئيات حاصل في الأزل ، ومعلوم أن الحكم الأول لا دافع له .

الحجة الثانية : أنه تعالى علم أن بعضها يقع ، وبعضها لا يقع ، والعلم بالوقوع مضاد لعدم الوقوع والعلم بعدم الوقوع مضاد للوقوع ، والضدان لا يجتمعان ، لكن إبطال علم الله محال ، إزالة هذا الضد محال ، فدخول الضد الآخر في الوجود ، محال ، فما علم أنه يقع كان واجب الوقوع ، وما علم أنه لا يقع كان محال الوقوع .

الحجة الثالثة : أنه تعالى حكم على أبي لهب لا يؤمن ، ومعنى هذا الحكم الإجبار، وهذا الخبر ممتنع الزوال ، فكان دخول الإيمان في الوجود محالا ، هذا عمدة القائلين بثبوت الحكم المطلق في جميع الكليات والجزئيات .

واحتجوا : بأنه لو كان الأمر كذلك لكان وقوع ما انعقد سبب وقوعه واجبا ، ووقوع ما لم ينعقد سبب وقوعه ممتنعا ، فيكون كل الأسباب إما واجبا ، وإما ممتنعا ، ولو كان كذلك لما بقي لأحد قدرة على الفعل ولا اختيار في إقدام ولا إحجام ، إلا أن هذا باطل بالضرورة ، فإني أعلم بالضرورة أني إن شئت الفعل فعلت ، وإن شئت الترك تركت .

والجواب : هب أنك تجد ذلك من نفسك ، فهل تجد منها أنك إن شئت مشيئة الفعل حصلت ، أو مشيئة الترك حصلت . وظاهر أن الأمر ليس كذلك ، وإلا لزم التسلسل ، بل إذا شئت الفعل فشئت أم أبيت فعلت ، وبالعكس : فلا حصول للمشيئة فيك بك ، ولا للفعل عقيبها بك ، فالإنسان مضطر في صورة مختار .

واعلم أن أظهر آيات القرآن للمعتزلة قوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف : ٢٩] . ومن تأمل هذه الآية علم أنها من أقوى الدلائل على قولنا ؛ وذلك لأنها تقتضي .

توقف الفعل على المشيئة ؛ وحصول هذه المشيئة موقوف على مشيئة الله بدليل العقل والنقل ، أما النقل فقوله تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

وأما العقل : فالدليل الذي قررناه في أول هذه المسئلة . وإذا كان الفعل منا موقوفا على مشيئتنا وهي موقوفة على مشيئة الله تعالى لزم القطع بتوقف فعلنا على مشيئة الله . وهذا برهان قاطع .

واعلم أن قوله عليه الصلاة والسلام : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » إشارة إلى هذه الحجة . فإن المراد من الإصبعين داعية الفعل . وداعية الترك . والقلب واقف فيما بين هاتين الداعيتين أبدا . فإنه إن حصلت داعية الفعل حصل الفعل . وإن لم يحصل داعية الفعل بقي الفعل على العدم . ومعلوم أنه لا خروج عن طرفي النقيض ؛ وإنما عبر عن هاتين الداعيتين بالإصبعين ؛ لأن الشيء الذي يكون بين إصبعي الإنسان لا يكون له في التصرف فيه صعوبه ولا عسر ألبتة ، بل يكون في غاية اليسر . فلما كان القلب مسخرا لهاتين الداعيتين لا جرم ؛ عبر عنهما بالإصبعين ولهذا السر كان صلوات الله عليه يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ، بل القلب إنما سمي قلبا لتقلبه من حال إلى حال بحسب توارد الدواعي المختلفة عليه ، هذا تمام الكلام في هذا الباب؛ وإنه في غاية القوة والوضوح .

المسألة الثالثة حظ العبد من هذا : أن ينقطع تعلق قلبه عن المستقبل ، بل يصير مشغول القلب بأنه ما يصيبه إلا الذي جرى في الأزل ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب » .

وقال أيضا : « المقدور كائن والهم فضل » وليس المراد من قوله والهم فضل أن هذا الهم خارج عن المقدور، بل المراد منه أنه لا تأثير له في دفع المقدور، فإن هذا الهم أيضا من نتائج القضاء والقدر؛ فلو صار دافعا للقضاء والقدر لصار الفرع مبطلا للأصل . وهو محال . وتمام الكلام في مسألة القدر مذكور في الكتب الحكمية والكلامية .

المسألة الرابعة : قول النبي ﷺ : « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه » مبرهن بالبراهين القاطعة المذكورة .

كان بعض المحققين يقول : كل واحد يخاف الخاتمة . وأنا أخاف الفاتحة وإن الحكم الإلهي لا يزول بحيل العبيد . فكم من ربيع تورد أشجاره ، وبرزت أنواره ، وظهرت ثماره ، وظن أهله أنهم ظفروا بمقاصدهم فأصابتهم الآفة ، فاجأتهم البلية ، فأصبح أهله على حسرة ، وأمسوا على قلة ، قال تعالى ﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] وهكذا كم من عبد ظهرت عليه آثار السعادة ، وأنوار المحبة والقربة . ثم أصبح من المطرودين !!

رأي المشايخ : ثم قال المشايخ : الحكم الذي لا يقع في وعده ريب . ولا في فعله عيب .

وقيل : الحكم الذي حكم على القلوب بالرضا والقناعة . وعلى النفوس بالانقياد والطاعة (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٠ ـ ٢٤٤) .

وقد وردت في القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ دالةٌ على أن الذي يحكم ويفصلُ بين النَّاس فيما شجَر بينهم ، هو الذي يسمي الحكم ولا رادَّ لحُكمِهِ .

وقد جَعَل الله اسمَهُ الحكم بينهُ وبينَ عباده . فحكمه في الدنيَا بينَ عِبَادِهِ فيما أنزل الله من كتابه ، ولهُ الحُكْمُ يوم القيامة ، وترك

الحكم في الدنيا لعبَادِهِ ليحكُمُوا فيما بينَهُمْ بالقِسْط ، قال الله تعالى : ﴿ وإن ربَّك ليحكم بينهم يوم القِيَامَةِ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾[النحل : ١٢٤].

ولذا قال الله تعالى : ﴿ وإن وعْدَكَ الحقُّ وأنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمينَ ﴾[هود : ٥٤].

وقال الله جل جلاله : ﴿ فاصْبِروا حتى يحكم الله بينَنَا وَهُوَ خَيرِ الحَاكِمِينَ ﴾[الأعراف : ٨٧].

تنبيهًا لعباده بأنَّه خيرُ الحاكمين وأنه أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ فلا مُعَقِبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.

وقد أمر الله عباده بما أمر به رسلهُ بأن يحكُمُوا بين النَّاس بالْعَدل ولا يتبعُوا الهوى فإن الله على حكمهم لشهيدٌ.

قال الله تعالى : ﴿ فلا وربِّكَ لا يُؤمِنُونَ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[النساء: ٦٥].

وقال الله تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾[النور: ٥٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾[النساء : ٥٨].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[المائدة: ٨].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون ﴾[المائدة ٤٤].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون ﴾[المائدة: ٤٥].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنْزل الله فأُولئك هم الفاسقون ﴾[المائدة: ٤٧].

تنبيها لعباده بأن لا يتبعوا الهوى في حكمهم فيضلهم عن سبيل الله .

وحظ العبد من اسم ربه ﴿ الحكم جل جلاله ﴾ الدُّعاء : ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين﴾ [الشعراء : ٨٣]. ثم يزدجر من أن يحكم بغير ما أنزل الله .

وقالوا: من قرأه في جوف الليل مائة مرة مدةً على طهارة بوجدٍ واعتقاد حتى يغشى عليه حال، جعل الله باطنه محل الأسرارِ الإلهية (لله الأسماء الحسنى / ٨٤ ، ٨٥).

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٨٥ - ٨٩ ، وشرح أسماء الله الحسنى لشيخ الإسلام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٤٠ - ٢٤٤ ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود على. دار الريان للتراث. القاهرة. د. ت/ ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٤٨).

*** حكم الحكماء ونوادر القدماء:**

من مخطوطات التصوف والمواعظ بمكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق .

مؤلفه : مجهول .

أوله : (الحمد لله على ما ستر من العيوب وأسبل على عباده من ذيل عفوه المطلوب واستغفره موبقات الذنوب . . . إلخ)

آخره : قال مؤلف هذا الكتاب هذا بعض ما اخترناه من حكمهم وحكاياتهم. فوائدها عظيمة ومنافعها عميمة لمن تدبر معانيها وفهم مقاصدها ومبانيها .

ناسخه : محمد بن أحمد بن يحيى بن المفضل سنة ١٠٨٠ هـ.

كتبه برسم خزانة على بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الحرب ألفه المؤلف لخزانة المظفر يوسف بن السلطان غازى يوسف أيوب .

وقد ذكر في المقدمة أنه أورد اسم عشرين فيلسوفا مشهورا مع ترجمة قصيرة لحياتهم وذكر بعض مالهم من الحكم العجيبة والفقر الغريبة والنوادر اللطيفة والحكايات الطريفة .

أولهم : فيثاغورث وآخرهم بزرجمهر.

خطه ثلثي كتب العناوين الرئيسية بالحبر الأحمر وبخط بارز عليه تملك من قبل جمال الدين على بن حسن الغفارى سنة ١١٧٣ .

و : ٩٢

م: ٢١×١٦

س: ١٥

ت / مجاميع / ١٨٠ - ١٩٠

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد — / ٢٠٧).

*** حكم الشرائع (علم -) :**

أدرج صاحب مفتاح السعادة علم معرفة حكم الشرائع بين فروع علم الفقه وقال عنه :

واعلم أن الفقهاء اقتصروا على تعليل الأحكام الشرعية ، إما بالسمع من الكتاب والسنة والإجماع، أو بالعقل وهو القياس، إما لكفاية ذلك في مقاصدهم، أو لعجز العباد عن معرفة الحكم، حتى قال قائلهم:

لم يخلق العقل دراكًا لحكمته
لكن ليقبل ما يأتيه من حكم

لكن بعضًا من الفضلاء، شكر الله سعيهم، بذلوا مجهودهم، فيما لم يكن الحكم فيه تعبديا، في أن يستخرجوا الحكم في الأحكام، لتطمئن قلوب العباد في قبوله، وتنشط أذهانهم بأن يطلعوا على حكمة آمرها، فدوّنوا حكم الشرائع ومحاسنها حسبما قدروا على ذلك.

وصنف في هذا العلم كتابًا نافعًا جامعًا مسمى بـ « محاسن الشرائع والإسلام »، الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري روّح الله روحه ا هـ.

(مفتاح السعادة ومصابيح السيادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٥٧).

* **الحكم العطائية:**

الحكم العطائية: للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي المتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٩ تسع وسبعمائة. أولها: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.. إلخ. وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة ولما صنّفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيرا. فمن المؤلفات عليها شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرلسي المعروف بزرُّوق وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذي شرّف عباده.. إلخ وذكر في بعض شروحه أن الحكم مرتب بعضها على بعض فكل كلمة منها توطئة لما بعدها وشرح لما قبلها وأنه درس الحكم خمسة عشر دروسا وكتب كل مرة شرحا من ظهر القلب كله بعبارة أخرى، وقيل إن للشيخ زروق ثلاثة شروح على الحكم لكن الأصح ما كتبه هو نفسه. ومنها شرح محمد بن إبراهيم بن عباد النِّفزي الرندى الشاذلي المتوفي سنة ٧٩٢ أوله: الحمد لله المتفرد بالعظمة والجلال.. إلخ وسماه غيث المواهب العلية. ومنها شرح علي بن محمد النفزي المذكور وهو شرح ممزوج مبسوط سماه التنبيه.

وشرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الإقصرائي المواهبي الشاذلي الحنفي أوله: أحمد من أنبع من أعين قلوب من أخلص... إلخ ذكر أنه شرحها بمكة المكرمة سنة ٩٠٣. ثلاث وتسعمائة « وسماه أحكام الحكم في شرح الحكم ».

وشرح صفي الدين أبي المواهب ذكره تلميذه أبو الطيب المذكور وقال إن الشارح الجليل الولي بن عباد وقع لمحق (بمحن) من التطويل وكذا أستاذي صفي الدين. ومنها شرح محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي المتوفي سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة [٩٧١].

وشرح الشيخ محمد المدعو بعبد الرءوف المناوي المصرى الشافعي سماه الدرر الجوهرية وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذي اطلع من سماه الذات.. إلخ. (كشف ١ / ٦٧٥، ٦٧٦).

أما عن المخطوطات فلدينا منها ما يلي:

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٢٤٢٧ تصوف ١٠٩.

- حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، وبعد تصنيفها عرض على أستاذه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له: لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة، وقد قيل: كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحيًا.

المؤلف: أبو العباس تاج الدين: أحمد بن محمد الجذامي المشهور بابن عطاء الإسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م.

أولها: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل، إرادتك التجريد مع إقامة الله تعالى إياك في الأسباب من الشهوة الخفية..

آخرها: المناجاة له: يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته للأسرار كيف تخفى...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود.

اسم الناسخ: أحمد عبد الجواد النجاتي الشافعي الأحمدي.

تاريخ النسخ: السبت ٣ شوال سنة ١٠٢٣ هـ.

نسخة ثانية.

الرقم ٥٦٣٩.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة.

الرقم ٦٠٣٣.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: رجب الشهير بابن سويمة.

تاريخ النسخ: ١١ شعبان سنة ١٠٥٧ هـ.

نسخة رابعة.

الرقم ٦٨٩٧

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ: سنة ١٠٢٠.
نسخة خامسة.
الرقم ١٠٢٧٦
أولها وآخرها: كالسابقة.
الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.
نسخة سادسة.
الرقم: ١٩.
أولها وآخرها: كالسابقة.
الخط نسخي واضح مشكل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.
نسخة سابعة
الرقم ٨٢٥٠
أولها وآخرها: كالسابقة.
الخط نسخ معتاد، الحبر أسود بعض كلماته بالأحمر.
نسخة ثامنة.
الرقم ٣٨٧٩
أولها وآخرها: كالسابقة.
الخط نسخي واضح مشكل، الحبر أسود.

قال واضع الفهرس: الاستاذ محمد رياض المالح: بعض نسخ الرسالة: الأوقاف ببغداد ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٧ وأحتفظ بشرح لها لأبي المواهب الشاذلي مخروم، وعند الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق شرح للمناوي لها، وعند الأستاذ فخر الدين الحسني شرح لابن ذكري وشرح آخر لعلي البيومي وشرح لعبد الله الشرقاوي وشرح لمؤلف مجهول، وفي المكتبة الآجرية بدمشق شرح للشيخ أحمد زروق تختلف عن التي طبعت بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

مصادر عن الكتاب: معجم المطبوعات / ١٨٥، الدكتور صلاح الدين المنجد معجم المخطوطات المطبوعة ٢ / ٣٠ رقم ٥١.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٢ / ١٢١، اليافعي مرآة الجنان ٤ / ٢٤٦، طبقات الشاذلية لكوهن ص ٩٧.

طبعات الرسالة: طبعت كثيرًا مع شروحها الكثيرة جدا وطبعت وحدها ١ ـ فاس ٢ ـ دمشق مطبعة بركات سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤م نشرها الأستاذان إبراهيم اليعقوبي وعبد المحسن حداد بـ ٧٢ ص من القطع الصغير ٣ ـ دمشق بالمطبعة الهاشمية سنة ١٩٦٥ م نشرها الأستاذ أحمد عبيد بـ ٩٦ ص من القطع الصغير (انظر مادة أحمد عبيد في م ٢ / ٦٧٨ ـ ٦٨٣).

(مخطوطات الظاهرية: تصوف ١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٩).

وتوجد نسخ في مكتبة المتحف العراقي مدرجة في فهرس مخطوطات الأدب، وجاء بيانها كما يلي: الحكم العطائية.

الرقم ١١٥٣٥ / ٢.

لتاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الجذامي الشهير بابن عطاء الله المتوفي سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م.

الأول: (قال الشيخ الإمام.. من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عن وجود الزلل...)

وهي رسالة جمع فيها المؤلف من الحكم والنصائح البليغة المنثورة عرضها على شيخه (أبو العباس المرسي) فقال له بعد أن قرأها وتأملها: (لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة، ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها).

نسخة جيدة، ترقى إلى القرن الحادي عشر الهجري / القرن السابع عشر الميلادي.

٤٠ ص. ٥, ٢٢ × ٥, ١٤ سم. ١٩ س.

معجم المؤلفين ٢ / ١٢١ كشف ١ / ٦٧٥ الأعلام ١/ ٢٢٢ معجم / ١٨٥ طبعت أكثر من مرة آخرها بتحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف بالقاهرة ١٩٦٩ م.

نسخة أخرى.

كتبها بخط النسخ عمر بن علي الطرابلسي سنة ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م.

الرقم: ٣٥٧٩٢ / ٦.
٤٩ ص. ٢٠ × ١١ سم. ١٣ س.

نسخة أخرى
كتبها سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م.
الرقم: ٨٧٦٣.
٩٨ ص. ١٥ × ١٠ سم. ٧ س.

نسخة أخرى
حديثة الخط، ناقصة الآخر.
الرقم: ١٤٨٥٨.
٢٠ ص. ١٩ × ١٢ سم. ١٥ س.

(مخطوطات الأدب / ١٥٠، ١٥١)

وتوجد نسخة في دار الكتب القطرية مدرجة في قسم التصوف والآداب الشرعية بالرقم التسلسلي ٣٠ تحت عنوان: الحكم. وجاء بيانها كما يلي:

الحكم: لابن عطاء السكندري (ت ٧٠٩ هـ) انظر الكشف ١/ ٦٧٥.

أوله: «بسملة، قال شيخ الإمام... في الاعتدال بين الرجاء والخوف.

٢٠ ورقة ضمن مجموعة من ٨٩ ـ ١٠٩ .

الكتاب الخامس في المجموعة رقم ٣٦٠ (المنتخب ق ٣ / ٤٤ ، ٤٥) .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٩ ، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٠ ، ١٥١ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤ ، ٤٥) .

*** الحكم الفائقة ذات الأنوار الشارقة :**

من مخطوطات الأدب في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم ٢٥٩ / ٢ .

لعبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسيني الحضرمي الحداد أو الحدادي المعروف (باعلوي) المتوفى سنة ١١٣٢ هـ / ١٧٢٠ م .

الأول : (الخلق مع الحق لا يخلو أحد منه ، أن يكون في إحدى الدائرتين ، إما دائرة الرحمة أو دائرة الحكمة . . . النائم يوقظ ، والغافل يذكر . .) .

وهي مجموعة من الأقوال والحكم البليغة والأمثال .

كتبها بخط النسخ الجيد محمود بن محمد سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م .

٧ ص . ٣٠ × ٢٠ سم . ٢٥ س .

معجم المؤلفين ٦ / ٨٥ .

ولد المؤلف في السبير من ضواحي حضرموت وتوفى في الحاوي . ودفن بتريم ، كان كفيفًا اضطهده اليافعون حكام تريم فانتقل إلى الحاوي وكان فقيهًا صوفيًّا من مؤلفاته ، عقيدة التوحيد ، الدعوة التامة والتذكرة العامة ، المسائل الصوفية ، إتحاف السائل بأجوبة المسائل ، تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي .

الأعلام ٤ / ١٠٤ .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥١) .

*** الحُكْم (في علم أصول الفقه) :**

قال الإمام الفيروزابادي في باب الحكم :

اعلم أن الحكم هو الذي تعلق على العلة من التحليل والتحريم والإسقاط وهو على ضربين : مصرح به ، ومبهم فالمصرح به أن نقول فجاز أن يجب أو فوجب أن يجب وما أشبه ذلك ، والمبهم على أضرب منها : أن نقول فأشبه كذا فمن الناس من قال إن ذلك لا يصح لأنه حكم مبهم ومنهم من قال إنه يصح وهو الأصح لأن المراد به فأشبه ، كذا في الحكم الذي وقع السؤال عنه وذلك حكم معلوم بين السائل والمسئول فيجوز أن يمسك عن بيانه اكتفاء بالعرف القائم بينهما . ومنه أن يعلق عليهما التسوية بين حكمين كقولنا في إيجاب النية في الوضوء إنه طهارة فاستوى جامدها ومائعها في النية كإزالة النجاسة ومن أصحابنا من قال إن ذلك لا يصح لأنه يريد به التسوية بين المائع والجامد في الأصل في إسقاط النية وفي الفرع في إيجاب النية وهما حكمان متضادان ، والقياس أن يشتق حكم الشيء من نظيره لا من ضده ونقيضه ومنهم من قال إن ذلك يصح وهو الصحيح لأن حكم العلة هو التسوية بين المائع والجامد في أصل النية والتسوية بين المائع والجامد في النية موجود في الأصل والفرع من غير اختلاف ، وإنما يظهر الاختلاف بينهما في التفصيل وليس ذلك حكم علته ؛ ومنها أن يكون حكم العلة إثبات تأثير لمعنى مثل قولنا في السواك للصائم إنه تطهير يتعلق بالفم من غير نجاسة ، فوجب أن يكون للصوم تأثير فيه كالمضمضة فهذا يصح لأن للصوم تأثيرا في المضمضة وهو منع المبالغة كما أن للصوم تأثيرا في السواك وهو في المنع منه بعد الزوال وإن كان تأثيرهما مختلفا واختلافهما في كيفية التأثير لا يمنع صحة الجمع لأن الغرض إثبات تأثير الصوم في كل واحد منهما وقد استويا في التأثير فلا يضر اختلافهما في التفصيل .

(اللمع في أصول الفقه للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزابادي / ٦١) .

*** الحُكْم (في علم التوحيد) :**

الحكم : هو إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر .

والحاكم إما الشرع ، وإما العادة ، وإما العقل ، ولهذا انقسم الحكم الى ثلاثة اقسام :

١ ـ شرعي ٢ ـ عادي ٣ ـ عقلي

١ ـ الحكم الشرعي :

وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما .

فالطلب يشمل الإيجاب ، والندب والتحريم والكراهة .

١ ـ الإيجاب : هو طلب الفعل طلبا جازما مثل الإيمان بالله ورسله .

٢ ـ الندب : هو طلب الفعل طلبا غير جازم مثل صلاة الضحى .

٣ ـ التحريم : هو طلب الترك طلبا جازما كطلب ترك الإشراك بالله والزنا .

٤ ـ الكراهة : هي طلب الترك طلبا غير جازم مثل القراءة في الركوع والسجود .

وأما الإباحة فهي التخيير بين الفعل والترك مثل البيع والنكاح .

وأما الوضع لهما أي الطلب والإباحة. فهو جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا.

فالسبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود بالنسبة لذاته مثل الزوال فإنه سبب لوجود الظهر.

والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم مثل الطهارة بالنسبة للصلاة، والمانع ما يلزم من جودة العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم مثل الحيض يلزم من وجوده عدم وجوب الصلاة ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لتوقف وجوبها على أسباب أخرى.

٢ ـ الحكم العادى:

هو إثبات الربط بين أمر وأمر وجودا وعدمًا بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس (الظاهر والباطن).

كالحكم بأن النار تحرق والأكل يشبع والماء يروى وأقل ما يتحقق به للتكرار مرتين.

وليس معنى هذا الحكم أن النار مؤثرة بذاتها بل هذا الاقتران يصح تخلفه لأن الدليل قام على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله سبحانه وتعالى ولهذا كان الحق أن الارتباط بين الأسباب ومسبباتهم عادى فمن اعتقد أن الأسباب تؤثر في مسبباتها بطبيعتها فهو كافر، ومن قال إن التأثير بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق، ومن قال إن المؤثر هو الله ولكن الارتباط بينهما عقلي فهذا غير مقبول مخافة أن يجره اعتقاده هذا إلى إنكار ما خالف العادات كمعجزات الأنبياء.

ولم يبق إلا أن الارتباط بينهما عادى وهو ما عليه جمهور أهل السنة (مذكرة التوحيد والفرق / ٢٦ ، ٢٧).

٣ ـ الحكم العقلي:

قال ناظم الخريدة رضى الله عنه.

٩ - *أقســـــام حكـم العقل لا محــــالــــه*
هـي الـــــوجــــوب ثـم الاستحـــــالــــه

١٠ - *ثـم الجـــــواز ثـــــالـث الأقســـــام*
فـــــافهـم مُنحـت لـــــذة الأفهـــــام

مشيرا إلى أن الحكم العقلى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: وجوب واستحالة وجواز. (من الخريدة البهية / ١٠).

فالحكم العقلى: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع فإن توقف على تكرار فهو العادى أو على وضع واضعه فالشرعي وعلم أن كل ما حكم به العقل إن قبل الثبوت والنفى فهو الجائز وإن لم يقبل إلا العدم فهو المستحيل ولهذا انقسم الحكم العقلى إلى ثلاث أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز.

الواجب: هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء لذاته (أما الواجب فهو الثبوت الذي لا يقبل الانتفاء).

ينقسم الى قسمين:

١ ـ ضرورى ـ وهو ما لا يتوقف إدراك وجوبه على نظر مثل التحيز للجرم وصغر الولد عن أبيه.

٢ ـ نظرى ـ ما توقف إدراك وجوبه على نظر واستدلال مثل قدم الإله وعلمه.

المستحيل: ما لا يتصور العقل وجوده، أى ما لا يصدق بوجوده (والاستحالة هى الانتفاء الذي لا يقبل الثبوت).

وهو قسمان:

١ ـ ضرورى، وهو ما لا يحتاج في إدراك استحالته إلى بحث مثل خلو الجرم عن الحركة والسكون أو ثبوتهما معا له.

٢ ـ نظرى: وهو ما احتاج في إدراك استحالته إلى فكر واستدلال. مثل تعدد الإله وكذب الرسل.

الجائز: ما يصح في نظر العقل ثبوته وعدمه أو ما يقبل الثبوت والعدم لذاته (والجواز هو قبول الثبوت والعدم).

وهو قسمان:

١ ـ ضرورى وهو ما لا يتوقف إدراك جوازه على بحث واستدلال مثل الحركة أو السكون بالنسبة للجسم.

٢ ـ نظرى ما توقف إدراك جوازه على بحث واستدلال مثل تعذيب المطيع وإثابة العاصى فهو ممكن عقلا ممتنع شرعا.

فإن العقل لا يدرك جواز ذلك إلا بعد الوقوف بالدليل على أن الفعل لله وحده وأنه لا يسأل عما يفعل.

ثم اعلم أن الجائز لذاته قد يكون واجبا لغيره وذلك إذا تعلق علم الله بوجوده كإيمان أبي بكر وقد يكون مستحيلا لغيره، اذا تعلق علم الله بعدمه كإيمان أبي جهل.

ولا يغيب عنك أن الواجب والجائز والمستحيل أقسام لمتعلق الحكم العقلى، مما تقدم يتضح الفرق بين الحكم العقلى والشرعى والعادى.

فالحكم العقلى: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تجربة ولا وضع واضع.

والحكم الشرعى: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما.

والحكم العادى: إثبات الربط بين أمر وأمر وجودًا وعدمًا بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس (مذكرة التوحيد والفرق / ٢٨ ، ٢٩)

(مذكرة التوحيد والفرق ـ حسن السيد متولي ١ / ٢٦ ـ ٢٩ ، ومتن الخريدة البهية فى علم التوحيد للإمام أبى البركات سيدى أحمد الدردير

/ ١٠ انظر أيضًا شرح الخريدة في علم التوحيد - تصحيح وتعليق حسين عبد الرحيم مكى / ١١ ، وشرح أم البراهين - الشيخ أحمد بن عيسى الأنصارى / ٥ ، والمختصر البسيط في علم التوحيد - د . طنطاوى مصطفى طنطاوى / ٨ ، ٩).

*** الحكم المسند بترجيح بيّنة ذى اليد:**

الرسالة رقم ٤٠ من التحقيقات القدسية (انظر هذه المادة في م ٩ / ٥٢ - ٦٠) أحد مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وبيان الرسالة كما يلى :

جواب سؤال في رجل بيده شيء ادعى عليه آخر أنه ملكه ، وضاع منه منذ سنة ونصف ، وأنه فى يد المدعى عليه بغير حق ، وأنه يطالبه به ، فأجاب المدعى عليه بوضع اليد بحقٍ بمقتضى شرائه من آخر منذ خمس سنوات سابقة على تاريخه وأقام كل بينته ، فمن تسمع بينته؟

أولها : الحمد لله موضح سبيل الهداية ، المانّ بمعراج الدراية ، المرقى إلى نهاية الغاية بالعناية .

آخرها : ولولا الاحتياج لما ذكرته عن الكافي ، ما سطرت عبارته خشية الإطالة مما لا اضطرار إليه فيما يخصنا ، فإن الذى قدمته قبله هو عين المسألة .

عليها مقابلة على نسخة المؤلف سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٣٧٧ - ٣٨١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

*** حِكم وأشعار :**

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩٥٠ .

المؤلف : مجهول .

أوله : « فقدهم أخبارهم ، رحم الله النفوس النفيسة الشيم كيف أبادها الدهر وعليها حطم ، وصيّرها بعد الوجود إلى العدم ، وخلا الزمان من تلك الوجوه الصباح . . . » .

أبوابه :

١ - باب في مدح العزلة والوحدة .

٢ - باب في مدح العتاب .

٣ - باب في مدح الزيارة .

٤ - باب في مدح الهدية .

٥ - باب في مدح الجود والسخاء .

٦ - باب في مدح صيانة المال .

٧ - باب في مدح التجارة .

٨ - باب في مدح النساء والعيال .

٩ - باب في مدح السفر والغربة .

١٠ - باب في مدح الشباب .

١١ - باب في مدح الشيب .

١٢ - باب في مدح المرض والأسقام .

١٣ - باب في مدح الموت .

آخره : « . . .

وقد تنطق الأشياء وهى صوامت ... وما كل نطق الناطقين كلام

وما كل ما قد قيل علم وحكمة ... وما كل أفراد الحديد حسام

نفعنا الله بأخبار الأبرار، ووفقنا للاقتداء بالأخيار ، بحرمة النبى المختار صلى الله عليه وسلم » .

النسخة ناقصة من أولها بما يقرب من مئة ورقة .

كتبت بخط نسخ جميل

١٠٨ ق ١٩ س ١٥ × ٢١,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه . رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٨٣ ، ١٨٤) .

*** حِكم وحكايات:**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٠٣٥ .

كتاب فى الحكم والمواعظ والحكايات وأشعار صوفية وغير ذلك من عبارات الرقائق والزهد .

المؤلف : ؟

أوله مخروم يبتدىء بـ: عتاب ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾

وصلى الله على رسوله سيد الأعجام والأعراب أشرف مولود . . . اللهم اجعلنا من أتباعهم واحشرنا في زمرتهم . وفي ق ٤٧ ب قال الجنيد بينما أنا أنظر فيما ينفع الناس ذكره إذ رأيت شابا يعظ الناس وهو يقول : إلهى أنت بعلم حال المتعلقين بجنابك الخائفين من حر عقابك اللهم توفنى على حبك . . .

آخره : تجتمع فيه أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة فيتكلم بالحكمة التى وعاها والآداب التى حفظها . . أيها الحكام من الحكمة . . .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١) .

*** حكم ومواعظ وأمثال:**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي .

الرقم : ١٢٤٢٦ .

الأول : (الدين يعصم ، والدنيا تسلم ، الدنيا أحد ، والآخرة أبد . . .)

رتبها الجامع على حروف الهجاء .

نسخة جيدة ، مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي في أولها زخرفة .

كتبها محمد الملقب نصر الله سنة ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م .

٦٤ص . ٢٠ × ١٥ سم . ٩س .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٢) .

*** الحكمة :**

قال التهانوي :

الحكمة بالكسر في الأصل هي إتقان الفعل والقول وأحكامهما وفي اصطلاح العلماء تطلق على معان منها علم الحكمة وبيان الحكمة النظرية . ومنها معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهو التكاليف الشرعية هكذا في التفسير الكبير في تفسير قوله تعالى **﴿ ذلك بما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾** [الإسراء : ٣٩] في سورة بني إسرائيل ويقرب منه ما ذكر أهل السلوك من أن الحكمة معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات والحكمة بهذا المعنى أخص من علم الحكمة لأنها من أنواعه كما لا يخفى ومنها هيئة للقوة العقلية العملية متوسطة بين الجربزة وهي هيئة تصدر بها الأفعال بالمكر والحيلة من غير اتصاف وبين البلاهة وهي الحمق والحكمة بهذا المعنى أحد أجزاء العدالة المقابلة للجور وظن البعض أنها هي الحكمة العملية وهذا باطل إذ هي ملكة تصدر عنها أفعال متوسطة بين الجربزة والغباوة والحكمة العملية هي العلم والأمور المخصوصة والفرق بين الملكة والعلم ظاهر وكذا هي مغايرة لعلم الحكمة إذ هي العلم بالأشياء مطلقا سواء كانت مستندة إلى قدرتنا أو لا. كذا في شرح المواقف في خاتمة مبحث القدرة . ومنها الحجة القطعية المفيدة للاعتقاد دون الظن والإقناع الكامل قال الله تعالى **﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾** [البقرة : ٢٩٦] وقال **﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة ﴾** [النحل : ١٢٥] في التفسير الكبير في تفسير هذه الآية في آخر سورة النحل وحاصل هذا أن الحكمة تطلق على البرهان أيضا ويؤيده ما وقع في شرح المطالع أن صاحب البرهان يسمى حكيما . ومنها فائدة ومصلحة تترتب على الفعل من غير أن تكون باعثة للفاعل على الفعل وتسمى بالغاية أيضا .

(كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٧٠) .

من أشعار الفنان الراحل ... إبراهيم

كلما سطرت سطراً ضاع من عمري سطر

والحكمة في اصطلاح الصوفية كما يعرفها الشيخ القاشاني : هي العلم بحقائق الأشياء ، وأوصافها ، وخواصها ، وأحكامها ، على ما هي عليه ، وارتباط الأسباب بالمسببات ، وسرار انضباط نظام الموجودات والعمل بمقتضاه **﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾** [البقرة : ٢٦٩] ويعلق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر على هذا التعريف بقوله : الحكمة : مفهوم هذه الكلمة في الاستعمال العربي يدل على تنوع لا نظير له . ومن الصحيح أن استعمال الكلمة كان يقصد به في كثير من الأحيان وبخاصة في المراحل المبكرة للإسلام : الاتجاه إلى الجانب السلوكي الذي يتسم بالسداد والتوفيق والإصابة بأيسر الطرق لكنه المصطلح بعد ذلك ربط بالشرائع كما هو عند التفتازاني وقد ذكر التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون ـ ٥٠) أن هذا لا ينافي ما ذكر من أن السالكين بطريق أهل النظر والاستدلال وطريق أهل الرياضة والمجاهدة إن اتبعوا ملة فهم المتكلمون والصوفية ، وإلا فهم الحكماء المشائيون والإشراقيون إذ لا يلزم منه ألا يكون المتكلم والصوفي حكيما ، بل غاية ما يلزم منه ألا يكون حكيما مشائيا أو إشراقيا . ومن المعاني التي فسرت بها كلمة حكمة على الترتيب : القرآن وذلك استنادا إلى حديث نبوي ، النبوة وبه فسرت الآية القرآنية « ... وآتيناه الحكمة ... » أي النبوة ، الفقه والفهم عن الله وقد ترتبط الكلمة بالمجال الفكري العام دون النقيد ضرورة بجانب ديني ، وقد تربط بالمجال النفسي والموقف السلوكي كقولهم الحكمة « خشية الله » . ويلاحظ بعضهم أن العرب تقول « حكمة الرجل » إذا منعته من الضرر والخروج عن الحق . ومن هنا استنبط أن الحكمة جماع العلوم كلها

وقد ورد في القرآن عن الحكمة أنها الخير الكثير (البقرة ـ ٢٦٨) وفسرت في الآية الكريمة ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب : ٣٣] بالسنة وقد فسرت في غير ذلك بالكمال الحاصل للنفس الخارجة من القوة إلى الفعل ، وقد تتطابق مع الفلسفة كما هو الحال عند ابن سينا (تسع رسائل الرسالة الخامسة ـ ١٠٤ ، ١٠٥) ويرى الغزالي أن أطراف الحكمة في جوانب ثلاثة جانب الاعتقادات ، جانب الأقوال ، ثم جانب الأفعال فيقول حقيقة الحكمة معرفة الحق من الباطل في الاعتقادات ، والصدق والكذب في الأقوال والحسن والقبيح في الأفعال (روضة الطالبين ـ ٣٣٥) ويورد العاملي (الكشكول ٢/ ٤١٣) تعريفا يصور نظرة المتأخرين من الصوفية إذ يقول « إنها العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه ، وارتباط الأسباب بالمسببات وأسرار انضباط نظام الموجودات والعمل بمقتضاه . ومن استقرأ أقوال الصوفية يفهم أن الحكمة نوعان : منطوق بها وهي العلوم الشرعية والنظرية ومسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة ولعل القاشاني يؤيد هذا الرأي وقد أورد صاحب البحر المحيط (٢/ ٣٢٠) تسعة وعشرين رأيا في تحديد مفهوم الحكمة فليرجع إليه (اصطلاحات الصوفية / ٦١) .

ويسوق الإمام ابن الجوزي أوجه ورود الحكمة في القرآن الكريم بادئًا بتعريف لها فيقول :

قال بعض العلماء : الحكمة ضرب من العلم ؛ يمنع من ركوب الباطل . وقال غيره : خروج نفس الإنسان إلى كمالها الممكن لها في حدي العلم والعمل فحينئذ يكون الخلق الذي يسمى العدالة . وقال ابن قتيبة : الحكمة العلم والعمل لا يكون الرجل حكيمًا حتى يجمعهما . وقال ابن فارس : أصل الحكم المنع . وحكمت السفيه وأحكمته أخذت على يده، قال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم
إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة في القرآن على ستة أوجه :

أحدها : النبوة، ومنه في البقرة ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ [٢٥١] ، وفي ص ﴿وآتيناه الحكمة﴾ [٢٠] .

والثاني: القرآن، ومنه في النحل ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ [١٢٥] .

والثالث : علوم القرآن ، ومنه في البقرة ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ [٢٦٩] .

والرابع : السُّنة ، ومنه في البقرة ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ [١٥١] .

وفيها : ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ [٢٣١]، وفي النساء ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ [١١٣] .

والخامس : الموعظة ، ومنه في القمر ﴿حكمة بالغة﴾ [٥] .

والسادس : الفهم، ومنه في الأنعام ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾ [٨٩] (منتخب قرة العيون النواظر / ٩٩ ، ١٠٠) .

وقد رأينا أن نقتصر في هذه المادة على الحكمة بمعنى النصيحة والموعظة للحاجة إليهما في هذا الزمان ولأن تراث الأدب العربي يزخر بنماذج منها ، ومن ثم فإننا نطبق التعريف التالي الذي أورده الأستاذ عبد الوهاب حمودة مع تعليقه على ذيوع الحكمة في عصر السيوطي، مع تعريف الحكمة كما ورد معناها في الآية، من سورة القمر التي ساقها الإمام ابن الجوزي آنفا . والتعريف هو كما يلي :

الحكمة كما يقال : حقيقة أو قول صادق مسلم به ، مصوغ في عبارة موجزة غالبا ، وقد تكون ـ أو كثيرا ما تكون ـ الحكمة نصيحة صبت في قالب من اللفظ مقتضب . ويستمد من الناحية الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية أو تدور حولها . والحكم ـ غالبا ـ وليدة طول الدراسة وبعد الثقافة وعمق النظر وحسن الفهم وسعة الإحاطة والعلم بالأمور .

ومن هنا كانت وثيقة الصلة بعلوم الفلسفة والمنطق والمعقولات بصفة عامة .

غير أن انتشار الروح الدينية وإقبال العلماء على فهم الشريعة الغراء ثم التنازع فيما بينهم على العقائد، هذا إلى ذيوع التصوف (يقصد في عصر السيوطي) كل ذلك كان ذا أثر في وجود شيء من الحِكم .

وللجلال السيوطي مقالة اسمها «درر الكلم وغرر الحكم» .

وهي مكونة من حكم مزدوجة غالبا بمعنى أن كل حكمة مكونة من جملتين مجموعتين، تكمل إحداهما الأخرى :

وهي في مجموعها تدل على ثقوب بصر وسعة معرفة بشئون الناس وأخلاقهم، وأمور المجتمع وأوضاعه . منها قوله :

صلة الناس ليس لها عائد، ومعرفتهم نزرة الفوائد ــ من عرف الناس خص بالبلاء وأحاط به الرق والولاء ـ رب امرئ أوليته جميلا فكان بالإساءة إليك حميلا ـ عليك بعلم الشريعة فإنه إلى الله أقوى الذريعة ـ أفٍّ للدنيا تقدم الجاهل وتؤخر الفاضل، وتبًّا للعلياء يفوتها السابق والفاضل ــ رب ساكت أعلم من ناطق ــ رب رجل أزهى من ذباب وهو أوهى من سراب ـ ما للعوام غير السيف ولو أصابهم الحيف ـ اعضض على الحق بناجذيك ، واغضض عن الخلق شاهديك . (صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي/ ١١٦، ١١٧) .

وقد أورد الأمير أسامة بن منقذ صاحب كتاب لباب الآداب أمثلة عديدة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة ومن شعر الشعراء . وسوف نقتصر بالنسبة للآيات القرآنية، على ذكر أرقام

الآيات ومواضعها من السُور إذ سبق أن أوردنا معظمها آنفا وهى كما يأتى :

[البقرة : ٢٦٩ ، آل عمران : ٤٨ ، النساء : ٥٤ ، ١١٣ ، والمائدة : ١١٠ ، والنحل : ١٢٥ ، والإسراء : ٣٩ ، والأحزاب : ٣٤ وص : ٢٠ ، والزخرف : ٦٣ ، والقمر : ٤ ، ٥ ، والجمعة : ٢] .

ثم ينتقل ابن منقذ إلى الأحاديث النبوية ثم الشعر وذلك على النحو التالى ، وقد وضعنا تعليقات المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله ، بين أقواس فى ثنايا النص :

قال النبى ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها قيّدها واتبع ضالة أخرى» (الحديث ضعيف فى كل أسانيده على اختلاف رواياته ... وقوله هنا : «واتبع ضالة أخرى» لم أجده فى شىء من الروايات) .

وقال ﷺ : «إذا رأيتم من الرجل المؤمن زهدًا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه ، فإنه يلقى الحكمة» (رواه ابن ماجه (٢/ ٢٧١) من حديث أبى خلاد ونقله السيوطى (رقم ٦٣٥) ونسبه أيضا لأبى نعيم والبيهقى من حديث أبى خلاد ومن حديث أبى هريرة) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال : هى المعرفة بالقرآن .

وقال مجاهد رحمه الله فى قول الله تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [لقمان : ١٢] الفقه والعقل والإصابة فى القول .

وقال الحكم بن أبان : خير ما أوتى العبد فى الدنيا الحكمة ، وخير ما أوتى العبد فى الآخرة الجنة ، وخير ما سئل الله تعالى فى الدنيا العافية .

وقال الشاعر :

وكيف تريد أن تدعى حكيما ... *وأنت لكل ما تهوى ركوب*

وتضحك دائبًا ظهرا لبطن ... *وتركب الذنوب ولا تتوب*

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : من أحب الجنة انقطع عن الشهوات ، ومن خاف النار انصرف عن السيئات ، ومن لزم الحرص عدم الغنى ، ومن طلب الفضول وقع فى البلاء .

قيل : وجد على حجر بأنطاكية :

إن الزمان وإن ألا ... *ن لأهله لمخاشن*

تخطو به المتحركا ... *ت كأنهن سواكن*

وقال آخر :

لا تجزعن على ما فات مطلبه ... *وإن جزعت فماذا ينفع الجزع ؟!*

إن السعادة يأس إن ظفرت به ... *فدونك اليأس ، إن الشقوة الطمع*

وقال عمرو بن معدى كرب :

إذا لم تستطع أمرًا فدعه ... *وجاوزه إلى ما تستطيع*

وقرئ على باب مقبرة :

رب قوم قد غنوا فى نعمة ... *برهة والدهر ريان غدق*

صمت الدهر زمانا عنهم ... *ثم أبكاهم دما حين نطق*

وقال آخر :

وساخط عيش قد تبدل غيره ... *وراض بعيش غيره يتبدل*

وبالغ أمر كان قد حيل دونه ... *ومختلج من دون ما كان يأمل*

وقال آخر :

نرجو ونخشى والقضا ... *ء له التصعد والحدور*

وإلى الذى نرجوه أو ... *نخشاه ما حدثت أمور*

(الحدور : مصدر «حدرت الشىء» إذا أنزلته من علو إلى سفل) .

وقال لبيد :

واكذب النفس إذا حدثتها ... *إن صدق النفس يزرى بالأمل*

وقال البعيث :

فلا تكثرن فى إثر شىء ندامة ... *إذا نزعته من يديك النوازع*

قيل : سمع كعب الأحبار رحمه الله رجلاً ينشد قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال : والذى نفسى بيده ، إن هذا مكتوب فى التوراة .

وقال تميم بن أبى بن مقبل :

لا يحرز المرء أحجاء البلاد ولا ... تبنى له فى السماوات السلاليم

مـــا أطيب العيش لـــو أن الفتى حجـــر
تنبـــو الحـــوادث عنــــه وهــــو ملمـــوم

وقال الهذلي : (هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت من قصيدته المشهورة في رثاء بنيه ، وهي من المفضليات للضبي ٣/ ١٠٣ ـ ١٠٧)

والنفس طـــــامعـــــة إذا رغَّبتهـــــا
وإذا تـــــــــــرد إلى قليل تقنـــع

قيل : جمع أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الناس ليلة لسمره ، فلما أخذوا مجالسهم قال : أخبروني بسابق الشعر والمصلي والثالث والرابع ؟ قالوا : ليخبرنا الأمير أعزه الله . قال سابق الشعر : قول المرقش :

فمن يلق خيـرًا يحمـــد النـــاس أمـــره
ومن يغـــو لا يعـــدم على الغي لائمـــا

والمصلي : قول طرفة بن العبد :

ستبـدي لـك الأيـام مـا كنت جـاهـلاً
ويأتيك بـــالأخبـــار مـن لم تـــزود

والثالث : قول النابغة الذبياني :

ولست بمستبـق أخـــــا لا تلمـــــه
على شعث ، أيُّ الـــرجـال المهـــذب ؟!

والرابع : قول القطامي

قـــد يـــدرك المتأني بعض حــــاجتـــه
وقـــد يكـــون مع المستعجـل الــزلل

وقال آخر:

أيهـــا القلب لا تـــرعـك الظنـــون
فعسى مـــا تخـــافـــه لا يكـــون
وعسى مـــا استشـــد واستصــــ
ـــعب الساعـة من بعـد ساعـة سيهـون
إن ربـــا كفـــاك بـــالأمس مـــا كـــا
ن سيكفيك في غـــد مـــا يكـــون

(لباب الآداب/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦)

قالت المؤلفة : كانت النصوص العربية المقررة على المدارس الابتدائية في زماننا تزخر بشعر الحكمة والموعظة عملا بقول أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله في أرجوزته الموسومة بدول العرب وعظماء الإسلام :

إن الصبي مـــا تغـــذيـــه اغتـــذى
فأكثـــر عليـــه في المثـــال المحتـــذى

وكان يجمعها كلها كتاب لطيف بعنوان «مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع» . وننقل إليك منه ثلاثة نماذج ونرجئ الباقي الذي نورده مع تراجم مؤلفيه إن شاء الله تعالى .

النموذج الأول لأبي محمد اليمني الملقب بنجم الدين ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ في المواعظ . أصله من اليمن واستوطن مصر ولم يفارقها . كان فقيها شافعي المذهب شديد التمسك بالسنة أديبا ماهرًا وشاعرًا مجيدًا ومحادثًا ممتعًا . قال رحمه الله مع ملاحظة أننا رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها .

١ - *ولا تحتقـــر كيـــد الضعيف فـــربمـــا*
تمـــوت الأفـــاعي من سمـــوم العقـــارب

٢ - *وقـد هـد قـدمًا عـرش بلقيس هـدهـد*
وخـــرَّب حفـــر الفأر ســـدًّا لمأرب

٣ - *إذا كـان رأس المـال عمـرك فـاحترز*
عليـــه مـن الإنفـــاق في غيـــر واجب

٤ - *فبين اختـــلاف الليـل والصبح معـرك*
يكـــر علينـــا جيشــــه بـــالعجـــائب

٥ - *ومـــا راعني غـــدر الشبـــاب لأنني*
أنست بهـــذا الخلـق من كـل صـــاحب

٦ - *وغـــدر الفتى في عهـــده ووفـــائه*
وغـــدر المـــواضي في نبـــو المضـــارب

وفيما يلي شرح الأبيات :

البيت ١ : يعني أن الحيات تموت في بعض الأحيان من سموم العقارب مع أن الأولى أشد وأقوى من الثانية .

البيت ٢ : بلقيس بكسر الباء كانت ملكة اليمن . وسبأ حاضرة ملكها . وكان شراحيل، أبو بلقيس، ملكا لليمن قبلها ؛ سبقه أربعون ملكا من آبائه، ولم يكن له ولد غيرها ، فتغلبت على الملك . وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس ، وكان لها عرش عظيم، يقدر بثمانين ذراعا في مثلها، وبناؤه من ذهب وفضة، مكلل بالجواهر ، وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ، ومعنى قوله : وقد هد قدما عرش بلقيس هدهد، أنه كان سببا في ذلك لأنه هو الذي أخبر به سليمان عليه السلام، كما في قصة الهدهد مع بلقيس وسليمان المذكورة في القرآن الكريم، في سورة النمل، من قوله تعالى : ﴿**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾[النحل : ٢٠ ـ ٤٤] . مأرب كمنزل وهي بلد كانت في موضع سبأ . وكان لها سد سلط الله عليه الخَلَدَ، وهي الفأرة العمياء، فنقبته .

البيت ٤ : يعني أن حوادث الدهر تمر على الإنسان دون انتظار

لها: فتارة تسره وتارة تحزنه، ومعنى هذا البيت هو معنى ما قاله بعض الشعراء:

*إن الليالي حبالى * يلدن كل عجيب*

البيت ٥: يعني أن الغدر عام في كل شيء فلا يستغرب من الشباب.

البيت ٦: غدر السيوف في عدم قطعها.

والنموذج الثاني لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ من مقصورته في الحكم والأخلاق الكريمة:

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما
راح به الواعظ يومًا أو غدا
من لم تفده عبرًا أيامه
كان العمى أولى به من الهدى
من قاس ما لم يره بما يرى
أراه ما يدنو إليه ما نأى
من عارض الأطماع باليأس رنت
إليه عين العز من حيث رنا
من لم يقف عند انتهاء قدره
تقاصرت عنه فسيحات الخطا
من ناط بالعجب عرا أخلاقه
نيطت عرا المقت إلى تلك العرا
من طال فوق منتهى بسطته
أعجزه نيل الدنا بل القصا
وللفتى من ماله ما قدمت
يداه قبل موته لا ما اقتنى
وإنما المرء حديث بعده
فكن حديثًا حسنًا لمن وعى

وإليك شرح المعاني:

البيت ٤: رنا: نظر

البيت ٥: المعنى أن لكل إنسان قدرًا إذا تجاوزه عجز

البيت ٦: ناط: علق. العرا جمع عروة وهي من القميص ما يدخل فيها الزر

البيت ٧: القُصا: جمع قصوى وهي البعيدة

البيت ٨: لا يعد من مال الإنسان إلا ما أنفقه في الخير في حال حياته لا ما جمعه

البيت ٩: لا يبقى للإنسان غير حسن الأحدوثة فاجتهد أن تخلف ذكرًا حسنًا.

أما النموذج الثالث فهو في النصائح مما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، المتوفى سنة ٤٠ هـ، وهو قوله:

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالمًا والقول فيك جميل
ولا تريَن الناس إلا تجملاً
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قلّ ماله
ويغنى غني المال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلون
إذا الريح مالت مال حيث تميل
جوادٌ إذا استغنيت عن أخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدُّهم
ولكنهم في النائبات قليل

وقد أورد الكتاب نفسه حكمًا مأخوذة من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه هي كما يلي؛ ويعقبه الشرح بأرقام الهوامش:

المقدرة تذهب الحفيظة [٣]. اصطناع المعروف يقي مصارع السوء[٤]. بالساعد تبطش الكف[٥]. عواقب المكاره محمودة[٦] خير مالك ما نفعك ولم يضع من مالك ما وعظك. تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره. شر الفقر الخضوع [٧]. اطلب تظفر[٨]. من العجز نتجت الفاقة [٩]. قبل الرماية تملأ الكنائن. خير الأمور أوسطها. الندم توبة. الاعتراف يهدم الاقتراف [١١]. عليكم بالجماعة فإن الذئب إنما يصيب من الغنم الشاردة [١٢]. الرفق يُمن [١٣]. رب أكلة تحرم أكلات. لا يهلك امرؤ عن مشورة[١٤]. أبل عذرا وخلاك ذم [١٥]. رب عجلة تعقب ريثا [١٦]. إن الجبان حتفه من فوقه [١٧]. من مأمنه يؤتى الحذر [١٨]. النفس مولعة بحب العاجل [١٩]. لا تطلب أثرا بعد عين [٢٠]. الظلم مرتعه وخيم. ليس من العدل سرعة العذل. رب ملوم لا ذنب له. من لم يذد عن حوضه يهدم [٢١]. من حفر مغواة وقع فيها [٢٢]. لا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة. رضا الناس غاية لا تدرك [٢٣].

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس [٢٤]

السعيد من وعظ بغيره

الشرح:

(٣) إذا قدر المرء على من أساء إليه ذهب غضبه. والمقصود أنه يجب على الإنسان أن يعفو عمن أساء إليه عند قدرته عليه.

(٤) يفسر ذلك بمثل وهو: اصطنعت حمامة معروفًا عند نملة كانت على وشك الغرق في نهر: بأن رمت إليها ورقة من شجرة

فسبحت عليها النملة إلى الضفة ونجت . وكان صياد فى ذلك الوقت يصوب بندقته إلى الحمامة فلدغته النملة فى رجله فاضطربت يده وعدت الرصاصة الحمامة فطارت . فوقاها اصطناعها المعروف عند النملة من مصرع السوء هذا وهو القتل .

(٥) لا قوة للكف إلا بالساعد .

(٦) ما يشق على الإنسان فى مبدأ أمره قد تكون نهايته حميدة .

(٧) إن أسوأ أنواع الفقر التذلل .

(٨) لا تضجر من الطلب إذا أردت أن تنال حاجتك .

(٩) الفقر يتولد من قعود الإنسان عن العمل والتبلد فى الطلب .

(١٠) الكنائن جمع كنانة وهى الجَعْبة التى توضع فيها السهام والرماية رمى السهم عن القوس . ويشبهه رمى الرصاصة عن البندقية . والمقصود من ذلك إعداد المعدات للشىء قبل مباشرته .

(١١) الإقرار بالذنب يمحو عقابه أو يخففه .

(١٢) القوة فى الاجتماع والضعف فى الانفراد .

(١٣) التلطف فى الأمور وعدم التشدد فيها مجلبة للبركة والخير.

(١٤) الاستشارة فى الأمور منجاة من الهلاك .

(١٥) اجتهد فى العمل وأد واجبك تنج من الذم .

(١٦) ربما كان الإسراع فى أمر سببا فى تأخيره .

(١٧) الموت لا بد منه فلا معنى للجبن .

(١٨) المتيقظ الشديد الاحتراس قد يصاب من حيث يظن أنه آمن .

(١٩) المرء شغوف بأن ينال حاجته على عجل .

(٢٠) لا تترك الجوهر إلى العرض .

(٢١) من لم يدافع عن نفسه يظلم .

(٢٢) من أعد مهلكة يقصد بها الشر يقع فيها .

(٢٣) المثلان بمعنى واحد .

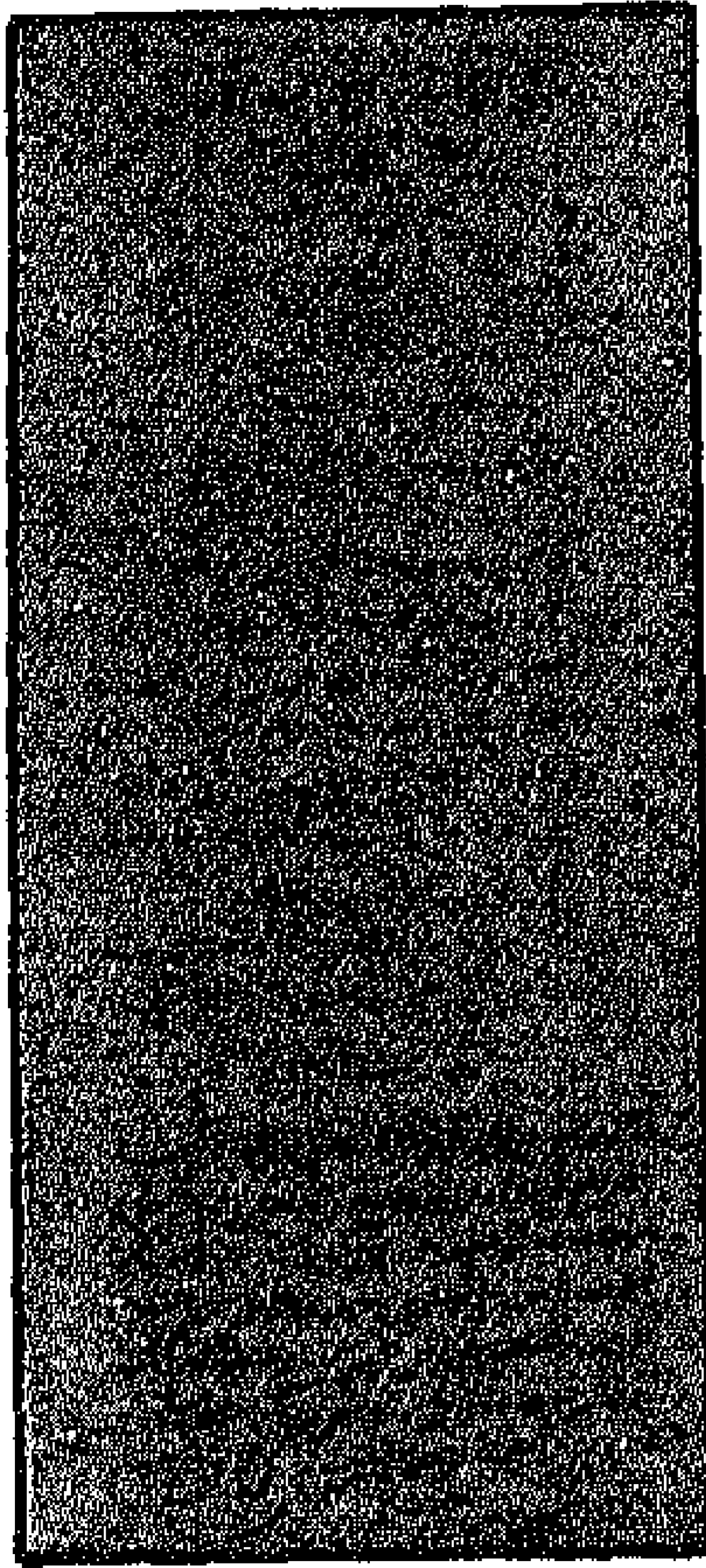
(٢٤) فاعل الخير مجزى به إن لم يكن من الناس فمن الله (مجموعة من النظم والنثر/ ١٥ ، ٤٠ ، ٦٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٧٠ ، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر/ ٦١ ، ومنتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ٩٩ ، ١٠٠ وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة/ ١١٦ ، ١١٧ ، ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ ، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع/ ١٥ ، ٤٠ ، ٦٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، انظر أيضًا الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية/ ٣١ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٦ ، ٩٨ ، ١٤٥ ، ١٨٧ ، ١٩٧) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد/ ٢٢٣ .

*** حكمة الإشراق إلى كُتّاب الآفاق**

كتاب من تأليف محمد مرتضى الحسينى الزبيدى، أدرجه محققه الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله ضمن نوادر المخطوطات ، واستهله بمقدمة جاء فيها ما يلى :



الصفحة الأخيرة من مخطوط حكمة الإشراق

وهذا كتاب فى تاريخ الخط والخطاطين، هو امتداد لمؤلفات قديمة ، من أشهرها كتاب أدب الكتاب لمحمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦ ، وفصول طوال فى فهرست ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ ، وصبح الأعشى للقلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ .

وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى هذا الكتاب مشتملاً على «فضيلة الخط والقلم وما جاء فيهما من الآثار ، وما للحكماء فيهما من الأسرار، وبيان من وضع الخط أولا وألف الحروف، وألبسها حلل التفصيل وأحلها فى أحسن الظروف، ثم بيان الأجلة من الكتاب والأعيان من أهل الفن» .

وقد جعل هذه الرسالة هدية إلى خزانة نابغة الخط الأمير حسن أفندى الملقب بالرشدى .

وقسمها إلى عشرة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : فى ذكر من وضع الخط وأصله ، ووصله وفصله .

الفصل الثانى : فى فضل الخط وما قيل فيه .

الفصل الثالث : فى القلم ، وما لهم فيه من الحكم .

الفصل الرابع : فى الدواة وصفتها وآلاتها .

الفصل الخامس : فى المداد والحبر .

الفصل السادس : فى برى الأقلام .

الفصل السابع : فى النقط .

الفصل الثامن : فى الشكل .

الفصل التاسع : فى ذكر حروف المعجم وسرها فى تعيين العدد .

الفصل العاشر : فى ذكر الكتبة الكرام ، من لدن زمن النبى ﷺ إلى زمن المؤلف .

ثم الخاتمة وفيها فصلان :

الأول : فى أدب التلميذ مع الشيخ .

الثانى : نصيحة لسائر الخطاطين .

ثم يقول الأستاذ عبد السلام هارون عن النسخة التى كانت موضع التحقيق :

هى نسخة نفيسة بمكتبة الأخ المحدث الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر ، مصورة من نسخة بخط المؤلف نفسه ، تكرم حفظه الله بإعارتى إياها لنشرها . ولهذه المصورة أخت بدار الكتب المصرية برقم ٢٧٩٩ تاريخ ، صور معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة منها فى القلم ٤٠٤ .

وهى تقع فى ١٤ ورقة فى كل صفحة منها ١٩ سطرًا ، وفى كل سطر نحو عشر كلمات مكتوبة بالخط الفارسى المعتاد . وبهامشها بعض إلحاقات وتصحيحات بقلم الزبيدى .

هذا ما جاء فى مقدمة المحقق . أما مقدمة المؤلف المرتضى الزبيدى فهى كما يلى بعد البسملة :

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ، وفضله على سائر الأجناس بالتمييز والتبيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرشد موجوداته وأسعد مخلوقاته سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم ما ترنمت البلابل بالألحان ، وغردت سواجع الأطيار على فنن الأغصان .

وبعد فإنه لما كانت صناعة الخط أنفع بضاعة للكتاب ، وأوسع كفاية للطلاب فى هذا الباب ، وأشرف وسيلة للتقريب ، وألطف وصيلة لتوسيع الرزق والترحيب ، كما قال الشاعر :

لا تعـدلن عن حق الكتـابـة إنهـا
مغـنى الغـنى ومفاتـح الأرزاق

واخش اليـراعة وارجهـا فهى التى
عـرفت بنفث السم والـدرياق

وكان المتصف به جهينة الأخبار ، وحقيبة الأسرار ، ونجى العظماء ، وكبير الندماء ، وترجمان السلطان ، وصندوق البيان ، ألفت هذه الرسالة مشتملة على فضيلة الخط والقلم ، وما جاء فيهما من الآثار ، وما للحكماء فيهما من الأسرار ، وبيان من وضع الخط أولاً وألف الحروف . وألبسها حلل التفصيل وأحلها فى أحسن الظروف . ثم بيان الأجلة من الكتاب ، والأعيان من أهل الفن بحسن النسق المستطاب .

وقد جعلتها هدية إلى خزانة من نبغ فيه واشتهر كاشتهار الشمس فى رابعة النهار ، وهذب قواعده وأتقن مراتبه بحسن الضبط والاعتبار ، جمال هذا الفن الذى فاق فيه وبرع ، وجمع بين المتانة والحسن ما لم يسبق به فلله ما جمع ، فلو شاهده ابن هلال لأقر له بالإتقان ، أو عاصره ياقوت لقال هذا إنسان عين الزمان ، أو رآه الشيخ (يعنى الشيخ حمد الله ابن الشيخ مصطفى الأواسى) لافتخر به فى عصره ، وأذعن أنه فريد مصره ، المولى الكامل الماهر الكاتب ، ذى الخط البديع المشرق كالكواكب ، صاحب العرف الندى ، الأمير حسن أفندى الملقب بالرشدى ، جَمَّل الله بجماله هذه الصناعة وأربابها ، ويسر له سبل الخيرات وفتح له أبوابها .

فخذها جريدة مفيدة للمتدرب الكاتب ، وخريدة منجية للمتعلم عن المتاعب ، وسفينة جارية على مقاصد المتأملين فيها من كل باب ، ودفينة رزينة لمن يتعرض فى اقتناء الدر من مناهج الصواب ، جريدة شحنت مسكًا زواياها ، وحقة ملئت درًا خباياها ، أمليتها من غرائب بنات الأفكار ، ونوادر نتائج ثمرات الأخيار .

وكل سطـر من اليـاقـوت زاد عـلا
فـلا تقيسـوه بـالمنحـوت من حجـر

وكسرتها على عشرة فصول وخاتمه ، وسميتها : «حكم الإشراق ، إلى كُتَّاب الآفاق» . وعلى الله توكلى وبه أستعين ، فى أمور الدنيا والدين اهـ .

(نوادر المخطوطات ـ بتحقيق عبد السلام هارون ٥/ ٥٠ ، ٥١ ، ٦١ ـ ٦٣) .

ونورد مواد فصول هذا الكتاب النفيس فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

*** حكمة التشريع :**

أحد مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٥٢٠٢ .

تأليف : ؟

رسالة فى حكمة العبادات وغيرها ، ودلائل ذلك .

أولها : هذه أرجوزة فى أوجه عن أجوبة تتعلق بمعانى جليلة .

إن قيل: ما الحكمة أن الله تعالى أنزل تسعة وتسعين اسما من أسمائه الحسنى...

آخرها: أجيب أن الموت من الله للأبدان، ومن الملائكة نزع الروح، ومن ملك الموت القبض، ومن الرسل معاونة ملك الموت والله أعلم..

نسخة جيدة.

الخط نسخ معتاد. بعض الكلمات كتبت بالحمرة.

٧ ق	٢١ س	٢٠×١٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨٩).

*** الحكمة الجامعة:**

من اصطلاحات الصوفية

وهي معرفة الحق، والعمل به، ومعرفة الباطل، والاجتناب عنه كما قال ﷺ: «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم أرنا الأشياء كما هي».

(قال عنه ابن كثير في تفسيره إنه من الدعاء المأثور وأورده بلفظ «وفي الدعاء المأثور اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه ولا تجعله متلبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما» راجع تفسير ابن كثير طبعة الشعب مجلد ١ ـ ٣٦٦. تفسير آية ٢١٣ سورة البقرة).

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين بن عبد الرزاق القاشاني ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم صقر/ ٦٣).

الحكمة (علم ــ):

تكلم صاحب «معارف المعارف» على علم الحكمة في فصل بعنوان «في الحكمة الطبيعية والإلهية» جاء فيه ما يلي:

الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بحسب الطاقة البشرية؛ وموضوعه: الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان؛ وغايته: هي التشرف بالكمالات في العاجل والفوز بالسعادة الأخروية في الآجل. وتلك الأعيان إما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا أولاً، فالعلم بأحوال الأولى من حيث يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية، والعلم بأحوال الثانية يسمى حكمة نظرية؛ ولكل منهما ثلاثة أقسام.

أما العملية فلأنها إما علم بمصالح الشخص بالقراءة ليتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرزائل، ويسمى تهذيب الأخلاق، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالد والمولود والمالك والمملوك ويسمى تدبير المنزل، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية؛ وأما النظرية فلأنها إما علم بأحوال ما لا يفتقر في الوجود الخارجي، والتعقل إلى المادة كالإله وهو العلم الإلهي، وإما علم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي دون التعقل كالكرة وهو العلم الأوسط ويسمى بالرياضي والتعليمي، وإما علم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي والتعقل كالإنسان وهو العلم الأدنى ويسمى بالطبيعي.

وكان لهذه العلوم شأن عظيم في أرض اليونان، واختص فيها المشاؤون منها وأصحاب الذوق، واتصل سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم إلى سقراط ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه إسكندر الأفرودوسي، وكان أرسطو أرسخهم في هذه العلوم وهو أول من دون المنطق، ولذلك يسمى المعلم الأول.

ولما انقرض أمر اليونانيين وصار الأمر للقياصرة وتنصروا، هجروا تلك العلوم، وبقيت من صحفها ودواوينها مجلدات في خزائنهم، ثم جاء الإسلام وظهر أهله عليهم، وكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، له همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة، فأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اليوناني إلى العربي، فنقل له اصطفن القديم كتب الصنعة وغيرها، وهذا أول نقل كان في الإسلام.

ثم بعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بالكتب الحكمية فبعث إليه بكتاب أقليدس وبعض كتب الطبعيات، فنقل له البطريق أشياء بأمره، وقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصًا على الظفر بما بقي منها، وكان مأمون ابن الهارون العباسي أشد رغبة إلى ذلك، فأوفد الرسل إلى ملك الروم في استخراج علوم اليونانيين، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة، فأخذوا ما اختاروا وحملوا إليه، فأمرهم بنقله، فنقل له ابن يحيى الحجاج بن المطر وابن ناعمة عبد المسيح الحمصي وسلام بن الأبرش وحسين بن بهريق وهلال بن أبي هلال الحمصي وابن آوى وأبو نوح بن الصلت وابن رابطة وعيسى بن نوح وقسطا بن لوقا البعلبكي وحنين بن إسحاق وثابت ابن قرة وإبراهيم بن الصلت ويحيى بن عدي، كلهم نقلوا الكتب الحكمية من اليوناني إلى العربي.

أما ابن المقفع فإنه نقل من الفارسية إلى العربية، وكنكة الهندي نقل من الهندية إلى العربية، وابن وحشية نقل من النبطية إلى العربية، ولكنهم ترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير ملخصة ومحررة، لا توافق ترجمة أحدهم للآخر، فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة، بل أشرف أن عفت رسومها، فالتمس منصور بن نوح الساماني من أبي نصر الفارابي أن يحررها ويلخصها، ففعل كما أراد، ولهذا لقب بالمعلم الثاني، وكانت كتبه في خزانة الكتب المبنية بأصفهان المسماة بصوان الحكمة إلى زمان السلطان

مسعود، ولكن كانت غير مبيضة لأن الفارابى كان غير ملتفت إلى جمع التصانيف ونشرها، بل غلب عليه السياحة ثم إن أبا على الحسين بن سيناء تقرب عند السلطان مسعود بسبب الطب، حتى استوزره، واستولى على تلك الخزانة، وأخذ ما فى تلك الكتب ولخص منها كتاب الشفاء وغير ذلك من تصانيفه، وقد اتفق أن احترقت تلك الكتب، فاتهم أبو على بأنه أحرقها لينقطع انتساب تلك العلوم عن أربابها ويختص بنفسه، لكن هذا بعيد عن الصواب.

وكان من أكابرهم فى الملة الإسلامية أبو نصر الفارابى، وأبو على بن سيناء فى المشرق، والقاضى أبو الوليد بن رشد وأبو بكر الصائغ بالأندلس وممن يلى هؤلاء فى معرفة الحكمة شهاب الدين المقتول وفخر الدين الرازى ونصير الدين الطوسى وقطب الدين الشيرازى وجلال الدين الدوانى والفاضل مرزا جان والسيد محمد زاهد الهروى وخلق آخرون من العلماء.

وأما أهل الهند من المسلمين فإنهم كانوا قليلى الاعتناء بالمنطق والحكمة، وما كانت فى دروسهم غير شرح الشمسية، وكانوا غير محتفلين بهذه العلوم إلى آخر القرن التاسع، حتى جاء الشيخ عبد الله بن الهداد الملتانى وصاحبه عزيز الله فأدخل المطالع والمواقف فى دروس العلماء، فتلقاها الناس بالقبول وصارت متداولة، واستزاد الناس وتشوقوا إلى غيرها، فجاء بعضهم بشروح المطالع والمواقف، ثم جاء الخطيب والطارمى إلى بلاد كجرات، وفضل الله الشيرازى إلى بلاد الدكن، وفتح الله الشيرازى إلى بيجابور ثم إلى أكبر آباد، وجماعة من الفضلاء غيرهم، فأتوا بمصنفات الدوانى والشيرازى والفاضل مرزا جان وغيرهم فتلقاها الناس وأدخلوها فى دروسهم، ونهض من الهند جماعة من الفضلاء ودرسوا وأفادوا، أشهرهم الشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى بكجرات، والمفتى عبد السلام اللاهورى ببلدة لاهور، وكمال الدين الكشميرى ثم صاحبه عبد الحكيم السيلكوتى ببلدة سيالكوت، والشيخ محمد أفضل العثمانى ببلدة جونبور، ثم المفتى عبد السلام الديوى والقاضى ضياء الدين النيوتنى، والشيخ جمال الكوروى، والشيخ محب الله الإله آبادى، والشيخ قطب الدين السهالوى، والشيخ لطف الله الكوروى، والشيخ قطب الدين الشمى آبادى، والحافظ أمان الله البنارسى، والقاضى محب الله البهارى، وخلق آخرون من الفضلاء كان إليهم المرجع فى كل باب من أبواب العلم.

ونهض من بينهم بعض العلماء وكانوا أساطين الحكمة لا يماثلهم إلا الفارابى وابن سيناء، كالعلامة محمود بن محمد الجونبورى، والقاضى محب الله البهارى، والشيخ ولى الله الدهلوى، والشيخ نظام الدين السهالوى، وملا حسن بن غلام مصطفى الكهنوى، والشيخ كمال الدين الفتحپورى، وملك العلماء عبد العلى اللكهنوى، والقاضى مبارك بن دائم الكوپاموى، وحمد الله بن شكر الله السنديلوى، والشيخ بركة بن عبد الرحمن الإله آبادى، والشيخ فضل حق بن فضل إمام الخير آبادى، فإنهم كانوا أساطين الحكمة بلغوا الغاية فى هذه العلوم.

مصنفاتهم فى الحكمة

وأما مصنفاتهم فى الحكمة، فأشهرها الشمس البازغة للشيخ العلامة محمود بن محمد الجونبورى، والدوحة الميادة فى الصورة والمادة للشيخ محمود المذكور، والجوهر الفرد فى الجزء الذى لا يتجزأ للقاضى محب الله البهارى، وغاية العلوم فى العلم الطبيعى لملا حسن بن غلام مصطفى اللكهنوى، والعجالة النافعة فى الإلهيات لبحر العلوم عبد العلى بن نظام الدين اللكهنوى، وتكميل الصناعة، ورسالة فى الأمور العامة ورسالة أسرار المحبة فى سريان المحبة فى الأشياء كلها، ومقدمة فى العلم، كلها للشيخ رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى، وتلخيص الشفاء للشيخ فضل إمام الخير آبادى، وحاشية عليه لولده فضل حق، والهدية السعيدية فى العلوم الطبيعية للشيخ فضل حق المذكور، والجنس الغالى فى الجوهر العالى فى الإلهيات للشيخ فضل حق المذكور، والروض المجود فى حقيقة الوجود، ورسائل فى تحقيق العلم والمعلوم وفى تحقيق الأجسام وفى تحقيق الكلى الطبعى وفى التشكيك وفى الماهيات كلها للشيخ فضل حق المذكور، والعقدة الوثيقة فى بعض المسائل الحكمية، ورسالة فى تحقيق العلم، ورسالة فى المقولات العشرة ثلاثتها للشيخ عماد الدين اللبكنى، والأصول الراسخة وشرحه الدوحة الشامخة للشيخ محمد أشرف بن نعمة الله اللكهنوى، والمحاكمة بين صاحب الأفق المبين وصاحب الشمس البازغة فى مسألة الحدوث الدهرى للحافظ أمان الله ابن نور الله البنارسى، وكشف الفصوص شرح نصوص الفارابى للشيخ رفيع الدين بن نيْك مراد الدهلوى، وشرح ينبوع الحياة لهرمس الهرامسة للشيخ رفيع الدين المذكور، وشرح هداية الحكمة للشيخ محمد رشيد بن مصطفى العثمانى الجونبورى للشيخ عبد الحق بن فضل حق الخير آبادى، وشرح عليه للمولوى عبد الوهاب بن إحسان على البهارى، ورسالة فى القوس والقزح للمفتى سعد الله المراد آبادى، ورسالة فيه لمرزا حسن على اللكهنوى المحدث، والكتاب المبين فى الحكمة الإلهية للشيخ محب الله الإله آبادى، وكتاب المحاكمة بين العلوم المشرقية والمغربية للشيخ عبد القادر بن خير الدين الجونبورى، وكتاب فى التعقيب على مأكول المغربى، وكتاب فى الكيمياء الحديث، وكتاب العالم والمتعلم كلها للشيخ خير الدين المذكور، وتبصرة الحكمة فى الطبعى والإلهى للشيخ حسن على الماهلى المتوفى سنة ١٢٥٨، ورسالة فى تحقيق

الجعل المركب والبسيط للسيد غلام حسين الدكنى، وخورشيد دانش فى الحكمة الطبعية للمولوى غلام إمام بن متهور خان الحيدر آبادى، والقول المحيط فيما يتعلق بالجعل المؤلف والبسيط، وكاشف الظلمة فى بيان أقسام الحكمة كلاهما للشيخ عبد الحليم ابن أمين الله اللكهنوى، وبرهان الحكمة بالفارسى للشيخ محمد غوث بن ناصر الدين المدراسى، ورسالة فى العلوم الطبيعية للشيخ نظام الدين بن مهدى على الدهلوى صنفها سنة ١٢٠٨، وإيثار الحق رسالة فى مبحث الزمان للشيخ نور الإسلام بن سلام الله الرامبورى، وله رسالة فى مبحث المكان، ورسالة فى مبحث المثناة بالتكرير، ورسالة فى مبحث المثناة بالتكرير للمولوى نجف على النواروى، وسراج الحكمة للشيخ سراج الحق بن فيض أحمد البدايونى، ومرآة الأذهان فى علم الواجب للسيد معين الدين الحسينى الكاظمى الكروى، ورسالة فى مبحث المثناة بالتكرير للسيد معين الدين المذكور، ورسالة فى مبحث الوجود الرابطى فى ستة عشر جزءًا للمولوى محمد أحسن الكيلانوى، وميسّر العسير فى مبحث المثناة بالتكرير للمولوى عبد الحى بن الحليم اللكهنوى، والكلام المبين فى تحرير البراهين أى براهين إبطال اللاامتناهى للمولوى عبد الحى المذكور، والبوارق بالعربى للمير نور الله الأحرارى الأكبر آبادى، والحقائق للسيد على البلكَرامى، عمدة الحكمة للسيد شاه على الحيدر آبادى صنفه سنة ١٢٥١، ومعراج العقول شرح دعاء المسلول بالعربى فى مجلد ضخم فى الإلهيات للسيد مرتضى الحسينى النونهروى، والحكمة اليمانية فى المعارف الإيمانية فى مبحث العلم والوجود للمولوى عبد العزيز الأمروهوى، والأمور العامة رسالة للمولوى كرامت حسين بن سراج حسين الحسينى المولوى الكنتورى.

الشروح والحواشى

حاشية حمد الله بن شكر الله السنديلوى على الشمس البازغة، وحاشية عليه لملا حسن بن غلام مصطفى اللكهنوى، وحاشية عليه للشيخ نظام الدين السهالوى، وحاشية عليه للشيخ أحمدى ابن الوحيد البهلواروى، وحاشية عليه للمفتى ظهور الله بن محمد ولى اللكهنوى، وحاشية عليه للمفتى يوسف بن أصغر اللكهنوى، وتكملة حاشية ملا حسن على الشمس البازغة للمفتى يوسف المذكور، وحاشية على الدوحة الميادة للعلامة محمود للمفتى ظهور الله المذكور، وحاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازى للشيخ بير محمد اللكهنوى المتوفى سنة ١٠٨٥ وهى المسماة بسراج الحكمة، وحاشية عليه للشيخ نظام الدين السهالوى المذكور، وحاشية عليه حمد الله السنديلوى المذكور، وحاشية عليه لملا حسن المذكور، وحاشية عليه للشيخ أحمدى المذكور، وحاشية عليه للشيخ أمجد بن فيض الله القنوجى وحاشية عليه للشيخ سعد الله السلونى، وحاشية للشيخ محمد شاكر السنديلوى، وحاشية عليه للعلامة عبد العلى بحر العلوم، وحاشية عليه للشيخ عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى المحدث، وحاشية عليه للشيخ تراب على اللكهنوى، وحاشية عليه للملا مبين بن محب الله اللكهنوى، وهى على مبحث المثناة بالتكرير، وحاشية عليه للشيخ ولى الله بن حبيب الله اللكهنوى، وحاشية عليه للشيخ نعيم الدين بن فصيح الدين القنوجى، وحاشية على مبحث المثناة بالتكرير من شرح الفريد للشيخ عبد الحق بن محمد أعظم الكابلى البهوبالى، وحاشية على صدرا للشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد البدايونى، وحاشية على صدرا للسيد حسين بن دلدار على الشيعى اللكهنوى، وحاشية على شرح هداية الحكمة للميبذى للشيخ عبد الحكيم السيلكوتى، وحاشية عليه للمفتى إسماعيل بن الوجيه المرادآبادى، وحاشية عليه للشيخ تصدق حسين النكَرنهسوى، وحاشية بسيطة عليه للمولوى عين القضاة الحيدر آبادى، وحاشية على شرح حكمة العين للشيخ وجيه الدين العلوى الكَجراتى، وحاشية عليه للشيخ عبد الحكيم السيلكوتى، وحاشية عليه للشيخ قطب الدين السهالوى، وحاشية على الهدية السعدية للشيخ عبد الله بن آل أحمد البلكَرامى، وهى المسماة بالتحفة العلية، وتعليقات على طبعيات الشفاء للسيد أمير حسن الحسينى السهسوانى، وحاشية على طبعيات الشفاء للمفتى يوسف بن محمد أصغر اللكهنوى، وحاشية على فصوص الفارابى للشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد البدايونى، وحاشية على الأفق المبين للعلامة فضل حق بن فضل إمام الخير آبادى.

(الثقافة الإسلامية فى الهند: «معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف» لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن الندوى/ ٢٦١ ـ ٢٦٨. انظر أيضًا أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق ١/ ٢٩٦ ـ ٣٠٨، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٦ ـ ٤٢، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٧٦ ـ ٦٨٥).

الحكمة العملية (علم ـ):

الحكمة العملية علم يبحث عن حقائق الأشياء الموجودة فى الأعيان على ما هى عليه فى نفس الأمر، من حيث إنه يؤدى إلى إصلاح المعاش والمعاد؛ وهو على ثلاثة أقسام، لأنه إما علم بمصالح شخص بانفراده ويسمى تهذيب الأخلاق، والحكمة الخلقية، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة فى المنزل ويسمى تدبير المنزل والحكمة المنزلية، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة فى المدينة ويسمى السياسة المدنية. انظر كلًّا تحت عنوانه (الثقافة

الإسلامية فى الهند لعبد الحى الحسنى - راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى / ٢٨٧).

حكمة العين:

للعلامة نجم الدين أبى الحسن على بن محمد الشهير بدبيران الكاتبى القزوينى، المتوفى سنة ٦٧٥ خمس وسبعين وستمائة تلميذ النصير الطوسى، وهو متن من متين مختصر أوله: سبحانك اللهم يا واجب الوجود ... إلخ ذكر فيه أن جماعة من طلبته لما فرغوا من بحث الرسالة المسماة بالعين فى المنطق من تأليفاته التمسوا منه أن يضيف إليها رسالة فى الإلهى والطبيعى فأجاب ثم شرحه مولانا شمس الدين محمد بن مبارك شاه الشهير بميرك البخارى شرحًا مفيدًا ممزوجًا أوله: أما بعد حمد الله فاطر ذوات العقول ... إلخ وأورد فيه الحواشى التى كتبها العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى على هذا الكتاب بأجمعها.

وعلى هذا الشرح حاشية للعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة، وحاشية للمولى كمال الدين مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٩٠٥ (خمس وتسعمائة)، وحاشية للمحقق ميرزاجان حبيب الله المتوفى سنة ٩٩٤ أربع وتسعين وتسعمائة، وحاشية لمولانا محمد الشكى.

ومن الشروح أيضًا شرح جمال الدين حسن بن يوسف الحلى، وهو شرح «يقال - أقول» أوله: الحمد لله ذى العز الباهر... إلخ، وشرح مولانا محمد بن موسى التالشى، وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذى أبدع بعين الحكمة أعيان الموجودات ... إلخ ذكر أنه ألفه للسلطان يعقوب بن الحسن الطويل (كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٨٥).

الحكمة القائمة من النبات:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات:

مخطوط بقسم التراث العربى بالكويت، وجاء بيانه كما يلى:

- تركيا استانبول، مكتبة جامعة اسطنبول(D.F.6109 A. Y)

وله: «اعلم أيها الأخ وفقنا الله وإياك وسلك بى وبك نهج أهل الخير والفلاح ...».

آخره: «... إلى سيدى شيخ عبد القادر الجيلانى تأمن شرهم تمت».

- أول النسخة صفحة تحمل رقم (٦٢).

- الأرقام للصفحات وليس للأوراق.

- بعد صفحة رقم (٧٣) تأتى صفحة رقم (٢).

- فى منتصف صفحة رقم (١٧) كلمة (تمت) بخط الناسخ نفسه.

- بعد الصفحة رقم (١٧) تأتى (١٠) صفحات يواصل فيها الناسخ النقل من الكتاب دون أرقام للصفحات العشر.

- الصفحات العشر الأخيرة فى المخطوطة مرقمة ترقيمًا حديثًا وخاطئًا.

- المخطوطة عبارة عن رسالة أو جزء من كتاب.

الخـــط: معتاد ردىء لكنه مقروء

كتب بالمداد الأسود فقط

الأوراق: ٢١ ق.

الأسطر: مختلفة.

المقياس: ٢٠ × ١٤,٥ سم.

(فهرس مخطوطات الفلاحة — النبات — المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت - صنعة محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح/ ٣٠٠، ٣٦١).

الحكمية (مدرسة —):

من مدارس القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام.

ورد ذكرها عدة مرات فى سجلات المحكمة الشرعية، حينما تتحدث خاصة عن «صدقات الحكمية». ففى السجل ٤٤ ص ٥٠٠ (سنة ٩٧١) جاء أن القاضى حسام الدين الحنفى قرر الشيخ زين الدين محمود بن الديرى فى وظيفة قراءة ما تيسر لصدقات الحكمية بالقدس الشريف.. عوضا عن والده بحكم فراغه له.

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى/ ٢٨٩).

حَــكَى:

فى مصطلح علوم الحديث: بمعنى روى.

(ملء العيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٢/ ٤٤٤).

الحكومة (كتاب —):

من المخطوطات المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف جابر بن حيان الصوفى

وهو المقالة الثانية عشرة من كتاب «السبعين».

أوله: قد سبق لنا قبل كتابنا هذا أحد عشر كتابًا فى الحيوان، كل ذلك قد استوفينا فى فن واحد الكلام، وهو المخصوص من الحيوان بنفسه، فى عشرة أجزاء من ذلك، وتكلمنا فى الكتاب الحادى عشر الذى قبل كتابنا هذا، على أصول أصحاب الحيوان، وما قالوا به من ذلك، ولم نذكر فى ذلك تدبيرًا، وقد أثبت بالتدابير على النسق فى كتابى هذا وفيما يليه على شرح ما تقدم من العشرة الأولى فى ذلك على الآراء أيضًا ... إلخ.

وآخره: وهذا يكون بلا داخل عليه، وهو أعظم فى الفعل،

وإما أن تكون المياه المحمرة والتسقية له فاعرفه . تم كتاب الحكومة .

ــ نسخة بقلم نسخ جميل، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ . ومسطرتها ١٧ سطرًا .

١١ × ٢١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١١٤ ــ ١١٨)

[مكتبة بروسة حسين جلبى ــ ١٥]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ــ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣/ ١١٦، ١١٧).

حكيم بن حزام :

هو أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب القرشى المكى .

هو ابن أخى خديجة أم المؤمنين، وابن عم الزبير بن العوام رضى الله عنهم . أمه أم حكيم، وإخوته خالد وهشام وصفية (وقيل فاختة) أسدية أيضًا . ولد حكيم رضى الله عنه فى جوف الكعبة، وذلك أن أمه دخلتها فى نسوة من قريش فضربها الطلق فولدته هناك . وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة . أسلم حكيم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم، فحسن إسلامه . وقد شهد بدرًا مع المشركين فنجا منهزمًا، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : والذى نجانى من يوم بدر . وكان من أشراف قريش وأجوادها، وكان بيده دار الندوة التى يجتمعون فيها للتشاور وعقد الأمور وحلها، فباعها آخرًا لمعاوية بمائة ألف درهم، فقيل له : بعت مكرمة قريش ؟! فقال : ذهبت المكارم إلا التقوى . ثم تصدق بثمنها . وصدقاته وعتاقه وعطاياه فى الجاهلية والإسلام واسعة شايعة . وفى الصحيحين عنه قال : قلت يا رسول الله، رأيت أشياء كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم، فهل لى فيها أجرٌ ؟ فقال النبى ﷺ: أسلمت على ما أسلفت من خير . قلت : فوالله لا أدع شيئًا صنعته فى الجاهلية إلا فعلت مثله فى الإسلام . وروى أنه حج فى الإسلام فأهدى مائة من الإبل قد جللها بالحبرات ومعها مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها «عتقاء الله»، وأهدى أيضًا مائة شاة . وفى الصحيحين أيضًا عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى ثم قال : «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ؛ ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى» . قال حكيم، فقلت : والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا . ثم دعاه عمر ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال عمر : يا معاشر المسلمين ؛ أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له فى هذا الفيء فيأبى أن يأخذه . فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس حتى فارق الدنيا . وله فى الصحيحين أربعة أحاديث متفق عليها، وخرَّج عنه الأربعة . روى عنه والده حزام، وابن المسيب، وعروة بن الزبير وعبد الله بن الحارث وموسى بن طلحة وابنه حزام بن حكيم وصفوان بن محمد والمطلب بن حنطب ويوسف بن ماهك بفتح الهاء ومحمد بن سيرين ... أعطاه النبى ﷺ يوم حنين مائة بعير . توفى بالمدينة سنة أربع وخمسين عن مائة وعشرين سنة، وصلى عليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى/ ٥٢ ــ ٥٤، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٦٦، ١٦٧) .

الحكيم :

انظر: الحكيم الترمذى .

الحكيم الترمذى (ـــ نحو ٣٢٠ هـ/ ـــ نحو ٩٣٢ م):

قال عنه الزركلى :

محمد بن على بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذى، باحث، صوفى، عالم بالحديث وأصول الدين . من أهل «ترمذ» (انظر مادة «الترمذى» فى م ٩/ ٣٠٨) نفى منها بسبب تصنيفه كتابًا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر . وقيل: اتهم باتباع طريقة الصوفية فى الإشارات ودعوى الكشف . وقيل: فضَّل الولاية على النبوة . ورد بعض العلماء هذه التهمة عنه وقيل: كان يقول: للأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتمًا . وقال السبكى: فجاء إلى بلخ ــ أى بعد إخراجه من ترمذ ــ «فقبلوه» لموافقته إياهم على المذهب . وأخطأ بعض مؤرخيه من المستأخرين بأن جعل العبارة: جاء إلى بلخ «فقتلوه» وهذا لا يتفق مع بقية ما قاله السبكى من موافقتهم إياه على المذهب . وفى «لسان الميزان» أن أهل ترمذ هجروه فى آخر عمره لتأليفه كتاب «ختم الولاية» و «علل الشريعة» [ختم الأولياء] و [علل الشريعة] وأنه حمل إلى بلخ فأكرمه أهلها وكان عمره نحو تسعين سنة .

واضطرب مؤرخوه فى تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة ٢٥٥ وسنة ٢٨٥ هـ، وينقض الأول أن السبكى يذكر أنه حدث بنيسابور سنة ٢٨٥ كما ينقض الثانى قول ابن حجر : إن الأنبارى سمع منه سنة ٣١٨ (الأعلام ٦/ ٢٧٢) .

يقول الشيخ عبد الغنى عبد الله فى بحث له بعنوان: «الحكيم الترمذى» :

ويعتبر أبو عبد الله محمد بن حسن بن بشير الحكيم الترمذى من ألمع علماء الفقه الذين عاشوا فى الفترة ما بين القرنين التاسع

والعاشر، والذين كتبوا العديد من الآثار العلمية الدينية المشهورة . وبناء على شهادة كاتب السيرة والدارس لأعمال الترمذى العالم المصرى عبد الفتاح بركة، فإنه ولد فى ٢٠٥ هجرية (٧٢٠ ميلادية)، ودرس فى مدارس ما وراء النهر حتى بلغ الخامسة والعشرين وتعمق فى دراسة علوم التفسير والحديث والفقه .

وفى كتابه الذى ترجم فيه قصة حياته «بعض شأن أبى عبد الله» [بدو الشأن] كتب الترمذى أنه في طريقه إلى مكة، وكان آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره، توقف فى بغداد وواصل دراسته هناك . ومنذ ذلك الحين كرس حياته لدراسة التصوف وحفظ القرآن عن ظهر القلب، وسهر الليالى منكبًا على الدراسة التى جلبت له متعة كبيرة وارتياحا نفسيًا عظيمين . وفى تلك الأثناء اطلع على كتاب الأنطاكى المهشور (يقصد كتاب علوم المعاملات لأحمد بن عاصم الأنطاكى) الذى أثر فيه تأثيرًا جذريًا . إن هذا الكتاب يحث المرء على الانقطاع عن مشاغل الحياة وملذاتها، وتكريس نفسه لعبادة الله واتباع تعاليمه . ونتيجة ذلك يلجأ إلى حياة الزهد والعزلة، ولا يزاول شيئًا سوى الاختلاط بالطلاب والعلماء والفقهاء، ويصرف وقتا كثيرًا جدًا فى الدراسة ...



ضريح الحكيم الترمذى بعد الترميم.

وقد تناول بالنقد المتصوفين الذين عاشوا قبله . وحسب رأيه، فإن المتصوف الحقيقى هو الذى يمتاز بميزات حسنة، ويفسر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة عن فهم وصدق ونزاهة وإخلاص ويلم إلماما عميقًا بمسائل وقضايا الفقه . لخدمة الإسلام لا بد من التمتع بالنزاهة وخدمته بعيدا عن المآرب والمصالح الشخصية وهكذا، فإن الإمام الترمذى يؤكد أنه فى تفسيره وشرحه للقرآن الكريم وروايته للأحاديث الشريفة، سلك مذهب التصوف وشدد على أنه المذهب الوحيد الذى يجعل الإنسان يشعر بالراحة النفسية والرضى، ويكسبه الاحترام والسمعة الطيبة بين معاصريه من علماء الفقه والدين .

وتعرض الترمذى للاضطهاد نتيجة استقامته وأمانته وعدم تهاوده، وبسبب آرائه الجريئة، واضطر للتشرد والحياة فى الغربة بعيدًا عن وطنه .

ويعود الفضل فى الشهرة الكبيرة التى اكتسبها فى التصوف إلى أساتذته أبى تراب النهشابى، وأحمد بن خضرويه وغيرهما من الشيوخ . كان على علاقة وثيقة بالعلماء المتصوفين فى الشام وبغداد ومصر وهكذا طور المذهب الصوفى فى آسيا الوسطى وعمل على ازدهاره ولقد تأثر الحكيم الترمذى تأثرًا بالغًا بطريقة ملامتية فى نيسابور، وأثر هو بدوره فى متصوفى الأجيال اللاحقة، مثل عبد الخالق عيجدوانى وبهاء الدين النقشبندى وعلى مدرستهما .

لدى التحدث عن أعمال الترمذى الإبداعية، لا بد من الإشارة إلى أن آراءه وأفكاره لم تكن تحظى بتأييد الجميع . وظهر من حاشية أمير بلخ من ألصق التهم الباطلة بالإمام الترمذى، وللتأكد من حقيقة الأمر أرسل الأمير رجالاً ثقة، يثق بهم هو بعض المخلصين له، إلى الترمذى . ولدى عودتهم لفقوا بالإمام مزيدا من التهم وأبلغوا الأمير أن الترمذى، رغم مناداته بحب الله والإيمان به بلسانه، فإنه بأعماله يثير الخرافات والفساد وحتى أنه يتنبأ، ولذلك يستحق العقاب . وعندئذ يقرر الأمير منع الترمذى من التحدث عن الحب الإلهى، إلا أن ذلك لم يرض أعداء العالم، ويواصلون ذمه وإلصاق التهم والافتراءات به . وبعد ذلك يخرج الحكيم الترمذى من عزلته ويتجه إلى الشعب، ويناديهم فى المساجد إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فيدرك الناس الأمور التى يطمح إليها الإمام وتشغل باله وذهنه، ويظهر بين الناس الكثير من أتباعه وتلاميذه .

وذكر الدكتور عثمان يحيى فى مقدمة كتاب الترمذى «ختام الأولياء» لقد أدى اعتزال الترمذى الناس مدة طويلة من حياته، إلى قلة تلامذته . وأشهر تلامذته هو أبو بكر محمد بن عمر الحكيم البراك . وبناء على الاعتقادات والتخمينات فإن قبره يقع فى جارقورغان .

ويقول البحاثة المصرى الشيخ عبد الفتاح بركة، فى كتابه



ضريح الحكيم الترمذي قبل الترميم.

«الحكيم الترمذي ونظرياته في الولاية» أنه توجد في المصادر والمراجع أدلة تشير إلى تعرض الحكيم الترمذي للاضطهاد، وسفره إلى نيسابور في عام ٢٨٥ للهجرة (الصفحة ٥٠).

وحسب المعلومات التي وصلتنا من الشيخ عبد الفتاح بركة، فقد ترك لنا الحكيم الترمذي ثروة علمية ودينية لا تقدر بثمن، على ما يزيد عن ٤٠٠ مجلد من المؤلفات المتعلقة بالدين، ولم يصلنا منها سوى ٥٧ صدرت في مختلف البلدان، ويقوم الفقهاء بدراستها والبحث فيها. («الحكيم الترمذي» ـــ الشيخ عبد الغنى عبد الله / ١١ ـ ١٣).

يقول الدكتور محمد علي البار في بحث له بعنوان «الحكيم الترمذي.. حياته وآثاره»: عن الترمذي محدثًا.

لقد ظهر الإمام الحكيم الترمذي في نيسابور كأحد الحفاظ المشهود لهم في علم الحديث. قال الإمام الذهبي عنه: «الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف. روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق، وصالح بن عبد الله، الترمذي، ويحيى ابن موسى، وعتبة بن عبد الله المروزي، وعباد بن يعقوب الرواجني وطبقتهم. وعنى بهذا الشأن (أي شأن الحديث) ورحل فيه. وروى عنه يحيى بن منصور القاضي، والحسن بن علي، وعلماء نيسابور فإنه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين».

وأهم ما كتبه في الحديث كتابه «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» قال عنه العلامة محمد بن جعفر الكتاني في «الرسالة المستطرفة».

«ونوادر الأصول في أحاديث الرسول: وهي ثلاثمائة أصل إلا تسعة في نحو ثلاثة أسفار لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن ابن بشر، الملقب بالحكيم الترمذي، المؤذن الصوفي أحد الأوتاد الأربعة وصاحب التصانيف، المتوفى مقتولاً ببلخ سنة ٢٩٥ هـ (غير صحيح بل أكرمه أهل بلخ عند عودته الثانية إليها كما ذكر ذلك السبكي في «طبقات الشافعية» ج/ ٢/ ٢٠ والذهبي في «تذكرة الحفاظ» ج ٢/ ٦٤٥ وابن حجر في «لسان الميزان» والزركلي في «الأعلام» ج ٦/ ٢٧٢. وذكره الحكيم الترمذي نفسه في رسالة بدو الشأن).

ثم قال الكتاني: «وفي اللسان للحافظ (أي لسان الميزان للحافظ ابن حجر) أنه عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ، لأن ابن الأنباري ذكر أنه سمع منه سنة ٣١٨ هـ. قال الحافظ: «وعاش نحوا من تسعين سنة». وله (أي لكتاب نوادر الأصول) مختصر على قدر ثلثه وهو مطبوع (مع كتاب) قربان المتقين في أن الصلاة قرة عين العابدين لأبي نعيم الأصفهاني».

وقد ذكر خير الدين الزركلي أن كتاب نوادر الأصول في أحاديث الرسول مطبوع كاملاً ولعل ذلك حدث بعد وفاة السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمهم الله جميعًا.

وللحكيم الترمذي كتاب آخر سماه «المنهيات» وقد جمع فيه كل حديث جاء فيه النهي.. وتوجد من المخطوط نسخة في مكتبة أسعد أفندي باستانبول وأخرى في مكتبة باريس (يأتي الكلام على هذه الكتب فيما بعد).

شيوخ الحكيم الترمذي وتلاميذه

إن أهم شيوخ الحكيم الترمذي وأكثرهم تأثيرًا في نفسه هو والده علي بن الحسن بن بشر الترمذي... ثم الخضر عليه السلام كما يذكر ذلك الترمذي. حيث ظهر له الخضر عندما تخلف عن الرحلة لطلب العلم لتمريض أمه وبرها فعلمه الخضر أشياء كثيرة.

وروى الترمذي الحديث عن أبيه وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق البلخي. وصالح بن عبد الله الترمذي ويحيى بن موسى، وعتبة بن عبد الله المروزي، وعباد بن يعقوب الرواجني والجارود بن مكعاد السلمي الترمذي، وصالح بن محمد الترمذي، وسفيان بن وكيع وعلي بن حجر السعدي وأحمد بن خضرويه وطبقتهم كما يذكر الإمام الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ».. وجملة من أخذ عنهم من أهل الحديث ١٦٠ محدثا.

وقد التقى الحكيم الترمذي بثلاثة من كبار الصوفية وأخذ عنهم وأخذوا عنه وهم أبو تراب النخشبي (من نخشب وهي نسف وتقع الآن في جمهورية أوزبكستان السوفيتية) وأحمد بن خضرويه (من

شمال أفغانستان) ويحيى بن الجلاء. . . وقد كانت له بهم صحبة.

وأما تلاميذه فعدد كبير. . ذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ أن علماء نيسابور أخذوا عنه الحديث عند قدومه إليها سنة ٢٨٥ وذكر من تلاميذه يحيى بن منصور القاضي، والحسن بن علي (الجوزجاني) . وأشهر تلاميذ الترمذي ستة هم؛ أحمد بن محمد ابن عيسى، والحسن بن علي الجوزجاني، ومنصور بن عبد الله بن خالد الهروي، وأبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم، وأبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي، وأبو محمد يحيى بن منصور القاضي. (الحكيم الترمذي: حياته وآثاره / ٨٢، ٨٣).

ثناء العلماء والمؤرخين عليه:

قال أبو نعيم في الحلية: صنف التصانيف الكثيرة في الحديث، وهو مستقيم الطريق، تابع للأثر، يردّ على المرجئة وغيرهم من المخالفين.

وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: وبلغني أن أبا عثمان سُئل عنه، فقال: تنبئوا عنه شرًّا من غير سبب.

وقد ردَّ ابن حجر على ابن العديم حين وصفه بأنه لم يكن من أهل الحديث. . . . قال ابن حجر: لعمري، لقد بالغ ابن العديم في ذلك، ولولا أن كلامه يتضمن النقل عن الأئمة لما ذكرته. ولم أقف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمة شافية.

وقال السلمي: وهو من كبار مشايخ خراسان، وله التصانيف المشهور، وكتب الحديث ورواه (المنهيات / ١٥).

تأثيره في الفكر الإسلامي:

عن ذلك يقول الدكتور محمد علي البار:

يعتبر الحكيم الترمذي من الأفذاذ الذين تميزوا إلى جانب علمهم بالأمور الشرعية بصفاء النفس وقوة الحافظة والقدرة على استنباط المسائل الدقيقة وخاصة في أمور التصوف. وبما أن الترمذي من المتقدمين (من رجال القرن الثالث الهجري) فإنه قد أثر بفكره وكتبه على من جاء بعده من أعلام الفكر الإسلامي من أمثال الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. . . ففي «كتاب الأحياء من ربع المهلكات» أثر واضح لكتاب الترمذي «الأكياس والمغترين». . وانتفع الإمام الغزالي كذلك بكتب الترمذي مثل كتابه «الفروق» الذي يفرق فيه الحكيم الترمذي بين الأمور المتشابهة ظاهرا المختلفة واقعا مثل المداراة والمداهنة والمحاجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة. كما استفاد أيضًا من كتبه الأخرى مثل «المسائل المكنونة» و«بيان العلم» و«أنواع العلوم» و«الأعضاء والنفس» و«بين الفرق بيان الصدر والقلب والفؤاد واللب».

وتأثر الإمام ابن القيم في كتابه الروح بكلام الترمذي الحكيم عن النفس وأقسامها. والفروق بين الأعمال التي تبدو متماثلة في الظاهر وهي مختلفة في الحقيقة. . واستمد ابن القيم ذلك من كتب الحكيم مثل «الفروق ومنع الترادف» و«الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب» و«الأعضاء والنفس».

وقد أثّر كتابه ختم الأولياء في كل من كتب بعده عن الولاية والأولياء. ولا يعني هذا أن كل من جاء بعده قد وافقه على آرائه تلك فمنهم من عارضها ونقدها مثل الإمام ابن تيمية في كتاب «الرسائل والمسائل». . ولكن هذا لا يعني أن الترمذي لم يؤثر في ابن تيمية وإن خالفه في بعض ما ذهب إليه.

ولا شك أن محيي الدين بن عربي تأثر تأثرا كبيرا بكتاب ختم الأولياء. . مما جعله يكمل الإجابة على الأسئلة التي وضعها الترمذي ولم يجب عليها. وهو كتاب «الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم». . كما أن لابن عربي «شرح المسائل الروحانية في كتاب ختم الأولياء». وكلا الكتابين مطبوعان مع كتاب ختم الأولياء كما قد مرَّ.

وقد تأثر الإمام أبو الحسن الشاذلي، وابن عطاء الله السكندري، وإبراهيم الدسوقي، وغيرهم من الصوفية بفكر الحكيم الترمذي.

ولم يقتصر تأثير الترمذي على الفكر الصوفي فحسب لكنه كما أسلفنا، أثر في ابن القيم كما أخذ عنه الإمام القرطبي في تفسير آية النور حيث نقل الإمام القرطبي ذلك التفسير عن الحكيم الترمذي (سورة النور آية ٣٥). وكذلك نقل عنه الإمام الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» وهذا كله يدل على مدى علم الحكيم الترمذي وتأثيره على أساطين الفكر الإسلامي لعدة قرون من الزمان. («الحكيم الترمذي: حياته وآثاره» / ٨٤).

مصنفاته:

ذكرت مجلة «المسلمون في الاتحاد السوفيتي (العدد ٢ (٦٦) ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م ١٩) أن الحكيم الترمذي ألف أكثر من ثلاثمائة مؤلف ووصل إلينا حوالي ستين منها. وذكر الزركلي (الأعلام ٦ / ٢٧٢) أن مؤلفاته بلغت ٥٧ مصنفا. وأشهر كتبه ما يلي:

١ ـ نوادر الأصول في أحاديث الرسول، وقد سبق الكلام عنه. وطبعاته كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٦) هي:

ـ استانبول: المطبعة العامرة ١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧ م.

(٤٣٢ ص، م، ا ص، ف، ١١ ص، المحتوى).

ـ مصورة بالأوفست، بيروت: الناشر، مطابع دار صادر، د. ت.

(٤٤٤ ص، م، ١ ص، ف، ١١ ص، المحتوى).

(٢) ـ المنهيـات: جمع فيه الأحاديث النبوية التى فيها نهى، وقد سبق ذكره.

قالـت المؤلفة: النسخـة التى عنـدى ـ دراسة وتحقيـق محمد عثمان الخشت طـ مكتبة القرآن سنة ١٩٨٦ وتقع فى ٢٥٥ صفحة، والفهرس ٢٥٧ ـ ٢٦٣.

وقد ورد ذكـر هذا الكتاب تحت عنوان « المنـاهى » فى الأعلام للزركلى (٦ / ٢٧٢) ومصادر أخرى.

(٣) الرد على المعطلة: وقد رد فيـه على المعطلة. . والكتاب مخطوط. وتوجد منه نسخة فى مكتبـة الإسكندرية برقم ١٤٥ فنون متنوعة. . ونسخـة الإسكندرية كما يقول الدكتـور محمد الجيوشى فى مقـدمته لكتـاب المسائل المكنونـة للحكيم الترمـذى، ضمن مجمـوعة رسـائل وكتب للحكيم التـرمذى وتشتمل على المسـائل المكنونـة، و « تحصيل نظائر القرآن ». . والمجموع قـد نسخ سنة ٥٩٣ هـ بخط محمد بن هبة الله بن أبى جراد.

هذا مـا ذكره الـدكتور محمـدعلى البار فـى بحثه المشـار إليه آنفا. وقد أورد محقق كتاب المنهيات الأستاذ محمد عثمان الخشت كتابا للحكيم الترمذى بعنوان « الرد على الرافضة » (ص ١٤) لعله كما أورده أيضًا المعجم الشامل تحت هـذا العنوان ولعله هو « الرد على المعطلة » وجاء فيه عن تحقيقه وطبعه ما يلى:

الرد على الرافضة

ـ تحقيق، أمين صبحى فرات، مجلـة شرقيات، كلية الآداب جامعة استانبول، المجألد ٦ (١٩٦٤ م).

٢٤ ص (٢٣ ــ ٤٦)، م، ١٣ ص (٢٣ ــ ٣٥) بـاللغـة التركية.

(٤) المسائل المكنونة: وقد طبع بمقدمة مهمة للدكتور محمد إبراهيم الجيـوشى، طبعته دار التراث العربى، القـاهرة ١٩٨٠ م، وهو عبارة عن مقاطع من تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم وأجوبة على بعض الأسئلـة التى كانت تـرده. . . وتعريفات لكلمـات مثل الخشية والخـوف. . يقول: الخشيـة من العلم بالله، والخـوف من المشاهـدة: فالخشيـة ممزوجـة والمشاهـدة منصوصـة. وذلك أن المشاهدة لقاء العظمة. .

وهـو منهج فلسفى صـوفى أدبى جميـل فى التفـريق بين ذلك الألفاظ المتشابهة. . وفيها مـواعظ وزواجر. وجاء عنه فى المعجم الشامل (١ / ٢٤٥) ما يلى:

ــ تحقيق، محمـد إبراهيم الجيـوشى القـاهـرة: دار التـراث العربى، مطابع الناشر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

(١٦٣ ص، م، ٣٧ص، ف، ٥ ص، المراجع، المحتوى).

(٥) كتاب ختم الأولياء أو ختم الولاية وهـو عمدة مؤلفاته وهو الذى أثار عليه أهل ترمذ لزعمهم أنه قال إن للأولياء خاتمًا. . . وإن الأولياء أفضل من بعض الأنبياء. . وأنه احتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم « يغبطهم النبيـون والشهداء » وأن التـرمذى قـال « لو لـم يكونوا أفضل لما غبطوهم ».

والواقع أن الحكيم الترمـذى برىء من هذا الاتهام الـذى تناقله الباحثون جيلاً بعد جيل دون تمحيص. فقـد ذكر الترمذى فى كتابه «ختم الأوليـاء» بصراحـة إنكـاره لهذا الـزعم حيث قـال: « حاشـا لمسلم أن يفضِّل غيـر نبى على نبى ». . واعتبـر أكمل الأنبيـاء والأولياء محمد صلى الله عليه وسلم.

وكل أول من نبـه إلى بـراءة الترمـذى من هـذه التهمـة الدكتـور محمد إبراهيم الجيـوشى فى مقدمته لكتاب « المسـائل المكنونة » للحكيم الترمذى، وفى كتابه « الحكيم الترمذى آثاره وأفكاره ».

وكتاب « ختم الأولياء » مطبـوع بتحقيق عثمان إسماعيل حقى (معهد الآداب الشـرقية، بيروت ١٩٦٥ م) ويضـم الكتـاب رسائل أخرى ملحقة به وهى:

(أ) رسالة « بدو الشأن » للحكيم الترمذى نفسه.

(ب) كتاب الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم » وهى لمحيى الدين بن عـربى. وقد أجاب فيهـا عن أسئلة الحكيم الترمذى التى وضعها فى كتابه « ختم الأولياء ».

(ج) شرح المسـائل الروحانية فى كتـاب ختم الأولياء « لمحيى الدين بن عربى أيضًا ».

(٦) ملحق تـاريخى يحتـوى على نصـوص إسـلامية خـاصـة بالـولاية والنبوة ومقامـات العارفين من القرن الأول إلى القـرن التاسع للهجرة.

وهذا الكتاب الحافل يشكل ثروة هائلة فى موضوع الولاية والنبوة ومقامات العارفين. . ويتيح للبـاحـث أن يعرف الآراء المختلفة فى هذا المـوضوع من القرن الأول إلى القـرن التاسع الهجـرى، وما هى إسهامات كل مفكر فى هذا الموضوع.

وقد ورد المعجم الشامل طبقات كتاب ختم الأولياء على النحو التالى: ١ / ٢٤٣، ٢٤٤):

ـ تحقيق، عثمان إسماعيل يحيى، مجلة المشرق المجلدات ٥٤، ج ٤ ـ ٥، (١٩٦٠م)، ٨٦ ص (٣٨٥ـ ٤٧٠).

المجلد، ٥٥، ج١، سنة ١٩٦١، ٣٠ (٣ـ ٣٢).

المجلد، ٥٥، ج٢، سنة ١٩٦١ م، ٣٣ (٢٤٥ـ ٢٧٦).

المجلـد ٥٥، ج٤ ــ ٥، سنـة ١٩٦١ م، ٤٠ ص (٤٦٠ ـ ٤٩٩).

المجلد ، ٥٦ ج ١ سنة ١٩٦٢ م ٤٠ ص (٥٧ـ٩٦).

المجلد ٥٦ ، ج ٢ ١٩٦٢ ، ٤٠ ص (١٧٧ ـ ٢١٦).

المجلد ٥٦ ، ج، (٤ – ٥) ١٩٦٢ م، ٧١ص (٥٤٩ ـ ٦١٩).

المجلد ٥٦، ج٦، ١٩٦٢، ١١٠ ص (٦٦٥ـ٧٧٤).

المجلد ٥٧، ج ١ ١٩٦٣، ١٨ ص (٣ـ٢٠).

ـــ تحقيق، عثمان إسماعيل يحيي، بيروت: معهد الآداب الشرقية، المطبعة الكاثولكية، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

(٣٧٢ ص، م، ٨٥ ص + ٤ ص نماذج مصورة من المخطوط، ف، ٦٨ ص، الموضوعات، الآيات القرآنية، الآحاديث، الأشعار، فهرس عمومي يشمل أسماء الأشخاص والقبائل والبقاع، فهرس خصوصي، يشمل المفردات الفنية والتاريخية، أسماء المذاهب والملل والنحل، فهرست الكتب والأبحاث العربية، المراجع، تصويبات).

(٦) رسالة « بدوّ الشأن » وهي ترجمة حياة الترمذي بقلمه وقد تقدم ذكرها. وطبعتها كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٤) هي: ـــ تحقيق، عثمان إسماعيل يحيي بيروت: معهد الآداب الشرقية، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

٢٠ ص (١٣ ـ ٣٢)، ملحقة بكتاب ختم الأولياء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

(٧) الفروق ومنع الترادف: وفيها يفرق الحكيم الترمذي بين الألفاظ المتشابهة في الظاهر المختلفة في الواقع مثل المداراة والمداهنة والمحاجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة والشجاعة والتهور... إلخ وهو فريد في بابه.

(٨) علل الشريعة.

(٩) علل العبودية (ذكر الزركلي في (الأعلام ٦ / ٢٧٢) رسالة بعنوان « العلل »).

وقد ذكر الأستاذ محمد عثمان الخشت في مقدمة تحقيقه لكتاب المنهيات (ص ١٣) الكتب الثلاثة: علل الشريعة، وعلل العبودية، وكتاب العلل باعتبارها عناوين لكتاب واحد قال: إن الحكيم الترمذي حاول فيه تعليل الفرائض تعليلاً عقليا.

(١٠) غرس الموحدين.

(١١) الرياضة وأدب النفس، وطبعته كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٥) هي كما يلي:

ـــ تحقيق، ١ ج، آربري وعلي حسن عبد القادر، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مطبعة الناشر، ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م.

(١٦٨ ص، م، ٣٢ ص، ف، ٨ص، الموضوعات، الأعلام، المواضع، التصويب).

(١٢) الكسب.

(١٣) غرر الأمور (في الأعلام ٦ — ٢٧٢: غور بالواو).

(١٤) شرح الصلاة (قال الزركلي ٦ / ٢٧٢: لعله « الصلاة ومقاصدها »).

(١٥) الصلاة ومقاصدها. وطبعته كما أوردها المعجم الشامل.

(١ / ٢٤٥) هي كما يلي:

ـ تحقيق، حسني نصر زيدان، تقديم عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الكتاب العربي، مطابع الدار، ٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

(١٨٥ ص، م، ٩ ص، ف، ٢ ص، الخطأ والصواب).

(١٦) بيان العلم.

(١٧) أنواع العلوم.

(١٨) الأعضاء والنفس (« الحكيم الترمذي: حياته وآثاره » / ٨٣).

(١٩) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب. قال عنها الزركلي (الأعلام ٦ / ٢٧٢): رسالة طبعت سنة ١٩٥٨ مصدرة بترجمة حسنة لمؤلفها وبأسماء ٥٧ كتابًا أو رسالة من تصنيفة وذكر المعجم الشامل (١ / ٢٤٣) طبعة وهي:

ـــ تحقيق، نقولا هير، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية الكبرى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية الكبرى (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

(١١١ ص، م، ٣٠ ص، ف، ٧ ص، الموضوعات، فهرس الأحاديث).

(٢٠) كتاب الأكياس والمغترين بالغين في الأعلام ٦ / ٢٧٢. ويضم هذا الكتاب عددًا من الأمثلة المصنفة وفق الحروف، ويتناول عددًا من الحيل في المسائل الدينية، ويفضح النفاق في مختلف أشكاله ويشهر حملة علي حيل المتفيهقين (المنهيات / ١٣، ١٤) (ذكر الأستاذ علي محمد البجاوي في مقدمة تحقيقة لكتاب « الأمثال من الكتاب والسّنة (ص ١١) كتاب « الأكياس والمفترين» بالفاء).

(٢١) الحج وأسراره. أورده الأستاذ الخشت في مقدمة تحقيقه لكتاب المنهيات (ص ١٤) وجاءت طبعته في المعجم الشامل (١/ ٢٤٣) كما يلي:

تحقيق، حسني نصر زيدان، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، ١٧٤ ص.

(٢٢) العقل والهوى: ذكره الزركلي في (الأعلام ٦ / ٢٧٢) بهذا العنوان كما ورد كذلك أيضًا في مقدمة تحقيق كتاب المنهيات (ص ١٤). غير أن المعجم الشامل (ص ٢٤٥) أورد كتابا بعنوان «العقل» وذكر تحقيقه كما يلي:

ـــ تحقيق، أحمد صبحي فرات، مجلة شرقيات، كلية الأداب، جامعة استانبول، المجلد ٥، ١٩٦٤ م.

٣٩ ص (٩٥ ـــ ١٣٣)، م، ٢٥ ص (٩٥ ـ ١١٩)، باللغة التركية.

(٢٣) تحصيل نظائر القرآن.

ـ تحقيق، حسني نصر زيدان القاهرة: مطبعة السعادة، الأول سنة ١٩٧٠ م، ١٧٤ ص (المعجم الشامل ١ / ٢٤٣).

وجاء في مقدمة تحقيق كتاب المنهيات (ص ١٤):

(٢٤) كتاب الحقوق.

(٢٥) الشفاء والعلل.

(٢٦) كيفية الصلاة.

قالت المؤلفة: عندي كتاب بعنوان:

(٢٧) معرفة الأسرار للحكيم الترمذي ـ تحقيق ودراسة د. محمد إبراهيم الجيوشي. دار النهضة العربية ١٩٧٧، يقع في ٩٢ صفحة وثبت المراجع ٩٣، ٩٤.

وقد أورد المعجم الشامل كتبا أخرى وطبعاتها هي (١ / ٢٤٣ـ ٢٤٥):

(٢٨) رسالة مكر النفس

ـ تحقيق، عبد الفتاح عبد الله بركة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٠، ج ٢، (نوفمبر ١٩٧٤).

٢٩ ص (١٣١ ـ ١٥٩). م، ١٨ ص.

(٢٩) مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول.

ـ ط، بيروت: مطابع دار صادر، د. ت.

(١٤٢ ص، مصورة بالأوفست، وملحقة بكتاب نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول).

(٣٠) منازل العُبّاد من العبادة أو منازل القاصدين إلى الله.

ـــ تحقيق، محمد إبراهيم الجيوشي، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٧ م، ٩٤ ص.

(٣١) الأمثال من الكتاب والسُّنة.

ـ تحقيق، علي محمد البجاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

(٢٩٥ ص، م، ١٥ ص، ف، ٢٨ ص، الموضوعات، الآيات القرآنية، الأحاديث والأخبار الاعلام، مراجع التحقيق والشرح، صواب الأخطاء المطبعية).

(٣٢) عود الأمر: أضافه السبكي.

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي لنفس المحقق طبع مكتبة دار التراث. القاهرة. د. ن.

٣٥٢ ص، فهارس الكتاب من ٣٥٤ـ ٣٨٧، صواب الأخطاء المطبعية ص ٣٨٨.

ويمدنا محقق الكتاب الأستاذ علي محمد البجاوي بهذه المعلومات عن كتاب الأمثال من الكتاب والسنة في مقدمة تحقيقه التي قال فيها:

والكتابُ في ثلاثة أقسام: الأمثال من القرآن. الأمثال من الأحاديث والأخبار. أمثال الحكماء.

ويدخل في هذا القسم الأخير أمثال من عند الحكيم الترمذي نفسه.

ومما تجدرُ الإشارة إليه هنا أن المؤلف لم يقصد الاستقصاء في واحد من هذه الأقسام: بدليل أنه ترك كثيرًا من أمثال القرآن الكريم، وأمثال الأخبار.

وفي رأيي أنه قصد إلى نماذج من هذه الأمثال فيها عظة وعبرة، وتعليم وفقه، وحكمة ودين، وحاول دائمًا أن يكون أثره عظيمًا، وعظاته أشمل.

على أنه في كل ما جاء به كان يدور في محيط القرآن الكريم، والسنة المحمدية، حتى تلك الأمثال التي رواها عن الحكماء والعلماء، والتي ساقها من عنده ـ أيدها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليعزز آراءه مما يدل على إيمان صحيح ورغبة أكيدة في محاولة الوصول إلى عقل القارىء والأخذ بيده إلى الطريق المستقيم.

وهو حين يشرح بعض الآيات في سياق موضوعه كان يتجه أحيانا إلى تفسير صوفي فيه بعضُ الغموض.

وهذا الكتاب في مجموعة مخطوطة من مؤلفات الحكيم الترمذي، وفي الصفحة الأولى منها ما يأتي:

مجموع فيه اثنا عشر كتابًا للحكيم الترمذي:

الأول ـ كتاب الصلاة ومقاصدها.

الثاني ـ الحج وأسراره.

الثالث ـــ الاحتياطات (هو في خلوص العبادة والاحتياط من النفس)

الرابع ـ الجمل اللازم معرفتها.

الخامس ـ الفروق ومنع الترادف ـ من أجل مصنفه.

وهو في ذكر الأفعال والأخلاق الفاضلة وأضدادها وبيان الفرق بينهما. قال السبكي (٢ / ٢٠): ليس في بابه مثله، يفرق فيه بين

المداراة والمداهنـة، والمحاجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقـام، وهلم جرا. . من أمور متقاربـة المعنى) وقد سبق ذكر ذلك.

السـادس ـ حقيقة الآدميـة، واسم الكتاب « الرياضة فى تعلق الأمر بالخالق ».

السـابع ـ غـرس الموحـدين (وهو فى بيـان الصلاة والطهـارة وأدائهما على وجههما).

الثامــن ـ الأعضاء والنفس، وفيه تفسير آيات عظيمة.

التاسـع ـ منازل العباد من العبادة.

العاشر ـ العقل والهوى ـ وهو جليل الفوائد.

الحادى عشر ـ الأمثال من الكتاب والسنة، مفيد جدًّا.

الثانى عشر ـ كتاب « المنهيات » أو « المناهى » وهو غريب فى بابه.

جميع هذه الكتب المذكورة من مصنفات الأستاذ العلامة العالم الأوحد الإمام الحكيم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى قدس الله روحه.

وفى أعلى الجانب الأيسر من هذه الصفحة تمليك غير مقروء، وتحتـه: تشـرف بتملكه أفقـر الـورى صـالح بن مصطفى رضى الله تعالى عنه.

وبعد المكتوب فى النسخة المغربية ما يأتي:

الشيخ الإمـام الأجل أبـو المكـارم الحسيـن بن محمـــد بن عثمان. . والعلامـة بدر الدين شمس المعرفة، تـاج السنة، سراج الأمة، ناصر الحق، ناصح. . . .

فى دار الكتب المصـريـة من الكتـاب نسختـان (فهـرس المخطوطات القسم الأول، القاهرة ١٩٦١).

الأولى بخط مغربى دقيق جدا، به بعضُ الضبط، وهى مصورة بالفوتستات عن نسخـة خطية محفوظة ـ بالمكتبـة الأهلية ـ باريس رقم ٥٠١٨، ويظن أنها من مخطـوطات القرن الخـامس الهجري، ضمن مجموعة من لوحة ١٤١ ــ ١٨٤، فى كل لوحة صفحتان، ورقمها ٢١٨١٧ ب.

والنسخـة الأخـرى مصـورة بالفـوتستـات أيضًـا، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة رقم ١٤٧٩ ضمن مجموعة من لوحة ٤٢ ـ ٩٧، وكل لوحة بها صفحتان، وهى بخط فارسى جميل، لولا أن بها بعض كلمات غير واضحة فى التصوير، وهى قليلة على كل حال، وبها أيضا بعض الضبط الدقيق، ورقمها ٢١٨١٦ ب.

ومـمـا ينبغى التنبيـه عليه هنـا أن هـذه النسخة قـد امتـازت عن سابقتها بـأن بهـا عناوين جـانبية. انتفعـت بها فى العنـاوين التى وضعتها لموضـوعات الكتاب فى ثنايا السطور، مميـزة بحروف غير حـروف الكتاب، وهى عنـاوين دقيقة، فصلت موضوع الكتـاب، وبينت أجزاءه، وحددت للقارىء أهدافه.

(بـدار الكتب نسخة ثالثة منقولة بقلم أحد النساخ، ولكنـها ـ لكثـرة ما فيها من تحريـف، لا تستـحق أن تكون مرجعًا للتحقيق، بل لا يـصح).

وأرى أن هـذه العنـاوين من وضع كـاتب النسخـة، فهى غيـر موجـودة فى النسخة المغـربية السابقـة أ هـ. (الأمثـال من الكتاب والسنة / ٣ـ٧، ١٢، ١٣).

وقد ذكر الأستاذ كوركيس عواد مخطوطا آخر لكتاب الأمثال من الكتاب والسُّنة فقال عنه:

نسخـة فى المكتبـة الـوطنية بـباريس، ضمن مجمـوعـة بـرقم ٥٠١٨، (الـورقـة ١٤١ ــ ١٨٤). مكتـوبـة فى القـرن الخـامس للهجـرة (= ق ١١ م). وعنهـا نسخة مصـورة فى دار الكتب بـرقم ٣١٨١٧ ب. (فهرسـت المخطوطات التـى اقتنتها الدار مـن سنة ١٩٣٦ـ ١٩٥٥، ١ / ٧٨). (أقدم المخطوطات / ٩٢).

ومن طريف مـا ذكره الشيخ عبـد الغنى عبد الله فى بحثـه الذى نقلناه فى بداية هـذه المادة ما قيل عن لقب « الحكيم » الذى لقب به الترمذى فقال:

والآن إليكـم عدة كلمـات عن سبـب تلقيـب الإمـام الترمذى بـ «الحكيم » الى اسمـه. ان البعض يفهم هذه الإضافة كـدكتور أو طبيب. وبنـاء على ذلك لا يعتبـرونـه عالم ديـن بل طبيبا بـارعـا. طبعـا، ثمـة علاقـة بينهمـا مفهـوم مشتـرك. إذا عدنـا إلى كتـاب «طبقات الأطباء والحكمـاء » لابن جلجل وجد فى فصل « بقراط » أن الطبيب هـو الإنسان الشـريف النـزيه خلقيـا وفكريـا، الطيب، الرؤوف، الأنيق فى ملبسـه، الجميل المظهر، الملم بعملـه ومهنته إلمامًـا تاما، والحكيم (هـو الشديد الذكـاء والحاضر البـديهة): الـذى يقدر كـل الظروف والأوضـاع، ويفهم كل شيء (الصفحـة ١٧).

وهكـذا نـرى أن كلمـة « حكيم » أكثـر شمـوليـة من « طبيب » وتعنى المتخصص فى كافة ميادين العلوم والمعرفة. وبهذا الصدد، كان المرحوم شيخ جامع الأزهر، عبد الحليم محمود، قد كتب فى مقالة لـه، ذكر فيها أن ابن سينا كـان يدرج ضمن كلمة « الحكيم » معنى إضافيـا وهو الملم والمتعمق فى ميادين الفلك والريـاضيات والطب والفقه والأدب. (كتاب « التفكيـر الفلسفى فى الإسلام »، (المجلد ٢ ـ الصفحة ـ ١٠). ويقول الحكيم الترمذى فى كتابه «نظائر القرآن » (الصفحة: ١٦٨): « الحكيم هو من بلغ جـوهر العلوم الباطنية ».

مواطننا العظيم مؤلف كتاب « مفاتيح الغيب » فى خمسة عشر مجلدا فخر الدين الرازي، يقول: « إن الحكيم مشتق من كلمة «الحكمة » وينوّه إلى القصد والعلم أو الثواب. رجال التصوف كذلك يفسرون الحكيم ويؤكدون أن الحكمة أعلى قدرا من المعرفة ويسمى الرجل المتعمق فى العلوم حكيما، والمعرفة لا تحصل إلا بعد الكد المديد والحرمان من ملذات الدنيا » وكما يقول الدكتور عثمان بن يحيى إن الترمذى لقب بـ « الحكيم » لأنه بلغ فى التصوف كافة تفاصيل ميزات الانسان و طبيعته، (المقدمة، الصفحة: ٤).

وعلاوة على الإمام الترمذى نال لقب « الحكيم » عدد من علماء ما وراء النهر، نذكر منهم: محمد بن عمر الحكيم البراك، عبد القاسم بن محمد الحكيم السمرقندي وغيرهما.

لقب الترمذى بألقاب أخرى، مثل: المحدث، الحافظ، الزاهد، الإمام. وجاء ذكر ذلك فى كتابه: « بيان الكسب » الذي يتعرض فيه إلى مواضع المهن والحرف و « كتاب الفروق » ـ عن الناس البسطاء و « كتاب علم الأولياء » و « كتاب آداب النفس».

وكان الحكيم الترمذى يلقب أيضًا بـ « المؤذن » ويؤكده ما جاء فى كتابه « نوادر الأصول فى أخبار الرسول » الذى تحفظ مخطوطته فى مكتبة الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان.

ويختم الشيخ عبد الغنى عبد الله بحثه بقوله عن ضريح الإمام الحكيم الترمذى ومدينة ترمذ:

يقع مرقد الإمام الجليل فى مدينة ترمذ القديمة، وعلى ضفة نهر آمودريا، حيث جرت أعمال تجديدية تحت إشراف الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى و قازاقستان.

فى الوقت الحاضر (عام ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م) أعلنت مدينة ترمذ مدينة مفتوحة (حتى الآن كانت المدينة ممنوعة الدخول لوقوعها على الحدود) و غدا بإمكان كل زائر القيام بزيارة ضريح هذا العالم العبقرى (« الحكيم الترمذى » ـ الشيخ عبد الغنى عبد الله / ١٣).

وقد جاء فى مجلة « المسلمون » فى الشرق السوفياتى (العدد ٢) عن ضريح الحكيم الترمذى ما يأتي:

اشتهر نهر آسيا الوسطى العظيم « امودريا » فى القديم باسم «الجيحون » أى الهائج والعنيف. لعله سمى بهذا الاسم لجموحه وتغير مجراه على الدوام مدمرا كل ما يلقاه فى الطريق. ويظهر أن المعماريين لاحظوا هذه العادة للنهر حينما بنوا على شاطئه قرب مدينة ترمذ ضريحا لأبى عبد الله محمد الترمذى الشهير بالحكيم الترمذي.

ورغم جموحه تلطف النهر بهذا الاثر التأريخى للفن المعمارى الإسلامى ولكن مرور الزمن كان، أقل لطفا بالنسبة له ولم يبق فى ايامنا هذه من المظهر الأصلى للضريح إلا قليل. واستطاع المعماريون الأروزبيكون إحياء ذخيرة الفن المعمارى الإسلامى التى كادت أن تفقد إلى الأبد بين الخرابات. لقد رفع أحفاد المعماوريين القدماء الجدران والقبب سنتيمترا بعد سنتيمتر. ولا بد من التأكيد على أن المعماريين الشعبيين استخدموا نفس المواد البنائية التى استخدمها أجدادهم. وأخيرا أتموا حديثا عملهم الشاق والدقيق بنجاح ولمع ضريح الحكيم الترمذى بلمعان جماله الأصلى. ويلفت هذا الأثر المعمارى أنظار الزوار ليس لوجود قبر أحد الشخصيات الموقرة لدى المسلمين فحسب بل أنه يلفت أنظارهم بجماله وتنسيق الأشكال المعمارية والزخارف الرائعة وبطراوة القباب الزرقاء والنقوش وبطراز خاص، وهذه كلها لا يمكن مشاهدتها فى غير هذا المكان (المسلمون فى الشرق السوفياتى. العدد ٢ / ١٩).

(الأعلام للزركلى ٦ / ٢٧٢ و « الحكيم الترمذى » ـ الشيخ عبد الغنى عبد الله ـ المسلمون فى الشرق السوفياتى. العدد الرابع (٨٨) ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م / ١١ ـ ١٣، و « الحكيم الترمذي: حياته وآثاره » ـ د. محمد على البار، الفيصل. العدد (١٥٨) شعبان ١٤١٠ هـ. مارس ١٩٩٠م، السنة الرابعة عشرة / ٨٢ ـ ٨٤، والمنهيات للحكيم الترمذى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ١ / ٢٤٣ ـ ٢٤٦، والأمثال من الكتاب والسُّنة للحكيم الترمذى ـ تحقيق على محمد البجاوى / ٣ ـ ٧، ١٢، ١٣ وأقدم المخطوطات فى مكتبات العالم ـ كوركيس عواد / ٩٢، والمسلمون فى الشرق السوفياتي. العدد ٢ (٦٦) ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ / ١٩. انظر أيضًا مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٧٠٤، ومعرفة الأسرار للترمذى الحكيم ـ تحقيق ودراسة. د. محمد إبراهيم الجيوشى / ٧ ـ ٣٣) وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السُّلمى ـ يَسّره ورتبه أحمد الشرباصى / ٥١، ٥٢، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ٧٨، ٧٩، والرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى / ٣٨).

انظر مادة « الترمذى » فى م ٩ / ٣٠٨، ٣٠٩، ومادة الترمذى (أبو عيسى) فى ٩ / ٢٠٩ ـ ٣١٢.

*** الحكيم جل جلاله:**

الاسم السابع والأربعون من أسماء الله الحسنى (انظر هذه المادة فى م ٤ / ٤٧١ ـ ٤٨١).

وقد ورد اسم « الحكيم جل جلاله » فى القرآن الكريم ثمان

وثلاثين مرة: في البقرة مرتين، وآل عمران أربع مرات. وفى المائدة مرة، وفى الأنعام مرتين، وفى يوسف مرتين، وفى إبراهيم مرة، وفى النحل مرة، وفى النمل مرة، وفى العنكبوت مرتين، وفى الروم مرة، وفى لقمان مرة، وفى سبأ مرتين، وفى فاطر مرة، وفى الزمر مرة، وفى غافر مرة، وفى الشورى مرة، وفى الزخرف مرة، وفى الجاثية مرتين، وفى الذاريات مرة، وفى الحديد مرة، وفى الحشر مرتين، وفى الممتحنة مرة وفى الصف مرة، وفى الجمعة مرتين، وفى التغابن مرة، وفى التحريم مرة، وفى الحاقة مرة.

ويفسر حجة الإسلام الغزالى اسم « الحكيم » فيقول: الحكيم: ذو الحكمة.

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والله هو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجلّ الأشياء بأجلّ العلوم؛ إذ أجل العلوم هو العلم الأزلى الدائم الذى لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا تتطرق إليها خفاء وشبهة. ولا يتصف بذلك إلا علم الله تعالى. وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها: حكيم. وكمال ذلك أيضًا ليس إلا الله تعالى.. فهو الحكيم الحق.

تنبيه: من عرف جميع الأشياء، ولم يعرف الله تعالى، لم يستحق أن يسمى حكيمًا، لأنه لا يعرف أجل الأشياء وأفضلها. والحكمة أجل العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجل من الله.

ومن عرف الله فهو حكيم، وإن كان ضعيف الفطنة فى سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان، قاصر البيان فيها.

إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته به إلى معرفة الله بذاته، وشتان بين المعرفتين، فشتان بين الحكمتين. ولكنه مع بعده عنه، فهو أنفس المعارف، وأكثرها خيرًا.. ومن أوتى الحكمة، فقد أوتى خيرًا كثيرًا.

نعم من عرف الله كان كلامه مخالفًا لكلام غيره؛ فإنه قلما يتعرض للجزئيات، بل يكون كلامه كليًا. ولا يتعرض لمصالح العاجلة، بل يتعرض لما ينفع فى العاقبة. ولما كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم، ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل الكلمات الكلية، ويقال للناطق بها: حكيم.

وذلك مثل قول سيد الأنبياء صلوات الله عليهم:

« رأس الحكمة مخافة الله » (أخرجه الحكيم وابن لال عن ابن مسعود. وقال السيوطى: حديث صحيح.

« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (رواه عن شداد بن أوس: أحمد فى مسنده، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم فى مستدركه: قال السيوطى: حديث صحيح).

« ما قل وكفى خير مماكثر وألهى » (رواه أبو يعلى فى مسنده، والضياء، كلاهما عن أبى سعيد قال السيوطى: حديث صحيح).

« من أصبح معافى فى بدنه، آمنا فى سِرْبه، عنده قوت يومه - فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » (رواه البخارى فى الأدب، والترمذي، وابن ماجه، كلهم عن عبد الله بن محصن. قال السيوطي: حديث حسن).

« كن ورعًا تكن أعبد الناس » (تمامة: « ... وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن محاورة من حاورك تكن مسلما، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ». أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة، قال السيوطى: حديث ضعيف)

« البلاء موكّل بالمنطق » (رواه الخطيب في التاريخ عن ابن مسعود، وابن السمعانى فى تاريخه عن على، والقضاعى عن حذيفة: وهناك رواية بلفظ « البلاء موكل بالقول » لابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة عن الحسن مرسلاً، وللبيهقى فى شعب الإيمان عن الحسن عن أنس وأخرى عن أبى الدرداء، وللخطيب فى التاريخ عن أبى الدرداء أيضًا).

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (رواه الترمذى وقال: غريب، وابن ماجه، من حديث أبى هريرة).

« السعيد من وعظ بغيره » (أخرجه الديلى).

« الصمت حكمة وقليل فاعله » (رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف، والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ: « حكم » بدل « حكمة »، وقال: غلط فيه عثمان بن سعد، والصحيح رواية ثابت قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قاله. ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس.).

« القناعة مال لا ينفد » (أخرجه القضاعى عن أنس، قال السيوطى: حديث ضعيف).

« الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله » (أخرجه الخطيب فى التاريخ، وأبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى شعب الإيمان، كلهم عن ابن مسعود. قال العراقي: بسند حسن.).

فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة، وصاحبها يسمى حكيما (المقصد الأسنى / ١٠٧، ١٠٨).

أما الإمام الفخر الرازى فيفسر اسم « الحكيم » على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقال: ﴿ **وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [المائدة: ١١٨]. وقد ذكرنا اشتقاق لفظ الحكمة فى تفسير الحكيم، فنقول، فى الحكيم وجوه.

الأول: أنه فعيل بمعنى مفعل، كأليم بمعنى مؤلم، ومعنى الإحكام في حق الله تعالى فيخلق الأشياء، هو إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها، إذ ليس ذلك في كل الخليقة، ففيها ما لا يوصف بوثاقة البنية كالبقة والنملة وغيرها، إلا أن آثار التدبير فيها ـ وجهات الدلالات فيها على قدرة الصانع وقدرته، وكذا هذا في قوله تعالى ﴿ الذى أحسن كل شيء خلقه ﴾ [السجدة : ٧] ليس المراد منه الحسن الرائق في المنظر. فإن ذلك مفقود في القرد والخنزير، وإنما المراد منه حسن التدبير في وضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [الفرقان : ٢].

والثاني: أن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم، فالحكيم بمعنى العليم.

الثالث: الحكمة عبارة عن كونه مقدسا عن فعل ما لا ينبغي، قال تعالى: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ [ص: ٢٧].

قالت المعتزلة : إذا كان كل القبائح والمنكرات إيجاده وإرادته، فأين الحكمة؟ .

قلنا : الباطل هو التصرف في ملك الغير، فمن تصرف في ملك نفسه فأي فعل فعله كان حكمة وصوابا.

أما حظ العبد: فقالوا: الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، والعبد وإن كان قليل الحظ من العلوم ومن القدر ، فتلك العلة إنما تظهر بالنسبة إلى علم الله، وقدرته وبالنسبة إلى علم الملائكة وقدرتهم، إلا أن الذى حصل منه البشر فهو عظيم الخطر، الذى يدل عليه أن الله عظمه، فقال: ﴿ ومن يُؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ [البقرة : ٢٦٠] وطلب إبراهيم عليه السلام ذلك، فقال: ﴿ رب هب لى حكما ﴾ [الشعراء: ٨٣] ومدح الله داود عليه السلام به، فقال: ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ [ص : ٢٠] قالت الحكماء. الحكمة هو العلم.

والعلم إما أن يكون علما بما لا يكون وجوده باختيارنا وفعلنا، وهو الحكمة النظرية، أو بما يكون وجوده باختيارنا وفعلنا، وهو الحكمة العملية، أما الحكمة النظرية فهى إما أن تكون وسيلة أو مقصودة بالذات، أما الوسيلة فهى علم المنطق، وحاصله يرجع إلى إعداد الآلات التى بها يتمكن الإنسان من اقتناص التصورات، والتصديقات المحمولة على وجه لا يقع فى الغلط إلا نادرا.

وأما المقصود فاعلم: أن الأشياء على ثلاثة أقسام: إما أن يجب كونها في مادة، أو يجب أن لا تكون في مادة ، أو يجوز كلا الأمرين فيه، أما الذى يجب أن يكون في مادة، فإما أن يجب أن يكون في مادة معينة، والعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات مسمى بالعلم الطبيعي، وإما أن لا يجب أن يكون في مادة معينة، بل كان يجب أن يكون في مادة ما، فالعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات يسمى بالعلم الرياضي.

وأما القسم الثاني: وهو الذى يجب أن لا يكون في المادة أصلا، فالعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات هو المسمى بالعلم الإلهى.

وأما القسم الثالث: وهو الذى قد يكون فى مادة، وقد لا يكون، فالعلم الباحث عن هذا القسم هو المسمى بالعلم الكلى، وهو كالعلم بالوحدة، والكثرة، والعلية، والمعلولية، والتمام والنقصان، فهذا مجموع أقسام الحكمة النظرية.

أما الحكمة: العملية فهى إما أن تكون بحثا عن أحوال نفس الإنسان مع بدنه الخاص به، وهذا يسمى علم الأخلاق ، أو عن أحوال نفسه مع أهل منزله وهذا يسمى علم تدبير المنزل، أو عن أحوال نفسه مع أهل العالم، وهذا يسمى علم السياسة، فهذا هو الإشارة إلى أقسام العلوم الحكمية، فمن عرف هذه الأقسام ثم عمل بقوانين العلوم العملية كان حكيما مطلقا.

أما المشايخ فقالوا: الحكيم هو الذى يكون مصيبا في التقدير، ومحسنا فى التدبير ، وقيل : الحكيم الذى ليس له أغراض، ولا على فعله اعتراض.

(شرح أسماء الله الحسنى / ٢٧٩ ـ ٢٨٢).

ومما أورده الشيخ أحمد عبد الجواد:

(الحكيم جل جلاله : ومعناه أنه واسع العلم وعلمه أزلى بما كان ويكون، خبير بكل شيء . يدبر الأمور بأحسن تقدير، ولا راد لحكمه.

وقد وصف الله نفسه بأنه عزيز حكيم، وأنه واسع حكيم، وأنه حكيم عليم، وأنه حكيم خبير ، وأنه تواب حكيم حميد، وأنه عليٌّ حكيم.

فقال الله جل جلاله: ﴿ إن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وقال الله جل جلاله: ﴿ وكان الله واسعا حكيما ﴾ [النساء : ١٢٥].

وقال الله جل جلاله: ﴿ والله عليم حكيم ﴾ [النساء : ٢٥].

وقال الله جل جلاله: ﴿ إن ربك حكيم عليم ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وقال الله جل جلاله: ﴿ الٓر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١].

وقال الله جل جلاله: ﴿ وأن الله تواب حكيم ﴾ [النور : ١٠].

وقال الله جل جلاله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢].

وقال الله جل جلاله : ﴿ وإنه عليٌّ حكيم ﴾ [الشورى : ٥١].

كما وصف الله سبحانه القرآن بالحكيم لما فيه من الآيات والذكر الحكيم : فقال الله جل جلاله : ﴿ يس * والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١ ، ٢].

وأرسل الله رسوله سيدنا محمدًا ﷺ ليتلو على المؤمنين آيات ربهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأمره بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فقال الله جل جلاله : ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فإذا تدبر العبد هذه الآيات علم أن الحكمة هبة من الله تعالى يختص بها من يخاف مقام ربه . فإذا صمت فكر، وإذا نطق قال خيرًا وصوابًا . ولقد اصطفى الله من عباده من آتاه الحكمة .

فقال الله جل جلاله : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا** ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وقد ذكر الله عبده داود عليه السلام كما ذكر عبده لقمان بأن آتاهما الحكمة .

فقال الله جل جلاله أيضًا : ﴿ **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ [ص : ٢٠] . وقال الله جل جلاله أيضًا : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله** ﴾ [لقمان : ١٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « رأس الحكمة مخافة الله » (رواه الحكيم وابن بلال عن ابن مسعود رضي الله عنه) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصمت حكم وقليل فاعله » (رواه القضاعي عن أنس رضي الله عنه) .

وقال رسول الله ﷺ « الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به » (رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه) .

وحظ العبد من اسم ربه « الحكيم جل جلاله » أن يتخلق بخوف الله ليزداد علما وخبرة من الكتاب الحكيم وهدى رسوله ﷺ . وصرف الله عنه ما يخشاه من الدواهي .

وقالوا : من أكثر من ذكر الحكيم تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفهم أسرار المعاني ولطائف الإشارات ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا ، والله أعلم .

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد .

قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ، وشعبان علي خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود علي — ١٢٧ ـ ١٢٩ ، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٧ ، ١٠٨ ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وهو الكتاب المسمى « لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات » لشيخ الإسلام فخر الدين الرازي ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٧٩ ـ ٢٨٢) .

*** الحل:**

انظر الحلّ والعقد

*** حل الأسرار الأخيار على إعراب إظهار الأسرار:**

op.2180

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو.

أحد المخطوطات المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا وجاء بيانه كما يلي :

كذا كتب عنوانه وفي (هدية العارفين) « حل أسرار الأخيار في معرب الأظهار » ولم يذكره صاحب الكشف أو صاحب الإيضاح .

تأليف : حسين بن أحمد البروسوي الرومي الشهير بزيني زاده المتوفى سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م .

يبدو من خطبة الكتاب أن المؤلف كان وضع كتابًا في إعراب «إظهار الأسرار في النحو» لبيركلي، ثم جعل كتابه هذا شرحًا له .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله الذي رفع داء الجهل عنا بإنزال قرآن عربي بين الهدى علينا . . . » .

آخره : « ﴿ . . . **يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] وصلى الله على سيدنا محمد الذي أُرسل رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين . قد تم هذا الكتاب صاحب ومالك إبراهيم بن عمر (كذا) سنة ١١٩٢ هـ » .

النسخة تامة بحالة حسنة خطها نسخ معتاد .

(١٨٧) ق (٢١ × ١٥ سم) مسطرتها : (٢١ س) .

بروكلمان : ٢ / ٤٤١ . ذيل بروكلمان : ٢ / ٦٥٦ . هدية العارفين : ١ / ٣٢٦ .

نسخة منه op.407

تامة بحالة عادية خطها فارسي، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

(١٤٥) ق (٢١ × ١٣ سم) مسطرتها (٢١ س) .

نسـخة أخـرى op.2118

تامة متأخرة تمت كتابتهـا سنة ١٢٢١ هـ خطها نسخ معتاد ولم يذكر اسم الناسخ .

(٩٣) ق القطع الصغير مسطرتها (٢٣ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢ / ١٠٨ ، ١٠٩).

*** حمل ألفاظ نخبة التفاحـة فى علم المساحة:**

من مصنفات التراث الإسلامي فى علم المساحة

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقي

الرقم ١٠٤٩٢ / ٢

لأبى الرضا عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن على الدمشقى المصـرى الشافعى المعروف بـالكتبى المتـوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م. (عالـم رياضى تـوفى بمكة المكرمـة من تآليفـه المنهج الأقرب لتصحيح موضع العقرب فى الحسـاب والهيئة . منظومة فى حل الأعداد وشرحها) .

الأول (حمدا لمن علم الأشيـاء كيفا وكما وصورهـا فى أشكال عديـدة . . وبعد فقـد سألنى من لا تسعنى مـدافعة كلامـه أن أحل ألفاظ نخبة التفاحة التى نظمتها فى المسـاحة فأجبته لحل أشكالها مصورا لأمثالها وأشكالها . .) وهـو شرح لمنظومة المؤلف فى علم المساحة (كـلاهما لنفس المؤلف) والتى رتبها على مقدمـة وثلاثة فصول وخاتمة :

المقدمة : فى تعريف المساحة والاصطلاحات .

الفصـــل الأول : فى مساحة الأسطحة المستقيمة .

الفصل الثاني : فى مساحة غير المستقيمة .

الفصل الثالث : فى مساحة الأجسام .

نسخة جيدة كتبت بالمدادين الأسـود والأحمر ذكر الناسخ فى صفحة العنوان أن المؤلف فرغ من الشرح سنة ١١٧١ هـ/ ١٧٥٨ م معتمدا على مـا جاء فى آخر المخطـوط حيث ذكر ما نصـه (وكان الفـراغ من تبييضـة يوم الثـلاث المبـارك من شهـر ذى القعدة سنـة ١١٧١ من الهجرة . . .) ويعتقد أن هذا التاريخ هو تأريخ النسخة التى استنسخت عنهـا هذه النسخة وليـس تاريخ الفراغ مـن الشرح لأن المؤلف توفى قبل هذا التاريخ ! .

كتب هذه النسخـة أحمد بن السيـد إبراهيم زكيـة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م.

٤٥ ص ٢٢,٥ × ١٧ سم ٢١ س

معجم المؤلفين ٦ / ٨ هدية العارفين ١ / ٦١٨

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٥ ، ٥٦).

*** حـلّ الخلاصـة لأهـل الرياسـة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحساب .

مخطوط بمكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٨٥٥٨

لرمضـان بن أبى هـريرة الجـزرى القادرى الـذى كان حيـا سنة ١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١ م.

الأول (أحمـدك يا من أعـداد نعمـه لا تحصى وأشكرك يـا من آحاد قسمه لا تستقصى حمدا يتضاعف به ضروب آلائك . .) .

وهو شرح وتعليق على خلاصـة الحساب للعاملى رتبه الشارح على تـرتيب الأصل فى مقدمـة وعشرة أبـواب ذكر صـاحب كشف الظنون ومعجم المؤلفين أن المؤلف فرغ من تأليفها سنة ١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١ م.

نسخـة جيدة عليهـا تعليقـات وحـواش ورسوم كتبت النسخـة بالمدادين الأسود والأحمر سنة ١٢٢٦ هـ/ ١٨١١ م.

١٦٠ ص ٢١ × ١٥ سم ٢٥ س

معجم المؤلفين ٤ — ١٧٣ ذ. كشف ١ / ٤١٦

نسـخة أخـرى :

الرقم ١٠٥٣٤

جيدة الخط فى أولها فهرس ورد عنوان الكتاب فيها باسم «أعلى الخلاصة لأهل الرئاسة »، وذكر فى هذه النسخة أن المؤلف فرغ من تأليفها سـنة ١٠٧٧ هـ/ ١٦٦٦ م، كتبهـا سعد الـدين النائب فى مدينة الموصـل سنة ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م .

٢٦٨ ص ٢١ × ١٦,٥ سم ٢٢ س

نسخـة أخـرى :

الرقم ٧٨١٤

نسخـة جيـدة كتب النص الأصلى بـالمـداد الأحمـر والشـرح بالمداد الأسود ورد عنوان الكتاب فى هذه النسخة « بأعلى الخلاصة لأهل الـرئاسة » وذكـر فى آخـرها أن المـؤلف فـرغ من تأليفها سنـة ١٠٧٦ هـ/ ١٦٦٥ م.

عليهـا مقابلة كتبهـا عبـد القـادر سـوربزه سنـة ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠ م.

١٤٤ ص ٢١ × ١٧ سم ١٨ س

نسخــة أخـرى :

الرقم : ٣٠٦٥١

جيدة الخط كتبها على بن طه الكليرمانى سنة ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م .

١٥٢ ص ٢١×٥ , ١٥ سم ٢١ س

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٣ ، ٥٤).

*** حل الرمز فى وقف حمزة وهشام على الهمز :**

للشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الكركى المقرئ المتوفى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة (كشف ١ / ٦٨٦) .

*** حل الرموز وفتح أقفال الكنوز :**

لأبى القاسم أحمد بن محمد العراقى وهو رسالة فى أقلام الأوائل الذين لغزوا بها علومهم وأسرارهم فى كنوزهم

(كشف الظنون ١ / ٦٨٦).

*** حل الرموز وكشف الكنوز :**

فى التصوف للشيخ عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسى الشافعى المتوفى سنة ٩٧٨ ، وهو مختصر أوله : . . . الحمد لله الذى فتح . . . إلخ

(كشف الظنون ١ / ٦٨٦).

*** حل الرموز ومفاتيح الكنوز :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الرقم : ٧٥٤١

- كتاب فى التصوف ضمنه الكثير من الفصول ، منها فى السماع والشطح وعن الحلاج وغيره .

المؤلف : عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى المتوفى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م .

أوله : الحمد لله الذى فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب ، ورفع حجب السرائر ، وجلا أبصار البصائر ، فظهر ما هو محجوب ، وجلا عرائس الوجود فى مرآة الشهود . . . .

آخره قصيدة مطلعها :

ذهب الرجال وجال دون مجالهم
قوم من الأوباش والأنذال

آخرها :

لا ينظرون إلى سوى محبوبهم
شغلا به عن سائر الأحوال
واخيبة الآمال إن أقصيتني
عن بابهم واخيبة الآمال

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة وقديمة .

وتوجد نسخ أخرى أرقامها هى على التوالي : ٥٢٥٣ ، ٧٨٤٥ ، ٩٦٥٣ (اسم الناسخ : محمد بن محمد بن عمر العمرى ، تاريخ النسخ : الخميس ١٥ صفر سنة ٨٦٣ هـ) ، ١٣٤٢ (نسخة مراجعة من وقف الوزير سليمان باشا العظيم محافظ الشام تاريخه ١١٥٠ هـ) ٨٨٤٦ (اسم الناسخ : المجموع بخط حسين درويش بن أحمد المعراوى ، تاريخ النسخ : ربيع الثانى سنة ١٢٦٧ هـ) ، ٣٩٣٣ ، ٥٩٠٠ (اسم الناسخ : محمد بن قمر الحنفى ، تاريخ النسخ : سنة ١٠٠٨ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة بآخرها قصيدة للإمام الغزالى من ١٣ بيتًا مطلعها :

قل لإخوان رأونى ميتا
فبكونى ورثونى حزنا

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١ / ٦٨٦ ، بروكلمان ١ / ٤٥٠ بروكلمان الذيل ١ / ٦٧٨ معجم المطبوعات ١٦٥ ، إيضاح المكنون ١ / ٤١٦ مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٢٣ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٦٢

طبعة الكتاب : ١ - بالمطبعة اليوسفية بطنطا تحت اسم : زبد خلاصة التصوف ونسب خطأ للعز بن عبد السلام السلمى بـ ٩٢ ص بلا تاريخ ٢ - وطبع بمطبعة جريدة الإسلام سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م بـ ٨٦ ص .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٨٥

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٧١ - ٤٧٥).

قالت المؤلفة : أدرجه صاحب كشف الظنون (١ / ٦٨٦) تحت عنوان « حل الرموز وكشف الكنوز » . وفيه وفاته سنة ٩٧٨ ، وكذلك فى إيضاح المكنون (١ / ٤١٦) . وقد أدرج الزركلى (٣ / ٣٥٥) المؤلف تحت عنوان « ابن غانم » وفيه وفاته كما فى بيان هذا المخطوط سنة ٦٧٨ هـ .

حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

للشيخ علاء الدين على دده البسنوى الخلوتى النورى ، وهو مختصر مشتمل على ثلثمائة وستين سؤالاً كل ثلاثين فى موقع ، فيكون اثنا عشر موقعًا على عدة الشهور . ألفه فى حرم مكة المكرمة شرفها الله سبحانه وتعالى سنة ١٠٠١ إحدى وألف ، ويقال له « أسئلة الحكم »

(كشف الظنون ١ / ٦٨٦).

*** حل زريج ألـغ بيك :**

من مخطوطات الفلك والتنجيم فى المتحف العراقى

الرقم ١٠٢٧٦ .

لم يعلم المؤلف .

ويتضمن جداول فلكيـة تبدأ بجـداول حركـة الشمس وجداول تعديل الكـواكب وتسهيل تعديلهـا ولعل هذا الكتاب للمـولى عبد العلى بن محمـد البـرجنـدى وضعـه لحل زيج ألغ بيك محمـد بن شاهرخ بن تيمـور كوركان المتوفى سنـة ٨٥٣ هـ / ١٤٥٠ م والذى سمى بحل الزيج الجديد السلطاني .

نسخة جيدة كتبت على ورق أصفر بـالمدادين الأحمر والأسود ترقى للقرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي .

الذريعة ٧ / ٦٨ ، ١٣ / ٣٠٩ .

(فهـرس مخطـوطـات الفلك والتنجيم فى مكتبـة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس ـــ ٦٦) .

*** حل شكوك الرازى على جالينوس :**

(كذا ورد اسم الكتاب فى طبقات الأطباء ، والذى على صفحة العنوان : البيان والتبين فى الانتصار لجالينوس على ما أخذ عليه فى جميع كتبه) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

من المخطـوطات المصـورة المحفوظـة بمعهد المخطـوطات العربية ، وجاء بيانه كما يلى :

لأبى العلاء زهـر بن عبد الملك بن محمد بن مـروان بن زهر ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ . (طبقات الأطباء ٢/ ٦٤ ـ ٦٦) .

أولـه : الحمـد لله الذى أتقن كل شـىء خلقه ... ولمـا كـانـت صناعة الطب أجل الصنـاعات ، إذ موضوعها أجسـاد البشر ، كان اللازم على من حذق منها شيئًا أن يبذل جهده فى شرح ما استغلق ، واستنباط ما جهل ، أو رد شاك عن شكه ...

وآخره ناقص ، وآخـر الموجود منه : الأبدان التى أتـاها البحران قد استغنت عن الاستفراغ ، إذ كانت الطبيعة قد فعلت ذلك ، وإنما تحتاج إلى ذلك الأبدان لكثرة الفعل الذى لا يؤمن أن ...

نسخة كتبت بقلم نسخى .

٨٣ ورقة ٢٩ سطرًا

[جامعة مشهد ـ كلية الإلهيات ـ بدون رقم]

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهـد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتـاب الثانى . القـاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م/ ٨٣ ، ٨٤) .

*** حل شكوك كتاب أقليدس فى الأصول وشرح معانيه :**

تأليف الحسن بـن الحسن بن الهيثم المصـرى المتــوفى سنـة ٤٣٠ .

(بروكلمان ١ : ٤٦٩ وسوتر رقم ٢٠٤) .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية .

أولـه : الحمد لله وحـده . . كل معنى تغمض حقيقتـه وتخفى بالبديهة خواصه ويشابه فى بعض أحواله غيره ... إلخ .

وآخـره : وهـذا حين يختم كتـابنا هـذا ونشكـر الله تعـالى على نعمه ...

أخرج المـؤلف فى هذا الكتاب كل ما يمكن أن يعتـرض به فى معانى كتاب أصول أقليدس ، وحـل كل واحد منها بالبرهـان الذى لا شك فيه ، وكشف صحة المعنى ، وأضاف إلى الشكوك اختلاف الأوضاع التى تعرض للمعنى الواحد ، وأضاف الأشكال التى يمكن أن تعمل بوجهين ...

نسخة بقلم معتاد من خطوط القرن السادس أو السابع فى ١٨١ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرًا ١٥ × ٢٢ سم

[مكتبة جامعة استانبول ٨٠٠ ـ ف ٨٢٨]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠/ ٤٢ ، ٤٣) .

*** حل الطلسم وكشف السر المبهم :**

جـاء فى إيضـاح المكنـون (١/ ٤١٧) : حل الطلسم وكشف السر المبهم .

من مخطـوطـات الكيميـاء والصنعـة والإكسيـر والسيمياء بـدار الكتب الظـاهـريـة بـدمشـق (أو بمكتبـة الأسـد) (مجمـوع) رقمـه ٩٦٤٩ .

تأليف :

الشيخ محمـد الغمرى المتـوفى سنة : ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م .

وجـاء فـى كشف الظنـون ومعجم المـؤلفين : أحمـد بـن محمـد الغمرى .

مواضيع المخطوط :

يشتمل الكتاب على مقدمة وعدة أقسام وفصول منها :

الفصل الأول فى أن أول الـدخول إلـى هذا الطـريق هـو معرفـة المفتاح المخصوص به لفتح أقفاله ...

الفصل الثانى فى ذكر أسرار هـذا السر الكريم والحجر العظيم ومـا يحتوى عليـه من المنافـع والخواصـات والعجائب والطـلاسم والخوارق للعادات ...

القسم الثانى فى ذكر النبات وخواصه وهو العالم الثانى من العوالم الخمسة المتولدة عن عالم الطبيعة ...

القسم الثالث فى ذكر الحيوان وهو العالم الثالث ...

القسم الرابع فى ذكر الإنسان وهو العالم الرابع من المولدات الثلاثة والعوالم الخمسة وهو أعجب مما تقدم من العوالم...

القسم الخامس فى ذكر العالم العلوى وعالم الأملاك والأفلاك والخواص المتعلقة بالعالم الأكبر وعلم السموات وما يتضمنه من الحكم والتأثير من الروحانيات فى الأرصاد وهم المعدن والنبات «لأن هذا العالم محتوى على ما تقدم كله وهذا النوع يسمى بعالم الأرصاد ... ».

فاتحة المخطوط :

الحمد لله الذى خلق الأرواح والأجساد ومفرقها بعد ذلك عند الموت لحكمة أراد . ورادّها إلى يوم المعاد ... أما بعد فإنه لما رمتنى أمواج الأقدار على ساحل بحر علم الفلاسفة الأخيار وفهمت ما أومأوا إليه بخفي الرموز والإشارات لا بصريح اللفظ والعبارات ... ووضعتها فى هذه الرسالة اللطيفة وسميتها برسالة حل الطلسم وكشف السر المبهم ... لأنها صناعة توليد ومن طلب ذهبا وفضة من غير أصلها فكمن طلب أن يولد إنسانا من جمل ... لأنها تصبغ الأحجار والياقوت وفيه عمل السمومات والترياق والطب والطلاسم وغير ذلك من العجايب ... لهذا أسموه الحكماء بالزيبق الغربى عند التزويج ...

خاتمة المخطوط :

... القسم الخامس فى ذكر العالم العلوى وعالم الأملاك والأفلاك ...

... اعلم يا أخى أن للحكماء فى هذا العلم أربعة أركان ... وهى لن يظهر الإكسير إلا فى هذه الطريقة وهو تكليس الذهب والفضة ... وهو تكليس الجسد والحجر المكرم ... والركن الرابع الإلقاء وسموه بألوف الأسماء فى الرموز فلأجل هذا لم أحد يصل [لم يصل أحد] إلى هذا العلم لا من الكتب ولا من التجارب من دون المرشد الحكيم والواصل العامل بها والحمد لله رب العالمين ... وكان تصنيف هذه الرسالة فى سنة تسعة وأربعين وألف من الهجرة النبوية ... بقلم الفقير إليه تعالى محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفى وذلك فى رابع ربيع الثانى من شهور سنة ثمانية وأربعين وألف من الهجرة الشريفة الطاهرة المنيفة .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة حسنة ، حديثة الكتابة والورق ، وهى ضمن مجموع يتألف من : ١٩٤/ ورقة : ٤٨/ منها لكتابنا هذا من ورقة : ١ ـ ٤٨/ أطرت بالحبر الأحمر . ويتضمن المجموع أيضًا كتاب كشف السر المكتوم فى ٩ ورقات ، وكتاب الرحمة الصغير لجابر فى أربع ورقات، وجمع مفيد فى الخواص فى خمس ورقات . وما تبقى من الأوراق فهو فارغ . ترك لها هامش بعرض : ٣ سم . ولها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة ، يستشهد المؤلف بصاحب الشذور ، والأستاذ جابر ، والجلدكى ، وعلى شبلى الرومى ، وصاحب المكتسب ، والحكيم ، وبيون البرهمى وغيرهم ... كتبت رؤوس الفقر والعبارات وبعض الكلمات الهامة بالحبر الأحمر . عدد أوراقها : ٤٨ بقياس : ١٩,٥ × ١٣ سم . وعدد السطور : ٢٠ سطرًا . كتبت بخط نسخى وبحبر أسود وقليل من الأحمر . جلدها كرتون مغلف بقماش أسود وتكعيبة من الجلد الأسود عليها زخارف مذهبة كتب عليها بماء الذهب اسم الكتاب واسم صاحبه محمد وجيه السيوفى .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفى : ٤ ربيع الثانى سنة ١٠٤٨ هـ .

وتوجد نسخة ثانية .

الرقم ٣٠٤ .

مواضيع المخطوط : نفس مواضيع النسخة رقم ٩٦٤٩ :

الطرق العديدة فى صناعة المعادن والأحجار وما يستخرج منها من أدوية وعقاقير وطلاسم وبنج وأكاسير وسمومات وترياقات «وغير ذلك من العجائب التى مدحها الأولون وأطنب فى وصفها المتأخرون ووصفوها فى الكتب بالرموز والألغاز والأحاجى والأمثال خوفا من الوصول إليها بخلاف سائر الطرق والسلام» .

فاتحة المخطوط :

تختلف قليلاً عن فاتحة النسخة رقم ٩٦٤٩ حيث يبدأ الكتاب بمقدمة بالحبر الأحمر : «هذا كتاب جليل فى الإكسير المعظم والحجر المكرم تأليف أفضل الوارثين وأمثل الحادثين الشيخ محمد الغمرى المصرى ألفه لختنه كما هو المسموع» ١٠٣٩ ؟ . ثم تبدأ فاتحة المخطوط بحبر أسود : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الأرواح والأجساد ومفرقها بعد ذلك عند الموت لحكمة أراد ورادها إليها فى يوم الميعاد ...

خاتمة المخطوط :

وتختلف عن النسخة رقم ٩٦٤٩ .

... وبهذا الطلسم الأعظم وصلت الحكماء إلى ما وصلت من العلوم والحكم والمعانى ... وقد تكلمنا على جميع الخواص التى وصلت إلينا وجمعناها فى عدد من الأيام والشهور وأودعناها فى هذه الرسالة بالتمام فليكن هذا آخر الكلام والحمد لله على الإتمام ... تمت الرسالة الإكسيرية بقلم الفقير سمى الذبيح إسماعيل حقى

نزيل بروسه وذلك فى أوائل صفر من السنة الثالثة بعد المائة والألف من الهجـرة النبويـة عليه ألف ألف تحيـة ، وهذه كتبت فى أواخـر ربيع الثانى من السنـة التاسعة والثـلاثين بعد الألف والمـائتين سنة ١٢٣٩ فى ٢٢ .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخي جميل جدًّا بالحبر الأسود ، ورؤوس الفقر بالحبر الأحمر ، ترك لها هامش بعرض ٣ سم . عليه حتى الصفحة ٣٠ كثير من التعليقات والشروح بخط يختلف عن خط الناسخ، عليها تملك باسم يـوسف نحاس الشامى اشتراه من محـروسة اسطنبـول سنة ١٢٣٥ ، لهـا تعقيبـة منتظمة فى آخـر كل ورقـة، عـدد أوراقهـا : ٩٣ بقيـاس : ٥,١٧ × ١١ سـم . وعـدد السطور : ١٧ سطـرًا، جلدهـا كرتـون مغلف بجلد بنى قـديم عليه زخارف مـذهبة ولـه لسان . يستشهـد المؤلف بصـاحب الشذور ، والطغرائى، والأمير خالـد ، والحكيم وغيرهم ... جاء فى الصفحة الأولى وصفـة قطـرة إلى العيـون وفى الصفحة الثـانيـة وصفـة عمل النقطة الخارقـة وفى الصفحة الثالثة : «عن وصـف دليلـة منقولة من كتاب مغـربى من سوس الأقصـى وهو أن تقصد إلى دمشـق الشام وتسأل عن الصالحية ... جبل يقال لـه قيسون اصعد إلى رأسه تجد فيه قبة يقـال لها قبة النصر إذا دخلت فيهـا ... ادخل وخذ ما شئت من جميع المعـادن والـذهب والفضة واللـولـو واليـاقوت والمـاس والزمرد» .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

هكذا جاء فى آخر المخطوط :

«تمت الرسـالة الإكسيريـة بقلم الفقير سمى الـذبيح إسماعيل حقى نزيل بروسـه وذلك فى أوائل صفر من السنة الثالثـة بعد المائة والألف من الهجرة النبـوية عليه ألف ألف تحيـة ، وهذه كتبت فى أواخر ربيع الثانى من السنة التاسعة والثلاثين بعد الألف والمائتين، وسنة ١٢٣٩ فى ٢٣ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

إيضاح المكنون : ١/ ٤١٧

معجم المؤلفين : ٢/ ١٤٣

فهرس الخديوية : ٥/ ٣٣٥

تاريخ الأدب العربى : بروكلمان ٢/ ١٧٠ والذيل ١/ ١٧٣ .

(فهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ/ ٤٣٧ ـ ٤٤٣) .

*** حـل العقـال :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى

الرقم ٢٩٨٧٣ / ٢ .

لعبد الله بـن محمد حجازى بن عبـد القادر بن محمـد الحلبى الشهير بابن قضيب البان المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ/ ١٦٨٥ م .

(ولد فى حلب ، وولى نقـابة أشرافها ، ثم ولى قضـاء ديار بكر وعزل فأقـام بالقسطنطينية ثم عـاد إلى حلب، ومن مؤلفـاته : نظم الأشباه ، ذيل كتاب الريحانة وغيرهما . الأعلام ٤/ ١٢٩) .

الأول: (الحمد لله جـالى ظلم الشدائد بأنوار الفـرج ، ومؤنس القلوب المكتئبـة من وحشة الضيـق والحرج ... والصـلاة والسلام على سيدنا محمد ...) .

وهو كتاب فى الحكم والأمثال والأخبـار ضمنه المؤلف قصائد ومقطوعـات نثريـة بليغة ، جمعهـا من قصائد مختلفـة ورتبها على أربعة أبواب وهى :

البـاب الأول: فيمـا ورد فى الكتـاب والسنـة من ذكـر الفـرج والشدة .

الباب الثانى: فيما جاء فى ذلك من الأمثال والحكم .

الباب الثالث: فيما روى من الأخبار والقصص .

الباب الرابع: فيما يناسب ذلك من الأشعار الرائعة .

نسخة جيدة ، ناقصة قليلاً من الآخر .

٩٦ ص .	٢٩ × ١٦ سم	٢٩ س .

معجم المؤلفين ٦/ ١١٥ ، هدية العارفين ١/ ٤٧٨ ، د/ كشف ١/ ٤١٧ ، فهـرس أوقاف بغـداد ٣/ ١٥ ، ششن ١/ ١٥٣ ، معجم ٢١٥ طبع .

(مخطوطـات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسـامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٢ ، ١٥٣) .

*** حل عقود الجمان فى المعانى والبيان :**

من مخطوطات علم البلاغة فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٢٧٩ .

كلاهما [العقود وحلها] لجـلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيـوطى المتـوفى سنة ٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ فـرغ منهـا سنة ٨٧٥ هـ ـ ١٤٧٠ م

أوله : (الحمد لله المنزه عن المماثلة) .

وهو شـرح للقصيدة التى نظمها فى تلخيص المفتاح وسمـاها عقود الجمان والتى مطلعها :

قـال الفقيـر عـابـد الـرحمن
الحمـد لله علـى البيـان

كتبه : محمد بن أحمد الحكيم سنة ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨١ م

القياس ص ٣٩٠	٥,٢٣ × ١٦ سم	س ١٩

طبع معجم ١٠٨١	كشف ٢/ ١١٥٥ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٢١ ، ١٢٢).

*** حل المسألة الهندسية الموجودة فى متن الشمسية للتفتازانى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات .

(جاء فى هامش واضع الفهرس: كذا على النسخة، والصواب أن متن الشمسية لنجم الدين الكاتبى القزوينى وعليه شرح لسعد الدين التفتازانى).

أحد المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية .

تأليف أحمد الرمضانى بن محسن الويزوى [الوزيرى ؟] .

أوله: الحمد لمقدر الزوايا والأنظار ، ومخصص كل من الكواين بنوع من المقدار ... إلخ .

وآخره: هذا ما تيسر لنا من الكلام من توضيح هذا المقام، والله أعلم بالصواب .

نسخة بقلم معتاد من خطوط القرن الثانى عشر تقريبًا فى ٣ ورقات . ١٦ × ٢٢ سم .

[بلدية الإسكندرية ٣٠١٨ ج ـ ف ٣٠٩]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠/ ٤٣) .

*** حل مشكلات كتاب الإشارات والتنبيهات :**

قالت المؤلفة : أدرج هذا المخطوط فى فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا فى قسمين . القسم الأول الفقه، برقم تسلسلى ٦ (ص: ١٢٨) وجاء بيانه كما يلى:

لناصر الدين الطوسى (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م).

مطبوع انظر معجم سركيس / ١٢٥١، ثم طبع فى القاهرة ١٩٦٠ م بتحقيق الدكتور سليمان دنيا .

خط النسخ السلجوقى . على الكلمات مثل «إشارة» تنبيه، قوله «خطوط بالذهب» البداية ناقصة .

أوله : ... يقتضى إيضاحه مما هو مبنى على مبانيه وقواعده ...

آخره : بعد أن ينظر فيه يقين الرضا وتجنب طريق العناد والله ولى السداد والرشاد منه المبدأ والمعاد ...

وكان قد فرغ المصنف من تتميم هذا الشرح وتسويده فى أواسط صفر لسنة أربع وأربعين وستمائة حامدًا لله ومصليا وداعيا مستغفرًا وبهذه العبارة مكتوب فى آخر نسخة المصنف اتفق الفراغ من كتابة هذا الكتاب بفراغه على يدى ... أحمد بن محمد بن عمر الملقب بعمر السمرقندى فى أواسط جمادى الأولى لسنة إحدى وستين وستمائة فى مدرسة الخليفة «بخط آخر يعود إلى العصر السلجوقى : بادرسمان أصلح الله شأن سكانها فى الدارين بفضله وكرمه (٤٠) .

مقياس المجلد: ٢٥,٥ × ١٧ .

مقياس الكتابة : ١٧ × ١٢ .

عدد الأوراق: ٢٢٤ .

عدد الأسطر : ١ .

رقمه فى الخزانة : ٥٢٣٧ .

رقم المجلد : ٩٤٢ .

أما القسم الثانى الذى أدرج فيه المخطوط فهو التصوف والأخلاق الدينية ، برقم تسلسلى ١٦ (ص ١٨٣ ، ١٨٤) وجاء بيانه كما يلى، مع ملاحظة أن اسم المؤلف هنا كتب «نصير الدين»:

لنصير الدين الطوسى (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م) .

انظر معجم المؤلفين ١١/ ٢٠٧ ، بروكلمان ٢/ ٥٠٨ ، ٥١٢ ، وذيله ٢/ ٩٢٤ ، ٩٣٣ ، طبع حجر لكناو ١٢٩٣ هـ . انظر معجم سركيس ١٢٥١ .

بكتابة الورقة الأولى وإضافتها بعد ذلك أكمل الكتاب، الورقتان بعد (٢٦ ب) كتبتا على ورق جديد وأعطيتا رقم (٢٧ و٢٨) نصف الورقة الأولى مقطوع . وهذه الأوراق بيضاء . فى نهاية (٣٦ ب) هناك كاشفة «واحد» . الورقة (٣٩) تبدأ بـ «عند الطائفة» وفيها قليل من النقص . (٢٤ ب) مكتوبة بالعكس وبالمقارنة إلى الورقة التى قبلها فلا نقص فيها . ابتداء من الورقة (٣١٢ أ) نهايات الأوراق ممزقة . الكتاب ناقص . الخط يعود إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر ميلادى) الكلمات مثل: «إشارة ، تنبيه» وبعض الكلمات المهمة بالذهب .

هذا الكتاب شرح لكتاب ابن سينا «الإشارات» .

أوله : بسم ... الحمد لله الذى وفقنا لافتتاح المقال بتحميده ...

آخره: إشارة ولعله إلى هذا الحد لسلعى عليه فواشيه ويزل هو عن سكبه ... عليه لإسعاره عن مراره فإذا طالب عليه الرياضة لم مسعره غاشيه ... حتى والسكينة والوقار واستوفر ... الخوف وما يسبه ...

مقياس الجلد: ٢١ × ١٢ .

مقياس الكتابة : ١٦,٥ × ٨,٢ .

عدد الأوراق: ٣١٥.

عدد الأسطر : ٢٤ .

رقمه فى الخزانة : ٤٦٣١ .

رقـم المجلد : ٥٨٨ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥/ ١٢٨ ، ١٨٣ ، ١٨٤).

***حل المواضع المغلقة من وقاية الرواية :**

من مخطوطات الفقه المحفوظة فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا وجاء بيانه كما يلى :

لعبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة محمود بن صدر الشريعة جمال الدين عبيد الله المحبوبى المتوفى (٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م).

انظر الكشف ٢/ ٢٠٢١ ، وراجع ترجمة المؤلف فى «معجم المؤلفين» ٦/ ٢٤٦، وتاج التراجم ٤٠ ، وأورده سركيس فى معجمه ١٢٠٠ .

إن المؤلف قد ألف كتابه هذا بناء على طلب من (الولد الأعز محمود) .

الكاتب ومكان الكتابة مجهولان . طبع هذا الكتاب فى الهند سنة ١٩١٥ م .

أوله : بعد البسملة ، الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين يقول العبد المتوسل إلى الله تعالى بأقوى الذريعة عبيد الله بن مسعود ابن تاج الشريعة ...

آخره : قلنا التحرى يصادر إليه لدفع الحرج وأسواق المسلمين لا يخلو عن المسروق والمغصوب والمحروم من ذلك يباح التناول اعتمادًا على الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الكتاب بإذن الملك الوهاب بتاريخ عشرين بعد الألف ...

مقياس المجلد: ٢٠,٥ × ١٤٠,٥ .

مقياس الكتابة : ١٥,٥ × ٩ .

عـدد الأوراق : ٢٨٦ .

عـدد الأسطر : ٢٣ .

رقمه فى الخزانة : ١٣٤٤ .

رقـم المجلد : ١٥٣ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥/ ١٢٩).

***حل الموجز:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

من المخطوطات المصورة المحفوظة بقسم التراث العربى بالكويت وجاء بيانه كما يلى :

المؤلف : جمال الدين محمد بن محمد الإقسرائى (ت ٧٧٩ هـ) .

أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل أنبيائه محمد وآله أجمعين . وبعد فإن علم الطب علم شريف، لشرف موضوعه، ووثاقة دلائله وشدة الحاجة إليه ، وفى الاشتغال به من الثواب لأن رحمة الله تعالى على عباده والتوسل به على إزاحة نفوسهم عن الأسقام .

آخره : من شرح موجز القانون وقد وقع الشروع فيه والإتمام فى أحوال ... كليلا والقلب عليلا والمرجو من الناظر فيه إصلاح ما وقع فيه من الخطأ أحيانا والله يجازيه به روحًا وريحانا إنه ولى النعم فى الدارين .

سنة النسخ : ٨٥٢ هـ .

الناسـخ : خالد بن محمد العولى .

عدد الأوراق : ٢١٦ ورقة .

المسطـرة : ١٦ سطرًا .

المكتبـة : جستر بيتى - ٤٢٩١ .

ملاحظات : حل الموجز هو شرح على موجز القانون لابن النفيس الذى اختصر فيه القانون فى الطب لابن سينا . قال مؤلف هذا . الكتاب : وسميته (حل الموجز) لأنه يحل ما فيه من المشكل . يوجد على النسخة تملك باسم على بن محمد على بن أبى المعالى الطبطبائى . طبع هذا الكتاب مع ملاحظات هامشية فى دلهى سنة ١٨٧٠ م فى مجلدين . وطبع فى لكناو سنة ١٨٧٧ م (وهى إعادة طبع لطبعة دلهى) مع ملاحظات هامشية فى ٤٩٤ صفحة - فى ثلاثة مجلدات مع ترميم الصفحات .

انظر :

معجم المطبوعات العربية ٤٦٢ ، مجلة معهد المخطوطات ٥/ ٢٧٥ ، بروكلمان : الملحق الأول/ ٨٢٥ (فهرس المخطوطات الطبية المصورة/ ٧٧، ٧٨).

كما يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى، وقد أدرج تحت عنوان «الموجز فى الطب» وجاء بيانه كما يلى :

الرقم : ٣٢٤٩ .

لجمال الدين محمد بن محمد الإقسرائى المتوفى سنة ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م، وقيل ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م .

الأول : «الحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل أنبيائه محمد وآله أجمعين . وبعد فإن الطب علم شريف لشرف موضوعه ووثاقة دلائله وشدة الحاجة إليه ... » .

والموجز لابن النفيس على القانون فى الطب لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦ م .

نسخة نفيسة كتبها عبد العلي بن محمد بن حسين البرجندي في صفر سنة ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩ م . عليها تملك مؤرخ سنة ١١٢٣ هـ/ ١٧١١ م . في أولها فهرس وضعه عبد الرازق الهاشمي سنة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م . وفي الصفحة ٣٣١ من هذه النسخة رسم تخطيطي للعين وطبقاتها رسمت بالمداد الأحمر .

القياس ٥٨٣ ص ١٣×٢٣ سم ٢١ س .

طبعت بالهند (معجم / ٤٦٢ ، معجم المؤلفين ١١/ ١٩٢ ، كشف ٢/ ١٩٠٠ ، ١٣١١ ذيل بروكلمان ٢/ ٣٢٨) .

توجد نسخة أخرى جيدة مؤطرة الصفحات بمدادين أحمر وأخضر ناقصة قليلاً من الآخر . ترقى للقرن العاشر الهجري / القرن السادس عشر الميلادي .

الرقم : ٢٨٥٨٣ .

القياس : ٤٤٠ ص ٢٨ × ١٧ سم ٢١ س

كما توجد نسخة ثالثة كتبت بخط النستعليق في محرم سنة ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م . الرقم ١٠٩٩٧ .

ونسخة رابعة عليها حواش كتبها عثمان جليلي زاده سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م .

وترتيب الصفحات في هذه النسخة مرتبك . الرقم ١٩٥٣٨ . وأخرى خامسة ناقصة الآخر جيدة الخط . الرقم ٣٢٩١٩ .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة/ ٩٤ ، ٩٥) .

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربي بالكويت ـ تصنيف هبة محمد الدوسري، مراجعة د. سامي مكي العاني/ ٧٧ ، ٧٨ ، ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي/ ٩٤ ، ٩٥) .

*** الحل والعقد :**

من أنواع البديع اللفظي . قال صاحب تلخيص المفتاح :

وأما العقد، فهو أن ينظم نثر لا على طريق الاقتباس كقوله :

ما بال من أوله نطفة
وجيفة آخره يفخر

عقد قول علي رضي الله عنه : وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة وآخره جيفة .

وأما الحل ، فهو أن ينثر نظم كقول بعض المغاربة : فإنه لما قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدق توهمه الذي يعتاده، حل قول أبي الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدّق ما يعتاده من توهم

(تلخيص المفتاح / ٧١٤) .

قال الشيخ الأخضري في منظومته التي كتبها على نسق «تلخيص المفتاح» :

والعقد نظم النثر لا بالاقتباس
والحل نثر النظم فاعرف القياس
واشترطوا الشهرة في الكلام
والمنع أصل مذهب الإمام

(الجوهر المكنون/ ٧٣٥) .

وفي شرح عقود الجمان للحافظ السيوطي، وهو منظومته على تلخيص المفتاح جاء ما يلي :

[ومنه عقد نظم نثر لا على
طريق الاقتباس مما قد خلا]

العقد أن ينظم نثر قرآنا أو حديثا أو مثلا أو غير ذلك لا على طريق الاقتباس بأن يقع تغيير كثير ويشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وما أظن في جواز ذلك خلافا فلا زالت الأئمة عليه فمن عقد القرآن قوله كما في الإيضاح :

أنلني بالذي استقرضت حظا
وأشهد معشرا قد شاهدوه
فإن الله خلاق البرايا
عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول إذا تداينتم بدين
إلى أجل مسمى فاكتبوه

قلت بهذا يعلم أن بيتي أبي منصور السابقين عقد لا اقتباس، ومنه قول ابن النبيه في الملك الصالح :

دمياط طور ونار الحرب مؤنسة
وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
فاطرح عصاك تلقف كل ما صنعوا
ولا تخف ما حبال القوم حيات

ومن عقد الحديث قول أبي الحسن طاهر بن معوذ الأشبيلي ومن نسبه للشافعي فقد غلط :

عمدة الدين عندنا كلمات
أربع قالهن خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما
ليس يعنيك واعملن بنيه

عقد حديث «إنما الأعمال بالنيات والحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات» الحديث رواهما الشيخان «وازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» رواه ابن

ماجه . «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذي وقول شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر :

إن من يـــرحم أهل الأرض قـــد
آن أن يـــرحمـــه من في السمـــا
فـــارحم الخلق جميعًـــا إنمـــا
يـــرحم الـــرحمن منـــا الـــرحمـــا

***

وقـولـه : *من خير ما يتخـذ الإنسان في*
دنيــــاه كيمــــا يستقيم دينـــه
قلبــا شكـــورا ولســـانـــا ذاكـــرا
وزوجـــة صـــالحـــة تعينـــه

عقد حديث «ليتخذ أحدكم قلبا شاكرًا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة» حسنه الترمذي . ومن عقد الأثر قول أبي العتاهية :

مـــا بـــال من أولـــه نطفــــة
وجيفــــــة آخـــره يفخـــر

عقد قول علي رضي الله تعالى عنه وما لابن آدم والفخر إنما أوله نطفة وآخره جيفة ، ومن عقد المثل والحكمة قول أبي الطيب :

يــــراد من القلب نسيـــانكم
وتأبى الطبـــاع على النـــاقل

عقد قول بعضهم روم نقل الطباع من رديء الأطماع شديد الامتناع . وقول الآخر :

ألم تـــر أن المـــرء تـــزري يمينـــه
فيقطعهـــا عمـــدا ليسلم ســـائره

عقد قول حكيم وقد سئل لم قطعت أخاك وهو شقيقك .

قال : إني لأقطع العضو النفيس من جسدي إذا فسد :

[وضـــــــده الحل وتلميح بأن
لقصـــة يشيـــر أو شعـــر يعن
قلت كـــذا قـــدم ميمـــا وانتقـــد
وشبهـــه العنوان فـــافهم مـــا قصـــد]

الحل ضد العقد فهو نثر النظم قال في الإيضاح وشرط كونه مقبولاً أمران : أن يكون سبكه مختارًا لا يتقاعد عن سبك أصله وأن يكون حسن الموقع مستقرًا في محله غير قلق كقول بعض المغاربة فإنه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده حل قول أبي الطيب :

إذا ساء فعل المـــرء ســـاءت ظنـــونـــه
وصـــدق مـــا يعتـــاده من تـــوهـــم

وقال آخر : العيادة سنة مأجورة ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فنحن المرضى ونحن العواد وكل وداد لا يدوم على ذلك فليس بوداد . حل قول القائل :

إذا مـــرضنـــا أتينـــاكم نعـــودكم
وتـــذنبـــون فنأتيكم ونعتـــذر

(شرح عقود الجمان / ١٧٠ ، ١٧١) .

(تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب المطبوع في كتاب مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابي الحلبي/ ٧١٤ ، والجوهر المكنون في الثلاثة فنون لعبد الرحمن محمد الأخضري المطبوع في كتاب مجموع مهمات المتون/ ٧٣٥ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ ١٧٠ ، ١٧١ . انظر أيضًا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٣٤٧) .

*** الحلابات (قصر —) :**

يقع يقع قصر الحلابات على مسافة ٢٥ كم شمال شرقي مدينة الزرقاء في الأردن ، إلى الشمال من الطريق المعبدة التي تصل تلك المدينة بواحة الأزرق . تشير الحفريات الأثرية التي أجرتها دائرة الآثار العامة ... إلى أن القصر كان قد شيد كحصن دفاعي في العصر الروماني واستمر استعماله لنفس الغرض في العصر البيزنطي لكن في العصر الأموي ـ خلال النصف الأول من القرن الثامن ـ أعيد بناء القصر كلية وتم تزويده بزخارف غنية ومتنوعة كالملاط المدهون (الفريسكو) ، الجص المحفور ، ومكعبات الفسيفساء الملونة التي رصفت بها معظم غرف القصر . إن وجود هذه الزخارف المتنوعة تعني بأن البناء لم يعد حصنا وأنه تحول في العصر الأموي إلى قصر باذخ للسكن وبالتالي يمكن إضافته إلى مجموعة ما يعرف بالقصور الأموية الصحراوية . كذلك رافقت عملية إعادة بناء القصر في العصر الأموي إضافة العديد من المنشآت والأبنية التي يمكن مشاهدتها ضمن محيط لا يزيد قطره عن كيلو مترًا والتي سنشير إليها في الفقرات التالية .

مسجد قصر الحلابات



القصر عبارة عن بناء مربع طول ضلعه ٤٤ مترا أقيمت في زواياه أبراج مربعة تبرز عن سمك الجدران الجانبية بمقدار ٢,٥٠ مترا وكانت ترتفع في الأصل ثلاث طبقات . أما في داخل القصر فتوجد مجموعة من الغرف والقاعات التي بنيت حول ساحة مكشوفة حفر فيها خزان لجمع مياه الأمطار السائلة من سطح الغرف الواقعة في الجهة الشرقية ، بينما يحتل الزاوية الشمالية الغربية بناء مربع صغير طول ضلعه ١٦ مترا ويتألف بدوره من ساحة مكشوفة أقيمت حولها مجموعة من الغرف وفي وسطها خزان آخر وفي إحدى هذه الغرف الواقعة بمحاذاة الجدار الخارجي الشمالي والتي تم إزالة الأنقاض والطمم منها يوجد حوض مرتفع غطيت أرضيته وجوانبه بطبقة ملساء من المونة الكلسية يبدو أنه كان لعصر العنب . يلاحظ أن البناء المربع الصغير الذي يحتل الزاوية الشمالية الغربيه من القصر مشيد بواسطة كتل من الحجر الجيري مشذبة بشكل بسيط وأكبر حجما من تلك المستعملة في بقية أجزاء القصر مما حدا ببعض الباحثين إلى اعتباره أقدم أجزاء القصر وأنه كان قد شيد في بداية القرن الثاني الميلادي كبرج للمراقبة بمحاذاة طريق تراجان التجاري الذي كان يمتد من بصرى الشام شمالا إلى العقبة جنوبا . ونظرا لأنه كان قد عثر في داخل القصر على نقشين إحدهما لاتيني يشير إلى بناء « حصن جديد » ومؤرخ إلى سنة ٢١٢ - ٢١٣م والآخر يوناني مؤرخ إلى سنة ٥٢٩ م فقد استنتج البعض أن النقش اللاتيني إنما يشير إلى بناء القصر وابراجه المربعة المقامة في الزوايا بينما يشير النقش اليوناني إلى ترميم القصر وإصلاحه . بعبارة أخرى حاول الباحثون تمييز أربعة مراحل في بناء القصر كان آخرها في العصر الأموي حين أعيد بناء القصر كلية . وفي هذه المرحلة الأخيرة استعملت حجارة مختلفة في البناء كالحجارة الجيرية المقطوعة بشكل منتظم وأخرى مشذبة بشكل بسيط وثالثة تتكون من حجارة بازلتية مشذبة ، وهذه الأخيرة تظهر بشكل خاص في بناء الحائط الشمالي للقصر ثم في الجدران التي تفصل بين الغرف والقاعات الداخلية وتلك المطلة على الساحة المكشوفة من جهة الجنوب والجنوب الشرقي . هنا تجدر الإشارة إلى أنه عُثر في داخل القصر على ما يزيد عن مائة وخمسين نقشا : ثلاثة منها نبطية وواحدة ثمودية والباقي يونانية نقشت على كتل حجرية من البازلت . والغالبية العظمى من هذه النقوش اليونانية تشكل جزءا من مرسوم امبراطوري كان قد أصدره الأمبراطور البيزنطي انستازيوس (٤٩١ - ٥١٨ م) يحتوي على قوانين وإجراءات لإعادة التنظيم الاقتصادي للولاية العربية . ولكن مما يجب الانتباه إليه هو أن هذه الكتل البازلتية المنقوشة قد استعملت كمواد جاهزة للبناء عندما أعيد بناء القصر في العصر الأموي فنقلت من أماكنها الأصلية ووضعت بين المداميك الحجرية (أحيانا تظهر الكتابات وقد وضعت بشكل معكوس) ثم غطيت بطبقة سميكة من القصارة بحيث تخفي ما تحتها من الكتابات . يغلب على الاحتمال ان تكون القطع البازلتية المنقوشة قد نقلت من موقع قريب مثل أم الجمال أو خربة السمرا لاستعمالها في بناء القصر إذ من المستبعد وضع مرسوم امبراطوري في حصن ناء ومنعزل مثل قصر الحلابات .

كما ذكرنا سابقا توجد خارج القصر منشآت أخرى أهمها :

المسجد : يقع على مسافة ١٤ مترًا إلى الجنوب الشرقي من القصر وهو بناء مستطيل تبلغ مقاساته من الداخل ١١,٨٠ × ١٠,٧٠ أمتار شيد بواسطة كتل من الحجارة الجيرية المشذبة التي وضعت في مداميك منتظمة ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أروقة بواسطة صفين من العقود التي تجري موازية لجدار القبلة في كل صف ثلاثة عقود ترتكز على أكتاف لاصقة بالجدار الشرقي والغربي وعمودين متوسطين لم يبق منهما سوى القواعد التي كانت تنتصب فوقها. وكان يغطي كل رواق من الأروقة الثلاثة قبو برميلي — أي أن طريقة التسقيف هنا تشبه تلك التي نشاهدها في قاعة الاستقبال في قصير عمرة وحمام الصراح .

أما الدخول إلى المسجد فكان يتم عبر ثلاثة مداخل الرئيسي منها عرضه ١,٨٠ مترا فتح في الجدار الشمالي مقابل حنية المحراب . أما المدخلين الآخرين فقد فتحا في الجدارين الشرقي والغربي حيث يعلو الأخير منهما - أي المدخل الغربي - عتبة وفوقها عقد مفصص على جانب من الجاذبية وهو من أقدم النماذج المعروفة لمثل هذا العقد الذي شاع فيما بعد في العمارة الإسلامية في شمال إفريقيا وإسبانيا . وفي وسط الجدار الجنوبي محراب مجوف يبرز عن سمت الجدار إلى الخارج . وكان يحيط بالمسجد من الخارج - باستثناء جهة القبلة - سقيفة ترتكز على أكتاف وضعت في الزوايا وعلى أعمدة متوسطة . هذا ويشاهد في الجزء العلوي من الجدار الغربي فتحات مربعة صغيرة لولوج العوارض الخشبية التي كانت تحمل السقف .

قالت المؤلفة : وصف المسجد أيضا كريزويل في كتابه «الآثار الإسلامية الأولى » ص ١٤٩ ، ١٥٠ فانظره هناك إن شئت .

الخزانات المائية والبركة : هناك خمسة خزانات على الأقل حفرت في المنحدر الغربي والشمالي للتلة التي بنى فوقها القصر وغطيت لتخفيف نسبة تبخر المياه المخزونة خلال أشهر الصيف الطويلة . وعلى مسافة ١٥٠ مترا تقريبا إلى الجنوب الغربي من القصر تشاهد بركة مضلعة غير منتظمة الشكل تبلغ أقصى أبعادها ٨٢ مترا طولا و ٨٠ مترا عرضا . يبدو أن موقع البركة كان في الأصل منخفضا طبيعيا أحيطت جوانبه بالجدران التي شيدت باستعمال كتل مشذبة من الحجر الجيري متفاوتة الأحجام . هنا يجدر أن ننوه بأنه عثر في المونة الكلسية التي وضعت بين بعض المداميك

الحجرية على كسر فخارية من العصر الأموى. إلى الشمال من البركة تمتد مجموعة من بيوت السكن المهدمة إلى حد كبير والتى كانت مخصصة لإيواء العمال والمزارعين المستخدمين من قبل صاحب القصر.

الفناء الزراعى: على مسافة ٤٠٠ متر تقريبا إلى الغرب من القصر يوجد فناء زراعى غير منتظم الشكل أحيط بجدار مبنى بكتل حجرية غشيمة ـ أى غير مشذبة ـ وتبلغ أقصى أبعاده ٢٧٠ مترا طولا و ٢٢٠ مترا عرضا وهو يضيق نحو الشمال ليتخذ شكلا قريبا من المثلث، يلاحظ أن الفناء الزارعى قد قسم إلى أحواض مستطيلة و أقيمت فيه على مسافات منتظمة وفي نقاط محددة بوابات للتحكم بتصريف المياه ورى الأحواض. وهذه البوابات تتألف بشكل عام من جدارين يمتدان بزاوية مائلة تبلغ مقدارها حوالى ٤٥° وضعت عند نقطة التقائهما كتلة حجرية مستطيلة تتخللها فتحة يمكن إغلاقها وفتحها حسب الحاجة. وفى وسط الفناء أقيم سد يتألف من تلَّتين من الطمم الترابى تضيق المساحة المحصورة بينهما باتجاه الشمال، وبمحاذاة السد من جهة الشرق ترك حوض عميق نسبيا يحده من الجنوب جدار سميك مبنى بواسطة كتل حجرية مشذبة ومن الواضح أن كلا من السد والحوض كانا قد خصصا لتجميع المياه الزائدة عن رى الأحواض الواقعة فى النصف الجنوبى من الفناء كذلك من الواضح أن مثل هذا الفناء الذى كلف الكثر من الجهد والمال لاستصلاحه وتجهيزه كان مخصصا لزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والعنب حيث عثر فى إحدى غرف القصر ـ كما ذكرنا ـ على حوض لعصر العنب.

(القصور الصحراوية ـ رامى جورج خورى ترجمه إلى العربية د. غازى بيشه. الكتبى ناشرون. عمان الأردن ١٩٨٨ / ٢٠ ـ ٢٣. انظر أيضا الآثار الإسلامية الأولى ـ ك. كريزويل. نقله إلى العربية عبد الهادى عبله. استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٤٩، ١٥٠).

*** الحلاج (٣٠٩ هـ/ ٩٢٢ م)**

أدرجه الإمام عبد الرحمن السُّلمى فى الطبقة الثالثة من الصوفية وأورد الكثير من كلامه وقال عنه: هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، من كبار مشايخ الصوفية. صحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وعمرا المكى، والفوطى، وغيرهم. والمشايخ فى أمره مختلفون. رده أكثر المشايخ ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف ... وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى، وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف: «الحسين بن منصور عالم ربانى».

قتل ببغداد بباب الطاق، يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة، سنة تسع وثلاثمائة (طبقات الصوفية / ٧٤).

ويعد الحلاج تارة فى كبار المتعبدين والزهاد، وتارة فى زمرة الملحدين. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط بالعراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحجَّ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ فاتبع بعض الناس طريقته فى التوحيد والإيمان. ثم كان يتنقل فى البلدان وينشر طريقته سرا وكان يدعى الألوهية فيه، وشاعت حوله الأساطير والمخاريق، حتى افتتن الناس فيه، واتهم بالكفر والخروج على الدين لقوله بالاستعاضة عن بعض الشعائر، وبإمكان حلول «اللاهوت» فى «الناسوت» «أى الروح الناطقة بروح الزاهد المخلوقة. حاول التوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية على أساس التجربة الصوفية. أمر بقتله المقتدر العباسى وصلبه بعد محاكمة وشرح مذهبه فى كتابه «الطواسين». (الاعلام ٢/ ٢٦٠، والموسوعة الثقافية / ٤٠٨، والفرق بين الفِرق / ١٩٩).

وقد قال عنه ابن النديم صاحب الفهرست: اختلف فى بلده ومنشأه فقيل إنه من خراسان من نيسابور، وقيل من مرو، وقيل من الطالقان، وقال بعض أصحابه إنه من الرى، وقال آخرون من الجبال، وليس يصحح فى أمره وأمر بلده شيء بتة. قرأت بخط أبى الحسين: عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر الحسين بن منصور الحلاج وكان رجلاً محتالاً مشعبذًا يتعاطى مذاهب الصوفية يتحلى ألفاظهم ويدعى كل علم، وكان صفرًا من ذلك، وكان يعرف شيئا من صناعة الكيمياء، وكان جاهلاً مقدامًا مدهورًا جسورًا على السلاطين، مرتكبًا للعظائم، يروم انقلاب الدول، ويدعى عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول ... ويدعى أن الإلهية قد حلت فيه وأنه هو هو ـ تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علوا كبيرا (الفهرست / ٢٦٩، ٢٧٠).

ويورد الإمام ابن الجوزى أمثلة من زندقة الحلاج وضلالاته وادعائه النبوة فى أول الأمر ثم ادعائه الربوبية بعد ذلك. وقال عن مقتله: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقته العلماء، وإنما سكت عنه أبو العباس بن سُريج، قال: وقال لا أدرى ما يقول، والإجماع دليل معصوم من الخطأ، وبإسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم» (نقد العلم والعلماء / ١٦٥، ١٦٦).

وقد تتبع ابن تيمية الأفكار التى أثرت فى الحلاج من معاصريه أو من قريبى العهد من عصره كابن بسكويه (٣٦٩ هـ) والحافظ البغدادى (٤٦٣ هـ). وأثبت باطنية الحلاج وادعاءاته الباطلة مثل فتوى إبليس، وبما جرى على لسانه من قوله: «أنا الحق» وهاجم اعتذار الصوفية عن الحلاج، وكشف أن الحلاج حاول خداعهم بمثل قوله: «عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك

بالباطـــل ». ولم يكن ابن تيميـة يعبر عن فكره المجرد فى قضيـة الحلاج بـل إنه حكّم الشرع فـى أمره حيث حاول الحـلاج أن يسقط ركن الحج من الإسلام (حقوق آل البيت / ١٢ ، ١٣).

وقد أورد ابن النـديم أسماء ستـة وأربعين كتابـا للحلاج غـريبة الأسماء والأوضاع (الأعلام / ٢٦٠ ، الفهرست / ٢٦٩ ، ٢٧٠).

(طبقـات الصـوفية لابن عبـد الـرحمن السلمى ـــ يسره ورتبـه أحمـد الشـرباصي / ٧٤ ، والأعـلام للـزركلي ٢ / ٢٦٠ ، والموسـوعة الثقافيـة بإشـراف د. حسين سعيـد / ٤٠٨ ، والفـرق بيـن الفـرق لعبـد القـاهـر البغـدادي / ١٩٩ ، والفهرست لابن النـديم / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ونقـد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للحافظ ابن الجوزي / ١٦٥ ، ١٦٦ ، وحقوق آل البيت للإمام تقى الـدين بن تيمية ـ تحقيق عبد القـادر أحمد عطا / ١٢ ، ١٣ ، مقدمـة التحقيق. انظـر أيضا مرجـع العلوم الإسـلامية ـــ د. محمد الـزحيلي / ٧٠٣ ، و « الحلاج والقـرامطة » ـــ الأستاذ أنـور الجنـــدى . منـار الإسـلام ، العدد السابع . السنة العاشرة . رجـب ١٤٠٥ هــ إبريـل ١٩٨٥م / ٧٤_٧٩).

*** الحلاجية:**

منسوبون إلى أبي مغيث الحسن بن منصور المعروف بالحلاج . انظر المادة السابقة .

*** الحلال والحرام**

يجمل القول فيه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فيقول :

الحلال : هـو المباح الـذى أذن الشارع فى فعلـه ولم يـرد أمره بحظره ، أو هـو ما ليس ممنوعا منعـا باتا بدليل شـرعى فهو أعم من المباح .

والحـرام : هو الـذى نهى الشارع عـن فعله نهيـا قاطعـا بحيث يتعرض من خالـف النهى لعقوبة الله فى الآخرة ، وقـد يتعرض لجزاء شرعى فى الـدنيا ومن ثم فالحـلال والحرام فى الإسلام متقـابلان ، على ما تفصح عنه نصوص القرآن والسنة ، مثل قوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ **ولا تقولـوا لما تصف ألسنتكم الكـذب هذا حـلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب** ﴾ [١١٦] .

وقول رسـول الله ﷺ الذى رواه أحمـد والنسائى عن أبى مـوسى الأشعرى فى شأن الـذهب والحرير. هذان حل لنساء أمتى محرم على ذكورهم » .

والمكروه تحريما : ما كان إلى الحرام أقرب وكان النهى عنه غير قاطع .

والمكروه تنزيها : هو فعل خلاف الأولى .

والمحرمات : منها ما هو حرام لذاته وهو ما جاء تحريمه قاطعا كالخمر والميتة والخنزير والقمار والميسر وغيرها من المحرمات فى الزواج وفى الأموال والأقوال والأفعال ونحو ذلك .

ومنها ما كان محرما لما يقترن بها . أو ما تؤدى إليه من باب سد الـذرائع ومثـال هذه الأخيـرة مـا جـاء فى قول الله تعـالى فى سـورة الأنعام : ﴿ **ولا تسبوا الـذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَـدْوًا بغير علم** ﴾ [١٠٨] .

حيث وجه الله المؤمنين فى هذه الآية إلى أن يتعاملوا مع غيرهم بأدب فلا يسبوا آلهتهم مخافة أن يردوا بسب الله سبحانه .

فهو نهى وتحريم من باب سد الذرائع .

مبادىء الحلال والحرام

ولقد حدد الإسلام أمر الحـلال والحرام وأقامه على مبادىء من صنع الله سبحانه . واستنبط علماء المسلمين من آيات الله فى كتابه فى هذا الشأن ما يلى من المبادئ :

١ ـــ أن الأصل فيمـا خلـق الله من أشيـاء ومنـافع هـــو الحل والإباحة ، وأن الحرام لا يكون إلا بنص صحيح وصريح . يدل لهذا ما جاء فى سورة البقر من قول الله تعالى ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** ﴾ [٢٩] وفى سـورة لقمان : ﴿ **ألم تـروا أن الله سخر لكم مـا فى السمـوات ومـا فـى الأرض وأسبغ عليكم نعمـه ظـاهـرة وباطنة** ﴾ [٢٠] وفى سورة الجاثية : ﴿ **وسخر لكم ما فى السمٰوات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ [١٣]

وأن مقتضى تسخيـر الله للإنسـان كل ما خلقـه أنه أحلّـه ، وأنه خلقه له وأنعـم به عليه وما حرمـه من هذه المخلوقـات كان لحكمة وبأمــر صـريح وواضـح ، فمـا لم يجـيء نص محـرم كـان الحل والإباحة .

وفى بيان هذا جاء قول الرسول ﷺ من حديث أبى الدرداء الذى رواه الحـاكم وصححه . « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال . وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن ينسى شيئـا » وتـلا قول الله تعـالى : ﴿ **ومـا كان ربك نسيـا** ﴾ [مريم : ٦٤] .

وهذه القـاعدة : (أن الأصل الحـل والإباحة) ليست مقصورة على الأشياء والأعيان فحسب ، بل تمتد فتشمل الأفعال والتصرفات مما يدخل تحت (العادات والمعاملات) .

أما العبادات فإنها من أمر الدين المحض الذى لا يؤخذ إلا من طريق الـوحى فلا يعبد الله إلا بمـا شرع ، أما العادات والمعـاملات فهى من صنع الناس ، والشارع يصحح ما انحـرف منها أو يهذبها ، ويقر الصالح منها .

٢ ـ إن التحليل والتحريم مختص بالله وحـده ذلك ما يشير إليه قول الله سبحانه فى سورة يونس : ﴿ **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منـه حـرامـا وحـلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفتـرون** ﴾ [٥٩] .

وقوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم**

الكـذب هذا حـلال وهـذا حـرام لتفتروا على الله الكـذب إن الـذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ [١١٦]

ومن هذه الآيات وغيرها وأحاديث رسول الله ﷺ عرف المسلمون أن التحريـم والتحليل إنما يكون بحكـم الله فى كتابه أو علـى لسان رسوله ﷺ.

ولقد درج الأئمة المجتهدون على أن يقـولوا فى الفتوى فيما لم يرد فيه نص بالحل أو بالتحريم: هذا أكرهه أو لا أحبه أو لا يعجبنى أو لا أستحسنه، توقيا من أن يقولوا بغير ما جاء فى القرآن وثبت من السنة.

٣ ـ تحريم الحلال وتحليل الحرام كالشرك بالله تعالى.

ففى الحديث القدسى الـــذى رواه مسلـــم فـى صحيحـه ... (إنى خلقت عبـادى حنفاء وأنهم أتتهم الشيـاطين فاجتـالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا ما لم أنزل به سلطانا).

٤ ـ التحريم أساسه الخبث والضرر فى كل ما حرم من شىء أو عين أو قول أو فعل، أو عادة أو معاملة.

ففى سورة الأعراف قول الله سبحانه: **﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** [٣٢]

وقوله سبحانه فى ذات السورة: **﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منهـا وما بطن والإثـم والبغى بغير الحق وأن تشـركوا بالله مـا لـم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾** [٣٣]

وفى سورة المائدة قول الله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم بـه مؤمنـون ﴾** [٨٧، ٨٨].

وإذا تتبعنـا آيـات التحـريم فى القـرآن نجـدهـا قـد فصلت المحرمات وأمـرت بالبعد عنها تشريعا من الله فهـو سبحانه الحكيم الرحيم بعبـاده وكما قال فى سـورة البقرة: **﴿ والله يعلم المفسـد من المصلح﴾** [٢٢٠].

٥ ـ فى الحـلال ما يغنى عن الحـرام، فقد حرم الله الـربا وأحل التجـارة الـرابحة، وحـرم الجلـوس إلى السحـرة والمنجمين وشـرع الاستخـارة وحرم القمـار والميسر وأبـاح المسابقـة بـالخيل والإبل والسهام وغيـر هذا من المسابقات المشـروعة، فكل محرم نجـد له بديلا مباحا حلالا طيبا.

٦ ـ ما أدى إلى الحرام كان حـراما. ذلك أن الإسلام حين يحرم أى شىء يحـرم ما يفضـى إليه من وسـائل، فحين حـرم الـزنا حـرم مقدمـاتـه من تبرج النساء وعريهن، والخلوة بين المـرأة وغير زوجها ومحارمها والاختـلاط العابث والصور العاريـة والغناء الفاحش، إذ كل أولئك من دواعى هذا الفسـاد. وحين حرم الخمر لعن شـاربها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها. وفى الربا لعن معطيه وآكله وكاتبه وشاهديه.

٧ ـ التحايل على الحرام حرام:

وهـذا التحايل يصـور بعضه مثل قـول رسول الله ﷺ الـذى رواه الإمـام أحمـد «ليستحلن طـائفة من أمتـى الخمر يسمونهـا بغيـر اسمهـا».

وقولـه ﷺ: «يأتى على الناس زمـان يستحلون الربـا بالبيع». رواه الأوزاعى كما فى نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ أبواب الربا.

ومن قبيل ما شاع من تغيير لاسم المحرمات فى هذا العصر:

إطلاق إسم الفن على أنواع من الرقص الخليع والغناء الفاحش والتصويـر الماجن، وإطلاق اسم المشـروبات الروحيـة على أنواع الخمور وتسمية الربا بالفائدة.

وكلمة الفن تطلق ويـراد بها التطبيق العملى للنظريـات العلمية بالوسائل التى تحققها ويكتسب بالدراسة والمران، كما تطلق على جملة الوسائل التى يستعملها الإنسـان لإثارة المشاعر والعواطف، وبخاصـة عاطفة الجمال كـالتصوير والموسيقى والشعـر، والغناء، والتمثيل وشاعت عرفا فى هذه المتنوعات الأخيرة.

هـذا: والنيـة الحسنـة لا تبرر الحـرام ولا تحـلـه، فالحـرام محـرم مهما حسنت نية فاعله وشرف قصده ولا يقر الإسلام أن يتخذ الحرام وسيلـة إلى غاية محمـودة. لأن الإسلام يحـرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة معا.

واتقاء الشبهات خشية الوقوع فى الحرام من واجب المسلم سدا للذرائع، والإسلام قد بين الحلال والحرام فى الأطعمة والأشربة وفى اللبس وفى أدوات المنـزل وفى الكسب والاحتـراف وفى العلاقـات الاجتماعية..

ومن المحرمات لغيرها الغناء والموسيقى إذا صاحبها معصية أو كانت تدعو إليها وهذا باتفاق العلماء (سمات الحلال والحرام / ٣ ـ ١٠) ويمضى فضيلته بعد ذلك فيبين حكم الدين فى هذه الفنون مما ننقله فى مواضعه إن شاء الله تعالى: ـ

ويتكلم التهـانوى على الحـلال والحـرام فى الكتاب والسنـة، وعند الصوفيـة، ثم يتطرق إلى الكلام على الشبهة والـورع مما ننقله لك فيما يلى:

الحلال بـالفتح هو فى الشـرع ما أبـاحه الكتـاب والسنة بسبب جائز مبـاح وفى الطريقة ما لا بـد فيه من العلم ولا يكون فيـه شبهة كأكل هدايـا الملوك والسلاطين وفي خـلاصة السلوك الحـلال هو الذي قد انقطع عند حق الغير وقـال سهل: ما لا تعصى الله فيه قال النبى ﷺ من أكل الحـلال أربعين يوما نـوَّر الله قلبه وتجـري ينابيع الحكمة من قلبه انتهى قال ابن الحجر في شـرح الأربعين للنووى في شـرح الحـديث السـادس: الحـلال ضـد الحرام لغـة وشـرعـا

والحلال البين أي الظاهر هو ما نص الله تعالى ورسوله أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه أو جنسه ومنه أيضا ما لم يعلم فيه منع على أسهل القولين والحرام البين ما نص أو أجمع على تحريمه بعينه أو جنسه أو على أن فيه حدا وتعزيرًا أو وعيدًا. والمشتبه ما ليس بواضح الحل والحرمة مما تنازعته الأدلة وتجاذبته المعاني والأسباب فبعضها يعضده دليل الحرام وبعضها يعضده دليل الحلال. ومن ثم فسر أحمد وإسحاق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل أكله كالخيل أو شربه كالنبيذ أو لبسه كجلود السباع أو كَسْبه كبيع العِينَة. وفسره أحمد مرة باختلاط الحلال والحرام وحُكم هذا أنه يخرج قدر الحرام ويأكل الحلال عند كثيرين من العلماء سواء قل الحرام أم كثر ومن المشتبه معاملة من في ماله حرام فالورع تركه مطلقا وإن جازت وقيل ـ واعتمده الغزالي ـ إن كان أكثر ماله الحرام حرمت معاملته. ثم الحصر في الثلاثة صحيح لأنه إن نص أو أجمع على الفعل فالحلال أو على المنع جازمًا فالحرام أو سكت عنه أو تعارض فيه نصان ولم يعلم المتأخر منهما فالمشتبه. وليس المراد بتعارفهما تقابلها على جهة واحدة في الترجيح فإن هذا كلام متناقض بل المراد التعارض بحيث يتخيل الناظر في ابتداء نظره فإذا حقق فكره رجح. والمشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس لتعارض الأدلة وأما العلماء فيعرفون حكمهما بنص أو إجماع أو قياس أو استصحاب ونحوها فإذا تردد شيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد المجتهد فيه وأخذ بأحدهما بالدليل الشرعي فيصير حلالا أو حراما وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال فيكون الورع تركه وما لم يظهر لمجتهد فيه شيء فهو باق على اشتباهه بالنسبة إلى العلماء وغيرهم كشيء وجده في بيته ولم يدر هل هو له أو لغيره وحينئذ اختلفوا فيما يأخذ به فقيل بحله والورع تركه وقيل بحرمته لأنه يوقع في الحرام وقيل لا يقال فيه واحد منهما قال القرطبي والصواب الأول.

قال المصنف أي النووي الظاهر أن هذا الخلاف مخرج على الخلاف في الأشياء قبل ورود الشرع وفيه أربعة مذاهب الأول وهو الأصح أنه لا يحكم بتحليل ولا تحريم ولا إباحة ولا غيرها لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع والثاني أن الحكم الحل والإباحة قال القرطبي دليل الحل أن الشرع أخرجها من قسم الحرام وأشار إلى أن الورع تركها بقوله ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ومن عبَّر بأنها حلال يتورع عنها أراد بالحلال مطلق الجائز الشامل للمكروه بدليل قوله يتورع عنها لا المباح المستوى الطرفين لأنه لا يتصور فيه ورع ما داما مستويين بخلاف ما إذا ترجح أحدهما فإن كان الراجح الترك كره أو الفعل ندب. والثالث المنع. والرابع التوقف ولقد أطنب ابن الحجر ههنا الكلام وذكر أقسام المشتبهات مفصلا فمن أراد فليرجع إلى شرحه المذكور. وقال العيني في شرح البخاري في كتاب العلم في شرح هذا الحديث: بعد ذكر أكثر الأقوال المذكورة فحصل لنا مما تقدم ذكره ان في المتشابهات المذكورة في الحديث التي ينبغي اجتنابها أقوالا أحدها أنها التي تعارضت فيها الأدلة فاشتبهت فمثل هذا يجب فيه الوقف إلى الترجيح لأن الأقدام على الأمرين من غير رجحان الحكم بغير دليل محرم.

وثانيها أنها المكروهات وهو قول الخطابي والمازري وغيرهما ويدخل فيه مواضع اختلاف العلماء.

وثالثها أنها المباحات وقال بعضهم هي حلال يتورع عنها وقد رده القرطبي واختار القول الثاني. فإن قيل هذا يؤدي إلى رفع معلوم من الشرع وهو أن النبي ﷺ والخلفاء بعده وأكثر أصحابه عليهم السلام كانوا يزهدون في التنعم في المآكل وغيره قلت ذلك محمول على موجب شرعي اقتضى ترجيح الترك على الفعل فلم يزهدوا في مباح لأن حقيقته التساوي بل في أمر مكروه ولكن المكروه تارة يكرهه الشرع من حيث هو وتارة يكرهه لأنه يؤدي إليه كالقبلة للصائم فإنها مكروهة لما يخاف منها إفساد الصوم. وقد اختلف أصحاب الشافعي رحمه الله في ترك الطيب وترك لبس الناعم فقيل ليس بطاعة وقيل إنه طاعة وقال ابن الصباغ يختلف ذلك باختلاف أحوال الناس وتفرغهم للعبادة واشتغالهم بالضيق والسعة، وقال الرافعي من أصحابنا هو الصواب وأما ما يخرج إلى باب الوسوسة من تجويز الأمر البعيد فهذا ليس من الشبهات المطلوب اجتنابها كترك النكاح من نساء بلدكم خوفا عن أن يكون له فيها محرم بنسب أو رضاع أو مصاهرة وترك استعمال ماء لجواز عروض النجاسة إلى غير ذلك مما يشتبه بهذا بأن يكون سبب التحريم فيه مجرد توهم ليس من الورع. قال القرطبي الورع في مثل هذا وسوسة شيطانية إذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء وسبب الوقوع في ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية انتهى. (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٤٧ـ٣٤٩).

يقول صاحب مفتاح السعادة عن فضيلة الحلال: وذلك في الآيات كثير ـ وكذلك مذمة الحرام ـ وكذا في الأخبار والآثار.

ثم يقول عن أصناف الحلال والحرام:

وأما أصناف الحلال والحرام ففي كتب الفقه على التفصيل: ولنبين هاهنا على سبيل الإجمال. فاعلم: إن الحرمة في المال إما في عينه أو في كسبه.

القسم الأول: أن الأعيان المأكولة: إما معادن أو نبات أو حيوان، والحرمة فيها. إما لأجل إزالة العقل أو إزالة الصحة أو الاستقذار.

القسم الثاني: ستة أقسام.

الأول: مالا يؤخذ من مالك: كالمعادن والاصطياد والاحتطاب والاستسقاء، فذلك حلال إلا أن يسبقها يد قبله.

الثانى: المأخوذ قهرا ولا عصمة له كأموال الكفار، وذلك أيضا حلال بشروط ذكرت فى الفقه.

الثالث: ما يؤخذ قهرًا لكن بالاستحقاق، وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق، وأسباب ذلك فى كتب الفقه.

الرابع: ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة، وذلك حلال إذا تضمنت شرائطة المذكورة فى موضعها.

الخامس ما يؤخذ بالرضا بلا عوض: كالهبة والوصية والصدقة وذلك حلال بشرائطه.

السادس: ما يؤخذ بغير اختيار كالإرث، وذلك حلال إذا كان المال مكتسبا من وجهة الحلال وأخرجت منه سائر الحقوق المذكورة فى علم الفرائض، وإن لم تعلم فاسأل أهله (مفتاح السعادة ٣ / ، ٢٢٢).

ويبين الإمام ابن قدامة الحلال والحرام ودرجاته والورع ودرجاته، ومراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام: فيقول عن الحلال والحرام:

اعلم: أن طلب الحلال فرض على كل مسلم، وقد ادعى كثير من الجهال عدم الحلال، وقالوا: لم يبق منه إلا الماء الفرات، والحشيش النبات، وما عدا ذلك فقد أفسدته المعاملات الفاسدة، فلما وقع لهم هذا، وعلموا أنه لا بد لهم من الأقوات توسعوا فى الشبهة والحرام، وهذا من الجهل، وقلة العلم. فإن فى « الصحيحين » من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: « الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات ».

ولما كانت هذا الدعوى من هؤلاء الجهال بدعة قد عم ضررها، واستطار فى الدين شررها، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة.

ونحن نوضح ذلك فى أقسام:

القسم الأول: فى فضيلة طلب الحلال، وذم الحرام، ودرجات الحلال والحرام. قال الله تعالى: **﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾** [المؤمنون: ٥١]، والطيبات: الحلال، فأمر بذلك قبل العمل، وقال فى ذم الحرام: **﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾** [البقرة: ١٨٨] إلى غير ذلك من الآيات.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا »، وذكر الحديث إلى قوله: « ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» رواه مسلم. وروى فى ذلك غير حديث.

وروى أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تستجاب دعوته، فقال له: « أطب طعمتك تستجب دعوتك » (قال العراقى فى تخرج الإحياء: رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه).

وقد كان السلف ينظرون فى الحلال ويدققون فيه، فأكل أبو بكر الصديق رضى الله عنه شيئا من شبهة ثم قاءه (إنما فعل أبو بكر ذلك لأنه كان من طعام الكهانة وهو سحت خبيث).

درجات الحلال والحرام

اعلم: أن الحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض. والحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، كما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة، ولكنه يقول: هذا حار فى الدرجة الأولى، وهذا فى الدرجة الثانية، وهذا فى الثالثة، وهذا فى الرابعة. مثال ذلك فى الحرام المأخوذ بعقد فاسد، حرام ولكنه ليس فى درجة المغصوب على سبيل القهر، بل المغصوب أغلظ، إذ فيه إيذاء الغير، وترك طريق الشرع فى الاكتساب، وليس فى العقود الفاسدة إلا ترك طريق التعبد فقط، وكذلك المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو يتيم، أخبث وأغلظ من المأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق.

درجات الورع:

والورع له درجات أربع:

الدرجة الأولى: وهى درجة العدول عن كل ما تقتضى الفتوى تحريمه، وهذا لا يحتاج إلى أمثلة.

الدرجة الثانية: الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها، ولكن يستحب، كما يأتى فى قسم الشبهات. ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ».

الدرجة الثالثة: الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع فى الحرام.

الدرجة الرابعة: الورع عن كل ما ليس لله تعالى، وهو ورع الصديقين، مثال ذلك ما روى عن يحيى بن يحيى النيسابورى رحمة الله عليه أنه شرب دواء، فقالت له امرأته: لو مشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء، فقال: هذه مشية لا أعرفها، وأنا أحاسب نفسى منذ ثلاثين سنة. فهذا رجل لم تحضره نية فى هذه المشية تتعلق فى الدين، فلم يقدم عليها، فهذا من دقائق الورع.

والتحقيق فيه أن الورع له أول وغاية، وبينهما درجات فى الاحتياط، فكلما كان الإنسان أشد تشديدا، كان أسرع جوازًا على الصراط، وأخف ظهرًا، وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع، كما تتفاوت دركات النار فى حق الظلمة بحسب درجات الحرام، فإن شئت فزد فى الاحتياط، وإن شئت فترخص، فلنفسك تحتاط وعليها تترخص (مختصر منهاج القاصدين / ٨٦ - ٨٨).

قالت المؤلفة: يضع صاحب مفتاح السعادة أسماء لدرجات الورع هذه فيقول:

الأولى: ورع العدول. وهو الذى يجب الفسق بتركه ويدخل فى العصيان والتعرض للنار، وهو الورع مما تحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية: ورع الصالحين. وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، وإن رخص المفتى بذلك بناء على الظاهر.

الثالثة: ورع المتقين. وهو ما لا حرمة فيه بحسب الفتوى ولا شبهة فى حله، لكن يخاف منه أداؤه إلى محرم، وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس.

الرابعة: ورع الصديقين: وهو ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى إلى ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى، أو ينطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية، وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره البليغ وتأكيده (مفتاح السعادة ٣/ ٢٢٢).

ونعود إلى الإمام ابن قدامة الذى ينتقل إلى الكلام على مراتب الشبهات فى القسم الثانى فيقول:

القسم الثانى: فى مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام، وحديث النعمان بن بشير رضى الله عنه نص فى هذه الأقسام الثلاثة، وهى الحلال والحرام وما بينهما، والمشكل فيها هو المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس، وهو الشبهة.

ونحن نكشف الغطاء عنها فنقول: الحلال المطلق الذى لا يتعلق بذاته صفة توجب تحريما لعينه، ولا يتعلق بأسبابه ما يطرق إليه تحريما أو كراهية.

مثال ذلك الماء الذى يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ـ الحرام المحض: ما فيه صفة محرمة، كالشدة فى الخمر، والنجاسة فى البول، أو حصل بسبب منهى عنه، كالمتحصل بالظلم والربا، فهذان الطرفان ظاهران، ويلتحق بهما ما تحقق أمره، ولكن يحتمل تغيره، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب ظاهر يدل عليه، فإن صيد البر والبحر حلال، إلا أنه من صاد ظبية أو سمكة، فإنه يحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت، وهذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء المطر المختطف من الهواء، فمساكنة ذلك الاحتمال فى الصيد ورع الموسوسين، لأنه وهم مجرد لا دلالة عليه، فلو دل عليه دليل، مثل أن يجد فى الظبية جرحا لا يقدر عليه، إلا بعد الضبط، كالكى، ويحتمل أن يكون غيره، فهذا موضع الورع.

وحد الشبهة ما تعارض فيه اعتقادان صدرا عن شيئين مقتضيين لاعتقادين.

ومثالات الشبهة كثيرة، والمهم منها مثالان:

المثال الأول: الشك فى السبب المحلل أو المحرم، وينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: أن يكون الحل معلوما من قبل، ثم يقع الشك فى المحلل، فهذه شبه يجب اجتنابها، ويحرم الإقدام عليها، مثاله أن يرى صيدًا فيجرحه فيقع فى الماء فيصادفه ميتا، ولا يدري هل مات بالغرق أو الجرح؟ فهذا حرام، لأن الأصل التحريم.

النوع الثانى: أن يعرف الحل ويشك فى المحرم، فيكون الأصل الحل، والحكم له، كما لو طار طائر، فقال رجل: إن كان هذا غرابا فامرأته طالق، وقال آخر: وإن لم يكن غرابا، فامرأته طالق، ثم التبس الأمر، فإنا لا نقضى بالتحريم فى واحد منهما، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما.

النوع الثالث: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طرأ ما يوجب التحليل بظن غالب فهو مشكوك فيه، والغالب حله، مثاله أن يرمى إلى صيد فيغيب عنه، ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه، فهذا الظاهر فيه الحل، لأن الاحتمال إذا لم يستند إلى دليل التحق بالوسوسة، فأما إن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالنوع الأول.

النوع الرابع: أن يكون الحل معلوما، ولكن يغلب على الظن طريان المحرم بسبب معتبر فى غلبه الظن شرعا مثاله أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب عليه الظن، فتوجب تحريم شربه، كما أوجب منع الوضوء به.

المثال الثانى: أن يختلط الحرام بالحلال، ويشتبه الأمر فيه. وذلك على أضرب:

أحدها: إذا اختلطت ميتة بمذكاة، أو بعشرة من المذكيات، ونحو ذلك من العدد المحصور، ومثله أن تشتبه أخته بأجنبيات، فهذه شبهة يجب اجتنابها.

الثانى: أن يختلط حرام محصور بحلال غير محصور، كما لو اشتبهت أخته أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد، بل له أن ينكح من شاء منهن، لأن فى تحريمهن حرجا كبيرا، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا، لم يلزمه ترك الشراء والأكل، لأن فى ذلك حرجا، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أن فى الناس من يرابى، وما تركوا الدراهم بالكلية، وأن مجنا سرق فى زمانه، وما تركوا شراء مجن، فاجتناب هذا من ورع الوسوسة.

الثالث: أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر، كحكم الأموال فى زماننا هذا، فلا يحرم بهذا الاختلاط تناول شىء بعينه، إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام، نحو أن يأخذه من يد سلطان ظالم، فإن لم يكن له علامة، فتركه ورع ولا

يحرم ذلك، لأنه قد علم فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء بعده أن أثمان الخمور ودراهم الربا وغلول الغنيمة اختلطت بالأموال، وقد أدركت الصحابة نهب المدينة وتصرف الظلمة ولم يمنعوا من الشراء بالسوق، ولولا صحة ذلك لانسد باب جميع التصرفات فإن الفسق يغلب على الناس، لكن الأصل في الأموال الحل، وإذا تعارض أصل وغالب، ولا أمارة على الغالب، حكم بالأصل، كما قلنا فى طين الشوارع وأوانى المشركين. فقد توضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية. مع أن مشْربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون من نجاسة، وكانت الصحابة تلبس الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة.

ومن تأمل أحوال الدباغين والصباغين، علم غلبة النجاسة عليهم، فيدل ذلك على أنهم لم يكونوا يحترزون إلا من نجاسة مشاهدة، أو يكون عليها علامة، فأما الظن الذى يستفاد من رد الوهم إلى مجارى الأحوال، فلم يعتبروه، فإن قيل: قد كانوا يتوسعون في أمور الطهارة، ويحترزون من شبهات الحرام، فما الفرق؟.

قلنا: إن أردت أنهم كانوا يصلون مع النجاسة فباطل، وإن أردت أنهم احترزوا من كل نجاسة وجب اجتنابها فصحيح، وأما تورعهم عن الشبه، فكان بطريق كف النفس عما ليس به بأس مخافة ما به بأس، والنفس تميل إلى الأموال كيف كانت بخلاف الأنجاس، وقد كانوا يمتنعون مما يشغل قلوبهم من الحلال، والله أعلم.

القسم الثالث: من الكتاب: فى الحلال والحرام والبحث، والسؤال، والهجوم، والإهمال ومظانها.

اعلم: أنه لو قدم لك الطعام أو أهديت لك هدية، أو أردت أن تشترى شيئا من شخص فليس لك أن تقول: هذا مما لا أتحقق حله، فأريد أن أفتش عنه وليس لك أن تترك البحث مطلقا، بل السؤال واجب مرة، وحرام مرة، ومندوب مرة، ومكروه مرة.

والقول الشافى فيه: أن مظنة السؤال الريبة، وهى تحصل إما من أمر يتعلق بالمال أو بصاحب المال، أما ما يتعلق بصاحب المال، فنحو أن يكون مجهولا، وهو الذى ليس عليه قرينة تدل على ظلمه، كزى الأجناد، ولا على صلاحه، كثياب أهل العلم والزهد، فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز، لأن فيه هتك المسلم وإيذاءه، ولا يقال لهذا: إنه مشكوك فيه، لأن المشكوك فيه هو الذى تحصل فيه الريبة بدلالة، مثل أن يكون على خلقة الأتراك، وأهل البوادى المعروفين بالظلم، وقطع الطريق، فهذا يجوز معاملته، لأن اليد تدل على الملك، وهذه الدلالات ضعاف، إلا أن الترك من الورع.

وأما ما يتعلق بالمال، فنحو أن يختلط الحرام بالحلال، كما إذا طرح فى السوق أحمال من طعام مغصوب فاشتراها أهل السوق، فإنه لا يجب على من يشترى فى تلك البلدة من السوق أن يسأل عما يشتريه، إلا أن يظهر أن أكثر ما فى أيديهم حرام، فعند ذلك يجب السؤال، فإن لم يكن الأكثر حراما كان التفتيش ورعا غير واجب.

وكذلك نقول فى رجل له مال حلال خالطه حرام، مثل أن يكون تاجرا يعامل معاملات صحيحة ويُرابى، فهذا إن كان الأكثر من ماله حراما، لم يجز قبول ضيافته ولا هديته إلا بعد التفتيش، فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال جاز، وإلا ترك، وإن كان الحرام أقل، فالمأخوذ شبهة، والورع تركه.

واعلم: أن السؤال إنما يقع لأجل الريبة، فلا ينقطع إلا من حيث تنقطع الريبة المفضية له، بأن لا يكون المسئول متهما، فإن كان متهما وعلمت أن له غرضا فى حضورك أو قبول هديته، فلا ثقة بقوله، وينبغى أن يسأل غيره.

القسم الرابع: فى باب الحلال والحرام، وكيفية خروج التائب عن المظالم المالية.

اعلم: أن من تاب وفى يده مال مختلط، فعليه تمييز الحرام وإخراجه، فإن كان معلوم العين، فأمره سهل، وإن كان ملتبسا مختلطا، فإن كان من ذوات الأمثال، كالحبوب والنقود والأدهان، وكان معلوم القدر، ميز ذلك القدر، فإن أشكل فله طريقان:

أحدهما: الأخذ بغالب الظن.

والثانى: الأخذ باليقين، وهو الورع.

فإذا أخرج المال الحرام، فإن كان له مالك معين، وجب صرفه إليه أو إلى وارثه، وإن كان لذلك المال زيادة ومنفعة، جمع ذلك كله وصرفه إليه، وإن يئس من معرفة المالك ولم يدر أمات عن وارث أم لا؟ فليتصدق به، وإن كان ذلك من مال الفيء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين، صرف ذلك إلى القناطر والمساجد ومصالح طريق مكة وما ينتفع به كل من يمر من المسلمين.

القسم الخامس: فى إدرار السلاطين وصلاتهم، وما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة، ونحو ذلك.

اعلم: أن من أخذ مالا من السلطان فلا بد أن ينظر فى مدخل ذلك إلى السلطان من أين هو، وفى صفته التى يستحق بها الأخذ، وفى المقدار الذى يأخذه، هل يستحقه؟

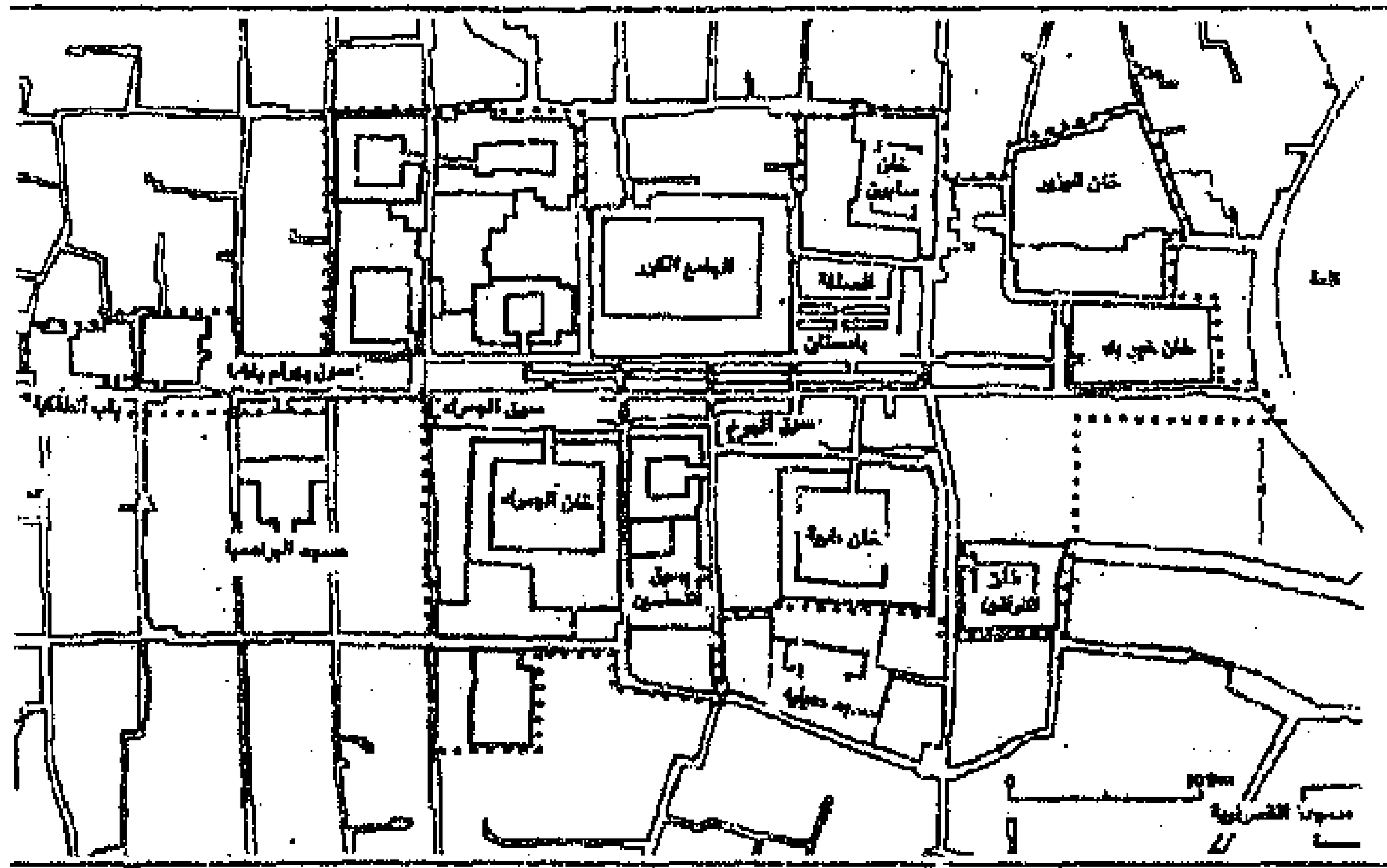
وقد تورع جماعة عن ذلك، وكان فيهم من يأخذه فيتصدق به.

وأما فى هذا الزمان، فالاحتراز عنه أولى، لأنه قد علم طريق الأخذ، ثم لا ينال إلا بالذل والسؤال والسكوت على الإنكار.

وقد كان بعض السلف لا يأخذ، ويعلل بأن باقى المستحقين

لم يأخذوا ، وهذا ليس بشيء ، لأنه يأخذ حقه ويبقى أولئك في مقام مظلوم ، وليس المال مشتركا .

(سمات الحلال والحرام ـ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . هدية مجلة الأزهر . المحرم ١٤٠٩ هـ / ٣ ـ ١٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٤٧ ـ ٣٤٩، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ومختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ٨٦ ـ ٩٣.
انظر أيضا « الحلال والحرام في معاملات البنوك والمال » ـ د. أحمد فهمي أبو سنة . مجلة الأزهر . الجزء الأول ، السنة الرابعة والستون ، والمحرم ١٤١٢ هـ ـ يوليو ١٩٩١ م / ٣٩ ـ ٤٣ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٤/ ١٢١، ١٢٢) .
انظر مادة « الحرام » في م ١٣/ ٣٤١، ٣٤٢ .



*** الحلاوية (المدرسة ـ) :**

انظر : الحلوية (المدرسة ـ) .

*** حَلَب :**

مدينة شمال غرب سورية ، ورد اسمها في وثائق ترجع إلى الألف الثانية ق م ، كمدينة هامة على طريق القوافل الرئيسي الذي يربط سورية بأرض الرافدين. كانت مركزا لمملكة الحيثيين ، واستمرت مزدهرة إبان الحكم البيزنطي. فتحها العرب في القرن السابع الميلادي، والسلاجقة والأتراك في القرن الحادي عشر، وحاصرها الصليبيون سنة ١١٢٤م ، واستردها صلاح الدين الأيوبي سنة١١٨٣م .

من أهم معالمها قلعتها ، ومسجدها الجامع والمكتبة، وبعض عمائر ترجع للعهدين الأيوبي والمملوكي (الموسوعة الثقافية / ٤٠٨) بلغ عدد سكان حلب عام ١٩٨١ « ٩٧٦٧٢٧ » نسمة (من كتاب معجم البلدان/ ٣٤٤هامش ٣) .

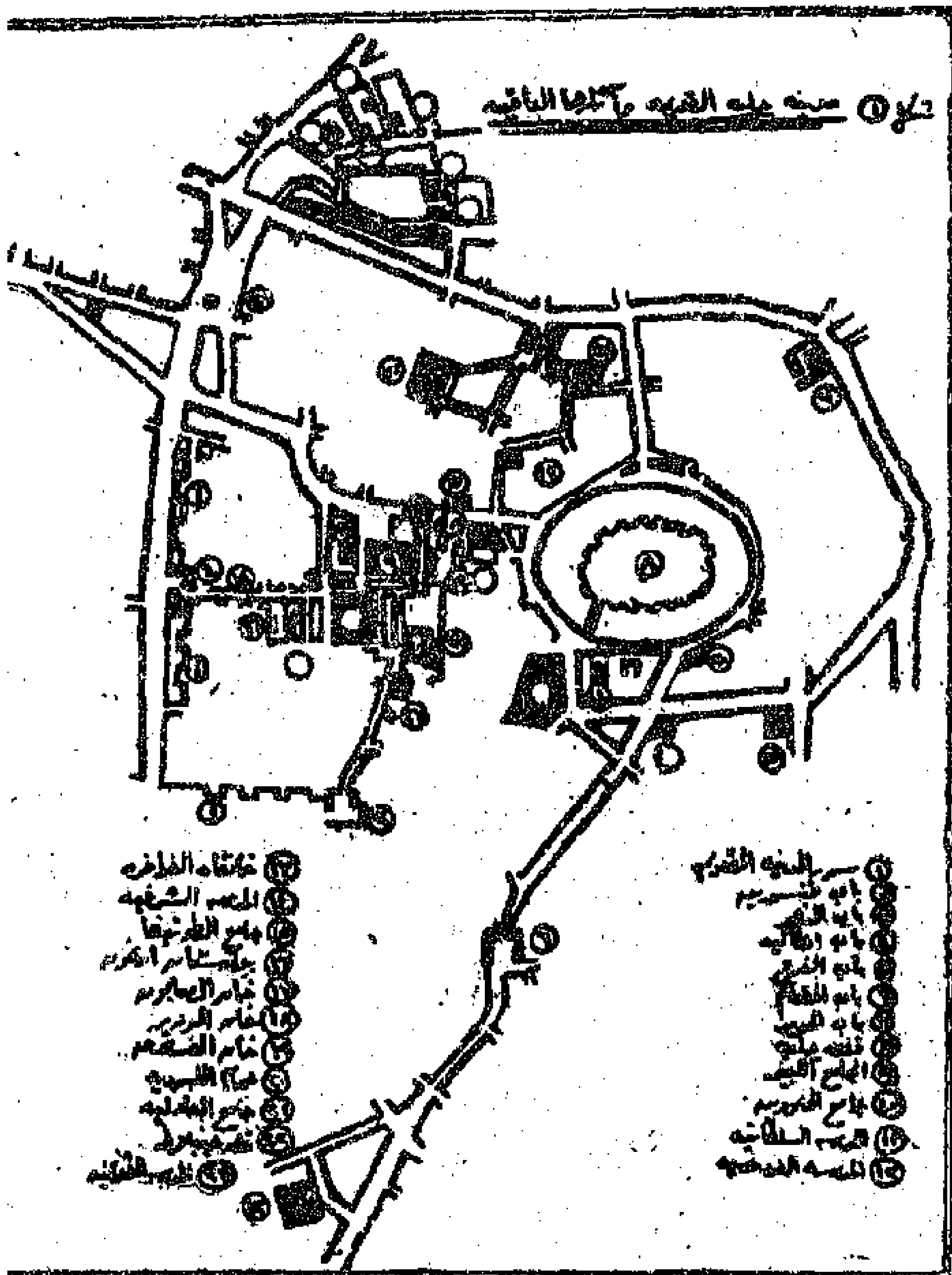
وتعتبر مدينة حلب ثاني البلاد الشامية من حيث الأهمية السياسية والعمرانية ، بل ومفتاحها الشمالي . وتلقب بالشهباء، والبيضاء، وذلك لبياض أرضها لأن غالب أرضها من الحجارة الحواءة، وترابها يقرب إلى البياض، وإذا أشرف عليها إنسان ظهرت له بيضاء (المجتمع الإسلامي في بلاد الشام/ ١٣٧) .

وبمدينة حلب آثار إسلامية عظيمة ومكتبات ومخطوطات سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى .

وقد نوّه بها الجغرافيون والرحالة المسلمون فذكروا محاسنها وآثارها كما أشاد بها الشعراء في أشعارهم . ونسوق لك بعض ما أوردوه وفقا للترتيب الزمني .

١ـ المقدسي صاحب«أحسن التقاسيم»(٣٣٦ـ٣٨٠هـ/ ٩٤٧ـ٩٩٠م) . قال عن حلب :

وأما حلب فبلد نفيس خفيف حصين ، وفي أهلها ظرف، ولهم يسار وعقول. مبني بالحجارة عامر، في وسط البلد قلعة حصينة



وآسعة ، فيها ماء وخزائن السلطان ، والجامع في البلد. شربهم من نهر قويق، يدخل إلى البلد إلى دار سيف الدولة في شباك حديد . والقصبة ليست بكبيرة ، إلا أن بها مستقر السلطان . لها سبعة أبواب : باب حمص ، باب الرقة، باب قنسرين ، باب اليهود،

باب العراق، باب دار البطيخ، باب أنطاكية ، وباب الأربعين مسدود(أحسن التقاسيم/ ١٣٦).

(٢) ابن جبير صاحب الرحلة (٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧م)(انظر ترجمته في م١٢/ ٣٣-٣٩) .

قال ابن جبير يصف مدينة حلب بأسلوب أهل زمان الأدبي الرفيع ويصف آثارها وأسواقها وجامعها الكبير وقلعتها المنيعة :

بلدة قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطابها من الملوك كثير، محلها من النفوس أثير، فكم هاجت من كفاح ، وسلت عليها من بيض الصفاح . لها قلعة شهيرة الامتناع، بائنة الارتفاع، معدومة الشبه والنظير في القلاع ، تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع ، قاعدة كبيرة ، ومائدة من الأرض مستديرة، منحوتة الأرجاء، موضوعة على نسبة اعتدال، واستواء فسبحان من أحكم تقديرها وتدبيرها وأبدع كيف شاء تصويرها وتدويرها، عتيقة في الأزل، حديثة وإن لم تزل، قد طاولت الأيام والأعوام ، وشيعت الخواص والعوام ، هذه منازلها وديارها، فأين سكانها قديما وعمارها وتلك دار مملكتها وفنائها، فأين أمراؤها الحمدانيون ، وشعراؤها، أجل فني جميعهم ولم يأن بعد فناؤها ، فياعجبا للبلاد تبقى وتذهب أملاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها، تخطب بعدهم فلا يتعذر ملاكها، وترام فيتيسر بأهون شيء إدراكها هذه حلب : كم أدخلت من ملوكها في خبر كان ، ونسخت ظرف الزمان بالمكان . أُنِّث اسمها فتحلت بزينة الغوال، ودانت بالغدر فيمن خان ، وتجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان هيهات هيهات سيهرم شبابها ، ويعدم خطابها ، ويسرع فيها بعد حين خرابها ، وتتطرف جنبات الحوادث إليها، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لا إله سواه سبحانه جلت قدرته .

وبعد أن يفرغ من وصف قلعتها المنيعة (نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى) يعود إلى الكلام على مدينة حلب فيقول :

وأما البلد فموضوعه ضخم جدا حفيل التركيب بديع الحسن واسع الأسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة إلى سماط صنعة أخرى إلى أن تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ظلال وارفة فكل سوق منها تقيد الأبصار حسنا وتستوقف المستوفز تعجبا وأما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالا ، مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من المرائي الرياضية وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللتها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها أجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع المكرم .

ثم يصف ابن جبير هذا الجامع وقد أوردناه في مادة « الجامع الأموي الكبير بحلب » (م ٨١/ ٤٨١ ـ ٤٨٤) وأوردنا وصف ابن جبير في ص٤٨٣، ٤٨٤فانظره في موضعه .

ثم يتكلم ابن جبير على مدارس حلب وبيمارستانها ـ فيقول : ويتصل به (أي من الجامع الكبير) من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسنا وإتقان صنعة فيها في الحسن روضة تجاور أخرى وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتح كله بيوتا وغرفا لها طيقان يتصل بعضها ببعض وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنبا فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدليا أمامها فيمد الساكن فيها يده ويجتنيه متكئا دون كلفة ولا مشقة .

وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس ولها مارستان وأمرها في الاحتفال عظيم فهي بلدة تليق بالخلافة وحسنها كله داخل لا خارج لها إلا نهير يجري من جوفيها إلى قبليها ويشق ربضها المستدير بها فإن لها ربضا كبيرا فيه من الخانات ما لا يحصى عدده وبهذا النهر الأرجاء وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط ربضه وبهذا الريض بعض بساتين تتصل بطوله وكيفما كان الأمر فيه داخلا وخارجا فهو من بلاد الدنيا التي لا نظير لها والوصف فيه يطول فكان نزولنا بربضة في خان يعرف بخان أبي الشكر فأقمنا به أربعة أيام ورحلنا ضحوة يوم الخميس السابع عشر لربيع المذكور والثامن والعشرين ليونية (رحلة ابن جبير/ ١٩٣-١٩٥) .

(٣) ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٨ ـ ١٢٢٩م) . قال في مادة « حلب » :

حَلَب : بالتحريك : مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة جند قنسرين في أيامنا هذه؛ والحلب في اللغة : مصدر قولك حلبت أحلب حلبا وهربت هربا وطربت طربا، والحلب أيضا : اللبن الحليب، يقال: حلبنا وشربنا لبنا حليبا وحلبا، والحلب من الجباية مثل الصدقة ونحوها ؛ قال الزجاجي: سميت حلب لأن إبراهيم ، عليه السلام ، كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدق به فيقول الفقراء حلب حلب، فسمي به ؛ قلت أنا : وهذا فيه نظر لأن إبراهيم، عليه السلام ، وأهل الشام في أيامه لم يكونوا عربا إنما العربية في ولد ابنه إسماعيل، عليه السلام ، وقحطان ، على أن لإبراهيم في قلعة حلب مقامين يزاران إلى الآن، فإن كان لهذه اللفظة ، أعني حلب، أصل في العبرانية أو السريانية لجاز ذلك لأن كثيرا من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقه إلا بعجمة يسيرة كقولهم كهنم في جهنم ؛ وقال قوم : إن حلب وحمص وبرذعة كانوا إخوة من بني عمليق فبنى كل واحد منهم مدينة فسميت به ، وهم بنو مهر بن حيص بن جان بن مكنف، وقال الشرقي: عمليق بن يلمع بن عائذ بن أسليخ بن لوذ بن سام ، وقال غيره : عمليق بن لوذ بن سام ، وكانت العرب تسميه غريبا وتقول في مثل : من يطع غريبا يمس غريبا ، يعنون

عمليق بن لوذ، ويقال: إن لهم بقية في العرب لأنهم كانوا قد اختلطوا بهم، ومنهم الزباء، فعلى هذا يصح أن يكون أهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربية فيقولون حلب إذا حلب إبراهيم، عليه السلام.

قال بطليموس: طول مدينة حلب تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة، داخلة فى الإقليم الرابع، طالعها العقرب، وبيت حياتها إحدى وعشرون درجة من القوس، لها شركة فى النسر الطائر تحت إحدى عشرة درجة من السرطان، وخمس وثلاثون دقيقة، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل، عاقبتها مثلها من الميزان؛ قال أبو عون فى زيجه: طول حلب ثلاث وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلث، وهى فى الإقليم الرابع؛ وذكر أبو نصر يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى فى كتاب ألفه أن سلوقوس الموصلى ملك خمسا وأربعين سنة، وأول ملكه كان فى سنة ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسع وخمسين لآدم، عليه السلام، قال: وفى سنة تسع وخمسين من مملكته، وهى سنة أربعة آلاف وثمانى عشرة لآدم، ملك طوسا المسماة سميرم مع أبيها وهو الذى بنى حلب بعد دولة الإسكندر وموته باثنتى عشرة سنة، وقال فى موضع آخر: كان الملك على سوريا وبابل والبلاد العليا سلوقوس نيقطور، وهو سريانى، وملك فى السنة الثالثة عشرة لبطليموس بن لاغوس بعد ممات الإسكندر، وفى السنة الثالثة عشرة من مملكته بنى سلوقوس اللاذقية وسلوقية وأفامية وباروا وهى حلب واداسا وهى الرها وكمل بناء أنطاكية، وكان بناها قبله، يعنى أنطاكية، أنطيقوس فى السنة السادسة من موت الإسكندر؛ وذكر آخرون فى سبب عمارة حلب أن العماليق لما استولوا على البلاد الشامية وتقاسموها بينهم استوطن ملوكهم مدينة عمان ومدينة أريحا الغور ودعاهم الناس الجبارين، وكانت قنسرين مدينة عامرة ولم يكن يومئذ اسمها قنسرين وإنما كان اسمها صوبا، وكان هذا الجبل المعروف الآن بسمعان يعرف بجبل بنى صنم، وبنو صنم كانوا يعبدونه فى موضع يعرف اليوم بكفر نبو، والعمائر الموجودة فى هذا الجبل إلى اليوم هى آثار المقيمين فى جوار هذا الصنم، وقيل: إن بلعام بن باعور البالسى إنما بعثه الله إلى عباد هذا الصنم لينهاهم عن عبادته، وقد جاء ذكر هذا الصنم فى بعض كتب بنى إسرائيل، وأمر الله بعض أنبيائهم بكسره، ولما ملك بلقورس الأثورى الموصل وقصبتها يومئذ نينوى كان المستولى على خطة قنسرين حلب بن المهر أحد بنى الجان بن مكنف من العماليق، فاختط مدينة سميت به، وكان ذلك على مضى ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة لآدم، وكانت مدة ملك بلقورس هذا ثلاثين عاما، وكان بناها بعد ورود إبراهيم، عليه السلام، إلى الديار الشامية بخمسمائة وتسع وأربعين سنة لأن إبراهيم ابتلى بما ابتلى به من نمرود زمانه، واسمه راميس، وهو الرابع من ملوك أثورا، ومدة ملكه تسع وثلاثون سنة، ومدة ما بينه وبين آدم، عليه السلام، ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاث عشرة سنة، وفى السنة الرابعة والعشرين من ملكه ابتلى به إبراهيم فهرب منه مع عشيرته إلى ناحية حران ثم انتقل إلى جبل البيت المقدس، وكانت عمارتها بعد خروج موسى، عليه السلام، من مصر ببنى إسرائيل إلى التيه وغرق فرعون بمائة وعشرة أعوام، وكان أكبر الأسباب فى عمارتها ما حل بالعماليق فى البلاد الشامية من خلفاء موسى، وذلك أن يوشع بن نون، عليه السلام، لما خلف موسى قاتل أريحا الغور وافتتحها وسبى وأحرق وأخرب ثم افتتح بعد ذلك مدينة عمان، وارتفع العماليق عن تلك الديار إلى أرض صوبا، وهى قنسرين، وبنوا حلب وجعلوها حصنا لأنفسهم وأموالهم ثم اختطوا بعد ذلك العواصم، ولم يزل الجبارون مستولين عليها متحصنين بعواصمها إلى أن بعث الله داود، عليه السلام، فانتزعهم عنها.

وقرأت فى رسالة كتبها ابن بطلان المتطبب إلى هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى فى نحو سنة ٤٤٠ فى دولة بنى مرداس فقال: دخلنا من الرصافة إلى حلب فى أربع مراحل، وحلب بلد مسوَّر بحجر أبيض وفيه ستة أبواب وفى جانب السور قلعة فى أعلاها مسجد وكنيستان وفى إحداهما كان المذبح الذى قرّب عليه إبراهيم، عليه السلام، وفى أسفل القلعة مغارة كان يخبىء بها غنمه، وكان إذا حلبها أضاف الناس بلبنها، فكانوا يقولون حلب أم لا؟ ويسأل بعضهم بعضا عن ذلك، فسميت لذلك حلبا؛ وفى البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير، والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية، وشرب أهل البلد من صهاريج فيه مملوءة بماء المطر، وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد فى الشتاء وينضب فى الصيف، وفى وسط البلد دار علوة صاحبة البحترى، وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ إلا ما يأتيه من بلاد الروم؛ وفيها من الشعراء جماعة ... قال: ومن عجائب حلب أن فى قيسارية البز عشرين دكانا للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره عشرون ألف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة وإلى الآن، وما فى حلب موضع خراب أصلا، وخرجنا من حلب طالبين أنطاكية، وبينها وبين حلب يوم وليلة، آخر ما ذكر ابن بطلان.

وقلعة حلب مقام إبراهيم الخليل، وفيه صندوق به قطعة من رأس يحيى بن زكرياء، عليه السلام، ظهرت سنة ٤٣٥، وعند باب الجنان مشهد على بن أبى طالب، رضى الله عنه، رؤى فيه فى النوم، وداخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا أنه خط على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وفى غربى البلد فى سفح جبل جوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون أنه سقط لما

جيء بالسبي من العراق ليحمل إلى دمشق أو طفل كان معهم بحلب فدفن هنا لك ، وبالقرب منه مشهد مليح العمارة تعصب الحلبيون وبنوه أحكم بناء وأنفقوا عليه أموالا، يزعمون أنهم رأوا عليا، رضي الله عنه ، في المنام في ذلك المكان ، وفي قبلي الجبل جبانة واحدة يسمونها المقام ، بها مقام لإبراهيم ، عليه السلام، وبظاهر باب اليهود حجر على الطريق ينذر له ويصب عليه ماء الورد والطيب ويشترك المسلمون واليهود والنصارى في زيارته ، يقال إن تحته قبر بعض الأنبياء .

وأما المسافات فمنها إلى قنسرين يوم وإلى المعرة يومان وإلى أنطاكية ثلاثة أيام وإلى الرقة أربعة أيام وإلى الأثارب يوم وإلى توزين يوم وإلى منبج يومان وإلى بالس يومان وإلى خناصرة يومان وإلى حماة ثلاثة أيام وإلى حمص أربعة أيام وإلى حران خمسة أيام وإلى اللاذقية ثلاثة أيام وإلى جبلة ثلاثة أيام وإلى طرابلس أربعة أيام وإلى دمشق تسعة أيام ؛ قال المؤلف، رحمة الله عليه : وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت به على أن الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد، فمن ذلك أنه يزرع في أراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذبا لا يسقى إلا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصا غضا رويا يفوق ما يسقى بالمياه والسيح في جميع البلاد، وهذا لم أره فيما طوفت من البلاد في غير أرضها ، ومن ذلك أن مسافة ما بيد مالكها في أيامنا هذه ، وهو الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب ومدبر دولته والقائم بجميع أموره شهاب الدين طغرل، وهو خادم رومي زاهد متعبد، حسن العدل والرأفة برعيته ، لا نظير له في أيامه في جميع أقطار الأرض، حاشا الإمام المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر لدين الله ، فإن كرمه وعدله ورأفته قد تجاوزت الحد فالله بكرمه يرحم رعيتهما بطول بقائهما ، من المشرق إلى المغرب مسيرة خمسة أيام ، ومن الجنوب إلى الشمال مثل ذلك ...

وأما فتحها فذكر البلاذري أن أبا عبيدة رحل إلى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري، وكان أبوه يسمى عبد غنم ، فلما أسلم عياض كره أن يقال له ابن عبد غنم فقال : أنا عياض بن غنم، فوجد أهلها قد تحصنوا، فنزل عليها فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم وسور مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم والحصن الذي بها ، فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عياض، فأنفذ أبو عبيدة صلحه، وقيل: بل صالحوا على حقن دمائهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وقيل : إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وأنهم إنما صالحوا على مدينتهم بها ثم رجعوا إليها ...

ثم يذكر ياقوت قلعة حلب ويأتي الكلام عليها في المادة التالية إن شاء الله تعالى . ثم يقول :

وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه أدباء وشعراء، ولأهلها عناية بإصلاح أنفسهم وتثمير الأموال، فقل ما ترى من نشئها من لم يتقبل أخلاق آبائه في مثل ذلك ، فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة ويتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ووصفها والحنين إليها ...

ثم ينتقي ياقوت قصيدة يكتفي بها لأبي بكر محمد بن مرار الصنوبري إذ أجاد فيها ووصف متنزهاتها وقراها القريبة منها . وهي قصيدة طويلة آثرنا الاستغناء عنها ، ويمكنك الرجوع إليها إن شئت في معجم البلدان ٢/ ٢٨٦ ــ ٢٨٩ ففيها كل شيء عن حلب ثم يسوق ياقوت هذه الأبيات للشاعر كشاجم :

أرتك ندى الغيث آثارها ،
وأخرجت الأرض أزهارها
وما أمتعت جارها بلدة
كما أمتعت حلب جارها
هي الخلد يجمع ما تشتهي،
فزرها ، فطوبى لمن زارها !

وكفر حلب : من قرى حلب . وحلب الساجور: في نواحي حلب، ذكرها في نواحي الفتوح ، قال : وأتى أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه ، حلب الساجور بعد فتح حلب وقدم عياض بن غنم إلى منبج .

وحلب أيضا : محلة كبيرة في شارع القاهرة بينها وبين الفسطاط، رأيتها غير مرة (معجم البلدان ٢/ ٢٨٢ـ٢٨٦، ٢٩٠) .

(٤) ابن بطوطة (٧٠٣ ــ ٧٧٩هـ/ ١٣٠٤ ــ ١٣٧٧م) : وصفها ابن بطوطة في رحلته بما لا يخرج عن وصف ابن جبير فارجع إن شئت إلى كتاب مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ١/ ٥٦ ــ ٦١ » وهو مذكور في ثبت مراجع هذه المادة .

ويقول ياقوت في نهاية مادة « حلب » : ولها في أيامنا هذه سبعة أبواب : باب الأربعين ، وباب اليهود، وكان الملك الظاهر قد جدد عمارته وسماه باب النصر، وباب الجنان، وباب أنطاكية ، وباب قنسرين ، وباب العراق، وباب السر (معجم البلدان : ٢/ ٢٨٥).

وقد بسط ابن الشحنة الكلام على أبواب حلب هذه نقلا عن ابن شداد وابن الخطيب مع زيادات له وهو ما ننقله لك فيما يلي ، ويميز ابن الشحنة كلامه بلفظ « قلت » وكلام ابن شداد بلفظ «قال» :

١ـ باب قنسرين :

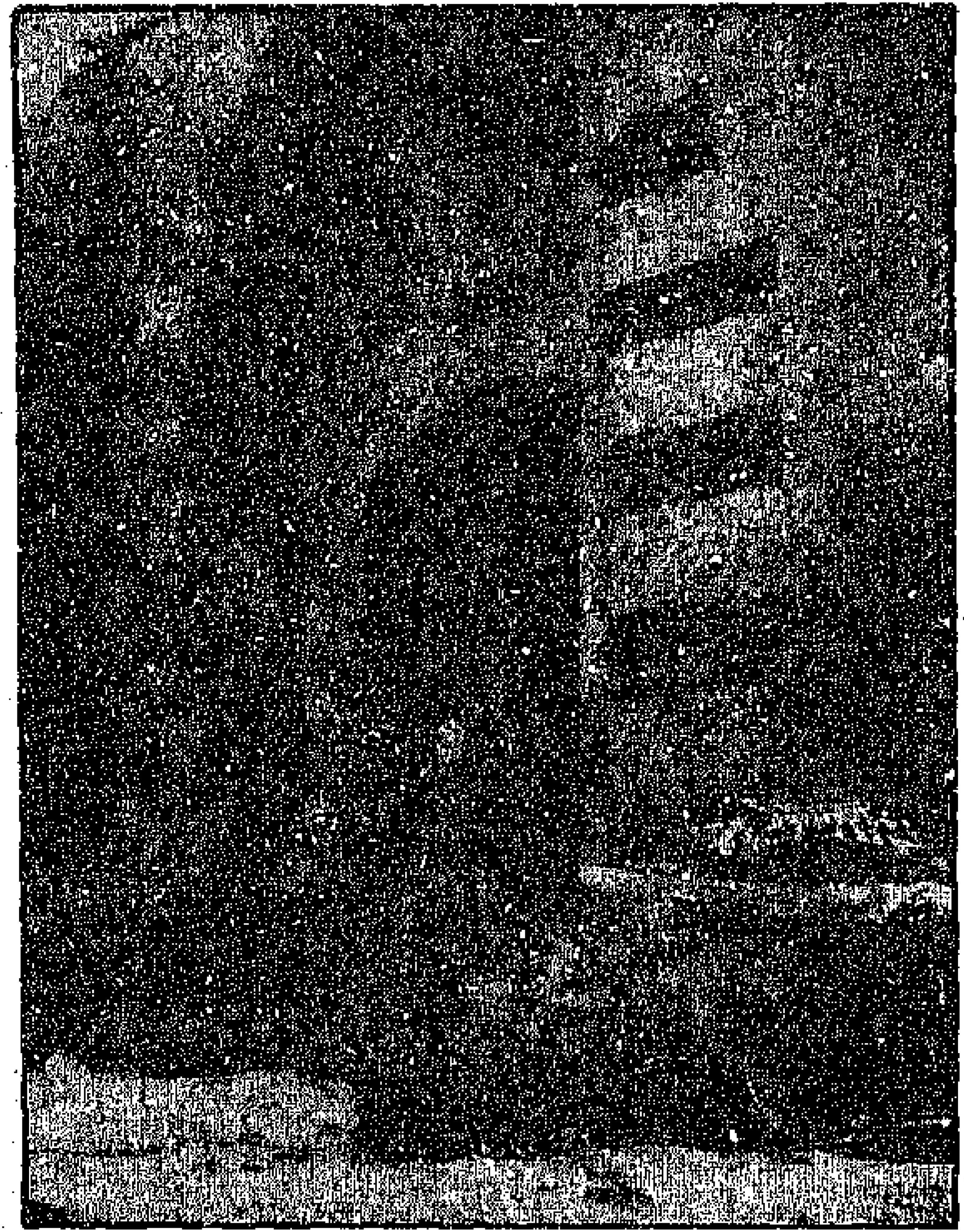
ونبدأ بكلام خير الدين الأسدي الذي يقول : باب قنسرين يفضي منه إلى قنسرين . وكلمة قنسرين عمورية بمعنى « قن

النسور» ، ومحله قديم قبل الإسلام ، يتألف من أربعة أبواب : باب يلي المدينة ، وباب يلي البرية ، وبابان بينهما ، وقنسرين تسمى في يومنا العيس نسبة إلى عيساو من بني إسرائيل . وقبره على تلها كما يزعمون ، وذكر ابن العديم في الزبدة باب قنسرين كثيرا اهـ (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٤، ١٠٥) .

قالت المؤلفة : هذا هو وصف باب قنسرين كما شاهدناه يوم الاثنين ٩ صفر ١٤١٢هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م أثناء زيارتنا لحلب، ومما دونته عندي في مفكرتي أن بالسقف ثلاث فتحات للإضاءة .

ونعود الآن إلى استكمال كلام ابن الشحنة الذي يقول :

« قال » ابن شداد فأولها مما يلي القبلة « باب قنسرين » وسمي بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة قنسرين . ويمكن أن يكون من بناء سيف الدولة ابن حمدان لأنه إلى جانبه برج كان مكتوبا عليه اسمه ثم جدده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في



باب قنسرين

سنة أربع وخمسين وستمائة . ونقل إلى بنائه الحجارة من الناعورة ، شرقي حلب من برج كان بها من أبرجة القصر الذي بناه مسلمة بن عبد الملك فيها ونقل إليه باب الرقة ووضعه عليه وكان هذا الباب أولا على سور عمورية وهي مدينة أنكورية . يعلق الأستاذ عبد الله محمد الدرويش هنا بقوله :

عمورية وإن كانت من عمل فريجيا فهي خلاف أنكورية المعروفة الآن نقرة وكانت عمورية قديما معروفة باسم Amorium وأنقرة باسم Ancyra) . فلما فتحها أمير المؤمنين المعتصم بالله سنة ثلاث وعشرين ومائتين نقله إلى سرمن رأى لما شرع في بنائها سنة إحدى وعشرين ومائتين . ثم نقل منها لما خربت إلى الرقة وبنى على هذا الباب أبرجة عظيمة ومرافق الأجناد حتى صار بمنزلة قلعة عظيمة من القلاع المرجلة المحصنة وعمل فيها طواحين وأفرانا وجبابا للزيت وصهاريج للماء وحمل إليها السلاح وحصنها .

قال ابن شداد : ومن عجائب الاتفاقات ما حكاه لي القاضيان الأجلان قاضي القضاة كمال الدين بن أبي بكر أحمد ابن قاضي القضاة أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الحافظ عبد الرحمن الأسدي المعروف بابن الأستاذ وقاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن ابن الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المعروف بابن العديم . قالا : قصدنا يوما زيارة الشيخ الصالح العابد الزاهد شرف الدين محمد بن موسى الحوراني بظاهر حلب فاتفق عند اجتماعنا به وصول باب الرقة المذكور ليركب على بابا قنسرين فأجرينا ذكره فقال لنا الشيخ يوم فروغ هذا الباب: ينزل على المدينة من يأخذها ويخرب هذا الباب وسائر البلد . فجرى الأمر على ما ذكره فإنه لما استولت التتار على حلب كان أول ما خرب منها . ثم لما أخرجت التتر عنها وملكها الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس نقض حديده المصفح به ومساميره وحمله إلى دمشق ومصر (الدر المنتخب/ ٣٩-٤١) .

ويضيف خير الدين الأسدي قوله : ويقع بين قلعة الشريف والجلوم وساحة بزه . وفي دركاه البان خان ، وفي مدخله كان يوجد طاحون لطحن الحبوب ، وداخله ضريح الشيخ علي الطيار (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٥) .

٢- باب العراق :

يقول ابن الشحنة نقلا عن ابن شداد:

« قال » ثم يتلو هذا الباب من جهة المشرق « باب العراق » سمي بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة العراق وهو باب قديم مكتوب على بعض أبراجه « أبو علوان ثمال بن صالح بن دمرداش » . وكان ثمال بحلب بعد العشرين والأربعمائة وبين يدي هذا الباب ميدان أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وله بابان .

« قال » ابن الخطيب: وهذا الباب لم يبق منه شيء بالجملة الكافية وإنما موضعه الآن شمالي جامع الطواشي عند حمام الذهب انتهى .

« قلت » صدق وكنت أعهد هناك قاعة عظيمة تعرف لها بوابة عظيمة ذات مصطبتين من رخام ولها ساباط حسن ثم إن الملك

المؤيد شيخ لما أراد هدم الأسوار وإعادتها إلى ما كانت عليه قديما أمر بهدم تلك القاعة وإعادة باب العراق فهدمت وأسس الباب على ما كـان عليه قديمـا فلما مات المـؤيد أزيل الباب المـذكور وبطل تجديد السور . والله الموفق .

(الدر المنتخب/ ٤١) .

قـال خير الـدين الأسدى : داخلـه مسجـد غوث بن سليمـان قاضي مصر . زعموا أن به حجراً عليه كتابة بخط علي بن أبي طالب رضى الله عنه (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠) .

٣ـ باب دار العدل :

قال ابن شداد : ويلى هذا الباب شرقا « باب دار العدل » كان لا يركب منـه إلا الملك الظاهر غيـاث الدين غازي وهو الـذي بناه (الدر المنتخب/ ٤١، ٤٢) .

ويضيف خير الدين الأسدى قولـه بإن هذا الباب دثر، وأنه كان محل السراى حاليا (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٩) .

٤ـ الباب الصغير :

قال ابن شداد : ويليه أيضا شـرقا « الباب الصغير » وهو البـاب الذي يخرج منه من تحت القلعة من جـانب خندقها وخانقاه القصر إلى دار العدل ومن خارجه البابان اللذان جددهما الظاهر غازي في السور الـذي جدده على دار العـدل أحدهمـا يدعى بـبـاب الصغير أيضا يفتح على شفير الخندق ويخرج منه إلى الميدان المقدم ذكره والآخر يغلق عليه ، ويلى الباب الصغير الأول « باب الأربعين» (الدر المنتخب/ ٤٢) .

قال خير الدين الأسدى : الباب الصغير شرقي دار العدل، في موقع حمام الناصرى حاليا، دثر (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠) .

٥ـ باب الأربعين :

قـال ابن شداد : وكـان قد سـد مدة مـديدة ثم فتح ولـه بابـان واختلف في تسميته بهـذا الاسم فقيل إنه خـرج منه مرة أربعـون ألفا فلم يعودوا فسمي بذلك .

وقال ابن الخطيب لم يعد سوى رجل واحد فرأته امرأته من طاق وهـو داخل فقالت لـه : دبيـران جئت . فقـال لها : دبيـران من لم يجىء . وقيل لأنه كان بالمسجد الذي داخله أربعـون مـن العبـاد « وقيل » أربعون محدثا « وقيل » كان بـه أربعون شريفا وإلى جانب أعلى المسجد للأشراف مقبرة . انتهى .

وقال ابن الخطيب وكان باب الأربعين قد خرب ولـم يبق إلا آثاره إلى أن رسم السلطـان الملك الأشرف بـرسباى ببنـاء السور البـراني فهدم ما بقى من الحجارة ولم يبق به الآن بناء ولا حجارة .

قال ابن شداد : وهذه الأبواب الثـلاثة أعنى باب العراق وباب الصغير وبـاب الأربعين كان الملك الظاهـر غياث الدين غـازي قد سفح بين يديها تلا من التراب الـذي أخرجه من خندق الروم وسماه التواتير.

« قلت » (أي ابن الشحنـة) كأنه اشتق هـذا الاسم من الوتيـرة بفتح الواو وكسـر الفوقـانية ثم تحتانيـة ثم راء ثم هاء وهي الطـريقة الملاصقة للجبل فإن هذه التواتير كذلك . والوتيرة تطلق على مطلق الطـريقة أيضـا ، وتطلق الـوتيـرة أيضا علـى الأرض البيضاء وهـذه التواتير أيضا كذلك . وتطلق الوتيرة على ما غلظ من الأرض والتواتير أيضا كذلك والله أعلم (الدر المنتخب/ ٤٢، ٤٣) .

قال خير الدين الأسدى : يقع باب الأربعين بين الباب الصغير وباب النصر، قريبا من حمام السلطان ، سد مدة ثم فتح . لا وجود له الآن (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٤) .

ثم « قال » يحيط بهـا من شرقي قلعـة الشريف إلى بـاب القناة وفتح فيه ثـلاثة أبواب ولـم يتمها فـأتمها ولده الملك العزيـز محمد وسمى القبلي منها باب المقام .

٦ـ باب المقام :

قلت لأنه يخرج منه إلى جهة مقام سيدنا الخليل عليه السلام . « قال » ويعـرف الآن بباب نفيس رجل كـان به أسفاسـلار وهو لفظ أعجمي فتـارة يجعلون بين السيـن موحـدة ثم الفـاء وتارة يجعلـون بعدها فاء ثم هاء وإنما يبدلون من السين صادا وهو عبارة عن متولى الأمر وربما سمود في هذا الزمـان متولى الحجر بفتح الحاء وسكون الجيم وبمعنى أن له الحجر والإذن فيمـا يتعلـق بالبلـد أو القلعـة أو المكـان والله أعلم (انظر مادة « الأسفهسـلار » في م ٤/ ٣٨١ من هذه الموسوعة) .

« قال » ويلى هذا الباب شرقا باب يسمى :

٧ـ « باب النيرب » لأنه يخرج منه إلى قرية تسمى بهذا الاسم .

٨ ـ « قال » ويلـى هذا الباب باب القناة سمي بـذلك لأن القناة التي ساقها الملك الظاهر من حيلان إلى المدينة تعبر منه .

« قلت » ويعرف الآن بباب بـانقوساء لأنه يخـرج منه إليها وهي حارة كبيرة ظاهر حلب من جهة الشرق والشمال بها جوامع ومساجد وحمامـات وأسواق وخـانات وهي الآن بنـدر عظيم وقد تجدد بين النيرب وباب القناة باب صغير يعرف الآن « بباب خندق بالوج » وهو على التراب الذي أخرج من خندق الروم وبنى عليه السور اللبن في أيام الملك العـزيز ثم غُيِّر هـذا السور اللبن في أيام الملك العـزيز أيضا وبنى بالحجارة . والله اعلم .

« قال » ابن شـداد : ويلى باب الأربعين المقدم ذكـره من جهة الشمال باب النصر .

٩ ـ « بـاب النصر » وكان يعرف قـديما بباب اليهـود لأن محال اليهود من داخله ومقابرهم من خـارجه فاستقبح الملك الظاهر وقوع هـذا الاسم عليه فسمـاه باب النصـر أعنى به اسم بـاب اليهود فـلا يعرف الآن إلا بباب النصر . « قلت » والظـاهر أنه لا بد لتخصيصه

بهذا الاسم من سبب يقتضيه لكن لم يذكر ابن شداد ولا ابن الخطيب بعده لذلك من سبب . والله أعلم .

« قال » وهذا الباب غيَّره الملك الظاهر وكان عليه بابان يخرج منهما إلى باشورة يخرج منها إلى الظاهر المدينة فهدمه وجعل عليه أربعة أبواب كل باب بدركاه على حدة يسلك من إحدى الدركتين إلى الأخرى فى قبو عظيم محكم البناء وبنى عليه أبرجة عالية فى جنبيه محكمة البناء أيضا ويخرج منه على جسر معقود على الخندق وكان على ظاهره تلول عالية من التراب والرماد وكنائس المدينة فنسفها وأزالها وجعلها أيضا مستوية وبنى عليها خانات يباع فيها الغلات والحطب .

وذكر ابن الخطيب ما يناسب ذلك أنه كان عليه قبل ذلك بابان فقط يخرج منهما إلى باشورة قلت : والباشورة هى قطعة أرض ظاهر سور البلد يجعل عليها سور خاص يحول بينها وبين الخندق يخرج منها إلى ظاهر البلد .

قال ابن شداد ويلى هذا الباب :

١٠ ـ « باب الفراديس » وهو من غربى البلد أنشأه الملك الظاهر غياث الدين غازى وبنى عليه أبرجة عالية حصينة ثم سد بعد وفاته ولم يزل مسدودا إلى أن فتحه الملك الناصر ابن ابنه .

« قلت » وهذا الباب لم يذكره ابن الخطيب لكنه ذكر استطرادا لما ذكر خراب سور حلب (الدر المنتخب / ٤٣ـ ٤٥) .

قال خير الدين الأسدى : يقع باب الفراديس بين باب الفرج وباب النصر، أمام عوجة الكيالى حاليا . دثر (أحياء حلب وأسواقها / ١٠١) .

١٠ ـ باب الفرج :

هو الباب الصغير .

وذكر ابن شداد بابا آخر يقال له باب الفرج بالقرب من القلعة .

قال خير الدين الأسدى : هو الباب الصغير (الدر المنتخب / ٤٥) سُمى « بباب الفرج فى دمشق » بهذا الاسم تفاؤلا لما وجد من التفريج بفتحه (زبدة الحلب ١ / ١٥٠) فتحه الملك الظاهر غازى وكان فى محله باب يسمى باب العبَّارة أو باب الثعابين . وباب الفرج لم يبق له أثر .

قالت المؤلفة : شاهدنا الموقع الذى كان به ، وذلك يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م ، كما شاهدنا فى نفس اليوم موقع باب الجنان .

١١ ـ باب الجنان :

ذكر ابن شداد فقال :

باب الجنان وسمى بذلك لأنه يخرج منه إلى البساتين وله بابان فظهر لى أن باب الفراديس هذا هو المعروف الآن بباب الفرج . وبعضهم يسميه باب العبارة والله أعلم (الدر المنتخب / ٤٥، ٤٦) .

قال خير الدين الأسدى : باب الجنان : (يلفظه العامة باجنين) سمى بذلك لأنه يفضى إلى جنان حلب حيث يجرى نهر قويق . ذكره ابن العديم فى الزبدة ، والبغدادى فى مراصد الاطلاع قال : أحد أبواب الرقة ، وأحد أبواب حلب ، وعلق محققه البجاوى بقوله : قال عيسى بن سعدان :

كلما مرت به ناسمة

موهنا جن على باب الجنان

هدمته الحكومة السورية سنة ١٣١٠ هـ ووسعت به الطريق ولم يبق له أثر قال ابن شداد : ويلى هذا الباب ، أعنى باب الجنان : باب أنطاكية .

١٢ ـ باب أنطاكية (قمنا بزيارته الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م) وسمى بذلك لكونه يخرج منه إلى جهة أنطاكية وكان نقفور ملك الروم قد خرب هذا الباب لما استولى على حلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فلما عاد إليها سيف الدولة بناه ولم يزل على إنشائه إلى أن هدمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبناه وكان ابتدأ بعمارته فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ثم فى سنة خمس وأربعين وستمائة بنى عليه برجين عظيمين وعمل له دركاه وحنايا بعضها على بعض وله بابان (الدر المنتخب / ٤٦) .

قال خير الدين الأسدى : وفى باب أنطاكية جامع الشعيبية ويسمى الغضائرى ، وهو أول مسجد بناه المسلمون بحلب عند فتحها ، واسمه حاليا جامع التوتة ، وبقرب الشعيبية تقع المدرسة الأسدية أنشأها أسد الدين شيركوه وقد دثرت . ومن باب أنطاكية يرقى إلى العقبة يسارا وإلى الجلوم يمينا ، وفى مدخله كله معروف (بالجيم المصرية) (أى جلة) معلقة فى السقف بسلسلة ومربوطة بعصا، كان الشيخ معروف أحد الأبطال الفداوية يحارب بها .

(قالت المؤلفة : سمعت لدى زيارتنا لباب أنطاكية أنه يقال إن الذى علقها هو سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه) . وخارجه ما تزال تنتشر الحوانيت والمخازن التى يقصدها البدو وأهل القرى للبيع والشراء، منها حوانيت الحدادة، وصناعة الحدوات والبراذع . وقد ذكر ابن شداد (الأعلاق الخطيرة ١ / ٩٠) أسماء واحد وثلاثين مسجدا خارج باب أنطاكية ، وفيه حماما محمد باشا، أحدهما مختص بالدباغين ، والآخر فى رأس الباب المذكور (أحياء حلب وأسواقها / ٩٤، ٩٥) .

قال ابن الشحنة : ويلى هذا الباب :

١٣ ـ باب السعادة :

ويخرج منه إلى ميدان الحصا أنشأه الملك الناصر سنة خمس وأربعين وبنى عليه أبرجة وله دركاه وبابان . « قلت » وهذا الباب أيضا لم يذكره ابن الخطيب لكونه قد دثر ولم يبق له رسوم ولكن لما

أمر السلطان الملك المؤيد شيخ بتجديد الأسوار ظهر هنالك باب مسدود فلعله هذا والله أعلم . ثم سد أيضا (الدر المنتخب/ ٤٩) .

قال خير الدين الأسدى : يقع باب السعادة بين الكلاسة وباب أنطاكية فى موقع خراق الجلوم حاليا (أحياء حلب وأسواقها / ٩٩، ١٠٠) .

١٤ ـ باب السلامة :

« قال » ابن شداد ومن هذا الباب إلى باب قنسرين « قال » وكان بحلب قديما بابان أحدهما يسمى باب الفرج وهو إلى جانب حمام القصر المشهور أخربه الملك الظاهر ودرست معالمه . والباب الآخر كان على الجسر الذى على نهر قويق خارج باب أنطاكية من بناء سيما الطويل سماه باب السلامة دثرت معالمه وكانت الروم أخربته أيام سيف الدولة بن حمدان وسنذكره فى المبانى القديمة التى بحلب . انتهى كلامه والله تعالى أعلم (الدر المنتخب /٤٦، ٤٧) .

ويضيف خير الدين الأسدى أن الروم خربته سنة ٣٥١ هـ (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠) .

وتزخر مدينة حلب بالآثار الإسلامية الرائعة ، التى أسعدنا الحظ بزيارتها يومى الإثنين ٩ صفر ١٤١٢هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م ، والثلاثاء ١٠ صفر / ٢٠ أغسطس . وتشمل المساجد والمدارس والخوانق والربط والزوايا والخانات والحمامات والبيمارستانات وقد أحصاها كل من ابن شداد فى « الأعلاق الخطيرة » ، وابن الشحنة فى « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » ، وخير الدين الأسدى فى «أحياء حلب وأسواقها » ، ونورد بعضها فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

وللأستاذ عفيف بهنسى (من الجمهورية العربية السورية) بحث فى الآثار الإسلامية فى حلب يستهله بمقدمة عن تاريخ حلب يقول فيها :

حلب كلمة عمورية قديمة تعنى النحاس الذى اشتهرت به المدينة فى العصور القديمة . وقد جاء ذكرها للمرة الأولى إبان حكم « سرجون الأكدى » ومضى تاريخها فى التقلب فيما بين ازدهار وانحطاط منذ ذلك الحين ، ففى الحقبة المسيحية ، أصبحت مقرا لكاتدرائية لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، وتعرف باسم المدرسة الحلاوية . ولم تكن حلب فى صدر الإسلام إحدى المدن الرئيسية فى الإمبراطورية ، بل كانت مدينة تابعة تدور فى فلك « قنسرين » عاصمة منطقة حلب ، وكانت قنسرين تماثل أنطاكية فى العظمة والفخامة ، ولم يبق من هذه المدينة التى كانت عظيمة ذات يوم ، سوى أطلال وبقايا حصون ، لا تثير اهتمام أحد اللهم إلا علماء الآثار وحدهم .

وعلى الرغم من نفوذ الأجانب فى العصر العباسى ، إلا أن حلب غدت عاصمة عربية لقبيلة تغلب الحمدانية التى وسعت تخوم ولاية حلب . وكان سيف الدولة أعظم الحمدانيين شأنا ، ففى أثناء حكمه ، خاض معارك كثيرة وحقق انتصارات ساحقة على البيزنطيين وقد سجل أبو الطيب المتنبى الشاعر الفذ الشهير حملات سيف الدولة متغنيا بأمجادها فى قصائد رائعة ، كما صور قصر أبى فراس المشيد على أطراف المدينة وكان يسمى الحلبة . وأصبحت حلب قاعدة للجيوش الإسلامية التى احتشدت لطرد الصليبيين وكانوا يحتلون مناطق من سورية ، بعد أن كانت الحصن الشمالى المنيع لصد هجمات البيزنطيين ، وكان نور الدين بن زنكى هو الذى قضى على مطامعهم . غير أن هذه الحروب لم تمنعه من الاهتمام بالأشغال العامة ولا تزال حلب تحمل طابعه إلى يومنا هذا .

ومضى الأيوبيون فى تنفيذ برنامج الأشغال العامة فى المدينة ، فقام الملك الظاهر بتجديد القلعة وتغطية منحدراتها بالصخور اللوحية . كما شيد « بيت الأعمدة » وقصر « بيت النظر » .

وفى وقت لاحق ، تعرضت حلب للغزو، إذ شن عليها المغول غارتين ، الأولى بقيادة هولاكو عام ١٢٦٠، وقاد تيمور لنك الغارة الثانية عام ١٤٠٠ . وبرغم أن المدينة قد كابدت أسوأ ضروب التدمير، إلا أنها لا تزال تحتفظ ببعض النماذج الرفيعة لفن العمارة الإسلامى ، التى تجعل من حلب واحدة من المدن البارزة بعد القاهرة من حيث آثار العصور القديمة والنصب التذكارية .

أما فيما يتعلق بفن العمارة المسيحى . فنجد أن كنيسة القرن الخامس عشر القديمة والمدرسة الحلاوية (أوردناها تحت عنوان « الحلوية المدرسة ـ ») والكاتدرائية والمدرسة المقدمية ، لا تزال قائمة فى أماكنها ، فضلا عن غيرها من مبانى القلعة والتى يعود تاريخها إلى العصر البيزنطى .

ويبرز من بين النصب التذكارية الإسلامية الباقية ، سور المدينة وأبوابها : وهى باب النصر وباب أنطاكية وباب قنسرين (القرن الثالث عشر) وباب الفرج وباب المقدام وباب الحديد « القرن الخامس عشر) وباب الجنان (القرن السادس عشر) .

وتعتبر القلعة (الأكروبوليس) أقدم المبانى الباقية . ويعود تاريخها ، بشكلها الراهن . إلى عهد الملك الظاهر غازى ، سلطان حلب عام ١٠٢٩ ميلادية . والمسجد الأموى العظيم هو أحد المبانى القديمة الأخرى وقد أعيد تجديده عدة مرات ويعود تاريخ مآذنه إلى عام ١٠٩٠ ميلادية (أوردناه فى م١١ / ٤٨١ ـ ٤٨٤ تحت عنوان « الجامع الأموى الكبير بحلب ») .

كما يوجد فى حلب ، مزار يسمى مقام الصالحين ويقال إنه ينحدر إلى زمن إبراهيم الخليل . ولا يزال يوجد فى حلب، مبنى إسلامى رائع آخر . هو المارستان النورى وهو مستشفى يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى (يأتى الكلام عليه فيما بعد) .

ومن بين مباني العصر الأيوبي المرموقة في المدينة، تبرز المدرسة السلطانية ؛ وتضم ضريح الملك الظاهر غازي ويسمى «التربة » (١٢٢٣ ميلادية) والمدرسة الظاهرية التي شيدها سلطان حلب (١٢١٧ ميلادية) والمدرسة الكاملية ومئذنة جامع الدباغة وخانكة الفرافرة (١٢٢٧ ميلادية) ومدرسة الفردوس التي شيدتها « ضيفة خاتون » زوجة الملك الظاهر غازي. وتحتوى هذه المدرسة على مسجد ومدرسة وضريح وتعتبر أجمل مثال لفن العمارة الإسلامي في حلب .

وتتميز من بين المباني الباقية لعهد المماليك في حلب، جامع تنبغا (١٣١٨ ميلادية) ومارستان أرغون، وهو واحد من أعظم مستشفيات العصور الوسطى في سورية ومصر :

(قالت المؤلفة : قمنا بزيارة هذا البيمارستان العظيم في حلب يوم الثلاثاء ١٠ صفر ١٤١٢ هـ/ ٢١ أغسطس ١٩٩١م، وقد أدرجناه في هذه الموسوعة تحت عنوان « أرغون الكاملي (بيمارستان ـ) في م٣/ ٦١٤ـ٦١٧) وجامع أطراش (١٤٠٣) وحمام الناصرى وهو من أجمل الحمامات العامة في سورية .

ويشتهر من بين الخانات أو فنادق القوافل الشهيرة التي لا تزال توجد في حلب، خان الصابور ويعود تاريخه إلى بداية القرن السادس عشر وخان الوزير وخان الجمرك وبيت الدلال (القرن السابع عشر) وخان الفرايين وخان التتن وبيت الغزالة وبيت أحقباس (أوائل القرن الثامن عشر) وحمام النحاسين ويعود للعصر العثماني .

وتعتبر حلب من بين المدن القليلة التي تضم القديم والجديد جنبا إلى جنب، بيد أن الفرق بين الاثنين واضح جلي. فعلى سبيل المثال، تقتصر المدينة القديمة اليوم على أطلال السور الذي يقع بين باب الجنان وباب أنطاكية وباب قنسرين وحدود جدات الخندق مشكلة ساحة مربعة يبلغ ضلعها نحو ١٥٠٠ متر. وإبان حكم الملك الظاهر، اتسعت المدينة إلى الشمال والغرب. ودرج أهل المدينة (أهل الجوا) على السكنى في المنطقة التي تقع داخل السور، في حين كان أهل الريف (أهل البرا) يقيمون خارجه .

وتعتبر أحياء البياضة ووراء الجامع والسفاحية أشهر أحياء هذه المدينة التاريخية .

والأسواق من أهم السمات المميزة للمدينة القديمة حيث لا تحفل المدينة فحسب بالشوارع التي تصطف على جانبيها الحوانيت، بل أيضا بممرات المشاة الواسعة المغطاة بالقباب الحجرية السميكة التي تقي من حرارة الصيف وبرودة الشتاء وينفذ الضوء من خلال فتحات في هذه القباب. وتمتد هذه الأسواق على نحو متصل إلى مسافة تبلغ ١٥ كيلو مترا وتتركز عند نقطة تدعى المدينة إلى الغرب من حلب. ومن بين هذه الأسواق ، يذيع صيت سوق الفرايين وسوق السراجين وسوق الزرب وسوق العطارين وسوق الخايش ، إلخ ...

وتحتفظ المدينة القديمة بطابعها التقليدي من شوارع متعرجة تسترها الشرفات والألواح الخشبية لحمايتها من العواصف والشمس والأمطار. وتصطف البيوت على جانبي هذه الطرق الملتوية. ولا يستطيع المرء اليوم إدراك جمال هذه المنازل حيث إن واجهاتها في حالة يرثى لها من الإهمال. بيد أنه حالما يلج المرء أبوابها ، يجد نفسه في عالم آخر من الجمال والهدوء. وقد اعتاد ملاك هذه البيوت أن ينفقوا الكثير على زخرفتها ، إلا أنها أصبحت مهجورة ، بنزوح ملاكها إلى المدينة الجديدة وتواجهنا في الوقت الراهن مشكلة ذات شقين ، فمن ناحية ، يهدد الإهمال المدينة القديمة على الرغم من أن فن عمارتها وطرازها يتواءم مع تقاليدنا وعاداتنا ومناخنا ومواد البناء المتوافرة ، ثم هناك من ناحية أخرى، مشكلة المدينة الجديدة ويختلف طابعها عن الذوق المحلي، وقد تفاقمت هذه المشكلة نتيجة لوضع غير عادى ألا وهو زيادة عدد السكان إما عن طريق الهجرة من الريف أو بسبب ارتفاع معدل المواليد (٣في المئة تقريبا) ففى حين كان عدد سكان حلب ١٥٠ألف نسمة عام ١٩٢٥و٤٠٠ألف نسمة عام١٩٦٠، أصبح اليوم ٨٠٠ألف نسمة . وتتركز هذه الزيادة في المدينة القديمة، لا سيما في المنطقة بين بانقوسة وباب النيرب ومركز الأسواق والخانات والأحياء التجارية . وقد ترتب على هذه الزيادة الهائلة في السكان رحيل الطبقة البرجوازية وساكني البيوت التقليدية إلى الأحياء الحديثة تاركين بيوتهم للمهاجرين الذين أهملوها .

ولم تحل المشكلة بالهجرة من المدينة القديمة ، بل إنها على النقيض قد أدت إلى إهمال وتشويه القسمات المميزة للمدينة الفريدة (حلب الآثار الإسلامية في حلب/ ١٨٥ ـ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠)

أما عن المساجد الموجودة بمدينة حلب حتى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فقد حصر ابن شداد البارز منها والمشهور، فبلغ ما هو موجود بداخل حلب ثمانية ومائتي مسجد، وعدد ما هو موجود بين أبوابها أربعة عشر مسجدا. ومبلغ ما هو كائن بأرباض حلب خمسة عشر وعدد مساجد الحاضر السليماني مائة وعشرة. وعدَّد ابن الشحنة مساجد الرابية وجورة حفال، من ضواحي حلب، فبلغ مائة وثمانية وستين مسجدا. أما عن المساجد بخارج باب أنطاكية ومساجد المضيق ومساجد التي بالظاهرية والرمادة وبانقوسا والهزازة فقد بلغ عددها ثمانية وخمسين ومائة . وأضاف ابن القلانسي إلى ما تقدم المساجد الموجودة بالقلعة فبلغت عدتها ستة وخمسين مسجدا واعتمادا على ما جاء في المصادر المعاصرة للقرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) نستطيع القول بأن عدد مساجد حلب حتى نهاية القرن السابع الهجرى قد بلغ تسعة وعشرين وسبعمائة مسجد .

ولعل أهم مسجد جامع لا يزال باقيا بحلب حتى اليوم وترجع معظم مبانيه إلى القرنين السادس والسابع الهجريين ، هو مسجدها الجامع (المجتمع الإسلامي في بلاد الشام/ ١٣٧) (أوردنا هذا الجامع

في م ١٠/ ٤٨١ ـ ٤٨٤ تحت عنوان « الجامع الأموي الكبير بحلب ») .

وأما عن المدارس فقد ذكر ابن شداد ما بباطن حلب وظاهرها من هذه المدارس :

١ـ المدارس الشافعية :

(أ) التي بباطن حلب :

المدرسة الزجاجية ـ المدرسة العصرونية ـ المدرسة النفرية النورية ـ المدرسة الصاحبية ـ المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الأسدية ـ المدرسة الرواحية ـ المدرسة الشعيبية ـ المدرسة الشرفية ـ المدرسة الزبيدية ـ المدرسة السيفية .

(ب) التي بظاهر حلب :

المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الهروية ـ المدرسة البلدقية ـ المدرسة القيمرية ـ مدرسة بالجبيل ـ مدرسة الأمير شمس الدين لؤلؤ ـ مدرسة بالمقام ـ مدرسة عز الدين أبي الفتح ، مظفر بن محمد بن سلطان بن فاتك الحموي .

٢ـ المدارس الحنفية :

(أ) التي بباطن حلب :

المدرسة الحلاوية ـ المدرسة الأتابكية ـ المدرسة الحدادية ـ المدرسة الجرديكية ـ المدرسة المقدمية ـ المدرسة الجاولية ـ المدرسة الطمانية ـ المدرسة الحسامية ـ المدرسة الأسدية ـ المدرسة القليجية ـ المدرسة الفطيسية .

(ب) التي بظاهر حلب :

المدرسة الشاذبختية ـ المدرسة الأشودية ـ المدرسة السيفية ـ المدرسة البلدقية ـ مدرسة النقيب ـ المدرسة الدقاقية ـ المدرسة الجمالية ـ المدرسة العلائية ـ المدرسة الكمالية العديمية .

٣ ـ مدارس المالكية والحنابلة بحلب :

مدرسة أنشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان ابن جندر تحت القلعة لتدريس مذهبي مالك وأحمد بن حنبل .

زاوية بالجامع وقفها الملك العادل نور الدين محمود زنكي لتدريس مذهب مالك .

زاوية بالجامع للحنابلة وقفها نور الدين أيضا (الأعلاق الخطيرة جـ ق ١/ ٤١٨ ـ ٤٢٢) .

البيوت الحلبية :

وأما عن البيوت الحلبية فيقول الدكتور أندريه ريمون عن المسكن السوري : يتميز المسكن السوري بالامتداد الأفقي وبإعطاء الأهمية الخاصة للباحة السماوية التي غالبا ما تكون مزينة بالأشجار والنباتات وكأنها حديقة، فضلا عن وجود نفورة الماء في وسطها، والمقاعد الحجرية في أطرافها . ثم هناك الإيوان الذي يطل على الباحة بقوس جميل . ويماثل الإيوان هذا مقعد البيت القاهري من حيث توجهه نحو الشمال، ومن حيث استعماله مجلسا في فصل الصيف، ولا يختلف أحدهما عن الآخر إلا من حيث إن الإيوان موجود في الطابق الأرضي بينما المقعد القاهري موجود في الطابق العلوي .

ثم يقول :

ومن مميزات الدور الحلبية وجود السرداب الأرضي الذي يستخدم مستودعا للمؤونة أو ملاذا في فصل الصيف . ووجود السرداب لا يقتصر على الدور الشعبية بل ويشمل الدور الهامة والقصور في بعض الأحيان (العواصم العربية / ٩٢، ٩٣) .

وللدكتور محمد وليد كامل بحث بعنوان « الأكشاك الخشبية في الدور الحلبية » ننقل لك مقتطفات منه فيما يلي :

حرص الحلبي منذ قرون خلت على أن يكون بيت سكنه مريحا بهيجا، ينعم ساكنه بالمسرة ويهنأ بالراحة، ففيه يحظى بنسائم الربيع والصيف إذ تروح الأسرة تتنسم هبات الهواء اللطيفة في بهو الإيوان الفسيح الذي يحظى غالبا بسقف مقبب عال يكون بقدر علو غرفتين على الأقل، وهذا يكسب الجالسين ظلا مشبعا بنسائم الربيع الندية والصيف الملطفة بمياه السلسبيل الذي يواجه الإيوان، ويصب في بركة ناعمة مما يضفي على سهرات الليل صوت الرذاذ اللذيذ وخرير الماء المريح، كما يضفي على جلسات النهار المشمس المشبعة بأريج زهر الليمون والنارنج والكباد والبرتقال مزيدا من الجمال الساحر، كما أن هذه البيوت التي تبهج الساكن ربيعا وصيفا هي أيضا تبهجه شتاء وخريفا ؛ فقاعات الجلوس فيها غنية بخضرة الزينة، وغنية أيضا بالنقوش والزخارف والكتابات التي تدعو الجالسين إلى تأمل معانيها . كما



المنازل العربية في حلب القديمة

أنهـا غنيـة بظـلالهـا البهيجة التي تلقيهـا أشجـارهـا الوارفـة على الجالسين.

وهذه القاعات تطل على صحن الدار بكثير من الشبابيك التي يرى منها الجالسون الأحواض اللطيفة والأشجار المثقلة بثمار الشتاء أو بثمار الربيع ... فإذا فضت جلسات الأسرة وراح كل إلى غرفته فالغرفة تحظى بالنور، فالشبابيك على طول الواجهة والطاقات فوق الشبابيك، وهذه الشبابيك والطاقات تضفي النور الكافي من الشمس التي تملأ الغرفة المفروشة بالسجاد الفخم والأرائك أو الأسرّة الأنيقة، وهي تسمح بالتهوية الكافية لهذه الغرف، قد يكون للغرف - إضافة إلى تهوية الشبابيك - طاقات (الباتنج) وهي المكيف الطبيعي الذي يأتيك بهواء من الجهة التي تهب منها نظيفا صافيا ينعش الأجواء في الصيف أما في الشتاء فيوقف عمله.

وقد تأتيك البهجة من الزخارف التي تزين واجهات القاعات الخارجية المطلة على صحن الدار وبخاصة زخارف الإيوان، فهذه النقوش والزخارف الحجرية تتناغم مع الزهور والدوالي والأشجار فتكون كاللوحات الخلفية الجميلة التي تملأ المكان بالجمال الأخاذ.

العمارة العربية بين الوظيفة والجمال

اتسقت العمارة العربية مع البيئة و المناخ كما اتفقت مع الحياة الإسلامية. ففي التخطيط العربي، يمتاز الفناء بكثرة الخضرة والزهور والمياه الهادئة التي تمر في قنوات صغيرة تكون كلها صورة جميلة مصغرة للطبيعة، وقد أدى ذلك إلى زيادة مسطح الفتحات المؤدية للفراغات المحيطة بالفناء مما أدى إلى تداخل الخارج بالداخل، وغالبا ما اكتفت الدور العربية عن العالم الخارجي بسحر الداخل الفتان، إلا أن البيوت بدأت منذ القرن الثامن عشر تأخذ أسلوب الصحن المكشوف إلى جانب الجناح المسقوف المطل على الصحن من الداخل، الذي قد يطل على الشارع بأكشاك خشبية kiosk ، وهذه الدور تتطور في القرن التاسع عشر إلى البيت ذي الطابقين المسقوف تماما من دون صحن دار مكشوف، فالدور الحلبية كانت من طابقين لكن تطل الغرف فيها على صحن مكشوف، وتكتفي بإطلالة على الداخل، الآن بدأت الدور تطل من خلال الأكشاك على الشوارع الضيقة أو العريضة، هذه الصور المعمارية الجديدة نراها في كثير من الأحياء في « الفرافرة والجميلية والعزيزية والجديدة » وغيرها ... ليس من ريب أن الكشك فن عثماني وفد إلى تراث العمارة العربية الإسلامية، وأحدث تحويلا جذريا في البنية الداخلية للدور العربية، إذ سقفت تدريجيا حتى حرم ساكنوها من نعمة النظر إلى السماء والاستفادة من الشمس والهواء بالقرب من الماء المتدفق والنبات المتخضر، ثم تناست الكشك شيئا فشيئا حتى استغنت عنه بشرفة واسعة مكشوفة، وبذلك التحم الجو الداخلي بالخارجي بعد أن كان الجو الداخلي معزولا ومحميا من ملوثات الرئة والنفس الإنسانية.

انتقل مفهوم الكشك كعنصر هندسي من استانبول إلى انجلترا وفرنسا وألمانيا، فساهم في تطوير العمارة من طابق إلى طوابق عديدة تكاد أن تنطح السحاب في القرن العشرين، على حين أنه دخل المشرق العربي وطور عمارته ببطء شديد بسبب القيم الأخلاقية التي تحكمه، وعلاقات الجوار التي تعتبر جزءا متوارثا من مجمل تكوينه الحضاري.

لذا يمكن القول: إن عنصر الكشك هو عنصر هندسي جمالي لو وقف بالحركة العمرانية عند مرحلة الدور ذات الصحن المكشوف، والمحمية من النظارة الخارجية في طابقها الثاني المكشك بعضه، إلا أن الأمر كان مرحليا إذ استعاض البيت الحلبي عن الكشك بشرفة اتسعت مع الزمن حتى أصبحت عنصرا هندسيا بديلا عن صحن الدار المكشوف، ولم تعد الدور العربية معزولة فشاركت الشارع ضجيجه وتلوثه، وبذلك حُرم الإنسان العربي من النمو النفسي السليم في ظل مفهوم « وليسعك بيتك » (الأكشاك الخشبية في الدور الحلبية / ٧٥ - ٧٨).

قالت المؤلفة ويمدنا ابن الشحنة بقائمة بأسماء الدور العظام في حلب وعددها ستة وعشرون دارا، ومن بينها داره التي أدرجها تحت رقم ١٥ وقال عنها: ودار بحارة التركمان تعرف بأقبغا الهدباني، ويلحق بذلك « دار » المؤلف الفقير محمد قاضي



بيت بطابقين: الأول يفتح على صحن دار مكشوف، والثاني يفتح على الشارع بكشك خشبي مزخرف (حي الفرافرة)

القضاة محب الدين أبى الفضل بن الشحنة وتشتمل على بحرة (وهى الفسقية أو النافورة) وجنينة وسبع قاعات داخل باب كبير.

ومن الطريف أنه يذكر (رقم ١٣) دارًا لجده لأمه / سلمت من التتار ولكن ضربت على يد خاله فيقول: ودار جدى لأمى الأمير شرف الدين بن الملكيسى سلمت من تمرلنك (أى تيمور لنك) «قلت» وأخربها خالى (الدر المنتخب فى تاريخ حلب / ٢٤٢ ـ ٢٤٤).

وقد نشرت مجلة عالم البناء فى العدد (١٥٣) الصادر فى إبريل ١٩٩٤م / ١٤١٤ هـ خبرا جاء فيه ما يلى: بدأت فى حلب النتائج العملية للتعاون السورى الألمانى ضمن المشروع الإنمائى والسياحى العام «مشروع إحياء حلب القديمة تراثيا وعمرانيا وسكنيا. وقد اتفق الفريقان على تأسيس صندوق مالى لتمويل أعمال الترميم والإصلاح للمبانى السكنية الأثرية القديمة، ويستفيد أيضا من هذا المشروع مالكو المنازل العربية القديمة الذين يرغبون فى ترميم منازلهم وإعادتها إلى نموذجها المعمارى والفنى القديم بغرض إحياء مدينة حلب القديمة ـ هـ (عالم البناء / ٧).

انظر مادة «البيوت الإسلامية» فى م ٨ / ٢٧١ ـ ٢٨٥.

أما عن مخطوطات حلب فيقول الأستاذ سامى الكيالى:

قد يطول الحديث عن المكتبات القديمة فى حلب ـ عن الخزائن المنتشرة فى أروقة الجوامع والمدارس الدينية، إنها كثيرة تضم مئات الكتب المخطوطة بل الآلاف، ولا أبالغ حين أقول إنها تزيد على عشرين أو ثلاثين ألف مخطوط تناثر قسم منها هنا وهناك



جانب من صحن الدار مع منظر الإيوان والبركة (دار الطرقجى ـ القرافة)

وهنالك امتدت إليها أيدى العابثين فانتقلت من مقرها إلى شتى مكتبات العالم، ولم يبق من هذا العدد الوفير غير خمسة أو ستة آلاف مخطوط قامت «دار الكتب الوطنية» بجمع ما تفرق منها فى المدارس والجوامع، وكتابة فهارسها، ثم سلمتها إلى مكتبة الأوقاف الإسلامية.

وعناية حلب بدور الكتب جد قديمة..

فمنذ عهد سيف الدولة أو قبله إلى يومنا هذا، وهذه العناية لم تنقطع، توارثها الأبناء على الأجداد، حتى كان البعض يعتبرها حلية من حلى البيوت والقصور، وكان يفاخر الرجل إذا وقف طائفة من الكتب على مدرسة ما ليفيد منها طلاب العلم، فيعتبرها من أمتع وأثمن هداياه.

يقول الحافظ الذهبى فى تاريخه:

«إنه كان فى خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره».

وكرت الأيام وتعاقبت العصور، وخزائن الجوامع والمدارس وبيوت العلماء تزداد أو تنقص حين تنقض عليها الآيدى العابثة، إذ لم تكن المكتبات تخضع فى الماضى لهذه الأنظمة التى نعرفها اليوم.

كانت مفتحة الأبواب يغرف منها الطالب ما يريد، والمفروض أن يعيد الكتاب بعد أن يفرغ من مطالعته والإفادة منه إلى مكانه، كما توجبه الأمانة العلمية، ولكنه يهمل ذلك، أو يعيره لصديق له كأنه ملكه، أو ـ وهذا الأرجح ـ يضن أن يخرج من حوزته فيضمه إلى مكتبته، ولا يتورع بعض هواة الكتب أن يستبيحوا ما طاب لهم من ثمرات تلك المكتبات الزاخرة بفنون المعرفة بدعوى أنهم أحق بها من غيرهم!

ففى تاريخ ابن خلكان، فى ترجمة أبى السعادات المعروف بالمسعودى:

أنه لما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبى إلى حلب سنة ٥٧٩ هـ نزل المسعودى إلى جامع حلب، وقعد فى خزانة كتبها الموقوفة، واختار منها جملة أخذها، لم يمنعه منها مانع.

ولقد رأيته ـ والكلام هنا لأبى بركات الهاشمى ـ قال: لقد رأيته وهو يحشوها فى عدل (وفيات الأعيان ١ / ٥٢٠ ـ ١٠ المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ).

ويعقب المؤرخون على هذه الحادثة بأن السلطان صلاح الدين مؤاخذ لعدم ردعه المسعودى عن أخذه هذه الكتب!

وبعد المسعودى جاء كثيرون إلى حلب، ولا سيما المستشرقون الذين ابتاعوا من المتولين الكثير من النفائس التى نقلت بالسر أو بالعلن، إلى شتى مكتبات الغرب..

لقد عرفت حلب بين المدن الإسلامية الكبرى بوفرة مكتباتها المليئة بنفائس المخطوطات، وسببه حرص الأجداد على اقتناء ذخائر الكتب حرصا يدعو إلى العجب ...

ويروى الشيخ كامل الغزى مؤلف كتاب « نهر الذهب فى تاريخ حلب » عدة قصص عن ولع الحلبيين بالكتب، وعن اللصوص الذين امتدت أيديهم إلى هذه الذخائر فيقول:

« إن ولع الحلبيين باقتناء الكتب كان ولم يزل غريزة فيهم، فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة حتى إنهم كانوا يتسابقون إلى اقتنائها ويبذلون الأموال الطائلة فى استنساخها.

« أدركنا منهم من استكتب كتاب « تاج العروس » للزبيدى شرح قاموس الفيروزابادى فصرف عليه نحوا من مائتى ذهب عثمانى، إلى غير ذلك من الكتب الكبيرة التى كان أغنياء الحلبيين يتسابقون إلى اقتنائها ».

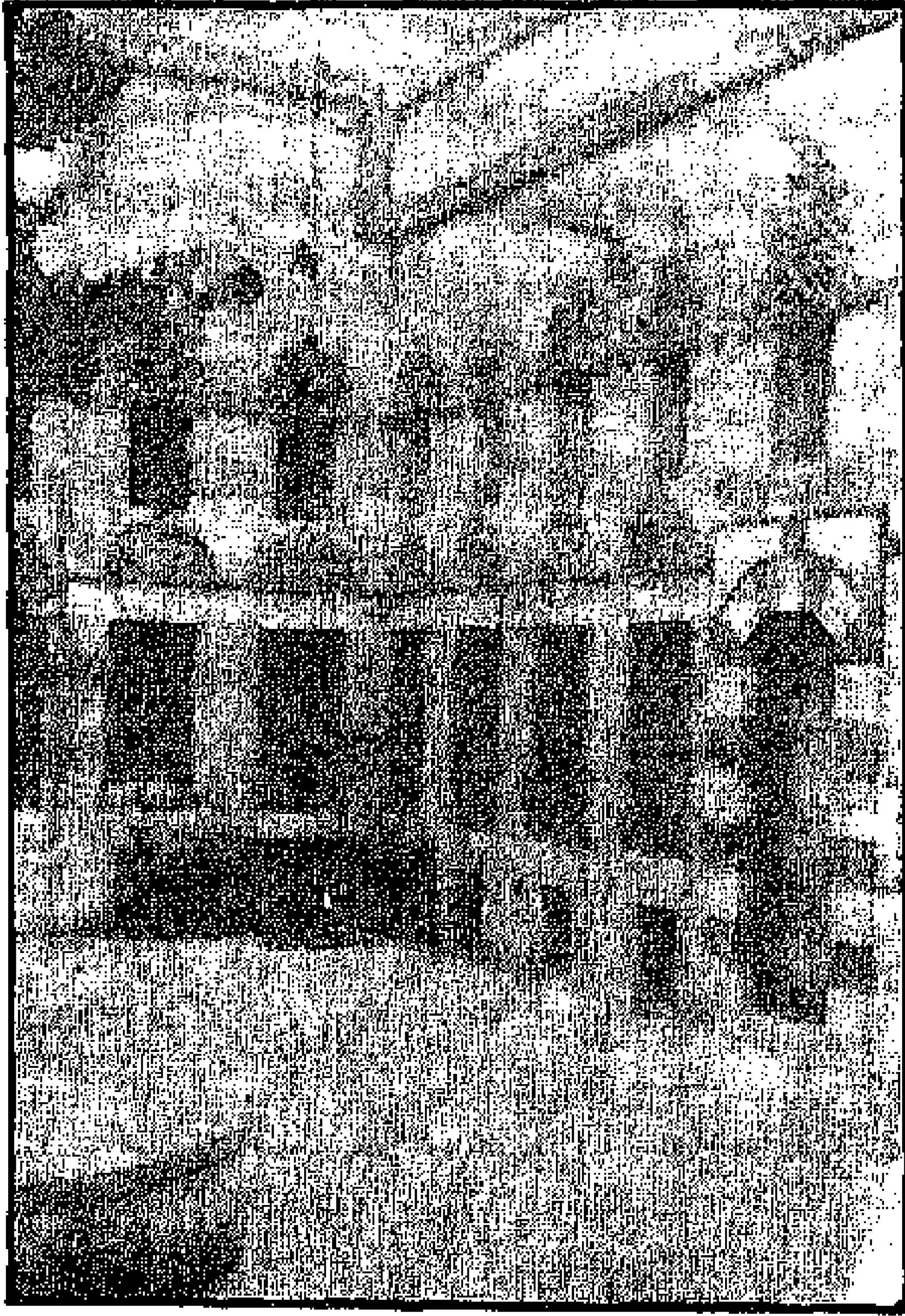
ثم يقول:

« أدركنا فى مدينة حلب عدة مكتبات غنية بالكتب المخطوطة النادرة، قد تسلط عليها لصوص الكتب فسلبوها كل ماحوته من الطرف والتحف، إلى حلب ويملأون من مكتباتها الصناديق الكثيرة، عدا ما نراه من سواح الغرب وسماسرة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفيسة الخطية من أيدى طائفة من البسطاء، لا يفرقون بين الطين والعجين، فيشترونها منهم بأبخس الأثمان.

« وإنى على يقين من أن مدينة حلب ما زال يوجد فيها العدد العظيم من الكتب الخطية النادرة، التى إذا بحثت عنها وجدتها فى زوايا الإهمال والنسيان فى بيوت جماعة من جهلة العامة، قد هبطوا من أصلاب رجال كانوا يعدون من نبغاء العلم والأدب، فخلف من بعدهم خلف أهملوا العلم وركبوا متن الجهل وباعوا ما كان فى خزائن أسلافهم من الكتب والأسفار، وبقى عندهم منهم بقية عدوها من سقط المتاع، حتى إذا لفتتهم إليها الصدف حملها واحد من أطفالهم أو واحدة من عجائزهم وقصد بها باعة الكتب، أو السوق العامة المعروف بسوق الجمعة، حيث تباع السلع الرخيصة، فيبيعون منها ما قيمته ألف قرش مثلا بنصف قرش.

ثم يتحدث عن المكتبات التى فقدت فيقول:

« . . أما المكتبات المفقودة فى حلب، وكانت على جانب عظيم من الغنى فهى مكتبة بنى الشحنة، ومكتبة بنى العديم، ومكتبة بنى الخشاب، وغيرهم من الأسر العلمية التى كانت تعد من أجل بيوتات العلم فى حلب، ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير، ومكتبات المدارس الكبرى كالمدرسة السلطانية والعصرونية والحلوية والشرقية والرواجنة، فإن جميع هذه المكتبات فقدت برمتها فى حادثة تيمورلنك، فمنها ما استأثر به تيمورلنك وابتاعه، ومنها ما انتهبته العامة أثناء تلك الحادثة وطرحوه فى زوايا بيوتهم، ثم باعوه بأبخس الأثمان » (نهر الذهب فى تاريخ حلب ١ / ١٦٩ - ١٧١).



- بيت إجقباش فى حلب - حاليا متحف التقاليد الشعبية

إن مخطوطات حلب لا يمكن إحصاء عددها الوفير، فمنذ عهد الأمير الحمدانى الذى قُدِّرت مكتبته التى وقفها بعشرة آلاف مخطوط، إلى كتب جهابذة اللغة والأدب والشعر وأساطين العلماء والفلاسفة وغيرهم من رجال الفكر الذين عاشوا فى ظلاله، إلى المخطوطات التى عدا عليها تيمورلنك، إلى مكتبة الوزير جمال الدين القفطى التى قدرت بخمسين ألف دينار، إلى مكتبات ابن الشحنة وابن العديم وابن الخشاب وغيرهم من أصحاب المواهب الذين دونوا وألفوا وكانت لهم مكتباتهم الخاصة والذين عاشوا فى مملكة حلب على مر العصور، إلى المخطوطات التى امتدت إليها الأيدى العابثة من المستشرقين ومن غير المستشرقين ـ نعم، لا يمكن إحصاء عددها الوفير، ولا علينا أن نفترض ـ ولا مجال للمبالغة، أن عددها قد جاوز المائة ألف مخطوط، لم يبق منها غير بضعة آلاف، ذهب أنفسها وأندرها إلى مكتبات لندن وليدن وباريس وبرلين وغيرها من مدن الشرق والغرب (« مخطوطات حلب » (٢١١ - ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣).

وفيما يلى بيان بخزائن المخطوطات فى حلب:

الخزائن العامة:

١ - خزانة الجامع الأموى الكبير: وهذه أقدم خزائن حلب. وهذه التى عناها الذهبى فى تاريخه وقد ضمت لمكتبة الأوقاف.

٢ - خزانة المدرسة الخسروية: (تحت القلعة).

وهذه المكتبة الآن تحت رعاية الأوقاف الإسلامية. والذى أنشأها الوزير خسرو باشا ٩٤١ هـ.

٣ ـ خزانة جامع الكواكبي ومؤسسته : (في مجلة الجلوم) . وهذه أيضا تحت رعاية الأوقاف الاسلامية فى المدرسة الشرقية .

٤ ـ خزانة التربة الوفائية : (محلة الشيخ أبي بكر الوفائي) .

٥ ـ خزانة الزاوية الوفائية : (فى محلة باب النصر) وهاتين تحت رعاية الأوقاف .

٦ ـ خزانة التكية الإخلاصية النجشية (في محلة البياضة) .

٧ ـ خزانة المدرسة الشعبانية : (في محلة الفرافرة) .

٨ ـ خزانة التكية المولوية . وقد ضمت إلى الأوقاف الإسلامية .

٩ ـ خزانة المدرسة العثمانية : الرضائية (فى محلة الفرافرة ـ باب النصر) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف .

١٠ ـ خزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ـ البهراقية) . وهى الآن تحت رعاية الأوقاف . .

١١ ـ خزانة المدرسة المنصورية (فى محلة الفرافرة) . نقلت الى المكتبة العامة لدائرة الأوقاف .

١٢ ـ خزانة الزاوية الهلالية : (فى محلة الجلوم) .

١٣ ـ دا ر كتب الأوقاف الإسلامية ، (السويقة) .

أسست دائرة الأوقاف الاسلامية هذه الدار فى سنة ١٣٤٥ هـ واتخذت لها مقرا « المدرسة الشرقية » .

١٤ ـ خزانة البابي الحلبى .

١٥ ـ خزانة الكتخدا : وبنو الكتخدا يسميهم الحلبيون اليوم بنو الكيخيا .

١٦ ـ خزانة الشيخ الصديق : وهو أحمد بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد الصديق .

١٧ ـ خزانة محمد أسعد الجابرى . وقد نقل ما بقى منها إلى خزانة الأوقاف .

١٨ ـ خزانة السياق الجزار . وقد نقلت إلى خزانة الأوقاف .

١٩ ـ خزانة عبد الله المراشى . وما تزال عند ورثته .

٢٠ ـ خزانة رزق الله حسون .

٢١ ـ خزانة حسنى باقى . والخزانة لدى أحفاده .

٢٢ ـ خزانة الشيخ محمد العقيلي العمرى .

٢٣ ـ خزانة الشيخ أحمد الزرقا .

٢٤ ـ خزانة أسعد العنتابى : وقد انتقلت إلى ورثته .

٢٥ ـ خزانة الطباخ . وهو هاشم بن أحمد بن محمد الطباخ الحلبي (ـ ١٢٨٢) .

٢٦ ـ خزانة الحجار . وهو أحمد بن قاسم شنون الحجار الحلبي (ـ ١٢٧٨) .

٢٧ ـ خزانة آل طلس ـ وقد نقلت إلى دار الدكتور محمد ، أسعد طلس فى حياته . وقد احتوت على عدد ضخم من المخطوطات والمطبوعات العربية والتركية . وقد ذكرنا المخطوطات العربية فى هذه الخزانة . (المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب / ٥ ـ ٧) .

ولما كانت مكانة حلب على ما ذكرنا فليس عجيبا أن ينهض العلماء ليؤرخوا عنها ، ويضمنوا صحائفهم وأسفارهم منذ القدم ، وحتى اليوم والغد ، أسماء علمائها وشعرائها وأعيانها ، الذين نشأوا فيها أو تربّوا ، قصدوها أو حلوا ، أو مروا بها مر الكرام وفى مقدمة تحقيقه لكتاب معادن الذهب فى الأعيان المشرفة بهم حلب لأبى الوفاء العرضى . يحصى الدكتور محمد التونجى أسماء عدد من الكتب التى ألفت عن حلب نكتفى بذكر بعضها مثل تاريخ الأثاربى (ت نحو ٥٢٠) وتاريخ العظيمى (٤٨٣ ـ ٥٥٦) الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم (ت ٦٦٠) وحضرة و النديم من تاريخ ابن العديم ، وإنعاش الروح بمآثر نصوح لإبراهيم بن الملا الحلبى (ت بعيد ١٠٣٠) وتاريخ حلب لعبد الله بن حسن أغا ميرو (ت ١١٨٤) ، وإعلاء النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ت ١٣٧٠) (معادن الذهب / ٧ ـ ١٢) قالت المؤلفة : يوجد مخطوط « بغية الطلب فى تاريخ حلب » لابن العديم فى معهد المخطوطات العر بية وقد ورد فى الفهرس تحت عنوان « تاريخ حلب » وجاء بيانه كما يلى :

جزء منه ، أوله ترجمة : زهدم بن الحارث ، كان بدابق حين ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ...) .

وآخره آخر ترجمة سعيد بن سلام المغربى الصوفى .

نسخة كتبت بخط نسخى ، سنة ٨١٤ هـ فى ١٩٨ ورقة ، ومسطرتها ٢٤ سطرا .

[مكتبة الأوقاف العامة بالموصل $\frac{٨}{٩}$] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة ، التاريخ جـ ، ق ٤ / ٦٥ ، ٦٦)

ومن الكتب المؤلفة فى تاريخ حلب أيضا كتاب « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » لابن الشحنة ـ تقديم عبد الله محمد الدرويش سلسلة تواريخ المدن السورية (١) ، دار الكتاب العربى ـ سورية ، وعالم التراث ـ دمشق ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م ، وكتاب « أحياء حلب وأسواقها » لخير الدين الأسدى ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جى . دار قتيبة . دمشق ١٩٩٠ ، وكلاهما عندى .

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٨ ، من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان . السفر الثالث ، القسم الأول ٣٤٤ المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٣٧ ، ١٦١ ، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ١٣٦ ، ورحلة ابن جبير /

١٩٣ ــ ١٩٥ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٨٢ ــ ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٥٦ ـ ٦١ ، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدى ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جى / ٩٤ ـ ١٠٥ د والدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ــ تقديم عبد الله محمد الدرويش / ٣٩ ـ ٤٧ ، و «حلب الآثار الإسلامية فى حلب » ـ عفيف بهنسى المدينة الإسلامية . أشرف على النشر ، . ب . سرجنت ، ترجمة أحمد محمد تعلب . اليونسكو ـ السيكومور / فجر ١٩٨٣ / ١٨٥ ـ ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، والأعلاق الخطيرة لابن شداء ــ حققه يحيى زكريا عبّارة جـ ا ق ١/ ٤١٨ ـ ٤٢٢ ، والعواصم إلعربية ـ أندرية ريمون ، تعريب قاسم طوير / ٩٢ ، ٩٣ و « الأكشاك الخشبية فى الدور الحلبية » ـ د. محمد وليد كامل ـ مجلة الفيصل ، العدد (٢١٠) ذو الحجة ١٤١٤ هـ ـ مايو ـ يونيو ١٩٩٤ م/ ٧٥ ــ ٧٨ ، ومجلة عالم البناء . العدد (١٥٣) إبريل ١٩٩٤ م ــ ١٤١٤ هـ / ٧ ، و « مخطوطات حلب » ــ سامى الكيالى ، مجلة معهد المخطوطات العربية جـ٢ م ١٣ ، شعبان ١٣٨٧ هـ ــ نوفمبر ١٩٦٧ / ٢١١ ــ ٢١٦ ، ٢٢٣ ، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤٠ / ٥ ـ ٧ ، وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ . جـ٢ ق ٤ . القاهرة . ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ / ٦٥ ، ٦٦) .

*** حلب (قلعة) (القرن ١٢ هـ / ١٦ م):**

قلعة حلب ، وصفها ابن جبير فى رحلته فقال عنها :

إن من شرف هذه القلعة أنه يذكر أنها كانت قديما فى الزمان الأول ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب والله أعلم وبها مشهد كريم له يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه ومن كمال خلالها المشترطة فى حصانة القلاع أن الماء بها نابع وقد صنع عليه جبانة فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ أبد الدهر والطعام يصير فيها الدهر كله وليس فى شروط الحصانة أهم ولا آكد من هاتين الخلتين ويطيف بهذين الجنبين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذى ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة فى الحصانة والحسن أعظم من أن تنتهى إلى وصفه وسورها الأعلى كله أبراج منتظمة فيها العلالى المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانًا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية (رحلة ابن جبير / ١٩٤) .

وقال عنها ياقوت :

وأما قلعتها فبها يضرب المثل فى الحسن والحصانة لأن مدينة حلب فى وطإ من الأرض وفى وسط ذلك الوطإ جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره ، والقلعة مبنية فى رأسه ، ولها خندق عظيم وصل بحفره إلى الماء ، وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل إلى الماء المعين ، وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة ، وكان الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب قد اعتنى بها بهمته العالية فعمرها بعمارة عادية وحفر خندقها وبنى رصيفها بالحجارة المهندمة فجاءت عجبًا للناظرين إليها ، لكن المنية حالت بينه وبين تتمتها (معجم البلدان ٢ / ٢٨٥) .

وتقوم قلعة حلب على هضبة صخرية وجدت فيها آثار بيزنطية ، ومعظم أبنيتها الحالية تعود إلى زمن الملك الظاهر غازى الذى جدد حصونها وبنى منحدراتها من أسفل الخندق إلى الأسوار ليتعذر التسلق إليها . وقد رممت أسوارها مرارا (تاريخ الفن / ١٠٥). فقد ظلت قلعة حلب وسورها الشهير على ما كانت عليه قبل الإسلام إذ لم يقُم خلفاء بنى أمية خلفاء العباسيين إلا بتجديد وترميم ما تصدع من أبراجها ولعل أول عمل يعتد به فى العصر الإسلامى هو التجديد الذى حدث فى عهد سيف الدولة الحمدانى (سنة ٣٥٣ هـ / سنة ٩٦٤ م) بعد أن خربها نقفور امبراطور الدولة البيزنطية ، فقد جدد ورمم ما لحق بسورها وأبراجها . وما يزال البرج الذى يقع إلى جانب باب قنسرين من جهة الغرب يحمل اسمه كما يحمل تاريخ التجديد . كذلك بنى بنو مرداس ، لما ملكوا حلب ، عدة أبراج بالسور وذلك (سنة ٤٢٠ هـ / سنة ١٠٢٩ م) .

وقد سجلت لنا أبراج قلعة وأسوار مدينة حلب كل من قام بتجديد أو ترميم فيها ، فقد سجل اسم نور الدين محمود بن زنكى ، واسم الملك الظاهر غياث الدين غازى كما سجل اسم حفيده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازى ، الذى قام بأكبر عمارة فى سور وأبراج مدينة حلب ، وذلك سنة ٦٤٢ هـ / سنة ١٢٦٢ . فقد جدد الأبراج وزاد فى مساحتها على غرار عمله العادل فى سور مدينة دمشق وكان عدد أبراج السور نيف وعشرين برجا وارتفاع كل منها أربعون ذراعا! وعرضه ما بين الأربعين ذراعا وطوله ما بين الأربعين والخمسين ذراعا . أما طول الأسوار فيبلغ ستة آلاف وستمائة وخمسة وعشرون ذراعا ، أما سور القلعة فيبلغ ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون ذراعا وعدد أبراجها تسعة وأربعون برجا (ابن العديم : بغية الطالب ورقة ١٣٨) .

ولم تسلم قلعة حلب من التتر فقد عمدوا إلى تخريبها وحريق أبراجها وما كان بها من الذخائر والزرد خان والمجانيق فلما هزم الملك المظفر التتر فى عين جالوت هرب من كان منهم بحلب ثم عادوا إليها مرة ثانية بعد قتل الملك المظفر ، فأحرقوا برجا كان قد أقيم بأمر الملك المظفر قطز ليكون حماما ، ثم خربوا ما بقى من القلعة وظلت على خرابها حتى نهاية القرن السابع للهجرة (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٦٣ ، ١٦٤) .

ويعد مدخل القلعة القائم إلى اليوم من أجمل التحصينات

العسكرية الباقية من القرون الوسطى، ويتألف من برج ضخم فيه الباب الخارجي الذي ينفذ منه إلى درج معلق فوق الخندق على عدد من الركائز والأقواس حتى يصل إلى باب القلعة الرئيسي، وهو ذو واجهة جميلة البناء والتزيين، وتقوم من فوقه قاعة العرش. وفي داخل القلعة مسجدان يرجع الكبير منهما إلى سنة ١٢١٣ م (تاريخ الفن / ١٠٥، ١٠٦).

وإليك ما كتبه عنها ابن شداد صاحب الأعلاق الخطيرة. قال رحمه الله:

اعلم أن القلعة التي كانت بحلب قد قيل: إن أول من بناه ميخائيل. وقيل: « سَلقوس الذي بنى مدينة حلب ». وهي على جبل مشرف على المدينة، وعليها سور. وكان عليها قديما بابان، أحدهما دون الآخر، من حديد. وفي وسطها بئر قد حفر ينزل فيه بمائة وخمس وعشرين مرقاة، قد هندمت تحت الأرض، وجرفت جروفا وصيرت آزاجا ينفذ بعضها إلى بعض إلى ذلك الماء.

وكان فيها دير للنصارى. وكانت به امرأة قد سدت عليها الباب منذ سبع عشرة سنة.

ثم ينحدر السور من جانبي هذه القلعة إلى المدينة. وقيل: لما ملك كسرى حلب و بنى سورها بنى في القلعة مواضع ولما فتح أبو عبيدة مدينة حلب كانت قلعتها مرممة الأسوار، بسبب زلزلة كانت أصابتها، قبل الفتوح، فأخربت أسوار البلد، وقلعتها ولم يكن ترميما محكما فنقض بعض ذلك و بناه.

وكذلك لبني أمية ولبني العباس فيها آثار.

ولما استولى نقفور ملك الروم، على حلب في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة امتنعت القلعة وكان جماعة من العلويين والهاشميين، قد اعتصموا بها منه فحمتهم ولم يكن لها حينئذ سور عامر، لأنها كانت قد تهدمت، فكانوا يتقون سهام العدو بالأكف والبراذع.

وزحف نقفور عليها فألقى على ابن أخته حجر فمات. فلما رأى نقفور ذلك طلب الصلح فصالحه من كان فيها.

ومن حينئذ اهتم الملوك بعمارة القلعة وتحصينها.

فبنى سيف الدولة منها مواضع لما بنى سور حلب.

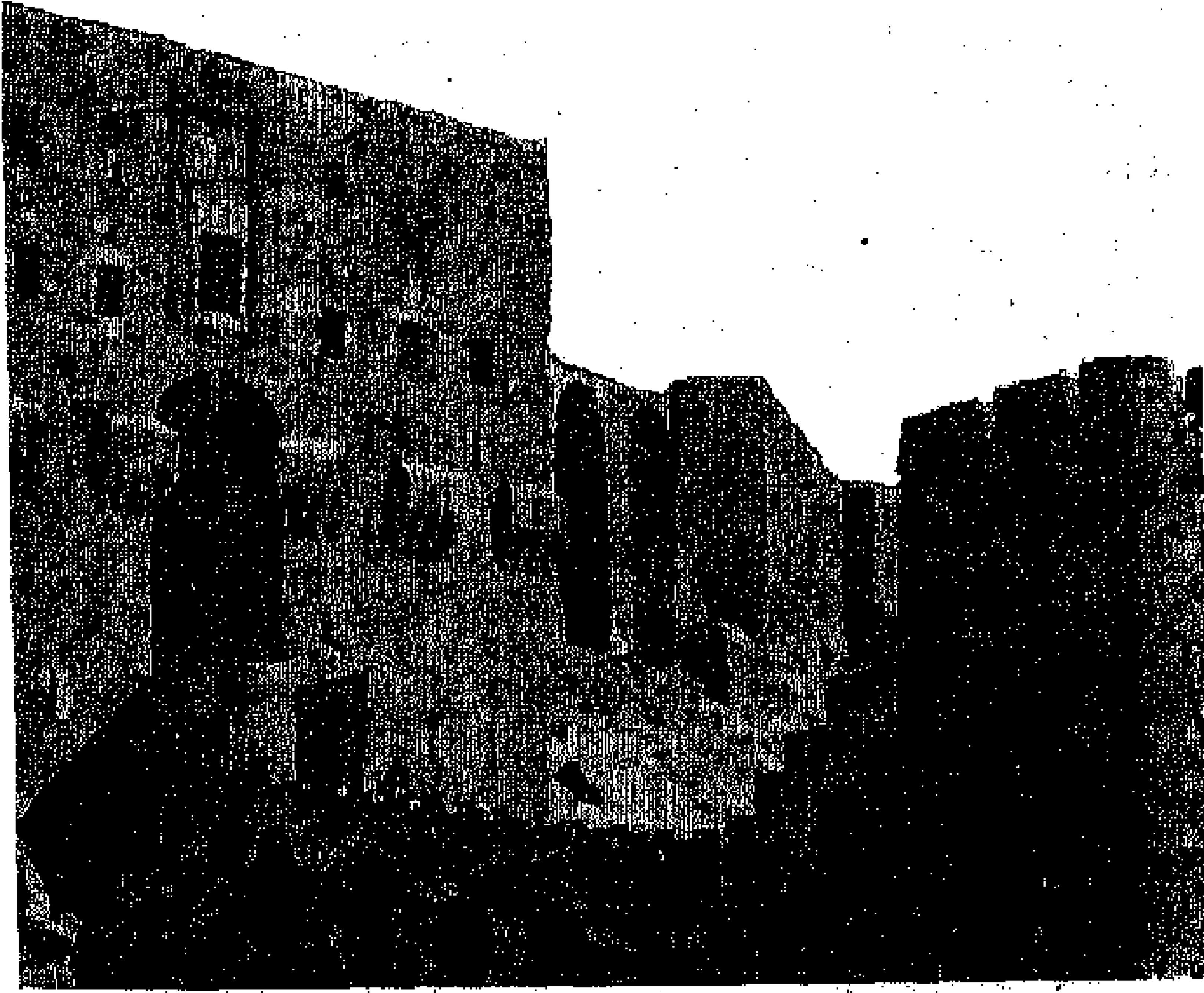
ولما ولي ابنه سعد الدولة بني شيئا آخر وسكنها وذلك لما أتم ما بناه والده سيف الدولة من الأسوار وكذلك بنى بها بنو مرداس دورا، وجددوا أسوارها.

وكذلك من بعدهم من الملوك إلى أن وليها قسيم الدولة آق سنقر، وولده عماد الدين زنكي فحصناها، وأثرا بها آثارا حسنة. وبنى فيها طغدكين برجا من قبليها، ومخزنا للذخائر، عليه اسمه مكتوب وبنى فيها نور الدين بن عماد الدين زنكي أبنية كثيرة، وعمل ميدانا وخضرة بالحشيش، وسمي: « الميدان الأخضر » وكذلك بنى بها ولده الملك الصالح باشورة كانت قديمة، فجددها وكتب عليها اسمه... الباشورة بناء ذو منعطفات أمام كل باب أو خلفه، يقصد به تعويض هجوم العساكر على الباب وقت الحصار، وتعويض دخول الخيل إلى المدينة في مجموعة كبيرة دفعة واحدة. وجاء في « معجم دوزي Dozy : « الباشورة - والجمع بواشير - وهو الحائط الظاهري من الحصن يختفي وراءه الجند عند القتال.

ولم تزل في زيادة عمارة إلى أن ملكها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأعطاها لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر، فبنى بها برجا ودارا لولده فلك الدين وتعرف الآن به.

ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعا كبيرا للماء ومخازن للغلات، وهدم الباشورة التي كانت بها. وسفح تل القلعة وبناه بالحجر الهرقلي وأعلى بابها إلى مكانه الآن. وكان الباب أولا قريبا من أرض البلد، متصلا بالباشورة، فوقع في سنة ستمائة، وقتل تحته خلق كثير، ومن جمله من مات تحته الأستاذ ثابت بن شقويق الذي بنى الحائط القبلي بجامع حلب الذي فيه محراب الصحن.

وعمل الملك الظاهر لهذا الباب جسرا ممتدا منه إلى البلد وبنى على الباب برجين لم ين مثلهما قط وعمل للقلعة خمس دركاوات بآزاج معقودة، وحنايا منضودة، وجعل لها ثلاثة أبواب حديد، ولكل باب منها إسباسلار، ونقيب، وبنى فيها أماكن يجلس بها الجند وأرباب الدولة، وكان معلقا بها آلات الحرب.



قلعة حلب

وفتح في سور القلعة بابا يسمى : « باب الجبل » شرقي باب القلعة . وعُمل له دركاه لا يفتح إلا له إذا نزل « دار العدل » . وهذا الباب وما قبله انتهت العمارة فيهما في سنة إحدى عشرة وستمائة .

وفي سنة عشر وستمائة في الرابع والعشرين من رمضان مهدت أرض الخندق الملاصق للقلعة فوجد فيها تسع عشرة لبنة ذهبا إبريزا وكان وزنها سبعة وتسعين رطلا بالحلبي ، والرطل سبعمائه وعشرون درهما .

وبنى فيها ساتورة للماء محكمة بدرج إلى العين يمير بمائها سائر منازلها .

وبنى ممشى من شمالي القلعة إلى « باب أربعين » ، وهو طريق بآزاج معقودة لا تسلك إلا في الضرورة ، وكان بابه باب سر .

وزاد في حفر خندق القلعة ، وأجرى فيه الماء الكثير .

وأخرق في شفير الخندق ، مما يلي البلد مغائر أعدها لسكنى الأسارى يكون في كل مغارة مقدار خمسين بيتا وأكثر .

وبنى فيها دارا تعرف « بدار العز » ، وكان في موضعها دار للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي تسمى : « دار الذهب » ودار تعرف « بدار العواميد » و « دار الملك رضوان » فحازت كل معنى غريب وفن عجيب ...

وبنى حولها بيوتا وحجرا وحمامات ، وبستانا كبيرا في صدر إيوانها ، فيه أنواع الأزهار ، وأصناف الأشجار ، وبنى على بابها أزجا يسلك فيه إلى الدركاوات والتي قدمنا ذكرها ، وبنى على بابها أماكن لكتاب الدرج (من موظفي ديوان الإنشاء) وكتاب الجيش .

ولما تزوج في سنة تسع وستمائة بضيفة خاتون ابنة عمه الملك العادل التي حكمت في حلب بعد وفاته وأسكنها بها ، وقعت نار عقيب العرس فاحترقت وجميع ما كان فيها من الفرش والمصاغ والآلات والأواني ، واحترقت معها الزردخاناه (كلمة فارسية معناها « دار السلاح ») وكان الحريق في خامس عشر جمادى الأولى من سنة تسع .

ثم جدد عمارتها وسماها دار الشخوص لكثرة ما كان منها في زخرفتها - سعتها أربعون ذراعا في مثلها . -

وفي أيام الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي وقعت من القلعة عشرة أبراج مع أبدانها ، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ووافق ذلك زمن البرد . وكان تقدير ما وقع خمسمائة ذراع وهو المكان المجاور لدار العدل . ووقع بعض الجسر الذي بناه الملك الظاهر . فاهتم الأتابك شهاب الدين طغريل بعمارتها ، فجمع الصناع واستشارهم ، فأشاروا عليه أن يبنى من أسفل الخندق على الجبل ويصعد بالبناء فإنها متى لم تبن على ما وصفنا وقع ما يبنى عاجلا ، وطرأ فيه ما طرأ الآن وإن قصدها عدو لم يمتعه فرأى الأتابك أن ذلك يحتاج إلى مال كثير ومدة طويلة ، فعدل عن هذا الرأي ، وقطع أشجار الزيتون والتوت ، وترك الأساس على التراب وبنى . ولهذا لما نزلتها التتر لم يتمكنوا من أخذها إلا من هذا المكان ، لتمكن النقابين منه .

وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة بنى فيها الملك العزيز دارا إلى جانب الزردخاناه يستغرق وصفها الإطناب ، ويقصر عنه الإسهاب . مساحتها ثلاثون ذراعا في مثلها .

ولما تسلم التتر القلعة في تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة عمدوا إلى خراب سورها ، وأحرقوا ما كان بها من الذخائر والزردخاناه والمجانيق .

ولما هزم الملك المظفر التتر في عين جالوت وهرب من كان منهم في حلب ، ثم عادوا إليها مرة ثانية ، بعد قتل الملك المظفر ، فرأوا في القلعة برجا قد بنى للحمام بأمر الملك المظفر قطز فأنكروا عليهم بناءه وأخربوا القلعة خرابا شنيعا وما فيها من الدور و الخزائن ، ولم يبقوا منها مكانا للسكنى ، وذلك في المحرم سنة تسع وخمسين ، وبقى الآن سور القلعة القديمة الذى يقال فيه : قفل على خربة (الأعلاق الخطيرة جـ١ ق ١ / ٧٩ - ٩٠) .

لقد حصنها الملك غازى بن صلاح الدين - كما سبق القول - ثم خربها المغول تخريبا شنيعا وأحرقوا مقام إبراهيم « عليه السلام » فيها ، كما خربها تيمورلنك ، واستمرت خرابا إلى أن جاء الأمير سيف الدين جكم فأمر ببنائها وفي سبيل ذلك هدم جكم قنطرتين هما : باب القوس البراني وباب القوس الجواني . وكان ينحصر بينهما سوق الخيل ، وبنى بحجارتهما البرجين على باب القلعة الفوقاني وبنى قصرا على سطح البرجين .

وكان في القلعة جرس كبير معلق على أحد أبراجها الغربية ، يدق ثلاث مرات في الليل ، فرض تعليقه الصليبيون على الملك رضوان بن تاج الدولة تتش حين احتلوا أنطاكية عام ٤٩١ هـ ولم يزل معلقا حين حاصروا حلب عام ٥٨١ هـ ونبشوا القبور ثم أزاله الشيخ الصالح أبو عبد الله بن حسان المغربي عام ٥٨٧ هـ (ترجمته في الأعلاق الخطيرة جـ١ ق ١ / ١٢٧ ، ١٢٨) ويحيط بالقلعة خندق دفاعي عميق كان يغمر بالماء .

ولم تكن القلعة مسكنا لملوك حلب فقصورهم في المدينة ، وبعد أن أحرق نقفور قصر سيف الدولة في وادى قويق في منطقة الفيض على بعد كيلو متر واحد من السور سكن ابنه القلعة . على أن أول من اتخذ القلعة مسكنا دائما هم بنو مرداس ، وصارت سُنة للملوك بعدهم ، ثم ما لبثت القلعة لعدم استقرار الأمن أن غدت حيا ملكيا مغلقا على عامة سكان حلب ، وقد أقام فيها السلاجقة وأحدث ممر تحت الأرض إليها ليتجنب الأمير السلجوقي خناجر الإسماعيليين الذين نشطوا في الاغتيال . وفي مقام إبراهيم عليه

السلام فيها دفن رأس النبى يحيى « عليه السلام » ظهر سنة ٤٣٥ هـ فى حجر منقور ببعلبك فنقل إلى حمص ثم إلى حلب وبعد أن خرب المغول القلعة نقل الرأس إلى الجامع الكبير. وعدد ابن شداد أسماء عشرة مساجد فيها منها مسجد النور ومسجد الخضر ومسجد الخزانة ومسجد الدركاه الكبيرة ومسجد الدركاه الوسطى. وكان فيها فرن ونحو مئة دار وحمامات، حتى كانت زلزلة سنة ١٢٣٧ هـ حيث هدمت أكثر ما فيها من الدور وهجرها سكانها إلى البلدة.

وكان فى القلعة عدة مدافع تطلق فى الأعياد والاحتفالات السلطانية ورمضان ثم أبطلت هذه العادة، وفى عام ١٩٨١ أحيط خندقها بسور جميل.

وتقع القلعة فى قلب مدينة حلب القديمة ويحيط بها حاليا شارع عريض جميل تنفتح عليه أحياء حلب القديمة. وقد تم مؤخرا ترميم قاعة العرش، وبناء مسرح كبير على الطراز الرومانى (أحياء حلب وأسواقها / ٣١٢ـ٣١٦).

قالت المؤلفة: أسعدنا الحظ بزيارة هذا الأثر الجليل يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م. ومجمل الأسماء التى أثبتها فى مفكرتى هى وفقا لترتيب موقعها بدءا من باب القلعة الرئيسى حتى نهاية المطاف هى كما يلى: بعد الباب الرئيسى لوحة رخامية مكتوب عليها: البرج المتقدم، أنشأه قانصوه الغورى عام ١٥٠٧ م، ثم صعود حوالى ٨ درجات لوحة رخامية مكتوب عليها: الجسر الكبير، ثم إلى اليمين باب الحيات، ثم باب الأسدين أسد ضاحك وأسد باك (٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) وبعد عدة درجات نجد ضريح سيدنا الخضر عليه السلام، وهو مغطى بغطاء أخضر ومكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم مصنع السلاح (مطلع القرن ٢٦ م)، ويقابله فى آخر رواق إلى اليسار بئر كبيرة العمق مثل « بئر يوسف » فى قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وفوق فتحتها شبكة حديدية.

ثم نتجه يمينا فنجد القاعة البيزنطية ينزل إليها بدرج، وهى ساحة مغلقة مخيفة، ويلى ذلك حمام القلعة، أنشئ فى عهد نور الدين زنكى القرن ١٢ م وهو مجرد أطلال، وتوجد إلى اليسار فتحة فى الجدار يبدوا أنها كانت مكان تسخين المياه. وبسقف الحمام ثلاث قباب. ثم الجامع الصغير (القرن ١٢ م) وفوق فتحة المدخل توجد هذه الكتابة: « أمر بعمارته الملك الصالح نور الدين أبو الفتح إسماعيل بن محمود برزنجى. آفستقر ناصر أمير المؤمنين بتولى العبد شاه بخت (قالت المؤلفة: من مدارس حلب المدرسة الشاذبختية بالذال المعجمة) سنة خمس وسبعون وخمسمائة. والجامع عبارة عن غرفة بها محراب، وبه أربع فتحات حائطية. وتوجد على مدخل الجامع كتابة هى: : قال عليه السلام: « من بنى لله تعالى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » ١٢٩٠، ثم إلى اليمين لوحة حجرية مكتوب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا المسجد المقام الملك العادل نور الدين الفقير إلى رحمة الله أبو القاسم محمود بن زنكى من أقسنقر غفر الله له ولوالديه وأحسن خاتمته فى سنة ثلاث وستين وخمسون [وخمسين] وعلى يمين الداخل إزار حجرى عليه كتابة لم أستطع قراءة منها سوى بضع كلمات ثم الآية القرآنية ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه ... ﴾ [البقرة: ١٨١].

ويجىء بعد ذلك القصر الملكى وتقول اللوحة الرخامية إن تاريخ تأسيسه هو القرن ١٣ م. والقصر حجارة سود وحجارة بيض وبه ساحة سماوية وتخرج منه يسار إلى ممر ثم إلى درج يقابله جدار مكتوب على لوحة رخامية: بيت خدم القصر، القرن ١٣، وهو أطلال. وباب القصر الملكى تعلوه مقرنصات.

أما قاعة العرش فمدخلها مكشوف ومرصوف بالبلاط، والباب بالحجارة السود والبيض وتعلوه مقرنصات وعند مدخل قاعة العرش توجد بئر، كما توجد بئر أخرى فى نهاية القاعة والدرج الذى يؤدى إلى أسفل وقد سجلت فى موضع آخر أنه توجد عند مدخل قاعة العرش بئر مغطاة بشبكة من الحديد، يقابلها فى الجهة المقابلة فتحة مثلها، وفى وسط باحة القصر بئر أكبر سورها قصير مستدير وسقف القاعة خشب منقوش ملون هذا ما كنت قد دونته فى مفكرتى فى عجالة، والله أعلم بالصواب.

(رحلة ابن جبير. ط عبد الحميد أحمد حنفى / ١٩٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٨٥، ٢٨٦، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين ـ أنور الرفاعى / ١٠٥، ١٠٦، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٦٣، والأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبارة ١ / ٧٩ ـ ٩٠، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدى ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جى / ٣١٢ ـ ٣١٦).

* **حلب (موقعة ـ):**

يقسم الأستاذ المعارك الحربية التى خاضتها حلب ضد أعداء المسلمين إلى ثلاثة معارك: الأولى سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م، والثانية سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م، والثالثة سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م، وإليك بيان كل منهما:

١ ـ حلب: ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م:

استغل البيزنطيون غياب سيف الدول الحمدانى عن عاصمته حلب وأرسلوا جيشا كبيرا يضم نحو ٨٠ ألف فارس عدا المشاة وأدوات القتال والحصار بقيادة (نقفور) لمهاجمة حلب والتعويض عما ألحقه بهم سيف الدولة من هزائم متلاحقة. وقرر أهل حلب الدفاع عن مدينتهم وانتشروا على الأسوار. ولما ألقى البيزنطيون

الحصار على المدينة جرى قتال عنيف تحت الأسوار، وشعر البيزنطيون بصمود أهل المدينة وصعوبة فتحها، فتوجهوا إلى قصر الأمير خارج الأسوار ونهبوا كل ما فيه من سلاح ودواب وأموال ومفروشات ثم أشعلوا النار فيه. ولما عادوا إلى حصار المدينة شددوا عليها الحصار وخربوها بالمجانيق. وكان السكان يسارعون لسد كل ثلمة تحدث فى الأسوار. ويئس البيزنطيون وقرروا العودة لولا فتنة داخلية أشغلت الحرس والمدافعين عن أسوارها فاستغلها البيزنطيون فرصة وداهموا المدينة فانسحب بعض أهلها إلى القلعة التى استعصت عليهم. بينما أباح نقفور المدينة لجنده ستة أيام فسفكوا الدماء وهتكوا الأعراض، وسبوا الأطفال والنساء ونهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم من الأموال والمتاع، وأشعلوا النار فى بعض المناطق، وهدموا الدور والمساجد. ولما فشلوا فى فتح القلعة قتلوا عند مدخلها مئات الأبرياء من أهل المدينة. وأخذوا معهم عددا كبيرا من الأسرى ليفادوا بهم. كما فكوا أسر البيزنطيين الذين أسرهم سيف الدولة. ولم ينسحب نقفور إلا بعد أن أنزل بالمدينة أنواع الوحشية من قتل واعتداء وهدم وحرق وأسر.

٢ - حلب: ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م

عندما تقدم هولاكو فى بلاد الشام حاصر حلب، وأمر ببناء سور حول سورها نصب عليه عشرين منجنيقا وشاركه فى الحصار ملك أرمينيا، وأمير أنطاكية الصليبى. ولما رفض الملك المعظم توران شاه الاستسلام وعروض هولاكو بالأمان، قصف الإيلخانيون حلب سبعة أيام متواصلة. ثم دخلوها من منطقة متداعية من السور واستولوا عليها وأباحها هولاكو لجنوده أسبوعا، اشتد فيها القتل والنهب والحرائق حتى امتلأت الطرق بجثث القتلى. وأسروا النساء والأطفال وصادروا أرباب الحرف. ولما استولوا على القلعة بعد حصار دام شهرا، دمروا جزءا كبيرا منها. ووقع الملك المعظم توران شاه بالأسر فأحسن هولاكو معاملته.

٣ - حلب: ٨٠٣ هـ/ تشرين الأول ١٤٠٠م

عندما سمع فرج سلطان المماليك بحشد جيوش تيمورلنك على حدود الشام عين « سودون » حاكما لدمشق وكلفه بقيادة الحملة المكلفة بالدفاع عن بلاد الشام عند حلب. وكان السبب المباشر لمهاجمة هذه المدينة مقتل رسول (تيمورلنك) على يد حاكمها (تيموتاش). وكانت خطة المماليك التصدى للعدو خارج المدينة. ونصبوا المنجنيقات والمكاحل على الأسوار. وكانت قوات تيمور تقدر بمليون مقاتل تتقدمهم الفيلة. ونجح المماليك فى المناوشات الأولى من الظفر بأربعة آلاف أسير من الأعداء أعدموهم فى حلب وتكبد الأعداء خسائر كبيرة بالأرواح. ومع أن المماليك صمدوا أمام عدوهم واستبسلوا فى القتال إلا أن الأعداد الكبيرة فى صفوف جيش تيمور واستخدامهم الفيلة ألحق الهزيمة بجيش المماليك الذين تفرقوا فى كل اتجاه. واشتد الزحام على أبواب مدينة حلب. ومات الكثيرون تحت الأقدام. وبذلك انهارت المقاومة خلال ساعة من القتال واحتل جيش تيمور حلب. واشتد التنكيل بالسكان الذين ذاقوا أنواع العذاب عدا الدمار الذى لحق بالمدينة مدة ثلاثة أيام حتى استسلمت القلعة. ونكل تيمور بحماتها ونهبوا كنوزها وخيراتها. وقال تيمور عندما اطلع على ما أخذ من القلعة: ما كنت أظن أن فى الدنيا قلعة فيها هذه الذخائر. وانسحب تيمور من المدينة ليقيم فى ظاهرها بعض الوقت. ولكن موجة القتل والتعذيب وقطع الرؤوس بقيت مستمرة فى حلب. وأقيمت أبراج من الجماجم لتدل على عظمة تيمور. وما لبثت أخبار معاملة سكان حلب وما حل بها أن وصلت إلى المدن الأخرى فانتشر الخوف فى كل مكان.

(معجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ١٢٧ - ١٢٩)

* **الحُلْبَة:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب.

الحلبة: بالضم نبت له حب أصفر يتعالج به وينبت فيؤكل. قاله أبو حنيفة [الدينورى] والجمع حلب، وهو طعام أهل اليمن عامة. وفى حديث خالد بن معدان « لو يعلم الناس ما فى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبا » (معجم أسماء النباتات / ٤٤).

قال ابن النفيس: حارة فى الثانية يابسة فى الأولى، تحلل الأورام القليلة الحرارة، وتهيج الأورام الكثيرة الحرارة ومطبوخها بالعسل يخرج ما فى الصدر من الأخلاط الغليظة ... وينفع الطرفة، ويجلو الحزاز (وهو ألم الطعام يحمض فى المعدة) والنخالة، وينفع أوجاع الرحم وصلابتها وانضمامها (الموجز فى الطب / ٩٨).

وقد أوردها المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز إلى كل منها بحرف وذلك على النحو التالى:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج: ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان »

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال: الحلبة: حارة رطبة إذا طبخت بالسمن وشربت، لينت العروق والمفاصل اليابسة، وأطلقت حصر البول، وفتتت الحصاة، ويتولد منها غذاء جيد. اهـ.

« ع » تسخن فى الدرجة الثانية، ويخفف فى الدرجة الأولى ولذلك صارت تهيج الأورام الملتهبة، فأما الأورام القليلة الحرارة الصلبة، فإنها تحللها وتشفيها، وإذا أكلت مع المرى قبل الطعام، لينت البطن، وكثيرا ما تصدع، وربما غثت، وإذا أكلت مع الخبز

قل تليينها للبطن، ولم تصدع، ولم تغث، والمطبوخة مع العسل تطلق البطن إذا شربت، وتخرج ما فى الأمعاء من الأخلاط الرديئة، وتحرك الأمعاء، وتستدعيها إلى البراز، ويخلط معها من العسل قليل كى لا تلذع، ودقيقها يصلح للأورام الحارة، الظاهرة والباطنة ضمادا، وإذا خلط بنطرون وضمد به، حلل ورم الطحال، ويجلس النساء فى طبيخ الحلبة، فينفعهن من وجع الأرحام العارض من وجع الرحم وانضمامه، ويسهل ولادة الرحم العسر الولادة للجفاف. وماء طبيخها يعصر ويغسل الرأس بعصارته. فينفع الشعر، ويجلو النخالة والقروح الرطبة، ويجعد الشعر، ويذهب الحزاز، ولعابها مع دهن الورد ينفع من الشقاق البارد، ولحرق النار، ويدخل فى أدوية الكلف، ويحسن اللون، ودقيقها يلين الدبيلات وينضجها، والحلبة تلين الصدر والحلق والبطن، وتسكن السعال والربو وعسر النفس - جيدة للريح والبلغم والبواسير، وهى تغير النكهة، وتنتن رائحة العرق والبول، وتطيب الرجيع، « ج » الحلبة تسمى فريقة، وهى حارة فى آخر الأولى، يابسة فى الأولى، ولا تخلو من رطوبة فضلية، وقيل بل حارة يابسة فى الدرجة الثانية، وهى ملينة، منضجة، ودقيقها يحلل الأورام البلغمية والصلبة الحارة الظاهرة والباطنة، وتنقى الحزاز غسلا به للرأس، وتصفى الصوت إذا طبخت وتغذو الرئة وتلين الصدر والحلق، وهى تحدر الحيض ودم النفاس إذا طبخت، وتولد كيموسا رديئا. « ف » حب أصفر اللون غير مدور معروف، حار فى الثانية، يابس فى الأولى، يسكن السعال والربو وينفع من البواسير. وقال يقوى البدن، ويذهب بالجرب والرمد من العين، وتنفع من الحرارة والأبردة والسعفة، إذا طلى عليها بعسل منزوع الرغوة ... وقال إنها تصفى اللون، وإذا خلطت بعسل وشرب لينت الطبيعة، وأحدرت الطمث. والشربة: ثلاثة دراهم.

(المعتمد فى الأدوية المفردة ١ / ٩٩، ١١٠)

وقال داود الأنطاكى:

هى الغاريقا وتسمى أعترن نبت دون ذراع لها زهر أصفر يخلف ظروفا دقيقة حداد الرءوس تنفتح عن بزر مستطيل يدرك بتموز وأجوده الرزين الحديث تبقى قوتها إلى ستين وهى حارة فى الثانية يابسة فى الأولى لها لعابية ورطوبة فضلية تلين وتحلل سائر الصلابات والأورام ومتى طبخت بالتمر والتين والزبيب وعقد ماؤها بالعسل أذهبت أوجاع الصدر المزمنة وقروحه والسعال والربو وضيق النفس خصوصا مع البرشاوشان عن تجربة ومتى طبخت مفردة وشربت بالعسل حللت الرياح والمغص وبقايا الدم المتخلف من النفاس والحيض وخرجت الأخلاط المحترقة والكيموسات العفنة خصوصا مع الفوة، والنطول بطبيخها والجلوس فيه يسهل الولادة ويسقط المشيمة وينقى الرحم ويحلل الصلابات والبواسير وبقلتها وبزرها يصلحان الشعر المتساقط والنخالة والسعفة ويقلعان الآثار نطولا وطلاء وإذا جعلت دلوكا نقت الأوساخ وحسنت الألوان جدا ومع زبيب الجبل تمنع تولد القمل وإذا نقعت فى ماء الورد وقطرت فى العين نفعت الدمعة والسلاق والحمرة وبقايا الرمد ودقيقها مع البورق يحلل الطحال ضمادا ومع التين يفجر الدبيلات وإذا غسلت وجففت وسحقت مع بزر الخشخاش واللوز ودقيق القمح وعجن ذلك بالسكر أو العسل وتمودى على أكله سمنت المبرودين وخصبت وأصلحت الكلى إصلاحا جيدا وتطلى على الأورام الحارة بدهن الورد أو الخل مع سويق الشعير والباردة بالعسل وهى تصدع وتنتن العرق وتولد كيموسا غليظا ويصلحها السكنجبين ولا يجوز استعمالها إذا كان فى البدن حمى وشربتها خمسة ومن بقلتها إلى عشرة وبدلها البزر (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٣٦).

وفيما يلى ما ورد عن إفلاح الحلبة فى أحد مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلاحة وهو لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى. قال فى ذلك:

ويوافقها من الأرض اليابسة الصلبة، وتفسد فى الأرض العرقة والنزة والرقيقة والضعيفة والمتخلخلة، وليس تحتاج إلى سقى الماء الكثير، فإنها تصبر على العطش. ووقت زرعها من أول تشرين الأول إلى آخر كانون الأول. وزرعها كزرع الحبوب، إما نثرا وهو الأكثر، وإما حبات فى حفائر تحفر لها فى الأتراب وهو الأقل. وربما خرج معها فى أول زرعها حشائش فتنظف عنها. ويوافقها اخثاء البقر المخلوط بورق القرع والسبستان، وقد قدمنا ذكره عند ذكر الأزبال. ويقويها أن يدق من حبها شىء ويطبخ بالماء، ويرش ذلك على فروع نباتها وأصوله، لأن الفأر والطير مولعة بها؛ وإذا رأيت الفأر ولع بها فينبغى أن يصور فى منبتها سنانير أو صورة فأر أسود قد صلب على خشبة. وأكثر آفاتها العطش، وإن كانت جيدة الصبر عليه، فإنها إذا عطشت جفت وتلفت، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الحياة (مفتاح الراحة / ١٣١، ١٣٢).

(الموجز فى الطب لابن النفيس — تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوى، مراجعة د. أحمد عمار / ٩٨، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ... صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ٩٩، ١٠٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٦، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد/ ١٣١، ١٣٢.

انظر أيضا معجم التداوى بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ ابن قيم الجوزية / ٣١، ٣٢، والطب النبوى لابن الجوزية أيضا - كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق. وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٢٣٢، ٢٣٣، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن

أحمد الذهبي ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي / ٨٠) .

* **الحلبية (المقامة ـ) :**

هذه هي المقامة السادسة والأربعون من مقامات الحريري، وهي من التراث الإسلامي في علم الأدب . وقد سماها الحريري المقامة الحلبية نسبة إلى مدينة حلب التي بسطنا القول فيها في مادة « حلب » . وهذه المقامة تزخر بالمواد اللغوية كالثنائيات التي تستخدم للتمييز بين أصوات اللغة، كالسين والصاد والضاء والظاء، وبالكلام على هجاء الأفعال التي آخرها حرف اعتلال وغير ذلك . ونظرًا لثرائها في المفردات اللغوية فإننا نتبعها بشرح معاني الألفاظ حيثما اقتضى الأمر، وقد وضع الشرح بين قوسين . وما ننقله من هذه المقامة هو هذا الجانب اللغوي، مع ذلك الذي جاءت به بعض الحكم والمواعظ ونضرب صفحا عن سائر ما جاء بها، فكل ما حذف وضع مكانه ثلاث نقط للدلالة عليه . وهذه هي المقامة :

روى الحارث بن همام قال نزع بي إلى حلب، شوق غلب، وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ، حثيث النفاذ، فأخذت أهبة السير، وخففت نحوها خفوف الطير، ولم أزل مذ حللت ربوعها، وارتبعت ربيعها، أفاني الأيام، فيما يشفي الغرام، ويروي الأوام، إلى أن أقصر القلب عن ولوعه، واستطار غراب البين بعد وقوعه، فأغراني البال الخلو، والمرح الحلو، بأن أقصد حمص لأصطاف ببقعتها، وأسبر رقاعة أهل رقعتها، فأسرعت إليها إسراع النجم، إذا انقض للرجم، فحين خيمت برسومها، ووجدت روح نسيمها، لمح طرفي شيخا قد أقبل هريره، وأدبر غريره وعنده عشرة صبيان، صنوان وغير صنوان، فطاوعت في قصده الحرص، لأخبر به أدباء حمص، فبش بي حين وافيته، وحيا بأحسن مما حييته، فجلست إليه لأبلو جني نطقه، وأكتنه كنه حمقه، فما لبث أن أشار بعصيته، إلى كبر أصيبيته وقال له أنشد الأبيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث :

أعـــدد لحســـادك حـــد الســـلاح
وأورد الآمـــل ورد الســـماح
وصـــارم اللهـــو ووصل المهـــا
وأعمل الكـــوم وسمـــر الـــرماح
واسـع لادراك محـــل سمـــا
عمـــاده لا لادراع المـــراح
والله مـــا الســـودد حســـو الطـــلا
ولا مـــراد الحمـــد رؤد رداح
واهـــا لحُـــر واسع صـــدره
وهمـــه مـــا سَـــرَّ أهل الصـــلاح

مـــورده حلـــو لســـؤالـــه
ومـــا لـــه مـــا سألـــوه مطـــاح
مـــا أسمـع الآمـل ردا ولا
مـــا طلـــه والمطل لـــؤم صـــراح
ولا أطـــاع اللهـــو لمـــا دعـــا
ولا كســـا راحـــا لـــه كـــأس راح
ســـوده اصـــلاحـــه ســـره
وردعـــه أهـــواءه والطمـــاح

وحصَّل المدح له علمه

مـــا مهـــر العـــور مهـــور الصحـــاح

فقال له أحسنت يا بدير يا رأس الدير ...

ثم نادى أوضح يا ياسين ما يشكل من ذوات السين، فنهض ولم يتأن، وأنشد بصوت أغن

نقس الـــدواة ورسغ الكف مثبتـــة
سيناهمـــا إن همـــا خُطَّـــا وإن درســـا
وهكـــذا السين في قَسْب وبـــاسقـــة
والسفح والنحس وافســـر واقتبس قبســـا

وفي تقسست بالليل الكلام وفي مسيطر وشمـوس واتخذ جرسا وفي قريس وبِرْدٍ قارس فخذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم أنشد من غير عثار :

بـــالصـــاد يكتب قـــد قبصت دراهمـــا
بـــأنـــاملي واصخ لتستمع الخبـــر
وبصقـت أبصـق والصمـــاخ وصنجـــة
والقـص وهـــو الصـــدر واقتص الأثـــر
وبخصـت مقلتـــه وهـــذي فـــرصـــة
قـــد أرعـــدت منـــه الفـريصـــة للخـــور
وقصـــرت هنـــدا أي حبست وقـــد دنـــا
فصـح النصـــارى وهـــو عيـــد منتظـــر
وقـــرصتـــه والخمـــر قـــارصـــة إذا
حـــذت اللســـان وكل هـــذا مستطـــر

فقال له رعيا لك يا بني فلقد أقررت عيني، ثم استنهض ذا جثة كالبيذق، نغشة كالسوذق، وأمره بأن يقف بالمرصاد ويسرد ما يجري على السين والصاد، فنهض يسحب برديه، ثم أنشد مشيرا بيديه :

(البيذق : الصقر الصغير، ونغشة : أي حركة ونهوض، والسوذق هو الصقر، وقيل الشاهين) .

والسامغان وسقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح الكتب .

(السامغان : جانبا الفم لكن قيل إنه بالصاد أشهر، وسقر: لغة في الصقر بالصاد .

والسويق : هو دقيق الشعير المقلو وقد يعمل مع البر مع الحمص، والمسلاق: هو الشديد الصوت، ومنه قوله تعالى : ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ [الأحزاب : ١٩] .

فقال له أحسنت يا حبقة ، يا عين بقة ، ثم نادى يا دغفل ، يا أبا زنفل ، فلباه فتى أحسن من بيضة ، في روضة ، فقال له ما عقد هجاء الأفعال ، التي آخرها حرف اعتلال ، فقال له اسمع لا صم صداك ، ولا سمعت عداك ، ثم أنشد ، وما استرشد :

إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه
فألحق به تاء الخطاب ولا تقف
فإن تر قبل التاء ياء فكتبه
بياء وإلا فهو يكتب بالألف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي
تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه ، ثم عوذه وفداه، ثم قال هلم يا قعقاع ، يا باقعة البقاع ، فأقبل فتى أحسن من نار القرى ، في عين ابن السرى ، فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد ، لتصدع به أكباد الأضداد ، فاهتز لقوله واهتش ، ثم أنشد بصوت أجش :

أيها السائلي عن الضاد والظا
ء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاآت يغنيك فاسمعـ
ـها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والأظـ
ـلام والظلم والظبي واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ والحظا والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والإيقاظ ... إلخ .

(ظمياء : الظمى : السمرة والذبول . الظلم بالفتح : ماء الأسنان وبريقها . الظبي : جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان ، اللحاظ : جانب العين مما يلي الصدغ ، والعظا : جمع العظاية ضرب من الوزغ ، الظليم : ذكر النعام ، الظبي : الغزال ، الشيظم : الشديد الطول من كل شيء ، اللظى : النار، والشواظ: النار بلا دخان، التظني: إعمال الظن ، اللماظ بالفتح والكسر الذوق بطرف اللسان ، والحظا جمع حظوة ، الظئر: المرضعة) .

ونكتفي بهذا القدر كنموذج للمقامات ويمكنك الرجوع إلى المصدر كما هو مبين في ثبت المراجع .

(المقامات الأدبية لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري ط مصطفى البابي الحلبي / ٣٨٣-٣٩٣) .

* **حَلْحُول :**

قرية من قرى قضاء الخليل في التقسيمات الإدارية لفلسطين المحتلة (من كتاب معجم البلدان ١/ ٢٠٢) قال عنها ياقوت :

بالفتح ثم السكون ، وضم الحاء الثانية ، وسكون الواو ، ولام :

قرية بين البيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل ، وبها قبر يونس ابن متى عليهما السلام ؛ وإليها ينسب عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلحولي الجعفري ، محدث زاهد ، ولد بحلب ونشأ بها وسار إلى الآفاق ، وكان آخر أمره أنه انقطع بمسجد في ظاهر دمشق ، ففي سنة ٥٤٣ نزل الإفرنج على دمشق محاصرين ، فخرج هذا الشيخ في جماعة فقتل رحمه الله وإيانا (معجم البلدان ٢/ ٢٩٠)

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٢/ ٢٩٠) .

* **الحلزون (أم الخلول) :**

قال داود الأنطاكي :

الحلزون هو الشنج وخف الغراب وباليونانية فرحوليا وهو عبارة عن صدف داخله حيوان ويختلف كبرا وبرا وجبلا وطولا وعكسها وأجودها الودع المعروف بالكودة وربما خص قوم الشنج به وأجوده هذا المرقش الصقيل المجلوب عن كيلكوت وأردؤه الشحري ويلي الودع الدنيلس المعروف في مصر بأم الخلول ويليها المفتول الصنوبري الشكل المنقش وما عدا هذا رديء وقشر الحلزون بسائر أنواعه بارد يابس في الثانية أو الثالثة ولحمه بارد رطب في الثانية إلا أن أم الخلول للطفها تستحيل بسرعة إلى الدم الجيد ولحوم ما عداها تولد البلغم واللزوجات والسدد والأخلاط الباردة وتنفع من الحكة واللهيب والحرارة الصفراوية وينبغي أن يجتنب لحوم ما كبر منه كالمصاقل وأما أم الخلول فإنها تنفع من الجذام والجرب والحكة والسوداء والجنون والوسواس إذا شربت مطبوخة أو أكلت نيئة وتقطع العطش واللهيب الصفراوي وينبغي أن تؤكل بيسير الخل وأكلها مع الطحينة كما تفعله أهل مصر رديء يولد سددا ويوجب عفونة وقيل إنها إذا بلغت على الجوع كل يوم سبعة إلى أسبوعين منعت الفتق وألحمته وقشرها وقشر الودع إذا أحرق كان غاية في إصلاح طبقات العين وقلع البياض وتحليل الأورام والحمرة والسلاق والجرب وإذا مزج مع الملح المكلس والخل وماء الكرفس وطلي به جفف القروح والحكة والجرب وسكن النقرس والمفاصل وسائر الحلزون إذا أحرق

وقرب من النار وجمعت رطوبته وعجن بها الصبر والمر والكندر كان مرهمًا يدمل الجراح التي لا برء لها ويقطع الدم حيث كان وإذا رض بلحمه وقشره وطلي حلّل الأورام حيث كانت والطحال ووجع العظم وجـذب النطـول والسلى من البـدن وهـو يلين كـل صلب من المنطرقات حتى يلحق بأعلاها أدناها ويقال إنه إذا سحق بوزنه من النوشادر ونصفه من الكبريت وسدسه من الملح النقي وقطر فعل في المشتري أفعالا جليلة (التذكرة ١/ ١٢٧) .

وقال المظفر الرسولي نقلا عن عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» وقد رمز إليه بالحرف (ع) :

« ع » منه جنس يسمى فوحلياس، إذا أحرق مع جسمه ، وخلط مع رماد وعفص أخضر وفلفل أبيض، نفع من القروح الحادثة في الأمعاء ما لم تعفن، يخلط من الفلفل جزء، ومن العفص جزء، ومن رماد الحلزون أربعة أجزاء، ويسحق الجميع سحقا ناعما ، ويذر منه على الطعام ، ويسقى منه أيضا بالشراب والماء الأبيض. والحلزون البري جيد للمعدة، وأما النهري فإنه زَهِم، وأما البري اللاصق بالشوك والأشجار الصغار، فإنه يسهل البطن ، وقوة أغطيتها كلها إذا أحرقت مسخنة محرقة ، تجلو الجرب المتقرح والبهق والأسنان ، وإذا أحرقت كما هي بلحمها وسحقت واكتحل بها كما هي مع عسل ، جلت آثار اندمال القروح العارضة في العين ، وأبرأت قرحة العين ، وتزيل الغشاوة والكلف ، ويضمد بها غير محرقة للانتفاخ فتضمره ، ولا تفارق الانتفاخ حتى تنفي رطوبته ، وتسكن أورام النقرس، وإذا ضمد بها جذبت السلاء من داخل اللحم ، وإذا سحقت واحتملت أدرت الطمث ، وإذا أخذت اللزوجة التي على اللحم منها بطرف الإبرة، ووضعت على الشعر النابت في العين ألزقته .

ثم يقول نقلا عن ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » وقد رمز إليه بالحرف (ج) : الحلزون من جملة الأصداف. وهو يابس يطفيء الدم ، وإذا أحرق نفع من قروح العين (المعتمد ١/ ١٠١، ١٠٢) .

(تذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٢٧، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١/ ١٠١، ١٠٢) .

* **الحلزون (بنر -) :**

انظر : بنر يوسف (صلاح الدين) الحلزون في م ٨/ ١٣٥، ١٣٦ .

* **الحَلِف :**

قال الراغب الأصفهاني :

حلف : الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة ، وجعلت للملازمة التي تكون بمعاهدة ، وفلان حَلف كرم ، وحِلف كرم والأحلاف جمع حليف ، قال الشاعر :

*** تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها ***

والحلف أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين ، قال الله تعالى : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ [القلم : ١٠] أي مكثار للحلف وقال تعالى : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا** ﴾ [التوبة : ٧٤] ﴿ **يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم** ﴾ [التوبة : ٥٦] ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم** ﴾ [التوبة : ٦٢] وشيء محلف يحمل الإنسان على الحلف ، وكميت محلف إذا كان يشك في كميتته وشقوته فيحلف واحد أنه كميت وآخر أنه أشقر والمحالفة أن يحلف كل للآخر ثم جعلت عبارة عن الملازمة مجردا فقيل حلف فلان وحليفه ، وقال ﷺ : « لا حلف في الإسلام » وفلان حليف اللسان أي حديده كأنه يحالف الكلام فلا يتباطأ عنه وحليف الفصاحة (المفردات/ ١٢٩) .

وقال صاحب اللسان :

حلف : الحِلْفُ والحَلِفُ: القسم ، لغتان، حلف أي أقسم يحلف حَلْفًا وحِلْفًا وحَلِفا ومحلوفا ، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول ، مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور، والواحدة حلفة ...

ورجل حالف وحلاف وحلافة : كثير الحلف وأحلفت الرجل وحلفته واستحلفته بمعنى واحد، ومثله أرهبته واسترهبته؛ وقد استحلفه بالله ما فعل ذلك وحلفه وأحلفه ؛ قال النمر بن تولب :

قامت إلى فأحلفتها ... بهدي قلائده تختنق

وفي الحديث : من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ؛ الحلف : اليمين ، وأصلها العقد بالعزم والنية ، فخالف بين اللفظين تأكيدا لعقده وإعلاما أن لغو اليمين لا ينعقد تحته .

وفي حديث حذيفة : قال له جندب : تسمعني أحالفك منذ اليوم ، وقد سمعته من رسول الله ﷺ، فلا تنهاني ؛ أحالفك أفاعلك من الحلف اليمين .

والحلف ، بالكسر، العهد يكون بين القوم . وقد حالفه أي عاهده، وتحالفوا أي تعاهدوا. وفي حديث أنس : حالف رسول الله ﷺ ، بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين ، أي آخى بينهم ؛ وفي رواية : حالف بين قريش والأنصار، أي آخى بينهم ، لأنه لا حلف في الإسلام. وفي حديث آخر : لا حلف في الإسلام . قال ابن الأثير: أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال

بين القبائل والغارات فذلك الذى ورد النهى عنه فى الإسلام بقوله ، ﷺ: لا حلف فى الإسلام ، وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام ،كحلف المطيبين وما جرى مجراه ، فذلك الذى قال فيه رسول الله ، ﷺ: وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة ، يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق ، وبذلك يجتمع الحديثان ، وهذا هو الحلف الذى يقتضيه الإسلام ، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام ، وقيل : المحالفة كانت قبل الفتح ، وقوله : لا حلف فى الإسلام قاله زمن الفتح ، فكان ناسخا، وكان، عليه السلام ، وأبو بكر من المطيبين ، وكان عمر من الأحلاف، والأحلاف ست قبائل : عبد الدار، وجمح، ومخزوم، وبنو عدى، وكعب، وسهم .

والحليف : المحالف. الليث : يقال حالف فلان فلانا، فهو حليفه، وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالأيمان أن يكون أمرهما واحدا بالوفاء، فلما لزم ذلك عندهم فى الأحلاف التى فى العشائر والقبائل صار كل شىء لزم شيئا فلم يفارقه فهو حليفه، حتى يقال: فلان حليف الجود، وفلان حليف الإكثار، وفلان حليف الإقلال ؛ وأنشد قول الأعشى :

وشريكين فى كثير من الما
ل وكانا محالفى إقلال

وحالف فلان بثه وحزنه أى لازمه .

ابن الأعرابى : الأحلاف فى قريش خمس قبائل : عبد الدار وجمح وسهم ومخزوم وعدى بن كعب، سموا بذلك لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما فى يدى عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية ، وأبت بنو عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، وهم أسد وزهرة وتيم، ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا، فسموا المطيبين ؛ وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفا آخر مؤكدا على ألا يتخاذلوا فسموا الأحلاف؛ وقال الكميت يذكرهم :

نسبا فى المطيبين وفى الأحـ
ـلاف حل الذؤابة الجمهورا

قال وروى ابن عيينة عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال : كنت عند ابن عباس، فأتاه ابن صفوان فقال : نعم الإمارة إمارة الأحلاف كانت لكم ! قال : الذى كان قبلها خير منها ، كان رسول الله ، ﷺ، من المطيبين وكان أبو بكر من المطيبين، وكان عمر من الأحلاف، يعنى إمارة عمر.

وسمع ابن عباس نادبة عمر، رضى الله عنه ، وهى تقول: يا سيد الأحلاف ! فقال ابن عباس : نعم والمحتلف عليهم ، يعنى المطيبين .

قال الأزهرى : وإنما ذكرت ما اقتصه ابن الأعرابى لأن القتيبى ذكر المطيبين والأحلاف، فخلط فيما فسر، ولم يؤد القصة على وجهها، قال : وأرجو أن يكون ما رواه شمر عن ابن الأعرابى صحيحا .

وفى حديث ابن عباس: وجدنا ولاية المطيبى خيرا من ولاية الأحلافى، يريد أبا بكر وعمر ؛ يريد أن أبا بكر كان من المطيبين وعمر من الأحلاف؛ قال ابن الأثير: وهذا أحد ما جاء من النسب لا يجمع، لأن الأحلاف صار اسما لهم ، كما صار الأنصار اسما للأوس والخزرج .

والأحلاف الذين فى شعر زهير هم : أسد وغطفان، لأنهم تحالفوا على التناصر؛ قال ابن برى: والذى أشار إليه من شعر زهير هو قوله :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها
وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

قال : وفى قوله أيضا :

ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة
وذبيان : هل أقسمتم كل مقسم؟

قال ابن سيده : والحليفان أسد وغطفان صفة لازمة لهما لزوم الاسم . ابن سيده : الحلف العهد، لأنه لا يعقد إلا بالحلف، والجمع أحلاف .

وقد حالفه محالفة وحلافا، وهو حلفه وحليفه ؛ وقول أبى ذؤيب:

فسوف تقول إن هى لم تجدنى
أخان العهد أم أثم الحليف ؟

الحليف : المحالف فيما كان بينه وبينها ليفين، والجمع أحلاف وحلفاء، وهو من ذلك ، لأنهما تحالفا أن يكون أمرهما واحدا بالوفاء .

الجوهرى : والأحلاف أيضا قوم من ثقيف، لأن ثقيفا فرقتان : بنو مالك والأحلاف ؛ ويقال لبنى أسد وطيئ الحليفان ؛ ويقال أيضا لفزارة ولأسد حليفان، لأن خزاعة لما أجلت بنى أسد عن الحرم خرجت فحالفت طيئا، ثم حالفت بنى فزارة .

ابن سيده : كل شىء مختلف فيه فهو محلف، لأنه داع إلى الحلف، ولذلك قيل : حضار والوزن محلفان، وذلك أنهما نجمان يطلعان قبل سهيل من مطلعه، فيظن الناس بكل واحد منهما أنه سهيل ، فيحلف الواحد أنه سهيل ويحلف الآخر أنه ليس به .

وناقة محلفة إذا شك فى سِمَنِها حتى يدعو ذلك إلى الحلف . الأزهري : ناقة محلفة السنام لا يدرى أفى سنامها شحم أم لا ؛ قال الكميت :

أطلال محلفة الرسو م بألوتى بر وفاجر

أي يحلف اثنان : أحدهما على الدروس والآخر على أنه ليس بدارس ، فيبر أحدهما فى يمينه ويحنث الآخر ، وهو الفاجر .

(لسان العرب ١١ / ٩٦٣ - ٩٦٥) .

ويسوق الإمام النووى درسا فى النهى عن الحلف بغير الله وتحريم اليمين الكاذب ، وندب من حلف على يمين فرأى خيراً منها أن يفعل المحلوف عليه ثم يكفِّر عن يمينه وجاء فيه ما يلى :

روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . وروى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم (الطواغى جمع طاغية وهى الأصنام) وروى فى غير مسلم بالطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم . وروى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان » قال ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا** ﴾ [آل عمران : ٧٧] إلى آخر الآية وروى مسلم عن أبى إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن كان قضيبا من أراك » وروى البخارى عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » وفى رواية له «أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الإشراك بالله ، قال ثم ماذا؟ قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس؟ قال الذى يقتطع مال امرىء مسلم يعنى بيمين هو فيها كاذب » وسميت غموسا لإنها تغمس صاحبها فى النار . وروى الشيخان عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : « قال لى رسول الله ﷺ وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفِّر عن يمينك » وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير » وروى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنى والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى غيرها خيرا منها إلا كفَّرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير » .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ لأن يلج أحدكم فى يمينه فى أهله آثم له عند الله تعالى من أن يعطي كفارته التى فرض الله عليه » (قوله يلج أى يتمادى فيها ولا يكفِّر وقوله آثم له أى أكثر إثما) وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت أنزلت هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله . وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب » .

وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » وقد عنون الإمام النووى لذلك بقوله باب كراهة الحلف فى البيع وإن كان صادقا » (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٦٣ - ٢٦٧) .

وعن الحلف بالقرآن هل هو كالحلف بالله تعالى بحيث ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة أم لا ؟ جاءت هذه الفتوى فى مجلة الأزهر ردًّا على سؤال سيدة متسائلة :

نفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعي وأحمد وعامة أهل العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس بيمين .

قال ابن قدامة - من الحنابلة فى المغنى ما نصه : « وجملته أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة به بالحنث فيها . وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعي وأبو عبيدة وعامة أهل العلم .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ليس بيمين ولا تجب به كفارة فمنهم من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال : لا يعهد اليمين به ، ولنا أن القرآن كلام الله وصفة من صفات ذاته فتنعقد اليمين كما لو قال : وجلال الله وعظمته . وقولهم : هو مخلوق قلنا :

هذا كلام المعتزلة وإنما الخلاف مع الفقهاء .

وقد روى عن ابن عمر أن النبى - ﷺ - قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **قرآنا عربيا غير ذى عوج** ﴾ [الزمر : ٢٨] أي غير مخلوق ... إلخ ما قال ...

وقد علل شمس الأئمة السرخسى كون الحلف بالقرآن ليس يمينا بأن الناس لم يتعارفوا الحلق بالقرآن فقد جاء فى المبسوط من الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته « أنه إذا قال والقرآن لا أقربك لا يكون موليا ، لأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن والمعتبر فى الأيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفا لا يكون يمينا » .

وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا القرآن كلام الله تعالى والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يمينا ولكننا نقول : كلام الله تعالى صفة ولكن الحلف به غير

متعارف. فكان هذا بمنزلة قوله «وعلم الله». وكذلك اختار صاحب الهداية في تعليل كون الحلف بالقرآن غير يمين على مذهب متقدمي الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب صاحب «فتح القدير» إلى أنه يمين لأن العرف الآن الحلف بالقرآن وبهذا يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية أيضا للعرف كما قال صاحب الفتح فلا فرق الآن بين الحلف بالقرآن والحلف باسم من أسمائه تعالى وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم («الفتاوى» / ٥١٨).

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢٩، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٩٦٣ ـ ٩٦٥، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام محيي بن شرف الدين النووي ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهاني / ٢٦٣ ـ ٢٦٦، و«الفتاوى» ـ إعداد الأستاذ عبد المنعم فودة. مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة الخامسة والستون، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٢م / ٥١٨).

*** الحلف بغير الله:**

انظر: الحلف.

*** الحلف بالقرآن:**

انظر: الحلف.

*** حلف الفضول:**

شهود النبي ﷺ حلف الفضول

عن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله ابن عوف الزهري يقول: «قال رسول الله ﷺ: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حِلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم. ولو دعي به في الإسلام لأجبت».

رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٢٩٣.

عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا.

«قال رسول الله ﷺ: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت. تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها. وألا يعد ظالم مظلوما (وفي رواية أخرى «وأن لا يعز ظالم مظلوما» أي لا يحتز ظالم بقوته أو جاهه. رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٩١.

كان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر، وكان أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب. وكان سببه أن رجلا من قبيلة زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل، وانتهروه. فلما رأى الزبيدي الشر صعد على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس ـ وقريش في أنديتهم حول الكعبة ـ فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحَجَر

إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك. فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله، ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدي إليه حقه، ما بلّ بحر صوفة، وما بقي جبل ثبير وحراء مكانهما، وعلى التأسي في المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه. وقال ابن قتيبة: إنما سمي حلف الفضول لأنه أشبه حلفا تحالفته جرهم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه. وكان الداعي إليه ثلاثة من أشرافهم، اسم كل واحد منهم فضل. وهم الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث.

(المنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م، ١/ ٨٣، ٨٤).

*** الحَلْفاء:**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات وعلم طب الأعشاب.

جاء في معجم أسماء النباتات: حلف محركة: عن الأخفش: نبت من الأغلاس. قال أبو حنيفة [الدينوري] قال أبو زياد: وقلما تثبت الحلفاء إلا قريبا عن ماء أو بطن واد، وهي سلبة المس لا يكاد أحد يقبض عليها مخافة أن تقطع يده، وقد يأكل منها الإبل والغنم أكلاً قليلاً، وهي أحب شجرة إلى البقر. الواحدة منها حلفة مثل خشبة. قاله أبو زياد ونقله أبو حنيفة. وقال سيبويه: الحلفاء واحد وجمع وكذلك طرفاء. ونقله أبو عمرو أيضا هكذا (معجم أسماء النباتات/ ٤٤).

وجاء في اللسان:

والحلف والحلفاء: من نبات الأغلاث، واحدتها حَلِفة وحَلَفة وحلفاء وحلفاة؛ قال سيبويه: حلفاء واحدة، وحلفاء للجميع، لما كان يقع للجميع، ولم يكن اسما كسر عليه الواحد، أرادوا أن يكون الواحد من بناء فيه علامة التأنيث كما كان ذلك في

الأكثر الذى ليست فيه علامة التأنيث ويقع مذكرا ، نحو التمر والبر والشعير وأشباه ذلك ، ولم يجاوزوا البناء الذى يقع للجميع حيث أرادوا واحدا فيه علامة التأنيث ، لأنه فيه علامة التأنيث فاكتفوا بذلك وبينوا الواحدة بأن وصفوها بواحدة ، ولم يجيئوا بعلامة سوى العلامة التى فى الجمع لتفرق بين هذا وبين الاسم الذى يقع للجميع وليس فيه علامة التأنيث ، نحو التمر والبسر .

وأرض حلفة ومحلفة : كثيرة الحلفاء وقال أبو حنيفة : أرض حلفة تنبت الحلفاء .

الليث : الحلفاء : نبات حمله قصب النشاب . قال الأزهرى : الحلفاء نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص ، ينبت فى مغايض الماء والنزوز ، الواحدة حلفة مثل قصبة وقصباء وطرفة وطرفاء . وقال سيبويه . الحلفاء واحد وجمع ، وكذلك طرفاء وبهمى وشكاعى واحدة وجمع .

الجوهرى : الحلفاء نبت فى الماء ، وقال الأصمعى : حلفة ، بكسر اللام وفى حديث بدر : أن عتبة بن ربيعة برز لعبيدة فقال : من أنت ؟ قال : أنا الذى فى الحلفاء ؛ أراد أنا الأسد ، لأن مأوى الأسد الآجام ومنابت الحلفاء ، وهو نبت معروف ؛ وقيل : هو قصب لم يدرك . والحلفاء : واحد يراد به الجمع كالقصباء والطرفاء ، وقيل : واحدته حلفاة .

(لسان العرب ١١/ ٩٦٥) .

وعن الخصائص الطبية للحلفاء يقول المظفر الرسولى نقلا عن عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » الذى يرمز إليه بالحرف (ع) :

حلفاء - « ع » نبت معروف ، إذا أخذ منها ثلاثة وأوقدت وكوى بها الدماميل فى أول ظهورها ثلاث مرات ، منعها من التزايد ، ورمادها إذا أحرق حار يابس ، إذا غسل به الرأس نقاه من الإبرية تنقية بالغة وأزالها ، ولا يعدلها فى ذلك دواء آخر ، وإذا شرب مع عسل وخل قتل الديدان فى البطن . يؤخذ كذلك ثلاثة أيام متوالية ، وإذا أوقدت أطرافه وكويت بها النملة الساعية ، نفع منها نفعا بليغا (المعتمد ١/ ١٠٢) .

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى - جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٤٤ ، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٩٦٥ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١/ ١٠٢) .

*** الحلق والتقصير :**

من واجبات الحج بعد رمى جمرة العقبة . قال الإمام ابن الديبع :

١ - عن أنس رضى الله عنه « أن النبى ﷺ أتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ، ثم قال للحلاق : خذ ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس » .

وفى رواية : أعطى الجانب الأيمن لمن يليه والأيسر لأم سليم .

٢ - وفى رواية « أنه دفع الأيسر إلى أبى طلحة ، وقال له : اقسمه بين الناس » . أخرجه الخمسة إلا النسائى .

٣ - وعن على رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها » . أخرجه الترمذى .

وزاد رزين : فى الحج والعمرة وقال : إنما عليها التقصير .

٤ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم المحلقين . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : اللهم ارحم المحلقين . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصرين » أخرجه الستة إلا النسائى .

٥ - وللشيخين عن أبى هريرة : « أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اغفر للمحلقين . قالوا : يا رسول الله وللمقصرين . قال : اللهم اغفر للمحلقين . قالوا يا رسول الله : وللمقصرين . قال : اللهم اغفر للمحلقين . قالوا يا رسول الله : وللمقصرين . قال : وللمقصرين » .

٦ - ولمسلم عن أم الحصين (انظر ترجمتها فى موضعها) رضى الله عنها قالت : « سمعت رسول الله ﷺ فى حجة الوداع (انظر هذه المادة فى موضعها) دعا للمحلقين ثلاثا ، وللمقصرين مرة واحدة » .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

انظر : الحج فى م ١٣/ ١١٣-١٢٨ .

*** الحلقية :**

الحلقية : هى الأحرف الستة المعروفة التى هى الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء . ولقبت بذلك ونسبت إلى الحلق لخروجها منه .

(ملخص أحكام التجويد - د. شعبان محمد إسماعيل / ٧٩) .

انظر : الحروف (مخارجها) فى م ١٣/ ٤٧٩ - ٤٨٣ .

*** الحلل البهيجة فى فتح البريجة وسيرة الملك الهاشمى سيدى محمد بن عبد الله الفاطمى :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ .

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

لمحمد بن أبى القاسمى بن محمد بن محمد بن سليمان المراكشى ، المتوفى بعد التسعين ومائة وألف .

(دليل مؤرخ المغرب ٥٤) .

تكلم فيه على فتح مدينة البريجة المعروفة الآن بالجديدة بالمغرب الأقصى زمن السلطان المظفر محمد بن عبد الله العلوى الحسنى، المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ .

أوله : « الحمد لله العظيم الجواد الذى مَنَّ علينا بالجهاد » .

وآخره : « والله ذو الفضل العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ... آمين والحمد لله رب العالمين » .

نسخة كتبت بخط مغربى، بقلم محمد بن العباس بن محمد العونى ثم الجديدى .

فرغ من نسخها عشية الجمعة ٥ صفر سنة ١٣٢٣ هـ . تقع فى ٢٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرًا .

[الرباط ١٣٢٨ د]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ حـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠ م/ ١٥٣) .

*** الحلل البهية فى ملوك الدولة العلوية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ .

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية .

(وهو شرح على نظم أبى المعالى بن المكى بن أحمد بن سليمان الأندلسى الفاسى، المتوفى ١٣١٠ هـ .

لأبى عبد الله محمد بن المصطفى المشرفى الحسنى ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ . (فهرست الرباط ٢/ ١٤٤) .

أولـه : « الحمد لله الذى جعل رتبة الملوك أعلى الرتب ... وبعد ، فلما وقفت على قصيدة الكاتب الأديب الآتى ذكره فى المقدمة ... فى عهد ملوك من الدولة العلوية المختصة بمفاخر جمة ... أتحفتها بشرح يرفع على منصة البيان فرائدها ... » .

وهو ناقص من آخره ، وآخر الموجود منه : « وقد صار ملكه له بالهدية من الملوك كما هى عادة الملوك العظام ، وهو أيضا من معانى الاعتزاز من الأجانب فى ... قبله وكان » .

نسخة كتبت بخط مغربى، ضمن مجموعة من ١٧٨ ـ ٤٩٧ ، فى ١٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطرًا .

[الرباط ٣٢٠ ك]		UNESCO

نسخة أخرى :

ناقصة من آخرها ، وآخر الموجود منها : « ولا زال أمره فى الازدياد ، وكان قبل وجه له » .

نسخة كتبت بخط مغربى، فى ١٩٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطرًا .

[الرباط ١٤٦٣ د]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية التاريخ جـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م/ ١٥٣ ، ١٥٤) .

*** الحلل السندسية فى الأخبار التونسية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية

وهو المعروف بتاريخ الوزير.

لأبى عبد الله محمد بن محمد السراج الأندلسى، الشهير بالوزير، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ.

(بروكلمان ٢/ ٤٥٨ وملحق ٢/ ٦٨٥)

الجزء الثالث

وأوله : « الحمد لله الذى أيد بلاحظ رعايته من سلك على جادة الرحمة سبيلا ... وبعد، فإنه لما تقدم الوعد فى صدر الجزء الأول من هذا الكتاب ... بأن نجعل الثالث منه فى ذكر الدولة التونسية ... انفرد هذا الجزء لظرف طرف من استطراد دولة هذا الأمير الذى صير الآمال مناخا لجميل سيرته ... » .

وهو ناقص من آخره، وآخر ما جاء فيه :

وعظم وقار تصبح الشم حوله

فريقين راج عفوه ودخيل

فى أثناء ذكر حوادث سنة ١١٣٧ هـ .

نسخة كتبت بخط مغربى، فى ٨٦ ورقة، ومسطرتها ٣٣ سطرًا، وبآخرها آثار رطوبة .

[الرباط ٣٢٧ ك]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م/ ١٥٤، ١٥٥) .

*** الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الكلام لمؤلف مجهول .

مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض وجاء بيانه كما يلى :

رقم الحفظ : ١٢٥ ـ ف

عنوان المخطوطة : الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة

عنوان المخطوط الفرعى : شرح جوهرة التوحيد للقانى

بداية المخطوط : الحمد لله الواحد الأحد . . وبعد فهذا تفسير مختصر على جوهرة التوحيد للشيخ العلامة . . اللقانى . . وسميته الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة .

نهاية المخطوطة : بما أتوا فى ذلك بمقال . . والقتل . . وتجرعوا كاسات . . والذل .

نوع الخط : مغربى ردىء .

تاريخ النسخ : القرن ١٢ هـ/ ١٨م

ملاحظات عامة : نسخة ناقصة من آخرها ويبدو أن نقصها كبير .

(فهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م/ ١٩٠) .

* **الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ . مجهول المؤلف .

توجد نسختان من مخطوطه بالخزانة العامة بالرباط ، وننقل بيانهما فيما يلى ، مع رقمى التسلسل :

١٤٢٨ د ـ الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ـ مؤلفه غير مذكور أوله ـ الحمد لله الذى أخرج الأمور على مشيئته وتقديره إلخ ...

ألفه بالأندلس فى عهد السلطان الغنى بالله محمد الخامس النصرى ، وفرغ من تأليفه يوم الخميس ١٢ ربيع الأول عام ٧٨٣هـ .

فى مجموع ، من ورقة ١٩١ / ب إلى ٢٥٩ / أ ، مسطرته ٢٢ ، مقياسه ٢٢٠ / ١٧٠ .

فرغ من نسخه بعد عصر يوم الإثنين ٧ ربيع الأول سنة ١٢٩٥ ، خط مغربى وسط .

تكلم عنه بروكلمان فى ملحقه ٢/ ٣٤٢، وسركيس فى معجمه / ١٥٩٠ .

طبع بتونس سنة ١٣٢٩ ، ونسبه الناشر للسان الدين بن الخطيب . واعتنى ي . س . علوش بنشره ضمن مجموعة التواليف العربية المطبوعة من لدن معهد الدراسات العليا المغربية فى الجزء السادس الصادر بالرباط سنة ١٩٣٦ . واعتمادا على هذه الطبعة نقله أمبروزيو هويسى ميراند إلى اللغة الإسبانية ، ونشره فى معهد الجنرال فرانكو بتطوان سنة ١٩٥٢ ، مستهلا به مجموعة التواليف العربية فى التاريخ .

جاء فى معلمة الإسلام أن هذا الكتاب منسوب وهَمًا لابن الخطيب « لسان الدين » .

١٥٣٦ د ـ نسخة أخرى منه :

عدد أوراقها ٢٣ ، مسطرتها ٢٤ ، مقياسها ٢٣٠/ ١٨٠ ، مبتورة الأول والآخر .

عدد أوراقه ٦٤ ، مسطرته ١٨ ، مقياسه ٢٤٥/ ١٩٠ .

فرغ منه فى ٧ قعدة عام ١٣٣٦ ، خط مغربى جيد .

راجع ترجمة أبى الحسن منون فى الإتحاف ٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ (مجموعة مختارة / ٨٣، ٨٤) .

توجد منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية وردت بالرقم التسلسلى ١٥٨٤ ، وجاء بها ما يلى :

بروكلمان ملحق ٢/ ٣٤٢) .

أوله : « الحمد لله الذى أخرج الأمور على مشيئته وتقديره » .

وآخره : « وهذا ما حضر والسلام ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين » .

نسخة كتبت بخط مغربى ضمن مجموعة من ورقة ١٩٢ أ ـ ٢٥٩ ب ، ومسطرتها ٢٢ سطراً . فرغ من نسخها عصر يوم الإثنين ٧ ربيع الأول ١٢٩٥هـ .

[الرباط ١٤٢٨ د]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ٢ ق ٤ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١/ ٨٣، ٨٤ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ جـ٢ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م/ ١٥٥ ، ١٥٦) .

* **الحِلْم :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الأخلاق .

قال الراغب الأصفهانى : الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام . قال الله تعالى : ﴿ **أم تأمرهم أحلامهم بهذا** ﴾ [الطور : ٣٢] قيل معناه عقولهم وليس الحلم فى الحقيقة هو العقل ولكن فسَّروه بذلك لكونه من مسببات العقل وقد حَلُم وحلَّمه العقل وتحلَّم . قال الله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم لحليمٌ أواهٌ منيب** ﴾ [هود : ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **فبشّرناه بغلام حليم** ﴾ [الصافات : ١٠١] أى وجدت فيه قوة الحلم ، وقوله عز وجل : ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم** ﴾ [النور : ٥٩] أى زمان البلوغ وسمى الحُلُم لكون صاحبه جديرًا بالحلم (المفردات فى غريب القرآن/ ١٢٩) .

يقول الإمام ابن قدامة فى فصل أفرده للكلام على الحلم :

روى أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم » (أخرجه أحمد ٣/ ٦١ ، والترمذى (٢١٩٢) ضمن حديث مطول ، وفى سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . لكن له طريق آخر يتقوى به أخرجه الخطيب البغدادى فى « تاريخه » ٩/ ١٢٧ بسند قابل للتحسين وشاهد بنحوه من حديث معاوية أخرجه الطبرانى فى «الكبير » كما فى « المجمع » ١/ ١٢٨ وفى سنده رجل لم يسم) .

« اطلبوا العلم ، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ، لينوا لمن تعلّمون ولمن تعلَّمون منه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فيغلب جهلكم عليكم » (قال الحافظ العراقى : رواه ابن السنى فى (« رياضة المتعلمين » بسند ضعيف) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأشج بن قيس : « إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » .

وشتم رجل ابن عباس رضى الله عنه ، فلما قضى مقالته ، قال : يا عكرمة ، انظر هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحيى .

وأسمع رجل معاوية كلاما شديدا ، فقيل له : لو عاقبته ؟ فقال : إنى لأستحى أن يضيق حلمى عن ذنب أحد من رعيتى .

وقسم معاوية نطعا ، فبعث منها إلى شيخ من أهل دمشق فلم يعجبه ، فجعل عليه يمينا أن يضرب رأس معاوية ، فأتى معاوية فأخبره ، فقال له معاوية : أوف بنذرك وارفق بالشيخ (النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك : بساط من الأديم) .

وجاء غلام لأبى ذر وقد كسر رجل شاة له ، فقال له : من كسر رجل هذه ؟ قال : أنا فعلته عمدا لأغيظك ، فتضربنى ، فتأثم . فقال : لأغيظن من حرضك على غيظى ، فأعتقه .

وشتم رجل عدى بن حاتم وهو ساكت ، فلما فرغ من مقالته قال : إن كان بقى عندك شىء فقل قبل أن يأتى شباب الحى ، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا .

ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة فى الظلمة ، فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه وقال : أمجنون أنت ؟ فقال عمر : لا ، فهم به الحرس، فقال عمر : مه ، إنما سألنى أمجنون ؟ فقلت : لا.

ولقى رجل على بن الحسين رضى الله عنهما ، فسبه ، فثارت إليه العبيد، فقال : مهلا، ثم أقبل على الرجل فقال : ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل ، فألقى عليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول (الخميصة كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن معلما فليس بخميصة) .

وقال رجل لوهب بن منبه : إن فلانا شتمك ، فقال : ما وجد الشيطان بريدا غيرك (مختصر منهاج القاصدين / ١٨٢ ـ ١٨٤) .

ويقرر الإمام الماوردى فى كتابه المسمى « أدب الدنيا والدين » للكلام على الحلم والغضب وننقله لك فيما يلى . قال المؤلف رحمه الله حين تناول موضوع أدب النفس ، باعتبار أن الحلم والغضب من أحوال الرياضة والاستصلاح :

روى محمد بن حارث الهلالى أن جبريل نزل على النبى ﷺ فقال : يا محمد إنى أتيتك بمكارم الأخلاق فى الدنيا والآخرة : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف : ١٩٩] وروى سفيان بن عيينة أن النبى ﷺ حين نزلت هذه الآية قال « يا جبريل ما هذا ؟ قال : لا أدرى حتى أسال العالم ثم عاد جبريل وقال : يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » وروى هشام عن الحسن أن النبى ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنى تصدقت بعرضى على عبادك » وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله يحب الحليم الحيى ويبغض الفاحش البذى » وقال عليه الصلاة والسلام : « من حلم ساد ومن تفهم ازداد» . وقال بعض الأدباء : من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . وقال بعض البلغاء : ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض . وقال بعض الشعراء :

أحب مكارم الأخلاق جهدى
وأكره أن أعيب وأن أُعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما
وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيَّبوه
ومن حقر الرجال فلن يُهابا

فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوى الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد ... وقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره . وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب وهذا يكون عن باعث وسبب . وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة :

أحدها الرحمة للجهال وذلك من خير يوافق رقة . وقد قيل فى منثور الحكم : من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لرجل أسمعه كلاما : يا هذا لا تغرقن فى سبنا ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه . وشتم رجل الشعبى فقال : إن كنت كما قلت فغفر الله لى وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك . واغتاظت عائشة رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت : لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء . وقسّم معاوية رضى الله عنه قُطُفا فأعطى شيخا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه فأخبره فقال له معاوية : أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ .

والثانى من أسبابه : القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه » وقال بعض الحكماء : ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة . وقال بعض البلغاء : أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر.

والثالث من أسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس

وعلو الهمة كما قالت الحكماء : شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم . وقد قيل : إن الله تعالى سمى يحيى عليه السلام سيدا لحلمه . وقد قال الشاعر :

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا
حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة
لاصفح ذل ولكن صفح أحلام

والرابع من أسبابه الاستهانة بالمسيء وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير أنه لما ولى العراق جلس يوما لعطاء الجند وأمر مناديه فنادى أين عمرو بن جرموز وهو الذى قتل أباه الزبير فقيل له : أيها الأمير إنه قد تباعد فى الأرض فقال أو يظن الجاهل أنى أقيده بأبى عبد الله فليظهر آمنا ليأخذ عطاءه موفرا فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر. ومثل ذلك قول بعض الزعماء فى شعره :

أوكلما طن الذباب طردته
إن الذباب إذن على كريم

وأكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال : والله ما منعه من جوابى إلا هوانى عليه وفى مثله يقول الشاعر :

نجا بك لؤمك منجى الذباب
حمته مقاذيره أن ينالا

وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه فقال له الرجل : إياك أعنى فقال له : وعنك أعرض وفى مثله يقول الشاعر :

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه
عرضٌ عززت به وأنت ذليل

وقال عمرو بن على

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن أنى
عييت عن الجواب وما عييت

والخامس من أسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة . وقد قال بعض الحكماء : احتمال السفيه خير من التحلى بصورته والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته . وقال بعض الأدباء ما أفحش حليم ولا أوحش كريم . وقال لقيط بن زرارة :

وقل لبنى سعد فمالى ومالكم
ترقون منى ما استطعت وأعتق
أغركمو أنى بأحسن شيمة
بصير وأنى بالفواحش أخرق
وإن تك قد سابيتنى فقهرتنى
هنيئا مريئا أنت بالفُحش أحذق

والسادس من أسبابه التفضل على السَّبَّاب فهذا يكون من الكرم وحب التألف كما قيل للإسكندر : إن فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال : هما بعد العقوبة أعذر فى تنقصى وثلبى فكان هذا تفضلا منه وتألفا . وقد حكى عن الأحنف بن قيس أنه قال : ما عادانى أحد قط إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى منى عرفت له قدره ، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه ، وإن كان نظيرى تفضلت عليه . فأخذه الخليل فنظمه شعرا فقال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منه إلىَّ الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة :
شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره
وأتبع فيه الحقَّ والحقُّ لازم
وأما الذى دونى فأحلم دائبا
أصون به عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا
تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

والسابع من أسبابه استنكاف السباب وقطع السباب وهذا يكون من الحزم كما حكى أن رجلا قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له ضرار : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وحكى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهرى من أحمق الناس ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس قال صدقت ، فمن أعقل الناس ؟ قال : من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال . وقال الشعبى : ما أدركت أمى فأبرها ، ولكن لا أسب أحدا فيسبها . وقال بعض الحكماء : فى إعراضك صون أعراضك . وقال بعض الشعراء :

وفى الحلم ردع للسفيه عن الأذى
وفى الخرق إغراء فلا تك أخرقا
فتندم إذ لا ينفعنك ندامة
كما ندم المغبون لما تفرقا

وقال آخر :

قل ما بدا لك من زور ومن كذب
حلمى أصم وأذنى غير صماء

والثامن من أسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون

من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم . وقد قيل في منثور الحكم : الحلم حجاب الآفات . وقال الشاعر:

أرفق إذا خفت من ذي هفوة خرقا
ليس الحليم كمن في أمره خرق

والتاسع من أسبابه الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد . وقد قيل في منثور الحكم : أكرم الشيم أرعاها للذمم. وقال الشاعر :

إن الوفاء على الكريم فريضة
واللؤم مقرون بذي الأخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفا
وترى اللئيم مجانب الإنصاف

والعاشر : من أسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء . وقد قيل في منثور الحكم : من ظهر غضبه قل كيده . وقال بعض الأدباء : غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله . وقال بعض الحكماء : إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا . وقال إياس بن قتادة :

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا
ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء :

وللكف عن شتم اللئيم تكرما
أضر له من شتمه حين يشتم

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم وبعض الأسباب أفضل من بعض وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولا ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة وإنما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلا . وإن عرا عن أحد هذه الأسباب كان ذلا ولم يكن حلما لأننا قد ذكرنا في حد الحلم أنه ضبط النفس عند هيجان الغضب فإذا فقد الغضب لسماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية . وقد قالت الحكماء : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا في العسرة والشجاع إلا في الحرب والحليم إلا في الغضب . وقال الشاعر :

ليست الأحلام في حال الرضا
إنما الأحلام في حال الغضب

وقال آخر :

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه
لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وأنشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله ﷺ :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا أورد الأمر أصدرا

فلم ينكر ﷺ قوله عليه . ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوى حالتاه قبل الإغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع والأخذ بالثأر لأنها خصال مركبة من الغضب فإذا عدمها الإنسان هان بها ولم يكن لباقي فضائله في النفوس موضع ولا لوفور حلمه في القلوب موقع وقد قال المنصور : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة . وقال بعض الحكماء : العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم . وقال عمرو بن العاص : أكرموا سفهاءكم فإنهم يقونكم العار والشَّنار . وقال مصعب بن الزبير : ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا . وقال أبو تمام الطائي :

والحرب تركب رأسها في مشهد
عُدْلُ السفيه به بألف حليم

وليس هذا القول إغراء بتحكم الغضب والانقياد إليه عند حدوث ما يغضب فيكسب بالانقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يكسبه عدم الغضب من الفضائل ولكن إذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضبه كف سورته بحزمه وأطفأ ثائرته بحلمه ووكل من استحق المقابلة إلى غيره ولا يعدم مسيء مكافئا كما لن يعدم محسن مجازيا . والعرب تقول : دخل بيتا ما خرج منه أي إن خرج منه خير دخله خير وإن خرج منه شر دخله شر. وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم :

إذا أمن الجهال جهلك مرة
فعرضك للجهال غنم من الغنم
فعم عليه الحلم والجهل والقه
بمنزلة بين العداوة والسلم
إذا أنت جاريت السفيه كما جرى
فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
ولا تعضبن عرض السفيه وداره
بحلم فإن أعيا عليك فبالصَّرم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة
ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن
عليه بجهَّال فذاك من العزم

وهذه من أحكم أبيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب وهذا التدبير إنما يستعمل فيما لا يجد الإنسان بدا من مقارنته ولا سبيل إلى اطراحه ومتاركته إما لخوف شره أو للزوم أمره فأما من أمكن اطراحه ولم يضر إبعاده فالهوان به أولى والإعراض عنه أصوب فإذا

كان على ما وصفت استفاد بتحريك الغضب فضائله ، وأمن بكف نفسه عن الانقياد له رذائله ، وصار الحلم مدبرا للأمور المغضبة ، بقدر لا يعتريه نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب عنه الحلم حتى انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه ، وضعف رأيه عن خبرة أسبابه ودواعيه ، حتى يصير بليد الرأى ، مغمور الروية ، مقطوع الحجة ، مسلوب العزاء ، قليل الحيلة ، مع ما يناله من أثر ذلك فى نفسه وجسده حتى يصير أضر عليه مما غضب له . وقد قال بعض الحكماء : من كثر شططه كثر غلطه . وروى أن سلمان قال لعلى رضى الله عنه : ما الذى يباعدنى عن غضب الله عز وجل قال : أن لا تغضب . وقال بعض السلف : أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل إذا غضب . وقال بعض البلغاء : من رد غضبه هد من أغضبه . وقال بعض الأدباء : ما هيَّج جأشك كغيظ أجاشك . وقال رجل لبعض الحكماء عظنى قال : لا تغضب . فينبغى لذى اللب السوى والحزم القوى أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها ، ويقابل عوادى شرته بحزمه فيردها ، ليحظى بانجلاء الحيرة ويسعد بحميد العاقبة . وقال بعض الأدباء : فى إغضائك راحة أعضائك . وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله فبذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه ، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه ولذلك أفضى الحزن إلى الموت ولم يفض إليه الغضب فهذا فرق ما بين الحزن والغضب .

واعلم أن لتسكين الغضب إذا هجم أسبابا يستعان بها على الحلم :

منها أن يذكر الله عز وجل فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ويبعثه والخوف منه على الطاعة له فيرجع إلى أدبه ويأخذ بندبه فعند ذلك يزول الغضب . قال الله تعالى : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ [الكهف : ٢٤] قال عكرمة : يعنى إذا غضبت . وقال الله تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ومعنى قوله ينزغنك أى يغضبك فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . يعنى أنه سميع بجهل من جهل ، عليم بما يذهب عنك الغضب . وذكر أن فى التوراة مكتوبا . يا بن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق . وحكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه إلى وزير له وقال : إذا غضبت فناولنيه وكان فيه : ما لك والغضب إنما أنت بشر ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء . وقال بعض الحكماء : من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباد الله . وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وبالذى هو أقدر على عقابك منك على عقابى لما عفوت عنى فعفا عنه لما ذكره قدرة الله تعالى . وروى أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ القسوة فقال : اطلع فى القبور، واعتبر بالنشور. وكان بعض ملوك الطوائف إذا غضب ألقى عنده مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه . ولذلك قال عمر رضى الله عنه : من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير.

ومنها أن ينتقل عن الحالة التى هو فيها إلى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الأحوال والتنقل من حال إلى حال. وكان هذا مذهب المأمون إذا غضب أو شتم وكانت الفرس تقول : إذا غضب القائم فليجلس ، وإذا غضب الجالس فليقم .

ومنها أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام . وكتب أبرويز إلى ابنه شيرويه : إن كلمة منك تسفك دما ، وأخرى منك تحقن دماً ، وإن نفاذ أمرك مع كلامك ، فاحترس فى غضبك من قولك أن تخطئ ، ومن لونك أن يتغير، ومن جسدك أن يجف ، فإن الملوك تعاقب قدرة وتعفو حلماً . وقال بعض الحكماء : الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم . وقال بعض الأدباء: إياك وعزة الغضب فإنها تفضى إلى ذل العذر. وقال بعض الشعراء :

وإذا ما اعتــرتك فى الغضب العـــزة فــاذكــر تــذلل الاعتــذار

ومنها أن يذكر ثواب العفو ، وحسن الصفح ، فيقهر نفسه على الغضب رغبة فى الجزاء والثواب ، وحذرا من استحقاق الذم والعقاب . روى عن النبى ﷺ أنه قال : ينادى مناد يوم القيامة : من له أجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] وقال رجاء ابن حيوة لعبد الملك بن مروان فى أسارى بن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الخير ثلاث خصال فمن كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل، وإذا غضب لم يخرجه من حق وإذا قدر عفا . وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما فقال ، عمر أردت أن يستفزنى الشيطان لعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا انصرف رحمك الله . ومنها أن يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس إليه فلا يرى إضاعة ذلك بتنفير الناس عنه ، وبعدهم منه ، فيكف عن متابعة الغضب فيرغب فى التألف وجميل الثناء وروى ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : ما ازداد أحد بعفو إلا عزا فاعفوا يعزكم الله . وقال بعض البلغاء : ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، ولا من شروط الكرم إزالة النعم. وقال المأمون لإبراهيم بن

المهدي: إني شاورت في أمرك فأشاروا على بقتلك إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال: يا أمير المؤمنين إن المشير أشار بما جرت به العادة في السياسة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث ماعودته من العفو فإن عاقبت فلك نظير وإن عفوت فلا نظير لك، وأنشأ يقول:

البر بي منك وطأ العذر عندك لي
فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي
مقام شاهد عدل غير متهم
لئن جحدتك معروفا مننت به
إني لفي اللؤم أحظى منك بالكرم
تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به
فلا عدمتك من عاف ومنتقم

(أدب الدنيا والدين / ٣٠٣ـ٣١٣).

وإليك ما أورده الثعالبي في كل من مدح الحلم وذمه. قال في باب مدح الحلم: كان يقال الحلم حجاب الآفات وقال حكيم. حلم ساعة يرد سبعين آفة. وقال بعض السلف الحلم أجل من العقل لأن الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم أن الناس أنصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترزمن عدوه وقال الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيا إلى قوم الا بعثه وأمره بالحلم وكان الأحنف يقول ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم. وكان يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات ومن أحسن ما قيل في الحلم قول الشاعر:

لن يبلغ المجد أقوام وإن كرموا
حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مشرقة
لاعفو ذل ولكن عفو أحلام

باب ذم الحلم

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه، وقال بعض السلف الحلم ذل كله وقال السفاح إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر:

أرى الحلم في بعض المواطن ذلة
وفي بعضها عزا يسود فاعله

وقاتل الأحنف قتالا شديد في بعض المواطن فقيل له أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول النابغة الجعدي

ولاخير في حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له
أديب إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال محمد بن وهب

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني
إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم
ولي فرس للأهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم
ومن رام تعويجي فإني معوج

وأحسن ما سمعت في هذا الباب ما قيل:

أتاني منك ما ليس
على مكروهه صبر
فأغضيت على عمد
وقد يغض الفتى الحر
وأدبتك بالهجر
فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا
ن منك الصفح والزجر
فلما اضطرني المكرو
ه واشتد بي الأمر
تناولتك من سري
بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل
لما مسك الضر
إذا لم يصلح الخير
امرأ أصلحه الشر

قد شذ في الأصل فيه بيت، قال الشيخ الإمام: البيت الأخير من قول الحسن، وهو أنه قيل له: إن عندنا رجلا إذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب، فقال: من لا يصلحه الخير أصلحه الشر (اللطائف والظرائف / ١١٥ـ١١٧).

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢٩، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة قدم له الاستاذ محمد أحمد دهمان، علق عليه سعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٨٢، وأدب الدنيا والدين للماوردي ـ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحي أبو بكر / ٣٠٣ ـ ٣١٣، واللطائف والظرائف للثعالبي / ١١٥ـ١١٧).

* **حلمي حباب:**

حلمي حبـاب: خطـاط دمشقي، تلميـذ الخطـاطين رسـا وممدوخ.

قليل الإنتاج، أجـاد في خط الرقعـة أكثر من غيـره، وقد عمل مدرسًا لمادة الخط العربي في دار المعلمين، وكلية الفنون الجميلة بدمشق. ألف أمشقا متنوعة للخط العربي.

(كيف نعلم الخط العربي ـ معروف زريق / ٤٣).

* **الحِلّة:**

من مـدن العـراق، وتقع على جـانبي نهـر الحلـة (من فـروع الفـرات) تبعـد نحو ١٠ كم جنوبي بغداد بنيت في القـرن الحادي عشر، ولها أهمية تاريخيه لوقوعهـا بجوار مدينة بابل القديمة (انظر مـادة «بابل» في م ٦ / ٣٥٧ ـ ٣٦٢) حتى إن بعض مبانيها بُنيت بحجارة أخذت من أطلال بابل. تحيط بها المزارع وبساتين النخيل والفـاكهـة وتسمى بـالفيحـاء. مـركـز اللـواء المسمـى باسمهـا (الموسوعة الثقافية / ٤٠٨).

ذكرها ابن جبير في رحلته فقال عنها:

هي مـدينة كبيرة عتيقـة الوضع مستطيلـة لم يبق من سـورها إلا حلق من جدار تـرابي مستدير بها وهي على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها ولهذه المدينة أسواق حفيلة جامعة للمرافق المـدنية والصنـاعات الضـرورية وهي قـوية العمـارة كثيرة الخلق متصلة حـدائق النخيل داخلا وخـارجا فـديارهـا بين حدائق النخيل وألفينا بها جسرا عظيما معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط تحف مـن جـانبهـا سـلاسل من حـديـد كـالأذرع المفتولة عظما وضخامة ترتبط إلى خشب مثبتة في كلا الشطين تدل على عظمـة الاستطـاعة والقـدرة أمـر الخليفة بعقـده على الفـرات اهتماما بالحاج واعتناء بسبيلـه وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب فـوجدوا هـذا الجسـر قـد عقده الخليفـة في مغيبهم ولم يكن عنـد شخوصهم إلى مكة شرفها الله وعبرنا الجسر ظهر يوم الأحد المذكور ونزلنـا بشط الفرات على مقدار فرسخ من البلد وهذا النهر كـاسمه فرات هـو من أعذب المياه وأخفهـا وهو نهـر كبير زخام تصعـد فيه السفن وتنحدر والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بسائط من الأرض وعمـائر تتصل بها القرى يمينـا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها فمحرثها لا حـد لاتساعـه وانفسـاحه فللعين في هـذه الطريق مسرح انشـراح وللنفس مزاد انبساط وانفساح والأمن فيهـا متصل بحمد الله سبحانه وتعالى

شهر صفر سنة ثمانين عرفنا الله بمنه وبركته

هلاله على الكمال من ليلة الإثنين بموافقة الرابع عشر من مايه استهل هـلاله ونحـن على شط الفرات بظـاهـر مـدينة الحلـة وفي ضحوة يوم الإثنين المذكور رحلنا وأجزنا جسرا على نهر يسمى النيل وهو فرع متشعب من الفرات وكان عليه ازدحام غرق كثير من الناس والـدواب في المـاء فتنحينا مـريحين إلى أن انفـرج ذلك المـزدحـم وعبرنا على سلامة وعافية والحمد لله ومن مدينة الحلة يتسلل الحاج إرسـالا وأفـواجـا فمنهم المتقـدم والمتـوسط والمتـأخـر لا يعـرج المستعجل على المعتذر ولا المتقـدم على المتأخر فحيثمـا شاؤوا من طريقهم نزلوا وأراحوا واستراحوا ... الخ

(رحلة ابن جبير / ١٦٥، ١٦٦).

وقال عنها ياقوت:

الحلة: بالكسر ثم التشديـد؛ وهو في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة؛ قال الأعشى:

لقـد كـان في شيبـان لـو كنت عـالمـا
قبـاب وحي حلـة وذراهـم

والحلة أيضا: شجرة شاكة أصغر من العوسج؛ قال:

يـأكـل مـن خصـب سيـال وسلـم
وحلـة لمـا يـوطئهـا النعـم

والحلة: علم لعـدة مواضع، وأشهرهـا حلة بني مزيد: مـدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسدس، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، تعديل نهارها خمس عشرة درجة، وأطول نهـارها أربع عشـرة ساعة وربـع وكان أول من عمرها ونـزلها سيف الدولة صدقـة بن منصور بن دُبيس بن علي بن مزيد الأسـدي، وكانت منازل آبائه الدور من النيل، فلمـا قوي أمره واشتـد أزره وكثرت أمـواله لاشتغـال الملـوك السلجوقيـة بركيـاروق ومحمد وسنجـر أولاد ملك شاه بن ألب أرسلان بما تـواتر بينهـم من الحـروب انتقل إلى الجامعين مـوضع في غـربي الفرات ليبعـد عن الطـالـب، وذلك في محـرم سنـة ٤٩٥، وكانت أجمـة تأوي إليهـا السباع فنزل بهـا بأهله وعساكره وبنى بها المسـاكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنـق أصحابه في مثل ذلك فـصارت ملجأ، وقـد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنهـا مدة حياة سيف الدولة، فلما قتل بقيت على عمارتها فهي اليوم قصبة تلك الكورة؛ وللشعراء فيها أشعـار كثيرة، منها قول إبـراهيم بن عثمان الغزي وكان قـدمها فلم يحمدها:

أنـا في الحلـة، الغـداة، كـأني
علـوي في قبضـة الحجـاج
بين عُـرب لا يعـرفـون كـلامـا
طبعهـم خـارج عن المنهـاج
وصـدور لا يشـرحـون صـدورا
شغلتهم عنهـا صـدور الـدجـاج

والمليك الـــذى يخـــاطبـــه النــــا
س بسيف مــــاض وفخـــــر وتــــاج
مـــا لــــه نــــاصح، ولا يعلـم الغيـــــ
ــــب، وقــد طــال فى مقـامى لجـاجى
قصــة مــا وجــدت غيـر ابـن فخـر الــ
ــدين طبًّــا لهـا لطيف العــلاج
وإذا سُلِّطت صـــروف الليــالى
كســرت صخـر تــدمـر كــالـزجـاج

والحلة أيضا: حلة بنى قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة. والحلة أيضا: حلة بنى دبيس بن عفيف الأسدى قرب الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة، والأهواز فى موضع آخر (معجم البلدان ٢ / ٢٩٤، ٢٩٥).

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٨، ورحلة ابن جبير / ١٦٥، ١٦٦، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٩٤، ٢٩٥).

*** حلة السرى فى مدح خير الورى :**

حلة السرى فى مدح خير الورى : لمحمد بن أحمد المعروف بابن جابر النحوى الأعمى المتوفى سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة وهى منظومة بديعة ثم شرحها رفيقه أحمد بن يوسف المعروف بالبصير النحوى المتوفى سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة « سماه طراز الحلة وشفاء الغلة » .

(كشف الظنون ١ / ٦٨٨) .

*** الحلة السيراء فى مدح خير الورى :**

بديعية من نظم محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى المالكى أبو عبد الله الأعمى النحوى ، نظمها عال ، ولكنه أخل فيها بذكر أنواع من البديع كثيرة جدا .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ١٨١) .

انظر : البديع (علم ـ) فى م ٦ / ٥٤٢ ـ ٥٤٥ ، والبديعيات فى م ٦ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

*** الحلواء :**

يرد ذكر الحلواء فى الأطعمة المركبة التى عددها صاحب الشقرونية فى أرجوزته وذلك فى هذين البيتين ، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت فى النص :

١٠١ - وخص بـــالحلـــواء أهل البلغم
ولا يغــــــــرنك طيب المطعم
١٠٢ - إلا إذا مــــا صنعت من سكـــر
فــاحفل بهــا ولا تكن بــالممتـــرى

(الطب العربى / ٨٧) .

يقول أبو بكر الرازى عن الحلواء : إن الحلواء بالجملة مسخنة للبدن ، زائدة فى الدم والمرة ، صالحة للصدر والرئة ، مطلقة للطبيعة . وهى للمشايخ والمبرودين ، فقلما يحتاج إلى إصلاحها اللهم إلا أن يكثروا منها . فإن بلغت فى حالة إلى أن تثقل وتمدد البطن والمعدة وتوجعهما ، فليأخذوا عليها الجوارشنات المسهلة (أى الهاضمات . انظر مادة « الجوارشنات » فى م ١٢ / ٤٤٢) ، ويطيلوا التجوع من بعدها والنوم ، ثم يستحموا ويجعلوا غذاءهم غذاء يسيرا لطيفا يوما أو يومين من بعدها .

ثم يذكر الرازى من أنواع الحلواء الفالوزج ، الخبيص ، العصيدة ، اللوزينج ، القطائف ، الزلابية ، وروغن جردنك ، والبهط ، والجوذاب ، وشيرر وغن ، والخشكفانك والشهدانك ، وشكرينك ، والخبيصة الفارسية ، والناطف (منافع الأغذية ودفع مضارها / ٢٣٧ ـ ٢٤٢) .

(الطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى ، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ٨٧ ، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ـ راجعه وقدم له د. عاصم عينانى / ٢٣٧ ـ ٢٤٢) .

*** الحلوانى / (٧٣٠ـ٨٠٤ هـ / ١٣٢٩ـ١٤٠١ م)**

يوسف بن الحسن بن محمود السرائى الأصل التبريزى المولد الشافعى المذهب الشهير بالحلوانى الملقب بعز الدين ولد سنة ٧٣٠ هـ بتبريز وتفقه بها وقرأ على القاضى عضد الدين وغيره ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن شمس الدين الكرمانى الحديث وسمع عليه شرحه للبخارى كما قرأ على الجلال القزوينى والبهاء الخوانجى وقد أقام بتبريز يدرس وينشر العلم ويصنف ثم رحل منها فى حادث تخريبها إلى ماردين فأكرمه أميرها وعقد له مجلسا حضره فيه علماؤها فأقروا بفضله ومنهم الهمام والصدر ثم عاد إلى تبريز فى عهد أمير زاده بناء على طلبه وقد أكرمه هذا الأمير ثم تحول منها إلى الجزيرة وكان فى كل هذه الرحلات ينشر العلم تدريسا وتصنيفا .

مصنفاته ووفاته :

من مصنفاته شرح منهاج البيضاوى فى الأصول وشرح الأربعين النووية وشرح أسماء الله الحسنى وحاشية على الكشاف وحاشية على شرح الشافية فى الصرف .

توفى رحمه الله سنة ٨٠٤ هـ بالجزيرة ودفن بها .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٩ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٨ / ٢٢٤، ٢٢٥ وفيه المقابل فى التاريخ الميلادى للمولد والوفاة هو ١٣٣٠ ـ ١٤٠٢) .

* **حلوان :**

قال ياقوت :

حلوان : بالضم ثم السكون ؛ والحلوان فى اللغة الهبة ، يقال حلوت فلانا كذا مالا أحلوه حلوا وحلوانا إذا وهبت له شيئا على شىء يفعله غير الأجر ، وفى الحديث : نهى عن حلوان الكاهن ؛ والحلوان : أن يأخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه . وحلوان فى عدة مواضع : حلوان العراق، وهى فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد، وقيل : إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به .

وفى كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس : حلوان .

طولها إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، بيت حياتها أول درجة من الأسد، طالعها الذراع اليمانى تحت عشر درج من السرطان ، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها من الحمل، عاقبتها مثلها من الميزان، وهى فى الإقليم الرابع، وكانت مدينة كبيرة عامرة؛ قال أبو زيد : أما حلوان فإنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرمن رأى أكبر منها ، وأكثر ثمارها التين، وهى بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج ، وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائما، وهى وبئة ردية الماء وكبريتية، ينبت الدفلى على مياهها ، وبها رمان ليس فى الدنيا مثله وتين فى غاية من الجودة ويسمونه لجودته شاه انجير أى ملك التين ، وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء .

وأما فتحها فإن المسلمين لما فرغوا من جلولاء ضم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكان عمه سعد قد سيره على مقدمته إلى جرير ابن عبد الله فى خيل ورتبه بجلولاء، فنهض إلى حولان فهرب يزدجرد إلى أصبهان وفتح جرير حلوان صلحا على أن كف عنهم وآمنهم على ديارهم وأموالهم ثم مضى نحو الدينور فلم يفتحها وفتح قرميسين على مثل ما فتح عليه حلوان وعاد إلى حلوان فأقام بها واليا إلى أن قدم عمار بن ياسر ، فكتب إليه من الكوفة أن عمر قد أمره أن يمد به أبا موسى الأشعرى بالأهواز ، فسار حتى لحق بأبى موسى فى سنة ١٩ ؛ قال الواقدى : بحلوان عقب لجرير بن عبد الله البجلى، وكان قد فتح حلوان فى سنة ١٩ ، وفى كتاب سيف : فى سنة ١٦ ؛ وقال القعقاع بن عمرو التميمى :

وهل تذكرون ، إذ نزلنا وأنتم
منازل كسرى ، والأمور حوائل
فصرنا لكم ردءا بحلوان بعدما
نزلنا جميعا ، والجميع نوازل
فنحن الأولى فزنا بحلوان بعدما
أرنّت، على كسرى ، الإما والحلائل .

وينسب إلى حلوان هذه خلق كثير من أهل العلم ، منهم : أبو محمد الحسن بن على الخلال الحلوانى ، يروى عن يزيد بن هارون وعبد الرزاق وغيرهما ، روى عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، توفى سنة ٢٤٢ ؛ وقال أعرابى :

تلفت من حلوان ، والدمع غالب ،
إلى روض نجد ، أين حلوان من نجد؟
لحصباء نجد ، حين يضربها الندى ،
ألد وأشفى للعليل من الورد
ألا ليت شعرى ! هل أناس بكيتهم
لفقدهم هل يبكينهم فقدى ؟
أداوى ببرد الماء حر صبابة ،
وما للحشا والقلب غيرك من برد ...

وحلوان أيضا : قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل ، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره ، ولذلك قال الشاعر :

كل يوم كأنه عيد أضحى
عند عبد العزيز، أو يوم فطر
وله ألف جفنة مترعات ،
كل يوم، يمدها ألف قدر

وكان قد وقع بمصر طاعون فى سنة ٧٠ وواليها عبد العزيز فخرج هاربا من مصر، فلما وصل حلوان هذه استحسن موضعها فبنى بها دورا وقصورا واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس كروما ونخلا ؛ فلذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

سقيا لحلوان ذى الكروم، وما
صنّف من تينه ومن عنبه
نخل مواقير بالقناء من الـ
برنى، يهتز ثم فى سربه
أسود، سكانه الحمام، فما
تنفك غربانه على رطبه

(معجم البلدان ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤) .

قالت المؤلفة : أورد على مبارك فى خططه فى البيت الثانى لفظ « بالقنى » بدلا من « بالقناء » ، وفى البيت الثالث لفظ « ينفك» بدلا من « تنفك » ثم يضيف بعد هذه الأبيات قوله :

ولما أطعم نخلها دخله عبد العزيز ومعه الجند فجعل يطوف فى غروسه ومساقيه فقال له يزيد بن عروة الجملى ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » فقال له

أذكرتني شكرا وأمر أن يزاد في عطائه عشرة دنانير (الخطط التوفيقية ١٠ / ١٧٣) .

ونعود إلى ياقوت الذي يقول :

وقال سعد بن شريح مولى نجيب يهجو حفص بن الوليد الحضرمي والي مصر ويمدح زبان بن عبد العزيز بن مروان :

يا باعث الخيل ، تردي في أعنتها ،

من المقطم في أكناف حلوان

لا زال بغضي ينمي في صدوركم ،

إن كان ذلك من حي لزبان

وحلوان أيضا : بليدة بقوهستان نيسابور، وهي آخر حدود خراسان مما يلي أصبهان (معجم البلدان ٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩٤) .

ونستكمل هذه المادة ببعض ما أورده على مبارك في خططه عن حلوان من معلومات مفيدة وطريفة . قال رحمه الله :

وكان بحلوان في النيل معدية من صوان تعدى بالخيل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي بحلوان إلى البر الغربي ، وهذا من الأسرار التي في الخليقة فإن جميع الأجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير إذا عمل من شيء منها إناء يسع من الماء أكثر من وزنه فإنه يعوم على وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يغرق ، انتهى .

وقد بقيت حلوان بعد ذلك مدة رافلة في حلل الرفاهية وكان حولها كنائس ودير للنصارى، وفي خطط المقريزي أيضا أن الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون لما قدم مصر سنة سبع عشرة ومائتين نزل الفسطاط وسخا وحلوان وقفط، وكانت إقامته في الجميع تسعة وأربعين يوما وكان دخوله مصر لعشر خلون من المحرم، وكانت المدة بين قدومه إليها وابتداء عمارتها في مدة عبد العزيز نحو مائة وسبع وعشرين سنة ...

اعلم أن هذه المدينة قد أخذت في التقهقر بعد زوال ملك الأمويين وتضعضع أمرها شيئا فشيئا حتى كانت الفتن في القرن الحادي عشر فتخربت بالكلية .

وفي تاريخ الجبرتي أن إبراهيم بيك الملقب بشيخ البلد قد أحرقها في سنة مائتين وألف، ثم لما جاءت العائلة المحمدية ، هبت عليها نسمات العمارية، وعاد إليها شرخ الشباب كغيرها من بلاد القطر، وفي زمن المرحوم عباس باشا في سنة ألف ومائتين وست وستين هجرية عثر في شرقيها على عين الماء المعدنية ، وأول من نبه على منافعها الحاذق الماهر جستنيل بيك الأجزائي وبالامتحانات والتجاريب التي أجراها هو وكثير من الحكماء علم أن مياه هذه العين نافعة في علاج جميع الأمراض المحتاجة إلى التراكيب الكبريتية خصوصا الأمراض الجلدية والجدارية والنزل، والماء النابع منها في غاية النقاء لا لون له كبريتي الرائحة مالح الطعم ، وحرارته حين ينبع تسع وعشرون درجة مئينية وحرارة الهواء خمس وعشرون درجة كذلك ، وقد رام المرحوم عباس باشا أن يبني بها حماما فلم يتم له مراده .

وفي زمن الخديوي إسماعيل باشا بنيت حمامات لطوائف الخلق ليكون للفقراء والأغنياء حظ من هذا الخير الجزيل، وبني حولها أماكن للمترددين إليها للاستحمام والمعالجة ، وترتب لها حكيم وخدمة لمباشرة المرضى ومعالجتهم على حسب أحوالهم ، وترتب لها أيضا وابورات توصل إليها من يقصدها والآن عملت لها سكة حديد توصل إليها لزيادة السهولة وعملت طرق معتدلة من البحر إلى الحمامات المذكورة وحفت بالأشجار من الجانبين، وبهذه الوسائط هرعت إليها الناس من الملل المختلفة فيوجد هناك كل يوم عدد وافر من الناس جميعهم يثني على الحضرة الخديوية لهذا الخير العميم .

وقد رتب لها في سنة ألف وثمانمائة وإحدى وسبعين ميلادية الحكيم راير للنظر في أمراض الواردين عليها ، وبما حصل فيها من الإصلاحات والأعمال الخيرية بلغ الآن ما ينبع من العين في مدة أربع وعشرين ساعة أربعمائة متر مكعب بعد أن كان في سنة ألف وثمانمائة وستين يبلغ أربعة أمتار وثلثا تقريبا .

وينابيع ذلك الماء واقعة على بعد أربعة كيلو مترات من شاطىء النيل وارتفاع أرضها عن الأرض المزروعة سبعة وعشرون مترا، وارتفاعها عن البحر الأبيض المتوسط سبعة وخمسون مترا وهو ارتفاع أرض محطة السكة هناك ، وعدد الينابيع التي استكشفت واستعملت الآن عشرة ، والحمامات المعدة للاستحمام مركبة من أربع وعشرين خلوة مشيدة على الينبوعين الكبيرين الواقعين في الجهة الجنوبية ، والماء وارد إليهما من خمسة ينابيع أصلية تكاد تكون موضوعة على خط واحد مستقيم .

وقد وجد حكماء الفرنج لماء هذه الينابيع شبها بماء حمامات مدينة اكس لشبيل من مملكة فرنسا وقد حللها جستنيل بيك فرأى أن المتر الواحد منه يحتوي على المقادير المبينة بهذا من الغازات .

٠٤٤ , ٠ حمض الكبريت ادريك .

١٢٠ , ٠ حمض الكربونيك .

ولم يمكن تعيين كمية الأزوت بالضبط وأما ما وجد فيه من المواد الجامدة فهو :

١٨٨ , ٠ كلورور الكالسيوم .

٨١٢ , ٦ كلورور المانيزيوم .

٢٤٠ , ٣ كلورور الصوديوم .

٠,٥٦٠ كربونات الجير.

ويوجد فى هذا الماء زيادة على ما ذكر قليل جدا من أملاح الحديد ومن حمض الكربونيك .

وقال علماء الطب إن هذا الماء مسهل واستعماله جيد لأصحاب أمراض الجهاز الهضمى كالنزلات المعدية والمعوية والإمساك المستمر وتكوين الأرياح فى البطن وفى ضعف الهضم وأمراض المسالك البولية كالنزلات المزمنة ، وفى أمراض الكبد كاحتقانه والتهابه المزمن وحالته الشحمية وضخامته وأمراض الطحال واحتقانات المخ ، وفى الأمراض الناتجة عن تغير فى التغذية كالسمن المفرط ، وداء النقرس والبول السكرى وداء السدد وبعض أمراض عصبية وأمراض القلب ، وقد كان ظهور هذه الينابيع الكبريتية والمعدنية الملحية من أجزل نعم الله سبحانه وتعالى على قطرنا ، كما أنعم على غيرنا من سكان قارة (أوروبا) وكان سببا فى اتساع ثروتها وغناها لحسن تدابيرهم فى اجتناء فوائدها خصوصا لما ثبت أنها جيدة النفع فى الأمراض المتسلط أغلبها على سكان القطر، وأنها قديمة الاستعمال لما ظهر عند حفر أساسات الحمامات التى أنشئت عليها من آثار الحمامات والأبنية القديمة المبنية بالخزف والأحجار التى كانت غالبا من زمن عبد العزيز بن مروان وقطع من أعمدة ومنارات منقوش عليها بالكتابة العربية ودراهم إسلامية وأحجار على هيئة المدى والرماح والقسى، مما كان يستعمل فى الحروب إذ ذاك وآثار أخر مثل قطع خشب متحجرة تدل على وجود غابة تحجرت فساعدت الحكومة السنية إذ ذاك على تسهيل الوصول إليها والانتفاع بها ، فتقرر أن يبتدأ بوضع محال من الخشب مؤقتة إلى بناء حمامات مستعدة ومعدة للمرضى، فوفد على تلك الجهة بعض المصابين من أهالى مصر والإسكندرية وحصل لهم النجاح .

وفى شوال سنة ألف ومائتين وثمان وثمانين توجه لمشاهدة هذه الينابيع صاحب الفخامة الخديوى السابق إسماعيل باشا وسر بما رأى من نفعها وصدر أمر بعمل رسم للمدينة ، وأن يتجدد بها من العمارات الأولى ما لا يستغنى عنه ، مثل وضع مجار لتوصيل ماء النيل للحمامات ، وإنشاء طريق طوله ٤١٠٠ متر، يبتدىء من شاطىء النيل إلى حلوان، وطريق آخر طوله ١٣٠٠ متر يمتد من الجنوب للشمال، وفتح قناة تحت الأرض طولها ٢٤٠٠ متر لتصريف الماء الزائد عن الحاجة ورفع الأوساخ والأقذار، وإنشاء خان كبير للمسافرين (وهو الأوتيل) ودار صغير للمرضى، وأجزاخانة فيها ما يلزم من الأدوية ، وحوض كبير يسع خمسة آلاف متر مكعب من الماء لاستحمام الفقراء وقد جعل حمامها مشتملا على مستحمات متنوعة، منها ما لا يستحم به إلا شخص واحد ، ومنها ما يستحم به أكثر على حسب درجات الناس وكيفية الاستحمام بها مختلفة بحسب ما يراه الحكيم لأنواع الأمراض ، فمنها ما هو كالمعتاد ومنها ما يكون بصب الماء على المريض بقوة مخصوصة من ارتفاع مخصوص على قدر مخصوص ، وقد أنشئت هناك لوكاندة يجد فيها المريض ما يلزم له بحسب حاله ، فإذا أقام فى أودة وحده يلزمه كل يوم جنيه إنكليزى فى نظير أكله وسكنه واستحمامه وتداويه ، فإن أقام مع غيره فى أودة لزمه كل يوم خمسة عشر فرنكا فإن كانت مؤنته على نفسه لزمه كل يوم عشرة فرنكات ، والطفل الذى بلغ سنه خمس عشرة سنه يلزمه نصف ما على الكبير

وأما الصغير الذى لم يبلغ سنه عشر سنين فإنه يعالج بلا مقابل، وكذلك الفقراء لكن بشرط أن يأتوا بشهادة من حكام جهاتهم أنهم فقراء، والعادة أن المقرر يدفع كل أسبوع ، وأما ملاءات الفرش والغطاء فيأتى بها المريض من عند نفسه على حسب حاله (الخطط التوفيقية الجديدة ١٠ / ١٧٥ ، ١٨٢ - ١٨٥) .

ونكتفى بهذا القدر ، ويمكنك متابعة وصف على مبارك لمدينة حلوان وتطورها بالرجوع إلى الخطط ١٠ / ١٨٥ - ١٨٨ .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٩٠ - ٢٩٤ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠/ ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٢ - ١٨٥ ، انظر أيضا الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ لابن حزم الأندلسى / ١١) .

*** الحلوانى (- ٤٤٨ هـ / - ١٠٥٦ م) :**

من فقهاء الحنفية ، وهو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح البخارى ، شمس الأئمة الحلوانى ، أبو محمد ، الفقيه الحنفى .

وهو من أهل بخارى (انظر هذه المادة فى م ٦ / ٤٥٢ - ٤٦١) ونسبته إلى الحلواء ، وكان والده فقيرا ، يبيع الحلواء . تفقه شمس الأئمة ببخارى وصار عالما بأنواع العلوم ، معظما للحديث وأهله ، وكان إمام أهل الرى فى وقته ببخارى، وتفقه عليه كثيرون ، وتخرج به الأعلام كشمس الأئمة السرخسى ، وفخر الإسلام البزدوى، وغيرهما .

توفى فى كش، ودفن ببخارى ، وحدد الذهبى وفاته سنة ٤٥٦ هـ ، وقيل غير ذلك . من كتبه « المبسوط » فى الفقه ، و« النوادر » فى الفروع ، و « الفتاوى » ، و« شرح أدب القاضى لأبى يوسف » .

(مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٣٨٨) .

*** الحلوانية (المقامة -) :**

المقامة الثانية من مقامات الحريرى. سبق أن أوردنا نماذج من مقامات الحريرى. انظر هذه إن شئت فى موضعها من كتاب المقامات الأدبية لأبى محمد القاسم الحريرى / ١٣ - ٢٠ .

* **الحلول والاتحاد :**

هو الاعتقاد الفاسد بأن روح الإله تحل فى أناس بعينهم وتتحد معها ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ويحدد الإمام عبد القاهر البغدادى فرق الحلولية بعشر فرق ، وفى ذلك يقول : فى الفصل العاشر تحت عنوان « فى ذكر أصناف الحلولية ، وبيان خروجها عن فرق الإسلام » :

الحلولية : فى الجملة عشر فرق كلها كانت فى دولة الإسلام ، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع . وتفصيل فرقها فى الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض ، وذلك أن السبئية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية . منهم بأجمعها حلولية ، وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون ، وظهر قوم بمرو يقال لهم رزامية ، وقوم يقال لهم بركوكية . وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم حلمانية ، وقوم يقال لهم حلاجية ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، وقوم يقال لهم العذافرة ينسبون إلى ابن أبى العذافر، وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شاركوهم فى استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات ، (الفرق بين الفرق / ١٩٣) .

ثم يفصل القول فى عقائد هذه الفرق الضالة فارجع إليها إن شئت فى كتابه « الفرق بين الفرق » / ١٩٤ ـ ١٩٧ .

وأول من أظهر هذه المقالة فى الإسلام الروافض ، فإنهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ١١٦) ويسوق الإمام السيوطى فى رسالته الموسومة بتنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد ، ما أورده صاحب كتاب معيار المريدين إذ يقول :

وقال صاحب كتاب معيار المريدين : اعلم أن منشأ أغلاط الفرق التى غلطت فى الاتحاد والحلول جهلهم بأصول الدين وفروعه وعدم معرفتهم بالعلم وقد وردت الأحاديث والآثار بالتحذير من عابد جاهل فمن لا يكون له سابقة علم لم ينتج ولم يصح له سلوك . وقد قال سهل بن عبد الله التسترى : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين فافهم ولا تغلط فإن الدين واضح قال : واعلم أنه وقع فى عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة فى التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك قال : والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال فإن رجلين مثلا لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما فى ذاتيهما كما هو معلوم فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم فإذن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا فى عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته . وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه .

قال : وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات . وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة فى الآخرة . وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة . وفناء الشك وبقاء اليقين . وفناء الغفلة وبقاء الذكر، قال : وأما قول أبى يزيد البسطامى : سبحانى ما أعظم شانى فهو فى معرض الحكاية عن الله وكذلك قول من قال أنا الحق محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد كما غلط النصارى فى ظنهم ذلك فى حق عيسى عليه السلام وإنما حدث ذلك فى الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة ، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك ـ هذا كله كلام معيار المريدين بلفظه .

ثم يقول الإمام السيوطى : والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذى هو أخو الحلول وهو كفر ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا ـ اصطلح عليه الصوفية ـ ولا مشاحة فى الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ فى معنى صحيح لا محذور فيه شرعا ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول بينى وبين صاحبى زيد اتحاد وكم استعمل المحدثون ، والفقهاء ، والنحاة ، وغيرهم لفظ الاتحاد فى معان حديثية ، وفقهية ، ونحوية كقول المحدثين : اتحاد مخرج الحديث ، وقول الفقهاء : اتحد نوع الماشية ، وقول النحاة : اتحد العامل لفظا أو معنى ، وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققى الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذى هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذى يقشعر له الجلد وقد أشار إلى ذلك سيدى على بن وفا فقال من قصيدة له :

يظنوا بى حلولا واتحادا
وقلبى من سوى التوحيد خالى

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول وقال من أبيات أخر :

وعلمك أن كل الأمر أمرى
هو المعنى المسمى باتحاد

فذكر أن المعنى الذى يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم

الأمر كله لله وترك الإرادة معه والاختيار والجرى على مواقع أقداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره .

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد : حدثني الشيخ كمال الدين المراغي عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة : الكفار إنما انتشروا في بلادكم لانتشار الفلسفة هناك وقلة اعتنائهم بالشريعة والكتاب والسنة قال فقلت له : في بلادكم ما هو شر من هذا وهو قول الاتحادية فقال : هذا لا يقوله عاقل فإن قول هؤلاء كل أحد يعرف فساده، قال وحدثني الشيخ كمال الدين المذكور قال : اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال : أتكون الصنعة هي الصانع ؟ انتهى قلت : ولهذا كانت طريقة الشاذلي هي أحسن طرق التصوف وهي في المتأخرين نظير طريقة الجنيد في المتقدمين ، وقد قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في كتاب جمع الجوامع : وإن طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم، وكان والده شيخ الإسلام تقي الدين السبكي يلازم مجلس الشيخ تاج الدين بن عطاء الله يسمع كلامه ووعظه ونقل عنه في كتابه المسمى غيرة الإيمان الجلي فائدة حسنة في حديث « لا تسبوا أصحابي » فقال : إنه ذكر أن النبي ﷺ كانت له تجليات فرأى في بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال مخاطبا لهم : « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » وارتضى السبكي منه هذا التأويل وقال : إن الشيخ تاج الدين كان متكلم الصوفية في عصره على طريق الشاذلية انتهى قلت : وهو تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي. والشيخ أبو العباس تلميذ الشاذلي ، وقد طالعت كلام هؤلاء السادة الثلاثة فلم أر فيه حرفا يحتاج إلى تأويل فضلا عن أن يكون منكرا صريحا وما أحسن قول سيدي علي بن وفا :

تمسك بحب الشاذلية تلق ما ... تروم وحقق ذا الرجاء وحصل

ولا تعد عيناك عنهم فإنهم ... شموس هدى في أعين المتأمل

ثم قال صاحب نهج الرشاد : وما زال عباد الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية وإن كان بعض الناس قد يكون أعلم وأقدر وأحكم من بعض في ذلك .

وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد : وأما المنتمون إلى الإسلام فمنهم بعض غلاة الشيعة القائلون بأنه لا يمتنع ظهور الروحاني في الجسماني كجبريل في صورة دحية الكلبي وكبعض الجن أو الشياطين في صورة الأناسي قالوا : فلا يبعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين وأولى الناس بذلك علي وأولاده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال : ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن في السلوك وخاض معظم لجة الوصول فربما يحل الله فيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، كالنار في الجمر بحيث لا تمايز أو يتحد به بحيث لا أثنينية ولا تغاير وصح أن يقول هو أنا وأنا هو قال وفساد الرأيين غني عن البيان قال : وههنا مذهبان آخران يوهمان الحلول أو الاتحاد وليسا منه في شيء .

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته وتغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وبعد الكشف عنها بالمقال ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان والله الموفق ، ثم ذكر في المذهب الثاني وهو القول بالوحدة المطلقة وقال : إنه غير الحلول والاتحاد وأنه أيضا خارج عن طريق العقل والشرع وأنه باطل وضلال . وقد سقت بقية كلامه فيه في الكتاب الذي ألفته في ذم القول بالوحدة المطلقة فإنه به أجدر ، وذكر السيد الجرجاني في شرح المواقف نحو ذلك وقد سقت أيضا عبارته في الكتاب المشار إليه .

وقال العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه شرح منازل السائرين الدرجة الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين وهو الفناء عن إرادة السوى شائما برق الفنا عن إرادة ما سواه سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانيا محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلا عن إرادة غيره قد اتخذ مراده بمراد محبوبه أعني المراد بمراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري فصار المرادان واحدا قال : وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد في العلم والخبر فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحدا مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين فغاية المحبة مراد المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم قد فنوا بعبادته عن عبادة ما سواه وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه ومن تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا في الله ، ولا يبغض إلا فيه ، ولا يوالي إلا فيه ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، ولا يرجو إلا إياه، ولا يستعين إلا به ، فيكون دينه كله ظاهرا لله ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل .

يعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعا ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك فناؤها عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربه تعالى وحقوقه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علما ومعرفة وعملاً وحالاً وقصدًا، وحقيقة هذا النفي والإثبات الذى تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء ففنى عن تأله ما سواه علما وإفرادا وتعمدا وبقي تألهه وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذى اتفقت عليه المرسلون صلوات الله عليهم . وأنزلت به الكتب، وخلقت لأجله الخليقة، وشرعت له الشرائع، وقامت عليه سوق الجنة ، وأسس عليه الخلق والأمر — إلى أن قال : وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة والمعصوم من عصمه الله والله المستعان :

وقال فى موضع آخر : وإن كان مشمرا للفناء العالى وهو الفناء عن إرادة السوى لم يبق فى قلبه مراد يزاحم مراده الدينى الشرعى النبوى القرآنى بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد وهذا حقيقة المحبة الخالصة وفيها يكون الاتحاد الصحيح وهو الاتحاد فى المراد لا فى المريد ولا فى الإرادة قال : فتدبر هذا الفرقان فى هذا الموضع الذى طالما زلت فيه أقدام السالكين وضلت فيه أفهام الواحدين انتهى، وقد تكرر كلام ابن القيم فى هذا الكتاب فى تضليل الاتحادية والقائلين بالوحدة المطلقة وقد سقت منه أشياء فى كتابى الذى أشرت إليه فلينظر منه والله أعلم(الحاوى للفتاوى ٢٠/ ١٣٣ـ١٣٧) .

وقد شن الإمام ابن تيمية على أصحاب مذهب الحلول والاتحاد حربا شعواء يوضحها الإمام محمد أبو زهرة فى كتابه عن ابن تيمية فى فصل بعنوان « الوحدانية والتصوف ». الحلول ـ وحدة الوجود ـ الاتحاد . قال رحمه الله :

شغل الفكر الإسلامى بأفكار أثارها المتصوفة، تتعلق بصلة الله سبحانه وتعالى بخلقه ، وإن المعروف بين علماء المسلمين المقرر فى مصادر الدين أنها صلة الخالق بالمخلوق ؛ والمبدع بما أبدعه، والله واجب الوجود الذى ليس كمثله شيء؛ والمخلوق ممكن الوجود عرض له الوجود بعد أن لم يكن .

لكن بعض المتصوفة أثاروا أمورا تجعل الصلة ليست كذلك فقط ، فقد قالوا تابعين لرأى قديم بجواز حلول الله فى بعض الآدميين إذا كان مستعدا لذلك بصفاء نفسه وثقل روحه ، وأظهر من قال ذلك الحلاج (انظر ترجمته) ثم جاء ابن عربى فحكم بوحدة الوجود ، وأن الموجود واحد ، تعددت صوره وأشكاله ومظاهره ثم جاءت بعد ذلك فكرة الاتحاد بين المخلوق والخالق من حيث المحبة والشوق، فإنه بهذه المحبة يتصل بالله تعالى ويعلو إليه ، وأنه عندما يصل إلى درجة الاتحاد بالذات العلية يكون فى غيبوبة يسمونها المحو، أى فناء ذاته الفانية فى ذات الله الباقية ، أو يسمونها السكر لأنه يغيب فيها عن الحس، ويسمى أولئك هذه الحال بوحدة الشهود. وهى مقابل ما قاله ابن عربى عن وحدة الوجود وقد جاء ذلك المذهب فى شعر عمر بن الفارض ؛ وحكم ابن عطاء الله السكندرى الذى عاصر ابن تيمية وشكاه إلى أولى الأمر سنة ٧٠٧ .

ناقض ابن تيمية هذه المذاهب التى تربط الخالق بالمخلوق ؛ لأنه أولا رآها منافية لمعنى توحيد الله سبحانه وتعالى الذى شرحه وبيَّنه ، وثانيا لأنه رأى بعض قائليها يدعون لأنفسهم حالا يعلون فيها على التكليف، وابن تيمية يرى أن من ينزع ذلك المنزع معطل لأحكام الشرع خالع الربقة، وثالثا لأنه رأى الناس يزعمون فى أصحابنا قدرة خارقة للعادة فيتقربون إلى الله بهم ؛ وهم من يسمون عندهم أولياء .

رأى ابن تيمية فيهم ذلك فشنَّ عليهم حربا شعواء أقض بها مضاجعهم ، ونالوا منه عند السلطان والناس ، ونال منهم عند الناس، ولقد ناقش أقوالهم مناقشة العارف لها الفاحص لدقائقها العارف لأسرارها، ولكنه سماها كلها مذهب الاتحاد، أو الاتحاديين، وكأنه نظر إلى المعنى المشترك فى هذه الأمور الثلاثة، وهى وحدة الوجود والحلول، والفناء فى الله بالمحبة؛ وذلك لأن هذه المناهج الثلاثة تلتقى فى معنى الاتحاد، اتحاد المخلوق بالخالق ؛ بيد أن وحدة الوجود فيها اتحاد لا تعدد فيه ؛ فليس هناك اثنان ، بل وحدة لاثنينية فيه؛ والآخران فيهما اتحاد بين اثنين، على تفرقة بين الاصطلاحين .

ولقد قال فى مقدار فهمه لمذهب هؤلاء الاتحاديين فى نظره ؛ قد افترقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استشعارهم أنهم مفترقون ، ولهذا لما بينت لطوائف من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم وسر مذهبهم صاروا يعظمون ذلك ، ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرد لجعلونى من أئمتهم ، وبذلوا لى من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف، كما تبذل النصارى لرؤسائهم، والإسماعيلية لكبرائهم ، وما بذل آل فرعون . وكل من يقبل قول هؤلاء فهو إما جاهل بحقيقة أمرهم ، وإما ظالم يريد علوا فى الأرض وفسادا، أو جامع بين الوصفين . وهذه حال أتباع فرعون، والذين قال الله فيهم : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

ويرى رضى الله عنه أنه يكفى لرد هذه المذاهب تصورها ، فإن تصورها كاف فى بيان فسادها ، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر « وإنما تتبع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم » .

ويقول مشنعا على مذهب وحدة الوجود : « أصلهم الذى بنوا عليه أن وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات

والكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب، لا أنه متميز عنه منفصل فى ذاته وإن كان مخلوقا مربوبا مصنوعا له قائما به ، وهم يشهدون أن فى الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل ، فاحتاجوا إلى جمع يزيل الكثرة ، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها » .

وهو مع شدته على المذهب وقائليه يقول فى ابن عربى قولا رقيقا نسبيا ، فيقول : « مقالة ابن عربى مع كونها كفرا هو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد فى كلامه من الكلام الجيد ، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو هائم مع خياله الواسع الذى يتخيل فيه الحق تاره والباطل أخرى ، والله أعلم بما مات عليه » (رساله حقيقة مذهب الوحدة / ٦) (ابن تيمية / ٢٧٧ ـ ٢٧٩) .

ويبين الدكتور الطبلاوى كيف أن السلفية ومشايخ الصوفية ذموا الاتحاد والحلول ووحدة الوجود ، فيقول فى فصل أفرده لذلك :

أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم بما فيهم مشايخ الصوفية والأئمة الكبار ذموا مذاهب أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكذلك أيضا أصحاب كتب الطبقات والتاريخ تناولوا أصحاب هذه المذاهب وحكوا لنا ما قاله أئمة السلف فى رفض هذه المذاهب الدخيلة على الفكر الإسلامى .

وإذا كان بعض الباحثين يروج الإشاعات والأخبار على أن ابن تيمية هو الذى بدأ فى رفض هذه المذاهب وذم أصحابها فهذا غير صحيح ، والمتتبع لكلام ابن تيمية فى كتبه عن ذم هذه المذاهب يجد أنه قد اعتمد فى هدم هذه المذاهب على أقوال من سبقه من أئمة السلف ومشايخ الصوفية العارفين .

يقول ابن تيمية (كتاب الصفدية ١/ ٢٦٦) إن الجنيد رحمه الله تكلم بكلام الأئمة العارفين ، فإن كثيرا من الصوفية وقعوا فى نوع من الحلول والاتحاد كما ذكر ذلك أبو نعيم الأصبهانى فى حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، كما ذكر ذلك أبو القاسم القشيرى فى رسالته المشهورة وغيرهم .

ويذكر لنا ابن تيمية أن الشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث كالفضل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التسترى ، وعمرو بن عثمان المكى وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى وغيرهم وكلامهم موجود فى السنة وصنفوا فيها الكتب ، وذموا فيها مذهب الحلول والوحدة .

وقد قيل لعبد الله بن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال : هو فوق سمٰواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهكذا سائر الأئمة كأحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وعثمان بن سعيد والبخارى وابن خزيمة وكما ذكر ذلك الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وصاحبه الملقب بشيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى كل هؤلاء وغيرهم من أئمة السلف وشيوخ التصوف ضد هذه المذاهب فالأساس عند أئمة السلف أنهم ميزوا بين الخالق سبحانه وبين المخلوق ، كما كان يذكر دائما الإمام الجنيد بأن التوحيد لا يكون عند العبد إلا إذا ميز بين القديم وهو الله وبين المحدث وهو المخلوق .

وبين لنا ابن تيمية فى سائر كتبه أن الصوفى بحق هو الذى يكون على مذهب أهل الحديث والكتاب والسنة ، وليس على مذهب أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود .

ويؤكد لنا ابن تيمية (درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٤، ٥) كثيرا فى ثنايا كتبه أن شيوخ التصوف المشهورين من أبرأ الناس من مذهب وحدة الوجود ، وأبعدهم عنه وأعظمهم نكيرا عليه وعلى أهله ، ولا يمل ابن تيمية من تكرار أسماء هؤلاء الذين ذكرناهم ويضيف إليهم أيضا أبا عثمان النيسابورى ويحيى بن معاذ الرازى والشيخ عبد القادر الجيلانى وغيرهم ممن ينكرون هذه المذاهب الدخيلة .

ويذكر لنا ابن تيمية أنه قد قيل للشيخ عبد القادر الجيلى ـ قدس الله روحه ـ هل كان لله ولى على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ فقال : لا كان ولا يكون .

فإذًا أساس العقيدة واحد عند أئمة السلف ومشايخ الصوفية وهى عقيدة أهل السنة والجماعة المبنية على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما قاله السلف الصالح رضوان الله عليهم .

أبو نعيم الأصبهانى ذم الحلولية :

يقول أبو نعيم الأصبهانى فى مقدمة كتابه « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء فى ذم الحلولية » (مطبعة السعادة ١/ ٤) :

« وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار فى كل القطر والأمصار فى المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار ، والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار بقادح فى منقبة الأخيار » .

فأبو نعيم الأصبهانى نجده فى هذا النص قد ميز وفرق بين الصوفية المشايخ البررة الأخيار الذين سلكوا منهج الكتاب والسنة وبين أهل الحلول والإباحية الذين خرجوا عن منهج السلف .

وبين أبو نعيم أيضا أن ذم الحلولية ليس واقعا من الصوفية المشايخ فقط ، وإنما اتفق أهل الفقه وأهل الحديث وأئمة السنة فى ذمهم ، ويبين لنا أيضا أن ظهور مذهب الحلولية وسط جماعة منتسبين إلى التصوف هذا لا يضير ولا ينقص من مناقب الأخيار من المشايخ ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [فاطر : ١٨] .

أبو القاسم القشيرى ذم الحلولية :

والقشيرى فى رسالته قد بيَّن أن طريقة مشايخ الصوفية أهل السنة تخالف ما عليه أهل الاتحاد والحلول من فساد . يقول القشيرى فى ذم أهل الاتحاد والحلول (الرسالة القشيرية ١ / ٢٢ ـ ٢٤) .

« زال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ... حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال وادعوا أنهم تحققوا بحقائق الوصال ... وكوشفوا بأسرار الأحدية وزالت عنهم البشرية ، وبقوا بعد فنائهم بأنوار الصمدية والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا ... إلخ ما قال فيهم من صفات تبين مذهبهم فى الحلول والاتحاد بالله .

وأخذ القشيرى يبين الدافع والسبب لتأليف هذه الرسالة فيقول : ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه وأشفقت على القلوب فعلقت هذه الرسالة إليكم وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم وعقائدهم .

وقد ذكر ابن تيمية هذا النص للقشيرى وعلق عليه مبينا أن القشيرى ألف رسالة تبين أن طريقة مشايخ الصوفية تخالف ما عليه أهل الاتحاد والحلول من فساد، فإنهم يجعلون الرب حالاً فى المخلوقات محدودًا بحدودها متكلما بحروفها حتى لا يجعلونه هو المتكلم على ألسنتهم كما ذكر ذلك أبو القاسم القشيرى ، وهؤلاء كثيرون فى المنتسبين إلى الصوفية وعلى مثل ذلك قتل الحلاج (الاستقامة لابن تيمية / ٢٦) .

ابن خفيف ذم الحلولية :

ويذكر ابن تيمية رأى أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى فى الحلولية فيقول على لسانه : ومن زعم الإشراف على الخلق يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحى المنزل فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم بغير الوحى من قول الله ورسوله فقد باء بغضب من الله ، والفراسة حق على أصول ما ذكرنا . ومن زعم أن صفات الله تعالى تحل بصفات العبد فهو حلولى قائل باللاهوتية والالتحام وذلك كفر لا محالة ... ومن قال إن شيئا من صفات الله حالّ فى العبد أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر (الفتوى الحموية / ١٤١) .

ويقول ابن خفيف أيضا فى معتقده (معتقد ابن خفيف / ٩٣): إن البارى تعالى واحد لا حالّ فى الأشياء ولا الأشياء حالّة فيه ، ولا يتجلى فى شيء ولا استتر بالحدث .

وهكذا نرى مشايخ الصوفية ذموا مذهب الحلول وأصحابه وقد اشتهر الحلاج بهذا المذهب (انظر ترجمته تحت عنوانه) .

أخبار الحلاج :

وأخبار الحلاج فى كتب كثيرة أشار إليها ابن تيمية كتاريخ بغداد لابن الخطيب . وأبو الفرج بن الجوزى له فى الحلاج مصنف سماه « رفع اللجاج فى أخبار الحلاج » وذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية أن كثيرا من المشايخ ذموه وأنكروا عليه ولم يعدوه من مشايخ الطريق ، وممن ذمه وحط عليه أبو القاسم الجنيد ، وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجورى قد زوج الحلاج بابنته يقول ابن تيمية لما اطلع النهرجورى على زندقة الحلاج نزعها ، وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر .

ويقول ابن تيمية عن الحلاج أيضا : إن كان قد تاب فى الباطن وقت قتلته فإن الله ينفعه بتلك التوبة ، وأن كان كاذبا فإنه قتل كافرا ، ويذكر ابن تيمية أيضا بأنه قد أفتى الأكثرون بأنه يقتل ولو أظهر التوبة فإنه إن كان صادقا فى توبته نفعه ذلك عند الله وكان الحد تطهيرا له ، كما لو تاب الزانى والسارق ونحوهما . وقد قال الشعرانى فى طبقاته : قد أشار القشيرى إلى تزكية الحلاج حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الرسالة فتحا لباب حسن الظن به ، ثم ذكره فى أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه » وفى ذلك يقول ابن تيمية : وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحد يعظّمه .

دفاع عن الحلاج :

بعض الباحثين المعاصرين يدافع عن الحلاج ويبنى دفاعه على أقوال ابن تيمية ويقول : لم أجد فى الدفاع عن الحلاج وتبرئته من تهمة الحلول والاتحاد أبلغ من كلام ابن تيمية خصم الصوفية الكبير الذى يقول : وقد يعرض لبعض العارفين فى مقام الفناء والجمع والاصطلام والسكر بقوة استيلاء الوجد والذكر عليه من الحال ما يغيب فيه عن نفسه وغيره بمعبوده عن عبادته وبمعروفه عن معرفته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده ومثل هذا قد يعرض لبعض المحبين المخلوقين ... إلخ (التصوف فى تراث ابن تيمية / ٨٧-٩١) .

قالت المؤلفة : يقدم الكاتب الإسلامى الأستاذ أنور الجندى عرضا لكتاب « الحلاج والقرامطة » جاء فى بدايته ما يلى : أولى المستشرقون ومن تابعهم من دعاة التغريب شخصية « الحلاج » اهتماما كبيرا وحاولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة أريد لصقها بالإسلام ، وهى مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهذا ما لم يحدث فى تاريخ الإسلام كله وإن حدث فى تاريخ أوربا الغربية النصرانية ، فلقد كان الإسلام حفيا بحرية الكلمة إلى أبعد حد، ما لم تصبح تخريبا للعقيدة أو ما يشبه ذلك كالتآمر السياسى أو مخابرة دولة أجنبية .

والحلاج لم تقتله الكلمة ، والتى قد يؤولها بعضهم تأويلا ما ، وإنما قتل حين ثبتت عليه أمور منها مراسلة القرامطة ، فقد تبين أنه كان وكيلا لهم وكان القرامطة قد أزاحوا النظام الإسلامى إلى حين وسفحوا الدماء وخربوا البلاد وأنشؤوا لهم عاصمة فى «هجر» حملوا إليها الحجر الأسود من الكعبة فظل بها اثنين وعشرين عاما .

والذى عليه القول الراجح أن الحلاج كان يعمل لحساب القرامطة ، وأن دعواه فى الحلول والإشراق ووحدة الوجود إنما كانت تعمل على إفساد الأساس الفكرى للدولة الإسلامية ، وهدم تعاليم الإسلام كمقدمة لتحطيم سلطته السياسية ، وهو نفس المنهج الذى سلكته الباطنية ، فقد رأى خصوم الإسلام إزاء عجزهم عن هدم

دولتـه أن يلجـؤوا إلى تقويض عقيـدة التـوحيـد التى جمعت شمل المسلمين وتذرعوا إلى ذلك بنظريـات التصوف الهندى والمجوسية الفـارسية والفلسفيـة الوثنيـة اليـونانيـة ، وكـانت مقدمـات ذلك ، السخريـة بالشريعـة الإسـلاميـة والترخـص فى الحدود وإباحـة المحرمـات ، وقد جرى « الحلاج » فى ذلـك شوطا طويـلا فادعى الألـوهية ، واتهم بمعـارضة القـرآن وأنه يحيى المـوتى ، وأن الجن يخدمونـه ، وأنه يعمل من الخوارق ما يشبه المعجـزات ، وأنه كان يدعو إلى نوع آخر من الحج غير الطواف . بالبيت الحرام فى مكة ، وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها إلا هو ومن أرسلها إليه .

وقـد وصفتـه كتب التـاريـخ بأنـه رجل مجوسـى الأصل اشتغل بالمخـاريق والحيل ، وادعى العلم بـالأسرار ثم تناهـى إلى ادعاء النبوة ثـم الربـوبية ، واستغـوى غلمان قصـر الخليفة المقتـدر بالله العباسى ، لينفـذ بهم إلى تحقيق غايته فأدى ذلك إلى قتلـه . وذكر إمام الحرمين فى كتابه « الشامل » أنه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القـرامطة اتفاق سرى على قلب الـدولة وأن هذا هـو السبب الحقيقى لقتل الحلاج (« الحلاج والقرامطة / ٧٤ ، ٧٥) .

(الفَرق بيـن الفِرق لعبـد القاهـر البغدادى / ١٩٣ ، واعتقـادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الـرازى ، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فـرق المسلمين والمشركين ـــ طه عبد الـرءوف سعد ، ومصطفى الهوارى / ١١٦ ، و « تنزيه الاعتقاد عن الحلـول والاتحاد » للحافظ جلال الـدين عبد الـرحمن السيوطى ، الحـاوى للفتاوى ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٧ ، وابن تيمية ـــ الإمام محمـد أبو زهـرة / ٢٧٧ ـــ ٢٧٩ ، والتصوف فى تـراث ابن تيمية ـ د. الطبـلاوى محمود سعد / ٨٧ ـ ٩١ ، و « الحـلاج والقرامطة » ـ عرض وتقديم الاستاذ أنور الجندى . منار الإسلام . العدد السابع . السنة العـاشرة رجب ١٤٠٥ هـ ـــ إبـريل ١٩٨٥م / ٧٤ ، ٧٥ . انظـر أيضـا كشـاف اصطـلاحات الفنون للتهـانـوى ١/ ٣٤٩ ـــ ٣٥٢ ، وأهل الصفـة وأحـوالهم لشيخ الإسلام ابن تيمية / ٥٤ ـــ ٥٩ ، والموسـوعة الصوفيــة ـ د. عبد المنعم الحفنى / ٩١ ـ ٩٥) .

*** حلومة (زاوية -) :**

قال عنها على مبارك كما كانت فى زمانه :

هذه الزاوية بخط المشهد الحسينى على يسار السالك من جهة البـاب الأخضـر من أبواب المشهـد إلى أم الغلام ، شعـائرها مقـامة بـالصـلاة والأذان ، وفيهـا ضـريح يقـال لـه ضـريح الشيخ مـوسى اليمنى ، وهو ظاهر يزار ، وللنساء فيـه اعتقاد أكيد ويعمل له حضرة كل ليلة ثلاثاء ، ويعقد فيها بعض الصـوفية مجلسا للذكر ، والقيمة هناك امرأة تمنع الرجال من الزيارة وقت زيارة النساء .

وهذه الـزاوية هى المدرسة الملكيـة بدليل ما هـو مكتوب على وجه بـابها إلى الآن ، وصورته : « أمـر بإنشاء هذا المسجـد المبارك الحاج آل ملك الجـوكندا النـاصرى الـراجى عفو الله تعالـى بتاريخ سنـة سبعمـــائة وتسع عشـرة » وهى التى ذكـرهـا المقـريـزى فى المدارس ، فقـال : المدرسة الملكيـة هذه المدرسـة بخط المشهد الحسينى . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره ، وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة ، وجعل لها عدة أوقاف ، وهى من المدارس المشهورة ، وموضعها من جملة رحبة قصـر الشوك ، ثم صار موضـع هذه المدرسة دارا تعـرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح انتهى .

وقد ذكرنا ترجمة آل ملك عنـد الكلام على جامعه بالحسينية ، وقوله : صار موضعها دار ابن كرمون يمنعه الكتابة التى على وجهها إلى الآن ؛ فلعل الذى أخذ فى الدار المذكورة هو جزء منها فقط ، أو أن الـذى أخـذ فى الـدار هو دار آل ملك ، التى كـانت تجـاه هـذه المدرسـة . وأما احتمال أن واجهة المـدرسة نقلت إلى هذه الزاوية بعد زوال المدرسة بالمرة فبعيد والله أعلم .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦/ ٦٩ ، ٧٠) .

انظر مـادتى « آل ملك الجوكندار (جـامع ـ) » ، و « آل ملك الجوكندار (مدرسة ـ) » فى م ١/ ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

*** الحلوية (أو الحلاوية) (المدرسة -) :**

من المدارس الحنفية فى حلب .

من المدارس ذات الإيـوان الواحد المدرسة الحـلاوية التى تقع قرب الجامع الكبير فى حلب مقابـل مدخله الغربى وهى مخصصة للمذهب الحنفى . ويقـال إن أصل هذه المدرسة كـانت كنيسة ثم حولت إلى مسجـد وذلك كرد فعل لما قام به الصليبيون من انتهاك لحرمة قبور المسلمين . فقد حدث عندما حاصر الفرنج حلب سنة ٥١٨ هـ أن بعثـروا قبور المسلمين التى بظاهـرها وأحرقـوا من فيها . فعمـد القـاضى أبـو الحسن بن القـاضى أبى الفضل بن الخشـاب الحلبى إلى أربع كنائس صليبيـة وحولهـا إلى مساجد وكـانت هذه المدرسة تعـرف قديما بمسجد السراجين ، فلما استـولى نور الدين محمود على حلب ، أضاف إلى المسجد إيوانا ، وحدد فيه مساكن يأوى إليها الطلبـة والفقهاء وكـان ذلك فى سنة ٥٤٤ هـ وقد أوقف الملك العادل نور الدين الأوقاف على المدرسة وكان يملأ مطابخها فى ليلة السابع والعشرين من رمضـان قطائف محشوة ويجمع عليه الفقهاء المـرتبين بالمـدرسة وفى الشتـاء كان يـدفع لكل فقيـه شيئا معلومـا ، وفى أيام شرب الـدواء من فصلى الربيع والخـريف يدفع ثمن ما يحتاج إليه من دواء وفاكهة وفى الموالد الحلوى وفى الأعياد ما يرتفقون به دراهم معلومة . وفى أيـام الفاكهة ما يشترون به بطيخا ومشمشا وتوتا (الأعلاق الخطيرة (حلب) ص ١١٠) .

ويصف ابن شداد المدرسة الحلاوية فى أيامه فيقول : وهى من أعلم المدارس صيتا وأكثرها طلبة وأغزرها جامكية (طعاما) وكان

من شروط الواقف أن يحمل في شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدرس يصنع بها طعاما للفقهاء . وفي ليلة النصف من شعبان في كل سنة حلوى معلومة ، ولعل المدرسة عرفت باسم الحلاوية نسبة إلى هذا الشرط . ولما انتهى بناء المدرسة استدعى لها من دمشق الفقيه الإمام برهان الدين أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد بن أبي جعفر فتولى التدريس بها . وممن درسوا بهذه المدرسة سنة ٦٣٤هـ (سنة ١٢٢٥)م الصحاب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر ابن قاضي القضاه نجم الدين أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المعروف بابن العديم . ولم يزل مستمرا في التدريس بها إلى أن قصد دمشق في خدمة السلطان الملك الناصر فولي التدريس بها ولده مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن (المتمع الإسلامي في بلاد الشام / ١٤٢ ، ١٤٣) .

قال خير الدين الأسدي عن المدرسة الحلوية :

تقع المدرسة الحلوية تجاه باب الجامع الكبير العربي وهي الكنيسة الكبرى التي بنتها هيلانة أم قسطنطين باني القسطنطينية ، كانت كاتدرائية حلب العظمى ، شيدت في القرن الخامس للميلاد وهدمت أيام الإمبراطور كوسروس حيث أحرقها كسرى الأول ملك الفرس عام ٥٤٠م ثم جددت أيام الإمبراطور جوستنيان ، وربما كان اسمه الحلوية أو الحلاوية محرف عن هيلانة ، وكان حمام موغان حماما للهيكل ، أما مذبح الكنيسة فيقوم لصق الحمام وبينه وبين الهيكل ساباط معقود البناء تحت الأرض ، وكان في موضع الحمام كرسي من الرخام الأبيض الملكي ارتفاعه أحد عشر ذراعا . قال ابن الشحنة (الدر المنتخب / ٨٣) وذكر ابن شرارة النصراني في تاريخه أن عيسى عليه السلام جلس عليه أو في موضعه عندما دخل حلب ، وذكروا أن جماعة من الحواريين دخلوا هذا الهيكل وكان في ابتداء الزمان معبدا لعبدة النار ثم صار إلى اليهود كنيسا ثم صار إلى النصارى كاتدرائية . ويرى سوفاجيه احتمال أن تكون مبنية فوق الموضع الرئيسي للمعبد الوثني الذي كان يقوم في طرف الأغورا وفي سنة ٥١٨هـ ـ ١١٢٤م حاصر الفرنج حلب وملكها يومئذ إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين فهرب منها وتولى شؤون البلد القاضي أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب ، فعمد الفرنج إلى نبش قبور المسلمين ومثلوا بالأموات والأحياء وأحرقوهم ، ونبشوا مشهد الدكة وأحرقوه ، وظفروا بمصحف فثقبوه وشدوه وعملوه للبرذون يروث عليه وهم يضحكون ، فأمر القاضي ابن الخشاب أن تحول الكاتدرائية العظمى إلى مسجد عرف باسم مسجد السراجين ثم عرفت باسم المدرسة الحلاوية ونور الدين زنكي هو الذي جعلها مدرسة ، كما حول ابن الخشاب ثلاث كنائس أخرى إلى مساجد . ويرى سوفاجيه أن ابن الخشاب اعتبر نصارى حلب متضامنين مع الأوربيين إخوتهم في الدين ومسؤلين معهم بالنتيجة وفي الحلوية محراب رائع من الخشب من عهد صلاح الدين الأيوبي (أحياء حلب وأسوقها / ١٧٩ ـ ١٨١) .

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ـ د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٢ ، ١٤٣ ، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدي ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جي / ١٧٩ ـ ١٨١ . انظر أيضا الأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبارة جـ ١ ق ١ / ٢٦٤ ، والدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ـ تقديم عبد الله محمد الدرويش / ١٢٥) .

قالت المؤلفة قمنا بزيارة هذه المدرسة يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١م بعد خروجنا مباشرة من الباب الغربي للجامع الكبير بحلب ، إذ أنها تقع قبالته . ومما علمناه أن يوسف بن محمد ناصر حفيد صلاح الدين جدد المحراب ، وأن تاريخ إنشائه هو سنة ٦٤٣ هـ وقد نقش عليه عبارة « صنعة أبي الحسن محمد الحراني رحمه الله » ، والله تعالى أعلم .

* **الحلي والثياب (كتاب ـ) :**

لأبي الحسين أحمد بن سعد الكاتب الأصبهاني المتوفى في حدود سنة ٣٥٠ هـ (كشف الظنون ٢ / ١٤١٣) .

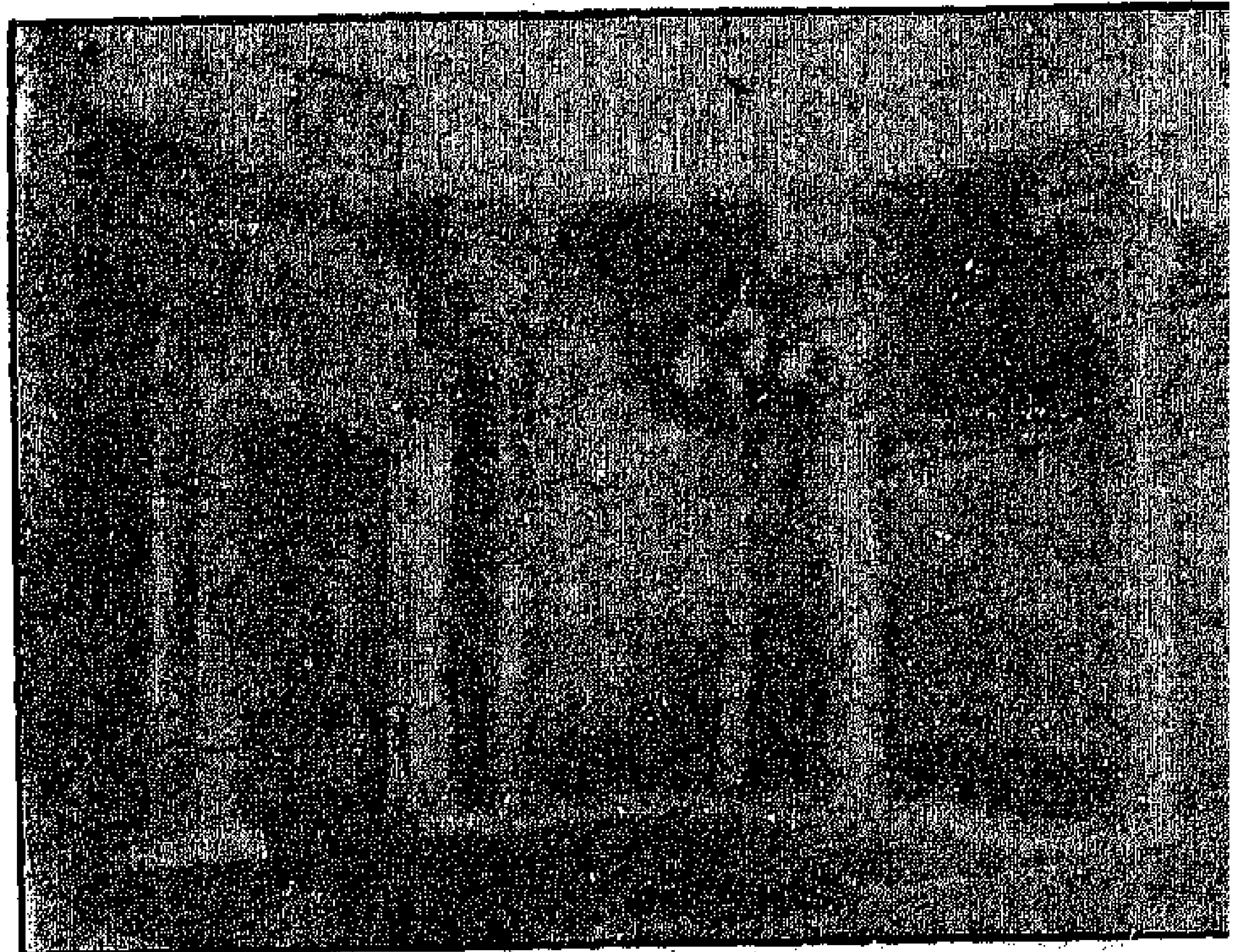
* **الحلي والشيات [والثياب] (كتاب ـ) :**

مختصر لأبي نصر محمد بن إسماعيل بن عبد الوارث المذحجي وهو مشتمل على ستة أبواب في ألوان بني آدم والخيل والبغال والحمير والإبل والبقر وأوصافها .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٣) .

* **الحُلَيْفَة:**

الحليفة : بالتصغير أيضا ، والفاء ، ذو الحليفة : قرية بينها



المدرسة الحلوية

وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، وهو من مياه جشم بينهم وبين بنى خفاجة من عقيل . وذو الحليفة أيضا الذى فى حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله ، ﷺ، بذى الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم ، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة وليس بالمُهد الذى قرب المدينة .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦) .

*** الحليم جل جلاله:**

الاسم الثالث والثلاثون من أسماء الله الحسنى . شرحه الإمام أبو حامد الغزالى بقوله :

هو الذى يشاهد معصية العصاة ، ويرى مخالفة الأمر... ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار ـ عجلة وطيش ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾ [فاطر : ٤٥] .

تنبيه : حظ العبد من وصف الحليم ظاهر؛ فالحلم من محاسن خصال العباد . وذلك مستغن عن الشرح والإطناب (المقصد الأسنى/ ٩٤) .

أما الإمام الفخر الرازى فيشرحه بقوله :

حاصل كلامهم أن الحليم هو الذى لا يعجل بالانتقام ، وأنا أقول: من لا يعجل الانتقام إن كان على عزم أن ينتقم بعد ذلك فهذا يسمى حقودا ، وإن كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة فهذا هو العفو والغفران، فأين الحلم ؟ وما معناه ؟ ويمكن أن يقال إنه إنما يكون حليما إذا كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة، ولكن بشرط أن لا يظهر ذلك ، فإن أظهره كان ذلك عفوا ، وبهذا الوجه ظهر الفرق بين العفو وبين الحلم .

واعلم أن حلم الله عن المذنبين عظيم ، قال تعالى : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾ [فاطر : ٤٥] .

ورُوى أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلا مشتغلا بمعصية ؛ فقال : اللهم أهلكه ؛ فهلك ، ثم رأى ثانيا، وثالثا ، فدعا فهلكوا ، فرأى رابعا فهم بالدعاء عليه ؛ فأوحى إليه : قف يا إبراهيم، فلو أهلكنا كل عبد عصى لما بقى إلا القليل ؛ ولكن إذا عصى أمهلناه ، فإن تاب قبلناه ، وإن أصر أخرنا العقاب عنه ، لعلمنا بأنه لا يخرج عن ملكنا .

ويروى أن شابا كان كثير الذنوب، ولكنه ما كان من المصرين ؛ بل كان يتوب ثم يرجع إلى الذنب، فلما كثر ذلك منه قال الشيطان: إلى متى تتوب وتعود ، وأراد أن يقنطه من رحمة الله ؛ فلما جاء الليل قام وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع بصره إلى السماء وقال : يا من عصمت المعصومين ، ويا من حفظت المحفوظين، ويا من أصلحت الصالحين، إن عصمتنى تجدنى معصوما ؛ وإن أهملتنى تجدنى مخذولا، ناصيتى بيدك، وديونى بين يديك، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، فقال الله سبحانه وتعالى للملائكة يا ملائكتى أما سمعتم قوله، اشهدوا أنى قد غفرت له ما مضى من ذنوبه ؛ وعصمته فيما بقى من عمره .

وذكر مالك بن دينار قال : : كان لى جار، وكان يتعاطى من الفواحش ، وجيرانه يتأذون لسببه ، فشكوا منه إلىَّ فأحضرناه وقلنا : إما أن تتوب ، وإما أن تخرج من المحلة ، فقال : لا أفعل واحدا منهما فقلنا : نشكوك إلى السلطان ، فقال : السلطان يعرفنى ؛ فقلن . ندعو الله عليك ، فقال : الله أرحم بى منكم، فغاظنى ذلك، فلما أمسيت قمت وصليت ودعوت عليه فهتف هاتف ، وقال : لا تدع عليه ، فإن الفتى من أولياء الله قال : فندمت على ما فعلت ، وخرجت من الدار ، وذهبت إلى باب داره ، ودققت عليه الباب، فلما خرج ورآنى ظن أنى جئت لإخراجه من المحلة ، فأخذ يعتذر، فقلت ما جئت لذلك لكنى رأيت كذا وكذا؛ قال . فوقع عليه البكاء، وتاب إلى الله وخرج من الدار، وتاب الله عليه بعد ذلك ، فاتفق أنى خرجت إلى الحج فرأيت فى المسجد حلقة ، فتقدمت إليهم فرأيت ذلك الشاب عليلا مطروحا ، فما لبث حتى قالوا : قضى الشاب، يرحمه الله .

أما حظ العبد من هذا الاسم : فعلم أن الحلم فى الإنسان من محاسن الأخلاق ، والدليل عليه : أن الخليل عليه السلام دعا ربه فقال : ﴿ **رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين** ﴾ [الشعراء : ٨٣] فأجاب الله دعاءه بقوله ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ [الصافات : ١٠٦] وهذا يدل على أن الحلم من الأخلاق المحمودة .

قول المشايخ فى هذا الاسم : أما المشايخ فقالوا : الحليم من كان صفَّاحا عن الذنوب ، ستَّارًا للعيوب .

وقيل : الحليم هو الذى غفر بعد ما ستر.

وقيل : الحليم الذى يحفظ الود، ويحسن العهد، وينجز الوعد .

وقيل : الحليم الذى يسبل ستر عفوه على المنهمكين ، ويسحب ذيل عفوه على المتهتكين .

وقيل : الحليم الذى لا يستخفه عصيان عاص، ولا يستفزه طغيان طاغ (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٩ ـ ٢٥١) .

وأورد الشيخ أحمد عبد الجواد فيه ما يلى :

« الحليم : جل جلاله » ومعناه : أنه ذو الصفح والأناة الذى لا يعجل بالعقوبة مع المقدرة ، فلا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص .

والحلم صفة اتصف بها « الحليم جل جلاله » وخص بها المصطفين من عباده .

قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾ [هود : ٧٥].

وقد قال قوم شعيب لنبيهم عليه الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ [هود : ٨٧] .

ومن يتدبر قول الله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ [فاطر : ٤٥].

يعلم أن الله لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده من أجل ذنوبهم وهو غنى عنهم ، فخيره إلى عباده نازل وشرهم إليه صاعد فهو يمهل ولا يهمل لعلهم يستغفرونه ويتوبون إليه .

ولقد وصف الله نفسه بالحلم مع العلم وأنه غفور حليم ، وغنى حليم :

قال الله تعالى : ﴿ وإن الله لعليم حليم ﴾ . [الحج : ٥٩] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ إن الله غفور حليم ﴾ . [البقرة : ٢٣٥].

وقال الله جل جلاله : ﴿ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴾ [التغابن : ١٧] .

وقال الله جل جلاله ﴿ والله غنى حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

وقد علّمنا رسول الله ﷺ دعاء ندعو به عند الكرب وفيه التهليل بأنه العظيم الحليم :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم » رواه أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وحظ العبد من اسم ربه « الحليم جل جلاله » : أن يزينه الله بالحلم وهو من محاسن الأخلاق .

وقالوا : إذا اتخذه الرئيس ذكرا اتصف بالحلم فى رئاسته ، وكان مقبول القول ، وافر الحرمة ، ثابت الجنان ، وقالوا من كتبه على ورقة وغسلها ورشّ زرعه بذلك الماء يقيه الله من كل آفة . والله اعلم

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٩٤ ، وشرح أسماء الله الحسنى وهو الكتاب المسمى « لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات » للإمام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٤٩ ـ ٢٥١ ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر ، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدى محمود على / ٩٢ ، ٩٣) .

*** حليمة:**

قال ياقوت :

حليمة : بالفتح ثم الكسر؛ قال العمراني : وهو موضع كانت فيه وقعة ، ومنه : ما يومُ حليمة بسر ، وهذا غلط إنما حليمة اسم امرأة بنت الحارث الغسانى نائب قيصر بدمشق ، وهو يوم سار فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق إلى الحارث الأعرج الغسانى وهو الأكبر، وسار الحارث فى عرب الشام فالتقوا بعين أباغ ، وهو من أشهر أيام العرب ، فيقال : إن الغبار يوم حليمة سد عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس ، وقيل : بل كان الضجاعمة وهم عرب من قضاعة عمالا للروم بالشام ، فلما خرجت غسان من مأرب ، كما ذكرناه فى مأرب ، نزلت الشام ، وكانت الضجاعمة يأخذون من كل رجل دينارا ، فأتى العامل جذعا ، وهو رجل من غسان ، وطالبه بدينار فاستمهله فلم يفعل فقتله ، فثارت الحرب بين غسان والضجاعم ، فضربت العرب جذعا مثلا وقالوا : خذ من جذع ما أعطاك ؛ وكان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها حليمة فأعطاها تورا فيه خلوق وقال لها : خلّقى به قومك ، فلما خلّقتهم تنوحوا وأجلوا الضجاعم وملكوا الشام ، فقالوا : ما يوم حليمة بسر ، وقيل : إن يوم حليمة هو اليوم الذى قتل فيه الحارث ابن أبى شمر الغسانى المنذر بن ماء السماء ...

وقال النابغة :

تخيرن من أزمان يوم حليمة
إلى اليوم قد جُربن كل التجارب

(معجم البلدان ٢ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

*** حليمة السعدية. (ـ بعد ٨ هـ / ـ بعد ٦٣٠ م):**

مرضعة رسول الله ﷺ ، جاءت مكة تسترضع أبناء سراتها ، فأرضعوها محمدًا اليتيم ، فجلب لها السعد والفرج (الموسوعة الثقافية / ٤٠٩) .

وحديث إرضاع السيدة حليمة رضى الله عنها للنبى ﷺ رواه عنها عبد الله بن جعفر، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه ، وصرح فيه بالتحدث بين عبد الله بن جعفر وحليمة . وحديث الرضاعة حديث مشهور، روته أغلب كتب السنة منها أبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه .

قال السيد رفاعة الطهطاوى يحكى قصة حليمة السعدية من نهايتها ثم يعود إلى بدايتها :

ثم أرضعت النبى ﷺ حليمة السعديه بنت أبى ذؤيب (تصغير ذئب واسمه عبد الله بن الحارث) ومن سعادتها توفيقها للإسلام هى وزوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى وبنوها : عبد الله ، والشيماء ، وأنيسة ، وقد ألف الحافظ أبو سعيد علاء الدين بن مغلطاى فى إسلامها جزءا وسماه التحفة الجسيمة فى

إسلام السيدة حليمة » وقال في سيرته : وبقيت حليمة حتى قدمت على رسول الله ﷺ بمكة ، وقد تزوج خديجة فشكت إليه جدب البلاد وهلاك الماشية ، فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا ، وانصرفت إلى أهلها وقدمت عليه أيضا في يوم حنين ، فقام لها وبسط لها رداءه ، فجلست عليه وقضى حاجتها ، فلما توفي ﷺ قدمت على أبي بكر الصديق فصنع لها مثل ذلك ، ثم عمر ففعل ذلك . وأنشد في آخر الجزء المذكور :

أضحت حليمة تزدهي بمفاخر
ما نالها في عصرها ذو شان
منها الكفالة والرضاع وصحبة
والغاية القصوى : رضى المنان

ومضمون قصتها مع اختصار : أنها قدمت مكة من البادية في سنة قحط شديدة لم تبق لهم شيئا صحبة عشر نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء ، ومعها ابن لها رضيع مجهود ، وزوجها أبو أولادها الحارث ، وكلاهما من بني سعد بن بكر بن هوازن ، فلم يبق منهن امرأة إلا وقد عرض المبارك عليها فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، ثم أخذته هي إذ لم تجد غيره ، فرأته مدرجا في ثوب صوف أبيض يفوح منه المسك ، وكان راقدا على قفاه فهابت أن توقظه ، فوضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا ، وفتح عينيه فقبلته وأعطته ثديها الأيمن فقبله ، وحولته إلى الأيسر فأبى ، لأن الله ألهمه العدل وأعلمه أن له شريكا هو ابنها فترك له ثديها الأيسر ، وكانت هي وناقتها في أشد الجوع والهزال وعدم اللبن ، فبمجرد أن وضعته في حجرها أقبل (أي در عليه) ثديها فروى وروى أخوه ، ودرت ناقتهم فأشبعتهم تلك الليلة لبنا ، فلما أصبحت ودعت أمه آمنة وركبت أتانها ، فلما خرجت مع قومها سبقت أتانها الكل بعد أن كانت لا تنهض بها ، فأنكر صويحباتها أنها هي ، فلما علمنها قلن : إن لها شأنا عظيما ، ولما وصلوا منازلهم كانت أجدب أرض الله ، فكان غنم حليمة ترجع ملآى ، بخلاف غنمهم ، مع أنها كلها بمحل واحد ، فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ، ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة ، وتفوز بالحسنى وزيادة ، وقيل :

لقد بلغت بالهاشمي حليمة
مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها
وقد عم هذا السعد كل بني سعد

ولا يخفى أن قدوم نساء بني سعد للرضعاء إنما كان لطلب الأجر على الرضاع .

قال السهيلي رحمه الله تعالى : والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر العرب ، حتى جرى المثل « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » أي ولا تهتك نفسها وتبدي منها ما لا ينبغي أن تبدي وتعقبه في الزهر أن المثل غير مسوق لذلك وكان عند بعضهم لا بأس به . فقد كانت وسيطة في بني سعد ، كريمة من كرائم قومها ، بدليل اجتباء الله تعالى إياها برضاع نبيه ﷺ ، كما اختار له أشرف البطون والأصلاب ، والرضاع كالنسب ، ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطرارا للأزمة التي أصابتهم ، والسنة الشهباء التي أقحمتهم ؛ فلما تم له ﷺ عند حليمة سنتان عادت به إلى أمه ، ثم فطمته .

قال بعضهم : وتجوز الزيادة على الحولين والنقص عنهما . لكن قال الحناطي في فتاويه : يستحب قطع الرضاعة عند الحولين إلا لحاجة ، وقال ابن كثير في تفسيره : ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد في بدنه وعقله .

ومما ينسب إلى حليمة مما كانت ترقص به النبي ﷺ :

يارب إذ أعطيت فأبقه — واعله إلى العلى ورقه
وادحض أباطيل العدا بحقه .

ويظهر أنه مفتعل وإن كان معناه جيدا .

وروى أنه أرضع النبي ﷺ ثمان نسوة غير آمنة : ثويبة ، وحليمة ، وخولة بنت المنذر ، وأم أيمن ، (والمعروف أنها من الحواضن) وامرأة سعدية غير حليمة ، وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة ، في قوله ﷺ يوم حنين « أنا ابن العواتك من سليم » والعواتك ثلاث نسوة كن أمهات النبي ﷺ (رواه الطبراني وسعيد بن منصور عن شبابة بن عاصم) .

إحداهن : عاتكة بنت هلال ، وهي أم عبد مناف بن قصي .

والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال ، وهي أم هاشم بن عبد مناف .

والثالثة : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ .

فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة ، وبنو سليم تفتخر بهذه الولادة ، ولم يرد ﷺ بقوله « أنا ابن العواتك » الفخر ، وإنما أراد به تعريف منازل المذكورات ومراتبهن ، كرجل يقول : كان أبي فقيها ، ولا يريد الفخر ، وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه ، وقد يكون أراد به التحدث بنعمة الله تعالى في نفسه وآبائه وأمهاته على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ولبني سليم مفاخر أخرى منها : أنها ألفت معه يوم فتح مكة ، أي شهده منهم ألف ، وأن رسول الله ﷺ قدم لواءهم يومئذ على الألوية ، وكان أحمر ، ومنها أن عمر كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام أن ابعثوا إلي من كل بلد أفضله رجلا ، فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمي ، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمي ، وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمي ، وبعث أهل الشام الأعور السلمي .

وسبب دفع أمه إياه لمن ترضعه أن هذا كان عادة قريش وأشراف العرب فى أولادهم ، ولو كانت الأم حية ولها لبن ، لأن نساءهم كن يرين إرضاع أولادهن عارا عليهن ، وأيضا إذا نشأ الرضيع غريبا كان أنجب له ، مع ما يضاف إلى ذلك من تفرغ النساء للأزواج ، وإن كان هذا منتفيا هنا ، لأن أباه ﷺ توفى وهو حمل على الصحيح . والأولى فى التعليل أن ينشأ غريبا ، على أن هذه العادة عادة أشراف الدنيا قديما وحديثا ، لا سيما بالأقطار الحجازية بالنسبة للحواضر ، فإنهم يبعثون بأبنائهم إلى البوادى للتربية بها مع ما ينضم إلى ذلك من خاصية فصاحة العربية العريقة بالبادية القليلة المخالطة بما يفسد اللغات ، فهذه هى حالته ﷺ .

(نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ﷺ للسيد رفاعة رافع الطهطاوى ـ حققه وعلق عليه الأستاذان عبد الرحمن حسن محمود وفاروق حاصر بدر ١/ ٣٣ ـ ٣٧ ، انظر أيضا والأعلام للزركلى ٢/ ٢٧١) .

*** الحليمى (٣٣٨ ـ ٤٠٣ هـ / ٩٥٠ ـ ١٠١٢ م) :**

الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الجرجانى ، أبو عبد الله ، فقيه شافعى ، قاض . كان رئيس أهل الحديث فى ما وراء النهر . مولده بجرجان ووفاته فى بخارى . له « المنهاج » فى شعب الإيمان ، ثلاثة أجزاء قال الأسنوى : جمع فيه أحكاما كثيرة ومعانى غريبة لم أظفر بكثير منها فى غيره .

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٣٥) .

*** حلية الآداب وحلية ذوى الألباب :**

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٥٠٧٨

وهى مجموعة موشحات وقصائد ومقطوعات لشعراء من العصور العباسية ومن العصور التالية المتأخرة والمعاصرين للمؤلف .

اختارها : إبراهيم بن أحمد بن محمد الشافعى العباسى المعروف بابن الملا المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م .

(٧٨ ـ ٨٥) ٨ق ٢١ س ١٣ × ٢٠ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٧) .

*** حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٦٨٢٤ .

ـ رسالة أُلفت سنة ٥٩٩ هـ بالطائف حال زيارة مؤلفها مقام عبد الله بن عباس ابن عم النبى ﷺ وتكلم فيها عن مقام الأبدال وأنه لا يحصل إلا بأربعة أشياء : الصمت ، والاعتزال ، والجوع والسهر .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن على الطائى الأندلسى المشهور بالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .

أولها : الحمد لله على ما ألهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله عليك عظيما ، والصلاة و السلام على سيدنا محمد النبى الأكرم ...

آخرها أبيات آخرها :

مـــــا بين صمت واعتـــــزال دائم
والجـوع والسهـر الكثيـر العـال

والله يوفقنا و إياكم لاستعمال هذه الأركان وينزلنا و إياكم منازل الإحسان .

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

الرقم : ٥٥٢٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة :

الرقم ٧٦٢١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى جميل دقيق ، الحبر أسود ، وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة رابعة :

الرقم ٩٢٠٥ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محب الله محمد .

تاريخ النسخ : سنة ٩٥٣ هـ .

نسخة خامسة :

الرقم ٥٨٨٠ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة مراجعة معلق عليها كالشرح عليها تملك باسم عبد السلام الشطى تاريخه سنة ١٢٨٠ هـ وجاء فى آخرها : تمت الكراسة بمحروسة ملطية من بلاد الروم فى التاسع من ربيع الآخر سنة اثنين وستمائة .

نسخة سادسة :

الرقم : ١٢٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة سابعة : الرقم ٤١٣٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

اسم الناسخ : مصطفى بن إبراهيم الدمشقي .

نسخة ثامنة :

الرقم : ١٣٢٤ . تصوف ١٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

نسخة مراجعة من وقف سليمان باشا العظم محافظ سورية تاريخها سنة ١١٥٠ هـ .

نسخة تاسعة :

الرقم : ١١٣٩٢ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

نسخة عاشرة :

الرقم : ٣٦٢٤

وهي في ورقة واحدة ، وهي الورقة الأولى من الكتاب .

مصدرها : وقف عبد الله الكزبري .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر ٣٢، فهرس الخديوية ٧/ ١٦ .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين ١١/ ٤٠ .

طبعات الرسالة : ١ ـ طبعت بمطبعة الاعتدال بدمشق

٢ ـ ضمن مجموعة الرسائل بحيدر آباد سنة ١٣٦٧ هـ .

٣ ـ صورت حديثا في بيروت .

يقول واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الرسالة : الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق، الأوقاف ببغداد ٢٩٦ ونسخت نسخة بيدي عن نسخة كانت لدى أستاذنا المرحوم محمد سعيد البرهاني .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩) .

قالت المؤلفة : أوردها صاحب كشف الظنون تحت عنوان «حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال » فقال :

حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال :

للشيخ محيي الدين محمد بن علي بن عربي وهو رسالة أولها الحمد لله على ما ألهم ... إلخ ذكر أنه كتبه سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة بالطائف لصاحبيه أبي محمد عبد الله الحبشي ومحمد ابن خالد الصدفي لينتفعا به .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٨٨) .

*** حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار :**

حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار في الحديث للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ ست وتسعين [وسبعين] وستمائة وهو كتاب مفيد مشهور بأذكار النووي في مجلد مشتمل على ثلثمائه وستة وخمسين بابا ابتدأ فيه بالذكر ثم ذكر الأمور الإنسانية من أول الاستيقاظ من النوم إلى نومه في الليل ويعبر عن ذلك بينهم بعمل اليوم والليلة ثم ختم بباب الاستغفار. وشرحه الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علان المكي الشافعي المتوفى سنة ١٠٥٠ خمسين وألف (١٠٥٧) وسماه الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية . وكان الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي لخصه في كراستين وسماه أذكار الأذكار ثم شرح هذا الملخص . وللجلال المذكور تأليف آخر فيه سماه تحفة الأبرار بنكت الأذكار . وللشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين الرملي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة (٨٢٤) مختصر الأذكار . ولبعض الأعاجم ترجمته بالفارسية فرغ عنها سنة ٧٧٦ ست وسبعين وسبعمائة . وعليه نكت للشيخ شمس الدين محمد ابن طولون الدمشقي سماها إتحاف الأخيار في نكت الأذكار تعليقة بالقول أولها الحمد لله الذي ملأ قلوب أحبابه بالأنوار ... إلخ .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٨٨ ، ٦٨٩) .

*** حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال :**

انظر : حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال .

*** حلية الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي :**

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٧٩٥ مجاميع ٥٩ .

جمع الحافظ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م

أوله : « الحمد لله رب العالمين حق حمده ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله والنبيين وآل كل والسلام على غاية النول ونهاية المأمول ...

سأل بعض ملوك الشام عن حلية الإمام الشافعي رضي الله عنه فلم يكون (؟) ببلده من يقوم بها ، فورد حلب ، وأباحها بعض أصحابه فسألني بيانها وها هو ذا بالغا إن شاء الله تعالى مبلغا لم يطريه مؤلف ولا انتظمه مصنف ... » .

آخره : « ... وهذا الذي نقله هذا الزجل وإن لم يقع العثور على ما يدفعه فلا أتقلد عهدته من أجل أني رأيت له في تصانيفه من كثرة الخلل وعظم الخطل ما تبكل البقية بما ينفرد به . والله الكريم أسأل توفيقا زائدا عن بنيات الطريق وحسبنا الله ربنا ونعم الوكيل» .

خط النسخة واضح جميل مشكول .

(١١٤ - ١١٩) ٦ق ١٥س ١٣ × ١٨ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٨) .

* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :**

قال صاحب كشف الظنون وقد أدرج الكتاب تحت عنوان : «حلية الأولياء في الحديث » : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ ثلاثين وأربعمائة مجلد ضخم .

أوله : الحمد لله محدث الأكوان ... إلخ وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفة والنساك وبعض أحاديثهم وكلامهم وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب ثم جعل من سواهم إرسالا لئلا يستفاد منه تقديم فرد على فرد لكنه أطال فيه بالأسانيد وتكرير كثير من الحكايات وأمور أخر منافية لموضوعه . ولذلك اختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي اختصارا حسنا وسماه صفوة الصفوة وانتقد عليه بعشرة أشياء فأوجز في الاختصار بحيث لم يبق منه إلا رسومه . ثم إن صاحب مجمع الأخبار محمد بن الحسن الحسيني سلك في اختصاره مسلكا وسطا مع زيادة تراجم أئمة (كشف ١/ ٦٨٩) .

قالت المؤلفة : كتاب صفوة الصفوة الذي ذكره حاجي خليفة أعلاه طبعته دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م ، تحت عنوان « صفة الصفوة » ، وهي النسخة التي عندي ، ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، وهي من أربعة أجزاء في مجلدين .

ويوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ١٤٣٢ . تصوف ١١٤ .

كتاب كبير وهو أكبر موسوعة في تاريخ نساك هذه الأمة يحوي زهاء / ٨٠٠ / ترجمة في أربعة آلاف صفحة قال الحافظ السلفي : لم يصنف مثل كتاب حلية الأولياء .

المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م .

أوله : الحمد لله محدث الأكوان والأعيان ومبدع الأركان والأزمان ...

ـ توجد أجزاء متفرقة منه .

الجزء الثالث من الكتاب يبتدىء بترجمة ربيعة بن عبد الرحمن وينتهي بترجمة عبدالله بن محيريز .

أوله : ومنهم صاحب المعارف والبيان ، والمخاوف والقربان ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبو عبد الرحمن أبو عثمان حدثنا محمد بن أحمد ...

آخره : حدثنا سليمان بن أحمد ... عن خالد بن دريل عن ابن محيريز قال قلت لأبي جمعة ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات معارضة ومصححة فيها سماع على الحافظ شمس الدين أبي الحجاج يوسف بن خليل ابن عبد الله الدمشقي تاريخه سنة ٦١٩ هـ وعليها خط يوسف بن عبد الهادي .

الجزء الثالث :

الرقم : ١٤٣٣ . تصوف ١١٥ .

أيضا يبدأ بترجمة عمرو بن قيس الملائي وينتهي بترجمة زياد ابن عبد الله النميري .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن حبان ... عن عمرو بن قيس الملائي قال : من احتكر طعاما عشرين ليلة ثم تصدق به لم يكن كفارة له ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ... زياد بن عبد الله النميري عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات وتملكات أقدمها سنة ٧٦٩ هـ وعليها خط يوسف بن عبد الهادي .

الجزء الخامس :

الرقم : ١٤٤٣ . تصوف ١١٦ .

يبتدىء بترجمة هشام بن حسان وينتهي بترجمة الفضيل بن عياض .

فاتحة المخطوط : ومنهم المترقب ذو الأحزان المتيقظ ذو الأشجان هشام بن حسان .

خاتمة المخطوط : حدثنا أبو محمد قال حدثنا أحمد ... قال سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يظلمه ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات وتملكات أقدمها سنة ٨١٦ هـ وبها بتر بـق ٢١٩ أكمل بخط حديث وعليها خط يوسف ابن عبد الهادي .

الجزء الحادي عشر :

الرقم ١٤٣٥ . تصوف ١١٧ .

يبتدىء بترجمة أبي عثمان سعد بن العباس الرازي وينتهي بنهاية الكتاب .

فاتحة المخطوط : ومنهم الواثق بالوصول ، الناطق بالأصول ، التارك للفضول ... ذو اللسان الشافى، والكلام الكافى.

خاتمة المخطوط : ختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبى الحسن على بن ماشاذه لما أولاه الله تعالى من فنون العلم والسخاء والفتوة وسلوكه مسلك الأوائل ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها حبس من قبل عبد الحى الحسامى على المسلمين بمدرسته التى فى جبل قاسيون تاريخ التحبيس غرة جمادى الأخرة سنة ٦٢١ هـ .

السفر الثامن :

الرقم ١٤٦٣ . تصوف ١١٨ .

ويتضمن الجزء الثامن يبتدىء بكلام ، ثم بترجمة أبى سلمة مسعر بن كدام وينتهى بترجمة وهيب بن الورد .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ... عن حنظلة بن سويد العنزى ... قال فجىء برأس عمار قال : فجعل رجلان يختصمان فى رأس عمار ...

خاتمة المخطوط : أدرك وهيب بن الورد من التابعين جماعة فمن روى عنهم ...

الخط نسخ معتاد . الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة قيمة أكلت الرطوبة بعض أطراف الورقة الأخيرة وهى تالفة وهى من وقف محفوظ بن معتوق بن أبى بكر بن عمر المروزى البغدادى على مدفنه الكائن قرب مسجد ابن براقة وتاريخ التحبيس سنة ٦٩٤ هـ وعليها تملكات وهى من وقف العمرية .

الجزء السابع :

الرقم : ٤٥٧٧

ويبتدىء بذكر الصوفية منهم أسماء بن حارثة والأغر المزنى ، وينتهى بترجمة أبى إياس معاوية بن قرة .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن جعفر ... عن أوس بن حذيفة .

قال قدمنا وفد ثقيف على رسول الله ﷺ فنزل الأحلافيون على المغيرة بن شعبة ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أحمد بن إسحاق بسنده عن معاوية ابن قرة قال : مكتوب فى الحكمة لا تجالس بعلمك السفهاء ولا تجالس بسفهك العلماء ...

الخط نسخ على القاعدة المغربية ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة قيمة قديمة الورقة الأخيرة بها خرم طمس بعض كلامها وهى من وقف العمرية .

الجزء الثالث :

الرقم : ٤٥٨٠

يبتدىء بترجمة عبادة بن قرص وقيل ابن قرط وينتهى بترجمة أبى يحيى مالك بن دينار .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن إسحاق ... قال : قال عبادة بن قرص : إنكم لتعملون أعمالا لهى أدق من الشعر فى أعينكم ...

خاتمة المخطوط : أبو يحيى مالك بن دينار ، كان لشهوات الدنيا تاركا ، وللنفس عند غلبتها مالكا وقيل : إن التصوف تذلل وافتخار وتذلل وافتقار ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

ملاحظات : الورقة الأخيرة بها آثار رطوبة طمست بعض كلماتها .

الجزء الثانى :

الرقم : ٧٦٣٧ .

يبتدىء بترجمة عبد الله بن عباس وينتهى بترجمته .

فاتحة المخطوط : ومنهم اللقن المعلم ، والفطن المفهم ، فخر الفخار ، وبدر الأخبار ... مكرم الجلاس، ومطعم الأناس عبد الله بن عباس ... وقد قيل إن التصوف المنافسة فى نفائس الأخلاق .

خاتمة المخطوط : قد روى العجلى ... أبهم على قراءته .

الخط نسخ مغربى معجم الخط ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقروءة .

قطعة من مجلد :

الرقم : ٣٤٣٦ . تاريخ ٧١ .

تبتدىء بترجمة السيدة فاطمة بنت النبى ﷺ وتنتهى بترجمة ربيعة بن أبى عبد الرحمن وهى تلى ترجمة أبى حازم سلمة بن دينار.

فاتحة المخطوط : ومن ناسكات الأصفياء وطائفات الأتقياء فاطمة السيدة البتول ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أنس بن عياض أن ربيعة بن أبى عبد الرحمن وقف على قوم وهم يتذاكرون شأن القدر فقال لئن كنتم صادقين ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة تحبيس سعاد الدين أحمد بن الياماسى وعليه خط يوسف بن عبد الهادى وهى من وقف العمرية .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ١ / ١٥٠ .

طبعة الكتاب : طبع بمصر بعشرة مجلدات بمطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٨٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٨١ ـ ٤٨٧) .

* **حلية الأولياء فى طبقاتهم :**

لإبراهيم بن بشار ، وللشيخ جلال الدين السيوطى (كشف ١ / ٦٩٠) .

* **حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر :**

من مصادر التعرف على المخطوطات للبيطار ، عبد الرازق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميدانى الدمشقى (١٢٥٠ ـ ١٣٣٥ هـ)

ولد بمحلة الميدان من دمشق الشام سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين وتعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن وجوده على الشيخ أحمد الحلوانى شيخ قراء الشام وحفظ المتون فى مبادىء العلوم على والده الشيخ حسن وكان يحضر دروسه الخاصة والعامة وعندما توفى والده فى أول رمضان سنة ١٢٧٢ هـ فقرأ المذهب الحنفى على شقيقه الأكبر الشيخ محمد ثم أخذ يتوسع فى المعقول والمنقول وأخذ عن الشيخ محمد الطنطاوى الميقات والفلك والحساب وقرأ الفتوحات المكية على الأمير عبد القادر الجزائرى .

وكان الشيخ عبد الرازق عالما بالدين . ضليعا فى الأدب والتاريخ وعارفا بالموسيقى وكان حسن الصوت وكان من دعاة الإصلاح فى الإسلام ، سلفى العقيدة طيب النفس وقورا حسن المفاكهة ، من تصانيفه التى تبلغ بضعة عشر كتابا بعضها دينى وأكثرها أدبى وأكبرها هو تاريخ رجال القرن الثالث عشر .

وذكر فيه المشاهير وغيرهم ويقع فى ثلاثة مجلدات ويبلغ نحو ١٨٠٠ صفحة .

ألفه فى عهد شبابه وكهولته وشيخوخته ترجم فيه أيضا لطائفة من رجال القرن الرابع عشر الهجرى وهم أحياء ـ كما أنه أرخ لكثير ممن ليس لهم آثار مثل بعض أهل الطرق المعروفة فجارى ما يحكيه العصر الأول الذى نشأ فيه فقد سبقه إلى مثله المؤرخون كالأمين المحبى فى خلاصة الأثر والمرادى فى سلك الدرر ففى الأول ترجمة فى الخلاصة لأدم الرومى وفى السلك لإبراهيم الخلوتى .

ونجد فى حلية البشر فوائد قد لا نجدها فى غيره ، فتمكن المؤلف من جمع ما وصل إليه من التراجم وطوى ذكر من لم يكن يعلم عنه شيئا وأورد كثيرا من القضايا والمسائل مما هو فيهما ناقل غير قائل فمنها لبس الخرقة وهو شعار صوفى .

وتحوى حلية البشر على حوالى ألف ترجمة مختلفة الطول .

وهذه التراجم مرتبة حسب الأسماء وفى آخر كل جزء من الأجزاء الثلاثة قائمة بأسماء المترجم لهم مع تاريخ وفاة كل منهم كما أشار عبد الجبار عبد الرحمن .

وطبع سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ م تحقيق وتعليق وتنسيق حفيد المؤلف محمد بهجت البيطار ـ دمشق .

وقد أشار الدكتور صلاح الدين المنجد على أنه طبع الطبعة الأولى وصدر منها ثلاثة أجزاء تقع فى ١٦٨٣ صفحة ، المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ م .

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة / ١١٦ ـ ١١٨) .

* **حلية الذهب الإبريز فى رحلة بعلبك والبقاع العزيز :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٧٩١٠ .

ـ رحلة للمؤلف زار فيها سنة ١١٠٠هـ البقاع وبعلبك ويصف فيها أضرحة الصالحين والصوفية وبعض العلماء وغير ذلك .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل الدمشقى الصالحى القادرى الحنفى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الذى أعز قدر البقاع ، بما أودع فيها من أهل الارتقاء والارتفاع ، ورفع بجنابه العزيز كل من انخفض لجلاله ، ودخل منه فى حرز حريز ...

آخره قصيدة مطلعها :

بالبقاع الهنا بدا
ولنا الله أنجدا
وصفا وقتنا وقد
رق ختما ومبتدا

آخرها :

ما تغنى المشوق من
ألم الشوق منشدا
وتلا من نظامه
بالبقاع الهنا بدا

الخط نسخى واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد بن عبد اللطيف الشرباتى .

تاريخ النسخ : الأحد ١٨ صفر سنة ١١٠١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة مراجعة ومعلق على بعضها كتبت فى حياة المؤلف وعليها خط تلميذه إبراهيم الدكدكجى ذكر أنه قابلها وراجعها على الأصل .

نسخة ثانية :

الرقم : ٨٣٦٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

اسم الناسخ : محمد أديب بن حسنى بن محمد أديب .

تاريخ النسخ : السبت ٣ شوال سنة ١٢٧٧ هـ .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤٢٠ ، عقود الجوهر / ٦٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو ص ٦٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٧٩ ـ ٤٨١) .

* **حلية الصفات فى الأسماء والصناعات :**

حلية الصفات فى الأسماء والصناعات : لجمال الدين يوسف ابن تغرى بردى المؤرخ المتوفى سنة خمس عشرة وثمانمائة جمع فيه أشعارا على ترتيب الحروف فكتب ما يتعلق بطول الليل فى حرف الطاء مثلا .

(كشف الظنون ١ / ٦٩٠) .

* **حلية العقود فى الفرق بين المقصور والممدود :**

حلية العقود فى الفرق بين المقصور والممدود : للشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى النحوى المتوفى سنة ٥٧٧ سبع وسبعين وخمسمائة وهو مختصر أوله الحمد لله ذى العز الأظهر (كشف ١ / ٦٩٠) .

* **حلية العلماء فى مذاهب الفقهاء .**

حلية العلماء فى مذاهب الفقهاء : للشيخ الإمام أبى بكر محمد بن أحمد بن القفال الشاشى الشافعى (المعروف بالمستظهرى) المتوفى سنة ٥٠٧ سبع وخمسمائة وهو كتاب كبير صنف للخليفة المستظهر بالله العباسى ووافق ما فعله وعدل عن المجمع عليه ولذلك يلقب هذا الكتاب بالمستظهرى وذكر فى كل مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة ثم صنف المعتمد وهو كالشرح للمستظهرى (كشف ١ / ٦٩٠) .

* **حلية الفضل وزينة الكرم فى المفاخرة بين السيف والقلم :**

حلية الفضل وزينة الكرم فى المفاخرة بين السيف والقلم : رسالة أنشأها القلقشندى للمقر الزينى ابن يزيد الداودار الظاهرى ، فى الإنشاء والأدب منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية .

(دراسات فى التراث الجغرافى العربى ـ د. صباح محمود محمد / ١٥) .

* **الحمّاد (إبريل ١٨٠٧ م) :**

قال عنها على مبارك : الحماد بتشديد الميم قرية صغيرة من مديرية البحيرة بقسم دفينة غربى فرع رشيد بنحو تسعمائة متر وفى جنوب الرمال المتصلة برشيد من جهة قبلى ، وفى شمال ناحية الشماسة بنحو ألف وستمائة متر وفى جنوب ناحية الجدية بنحو أربعة آلاف متر، وبها جامع ، وأكثر زرعها الرز (الخطط ١٠ / ١٧٠) .

أما عن موقعة حماد بين المصريين والإنكليز فإنه :

بعد الهزيمة التى منى بها الإنكليز فى معركة الرشيد ، أرسل (فريزر) حملة جديدة لاحتلال الرشيد . فرابطت ببعض وحدات الحملة على موقع الحماد ، لمنع النجدات عن المدينة ، بينما حاصر قسم آخر المدينة نفسها ، ولما وصلت النجدات التى أرسلها والى مصر محمد على بقيادة (طبوز أوغلى) لدعم أبناء المنطقة فى التصدى للحملة الإنكليزية ، اصطدمت القوات المصرية بالقوة الإنكليزية المرابطة فى الحماد . وجرت معركة شديدة أدت لمقتل معظم الإنكليز، وحاول الباقى التراجع، ولكن القوات المصرية كانت لهم بالمرصاد واستفادت من خبرتها بالمنطقة ، فلم ينج أحد من أفراد الحملة المرابطين هناك ، بل قضى عليهم بين قتيل وأسير، ونقل هؤلاء إلى القاهرة . بينما أدت أخبار الهزيمة التى وصلت إلى الرشيد ، لرفع القائد (ستوارت) الحصار عن المدينة والانسحاب بقواته إلى الإسكندرية ، ليعلم (فريزر) بفشله ثانية أمام المقاومة الوطنية . وكانت معركة الحماد هزيمة ساحقة للإنكليز . (معجم المعارك الحربية ١٢٩ ، ١٣٠) .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد الشلقامى ١٠ / ١٧٠ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٩ ، ١٣٠) .

* **حماد بن زيد (٩٨ ـ ١٧٩ هـ ـ ٧١٧ ـ ٧٩٥ م) :**

حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى ، مولاهم ، البصرى، أبو إسماعيل ، شيخ العراق فى عصره ، من حفاظ الحديث المجودين . ، يعرف بالأزرق . أصله من سبى سجستان ، مولده ووفاته فى البصرة . يحفظ أربعة آلاف حديث . خرج حديثه الأئمة الستة (الأعلام ٢ / ٢٧١) .

قال عنه الإمام النووى : حماد : مذكور فى المهذب فى باب الأذان أظنة حماد بن زيد ، وهو الإمام البارع المجمع على جلالته أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى البصرى مولى آل جرير بن حازم سمع ثابتا البنانى ومحمد بن سيرين وعمرو ابن دينار وخلائق من التابعين وغيرهم . روى عنه جماعات من أعلام الأئمة منهم الثورى وابن عيينة وابن المبارك وابن مهدى ويحيى القطان ووكيع ويزيد بن هارون وخلائق .

روينا عن عبد الرحمن بن مهدى قال : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : الثورى بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وقال عبيد الله بن الحسن : إنما هما الحمادان فإذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمادين يعنى ابن زيد وابن سلمة . وقال يحيى بن معين : ليس أحد أتقن من حماد بن زيد .

وقال يحيى بن يحيى : ما رأيت أحدا من الشيوخ أحفظ من حماد ابن زيد وقال ابن مهدى : ما رأيت أعلم من حماد بن زيد . وقال حماد : جالست أيوب عشرين سنة .

ولد حماد سنة ثمان وتسعين ، وتوفى فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة بالبصرة . وقد ذكر ابن أبى حاتم جملة صالحة من مناقبه رضى الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٧ ، ١٦٨) .

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة عند الكلام على أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين فقال : وقد قال عثمان بن سعيد الدارمى : يقال من لم يجمع حديث هؤلاء الخمسة فهو مفلس فى الحديث : الثورى ، وشعبة ، ومالك ، وحماد بن زيد ، وابن عيينة وهم أصول الدين (الرسالة المستطرفة / ٨٣) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧١ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٨٣) .

*** حماد (جامع -) :**

هو بشارع باب اللوق تجاه ميدان سراى عابدين . يصعد إليه بدرج ، ومطهرته بالأرض من الجهة الأخرى ، وله منبر وخطبة ومنارة وشعائر مقامة ، وقد وجد فى حجة باسم الأمير رجب أغا ابن الأمير إبراهيم أغا أغاة طائفة التفكشية وكتخدا الجاوشية : أن جامع حماد بخط درب الفواخير كان قد تخرب ، فجدده ذلك الأمير وعمر بجانبه أماكن ، ووقف أوقافا عليه وعلى غيره ، فمن وقفه عليه الرزقة التى بناحية حفنة بولاية الشرقية ، خراجها فى السنة أربعمائة وسبعة وستون نصفا ، ووظف له من يقيم شعائره وعين لهم المرتبات ، فجعل للإمام أربعين نصفا ، وللخطيب خمسة وعشرين ، وللمرقى عشرة . ولاثنين مؤذنين ستين نصفا ، وللفراش خمسة عشر ، وللوقاد كذلك وللبواب كذلك وللملا كذلك ، ولثمن الزيت أربعين نصفا كل شهر ، وتوسعة كل سنة للإمام ثلاثين ، وللمؤذنين أربعين ، وللوقاد ثلاثين ، ويصرف من ذلك فى زيت رمضان ثلاثمائة نصف ، وفى القناديل مائتان ، وفى الحصر أربعمائة ونيف وستون ، وثمن شمعتين أربعون نصفا وتاريخ هذه الحجة ثامن شهر رجب الحرام سنة أربع وسبعين بعد الألف .

وفى حجة أخرى فى سنة اثنين وسبعين ، أنه استحوذ على أماكن بخط المدابغ القديم داخل درب الفواخير قريبا من مدرسة الخواجا كريم الدين . وفى أخرى أنه وقف الفسقية والحوض المستجد ببركة الحاج ، والساقية ذات الثلاثة أوجه المعروفة بالقاضى عبد الباسط ، والمصلى والمقعد الذى عليها والمغطس ومحلات أخر ، وأنه يصرف كل سنة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعين نصفا فى ثمن ماء عذب لصهريج باب الخرق ، وسبعة آلاف نصف لإدارة ساقية البركة وملء الحوض لشرب الحجاج ودوابهم ، وثمن ثورين وثمن فول وتبن . ورتب هناك جراية ثلاثين رغيفا كل يوم ، زنة الرغيف أربعة أواق ، وجعل على سبيل باب الخرق مكتبا يصرف لمن به من الأيتام والمؤدب عشرون رغيفا ، وللمزملاتى ثمانية أرغفة كل يوم ، ويصرف لهم كسوة كل سنة قميص خام ولفافة ، ولكل واحد أربعون نصفا ، وللفقيه كسوة وثمانون نصفا غير أجرة الخياطة ، وثمن حصر وسلب وسفنج وغيره ، ورتب لسبيل حارة اليهود ثلاثمائة نصف ، وثمن بقرة تذبح وتفرق على الأيتام والخدمة بالسبيلين ، ولعشرة يقرؤون ختمة كاملة كل يوم خمسة عشر نصفا ، وللداعى زيادة خمسة أنصاف ، ولخادم الربعة منهم خمسة أنصاف ، ولاثنين يقرآن على قبره عشرون نصفا فى الشهر ، ولثلاثة يقرؤون بمنزله ثلاثون فى الشهر .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

*** ابن حمادة (٨٧١ - ٩٥٣ هـ) :**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثانية من المائة العاشرة وقال عنه :

أحمد بن محمد بن حمادة : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الشيخ الإمام العلامة الورع الشيخ شهاب الدين بن الشيخ شمس الدين بن القاضى .

جمال الدين الأنطاكى الحلبى الحنفى المعروف بابن حمادة ولد بأنطاكية سنة إحدى وسبعين بتقديم السين وثمانمئة ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وتخرج فى صنعة التوقيع بجده وأخذ النحو والصرف عن الشيخ علاء الدين العدسى الأنطاكى والمنطق والكلام والأصول على الشيخ المعمر الصالح الفاضل محيى الدين : محمد بن صالح بن لحام عرف بابن عرب الأنطاكى الحنفى تلميذ قاضى زاده الرومى ثم قدم حلب ولازم فيها البدر السيوفى واشتغل بالقراآت على الشيخ محمد الداديخى وتعاطى صنعة الشهادة ثم صار مدرسا فى توسعة جامع الصروى بحلب وحج وأجاز له بمكة المحدث عبد العزيز بن الحافظ نجم الدين بن فهد وبالقاهرة قاضى القضاة زكريا والشيخ العلامة شهاب الدين القسطلانى ولم يزل مكبا على التدريس والتحديث والتكلم على الأحاديث النبوية بالعربى والتركى بالجامع المذكور وعرض عليه تدريس السلطانية بحلب فأعرض عنه لاطلاعه على ما كتب على بابها من اشتراط كون مدرسها شافعيا وولى خطابة الجامع المذكور ثم أعرض عنها لخطابة الجامع الكبير بإبرام قاضى حلب المولى محيى الدين بن قطب الدين ثم لما ولى المذكور قضاء العساكر الأناطولية ضم له مع الخطابة تدريس الحلاوية والإفتاء بحلب ثم حج ثانيا سنة تسع وأربعين وتسعمئة فتحرك عليه وجع النقرس وهو بدمشق وكان يعتريه أحيانا واستمر حتى دخل المدينة فخف عنه ثم توفى آخذا منه .

وذكر ابن طولون فى تاريخه أن صاحب الترجمة قدم مع الحاج إلى دمشق سنة خمس وتسعمائة وأنه زار الشيخ محيى الدين بن العربى يوم الخميس ثالث عشر صفر منها قال وسلم علىَّ وأفادنى أن فى البزازية ذكر أن القاضى إذا لم يعرف الحكم فى المسألة واستفتى المفتى فأجاب بالخطأ ثم القاضى حكم به أن الإثم يكون على القاضى فقط لحكمه به قال وكان مفتى دمشق القطب ابن سلطان يشكره فذكرت ذلك له فذهب وسلم عليه قال ابن الحنبلى : وكان له الخط الحسن والتحشية اللطيفة المحررة على هوامش الكتب والنسخ الكثير فى أنواع العلوم لا سيما الفقه . وكان منقطعا غالبا فى داره إلا فى وقت مباشرة ما بيده من الوظائف ولم يكن له خبرة بأساليب أهل الدنيا مع الصلاح الزائد وله من التأليف منسك حمله على تأليفه الشيخ الفاضل الملك العارف بالله تعالى علاء الدين الإطاسى الحمصى حين مر عليه بحمص شرحها ببيت المقدس سنة أربع وأربعين وتوفى طلوع الفجر يوم عرفة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة . قال ابن الحنبلى : وقد أخبرنى الثقة بعد عودى من الحج سنة أربع وخمسين أنه علم قبل موته أنه سيموت فأخذ فى تلاوة القرآن على أحسن ما يتلى من رعاية التجويد .

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى - حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٢ / ٩٨ ، ٩٩).

* **الحماسة :**

توجد مجموعات شعرية منتقاة ، حملت اسم ديوان الحماسة ، أو الحماسة . يقول عنها صاحب كشف الظنون .

الحماسة : لأبى عبادة وليد بن عبد الله [عبيد] البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ أربع وثمانين ومائتين . ولأبى الحسن على ابن الحسن المعروف بشميم الحلى المتوفى سنة (٦٠١ إحدى وستمائة) رتب على أربعة عشر بابا . ولأبى الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٣ ثلاث وخمسين وستمائة وهى فى مجلدين صنفها بتونس فى شوال سنة ٦٤٦ ست وأربعين وستمائة جمع فيها ما اختاره واستحسنه من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها و إسلاميها ومولديها ومن أشعار المحدثين من أهل الشرق والأندلس فرتب كترتيب أبى تمام . ولأبى السعادات هبة الله بن على بن الشجرى النحوى اللغوى المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو كتاب غريب أحسن فيه ذكره ابن خلكان .

وللشيخ أبى الحسن على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى «المتوفى سنة ٦٥٦ » وحماسته تعرف بالحماسة البصرية ألفها سنة ٦٤٧ سبع وأربعين وستمائة . وهذه الحماسات تضاهى بحماسة أبى تمام . ومنها الحماسة العسكرية (كشف ١ / ٦٩٣) . لأبى هلال العسكرى، وحماسة أحمد بن فارس ، والأعلم الشنتمرى الأندلسى ، وحماسة الشاطبى لأبى عامر محمد بن يحيى بن خليفة الشاطبى الأندلسى النحوى، ولا نعرف عن هذه الحماسة شيئًا (مصادر التراث العربى / ٦٧ ، ٦٨) ، وحماسة الخالديين (الخالدان هما أبو عثمان سعيد ، وأبو بكر محمد، ابنا هاشم الخالدى، وكانا شاعرين من شعراء سيف الدولة ، وتعرف حماستهما أيضا باسم « الأشباه والنظائر فى المتقدمين والجاهلية والمخضرمين »)(دراسات فى المكتبة العربية / ١٢٠) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ومصادر التراث العربى ـ د . عمر الدقاق/ ٦٧ ، ٦٨ ، ودراسات فى المكتبة العربية ـ د. محمود أحمد حسن المراغى / ١٢٠) .

* **حماسة البحترى :**

من كتب المختارات .

يقول الدكتور عمر الدقاق : حماسة البحترى رواها أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبى خالد الأحول عن أبيه البحترى . ثم يبسط الكلام عليها ، مقارنا بينهما وبين حماسة أبى تمام الطائى فيقول :

وقد اختار البحترى أشعار حماسته للفتح بن خاقان وزير المتوكل والبحترى أيضا شاعر رقيق الطبع حسن الذوق كثير المحفوظ ، وهذا أيضا ما رفع من شأن حماسته . كذلك كاد البحترى يقصر اهتمامه على الشعر القديم شأنه فى ذلك شأن سلفه أبى تمام وسائر من صنفوا فى هذا اللون من التأليف ، وثمة قلة من الشعراء المحدثين اختار لهم البحترى فى مجموعته ، من مثل بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس ...

وتختلف حماسة البحترى فيما عدا ذلك عن حماسة أبى تمام من وجوه ، أهمها تبويبها الخاص الذى يقوم على مبدأ الموضوعات التفصيلية لا على مبدأ الأغراض الشعرية العامة الذى كان عليه كتاب أبى تمام . فقد فصَّل البحترى فى أبوابه تفصيلاً زائدا وجعل لكل معنى أو موضوع عنوانا جزئيا خاصا ، فكان مجموع هذه الأبواب ١٧٤ بابا . وطبيعى أن تكون هذه

المعانى الجزئية متفرعة من الأغراض الكبيرة أو الموضوعات العامة ، فموضوع الحماسة لم يفرد له البحترى بابا خاصا به على الرغم من أنه أسمى مجموعته الشعرية بالحماسة ولكننا إذا استعرضنا الأبواب الأولى فى المجموعة وجدناها تنطوى فى الواقع على المعانى التفصيلية التى تتفرع من موضوع الحماسة الشامل من مثل : بـاب فيما قيل فى حمل النفس على المكروه، وباب فيما قيل فى الفتك، وفى ركوب الموت خشية العار، وفى ذم الفرار والتعيير به ، وفى نبو السيف، وفى إغاثة الملهوف ... إلخ وتمضى أبواب الحماسة على هذا النحو حتى تبلغ الثلاثين من الأبواب، وكأن البحترى يورد من الشعر فى نسق مفصل ما أورده سلفه أبو تمام فى شكل مجمل .

وهذا التفريع فى الأبواب فى حماسة البحترى استتبع اجتزاء الأبيات من قصائدها فى كثير من الأحيان فى نحو (ما قيل فى إخلاف الوعد) أو (فى كتمان السر) أو (فى فراق الإخوان) أو (فى الشباب والشيب) . لأن مثل هذه الموضوعات تنضوى فى الغالب تحت مقطعات الشعر ولا تستغرقها القصائد الطويلة . ومن هنا اضطر المؤلف إلى تفتيت القصيدة الواحدة إلى مقطوعات متعددة تناثرت أجزاؤها وتباعدت . فقصيدة أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء أولاده نجد بعضا منها فى مواضع متعددة، فثمة بيتان فى الباب التاسع والأربعين : (فيما قيل فى غلبة الزمان وإفنائه الأمم) ثم بيتان آخران من العينية نفسها فى الباب الثانى والخمسين : (فيما قيل فى اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه)، ثم بيتان آخران فى موضع ثالث هو الباب الخامس والسبعون : (فيما قيل فى الصبر على المصائب والتجلد للشامتين وترك الاستكانة) ...

وقد تتقاصر المقطعات حتى لا تعدو بيتا واحدا يدل على معنى جزئى مكتف بنفسه من حكمة أو نحوها . كل هذا يتيح للقارىء الفائدة ويوفر عليه كثيرا من الجهد، إلا أنه فى نظر الكثيرين قد يسىء إلى وحدة القصيدة ويذهب برونقها . ومما لا شك فيه أن هذا التبويب المفصل استغرق كثيرا من جهد البحترى وهو ينم على منحنى تنظيمى لدى مؤلف الحماسة . وهذا أيضا ما جنح ببعض الباحثين إلى أن يشكوا فى نسبة هذه الحماسة إلى البحترى مستندين إلى أن القرن الثالث ذلك القرن المبكر نسبيا لم يكن قد عرف مثل هذه النزعة التنظيمية والدقة فى مناهج التأليف . كما علق بعض القدماء على هذا الموضوع بقوله : « ولم نسمع أن للبحترى حماسة » (العبارة لعبد القادر البغدادى فى كتابه « خزانة الأدب » ٣/ ٥٩١، وكان يعقب على عبارة العينى « ذكره فى حماسته ») .

وكان طبيعيا ــ تبعا لهذا التقسيم التفصيلى لأشعار المجموعة ــ أن تتكاثر مقطوعات الحماسة فتبلغ ١٤٥٤ مقطوعة، أى ما يقارب ضعف المقطوعات عند أبى تمام ، وأن يكثر أيضا الشعراء فى حماسة البحترى فيبلغوا ٦٠٠ شاعر.

وقد تتفق حماستا أبى تمام والبحترى فى بعض المروى من الشعر من نحو ما ورد لقطرى بن الفجاءة والحارث بن هشام والفند الزمانى ... وهذا لا يضير البحترى فى شىء لأنه وأبا تمام وأمثالهما إنما يروون ما أخذوه عن شيوخهم من الشعر الموروث وقد يقع الحافر على الحافر.

على أن ما يدعو إلى التساؤل إغفال البحترى فى حماسته أشعار الغزل والنسيب . والنسيب غرض رئيسى فى شعر العرب وقد جعل له أبو تمام بابا خاصا ضمن أبوابه العشرة . ولعل ما يزيدنا استغرابا أن البحترى نفسه شاعر رقيق أجاد طرق موضوع الغزل وتصوير الطيف وحلاوة الحب ومرارته . وأغلب الظن أن البحترى عندما ألف حماسته كان قد تقدم فى السن فعزف عن مثل هذا اللون من الشعر، ولعله أخرج حماسته بعد مقتل الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان الذى صنفت من أجله هذه المختارات فى الأصل . وقد نجد فى اتشاح بعض أبواب حماسة البحترى باللون القاتم ما يؤيد هذا لرأى من مثل ما يدور حول : « صحة المودة وحفظ الإخاء وغلبة الزمان والتبرم بالحياة، وعتاب الدهر، وذل من اغترب، وما يلحق الرجل من الضيم إذا ضيم مولاه أو قريبه، وترك ما نبا بك من المنازل والبلدان ، وفى تنقل الدول وتغير الأحوال، وتعاقب اليسر والعسر، والصبر على المصائب ، والغدر والخيانة، وتقلب الدهر بأهله ورفعه قوما وخفضه آخرين، وتوقع الموت والحذر منه ، والإعداد للمعاد، وخذلان بنى العم عند الشدائد، ونسيان ما مضى، والجفاء بعد الصلة ، والمخافة والالتياع ... إلخ » كل ذلك لا يعكس المرحلة التى كان البحترى يحياها فى رغد آمنا من تقلب الدهر وهو فى بلاط الخليفة ومجالس الأمراء .

ولا نعرف أحدا من القدماء تصدى لشرح حماسة البحترى كما فعلوا فى حماسة أبى تمام . وهذا يؤكد أن منزلتها على رفعتها لا تبلغ شأو حماسة أبى تمام .

وقد طبعت حماسة البحترى فى بيروت أول الأمر سنة ١٩١٠ ثم فى مصر سنة ١٩٢٩ .

(مصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٦٨ ـ ٧٢) .

* **الحماسة البصرية :**

من كتب المختارات .

ظهرت هذه الحماسة حوالى منتصف القرن السابع أى بعد حماسة ابن الشجرى بأكثر من قرن . وقد صنفها صدر الدين ابن الحسن البصرى وأطلق عليها اسمه لتعرف بـه وتتميز عن الحماسات الأخرى .

استمد البصرى نصوص حماسته من مصادر عديدة تقدمته وفى جملتها حماسات أبى تمام والبحترى والخالدَيْن وابن الشجرى ودواوين العديد من الشعراء وجانب من كتب الأدب المتقدمة كذلك جمع البصرى فى مختاراته بين القدماء والمحدثين .

ويمكن القول إن البصرى لم يأت بجديد فى تبويب حماسته حين جعلها تتكىء فى ذلك على تبويب أبى تمام . فقد صنفها على حسب أغراض الشعر وبلغت لديه ١٢ بابا . أولها الحماسة وهو أطول الأبواب ثم المديح والتقريظ ، فالتأبين والرثاء ، فالأدب ، فالنسيب والغزل ، فالأضياف ، فالإنابة والزهد ... إلخ ، ولعل هذا هو الباب الجديد الذى أضافه البصرى فى حماسته بعد أن أصبح شعر الزهد غرضا ذا شأن فى ذلك العصر .

وتضم الحماسة البصرية نحو ٦ آلاف بيت لـ ٥٠٠ شاعر تقريبا ، صنع لها المصنف خطبة موجزة فى مستهل كتابه أشاد فيها بفضل الاختيار فى الشعر.

على أن هذه الحماسة البصرية تفتقر فى نظرنا إلى الأصالة ، لأنها تستمد جانبا وفيرا من الشعر من بطون دواوين الشعراء المتداولة ، وليس فى هذا كبير جدوى ، ولأنها أيضا تستقى من معين كتب الاختيار السالفة كالأصمعيات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى ، وليس فى هذا أيضا كبير غناء . ونحن قد نقع على قصائد أو مقطعات سبق أن اطلعنا عليها فى كتب المتقدمين ، حتى إن الأمر بلغ بالبصرى حدا جعله يبدأ حماسته بأبيات عمرو بن الإطنابة نفسها التى استهل بها البحترى حماسته .

وقد نشرت الحماسة البصرية فى الهند عام ١٩٦٤ فى مجلدين وذيلت بفهارس عديدة (صدر الكتاب فى حيدرآباد بعناية محقق هندى اسمه مختار الدين أحمد) .

(مصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٧٥ ـ ٧٧) .

* **حماسة ابن الشجرى :**

يقول عنها الدكتور عمر الدقاق :

ابن الشجرى هبة الله بن على من رجال القرن السادس الهجرى كان شيخ وقته فى معرفة النحو واللغة والأدب . والأمالى أكبر تآليفه .

وكتابه « الحماسة » الذى نحا فيه منحى أبى تمام والبحترى ينطوى على خصائص ذينك الكتابين معا ، فقد جعل جانبا من أبوابه على حسب الأغراض الشعرية أى : باب الحماسة والمراثى والهجاء والمديح والأدب والنسيب ... على حين كان سائر أبوابه على حسب معانى الشعر وموضوعاته الجزئية كأبواب الطيف والخيال ، وصف النار ، الليل والنجوم ، الشيب ... إلخ . وبلغ مجموع هذه الأبواب المتفاوتة فى حماسة ابن الشجرى ٣٦ بابا .

والأشعار المختارة فى هذه الحماسة مقطعات قلما بلغت حدود القصيد ، ومن هنا كثر عدد شعرائها على الرغم من أنها فى حجمها لا تبلغ غزارة الشعر فى حماستى أبى تمام والبحترى . وقد بلغ هؤلاء الشعراء نحو ٣٦٥ شاعرا عدا الأشعار التى أوردها ابن الشجرى فى مجموعته ، ولم ينسبها إلى قائل معين . كما بلغت حماسيات المجموعة ٩٤٤ حماسية .

ولعل أهم ما تمتاز به هذه الحماسة فضلا عن تبويبها أنها تشارك ما سبقها من المجموعات الشعرية فى احتوائها الشعر القديم وتحتفل أكثر منها بالشعر المحدث أو شعر المولدين ، فهى تنطوى على شطر ذى بال من شعر العصر العباسى لبشار وأبى نواس وأبى العتاهية وأبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز ودعبل وأبى دلامة وديك الجن وعلى بن الجهم والسرى الرفاء والصنوبرى وأبى فراس والشريف الرضى ... وقد راق المصنف فيما يبدو ما بلغه الشعر المولد فى ذلك العصر العباسى من رقة وعذوبة فأفرد بالإضافة إلى ذلك بابا أسماه : « مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين » .

وقد نشرت حماسة ابن الشجرى فى الهند أول الأمر فى طبعة تفتقر إلى مزيد من العناية والضبط والتحقيق (عنى بإصدار هذه الطبعة التى صدرت فى حيدر أباد سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م المستشرق الألمانى فريتس كرنكو معتمدا على أصول مخطوطة فى لندن وباريس والمتحف البريطانى . وقد

خلت الطبعة من الشرح وَقَلّ فيها الشكل. غير أنها احتوت ترجمة لحياة ابن الشجرى) ثم صدرت مؤخرا فى دمشق فى طبعة جيدة مفهرسة .

(ثم صدرت « الحماسة الشجرية » فى دمشق عن وزارة الثقافة عام ١٩٧٠ بتحقيق عبد المعين الملوحى وأسماء الحمصى، وهى طبعة علمية فى مجلدين استغرقت نحو ألف من الصفحات، وامتازت بضبطها ووفرة فهارسها التى بلغت مائتى صفحة) .

(مصادر التراث العربى - د. عمر الدقاق / ٧٢ ، ٧٣) .

*** الحماض :**

قال داود الأنطاكى : الحماض نبت كثير الأصناف منه ما يشبه السلق عريض الأوراق والأضلاع تفه يعرف بالسلق البرى ونوع دقيق الورق محمر الأصول له سنابل بيض شعرية يخلف بزرًا أسود براقا ونوع يتولد بزره من غير زهر وكلاهما حامض جيد ونوع يرتفع فوق ذراع تعمل منه أهل مصر بعد بلوغه أمثال الحصر وكله بارد يابس فى الثانية يقمع الصفراء والعطش والغثيان والقىء واللهيب، والنوعان الجيدان يعمل منهما شراب الحماض المذكور فى الطب ينفع من الحكة والجرب والحصبة والجدرى وغليان الدم والسعال الحار وهذا هو المشار إليه لا ما يعمل فى مصر من الليمون المركب والمتولد بزره بلا زهر إذا سحق أو بزره وشرب فرّح النفس وقوى الحواس ...

وإن طُبخ بالكمون ورُش فى البيت طرد النمل وهو يضر الرئة ويصلحه السكر وشربة بزره إلى ثلاثة وجرمه إلى ثمانية عشر .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ١٢١ ، ١٢٢)

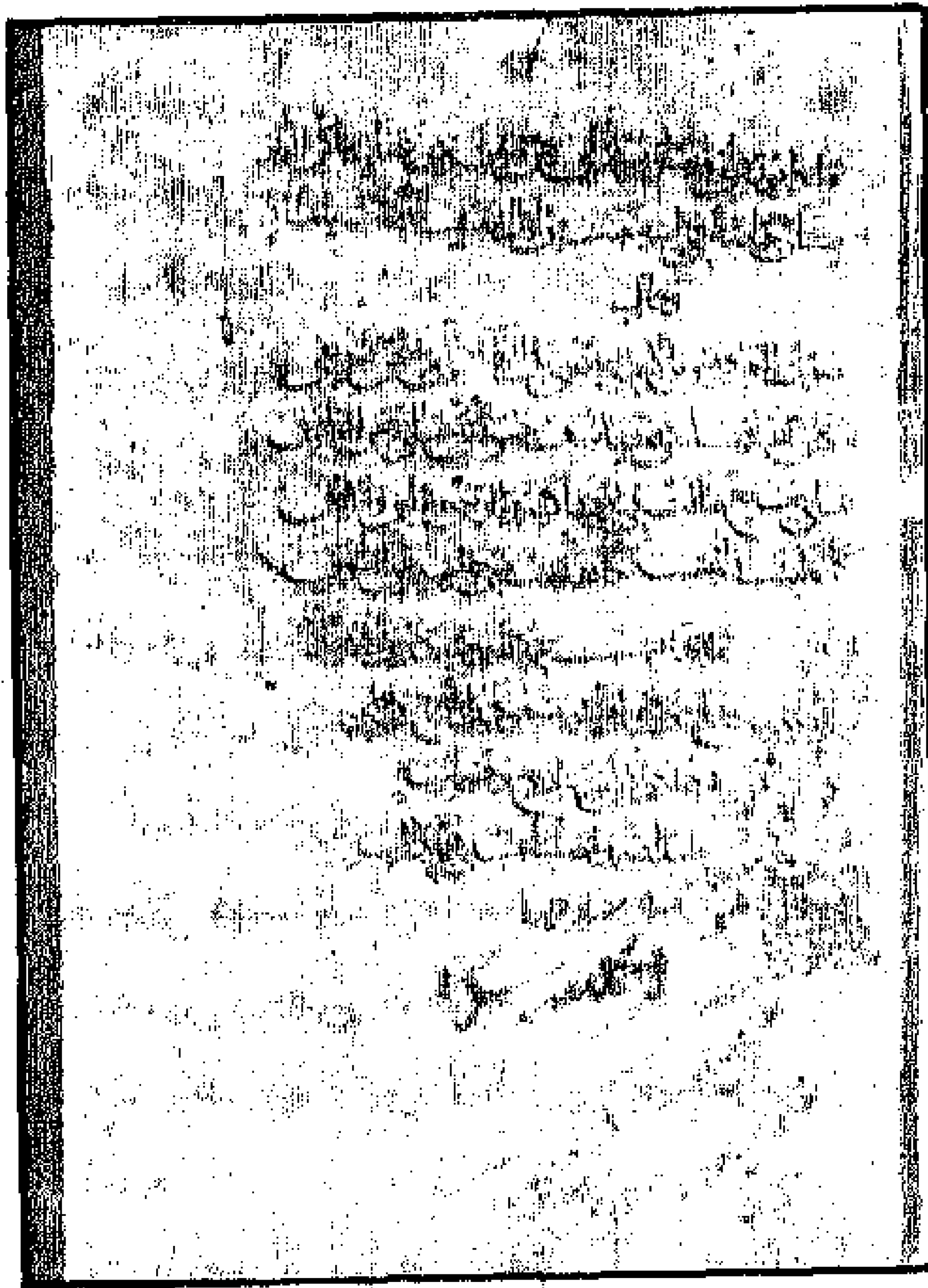
*** حماسة أبى تمام :**

قال حاجى خليفة :

الحماسة : لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى سنة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب العرباء ورتب على أبواب عشرة الحماسة والمراثى والأدب والنسيب والهجاء والإضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء واشتهر ببابه الأول . والحماسة شجاعة العرب قالوا إن أبا تمام فى اختياره أشعر منه فى شعره وسبب جمعه أنه قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان فمدحه فأجازه وعاد يريد العراق فلما دخل همدان اغتنمه أبو الوفا بن سلمة فأنزله وأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغم أبا تمام ذلك وسر أبا الوفا فأحضر له خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب فى الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فبقى الحماسة فى خزائن آل سلمة يضنُّون به حتى تغيرت أحوالهم وورد أبو العواذل همدان من دينور فظفر به وحمله إلى أصبهان فإقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب فى معناه ثم شاع واشتهر .

وقد فسره جماعة فمنهم من عُنى بذكر إعرابه ومنهم من عنى بالمعانى . فممن شرحه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلثمائة ، وأبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى سنة ٤١٤ أربع عشرة وأربعمائة ، وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ اثنتين وتسعين وثلثمائة اكتفى فيه بشرح مغلقاته ، وأبو القاسم زيد بن على الفسوى المتوفى سنة ٤٦٧ سبع وستين وأربعمائة ، وأبو عبد الله محمد الخطيب الإسكافى المتوفى سنة ٤٢١ إحدى وعشرين وأربعمائة ، وأبو الحسن على بن إسماعيل بن سيد اللغوى المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين وأربعمائة وهو شرح كبير فى ست مجلدات وسماه الأنيق ، وحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٣٥ خمس وثلاثين وثلثمائة [٣٣٧] .

وأبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٤٧٦ ست



« صورة رقم ٨ »
الصفحة الأخيرة من « ديوان الحماسة الكبرى » لأبي تمام التي كتبها مسعود بن المفرج سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م .

وسبعين وأربعمائة [٣٣٥] وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة ، وعبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ وعبد الله بن أحمد الشاماتى المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة ، وإبراهيم بن محمد بن ملكون الأشبيلى المتوفى سنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمائة ، وأبو على حسن بن على الاستراباذى النحوى المتوفى سنة ٧١٧ وأبو نصر قاسم بن محمد الواسطى النحوى المتوفى بمصر وأبو المحاسن مسعود ابن على البيهقى المتوفى سنة ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة والأعلم (أبو الحجاج يوسف بن سليمان) الشنتمرى المتوفى سنة ٤٧٦ ست وسبعين وأربعمائة فى خمس مجلدات ، وأبو البقاء عبد الله بن حسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة وستمائة وهو شرح مختصر اقتصر فيه على إعرابه ، وأبو زكريا يحيى بن على الشهير بالخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ اثنتين وخمسمائة شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر جميعا ثم شرحها وشرح ثانيا بيتا بيتا ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : أما بعد حمدا لله الذى لا يبلغ صفاته الواصفون ... إلخ، وأبو على أحمد بن محمد المرزوقى . المتوفى سنة ٤٢١ إحدى وعشرين وأربعمائة وشرحه معتبر مشهور أوله : الحمد لله خالق الإنسان مميزا بما عليه البيان ... إلخ، وأبو نصر منصور بن مسلم الحلبى المعروف بابن أبى الدميك جعله تتمة ما قصَّر فيه ابن جنى . ونثرها أبو سعد[أبو سعيد] على بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٧١٤ أربع عشرة وسبعمائة وسماه المنثور البهائى لأنه نثر لبهاء الدولة ابن بويه (كشف ١/ ٦٩١، ٦٩٢) .

وقد ذكر صاحب « معارف العوارف » شروح ديوان الحماسة فى الهند وهى : الرصافة القادرية شرح الحماسة للمولوى عبد القادر الكوكنى ، وشرحه للقاضى نجف على بن عظيم الدين الجهجرى ، وشرحه للمولوى ذو الفقار على الديوبندى ، وشرحه للشيخ فيض الحسن السهارينورى ، وهو أحسن الشروح انتقد فيه على التبريزى (الثقافة الإسلامية فى الهند/ ٥٥) .

وتضم حماسة أبى تمام ثمانمائة وإحدى وثمانين قصيدة أو مقطوعة ، وتسمى بالحماسة الكبرى ، تمييزا لها عن حماسة أخرى لأبى تمام ، أقل حجما من تلك المجموعة ، وتسمى هذه المجموعة بالحماسة الكبرى ، أو بالوحشيات ، وهما متشابهتان تقريبا من حيث الأبواب والموضوعات .

وقد استهل أبو تمام مختاراته الحماسية بمقطوعة أو بأبيات لشاعر من بنى العنبر تعتبر من أكثر الشعر العربى إثارة للحماس ، لأنها تحث قوما متكاسلين عن مناصرة واحد منهم وتحاول الأبيات إثارة النخوة فيهم وتحريك الغيرة حين يذكر الشاعر أنه لو كان من قبيلة مازن ما حدث له ما حدث من امتهان ومذلة ، ولكن قومه رغم كثرة عددهم لا تحركهم غيرة ، ولا يثيرهم امتهان وظلم يقع على واحد منهم .

وتتميز حماسة أبى تمام بذوق مصنفها ، أبى تمام ، وهو ذوق شاعر دقيق ذواق ، بذل ـ جهدا فى اختيار ما اختار ليجىء اختياره معبرا عن المقصود ، ـ مصورا للغرض الذى اختيرت الأبيات من أجله ، لذلك لم يهتم أبو تمام بأن يختار لشعراء مشهورين ، بل اعتمد فى جودة الاختيار على جودة النص وقوة تعبيره عن الغرض مهما كان صاحب النص مغمورا .

(دراسات فى المكتبة العربية / ١٢١) .

وكان أبو تمام يبيح لنفسه فى بعض الأحيان أن يتصرف تصرفا جزئيا فيما اختاره من شعر الآخرين كأن يستبدل لفظا بآخر لم يعجبه ، أو يحل عبارة محل أخرى يراها أجمل فى النفس وأوقع فى الأذن . وقد أشار إلى ذلك المرزوقى فى مقدمته لشرح حماسة أبى تمام فقال : « ... حتى إنك تراه ينتهى إلى الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده » . وهذه التهمة ، تهمة أبى تمام بتغيير النصوص التى اختارها يدعمها المرزوقى فى أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها . وقد لا يتوافر بين أيدينا من النصوص المقارنة ما يسمح لنا باستنتاج دليل قوى على ذلك وبمعرفة طبيعة هذا التغيير ومداه ، كما أن ذلك قد يكون أحيانا فى رأينا بعضا من أوجه روايات الشعر المتعددة . ونحن نرجح صحة ما ذهب إليه المرزوقى ، فهو ، من جهة ، أقرب الشراح عهدًا إلى أبى تمام ، ثم إن ذلك التدخل من قِبل أبى تمام من جهة أخرى فى تلك الأشعار أمر لا نجنح لنفيه لأنه يتفق مع مذهب أبى تمام الفنى بصورة عامة فى إيثاره المعاودة والتنقيح . ومثل هذا التصرف فى بعض الأشعار وإن بدا محدودا فقد كان جديرا بأن ينزل بقيمة « الحماسة » عند العلماء باعتبارها نصوصا يستشهد بها فى علوم اللغة العربية . وكان حريا بالنقاد الأوائل فى ذلك العصر وجلهم من اللغويين المتزمتين الذين يجاون الشعر الموروث أن ينكروا على أبى تمام تصرفه الشخصى فى نصوص الآخرين على هذا النحو .

غير أنهم قبلوا ذلك منه واستملحوه ثقة منهم بذوقه وتقديرا لشاعريته. ونحن « نجد العلماء مجمعين على تزكية أبى تمام فى « الحماسة » وعلى تزكية الحماسة ونصوصها. بل يعدون صنيعه فى الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبى تمام نفسه والاستشهاد بشعره » (انظر مقدمة عبد السلام هارون لشرح المرزوقى على الحماسة) وفى ذلك يقول الزمخشرى فى صاحب الحماسة : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » (خزانة الأدب للبغدادى ١/ ٤ طبعه بولاق).

وقد أطنب القدماء من قبل فى منزلة كتاب الحماسة وأشادوا بفضل أبى تمام فيه. وفيه قال المرزوقى « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام، ولا فى المقصدات أوفى مما دوّنه المفضل » وبلغ الأمر ببعضهم كما يروى التبريزى أنهم كانوا يقولون : «إن أبا تمام فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره».

ونتيجة لاستفاضة شهرة هذا الكتاب وذيوع فضله فقد غدا نموذجا يحتذى فى موضوعه، حتى إن اسم الحماسة أصبح رمزًا للشعر المختار عامة بعد أبى تمام. وقد جنح الكثيرون على أثر ذلك إلى تأليف كتب مماثلة فى هذا المجال وهم يبلغون بضعة عشر رجلا كلهم حذا حذو أبى تمام فى حماسته وآثر لكتابه اسم الحماسة ...

ويعد شرح المرزوقى أفضل الشروح التى بين أيدينا، وذلك من وجوه عديدة؛ فهو من أقدم الشروح وأقربها إلى عصر أبى تمام، كما أنه من أوفى هذه الشروح وأكثرها تقصيا. وهو برغم سبقه لشرح التبريزى يفضله بعبارته الرصينة المتخيرة وباهتمامه بالجانب النحوى فى النصوص لغرض تفسيرها، وأخيرًا يمتاز بمقدمته النقدية القيمة. على حين أفاد التبريزى من شروح متقدميه وفيهم المرزوقى نفسه وعنى بالاشتقاق واللغة وبمسائل التصريف، وإيراد جانب من أخبار الشعر ومناسباته التاريخية، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم. ويمكن القول إن المرزوقى كان أديبا محللا على حين كان التبريزى مفسرا مدققا.

وقد طبع شرح التبريزى مرات عديدة فى أوربا والهند والشرق العربى، وصدر أخيرا فى أربعة أجزاء، كما صدر شرح المرزوقى فى أربعة أجزاء أخرى، وهما طبعتان جيدتان (طبعت أشعار الحماسة دون أى شرح فى بيروت سنة ١٨٨٩ بمطبعة جمعية الفنون، فى نحو ٢٥٧ صفحة من القطع الصغير.

وقد طبع كتاب الحماسة بشرح التبريزى أول مرة فى بون بألمانيا سنة ١٨٧٨م بتحقيق المستشرق فرايتاغ، ثم فى مصر سنة ١٢٩٦هـ ــ ١٨٧٨م بمطبعة بولاق بعناية الشيخ محمد قاسم، وبعد ذلك طبع فى القاهرة أيضا بمطبعة السعادة سنة ١٩١٣ فى جزءين يبلغان نحو ٩٠٠ صفحة، وأخيرا صدر فى مصر بتحقيق محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٣٨ فى أربعة أجزاء تنطوى على فهارس وتعليقات حسنة.

أما شرح المرزوقى فلم ينشر إلا متأخرا خلال ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ وكان ذلك فى أربعة أجزاء تستغرق نحواً من ٢٠٠٠ صفحة. وهذه الطبعة جيدة تمتاز بتعليقات وفهارس وافية، وقد صدرت بعناية أحمد أمين وعبد السلام هارون).

وحظيت « الحماسة » بعناية بعض علماء عصرنا، فجنح أحدهم إلى ترتيبها على أساس جديد يعتمد على الموضوعات وعلى الترتيب الزمنى للشعراء (عمد الشيخ المرصفى فى القاهرة إلى ترتيب حماسة أبى تمام ترتيبا جديدا وجعلها فى قسمين : الأول، الموضوعات الأدبية، والثانى شعراء الوقائع الجاهلية والإسلامية. وقدم الشاعر الجاهلى على الإسلامى، والإسلامى على الأموى ... غير أن هذا المصنف بقى مخطوطاً).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩، ٦٩٢، والثقافة الإسلامية فى الهند : « معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى/ ٥٥، ودراسات فى المكتبة العربية ــ د. محمود أحمد حسن المراغى/ ١٢١، ومصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق/ ٥٨، ٥٩، ٦١ـ٦٣).

*** حماسة الراح :**

حماسة الراح : لأبى العلا أحمد بن عبد الله المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة وهو عشر كراريس فى ذم الخمر خاصة وله شرح بعض الحماسة الرياشية فى أربعين كراسة سماه الرياش المصطفى.

(كشف الظنون ١/ ٦٩٣).

* الحَمام :

الحمام (بفتح الحاء والميم المخففة) عند العرب كما قال صاحب المصباح وغيره : كل ذى طوق من الفواخت والقمارى والقطا والدواجن وأشباه ذلك الواحدة حمامة ، ويقع على الذكر والأنثى فيقال حمامة ذكر ، وحمامة أنثى (الرسالة الرشادية / ٢٠) والجمع حمائم ، ولا يقال للذكر حمام (اللسان ١٢ / ١٠١١) .

وهو مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم التغذية وعلم الحيوان . قال عنه داود الأنطاكى :

الحمام فى اللغة كل ما عب وهدر وكان مطوقا ، والمراد به هنا الأزرق البرى والملون الأهلى ، ولباقى الأنواع أسماء تأتى كالفاخت والشفنين والقمرى؛ والحمام طير ألوف إذا عمل له مسكن مخصوص ألفه وهو أزكى الطيور وأعرفها بالطرقات الخفية البعيدة وأحنها وأميلها إلى إناثه بحيث لو وضعت الأنثى فى مكان وأخذ عنها الذكر بعد ما زوج بها إلى مسافة نحو سنة وخلى ونفسه جاءها لولا سطوة الجوارح ومن ثم تتخذ منه البطاقات للأخبار، وهو حار فى الثانية يابس فيها أو فى الأولى، والبرى ألطف وأيبس وأطيب رائحة وكله مسمن قاطع للأخلاط الباردة نافع للفالج واللقوة والرعشة والاستسقاء الزقى والريحى ويفتت الحصى ويحسن اللون خصوصا رماد رأسه فإن له فى ذلك شربا وفى الغشاوة كحلا عظيما ودمه حار يقطع البياض وسائر الآثار والأورام كحلا وطلاء وإذا شق ووضع جذب السم إلى نفسه وحرارة النار الفارسى والأكلة وإذا نضج فى الشيرج بلا ماء ولا ملح وأكل فتت الحصى وحيا وزبله يقلع الآثار كالكلف والبرص ويحل الاستسقاء طلاء بالخل ويهيىء الأرض الباردة للزراعة ويقطع النبات الضار ويصلح الأشجار بالزيت مرخا ووضعا فى أصلها كذا فى الفلاحة وريشه إذا أحرق بمثله ملحا ومثله دقيقا وعجن وأكل أسهل كيموسا غليظا وأصلح الاستسقاء .

وبيضه إذا أكلته الأطفال بالعسل تكلموا سريعا وكذا إذا دلك به اللسان فإنه يورث الفصاحة وإن شرب نيئا أزال خشونة الصدر وحسن وخصب البدن ومرارته تمنع نزول الماء والغشاوة والبياض كحلا وأكل قانصته يولد الحصى وهو يصدر المحرور ويحرق الدم وربما أدى إلى الجذام ويصلحه السكنجبين واللبوب . ومن خواصه : أن تربيته فى البيوت تمنع الطاعون والخدر والكزاز والرعشة والفالج وفساد الهواء وفيه أنس للمتوحش لحديث عن صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه وإن لم يبلغ مرتبة الصحة (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢٩) .

ومما يتصل بعلم الحيوان ما أورده كل من القزوينى والدميرى يقول القزوينى فى عجائبه : الحمام هو الطير المشهور الهادى إلى أوطانه من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكاءً ، فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ، ويكون صعوده مدورا ، فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده ، فعند ذلك يهبط إليها فى أدنى زمان ، وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلا بينه وبين الأرض فيقع فى بلاد شاسعة ، أو يصيده شىء من الجوارح (عجائب المخلوقات / ٢٧٢، ٢٧٣) .

ويبسط الشيخ كمال الدين الدميرى القول فى الحمام من حيث أنواعه وخصائصه وتأويل رويته فى المنام ، والأحكام الشرعية المتعلقة به والأمثال ... إلخ وهو فى خلال هذا كله يسوق الحكمة والموعظة ، ويترجم لمن يرد ذكره من الأعلام ، وهو ما ننقل معظمه فيما يلى :

الحمام : قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حرا، والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
دعت ساق حر برهة فترنما

قالت المؤلفة : ورد عجز البيت كما يلى :

* دعت ساق حُرٍّ ترحة وترنما *

والحمامة هنا القمرية وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت
تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطاً وارد فى مضيق الجبل فقالت ياليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا فيكمل لنا مائة قطاة فاتبعت وعدت فإذا هى ست وستون قال

أبو عبيد رأته من مسيرة ثلاثة أيام وأردات بالحمام القطا فقالت ذلك انتهى وقال الأموى الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا وأنشد للعجاج .

*إنى ورب البلد المحرم * والقاطنات البيت عند زمزم*
قواطنا مكة من ورق الحمِ

يريد الحمام وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات وربما قالوا حمام للمفرد قال جرانُ العَوْد :

وذكـــرنى الصبـــا بعـــد التنـــائى
حمـــامـــة أيكـــة تـــدعـــو حمـــامـــا

وحكى أبو حاتم عن الأصعمى فى كتاب الطير الكبير أن اليمام هو الحمام البرى الواحدة يمامة وهو ضروب والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه انتهى ونقل النووى فى التحرير عن الأصمعى أن كل ذات طوق فهى حمام والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها وكان الكسائى يقول : الحمام هو البرى واليمام الذى يألف البيوت والصواب ما قاله الأصمعى ونقل الأزهرى من الشافعى أن الحمام كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه ولعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس قال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الرافعى والأشبه أن ما عب هدر قال فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم ويدل عليه أن الإمام الشافعى قال فى عيوب المسائل وما عبَّ من الماء عبًّا فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام اهـ وفيما قاله الرافعى نظر لأنه لا يلزم من العب الهدير قال الشاعر :

*على حويضى نغر سكب * إذا فترت فترة يعب*
وحمرات شربهن غـب

وصف النغر بالعب مع أنه لا يهدر وإلا كان حماما ، والنغر نوع من العصفور إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافعى وأهل اللغة أن الحمام يقع على الذى يألف البيوت ويستفرخ فيها وعلى اليمام والقمرى وساق حر وهو ذكر القمرى والفواخت والدبسى والقطا والوراشين واليعاقيب والشفنين والزاغ والورداني والطوراني .

والكلام الآن فى الحمام الذى يألف البيوت وهو قسمان أحدهما البرى وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك وهو كثير النفور وسمى بريا لذلك والثانى الأهلى وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة منها الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب والمنسوب وهو بالنسبة إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين قال الجاحظ الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس وهو الأبيض .

روى أبو داود والطبراني وابن ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ رأى رجلا يتبع حمامة فقال شيطان يتبع شيطانة وفى رواية شيطان يتبعه شيطانا قال البيهقى وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به وارتقاء الأسطحة التى يشرف منها على بيوت الجيران وحرمهم لأجله .

وروى البيهقى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر بالحمام الطيار فتذبح وتترك المقصصات وروى ابن قانع والطبرانى عن حبيب ابن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأحمر وروى الحاكم فى تاريخ نيسابور عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر قال ابن قانع والحافظ أبو موسى قال هلال بن العلاء الحمام الأحمر التفاح قال أبو موسى وهذا التفسير لم أره لغيره وكان فى منزله ﷺ حمام يقال له وردان .

وفى عمل اليوم والليلة لابن السنى عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل أن عليا رضى الله تعالى عنه شكا إلى النبى ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند هديره ورواه الحافظ ابن عساكر وقال إنه غريب جدا وسنده ضعيف وروى ابن عدى فى كامله فى ترجمة ميمون بن موسى عن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له اتخذ زوجا من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها أو اتخذ ديكا يؤنسك ويوقظك للصلاة وروى أيضا فى ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ : اتخذوا الحمام المقاصيص فى بيوتكم فإنها تلهى الجن عن صبيانكم وقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له إن النبى ﷺ اتخذ زوجا من حمام رواه

الطبراني وفيه الصلت الجراح لا يعرف وبقية رجاله رجال الصحيح وفي كامل ابن عدى فى ترجمة سهل بن فرير عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال شكت الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها فأوحى الله إليها لأبعثن إليك أقواما يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى فراخها وفى سنن أبى داود والنسائى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة.

ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ويحمل الأخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة فى المدة القريبة وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه حتى يجد فرصة فيطير إليه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره وهو أطير منه ومن سائر الطير كله لكنه يذعر منه ويعتريه ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذ رأى الهر ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة فى عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته فى الحمام ...

والأنثى تحمل أربعة عشر يوما وتبيض بيضتين إحداهما ذكر والثانية أنثى وبين الأولى والثانية يوم وليلة والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءا من النهار والأنثى بقية النهار وكذلك فى الليل وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر واضطرها للدخول ...

وقد ألهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر ترابا مالحا ويطعمها إياه ليسهل به سبيل المطعم فسبحان اللطيف الخبير الذى آتى كل نفس هداها. وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثمان سنين وذكر الثعلبى وغيره عن وهب بن منبه فى قوله تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص : ٦٨] قال اختار من النعم الضأن ومن الطير الحمام وذكر أهل التاريخ أن أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله لما حبس رأى فى منامه كأن على يده حمامة مطوقة فأتاه آت فقال له خلاصك فى هذا فلما أصبح حكى ذلك لابن سكينة الإمام فقال له ما أولته يا أمير المؤمنين قال أولته ببيت أبى تمام.

هن الحمام فإن كسرت عيافة
من خائهن فإنهن حمام

وخلاصى فى حمامى فقتل بعد أيام يسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وروى البيهقى فى الشعب عن معمر قال جاء رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال رأيت فى النوم كأن حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها أصغر مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء فقال له ابن سيرين أما التى خرجت أعظم مما دخلت فذلك الحسن بن أبى الحسن البصرى يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه وأما التى خرجت أصغر مما دخلت فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه وأما التى خرجت كما دخلت سواء فهو قتادة وهو أحفظ الناس ...

وفى الشعب للبيهقى عن سفيان الثورى أنه قال : كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط وقال إبراهيم النخعى من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر وروى البزار فى مسنده أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفنا على فم الغار وإن ذلك مما صد المشركين عنه ﷺ وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين. وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبى ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى الطبرانى بإسناد صحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** فجعل يعيدها علىَّ حتى نعست عنه ثم قال : يا أبا ذر كيف تصنع إذا أُخرجت من المدينة ؟ قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى مكة فأكون حمامة من حمام الحرم فقال ﷺ فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى الشأم والأرض المقدسة قال فكيف تصنع إذا أخرجت من الشأم فقلت والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى قال ﷺ أو خير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا وفى الصحيح طرف منه وفى ابن ماجه طرف من أوله وذكر أن هرون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به فأهدى له حمام وعنده أبو البخترى وهب القاضى فروى له بسند عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

«لا سبق إلا فى خف أو حافر » أو جناح فزاد أو جناح وهى لفظة وضعها للرشيد فأعطاه جائزة سنية فلما خرج قال الرشيد تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ وأمر بالحمام فذبح فقيل له وما ذنب الحمام ؟ قال من أجله كذب على رسول الله ﷺ فترك العلماء حديث أبى البخترى لذلك وغيره من موضوعاته فلم يكتبوا حديثه وكان أبو البخترى المذكور قاضى مدينة النبى ﷺ بعد بكار بن عبدالله الزبيرى ثم ولى قضاء بغداد بعد أبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله وتوفى أبو البخترى سنة مائتين فى خلافة المأمون والبخترى مأخوذ من البخترة التى هى الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحترى الشاعر المشهور والأول بالخاء المعجمة والثانى بالحاء المهملة : قال ابن أبى خيثمة والشيخ تقى الدين القشيرى فى الاقتراح واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم وضعه للمهدى لا للرشيد وقال ابن قتيبة وأبو البخترى هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد ومثله فى ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ومثله فى الطالبيين حسن بن حسن بن حسن ومثله فى غسان الحرث الأصغر ابن الحرث الأعرج ابن الحرث الأكبر انتهى قلت ومثله فى المتأخرين الغزالى محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الوجوه فى المذهب (انظر ترجمته) ...

وذكر ابن خلكان أن شرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين الرازى بخوارزم فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده فأنشده ابن عنين بديها أبياتا منها :

من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف

وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف

لو أنها تحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف

فائدة : قال بعض الحكماء كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر فإن أشكال الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان منه فى طيران إلا لمناسبة بينهما فرأى يوما حمامة مع غراب فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد فلما مشيا إذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا وكل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يأنس إلى جنسه فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما فلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء :

وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلى ففارقته ... والناس أشكال وألاف

روى أحمد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال وكان يقال إنه ليس شىء أبله من الحمام وذلك إنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه .

الحكم يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم إذا قتله شاة وفى مستند ذلك وجهان : أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه فإن كلا منهما يألف البيوت ويأنس بالناس ، والثانى وهو الأصح أن مستند توقيف بلغهم فيه ونقل الرافعى عن الشيخ أبى محمد الخلاف فيما لو قتل طائرا أكبر من الحمام أو مثله هل ينبنى على هذا إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة وإن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة وقد أسقط الإمام النووى رحمه الله هذه المسألة من الروضة وكأنه ظن أن الخلاف فيها لفظى لا فائدة فيه .

وبيض الحمام وكل طائر يحرم على المحرم صيده حرام عليه فإن أتلفه ضمنه بقيمته هذا مذهبنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون وقال المزنى وبعض أصحاب داود لا جزاء فى البيض وقال مالك يضمنه بعشر ثمن أصله قال ابن المنذر واختلفوا فى بيض الحمام فقال على وعطاء فى كل بيضتين درهم وقال الزهرى والشافعى وأصحاب الرأى وأبو ثور فيه قيمته .

ومن أحكامه فى الصيد أنه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الاصطياد منها ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الاصطياد فى الناحية ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففى جواز الاصطياد منها وجهان أصحهما الجواز وبيع الحمام فى البرج على تفصيل بيع السمك فى البركة ولو باعها وهى طائرة اعتمادا على عادة عودها فوجهان أصحهما عند الإمام الجواز كالعبد المبعوث فى شغل وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق : بعودها لعدم عقلها .

ومن أحكامه فى الربا أنه جنس واحد بجميع أنواعه كذا قاله المراوزة وقال العراقيون إن كل نوع منه جنس فالحمام

جنس والقمارى جنس والفواخت جنس وأما اتخاذه للبيض والفراخ وللأنس وحمل الكتب فجائز بلا كراهة وأما اللعب به والتطير والمسابقة فقيل يجوز لأنه يحتاج إليها في الحرب لنقل الأخبار والأصح كراهته لما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه « شيطان يتبع شيطانة » قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث إنما قال له شيطان لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان والعاصي يقال له شيطان قال الله تعالى شياطين الإنس والجن وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام خلافا لمالك وأبي حنيفة فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة .

وروى أبو محمد الرامهرمزي في كتابه المحدث الفاصل بين الراوي والواعي عن مصعب الزبيري قال سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه وقد قال لابني أخته أبي بكر محمد وإسماعيل ابني أبي أويس أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه يعني الحديث قالا نعم قال فإن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما فأقلا منه وتفقها . قال : ونزل ابن مالك من فوق السطح ومعه حمام قد غطاه فعلم مالك أنه قد فهمه الناس فقال مالك الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات وروى عنه أيضا أنه قال : كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه فكان إذا نظر إليه أبوه قال هاه إن مما تطيب نفسي أن هذا الشأن لا يورث وإن أحدا لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان أفضل أهل زمانه وكان أبوه أفضل أهل زمانه وقال البخاري في المناسك من صحيحه : حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول سمعت عائشة رضي الله عنها تقول «طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين ... » الحديث وأم عبد الرحمن قريبة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه واتفق الناس على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه ولد في حياة عائشة رضي الله تعالى عنها وتوفي سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة وروى أن المنصور أمير المؤمنين قال له يوما عظني بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا فبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى له موضع القبر بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده تسعة عشر درهما ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا فورث كل واحد منهم ألف ألف درهم ثم إني رأيت رجلا من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله تعالى ورأيت رجلا من أولاد هشام يسأل أن يتصدق عليه انتهى قلت وهذا أمر غير عجيب فإن عمر وكلهم إلى ربه فكفاهم وأغناهم وهشام وكلهم إلى دنياهم فأفقرهم مولاهم .

وأما بيع زرق الحمام وسرجين البهائم المأكولة وغيرها فباطل وثمنه حرام هذا مذهبنا وقال أبو حنيفه يجوز بيع السرجين لاتفاق أهل الأعصار في جميع الأمصار على بيعه من غير إنكار ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء . واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى إذا حرم على قوم شيئا حرم عليهم ثمنه » وهو حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح وهو عام إلا ما خرج بدليل كالحمار وبأنه نجس العين فلم يجز بيعه كالعذرة فإنهم وافقونا على بطلان بيعها مع أنه ينتفع بها وأما الجواب عما احتجوا به فهو ما أجاب به الماوردي وغيره أن بيعه إنما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة في دين الإسلام وأما قولهم إنه ينتفع به فأشبه غيره فالفرق أن هذا نجس بخلاف غيره .

الأمثال : قالوا آمن من حمام الحرم ، وآلف من حمام مكة وقالوا تقلدها طوق الحمامة كناية عن الخصلة القبيحة أي تقلدها كطوق الحمامة لأنه لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثله قوله تعالى ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ [الإسراء : ١٣] أي أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه . وقال الزمخشري فإن قلت لم ذكر ﴿**حسيبا**﴾ قلت لأنه بمنزله الشاهد والقاضي والأمين لأن هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال فكأنه قيل له كفى بنفسك رجلا حسيبا . وكان الحسن البصري إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك وقيل في قوله تعالى ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾ [آل عمران : ١٨٠] أي يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق يقال طوق فلان عمله طوق الحمامة أي ألزم جزاء عمله . روى الإمام أحمد في الزهد عن مطرف أنه قال : إذا أنا مت فلا تحبسوني لكي يجتمع الناس فأطوقهم طوق الحمامة ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لأبي سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن
أمر عواقبه ندامه

دار ابـن عمـك بعتهـــــــا
تقضى بهـــا عنك الغــــرامـــه
وحليفكـم بـــــالله رب النـــــ
ـــاس مجتهـــد القســـامـــه
اذهـب بهــــا اذهـب بهــــا
طـــوقتهـــا طـــوق الحمـــامـــه

أى لزمه عارها قال الإمام عبد الرحمن السهيلى هذا المثل منتزع من قول رسول الله ﷺ من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقوله طوق الحمامة لأن طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبدا كما يفعل من لبس طوقا من الآدميين وفى هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه وفى قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله ﷺ طوقه من سبع أرضين أنه من الطاقة لا من الطوق فى العنق وقاله الخطابى فى أحد قوليه مع أن البخارى قد قال فى بعض رواياته خسف به إلى سبع أرضين وفى مصنف ابن أبى شيبة من غصب شبرا من أرض جاء به إسطاما فى عنقه والإسطام كالحلق من الحديد وقالوا أخرق من حمامة لأنها لا تحكم عشها وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عشها فى الموضع الذى تذهب به الريح فينكسر من بيضها أكثر مما يسلم قال عبيد بن الأبرص :

عيـــوا بأمـــرهم كمـــا
عييت ببيضتهـــا الحمـــامـــه
جعلـت لهـــا عـــودين من
بشـم وآخــــر من ثمــــامـــه

الخواص : إذا سكن المخدور بقربها أو فى بيت يجاورها أو فى بيت هى فيه برىء وفى مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات وهذه خاصية عظيمة بديعة ودمها إذا اكتحل به حار أنفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة ودمها خاصة يقطع الرعاف الذى من حجب الدماغ وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النار وزبل الحمام حار وأشد حرارة زبل البرى الذى لا يأوى البيوت وأعجب ما فى زبله إنه إذا سخن فى الماء وجلس فيه من به عسر البول أبرأه وإذا طلى بالخل وضمد به من به وجع الاستسقاء نفعه نفعا بينا وزبل الحمام الأحمر إذا شرب منه قدر درهمين مع ثلاثة دراهم دارصينى نفع من الحصاة ولحم الحمام جيد الكلى ويزيد فى الدم .

التعبير الحمام فى المنام رسول أمين أو صديق صدوق أو حبيب أنيس وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد قال الشاعر :

* حب ينوح إذا الحمام ينوح *

وربما دلت الحمامة فى الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغى ببعلها بدلا والحمام على رأس المريض هو حمام الموت . قال الشاعر :

هن الحَمـــام فإن كســرت عيـــافـــة
مـن حـــائهن فـــانهـن حِمـــام

وبروجها مجمع النساء وفراخها بنون فمن رأى أنه يعلف الحمام ويدعوهن إليه فإنه يقود وإن حشر الحمام والغربان فى مكان واحد فإنه يقود أيضا لأن الغربان فساق وكل شىء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب وأشباه ذلك فإنه قيادة وهدير الحمام كلام باطل ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجها ومن رأى حمامة قدمت عليه وتلقاها فإنه يرد عليه كتاب ومن نفرت منه حمامته ولم تعد إليه فإنه يطلق زوجته أو تموت ومن رأى كأن له حماما فإنه ممن يشترى الجوارى ومن قص جناح حمامة فى المنام فقد حلف على زوجته أن لا تخرج من بيته ، أو تلد أو تحمل لأن النفاس والحمل يمنعان من الخروج .

والحمام الذى يهدى إلى الطريق فإنه خير يأتى الرائى من مكان بعيد والحمام فى المنام دليل خير لمن يصادق أو يشارك لاجتماع بعضه مع بعض فى الطيران والمزاوجة وقال جاماسب من اصطاد الحمام فى منامه أكل مال أعدائه ومن رأى بعين حمامته نقصا فهو نقص فى دين زوجته وخلفها وقال ابن المقرى رؤية المنسوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب ورؤيته دالة على الإفراج والنصر على الأعداء واللهو واللعب وربما دل الحمام على الأزواج الصينيات وذوات الحفظ للأسرار والكد على العيال وربما دل على الحمام الذى هو الموت وربما دل على المرأة ذات الأولاد والرجل الكثير النسل المنعكف على أهل بيته والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٣٣ ـ ٢٤٠) .

ومما جاء فى الشعر فى الحمام ما أورده الثعالبى لابن عبد ربه وهو قوله فى نوح الحمام :

ويهتـــاج قلبى كلمـــا كـــان ســاكنـــا
دعـــاء حمـــام لم يبت بـــوكـــون
وإن ارتيـــاحى من بكـــاء حمـــامـــة
كـــذى شجن داويتـــه بشجـــون

كأن حمـــــام الأيك لمــــا تجـــاوبت
حـــــزين بكى من رحمــــة لحـــزين

الوكون : جمع الوكن : عش الطائر

وقوله فيه :

لقــــد سجعت فى جنح ليل حمـــامــــة
فأى أسى هـــــاجت على الهـــائم الصب
لك الـــويل، بل هيجت شجـــوى بلا جـــوى
وشكـــوى بلا شكـــوى، وكـربا بلا كــرب

(يتيمة الدهر جـ ٢ ق ٩/ ٨٣٧).

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى / ٢٧٢، ٢٧٣، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٣٣ ـ ٢٤٠، ويتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى ـ أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوى جـ ٢ق ٩/ ٨٣٧).

*** الحمّام :**

(بفتح الحاء وتشديد الميم) .

انظر : الحمامات .

*** حمام الرسائل:**

سمى البريد بحمام الرسائل وكان وسيلة لنقل البريد عرفت عند شعوب الأرض، وكان الحمام يحمل البطائق فى أجنحته من مكان إلى مكان، وكان له محطات تشبه مراكز بريد الخيل، سميت بروج الحمام وإن كانت على مسافات أبعد من مراكز بريد الخيل وكانت قلعة القاهرة هى المركز الرئيسى لشبكة حمام الرسائل وتصل خطوطها إلى قوص فى الصعيد ودمياط والإسكندرية كما قد تتشعب إلى نيابات الشام حتى الفرات . ومع ذلك فإن الحمام لم يكن يتعدى مراكزه فإذا أرسل الخبر إلى المركز نقل ما بجناحه إلى جناح طائر آخر .

وكان لحمام الرسائل ديوان فيه جرائد تثبت فيها أنسابه وقد بلغ عدد الحمام فى وقت من الأوقات تسعمائة وألف طائر. وكان يشرف عليه فى كل هذه البلاد رجال متخصصون يسمون : براجين، ولكل برج رئيس : مقدم ومنهم الخدام تحت تصرفهم البغال لحمل ما يخص الحمام والبراجين القائمين عليه وعلى طعامه .

وكانت الرسائل التى يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر، ثم حملت بعد ذلك فى الذنب . وكان يكتب فى هذه الأوراق عبارات مختصرة وتؤرخ بساعة كتابتها من النهار. وكانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين وتطلق إحداهما بعد الأخرى وذلك للحرص على وصول الرسالة . وكان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يراه أحد أو يطلى بالسواد لكى لا يراه العدو إذا أطلق بالليل. وكان الحمام يعلم بعلامات فى أرجلها أو مناقيرها . وكان الحمام الرسائلى إذا مر بمركز كتب وإلى هذا المكان بمرورها إلى أن تصل مختومة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٠٩، ١١٠) .

وقد ذكره الحافظ السيوطى فبسط القول فيه على النحو التالى :

قال ابن كثير فى تاريخه : فى سنة سبع وستين وخمسمائة اتخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهوادى، وذلك لامتداد مملكته ، واتساعها، فإنها من حد النوبة إلى همذان، فلذلك اتخذ قلعة ، وحبس الحمام التى تسرى الآفاق فى أسرع مدة، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضى الفاضل : الحمام ملائكة الملوك . وقد أطنب فى ذلك العماد الكاتب وأظرف وأطرب ، وأعجب وأغرب (تاريخ ابن كثير ١٢ / ٢٦٩) .

وفى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء زائدا ، حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاضر إنه من ولد الطير الفلانى . وقيل إنه بيع بألف دينار.

وقد ألف القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى أمور هذه الحمام كتابا سماه « تمائم الحمائم » (قال فى كشف الظنون : « صنفه حين حافظ عليها الفاطميون بمصر ، وبالغوا فيها حتى أفردوا لها ديوانا وجرائد بأنساب الحمائم ») وذكر فيه فصلا فيما ينبغى أن يفعله المنطق وما جرت العادة به فى ذلك فقال :

كان الجارى به العادة أنها لا تحمل البطاقة إلا فى جناحها، لأمور منها ، حفظها من المطر ولقوة الجناح ؛ والواجب أنه إذا انطلق من مصر لا يطلق إلا من أمكنة معلومة ، فإذا سرحت إلى الإسكندرية ، فلا تسرح إلا من منية عقبة بالجيزة ، وإلى الشرقية فمن مسجد التين ظاهر القاهرة،

وإلى دمياط فمن بيسوس بشط بحر منجي . والذى استقرت قواعد الملك عليه ، أن طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا يغفل ، ولا يمهل لحظة واحدة ، فتفوت مهمات لا تستدرك ، إما من واصل وإما من هارب ، وإما من متجدد فى الثغور . ولا يضع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد ؛ فإن كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ ، وإن كان نائما لا يمهل حتى يستيقظ بل ينبه . وينبغي أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك .

قال : ورأيت الأوائل لا يكتبون فى أوائلها بسملة .

قال : وأنا ما كتبتها قط إلا ببسملة للبركة ، وتؤرخ بالساعة واليوم ، لا بالسنين ؛ وينبغي ألا يكثر إلا لب الكلام وزبدته . ولا بد أن يكتب شرح الطائر ورفيقه إن كانا طائرين قد سرحا حتى إن تأخر الطائر الواحد رقب حضوره ، أو يطلق لئلا يكون قد وقع فى برج من أبراج المدينة ولا يعمل للبطائق هامش ولا يحمدى ، وجرت العادة بأن يكتب فى آخرها : « وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وذلك حفظ لها :

ومن فصل فى وصفها لتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الإنشاء : طالما جادت بها فأضحت مخلفة وراءها تبكي عليها السحب ، وصدق من سماها أنبياء للطير لأنها مرسلة بالكتب .

وفيها يقول أبو محمد أحمد بن علوى بن أبي عقبال القيرواني :

خضر تفوت الريح فى طيرانها
يا بعد بين غدوها ورواحها
تأتى بأخبار الغدو عشية
لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكأنما الروح الأمين بوحيه
نفث الهداية منه فى أرواحها

وقال غيره :

يا حبذا الطائر الميمون يطرقنا
فى الأمر بالطائر الميمون تنبيها
فاقت على الهدهد المذكور إذ حملت
كتب الملوك وصانتها أعاليها
تلقى بكل كتاب نحو صاحبه
تصون نظرته صونا وتخفيها
فما تمكن عين الشمس تنظره
ولا تجوز أن تلقيه من فيها
منسوبة لرسالات الملوك فبال
منسوب تسمو ويدعوها تسميها
أكرم بجيش سعيد ما سعادته
مما يشكيك فيها فكر حاكيها
حما حمى الغار يوم الغار حرمته
فيا لها وقعة عزت مساعيها !
وقوفه عند ذاك الباب شرفه
وللسعادة أوقات تؤاتيها
ويوم فتح رسول الله مكته
عند الدخول إليها من بواديها
صفت تظلل من شمس كتيبته ال
خضر أمطره فيها تواليها
فظللته بما كانت تسود هوى
لو قابلتها بأشواق فتنهيها
فعندما حظيت بالقرب أمنها
فشرفت بعطايا جل مهديها
فما يحل لدى صيد تناولها
ولا ينال المنى بالنار مصليها
ولا تطير بأوراق الفرنج ولا
يسير عنها بما فيه أمانيها
سمت بملك المعانى غير ذي دنس
لا ترتضيهم ، ولو جزت نوّاصيها
وانظر لها كيف تأتى للخلائق من
آل الرسول بحب كامن فيها
من المقام إلى دار السلام فلم
يمض النهار بعزم فى دواعيها
وربما ضل عند الهند ملتقطا
حبات فلفله وارتد مبطيها
فجاء فى يومه فى إثر سابقه
حفظا لحق يد طابت أياديها
مناقب لرسول الله أيسرها
لدى نبوته الغراء تكفيها

ومن إنشاء القاضي الفاضل في وصف حمائم الرسائل :

سرحت لا تزال أجنحتها محملة من البطائق أجنحة ، وتجهز جيوش المقاصد والأقلام أسلحة ، وتحمل من الأخبار ما تحمله الضمائر، وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر، وتزوى لها الأرض حتى ترى ملك هذه الأمة ، وتقرب من السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همة ، وتكون مراكب للأغراض وكانت والأجنحة قلوعا، وتركب الجو بحرًا تصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا ، وتعلق الحاجات على أعجازها ، ولا تفوق الإرادات عن إنجازها ، ومن بلاغات البطائق استفادت ما هي مشهورة به من السجع ، ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهي إليها دائمة الرجع . وقد سكنت البروج فهي أنجم ، وأعدت في كنائنها فهي للحاجات أسهم ، وكادت تكون ملائكة لأنها رسل ، فإذا نيطت بالرقاع ، صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع . وقد باعد الله بين أسفارها وقربها ، وجعلها طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها ، وقد أخذت عهود الأمانة في رقابها أطواقا ، فأدتها من أذنابها أوراقا ، وصارت خوافي من وراء الخوافي ، وغطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافي ، ترغم أنف النوى بتقريب العهود، وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود؛ وهي أنبياء الطير لكثرة ما تأتي به من الأنباء، وخطباؤها لأنها تقوم على الأغصان مقام الخطباء .

وقال في وصفها شيخ الكتاب ذو البلاغتين السديد أبو القاسم شيخ القاضي الفاضل :

وأما حمام الرسائل ؛ فهي من آيات الله المستنطقة الألسن بالتسبيح ، العاجز عن وصفها إعجاز تحمله من البطائق، وترد به مسرعة من الأخبار الواضحة الحقائق، وتعاليه في الجو محلقا عند مطاره، وتهديه على الطريق التي عليها ليأمن من فوت الإدراك وأخطاره ، ونظره إلى المقصد الذي يسرح إليه من علي، ووصولة إلى أقرب الساعات بما يصل به البريد في أبعد الأيام من الخبر الجلي، ومجيئه معادلا لرءوس السفار مسامتا، وإيثاره بالمتجددات فكأنه ناطق وإن كان صامتا ، وكونه يمضي محمولا على ظهر المركوب، ويرجع عاملا على ظهره للمكتوب، ولا يعرج على تذكار الهدير ، ولا يسأم من الدأب في الخدمة زائدا على التقدير، وفي تقدمه البشائر، يكون المعنى بقولهم : أيمن طائر؛ ولا غرو أن فارق رسل أهل الأرض وفاتهم وهو مرسل والعنان عنانه ، والجو ميدانه ، والجناح مركبه ، والرياح موكبه ، وابتداء الغاية شوطه ، والشوق إلى أهله سوطه ؛ مع أمنه ما يحدث لمنتاب السفار، ومخبآت القفار، من مخاوف الطوارق وطوارق المخاوف ، ومتلف الغوائل وغوائل المتالف، إلا ما يشد من اعتراض خارج جارح ، وانقضاض كاسب كاسر، فتكف سعادة الدولة تأميمه ، وتصد عنه تصميمه ، لأنه أخذ جيشها من الطيرين اللذين يحدثان في أعدائها ؛ هذا بالإنذار الجاعل كيدهم في تضليل ، وذلك بما ترى رايتها المنصورة عليهم من تظليل .

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى :

ولما وقفت على ما أنشأه القاضي الفاضل، وعلى ما أنشأه الشيخ السديد أردت أن أجرب الخاطر، فأنشأت وأنا غير مخاطب أحدا بل مخاطر، وأين الثرى من الثريا، وما الحسن لكل أحد يتهيا، وعلى أن أجيب وما علي أن أجيد، وما كل والد يدرك شأوه الوليد ، ولا كل كاتب عبد الرحيم ولا عبد الحميد ، فقلت :

وأما حمائم الرسائل فكم أغنت البرد عن جوب القفار، وكم قدت جيوبها على أسرى أسرار ؛ وكم أعارت السهام أجنحة فأحسنت بتلك العارية المطار، وكم قال جناحها لطالب النجاح : لا جناح ، وكم سرت فحمدت المساء إذا حمد غيرها من السارين الصباح ، وكم ساوقت الصبا والجنائب ففاتتهما ولم تحوج سلام المشتاقين إلى امتطاء كاهل الرياح .

كم حسن ملك كل منهما ملك ، وكم قال مسرحها لمجيئه بها : قرة عين لي ولك ، كم أجملت في الهوى تقلبا ، وإذا غنت الحمائم على الغصون صمتت عن الهديل والهدير تأدبا ، كم دفعت شكا بيقينها ، ورفعت شكوى بتبيينها ، وكم أدت أمانة ولم تعلم أجنحتها بما في شمالها بما في يمينها . كم التفت منها الساق بالساق، فأحسنت لربها المساق ، وكم أخذت عهود الأمانة فبدت أطواقا في الأعناق، ويقال ما تضمنته من البطائق بعض ما تعلق منها في الرياض من الأوراق ، تسبق اللمح ، وكم استفتح بها بشير إذا جاء بالفتح ، تفوت الطرف السابق ، والطرف الرامي الرامق، وما تلت سورة البروج إلا وتلت سورة الطارق كم أنسى مطارها عدو السلكة والسليك ، وكم غنيت في خدمة سلطانها عن الغناء وقال كل منهما لرفيقه : إليك عن الأيك .

ما أحوج تصديقهما فى رسالتهما إلى الإعزاز بثالث، وكم قيل فى كل منهما لمن سام هذا حام فى خدمة أبناء يافث، كما سرحا بإحسان ، وكم طارا بأفق فاستحق أن يقال لهما : فرسا سحاب إذا قيل لأحدهما فرسا رهان ، حاملة علم لمن هو أعلم به منها ، يغنى السفار والسفارة فلا تحوجهم إلى الاستغناء عنها .

تغدو وتروح ، وبالسر لا تبوح ، فكم غنيت باجتماعها بإلفها عن أنها تنوح . كم سارت تحت أمر سلطانها أحسن السير ، وكم أفهمت أن ملك سليمان إذ سخر له منها فى مهماته الطير ، أسرع من السهام المفوقة ، وكم من البطائق مخلقة وغير مخلقة ، كم ضللت من كيد ، وكم بدت فى مقصورة دونها مقصورة ابن دريد .

ومن إنشاء الأديب تقى الدين أبو بكر بن حجة فى ذلك :

سرح فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة ، ولله طلب السبق فلم يرض بعرف البرق سرحا ولا استظل صفحته المصقولة ؛ وكم جرى دونه النسيم فقصر وأمست أذياله بعرف السحب مبلولة . وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه المصدق، وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير : كتب يجاب وعلى يدى يخلق ، يؤدى ماجاء على يده من الترسل فيهيج الأشواق ، وما برحت الحمام تحسن الأداء فى الأوراق ، وصحبناه على الهدى فقال : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾ [النجم : ٢] ومن روى عنه الحديث المسند فعن عكرمة قد روى ، يطير مع الهوى لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح إذا دخل تحت جناحه ؛ إن برز من مقفصه لم يبق للصرح الممرد قيمة ، بل ينعزل بتدبيج أطراقه ويعلق عليه من العين تلك التميمة ، ما سجن إلا صبر على السجن وضيقة الأطواق ، ولهذا حمدت عاقبته على الإطلاق، ولا غنى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ، ولا أطلق من كبد الجو إلا كان سهما مريشا تبلغ به الأغراض . كم علا فصاد بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس ، وأمسى عند الهبوط لعيون الهلال كالطمس ؛ فهو الطائر الميمون والغاية السباقة ، والأمين الذى إذا أودع أسرار الملوك حملها بطاقة ؛ فهو من الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ما شاءت من حبات النجوم ، والعجماء التى من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق المفهوم ، والمقدمة والنتيجة للكتاب الحجلى فى منطق الطير ، وهى من حملة الكتاب الذى إذا وصل القارئ منه إلى الفتح يتهلل لحبه الخير ؛ إن يصدر البازى بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب ، وإن سألت العقبان على بديع السجع أحجمت عن رد الجواب .

رعت النسور بقوة جيف الفلا

ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ما قدمت إلا وأرتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة ، وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة . كم أهدت من مخلبها وهى غادية رائحة ، وكم حنت إليها الجوارح وهى أدام الله إطلاقها عز جارحة ، وكم أدارت من كؤوس السجع ما هو أرق من قهوة الإنشا ، وأبهج على زهر المنثور من صبح الأعشى . وكم عامت بحور الفضاء ولم تحفل بموج الجبال، وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف من تلك الأنملة قلامة الهلال، وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكل كف خضيب، وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشقيق لأمر مريب، وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع ، ولا برح تغريدها مطربا بين البادئ والراجع (حسن المحاضرة ٢ / ٣١٣-٣١٩) .

وقد ذكر المقريزى عند الكلام على العلامة السلطانية حمام الرسائل فقال :

وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدى البريدية وتارة على أجنحة الحمام فتعود إليهم الأجوبة السلطانية وعليها العلامة فإذا ورد البريدى أحضره أمير جاندار وهو من أمراء الألوف والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل البريدى الأرض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأه على السلطان سرا فإن كان أحد من الأمراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمره وإن كان الخبر على أجنحة الحمام فإنه يكتب فى ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الأزرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفى كل مركز عدة خيول كما بيناه فى ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه إلى طائر

آخر حتى يسقط بقلعة الجبل فيحضره البراج ويقرأ كاتب السر البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر .

ويصف المقريزى أبراج حمام الرسائل التى كانت بقلعة الجبل أو قلعة صلاح الدين فيقول :

أبراج الحمام : كان بالقلعة أبراج برسم الحمام التى تحمل البطائق وبلغت عدتها على ما ذكره ابن عبد الظاهر فى كتاب تمائم الحمائم إلى آخر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح فى الأبراج بالقلعة ما عدا طائفة منها فإنها فى برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبه الأمير فخر الدين عثمان ابن قزل أستادار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فإن جميع الفيوم كانت فى إقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد إليه من الفيوم ويبعثها من القاهرة إلى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام فى سائر نواحى المملكة مصراً وشاما ما بين أسوان إلى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها فى الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة إلى سائر الجهات .

وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الإهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الأموال ما لا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع ويبة فول فى كل يوم وكانت العادة أن لا تحمل البطاقة إلا فى جناح الطائر لأمور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم إنهم عملوا البطاقة فى الذنب وكانت العادة إذا بطق من قلعة الجبل إلى الإسكندرية فلا يسرح الطائر إلا من منية عقبة بالجيزة وهى أول المراكز وإذا سرح إلى الشرقية لا يطلق إلا من مسجد تبر خارج القاهرة وإذا سرح إلى دمياط لا يسرح إلا من ناحية بيسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم إلى هذه الأماكن من الجاندارية .

وكذلك كانت العادة فى كل مملكة يتوخى الأبعاد فى التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك إنها لا ترجع إلى ابراجها من قريب وكان يعمل فى الطيور السلطانية علائم وهى داغات فى أرجلها أو على مناقيرها ويسميها أرباب الملعوب الاصطلاح وكان الحمام إذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالطائرة حتى إن السلطان إذا كان يأكل وسقط الطائر لا يمهل حتى يفرغ من الأكل بل يحل البطاقة ويترك الأكل وهكذا إذا كان نائما لا يمهل بل ينبه .

قال ابن عبد الظاهر : وهذا الذى رأينا عليه ملوكنا وكذلك فى الموكب وفى لعب الأكرة لأنه بلمحة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم إما من واصل أو هارب وإما من متجدد فى الثغور قال وينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الأوائل لا يكتبون فى أولها بسملة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وأنا أورخها بالسنة ولا يكثر فى نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشو فى الألفاظ ولا يكتب إلا لب الكلام وزبدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر ورفيقه حتى إن تأخر الواحد ترقب حضوره أو تطلب ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل ويكتب آخرها حسبلة ولا تعنون إلا إذا كانت منقولة مثل أن تسرح إلى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها أحد وكل وال تصل إليه يكتب فى ظهرها أنها وصلت إليه ونقلها حتى تصل مختومة قال ومما شاهدته وتوليت أمره أنه فى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه أنه درجها إلى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تبطق فيه فقال براجوها قد أزف الوقت عليها فى القرنصة وجرى الحديث مع الأمير بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير وسرحت يوم أربعاء جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطائقهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت إلى الصبيبة فى ذلك اليوم بعينه وبطق بذلك فى ذلك اليوم بعينه إلى دمشق ووصل الخبر إلى دمشق فى يوم واحد وهذا مما أنا مصرفه وحاضره والمشير به قال مؤلفه رحمه الله : قد بطل الحمام من سائر المملكة إلا ما ينقل من قطيا إلى بلبيس ومن بلبيس إلى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شىء وكأنى بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (المواعظ والاعتبار ٢/ ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٩ ، ١١٠ ؛ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١/ ١١٨ ، ١١٩ و ١٤/ ٣٧٦ وعن د. عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ١/ ٦٤ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٩ ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ . انظر أيضا تاريخ ووصف قلعة القاهرة ـ بول كازانوفا ـ ترجمة وتقديم د. أحمد دراج ، مراجعة د. جمال محرز / ٩٢ ، ٩٣) .

انظر : بطائق الحمام فى م ٧/ ١٩١ ، ١٩٢ .

* **حمام الزاجل :**

انظر : حمام الرسائل .

* **الحماما :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب . قال داود الأنطاكى : الحماما : باليونانية أموميا وزهرها هو اللوقاين وليست البزوانيا بل ذاك اسم للغاشرا وهذا النبات خشب مشتبك كالعناقيد ياقوتى ذهبى حريف حاد طيب الرائحة يتفرع من أصل واحد صلب المكسر جيد العطرية ينبت بأرمينية وطرسوس والكائن منه بالشام أخضر دقيق ومنه أبيض مشرب بصفرة سريع التفتت وكلاهما ردىء وينبت بنيسان له زهر إلى الحمرة كزهر الخيرى أو السادج وورق كالغاشرا وكلما اشتد خلصت حمرته ويؤخذ بآب بعد كمال بزره فإن أخذ قبل ذلك فسد ويعرف صحيحه بشبه الياقوت لونا وقوة العطرية والصلابة وقوة هذا النبات تبقى إلى سبع سنين وهو حار يابس فى الثالثة أو يبسه فى الثانية من أخلاط الترياق الكبير والأطياب الجيدة .

وهو يحلل الرياح والمغص ويفتح السدد وغلظ الكبد والطحال وسائر الأورام وأمراض المقعدة والرحم حمولا وشربا والنقرس طلاء ونطولا ودرهم منه مع نصف درهم زجاج مكلس يطلق البول ويفتت الحصى من يومه ويسكن الصداع وحده ولسع العقرب بالبادروج طلاء ويقع فى الأكحال وأخلاط الجاوى المصنوع وهو يضر المعدة ويصلحه الكرفس ويكسل ويجلب النوم ويصلحه الدارصينى وشربته إلى مثقال وبدله مثله أسارون ونصفه كمون أبيض (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢٦ - ١٢٨) .

وقد ذكره المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى قال المظفر الرسولى :

حماما : « ع » هى شجرة كأنها عنقود خشب ، مشتبك بعضه ببعض ، وله زهر صغير مثل الدواء الذى يقال له الخيرى ، وله ورق شبيه بورق الفاشر، أو الفاشرشين ؛ وأجوده ما كان لونه شبيها بالذهب ، ولون خشبه إلى لون الياقوت ، وهو طيب الرائحة ، جدا ، وقوته شبيهة بقوة الوج ، إلا أن الوج أكثر تجفيفا ، والحماما أكثر إنضاجا ، وقوته مسخنة قابضة ميبسة ، ويجلب النوم ، ويسكن الصداع إذا ضمدت به الجبهة ، وينضج الأورام الحارة ، وينفع من لسعة العقرب إذا ضمد بها مع الباذ روج المكان الملسوع ، وخاصيتها النفع لطرد الرياح ، وتنقية المعدة ، وتقوية الكبد . وقوة الحماما فى الحرارة واليبوسة من الدرجة الثالثة ، وهى جيدة للسدد فى الكبد مع برد وبدل الحماما عند عدمها : وزنها من الأسارون ، وإن شئت وزنها من الوج ووزنها من الكمون الأبيض . « ج » هو شجرة كعنقود من خشب مشتبك ، وله زهر أبيض يشبه الساذج فى اللون . وهو حار يابس فى الدرجة الثانية ، وقيل فى الثالثة ، وهو مرقق منضج ، فيه قبض ، وقدر ما يؤخذ منه إلى درهمين . « ف » هو شجرة صغيرة كعنقود من خشب ، فيها زهرة ، حار يابس فى الثانية ، ينفع من النقرس وأوجاع الأرحام والمقعدة . الشربة منه : ثلاثة دراهم .

(تذكرة أولى الألباب لدواد بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢٦ ـ ١٢٨ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ١٠٣) .

* **الحمامات :**

الحمام : (بتشديد الميم الأولى) : وهو مكان خاص يغتسل فيه يذكر ويؤنث ولكن التأنيث أكثر . فى المصباح : الحمام مثقل (أى مشدد) معروف والتأنيث أغلب فيقال هى الحمام وجمعها حمامات على القياس ويذكر فيقال : هو الحمام(الرسالة الرشادية / ٢١) .

وجاء فى اللسان : الجوهرى : الحمام مشدد واحد الحمامات المبنية ... قال ابن برى : وقد جاء الحمام مؤنثا فى بيت زعم الجوهرى أنه يصف حماما ، وهو قوله :

فإذا دخلت سمعت فيها رجة

لغط المعاول فى بيوت هداد

قال ابن سيده : والحمام الديماس، مشتق من الحميم، مذكر تذكره العرب، وهو أحد ما جاء من الأسماء على فعال، نحو القذاف والجبان، والجمع حمامات . قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء وإن كان مذكرا حين لم يُكسَّر، جعلوا ذلك عوضا من التكسير (اللسان ١٢/ ١٠٠٨) .

كانت الحمامات العامة من الأبنية المهمة فى العالم الإسلامى وكانت تنتشر فى جميع المدن، وذلك نظرًا لأهميتها فى التطهر والنظافة ، وكان يلاحظ فى بنائها أن تصمم بحيث تتيح للمستحم أن ينتقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو

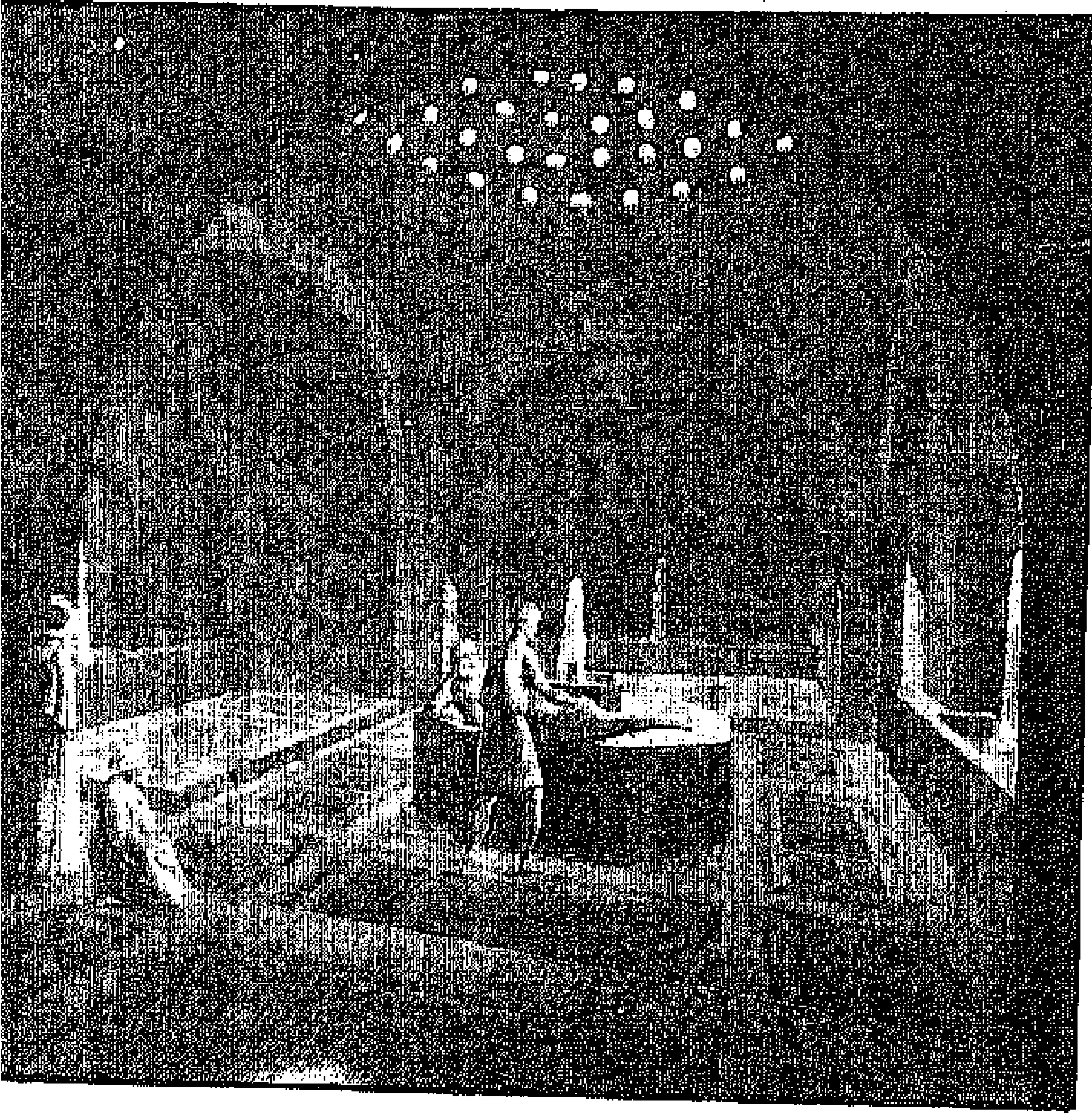
البارد حتى لا يصاب بأذى ... وكان يقسم الحمام إلى ثلاثة أقسام حسب درجة المياه وكان الحمام يسخن عن طريق إيقاد النار تحت أرضيته، وكان يشتمل على أنابيب الماء الساخن والبارد داخل الجدران. ومما يسترعى الانتباه أن الحمامات كانت من أقدم الآثار الإسلامية التى وصلتنا.

وشاع استخدام التصوير فى زخرفة الحمامات حتى اضطر الفقهاء إلى أن يلفتوا النظر إلى ما فى ذلك من حرمة، وأن يحثوا على إزالة صور الحمامات. من ذلك ما حث عليه الإمام أحمد بن حنبل بقوله « إن الإنسان إذا دخل الحمام ورأى صورة فينبغى أن يحكها فإن لم يقدر خرج ».

ومن الحمامات التى اشتملت على صورة ووصلتنا آثارها قصير عمره والحمام الفاطمى (مدخل إلى الآثار الإسلامية / ٢١٠، ٢١١، والفن الإسلامى / ١٢٤).

إن تعاليم الإسلام وكذلك مناخ منطقة الشرق الأوسط الحار قد استوجب وجود العديد من الحمامات العامة التى لا تزال بقاياها حتى الآن بالقاهرة. وخصصت حمامات للرجال وأخرى للسيدات أو حددت أيام خاصة للسيدات. وقد احتوت القصور والمساكن الخاصة على حمامات.

ولقد أنشئت الحمامات فى بداية العصر الإسلامى فأنشىء حمام عمرو بمدينة الفسطاط. كذلك وجدت الحمامات فى

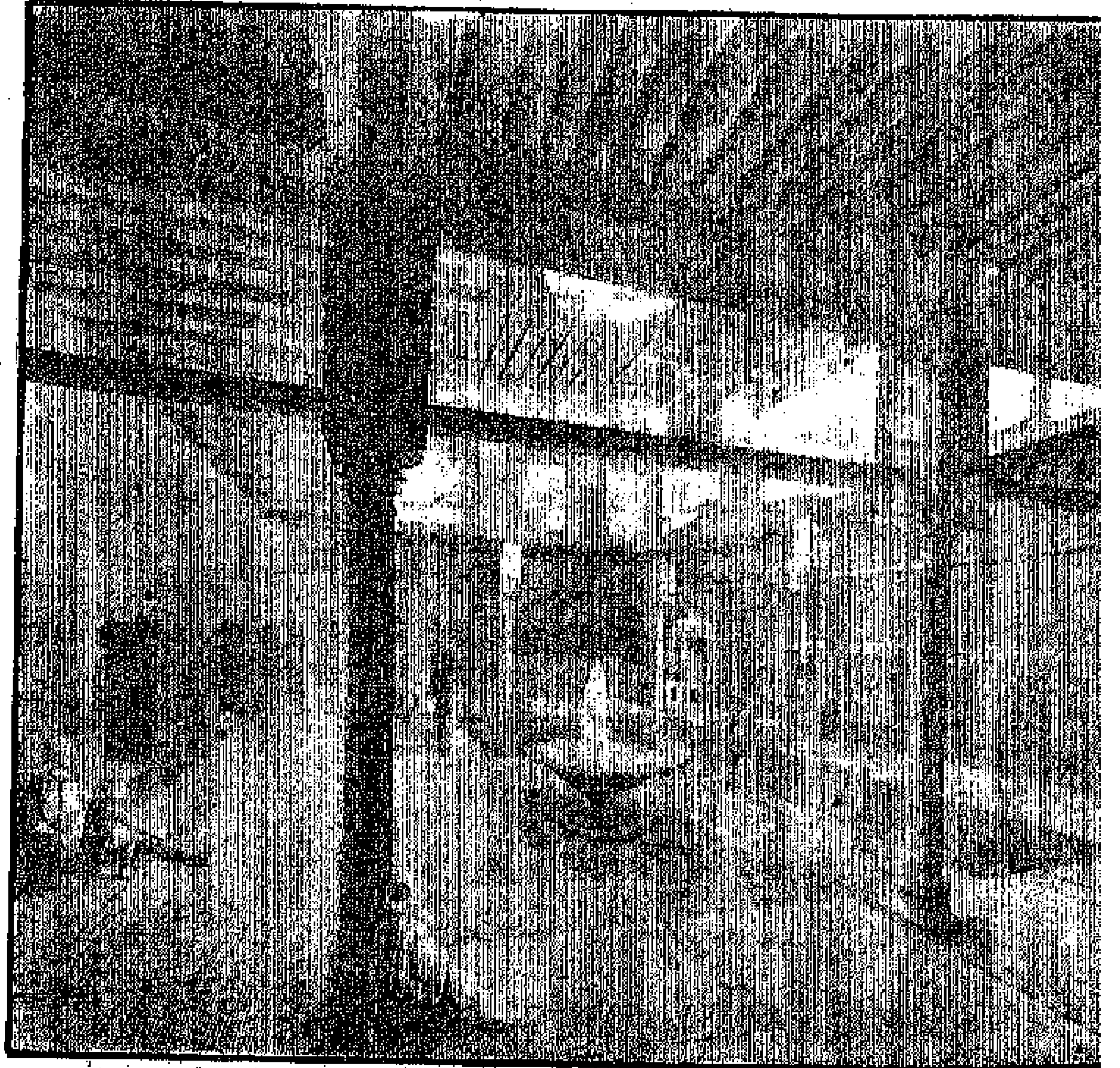


حمام عمومى [تركى]

القصور الأموية مثل قصير عمره (٩٤ ـ ٩٧ هـ / ٧١٢ ـ ٧١٥م) وحمام الصرخ (١٠٧ ـ ١١١ هـ / ٧٢٥ ـ ٧٣٠م)، وقصر الحير الغربى (١١٠ ـ ١١١هـ / ٧٢٨ ـ ٧٢٩م)، وخربة المفجر (١٢٦ ـ ١٢٧ هـ / ٧٤٣ ـ ٧٤٤ م) (التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٦٢).

فالحمامات من الأبنية العامة التى أقيمت فى المدن الإسلامية منذ الأيام الأولى للفتح، لا لأنه دليل حضارة وترف وغنى فحسب، بل لحاجة ضرورية أوجبتها فريضة الاغتسال فى الإسلام على الرجال والنساء من دون تفريق. ولم يقتصر دور الحمام على الخدمة الوظيفية وحدها، بل تعداها إلى أبعد من ذلك بكثير، ليحتل مركزا رئيسيا على الأصعدة الدينية والاجتماعية والفنية والأدبية ... ولم تكن الحمامات أقل أهمية من المساجد والمكتبات والخانات والأسواق.

ومن أخبار الحمامات الأولى فى الإسلام: ثلاثة قامت فى البصرة، وحمام الفأر أقامه عمرو بن العاص فى الفسطاط، الحاضرة التى صار فيها عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ألف وست مئة وسبعون حماما. وراح عددها يزداد فى كل المدن إلى أن بلغ فى بغداد فى القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد، ستين ألفا بينما كان العدد فى نهاية القرن نفسه ستمئة فى قرطبة أرقام يصعب تصديقها ولكن يستخلص منها دلالة أكيدة على



حمام عمومى [الوسطى]

الكثرة. وتجدر الإشارة إلى أن المبالغات لم تكن ترافق كل الروايات، فنحن نصدق عندما يقال لنا: أن دمشق كان فيها في القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، اثنان وخمسون حماما، وفي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م ستون، يعمل منها أربعون. وأن فاس كان فيها في القرن العاشر للهجرة، السادس عشر للميلاد، أكثر من مئة مام، بقي منها ثلاثون العام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

لقد انتشرت الحمامات حيث انتشر الإسلام من المشرق إلى المغرب وعلى مدى كل العصور وكان عددها ينحسر أمام ازدياد قيام الحمامات الخاصة في القصور والأبنية الفخمة ثم في المتواضعة. ولعل المسلمين هم أول من ألحق الحمام ببناء السكن كما هي الحال في حمامات قصير عمره وقصر الصرح والاثنان في بادية الأردن وقصر الحير الغربي كما سبق القول في بادية الشام وقصر الزهراء.

(القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد) في أسبانيا.

لقد عرفت الحمامات العامة مخططين اثنين من حيث الشكل: الأول بيزنطي طغت فيه القاعة الدافئة على ما سواها وكانت بثمانية أضلاع أو باثني عشر. أما المخطط الثاني فهو طولي تصطف فيه قاعات مستطيلة تحتل فيه «الأولى» بدل «الدافئة»، مركز الصدارة وتميزت به العصور المبكرة. ولكن ابتداء من القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد أصبح الحمام العثماني النموذج المحتذى، حاملا معه بعثا للإرث البيزنطي الأصيل ولكن بمسقط طولي وقد اكتفى في أكثر الأحيان بقاعات ثلاث: «البراني» و«الوسطاني» و«الجواني» (موسوعة العمارة الإسلامية/ ١٣٨، ١٣٩، ١٤١).

لقد أولى العلماء والأطباء المسلمون الحمام عناية كبيرة فأورده بعضهم ضمن مواد مؤلفاتهم كما فعل داود الأنطاكي في كتابه «تذكرة أولي الألباب» (١/ ١٣٠ ـ ١٣٢)، والإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين»، وابن سينا في «دفع المضار الكلية للأبدان الإنسانية» (المقالة الثالثة: في الحمام/ ٣٢ ـ ٣٩ ويأتي بيانها فيما بعد إن شاء الله تعالى)، وأفرد له آخرون مؤلفات قيمة، ومن هذه المؤلفات كتاب «النزهة الزهية» للشيخ الإمام عبد الرءوف المناوي، وقد ذكر منها محقق الكتاب الدكتور عبد الحميد صالح حمدان الأعمال التالية:

١ ـ الإلمام بآداب دخول الحمام، للشيخ محمد بن السيد على حمزة أبي المحاسن الحسيني (المتوفى ٧٦٥هـ)، ألفه في سنة ٧٥٣هـ، على طريقة الفقهاء المحدثين وتوجد منه نسخة محفوظة في مكتبة كوبريلي باستامبول، رقمها ١٢١٤، وقد كتبت في سنة ٨١٠هـ.

٢ ـ القول التام في آداب دخول الحمام، تأليف الشيخ شهاب الدين بن العماد الشافعي الأفقهسي (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ). وتوجد منه نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية، ورقمها ٣٨٢٢ ج، وأخرى في مكتبة الفاتيكان ورقمها ١٤٢١، وثالثة في مكتبة برلين ورقمها ٣٦٣٥.

٣ ـ مقالة في الحمام، وضعها الطبيب بدر الدين محمد ابن محمد القوصوني (المتوفى سنة ٩٣١ هـ).

٤ ـ التحفة البكرية في أحكام الاستحمام الكلية والجزئية، للشيخ داود بن عمر الأنطاكي (المتوفى ١٠٠٨ هـ)، وتوجد منه نسخة محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠٣٤. وقد ذكرها إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (الجزء١، ص٣٦٢) وسماها «رسالة في الحمام».

وهذا الاهتمام بموضوع الحمامات إنما يرجع إلى الدور الكبير الذي قامت به الحمامات في حياة الناس، وبروزها كعادة لها قواعدها وأحكامها وأنظمتها وتقاليدها المرعية، بوصفها المكمل والمتمم الطبيعي للجامع، وارتباطها بالصلاة وبمفهوم التطهر لها (حدث في حالات كثيرة أن اجتمع الجامع والحمام في مبنيين متلاصقين، مثلما كان عليه الحال في جامع سنان باشا ببولاق (القاهرة) الذي شيد عام ١٥٧١هـ) (النزهة الزهية/ ٧ ـ ٩).

وقد أدرجها القنوجي في العلوم فقال عن علم الحمامات:

ويقال له علم الديماس. والحمام وضع صناعي مركب الكيفية للتدبير والاستفراغ في الداخل والخارج. مفاد غايته جلب المنافع للبدن ودفع المضار عنه باعتبار حالة عناصر ذلك البدن فيتبعها صحة أو فساد. والحاجة باعثة إلى اتخاذه. وهذا العلم من فروع علم الطب، وفيه رسالة للسيوطي ورسالة للحكيم محمد أحسن الحاجي فوري نزيل بهوبال لطف الله في الحال والمآل (في هامش الأصل حاشية نصها:

«هذه الرسالة ضمنتها مطالب نافعة قلما توجد في غيرها، وهي من أول من اتخذ الحمام ثم من اخترعه بعد الاندراس، ومن دخله من الصحابة، وما ورد فيه من الأحاديث، وما دلت عليه. وتكلمت فيها على هيئته ومنافعه ومضاره وما يجب

مراعاته في الدخول فيه والخروج عنه، وما قيل في الحمام الجديد والعتيق ومدده وما يتصل بذلك . وسميتها (تطهير الأدناس بالغسل في ديماس) . حكيم محمد أحسن حاجي بوري متوسل الرئاسة سلمه الله) .

قال الإمام العلامة محمد بن على الشوكاني في كتابه «وبل الغمام» : إنها قد وردت في الحمامات روايات غالبها الضعاف، فيها ما هو في رتبة الحسن، وحاصل ما دلت عليه تحريم دخوله على النساء مطلقا، وعلى الرجال إلا في المآزر؛ وقد استوفيت ذلك في الرسالة المسماة (تفويق النبال إلى إرسال المقال) جعلتها جوابا لرسالة سماها مؤلفها «إرسال المقال إلى حل الإشكال» انتهى كلامه رحمه الله تعالى (أبجد العلوم جـ١ ق١/ ٣٠٨، ٣٠٩) .

وكنا قد أوردنا مادة بعنوان «آداب الحمام» في م١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٧ تناولت آداب الحمام وأحكامه الشرعية ، ومن ثم فإننا نركز هنا على الجوانب الآتية :

١ ـ الجانب الطبي من حيث منافع الحمام ومضاره .

٢ ـ البلاد التي توجد بها الحمامات على سبيل المثال لا الحصر، وتخطيطها وتصميمها المعماري .

منافع الحمام ومضاره :

منافعه : يقول الإمام المناوي في النزهة الزهية :

اعلم أن الحمام متخذ بأصل وضعه للتنظيف وإزالة الوسخ والشعث والدرن والعفونات والقمل، ولدفع أمراض كثيرة كالحميات والتخم والإعياء وأنواع الهيضة (وهي انطلاق البطن من جراء الحركة من المواد الفاسدة غير المنهضمة إلى الانفصال بالقيىء أو الإسهال) وإنضاج النزلات . وكما أن من العروق ما هو بعيد الغور أرق من الشعر، وكان الدواء إنما يجذب الأقرب من المعدة فالأقرب، والدهن إنما يحلل ما في الجلد فقط، وكانت الضرورة قاضية باجتماع عفونات في الكمية لا يبلغها الدواء والدهن ، كان اجتماعها على طول المدى يحدث أمراضا ضارة ، جعل الحمام أيضا لتحليل كل ما استقصى . ولهذا أمروا به غب الدواء لما فيه من التنشيط والتجفيف، وكان البدن بعده كالذي بدأ في الوجود، وإذا خفف أو ثقل لم يضر بخلافه من غيره . قال المسيحي : منافع الحمام كثيرة ونفعه لكل شخص بحسب مزاجه لموافقته لجميع الأمزجة الحارة والرطبة والباردة واليابسة، وجميع الأسنان والأزمان والبلدان المسكونة . كل ذلك إذا ما استعمل على ما ينبغي بحسب التدبير فيها . فالحمام يبرد البارد بالذات ويسخن بالماء الحار بالعرض، ويرطب بهما وبالماء يجفف بالهواء الحار اليابس، ولذلك صار يحفظ الصحة، وتوضيحه أن الحمام يشتمل على هواء وماء حارين، والهواء الحار مسخن معتدل والماء الحار بما هو حار مسخن محلل، وبما هو ماء مبرد مرطب، لأن الماء وإن كان حارا حرارته عرضية . فإذا زالت برد بذاته، فلذلك كان الحمام مسخنا بهوائه وبحرارة مائه مبردا بمائه، وهو أيضا مجفف بفرط تحليل الحرارة ، ومرطب يتشرب البدن للماء . فلذلك يحدث من الحمام حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة ، فتارة تغلب الحرارة وذلك إذا اشتد حر الهواء أو قل استعمال الماء جدا، فلا يبرد تبريدا يتدارك تسخين الهواء وتارة تغلب البرودة وذلك إذا ضعفت حرارة الماء والهواء أو أكثر استعمال الماء دون الهواء، وتارة يغلب اليبس وذلك إذا كان التحليل أكثر من الترطيب كما لو اشتدت حرارة الهواء وأطيل المكث فيه مع قلة استعمال الماء . فالحمام يستعمل للترطيب والتجفيف والتبريد والتسخين . وقد أشار إلى ذلك جالينوس بقوله : الحمام نافع شتاء وصيفا ولمن مزاجه حار وبارد ورطب ويابس . فالحمام علاج للبدن من الضدين إن وجد البدن حارا عدله بترطيبه وإن وجده باردا أدفأه بحرارته . قال ، أعني جالينوس ، وهو يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح ويلين البدن ويحسن اللون وينفع من الاستسقاء والدق، ويبسط الأعضاء المتشنجة وينضج النزلة والبثرة وينفع حمى يوم وحمى الدق والربع والحمى البلغمية بعد نضجها . ووجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب البدن اليابس الخشن برطوبته، كل ذلك إذا استعمل على قانونه بقدر المعتبر. وإنما يسمن ويهزل لأنه إذا كان الوارد من الغذاء أزيد من المتحلل سمن، وإن كان أقل من المتحلل هزل . فإن استوى الأمران بقي البدن على حاله، فلا يسمن ولا يهزل . فإذا استعمل الحمام على الخلو، ولم يأكل بعده سريعا وأطيل المكث فيه ، جفف كثيرا فلم يكن لما تحلل بدل يعتد به فيهزله . لكن لا يظهر ذلك الهزال في الحمام ، لأن الجلد يربو فيه بيلله قليلا، فيخفى الهزال إلى أن يتحلل ما يشربه الجلد من الماء . ويعود إلى طبعه فيظهر الهزال حينئذ، وذلك بعد الخروج من الحمام بساعة أو ساعتين، إلا في العين فإن الهزال يظهر فيها حالا لكونها ليس

لها جلد . وكلما طال المكث فى الحمام زاد الهزال . سيما إذا كان القعود فى البيت الثالث . ومتى استعمل الحمام على الامتلاء من الغذاء، وكان عقب تناوله ، أحدث سمنا لعدم استعداد الغذاء بسبب قصور هضمه لأن يتكون منه شحم فضلا عن اللحم لكنه يحدث السدد والعفونة وكثرة الفضول فى البدن . وإن كان بعد تناول الغذاء بساعات أحدث السمن الشحمى لا اللحمى لأن اللحم إنما يتكون من متين الدم ، وذلك لا يكون إلا من غذاء قد تم هضمه . ويحدث السدد أيضا لكن أقل من الأول وإذا استعمل الغذاء عقب الحمام كان مسمنا لسرعة انجذابه إلى الأعضاء بمصادفته تحلل الفضول ونقاء المجارى إن كان الغذاء بقدر صالح ، فإن كان قليلا أو كثيرا لم يسمن . قال بعضهم : والحمام يفيد إنضاج الأخلاط وجذبها إلى خارج (الأخلاط فى عرف الأقدمين هى الدم والبلغم والسوداء والصفراء . وقد أوردنا مادة بعنوان «الأخلاط الأربعة » فى م٣ / ١٩٦ ـ ٢٠٢ فارجع إليها فى موضعها) . وهو يسكن الأوجاع ويعدل لذع الأخلاط ويفش البخارات والرياح ، ويجلب النوم ويذهب الإعياء والتعب ، ويعقل البطن ويذهب الحكة والجرب ، وينضج الزكام والنزلة ويرق الأخلاط ويلين العصب والرطوبات والأوتار ، ويحلل القولنج ويسهل عسر البول . وقال بعض آخر: الحمام ملطف محلل ، يستخرج العفونة ويرفق الجامد بحره ، وينضج وينقى من نحو القروح والبثرات والدماميل ، وينشط بما يزيله من العفونة ، ويذهب القمل ويريح البدن ويقطع الأعراق الفاسدة ، ويجيد الهضم ويخفف الامتلاء لإعانته للحار الغريزى ، ويجعل البدن كالمتجدد فى الأشياء ويسكن الحدة وينفع من السهر والسبات ونحو ذلك . قال المسبحى : وإذا استعمل الدواء وبقى بالبدن فضول لم ينقها ، وجب استعمال الحمام بعده بثلاثة أيام أو أربعة لأن بقية الفضول فى نواحى الجلد التى عجز الدواء عن تنقيتها فيجذبه الحمام وينقيه ويغسله . قال فى الإرشاد: ومن التدبير العجيب للشقيقة (هى الصداع الشديد يصيب الرأس) أن يدخل صاحبها الحمام ويكب رأسه على البخار ويستعط بدهن فستق ، فإنه يسكن الوجع حالا ، قال المسبحى : والتعرق فى الحمام يذهب مذهب الرياضة فى ترقيق الفضول وتحليها لكنه يضعف الحرارة الغريزية فلا يقويها كالرياضة ، وكما لا تستعمل الرياضة على الامتلاء الغذائى والخلطى لئلا تندفع هذه الأشياء إلى أقاصى البدن بتحريك الرياضة إياها من داخل ، ينبغى أن لا يدخل الحمام حارا لأن داخله يستنشق منه ما دام فيه ، فيرد على القلب هواء حار لا يصلح للترويح عن القلب فيضره ، وكذلك يدخل على البدن من طول المكث فيه الضعف والكرب وعظم النفس ، سيما إن كان غير معتدل الحرارة ، فينبغى أن يكون الحمام بحيث يستعدل حرارته ويكون ماؤه أسخن من هوائه قليلا ، ثم يكون اللبث فيه بقدر ما يستطاب إن كان البدن صحيحا ، فإنه قد تستطاب حرارة الحمام فى كثير من الأحوال المرضية وهو قد أخذ فى الإضرار انتهى .

غريبة : نقل محمد بن غالب فى تاريخه نزهة الأنس فى أهل الأندلس ، فى ترجمة مروان بن عبد الملك الأشبيلى ، أحد الأطباء الرحالين ، أنه كان له اليد الطولى فى الطب لكنه شدد فيه بأمور منها أنه منع من دخول الحمام بالكلية ، واعتقاده فيه أنه يعفن الأجساد ويفسد تركيب الأمزجة (اسم الكتاب الصحيح هو « فرحة الأنفس فى أهل الأندلس » لمحمد بن أيوب بن غالب ، نشر جزءا منه لطفى عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات ١ / ٢٧٢ ـ ٣١٠) وتبعه على ذلك ابن زهر فقال إنه ممنوع مطلقا لأنه موجب لتعفين الأخلاط وغير ذلك . وهذا رأى مهجور وقول من الزور قد خالفا فيه الأوائل والأواخر ، وشهد بخطئه البادى والحاضر . وفضائل الحمام لا تنكر ومنافعه لا تحصى ولا تحصر ، بل إذا استعمل على الترتيب الذى يجب والبدن الذى ينبغى ، كان دواء فاضلا ورياضة نافعة لتفتيحه للمسام وتنقيته للفضول وتلطيفه لغليظ الكيموسيات (الحالة التى يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه) وغير ذلك مما هو مشاهد مجرب .

مضاره :

ثم يقول الإمام المناوى عن مضار الحمام :

قالوا إنه يرخى البدن لشدة ترطيبه ، ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ، وينقص الرطوبة الجوهرية ، ويفش الرطوبة الفضلية المحتاج إليها فى التغذية ، ويسقط القوة والشهوة إلى الطعام لصبه المرة إلى المعدة ...

ويحدر السدد على الامتلاء عند إفراط البلغم ، ويملأ التجاويف من البخار ، ويسهل انصباب الفضلات إلى الأعضاء العصبية ، ويثير الحميات ويسخن القلب ويضعفه ويحدث الكرب حتى إنه ربما جلب الغشى ، ويهيج القىء والغثيان والرعاف (الدم يخرج من الأنف) ويزيد فى ذلك ، ويرخى العضو العصبى ويضر من به حمى أو قروح أو شجج

(أي جروح) أو ورم حار أو نزف دم أو قيء ويرعش ويسيل الخلط إلى المفاصل، ويوهن جميع القوى إن لم يصادف ما يسيله فيضعف القوتين ويملأ الفضول بالأخلاط . وهذه المضار كلها سهلة التدارك . وبالجملة فنفعه أكثر من ضرره بأضعاف . ولهذا قال بعض الأعيان أنه موافق للأصحاء فى جميع الأسنان وفى كل الأزمان والبلدان كما تقدم . وأما مضرته لأصحاب الغشى والخفقان ونحو ذلك ، فتندفع بأمور منها : التعرض لريح الشمال وغير ذلك والحاصل أنه لا يضر إلا مع الجهل بالتدبير، فإذا استعمل على القوانين بحسب المزاج والسن والفصل والبلد وغير ذلك ، كان نافعا جدا وإنكار ذلك مكابرة (النزهة الزهية / ٦٤ـ٦٨) .

ويفرد ابن سينا المقالة الثالثة من كتابه « دفع المضار الكلية للأبدان الإنسانية وتدارك أنواع الخطأ الواقع فى التدبير » لموضوع الحمام ومضاره وتدارك تلك المضار، وجاء فيها ما يلى :

فى مضار أن لا يكون هواء الحمام معتدلا:

تعديل هواء الحمام هو :

أما بالجملة ، فإن يكون ليس بشديد الحرارة ولا ببارد، يتعذر فيه التعرق .

وأما بالتفصيل ، فإن يكون فيه أقله ثلاثة بيوت ، وأن يكون البيت الأول فيه معتدلا، أعنى لا يحس فيه بحر ولا برد، وإن يكون البيت الثانى غير مكرب وإن يكون البيت الثالث غير شادخ شاو ولا مانع للنفس المستقيم .

فالحمام الحار جدا يسيل الأخلاط الخامدة إلى أعماق الأعضاء، فيحدث :

ـ إما سودا وإما أوراما، ويصعدها إلى الدماغ فيحدث إما صداعا شديدا وإما سرساماً .

ـ وأما سيلان الرطوبات إلى التجاويف الفارغة فيحدث عنه صرع أو سكتة .

ـ إما صرع، بأن كانت السدة ناقصة ، وإما سكتة بأن كانت (السدة) تامة .

ـ وأما الحمام البارد فإنه يحرك المادة إلى التعرق حركة ناقصة ، فيحدث من ذلك آفات، وربما حدث منه الجرب والحكة، وربما أحدث الزكام، وربما أحدث المغص .

تدارك ضرر الحمام الحار:

ـ أما من المشروبات، فبالمطفئات، مثل : رب التفاح ـ رب السفرجل ـ رب الحماض ـ شراب التمر الهندى ـ شراب النيشوق ـ شراب الكدر ـ السكنجبين وغير ذلك ، غير مبرد بالثلج .

ـ وأما من الأطلية : فصندل، وماء الكزبرة، والخل، على الكبد والقلب ـ وتوضع لخلخلة، من دهن الورد والخل، على الرأس، معتدلة الحر والبرد .

ـ وتترك الرجلان ساعة فى ماء بارد، ثم بعد قليل يصب منه شيء يسير على الكتفين . ثم بعد ساعة يمسح الرأس به، ثم يصب قليلا قليلا على البدن .

وينبغى أن يكون الماء البارد معتدلا، ليس بشديد البرد .

وينبغى أن لا يكون خروج المستحم بغتة ، بعد الحمام الحار، ثم يؤمر بالنوم على مراقد ناعمة معتدلة .

تدارك ضرر الحمام البارد:

أما تدارك الحمام البارد فإن يهيأ ماء سخين معتدل، مقدار ما يتحمله الطبع، ويصب على الرأس، قبل الخروج من الحمام بساعة ، ويدام التدليك والتمريخ والغمز، والحيلة للتعرق، ثم كما يخرج يديم صب الماء الحار على الرأس وحده ، ثم يتعمم بعمامة معتدلة فى الحر، وكبيرة فى شدة البرد، ويخرج وينام .

فيمن أخطأ فدخل الحمام دفعة ، وخرج دفعة ، هؤلاء يخاف عليهم :

(أ) فأما إن كان مزاجهم حارا:

ـ أما فى الدخول فأن يصيبهم انتشار الحرارة الغريزية، ويعقبة ضعف القلب والخفقان .

ـ وأما فى الخروج فأن يصيبهم نوازل حادة ، وسحج الأمعاء، وأوجاع المفاصل .

(ب) وأما من كان بارد المزاج فيخشى عليه :

ـ أما فى الدخول فالسكتة والفالج والخفقان .

ـ وأما فى الخروج : فالجمود والشخوص وسلس البول والرعشة .

علاج من دخل الحمام دفعة :

(أ) فمن هو حار المزاج :

ـ أن يتدرج فى خروجه إلى البيت الأول ـ ويرش تحت إبطه الأيسر ماء ورد بارد دفعة .

ـ وأن يؤخذ فى ثوب مبرد، ولا يمسه الماء البارد دفعة، ثم يعالج بما عولج به المستضر بشدة الحر.

(ب) أما من كان بارد المزاج :

ـ فأن يعمل ذلك ، ثم يسقى شيئا من رب التفاح، مع قليل من دواء المسك، وينوم .

علاج من خرج عنه دفعة :

ـ أما حار المزاج فأن يصب على رأسه ماء حار كثير ويكمد رأسه بخرق مسخنة وينوم .

ـ وأما بارد المزاج فأن يجلس فى بيت حار جدا، وينشق دهن الياسمين ، أو دهن السوسن، أو دهن النسرين، ويطلى الرأس بلخلخة السنبل والسعد ـ وتدلك الأعضاء ـ ويسقى متروديطوس أو ترياق الأربعة ـ ويطعم طعاما فيه ثوم ـ ويسقى من الشراب الصرف شيئا يسيرا وينوم .

فى الماء المالح فى الحمام :

ينفع من الجرب والحكة، إلا أنه يخلخل الجلد ثم يكثفه، وإذا لم يكن حكة أحدثها ، ويهزل البدن ، ويضر بالعين ، ويحدث النوازل والرمد، ويكدر الحواس .

فى الماء الشبى :

يكثف الجلد ويقبضه، وربما أحدث حمى يوم . والأبدان النحيفة ربما وقعت منه فى التشنج .

فى الماء الكبريتى والنفطى :

هذا كله يفسد مزاج جلد البدن ، ويهيئه للعفونة ، ويحدث النزلات وإذا طال فى هوائه المقام خيف منه الاستسقاء، وما يحدث عنه اليرقان .

فى الماء الحديدى :

فى الاغتسال فيه منافع كثيرة ، ولا يحدث منه كثير ضرر، فإن كان شيء فتكثيف الجلد .

فى تدارك ضرر الماء المالح :

الاغتسال بالماء البارد، والطين الطيب، ينفع منه ، ثم بعده الاغتسال بالماء الحار العذب، ثم التدلك بدهن الورد الطيب الرائحة، بالرفق ، وتواتر الاغتسال بالماء العذب بعده .

فى استعمال الدلك والتمريخ والغسل فيه :

المعتدل البدن ، إذا دخل الحمام . فليقعد فى كل بيت ساعة ، ثم يصبر حتى يتندى بدنه ويكاد يعرق . فيصب الماء أولا على الكتفين وساير الأعضاء . ثم على الرأس، ثم يحلق الرأس، ثم يتغمز ويتدلك بالرفق . ويعتنى بالمفاصل . ولا يفعل فى ذلك شيئا مكربا ، إلا صاحب الربو ، لتتحلل أخلاط رئته ، أو شيئا مؤلما ، إلا صاحب الخام ليتحلل خامه فى مفاصله .

فى خطأ من أفرط فى التدلك :

من أفرط فى التدلك ، إن كان حار المزاج أو يابسه ، عرض له سقوط قوة وهيجان مرار وربما كان سببا للحمى .

وإن كان ممتلئ البدن ، عرض منه حركة الأخلاط .

فى تدارك ذلك : أما القسم الأول فعلاجه التمرخ بدهن الورد، ودهن البنفسج وتناول الغذاء اللين المطفئ مثل الكشك والمح ، وتناول الأشربة المطفئة ، مثل السكنجبين والجلاب . ولمن أحدث ذلك فيه اعتقال الطبيعة شراب نيشوق .

فى تدارك ضرر الماء الشبى : هو الاغتسال بالماء الحار العذب بعده مرارة ، اغتسالا شديدا، ثم التدلك الشديد حتى يعرق، ثم الاغتسال بعده ، ثم التمرخ بدهن بابونج أو دهن الخيرى ، ثم النوم بعده .

فى تدارك ضرر الماء الكبريتى والنفطى : الاغتسال بالماء المعتدل البرد ثم الحار، ثم التعرق، ثم الاغتسال بالماء الفاتر، ثم التمسح بدهن ورد خام ، ثم النوم بعده .

فعل الماء البارد فى الحمام :

أما إن كان الحمام حار فقعل الماء البارد فيه مثل فعل الخروج عنه ، مغافصة وأشد . وعلاجه وأقوى (غفصه : أخذه على غرة) .

وأما إذا كان الحمام باردا أيضا ففعله فعل الهواء البارد، فإذا آذى كان علاجه ما قيل وفصل .

فعل الماء الحار فى الحمام :

هو فعل الهواء الحار الشديد فيه وأقوى، إلا أنه لقصر مدته يكون أقل تأثيرًا، ولأنه لا يرد على القلب فيكون أخف نكاية .

وعلاجة : شبيه بذلك العلاج ، مع تناول شراب التمرهندى، ولمن أحدث ذلك به إسهالا فشراب التفاح والسفرجل والحصرم .

فى خطا من يصبر فيه :

يتبعه فى المعتاد وجع المفاصل، والتمدد فى العضلات، وربما يتبعه حمى يوم .

علاجه : الاغتسال بالماء الحار، والتدلك الرقيق بدهن بابونج ، والزيت الطرى، وإن لم يسكن بذلك وجب أن يفصد على كل حال فى اليوم الثانى من الحمام .

فيمن استعمل، قبل أو بعد الحمام، وحركات شاقة :

أما الحمام المعتدل فلا يضر كثير مضرة ، بمن أفرط فى الحركة، أو ازداد حركة بعد الحمام ، بل يضر الحمام إذا كان معتدلا، ولم يمكث فيه المستحم مقدار التعرق كثيرًا ، إنما إذا كان المكث فيه مقدار ما يستفاد من رطوبته ، كان نافعا لمن عرض له حركة شاقة .

ـ وإنما يتضرر بها من يطيل المكث فى الحمام ، حتى يأخذ الحمام رطوبته فوق ما يعطيه . ومن وقع له هذا أدى إلى الدق، إذا اشتدت سخونة القلب، أو الاستسقاء إن تحلل الحار الغريزى وبرد مزاج الأحشاء .

تدارك ذلك : الاغتسال بالماء البارد ـ وصب الماء المفتر شتاء، والمبرد صيفا ـ وصب اللبن الحليب على الرأس ـ ودلك المفاصل بلعاب الخطمى ، مضروبا مع دهن البنفسج ـ وشرب الشراب الأبيض، مع مزاج وافر ـ وتحسى المرقة المتخذة من مدققة الطيور أو الحملان .

وإن ظهر برد فى الأحشاء، وعلامته رداءة الهضم والنفخ والجشأ الحامض، فتداركه شربة من دواء الكركم ـ وتقطير دهن البنفسج فى الأذن، لمن غلب عليه المرار، ودهن الخيرى، لمن بردت أحشاؤه، نافع فى هذه العلة .

ضرر المقام الكثير فى الحمام :

يفعل فعل الحركة الشديدة ، والعلاج مثل ذلك .

ضرر الحمام على الطعام :

يوجب سددا فى الكبد والعروق، لانجذاب المواد الغذائية ، الغير المنهضمة، إلى ظاهر البدن ، لسيلان الرطوبات إليه بالعرق . والسدد يتبعها الأمراض السدية ، مثل الأورام ، وامتناع الغذاء عن ظاهر البدن ، والإسهال الكائن بالأدوار، والحميات العفنية، إذ السدة أحد أسباب العفونة .

تدارك : استعمال سكنجبين بزورى ـ والاستفراغ الضعيف بايارج فيقرا ـ واستعمال الأغذية الخفيفة عدة أيام .

فيمن شرب فى الحمام شيئا باردا . مثل الماء البارد والفقاع :

هذا خطر عظيم جدا . لأن الشىء البارد السيال، إذا حصل فى المعدة فى الحمام، وقد تفتحت المسام ، وتخلخلت المنافذ، هجم دفعة على الكبد والقلب فيبردهما تبريدًا شديدًا، وأنهك حرارتهما الغريزية، وأضعف جميع الأحشاء وهيأها للاستسقاء .

تدارك ذلك : تناول شىء يسير من الشراب الصرف بعد الحمام ـ أو شربة من دواء المسك أو دواء اللك أو دواء الكركم أو متروديطوس ـ أو تكميد الكبد والقلب بخرق حارة ـ أو تناول غذاء مبزر ـ وللكرنب خاصية فى دفع هذا الضرر ـ ويفيد من البقول الراسن ـ ومن الأشربة شراب الجزر ، وشراب الافسنتين ، وشراب خنديقون .

ضرر دخول الحمام والبدن ممتلىء :

هذا أيضا خطر، لأنه يحدث منه عفونة فى الأخلاط المحتبسة فى البدن وحركتها وتحدث منه أورام فى الأحشاء، مثل ذات الجنب، وذات الكبد، وذات الرئة . ويخاف منه آفات الدماغ وأورامه ، وأما الحميات فأقرب الأشياء إليه .

تدارك ذلك : إذا أعقب ذلك ثقلا وإعياء، أو مس قروحا وتمددا، فينبغى أن يبادر إلى الفصد ـ ويستخرج من الدم مقدارًا فإن زال بذلك وسكن وإلا استفرغ بشراب الفواكه ـ وتناول الأشربة المانعة عن العفونة . مثل رب السفرجل، ورب التفاح ، ورب الأجاص، وغير ذلك ـ ويطلى الكبد والقلب بالأطلية الموافقة، مثل ماء الكزبرة ، والخل وعنب الثعلب، مع قليل كافور وصندل .

(من مؤلفات ابن سينا الطبية / ٣٢ـ٣٩) .

ويجمل الإمام ابن الجوزى ذلك فيقول :

قد ذكرنا أنه يصلح بعد الرياضة، ومن دخله قبلها حرك فضول البدن ، وأحدث مرضا ، ومن استحم بعد الأكل، ملأ الرأس فضولا، وأحدث سددا، ويتولد من إدامة ذلك الاستسقاء، ولا يصلح الحمام لضعيف القوة ، وينبغى دخوله والخروج منه بتدريج ، ولا يطيل المقام فيه ، وشرب الماء البارد فيه . والفقاع مخاطرة بالروح ، ولا يدخله من أكل هريسة أو شرب لبنا ... ومن غسل وجهه بالماء البارد بعد خروجه من الحمام ؛ بقيت طراوة وجهه (مختصر لقط المنافع / ٢٦) .

٢ ـ البلاد التى توجد بها الحمامات على سبيل المثال لا الحصر، وطرزها المعمارية :

انتشرت هذه الحمامات وتعددت فى جميع الأمصار. وذكر هلال الصابى (المتوفى ٤٤٨ هـ) أن عدد الحمامات فى بغداد وصل فى زمانه إلى أكثر من مائة وعشرين ألف حمام . وأورد على باشا مبارك فى خططه نقلا عن المسبحى ، أن العزيز بالله نزار هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة ، وأنه كان فى مصر ألف ومائة وسبعون حماما . كما تناول ابن دقماق والمقريزى عدد الحمامات التى كانت موجودة فى مصر على أيامهما . وتناول غيرهما موضوع الحمامات التى كانت موجودة فى مصر ، ومن بينهم أفليا جلبى التركى زار القاهرة وذكر فى كتابه « سياحة نامة » أن عدد حماماتها وصل إلى ٥٥ حماما . هذا وقد انتشرت الحمامات كذلك فى الأندلس، كما كثرت وتعددت بشكل كبير فى المغرب العربى، وما زالت (النزهة الزهية / ٧ ـ ٩) .

١ ـ مصر ـ القاهرة .

وقد أحصى المقريزى فى خططه الحمامات التى كانت فى القاهرة فى زمانه ، وهى كما يلى :

حماما السيدة العمة .
حمام الساباط .
حمام لؤلؤ .
حمام الصنيمة .
حمام تتر.
حمام كرجى .
حمام كتيلة .
حمام ابن أبى الدم .
حمام الحصينية .
حمام الذهب .
حمام ابن قرقة .
حمام السلطان .
حمام خوند .
حمام ابن عبود .
حمام الصاحب .
حمام السلطان .
حماما طغريك .
حمام السوباشى .
حمام عجينة .
حمام درى .
حمام الرصاصى .
حمام الجيوشى .
حمام الرومى . سنقر الرومى .
حماما سويد .
حمام طغلق .
حمام ابن علكان .
حمام الصاحب.
حمام كتبغا الاسدى .
حمام ألتطمش خان .
حمام القاضى .
حمام الخراطين .
حمام الخشبية .
حمام الكويك .
حمام الجوينى .
حمام القفاصين .
حمام الصغيرة .
حمام الأعسر . سنقر الأعسر .
حمام الحسام .
حمام الصوفية .
حمام بهادر.
حمام الدود .
حمام ابن أبى الحوافر.
حمام قتال السبع .
حمام لؤلؤ .
لؤلؤ الحاجب (المواعظ والاعتبار ٢ / ٥٢٧) .

أما على باشا مبارك ، فيقول فى خططه (جـ ا/ ٢٣٨ ، ٢٣٩) فى مطلب عدد الحمامات :

ويظهر مما كتبه الفرنساوية فى خططهم أن عدد الحمامات التى تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على المائة ، والآن لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حماما ، فيكون ما نقص منها منها نحو ستة وأربعين حماما وبالنسبة

لما بلغته المدينة من الاتساع وزيادة السكان، فهو قليل جدا، والصحة العمومية تطلب زيادتها ، فإنا لو نسبنا عدد الحمامات إلى جملة السكان ، لكان كل حمام يخص ألفين وستمائة نفس فى مبدأ القرن الثانى عشر، وفى وقتنا هذا ما يخص كل حمام سبعة آلاف نفس من تعداد البلد، وهذا كثير جدًّا عما كان فى مبدأ هذا القرن، وإذا اعتبرت النسبة التى كانت حين ذاك بين عدد الحمامات والأهالى يكون اللازم نحو مائة وخمسين حماما .

وقد ذكر « المسبحى » فى تاريخه أن العزيز بالله نزار المعز لدين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة، وقال الشريف أسعد نقلا عن القاضى القضاعى إنه كان فى مصر يعنى الفسطاط ـــ ألف ومائة وسبعون حماما . (أقول) : ولا يخلو ذلك من المبالغة .

وذكر ابن عبد الظاهر أن عدد الحمامات إلى آخر سنة خمس وسبعين وستمائة يقرب من ثمانين حماما .

وفى كتاب « قطف الأزهار » أن عدد الحمامات كان فى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف من الهجرة دون ذلك . والحمامات التى تكلم عليها المقريزى خمسة وأربعون حماما، منها اثنا عشر، حدثت فى زمن الفاطميين، وستة أنشئت فى زمن الأيوبية ، وفى زمن السلاطين الجراكسة أنشئ اثنان وعشرون حماما ، فيكون مجموع ذلك أربعين حماما (أوردنا بيانها آنفا) وينتج أنه من ابتداء القرن التاسع ، إلى مبدأ القرن الثانى عشر استجد بمصر نحو ستين حماما .

وأغلب هذه الحمامات موقوف، وبإهمالها تخربت ، وتصرف فيها الملاك ، واستعوضت بمبان أخر، حتى آلت إلى العدد الذى قدمنا ذكره (الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩)

وقد أحصى على باشا مبارك الحمامات التى كانت بمدينة القاهرة فى زمانه فأورد منها فى الجزء الثانى (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣) ما يلى :

١ ـ حمام الأفندى بعطفة الأفندى من شارع المحكمة .
٢ ـ حمام الألفى بحارة الألفى من شارع السيوفية ... ...
٣ ـ حمام بابا بحارة حمام بابا من شارع حدرة الحناء .
٤ ـ حمام باب الوزير بشارع باب الوزير... ... ...
٥ ـ حمام بشتك المعروف الآن بحمام مصطفى
٦ ـ حمام كتخدا بشارع سويقة العزى
٧ ـ حمام البشرى بشارع البيومى
٨ ـ حمام الجبيلى بعطفة الجبيلى من شارع الكعكيين .
٩ ـ حمام الحلوجى بشارع الحلوجى
١٠ ـ حمام الخليفة بشارع الخليفة
١١ ـ حمام الدرب الأحمر بشارع الماردانى .
١٢ ـ حمام درب الحصر بشارع درب الحصر.
١٣ ـ حمام الدود بشارع السروجية .
١٤ ـ حمام السروجية بشارع السروجية .
١٥ـ حمام سعيد السعداء المعروف الآن بحمام الجمالية بشارع وكالة الصابون والجمالية .
١٦ ـ حمام السكرية بشارع السكرية
١٧ ـ حمام السلطان بشارع النحاسين ...
١٨ حمام سوق السلاح بشارع سوق السلاح .
١٩ ـ حمام السيوفى بشارع مرسينا
٢٠ ـ حمام الشعراوى بحارة الشعراوى من شارع الشعراوى .
٢١ ـ حمام الصليبة بشارع الصليبة
٢٢ ـ حمام الصنادقية بعطفة الحمام من شارع الصنادقية .
٢٣ ـ حمام العطارين بشارع العطارين .
٢٤ـ حمام العدوى بشارع الباب الأخضر.
٢٥ ـ حمام الغورى بعطفة الحمام من شارع الكعكيين .
٢٦ ـ حمام المصبغة بشارع درب لولية .
٢٧ ـ حمام المقاصيص بشارع الجوهرجية .
٢٨ ـ حمام النحاسين بشارع النحاسين .
٢٩ ـ حمام الهنود .

(الخطط التوفيقية ٢ / ٤١ ، ٤٢) .

ثم أورد فى الجزء الثالث ما يلى :

حمام أبى حلوة بشارع القنطرة الجديدة
حمام أمين أغا بشارع باب البحر
حمام البارودية بشارع باب الخلق
حمام البيسرى بشارع سوق السمك الجديد
حمام التلات المعروف أولا بحمام الصاحب بحارة مكسر الحطب من شارع اللبودية
الحمام الجديد بشارع باب البحر
حمام حارة اليهود الذى سماه المقريزى

حمام الكويك بشارع حارة اليهود القرايين
حمام الخراطين بشارع باب الشعرية الكبير
حمام الدرب الجديد بعطفة الحمام من شارع الدرب الجديد
حمام الذهبى بشارع البنهاوى .
حمام الرويعى ويعرف بحمام الجامع الأحمر بشارع درب رياش
حمام السبع قاعات بحارة السبع قاعات من شارع سوق السمك القديم .
حمام سنقر بشارع قنطرة سنقر
حمام الشرايبى بشارع الحمزاوى
حمام الطنبلى بشارع الطنبلى
حمام القربية بشارع القربية
حمام القزازية بدرب الأنصارى من شارع غيط العدة
حمام الكروغلى إمام بحارة عبد الباقى بيك من شارع قنطرة سنقر
حمام الكيخيا بشارع الكفاروة
حمام مرزوق بعطفة مرزوق من شارع سويقة اللالا
حمام مصطفى بيك بعطفة الحمام من شارع خليل طينة
حمام الملطيلى ويعرف أيضا بحمام الغمرى بشارع مرجوش
حمام المؤيد بحارة الحمام من شارع درب سعادة
حمام الناصرية بشارع الناصرية

(الخطط التوفيقية الجديدة ٣ / ٤٦ ، ٤٧) .

وقد كان بالقاهرة فى القرن الثالث عشر ثمانون حماما وفى نهاية القرن الثامن عشر مائة حمام وفى عام ١٩٣٣ كان بالقاهرة سبعة وأربعين حماما فقط ،

وطبقا لفهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة الصادر عام ١٩٥١ يوجد سبعة حمامات فقط ـ لأغلبها بقايا :

١ ـ حمام بشتاك
العصر المملوكى البحرى ـ ٧٤٢هـ / ١٣٤١م
(أثر رقم ٢٤٤)

٢ ـ الحمام المؤيدى
العصر المملوكى الجركسى ـ ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠م
(أثر رقم ٤١٠)

٣ ـ حمام إينال
العصر المملوكى الجركسى ـ ٨٦١هـ / ١٤٥٦م
(أثر رقم ٥٦٢)

٤ ـ حمام الملاطيلى
١١٩٤ هـ / ١٧٨٠م
(أثر رقم ٥٩٢)

٥ ـ حمام السكرية
القرن الثانى عشر / القرن الثامن عشر
(أثر رقم ٥٩٦)

٦ ـ حمام الطمبلى
القرن الثانى عشر / القرن الثامن عشر
(أثر رقم ٥٦٤)

٧ ـ حمام العدوى
القرن الثالث عشر / القرن التاسع عشر
(أثر رقم ٥٦٧)

(التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٦٣ ، ٦٤) .

ويذكر الشريف أسعد الجوانى أنه كان فى مصر الفسطاط ألف ومئة وسبعون حماما . ويذكر ابن عبد الظاهر أن عدد حمامات القاهرة حتى عام ١٣٠٠ كان يقارب الثمانين حماما ويذكر الرحاله pautx جملة حمامات يبلغ مجموعها حوالى ٤٧ حماما ، وهذا فى عام ١٩٣٧م . أما الآن فى ١٩٨٤م فلا يوجد أكثر من ٢٠ حماما فى حالة سيئة تكاد تقترب من الانهيار بالرغم من احتوائها على كميات رائعة من الزخارف الرخامية والفسيفساء البديعة ... ومنها حمام بشتاك وحمام قلاوون ، وحمام السلطان وحمام السكرية وحمام الملاطيلى وحمام الطمبلى وحمام العربى ... إلخ .

والمساقط الأفقية لهذه المبانى تتمتع بتصميم ممتاز وبمساحات واسعة بالرغم من واجهتها الصغيرة التى تكاد لا تلاحظ مع أنها تخفى وراءها مبنى فى غاية الروعة والفخامة .

وهذه الحمامات ما زالت مستعملة إلى الآن ولكنها فى حالة يرثى لها ، وتحتاج إلى من يمد لها يد العون (« بشتاك والسور المفقود » / ٣٢) .

ويصف إدوارد ويليام لين حمامات القاهرة وقت زيارته لها ، التى بدأها سنة ١٨٢٥م فيقول :

« تضم القاهرة أكثر من مائة حمام تزداد أهميتها فى الشتاء، وهى مصدر متعة يسهل على الفقراء الظفر بها ، بل إن الأثرياء الذين يحوزون فى دورهم حمامات خاصة يطيب لهم هم أيضا التردد على هذه الحمامات العامة ، ففيها إلى جانب الحصول على نصيب من النظافة يتجاوز ما يتحقق فى الحمام الخاص متعة اللقاء مع كثير من المعارف والصحاب والترويح عن النفس . وما أن يدلف المرء إلى الحمام العام حتى يستقبله الخدم فى قاعة الاستقبال حيث يودع ملابسه ويعقد حول جسده بشكيرا ، ثم يقاد إلى دهليز يحتضنه ويغمره بوهج يتزايد حرارته كلما أمعن فيه حتى يصل إلى قاعة تتكثف فيها الأبخرة الساخنة المعطرة التى تنفذ إلى مسام جلده ، فيضطجع على بساط صوفى ويدنو منه صبى يدس كفه فى كيس من الصوف السميك الناعم الملمس، ينتظر قليلا حتى تكون الأبخرة قد ألانت البشرة كلها فيبدأ فى قرقعة مفاصل النزيل ثم يدلك جسده بالكيس الصوفى حتى لا يبقى بالبشرة أى أثر كان عالقا بها . ثم ينهض الرجل وقد لف جسده كله العرق الساخن، ويمضى إلى قاعة مجاورة تضم مصدرين للمياه الساخنة والباردة يغتسل فيهما بمفرده ، ويتحول بعدها إلى فناء به حوض ملىء بمياه شديدة السخونة يغطس فيها بضع لحظات، ينهض بعدها وقد لف جسده فى قميص يعود به إلى قاعة الاستقبال حيث يتناول فنجانا من القهوة يشد معه أنفاسا من الأرجيلة مسترخيا على الأريكة يقوم منها ليستقبل جسده نفثات من عطر فاغم ويأخذ فى ارتداء ثيابه المفعمة بأريج بخور أعواد شجر الصبر.

« والسائد تخصيص حمام للنساء وآخر للرجال يفصل بينهما باب خاص، فإذا لم يكن هناك فى الحى غير حمام واحد خصصت بعض أوقاته للرجال والبعض الآخر للنساء، وفى هذه الحالة ينسدل على الحمام ستار معلنا أنه وقت النساء . والحمام العام للمرأة يعد مجتمعا مختلفا . ففيه تنزع الحجب التى ترتديها فى الطرقات لتحميها من عيون الرجال وفيه تستعرض أمام الأخريات ثيابها الثمينة وحليها النفيسة التى لا تملك أن تبرزها للرجال فتزهو بها هنا أمام رفيقاتها فى دل يرضى غرورها ، ويصبح اللقاء حفلا بهيجا يشبع فيه النساء ميلهن إلى الثرثرة والتهامس وتناقل الأخبار والتباهى بمقتنياتهن الجديدة . وتقدم عاملات الحمام للنساء خدمات فوق ما يلقاه الرجال كتصفيف الشعر ... والتزيين وما إلى ذلك» (مصر فى عيون الغرباء ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨) .

التصميم المعمارى للحمامات :

كانت واجهات الحمامات بدون فتحات وله باب يشابه أبواب المساجد ـ باب حمام بشتاك (قبل ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) ويغطى الحمام بقباب كروية بها فتحات صغيرة مغطاة بالزجاج الملون غير الشفاف . وكانت الحوائط من الحجر الجيرى ولها بالداخل سفل من الرخام . كذلك غطيت الأرضية بالرخام الملون . كما كانت حوائط الحمامات غنية بالزخارف التى نراها فى بقايا حمام السلطان المؤيد (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠م) .

وتتشابه طريقة التسخين فى هذه الحمامات بالطريقة التى استعملها الرومان فقد استخدم البخار الناتج من عملة الغليان فى التدفئة . إلا أن حمامات القاهرة لم توجد بها تدفئة بالأرضيات نظرًا لاعتدال درجة الحرارة فى الشتاء .

ويتكون المسقط من ثلاثة عناصر رئيسية . فبعد اجتياز الباب الذى أمامه عدة درجات، يصل الشخص عن طريق دهليز إلى العنصر الأول وهو المشلح [المسلخ] المغطى بقبة بها فتحات بالزجاج الملون . وهى غرفة غير مدفأة وبها فسقية بالمنتصف ومساطب من الحجر أو الرخام .

وفيها ينتظر الشخص قبل وبعد الحمام . وعادة ما يتجاذب المستحمون أطراف الحديث فيها وتقدم المشروبات والأرجيلة . كما زود الحمام بدورات للمياه . ويلحق بالمشلح غرفة لصاحب الحمام يقوم بمراقبة المبنى ويتولى توزيع الصابون والمناشف . ويلى هذه الغرفة غرفة أخرى مدفأة يفصلها عن الأولى دهليز، وبها مساطب يجلس عليها المستحم لكى يتعود على حرارة الحمام وخاصة بعد الخروج .

ويأتى بعد ذلك العنصر الثالث الرئيسى وهو بيت الحرارة ويماثله فى الحمام الرومانى الـ Caldarium والجزء الأوسط من هذه الصالة مغطى بفانوس (شخشيخة) . وبوسط الغرفة حوض مكسى بالرخام به ماء ساخن يحيط به أماكن للتدليك . وتغطى أرضية الصالة بالرخام والموزايك الرخام. ويلحق ببيت الحرارة خلوات بها مغاطس مملوءة بالماء الساخن ولا يوجد بالحمام العربى ما عرف عند الرومان بالحجرات ذات المياه الباردة والتى كانت تستعمل بعد الحمام الساخن .

أما بيت النار فهو عبارة عن فرن عليه قدور من النحاس مملوءة بالماء ويندفع الماء الساخن والهواء الساخن إلى

أماكن الاستحمام خلال مواسير من الرصاص . أما الدخان الناتج عن عملية الحريق فيسحب إلى الخارج . ويجلب الماء اللازم للحمام من بئر بجواره يرفع عن طريق ساقية (التراث الإسلامى المعمارى فى مصر / ٦٢ ، ٦٣) .

أما عن التصميم المعمارى للحمام الإسلامى فى بلاد الشام فقد ظل طرازا واحدا لم يتغير إلا فى التفاصيل والزخارف ، فقد كان الحمام يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية غرفة لخلع الملابس تكبر وتصغر حسب الحاجة ، إذا كان الحمام خاصا أو عاما . ويلى مكان خلع الملابس غرفتان متصلتان ببعضهما ، الأولى دافئة والثانية حارة يتوسطها فسقية تخرج منها صنابير المياه الحارة . وكان سقف الحمام عادة مغطى بأقباء متقاطعة أو قباب ضحلة أما غرفة المياه الساخنة فتغطى عادة بقبة مرتفعة .

ومن أقدم الأمثلة للحمامات الإسلامية التى ما تزال باقية ـ كما سبق القول ـ قصير عمرا ، الذى يرجع إلى العصر الأموى ، وكذا حمام الصرح وهما حمامان للاستراحات الصحراوية التى كان يستخدمها الخلفاء والأمراء فى رياضة الصيد فى بادية الشام (نورد كلاً منهما فى موضعة إن شاء الله تعالى) وقد ورد وصف الكثير من الحمامات التى ترجع إلى العصر المملوكى فى الوثائق والوقفيات ، مثل حمام الكرك المحروس الذى جاء وصف عمارته ومساحته وأقسامه المختلفة فى وثيقة السلطان شعبان : يشتمل الحمام على مسلخ بأربع قناطر حجارة ، وعليه قبة معقودة بالطوب الآجر ، وبه إيوانان شرقى وغربى ، وبهما مقصورتان معقودتان بالحجر والطين ، وفى وسطه فسقية برسم الماء البارد ، وباب يتطرق منه إلى بيت السخن فى دهليز ، وعن يمين الدهليز بيت البارد ويشتمل على قبة وحوض كبير ويتطرق من الدهليز المذكور إلى بيت وسطانى يشتمل على قبة وحوض فيه من جهة القبلة ويشتمل على قبة وحوضين ويتطرق منه إلى صدر مثمن يشتمل على قبة كبيرة مضلعة وبه مقصورتان قبلية وشمالية تشتمل كل واحدة منها على قبة وحوضين ، وفى حائطه من جهة الشرق خزانة برسم الماء الساخن موضوع بها قدرتان نحاسيتان برسم تسخين الماء إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة . والحمام مبلط بحجر ، وللحمام مستوقد ، وهو قبة معقودة بالطين والحجر » (وثيقة السلطان شعبان رقم ٤٩ محكمة) عن عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار (الوثائق والعمائر فى العالم العربى / ٣٦ فى الحاشية ٤) (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٥٧ ، ١٥٨) .

٢ ـ دمشق :

كانت حمامات دمشق من المنشآت ذات النفع العام يرتادها أبناء دمشق والغرباء عنها على حد سواء .

وكان بعضها آنئذ محبوسا لجهة وقف (ذُرى أو خيرى) . وحسبنا هنا أن نستعرض مثالا على ذلك حمام فتحى أفندى القلانسى فى محلة الميدان بالشارع السلطانى الذى كان يستحم المرء فيه دون مقابل ويأكل قرصين من الصفيحة (الصفيحة هى أكلة دمشقية مكونة من رقيق العجين فوقه اللحم المفروم وقليل من اللبن ودبس الرمان والبصل المفروم والصنوبر والكزبرة الناعمة والعصفر والملح والفلفل يخبز ويؤكل . ثم انظر : سجل المحكمة الكبرى بدمشق رقم ٢٥٠/ ص٣٢) ثم حمام ساقة الذى كان متوليا عليه سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥م الشيخ عبد الرحمن المرادى . وكانت دخولها تصرف فى وجوه مختلفة بحسب حجة واقفها ، فبعضها كان يذهب للصرف على المدارس أو المنشآت الدينية والبعض الآخر لمتولى أوقافها أو للقيمين على إدارتها وتشغيلها ، وكذلك لترميمها بين الحين والآخر . ولم تكن على درجة واحدة من حيث فخامتها ورقيها وتجهيزها ، لهذا كانت ترتاد من فئات الشعب المختلفة ، كما أنشىء العديد منها فى قصور أغنياء دمشق وأفراد الهيئة الحاكمة ، ولم تكن حمامات دمشق داخل سورها فحسب بل أنشىء بعضها فى الأرياض المحيطة وفى قرى الغوطة .

• ولقد ارتبط عدد الحمامات فى دمشق بعدد سكانها وتوسعها العمرانى لهذا ترى أن عدد تلك الحمامات قد تناقص مع الزمان بدءا من القرن الثامن وحتى الحادى عشر للهجرة ثم بدأ بعد ذلك يتزايد عما كان عليه فى القرن الحادى عشر. فالحسن بن أحمد الأربلى المتوفى ٧٤٦هـ يذكر أن مجموع حمامات دمشق داخل سورها كان / ٧٧ / حمامًا أما الحمامات التى تقع خارجها فمجملها / ٣٤ / حمامًا أما ابن كنان المتوفى ١٠٩٣ هـ فيذكر أن عدد حمامات دمشق فى عهده فكان / ٢١ / حمامًا بما فيها الحمامات التى تقع خارج الأسوار.

أما ما كان منها ضمن الأسوار فهى :

حمام النايب فى محلة باب توما باطن دمشق ثم حمام

منجك بمحلة القباقبية ثم حمام عيسى القارى ثم حمام بنى أسامة بدخلة بنى الصايغ ثم حمام لصيق البيمارستان النورى بالقرب من المدرسة الشامية من ناحية القبلة ثم حمام الأمير على فى محلة سوق القطن بزقاق المدرسة الخضيرية ثم حمام المسك فى محلة طالع القبة أو حمام السلسلة .

ولقد أنشئت بعض الحمامات فى هذه الفترة خارج الأسوار واستخدام ما كان منها قائما وسعى لترميم ما كان معطلا .

ثم حمام الناصرى بالشاغور الجوانى ثم حمام الخراب شرقى خان إسماعيل باشا العظم ثم حمام القيشانى بالقرب من سوق البريد ثم حمام الركاب بمحلة الشاغور الجوانى ثم حمام سامى وحمام القاعة بمحلة القباقبية ثم حمام العتيق بمحلة الملك الظاهر ثم حمام البابين ويستقى ماءه من نهر بانياس ويقع فى حى القيمرية ثم حمام الملكة وحمام السراجي وحمام الحاجب .

أما الحمامات التى كانت موجودة خارج أسوار دمشق فى الأرياض المحيطة بها فهى : حمام الفواخير فى صالحية دمشق ثم حمام القاشانى فى سوق الجركسية من الصالحية ثم حمام القناطر فى محلة القنوات ثم الحمام الجديد فى محلة القنوات بزقاق التعديل ثم حمام الورد بسويقة ساروجة ثم حمام السنانية ثم حمام المحتسب بالدخلة النافذة بالقرب من خان لالا مصطفى باشا ثم حمام الزين بالسويقة المحروقة بدخلة المقدم ثم حمام القرمانى بمحلة القلعة ظاهر دمشق ثم حمام التيروزى فى محلة قبر السيدة عاتكة ثم حمام الحدادين فى محلة الدرويشية ثم حمام الجديد بمحلة القماحين من الميدان وحمام فتحى القلانسى ثم حمام الحاجب بباب السريجة ثم حمام الخانجى ثم حمام السلسلة ثم حمام الجوزة فى سويقة ساروجة وحمام أمونة بمحلة العمارة بالقرب من جبانة أبى الدحداح ثم حمام السكاكرى .

ولا شك أنه قد غاب عنا بعض أسماء الحمامات التى كانت فى دمشق كما أننا نلاحظ تزايد ما كان منها خارج الأسوار فى هذه الفترة نظرا لتزايد الأحياء السكنية .

ومن جهة أخرى فقد اختلف نمط بناء كل حمام من حيث الزخرفة والمواد المستخدمة وطريقة بنائه والمساحة التى بنى عليها إلا أن غالبها ، تألف من ثلاث دوائر أساسية هى : البرانى ـــ والوسطانى ـــ والجوانى ، والبعض القليل منها كان مكونا من دائرتين : البرانى والجوانى . وأجمع السواح على تفضيل حمامات دمشق عن غيرها لما فيها من الإتقان ونظام الهندسة وغزارة المياه وإتقان الخدمة والإكرام والاعتناء وبخس الأجرة للمغتسل وكان يدخل إلى الدائرة الخارجية منه (البرانى) من باب الشارع أو الحارة . وعلى جانبى المدخل توجد غرفتان صغيرتان تليهما مصطبتان أو أكثر مرتفعتان عن أرضية البرانى بمقدار يصعد إليهما بدرج خاص فيخلع عليها المغتسلون ثيابهم ويقدم لهم ما يلزم من البشاكير والمناشف وما شاكل ذلك .

حيث يوجد خزانات فى جدار المصاطب ، فيها عدد من البقج وكل بقجة فيها كسوتان مكونتان من منشفتين ، الأولى يلف الجسم فيها بين الصرة والأسفل ، والثانية للف الجزء العلوى ، من الجسم وهناك بشكير للرأس وكان الأغنياء من المغتسلين ، يضعون كسوة فوق البشاكير من الحرير .

أما النساء فكن يجلبن بقجاتهن من بيوتهن . وكانت مصاطب الحمام مكسوة بالسجاد والبسط . وفى داخلها نوفرة ماء تطوقها من جهاتها الثلاث مصاطب صغيرة أو مقاعد لجلوس المستحمين عليها . وفى وسط المصاطب الكبيرة توجد بركة ماء كبيرة بها فسقية ونافورة وغالبا ما تكون مزينة بتماثيل من الأسود الحجرية التى تخرج من أفواهها المياه لتصب فى البركة . كما فى حمام نور الدين الزنكى فى البزورية .

ويزود الحمام بالقباقيب العديدة التى تستخدم من قبل المغتسلين وعمال الحمام وبه المرايا التى تعلق على الجدران . ولتأمين الإضاءة للحمام نهارا توجد به شبابيك علوية محكمة القفل من الزجاج .

ويرى من البرانى أوجاف القهوة لإعدادها وتقديمها للزبائن . ولا يسمح بالتدخين إلا لمعلم الحمام .

أما الدائرة الثانية فتتكون من الوسطانى والجوانى . وهى خاصة بالاستحمام ، بها منافع (دورات مياه) يوجد فى كل منها أجران ، وهذه الأجران من الرخام أو الحجارة تنصب فيها المياه من فتحتى أنبوبين ، الأول حار والثانى بارد تتحكم فيها قطعتان من الخشب أما جدار البناء وأرضيته فغالبا من الرخام والسقف من حجارة العقد أو على شكل قباب بها فتحات توضع عليها قطع زجاجية للإضاءة ويطلق على هذه القطع اسم القمارى .

هذان القسمان لا يوجد فيهما شبابيك ألبتة وذلك للحفاظ على حرارة الحمام الداخلية . وتستمد هذه الحمامات المياه

من الطوالع القريبة التى تتزود بدورها من الطالع الرئيسى وينتقل الماء بأنابيب فخارية إلى مرجل نارى وإلى صنابير المياه الباردة ودورات المياه والنوفرات فى داخل برك الماء ونسوق مثالا على ذلك (حمام نور الدين الشهيد) الذى كان يزود بالمياه من طالع البزورية ثم حمام العفيف وحمام المقدم وحمام الحاجب لكل واحد منها طالع ماء يزوده طالع رئيسى يأتيه الماء بدوره من نهر يزيد . أما حمام الورد والجورة فمن نهر تورا وحمام الملك الظاهر من نهر بانياس وحمام الملكة والقاضى والسروجى من نهر بانياس والقنوات وحمام فتحى وغيره من نهر الديرانى .

ويجمع معظم المؤرخين الذين أرخوا للحمامات فى دمشق على أن معظم حماماتها وأكثرها اتساعا ونظافة فى تلك الفترة من الزمن كان حمام الخياطين وحمام القيشانى وحمام الملكة وحمام النوفرة الذى يقع بالقرب من باب الجامع الأموى الشرقى ، وحمام المسك الذى يقع فى حارة النصارى من دمشق . وحمام الخراب وحمام الناصرى فى الشاغور وحمام البكرى وحمام القيمرية وحمام الشيخ فى باب توما . ثم حمام نور الدين الشهيد فى البزورية .

ولقد توارث العمل فى هذه الحمامات أفراد أسر معينة من دمشق حيث كان الوالد يعلّم ابنه الحرفة ، وهكذا ... وكان لهذه الحرفة شيخها شأنها شأن بقية الحِرف فى دمشق .

أما الطاقم الذى كان يعمل فى داخل الحمام فكان على الشكل التالى :

ـ المعلم وهو صاحب الحمام أو مستأجره الذى يقوم بتشغيل الحمام وتوزيع العمل على بقية عماله .

ـ والناطور: ويتعاطى كسوة الزبائن فى القسم الخارجى .

ـ والمصوبن : ومهمته تغسيل الزبائن بالصابون والليفة والدلك بالكيس الخاص بالحمام لإخراج الوسخ لمن أراد ثم القهوجى ويسقى القهوة للزبائن فى الحمام ، ثم :

ـ الأجير : ويكون واحدا أو أكثر ومهمته أخذ النعال وتقديمها لأصحابها .

ـ القميمى : ومهمته إيقاد النار فى الإقميم والإشراف عليه والحصول على الوقود والزبل ونشره ليجف كما يخرج الرماد من تحت الإقميم .

ـ الزّبال : ومهمته جلب روث الجمال والحمير والبقر فى الشليف على ظهر حمار من أماكن عدة كالخانات وغيرها ويعطيها للأقميمى ، ثم :

ـ التبع : وهو عامل أيضا يقدم للزبائن المناشف إذا كانوا من متوسطى الحال أو من الفقراء كما يعمل النورة المعروفة بالدواء .

وتطالعنا سجلات محاكم دمشق بالعديد من أدوات ومحتويات الحمامات مثل : محارم بغدادية ـ ومحارم مكاوية ـ ومأدبيات ـ وبقجات يمنية ـ وبسط وسجادات مختلفة الأحجام وحرامات محشوة خرق ومخدات محشوة خرق أيضا وسجادات كبيرة وثريات وصناديق كبيرة وقباقيب وأراكيل ودولات نحاس ومناصب وملاقط وقشط وكاسات ومجالف وأباطين وغيرها .

أما الصابون المستخدم فى الحمامات فكان من أنواع مختلفة منها البلدى والمغشوش والنابلسى والجعفرى والنوعان الأخيران جيدان واستخدام الفلاحون الفقراء نبات الشنان فى الحمام من أجل تنعيم الشعر والبدن وجلى الأوساخ عن أجسادهم .

وكان من الطبيعى ألا يسمح باستخدام الحمام بشكل مختلط بين الجنسين (الذكور والإناث) وحتى طاقم تشغيله، كان يتبدل بحسب جنس الزبائن . فكان الحمام يفتح لاستقبال الذكور من الفجر إلى الظهر على حين يخصص من الظهر إلى المساء لاستقبال الإناث فيبدل طاقم تشغيله بالعنصر النسائى وكانت بعض الحمامات لا تستقبل سوى الرجال خاصة ما كان منها فى الأسواق والشوارع .

أما طاقم تشغيل الحمام النسائى فهو متألف من :

ـ المعلمة : وهى التى تقوم باستقبال الزبونات وتقبض منهن الأجرة وتكون فى حلة جميلة وزينتها كاملة ثم :

ـ الأسطة : وهى التى تقوم بتغسيل البدن والرأس للزبونة ومهمتها كما نرى مهمة المصوبن لدى الرجال ، ثم .

ـ البلّانة : وهى التى تقوم بتدليك البدن بالكيس وتقوم بصبغ الأبيض الشايب من الشعر وتقوم أحيانا بحمل البقج للنساء الموسرات من بيوتهن إلى الحمام وبالعكس ثم :

ـ زقاقة البارد : وهى التى تأتى بالماء البارد وتضيفه إلى الماء الساخن حتى يصبح محتملا . ثم :

ـ الناطورة : ومهمتها حراسة ثياب النساء وتأتى بمناشفهن وتلف أبدانهن (مجتمع مدينة دمشق ١ / ١٢٢ ـ ١٢٩) .

٣ ـ حلب :

أحصى ابن شداد عدد الحمامات الموجودة فى الدور بحلب قرابة مائتى حمام منها خمسون ملحقة فى القرن السابع الهجرى، فقال إنه يوجد بالدور والبساتين . كما عدد حمامات دمشق فى القرن السابع فوجد أنها تبلغ مائة واثنتين وعشرين حماما . وهذا العدد الضخم من الحمامات إنما يدل على تقدم حضارى يتجلى فى النظافة واتباع التعاليم الصحية (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٥٧) .

أما عن الحمامات فى حلب كما أحصاها ابن شداد فنكتفى هنا بذكر مواقعها وعدد الحمامات فى كل موقع و نحيلك إلى المصدر لتستكمل معلوماتك :

ما بباطن حلب من الحمامات : عددها ٦٩ .

حمامات الدور : عددها ٣١ .

الحمامات التى بظاهر حلب :

الحمامات التى بالحاضر : عددها ٢٨ .

الحمامات التى بالمقام : عددها ١١ .

الحمامات التى بالياروقية : عددها ٣ .

الحمامات التى فى خارج باب أنطاكية : عددها ٦ .

الحمامات التى بالحلبة : عددها ٤ .

الحمامات التى بالبساتين : ٢٤ .

الحمامات التى بخارج بابن الجنان : عددها ٧ .

الحمامات التى بالرمادة : عددها ١٠ .

وبدار فخر الدين الوالى حمام .

ثم يقول ابن شداد : وهذه الحمامات التى ذكرتها ، بحسب ما وصل إليه علمى ، وفارقت عليه بلدى، فى سنة سبع وخمسين وستمائة، وهى على هذه الكثرة كانت لا تكفى لمن بحلب . ولقد بلغنى أنها فى العصر الذى وضعت فيه هذا الكتاب دون العشرة . « إن فى ذلك لعبرة لمن يتفكر أو يخشى» ونص الآية : ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ [النازعات : ٢٦] وتذكرة يتحقق بها القدرة على الفناء بعد الإنشاء (الأعلاق الخطيرة جـ١ ق ١/ ٣١٣ـ٣٢٤) .

٤ ـ الأندلس :

أما عن الحمامات فى الأندلس فيصفها الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم على النحو التالى فيقول :

كثر بناء الحمامات فى المدن والقرى الأندلسية ، بحيث يمكننا القول بأن دور الحمام فى الأهمية المعمارية يأتى مباشرة بعد المسجد الجامع . وكانت للحمام أهمية عظمى فى الحياة الاجتماعية الأندلسية ، إذ كانت عادة الاستحمام من العادات المتأصلة بعمق فى الإسلام . والواقع أن الحمام هو المكان الذى يستشعر فيه المرء بهجة الحياة ، لأن الاستحمام يولد فى النفس إحساسا بالراحة ، ويحدث فيها شعورا بانتعاش بدنى وروحى .

وكان من أسباب تعلق أهل الأندلس بالاستحمام ـ بالإضافة إلى الشعور النفسى الذى يحدثه بخار الماء الساخن، وما يتبعه من تدليك ـ أن الحمام كان مركزا للاجتماعات المرحة ...

ثم إن النساء يجدن فى الذهاب إليه فرصة للتسرية عنهن وتغيير الجو ، والتمتع بحرية نسبية ... وكان الأمر كذلك بالنسبة للرجل حين يتجرد من ثيابه، ولا يضع على بدنه غير مئزر رقيق . وكثيرا ما كان شعراء الأندلس يذكرون الحمام فى أشعارهم ... من ذلك قول أحد الشعراء فى وصف حمام :

ومنزل أقوام إذا ما تقابلوا
تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربى إذ ينفس كربه
ويعظم أنسى إذ يقل أنيسه

وكثيرا ما قصده الشعراء الأندلسيون ، وتطارحوا فيه الشعر.

وكان للحمام ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ غرض دينى ، إذ أنه يطهر جسد المرء تطهيرا تاما . ولعل ذلك هو السبب الذى من أجله يغسل المسلمون جثث أمواتهم قبل مواراتها التراب ، لأن جسم الإنسان معرض دائما لكل ما يفسد الطهارة . والماء يطهر الجسم ، ويزيل ما علق به . وفى ذلك يقول الشاعر الشهاب بن فضل الله :

وحمامكم كعبة للوفود
نحج إليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه
كتاب الطهارة ... باب المياه

وكانت الحمامات لهذا السبب تكثر بالقرب من المساجد

حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر قبل الدخول إلى المسجد للصلاة. وتدل الوثائق الخاصة بتوزيع دور أشبيلية على الفاتحين الأسبان، بعد استردادهم للمدينة، على أن حماما إسلاميا كان يقع بالقرب من سقايات المسجد الجامع. وما زلنا نرى اليوم آثار حمام بجوار المسجد الجامع بإشبيلية، قبالة مئذنته ولصق القصر الأسقفى.

وفى قرطبة تبقى حمامات بجوار المسجد الجامع: أحدهما فى شارع يعرف بلاس كوميدياس، والآخر فى شارع الحمام. ويتألف الحمام الأول من قاعة وسطى، بها عقود مفرطحة ومتجاورة تحملها عشرة أعمدة، وكانت تعلو هذه العقود قبوة لم يبق لها اليوم وجود بعد أن تحولت هذه القاعة إلى بهو.

ويذكر هرناندو البياسى، فى القرن السادس عشر، أن بغرناطة حماما كان يقع بجوار المسجد الجامع الذى تحول إلى كاتدرائية غرناطة.

وكثرت الحمامات فى المدن الأندلسية لدرجة أن عددها أصبح متقاربا مع عدد مساجدها. ويذكر ابن حيان أن عدد حمامات قرطبة بلغ أيام المنصور ابن أبى عامر تسعمائة حمام، وقيل سبعمائة. ويذكر بن عذارى المراكشى أن حمامات النساء وصلت إلى ثلثمائة حمام.

ولم تكن عادة الاستحمام فى الأندلس استمرارا لما كان متبعا فى أسبانيا قبل الفتح الإسلامى، فقد حمل الفاتحون معهم تقاليدهم، وغرسوها فى أسبانيا. وانتشرت عادة الاستحمام فى أسبانيا المسيحية بتأثير من أسبانيا الإسلامية. إلا أن عادة الاستحمام تلاشت من أسبانيا المسيحية منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر فى عصر الإمبراطور شارلكان والملك فيليب الثانى. وساعد على ذلك تعصب الكنيسة ضد هذه العادة الإسلامية وعداؤها الشديد لها. وانقرضت فى طليطلة منذ عهد ألفونسو الحكيم، واقتصرت عند أهل طليطلة على المناسبات الهامة عندهم، فكانت الفتاة لا تستحم إلا يوم زفافها. وذكر فراى أزناندو دى طلبيرة، أسقف غرناطة، أن الملكة إيزابيلا الكاثوليكية اعترفت أمامه بأنها كانت لا تغسل قدميها إلا مرة واحدة فى الشهر.

وكان دير يوستى، الذى اعتزل فيه الإمبراطور شارلكان، خاليا من الحمامات. وعندما جردت مخلفاته فى هذا الدير عثر على أربع قطع من النسيج الهولندى، كان يستخدمها الإمبراطور العظيم لتجفيف قدميه عند غسلهما.

وكان الحمام الأندلسى يتألف عادة من مدخل يؤدى إلى ثلاث قاعات أو أربع رئيسية مقباة، تضاف إليها ملحقات الحمام من الموقد والمرحاض إلى آخره. وكانت هذه القاعات تتصل فيما بينها عن طريق فتحات أو أبواب، وكانت تتخذ جميعها شكلا مستطيلا، أو مربعا بخلاف الحمامات المصرية فى العصر الإسلامى، إذ كانت تدور حول غرفة مركزية.

ويؤدى مدخل الحمام إلى أسطوان أو ردهة صغيره فى شكل مرفق، يليه حجرة ضيقة مستطيلة تعلوها قبوة نصف أسطوانية بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين. ويفصل هاتين الخلوتين عن بقية القاعة عقدان يستندان فيما بينهما على عمود مركزى. وتعرف هذه القاعة باسم « البيت البارد » وكان المستحمون يخلعون فيها ثيابهم عند دخول الحمام، ويلبسونها عند خروجهم منه. وفى أركان الخلوتين مقاعد يستريح عليها المستحمون.

وفى بعض الحمامات المترفة كانت تسبق البيت البارد غرفة تعرف « ببيت المستراح » ، يستريح فيها المستحمون قبل خروجهم من الحمام ومقابلتهم الهواء الخارجى. ويلى البيت البارد قاعة تعرف بالبيت الوسطانى، وهى أكثر اتساعا من القاعة السابقة، وتعد أهم أجزاء الحمام. ويتوسط هذه القاعة فراغ مركزى مربع تعلوه قبة، ويحيط به أربعة ممرات مقببة، تحملها عقود قائمة على أعمدة. وجميع هذه القبوات الجانبية، والقبة الوسطى، تتخللها فتحات نجمية الشكل تغلق بقطع زجاجية تسمى « مضاوى » لإدخال الضوء.

ويتبع هذه القاعة قاعة أخيرة تعرف « بالبيت الساخن » وهى غرفة ضيقة مستطيلة تشبه الغرفة الأولى، ولها نفس نظامها. وفى منتهى الغرفة موقد كبير يسمى بالقدر أو البرمة أو الفرنش وتخرج من القدر أنابيب الماء الساخن والبارد، وتدخل فى الجدران لتصب فى أحواض الخلوات.

ويلاحظ أن درجة الحرارة ترتفع فى الحمام بالتدريج من البيت البارد إلى البيت الساخن، فإذا انتهى المستحم من

حمامه تعرض بالتدريج لهواء أقل حرارة من الهواء الداخلى الساخن حتى يصل إلى البيت البارد فيستريح فيه قليلا قبل أن يغادر الحمام .

وكانت أرضية الحمام تكسى عادة بالفسيفساء أو بلوحات الرخام ، وجدرانه تزين بلوحات الزليج ، أو تحلى بالرسوم الجميلة ...

وكان يعمل بالحمامات قومة ، منهم الحكاك والحجام، وكان لا يسمح لهم بالتجول داخل الحمام إلا بسراويل نظيفة بيضاء . وكان السقاءون يحملون الماء على ظهورهم من السقايات إلى الحمامات . وقد تصل المياه رأسا إلى الحمامات من قنوات فى جوف الأرض، تتفرع منها أنابيب إلى المبانى المختلفة كما حدث فى أشبيلية فى عهد أبى يعقوب يوسف (١١٧٢) .

ولقد تبقى فى أسبانيا عدد كبير من الحمامات الإسلامية ـ فى أشبيلية وبلنسية وميورقة وغرناطة وقرطبة وسرقسطة ومرسية وطليطلة وبسطة ـ ويرجع سبب بقاء كثير منها فى حالة جيدة إلى ضخامة جدرانها وصلابتها وإلى قدرة قبواتها على تحمل بخار الماء، ثم إلى وظيفتها النفعية ، وعدم وجود أية علاقة بينها وبين عمارة المساجد التى عمد الأسبان إلى محوها من أسبانيا . ولذلك فإن الحمامات هى أقل المنشآت الإسلامية تعرضا للتخريب والتدمير الذى لم تسلم منه بقية الآثار الأخرى .

حمامات طليطلة :

تبقى منها حمامان ، وقد أصبح هذان الحمامان اليوم مصارف للقاذورات ومخازن ، الأمر الذى أدى إلى سد فتحاتهما وتشويههما . وأحدهما يقع قريبا من البوثو أمارجو (البئر المرة) بطليطلة ، وكان يعرف فى القرن الثالث عشر باسم حمام يعيش، ويتألف من ثلاثة أروقة متوازية ، طول الواحد منها عشرة أمتار، تعلوها قبوات نصف أسطوانية . ويقع الحمام الثانى ـ وكان يعرف بحمام زيد ـ فى الحى القديم لليهود، ويتصل أسطوان المدخل فيه برواقين متوازيين فى حجم مماثل لأروقة الحمام السابق، تعلوهما قبوتان أسطوانيتان مزودتان بالمضاوى التقليدية .

حمام غرناطة :

أقامه باديس الصنهاجى، وكان يعرف فى العصر الإسلامى بحمام الجوز. وقد وصل إلينا هذا الحمام فى حالة جيدة للغاية . وباب الحمام يؤدى إلى بيت المستراح الذى تخلع فيه الثياب، وهو قاعة تعلوها قبوة نصف أسطوانية تتخللها مضاو مثمنة نجمية الشكل . ويتلو هذه القاعة البيت البارد، وهو قاعة طويلة فى نهايتها مخدعان يتقدمهما عقدان على شكل حدوة الفرس تحملها أعمدة ، ويلى هذه القاعة البيت الوسطانى، وتحيط به ثلاثة ممرات ، فى كل ممر ثلاثة عقود على شكل حدوة الفرس قائمة على عمد، وتلتقى بهذه العقود عقود أخرى عمودية على جدران القاعة أقل من نصف دائرية . ويعلو الجزء الأوسط من القاعة قبوة مفرطحة . ويتبع هذه القاعة قاعة البيت الساخن التى تشبه القاعة الأولى . وينتهى الحمام بموقد وبعض الملحقات .

وجدران الحمام مبنية من ملاط شديد الصلابة ، أما العقود فمن الآجر.

حمام بلنسية :

هو أكمل هذه الحمامات جميعا ، ويسمى اليوم حمام الميرانتى ولقد تهدمت منه ردهة المدخل، وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطانى، وتعلو الفراغ المركزى بهذا البيت قبة مثمنة تقوم على جوفات مقوسة، وحول هذا الفراغ أربعة ممرات تطل على وسط القاعة بعقود على شكل حدوة الفرس، قائمة على عمد من الرخام الوردى بتيجانها الملساء، وتعلو هذه الممرات قبوات نصف أسطوانية تتخللها ، وتتخلل القبه الوسطى مضاو نجمية الشكل (« العمارة المدنية بالأندلس » / ١٣٩ ـ ١٤٣) .

ويفرد الإمام المناوى بابا فى كتابه « النزهة الزهية » لمتطلبات الحمام من حيث الهيئة والشكل والكيفية فارجع إليه إن شئت (ص ٥٧ ـ ٦٣) .

كما يسوق الإمام المناوى فى كتابه هذا نماذج مما قيل فى الحمام من شعر ننتقى منها ما يلى :

قال ابن رشيق : (من الطويل)

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم ... طلاب نعيم ، قد رضيت ببوسى

ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة ... فأبكى ولا يدرى بذاك جليسى

ولما رأى بعضهم نفسه ممتدا بين يدى الدلاك، أنشد : (من المتقارب)

أأغتـــر إن مـــد فى العمـــر لى
وأرجـــو المتـــاب إلى قـــابل
وأغفل والمـــوت لى طـــالب
حثيث كـــذئب الغضـــا القـــاتل
كـأنى بـــه فى غـــد هكـــذا
تحكم فيـــه يـــد الغـــاسل

ودخل أعرابى البصرة، فنزل على ابن عم له . فلما رأى البصرى شعث الأعرابى أراد أن ينظفه، فقال له فى يوم الجمعة : الناس يتطهرون فى هذا اليوم ويتنظفون ويلبسون أفخر الملابس يوم عيد . فتعال أدخلك الحمام لتنظف من قشف البادية وتتطهر للصلاة . فدخل معه الحمام، فعندما وطئ الأعرابى أول بيت منه زلق، ووقع على وجهه وشج، فرجع مرعوبا وأنشد : (من الطويل) .

وقـــالـــوا تطهـــر إنـــه يـــوم جمعـــة
فـأبت من الحمـــام غيـــر مطهـــر
تـــزودت منـــه شجـــة فـــوق حـــاجبى
بغيـــر جهـــاز بئس مـــا كـــان متجـــرى
تقـــول لى الأعـــراب لمـــا رأيتنى
بـــه لا تطأ تصـــرع كصـــرعـــة أعفـــر
ومـــا تعـــرف الأعـــراب مشيـــا بأرضهـــا
فكيـف ببيت ذى رخـــام ومـــرمـــر

وقال محمد بن سكرة :

دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت إلى دارى حافيا وأنشدت : (من الوافر) .

إليك أذم حمـــام ابـن مـــوسى
وإن فـــاق المنى طيبـــا وعطـــرا
تكـــاثـــرت اللصـــوص عليـــه حتى
ليحفى من يطيف بـــه ويعـــرى
فلم أفقـــد بـــه ثـــوبـــا ولكن
دخلت محمـــدا وخـــرجت بشـــرا

يريد بشر الحافى، وكان من كبار الزهاد ولزم المشى حافيا فلقب به (النزهة الزهية / ٥٧ ـ ٦٣، ٩٤، ٩٦، ١٠١، ١٠٢) .

قالت المؤلفة : أوردنا له ترجمة تحت عنوان « بشر الحافى » فى م ٧ / ١٣٠، ١٣١ فانظرها فى موضعها إن شئت .

وكما درج عليه الثعالبى فى « اللطائف والظرائف » يسوق ما قيل فى مدح الشىء ثم ما قيل فى ذمه، ومن ذلك ما جاء فى مدح الحمام :

قال بعض السلف : نعم البيت بيت الحمام، ينقى الأقذار، ويذكر النار. وذكر الحمام عند الفضل الرقاشى فقال : نعم البيت بيت الحمام، يذهب القشافة، ويعقب النظافة، ويجشىء التخمة، ويطيب البشرة. وقلت فى المبهج : الحمام صيقل الأجسام، ونظام النظافة ودافع آفة القشافة. ولم يمدح الحمام كما مدحه السرى الرفاء (ت٣٦٦هـ) حيث قال :

بيت بنتـــه حكمـــاء الـــورى
فهـــو إلى الحكمـــة منســـوب
مجـــاور النـــار ولكنـــه
يجـــاور النـــار بـــه الطيب
حـــر هـــو الـــروح لأجســـامنـــا
والحـــر لـــلأجســـام تعـــذيب

ولبعضهم : وقد دعا صديقا إلى الحمام وأظنه للسرى الرفاء أيضا :

أسعيـــد هل لك فى زيـــارة منـــزل
تثنى عليـــه جـــوارح الـــزوار
بيت تـــرى الجـــدران فيـــه منـــابعـــا
وتـــرى السمـــاء كثيـــرة الأقمـــار

ولأبى طالب المأمونى رحمه الله :

أحق بيت من بيـــوت الـــورى
بصـــونـــه قـــدمـــا وإيثـــاره
بيـــت إذا مـــا زاره زائر
وقـــد قضى أعظم أوطـــاره

وهـو إذا مـا جـاء مستنظفـا
مـروءة الإنسـان فى داره
يـدخلـه المـولى بخـز كمـا
يـدخلـه العبـد بأطمـاره

قالت المؤلفة : يعبر هذا البيت الأخير عن ديمقراطية نظام الحمامات العامة فى الإسلام ، إذ يدخل الحمام السيد يرتدى لباسًا من حرير، كما يدخله العبد يرتدى الثوب الخلق البالى.

أما ما جاء فى ذم الحمام فأبلغ ما قيل فى ذمه قول ابن المعتز :

مـا نلت بـالحمـام حـرا ولا
يصلح فيـه غيـر تبـريـد مـاء
وجـدت بـالصيف بـه رعـدة
فكيف أرجـو عـرقـا فى الشتـاء

ولبعضهم :

وحمـام دخلنـاه لأمـر
حكى سقـرا وفيـه المجـرمـونـا
فيصطـرخـوا يقـولـوا أخـرجـونـا
فإن عـدنـا فإنـا ظـالمـونـا

قالت المؤلفة : لاحظ الاقتباس فى هذا البيت الأخير، فلفظ « فيصطـرخـوا » مقتبس من قـولـه تعـالى : ﴿ وهم يصطرخون فيها ... ﴾ [فـاطر : ٣٧] ، وبقية البيت مقتبس من قوله تعالى : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] وقد بسطنا القول فيه فى مادة « الاقتباس » فى م ٥ / ٤٧٥ ـ ٤٨٠ فانظرها فى موضعها إن شئت .

وللصنوبرى :

حمـامنـا ليس فيـه مـاء
وبـرده مـا لـه انقضـاء
مـا ينفع القطن فيـه شيئـا
ولا اللبـابيـد والفـراء
تـرعـد فى الصيف فيـه بـردا
فصيف حمـامنـا شتـاء

فلم نـرده لـدفع داء
هل يـدفع الـداء وهـو داء

(اللطائف والظرائف / ٨٣ ـ ٨٦) .

وعن أحكام الحمام جاء ما يلى فى تيسير الوصول .

١ ـ عن عائشة رضى الله عنها : « أن رسول الله ﷺ : نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت : ثم رخص للرجال أن يدخلوه فى المآزر » .

٢ ـ وفى رواية : « أن عائشة دخل عليها نسوة من نساء أهل الشام فقالت : لعلكن من الكورة التى يدخلن نساؤها الحمامات ؟ قلن : نعم . قالت : أما أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب » أخرجه أبو داود والترمذى .

الكورة : اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة كالشام والعراق وفلسطين ونحو ذلك :

٣ ـ وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما « أن رسول الله ﷺ قال : ستفتح لكم أرض العجم ، وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بالأزر، وامنعوا منها النساء إلا مريضة أو نفساء » أخرجه أبو داود .

٤ ـ وعن جابر رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار» ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام من غير عذر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » أخرجه الترمذى والنسائى (تيسير الوصول ٣ / ١٠١ ، ١٠٢) .

وقد ورد هذا الحديث الأخير فى الترغيب والترهيب بلفظ :

٥٨ ـ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُدخل الحمام النساء . رواه النسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه . [١/ ١٤٢ ، ١] .

(الترغيب والترهيب / ١٩) .

٢ ـ ذلك كان عن الحمامات العامة . أما حمامات البيوت : فيقول عنها الدكتور ثروت عكاشة :

على الرغم من أن بعض الأثريين يذهب إلى أن نظام المياه الجارية داخل البيوت لم يكن متوفرا حتى فى منازل الأثرياء، وأن السكان كانوا يتوجهون للاستحمام فى الحمامات العامة، إلا أنه قد ثبت من الحفائر الحديثة بطلان هذا الرأى . يقينا كانت هناك الحمامات العامة وكانت تلعب دورا هاما فى الحياة الاجتماعية، غير أن ذلك لم يحل دون وجود حمامات خاصة فى المنازل تستخدم فيها الغلايات لتسخين المياه والبخار لتدفئة جو الحمام . وكانت البيوت فى العادة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية : أولها جناح المعيشة العائلية . وثانيها جناح استقبال الرجال . وثالثها قسم الخدمة ويشمل المطابخ والمخازن وبئر المياه إلى غير ذلك (انظر «البيوت الإسلامية» فى م ٨ / ٢٧١ـ٢٨٦) .

ويستفاد من النص الذى أورده ابن دقماق أنه كانت بالدور حمامات خاصة ذكر أحد عشر حماما منها، وقد أبدت حفائر الفسطاط على يد على بهجت وجود حمام بإحدى الدور، كما أسفرت حفائر هيئة الآثار فى المنطقة نفسها سنة ١٩٧٢ عن وجود حمام ملحق بأحد المنازل .

وكانت قنوات المياه الفخارية تتكون من أنابيب أسطوانية مختلفة المقاييس تلتصق إحداها بالأخرى بواسطة ملاط من الجير القصرمل (وهو الرماد المتخلف فى مواقد الحمامات)، وكان يتخلل الأنابيب المستقيمة التى تشكل القنوات الفخارية وصلات على شكل زاوية أو حرف T للتحويل أو التفريغ .

وقد تمخضت حفائر هيئة الآثار عن وجود شبكة كبيرة لمياه الشرب تم حتى الآن كشف خمسمائة متر منها متجهة نحو جامع عمرو بن العاص، ومعنى ذلك أنها كانت تأتى من النيل الذى لم يكن بعيدا عن الجامع عند إنشائه . كذلك كشف فى الأعوام الأخيرة عن شبكة أخرى لمياه الشرب كانت تأتى من عين الصيرة، كما اشتملت المنازل على قنوات لمياه الشرب وأخرى للصرف . وقد عثر بالفسطاط على شبكة ضخمة لصرف المياه تمثل نوعين مختلفين أحدهما مجرى منحوتة فى الصخر ومغطاة بقوالب صغيرة والثانية قنوات من الفخار .

وكان بحمامات القصور وبعض الدور مياه ساخنة وأخرى باردة مثلما كانت عليه الحال فى الحمامات العامة ... كما كان ببعضها أنابيب للتدفئة، ومن أمثلة ذلك ما وجد فى سراى المسافرخانة عند إصلاحها بمناسبة احتفالات ألفية القاهرة، وما لا يزال موجودا بقصر الحمراء فى غرناطة بالأندلس .

وقد ثبت وجود حمامات بمنازل رشيد ومنزل زينب خاتون والسحيمى والمسافرخانة وقاعة عثمان كتخدا ومنزل السنارى، ونظرا لأن قصر بشتاك لم يبق منه سوى القاعة الكبيرة فلم يعثر به على حمام، وليس من المستبعد أنه كان يضم حماما يتناسب مع عظمة القصر . (القيم الجمالية / ٩٥، ٩٨) .

(انظر مادة « بشتاك (قصر ـ) » فى م ٧ / ١٢١ ـ ١٢٨) .

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢١، ولسان العرب لابن منظور ٢ / ١٠٠٨، ومدخل إلى الآثار الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢١٠، ٢١١، والفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ١٢٤، والتراث الإسلامى المعمارى فى مصر ـ د. صالح لمعى مصطفى دار النهضة العربية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م / ٦٢، ٦٣ وموسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحيم غالب / ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، والنزهة الزهية فى أحكام الحمام الطبية والشرعية للشيخ عبد الرءوف المناوى ـ حققه وقدم له د. عبد الحميد صالح حمدان / ٧ ـ ٩، ٦٤ ـ ٦٨، ٩٢، ٩٦، ١٠١، ١٠٢، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ١ ق ١ / ٣٠٨، ٣٠٩، ومن مؤلفات ابن سينا الطبية ـ دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا / ٣٢ـ٣٩، ومختصر لقط المنافع للإمام ابن الجوزى / ٢٦ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٢١١، ٢٣١، ٢٣٢، ٥٢٧، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢/ ٤١، ٤٢ و٣ / ٤٦، ٤٧، و « بشتاك والسور المفقود » ـ المهندسة سهير صالح . مجلة عالم البناء العدد التاسع والأربعون ١٤٠٤ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٤ م / ٣٢، ومصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء ـ د. ثروت عكاشة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤، ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٥٧، ١٥٨، ومجتمع مدينة دمشق ـ د. يوسف جميل نعيسة ١ / ١٢٢ ـ ١٢٩، والأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبارة جـ١ ق ١ / ٣١٣ ـ ٣٢٤، و «العمارة المدنية بالأندلس» د. عبد العزيز سالم . كتاب الشعب ٦٤، دائرة

معارف الشعب ، مطابع الشعب ١٩٥٩ / ١٣٩ ـ ١٤٣ ، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ٨٣ ـ ٨٦ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، والترغيب والترهيب ، انتقاء شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى ـ تصحيح وضبط محمد المجذوب / ١٩ ، والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٩٥ ، ٩٨) .

* **الحمامات (علم ـ) :**

انظر : الحمامات .

* **حماة :**

حماة : من أشهر مدن سورية وأقدم مدن العالم ، لا تزال محتفظة باسمها القديم . كانت تدعى « ابيفانا » فى أيام انطيوخس أبيفاس ، أسسها أحد أولاد كنعان ، موقعها فى وادى العاصى ، كانت تدعى مفتاح شمالى فلسطين لأنها كانت متوسطة بين الفرات وفينيقية . بلغ عدد سكانها عام ١٩٨١ ، ١٧٦,٦٤٠ نسمة .

قال عنها ياقوت :

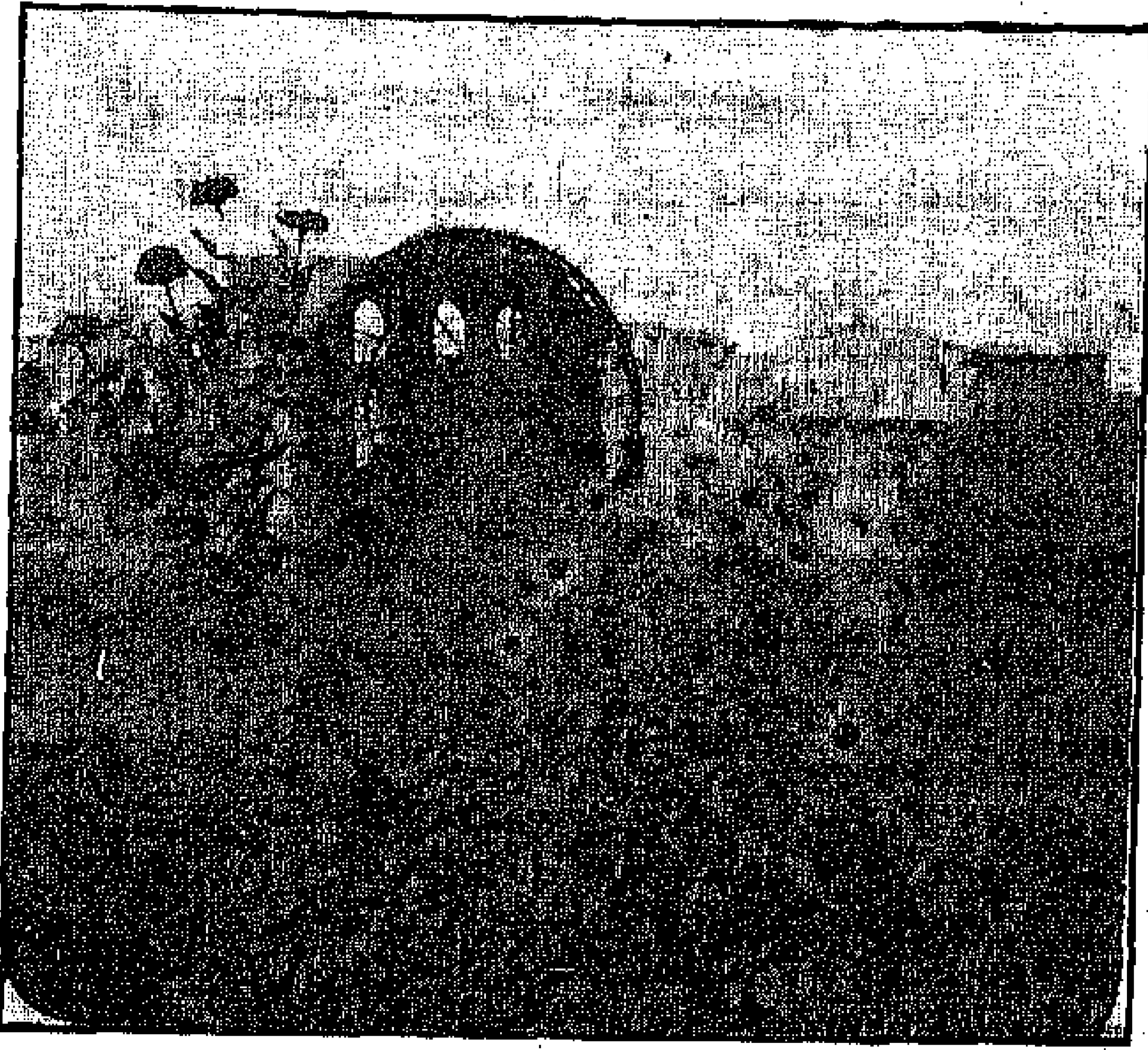
حماة : بالفتح ، بلفظ حماة المرأة ، وهى أم زوجها لا لغة فيه غير هذه . وكل شىء من قبل الزوج نحو الأب والأخ فهم الأحماء ، واحدهم حما . وفيه أربع لغات :

حما مثل قفا ، ، وحمو مثل أبو ، وحمء ، ساكنة الميم بعدها همزء ، وحم ، بغير همزة .

وحماة أيضا : عصبة الساق .

وحماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات ، رخيصة الأسعار ، واسعة الرقعة ، حفلة الأسواق ، يحيط بها سور محكم ، وبظاهر السور حاضر كبير جدا ، فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى ، عليه عدة نواعير تستقى الماء من العاصى فتسقى بساتينها وتصب إلى بركة جامعها ، ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لأنه منحط عن المدينة ، ويسمون المسور السوق الأعلى ، وفى طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة فى حصنها وإتقان عمارتها ، وحفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثر للملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وهى مدينة قديمة جاهلية ، ذكرها امرؤ القيس فى شعره .

إلا أنها لم تكن قديما مثل ما هى اليوم من العظم بسلطان مفرد ، بل كانت من عمل حمص ، قال أحمد بن الطيب فيما



نواعير حماة

ذكره من البقاع التى شاهدها فى مسيره من بغداد مع المعتضد إلى الطواحين فقال بعد ذكره حمص :

وحماة قرية عليها سور حجارة ، وفيها بناء بالحجارة واسع . والعاصى يجرى أمامها ويسقى بساتينها ويدير نواعيرها . وكان قوله هذا فى سنة ٢٧١ فسماها قرية ، وقال المنجمون : طول حماة اثنتان وستون درجة وثلثان ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلثان وربع ، وقال أحمد بن يحيى بن جابر : ولما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ فى سنة ١٧ خلف بها عبادة بن الصامت ومضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية فى رؤوسهم والخراج على أرضهم ومضى إلى شيزر . فكان حالها حال حماة ، وقال عبد الرحمن ابن المستخف يهجو الملك المنصور محمد بن تقى الدين صاحب حماة :

ما كان يصلح أن يكون محمد ... بسوى حماة . لقلة فى دينه

قد أشبهت منه الصفات : فهرها ... من جنسه ، وقرونها كقرونه

قرون حماة : قلتان متقابلتان ، جبل يشرف عليها ونهرها العاصى ، وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم ، وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين

دمشق خمسة أيام للقوافل ، وبينها وبين حلب أربعة أيام ، وقد نسب إليها جماعة من العلماء منهم :

قاضى القضاة ببغداد أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران ابن عبد الصمد بن سلمان الحموى المعروف بالشامى ، وكان من صالحى القضاة ، تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وكان لا يخاف فى الله لومة لائم ، روى عن أبى القاسم بن بشران وأبى طالب بن غيلان وغيرهما ، وروى عنه عبد الواحد ابن المبارك وغيره ، ومولده بحماة سنة ٤٠٠ ، ومات ببغداد فى شعبان سنة ٤٨٨ (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٧٢ ـ ٣٧٥ ومعجم البلدان ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١) .

وتعتبر حماة من المدن الداخلية بسوريا التى لا تزال تحتفظ بمسجد هام يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجرى ، وهو جامع أبى الفداء المعروف باسم جامع « الدهشة » أو جامع « الحيات » (هو الملك المؤيد إسماعيل أبو الفدا صاحب حماه ، وصاحب كتاب « تقويم البلدان » توفى سنة ٧٣٢ هـ) . ولا يزال الجامع يحتفظ بالكثير من فسيفسائه الذهبية والمتعددة الألوان . كما لا يزال يحتفظ بلوحته التأسيسية التى جاء فيها : أمر بعمل هذا الجامع المبارك السلطان المؤيد عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين بن الملك المظفر تقى الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٤٠) .

وقد ذكرها ابن جبير فى رحلته فقال : مدينة حماة حماها الله تعالى :

مدينة شهيرة فى البلدان قديمة الصحبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء أقطارها مضمومة وديارها مركومة لا يهش البصر إليها عند الإطلال عليها كأنها تكن بهجتها وتخفيها فتجد حسنها كامنا فيها حتى إذا جست خلالها ونقرت ظلالها أبصرت بشرقيها نهرا كبيرا تتسع فى تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرتيه بساتين تنهدل أغصانها عليه وتلوح خضرتها عذارا ، فصفحتيه ينسرب فى ظلالها وينساب على سمت اعتدالها وبأحد شطيه المتصل بربضها مطاهر منتظمة بيوتا عدة يخترق الماء أحد دواليبه جميع نواحيها فلا يجد المغتسل أثر أذى فيها وعلى شطه الثانى المتصل بالمدينة أسفل جامع صغير قد فتح جداره الشرقى عليه طيقانا تجتلى منها منظرا ترتاح النفس إليه ، وتقيد الأبصار لديه وبإزاء ممر النهر بجوفى المدينة قلعة حلبية الوضع وإن كانت دونها فى الحصانة والمنع ، سرب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها فهى لا تخاف الصدى ، ولا تتهيب مرام العدى .

وموضع هذه المدينة فى وهدة من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق ، يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل ، والمدينة العليا متصلة بصفح ذلك الجانب الجبلى والقلعة فى الجانب الآخر فى ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى تحتها الزمان ، وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينة السفلى تحت القلعة متصلة بالجانب الذى يصب النهر عليه وكلتا المدينتين صغيرتان ، وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العلى الجبلى ويطيف بها وللمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج إلى صور وعلى النهر جسر كبير معقود بضم الحجارة يتصل من المدينة السفلى إلى ربضها وربضها كبير فيه الخانات والديار وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجته إلى أن يفرغ الدخول المدينة .

وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى هى الجامعة لجميع الصناعات والتجارات وموضوعها حسن التنظيم بديع الترتيب والتقسيم ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجرات الأعناب وفيه المزارع والمحارث وفى منظره انشراح للنفس وانفساح . والبساتين متصلة على شطى النهر وهو يسمى العاصى لأن ظاهره انحدار من سفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حمص وبمقربة منها فكان مقامنا بحماة إلى عشى يوم السبت المذكور ثم رحلنا منها وأسرينا الليل كله وأجزنا فى نصفه هذا النهر العاصى المذكور على جسر كبير معقود من الحجارة وعليه مدينة (رستن) التى خربها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وآثارها عظيمة ويذكر الروم القسطنطينيون أن بها أموالا جمة مكنوزة والله أعلم بذلك فوصلنا إلى مدينة حمص مع

شروق الشمس من يوم الأحد الموفى عشرين لربيع (الأول) وهو أول يوليه فنزلنا بظاهرها بخان السبيل اهـ . (رحلة ابن جبير / ١٩٧، ١٩٨) .

أما الرحالة ابن بطوطة الذى زار حماة بعد زيارته لحمص فقد قال عنها : ثم سافرت منها (أى من مدينة حمص) إلى مدينة حماة ، إحدى أمهات الشام الرفيعة ، ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق، والجمال الفائق ، تحف بها البساتين والجنات ، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات ، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصى . ولها ربض سمى بالمنصورية أعظم من المدينة ، فيه الأسواق الحافلة ، والحمامات الحسان وبحماة الفواكه الكثيرة، ومنها المشمس اللوزى، إذا كسرت نواته وجدت فى داخلها لوزة حلوة . قال ابن جزى : وفى هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحال ، نور الدين أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى العمارى الغرناطى ، نسبة لعمار بن ياسر رضى الله عنه :

حمى الله من شطى حماة مناظرا
وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل
وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلوموننى أن أعصى الصون والنهى
وأنى أطيع الكأس واللهو والقصفا
وأشدو لدى تلك النواعر شدوها
وأغلبها رقصا وأشبهها عرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها
تهيم بمرآها وتسألها العطفا

ولبعضهم فى نواعيرها ذاهبا مذهب التورية :

وناعورة رقت لعظم خطيئتى
وقد عاينت قصدى من المنزل القاصى
بكت رحمة لى ثم باحت بشجوها
وحسبك أن الخشب تبكى على العاصى

ولبعض المتأخرين فيها أيضا، من التورية :

يا سادة سكنوا حماة وحقكم
ما حلت عن تقوى وعن إخلاص
والطرف بعدكم إذا ذكر اللقا
يجرى المدامع طائعا كالعاصى

(مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٥٤) .

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ، السفر الثالث ، القسم الأول / ٣٧٢، ومعجم البلدان ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١، ورحلة ابن جبير / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٥٤) .

*** الحمد :**

يبدأ المصنفون مؤلفاتهم عادة بالبسملة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ثم يثنون بالحمدلة ﴿ الحمد لله ... ﴾ وذلك اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بقوله ﷺ : « إن الله عز وجل يحب أن يحمد » وأخرج الديلمى مرفوعا : « إن الله يحمد الحمد يُحمد به ليثيب حامده، وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا » (كفاية الأتقياء / ٦) وعن الترغيب فى حمد الله تعالى بعد الأكل جاء عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل طعاما ثم قال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة . غفر له ما تقدم من ذنبه » (الترغيب والترهيب / ٢٤٨) .

وأفضل المحامد أن يقول : الحمد لله حمدا يوافى نعمه ، ويكافئ مزيده، لما ورد أن الله لما أهبط آدم إلى الأرض قال : يا رب علمنى المكاسب ، وعلمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد ، فأوحى الله تعالى إليه أن قل ثلاثا عند كل صباح ومساء : « الحمد لله حمدا يوفى نعمه ، ويكافىء مزيده » ولهذا لو حلف إنسان ليحمدن الله بمجامع المحامد فليقل هذا . قال بعض العارفين : الحمد لله ثمانية أحرف كأبواب الجنة فمن قالها عن صفاء القلب استحق أن يدخل الجنة من أيها شاء فيخير بينها إكراما ولا يختار إلا ما سبق فى علمه تعالى أن يدخل منه (كفاية الأتقياء / ٦) .

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حمد » :

حمد : الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر ، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ، ومما يقال منه وفيه بالتسخير فقد يمدح

الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون فى الثانى دون الأول والشكر لا يقال إلا فى مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا ، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا .

ويقال فلان محمود إذا حمد ، ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة ، ومحمد إذا وجد محمودا ، وقوله عز وجل : ﴿**إنه حميد مجيد**﴾ [هود : ٧٣] يصح أن يكون فى معنى المحمود وأن يكون فى معنى الحامد . وحماداك أن تفعل كذا أى غايتك المحمودة ، وقوله عز وجل : ﴿ **ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦] فأحمد إشارة إلى النبى ﷺ باسمه وفعله تنبيها أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود فى أخلاقه وأحواله ، وخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى ﷺ تنبيها أنه أحمد منه ومن الذين قبله ، وقوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ [الفتح : ٢٩] فمحمد ههنا وإن كان من وجه اسما له علما ، ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما مضى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى** ﴾ [مريم : ٧] أنه على معنى الحياة كما بين فى بابه (المفردات ١٣١) .

ويبسط صاحب كشاف اصطلاحات الفنون الكلام على الحمد : تعريفه وأحكامه فيقول :

الحمد بالفتح وسكون الميم فى اللغة هو الوصف بالجميل على الجميل الاختيارى على قصد التعظيم ونقيضه الذم وهذا أولى مما قيل هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل لأن الحمد لا يتحقق إلا بعد أمور ثلاثة الوصف بالجميل وهو المحمود به ، وكونه على الجميل الاختيارى أعنى المحمود عليه ، وكونه على قصد التعظيم . والتعريف الأول مشتمل على جميع هذه الأمور بخلاف التعريف الثانى فإنه لا يشتمل المحمود عليه إن جعل الباء صلة للوصف كما هو الظاهر أو المحمود به إن جعل الباء للسببية .

فإن قيل إذا وصف المنعم بالشجاعة ونحوها لأجل إنعامه كانت الشجاعة محمودا بها والإنعام محمودا عليه ، وأما إذا وصف الشجاع بالشجاعة لشجاعته لم يكن هناك محمود عليه مع أن هذا الوصف حمد قطعا ، قلت تلك الشجاعة من حيث إنها كان الوصف بها كانت محمودا بها ، ومن حيث قيامها بمحلها كانت محمودا عليها فهما متغايران هنا بالاعتبار ولذا يقال وصفته بالشجاعة لكونه شجاعا .

ثم الوصف يتبادر منه ذكر ما يدل على صفة الكمال فيكون قولا مخصوصا فصار مورد الحمد اللسان وحده ولما لم يقيد الوصف بكونه فى مقابلة النعمة ظهر أن الحمد قد يكون واقعا بإزاء النعمة وقد لا يكون وبقيد الجميل المحمود به يخرج الوصف على الجميل بما ليس بجميل وبقيد الجميل المحمود عليه يخرج الوصف على غير الجميل .

وفى قيد الاختيارى إشارة إلى أن الحمد أخص من المدح والبعض اعتبر قيد الاختيارى فى جميع المحمود به وهو غير مشهور فإنه يعم الاختيارى وغيره على الأظهر وعلى هذا قيل الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى من إنعام أو غيره والمدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقا يقال منحت اللؤلؤ على صفائها ولا يقال حمدتها على ذلك فالحمد يختص بالفاعل المختار دون المدح فإنه يقع على الحى وغيره وبالجملة فالممدوح عليه كالممدوح به لا يجب أن يكون اختياريا بخلاف المحمود عليه فإنه يجب كونه اختياريا .

ومنهم من منع صحة المدح على ما ليس اختياريا وجعل مثال اللؤلؤ مصنوعا وتوضيحه ما ذكره السيد السند فى حاشية إيساغوجى من أن من يقول بكون الجميل الاختيارى مأخوذا فى الحمد إنما يقول بكونه مأخوذا فيه بحسب العقل ولا فرق فيه بين الحمد والمدح صرح به صاحب الكشاف حيث قال وكل ذى لب إذا رجع إلى بصيرته لا يخفى عليه أن الإنسان لا يمدح بغير فعله وقد نفى الله تعالى على الذين أنزل فيهم ﴿**ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ [آل عمران : ١٨٨] ثم سأل كيف ذلك وأن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجه وأجاب بأن الذى يسوغ ذلك أن حسن المنظر يشعر عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ثم نقل عن علماء البيان تخطية المادح على غير الاختيارى وجعله غلطا وهو مخالف للمعقول ، وقصر المدح على الجميل الاختيارى وهذا صريح فى أن أخذ الاختيارى فى الحمد إنما هو بحسب العقل وإنه لا فرق فيه بين الحمد والمدح انتهى .

وأيضا صريح فى أن الحمد والمدح مترادفان وهذا هو الأشهر كما قيل وقيل ترادفهما باعتبار عدم اختصاصهما بالاختيارى فالحمد أيضا غير مختص بالاختيارى كالمدح واختاره السيد السند فى حاشية إيساغوجى واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ [الإسراء : ٧٩] بالحديث المأثور : وابعثه المقام المحمود الذى وعدته قال والحمل على الوصف المجازى وصفا له بوصف صاحبه كالكتاب الكريم والأسلوب الحكيم صرف عن الظاهر ثم معنى الجميل الاختيارى هو الصادر بالاختيار كما هو المشهور أو الصادر عن المختار وإن لم يكن مختارا فيه كما قال به بعض المتأخرين فعلى القول الثانى لانقض بصفات الله تعالى لأن صفاته تعالى صادرة عن المختار وهو ذاته تعالى أى مستندة إليه وإن لم تكن صادرة عنه بالاختيار وكذا على القول الأول بأن يراد بالاختيارى أعم من أن يكون اختياريا حقيقة أو بمنزلة الاختيارى والصفات المذكورة بمنزلة الأفعال الاختيارية لاستقلال الذات فيها وعدم احتياجه فيها إلى أمر خارج كما هو شأن الأفعال الاختيارية .

وفيه أن ذات الواجب تعالى يحتاج فى بعض الأفعال الاختيارية إلى خارج كأرزاق زيد مثلا فإنه يحتاج فيه إلى وجود زيد فالأولى أن يقال المراد بالاختيار المعنى الأعم المشترك بين القادر والموجب وهو كون الفاعل بحيث إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، فإنه متفق عليه بين المتكلمين والحكماء فى الواجب وغيره لا كونه بحيث يصح منه الفعل والترك لأنه مقابل للإيجاب هكذا يستفاد مما ذكر صاحب الأطول وأبو الفتح فى حاشية الحاشية الجلالية .

وبالقيد الأخير خرج الاستهزاء والسخرية إذ لا بد فى الحمد أن يكون ذلك الوصف على قصد التعظيم بأن لا يكون هناك قرينة صارفة عن ذلك القصد لأنه إذا عرى عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه أفعال الجوارح ونحوها لم يكن حمدا حقيقة بل كان من السخرية والاستهزاء لا يقال فقد اعتبر فى الحمد فعل الجنان والأركان أيضا لأنا نقول أن كل واحد منهما شرط لكون فعل اللسان حمدا لا ركن منه .

وفى أسرار الفاتحة المدح يكون قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعده وأيضا قد يكون منهيا كما قال عليه السلام « أحثوا التراب على وجوه المداحين » والحمد مأمور به مطلقا قال ﷺ من لم يحمد الناس لم يحمد الله انتهى . ولا يخفى ما فيه من المخالفة لما سبق عن عموم الحمد النعم الواصلة إلى الحامد وغيرها . ثم اعلم أن القول المخصوص الذى يحمدون به إنما يريدون به إنشاء الحمد وإيجاد الوصف لا الإخبار به فهو إنشاء لا خبر وليس ذلك القول حمدا بخصوصه بل لأنه دال على صفة الكمال ومظهر لها أى لها مدخل تام فى ذلك ومن ثم أى من أجل أن لدلالته على صفة الكمال وإظهاره لها مدخلا تاما فى كونه حمدا عبر بعض المحققين من الصوفية عن إظهار الصفات الكمالية بالحمد تعبيرا عن اللازم بالملزوم مجازا حيث قال حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل وهذا أقوى لأن الأفعال التى هى آثار السخاوة تدل عليها دلالة قطعية بخلاف دلالة الأقوال فإنها وضعية قد يتخلف عنها مدلولها ومن هذا القبيل حمد الله وثناؤه على ذاته وذلك أنه تعالى حين بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليه موائد كرمه التى لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله وأظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور فى العبارات مثل ذلك ومن ثمة قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » والإحصاء يمكن أن يكون بمعنى العلم أو العد على سبيل الاستقصاء وعلى كلا التقديرين الضمير المرفوع أعنى أنت مبتدأ والكاف زائدة وكلمة ما موصولة أو موصوفة واختيارها على كلمة من يأباها وأثنيت على نفسك صلتها أو صفتها كما فى قول على رضى الله عنه وكرم الله وجهه * أنا الذى سمتنى أمى حيدرة * وهذه الجملة خبر للمبتدأ والمجموع تعليل لعدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم ثناء عليه تعالى لأنه إذا أثنى على نفسه كان ثناء غير متناه فلا يعلم ولا يعد بل لا مناسبة لشئ من العلم والعد المذكورين إلا لله تعالى أو بمعنى القدرة والجملة استئنافية كأنه قيل من ثنى حق الثناء وتمامه ويكون كلمة أنت تأكيدا للضمير المجرور فى عليك وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية والمعنى أنه لا أقدر على ثناء عليك مثل الثناء الذى أثنيت به بحذف العائد إلى الموصول أو الموصوف أو مثل ثنائك بجعل ما مصدرية . ومقصوده عليه السلام من هذا

الكلام إظهار العجز عن مثل ثناء الله تعالى على ذاته وسلب المماثلة بين ثنائه قولا أو فعلا وبين ثنائه تعالى على ذاته .

اعلم أن الحمد فى العرف هو الشكر فى اللغة وهو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما قال بعض الصوفية لسان الحمد ثلاث : اللسان الإنسانى واللسان الروحانى واللسان الربانى .

أما اللسان الإنسانى فهو للعوام وشكره به التحدث لإنعام الله وإكرامه مع تصديق القلب بأداء الشكر .

وأما اللسان الروحانى فهو للخواص وهو ذكر القلب لطائف اصطناع الحق فى تربية الأحوال وتزكية الأفعال .

وأما اللسان الربانى فهو للعارفين وهو حركة السر لقصد شكر الحق جل جلاله بعد إدراكه لطائف المعارف وغرائب الكواشف بنعت المشاهدة والغيبة فى القربة واجتناء ثمرة الإنس وخوض الروح فى نحو القدس وذوق الأسرار بمباشرة الأنوار .

(كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠) .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى ابن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ٦ ، والترغيب والترهيب ، انتقاء شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى ـ صححه وضبطه محمد المجدوب / ٢٤٨ ، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٣١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠) .

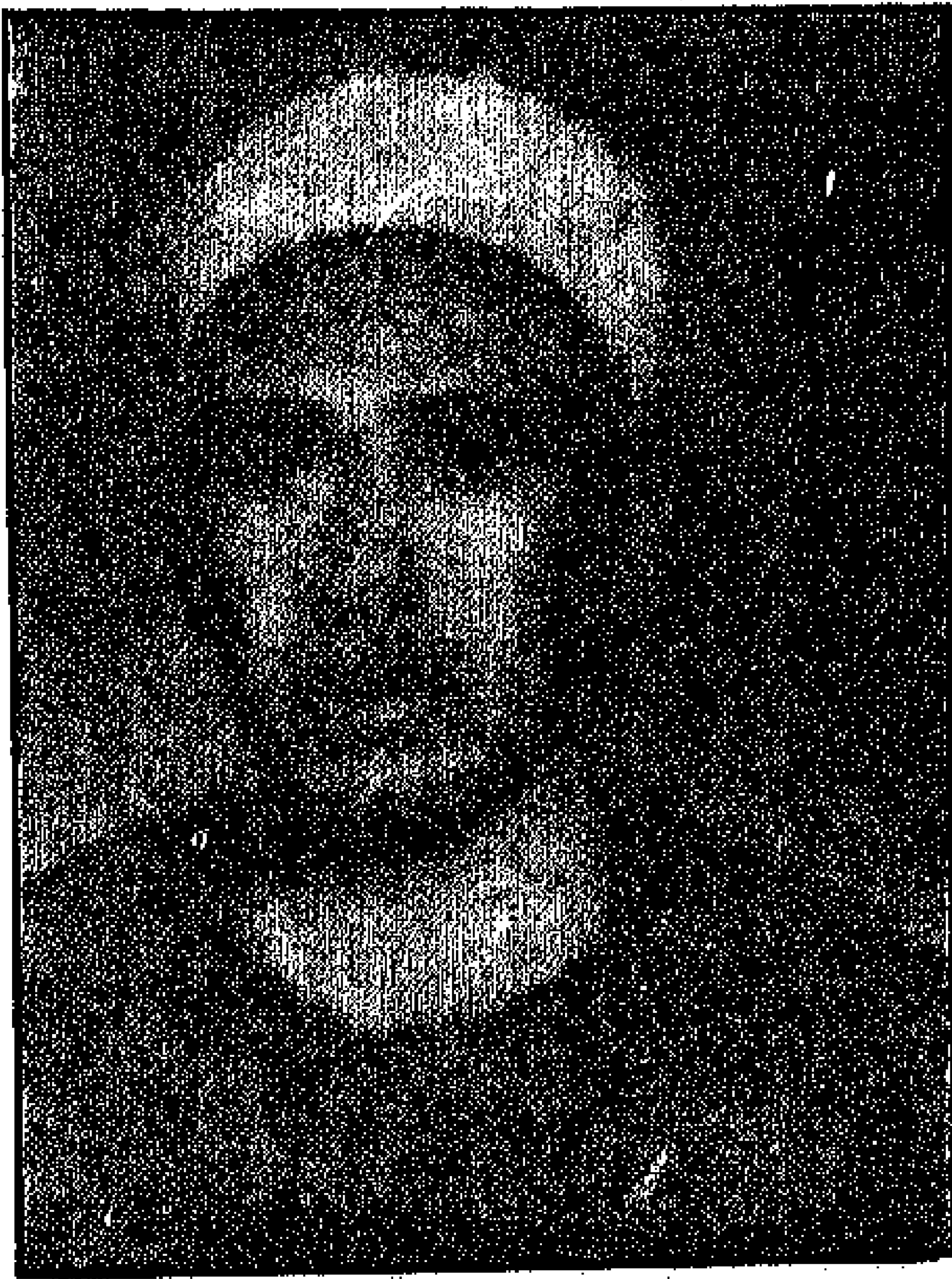
* **أبو الحمد أحمد موسى (— هـ / ١٩١١-١٩٨٦ م) :**

من أعلام الأزهر الشريف . ترجم له الأستاذ على أحمد عبد المجيد فقال :

كان رجلا من رجال العلم والدين ، من رجال الأزهر العاملين عاش طول عمره بعيدا عن دائرة الأضواء ، بعيدا عن وسائل الإعلام ؛ لم تكن له فى الصحف والمجلات مقالات كان يعمل فى صمت ، ولم يسع إلى منصب يجذبه سلطانه ، ويبهنه منه ضياؤه ، كان قانعا ، بما فيه راضيا بما أوتيه فضل الدرس والمحاضرة ، وآثر أن يبقى بين مريديه من طلاب العلم والمعرفة ينهلون من علمه وينتهجون منهجه عملا بقول رسول الله ﷺ : « سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره : من علم علما ، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له » .

ولد فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ أبو الحمد أحمد موسى ـ رحمه الله ـ فى قرية الخلافية (نجع الجبالى) ـ مركز جرجا ـ محافظة سوهاج فى ١٦/ ١١/ ١٩١١ وحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه وهو طفل صغير ، ثم التحق بمعهد « جرجا » الدينى فمعهد ، أسيوط بجامعة الأزهر ، وواصل تعليمه حتى نال شهادة العالمية (الدكتوراه) مع تخصص المادة سنة ١٩٤٧ عن رسالة : « عوارض الأهلية المكتسبة وأثرها فى الأحكام » ثم عين مدرسا بمعهد « سوهاج » ثم معهد « جرجا » ثم « كلية » الشريعة والقانون « بجامعة الأزهر » ثم أستاذاً مساعدا فأستاذا لمادة « الفقه المقارن » ثم رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات الإسلامية ـ جامعة الأزهر .

كان ـ رحمه الله ـ خير سفير لبلاده لأكثر من عشرين عاما فى الجامعات العربية ، أستاذا « بجامعة » الإمام محمد بن سعود بالرياض سنتى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ . ثم أستاذا « بجامعة دمشق » سنة ١٩٦٠ ثم أستاذا « بكلية الشريعة بعمان » ـ الأردن من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ ، وتخرج على يديه أول دفعة من هذه الكلية ، وأخيرا أستاذا « بجامعة الملك عبد العزيز » بمكة المكرمة من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٨٠ ، وحتى بعد بلوغه سن التقاعد سنة ١٩٧٦ ظل يعطى بلا كلل ،



ويحاضر بلا ملل، كان صدى عمله يشيع الثناء عليه ، ورنين الثناء عليه نغم يشدنا إليه ، فهو موضع تقدير دائم ، أينما حل يذكر به غزير علمه ودماثة خلقه ؛ وإشراقة وجهه؛ وطرافة حديثه، وبرغم حله وترحاله، وكثافة عمله نجد له أكثر من مؤلف يدل جميعه على اهتمامه بطلابه وغرس علوم الدين الحنيف فيهم ومن هذه المؤلفات :

١ ـ « النظم الإسلامية » كتابان سنة ١٩٦٢ .

٢ ـ كتاب « الفقه الإسلامي » بالاشتراك مع الدكتور عبد الله محمد عبد النبى سنة ١٩٦٤ .

٣ ـ محاضرات فى الأحوال الشخصية : (الطلاق الوصية، الوقف ، الميراث ، الفقه المقارن) سنة ١٩٦٦ .

٤ ـ « أحكام الأحوال الشخصية » ١٩٧٠ .

٥ ـ شارك فى كتاب « الفقه الإسلامى » (تنظيم الأسرة) سنة ١٩٧١ .

٦ ـ شارك أيضا فى تأليف كتاب (الفقه الإسلامى) « نظام الإسلام فى العلاقات الدولية » سنة ١٩٧٢ .

٧ ـ كتاب « الجرائم والعقوبات فى الشريعة الإسلامة » بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمود العكازى والدكتور منصور أبو المعاطى سنة ١٩٧٥ .

٨ ـ محاضرات (فى مصطلح الحديث)، تاريخ تطور تدوين الحديث، التعريف بأهم الرواه من الصحابة، شرح العديد من أحاديث صحيح البخارى .

٩ ـ تفسير سور « ق » و « البقرة » و « التوبة » .

١٠ ـ « مقدمة فى الفقه الإسلامى » سنة ١٩٦٦ .

وكان رحمه الله ـ برًّا بالأزهر ، فقد أوصى بمكتبته الخاصة وهى تحوى أمهات الكتب لفرع جامعة الأزهر المزمع إنشاؤه بمدينة « جرجا » وهى أمانة فى عنق أبنائه بمنزله « بحدائق حلوان » .

قال عنه الكاتب الإسلامى الأستاذ السيد حسن قرون ـ رحمه الله ــ يتحدث عن شىء عن ملامح شخصيته بجريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ٣/ ٥/ ١٩٨٧ .

« ما زلت أراه ساعيا نحو مكانه فى الأزهر خطوه لمس، وكلامه همس، وإشراقه الإيمان ، تحبوه هالة على وجهه فهو من عباد الرحمن » .

ـ رحم الله ـ شيخنا الدكتور أبو الحمد أحمد موسى وأجزل ثوابه .

دفن ــ رحمه الله ــ فى بلدته « الخلافية » من أعمال (جرجا) (سوهاج) يوم الخميس الموافق ٢٤/ ٧/ ١٩٨٦ عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاما .

(« من أعلام الأزهر : فضيلة الأستاذ أبو الحمد أحمد موسى » ـ الأستاذ على أحمد عبد المجيد . مجلة الأزهر الجزء الرابع ، السنة الخامسة والستون ، ربيع الآخر ١٤١٣ هــ اكتوبر ١٩٩٢ م/ ٥٥١، ٥٥٢) .

*** حمد الله الأماسي (-٩٢٦ هـ) :**

خطاط تركى

حمد الله مصطفى دده الأماسي المعروف بـ (ابن الشيخ) ظهر فى القرن العاشر، هاجر والده من بخارى إلى أماسيه وتوطن بها . ذكر أن حمد الله ولد سنة ٨٣٣ هـ .

سار على نهج الخطاط العراقى ياقوت المستعصمى ، ثم أخذه عن خير الدين المرعشى أحد تلاميذ عبد الله الصيرفى البغدادى فبرع فيه حتى فاق كتاب زمانه ، ولما تولى السلطان بايزيد السلطنة ، استقدمه إلى استانبول فى فترة سنة ٨٨٦ هـ واشتغل بالخط حتى تولى السلطنة السلطان ياووز سليم خان ثم جاء بعده السلطان سليمان القانونى وهو العصر العثمانى الذهبى .

إن الشيخ حمد الله من عظماء الخطاطين وضمن السلسلة الخطية المأخوذ عنهم ، خدمه الملوك ومسكوا الدواة بين يديه وأعطى من الشهرة والقبول ما لم يعط من قبله ولا من بعده لأحد بلغ من العمر (١١٠ سنوات) وأرخ رحيله بالحروف سنة ٩٢٦هـ .

كتب ابن الشيخ (٤٧) مصحفا بين كبير وصغير وكتب نحو ألف نسخة من سورة الأنعام والكهف وجزء عم كما كتب فى محراب جامع السلطان بايزيد، وعلى قبته وعلى الباب الأوسط .

بخطه مصحف شريف فى مديرية الآثار العامة فى بغداد، طبع له مصحف كتبه بخطه سنة ٨٩٧ هـ .

من تلاميذه ابنه مصطفى دده والسلطان بايزيد الثانى،

ويعتبر عبد الله الصيرفى البغدادى من أساتذته أيضا (نفائس الخط العربى / ٢٧٤، ٢٧٥) .

ويعتبر حمد الله الأماسى أول من وضع القاعدة التركية فى الخط التى بدأ بتحسينها والتى وصل قمتها إجادة من بعده مصطفى الراقم . توفى رحمه الله سنة ٩٢٦ وقيل ٩٣٦ والله تعالى أعلم وبلغ من العمر ١١٠ سنوات ودفن باسكدار (الخط العربى / ٩٦) .

كان سابقا لعصره . فلم يكتب الخطاطون بعده أجمل من خطه ، ولوحاته محفوظة فى متحف الأوقاف الإسلامية باستانبول .

باع الحكومة العثمانية قسما من مقتنياته لكبار الخطاطين وهى محفوظة الآن فى متحف « طوب قابى » فى استانبول (كيف نعلم الخط العربى / ٤٠) .

(نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش / ٢٧٤، ٢٧٥ ، والخط العربى : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ٩٦ ، وفيه أنه ولد ما بين سنة ٨٣٠ـ ٨٤٠ ، وكيف تعلم الخط العربى ـ معروف زريق / ٤٠) .



٣٠٦ ـ لوحة كاملة بخط الثلث والنسخ (بقلم حمد الله الأماسى).

ملاحظة : الصورة المصاحبة هى نموذج من خط حمد الله الأماسى أخذت من كتاب نفائس الخط العربى ، ص ١٩٣ شكل ٣٠٦

* **الحمدانيون :**

تتطلب معرفة أحوال الدولة الحمدانية الرجوع إلى أيام الأتراك أصحاب وظيفة « أمير الأمراء » فى بغداد، واستبداد أولئك الأمراء بالسلطة من دون الخليفة العباسى . ذلك أن بعض القبائل العربية التى سكنت بادية الشام ووادى الفرات استغلت ضعف الخلافة العباسية واستقلت بالمدن والقلاع الواقعة فى أرضها ، ومن أمثلة ذلك ما قامت به قبيلة تغلب، إذ استطاعت بفضل أبناء زعيمها حمدان بن حمدون أن تؤسس دولة لها فى شمال العراق ، وأن تتخذ من مدينة الموصل عاصمة لها (٣١٧ـ ٣٥٨ هـ/ ٩٢٩ ـ ٩٩١ م) .

وتعصبت هذه الدولة للعروبة ، وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية ، فجاء زعيمها الحسن بن عبد الله الحمدانى إلى بغداد ، ومعه أخوه ، لمناصرة الخليفة المتقى بالله (سنة ٢٣٠ هـ/ ٩٣١ م) وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمدانى بأن عينه فى وظيفة « أمير الأمراء » ومنحه لقب ناصر الدولة . ثم منح المتقى أخا ناصر الدولة الحمدانى لقب سيف الدولة . على أن الأتراك استطاعوا بزعامة قائدهم توزون أن يطردوا الحمدانيين من بغداد ، وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٣١ هـ/ ٩٤٢م .

وتطلع سيف الدولة بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلى شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٣هـ/ ٩٤٤ م إلى شمال الشام واستولى على حلب ، وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الأخشيدية ، صاحب السيادة إذ ذاك على مصر والشام . وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب حلب ، على حين أصبح البويهيون وقتئذ أصحاب الأمر فى بغداد وظلت الدولة الحمدانية وعاصمتها حلب قائمة فى شمال الشام حتى سنة ١٠٠٣ م (تاريخ العالم الإسلامى / ٢٨٨، ٢٨٩) .

لقد كان الحمدانيون عربا من قبيلة تغلب كما سبق القول، فيهم كثير من صفات العرب السامية ، فكانوا يفهمون الشعر، ويدركون ما فيه من روعة وجمال ، وكان من قبيلتهم فى الجاهلية عمرو بن كلثوم أحد أصحاب المعلقات .

والحمدانيون جديرون بعطف التاريخ ، وأن تشيعهم الأقلام بكلمات ـ الإعجاب والثناء ، لأنهم فى مدة قصيرة من الزمان أحيوا آداب العرب ، وأخلاق العرب ، التى محيت أو كادت تمحى فى عصر غلبت فيه العجمة ، وسيطر فيه الأعاجم على دول الإسلام ، ذلك العصر الذى يقول فيه المتنبى :

بكل أرض وطئتها أمم
تُرعى بعبد كأنها غنم

(المفصل ٢ / ٤٦) .

وخلفت الدولة الحمدانية فى حلب آثارا جليلة فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، وفى مجد المسلمين ، رغم قصر مدتها ويعزى الفضل فى ذلك إلى مؤسسها سيف الدولة الحمدانى ، فقد كان من أنصار العلم ، شغوفا بعقد المجالس الأدبية الزاخرة بالأدباء والشعراء ، ولذلك اجتذبت مجالسه المشهورين فى تاريخ الحضارة الإسلامية أمثال المتنبى الشاعر ، والخطيب الفصيح ابن نباتة الذى ألهبت عظاته حماسة مستمعيها وبعثتهم إلى الاشتراك فى الجهاد ضد الدولة البيزنطية (تاريخ العالم الإسلامى / ٢٨٩) .

(تاريخ العالم الإسلامى ـ د. إبراهيم أحمد العدوى / ٢٨٨ ، ٢٨٩ والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٤٦) .

انظر : سيف الدولة .

*** الحمدلة :**

انظر : الحمد .

*** حمدون (ـ بعد سنة ٢٠٠ هـ) :**

هو النحوى المغربى محمد بن إسماعيل ، نشأ بالقيروان ، وتلقى عن المهرى ، ثم بلغ الغاية فى النحو والغريب ، وهو أول من عرف بحفظ كتاب سيبويه ، وطبعى أن الكتاب كان فى المغرب ، ولا يعرف على التعيين أول من جلبه ، ولحمدون كتب فى النحو ، وتوفى بعد سنة ٢٠٠ هـ .

(نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٢٦) .

*** حمدون القصار (ــ ٢٧١ هـ) :**

أدرجه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الأولى للصوفية وقال عنه :

أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى ، شيخ أهل الملامة بنيسابور ، ومنه انتشر مذهب الملامة .

صحب سلم بن الحسن الباروسى ، وأبا تراب النخشبى ، وعليا النصراباذى . وكان عالما فقيها ، ويذهب مذهب الثورى ، وطريقته طريقة اختص هو بها ، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه ، كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل صاحبه عنه .

توفى حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور ، ودفن فى مقبرة الحيرة .

وأسند الحديث عن أبى برزة الأسلمى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه ، وعن علمه ما عمل فيه » .

قالت المؤلفة : أورده الإمام المناوى بخمسة ألفاظ مختلفة فارجع إليه إن شئت فى « الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور » ٣ / ٩٧ ورقة أ ، ورقة ب .

ومن كلامه :

ـ سئل : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى فى علمه ، أو خاف هلاك إنسان فى بدعة ، يرجو أن ينجيه الله تعالى منها بعلمه .

ـ وقيل له : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا ، وقبول الخلق .

ـ أصل رفع الألفة من بين الإخوان حب الدنيا .

ـ وتكلموا بين يديه يوما فى حفظ الأمانات فقال : قد تحملت من الأمانة ما لو اشتغلت به لشغلك عن كل أمانة بعدها .

ــ وقال رجل من أصحابه : كيف أعمل ؟ لا بد لى من معاملة هؤلاء الجند ، فماذا ترى لى ؟ فقال : إن كنت تعلم يقينا أنك خير منهم ، فلا تعاملهم .

ـ وسأله يوما أبو القاسم المنادى عن مسألة ، فقال له

حمدون : أرى فى سؤالك قوة وعزة نفس ، أتظن أنك بلغت بهذا السؤال الحال الذى تخبر عنه ؟ أين طريقة الضعف والفقر ، والتضرع والالتجاء؟ عندى أن من ظن نفسه خيرا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر .

ـ مذ علمت أن للسلطان فراسة فى الأشرار ما خرج السلطان من قلبى .

ـ إذا رأيت سكران فتمايل لئلا تنعى عليه ، فتبتلى بمثل ذلك .

ـ وقال له ابن منازل : أوصنى . فقال حمدون : إن استطعت ألا تغضب لشىء من الدنيا فافعل .

ـ من ضيع عهود الله عنده فهو لآداب شريعته أضيع ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

ـ استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون .

ـ وقال له رجل : أوصنى بوصية . فقال : إن استطعت أن تصبح مفوضا ـ لا مدبرا ـ فافعل .

ـ قعود المؤمن عن الكسب إلحاف فى المسألة .

ـ من أصبح وليس له هم إلا طلب قوت من حلال ، وهم ما جرى فى سابق العلم له أو عليه ، فإنه يتفرغ إلى كل شىء .

ـ من تحقق فى حال لا يخبر عنه .

ـ أوصيكم بشيئين : صحبة العلماء ، والاحتمال عن الجهال .

ـ من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل : إما فى الدنيا ، وإما فى الآخرة .

ـ من نظر فى سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

ـ كفايتك تساق إليك باليسر من غير تعب ، وإنما التعب فى طلب الفضول .

ـ من غفلة العبد أن يتفرغ من أمر ربه إلى سياسة نفسه .

ـ لا يجزع من المصيبة إلا من يتهم ربه .

ـ الكياسة تورث العجب .

ـ لا أحد أدون ممن يتزين لدار فانية ، ويتجمل لمن لا يملك ضره ونفعه .

ـ تهاون بالدنيا ، حتى لا يعظم فى عينيك أهلها ومن يملكها .

ـ جمال الفقير فى تواضعه ، فإذا تكبر بفقره فقد أربى على الأغنياء فى التكبر .

ـ لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك .

ـ من رأيت فيه خصلة من الخير فلا تفارقه ، فإنه يصيبك من بركاته .

ـ وسئل عن طريق الملامة ، فقال : خوف القدرية ورجاء المرجئة .

ـ من استطاع منكم ألا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٢٩ ـ ٣١) .

*** الحمدويى :**

الحمدويى : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وفى آخرها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، هذه النسبة إلى حمدويه وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ، وهم جماعة ، منهم أبو القاسم يحيى بن على بن محمد ابن حمدويه الحمدونى الكشميهنى ، من أهل قرية كشميهن ، كان إماما فاضل مفتيا مناظرا صالحا ورعا متقيا ، تفقه على جماعة ، منهم أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى ، وسمع الحديث الكثير ، وأملى ، وكتبوا عنه ؛ سمع أباه أبا الحسن وأبا الهيثم محمد بن المكى الكشميهنى وأبا العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان السنجى وأبا سعد أحمد بن محمد بن أحمد المالينى وأبا محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الوراق بمرو وأبا على الحسن بن أبى بكر بن شاذان البزاز ببغداد وأبا بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبى بأصبهان وأبا الحسين عبد الله بن الحسين الكوفى بالكوفة وغيرهم ، روى لنا عنه أبو الفضل محمد بن أبى نصر المسعودى وأبو عبد الله محمد بن أبى ذر الجوبانى وأبو الحسن على بن أبى القاسم الصباغ وغيرهم ، وكانت ولادته فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وتوفى فى صفر سنة تسع وستين وأربعمائة ، ودفن بقبور كران .

وأبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الحمدويى من أهل بنج ديه ، كان فقيها ورعا حسن السيرة ،

تفقه على والدى رحمه الله ، وسمع جامع أبى عيسى ببغشور من أبى سعيد محمد بن على بن أبى صالح القاضى عن الجراحى عن المحبوبى عنه ، وسمعت منه ذلك ، وسمع أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى وأبا أحمد الحسن بن أحمد بن يحيى الكاتب وأبا بكر عبد الغافر بن محمد الشيرويى وغيرهم ، وكانت ولادته بعد سنة سبعين وأربعمائة بمرست إحدى القرى الخمس . والخطيب أبو الحسن على ابن أحمد بن نصر بن محمد بن إبراهيم بن حمدويه بن قطن ابن فرزدق بن طرخان السلمى الحمدويى الأشتيخنى ، نسب إلى جده الأعلى حمدويه ، وهو من أهل أشتيخن ، وكان لقطن إخوة أحدهم عبد الرحمن السلمى معلم الحسن والحسين ؟ وهو بسغد ، ومحفوظ السلمى ، وهو ببلخ ، ومحمد ، وهو بخانقين فى العراق ـ ذكره أبو عبد الله بن منده الحافظ الأصبهانى فى تاريخه ؛ وتوفى أبو الحسن الخطيب بأشتيخن غرة ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ؛ عاش مائة وثلاث عشرة سنة ؛ يروى عن أبى محمد عبد الملك بن عبد الرحمن الأسيرى سمع منه عمر بن محمد بن أحمد النسفى الحافظ .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٠ ، ٤٥١) .

* **أبو الحمراء :**

قال ابن عبد البر: أبو الحمراء . مولى النبى ﷺ . قيل اسمه هلال بن الحارث . ويقال هلال بن ظفر حديثه عن النبى ﷺ أنه كان يمر ببيت فاطمة وعلى رضى الله عنهما فيقول : « السلام عليكم أهل البيت **﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾** » [الأحزاب : ٣٣] .

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣٣) .

* **حمدى عُبَيْد (١٣٠٧-١٣١٩هـ / ١٨٨٩-١٩٧١م) :**

حمدى عبيد (أبو أسامة) بن محمد حسن بن محمد بن يوسف بن عبيد بن محمد سليمان (آغا) بن عبد الرحمن ، الأنصارى ، الخزرجى : من ذرية الصحابى المعروف أنس بن مالك رضى الله عنه ، فاضل ، مصلح ، من أهل دمشق مولدا ونشأة ووفاة قرأ على مشايخ دمشق ، وتميز بانكبابه على الدراسة والعلم والدين .

افتتح مع أخيه توفيق محلا للعقادة فى سوق الخياطين ثم بسوق الحمدية ، قبل أن ينضما معا (عقب الحرب العالمية الأولى) إلى أخيهما الأصغر أحمد عبيد ، مؤسس المكتبة العربية بدمشق (انظر ترجمته فى م ٢ / ٦٧٨ ـ ٦٨٣ من هذه الموسوعة) .

زار مصر وفلسطين والحجاز ونجد ، ودرس ، وخطب ، وأم فى بعض مساجد دمشق ، وله محاولات شعرية .

صنف : « المختار من الأدعية والأذكار » و « الأحاديث النبوية » فى الأخلاق والاجتماع والمدنية ، و« من تراث النبوة » فى العلم والحكمة والأخوة و « من عيون الأخبار » و « من صميم الحياة » و « إلى الحياة » و « خطب حمدى عبيد » و «كلمات حمدى عبيد » و « مقالات صغيرة » و « تفسير غريب القرآن » ، وجميعها مطبوعة منتشرة .

قال المرحوم أحمد عبيد قبر شقيقه حمدى عبيد :

هذا (عُبَيْدُكَ حمدى) أتى يؤم رحابك
فلقه منك روحا واجنبه رب عذابك
قد كان برا تقيا يخشى ويرجو ثوابك

(أمين التراث العربى ـ زاهر أحمد عبيد / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦) .

* **حمراء الأسد (غزوة .) :**

وكانت واقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة فلما كان من الغد يوم الأحد أمر رسول الله ﷺ بالخروج فى إثر العدو ، وعهد أن لا يخرج معه إلا من حضر المعركة ، فاستأذنه جابر بن عبد الله فى أن يفسح له فى الخروج معه ، ففعل وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام ممن استشهد يوم أحد فى المعركة .

فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والقرح وخرج

رسول الله ﷺ مُرهبا للعدو، حتى بلغ موضعا يدعى حمراء الأسد على رأس ثمانية أميال من المدينة ، فأقام به يوم الإثنين، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة . قال ابن إسحاق : وإنما خرج بهم رسول الله ﷺ مرهبا للعدو وليظنوا أن بهم قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

(وفى هذه الغزوة نزلت الآيتان الكريمتان : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾ ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾) [آل عمران : ١٧٢، ١٧٤] .

وكان معبد بن أبى معبد الخزاعى قد رأى خروج رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد ، ولقى أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء ، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ فى طلبهم ، ففت ذلك فى أعضاد قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة ، فكسرهم خروجه ﷺ، فتمادوا إلى مكة .

وظفر رسول الله ﷺ فى خروجه بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية ، فأمر بضرب عنقه صبرا ، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان .

(انظر فى غزوة حمراء الأسد ابن هشام ٣ / ١٠٧ والواقدى ٣٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٤ والطبرى ٢ / ٥٣٤ وابن حزم ص ١٧٥ وابن سيد الناس ٢ / ٣٧ وابن كثير ٤ / ٤٨ والنويرى ١٧ / ١٢٦ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٣٦) .

(الدرر فى المغاوى والسير لابن عبد البر ـ تحقيق د . شوقى ضيف / ١٥٨ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

* **الحمراء (زاوية ـ) :**

انظر : الحمراء (مدرسة ـ) .

* **الحمراء (قصر ـ) :**

كان يوجد مقابل غرناطة على أحد تلالها قلعة بنى الأحمر وقصورهم الحصينة التى شكلت فى مجموعها مدينة «الحمراء» بدأ بناءها مؤسس الأندلس : محمد بن يوسف بن الأحمر الذى لقب نفسه « الغالب بالله » ثم عمل من خلفوه على توسيعها وتجميلها . وأشهر آثارها قصر الحمراء، وهى الآثار الباقية حتى اليوم من أطلال غرناطة (تاريخ الفن / ٤٩) .

ويلخص الدكتور حسن الباشا خصائص قصر الحمراء فيقول :

يقوم قصر الحمراء على ربوة عالية تطل على مدينة غرناطة ويتألف تصميمها بصفة عامة من وحدات من العمائر مستقلة بعضها عن بعض ويتألف كل منها من فناء أوسط تحف به المبانى، وكان المدخل الرئيسى فى الجانب الغربى .

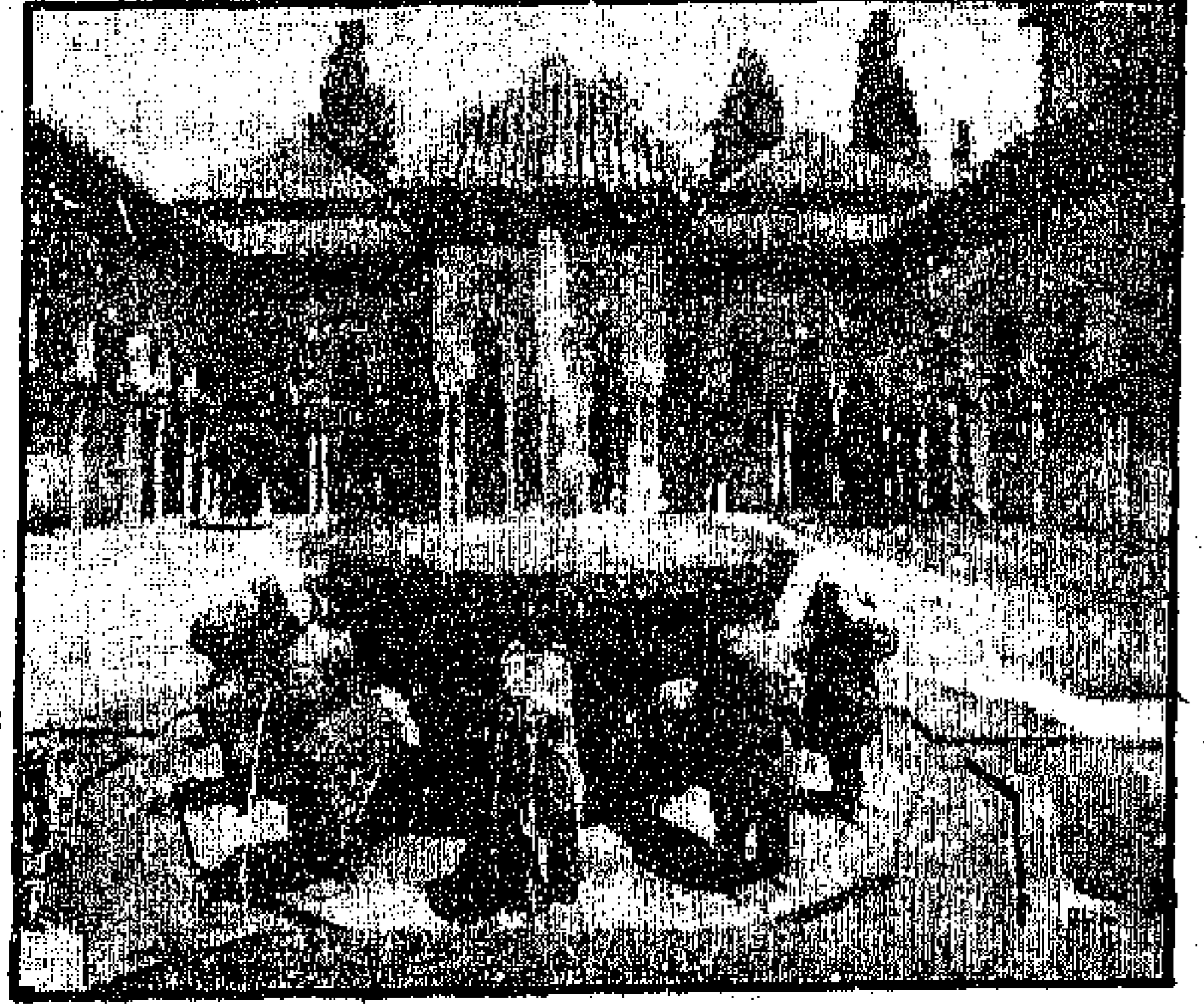
وبدأ تشييده أبو الحجاج يوسف الأول من بنى الأحمر (٧٣٣ هـ ـ ٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ ـ ١٣٤٥ م) ، وأتمه ابنه محمد الخامس الغنى بالله (٧٥٥ ـ ٧٩٣ هـ / ١٣٥٤ ـ ١٣٩١ م) وينسب إلى يوسف الأول السور الذى يحيط بمرتفع الحمراء بما فيه من أبراج وبوابته المعروفة باسم باب الشريعة (لأنه يؤدى إلى مصلى العيدين) وباب العدل (وجد عليه صورة كف مفتوح يرمز إلى العدل وصورة مفتاح يرمز إلى مدخل الحمراء) وينسب إليه أيضا قصر البرطل (الظلة التى ترتكز على بائكة القصر الواقعة بين برج السيدات والمصلى الصغير) وبرج الأسيرة ، وبرج الشرفات ، وبرج مخدع الملكة ، وذلك فضلا عن قصر السلطان نفسه الذى يعتبر أجمل عمائره قاطبة، ويتوسطه برج قمارش وبه قاعة السفراء؛ وبالقصر أيضا بهو البركة وبهو الريحان والحمامات السلطانية .

أما محمد الخامس فينسب إليه مبانى قصر السباع ومنها بهو السباع وفى جوانبه الأربعة بوائك أربع وتتوسطه نافورة أو فوارة تقوم على حوض تحته اثنا عشر تمثالا لأسود على هيئة دائرة .

ويتألف بهو السباع من مستطيل أبعاده ٢٨,٥ × ١٥,٧٠ مترا ، وعلى جانبيه القصيرين جوسقان مقبيان يرتكزان على أعمدة ، ويتقاطع محورا البهو ، وهما على شكل قناتين وحول البهو قاعات منها قاعة الملوك أو قصر العدل ، وقاعة بنى سراج وقاعة الأختين .

وتتميز عمارة الحمراء بالأعمدة الرشيقة والعقود المفصصة والقباب المقرنصة والأسطح الجمالونية والزخارف الجصية المزدحمة من نباتية وهندسية ممتزجة بالكتابات العربية الجميلة التى تشتمل فيما تشمل على شعار بنى الأغلب ونصه « ولا غالب إلا الله » .

وتتداخل عمائر الحمراء مع الأشجار والأزهار والأفنية



منظر عام لبهو الاسود

والنافورات ومجارى المياه فتعطى منظرا من أبهى المناظر بحيث وصفت بحق بجنة الله على الأرض ، وهى توحى بأنها من عمل قوم مترفين أغرقوا أنفسهم فى الاستمتاع بلذة الحياة الدنيا (مدخل إلى الآثار الإسلامية / ٢٢٩ ، ٢٣١) .

ويتكلم الدكتور ثروت عكاشة على قصر الحمراء ، ذلك الذى شيده الأمير محمد فيقول :

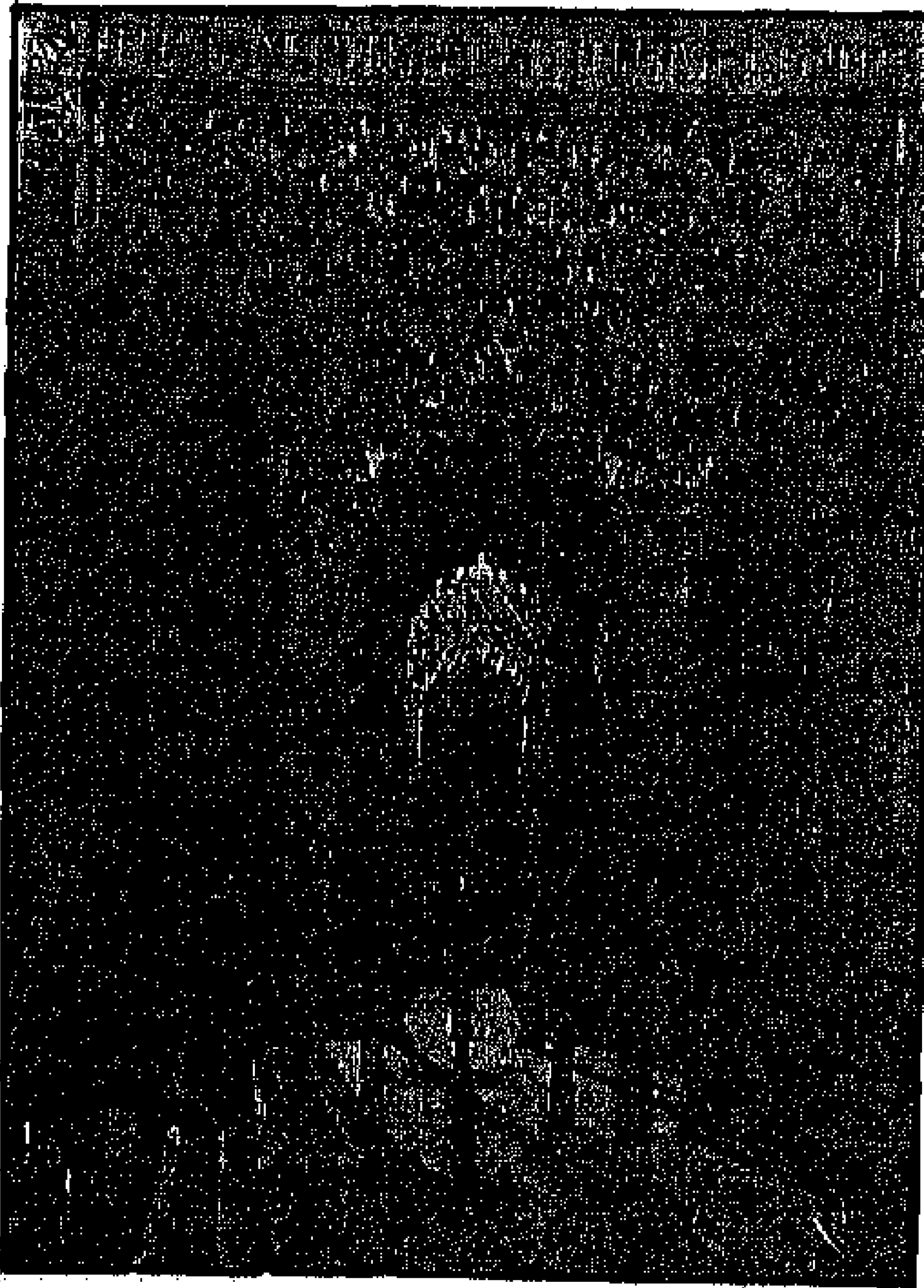
كانت غرناطة عاصمة الأمير محمد بن الأحمر عام ١٢٣٨م وقد ظلت محتفظة باستقلالها برغم تبعيتها لقشتالة فى الوقت الذى منيت فيه الممالك الإسلامية المجاورة بالهزائم طوال مائتين وخمسين عاما . وقد شيد الأمير محمد قصره المنيف المعروف بالحمراء فوق القصبة التى تحتل تلا شديد الانحدار يطل على المدينة ، ظل العمل يجرى فيه حتى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ .

وعلى الرغم من هدم بعض أجزائه من أجل تشييد قصر كارلوس الخامس على طراز عصر النهضة [الذى تهدم هو الآخر] فإن أطلال جناح المعيشة والمقر الملكى والثكنات والحظائر والمساجد والمدارس والحمامات والمقابر بجداول نهر دارو التى تتخلل هذه الأطلال ومنظر الجبال المكسوة بالجليد المشرفة عليها والتى يتوسطها حوض النهر الخصيب ، كل ذلك قد جعل من قصر الحمراء واحدا من أشهر القصور الملكية الإسلامية .

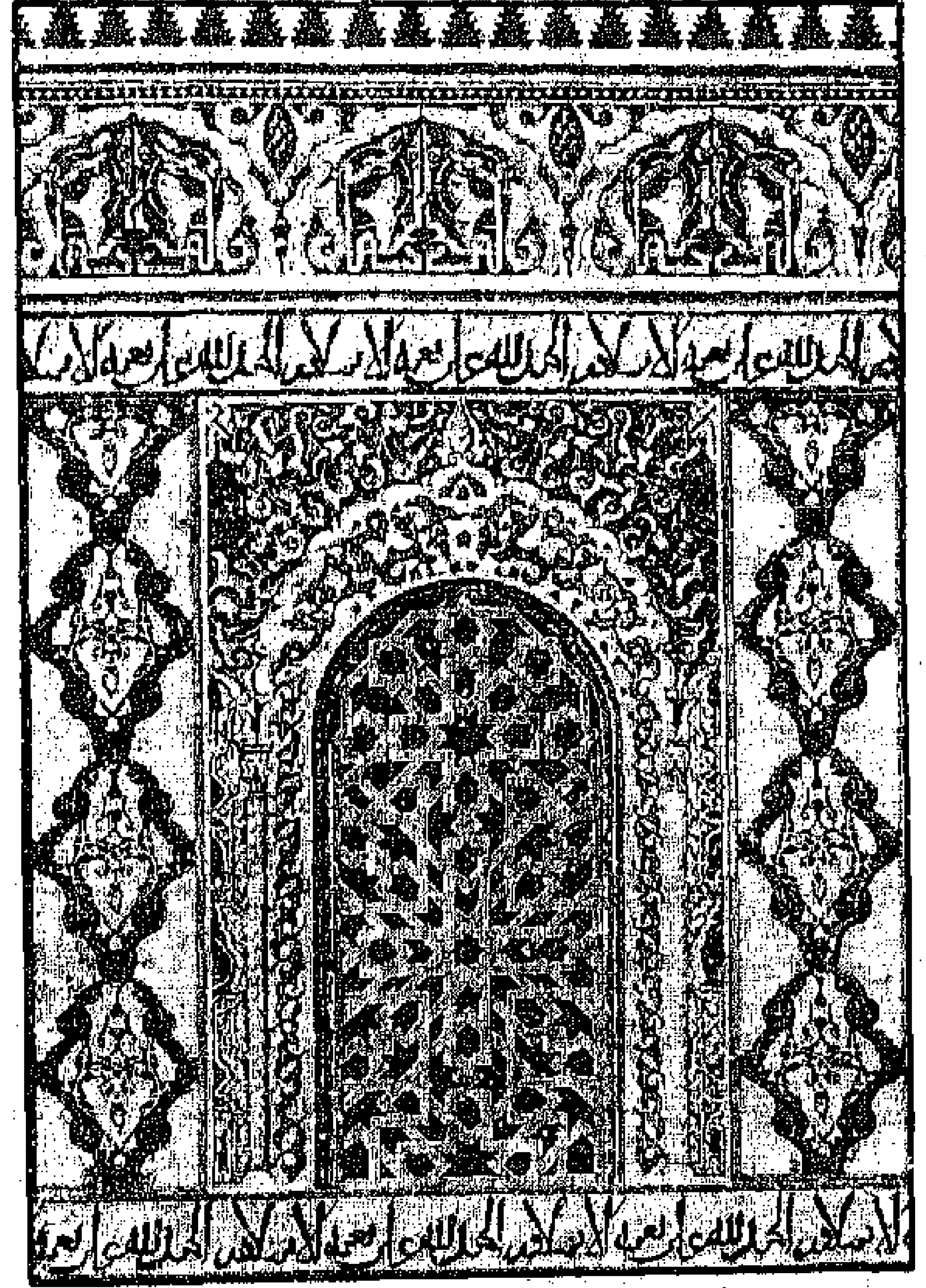
ولم يتم تشييد هذا القصر وفقا لتخطيط وضع مسبقا بل جاء نتيجة إضافات متتالية استمرت ما يقرب من مائتين وخمسين سنة ، كان القصر خلالها مستخدما غير مهجور . ويتكون القصر فى تصميمه من أفنية يفضى أحدها إلى الآخر، يزداد كل منها عما يسبقه انزواء .

ويتصدر الفناء الخارجى الأول مسجد ، تعقبه قاعة الجلسات الرسمية فى الفناء التالى ، ولعلهما كانا يمثلان الجزء العام من القصر ، يلى ذلك قاعة الاستقبال الخاصة وبهو الشرف وقاعة العرش ويمتد أمامها فناء الريحان الذى كان يملأ الجو بشذاه العطرى ، وصوت خرير المياه الجارية ، وينسب هذا الفناء إلى يوسف الأول . يعقب ذلك جناح السكنى الملكى بحدائقه ومقاعده المطلة على الحدائق والحمامات ، ولكل منها صحنه الخاص . وتنتهى هذه المجموعة بصحن الأسود الذى شيده محمد الخامس (١٣٥٠ - ١٤٠٠) . وكان محرما حتى على أقرب المقربين إلى الملك .

وتنبثق مبادئ تصميم قصر الحمراء المعمارية من منابع إسلامية أصيلة ، فمبانيه مفتوحة على الداخل ، تعزلها عن الخارج أسواره الصماء التى يخفف من صرامتها إضفاء الزمن



منظر يبدو فيه تناسق سوارى بهو الأسود فى الحمراء

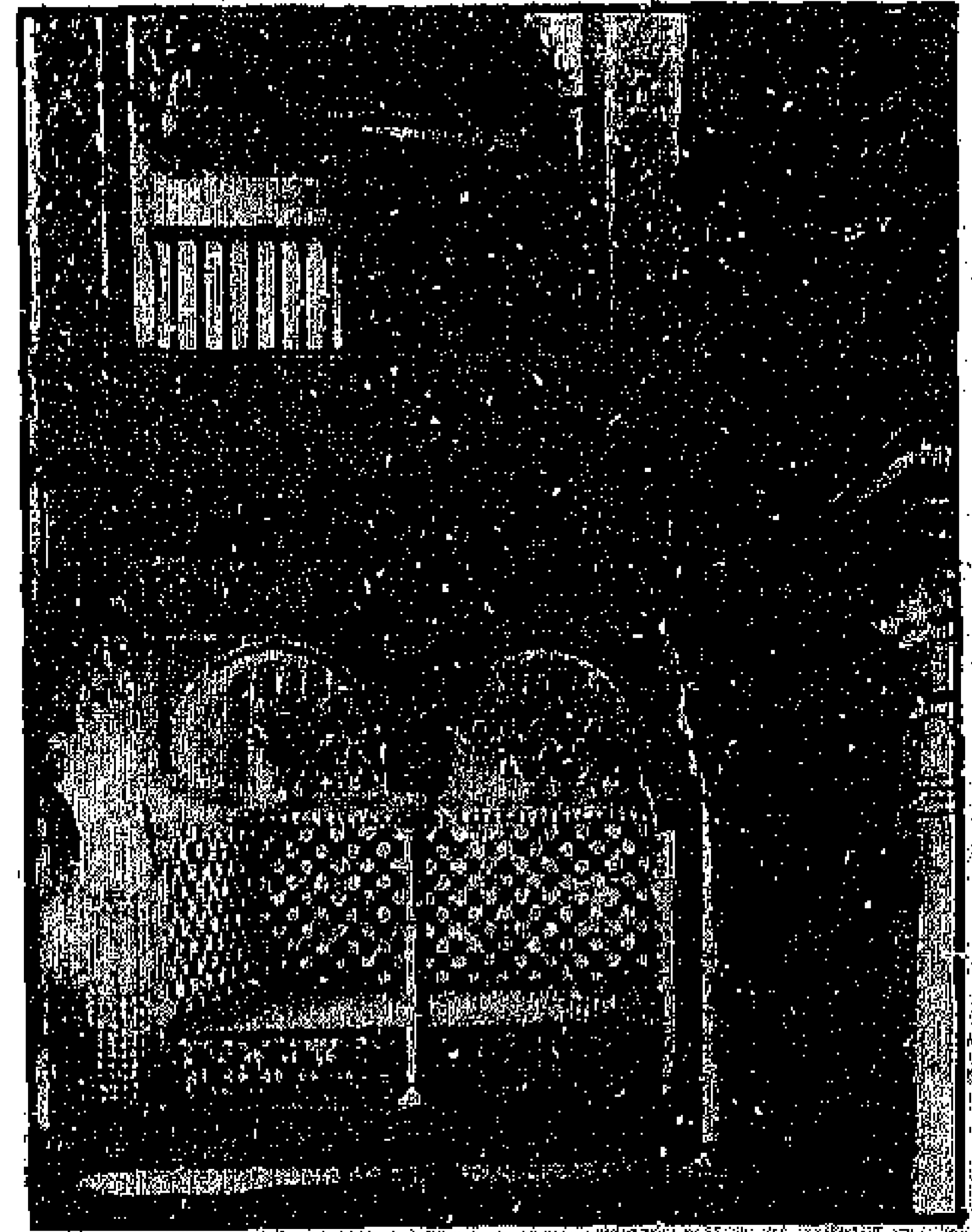


تشكيل نافذة في قصور الحمراء .

ويتناول الأستاذ وجدان على بن نايف قصر الحمراء باعتباره مجموعة من القصور وليس قصرا واحدا فيقول :

تشكل قصور الحمراء مدينة ملكية متكاملة ، بناها بنو نصر على مشارف تلة سبيكة المطلة على مدينة غرناطة ، وهى فى الأصل قلعة من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى أقيمت لأغراض دفاعية عسكرية .

وتتألف قصور الحمراء من مجموعة من القصور والأبراج والممرات والحدائق والقصبة وحمام ، ومقبرة ملكية تحيطها الأسوار الخارجية التى تخترقها الأبواب الكبيرة مثل باب الخمر، وباب القصبة ، وباب الشريعة الذى أقيم عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ويبلغ ارتفاعه أكثر من عشرين مترا وعرضه خمسة عشر مترا ، كما يتخلل السور العديد من الأبراج ، شيد بعضها لأغراض دفاعية : وهى برج السلاح ، وبرج فيلا ، وبرج الجرس الذى كان يدق جرسه ليعلن عن الوقت فى الليل وينظم مواقيت الرى فى النهار ، ويوم سقطت غرناطة رفع الإسبان أعلام ملوك الكاثوليك من فوقه ، وحتى اليوم جرت العادة أن تضرب النواقيس فى يوم ٢ كانون الثانى من كل سنة احتفاء بهذه الذكرى .



قاعة الاستراحة بالحمام في قصور الحمراء

لونه على صقل أسطحها . وهكذا لم يكن للقصر واجهة خارجية إذ تنفتح كافة عناصره المعمارية على صحون داخلية ذات نافورات وحدائق خضراء (القيم الجمالية / ٢١٨ ، ٢١٩) .



إحدى نوافذ شرفة قاعة الأختين في الحمراء

أمـا الأبـراج التى لا تخـدم أغـراضـا عسكـريـة فهى بـرج السيدات ، وبـرج قمارش، وغيرها ، أقيمت من نـاحية وادى الحـدرة: وهو واد عميق الهـوة ، ويصعب اجتيازه ، وكـانت تستخـدم هذه الأبـراج لسكن الأمراء والأميـرات والقادة وأفـراد الحـاشيـة ، ويبلغ عـدد الأبـراج والأبـواب المحصنـة ثـلاثـة وعشرين ، وبـالرغم من أن مواد البناء فى قصـور الحمراء هى مـواد سريعـة التلف ، كـالطوب والخشب والصلصـال، فإن معظم أجزائه ما زالت قائمة وبحالة معمارية ممتازة .

وقـد اتبع فى تقسيمهـا نظـام المـدينـة العسكـريـة داخل المدينة المـدنية ، وتم بناؤها على عـدة مراحل ، وتقسم إلى ثلاثـة أقسام هى : القصبة فى الغرب، والقصـور الملكية فى الـوسط، والأحيـاء العـامة فى الشـرق ، كمـا أنهـا تتصل من الشرق بحـدائق جنة العريف ، وهـى منتزه فوق هضبـة خـارج أسـوار الحمراء ، ويعـود تـاريخها إلى الثلث الأول من القـرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى .

وقد قام المعماريون باستغـلال موقع الحمراء بين الغابات الكثيفة الممتـدة على سفح سلسلة جبال سِيِّرا نيفـادا المغطاة قممها بالثلـوج ، والمناظر الطبيعية الخـلابة التى تحيطها من كل الجهات ، فأدخلوا الطبيعة إلى المبـانى عن طريق النوافذ الكبيرة ، والشرفـات ، وبرك الماء الموصولـة بالسواقى داخل الغرف وخارجهـا ، والباحات ، والجنان، والحـدائق الغناء، مع الاحتفاظ بحجم طبيعى للغرف والقـاعات بحيث تتناسب مع حجم الإنسـان ومتطلبـاتـه دون مبـالغـة فى المسـاحـات والارتفاعات .

واشتهرت الحمـراء بساحاتها الخـارجية الجميلة كسـاحة الآس أو باحـة قمارش، وهى عبارة عـن باحة فسيحـة الأرجاء تـتوسطهـا بـركة كبيـرة مستطيلـة الشكل تمتـد على جـانبيهـا شجيرات الآس، وهـو الريحان الشـامى، وتعيش فيها ، بين زهور النيلوفر، الأسماك الذهبية الصغيرة ، وفى طرفيها فوارتان تصبان الماء، ويطل على الباحة من الشمال والجنوب رواقان محمولان على أقـواس نصف دائرية ترتكز على سـوارى رفيعة أنيقة ويميـز هذه السـاحة نقاء خطـوطها وبسـاطة تقسيمـاتها وانعكاس صورة العمارة حولها فوق سطح ماء البركة كأنها مرآة من الفضة وهى ميزة مهمة فى الحديقة الإسلامية .

ويمضى المـؤلف فيصف الأروقـة والبـاحات والقـاعـات قائلا :

ولـلأروقة وظيفـة مهمة فى تحـويطهـا للباحـة أو الصحن المكشوف للمبنى . فـالصحن عبارة عن فجوة كبيرة مفتـوحة على السماء، تـوزع حولهـا الغرف فتزودهـا بالضـوء والهواء، ولكنهـا تعـرضهـا أيضـا للمطـر والشمس والـريح وتقلبـات الطقس، لذا لزم حمايتها من العـوامل الطبيعية بواسطة الأروقة التى هى بمثابة الميزان الـذى يقنن ضوء الشمس وحرارته قبل دخولهما إلى الغرف، كما أنها تكسر من حدة الريح والمطر .

والباحة الثانية الجميلة فى الحمراء هى « باحة الأسُود » أو « صحن السباع » فأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى البركة التى تتوسطها ويحيطها اثنا عشر أسدًا من المرمر ، يخرج الماء من أفواهها ليصـب فى أربعة جداول متقاطعة تنسـاب فى مجارى لتنتهى اثنتان منهما بفوارتين صغيرتين داخل القاعتين الواقعتين فى شمـال وجنوب الصحن ، تـرطبان وتمـلآن أرجاءهـا بنغم خـريـر الميـاه ، أمـا الجدولان الآخـران فهمـا أقصـر بكثيـر، وينتهيـان بفـوارتين فى صحن الأسـود، هـذا ويحيط بحـافـة الحوض شـريط خطى نقش على الحجر لاثنى عشـر بيتا من شعـر ابن زمـرك فى قصيـدة له يمـدح بهـا السلطـان ويصف قصوره الملكية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تماثيل السباع قد نحتت بطريقة مؤسلبـة بعيـدة عن محـاكـاة الطبيعـة ؛ ومن المعـروف أن المجسمـات التى تمثل الأشكـال الآدميـة والحيوانيـة كـانت منتشـرة فى الأنـدلس وبـلاد المغرب قـاطبـة ، ولا سيمـا فى الحمامات وحول البرك والنوافير وأحواض المياه .

وتحيط بباحة الأسود أربعة أروقة ذات أعمدة من الرخام ، مفردة ومـزدوجة ، تحمل أقواسـا حدويـة ومفصصة، كسيت بالـزخرفة الجصية المعقـدة التى امتازت بها قصـور الحمراء، وقـد جمعت هذه الأروقـة ، فى توافـق واتزان ، مـا بين متانـة البنيان وجمال الشكل ، وهو أسمى مبدأ يمكن أن يتوصل إليه فن العمارة ، وذلك بالتمـويه عن الوظيفة الأساسيـة للأعمدة والأقواس، وتحـويلها من عناصر معمـارية بحتة إلى عنـاصر زخرفية عن طريق اتباع خطوات بسيطة : منها مثلا : التلاعب بفتحة القوس بـالنسبة لتاج العمود ، ورفعهـا إلى ارتفاع أعلى

من المعتاد، فيبدو القوس وكأنه علق فى الهواء، ويضفى عليه صبغة من الأناقة والرشاقة ، و كساؤه بالجص المخرم مما يزيد من شفافيته ونعومة مظهره .

ولحماية الأقواس من العوامل الجوية قام المعمار بإضافة مظلة بارزة مغطاة بنفس القرميد الذى كسى به سقوف الأروقة والحجرات .

وتوجد فى الحمراء عدة قاعات أهمها قاعة القارب، وقد صنع سقفها الأفقى من خشب الأرز المنقوش بالألوان ، وقاعة السفراء التى تمتاز بقبة من خشب الأرز المحفور، وقاعة بنى سراج التى اشتهرت بقبتها الرائعة على شكل نجمة مغطاة بالمقرنصات ، وقاعة الأختين ، وقاعة الملوك أو قاعة المحكمة ، وهى عبارة عن ممر طويل فسيح يفتح على صحن بواسطة ثلاثة أبواب، وتقسمه العقود المقرنصة إلى سبع حجرات ، وتمتاز هذه القاعة بالتصاوير الآدمية التى تغطى سقوف حجراتها ، وقد اختلف المؤرخون فى أصلها ونسبتها إلى الفن الأندلسى، كما اختلفوا فى نسبة الصور الموجودة فى سقف قاعة البرطال، وبغض النظر عمن قام بتصويرها فإن مشاهد الحياة اليومية فى هذه الرسوم تعتبر أثمن وأدق الوثائق البصرية لعادات أهل الأندلس فى القرن الرابع عشر وتقاليدهم ، مثل وضع العمامة والطيلسان ولبس العباءة وتسديل اللحية وحمل السيف ونوعه .

والجدير بالذكر أن النوافذ فى غرف القصر تقع على مقربة من الأرض لأن الأندلسيين ، مثل باقى العرب، كانوا يجلسون على الدواوين المنخفضة والمكسوة بألحفة من الحرير المطرز، وعلى السجاد المسمى بالقطيفة ، ويتكئون على المخدات الحريرية ، بينما توضع أمامهم موائد مستديرة يأكلون عليها ، وكون الشبابيك منخفضة العلو يمكنهم من مشاهدة المناظر الخارجية وهم جلوس فى أماكنهم .

ثم يتكلم المؤلف الأستاذ وجدان على بن نايف على الحمّام ، وهو ما فاتنا إدراجه فى مادة « الحمامات » فيقول :

بالرغم من أن الحمامات العامة كانت معروفة زمن الرومان، فإن العرب اهتموا بها اهتماما خاصا ، وجعلوها من سمات المدينة الإسلامية التى لا يكاد يخلو منها حى ، وقد كتب عنها الرحالة والجغرافيون فى كتبهم ، وكانت تتخذ مرفقا مهما للحياة الاجتماعية ...

ويعد الحمام الملكى فى الحمراء بالغ الأهمية ، إذ يعطينا فكرة عن حمامات المدن الأندلسية التى يبدو، من كتب الأدب، أنها لم تكن أقل جمالا من حمام الحمراء، هذا ويقسم حمام القصر إلى أربعة أقسام هى : قاعة الاستراحة ، ثم القاعة الباردة ، فالقاعة الدافئة، وأخيرا القاعة الساخنة ، وتشكل كلها مستطيلا اتبع شكله منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى بناء معظم حمامات الأندلس، وأجمل ما فى حمام الحمراء هو الزخرفة الجصية الملونة ، والزخرفة الخزفية المتمثلة فى قطع الجليز أو الفسيفساء القاشانى الموجودة فى قاعة الاستراحة ، حيث يقوم المستحمون بخلع ثيابهم والاسترخاء قبل الدخول إلى القاعة الباردة (الأمويون . العباسيون . الأندلسيون / ١٩٤ - ٢٠١) .

وعن فن الزخرفة فى قصر الحمراء يقول الدكتور ثروت عكاشة :

ومن سمات العمارة الإسلامية الواضحة فى أبنية القصر استخدام العناصر الزخرفية الرقيقة فى تنظيمات هندسية كزخارف السجاد ، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية ، بل حتى بعض الأمثال من نظم الشعراء كابن زنبق تحيط بها الزخارف السخية من الجص الملون الذى يكسو الجدران و«العقصات» المذهبة التى تحلى الأسقف الخشبية والقباب، وبلاطات القاشانى الملون ذات النقوش الهندسية التى تغطى الأجزاء السفلى من الجدران . على أنا نجد من ناحية أخرى أن اختلاف البيئة اللطيفة فى الأندلس عن البيئة الصحراوية القاسية قد أثر فى بعض مبادئ عمارة القصر الملكى العربى إذ تحولت الإيوانات التى كانت مفتوحة على الصحن إلى شرفات معقودة مسقوفة من طابقين أو ثلاثة . كذلك تحول الصحن إلى ما يشبه الپاسيو الإسبانى المشتق من الفناء الرومانى [أتريوم] أكثر من اشتقاقه من الصحن الإسلامى . ولم يعد الصحن فى فناء الأسود بؤرة التكوين المعمارى للمبانى المحيطة به ، بل بات مجرد فراغ تقع على جوانبه «المقاعد» والأروقة المفتوحة والشرفات فى تنسيق مستطيل الشكل .

ويكاد القصر يعبر بحجراته المطلة على الأفنية الداخلية وبأبراجه المنعزلة وبحدائقه المتوهجة على الحنين إلى الفردوس النابع من وجدان الإنسان العربى وكأنما هو تجسيد للموشح الأندلسى (القيم الجمالية ٢١٩ ، ٢٢٠) .

وعن فن الزخرفة فى هذا الأثر المبهر يقول أيضا الأستاذ وجدان على بن نايف :

وصل فن الرقش العربى فى قصور الحمراء ذروة الإتقان والكمال والجودة ، وأدخل الخط العربى على الأشكال الهندسية ذات الأطباق النجمية المتعددة الألوان ، والأشكال النباتية المتجددة والتى ظهرت لأول مرة ، كما طورت تيجان الأعمدة وأخذت طابعا مميزا لها ، وذلك بتبنى أشكال جديدة مثل المراوح النخلية وكوز الصنوبر ، نفِّذت بطريقة مؤسلبة بسيطة وشبه هندسية تختلف على تلك التى نراها فى مدينة الزهراء ، كما دخلت على العمود زخارف محفورة على شكل أسطوانات متراكبة وضعت تحت التاج ، وتعد من خاصيات الحمراء الزخرفية .

والخط هو العنصر الثالث فى زخرف الحمراء بعد الأشكال الهندسية والنباتية أو الورقية ، وقد استعمل على الحيطان فى كتابات شعرية معظمها من نظم الشاعر ابن زمرك ، جاءت على شكل أشرطة تحيط بالجدران ، وأطر حول الطيقان والأقواس ، وداخل أشكال دائرية ومربعة وقعت ضمن الرقش الهندسى والنباتى ، وقد كتبت بالخطين الكوفى والنسخى المغربى ، وتم تكرار شعار بنى نصر « لا غالب إلا الله » فى كل غرف القصور .

وفى الحمراء أفضل مثال على تطور فن الرقش من الإطارات التى انتشرت فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، والتى تحتوى على القليل من التفاصيل إلى تغطية كل المساحات حسب مبدأ النفور من الفراغ ، وقد اهتم بنو نصر بالزخرف لدرجة أنهم لم يتركوا سطحا إلا وغطوه بطريقة أو بأخرى مستعملين كل المواد المتوفرة لديهم : مثل الخشب والجص والرخام والجليز .

أما المقرنص ، وهو تجويف على شكل خلية النحل يوضع عادة إما على الجدار أو فى السقف ، فأصله من إيران ، انتقل إلى العراق ثم مصر ، وانتشر فى المغرب والأندلس حيث تفنن المعماريون فى توزيعه الزخرفى واستعمالاته الجمالية ، ووصلوا قمة استغلال شكله ، وكان يستعمل فى بادىء الأمر لكساء الأقواس وأطراف القباب ، ثم امتد استعماله فيما بعد ليغطى الأسقف المسطحة وداخل القباب بحيث تبدو كخلية نحل متماسكة ، كما هو الحال فى برج الأميرات . وأصبح المقرنص أحد العوامل المهمة فى الزخرف والهندسة الإسلامية ، وبسبب تأثيره على انعكاس موجات الصوت فى الغرف كثر استعماله فى قاعات الطرب والغناء (الأمويون ، العباسيون ، الأندلسيون / ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

ويسوق الدكتور عكاشة هذه الملاحظة :

والملاحظ فى العمارة الإسلامية بصفة عامة أن كل خليفة أو ملك كان يؤثر تشييد قصره الشخصى ومسجده دون أن يعنى أن يكون مسكنا لمن يخلفه ، حتى إن بعض الخلفاء كان يهدم قصر سلفه ـ كما حدث فى القصرين الغربى والشرقى للمعز لدين الله الفاطمى حين هدمهما الأيوبيون ـ على حين لم يجرؤ سلطان مسلم قط على هدم بيت من بيوت الله ، ولذلك انصرفت معظم الجهود إلى زخرفة البناء أكثر من اتجاهها نحو تدعيمه . غير أننا على خلاف العادة نجد الإنشاء فى قصر الحمراء قد نال عناية تامة كتبت له الاستمرار دون أن يقلل ذلك من الاهتمام المفرط بالناحية الزخرفية . وتعتبر صفة الاستمرار هذه فى قصر الحمراء استثناء من القاعدة ، كما تذكرنا إنشاءاته القوية ومبانيه الراسخة بالقصور القوطية المحصنة ، حتى أن هذا الطابع ليتجلى واضحا بمجرد إلقاء النظرة الأولى على الصورة العامة لقصر الحمراء (القيم الجمالية / ٢٢٠) .

ويصف سيد أمير على المؤرخ الهندى الحمراء بقوله : ومن الصعوبة بمكان أن نوفى الآن هذا العمل الذى سمى بعمل الجن حقه من الوصف والإبداع إذ أن القلاع والحصون والقصور بفنها المعمارى الدقيق ، وأروقتها وأعمدتها الفخمة وقبابها وسقوفها ذات الزخرفة والنقوش البديعة لم تفقد شيئا من رونقها الأصلى إلى الآن ، وأبهاؤها الهوائية المشيدة ليمر منها النسيم المعطر بشذى الورد ، والبرك التى أحكم المهندسون تشييدها فأصبح انبثاق الماء فيها تابعا لإرادة الإنسان ، إن أراد رفعه ، وإن أراد أنزله من علو شاهق فى أشكال هندسية بديعة . كذلك كانت الأبنية المنقوشة بالأصباغ والمزدانة بالفسيفساء على أجمل صنع وأتم إتقان . فتعكس عليها الأضواء والألوان ، منها الذهبى والقرمزى ، والأزرق ، والأرجوانى ، ومختلف التماثيل ، وبهو السباع المشتمل على ١٢٨ عمودا فخما ، وأرصفتها البيضاء والزرقاء ، وتناسق الألوان القرمزية الذهبية ، وتماثيل السباع التى يجرى الماء من

أفواهها ، والبركة المرمرية ، وكل ذلك يحتاج إلى قلم فنان ليوفيه حقه من التصوير والإبداع اهـ (تاريخ الفن / ٤٩) .

قالت المؤلفة : لدى زيارتنا لهذا الأثر الإسلامي المبهر الفريد وجدناه كما وصف وأكثر، وإن أصالة الحضارة الإسلامية التي يعكسها لتفسر لنا ما عرف بأدب بكاء الأندلس (انظر هذه المادة في م ٣ / ٢٩٢ - ٢٩٨) .

وقد جاء في كتاب المؤلف الإنجليزي الأستاذ جوزيف ماك كيت نقلا عن مكائيل سكوت ما يلي : « ومن حسن الحظ بقي قصر الحمراء الملكي ليرينا الجلالة والتأنق والإبداع في فنون المغربيين ، وحتى هذه الدرة أصابها ما أصابها على يد الإسبانيين وكانت سائرة في طريق الخراب لولا أن بقية أوربا وأمريكا أجبروهم على أن يقنو [؟] شيئا من الحياء. وحتى في هذا اليوم يجد فيها الإنسان معنى هذا اللفظ « أرض عبقر» حين يخرج من دهليزها المظلم إلى عرصة الأسود، فيرى سواري المرمر الدقيقة كأغصان البان ، ويمتلئ بالنظر إلى سطور الأساطين المستقيمة ، وسقوفها المصبوغة بالألوان الزاهية إذا نظرت إليها خلتها زرابي فارسية مرقشة ، أو رياض أزهار بهيجة قد اشتبكت فيها أشجار الصناعة العجيبة . ولها طنوف مشرفة قد أفرغت في قوالب بديعة يحار الواصف في وصفها . وأما جدرانها ففيها من الترقيش العربي والتشجير والزخرف والأمثال والحكم المسطورة بأجمل شكل، شيء يذهل العقول ، ويروع الناظرين ولكن ينبغي لنا أن نتصورها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حين كانت الثياب التي ترى فيها كلها من الحرير الخالص ، وحين كانت جدرانها تتلألأ بألوان اللازورد والأرجوان والذهب ، وحين كان الآس والأرج والورد، ومباخر الفضة يحترق فيها عود الطيب تفعم جوها بالروائح الطيبة . وكانت على الجبل المجاور لها وسهوله الواسعة الأرجاء عشرات الألوف من القصور الفخام التي لا تقل جمالا وإبداعا في الذوق عن الحمراء، إلا أنها أقل تلألؤا بالذهب والفضة والجواهر . قال سكوت متلهفا : ماذا عوضنا الغازي الصليبي القشتالي الهمجي عن تلك القصور؟ وأي فائدة يجنيها النوع البشري من وراء تخريبها ؟ » (مدنية المسلمين / ١٠٤ ، ١٠٥) .

(تاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعي / ٤٩ ، ومدخل إلى الآثار الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٢٩ ، ٢٣١ ، والقيم الجمالية في العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ٢١٨ - ٢٢٠ ، والأمويون . العباسيون . الأندلسيون - وجدان علي بن نايف / ١٩٤ - ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ومدنية المسلمين في إسبانيا للأستاذ جوزيف ماك كيب - ترجمه من الإنجليزية د. محمد تقي الدين الهلالي . مكتبة المعارف . الرباط . الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / ١٠٤ ، ١٠٥ ، انظر أيضا المساجد والقصور في الأندلس - د. السيد عبد العزيز سالم . مؤسسة شباب الجامعة . إسكندرية ١٩٨٦ / ١٤٠ - ١٥٠ ، وأوراق أندلسية - ظ عبد العاطي محمد الورفلي ، وهو يحفل بالصور الرائعة ، التي تعد لوحات فنية ليس لها نظير) .

*** الحمراء (مدرسة -) :**

من مدارس القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام .

ذكرها مجير الدين وقال إنها بالقرب من الخانقاه الصلاحية ورد ذكرها عدة مرات في سجلات محكمة القدس الشرعية .

وممن تولى مشيختها : سليمان جلبي الخلوتي المتوفى سنة ١٠٥٦ ، وخلفه في المشيخة ولداه محمد جلبي وعلي جلبي .

- مصطفى بن أبي الوفا العلمي قرره القاضي في وظيفة المشيخة بالمدرسة « الحمراء » الكائنة بحارة النصارى بالقرب من حمام البترك (البطرك) وقرر له السكن بها ، في سنة ١٠٩٤ .

- وتلاه ابنه الشيخ عبد الغني . تولى المشيخة سنة ١١٢٤ ، عوضا عن والده ، وسكن بالمدرسة .

ويقول العارف نقلا عن الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس (سنة ١٩٥٦ م) أن هذه المدرسة كانت في نفس الموقع الذي كانت تقوم عليه مدرسة في العهد التركي في حارة النصارى وهي واقعة فوق المسجد العمري المطل على ساحة كنيسة القيامة من القبلة . وقد اتخذت مع الزمن مسكنا يسكنه جماعة من آل العلمي . وفي إحدى غرفها آثار محراب قديم .

(معاهد العلم في بيت المقدس - د. كامل جميل العسلي / ٢٩٠)

وقد أوردها المؤلف أيضا في الزوايا تحت عنوان « الزاوية الحمراء » (ص ٣٦٦) وأضاف أنها منسوبة للفقراء الوفائية .

*** الحُمرة :**

الحمرة : علامة بالمداد الأحمر تلحق الزيادات على

الرواية فى كتب الحديث : أما النقص فيها فيحوق عليه بالحمرة .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٢) .

* **حمزة الأصبهانى (٢٨ - ٣٦٠ هـ / ٨٩٣ - ٩٧٠ م) :**

مولده ووفاته :

ولد أبو عبد الله حمزة بن الحسن بأصبهان . من بلاد فارس ، وعاش بها حياته ؛ فهو أصبهانى مولدا وموطنا .

وقد سكتت المصادر العربية القديمة عن تاريخ مولده وتاريخ وفاته ، ولم تذكر عنهما شيئا ، بل أكثر من هذا أنها لم تذكر معلومات ذات قيمة عن حياته ، وكذلك فعلت المصادر الحديثة . ومن ثم فإن الذين درسوا حياته ومكانته العلمية ، من المستشرقين والعرب ، قد اعتمدوا كل الاعتماد على كتبه ، وما ورد بها من نصوص وإشارات ، وهذا ما فعلته وأنا أحاول أن أجلو حياة هذا العالم الأديب الجليل .

والحق أن كتب حمزة غنية بالنصوص التى ترسم كثيرا من ملامح حياته ، ولاسيما حياته العلمية . وفى كتابه « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » نصوص يمكن أن نتعرف منها على تاريخ مولده وتاريخ وفاته ، على وجه التقريب لا على وجه التحديد ، وهو أنه ولد حوالى سنة ٢٨٠ وأنه توفى عام ٣٥١ هـ .

وقد عاش حمزة أهم سنى حياته فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (نحو ٢٨٠ - ٣٥١ هـ) أى بعد أن نضج الفكر العربى والإسلامى ، وبعد أن وضعت أسس العلوم والفنون ، ودونت المدونات الأصيلة على أيدى الأئمة من العلماء ، وأصبح فى متناول الباحثين المصادر الرئيسة فى كل علم وفن .

رحلاته إلى بغداد :

وقد رحل حمزة إلى بغداد عدة مرات ، وأقام بها طويلا ، إذ كانت أهم المراكز العلمية فى العالم العربى ، بعد أن انتقل إليها النشاط الفكرى من البصرة والكوفة ، وحفلت بالكثير من العلماء والأدباء ، وأصبحت منارة يشع منها نور العلم والفكر ، وكعبة يقصدها العلماء والطلاب من كل صوب وأفق . فكان طبيعيًّا أن يتردد عليها حمزة لينهل من ينابيع علمها وأدبها ، شأن علماء عصره من أصبهان وغيرها الذين حفل بهم تاريخها .

أما عن شيوخه فقد أخذ حمزة عن كثير من الأئمة المشاهير فى علوم اللغة والأدب والتاريخ والسنة ، وكان بعض هؤلاء العلماء مواطنا له بأصبهان ، وكثير منهم من ساكنى بغداد .

وقد ذكر كل من السمعانى وأبى نعيم فى ترجمته أسماء الرجال الذين كان حمزة يروى عنهم ، وكانوا من الحفاظ ورجال السنة ، وهم :

١ - عبدان بن أحمد الأهوازى الجواليقى .

٢ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٣ - أبو عبد الله محمود بن محمد الواسطى .

٤ - أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبرى .

٥ - أبو عبد الله محمد بن نصير المدينى .

أما العلماء الذين تلقى عليهم فى علوم اللغة والأدب والنحو والتاريخ والأنساب ، والذين ذكرهم بعبارات تدل على أنه كان على صلات شخصية بهم فكان يسألهم ، أو يتحدثون إليه ، أو يشهد مجالسهم ، فمنهم :

١ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد .

٢ - أبو بكر بن القاسم الأنبارى .

٣ - أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب .

٤ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن شقير النحوى .

٥ - أبو بكر الحسن بن على بن أحمد المعروف بابن العلاف .

٦ - أبو الحسن على بن سليمان ، الأخفش الأصغر.

٧ - أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع .

٨ - أبو الحسن محمد بن القاسم التميمى النسابة الأصبهانى .

٩ - أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى .

١٠ - أبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب .

١١ - أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى .

مصنفاته :

فقد ألف حمزة فى ثلاثة من فنون العلم ، هى اللغة

والأدب والتاريخ ، وأجاد فى كل ما ألف وأوفى على الغاية ، فقد خلف لنا أربعة عشر كتابا يعد بعضها من الأمهات والأصول، ومن أوثق المصادر التى اعتمد عليها من جاء بعده من العلماء وقد بحث حمزة فى هذه الكتب موضوعات جديدة لم يسبق إليها، مثل: حدوث التصحيف، والموازنة بين العربية والفارسية ، وتاريخ أصبهان ، وفيما يلى أسماء هذه الكتب :

١ ـ التنبيه على حدوث التصحيف؛ وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة التيمورية (رقم ٨٩٦ أدب تيمور) كما توجد ثلاث نسخ أخرى منه بطهران ونسخة خامسة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد تعرض للرد على حمزة فى هذا الكتاب أبو نصر إسحاق بن أحمد بن شيث بن نصر بن شيث البخارى (٤٠٥هـ) وصنف فى ذلك كتابه « الرد على حمزة فى حدوث التصحيف)» .

٢ ـ الخصائص أو الموازنة بين العربية والفارسية ؛ والموجود منه قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية ويظهر أن هذا الكتاب كان غريبا فى بابه ، فريدا فى موضوعه، ويدل على ذلك ما وصفه به القفطى حيث قال : « وهو كتاب جليل، دل على اطلاعه على اللغة وأصولها ، لم يأت أحد بمثله ، صنفه للملك عضد الدولة فنا خسرو بن بويه » .

٣ ـ تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، وقد نشر فى برلين سنة ١٨٤٠ ، وفى ليبزج سنة ١٨٤٤ مع ترجمة لاتينية له ، بتحقيق المستشرق الألمانى جوتوالد، وأعيد طبع القسم العربى منه بمطبعة كاويانى ببرلين سنة ١٣٤٠هـ ، ونشره مولوى كبير الدين أحمد فى كلكته سنة ١٨٦٦ ، ونشر مترجما إلى الإنجليزية فى بومباى سنة ١٩٣٢ ، ثم أخيرا بيروت سنة ١٩٦١م .

٤ ـ تاريخ أصبهان؛ وهو كتاب مفقود، . وقد ذكره فى ترجمة حمزة كل من ابن النديم والسمعانى وأبى نعيم والقفطى وحاجى خليفة ، كما أشار إليه حمزة فى كتابه « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » ووصفه القفطى بقوله : « وله كتاب تاريخ أصبهان ، وهو من الكتب المفيدة العجيبة الوضع ، الكثيرة الغرائب » (إنباه الرواة ١/ ٣٣٥، ٣٣٦) .

٥ ـ ديوان أبى نواس ؛ وقد طبع برواية حمزة فى القاهرة بعناية إسكندر آصاف عام ١٨٩٨م ، وأعيد طبعه بالمطبعة الحميدية عام ١٣٢٢هـ، وهما طبعتان ناقصتان مختلتان، وقد نشر الجزء الأول منه محققا على خمس نسخ خطية المستشرق الألمانى إيفالد فاغنر، وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٥٨ ، ومنه مصورات بجامعة الدولة العربية عن مخطوطتى مكتبتى الفاتح وكوبريلى أرقامها ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢، وقد ذكر كل من بروكلمان ومتفوخ وفاغنر عدة نسخ لرواية حمزة متفرقة فى أنحاء العالم .

٦ ـ الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر؛ وقد ذكره ابن النديم وحاجى خليفة، ووصفه الأخير بقوله : « الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر لأبى عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهانى، وهو مرتب على الحروف، أوله : الحمد لله حق حمده » ومنه نسخة خطية فى برلين (برقم ١١٢٥) (قال الزركلى (٢ / ٢٧٧) : مخطوط ذكره عبيد عن مكتبة برلين ، نقل عنه الميدانى فى مجمع الأمثال ، وأبو الهلال العسكرى فى جمهرة الأمثال) .

٧ ـ التشبيهات ؛ لم يذكره إلا ابن النديم ، وهو من الكتب المفقودة .

٨ ـ التماثيل فى تباشير السرور، وقد انفرد بذكره ابن النديم، وهو مفقود أيضا ، وهناك كتاب آخر يحمل هذا الاسم، من تأليف الخليفة الشاعر عبد الله بن المعتز، وهو نصوص شعرية فى الخمر وشربها ، وقد طبع بالمطبعة العربية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م (قال الزركلى أن الكتاب المطبوع سمى « فصول التماثيل » ونسب إلى ابن المعتز) .

٩ ـ أنواع الدعاء؛ وذكره ابن النديم وحده .

١٠ ـ رسائل : ذكرها ابن النديم ضمن مصنفات حمزة ، ويبدو أنها مجموعة رسائل ومقالات فى بعض الموضوعات الأدبية واللغوية ، وقد نقل البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » نصا طويلا يتضمن بعض الشعر الذى قيل فى النيروز والمهرجان ، ونسبه إلى حمزة فى « رسالته فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان » كما ذكر القسطلانى أن لحمزة رسالة بعنوان : « الرسالة المعربة عن شرف الإعراب » وعلى ذلك تكون هاتان الرسالتان من هذه « الرسائل » .

١١ ـ مضاحك الأشعار ؛ ولم يذكره أحد ممن ترجم له ، وإنما ذكره الثعالبى فى « ثمار القلوب » ووصفه بأنه مرتب

على حروف الهجاء، ونقل عنه مقطوعات من الشعر فى وصف «حمار طياب» .

١٢ ـ ردود على علماء اللغة وعلى رواة الشعر والشعراء؛ وهو كتاب مفقود، وهذه الردود ليست لحمزة ، وإنما هى لأبى على لغدة الأصبهانى، وقد قام حمزة بجمعها ، يدل على ذلك ما صرح به حمزة من قوله فيما نقله عنه ياقوت فى ترجمة أبى على لغدة : « وله ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر والشعراء، قد جمعناها نحن فى كتاب، وأنفذناه إلى أبى إسحاق الزجاج، رحمه الله » .

١٣ ـ كتاب الفصول المختارة من كتب الجاحظ ، ذكره العلامة المحقق عبد العزيز الميمنى، وذكر ما يدل على أنه يمتلك نسخة خطية منه .

١٤ ـ الدرة الفاخرة فى أمثال أفعل (ذكر الزركلى أنه يملك نسخة خطية منه) .

قالت المؤلفة : الكتاب مطبوع تحت عنوان « الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة » ط دار المعارف سنة ١٩٧١ بتحقيق الأستاذ عبد المجيد قطامش، والنسخة التى عندى هى الجزء الأول، الذى نقلنا بعضا من مقدمته هنا (الدرة الفاخرة ١ / ٧، ١١ـ١٤، ١٨، ٢٠، ٢١، والأعلام ٢ / ١٧٧) .

وقال الزركلى : للمستشرق أوجين متڤوخ كتاب « مؤلفات حمزة الأصفهانى » مطبوع باللغة الألمانية ونشر المستشرق جوتوالد كتاب « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » من تأليف حمزة ، وأعيد طبعه باسم « تاريخ ملوك الأرض » ولم يذكره مترجمو حمزة المتقدمون . وفى مخطوطات « المتحف الآسيوى » بالمدينة الروسية « لينينجراد » مخطوطة من تأليف حمزة تشتمل على مختارات من شعر أبى نواس أولها : «كتب حمزة بن الحسن الأصفهانى إلى بعض رؤساء بلده : سألت ، أطال الله عمرك ، أن أصرف لك عنايتى إلى عمل مجموع من شعر أبى نواس ... إلخ (الأعلام ٢ / ٢٧٧) .

ويعد حمزة من أعلام المصنفين ، ومن أبرز مؤلفى القرن الرابع الهجرى، وتمتاز مصنفاته ومؤلفاته بدقة المنهج وروعة التنظيم والتقسيم، كما تمتاز بالمقدمات الوافيةالتى يلقى كل منها أقوى الأضواء على موضوع الكتاب ، وفى كتبه : الدرة الفاخرة ، وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، والتنبيه على حدوث التصحيف ، وديوان أبى نواس، مقدمات وافية بارعة يمكن أن يعد كل منها بحثا قائما بذاته ، ولعل أبرز خط فى تأليفه هو الاعتماد على الرواية والنقل عن أئمة العلم وأساطين اللغة ، يدعم بآرائهم آراءه ، ويقوى بمذاهبهم المختلفة المسائل التى يتعرض لها فى كتبه .

وقد شهد ببراعته فى التصنيف من القدماء ابن النديم والقفطى ، أما ابن النديم فقال فى ترجمته : « وكان أديبا مصنفا » وأما القفطى فقال عنه : « الفاضل الكامل ، المصنف المطلع ، الكثير الروايات ، كان عالما فى كل فن ، وصنف فى ذلك وتصانيفه فى الأدب جميلة ، وفوائده الغامضة جمة » .

وقد استفاد من كتب حمزة ونقل عنها جماعة من مشاهير العلماء والمؤلفين ، مثل أبى هلال العسكرى ، وأبى الفضل الميدانى ، وأبى القاسم الزمخشرى، فقد نقل هؤلاء العلماء الثلاثة أمثال حمزة برمتها إلى كتبهم فى الأمثال ، مصرحين بذلك فى مقدمات هذه الكتب .

ومثل ياقوت الحموى الذى نقل كثيرا عن كتاب الموازنة فى معجمى الأدباء والبلدان ، وأبى منصور الثعالبى، وقد نقل عن حمزة فى ثمار القلوب، وأبى الريحان البيرونى الذى نقل عنه فى الآثار الباقية ، والصفدى الذى نقل عنه فى الغيث المسجم ، وعبد القادر البغدادى، وقد نقل عنه كثيرا فى خزانة الأدب، وغيرهم من العلماء .

وقد مالت كتب التراجم القديمة إلى اعتبار حمزة أديبا، إذ وصفه ابن النديم بأنه « كان أديبا مصنفا » ووصفه السمعانى بأنه « كان من فضلاء الأدباء » ووصفه أبو نعيم بقوله : « أبو عبد الله الأديب » وقال عنه القفطى : « وتصانيفه فى الأدب جميلة » .

أما المستشرقون الذين درسوا حياته وآثاره فقد مالوا إلى اعتباره مؤرخا ، وذلك لاشتهاره بينهم بكتابة « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » الذى قام بعضهم بنشره لأول مرة عام ١٨٤٠ م وقد كان ذلك سببا فى أن يعده بروكلمان من المؤرخين، وأن يترجم له فى القسم الخاص بالتاريخ من كتابه

وقد عده ياقوت لغويا ، حيث قال عنه : « وهو صاحب لغة ومعنى بها » .

والحق أن حمزة يجمع هذه الأوصاف الثلاثة ، فهو

أديب، لغوى، مؤرخ كما تشهد بذلك كتبه والموضوعات التى تناولتها .

و قد نوه بمكانة حمزة العلمية والأدبية بعض معاصريه ...

كما عده الثعالبى من ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء إلى إتقان العلماء، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة ، وقرنه بالصاحب بن عباد، والخوارزمى ، وأبى الفتح المراغى، والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى، وأحمد بن فارس القزوينى (الدرة الفاخرة/ ٢٢ ، ٢٣) .

ويوجد مخطوط كتاب الأمثال لحمزة الأصبهانى فى المجمع العلمى العراقى وجاء بيانه كما يلى : مع ملاحظة أن أوله يطابق أول كتاب الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة » الذى سبق ذكره والذى يشمل ما جاء من الأمثال على قولهم : « هو أفعل من كذا » (نسختى ص ٥٥) وإليك بيان المخطوط :

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ... هذا كتاب أودعته فنا من الأمثال السائرة عن العرب، وهو أكثر ما يجرى منها على لسان الفصحاء ... وقد سبق إلى تأليف ذلك جماعة من علماء اللغة ، وللأصمعى فى ذلك كتاب خفيف الحجم مقدار عشر ورقات ، وللحيانى أيضا كتاب يقرب من كتاب الأصمعى . وفى آخر كتاب أبى عبيد الله ضمنه بعض ما فى كتاب الأصمعى وكتاب اللحيانى . وتعقب هؤلاء محمد بن حبيب البصرى فألف فى ذلك كتابا نقل إليه ما فى تلك الأصول وزاد عليهم زيادة كبيرة . إلا أن جل ما أودع كتابه من هذه الأمثال يبلغ عدده ثلثمائة وتسعين مثلا وقد أودعت ذلك كله هذا الكتاب وزدت عليه زيادة بلغت بعدد الأمثال ألفا ومائتى مثل ، سوى أمثال مولدة مزدوجة ، جمعتها فى الباب التاسع والعشرين ، يبلغ عددها خمسمائة مثل ونيفا . فيبلغ عدد أمثال هذا الكتاب بها ألفا وثمانمائة مثل وكسرا ، وألفته على نظام حروف المعجم ليسهل تناول ما يراد منه على ملتمسه . وختمت الكتاب بنوادر من الكلام لم يصنف فى مثلها كتاب » .

آخره : « تم الكتاب بعون الملك الوهاب . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

جاء فى الورقة الأولى ، وبخط يختلف عن خط الكتاب :

يا مستعيرا كتابى بالله رد الأمانه
ورده عن قريب فالمطل عين الخيانه

كتاب الأمثال برسم خزانة من لا مثيل له غياث من أم له بما أمله . صاحب الكرسى والحضرة شيخ الشيوخ سيف القدرة ناصر دين الله وعامر ملكه البسيط قطب الوجود والحافظ البحر المحيط جمال الدنيا والدين الشيخ محمد نور الدين على بن شهاب الدين أحمد بن جمال الدين محمد ابن الفرد الجامع والنور الساطع سنى المناقب صاحب الراتب مولانا الشيخ الخشبيرى . نفع الله بهم ، ولازال الحافظ فى سعادة ... » .

وفى هامش الورقة بحرف دقيق : « من الله سبحانه وتعالى على عبده الفقير [الاسم ممسوح] الأستانة العلية حفظها وحجاها رب البرية آمين ١٥ رجب سنة ١٣١٥ » .

وفى هامش الورقة الأخيرة وبالقلم نفسه : « وكان الفراغ من تحريره وبالعناية الأزلية كمل وتم فى عاشر شهر الله المحرم المنتظم فى سلك شهور سنة سبع وتسعين وتسعمائة»

يلى ذلك عبارة أخرى : « قد نسخ هذا الكتاب برسم مولانا سيدى الشيخ البحر المحيط ... الشيخ محمد الخشبيرى . بدار السلطنة أحمد آباد » .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب الحاج حمدى الأعظمى ببغداد برقم ٧٨ - ١٠٤٨ .

بخط النسخ

٦١ ق ، ٢٩ س (٣/ أدب - قصة)

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ٢ / ١٧٤ - ١٧٦) .

(الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهانى - حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش ١ / ٧، ١١، ١٢ - ١٤، ١٨ - ٢٣ مقدمة التحقيق، والأعلام للزركلى ٣٢ / ٧٧ وقد أدرجة تحت اسم « حمزة الأصفهانى » ، وإنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٣٣٥ ، ٣٣٦، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى - ميخائيل عواد ٢ / ١٧٤ - ١٧٦) .

له ترجمة فى تلخيص ابن مكتوم / ٦٤ ، والفهرست لابن النديم / ١٣٩ ، وهدية العارفين للبغدادى ١ / ٣٣٦ وقد أدرجه تحت اسم «الأصبهانى » .

*** أبو حمزة البغدادى البزار (- ٢٨٩ هـ) :**

أدرجه الشيخ السلمى فى الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه :

هو أبو حمزة البغدادى البزار، صحب السرى بن المغلس السقطى، وبشرا الحافى .

كان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة، وكان ينتمى إلى حسن المسوحى وكان عالما بالقراءات .

وتكلم يوما فى جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات الجمعة الثانية ، ومات قبل الجنيد .

وكان من رفقاء أبى تراب النخشبى فى أسفاره، وهو من أولاد عيسى بن أبان . وكان أحمد بن حنبل إذا جرى فى مجلسه شيء من كلام القوم يقول لأبى حمزة : « ما تقول فيها يا صوفى » ؟

ودخل البصرة مرارا، توفى سنة تسع وثمانين ومائتين .

ومن كلامه :

من المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره .

خرجت من بلاد الروم فوقفت على راهب، فقلت له : عندك من خبر من قد مضى ؟ قال : نعم ! ﴿ **فريق فى الجنة وفريق فى السعير** ﴾ [الشورى : ٧] .

استراح من أسقط من قلبه محبة الدنيا ، وإذا خلا القلب من محبة الدنيا دخله الزهد ، وإذا دخله الزهد أورثه ذلك التوكل .

من رزق ثلاثة أشياء من ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات : بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم مع زهد حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم .

وقال الجنيد : « وافى أبو حمزة من مكة وعليه وعثاء السفر، فسلمت عليه وشهيته ، فقال : سكباج وعصيدة تخليني بهما ، فأخذت مكوك دقيق وعشرة أرطال لحم وباذنجان وخلا وعشرة أرطال دبس، وصنعنا له عصيدة وسكباجة ، ووضعناها فى حير لنا ، وأسبلت الستر، فدخل وأكله كله ، فلما فرغ دخلت عليه ، وقد أتى على كله ، فقال لى : يا أبا القاسم ! لا تعجب فهذا من مكة الأكلة الثالثة » .

(السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل، وربما جعل فيه زعفران ، والمكوك : مكيال نصف رطل إلى ثمانى أواقى . والدبس : عسل التمر . والحير : البستان) .

ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم ، إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .

حب الفقر شديد ، ولا يصبر عليه إلا صديق .

إذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير فالزمه ، وإياك أن تنظر إليه وتفتخر به ، ولكن اشتغل بشكر من وفقك لذلك ، فإن نظرك إليه يسقطك عن مقامك ، واشتغالك بالشكر يوجب لك منه المزيد ، لأن الله تعالى يقول ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها ، وهو الذى علمها بتعليم الله إياه، ومن علمها بالاستدلال فمرة يخطئ ومرة يصيب ، ومن تبع فيه أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب إلى مقصده . ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ فى أحواله وأفعاله وأقواله .

إذا سلمت منك نفسك فقد أديت حقها ، وإذا سلم منك الخلق فقد أديت حقوقهم .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى — يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧٠-٧١) .

*** حمزة بن عبد المطلب (٥٤ ق هـ - ٣ هـ / ٥٥٦ - ٦٢٥ م) :**

من أوائل المهاجرين سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، عم رسول الله ﷺ ، يقال له أسد الرحمن . وأسد رسول الله ﷺ وعمه وأخوه من الرضاعة كنيته أبو عمارة كنى بابن له يقال له عمارة من امرأة من بنى النجار . وقيل كنيته أبو يعلى كنى بابنه يعلى ولم يعقب وحمزة وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهى بنت عم آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ابن العوام رضى الله عنهم . وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين . وقيل بأربع وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، أسلم حمزة فى السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وبارز وأبلى فيها بلاء عظيما وقاتل بسيفين قال أبو الحسن المدائنى أول لواء عقده رسول الله

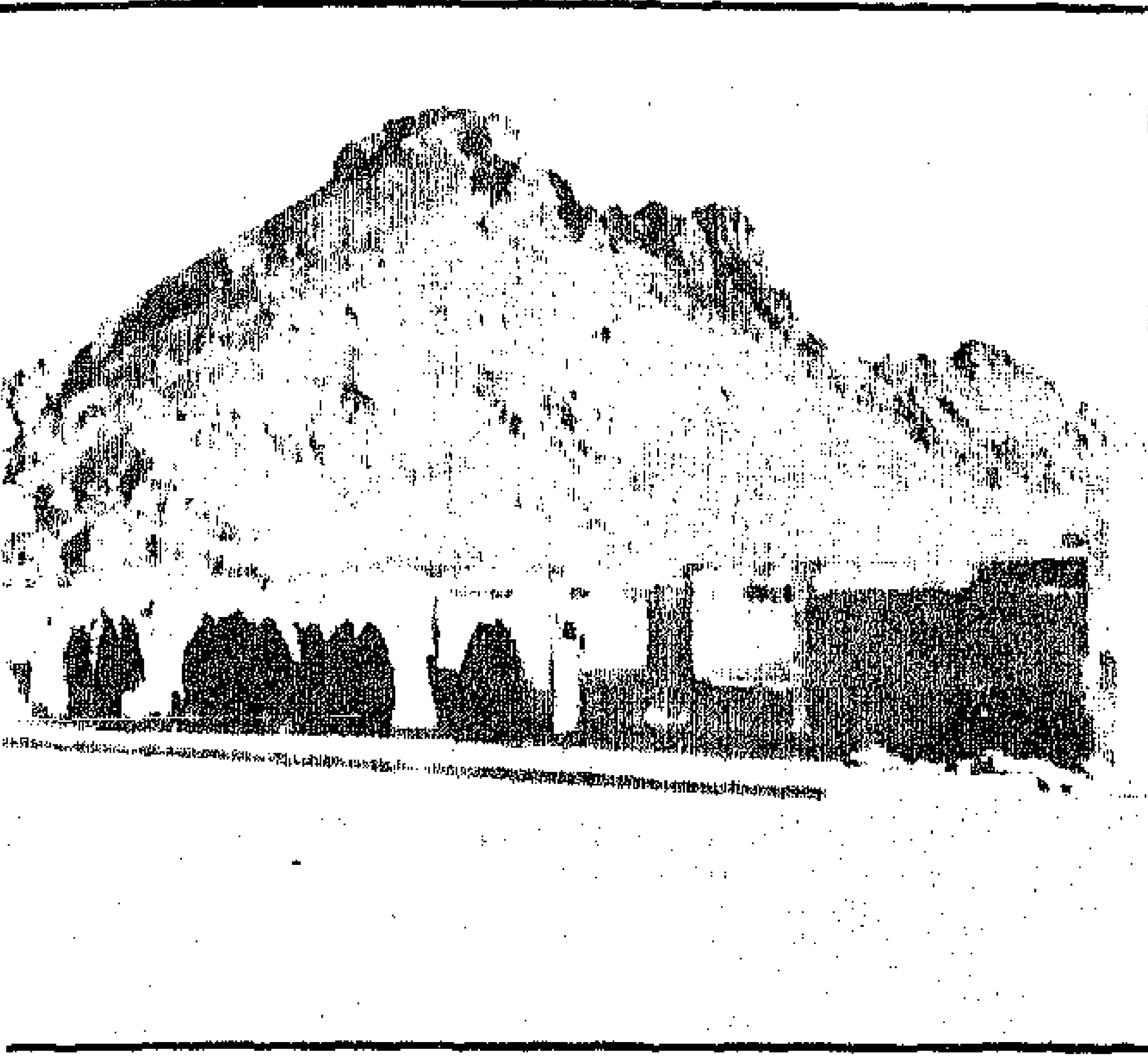
ﷺ لحمزة بن عبد المطلب حين بعثه في سريه إلى سيف البحر بكسر السين من أرض جهينة وخالفه ابن إسحاق فقال أول لواء عقده لعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب . استشهد يوم أحد في نصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل أحدا وثلاثين من الكفار ودفن عند أحد في موضعه وقبره مشهور يزار ويتبرك به . وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٨ ، ١٦٩) .

وقد قتله وحشي ، مولى جبير بن مطعم ، وكان طعمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال جبير لوحشي : إن قتلت حمزة عم محمد فأنت عتيق فخرج وحشي من الناس فرأى حمزة في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هدا، ما يقوم له شيء فدفع وحشي حربته فأصابت حمزة رضي الله عنه فقتلته .

وقد أسلم وحشي بعد هذا وذهب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ، فلما رآه طلب منه أن يحدثه كيف قتل حمزة، فلما حدثه بذلك قال رسول الله ﷺ : « ويحك ! غيب عني وجهك، فلا أرينك » فكان وحشي يتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراه ، حتى قبض رسول الله .

ولما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرج وحشي معهم ، وأخذ حربته التي قتل بها حمزة فلما التقى الناس رأى مسيلمة الكذاب قائما في يده السيف ، فتهيأ له ، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلاهما يريده ، فدفع وحشي حربته عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف ، وفي ذلك يقول وحشي : فربك أعلم أينا قتله فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلت شر الناس (السيرة النبوية ٣ / ٢١ - ٢٣) .

لما وقف رسول الله ﷺ على جثمان عمه حمزه بن عبد المطلب الذي استشهد في معركة أحد ورأى ما به من تمثيل وتشويه قال : « لن أصاب بمثلك أبدًا » ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا ... رحمة الله عليه ... فإنك كنت ما علمتك فعولا للخيرات ... وصولا للرحم ... أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك ... وشاركه المسلمون في هذا الوعيد ... فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين *واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾ ... فعفا رسول الله ﷺ - وصبر ، ونهى عن المثلة ، وكفر عن يمينه ...



مقبرة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
ومن خلفها جانب من جبل أحد

قد تكرر نزول هذه الآيات في هذه الوقعة وفي قصة العدنيين ، وعن أبي مسعود رضي الله عنه : ما رأينا رسول الله ﷺ - باكيا أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه ، وضعه في القبلة ، ثم وقف على جنازته ، وانتحب حتى نشق ... أي شهق حتى بلغ به الغشي يقول : يا عم رسول الله ، وأسد الله وأسد رسول الله ... يا حمزة يا فاعل الخيرات ، يا حمزة يا كاشف الكربات ، يا حمزة يا مانع عن وجه رسول الله ... وقال ما قال بعد أن كف عن البكاء ... فهو ليس من الندب . المحرم ... وإنما هو من ذكر محاسن الميت ... وأمر رسول الله ﷺ الزبير رضي الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة حتى لا تقع عينها عليه ... فدفعته في صدره وهي تقول : ولم ؟ ... وقد بلغني أنه مثّل بأخي ... وذلك في الله ... فما أرضاني بما كان في الله من ذلك ... فقال الرسول ﷺ : خل سبيلها ... فجاءت واسترجعت ، واستغفرت له وهي تبكي ... والرسول يضع يده على صدرها خوفا على عقلها ... وقال : لولا أن تجزع صفية ونساؤنا لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع ... ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة : واحدا بعد واحد ... فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلي عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين

صلاة ... وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل لهم ، ولم يصح عند الشافعي حديث الصلاة على قتلى أحد ... ولكنه صح عند غيره ومنهم الحنفية الذين احتجوا على الصلاة على الشهيد بحديث جابر وأورده في مراسيله عن عطاء بن رباح أن النبي ﷺ صلى على قتلى أحد ، وقد اعتضد هذا المرسل بمرفوع غيره فقد رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وقد ثبت أن عمرو بن العاص صلى على مائة وثلاثين استشهدوا في فتح فلسطين وكان معه تسعة آلاف من المسلمين (« مشهد حمزة رضي الله عنه » / ٢٠٣) .

قال ابن إسحاق :

« مر رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنواح على قتلاهم في معركة أحد فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له » .

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يبكين على عم رسول الله ، ولكنه ﷺ لما سمع بكاءهن خرج عليهن فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن . ثم نهى رسول الله عن النوح » .

وعن عبادة بن الصامت « أن رسول الله ﷺ كان يأتي قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

قبر سيد الشهداء :

دفن ﷺ عمه حمزة على ربوة بحافة وادي قناة الشمالية في الشمال الغربي لجبل الرماة وفي جنوب جبل أحد . ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش .

وقد بنت الحكومة السعودية سورا على منطقة القبر وجعلت له درجا أسمنتية ليسهل الصعود للربوة والقبر عند اتلزيارة كما جعلت له شباكا من حديد وبابا من جهة الجنوب على طرف وادي قناة « ويسمى أيضا وادي سيد الشهداء ، ووادي سيدنا حمزة » .

قبور الشهداء

قال المؤرخون : إن شهداء أحد سبعون شهيدا منهم ٦٤ أنصاريا و (٦) من المهاجرين . وقد دفن أكثرهم في الجهة الشمالية لقبر سيد الشهداء وأحيطت قبورهم بسور من جميع الجهات رحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم (فصول من تاريخ المدينة المنورة / ١٧٥ ، ١٧٦) من بينهم قبر مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش (المدينة المنورة / ١٢٥) .

وقد اعتاد الحجاج زوار المدينة زيارة قبر سيد الشهداء وشهداء أحد ليتذكروا الآخرة وليتذكروا معركة أحد الحاسمة وما بها من عظة وعبرة .

الطريق إلى قبور الشهداء :

يتجه الزائر شمالا من المناخة حتى يصل ثنية الوداع ثم يترك الطريق اليسرى ويمسك طريق الإسفلت المسمى طريق سيدنا حمزة حتى يصل إلى وادي قناة فقبر سيد الشهداء فقبور شهداء أحد . والمسافة من المدينة إلى قبور الشهداء نحو ثلاثة كيلو مترات (فصول من تاريخ المدينة المنورة / ١٧٨) .

ومن شعره رضي الله عنه قوله رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه من قصيدة :

عشية صاروا حاشدين وكلنا
مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا فعقّلوا
مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم : حبل الإله نصيرنا
وما لكم إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا
فخاب ، ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن و إلا في ثلاثين راكبا
وهم مائتان بعد واحدة فضل

(العمدة ١ / ٣٦) .

ومما جاء في رثاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ما أورده صاحب اللسان في مادة « بكا » حيث يقول :

قال حسان بن ثابت ، وزعم ابن إسحاق إنه لعبد الله بن رواحة ، وأنشده أبو زيد لكعب بن مالك في أبيات :

بكت عيني وحق لها بكاها
وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا :
أحمزة ذاكم الرجل القتيل؟

أصيب المسلمــــون بـــــه جميعـــــا
هنـــاك وقــــد أصيب بـــه الـــرســـول
أبـــا يعلى لـك الأركـــــان هـــــدت
وأنت المــاجـــد البـــر الـــوصـــول
عليك ســــــلام ربك فـى جنــــــان
مخـــالطهـــا نعيم لا يـــــزول

قال ابن برى : وهذه من قصيدة ذكرها النحاس فى طبقات الشعراء ، قال : والصحيح أنها لكعب بن مالك (لسان العرب ٤ / ٣٣٧) .

لاحظ فى أول البيت الرابع قوله « أبا يعلى » لأنها ـ كما سبق القول ـ كنية حمزة رضى الله عنه .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ٢١ ـ ٢٣ ، و « مشهد حمزة رضى الله عنه » ـ د . محمد محمد الشرقاوى . مجلة الأزهر . الجزء الثانى ، السنة السادسة والخمسون . صفر ١٤٠٤ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٣ م / ٢٠٣ ، والمدينة المنورة وأول بلدية فى الإسلام ـ صدقة حسن خاشقجى ومحمد عبد الجليل النمر ، ١ / ١٢٥ ، وفصول من تاريخ المدينة المنورة ـ على حافظ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٣٦ ، ولسان العرب لابن منظور ٤ / ٣٣٧ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧٨ وقد أدرجه تحت اسم «الحمزة » ، وأنس السارى والسارب لأبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى الشهير بالسراج الملقب بابن مليح ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ١٠٦ ، ١٠٧) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين مقبرة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وقد ظهر خلفها جبل أحد ، وقد أخذت من كتاب «المدينة المنورة » ١ / ١٢٧) .

*** حمزة بن عمرو الأسلمى (ـ٦١ هـ) :**

قال عنه الإمام النووى : حمزة بن عمرو الأسلمى الصحابى رضى الله عنه مذكور فى المختصر والمهذب فى الصيام . هو أبو صالح وقيل أبو محمد حمزة بن عمرو بن عويمر بن الحرث بن الأعرج بن سعد بن رزاح براء مفتوحة ثم زاى وبالحاء المهملة بن عدى بن سهل وقيل سهم بن مازن ابن الحرث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة الأسلمى روى له عن رسول الله ﷺ تسعة أحاديث روى مسلم فى صحيحه حديثا . روت عنه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وابنه محمد وعروة بن الزبير وسليمان بن يسار وغيرهم . توفى سنة إحدى وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وقيل ابن ثمانين وكان يصوم الدهر ثبت هذا فى صحيح مسلم . أخبرنا أبو إسحاق الواسطى انبا الفراوى انبا الفارسى انبا الجلودى انبا ابن سفيان انبا أو ثنا مسلم ثنا أبو الربيع ثنا حماد ثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها « أن حمزة بن عمرو سأل النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى رجل أسرد الصوم أفأصوم فى السفر ؟ قال صم إن شئت وأفطر إن شئت » وروى البخارى فى تاريخه بإسناده عن محمد بن حمزة هذا عن أبيه قال « كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعى لتنير » وروى بإسناده « أن النبى ﷺ كناه أبا صالح » (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٩) .

وقال عنه صاحب الرياض المستطابة : وهو الذى بشر الصديق رضى الله عنه بفتح وقعة أجنادين (أوردناها فى م ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٨ تحت عنوان « أجنادين (موقعة ـ) » فانظرها فى موضعها إن شئت) .

أخرج له مسلم حديثا واحدا ، هو حديث الصوم فى السفر وخرج عنه أبو داود والنسائى ، عنه ابنه محمد وسليمان ابن يسار . وقد توفى سنة إحدى وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة (وقيل ابن ثمانين) والله أعلم (الرياض المستطابة / ٥٩) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦٩ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٩) .

*** حمزة بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٥٧ هـ / ٨٨٨ ـ ٩٦٨ م) :**

حمزة بن محمد بن على بن العباس الكنانى المصرى ، أبو القاسم ، من حفاظ الحديث رحل إلى العراق فى طلبه . وكان ورعا كثير العبادة . له « البطاقة » مخطوط ، وهى أمالى فى الحديث (الأعلام ٢ / ٢٨٠) .

وجاء عنه فى « المحدثون فى مصر والأزهر » ما يلى :

ومن محدثى الديار المصرية الحافظ أبو القاسم الكنانى المصرى حمزة بن محمد بن على بن العباس .

أخذ العلم على كبار علماء عصره وأئمة زمانه فقد تتلمذ على عبد الرحمن النسائي وأبي يعلى الموصلي وعمران بن موسى بن حميد الطبيب. وطوف في كثير من الأقطار طلبا للعلم.

قال عنه الذهبي أكثر التطواف وجمع وصنف وكما أخذ العلم في رحلاته عن الشيوخ فقد كان يأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ أمثال ابن منده، وأبي الحسن الدارقطني.

قال عنه الحاكم: وحمزة المصري على تقدمه في معرفة الحديث كان أحد من يذكر بالزهد والورع والعبادة.

وقال عنه الحافظ عبد الغني: كل شيء لحمزة في سنة خمس. ولد سنة خمس وسبعين ومائتين، وأول ما سمع منه سنة خمس وتسعين، ورحل سنة خمس وثلاث مائة.

وقال عنه الصوري: كان حمزة ثبتا حافظا.

وقال عنه ابن زولاق: حدثني حمزة الحافظ قال رحلت سنة خمس ودخلت حلب وقاضيها أبو عبد الله محمد فكتبت عنه فكان يقول: لو عرفتك بمصر لملأت ركابيك ذهبا فيقال إنه أعطاه مائتي دينار ترحل بها إلى العراق.

قال أبو عمر بن عبد البر: سمعت عبد الله بن محمد بن أسد سمعت حمزة الكناني يقول خرجت حديثا واحدا عن النبي ﷺ من نحو مائتي طريق فداخلني لذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك فرأيت يحيى بن معين في المنام فقال:

يا أبا بكر خرجت حديثا من مائتي طريق فسكت عني ساعة ثم قال:

أخشى أن يدخل هذه تحت ﴿ألهاكم التكاثر﴾

وقال ابن منده: سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث ولا أكتب « وسلم » فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: أما تختم الصلاة علي في كتابك.

وقال الذهبي: أنبأني الخضر بن حمويه وطائفة عن القاسم بن عساكر أنا أبي أنا ابن الاكفاني أنا سهل بن بشر سمعت علي بن عمر الحراني سمعت حمزة بن محمد وجاءه غريب فقال: عساكر المعز قد وصلوا إلى الإسكندرية فقال: اللهم لا تحيني حتى تريني الرايات الصفر فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام.

وهكذا عاش حياته الحافلة بخدمة السنة وبعبادة الله تعالى والقرب منه إلى أن توفي في شهر ذي الحجة في عام سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧ هـ (المحدثون في مصر والأزهر / ١٦٨، ١٦٩).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة في أصحاب الأجزاء الحديثية فقال: وجزء البطاقة من إملاء أبي القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني المصري الحافظ المتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، رواه عنه أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحراني المصري الصواف المتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، ذكره في حسن المحاضرة (الرسالة المستطرفة / ٦٧، ٦٨).

(الأعلام للزركلي ٢/ ٢٨٠، والمحدثون في مصر والأزهر ـ أ.د. الحسيني هاشم و أ.د. أحمد عمر هاشم / ١٦٨، ١٦٩، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ٦٧، ٦٨ ؛ .

*** أبو حمزة الخراساني:**

أورده الشيخ السلمي في الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه:

هو أبو حمزة الخراساني، وكان أصله من نيسابور من محلة ملقاباذا، صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، سافر مع أبي تراب النخشبي، وأبي سعيد الخراز، وهو من أفتى المشايخ وأورعهم.

ومن كلامه:

ـ من نصح نفسه كرمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه.

ـ وسئل عن الأنس فقال: ضيق الصدر عن معاشرة الخلق.

ـ من استشعر ذكر الموت حبب إليه كل باق، وبغض إليه كل فان.

ـ العارف يخاف زوال ما أعطى، والخائف يخاف نزول ما وعد، والعارف يدافع عيشه يوما ليوم، ويأخذ عيشه يوما ليوم.

ـ وسئل عن الصوفي فقال: من صفي من كل درن، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال.

ـ من استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه.

ـ وقال له رجل : أوصني . فقال : هيىء زادك للسفر الذى بين يديك ، فكأنى بك وأنت فى جملة الراحلين عن منزلك ، وهيىء لنفسك منزلا تنزل فيه إذا نزل أهل الصفوة منازلهم ، لئلا تبقى متحسرا .

ـ وقال لبعض أصحابه : خف سطوة العدل ، وارج رأفة الفضل ، ولا تأمن من مكره ، وإن أنزلك الجنان .

ـ من خصه الله تعالى بنظرة شفقة فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة ، وتزينه بالصدق ظاهرا وباطنا .

ـ وسئل : هل يتفرغ المحب إلى شيء سوى محبوبه ؟ فقال : لا، لأنه بلاء دائم ، وسرور متقطع ، وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها . وأنشد .

يقاسى المقاسى شجوه دون غيره

وكل بلاء عند لاقيه أوجع

ـ وسمع بعض أصحابه وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجده وغلبة الحال عليه ، وإظهار سره فى مجلس فيه بعض الأضداد، فقال : أقصر يا أخى، فالواجد الغالب يسقط التمييز، ويجعل الأماكن كلها مكانا واحدًا، والأعيان عينا واحدة، ولا لوم لمن غلب عليه وجده، فاضطره إلى أن يبديه .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧٩) .

*** حمزة الضرير (ــ ٧٦٤ هـ) :**

من المعيدين الحنابلة بالمدرسة المستنصرية .

كان معيدا للحنابلة عند الشيخ تقى الدين الزريرانى بالمستنصرية . وكان يحفظ القرآن . وقد لازمه جماعة من المقرئين، والزهاد. قال ابن رجب : « ومن خواصه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن السقا ، مربى الطائفة والشيخ أحمد بن التماشكى المعيد وصنف كتابا فى الفقه وعرضه عليه . وولده محمد الفرضى . وشيخنا شهاب الدين أحمد بن محمد الشيرجى الزاهد ، أعاد بعده بالمستنصرية عند شمس الدين محمد بن سليمان النهرمارى المدرس بالمستنصرية إلى الآن ـ توفى سنة أربع وستين وسبعمائة . ودفن بمقبرة أحمد بن حنبل وذكر ابن رجب فى ترجمته أنه كان إمام التعبير . ويقرأ السورة من آخرها إلى أولها ... وقد لازمه محمد بن عبد الله المقرىء، ومحمد بن داود وإبراهيم الكاتب . والشيخ على بن القطان الزاهد الحيرى . وحموه الصالح محمد الحظائرى . وكان هو بنفسه يصحب محمد بن القيمة بباب الأزج . وانتفع به .

(تاريخ علماء المستنصرية ـ د. ناجى معروف (/ ١٥٢) .

*** حمزة فتح الله (١٢٦٦-١٣٣٦ هـ / ١٨٤٩-١٩١٨ م) :**

هو الشيخ الوقور، اللغوى الحجة التقى حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية .

ولد رحمه الله بثغر الإسكندرية سنة ١٢٦٦هـ . (١٨٤٩م) ونشأ بها ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم فى سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف، وأمعن فى قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل وحفظ الغريب . ثم عاد إلى الإسكندرية واختير (فى منتصف العقد الثالث من عمره) محررا فى إحدى الصحف التونسية (الوسيط / ٣٣٩) (هى جريدة الرائد التونسى الرسمية، الأعلام ٢ / ٢٨٠) فمكث هناك حوالى ثمانى سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فى زمن قيام الثورة العرابية (الوسيط / ٣٣٩) فحرر جريدة «البرهان» ثم جريدة « الاعتدال » (الأعلام ٢ / ٢٨٠) وبعد أن انتهت الثورة العرابية استخدم فى وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة متنقلا بين التفتيش والتدريس، حتى كان فى سنة ١٩١٠م مفتشها الأول للغة العربية ، وفى غضون تلك المدة ندبته الحكومة مرتين لحضور مؤتمر المتعربين (مؤتمر المستشرقين فى فينا عاصمة النمسا، ثم فى استوكهلم عاصمة السويد الأعلام ٢ / ٢٨٠) ممثلا لها لما لها فيه من الثقة ، ولما له من غزارة المادة ، وسعة الاطلاع .

قالت المؤلفة : ذكر الشيخ محمود عمر الباجورى رحمه الله ، فى ترجمته الذاتية التى أدرجها الشيخ عبد الله مصطفى المراغى فى كتابه « الفتح المبين » (ص ١٧١) أن أعضاء الوفد المصرى الذين عينتهم الحكومة لحضور مؤتمر المستشرقين هذا هم : الشيخ محمود عمر الباجورى صاحب الترجمة، وعبد الله باشا فكرى، وأمين بك فكرى ، والشيخ حمزة فتح الله اهـ .

وقد أحيل الشيخ حمزة فتح الله إلى المعاش سنة ١٣٣٠هـ .

واستمر مشتغلا بمدارسة العلم حتى بعد أن كف بصره ، ولم يثنه عن ذلك إلا مفاجأة الموت فى فبراير سنة ١٩١٨ م .

علمه وأعماله ـ كان الشيخ أكرم الله مثواه كثير القراءة فى كتب اللغة والأدب والحديث شديد الحفظ والذكر قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعرا أو مثلا أو قصة وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكها على سنن العربية الفصيحة ، وهو أملأ من شاهدناه ، باللغة والأدب والصرف .

عهد إليه بالتدريس فى دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين . كالجاحظ والمبرد والقالى والمرتضى ، وأظهر ما كان ذلك فى مواهبه الفتحية .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية فى مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها ، فرأى المجال فسيحا لتخليصها من أدران العامية ، وأوضاع الدخيل ، وفساد التراكيب ، وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك فى كتابة التلاميذ ، ويتحفهم بمرادفه تارة ويرشدهم إلى المظان أخرى ، فتنبه بذلك الغافل ، ودقق المتساهل ، واتهموا أنفسهم فى كل كلمة ، وحاسبوها على كل جملة ، وعكفوا على مراجعة معجمات اللغة بعد أن طال هجرها ، ووقفوا عند نصوصها ناسجين على منوال الشيخ (من الوقوف عند السماع دون العمل بالقياس) بل تغالى بعض المفتونين منهم ، وتعدوا طورهم ؛ فجعلوا يقولون : لا توجد هذه الكلمة فى اللغة ، ولو وجدت فى شعر فحول الأدباء من أهل القرون الأولى ، ولعلهم لم يعرفوا من اللغة أكثر من طريقة الكشف فى معجماتها على ندرة المطبوع منها ، فلقى المؤلفون والأدباء وبلغاء الناس منهم بلاء عظيما وعنتا مقيتا .

أخلاقه : كان الشيخ حليما رحيما ، تقيا ورعا ، لا تأخذه فى الله لومة لائم صالحا مهذبا ، يميل إلى الصالحين من المعلمين ، ويحارب من يشاع عنهم التهاون بشعائر الدين وربما سعى فى فصلهم من عملهم ، يعمل ذلك ولا غاية له إلا إحاطة النشء بسياج من الفضيلة حتى لا يتسرب إليهم الزيغ فى زمن قد كثر فيه أنصار الرذيلة ، وقل طلاب الفضيلة .

وكان جزاه الله خيرا يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله قد خصهما بكل مزية ، وأن جميع ما يتجدد من أنواع المدنية الحديثة قد سبق إلى نوعه العرب ، وأن لاسمه مرادفا فى لغتهم ، يعرف ذلك من خالطه أو قرأ مواهبه .

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته كتاب « المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية » مطبوع مجلدان و « باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام » ، ورسالة فى التوحيد هى « العقود الدرية فى العقائد التوحيدية » مطبوع ، وأخرى فى الخيل هى « هداية الفهم إلى بعض أنواع الوسم » مطبوع ، وهو رسالة فى وسم الإبل والخيل وغيرها عند العرب ، و« التحفة السنية فى التواريخ العربية » مطبوع ، وكتيب فى المفردات الأعجمية التى فى القرآن . وله شعر (الوسيط ٣٣٩-٣٤١، والأعلام ٢/ ٢٨٠)

(الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ــ الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٣٣٩ ــ ٣٤١ ، والأعلام للزركلى ٢ / ٢٨٠ ، والفتح المبين فى طبقات الأصوليين ــ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٧١) .

*** حمزة القارئ (٨٠-١٥٦ هـ / ٧٠٠-٧٧٣ م):**

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الجد أبو عمارة الكوفى التيمى مولاهم وقيل من صميم العرب . الزيات أحد القراء السبعة .

ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم أخذ القراءة عرضا عن سليمان الأعمش وحمران ابن أعين وأبى إسحاق السبيعى ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليل وطلحة بن مصرف ومغيرة بن مقسم ومنصور وليث بن أبى سليم وجعفر بن محمد الصادق وقيل بل قرأ الحروف على الأعمش ولم يقرأ عليه جميع القرآن قالوا استفتح حمزة القرآن من حمران وعرض على الأعمش وأبى إسحاق وابن أبى ليلى وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود وكان ابن أبى ليلى يجود حرف على وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان يعتبر حروف معانى عبد الله ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان وهذا كان اختيار حمزة .

كان لا يأخذ أجرا على القرآن لأنه تمذهب بحديث التغليظ فى أخذ الأجرة عليه ، حمل إليه رجل من مشاهير الكوفة كان قد ختم عليه القرآن جملة دراهم فردها عليه وقال أنا لا آخذ أجرا على القرآن أرجو بذلك الفردوس .

وعرض عليه تلميذ له ماء في يوم حر فأبى وإليهما أشار الشاطبي بقوله من متورع بمتورع وقال عنه الأعمش هذا حبر القرآن وقال سفيان الثوري غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وإليه أشار بالإمام وكان يتكلف الوحل بالشتاء والشمس بالصيف وإليه أشار بصبور وهو فيه أصحاب الترتيل وقيل ما رؤي قط إلا وهو يقرأ وقيل كان يختم كل شهر خمسا أو تسعا وعشرين ختمة وإليه أشار بمرتل وكان يصلي بعد الإقراء أربع ركعات ويصلي الظهر والعصر بين المغرب والعشاء ويقوم أكثر الليل .

قرأ على أبي عبد الله جعفر الصادق على أبيه أبي جعفر محمد الباقر على أبيه أبي الحسين على زين العابدين على أبيه أبي عبد الله الحسين على أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش . وعلى يحيى بن وثاب الأسدي على أبي شبل علقمه النخعي على عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ .

وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي على المنهال بن عمر على سعيد بن جبير على عبد الله بن عباس على أبي بن كعب وعلى حمران بن أعين على أبي الأسود على عثمان وعلى رضي الله عنهما .

(البحث والاستقراء / ٤٦ ـ ٤٨) .

وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة أبي عيسى سليم بن عيسى الحنفي الكوفي المتوفى سنة ١٨٨ ، ثمان وثمانين ومائة .

أما « خلف » فهو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزار . كان زاهدًا عابدا . روى عن سليم بن عيسى الحنفي عن حمزة وتوفى سنة ٢٢٩ تسع وعشرين ومائتين .

وأما « خلاد » فهو أبو عيسى خلاد بن خالد الأحول الصيرفي . روى عن سليم بن عيسى عن حمزة وكان أضبط أصحاب سليم وأجلهم عرفانا وتحقيقا . توفى بالكوفة سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين وفي ذلك يقول صاحب الشاطبية :

وحمـــزة مـــا أزكـــاه من متـــورّع ... إمـــامـــا صبـــورا للقـــران مـــرتـــلا

روى خلف عنـــه وخـــلاد الـــذي ... رواه سليم متقـــنـــا ومحصّـــلا

(مناهل العرفان ١/ ٤٦٠ ، ٤٦١) .

ويقول صاحب طيبة النشر :

وحمـــزة عنـــه سليم فخلف ... منـــه وخـــلاد كـــلاهمـــا اغتـــرف

(الكوكب الدري / ٣٧) .

قرأ عليه أيضا أي روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم وإبراهيم بن إسحاق بن راشد وإبراهيم بن طعمة وإبراهيم بن علي الأزرق وإسحاق بن يوسف الأزرق وإسرائيل بن يونس السبيعي وأشعث بن عطاف وبكر بن عبد الرحمن وجعفر بن محمد الخشكني وحجاج بن محمد والحسن ابن بنت الشمالي والحسن بن عيسى وحمزة بن القاسم الأحول وخالد ابن يزيد الطبيب ، وربيع بن زياد وسعيد بن أبي الجهم ومسلم الأبرش المجد وأبو الأحوص سلام بن سليم وسليمان ابن أيوب وسليمان بن يحيى الضبي وسليم بن منصور وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وشعيب بن حرب وزكريا بن يحيى ابن اليماني وصباح بن دينار وعائذ بن أبي عائذ أبو بشر الكوفي وعبد الرحمن بن أبي حماد وعبد الرحمن بن قلوقا وعبد الله بن صالح بن مسلم العجلي وعبيد الله بن موسى وعلي بن حمزة الكسائي أجلّ أصحابه وعلي بن صالح بن حبي وأبو عثمان عمرو بن ميمون القناد وغالب بن فائد ومحمد بن حفص الحنفي ومحمد بن زكريا ومحمد بن عبد الرحمن النحوي ومحمد بن أبي عبد الهذلي ومحمد بن عيسى الراشي بن فضيل بن غزوان ومحمد بن الهيثم النخعي ومحمد ابن واصل المؤدب ومندل بن علي ومنذر بن الصباح ونعيم بن يحيى السعيدي ويحيى بن زياد الفراء ويحيى بن علي الخزار ويحيى بن المبارك اليزيدي ويوسف بن إسباط ومحمد بن مسلم العجلي كما ذكر أبو الحسن الخياط (البحث والاستقراء / ٤٦ ـ ٤٨ ، وغاية النهاية ١ / ٢٦٢) .

وإلى حمزة صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماما حجة ثقة مثبتا رضيا قيما بكتاب الله بصيرا بالفرائض عارفا بالعربية حافظا للحديث عابدا خاشعا زاهدا ورعا قانتا لله عديم النظير ، وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة قال عبد الله العجلي قال أبو حنيفه لحمزة شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما :

القرآن والفرائض وقال سفيان الثورى : غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وقال أيضا عنه : ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر، وقال عبيد الله بن موسى : كان حمزة يقرىء القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلى أربع ركعات ثم يصلى ما بين الظهر إلى العصر وما بين المغرب والعشاء وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول هذا جد القرآن .

وروى عنه أنه كان يقول لمن يفرط فى المد والهمز : لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص وما كان فوق الجعودة فهو قطط وما كان فوق القراءة فليس بقراءة ، قال يحيى بن معين سمعت محمد بن فضيل يقول ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة .

توفى سنة ست وخمسين ومائة على الصواب . والله أعلم .

قال الذهبى : وقبره بحلوان مشهور ـ قال عبد الرحمن بن أبى حماد زرته مرتين (البحث والاستقراء / ٤٩ وغاية النهاية ١ / ٢٦٣) .

رمز حمزة : ف

منهج حمزة فى القراءة :

١ ـ يصل آخر كل سورة بأول تاليتها من غير بسملة بينهما .

٢ ـ يضم الهاء وصلا ووقفا فى الألفاظ الثلاثة : عليهم ، إليهم ، لديهم .

٣ ـ يسكن الهاء فى : ﴿ **يؤده إليك** ﴾ [آل عمران : ٧٥] ﴿ **نولّه ما تولى ونصله جهنم** ﴾ [النساء : ١١٥] نؤته منها ، فألقه إليهم :

٤ ـ يقرأ بالإشباع فى المدين المتصل والمنفصل بمقدار ست حركات .

٥ ـ يقرأ بالسكت على أل وشىء ويقرأ من رواية خلف بالسكت على الساكن المفصول نحو « عذاب أليم » .

٦ ـ يغير الهمز عند الوقوف سواء كان فى وسط الكلمة نحو يؤمنون، أم فى آخرها نحو ينشىء على تفصيل فى ذلك فى كتب القراءات .

٧ ـ يدغم من رواية خلف ذال إذ فى الدال والتاء، ومن رواية خلاد فى جميع حروفها ما عدا الجيم ، ويدغم من الروايتين دال قد فى جميع حروفها ، وتاء التأنيث فى جميع حروفها ، ويدغم لام هل فى الثاء نحو ﴿ **هل ثوّب الكفار** ﴾ فى المطففين ، ولام بل فى السين فى ﴿ **بل سوّلت لكم** ﴾ بيوسف، وفى التاء نحو ﴿ **بل تأتيهم** ﴾ ويدغم الباء المجزومة فى الفاء نحو ﴿ **وإن تعجب فعجب** ﴾ [الرعد : ٥] هذا من روايه خلاد، ويدغم الذال فى عذت، اتخذتم ، فنبذتها ، والثاء فى التاء فى أورثتموها ، وفى لبثت كيف وقع .

٨ ـ يميل الألفات من ذوات الياء والألفات المرسومة ياء فى المصاحف نحو الهدى اشترى، النصارى ، ويميل الألفات فى خاب، خافوا ، طاب، ضاقت ، وحاق، زاغ، جاء ، شاء ، ويقلل الألفات الواقعة بين راءين ثانيتها متطرفة مكسورة نحو إن كتاب الأبرار، من الأشرار.

٩ ـ يسكن ياءات الإضافة فى ﴿ **قل لعبادى الذين آمنوا** ﴾ بإبراهيم ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا** ﴾ بالزمر ونحو ذلك وقد حصرها العلماء فى كتب القراءات .

١٠ ـ يثبت الياء الزائدة فى ﴿ **أتمدونن بمال** ﴾ فى النمل ﴿ **ربنا وتقبل دعاء** ﴾ بإبراهيم (البحث والاستقراء / ٨٧، ٨٨) .

وفيما يلى ما جاء من نظم فى منهج حمزة فى القراءة الذى أوردناه آنفا . قال الناظم :

وإن تسكتن فى مد منفصل فلا
سكوت على الموصول فى هزءا ابدلا
وفى أل أو المفصول فاسكت موسطا
لشىء بوار معه توراة قللا
وعن حمزة ما كان وسطا بزائد
لدى سكت كالما أو كينأون سهلا
وكن آخذا أيضا به عنه إن تكن
على هاء تأنيث وقفت مميِّلا
ومنفصل عن مدٍّ أو عن محرِّك
لدى سكت مد الوصل ليس مسهِّلا
كذلك مع سكت على أل وشيئه
كذلك مع توسيط شىء تُقبِّلا
وسكتا بمفصول فموصول اورويا
كذلك فاسكت فى الجميع وحصِّلا

بفتح كإن تتلو الإمالة مطلقا
سوى ألف أو إن تخصص مميّلا
لخمس وعشر مثل كره بشرطها
ومع سكت مد الفصل لا ميل أعملا
وعن خلف لا فتح بالسكت مطلقا
ولكن لذى التخصيص حتما فميّلا
ومع ترك سكت عند خلاد جوّزن
لميل وأما للرفيق فأهملا
وسهّل كمن أجر وحقق لحمزة
لمنفصل رسما إذا الكل ميلا
يعذب من أدغم متى تسكتا بأل
مع السكت والتوسيط فى شيء احملا
بإضجاع ها التأنيث توراة ميلا
ومع سكت مد أو كجزءا فميّلا
ومع سكت أل فامنع لوجه إمالة
بتقليلها مفصول تحريك أهملا
لتسهيله وامنع لإدغام بل طبع
بسكتك مدا ثم آلان مبدلا
به خصصا مفصول مد مسهّلا
ومع سكت مد الفصل أيضا فأبدلا
وترقيق فرق خصّصن بفتح ها
وتحقيق همز للمحرك قد تلا
وقصر لا وامنع مع السكت مطلقا
كموصوله يسّ عنه مقللا
ومع نقص نخلقكم فلا ماء ساكت
كسكت بفصل إن قرار يقللا

(مختصر قواعد التحرير / ٣٦ - ٣٩) .

(البحث والاستقراء فى تراجم القراء - محمد الصادق قمحاوى / ٤٦ - ٤٩ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٦١ - ٢٦٣ ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن - فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١ ، والكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى - محمد الصادق قمحاوى / ٣٧ ، ومختصر قواعد التحرير لطيبة النشر - محمد بن محمد جابر المصرى / ٣٦ - ٣٩ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧٧ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٣٤ ، ٣٥ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنظام النيسابورى - تحقيق إبراهيم على سالم / ١٨ ، والمدرسة القرآنية فى المغرب من الفتح الإسلامى إلى ابن عطية - عبد السلام أحمد الكنونى (بالجيم المغربية) ١ / ١٠٣ ، والتذكرة فى القراءات السبع لابن غلبون - تحقيق د. عبد الفتاح بحيرى إبراهيم ١ / ٤١) .

*** ابن حمزة المغربى :**

ابن حمزة المغربى ، من علماء القرن العاشر للهجرة (أى السادس عشر للميلاد) ، ومن الذين اشتغلوا بالرياضيات ، وبرعوا وألفوا فيها المؤلفات القيمة ، التى أفضت إلى تقدم بعض النظريات فى الأعداد .

و « ابن حمزة » من الذين مهدوا لاختراع . اللوغارتمات ، كما أن بحوثه فى المتواليات كانت الأساس الذى بنى عليه هذا الفرع من الرياضيات .

وهو جزائرى الأصل ، أقام مدة فى « استانبول » ، حيث درس العلم ، ثم عاد فى أواخر القرن العاشر للهجرة إلى بلاد « الجزائر » ومنها توجه إلى « الحجاز » لأداء فريضة الحج .

ويظهر من مؤلفاته ، أنه استفاد من « ابن الهائم » و « ابن غازى » ومن مؤلفاته : « تحفة الأعداد فى الحساب » ألفه بمكة المكرمة ورتبه على مقدمة وأربع مقالات وخاتمة فى عصر السلطان « مراد خان بن سليم خان » (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك / ٤٧٠) .

انظر نموذجا لحل ابن حمزة لمسألة بعينها أوردناها فى مادة « تحفة الأعداد لذوى الرشد والسداد » فى م ٨ / ٦٠٥ - ٦٠٧ .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٤٧٠ . انظر أيضا العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية - د. جلال شوقى ، د. على الرفاع ١ / ٢٩١ - ٢٩٤) .

*** الحمزى :**

قال السمعانى :

الحمزى : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وفى آخرها الزاى ، هذه النسبة إلى شيئين : أحدهما إلى حمزة - وقيل هى

خمزى ـــ وهى مدينة من بلاد المغرب ، والمنتسب إليها أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن داود الحمزى المغربى من هذه البلدة ، كان فقيها صالحا ورد بغداد وسمع بها أبا نصر محمد بن محمد بن على الزينبى وبالبصرة أبا على على بن أحمد بن على التسترى وطبقتهما ، سمع منه رفيقنا أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الحافظ ، وذكر لى بصنعاء أنه توفى ببغداد يوم الجمعة سابع شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وأما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأنبارى المقرى الضرير ، يعرف بابن أبزون الحمزى ينسب إلى حمزة الزيات لأنه كان يقرأ بقراءته (انظر : حمزة القارىء) من أهل الأنبار ، كان ضرير البصر مقرئا ، روى عن بهلول بن إسحاق التنوخى وسعيد بن عبد الله الحدثانى ويموت بن المزرع البصرى وأبى عمر محمد بن أحمد الحليمى ، روى عنه محمد بن عمر بن بكير النجار وأبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز وأبو الفرج بن سميكة البغدادى ؛ وقال محمد بن العباس بن الفرات : ابن أبزون لم يكن فى الرواية بذاك ، كتبت عنه ، وكانت معه كتب طرية غير أصول ، وكان مكفوفا ، وأرجو أن لا يكون ممن يتهم بالكذب وقال أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس الحافظ : سنة أربع وستين وثلاثمائة توفى أبو عبد الله بن أبزون الأنبارى الضرير ، ولم يكن ممن يصلح للصحيح وأرجو أن لا يكون ممن يتعمد الكذب .

وأما الحمزية ففرقة من الخوارج ، وهم أصحاب رجل يقال له حمزة ، وكانوا مع الميمونية فى القول بالقدر وفى وجوب قتال السلطان ، وخالفوا الميمونية فى الأطفال فقالوا إن أطفال المشركين فى النار؛ وهم عند الميمونية فى الجنة ، وكل واحد من الفريقين يكفر الآخر .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٢ انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـــ تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٢) .

*** الحمزية:**

انظر : الحمزى .

*** الحُمْس:**

جاء فى اللسان فى مادة «حمس» : الأحمس : المتشدد على نفسه فى الدين ...

والحمس : قريش ، لأنهم كانوا يتشددون فى دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون ، وقيل : كانوا لا يستظلون أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون ، ولا يسلئون السمن ، ولا يلقطون الجُلة .

وفى حديث خيفان : أما بنو فلان فمُسك أحماس أى شجعان وفى حديث عرفة : هذا من الحمس ، هم جمع الأحمس . وفى حديث عمر ، رضى الله عنه ، ذكر الأحامس ؛ هو جمع الأحمس الشجاع . أبو الهيثم : الحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس ، وهم فهم وعدوان ابنا عمرو ابن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، هؤلاء الحمس ، سموا حمسا لأنهم تحمسوا فى دينهم ، أى تشددوا . قال : وكانت الحمس سكان الحرم ، وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات ، إنما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم ، وصارت بنو عامر من الحمس ، وليسوا من ساكنى الحرم ، لأن أمهم قرشية ، وهى مجد بنت تيم بن مرة ، وخزاعة سميت خزاعة لأنهم كانوا من سكان الحرم فخزعوا عنه ، أى أخرجوا؛ ويقال : إنهم من قريش انتقلوا بنسبهم إلى اليمن ، وهم من الحمس ، وقال ابن الأعرابى فى قول عمرو :

* بتثليث ما ناصيت بعدى الأحامسا *

أراد قريشا ؛ وقال غيره : أراد بالأحامس بنى عامر ، لأن قريشا ولدتهم ؛ وقيل : أراد الشجعان من جميع الناس .

وأحماس العرب أمهاتهم من قريش ، وكانوا يتشددون فى دينهم ، وكانوا شجعان العرب لا يطاقون .

والأحمس : الورع من الرجال الذى يتشدد فى دينه . والأحمس : الشديد الصلب فى الدين والقتال ، وقد حمس ، بالكسر ، فهو حمس وأحمس بين الحمس ابن سيده : والحمس فى قيس أيضا ، وكله من الشدة (لسان العرب ١٢ / ٩٩٥) .

وقد جاء فى السيرة النبوية عن حديث الحمس ما يلى :

قريش تبتدع الحمس : قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش ـ لا أدرى أقبل الفيل أم بعده ـ ابتدعت رأى الحمس رأيا رأوه وأداروه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقطان مكة وساكنها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف

لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ـ ﷺ ـ ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ، ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس ، والحمس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم .

القبائل التى آمنت مع قريش بالحمس : وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة النحوى : أن بنى عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعمرو بن معد يكرب :

أعباس لو كانت شيارا جيادنا
بتثليث ما ناصيت بعدى الأحامسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار: الحسان . يعنى بالأحامس: بنى عامر بن صعصعة . وبعباس: عباس بن مرداس السلمى ، وكان أغار على بنى زبيد بتثليث . وهذا البيت فى قصيدة لعمرو .

وأنشدنى للقيط بن زرارة الدارمى فى يوم جبلة :

أجذم إليك إنها بنو عبس
المعشر الحلة فى القوم الحمس

لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة .

مازادته قريش فى الحمس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا فى ذلك أمورا لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغى للحمس أن يأتقطوا الأقط ، ولا يسلؤا السمن ، وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر ، ولا يستظلوا ـ إن استظلوا ـ إلا فى بيوت الأدم ما كانوا حرما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الحمس . فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة

اللقى عند الحمس : فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الحمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسها هو ، ولا أحد غيره أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللقى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مفرجا عليها ، ثم تطوف فيه .

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه ، فلا يقربه ـ وهو يحبه :

كفى حزنا كرى عليها كأنها
لقى بين أيدى الطائفين حريم

يقول : لا تمس .

الإسلام يبطل عادات الحمس : فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا ـ ﷺ ـ فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجه . ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ [البقرة : ١٩٩] يعنى قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت ، حين طافوا عراة ، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ [الأعراف : ٣١ ، ٣٢] فوضع الله تعالى أمر الحمس ـ وما كانت قريش ابتدعت منه ـ عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله ﷺ .

(قوله : ﴿ **وكلوا واشربوا** ﴾ إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس ، ﴿**وخذوا زينتكم**﴾ : يعنى اللباس ، ولا تتعروا ، ولذلك افتتح بقوله : ﴿ **يا بنى آدم**﴾ بعد أن قص خبر آدم وزوجه . إذ يخصفان عليهما من ورق

الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة) .

الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن حزم ، عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له ، ﷺ تسليما كثيرا .

(حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير ابن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمس ، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون ؟ !) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٩٩٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٨٤ ـ ١٨٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . انظر أيضا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقى الفاسى ـ حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء ٢ / ٤١ ـ ٤٣) .

*** حمص :**

بالكسر ثم السكون والصاد المهملة . بلد مشهور فى سورية اسمها القديم أميسا . تقع على نهر العاصى فى منطقة خصبة ، تنتشر بها الحدائق والبساتين . وهى مدينة قديمة ولها تاريخ عريق . بلغ عدد سكانها عام ١٩٨١ : ٣٥٤٥٠٨ (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١/ ٣٧٥) .

قال الجوهرى وغيره : بلد يذكر ويؤنث ، هذا حمص ، وهذه حمص . قال السندوبى : حمص من أوسع مدن الشام بها نهر عظيم ولها قرى ؛ سميت بحمص بن صهر بن خميص ابن صاب بن مكنف من بنى عمليق ، افتتحها أبو عبيدة عامر ابن الجراح صلحا سنة ١٦ ست عشرة هجرية ، ثم نافقت ثم صولحت ، وقد نسب إليها خلق كثير من المحدثين (الرسالة الرشادية / ٢٠ ، ٢١) . وقال صاحب اللسان : وحمص كورة من كور الشام أهلها يمانيون . قال سيبويه : هى أعجمية ، ولذلك لم تنصرف (اللسان ١٢ / ٩٩٧) .

وفيما يلى ما ورد فى بعض مصنفات التراث الإسلامى عن حمص :

١ ـ ابن جبير (٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧ م) : وصفها كما كانت فى زمانه فقال عنها :

هى فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة فى بسيط من الأرض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه يكاد البصر يقف دون منتهاه أفيح أغبر لا ماء ولا شجر ولا ظل ولا ثمر فهى تشتكى ظمائها وتستقى على البعد ماءها فيجلب لها من نهيرها العاصى وهو منها بنحو مسافة الميل وعليه طرة بساتين تجتلى العين خضرتها وتستغرب نضرتها ومنبعه فى مغارة بسفح جبل فوقها بمرحلة بموضع يقابل (بعلبك) أعادها الله وهى عن يمين الطريق إلى دمشق وأهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم إياه وبعدهم فى ذلك أهل حلب فأحمد خلال هذه البلدة هوائها [هواؤها] الرطب ونسيمها الميمون تخفيفه وتجسيمه فإن الهواء النجدى فى الصحة شقيقه وقسيمه وبقبلى هذه المدينة قلعة حصينة منيعة عاصية غير مطيعة قد تميزت وانحازت بموضوعها عنها وبشرقيها جبانة فيها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه هو سيف الله المسلول ومعه قبر أبيه عبد الرحمن وقبر عبيد الله بن عمر رضى الله عنهم وأسوار هذه المدينة فى غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود وأبوابها أبواب حديد سامية الإشراف هائلة المنظر رائعة الإطلال والأناقة تكتنفها الأبراج المشيدة الحصينة وأما داخلها فما شئت من بادية شعثاء خلقة الأرجاء ملفقة البناء لا إشراق لآفاقها ولا رونق لأسواقها كاسدة لا عهد لها بنفاقها وما ظنك ببلد حصن الأكراد (انظره فى موضعه) منه على أميال يسيرة وهو معقل العدو فهو منه تترائى ناره ويحرق إذا يطير شراره ويتعهد إذا شاء كل يوم مغاره ... وبها مدرسة واحدة وتجد فى هذه البلدة عند إطلالك عليها من بعد فى بسيطها ومنظرها وهيئة موضوعها بعض شبه بمدينة إشبيلية من بلاد الأندلس يقع للحين فى نفسك خياله وبهذا الاسم سميت فى القديم وهى العلة التى أوجبت نزول الأعراب أهل حمص فيها حسبما يذكر وهذا التشبيه وإن لم يكن بذاته فله لمحة من إحدى جهاته فأقمنا بها يوم الأحد المذكور ويوم الإثنين بعده وهو الثانى ليوليه إلى أول الظهر ورحلنا منها (رحلة ابن جبير / ١٩٨ ، ١٩٩) .

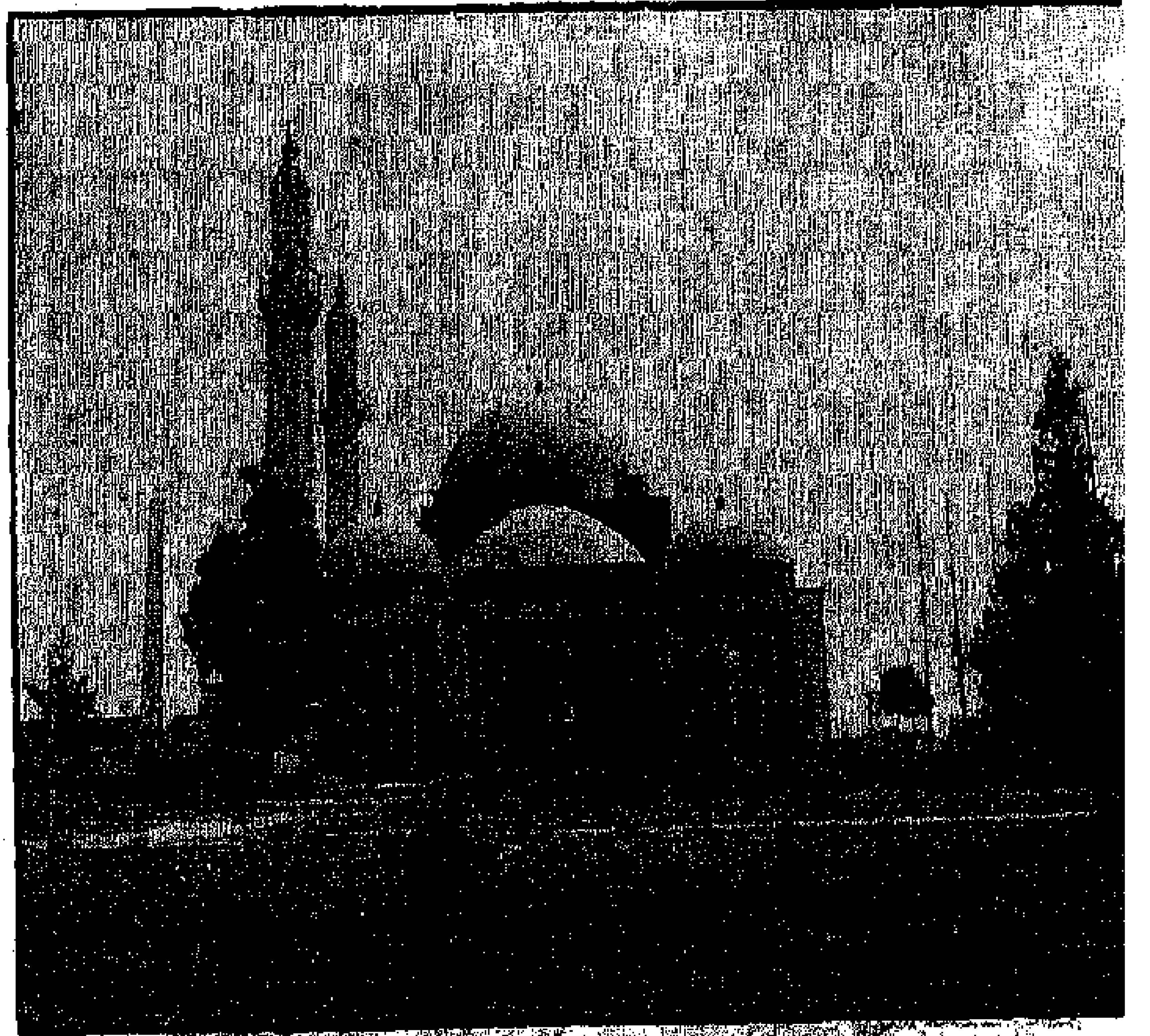
٢ ـ ياقوت الحموى (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ / ١١٧٨ ـ ١٢٢٩م) بسط الكلام عليها فقال :

بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة ، وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق ، يذكر ويؤنث ، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف ، وقيل: حمص بن مكنف العمليقى، وقال أهل الاشتقاق: حمص الجرح يحمص حموصا ، وانحمص ينحمص انحماصا إذا ذهب ورمه ، وقال أبو عون فى زيجه : طول حمص إحدى وستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان ، وهى فى الإقليم الرابع ، وفى كتاب الملحمة : مدينة حمص طولها تسع وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، من الإقليم الرابع ، ارتفاعها ثمان وسبعون درجة ، تحت ثمانى درج من السرطان، يقابلها مثلها من الجدى ، بيت ملكها مثلها من الحمل ، بيت عاقبتها مثلها من الميزان ، قال أهل السير، حمص بناها اليونانيون، وزيتون فلسطين من غرسهم .

وأما فتحها فذكر أبو المنذر عن أبى مخنف أن أبا عبيدة ابن الجراح لما فرغ من دمشق قدم أمامه خالد بن الوليد وملحان بن زيّار الطائى ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجؤوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح ، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار، وقال الواقدى وغيره : بينما المسلمون على أبواب دمشق إذ أقبلت خيل للعدو كثيفة فخرج إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهيا والثنية فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا حتى وافوا حمص وكانوا متخوفين لهرب هرقل عنهم فأعطوا ما بأيديهم وطلبوا الأمان ، فأمنهم المسلمون فأخرجوا لهم النُزل فأقاموا على الأرنط ، وهو النهر المسمى بالعاصى وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندى، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان ثم قدم حمص على طريق بعلبك فنزل بباب الرستن فصالحه أهل حمص على أن أمَّنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من قام منهم ، وقيل: بل السمط صالحهم فلما قدم أبو عبيدة أمضى الصلح . وإن السمط قسم حمص خططا بين المسلمين وسكنوها فى كل موضع جلا أهله أو ساحة متروكة ، وقال أبو مخنف: أول راية وافت للعرب حمص ونزلت حول مدينتها راية ميسرة بن مسرور العبسى ، وأول مولود ولد فى الإسلام بحمص أدهم بن محرز ...

وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فيه عمود فيه موضع إصبعه ، رآه بعضهم فى المنام ، وبها دار خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقبره فيما يقال، وبعضهم يقول : إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح ، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى رضى الله عنه ، الذى فتح بلاد الجزيرة ، وفيه قبر زوجة خالد بن الوليد وقبر ابنه عبد الرحمن ، وقيل : بها قبر عبيد الله بن عمر ابن الخطاب، والصحيح أن عبيد الله قتل بصفين فإن كانت نقلت جثته إلى حمص فالله أعلم .

ويقال : إن خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل من حمص، وإن هذا الذى يزار بحمص إنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذى بنى القصر بحمص ، وآثار هذا القصر فى غربى الطريق باقية ، وبحمص قبر سفينة مولى رسول الله ﷺ واسم سفينة مهران ، وبها قبر قنبر مولى على بن



مسجد خالد بن الوليد فى حمص

أبى طالب رضى الله عنه ويقال : إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه وقتل ميثما التمار بالكوفة، وبها قبور لأولاد جعفر بن أبى طالب، وهو جعفر الطيار، وبها مقام كعب الأحبار ومشهد لأبى الدرداء وأبى ذر، وبها قبر يونان والحارث بن عطيف الكندى وخالد الأزرق الغاضرى والحجاج بن عامر وكعب وغيرهم .

وينسب إليها جماعة من العلماء، ومن أعيانهم : محمد ابن عوف بن سفيان أبو جعفر الطائى الحمصى الحافظ، قال الإمام أبو القاسم الدمشقى : قدم دمشق فى سنة ٢١٧ وروى عن أبيه وعن محمد بن يوسف القبرياني وأحمد بن يونس وآدم ابن أبى إياس وأبى المغيرة الحمصى وعبد السلام بن عبد الحميد السكونى وعلى بن قادم وخلق كثير من هذه الطبقة، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرزايانى وأبو داود السجستانى وابنه أبو بكر وعبد الرحمن بن أبى حاتم ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو زرعة الدمشقى وخلق كثير من هذه الطبقة ، قال عبد الصمد بن سعيد القاضى : سمعت محمد بن عوف بن سفيان يقول : كنت ألعب فى الكنيسة بالكرة وأنا حدث فدخلت الكرة المسجد حتى وقعت بالقرب من المعافى بن عمران فدخلت لأخذها فقال لى : يا فتى ابن من أنت ؟ قلت : أنا ابن عوف ، قال : ابن سفيان : قلت : نعم ، فقال : أما إن أباك كان من إخواننا وكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم والذى يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك ، فصرت إلى أمى فأخبرتها فقالت : صدق يا بنى هو صديق لأبيك، فألبستنى ثوبا من ثيابه وإزارًا من أزره ثم جئت إلى المعافى بن عمران ومعى محبرة وورق فقال لى : اكتب حدثنا إسماعيل بن عبد ربه بن سليمان، قال : كتبت إلى أم الدرداء فى لوحى فيما تعلمنى : اطلبوا العلم صغارا تعلموه كبارا، قال : فإن لكل حاصد ما زرع خيرًا كان أو شرًّا، فكان أول حديث سمعته ، وذكر عند يحيى بن معين حديث من حديث الشام فرده وقال : ليس هو كذا ، قال : فقال له رجل فى الحلقة : يا أبا زكرياء إن ابن عوف يذكره كما ذكرناه . قال : فإن كان ابن عوف ذكره فإن ابن عوف أعرف بحديث بلده ، وذكر ابن عوف عند عبد الله بن أحمد بن حنبل فى سنة ٢٧٣ فقال : ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف، ذكر ابن قانع أنه توفى سنة ٢٦٩ وقال ابن المنادى : مات فى وسط سنة ٢٧٢ .

ومحمد بن عبيد الله بن الفضل يعرف بابن أبى الفضل أبو الحسن الكلاعى الحمصى . حدث عن مصيفى وجماعة كثيرة من طبقته ، وروى عنه القاضى أبو بكر الميانجى وأبو حاتم محمد بن حبان البستى وجماعة كثيرة من طبقتهما ، وكان من الزهاد ومات فى أول يوم رمضان سنة ٣٠٩، ومات ابنه أبو على الحسن لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة ٣٥١ (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٧٥ ـ ٣٨٢، ومعجم البلدان ٢/ ٣٠٢ـ ٣٠٤) .

وفى هذا المجال يقول شمس الدين الذهبى ، وشمس الدين السخاوى : وحمص نزلها خلق من الصحابة ، وانتشر بها الحديث زمن التابعين ، وإلى أيام حريز بن عثمان ، وشعيب بن أبى حمزة ، ثم إسماعيل بن عياش، وبقية ، و أبى المغيرة وأبى اليمان ، ثم أصحابهم . ثم تناقص ذلك فى المائة الرابعة وتلاشى ، ثم عدم بالكلية (الأمصار ذوات الآثار / ١٧٣ والإعلان بالتوبيخ / ٢٩٥) .

٣ ـ ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ ـ ١٣٧٧ م) . قال عن مدينة حمص :

وهى مدينة مليحة، أرجاؤها مؤنقة، وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع، وجامعها متميز بالحسن الجامع، وفى وسطه بركة ماء، وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم ، وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله، وعليه زاوية ومسجد، وعلى القبر كسوة سوداء(مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٥٣، ٥٤) .

ومن الكتب المؤلفة فى حمص ذكر الشمس السخاوى كتاب « حمص » لأحمد بن عيسى، و « من نزلها من الصحابة » لعبد الصمد بن سعيد، ولأبى بكر بن صدقة (الإعلان بالتوبيخ / ٢٦١) ..

ومن المدارس القليلة ذات الإيوانين فى حمص المدرسة العصرونية ، التى تقع عند باب حمص على ضفة نهر العاصى قرب بستان الجبلى . أنشأ هذه المدرسة الأمير نجم التوتان بن باروق سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ، وكانت مخصصة للحديث والقرآن. وفى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون جددها وعمّر مسجدها وحبس عليها الكثير من الأوقاف محمد بن محمد بن أبى بكر الشافعى. وقد حرص الواقف على تسجيل

شرط الإقامة فى المدرسة منقوشا على بابها ، وهو أشبه ما يكون بالـلائحة الداخلية للمعاهد بمفهومنا الحالى ، ومن ثم فمن الفائدة نقله هنا ، فهو من أصدق الأدلة التى توضح حالة المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى القرن السابع الهجرى من الناحية الثقافية والاجتماعية . فقد جاء فى النص ما يلى : أمر بعمل هذه المدرسة المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن أبى بكر الشافعى خلا قبلها وما استثنى جعلها دار قرآن . ووقف عليها أوقافا كثيرة ليسكن فى هذه الديار من فقراء المسلمين الغرباء مقيمين بها ليلاً ونهاراً يتلون كتاب الله ، ويتذاكرونه بينهم ، ويدعون للواقف ولوالديه وللمسلمين بالنصر . وقرر بها شيخين يعلمون [يعلمان] الفتية القرآن الكريم ، وشرط أن يكون [تكون] مدة إقامة الفقير خمس سنين ، فإن ختم القرآن أو مضت المده المعينة فيكسى ثوبا أو جبة . جعلها الله خالصة لوجهه الكريم فى شوال سنة خمس عشرة وسبعمائة (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام/ ١٤٥) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين مسجد خالد بن الوليد شيده فى مدينة حمص السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٣ هـ ، ثم أعيد بناؤه فى عهد السلطان عبد الحميد سنة ١٣١٨ هـ ، ثم توالت عمليات الإصلاح (الوعى الإسلامى - السنة التاسعة العدد ٩٩ - غرة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ - ٣ إبريل ١٩٧٣م/ ٣)

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان . السفر الثالث ، القسم الأول / ٣٧٥ هامش (١) للمحقق، والرسالة الرشادية - محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠ ، ٢١ ، ولسان العرب ١٢ / ٩٩٧، ورحلة ابن جبير ط عبد الحميد أحمد حنفى / ١٩٨ ، ١٩٩ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٤ والأمصار ذوات الآثار لشمس الدين الذهبى - حققه وقدم له قاسم على سعد / ١٧٣ ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوى - حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنثال / ٢٦١ ، ٢٩٥ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١/ ٥٣ ، ٥٤ والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام - د. أحمد رمضان أحمد محمد/ ١٤٥ انظر أيضا أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ١٣٧ ، والدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة - تقديم عبد الله محمد الدرويش / ٢٧٠ - ٢٧٤ ، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها ماجد اللحام / ٨٨ - ٩٠ والإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحورانى - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ١٤٨ - ١٥٤ ، والروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة ١ / ٢٣٧ - ٢٣١) .

*** الحِمَّص :**

ذكره صاحب اللسان بكسر الحاء وتشديد الميم وفتحها أو كسرها وقال : والحِمَّص والحِمِّص : حب القِدْر ، قال أبو حنيفة [الدينورى] : وهو من القطانى ، واحدته حمَّصة وحمِّصة ، ولم يعرف ابن الأعرابى كسر الميم فى الحِمِّص ، ولا حكى سيبويه فيه إلا الكسر فهما مختلفان . وقال أبو حنيفة : الحمص عربى وما أقل ما فى الكلام على بنائه من الأسماء ... وأهل البصرة اختاروا حِمِّصا [بكسر الميم] ، وأهل الكوفة اختاروا حمَّصا [بفتحها] وقال الجوهرى : الاختيار فتح الميم ، وقال المبرد بكسرها (لسان العرب ١٢ / ٩٩٦) .

وقد أورده المظفر الرسولى ورمز إلى مصادره بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

حمص « ع » هو جنس من الحبوب ، ينفخ ويلين البطن ، ويدر البول ، ويزيد فى اللبن ... ، ويدر أيضا الطمث . فأما الحمص الأسود فهو أكثر إدرارا من سائر الحمص ، وماؤه الذى يطبخ فيه يفتت الحصاة من الكلى . وقال : الحمص يدر البول ، ويولد النفخ ، ويحسن اللون ، ويدر الطمث ، ويعين فى إخراج الجنين ، ويولد اللبن ، وهو يغذو الرئة أكثر من سائر الأشياء ، وكذلك إذا كان فيها قروح يعمل مع دقيقه حسو باللبن الحليب ، ويعطى صاحب قروح الرئة ... وغذاؤه كاف ، ويحدث فى اللحم انتفاخا ، ويفعل فى البدن ما يفعله الخمير فى العجين ، والخل فى الأرض . وهو نافع لما يعرض فى الرأس والبدن كله من الحكة ، ... ورطبه أكثر توليدا

للفضول من يابسه، ويابسه يجلو النمش، وينفع من وجع الظهر، ونقيعه ينفع من وجع الضرس، وينفع من أورام اللثة الحارة، ودهنه ينفع من القوباء، وإذا طبخ مع اللحم أعان على نضجه، وإذا غسل به أثر الدم قلعه من الثوب. والحمص الأسود أكثر حرارة، وأقل رطوبة من الأبيض، ولذلك صارت مرارته أظهر على حلاوته وصار فعله فى تفتيح سدد الكبد والطحال، وتفتيت الحصاة، وإخراج الدود وحب القرع من البطن، وإسقاط الأجنة، والنفع من الاستسقاء واليرقان العارض من سدد الكبد والمرارة، فيه أقوى وأظهر، وأما فى زيادة اللبن وتحسين اللون وإدرار البول، فالأبيض أخص لذلك وأفضل، لعذوبته ولذاذته وكثرة غذائه. « ج » منه أبيض ومنه أحمر ومنه كرسنى، ويكون بريا وبستانيا، والبرى أحد وأمر، وأشد تسخينا، والأسود أقوى وأبلغ فى أفعاله، وهو يسقط الأجنة، والأبيض حار رطب فى الدرجة الأولى وقيل إنه يابس، وهو ملين، يجلو النمش، ويحسن اللون. « ف » حب معروف أبيض اللون، وأحمر، وأسود، وأجوده الأبيض الكبار. حار فى الثانية، رطب فى الأولى، ينفع وجع الظهر، ويصفى الصوت ...

والأسود منه خير من الأبيض. الشربة: بقدر الحاجة اهـ وجاء فى هامش (١) ما يلى :

مضرته : يقرح الكلى، ويولد نفخا ورياحا، ويسقط الأجنة. دفع ضرره: أن يجرش ويطبخ بالشبث والكمون والزيت والدارصينى، ويشرب مرقه، ولا يؤكل جرمه، فإنه إذا فعل به كذلك نفع الشيوخ من الأمراض الباردة، ومن أحب أكل جرمه، فليأكله بالملح الكثير والمرى، وإن دفع إلى أكل نيئه أكل بالأمراق الدسمة، وإن دفع إلى أكل المقلى منه، فليأكله سخنا كما قلى، ليسرع انحداره، وإن دفع إلى أكل المشوى منه فليرش عليه الماء والملح، حسو الحمص المعمول من دقيقه نافع من علل الصدر والرئة، ومن السعال. ضرره: يولد نفخا. دفع ضرره أن يطبخ فى اللبن الحليب ودهن اللوز. اهـ (المعتمد فى الأدوية المفردة ١ / ١٠٣ - ١٠٥).

قال الإمام ابن الجوزى : إذا نقع فى الخل، وأكل منه على الريق، وصبر عليه نصف يوم، قتل الدود (مختصر لقط المنافع / ٤٢).

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسى عن كيفية زرعه وعن بعض خواصه : وأما الحمص فأنواع : أبيض وأحمر وأسود. وإن أردت أن يكبر الحمص ويجود فانقعه قبل أن تزرعه بيوم فى ماء ساخن قليل الحرارة حتى ينبت، ثم ازرعه فى أرض ندية، وتوافقه الأرض السبخة، فيخرج نباته قويا جدًا. والحمص الأبيض يورث أكله السرور وسكون النفس، وإذا جعل معه عند طبخه خردل فإنه ينهرى إنضاجًا وزرع الحمص مع قشوره أجود. ومن خواصه أنه إذا سحق وخلط بالصابون أو بالملح وغسل به ثوب فيه أثر دم أزاله. والحمص بطىء الهضم جدا، وإصلاحه تكثير ملحه (علم الفلاحة / ١١٥).

وعن إفلاح الحمص جاء ما يلى لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى : الحمص من المنابت المالحة التى تجتذب ملوحة الأرض إليها. ووقت زرعه من أول كانون الآخر إلى آخر شباط (أى من أول يناير إلى آخر فبراير) وربما زرع فى أول تموز (يولية) فيكون ضعيفا، ويوافقه من الأرضين الأرض المالحة والنزة. وإذا أريد أن يكون حمله كثيرا فلينقع قبل الزرع بيومين فى ماء فاتر حتى يبتل قليلا ثم يزرع فى الأرض بنداوته. وقيل متى زرع فى أرض سبخة مالحة خرج نباته قويا متوافرا، ومتى أريد مبكرا فليزرع فى أول تشرين الأول (أكتوبر)، وإن زرع مع قشوره كان أجود وأنبل (مفتاح الراحة / ١٢٨، ١٢٩).

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٩٩٦؛ والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا، ١ / ١٠٣ ـ ١٠٥، ومختصر لقط المنافع للإمام ابن الجوزى / ٤٢، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١١٥، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية و د. إحسان صدقى العمد / ١٢٨، ١٢٩).

* **حمص (موقعة) :**

تتناول المصادر التاريخية التى بين أيدينا عددا من المعارك التى دارت فى مدينة حمص نورد منها ما يلى وفقا للترتيب الزمنى :

١ ـ حمص ١٥ هـ : وهى من الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ، وقد ذكر ابن حزم أن فتح حمص كان بعد دمشق بأربعة أشهر، من سنة أربع عشرة من الهجرة (الفتوحات الإسلامية / ٧).

أما ابن كثير فقد أدرج هذه الموقعة فى أحداث سنة ١٥ هـ وقال عنها ما يلى :

لما وصل أبو عبيدة فى اتباعه الروم المنهزمين إلى حمص، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصارا شديدا، وذلك فى زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد، وصبر الصحابة صبرا عظيما ، بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهى فى الخف، والصحابة ليس فى أرجلهم شىء سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضا . ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب؟ .

فيقال : إن الصحابة كبروا فى بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفطرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق، على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضى، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر. وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشا كثيفا يكون بها مع جماعة من الأمراء، منهم : بلال، والمقداد . وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده (البداية والنهاية م ٤ / ٧٠، ٧١) .

ويتناول الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى وقعة حمص الأولى هذه بمنظور عسكرى حديث ويبين الاستراتيجية العسكرية للمسلمين ، تلك الاستراتيجية التى قادت فى النهاية إلى النصر المبين قال سيادته تحت عنوان فتح حمص سنة ١٥ هـ :

استخلف أبو عبيدة على بعلبك رافع بن عبد الله . ونظم جيشه للمسير وتوجه إلى حمص وعندما وصل قريبا من حمص توقف فيها ووضع ميسرة بن مسرور العبسى ومعه خمسة آلاف فارس وعندما شعر أن ميسرة قد وصل أيضا ، وجه بعد ذلك عمرو بن معد يكرب الزبيدى.ولحق به بقية الجيش. وصل أبو عبيدة إلى حمص فأرسل رسالة إلى حاكمها يدعوه بالعودة إلى السلم والالتزام بنصوص الاتفاقية وعندما عرف أن حاكم حمص مصمم على القتال قسم قواته إلى المجاميع التالية .

١ ـ المجموعة الأولى بقيادة المسيب بن نجيه الغزارى للتمركز عند باب الجبل .

٢ ـ المجموعة الثانية بقيادة المرقال بن هشام بن عقبة بن أبى وقاص للتمركز عند باب الرستن .

٣ ـ المجموعة الثالثة بقيادته فنزل على باب الشام .

٤ ـ المجموعة الرابعة بقيادة خالد بن الوليد عند باب العصر .

كان حاكم حمص قد حصن مدينته واستعد للقتال وحفظ كميات من الأغذية للحصار وأخذ ينتظر قوات الدعم معتقدا بأن المسلمين لا يقاومون فى الأجواء الباردة .

عندما علم الخليفة عمر رضى الله عنه بحصار حمص واحتمال قيام العرب المتنصرة من غسان ولخم بدعمهم للروم أصدر أوامره إلى سعد بن أبى وقاص بتوجيه قوة إلى هيت وقرقباء لفتحها .

اشتد أمد الحصار ولذا وضع أبو عبيدة مخططه للهجوم الكبير وتظاهر بالانسحاب تاركا المواشي والغنائم فى المؤخرة وعندما ابتعد عن المدينة انطلق جيش حمص لمطاردة جيش أبى عبيدة وأسرع الفرسان المسلمون لتطويق جيش حمص ومنعه من العودة إلى المدينة وتمزقت المقاومة بعد معركة حاسمة تحققت خلال المباغتة بالأسلوب .

المبادىء والدروس :

١ ـ الحشد :

وهو يعنى جمع أكبر قوة ممكنة فى مواجهة العدو ولقد كان التفوق العددى فى جانب الروم وكان التفوق المعنوى يعوض المسلمين هذا التفوق وهذا لا يعنى أنهم أهملوا هذا الجانب بل أعطوه أهمية بالغة فعندما شعر خليفة المسلمين الصديق رضى الله عنه أن الفرق الإسلامية التى وجهها إلى

الشام لا تتناسب مع عدد أعدائهم جمع الرجال واستنفر الناس وأرسل الإمدادات وسير جيش خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لإنقاذ الموقف .

٢ ـ الاقتصاد بالجهد :

صدرت الأوامر إلى القائد عمرو بن العاص بالتوجه إلى أجنادين وقد لاحظ فى الوقت نفسه وهو رجل حرب وله خبرته بأن أرطون قد وضع قوات فى إيلياء والرملة وكانت هذه مقاومات إعاقة وشوكة لجيش الإسلام فكان لا بد أن يتصرف بحكمة ليبغى الهدف الرئيسى فلذلك وجه قوتين صغيرتين أفرزهما من جيشه وجعل قيادة الأولى لعلقمة بن حكيم وقيادة الثانية لأبى أيوب المالكى لمواجهة ومشاغلة هاتين القوتين المعاديتين وبذلك تفرغت القوة الرئيسية للهدف الأساسى وبذلك تحقق مبدأ الاقتصاد بالجهد .

خلال الهجوم على دمشق وضع القائد أبو عبيدة بن الجراح خطته طبقا للأوامر الصادرة من الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى جاءت بكتاب الخليفة لأبى عبيدة أما بعد فابدؤا بدمشق فانهدوا لها فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم فى نحورهم ... » .

فكانت قوة الهجوم الرئيسية موجهة لفتح دمشق ولكن فى الوقت ذاته أدرك المسلمون بأن للعدو قوات تهددهم فى فحل وخشى أن تبادر هذه القوات إلى مشاركة قوة دمشق فى القتال ومعاونتها ولكى يتم فتح دمشق ويحقق مبدأ الاقتصاد بالجهد فقد صدرت الأوامر لتخصيص قوة لمواجهة قوات الروم فى فحل وتوجهت القوة الرئيسية دمشق وبذلك نجحت الخطة .

٣ ـ المباغتة :

لقد نظم القائد خالد بن الوليد جيشه للدخول فى معركة «أجنادين » (انظرها فى م ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٨) وأمر عمرو بن العاص بتنفيذ خطة بالغة الروعة محققا بها مباغتة الروم حيث دخل جيش عمرو بن العاص المعركة حسب تنفيذ الخطة بدون جيش خالد بن الوليد واشتبك عمرو بن العاص مع جيش سرجيوس (تذارق) وتظاهر بأنه وحيد فى الميدان وبذلك ظن قائد الجيش الرومى بأنه حصل على مراده وهو الانفراد بجيش عمرو بن العاص البالغ تعداده سبعة آلاف مجاهد وجيشه تسعون ألفا وماذا عسى أن يفعل عمرو بن العاص مع هذا الجيش ؟ ودارت رحى المعركة بكل شراستها وفجأة تظهر فى الميدان قوات خالد بن الوليد وتدخل المعركة وبذلك حقق المسلمون المباغتة وهزم الروم شر هزيمة .

كما أن تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام سالكا طريق الصحراء القاحلة متجنبا المقاومات أتى الروم من مأمنهم باعتبار أن الصحراء لا يمكن اجتيازها إلاأن المسلمين سلكوها وباغتوا الروم بما لم يحتسبوا وهذا دليل ساطع على اهتمام المسلمين فى تطبيق مبدأ المباغتة وهناك أدلة كثيرة لتحقيق مبدأ المباغتة منها الحركة الإفراجية التى قام بها خالد ابن الوليد لفصل فرسان الروم عن المشاة التى تعتبر من روائع التاريخ العسكرى الإسلامى والحديث فى تنفيذ المخادعة والمباغتة وإيقاع العدو فى موقف ليس بصالحه وبأثرها تمت هزيمة الروم وإبادتهم على بكرة أبيهم . وتظاهر المسلمون بالانسحاب عن حمص وتركوا الشئون الإدارية خلفهم بهدف إغراء العدو لمطاردتهم وعندما نجح مخططهم قاموا بهجوم مباغت وفق أسلوب منظم تمكنوا به من تطويق خصمهم وإرغامه على الاستسلام وكذلك حفروا الحفر فى حصار اللاذقية وانطلقوا منها بإغارة مباغتة .

٤ ـ المرونة :

المرونة تعنى القدرة على الحركة والمناورة والانتقال والمسلمون يمتازون بهذه الصفة لأسباب عديدة منها أنهم عاشوا فى الصحراء التى تطلب تحركا دائما وطبيعة حياتهم تؤهلهم لخفة الحركة وسرعة الانتقال ولقلة الذيل الإدارى لدى المسلمين . ويعد تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام نموذجا رائعا لتطبيق مبدأ المرونة للحركة فى عمليات فتح الشام فقد سار فى الصحراء التى لا ماء فيها ولا كلأ قطع المسافة الطويلة فى خمسة أيام . كما أن تحرك الفرق الإسلامية وتجمعها فى أجنادين قبل وصول جيش الروم إلى جيش عمرو بن العاص وإنقاذه ودخولها المعركة بأجمعها دليل على سرعة الحركة والمرونة العالية . وهناك دليل آخر على المرونة وتنقل جيوش المسلمين فقد استطاع المسلمون فتح المدن والانتقال السريع لفتح المناطق الأخرى فلو درسنا التوقيت الزمنى لعمليات الفتح الإسلامى لوجدنا أن حركتهم

وسرعة تنقلهم وفتحهم البلدان لتذهل الدارس فكانت محاور تقدمهم من دمشق إلى بعلبك فحمص، شيزر، حماة، ثم حمص وبعد ذلك بعلبك، حمص، حماة، حلب، أنطاكية، جبلة، بانياس، طرطوس، ثم العودة إلى حمص، حلب الجزيرة، ما وراء الدروب محور العمليات الأول، دمشق بيسان، أجنادين إيلياء محور العمليات الثانى وهذه التحركات تمت خلال عام واحد هو (١٥ هـ) وتمت تصفية المقاومات .

٥ ـ العمل التعرضى والاحتفاظ بالمبادأة :

العمل التعرضى كما هو معروف يعنى الهجوم وهو خير وسيلة للدفاع ويؤدى إلى كسب السيطرة ويمنح حرية العمل ويلزم العدو باتخاذ خطة الدفاع ويرفع الروح المعنوية فى الوقت الذى يضعف روح الخصم ولم تغب أهمية العمل التعرضى عند المسلمين فى عمليات فتح الشام كما كان اهتمامهم به من قبل حيث إن أغلب الفتوحات الإسلامية امتازت بالعمل التعرضى وهم المهاجمون وفى أرض الخصم وتقدم المسلمون من موقع لآخر من اليرموك، إلى فحل، إلى حمص، وجعلوا عدوهم يتخذ مواضع دفاعية خوفا من هجوم المسلمين المدمر لقوات الكفر وحاصروهم داخل حصونهم أشهرا عديدة ولم تكن لدى أعداء الإسلام الجرأة على مهاجمة المسلمين، وفى الوقت ذاته كان المسلمون هم الذين يفرضون على العدو إرادتهم ويرفضون إرادة العدو فى فرض مكان المعركة، ويمتنعون عن زج قواتهم قبل إعداد الظروف المناسبة واستكمال كافة الاستحضارات وذلك لتحقيق النصر، ففى معركة أجنادين وغيرها كان المسلمون هم الذين فرضوا على العدو اختيار المكان وبذلك كانت المبادأة فى قبضة المسلمين دائما .

٦ ـ المعنويات :

امتاز المسلمون بالمعنويات العالية بدليل أن التفوق العددى بجانب الروم الألوف المؤلفة التى لا تقل عن نصف مليون جندى مزودين بأحسن الأسلحة وبينما المسلمون ألوف قليلة لا يزيد على أكثر تقدير على أربعين ألفا ولكن ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

واستعاض المسلمون عن هذا التفوق العددى بالمعنويات العالية النابعة من عقيدة الإسلام والتزامهم بمنهج القرآن ودوامهم على تلاوة القرآن التى ملئت قلب المسلم بأنه فى قتاله يريد أن ينال إحدى الحسنيين الاستشهاد الذى يقتضيه الخلود فى الجنة وإما النصر الذى نتائجه عز الدنيا ورضوان الله فى الآخرة .

وقد استطاع المسلمون التأثير على معنويات الروم باستهدافهم العناصر القيادية للروم لجعل الرعب فى قلوبهم فاستطاع ضرار بن الأزور يوم أجنادين من قتل حاكم طبريا وقتل اصطفان حاكم عمان وأخذ ينادى بأعلى صوته أنا الموت الأصفر أنا ضرار بن الأزور أنا الموت المسلط عليكم كما وإن الخطة التى وضعها قادة المسلمين بوضع النساء خلف الجيش وجندوهن لرد المتخلفين من المعركة خطة لها مردودها وتأثيرها على الروح المعنوية للمقاتل المسلم وهذا ما حدث فى أكثر معارك فتح الشام وفى الأخص المعركة الحاسمة « اليرموك » .

٧ ـ القاعدة الأمينة :

انتهت المرحلة الأولى من عمليات فتح الشام بسقوط دمشق وبهذه العملية تمكن المسلمون من إنشاء القاعدة الأمنية للانطلاق منها لمتابعة فتح الأقاليم والاستناد إلى القاعدة الأمنية دمشق التى لا خطر منها ولا خوف من عزلها وأصبحت بذلك الحامية مقر القيادة المتقدم الذى كان الخليفة الفاروق رضى الله عنه يتوجه إليه كلما تطلب الأمر لمعالجة المواقف العصيبة ويكون فى الوقت نفسه على مقربة من مسرح العمليات .

٨ ـ الاستطلاع واستخبارات المعركة :

اهتم المسلمون بالاستطلاع الدقيق حتى إن القاده كانوا يقومون بالاستطلاع بأنفسهم واهتموا بجلب أدق المعلومات عن العدو ونواياه وطبيعة الأرض وقوة العدو عن طريق الأرصاد وبذلك كان المسلمون يعرفون كل تحركات العدو فقد عرف القادة المسلمون نوايا العدو قبل تنفيذها بضرب الفرق الإسلامية كل على انفراد وعلى ضوء المعلومات تمكن المسلمون تجميع الفرق الإسلامية وخوض المعركة مجتمعين وعدم إعطاء فرصة للعدو لتنفيذ مخططاته .

وقد استطاع خالد بن الوليد الحصول على المعلومات

الكاملة عن الكمين وموقعه وعدد قوته الذى وضعه قائد الجيش الرومى لقتل خالد بن الوليد عند بدء المفاوضات فى معركة أجنادين فأرسل خالد بن الوليد فى الليل عشرة من أشجع فرسانه وتمكنوا من قتل أفراد الكمين (العمليات التعرضية / ١٩٥ـ٢٠١) .

٢ ـ حمص٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م :

جرت على شواطىء بحيرة حمص وقعة عظيمة أشعلتها جيوش الخوارزمية بقيادة ملكهم « بركات خان » الذين عاثوا فى المنطقة فسادا لا يتقنون إلا فن القتال وسفك الدماء ، وجاؤوا لتأييد الصالح أيوب على الصالح إسماعيل لطرده من دمشق . فلما تم لهم ذلك انضموا ثانية للصالح إسماعيل فى بعلبك ضد الصالح أيوب وعادوا إلى دمشق لحصارها وفتحها ثانية . فتحالف الصالح أيوب مع صاحب مصر الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، فجمع هذا الجيوش من حلفائه وقرر استخلاص دمشق من الخوارزميين . ولكن هؤلاء خرجوا إليه ، والتقى الطرفان عند بحيرة حمص . وكان يوما مشهودا قتل فيه عدد كبير من الخوارزمية وفيهم الملك بركات خان . وجيء برأسه على رمحٍ . وتفرق شملهم وبذلك توفرت الفرص للصالح أيوب أن يستحوذ على دمشق . ودخلها فى أبهة عظيمة وانتهى بعد هذه المعركة خطر الخوارزمية(معجم المعارك الحربية / ١٣٠) .

٣ ـ حمص ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م :

إحدى المعارك التى خاضها المسلمون مع التتار الذين كانوا يستغلون الفرصة كلما شعروا بتفرق كلمة حكام وأمراء بلاد الشام ، فيداهمون المدن والبلاد ، ويكثرون فيها القتل والنهب . ، وهذا ما حدث فى رجب من عام ٦٨٠ هـ حيث أقبلت التتار من العراق بقيادة زعيمهم « منكوتمر بن هولاكو » ووصلوا حماة فأحرقوا بستان الملك وقصره ، وتقدموا باتجاه الرستن حيث كان جند المسلمين بقيادة السلطان المنصور قلاوون تخيم ما بين حمص والرستن . فاقتتل الطرفان قتالا عظيما . وانتصر التتار أول النهار تدعمهم قوات من الكُرج ، وألحقوا الهزيمة بميسرة المماليك . فاضطربت جيوش المسلمين وانهزم كثير منهم والتتار فى آثارهم حتى بحيرة حمص وقتلوا الكثير منهم . ولكن ثبات السلطان فى المعركة جعل كثيرا من الأمراء يرتدون إليه ويحملون معه حملات صادقة على جيوش التتار وانضمت إليهم قوات من عرب البادية . وتفانى كل من الطرفين فى المعركة وقتل خلق كثير وجرح (منكوتمر) نفسه وسقط عن جواده . فدب الذعر والخوف فى صفوف التتار. ولم يقبل مساء اليوم نفسه حتى انهزموا . ولحق بهم المسلمون يقتلون من يدركونه منهم وتم النصر للمسلمين . وقد استشهد عدد كبير من سادات الأمراء ، بينما مات خلق كثير من التتار غرقا فى الفرات أثناء الهزيمة . وكان وقع هذه المعركة أليما على ملك التتار الذى أرسل إلى السلطان قلاوون يطلب المصالحة فأجابه إلى ذلك (معجم المعارك الحربية / ١٣١ ، ١٣٢) .

ومما جاء عن هذه المعركة أيضا أنه :

وفى عشية اللقاء فى يوم الأربعاء ١٣ رجب خرج الناس فى دمشق إلى الجامع الأموى ، وتضرعوا إلى الله تعالى ، طلبا للنصر ، وقد حملوا مصحف عثمان بن عفان على رؤوسهم ، وتبعهم الخطباء والوعاظ والقراء والمؤذنون إلى المصلى فى قصر حجاج ، وكذلك فعل أهل الشام ومصر فى جميع مدنهم .

الواقعة ٢٤ رجب سنة ٦٨٠ ـ تشرين أول ـ أكتوبر ١٢٨١ م

وفى صباح يوم الخميس ٢٤ رجب سنة ٦٨٠ هـ ـ ٣٠ تشرين الأول ، أكتوبر ١٢٨١م ، كان اللقاء فى الأرض الممتدة بين ضريح خالد بن الوليد فى حمص ، وبين الرستن ...

حين ألحق التتار الهزيمة بميسرة المسلمين لاذ جنودها بالفرار بينما ثبت الملك المنصور فى القلب ثباتا رائعا . وقد وصل بعض الهاربين إلى دمشق وغزة وأشاعوا الهزيمة فى القاهرة وذلك قبل أن يأتى بريد النصر .

أما القاهرة ، فقد استمر أهلها يدعون فى الصلوات ، ويقرؤون صحيح البخارى ، والقرآن الكريم ، وهى عادة انتشرت عندهم يلجؤون إليها فى الشدائد ، وقد تجمعوا فى المشهد الحسينى ، وكثر بكاؤهم ونحيبهم ، واشتد هلعهم عندما أرسل المنهزمون الذين وصلوا إلى « قاقون » (إحدى المنازل بين دمشق والقاهرة فى عصر المماليك) رسالة على جناح الطائر، يخبرون فيها بالهزيمة ، فما وسع نائب السلطان

الملك الصالح على بن قلاوون إلا تجريد حملة عسكرية ، لرد المنهزمين إلى الملك المنصور ، ومنعهم من دخول القاهرة .

ولم تمض غير ساعات من يوم الخميس ٢١ رجب حتى وصلت الطيور المعطرة ، تحمل الرسائل المعطرة بالنصر المبين ، ثم تبعها البريد ، فدقت البشائر، وزينت القاهرة والقلعة وسائر أنحاء مصر، وكتب الملك الصالح إلى والده يشفع فى المنهزمين وسأل العفو عنهم ، فأجيب إلى سؤله .

وقد أظهر السلطان المنصور أخلاقا عالية ، وحكمة بالغة ، بعيدة النظر، عقب المعركة، كما كان شأنه قبلها أيضا ، فقد اتفق أن وقع فى الأسر، أحد المغول، الذى كان يحمل المحفظة الخاصة لمنكوتمر ، (حامل الحرمدان) كما كان يسمى ، فوجدوا معه ، كتبا من الأمراء من أمثال سنقر الأشقر وأيتمش السعدى، وغيرهما ، تحض المغول على التوجه إلى بلاد الشام ، فأمر السلطان بحرق الكتب قبل الاطلاع عليها ، واستمر فى إكرامه لسنقر الأشقر ورده إلى قلاعه معززا مكرما .

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ٢٢ رجب، فخرج الناس لاستقباله ، ودخل معه جماعة من أسرى المغول بأيديهم رماح ، عليها رؤوس القتلى ، ودخل معه عدد كبير من الأمراء ...

وفى يوم الأحد الثانى من شعبان ــ ١٦ تشرين الثانى ، غادر دمشق إلى القاهرة ، السلطان قلاوون ، وأمر النواب بتجهيز الزينة ، ودخل القاهرة يوم ٢٢ شعبان وأمامه المغول أسرى وقتلى، وكان يوما مشهودا فى تاريخ مصر والقاهرة (معارك المغول الكبرى فى بلاد الشام / ٩٠ ، ٩١، ٩٤، ٩٥) .

أما ما قيل فى هذه الوقعة من الأشعار فنسوق لك منها ما يلى مما أورده صاحب عقد الجمان :

قال القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر، كاتب السر المنصور ، وناظر ديوان الإنشاء المعمور يذكر الواقعة بقصيدة جامعة لأحوالها ، وهى :

الله أعطاك لا زيد ولا عمرو ... هذا العطاء وهذا الفتح والنصر
هذا المقام الذى لو لم تحل به ... لم يبق والله لا شام ولا مصر
من ذا الذى يلقى ذا العدو وكذا ... أو يدَّرع لامة ما لامها الصبر
يا أيها الملك المنصور قد كسرت ... جنودك المغل كسرا ما له جبر
واستأصلوا شأفة الأعداء وانتصروا ... لما ثبت وزال الخوف والذعر
يا عزمة ما رأى الراؤون مشبهها ... ووقفة سار فى الدنيا لها ذكر
لما بغى جيش أبغا فى تجاسره ... ولن يمد له إلا القنا جسر
واستجمع المغل والتكفور واتفقوا ... مع الفرنج ومن أردى به الكفر
جاءت ثمانون ألفا من بعوثهم ... لأرض حمص فكان البعث والنشر
وافى الخميس فى يوم الخميس ضحى ... وامتدت الحرب حتى أذَّن العصر
والسيف يركع والأعلام رافعة ... والروس تسجد لا عجب ولا كبر
والخيل لا تغتدى إلا على جثث ... والسهل من أرؤس القتلى به وعر
والبيض تغمد فى الأجفان من مهج ... والسمر ناهيك ياما تفعل السمر
فجاء فى رجب عيدان من عجب ... للسيف والرمح وهذا الفطر والنحر
فكان أسلمهم من أسلموه لأن ... يقوده القيد أو يسرى به الأسر
وراح فارسهم تروح راجلهم ... تنتابه الوحش أو ينبو به القفر
فما وعى منهم واع رعيته ... ولا ارعوى لهم من روعة فكر
وكان يوم الخميس النصف من رجب ... عام الثمانين هذا الفتح والنصر

وعاد سلطاننا المنصور منتصرا
فالحمد لله تم الحمد والشكر

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أحمد الكنانية ، وكان مفلقا فى الفنون الأدبية والشعرية بذكر هذه النصرة المنصورية :

هى النعمة الكبرى هى النصرة العظمى
هى اللفظ والمعنى هى البشر والبشرى
هى المطلب الأسنى هى المنحة التى
لقد شرفت قدرا وقد عظمت ذكرا
هى الموقعة الصماء والحطمة التى
بها انكسر الفكر الذى لم يجد جبرا
هى الفتك بالأعداء والظفر الذى
شفى القلب من أبغا وقد أثلج الصدرا
وأمكن من صمغار حد سيوفنا
فخر إلى الأذقان لا ساجدا شكرا
ونكس أعلاما وفل كنانيا
لمنكوتمر كالأسد فى الحرب بل أضرا
فلما رأوه قد تقطر قاتلوا
عليه قتالا قطع البيض والسمرا
فلما نجا منها وركب طرفه
تولى وخلى الابن والأب والصهرا
وراح ثخينا بالجراح مصبرا
يئن ويشكو من مضاضاتها ضرا
فلله منا الحمد والشكر دائما
فقد أصّل الإسلام واستأصل الكفرا
فقل لزؤوس المغل إن قلاونا
هو السيف ضرابا لأعناقكم قهرا
هو الملك المنصور والله خاذل
لأعدائه خذلانا وناصره نصرا
هو المقدم الكرار فى حومة الوغى
إذا حجم الأبطال وامتلأ واذعرا
هو الأسد العادى على أنفس العدى
هو القمر الهادى إذا أظلم المسرا
هو القائد الجيش العرمرم خلفه
إلى القان فى موغان يطلبه جهرا
عساكر ملء الأرض من كل وجهة
تجمعن حتى فات العد والحصرا
تخيل رائيها القيامة مثلت
لعينيه فى دنياه والعرض والحشرا
فلم ينج منها الوحش عند إثارة
ولا الطير فى جو السماء إذا مرا
فقل للتتار العادمين عقولهم
نسيتم سيوف الترك تضرب بكم هبرا
وكم كسروكم مرة بعد مرة
فما حصروا القتلى ولا استوعبوا الأسرا
وقد زاركم أبغاء من بعد قتلكم
فأجرى عليكم من مدامعه جمرا
وأكبر مرأى هاله بسماعه
ففر إلى توريز يجعلها ظَهرا
ولو حل فى غمدان يبغى تحصننا
لما استطاع أن يقيم فيه ولا فرا
وأنتم بسيف الدين أخبر فى الوغا
فذلك همام قد أحطتم به خبرا
ولم يخفكم حملاته ولطالما
أذاقكم المران من طعنه المرا
أأنسيتم فى عين جالوت ما جرى
وفى العين قد أجرى دماءكم نهرا
أما كان فى يوم الفرات إليكم
مقدمة الجيش الذى عبر البحرا

(عقد الجمان ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) .

(الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ لابن حزم الأندلسى / ٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ط دار الغد العربى م ٤ / ٧٠ ، ٧١ ، والعمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ـ الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى / ١٩٥ ـ ٢٠١ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٣٠ ـ ١٣٢ ، ومعارك المغول الكبرى فى بلاد الشام ـ أكرم حسن العلبى دار المأمون

للتراث . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م / ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، وعقد الجمان لبدر الدين العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، انظر أيضا من كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها ماجد اللحام / ٨٨ ـ ٩٨) .

* **الحِمْصى :**

الحمصى : حمص بكسر الحاء وسكون الميم والصاد غير المنقوطة بلدة من بلاد الشام ، أقمت بها أربعة أيام ، وكتبت بها عن جماعة ، وبها قبر خالد بن الوليد سيف الله رضى الله عنه وسميت حمص وحلب بحمص وحلب ابنى مهر بن حيص بن حاب بن مكنف من بنى عمليق لأنهما بنيا البلدين فنسبا إليهما ، والمحدثون من هذه البلدة عالم لا يحصون ، فمنهم أبو عبد الله محمد بن المصفى بن بهلول الحمصى ، يروى عن سفيان بن عيينة وجماعة ، ذكر ابن فضيل يقول عادلت محمد بن مصفى من حمص إلى مكة سنة ست وأربعين ــ يعنى ومائتين ــ فاعتل بالجحفة ودخل مكة وهو لما به ، ومات بمنى فدخل أصحاب الحديث عليه وهو فى النزع فقرأوا عليه حديث ابن جريج عن مالك وحديث ابن حرب عن عبيد الله بن عمر فما عقل ما قرئ عليه . وقال محمد بن عوف الحمصى رأيت محمد بن المصفى فى النوم وكان مات بمكة فقلت : أبا عبد الله أليس قد مت ؟ إلى ما صرت ؟ قال : إلى خير ، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين . فقلت يا أبا عبد الله صاحب سنة فى الدنيا وصاحب سنة فى الآخرة ؟ قال فتبسم .

وأبو بشر شعيب بن أبى حمزة الحمصى مولى بنى أمية ، من أهل حمص ، واسم أبى حمزة دينار ، يروى عن الزهرى ونافع روى عنه الوليد بن مسلم وعثمان بن سعيد القرشى ، مات سنة اثنتين وستين ومائة .

وأبو اليمان الحكم بن نافع الحمصى ، يروى عن شعيب ابن أبى حمزة ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخارى .

وأما معاوية بن صالح الحمصى المحدث المعروف كنت أظن أنه من حمص نزل بلاد الأندلس ، حتى قال لى صاحبنا أبو محمد عبد الله بن عيسى بن أبى حبيب الإشبيلى (الحافظ) إن عبد الله بن معاوية الحمصى من حمص الشام البلد المعروف ، ونزل حمص الأندلس وبها مات ، ثم قال يقال لمدينة إشبيلية بالأندلس مدينة حمص ، وسكن عبد الله ابن معاوية حمص الأندلس من حمص الشام ، وتوفى بإشبيلية التى يقال لها حمص وقبره معروف بالخولانية ، وهى محلة بإشبيلية معروفة ... (فى اللباب « معاوية بن صالح الحمصى كان من حمص الشام وانتقل إلى الأندلس فنزل حمص الأندلس وهى مدينة إشبيلية ... وتوفى بإشبيلية » كذا قال وليس هذا فى أصله كما ترى ثم قال « إلا أن هذه النسبة لا تطلق إلا على حمص الشام » وراجع التعليق على الإكمال ٣ / ٢٢ و ٢٣) .

وأبو هاشم عبد الغافر بن سلامة بن أحمد بن عبد الغافر ابن سلامة بن أزهر الحضرمى الحمصى من أهل حمص ، كان جوالا ، حدث فى عدة مواضع عن يحيى بن عثمان الحمصى وكثير بن عبيد الحذاء ، ومحمد بن عوف الطائى ومزداد بن جميل البهرانى وغيرهم ، روى عنه أبو الحسن على ابن عمر الدارقطنى وأبو حفص بن شاهين وأبو الحسين بن حمة الخلال ومحمد بن عبد الله بن جامع الدهان ويوسف بن عمر القواس والقاضى أبو عمر الهاشمى البصرى وهو آخر من روى عنه فى الدنيا كلها ، وكان ثقة ، ومات بالبصرة فى سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٣) .

* **الحِمَّصى :**

قال السمعانى :

الحَمِّصى : بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم المكسورة وفى آخرها الصاد المهملة ، هذه النسبة إلى الحِمِّص وهو من الحبوب ، والمشهور بها إبراهيم بن الحجاج بن منير الحمصى ، هذا الرجل كان يقلى الحمص ويبيعه ـ هكذا ذكره أبو سعيد بن يونس الصدفى صاحب كتاب تاريخ المصريين ، قال وكان يعرف بالقلاء ، سمع من أبيه وغيره ، وكان ثقة مرضيا .

وعبد الله بن منير الحمصى ، مصرى ذكره ابن يونس أيضا قال وكان يسكن دار الحمص التى فى المربعة فنسب إليها

وهو مولى بعض موالى أبى عثيم مولى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، كان هو وأخوه حجاج موثقين عند القضاة ، وقد حدثا جميعا ، ويقال إنهما موليا الأصبحيين ، توفى حجاج بعد سنة سبعين ومائتين .

وأبو الحسن على بن عمر بن محمد الحرانى الصواف الحمصى وإنما قيل له الحمصى لأنه يعرف بابن حمصة ، وكان من ثقات المصريين ، يروى عن أبى القاسم حمزة بن محمد بن على بن محمد بن العباس الكنانى الحافظ ، روى عنه أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن على التاجر الشيحى وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبى وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم الرازى نزيل الإسكندرية ؛ قال عبد العزيز النخشبى : ابن حمصة سمع حمزة بن محمد بن على الكنانى سنة سبع وخمسين سمعته يقول سمعت منه المجالس السبعة التى أملاها إلا أنها ضاعت وبقى معى مجلس واحد ، سمعناه منه ، وكانت وفاته فى حدود سنة أربعين وأربعمائة .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٦٤ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١ / ٤٥٣) .

* **ابن الحِمْصى (٧٧٧ - ٨٦١ هـ / ١٣٧٦ - ١٤٥٧ م) :**

من شيوخ المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف أعاده الله ديار إسلام ، وهو قاضى القضاة شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن محمد القرشى المخزومى ، الحمصى ، القاهرى ، الشافعى ، المعروف بابن الحمصى :

وقد تولى ابن الحمصى مشيخة الصلاحية بين سنتى ٨٥٤هـ و٨٥٦ هـ ، بدلا من جمال الدين بن جماعة .

من الواضح أن ابن الحمصى ولى مشيخة الصلاحية فى أخريات حياته بعد أن بلغ من العلم مبلغا كبيرا . وكان ابن الحمصى قد تلقى العلم ببلده ، فقرأ القرآن بقراءة عاصم ، وحفظ عددا من الكتب فى الفقه ، والحديث ، والعربية ، مثل : المنهاج ، والإلمام فى أحاديث الأحكام ، وألفية ابن مالك ، ثم درس الفقه ، وقرأ المنهاج (الضوء اللامع ٦ / ١٤٠) .

توجه ابن الحمصى إلى دمشق ، طالبا العلم ، ودرس فيها الفقه ، والأصول ، والعربية ، على عدد من أشهر العلماء ، ثم توجه إلى بعلبك ، وسمع فيها صحيح مسلم ، ثم توجه إلى حماة ، ودرس فيها النحو على عدد من علماء العربية . وفى سنة ٨٠٤هـ ، توجه إلى القاهرة ، ودرس فيها الفقه والحديث ولازم عددا من أشهر العلماء فيها من أمثال سراج الدين البلقينى ، ثم لازم ولده جلال الدين البلقينى المتوفى سنة ٨٢٤ هـ ، وأخذ الحديث عن زين الدين العراقى ، وقرأ عليه ألفيته فى الحديث ، وحصل على الإجازة منه . واستمر ابن الحمصى يتلقى العلم بالقاهرة حتى سنة ٨٠٧ هـ . وفيها عاد إلى الشام ، وقطنها مدة ، واشتغل بالقضاء نيابة ، ثم ولى قضاء طرابلس استقلالا . وعاد ابن الحمصى إلى القاهرة ثانية ، ونزل بمدرسة البلقينى ، ودرس فيها بعد حصوله على الإذن بالإفتاء والتدريس من البلقينى ، والإجازة من ابن حجر العسقلانى أيضا . وفى سنة ٨٢٣ هـ ، توجه إلى مكة ، وجاور فيها ، والتقى فيها بابن الجزرى ، وسمع عليه . ثم توجه إلى اليمن ، وفيها تلقى عليه طالبو العلم . وكتب هناك ردا على كتاب « الفصوص » لابن عربى ، وجاء رده فى قصيدة تقع فى مائة وأربعين بيتا ، ثم عاد إلى القاهرة ، وتردد بينها وبين الشام ، وفى سنة ٨٢٥ هـ اشتغل بالقضاء نيابة فى أسيوط ، وعمر فيها جامعا ، وأخذ عنه طالبو العلم فيها . ثم ولى القضاء ثانية مرة فى طرابلس ، وأخرى فى دمشق ، وكان قد تولاه فى دمشق سنة ٨٣٨ هـ (الضوء اللامع ٦ / ١٤٠ ، ١٤١) .

وبعد هذا كله ، تولى التدريس بالصلاحية ، وكان عالما ذا خبرة بالتدريس ، كما كان صاحب نظم ونثر ، فقد تقدم ذكر قصيدته فى الرد على ابن عربى ، وله قصيدة أخرى ينكر فيها تكفير ابن تيمية ، على بعض من كفره (انظر أنباء الغمز ٣ / ٤٩١ ، والضوء اللامع ٦ / ١٤١) وله قصيدة ثالثة نظمها فى مناسبة زواج . وذكر السخاوى أنه كان « يملى لنفسه تصانيف كثيرة » ولكنه لم يقف على شىء منها (الضوء اللامع ٦ / ١٤١) .

ولا شك أنه درَّس بالصلاحية الفقه ، والحديث ، والأصول ، والعربية ، فقد درَّسها ، وحصل على إجازات فيها كما تقدم ، ولعله عنى بموضوعات أخرى حول ابن تيمية وغيره .

وذكر السخاوى أن ابن الحمصى درس بمصر ، بعد تدريسه بالصلاحية فى بيت المقدس ، فقد تولى الصلاحية القاهرية تدريسا ونظرا (الضوء اللامع ٦ / ١٤١) .

ويبدو أنه عاد إلى بيت المقدس، فقد ذكر السخاوى أنه توفى فيه سنة ٨٦١ هـ (الضوء اللامع ٦ / ١٤١، الأنس الجليل ٢ / ١١٤) (المدارس فى بيت المقدس ١ / ٢٥٥ ـ ٢٥٧).

وقد ذكر الزركلى أن قصيدة ابن الحمصى فى إنكار تكفير ابن تيمية هى قصيدة تائية تزيد على مائة بيت، وهى فى إنكار تكفير العلاء البخارى لابن تيمية (الأعلام ٥ / ٦٨).

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧، والأعلام للزركلى ٥ / ٦٨).

* **الحَمْل:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حَمْل »:

حمل: الحمل معنى واحد اعتبر فى أشياء كثيرة فسوى بين لفظه فى فعل وفرق بين كثير منها فى مصادرها فقيل فى الأثقال المحمولة فى الظاهر كالشىء المحمول على الظهر حِمْل، وفى الأثقال المحمولة فى الباطن حَمْل كالولد فى البطن والماء فى السحاب والثمرة فى الشجرة تشبيها بحمل المرأة قال تعالى: ﴿ **وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء** ﴾ [فاطر: ١٨] يقال حملت الثقل والرسالة والوزر حملا قال الله تعالى: ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم** ﴾ [العنكبوت: ١٣] وقال تعالى: ﴿ **وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء** ﴾ [العنكبوت: ١٢] وقال تعالى: ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه** ﴾ [التوبة: ٩٢] وقال عز وجل: ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة** ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله عز وجل: ﴿ **مثل الذين حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار** ﴾ [الجمعة: ٥] أى كلفوا أن يتحملوها أى يقوموا بحقها فلم يحملوها ويقال حمَّلته كذا فتحمله وحملت عليه كذا فتحمله واحتمله وحمله، وقال تعالى: ﴿ **فاحتمل السيل زبدا رابيا** ﴾ [الرعد: ١٧] ﴿ **حملناكم فى الجارية** ﴾ [الحاقة: ١١] وقوله تعالى: ﴿ **فإن تولوا فإنما عليه ما حُمل وعليكم ما حملتم** ﴾ [النور: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ **ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال عز وجل: ﴿ **وحملناه على ذات ألواح ودسر** ﴾ [القمر: ١٣] ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا** ﴾ [الإسراء: ٣] ﴿ **وحملت الأرض والجبال** ﴾ [الحاقة: ١٤].

وحَملت المرأة حبلت وكذا حملت الشجرة، يقال حمل وأحمال، قال عز وجل ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ [الطلاق: ٤] ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ [فصلت: ٤٧] ﴿ **حملت حملا خفيفا فمرت به** ﴾ [الأعراف: ١٨٩] ﴿ **حملته أمة كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ [الأحقاف: ١٥] والأصل فى ذلك الحمل على الظهر فاستعير للحَبَل بدلالة قولهم وسقت الناقة إذا حملت وأصل الوسق الحمل المحمول على ظهر البعير، وقيل المحمولة لما يحمل عليه كالقتوبة والركوبة، والحمولة لما يحمل والحمل للمحمول وخص الضأن الصغير بذلك لكونه محمولا لعجزه أو لقربه من حمل أمه إياه، وجمعه أحمال وحملان وبها شبِّه السحاب فقال عز وجل ﴿ **فالحاملات وقرا** ﴾ [الذاريات: ٢] والحميل السحاب الكثير الماء لكونه حاملا للماء، والحميل ما يحمله السيل والغريب تشبيها بالسيل والولد فى البطن، والحميل الكفيل لكونه حاملا للحق مع من عليه الحق، وميراث الحميل لمن لا يتحقق نسبه وحمالة الحطب كناية عن النمام، وقيل فلان يحمل الحطب الرطب أى ينم (المفردات فى غريب القرآن / ١٣١، ١٣٢).

ونتناول « الحمل » فيما يلى من حيث أنه:

١ ـ حمل الشىء كأن يحمل الشىء على ظهره ... إلخ

٢ ـ الحمل بمعنى ما يحمل فى البطن من الولد، وما يتصل به من أحكام الطلاق والعدة والميراث.

١ ـ الحمل بمعنى حمل الشىء: أفرد الثعالبى فصلا فى أشكال الحمل جاء فيه ما يلى: عن أبى عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابى وعن ابن نصر عن الأصمعى: الحفنة بالكف. الحثية بالكفين. الضبثة ما يحمل بين الكفين. الحال ما حملته على ظهرك. الثياب ما لففت عليه حجزة سراويلك من خلف. الضغمة ما حملته تحت إبطك. الكارة ما حملته على رأسك وجعلت يديك عليه لئلا يقع (فقه اللغة / ١٢٣).

٢ ـ الحمل بمعنى ما يحمل فى البطن من الولد وأحكامه من حيث الميراث ومن حيث مدة الحمل، وهو ما يوضحه فضيلة الشيخ السيد سابق كما يلى:

حكمه فى الميراث:

الحمل إما أن ينفصل عن أمه وإما أن يبقى فى بطنها، وهو فى كل من الأمرين له أحكام نذكرها فيما يلى:

الحمل إذا انفصل عن أمه :

إذا انفصل الحمل عن أمه ، فإما أن ينفصل حيا أو ينفصل ميتا ؛ وإن انفصل ميتا ، فإما أن يكون انفصاله بغير جناية ولا اعتداء على أمه أو بسبب الجناية عليها ، فإن انفصل كله حيا ورث من غيره وورثه غيره لما روى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« إذا استهل المولود ورِّث » .

الاستهلال رفع الصوت ؛ والمراد إذا ظهرت حياة المولود ورث .

وعلامة الحياة صوت أو تنفس أو عطاس ونحو ذلك .

وهذا رأى الثورى والأوزاعى والشافعى وأصحاب أبى حنيفة .

وإن انفصل ميتا بغير جناية على أمه فإنه لا يرث ولا يورث اتفاقا .

وإن انفصل ميتا بسبب الجناية على أمه فإنه فى هذه الحال يرث ويورث عند الأحناف .

وقالت الشافعية والحنابلة ومالك . لا يرث شيئا ويملك الغرة فقط ضرورة ولا يورث عنه سواها ويرثها كل من يتصور إرثه منه .

وهب الليث بن سعد وربيعة بن عبد الرحمن إلى أن الجنين إذا انفصل ميتا بجناية على أمه لا يرث ولا يورث . وإنما تملك أمه الغرة وتختص بها لأن الجناية على جزء منها وهو الجنين ، ومتى كانت الجناية عليها وحدها كان الجزاء لها وحدها . وقد أخذ القانون بهذا .

الحمل فى بطن أمه :

١ ـ الحمل الذى يبقى فى بطن أمه لا يوقف له شىء من التركة متى كان غير وارث أو كان محجوبا بغيره على جميع الاعتبارات .

فإذا مات شخص وترك زوجة وأبا وأما حاملا من غير أبيه . فإن الحمل فى هذه الصورة لا ميراث له لأنه لا يخرج عن كونه أخا أو أختا لأم . والإخوة لأم لا يرثون مع الأصل الوارث وهو هنا الأب .

٢ ـ وتوقف التركة كلها إلى أن يولد الحمل إذا كان وارثا ولم يكن معه وارث أصلا أو كان معه وارث محجوب به باتفاق الفقهاء .

وتوقف كذلك إذا وجد معه ورثة غير محجوبين به ورضوا جميعا صراحة أو ضمنابعدم قسمتها بأن سكتوا أو لم يطالبوا بها

٣ ـ كل وارث لا يتغير فرضه بتغير الحمل يعطى له نصيبه كاملا ويوقف الباقى .

كما إذا ترك الميت جدة وامرأة حاملا فإنه يعطى للجدة السدس لأن فرضها لا يتغير سواء ولد الحمل ذكرا أم أنثى .

٤ ـ الوارث الذى يسقط فى إحدى حالتى الحمل ولا يسقط فى الأخرى لا يعطى شيئا للشك فى استحقاقه ؛ فمن مات وترك زوجة حاملا وأخا فلا شىء للأخ لجواز كون الحمل ذكرا . وهذا مذهب الجمهور .

٥ ـ من يختلف نصيبه من أصحاب الفروض باختلاف ذكورة الحمل وأنوثته يعطى أقل النصيبين ويوقف للحمل أوفر النصيبين . فإن ولد الحمل حيا وكان يستحق النصيب الأوفر أخذه وإن لم يكن يستحقه بل يستحق النصيب الأقل أخذه ورد الباقى إلى الورثة ؛ وإن نزل ميتا لم يستحق شيئا ووزعت التركة كلها على الورثة دون اعتبار للحمل .

أقل مدة الحمل وأكثرها :

وأقل مدة يتكون فيها الجنين ويولد حيا ستة أشهر لقول الله سبحانه :

﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

مع قوله تعالى : ﴿ وفصاله فى عامين ﴾ [لقمان : ١٤]

فإذا كان الفصال عامين لم يبق إلا ستة أشهر للحمل .

وإلى هذا ذهب الجمهور من الفقهاء .

وقال الكمال بن الهمام من أئمة الأحناف . إن العادة المستمرة كون الحمل أكثر من ستة أشهر وربما يمضى دهور ولم يسمع فيها بولادة لستة أشهر .

وفى قول لبعض الحنابلة : أقل مدة الحمل تسعة أشهر .

وقد خالف القانون قول جماهير العلماء وأخذ بقول بعض الحنابلة وبما قال به الأطباء الشرعيون : وهو أن أقل مدة الحمل تسعة أشهر هلالية (أى ٢٧٠ يوما) لأن هذا يتفق والكثير الغالب .

وكما اختلفوا فى أقل مدة الحمل فقد اختلفوا فى أكثرها ؛ فمنهم من قال : إنها سنتان (وهذا رأى الأحناف) ومنهم من قال تسعة أشهر ومنهم من قال : سنة هلالية (٣٥٤ يوما) .

وأخذ القانون بما ارتآه الطب الشرعى .

فذكر أن أكثر مدة الحمل سنة شمسية ٣٦٥ يوما ، واعتبر ذلك فى ثبوت النسب والإرث والوقف والوصية (وهذا رأى محمد بن الحكم أحد فقهاء المذهب المالكى) .

أما القانون فقد أخذ برأى أبى يوسف الذى عليه الفتوى فى مذهب الحنفى فى أن الحمل يوقت له أوفر النصيبين وأخذ برأى الأئمة الثلاثة فى اشتراط ولادته كله حيا فى استحقاقه الميراث .

وأخذ برأى محمد بن الحكم فى أنه لا يرث إلا إذ ولد لسنة من تاريخ الوفاة أو الفرقة بين أبيه وأمه .

فجاء فى المواد ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ما يلى :

المادة ٤٢ ـ يوقف للحمل من تركة المتوفى أوفر النصيبين على تقدير أنه ذكر أو أنثى .

المادة ٤٣ ـ إذا توفى الرجل عن زوجته أو عن معتدته فلا يرثه حملها إلا إذا ولد حيا لخمسة وستين وثلثمائة يوم على الأكثر من تاريخ الوفاة أو الفرقة ، ولا يرث الحمل غير أبيه إلا فى الحالتين الآتيتين :

١ ـ أن يولد حيا لخمسة وستين وثلثمائة يوم على الأكثر من تاريخ الموت أو الفرقة إن كانت أمه معتدة موت أو فرقة ، ومات المورث أثناء العدة .

٢ ـ أن يولد حيا لسبعين ومائتى يوم على الأكثر من تاريخ وفاة المورث إن كان من زوجية قائمة وقت الوفاه .

المادة ٤٤ ـ إذا نقص الموقوف للحمل عما يستحقه يرجع بالباقى على من دخلت الزيادة فى نصيبه من الورثة ، وإذا زاد الموقوف للحمل عما يستحقه رد الزائد على من يستحقه من الورثة (فقه السنة م ٣ جـ ١٢/ ٥٢٥ـ٥٢٨) .

ومما جاء من نظم عن الحمل والحامل فى تقسيم التركة ما ورد فى منظومة « خلاصة الفرائض » لعبد الملك الفتنى ، وهى فى مذهب أبى حنيفة : قال الناظم :

أقل مدة لحمل نصف عام
ومنتهاها سنتان بالتمام
إن لم تقر بانقضاء العدهْ
وولدت قبل تمام المدهْ
منه فورثه وإن من غيره
بعد الأقل لم ينل من خيره
إلا التى تعتد للطلاق إن
بالانقضاء ما أقرب فاستبن
وعند قسم تركة فليعتبر
أفضل مولوديه أنثى أو ذكر
فإن يكن يحرم لو يذكر
أو عكسه فوارثا مقدر
وكفل القاضى ذوى الإرث إذا
يخاف نقصانا وبالأكثر ذا
إن يخرج الأكثر حيا وعلم
بأثر ذاك فبالإرث حكم
فصدر ذى استقامة برأسه
بدا اعتبر وسرة فى عكسه
إن بجناية خروج الميت
ورثه لا بنفسه من علة
واعمل بتصحيحين إذ تقدر
ذكورة أنوثة وتنظر
بينهما فى الوفق والتباين
فاضرب وتصحيحهما من كائن
فمن يكن نصيبه فى الأول
فاضربه فى الثانى أو الوفق الجلى
واعكس لمن له بثانى الأصلين
وأعط وراثا أقل السطحين
وإن به قد يحرم الوراث
فى حالة فليوقف الميراث
وامنحه الوضع ما استحقا
واقسم عليهم إن يزد ما أبقى

(خلاصة الفرائض/ ٧٢ ، ٧٣) .

ومما يدخل فى مجال الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ما قرره بالنسبة لمدة الحمل باعتبار أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهو ما أورده الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز فى كتابهما « مع الطب فى القرآن الكريم » نقلا عن مصدرين هما : أبحاث الدكتور محمود ناظم النسيمى ، و«مدة الحمل من الناحية الطبية والفقهية والقانونية » ، رسالة جامعية بإشراف الدكتور عبد الرزاق حمامى . يقول المؤلفان :

سبق القرآن الطب بتقريره أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **حملته أمه كرها وضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **والولدات يرضعن أولدهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وفصله فى عامين** ﴾ [لقمان : ١٤] .

فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة وهى حولين أى (٢٤) أربع وعشرون شهرا من (٣٠) ثلاثين شهرا ، التى هى مدة الحمل والإرضاع ، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل . وهى أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حيا إذا ولد بتمامها .

وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم ، إذ روى أن رجلا تزوج امرأة فولدت لستة أشهر، فهمَّ عثمان بن عفان رضى الله عنه بتطبيق حد الزنى عليها ظنا منه أن بداية حملها قبل الزواج : فقال ابن عباس رضى الله عنه : أما أنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ، قال الله ﴿ **وحمله وفصله ثلاثون شهرا** ﴾ وقال ﴿ **وفصله فى عامين** ﴾ فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر فبرئت المرأة .

وقد قرر الطب أن أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى بعدها الجنين حيا إذا ولد بتمامها هى ستة أشهر، فالولادة قبلها تسمى إسقاطا والجنين فيها غير قابل للبقاء حيا ، والولادة بعدها وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر أو (٢٧٠) مئتين وسبعين يوما تسمى خداجا، أو ولادة مبكرة، والخديج قابل للبقاء حيا لكن الطب يوصى بعناية خاصة به .

وهذه المدة هى المعتبرة قانونيا فى محاكم معظم الدول العالمية . ويقول الدكتور زياد درويش بتحديد قانون الأحوال الشخصية فى المادة (١٢٨) « وإن أقل مدة للحمل (١٨٠) مئة وثمانون يوما وأكثرها سنة شمسية واحدة » (مع الطب فى القرآن الكريم / ٢٥ ، ٢٦) .

ويتناول ابن سينا فى رسالته الألواحية (انظر ثبت المراجع) كل ما يتعلق بالحمل بمعنى « الحبل » وهو اللفظ الذى يستخدمه ، من حيث الأدوية التى تعين عليه ، والأدوية التى تفسد الخلقة وتمنع من الحبل، والأدوية التى تسهل بها الولادة ، والأدوية التى تدر اللبن وتفرزه، وتلك التى تقلله وتقطعه ... إلخ وذلك فى الألواح ٨٠ ـ ٨٨ فانظره فى موضعه إن شئت .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١٢٣ ، وفقه السنة ـ الشيخ السيد سابق م ٣ جـ ١٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٨ ، وخلاصة الفرائض لعبد الملك الفتنى، المطبوع فى مجموع مهمات المتون / ٧٢ ، ٧٣ ، ومع الطب فى القرآن الكريم ـ د. عبد الحميد دياب، ود. أحمد قرقوز ، تقديم د. محمود ناظم نسيمى. مؤسسة علوم القرآن . دمشق بيروت . الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م/ ٢٥، ٢٦ ـ انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٥٣ ـ ٣٥٦، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٩١، والرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن سينا ـ تحقيق وتعليق د. محمد سويسى / ٨٧ ـ ٩١ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٠٢) .

*** الحملاوى / ١٢٧٣ـ١٣٥١ هـ / ١٨٥٦ـ١٩٣٢ م) :**

كتب تلميذه الوفى الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة يتحدث عنه ، قال : هو الأستاذ اللغوى الثقة الحافظ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوى نسبة إلى « أمنية حمل » من قرى بلبيس « شرقية » ، وهو عربى الأرومة ينمى إلى الدوحة العلوية الكريمة ، كما صرح بذلك فى كثير من قصائده فى ديوانه ...

وقد ذكر على مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية) ٩/ ٧٧ ... أنه ولد سنة ١٢٧٣ هـ سنة ١٨٥٦ م، وتربى فى حجر والده وقرأ وتلقى كثيرا من العلوم الشرعية والأدبية عن أفاضل عصره، ثم دخل (مدرسة دار العلوم) وتلقى الفنون المقرر قراءتها بها ، ونال الشيخ إجازة التدريس من دار العلوم عام ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٨ م .

وبعد مُدَيْدة أعلنت دار العلوم بحاجتها إلى مدرس للعلوم العربية ، وعقدت لذلك امتحان مسابقة كان الشيخ من أوائل المبرزين فيه فنقل إلى دار العلوم ، وعمل بمدارس

الحكومة، وقد ترك الأستاذ التدريس بمدارس الحكومة مؤثرا الاشتغال بالمحاماة فى المحاكم الشرعية، وفى أثناء ذلك أقبل على التحضير لنيل شهادة العالمية من الأزهر فنال بغيته وكان أول من جمع بين العالمية وإجازة التدريس من الأزهر إلى جانب إجازة التدريس من دار العلوم .

وعلى أثر ذلك عهدت إليه الجامعة الأزهرية تدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لطلابها .

وفى سنة ١٩٠٢ أضيفت إليه مع ذلك نظارة مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر، وهى مدرسة حديثة كان يعلم بها القرآن والتجويد ثم العلوم الدينية والعربية والعلوم الحديثة على نحو ما يجرى فى بعض أقسام الأزهر التى نظمت حينئذ تنظيما حديثا، وكان المنتهون منها يلحقون لإتمام دراساتهم بمدرسة القضاء الشرعى أو الأزهر أو دار العلوم .

وقد قضى المترجم عنه فى نظارة هذه المدرسة خمسا وعشرين سنة انتفع به فيها طلاب كثير كان يمدهم بمعارفه المتفننة الواسعة ويتعهدهم بالتربية الإسلامية والقومية القوية ويزودهم بنصائحه وتجاربه الكثيرة إلى أن علت سنه فآثر الراحة وترك العمل عام ١٩٢٨، ثم أدركته الوفاة فى الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٥١ - الموافق للسادس والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م ...

وقد كسب الشيخ معارفه العلمية فى بيئتين :

الأولى : الأزهر، حيث درس علوم الدين من تفسير وحديث وعقائد وفقه على مذهب الإمام الشافعى الذى خالط حبه شغاف قلبه وتمكن من نفسه ودرس العلوم اللسانية من نحو وصرف وعروض وبلاغة ووضع إلخ ... على شيوخ عصره وأحرز من كل ذلك قسطا موفورا دل عليه تمكنه منها فى كتبه ودروسه وإحرازه درجة العالمية بعد تركه خدمة الحكومة .

والثانية : دار العلوم التى أنشأها على مبارك باشا وزير المعارف المصرية لتخريج معلمين يحسنون تعليم اللغة العربية والدين لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية، وكان طلابها حينئذ ينتخبون بامتحان مسابقة من صفوة الطلاب الأزهريين الذين أنهوا دراساتهم أو كادوا ينتهون منها، وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والعربية، وكانت عناية المدرسين بها تجمع بين المحاضرة والتطبيق العملى، وكان بين



المرحوم الشيخ احمد الحملاوى

أساتذتها نخبة من علماء الأزهر أمثال الشيخ حسين المرصفى، والشيخ حسن الطويل والشيخ محمد عبده، والشيخ سليمان العبد وأضرابهم من الفحول، وكان الجمع فى دار العلوم بين العلوم الإسلامية والعربية القديمة وبين العلوم المدرسية الحديثة (كما يسمونها) ثم بين المنهجين النظرى والتطبيقى ... ما أفاد مدارس وزارة المعارف بالثمرات التى وصلت ماضى الأمة العربية بحاضرها، فكانت العوامل فى النهضة الأدبية والعلمية التى ظهرت بواكيرها فى وادى النيل منذ بدء القرن التاسع عشر .

كان - رحمه الله - ضليعا فى علوم العربية نحوها وصرفها ولغتها، وعروضها وبلاغتها وأدبها، وكان يروى من ذلك كله ويحفظ الشىء الكثير مع حسن اعتناء بفهم ما يحفظ، وجودة نقد لما يروى، وبراعة استخراج للعبرة والفائدة، وكان النحو والصرف واللغة والشعر الميدان المحبب إليه يجول فيها فيمتع، ويتتبع أقوال الأوائل والأواخر، فلا يكتفى ولا يشبع وكان معجبا بابن هشام الأنصارى من النحاة المصريين (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) وبما جمع شرحه لألفية ابن مالك الموسوم (بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) من مادة غزيرة فحفظ مسائله وجعل أساس دراساته النحوية والصرفية وتحقيقاته اللغوية التى كان ينشرها بين يدى تلاميذه فى دروسه

ومحاضراته ، ومنه التقط أغلى درره التى ألف منهـا أهـم كتبـه :

« شـذا العـرف فى فن الصـرف » مع مـا أضـاف إليـه من شذرات أخرى من « مفصل » الزمخشرى ومن « شـافية » ابن الحـاجب وشرحهـا (لرضى الـدين الاستـراباذى) وغيـره من محققى الأعاجم المتأخرين الذين عنوا بـالدراسات الصـرفية وأشبعوها تأليفا وتوضيحا وتصنيفا .

أسبغ الشيخ على هـذه المـادة التى أحسن اختيـارهـا من كتب العلماء كثيرا من ذوقه وخبرته بأساليب التعليم والتصنيف فتصرف فيهـا توضيحا وتهذيبـا وتنسيقا وتبويبا حتى جـاء هذا الكتاب محكم الطريقة ، واضح الأسلـوب ، جامعا للعناصر الضـرورية التى لا بـد منها لـدارسى اللغـة وفنونهـا ممثلا مـا وصلت إليه الثقافة اللغوية فـى مدارس البصرة والكوفة وبغداد والفسطاط والأنـدلس، ثم ما انتهـت إليه أخيرا على يـد (ابن مـالك) و (أبى حيان) ، وتـلاميـذهما من رجـال المدرسـة النحوية الأخيرة التى لا تزال آثارها قوية باقية .

وإجمال القول : أن كتاب « شـذا العرف فى فن الصرف » من أنفع الكتب لطلاب الدراسات الصرفية ...

أما سائر معارف الشيخ من اللغة والعروض والأدب العربى شعره ونثره والتاريخ والجغرافيا والرياضيات ، فقد كان محيطا بها إحاطة قلما اتفقت لرجال المدرسة القديمة التى عاصرته، وكان ـ رحمه الله ـ معنيا بتتبع ما يطبع من الكتب الحديثة التى يؤلفها رجال عصره من أمثال : (حفنى بك ناصف) و(محمد بك ديـاب) ، ونظرائهمـا من رجال المعـارف، وكان يتقـدها ويساجل أصحابهـا فى مآخذها ، كما كان مشغـوفا بقراءة ما ينشر أو يحقق من الكتب القديمة ويستفيد منها فوائد لا تلبث أن تصبح موضوع حديثه مع تلاميذه .

حدث مـرة أنه علم بنشر كتـاب (الهمع) للسيوطى لأول مرة سنة ١٣٢٧ ـ ١٩٠٩ . فبعث فى شـراء نسخة منه ثم جاء فى ثـانى يـوم يقـول لطلابـه قـرأت أمس فى كتـاب (الهمع) للسيوطى أن من اللغات فى لفظة اللائى من الأسماء الموصولة (اللا) بالقصر التى شاعت بين العامة فينطقها بعضهم باللام المشددة مفتوحة ، وبعضهم بكسرها (قلب الألف ياء اللى) وكنا نظنها عامية فإذا هى من صميم اللغة فى بعض أحوالها

كـان أستاذنـا الشيخ الحملاوى شـاعـرا مكثرا من الشعـر يقولـه فى المناسبات العـامة والخاصـة ، ويقوله فيمـا يعرض لحيـاته الخاصة من شئـون ، وما يتطلع إليـه من آمال، ومـا يضطرم فى نفسه من آلام، وأشعاره تنبىء عن صفاء روحه وقوة نفسه واستمساكـه بآداب الدين وفضائلـه حتى لقبه بعضهم : «الشاعر الصوفى » .

لـه أشعار فـى الالتجاء إلى الله وطلب المغفـرة وقـد ملك عليه نفسـه وحسه حب النبى ـ ﷺ ـ فقال فى مدحـه قصائد كثيرة مطولة بلغ بعضها المئتين عـارض فى أكثرها القدماء من أمثال : كعب بن زهير والبوصيرى، وله فى آل بيت النبى ـ ﷺ ـ وخـاصة أبنـاء فاطمـة ـ رضـى الله عنهـا ـ الذين يتصل نسبـه بنسبهم شعر كثير .

أما علماء الإسلام فقد خص الإمام الشافعى بنصيب موفور من مدائحه ، وكان يحضر مـولده فى كل عام يبتدئ الاحتفال بقصيدة ويختمـه بأخرى، ومدح (أبـا البركات الـدردير) من علماء المالكية المتأخرين بقصائد كثيرة فى مولده ومدح ورثى كثيرا من رجال عصره كالزعيم مصطفى كامل باشا ـ رحمه الله ـ وكصديقـه فقيد المعارف الأستـاذ حسن توفيق العدل ومـرثيتاه فيهما من محاسن شعره ...

قال يمـدح، ويوازن بين الشافعى وبين الجـاه والمال فى مطلع قصيدة يمدح فيهـا الإمام عند بدء الاحتفال بمولده سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٢م :

الفخـر بـالعلم لا بـالجـاه والمـال
والمجـد بـالجَـدِّ لا بـالجـدِّ والخـال
كم من ملىء وضىء الـوجـه تحسبـه
للعلـم خـلا ولكـن فكـره خـالى
فى المـال والجـاه أسبـاب الغـرور ومن
يعتـز بـالأهل كـالمعتـز بـالآل
تلك الأمـور سحـابـات تغيـرهـا
حـوادث الـدهـر من حـال إلى حـال
ولكـن العلـم لا ينفـك صـاحبـه
معظـم القـدر فـى حلٍّ وتـرحـال
أفق السمـاكين بل أعـلاه مقعـده
فـى كل حـال تـراه نـاعـم البـال

إن عـاش عـاش أجلَّ النـاس منـزلـة
أو مـات مـات بإعظـام وإجـلال

وقال فى رثاء الزعيم مصطفى كامل باشا وقد نشرت بصحيفة اللواء فى ٢٢ من صفر ١٣٢٦ / ٢٥ من مارس ١٩٠٨ م :

يـا أيهـا المنطيق مـالك سـاكتـا
حتى متى هـذا السكـوت أمـا كفى
قـم وارق منبـرك الـذى عـودتـه
حسن الخطـابـة فـالنفـوس على شفـا
واصـدع بأمـرك يـا همـام فكلنـا
مـرضى وأنت لنـا من المـرض الشفـا

ومنها على لسان الزعيم ناصحا بنى وطنه :

قـد كنتُ فـردا فحجَجْتُ مـن
فى الحكم جـار على البـلاد وأجحفـا
واليـوم كلكم رجـال فـاقتفـوا
أثـرى وجـدوا فـالهمـام من اقتفى
إن مـات منكـم مصطفى فجميعكم
من بعـد موتى يـا أفـاضل مصطفى
فثقـوا بمـولاكـم ولا تتفـرقـوا
إن التفـرق كم أذل وأضعفـا

ومن رثائه لصديقه المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل :

مـاذا جـرى حتى تـركت أحبـة
حفظـوك فى سـر الفـؤاد وفى العلن
كـانت لمنعـاك البيـوت مـآتمـا
والنـاس قـد ضجـوا ومـدمعهم هتن
نبكى شمـائلك التى فـاقت على
من فى الحـواضـر والبـوادى قـد فطن

تلاميذ الشيخ :

أما تلاميذ الشيخ الذين أخذوا عنه فى دار العلوم فكثير، من أشهرهم الأساتذة : الشيخ عبد العزيز جاويش وهو أزهرى درعمى، ومحمد عاطف بركات . والشيوخ : محمد الخضرى بك ، ومهدى زيكو ، وأحمد الأسكندرى، وحسن منصور ، ومحمد مهدى خليل .

وممن تلقوا العلم عليه فى مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا الأساتذة حسن مأمون رئيس المحكمة الشرعية العليا ، ثم الإمام الأكبر الأسبق، وعبد الله عفيفى ، وأمين الخولى وأحمد زكى صفوت ، وحسن محمد زهران المحامى ، وطه أبو بكر، ومهدى علام ، ومصطفى السقا .

وصفوة القول أن أستاذنا العلامة الشيخ أحمد الحملاوى هو أحد أركان النهضة اللغوية فى العصر الحديث بما ألف من كتب وبما تخرج على يديه من رجال القضاء الشرعى والمحاماة وأساتذة اللغة العربية ، وكلهم ممن شغلوا مكانا فسيحا فى حياة مصر العلمية والأدبية فى معاهدها الكبرى وجامعاتها القديمة والحديثة .

وقد أفضنا فى الحديث عن كتابه « شذا العَرف فى فن الصرف » الذى كان يدرَّس فى السنتين الرابعة والخامسة الثانويتين بالمعاهد الأزهرية فلا بد أن نتكلم عن كتابه : « زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع » الذى كانت ألفاظه سهلة عذبة ، اشتمل على غرر البيان ودرره وملح الأدب ونوادره والتصرف فى فنون القول : من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نفى لكى يكسب ألفاظه جدة ولئلا يذهب نشاط السامع سدى .

ومن مؤلفاته « مورد الصفا فى سيرة المصطفى ـ ﷺ ـ » مطبعة مصطفى البابى الحلبى، و « فوائد التأييد فى عقائد التوحيد » . وهو رسالة صغيرة طبعت بمطبعة مصطفى البابى الحلبى أيضا .

وله ديوان شعر من جزءين . مطبوع .

(« العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى » ـ الأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى . مجلة الأزهر الجزء التاسع، السنة الثالثة والستون ، رمضان ١٤١١ هـ ـ مارس ـ إبريل ١٩٩١ م / ١٠٥٤ ـ ١٠٥٩ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ١/ ٢٥١ وما جاء بهامش ٢ من مراجع) .

*** حملة العلم :**

عن حملة العلم ما رواه أبو نعيم وغيره عن كميل بن زياد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : الناس ثلاثة ، عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صايح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق... ثم ذكر كلاما فى فضل العلم إلى أن

قال : هـا إن ههنا لعلمـا جما ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة ، بلى أصيب لقنا [وهـو العاقل الذكى] غير مأمـون عليه مستعملا آلـة الديـن للدنيا ، ومستظهـرا بنعم الله على عباده وبحججـه على أوليائه ، أو منقـادا لحملة الحق لا بصيرة فى أحنائه ، ينقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة أو منهـوما بـاللـذة سلس القياد للشهـوة ، أو مغـرما بـالجمع والادخار، ليسا من رعاة الدين فى شىء أقرب شىء شبها بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمـورا لئلا تبطل حجج الله وبينـاتـه . وكم ذا وأين أولئك ؟ والله الأقلـون عددا والأعظمـون عند الله قـدرا ، يحفظ الله بهم حججه وبينـاته حتى يودعـوها نظراءهم ويزرعوهـا فى قلوب أشباههم . هجم بهم العلـم على حقيقة البصيرة ، وبـاشروا روح اليقين ، واستـلانوا مـا استـوعره المتـرفـون ، وأنسوا بمـا استـوحش منه الجـاهلـون ، وصحبوا الـدنيـا بأبدان أرواحهـا متعلقة بالمحل الأعلى . أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه ، آه ... آه شوقا إلى رؤيتهم انصرف إذا شئت !

فقسم أمير المـؤمنين رضى الله عنه حملة العلم إلى ثـلاثة أقسام ، قسم هم أهل الشبهات وهم من لا بصيرة له من حملة العلم ينقـدح الشك فى قلبه بأول عـارض من شبهـة فتأخـذه الشبهة فيقع فى الحيرة والشكوك ، ويخرج من ذلك إلى البدع والضـلالات . وقسم هم أهل الشهـوات ، وحظهم نـوعـان : أحدهما من يطلب الدنيا بنفس العلم فيجعل العلم آلة لكسب الدنيا ، والثـانى من همه جمع الدنيا واكتنازهـا وادخارها ... وكل هـؤلاء ليسوا من رعـاة الدين وإنمـا هم كالأنعـام . ولهذا شبه الله تعـالى من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمـار الذى يحمل أسفـارا ، وشبه عـالم السـوء الذى انسلخ من آيـات الله وأخلـد إلى الأرض واتبع هـواه بـالكلب ، والكلب والحمـار أخس الأنعام وأضـل سبيلا ! والقسم الثالث مـن حملة العلم هم أهله وحملته ورعـاته والقائمون بحجج الله وبينـاته . وذكر أنهم الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا ، إشارة إلى قلة هذا القسم وغربته من حملة العلم !

وقد قسم الحسن البصـرى (انظر ترجمتـه) رضى الله عنه حملـة القـرآن إلى قريب مـن هذا التقسيم الـذى قسمه على رضى الله عنه لحملة العلم ... قال الحسن : قراء القرآن ثلاثة أصناف . صنف اتخذوه بضاعة فيتـأكلون به ، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستندوا به لطلب الولايـة . كثر هذا الضرب من حملـة القرآن لا كثَّرهم الله ، وضرب عمدوا إلى دواء القرآن فـوضعوه على داء قلوبهم فـركدوا بـه فى محـاريبهم وحنـوا به فى بـرانسهم واستشعـروا الخوف ، وارتدوا الحـزن . فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ، والله لهؤلاء الضرب فى حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن ! فأخبر أن هذا القسم ـ وهم قراء القـرآن ـ جعلـوه دواء لقلـوبهم فأثار لهم الخـوف والحزن [وهم] أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن !

ووصف أمير المؤمنين رضى الله عنـه هذا القسم من حملة العلم بصفـات ، منهـا أنـه هجم بهـم العلم على حقيقـة البصيرة ... ومعنى ذلك أن العلم دلهـم على المقصود الأعظم وهو معـرفة الله فخـافوه وأحبوه حتى سهل ذلـك عليهم كل ما تعسر على غيرهم ، فلم يصل إلى ما وصلو إليه ممن وقف مع الدنيـا وزينتها وزهـرتها واغتـر بها ولـم يباشـر قلبه معـرفة الله وعظمته وإجلالـه ، فاستلانوا مـا استوعر منه المتـرفون . فإن المتـرف الواقع مع شهـوات الدنيـا ولذاتهـا يصعب عليه تـرك لذاتها وشهواتهـا لأنه لا عرض عنده من لذات الـدنيا إذا تركها فهو لا يصبر على تركها . فهؤلاء فى قلوبهم العوض الأكبر بما وصلوا إليه من لذة معرفة الله ومحبته وإجلاله كما كان الحسن يقول : إذا أحباء الله هـم الذين ورثوا طيب الحياة وذاقوا نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوا من لذة حبه فى قلـوبهم ، من كلام يطـول ذكره هنـا فى هذا المعنى . وإنمـا أنس هـؤلاء بما استـوحش منـه الجاهلـون لأن الجاهلين بـالله يستوحشـون من ترك الدنيـا وشهواتهـا لأنهم لا يعرفون سـواها فهى أنسهم . وهـؤلاء يستـوحشون من ذلك ويستـأنسون بـالله وبذكره ، ومعرفته ، ومحبته ، وتلاوة كتابه ... والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يجدون الأنس به !

(كشف الكربة للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلى ـ تحقيق محمد أحمد عبد العزيز . المكتبة القيمة . القاهرة ١٩٨٧ / ٢٣ ـ ٢٥) .

*** حملة القرآن :**

قال الإمـام عياض رضى الله عنه : « حامل القـرآن حامل

رايـة الإسـلام لا ينبغي لـه أن يلهـو، ولا يستهـزىء مع من يستهزىء ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون ، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يتحدثون » .

وقد أشار ابن برى فى أرجوزته إلى هذه الفضائل والأحاديث بقوله وهى نموذج من ثقافته الإسلامية الواسعة فى الحديث النبوى :

وبعد فاعلم أن علم القرآن — أجمل ما به تحلى الإنسان
وخير ما علمه وعلمه — واستعمل الفكر له وفهمه
وجاء فى الحديث أن المهرةْ — فى علمه مع الكرام البررةْ
وجاء عن نبينا الأوّاه — حملة القرآن أهل الله
لأنه كلامه المرفع — وجاء فيه شافع مشفع
وقد أتت فى فضله آثار — ليست تفى بحمله أسفار

(« نظرت على القراء الذين اعتمدهم على بن برى التازى فى أرجوزته » ـ الأستاذ محمد بن أحمد الأمرانى مجلة الإحياء والتي تصدرها رابطة علماء المغرب جـ ٦ م ٢ . محرم ـ جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ / نوفمبر ـ إبريل ١٩٨٧م / ٦٧، ٦٨) .

ملاحظة الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش ، شكل ١٠١ ص ٩١، وهى بخط كوفى حديث مزهر بقلم المؤلف سنة ١٣٩٣ هجرية .

١٠١ ـ «إشراف أمتي حملة القرآن» كوفي حديث مزهر بقلم المؤلف سنة ١٣٩٣ هجرية.

* **الحَمَلى :**

قال السمعانى :

الحملى : بفتح الحاء المهملة والميم وبعدهما اللام ، هذه النسبة إلى حمل وهم بطون من العرب ، منهم حمل بن عقيدة بن وهب بن الحارث بن لؤى، قال ابن حبيب : فى بنى الحارث بن لؤى حمل بن عقيدة . وقال الدارقطنى : حمل ابن عقيدة قبيلة .

وحمل بن خالد بن عمرو بن معاوية فى بنى عامر بن صعصعة ، ومنهم موءلة بن كثيف بن حمل بن خالد بن عمرو ابن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحملى ، أدرك رسول الله ﷺ، روى عنه ابنه عبد العزيز بن موءلة أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم وهو ابن عشرين سنة ومسح يمين رسول الله ﷺ وحبس إبله على رسول الله فصدق إبله قلوصا بنت لبون ، ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله ﷺ، وعاش فى الإسلام مائة سنة وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته . وابنته ظمياء بنت عبد العزيز بن موءلة ابن كثيف الحملى، حدثت عن أبيها روى عنها الزبير بن بكار قاضى مكة وغيره .

وأبو عبد الله ضمرة بن ربيعة الفلسطينى الرملى الحملى مولى على بن أبى حملة فقيل له الحملى نسبة إليه وعلى بن أبى حملة مولى آل عتبة بن ربيعة ، يروى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى والأوزاعى ورجاء بن أبى سلمة وإبراهيم بن أبى عبلة وابن شوذب، روى عنه الحكم بن موسى وهارون بن معروف ونعيم بن حماد وبكير بن محمد بن أسماء ومهدى بن جعفر وسعيد بن أسد، قال ابن أبى حاتم سألت أبى عن ضمرة بن ربيعة فقال : من الثقات المأمونين، رجل صالح، صالح الحديث ، لم يكن بالشام رجل يشبهه ؛ فقلت أيما أحب إليك ضمرة أو بقية ؟ قال : ضمرة أحب إلينا .

(الأنساب للمسعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٦ انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٤ ، ٤٥٥) .

* **الحملى (محمد) (- ٨٨٧ هـ) :**

من مواليد بلبيس الذين ذكرهم على باشا مبارك . قال نقلا عن الشمس السخاوى فى الضوء اللامع (م ٥ جـ ٩) : قال : وولد بها أيضا الشيخ محمد بن محمد الحملى البلبيسى القاهرى الشافعى ، وبعد أن حفظ القرآن حفظ العمدة والتبريزى والجرجانية وربع المنهاج على فقيه بلده البرهان الفاقوسى ، وخطب أشهرا بجامع بلده ثم صحب الشيخ الغمرى وتلقن منه ، ولقى ابن رسلان وتهذب بهديه ، وأخذ عن الشهاب الزواوى وآخرين ، وسافر إلى مكة والمدينة وبيت المقدس والخليل والمحلة ، وتكسب بالنساخة ، وقيد على البخارى والشفاء من الحواشى النافعة ما يدل على فضله واختصر تفسير البيضاوى مع زيادات ، وكتب على المنهاج إلى الزكاة ، وامتدح النبى ﷺ بقصيدة ، وكان فاضلا دينًا جيد الفهم ، بديع التصور ، صحيح العقيدة ، خبيرا بالأمور متين التحرى والعفة ، حسن العشرة ، نير الهيئة ، مات فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وثمانمائة . ودفن بجوار أبيه بتربة سعيد السعداء . رحمه الله تعالى . انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد أحمد صلاح زكريا ٩ / ٢٠١ ، ٢٠٢) .

* **حمودة باشا (جامع -) :**

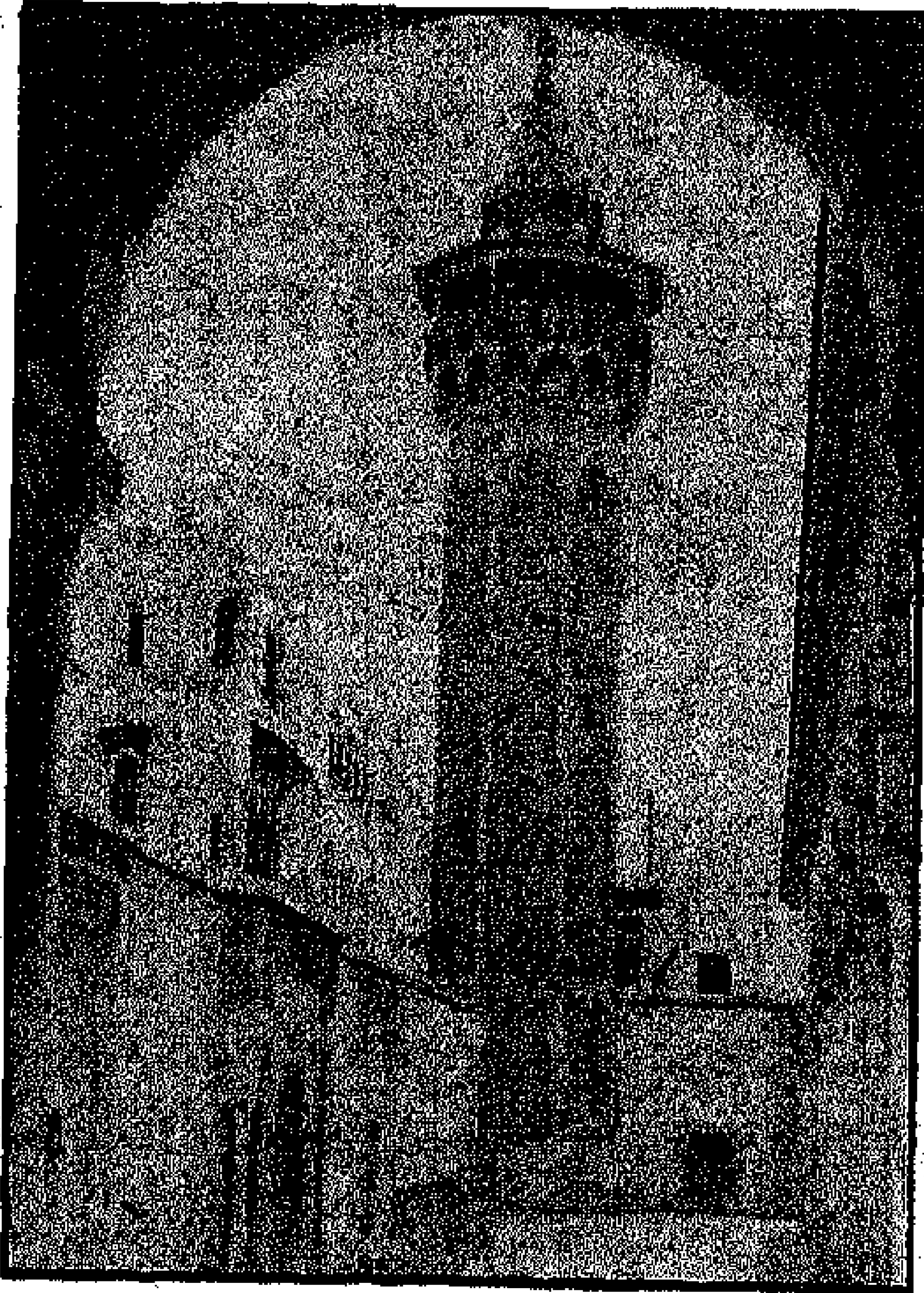
من جوامع الخطبة فى تونس كتب عنه الشيخ محمد بن الخوجة كما كان فى زمانه فقال :

خطبة هذا الجامع هى الثالثة عشرة فى سلسلة جوامع الخطبة بتونس ، وإمامه الأول فى هذا الزمان صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفى .

هذا الجامع بناه الباى محمد ويدعى حمودة باشا بن مراد باى الأول (١٦٣١ - ١٦٦١) وهو نفسه مؤسس ضريح الصحابى سيدنا أبى زمعة البلوى بالقيروان ، وكم له غير ذلك من المآثر الحسان ، بتونس وبغيرها من البلدان ، وجامعه هذا ملاصق لزاوية ولى الله الشيخ أحمد بن عروس (الزاوية العروسية من حسنات السلطان محمد المنتصر الحفصى وكانت وفاة الولى سيدى أحمد بن عروس فى سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م عن نحو تسعين سنة وكان من أجمل خلق الله ومن أكابر الصالحين ، جاب البلاد فى الطول والعرض ، دخل لبلاد المغرب والتحق بمدينة سبتة مسقط رأس عياض ، وفيه يقول فى جملة شعر ملحون له :

جميع البلاد شولت
حتى لسبته الحصينه
أنا مثل بنزرت ما ريت
السواد فى وسط المدينه

قال فى رسالة الخطباء والأيمة [والأئمة] الحنفية للشيخ محمد بيرم الرابع إن أول جمعة أقيمت بهذا الجامع كانت فى شهر رمضان سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م (يستفاد من بعض الوثائق التاريخية المحفوظة بالخزنة العامة بالدولة التونسية أن التحابيس التى وقفها حمودة باشا على جامعه صدرت منه فى موفى جمادى الأولى عام ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧ م بشهادة الفقيهين الشيخ أبى العباس أحمد لفلوف ، والشيخ أبى عبد الله محمد الأنصارى ، شهر الرصاع) وكان أول خطيب به المفتى الشيخ محمد الأزهرى (هو أبو عبد الله محمد بن



جامع حمودة باشا

مصطفى الأزهري - أصله من طرابلس وهاجر إلى مصر لطلب العلم بجامع الأزهر الشريف فنسب إليه ثم قدم إلى تونس فى عهد الأمير حمودة باشا المرادى الذى بالغ فى إكرامه . وتوفى سنة ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧ م) .

وهذا الجامع من الأبنية الزاهية الناطقة بحسن النية ، ولا خوف فى كون مؤسسه هو مفخرة الدولة المرادية بشهادة التاريخ، وهو محط أفراح أهل تونس، لأنهم يتبركون بعقد أنكحتهم فيه ، ولأنه يكثر به عدد المصلين لكونه مركزا وسطا بين أسواق المدينة ، ولو أتيح لعرصاته النطق لأفادتنا بأنها شاهدت أغلب عقود أهل تونس ، وأبقت النزر اليسير منها لعموم الزوايا والجوامع الأخرى بالحاضرة. وقد اشتمل صحن هذا الجامع على تربة صاحبه وبها جوار قبره قبر حفيده الباشا محمد بن مراد باى الثانى مؤسس جامع سيدى محرز، وهذه المقبرة ذات القبة الخضراء الجميلة ، والواجهة المرمرية البديعة، معتبرة فى جملة الأبنية التاريخية فى برنامج الآثار العربية بإدارة الأنطكخانة . (انظر صورة الضريح فى مادة «تونس » فى م ١١ / ١٤٧) .

وقد امتاز هذا الجامع عن بقية الجوامع الحنفية بإمامين ، أول وثان ، ولايتهما بالأمر العلى، وفقا لنص الواقف ، وإمامه الثانى لهذا الزمان هو العلامة الفهامة المدرس الشيخ الشاذلى ابن القاضى ، وورث الخطة عن أسلافه الأعلام أيمة الجامع من قبله . وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث فى ١٧ رمضان ، وهو من الأختام الثمانية التى يحضرها المولى الأمير أطال الله عمره.

(تاريخ معالم التوحيد لمحمد بن الخوجة - تحقيق الجيلانى بن الحاج يحيى وحمادى الساحلى / ١٨١ ، ١٨٢) .

* **الحموى :**

قال السمعانى :

الحموى : هذه النسبة إلى حماة، بلدة مليحة من بلاد الشام بين حلب وحمص، أقمت بها يومين ، وقاضى القضاة أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران بن عبد الصمد بن سلمان الحموى المعروف بالشامى قاضى القضاة ببغداد، كان منها ، ولد بحماة سنة أربعمائة ، ومات ببغداد فى شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى، وكان لا يخاف فى الله لومة لائم ، جرت أموره فى قضاياه وأحكامه على أحسن ... سمع الحديث من أبى القاسم بن بشران وأبى طالب بن غيلان وأبى عمرو بن دوست العلاف وغيرهم ، روى لنا عنه كثير بن سعيد بمكة وعبد الوهاب بن المبارك ببغداد وغيرهما .

وخالد بن عمرو السلفى الحموى ، كان يسكن حماة ، يروى عن بقية بن الوليد ومحمد بن حرب ومروان بن معاوية الفزارى ويحيى بن سليم الطائفى وغيرهم ، ذكره أبو محمد ابن أبى حاتم الرازى - قال : خالد بن عمرو السلفى ، كان ينزل حماة على مسيرة يومين من حمص، سمع منه أبى فى الرحلة الأولى .

ومحمد بن نعيم الجرمى الحموى نزيل حماة يروى عن أبى اليمان الحكم بن نافع وأحمد بن شبويه المروزى، قال ابن أبى حاتم : محمد بن نعيم سكن حماة على مرحلة من سلمية ، شامى ، كتب عنه أبى .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٧ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) .

انظر : ياقوت الحموى .

* **الحمُويى :**

قال السمعانى :

الحمويى : هذه النسبة إلى الجد، والمشهور بهذه النسبة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى الحمويى نزيل فوشنج وهراة ، كان رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسمع بفربر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى رواية الصحيح ، وبسمرقند أبا عمر العباس بن عمر السمرقندى راوى الدارمى وبخرشكت أبا إسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشى راوى عبد بن حميد وغيرهم ، سمع منه أبو بكر محمد بن أبى الهيثم الترابى المروزى وأبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الداودى الفوشنجى وغيرهما، وتوفى فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

والإمام أبو عبد الله محمد بن حمويه الجوينى، أولاده يكتبون لأنفسهم : الحمويى - أيضا ، ينتسبون إلى جدهم ، وأبو عبد الله أدركته حيا وكان بجوين، وكنت على عزم أن أخرج إليه فتوفى وأنا بنيسابور (فى سنة ثلاثين وخمسمائة) .

وابنه أبو الحسن على بن محمد الحمويى ، روى لنا عن عمر ابن أبى الحسن الرواسى الحافظ ، ومات فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بنيسابور وحمل إلى جوين فدفن بها .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٦٨ ، واللباب لابن الأثير ، ١ / ٤٥٦) .

* ابن حَمُّويه (عبد الله) (٥٧٢-٦٤٢ هـ / ١١٧٧-١٢٤٤ م) :

عبد الله بن عمر بن على بن محمد ، ابن حمويه الجوينى السرخسى ويسمى بعبد السلام ، أبو محمد ، تاج الدين ، مؤرخ باحث ، خراسانى الأصل . كان شيخ الشيوخ بدمشق . ومولده ووفاته فيها . زار المغرب سنة ٥٩٣ هـ ، واتصل بملك مراكش (المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) فأقام إلى سنة ٦٠٠ هـ ، وعاد إلى دمشق مارا بمصر . من كتبه «المسالك والممالك » و « السياسة الملوكية » مخطوط فى استانبول ، و « المؤنس فى أصول الأشياء » ثمانى مجلدات ، و « عطف الذيل » فى التاريخ ، و « الأصالى » و « رحلة إلى المغرب » نقل المقرى عنها . وله مقاطيع شعر جيدة .

(الأعلام للزركلى ٤ / ١١٠) .

* ابن حَمُّويه (محمد) (٤٤٩-٥٣٠ هـ / ١٠٥٧-١١٣٥ م) :

محمد بن حمويه بن محمد بن حمويه الجوينى ، أبو عبد الله ، شيخ الصوفية فى خراسان ، قرأ الفقه والأصوليين على إمام الحرمين ، ثم انقطع إلى العبادة . وكان الملوك يزورونه ، ولا يغشى أبوابهم ولا يقبل صلاتهم ولا يأكل من الأوقاف ، له قطعة أرض يزرعها خادم له ، وصنف « لطائف الأذهان فى تفسير القرآن » و « سلوة الطالبين فى سير سيد المرسلين » و«أربعين حديثا » وكتابا فى « علم الصوفية » وغير ذلك .

(الأعلام ٦ / ١١٠) .

* ابن حمويه (معين الدين) (٥٨٨-٦٤٣ هـ) :

قال عنه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى فى منظومته « تحفة ذوى الألباب » :

كذا معين الدين ابن الشيخ قد
قام بأمر الفتح فيها وقعد
وناب فيها للمليك الصالح
أيوب من بعد البلاء الطالح

الصاحب معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه هو الذى فتح دمشق للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وأخذها من الملك الصالح إسماعيل ابن عم أيوب . وقاسى الناس تلك المدة من أنواع البلاء والغلاء والحصر أهوالاً عظيمة ، وشدائد زائدة ... ولما فتحها معين الدين ابن الشيخ أقام بها نائبا للصالح أيوب . وكان الفتح فى جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، فلما كان فى ليلة الأحد ثانى عشرين شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، توفى معين الدين المذكور ، ودفن بجبل الصالحية عند أخيه عماد الدين عمر . وكان مولد معين الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (جبل الصالحية هو جبل قاسيون المطل على دمشق ، وترجع تسميته بجبل الصالحية إلى عام ٥٥٤ هـ لنزول بنى قدامة المقادسة فى سفحه ، واشتهارهم بالصالحين ، (تحفة ذوى الألباب ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠) .

وقد ذكره المقريزى فى خططه من بين أولاد شيخ الشيوخ فقال عنه : وأما معين الدين حسن فإنه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر ، وبعثه الملك الكامل فى الرسالة عنه إلى بغداد ، ثم أقامه نائب الوزارة إلى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وجهزه على العساكر فى هيئة الملوك إلى دمشق ، فقاتل الصالح إسماعيل ابن العادل حتى ملكها ومات بها فى ثانى عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ثم يضيف المقريزى قوله : وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ فى كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه أخبارهم والله تعالى أعلم اهـ (المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٤) .

(تحفة ذوى الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - حققته إحسان بنت سعيد خلوصى وزهير حميدان الصمصام . وزارة الثقافة . إحياء التراث العربى (٨٦) منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية . دمشق ١٩٩٢ ، ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٣٤) .

* الحِمَى و الأرفاق :

١ - تعريفه : الحمى هو الأرض الموات تحمى من الرعى فيها ليكثر عشبها فترعاها بهائم خاصة .

٢ - حكمه : لا يجوز لأحد أن يحمى من الأراضى العامة للمسلمين ذراعا فأكثر إلا الإمام إذا كان ذلك لمصلحة

المسلمين ، وذلك لقوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » (البخارى) فقد أفاد الحديث أنه ليس لأحد أن يحمى إلا الله ورسوله أو خليفتهما ، وهو الإمام كما يفيد أن الإمام لا يحمى لغير المصلحة العامة ، لأن ما كان لله ورسوله ينفق دائما فى المصالح العامة ، كالخمس من الغنائم والفئ وخمس الركاز ونحوها . فقد حمى رسول الله ﷺ النقيع لإبل وخيل الجهاد (البخارى) كما حمى عمر رضى الله عنه أرضا ، وقيل له فى ذلك ، فقال : « المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله ، والله ... لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر » (البخارى بلفظ آخر) .

٣ـ أحكامه ، للحمى أحكام هى :

١ ـ لا يحمى إلا خليفة المسلمين وإمامهم لقوله ﷺ : «لا حمى إلا لله ولرسوله » .

٢ ـ لا يحمى من الأرض إلا الموات التى ليست ملكا لأحد .

٣ ـ لا يحمى الخليفة لخاصة نفسه ، بل لمصالح المسلمين العامة .

٤ ـ يلحق بالقياس ما تحميه الدولة من بعض الجبال لتنمية الأشجار فى الغابات ، فينظر فى ذلك ، فإذا كان يحقق مصلحة راجحة للمسلمين أقرت الحكومة على ذلك ، وإذا بان أنه أضر بالمسلمين ولم يحقق لهم فائدة راجحة ، فلا تقر عليه إذ لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ (منهاج المسلم / ٤٠٨ ، ٤٠٩) .

وجاء فى اللسان : الليث : الحمى موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه ، فى تفسير قوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ورسوله » قال : كان الشريف من العرب فى الجاهلية إذا نزل بيتا فى عشيرته استعوى كلبا فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وكان شريك القوم فى سائر المراتع حوله ، قال : فنهى النبى ﷺ أن يحمى على الناس حمى كما كانوا فى الجاهلية يفعلون ، قال : وقوله « إلا لله ولرسوله » يقول : إلا ما يحمى لخيل المسلمين وركابهم التى ترصد للجهاد ويحمل عليها فى سبيل الله ، وإبل الزكاة ، كما حمى عمر النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة فى سبيل الله (لسان العرب ١٢ / ١٠١٤) .

وقد أفرد الإمام الماوردى الباب السادس عشر من كتابه «الأحكام السلطانية » للكلام على الحمى والأرفاق ، مما ننقله لك فيما يلى . قال رحمه الله :

وحمى الموات هو المنع من إحيائه أملاكا ليكون مستبقى الإباحة لنبت الكلأ ورعى المواشى .

« قد حمى رسول الله ﷺ بالمدينة وصعد جبلا بالبقيع » قال أبو عبيد : هو النقيع بالنون . وقال : « هذا حماى وأشار بيده إلى القاع » .

وهو قدر ميل فى ستة أميال حماه لخيل المسلمين من الأنصار والمهاجرين فأما حمى الأئمة من بعده فإن حموا به جميع الموات أو أكثره لم يجز ، وأن حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يجز » .

وأن حموه لكافة المسلمين أو للفقراء والمساكين ففى جوازه قولان :

أحدهما لا يجوز ويكون الحمى خاصا لرسول الله ﷺ لرواية الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ حين حمى البقيع قال : « لا حمى إلا لله ولرسوله » .

والقول الثانى : أن حمى الأئمة بعده جائز كجوازه له ، لأنه كان يفعل ذلك لصلاح المسلمين لا لنفسه فكذلك من قام مقامه فى مصالحهم . قد حمى أبو بكر رضى الله عنه بالربذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامة . وحمى عمر رضى الله عنه من الشرف مثل ما حماه أبو بكر من الربذة وولى عليه مولى له يقال له هنى وقال : يا هنى ضم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة ، وأدخل رب الصُّرَيْمة ورب الغُنَيْمة ، وإياك ونعم ابن عفان وابن عوف فإنهما أن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى نخل وزرع ، وإن رب الصُّرَيْمة ورب الغُنَيْمة يأتينى بعياله فيقول يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا ؟ لا أبا لك فالكلأ أهون على من الدينار والدرهم ، والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا .

فأما قول رسول الله ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » :

فمعناه لا حمى إلا على مثل ما حماه الله ورسوله للفقراء والمساكين ولمصالح كافة المسلمين ، لا على مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية من تفرد العزيز منهم بالحمى لنفسه ، كالذى كان يفعله كليب بن وائل ، فإنه كان يوافى بكلب على نشاز من الأرض ثم يستعديه ويحمى ما انتهى إليه عواؤه من كل الجهات ، ويشارك الناس فيما عداه حتى كان

ذلك سبب قتله، وفيه يقول العباس بن مرداس (من الطويل) :

كما كان يبغيها كليب بظلمه
من العز حتى طاح وهو قتيلها
على وائل إذ يترك الكلب نابحا
وإذ يمنع الإقناء منها حلولها

وإذا جرى على الأرض حكم الحمى استبقاء لمواتها سابلا ومنعا من إحيائها ملكا روعى حكم المحمى، فإن كان للكافة تساوى فيه جميعهم من غنى وفقير ومسلم وذمى فى رعى كلئهم بخيلهم وماشيتهم ، فإن خص به المسلمون اشترك فيه أغنياؤهم وفقراؤهم ومنع منهم أهل الذمة ، وإن خص به الفقراء والمساكين منع منه الأغنياء وأهل الذمة ولا يجوز أن يخص به الأغنياء دون الفقراء ولا أهل الذمة دون المسلمين ، وإن خص به نعم الصدقة أو خيل المجاهدين لم يشركهم فيه غيرهم ثم يكون الحمى جاريا على ما استقر عليه من عموم وخصوص، فلو اتسع الحمى المخصوص لعموم الناس جاز أن يشتركوا فيه لارتفاع الضرر عمن خص به ، ولو ضاق الحمى العام عن جميع الناس لم يجز أن يختص به أغنياؤهم وفى جواز اختصاص فقرائهم به وجهان. وإذا استقر حكم الحمى على أرض فأقدم عليها من أحياها ونقض حماها روعى الحمى، فإن كان مما حماه رسول الله ﷺ كان الحمى ثابتا والإحياء باطلا والمتعرض لإحيائه مردودا مزجورا لا سيما إذا كان سبب الحمى باقيا ، لأنه لا يجوز أن يعارض حكم رسول الله ﷺ نقض ولا إبطال .

وإن كان من حمى الأئمة بعده ففى إقرار إحيائه قولان : أحدهما لا يقر ويجرى عليه حكم الحمى كالذى حماه رسول الله ﷺ لأنه حكم نفذ بحق، والقول الثانى يقر الإحياء ويكون حكمه أثبت من الحمى لتصريح رسول الله ﷺ بقوله « من أحيا مواتا فهى له » . ولا يجوز لأحد من الولاة أن يأخذ من أرباب المواشى عوضا عن مراعى موات أو حمى لقول رسول الله ﷺ : « المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء والنار والكلأ»

فصل : وأما الأرفاق فهو أرفاق الناس بمقاعد الأسواق وأفنية الشوارع وحريم الأمصار ومنازل الأسفار فيقسم ثلاثة أقسام : قسم يختص الارتفاق فيه بالصحرى والفلوات . وقسم يختص الارتفاق فيه بأفنية الأملاك، وقسم يختص بالشوارع والطرق .

فأما القسم الأول وهو ما اختص بالصحارى والفلوات فكمنازل الأسفار وحلول المياه وذلك ضربان : أحدهما أن يكون لاجتياز السابلة واستراحة المسافرين فيه فلا نظر للسلطان فيه لبعده عنده وضرورة السابلة إليه ، والذى يختص السلطان له من ذلك إصلاح عورته وحفظ مياهه والتخلية بين الناس وبين نزوله ويكون السابق إلى المنزل أحق بحلوله فيه من المسبوق حتى يرتحل عنه لقول النبى ﷺ : « مِنى مناخ من سبق إليها » .

فإن وردوه على سواء وتنازعوا فيه نظر فى التعديل بينهم مما يزيل تنازعهم وكذلك البادية إذا انتجعوا أرضا طلبا للكلأ وارتفاقا بالمرعى وانتقالا من أرض إلى أخرى كانوا فيما نزلوه وارتحلوا عنه كالسابلة لا اعتراض عليهم فى تنقلهم ورعيهم .

والضرب الثانى أن يقصدوا بنزول الأرض الإقامة فيها والاستيطان لها ، فللسلطان فى نزولها بها نظر يراعى فيه الأصلح ، فإن كان مضرا بالسابلة منعوا منها قبل النزول وبعده، وإن لم يضر بالسابلة راعى الأصلح فى نزولهم فيها أو منعهم منها ونقل غيرهم إليها ، كما فعل عمر حين مصر البصرة والكوفة نقل إلى كل واحد من المِصْرَيْن من رأى المصلحة فيه لئلا يجتمع فيه المسافريون فيكون سببا لانتشار الفتنة وسفك الدماء، وكما يفعل فى إقطاع الموات ما يرى، فإن لم يستأذنوه حتى نزلوه لم يمنعهم منه كما لا يمنع من أحيا مواتا بغير إذنه ودبرهم بما يراه صلاحا لهم ونهاهم عن إحداث زيادة من بعد إلا عن إذنه . روى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال : قدمنا مع عمر بن الخطاب فى عمرته سنة سبع عشرة فكلمه أهل المياه فى الطريق أن يبنوا بيوتا فيما بين مكة والمدينة لم تكن قبل ذلك ، فأذن لهم واشترط عليهم أن ابن السبيل أحق بالماء والظل .

وأما القسم الثانى وهو ما يختص بأفنية الدور والأملاك، فإن كان مضرا بأربابها منع المرتفقون منها إلا أن يأذنوا بدخول الضرر عليهم فيمكنوا . وإن كان غير مضر بهم ففى إباحة ارتفاقهم به من غير إذنهم قولان : أحدهما أن لهم الارتفاق بها وإن لم يأذن أربابها ؛ لأن الحريم مرفق إذا وصل أهله إلى

حقهم منه ساواهم الناس فيما عداه . والقول الثانى أنه لا يجوز الارتفاق بحريمهم إلا عن إذنهم لأنه تبع لأملاكهم فكانوا به أحق وبالتصرف فيه أخص ، فأما حريم الجوامع والمساجد، فإن كان الارتفاق به مضرا بأهل المساجد والجوامع منعوا منه ولم يجز للسلطان أن يأذن لهم فيه لأن المصلين به أحق، وإن لم يكن مضرا أجاز ارتفاقهم بحريمها . ويعتبر فيه إذن السلطان لهم على وجهين من القولين فى حريم الأملاك .

وأما القسم الثالث : وهو ما اختص بأفنية الشوارع والطرق فهو موقوف على نظر السلطان . وفى نظره وجهان : أحدهما أن نظره فيه مقصور على كفهم عن التعدى ومنعهم من الإضرار والإصلاح بينهم عند التشاجر، وليس له أن يقيم جالسا ولا أن يقدم مؤخرا ويكون السابق إلى المكان أحق به من المسبوق . والوجه الثانى أن نظره فيه نظر مجتهد فيما يراه صلاحا فى إجلاس من يجلسه ومنع من يمنعه وتقديم من يقدمه كما يجتهد فى أموال بيت المال وإقطاع الموات ولا يجعل السابق أحق وليس له على الوجهين أن يأخذ منهم على الجلوس أجرا . وإذا تركهم على التراضى كان السابق منهما إلى المكان أحق به من المسبوق، فإذا انصرف عنه كان هو وغيره من الغد فيه سواء يراعى فيه السابق إليه . وقال مالك إذا عرف أحدهم بمكان وصار به مشهورا كان أحق به من غيره قطعا للتنازع وحسما للتشاجر، واعتبار هذا وإن كان له فى المصلحة وجه يخرجه عن حكم الإباحة إلى حكم الملك .

فصل : وأما جلوس العلماء والفقهاء فى الجوامع والمساجد والتصدى للتدريس والفتيا فعلى كل واحد منهم زاجر من نفسه أن لا يتصدى لما ليس له بأهل فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد، وقد جاء الأثر بأن « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على جراثيم جهنم » .

والسلطان فيهم من النظر ما يوجبه الاختيار من إقراره أو إنكاره، فإذا أراد من هو لذلك أهل أن يترتب فى أحد المساجد لتدريس أو فتيا نظر حال المسجد، فإن كان من مساجد المحال التى لا يترتب الأئمة فيها من جهة السلطان لم يلزم من ترتب فيه للتدريس والفتيا استئذان السلطان فى جلوسه كما لا يلزم أن يستأذن فيه من ترتبه للإمامة، وإن كان من الجوامع وكبار المساجد التى ترتب الأئمة فيها بتقليد السلطان روعى فى ذلك عرف البلد وعادته فى جلوس أمثاله، فإن كان للسلطان فى جلوس مثله نظر لم يكن له أن يترتب للجلوس فيه إلا عن إذنه كما لا يترتب للإمامة فيه إلا عن إذنه لئلا يفتات عليه فى ولايته ، وإن لم يكن للسلطان فى مثله نظر معهود لم يلزم استئذانه للترتيب فيه وصار كغيره من المساجد، وإذا ارتسم بموضع من جامع أو مسجد فقد جعله مالك أحق بالموضع إذا عرف به . والذى عليه جمهور الفقهاء أن هذا يستعمل فى عرف الاستحسان وليس بحق مشروع . وإذا قام عنه زال حقه منه وكان السابق إليه أحق لقول الله تعالى : ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [الحج : ٢٥] .

ويمنع الناس فى الجوامع والمساجد من استطراق حلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتها . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا حمى إلا فى ثلاث : ثلة البئر، وطول الفرس ، وحلقة القوم . فأما ثلة البئر فهو منتهى حريمها . وأما طول الفرس فهو ما دار فيه بمقوده إذا كان مربوطا ، وأما حلقة القوم فهو استدارتهم فى الجلوس للتشاور والحديث » .

وإذا تنازع أهل المذاهب المختلفة فيما يسوغ فيه الاجتهاد لم يعترض عليهم فيه إلا أن يحدث بينهم تنافرا فيكفوا عنه ، وإن حدث منازع ارتكب مالا يسوغ فيه الاجتهاد كف عنه ومنع منه ، فإن أقام عليه وتظاهر باستغواء من يدعو إليه لزم السلطان أن يحسم بزواجر السلطنة ظهور بدعته ويوضح بدلائل الشرع فساد مقالته ، فإن لكل بدعة مستمعا ، ولكل مستغو متبعا ، وإذا تظاهر بالصلاح من استبطن ما سواه ترك ، وإذا تظاهر بالعلم عن عرى منه هتك لأن الداعى إلى صلاح ليس فيه مصلح والداعى إلى علم ليس فيه مضل (الأحكام السلطانية / ١٦٠ـ١٦٣) .

(منهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١٤ ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لعلى بن محمد حبيب البصرى الماوردى / ١٦٠ ـ ١٦٣) .

انظر مادة إحياء الموات فى م ٣ / ١٨ ـ ٢٢ .

* الحميات :

الحمى : ارتفاع درجة حرارة الجسم عن معدلها الطبيعى ، ويتراوح هذا المعدل فى غالبية الناس بين ٣٦ و ٣٦,٥ م صباحا ، و ٣٧ م مساء . والحمى لازمة طبيعية ، وعرض مرضى يصاحب الأمراض المعدية . وهى إجراء دفاعى

وقائى ، يتخذه الجسم لمواجهة ما يغزوه من الجراثيم ، التى لا تلائمها درجة الحرارة العالية . وأحيانا ترتفع درجة الحرارة فى أمراض غير معدية ، كالتهاب حوض الكلى ، والتسنين فى الأطفال، والنزلات المعوية ، و « الخراريج » (الموسوعة الثقافية / ٤١٣) .

ونذكر فيما يلى الحميات كما كان يفهمها الأطباء العرب فى الماضى، تاركين للقارىء أمر مقارنتها بمعلوماتنا عنها فى الوقت الحاضر وهى التى سقناها آنفا . (اقرأ عن الحميات فى الفصول للرازى / ٨٤ ـ ٩٠ ، والحاوى للرازى ١٤ / ١٦٩ ، الملكى لعلى بن عباس المجوسى ١ / ٢٩٣ ـــ ٣٠١ ، والمختارات لابن هبل ٣ / ٢٥٣ ـ ٢٩٠) .

يقول الدكتور كمال السامرائى عن الطب الإسلامى فى علاج للحمى :

حالات الحمى شائعة قديما وحديثا . وكانت تعتبر من الحالات المرضية العابرة غير الخطيرة، إلا فى وقعات معينة، وقد اعتبر العرب الحمى عرضا فى أكثر الحالات وأن لها أسبابا كثيرة يرجعون أكثرها إلى فساد الأخلاط أو قلة نضجها أو زيادة انطباخها، أو إلى تغييرات فى أورام البدن .

ويكون تشخيص الحمى بلمس جلد العليل، أو بالاعتماد على شكواه منها . وقد لا يكون فى هذه الحالة الأخيرة وجود لها فى المريض . ولما لوحظ تناوب الحمى سميت بحسب ذلك حمى يوم ، أو حمى ربع . كما وصفت أنواع أخرى منها كالحمى المطبقة ، والمحرقة ، والنافض، وحمى الدق، وعرفت الفروق السريرية فيما بينها ، وصفات النبض والبول فى تلك الأنواع ، والأعراض التى يشكو منها المريض كالثقل العام فى البدن، وثقل الرأس، والنخس فى سطح الجسم ، والتثاؤب المتكرر، واضطراب النوم وفقدان الشهية . واعتبر الأطباء الحميات التى تظهر فى الليل أقل خطورة من التى تظهر فى النهار. وفسروا النافض من الحمى من كثرة الأخلاط الرديئة فى المُرتين (السوداء والصفراء) وحدتها وسرعة حركتها، ودقة الحس عند المريض من ملامسة الماء البارد .

ولأن طبيعة الحميات لم تكن معروفة فقد عولجت حالاتها على مبدأ « الراحة ترياق العلل » إلا أن الأطباء اختلفوا فى أمر تغذية المريض ، فأوصى بعضهم بالحِمْية ، وقال آخرون بضرورة التغذية على الأقل بالبقول اللينة . ونصحوا بشرب الماء باردا، وتناول ماء الشعير وماء العسل ، وماء الرمان المز ولا تتبع هذه الطريقة من العلاج فى حالات الحميات المسببة عن الأورام البلغمية والدموية وفى حالة الدبيلات كما استعمل الفصد والمسهلات فى بعض الحميات الأخرى . وكانت العرب منذ قديم الزمان يبلون أجسامهم إذا سخنت بالماء البارد. وأكد النبى ﷺ على فائدة هذه العملية حين قال : «الحمى من نار جهنم فأطفئوها بالماء (مختصر تاريخ الطب العربى / ٢٧٣، ٢٧٤) .

قالت المؤلفة : أخرج الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (١ / ١٥٧) حديثا بلفظ « الحمى كير من جهنم ، فنحوها عنكم بالماء البارد » من رواية ابن ماجه عن أبى هريرة .

كما أخرج حديثا بلفظ « الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء » من رواية أحمد فى مسنده والبخارى عن ابن عباس ، وعن أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن عائشة ، ولأحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن رافع بن خديج وللبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أسماء بنت أبى بكر وقال عنه حديث صحيح .

وقد تكلم ابن رشد على أنواع الحميات المختلفة وأعراضها وهى حمى يوم، الحميات العفونية ، حمى الصفراء، الحمى البلغمية ، حمى الربع ، الحمى الدموية ، وحمى الدق ، وذلك فى كتابه الموسوم بالكليات فى الطب / ١٨٢ ـ ١٨٧ . فارجع إليه إن شئت .

كذلك أفرد صاحب تسهيل المنافع بابا فى الحميات ننقله لك فيما يلى، وهو ينقل عن كتاب الرحمة للحكيم المقرى :

قال صاحب كتاب الرحمة : اعلم أن الحميات كثيرة لكن نذكر منها أعظمها خطرا وهى التى تختلف باختلاف زيادة الأخلاط الأربعة فتنقسم إلى أربعة أقسام الأول : حمى الغب وهى التى تغيب يوما وتنوب يوما ، سببها زيادة خلط صفراوى . العلاج شرب ماء الليم والسكر على الريق ثلاثة أيام ويتقيأ والغذاء سويق ذرة وخمير حنطة ومرق فروج فإن

انقطعت إلى ثلاثة أيام وإلا فليسهل بمسهل الصفراء فإنه يقطعها مع استعمال ما ذكرنا والله الشافى .

الثانى : حمى النائبة وهى التى تنوب كل يوم ، سببها خلط دموى . العلاج : الخل كل يوم وأكل المزورات واجتناب ما عدا ذلك يستعمل ذلك ثلاثة أيام فإن برأ وإلا فليحتجم فإنه يبرأ إن شاء الله تعالى .

الثالث : الحمى المطبقة وهى التى تكون فى داخل الجوف ويكون ظاهر البدن هادئا مترضخا بسخونة قليلة وربما كان باردا البتة مع الطبخ الكامل والثقل إلى سبعة أيام فى الغالب ثم يثور بحرارة كالنار تطبخ البدن جميعه وهو البحران الذى يسمى المسبع فإذا ثارت تلك الحرارة طبخت جميع البدن حتى يسخن الدماغ بسخونة مفرطة فيتغير العقل ويصيب المريض غشوة وهذيان بكلام لا يشعر به ثم ينقع العرق العظيم ويسكن بعد ذلك فإما إلى السلامة وإما إلى الهلاك وهى أعظم الحميات خطرا ، وسببها خلط بلغمى العلاج : إذا حدث ابتداؤه أن يتقيأ كل يوم بالخل والعسل ويستعمل سويق الذرة مع السكر غذاء فإن احتاج إلى زيادة كان خمير لباب الحنطة ومرق الفراريج فإن هذا نافع جيد مجرب .

الرابع : حمى الربع وهى التى تغيب يومين وتنوب يوما وتبتدىء بسخونة لينة ثم تزداد قليلا قليلا حتى تشتد الحرارة وتعظم وتكون لها وقع فى البدن كوقع الإبر ثم يحدث العرق بعد ذلك وهى مزمنة لا تكاد تنقطع إلا أنها أسلم خطرا من الحمى المطبقة ، وسبب حمى الربع خلط سوداوى بارد يابس كامن فى الجوف .

العلاج : أن يحلب لبن بقر على سمن منقص وعسل منزوع الرغوة ويشرب من تحت الضرع ويجتنب كل شىء سوى ذلك وإذا ابتدأت الحمى فليشرب ماء حارا ساخنا قد أعد لذلك فإن هذا التدبير يقطع هذه الحمى سريعا ولا شىء غيره أحسن منه وهذا نافع صحيح مجرب . وقيل إن صاحب الثليث (هى حمى الربع) إذا شرب السليط عصيرا من المعصرة على الريق ثلاثة أيام كل يوم ثلاث أواق قطع عنه حمى الربع اهـ . قلت وقوله فى أول الحميات حمى الغب بكسر الغين المعجمة وهى المعروفة عند العوام بالورد بكسر الواو وهو يوم الحمى كما قاله فى الديوان والحمى المطبقة وهى بفتح الباء وكسرها وهى الملازمة الشديدة التى لا تبرح ، وحمى الربع هى المسماة عند العوام بالثليث والربع بكسر الراء وإسكان الباء وهى غير مخوفة عند العلماء لأن المحموم يأخذ قوة فى يومى الاقلاع ، والله سبحانه أعلم .

ثم يتكلم على أنواع الحميات فيقول :

قال شيخنا : وجملتها ثمانية عشر نوعا منها أربعة ناشئة من الأخلاط وهى الدم والصفراء والبلغم والسوداء أما الدموية فهى التى لا تزيد ولا تنقص حتى تنقضى ؛ وعلاجها فتح العروق فهو علاج عظيم لحميات الدم إن ساعدتك القوة ثم تنقص الطبيعة بالإسهال وقد يعالجون بالقىء ليستفرغ المرار وأما الصفراوى فهى حمى الغب المعروفة بالورد إذا لم يخالطها شىء غير الصفراء وأطول نوبتها اثنتا عشرة ساعة وفترتها ست وثلاثون ساعة وتدور سبعة أدوار . ومن أدويتها وقد جربتها لها أعنى حمى الورد شرب ماء سبع حبات ليم كبار صفر بسكر للرجل الكبير وأما الصغير فقدر له ولكل شخص ما تحتمل قوته ويكون شربه لذلك قبل النوبة فما وجدته يحتاج إلى الإعادة أعد له . وأخبرنى من أثق به أنه شرب يوم النوبة على الريق ماء سبع حبات ليم بغير سكر فبرأ ولم يعاوده . قلت وهو من أدويته ، وأبلغ من جميع الأدوية لحمى الورد وقد جربته فوجدت نفعه قويا فينبغى الاعتماد عليه وهو صحيح مجرب ، والله أعلم . وجربنا شرب الرائب على الريق يوم النوبة والتقيؤ بعد ساعة واستدبار الشمس فوجدناه نافعا فى مرة واحدة ؛ ومن أدويتها شرب نقيع تمرهندى أعنى الحمر من غير مرس ويضاف إليه القند وإن كان فى الأصل بارد الطبع وخشى من برودة الحمر فليشرب من الهليلج الأصفر ثلاث فقال مع مثلها سكر أو يشرب بعد ذلك ماء حارا فإنه نافع فى الحمى الصفراوية . قلت : ولا يخلو هذا من نظر فإن شرب القند والحمر مما يسهل الطبيعة وكذا الهليلج مع السكر ولا شك أن الإسهال مضر لمن كان قد ضعفت قوته بالمرض فليتأمل هذا الكلام .

وأما حمى البلغم فهى النائبة فى كل يوم وإنما تكون من البلغم إذا عفن بحرارة خارجة عن الطبيعة ؛ وعلاجه بما يلطف ويقطع وكل ما يدر البول ويجب أن يعتنى فى هذه

الحمى بأمر البطن خصوصا فم المعدة فلا يتهاون بها فإنها تطول ويئول أمر صاحبها إلى التلف . وعلاجها بعد ثلاثة أيام بعد انتهائها وينبغى أن يمنع شرب الماء البارد ويسقى الماء الحار ففيه نفع له وبه تنقطع هذه الحمى إن شاء الله تعالى فإن عرض من كثرته إجحاف بالقوة فيعتنى بالأدوية التى تمنع القيء وليحذر من الغليظ وليجعل غذاءه فى الابتداء من اللطيف والغليظ وأعطه منه قدرا صالحا وفى الانتهاء شيئا يسيرا إلا أن تضعف القوة فيجب حينئذ أن يضيف إلى استعمال تقليل الغذاء بكثرة المزورات من غير إضرار بالعليل والواجب أن لا يعطى العليل شيئا من الغذاء إلا بعد إقلاع الحمى أو قبل نوبتها بثلاث ساعات وذلك لأن الحمى إذا حدثت وفى المعدة طعام قويت وزادت جدا وذلك من ضعف القوة من فساد مزاج الحمى وبذلك تضعف عن تغيير الغذاء وهضمه وإذا لم يتغير وينهضم صار مادة وقوة للحمى، انظر إلى هذه الفائدة وتأملها وتحفظها فهى أصل فى تهوين الحمى. ومما يذهب البرد العارض فى هذه الحمى أن يمرخ البدن بدهن القسط.

وأما حمى الربع السوداوية وقد يتقدمها حميات مختلفة على الأمر الأكبر وذلك أن المرة السوداء تتولد من أخلاط أخر أعنى خلط الدم والمرة الصفراء والبلغم إذا احترقت وإنما سميت حمى الربع لأنها تأتى فى كل أربعة أيام مرة ومقدار نوبتها أربع وعشرون ساعة وذهابها ثمانية وأربعون ساعة وقد تبتدئ هذه الحمى فى الفرد من غير أن يتقدمها حميات مختلطة على الأمر ونوبتها أربع وعشرون وبمخالطة الصفراء تقصر وبالبلغم تطول وهى إن حدثت فى الشتاء طال مكثها وفى الصيف قل مكثها وعلاجها أكل التمر المكى ثلاثة أيام على الريق حتى يشبع ويستجزى به عن الغذاء ويأكل عوضه زبيبا رازقيا وإن شاء استعمل على الريق أكثر من ملء الكوز ويكون رازقيا ويقف إلى وقت الغذاء ويأكل فطير بر ولبنا وقندا ويأكل من الزبيب شيئا عند النوم وإن استجزى بالزبيب الرازقى عن غيره من المآكل مدة مديدة كلما جاع أكل منه أو يأكل اليسير من الطعام إن لم يقدر على تركه بالكلية فلا بأس به فهو أبلغ وأنفع إن شاء الله تعالى ومرق الكبش أولى فى الإدام من اللبن وشرب السليط الحار والاستمشاء به جيد ويستعمله مرارا على الاعتماد على الغذاء الموافق وهو الحار الرطب كلحم الكبش والتمر وفطير البر، والله سبحانه وتعالى أعلم . وشرب مرق الدجر نافع من حمى الثلث وهو فى يوم الوجع أنفع والله أعلم

ولحمى الربع يؤخذ مر وسذاب وفلفل وحلتيت أجزاء سواء يدق الجميع ويعجن بعسل ويستعمل منه مقدار حبة النبق كل يوم للرجل الكامل البارد المزاج ، فإن لم يكن كذلك فليستعمل دون ذلك القدر ويأكل كل حار رطب كلحم الكبش والدجاج وفطير البر وفطير الذرة إن كانت غذاءه والتمر

ولحمى الربع السوداوية وهى التى تنوب يوما وتترك يومين وهى من الأمراض المزمنة تبتدئ بنافض لين ثم يقوى فينبغى لصاحبها ترك الغذاء يوم النوبة بالعشى ويتغذى بكرة بما يصلح لهذا الوجع ويحذر الاغتسال بالماء البارد ويترك التعب الشديد ونوم النهار .

ولحمى الورد مجرب شرب ثلاث جرع من خل حاذق مدة أربعة أيام أو ستة أيام على الريق، وأفضل الدواء لصاحب الورد كل بارد دسم ، وشر الأشياء له الحار اليابس لأنها حارة يابسة ، وسمن البقر صالح له وأحسن شيء يعالج به الماء البارد، والله أعلم .

فصل فى الحمى : وهى على أضرب : منها غمية ومنها همية ومنها فكرية ومنها غضبية ومنها فرحية ومنها تعبية ومنها استفراغية وهو الخلو من الطعام ومنها عطشية وهى التى تحدث مع العطش وذكر جالينوس أن الحمى أعظم الأمراض خطرا وهى بريد الموت أى أكثر أسباب ذلك لأنها تشمل ظاهر البدن وباطنه ، والبريد هو الرسول . قلت وفى اللقط وحمى الدق : تحدث من كل ما يجفف البدن تجفيفا مفرطا مع إسخانه إياه كالغم والهم والسكر وحمى العب : هى التى تأتى يوما وتنقطع يوما تكون من المرة الصفراء والتى تأتى يوما وتنقطع يومين من عفونة السوداء والتى تأتى كل يوم من البلغم وعفونته . قلت ودواؤها العام إذا كانت طبيعة المحموم يابسة فلا تغذه أصلا ما لم يخرج الثفل فإنه إذا تغذى اشتغلت الطبيعة عن الدفع أى دفع ما فى البطن واستحكم المرض وطال ولا يصلح للمحموم شرب الماء البارد، وقد روى عن رسول الله ﷺ إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء .

قالت المؤلفة : خرجنا هذا الحديث آنفا واختلف الناس

فى ذلك فقال قوم : هذه كانت عادة العرب وقد ثبت أن العادة كالطبيعة وقد كانت بلادهم شديدة الحرارة ، وجاء فى الحديث أن المراد به ماء زمزم فيكون إذن للتبرك فروى الشيخ رضى الله عنه بإسناده قال : إن أبا حمزة كان يجلس إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال وكنت أدفع عند ازدحام الناس فاحتبست عنه فقال ما حبسك ؟ قلت الحمى قال إن رسول الله ﷺ قال « إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء من زمزم » وقد ذكر فى هذا التبرد بالماء للمحموم أربعه أوجه :

الأول الاغتسال وهو ظاهر الحديث ، وروى الشيخ بإسناده عن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال : الحمى قطعة من النار وكان النبى ﷺ إذا حم دعا بقربة من الماء فأفرغها على رأسه فاغتسل .

والثانى استقبال جرية الماء فى النهر ، وروى الشيخ بإسناده عن ثوبان أن النبى ﷺ قال : إذا أصابت أحدكم الحمى فإنما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالماء البارد ويستقبل نهرًا جاريا فيستقبل جرية الماء فيقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اشف عبدك وصدق رسولك وذلك بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس فينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فإن لم يبرأ فثلاث فخمس وإن لم يبرأ فى خمس فسبع فإن لم يبرأ فى سبع فإنها لا تكاد تجاوز السبع بإذن الله تعالى .

وفيه سعيد وهو مجهول .

والثالث : أن يعلق السقاء ويضطجع تحته فيقطر عليه ، وروى الشيخ بإسناده عن عبيدة بن حذيفة عن عمته قالت رأيت رسول الله ﷺ قد وعك وعكا شديدا فأمر بسقاء فعلق فجعل يقطر عليه .

والرابع أن يصب الماء بين ظهر المحموم وجنبه ، وروى الشيخ بإسناده عن أسماء كانت إذا أتت المرأة قد حمت أخذت قربة فصبتها بينها وبين جنبها وقالت : إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نبردها بالماء ومتى أبرد عرق المحموم فليترك ما لم يتجاوز الحد فإن مسحه يضره .

قال المقرى : النافض هو أن يغشى الإنسان رعدة ورعشة وبرد شديد فى قلبه فينتفض سائر بدنه انتفاضا عظيما ثم يحدث بعد ذلك سخونة فى بدنه ويشتد عليه حتى يخرج العرق ثم يبرد ويسكن وهى تنوب كل يوم سببها زيادة خلط دموى يجتمع بخلط بلغمى على الرئة . العلاج : أن يتقيأ بالخل والعسل كل يوم على الريق ثلاثة أيام ثم يستعمل الشراب العسلى بعد القىء ، والغذاء خمير نقى البر ومرق الكبش واللحم المعمول بالكوامخ الحارة الحريفة فإنه نافع جيد والله أعلم .

(تسهيل المنافع / ١٧٨ ـ ١٨١) .

ونسوق لك فيما يلى ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة عن الحمى فى كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها ، وعن الأمراض التى تشفيها :

الحديث السادس

من باب الحمى

« حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن علقمة بن مرثد عن حفص بن عبيد الله عن أبى هريرة قال ذكرت الحمى عند النبى ﷺ فسبها رجل . فقال النبى ﷺ ، لا تسبها ، فإنها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد » .

الحديث السابع

من باب الحمى أيضا ، وفيه زيادة فابردوها بالماء وشرحهما معا .

« حدثنا أبو بكر عن ابن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى ﷺ قال : الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قال الشيخ : الحمى حرارة غريبة تضر بالفعل لا تكون إلا فى مادة أولا ، ثم منها تسخن سائر الأعضاء فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم ، لأنها تزول فى الغالب فى يوم ، ونهايتها ثلاثة أيام . وإن كان مبدأ تعلقها أخلاطا سميت عفنة ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية سميت حمى دق وقد بسطنا القول فى ذلك فى كتابنا الكبير فى الحميات ، واختصرناه فى كتاب ثان وثالث ، وكثيرا ما تكون حمى يوم وحمى العفن سببا لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها ، وسببا لتفتيح سدد لم تكن تصل إليها الأدوية .

وأما الرمد الحديث والمتقادم فإنها تبرئه برءا عجيبا وقد قلنا إنها تنضج الفضول الغليظة المحتبسة ، وتفتح السدد

الغامضة فيلزم من ذلك أنها تبرئ من جميع الأمراض التابعة لذينك مع كثرتها ، وإن هذين السببين يكون عنهما جل الأمراض ، وهي تبرء من الفالج واللقوة إذا عرضت بعدهما . وقد علمنا ذلك « بقراط » في فصوله وشرحه جالنوس » وأوضحناه في شرحنا لكتاب الفصول ، وكذلك تفعل الحمى بالتشنج الامتلائي .

وأما الربع فما أكثر الأمراض الصعبة التي تبرىء منها ، ولا سيما الصرع والنقرس والدوالي وأوجاع المفاصل ، والجرب والحكة والبثور من التشنج ثم إن الحمى تتبعها حمية عن الأغذية الردية ، وتناول الأدوية النافعة والأغذية اللطيفة . وفي ذلك كله إعانة على تنقية البدن ونفي أخباثه وفضوله وتصفيته من أدرانه وعيوبه ، فتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد ، ففضول البدن كخبث الحديد ، والذي صرح به في الحديث أنها تنفي الذنوب لأنها كفارة السيئات والخطايا ، والكفارة تمحو المكفر عنه فحينئذ يكون قد شبه المعقول بالمحسوس ، والمريض يتذكر العقبى ويندم على ما مضى ، ويستغفر من الخطايا فيكون كمن لا ذنب له بمنزلة الملائكة .

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا دخلت على المريض فمره يدعو لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة ، وأما قوله ﷺ إن شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء ، فإن هذا الحديث قد تخلص بلفظ شدة عن طعن الطاعنين ، لأن في الحديث الآخر أن الحمى من فيح جهنم ، ولعمري ليس كل حمى يجوز أن تبرد بالماء بل الحميات المحرقة التي ليس لها ورم في بعض الأحشاء ، وقوة المريض مستظفرة ، والصفراء والدم في غليانهما وقد أخذ في النضج . فجالينوس يسقي الماء البارد في هذه الحميات عند تظافر الشرائط والأسباب حتى يحضر المريض فحينئذ تنطفي حماه في الوقت وتبرأ على المكان وكثيرا ما تعرض هذه الحميات التي يوافقها الماء البارد في أرض العرب وفي كل بلد حار يابس ، وكثيرا ما يستعمل الاغتسال في حميات يوم ، فيكون ذلك سبب الشفاء ولا سيما الاستحصافية ، ولجالينوس في ذلك حكايات كثيرة وشروح واسعة ومناظرات مع أطباء زمانه ، فإنه بلج عليهم بحجته وهزىء من الأطباء حين كان يحتم على المريض ويغذيه ويأمره بالخروج إلى صناعته ويأتي الأطباء إليه فلا يجدونه في منزله فيستحيون من تقصيرهم ومن خطئهم على المريض .

(كتاب الأربعين الطبية / ٩٥ ـ ٩٨) .

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين السعيد / ٤١٣ ، ومختصر تأريخ الطب العربي ـ د. كمال السامرائي ٢ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، وتسهيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق / ١٧٨ ـ ١٨١ ، انظر أيضا الكليات في الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبي . مراجعة د. أبي شادي الروبي ، تقديم د. إبراهيم بيومي مدكور / ١٨٢ ـ ١٨٧ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٣٨١ ـ ٣٨٣ ، وكتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها . عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالي ـ تحقيق عبد الله كنون . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية م ١٨ جـ ١ ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ ـ مايو ١٩٧٢ م / ٩٥ ـ ٩٨ ، انظر أيضا كتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام في الفروق بين الأمراض لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ـ تقديم وتحقيق وشرح د. سلمان قطاية / ٢٣٥ ـ ٢٤٠ ، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكي ، المطبوع بذيل كتاب تذكرة أولي الألباب للمؤلف نفسه / ١٦٦ ـ ١٧١) .

*** ابن حميد (ـ ٥٨٦ هـ / ـ ١١٩٠ م) :**

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد الأنصاري . من أهل مرسية إمام جامعها ، الإمام النحوي ، أقرأ سيبويه وأخذه الناس عنه ، روى عن الجلة ، شرح إيضاح الفارسي ، وجُمل الزجاجي ، روى عنه الجم الغفير ، توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة .

ترجمته في أخبار غرناطة ، والأعلام ٦ / ٣٠٠ وبغية الوعاة ١ / ٦٨ ـ ٦٩ وكشف الظنون / ٢١٢ ، ٦٠٣ وهدية العارفين ٢ / ١٠٢ وهو بلنسي الأصل .

ذكر السيوطي أنه توفي سنة ٥٨٩ ونقل عن ابن الخطيب أنه توفي في سنة ٥٨٧ .

(إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٣٠٣ وهامش المحقق) .

*** الحميد جل جلاله :**

الاسم السابع والخمسون من أسماء الله الحسنى . قال الإمام أبو حامد الغزالي في تفسيره : الحميد هو المحمود المثني عليه ...

والله تعالى هو الحميد ، بحمده لنفسه أزلاً، وبحمد عباده له أبداً.

ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا إلى ذكر الذاكرين له؛ فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال .

تنبيه : الحميد من العباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله كلها من غير مشوبة ... وذاك هو محمد ﷺ، ومن يقرب منه من الأنبياء، ومن عداهم من الأولياء والعلماء . وكل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله .

وإذا كان لا يخلو أحد عن مذمة ونقص وإن كثرت محامده ـ فالحميد المطلق هو الله تعالى .

(المقصد الأسنى / ١١٥) .

وقال في تفسير ذلك الاسم الإمام فخر الدين الرازي :

قال تعالى : ﴿ ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ : ٦] وقال تعالى : ﴿ إنه حميد مجيد ﴾ [هود : ٧٣] .

واعلم أنه فعيل إما بمعنى فاعل، فإنه تعالى حامد لم يزل، بثنائه على نفسه ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة : ٢] وبثنائه على المؤمنين الذين سيوجدون .

وإما بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، أي محمود بحمده لنفسه، وبحمد عباده له؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ [البقرة : ٣٠] ومنهم من قال : الحميد، معناه المستحق للحمد والثناء .

حظ العبد من هذا الاسم: وأما العبد إنما يكون حميدا إذا سلمت عقائده عن الشبهات، وأعماله عن الشهوات؛ وكل من كان في هذا المقام أكمل كان في كونه حميدا أكمل .

وأما المشايخ فقالوا : الحميد الذي يوفقك للخيرات ، ويحمدك عليها ، ويمحو عنك السيئات ، ولا يخجلك بذكرها .

واعلم أن العامة يحمدونه على إيصال اللذات الجسمانية، والخواص يحمدونه على إيصال اللذات الروحانية ، والمقربون يحمدونه لأنه هو لا لشيء غيره (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

والحميد : معناه الإله المستحق والحمد هو ذكر أوصاف الجلال والكمال، والله سبحانه وتعالى قد حمد نفسه من قبل أن يحمده خلقه تنبيها لهم لأن يسبحوا بحمده على ما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة فإنه خلقهم وتابع آلاءه عليهم حتى فاقت العد والحصر.

فقال الله جل جلاله : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ﴾ [الحج : ٦٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ [الشورى : ٢٨] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ الّر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١].

وقد اقترن اسم « الحميد جل جلاله » باسمه الغني وباسمه الولي وباسمه العزيز، تنبيها لعباده بأنه المنعم المتفضل على عباده، وأنه هو وليهم ومدبر أمرهم ، وهو العزيز القادر عليهم بأن يعزهم أو يذلهم .

وقد استفتح الله سبحانه خمس سور من كتابه الكريم بالحمد لله . بفاتحة الكتاب، والأنعام ، والكهف، وسبأ، وفاطر. وذلك تنبيها لعباده على عظم آلائه ومننه عليهم .

وقد وصف الله نفسه بأنه غني حميد، وأنه حميد مجيد، وأنه حكيم حميد: فقال الله جل جلاله : ﴿ واعلموا أن الله غني حميد ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ [هود: ٧٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت: ٤١ ، ٤٢] .

وفي هذه الآيات الكريمة يأمر الله عباده بأن ينفقوا من طيبات ما كسبوا لأنه هو المنعم عليهم وهو الذي يهب لهم الذرية وهو الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور.

فنعم الله متوالية على خلقه : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

ولذا استحق الله سبحانه الحمد والثناء فسبحت بحمده الملائكة وسبح الرعد بحمده . وإن من شيء إلا يسبح بحمده .

فقال الله جل جلاله : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ﴾ [غافر : ٧] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ [الرعد : ١٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يسبح بحمد ربه :

فقال الله جل جلاله : ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

فاستكثروا يا عباد الله من قراءة فاتحة الكتاب فإنها سورة الحمد والشكر والمجد والثناء، وفيها للعبد ما سأل :

وقال الرسول ﷺ : « ما أنعم الله على عبده نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة وإن عظمت» رواه الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه .

وقال الرسول ﷺ : « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك الضر والسقم قل : توكلت على الحى الذى لا يموت ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » رواه ابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فقولوا يا عباد الله : ﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٨] فهى آية جامعة .

وقولوا : ﴿ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الجاثية : ٣٦، ٣٧] .

وحظ العبد من اسم ربه : (الحميد جل جلاله) أن يتخلق ذاكره بحميد الصفات فى الأقوال والأفعال .

وقالوا : من داوم على ذكره أغناه الله غنى لا حصر له .

وقالوا من ذكره تسعا وتسعين مرة بعد صلاة الصبح ونفث فى يديه ومسح بهما وجهه أعزه الله ونصره وجعل وجهه نيرا، ومن تلاه ستا وستين بعد المغرب والصبح صار محمود الفعال واكتسب المحامد فى أفعاله وأقواله ، ومن تلاه مائة مرة إثر كل فريضة صار من الصالحين ، ومن كتبه بعد فاتحة الكتاب وسقاه لأى مريض شفاه الله . والله أعلم (ولله الأسماء الحسنى / ١٥٢-١٥٥) .

وإليك الآيات التى ورد بها لفظ « الحميد » جل جلاله : البقرة : ٢٦٧، وهود : ٧٣، وإبراهيم : ١، ٨ ، والحج : ٢٤، و٦٤، ولقمان : ١٢، ٢٦، وسبأ : ٦، وفاطر: ١٥، وفصلت: ٤٢، والشورى: ٢٨، والحديد : ٢٤، والممتحنة: ٦، والتغابن : ٦، والبروج : ٨، والنساء: ١٣١ (المعجم المفهرس / ٢٧٧) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١١٥، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٩٩ ، ٣٠٠، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدى محمود على / ١٥٢-١٥٥، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقى . دار الحديث . القاهرة . الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ-١٩٩١م / ٢٧٧) .

انظر « أسماء الله الحسنى » فى م ٤ / ٤٧١-٤٨٠ .

*** حميدة (- نحو ١٠٨٧ هـ / - نحو ١٦٧٦ م) :**

قال عنها الزركلى :

حميدة بنت محمد شريف بن شمس الدين محمد الرويدشتى الأصفهانى : فاضلة ، لها حواش وتدقيقات على بعض كتب الحديث . من أهل « رويدشت » من نواحى أصفهان . قال صاحب رياض العلماء : رأيت نسخة من كتاب « الاستبصار » للشيخ الطوسى، عليها « حواشى حميدة» وأظنها بخطها ، حسنة الفوائد . وكانت لها معرفة بتراجم رجال الحديث .

(الأعلام ٢ / ٢٨٤ عن أعيان الشيعة ٢٨ / ٢٠٤، والذريعة ٢ / ١٥و٦ / ١٨) .

*** الحَميدى :**

قال السمعانى :

الحَمِيدى : بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وسكون الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها فى آخرها دال مهملة ، وبهذه النسبة إسحاق بن تكينك الحميدى مولى الأمير الحميد السامانى، سمع الحديث من أبى إسحاق إبراهيم بن محمد ابن سلم الشكانى وأبى نصر أحمد بن المراجلى البخاريين وغيرهما ، حدث باليسير، ذكره ـ البصيرى فى كتاب المضاهات .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٨ انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٦) .

* **الحُمَيْدى :**

قال السمعانى :

الحُمَيْدى : بضم الحاء المهملة وفتح الميم ، وسكون الياء المنقوطة وفى آخره دال مهملة ، هذه النسبة إلى حميد ، وسمعت أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان مذاكرة وحكى مناظرة جرت بينه وبين أبى نصر أحمد بن عمر الغازى الحافظ فى مجلس غاص بأهله ، قال فقلت له عمن روى البخارى الحديث الأول فى الصحيح؟ فقال : عن الحميدى، قلت لم قيل له الحميدى؟ فسكت ولم يجب. فانفضت الحلقة على هذا ، فسألت شيخى وأستاذى إسماعيل الحافظ عن هذه النسبة ، فقال : الحميدى الذى يجيء ذكره وهو أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى منسوب إلى الحميدات (هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى. وحميد بن زهير بن الحارث يقال لولده « الحميدات » وإليه ينسب الحميدى، وتأتى ترجمته بعد هذه المادة إن شاء الله تعالى) والحميدات هى القبيلة التى قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إن ابن الزبير آثر الحميدات والأسامات والتويتات ـ يعنى فضلهم على غيرهم من سائر القبائل مع قلتهم وكثرة غيرهم . قال الشيخ وهذا الجمع ـ يعنى بالألف والتاء ـ يقتضى القلة ، قيل لما قال الشاعر : (لنا الجفنات الغر) فقيل هلا قال : لنا الجفان ـ يعنى الجفنات جمع القلة ، وعيب عليه ذلك . قال أبو محمد القتبى فى كتاب غريب الحديث فى حديث ابن عباس أنه قال : لما بايع الناس عبد الله بن الزبير قلت أين المذهب عن ابن الزبير؟ أبوه حوارى رسول الله ﷺ، وجدته عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وعمته خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ، وخالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وجده صديق رسول الله ﷺ أبو بكر، وأمه ذات النطاقين ، فشددت على عضده، ثم آثر علىَّ الحميدات والتويتات والأسامات فبأوت بنفسى ولم أرض بالهوان ، إن ابن أبى العاص مشى اليقدمية ـ ويقال القدمية ـ وإن ابن الزبير مشى القهقرى . قال القتيبى قوله مشى اليقدمية ـ أى يقدم بهمته وأفعاله ، يقال مشى فلان اليقدمية والقدمية . وإن ابن الزبير مشى القهقرى أى نكس على عقبيه وتأخر عما تقدم له الآخر. وقوله فبأوت بنفسى أى رفعتها وعظمتها وأصل البأو التعظم والكبر. وأما قوله آثر على الحميدات والتويتات والأسامات فإنه أراد آثر قوما من بنى أسد (بن عبد العزى من قرابته ، وكأنه حقرهم وصغرهم ، قال الأصمعى الحميديون من بنى أسد) من قريش؛ قال عبد الله بن الزبير الحميدى فى هذا المعنى :

مشى ابن الزبير القهقرى وتقدمت
أمية حتى أحرزوا القصبات

ويريد السبق . فالمنتسب إليه أبو بكر عبد الله بن الزبير ابن عيسى الحميدى القرشى، من أهل مكة ، يروى عن فضيل بن عياض ، وجالس سفيان بن عيينة عشرين سنة، روى عنه محمد بن إسماعيل البخارى وبشر بن موسى الأسدى؛ قال أبو حاتم بن حبان البستى : مات أبو بكر الحميدى، بمكة سنة تسع عشرة ومائتين ، وكان صاحب سُنة وفضل ودين .

وأما أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الحميدى المغربى الأندلسى فهو أحد حفاظ عصره صنف التصانيف وجمع الجموع ، نسب إلى جده الأعلى، سمع بالأندلس أبا محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى الحافظ، وبمصر أبا محمد عبد العزيز بن الحسن الضراب، وبدمشق أبا بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب وأبا محمد عبد العزيز بن أحمد الكتانى وأبا الحسن عبد الدائم بن الحسن الهلالى، وبواسط أبا تمام على بن

محمد بن الحسن الواسطى القاضى ، وببغداد أبا الغنائم محمد بن على بن على بن الدجاجى وجماعة كثيرة ، روى لنا عنه جماعة من الشيوخ بالعراق ، وكانت وفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وأوقف كتبه بها ، وسمع مشايخنا بقراءته الكثير. قال ابن ماكولا: وصديقنا أبو عبد الله محمد بن أبى نصر عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الحميدى ، أندلسى من أهل الخير والفضل ، سمع ببلده الكثير وسمع بمصر أصحاب ابن المهندس والأدمى وابن أبى غالب وابن الرحيل ، وبمكة أصحاب ابن فراس وغيره وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وابن أبى الحديد وابن أخى تبوك ، وورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطنى وابن شاهين وابن حبابة وابن عبدان وعلى بن عمر الحربى وطبقتهم ، وصنف تاريخا لأهل الأندلس ، ولم أر مثله فى نزاهته وعفته وورعه وتشاغله بالعلم ، والله يزيدنا وإياه من كل خير بمنه ورحمته (الأنساب ٢ / ٢٦٨ ـ ٢٧٠) .

وكان مشهورا ، بالنباهة والمعرفة والإتقان والورع ، وله مؤلفات كثيرة منها « الجمع بين الصحيحين » و « جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس » (إنباه الرواة ١ / ٩٤) .

ولابن الأثير فى اللباب ثلاثة استدراكات على السمعانى إذ يقول :

فإنه نسب جعفر بن عبيد الله بن عثمان بن حميد القرشى المخزومى الحميدى ، روى عن عمر بن عبد الله بن عروة ، روى عنه أبو داود الطيالسى وغيره . وفاته أيضا عبد الله بن محمد بن أحمد الحميدى يعرف بالقلانسى الصوفى شيرازى الأصل ، روى عن الطبرانى . وفاته أبو سعد أحمد بن محمد ابن العباسى الحميدى ، روى عن الحاكم ، روى عنه الحسين ابن مسعود الفراء اهـ (اللباب ١ / ٤٥٧) .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، وإنباه الرواة للقفطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٩٤ هامش ٢ للمحقق ، واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

*** الحميدى أبو بكر (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) :**

عبد الله بن الزبير الحميدى الأسدى ، أبو بكر ، أحد الأئمة فى الحديث . من أهل مكة رحل منها مع الإمام الشافعى إلى مصر ، ولزمه إلى أن مات ، فعاد إلى مكة يفتى بها . وهو شيخ البخارى ورئيس أصحاب ابن عيينة . روى عنه البخارى ٧٥ حديثا ، وذكره مسلم فى مقدمة كتابه . توفى بمكة . وله « مسند » طبع الجزء الأول منه فى الهند (الأعلام ٤ / ٨٧) .

أورده ابن عبد البر فى « الانتقاء » فى باب « من أخذ عن الشافعى علمه وكتب كتبه وتفقه له وخالفه فى بعض قوله » ، وذكر أن الحميدى ممن أخذ عن الشافعى من أهل مكة ، ثم قال أبو بكر الحميدى : وكان صاحبه عند سفيان بن عيينة وهو عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميدى بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى الأسدى ، وكان من الفقهاء المحدثين النبلاء الثقات والحفاظ المأمونين . أخذ عن ابن عيينة وهو صاحبه والمتحقق به وعنده عن وكيع وأبى معاوية والناس . كان أحمد بن حنبل يعظمه ويفضله على أصحاب ابن عيينة . وسئل أحمد بن حنبل : من أثبت فى ابن عيينة : على بن المدينى أو الحميدى؟ فقال : الحميدى صاحب الرجل وأعلم الناس بحديث ابن عيينة وأثبتهم فيه . توفى الحميدى فى ربيع الأول سنة تسع عشرة ومائتين (الانتقاء / ١٠٤) .

وقد ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب المسانيد فقال : ومسند أبى بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى القرشى الأسدى المكى من كبار أصحاب ابن عيينة الحافظ الثقة المتوفى بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وقيل بعدها ، وهو من مشايخ البخارى ، قال الحاكم : كان البخارى إذا وجد الحديث عن الحميدى لا يعدوه إلى غيره ، وهو غير الحميدى الجامع بين الصحيحين ومسنده أحد عشر جزءا (الرسالة المستطرفة / ٥٠ ، ٥١) .

(الأعلام للزركلى ٤ / ٨٧ ، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر / ١٠٤ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٥٠ ، ٥١) .

*** الحُميدى (أبو عبد الله) (٤٢٠ ـ ٤٨٨ هـ / ١٠٢٩ ـ ١٠٩٥ م):**

هو محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدى الميورقى الحميدى المتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ببغداد مؤرخ محدث فقيه روى بالأندلس عن جماعة منهم

ابن عبد البر وعلى بن أحمد وأبو العباس العذرى. وروى عن آخرين بمصر وبغداد لـه كتاب الجمع بين الصحيحين، وجذوة المقتبس فى تاريخ الأندلس (ملء العيبة ٢ / ١٢٩) .

وهو إمام كبير عالم مشهور، سمع ببلده ، وسمع بمصر أصحاب المهندس، وسمع بمكة أصحاب ابن خواص وغيرهم ، وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وغيرهم ، ورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطنى وغيرهم .

قال الأمير ابن ماكولا، لم أر مثله فى نزاهته وعفته وورعه (مفتاح السعادة ٢ / ١٢٤) .

(ملء العيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب الخوجة مفتى الديار التونسية ٢ / ١٢٩ هامش ٩٢ للمحقق ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ١٢٤) .

*** الحميدى (تاج الدين) (ـ ٩٧٣ هـ) :**

هو إبراهيم بن عبد الله بن موسى تاج الدين الحميدى، من علماء الحنفية .

كان من فضلاء الديار الرومية ، وصار ملازما من المولى صارى كرز، وأخذ عن المولى العلامة شيخ محمد بن إلياس، مفتى الديار الرومية ، والسيد الشريف محمد المشهور بمعلوم أمير، وصار مدرسا بمدارس متعددة ، منها إحدى الثمان ، وأيا صوفية ، وسليمية اصطنبول، ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان ، عليه الرحمة والرضوان، بمدينة أماسيه، ومفتيا بولايتها ، ثم فرغ عن ذلك كله ، وجعل له ثمانون درهما عثمانيا بطريق التقاعد . ومات بقسطنطينية فى شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، رحمه الله تعالى . ومن مؤلفاته « حاشية على صدر الشريعة » لم تكمل، وهى من كتاب الحج إلى آخره .

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين العزى ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ١ / ٢٣٤) .

*** حميدية الزمان فى أفضلية الرسول الأعظم بنص القرآن :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٩١٦٧.

المؤلف : محمد عارف بن أحمد بن سعيد الحسينى الدمشقى الشهير بابن المنير المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ .

أولها : الحمد لله الذى فضل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض بصريح محكم لا ينقض وجعل أفضلهم سيدنا محمد، أما بعد : فيقول محمد عارف ابن الشيخ أحمد المنير الحسينى الدمشقى : قد سئلت مرارا، تارة استفادة، وتارة استفسارا، تعنتا واستكبارا عن دليل أفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن ...

آخرها : وفى نسخة أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر، وروى الدارمى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أنا قائد المرسلين ولا فخر وخاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر. هذا آخر ما أراد الله جمعه فى هذه الرسالة فى بيان أفضلية سيدنا محمد صاحب الرسالة على جميع المرسلين والنبيين بنص من القرآن المبين عليهم وعلى آلهم الكرام أفضل صلاة وأتم سلام وقد كان ذلك فى يوم الجمعة العاشر صفر الخير المبارك سنة عشر بعد الثلاث مائة وألف سنة ١٣١٠ هـ .

أوصاف المخطوط : النسخة هى مسودة المؤلف عليها شطب وزيادات بين السطور وعلى الهوامش، كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود على ورق رقيق ، وقد قسم الموضوع إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، وقد قدم الرسالة هدية إلى السلطان عبد الحميد الثانى .

توجد هذه الرسالة فى مجموع يضم عددا من الرسائل للمؤلف نفسه ، منها الحصون المنيعة فى براءة السيدة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة ، وأقرب القرب فى تفريج الكرب .

ق	م	س
١٧ (٥٣ ـ ٦٩)	٢٠ × ١٥	١٧

وتوجد نسخة ثانية :

الرقم : ٨٦١٤ .

أوصاف المخطوط : نسخة مشابهة للنسخة السابقة تختلف عنها فى بعض المواضع وقد قسمت إلى قسمين وضع فى وسطها كتاب آخر ، مع هذه النسخة نبذة فيما ورد من الآيات والأحاديث فى فضل الشام وجامعها .

كتبت بخط معتاد على الهوامش وبين السطور الكثير من الشروح والزيادات كالنسخة السابقة فى آخرها تقريظات من عدد من علماء دمشق لهذه الرسالة منهم : محمد المنينى العثمانى مفتى دمشق ، والسيد محمد مكى ومحمد فيض الله رئيس محكمة الحقوق بمركز ولاية سورية ونقيب أشراف سورية السيد أحمد العجلانى والشيخ بكرى بن حامد العطار وأحمد بن محيى الدين الجزائرى وعبد الرحمن بن حسن العطار وتوفيق أفندى زاده وسيد إبراهيم جلال الدين ثم مجموعة من القصائد فى تقريظها ، أولها قصيدة لمحمد سليم بن راغب بن حسن تقى الدين الحصنى الحسينى سنة ١٣١٤ هـ وقصائد أخرى لعبد القادر الحمصى وحبيب زكريا وحسن حلمى وغيرهم المخطوط مفروط الأوراق وبعضها ممزق

٥٣ (١ ـ ٩ ، ١٨ ـ ٦٠) ق ١٩,٥ × ١٢ م ١٨ ـ ٢٣ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١٠٨ ـ ١١٠) .

*** حمير :**

إحدى دول اليمن قديما . والحميريون فرع من السبئية ، وقد أنشأوا مملكة كانت عاصمتها « ظفار » واستمرت دولتهم ـ على ما يرجح ـ من أواخر القرن الثانى قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس الميلادى . وقد امتازت هذه الدولة بالفتوح ومحاربتها للفرس والحبشة ، وقد تضاربت أقوال المؤرخين فى أسماء ملوكهم وعددهم ومدة حكمهم ، وبالغ مؤرخو العرب فى فتوحهم وحروبهم مبالغة لا يؤيدها ما ورد فى تواريخ الأمم المعاصرة لهم .

ويقسم المؤرخون عادة هذه الدولة إلى طبقتين ، الطبقة الأولى وينتهى حكمها فى أواخر القرن الثالث الميلادى ، والطبقة الثانية مدت سلطانها على الشحر وحضرموت ، وهذه الطبقة الأخيرة تسمى فى كتب العرب بالتبابعة ـ جمع تبَّع وكان آخر ملوكهم « ذو نواس » .

ويذكر مؤرخو العرب أن ذا نواس كان يهوديا متعصبا لليهودية ، وكانت النصرانية قد فشت فى جزيرة العرب ، وكان لها مراكز فى اليمن منها نجران ، فاضطهدهم ذو نواس وعرض عليهم اليهودية فأبوا فأحرقهم ، فغزا الحبشة اليمن انتصارا للنصرانية ، وكسر ذا نواس وقومه ، وملك الحبشة اليمن وهدموا حصونها . وكان ذلك حول سنة ٥٢٥م ، وقد تسمى العرب كل دول اليمن ــ من سبئيين وغيرهم ـ الحميريين ، كما تسمى لغات اليمنيين على اختلافها الحميرية . وسبب ذلك أن فرع حمير كان هو الفرع القوى الذائع الصيت قبيل الإسلام .

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى ــ أحمد الإسكندرى وزملائه ١ / ١٨ ، ١٩ . انظر أيضا القبائل العربية وسلائلها فى بلادنا فلسطين ـ مصطفى مراد الدباغ فلسطينيات (١) . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٦ / ٤٠ ـ ٧١ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٠) .

انظر : حمير سبأ .

*** حمير بن سبأ (..هـ / ..م) :**

قال عنه الزركلى :

حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : جد جاهلى قديم ، كان ملك اليمن ، وإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وأقياله) وكان شجاعا مظفرا ، يقول مؤرخو العرب إنه حكم بعد أبيه سبأ ، وعاصمة ملكه صنعاء ، وإنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزاته الصين . واتخذ تاجا من الذهب فكان أول من تتوج به ، ويذكرون من وقائعه قتاله لقبائل ثمود ، وكان مقامها فى اليمن ، ففرقها فارتحلت إلى الحجاز ، وأنه عاش خمسين سنة بعد أبيه ، وولد له خمسة أولاد : مالك وعامر وعمرو ، وسعد ووائل . ومن بطون حمير : السكاسك (وقيل : هم من كندة) والشعبيون وبنو الريان وقضاعة وعبد شمس . ومن ملوك الحميريين : التبابعة والأذواء والأقيال . ويرى بعضهم أنه اسمه « العرنجج » (فى اللغة : اعرنجج فى الأمر : إذا جد فيه) وأنه لقب بحمير لكثرة لبسه الثياب الحمر . وكان يكتب بالمسند على جميع سلاحه ، وفى الجبال التى يمر بها ، قال صاحب التيجان : ثم حوله إلى الخط «الحميرى » المنسوب إليه . ولما حان موته قال لبنيه : إنى لأجد ثقل الثرى وغم الضريح فاجعلوا لى نفقا فى هذا الجبل ــ جبل عيفر ـ وأجلسونى فيه ؛ ففعلوا به ذلك ؛ فهو ــ على رواية وهب بن منبه ــ أول من جعل فى مغارة . وقد وضعت معه فى تلك المغارة أدراعه ، أنفة من أن

يلبسها بعده غيره . وكان لبنى حمير فى الجاهلية صنم اسمه « نَسْر » منصوب بنجران ، و آخر اسمه « رئام » بصنعاء . وفى طرفة الأصحاب (المقول إنه من تأليف الأشرف الرسولى) سلسلة ملوك حمير ، كما كانت معروفة فى عصر الأشرف ، نوجزها بما يأتى ، قال : ملك بعد حمير ابنه الهميسع ، فابن هذا أيمن ، فابنه زهير، فابنه عريب، فابنه جيدان ، فأخوه قطن بن عريب، فالغوث بن جيدان ، فابنه وائل، فابنه عبد شمس فابنه الصوار، فابنه ذو يقدم ، فذو أبين ، فالملطاط (وهو فى لغتهم العالى) فابنه شدد، فابنه وتار (ومن اسمه سميت وتارة) وانتقل الملك إلى تبع بن يزيد (أو زيد ، أو ذى يزن) من همدان ، ثم عاد الملك إلى حمير، فملك الحارث الرائش (وهو من أحفاد الصوار) وكان يدعى ملك الأملاك ، فابنه أبرهة ذو المنار، فابنه العبد ذو الأذعار، فابنه إفريقيس (ويزعمون أنه الذى ابتنى إفريقية فى الغرب !) ثم ملك الهدهاد بن شرحبيل (أبو بلقيس) وملكت بعده بلقيس ، فسليمان بن داود (النبى) فناشر النعم (أو ياسر ينعم) فابنه شمر يرعش ، فتبع الأقرن (وقيل : هو ذو القرنين المذكور فى القرآن) فابنه الرائد (ويسمى تبعا الأكبر) فابنه ملكيكرب فابنه أسعد الكامل (ويقال له : تبع الأوسط، وكان يسمى ذا تبان) فابنه حسان (الذى غزا طمسا وجديسا باليمامة فأفناهم) ومات قتيلا ، ثم تولى الملك خاله ذو رعين (ويقال : كان نبيا أو صالحا ، وكان فى أيام عيسى، عليه السلام) وملك بعده عمرو بن حسان (الذى عقد الحلف بين ربيعة وقحطان) وانتقل الملك إلى المقاول ، فملك منهم ذو شناتر، وقتله ذو نواس (صاحب الأخدود المذكور فى القرآن) وتولى بعده، فقاتلته الحبشة انتقاما منه لقتله نصارى نجران ، فانتصر عليهم ذو ثعلبان . وصار الملك إلى الحبشة ، فقاتلهم النعمان بن عفير ذو يزن (أبو سيف بن ذى يزن) فقتلوه وعاد الملك إلى سيف بن ذى يزن (وهو الذى وفد عليه عبد المطلب) .

قال الهمداني : وكانت مدة ملك حمير ٢٠٨١ سنة . قلت : لم يصل التنقيب عن الآثار حتى الآن إلى التاريخ الصحيح لقيام الدولة الحميرية ، والمشتغلون بهذا العلم واقفون عند رأى إدورد جلازر بأن قيامها كان سنة ١١٥ قبل الميلاد .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ وما جاء بهامش ١ من مصادر) .

* **الحِمْيَرى :**

الحميرى : بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها وكسر الراء المهملة ، هذه النسبة إلى حمير وهى من أصول القبائل ، نزلت أقصى اليمن ، قال الدارقطنى حمير القبيل الذى ينسب إليه الحميريون من اليمن ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « أن هذا الأمر كان فى حمير فنزعه الله منهم وصيره فى قريش » والمثل المعروف من دخل ظفار حَمَّر ـ يعنى من دخل بلدة ظفار تكلم بالحميرية ، و أصل هذا المثل ما سمعت أبا الفضل جعفر بن الحسن الكثيرى ببخارا مذاكرة يقول دخل بعض الأعراب على ملك من ملوك ظفار وهى بلدة من بلاد حمير باليمن فقال الملك للداخل ثب ! فقفز قفزة، فقال له مرة أخرى ثب ! فقفز، فعجب الملك وقال ما هذا ؟ فقال ثب بلغة العرب هذا، وبلغة حمير ثب ـ يعنى اقعد ؛ فقال الملك أما علمت أن من دخل ظفار حمر. والمشهور بالنسبة إلى هذه القبيلة أبو إسحاق بن كعب بن ماتع الحميرى وهو الذى يقال له كعب الأحبار، يروى عن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وكان قد قرأ الكتب ، روى عنه الناس، سكن الشام ، مات سنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد قيل ، ومات سنة اثنتين وثلاثين ، وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين ، أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه .

وعبيد الله بن حميد بن عبد الرحمن الحميرى ، من أهل البصرة ، يروى عن الشعبى ، روى عنه هشام الدستوائى وأبان ابن يزيد العطار. وأبو الحسن على بن محمد بن هارون بن زياد الحميرى الكوفى من أهل الكوفة فقيه سديد نبيل حدث عن أبى كريب محمد بن العلاء الهمدانى، وهو آخر من روى عنه فى الدنيا ، روى عنه أبو بكر محمد بن إسماعيل الوراق وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الجعفى الهروانى وغيرهما ، وكان ولى قضاء الكوفة وذهبت عامة كتبه وكان يحفظ حديثه ، وكان ثقة حسن المذهب، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وتوفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بالكوفة .

ويعقوب بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد بن منصور

ابن عبد الله بن شهر بن شرحبيل الحميرى من أهل بغداد، وحدث عن شبابة بن سوار ويونس بن محمد المؤدب، روى عنه أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، ومات سنة ثلاث وستين ومائتين .

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٠ ، ٢٧١ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٧ ، ٤٥٨) .

*** الحميم :**

الحميم : الماء البالغ نهاية الحرارة (كلمات القرآن / ٢٩٦) .

الحميم : الماء الحار، والحميم القريب فى النسب .

وهو فى القرآن على هذين الوجهين :

فمن الأول : فى الحج ﴿ **يصب من فوق رءوسهم الحميم**﴾ [الحج : ١٩] وفى الصافات ﴿ **لشوبا من حميم**﴾ [الصافات : ٦٧] وفى سورة محمد ﷺ ﴿**وسقوا ماءً حميمًا**﴾ [محمد : ١٥] وفى سورة الرحمن ﴿**وبين حميم آن**﴾ [الرحمن : ٤٤] .

ومن الثانى : فى الشعراء ﴿**ولا صديق حميم**﴾ [الشعراء : ١٠١] ، وفى السجدة ﴿**كأنه ولى حميم**﴾ [السجدة : ٢٤] وفى سأل سائل ﴿**حميم حميما**﴾ [المعارج : ١٠] .

(كلمات القرآن تفسير وبيان ـ فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٢٩٦ ، ومنتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ، تحقيق ودراسة الشيخ محمد السيد الصفطاوى والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩١ ، انظر أيضا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ محمد فؤاد عبد الباقى / ٢٧٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٠٨) .

*** الحمية :**

الحمية : الإقلال من الطعام ونحوه مما يضر (المعجم الوسيط ١ / ٢٠١) .

وبسط ابن عبد ربه الكلام فى الحمية وما قيل فيها فقال : والأكلة كلهم يعيبون الحمية ، ويقولون : الحمية إحدى العلتين .

وقالوا : من احتمى فهو على يقين من المكروه وهو فى شك من العافية !

وقالوا : الحمية للصحيح ضارة وللعليل نافعة ...

قيل لبقراط : مالك تقل الأكل جدا ؟ قال : إنى إنما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل !

وأجمعت الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام .

وقالوا : احذروا إدخال اللحم على اللحم ؛ فإنه ربما قتل السباع فى القفر.

وأكثر العلل كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

والحمية مأخوذة عن النبى ﷺ : رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد، فقال : « أتأكل تمرا وأنت أرمد ؟ » .

ودخل عَلَى عَلِىٍّ رضى الله عنه وهو عليل ، وبيده عنقود عنب، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

وقيل للحرث بن كلدة طبيب العرب : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأزم . يريد قلة الأكل، ومنه قيل للحمية : الأزمة ، وللكثير أزمات .

وقيل : لآخر: ما أفضل الدواء ؟ قال : أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه .

أبو الأشهب عن أبى الحسن قال : قيل لسمرة بن جندب : إن ابنك إذا أكل طعاما كظه حتى كاد أن يقتله . قال : لو مات ما صليت عليه !

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء، فقال : ما فى فضل يا أمير المؤمنين . قال : لا خير فى الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندى مستزاد، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التى استقبحها أمير المؤمنين ...

وقال الجاحظ : كان أبو عثمان الثورى يجلس ابنه معه ويقول له : إياك يا بنى ونهم الصبيان ، وأخلاق النوائح ، ونهش الأعراب؛ وكل مما يليك ، واعلم أنه إذا كان فى الطعام لقمة كريمة ، أو مضغة شهية ، أو شىء مستطرف، فإنما ذلك للشيخ المعظم ، أو للصبى المدلل، ولست بواحد منهما ، وقد قالوا مدمن اللحم كمدمن الخمر .

أى بنى ، عوِّد نفسك الأثرة ، ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البراذين ، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجمال ؛ فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكظة ؛ وسرف البطنة ؛ فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى ؛ واعلم أن الشبع داعية إلى البشم ، والبشم داعية إلى السقم ، والسقم داعية الموت ؛ ومن مات هذه الميته فقد مات ميتة لئيمة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره .

أى بنى ، والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة ، ولا خشع لله ذو بطنة ، والصوم مصحة ، والوجبات عيش الصالحين .

أى بنى لأمر ما طالت أعمار الهند ، وصحت أبدان العرب ، ولله در الحرث بن كلدة إذ زعم أن الدواء هو الأزم ، فالداء كله من فضول الطعام ؛ فكيف لا ترغب فى شيء يجمع لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة ! .

أى بنى ، لم صار الضب أطول عمرا إلا لأنه يتبلغ بالنسيم؟ ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وجاء ، إلا لأنه جعله حجابا دون الشهوات ؟ فافهم تأديب الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام : فإنه لم يقصد به إلا إلى مثلك .

أى بنى ، قد بلغت تسعين عاما ما نغض لى سن ، ولا انتشر لى عصب ، ولا عرفت ذنين أنف ، ولا سيلان عين ، ولا سلس بول ، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد ، فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك (العقد الفريد ٨ / ١٦ـ١٩) .

قال صاحب تسهيل المنافع :

اعلم أن الإفراط فى الحمية يؤذى خصوصا من ليس فى بدنه أخلاط رديئة لأنه إذا زالت الحمية أخذت النفس من الرطوبة التى فى البدن وهى الرطوبة الأصلية فيعود المرض سلا ودقا لإفراط الحمية كتناول الأغذية بالإفراط ، روى الشيخ بإسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت مرضت مرضا شديدا فحمانى كل شىء حتى الماء فعطشت عطشا شديدا ليلا فحبوت على يدى ورجلى ثم أتيت إلى إداوة معلقة فشربت وأنا نائمة ثم رجعت فما زلت أعرف الصحة منها فلا تحرموا مرضاكم شيئا (تسهيل المنافع / ٧) .

وننقل لك فيما يلى ما جاء عن الحمية فى كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها :

الحديث الثامن

من باب الحمية

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله ابن أبى صعصعة ح (هذه الحاء إشارة إلى تحويل السند ، وهى تكتب عادة إذا كان للحديث إسنادان فأكثر ، قال العراقى فى ألفية الاصطلاح :

وكتبوا عند انتقال من سند
لغيره ح وانطقن بها وقد
رأى الرهاوى بأن لا تقرأ
وأنها من حائل وقد رأى
بعض أولى الغرب بأن يقولا
مكانها الحديث قط وقيلا
بل حاء تحويل وقال قد كتب
مكانها صح فحا منها انتخب

(وقد أوردناها مادة مستقلة فى م ١٢ / ٥٩٤) .

وحدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عامر وأبو داود قالا : حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن عن يعقوب ابن أبى يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت (دخل علينا رسول الله ﷺ ومعه على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى ناقه من مرض ، ولنا دوال معلقة وكان النبى ﷺ يأكل منها ، فتناول على ليأكل منها فقال النبى ﷺ يا على إنك ناقه مرض ، قالت فصنعت للنبى ﷺ سلقا وشعيرا فقال لعلى : من هذا فأصب فإنه أنفع لك) . قال الشيخ فى هذا الحديث الأمر بالحمية ، وأن الناقه ينبغى له أن يحتفظ على نفسه ولا يمرجها مرج الأصحاء .

(الناقة : القريب العهد بالمرض . والدوالى : جمع دالية : وهى العذق من البسر يعلق فإذا أرطب أكل ، وكلام

الشارح يفهم منه أن المراد بها دوالى العنب، ولكن ما ذكرنا هو الذى فسر به الحديث . والحمية هى من حميت المريض الطعام إذا منعته منه) .

والناقه هو الذى خلص من المرض وهو متحرك إلى الصحة الوثيقة ولم تحصل له بعد صحة تامة وأعضاؤه ضعيفة وكذلك هضومه وأفعال أعضائه فهى سهلة القبول للآفات ، وبهذا ونحوه تثبت الحالة الوسطى الثالثة التى هى لا صحة ولا مرض التى أثبتها جالينوس وأنكرها جماعة من المتأخرين وقد بينا ذلك فى كتاب لنا مفرد لهذا خصصناه بالكلام على حد الطب .

والعنب وأكثر الفواكه مما ينبغى أن يحتمى عنه الناقه لقلة غذائها وكثرة فضلاتها وشدة مجاهدة القوى لها ، وأيضا فإن الناقه مفتقر إلى ما يزيد فى جواهر أعضائه . ويكون مع ذلك سريع النفوذ، سريع الإحالة لفعل الطبيعة بطىء الاستحالة إلى الفساد كالسلق والشعير مطبوخين .

الحديث التاسع

من باب الحمية

« حدثنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا المبارك، حدثنا عبد الحميد بن صيفى من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال : قدمت على النبى ﷺ وهو يأكل التمر فجلست معه وبين يديه خبز وتمر فقال النبى ﷺ : ادن ، فكل فأخذت آكل من التمر فقال النبى ﷺ أتأكل تمرا وبك رمد ؟ قال : قلت يا رسول الله إنى أمضغ من ناحية أخرى، فتبسم رسول الله ﷺ » قال الشيخ : هذا الحديث فيه ثلاث فوائد . الأولى : الأمر بالحمية والنهى عن التخليط، الثانية . إن الرمد يضر به التمر ، فالأولى حكم شرعى ، والثانية حكم طبى ، لأن التمر يسخن الدم ويعكره ويعين على عفنه واشتغاله والرمد ورم حار فالتمر يضره . وأما الفائدة الثالثة فاستجازة سماع المزاح وقبوله ، وفيه فائدة أخرى لطيفة، وأنه عليه السلام لم ينهه عن التمر حتما وإنما استفهمه استفهام منكر، ولما أكل لم يكفه .

وفى الحديث السابق صرح لعلى رضى الله عنه بالنهى عن أكل العنب لما كان ناقها ، لأن الناقه ضعيف الهضم فى جميع جسده . وأما الأرمد فهو مئوف عضو واحد، وسائر أعضائه سالمة وهضمه قوى، والهضم يجود تصرفه فى الغذاء وإن كان رديئا ، فلا يضر الأرمد التخليط مقدار ما يضر الناقه ولا سيما إن كان الرمد فى انحطاطه ، أو كان من مادة باردة ، فالتمر حينئذ لا تعظم مضرته ولا يضر .

الحديث العاشر

من باب لا تكرهوا المريض على الطعام

« حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا بكر بن يونس ابن بكير عن موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

قال الشيخ : ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية ، وما أجداها للأطباء، وذلك أن المريض إذا عاف الطعام والشراب، فذاك لاشتغال طبيعته بمجاهدة مادة المرض، أو سقوط شهوته لموت الحرارة الغريزية أو نقصانها ، وكيف ما كان الأمر فلا يجوز حينئذ إعطاؤه الغذاء فى هذا المحال .

واعلم أن الجوع إنما هو طلب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهى الجذب إلى المعدة . فإذا وقع بالجاذبة آفة من عائق أو موت حسى، لم يكن جوع [جوعا] أو لم يكن إحساس لفقد طلب الأعضاء إلى الغذاء فى هذا الحال . فإعطاؤه الطعام فى هذه الحالة زيادة للبلية ، وتعجيل للنازلة المتوقعة، لكن قد تقع فى النادر مواضع ينبغى أن يجبر المريض فيها على الطعام والشراب. فإن بعض من تحدث فيه حمى محرقة ومعها اختلاط العقل ، يجوز أن يجبر على الماء خاصة ، وذلك أنه تكون به حاجة شديدة إلى الماء وليس له عقل حاضر حتى يطلبه ، وأيضا فقد يكون بالمريض شهوة نائمة فتنبه وتوقظ شهوته باليسير من الطعام ، وحينئذ يختار له من الطعام ما له لذة وبنة .

الحديث الحادى عشر

من باب المريض يشتهى الشىء وفيه معنى العيادة للمريض

« حدثنا الحسن بن على الخلال، حدثنا صفوان بن سمرة، حدثنا أبو مكين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ عاد رجلا فقال : ما تشتهى ؟ قال أشتهى خبز بر، فقال عليه السلام ، من كان عنده خبز بر فليبعث إلى أخيه ،

ثـم قـال عليـه السـلام إذا اشتهـى مـريض أحـدكم شيئـا فليطعمـه .

قال الشيخ : هذا الحديث فيه حكمة طبية فـاضلة تشهد لقانون شريف ذكره « بقراط » فى عدة مواضع وعدة عبارات . وعظمه من بعـده وشرحوه وذيلوه وقـد ذكرنا طـرفا من ذلك فى رسالـة لنا شـريفة المـأخذ . لقبنـاها « بـالمقالات » وعـرضنا بضـرب منهـا فى المقـالـة الملقبة « بشفـاء الضـد بـالضـد » ولخصناه فى شرحنا لكتاب « فصـول بقراط » وذكرنا جملة فى كتاب الفصول لنا بيلغة الحكيم ، وهو سبع مقالات أيضا .

والـذى يـلائم هذا المـوضع فى معنى هـذا الحـديث أن المريض إذا تنـاول ما يشتهيه وإن كان أضر قليـلا ، كان أنفع وأقل ضررا مما لا يشتهيه وإن كان نافعا . ولا سيما إذا كان ما يشتهيه غذاء . وقال بقراط : ما كان فى الطعام والشراب أخس قليلا إلا أنه ألذ ، فينبغى أن يختار على ما هو الأفضل ، وذلك أن الملذوذ المشتهى تقبل القـوة المغيره عليه بعنـاية وتشتمل عليه بحفاوة . وأيضا فإن المشتهى كثيـرا ما يكون به الشفاء أو يكون عنده ولا سيما إن انبعث النفس إليه بصدق شهوة وصحة قوة ، ولا سيمـا إن كان مـلائما كـالخبز والكعك ، فكـلاهما جاء فى الحديث ، ولا سيما إن كانت صناعة الطب لا تنكره .

وطـالمـا رأيت وسمعت مـرضى يشتهـون أشيـاء ينكـرهـا الطبيب فيتنـاولونهـا على رغمـه فيعقبها الشفـاء ، فإذا فحص الطبيب عن علة ذلك ألفـاها صحيحة مطابقـة ، وما ذلك إلا لعجـز البشـر عن اقتنـاء كل مـا فى طبيعـة الأشيـاء ، فينبغى للطبيب الكيس أن يجعل شهوة المريض من جملة أدلته على طبيعته ، ومما يهتـدى به إلى طريق علله ، فسبحـان المستأثر بالغيب (كتاب الأربعين الطبية / ٩٨ ـ ١٠٣) .

(المعجم الوسيط ١ / ٢٠١ ، والعقـد الفريد لابن عبد ربـه ـ بتحقيق محمـد سعيـد العريـان ٨ / ١٦ ـ ١٩ وتسهيل المنـافع لابن الأزرق / ٧ ، وكتـاب الأربعين الطبية المستخـرجـة من سنن ابن مـاجـه وشرحهـا عمل تلميذه الشيخ محمـد بن يوسف البـرزالى ـ تحقيق عبد الله كنـون ، مجلة معهد المخطوطات العـربية ، جامعة الدول العربية م ١٨ جـ ١ ربيع الثانى ١٣٩٢ ـ مايو ١٩٧٢ م / ٩٨ ـ ١٠٣ . انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١٤) .

*** ابن حنّا :**

انظر : تاج الدين ابن حنّا فى م ٨ / ٣١٥ .

*** الحنّاء :**

الحِناء : بالكسر والمد والتشديـد معروف وهو الذى أعده الناس للخضـاب وقال السمعـانى نبت يخضبون به الأطراف . قـال ابن دريـد وابن ولاد : هو جمـع لحناءة بـالهـاء ... إلخ (معجم أسماء النباتات / ٤٧) .

وقـد أورده المظفـر الـرسـولـى فى « المعتمـد » نقـلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطـار صاحب « الجامع لقـوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جـزلـة صـاحب « منهاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

حناء : « ع » الحناء شجرة كبيـرة مثل شجر السدر، وزهره الفاغيـة وكل نور طيب الرائحـة يقال له الفـاغية ، لكن خص بهذا الاسم نـور الحناء، وهى ذكيـة الرائحـة ، تجتنى وتربب بماء الدهن الذى يقال له دهن الحناء ، فيقال له دهن المغفو، وورق شجرة الحنـاء شبيه بورق الـزيتون ، وفيها وفى قضبـانها قوة مركبة مـن جوهر مائى باعتدال، وجوهـر بارد أرضى، فقد يطبخ الـورق ويصب ماء طبيخه علـى الموضع الـذى يحترق بـالنـار، ويستعمل أيضـا فى مـداواة الأورام الملتهبـة ، وفى مـداواة الحمرة ، وفى القـلاع والحمق الـذى يعرض فى أفـواه الصبيان . وقـال : ورقه قابض، إذا مضغ أبرأ القـلاع والقروح التى تكون فى الفم ، التى تسمى الحمى، وإذا تضمد به نفع من الأورام الحارة ، وزهـره إذا سحق وضمدت بـه الجبهة مع خل، سكن الصداع ، والمسوح الذى يعمل منه مسخن ملين للأعصاب ، ويصلح للأشياء المسخنة التى تقع فى الأخلاط الطبيـة الرائحـة . وقال : قـوة الحناء من البـرودة فى الدرجـة الأولى ، ومن اليبـوسة فى الـدرجة الثـانية ، وبعضهم لمـا رآه يخضب ويحمر ذكر أنه حـار، وهو يفعل فى الجراحات (فى الطب النبـوى ص ٧٠: « الخـراجـات ») مثل مـا يفعل دم الأخـوين . (هـو صمغـة مجلوبـة من الهنـد تسمى الشبـان وبالعـربية الأيدع ... عـن ابن الحشا) وإذا دق، ووضع على الورم الحار الرخو نفع منه ، وينفع من تعقق الأظفار إذا شرب من ورقه منقوعا عشرة دراهـم ، وإن ألزمت الأظفار الطلاء بها

معجونـا حسنها ونفعها ، وإن نقع ورق الحناء بمـاء عذب ، وشـرب من صفـوه فى كل يـوم عشـرون درهمـا ، مـدة سبعـة وثلاثين يوما فى أول الجذام ، ويتغـذى عليه بلحوم الخرفان ، وقف جـذامه وإذا بـدأ الجـدرى يخرج بصبى خضب أسـافل رجليـه بحناء معجـون بماء ، فإنـه يـؤمن على عينيه أن يخـرج فيهما شىء مـن الجدرى ، وهذا صحيح مجـرب . وإن طلى الحناء على مـوضع من البدن فيـه قشف ويبس أزالهما ، وإن تضمد به مسحوقا معجونا جباه الصبيان وأصداغهم ، منع من انصبـاب المـواد إلى أعينهم . ونـور الحنـاء إذا جعل فى طى الثياب الصوف ، منع منها السوس وطيبها .

« ج » الحناء : يسمى إرقـان . وأجوده الأخضـر المطحون من ساعته ، وهو حار باعتدال ، وقيل : معتدل الحر والبرد ، وقيل : بـارد فى الدرجـة الأولى ، يابس فى الـدرجة الثـانية ، وطبيخه نافع من الأورام الحارة ، وحـرق النار ، وهو نافع لكسر العظام ، وقـروح الفـم ، ويدخل فى مراهم الخنـاق ، وشرب نصف مثقـال منـه ينفع من القـولنج ، ومن خـواصـه أنـه إذا خضبت به الرجل أصبح البول أحمر كبول المحموم .

« ف » بارد فى الأولى يـابس فى الثانيـة ، نافع من الأورام البلغمية والسوداوية والقولنج ، وينفع من الشقاق العارض فى البدن والبثور ، ودهنه نافع من الصرع والسدر ، لاسيما مع النبيذ الصرف ، ويقوى الأعصاب ، وينشف رطـوبتها ، ويكثر فيها اللحم إذا خضبت بـه من خـارج ، وإذا دق وضمد بـه الـورم الحار نفعـه ، وسكن وجعه فى الـوقت . الشربـة منه : درهم (المعتمد فى الأدوية المفردة ١ / ١١٢ ، ١١٣) .

والطب النبوى لابن قيم الجوزية / ٦٦ ـ ٧٠ ، وكتاب الأربعين الطبية / ١٢٠) .

وقال عنه ابن النفيس :

حنـاء : بـارد يابـس فى الثانيـة ، وقيل حـار ، فيـه تحليل وقبض وتجفيف ، يفتح أفواه العـروق ، نافع من الأورام الحارة والبلغم . وفـاغيتـه نـافعة لأوجـاع العصب والفـالج والتمـدد (الفاغيـة : نور الحنـاء) ودهنه يحلل الإعيـاء ويلين العصب (الموجز فى الطب / ٩٦) .

وقد ذكـر « الحناء » الإمـام ابن قيم الجوزيـة فى فصل فى هديه ﷺ فـى علاج الصداع والشقيقة فقال : روى ابـن ماجه فى سننه ، حديثا فى صحته نظر ، هو : « أن النبى ﷺ كان إذا صدع : غلف رأسـه بالحنـاء ، ويقول : إنه نـافع بإذن الله من الصداع » .

وقد روى البخارى فى تاريخه ، وأبو داود فى السنن : «أن رسول الله ﷺ ، مـا شكا إليه أحـد وجعا فى رأسـه ، إلا قال : احتجم ، ولا شكا إليه وجعا فى رجليه ، إلا قال له : اختضب بالحناء » (الطب النبوى لابن قيم الجوزية / ٦٦ ، ٦٩) .

وفى الترمذى عن سلمى أم رافع خـادمة النبى ﷺ قالت : « كـان لا يصيب النبى ﷺقـرحـة ولا شـوكـة إلا وضع عليهـا الحناء» . فإن القـرحة عـلاجها بما يجفف عنهـا الرطـوبة كى تتمكن القـوة من إنبـات اللحم فيهـا ، والحنـاء تفعل ذلك ، لتجفيـف تلك الـرطـوبـة الفضليـة التى تمنع نبـات اللحم فى القرحة . وأمـا الشوكة فإن فى الحناء قوة محللـة ترخى العضو فتعين على خروج الشوكة (الطب النبوى للذهبى / ٨٣) .

وفى كتاب الأربعين الطبية جاء ما يلى : الحديث السابع والعشرون . من باب الحناء :

« حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، نا زيد بن الحباب ، نا فائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع ، مولى عبيد الله ، حدثنى سلمى أم رافع مولاة رسول الله ﷺ قالت : كان لا يصيب النبى ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء قال الشيخ : الحناء مركب من جـوهر نارى نـافذ صابغ حـار باعتدال ومن جـوهر أرضى بـارد قابض يجفف بـلا أذى ويـردع ويحلل وينفع من حـرق النـار إذا صب طبيخـه على المـوضع ، من خـاصيتـه التبريـد والترطيب ، والتليين ، وفيـه قوة مـوافقة للعصب ، إذا ضمد به سكن أوجاعه ، وفيه قبض يشد الأعضاء ، وإذا عجن بالسمن وضمـد به الجرب المتقرح المـزمن أبرأه وينفع الأورام الحارة ضمادا ، ومن قروح الفم ومن القلاع فى أفواه الصبيان ، وإذا خلط بشمع ودهن ورد وضمـد به نفع من أوجـاع الجنب والـوهـن . وينفع الحنـاء من الجـراحـات الطـريـة نفع دم الأخوين . وإذا خلط بقيروطى (وهو مـا يطلى به من غير نار) وضمـدت بـه العظـام المكسـورة جبرهـا ونفع مـن أوجـاع العصب ، وهو ينبت الشعر ويقويـه ويحسنه ويقوى الرأس . ولونه قانىء محبوب يهيج قـوة المحبة ، وفيه رائحة عطرية مع قبض (كتاب الأربعين الطبية / ١١٩ ، ١٢٠) .

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٤٧ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه . مصطفى السقا ١ / ١١٢ ، ١١٣ ، والطب النبوى لابن قيم الجوزية ــ كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات الطبية الأستاذ عبد الغنى عبد الخالق . وضع التعاليق الطبيه د. عادل الأزهرى وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٦٦ ، ٦٩ ، والموجز فى الطب لابن النفيس ــ تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوى . مراجعة د. أحمد عمار / ٩٦ ، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ــ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٣، وكتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها . عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالى ـ تحقيق عبد الله كنون . مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية م ١٨ جـ١ ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م / ١١٩ ، ١٢٠) .

* **الحنّائى :**

قال السمعانى :

الحنائى : بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة وفى آخرها الياء آخر الحروف ، هذه النسبة إلى بيع الحناء وهو نبت يخضبون به الأطراف ، والمشهور بهذه النسبة أبو الحسن هارون بن مسلم بن هرمز البصرى، قال أبو حاتم بن حبان : هو صاحب الحناء يروى عن أبان بن يزيد العطار والبصريين ، روى عنه قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانى وغيرهما .

وأبو موسى هارون بن زياد بن بشير الحنائى من أهل المصيصة ، يروى عن الحارث بن عمير عن حميد ، روى عنه محمد بن القاسم الدقاق بالمصيصة وغيره .

وأبو الحسن جابر بن ياسين محمويه الحنائى من أهل المحنة بغداد، شيخ ثقة كان يبيع الحناء، وكان عطارا ، سمع أبا طاهر المخلص سمع منه أبو بكر الخطيب وجدى وجماعة سواهما ، حدثنى عنه أبو الفضل بن الأرموى وأبو بكر الأنصارى وأبو منصور بن زريق وأبو سعد بن الزوزن بن السلال ببغداد ، توفى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الحنائى من أهل دمشق ، توفى فى حدود سنة خمسين وأربعمائة ، يروى عن عبد الوهاب بن الحسن الكلابى وأبى بكر بن أبى الحديد السلمى ، قال ابن ماكولا: كتبت عنه وكان ثقة . قلت روى لى عنه الفضل بن عمر بن ليلى النسوى بمرو.

وولده محمد بن البخترى الحنائى حدثنى عنه أصحابنا بدمشق والعراق .

ومن القدماء أيضا يحيى بن محمد بن البخترى الحنائى ، يروى عن هدبة بن خالد وعبيد الله بن معاذ .

وإبراهيم بن على الحنائى ، حدث عن أبى مسلم الكجى وغيره ، سمع منه عبد الغنى بن سعيد .

وأبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن الحجاج البغدادى الحنائى ، سمع أبا على الصفار وأبا عمرو ابن السماك وأبا بكر النجاد وجعفر بن محمد الخلدى وأبا جعفر بن البخترى الرزاز وغيرهم ، روى عنه أبو بكر الخطيب وأبو عبد الله بن طلحة النعالى ، وأثنى عليه الخطيب فقال : كان ثقة مأمونا زاهدا ملازما لبيته . وحكى عنه أنه قال ما لمس كفى كف امرأة قط إلا والدتى . وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة .

وأبو العباس محمد بن أحمد الحسن بن بابويه الحنائى ، حدث بكتاب الرهبان عن أبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا القرشى ، روى عنه على بن محمد بن إبراهيم بن علويه الجوهرى .

وأبو العباس محمد بن سفيان بن عنويه الحنائى ، ويعرف بحبشون من أهل بغداد ، حدث عن أبى يحيى محمد بن عبد الرحيم البزاز وعلى بن شعيب السمسار والحسن بن عرفة وأبى يحيى محمد بن سعيد العطار ومحمد بن عمرو بن حنان الحمصى وأبى عتبة أحمد بن الفرج الحجازى ، روى عنه عبد الله بن إبراهيم الزبيبى وعبيد الله بن العباس الشطوى وعلى بن محمد بن لؤلؤ الرواق .

وأبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هلال الضبى الحنائى ، نزل دمشق ، وكان ثقة صدوقا ، حدث عن الحسين ابن يحيى بن عياش القطان ويعقوب بن عبد الرحمن الدعاء وإسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار ومحمد بن عمرو الرزاز وأبى الحسين بن الأشنانى وأبى عمرو بن السماك وعبد الصمد بن على الطسى روى عنه أبو على الحسن بن على بن إبراهيم المقرى وأبو القاسم الحنائى وغيرهم ، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعمائة .

(الأنساب للسمعاني ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٧٦ ، ٢٧٧) .

*** الحنابلة (جامع -) :**

ما زال جامع الحنابلة في بعلبك يحتفظ بنص أثري نقش على بابه يثبت أنه جدد في عصر المنصور قلاوون جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المكان المبارك في أيام مولانا السلطان الأعظم شاهنشاه المعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم والترك والديلم، الملك المنصور سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين ، ملك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين، أبي المعالي قلاوون قسيم أمير المؤمنين ، أيد الله سلطانه وشد أزره ببقاء ولده وولي عهده، مولانا السلطان الملك الصالح علاء الدين ، وأدام نصرهما ، وجعل البسيطة ملكهما بتولي الأمير نجم الدين حسب نائب قلعة جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة والحمد لله وحده .

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٣٩) .

*** الحناط :**

قال السمعاني :

الحناط : بفتح الحاء المهملة (والنون) وفي آخرها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى بيع الحنطة ، والمشهور بها أبو شهاب موسى بن نافع الهذلي الحناط وقد قيل اسمه عبد ربه ابن نافع ، وقيل هما اثنان ، من أهل الكوفة ، يروى عن سعيد ابن جبير وعطاء روى عنه أبو الربيع الزهراني وأهل العراق .

وأبو شهاب الحناط المدائني . أصله كوفي ، سمع محمد ابن سوقة وأبا إسحاق الشيباني والحسن بن عمرو الفقيمي وإسماعيل بن خالد وسليمان الأعمش ويونس بن عبيد وداود ابن أبي هند وعاصم الأحول ومحمد بن أبي ليلى وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، روى عنه زافر بن سليمان وأبو داود الطيالسي والحسن بن موسى الأشيب وأبو نعيم الفضل ابن دكين وأحمد بن يونس وداود بن عمرو الضبي ، قال يحيى ابن سعيد : لم يكن أبو شهاب الحناط بالحافظ . ولم يرض يحيى أمره . وقال في موضع آخر هو ثقة (القائل هو يحيى بن معين) ومات بالموصل سنة إحدى وسبعين ــ أو اثنتين وسبعين ـ ومائة ؛ وقيل إنه مات ببلده . وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : موسى بن نافع أبو شهاب الحناط الأسدي الكوفي في الأكبر، وليس بأبي شهاب الأصغر عبد ربه بن نافع . روى عن عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد، روى عنه يحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس ومحمد بن عبيد وأبو نعيم ، قال علي بن المديني سألت يحيى بن سعيد عن موسى بن نافع فقال : أفسدوه علينا . وأثنى أبو نعيم على موسى بن نافع خيرا، وقال أحمد بن حنبل : موسى بن نافع الحناط منكر الحديث .

وأبو بكر بن عياش الكوفي الحناط من علماء الكوفة وقرائها . وكان مولى لبني أسد مولى كاهلة يبيع الحنطة بالكوفة ، وأبو داود الطيالسي كذا كان ينسبه ويقول : أبو بكر ابن عياش الحناط ، وكان مولده سنة خمس أو ست وتسعين ، ووفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وكان شريك يقول : رأيت أبا بكر بن عياش عند أبي إسحاق السبيعي يأمر وينهى كأنه رب بيت .

ومن المتأخرين أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن الشافعي المكي الحناط ، كان يبيع الحنطة بمكة ، وكان ثقة عالي السند ، يروى عن أبي الحسن أحمد بن إبراهيم ابن فراس وأبي القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلاني وغيرهما ، سمع منه جدي الإمام أبو المظفر السمعاني ، وروى لي عنه أبو العباس المكي الهاشمي بأصبهان ، وأبو المظفر بن القشيري بنيسابور وتوفي بعد سنة سبعين وأربعمائة بمكة ؛ سمعت محمد بن أحمد الميهني بمرو يقول سمعت جدك الإمام أبا المظفر السمعاني يقول : كان شيخي أبو علي الشافعي بمكة يبيع الحنطة .

والحسن بن سهل الحناط ، روى عنه مطين .

وأبو ثمامة الحناط ، يروى عن كعب بن عجرة .

وأبو بكر فطرين بن خليفة الحناط .

وسعيد بن محمد الحناط .

ومن المتقدمين أبو إسحاق إسماعيل بن أبان الغنوي الحناط من أهل الكوفة ، يروى عن هشام بن عروة وإسماعيل ابن أبي خالد والثوري ، وكان يضع الحديث على الثقات ،

وهو صاحب حديث : السابع من ولد العباس يلبس الخضرة، وكان أحمد بن حنبل شديد الحمل عليه .

ومحمد بن مغفور الحناط كوفى .

وأبو عبد الله محمد بن سليمان سليمان الرعينى البصير، يعرف بابن الحناط ، حسن المكان من الأدب والشعر والبلاغة وكان يناوئ ابن شهيد وله معه أخبار مشهورة ومناقضات معروفة كان حيا قبل سنة ثلاثين وأربعمائة .

ومحمد بن عبد الله بن المبارك الحناط النيسابورى والد أبى الطيب ، سمع إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع وعبد الله ابن مسلم الدمشقى وأيوب بن الحسن ، حدث عنه ابنه أبو الطيب محمد قال ابن ماكولا قرأت على ابن المذهب فى إسناد حدثكم محمد بن أحمد بن محمد الحناط فقال : الحناط وهو ابن رزق ولم أسمع من حناط شيئا .

وأبو محمد بن محمد بن محمد الحناط شيخ صالح مستور من أهل مرو، وكان يأوى إلى مدرستنا ويقعد أكثر النهار فيها ، وجدت سماعه من الأديب كامكار بن عبد الرزاق المحتاجى، وقرأت عليه أوراقا يسيرة ، وما قرأ عليه أحد الحديث قبلى ولا بعدى، وتوفى سنة نيف وثلاثين وخمسمائة .

وأبو أحمد حامد بن محمد بن عبد الله الحناط ، من أهل نيسابور، سمع أبا العباس الحسن بن سفيان النسوى والحسين ابن محمد بن زياد القبانى وغيرهما ، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وقال حدث حامد بن محمد الحناط عن القبانى بالمصنفات وتوفى سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وأبو الحسين عبد الملك بن أحمد بن نصر بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن الحناط ، ويقال الدقاق، من أهل بغداد، سمع يعقوب بن إبراهيم الدورقى ومحمد بن الوليد البسرى وحميد بن الربيع ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وزهير بن محمد بن قمير وسلم بن جنادة ومحمود بن خداش ويونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان وغيرهم ، روى عنه إسماعيل بن على الخطبى وأبو القاسم بن النخاس وأبو حفص بن شاهين ويوسف بن عمر القواس وكان ثقة ، ومات فى رجب سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٥ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٩) .

* **الحناطى :**

قال السمعانى :

الحناطى : بفتح الحاء المهملة والنون المشددة وفى آخرها الطاء المهملة ، هذه النسبة لجماعة من أهل طبرستان : لعله كان بعض أجداده يبيع الحنطة ، منهم أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن الحسن الطبرى ، يعرف بالحناطى ، قدم بغداد وحدث بها عن عبد الله بن عدى وأبى بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلى الجرجانيين ونحوهما ، روى عنه أبو منصور محمد بن أحمد بن شعيب الرويانى والقاضى أبو الطيب الطاهر بن عبد الله الطبرى وغيرهما .

وأبو الحسن محمد بن الحسين الجرجانى الحناطى الوراق، من أهل جرجان، ورد خراسان وأقام بها ، كان صاحب عجائب، وكان يحفظ ، حدث عن أبى نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجانى وأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وأقرانهم من مشايخ الدنيا ـ هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ وقال توفى آخر ذلك بمرو سنة سبع وأربعين وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٧٥ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٥٩) .

* **الحنبلى :**

قال السمعانى :

الحنبلى : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفى آخرها اللام ، هذه النسبة لجماعة كثيرة من العلماء فى كل فن ممن ينتحل مذهب الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى المروزى إمام المحدثين والناصر للدين والمناضل عن السنة والصابر فى المحنة ، مروزى الأصل ، قدمت أمه بغداد وهى حامل به فولدته ونشأ بها وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة فكتب عن علماء عصره ، وكان من يتعلم منه يفتخر به ويحترمه لورعه وصيانته ، وشيوخه أكثر من أن تذكر، وأصحابه فيهم كثرة وشهرة ، ولعل ببغداد ونواحيها والجزيرة من أصحابه من لا يدخل تحت الحصر والعدد، كان بعض

الأئمة يقول : لولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان علينا عارا إلى يوم القيامة إن قوما سبكوا فلم يخرج منهم أحد. وقيل : رجلان ما لهما ثالث أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقت الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة : وقال قائلهم فيه :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة
وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصا
فاعلم بأن ستوره ستهتك

ولد سنة أربع وستين ومائة وضرب بالسياط فى الله فقام مقام الصديقين فى العشر الأواخر من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين، ومات فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان ابن سبع وسبعين سنة ، وحرز من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا ، وكان دفنه يوم الجمعة ولم ير للمسلمين جمع أكثر ممن حضر جنازته ، قيل اجتمع فى جنازة فى بنى إسرائيل مثل ذلك ... ومناقبه أكثر من أن تحصى . وصنف فيها الكتب. واشتهر بهذه النسبة جماعة ، منهم أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبرى الحنبلى ، من أهل عكبرا، صنف التصانيف، وكان فاضلا زاهدا ، حدث عن أبى القاسم البغوى وأبى بكر بن أبى داود، روى عنه أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البرمكى وغيرهما ، زرت قبره بعبكرا .

وأحمد بن هارون الحنبلى الخلال ، حدث عنه أبو سعيد ابن عبدويه .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٧ ، ٢٧٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١/ ٤٦٠) .

*** ابن الحنبلى (إبراهيم بن يوسف) (٨٧٧-٩٥٩ هـ):**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثانية من المائة العاشرة وقال عنه :

إبراهيم بن يوسف بن الحنبلى : إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الشيخ برهان الدين بن قاضى القضاة ابن المحاسن ابن قاضى القضاة زين الدين الحلبى الحنفى الشهير بابن الحنبلى المؤرخ المشهور وسبط قاضى القضاة أثير الدين بن الشحنة . قال ولده در الحبب : ولد بحلب سنة سبع وسبعين وثمانمئة فاشتغل بها فى الصرف والنحو والعروض والمنطق على العلاء بن الدمشقى المجاور بجامع المهمندار وعلى الفخر عثمان الكردى والبرهان القرصلى والزين بن فخر النساء وجود الخط على الشيخ أحمد أخى الفخر المذكور وألم بوضع الأوفاق العددية، وتعلق بأذيال القواعد الرملية ، والفوائد الجفرية وأجاز له البرهان الرهاوى رواية الحديث المسلسل بالأولية ، بعد أن أسمعه منه بشرطه وجميع ما يجوز له وعنه روايته ثم ذكر أنه استجيز له باستدعاء والده جماعة كثيرون من المصريين كالمحب بن الشحنة والسرى عبد البر ابن الشحنة والقاضى زكريا والجمال إبراهيم القلقشندى والقطب الخيضرى والحافظ عثمان الديمى والجمال يوسف ابن شاهين وأنه سمع على البرهان بن أبى شريف ما اختصره من رسالة القشيرى وأنه لبس الخرقة القادرية من الشيخ عبد الرزاق الكيلانى الحموى قال ثم لبستها أنا من يده ...

وذكر من تأليفه كتابه المسمى ثمرات البستان ، وزهرات الأغصان ، والسلسل الرائق ، المنتخب من الفائق، وكتابا انتخبه فى آداب الرئاسة سماه مصابيح أرباب الرياسة ، ومفاتيح أبواب الكياسة ، وغير ذلك وأنه توفى فى ليلة الأحد حادى عشر ذى القعدة سنة تسع بتقديم التاء وخمسين وتسعمائة وصلى هو عليه . قال ومن شعر والدى ما كتب به إلى وهو غائب عن حلب فى طاعون سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة :

سلم بنى النفس والولدا
لله لا تشرك به أحدا
والجأ إليه فى الأمور عسى
تعطى بذاك الأمن والرشدا
من كان بالرحمن محتسبا
ولركن قول الله مستندا
لم يخش من هَمٍّ ولا نكد
كلا ولا من حاسد حسدا
فكن الرضى بما يريد وكن
متمسكا بجنابه أبدا

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٢ / ٨١ ، ٨٢) .

*** الحنبلى (مجير الدين) (٨٦٠ـ٩٢٨ هـ / ١٤٥٦ـ١٥٢٢ م) :**

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمى الحنبلى ، أبو اليمن ، مجير الدين ، مؤرخ باحث . من أهل القدس . نسبته إلى على بن عليم المقدسى . كان قاضى قضاة القدس ، ومولده ووفاته فيها . له « الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل » مطبوع مجلدان ، و « المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد » ، و « فتح الرحمن فى تفسير القرآن » مخطوط فى شستر بتى (٣١٦٠) مجلدان .

(الأعلام ٣ / ٣٣١ وما جاء فى هامش ١ من مراجع) .

*** الحنبلى (محمد بن إبراهيم) (٩٧١هـ / ١٥٣٥م) :**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثالثة من المائة العاشرة وقال عنه :

محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلى : محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العلامة ، المحقق المدقق الفهامة ، أبو عبد الله رضى الدين المعروف بابن الحنبلى الحنفى أخذ عن الحناجرى والبرهان وعن أبيه وآخرين وقد استوفى مشايخه فى تاريخه وحج سنة أربع وخمسين وتسعمئة ودخل دمشق وكان بارعا مفننا انتفع عليه جماعة من الأفاضل كشيخنا شيخ الإسلام محمود البيلونى وشيخ الإسلام بدمشق شمس الدين بن المنقار والعلامة البارع المحقق سيدى أحمد بن المنلا واجتمع به شيخنا شيخ الإسلام القاضى محب الدين وأخذ عنه وأخبرنى عنه أنه كان إذا عرض له آية يستشهد بها فى تصانيفه جاء إلى تلميذه الشيخ محمود البيلونى وقد فضل فى حياته وكان يحفظ القرآن العظيم فيجيء ابن الحنبلى إلى محل درسه بمدرسته بحلب ويسأله عن الآية فيكتبها من حفظه وله مؤلفات فى عدة فنون منها حاشية على شرح تصريف العزى للتفتازانى وشرح على النزهة فى الحساب والكنز المظهر ، فى حل المضمر ، ومخايل الملاحة فى مسائل الفلاحة (فى الفتح المبين : فى مسائل المساحة) وسرح المقلتين فى مسح القبلتين (فى الفتح المبين : وشرح المقلتين فى مساحة القلتين) وكنز من حاجى وعمّى ، فى الأحاجى والمعمّى ، ودر الحبب ف تاريخ حلب ، وله فى الأصول أنوار الحلك على شرح المنار لابن ملك ، ونظم الشعر إلا أن شعره ليس بجيد لا يخفى ما فيه من التكلف على من له أدنى ذوق .

توفى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ودفن بمقابر الصالحين بالقرب من قبر الشيخ الزاهد محمد الخاتونى بين قبريهما نحو عشرة أذرع وورد الخبر بموته إلى دمشق فى آخر جمادى المذكور.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ٣ / ٤٢ ، ٤٣ . انظر أيضا الفتح المبين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٧٩) .

*** الحنبلى (المذهب ـ) :**

مؤسسه الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى (٢٤١ هـ) ولد ببغداد ونشأ بها ورحل إلى المدن الأخرى لطلب العلم ، وتفقه على الشافعى حين قدم بغداد ، وصار مجتهدا مستقلا ، واهتم بجمع السنة ، وحفظها حتى صار إمام المحدثين فى عصره (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٧٠) (أفردنا للإمام مادة مستفيضة فى م ١٢ / ٦٤١ ـ ٦٥٠ فانظرها فى مضعها) .

وكان الإمام من خواص أصحاب الشافعى بالعراق ، أخذ عنه الفقه ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعى إلى مصر ، ثم استقل بمذهب خاص ، وكان رحمه الله ينكر وقوع الإجماع بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم .

نشأ هذا المذهب ببغداد وانتشر بالعراق ، ولم يخرج منه إلى غيره إلا فى القرن الرابع ، وكانت له فى ذلك القرن الغلبة ببغداد وبلاد نجد .

وقد تأخر ظهوره بمصر ظهورا بينا إلى القرن السابع (الدين الإسلامى ٢ / ٨٨) .

يقول الدكتور محمد الزحيلى :

وأصول مذهبه قريبة من مبدأ الشافعى ، فيعتمد على الاجتهاد والاستنباط عن القرآن والسنة والإجماع وفتوى الصحابى والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة وسد الذرائع ، ولم يؤلف الإمام أحمد كتابا فى الفقه ، وإنما أخذ أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته لكنه صنف فى الحديث كتابه الكبير « المسند » .

ومن أشهر تلامذته صالح بن أحمد بن حنبل (٢٦٦ هـ) وهو أكبر أولاد الإمام أحمد وعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) الذى نقل الحديث عن أبيه . وعنى صالح بنقل فقه أبيه ومسائله ، وأبو بكر الأثرم ، أحمد بن محمد بن هانئ (٢٧٣هـ) وأبو بكر المروذى ، أحمد بن محمد بن الحجاج (٢٧٤هـ) وإبراهيم بن إسحاق الحربى (٢٨٥هـ) .

ومن أشهر وأهم كتب الفقه الحنبلى مختصر الخرقى الذى شرحه العلامة موفق الدين بن قدامة فى « المغنى » . ومنها كشاف القناع للبهوتى ، وشرح منتهى الإرادات للبهوتى ، والمحرر فى الفقه لعبد السلام بن تيمية ، والإنصاف للمرداوى، والفروع لابن مفلح ، والمقنع لابن قدامة ، والروض المربع للحجاوى .

وينتشر المذهب الحنبلى فى بعض القرى بسورية ، وكان له نشاط ومجد قديما فى صالحية دمشق ، وفى القدس الشريف ، وكثير من ريف فلسطين ، وله مدارسه الكثيرة فى دمشق ، لكن مخطوطاته قليلة لا تتناسب مع نشاط علمائه ومدارسه ولعل كثيرا منها قد احترق .

وتبلغ مخطوطات الفقه الحنبلى فى الظاهرية التى انتقلت إلى مكتبة الأسد حوالى مائة مخطوطة ، ذكر منها ٩٣ مخطوطة بشكل متتابع فى الفهرس الخطى العام للظاهرية ، منها مسائل أحمد بن حنبل والمسائل الفقهية لتقى الدين بن تيمية ، وشرح المقنع للتنوخى والمفردات للبهوتى ، ودليل الطالب لمرعى بن يوسف ، والمستوعب للسامرى ، والدرة اليتيمة للصرصرى ، والكافى لابن قدامة ، كما ذكرت بعض كتب الفقه الحنبلى فى غير موضعها مثل كتاب « الإفصاح » لابن حبيرة الذى سجل فى الفقه الحنفى برقم عام ١٥٩٣ ـ ٢٥٩٤ . ويضاف إليها عدة رسائل جاءت فى مجاميع ، وصنفت فى فهرس مخطوطات الظاهرية ـ مجاميع (١ / ٤٥٦ ، ٢ / ٤٠٧) كما يضاف إلى ذلك مخطوطات الفقه الحنبلى فى المكتبة الأحمدية بحلب والتى نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق .

(مرجع العلوم الإسلامية / ٣٧٠) .

وعن منزلة السنة ومكانتها من قلب ابن حنبل يقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم :

لقد قرر أحمد بن حنبل فى كلام كثير مأثور عنه أن طلب علم الكتاب يكون عن طريق السنة وأن طلب الدين يكون عن طريق السنة وأن السبيل المعبد لطلب فقه الإسلام وشرائعه يكون عن طريق السنة وأن الذين يقتصرون على الكتاب وحده من غير الاستعانة بالسنة فى بيانه وتعرف شرائعه يضلون سواء السبيل ولا يهتدون إلى الحق وذلك لأمور كثيرة منها :

١ ـ أن نصوص القرآن الكريم واردة فى وجوب طاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وليست طاعته إلا باتباع سنته .

٢ ـ أن الاحتكام إلى الرسول ﷺ فى حياته وإلى المروى عنه بعد وفاته أمر ثابت فى الدين ، فقال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ [النساء : ٦٥]

٣ ـ أن الأحكام الإسلامية الكثيرة التى أجمع المسلمون عليها مأخوذة من السنة فأحكام الصلاة وشروطها وأركانها وأحكام الزكاة ونصابها فى الأموال والزروع والتجارة ، والتحريم بالرضاع وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وتفصيل مقادير الديات وبيان أحكام السلم والحرب والمعاهدات والمهادنات وغير ذلك جاءت به السنة موضحة ومفصلة لما أجمل فى الكتاب الكريم .

وهناك من الدلالة أحاديث صحيحة تثبت وجوب الأخذ بالسنة وعدم الاقتصار على الكتاب فقد روى أنه ﷺ قال : «يوشك أحدكم أن يقول : هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا من بلغه عنى حديث فكذب به فقد كذب ثلاثة : الله ورسوله والذى حدث به » .

لهذا كله اتجه الإمام ابن حنبل فى طلب الدين إلى السنة ومنها طلب علم الكتاب وسائر علوم الدين وفقه الإسلام وشرائعه وما كان يرضى عنها بديلا والتزم بها طول حياته يدرسها ويخططها ويحفظها ويطبقها على نفسه قولا وعملا واقتداء برسول الله ﷺ فى كل ما جل ودق من الأمور ويكاد يكون مذهبه قائما على السنة وما يتصل بها من استنباط وتخريج .

والحق أن الإمام أحمد بعد محنته التى أشرنا إليها وما تحمله فى سبيلها قد ذاع اسمه فى كل مكان وفى كل البقاع الإسلامية مقرونا بعلوم الدين كلها سواء ما كان يتصل

بالعقيدة أم بالحديث والفقه ، وقد عمر بعد المحنة أكثر من عشرين سنة فاعتبره الناس إمامهم يرجعون إليه فى الأمور التى يبتلون بها ويريدون أن يعرفوا حكمها ، ولقد أفتى كثيرا وصار بعد المحنة المرجع المعتمد لكل من يريد الإفتاء .

قالت المؤلفة : المحنة التى يشير إليها المؤلف هنا هى تلك التى تعرض لها الإمام أحمد بسبب رفضه القول بخلق القرآن ، وقد فصلنا القول فى هذه المحنة فى مادة « أحمد بن حنبل » تحت عنوان فرعى هو « قضية المحنة » فى م ٢ / ٦٤٦ ـ ٦٤٨ فارجع إليها إن شئت .

انتشار مذهب ابن حنبل :

ضعف انتشار المذهب بسبب عنف معتقديه من الدهماء واستنكار الناس لتعصبهم ، كذلك كان من الأسباب فى عدم انتشار المذهب الحنبلى أن البلاد الإسلامية عندما أخذ مذهب ابن حنبل يعرف وينمو كان المذهب الحنفى سائدا فى العراق والمذهب الشافعى سائدا فى الحجاز والشام ومصر وكان المذهب المالكى سائدا فى بلاد المغرب ، وقد جاء الإمام أحمد بن حنبل بعد هؤلاء الأئمة فجاء مذهبه بعد مذاهبهم . ولم يكن فى معتنقيه من القوة ما يؤيد مذهبهم لأن أحوال معتنقيه كانت تنفر الناس والدولة من تشددهم ، وصارت جمهرة الناس لا يقبلون عليه ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد عوضه عن قلة الأتباع وكثرتهم وتمسكهم به لدقة أحكامه فى إقامة الحدود والقصاص والمعاملات المالية فالربا حرام فى شتى أنواعه بالقليل والكثير من غير محاولة لتحليله وتسويفه ، وقد انتشر فى بلاد العرب بعد أن أعيد آل سعود نجد ثم انتقل إلى سائر أنحاء الجزيرة على يد السلطان عبد العزيز آل سعود وصار لهم شرف سدانة البيت الحرام ، وقد كان للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢ م) أثره الواضح فى نشر هذا المذهب لأنه كان يتبع مذهب ابن تيمية الذى كان يمنع التوسل والوسيلة ويمنع التقرب بالموتى ولو كانوا صالحين (انظر ترجمة ابن تيمية تحت عنوان « ابن تيمية (تقى الدين) » فى م١١ / ٢٠٥ ـ ٢٣٠) .

وقد أصبحت المملكة العربية السعودية بفضل تمسكها بالمذهب الحنبلى على يد شيخها الحنبلى المصلح محمد ابن عبد الوهاب من أفضل بلاد المسلمين تمسكا بالشرع الشريف وعملا بأحكامه وأكثرها تمتعا بالأمن والسلام فى ربوعها .

ومما يرى عن تشدد الحنابلة عندما عظم شأنهم وقويت شوكتهم أنهم كانوا يهاجمون بيوت الدعارة فإن وجدوا نبيذا أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء وإذا اشتبهوا فى سلوك إنسان راقبوه لكشف عوراته ومعاقبته وغير ذلك من الأعمال المستوجبة للعقاب والتحريم وهم حتى يومنا هذا ما زالوا يحاربون التدخين ويعتبرونه من الخبائث التى يجب الامتناع عنها وأن ما يقع فيها من الجرائم التى تستوجب الحدود فإنها غالبا من عمل الأغراب النازحين إليها وأكثروا فيها الفساد وتعمل الحكومة على طردهم بعد توقيع الجزاء عليهم .

والحنابلة فى مصر قليلون ولم يسمع بخبرهم إلا فى القرن السابع وما بعده والإمام أحمد بن حنبل كان فى القرن الثالث (أئمة المذاهب الأربعة / ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤) .

وربع أهل السنة بالشام حنابلة .

ويجىء فى فلسطين ثانيا بعد الشافعى .

ويقل فى العراق ويكثر فى الحجاز كالشافعى .

وأهل نجد جميعهم حنابلة (الدين الإسلامى ٢ / ٨٨) .

(مرجع العلوم الإسلامية ــ د. محمد الزحيلى / ٣٧٠ ، والدين الإسلامى ـ الشيخ حسن منصور والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عنانى ٢ / ٨٨ ، وأئمة المذاهب الأربعة ــ محمد إسماعيل إبراهيم . دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٧٨ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤) .

*** الحنبلية الشريفة (المدرسة ـ) (٥٣٠ هـ) :**

من مدارس الحنابلة بدمشق . بناها شرف الإسلام ، الإمام عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلى ، شيخ الحنابلة بالشام ، كان والده عالما فاضلا ، هاجر من القدس ، ونشر المذهب الحنبلى فى الشام ، قبل هجرة بنى قدامة بزمن .

وكان شرف الإسلام ، على الطريقة المرضية ، وافر العلم ، حسن الوعظ ، قوى الدين ، مترفعا عن الدنايا ، وله تصانيف كثيرة ، توفى سنة ٥٣٦ هـ ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بمقابر الشهداء فى الباب الصغير .

يقول الأستاذ أكرم العُلبى : وقد زعم ابن شداد أن هذه

المـدرسة تنسب إلى سيف الإسـلام أخي صلاح الـدين ، ولا صحة لـزعمه هـذا ، فقد ذكـر ابن رجب الحنبلي قصة بنـائها بوضـوح ، فقال إنه لمـا شرع شرف الـدين في بناء المـدرسة ، طلع بعض متعصبي الشـافعيـة إلى زمرد خـاتـون ، أم شمس الملوك ، وكان حكمهـا نافذا في البلد ، فقالـوا لها : هذا ابن الحنبلي يبني مـدرسة للحنـابلة ، وهـذا البلد عـامته شـافعية وتصيـر الفتن ، وبناؤهـا مفسـدة وضرر كبيـر ، فأمـرت الشيخ بالتوقف فتوقف .

وفي الليل بنى مسجدا على ضوء المشاعل ، وتابع العمل فيه نهارا ، فأسقـط في يد الخاتون ومن حرضهـا ، وخافت من مغبة هـدم المسجد ، وبعـد ذلك تم البناء (الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ط المعهد الفرنسي بدمشق / ٣٣٧ـ٣٣٩) .

وتقع المـدرسة شمـالي الـرواحية ، وجنـوب المقدميـة ، بينهما ، وهي اليوم في تقاطع العمـارة الجوانية ، شرقي حمام السلسلة ، ولا تزال آثارها هنـاك في حارة ضيقة ومغلقة مقابل «فرن الغزي» تماما .

وقد قـدرنا تاريخ بنائها سنة ٥٣٠ هـ ، لأن الخاتون زمرد ، لم تكن تتمتع بالسلطة في عهد ابنها شمس الملوك الذي قتلته سنة ٥٢٩ هـ ، والله أعلم .

وكانت المـدرسة في حـدود سنة ١٣٢٨ هــ تحتوي على ست غرف أرضية بدون طلاب ، وذكرت اللجنة التي زارتها أنها « مهمة جدا » لكنها تحتاج إلى ترميم ...

والجدير بالذكر أن هذه المدرسة تُعد أول مدرسة للحنابلة في دمشق ، ومن المدارس الأولى التي شهدتها المدينة ، بعد الصادرية ، والأمينية ، والبلخية ، والمعينية .

(خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبي / ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

*** الحنبلية (المدرسة ـ) (٧٨١ هـ) :**

من مـدارس الحنابلـة بالقـدس الشـريف أعاده الله ديـار إسلام .

تقع المدرسة الحنبليـة بباب الحديد على بعـد أمتار قليلة غربي المـدرستين الجوهـرية والمـزهرية . وواقفها هـو الأمير بيدمر نائب الشام . وتم بناؤها في شهر شوال سنة ٧٨١ . وقد تـولى الأمير بيـدر ـــ واسمه الكـامل هـو سيف الـدين بيدمـر الخوارزمي ـ عدة مناصب هامة في دولة المماليك . ففي سنة ٦٧٠ تولى منصب حجوبية الحجـاب بدمشق . وفي السنة نفسها نقـل إلى حلب نـائبا لهـا . وفي سنة ٧٦١ ولي نيـابة دمشق . وفي السنة التالية قاد جماعة من الأمراء في حركة تمرد ضد السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجي ، الذي عينه يلبغا الناصري سلطانا بعد أن قتل السلطان السابق الملك النـاصر ، فسارت العساكـر السلطانية إلى دمشق وقمعت التمرد وعـزلت بيدمر . وفي سنة ٧٦٣ أفرج السلطان المنصور صـلاح الدين عنه وولاه صفد ونجـد بيدمر نائبـا لـدمشق مرة أخـرى في سنـة ٧٧٧ فـي سلطنة الأشـرف شعبان بن حسين . وفي أثناء ولايته الثانية هذه على دمشق قام ببناء مـدرسته « الحنبلية » في بـاب الحديـد ببيت المقدس . والمدرسة الحنبلية هي ثانية مدارس الحنابلة في القدس . أما الأولى فهي المدرسة الوجيهية .

وممن تولى التـدريس في المدرسة الحنبلية الشيخ بـرهان الـدين أبـو الصفـا إبـراهيم بن علي بن أبي الـوفـا الأسعـردي الشافعي الصـوفي الزاهد ولد بأسعـرد سنة ٨٠٥ أو ٨٠٦ ونشأ بها واشتغل على علمائها ورحل إلى تبريز ثم قدم إلى القدس فـاستوطنهـا وقرره الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧) في المدرسة الحنبلية أقام بالقدس دهرا طويلا وتزوج ورزق الأولاد ثم استوطن دمشق وتوفي بها سنة ٨٨٧ .

وممن تـولـى التـدريس بهـا فـي سنـة ١٢٤٢ / ١٢٤٣ ، إسمـاعيل أفنـدي السـروري . تـولى ثلث وظيفـة التـدريس والمشيخة والتولية على المدرسة الحنبلية .

والغـالـب أن المـدرسـة في هذا الـوقت كـانت في حـالـة اضمحلال وأن هذه الوظيفة كانت شكلية فحسب .

والمدرسة الحنبلية ما زالت معمورة وهي معروفة بدار قطينة إذ يسكنها جماعة من آل قطينة وقد اشتراها الشيخ علي الطزيز سنة ١٩٥٤ .

(معاهد العلم في بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلي / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والمدارس في بيت المقدس ـ د : عبـد الجليل حسن عبد المهدي ٢ / ٨٩ ، ٩٠) .

*** الحنث في يمين الطلاق :**

سئل شيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه الله تعـالى ، في من حلف بالطـلاق على أمر من الأمـور ثم حنث في يمينه ، هل يقع به الطلاق أم لا ؟ فأجاب :

في هـذه المسألـة نـزاع بين السلف والخلف على ثـلاثـة أقوال : أحدها أنه يقع به الطلاق إذ حنث في يمينه ، وهذا هو المشهور عنـد أكثر الفقهـاء المتأخرين ، حتى اعتقد طـائفة منهم أن ذلك إجماع . ولهـذا لم يذكر عامتهم عليـه حجة ،

وحجتهم عليه ضعيفة جدا وهى أنه التزم أمرا عند وجوب شرط، فلزمه ما التزمه وهذا منقوض بصور كثيرة، وبعضها مجمع عليه، كنذر الطلاق والمعصية والمباح وكالتزام الكفر على وجه اليمين، مع أنه ليس له أصلا يقاس به، إلا وبينهما فرق مؤثر فى الشرع، ولا دل عليه عموم نص ولا إجماع، لكن لما كان موجب العقد لزوم ما التزمه، صار يظن فى بادئ الرأى أن هذا عقد لازم، وهذا يوافق ما كانوا عليه فى أول الإسلام، قبل أن ينزل الله كفارة اليمين موجبة ومحرمة، كما يقال إنه كان شرع من قبلنا.

لكن نسخ هذا شرع محمد ﷺ، وفرض للمسلمين تحلة أيمانهم وجعل لهم أن يحلوا عقد اليمين بما فرضه من الكفارة، وأما إذا لم يحنث فى يمينه فلا يقع به الطلاق بلا ريب إلا على قول ضعيف، روى عن شريح، ويذكر رواية عن أحمد فيما إذا قدم الطلاق وإذا قيل يقع به الطلاق، فإن نوى باليمين الثانية توكيد الأولى لا إنشاء يمين أخرى، لم يقع به إلا طلقة واحدة، وإن أطلق وقع به ثلاث، وقيل لا يقع به ثلاث، وقيل لا يقع به إلا واحدة، والقول الثانى، أنه لا يقع به طلاق. ولا يلزمه كفارة وهذا مذهب داود وأصحابه وطوائف من الشيعة، ويذكر ما يدل عليه عن طائفة من السلف. بل هو مأثور عن طائفة صريحا كأبى جعفر الباقر رواية جعفر بن محمد. وأصل هؤلاء أن الحلف بالطلاق والعتاق والظهار والحرام والنذر، لغو كالحلف بالمخلوقات. ويفتى به فى اليمين، التى يحلف بها التزام الطلاق، طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعى، كالقفال وصاحب التتمة. وينقل عن أبى حنيفة نصا [نصٌ] بناء على أن قول القائل الطلاق يلزمنى، أو لازم لى. ونحو ذلك صيغة نذر لا صيغة إيقاع كقوله لله على أن أطلق، ومن نذر أن يطلق لم يلزمه طلاق بلا نزاع ولكن فى لزومه الكفارة له قولان.

أحدهما: يلزمه وهو المنصوص عن أحمد بن حنبل، وهو المحكى عن أبى حنيفة إما مطلقا وإما إذا قصد به اليمين

والثانى: لا وهو قول طائفة من الخراسانيين من أصحاب الشافعى، كالقفال والبغوى وغيرهما. فمن جعل هذا نذرا ولم يوجب الكفارة فى نذر الطلاق، يفتى بأنه لا شىء عليه، كما أفتى بذلك طائفة من أصحاب الشافعى وغيرهم ومن قال عليه كفارة لزمه على قوله كفارة يمين. كما يفتى بذلك طائفة من الحنفية والشافعية وأما الحنفية فبنوا على أصله، فى أن من حلف بنذر المعاصى والمباحات فعليه كفارة يمين، وكذلك يقول ذلك من يقوله من أصحاب الشافعى لتفريقه بين أن يقول علىَّ نذر فلا يلزمه شىء، وبين أن يقول إن فعلته فعلىَّ نذر، فعليه كفارة يمين. ففرق هؤلاء بين نذر الطلاق وبين الحلف بنذر الطلاق. وأحمد عنده على ظاهر مذهبه المنصوص عنه، أن نذر الطلاق فيه كفارة يمين، والحلف بنذره عليه فيه كفارة يمين. وقد وافقه على ذلك من وافقه من الخراسانيين، من أصحاب الشافعى وجعله الرافعى والنواوى وغيرهما هو المرجح فى مذهب الشافعى، وذكروا ذلك فى نذر جميع المباحات لكن قوله الطلاق لى لازم فيه صيغة إيقاع فى مذهب أحمد. فإن نوى بذلك النذر ففيه كفارة يمين عنده.

والقول الثالث: وهو أصح الأقوال، وهو الذى يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار أن هذه يمين من أيمان المسلمين، فيجرى فيها ما يجرى فى أيمان المسلمين. وهو الكفارة عند الحنث، إلا أن يختار الحالف إيقاع الطلاق، فله أن يوقعه ولا كفارة، وهذا قول طائفة من السلف والخلف، كطاوس وغيره، وبه يفتى كثير من المالكية وغيرهم، حتى يقال إن فى كثير من بلاد المغرب من يفتى بذلك من أئمة المالكية، وهو مقتضى نصوص أحمد بن حنبل وأصول فى غير موضع وعلى هذا القول فإذا كرر اليمين المكفرة مرتين أو ثلاثا على فعل واحد فهل عليه كفارة واحدة أو كفارات، فيه قولان للعلماء: وهما روايتان عن أحمد، أشهرهما عنه تجزيه كفارة واحدة وهذه الأقوال الثلاثة حكاها ابن حزم وغيره فى الحلف بالطلاق كما حكوها فى الحلف بالعتق والنذر وغيرهما.

فإذا قال إن فعلت كذا فعبيدى أحرار، ففيها الأقوال الثلاثة، لكن هنا لم يقل أحد من أصحاب أبى حنيفة والشافعى، أنه لا يلزمه العتق، كما قالوا ذلك فى الطلاق فيصح نذره بخلاف الطلاق، والمنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ، إنه يجزئه كفارة يمين، كما ثبت ذلك عن ابن عمر وحفصة وزينب. ورووه أيضا عن عائشة وأم سلمة وابن عباس وأبى هريرة، وهو قول أكابر التابعين، كطاوس وعطاء وغيرهما، ولم يثبت عن صحابى ما يخالف ذلك، لا فى الحلف بالطلاق ولا فى الحلف بالعتاق، بل إذا قال الصحابة أن الحالف بالعتق لا يلزمه العتق، فالحالف بالطلاق أولى عندهم، وهذا كالحلف بالنذر، مثل أن يقول إن فعلت كذا فعلى الحج، أو صوم سنة، أو ثلث مالى صدقة فإن هذا يمين تجزئ فيه الكفارة عند أصحاب رسول الله ﷺ. مثل عمر

وابن عباس وعائشة وابن عمر. وهو قول جماهير التابعين كطاوس وعطاء وأبى الشعثاء وعكرمة والحسن وغيرهم ، وهو مذهب الشافعي المنصوص عنه ومذهب أحمد بلا نزاع عنه ، وهو إحدى الروايتين عن أبى حنيفة اختارها محمد بن الحسن وهو قول طائفة من أصحاب مالك ، كابن وهب وابن أبى الغمر ، وأفتى ابن القاسم ابنه بذلك .

والمعروف عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أنه لا فرق بين أن يحلف بالطلاق أو العتاق ، أو النذر ، إما أن تجزئه الكفارة فى كل يمين ، وإما أن لا شيء عليه ، وإما أن يلزمه كما حلف به ، بل إذا كان قوله ، إن فعلت كذا فعلى أن أعتق رقبة ، وقصد به اليمين ، لا يلزمه العتق بل يجزئه كفارة يمين ، ولو قاله على وجه النذر لزمه بالاتفاق ، فقوله فعبدى حر أولى أن لا يلزمه ، لأن قصد اليمين إذا منع أن يلزمه الوجوب فى الإعتاق والعتق فلأن يمنع لزوم العتق وحده أولى .

وأيضا فإن ثبوت الحقوق فى الذمم أوسع نفوذا ، فإن الصبى والمجنون والعبد قد تثبت الحقوق فى ذممهم . مع أنه لا يصح تصرفهم ، فإذا كان قصد اليمين مع ثبوت العتق المعلق فى الذمة فلأن يمنع وقوعه أولى وأحرى ، وإذا كان العتق الذى يلزمه بالنذر، لا يلزمه إذا قصد به اليمين ، فالطلاق الذى لا يلزم بالنذر أولى ، إذ لا يلزم إذا قصد به اليمين ، فإن التعليق إنما يلزم فيه الجزاء ، إذا قصد وجوب الجزاء عند وجوب الشرط ، كقوله إن أبرأتينى من صداقك فأنت طالق . وإن شفا الله مريضى فثلث مالى صدقة ، وأما إذا كان يكره وقوع الجزاء وإن وجد الشرط ، وإنما التزمه ليخص نفسه ، أو يمنعها أو يخص غيره أو يمنعه ، فهذا مخالف لقوله ، إن فعلت كذا فأنا يهودى أو نصرانى ، ومالى صدقة وعبيدى أحرار. ونسائى طوالق ، وعلى عشر حجج وصوم ، فهذا حالف باتفاق الصحابة والفقهاء وسائر الطوائف وقد قال تعالى ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ وقال تعالى ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ﴾ وثبت عن النبى ﷺ من غير وجه فى الصحيح قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ، فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » وهذا يتناول جميع المسلمين لفظا ومعنى . ولم يخصه نص ولا إجماع ولا قياس .

بل الأدلة الشرعية تحقق عمومه ؛ واليمين فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نوعان ، نوع محترم منعقد مكفر، كالحلف بالله ، ونوع غير محترم ، ولا منعقد ولا مكفر وهو الحلف بالمخلوقات ، فإن كانت هذه اليمين من أيمان المسلمين ، ففيها الكفارة ، وهى من النوع الأول ، وإن لم تكن من أيمان المسلمين ، فهو من الثانى .

وأما إثبات يمين منعقدة غير مكفرة ، فهذا لا أصل له فى الكتاب والسنة . وتقسيم إيمان المسلمين إلى يمين مكفرة وغير مكفرة كتقسيم الشراب المسكر إلى خمر وغير خمر، وتقسيم السفر إلى طويل وقصير وتقسيم المسير إلى محرم وغير محرم ، بل الأصول تقتضى خلاف ذلك ، وبسط الكلام له موضع آخر ، لكن هذا القول الثالث ، وهو القول بثبوت الكفارة فى جميع أيمان المسلمين ، هو القول الذى تقوم عليه الأدلة الشرعية التى لا تتناقض ، وهو المأثور عن أصحاب رسول الله ﷺ ، وأكابر التابعين ، إما فى جميع الأيمان وإما فى بعضها ، وتعليل ذلك بأنه يمين ، والتعليل بذلك يقتضى ثبوت الحكم فى جميع أيمان المسلمين .

والصيغ ثلاثة : صيغة تنجيز ، كقوله أنت طالق فهذه ليست يمينا ولا كفارة فى هذا باتفاق المسليمن (والثانى) صيغة قسم ، كما إذا قال الطلاق يلزمنى لأفعلن كذا فهذه يمين . باتفاق أهل اللغة والفقهاء . والثالث صيغة تعليق ، فهذه إن قصد بها اليمين ، فحكمها حكم الثانى ، باتفاق العلماء ، وأما إن قصد وقوع الطلاق عند الشرط ، مثل أن يختار طلاقها إذا أعطته العوض ، فيقول إن أعطيتنى كذا فأنت طالق ، ويختار طلاقها ، إذا أتت كبيرة فيقول ، أنت طالق ، إن زنيت أو سرقت . وقصده الإيقاع عند الصفة ، لا الحلف ، فهذا يقع به الطلاق باتفاق السلف ، فإن الطلاق المعلق بالصفة روى وقوع الطلاق فيه عن غير واحد من الصحابة ، كعلى وابن مسعود وأبى ذر وابن عمر ومعاوية وكثير من التابعين ومن بعدهم ، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد ، وما علمت أحدا نقل عن أحد من السلف أن الطلاق بالصفة لا يقع ، وإنما علم النزاع فيه عن بعض الشيعة ، وعن ابن حزم من الظاهرية .

وهؤلاء الشيعة بلغتهم فتاوى عن بعض فقهاء أهل البيت . فيمن قصده الحلف ، فظنوا أن كل تعليق كذلك ، كما أن طائفة من الجمهور بلغتهم فتاوى عن بعض الصحابة والتابعين ، فيمن علق الطلاق ، بصفة أنه يقع عندها . فظنوا أن ذلك يمين ، وجعلوا كل تعليق يمينا كمن قصده اليمين ، ولم يفرقوا بين التعليق الذى يقصد به اليمين ، والذى يقصد به

الإيقـاع ، كما لم يفـرق أولئك بينهمـا فى نفس الطلاق . ومـا علمت أحدا من الصحابة أفتى فى اليمين بلزوم الطلاق ، كما لم أعلم أحدا منهم أفتى فى التعليق الـذى يقصد به اليمين ، وهـو المعـروف عن جمهـور السلف ، حتى قـال بـه داود وأصحابه ، ففـرقوا بين تعليق الطلاق الذى يقصـد به اليمين ، والـذى يقصد بـه الإيقاع ، كمـا فرقـوا بينهما فى تعليق النـذر وغيره ، والفرق بينهمـا ظاهر ، فإن الحالف يكـره وقوع الجزاء ، وإن وجدت الصفة ، كقول المسلم إن فعلـت كذا فأنا يهودى أو نصرانى ، فهو يكره الكفر ، وإن وجـدت الصفة وإنما التزمه لئلا يلزم ، وليمتنع به من الشرط لا القصد وجوده عند الصفة ، وهكذا الحـالف بالإسـلام : لو قـال الذمى إن فعلت كـذا فأنا مسلم ، والحالف بالنذر والحـرام والظهار والطلاق والعتاق . إذا قـال إن فعلت كـذا فعلى الحج وعبيـدى أحـرار . ونسـائى طوالق ومالى صدقة ، فهو يكره هذه اللوازم ، وإن وجد الشرط وإنمـا علقها ليمنع نفسـه من الشـرط ، لا القصد وقعهـا وإذا وجد الشرط فالتعليق الذى يقصد به الإيقاع من باب الإيقاع ، والذى يقصد به اليمين من باب اليمين .

وقد بين الله فى كتابه أحكـام الأيمان . وإذا قال إن سرقت أو إن زنيت فأنت طالق فهذا قد يقصد به اليمين وهو أن يكون مقامها مع هـذا الفعل ، أحب إليه من طلاقهـا ، وإنما قصده زجرها وتخويفها ، لئـلا تفعل . فهذا حالف لا يقع به الطلاق وقد يكون قصده إيقاع الطلاق ، وهو أن يكون فراقها أحب إليه من المقـام معها مع ذلـك الفعل ، فيختار إذا فعلتـه أن تطلق منه ، فهذا يقع به الطلاق والله أعلم .

(الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٣ / ٩ ـ ١٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

استدراك

وقعت بعض الأخطاء فى المجلد ١٤ رجاء التفضل بتصحيحها

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٤٢٥	٢		رأس الصفحة : مصنافتهم	مصنفاتهم
	٢	٦	عناون فرعى بنط أبيض	
٤٢٩	١		وضع عنوان كل من الصورتين	
٤٣٠	١		خطأ موضع الآخر	
٤٣٤	٢	٣	د . ن	د . ت (أى بدون تاريخ)
٤٤٠	١		رأس الصفحة حمل ألفاظ ...	حل ألفاظ ...
	١	٧	حمل ألفاظ ...	حل ألفاظ ...
٤٤٢	١		رأس الصفحة : حل زريج ...	حل زيج ... (بدون راء)
	١	١	حل زريج ...	حل زيج ...
٤٧٤	٢	٢٩	يقسم الأستاذ	تُقَسِّم

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد الرابع عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد الخامس عشر

وأوله مادة:

ابن حنزابة (٣٠٨ ـ ٣٩١ هـ) :

أعان الله على إتمامه

تجليـــــد

دار الغد العربى 

تجليد هذه الموسوعة بهذا الشكل ملك خاص:
لدار الغـد العربى وحقوق إعادة الطبع والتجليد بهذه الصورة من حقوق ملكية الدار
ولا يجوز الطبع والتجليد إلا بإذن الدار وموافقتها قانونًا

الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلوم الإسلامية

الناشر

دار الغد العربي
٣ شارع دانش . العباسية
ت : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الدكتورة
فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد الخامس عشر

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش . العباسية
ت: ٤٨٢٤٣٢٩٠ القاهرة

للنـــاشر
دار الغد العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
٣ شارع دانش ـ العباسية ـ عبده باشا ـ القاهرة
الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢/ ٤٨٢٤٣٢٩/ ٢٨٤٣١١٥
فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة
جمهورية مصر العربية

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الحاء

* **ابن حنزابة (٣٠٨ ـ ٣٩١ هـ) :**

ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من حفاظ الحديث وقال عنه :

ابن حِنْزابة الوزير الكامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزير أبى الفتح الفضل بن الفرات البغدادى . نزيل مصر، وزر لصاحب مصر كافور الخادم، وحدث عن محمد بن هارون الحضرمى وغيره . ورحل إليه الدارقطنى، وعزم على التأليف على مسنده . قال السلفى : كان من الحفاظ المتقنين، يملى ويروى فى حال الوزارة، عندى من أماليه، ومن كلامه على الحديث، الدال على حدة فهمه وقوة علمه . وحنزابة اسم جدته أم أبيه . ولد سنة ثمان وثلاثمائة، ومات فى ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين (العبر ٣ / ٤٩) .

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٣٥٢، ٣٥٣) .

* **الحنطة :**

من النباتات التى أحصاها القزوينى وقال عنها :

الحنطة : قال كعب الأحبار رضى الله عنه : لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشىء من حب الحنطة وقال : هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث الأرض وابذر البذر، وقال : لم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيض النعامة، فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة، وكان زمن العزيز على قدر الحمصة . قال صاحب الفلاحة : الحبة التى تقع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلا . حبها ينقى الوجه وكذلك النشا، ومدقوقها ينفع من عضة الكَلْب الكَلِب ضمادا ويوضع على حديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويصلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها، خميرها يخلط بالملح ويضمد به الدماميل ينضجها، خبزها يبل بماء وملح ويضمد به القوباء ينفعها (عجائب المخلوقات / ١٨٥) .

وقال ابن النفيس :

حنطة : حارة فى الأولى معتدلة فى الرطوبة واليبس والمقلوة بطيئة الهضم، نفاخة، تولد الدود، والحنطة الكبيرة الحمراء أغذى (الموجز فى الطب / ٩٦) .

وقد ذكرها صاحب « المعتمد فى الأدوية المفردة » واستخدم هذين الرمزين للدلالة على مصادره :

ع : عبد الله البيطار صاحب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

حنطة « ع » أجود ما يستعمل منها فى وقت الصحة الحديث الذى قد استكمل بالامتلاء، ولونه إلى الصفرة، ، والذى بين وقت ما يزرع ووقت ما يحصد ثلاثة أشهر . والحنطة إذا وضعت، من خارج البدن تسخن البدن . وهى فى الدرجة الثانية من درجات الأشياء المسخنة، وفيها شىء لزج يشد ويغرى، والخيل إذا أكلت الحنطة لم تسلم من مضرتها، وإذا أكلت الحنطة لينة ولدت الدود، وإذا مضغت وتضمد بها نفعت من عضة الكَلْب الكَلِب، وأجودها الحديثة، المتوسطة فى الصلابة والسخافة (سخف الشىء : رق وضعف المعجم الوجيز / ٣٠٥) العظيمة السليمة الملساء التى بين الأحمر والأبيض، والحنطة السوداء رديئة، وهى معتدلة فى الرطوبة واليبوسة، والكبيرة والحمراء أكثر غذاء، والمسلوقة بطيئة الهضم نفاخة، لكن غذاؤها إذا استمرئ كثير، والدقيق الحُوَّارى قريب من النشا، لكنه أسخن، والدقيق اللزج بطبعه، غير اللزج بالصنعة، فليس للزج بالصنعة ما للزج بطبعه . والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز، وأشدها ملاءمة لبدن الإنسان المعتدل، وإذ أكلت نيئة ربما تولد حب القرع، وإدمان أكل المقلو (فى الجامع لابن البيطار: الفطير، فى مكان : المقلو)منها يعقل البطن، والمطبوخة والفريكية ينفخان البطن جدا .

« ف » حنطة مسلوقة أجودها الأحمر الكبار النضيج، وهى حارة رطبة، تنفع الأبدان المتخللة، وتزيد فى قوة البدن، والحساء المتخذ من دقيقها وماء الكشك المعمولان منها

نـافعـان من السعـال . « ف » حب معـروف مشهـور، أجـوده الكبار الرزيـن، المائل إلى الحمرة ، طبعها حارة معتـدلة فى الـرطوبـة واليبوسـة ، الممضوغ منها ينضج الأورام الصلبـة ، وسويقها بطىء الانحدار، يستعمل بقدر الحاجة (المعتمد ١ / ١٠٩ ، ١١٠) .

أما عن زراعة الحنطة فقد قال ابن وحشية : ينبغى أن تزرع الحنطة فى الأرض العميقـة التى هى ما بين السمينة والـدسمة والقشفـة ، وهى التى نسميهـا الأرض السهلـة ، وفى الأرض الصلبة التى تضرب إلى غبرة و إلى بيـاض ، وهى التى تسمى الشديدة ، وفى الأرض الرقيقة ، والأرض الدسمة موافقة لسائر الحبوب المقتاتة على الإطلاق ، وأوان زرعها المبكر من أيلول (سبتمبر) من نصفه إلى غاية كانون الثانى (يناير) ، وما زرع فى كانـون الأول (ديسمبر) وحُصد فى نيسان (إبـريل) كان أسمن وأجود ، وما زرع فى كانون الثانى (يناير) حُصد فى أيار (مايو) .

قالت المؤلفة : أوردنا لك الشهور السريانية وما يقابلها من الشهود الميـلادية فى مادة « أسمـاء الشهور » فى م ٤ / ٥١٢ فارجع إليها إن شئت .

قـال ابن وحشية : وأجـود الحبـوب المقتاتـة للازدراع مـا حالت عليـه سنة واحدة ، وما مضى له سنتـان كان أضعف ، والأيــام الـدفيئـة فى الشتــاء فى أوقـات زرع الحنطــة هى المحمـودة ، وإن اتفق يوم تهب فيـه ريح جنـوب فهو أحمـد الأوقات . وإن كان اليوم من الأيـام التى يكون فيها القمر زائدًا فإنه لا يكون أجود ولا أدسم ولا أقوى من حب ما زرع فيه .

قـــال ابن وحشيـــة : متـى سحق شىء من عظـم الفيل وأضيف إليه سحيق المـاذريون ، ونقعا فى المـاء يـوماً وليلة ، ورش ذلك المـاء على الحنطة أو الشعيـر أو الذرة أو الـدُخن قبل وضعها فى الأرض وزرعه فيها ، ثـم زرعت ، حفظها ذلك من الدبيب كله ، وخاصة الفأر والطير، ويكون نباتها أجود .

وقال ديمقراطيس : إن دخن الزرع أو الشجر بثوم أو عيدان السرو تساقط كل دود فيها . وإن أخذ قرن أيل أو ظلف شاة أو نشـارة عظم فيل ، أى ذلك كان ، ودخن بـه الزرع لم يبق فيـه دود إلا هلك ، وإن أخذ ورق السرو وورق الدلب بعد خفافهما وتركا مع البزور دفعا عنهما فى الأرض جميع الآفات السماوية والأرضية (مفتاح الراحة / ١٢٥ ، ١٢٦) .

(عجـائب المخلـوقـات وغرائب المـوجـودات للقـزوينى / ١٨٥ ، والموجز فى الطب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكـريم الغرباوى ، مـراجعـة د . أحمد عمـار / ٩٦ ، والمعتمـد فى الأدويـة المفردة للمظفـر الرسولى ـ تصحيح وفهرسة مصطفى السقا ١ / ١٠٩ ، ١١٠ ، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحـة لمؤلف مجهول من القـرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د . محمد عيسى صالحية ، ود . إحسان صدقى العمد / ١٢٥ ، ١٢٦) .

* الحنظل :

الحنظل : نبت مفترش ، ثمرته فى حجم البرتقالة ولونها ، فيها لـب شديـد المرارة (المعجم الـوسيط ١ / ٢٠٢) وهـو من النباتات التى أحصاها القزوينى وقال عنه :

الحنظل : نبت معروف تحب الظبـاء أكله والسبـاع تهرب من شجر الحنظل والشجرة التى ليس عليها إلا حبة واحدة من الحنظل فإنها رديئة جدا ، ورنهـا الطرى يقطع نزف الدم وينفع من المـاليخوليا والصرع ، ثمرتها إذا نقعتها فى الماء ورششت به البيت ماتت براغيثه . قال القاضى أبو على التنوخى عن بعض بنى عقيل إنه قال : كانت عندنا جارية زمنة ومن عادتنا أنا نقور الحنظل ونجعل فيـه شيئـا من اللبن ونـرد رأسها إلى مكـانهـا وندفنـه فى الرمـاد الحار حتى يغلى فإذا غلت حسـا ذلك من أراد الإسهـال . قال : فـاتخـذنا ثـلاث حنـاظل لثلاثـة أنفس فالجارية الزمنة حست جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد حتى أيسنا من حياتها ، فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت ومشت برجليها وعاشت بعـد ذلك سنين ، والحنظل يدلك به الجذام وداء الفيـل وعرق النسا والنقـرس ، وأصله نـافع لنهش الأفاعى وهـو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيـا وطلاء ، وسقى واحد لدغته العقرب فى أربع مواضع فبرئ فى الحال (عجائب المخلوقات / ١٨٥) .

وقـد أورده المظفـر الـرسـولـى فى « المعتمـد » نقـلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بـن البيطار صاحـب « الجامع لقـوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جـزلـة صـاحب « منهاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسـان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال : حنظل ـ « ع » هو نبات يخرج أغصانا وورقا مفروشة

على الأرض شبيهة بأغصان ورق القثاء البستاني، وورقه مشرف، وله ثمرة مستديرة، شبيهة بكرة متوسطة في العظم، شديدة المرارة. وينبغي أن يجنى من شجرتها إذا ابتدأ لونها إلى الصفرة، والحبة الواحدة لا تجنى، فإنها قتالة، وإذا كان الحنظل أخضر ودلك به الورك ممن يوجعه، انتفع به، وشحم الحنظل خاصيته إسهال البلغم الغليظ، إذا شرب منه، وقلع صفرة اليرقان من العين إذا استعط بمائه، ويسهل البلغم الغليظ الذي ينصب إلى مفاصل البدن، وله أيضا صعود إلى الرأس، يسهم منه الأخلاط السوداوية، ولا يسقى في برد شديد، ولا في حر شديد، وهو يسهل من لا تكاد طبيعته تجيب من أهل البلاد الباردة، ومَن غذاؤه الألبان والأجبان. ومن أراد إصلاحه وخلطه بالأدوية فليخلص شحمه من حبه وقشره الخارج، ويخلط بوزنه صمغ أبيض، وكثيرا أو نشاستج، منفردة أو مؤلفة، وأكثر ما يشرب منه إذا دبر بهذا التدبير مع غيره. دانقان، وأقله قيراط، والأقوياء: نصف درهم، وإذا أخرج الشحم من البطيخة نقص فعله، فمن أراد بقاءه أبقاه فيها لوقت الحاجة. والحنظل صنفان: ذكر وأنثى، فالذكر ليفي، والأنثى رخو سلس، ولا يجتنى حتى يصفر، ولا يقرب وهو أخضر، ومن أراد أن يجعله في الحقن ألقاه في طبيخ الحقنة صحيحا، فإنه ينفع من القولنج، وينزل الخام والمرة السوداء، ويلقى منه في الحقنة من درهمين إلى أربعة دراهم، وليس ينبغي أن يستعمل في الأدوية شيء من قشور الحنظل، ولا من حبه، لأنهما غليظان يابسان جدا، يلصقان بالمعدة والأمعاء، ويمغصان إمغاصا شديدا، ولا يسهلان، فأما ورقه الغض فإنه يحلل الأورام إذا ضمد به مع النشاستج، وينفع انفجار الدم، وإذا طبخ ورقه كما يطبخ البقل أسهل الطبيعة أيضا، وكذلك تفعل قضبانه، وأصله أعظم دواء للسع العقرب، والذكر الليفي أقوى من الأنثى الرخوة.

والحنظل حار في الثالثة، يابس في الثانية. « ج » حنظل: وهو العلقم. وحبه يسمى الهبيد، ومنه ذكر، ومنه أنثى، والأخضر منه رديء، وما كان واحدة على شجرة فهي رديئة قتالة، وأجوده الأصفر المدرك أيام الربيع، وهو حار في الدرجة الثالثة، وقيل في الثانية، يابس في الثانية. وقال: عن الكندي إنه بارد رطب، وهو محلل مقطع، جاذب من بعد، ينفع إذا دلك به من الجذام وداء الفيل، وينفع من أوجاع العصب والمفاصل والنَّسا والنقرس البارد، وينقي الدماغ، ومن بدء الماء في العين، وأصله نافع من الاستسقاء، وشحمه يسهل البلغم الغليظ من المفاصل، والمرار الأسود والأصفر، وينفع من القولنج الريحي، والشربة منه: درهم مع عسل، ودانق ونصف مع الأدوية، وأصله ينفع من لدغ الأفاعي والعقرب طلاء وشربا، وإذا احتمل قتل الجنين، والمجتنى أخضر يسهل بإفراط، ويقيء بإفراط وكرب، حتى ربما قتل، والحبة المنفردة وحدها في شجرتها ربما قتل منها دانقان، ومن قشرها وحبها دانق. « ف » ثمرة كالبطيخة الصغيرة، أصفر اللون، أجوده البالغ الكثير العدد على شجرته، وهو حار يابس في الثانية، ويسهل الأخلاط البلغمية، وينفع من القولنج الرطب، ويسهل البلغم الغليظ اللزج المخاطي من المفاصل، ويسهل المرة السوداء من الدماغ، وينفع دلكا الجذام وداء الفيل، وورقه الغض يحلل الأورام وينضجها، وأصله يطبخ مع الخل ويتمضمض به لوجع الأسنان والاستفراغ به ينفع من انتصاب النفس، وأصله نافع للاستسقاء رديء للمعدة، وشحمه ينفع من القولنج الرطب والريحي، وينفع من أوجاع الكلى والمثانة، والشربة منه: دانق، وبدله: حب الخروع.

(المعتمد ١ / ١١٠ـ١١٢).

قال ابن النفيس: والشربة منه اثنا عشر قيراطا ... وإصلاحه بالكثيراء ودهن اللوز (الكثيراء: صمغ القتاد، وهي شجرة شوكة) (الموجز في الطب / ٩٦).

وقال الحافظ الذهبي: الحنظل حار يابس في الثالثة. وينبغي أن يجتنب حبه وقشره، ويستعمل شحمه مفروطا بلب الفستق. والمفرد منه على الشجر قاتل، وهو يسهل البلغم بعنف. وقال رسول الله ﷺ: « مثل المنافق كالحنظله لا ريح لها وطعمها مر » (الطب النبوي / ٨١).

قالت المؤلفة: أخرج الإمام السيوطي هذا الحديث في الجامع الصغير بلفظ « مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » لأحمد في مسنده، والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي موسى (الجامع الصغير ٢ / ١٦١).

(المعجم الوسيط ١ / ٢٠٢، وعجائب المخلوقات وغرائب

الموجودات للقزوينى / ١٨٥ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٠ ـ ١١٢ ، والموجز فى الطب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ، مراجعة د. أحمد عمار / ٩٦ ، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد ابن أحمد الذهبى ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨١ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٦١) .

*** حنظلة بن الربيع :**

قال عنه صاحب الرياض المستطابة : حنظلة بن الربيع ابن صيفى الأسيدى بتخفيف الياء الأولى أو تشديدها .

نسبة إلى أسيد بن عمر بن تميم . وحنظلة هذا هو ابن أخى أكثم بن صيفى حكيم العرب ، وكان حنظلة أحد كتَّاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعثه إلى أهل الطائف يعرض عليهم الصلح : فلما توجه إليهم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ائتموا بهذا وأشباهه » .

روى عنه أنه مر بأبى بكر وهو يبكى فقال له أبو بكر : ما لك يا حنظلة ؟ فقال : نافق حنظلة يا أبا بكر ، نكون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرنا بالنار والجنة فكأنما نراهما رأى عين ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ، نسينا كثيرا . فذهبوا إلى رسول الله فأخبروه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لو تدومون على الحال التى تقومون بها من عندى لصافحتكم الملائكة فى مجالسكم ، وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ، ساعة فساعة » .

روى حنظلة فى صحيح مسلم حديثا واحدا ، وهو السابق . وخرج عنه الترمذى والنسائى وابن ماجه . وكان حنظلة ممن تخلف عن مولانا على كرم الله وجهه فى حرب الجمل ثم انتقل إلى قرقيسا فمات بها ، (وقيل بالكوفة) بعد على رضى الله عنه . ولما مات جزعت عليه زوجته وتمادت فى الحزن فنهاها جاراتها وقلن لها : يحبط أجرك ! فقالت :

تعجبت دعد لمحزونة
تبكى على ذى شيبة شاحب
إن تسألينى اليوم ما شفَّنى
أخبرك قولا ليس بالكاذب
إن سواد العين أودى به
حزن على حنظلة الكاتب

رضى الله تعالى عنه ورحمه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٦ ـ ٥٨) .

*** حنظلة بن أبى عامر :**

قال الإمام النووى : حنظلة بن الراهب الصحابى رضى الله عنه : مذكور فى المختصر والمهذب فى كتاب السير وفى جنائز المهذب أيضا هو حنظلة بن أبى عامر واسم أبى عامر عمرو بن صيفى بن زيد بن أمية بن ضبيعة وقيل اسم أبى عامر عبد بن عمرو الأنصارى الأوسى المدنى وكان أبو عامر يعرف فى الجاهلية بالراهب وكان هو وعبد الله بن أبى ابن سلول منافقين فعبد الله يبطن النفاق وأبو عامر يظهره . ومات أبو عامر كافرا سنة تسع وقيل سنة عشر من الهجرة . وأما حنظلة فهو من سادات الصحابة وفضلائهم وهو المعروف بغسيل الملائكة وإنما قيل له ذلك لما اشتهر فى كتب التواريخ والمغازى أنه حين استشهد بأُحد قال النبى ﷺ ما شأن حنظلة أنه غسلته الملائكة فسألوا امرأته فقالت سمع الهيعة وهو جنب فلم يتأخر للاغتسال استشهد يوم أحد نصف شوال سنة ثلاث من الهجرة رضى الله عنه .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٠ ، ١٧١) .

*** حنظلة بن قيس :**

قال الإمام النووى : حنظلة المذكور فى المهذب فى كتاب الصيام فى مسألة الغلط بالفطر قبل غروب الشمس هو حنظلة بن قيس بن عمرو بن حصين بن خلدة بن مخلد بضم الميم وتشديد اللام ابن زريق بتقديم الزاى الأنصارى الزرقى المدنى التابعى . روى عن عمر بن الخطاب وعثمان وابن الزبير وأبى هريرة ورافع بن خديج رضى الله عنهم . روى عنه يحيى الأنصارى والزهرى وربيعة وغيرهم وهو ثقة روى له البخارى ومسلم وكان ذا حزم .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧١) .

*** الحنظلى :**

قال السمعانى :

الحنظلى بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الظاء

المعجمة هذه النسبة إلى بنى حنظلة ، وهم جماعة من غطفان فأما الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى، هو مولى بنى حنظلة ، من أهل مرو، يروى عن إسماعيل بن أبى خالد وحميد الطويل وعاصم الأحول، روى عنه أهل البلاد، وهو من أهل مرو، كان مولده بها سنة ثمانى عشرة ومائة ومات فى شهر رمضان منصرفا من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة، وقبره بهيت ـ مدينة على الفرات مشهور يزار، والأخبار فى مناقب ابن المبارك وشمائله أشهر وأكثر من أن يحتاج إلى الإغراق فى ذكرها ، كانت فيه خصال لم تجتمع فى أحد من أهل العلم فى زمانه فى الدنيا كلها، كان فقيها، ورعا عالما، بالاختلاف حافظا، يعرف السنن، رحالا فى جمع العلم، شجاعا، ينازل الأقران ويكاشف الأبطال، أديبا يقول الشعر فيجيد، سخيا بما ملك من الدنيا ـ والله يرحمه وبالرى درب مشهور يقال له درب حنظلة منها أبو حاتم محمد ابن إدريس بن المنذر (بن داود بن مهران) الرازى الحنظلى إمام عصره والمرجوع إليه فى مشكلات الحديث، وهو من هذا الدرب، وكان من مشاهير العلماء ومن مذكورى العلماء الموصوفين بالفضل والحفظ والرحلة ولقى العلماء، سمع محمد بن عبد الله الأنصارى وأبا زيد النحوى وعبيد الله بن موسى وهوذة بن خليفة وأبا مسهر الدمشقى وعثمان بن الهيثم المؤذن وسعيد بن أبى مريم المصرى وأبا اليمان الحمصى فى أمثالهم ، كان أول كتبه الحديث فى سنة تسع ومائتين ، روى عنه الأعلام الأئمة مثل يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المصريين وهما أكبر منه سنا وأقدم سماعا وأبو زرعة ـ الرازى والدمشقى ومحمد بن عوف الحمصى ـ وهؤلاء من أقرانه ، وعالم لا يحصون؛ وذكر أبو حاتم وقال : أول سنة خرجت فى طلب الحديث أقمت سنين أحصيت ما مشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ لم أزل أحصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته؛ وقال أبو حاتم قلت على باب أبى الوليد الطيالسى : من أغرب علىَّ حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله علىَّ درهم يتصدق به ـ وقد حضر على باب أبى الوليد خلق من الخلق أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادى أن يلقى على ما لم أسمع به فيقول هو عند فلان فأذهب فأسمع، وكان مرادى أن أستخرج منهم ما ليس عندى فما تهيأ لأحد منهم أن يغرب علىَّ حديثا . وكان أحمد بن سلمة يقول ما رأيت بعد إسحاق ـ يعنى بن راهويه ـ ومحمد ابن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبى حاتم محمد بن أدريس . قال أبو حاتم قال لى هشام بن عمار يوما أى شيء يحفظ على الأدواء قلت له : ذو الأصابع ، وذو الجوشن، وذو الزوائد، وذو اليدين، وذو اللحية الكلابى ـ وعددت له ستة، فضحك وقال : حفظنا نحن ثلاثة، وزدت أنت ثلاثة. مات أبو حاتم بالرى فى شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين. سمع جماعة من شيوخ البخارى ومسلم. وتوفى سنة نيف وثلاثمائة بالرى. سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان أنا أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى الحافظ إجازة قال : أبو حاتم الرازى الحنظلى منسوب إلى درب حنظلة بالرى وداره ومسجده فى هذا الدرب رأيته ودخلته ؛ ثم قال : سمعت أبا على الشافعى يقول أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البزاز فى المسجد الحرام ثنا أبو الحسين على بن إبراهيم الرازى سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى يقول قال أبى : نحن من موالى تميم بن حنظلة من غطفان قال المقدسى : والاعتماد على هذا أولى والله أعلم .

وأبو محمد عبد الصمد بن إبراهيم بن الفضل الحنظلى البخارى، من أهل بخارا، سمع أبا الفضل أحمد بن على السليمانى وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الغنجار وأبا بكر محمد بن إدريس الجرجرائى وأبا القاسم على بن أحمد القضاعى وأبا إسحاق الحضرمى وجماعة كثيرة ببخارا روى عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبى وأبو بكر محمد بن على بن حيدرة الجعفرى، وقال عبد العزيز: أبو محمد الحنظلى هذا يدعى الحفظ والمعرفة وله شيء من الفهم ، مشتغل بأعمال السلطان يتعصب لأهل الرأى ويشنع على أهل الأثر والسنة ، تاب الله علينا وعليه ، رأيته بسمرقند يقرأ كتاب ذكر الصالحين لأبى عبد الرحمن بن أبى الليث من كتابه الذى سمعه ببخارا، ومع القوم نسخة كتبت بسمرقند فما نقص من رواية البخاريين قرأ من نسختهم التى زادها المصنف بسمرقند ولم يسمعها هو ، فعلمت أنه ليس بثقة (الأنساب ٢/ ٢٧٩، ٢٨٠) .

وقد استدرك ابن الأثير فى اللباب على السمعانى فقال : قلت : فاته النسبة إلى حنظلة تميم، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، منهم الفرزدق الشاعر، وإسحاق بن

راهويه الحنظلى، روى عن ابن عيينة، وغيره. روى عنه البخارى ومسلم، وغيرهما، وكان فقيها إماما، وخلق لا يحصون كثرة من القراء والشعراء والعلماء، وهو أشهر حنظلة ينسب إليها .

وفاته : النسبة إلى حنظلة بن كعب بن سعد بن عوف بن حُريم بن جُعفى بطن من بطن جعفى (اللباب ١/ ٤٦١) .

قال الجوهرى : حنظلة أكرم قبيلة فى تميم، يقال لهم حنظلة الأكرمون، وأبوهم حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم (اللسان ١٢/ ١٠٢٥) .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٢٧٩، ٢٨٠، واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٤٦١، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٢٥) .

* الحنفى :

قال السمعانى :

الحنفى : بفتح الحاء المهملة والنون وفى آخرها الفاء، هذه النسبة إلى بنى حنيفة، وهم قوم أكثرهم نزلوا اليمامة وكانوا قد تبعوا مسيلمة الكذاب المتنبى ثم أسلموا زمن أبى بكر رضى الله عنه وقتل مسيلمة، فالمشهور بالنسبة إليها جماعة كثيرة منهم سراج بن عقبة بن طلق بن على الحنفى من أهل اليمامة، يروى عن عمته خلدة بنت طلق، روى عنه ملازم بن عمرو وقد قيل إن اسم عمته جعدة. وعبد الله بن بدر ابن عميرة بن الحارث بن شمر الحنفى اليمامى، جد ملازم بن عمرو، يروى عن قيس بن طلق بن على وعبد الرحمن بن على ابن شيبان، روى عنه ملازم بن عمرو . وعبد الحميد بن عقبة ابن قيس بن طلق بن على الحنفى من أهل اليمامة يروى عن قيس بن طلق، روى عنه ملازم بن عمرو. وعبد الحميد بن عبد الحميد الحنفى من أهل اليمامة، يروى عن هوذة بن قيس، روى عنه ملازم بن عمرو والسرى بن هوذة . وأثال بن قرة الحنفى من أهل اليمامة، يروى عن [شهر بن حوشب عن] أم سلمة رضى الله عنها، روى عنه عكرمة بن عمار. وجماعة سواهم مثل إسماعيل بن سميع الحنفى (وأيوب بن النجار الحنفى. وأبى سليمان خليد بن جعفر الحنفى. وأبى رميل سماك بن الوليد الحنفى وغيرهم) وأبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أبى رجاء الحنفى الهروى، يروى عن يحيى بن سعيد القطان ومحمد بن عبيد الكوفى؛ قال ابن أبى حاتم سمعت أبا زرعة يقول : يعد فى الهرويين وكتبت عنه . قال ابن أبى حاتم : كتب عنه أبى على باب إبراهيم بن موسى؛ سئل أبى عنه فقال صدوق. وأما أبو عبد الله محمد ابن الحنفية، ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه نسب إلى أمه واسمها خولة، وسميت الحنفية وغلب عليها لأنها كانت من سبى بنى حنيفة أعطاها إياه الصديق أبو بكر (رضى الله عنه، ولو لم يكن إماما لما صح قسمته) وبهذا يستدل أهل السنة على الشيعة أن خولة كانت من سبى بنى حنيفة وقسمها أبو بكر رضى الله عنه ولو لم يكن لما صح قسمته وتصرفه فى خمس الغنيمة، وعلى رضى الله عنه أخذ خولة وأعتقها وتزوج (بها) (الأنساب ٢/ ٢٨٠، ٢٨١) .

وقد استدرك ابن الأثير فى اللباب على السمعانى فقال :

قلت : فاته النسبة إلى الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه، ولا يدخل من ينسب إلى مذهبه تحت الحصر، واسمه النعمان بن ثابت، من أهل الكوفة، توفى ببغداد سنة خمسين ومائة، وقبره مشهور، وولد سنة ثمانين، وهو أشهر من أن ينبه على فضله . وممن ينسب إليه ابنه حماد بن أبى حنيفة. والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد بن جعفر الصيمرى الحنفى، كان إماما فى مذهبه، وهو أستاذ قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى، توفى فى شوال سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وأبو الحسن عبد الله بن الحسين الكرخى الحنفى صاحب التصانيف المشهورة (اللباب ١ / ٤٦٢) .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٢٨٠، ٢٨١ وهامش ٢ للمحقق، واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٦٢) .

* الحنفى (الجامع -) :

قال عنه على باشا مبارك : هذا الجامع بخط الحنفى بين سوق مسكة وسويقة اللالا. أنشأه الأستاذ شمس الدين أبو محمود محمد الحنفى بجوار داره فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ـ كما فى المقريزى ـ وله ثلاثة أبواب : أشهرها المفتوح على الشارع، يعلوه شباك من الخشب الخرط دقيق الصنعة، وبجواره على يسار الداخل مدفن الشيخ عمر شاه والشيخ عمر الركنى، ومكتب لتعليم الأطفال وسبيل،

سليمان أفندى تابع أفندينا محمد على باشا فى شهر رمضان سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين، وبأعلى القبلة حجر أحمر عليه كتابة عسرة القراءة، وبه بئران قديمتان : إحداهما فى الإيوان الصغير البحرى، كان يملأ منها حوض الحنفية، وكان بجوارها قبة أزالها بعض النظار وسد فم البئر بالحجر، وكانت تسمى بئر الكرامة . والثانية تجاه باب المقصورة بجوار العمود، يستشفون بمائها ويتبركون بالشرب منها ، ويزعمون أنها من ماء زمزم، ولها فم ضيق عليه غطاء من خشب يقفل بقفل من حديد، ولا تفتح إلا نادرا كأيام المولد، ويملأ منها بإناء فخار ورشاء قصير لقرب مائها ، وعن يمين الداخل من الباب الكبير شجرة سدر غليظة الساق جدا نافذة فى السقف، تقصدها العامة للتبرك بها ، ويعتقدون أنها مسكونة بولية تسمى الشيخة خضرة، يحلفون عليها ويدقون بها المسامير لشفاء الأسنان. وضريح الشيخ بالجانب الأيمن من الجامع من داخل قبة مرتفعة ، عليه مقصورة من الخشب المرصع بالصدف والعاج وضبة باب المقصورة بقفيز فضة، وبأعلى الباب لوح فيه دوائر منقوش فيها لفظ الجلالة وأسماء بعض الصحابة وفيها : يا سيدى محمد يا شمس دين الله يا حنفى مددك « ثلاث مرات » وعاداتك « مرة » وبجوار المقصورة قنديل بلور أخضر كبير منقوش معلق بأعلى القبة ، وفيها قبلة بها عمودان من الرخام ، وباب القبة مرصع بالعاج والصدف عليه اسم صانعه إبراهيم مع ﴿ **نصر من الله وفتح قريب** ﴾ وفوق الباب بيتان من الشعر يقال إنهما من كلامه رضى الله عنه وهما :

وحط فى بابنا ما شئت من ثقل
وعنك دع حادثات خفتها وعنا
فكل فضل بنى الصديق كعبته
وكل أمر عسير قد يهون بنا

وكان موضع هذا الجامع ملكا للشيخ أبى العباس نقيب الأستاذ الحنفى، ففى كتاب مختصر السر الصفى فى مناقب الأستاذ الحنفى : أن الشيخ أبا العباس أخذ بيد الشيخ فى مبدأ زهده فى الدنيا وجاء به إلى موضع الزاوية الآن قبل عمارتها ، وكان منشرا وبه البئر التى هى الآن بالزاوية، وكان ذلك الموضع ملكا لسيدى أبى العباس، فأشار الشيخ لأبى العباس أن يبنى له فى ذلك الموضع خلوة يختلى فيها فبناها له تحت الأرض، وشرع سيدى أبو العباس فى بناء الزاوية ، فبناها من ماله وأخذ عنه وكان يخدمه ويتردد عليه ولا ينقطع عن خدمته . انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

قالت المؤلفة : هذا الجامع ليس مدرجا فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة .

* **الحنفى (شمس الدين) (ـ ٨٤٧ هـ / ـ ١٤٤٣ م) :**

محمد بن حسن بن على التيمى البكرى الشاذلى ، أبو عبد الله شمس الدين الحنفى، صوفى مصرى، من أهل القاهرة . اشتهر بأخبار حكيت عنه مع السلطان فرج بن برقوق وغيره . له « الروض النسيق فى علم الطريق » مخطوط شرح به كلام شيخه محمد العجان ، و « ديوان » مخطوط ذكره بروكلمان . وللشيخ نور الدين على بن عمر البتنونى كتاب «السر الصفى فى مناقب سيدى محمد الحنفى » مطبوع ، جزءان فى مجلد صغير. وفى شعره شطحات ومفردات، منها :

فإن قلبى بيت لربى
قطوف من حوله القلوب

(الأعلام ٦ / ٨٨) .

وطريقته هى طريقة الشاذلية ، وهو خامس الخلفاء فيها ... وله الأمثال فى التصوف . ومن ذلك حكايته عن التوتة قال :

قالت لى : زرعونى فلما سقونى أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أورقت ، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت . وقال : فكان كلامها سلوكا لى .

وكان الحنفى يحب الفاخر من الثياب، وينكره عليه القوم. وقال عن الولى : هو من قال لا إله إلا الله ، وقام بشروطها، وشروطها أن يوالى الله ورسوله ، بمعنى أنه يواد الله بشهادته له بالوحدانية ، ولمحمد ﷺ بالرسالة . وكان يقول : إذا مات الولى انقطع تصرفه فى الكون من الإمداد، وإذا حصل للزائر مدد بعد الموت ، أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت ، فيعطى الزائر من المدد على قدر المزور. وهو قول جديد فى هذا الأمر من

الحنفى يخرج بـه إلى دائرة العقل . وقالوا فى تفسير مقـالته : ليس المزور فى الحقيقة إلا الصفات لا الذوات ، فإن الذوات تبلى وتفنى ، والصفات هى البـاقية . والناس فى الزيـارة إنما تتذاكر الصفات . وكان الحنفى نفسه يزور قبر أحد الصالحين وكـان فى زمنه أبـارا وكلمه أصحابه فى سبب هـذه الزيـارات فذكر أن الـرجل كان كثيرا ما يطلب من النـاس أن يقوموا لأهل العلوم الـربانية ، ويعلل طلبـه منه أن قيامهم فى حقيقتـه هو قيام لصفة من صفات الله أناء بها قلوب هؤلاء الأولياء . ومات الحنفى سنة ٨٤٧هـ(الموسوعة الصوفية / ١٣١ ، ١٣٢) .

الإمام الحنفى وقـد بسط الكلام عليه على باشـا مبارك فى خططه وأسماه سلطاناً فقال عنه :

تـرجم هـذا السلطان جمـاعـة كثيـرون ، وأفرد تـرجمتـه بـالتأليف جماعـة ، منهم : الشيخ نـور الدين على بن عمـر البتنونى فقد كتب فى ذلك مجلدين .

وترجمه الإمام الشعرانى فى طبقـاته بنحو كراسة ، فقال : هو سيدنا ومولانا شمس الدين محمد الحنفى رضى الله عنه ، كـان من أجـلاء مشايخ مصـر وسـادات العارفيـن ، له البـاع الطـويل فى التصريـف ، واليد البيضـاء فى الـولاية ، والقـدم الراسخة فى درجـات النهاية ، وهو أحد أركان الطـريق وأكابر أئمتها علما وعملا وحالا وقالا وزهـدا وتحقيقا ومهابة ، وكان ظريفا جميلا فى بدنه وثيـابه ، وهو من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تـربى يتيما من أمـه وأبيه ، ربتـه خالتـه فكان زوجها يريد أن يعلمه الصنعة فمضى به إلى الغرابلى فهرب إلى المكتب ، ثم مضى به إلى المناخلى فهرب إلى المكتب فكف عنه فحفظ القـرآن ، وكان ابن حجر رفيقـه فى المكتب ، ولما خـرج من المكتب جلس يبيع الكتب فى سوقهـا ، فمر عليـه بعض الرجال فقال : يا محمد ما للدنيا خُلِقْتَ . فترك الدكان بمـا فيه ولم يسأل عنـه . ثم حبب إليـه الخلـوة فدخل خلـوة تحت الأرض وهو ابن أربع عشرة سنة ، فاختلى بها سبع سنين ولم يخرج منها حتـى سمع هاتفا يقول : يا محمـد اخرج انفع الناس «ثلاث مرات » وقال فى الثـالثة : إن لم تخرج وإلا هيه . فقال الشيخ : ما بعد « هيه » إلا القطيعة ، فخرج إلى الزاوية فكان يجلس يعظ النـاس على غير موعـد فيجىء الناس حتى يملأوا زاويته ، وكان رضى الله عنه حنفى المذهب وعلى خده الأيمن خال ، وهو أبيض مشرب بحمرة وفى عينيه حور ، وتربى يتيما فقيرا ، أخذ الطريق رضى الله عنه بعد أن خرج من الخلوة عن الشيخ ناصر الدين بن الميلق ، عن جده شهاب الدين بن الميلق ، عن يـاقـوت العـرشى ، عن المـرسى ، عن الشـاذلى رضى الله عنـه ، فلـذا كان الشـاذلى يقـول : الحنفى خـامس خليفة من بعدى . وكان أولا يتعمم بعمـامة صماء ، ثم رئى له فى المنام أن جده أبا بكر الصديق رضى الله عنه عممه بحضرة النبى ﷺ ، وأرخى للعمـامـة عـذبة يسـاره فأرخى العـذبـة ، وكذلك فعل كل من فى مجلسه ، وصار رضى الله عنه إذا ركب يـرخى العذبـة ، وتـرك الطيلسان الـذى كـان يركب بـه إلى أن مات ، وكان رضى الله عنه يلبس المثمنة الفاخرة ، وكان لا ترد له شفاعة عند من يعرفه وعند من لا يعرفه .

وقـال شيخ الإسـلام العينى فى تـاريخـه الكبيـر : والله مـا سمعنا ولا رأينـا فيما حـويناه من كتبنـا وكتب غيرنـا ، ولا فيما اطلعنا عليه من أخبـار الشيوخ بعد الصحابة إلى يـومنا هذا أن أحدًا أعطى من العز والرفعة ونفـوذ الكلمة وقبول الشفاعة عند الملوك والأمراء وأربـاب الدولة والوزراء عنـد من يعرفه ومن لا يعـرفه مثل مـا أعطى الشيخ شمس الدين الحنفى . ثم قـال : وأبلغ من ذلك أنه لو طلب السلطان أن ينزل إليه خاضعا حتى يجلس بين يـديـه ويقبلهمـا لكـان ذلك أحب الأيـام إلى السلطان ، ولم يقم قط لأحد من الملوك ولا الأمراء ولا القضاة ، ولم يغير قعدته لدخولهم ، ولا يجلس أحد منهم إلى جانبه ، ولا يتربع بل يجلـس جاثيا متأدبـا خاضعـا لا يلتفت يمينا ولا شمالا .

وكان الملـك الظاهر جقمق يكـرهه ويقـول : إنى لا أقبل لهـذا الـرجل شفـاعـة ، ومع ذلك يـرسل لـه فى الشفـاعـات فيقضيها ، ويقول لمن حولـه : أنا لا أستطيع رد شفاعته ، بل أقبلها وأتعجب من نفسى .

ونزل إليه السلطان الملك المؤيد فجـاء إلى الزاوية فوجده فوق سطح البيت ، فطلع إليـه سيدى أبو العباس وأخبـره فقال لـه : قل له : إنـه مـا يجتمع بأحـد فى هذا الـوقت . فـوضع السلطـان يـده على رأسـه ورجع إلى القلعـة ، ولم يتغيـر من ذلك .

وكـان أهل المغـرب يـرسلـون يأخـذون من تـراب زاويتـه

ويجعلونه فى ورق المصاحف، وأهل الروم يكتبون اسمه على أبواب دورهم يتبركون به . وكان رضى الله عنه يقول كثيرا : لو كان عمر بن الفارض فى زماننا ما وسعه إلا الوقوف ببابنا . وكان الشيخ طلحة المدفون بالمنشية الكبرى يقول : قال لى سيدى محمد الحنفى : يا طلحة خرج من زاويتى هذه أربعمائة ولى على قدمى كلهم داعون إلى الله تعالى ، وأصحابنا بالمغرب كثير، وبالروم والشام أكثر، وأكثر أصحابنا باليمن والبرارى والكهوف والمغارات .

وكان رضى الله عنه يلقن الخائف من ظالم ويقول: إذا دخلت عليه فقل : بسم الله الخالق الأكبر حرز لكل خائف، لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل .

وسمع جلال الدين البلقينى تفسيره للقرآن العظيم فقال : والله لقد طالعت أربعين تفسيرا ما رأيت فيها شيئا من هذه الفوائد، وقبله سراج الدين البلقينى بين عينيه وقال له : أنت تعيش زمانا طويلا ، لأن الله تعالى يقول : **﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾** .

وكانت ملوك أقاليم الأرض ترسل الهدايا فيقبلها . وكان يتنزه عن سماع المعازف وجميع آلات اللهو ، فدخل يوما يزور ابن الفارض رضى الله عنه فرأى عمالا وآلات تضرب فأمر بالسكوت حتى يزور ولم يتعرض لكسر الآلات . وسمع حنفيا يقول فى درسه : الحكم كذا خلافا للشافعى . فزجره، وقال : تقول خلافا للشافعى بقلة أدب، لم لا تقول رضى الله عنه ، أو رحمه الله تعالى ؟ وكان إذا رأى فى جبهة فقير أثر سجود يقول : يا ولدى أخاف عليك أن يكون هذا من الرياء . وكان يكره مشايخ القرى والمدركين للبلاد ويقول: أنا لا أقول بإسلامهم . وكان يكره للفقير لبس الطليحية ويقول: الفقر فى الباطن لا فى الظاهر. وإذا رأى من الفقراء والمجاورين عورة سترها عليهم ، ويرغبهم فى الأمر الذى فيه صلاحهم ، وكان إذا ركب فى شوارع مصر لا يلقاه أمير أو كاتب سر أو ناظر خاص إلا ورجع معه إلى أى مكان أراد. وتلقاه رجل عجمى فأنشده :

نهارى نسيم كله إن تبسمت
أوائله منها برد تحية

وكان به عدة أمراض كل مرض منها يهد الجبال، منها البلغم الحار والبلغم البارد، واجتمع عنده الأطباء وقالوا إن النصف الأعلى قد تحكم منه البلغم الحار، والنصف الأسفل قد تحكم منه البلغم البارد، فإن داوينا الأعلى غلب عليه الأسفل، وإن داوينا الأسفل غلب عليه الأعلى وأقام بذلك المرض سبع سنين ملازما فراشه إلى أن توفى سنة سبع وأربعين وثمانمائة . وكان مع هذا البلاء يتوضأ قبل دخول الوقت بخمس درج، ولا يصلى إلا مع جماعة، ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه فى الشوارع . انتهى باختصار.

وله حضرة كل يوم سبت يجتمع فى مسجده القراء والذاكرون والمنشدون وأهل الموسيقى، ويتناوبون بغرائب الألحان وبدائع الموشحات ويسمون ذلك بالوعظيات، فينشدون من موشحات الوزراء وفرائد المنشئين وبدائع الشعراء مما فيه المديح النبوى مثل :

يا نسيم بلغ سلام المستهام المستقيم
للكريم طه إمام المرسلين العظيم
عن أليم وجدى به حدث وشوقى القديم
ليس لى من ملجأ سوى الحمى الأفضلى
الجلى وآله أولى الجناب العلى

ويستمر المجلس نحو الساعتين قبل الظهر بجوار المزار، ولأربابه مرتب من الخبز كل جمعة، ومن النقود كل شهر، ومن الكسوة كل سنة، وله مولد يعمل كل سنة من أول شهر شعبان إلى قرب آخره، ويصرف أهل الخط فيه أموالا كثيرة فى العزومات والوقدات ونحو ذلك (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ٢٠٦-٢٠٩) .

(الأعلام للزركلى ٦/ ٨٨، والموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفنى / ١٣١، ١٣٢، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤/ ٢٠٦-٢٠٩) .

* **الحنفى (المذهب)** :

صاحبه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، إمام أهل الرأى فى عصره (ينقسم العلماء إلى أهل حديث وأهل رأى، وأكثر علماء العراق كانوا أهل رأى) .

ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة . وتوفى سنة ١٥٠ هـ (انظر ترجمته تحت عنوانه) .

وهذا المذهب أقدم المذاهب الأربعة ، والذين دونوه أربعون رجلا أشهرهم ثلاثة :

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وكان أكبر أصحاب أبى حنيفة، وهو الذى نشر علم الإمام فى أقطار الأرض كما سيجىء، وكانت وفاته سنة ١٨٣ هـ .

(٢) ومحمد بن الحسن الشيبانى وقد أخذ عن أبى حنيفة طريقة أهل العراق، وأتمها على أبى يوسف بعد وفاة الإمام. وكانت كتبه مرجع الحنفية فى مذهبهم وتوفى سنة ١٨٩ هـ .

(٣) وزفر بن الهذيل الكوفى المتوفى سنة ١٥٨ هـ .

وقد وصل هؤلاء الثلاثة إلى مرتبة الاجتهاد، وخالفوا إمامهم فى كثير من آرائه، وإذا قيل « الصاحبان » فى هذا المذهب كان المراد. أبا يوسف . ومحمدا .

وقد استكثر أبو حنيفة وأصحابه من القياس ومهروا فيه ؛ لأن الحديث كان بالعراق قليلا؛ ولهذا قيل لهم أهل الرأى.

نشأ هذا المذهب بالكوفة (موطن الإمام) رضى الله عنه ! ثم انتشر منها فى سائر بلاد العراق وكثير من البلاد الإسلامية .

وسبب انتشاره أن الرشيد حين ولى الخلافة عهد بالقضاء إلى الإمام أبى يوسف ، ووكل إليه تولية القضاة فى العِمالات ، فكان لا يولى إلا من كان على مذهبه .

ففشا هذا المذهب فى بغداد ومصر وبلاد الروم وبلاد فارس وبعض بلاد اليمن وغيرها، واستمر كذلك مدة الخلفاء العباسيين لإيثارهم الحنفية بالقضاء .

وأول من أدخله مصر إسماعيل بن اليسع الكوفى أول قاض حنفى بمصر، ولاه المهدى، ثم فشا فيها بعد ذلك مدة الرشيد ومن بعده من الخلفاء .

ولما جاء الفاطميون غضوا من هذا المذهب؛ لأنه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم بالمشرق، فلم تكن له سوق نافقة بمصر (أى رائجة) .

وفى مدة الدولة الأيوبية كثر الحنفية بمصر، وفى عهد الدولتين التركية والشركسية عاد أهل هذا المذهب إلى القضاء بعد انقطاعه عنهم .

ولما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء فى أهله، فأصبح مذهب أمراء الدولة ، ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولى القضاء.

شيوعه فى عصرنا (فى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢) :

وهو مذهب الدولة المصرية والمتبع فى القضاء والإفتاء إلا فى بعض مسائل فى الأحوال الشخصية، رؤى من مصلحة المتقاضين أخذ أحكامها من المذاهب الثلاثة الأخرى وغيرها .

وأكثر أتباعه الآن من المتعلمين والموظفين والأمراء والأسر التركية ، ويقل فى الريف والصعيد .

ويغلب فى الشام والعراق وفى الجمهورية التركية وبلاد الألبان وسكان البلقان وفى الأفغان والهند وتركستان .

ويقل فى فارس واليمن والحجاز وفلسطين (الدين الإسلامى ٢ / ٨٠-٨٣) .

وعن فقه أبى حنيفة كتب الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى يقول :

قال الشافعى رضى الله عنه : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة » وقال فيه عبد الله بن المبارك : « أنه مخ العلم » ، أى أنه يصل دائما إلى اللباب الخالص من العلم فى غير انحراف. وقال فيه الإمام مالك بعد أن ناقشه فى مسائل مختلفة من العلم : « إنه لفقيه » .

فأبو حنيفة كان فقيها جليلا بلا ريب، شغل عصره بفقهه، واختلف الناس فى أمره، لأنه أتاهم بطريقة فى التفكير الفقهى لم يسبق بها ، أو على الأقل لم يأخذ أحد بمقدار ما أخذ فيها ، مع استقلال فى التفكير، واستقامة فى النظر فغضب عليه المتمسكون بظواهر النصوص الذين لا يتغلغلون فى أعماق معانيها ، ورموه بالخروج عن الجادة ، وغضب عليه أهل الانحراف الفكرى، لأنهم وجدوه يضع دعائم ثابتة للاستنباط فى الفقه الإسلامى ، ويحد الحدود فيها .

منهاجه :

رسم أبو حنيفة منهاجا للاستنباط ، وإذا لم يكن مفصلا، فإنه جامع لأنواع الاجتهاد. ولقد روى عنه أنه قال : « آخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد فى كتاب الله تعالى، ولا سنة رسول الله ﷺ، أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم ، وأدع من شئت منهم ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم . فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم (أى النخعى) والشعبى وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب ... فقوم اجتهدوا ، فأجتهد كما اجتهدوا»

وهذا الكلام يدل على أنه يأخذ بالكتاب ، ثم السنة ، ثم أقوال الصحابة ، ولا يأخذ بأقوال التابعين ... وإن هذا هو الاجتهاد بالنصوص . أما الاجتهاد بغير النصوص ، فقد جاء فى المناقب للمكى عن أحد معاصريه ما نصه :

« كلام أبى حنيفة أخذ بالثقة وفرار من القبح ، والنظر فى معاملات الناس ، وما استقاموا عليه ، وصلح عليه أمورهم . يمضى الأمور على القياس ، فإذا قبح القياس يمضيها على الاستحسان ما دام يمضى له ، فإذا لم يمض له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به . وكان يوصل الحديث المعروف الذى أجمع عليه ، ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغا ، ثم يرجع إلى الاستحسان : أيهما كان أوفق رجع إليه . قال سهل : هذا علم أبى حنيفة ، وهو علم العامة » .

والمنهاج الذى رسمه أبو حنيفة لنفسه يقوم على أصول سبعة :

١ ـ الكتاب : وهو عمود الشريعة وحبل الله المتين ، ونور الشرع الساطع إلى يوم القيامة . وهو كل الشريعة ، إليه ترجع أحكامها ، وهو مصدر المصادر لها ، وما من مصدر إلا يرجع إليه فى أصل ثبوته .

٢ ـ السنة : وهى المبينة لكتاب الله ، المفصلة لمجمله . وهى تبليغ النبى ﷺ رسالة ربه ، فهى بلاغ لقوم يوقنون ، ومن لم يأخذ بها ، فإنه لا يقر بتبليغ النبى لرسالة ربه .

٣ ـ أقوال الصحابة : لأنهم هم الذين بلغوا الرسالة ، وهم الذين عاينوا التنزيل ، وهم الذين يعرفون المناسبات المختلفة للآيات والأحاديث ، وهم الذين حملوا علم الرسول ، ﷺ ، إلى الأخلاف من بعده .

وليست أقوال التابعين لها هذه المنزلة ، لأنه فرض فى أقوال الصحابة أنها كانت بالتلقى عن رسول الله ، ﷺ ، ولم تكن بالاجتهاد المجرد . وأن بعض أقوالهم ، أو أكثرها مبنية على أقوال للنبى ، وإن لم يرووا الأقوال فإن أبا بكر وعمر وعليا وغيرهم لم يرووا أحاديث عن النبى ﷺ بمقادير تتناسب مع طول صحبتهم وملازمتهم للنبى ﷺ فلا بد أنهم كانوا يفتون بأقوال النبى من غير أن ينسبوها إليه خشية الكذب عليه ﷺ .

٤ ـ القياس : فهو يأخذ بالقياس إذا لم يكن نص من قرآن أو سنة أو قول لصحابة . والقياس هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لعلة جامعة بينهما ، فهو فى حقيقته حمل على النص ، بأن تتعرف الأسباب والأوصاف المناسبة للحكم الذى نص عليه ، حتى إذا عرفت علته طبق الحكم فى كل موضع تنطبق فيه العلة . ولقد سماه بعض العلماء تفسيرا للنصوص . وأبو حنيفة قد بلغ فى الاستنباط بالقياس الذروة ، وبه بلغ ما بلغ فى المرتبة الفقهية ... كان يبحث عن العلة فإذا وصل إليها أخذ يختبرها ، ويفرض الفروض ، ويقدر وقائع لم تقع ليطبق عليها العلة التى وصل إليها . وذلك النوع من الفقه يسمى الفقه التقديرى ، إذ تقدر وقائع لم تقع ، ثم يذكر حكمها ، وهذا لاختبار العلة التى وصل إليها .

٥ ـ الاستحسان : والاستحسان أن يخرج عن مقتضى القياس الظاهر ، إلى حكم آخر يخالفه : إما لأن القياس الظاهر قد تبين من الاختيار عدم صلاحيته فى بعض الجزئيات ، فيبحث عن علة أخرى ، ويسمى العمل بموجب هذه اللعة القياس الخفى . وإما لأن القياس الظاهر قد عارضه نص ، فإنه يترك لأجل النص ، لأن العمل بموجب القياس يكون إذا لم يكن نص ، وإما لأن القياس خالف الإجماع ، أو خالف العرف ، فإنه يترك القياس ، ويؤخذ بما انعقد عليه الإجماع أو العرف .

٦ ـ الإجماع : وهو فى ذاته حجة ، ثم هو إجماع المجتهدين فى عصر من العصور على حكم من الأحكام . وقد اتفق العلماء على أنه حجة ، ولكن اختلفوا فى وجوده بعد عصر الصحابة . وقد أنكره الإمام أحمد فى غير عصر الصحابة لإمكان اجتماعهم واتفاقهم ، ولا يمكن اجتماع الفقهاء بعد عصر الصحابة .

٧ ـ العرف : وهو أن يكون عمل المسلمين على أمر لم يرد فيه نص من القرآن أو السنة أو عمل الصحابة ، فإنه يكون حجة ... والعرف قسمان : عرف صحيح ، وعرف فاسد . فالعرف الصحيح هو الذى لا يخالف نصا ، والعرف الفاسد هو الذى يخالف نصا . والعارف الفاسد لا يلتفت إليه ، والعرف الصحيح حجة فيما وراء النص .

نقل مذهب أبى حنيفة :

لم يؤلف أبو حنيفة كتابا ، إلا رسائل صغيرة نسبت إليه ،

كرسالته المسماة الفقه الأكبر، وكرسالته العالم والمتعلم ، ورسالته إلى عثمان البتى المتوفى عام ١٣٢هـ، ورسالته فى الرد على القدرية . وهذه الرسائل كلها فى علم الكلام أو المواعظ. ولم يؤلف كتابا فى الفقه، بل إن تلاميذه هم الذين قاموا بمدرسته وتدوين آرائه، والآثار التى رواها .

وأخص هؤلاء التلاميذ الذين قاموا بحفظ آثار فقيه العراق وآرائه : تلميذان جليلان سميا فى تاريخ الفقه الإسلامى باسم الصاحبين لتلازمهما وطول صحبتهما ، وقيامهما على المدرسة الفقهية التى أنشأها شيخهما، وهما : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى نسبا ، والذى يكنى بأبى يوسف ، ومحمد بن الحسن (انظر كلا تحت عنوانه) .

وقد نما المذهب الحنفى بالاستنباط والتخريج نموا عظيما، وكانت عوامل نموه ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها : كثرة تلاميذ أبى حنيفة، وعنايتهم بنشر آرائه وبيان الأسس التى قام عليها فقهه، وقد خالفوه فى القليل ووافقوه فى الكثير، وعنوا ببيان دليله فى الوفاق وفى الخلاف معا .

وقد أكثروا من التفريع على آرائه، وبيان الأقيسة التى قام عليها التفريع .

وثانيها : أنه جاء بعد تلاميذه طائفة أخرى عنيت باستنباط علل الأحكام ، وتطبيقها على ما يجد من الوقائع فى العصور، وأنهم بعد أن استنبطوا علل الأحكام التى قامت عليها فروع المذهب جمعوا المسائل المتجانسة فى قواعد عامة شاملة ، فاجتمع فى المذهب التفريع ووضع القواعد والنظريات العامة التى تجمع أشتاته . وتوجه إلى كلياته .

وثالثها : انتشاره فى مواطن كثيرة ذات أعراف مختلفة، وتتولد فيها أحداث تقتضى تخريجات كثيرة ، وذلك لأنه كان يعتبر مذهب الدولة العباسية الرسمى، فمكث بهذا أكثر من خمسمائة سنة يطبق فى نواحى البلاد الإسلامية ، وذلك لأن الرشيد عين أبا يوسف قاضيا لبغداد، وما كان القضاة يعينون إلا باقتراحه فى كل الأقاليم فكان لا يعين إلا من يعتنق المذهب العراقى، وبذلك عم وذاع .

وإن الأعراف المختلفة تنمى الاستنباط بلا ريب وخصوصا أن من أصول الاستنباط فى المذهب الحنفى العرف فى غير موضع النص، وعندما يكون الاستنباط بالقياس .

البلاد التى ذاع فيها المذهب الحنفى :

وانتشر المذهب الحنفى فى كل بلد كان للدولة العباسية سلطان فيه ، وكان يخف سلطانه كلما خف سلطانها ، غير أن بعض البلاد تغلغل فيه بين الشعب، وبعض البلاد كان فيه المذهب الرسمى من غير أن يسود بين الشعب فى العبادات... فكان فى العراق وما وراء النهر والبلاد التى فتحت فى المشرق المذهب الرسمى، وكان مع ذلك مذهبا شعبيا، وإن نازعه فى بلاد التركستان وما وراء النهر المذهب الشافعى فى وسط الشعب وكانت المناظرات تجرى بين الشافعية والحنفية، وكانت المآتم تحيا بالمناظرات الفقهية ، فكانت هى العزاء . ومن المناظرات الفقهية المستمرة تولدت الأدلة المختلفة، فتولد عنها علم ، ولم تتولد عنها عداوة .

وإذا تركنا العراق وما وراءه من بلدان المشرق نجد المذهب الحنفى يسود فى الشام شعبا وحكومة، حتى إذا جاء إلى مصر وجد المذهب المالكى والمذهب الشافعى يتنازعان السلطان فى الشعب المصرى : الأول لإقامة كثيرين من تلاميذ الإمام مالك ، والثانى لإقامة الشافعى بمصر فى آخر حياته، ودفنه بها . وكان للمذهبين علماء أجلاء، فلما جاء المذهب الحنفى كان له سلطان رسمى، ولم يكن له سلطان شعبى، حتى جاءت الدولة الفاطمية فأزالت ذلك السلطان، وأحلت محله المذهب الشيعى الإمامى، حتى إذا حل محلهم الأيوبيون قووا نفوذ المذهب الشافعى، حتى جاء نور الدين الشهيد، فأراد نشر المذهب الحنفى فى الشعب، وأنشأ له المدارس. ولما جاءت دولة المماليك جعلت القضاء بالمذاهب الأربعة، حتى آل الأمر إلى محمد على، فأعاد إلى المذهب الحنفى صفته الرسمية منفردا .

ولم يتجاوز المذهب الحنفى بلاد مصر إلى المغرب إلا فى عهد أسد بن الفرات ، وكان ذلك زمنا قصيرا، لأن دولة الأغالبة كانت ذات سلطان ، وانفرد المذهب المالكى بالنفوذ فى المغرب والأندلس (« أبو حنيفة » / ٣٦٩ - ٣٧١، ٣٧٥ - ٣٧٧)

ويقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم : إن من الثابت أن أبا حنيفة لم يتول أى وظيفة من وظائف الدولة أو يشغل أى عمل قضائى يمكن أن يمارس فيه أبحاثه الفقهية ممارسة عملية تجريبية وإنما كان منهجه التدقيق وإطالة النظر فى أهداف الفقه دون وقائع حدثت تحتاج إلى حكم، أى أن أبا

حنيفة كان فقيها يعمل ويفكر ويتحرك على أرض المرويات باحثا عن الحكم الذي يمكن أن يستنبط منها سواء أكان حكما لأمر واقع أو ليتم به تدبيرا تشريعيا لحادثة يمكن أن يحدث مثلها وهذا هو ما عرف باسم الفقه الفرضي أو التقديري المبني على مسائل فرضية وتقديرية .

ومن أمثلة ما مارسه أبو حنيفة في هذا الفقه التقديري أنه كان يفرض قضية غير واقعية ويعرضها على تلاميذه ثم يطلب إلى كل منهم البحث والتفكير في استنباط الحكم الصحيح لها فيدلي كل واحد من التلاميذ برأيه ويعرض كل منهم على الأستاذ رأيه ، وبعد مناقشته لآرائهم جميعا ويختار الحل الصحيح الذي يقبله يقوم التلاميذ بتدوينه لديهم كرأي فقهي يرضاه أبو حنيفة ، بهذه الطريقة وغيرها جمع هؤلاء التلاميذ آراء أستاذهم ودونوها لتكون أساسا للمذهب الحنفي في التشريع .

ولم يعرف عن أبي حنيفة أنه اشتغل في حياته بتأليف أي كتب تشمل أصول مذهبه ، وإنما الذين اهتموا بتدوين آرائه في الفقه هم تلاميذه من بعده وأخصهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني اللذين كانا ألصق تلاميذه به وأشربا روح تفكيره ومنهجه ، وقد أنس خلفاء الدولة العباسية من أن فقه أبي حنيفة القائم على مدرسة الرأي هو أصلح ما يلائم التطور العمراني الجديد في العراق لذلك أسندوا إلى أبي يوسف ومحمد وظائف القضاء في العراق وما جاورها .

لقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله ـ كما أوردنا في ترجمته ـ تاجرا ذا خبرة واسعة بالأعمال التجارية ومعاملاتها وقد كان قسم وقته بين التجارة والفقه والعبادة قسمة عادلة فهو في الليل العابد المتهجد وفي ضحوة النهار التاجر الذي يتولى العقود حتى إذا جاء الغداة عكف على العلم دارسا ومذاكرا أو مؤصلا الأصول ومفرعا الفروع وكان خير من يشرع بين الناس في معاملاتهم التجارية بيعا وشراء لمعرفته بكل ما يقره الشرع .

وقد صار من الضروري لبلاد العراق من تشريع ينظم المعاملات التجارية بحكم ما صارت إليه العراق من مركز تجاري عظيم بين الدول المحيطة بها وحاجة أهلها إلى فقه أبي حنيفة الذي مارس التجارة على اختلاف صورها وفي جميع موادها ممارسة عملية بحكم عقليته المالية التجارية فكان فكره في ذلك أصح وأدق ما كان من تشريع مستمد من الكتاب والسنة (أئمة المذاهب الأربعة / ٦٠ ، ٦١) .

وعن المؤلفات في المذهب الحنفي من كتب ومخطوطات يقول الدكتور محمد الزحيلي :

وأهم كتب الحنفية كتب ظاهر الرواية الستة للإمام محمد ابن الحسن (وهي الجامع الكبير والجامع الصغير، والسير الكبير والسير الصغير، والمبسوط أو الأصل ، والزيادات) وتمثل الآراء الراجحة في المذهب الحنفي ، ثم كتب النوادر للإمام محمد أيضا (وهي الجرجانيات والهارونيات والكيانيات والرقيات) وكتاب الكافي للحاكم الشهيد المروزي (٣٧٤ هـ) الذي جمع كتب ظاهر الرواية وصاغها من جديد ، وحذف المكرر، والمبسوط للسرخسي (٤٨٣ هـ) الذي شرح كتاب الكافي بأسلوب سهل مبسط ، مع الأدلة والمناقشة والمقارنة ، ثم كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (٥٨٧ هـ) الذي شرح فيه كتاب تحفة الفقهاء للسمرقندي (٥٣٩ هـ) ومختصر الهداية للمرغيناني (٥٩٣ هـ) وهو أشهر وأهم مختصر في الفقه الحنفي ، وعليه شروح كثيرة أهمها فتح القدير للكمال بن الهمام (٨٦١ هـ) ثم كتاب رد المحتار المعروف بحاشية ابن عابدين (١٢٥٢ هـ) وهو حاشية على شرح الدر المختار للحصكفي ، على متن تنوير الأبصار للتمرتاشي ، وأخيرا مجلة الأحكام العدلية التي وضعتها لجنة من العلماء في الدولة العثمانية وأصبحت قانونا مدنيا مستمدا من الفقه على المذهب الحنفي ، وصدرت الإرادة السنية بلزوم العمل بها سنة ١٢٩٣ هـ على جميع الأراضي للدولة العثمانية ، ومنها سورية والأردن وفلسطين ولبنان ، وسوف نعرف بأهم هذه الكتب في المبحث الثالث .

ثم يقول عن مخطوطات الفقه الحنفي في مكتبة الأسد بدمشق :

لقد احتل المذهب الحنفي مكانة مرموقة في بلاد الشام منذ العصر العباسي عندما زاحم مذهب الأوزاعي ، ثم صار المذهب الرسمي طوال هذه المدة ـ تقريبا ـ حتى نهاية الدولة العثمانية ، وأنشئت مدارس كثيرة لتدريسه ، وآلت مناصب الإفتاء والقضاء ـ غالبا ـ إلى علمائه الذين قاموا برعايته وخدمته ونشره وتنقيحه والتأليف فيه .

وظهر منهم علماء أجلاء ، وتركوا لنا تراثا زاخرا ، وثروة فقهية عظيمة ، انحصر أكثرها فى الظاهرية بدمشق ، والأحمدية بحلب ، ثم ضم القسمان إلى مكتبة الأسد .

١ - مخطوطات الظاهرية في الفقه الحنفى كثيرة ، وقد وضع فهرسا لها الأستاذ محمد مطيع الحافظ ، ونشر الفهرس مجمع اللغة العربية بدمشق فى جزأين ، وكشف الفهرس عن «كتب كثيرة كانت فى عالم النسيان » وأخرى مثلها فريدة لا نظير لها فى مكتبات العالم ، ومؤلفات لعلماء شاميين بخطوط مؤلفيها ومجاميع فقهية نادرة ، كان للظاهرية فضل حفظها وصيانتها من العابثين والجاهلين ، ثم انتقلت إلى مكتبة الأسد لتأخذ الحظ الأوفى فى الرعاية والعناية والترميم والحفظ ، وترنو بأعناقها إلى الأيدى الحانية لإخراجها إلى النور ، وتحقيقها وطبعها ، ليطلع الخلف على تراث الآباء والأجداد ، ويستفيدوا من اللبنات والبنيان الذى شيدوه للعالم ، وحملوا فيه مشعل النور والحضارة للأمة ، وتغطى مختلف جوانب الحياة والأحكام العملية التى تبين حكم الله تعالى فى كل صغيرة وكبيرة ، ويمكن الرجوع للفهرس للاستفادة منه .

قالت المؤلفة : هذا الفهرس المشار إليه اشتريته من مجمع اللغة العربية بدمشق أثناء زيارتنا الأولى لها من الإثنين ٢ صفر ١٤١٢ هـ / ١٢ أغسطس ١٩٩١ م إلى الخميس ١٢ صفر / ٢٢ أغسطس . وننقل مواده تباعا فى هذه الموسوعة وفقا لترتيب ورودها . وقد حرصت عند إدخال كل مخطوط إلى التنويه بأنه قد يكون بمكتبة الأسد الآن وتم نقله من دار الكتب الظاهرية ، وذلك تنبيها للدارسين والباحثين فى مصر ممن يحتاجون إلى الحصول على نسخة من مخطوطاتها . وقد تأكدنا من ذلك بزيارتنا لقسم المخطوطات بمكتبة الأسد ، التى تقع على مقربة من دار الكتب الظاهرية .

٢ - مخطوطات الفقه الحنفى فى المكتبة الأحمدية بحلب التى ضمت إلى مكتبة الأسد أيضا وجاءت فى الفهرس الخطى

ويضاف إلى ذلك رسائل فى الفقه الحنفى جاءت فى مجاميع ، وصنفت فى فهرس مخطوطات الظاهرية - مجاميع (١ / ٤٥٢ - ٤٥٥) (٢ / ٤٠٢) (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٦٥ - ٣٦٧) .

ويقول الأستاذ محمد مطيع الحافظ :

ونستطيع التعرف على مدى انتشاره فى بلاد الشام وبخاصة دمشق من خلال المدارس التى شادها الخلفاء والملوك والولاة فى تدريس الفقه الحنفى ، إذ كانت أول مدرسة أنشئت بدمشق هى المدرسة الصادرية (قرب المسجد الجامع الأموى) وقد تم بناؤها سنة ٣٩١ هـ - وهى مدرسة شرط واقفها تعليم الفقه الحنفى فيها ، ويجد الباحث أسماء المدارس التى كانت تقوم بتدريس المذهب الحنفى إلى جانب علوم أخرى وهى إحدى وخمسون مدرسة فى كتاب النعيمى : « المدارس فى تاريخ المدارس » . وفى هذه المدارس نشأ كثير من كبار العلماء الأحناف مثل أبى الحسن الكرخى وعمر الخبازى وتاج الدين الكندى ، وجلال الدين الرازى وجمال الدين الحصيرى ، ثم أنشأ العثمانيون بعض المدارس فتابعت تدريس الفقه الحنفى فيها ، ونجد وصفا لها فى ذيل كتاب ثمار المقاصد ليوسف بن عبد الهادى والذى وضعه الدكتور محمد أسعد طلس كالمدرسة المرادية والبخارية ومدرسة الخياطين ومدرسة العظم والفتحية ... وغيرها وقد ضمت هذه المدارس مكتبات كثيرة وكتبا قيمة ، فيها مجموعات ضخمة من كتب الفقه الحنفى ، ثم ازدادت هذه الثروة نماء بما انضاف إليها من هدايا مثل مكتبة الشيخ عبد الغنى النابلسى ، ومكتبة نقيب أشراف الشام الأستاذ محمد سعيد آل حمزة رحمه الله ومكتبة الشيخ عبد الله الكزبري ومكتبة الشيخ حامد التقى وغيرها .

لقد ظفر المذهب الحنفى فى العهود المتتابعة فى ظل الخلافة العباسية والدولة النورية والخلافة العثمانية بالحظوة الكبيرة ، فكان المذهب الرسمى والسائد فى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبخارى ...

وقد تتابعت دراسات العلماء لهذا المذهب فاستنبطوا أصوله ، ثم خرجوا الفروع على هذه الأصول مستفيدين من أقوال الإمام الأعظم وأصحابه ، معتمدين على مرونة التخريج وقوة الترجيح .

ولهذا أضحى الفقه الحنفى بفضل عبقرية الإمام الأعظم وموهبته الفذة وبفضل الاجتهادات التى لم تنقطع أو لم تكد غنيا ثريا ، الأمر الذى حدا بالإمام الشافعى رضى الله عنه إلى

إطلاق قولته الشهيرة : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة » (فهرس الظاهرية ١ / ٧ ـ ٩) .

(الدين الإسلامى ـ الشيخ حسن منصور، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عنانى ٢ / ٨٠ ـ ٨٣ ، و « أبو حنيفة » ـ الإمام محمد أبو زهرة . دائرة معارف الشعب كتاب الشعب ٨٨ ، مطابع الشعب ١٩٦٠ / ٣٦٩ ـ ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، وأئمة المذاهب الأربعة ـ محمد إسماعيل إبراهيم / ٦٠ ، ٦١ ، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٧ ـ ٩) .

* **ابن الحَنَفِيَّة (٢١ ـ ٨١ هـ / ٦٤٢ ـ ٧٠٠ م) :**

محمد بن على بن أبى طالب ، الهاشمى القرشى ، المدنى ، أبو القاسم ، المعروف بابن الحنفية ، من كبار التابعين ، أحد فقهاء المدينة ، وأحد الأبطال الأشداء الأقوياء فى صدر الإسلام . ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، وينسب لها تمييزا له عنهما ، وكان يقول : « الحسن والحسين أفضل منى ، وأنا أعلم منهما » كان كثير العلم والورع ، سمع من أبيه وعثمان ، وروى عنه بنوه الحسن وعبد الله وعون وإبراهيم وجماعات من التابعين ، وكان اسمه وكنيته رخصة لعلى رضى الله عنه ، قال على : «قلت : يا رسول الله ، إن ولد لى مولود بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » وكان كثير الإسناد عن والده وكان ثقة ، وأخرج أحاديثه أصحاب الكتب الستة قال الحافظ إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد : « لا نعلم أحدا أسند عن على عن النبى ﷺ أكثر، ولا أصح ، مما أسنده محمد ابن الحنفية» وكان أسود اللون ، وله أخبار طريفة فى القوة والشجاعة ، وكان يحمل راية أبيه بصفين ، وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته . ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية (وهى فرقة من فرق المسلمين ، تنسب إلى المختار، أو إلى كيسان مولى على) تزعم أنه لم يمت ، وأنه مقيم بجبل رضوى ، عنده عسل وماء ، وأنه سيرجع ، توفى بالمدينة سنة ٨١ هـ ، وقيل غير ذلك ، وقيل : خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير، فمات هناك (مرجع العلوم الإسلامية / ٨٦) .

وقد ذكر الشيخ الشبلنجى مناقب ابن الحنفية فقال :

فى طبقات الشعرانى كان يقول رضى الله عنه من كرمت عليه نفسه لم يكن عنده للدنيا قدر وكان يقول ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له مخرجا . ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف فى البر ومائة ألف فى البحر أو يؤدى إليه الجزية كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد ابن الحنفية تتهدده وتتوعده ثم اعلمنى بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل محمد ابن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول إن لله عز وجل ثلثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إلىّ نظرة يمنعنى بها منك فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم فقال ملك الروم هذا ما خرج منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوة . لما بلغ محمدا مسير أخيه الحسين رضى الله عنهما إلى الطف وكان بين يديه طشت يتوضأ فيه بكى حتى ملأه من دموعه (كرامة) مر زيد بن على زين العابدين بمحمد ابن الحنفية فنظر إليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالعراق فكان كما قال كذا فى الخطط ومن كلامه رضى الله عنه وكل الله الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شىء حكى أبو طالب المكى فى القوت أن عليا رضى الله عنه قال لابنه محمد ابن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل اقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت إليه محمد وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه علىٌّ بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها . وكانت الشيعة تسميه المهدى وهو يقول كل مؤمن مهدى وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل وكان شجاعا كريما فصيحا توفى محمد ابن الحنفية رضى الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين من الهجرة كذا فى مختصر التواريخ ويقال إنه مات بالطائف (نور الأبصار / ١٨١) .

(مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٨٦ وما جاء بهامش (١) من مصادر، ونور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار للشبلنجى . ط دار الغد العربى / ١٨١ ، ١٨٢ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٦ / ٢٧٠)

* **أبو حنيفة الاتقانى (٦٨٥ ـ ٧٥٨ هـ / ١٢٨٦ ـ ١٣٥٧ م) :**

أحد الذين تولوا مشيخة مدرسة الإمام أبى حنيفة ببغداد .

وهو الإمام لطف الله أمير كاتب العميد ابن أمير عمر بن

أمير غازى قوام الدين المكنى بأبى حنيفة الاتقانى الفارابى .

ولد فى اتقان فى شوال سنة ٦٨٥ هـ ، وأخذ عن أحمد بن أسعد الخريفعنى وعن حميد الدين على الضرير البخارى وغيرهم من علماء عصره ومصره . حتى نبغ وبرع ، وصار رأسا لعلماء الحنفية ، بارعا فى الفقه واللغة والأدب والتفسير والحديث . وكان كثير الإعجاب بنفسه . شديد التعصب لمذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه .

وله من التصانيف شرح المنتخب الحسامى وسماه (التبيين) وله شرح على كتاب الهداية سماه (غاية البيان ونادرة الأقران) وقدم بغداد ، وكان خبره قد ذاع فيها ، وانتشر صيته ، فاستقبله العلماء فيها وأكرموه وأخذوا عنه ، وقد ولى التدريس بمدرسة الإمام أبى حنيفة بالمشهد .

وزار دمشق سنة ٧٤٧ هـ واجتمع بنائب السلطنة فيها . وولاه تدريس دار الحديث الظاهرية . ومنها زار مصر سنة ٧٥١ هـ ، وقابل الأمير صرغتمش فأكرمه وبنى له المدرسة الصرغتمشية ، ثم عاد إلى بغداد وولى قضاءها ، ثم رحل إلى دمشق ثانية .

توفى فى الحادى عشر من شوال سنة ٧٥٨ هـ .

راجع الفوائد البهية / ٥٠ - ٥٢ وكشف الظنون ٢ / ١١٩١ (مدرسة الإمام أبى حنيفة - وليد الأعظمى / ٦٩) .

انظر : أبو حنيفة (مدرسة الإمام -) .

* **أبو حنيفة (الإمام الأعظم -) (٨٠ - ١٥٠هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧ م) :**

هو النعمان بن ثابت ، التيمى بالولاء ، الكوفى ، أبو حنيفة إمام الحنفية ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . كان عالما عاملا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، تقيا ، كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى . ولد سنة ٨٠ هـ ، وأدرك أربعة من الصحابة هم : أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى وسهل بن سعد الساعدى وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه ، وأصحابه يقولون : لقى جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل . وفى «تاريخ بغداد » أنه رأى أنس بن مالك . أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان خزازا يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء . وأراده يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين على القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد - آخر ملوك بنى أمية - فامتنع ورعا ، فضربه ١١٠ أسواط ، كل يوم ١٠ أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله ، وأراده المنصور العباسى بعد ذلك على القضاء ببغداد ، فأبى ، فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فحبسه إلى أن مات وكان قوى الحجة ، من أحسن الناس منطقا . قيل لمالك بن أنس : « هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » . وعن الإمام الشافعى : « الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة » وقال جعفر بن ربيع : «أقمت على أبى حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صمتا منه ، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادى ، وسمعت له دويا وجهارة فى الكلام » توفى سنة ١٥٠ هـ . وكانت وفاته فى السجن له « مسند » فى الحديث جمعه تلاميذه ، و «الخارج» فى الفقة ، رواه عنه تلميذه أبو يوسف . (كتاب الوفيات / ١٢٩) .

روى الحديث وأخذه عن الصحابة ، ودون تصانيفهم ، مثل كتاب « الآثار » لمحمد بن الحسن ، وفى تصانيف أبى يوسف منه الكثير ، وجمع أبو محمد الحارثى بعد الثلثمائة مسندا من حديثه فى مجلد ، رواه عن أبى حنيفة الحسن بن زياد اللؤلؤى ، ورتبه على أبواب الفقه قاسم بن قطلوبغا ، وشرحه السيوطى فى التعليقة المنيفة ، وملا على القارى ، والملا محمد حسن فى « تنسيق النظام بشرح مسند الإمام » وجمعه أيضا أبو بكر بن المقرى فى مسند أقل من مسند الحارثى ، وجمع أبو الخير بن المظفر له مسندا ، وجمع ابن خسرو له مسندا .

جمع له محمد بن محمود الخوارزمى خمسة عشر مسندا جمعها فحول المحدثين ، وذكر أيوب الخلوتى أن له سبعة عشر مسندا .

أخذ أبو حنيفة الفقه والحديث عن حماد بن أبى سليمان ، وعطاء ، ونافع ، وابن هرمز ، وقتادة ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم

وتفقه به وروى عنه أصحابه : زفر ، وأبو يوسف ، والحسن ابن زياد ، وأبو مطيع البلخى ، وابن المبارك ، ووكيع ، وداود الطائى وغيرهم .

شهد له العلماء بالفقه وجودة الرأى ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه .

ولم يصل إلينا شيء من كتبه في الفقه، وإنما وصلت إلينا كتب تلاميذه ولا سيما أبي يوسف ومحمد، ويلقبان عادة بالصاحبين، أي صاحبي أبي حنيفة. توفي الإمام أبو حنيفة ببغداد سنة ١٥٠ هـ، وهو من الطبقة السادسة، وقد انتشر مذهبه في العراق (المبتكر / ٢٦١ ـ ٢٦٤) .

وهو أول من بوب الفقه وحرر فصوله ورتب قياسه وقال فيه بالرأي لكثرة الوضاعين من زنادقة العراق، وحرصه على ألا يأخذ بالشك في دينه. فلم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا. (تاريخ الأدب العربي / ٣٨٢) .

شيوخ أبي حنيفة وأصحابه :

قال الذهبي :

تفقه بحماد بن أبي سليمان صاحب إبراهيم النخعي وبغيره وقال : اختلفت إلى حماد خمس عشرة سنة. وفي رواية أخرى عنه قال : صحبته عشرة أعوام أحفظ قوله وأسمع مسائله. وسمع الحديث من عطاء بن أبي رباح بمكة، وقال: ما رأيت أفضل من عطاء. وسمع من عطية العوفي، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعكرمة، ونافع، وعدي بن ثابت، وعمرو بن دينار، وسلمة بن كهيل، وقتادة بن دعامة، وأبي الزبير، ومنصور، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وعدد كثير من التابعين.

تفقه به جماعة من الكبار، منهم زفر بن الهذيل، وأبو يوسف القاضي، وابنه حماد بن أبي حنيفة، ونوح بن أبي مريم المعروف بنوح الجامع، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو القاضي. وروى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون، فمن أقرانه مغيرة بن مقسم، وزكريا بن أبي زائدة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، ومالك بن مغول، ويونس بن أبي إسحاق. وممن بعدهم زائدة، وشريك، والحسن بن صالح، وأبو بكر بن عياش، وعيسى بن يونس، وعلي بن مسهر، وحفص بن غياث، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك، وأبو معاوية، ووكيع، والمحاربي، وأبو إسحاق الفزاري، ويزيد بن هارون، وإسحاق بن يوسف الأزرق، والمعافى بن عمران، وزيد بن الحباب، وسعد بن الصلت، ومكي بن إبراهيم، وأبو عاصم النبيل، وعبد الرزاق ابن همام، وحفص بن عبد الرحمن السلمي وعبيد الله بن موسى، وأبو عبد الرحمن بن المقرىء، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وأبو نعيم، وهوذة بن خليفة، وأبو أسامة، وأبو يحيى الحماني، وابن نمير، وجعفر بن عون، وإسحاق بن سليمان الرازي، وخلائق.

(مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه / ١١ ، ١٢) .

أبو حنيفة والحديث الشريف :

للإمام أبي حنيفة رحمه الله مسانيد كثيرة رواها جماعة من حفاظ الحديث؛ قدامى ومحدثون :

قال في « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص٥٤ » :

« ... ومنهم أبو حنيفة (أي ممن أخذ عن مالك) فقد ذكر غير واحد أنه لقي مالكا وأخذ عنه شيئا من الأحاديث .

وذكر الجلال السيوطي في كتابه « تزيين الممالك بترجمة الإمام مالك » أن رواية أبي حنيفة عن مالك ذكرها جماعة من المتقدمين والمتأخرين .

فمن المتقدمين : الدارقطني في كتابه، وابن حجر، والبزار في « مسند أبي حنيفة (وهذا مسند آخر له رواه البزار الحافظ المشهور) » والخطيب البغدادي في كتب « الرواة عن مالك » .

وذكرها من المتأخرين : الحافظ مغلطاي، وسراج الدين البلقيني .

قال الزركشي في نكته : « صنف الدارقطني جزءا في الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك » .

وقال الحنفية : « أجل من روى عن مالك أبو حنيفة » اهـ بلفظه .

المسانيد التي ذكر الحافظ لأبي حنيفة :

ذكر في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » أن للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت خمس عشرة مسندا، سردها ورواتها، فقال :

« مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة : رواه حسن بن زياد اللؤلؤي » .

ورتب المسند المذكور الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، برواية الحارثي على أبواب الفقه، وله عليه « الأمالي » (ذكر

الإمام العينى فى عمدة القارى « أنه قرأ منه إلى الجزء الخامس» ولعله هو الذى أوله : « أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد : عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث البخارى المصنف . حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد الهروى، حدثنى أحمد بن عبد الله بن محمد الكندى بمصر، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا المبارك، حدثنا أبو حنيفة ... » إلخ) .

ومختصر المسند المسمى بـ المعتمد لـ « جمال الدين محمود بن أحمد القونوى الدمشقى » المتوفى سنة ٧٧٠ هـ، ثم شرحه وسماه « المستند » .

وجمع « زوائده » أبو المؤيد : محمد بن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥هـ أوله : الحمد لله الذى سقانا بطوله من أصفى شرائع الشرائع إلخ .

قال : « وقد سمعت بالشام عن بعض الجاهلين بمقداره ما ينقصه ويستصغره ، ويستعظم غيره وينسبه إلى قلة رواية الحديث، ويستدل على ذلك بمسند الإمام الشافعى وموطأ مالك . وزعم أنه ليس لأبى حنيفة مسند، وكان لا يروى إلا عدة أحاديث، فلحقتنى حمية دينية، فأردت أن أجمع بين خمسة عشر من مسانيده التى جمعها له فحول علماء الحديث :

الأول : الإمام الحافظ أبو محمد : عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثى المعروف بـ « عبد الله الأستاذ » .

الثانى : أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر : « الشاهد العدل » .

الثالث : الإمام الحافظ : أبو الحسن محمد بن المطهر ابن موسى بن عيسى بن محمد .

الرابع : أبو نعيم : الحافظ الأصبهانى الشافعى صاحب حلية الأولياء .

الخامس : الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى .

السادس : الإمام أبو أحمد : عبد الله بن عدلى الجرجانى .

السابع : الحافظ عمر بن حسن الشيبانى .

الثامن : أبو بكر أحمد بن محمد بن خالد الكلاعى .

التاسع : الإمام أبو يوسف القاضى : يعقوب بن إبراهيم الأنصارى والمروى عنه يسمى : « نسخة أبى يوسف » .

العاشر : الإمام محمد بن حسن الشيبانى، والمروى عنه يسمى « نسخة محمد » .

الحادى عشر : ابنه الإمام حماد (هو : حماد بن أبى حنيفة سماه باسم شيخه) ورواه عن أبى حنيفة .

الثانى عشر : الإمام محمد أيضا ، وروى معظمه عن التابعين (أى ما رواه أبو حنيفة عن التابعين) وما رواه يسمى «الآثار» .

الثالث عشر: الإمام الحافظ أبو القاسم : عبد الله بن أبى العوام السعدى .

الرابع عشر : الإمام الحافظ حسين بن محمد بن خسرو البلخى المتوفى سنة ٥٢٣هـ ، وقد خرجه تخريجا حسنا .

الخامس عشر : الإمام الماوردى .

واختصره الإمام شرف الدين إسماعيل بن عيسى بن دولة الأوغانى المكى وسماه : « اختيار اعتماد المسانيد فى اختصار أسماء بعض رجال المسانيد » وتوفى سنة ٨٩٢ هـ . ذكر فيه نبذة من مناقب الإمام .

واختصره أيضا الإمام أبو البقاء : أحمد بن أبى الضياء محمد القرشى العدوى المالكى . أوله : « الحمد لله رب العالمين إلخ ...

فهذا مختصر مسند الإمام الأعظم الذى جمعه الإمام أبو المؤيد الخوارزمى، حذفت الأسانيد منه، وما كان مكررا، وسميته « المستند فى مختصر المسند » .

واختصره محمد بن عباد الخلاطى المتوفى سنة ٦٥٢ هـ وسماه « مقتصد المستند » .

واختصره : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفى . وجمع زوائده أيضا : حافظ الدين محمد الكردرى المعروف بابن البزار، المتوفى سنة ٨٢٧هـ .

وشرحه جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ وسماه « التعليقة المنيفة على مسند أبى حنيفة » .

واختصره بعضهم : أوله : الحمد لله الذى أكمل ديننا » إلخ ... قال : لما رأى المسند الكبير لأبى المؤيد الخوارزمى ووجده مطولا بالأسانيد، فحذفه، ثم وجد مختصرين من المسند الكبير: أحدهما للإمام جمال الدين محمود بن

أبي العباس القونوي، والثاني للإمام أحمد بن أبي الضياء المكي، ورأى الأول ما وفى المقصود، والثاني أتى به ، لكنه ما حذف الحديث المكرر » اهـ بلفظه من كشف الظنون .

(مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحصكفي / ١٨ ـ ٢٣) .

وقد ذكر الكتاني مسند أبي حنيفة في كلامه على كتب الأئمة الأربعة فقال : ومسند إمام الأئمة ركن الإسلام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي الكوفي فقيه العراق المتوفى ببغداد سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة ، وله خمسة عشر مسندا وأوصلها الإمام أبو الصبر أيوب الخلوتي في ثبته إلى سبعة عشر مسندا كلها ينسب إليه لكونها من حديثه وإن لم تكن من تأليفه (الرسالة المستطرفة / ١٣) .

قال الإمام أبو زهرة رحمه الله :

وقد مات أبو حنيفة كما يموت الصديقون والشهداء، وكان ذلك في عام ١٥٠ هـ . وقد كان في الموت راحة لذلك الضمير المعنى، ولذلك الوجدان الديني المرهف، وذلك القلب القوى، والعقل الجبار، ولتلك النفس الصبور التي لاقت الأذى فاحتملته، لاقته من المخالفين في الآراء، ورميت بكل رمية ، فتحملت ما رميت به مطمئنة راضية مرضية، ولقيت الأذى من السفهاء، ثم لقيته من الأمراء ثم الخلفاء، وما ضعفت وما وهنت، وإذا كان للنفوس جهاد، ولجهادها ميادين ، فأبو حنيفة رضي الله عنه كان من أعظم أبطال ذلك النوع من الجهاد ، وممن انتصر في كل ميادينه، وكان جلدا في جهاده، حتى وهو يلفظ النفس الأخير. فهو يوصي بأن يدفن في أرض طيبة لم يجر عليها غصب، وألا يدفن في أرض قد اتهم فيها الأمير.

ولعظمة العلم والدين والخلق روعة وتأثير ، لا تقل عن عظمة السلطان وجاه الحكام ، ولذلك شيعت بغداد كلها جنازة فقيه العراق، والإمام الأعظم. ولقد قدر عدد من صلى عليه بخمسين ألفا، بل أن أبا جعفر الذى عذبه صلى على قبره بعد دفنه . ولا ندرى أكان ذلك إقرارا منه بعظمة الخلق والدين وجلال التقى، أم لإرضاء العامة ، ولعله مزيج من الأمرين ، فقد كان أبو حنيفة عظيما حقا . ولقد ذهبت أخبار الذين آذوه ، فلا يذكرون إلا بمظلمة ارتكبوها، أو دم أراقوه. أما هو فله آراء تدرس في مشارق الأرض ومغاربها، وعلم يتذاكره الناس ويتعلمونه ، ويجلون صاحبه ، رضي الله عنه وأرضاه (« أبو حنيفة » / ٣٧٧) .

قال الذهبي في وفاة أبي حنيفة :

قيل إنه بقي في نفس المنصور من أبي حنيفة لقيامه مع إبراهيم بن عبيد الله على المنصور، وكان أبو جعفر لا يصطلى له بنار، وفيه جبروت وشهامة . قال بشر بن الوليد: مات أبو حنيفة بالسجن ببغداد، ودفن في مقابر الخيزران . أحمد بن القاسم البرتي، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف قال : مات أبو حنيفة في نصف شوال سنة خمسين ومائة . وقال الواقدي وغيره: مات أبو حنيفة في رجب سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة . وقال الواقدي : مات ببغداد وكنت يومئذ بالكوفة . وقال أبو حسان الزيادي، ويعقوب بن شيبة: مات في رجب سنة خمسين . وجاء عن بعضهم : مات في شعبان. وفي رجب أصح رحمه الله تعالى . (مناقب الإمام أبي حنيفة / ٣٠) .

ترجم له صاحب الطبقات السنية ترجمة حافلة ننقل بعضها فيما يلي . قال المؤلف رحمه الله :

هو إمام الأئمة ، وسراج الأمة ، وبحر العلوم والفضائل، ومنبع الكمالات والفواضل، عالم العراق، وفقيه الدنيا على الإطلاق، من أعجز من بعده عن لحاقه، وفات من عاصره في سياقه، ومن لا تنظر العيون مثله ، ولا ينال مجتهد كماله وفضله .

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى، بضم الزاى وفتح الطاء، وهو المشهور، وقال ابن الشحنة ، نقلا عن شيخه مجد الدين الفيروزابادى، في « طبقات الحنفية »: إنه بفتح الزاى والطاء المهملة ، مثل سكرى . وكان زوطى مملوكا لبني تيم الله ابن ثعلبة، واختلف في أصله ، فقيل : من كابل، وقيل : من بابل، وقيل : من نسا، وقيل: من ترمذ، وقيل: من الأنبار، وقيل غير ذلك .

قال السراج الهندى : ووجه التلفيق بين هذه الروايات أن يكون جده من كابل، ثم انتقل منها إلى نسا، ثم إلى ترمذ، أو ولد أبوه بترمذ، ونشأ بالأنبار، ... إلخ .

قال ابن الشحنة : وهذا التلفيق أصله لخطيب خوارزم، ونظر ذلك ببعض مشايخه، فقال: كأبي المعالي الفضل بن

سهل الإسفرايني، فإن أباه من أسفراين، وولد هو بمصر، ونشأ بحلب، ثم أقام ببغداد، ومات بها، ويقال له : المصري الحلبي، البغدادي .

وروى الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٦) بسنده ، عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، أنه كان يقول : أنا إسماعيل ابن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط؛ ولد جدي في سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه ، وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب ذلك لعلي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه فينا . انتهى .

قال السراج الهندي، بعد نقل ما ذكر عن إسماعيل : وكذلك قاله أخو إسماعيل، ولا يحل لمسلم أن يظن بهما مع جلالة قدرهما، ودقة ورعهما، أن ينتسبا إلى غير آبائهما .

قال الخطيب البغدادي : والنعمان بن المرزبان، أبو ثابت، هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب الفالوذج يوم النيروز، فقال : نوروزونا كل يوم . وقيل : كان ذلك في المهرجان ، فقال : مهرجونا كل يوم .

وذكر في « الجواهر المضية » (١ / ٢٦ ، ٢٧) لأبي حنيفة نسبا طويلا، أوصله إلى آدم عليه الصلاة والسلام، تركنا ذكره لعدم صحته ، والله تعالى أعلم .

مولده ، ووفاته ، وصفته :

عن مزاحم بن داود بن علية، أنه كان يذكر عن أبيه أو غيره، أن أبا حنيفة ولد سنة إحدى وستين، ومات سنة خمسين ومائة . وقال الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٠) لا أعلم لصاحب هذا القول متابعا، ثم روى بسنده عن أبي نعيم ، أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين، وكان له يوم مات سبعون سنة ، ومات في سنة خمسين ومائة، وهو النعمان ثابت، وروى عنه بسند آخر، أنه قال : ولد أبو حنيفة سنة ثمانين بلا مائة، ومات سنة خمسين ومائة ، عاش سبعين سنة ، واختلف في الشهر الذي مات فيه ، فقال بعضهم : في شعبان، وقال بعضهم : في رجب، وعن أبي يوسف : أنه مات في النصف من شوال، وكانت وفاته بمدينة بغداد، ودفن بالجانب الشرقي منها في مقبرة الخيزران ، وقبره هناك ظاهر معروف مقصود بالزيارة .

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٥ / ٤٦ ، ٤٧) : وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي، مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي ، على قبره مشهدا وقبة ، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية (أفردنا مادة لكل من الضريح والمدرسة وتأتيان بعد هذه المادة) ولما فرغ من عمارة ذلك ، ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها، فبينما هم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي، وأنشد :

(جاء تعليق المحقق في هامش (٢) كما يلي :

البيتان في مناقب الإمام الأعظم ٢ / ١٩٤ ، ومناقب الكردري ٢ / ٣٣ ، وهما في المصدرين للشريف أبي جعفر مسعود بن أبي المحسن العباسي، وفي الاسم خطأ كما ترى) .

ألم تر أن العلم كان مبددا
فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة
فأنشرها فعل العميد أبي سعد

فأجازه أبو سعد بجائزة سنية ، وكان بناء المشهد والقبة ، في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وقيل : الذي بنى ذلك ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه . قال ابن خلكان : والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور، وهو كان المباشر، كما جرت عادة النواب مع ملوكهم ، فنسبت العمارة إليه بهذا الطريق انتهى .

وأما ما ورد في صفة أبي حنيفة :

فمنه ما ذكر أبو نعيم ، قال : كان أبو حنيفة حسن الوجه ، حسن الثياب، طيب الريح، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه . وقال أبو يوسف : كان أبو حنيفة ربعة من الرجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، وكان أحسن الناس منطقا، وأحلاه نغمة، وأنبهه على ما يريده . وعن عمر ابن حماد بن أبي حنيفة، أن أبا حنيفة كان طوالا تعلوه سمرة، وكان لباسا، حسن الهيئة، كثير التعطر ، يعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن نراه رضي الله عنه .

مناقب أبي حنيفة رضي الله عنه وثناء الأئمة عليه :

عن إبراهيم بن عبد الله الخلال، قال : سمعت ابن المبارك يقول : كان أبو حنيفة آية . فقال له قائل : في الشر يا

أبا عبد الرحمن ، أو فى الخير؟ فقال : اسكت يا هذا؛ فإنه يقال : غاية فى الشر، آية فى الخير، ثم تلا هذه الآية : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون : ٥٠] وعن ابن المبارك أيضا (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٦) قال : ما كان أوقر مجلس أبى حنيفة ، كان حسن السمت ، حسن الوجه ، حسن الثوب ، ولقد كنا يوما فى مسجد الجامع ، فوقعت حية ، فسقطت فى حجر أبى حنيفة ، وهرب الناس غيره ، ما رأيته زاد على أن نفض الحية ، وجلس مكانه . وعنه أيضا ، أنه قال : لولا أن الله أعاننى بأبى حنيفة وسفيان ، لكنت كسائر الناس . وعن أبى يحيى الحمانى أنه كان يقول : ما رأيت رجلا قط خيرا من أبى حنيفة . وكان أبو بكر الواعظ (هو ابن عياش) يقول : أبو حنيفة أفضل أهل زمانه . وعن سهل بن مزاحم (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٧) أنه كان يقول : بذلت الدنيا لأبى حنيفة فلم يردها ، وضُرب عليها بالسياط فلم يقبلها .

وقيل للقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود : ترضى أن تكون من غلمان أبى حنيفة ؟ قال : ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبى حنيفة . وحدث الشافعى محمد بن إدريس ، قال : قيل لمالك بن أنس : هل رأيت أبا حنيفة؟ قال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا ، لقام بحجته . وعن روح بن عبادة ، أنه قال : كنت عند ابن جريج سنة خمسين ، وأتاه موت أبى حنيفة ، فاسترجع ، وتوجع ، وقال : أى علم ذهب قال : ومات فيها ابن جريج ...

وعن أبى عبد الله الكاتب ، قال : سمعت عبد الله بن داود الخريبى (نسبة إلى الخريبة وهى محلة بالبصرة) يقول : يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبى حنيفة فى صلواتهم .

قال : وذكر حفظه عليهم السنن والفقه .

وقال شداد بن حكيم : ما رأيت أعلم من أبى حنيفة .

وقال مكى بن إبراهيم : كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه .

وقال النضر بن شميل : كان الناس نياما عن الفقه ، حتى أيقظهم أبو حنيفة فيما فتقه وبينه ولخصه .

وحدث أحمد بن على بن سعيد القاضى ، قال سمعت يحيى بن معين ، يقول : سمعت يحيى بن سعيد القطان ، يقول : لا نكذب الله ، ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله .

قال يحيى بن معين : وكان يحيى بن سعيد يذهب فى الفتوى إلى قول الكوفيين ، ويختار من قولهم قوله ، ويتبع رأيه من بين أصحابه .

وقال الإمام الشافعى : الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه . وقال أيضا : ما رأيت أفقه من أبى حنيفة . يعنى ما علمت . وقال : كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ، ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى ، ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى ، ومن أراد أن يتبحر فى تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان .

وعن حرملة ، أنه قال : سمعت الشافعى ، يقول : الناس عيال على هؤلاء الخمسة .

وعن الحسن بن عثمان ، أنه كان يقول : وجدت العلم بالعراق والحجاز ثلاثة ، علم أبى حنيفة ، وتفسير الكلبى ، ومغازى محمد بن إسحاق .

وعن أحمد بن عطية ، قال : سمعت يحيى بن معين ، يقول : القراءة عندى قراءة حمزة ، والفقه فقه أبى حنيفة ، على هذا أدركت الناس .

وعن أبى على الجبائى المعتزلى المشهور ، أنه قال : الحديث لأحمد بن حنبل ، والفقه لأصحاب أبى حنيفة ، والكلام للمعتزلة ، والكذب للرافضة .

وقال جعفر بن ربيع : أقمت على أبى حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صمتا منه ، فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادى ، وسمعت له دويا ، وجهارة بالكلام .

وقال إبراهيم بن عكرمة المخزومى : ما رأيت أحدا أورع ، ولا أفقه من أبى حنيفة ...

وروى الخطيب أيضا (تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٨ ، ٣٤٩) ، عن النضر بن محمد ، قال : دخل قتادة الكوفة ، ونزل فى دار أبى بردة ، فخرج يوما ، وقد اجتمع إليه خلق كثير ، فقال قتادة : والله الذى لا إله إلا هو ، ما يسألنى اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته . فقام إليه أبو حنيفة ، فقال : يا أبا الخطاب ، ماتقول فى رجل غاب عن أهله أعواما ، فظنت

امرأته أن زوجها مات، فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول، ما تقول فى صداقها ؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه : لئن حدث بحديث ليكذبن، وإن قال برأى نفسه ليخطئن. فقال قتادة : ويلك، أوقعت هذه المسألة؟ قال : لا قال : فلم تسألنى عما لم يقع؟ فقال أبو حنيفة : إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه قال قتادة : والله لا أحدثكم بشىء من الحلال والحرام، سلونى عن التفسير فقام إليه أبو حنيفة، فقال له : يا أبا الخطاب : ما تقول فى قول الله تعالى : ﴿ **قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ ؟ قال : نعم، هذا آصف بن برخيا بن شمعيا، كاتب سليمان بن داود. وكان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبو حنيفة : وهل كان يعرف الاسم سليمان ؟ قال : لا. قال : فيجوز أن يكون فى زمان نبى من هو أعلم من النبى؟ قال : فقال قتادة : والله لا أحدثكم بشىء من التفسير، سلونى عما اختلف فيه العلماء. قال : فقام إليه أبو حنيفة، فقال : يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال : أرجو قال : ولم ؟ قال : لقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام [الشعراء : ٨٢] ﴿**والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين**﴾ فقال أبو حنيفة : فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : قال ﴿ **أولم تؤمن قال بلى** ﴾ [البقرة : ٢٦٠] قال، فقام قتادة مغضبا، ودخل الدار، وحلف أن لايحدثهم ...

فى ذكر ما نقل فى حق الإمام، رضى الله تعالى عنه، من أنه كان من كبار الحفاظ للحديث الشريف، وكان مقبول القول فى الجرح والتعديل، وفى ذكر طائفة ممن روى عن الإمام، وروى الإمام عنه، وأنه كان من كبار الثقات، وثقات الكبار، رضى الله تعالى عنه : قال الخطيب فى تاريخه (تاريخ بغداد ١٢ / ٣٢٣، ٣٢٤) : النعمان بن ثابت، أبو حنيفة، التيمى، رأى أنس بن مالك، رضى الله عنه، وسمع عطاء بن أبى رباح، وأبا إسحاق السبيعى، ومحارب بن دثار، وحماد ابن أبى سليمان، والهيثم بن حبيب الصراف، وقيس بن مسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافعا مولى ابن عمر، وهشام بن عروة، ويزيد الفقير، وسماك بن حرب، وعلقمة بن مرثد، وعطية العوفى، وعبد العزيز بن رفيع، وعبد الكريم أبا أمية وغيرهم.

وروى عنه أبو يحيى الحمانى، وهشيم بن بشير، وعباد بن العوام، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون، وعلى بن عاصم، ويحيى بن نصر بن حاجب، وأبو يوسف القاضى، ومحمد بن الحسن الشيبانى، وعمرو بن محمد العنقزى (نسبة إلى العنقز، وهو المرزنجوش، وقيل الريحان وكان عمرو بن محمد يبيعه أو يزرعه) وهوذة بن خليفة، وأبو عبد الرحمن المقرى، وعبد الرزاق بن همام، فى آخرين لا يحصون.

وقال فى « الجواهر » (الجواهر المضية ١/ ٣) نقلا عن «كتاب التعليم » : إنه روى عن أبى حنيفة، ونقل مذهبه نحو من أربعة آلاف نفر.

وقال أبو إسحاق الشيرازى : كان فى زمنه أربعة من الصحابة : أنس بن مالك، وعبد الله بن أبى أوفى، وسهل بن سعد، وأبو الطفيل، ولم يأخذ عن أحد منهم.

وكان أبو حنيفة ممن تلقى عنه الحفاظ، وعملوا بقوله فى الجرح والتعديل، كتلقيهم عن الإمام أحمد، والبخارى، وابن معين، وابن المدينى، وغيرهم من شيوخ الفن.

وعن يحيى الحمانى، قال : سمعت أبا حنيفة، يقول : ما رأيت أكذب من جابر الجعفى، ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح.

وعن عبد الحميد الحمانى : سمعت أبا سعيد الصنعانى وقام إلى أبى حنيفة، فقال : يا أبا حنيفة، ما تقول فى الأخذ عن الثورى فقال : اكتب عنه، فإنه ثقة، ما خلا أحاديث أبى إسحاق عن الحريث، وحديث جابر الجعفى.

وقال أبو حنيفة : طلق بن حبيب كان يرى القدر.

وقال : زيد بن عياش ضعيف.

وعن سفيان بن عيينة، قال : أول من أقعدنى للحديث أبو حنيفة، قدمت الكوفة، فقال أبو حنيفة : إن هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار، فاجتمعوا علىّ، فحدثتهم.

فى ذكر عبادته، وورعه، وثناء الناس عليه بذلك :

عن يحيى بن معين، أنه قال : سمعت يحيى القطان، يقول : جالسنا والله أبا حنيفة، وسمعنا منه، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت فى وجهه أنه يتقى الله عز وجل.

وعن الحسن بن محمد الليثى، أنه كان يقول : قدمت

الكوفة ، فسألت عن أعبد أهلها ، فدفعت إلى أبي حنيفة ، ثم قدمتها وأنا شيخ ، فسألت عن أفقه أهلها ، فدفعت إلى أبي حنيفة .

وعن سويد بن سعيد ، قال : سمعت سفيان بن عيينة ، يقول ما قدم رجل مكة في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة .

وقال أبو مطيع : كنت بمكة ، فما دخلت الطواف في ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان في الطواف .

وقال يحيى بن أيوب الزاهد : كان أبو حنيفة لا ينام الليل .

وقال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد؛ لكثرة صلاته .

وعن أسد بن عمرو ، قال : صلى أبو حنيفة - فيما حفظ عليه - صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة ، فكان عامة الليل يقرأ القرآن جميعه في ركعة واحدة ، وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ...

وكان خارجة بن مصعب ، يقول : ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان ، وتميم الداري ، وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة ، رضي الله تعالى عنهم .

وكان أبو حنيفة ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ...

وقال وكيع : كان ، والله ، أبو حنيفة عظيم الأمانة ، وكان الله في قلبه جليلا كبيرا عظيما ، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء ، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه رضي الأبرار ، فلقد كان منهم .

وقال ابن المبارك : ما رأيت أحدا أورع من أبي حنيفة ، وقد جرب بالسياط والأموال .

في بيان ما روى وصح عن أبي حنيفة ، من إرادتهم إياه على القضاء ، وامتناعه من قبوله ، وضربهم إياه بالسياط على ذلك ، رحمه الله تعالى .

روى الخطيب بسنده ، أن ابن هبيرة (والي مروان بن محمد على العراقين) كلم أبا حنيفة أن يلي قضاء الكوفة ، فأبى عليه ، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله . وكان ابن هبيرة إذ ذاك عامل مروان على العراق في زمان بني أمية .

وروى الخطيب أيضا ، أنه كان يخرج كل يوم ، أو بين الأيام ، فيضرب ، ليدخل في القضاء ، فيأبى . ولقد بكى في بعض الأيام ، فلما أطلق ، قال : كان غم والدتي أشد عليَّ من الضرب .

وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر له ذلك بكى ، وترحم عليه ، خصوصا بعد أن ضُرب هو أيضا .

وروى عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، أنه قال : مررت مع أبي بالكناسة (محلة بالكوفة) فبكى ، فقلت : ما يبكيك يا أبت؟ قال : يا بني ، في هذا الموضع ضرب ابنُ هبيرة أبي عشرة أيام ، في كل يوم عشرة أسواط ، على أن يلي القضاء ، فلم يفعل .

وروى الخطيب بسنده ، عن بشر بن الوليد الكندي ، قال : أشخص أبو جعفر المنصور أبا حنيفة من الكوفة ، فأراده على أن يوليه القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فحلف المنصور ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فقال الربيع الحاجب : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف! فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني . فأبى أن يلي ، فأمر به إلى الحبس في الوقت .

وروى أن أبا جعفر المنصور بعد أن حبسه دعاه يوما ، وقال له : أترغب عن ما نحن فيه ؟ فقال أصلح الله أمير المؤمنين ، لا أصلح للقضاء . فقال له : كذبت . ثم عرض عليه الثانية ، فقال أبو حنيفة : قد حكم على أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء ، لأنه نسبني إلى الكذب ، فإن كنت كاذبا فلا أصلح ، وإن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح . فلم يقبل منه ورده إلى الحبس ، فأقام به إلى أن مات فيه ، على الصحيح من الروايات ...

قال عباس : وهذا قبره في مقابر الخيزران إذا دخلت من باب القطانين يسرة ، بعد قبرين أو ثلاثة . وقيل : إن المنصور أقدمه بغداد لأمر آخر غير القضاء ، وقيل : إنه أقام بعد قدومه إلى بغداد خمسة عشر يوما ، ثم سقاه المنصور ، فمات ، رحمه الله تعالى ، ورضي الله عنه ، وذلك في سنة خمسين ومائة ، وله من العمر سبعون سنة .

في ذكر جود أبي حنيفة، وسماحه، وحسن عهده، رضى الله تعالى عنه :

عن قيس بن الربيع، قال : كان أبو حنيفة رجلا ورعا فقيها، محسودا، وكان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه .

وقال أيضا : كان أبو حنيفة من عقلاء الرجال، وكان يبعث بالبضائع إلى بغداد، يشترى بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشترى بها حوائج الأشياخ المحدِّثين وأقواتهم، وكسوتهم، وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول : أنفقوا فى حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله ؛ فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئا، ولكن من فضل الله على فيكم وهذه أرباح بضاعتكم ؛ فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدى فما فى رزق الله حول لغيره .

وحدث حجر بن عبد الجبار، قال : ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبى حنيفة، ولا أكثر إكراما لأصحابه .

وقال حفص بن حمزة القرشى : كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسه، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله، وإن مرض عاده .

وكان أكرم الناس مجالسة .

وأما ما ينسب إلى أبى حنيفة من الشعر فكثير، منه قوله :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم

قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسدوا

فدام لى ولهم ما بى وما بهم

ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ومنه قوله وقد اتفق له مع شيطان الطاق فى الحمام لما رآه الإمام مكشوف العورة، ونهاه عن ذلك، ما هو مشهور، وهو :

أقول وفى قولى بلاغ وحكمة

وما قلت قولا جئت فيه بمنكر

ألا يا عباد الله خافوا إلهكم

فلا تدخلوا الحمَّام إلا بمئزر

قالت المؤلفة : يلاحظ الاقتباس فى عجز البيت الثانى فقد ضمنه الإمام أبو حنيفة جزءا من الحديث النبوى الشريف الذى أوردناه فى مادة « الحمامات » (م١٤/ ٥٤٩)نقلا عن كتاب الترغيب والترهيب لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى (ص١٩) الذى أورده بلفظ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ... إلخ » رواه النسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه . كما أخرج الحديث الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٨٦) بلفظ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار ... إلخ» من رواية الترمذى والحاكم عن جابر وقال عنه حديث حسن .

وأما شيطان الطاق : كما جاء فى هامش (٣) للمحقق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ

فهو أبو جعفر محمد على بن النعمان البجلى الكوفى الأحول .

وإنما سمى بالطاق ؛ لأنه كان يعانى الصرف بطاق المحامل بالكوفة .

كان فصيحا بليغا، فقيها مناظرا ويقال إن أبا حنيفة هو الذى سماه شيطان الطاق .

وكانت وفاته نحو سنة ستين ومائة .

قال صاحب الطبقات السنية :

وأما ما كان يتمثل به أبو حنيفة من الشعر، وما مدح به رضى الله تعالى عنه من النظم، فكثير لا يدخل تحت الحصر، ومنه قول بعضهم :

لأبى حنيفة ذى الفخار قراءة

مشهورة منخولة غراء

عرضت على القراء فى أيامه

فتعجبت من حسنها القراء

لله در أبى حنيفة إنه

خضعت له القراء والفقهاء

خلف الصحابة كلهم فى علمهم

فتضاءلت لجلاله العلماء

سلطان من فى الأرض من فقهائها

وهم إذا أفتوا له أصداء

إن المياه كثيرة لكنه

فضل المياه جميعها صَدَّاء

(صداء : ركية ليس عند العرب ماء أعذب منها ، ومنه قولهم « ماء ولا كصداء » وهو مثل يقال في الرجلين يكونان ذوى فضل ، غير أن لأحدهما فضلا على الآخر. معجم البلدان ٣/ ٣٧٢) .

قال ابن الشحنة : وكأن « أصداء » هذا جمع صدى بالقصر، وهو الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، إشارة إلى أن الأصل منه نشأ وعنه أخذ ؛ لأنه كان كافل الفقهاء ومربيهم، لأنهم عياله ، كما نص عليه الشافعي . انتهى .

وفي هذه الأبيات تصريح بأن الإمام رضي الله تعالى عنه كان من المتقدمين في فن القراءات، كما هو من المتقدمين السابقين في علم الفقه . وهو كذلك، فقد أفردوا بالتآليف قراءته التي انفرد بها، ورووها عنه بالأسانيد .

وممن أفردها بالتأليف أبو القاسم الزمخشري، وأبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري، بموحدة وسين مهملة ، في كتابه المعروف بـ« الكامل »، وغيرهما .

وممن روى عنه القراءة أبو يوسف، ومحمد رحمهما الله، وغيرهما وحروفه معروفة مذكورة في « المناقب»، وغيرها .

وقد وضع بعض الحساد قراءات ونسبها إليه ، فأظهر الله الحق، ومحق الباطل، وجوزى كل بفعله .

وقال صاحب المناقب يمدحه (البيتان في : مناقب الإمام الأعظم ١/ ٢٣، مناقب الكردري ١/ ٣٠) .

رسول الله قال سراج ديني
وأمتي الهداة أبو حنيفه
غدا بعد الصحابة في الفتاوى
لأحمد في شريعته خليفه

وقال غيره، يصفه بالعلم والعبادة، من أبيات :

نهار أبي حنيفة للإفاده
وليل أبي حنيفة للعباده
وودع نومه خمسين عاما
لطاعته وخداه الوساده

وكان يحيى بن معين إذا ذكر من يتكلم في أبي حنيفة ، يقول :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدا وبغيا إنه لذميم

وقيل لعبد الله بن طاهر: الناس يقعون في أبي حنيفة ، فقال :

ما يضر البحر أمسى زاخرا
أن رمى فيه غلام بحجر

ثم أنشد :

إن يحسدوني فزاد الله في حسدي
لا عاش من عاش يوما غير محسود
ما يُحسد المرء إلا من فضائله
بالعلم والبأس أو بالمجد والجود

وقال :

فازداد لي حسدا من لست أحسده
إن الفضيلة لا تخلو عن الحسد
ما ضرني حسد اللئام ولم يزل
ذو الفضل يحسده ذوو النقصان
يا بؤس قوم ليس ذنبي بينهم
إلا تظاهر نعمة الرحمن

ولله در الشريف الرضي، حيث يقول :

نظروا بعين عداوة ولو انها
عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا
يولونني شزر العيون لأنني
غلّست في طلب العلى وتصبّحوا

ومما أنشده صاحب المناقب في مدح الإمام، وذكر واقعته مع ابن هبيرة، قوله :

أرضيت نفسك ضارب النعمان
فكسبت جهلا سخطة الرحمن
ما زلت تنقص لا تزيد بضربه
يا بئس ما قدمت للميزان
أضربت عابد ربه في ليله
ونهاره يا عابد الشيطان

أعطيتــه الــدنيــا ولكن ردهــا
رد التقى الخــائف الــربــانى
حــر السيــاط قــد ارتضى كي لا يــرى
يــوم الجــزاء مقــامع النيــران
مــا ذل يــا ابن هبيــرة بــالضــرب من
مــلأ الفــؤاد بعــزة الإيمــان

وعن سفيان بن عيينة، قال: قال مساور الوراق، وكان رجلا صالحا في أبى حنيفة، وله فيه رأى :

إذا مــا النــاس يــومــا قــايسـونــا
بمعضلــة مـن الفتيــا لطيفــه
أتينــاهـم بمقيــاس صحيح
بــديع من طــراز أبى حنيفــه
إذا سمع الفقيــه بــه وعــاه
وأثبتــه بحبــر فـى صحيفــه

وعن الحسن بن الربيع، قال: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول :

رأيت أبــا حنيفــة كل يــوم
يــزيــد نبــاهــة ويــزيــد خيــرا
وينطق بــالصــواب ويصطفيــه
إذا مــا قــال أهل الحق حــورا
يقــايس من يقــايســه بلب
ومن ذا تجعلــون لــه نظيــرا
كفــانــا فقــد حمّــاد وكــانت
مصيبتنــا بــه أمــرا كبيــرا
رأيت أبــا حنيفــة حين يــؤتى
ويطلب علمــه بحــرا غــزيــرا
إذا مــا المشكــلات تــدافعتهــا
رجــال العلم كــان بهــا بصيــرا

(الطبقات السنية ١/ ٨٦ ـ ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٣ ـ ١٠٧ ، ١٠٩ ـ ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٩ ـ ١٢٣ ـ ١٥٨ ـ ١٦٦) .

وقد أورد صاحب الطبقات السنية فى ختام ترجمته وصيتين للإمام أبى حنيفة، الأولى منهما وصية عامة أوصى بها أصحابه وإخوانه، والثانية أوصى بها الإمام أبا يوسف وقد آثرنا أن ندرجهما تحت مادة « الوصايا » التى تأتى فى حرف الواو إن شاء الله تعالى .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني ـ تحقيق عادل نويهض / ١٢٩ ، ١٣٠ هامش المحقق، والمبتكر الجامع لكتابى «المختصر والمعتصر» ـ عبد الوهاب عبد اللطيف / ٢٦١ ـ ٢٦٤، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٣٨٢، ومناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ـ عنى بتحقيقه والتعليق عليه محمد زاهد الكوثرى، وأبو الوفا الأفغانى. عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند. بدون تاريخ / ١١، ١٢، ٣٠، ومسند الإمام أبى حنيفة برواية الحصكفى ـ قدم له وقام بتصحيحه عبد الرحمن حسن محمود . مكتبة الآداب . القاهرة ١٩٨١ / ١٩ ـ ٢٢، والرسالة المستطرفة لمولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٣، و « أبو حنيفة » فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة . دائرة معارف الشعب . كتاب الشعب ٨٨ . مطابع الشعب ١٩٦٠ / ٣٧٧، والطبقات السنية فى تراجم الحنفية للمولى تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى العربى المصرى ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوا / ٨٦ ـ ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣ ـ ١٠٧، ١٠٩ ـ ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٩ ـ ١٢٣، ١٥٨ ـ ١٦٦ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٨ / ٣٦، والانتصار والترجيح للمذهب الصحيح لأبى المظفر جمال الدين يوسف بن فرغلى بن عبد الله البغدادى سبط ابن الجوزى ـ قدم له وعلق عليه فضيلة الأستاذ محمد زاهد الحسن الكوثرى. وقف على طبعه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى بدون تاريخ / ١٨ ـ ٢٤، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء للإمام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر / ١٢٢، ١٢٣، ونور الأبصار للشبلنجى . ط دار الغد العربى / ٣٦٨ ـ ٣٧٣، و « الإمام أبو حنيفة » ـ الشيخ وهبى سليمان غاوجى. من أعلام التربية العربية الإسلامية . مكتب التربية العربى لدول الخليج م ١ / ١٢٥ ـ ١٥٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٢٥، ١٢٦، والفهرست لابن النديم / ٢٨٤، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢٥ / ١٧٤ ـ ١٩٤).

انظر : الحنفى (المذهب ـ) ، أبو حنيفة (مدرسة ـ) ، أبو حنيفة (مسجد وضريح) .

*** أبو حنيفة الدينورى (ـ ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :**

يحتل أبو حنيفة الدينورى مكانة هامة وخاصة بين علماء العرب الذين اهتموا بالنبات، وتركوا كتبا خاصة فيه ، وإنما

استحق أبـو حنيفـة هـذه المكـانـة لأسبـاب كثيـرة أهمهـا : المؤلفات الكثيرة التى تركهـا والتى بلغ عددها واحدا وعشرين كتابا تناولت تفسير القرآن، والفقه، والمنطق، والرياضيات، والأدب، واللغة والبلاغـة، والأنواء، والفلك، والتاريخ. ثم وفـرة المصادر التى تحـدثت عنه والتى بلغ عـددها أكثـر من خمسين بحثا باللغات العربية والأجنبية. والقيمة التى يحملها كل من كتابيـه فى التاريخ(الأخبار الطـوال). وفى النبات، الذى استطـاع فى أولها أن يكتسـب نبوغـا ممتازا فى تصـوير الحوادث التـاريخية بأسلوب عـربى مبين، وبطراز فـريد فى المنهج التأليفى. إنه أسلوب منطقى يخاطب العقل ويستهوى القارىء، فى لفظ سهل، وجـرس موسيقى متـلاحق، وعبارة متصلة أخاذة، نسجها الدينورى نسجا فريدا.

وعلى الرغم من هذه المكانة الهامة التى يحتلها الدينورى فى تـاريخ علم النبـات العربـى، ومن كونـه « شيخ النبـاتيين العـرب على الإطـلاق »، فإننا لا نعـرف الكثيـر من تفـاصيل حياته، التى نوجزها فيما يلى :

فهو أبـو حنيفة أحمد بن داود بن وَنَنْد، ويسمى أيضـا أبا عبد الله بن على العشاب. ينسب إلى دينور.

ولـد أبو حنيفـة فى دينـور هذه فـى العقد الأول من القـرن الثالث الهجرى. وعاش معظم حياته فيها، وأمضى شبابه فى الرحـلات التى قادته إلى قلب الحضـارة العربية، فى بـلاد ما بين النهرين والفرات، ثم امتدت به أسفاره إلى المدينة المنورة وإلى فلسطين، وإلى شـواطىء الخليج العربى، ولقـد عاش فيها أزمانا، طالت أو قصرت وتركت فى نفسه ذكرا، وفى فكره علماً.

أخذ دروسه عن البصريين والكوفيين، وتتلمذ فى فقه اللغة على العالم النحوى الكوفى السكيت وعلى ولده ابن السكيت نفسه، ودرس معارف كثيرة، جعلت منه دائرة معارف عصره، ودفعتـه إلـى التأليف فى النحـو واللغـة والهنـدسـة والهيئـة والحساب والنبات والتاريخ.

انتقل إلى أصفهـان سنـة ٢٣٥ هـ (٨٥٠ م) وعـاش بهـا مدة، واشتغل برصد الكواكب، وسجل نتائج الأرصاد التى قام بها فى معمله الفلكى الـذى كان يقيمه فى بيته والـذى شاهده الفلكى المشهور، عبد الرحمن الصوفى المتوفى سنة ٣٧٦هـ (٩٨٦ م).

أما وفاة أبى حنيفـة الدينورى فقد كـانت فى أوثق الروايات يـوم السادس والعشـرين من جمـادى الأولى سنـة ٢٨٢هــ، (الرابع والعشرين من تموز - يولية ٨٩٥ م)

(تراث العرب القديم / ٢٥، ٣٠).

قال القفطى :

أحمد بن داود أبو حنيفة الدينورى، من أهل الدينور، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت وأبيه، وكان مفتنًا فى علوم كثيرة، منها النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب، ثقة فيما يرويه ويمليـه، معروفا بالصدق، وله من الكتب كتاب « الفصاحة ». كتاب « الأنواء». كتاب «حساب الدور » كتـاب « الرد على رصد الأصبهـانى » (هو الحسن بن عبد الله المعـروف بلغزة الأصبهانـى) ذكر الداودى أنـه كتاب «الرد على لغـزة »، كتاب « البحث فى حساب الهنـد » كتاب «البلـدان » كبيـر. كتاب « الجمع والتفـريق » كتـاب « الجبـر والمقابلـة » كتاب « نـوادر الجبر» كتاب « الـوصايـا ». كتاب «الشعر والشعـراء » كتاب « لحن العـامة » (فى الفهـرست : كتاب ما يلحن فيه العامة) كتاب «الكسوف »، ملكته بخطه. كتاب « تـاريخ الأخبار الطوال » فى الفهـرست ومعجم الأدباء والخـزانة، كتـاب « الأخبار الطـوال » وسماه صـاحب كشف الظنـون « تاريخ أبى حنيفـة »، ونقل عن المسعودى: « وهـو كتاب كبيـر، أخذ ابن قتيبة مـا ذكره وجعله لنفسـه ». « كتاب النبـات » (زاد ياقـوت وصـاحب الخـزانـة : كتاب « إصـلاح المنطق»، وكتاب « القبلـة والزوال ». وحكى يـاقوت عن أبى حيان أن له كتابا فى تفسير القرآن).

نقلت من خط يـاقـوت المـوصلى الكـاتب مـا مثـالـه : «وجـدت على ظهـر الجـزء الأول من كتـاب « النبـات » لأبى حنيفة الـدينورى بخط أبى محمد عبد الله بن أحمـد بن أحمد ابن الخشاب مـا هذه حكايته فنقلته : وجـدت بخط أبى عبد الله الحسين بن محمد بن جعفـر الخالع الشاعر - رحمه الله - ما هذه حكايته، فنقلته : قرأت هذا الكتاب على القاضى أبى سعيد السيرافى ورواه لى عن مسبح بن الحسين ابن أخت أبى حنيفة الـدينورى، وذكـر أنه قرأه على خـاله أبى حنيفـة. وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب « الأنواء »، وسمعته قراءة عليه، وقرأناه على أبى عبـد الله الحسين بـن هـارون القـاضى الضبى بهـذه الـروايـة أيضا، وبقـراءة أبى أحمـد عبـد السـلام بن الحسين البصـرى، وسمع أبـو الحسيـن السمسمى، وسمع الشـريف المرتضى أبو القاسم. نقله أحمد بن أحمد فى جمادى الآخرة

سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، وبخطه أيضا على ظهر النسخة المذكورة : قرأ جميع هذه المجلدة - وعددها سبع عشرة كراسة على الشيخ يحيى بن الحسين بن أحمد بن البناء من أولها إلى البلاغ المقابل لنسخة الخالع بروايته عن أبى القاسم على بن أحمد السرى ، إجازة عن أبى عبد الله الضبى ، وإجازة عن مسبح بن الحسين عن أبى حنيفة - عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب فى مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، والباقى وجادة ؛ لأنه لم يقابل بالمسموع من الضبى ، وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت بن عبد الله فى سابع رجب من سنة ست وستمائة بمدينة الموصل » .

(الوجادة ، بالكسر ، وهى فى اصطلاح المحدثين : اسم لما أخذ من العلم من صحيفة ، من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة . تاج العروس ٢ / ٥٢٤) .

توفى أبو حنيفة أحمد بن داود ليلة الإثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين - رحمه الله .

وحكى ابن رواحة البروجردى (منسوب إلى بروجرد) قال : زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائرا لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل إليه وقضى سلامه قال له : أيها الشيخ ، ما الشاة المجثمة التى نهى النبى ﷺ عن أكل لحمها ؟ فقال : هى الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة ، فقال : هل من شاهد ؟ فقال : نعم ، قول الراجز :

لم يبق من آل الجعيد نسمة
إلا عنيز لجبة مجثمة

فإذا بالحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى ، فأذن له ، فلما دخل قال له عيسى بن ماهان : ما الشاة المجثمة التى نهى النبى ﷺ عن أكلها ؟ فقال : هى التى جثمت على ركباتها ونحرت من قفاها فقال : كيف تقول وهذا شيخ العراق - يعنى أبا العباس المبرد - يقول : هى مثل اللجبة ، وهى القليلة اللبن ، وأنشد البيتين . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير ، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه .

فقال أبو العباس المبرد : صدق الشيخ أبو حنيفة ، أنفت أن أرد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألنى عنه لا أعرفه . فاستحسن منه هذا الإقرار وترك البهت (البهت : الكذب) .

ترجمته فى بغية الوعاة / ١٣٢ ، وتلخيص ابن مكتوم / ١٢ ، وخزانة الأدب ١ / ٢٦ ، وسلم الوصول / ٨٢ ، والفهرست / ٧٨ ، وكشف الظنون / ٢٨٠ ، ٦٦٤ ، ١٣٩٩ ، ١٤٤٦ ، ومعجم الأدباء ٣ / ٢٦ - ٣٢ ، ونزهة الألباء / ٣٠٥ - ٣٠٦ ، وذكره ابن كثير وأبو الفدا فى وفيات سنة ٢٨٢ . انظر أيضا الفهرست لابن النديم / ٧٨ ، والإرشاد لياقوت ١ / ١٢٣ - ١٢٧ ، وبغية الوعاة للسيوطى / ١٣٢ ، وضحى الإسلام لأحمد أمين ١ / ٤٠٦ - ٤٠٨ (إنباه الرواة ١ / ٤١ - ٢٤٤ ، والفهرست / ١١٦) .

وعن أبى حنيفة الدينورى ومصنفاته يقول بروكلمان :

وكان مثل ابن قتيبة ، فى تعدد نواحى العلم واتساع دائرة المعارف وكثرة التصنيف ، معاصره أبو حنيفة أحمد بن داود بن ونند الدينورى .

وفوق علوم النحو والعربية ، التى أخذها أبو حنيفة الدينورى عن أستاذه الكوفى « ابن السكيت » ، اهتم أيضا بعلوم الحساب والنجوم والجغرافية والتاريخ فوسع بكل ذلك دائرة ثقافته وعلمه ، وكان الجاحظ يشبهه فى سعة العلوم والمعارف بأبى سهل بن أحمد البلخى .

ويحصى مصنفاته على النحو التالى :

١ - الأخبار الطوال .

٢ - كتاب النبات .

٣ - كتاب المجالسة : ذكره السيوطى فى شرح شواهد المغنى ١٩٣ س ٢٧ .

٤ - كتاب الأنواء ، أخذ ابن سيده قسما منه فى كتاب المخصص ٩ : ١٠ وما بعدها .

٥ - الدرة الفريدة فى الدروس المفيدة ، فى تسعة أجزاء : آصفية ٢ : ١٥ رقم ١٠ ، ١٢٦ - ١٣٤ .

وذكره كراتشكوفسكى بقية مصنفات أبى حنيفة الدينورى فى كتاب الأخبار الذى نشره ص٢٩ وما بعدها .

أما الطعن الذى وجهه المسعودى فى مروج الذهب ٣ / ٤٤٢ إلى ابن قتيبة بأنه سطا على مصنفات أبى حنيفة

الدينورى، فربما كان راجعا إلى كتاب الأنواء، إذ ألف كل منهما كتابا بهذا العنوان، انظر كراتشكوفسكى ٤٠، وانظر أيضا خزانة الأدب ١/ ٢٦، ٤/ ١٠، طبقات الأمم لصاعد ٧٠س ١٠، وانظر أيضا كراتشكوفسكى ٤٩ (تاريخ الأدب العربى ٢/ ٢٣١، ٢٣٢) .

(تراث العرب القديم فى ميدان علم النبات - فريد حجا/ ٢٥، ٣٠، وإنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٤١ - ٤٤، والفهرست لابن النديم / ١١٦، وتاريخ الأدب العربى. كارل بروكلمان - نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار. دار المعارف ٢/ ٢٣١، ٢٣٢. انظر أيضا الأعلام للزركلى وقد أورده تحت عنوان « الدينورى » والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٨/ ٣٢٢) .

*** أبو حنيفة (مدرسة الإمام -) :**

خص الخطاط وليد الأعظمى هذه المدرسة التاريخية بكتاب يحتوى على معلومات مستفيضة، وننقل لك هنا بعض ما جاء فيه - يقول المؤلف :

إن من أكبر ما تعتز به الأمم والشعوب، ما يضمه تاريخها من مراكز العلم، والعلماء فيها، وما يشير إلى مظاهر حضارتها. و (مدرسة الإمام أبى حنيفة) من المدارس العريقة فى تاريخ العراق، وهى من أبرز معاهد بغداد العلمية التى نباهى بها ونعتز ونفتخر.

وقد أنشئت عند منتصف القرن الخامس الهجرى، سنة ٤٥٩ هـ. وافتتحت قبل المدرسة النظامية الشهيرة بخمسة شهور.

ووصفها الدكتور مصطفى جواد بأنها : « أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت فى العراق ... » (دليل خارطة بغداد / ١٥٦).

ثم أنشئت بعدها المدرسة النظامية، ثم التاجية، ثم مدرسة تركان خاتون، ومدرسة سعادة، والمدرسة التتشية، والمغيثية، والموفقية. والزيركية. والكمالية ثم تـوجت المدارس فى بغداد بالمدرسة المستنصرية الشهيرة التى افتتحت سنة ٦٣١ هـ (مدارس بغداد فى العصر العباسى للدكتور عماد عبد السلام رؤوف) .

وكانت بغداد مأوى العلماء والفضلاء، يقصدها طلاب العلم والمعرفة من أقصى الدنيا، لينعموا فيها بالأمن والعلم والطمأنينة، حيث المدارس العديدة وهى تعج بالعلماء والطلاب. والمساكن المريحة لطلبة العلوم والنفقات والأرزاق المخصصة لهم من أصحاب الوقوف. والمكتبات الجامعة لمصادر مختلف العلوم والفنون .

حتى بلغت المدارس الكبيرة فى بغداد عند واقعة هولاكو ٣٨ مدرسة عدا المدارس الصغيرة الملحقة بالمساجد والتكايا والربط، والكتاتيب لتعليم الصغار ذكوراً وإناثًا.

وخلال هذا التاريخ الطويل ، قد اندثرت تلك المدارس، وتغيرت خطط بغداد، ومعالمها التاريخية .

وزالت تلك المدارس على شهرتها وذيوعها ، وبقى صيتها يتردد فى تضاعيف كتب التاريخ والأدب .

وبقيت المدرسة المستنصرية فى مكانها، ولكنها بقيت أثرا من الآثار، يقصدها الزوار والسياح، ليس فيها شيوخ، ولا طلاب، ولا تدريس . منذ زمن بعيد .

أما « مدرسة الإمام أبى حنيفة » فهى المدرسة الوحيدة فى العراق، التى بقيت محافظة على مكانها ومكانتها العلمية، طيلة تسعة قرون ونصف، شهدت خلال ذلك أحداثا جليلة وخطيرة فى تاريخ العراق .

وبقيت تواصل رسالتها العلمية فى مختلف الظروف، يسرًا وعسرًا، وتلقى رعاية وبرًّا، وتعانى عنتا وشدة .

وكنت أجد أخبارها متناثرة فى ثنايا الكتب .

وقد تناول بعض الأفاضل من الباحثين، جوانب يسيرة من تاريخ هذه المدرسة الطويل الحافل بالأمجاد.

ومن أشهر الذين كتبوا عنها الدكتور مصطفى جواد، والدكتور ناجى معروف، والدكتور عماد عبد السلام رؤوف .

وكان الشيخ هاشم الأعظمى، قد وضع كتابا فى « تاريخ جامع الإمام الأعظم ومدرسته العلمية » تناول فى الجزء الأول بعض الجوانب من تاريخ المدرسة، وترجم لطائفة قليلة من شيوخها ومدرسيها، كما ترجم لجماعة من طلابها الذين تخرجوا فيها .

ورأيت من الوفاء لهذه المدرسة، أن يكون لها كتاب جامع لأخبارها، تمجيدًا لها، وتخليدًا لعلمائها، واعتزازا بها ... إلخ

وإنعقدت العزم على ذلك ، وبمعونة الله سبحانه أكملت

كتابي هذا وسميته « مدرسة الإمام أبي حنيفة ، تاريخها ، وتراجم شيوخها ومدرسيها » وجعلته في ثلاثة فصول .

تناولت في الفصل الأول . تاريخ المدرسة ومراحل تطورها ، من حيث التنظيم ، والمناهج ، وأسلوب التعليم ، وما يتعلق بذلك .

وخصصت الفصل الثاني ، في تراجم الذين تولوا مشيختها وعمادتها . ورتبتهم حسب تاريخ تسلسل تولي المشيخة والعمادة .

وجعلت الفصل الثالث ، في تراجم الذين تولوا التدريس فيها . ورتبتهم حسب تسلسل وفياتهم ، وأما الأحياء فقد رتبتهم على تاريخ تولدّهم .

وجعلت في آخر الكتاب ملحقا بأسماء الأساتذة الذين شغلوا وظيفة التدريس فيها ، من غير العراقيين .

إنشاء المدرسة :

وفي سنة ٤٥٩ هـ ذكر ابن الجوزي (المنتظم ٨/ ٢٤٥) أن أبا سعد المستوفي الملقب شرف الملك ، بنى في تلك السنة مشهد الإمام أبي حنيفة وعمل لقبره ملبنا ، وعقد القبة ، وعمل المدرسة بإزائه ، وأنزلها الفقهاء ، ورتب لهم مدرسًا ، فدخل أبو جعفر بن البياضي (ت٤٦٨هـ) إلى الزيادة ، وأنشد ارتجالاً :

ألم تر أن العلم كان مضيعا
فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة
فأنشرها جود العميد أبي سعد

وذكر ابن الأثير : أن هذين البيتين كتبا على القبة بخط جميل وقال ابن الجوزي (المنتظم ٨/ ٢٤٥) : « قرأت بخط أبي الوفاء بن أبي عقيل قال : وضع أساس مسجد بين يدي ضريح الإمام أبي حنيفة بالكلس والنورة وغيره ، فجمع سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وأنا ابن خمس سنين أو دونها ، وكان المنفق عليه تركي قدم حاجا ، ثم قدم أبو سعد المستوفي ، وكان حنفيا متعصبا ، وكان قبر الإمام أبي حنيفة تحت سقف عمله أمراء التركمان ، وكان قبل ذلك ــ وأنا صبي ــ عليه (خربشت) (كلمة فارسية معناها « الستارة ») خاصا له ، وذلك في سني سبع أو ثمان وثلاثين ، قبل دخول الغز بغداد سنة سبع وأربعين ، فلما جاء شرف الملك سنة ثلاث وخمسين ، عزم على إحداث القبة ، وهي هذه ، فهدم جميع أبنية المسجد ، وما يحيط بالقبر ، وبنى هذا المشهد ، فجاء بالقطاعين والمهندسين ، وقدر لها ما بين ألوف آجر ، وابتاع دورًا من جوار المشهد ، وحفر أساس القبة ، وكانوا يطلبون الأرض الصلبة ، فلم يبلغوا إليها إلا بعد حفر سبعة عشر ذراعا في ستة عشر ذراعا ، فخرج من هذا الحفر عظام الأموات ، الذين كانوا يطلبون جوار النعمان ... » .

وكان الابتداء في إنشاء المدرسة يوم ١٨ صفر من سنة ٤٥٩ هـ ، واستغرق بناؤها مدة أربعة شهور ، وكمل إنشاؤها وافتتحت يوم ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ هـ ، وتعتبر مدرسة الإمام أبي حنيفة أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت في العراق ، إذ افتتحت قبل المدرسة النظامية بخمسة شهور . وكان أول من ولي مشيختها الفقيه أبو طاهر الديلمي الحنفي المتوفى سنة ٤٦١ هـ ، وتعاقب بعده أعلام المشايخ والفقهاء كالإمام أبي طالب الزينبي المتوفى سنة ٥١٢ هـ والإمام أبي إسحاق الشلجي المتوفى سنة ٥١٥هـ ، والإمام أبي يوسف اللمغاني المتوفى سنة ٥٣٦هـ ، والقاضي أبي منصور الهيتي المتوفى سنة ٥٣٧ ، وقاضي القضاة الزينبي المتوفى سنة ٥٤٣ ، وزين الأئمة الحنفي المتوفى سنة ٥٤٦هـ ، والفقيه أبي الغنائم البغدادي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، والعلامة ابن الكيال الواسطي المتوفى سنة ٦٠٥هـ ، والفقيه الأشهر العلامة ضياء الدين التركستاني المتوفى سنة ٦١٠ ، وغيرهم من فحول العلماء وأكابر المشايخ .

وكانت هذه المدرسة محط أنظار العلماء وطلاب العلوم في مختلف الأقطار ، وكانت خاصة بالفقه الحنفي ، وتقابلها المدرسة النظامية في بغداد وهي خاصة بالفقه الشافعي ، وإلى جانب هاتين المدرستين الكبيرتين ، قامت مدارس أخرى أقل منهما شأنا وأثرا .

حتى قامت المدرسة المستنصرية في سنة ٦٣١هـ ، والتفتت الأنظار إليها ، وصار في بغداد ثلاث من كبار المدارس .

وبعد نكبة بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ اضطربت

الأحــوال ، وســاءت الأوضـــاع ، وتشتت شمل العلمـــاء والطلاب ، وتدهورت الدراسة ، ثم استعادت المدرسة سيرتها بعـد مدة وجيـزة حين تـولى مشيختهـا الإمام مجـد الـدين بن بلدجي الموصلي سنة ٦٦٧ هـ فسار فيها سيرة حسنة ، وكانت حلقته في مشهد الإمام أبي حنيفة من أوسع الحلقات يقصدها العلماء والطلاب ، وتدور فيها المناظرات العلمية .

وازدهـرت المـدرسة بصـورة أوضح حين تـولى مشيختهـا الإمام تاج الدين بن السباك البغدادى فى الربع الثانى من القرن الثـامن الهجرى ، وكـان رئيس علماء الحنفيـة ، وكبير علمـاء العراق ، وقد تولى التدريس فى المستنصرية أيضا .

وتولاهـا بعده الإمام ابن الفصيح الكوفى الـذى انتهت إليه رئاسة الحنفية فى بغداد .

ثم اضطربت الأحـوال الاجتماعية والسياسيـة فى العراق ، وأثر سوء الأوضاع فى سير الحركـة العلمية ، فأخذت المدرسة بالتدهـور والضمور والانحطاط ، حتى انقطعت أخبـارها عند نهايـة القرن الثامن الهجرى ، حتـى عدنا لا نجد لهـا ذكرا ولا خبرا فى كتب التاريخ . وامتد هذا السبات حتى منتصف القرن الثانى عشـر الهجرى ، وهى مرحلـة طويلة من تـاريخ العراق استغرقت ثلاثة قرون ونصفا ، وكانت بغداد ترزح تحت تعسف حكـومتى الخروف الأبيض والخـروف الأسـود من القـزلبـاش والصفويين والعثمانيين ، حتى استـولى الخراب والدمار على مشاريع الرى والعمران والتعليم وغيرها من أسباب الحضارة .

وعنـد منتصف القرن الثـانى عشر الهجـرى ، أعيد تعميـر جـامع الإمـــام الأعظم ، وبــدأت حلقـــات العلـم تلتئم فى المشهد ، وبخاصـة فى أيام الوالى أحمد باشـا بن حسن باشا المتوفـى سنة ١١٦٠ هــ وقد تولـى مشيخة المـدرسة العـلامة الشيخ مصطفى العلقبند الكبيـر المتوفى سنة ١١٦٥ هـ ، ثم أخــذ النشـاط العلمى يــدب فى حجـرات المشهــد ، حتى استعادت سيرتها ، وازدهرت تحت رعاية شيخها العلامة الإمام عبد الله السويدى المتوفى سنة ١١٧٤ هـ ، وكثر عدد طلابها ومدرسيها فى عهـد شيخها العلامة عبـد الله الآلوسى المتوفى فى الطاعـون سنة ١٢٤٦ هـ وهـو والد العلامة الإمـام المفسر أبى الثناء الآلوسى (انظر الآلوسى (أبو الثناء) فى م١/ ٥٥٤ - ٥٦١ والآلوسيون فى م ١/ ٥٧٣ ، ٥٧٤) .

ثم أخـذت المدرسـة بعـده تضمحل ، وقل عـدد طلابهـا وساءت أحوالها ولم يبق فيها سـوى عدد يسير من المجاورين فى المشهد ، وأكثرهـم من الهنود والأفغان والأتراك .

المناهج وأسلوب التعليم

كـانت الدراسـة فى مـدرسـة الإمام أبى حنيفـة فى العهـد العبـاسى تقـوم على نظـام الحلقـات ، وعلى سنتهـا سـارت المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية فيما بعد .

وكان يعين المدرس فى درسـه أحد الطلاب المتقدمين ، ويعيد الـدرس بعد شيخه ، وكـذلك كان الطلاب المتقـدمون المتفوقـون يعلمـون المبتـدئين والـذين هـم أدنى منهم فى المراحل العلمية .

ونجد فى نص التوقيع الصادر بتعيين العـلامة ضياء الدين التركسانى سنة ٦٠٤ هـ ما يرشدنـا إلى مناهج التعليم فى هذه المدرسة جاء فيه : « ... وأن يذكر من الأصول فصلا يكون من سهـام الشبه جُنة . ولنصر اليقين مظنـة ، متبعا من المـذهب مفرداته ، ونكتـه ومشكلاته ما ينتفع بـه المتوسط والمبتدى ، ويتبينه ويستضئ به المنتهى ، وليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعيا إلى وفاق المعانى والعبارات ، هاديا لشوارد الأفكار إلى مـوارد المنـافسـات ، نـاظمـا عقـود التحقيق فى سلـوك المحافظات ، مصوبا أسنة البديهة إلى ثغر الأناة ... » (الجامع المختصر لابن الساعى ٩/ ٢٣٣ - ٢٣٧) .

أما ما يتعلق بشيخ المـدرسة وواجبه فى رعايتهـا فقد جاء فيه :

« وليبذل جهده فى عمـارة الوقوف المذكـورة واستنمائها ، واستثمار حاصلهـا وارتفاعها مستخيرا من يستخـدمه فيها من الأجـلاء الأمنـاء ، ذوى العفة والغنـاء متطلعـا إلى حـركـاتهم وسكناتهم ، مؤاخذا لهم على مالعله يتصل بهم من فرطاتهم ، لتكون الأحـوال متسقة النظـام والمال محـروسا مـن الانثلام ، وليبتدئ بعمـارة المشهد والمدرسـة ، المذكـورين ، وإصلاح فرشها ومصابيحها ، وأخذ القوَّام بـالمواظبة على الخـدمة بها وإلزام المتفقهة بملازمة الدروس وتكرارها وإتقان المحفوظات وإحكامها ، وليثبـت ما بخزانة الكتب من المجلـدات وغيرها معارضـا ذلك بفهرسته . متطلبا مـا عساه قد شذ عنهـا وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها فى كل وقت ، ومرمّة

شعثهـا ، وأن لا يخرج شيئـا منهـا إلا إلى ذى أمـانة مستظهـرا بالرهن عن ذلك » (المرجع السابق) .

ويشير هـذا التوقيع إلى أن شيخ المدرسة كـان مسئولا عن الأوقاف المخصصة للجامع والمدرسة فقد جاء فيه .

« ... رأينـا الإحسان إليـه ، والتعـويل عليه فى التـدريس بمشهد الإمام أبـى حنيفة رحمة الله عليه ، ومـدرسته ، وإسناد النظر فى وقف ذلك أجمع إليه ... » (المصدر نفسه) .

وبقيت المدرسة على هذه الحالة إلى عهود الانحطاط فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين .

وعند استيلاء العثمانيين ، جعلوا الأوقـاف الموسومة باسم الإمام أبى حنيفة تدار من قبل الدولـة ، وتوسعوا فى الوظائف ، فهنـاك المتـولى والسـادن ، والمـدرس والـواعظ والخطيب والإمام ، والقارئ ولكل واحـد من هؤلاء راتب مخصص وليس له الإشراف علـى الأوقاف . وكانت المدرسة فـى أواخر العهد العثمـانى يقوم بهـا اثنـان من العلمـاء وهما المـدرس الأول . ويقوم مقـام المدير ، ثم المـدرس الثانى ، ويعينهمـا الطلاب المعيدون للدرس ، وهم المتفوقون .

وكان آخـر من شغل منصب المـدرس الأول فيها سمـاحة العلامة المـرحوم الشيخ سعيد النقشبندى ، وكـان قد أقام فى سامراء عند تأسيس المدرسـة العلمية فيها ، وكان هو الساعى فـى تأسيسهـا ، وبقى فيهـا ست سنـوات من ١٣١٢هـ إلى ١٣١٨هـ ثم أعيـد إليه التـدريس فى مدرسـة الإمام الأعظم ، وفى ذلك يقول المرحوم الرصافى :

ألا قــد ســرَّ طــالب كل علم
ومـن بـذل النفـائس فـى طـلابـه
صبيحـة شـرَّف الـزورا سعيـد
بمقـدمـه المبـارك من غيـابـه
وتـدريس العلـوم لطـالبيهـا
لـدى (النعمـان) عـاد إلى جنـابـه
هـو البحـر الخضم بغيـر حـد
فـرائد كل علم فـى عبـابـه
فقلت بمعـرض التـاريخ بشـرى
وأمـر الـمدرس عـاد إلى نصـابـه

سنة ١٣١٨ هـ

مدرسة القرآن الكريم

كـانت الجـوامع فى بغـداد ، لا تخلو من مـدرسـة لتعليم القرآن الكريم ، وبخـاصة منها الجوامع الكبيـرة ، وكانت فى جـامع الإمام الأعظم مـدرسـة لتعليم القـرآن الكريم ، وكـان موضعهـا فى حجرة خاصـة كبيرة تقع فى جهة الجنـوب ، وقد ادخلت ضمن كلية الشريعة .

وكان المرحوم الملا عبد الرزاق الأعظمى سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م مدرسا فيها .

ثم تـولى التـدريس فيهـا وكـالـة المرحـوم المـلا شـريف المغربى ، ثم أعيـد التدريس فيهـا إلى المـلا فـاضل بن الملا عبد الـرزاق عنـد بلـوغه ، وفى سنـة ١٩٢٣م نظمت الأوقـاف مدرسة القرآن الكريم فى جامع الإمام الأعظم واعتبرت درجتها بمنزلة المدارس الابتدائية .

وفى سنـة ١٩٢٨ م أعـادت الأوقـاف تنظيم المـدرسـة ، وجعلتها خـاصة بتعليم أصـول التجويـد ، وعينت فيها الشيخ سليمان سالم الكركوكلى مدرسا ، ثم نقل إلى جامع الأزبك .

وفى سنة ١٩٤٥م عين الشيخ عبد القادر الخطيب مدرسا فيها . ويكـون الدوام بعـد صلاة العصـر عدا يـومى الثـلاثاء والجمعة . وبعد وفاة الشيخ عبد القادر أهملت المدرسة .

كلية الإمام الأعظم :

بعـد إعـلان الـدستـور (المشـروطيـة) سنـة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م بدأ الـوعى يدب فى العقول والنفـوس ، ويحرك ذوى الفكر المنيـر بالمطالبة ، والسعى لإصـلاح أوضاع التعليم فى العراق . وكان المرحوم العلامة الشيخ نعمان الأعظمى ، العقل المـدبـر لإعـادة بنـاء المـدرسـة ، وحسن تنظيمهـا ، والأخـذ بالأساليب والأسباب العصرية فى نشر العلوم والمعارف .

وكان دؤوبا فى عمل الخير ، وله همة عالية ، وطموح بالغ فى إعـلاء شأن المدرسـة فى العـراق خاصـة والعالم العـربى والإسلامى عامة . وقد شاور بعض علماء الأعظمية فى إيصال خبر المدرسة ومطالبتهم بتنظيمها والعناية بها ، إلى السلطان ، محمد رشاد ، واتفقوا على تقديم طلب بذلك حتى إذا جاءت الموافقة من السلطان يكون عنـد ذلك الوالى وموظفو الأوقاف تبعا ومنفذين ، ولا يستطيعون أن يعارضوا أمرًا للسلطان .

وجعل الحـاج نعمان طلبـه هذا رسالـة على لسـان الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمـان يطالب فيهـا السلطان بإعـادة بناء مدرسته العلمية وتخصيص نفقات الطلاب من أوقافه .

وصنع الحاج نعمان ختما كبيرا باسم الإمام الأعظم وختم به الرسالة وأرسلها مع العلامة السيد علاء الدين الآلوسى . والعلامة السيد مصطفى الواعظ عضوى (مجلس المبعوثين) إلى السلطان محمد رشاد ، كما طلب الحاج نعمان من والى بغداد ناظم باشا ومجلس الولاية ، أن يرقوا إلى السلطان فى تأييد هذا الطلب الكريم وتعضيده ...

وقد وافق السلطان محمد رشاد على إعادة تعمير المدرسة ... وأنه تخصص للطلبة ثمانون ألف قرش سنويا ...

وفى أوائل شهر جمادى الآخرة ١٣٢٩ هـ الموافق أوائل حزيران (يونية) سنة ١٩١١م تم تخطيط كلية العراق الإسلامية المعروفة بـ (الكلية الأعظمية) ، ولا زالت عناية دولة الوالى يوسف باشا (آكاه) ، مصروفة إلى إخراج هذه الكلية من عالم الخيال إلى عالم المثال . وهى تلك الكلية التى رفعت إلى هذه المرتبة نهار الجمعة ١٦ أيار ١٩١١م الموافق ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩هـ ، وكان قد حضر حفلة ترقيتها جم غفير من أكابر البلدة ، ورجالها الأماثل من عسكريين ومدنيين .

وتم إنشاء الطابق الأول فى عهد الوالى يوسف باشا آكاه ، وتم بناء الطابق الثانى ، وتزويدها بالأثاث واللوازم فى عهد الوالى أحمد جمال باشا (السفاح) وافتتحت فى أول سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م .

نظام الكلية الجديد :

ذكرت مجلة سبل الرشاد (العدد ١ ص ٣ ، ٤ سنة ١٩١٢) تفصيلا لنظام الكلية الجديد ، الذى بموجبه ستنقسم هذه الكلية إلى ثلاث شعب مستقلة ، إحداها : القسم الرشدى ، والثانية : القسم الإعدادى ، والثالثة : القسم العالى ، وتكون مدة التعليم فى كل من شعبة الرشدى والإعدادى أربع سنوات . وفى الشعبة العالية ست سنوات ، فيكون كل مدة التعليم فى المدرسة أربع عشرة سنة ، تدرس فى شعبتى الرشدى والإعدادى . كل العلوم والفنون الموجودة فى بروغرام المكاتب العالية (اللغات الأجنبية مستثناة) ، وتكون التدريسات باللغة العربية ، لغة الأهلين خاصة ، وتعلم القواعد العربية ، وعلم الأدب ، وفروعهما باهتمام كبير من أول سنة الرشدى إلى سنة الإعدادى ، وكذلك تعلم فى صفوف الرشدى والإعدادى العلوم الخاصة بالدين كالتفسير والحديث والفقه . ويكون تعلم اللغة التركية والفارسية إجباريا . وتعلم لغة الأوردو - من اللغات الشائعة فى الهند - اختياريا .

والطلاب الذين يرقون إلى الصف العالى . يتعلمون فى السنوات الست الخاصة بهم ، علوم الدين ، ويتبحرون فى غوامضها .

وتعلم فى هذه المدرسة الكبرى ، كل ما اعتبر تدريسه فى مدارسنا من العلوم الشريفة ، وتعلم فى صفوفها العالية عدا ما تقدم : فلسفة الأديان ، وتاريخ الأديان ، وأصول الأديان المختلفة ، والمطالب المتعلقة بالحقوق العمومية ، وتعلم كذلك الفلسفة الجديدة .

وستكون فى المدرسة مطبعة صغيرة ، تنشر فيها مجموعة دينية ، تصدر باللغة التركية والعربية الفارسية فى كل شهر مرة .

وتكون المدرسة بأجمعها تحت إدارة مدير عام ، ويكون لهذا المدير معاون ، وكتّاب ، ومأمورون ، ويكون لكل شعبة من شعب المدرسة ناظر للدروس ، يسأل عن انضباط الطلاب وسائر الخصوصيات .

وتكون للمدرسة لجنة علمية . تؤلف من المدير العام ، والمدرسين ، ونظار الشعب ومعاون المدير ، وتجتمع تحت رئاسة المدير العام كل خمسة عشر يوما مرة واحدة أو أقل ، حسب دعوة المدير العام ، وهذه اللجنة تتذاكر فيما بينها كل ما يتعلق بأمور التعليم من الخصوصيات ، وتتعاطى الآراء فيما يختص بالأحكام الدينية وعلومها وتدير أمور الرسالة الشهرية التى تختص بالمدرسة .

ومن وظائف هذه اللجنة العلمية أن تدقق المحاضرات التى تلقى على الطلاب وغيرهم قبل إلقائها فى غرفة المدرسة الكبيرة من المباحث المتنوعة الدينية والفنية ، وأن تنظر فى تحرير المجموعة السنوية الباحثة عن المعاملات التدريسية لكل سنة ، وعن الشئون العامة السنوية مما يتعلق بالعالم الإسلامى .

وأن تفحص تقارير الدعاة الذين يتخرجون من صفوف المدرسة العالية ، ويعينون بمرتبات كافية ، تعطى من قبل الحكومة ، مأمورين لبث الدين الإسلامى فى أنجاء الأرض ، وتعطيهم التعاليم اللازمة لهذا الأمر الجليل .

الوظائف المهمة الخادمة لمنافع المسلمين بهذه اللجنة المؤلفة من مدرسيها المنتخبين من كبار علماء الأمة المشهورين بسعة الاطلاع، فإن وظائفهم تحدد وتوضح كما ينبغي في نظام داخلي يسن لها .

وسيوجد في كل صف من صفوف قسم الرشدي المؤلف من أربعة صفوف ثمانون تلميذا ليليا، وأربعون نهاريا، فيكون عدد التلاميذ (١٢٠) ، وينقسم كل صف إلى ثلاثة أقسام ، عدد تلاميذ كل منها أربعون .

وأما صفوف القسم الإعدادي . فسيكون عدد التلامذة الليليين في كل منها (٧٥) وعدد النهاريين منهم (٣٠) فيكون عدد مجموع تلاميذ كل صف منها (١٠٥)، وينقسم هذا أيضا إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها عدد تلاميذه (٣٥) والشعبة العالية : صفوفها ستة ، يحتوى كل منها على (٦٠) تلميذا ليليا و (٣٠) نهاريا ، فيكون عدد مجموع التلاميذ فيها (٥٤٠) وينقسم كل صف إلى قسمين، يضم كل منهما إليه (٤٥) تلميذا .

وعلى هذا الحساب سيكون عدد مجموع التلاميذ في كلية الإمام الأعظم (١٤٤٠) تلميذا ، (٩٨٠) منهم ليلى و (٤٦٠) نهارى .

من خلال ما تقدم ، يتضح لنا التقدم الواضح الذى حققته الكلية في هذا النظام الجيد المتكامل .

لكن مما يؤسف عليه، أن هذه الكلية ما إن باشرت بالدوام شهرا أو شهرين حتى بدأت العوائق تلقى في مسيرتها، فقد خفضت نفقاتها في شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٢م واقتطع من نفقاتها مبلغ ١٦,٠٠٠ قرش .

فكان هذا التقليص في الميزانية أول صدمة أصابتها ، وهي بعد في أول نشأتها .

تحويل الكلية إلى مستشفى :

ما إن سلخت الكلية من عمرها سنتين ، وبدأ شمل الطلاب يلتئم فيها ، وتنتظم الدروس والمحاضرات ، حتى قامت الحرب العالمية الأولى وأعلن النفير العام ، واضطربت الأحوال، واستدعى المدرسون والطلاب الكبار إلى الخدمة العسكرية ، فألغيت الدراسة فيها ، واتخذت السلطات العسكرية التركية قرارا بتحويل الكلية إلى مستشفى عسكرية لجرحى الحرب ، وكذلك جعلت الرواق من جامع الإمام الأعظم مستشفى أيضا . وبقيت كذلك حتى سقوط بغداد، واحتلالها من قبل الإنجليز في ١١ آذار (مارس) ١٩١٧م . واستؤنفت الدراسة فيها بتاريخ ١٧ نيسان (إبريل) ١٩١٧م وعين الشيخ النقشبندى عميدًا لها .

وكانت الطامة حين نفى الإنجليز العلامة الحاج نعمان الأعظمى إلى الهند بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٧م بعد الاحتلال بخمسين يوما ، فبقيت الكلية من دون راع يرعاها ، ويدافع عن حماها مدة ثلاث سنوات .

وبعد وفاة الشيخ سعيد النقشبندى سنة ١٩٢٠م عين العلامة نور الدين الشيروانى عميدا لها، ثم أعيد النظر في نظام ومناهج الكلية وأصبحت الدراسة فيها ست سنوات تتكون من مرحلتين :

الأولى : إعدادية ودراستها سنتان .

والثانية : ومدتها أربع سنوات .

وبموجب هذا النظام اكتسب خريجوها حق التوظف في وظائف الدولة والأوقاف .

وكان منهج الدراسة في الكلية يتضمن المواد العلمية التالية :

التفسير، الفقه، الحديث، التجويد، النحو، المنطق، البيان، الحساب، الحكمة ، الطبيعة، الجغرافية، التاريخ ، البلاغة، الأدب، الإنشاء، الرياضيات .

وكانت الدراسة فيها نهارا، ولم يكن فيها قسم داخلى في تلك المرحلة ، لذلك كانت الأوقاف تصرف للطلاب مكافآت شهرية وهي :

١٥ ربية للطالب في الصفين الأول والثانى .

١٧ ربية للطالب في الصفين الثالث والرابع .

٢٠ ربية للطالب في الصفين الخامس والسادس .

ونتيجة لنظامها الجديد، فقد أعلنت إدارة الكلية في مطلع سنة ١٩٢١م شروطا لقبول الطلاب وهى :

١ ـ أن يكون الطالب (على الأقل) مجازا من إحدى المدارس الابتدائية ذات الصفوف الستة، أو يبرز القابلية في الامتحان .

٢ ـ أن لا يكون عمره أقل من ثلاث عشرة سنة .

٣ ـ أن يكون سالم الأطراف مع سلامته من الأمراض السارية .

٤ ـ أن يكون مشهود الأطوار والأخلاق .

٥ ـ أن يقدم كفيلا بضمان ما صرف عليه عند ترك الدراسة

وأشار نظام الكلية إلى أن الغاية من العناية بهذه الكلية «تخريج أناس لائقين لتقلد القضاء، والفتيا، والتدريس، والوعظ، وكتابة الضبط، وغير ذلك من الوظائف العلمية والدينية» .

وكان قد بلغ عدد الطلاب فى الكلية (٨٠) طالبا فى سنة ١٩٢٠م ...

وفى سنة ١٩٢٣ م افتتحت الشعبة العالية من جامعة آل البيت فى الأعظمية، وكان أمينها العام المرحوم فهمى المدرس يسعى جاهدا لجعل الكلية الأعظمية، بدرجة المدارس الثانوية، لينتسب طلابها بعد تخرجهم إلى جامعة آل البيت التابعة لوزارة الأوقاف .

وكان ساطع الحصرى يسعى من جانبه لتكون الكلية (ثانوية عامة) ينتسب خريجوها إلى الكليات التى تنشئها وزارة المعارف ...

وفى سنة ١٩٢٨ م أدمجت مع جامعة آل البيت، وصارت الدراسة فيها أربع سنوات ، وفى الشعبة العالية من الجامعة ثلاث سنوات .

دار العلوم الدينية والعربية :

وفى نيسان (إبريل) سنة ١٩٣٠م ألغيت جامعة آل البيت، وصدر النظام الجديد للكلية الأعظمية فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ / الأول من أكتوبر سنة ١٩٣١م بعنوان (دار العلوم الدينية والعربية) وعين العلامة الأعظمى عميدًا لها ، واستعادت سيرتها بصورة منتظمة، وهذا نص تعديل نظام دار العلوم الدينية والعربية :

« تُدرس فى الدورة المتوسطة العلوم الآتية :

التفسير وأصوله، الحديث وأصوله، العبادات، المناكحات، المعاملات، الفرائض والوصايا، اللغة، الصرف، النحو، تاريخ الآداب، قراءة ومحفوظات، الإنشاء، الحساب، الهندسة، الطبيعيات، الجغرافية، التاريخ، الرسم .

وتدرس فى الدورة الثانوية العلوم الآتية :

التفسير وأصوله، الحديث وأصوله، أصول الفقه، الكلام، تاريخ التشريع، المعاملات، الأوقاف، التربية وعلم النفس، التطبيقات، اللغة، النحو، البلاغة، العروض، تاريخ الآداب، الإنشاء تاريخ الإسلام، الأخلاق، المنطق .

وتعين مفردات هذه العلوم ، لجنة تؤلفها مديرية الأوقاف العامة بعد استشارة وزارة المعارف .

المادة الثالثة : تبدل كلمة (الكلية) الواردة فى المادة التاسعة عشرة من النظام المذكور بكلمة (المدرسة) ... إلخ .

وفى سنة ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤ م أجرى تعديل فى نظامها، وفى سنة ١٩٣٦م، بلغ عدد طلابها (١٢٠) طالبا، تنفق وزارة الأوقاف على (٩٠) طالبا منهم فى أقسامها الداخلية، وتنقسم الدراسة فيها إلى دورتين . خلال ست سنوات .

الأولى : تتألف من ثلاثة صفوف، وهى تعادل الدراسة المتوسطة .

والثانية : من ثلاثة صفوف أيضا، على أن يتخصص الطلاب باللغة العربية ، والدين ، وأصول التربية والتعليم .

وتجرى الامتحانات العامة مع وزارة المعارف .

ويشترط فى قبول الطالب أن يكون ناجحا فى الامتحان العام للدراسة الابتدائية، ويجتاز الفحص الطبى، ويتعهد باكتساء الكسوة العلمية ...

وفى عام ١٩٤٦ م ألغيت دار العلوم ، وصدر النظام الجديد بعنوان « كلية الشريعة » .

فى عام ١٩٤٦م صدر (نظام كلية الشريعة رقم ٥٥ لسنة ١٩٤٦ م) . وأصبحت بموجبه كلية دينية عالية ...

ويكون التعليم فيها على مرحلتين :

١ ـ المرحلة الإعدادية : ومدتها سنتان ، ولا يقبل فيها إلا خريجو الدراسة الدينية ، وخريجو المدارس المعترف بشهادتها .

٢ ـ المرحلة العالية : ومدتها أربع سنوات ، ويكون طلابها من الناجحين فى إعداديتها .

وتدرس فيها العلوم المتعلقة بالدين، والتشريع، والتاريخ، واللغة العربية والفلسفة .

وفيها قسم داخلى تنفق الأوقاف فيه على الطلاب .

ولخريجى هذه الكلية ما لخريجى المدارس العالية من الحقوق والامتيازات، ويرجح المتخرج فيها على سواه فى وظائف الأوقاف العلمية والإدارية، والمحاكم الشرعية، ويعين لتدريس العلوم العربية والدينية فى مدارس المعارف .

وفى سنة ١٩٥٢م صدر نظام جديد لكلية الشريعة برقم (٤٤) ...

إلحاقها بجامعة بغداد

بقى النظام رقم (٤٤) سائدا حتى ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨م . فألغى وحل محله نظام كلية الشريعة رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٨م .

وكانت الكلية تابعة إلى مديرية الإوقاف العامة حتى صدر النظام رقم ٤٧ لسنة ١٩٦٠م القاضى بإلحاق الكلية بوزارة المعارف. على أن تلحق بجامعة بغداد فى نهاية السنة الدراسية ١٩٦٠ ــ ١٩٦١، على أن يجرى تطوير الدراسة فيها، والتوسع بعلوم اللاهوت، والفقه، والشرائع، وقد نص النظام على أن تكون كلية الشريعة. كلية عالية تنفق عليها وزارة المعارف، وتعنى بشؤونها الإدارية والعلمية .

وأن الغرض من تأسيسها هو إقامة دراسة ثقافية منظمة من مستوى عال فى علوم الشريعة الإسلامية. واللغة العربية وآدابها وتاريخ الأديان واللاهوت، والعلوم الاجتماعية والتربوية .

وجعلت مدة الدراسة فى الكلية أربع سنوات ، بعد الدراسة الثانوية، ويمنح خريجوها شهادة البكالوريوس فى العلوم .

وقد نصت المادة الخامسة من النظام على أن : لخريجى كلية الشريعة من الحقوق والامتيازات ، ما لحملة الشهادات العالية الأخرى، الممنوحة وفقا لقانون جامعة بغداد .

كما نصت المادة التاسعة على أن : الدراسة فى الكلية مجانية، ويلحق بها قسم داخلى، يقبل فيه على نفقة وزارة المعارف الطلاب من خارج مدينة بغداد، وتتعهد الوزارة بإطعامهم وإكسائهم ، وتجهيزهم بالكتب المدرسية، ولوازم التدريس، وتدفع لهم مخصصات شهرية يحددها وزير المعارف، بناء على اقتراح مجلس الكلية ، وتتبع فى القسم الداخلى التعليمات المطبقة فى إدارة الأقسام الداخلية التابعة لجامعة بغداد، وللكلية مجلس يتولى شئونها ...

وفى سنة ١٩٦٧م صدر القانون رقم (٣٨) وبموجبه أسست « كلية الإمام الأعظم للدراسات الإسلامية » من جديد وهى تابعة للأوقاف ... وألغيت كلية الشريعة وصارت تسمى «قسم الدين » فى كلية الآداب بجامعة بغداد .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٧٢م صدر قانون الجامعة الإسلامية رقم (١١٦) لسنة ١٩٧٢ م ...

وكان القانون يتضمن تسعا وعشرين مادة، وأن تتألف الجامعة الإسلامية من الكليات التالية :

١ ـ كلية الشريعة .

٢ ـ كلية أصول الدين .

٣ ـ كلية الدراسات العربية .

... ثم توقف العمل بمشروع الجامعة الإسلامية ... وفى سنة ١٩٨٠م ألغيت كلية الإمام الأعظم وأبدلت إلى كلية الشريعة ، وانقطعت علاقتها بوزارة الأوقاف، وألحقت بجامعة بغداد .

ونسوق لك بيانا لكل مما يلى :

١ ـ العلماء الذين تولوا مشيخة المدرسة .

٢ ـ العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها .

٣ ـ العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها من غير العراقيين .

أولا : العلماء الذين تولوا مشيخة المدرسة :

	تاريخ الوفاة
١ ـ الفقيه أبو طاهر الديلمى الحنفى	٤٦١هـ
٢ ـ الإمام أبو طالب الزينبى	٥١٢ هـ
٣ ـ الإمام أبو إسحاق الشلجى	٥١٥ هـ
٤ ـ الإمام أبو يوسف اللمغانى	٥٢٦ هـ
٥ ـ القاضى أبو منصور الهيتى	٥٣٧ هـ
٦ ـ قاضى القضاة أبو القاسم الزينبى	٥٤٣ هـ
٧ ـ زين الأئمة الحنفى	٥٤٦ هـ
٨ ـ الفقيه أبو الغنائم البغدادى	٥٥٧ هـ

٩ ـ أبو الحسن اليزيدى	٥٧١ هـ	٤٠ ـ الدكتور عمر الملاحويش	...
١٠ ـ ابن الكيال الواسطى	٦٠٥ هـ	٤١ ـ الدكتور حمد ياسين الكبيسى	...
١١ ـ الفقيه الأشهر ضياء الدين التركستانى	٦١٠ هـ	٤٢ ـ الأستاذ ياسين أشكح العزاوى	...
١٢ ـ أبو الكرم البغدادى	٦٢١ هـ	٤٣ ـ الدكتور هاشم جميل	...
١٣ ـ الشيخ مجد الدين اللمغانى	٦٤٨ هـ	ثانيا : العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها :	
١٤ ـ الإمام أبو الفضل اللمغانى	٦٤٩ هـ	٤٤ ـ الفقيه أبو سعيد النسفى	بعد ٥٦٦ هـ
١٥ ـ الإمام مجد الدين بن بلدجى	٦٨٣ هـ	٤٥ ـ الفقيه عبد العزيز الخوارزمى	بعد ٥٦٨ هـ
١٦ ـ الإمام حسام الدين السغناقى	٧١٤ هـ	٤٦ ـ الفقيه الحسن بن ناصر الكاغدى	٥٧٩ هـ
١٧ ـ تاج الدين بن السباك البغدادى	٧٥٠ هـ	٤٧ ـ الإمام يوسف اللمغانى	٦٠٦ هـ
١٨ ـ فخر الدين بن الفصيح الكوفى	٧٥٥ هـ	٤٨ ـ الفقيه أبو الفرج الحنفى	٦٠٩ هـ
١٩ ـ الإمام أبو حنيفة الإتقانى	٧٥٨ هـ	٤٩ ـ الشيخ شمس الدين الجبى	٦١٦ هـ
٢٠ ـ القاضى حسام الدين الغورى	٧٧١ هـ	٥٠ ـ الشيخ عبد الكريم بن بلدجى	بعد ٦٨٣ هـ
٢١ ـ الشيخ مصطفى العلقبند الكبير	١١٦٥ هـ	٥١ ـ الشيخ حسام الدين الفرغانى النعمانى	٧٨٢ هـ
٢٢ ـ العلامة الشيخ عبد الله السويدى	١١٧٤ هـ	٥٢ ـ العلامة مصطفى المدرس الأعظمى	١٢٣٤ هـ
٢٣ ـ الشيخ أمد العلقبند الأعظمى	١١٧٦ هـ	٥٣ ـ الشيخ محمد العلقبند الأعظمى	١٢٤٦ هـ
٢٤ ـ السيد عبد الله الراوى	... هـ	٥٤ ـ العلامة الشيخ بهاء الحق الهندى	١٣٠٠ هـ
٢٥ ـ العلامة الشيخ عبد الله الآلوسى	١٢٤٦ هـ	٥٥ ـ الملا عبد الرزاق الأعظمى	١٣٠٣ هـ
٢٦ ـ العلامة الشيخ حسين البشدرى	١٣٢٢ هـ	٥٦ ـ الشيخ عبد الغنى المدرس الأعظمى	بعد ١٣٠٣ هـ
٢٧ ـ العلامة الشيخ سعيد النقشبندى	١٣٣٩ هـ	٥٧ ـ الشيخ قاسم الغواص	١٣١٧ هـ
٢٨ ـ الشيخ نور الدين الشيروانى	١٣٦١ هـ	٥٨ ـ العلامة الشيخ أحمد السمين	١٣٢٠ هـ
٢٩ ـ العلامة الحاج نعمان الأعظمى	١٣٥٥ هـ	٥٩ ـ الملا فاضل الأعظمى	١٣٢٦ هـ
٣٠ ـ الأستاذ فهمى المدرس	١٣٦٣ هـ	٦٠ ـ الحاج شريف المغربى	١٣٣١ هـ
٣١ ـ الأستاذ عاصم الجلبى	١٣٨٢ هـ	٦١ ـ الشيخ معروف البشدرى	١٣٤٥ هـ
٣٢ ـ العلامة الحاج حمدى الأعظمى	١٣٩١ هـ	٦٢ ـ الشيخ على القره داغى	١٣٥١ هـ
٣٣ ـ الدكتور ناجى معروف الأعظمى	١٣٩٧ هـ	٦٣ ـ الشيخ محمد رشيد آل الشيخ داود	١٣٥٧ هـ
٣٤ ـ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى	...	٦٤ ـ الشيخ محمد فخرى الموصلى	١٣٥٨ هـ
٣٥ ـ الأستاذ هاشم الآلوسى	١٣٨٤ هـ	٦٥ ـ الأستاذ عبد الهادى الأعظمى	١٣٦١ هـ
٣٦ ـ الأستاذ رشيد العبيدى	١٤٠٠ هـ	٦٦ ـ الأستاذ عبد اللطيف آل ثنيان	١٣٦٤ هـ
٣٧ ـ الدكتور جميل سعيد	...	٦٧ ـ الشيخ عبد المحسن الطائى	١٣٦٤ هـ
٣٨ ـ الأستاذ عمر باوزير	١٣١٩ هـ	٦٨ ـ العلامة طه الراوى	١٣٦٥ هـ
٣٩ ـ الدكتور أحمد ناجى القيسى	...	٦٩ ـ الشيخ عبد الوهاب الأعظمى	١٣٦٦ هـ

٧٠ ـ الشيخ بهاء الدين النقشبندى	١٣٦٨ هـ	١٠١ ـ الشيخ محمد محمود الصواف	...
٧١ ـ العلامة الشيخ يوسف العطا	١٣٧١ هـ	١٠٢ ـ الدكتور عبد العزيز الدورى	...
٧٢ ـ العلامة الحاج نعمان العمر الأعظمى	١٣٧١هـ	١٠٣ ـ الدكتور صالح أحمد العلى	...
٧٣ ـ الأستاذ حسين على الأعظمى	١٣٧٥ هـ	١٠٤ ـ الدكتور فاضل النعيمى	...
٧٤ ـ العلامة الشيخ قاسم القيسى	١٣٧٥ هـ	١٠٥ ـ الدكتور يوسف عز الدين	...
٧٥ ـ السيد سامح الأعظمى	١٣٧٨ هـ	١٠٦ ـ الشيخ عبد القادر إبراهيم	...
٧٦ ـ العلامة الشيخ محمد القزلجى	١٣٧٩ هـ	١٠٧ ـ الأستاذ نظام الدين عبد الحميد	...
٧٧ ـ العميد طه الهاشمى	١٣٨٠ هـ	١٠٨ ـ الدكتور أحمد شاكر شلال	...
٧٨ ـ الدكتور ناجى الأصيل	١٣٨٢ هـ	١٠٩ ـ الدكتور عبد الله عبد الحميد السامرائى	...
٧٩ ـ الشيخ محمد وحيد الدين القادرى	١٣٨٤ هـ	١١٠ ـ الدكتور على محسن مال الله	...
٨٠ ـ العلامة الشيخ أمجد الزهاوى	١٣٨٧ هـ	١١١ ـ الأستاذ إبراهيم المدرس	...
٨١ ـ العلامة السيد منير القاضى	١٣٨٨ هـ	١١٢ ـ الدكتور حسيب السامرائى	...
٨٢ ـ العلامة الشيخ عبد القادر الخطيب	١٣٨٩ هـ	١١٣ ـ الأستاذ سعيد عبد الكريم	...
٨٣ ـ الدكتور مصطفى جواد	١٣٨٩ هـ	١١٤ ـ الدكتور عبد الستار حامد	...
٨٤ ـ الأستاذ عبد العزيز الخياط	١٣٩٠ هـ	١١٥ ـ الدكتور أحمد مطلوب	...
٨٥ ـ الشيخ عبد العزيز الشواف	١٣٩٠ هـ	١١٦ ـ الشيخ أحمد حسن السامرائى	...
٨٦ ـ الأستاذ شفيق العانى	١٣٩١ هـ	١١٧ ـ الشيخ إبراهيم الدبو	...
٨٧ ـ الأستاذ عبد الرحمن البزاز	١٣٩٣ هـ	١١٨ ـ الدكتور بدرى محمد فهد	...
٨٨ ـ الشيخ نجم الدين الواعظ	١٣٩٦ هـ	١١٩ ـ الدكتور محسن عبد الحميد	...
٨٩ ـ الأستاذ حسن رضا	١٣٩٧ هـ	١٢٠ ـ الدكتور محمد رمضان عبد الله	...
٩٠ ـ الشيخ كمال الدين الطائى	١٣٩٧ هـ	١٢١ ـ الأستاذ أبو اليقظان الجبورى	...
٩١ ـ الأستاذ محمد سعيد عارف	١٣٩٩هـ	١٢٢ ـ الدكتور عبد الرحيم الزقة	...
٩٢ ـ الأستاذ محمد سعيد المبصر	١٤٠٢ هـ	١٢٣ ـ الدكتور بشار عواد معروف	...
٩٣ ـ الدكتور محمد بديع شريف	١٤٠٢هـ	١٢٤ ـ الدكتور الشيخ عبد الله الجبورى	...
٩٤ ـ الأستاذ جمال الدين الآلوسى	...	١٢٥ ـ الدكتور حارث الشيخ سليمان الضارى	...
٩٥ ـ الدكتور فاضل الجمالى	...	١٢٦ ـ الدكتور محمد مخروس المدرس	...
٩٦ ـ الشيخ عبد الله الصوفى	...	١٢٧ ـ الشيخ عبد اللطيف البرزنجى	...
٩٧ ـ السيد شاكر البدرى	...	١٢٨ ـ الأستاذ غانم قدورى حمد	...
٩٨ ـ الشيخ جلال الحنفى	...	ثالثا : العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها من غير	
٩٩ ـ الشيخ عبد الله الشيخلى	...	العراقيين والأقطار التى ينتسبون إليها :	
١٠٠ ـ الدكتور عبد العزيز البسام	...	١ ـ أكرم زعيتر	فلسطين

٢ ـ علي الطنطاوي	سورية
٣ ـ الدكتور صبحي الصالح	لبنان
٤ ـ الشيخ يوسف عبد الرازق	فلسطين
٥ ـ الدكتور أحمد محمد الحوفي	مصر
٦ ـ شمس الدين عبد الحافظ	مصر
٧ ـ عبد الفتاح علي شحاته	مصر
٨ ـ الدكتور إبراهيم أبو الخشب	مصر
٩ ـ أحمد محمد الحجار	مصر
١٠ ـ حسن الشافعي الظواهري	مصر
١١ ـ الشيخ عبد الحميد المسلوت	مصر
١٢ ـ ماهر حسن فهمي	مصر
١٣ ـ محمد جمعة حسنين	مصر
١٤ ـ محمد رفعة فتح الله	مصر
١٥ ـ أحمد فهمي أبو سنة	مصر
١٦ ـ الشيخ عبد الوهاب البحيري	مصر
١٧ ـ عبد العظيم الغباشي	مصر
١٨ ـ زكي محمد غيث	مصر
١٩ ـ الشيخ محمود جميلة	مصر
٢٠ ـ الشيخ عبد الرحيم فرغلي	مصر
٢١ ـ الشيخ بدر المتولي عبد الباسط	مصر
٢٢ ـ الدكتور تقي الدين الهلالي	المغرب
٢٣ ـ الدكتور محمد حسين الذهبي	مصر
٢٤ ـ الدكتور محمد ندى	مصر
٢٥ ـ الشيخ عبد الغني الراجحي	مصر
٢٦ ـ الشيخ محمد خطاب	مصر
٢٧ ـ الشيخ عبد المقصود شلتوت	مصر
٢٨ ـ الأستاذ محمود يوسف	مصر
٢٩ ـ الدكتور محمود بدير	مصر
٣٠ ـ الدكتور محمود أحمد الدهمة	مصر
٣١ ـ الشيخ عبد الرحيم الكشكي	مصر
٣٢ ـ الشيخ محمد صبحي الخيزران	فلسطين
٣٣ ـ الشيخ محمد نمر الخطيب	فلسطين
٣٤ ـ الشيخ علي حسن محمود حبيبة	مصر
٣٥ ـ الدكتور عبد الغني إسماعيل	مصر
٣٦ ـ محمد الطيب النجار	مصر
٣٧ ـ الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش	مصر
٣٨ ـ شاكر محمود عطية	مصر
٣٩ ـ إبراهيم عبد الرزاق	مصر
٤٠ ـ الشيخ عبد المجيد المهنا	مصر
٤١ ـ الشيخ ياسين الشاذلي	مصر
٤٢ ـ الشيخ أحمد السيد غالي	مصر
٤٣ ـ الشيخ يوسف البيومي البسيوني	مصر
٤٤ ـ الشيخ يحيى محمد عبد العاطي	مصر
٤٥ ـ محمد المتولي سعد	مصر
٤٦ ـ محمد عيسى الشتتلي	مصر
٤٧ ـ عبد الله محمد عبد النبي	مصر
٤٨ ـ عبد العزيز عبيد	مصر

(مدرسة الإمام أبي حنيفة ـ الخطاط وليد الأعظمي / ٤، ٥، ١١ ـ ١٧، ٢١ـ ٢٥، ٣٠ـ ٣٥، ٤٢، ٤٣، ٢٢٤ـ ٢٢٨، ٢١٣، ٢١٤) .

انظر : أبو حنيفة (الإمام الأعظم ـ) ، أبو حنيفة (جامع وضريح) .

* **أبو حنيفة (جامع وضريح ـ) :**

الأعظمية :

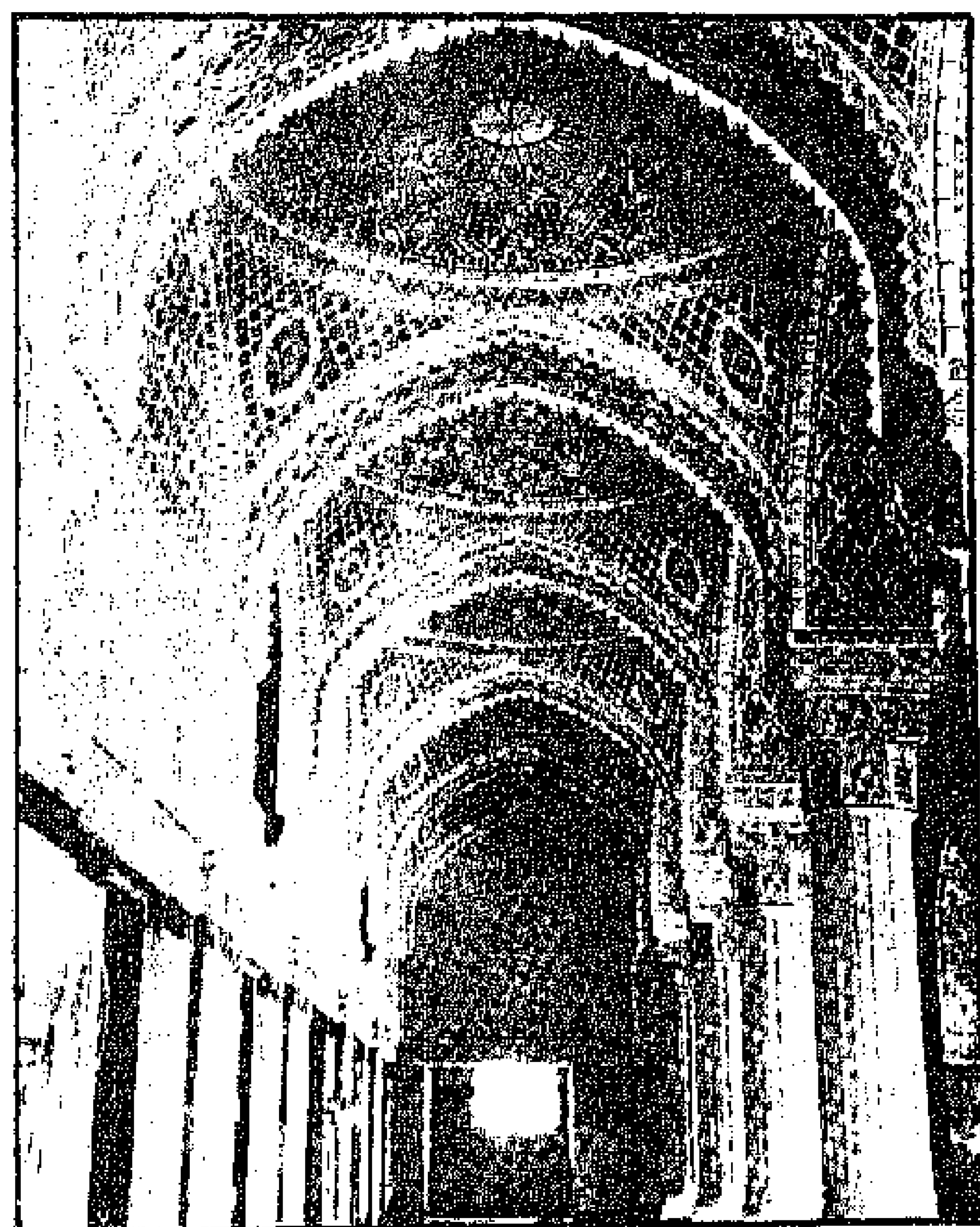
أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الذي دعي باسمه، توفي عام ١٥٠هـ (٧٦٣م) ودفن في مقبرة الخيزران وصارت تعرف بعد ذلك باسمه ودعيت المحلة التي قامت حول الضريح والمسجد باسمه أيضا ولكن طغى على المنطقة اسم « الأعظمية » من كلمة « الأعظمْ » وهو اللقب الذي أعطي للإمام .

ولا شك أن العراق قد كرم الإمام النعمان بن ثابت بإقامة بناء على قبره . وتذكر المصادر الأدبية أن الاهتمام قد ازداد بضريح الإمام في عهد السلطنة السلجوقية فقد جاء أن العميد شرف الملك أبو سعد مستوفي السلطنة السلجوقية قد أمر عام

٤٥٩هـ (١٠٦٦م) بتجديد الضريح ، وجعله على غرار مشاهد آل أبى طالب وجعل له رواقا وصحنا ، وبنى بلصقه مدرسة؛ وتعتبر هذه المدرسة أولى مدارس الحنفية فى العراق (أفردنا لها مادة خاصة تحت عنوان « أبو حنيفة (مدرسة ـ) »)

لم تبق الأبنية التى أمر بها أبو سعد على حالها، بل تعرضت إلى تجديدات وتعميرات كثيرة خاصة عندما حكم العثمانيون العراق. فقد قام عمر باشا ببناء قبة ومئذنة بأمر السلطان أبى الفتح محمد العثمانى عام ١٠٩٢ هـ (١٦٨١م) وأمر والى بغداد سليمان باشا عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) بتذهيب رأس المئذنة، وأجريت تجديدات فى البناء على عهد السلطان عبد الحميد الذى أمر بهدم الأبنية المحيطة بالتربة والمسجد، وتم عقد قبة ضخمة على مصلى المسجد، كما أمر بتوسيع الصحن وأضاف بناء مدرسة تتألف من طابقين فى القسم الشمالى الغربى من الأرض التى تشغلها الأبنية فى الوقت الحاضر وأضيفت أيضا غرف أخرى ومرافق لرواد الإمام.

وقامت رئاسة ديوان الأوقاف قبيل سنوات بتحلية المسجد ومحرابه بمقرنصات متدلية وبطلب من الملك محمد الخامس ملك المغرب. وقامت الرئاسة أيضا بتجديدات



رواق فى جامع الامام الأعظم



لوح ٨٠: محراب جامع الامام الاعظم

وإضافات شملت أجزاء من المسجد وبعض الجدران الخارجية ، وحررت المشهد بصورة عامة من جملة الأبنية التى كانت تلتصق به ، ليظهر بالمظهر اللائق وكست الرئاسة أجزاء من وجوه هذه التجديدات بقراميد مزجج محلى بتشكيلات متقنة من زخارف نباتية وهندسية وكتابية .

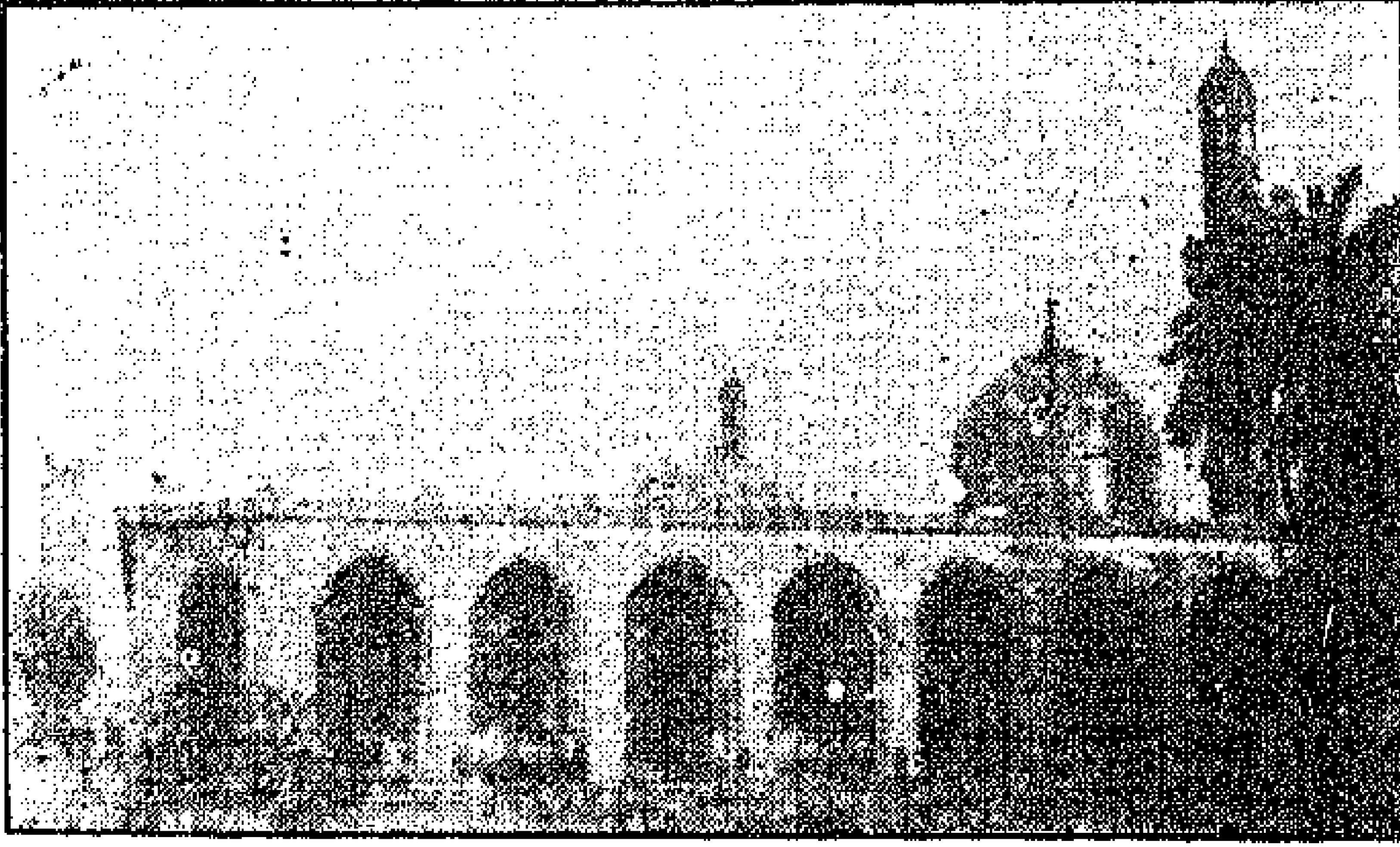
يقوم البناء فى قضاء الأعظمية بمحافظة بغداد بالقرب من جسر الأئمة الذى يربط بين الأعظمية والكاظمية ، وتعرف العمارة بين أهالى المنطقة بجامع (الإمام أبى حنيفة) ويعتبر فى الحقيقة من بين جوامع العراق المشهورة ، وتقوم مجمل الأبنية على مساحة أرض شبه منحرفة أبعادها ١٢٠ × ٩٠ مترا .

ويكشف تخطيط الأبنية هذه عن تشابه بتخطيط الحضرة الكيلانية ، ويمتد هذا التشابه إلى قضايا أخرى ضمن الطراز المعمارى والعناصر المعمارية والزخرفية . وتتألف الأبنية هنا من مشهد ومسجد جامع ومدرسة تشغل القسم الشمالى الغربى من الأرض ويسورها جميعا سياج بتصميم معين وشيدت الأبنية جميعها بالطابوق والجص .

وغرفة الضريح مربعة طول ضلعها ١٠ أمتار، تلتصق

بجدار الجامع عند الركن الغربي، وتبرز عنه بمقدار عشرة أمتار. وجدران الغرفة سميكة والدخول إليها يكون عن طريق الجامع ، حيث تتصل ببيت الصلاة عن طريق مدخل في الضلع الجنوبي الغربي، ويتوسط القبر هذه الغرفة ، وهو مغطى بصندوق وقد زينت جدران الغرفة من الداخل بزخارف جميلة وتتربع على غرفة القبر هذه قبة مرتفعة نصف كروية مدببة قليلا وتتميز هذه القبة برقبتها الطويلة وتتشابه مع قبة ضريح الشيخ الكيلاني من حيث شكل القبة وطول الرقبة، ويمتد هذا الشبه أيضا إلى التشكيلات الزخرفية التي تحلي القراميد المزججة والتي تغطي القبة والرقبة ، فتشكيلات كسوة القبة نباتية ذات ألوان صفراء وبيضاء وسوداء على أرضية بلون أزرق فاتح . وتحلى الرقبة أنطقة متناسقة قراميدية مزججة أيضا ويتوسطها نطاق مشغول بكتابات بخط جميل متقن يتضمن آيات بتشكيلات من الزخارف النباتية والهندسية .

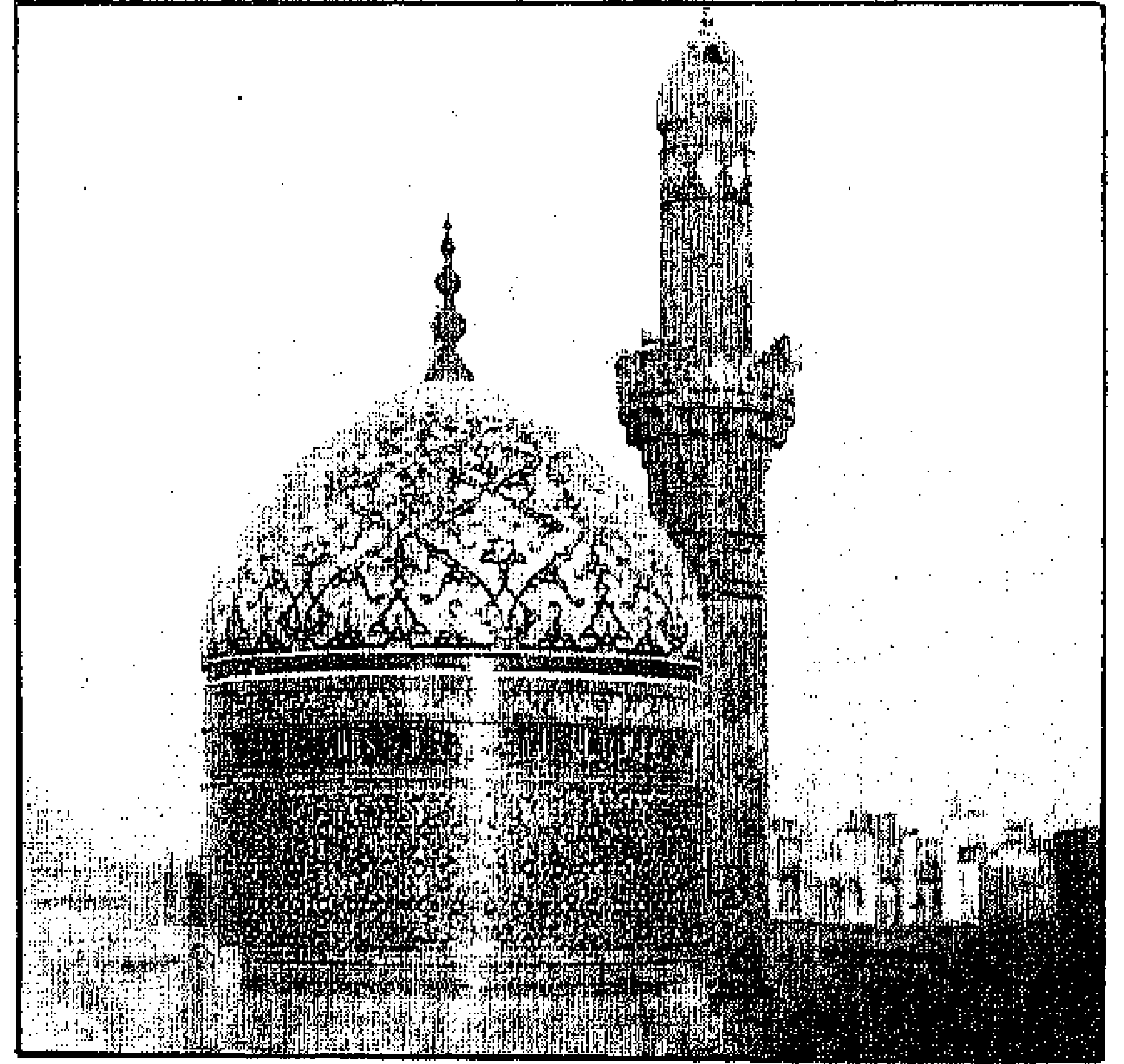
يشغل الجامع مساحة كبيرة نسبيا وهو مستطيل الشكل أبعاده ٣٥ × ٤٠ مترا ويتألف من خمسة أساكيب وست بلاطات وقد صمم بطريقة معينة بحيث جعلت بلاطة المحراب واسعة جدا امتدت على تسعة من المربعات الناتجة من تقاطع الأساكيب مع البلاطات . وتغطى هذا القسم من المصلى قبة كبيرة مفرطحة لا تختلف كثيرا عن قبة مسجد الحضرة القادرية والحقيقة أن طول ضلع المساحة المربعة التي تغطيها هو ١٤ مترا لا عشرين مترا كما هو الحال في قبة مسجد الحضرة القادرية وتتميز قبة الجامع بأنها تجلس على قاعدة مرتكزة على أعمدة وبطريقة فنية نجدها لأول مرة في هذه العمارة وتستند القبة على ثمانية من الأعمدة ومن ثلاث جهات أما الجهة الرابعة فهي جدار القبلة الذي يتوسطه محراب جميل للغاية وقبة جامع الإمام أبي حنيفة بدون رقبة أيضا حيث تظهر واطئة مثل قبة الحضرة الكيلانية والقبة مغطاة بقراميد مزججة ذات تشكيلات من الزخارف النباتية الجميلة .



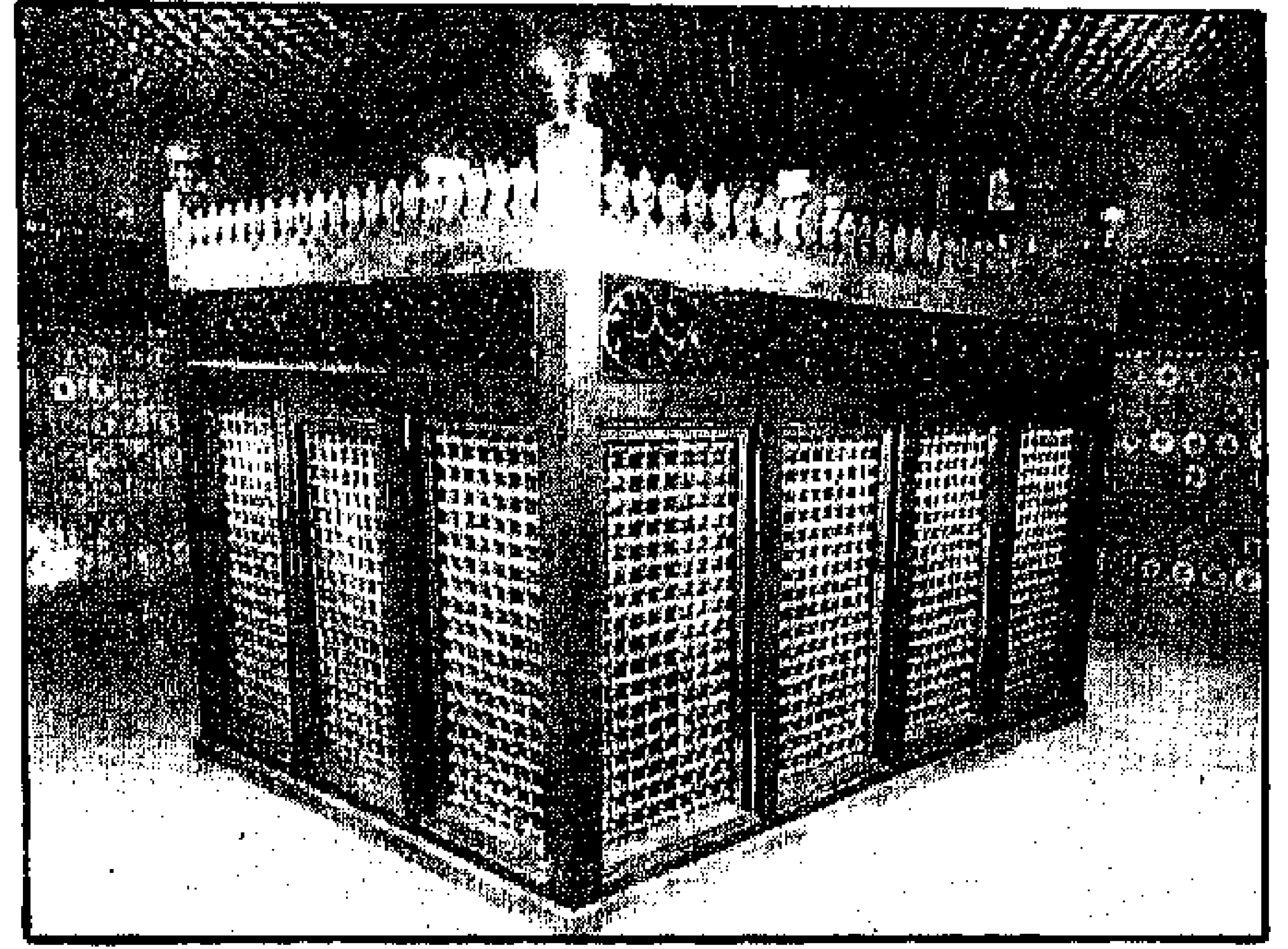
منظر عام لواجهة جامع الامام الاعظم من جهة الشرق



الباب الرئيسي لجامع الامام الاعظم



الاعظمية : قبة ضريح الإمام أبي حنيفة النعمان



الضريح الشريف وفوقه ستاراًخضر وجدران الغرفة مبلطة بالكاشاني ذى الورود وقد أبدل بالمرمرالاردني عام ١٩٥٩

وتجد الإشارة هنا إلى أن الأعمدة التى ترفع القبة رخامية أسطوانية الشكل قطر كل منها ٩٠ سنتيمترا وتجلس الأعمدة هذه على قواعد مربعة طول ضلعها متر واحد وتنتهى بتيجان جميلة تمتد رؤوسها مع العقود التى تصل بين الأعمدة، وتضم داخلها حشوات زخرفية مفرغة وغير مفرغة وقبل عدة سنوات أمر الملك محمد الخامس ملك المغرب بأن تكسى القبة وبعض الأروقة والمحراب بمقرنصات متدلية متقنة . جميلة .

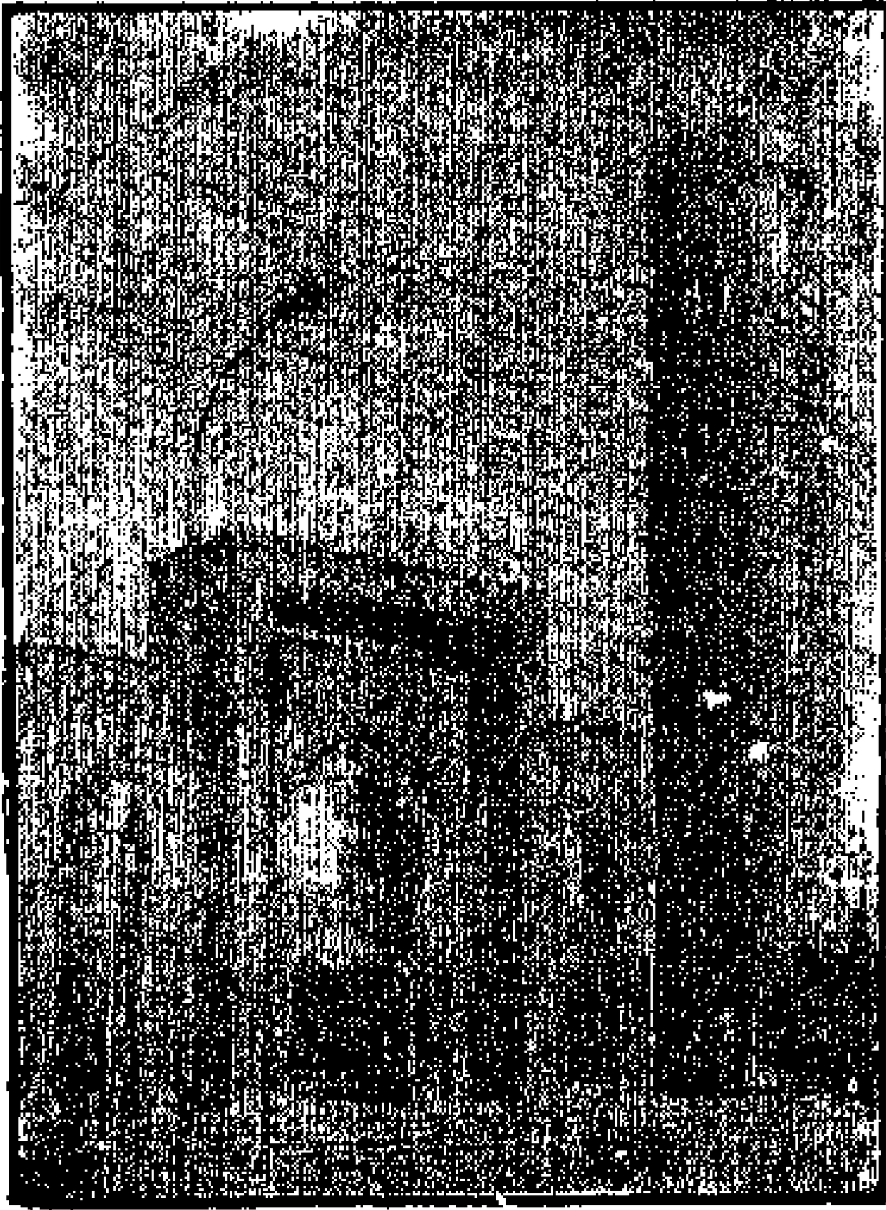
ومثل مسجد الحضرة القادرية ومشهدها فإن الجامع والمشهد يفصلهما عن الساحة الرئيسية رواق بعرض عشرة أمتار ويحيط بها من ثلاث جهات وتتوسط الرواق هذا بائكة من عقود قائمة على دعامات مربعة طول ضلعها متر واحد . والعقود هنا مدببة مطولة ، ويتقدم هذا الرواق رواق آخر تطل بوائكه على الصحن مباشرة وتتناظر مع بوائك الرواق الداخلى . ونتيجة للتجديدات المستمرة التى أجريت فى الجامع خلال السنوات الأخيرة فقد تم الوصل بينه وبين جامع يجاوره من الجهة الشمالية الغربية ، ويضم الجامع هذا محرابا ومنبرا بنى على غرار محراب ومنبر الجامع الأصيل . وللجامع بصورة عامة أربعة مداخل ضخمة يتوسط واحد منها الضلع الشرقى ويقابل الآخر محراب الجامع .

تحتل مئذنة المسجد الركن الجنوبى فيه وتجاور قبة الضريح وتكشف عناصرها المعمارية والزخرفية أنها تعود فى تاريخها إلى عهد من أمر ببنائها وبناء القبة أى قبة الضريح وكان ذلك عام ١٠٩٢هـ (١٦٨١م) ويزيد ارتفاع المئذنة هذه على عشرين مترا وقد غطت أبنية الجامع قاعدتها والجزء الظاهر منها هو البدن والرقبة والرأس فقط وبدنها أسطوانى رشيق نسبيا يتوجه حوض يستند على صفين من المقرنصات ورقبتها طويلة نسبيا رشيقة فى مظهرها ، ويتوجها رأس مضلع ذو شكل بصلى . ولقد زينت جميع أجزاء المئذنة هذه بتشكيلات زخرفية تتألف من وحدات هندسية وكتابات بخط دقيق وقد شكلت هذه الوحدات عن طريق التفنن فى صف الطابوق المزجج .

للجامع صحن واسع يشغل القسم الشمالى الشرقى والقسم الجنوبى الشرقى من الأرض وتطل المدرسة على الصحن من الجهة الشمالية الغربية ويفصل الجامع عن الشارع العام من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية سياج بسيط جدد عدة مرات وينتصب فى الركن الشمالى من الأرض برج طويل لساعة وهذا البرج حديث البناء ومصمم بطريقة لا تنسجم مع المظهر العام لأبنية هذا المجمع (انظر الصورة) (العمارات العربية الإسلامية فى العراق ٢/ ١٣٣ ــ ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١) .

وعن برج الساعة هذا يقول الشيخ هاشم الأعظمى :

فى الجامع برج يبلغ ارتفاعه ٢٢م وضعت عليه ساعة



برج الساعة الأعظمية

عراقية الصنع . صنعها المرحوم الحاج عبد الرزاق محسوب الأعظمي عام ١٩٢٢ بنى برجها في جامع الإمام الأعظم (أبي حنيفة) رضي الله عنه عام ١٩٦٢ ونصبت عليه وقد غلف برجها بالألمنيوم الذهبي عام ١٩٧٣ وقال فيها الأستاذ الأديب قاضي بغداد الأسبق الحاج عطا نجل العلامة المرحوم الحاج حمدي الأعظمي .

يد محسوب بيد ماهرة
صنعت للجامع المعمور ساعة
جاورت قبر إمام أعظم
منه ترجى ساعة الحشر الشفاعه
كلما دقت ذكرنا فضله
وسألنا الله أن يجزي اختراعه
وسألنا الله أن يرحمه
إن شكر الله من شكر الجماعه

ويقول الشيخ هاشم الأعظمي عن التطورات التي مرت بالجامع عبر القرون الخوالي :

بعد بناء السلاجقة المسجد ٤٥٩هـ لم يذكر التاريخ عنه شيئا حتى عام ٩٤١ هـ وذلك عندما احتل السلطان سليمان القانوني بغداد وطرد الفرس منها الذين هدموا المسجد والمدرسة العلمية .

أعاد بناء المسجد والمشهد وبنى المنارة القائمة حاليا وقلعة مدورة حصينة ودار ضيافة وحماما وخانا وعدة دكاكين ومسناة على نهر دجلة لحفظ الأعظمية من مياه الفيضان . وآثارها لا زالت تحت المياه غرب الجسر. وفي عام ١٠٣٢ هجرية احتل بغداد عباس الصفوي فعمل ضروبا من وحشية القرون الوسطى قتلا وهدما للأماكن المقدسة وفي مقدمتها جامع مولانا السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما . وفي عام ١٠٤٦هـ تم احتلال بغداد وطرد الفرس إلى الأبد من قبل السلطان الصالح مراد الرابع رحمه الله تبارك وتعالى . وبعد أن أقام مدة من الزمن أمر بإعادة تشييد المسجدين المباركين ومدرسة الإمام أبي حنيفة وتعيين مدرسين وطلابا للمدرسة الحنفية وأجرى عليها الجرايات تصرف غلتها على إدارتها وبعد تمام البناء المحكم وإقامة القبة الضخمة حاليا فوق غرفة المشهد أقام احتفالا كبيرا لافتتاحه حضره شيخ الإسلام يحيى أفندي كان الله معه وجمهرة من العلماء والوجهاء ورجال الحكومة والجيش فنحرت الذبائح لوجه الله تبارك وتعالى ونصبت الموائد وعليها ما لذ وطاب من الطعام ثم ودع بغداد راجعا إلى مقر خلافته .

بناؤه مجددا ١٢٨٨ هـ زمن السلطان عبد العزيز وذلك عندما أوعزت والدته المرحومة برتو نبال بتجديد وتوسيع الجامع وبناء مدرسته العلمية بناء يتفق مع هندسته الجديدة وهو الحالي القائم وخصصت مبلغا قدره عشرون ألف ليرة ذهبية على نفقتها الخاصة . وشكلت لجنة من المدرسين والأئمة ومدير الناحية آنذاك وأخذت بعض الدور المجاورة له وأدمجت أرضها مع أرض الجامع ثم وضعت له خارطة وكذلك للمدرسة العلمية وبوشر بناؤه فانتهى بعد عدة سنوات وبعد أن قام بناؤه جعل له حفل افتتاح مشهود حضره والي بغداد آنذاك السيد رديف ورجال ولايته وأعيان بغداد ووجهاؤها وعلماؤها وألقى الشاعر عبد الغفار الأخرس .

لله والدة المليك وما بنت
من جامع رحب الفناء متمم
للراكعين الساجدين لقد زها
سمة التقى للناظر المتوسم
ترجو من الله الكريم مثوبة
أجر المثيب على الجليل المنعم
إذ غيرته وقدرته بحكمة
وكذا يراد من البناء المحكم
أخذت بتوسعة وأعانها
نظر الرديف وخدمة المستخدم
فيه الإمام أبو حنيفة ومن له
زهو المناقب مثل زهر الأنجم
أخذت علوم أصولها وفروعها
عند الأئمة في الزمان الأقدم
لقد عمرته وسيدته وجددت
تأريخ مسجد الإمام الأعظم

وقال ما دحا ولدها السلطان عبد العزيز:

أجـــامـع مـن بعـــد مـــا درســـا
بأمــر سلطـــان الـــزمــــان أسســـا
عبـــد العــزيـــز الملك المـــولـى
الـــذى مـــراميـــه تسـاوى الأطلسـا
ظل الإلـــه قـــد غـــدا فـى أرضـــه
لـــدين طـــه حـــافظـــا وحـــارســـا
لا زال فـى الست الجهـــــــــات
أحكـــامـــه لخمس أصحـــاب الكســـا
بـــاشـــره الـــوالـى رديف الـــذى قـــد
طـــاب فى وادى الجنـــان مغـــرســـا
فـى حضـــرة النعمـــان من عملـــه
أصبح كـل عـــــالـم مقتبســـــا
ثـم بنـــاؤه المشيـــــد أرخــــوا
ببيــــانـــه على التقـى تأسســـا

غرفة المرقد الشريف

بناؤها أثرى قديم يعود إلى زمن السلطان مراد الرابع عليه الرحمة عام ١٠٤٦هـ شكلها مربع ٧,٥ × ٧,٥ وسطها الضريح الشريف عليه قفص ذو شبابيك معدنية توج بأسماء الله الحسنى على المينة البيضاء خطت على أوراق من الزهور بشكل بديع وأحيط القفص بالمينة البيضاء كتب عليها ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال ﷺ« لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » .

هذا مرقد الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبى حنيفة نعمان ابن ثابت الكوفى كانت ولادته ٨٠ للهجرة الشريفة ووفاته رحمه الله ورضي الله عنه سنة ١٥٠ للهجرة الشريفة ...

وقد جدد العمل بعد اندراسه ومحو آثاره ... وكان ذلك سنة ١٣٤٧ هـ وداخل الغرفة شمعدانان أثريان كبيران فضيان مزخرفان بزخارف مدهشة يرجع تاريخهما إلى ١٢٦٣ هـ وآخران أصغر منهما وفى قطبها ثريا علقت فيها قناديل فضية وذهبية ومعادن أخرى ذات أهمية أهديت من قبل سلاطين آل عثمان وولاتهم وفيها قنديل أثرى أهدته بنت السلطان مراد خان الرابع أسمخان سنة ١٠٨٥ هـ وقرآن مخطوط وغلافه مرصع بالأحجار الكريمة والياقوت ومذهب أهداه القائد التركى أنور باشا، والشعرات النبوية الشريفة أهداها للجامع السلطان عبد الحميد خان عليه الرحمة عام ١٣٠٤هـ تُخرج للتبرك ليلة القدر والمولد النبوى الشريف وأيام الأعياد وآخر جمعة من رمضان للتبرك بها كما تخرج لرؤساء الدول الضيوف للتشرف بها .

ثم يصف الشيخ هاشم الأعظمى الجامع فيقول:

هندسة الجامع تعتبر فخر الهندسة المعمارية فنا حرمه كبير. مقبب يشكل مستطيل ١٤ × ٣٤ م٢ رحب تقوم فوق وسطه قبة فخمة جلست على أطواق تحملها ، والأطواق تسعة اعمدة من الرخام الموصلى العراقى تحيط بها من جهاتها الثلاث تسعة قباب استندت إلى الأعمدة والجدران ودعامتان تحملان ثلاث قباب أخرى ومحرابان ومنبر ومحفل قبالة المحراب مرتفع عمل من خشب الساج علقت فى وسط القبة ثريا فخمة وفرش بالسجاد الإيرانى وله أحد عشر بابا على الأروقة وباب المرقد داخل الحرم ويحيط بالحرم ثلاثة أروقة من جهاته الثلاث مقببة تقوم قبابه وعددها ٣٢ على أطواق من الطابوق تحملها والأطواق أعمدة رخامية متينة تبلغ مساحتها ٨٠٠م تقريبا لها ثلاثة أبواب واحد من جهة الغرب وبابان من جهة الشمال وتسعة شبابيك مطلة على الطارمة وباب المرقد والمأذنة من جهة القبلة وغرف ثلاث والرواقان توّجا بأفريز من الكاشانى الأزرق خطت عليه سورة الفتح بخط جميل وحروف غاية الإبداع ومنارة فخمة جميلة المنظر شامخة يبلغ ارتفاعها ٢٩ م تقريبا لها خوذة مضلعة حليت بالذهب حلاها الوالى سليمان باشا عام ١٢١٧ هجرية وساحتان من جهتى الشمال والشرق ومصلى صيفى وقد أزيل مع عدة غرف وحوض ماء الوضوء عام ١٩٣٥ م .

عام ١٩٣٥ : فى هذا العام أجريت تصليحات شاملة للمسجد والكلية البابان الرئيسيان والسور وبنى مكانهما بابان فخمان وسور جميل وأبدلت شبابيك الرواقين الحديدية بشبابيك خشبية من الساج الفاخر وبلطت الساحة بالمرمر.

عام ١٩٤٨ :

فى هذا العام بنيت الطارمة الأمامية لإسناد بناء الجامع

القديم ونقل الإفريز الكاشاني الأزرق الذي كان الرواقان متوجين به فوضع عليها من جهة الساحتين بنى على شكل أطواق تزينها الورود الكاشانية .

عام ١٩٥٩ :

بعد ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ أجريت بعض الإصلاحات والزيادات فبنى نصف رواق من جهة الشرق وبُلط جدار الحرم والأروقة بالمرمر الأردنى بارتفاع ثلاثة أمتار وجددت أسس الحرم وبلط الجامع كله بالكاشى الموزائيك وبنى برج الساعة (الأعظمية) وهدمت الأبواب الرئيسية والسور وبنيت مكانها أبواب كونكريتية على شكل أطواق وبنى سور جميل مطعم جداره بالكاشى ذى الورود ونقش الحرم جدرانه وسقوفه وقبابه وكذلك الأروقة بفن عربى إسلامى مغربى بنقوش جصية على شكل ورود وأزهار ذات بهجة تدهش الناظرين إليها ونقشت قبة الضريح كذلك وبلطت جدرانها بالمرمر الأردنى وبلطت قبة الحرم من الخارج بالكاشانى الجميل .

وفى عام ١٣٨٩ عصر يوم المولد النبوى وضع حجر الأساس لإعادة الأبواب الرئيسية المغلقة فى العهد القاسمى المنقرض نيابة عن السيد رئيس الجمهورية باحتفال مشهود ثم عدل عن فتحها فى محلها إلى محل آخر.

عام ١٩٧١ :

بالنظر للتوسع الذى طرأ على منطقة الأعظمية عمرانا ونفوسا أصبح الجامع لا يسع المصلين أيام الأعياد والجمع الرمضانية ويضيق بالاحتفالات والمناسبات الدينية . ومن هذا الشعور أمر السيد رئيس الجمهورية بتوسعته توسعه تكون على شكل الجامع القائم ففى عام ١٩٦٨ اشتريت بعض الدور المجاورة من جهة الغرب والسوق القديم والزقاق وأدمجت أرضها مع أرض الجامع لتنفيذ هذا المشروع ثم صممت له خارطة على نمط هندسة الجامع الحالى . وفى ١٨ تموز فى عام ١٩٧١ أجرى احتفال مشهود لوضع حجر الأساس لهذا المشروع الضخم ...

وتضمن المشروع بناء حرم ورواقين وقاعات تحتها سرداب كبير مساحته ١٠٤٠ م٢ وطارمة أمامية ومنارة وقبة موازية لقبة المرقد تكون مكتبة تضم الكتب التى كانت قديما فى الجامع (يأتى الكلام على المكتبة فيما بعد) وعدة غرف ذات طابقين من جهة الغرب يكون هيكل البناء كونكريت مسلح وتجديد الأبواب والسور وبناء الكلية بناء جديدا ونقش البناء الجديد وزيادة بابين كبيرين للجامع ونُقش الرواقان والحرم على نمط نقش البناء القائم إلا أنه بأيد عراقية وبنى باب كبير فخم مكان الباب القديم أقيم هيكله بالكونكريت المسلح وغلف بالطابوق المحفور نقشا على شكل أزهار وورود ذات بهجة تسر الناظرين إليها جاءت آية فى الفن المعمارى وتحفة فنية ذات ثلاثة مداخل توجت بالآيات القرآنية ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٤] .

وعلى الجانبين لوحتان مستطيلتان بنيتا بالطابوق المحفور فنا على شكل ورود وأزهار داخلها لوحة كاشانية خط عليها قوله تبارك وتعالى ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ وبنى سياج جميل على شكل أطواق بالطابوق المحفور نقشا وفنا توج بأسماء الله الحسنى كتبت على ألواح كاشانية بخط جميل وجعل للجامع أربعة أبواب بلغت مساحته العمومية مع الكلية قرابة من ٨ آلاف متر مربع تقريبا ومقدار الأرض التى ضمت إلى الجامع بهذه التوسعة يبلغ حوالى ١٠ آلاف متر مربع تقريبا (جامع الإمام الأعظم / ٧٠ ـ ٧٢ ، ٧٥، ٧٦، ٧٩ ـ ٨١) .

ويتحدث الأستاذ وليد الأعظمى الخطاط عن مكتبة المشهد والكلية فيقول :

منذ أن حول مرقد الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، إلى مشهد ، وكثر تردد الزوار والعلماء إليه ، عند بداية القرن الثالث الهجرى ، وصار العلماء يعقدون حلقات العلم والمناظرة فى المشهد، ثم أخذ المشهد بالتوسع من قبل القضاة والمحسنين ، حتى بنى فيه أحد الحجاج الأتراك صُفَّة للعلماء فى سنة ٣٧٥هـ .

ونفهم من هذا أن نواة المكتبة بدأت مع حلقات العلماء، ثم أخذت بالنمو والزيادة ، وصار العلماء يقفون كتبهم على المشهد ليفيد منها العلماء وطلاب العلم .

وتذكر لنا كتب التاريخ أن الطبيب العالم الخطاط يحيى ابن عيسى بن جزلة المتوفى فى سنة ٤٩٣ هـ قد وقف كتبه كلها على مشهد الإمام أبى حنيفة فى حياته .

وإذا قرأت ترجمة هذا العالم الجليل تتضح لك قيمة كتبه وعددها وأهميتها .

وكـذلك فعل العـالم الكبيـر والمفسـر الشهيـر جـار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

قال الزمخشري عند رحلته إلى مكة المكرمة لمجاورة بيت الله الحـرام : « ... وأمـا مـا طلـب عنـدى، وخطب إلى من العلوم والـدرايات، والسمـاعات والـروايات، فبنـات خلعت على تـربيتهن الشباب، ثـم دفنتهن وحثوت عليهن التـراب، وذلك حين آثـرت الطـريقـة الأويسيـة على بنيـات الطـرائق، وأخذت نفسى بـرفض الحجب والعوائق، ونقلـت كتبى كلها إلى مشهـد الإمام أبى حنيفـة رحمه الله ، فـوقفتها، وأصفـرتُ منهـا يدى إلا دفتـرًا واحداً، تـركته تميمـة فى عضدى، وهـو كتاب الله المبين . والحبل المتين .

ولك أن تتصـور ضخامـة مكتبـة الإمام الـزمخشري، ومـا كانت تحتويه من الكتب المهمة فى مقاصدها وأغراضها .

وفى كتب التاريخ إشارات إلى هذه المكتبة ، وإلى بعض الذين تولـوا الإشراف عليها . ومنهم الفقيه الكبير عبـد العزيز ابن على بن أبى سعيد الخوارزمى المتوفى بعد سنة ٥٦٨ هـ، قدم من خـراسان وسكن بغـداد، وكان يقيم فى مشهـد الإمام أبى حنيفـة، ويتولى خـزانـة الكتب فيه . وكـذلك الشيخ ابن الأهوازى المتـوفى فجأة سنة ٥٦٩هـ . وقد ذكـر ابن الجوزى المتـوفى سنـة ٥٩٧هـ أنـه رأى ثبت كتب مشهـد الإمـام أبى حنيفة .

ومن المناسب أن نـذكر جـانبا من (التـوقيع) الصادر فى عهد الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ هـ المتضمن توجيه التدريس فى مشهـد الإمام أبى حنيفة إلى العـالم الشيخ ضياء الدين أحمد بن مسعـود التركستانى المتوفى سنة ٦١٠ هـ جاء فيـه ما يخص المكتبـة : « ... ويثبِّت مـا بخزانـة الكتب من المجلدات وغيرها ، معارضا ذلك بفهرسته متطلبا ما عساه قد شذ منها ، وليأمر خازنها بعـد استصلاحه بمراعاتها، ونفضها فى كل وقت ، ومرمة شعثهـا، وإن لا يخرج شيئا منها إلا إلى ذى أمـانة مستظهـرا بالـرهن عن ذلك ... » (صيد الخـاطر لابن الجـوزى ـ تحقيـق الشيخ محمد الغـزالى . القـاهـرة، مطبعة السعـادة / ٤٤٠) .

ولا بد أن يكون قـد أصاب المكتبة فى واقعة هـولاكو سنة ٦٥٦ هـ ما أصاب دور العلم والمـدارس والمؤسسات الثقافية من العبث والحرق والإتلاف .

ومما لا شك فيه أن يحاول بعض العلماء الاحتفاظ ببعض الكتب وإخفاءها حرصا عليها فى مثل هذه الجوائح .

وقد ذكر محمد بن يعقوب الفيروزابادى صاحب القاموس المتـوفى سنة ٨١٧هـ أنه رأى نسخة من الكشـاف للزمخشري بخط المؤلف بمدينة السلام مختبئة فى تربة الإمام أبى حنيفة، خالية عن أثر كشط وإصلاح .

ثم بـدأت المكتبة بـالنمـو والازدهـار حتى عادت روضـة يانعة ، فأصابتها نكبة أخرى على أيدى الفرس الصفويين، لا تقل عن سابقتها خسارة ، ولم يعد لها ذكر ولا خبر .

وبـدأت المكتبـة تزدهـر فى عهـد الإمـام الشيخ عبـد الله السويـدى المتوفـى سنة ١١٧٤هـ مـدرس شهد الإمـام أبى حنيفة ، ومن بعـده العلامـة الشيخ عبد الله الآلـوسى المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ والد الإمـام المفسر أبى الثناء الآلوسى (انظر : الآلوسى (أبو الثناء) م١/ ٥٥٤ـ ٥٦١) ...

وفى سنـة ١٩٢٩ أمـرت وزارة الأوقـاف بنقل المكتبـة إلى المكتبة العامة التى أنشأتها وزارة الأوقاف ...

ثم بدأت المكتبة تنمو من جـديد ، وعين الشيخ رشيد بن أحمد أغا مشـرفا عليهـا إلى سنة ١٩٤٦ م حيث صـدر نظام كليـة الشريعـة وألحقت المكتبـة بـالكلية وأصبحـت خاصـة بها ...

وما زالت ملحقـة بكلية الشريعة بعـد انتقالها إلى جـامعة بغداد، ولم تطالب الأوقاف بها .

وفى سنة ١٩٧٩م عنـد إتمام الحرم الجديد لجـامع الإمام الأعظم خصص جـانب منـه إلى المكتبـة وهى قاعـة جميلـة تحت القبة الثـانية وأخـذت وزارة الأوقاف تـزودها بـالمصادر والمراجع (مدرسة الإمام أبى حنيفة / ٤٣ ـ ٤٦) .

قالت المؤلفـة : أسعدنا الحظ بزيـارة الأعظمية والضريح الجليل يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٨٦ .

(العمارات العربية الإسلامية فى العـراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٥، ١٤٠، ١٤١، وجـامع الإمـام الأعظم ـ الشيخ هـاشم الأعظمى / ٧٠ ـ ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٧٩ ـ ٨١، ومدرسة الإمام أبى حنيفة ـ الخطاط وليد الأعظمى / ٤٣ ـ ٤٦) .

*** أبو حنيفة (مسجد وضريح ـ) :**

انظر : أبو حنيفة (جامع وضريح ـ) .

* حنين :

حُنَيْن : يجوز أن يكون تصغير الحنان ، وهو الرحمة ، تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير الحِنِّ ، وهو حى من الجن ، وقال السهيلى : سمى بحنين بن قانية بن مهلائيل ، قال : وأظنه من العماليق ؛ حكاه عن أبى عبيد البكرى ، وهو اليوم الذى ذكره جل وعز فى كتابه الكريم : وهو قريب من مكة ، وقيل : هو واد قبل الطائف ، وقيل : واد بجنب ذى المجاز ، وقال الواقدى : بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وقيل : بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وهو يذكر ويؤنث ، فإن قصدت به البلد ذكَّرته وصرفته كقوله عز وجل : ﴿ **ويوم حنينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾ [التوبة : ٢٥] وإن قصدت به البلدة والبقعة أنثته ولم تصرفه كقول الشاعر :

نصروا نبيهم وشدوا أزره
بحنينَ ، يوم تواكل الأبطال

(معجم البلدان ٢ / ٣١٣) .

فحنين هنا ممنوعة من الصرف لوجود العلمية والتأنيث ، (كما فى المختار وغيره) (الرسالة الرشادية / ٢٢) .

وقال خديج بن العوجاء النصرى :

ولما دنونا من حنين ومائه
رأينا سوادا منكر اللون أخصفا
بملمومة عمياء لو قذفوا بها
شماريخ من عروى ، إذًا عاد صفصفا
ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم ،
إذا ما لقينا العارض المتكشفا
إذا ما لقينا جند آل محمد
ثمانين ألفًا ، واستمدوا بخندفا

كأنه تصغير حَنَّ عليه إذا أشفق ، وهى لغة فى أحنى ، موضع عند مكة يذكر مع الولج ؛ وقال بشر بن أبى خازم :

لعمرك ما طلابك أم عمرو ،
ولا ذكراكها إلا ولوع
أليس طلاب ما قد فات سهلا ،
وذكر المرء ما لا يستطيع ؟
أجدك ما تزال تحن همًا ،
وصحبى بين أرحلهم هجوع
وسائدهم مرافق يعملات ،
عليها دون أرجلها قطوع

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣١٣ ، والرسالة الرشادية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٢) .

انظر : حنين (غزوة ـ) .

* حُنَيْن (غزوة ـ) (٨ هـ) :

قال تعالى : ﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم** ﴾ [التوبة : ٢٥ ـ ٢٧] وتسمى أيضا «غزوة هوازن » ؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ـ ﷺ ـ ، كما تسمى أيضا « غزوة أوطاس » باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة ... و « حنين» واد إلى جنب ذى المجاز قريب من «الطائف » بينه وبين « مكة » بضعة عشر ميلا .

قال ابن كثير :

ولما بلغ فتح مكة هوازن جمعهم مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه ثقيف وقومه بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم ، وبنو سعد بن بكر ، وبشر من بنى هلال بن عامر ، وقد استصحبوا معهم أنعامهم ونساءهم لئلا يفروا ، فلما تحقق ذلك دريد بن الصمة شيخ بنى جشم ـ وكانوا قد حملوه فى هودج لكبره تيمنا برأيه ـ أنكر ذلك على مالك بن عوف النصرى وهجنه ، وقال : إنها إن كانت لك لم ينفعك ذلك ، وإن كانت عليك فإن المنهزم لا يرده شيء . وحرضهم على ألا يقاتلوا إلا فى بلادهم ، فأبوا عليه ذلك واتبعوا رأى مالك بن عوف ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يغب عنى .

وبعث ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فاستعلم له خبر القوم وقصدهم ، فتهيأ رسول الله ﷺ للقائهم ، واستعار من صفوان بن أمية أدراعا ، قيل : مائة . وقيل أربعمائة . واقترض منه جملة من المال ، وسار إليهم فى العشرة آلاف الذين كانوا معه فى الفتح ، وألفين من طلقاء مكة (هم الذين شملهم عفو النبى ﷺ من أهل مكة حين قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ») . وشهد معه صفوان بن أمية حنينا وهو

مشرك، وذلك فى شوال من هذه السنة ، واستخلف على مكة عتَّاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس، وله نحو عشرين سنة .

ومر ﷺ فى مسيره ذلك على شجرة يعظمها المشركون يقال لها ذات أنواط ، فقال بعض جهال العرب : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : « قلتم والذى نفسى بيده ـ كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، لتركبن سنن من كان قبلكم » (ذات أنواط : أنواط جمع نوط ، وهو معلق كل شىء سميت الشجرة بذلك لأن كفار قريش كانوا يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها . ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما) .

ثم نهض ﷺ فوافى حنينا ، وهو واد حدور من أودية تهامة، وقد كمنت لهم هوازن فيه ، وذلك فى عماية الصبح ، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد ، فولى المسلمون لا يلوى أحد على أحد، فذلك قوله تعالى : **﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾** [التوبة : ٢٥] وذلك أن بعضهم قال : لن نُغلب اليوم من قِلَّة . وثبت رسول الله ﷺ، ولم يفر، ومعه من الصحابة : أبو بكر، وعمر ، وعلى ، وعمه العباس، وابناه : الفضل ، وقثم ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه جعفر، وآخرون . وهو ﷺ يومئذ راكب بغلته التى أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، وهو يركضها إلى وجه العدو، والعباس آخذ بحكمتها يكفها عن التقدم ، وهو ﷺ ينوه باسمه يقول :

« أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب » .

ثم أمر العباس، وكان جهير الصوت، أن ينادى : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب الشجرة ، يا معشر أصحاب السمرة، فلما سمعه المسلمون وهم فارون كروا وأجابوه : لبيك ، لبيك ، وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يثنى بعيره لكثرة المنهزمين ، نزل عن بعيره وأخذ درعه فلبسها ، وأخذ سيفه وترسه ، ويرجع راجلا إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع حوله عصابة منهم نحو المائة ، استقبلوا هوازن فاجتلدوا هم وإياهم ، واشتدت الحرب، وألقى الله فى قلوب هوازن الرعب حين رجعوا ، فلم يملكوا أنفسهم ، ورماهم ﷺ بقبضة حصى بيده ، فلم يبق منهم أحد إلا ناله منها ، وفسر قوله تعالى : **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾** [الأنفال : ١٧] بذلك . وعندى فى ذلك نظر، لأن الآية نزلت فى قصة بدر كما تقدم .

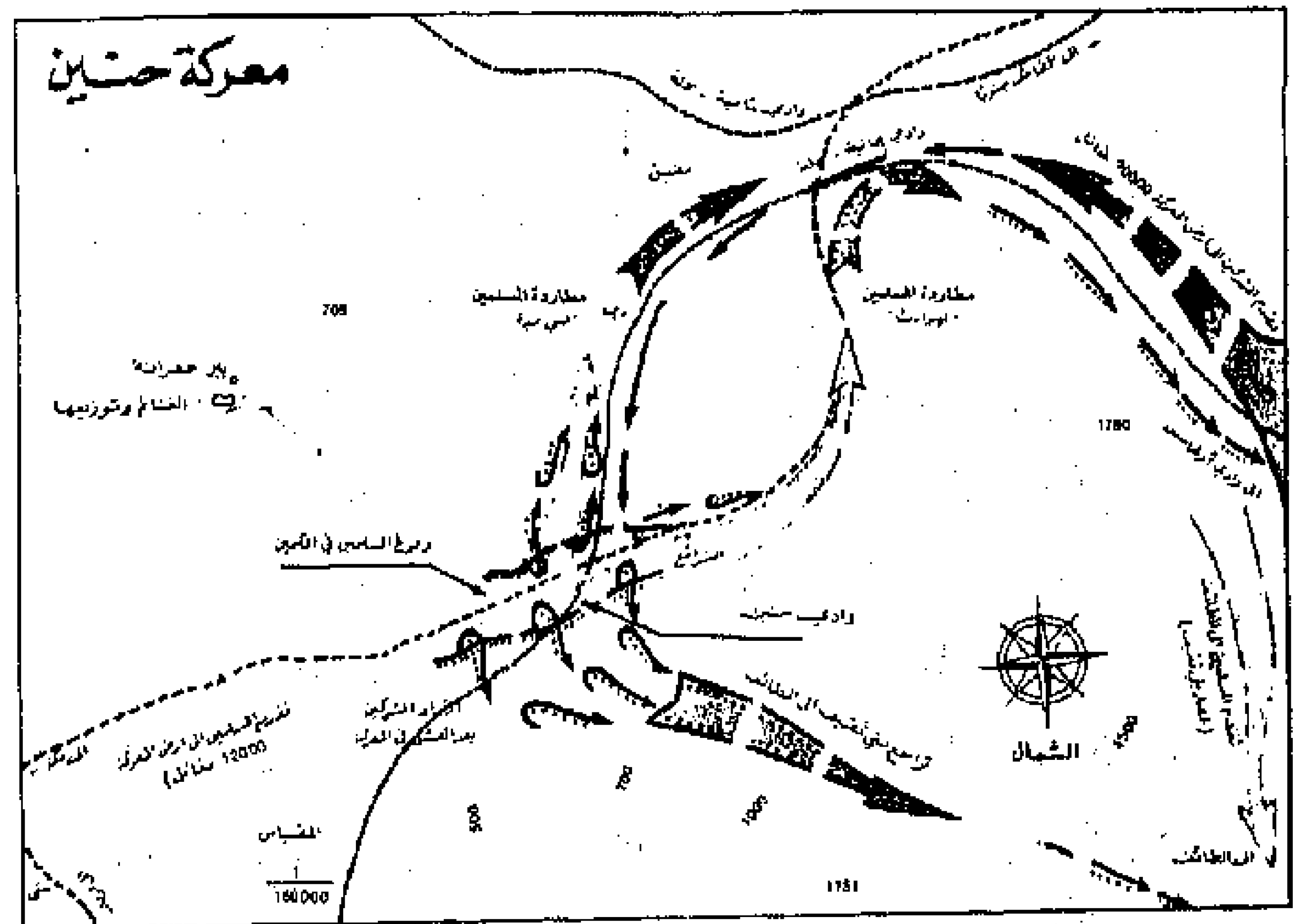
وتفر هوازن بين يدى المسلمين ، ويتبعونهم يقتلون ويأسرون، فلم يرجع آخر الصحابة إلى رسول الله ﷺ إلا والأسارى بين يديه ، وحاز ﷺ أموالهم وعيالهم .

وانحازت طوائف من هوازن إلى أوطاس، فبعث ﷺ إليهم أبا عامر الأشعرى واسمه عبيد ومعه ابن أخيه أبو موسى الأشعرى حامل راية المسلمين فى جماعة من المسلمين، فقتلوا منهم خلقا ، وقُتل أمير المسلمين أبو عامر، رماه رجل فأصاب ركبته، وكان منها حتفه، فقَتل أبو موسى قاتله، وقيل: بل أسلم قاتله بعد ذلك، وكان أحد إخوة عشرة قتل أبو عامر التسعة قبله، فالله أعلم. ولما أخبر أبو موسى رسول الله ﷺ بذلك استغفر ﷺ لأبى عامر.

وكان أبو عامر رابع أربعة استشهدوا يوم حنين، والثانى أيمن ابن أم أيمن ، والثالث يزيد بن زمعة بن الأسود، والرابع سراقة بن الحارث بن عدى من بنى العجلان من الأنصار رضى الله عنهم .

وأما المشركون فقتل منهم خلق كثير نحو الأربعين .

وفى هذه الغزوة قال ﷺ : « من قتل قتيلا فله سلبه » فى



قصـة أبي قتادة رضي الله عنـه (الحـديث رواه البخـاري في كتـاب المغازي) (الفصول / ٨٧ ـ ٨٩) .

وجاء تفصيل ما صحب هذه الغـزوة من أحاديث نبوية في تيسير الوصول على النحو التالي :

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا ؟ منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » أخرجه الشيخان . (الخيف) ما انحدر عن غليظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

٢ ـ وعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال : « سرنا مع رسول الله ﷺ يـوم حنين . فأطنبنا السير حتى كـانت عشية . فحضرت صلاة الظهر وجاء فارس . فقال : يا رسول الله ؟ إني انطلقت بين أيـديكم حتى طلعت على جبل كذا وكـذا . فإذا أنا بهوازن عن بكـرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين . فتبسم ﷺ وقال : تلك غنيمـة المسلمين غدا إن شاء الله . ثم قـال : من يحرسنا الليلـة . فقال : أنس بن أبي مرثد الغنـوي : أنا يا رسول الله . قال : اركب ، فركب فـرسا له وجاء إلى رسول الله ﷺ . فقـال له : استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعـلاه ولا نغرن من قبلك الليلة . فلما أصبحنـا خرج ﷺ إلى مصـــلاه . فـركع ركعتيـن ثم قـال : هـل أحسستم فارسكم؟ قـالوا : يـا رسول الله ، ما أحسسنـا فثوب بـالصلاة فجعل ﷺ يصلي وهــو يلتفت إلى الشعـب ، حتى إذا قضى صلاته وسلم قال : أبشروا فقد جاء فارسكم . فجعلنا ننظر إلى خـلال الشجر في الشعب . فإذا هـو قد جـاء حتى وقف على رسـول الله ﷺ . فقـال إنني انطلقت حتى كنت في أعـلا هـذا الشعب ، حيث أمـرني رسول الله ﷺ . فلمـا أصبحت اطلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا ، فقال له رسول الله ﷺ : هل نزلت الليلة ؟ قال : لا إلا مصليـا أو قاضي حاجة . فقال له ﷺ : قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعـدها » أخرجه أبو داود .

(جـاء القـوم عن بكـرة أبيهم) إذا لم يتخلف منهم أحـد و(ثوب بالصـلاة) نادى إليها وأقامهـا . و (أوجب فلان) إذا فعل ما يوجب له الجنة أو النار ، والمراد هنا الجنة .

٣ ـــ وعن أنس رضي الله عنـه قـال : « لما كـان يـوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذراريهم ونعمهم ؛ ومع رسول الله ﷺ يومئـذ عشرة آلاف . ومعـه الطلقاء . فأدبـروا عنه حتى بقي وحده . فنادى يومئذ نداءين ، لم يخلط بينهما شيئا قال : التفت عن يمينه فقـال : يا معشر الأنصار . فقالـوا : لبيك يا رسول الله ، نحن معـك ، أبشر ثم التفت عن يسـاره . فقال : يا معشـر الأنصار . فقالـوا : لبيك يا رسـول الله ، أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء . فنزل فقال : أنا عبد الله ورسوله فـانهـزم المشـركـون ، وأصـــاب غنـائم كثيـرة فقسمهـا بين المهاجريـن والطلقاء ، ولم يعط الأنصار منها شيئـا ، فقالوا : إذا كانت الشـدة فنحن ندعى ، ويعطى الغنائم غيرنـا ، فبلغه ذلك فجمعهم وقـــال : يـا معشـر الأنصـار ، مـا شيء بلغني عنكم؟ فسكتوا فقال : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن يذهب النـاس بـالدنيـا وتذهبـون بمحمد ﷺ تحـوزونه إلى بيـوتكم . قالوا : بلى يا رسول الله رضينـا . فقال : ﷺ : لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » أخرجه الشيخان والترمذي .

(الطلقاء) جميع طليق وهو الذي خلي سبيله ، وهم أهل مكة الذين أسلموا بعد الفتح قال ﷺ لأهل مكة يومئذ : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

٤ ـــ وعن أبي إسحـاق قـال : « جـاء رجل إلى البـراء بن عازب رضـي الله عنهما . فقال : أكنتم وليتـم يوم حنين يـا أبا عمـارة . فقال : أشهـد على نبي الله ﷺ أنـه مـا ولي . ولكن انطلق أخفاء من النـاس وحُسَّرًا إلى هـذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فـرموهم برشق من نبل كأنها رِجْل من جـراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسـول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحـرث بن عبد المطلب رضي الله عنه يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول :

أنــــــا النبـي لا كــــــذب
أنـــــا ابن عبـــــد المطلب

اللهم أنزل نصرك ثم صفهم قـال البراء رضي الله عنه : كنا والله إذا احمـر البأس نتقي بـرسـول الله ﷺ وإن الشجـاع منـا للذي يحاذي به » أخرجه الشيخان والترمذي .

(الأخفاء) جمع خفيف وهو المسرع الذي ليس له شيء يعوقـه . و (الحُسَّر) جمـع حاسـر وهو الـذي لا درع عليه . و(الرشـق) الرمـي و (الرجــل مـــن الجراد) القطعـة الكبيـرة

و (انكشفوا) أى انهزموا . و(البأس) الشدة والخوف . ومعنى (احمر البأس) اشتد الحرب .

٥ ـ وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : « أتى النبى ﷺ عين من المشركين وهو فى سفر فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل . فقال رسول الله ﷺ : اطلبوه فاقتلوه ، فقتلته فنفلنى رسول الله ﷺ سلبه » أخرجه الشيخان وأبو داود .

٦ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال « اتخذت أم سليم خنجرا أيام حنين فكان معها . فقال لها النبى ﷺ : ما هذا يا أم سليم؟ فقالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرن بطنه . فجعل ﷺ يضحك . فقالت يا رسول الله : أقتل من بعدنا من الطلقاء الذين انهزموا بك فقال رسول الله ﷺ، يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن » أخرجه مسلم وأبو داود . (البقر) الشق .

(تيسير الوصول ٣ / ٢٠٧ ـ ٢٠٩) وكانت أم سليم قد خرجت إلى الغزوة مع زوجها أبى طلحة وتأتى ترجمتها فى موضعها فى حرف السين إن شاء الله تعالى .

ويمكن تلخيص مراحل هذه الغزوة على النحو التالى : أسباب الغزوة ، تجهيز المسلمين ، سير المعركة فى شوال عام ٨ هـ ، هجوم المسلمين المقابل ، مطاردة المشركين ، حصار الطائف (ويأتى الكلام عليها فى مادة « الطائف (غزوة ـ) إن شاء الله تعالى) ، خسائر الطرفين ، توزيع الغنائم ، العودة إلى المدينة (الدروس المستفادة / ٤٩٧ ـ ٥٠٢) .

وقد أورد صاحب السيرة النبوية ما قيل من الشعر يوم حنين ننقل لك بعضه فيما يلى ، وهو من شعر الحماسة ومن الشعر التاريخى الذى يسجل الأحداث التاريخية ويؤرخ لوقائعها .

قال بجير بن أبى سلمى فى يوم حنين :

لولا الإله وعبده وليتم
حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبا لنا أقراننا
وسوابح يكبون للأذقان
من بين ساع ثوبه فى كفه
ومقطر بسنابك ولبان
والله أكرمنا وأظهر ديننا
وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم
وأذلهم بعبادة الشيطان

(الجزع : ما انعطف من الوادى . حبا اعترض . سوابح . أى خيل سوابح . وهى المسرعة يكبون : يسقطون .

مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان الفرس : صدره) .

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه
يدعون : يا لكتيبة الإيمان
أين الذين هم أجابوا ربهم
يوم العريض وبيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس :

يا خاتم النبآء إنك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة
فى خلقه ومحمدا سمّاكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم
جند بعثت عليهم الضحاكا
رجلا به ذرب السلاح كأنه
لما تكنفه العدو يراكا
يغشى ذوى النسب القريب وإنما
يبغى رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبيك أنى قد رأيت مكره
تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة
يفرى الجماجم صارما بتاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى
منه الذى عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون أمامه
ضربا وطعنا فى العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم
أسد العرين أردن ثم عراكا

مـا يـرتجـون من القـريب قـرابـة
إلا لطـاعـة ربهم وهـواكـا
هـذى مشاهدنا التى كـانـت لنـا
معـروفـة وولينـا مـولاكـا

(الذرب : الحدة . بتاك : قـاطع . معنقون : مسرعون . دراك : متتابع . العراك : المدافعة).

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

عفـا مجـدل من أهلـه فمتـالـع
فمطـلا أريك قـد خـلا فـالمصـانع
ديـار لنـا يـا جُمل إذ جل عيشنـا
رخـى وصـرف الـدار للحى جـامع
حبيبـة ألـوت بهـا غـربـة النـوى
لبين فهل مـاض من العيش راجع
فـإن تبتغى الكفـار غيـر ملـومـة
فـإنـى وزيـر للنبى وتـابـع
دعـانـى إليهم خيـر وفـد علمتهم
خـزيمـة والمـرار منهم وواسع
فجئنـا بـألـف من سليم عليهم
لبـوس لهم من نسج داود رائع
نبـايعـه بـالأخشبين وإنـمـا
يـد الله بين الأخشبين نبـايـع
فجسنـا مع المهـدى مكـة عنـوة
بأسيـافنـا والنقع كـاب وسـاطع
عـلانيـة والخيـل يغشى متـونهـا
حميم وآن من دم الجـوف نـاقع
ويـوم حنين حين سـارت هـوازن
إلينـا وضـاقت بـالنفوس الأضـالع
صبـرنـا مع الضحـاك لا يستفـزنـا
قـراع الأعـادى منهم والـوقـائع
أمـام رسـول الله يخفق فـوقنـا
لـواء كخـذروف السحـابـة لامع
عشيـة ضحـاك بن سفيـان معتص
بسيف رسـول الله والمـوت كـانع
نـذود أخـانـا عن أخينـا ولـو نـرى
مصـالا لكنـا الأقـربين نتـابع
ولكـن ديـن الله ديـن محمـد
رضينـا بـه ، فيـه الهـدى والشـرائع
أقـام بـه بعـد الضـلالـة أمـرنـا
وليس لأمـر حمَّـه الله دافع

(مجـدل : مكـان . متـالع : جبل . المطـلاء : الأرض السهلـة . أريك : موضع . المصـانع : ما يجتمع فيهـا مـاء المطر كالأحواض . الأخشبان : جبلان بمكه . جسنا : وطئنا المهدى : نبى الهدى محمد ﷺ . كـاب : مرتفع . ساطع : متفرق . الحميم هنـا : العرق . آن : حـار ، نـاقع : كثير. خذروف السحابة : طرفها).

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نصـرنـا رسـول الله من غضب لـه
بـألف كمى لا تعـد حـواسـره
حملنـا لـه فى عـامل الـرمح رايـة
يـذود بهـا فى حـومـة المـوت نـاصـره
ونحن خضبنـاهـا دمـا فهـو لـونهـا
غـداة حنين يـوم صفـوان شـاجـره
وكنـا على الإسـلام ميمنـة لـه
وكـان لنـا عقـد اللـواء وشـاهـره
وكنـا لـه دون الجنـود بطـانـة
يشـاورنـا فى أمـره ونشـاوره
دعـانـا فسمـانـا الشعـار مقـدمـا
وكنـا لـه عـونـا على من ينـاكـره
جـزى الله خيـرا من نبى محمـدا
وأيـده بـالنصـر والله نـاصـره

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها، بعض أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوله : « حملنا فى عـامل الرمح راية » . وأنشدنى بعد قوله :

«وكان لنا عقد اللواء وشاهره » ، ونحن خضبناه دما فهو لونه» .

(الحواسر : الذين لا دروع عليهم ، شاجره: خالطه بالرمح . الشعار : أصل الشعار : الثياب التي تلي الجسد . كناية عن القرب) .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مبلغ الأقوام أن محمدا
رسول الإله راشد حيث يمما

دعا ربه واستنصر الله وحده
فأصبح قد وفى إليه وأنعما

سرينا وواعدنا قديدا محمدا
يؤم بنا أمرا من الله محكما

تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا
مع الفجر فتيانا وغابا مقوما

على الخيل مشدودا علينا دروعنا
ورجلا كدفاع الآتى عرمرما

فإن سراة الحى إن كنت سائلا
سليم وفيهم منهم من تسلما

وجند من الأنصار لا يخذلونه
أطاعوا فما يعصونه ما تكلما

فإن تك قد أمرت فى القوم خالدا
وقدمته فإنه قد تقدما

بجند هداه الله أنت أميره
تصيب به فى الحق من كان أظلما

حلفت يمينا برة لمحمد
فأكملتها ألفا من الخيل ملجما

وقال نبى المؤمنين تقدموا
وحب إلينا أن نكون المقدما

وبتنا بنهى المستدير ولم يكن
بنا الخوف إلا رغبة وتحزما

أطعناك حتى أسلم الناس كلهم
وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما

يضل الحصان الأبلق الورد وسطه
ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما

سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى
وكل تراه عن أخيه قد احجما

لدن غدوة حتى تركنا عشية
حنينا وقد سالت دوافعه دما

إذا شئت من كلٍّ رأيت طمرة
وفارسها يهوى ورمحا محطما

وقد أحرزت منا هوازن سربها
وحب إليها أن نخيب ونحرما

(تماروا : شكوا ، الغاب : الرماح ، الآتى : السيل . العرمرم : الكثير، من تسلما : يريد أن فى سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم ، فتسلم بذلك ، كما تقول : تقيَّس الرجل، إذا اعتزى إلى قيس . أنشد سيبويه :

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

يلملم : ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها . الأبلق : الذى يختلط لونه بالسواد والبياض . الورد : المشرب بالحمرة ، يسوِّم : يعلِّم . القطا : طائر، زفه : أسرع به . دوافع : مجارى السيل . الطمرة : الفرس السريعة . (السيرة النبوية ٤ / ٧٦ ـ ٧٩ ، ٨٣ ـ ٨٥) .

ملاحظة : الخريطة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « معارك الإسلام الكبرى » لمحمد فتحى بكوش ص ١٤٤ .

(الفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٨٧ ـ ٨٩ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ، و « الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف » ـ اللواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر . الجزء الرابع السنة الخامسة والستون . ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٢م / ٤٩٧ ـ ٥٠٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٧٦ ـ ٧٩ ، ٨٣ ـ ٨٥ . انظر أيضا معارك الإسلام الكبرى ـ محمد فتحى بكوش / ١٤٥ ـ ١٦٣ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٣٣ ، وأيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى / ١٠٤ ـ ١٢٢ ، والمنتخب من السنة . المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية . الطبعة الثانية . القاهرة ١٣٥٥هـ/ ٢٩٨ـ ٣٠١ ، ومحاسن الإسلام ـ الشيخ محمد سعد بن عبد الله الرباطابى العباسى / ٩٢ـ ٩٥ ، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للشيخ عبد الرزاق المناوى / ٢٠٦ـ ٢٠٨) .

انظر حُنين .

*** حنين (معركة ـ) :**

انظر : حنين (غزوة ـ) .

*** حنين (يوم ـ) :**

انظر : حنين (غزوة ـ) .

*** حواء أم البشر :**

جاء فى طبقات ابن سعد : قال : أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ ، قال : خلق حواء من قصيرى آدم ﷺ ـ والقصيرى الضلع الأقصر ـ وهو نائم ، فاستيقظ فقال : أثا ! امرأة بالنبطية . قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدى ، حدثنا سفيان بن سعيد الثورى ، عن أبيه ، عن مولى لابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : إنما سميت حواء ، لأنها أم كل حى . قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم بالهند وحواء بجدة ، فجاء فى طلبها حتى أتى جمعا ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك سميت المزدلفة ، واجتمعا بجمع ، فلذلك سميت جمعا (الطبقات الكبرى ١ / ١٦) .

وقال الإمام النووى : حواء أم البشر عليها السلام مذكورة فى آخر باب ميراث العصبة من المهذب هى بالمد . قال أقضى القضاة الماوردى فى تفسيره : اختلف العلماء فى الوقت الذى خلقت فيه حواء على قولين : أحدهما قاله ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما : دخل آدم عليه السلام الجنة وحده فلما استوحش خلقت له حواء فى الجنة من ضلعه ، والثانى قاله ابن إسحاق : إنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أدخلا جميعا إلى الجنة .

وفى تاريخ دمشق لابن عساكر الحافظ أبى القاسم أن حواء سكنت ببيت لهيا قرية معروفة من غوطة دمشق ، وفيه بإسناده عن ابن عباس قال : سميت حواء لأنها أم كل شىء حى ، وفيه أن حواء أهبطت من الجنة بجدة ، وفيه عن عثمان ابن الساج قال : بلغنى أن حواء ولدت لآدم أربعين ولداً فى عشرين بطنا ، وكانت تلد غلاما وجارية . وعن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أنهم قالوا : ولد لآدم فى الجنة هابيل وقابيل وأختاهما . قال ابن إسحق : بلغنى عن غير هؤلاء أنه لم يولد لآدم فى الجنة والله أعلم أى ذلك كان (تهذيب ٢ / ٣٤٠) .

(الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى . كتاب التحرير ا حـ ١ / ١٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٤٠) .

*** الحَوْأَب :**

قال ياقوت :

الحوأب : بالفتح ثم السكون ، وهمزة مفتوحة ، وباء موحدة؛ وأصله فى اللغة ، يقال : حافرٌ حوأب وأب صعب ، والحوأبة : العلبة الضخمة ، والحوأب : الوادى الوسيع فى هذه . والحوأب : موضع فى طريق البصرة محاذى البقرة ماءة أيضا من مياههم ، قال أبو زياد : ومن مياه أبى بكر بن كلاب الحوأب ، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلى ، وقال نصر: الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة؛ والحوأب والعناب والحزيز: جبال سود أظنها فى ديار عوف بن عبد بن أبى بكر ابن كلاب أخى قريط بن عبد ، وقيل : سمى الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة ، وهى أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء والغوث وهو الربيط ، وهو صوفة وثعلبة ، وهو ظاعنة وغيرهم من ولد مر بن أد بن طابخة ، وبالحوأب حصن لعبد العزيز بن زرارة الكلبى ؛ وقال أبو منصور: الحوأب موضع بئر نبحت كلابه على عائشة أم المؤمنين عند مقبلها إلى البصرة؛ ثم أنشد :

ما هى إلا شربة بالحوأب،
فصعدى من بعدها أو صوبى

وفى الحديث : أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة فى وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما هذا الموضع ؟ فقيل لها : هذا موضع يقال له الحوأب ، فقالت : إنا والله ما أرانى إلا صاحبة القصة ، فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه

ليس بالحوأب؛ وفي كتاب سيف : أن فلال يوم بزاخة الذين كانوا مع طليحة المتنبي أجمعت إلى ظفر وبها أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية ، وكانت عزيزة في أهلها مثل أمها أم قرفة ، فنزلوا إليها فذمرتهم وأقرتهم بالحرب، وكانت أم زمل قد سبيت أيام أم قرفة فوهبت لعائشة فأعتقتها، فكانت تكون عندها ، وقد كان النبي، ﷺ، دخل عليهن فقال : إن إحداكن تستنبح كلاب أهل الحوأب، ثم رجعت سلمى إلى قومها وارتدت فيمن ارتد، فلما رجع إليها الفلال طلبت بذلك الثأر فسيرت ما بين ظفر والحوأب حتى تجمع لها خلق كثير من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطيء، فبلغ ذلك خالدا، فسار إليها واقتتل الفريقان قتالا شديدا وهي راكبة على جمل أمها حتى اجتمع على الجمل أناس من المسلمين فعقروه وقتلوها وقتلوا حولها مائة رجل، فكانوا يروون أنها التي عناها النبي، ﷺ. والحوأب في أخبار الردة: مخلاف بالطائف. والحوأب أيضا : جبل أسود تقدم ذكره .

(معجم البلدان ٢ / ٣١٤) .

***الحواتكة :**

وصفها علي باشا مبارك كما كانت في زمانه فقال عنها :

(الحواتكة) قرية كبيرة من مديرية أسيوط بقسم منفلوط على الشاطىء الغربي للنيل في شرقي الإبراهمية في جنوب منفلوط بأقل من ساعة ، وأبنيتها من أحسن أبنية الأرياف، وفيها قصور مشيدة بشبابيك الزجاج والحديد لأولاد أبى محفوظ، وبها مساجد جامعة ومساجد غير جامعة ومعمل دجاج ونخيل وأشجار وجنات ، وأطيانها جامعة المحصول ويزرع في جزيرتها الدخان البلدى والسلجم والبصل والمقاثىء خصوصا الحرش الكبير، وتكسب أهلها من الزرع ومنهم حاكة ينسجون الصوف .

وأولاد أبى محفوظ عائلة مشهورة من أجيال، ولهم أملاك كثيرة ويزرعون الألوف من الأطيان الخصبة ... إلخ .

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ــ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠ / ١٨٩، ١٩٠) .

*** الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابقه:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم : ١١١٣ .

لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن المفضل الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ ١٣٢٣م وهو كتاب في تأريخ العراق رتبه المؤلف على السنين تبدأ هذه النسخة بحوادث سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٨م وتنتهي بحوادث سنة ٧٠٠هـ ١٣٠٠ م نقلت هذه النسخة عن نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة ولم يذكر عنوان المخطوط أو اسم المؤلف . في أولها تعليقات ليوسف اليان سركيس . والأب انستاس ماري الكرملي والدكتور مصطفى جواد ... وقد كتب يوسف اليان سركيس في أولها أنها أهديت من أحمد تيمور بمصر إلى الأب انستاس ماري الكرملي ببغداد سنة ١٩٢١ م .

نشر الكتاب سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م ببغداد بتصحيح الدكتور مصطفى جواد (انظر المخطوطات التاريخية في مكتبة المتحف العراقي لكوركيس عواد مجلة سومر عدد ١٣ لسنة ١٩٥٧ ص ٥٤).

القياس ٤٤٥ص　　٢٥,٥ × ٢٠,٥ سم　　١٤س

معجم المؤلفين ٥/ ٢١٥ كشف١ / ٢٧٩ فهرس المطبوعات العراقية ٢/ ٣٩٠ .

نسخة أخرى .

الرقم : ١١٦٠٦

كتبت بقلم جيد ولعلها بخط عبد الرزاق بن فليح البغدادي .

القياس ٤٠٠ ص　　٢٥ ×١٨ سم　　١٩ س

نسخة أخرى :

الرقم : ١٣٧٩ .

حديثة الخط منقولة عن النسخة التيمورية .

القياس ٤٢٤ ص　　٢٠,٥ × ١٤ سم　　١٨س

نسخة أخرى :

الرقم : ١٥٩٩ .

تتضمن قطعة من الكتاب تنتهي بحوادث سنة ٦٣هـ ١٢٣٢م بقلم عبد الرزاق فليح البغدادي عن نسخة الخزانة التيمورية .

القياس٦٠ص　　٢٩ × ٢٠ سم　　١٩س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٦٠ ، ١٦١) .

* **حوادث الزمان وأنباؤه:**

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط ، وجاء بيانه كما يلي :

لشمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، كتب عليه الحريري بدل الجزري غلطا ، الجزء الثاني ، من نسخة بخط نسخي جيد ، من خطوط القرن التاسع تقديرًا . وهو نادر يبتدىء بحوادث سنة ٦٠٨هـ إلى سنة ٦٥٨هـ ، في ١٨٠ ورقة .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٨٤) .

* **الحُوّارى :**

أدرجه صاحب كتاب التنوير في باب الأطعمة والأشربة وقال عنه : الحوارى : ما بُلّ ، وقشر بالدق ، ثم طحن .

(كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري - تحقيق وفاء تقي الدين / ٥٠) .

* **حُوّارين :**

هي اليوم في محافظة حمص ، وتتبع ناحية القريتين (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٩٠) قال عنها ياقوت :

حوارين : بالضم ، وتشديد الواو ، ويختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها ، وياء ساكنة ، ونون :

وحوارين : من قرى حلب معروفة .

وحوارين : حصن من ناحية حمص ؛ قال بعضهم :

يا ليلة لي بحوارين ساهرة
حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال أحمد بن جابر : مر خالد بن الوليد في مسيره من العراق إلى الشام بتدمر والقريتين ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها ، فقاتلوه وقد جاءهم مدد من أهل بعلبك ثم أتى مرج راهط ، وفي كتاب الفتوح لأبي حذيفة إسحاق بن بشير : وسار خالد بن الوليد من تدمر حتى مر بالقريتين ، وهي التي تدعى حوارين ، وهي من تدمر على مرحلتين ، وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ .

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان س ٣ق١ / ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ومعجم البلدان٢ / ٣١٥ ، ٣١٦) .

* **حواريو رسول الله ﷺ :**

جاء في اللسان : قال بعضهم : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم : وقال الزجاج : الحواريون خلصاء الأنبياء عليهم السلام ، وصفوتهم . قال : والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : « الزبير ابن عمتي وحواريَّ من أمتي » أي خاصتي من أصحابي وناصري . قال : وأصحاب النبي ﷺ حواريون ، وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونُقُّوا من كل عيب ، وكذلك الحوارَّى من الدقيق سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، قال : وتأويله في الناس الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب .

ابن سيده : وكل مبالغ في نصرة آخر حواري ، وخص بعضهم به أنصار الأنبياء ، عليهم السلام ، وقوله أنشده ابن دريد .

بكى بعينك واكف القطر
ابن الحواري العالي الذكر

إنما أراد ابن الحواري ، يعني بالحواري الزبير ، وعنى بابنه عبد الله بن الزبير .

وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون للبياض ، لأنهم كانوا قصارين (القصار: المبيض للثياب . المعجم الوجيز / ٥٠٤) والحواري : البياض ، وهذا أصل قوله ﷺ في الزبير : «حواري من أمتي » . وهذا كان بدأه ، لأنهم كانوا خلصاء عيسى وأنصاره ، وأصله من التحوير التبييض ، وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب ، أي يحورونها ، وهو التبييض (اللسان ١٢ / ١٠٤٤) .

قال الشيخ الشبلنجي عن حواريي رسول الله ﷺ :

وأما حواريوه ﷺ فكلهم من قريش وهم اثنا عشر رجلا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون والذي جمع بين النجابة والحوارية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر وعثمان بن مظعون فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم أجمعين . من المحاضرات للشيخ محيي الدين (نور الأبصار / ٨٦) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٥٧٤٤ ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي / ٨٦) .

* **حواش على حاشية الحفيد وحاشية العبادى وحاشية عيسى على شرح مختصر التلخيص للتفتازانى :**

من المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١٨٥

لياسين بن زين الدين بن أبى بكر بن محمد العليمى الحمصى المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥٠ م .

كتبت بخط مغربى .

القياس ص١٣٢ ٢٧,٥ × ٢٠ سم س٢٩

معجم ١٩٤٦ ، كشف ١/ ٤٧٦

(الحفيد : أحمد بن محمد بن يحيى حفيد التفتازانى المتوفى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م ، العبادى : أحمد بن قاسم العبادى المتوفى سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م ، عيسى : عيسى الصفوى الإيجى) .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٢٢) .

* **حواش على الكتاب الهندى فى الحساب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية .

تأليف عيسى بن أحمد بن يوسف .

أولها : الحمد لله الذى لم يجعل الواحد من العدد ... أما بعد ، فهذه حواش علقتها علي كتاب « الهندى » المنتزع من «الكافى » وذلك على ما أشكل ... إلخ .

نسخة بقلم معتاد بخط تلميذ مؤلف الحاشية يحيى بن على بن إسماعيل بن على بن عبد القادر سنة ١٢٠٥ فى ١٥ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا تقريبا .

١٥ × ٢٠ سم

انظر هذه الحواشى مع : الكتاب الهندى .

دار الكتب المصرية ٨٤ رياضة ـ ف ١٠٣٤ .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠/ ٤٤) .

* **حواش لبعض العلماء على تفسير بعض الآيات :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم : ١٠٢٣٨ .

المؤلف : حبيب العمرى الأقسرائى .

أولها : الحمد لله الذى بين بقرآنه الكريم على رسوله آيات بينات ، وأعلى به على عباده رايات عاليات ... وبعد قال العلامة الزمخشرى فى الكشاف فى سورة الحشر فى تفسير قوله تعالى ﴿ **والذين تبوؤا** ﴾ معطوف على المهاجرين ، وهم الأنصار ، فإن قلت : ما معنى عطف الإيمان على الدار، ولا يقال تبوؤوا الإيمان .

آخرها : وإضافة الشح إلى النفس فى قوله تعالى ﴿ **ومن يوق شح نفسه** ﴾ لأنه صفة عزيزة مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل، ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها، فيما يغلب عليها ، لا يكون إلا الفلاح الفائز بكل مطلوب، والعدل أقرب للتقوى .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط فارسى معتاد ، ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح المكتوبة بخط دقيق ، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالذهب . توجد هذه الرسالة فى مجموع يحوى عددا من الرسائل فى التفسير، المجموع مصاب بالرطوبة ، غلافه من الورق المقوى .

٦ (١٩ـ٢٤)ق ١٧×١٢م ٢١س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٩٠ ، ٢٩١) .

* **حواش مقيدة على شرح الجزرية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ١٠٥٧٧ .

المؤلف : حسن بن على بن أحمد بن عبد الله المنطاوى الشافعى الشهير بالمدابغى المتوفى سنة ١١٧٠ هـ/ ١٧٥٦م

فاتحة المخطوط : الحمد لله الذى أولع قلوب العارفين بتلاوة كتابه وجعلهم مجودين واقفين عند حدوده ... وبعد فيقول راجى عفو ربه المنان عبد الرحمن النحراوى ، قد حملنى أستاذى عطية الله الأجهورى على تبييض ما لخصه شيخنا المدابغى من حاشية الشبراملسى على شرح الجزرية لشيخ الإسلام وأن أدخل فيه ما كتبه بالهامش فامتثلت قوله المأمون فجاء بحمد الله كالجوهر المكنون ...

خاتمة المخطوط : المحمود الاختيارى حقيقة أو حكما ، فدخل : نحو صفات الله تعالى من حيث إنها مبدأ للأفعال الاختيارية على جهة التبجيل بالإضافة البيانية أى على جهة هى التبجيل أى التعظيم ، قاله النور الحلبى فى شرح الكلام على البسملة .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى مخرومة الآخر كتبت بخط معتاد بالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش الكثير من الشروح المختلفة ، أصيبت النسخة بالرطوبة فى بعض أوراقها دون أن تتأثر الكتابة فيها ، أما غلافها فهو من الورق.

١٢ ق ١٥ م×٢٢ ٢٣ س

المصادر : عجائب الآثار ١/ ٢٠٩، فهرس الفهارس ٢/ ٥ ، هدية العارفين ١/ ٢٩٨ ، فهرس التيمورية ٣/ ٢٧٤، بروكلمان : الذيل ٢/ ٤٥٥ ، معجم المطبوعات / ١٧١٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن الكريم - المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمى ١/ ١٥٨ ، ١٥٩) .

*** الحواشى الأزهرية فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم : ٤٤٨٨ .

المؤلف : زين الدين خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد الجرجاوى الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هـ .

فاتحة الكتاب : يقول الفقير إلى عفو ربه الغنى خالد بن عبد الله الأزهرى رحمه الله تعالى : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ووعد من تلاه وعمل به جزيل الثواب ...

أما بعد : فإن أولى ما تصرف فيه الهمم العوالى كلام الكبير المتعالى ، وأهم ما يبدأ به تجويد حروفه وتحسين ألفاظه ومعرفة وقوفه ، وما يتبع ذلك مما يحتاج إليه المنقول وكيفية الوقوف على المقطوع والموصول، وتتميم معرفة وجوب الإظهار والإدغام وأحكام النون الساكنة والتنوين والروم والإشمام .

خاتمة الرسالة : التقصى : الانتهاء شيئا فشيئا . والنظم : جمع الأشياء على هيئة مناسبة . وقوله : مقدمة أى تحفة وهدية ، وختمها بالحمد والصلاة لتكون ميمونة الافتتاح والاختتام والحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين. تم الكتاب ولله الحمد بعون الملك الوهاب فى الواحد والعشرين يوما خلون من شهر رجب الفرد سنة ١١٦٦ .

أوصاف المخطوط : الرسالة من مكتوبات القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد كتبت بخط نسخى معتاد ، أبيات الأصل والفصول مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر. على الهوامش بعض التصويبات والشروح. أصيبت النسخة بالرطوبة فى أعالى الأوراق، وهى موجودة فى مجموع يحوى عددا كبيرا من الرسائل المختلفة فى مواضيع متعددة أغلبها فى علوم القرآن والقراءات والتجويد. أولها : الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف لمحمد بن يوسف الشامى وآخرها القول المفيد فى حل بعض مشكلات من القرآن المجيد لأحمد بن سليمان الخالدى، المجموع مكتوب بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة ، وهو بحاجة إلى ترميم .

١٥ (٨٣ـ٩٧) ق ٢١ م×١٥ ٢٥ س

المصادر : الضوء اللامع : ٣/ ١٧١ ، شذرات الذهب: ٨/ ٢٦ ، الكواكب السائرة : ١/ ١٨٨ ، كشف الظنون : ١/ ١٢٤ ، إيضاح المكنون : ١/ ١١٨، بروكلمان الذيل : ٢/ ٢٢ .

نسخة ثانية :

الرقم : ٥٦٠٦ .

خاتمة المخطوط : والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، قال المؤلف : هذا الشرح للشيخ خالد الوقاد الأزهرى تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته إنه على ما يشاء قدير ...

وكان الفراغ من كتابته نهار السبت المبارك أوائل شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة ٩٦٤ هـ .

أوصاف الكتاب والمجموع : المخطوط من مكتوبات القرن العاشر الهجري وقد أصابت الرطوبة أعالي الأوراق فيه فتأثرت الكتابة بذلك كتب بخط نسخي معتاد مشكول، أبيات الأصل والفصول، ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر. النسخة مخرومة مقدار ورقة واحدة وقد عوضت بخط مختلف عن الأصل، . وهي موجودة في مجموع يحوي - الفوائد الجلية شرح المقدمة الجزرية لعلاء الدين الطرابلسي ... على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد سعيد ابن محمد السمان، وبعض الفوائد . المجموع بحالة حسنة .

٣٥ (١٨ق - ٥١) ٢١م × ١٥ ١٥س

- نسخة ثالثة :

الرقم : ٨٤٧٥

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، أصيبت بالرطوبة في جميع أوراقها وقد رممت جميعا، كتبت بخط نسخي معتاد وبالمداد الأسود، أبيات الأصل ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر .

النسخة في مجموع يحوي الأنوار البهية شرح المقدمة الميدانية لخليل بن حسن التاجي، وهي في علم التجويد، على الورقة الأولى قيد مطالعة لعبد الله أبي سالم يوسف، وعلى الورقة الأخيرة فائدة في أقسام التنوين، ثم منظومة في ظاءات القرآن العظيم .

٢٧ (٢٥ق - ٥١) ٢٢م × ١٦ ١٩س

- نسخة رابعة :

الرقم : ١٠٥٨١

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط نسخي صغير وبالمداد الأسود، أبيات الأصل مكتوبة بالأحمر، أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف، وقد رممت قديما، على الورقة الأولى قيد تملك باسم محيي الدين بن العطار تاريخه رجب ١٢٢١ هـ وقيد آخر مطموس ظهر فيه كلمة الحفار تاريخه سنة ١٢٨٠ هـ بالإضافة إلى حديث شريف مروي عن ابن عساكر .

على الورقة الأخيرة أربعة أبيات في وصف جامع يلبغا، ثم قصيدة ميمية في الغزل . أوراق النسخة جافة وغلافها عادي .

١٩ق ٩م × ١٤ ١٧س

- نسخة خامسة :

الرقم : ٨٠١١

خاتمة المخطوط : وافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة أربع وخمسين ومائة وألف على يد الفقير الحقير عبد الواحد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن سراج الدين سنة ١١٥٤هـ .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط رديء. المقدمة مكتوبة بالمداد الأحمر، والشرح بالمداد الأسود النسخة في مجموع يحوي فوائد في أصول الدين، ثم رسالة في صفات الحروف، ثم المقدمة الجزرية وأخيرا مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين لمحمد ناصر الدين الطبلاوي .

المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة يحتاج إلى صيانة .

٣٨ (١٠٠م - ١٣٧) ١٦ × ١١م ١٧س

(فهرس الظاهرية ١ / ١٥٠ - ١٥٤) .

توجد نسخة في الخزانة الطلسية بحلب ضمن مجموع فيه التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني .

قالت المؤلفة : وجاء فيها خطأ أن وفاة الشيخ الأزهري سنة ٨٠٥ هـ والصحيح ٩٠٥ هـ كما ورد العنوان بدون كلمة «ألفاظ» .

والنسخة حسنة الخط بقلم كاتب التيسير . وقد طبعت الحاشية مرات بمصر انظر كشف الظنون ص٣٠٣. مقياسه : ١٦ × ٢٠ (المنتخب ق٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . القرآن الكريم . المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمي ١ / ١٥٠ - ١٥٤ ، والمنتخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

* **حواشى عبد اللطيف البغدادى على القانون :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

يوجد مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية .

وهو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ .

أوله : إنه لا يعرف مشاق الأعمال إلا من كان لـه مشاركة فيها .

وآخره : وقد سبق ذكرها فى المعاجين ... آخر ما كتب على القانون .

نسخة بقلم نسخى ٦١٦ هـ .

٩٠ صفحة ٢١ سطرا .

[الرضوية ـ مشهد ـ إيران ٥٠٧٥]

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثانى . القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م / ٨٥)

* **الحواشى الكبرى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦١٧ ـ تفسير ٢٤٢ .

المؤلف : مصلح الدين مصطفى بن شعبان الكليبولى الرومى الحنفى المعروف بسرورى جلبى المتوفى سنة ٩٦٩ هـ

أولها : الحمد لله الذى جعلنى كشاف القرآن ، وقاضيا بين أهل الحق وأرباب البطلان والصلاة على نبيه المبعوث على أفصح لسان وعلى آله وصحبه الذين سبقونا بالإيمان أما بعد : فيقول العبد الفقير سرورى الحقير : أردت أن أكتب تيسير تفسير القرآن وشرح تفسير القاضى بأبلغ البيان فكتبت لفظ القرآن بالمداد الأحمر وجعلت التفسير سطورا فى المسطر وفسرت القرآن بالمداد الأحمر وجعلت التفسير سطورا فى المسطر وفسرت القرآن فيما يحتاج إلى التبيين وبينت تفسيره بالتبيان المتين ...

آخرها : وفى الحديث : نسخت الزكاة كل صدقة . مقصود المصنف من إيراد هذا الحديث الذى هو دليل من أنكر أن لا يكون فى المال حق غير الزكاة ترجيح الاحتمالين على الثالث وقد مر الكلام المتعلق به قريبا فتذكروا الأمر الرابع من الأمور التى اعتبرها الله تعالى فى تحقيق البر والوفاء بالعهد ولهذا قال : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ عطف على من آمن لأنه من مجموع المغنى . أقول : هذا إنما يصح إذا قدر المضاف المعطوف عليه فى جانب الموضع .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى ، كتبت بمجموعة من الخطوط كلها فارسى بعضها دقيق وبعضها معتاد . ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، على الهوامش الكثير من الشروح والزيادات المختلفة . أصابتها الرطوبة فى مواضع متعددة ولكنها لا تزال بحالة حسنة .

على الأوراق الأولى بعد الغلاف قيود تملك منها : قيد باسم محمد طالبى وآخر باسم محمد المسرور وثالث باسم يحيى بن محمد الشهير بعينى زادة . ثم ترجمة مختصرة للمؤلف وذكر لبعض مؤلفاته .

٣٤٨ ق ٢٨ × ١٦,٥ م ٢٩ ـ ٣١ س

المصادر : العقد المنظوم : ٢/ ٢١٤ ، شذرات الذهب : ٨/ ٣٥٩ ، كشف الظنون / ١٨٩ ، هدية العارفين : ٢/ ٢٣٤ ، بروكلمان : الذيل : ٢/ ٦٥٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٩١ ، ٢٩٢) .

* **الحواشى المفهمة فى شرح المقدمة « شرح المقدمة الجزرية فى علم التجويد » :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم : ١٧٩ .

المؤلف : أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد الجزرى المتوفى سنة ٨٢٧هـ . (وهو ابن ناظم المقدمة الجزرية فى علم التجويد) .

فاتحة الرسالة : الحمد لله المتعالى فى جلال قدسه ، لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، حَمْد من خَلَقَه فسواه ، موقن أنه لا رب له سواه ... وبعد : فإن أولى ما تصرف فيه الهمم العوالى كلام الله الكبير المتعالى ، وأهم ما يبدأ به قبل تلاوته تجويد حروفه وتصحيح قراءته ، وكان أنفع ما ألف فى ذلك الأرجوزة المسماة المقدمة ... نظم سيدى ووالدى .

خاتمة الرسالة : قال الإمام أبو الحسين الواحدي : الأولى ترك السلام عليه لاشتغاله بالتلاوة ، فإن سلم كفاه الرد بالإشارة، وإن ردها استأنف ثم عاد إلى التلاوة ، وهذا آخر ما قصدته من هذا الشرح .

وقد منَّ الله الكريم بما هو له أهل من الفوائد النفيسة والدقائق اللطيفة من أنواع علوم القرآن ومهماتها ، والله المحمود على ذلك وغيره من نعمه التي لا تحصى أن هداني لذلك ووفقني لجمعه ...

وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة سنة خمس وأربعين ومائة وألف في بلدة جزير ... ؟

أوصاف الرسالة والمخطوط : النسخة من مكتوبات القرن الثاني عشر الهجري، وقد كتبت بخط نسخي حسن ، على الهوامش بعض التعليقات والإضافات والشروح .

توجد الرسالة في مجموع يحوي مجموعة كبيرة من الرسائل المختلفة منها : شرح معاني كلمة التوحيد لأحمد البدليسي، ورسالة الورقات في أصول الفقه ، ثم باب وقف حمزة وهشام على الهمزة، ثم مناجاة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب وغيره ... ثم مختصر الأسباب في تجويد القرآن ... وينتهي بإجازة لعبد اللطيف بن جعفر البدليسي سنة ١١٧٤هـ.

كتب المجموع بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة وهو مفروط الأوراق يحتاج إلى ترميم ...

١٩ (٥٢ - ٧٠)ق ٢٢ × ١٦,٥م ١٦س

المصادر :

كشف الظنون : ٢/ ١٧٩٩ ــ بروكلمان الذيل : ٢ / ٢٧٦ .

ـ نسخة ثانية .

الرقم : ٥٧٤٠ .

خاتمة المخطوط : تمت بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو ربه القدير أحمد بن محمد المنادهلي بلدا والشافعي مذهبا الأزهري الشهير بالكونسي في ثاني عشرين من شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وثمانماية ، بلغت مقابلة على نسخة كتبت منها معتمدة .

أوصاف المخطوط : نسخة قيمة من القرن التاسع الهجري كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود ، أبيات الأصل ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر . على الورقة الأولى قيد تملك باسم السيد حسن المدرس بأموى حلب . على الورقة الأخيرة أرجوزة فيما خرج من الهمز عن القياس في الرسم ، النسخة مفروطة الأوراق مصابة بالرطوبة ، غلافها ممزق ، تنقص مقدار ورقة واحدة في نهاية الورقة (٩) تحتاج النسخة إلى ترميم .

٦٧ق ١٨ × ١٣م ١٧س

ـ نسخة ثالثة مخرومة .

الرقم : ٦٦

خاتمة الرسالة : ونهاك عن الوقف على رؤوس الآية ، وهو سنة . وأول بالوقف على المضاف دون ما يضاف إليه من نحو «وإلـه » ، أو على الاسم الموصول دون صلته من نحو «والذين» .

أوصاف الرسالة والمخطوط : نسخة ناقصة ، خرمت كبيرا بمقارنتها مع النسخة ذات الرقم ـ ٥٧٤٠ ـ كتبت بخط مغربي دقيق جدا عسير القراءة ، كتبت النسخة سنة ١٠٣١هـ، وكتبها محمد بن محمد بن علي المغربي المكناسي (ق ١٦٥) . توجد هذه النسخة في مجموع يحوي مجموعة من الكتب والرسائل في القراءات والتجويد والتصوف وجميعه بالخط المغربي ، وهو مفروط الأوراق يحتاج إلى صيانة وترميم .

٩ (١٦٥ - ١٧٣)ق ٢١,٥ × ١٥م ٤١س

ـ نسخة رابعة :

الرقم : ٩٥٦٩ .

خاتمة الشرح : وفرغت من تأليفه يوم الخميس من غرة شهر رمضان المعظم سنة ٨٠٦ ست وثمان ماية بمدينة رندة من معاملة قرمان من البلاد الرومية حماها الله وحرسها وعمرها ببقاء مالكها ، أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وثبت أركانه ونصر جيوشه ...

أوصاف المخطوط : نسخة قيمة وقد تكون نسخة المؤلف، خرم القسم الأول منها ومقداره تسع ورقات وعوض بخط نسخي آخر مكتوب بالمدادين الأسود والأحمر .

القسم الأصلي من الكتاب مكتوب بخط نسخي جيد، أبيات الأصل مكتوبة بالأحمر وهي مضبوطة بالشكل على الهوامش بعض الشروح القليلة، توجد هذه النسخة في مجموع يحوي: السراجية في الفرائض، وأرجوزة بالفرائض ليحيي بن أبي بكر الحنفي، ونصيحة الأحباب في لبس فروة السنجاب لنجم الدين محمد بن عبد الله ابن قاضي عجلون ورسالة تتعلق بالفرق بين الحياة المستقرة والحياة المستمرة.

كتب المجموع بخطوط مختلفة وقد أصيب بالرطوبة ورممت بعض أوراقه مع غلافه قديما.

٣٦ ق   ١٨ × ١٣ م   ٢٥ س

ـ نسخة خامسة:

الرقم: ٦٤٦٢.

خاتمة المخطوط: وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الخميس خامس عشرين من ربيع الأول من شهور سنة ٩٨٧ على يد العبد الفقير إسماعيل بن خليل ...

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجري كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود. أبيات المقدمة مكتوبة بالمداد الأحمر على الورقة الأولى مجموعة من الفوائد المختلفة على الهامش في الورقة الأولى (ب) قيد وقف باسم الشيخ محمد عاشور البخاري في البدرعية، وعلى الورقة الأخيرة قيد مطالعة باسم محمد بن الشيخ عبد الله سبط أبي أيوب الأنصاري وقيد آخر باسم رمضان الوطيفي. الكتاب بحالة حسنة رغم جفاف أوراقه.

١٧ ق   ٢٠ × ١٥ م   ١٤ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ١ / ١٥٤ ـ ١٥٨).

* **الحوالة:**

الحوالة: تحويل الدين من ذمة إلى ذمة، كأن يكون لرجل على شخص دين، وعليه لآخر دين مماثل... فيقول له: أحلتك على فلان؛ فلي عليه دين فخذه منه فمتى رضي المحال، برىء من ذمة المحيل. (مختصر الأحكام الفقهية / ١٥٩).

والحواله بفتح الحاء وقد تكسر.

يقول فضيلة الشيخ السيد سابق: الحوالة مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال، والمقصود بها هنا نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه.

وهي تقتضي وجود محيل ومحال ومحال عليه.

فالمحيل هو المدين، والمحال هو الدائن، والمحال عليه هو الذي يقوم بقضاء الدين. والحوالة تصرف من التصرفات التي لا تحتاج إلى إيجاب وقبول، وتصح بكل ما يدل عليها كأحلتك وأتبعتك بدينك على فلان ونحو ذلك.

مشروعيتها:

قد شرعها الإسلام وأجازها للحاجة إليها.

روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع» (المطل في الأصل المد، والمراد به هنا تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر. والغني: هنا القادر على الأداء ولو كان فقيرا. والمليء: الغني المقتدر).

ففي هذا الحديث أمر الرسول ﷺ الدائن إذا أحاله المدين على غني مليء قادر أن يقبل الإحالة، وأن يتبع الذي أحيل عليه بالمطالبة حتى يستوفي حقه.

هل الأمر للوجوب أو الندب؟

ذهب الكثير من الحنابلة وابن جرير وأبو ثور والظاهرية: إلى أنه يجب على الدائن قبول الإحالة على المليء عملاً بهذا الأمر.

وقال الجمهور: إن الأمر للاستحباب.

شروط صحتها:

ويشترط لصحة الحوالة الشروط الآتية:

رضا المحيل والمحال دون المحال عليه استدلالا بالحديث المتقدم، فقد ذكرهما الرسول ﷺ. ولأن المحيل له أن يقضي الدين الذي عليه من أي جهة أراد. ولأن المحال حقه في ذمة المحيل فلا ينتقل إلا برضاه.

وقيل: لا يشترط رضاه لأن المحال يجب عليه قبولها لقوله ﷺ: إذا أحيل أحدكم على مليء فليتبع. ولأن له أن يستوفي حقه سواء أكان من المحيل نفسه أو ممن قام مقامه.

وأما عدم اشتراط رضا المحال عليه فلأن الرسول لم يذكره في الحديث ولأن الدائن أقام المحال مقام نفسه في استيفاء حقه فلا يحتاج إلى رضا من عليه الحق . وعند الحنفية والإصطخرى من الشافعية اشتراط رضاه أيضا .

٢ ـ تماثل الحقين فى الجنس والقدر والحلول والتأجيل والجودة والرداءة، فلا تصح الحوالة إذا كان الدين ذهبا وأحاله ليأخذ بدله فضة .

وكذلك إذا كان الدين حالاً وأحاله ليقبضه مؤجلاً أو العكس .

وكذلك لا تصح الحوالة إذا اختلف الحقان من حيث الجودة والرداءة أو كان أحدهما أكثر من الآخر.

٣ـ استقرار الدين، فلو أحاله على موظف لم يستوف أجره بعد فإن الحوالة لا تصح .

٤ـ أن يكون كل من الحقين معلوماً .

هل تبرأ ذمة المحيل بالحوالة؟

إذا صحت الحوالة برئت ذمة المحيل، فإذا أفلس المحال عليه أو جحد الحوالة أو مات لم يرجع المحال على المحيل بشيء .

وهذا هو ما ذهب إليه جماهير العلماء .

إلا أن المالكية قالوا : إلا أن يكون المحيل غرَّ المحال فأحاله على عديم قال مالك في الموطأ :

«الأمر عندنا فى الرجل يحيل الرجل على الرجل بدين له عليه، إن أفلس الذى أحيل عليه أو مات ولم يدع وفاء فليس للمحتال على الذى أحاله شيء وأنه لا يرجع على صاحبه الأول» .

قال : «وهذا الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا» .

وقال أبو حنيفة وشريح وعثمان البتي وغيرهم :

يرجع صاحب الدين إذا مات المحال عليه مفلساً أو جحد الحوالة (فقه السنة م٣ج ١١/ ٣٣٣ـ٣٣٥) .

ونسوق فيما يلى بعض المسائل التى يجيب عنها الحافظ السيوطى :

مسألة ـ رجل أحال رجلا بدين له على آخر ثم تقايلا أحكام الحوالة ومات المحتال فادعى وارثه على المحال عليه بالمبلغ المحال به وقبضه منه فهل له الرجوع؟ .

الجواب ـ المنقول عن الرافعى أنه جزم بعدم صحة الإقالة فى الحوالة وإن كان البلقيني حكى عن الخوارزمى فيها خلافا وصحح الجواز فعلى ما جزم به الرافعى يكون ما قبضة وارث المحتال من المحال عليه صحيحا واقعا موقعه ولا رجوع عليه .

مسألة ـ شخص له على آخر دين به ضمان أحال به شخصا على ذمة الأصيل والضامن فهل الحوالة صحيحة أم لا؟ وإذا صحت فهل يطالب الأصيل على انفراده أو هما معا؟ .

الجواب ـ هذه الحوالة باطلة فان الرافعى . والنووى حكيا فى صحتها وجهين ولم يرجحا شيئا وصحح البلقينى البطلان ووجهه كما قال في الروضة أن صاحب الدين كان له مطالبة واحد فلا يستفيد بالحوالة زيادة صفة .

مسألة ـ رجل له على رجل دين فمات الدائن وله ورثة فأخذ الأوصياء من المدين بعض الدين وأحالهم على آخر بالباقي فقبلوا الحوالة وضمنوا آخر فمات المحال عليه فهل لهم الرجوع على المحيل أم لا ؟ .

الجواب ـ يطالبون الضامن وتركة المحال عليه فإن تبين إفلاسهما بان فساد الحوالة لأنها لم تقع وفق المصلحة للأيتام فيرجعون على المحيل (الحاوى ١/ ١٠٧) .

ومن الألغاز الفقهية ما أورده ابن فرحون عن الحوالة فهو يسوق اللغز بادئا بـ« فإن قلت » ثم يورد حلّه بقوله : قلت، وذلك على النحو التالى ، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية للألغاز كما وردت فى النص :

٤٥٩ـ فإن قلت : رجل أحال رَجُلاً بمائة على من له عليه مائةٌ حالَّة وذلك برضى المحيل والمحال، واجتمع فى الحوالة جميع ما ذكره من الشروط، ثم إن المحال عليه مات، فقيل للمحال : ارجع على الذى أحالك؟ .

قلت : هذا رجل أحال غريمه على امرأة خالعها بتلك المائة .

وفى « المتيطية» عن ابن المواز : إذا كان علي الزوج دين فأحال به على الزوجة فيما خالعها « انظر: الخلع» به فماتت قبل أن يقبض المحال دينه منها، فإن له أن يرجع على الزوج بدينه ولم يجعل لذلك حكم الديون الثابتة فى الذمة لأن ذلك من غير عوض مالى .

٤٦٠ ـ فإن قلت : رجل ثبت له حق في ذمة رجل ولا يجوز لصاحب الحق أن يستحيل به في ذمة أحد من الناس؟ .

قلت : هذا في الصرف إذا باعه دينارا بعشرين درهما فقال المشتري : خذها من وكيلي لم يجز الصرف لانتفاء المناجزة (انظرها في موضعها)(درة الغواص/ ٢٧٠) .

أما عن النظم فنسوق منه نموذجين . الأول من منظومة صفوة الزبد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان ، وقد جاء بها هذان البيتان عن شرط الحوالة :

شرط رضا المحيل والمحتال
لزوم دينين اتفاق المال
جنسا وقدرا أجلا وكسرا
بها عن الدين المحيل يبرا

وجاء الشرح للإمام الفشني والإمام المناوي على النحو التالي :

(قوله رضا المحيل والمحتال) أي لأن للمحيل إيفاء الحق من حيث شاء فلا يلزم بجهة وحق المحتال في ذمة المحيل فلا ينتقل إلا برضاه ولا يشترط رضا المحال عليه لأنه محل الحق والتصرف كالعبد المبيع ولا بد فيها من الصيغة نحو أحلتك على فلان بالدين الذي لك علي اهـ فشني .

(قوله جنسا) أي تصح بدراهم على دنانير وعكسه لأنها معاوضة إرفاق كالقرض (قوله وقدرا) أي فلا يحال بتسعة على عشرة وعكسه كذلك لذلك ويصح أن يحيل من عليه خمسة بخمسة من عشرة له على المحال عليه (قوله أجلا) أي وقدرة وحلولا وصحة (قوله وكسرا) أي وجودة ورداءة وغيرها من سائر الصفات إلحاقا لتفاوت الوصف بتفاوت القدر اهـ مناوي .

(متن الزبد/ ٦٣، ٦٤) .

أما النموذج الثاني فهو من منظومة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي الموسومة بالسبل السوية لفقه السنن المروية، وهو خمسة أبيات جمع فيها الناظم بين الحوالة والضمان فقال :

مطل الغني ظلم ومن على ملي
أحاله مدينه فليحتل
ومن يمت وهو مدين وحمل
عنه أخاه دينه فقد وصل
وتبرأ الذمة بالأداء لا
مجرد الضمان فيما نقلا
ومن يكن له متاع فقدا
وبعد بيع عينه قد وجدا
فهو به أولى ومن يباعه
يرجع بقيمته على من باعه

(مجموع/ ٦٦، ٦٧) .

(مختصر الأحكام الفقهية لعلي بن فريد الكشجنوري الهندي ـ تحقيق يوسف البدري، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ١٥٩ ، وفقه السنة الشيخ السيد سابق م٣ جـ ١١ / ٣٣٣ ـ ٣٣٥ ، و الحاوي للفتاوي للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١/ ١٠٧ ، ودرة الغواص في محاضرة الخواص لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكي ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبي الأجفان وعثمان بطيخ / ٢٧٠ ، ومن الزبد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشافعي / ٦٣ , ٦٤ ، ومجموع : «السبل السوية لفقه السنن المروية» ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٦٦ , ٦٧ . انظر ايضا منهاج المسلم ـ أبو بكر الجزائري / ٣٩٥، ٣٩٦ ، وعمدة الفقة لابن قدامة ـ تخريج أبي عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدي ومحمد دغيليب البراق / ٥٣ ، وأعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل / ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨١ ، ومتن الغاية والتقريب لأبي شجاع / ٣)

انظر مادة « الإحالة » في م ٢/ ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

*** الحواميم :**

أوردنا نبذة عن الحواميم في مادة « أسماء السور » في م٤/ ٥١٠ ، ونفرد لها هذه المادة هنا .

الحواميم السبع هي : غافر، وفصلت ، والشورى، والزخرف، والدخان ، والجاثية، والأحقاف . وقد وقعت الحواميم على هذا الترتيب الذي وردت به في المصحف لاشتراكها في الافتتاح بلفظ « حمٓ » ، وبذكر « الكتاب » بعد حمٓ، أو بوصفه كما في الشورى .

يقول الإمام السيوطي في تناسق الدرر عن وجه إيلاء الحواميم السبع عند الكلام على سورة غافر:

أقول : وجه إيلاء الحواميم السبع . سورة الزمر: تآخي المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب وفي مصحف أبي بن كعب: أول الزمر حمٓ، وذلك مناسبة جليلة .

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ « حم » وبذكر الكتاب بعد حم ، وأنها مكية ، بل ورد في الحديث أنها نزلت جملة (يعلق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا على ذلك في هامش(٤) بقوله : لم نعثر على هذه الرواية ولم يذكرها السيوطي في الإتقان ولا الزركشي في البرهان ، ولا مصادر السنة الستة ، ولا مجمع الزوائد) .

يقول الإمام السيوطي : وفيها (أي الحواميم) شبه من ذوات « آلر » الست (ذوات « آلر » الست هي يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد (وأولها « آلمر ») وإبراهيم ، والحجر) .

فانظر ثانية الحواميم وهي فصلت ، كيف شابهت ثانية ذوات « آلر » هود في تغيير الأسلوب في وصف الكتاب . وأن في هود : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ [٢] وفي فصلت : ﴿ **كتاب فصلت آياته** ﴾ [٢] وفي سائر ذوات «آلر» ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ (ولكن في إبراهيم ﴿ **كتاب أنزلناه إليك** ﴾) وفي سائر الحواميم : ﴿ **تنزيل الكتاب** ﴾ أو ﴿**والكتاب**﴾ ولكن في فصلت : ﴿ **تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾ وفي الشورى ﴿ **كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله** ﴾ [١] .

وروينا عن جابر بن زيد وابن عباس في ترتيب نزول السور: أن الحواميم نزلت عقب الزمر، وأنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف : المؤمن ، ثم السجدة ، ثم الشورى ، ثم الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ، ثم الأحقاف . ولم يتخللها نزول غيرها . وتلك مناسبة جلية واضحة في وضعها هكذا ...

وقال الكرماني في « العجائب » (هو كتاب لباب التفسير وعجائب التأويل) : ترتيب الحواميم السبع لما بينها من التشاكل الذي خصت به ، وهو : أن كل سورة منها استفتحت بالكتاب أو وصفه ، مع تفاوت المقادير في الطول والقصر ، وتشاكل الكلام في النظام . انتهى .

قلت : وانظر إلى مناسبة ترتيبها ، فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر ، ومطلع فصلت التي هي ثانية الحواميم مناسب لمطلع هود ، التي هي ثانية ذوات « آلر » ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان ، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف (تناسق الدرر / ١١٦ ، ١١٧) .

وعن الحواميم يقول الإمام النظام النيسابوري :

وأما الحواميم فإن شئت قلت هكذا وإن شئت قلت آل حم . قال ابن عباس : إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن آل حم وقال الحواميم . فكأن من قال آل حم نسب السور كلها إلى حم ، وهو من أسماء الله تعالى بدليل قوله ﷺ « إن بيتم الليلة فقولوا : حم « لا ينصرون » وتسمى الحواميم عرائس القرآن . عن عاصم عن زر بن حبيش الأسدي قال : قرأت على علي بن أبي طالب القرآن في المسجد الجامع بالكوفة ، فلما بلغت الحواميم قال يا زر بن حبيش عرائس القرآن ؛ فلما بلغت رأس العشرين من حم عسق ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ [الشورى : ٢٢] حتى ارتفع نحيبه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : يا زر أمّن على دعائي ، ثم قال : اللهم إني أسالك إخبات المخبتين ، وإخلاص الموقنين ، ومرافقة الأبرار ، واستحقاق حقائق الإيمان ، والغنيمة من كل بر ، والسلام من كل إثم ، ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والخلاص من النار . يازر: إذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فإن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن(غرائب القرآن / ٣٦/٣٧) .

إما الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت عن الحواميم فقد أخرج الإمام السيوطي في الجامع الصغير الأحاديث الثلاثة الآتية :

١ ـ «الحواميم ديباج القرآن» رواه أبو الشيخ في الثواب عن أنس عن الحاكم عن ابن مسعود موقوفا حديث حسن (وقد أخرجه أيضا الإمام المناوي في « كنوز الحقائق » من رواية الديلمي في مسند الفردوس)

٢ ـ « الحواميم روضة من رياض الجنة » . رواه ابن مردويه عن سمرة . حديث حسن .

٣ ـ «الحواميم سبع ، وأبواب جهنم سبع ، تجيء كل حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني » رواه البيهقي في شعب الإيمان عن الخليل بن مرة مرسلا (الجامع الصغير ١/ ١٥٧).

(تناسق الدرر في تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١١٥ـ١١٧ ، وغرائب

القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ـ تحقيق إبراهيم على سالم / ٣٦ ، ٣٧ ، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١/ ١٥٧ ، وكنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للإمام عبد الرءوف المناوي ، المطبوع بذيل الجامع الصغير للإمام السيوطي ١/ ١٢٥).

*** حوانيت عاشور (مدرسة ـ) (١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م) :**

المدرسة التاسعة عشرة في ترتيب المدارس في تونس التي أحصاها الشيخ محمد بن الخوجة في كتابه « تاريخ معالم التوحيد » ، وجاء عنها بهامش ٣١ ما يلي : مدرسة حوانيت عاشور ، وتعرف باسم المدرسة العاشورية ، تقع بنهج عاشور عدد ٦٢ بالقرب من نهج سيدي إبراهيم الرياحي ، وقد تم ترميمها في المدة الأخيرة ، وتحويلها إلى دار للجمعيات الثقافية بإشراف وزارة الشئون الثقافية .

قال المؤلف عنها رحمه الله :

هذه المدرسة أسسها المرحوم الباشا على باي الأول بن محمد بن على تركي وهي أولى المدارس التي بناها لطلبة العلم ، وجعلها وقفا على طلبة المذهب المالكي ، ورتب بها رواية للحديث ، وخزانة للكتب ، مع أوقاف كافية للقيام بشئون المدرسة ما زالت جارية لهذا الزمان . قال في كتاب « نزهة الأنظار » للشيخ محمود مقديش الصفاقسي (عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الهجري ، وبعد مزاولة تعلمه بجامع الزيتونة وجامع الأزهر رجع إلى صفاقس مسقط رأسه وتفرغ للتدريس) اشتهر بكتابه « نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار » طبع في المطبعة الحجرية بتونس (في جزءين) سنة ١٣٢١ هـ فبنى أولا مدرسة بحوانيت عاشور من تونس ، ورتب فيها شيخنا أبا محمد سيدي عبد الله السوسي رحمه الله تعالى ، وأخرى ببئر الحجار ، وهما معا للمالكية ، ثم زاد ثالثة بالقشاشين قرب جامع الزيتونة ، وهي للحنفية ، وجعل بها تربته ، ثم زاد رابعة بالقرب منها للمالكية ، وجعل شيخها الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد الغرياني رحمه الله تعالى ، وجعل بكل مدرسة خزانة كتب ، وجعل لها مرتبات من الخبز ، والدراهم ، إعانة لطالب العلم ...

هذا وقد تولى مشيخة هذه المدرسة في القرن الماضي جماعة من الأفاضل ، منهم العلامة الصالح الشيخ أبو محمد حسن الشريف المفتي المالكي ، وإمام جامع الزيتونة ، والعلامة الشريف المفتي الشيخ الطاهر بن عاشور ، ومن بعده تولاها الركن المستلم بقية السلف من آل البيت الأطهار ، الشيخ أحمد الشريف ، كبير أهل الشورى المالكية وإمام جامع الزيتونة ...

وبعد تحرير النبذة المتقدمة ، وقفت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله ، على وقفية هذه المدرسة ، فإذا هي تتضمن أشياء كثيرة رأيت من الفائدة نقلها هنا إتماما لما تقدم ، فمن ذلك أن هذه المدرسة كان تأسيسها في عام ١١٥٩/ ١٧٤٦م وأن عدد بيوتها المعدة لسكنى الطلبة أربعة وعشرون ، بإضافة بيت للمؤذنين ، واشترط المؤسس اختصاصها بطلبة المذهب المالكي ، كما اشترط أن يكون إمامها هو المدرس بها ، وجعل له من ربع أوقافها نصف ريال في اليوم في مقابلة ثلاثة دروس يومية ، في الفقه ، والتوحيد ، والنحو ، كما يستحق ثمانية عشر ريالا في العام عن رواية صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان ، وجعل لكل واحد من الطلبة سكان بيوت المدرسة ناصريين في اليوم ، وجعل لمؤدب الكتاب التابع للمدرسة ربع ريال في اليوم ، ولا يأخذ شيئا من الصبيان عن تعليمهم القرآن ، وجعل لكل واحد من هؤلاء الصبيان نصف ناصري في اليوم مع ناصري لجميعهم لاشتراء الألواح والأقلام ، والمحابر ، وجعل لختان مائة صبي بسقيف المدرسة يوم عاشوراء من كل عام مائة وخمسة وعشرين ريالاً لاشتراء مائة سورية (سورية بمعنى «قميص» في الاصطلاح التونسي) ، ومائة صدرية ، ومائة شاشية ، بإضافة عشرة ريالات للختان ، وخصص لختم صحيح البخاري في رمضان خمسة وعشرين ريالا ، يعطى منها ثلاثة ريالات لراوي الحديث ، وجعل لإحياء ليلة المواسم اللإسلامية السبعة ، وهي : عاشوراء ، وليلة المعراج ، وليلة نصف شعبان ، وليلة ٢٧ رمضان ، ويوم عيد الفطر ، ويوم عرفة ، ويوم عيد الأضحى ، ستة وخمسين ريالا بحساب ثمانية ريالات لكل موسم بقصد قراءة ختمة من القرآن يهدى ثوابها للمحبس ، حبس على إمام المدرسة دارا لسكناه ، وجعل نظر المدرسة للشيخ أبي محمد عبد الله السوسي

المتقدم ذكره، ونعته(بالمدرس العالم العلامة البحر الفهامة المحقق المدقق المتضلع فى العلوم النقلية والعقلية والولى الصالح نفع الله به)، ووقف على المدرسه خزانة عامرة بالكتب اشتملت على ٥٧ مجلدا، منها عدة مصاحف، أحدها مكتوب على الرق ومزوق بالذهب فى ثمانية أجزاء، والبقية فى التفسير، والحديث، والفقه المالكى، والتوحيد، والأصول والمعانى، والبيان، والمنطق، والنحو، والسيرة النبوية، واللغة، والحساب، كل ذلك بشهادة العدلين الشيخ أبى الحسن على المنزلى، والشيخ أبى عبد الله محمد طاوس، بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام ١١٥٩ هـ / ١٦٤٦م.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة - تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى، وحمادى الساحلى / ٣١٣ - ٣١٦).

انظر الجدول الذى يضم هذه المدارس فى م١١/ ١٤٨ - ١٥٠.

*** الحوت :**

قال الله تعالى : ﴿ نسيا حوتهما ﴾ [الكهف : ٦١]، وقال تعالى : ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ [الصافات : ١٤٢] وهو السمك العظيم (المفردات / ١٣٤).

الحوت : السمكة، صغيرة كانت أو كبيرة، وجنس من الحيوانات الثديية من رتبة الحيتان (المعجم الوسيط ١/ ٢٠٤) وفى الأبيات التالية من منظومة الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون الموسومة بالشقرونية، يعدد الناظم أنواع السمك (أو الحوت) وفوائده ومضاره وطريقة أكله، وننقلها لك فيما يلى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. يقول الناظم.

٢٠٥ - *القول فى مزاج لحم الحوت،*
وما يرى فى طبعه المنعوت

٢٠٦ - *الحوت بارد المزاج، لين*
بطىء هضم لحمه معفن

٢٠٧ - *معطش مرطب الأبدان*
يفضى لقولنج بلا توان

٢٠٨ - *أما الذى يصطاد من أنهار*
قذرة عفينة البخار

٢٠٩ - *وما يصطاد من مياه راكده*
وما اللزوجة عليه زائده

٢١٠ - *فهذه أخبث حوت يؤكل*
وتركها لدى الحكيم أفضل

٢١١ - *وخيرها على العموم البورى*
لا تهملن فضله الضرورى

٢١٢ - *ودون هذا الشرغ ثم الشابل*
والكل للإصلاح قالوا قابل

٢١٣ - *تصلح فى الصيف لذى الصفراء*
فإنها شفاؤه من داء

٢١٤ - *فاغسله بالصابون خوف الضرر*
ثم اطرحنه فى طبيخ الزعتر

٢١٥ - *واصبر عليه ليلة واطبخه، أو*
للقلى والشى اعمدن كما رووا

٢١٦ - *طيبه بعد قليه بفلفل*
مع سحيق مصطكى وخردل

٢١٧ - *و زنجبيل مع ثقيف الخل*
لتأمين العطش عند الأكل

٢١٨ - *من شرب الخل عليه قتله*
ونفسه أحيا بما قد فعله

٢١٩ - *والعكس فى شرب المياه مثل*
يقول جالينوس حبر الحكما

٢٢٠ - *كل ما ملح كالسردين*
فاحذر جميع ضره المبين

٢٢١ - *يحدث فى الأجسام شر داء*
كوجع الجنب والاستسقاء

٢٢٢ - *وطالما ما أوقع فى عرق النسا*
فمن يكثر أكله فقد أسا

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى - تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٣٤، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من

خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د / بدر التازى ، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى/ ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩) .

*** الحوت (برج.):**

أحد البروج الاثنى عشر التى وصفها القزوينى . قال :

كوكبة السمكة وهى الحوت : وكـواكبها أربعة وثلاثون فى الصـورة وأربعـة خارجـة وهمـا سمكتـان إحداهمـا السمكـة المتقدمـة وهى التى على ظهـر الفـرس الأعظم فى الجنـوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأةالمسلسلة ، وبينهما خيط من كواكب يصل بينهما على تعريج . وهو من الكواكب الثابتة .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٩) .

*** الحوت الجنوبى (كوكبة.):**

من الكواكب الثابتة . وصفها القزوينى بقوله :

كوكبة الحوت الجنوبى : وهى أحد عشر كوكبا فى الصورة على جنـوبى كـواكب الـدالـى رأسـه إلى المشـرق وذنبـه إلى المغرب ، ويسمى النير الذى على فمه الحوت .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ٣٢/ ٣٣) .

*** الحور العين:**

فى القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿**كـذلك وزوجناهم بحـور عين**﴾ [الدخان : ٥٤]

﴿**متكئين على سـرر مصفـوفـة وزوجنـاهم بحـور عين**﴾ [الطور : ٢٠]

﴿**حور مقصورات فى الخيام**﴾ [الرحمن : ٧٢]

﴿**وحـور عين*كأمثـال اللـؤلـؤ المكنـون**﴾ [الـواقعـة : ٢٢ ، ٢٣] .

قال الـراغب الأصفهانـى : حُور : جمع أحـور وحوراء ، والحور قيل ظهـور قليل من البياض فى العين مـن بين السواد وأحورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين (المفردات / ١٣٥) .

وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف فى معنى ﴿**وزوجناهم بحـور عين**﴾ : قـرناهم بنسـاء بيض مخلـوقات فى الجنـة واسعات الأعين حسانها (كلمات القرآن / ٣١٤) .

وجـاء فى اللسـان : والحواريـات من النسـاء : النقيـات الألوان والجلود لبياضهن . ومن هذا قيل لصاحب الحوارى : محور، وقول العجاج :

*** بأعين محوَّراتٍ حُور ***

يعنى الأعين النقيـات البياض الشـديـدات سواد الحـدق (لسان العرب ١٢ / ١٠٤٣ ، ١٠٤٤) .

أما عن الأحـاديث النبوية فقـد أخرج الإمـام السيوطى فى الجـامع الصغيـر حـديثين الأول : « الحـور العين خُلقن من الزعفران » من رواية ابن مردويه للخطيب عن أنس .

والحـديث الثـانى : « الحـور العين خُلِقـن من تسبيح الملائكـة » من رواية ابن مـردويه عن عـائشة (الجامع الصغير ١/ ١٥٧) .

وجـاء فى اللسـان : وفى حديث صفـة الجنـة : « إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين » (اللسان ١٢ / ١٠٤٤) .

وقـد أورد الحافـظ السيوطى فى « الحـاوى » مسألـة على الحور العين وأجاب عنها كما يلى :

مسألة : فى حديث الطبرانى عن أم سلمة قالت : « قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ **حورٌ عين** ﴾ قال : حور بيض [عين] ضخـام العيون شفر الحوراء بمنـزلة جناح النسـر فإن الشيخ شمس الديـن السخاوى استفتى عنـه فأفتى وضبطه بخطه « شقـر » بالقاف وضبط الحوراء بـالرفع وقال : هذه استعارة ـ يعنى أن الحوراء بمنزلـة جناح النسر فى السرعة والطيـران والخفـة ، وأحضـرت إلىَّ الفتـوى التى كتب عليهـا بذلك فرأيت خطه بذلك .

الجواب : هذا تصحيف للحديث وتبديل لمعناه إنما لفظ الحـديث « شفر الحـوراء » ـ بـالفـاء ـ مضـافاً إلى الحـوراء ، والمراد بـه هدب العين . والمقصود تشبيهه بجنـاح النسر فى الطول المنـاسب ذلك لضخامـة العيون . وقـد ورد التصريح بذلك فى رواية ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة حيث قال : شفر المرأة مـن الحور العين أطـول من جناح النسـر، وما قالـه من عنـده فى تفسير مـا صحفـه فى غـاية الـركـاكة كمـا لا يخفى (الحاوى ٢/ ٩٤ ، ٩٥) .

وقد أفرد الإمام ابن القيم فى قصيدتـه النونية الحافلة فصلا فى صفة عـرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ، ومما جـاء فيـه مـا يلى :

فـاسمع صفـات عـرائس الجنـات
ثم اختـر لنفسك يـا أخـا العـرفـان

حـــور حســـان قـــد كملن خـــلائقـــا
ومحـــاسنـــا من أجمل النســـوان
حتـى يحـــار الطـــرف فى الحسـن الذى
قـــد ألبست فـــالطـــرف كـــالحيـــران
ويقـــول لمـــا أن يشـــاهـــد حسنهـــا
سبحـــــان معطـى الحسـن والإحســـــان
والطـــرف يشـــرب مـن كئـــوس جمـــالهـــا
فتـــــراه مثـل الشـــــارب النشـــوان
كملـت خـــــلائقهـــا وأكمـل حسنهـــــا
كـــالبـــدر ليـل الست بعـــد ثمـــان
والشمس تجـــري فـى محـــاسن وجههـــا
والليـل تحـت ذوائب الأغصـــــــــان
فتـــراه يعجب وهـــو مـــوضع ذاك مـن
ليـل وشمس كيـف يجتمعـــــــــــان
فيقـــول سبحـــان الـــذى ذا صنعـــه
سبحـــــان متقـن صنعـــــة الإنســـــان
لا الليل يـــــدرك شمسهـــا فتغيب عنـــــ
ـــــد مجيئـــه حتى الصبـــاح الثـــاني
والشمـس لا تـــأتـي بطـــــــــرد الليـل
بل يتصـــاحبـــان كـــلاهمـــا أخـــوان
وكــــلاهمـــا مـــرآة صـــاحبـــه إذا
مـــا شـــاء يبصـــر وجهـــه يـــريـــان
فيـــرى محـــاسن وجهـــه فـى وجههـــا
وتـــرى محـــاسنهـــا بـــه بعيـــان
حمـــــر الخـــــدود ثغـــــورهن لآلـىء
ســـود العيـــون فـــواتـــر الأجفـــان
والبـــرق يبـــدو حين يبسم ثغـــرهـــا
فيضـيء سقف القصـــــر بـــالجـــدران
ولقـــد روينـــا أن بـــرقـــا ســـاطعـــا
يبـــــدو فيسأل عنـــــه من بجنـــــان
فيقـــال هـــذا ضـــوء ثغـــر ضـــاحك
فى الجنـــة العليـــا كمـــا تـــريـــان

(متن القصيدتين النونية والميمية / ٢٢٩) .

ولأحمد بن فارس بن زكريـا الشيرازى أبو الحسين المتوفى سنة ٣٩٠هـ أو ٣٩٥ هـ كتاب « الحـور العين » ـ حققه كمال مصطفى . مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ (الأعراب الرواة / ٣٣٠) .

(المفـردات فى غـريب القرآن للـراغب الأصفهـانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٣٥ ، وكلمات القرآن تفسير وبيان ـ فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٣١٤ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، والجامـع الصغير للحافـظ جلال الدين عبد الرحمن السيـوطى ١/ ١٥٧ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الـدين عبد الرحمن السيوطى ٢/ ٩٤ ، ٩٥ ومتن القصيدتين النونية والميمية للعلامة ابن القيم / ٢٢٩ ، والأعراب الرواة ـ د . عبد الحميد الشلقاني / ٣٣٠) .

*** الحور والحية (كوكبة .) :**

من الكواكب الثابتة . يصفها القزوينى بقوله :

كـوكبة الحـور والحية : أمـا الحور فصـورة رجل قائم قـد قبض بيـديه على حيـة ، وكواكبـه أربعة وعشرون فـى الصورة وخمسة خـارجها . وأمـا الحية فكـواكبها ثمـانية عشـر وعلى عنقها كوكب يسمى عنق الحية ، وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحيـة نسقـا شـاميا والمصطفـة تحت عنقـه نسقـا يمانيا ، ويسمى ما بين النسقين الـروضة ، والكواكب التى بين النسقين فى الـروضـة الأغنـام الـذى على رأس الحـور يسمى الراعى ، والذى على رأس الجاثى كلب الراعى .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٦) .

*** حوران :**

حوران : بالفتح ، يجوز أن يكون من (حار يحور حورا) ، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أى من النقصان بعد الزيادة .

وحوران : كورة واسعة من أعمـال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع وجرار ، وما زالت منازل العرب ، وذكرها فى أشعارهم كثير ، وقصبتها بصرى (انظر مادة « بصرى » فى م ٧ / ١٦٤ ـ ١٧٥ حيث بسطنا الكلام عليها) .

قال امرؤ القيس :

ولمـــا بـــدت حـــوران والآل دونهـــا
نظـــرت فلم تنظـــر بعينيك منظـــرا

(الآل : السراب . والضمير فى دونها يعود على صاحبته أسماء) .

وقال جرير:

هبت شمـالا ، فـذكـرى مـا ذكـرتكم
عنـد الصفـاة التى شـرقى حـورانـا
هل يـرجعنّ، وليس الـدهـر مـرتجعـا
عيش بهـا طـال مـا احلـولى ومـا لانـا ؟

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قد ولى علقمة بن علاثة حوران ، فقصده الحطيئة الشاعر فوصل إليه وقد انصرفوا عن قبره، فقال عند ذلك :

لعمـري ! لنعم المـرء من آل جعفـر
بحـوران أمسى أقصـدتـه الحبـائل !
لقـد أقصـدت جـودًا ومجـدًا وسـؤددًا
وحلمًـا أصيـلاً، خـالفتـه المجـاهل
ومـا كـان بيني، لـو لقيتك سـالمًـا
وبيـن الغنـى إلا ليـال قـلائل
فـإن تحي لم أملـل حيـاتـي، وإن تمت
فمـا في حيـاتي بعـد مـوتك طـائل

وقال ثعلب في قول الحطيئة

ألاطـرقـت هنـد الهنـود وصحبتي
بحـوران حـوران الجنـود، هجـود

قال : أهل الشام يسمون كل كورة جندًا، وقال : حوران الجنود أى بها جنود، ويقال : أنا من أبعدها جنودا أى بلدًا، وفتحت حوران قبل دمشق، وكان اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحا وانبثوا إلى أرض حوران جميعا وجاءهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى، وقد نسب إلى حوران قوم من أهل العلم منهم : إبراهيم بن أيوب الشامى الحورانى الزاهد وكان من الصالحين ، روى عن الوليد بن مسلم ومضاء بن عيسى وغيرهما .

(معجم البلدان ٢/ ٣١٧، ٣١٨) .

وتحت عنوان « صفحة من تاريخ حوران » يقول عنها الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله : تعد بلاد حوران أهراء مدينة دمشق فهى تمدها بالقمح الجيد من قديم الزمان ، وكما تغذيها بالطعام كانت تغذيها بالعقل أيضا ، فكان عدد غير قليل من رجال الثقافة والقانون والفقه فى دمشق من حوران .

وهذه المنطقة أصيلة بالعروبة أكثر من جميع مناطق هذا الإقليم ، فقد نزلها الغسانيون اليمانيون قبل الفتح الإسلامى وأسسوا فيها مملكة عربية تحت حماية البيزنطيين وعاصمتها بصرى التى كانت ملجأ ومحطة للقوافل التجارية العربية القادمة من جزيرة العرب .

وكان شعراء العرب يفدون على ملوك غسان يمتدحونهم ويرجعون إلى جزيرتهم بأسنى الجوائز والتحف .

وممن نزل على غسان فامتدحهم وامتدح ملوكهم حسان ابن ثابت الأنصارى (انظر ترجمته فى م١٣ / ٥٩٨ ـ ٦٠٢) اليمانى الأصل شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد أمدنا فى شعره بمعلومات قيمة عن أسماء منازلهم وقراهم وبلداتهم . فمن شعره :

لمـن الـدار أوحشت بمعـان
بيـن وادي اليـرمـوك فـالجمـان
فـالقـريـات من بـلاس ، فـداريـ
ـا ، فسكـاء ، فـالقصـور الـدوانى
فقفـا جـاسم، فأوديـة العُقّـ
ـر مغنى قبـائل وهجـان
تلـك دار العـزيـز بعـد أنيس
وحلـول عظيمـة الأركـان
ذاك مغنى لآل جفنـة فى الـدهـ
ـر وحق تعـاقب الأزمـان

معان : مدينة فى طرق بداية الشام تلقاء الحجاز وهى اليوم من مدن شرقى الأردن داريا وبلاس وسكا : قرى فى غوطة دمشق ومرجها .

جاسم : قرية مشهورة فى حوران لا تزال باقية، خرج منها الشاعر الشهير أبو تمام حبيب بن أوس الطائى ـ وادى الصُفَّر ومرج الصفّر هما قرب شقحب، واشتهر مرج الصفر بوقعة فاصلة بين العرب والروم عند فتح الشام، كما اشتهر أيضا بوقعة فاصلة بين جيوش المماليك وجيوش التتار وطردهم عن دمشق .

وتنقسم حوران إلى منطقتين : سهلية : وتسمى فى عهدنا محافظة درعا، وجبلية وتسمى محافظة السويداء (فى رحاب دمشق / ٢٢٧، ٢٢٨) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٣١٧، ٣١٨، ومن كتاب معجم البلدان اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان س ١٩٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٤، وفى رحاب دمشق ـ محمد أحمد دهمان / ٢٢٧، ٢٢٨) .

*** ابن الحورانى (ـ بعد ١١١٧ هـ / ـ بعد ١٧٠٥م) :**

هو عثمان بن أحمد بن محمد بن رجب بن سويح بن سعيد السويدى (نسبه إلى السويداء عاصمة جبل العرب) الحورانى ثم الدمشقى الشاغورى .

هكذا ذكرته المصادر دون اختلاف بينها .

وقال عنه نجم الدين الغزى فى « الكواكب السائرة » .

الواعظ يوم السبت الثلاثة أشهر (رجب وشعبان ورمضان) بجامع دمشق الأموى . باشر الوعظ نيابة عن الشيخ شرف الدين الحكيم خطيب الجامع سنين ـ ثم فرغ له عنه . وكان يعظ من الكراريس بعبارة فصيحة ، وصوت جهورى، مقبول التأدية، حسن الطريقة، وكان يعظ النساء فى البيوت فيقبلن عليه ، ويفهمن وعظه؛ وكان له خط حسن، كتب كتبا كثيرة، وألف فى الوعظ وغيره مؤلفات، منها :

ـ الإرشاد إلى طريق الرشاد .

ـ وبلوغ المنى فى أسباب الغنى .

ـ والإشارات إلى أماكن الزيارات . أنجز تأليفه سنة ١١١٧ هـ .

ـ وإرشاد الطلاب إلى معاشرة الأحباب .

وكل من أتى بعد الغزى نقل عنه . وسنة ولادته غير معروفة .

وأما وفاته فقد اختلف فيها فخير الدين الزركلى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (الأعلام) ٤/ ٢٠٣ يذكر أنه توفى بعد ١١١٧هـ استنادا على أن مؤلفه (الإشارات إلى أماكن الزيارات) أنجز سنة ١١١٧هـ . ويذكر أنه اعتمد فى تقرير ذلك على ثلاثة مصادر:

ـ معجم المطبوعات لسركيس : ٨٠٤ .

ـ فهرس المكتبة الأزهرية ٥/ ٣٢٨ .

ـ هدية العارفين للبغدادى ١/ ٦٥٦ .

ويذكر بعد أن وفاة ابن الحورانى فى هدية العارفين (سنة ألف ؟) ولكن الدكتور المنجد فى كتابه (المؤرخون الدمشقيون) صفحة ٨٥ يعترض على ما سبق قائلا : (جاء فى فهرس مخطوطات الأزهر (٥/ ٣٢٨) عند الكلام على ابن الحورانى أنه كان من علماء دمشق فى أوائل القرن الثانى عشر. فرغ من تأليف كتابه سنة ١١١٧هـ. ولكن هذا مستبعد، بدليل أن مخطوطة كتابه الموجودة فى الأزهر كتبت سنة ١٠٩٧هـ . فكيف تكتب النسخة قبل أن يكون المؤلف ألفها ؟) .

ومن ثم يذكر الدكتور المنجد أنه كان فى القرن الحادى عشر، ويستدل على ذلك بأن ابن الحورانى نقل من كتاب البصروى المتوفى سنة ١٠١٥هـ والذى ألف كتابه سنة ١٠٠٣هـ .

(الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحورانى ـــ تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ب ـ د، مقدمة المحقق، والأعلام للزركلى ٤/ ٢٠٣) .

*** حَوْرى :**

قال ياقوت :

حورى : قرية من قرى دجيل ببغداد؛ ينسب إليها سليم ابن عيسى بن عبد الله الحورى الزاهد صاحب أبى الحسن القزوينى الحربى، حكى عنه، وكان من الصالحين صاحب كرامات، قال هبة الله بن المحلى : حدثنى سليم بن عيسى الحورى ولم أر مثله فى معناه، يعنى فى الزهد والعبادة؛ وأبو على الحسن بن مسلم بن الحسين بن أبى الجود الفارسى ثم الحورى من هذه القرية وانتقل إلى قرية من قرى نهر عيسى يقال لها الفارسية، وكان من الزهاد، وذكر فى الفارسية .

(معجم البلدان ٢/ ٣١٨) .

*** الحَوْز:**

قال ياقوت :

الحَوْز : بالفتح ثم السكون، وزاى، من حزت الشيء حوزا إذا حصلته : وهى قرية من شرقى مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزامين، وهى محلة تقابل واسطا من الجانب الشرقى ويقال له حوز برقة؛ ينسب إليها الأديب أبو الكرم خميس بن على الحوزى، حدث عن أبى القاسم عبد العزيز

ابن على الأنماطى وأبى منصور محمد النديم العكبرى وأبى القاسم على بن أحمد البسرى وغيرهم من البغداديين والواسطيين، قال أبو طاهر السلفى: كان خميس من حفاظ الحديث المحققين بمعرفة رجاله ومن أهل الأدب البارع، وله من الشعر الغاية فى الجودة، وفى شيوخه كثرة، وقد علقت عنه فوائد وسألته عن رجال من الرواة فأجاب بما أثبته فى جزء ضخم وهو عندى، وقد أملى على نسبه، وهو: خميس بن على بن أحمد بن على بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه الحوزى، ومولده سنة ٤٤٧، وكان إتقانه مما يعول عليه، وفى كتاب ابن نقطة: مولده سنة ٤٤٢ فى شعبان، ومات فى شعبان أيضًا سنة ٥١٠ بواسط. والحوز أيضًا: موضع بالكوفة؛ ينسب إليه أبو على الحسن بن على بن زيد بن الهيثم الحوزى، حدث عن محمد بن الحسن النحاس، حدث عنه أبَى النرمى ومحمد بن على بن ميمون؛ وابنه أبو محمد يحيى بن الحسن بن على بن زيد الحوزى، حدث عن محمد بن عبد الله بن هشام التيملى، حدث عنه أبى. والحوز أيضًا: محلة بأعلى بعقوبا، ؛ ينسب إليها أبو محمد عبد الحق بن محمود بن أبى طاهر الفراش، سمع من أبى الفتح عبيد الله بن مثاقيل، سمع منه ابن نقطة وذكره وقال: كان فقيهًا صالحًا فاضلاً.

(معجم البلدان ٢/ ٣١٨، ٣١٩).

*** الحوش (جامع —):**

قال عنه على باشا مبارك.

فى المقريزى أن الجامع بداخل قلعة الجبل بالحوش السلطانى. أنشأه الملك الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، فصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن قتل الناصر فرج انتهى. والآن قد تخرب وتعطلت شعائره.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢٠٩).

*** حوصاء:**

قال ياقوت:

حَوْصَاءُ: بالفتح، والمد؛ والحوَصُ: ضيق فى مؤخر العين، والرجل أحوص والمرأة حوصاء: موضع بين وادى القرى وتبوك، نزله رسول الله ، ﷺ، حين سار إلى تبوك، وهناك مسجد فى مكان مصلاه فى ذنب حوصاء ومسجد آخر بذى الجيفة من صدر حوصاء؛ وقال ابن إسحاق: اسم الموضع حوضا، بالضاد المعجمة والقصر، كذلك وجدته مضبوطًا بخط ابن الفرات، وقال: بنى به مسجدًا؛ قاله الحازمى.

(معجم البلدان ٢/ ٣١٩).

*** الحوض:**

جاء فى اللسان: حوض الرسول ﷺ: الذى يسقى منه أمته يوم القيامة.

حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول، ومن حوضه (اللسان ١٢/ ١٠٥١).

وجاء فى مقدمة رسالة ابن القيروانى فى« باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب الديانات »: من ذلك الإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدَّل وغيَّر (مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى/ ٨).

ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا ».

وقد اختلفت الروايات فى تحديد سعته قلة وكثرة ولا تنافى لاحتمال أخباره أولا بالأقل ثم تُفضل عليه بالأكثر.

كما اختلفت الروايات فى محله فقال الجمهور محله قبل الصراط لشرب الناس منه بعد خروجهم عطاشا من القبور. وقيل بعد الصراط لأن ماءه من الكوثر لشرب الناس منه حينما يحبسون بعد الصراط للقصاص فيما بينهم، وصح عن القرطبى أن له حوضين.

والصحيح أنه خاص بهذه الأمة، ولكل نبى حوض لأمته، والذى يشرب منه من وفى بعهده فلم يشرك ولم يرتد ولم يبدل ولم يحدث فى الدين ما لا يرضاه الله ولم يخالف جماعة المسلمين ويطرد من الشرب منه الكفار والعصاة ومن لم يؤمن بوجوده.

وأنكر المعتزلة وجود حوض بهذا المعنى وقالوا هو عبارة عن نوع من الرضوان يتفضل الله به على من يشاء من عباده، وهذا تأويل ينبو عنه لفظ الحديث.

فالحق وجوب اعتقاد أن لنبينا ﷺ حوضا مورودا، ولكون

ثبوت الحوض بالحديث لم يكفر منكره (مذكرة التوحيد ٤ / ٤٠ ، ٤١) .

يقول الإمام أبو الحسن الشعراني :

وأنكرت المعتزلة الحوض ، وقد روى عن النبى ﷺ من وجوه كثيرة ، وروى عن أصحابه بلا خلاف ، وروى عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن أنس ابن مالك أنه ذكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره ، فبلغ أنسًا فقال : لا جرم والله لأفعلن به ، قال فأتاه فقال : ما ذكرتم من الحوض؟ قال عبيد الله : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره؟ قال « سمعت النبى ﷺ أكثر من كذا وكذا مرة يقول : ما بين طرفيه ـ يعنى الحوض ـ ما بين أيلة ومكة ، أو ما بين صنعاء ومكة ، وأن آنيته أكثر من نجوم السماء » . وروى أحمد بن حمد الله بن يونس قال : حدثنا ابن أبى زائدة عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا فرطكم على الحوض » في أخبار كثيرة (الإبانة / ١٤١) .

أما ما ورد فى صفة الحوض من الأحاديث النبوية فقد جاء فى تيسير الوصول مايلى :

١ ـ عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « قلت يا رسول الله : ما آنية الحوض؟ قال : والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة : من شرب منها لم يظمأ ، آخر ما عليه يشخب فى ميزابان من الجنة عرضه مثل الطول ما بين عمان إلى أيلة ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل » . أخرجه مسلم والترمذى . (يشخب) أى يسيل ويجرى .

٢ ـ وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن لكل نبى حوضًا ترده أمته ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وأنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة » . أخرجه الترمذى .

٣ ـ وعن أنس رضى الله ، عنه قال : « سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال : نهر فى الجنة أعطانيه الله ، أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل . فيه طير أعناقها كأعناق الجزور . فقال عمر رضى الله عنه : إن هذه لناعمة . فقال ﷺ : آكلها أنعم منها » . أخرجه الترمذى .

٤ ـ وعن جندب رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض » . أخرجه الشيخان .

٥ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دونى . فأقول : أى رب أصحابى . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقا ، سحقا لمن بدّل بعدى » . أخرجه الشيخان .

٦ ـ وفى أخرى لمسلم ، عن أبى هريرة قال : « ترد أمتى على الحوض ، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله . قالوا : يا رسول الله تعرفنا ؟ قال : نعم ، لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تردون علىّ غرًّا محجلين من آثار الوضوء ، ولتصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون إلىّ . فأقول : يا رب أصحابى أصحابى؟ فيجيبنى ملك ، فيقول : وهل تدرى ما أحدثوا بعدك » .

وفى أخرى : « وإن حوضى أبعد من أيلة إلى عدن ، لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل ولآنيته أكثر من عدد النجوم » .

(الفرط) المتقدم على القوم السواردين الماء . (اختلجوا) أى أخذوا بسرعة . و (سحقا) أى بُعدا .

٧ ـ وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض . قيل : كم كنتم يومئذ؟ قال : سبعمائة أو ثمانمائة » . أخرجه أبو داود .

٨ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « قلت اشفع لى يا رسول الله يوم القيامة قال : أنا فاعل إن شاء الله . قلت : فأين أطلبك؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط . قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك قال : فاطلبنى عند الحوض ، فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن » . أخرجه الترمذى .

(تيسير الوصول ٤/ ١٠١ ، ١٠٢) .

والحديث « إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، أكاويبه عدد النجوم ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسًا الدنس ثيابا ، الذين

لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد، الذين يعطون الحق الذى عليهم ولا يعطون الذى لهم . أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير لأحمد فى مسنده، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم عن ثوبان وقال عنه : حديث صحيح (الجامع الصغير ١/ ٩١) .

وحديث : « الحوض » :

أخرجه الشيخان عن أنس وأسيد بن حضير وجندب وحارثة بن وهب وسهل بن سعد وعبد الله بن يزيد وابن عمرو وابن مسعود والمستورد بن شداد وأبى هريرة وأسماء بنت أبى بكر.

والبخارى عن ابن عباس .

ومسلم عن ثوبان وجابر بن سمرة وحذيفة بن اليمان وعقبة ابن عامر وأبى ذر وأبى سعيد وعائشة وأم سلمة .

وأبو عوانة عن أبى بكر الصديق .

والبيهقى فى البعث عن عمر بن الخطاب وعتبة بن عبد السلمى .

وأبو نعيم فى الحلية عن على بن أبى طالب .

والترمذى عن سمرة بن جندب .

والحاكم عن أمامة بن زيد وحمزة بن عبد المطلب وزوجه خولة بنت قيس وخباب بن الأرت وزيد بن أرقم وعائذ بن عمرو وكعب بن عجرة ولقيط بن عامر وأبى برزة .

والبزار عن بريدة .

والطبرانى عن أبى بن كعب والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد والحسن بن على وزيد بن ثابت وسلمان وأبى أمامة وأبى بكرة وأبى الدرداء وأبى مسعود .

وأبو زرعة الدمشقى فى مسند الشاميين عن سويد بن حلية .

وابن حبان عن العرباض بن سارية .

وابن أبى الدنيا عن النواس بن سمعان .

رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء » .

وأخرجه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى، وحذيفة، وثوبان وأنس ، وأبو هريرة - رضى الله عنهم .

قال الغمارى : زاد شقيقنا : أبا ذر وعميرا الليثى (الأزهار المتناثرة / ٧٤ ، ٧٥) .

أما عن النظم فى المصادر التى بين أيدينا فلدينا ما يأتى :

١ - منظومة ابن أبى زيد القيروانى ورد بها عن الحوض هذان البيتان :

وحوضه ترده الأمة لا
يظمأ من شرب منه مسجلا
فإنما يذاد عنه كل من
بدل أو غير سرًّا أو علن

(الفتح الربانى ١/ ٣٢) .

٢ - منظومة جوهرة التوحيد للإمام اللقانى حيث يقول عن الحوض :

إيماننا بحوض خير الرسل
حتم كما جاء فى النقل
ينال شربا منه أقوام وفوا
بعهدهم وقل يذاد من طغوا

ويشرح شيخ الإسلام البيجورى البيتين عن وجوب الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ فيقول :

وقوله : (إيماننا بحوض خير الرسل حتم) أى تصديقنا بالحوض الذى يعطاه فى الآخرة أفضل المرسلين - وهو محمد ﷺ - واجب، لكن لا يكفر من أنكره وإنما يفسق، وقد نفته المعتزلة ولذلك أشار المصنف للرد عليهم بما ذكر. وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة، وهى الأرض البيضاء كالفضة ، من شرب منه لا يظمأ أبدا ترده هذه الأمة . وقد ورد أن لكل نبى حوضا ترده أمته ، فعن الحسن مرفوعا « إن لكل نبى حوضا وهو قائم على حوضه وبيده عصا يدعو من عرفه من أمته ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا » . وفى أثر أن حوضه - ﷺ - أعرض الحيضان وأكثرها واردا، وتخصيص حوض نبينا بالذكر لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر بخلاف غيره لوروده بالآحاد. وقوله (كما قد جاءنا فى النقل) أى للنص الذى قد ورد إلينا فى المنقول عنه ﷺ ، ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله

عنهما « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا » .

وقد ورد تحديد الحوض بجهات مختلفة، ففي رواية لأحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وذلك نحو شهر ، وفي رواية للصحيحين ما بين صنعاء والمدينة وذلك نحو شهرين، وفي رواية ما بين مكة وأيلة وذلك نحو شهر كالأولى، وفي رواية لابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وهو كالذى قبله، فقد تحدث المصطفى بحديث الحوض مرات وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، فكان يخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها، ولا تنافى من حيث تقدير المسافة بنحو شهر فى بعض الروايات وبنحو شهرين فى بعض آخر، لأن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه باتساعه شيئا فشيئا فأخبر ﷺ بالمسافة القصيرة أولا ثم أخبر بالمسافة الطويلة، والاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة كما أشار إليه النووى، وفيما أوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ من صفة نبينا ﷺ « له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس فيه آنية مثل عدد نجوم السماء وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمارها » وقوله فى هذة الرواية مثل عدد نجوم السماء لا ينافى قوله فى الرواية السابقة أكثر من نجوم السماء لاحتمال أنه أخبر أولا بأنها مثل ثم أخبر ثانيا بأنها أكثر، ومعنى كونه له لون كل شراب الجنّة أن بعضه لونه أحمر وبعضه لونه أبيض وهكذا، فلا يرد أن فيه الجمع بين الأضداد وهو ممتنع، ومعنى كونه له طعم كل ثمارها أن له طعم الخوخ والموز والمشمش وغيرها فمن يشرب منه يجد طعم ثمار الجنة .

واختلف فى محله فقيل قبل الصراط، وهو قول الجمهور، وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيردون الحوض للشرب منه، وقيل بعده وصححه بعضهم لأنه ينصب فيه الماء من الكوثر وهو النهر الذى فى داخل الجنة، فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة ولو كان قبله لحالت النار بينه وبين الماء الذى ينصب فيه من الكوثر، ورد عليه أن الحوض إذا كان عند الجنة لم يحتج للشرب منه، وأجيب بأنهم يحبسون هناك لأجل المظالم التى بينهم حتى يتحللوا منها وهو المسمى بموقف القصاص. وقيل: له ﷺ حوضان: حوض قبل الصراط وحوض بعده، وصححه القرطبى، وهذا كله لا يجب اعتقاده وإنما يجب اعتقاد أنه ﷺ له حوض ولا يضر الجهل بكونه قبل الصراط أو بعده.

قوله (ينال شربا منه أقواما) أى يتعاطى الشرب من ذلك الحوض أقوام، والمراد بهم ما يشمل الذكور والإناث، وأحوالهم فى الشرب مختلفة: فمنهم من يشرب لدفع العطش، ومنهم من يشرب للتلذذ، ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة، وأطفال المسلمين ذكورهم وإناثهم حول الحوض وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من سخط فى فقدهم فلا يؤذن لهم أن يسقوه. وقوله: (وفوا بعهدهم) وصف لأقوام أى وفوا لله تعالى بعهدهم وهو الميثاق الذى أخذه عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى أى أنت ربنا، وأول من قال بلى النبى ﷺ، ومعنى وفائهم بعهدهم أنهم لم يغيروه ولم يبدلوه حتى ماتوا، وهذا الوصف وإن شمل جميع مؤمنى الأمم السابقة لكنه خلاف ظاهر الأحاديث من أنه لا يرده إلا مؤمنو هذه الأمة، لأن كل أمة ترد على حوض نبيها. قوله: (وقل يذاد من طغوا) أي وقل قولا باطنيا وهو الاعتقاد يُطرد عنه أقوامُ ظلموا أنفسهم بأن غيروا وبدلوا الذى أخذه الله عليهم، فالمرتد من المطرودين، ومن أحدث فى الدين ما لا يرضاه الله تعالى، ومن خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم، والظلمة الجائرون، والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصى، وأهل الزيغ والبدع، لكن المبدل بالارتداد مخلد فى النار، والمبدل بالمعاصى فى المشيئة فإن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه، وظاهر ذلك أن جميع من ذكر لا يشرب منه أبدًا، والذى عليه المحققون أن المطرودين عن الحوض قسمان: قسم يطرد حرمانا وهم الكفار فلا يشربون منه أبداً ، وقسم يطرد عقوبة له ثم يشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار على الصحيح. (المختار من شرح البيجورى/ ٢٢٢ـ ٢٢٥ ، وتحفة المريد/ ١١٥ ، ١١٦)

٣ ـ منظومة الشيخ أحمد بن مشرف المالكى الأحسائى على مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى، وقد جاء فيها عن الإيمان بالحوض ما يلى :

وأن للمصطفى حــوضًــا مســافتــه
مــا بيـن صنعــا وبصــرى هكـــذا ذكــرا
أحلى من العسـل الصــافى مــذاقتــه
وإن كيـــزانـــه مثل النجـــوم تـــرى
ولـم يـــرده ســـوى أتبـــاع سنتـــه
سيمــــاهم أن يـــرى التحجيل والغــــررا
وكـم ينحـى وينفـى كـل مبتــــــدع
عن ورده ورجــــال أحـــدثـــوا الغيـــرا

(مقدمة رسالة ابن أبى زيدون القيروانى / ١٣) .

٤ ـ متن الشيبانية (الأبيات ١٨ ـ ٢٠) :

وحــــوض رســــول الله حقًّـــا أعــدَّه
لــــه الله دون الــــرسل مــاءًا مبـــردا
ويشــــرب منـــه المـــؤمنـــون وكـل من
سقى منـــه كأسًـــا لم يجــد بعـــده صــدا
أبـــاريقـــه عـــد النجـــوم وعـــرضـــه
كبصـــرى وصنعـــا فـى المســافـــة حـــددا

(مجموع مهمات المتون / ٣٦) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٥١ ، ومقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى ونظمهـا للشيخ أحمد بن مشرف المـالكى الأحسائى . من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . تاريخ الإيداع ١٩٧٨ / ٨، ١٣ ، ومذكرة التوحيد ـ حسن السيد متولى ٤ / ٤٠ ، ٤١، والإبانة عن أصول الديانة للإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى . دار الكتاب العربى . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م / ١٤١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤/ ١٠١ ، ١٠٢ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى١ / ٩١ ، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر . صفر ١٤٠٩ هـ / ٧٤ ، ٧٥ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١/ ٣٢ ، والمختار من شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجورى / ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجورى ، وبالهامش جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقانى وتقريرات لأحمد الأجهورى / ١١٥ ، ١١٦ ، ومتن الشيبانية المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٦) .

*** حَوْضاء :**

جاء فى اللسان : وفى الحديث ذكر حوضاء ، بفتح الحاء والمد ، وهو موضع بين وادى القرى وتبوك نزله سيدنا رسول الله ﷺ ، حين سار إلى تبوك ، قاله ابن إسحاق بالضاد .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٥٢) .

انظر مادة « تبوك (غزوة ـ) » فى م ٨ / ٤٦٨ ـ ٤٧٤ .

*** الحوض المرصود .**

قال عنه على باشا مبارك فى خططه عند الكلام على شارع قلعة الكبش : هـذا يعرف أيضا بشارع الحوض المرصود من أجل حوض كان به يعرف بالحوض المرصود ، وهو حوض من الحجر الصوان الأسود كان فى فجوة على قدره بالقرب من الكبش ، وكان معدًا للسقى ، فلما دخلت الفرنساوية ديار مصر واستولوا عليها أخرجوه من موضعه ، وأرسلوه إلى باريز مع غيره من التحف التى أخذوها من الديار المصرية ، لكنها لم تصل إلى باريز بل فى أثناء الطريق استحوذ عليها الإنجليز وأخذوها جميعها إلى بلادهم ، وإلى الآن موجود هذا الحوض بخزانة الآثار التى بمدينة لوندرة . ويؤخذ مما حرره الفرنساوية أن طول ذلك الحوض متران وسبعة أعشار متر وكسر ، وعرضه الأمامى متر وثلاثة أعشار متر وثمانية أعشار عشر متر ، أعنى مترا وثمانية وثلاثين سنتيمترا ، وعرضه الخلفى متر وسبعة عشر سنتيمترا وثمانية أعشار عشر المتر ، وارتفاعه متر وتسعة عشر سنتيمترا واثنان من أعشار عشر المتر ، وعلى جميع أسطحته كتابة من الداخل والخارج اهـ .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢ / ٣٢٤) .

*** الحوض المورود فى زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٤٠٠٨ .

ـ رسالة ألفها المؤلف عندما ظهر قبران عائدان للشيخ يوسف القمينى والشيخ محمود الصالحى فألف هذه الرسالة فى التعريف بهذين الوليين .

المؤلف : أبـو الفيض عبد الغني بن إسمـاعيل النابلسي الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أولها : الحمـد لله عاصم الأنبيـاء وحافظ الأوليـاء ... أما بعد فيقـول ... لما يسر الله تعالى ظهـور القبرين المعهـودين سالفا والمعروفين عند بعض الناس لاحقا ...

آخرها : هو الشيخ محمـود بن الحلواني الصالحي وكنيته أبو الفيض وكانت العـامة من أهل الصالحية ينادونـه أبا بيضة ويؤذونه كما هو عادة كل قوم في الصالحين الناشئين بينهم ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

اسم الناسخ : المؤلف عبد الغني النابلسي .

مـلاحظات : نسخـة مسـودة المؤلف بعض أوراقهـا قطع صغير بها بعض الترميم ضيع بعض كلماتها .

مصادر عن الرسالة : عقود الجوهر / ٦٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية . التصـوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٨٧ ، ٤٨٨) .

*** الحَوْف :**

قال ياقـوت : الحَوْف بالفتح ، وسكـون الواو ، والفاء ... قـال البخـاري : الحـوف بناحيـة عُمـان . والحـوف بمصـر حوفـان : الشرقي والغربي ، وهمـا متصـلان ، أول الشرقي من جهة الشام ، وآخر الغربي قـرب دمياط ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة .

(معجم البلدان ٢ / ٣٢٢) .

*** الحَوفي :**

قال السمعـاني : الحوفي : بفتح الحاء المهملـة وسكون الواو وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى حوف ، وظني أنها قرية بمصـر حتى قرأت فـي تاريخ البخـاري : [الحـوف] ناحيـة عمان ، والمشهور بالانتساب إليه هو قسيم بن أحمد بن مطير الحوفي المقرئ .

وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيـد بن يوسف الحوفي النحوي (تلي ترجمته إن شاء الله تعالى) حدث عن ابن رشيق وغيره ، وكان عنده من تصـانيف النحاس أبي جعفر المصري قطعة كبيـرة ، وسمعت المعاني له بـدمشق عن أبي طالب بن أبي عقيل الصوري عن ... أبي الحسن الحوفي هذا

وأبـو القـاسم خلف بن أحمـد بن الفضل بن جعفـر بن يعقـوب الحوفي الحنفي ، قـال ابن مـاكـولا : هو شيخ لقيتـه بمصـر ، ثقـة ، سمع ابن يـزيـد الحلبي وأحمـد بن عمـر بن خرشيد قوله الأصبهاني أبا علي ... وكان علي مكثرا ، سمعت منه وسمع مني ، ويعـرف بالزجاجي . قلت : لنـا روى ببغداد أبو القاسم إسمـاعيل بن أحمد بن السمرقندي بـالإجازة عنه ، وسمع منه عمر بن أبي الحسن الرواسي الحافظ ، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي الحافظ .

وجابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي اليحمدي الحوفي ناحية عمان ، قال أبو نعيم : مات سنة ثلاث وتسعين ـ هكذا ذكره البخاري في تاريخه وأثنى على أبي الشعثاء .

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٩٠ انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٦٨) .

انظر : الحوفي (أبو الحسن) .

*** الحوفي (أبو الحسن) (-٤٣٠هـ / -١٠٣٩م):**

من علمـاء مصـر في النحـو وهـو أبـو الحسن علي بن إبراهيم ، وأصله من شبرا النخلة (من حوف بلبيس) بمحافظة الشـرقيـة . ورد القاهـرة فسمع من أبي بكـر الأدفـوي وبعض علماء المغـرب الذين نزحوا إلى القـاهرة ، وسرعان مـا اشتهر علمـه وأدبـه ، فتصـدر لإقـراء العـربيـة ، وصنف في النحـو «الموضح » استوفى فيه العلـل والأصول . وقد لاحظ عليه ابن هشام في مقـدمة كتـابه « مغني اللبيب عن كتب الأعـاريب » فـرط عنايتـه بإعراب الـواضحـات كالمبتـدأ والخبر والفـاعل ونائبـه والجار والمجرور والعـاطف والمعطوف مما لا حـاجة إليه . توفي سنة ٤٣٠ هـ (نشأة النحو / ٢١٣) .

ذكره الحـافظ السيوطي فيمن كـان بمصر من أئمـة النحو واللغة وقال عنه :

الحوفي صـاحب إعراب القـرآن الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد . كـان إماما في العربيـة والنحو والأدب ، وله تصـانيف كثيـرة ، وهـو من قـرية يقـال لهـا شبـرا من أعمـال الشرقية . قال في العبر : أخذ عن الأدفوي ، وانتفع به أهل مصر

مات مستهل ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة (حسن المحاضرة ١ / ٥٣٢) .

وقد ذكره الحافظ السيوطى أيضا فى طبقات المفسرين وقال عنه :

هو على بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفى ثم المصرى النحوى الأوحد .

له « تفسير » جيد، وكتاب « إعراب القرآن » في عشر مجلدات، وكتب أخر (طبقات المفسرين / ٨٣) .

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوى / ٢١٣ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٣٢ ، وطبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق على محمد عمر / ٨٣ . له ترجمة فى : إرشاد الأريب ٥/ ٨٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ٢١٩ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٤٧ ، وبغية الوعاة ٢/ ١٤٠ ، وشذرات الذهب ٣ / ٢٤٧ ، وطبقات المفسرين للداودى / ٣١أ ، وطبقات المفسرين للداودى ١ / ٣٨١ ، وطبقات النحاة لابن قاضى شهبة ٢ / ١٣٢ ، والعبر ٣ / ١٧٢ ، ومفتاح السعادة ٢ / ١٠٧ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٦١ (طبقات المفسرين للسيوطى / ٨٣) .

*** الحوفى (أبو القاسم) (- ٥٨٨ هـ) :**

من أهل الحوف بمصر .

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٥٨٨ وقال عنه : الفقيه القاضى الزاهد أبو القاسم الحوفى الفرضى وكان قوته فى مدة قضائه من صيد الحوت بيده وكان الأمير يقوم بأمر بغلته ولم يزد ثوبا على مرقعته .

(كتاب الوفيات / ٢٩٥ ، ٢٩٦) .

وقد ذكره القلصادى فى ترجمة بعض شيوخه الذين قرأ عليهم كتاب الحوفى فى الفرائض، فذكره فى ترجمة شيخه جعفر بن أبى يحيى إذ قرأ عليه « بعض الحوفى » ، ثم ذكره فى ترجمة شيخه عيسى الرتيمى وقال إنه لم ير أعلم منه بكتاب الحوفى فى الذين أخذ عنهم ثم قال : « وأخبر رحمه الله (أى شيخه عيسى الرتيمى) أنه لم يسر إلى القراءة على سيدى سعيد العقبانى إلا بعد أن قرأ جميع الحوفى على والده ست مرات ، وحضر مع الغير نحو الثمان عشرة ختمة . فقرأت عليه كتاب الحوفى من مواضع مختلفة ، بطريقتى الصحيح والكسور » اهـ .

وقد ورد فى هامش ٣٤ ص ٨٦ من الرحلة نبذة عن الحوفى للمحقق الأستاذ محمد أبى الأجفان جاء فيها ما يلى :

أبو القاسم أحمد بن خلف الحوفى ت ٥٨٨هـ وكتابه فى الفرائض توجد منه نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط رقم ١٢٥٢ كـ .

وقد شرح ابن غازى ت ٩١٩ هـ مسائله ووضع لها جداول فى كتابه « الجامع المستوفى بجداول الحوفى » الذى توجد نسخته الخطية بالخزانة العامة بالرباط : ٣٣١٤ كـ .

وقد حلى القلصادى أبا القاسم الحوفى بقوله : « إمام هذه الصناعة وقاضى الجماعة » وذكر أنه كشف النقاب عن وجه مشاكل هذا العلم (شرح فرائض خليل للقلصادى (آخره) مخطوط المكتبة الوطنية بتونس : ١٩٧٤١) .

(رحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى — دراسة وتحقيق محمد أبى الأجفان . الشركة التونسية للتوزيع : تونس . الطبعة الثانية . بدون تاريخ / ٨٦ وهامش ٣٤، و ٩٨، ٩٩) .

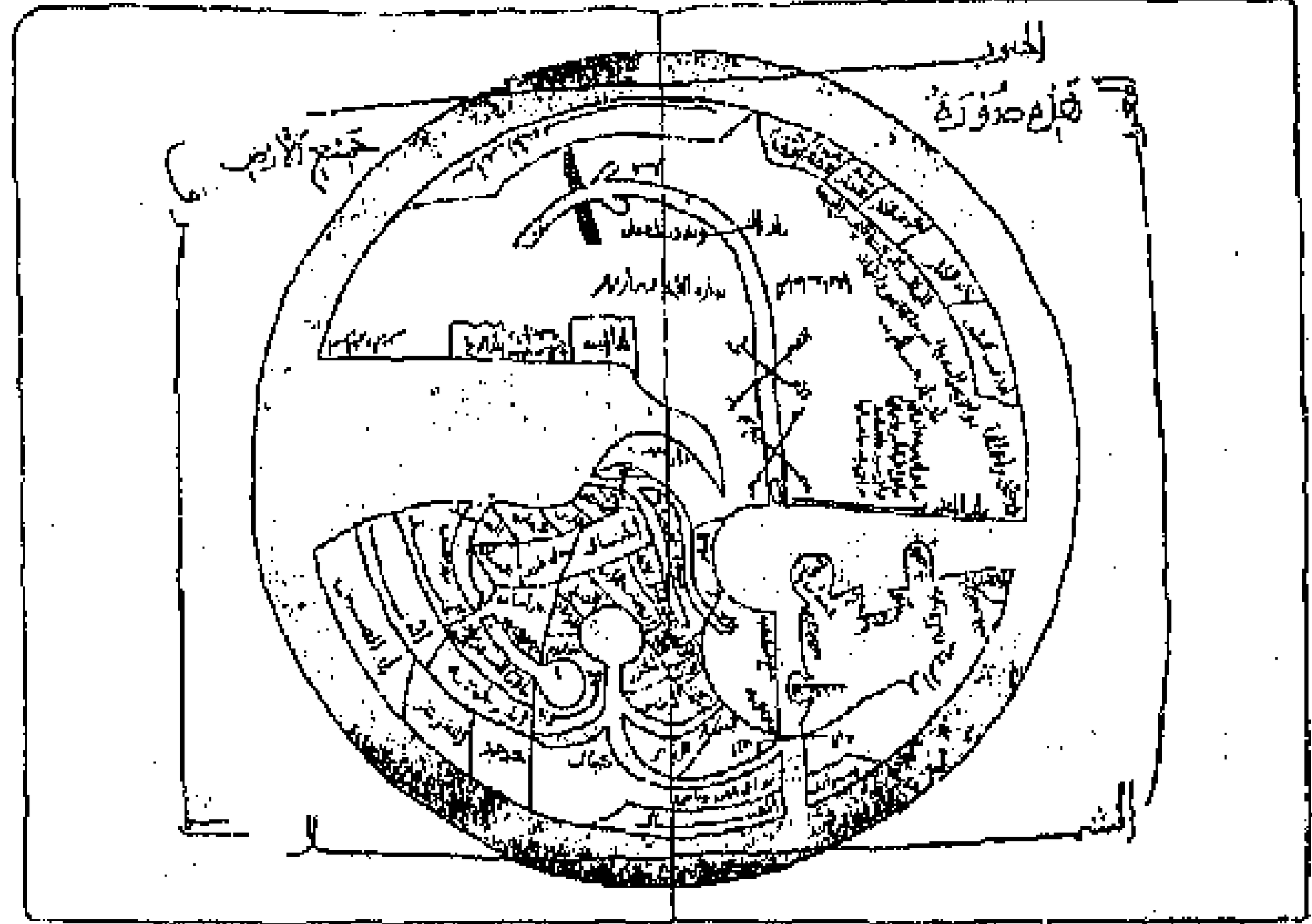
*** ابن حوقل (- بعد ٣٦٧ هـ / - بعد ٩٧٧م):**

رحالة جغرافى قضى ثلاثين عاما فى التجوال والاستكشاف، وألف كتابه « صورة الأرض » الذى يشتمل على خرائط متطورة .

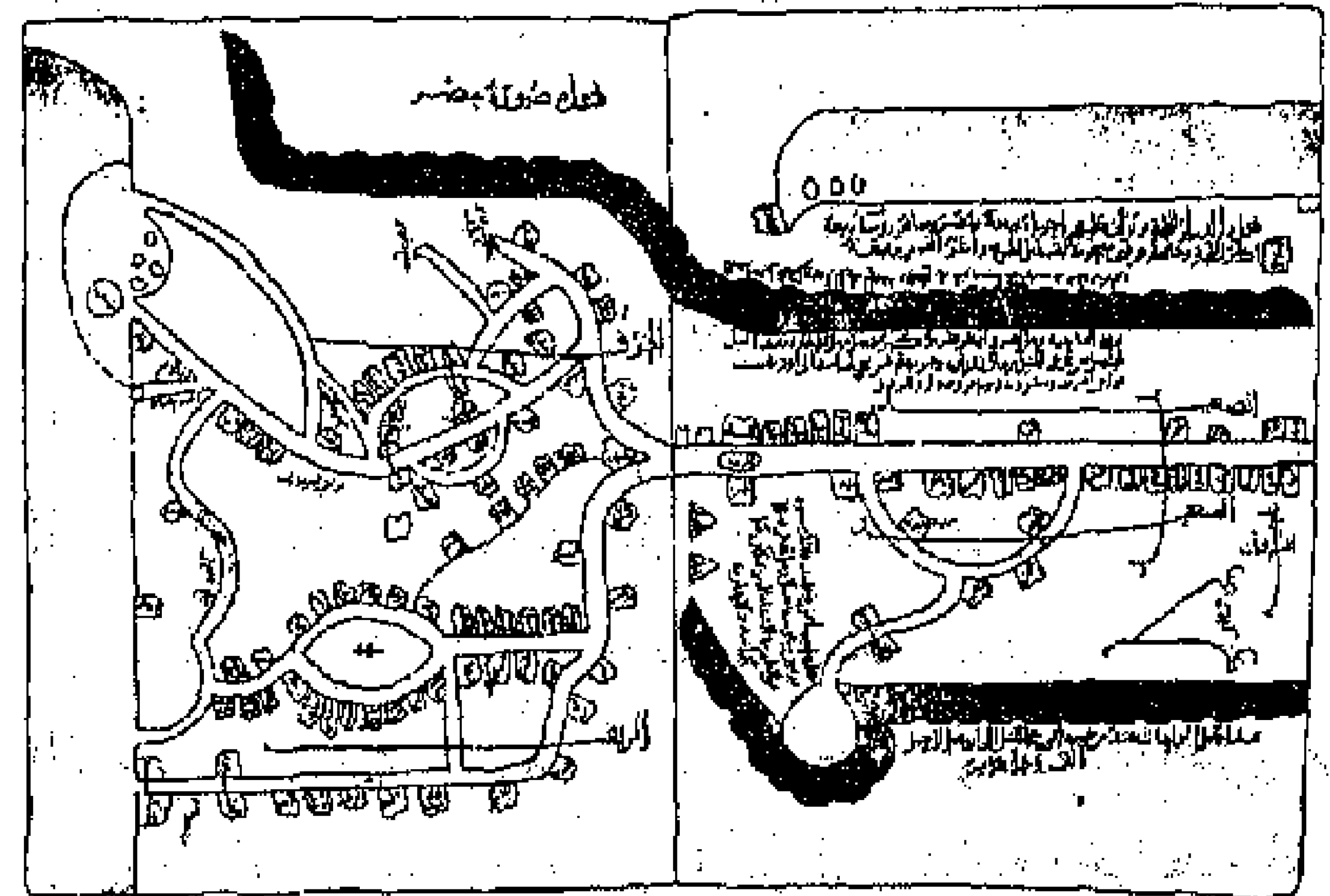
(عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) .

وهو أبو القاسم محمد بن على الموصلى المشهور بابن حوقل . ولد فى بغداد وعاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وقد اشتهر برحلاته الواسعة فى العالم الإسلامى حيث دامت رحلاته ما يقرب من ثلاثين عاما . وقد طاف فى أنحاء مصر والشام والعراق والبحرين والإحساء وإيران وأذربيجان وأرمينيا، كما تجول فى بعض جهات آسيا الوسطى والجنوبية الشرقية حيث بلغ أقليم السند، كذلك دخل بلاد البلغار ووصل إلى أواسط نهر الفولجا، كما تجول فى ربوع بلدان المغرب العربى والأندلس وجهات غربى إفريقيا حتى مملكة غانة، كذلك زار نابولى وصقلية، ولذلك فقد حفل كتابه بالمعلومات القيمة عن بلدان الإسلام التى قصر كتاباته عنها . وكان هدفه الأول من هذه الجولات الواسعة الاشتغال بالتجارة ، إلا أنه استفاد فى الوقت نفسه فائدة علمية عظيمة انعكست فى كتابه «صورة الأرض» . وقد ذكر بأنه التقى بالجغرافى الإصطخرى فى جرجان فطلب منه أن يعيد النظر فى كتابه وخرائطه فقبل

بذلك . إلا أنه غير رأيه فيما بعد كما يبدو، وتولى تأليف كتابه المعروف « صورة الأرض » الذى يعتقد أنه كتبه فى حدود عام ٩٦٧م أو ٩٧٧م . لذلك يتهمه بعض البحاثة أنه استمد الكثير من معلوماته وخرائطه من كتاب الإصطخرى، لا سيما وإن هناك تشابها واضحا بين أجزاء ونصوص الكتابين كالأجزاء المتعلقة بجزيرة العرب والخليج العربى وخوزستان وفارس وكرمان وحوض نهر السند والديلم وبحر الخزر. ومهما يكن الأمر فإن كتابه يعتبر من أبرز وأهم الكتب الجغرافية العربية المبكرة التى تمثل ركنا هاما من أركان الجغرافية العربية . وقد تميز الكتاب بمنهجه القويم الذى يعتبر الخارطة جزءا لا يتجزأ من النص، بل أنه اعتبر الخارطة أهم من النص، وإن النص ما هو سوى شرح للخارطة . وقد قسم ابن حوقل العالم الإسلامى إلى اثنين وعشرين إقليما هى ديار العرب وبحر فارس، والمغرب، والأندلس، وصقلية، ومصر، والشام ، وبحر الروم ، والجزيرة والعراق، وخوزستان ، وفارس، وكرمان ، والسند، وأرمينية والران وأذربيجان ، والجبال،



صورة الأرض لابن حوقل المتوفى عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م



والديلم وطبرستان ، وبحر الخزر، ومفازة خراسان وفارس، وسجستان ، وخراسان ، وما وراء النهر. ثم تناول بالدراسة كل إقليم من هذه الأقاليم فتحدث عن معالم الطبيعة وأبرز صفاته الطبيوغرافية والمناخية وموارد المياه فيه ، وأهم زراعاته وصناعاته، وأهم مدنه ، كما تحدث عن سكانه وعاداتهم وتقاليدهم وحكامهم وقص طرفا من تاريخ كل إقليم . وهكذا قدم الكتاب نموذجا عاليا فى الدراسة الجغرافية الإقليمية .

ولم يستطع الباحثون تحديد تاريخ وفاة ابن حوقل .

(العلوم الإسلامية ــ د. أحمد شوقى الفنجرى ٢ / ٤٨، ٤٩، وكلمات مضيئة فى التراث الجغرافى العربى ـ د. شاكر خصباك / ٥٦، ٥٧ انظر أيضا أعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٢١٠ ـ ٢٣٣) .

* **الحوقلة :**

الحوقلة : هى قوله لا حول ولا قوة إلا بالله ، يختتم بها المؤلف أو الناظم كتابه للتبرى من حوله وقوته لأن فيها التبرى من حول العبد وقوته والركون إلى حول الله وقوته ، فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله لا تحول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونة الله . يقول السيد بكرى المكى . واعلم أنه جاء فى فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم شىء كثير؛ فمن ذلك ما أخرجه الطبرانى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنها كنز من كنوز الجنة وفيها شفاء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم » وفى رواية « أكثروا من ذكر لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها تدفع عن قائلها تسعا وتسعين بابا من الضرر أدناها الهم » ومن ذلك ما أخرجه الطبرانى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » وفى رواية البخارى ومسلم أنها كنز من كنوز الجنة . ومن ذلك ما رواه ابن أبى الدنيا بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال « من قال فى كل يوم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم مائة مرة لم يصبه فقر أبدا » ومن ذلك ما روى « أن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه أسر المشركون ابنًا له يسمى سالما فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أُسر ابنى وشكا إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا

حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها »

وفي الفشني على الأربعين النووية : ومن الأدعية المستجابة أنه إذا حل بالشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهي فائدة عظيمة اهـ .

وبالجملة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لها تأثير عظيم في طرد الشياطين والجن وفي جلب الرزق والغنى والشفاء وتحصيل القوة ودفع العجز وغير ذلك .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى بن السيد محمد شطا الدمياطي على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ١٢٨) .

*** الحَوَل :**

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في طب العيون .

قال عنه صاحب النزهة المبهجة :

الحول : زوال موضع البصر الطبيعي عن موضعه ويقع للأطفال غالبا وأسبابه سوء العلاج والتربية كخفض الرأس والإرضاع من جانب دائما أو غالبا وشد ربط الرأس وتنكيسه وأخذ ما غلظ من الأطعمة وقد يكون لصوت مهول ينظر إليه فازعا وفي الكبر نزول ريح أو خلط أو صعودهما بين الطبقات وعلاماته تغير الشكل والنظر عن الجرى الطبيعي (العلاج) ما كان قبل الولادة لا دواء له وغيره يجعل على العين ستارة مثقوبة الوسط بحيث يكون النظر مستويا ويربأ له بما يميل النظر إليه من الجانب المخالف ، ومن الناجب في ذلك ضرب الأوتار بغتة في الجانب المخالف للنظر ووضع الألواح السبحية وقد رسمت فيها الصور المذهبة والأجراس المصوتة فإنه مجرب ومتى كان إلى الأسفل فمن استرخاء العصب ويكون العلاج حينئذ بما يشده كتضميد الجبهة بالآس والعفص والبلوط والطين الأرمنى وما كان إلى فوق فعلاجه علاج التشنج اليابس وأسفله ما كان إلى أحد الجانبين ومما ينجب في رده الكحل بالإثمد ممزوجا بالبندق الهندى والسعوط بعصارة ورق الزيتون والكحل بالسبج والبسد، وفي اليابس تقطير الألبان .

(النزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بذيل تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه / ٢، ٣) .

*** حول النبات والفواكه وفوائدها الطبية :**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الفلاحة .

مخطوط بقسم التراث العربي بالكويت

المؤلف : مجهول .

أوله : « ... القول في البطيخ ، وأما البطيخ فينقسم ... على أربعة أبواب ، لأن منه البطيخ الربيعى ... » .

آخره : النسخة ناقصة الآخر .

النسخ : يعود إلى القرن الثامن الهجرى .

الخط : جيد .

الأوراق : ٦٠ ق .

الأسطر: ١٥ س .

المقياس: ٢٤ × ١٧ سم .

كتب بالمداد الأسود ، وأسماء النبات كتبت بخط عريض بالمداد الأسود .

ـ سوريا ، حلب ، مكتبة معهد التراث العلمى العربى ، أنطاكى .

(فهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ وضعه محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح / ٣٠١) .

*** حويصة :**

قال الإمام النووى .

حويصة أخو محيصة مذكوران في القسامة من المختصر والمهذب ويجوز فيهما تشديد الياء مكسورة ويجوز تخفيفها ساكنة والأشهر التشديد وهو أبو سعيد حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الحارثى المدنى الصحابى رضى الله عنه شهد هو وأخوه محيصة أحدا والخندق وسائر المشاهد بعدهما مع رسول الله ﷺ . روى عنه محمد بن سهل بن أبى حثمة وحرام بن سعد وكان حويصة أسن من محيصة وأسلم محيصة قبله وأسلم حويصة على يد محيصة رضى الله عنهما وقصتهما مشهورة .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧١) .

*** ابن حي التجيبي :**

انظر : التجيبي (الحسن بن محمد) في م ٨ / ٥٣٩ .

* **الحي جل جلاله:**

الاسم الثالث والستون من أسماء الله الحسنى . قال في تفسيره الإمام أبو حامد الغزالي :

هو الفعال الدراك ...

حتى أن ما لا فعل له أصلا ولا إدراك فهو ميت ، وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه ، فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت .

فالحي الكامل المطلق هو الذى يندرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذ عن عمله مدرك، ولا عن فعله مفعول... وكل ذلك لله تعالى؛ فهو الحي المطلق، وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله، وكل ذلك محصور فى قلة. ثم إن الأحياء يتفاوتون، فمراتبهم بقدر تفاوتهم (المقصد الأسنى / ١١٧) .

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره بقوله :

قال تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ [آل عمران : ٢] وقال تعالى ﴿ **هو الحي لا إله إلا هو** ﴾ [غافر : ٦٥] وقال تعالى ﴿ **وتوكل على الحي الذى لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

واعلم أنه تعالى إنما تمدح بكونه حيا، لأن مراده منه كونه حيا لا يموت ، ألا ترى أن الحي الذى يجوز عليه الموت حكم عليه بأنه ميت، قال تعالى؛ ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [الزمر : ٣٠] .

حكي أنه مات لبعضهم ابن فبكى حتى عمي، فقال بعضهم : الذنب لك حيث أحببت حيا يموت، هلا أحببت الحي الذى لا يموت ، حتى لا تقع فى هذا الحزن ، قالوا : كل من صار حيا بالله لم يمت، قال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال الشبلي : عجبت ممن ذكر الموت كيف لا ينسى أهل الدنيا ، وعجبت ممن ذكر الله كيف لا ينسى نفسه .

واعلم أن إطلاق لفظ الحيوان لا يجوز على الله ، مع أنه يجوز إطلاق لفظ الحي عليه، والفرق هو التوقيف (شرح أسماء الله الحسنى / ٣٠٣، ٣٠٤) .

ويرد اسم الحي (جل جلاله) فى البقرة : ٢٥٥ ، وآل عمران : ٢ ، وطه ١١١ ، والفرقان ٥٨ ، وغافر ٦٥ .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالي ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١١٧ ، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٣٠٣، ٣٠٤ . انظر أيضا ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد ـ قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على / ١٦٣، ١٦٤) .

* **حيّ العالم :**

من الأعشاب الطبية ، وقد أوردها المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ز : الزهراوى .

قال : حي العالم « ع » سمي بهذا الاسم لأنه لا يطرح ورقه فى وقت من الأوقات ، وهو نبات له قضبان طولها نحو من ذراع وأكثر، فى غلظ الإبهام ، فيها شيء من رطوبة تدبق باليد (دبق : لصق. المعجم الوجيز / ٢٢٢) وهى غضة ، وقوته مبردة قابضة ، إذا تضمد به وحده أو مع السويق، للحمرة والنملة والقروح الخبيثة، والأورام الحارة العارضة للعين ، وحرق النار، والنقرس؛ وقد تخلط عصارته بدهن الورد، وتطلى بها الرأس من الصداع، ويسقاها من عضة الرتيلاء، ومن كان به إسهال، ومن قرحة الأمعاء، وإذا شرب بالشراب أخرج الدود المستطيل من البدن، وإذا احتملته المرأة قطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم. الصنف الثاني : حي العالم الصغير ينبت فى الحيطان، وبين الصخور، وله قضبان صغار، مخرجها من أصل واحد مملوءة من ورق صغير مستدير، وله رطوبة تدبق باليد، وله زهر أصفر. وقوة هذا مثل قوة الأول ، وهما جميعا يجففان تجفيفا يسيرا، ويبردان تبريدا شديدا، وهما فى الدرجة الثالثة من درجات التبريد، نافعان من الورم والحمة والأورام الساعية .

وصنف ثالث يشبه ورق البقلة الحمقاء، وله قوة مسخنة

حـارة مقـرحـة للجلـد، إذا سحق مع السمـن العتيق حلل الخنازيـر . «ف» نبات معروف، وهـو ثلاثة أصنـاف : برى، وبستانى، وجبلى. أجوده البستانـى الغض الطرى، وهو بارد فى الثالثـة، يابس فى الأولى، نافع من نفث الـدم ، ويدخل فى أدوية العين، وإذا اعتصر وشـرب من مائه عشرون درهما، نفع من سدد الكبـد، وإذا شرب من مـائه خمسة دراهم أطفأ حـرارة الصفراء والـدم الغـالب، وينفع من الصـداع إذا خلط بـدهن ورد، وطلى على الصـدغين. والشـربة منـه : خمسـة دراهم . « ج » بـارد فى الـدرجة الثـانيـة ، يـابس فى الأولى، والبـرى حـار فى الأولى ، يطلى بـه الأورام الحـارة ، والكبـد والصدر الحاران . « ز » بدله : وزنه من عصارة الخس، أو ماء عنب الثعلب (المعتمد ١ / ١١٤، ١١٥) .

وقال عنه ابن رشد :

حى العالم : هذا النبات أنواع منها المسمى الشيان، وهو يـزرع فى الـدور، ومنه المسمى المصفقـات، ومنـه المسمى عنب السقف، وكلهـا فى الدرجـة الثالثة من البـرودة ، وذلك أنها مسيخـة الطعم ، كثيرة المـائية . وهمـا تجفيفان (٨١٣) تجفيفا يسيـرا، ويدل أيضا على ذلك أنهـا تنبت فى المواضع البـاردة ، وفى فصل الشتاء (الكليات / ٢٥٨) .

(المعتمد فـى الأدوية المفـردة للمظفر الرسـولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٤، ١١٥، والمعجم الوجيز / ٢٢٠، والكليات فى الطب لابن رشد ــ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمـار الطالبى / ٢٥٨) .

*** الحى (كتاب ـ) :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى العلوم .

تأليف جابر بن حيان الصوفى .

وهو المقالة الحادية عشرة من كتاب « السبعين » .

أولها : قد سبق لنا قبل هذا عشـرة كتب يذكر فيها من أمر الحجـر المطلـوب ما فيـه كفـايـة وغناء لـم يذكـر مع غيـره، وضمـاننا فى كتـابنـا أن نـذكر الحيـوان كلـه ، فإنـا لم نذكـر الحيـوان، أفضل من الحجر المقـدم على سائر الحيـوان فى تلك الأجزاء، نحن نستأنف هاهنـا الكلام فى سائر الحيوان ، فافهمه وتدبره، والشرط مع ذكرنـا الحيوان، أن نذكره قريبا فى مدة تدبيره، على ما شرطنا فى باب الكبير إن شاء الله ... إلخ .

وآخره : فهـذه المقـدمـات، وسأذكـر فى المستأنف تـدابيرهم وآراءهم فى ذلك بـلا زيادة على هـذه المقدمـة ولا نقصان فمنها فاعرفه .

ـ نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ .

ومسطرتها ١٧ سطرا　　　١١×٢١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١٠٩ ـ ١١٤) .

[مكتبة بروسة حسين جلبى ـ ١٥] .

(فهرس المخطوطـات المصورة ، معهد المخطوطات العـربية جـ ٣ العلـوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيـات ــ وضع فـؤاد سيـد . القاهـرة ١٩٦٣ / ١١٧، ١١٨) .

*** الحياء :**

تعنى مصنفـات التراث الإسـلامى فى كل من علم الأدب وعلم الأخـلاق عنايـة بالغـة بفضيلة الحيـاء فتفرد لـه الفصول الطـوال، وتمتـدح فضـائلـه شعرا ونثرا، بـاعتبـار أنـه رأس الفضـائل، وأن انعـدامـه يفتح بـاب الـرذائل ، ممـا لخصـه الحـديث النبـوى المـوجـز البليغ : «إذا لـم تستح فـاصنع مـا شئت» ويأتى الكلام عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

يقول صاحـب اللسان : والحياء، التوبـة والحشمة ، وقد حيى منه حياء واستحيـا واستحى، حذفوا الياء الأخيـرة كراهية التقـاء اليائين ، والأخيـرتـان تتعديـان بحـرف وبغير حـرف، يقولون : استحيـا منك واستحياك، واستحى منك واستحاك، قال ابن برى : شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير:

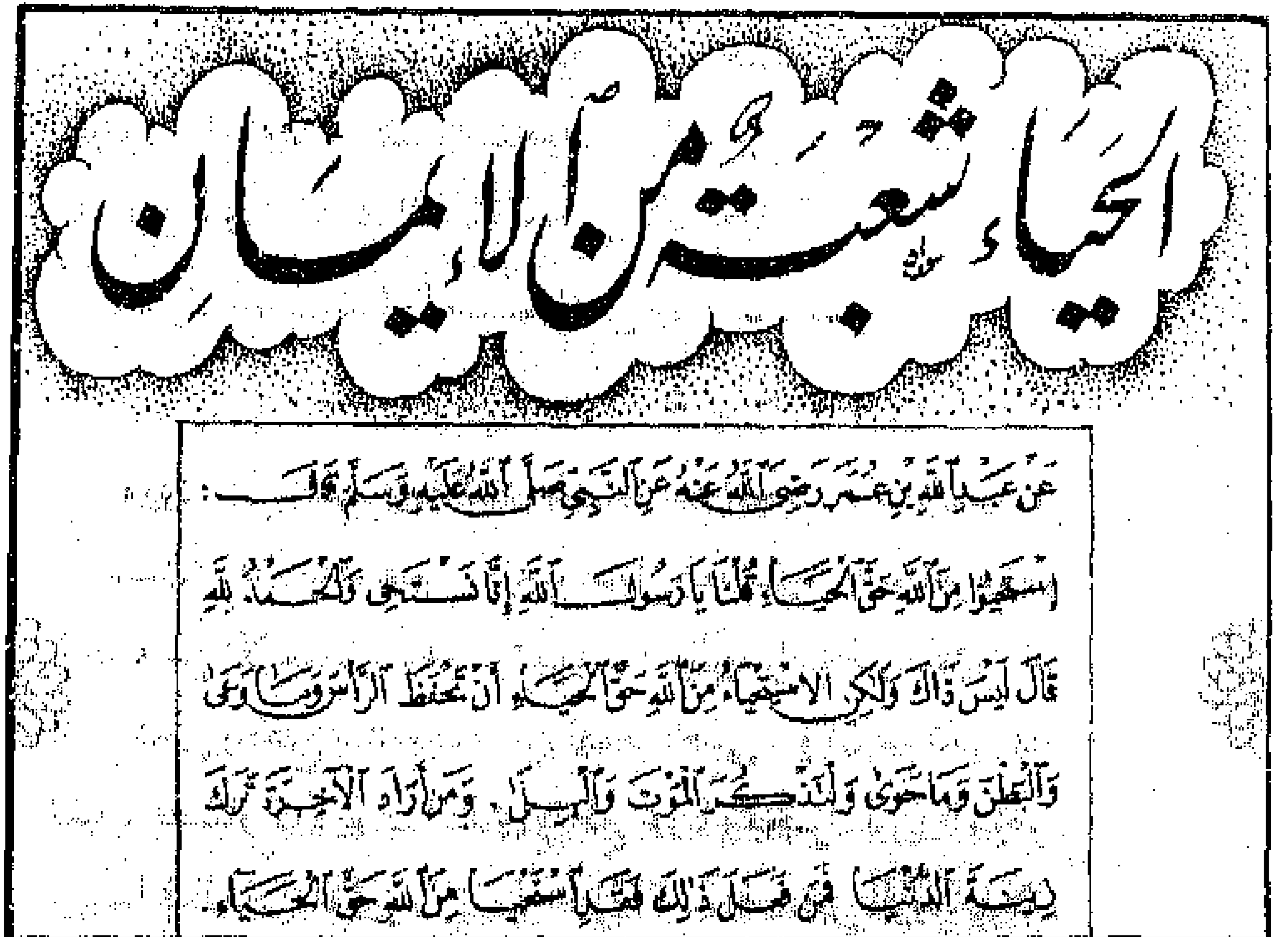
لـــولا الحيـــاء لعـــادنى استعبـــار
ولـــزرت قبـــرك والحبيب يـــزار

وروى عن النبى ﷺ أنـــه قـــال : « الحيـــاء شعبـــة من الإيمـان» . قال بعضهـم : كيف جعل الحيـاء، وهـو غريـزة، شعبـة من الإيمـان، وهو اكتسـاب؟ والجـواب فى ذلك : أن المستحى ينقطع بـالحيـاء عن المعـاصى، وإن لم تكن لـه تقية، فصـار كالإيمان الـذى يقطع عنها ويحـول بين المؤمن وبينها قـال ابن الأثير: وإنما جعل الحيـاء بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمـار بما أمـر الله به وانتهـاء عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهـاء بالحيـاء كان بعض الإيمـان ، ومنه

الحديث: « إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصي والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذى يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثانى أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت فى فعلك آمنا أن تستحى منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التى يستحى منها فاصنع منها ما شئت.

ابن سيده: قوله ﷺ: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت » أى من لم يستح ما شاء على جهة الذم لترك الحياء، وليس يأمره بذلك، ولكنه أمر بمعنى الخبر، ومعنى الحديث أنه يأمر بالحياء ويحث عليه ويعيب تركه (لسان العرب ١٢ / ١٠٧٩، ١٠٨٠).

وحديث « إذا لم تستح فاصنع ما شئت» هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلى: عن أبى



مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». رواه البخارى.

ويعلق الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى على هذا الحديث بقوله: هذا الحديث حديث عظيم عليه يدور مدار الإسلام وأصول الأخلاق بقول فصيح وجيز، ويعد من جوامع كلمه ﷺ (انظر مادة « جوامع الكلم » فى م ١٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥٦).

ثم يشرح الشيخ الأنصارى الحديث فيقول: قوله ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت » معناه إذا أردت فعل شىء، فإن كان مما لا تستحى من فعله من الله ولا من الناس فافعله، وإلا فلا. وعلى هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله، وعلى هذا يكون قوله ﷺ: « فاصنع ما شئت »، ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحى من الله تعالى ولا تراقبه فأعط نفسك مناها وافعل ما تشاء، فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة ويكون كقوله تعالى: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ [الإسراء: ٦٤].

ويلخص الشارح أفكار الحديث بأنها: إذا كنت لا تستحى من الله فافعل ما تشاء (الأمر للتهديد).

ويلخص فقه الحديث بقوله:

١ ـ إذا ترك المرء الحياء فلا تنتظرون منه خيرا.

٢ ـ الحياء كله خير.

٣ ـ الحياء أصل الأخلاق الكريمة (شرح متن الأربعين النووية / ٧٧، ٧٨).

وقد أورد الإمام البيهقى الحياء من بين شعب الإيمان التى عددها فقال: من شعب الإيمان الحياء، لحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن أبيه عن النبى ﷺ أنه سمع رجلا يعظ أخاه فى الحياء فقال له: « دعه فإن الحياء من الإيمان » (مختصر شعب الإيمان / ٩٠).

وجاء فى الأزهار المتناثرة للحافظ السيوطى أن حديث «الحياء من الإيمان».

أخرجه الشيخان عن أبى هريرة وابن عمر والترمذى والحاكم عن أبى أمامة وأبى بكرة وأبو يعلى عن عبد الله بن سلام.

والطبرانى عن ابن عباس وابن مسعود وعمران بن حصين وابن ماجه عن أبى بكر وبألفاظ متقاربة عن أبى سعيد الخدرى، وأنس وابن عباس (الأزهار المتناثرة / ٢١).

وورد فى كتاب الحياء فى «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» ما يلى:

١ ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: استحيوا من الله حق الحياء. قلنا إنا نستحى من الله يا رسول الله والحمد لله. قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء». أخرجه الترمذى.

والمراد: (بما وعى الرأس) السمع والبصر واللسان. و(بما حوى البطن) المأكول والمشروب، والمراد: الحث على طلب الحلال من الرزق، واستعمال هذه الجوارح فى مرضاة الله تعالى.

٢ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه» أخرجه الشيخان.

(الخدر: ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيها الجارية البكر).

٣ ـ وعن زيد بن طلحة بن ركانة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن لكل دين خلقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء» أخرجه مالك.

٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال: «قال النبى ﷺ: ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه» أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٢/ ٢٢، ٢٣).

وفى ذكر الحياء وما جاء فى فضله أورد الإمام ابن أبى الدنيا عددا كبيراً من الأحاديث نختار منها ما يلى، د وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما وردت فى النص، كما وضعنا تخريجات الأحاديث للمحقق الأستاذ مجدى السيد إبراهيم بين أقواس فى ثنايا النص إتمامًا للفائدة:

لقول أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ رأس مكارم الأخلاق. الحياء.

٧٢ ـ حدثنى سعيد بن سلیمان الواسطى ومحمد بن أبى غالب عن هُشيم عن منصور بن زاذان عن الحسن عن أبى بكرة عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار».

(الحديث صحيح. وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن ماجه (٤١٨٤)، والحاكم (١/ ٥٢). وفى سنده هشيم وهو مدلس، وكذا الحسن، وقد روياه بالعنعنة. وأخرجه أحمد (٢/ ٥٠١)، والترمذى (٢٠١٠)، وابن حبان (١٩٢٩)، والحاكم (١/ ٥٣)، والبغوى (٣٥٩٥) من حديث أبى هريرة، وسنده حسن).

٧٣ ـ حدثنا على بن الجعد الجوهرى أخبرنى عبد العزيز ابن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: سمع النبى ـ ﷺ ـ رجلا يعظ أخاه فى الحياء يقول: إنك لتستحى حتى كأنك ... فقال النبى ـ ﷺ ـ: «دعه فإن الحياء من الإيمان».

(إسناده صحيح، وأخرجه البخارى (٢٤)، (٦١١٨)، ومسلم (٣٦)، وأحمد (٢/ ٥٦، ١٤٧)، وابن حبان (٢/ ٤)، والبغوى (٣٥٩٤)).

٧٤ ـ حدثنا على بن الجعد أخبرنى أبو غسان عن حسان ابن عطية عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحياء والعى شعبتان من شعب الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق».

(إسناده صحيح. وأخرجه أحمد (٥/ ٢٦٩)، والترمذى (٢٠٢٨) وقال حسن صحيح، والحاكم (١/ ٩) وصححه، والبغوى (٣٣٩٤) فى شرح السنة).

٧٥ ـ حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس أنا يزيد بن هارون أنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «الحياء من الإيمان».

(إسناده حسن. والحديث صحيح. فى سنده أبو مسلم المستملى، وهو صدوق كما فى التقريب (١/ ٥٠٣) وكذا محمد بن عمرو).

٧٦ ـ حدثنا أبو خيثمة نا يزيد بن هارون نا خالد بن رباح عن أبى السوار عن عمران بن حصين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الحياء خير كله» قال: فقال رجل: إن منه ضعفا وإن

منه عجزا. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله - ﷺ - وتحدثني عن الصحف.

(صحيح. وإسناده لا بأس به، فيه خالد بن رباح، قال ابن عدي: لا بأس به، وقال ابن حبان كثير الخطأ لا يحتج به، كذا في الميزان (١/ ٦٣٠)، وسقط من المطبوعة كلمة «أبي» من «أبي السوار». أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٢)، والبخاري (٦١١٧ فتح)، ومسلم (٣٧)).

٧٨ - حدثنا محمد بن سليمان الأسدي نا حبان بن علي عن حارثة بن محمد الأنصاري عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: قالوا: يا رسول الله، إن حارثة بن النعمان أفسده الحياء. فقال رسول الله - ﷺ -: «لا يفسد الحياء ولكن لو قلتم أصلحه الحياء لصدقتم».

(إسناده ضعيف. فيه حبان بن علي، وحارثة بن محمد، وهو ابن أبي الرجال، كلاهما ضعيف، انظر: التقريب (١/ ١٤٥)، (١/ ١٤٧).

٨٠ - حدثنا الحسن بن حماد الضبي نا أبو يحيى الحماني عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - ﷺ - إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل: لم قلت كذا وكذا؟ ولكنه يعم فيقول: «ما بال أقوام»؟

(إسناده حسن. وأخرجه أبو داود (٤٧٨٨) في سنده الحماني، وهو صدوق يخطىء كما في التقريب (١/ ٤٦٩)، وفيه عنعنه الأعمش، لكن يشهد له حديث أنس الذي أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١، ٢٨٥) وغيره).

٨٤ - حدثنا يحيى بن أيوب حدثني الهذيلي بن ميمون عن الأحوص بن حكيم عن ابن عون عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قلة الحياء كفر».

(إسناده ضعيف. في سنده هذيل بن ميمون، قال أبو حاتم: لا أعرفه، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١١٣)، وفيه الأحوص بن حكيم من الضعفاء، كما في التقريب (١/ ٤٩)، وفيه الإرسال من سعيد. أورده الهندي في الكنز (٥٧٩٠) مرفوعا من حديث عقبة بن عامر، وعزاه إلى الحكيم والشيرازي في الألقاب.

الحديث في نوادر الأصول للحكيم (ص/ ٣٦٦).

٨٦ - حدثنا شجاع بن الأشرس ثنا ليث بن سعد عن خالد ابن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن حفص بن عمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لعروة بن مسعود: «يا عروة، إن الله يحب العيي الحيي العفيف المتعفف ويبغض البذي الفاحش السآل الملحف».

(إسناده مرسل. وبنحوه أخرجه ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة كما في الدر المنثور (١/ ٣٥٩) وله شواهد مهلهلة الإسناد ذكرها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٢٠).

٩٨ - حدثني أبو محمد ثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم البراد الحمصي وكان من خيار المسلمين ثنا معاوية بن يحيى عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن لأهل كل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء».

(إسناده ضعيف. والحديث حسن. وأخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والخرائطي (ص/ ٤٩) في المكارم، والطبراني (ص/ ١٣) في الصغير.

في سنده معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف، كما في التقريب (٢/ ٢٦١).

وله طريق أخرى أخرجه الباغندي في مسند عمر (ص/ ١٣) وسنده ضعيف، وذكر الشيخ الألباني طريقا آخر، أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ٤) ثم قال: وبالجملة فهذا الإسناد حسن.

وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه العقيلي (١٨٧) في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٢٠) وفيه صالح بن حسان منكر الحديث) (مكارم الأخلاق / ٣٤ - ٤١).

ويعرف التهانوي الحياء بقوله:

الحياء بالفتح والياء المثناة التحتانية وهو انكسار وتغير يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به أو يذم على ما قال الزمخشري كذا في بحر الجواهر وفي الشرع عبارة عن خلق باعث على ترك القبيح كما في تيسير القاري ترجمة صحيح البخاري وفي رسالة السيد الجرجاني الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه وهو نوعان نفساني وهو

الـذى خلقه الله تعـالى فى النفوس كلهـا كالحياء عن كشف العورة ... ، وإيمانى وهو أن يمتنع المؤمن من فعل المعاصى خوفا من الله تعالى .

(كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٣٩٧، ٣٩٨) .

ويفـرد الأمير أسـامـة بن منقـذ فى كتابـه النفيس « لبـاب الآداب » فصلا فى الحيـاء ، يبدؤه كعـادته بـالآيات القـرآنية ، تعقبها الأحاديث النبوية ، . ثم أقـوال الزهاد والصالحين ، ثم ما ورد فيه من شعر .

أما عن الآيات القرآنية فيقول ابن منقذ :

قال الله عـز وجل فى سورة القصص فى قصة مـوسى عليه السلام : ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال : ماخطبكمـا؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الـرعاء وأبـونا شيخ كبيـر * فسقى لهما ثم تولى إلـى الظل فقال رب إنى لمـا أنزلت إلىَّ من خيـر فقير * فجاءته إحداهما تمشى على استحياء** ﴾ [القصص : ٢٣ - ٢٥] .

قيل : إنمـا استحيت أنهـا كـانت تدعـوه إلى الضيـافـة ، فاستحيت أن لا يجيب موسى عليـه السلام ، فصفة المضيف الاستحياء ، وذلك استحياء الكرم .

وقيل فى بعض الأقوال فى قولـه عز وجل فى قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز : ﴿ **ولقد همت به وهـم بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ [يوسـف : ٢٤] : البـرهان أنها ألقت ثـوبا على وجه صنم فى زاويـة البيت ، فقال يوسف عليـه السلام : مـاذا تفعلين؟ فقـالت : أستحيـى منـه ! فقـال يـوسف عليـه السلام : أنا أولى أن أستحيى من الله تبارك وتعالى .

وأورد الإمام عبـد الكريم بن هـوازن [القشيرى] رضى الله عنه فى رسالته قال : فى بعض الكتب : يقول الله تعالى : « ما أنصفنى عبـدى ، يـدعـونى فأستحيى أن أرده ، ويعصينى ولا يستحيى منى » .

أما الأحاديث النبوية فقد أورد ابن منقذ ثلاثة عشر حديثا ، وقد استبعدنا منها ما سبق وروده ، وهى كما يلى ، وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلية كما وردت فى النص :

١٢٠ - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ كـان يعظ أصحابـه ، فإذا ثـلاثة نفـر يمـرون ، فجاء أحـدهم فجلس إلى النبى ﷺ ، ومشـى الثـانى قليـلا وجلس ، وأمـا الثـالث فـإنـه مضى ، فقـال النبى ﷺ : ألا أنبئكـم عن هـذه الثلاثة؟ أمـا هذا الذى جلس إلينا فتاب فتـاب الله عليه ، وأما الذى مشى فجلس فإنه استحيا فاستحيا الله منه ، وأما الذى مر على وجهه فإنه استغنى فاستغنى الله عنه ﴿ **والله غنى حميد** ﴾ (رواه الحـاكم فى (٤/ ٢٥٥) وصححه هـو والـذهبى ، ولكن ليس فيه قوله ﴿ **والله غنى حميد** ﴾ [التغابن : ٦] .

١٢١ - وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : « اللهـم لا يـدركنى زمـان ولا أدركه : لا يتبع فيـه العليم ، ولا يستحيا فيـه من الحليم ، قوم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » .

رواه أحمد فى المسنـد (٥/ ٣٤٠) ولكن فيـه « اللهـم لا يدركنى زمان ولا تـدركوا زمانا » ... إلخ وأشـار السيوطى (رقم ١٥٤٣) إلى أن الحاكم رواه من حديث أبى هريرة) .

١٢٤ - وعن أبى بكرة رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : «الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة . والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار » .

رواه البخـارى فى الأدب المفـرد (ص ٢٣٦) ونسبـه السيـوطى (رقم٣٨٦٥) لابن مـاجـه والبيهقى والحـاكم من حديث أبى بكرة ، وللترمذى والحاكم والبيهقى من حديث أبى هـريرة ، ونسبـه المنـذرى ٣/ ٢٥٤) لأحمـد وابن حبـان من حديث أبى هريرة) .

١٢٨ - وعن عطاء رحمه الله قال : «مر رسول الله ﷺ برجل يغتسل ، فقـال : يـا أيهـا النـاس ، إن الله حيى عليم ، يستر ويحب الحياء ، فإذا اغتسل أحدكـم فليتوار عن أعين الناس» رواه أحمـد مختصرا (٤/ ٢٢٤) عن عطاء عن يعلى بـن أمية ، ونسبـه السيوطى (رقم ١٧٢٩) لأبـى داود والنسائى وعندهم إن الله حيى ستير) .

ثم ينتقل الأمير أسامة بن منقذ إلى أقوال الزهاد والصالحين فى الحياء فيقول :

وعن محمـد بن عبـد الملك قـال : سمعت ذا النـون المصرى رحمـه الله يقول : الحيـاء وجود الهيبـة فى القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك .

وقال ذو النون رحمه الله : الحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق.

وقال أحمد بن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان الدارانى رحمه الله يقول: يقول الله تعالى : « عبدى، وإنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض عيوبك، ومحيت من أم الكتاب زلاتك، ولا أناقشك فى الحساب يوم القيامة » (ابن أبى الحوارى هو أحمد بن عبد الله ابن ميمون الزاهد، ولد سنة ١٦٤ ومات سنة ٢٤٦، وله ترجمة فى التهذيب، وكان تلميذا لأبى سليمان الدارانى، ونقل عنه بعض أقواله، انظر اللمع ص٥٣، ١٨٧ و ٢٧١ و ٢٨٢).

قيل : الحياء على وجوه : حياء الخيانة، كآدم عليه السلام، قيل له : أفرارا منا ؟ قال : لا، بل حياء منك. وحياء التقصير، كالملائكة، يقولون: ما عبدناك حق عبادتك. وحياء الإجلال، كإسرافيل عليه السلام، تسربل بجناحه حياء من الله تعالى. وحياء الكرم، كالنبى ﷺ، استحيا من أمته أن يقول: اخرجوا، فقال الله سبحانه : ﴿ ولا مستأنسين لحديث﴾ [الأحزاب : ٥٣]. وحياء خشية، كعلى ابن أبى طالب رضوان الله عليه حين سأل المقداد حتى سأل النبى ﷺ عن حكم المذى، لمكان فاطمة رضى الله عنها منه. وحياء الاستحقار، كموسى عليه السلام، إذ قال : إنه لتعرض على قلبى الحاجة فأستحيى أن أسألكها يا رب، فقال الله عز وجل: سلنى حتى ملح عجينك وعلف شاتك. وحياء الإنعام، وهو حياء الرب تبارك وتعالى، يدفع إلى العبد كتابا مختوما بعد ما عبر على الصراط، فإذا فيه : «فعلت ما فعلت، ولقد استحييت أن أظهر عليك، فاذهب فإنى قد غفرت لك».

قالت الحكماء . الحياء هرب النفس من الملامة.

وقالوا : خوف المستحى من تقصير يقع به عند من هو أفضل منه، وليس يوجد إلا فيمن كانت نفسه بصيرة بالجميل عن عيبه عنه.

وقالوا : كفى بالحياء على الخير دليلا، وعن السلامة مخبرا، ومن الذم مجيرا.

وقالوا : الحياء تمام الكرم، وموطن الرضى، وممهد الثناء، وموفر العقل، ومعظم القدر، وداع إلى الرغبة.

قال الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستحى فاصنع ما تشاء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاء
وما فى أن يعيش المرء خير
إذا ما الوجه فارقه الحياء

(اللحاء - بكسر أوله - ما يكون على أعواد الشجر وأصولها من غطاء، وهو قشرتها والذى فيه لها)

وقال أمية بن أبى الصلت يمدح ابن جدعان بالحياء :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى
حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرم
لك الحسب المؤثّل والثناء

وقالت ليلى الأخيلية تصف توبة بن الحُمَيِّر:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم
فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى كان أحيا من فتاة حيية
وأشجع من ليث بخفان خادر

(خفان : موضع قرب الكوفة، وهو مأسدة، كما قال ياقوت . والأسد الخادر: المقيم فى عرينه وهو خدره).

وقال الفضل بن عباس بن عتبة :

إنما أناس من سجيتنا
صدق الحديث ووأينا حتم
لبسوا الحياء فإن نظرت حسبتهم
سقموا ولم يمسسهم سقم

وقال الشماخ :

أجامل أقواما حياء وقد أرى
صدورهم تغلى على مراضها

وقال آخر :

حياءك فاحفظه عليك فإنما
يدل على فضل الكريم حياؤه

إذا قلَّ ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه

وقال آخر :

ورُبَّ قبيحة ما حال بيني
وبين ركوبها إلا الحياء
إذا رزق الفتى وجها وقاحا
تقلب في الأمور كما يشاء

وقال محمد بن حازم :

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا
وشتم ذوي القربى خلائق أربع :
حياء وإسلام وتقوى وأنني
كريم، ومثلي قد يضر وينفع

وقال آخر :

إياك أن تزدري الرجال فما
تعلم ماذا يجنه الصدف
نفس الجواد الكريم باقية
فيه وإن كان مسه عجف
والحر حر وإن ألم به الـ
ـضر وفيه الحياء والأنف

(العجف ـ بالتحريك ـ ذهاب السمن ، وبقاء الهزال من الجوع ، ويريد هنا أن الهزال يدركه من الجوع تعففا عن السؤال . والأنف ـ بالتحريك ـ كالأنفة ، وهما : الحمية والإباء) .

وقال آخر :

كريم يغض الطرف فضل حيائه
ويدنو وأطراف الرماح دواني
وكالسيف إن لاينته لان متنه
وحداه إن خاشنته خشنان

وقال العرجي :

إذا حرم المرء الحياء فإنه
بكل قبيح كان منه جدير
له قحة في كل شيء، وسره
مباح، وخدناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة
وللسمع منه في العظات نفور
ووجه الحياء ملبس جلد رقة
بغيض إليه ما يشين كثير
له رغبة في أمره وتجرد
حليم لدى جهل الجهول وقور
فَرَجُّ الفتى ما دام يحيا فإنه
إلى خير حالات المنيب يصير

(لباب الآداب / ٢٧٩ ـ ٢٨٧) .

ومن أحوال أدب الرياضة والاستصلاح التي ذكرها الإمام أبو الحسن البصري الماوردي حين تناول موضوع أدب النفس ما أورده عن الحياء إذ يقول عنه : اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في أمثالها : تخبر عن مجهوله مرآته وكما قال سلم بن عمرو الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه — في وجهه شاهد من الخير

فسمة الخير الدعة والحياء وسمة الشر القحة والبذاء وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا وكفى بالقحة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا وقد روى حسان بن عطية عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ: «الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» ويشبه أن يكون العي في معنى الصمت والبيان في معنى التشدق كما جاء في الحديث الآخر « إن أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار » وقال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه . وقال بعض البلغاء : حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه . وقال بعض البلغاء العلماء : يا عجبا كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي وتتقي من طول ما لا تتقي . وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حيـــاءك فـــاحفظــه عليك وإنمـــا
يـــدل على فعل الكـــريم حيــــاؤه

وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محظور فهو يقدم على ما يشاء ويأتي ما يهوى وبذلك جاء الخبر. روى شعبة عن منصور بن ربعى عن أبى منصور البدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى يا بن آدم إذا لم تستحى فاصنع ما شئت » وليس هذا القول إغراء بفعل المعاصى عند قلة الحياء كما توهمه بعض من جهل معانى الكلام ومواضعات الخطاب. وفى مثل هذا الخبر قول الشاعر:

إذا لم تخش عـــاقبـــة الليـــالى
ولم تستحى فـــاصنع مـــا تشـــاء
فـــلا والله مـــا فى العيش خيـــر
ولا الـــدنيـــا إذا ذهب الحيـــاء
يعيش المـــرء مـــا استحيـــا بخيـــر
ويبقى العـــود مـــا بقى اللحـــاء

واختلف أهل العلم فى معنى هذا الخبر. فقال أبو بكر ابن محمد الساسى فى أصول الفقه معنى هذا الحديث: أن من لم يستحى دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستحى المرء فإن الحياء يردعه. وسمعت من يحكى عن أبى بكر الرازى من أصحاب أبى حنيفة: أن المعنى فيه إذا عرضت عليك أفعالك التى هممت بفعلها فلم تستحى منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها فجعل الحياء حكما على أفعاله وكلا القولين حسن والأول أشبه لأن الكلام خرج من النبى ﷺ مخرج الذم لا مخرج الأمر. لكن قد جاء الحديث بما يضاهى القول الثانى وهو قوله ﷺ « ما أحببت أن تسمعه أذناك فأته وما كرهت أن تسمعه أذناك فاجتنبه » ويجوز أن يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الأول فى الحديث المتقدم أصح إذ ليس يلزم أن تكون أحاديث رسول الله ﷺ كلها متفقة المعانى بل اختلاف معانيها أدخل فى الحكمة وأبلغ فى الفصاحة إذا يضاد بعضها بعضا.

واعلم أن الحياء فى الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه: أحدها حياؤه من الله تعالى، والثانى حياؤه من الناس، والثالث حياؤه من نفسه. فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره. وروى ابن مسعود أن النبى ﷺ قال « استحيوا من الله عز وجل حق الحياء » فقيل يا رسول الله فكيف نستحيى من الله عز وجل حق الحياء قال «مَن حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء» (سبق أن أوردنا هذا الحديث من تيسير الوصول ٢ / ٢٢)وهذا الحديث من أبلغ الوصايا.

وقال أبو الحسن الماوردى مصنف الكتاب: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ذات ليلة فقلت يا رسول الله أوصنى فقال: استحى من الله عز وجل حق الحياء ثم قال: تغير الناس قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كنت أنظر إلى الصبى فأرى من وجهه البشر والحياء وأنا أنظر إليه اليوم فلا أرى ذلك فى وجهه. ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها وأذهلنى السرور عن حفظها ووددت لو أنى حفظتها فلم يبدأ بشىء ﷺ قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل وجعل ما سلبه الصبى من البشر والحياء سببا لتغير الناس وخص الصبى لأن ما يأتيه بالطبع من غير تكلف فصلى الله وسلم على من هدى أمته وتابع إنذارها وقطع أعذارها وواصل تأديبها وحفظ تهذيبها وجعل لكل عصر حظا من زواجره ونصيبا من أوامره أعاننا الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها بالتوفيق.

وقد روى أن علقمة بن علاثة قال يا رسول الله عظنى: فقال رسول الله ﷺ « استحى من الله تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك » وهذا الحياء يكون من قوة الدين وصحة اليقين ولذلك قال النبى ﷺ: « قلة الحياء كفر » يعنى من الله لما فيه من مخالفة أوامره. وقال ﷺ « الحياء نظام الإيمان فإذا انحل نظام الشىء تبدد ما فيه وتفرق ».

وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « من تقوى الله اتقاء الناس » وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال: لا خير فيمن لا يستحى من الناس، وقال بشار بن برد:

ولقـــد أصـــرف الفـــؤاد عن الشى
ء حيـــاء وحبُّـــه فى الســـواد
أمسك النفس بـــالعفـــاف وأمسى
ذاكـــرا فى غـــد حـــديث الأعـــادى

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء ولذلك قال ﷺ : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » يعنى والله أعلم لقلة مروءته وظهور شهوته . وروى الحسن عن أبى هريرة قال : قال ﷺ « إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه » . وقال بعض الشعراء :

ورب قبيحة ما حال بينى
وبين ركوبها إلا الحياء
إذا رزق الفتى وجها وقاحا
تقلب فى الأمور كما يشاء

وقال آخر :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات . وقال بعض الحكماء : ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك . وقال بعض الأدباء : من عمل فى السر عملا يستحيى منه فى العلانية فليس لنفسه عنده قدر . ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم فلم يجبهم وقال : إنى دخلت البارحة فى الأربعين وأنا أستحيى من سنى . وقال بعض الشعراء :

فسرى كإعلانى وتلك خليقتى
وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقال بعض الشعراء :

وإنى ليثنينى عن الجهل والخنا
وعن شتم ذى القربى خلائق أربع
حياء وإسلام وتقوى وإننى
كريم ومثلى من يضر وينفع

وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله . وقد قال الرياشى : يقال إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر:

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها
جعلتها للتى أخفيت عنوانا
وإننى لأرى من لا حياء له
ولا أمانة وسط القوم عريانا

(أدب الدنيا والدين / ٢٩٨ ـ ٣٠٢) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، وشرح متن الأربعين النووية للإمام يحيى بن شرف النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى ، بدون اسم الناشر وبدون تاريخ / ٧٧ ، ٧٨ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٩٠ ، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر ، صفر ١٤٠٩هـ / ٢١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢٢ ، ٢٣ ، ومكارم الأخلاق للحافظ ابن أبى الدنيا ـ تحقيق وتعليق مجدى السيد إبراهيم / ٣٤ ، ٤١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر / ٢٧٩ ـ ٢٨٧ ، وأدب الدنيا والدين لأبى الحسن الماوردى ـ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر / ٢٩٨ ـ ٣٠٢ . انظر أيضا الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى / ١٦٧ ـ ١٧٠ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ١٥٤ ـ ١٥٦ ، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ١٤٢ ـ ١٤٤ ، والأدب المفرد للإمام البخارى / ١٧٥ ـ ١٧٧ ، وشرح الأربعين حديثا النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٥٢ ، ٥٣) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من الموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد / ١٤٨ .

* **الحيات (جامع .):**

مسجد هام بمدينة سوريا يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجرى ، ويعرف أيضا باسم جامع أبى الفداء (وهو الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة) كما يعرف باسم جامع الدهشة ، وقد نقش على أحد أعمدة أروقة القبلة صورة حية ملتفة ولذلك سمى بجامع الحيات ولا يزال الجامع يحتفظ بالكثير من فسيفسائه الذهبية والمتعددة الألوان . كما لا يزال يحتفظ بلوحته التأسيسية التى جاء فيها : أمر بعمل هذا الجامع المبارك السلطان الملك المؤيد عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين ابن الملك المظفر تقى الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد / ١٤٠) .

انظر مادة « حلب » في م ١٤ / ٤٥٧ - ٤٧١) .

*** الحيات (جبل -) :**

قال عنه القزويني :

جبل الحيات بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها يموت إلا أنها لا تخرج من ذلك الجبل البتة .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١١٢) .

*** ابن حياتي (٧١٨ - ٧٨١ أو ٧٨٨ هـ) :**

ذكره ابن الخطيب في وفيات سنة ٧٨١ هـ وقال عنه :

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ :

توفي شيخنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن حياتي بمدينة فاس سنة إحدى وثمانين وسبعمائة وكان له تحقيق في النحو والقراءات وطلب منه بعض الناس أن يقرأ عليه « الجزولية » في النحو فأخذها الأستاذ في يده وقصد شيخنا ومفيدنا أبا العباس أحمد بن الشماع المراكشي لمعرفته بفن المنطق وقرأ عليه استفتاحها في الجنس والنوع وأنا حاضر ثم قرأها في عشية يومه وهذا من إنصافه وتحقيقه رحمه الله تعالى اهـ .

وابن حياتي هو محمد بن علي بن حياتي ، أبو عبد الله : فقيه ، مقرىء ، نحوي ، ولد سنة ٧١٨هـ ، ونشأ بغرناطة وقرأ بها على ابن الفخار وغيره ، وانتقل إلى فاس فأخذ بها عن أبي العباس اليفرني المكناسي وقاضي الجماعة ابن عبد الرزاق . قال التنبكتي : قال السراج في فهرسته : توفي يوم الخميس ثامن جمادى الأولى عام ثمان وثمانين وسبعمائة ، وقال ابن الخطيب القسنطيني توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ، وهو خلاف ما تقدم في وفاته والأول أشبه ... » انظر « نيل الابتهاج » / ٢٧٢ .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني - تحقيق عادل نويهض / ٣٧٥ وهامش ١ للمحقق) .

*** ابن حيان (٣٧٧ - ٤٦٩هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦م) :**

قال عنه الزركلي :

حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء ، أبو مروان ، مؤرخ ، بحاث ، من أهل قرطبة . كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس ، أفصح الناس بالتكلم فيه ، وأحسنهم تنسيقًا من كتبه « المقتبس في تاريخ الأندلس » مخطوط مجلدان منه ، ويقع في عشر مجلدات ، طبع جزء منه في سيرة الأمير عبد الله بن محمد الأموي بقرطبة وأحداث عصره وله « المبين » .

قالت المؤلفة : ذكره محمد عبدالله عنان في تراجمه باسم « المتين » (ص٢٧٦) وقال عنه إنه تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات في ضخامته ، وتصفه بأنه يقع في ستين جزءا اهـ. كذلك ذكره الدكتور إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب « المقتبس » (ص٨) باسم « المتين » ويقول إن حاجي خليفة صاحب كشف الظنون أورده بتحريف باسم « المبين » .

يقول الزركلي : وله كتاب في « تراجم الصحابة » وجد منه الجزء الثالث (الأعلام ٢ / ٢٨٩) .

يقول محمد عبد الله عنان بعد أن بسط القول في كتاب « المقتبس » مما ننقله لك في حرف الميم إن شاء الله تعالى :

ونحن نعرف أن ابن حيان قد كتب غير « المقتبس » مؤلفين آخرين هما « المتين » وهو تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات في ضخامته ، وتصفه بأنه يقع في ستين جزءًا ، وكتاب « المآثر العامرية » ، أو « أخبار الدولة العامرية » وهو أيضا مؤلف ضخم ، يقص فيه ابن حيان سيرة المنصور بن أبي عامر ، وتفاصيل غزواته ، ولو وصل إلينا هذا الكتاب أو بعض أجزائه لكان لدينا عن المنصور أعظم الروايات والوثائق ، لأن ابن حيان نشأ في أواخر عهد المنصور ، وكان أبوه ضمن وزراء المنصور ، ولكن لم يصلنا مع الأسف الشديد شيء منه . ولابن حيان فوق ذلك كتاب « البطشة الكبرى » ، وهو كتاب يتضمن تفاصيل سقوط دولة بني جهور أمراء قرطبة الذين خدمهم ابن حيان . ولم يصلنا شيء من هذه المؤلفات الأخيرة غير بعض الشذور القليلة التي نقلها الكتاب المتأخرون ، وقد كتب ابن حيان رسائل أخرى منها كتاب معرفة التابعين ، وهو فيما يبدو فصل من المقتبس ، وأخبار القضاة ، والجامع لمآثر بني خطاب . ولكننا لا نعرف شيئا عن هذه الرسائل أكثر من عناوينها .

وعاش ابن حيان أكثر من تسعين عاما ، وتوفي في اليوم

السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ (٣١ أكتوبر سنة ١٠٧٦م) ودفن بمقبرة الربض في جنوب شرقي قرطبة، على مقربة من نهر الوادي الكبير، وكانت مثوى العظماء والكبراء (تراجم شرقية وأندلسية ٢٧٦، ٢٧٧).

(الأعلام للزركلي ٢/٢٨٩، وتراجم إسلامية شرقية وأندلسية ـ محمد عبد الله عنان / ٢٧٦، ٢٧٧).

* **أبو حيان (٦٥٤ـ٧٤٥هـ / ١٢٥٦ـ١٣٤٤م):**

قال عنه صاحب إشارة التعيين:

الشيخ الإمام العلامة حجة العرب، سيبويه المتأخرين أثير الدين أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الأندلسي الغرناطي مولدا ومنشأ، شيخ البلاد المصرية (قدم الديار المصرية سنة ٦٧٩)، والشامية، انتهت إليه رياسة العربية في زمانه، وقصده الطلاب لعلم الإعراب، ووضع فيه المصنفات الباهرة، من مطولات زاهرة، ومختصرات فاخرة، أحرز بها الدار الآخرة، تنيف على الخمسين، أعجز بها من أعجز، ما بين مسهب وموجز، فمن ذلك: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم (يأتي الكلام عليه فيما بعد) والوهاج في اختصار المنهاج في مذهب الشافعي والتكميل لشرح التسهيل، ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، وشرح التسهيل (في بغية الوعاة: «التذييل والتكميل في شرح التسهيل») يدخل في عشرة أجزاء، وزهو الملك في نحو الترك، وكتاب الأسفار الملخص من كتاب الخفاف والصفار من كتاب سيبويه (في البغية: الإسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار)، والمبدع في اختصار الممتع، والموفور من شرح ابن عصفور، وغاية الإحسان في علم اللسان، وكتاب التذكرة في النحو، وهو كتاب كبير، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وعقد اللآلي في القراءات السبع العوالي (ذكر السيوطي أنها في القراءات على وزن الشاطبية وقافيتها)، والمورد الغمر في قراءة ابن عمرو، والأثير في قراءة ابن كثير، وغاية المطلوب في قراءة يعقوب، والحلل الحالية في الأسانيد العالية، والأمالي في شرح عقد اللآلي، والنكت الحسان في شرح غاية الإحسان، وكتاب الشذا في مسألة كذا، وغير ذلك، وله ديوان شعر، الأدب مقصور عليه (ذكر الفيروزابادي ارتشاف الضرب في علم لسان العرب، وهو أحسن مصنفاته).

قرأ عليه الجم الغفير، فبلغوا في الفضل ما هو للأثير (في البلغة «فبلغوا في الفضل ذروة الأثير»).

مولده في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة بمطخشارش (من أعمال غرناطة، وفي البلغة «مطخارش»). انظر بغية الوعاة، وطبقات ابن قاضي شهبة) من حصون غرناطة، كتب لي بخطه أبقاه الله، في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة إجازة بجميع ما يرويه وما صنفه، أحسن فيها غاية الإحسان، وقلدنيها أنواع الامتنان اهـ (إشارة التعيين / ٢٩٠ـ٢٩٢).

وقال عنه الداودي (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٩١، وقد ذكر نسبته النفزي بالزاي المعجمة وقال: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر):

نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه.

ولد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.

وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي، وأبي جعفر بن الزبير، وابن أبي الأحوص، وابن الصائغ، وأبي جعفر اللبلي. وبمصر عن البهاء بن النحاس، وجماعة.

وتقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز. من نحو أربعمائة وخمسين شيخا، منهم أبو الحسين بن ربيع، وابن أبي الأحوص، والرضي الشاطبي، والقطب القسطلاني، والعز الحراني.

وأجاز له خلق من المغرب والمشرق منهم الشرف الدمياطي، والتقي ابن دقيق العيد، والتقي ابن رزين، وأبو اليمن بن عساكر.

وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه. وفي التفسير والعربية. والقراءات، والأدب، والتاريخ واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته، كالشيخ تقي الدين السبكي، وولديه، والجمال الإسنوي،

وابن قاسم ، وابن عقيل والسمين ، وناظر الجيش ، والسفاقسي وابن مكتوم ، وخلائق .

قال الصفدى : لم أره قط إلا يسمع أو يشغل ، أو يكتب أو ينظر فى كتاب ، وكان ثبتا قيما ، عارفا باللغة ، وأما النحو والتصريف هو الإمام المجتهد المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره ، حتى صار لا يدركه أحد فى أقطار الأرض فيهما غيره .

وله يد طولى فى التفسير والحديث ، وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم ، خصوصا المغاربة وأقرأ الناس قديما وحديثا ، وألحق الصغار بالكبار ، وصارت تلامذته أئمة وأشياخًا فى حياته ، والتزم ألا يقرئ أحدًا إلا فى « كتاب سيبويه » ، أو «التسهيل» أو مصنفاته .

وكان سبب رحلته عن غرناطة أنه حملته حدة الشبيبة على التعرض للأستاذ أبى جعفر بن الطباع ، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبى جعفر بن الزبير واقعة ، فنال منه وتصدى لتأليف فى الرد عليه وتكذيب روايته ، فرفع أمره إلى السلطان ، فأمر بإحضاره وتنكيله فاختفى ، ثم ركب البحر ، ولحق بالمشرق .

وذكر هو فى كتاب « النضار » الذى ألفه فى ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته ، أن مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضى والطبيعى قال للسلطان : إنى قد كبرت وأخاف أن أموت ، فأرى أن ترتب لى طلبة أعلمهم هذه العلوم ، لينفعوا السلطان من بعدى .

قال أبو حيان : فأشير إلى أن أكون من أولئك .

قال الصفدى : وقرأ على العلم العراقى ، وحضر مجلس الأصبهانى ، وتمذهب للشافعى ، وكان أبو البقاء يقول : إنه لم يزل ظاهريا .

قال الحافظ ابن حجر : كان أبو حيان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه .

قال الأدفوى : وكان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم ، وكان ثبتا صدوقا حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ، ومال إلى مذهب أهل الظاهر وإلى محبة على بن أبى طالب ، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن وكان شيخًا طوالاً حسن النغمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون ، مشربا بحمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر .

وكان يعظم الشيخ تقى الدين بن تيمية ، ثم وقع بينه وبينه فى مسألة نقل فيها أبو حيان شيئا عن سيبويه ، فقال ابن تيمية : وسيبويه كان نبى النحو لقد أخطأ سيبويه فى ثلاثين موضعا من كتابه ، فأعرض عنه ورماه فى تفسيره « النهر » بكل سوء .

قال الصفدى : وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ، وهو الذى جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم فى قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لججها .

وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب : هذه نحو الفقهاء .

تولى تدريس التفسير بالمنصورية ، والإقراء بجامع الأقمر ، وكانت عبارته فصيحة ، لكنه فى غير القرآن يعقد القاف قريبا من الكاف .

وله من التصانيف : « البحر المحيط فى التفسير » ، «النهر» مختصره ، «إتحاف الأريب بما فى القرآن من الغريب» ، « التذييل والتكميل فى شرح التسهيل» ، « مطول الارتشاف ومختصره» مجلدان .

قال شيخنا الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى : ولم يؤلف فى العربية أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأقوال ، « التنخيل الملخص من شرح التسهيل» للمصنف وابنه بدر الدين ، « الإسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار» ، « التجريد لأحكام كتاب سيبويه» ، « التذكرة فى العربية » أربع مجلدات كبار ، «التقريب» ، « مختصر المقرب» ، « التدريب فى شرحه» ، «المبدع فى التصريف» ، غاية الإحسان » فى النحو « الشذا فى مسألة كذا » ، « اللمحة البدرية فى علم العربية » ، و«الشذرة» كلاهما فى النحو ، «الارتضاء فى الضاء والظاء» ، «عقد اللآلى فى القراءات» على وزن الشاطبية وقافيتها ، «الحلل الحالية فى أسانيد القرآن العالية» ، «نحاة الأندلس» ، « الأبيات الوافية فى علم القافية » ، « منطق الخرس فى لسان الفرس» ، « الإدراك للسان الأتراك » .

ومما لم يكمل «شرح الألفية » ، « نهاية الإغراب فى

التصريف والإعراب»، أرجوزة، «نور الغبش فى لسان الحبش»، «مجانى الهصر فى تواريخ أهل العصر» وله « ديوان شعر».

وحدث، فسمع منه الأئمة العلماء والحفاظ وغيرهم، وأضر قبل موته بقليل .

مات بالقاهرة فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية .

ومن شعره :

عداى لهم فضل على ومنة
فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها
وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

(طبقات المفسرين ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠) .

ذكره الكتانى فى مؤلفى كتب الفوائد الحديثية (الرسالة المستطرفة / ٧٥) كما ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة، وأورد قصيدة رثاء الصلاح الصفدى له، وننقلها لك فيما يلى : ويلاحظ أنه يستخدم ألفاظا تتصل بعلم النحو :

مات أثير الدين شيخ الورى
فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حسن نسيم الصبا
واعتل فى الأسحار لما سرى
وصادحات الأيك فى نوحها
رثته فى السجع على حرف را
يا عين جودى بالدموع التى
يروى بها ما ضمه من ثرى
واجرى دما فالخطب فى شأنه
قد اقتضى أكثر مما جرى
مات إمام كان فى علمه
يرى إماما والورى من ورا
أمسى منادى للبلا مفردا
فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هدى ظاهرا
فعاد فى تربته مضمرا
وكان جمع الفضل فى عصره
صح فلما أن قضى كسِّرا
وعُرف الفضل به برهة
والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا
يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه
وبين من أعرفه فى الورى
لا بدل عن نعته بالتقى
ففعله كان له مصدرا
لم يدَّغم فى اللحد إلا وقد
فك من الصبر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن
أمثلة النحو وممن قرا
ما عقل التسهيل من بعده
فكم له من عمره يسَّرا
وجسَّر الناس على خوضه
إذ كان فى النحو قد استبحرا
من بعده قد حال تمييزه
وحظه قد رجع القهقرى
شارك من ساواه فى فنه
وكم له فن به استأثرا
دأب بنى الآداب أن يغسلوا
بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه
والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده
يلغى الذى فى ضبطها قُررا
تفسيره البحر المحيط الذى
يهدى إلى وارده الجوهرا

فـــوائد مـن فضلـــه جمـــة
عليـــه فيهـــا نعقـــد الخنصـــرا
وكـــان ثبتـــا نقلـــه حجـــة
مثـل ضيـــاء الصبـح إذ أسفـــرا
ورحلـــة فـي سنـــة المصطفى
أصـــدق من تسمع إن خبـــرا
لـــه الأسـانيـــد التى قـــد علت
فـاستسفلت عنهـــا ســوامى الـــذرا
ســـاوى بهـــا الأحفـــاد أجـــدادهـم
فـاعجـب لمـاض فـاتــه مـن طـــرا
وشـــاعـــرا فـى نظمـــه مفلقـــا
كـم حـــرر اللفـظ وكـم حبـــرا
لـــه معـــان كلمـــا خطهـــا
تستـــر مـــا يـــرقـم فـى تستـــرا
أفـــديـه من مـــاض لأمـــر الـــردى
مستقبـــلا من ربـــه بـــالقـــرى
مـــا بـــات فـى أبيض أكفـــانـــه
إلا وأضحـى سنـــدســـا أخضـــرا
تصـــافح الحـــور لـــه راحـــة
كـم تعبت فـى كـل مـــا سطـــرا
إن مـــات فـالـــذكـــر لـــه خـالـــد
يحيـــا بـــه مـن قبـل أن ينشـــرا
جـــاد ثـــرى واراه غيث إذا
مســـاه بـــالسقيـــا لـــه بكـــرا
وخصـــه مـن ربـــه رحمـــة
تـــورده فـى حشـــره الكـــوثـــرا

أما عن تفسير أبى حيان « البحر المحيط» فقد أدرجه الشيخ مناع القطان فى الكتب المؤلفة فى التفسير بالرأى وقال عنه :

ويقع هذا التفسير فى ثمانى مجلدات كبار، وهو مطبوع متداول، ويهتم أبو حيان فيه بذكر وجوه الإعراب، ومسائل النحو، ويتوسع فى هذا فيذكر الخلاف بين النحويين، ويناقش ويجادل، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير.

وينقل أبو حيان فى تفسيره كثيرا من تفسير الزمخشرى وتفسير ابن عطية . ولا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها كثيرا بالرد، ويحمل على الزمخشرى أحيانا حملات قاسية، وإن كان يشيد بما له من مهارة فائقة فى تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه .

ولا يرضى أبو حيان عن اعتزاليات الزمخشرى فينقدها ويردها بأسلوب ساخر، ويعتمد فى أكثر نقوله على كتاب «التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير» وهو لشيخه : جمال الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان المقدسى المعروف بابن النقيب، ويذكر أبو حيان عنه أنه أكبر كتاب صنف فى علم التفسير، يبلغ فى العدد مائة سفر أو يكاد (مباحث فى علوم القرآن / ٣٢٩) .

(إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٢٩٠ ـ ٢٩٢ وقد وضعنا هوامش المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وطبقات المفسرين للداودى بتحقيق على محمد عمر ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩١، والرسالة المستطرفة للكتانى / ٧٥، وحسن المحاضرة للسيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٦؛ ومباحث فى علوم القرآن ـ مناع القطان / ٣٢٩ ـ ٣٣٢ انظر أيضا نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٦٦، والأعلام للزركلى ٧/ ١٥٢ وقد أدرجه تحت عنوان « أبو حيان النحوى ») .

له ترجمة فى الأعلام ٨/ ٢٦ وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٥ والبلغة/ ٢٠٣ والبدر الطالع ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩١ والدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢ ـ ٣١٠ وشذرات الذهب ٦/ ١٤٥ ـ ١٤٧ وطبقات الشافعية ٦/ ٣١ ـ ٤٤ (ط الحسينية) وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ١٥٣ ـ ١٥٧ وطبقات القراء ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٥ وكشف الظنون / ٥ و ٦ و ٤٩ و ٦١ و ١٥٣ و ٢٦٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٦٢ و ٣٩٣ و ٤٠٥ و ٦٨٨ و ٧١٧ و ٩١٨ ومعجم الثقافة ٦١٩٤١٢ ص ١٤ و ١٦ و ١٩ لمحمد عبد الغنى حسن، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١٣٠ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١١١ ـ ١١٥ ونفح الطيب ٩/ ٣٣١ وهدية العارفين ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣، وذيل طبقة الحفاظ / ٢٣، وذيل العبر / ٢٤٥، والمقفى ورقة ٢٤١ .

(إشارة التعيين / ٢٩٠ هامش المحقق) .

قالت المؤلفة : بالنسبة لكتاب أبي حيان « اللمحة البدرية فى علم العربية » عندى كتاب بعنوان « شرح اللمحة البدرية فى علم العربية » لأبى حيان الأندلسى - ابن هشام الأنصارى - تحقيق وشرح وتعليق وتبويب د. صلاح رواى . الناشر هو المؤلف سنة ١٩٨٤ .

* **أبو حيان الأندلسى :**

انظر : أبو حيان .

* **أبو حيان التوحيدى (- نحو ٤٠٠ هـ / - نحو ١٠١٠ م) :**

هو أبو حيان على بن محمد بن أحمد بن العباس البغدادى المعروف بالتوحيدى ، شيرازى الأصل ، وقيل واسطى ، وقيل نيسابورى .

فيلسوف ، متصوف معتزلى ، نعته ياقوت الحموى بشيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ، وإمام البلغاء . تفقه على القاضى أبى حامد المروروزى ، وسمع الحديث من أبى بكر اليافعى وأبى سعيد السيرافى وجعفر الخلدى ، ولعله أخذ عنه التصوف ، وغيرهم . ولد فى شيراز أو فى نيسابور ، وأقام ببغداد مدة ثم انتقل إلى الرى ، فصحب أبا الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد ، فلم يحمدهما ، وصنف فى مثالبهما كتاب « مثالب الوزيرين » . ثم وشى به إلى الوزير الحسن بن محمد المهلبى (٢٩١ - ٣٥٢هـ) فاستتر منه ومات فى استتاره نحو سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠م عن نيف وثمانين عاما وقبل موته أحرق كتبه ضنا بها ، قال ابن الجوزى « نادقة الإسلام ثلاثة : الراوندى ، والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى ، وشرهم على الإسلام التوحيدى لأنهما صرحا ولم يصرح » . وقال الذهبى : « كان سيىء العقيدة ، كذابا ، قليل الدين والورع عن القذف و المجاهدة بالبهتان والقدح فى الشريعة » . وذكره السبكى فى طبقاته وقال : «والحامل للذهبى على الوقيعة فيه مع ما يبطنه من بغض الصوفية هذان الكلامان - يعنى كلام ابن الجوزى والصاحب كما فى الكفاة - ولم يثبت عندى إلى الآن من حال أبى حيان ما يوجب الوقيعة فيه ، ووقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا أنه كان قوى النفس مزدريا بأهل عصره ، ولا يوجب هذا أن ينال هذا النيل منه » وقال ابن النجار : « كان صحيح العقيدة » (طبقات الشافعية / ١١٤ - ١١٥) .

وكان أبو حيان التوحيدى من تلاميذ أبى سعيد السيرافى كما سبق القول - ويعد ما كتبه أبو حيان ورواه عن أبى سعيد أهم ما قيل فى التعريف بشيخه ، وقد وصف شيخه بالإمام ، وهو الذى سجل مناظرته مع متى بن يونس . وذكر أيضا أنه قرأ عليه شرح كتاب سيبويه (أخبار النحويين البصريين للسيرافى / ١٧) .

ويعد التوحيدى من أعظم أدباء العربية ، وأسلوبه من السهل الممتنع وله قطعة كتبها على لسان شيخ الشونيزية ببغداد يقلد بها شطحات الصوفية فى غاية الإمتاع والظرف (محاضرة الأبرار ١ / ١٠ نقلا عن معجم الأدباء وبغية الوعاة / ٣٤٨ وميزان الاعتدال ٣ / ٣٥٥) .

آثاره :

لم تبق يد الحدثان من آثار التوحيدى إلا النزر القليل . وقد أورد ياقوت فى معجمه ثبت كتب التوحيدى فبلغت سبعة عشر كتابا ، وبالرغم من أن هذا الثبت لم يستوف جميع آثار التوحيدى فقد صار عمدة لجميع من ذكروا هذه الآثار ، ومن المعلوم أن التوحيدى أحرق فى أواخر حياته كتبه - كما سبق القول - ولا ندرى هل كان فقدان أكثر آثاره ناتجا عن هذه الفعلة ، غير أن السيوطى وطاش كبرى زاده يعتقدان « أن النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه فى حياته ، وخرجت من قبل حرقها » (بغية الوعاة / ٣٤٨ ، مفتاح السعادة ١ / ١٨٨) .

ومهما يكن من أمر فإن ما تبقى من آثاره يدل على حياة فكرية خصبة ، وفعالية وافرة فى التأليف .

(أ) الآثار الأدبية :

- الإمتاع والمؤانسة (يأتى الكلام عليه فيما بعد) .
- الصداقة والصديق .
- الهوامل والشوامل .

بصائر القدماء وسرائر الحكماء (المعروف بالبصائر والذخائر) .

- مثالب الوزيرين .
- « النوادر » : كتاب مفقود ، ذكره التوحيدى نفسه فى المقابسات .

ـ « تقريظ الجاحظ » : وردت منه مقتطفات فى معجم الأدباء فى ترجمة أحمد بن داود الدينورى وأبى سعيد السيرافى .

ـ « رسالة الحنين إلى الأوطان » : ذكرها صاحب معجم الأدباء .

ـ « رسالة فى علم الكتابة » : نشرها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع « ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى» .

وتعتبر هذه الرسالة من أمتع وأقدم ما نشر عن الخطوط العربية وقواعدها وأنواعها . وكان التوحيدى بحكم مهنة الكتابة والوراقة معنيا بهذه الصناعة مطلعا على دقائقها وأسرارها .

(ب) الآثار الفلسفية :

ـ المقابسات .

ـ « رسالة فى ضلالات الفقهاء فى المناظرة » .

ـ « المحاضرات والمناظرات » : وردت مقتطفات منه فى المسامرات والمحاضرات لابن العربى ، ومطالع البدور للغزولى وذكره ياقوت مرة تحت عنوان « محاضرات العلماء» معجم الأدباء ١/ ٥٨ ، ٨/ ١٥٢ .

ـ « الإقناع » : ذكره صاحب كشف الظنون (ص٥٢) .

ـ « التذكرة التوحيدية » : ذكره صاحب غرر الخصائص الواضحة / ٣٣ .

(جـ) الآثار الصوفية :

ـ « الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » : مخطوط فى جزأين ، حفظ الجزء الأول منه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٧ تصوف ، وطبعه د . عبد الرحمن بدوى فى القاهرة سنة ١٩٥٠) كتب سنة ٤٧١ هـ ، وله مختصر مخطوط فى مكتبة برلين (فهرست إهلوارد رقم ٢٨١٨) ، والكتاب مؤلف من ٥٤ رسالة فى المواعظ والأدعية الصوفية « المستحسنة البليغة » (شرح نهج البلاغة ٣/ ٨٨) الموجهة إلى مريدى التوحيدى وطلابه ، وقد ألفه فى الدور الأخير من حياته أى بعد أن تجاوز الستين بل السبعين من عمره وهدأت ثورة نفسه الجامحة ، وجنح إلى حياة روحية صرفة هدفها الاتجاه نحو الله منبع الخير والحق والجمال والنظر إليه بعين العقل المجرد والقلب المضاء بالإيمان المطلق والوجه الصوفى المحرق (يأتى المزيد عنه فيما بعد) .

ـ « الحج العقلى إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى » : كتاب مفقود ، ذكره ياقوت ، ويقول صاحب روضات الجنات : « إن كتاب الحج العقلى نظير ما كتبه حسين بن منصور فى كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه المخذولة ، فصار عمدة السبب فى قتله» ويقول مارغليوت : « إن عنوان الكتاب يوحى بالزندقة التى قتل من أجلها الحلاج » .

ـ « الزلفى » : ذكره صاحب معجم الأدباء ، وذيل تجارب الأمم .

ـ « رياض العارفين » : ذكره صاحب معجم الأدباء .

ـ « رسالة فى أخبار الصوفية » : ذكرها صاحب معجم الأدباء ، ونظيرها « الرسالة القشيرية » التى ألفها القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وحاول فيها الدفاع عن التصوف والتوفيق بينه وبين السنة ، والظاهر أن غرض التوحيدى من رسالته محاربة البدع التى طرأت على الطريقة « لكثرة الدخلاء فيها ، كما لحق البلاغة لكثرة مدعيها» فأبعدها عن مناهج السنة .

ـ «رسالة الحياة » : طبعها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى . دمشق ١٩٥١ .

د ـ كتب التراجم والجدل .

ـ رسالة فى بيان ثمرات العلوم . ذكرها بروكلمان تحت عنوان « رسالة فى وصف العلوم » ملحق ١/ ٤٣٦ ونشرتها مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة تحت عنوان « رسالة أبى حيان فى العلوم» .

ـ « رسالة الإمامة » (المعروفة برواية السقيفة) : طبعها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى . دمشق ١٩٥١ .

ألف التوحيدى هذه الرسالة لمواجهة جماعات الرافضة الذين رفضوا رأى الصحابة فى الشيخين ، وفضلوا عليًّا عليهما ، وجرت بينهم وبين أهل السنة أحداث وأهوال .

إن هذه الرسالة التى أظهر فيها التوحيدى مقدرته البيانية وفهمه لنفسية الناس واطلاعه على الأحداث ذات الرجع الخطير فى تاريخ الإسلام ، كانت هدفا لهجوم واستهجان

عنيفين من قبل السنيين والشيعة على السواء، فألصقوا به تهمة الافتعال والانتحال والتطاول على الأئمة الكبار، وما كان نسبتها إلى أستاذه أبى حامد المروروزى إلا تخلصا لما قد يلحقه من الأذى.

ـ « المناظرة بين أبى سعيد السيرافى ومتى بن يونس القُنّائى : عن المفاضلة بين النحو العربى والمنطق اليونانى كما رواها التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة طبع هذه الرسالة على حدة المستشرق مارغليوث، وقد صدرها بملاحظات عن حال المتناظرين وعلمهما ومنزلة الرواية من الصحة أو الريب، وألحق المناظرة بترجمتها الإنكليزية .

(هـ) كتب مجهولة المضمون :

ـ « الرسالة البغدادية » : ذكرها صاحب معجم الأدباء (معجم الأدباء ١٥ / ٧) .

ـ « رسالة لأبى بكر الطالقانى » : رواها عن أبى حيان التوحيدى . ذكرها بروكلمان (ملحق ١/ ٤٣٦ . راجع فهرست مكتبة بريل رقم ٣٦٠ ليدن ١٨٨٣) .

ـ « رسالة إلى أبى الفضل بن العميد » : ذكرها بروكلمان (ملحق ١/ ٤٣٦) .

(أبو حيان التوحيدى / ٣٧ـ ٥١) .

وقد اختلف اختلافا كثيرا فى سنة وفاته فقال السيوطى وطاش كبرى زاده وابن شاكر: توفى سنة ٣٨٠، وقال الذهبى والبغدادى فى إيضاح المكنون والفيروزابادى فى البلغة / ١٤٥ إنه مات سنة ٤٠٠، وقال حاجى خليفة إنه مات سنة ٤١٤

أما عن كتاب « الإمتاع والمؤانسة » فهو مطبوع فى ثلاثة أجزاء صدرت على التوالى فى السنوات ١٩٣٩، ١٩٤٢، ١٩٤٤ بالقاهرة ، ويتضمن أحاديث شتى سامر بها التوحيدى الوزير البويهى ابن العارض . وقد قسم التوحيدى كتابه إلى أربعين ليلة على غرار ألف ليلة وليلة مع الفرق بين الكتابين وهو أن موضوعات الإمتاع عقلية وواقعية ، وموضوعات ألف ليلة قصصية خيالية . ففى بدء كل ليلة يقترح ابن العارض بعض المسائل الأدبية واللغوية والفلسفية أو العلمية ، وهى على الغالب بنت ساعتها ، أو مما كان يدور فى خلد الوزير، « ويتردد فى نفسه » أو مسوقة بتداعى الخواطر، فكان على التوحيدى ارتجال الجواب عن غير سابق أهبة واستعداد كما طلب منه مرة المفاضلة بين العجم والعرب مما دعاه إلى الخوض فى قضايا الحضارات القديمة والفلسفة التاريخية ، وأخرى إلى البحث فى موضوع الإرادة والاختيار والمحبة والشهوة ، والحساب والبلاغة ، والنظم والنثر، وقد يطلب ابن العارض من محدثه أن تكون فاتحة الحديث منه ، أو يدفع إليه برقعة فيها أسئلة تقتضى التفكير واستشارة أرباب المعرفة ، أو يطلب إليه « جمع أشياء كان يسمعها من أهل العلم والأدب» لتكون موضوع مناقشة وتعليق .

وقد درج ابن العارض فى نهاية كل جلسة على طلب ملحة الوداع ، وهى عادة أبيات من الشعر، أو حكمة مأثورة ، أو عظة خلقية (أبو حيان التوحيدى / ٣٧ ، ٣٨) .

يوجد مخطوطه المصور بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

أوله : مبتور الأول ، وأول الموجود منه : وقال فى وقت آخر : قد بلغنى أن الخالع ... فتحسس لى جهدك، وجرد فيها مخبتك، وأظن الخالدى قد مالأه، ولست آمن ابن الجلباب، فإن هؤلاء الثلاثة أثافى العيوب، وجماع المخازى ولهم اللسان العضب، والوجه الصفيق، ولأمر ما قال الناصح: لا تصحبن شاعرا فإنه يهجوك مجانا ...

وآخره : وآخر ما أقول : افعل ما ترى ، واصفح ما تستحسن، وابلغ ما تهوى فليس والله منك بد، ولا عنك غنى، والصبر عليك أهون من الصبر عنك لأن الصبر عنك مقرون باليأس، والصبر عليك ربما أدى إلى رفع هذا الوسواس، تم الجزء الثانى، وهو الثالث من التجزئة وبتمامه تم جميع الكتاب .

وهو نسخة جيدة بقلم نسخى واضح، جميل، ومضبوط بالشكل، كتبت فى القرن السابع .

٢٣٥ ورقة ١٥ سطرا

(امبروزيانا ٨٦)

(فهرس المخطوطات المصورة / ٦٥ ، ٦٦) .

كما توجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى : قال واضعا الفرس :

الأول : (نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ، ووصل إلى الخيرات الآخرة من كان من الزاهدين ...) .

نسخة خزائنية نفيسة كتبها لخزانة السلطان سليمان بن غازى بن محمد بن أبى بكر الأيوبى سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م شرف بن أميرة فى حصن كيفا .

صفحة العنوان مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية، كتب العنوان فى أعلى الصفحة ، وداخل شريط مزخرف، وفى الوسط دائرة تحيط بها زخارف نباتية وأزهار، وكتب داخل الدائرة اسم الخزانة التى أهديت لها هذه النسخة .

قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى فى نفس سنة النسخ فى أولها فهرس، دفتا الغلاف عليها آثار زخارف .

تتضمن الجزء الأول من الكتاب .

الرقم : ١٠٠٤٨ .

٤٢٨ ص . ٢٦ × ١٨ سم . ١٥ س .

معجم المؤلفين ٧ / ٢٠٥ ، كشف ١ / ١٦٧ .

طبع بتحقيق إبراهيم الكيلانى وكذلك طبع بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وصدر بالقاهرة سنة ١٩٥٣م عن لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد اعتمد المحققان على نسختين. الأولى نسخة إستانبول. الجزء الأول منها غير مضبوط والجزء الثانى منها يكمل نسخة خزائنية كتبت لخزانة السلطان سليمان ، أما النسخة الثانية فهى نسخة ميلانو تتألف من قطع ثلاث وهى مشوشة وغير مرتبة .

ومن هنا يتبين أن نسختنا الخزائنية التى تتضمن الجزء الأول تكمل النسخة الخزائنية الموجودة فى استانبول ويمكن أن يعاد تحقيق الكتاب على نسختنا ونسخة إستانبول المتكاملتين (مخطوطات الأدب / ٤٧ ، ٤٨) .

وأما كتاب « الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » فيقول عنه د. عبد المنعم الحفنى إنه ربما ينتمى للمرحلة الأخيرة من عمره، وإنه كتبه للتعبير عن توبته . ثم يقول :

والكتاب درة من درر الآداب العالمية نهج فيه التوحيدى على منهج المناجاة وليس نظير فى ذلك إلا كتاب مناجاة الفرد الكامل للصدر القونوى، ويوجه فيه الخطاب إلى الله، ومن ذلك قوله : اللهم إنا نسألك ما نسأل لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك وحسن أفعالنا معك وسوالف إحساننا قبلك، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعا فى رحمتك الواسعة . نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك ومعرفة لا يخالطها إنكار. وإن كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة، فنسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك فتشمت بنا من لم تكن له هذه الوسيلة إليك . يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الأستار، ويا واهب الأعمار، ويا منشىء الأخبار، ويا مولج الليل فى النهار، ويا مصافى الأخيار، ويا مدارى الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار والعار. عد إلينا بصفحك عن زلاتنا، وأنعشنا عند تتابع صرعاتنا وخطر حالنا معك فى اختلاف سكراتنا وصحواتنا، وكن لنا وإن لم نكن لأنفسنا، لأنك أولى بنا، فامزج خوفنا منك برجائنا فيك . وإذا غلب علينا يأسنا منك، فتلقه بالأمل فيك . بشرنا عند توجهنا نحوك بالوصول إليك . متعنا بالنظر إلى نور وجهك . أسبغ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك! (الموسوعة الصوفية / ٨٧ ، ٨٨) .

له ترجمة فى الأعلام ٤ / ٣٢٦ ، وأمراء البيان لمحمد كرد على ٢ / ٤٨٨ ، « دائرة المعارف الإسلامية » مجلد ١ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ وما بها من مراجع ، و « معجم الأدباء » ١٥ / ٥ وما بعدها ، و« طبقات الشافعية» للسبكى ٥ / ٢٨٦ وما بعدها ، و«بغية الوعاة » ٢ / ١٩٠ ت ١٧٦٧ ، و «ميزان الاعتدال » ٣ / ٣٥٥ ، و« لسان الميزان» ٦ / ٣٦٩ ، و« مفتاح السعادة» ١ / ١٨٨ ، والبلغة (على بن أحمد) ١٤٣ ، والبلغة أيضا (على بن محمد) / ١٦٢ ، وشد الإيزار للشيرازى / ٥٣ ـ ٥٤ ، وكشف الظنون / ١٤٠ ، ١٦٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ١٧٧٨ ، وكنوز الأجداد لمحمد كرد على / ٢٢١ ـ ٢٣٢ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٠٥ ، وهدية العارفين / ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٧٩ (إشارة التعيين / ٢٢٦) .

(الطبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى ـ حققه وعلق عليه عادل نويهض. دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م / ١١٤ ، ١١٥ ، وأبو حيان التوحيدى ـ د. إبراهيم الكيلانى / ٣٧ ـ ٥١ ، وأخبار النحويين البصريين . لأبى سعيد السيرافى ـ تحقيق د. محمد إبراهيم البنا / ١٧ ، ومحاضرة الأبرار لمحيى الدين بن عربى ـ تحقيق محمد مرسى الخولى. نوابغ الفكر العربى (٢١) دار المعارف. القاهرة . الطبعة الرابعة ١ / ١٠ هامش ٢ للمحقق ، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ، الأدب جـ ١ ق ٢ . القاهرة ١٩٧٩م / ٥٦ ، ٦٦ ، ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى /

٤٧ ، ٤٨ ، والموسوعة الصوفية ــ د. عبد المنعم الحفني/ ٨٧ ، ٨٨ ، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ـ تحقيق د. عبد المنعم دياب / ٢٢٦ ، انظر أيضا « مواقف لأبي حيان التوحيدي ونظراته الاجتماعية واللغوية » ـ محمد إحسان النص . المجلة العربية للعلوم الإنسانية . جامعة الكويت . م٢ العدد٨ ، خريف ١٩٨٢م/ ١٢٥ ، ١٢٦ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ٣/ ٧٦ ، ٧٧ وفيه (ص٧٦) قول ابن حجر: « ويحتمل أن ينسب إلى التوحيد الذى هو الدين ، فإن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد » ، والأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٦ ، وأعلام التراث الإسلامي ــ د. عبد الفتاح محمد الحلو / ٥١ ـ ٥٤) .

*** أبو حيان الغرناطي :**

انظر : أبو حيان .

*** الحياة :**

من صفات المعاني الواجبة لله تعالى : قال سيدى أحمد الدردير صاحب الخريدة رحمه الله :

حيـاتـه وقـدرة إرادة

وكـل شـيء كـائن أراده

حياة الله : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة اتصافه تعالى بنحو الإرادة والعلم ، فالاتصاف بالحياة شرط للاتصاف بنحو هذه الصفات .

الدليل على وجوب صفة الحياة لله : أنه قد وجب اتصاف الله بالإرادة والعلم فوجب اتصافه بالحياة لأنه لا يتصف بهذه الصفات إلا من اتصف بالحياة ، ولك أن تقول في الاستدلال: إذ لو لم يتصف المولى بالحياة ما اتصف بنحو العلم والسمع . إذ يستحيل أن يكون غير الحي عالما سميعا ، لكن وجب اتصافه تعالى بهذه الصفات فوجب اتصافه بصفة الحياة ، قال تعالى : ﴿ **وتوكل على الحى الذى لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾ [طه : ١١١] ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ [آل عمران : ٢] (توضيح العقيدة المفيد ٦ ، ١٠) .

وقال الإمام إبراهيم اللقاني صاحب الجوهرة رحمه الله :

وغيـر علم هـذه كمـا ثبت

ثـم الحيـاة مـا بشيء تعلقت

والمعنى أن الحياة لا تتعلق بشيء أى أمر موجود أو معدوم ، فالمراد بالشيء هنا المعنى اللغوى الشامل للموجود والمعدوم ويصح أن يكون المراد به المعنى الاصطلاحي . ويقال : إذا كانت لا تتعلق بالموجود فأولى أن لا تتعلق بالمعدوم ، فليست الحياة من الصفات المتعلقة لأنها صفة مصححة للإدراك أى مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا تقتضي أمرا زائدا على قيامها بمحلها ، ومثل الحياة الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات الذاتية (المختار من شرح البيجوري على الجوهرة / ١٠٣ ، ١٠٤) .

وقال الشيخ معروف النودهي عن صفة الحياة بالنسبة لله تعالى ، في منظومته على العقائد النسفية ، وهى الموسومة بالفرائد في علم العقائد :

أقـدم الكـلام في الحيـاة

فهى إمـام سـائر الصفـات

ليس لهـا بـدونهـا تحقق

ومـا لهـا بممكـن تعلق

والحق قـد جل عن الـروح وعن

حيـاتـه بهـا ونفس وبـدن

(الأعمال الكاملة ٥/ ٩٠) .

وقال صاحب كفاية الغلام في أركان الإسلام الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي رحمه الله في البيت ١٥ من منظومته :

حـي عليمٌ قـادرٌ مـريـدُ

فـي خلقـه يفعل مـا يـريـد

(رشحات الأقلام/ ٣٢) .

ويفرد الإمام البيهقي بابا في ما جاء في إثبات صفة الحياة لله تعالى جاء فيه ما يلي :

قال الله عز وجل ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ **الٓمٓ * الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] وقال جل جلاله : ﴿ **هو الحى لا إله إلا هو** ﴾ [غافر: ٦٥] وقال تبارك وتعالى : ﴿ **وتوكل على الحى الذى لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] وقال جلت عظمته ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾ [طه : ١١١] أخبرنا أبو عبد الله

محمـد ابن عبـد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمـد بن يعقوب ثنـا محمـد ابن النضـر الجارودى ثنـا عبـد الـوارث بن عـبد الصمـد بن عبـد الـوارث حدثنى أبى ثنـا حسين المعلم ح . وأخبر أبو عبـد الله قال أخبرنى أبو أحمـد الحسين بن على ثنا محمد بن إسحـاق بن إبراهيم ثنـا أبو يحيى ثنـا أبو معمـر ثنا حسين حدثنـى عبد الله بن بريـدة حدثنى يحيى بـن يعمر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ كان يقول اللهم لك أسلمت وبـك آمنت وعليك تـوكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والإنس يموتون » رواه البخارى فى الصحيح عـن أبى معمـر، ورواه مسلم عـن حجـاج بن الشاعر عن أبى معمر .

أخبرنـا أبـو الحسين محمـد بـن الحسين بن محمـد بن الفضل القطان ببغداد أنا محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار ثنا ابن أبى خيثمـة ثنا موسى بن إسماعيل ثنـا حفص بن عمر الشنى ـ وكان ثقـة ـ حدثنى أبو عمر بن مـرة قال سمعت بلال ابن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبى يحدثنى عن جـدى أنـه سمع النبى ﷺ يقـول : « من قـال استغفـر الله الـذى لا إلـه إلا هـو الحى القيـوم غفـر لـه وإن كـان فـر من الزحف» أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن على المقرى أنا الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراينى ثنا يوسف بن يعقوب ثنا عبد الله بن محمـد بن أسماء أنا مهدى بن ميمون ثنا عمرو ابن دينار قال سمعت سالم بن عبد الله يذكر عن أبيه عن عمر رضى الله عنـه قـال قال النبى ﷺ : « مـن مر بسـوق من هـذه الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شـريك له له الملك وله الحمـد يحيى ويميت وهو حى لا يمـوت ، بيـده الخير وهـو على كل شىء قـديـر، كتب الله تعالى لـه ألف ألف حسنـة ، ومحى عنـه ألف ألف سيئة ، وبنى لـه بيتا فى الجنـة » تابعـه أزهـر بن سنان عـن محمد بن واسع عن سـالم بن عبـد الله ، أخبرنـا أبو عبـد الله الحافظ وأبـو يعلى حمزة بـن عبد العـزيز الصيدلانى قالا : أنا أبو عبـد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو بكر بن أبى الـدنيا ثنا الحسن بن الصباح وغيره قـالوا : ثنا زيد بن الحباب حدثنى عثمان بن موهب قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول قـال رسول الله ﷺ لفاطمة رضى الله عنهـا : « مـا يمنعك أن تسمعى مـا أوصيك بـه أن تقـولى إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حى يا قيـوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين » .

أخبرنا أبـو عبد الله الحافظ أنا عبد الله الصفار ثنـا أبو بكر ابن أبى الـدنيا ثنـا أبو خيثمة ثنـا أبو معـاوية عن عبيـد الله بن الوليـد عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخـدرى رضى اللهعنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فـراشه : أستغفر الله الذى لا إلـه إلا هو الحى القيوم وأتـوب إليه ، كفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » . وقد مضى بإسناد آخر أصح من هـذا . ورويناه بإسنـاد آخـر فى الدعـوات . أخبرنـا محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بـن محمد الدورى ثنـا عمر بن حفص بن غيـاث عن أبيه عن عبـد الرحمن بن إسحاق عن القـاسم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ كان إذا نزل به كرب قال : «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث » وقـد قيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القـاسم بن عبد الرحمن عن أبيـه عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وهذا مع إرساله أصح . أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغـداد أنا أبو على الحسين بـن صفوان ثنا أبـو بكر بن أبى الدنيا ثنـا القاسم بن هشام ثنا الخطـاب بن عثمان ثنا ابن أبى فديك حدثنى سعد بن سعيد حدثنى أبو بكر إسماعيل بن أبى فديك قال قال رسول الله ﷺ : « ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل عليـه السلام فقـال : يا محمد قل تـوكلت على الحى الذى لا يمـوت ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولـدا ولم يكن له شـريك فى الملك ولم يكن لـه ولى من الـذل وكبـره تكبيـرا » هكذا جـاء منقطعا . وأخبرنـا أبو الحسين أنا أبـو على ثنا ابن أبى الدنيا حدثنى هارون بن سفيان حدثنى عبيد الله بن محمد القرشى عن نعيم بن مورع عن جويبر عن الضحاك قال : دعا موسى عليه السـلام حين توجه إلى فرعـون ، « ودعا رسول الله ﷺ يوم حنين ، ودعا : لكل مكروب كنت وتكون وأنت حى لا تموت ، تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم : يا حى يا قيوم » أخبـرنا أبو نصر بن قتادة أنا على ابن الفضل بن محمد بن عقيـل الخزاعى أنا جعفـر بن محمد المستفاض الفريابى ثنا محمـد بن عبد الأعلى ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان

من دعاء النبي ﷺ يـا حي يا قيوم » (الأسماء والصفات / ١٣٧ - ١٤١) .

ويبسط التهانوى صاحب كشاف اصطلاحات الفنون الكلام على الحياة فيقول :

الحياة بالفتح ضد موت والحي كما في الصراح ومفهومه بديهى فإنه من الكيفيات المحسوسة وقال ابن سينا ماهيات المحسوسات غنية عن التعريف واختلف في رسومها فقيل هي قوة تتبع الاعتدال النوعي وتفيض منها سائر القوى الحيوانية ومعنى الاعتدال النوعي أن كل نوع من أنواع المركبات العنصرية له مزاج مخصوص هو أصلح الأمزجة بالنسبة إليه فالحياة في كل نوع من أنواع الحيوانات تابعة لذلك المزاج المسمى بالاعتدال النوعي ومعنى الفيضان أنه إذا حصل في مركب عنصرى اعتدال نوعي فاضت عليه من المبدأ قوة الحياة ثم انبعثت منها قوى أخرى أعنى الحواس الظاهرة والباطنة والقوى المحركة إلى جلب المنافع ودفع المضار كل ذلك بتقدير العزيز العليم فهى تابعة للمزاج النوعي ومتبوعة لما عداها .

وقد ترسم الحياة بأنها قوة تقتضي الحس والحركة الإرادية مشروطة باعتدال المزاج ، واستدل الحكيم على مغايرة الحياة لقوتي الحس فقال ابن سينا هي غير قوة الحس والحركة وغير قوة التغذية فإنها توجد في العضو المفلوج إذ هي الحافظة للأجزاء عن الانفكاك وليست له قوة الحس والحركة وكذا الحال في العضو الذابل فإنه لو لم يكن حيا يفسد بالتعفن مع عدم قوة التغذية وتوجد في النبات قوة التغذية مع عدم الحياة وأجيب بأنا لا نسلم أن قوة الحس والحركة والتغذية مفقودة في المفلوج والذابل لجواز أن يكون الإحساس والحركة والتغذية قد تخلف عن القوة الموجودة فيها لمانع يمنعها عن فعلها لا لعدم المقتضى ولا نسلم أن التغذية التي في الحي موجودة في النبات لجواز أن تكون التغذية في النبات مخالفة بالماهية للتغذية في الحي هذا خلاصة ما في شرح الطوالع وشرح المواقف فعلى هذا لا توجد الحياة في النبات وقيل بوجودها في النبات أيضا لأن الحياة صفة هي مبدأ التغذية والتنمية .

ومنهم من ادعى تحقق الحس والحركة في النبات وفي الملخص الحياة إما اعتدال المزاج أو قوة الحس والحركة أو قوة تتبع ذلك الاعتدال سواء كان نفس قوة الحس والحركة أو مغايرة لها كما اختاره ابن سينا انتهى .

وفي البيضاوى في تفسير قوله تعالى ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم** ﴾ [البقرة : ٢٨] الحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها مجاز في القوة النامية لأنها من مقدماتها وفيما يخص الإنسان من الفضائل كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنه كمالها وغايتها والموت بإزائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة كما قال تعالى ﴿ **يحييكم ثم يميتكم** ﴾ [الجاثية : ٢٦] وقال ﴿ **اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها** ﴾ [الحديد : ١٧] وقال ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] انتهى كلامه .

فائدة : شرط الحياة عند الحكماء البنية التي هي الجسم المركب من العناصر على وجه يحصل من تركيبها مزاج قالوا الحياة مشروطة باعتدال المزاج وبالروح الذى هي أجسام لطيفة تتولد من بخارية الأخلاط سارية في الشرايين المنبثة من القلب وكذا عند المعتزلة إلا أن البنية عندهم هي مجموع جواهر فردة لا يمكن الحيوان من أقل منها والأشاعرة لا يشترطون البنية ويقولون يجوز أن يخلق الله تعالى الحياة في جزء واحد من الأجزاء التي لا تتجزأ .

قال الصوفية الحياة عبارة عن تجلى النفس وتنورها بالأنوار الإلهية وفي التفسير الكبير تفسير قوله تعالى : ﴿ **إذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى** ﴾ [البقرة : ٢٦٠] أن المراد من الموتى عند أهل التصوف القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشفات والتجلي والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي والأنوار الإلهية انتهى . وفي القشيرى في تفسير هذه الآية قال الجنيد الحي من تكون حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء هيكله ومن يكون بقاؤه ببقاء نفسه فإنه ميت في وقت حياته ومن كانت حياته به كان حقيقة حياته عند وفاته لأنه يصل بذلك إلى رتبة الحياة الأصلية قال تعالى ﴿ **لينذر من كان حيا** ﴾ [يس : ٧٠] انتهى .

والمستفاد من الإنسان الكامل أن الحياة هي الوجود وهي تعم المعاني والهيئات والأشكال والصور والأقوال والأعمال والمعادن والنباتات وغير ذلك قال وجود الشيء لنفسه حياته

التامـة ووجوده لغيـره حياة إضافيـة له فالحق سبحـانه مـوجود لنفسه فهو الحى وحياتـه وهى الحياة التامة والخلق من حيث الجملة موجـودون بالله فحياتهم إضافية ولـذا التحق بها الفناء والموت ثـم إن حياة الله تعالى فـى الخلق واحدة تامـة لكنهم متفاوتون فيها :

فمنهم من ظهـرت الحياة فيـه على صـورتها التـامة وهـو الإنسان الكامل فإنه موجود لنفسة وجودًا حقيقيا لا مجازيا ولا إضافيـا فربُّـه هو الحى التـام الحياة بخـلاف غيره والمـلائكة العليـون وهـم المهيمنـة ومن يلحق بهم وهم الـذين ليسـوا من العناصـر كالقلم الأعلى واللوح وغيـرهما من هـذا النوع فإنهم ملحقون بالإنسان الكامل فافهم .

ومنهم من ظهرت فيـه الحياة على صورتها لكن غيـر تامة وهـو الإنسـان الحيـوانى والملك والجـن فإن كـلا من هـؤلاء موجود لنفسه يعلم أنه موجود وأنه كذا وكذا ولكن هذا الوجود له غير حقيقى لقيامه بغيره فربه موجود للحق لا له وكانت حياة ربه حياة غير تامة .

ومنهم من ظهرت فيه لا على صورتها وهى باقى الحيوانات ومنهم من بطنت فيـه الحيـاة فكـان مـوجودا لغيـره لا لنفسـه كالنباتـات والمعادن والمعانى وأمثال ذلك فسـارت الحياة فى جميع الأشياء فمـا موجود إلا وهو حى لأن وجوده عيـن حياته وما الفـرق إلا أن يكون تاما أو غيـر تام بل ما تم إلا من حيـاته التامـة لأنه على القـدر الذى تستحقـه مرتبـة فلو نقص أو زاد لعدمت تلك المرتبـة فما فى الوجود إلا ما هو حى بحيـاه تامة ولأن الحياة عين واحدة ولا سبيل إلى نقص فيها ولا إلى انقسام لاستحالة تجزئ الجوهر الفرد فالحياة جوهر فرد موجود بكماله فى كل شىء فشيئية الشىء هى حياته وهى حياة الله التى قامت الأشياء بهـا وذلك هو تسبيحها مـن حيث اسمه الحى لأن كل مـوجـــود يسبح الحق من حيث كل اسم فتسبيحـــه من حيث اسمه الحى هو عين وجوده بحياته ومن حيث اسمه العليم هو دخولها تحت علمه وقـولها له يا عالم هو كـونها أعطاها العلم من نفسها بأن حكم عليها إنها كذا وكذا وتسبيحها له من حيث اسمه السميع هو إسماعها إياه كلامها وهو ما استحق حقائقها بطـريق الحال فيمـا بينهـا وبين الله بطريق المقـال ومن حيث اسمه القـدير هـو دخولهـا تحت قدرته وقس على ذلـك باقى الأسماء .

إذا علمت ذلك فاعلم أن حياتهـا محدثة بالنسبة إليهـا قديمة بالنسبة إلى الله تعالى لأنها حياتـه وحياته صفة له قديمة ومتى أردت أن تتعقل ذلك فـانظر إلى حيـاتك وقيدهـا بك فإنك لا تجـد إلا روحـا يختص بك وذلك هـو المحـدث ومتى رفعت النظر فى حياتك من الاختصاص بك وذقت من حيث الشهود أن كل حى فى حيـاتـه كما كنت فيهـا وشهـدت سريـان تلك الحيـاة فى جميع الموجـودات علمت أنها الحيـاة الحق التى أقام بها العالـم وهى الحياة القديمة الإلٰهية .

واعلم أن كل شـىء من المعـانـى والهيئـات والأشكـــال والصور والأقوال والأعمال والمعادن والنباتات وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الوجـود فإن له حياة فى نفسه لنفسه حيـاة تامة كحياة الإنسـان لكن لما حجب ذلك عن الأكثرين نـزلناه عن درجة الإنسان وجعلنـاه موجودا لغيره وإلا فكل شـىء له وجود فى نفسه لنفسه وحيـاته تامة بهـا ينطق ويعقل ويسمع ويبصر ويقدر ويريـد ويفعل ما يشاء ولا يعرف هـذا إلا بطريق الذوق والكشف وأيد ذلك الإخبارات الإلٰهية من أن الأعمال تأتى يوم القيامة صورا تخاطب صاحبهـا فتقول له عملك ثم يأتيه غيرها وتطرده وتناجيه ومن هـذا القبيل نطق الأعضاء والجوارح انتهى ما فى الإنسان الكامل .

فائدة : اختلف العلماء فى حياتـه تعالى فذهب الحكماء وأبو الحسن البصرى من المعتزلة إلى أنها صحة العلم والقدرة وقال الجمهـور من الأشاعـرة ومن المعتزلـة إنها صفـة توجب صحة العلم والقـدرة وقال صـاحب الإنسان الكـامل إنها هى وجوده لنفسه كما عرفت (كشـاف اصطلاحـات الفنون ١ / ٣٩٨ـ ٤٠١) .

(تـوضيح العقيدة المفيـد فى علم التوحيـد لشرح الخـريدة لسيـدى أحمـد الدرديـر ـ حسين عبـد الرحيم مكى ـ صححها ونقحهـا مع بعض التعليقـات موسى أحمـد اللباد / ٦ ، ١٠ ، والمختار من شـرح البيجورى على الجـوهرة المسمى تحفـة المريـد على جوهـرة التوحيـد للإمام شيخ الإســلام إبـراهيم البيجـورى / ١٠٣ ، ١٠٤ ، والأعمــال الكـاملـة للشيخ معروف النودهى ـ دراسة وتحقيق السيـد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى وزميليه . المجمـوعة الأصـولية ق٥/ ٩٠ ، ورشحات الأقـلام شرح كفـاية الغلام فى أركان الإسلام للعلامة الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ـ تحقيق محمـد خالد الخرسة / ٣٢ ، والأسماء والصفات للإمام البيهقى .

دار الكتب العلمية بيروت . بدون تاريخ / ١٣٧ ــ ١٤١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٩٨ــ٤٠١) .

*** حياة الأنبياء :**

من بين الرسائل المجموعة في الحاوى للفتاوى للإمام جلال الدين السيوطى رسالة وردت به بعنوان « أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » ، وطبعتها مكتبة عالم الفكر تحت عنوان «إنباه الأذكياء فى حياة الأنبياء » وننقل جزءا منها فيما يلى ، حيث يجيب الإمام السيوطى على سؤال وقع له ؛ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص إتماما للفائدة :

قال المؤلف رحمه الله وغفر له ولسائر المسلمين ، آمين ، اللهم آمين :

« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى : وقع السؤال : أنه قد اشتهر أن النبى ﷺ حى فى قبره .

وورد أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال :

« ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » (رواه أبو داود عن أبى هريرة) .

فظاهره أن مفارقة الروح له فى بعض الأوقات ! !

فكيف الجمع ؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل فأقول :

حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعيا لما قام عندنا ، من الأدلة فى ذلك ، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك وقد ألف الإمام البيهقى رحمه الله جزءا فى حياة الأنبياء عليهم السلام فى قبورهم .

فمن الأخبار الدالة على ذلك ، ما أخرجه مسلم عن أنس رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره » (ورواه الإمام أحمد ، والنسائى عن سيدنا أنس ولفظه من الجامع الصغير للسيوطى .

« مررت ليلة أسرى بى على موسى قائما يصلى فى قبره »)

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مر بقبر موسى عليه السلام ، وهو قائم يصلى فيه » .

وأخرج أبو يعلى فى مسنده ، والبيهقى فى كتاب « حياة الأنبياء » عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال : « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية ، عن يوسف بن عطية ، قال : سمعت ثابتا البنانى رضى الله عنه يقول لحميد الطويل : « هل بلغك أن أحدا يصلى فى قبره إلا الأنبياء قال : لا » .

وأخرج أبو داود والبيهقى عن أوس بن أوس الثقفى ، رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على الصلاة فيه ، فإن صلاتكم تعرض على ، قالوا يا رسول الله ، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت (يعنى بليت) فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء » .

(وقد أورد ابن القيم فى كتابه « جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الانام » حديثا هذا نصه :

« قال الطبرانى : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف . حدثنا سعيد بن أبى مريم ، عن خالد بن زيد ، عن سعيد بن أبى هلال عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ، ليس من عبد يصلى على إلا بلغنى حيث كان .

قلنا : وبعد وفاتك ؟

قال : وبعد وفاتى ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وقال فى الهامش : ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب ، وقال : رواه ابن ماجه بإسناد جيد اهـ ... وفى نسخة «الحاوى» أجسام ، بدل « أجساد ») .

وأخرج البيهقى فى « شعب الإيمان » والأصبهانى فى «الترغيب » عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على غائبا بلغته » .

(فى الحاوى : نائيا) .

وأخرج البخارى فى « تاريخه » عن عمار : « سمعت النبى ﷺ يقول :

إن لله تعالى ملكا أعطاه أسماع الخلائق ، قائم على قبرى ، فما من أحد يصلى صلاة إلا بلغنيها » (فى الحاوى «إلا بلغتها ») .

وأخـرج البيهقى فى « حيـاة الأنبيـاء » والأصبهـانى فى «الترغيب» عن أنس رضى الله تعالى عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

« من صلى على مائة فى يوم الجمعـة وليلة الجمعة قضى الله لـه مـائة حاجـة سبعين من حـوائج الآخـرة، وثـلاثين من حوائج الدنيا ، ثم وكل الله بذلك ملكا يدخله على قبرى كما يدخل عليكم الهدايا، إن علمى بعد موتى كعلمى فى الحياة»

(وفى الجامع الكبير للسيـوطى ما نصه : « من صلى على يوم الجمعـة وليلة الجمعـة مائة من الصـلاة قضى الله لـه مائة حاجة : سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ووكل الله بـذلك ملكـا يـدخله على قبـرى كمـا يـدخل على أحـدكم الهـدايـا : أن علمى بعـد مـوتى كعلمى فى الحيـاة » الديلمى عن حكـامة عن أبيها : عثمان بن دينـار، عن أخيه : مالك بن دينار عن أنس.

ولفظ البيهقى : « يخبـرنى من صلى على بـاسمـه ونسبـه فأثبته عندى فى صحيفة بيضاء » .

وأخـرج البيهقى عن أنس : أن النبى صلى الله عليـه وآلـه وسلم قـال : « إن الأنبيـاء لا يتركـون فى قبـورهم بعـد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدى الله سبحـانه وتعالى حتى ينفخ فى الصور » .

وروى سفيان الثورى فى « الجامع » قال : قال شيخ لنا ، عن سعيد بن المسيب، قال : « ما مكث نبى فى قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع » .

قال البيهقى : « فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون حيث ينزلهم الله تعالى » .

ثم قال البيهقى « ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد » .

فذكر قصـة الإسراء فى لقيه جماعـة من الأنبياء، وكلمهم وكلموه وأخرج حديث أبى هريرة فى الإسراء، وفيه .

« وقـد رأيتنى فى جمـاعة مـن الأنبياء، فإذا مـوسى قـائم يصلى فإذا رجل ضـرب جعـد كأنـه من رجـال شنـوءة، وإذا عيسى ابن مـريم قائم يصلى وإذا إبـراهيم عليـه السلام قـائم يصلى : أشبـه النـاس بـه صـاحبكم (يعنى نفسـه) فحـانت الصلاة فأممتهم » .

وأخرج حديث « أن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق» .

وقال هذا يـدل (فى الحاوى « يصح ») أيضا على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحيـاء عند ربهم ، كـالشهداء، فإذا نفخ فى الصـور النفخة الأولى صعقوا فيمـن صعقوا ثم لا يكون ذلك مـوتا فى جميع معانيه، إلا فى ذهـاب الاستشعار. انتهى .

وأخـرج أبو يعلى عن أبى هـريرة رضى الله عنـه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « والذى نفسى بيده لينـزلن عيسى ابن مـريم ، ثم لئن قـام على قبـرى، فقـال يـا محمد لأجيبنه » .

وأخرج أبو نعيم فى « دلائل النبوة » عن سعيد بن المسيب قال : لقـد رأيتنى ليالى الحرة وما فى مسجـد رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم غيرى، وما يـأتى وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر » (وهى فى أيـام يزيد بن معاويـة ، لما نهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحـابة والتـابعين، وأمر عليهم مسلم بن عقبـة فى ذى الحجة سنة ٦٣ هـ .

وعقيبها هلك يزيد .

والحرة هذه : أرض بظاهر المدينة ، بها حجارة سود كثيرة ١٢ مجمع البحار » اهـ من هامش المطبوعة الأولى) .

وأخرج الزبير بن بكار فى « أخبـار المدينة » عن سعيد بن المسيب، قال : « لم أزل أسمع الأذان والإقامة فى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس » .

وأخرج ابن سعـد فى الطبقات، عن سعيـد بن المسيب : أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة ، والناس يقتلون .

قال : فكنت إذا حانت الصـلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر الشريف » .

وأخـرج الـدارمى فى « مسنـده » قال : أخبـرنـا مـروان بن محمد ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يقم وأن سعيد بن المسيب لم يبرح مقيما فى المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمـة يسمعها من قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم » .

فهذه الأخبار دالة على حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء، وقد قال الله تعالى فى الشهداء ـ **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** [آل عمران : ١٦٩] .

والأنبياء أولى بذلك ، فهم أجل وأعظم ، وقلَّ نبى إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة ، فيدخلون فى عموم لفظ الآية .

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والطبرانى، والحاكم فى «المستدرك » والبيهقى فى « دلائل النبوة» عن ابن مسعود، قال : لأن أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلا، أحب من أن أحلف واحدا أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبيا، واتخذه شهيدا » .

وأخرج البخارى والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى مرضه الذى توفى : لم أزل أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم » .

فثبت كونه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حيًّا فى قبره بنص القرآن، إما من عموم اللفظ، وإما من مفهوم الموافقة، قال البيهقى فى « كتاب الاعتقاد » : الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء » .

وقال القرطبى فى « التذكرة » فى حديث « الصعقة »نقلا عن شيخه : الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا، وإذا كان فى الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء (راجع فى ذلك ابن كثير فى تفسير قوله تعالى **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾** تجد فيه الكثير الطيب والحمد لله) وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء وقد رأى موسى قائما يصلى فى قبره (رواه أبو داود، وصححه النووى فى الأذكار ورواه الإمام أحمد وصححه النووى أيضا) وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء، إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا، بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال فى الملائكة ، فإنهم موجودون أحياء، ولا يراهم أحد من نوعنا ، إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه» انتهى .

وسئل البارزى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، هل هو حى بعد وفاته؟ فأجاب : إنه صلى الله عليه وآله وسلم حى .

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى الفقيه الأصولى شيخ الشافعية فى أجوبة مسائل «الجاجرميين» قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حى بعد وفاته، وإنه يبشر بطاعات أمته، ويحزن بمعاصى العصاة منهم ، وإنه تبلغه صلاة من يصلى عليه من أمته .

وقال : « إن الأنبياء لا يبلون ، ولا تأكل الأرض منهم شيئا» وقد مات موسى فى زمانه، وأخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رآه فى قبره مصليا .

وذكر فى حديث المعراج أنه رآه فى السماء الرابعة، وأنه رأى آدم فى السماء الدنيا ورأى إبراهيم، وقال له : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح (كل هذه الأحداث التى ذكرها الشيخ رحمه الله موجودة فى حادث الإسراء : رؤية موسى، والصلاة بالأنبياء، ولقاؤهم فى السموات وما إلى ذلك) .

راجع فى ذلك كتب التفاسير وستجدها مشروحة مخرجة) .

وإذا صح لنا هذا الأصل : قلنا نبينا عليه الصلاة والسلام قد صار حيا بعد وفاته، وهو على نبوته » .

وهذا آخر كلام الأستاذ .

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقى فى « كتاب الاعتقاد » الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردت أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .

وقدرأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم وأمهم فى الصلاة، وأخبر ـ وخبره صدق ـ أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه ـ وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجسادا الأنبياء » .

(لابن القيم رحمه الله تعالى كتاب « جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام » جمع فيه الكثير الطيب من

هـذه الأحاديـث، وخرجهـا تخـريجـا حسنا وصحيحـا، ولله الحمد والمنة).

قال: وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتابا، قال: وهو بعد ما قبض نبى الله ورسوله وصفيه، وخيـرته من خلقـه ﷺ: اللهم أحينـا على سنتـه، وأمتنا على ملتـه، واجمع بيننـا وبينـه فى الـدنيـا والآخـرة إنك على كل شيء قـديـر» انتهى جـواب البارزى.

وقـال الشيخ عفيف الدين اليـافعى: الأولياء، تـرد عليهم أحوال يشـاهدون فيهـا ملكوت السمـوات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غيـر أموات، كما نظر النبى صلـى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام فى قبره.

قال: وقـد تقرر أن ما جـاز للأنبيـاء معجزة جاز لـلأولياء كرامة، بشرط عدم التحدى (لأن المعجزة للتحدى).

قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل.

ونصوص العلمـاء فى حياة الأنبيـاء كثيرة، فلنكتـف بهذا القدر (إنباه الأذكياء ٥/ ١٥ والحاوى للفتاوى ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠).

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر:

بعد الأخبار المذكورة وبعد كلام السيوطى فى تواتر الأخبار وكثرة الأدلة على حياة الأنبياء فى قبورهم يمكننا أن نطمئن إلى ذلك ولا نكـذب، بـالإضـافـة إلى أن النبـى ﷺ أفضل من الشهداء، وقـد قال الله فيهم: ﴿ **ولا تحسبن الذيـن قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحيـاء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ولا يقـال: قـد يكـون فى المفضـول مـا ليس فى الفاضل، لأن محل ذلك مالم يرد نص، وقد ورد.

وحيـاتهم فى القبـور مختلـف فى كيفيتهـا، وجمهـور المسلمين على أنها حياة حقيقية لا مجازية، وقد وضح الفخر الرازى ذلك فى تفسيره لهذه الآية.

وأما قوله تعالى ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتـون** ﴾ [الزمر: ٣٠] فمعناه أن روحك ستفارق بدنك، وتـدخل فى عالم آخر كسائر الناس، قال تعالى: ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

وحـديث رد روح النبى ﷺ ليجيب من يسلم عليه إن كـان ظاهره يفيد أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف فقد أجاب على ذلك العلماء بأجوبة أوصلها السيوطى إلى سبعة وعشرين وجها، أحسنها أنه ﷺ يكون مستغرقا بمشاهدة حضرة القدس فيفنى عن إحساسه الشريف، فإذا سلم المسلم عليه ترد روحه من هـذا الاستغراق إلى الإحسـاس لأجل الـرد، كما نـرى فى الدنيـا من يكون مشغول البال قـد لا يحس بمن يتكلم بجواره (المنحـة الـوهبيـة ص ٦) هـذا، وعـدم أكل الأرض أجسـاد الأنبياء ثابت بالحديث السابق، وهو حديث صحيح عند كثير من العلماء كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبى كما صححـه النووى فى كتـابه «الأذكـار» والعقائد وأخبـار الغيب تؤخذ من الأدلة القطعية فى الثبوت والدلالة. والخلاف موجود فى كفـاية حـديث الآحاد فى ذلك، ومـا دام الأمر داخـلا فى قدرة الله سبحانه، معه اختلاف قوانين عالم الغيب والشهادة، ومع عـدم مصادمـة ذلك لأمر مقطـوع به فـالقلب يطمئن إلى قبوله (أحسن الكلام ٣/ ١٢، ١٣).

(إنبـاه الأذكيـاء فى حياة الأنبيـاء للشيخ العـلامـة جلال الـدين عبـد الرحمن بن أبى بكـر السيوطى ـ حققه وراجعه الشيخ عبـد الرحمن حسن محمود، وقـد وضعنا تعليقـات المحقق بين أقواس فى ثنـايا النص / ٥ ـ ١٥، والحـاوى للفتاوى للإمام السيـوطى أيضا ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠، وأحسن الكـلام فى الفتـاوى والأحكام ـ فضيلـة الشيخ عطيـة صقر. ط دار الغـد العربى/ ١٢، ١٣).

*** الحياة البشرية فى الطب الإسلامى:**

يفرد الأستـاذ الدكتـور إبراهيم عبـد الحميد الصيـاد البـاب الثـانى من كتـابـه القيـم لبيـان نظـرة الطبيب المسلم للحيـاة البشرية فيقول فى بدايته:

يرتبط عمل الطبيب بالحياة الإنسانية، لذلك وجب عليه أن يستوعب نظرة الإسلام للحياة كقيمة مطلقة:

وهذه النظرة تتناول عدة قضايا:

١ ـ حماية الحياة البشرية.

٢ ـ حماية مقومات الحياة البشرية.

٣ ـ توفير الكرامة البشرية.

٤ ـ الضوابط الشرعية المتعلقة بالحياة.

٥ ـ عناصر المساواة والتفضيل المتعلقة بالبشر.

٦ ـ حماية حق الحياة لغير المسلم.

٧ ـ صيانة الحياة غير البشرية .

ثم يفصل القول فى كل واحدة من هذه القضايا ، وننقل بعضها فيما يلى :

المبحث الأول : حماية حق الحياة البشرية .

الحياة البشرية هبة من الله تعالى، تكسب قدسيتها من النفخة الإلهية الكريمة، وبذلك صارت حقا مقدسا، لا يجوز لأحد أن يسلبه إلا بحق الله، ويتساوى فى ذلك كل البشر فى جميع مراحل حياتهم مهما كان جنسهم ولونهم ودينهم .

مظاهر احترام حق الحياة فى الإسلام :

١ ـ حق الجنين فى الحياة :

المفهوم الإسلامى للحياة البشرية يمتد إلى الجنين داخل الرحم، فيجعل له كيانا مستقلا، وله شخصية اعتبارية وحقوقا مستقلة عن حقوق والدته رغم أنه ما زال جزءا منها، فإذا اعتدى أحد على امرأة حامل فأجهضها فإنه يكون قد ارتكب جريمتين : جريمة الاعتداء عليها وجريمة قتل الجنين .

روى الخمسة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه :

« اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما فى بطنها فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة (إنسان مملوك) وقضى بدية المرأة على عاقلتها (دافع الدية) وورثتها وولدها ومن معهم . فقال ابن النابغة الهذلى :

يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل (أى يهدر دمه ولا يضمن) : فقال رسول الله ﷺ :

« إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذى سجع» (رواه مسلم فى الحدود) .

وهذه القصة توضح مدى الطفرة الهائلة التى جاء بها الإسلام فى تعريف الحياة البشرية ، فالمفهوم السائد فى ذلك الوقت عبر عنه الهذلى باستغرابه أن يدفع دية لجنين لم تظهر عليه علامات الحياة المعروفة، بينما يستنكر رسول الله ﷺ اعتراض الرجل على إنكار حق الحياة للجنين ، وحق الجنين فى الحياة قيمة مطلقة تتحقق حتى ولو كان الجنين ناتجا عن حمل حرام، ففى حديث الغامدية عن بريدة أنها جاءت لرسول الله ﷺ قائلة :

يا رسول الله إنى قد زنيت فطهرنى ، فقال لها عليه الصلاة والسلام « فاذهبى حتى تلدى» فلما ولدت قال : « اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه » فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين وأمر الناس فرجموها ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . (رواه مسلم فى الحدود) .

٢ ـ حق الرضيع فى الحياة :

أوجب الشرع إرضاع الطفل حتى لا تتعرض حياته للخطر، ويجب على الأم إرضاعه بنفسها .

﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

٣ ـ تفضيل صيانة الحياة على كافة الاعتبارات الشرعية :

فعندما تتهدد الحياة يعطى الشارع رخصة فى إتيان المحرمات للضرورة أو ترك الفرائض والنوافل، ومن ذلك إباحة أكل الميتة لمن أشرف على الهلاك إنقاذًا لنفسه حيث يقول تعالى :

﴿ **فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم** ﴾ [المائدة : ٣] .

ومنها إباحة الإفطار فى رمضان للمريض والحامل والمسافر حفظا لحياتهم من أن يتهددها أى خطر.

يقول تعالى :

﴿ **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

ولا يشترط أن يصل الضرر إلى حد الخطر حتى يكون مبررا للتخفيف بل إن المشقة تستوجب التيسير تطبيقا لقوله تعالى :

﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ [الحج : ٧٨] .

فقد رأى النبى ﷺ رجلا يتهادى بين ولديه يريد الحج فسأل عن شأنه فقيل يا رسول الله إنه أنذر أن يزور البيت ماشيا فقال ﷺ :

« كلا إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه، احملوه» (البخارى : الحج) بل إن الصلاة وهى عماد الدين لا يجوز أن يكون أداؤها سببا للإرهاق .

عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه ﷺ قال لمن يجهد نفسه فى صلاة النوافل :

« ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد » (البخارى : التهجد، ابن ماجه : المقدمة) وعن عمران بن حصين أنه عليه السلام قال :

« صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تسطع فعلى جنبك فإن لم تستطع فمستلقيا، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (البخارى : أبو داود : الصلاة، النسائى : صلاة الليل) .

ويندرج ذلك كله في القاعدة العامة فيما رواه عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ :

« إن لجسدك عليك حقا فقم ونم وأفطر وصم » (البخارى : الصوم، النظام، مسلم : الصوم، النسائى : الصوم) .

المبحث الثانى : حماية مقومات الحياة البشرية :

من القواعد الفقهية المعروفة :

« ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

ولما كان الإسلام قد أقر لكل فرد حقه حماية حياته البشرية فإن ذلك يستوجب للفرد حقوقا فى توفير مقومات الحياة البشرية .

ومن هذه الحقوق ما يلى :

١ ـ حق الطعام الذى يحفظ الحياة، لذا أعطى الشارع لمنْ خاف على نفسه الهلاك حقا فى مال المسلمين بما يقيم نفسه، وجعل إنقاذه حقا على كل مسلم ، يقول ﷺ :

« أيما رجل ضاف قوما فأصبح محروما فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه وماله » (أبو داود : الأطعمة، الدارمى ؛ الأطعمة) .

٢ ـ حق العلاج وقد استدلوا على ذلك من القوم الذين ساءت صحتهم بالمدينة حيث يروى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أرسلهم إلى مكان صحى فى هواء طلق خارجها بجانب مرعى إبل الصدقة فشربوا من ألبانها حتى صحت أجسامهم (البخارى : الزكاة ، مسلم : الزكاة) .

٣ ـ حقوق أخرى مادية ومعنوية تنعكس على الصحة البدنية والنفسية ، ومنها : حق اللباس والسكن والزواج والتعلم والعمل ولكل منها أسانيده فى السنة النبوّية الشريفة .

٤ ـ أقر الإسلام حق الكفالة فى حال المرض والعجز والشيخوخة وفقد العائل .

روى البخارى عنه ﷺ :

« من ترك مالا لورثته ، ومن ترك ضياعا (أى ورثة) أو كلا (أى ذرية ضعفاء) فأنا مولاه، وفى رواية (فإلى الله ورسوله) (البخارى : الوصايا) .

وعن أبى الدرداء عويمر عن النبى ﷺ قال :

« أبغونى فى ضعفائكم ، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» (البخارى : الجهاد، النسائى : الجهاد، أبو داود : الجهاد، الترمذى : الجهاد) .

المبحث الثالث : توفير الكرامة البشرية :

الكرامة البشرية منحة من الله تعالى للإنسان :

يقول تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وهذه الكرامة قيمة مطلقة لكل البشر بصرف النظر عن دينهم ولونهم ، وسر تكريم الإنسان هو النفخة الإلهية الكريمة :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر : ٢٨، ٢٩] .

وهذه علة سيادته على الكائنات الأرضية .

وبهذا أيضا يتضح أصل الإنسان ، فلم يكن ملاكا ثم انحط درجة ، ولم يكن حيوانا ثم ارتقى بالتطور، ولكن النفخة الربانية رفعته من كونه كائنا حيا كغيره من الأحياء إلى درجة الكرامة الإنسانية ، وأعطته مقومات الخلافة فى الأرض .

وقد شاءت إرادة الخالق جل وعلا أن يكون لمخلوقاته ترتيب فى أفضليتها ، فجعل الإنسان أفضلها على الأرض ، كما فضله على كثير ممن خلق .

ومن متطلبات التسليم لإرادة الله تعالى أن يؤمن الإنسان بالترتيب التفاضلى الذى أراده الله لمخلوقاته ، ولم يكن

استحقاق إبليس للطرد من رحمة الله بسبب إنكاره الألوهية ، ولكن لرفضه الإقرار بأفضلية آدم التى أرادها الله له .

مظاهر التكريم الإلهى للإنسان :

١ ـ استخلافه فى الأرض ليعمرها ويستخرج خيراتها ، وقد هيأه الله تعالى لهذه الخلافة بالعقل والعلم .

يقول تعالى :

﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ [البقرة : ٣٠] .

٢ ـ خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، ويستطيع علم الحياة أن يكشف لنا عن إبداع الله فى خلق الإنسان ، سواء فى المظهر الخارجى الذى يجعله مؤهلا لسيادة كل المخلوقات ، أو فى وظائف أعضائه الداخلية البالغة الانتظام والدقة .

يقول تعالى :

﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ [التين : ٤] .

٣ ـ تسخير الكون لخدمته : فالإنسان هو السيد ولا يجوز لشىء مادى فى العالم أن يستعبده .

يقول تعالى :

﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ [الجاثية : ١٣] .

٤ ـ ألغى الإسلام كل مظاهر الوساطة الكهنوتية بين الله تعالى والإنسان التى تكونت على مر الأجيال فى مختلف الديانات . يقول تعالى :

﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب** ﴾ [البقرة : ١٨٦] والملحوظ فى آيات الكتاب الكريم قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير** ﴾ [البقرة : ٢٢٠] أما فى آية الصلة بين العبد وربه فقد تولى سبحانه الرد مباشرة على عباده بقوله ﴿ **إنى قريب** ﴾ دون أن يتولى رسوله نقل الإجابة على لسانه تأكيدا للصلة المباشرة بين العبد وربه .

٥ ـ حرر الإسلام الإنسان من اعتقاد وراثة الخطيئة الأولى التى تعتبر حجر الزاوية فى الفكر النصرانى . يقول تعالى : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ [طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

وفى هذا التحرر ينطلق الإنسان فى حياته بصحيفة بيضاء ، يستطيع أن يحافظ على صفائها بالخير، وهذا الشعور ينعكس بالطمأنينة على صحته النفسية ، فعمله هو الذى يرفعه وليس بحاجة إلى صكوك الغفران أو التكفير عن خطيئة غيره .

هذا التكريم الإلهى للبشر يستلزم منهم موقفا واضحا فيما بينهم تجاه الكرامة البشرية ، ومن عناصر ذلك الموقف .

(أ) حرمة الجسد البشرى :

ليس من الإسلام أن يعذب أحد نفسه حتى ولو كان بحجة العبادة ، وليس له أن يعذب غيره .

روى الترمذى أن الرسول ﷺ خاطب الكعبة قائلا :

« والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » (الترمذى) .

وعن هشام بن حكيم عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » (مسلم) .

(ب) حرمة النفس البشرية :

حرم الإسلام الإيذاء النفسى تماما كما حرم الإيذاء البدنى بغير وجه حق .

والإيذاء المعنوى قد يكون بكلمة أو إشارة أو حركة جارحة ، ويتجلى ذلك كله فى الآية الكريمة :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقد وصف القرآن كل هذا الأذى المعنوى على أنه فسوق ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ فيما رواه عبد الله :

« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [البخارى : الأدب] .

بل إن الحقيقة المؤلمة يجب إخفاؤها إذا كان فى ذلك مصلحة مؤكدة للمسلم ، فالمريض الميئوس من شفائه لا يجوز مواجهته بالحقيقة المرة فيقضى بقية أيامه محطم النفس، فصلابة النفس دائما تعود بالخير على صحة البدن ، لذلك يقول ﷺ :

« إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله فإن ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه » (الترمذى: الطب، أبو داود: الجنائز).

(جـ) حماية حرمة الحياة الخاصة :

الإسلام يربى الفرد المسلم على الحياء .

« إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء » (ابن ماجه : الزهد، الموطأ: حسن الأخلاق) فمن حق كل إنسان أن يعيش مستورا لا تكشف حرماته وعورته، ومن هنا كان المسكن الذى يستر المسلم من الحقوق الكفائية، ولا يجوز لأحد أن يتجسس على عورات الناس .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال :

« من كشف سترا فأدخل بصره فى البيت قبل أن يؤذن له فرأى عورة أهله فقد أتى حدا لا يحل له أن يأتيه . وإن مر الرجل على باب لا ستر له (غير مغلق) فنظر فلا خطيئة عليه إنما الخطيئة على أهل البيت » (البخارى : الأدب) .

وإذا كانت ضرورة العلاج تستدعى الكشف عن عورات الناس فإن الضرورة تقدر بقدرها بحيث لا يكشف إلا القدر الذى يستلزمه صالح المريض .

ويستتبع ذلك أنه إذا وضع المرضى فى غرف مشتركة فى المستشفيات فيجب أن يراعى كرامة المريض وستر عورته سواء من نفس الجنس أو من الجنس الآخر .

عن رسول الله ﷺ قال :

« من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤودة من قبرها » (البخارى المناقب، أبو داود : الأدب) .

(المدخل الإسلامى للطب ـ د . إبراهيم عبد الحميد الصياد . مجمع البحوث الإسلامية . الأزهر . سلسلة البحوث الإسلامية . السنة الثامنة عشرة، الكتاب الرابع ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م / ٦١ ـ ٧٧) .

*** حياة الحيوان الكبرى:**

قال حاجى خليفه :

حياة الحيوان الكبرى : للشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وهو كتاب مشهور فى هذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه فاضل محقق فى العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتفسير الأسماء المبهمة كما قال فى أول كتابه هذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس ذكر مالك الحزين والذبح المنحوس فحصل بذلك ما يشبه حرب البسوس فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى وضع كتاب فى هذا الشأن ورتبته على حروف المعجم انتهى وذكر أنه جمعه من خمسمائة وستين كتابا ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى فى كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا وفرغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة أوله الحمد لله الذى شرف بوح (نوع) الإنسان إلخ . ولهذا الكتاب مختصرات منها مختصر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ ثمان وعشرين وثمانمائة أوله الحمد لله الذى أوجد بفضله حياة الحيوان إلخ . ذكر فيه أن كتاب شيخه هذا كتاب حسن فى بابه جمع ما بين أحكام شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص عجيبة وأسرار غريبة لكنه طول فى بعض أماكنه ووقع فى بعضه ما لا يليق بمحاسنه فاختار منه عينة وسماه عين الحياة مهديا إلى الأمير أحمد شاه بن مظفر شاه من ملوك الهند وفرغ فى شعبان سنة ٨٢٣ ثلاث وعشرين وثمانمائة . ومختصر عمر بن يونس بن عمر الحنفى أوله الحمد لله الذى يسر للإنسان منافع الحيوان إلخ . ذكر فيه أنه اقتصر من الحيوان على خواصه ومعناه اللغوى وأضاف إلى ذلك ما وجد فى خريدة العجائب ولم يخرج عن المعنى المقصود . ومختصر الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ اثنتين وثلاثين وثمانمائة . قال السخاوى فى حق الأصل وهو نفيس مع كثرة استطراده فيه من شىء إلى شىء وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لما فيها من المناكير وقد جردها الفاسى وينبه (ونبه) على أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها انتهى . ومختصر على النارى نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف سماه بهجة الإنسان فى مهجة الحيوان أوله الحمد لله الذى كرم نوع الإنسان إلخ . ذكر أنه ألفه بمكة سنة ١٠٠٣ ثلاث وألف . ومختصر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أوله الحمد لله خالق الحيوان إلخ . ذكر فيه أنه حذف من حشوه كثيرا وعوض منه أمرين أحدهما زيادة فائدة فى الحيوان الذى ذكره والثانى ذكر ما فاته من الحيوان ملتقطا من كتب اللغة مميزة فى أولها بقلت وانتهى سماه ديوان

الحيوان والقسم الثانى مرتب على الحروف سماه ذيل الحيوان وفرغ منه فى ذى القعدة سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة . وترجمة حياة الحيوان بالفارسية للحكيم شاه محمد القزوينى ألفه للسلطان سليم خان القديم وزاد عليه أشياء وذيل حياة الحيوان للقاضى جمال الدين محمد بن على بن محمد الشيبى المكى المتوفى سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمانمائة سماه طيب الحياة .

(كشف الظنون ١ / ٦٩٦ - ٦٩٧) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان .

تأليف الشيخ كمال الدين الدميرى من علماء الأزهر الشريف من قرية دميرة بالصعيد وقد ذكر الكتاب وساق نبذًا منه الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى كدليل على اهتمام علماء الأزهر القديم بالعلم التجريبى والرياضيات والفلك والأحياء ونحوها . قال سيادته فى بحث نفيس له بعنوان « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » :

ومن أشهر مؤلفاته « حياة الحيوان الكبرى » ، تحدث فيه (إلى جانب المجالات العلمية الخاصة بحياة الحيوان) عن الأدب واللغة شأنه فى ذلك شأن معظم كتاب وعلماء ذلك العصر .

ويعتبر كتاب الدميرى هذا مزيجا من العلم ، والأدب . والتاريخ والفقه والحديث والقصص ، وقد ترجم إلى العديد من اللغات ، ويمكن اعتبار الكتاب كذلك بمثابة أول مرجع علمى فى علم الحيوان ، ظهر فى عصر لم تكن فيه علوم الحياة قد ظهرت .

وثمة ناحية أخرى هامة ، فحواها أن علماء ذلك الحين إنما كانوا ينظرون إلى العلم بمعناه الواسع الذى لا يقتصر على فرع بالذات بل كان العالم يشتغل فى كل فروع المعرفة ويضمن كتابه أو كتبه حصيلة بحوثه ودراساته .

وقد رتب الدميرى الحيوانات التى كتب عنها ترتيبا أبجديا على طريقة المعجم ، وتناول بالبحث ١٠٦٩ كائنا ، جعل لكل كائن اختاره صفات معينة مميزة ، تتضمن كل ما كان معروفا آنئذ . ولقد توسع فى شرح صفات الحيوانات المشهورة ، وذلك بطبيعة الحال نظرا لتوفر ما يعرفه الناس عنها من معلومات .

ولم يقتصر الدميرى ، فى مجال الدراسات اللغوية ، على ذكر أسماء الحيوانات ، بل سرد أسماءها خلال مراحل نموها المختلفة ، وكذلك ما يعرف من أسمائها فى مختلف بقاع بلاد العرب . فمثلا البجع المعروف فى مصر يسمى فى بلاد العرب الحوصل ، والدجاجة عند أهل السودان هى الجدادة .

وفيما يلى نبذات من كتاب الدميرى كما أوردها بالنص .

قال فى سياق حديثه عن الأسد : « الأسد من السباع ، جمعه أُسُود ، والأنثى أسده وله أسماء كثيرة ... من أشهرها التاج والسبع والصعب ، والضرغام ، والضيغم والغضنفر والليث ... وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ومن كُناه أبو الأبطال ، وأبو الزعفران ، وأبو شبل ... وهو أشرف الحيوان المتوحش ، إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وشهامته ، لذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام ، ومن ثم قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه «أسد الله» .

وهو أنواع كثيرة . قال أرسطو رأيت نوعا منها يشبه وجه الإنسان وجلده شديد الحمرة ، وذنبه شبيه ذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذى يقال له الورد . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر . وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون إن الأنثى لا تضع إلا جروا واحدا مضغة لحمية ليس له حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرة بعد المرة حتى تتنفس وتتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم تأتى أمه فترضعه . ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه . فإذا ما مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب بنفسه بالتعليم والتدريب .

قالوا وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع . ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسة غيره ، فإن شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها . وإذا جاع ساءت أخلاقه . وإذا امتلأ من الطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب . وإذا أكل نهش من غير مضغ وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر ، ويوصف بالشجاعة والجبن . فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك ، ويتحير عند رؤية النار . وهو شديد البطش ، ولا يدنو من المرأة الحائض ، وعلامة كبره سقوط أسنانه .

وكتب عن الأفعى يقول : « الأنثى من الحيات والذكر

أفعوان بضم الهمزة والعين . قال الزبيدى الأفعى حية رقشاء دقيقة العنق، عريضة الرأس، وربما كانت ذات قرنين . وكنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة ، وهو الشجاع الأسود يواثب الإنسان، وهو شر الحيات . ومن عجيب أمرها ما يحكى أن أفعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته .

قال القزوينى : هى حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات. إذا فقئت عينها تعود، ولا تغمض حدقتها ألبتة. تختفى فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينيها به فيرجع إليها ضوءها .

وقال الزمخشرى : يحكى أن الأفعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت ، وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد إليها بصرها فربما كانت فى برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة بإذن الله .

وإذا قطع ذنبها عاد كما كان . وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وإذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام. وهى أعدى عدو للإنسان . وحكى أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل فى الحال قبل موت أمه . وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى ...

وقد قيل إن الأفعى صوتها من جلدها. ومن الأمثلة قالوا : أظلم من أفعى، وذلك أنها لا تحفر جحرا وإنما تأتى إلى جحر وقد احتفره غيرها فتدخل فيه . قال الشاعر:

وأنت كالأفعى التى لا تحتفر

ثم تجىء مبادرا فتحتجر

وقال عن الأرنب:

الأرنب واحدة الأرانب، وهو حيوان يشبه العناق، قصير اليدين، طويل الرجلين، عكس الزرافة. يطأ الأرض على مؤخرة قوائمه، وهو اسم جنس على الذكر والأنثى. وذكر الأرنب يقال له (الخُزز) بالخاء المعجمة المضمومة. ويقال للأنثى « عكرشة» . والخرنق ولد الأرنب فهو خريق أولا ثم سخلة ثم أرنب ...

والأرنب تنام مفتوحة العينين، فربما جاءها القناص فوجدها كذلك فيظنها مستيقظة .

والذى يحيض من الحيوان أربعة : المرأة، والضبع، والخفاش، والأرنب. ويقال أن الكلب أيضا كذلك . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى الأرنب إنها تحيض .

يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة. وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ألفينا أرنبا بمر الظهران، فسعى القوم عليها ، فأدركتها فأخذتها وأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى النبى ﷺ بوركها وفخذها فقبله .

ومن أمثال العرب: أطعم أخاك من كلية الأرنب. أقطف من الأرنب، ويضربان للمواساة. قال الجاحظ : إذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكرا وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » / ٢٥٩ـ٢٦٢ » .

ويسوق مؤلفو كتاب المنتخب من أدب العرب نصًّا من كتاب حياة الحيوان الكبرى للشيخ الدميرى كنموذج للنشر العلمى فى عصره ، وهو كما يلى :

(الحمام) قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الأطواق، نحو الفواخت (جمع فاختة وهى الحمامة ذات الطوق) .

والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس، لا للتأنيث؛ وعند العامة أنها الدواجن فقط، الواحدة حمامة. وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة

دعت ساق حر برهة فترنما

والحمامة هنا القمرية، وقال الأصمعى فى قول النابغة:

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام شراع وارد الثمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما زعمت:

تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

الثمد : الماء القليل .

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد فى مضيق الجبل، فقالت: يا ليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطا أهلنا، فيكمل لنا مائة قطاة؛ فاتبعت وعدت على الماء فإذا هى ست وستون، قال أبو عبيدة: رأته عن مسيرة ثلاثة أيام، وأرادت بالحمام القطا، فقالت ذلك، انتهى. وقال الأموى: الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا. وأنشد للعجاج:

إنى ورب البلد المحرم
والقاطنات البيت عند زمزم
*** قواطنا مكة من ورق الحم ***

يريد الحمام: وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات، وربما قالوا حمام للمفرد قال جران العود:

وذكرنى الصبا بعد التنائى
حمامة أيكة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير: أن اليمام هو الحمام البرى، الواحدة يمامة؛ وهو ضروب. والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه، انتهى. ونقل النووى فى التحرير عن الأصمعى: أن كل ذات طوق حمام. والمراد بالطوق الخمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها. وكان الكسائى يقول: الحمام هو البرى، واليمام الذى يألف البيوت؛ والصواب ما قاله الأصمعى، ونقل الأزهرى عن الشافعى: كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام، والعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس، قال ابن سيده: يقال فى الطائر: عب، ولا يقال: شرب، والهدير: ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له؛ قال الرافعى: والأشبه أن ما عب هدر، قال: فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل: وما عب من الماء عبا فهو حمام، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام (المنتخب من أدب العرب ٢ / ٤٧٠ - ٤٧٢).

توجد له عدة مخطوطات بأماكن مختلفة منها ما يأتى:

١ - معهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

حياة الحيوان الكبرى:

تأليف كمال الدين محمد بن موسى الدميرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م (بروكلمان ١/ ١٣٨).

الموجود منه الجزء الأول.

أوله: الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان ... وبعد، فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه، ولا كلفت القريحة تأليفه، إنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس... ذكر مالك الحزين، والذبح المنحوس، فحصل ما يشبه فى ذلك حرب البسوس... فاستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان فى وضع كتاب فى هذا الشأن... ورتبته على حروف المعجم.

وينتهى هذا الجزء بنهاية حرف «السين» وبأوله قائمة فى ست ورقات تجمع ما فى الكتاب من أسماء الكتب والدواوين التى اعتمد عليها المؤلف ونقل منها، قام بجمعها الناسخ أثناء كتابته للنسخة.

- بقلم معتاد تم كتابة ٨٧٧ بخط محمد بن محمد بن محمد الشافعى الخطيب الرفاعى السامولى المقيم بالحجاز الشريف (وفيه كتب هذا الجزء) فى ٣٠٠ ورقة تقريبا.

[متحف الأوقاف باستانبول T 2113]

(فهرس المخطوطات المصورة جـ٣ ق٤ / ٣٧، ٣٨).

٢ - دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد) (فهرس الأدب): وجاء بيان نسخه المختلفة كما يلى:

١ - النسخة الأولى: ١٢٣ق	١٧س	١٣×١٨,٥سم	الرقم ٣٩٣٠
٢ - النسخة الثانية: ٢٣٨ق	٢٣س	١٨×٢٧سم	الرقم ٣٢٨٣
٣ - النسخة الثالثة: ١٨٩ق	٢٢س	١٧,٥×٢٧,٥سم	الرقم ٣٢٨٢
٤ - النسخة الرابعة: ٣٨٨ق	٢٣س	١٧,٥×٢٧,٥سم	الرقم ٣٢٨٤
٥ - النسخة الخامسة: ٢٤٧ق	٢٥س	١٧,٥×٢٦سم	الرقم ٢٢٨٨
٦ - النسخة السادسة: ٤٥ق	١٩س	١٥×٢١سم	الرقم ٤٨١٩
٧ - النسخة السابعة: ٤٥ق	٢٠س	١٤×٢٠سم	الرقم ٤٣٠٠
٨ - النسخة الثامنة: ٥٣٧ق	٢٧س	١٤×٢٥سم	الرقم ٩٠٨٣

وهـذه الأخيرة نسخة خـزائنية جيـدة كتبت سنة ١٠٦١ هـ والنـاسخ هو محمـد بن محمد الصروى بجامع العمـرى فى مصر.

(فهرس الظاهرية . الأدب ١/ ١٩١، ١٩٢) .

٣ ـــ دار الكتب الظـاهـرية بـدمشق (أو بمكتبـة الأسـد) (فهرس العلوم والفنون المختلفة) وبيـانه كما يلى ، وقد أدرج تحت عنوان : « حياة الحيوان » .

الرقم : ٩٠٨٣ .

مواضيع المخطوط .

تتضمن البحث فى حيـاة الحيـوانات والطيـور بـالتفصيل والتحدث عن تكـاثرها ... وعن طباعها ... وعـن صفاتها ... وعن فوائدها ... وعن أضرارهـا ... وعن خواصهـا ... وعن أنواع كل منهـا ... وعن صيدهـا ... وعن تحليل وتحريم أكلهـا ... والاستشهاد بالأحـاديث النبوية وبأقوال بعض الصحـابة وكبار العلماء والأدباء والفقهـاء والشعراء ... والأمثال والحكم ويبين الخـواص ويفسر التعبيـر فى كثيـر من المناسبـات ... « حتى أصبح يستفيد من هذا الكتاب العالم والأديب والفقيه ... » .

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان وفضلـه على سائر الحيوان بنعمتى النطق والبيان ... وبعد فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه ولا كلفت القريحة تأليفه وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس التى لا مخبأ فيها للعطر بعد عروس ... فاستخرت الله تعـالـى ... فى وضع كتـاب فى هـذا الشأن وسميتـه حيـاة الحيوان ... ورتبته على حروف المعجم ليسهل به من الأسما ما استعجم . باب الهمزة ...

خاتمة المخطوط :

... اليعسوب ... وهـذا ما انتهى إليه الفـرض مما يحصل فى هذا الشـان الاكتفا وختم بملك النحل الـذى استخرج الله تعالى من لعـابه العسل والشمع وجعل أحـدهما ضيـا والآخر شفا وابتدا بملك الوحش الذى منه الشجاعة تقتفى وصلى الله على سيد المرسلين ... وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء والذى قبله يوم الثلاثاء المبارك تاسع شهر صفر الخير من شهور سنة إحدى وستين بعد الألف والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده وسلم ..

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة قيمة وجيـدة ، تشتمل على جزءى الكتاب وينتهى الجزء الأول بحرف الصاد المهملة ، ويبدأ الجزء الثانى بحرف الضاد المعجمـة . وهذه النسخة كـاملة ، تختلف عن النسخ التى فهرسها الدكتور حمارنة برقم: ٣٢٨٢ و ٣٢٨٣ و ٣٢٨٤ و ١٢١ جاءت الصفحة الأولى من المخطوط مزخرفة ومجدولة بماء الذهـب وأطرت بقية صفحات الكتاب بخـط أسود، ترك لها هامـش بعرض: ٣سـم عليه بعض الشـروح والتعليقات ، كتبت أسمـاء الفصول والأبـواب والحـروف الأبجدية ورؤوس الفقر والعبارات وكثير من الكلمات كتبت بالحبر الأحمر، لها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة . عليها تملكات باسم على بن السيد رشيد ... ابن السيد عثمـان المشهور بابن قضيب البان سنـه ١٣١٥ وباسم الـدكتور أسعـد الحكيم بالإرث من عمـه المرحوم السيـد على الحكيم سنة ١٣٣٥ هـ ، وتملك باسم إبـراهيم بن السيـد عمـر الحكيم سنـة ١٢٤٨ ، وجـاء ضمن مثلث فى الصفحة الأخيرة على هذا الجزء والذى قبله بيده ... محمـد بن محمـد الصروى بجـامع الغمـرى ... وذلك بـرسم الكـريم المقـر العـالـى ... الحسيب النسيب محمـد العـزى المتفـرق بـديـوان مصـر ... وجـاء بخط مغـايـر: تـاريخ المصنف ... مـا هذه صـورته قـال مؤلفـه ... وكان الفـراغ من مسودتـه فى شهر رجب الحـرام سنة ثلاث وسبعين وسبعمـاية جعل الله ذلك لـوجهـه الكـريم ... ولا حول ولا قـوة إلا بـالله العلى العظيم ... تمت .

عـدد أوراقها : ٥٣٧ بقياس : ٢٥×٥ , ٢٤سـم السطور : ٢٧ سطرا .

كتب بخط نسخى جميـل جـدا وبحبـر أسـود وأحمـر، جلدها كرتون مغلف بجلد خمـرى عليه زخارف جميلة مذهبة وله لسان من جلد أحمر .

اسم الناسخ وتـاريخ النسخ : محمد بن محمـد الصروى بجامع الغمرى سنة ١٠٦١هـ

المصادر عن المؤلف والكتاب : كشف الظنون ١/ ٦٩٦ . بـروكلمـان ٢/ ١٣٨ ، والـذيل ٢/ ١٧٠ ، ١٧١ ، معجم المـؤلفين ١٢/ ٦٥ ، معجم المطبـوعات العـربيـة والمعربـة ١/ ٨٨٨ .

طبعات الكتاب .

طبع فى بولاق سنة ١٢٧٥هـ و ١٢٤٨ و ١٢٩٢هـ . وفى الآستانة سنة ١٢٧٢هـ وفى مصر سنة ١٣١٣هـ. وفى المطبعة الأدبية سنة ١٣١٩هـ. وبهامشها عجائب المخلوقات للقزوينى .

قالت المؤلفة : الكتاب الذى عندى وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى هو طبع دار إحياء التراث العربى، بيروت، ومؤسسة التاريخ العربى، بيروت، بدون تاريخ ويقع فى جزءين اهـ.

وطبع فى المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٥هـ ، وفى مطبعة شرف سنة ١٣٠٦هـ، وفى مصر سنة ١٣٣٠هـ . وطبع فى بلاد فارس سنة ١٢٨٥هـ، مع صور ورسوم جميع الحيوانات وبعض الآدميين الوارد ذكرهم فيه ، وترجم كتاب الحيوان أكثره لا كله إلى اللغة الإنكليزية بقلم « جياكار » وطبع فى لندن سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٨ هـ .

أما النسخة الثانية وهى الجزء الثانى، أدرجت فى الفهرس تحت عنوان « حياة الحيوان الكبرى » وجاء بيانه كما يلى :

الرقم : ٩٧٠٩ .

مواضيع المخطوط :

جاء فى الصفحة وقبل فاتحة الكتاب : « ذكر العلوم المجتمعة فى كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى : ـ ١ ـ تفسير ـ ٢ ـ حديث، ـ ٣ ـ فقه ـ ٤ ـ نحو ـ ٥ ـ صرف ـ ٦ ـ معانى ـ ٧ ـ بيان ـ ٨ ـ تصوف ـ ٩ ـ تاريخ ـ ١٠ ـ طبقات ـ ١١ ـ تعبير ـ ١٢ ـ خواص ـ ١٣ ـ طب ـ ١٤ ـ هندسة ـ ١٥ ـ فلك ـ ١٦ ـ رمل ـ ١٧ ـ هيئة ـ ١٨ ـ فرايض ـ ١٩ ـ أدعية ـ ٢٠ ـ حساب ـ ٢١ ـ سيميا ـ ٢٢ ـ كيميا ـ ٢٣ ـ أوفاق ـ ٢٤ ـ لغة ـ ٢٥ ـ عروض ـ ٢٦ ـ أدب ـ ٢٧ ـ ألغاز ـ ٢٨ ـ أحجية ـ ٢٩ ـ معمى ـ ٣٠ ـ شعر ـ ٣١ ـ إنشا ـ ٣٢ ـ أصول فقه ـ ٣٣ ـ منطق ـ ٣٤ ـ أصول حديث ـ ٣٥ ـ أمثال ـ ٣٦ ـ حِكَم ـ ٣٧ ـ بستنة ـ ٣٨ ـ نجوم ـ ٣٩ ـ روحانى ـ ٤٠ ـ رسم كتابة ـ ٤١ ـ خواص ـ ٤٢ ـ أدعية ـ ٤٣ ـ وعظ ـ ٤٤ ـ طلاسم ـ ٤٥ ـ شعبذة ـ ٤٦ ـ توحيد ـ ٤٧ ـ زايرجا ـ ٤٨ ـ سحر » وهذه هى مواضيع الكتاب

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم يا معين الصابرين باب الشين المعجمة الشاذن بكسر الدال المهملة الظبى الذكر... الشارف المسنة من النوق ... أم شبقونة ... طاير يكون من الحمر والغنم ...

خاتمة المخطوط :

... باب الياء يأجوج ومأجوج يهمزان ولا يهمزان ... اليوصى ... طاير بالعراق ... اليعسوب اسم مشترك يقع على طائر نحو الجرادة ... وقيل للسيد يعسوب قومه ... وكما تجتمع النحل على يعسوبها ... وابتدأ بملك الوحش الذى منه الشجاعة تقتفى وحسبنا الله وكفى وصلى الله ... قال مؤلفه فقير رحمة ربه كمال الدين الدميرى رحمه الله كان الفراغ من مسودته فى شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعماية جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تم كتاب حياة الحيوان الكبرى بحمد الله ... وكان الفراغ من كتابته نهار الأحد عاشر شهر شعبان المبارك من شهور سنة خمسة عشر وألف على يد ... محمد بن حسين البعلى الشافعى ... غفر الله له ولوالدين [ولوالديه] ولمن كتب برسمه ... ورضى الله عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن أصحاب رسول الله أجمعين ...

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة حسنة، جاء فى الصفحة الأولى من الورقتين اللتين تسبقان فاتحة المخطوط وبخط كبير: « الجزء الثانى من كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى ... أول هذا الجزء وهو الثانى من حياة الحيوان وبه تتم النسخة كتاب الشين مادة شادن » عليه تملكات، شطب بعضها وبقى منها : تملك باسم محمد الأمين بن خليل بن عبد الرحيم، وآخر باسم عثمان بن مراد الحنفى فى ربيع الأول سنة ١٢١٦ وآخر باسم عبده إسماعيل القتال سنة ١١٠٠ .

كتبت أسماء الأبواب والفصول ورؤوس الفقر والعبارات والكلمات الهامة بالحبر الأحمر، كما وجدت نقط حمراء كثيرة وخطوط حمراء تحت بعض الكلمات، ترك لها هامش بعرض: ٤سم كتبت عليه بعض الشروح والتصويبات، لها تعقيبة منتظمة فى آخر وأول كل ورقة ، كتبت بخط نسخى وبحبر أسود وأحمر . جلدها كرتون مغلف بجلد قديم عليه زخارف وله لسان .

عدد أوراقها : ٣٣٢ بقياس : ٢١ × ١٥ سم وعدد السطور ٢١ - ٢٥ سطرا .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

محمد بن حسين البعلي الشافعي : نهار الأحد عاشر شعبان المبارك سنة : ١٠١٥هـ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

كشف الظنون ١/ ٦٩٦ .

بروكلمان : ٢/ ١٣٨ والذيل ٢/ ١٧٠ .

معجم المؤلفين : جزء ١٢ صفحة : ٦٥/ ٠

معجم المطبوعات العربية والمعربة : ج١/ ص / ٨٨٨

مطبوعات الكتاب :

طبع فى مطبعة بولاق سنة : ١٢٧٥ هـ و ١٢٤٨ و ١٢٩٢ هـ ، وفى الأستانة سنة : ١٢٧٢هـ وفى مصر سنة ١٣١٣هـ وفى المطبعة الأدبية سنة : ١٣١٩هـ ، وبهامشها عجائب المخلوقات للقزوينى ، وفى المطبعة الميمنية سنة : ١٣٠٥هـ وفى مطبعة شرف سنة ١٣٠٦هـ وفى مصر سنة ١٣٣٩هـ وطبع فى بلاد فارس سنة ١٢٨٥هـ مع صور ورسوم جميع الحيوانات وبعض الآدميين الوارد ذكرهم فيه ، وترجم كتاب الحيوان أكثره لا كله إلى اللغة الإنكليزية بقلم « جياكار » وطبع فى لندن سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٨هـ .

(فهرس الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة / ٢٤٥ ـ ٢٥٢ ؛

٤ ـ خزانة القرويين بفاس ، وجاء بيانه كما يلى :

جزءان ضخمان بخط مشرقى واضح ورؤوس الكلام مكتوبة بالأحمر بظهر الورقة الأولى من الجزء الأول وثيقة تحبيس السلطان مولاى عبد الله جميع هذا الديوان على خزانة القرويين عام ١١٥٦ .

أوله : الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان على سائر الحيوان ... قال فى الكشف : فرغ المؤلف من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ قال : وهو كتاب مشهور فهذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه فاضل محقق فى العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتعبير الأسماء المبهمة وجعله نسختين كبرى وصغرى فى كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا . قال السخاوى فى حق الكتاب المذكور وهو نفيس مع كثرة استطراده فيه من شىء إلى شىء وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لما فيها من المناكير وقد جردها الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ ونبه على أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها اهـ ولهذا الكتاب مختصرات .

يبتدىء الجزء الأولى بديباجة الكتاب وينتهى بآخر حرف الصاد وقع الفراغ من نسخه سنة ١٠٩٣ على يد كاتبه قاسم ابن يونس بن رمضان المغربى القريانى بلدًا المالكى مذهبا .

أوراقه ٢٦٠ مسطرته ٣١ مقياسه ٢٩ / ٢٠ .

والثانى مثل الأول خطًا وقالب وهيئة يبتدىء بباب الضاد المعجمة وينتهى بالكلام على اليعسوب من حرف الياء ، قال المؤلف آخره : وكان الفراغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ ومن هذه النسخة المباركة فى شعبان سنة خمس وثمانمائة اهـ . قال ناسخه تم كتاب حياة الحيوان الكبرى فى ثامن شهر ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وألف على يد كاتبه قاسم بن يونس ...

أوراقه ٢٢٧ مسطرته ٣١ مقياسه ٢٩ / ٢٠ .

وتوجد نسخة أخرى بالرقم التسلسلى ٥٥١ جاء بيانها كما يلى :

جزء واحد ضخم بخط مشرقى صحيح جيد منقول من أصول صحيحة وأسماء الحيوانات ورؤوس المسائل فيه بالأحمر أول ورقة فيه من حرف الخاء وآخره حرف الياء ويوجد قبل الورقة الأخيرة نقص نحو الورقة أو الورقتين .

قال ناسخه : وافق الفراغ من نسخة آخر اليوم الخامس والعشرين بخمس بقين من شهر صفر سنة ٨٢٢ على يد فقير رحمة ربه محمد بن محمد بن يوسف الشافعى المنزلى قال كاتبه من نسخة كان فى آخرها مكتوبا ما صورته : كتبت من نسخة كتبت من خط المؤلف وفيها قال كاتبه فقير رحمة ربه وكان الفراغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ جعلها الله تعالى خالصا [خالصة] لوجهه ، وكان الفراغ من نسخة المؤلف فى شعبان سنة ٨٠٥ ، قال ذلك وكتبه محمد بن موسى الدميرى ...

أوراقه ٢١١ ، مسطرته ٢٥ مقياسه ٢٥ / ١٧

ونسخة أخرى بالرقم التسلسلى ٥٥٢ جاء بيانها كما يلى :

الجزء الثانى منه بخط مغربى واضح يبتدىء بباب الضاد

المعجمة، الضاد ... وبين الورقة الأولى والثانية بتر إلى عنقاء من حرف العين وآخره الكلام على اليعسوب وقع الفراغ من نسخه عام ١٠٦٦ كتبه الحسن بن على كما بآخره، وبأوله شهادة استرعائية [استدعائية] بمعرفته من كتب الخزانة بتاريخ عام ١٢٤٧ .

أوراقه ١٤٥ مسطرته ٢٩ مقياسه ٢٨ / ١٨ .

(فهرس خزانه القرويين ٢/ ٦٠ـ٦٣) .

٥ ـ دار الكتب القطرية ، وقد أدرج تحت عنوان « حياة الحيوان » ، وجاء بيانه كما يلى : انظر المعجم ص ٨٨٨ (المجلد الأول) :

نسخة ناقصة من الأول ، كتبت بخط لا بأس به ، ويبدو أن الناسخ من تلامذة المؤلف . ١٦٦ ورقة ٢٤ × ١٥ سم ، مسطرتها ٢٣ سطرا (المنتخب ق٣/ ١٠٩) .

٦ ــ دار الكتب القومية (بمصر) ترجمته التركية وهى بعنوان « ترجمة حياة الحيوان » وجاء بيانها كما يلى :

تأليف كمال الدين أبى البقاء محمد بن مرسى بن عيسى ابن على الدميرى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨هـ .

ترجمة عبدالحليم بن على بن سليمان بن على الرشيد المتخلص بحلمى القريمى . وفرغ من الترجمة فى أواخر ربيع الثانى سنه ١١٣١ هـ .

وهو كتاب مشهور جامع بين الغث والثمين، جمعه المؤلف من خمسمائة وستين كتاب ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى وفرغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣هـ .

أول الترجمة : حمد بيغابه وسپاس بى نهاية أول يزدان جهان آفرينه أولسون كه ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد، بأولها حلية، الورقة الأولى (ظهر) والثانية (وجه) مجدولة ومحلاة بالذهب والباقى بدون جداول، بقلم فارسى عادى، بدون تاريخ، فى ٢٨٢ ورقة، مسطرتها ٢٣ سطرا، فى ٢٠,٥ × ١٥ سم .

(٣ تاريخ طبيعى تركى طلعت) .

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١/ ١٩٧، ١٩٨) . (كشف الظنون لحاجى خليفه ١/ ٦٩٦، ٦٩٧، وتراث المسلمين فى ميدان العلوم» ـ د. محمد جمال الدين الفندى . دراسات فى الحضارة الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ٢/ ٢٥٩ـ٢٦٢، والمنتخب من أدب العرب ـ جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه ٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧٢ ، وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٤ الكيمياء والطبيعيات ــ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٣٧، ٣٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ــ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩١ ، ١٩٢ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ــ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٢٤٥ ــ ٢٥١ ، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢/ ٦٠ ـ ٦٣ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ١٠٩، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ ، ١/ ١٩٧، ١٩٨) .

*** حياة عبد الحميد الألوسى :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التراجم والسير .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١١٢٨٦ .

لعبد الحميد بن عبد الله بن محمد الآلوسى المتوفى سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م وهى ترجمة كتبها المؤلف عن نفسه وأشار فيها إلى آثاره ومشايخه .

نسخة جيدة كتبت سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م .

القياس ١٣ص   ٢١,٥×١٣,٥ سم   ٢٠س

المسك الأذفر / ٣١ معجم المؤلفين ٥/ ١٠٢ معجم المؤلفين العراقيين ٢/ ٢٣٤ .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٢) .

انظر مادة « الآلوسيون » فى م١/ ٥٧٣ .

*** الحياة فى شرح شروط الصلاة :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨٠٨٤ .

تأليف مصلح الدين مصطفى بن حمزة بن إبراهيم بن ولى الدين الشهير بالاطه وى من علماء القرن الحادى عشر كان حيا سنة ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م .

بدأها بذكر نسب النبى ﷺ وشيئا من سيرته ثم، كتب على صفحة الغلاف الحياة فى شروط الصلاة لابن كمال باشا .

أوله : الحمد لله الذى خلق آدم بقدرته ، وأسجد له جميع ملائكته، وأسكنه في جناته ...

وآخره: وفى الشرعة : إن غسل الرجلين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من الصداع . انتهى كتاب الحياة شرح شروط الصلاة . ومخرج مسائل هذه الرسالة مأخوذة من الكتب المعتبرة التى ذكرت فى أول الكتاب .

نسخة جيدة قديمة، عليها وقفية محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية .

الخط نسخ معتاد . بعض الكلمات كتبت بالحمرة .

المراجع : معجم المؤلفين ١٢/ ٢٤٩، فهرس الخديوية ٣/ ٤٢، هدية العارفين ٢/ ٤٤١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨٩، ٢٩٠) .

*** حياة القلوب فيما يزول به علل الجهل والذنوب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ١٠٠٠٢ .

رسالة فى الوعظ والتصوف ضمنها أبواب .

١ ـ فى الإيمان والإسلام .

٢ ـ الورع والتقوى .

٣ ـ فى الصلاة .

٤ ـ فى الزكاة .

٥ ـ فى الصوم .

٦ ـ فى الحج .

٧ ـ فى الأضحية ...

المؤلف : لعلـه محمد بن الحسن بن على الأسنائى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م .

أولها : الحمد لله الذى هدانا إلى دين الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد وآله الكرام وبعد: فهذه رسالة فى علم الدين جمعته ...

آخرها : قال عليه السلام « ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إراقة الدم » وقال عليه السلام : «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم » .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثانية .

الرقم : ٨٠٧١ .

أولها : كالسابقة :

آخرها : ثم يقول يا ملك الموت من بقى من خلقى فيقول: إلهى أنت الباقى الذى لا يموت وجبريل وإسرافيل وميكائيل ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : تمتاز هذه النسخة عن الأولى بأن الباب السابع باب ذكر نداء الروح ولم يذكر الأضحية وهى نسخة مراجعة عليها تملكات منها تاريخه سنة ١١٣١هـ .

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١/ ٦١٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٩/ ٢٠٤ .

طبعة الكتاب : طبع بهامش قوت القلوب اعتبارا من ص ٢٥٧ جزء أول المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٨٨، ٤٨٩) .

***حياة الحسين :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التراجم والسير.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ٢١٥٩٠ .

لباقر شريف القرشى النجفى .

نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف .

القياس ٣٧٧ص ٢١×١٥,٥ سم ١٨س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦١) .

*** حياة القلوب من موعظة المرغوب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٥٣٩٤ .

كتاب في سبعة وتسعين بابا ، الباب الأول في ثواب التعوذ من الشيطان الرجيم وحكايته ، والسابع والتسعين في فضائل الأصحاب ، وكل الأبواب في ثواب الأفعال الشرعية والتعبدية وفيه البعث والجنان وقصص بعض الأنبياء ...

المؤلف : عبد البارى بن طورخان بن طورمش السنيوبى كان حيا سنة ٩٣٦هـ / ١٥٣٠م .

أوله : الحمد لله الذى هدانا بالقرآن المجيد، الذى نزل علينا من الحكيم الحميد، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه بالتأييد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ...

آخره : وأما سعة رحمة الله تعالى قال الله تعالى فى سورة النساء ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ...

الخط نسخ معتاد دقيق، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناسخ : إبراهيم بن حمزة بن مسعود .

تاريخ النسخ : ذى الحجة سنة ١٢١٢ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومصححة من قبل الناسخ الورقة الأولى مذهبة وقد ذكر أنه استفرغ جهده فى ذلك حيث إن النسخة التى نقل عنها فيها بعض التحريف .

ـ نسخة ثانية :

الرقم : ١٣٨١ تصوف ٦١ .

أولها : مخروم يبتدىء بـ الباب السابع فى ثواب الصلاة على النبى ﷺ وفيه خمس فصول ويأتى ذلك فى ق ٣٨ من النسخة السابقة ...

آخرها : مخروم ينتهى بـ الباب الخامس والثمانين بـ: ونزع قميصه وربط يده وتله للجبين أى صرعه على شقه الأيمن، ويوافق النسخة السابقة فى ق٢٨٣ .

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر...

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١ / ٦٩٨ بروكلمان الذيل ٢ / ٦٥٤ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٦٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٠ ، ٤٩١) .

*** حيث:**

حيث : ظرف مكان . قال الأخفش : وترد للزمان مبنية على الضم تشبيها بالغايات ، فإن الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، ولهذا قال الزجاج فى قوله تعالى ﴿ **من حيث لا ترونهم** ﴾ [الأعراف : ٢٧] ما بعد حيث صلة لها وليست بمضافة إليه : يعنى أنها غير مضافة للجملة بعدها فصارت كالصلة لها : أى كالزيادة، وليست جزءا منها . وفهم الفارسى أنه أراد أنها موصولة فرد عليه . ومن العرب من يعربها ، ومنهم من يبنيها على الكسر بالتقاء الساكنين وعلى الفتح للتخفيف ، ويحتملهما قراءة من قرأ ﴿ **من حيث لا يعلمون** ﴾ [القلم : ٤٤] بالكسر ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالاته** ﴾ [الأنعام : ١٢٤] بالفتح ، والمشهور أنها لا تتصرف . وجوز قوم فى الآية الأخيرة كونها مفعولا به على السعة . قال: ولا يكون ظرفا لأنه تعالى لا يكون فى مكان أعلم منه فى مكان ، ولأن المعنى : الله يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئا فى المكان، وعلى هذا فالناصب لها يعلم محذوفا مدلولا عليه بأعلم لا به ، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إن أولته بعالم . وقال أبو حيان: الظاهر إقرارها على الظرفية المجازية وتضمين أعلم معنى ما يتعدى إلى الظرف، فالتقدير: الله أنفذ علما حيث يجعل: أى هو نافذ العلم فى هذا الموضع .

(الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٢١١) .

*** حيدر آباد :**

مملكة حيدر آباد تقع فى إقليم الدكن لا تضاهيها إمارة بسعة المساحة وكثرة السكان والمزارع والمناجم من الذهب والفضة والألماس . وهى التى تسمى بالدولة الآصفية ، تحكمها أسرة من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

تأسست على يد الأمير نظام الملك آصف جاه قمر الدين ابن غازى الدين ابن الخواجة عابد الصديقى الحنفى، الصدر الأعظم لمحمد شاه التيمورى سلطان الهند، استقل بها

خمسـا وعشريـن سنة ، ومـات سنـة إحـدى وستيـن ومـائة وألـف .

ثم قام مقامه ولده نواب نظام الدولة « ناصر جنك » ومدته سنتـان مات سنـة أربع وستين ومائة وألف، ثم ولي المملكـة أخوه « صلابت جنك » ومدته إحدى عشرة سنة فخلعه الوزراء سنـة خمس وستين ومـائة وألف، ثم ولي أخـوه نظـام الملك نواب نظـام على خان الآصف جاه الثاني، واستقل بهـا أربعا وأربعين سنـة ، وكان ملكـا حازمـا شهما مقـدما، مـات سنة ثماني عشرة ومائتين وألف، ثم ولي ولـده «سكندرجاه» وكان فـاضلا استقل بـالملك ستا وعشـرين سنـة ، مات سنـة أربع وأربعين ومائتين وألـف، ثم ولده نواب نـاصر الـدولة واستقل بـالملك ثمـانيـا وعشريـن سنة ، مـات سنـة ثـلاث وسبعين ومائتين وألف ثم ولي ولـده نواب أفضل الدولة وامتـدت أيامه إلى اثنتي عشرة سنة ، مات سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ثم ولي ولده ميـر محبوب علي خـان ، وكان ابن سبع سنين، فصـار الوصـي على عرشـه وزيـره مختار الملـك فدار نظـام المملكة حتى ظلت آمنة مطمئنـة، ولما توفي الوزيـر المذكور سنة تسع وتسعين ومائتين وألف وصـار الملك رجلا أخذ بيده عنان السلطـة بحكمة وهمـة عاليـة ومهارة فـائقة وخبـرة تامـة بشؤون بلاده. وفي سنة ١٣٣٨هــ أصدر أمره بتنظيم الجمعية التشريعية وهـي تتكون من تسعة أعضاء وأنشأ جـامعة مستقلة سماها الجامعة العثمانية وأسس دار الترجمة عام ١٩١٧م كما أسس دائرة المعـارف العثمـانية ومطبعتهـا الشهيرة التي طبعت آلاف الكتب باللغة العربية وغيرها بشتى الفنون والعلوم .

وكان يبعث الطلاب المتفوقين إلى الجامعات العربية على حسـابه ، وكـان قـد اتسع نطـاق كرمـه من أقصى الهنـد إلى أقصاها، والغيت كافة الإمارات على أثر التقسيم سنة ١٩٤٧ م إلا حيدر آباد فقد بقيت مستقلة حتى دخلتها الجيوش الهندية في شهـر أيلـول (سبتمبـر) عـام ١٩٤٨م فـانضمت إلى الجمهورية الهندية .

(ملوك وأمراء العرب في شبه القارة الهنـدية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي / ١٦٧ ، ١٦٨ عن نزهة الخواطر ٩ / ٢٩٧ـ٣٠١) .

*** الحيدر آبادى (١٢٦٤ـ١٣٣٦هـ):**

من علماء العرب في شبه القارة الهنـدية . عربي من ذرية عمـر بن الخطاب، وهـو العلامـة الشيخ أنوار الله بن شجـاع الـدين بن القاضي سـراج الدين العمـري الحنفي القندهـاري الحيدر آبادي ـ أحد العلماء المشهورين .

ولد لأربع خلـون من ربيع الآخر سنـة ١٢٦٤هــ بقندهـار قرية من أعمال ناندير من أرض الدكن، ولما شب حفظ القرآن الكريم وقرأ المختصرات على أسـاتذة بلاده ثم درس في بلدة حيـدر آبـاد على العـلامــة الشيخ عبـد الحليـم الأنصـاري اللكهنـوي ثم لازم ابنـه الشيـخ عبـد الحي اللكهنـوي ودرس التفسير على الشيخ عبد الله اليمنـي، وقرأ كتب التصوف على والـده وأجيز منـه بـالعلم والطريقـة وبـرع في كثير من العلـوم والفنون ثم توظف في الحكومة واستقال بعد مدة قصيرة وذهب لأداء فريضـة الحج سنة ١٢٩٤هـ فلقي الشيخ الكبيـر الحاج إمداد الله نزيل مكة المكرمة فأخذ عنه الطريقة وأجازه .

واختير معلمـا لصاحب الدكن سمو الأميـر محبوب علي خان النظـام السادس، سنة ١٢٩٥هـ ولقب بخـان بهادر سنة ١٣٠١هـ وفي نفس السنة أدى فريضة الحج للمرة الثانية وفي سنة ١٣٠٥ هـ حج للمـرة الثالثة وأقام بالمدينـة ثلاث سنوات ورجع إلى حيدر آباد سنة ١٣٠٨ هـ ، وعين معلما لولي العهد الأميـر عثمان علي خـان ، ولما مـات صـاحب الدكن الأميـر محبـوب علي سنة ١٣٢٩ هـ ، وتولى ولده حكم الـدكن عينه لمنصب الصـدارة والاحتساب وكـان ذلك سنة ١٣٣٠هـ وولاه وزارة الأوقـاف سنة ١٣٣٢هـ، ولقبـه « نواب فضيلت جنك » وفي ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ عين معلما لولي العهد وصنوه، وصارت له الوجاهة والكلمة النافذة في الأمور الدينية والمسائل الشرعية وقام بإصلاحات كثيرة وانتفع به البلاد والعباد .

وكان أوحـد زمانـه في العلوم العقليـة والنقلية وقـد تصدر للتـدريس والمطالعـة والتأليف، فأسس المـدرسـة النظاميـة بحيـدر آباد سنة ١٢٩٣هــ ، وأسس مجمعا علميـا للتأليف والنشـر سماه إشـاعة العلـوم . وله مصنفـات كثيرة بـالعربيـة والأرديـة، منهــا إفادة الأفهــام في مجلـدين في الـرد على القـاديانيـة، وكتـاب العقل في الفلسفة القـديمـة والجديـدة وحقيقـة الفقـه في مجلـدين ، ومنـاقب أبي حنيفـة ، وأنـوار أحمدي في مـولد النبي ﷺ، ومقاصد الإسلام فـي أحد عشر جزءًا كلها في الأردية وله غير ذلك من المؤلفات .

مات فى نهاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦ هـ ودفن فى المدرسة النظامية التى أسسها .

(علماء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٧٣٤ ، ٧٣٥ عن سير العارفين / ٦٠ ، ونزهة الخواطر ٨ / ٧٨ ـ ٨٠) .

*** الحيدرخانة (جامع ـ) :**

من جوامع العراق .

يطل هذا الجامع اليوم على شارع الرشيد ، من جهة اليسار فى محلة الحيدرخانة ببغداد الشرقية . أمر بتشييده داود باشا ، وإلى بغداد ١٢٣٢ ـ ١٢٤١ هـ / ١٨١٦ ـ ١٨٢٥ م ، ولكن البناء تم عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م وسجل تاريخ البناء واسم من أمر به على لوحة مثبتة فى هذا المسجد ، وهذا الجامع من أكمل جوامع العراق الأثرية وأجملها من حيث تخطيطه وعمارته وتحليته الزخرفية . وبناؤه متين وعمارته جيدة ولم يتعرض لأعمال التجديد والتعمير إلا فى مجالات ضيقة جدا لم تؤثر قطعا على جوهرياته .

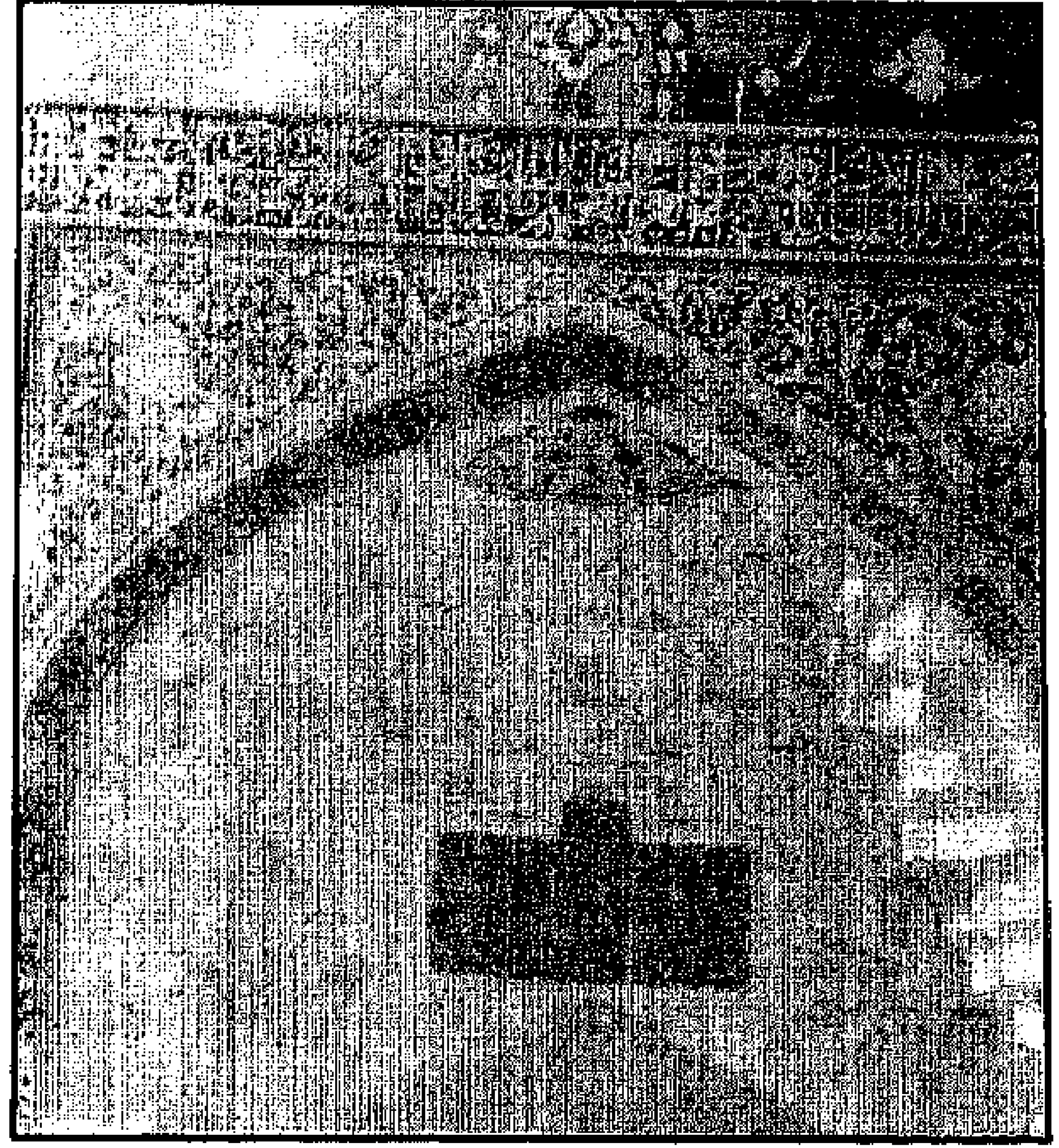
وجامع الحيدرخانة أوسع جوامع بغداد الأثرية على ما هى عليه الآن فهو يشغل قطعة أرض شبه منحرفة أبعادها ٧٦× ٦٩ , ٥٠ مترا يسورها جدار ضخم يشكل جدران الجامع الخارجية .

تخطيط هذا الجامع على طراز تخطيط جامع مجاهد الدين فى الموصل وجامع المرادية فى بغداد من حيث الأساس . فبيت الصلاة يشغل القسم الجنوبى الغربى من المسجد ويتألف من بيت صلاة شتوى وآخر صيفى . والمصلى الشتوى مستطيل الشكل أبعاده ٣٠× ٢٧ مترا ويتألف من ثلاثة أساكيب وثلاث بلاطات ، ويتسم بسعة بلاطة المحراب فهى مربعة وتشغل نصف بيت الصلاة تقريبا ويمتاز أيضا بسعة الإسكوب الأوسط ومثل هذه الحالة غير مألوفة فى بيوت صلاة الجوامع الأخرى من هذا الطراز. وعرض الإسكوب الأوسط يقارب عرض الإسكوبين الآخرين أما المصلى الصيفى فمستطيل الشكل أيضا يتكون من رواق واحد وينفتح على الصحن بثلاث فتحات أوسعها الفتحة الوسطى ويضم هذا الجامع بالإضافة إلى هذا المصلى المسقوف مصلى آخر مكشوفا يشغل الصحن المجاور للمصلى المكشوف فى الجهة الشمالية الغربية . وهو مربع الشكل تقريبا .



(لوح ٦٧) : جزء من مصلى جامع الحيدرخانة الشتوي .

شيد جامع الحيدرخانة بطابوق وجص ويتصف بناؤه بمتانة وضخامة ظاهرة . ويزيد سمك جدران بيت الصلاة على المترين وقد بنيت بهذه الصورة لتتحمل ثقل القبة الضخمة التى تغطى بلاطة المحراب ، وتفصل بين أساكيب المصلى وبلاطاته دعامات ضخمة ، الوسطية منها مربعة طول ضلعها ٢م أما الجانبية فمستطيلة أبعادها ٢×٥ , ٢مترا ، وتجلس قبة بلاطة المحراب على رقبة أسطوانية قطرها ١١ مترا ويرتفع رأس القبة عن مستوى أرض المصلى ١٨ مترا وهذه القبة هى أكبر قباب مساجد العراق السابقة وأجملها من حيث شكلها والتحليات الزخرفية التى تزينها من الخارج والداخل . وهى بصلية الشكل وقد كسيت من الخارج بغطاء مع قراميد قاشانية ذات زخارف تتألف من فروع نباتية تلتف وتلتوى لتغطى كامل القبة وبلون أزرق نيلى وأصفر برتقالى على أرضية بلون أزرق مخضر . ورقبة هذه القبة طويلة نسبيا إذا ما قورنت مع رقاب القباب السابقة وتتخللها ثمان نوافذ ذات عقود مدببة ومتبادلة مع ثمانى حنايا بنفس الطراز وزينت بداية رقبة القبة من الداخل بشريط مشغول بكتابات من آيات قرآنية يحدد النوافذ من الأسفل ويناظره شريط آخر يعلو النوافذ يشغل أيضا بكتابات بخط جميل وزخرفت قمتها من الداخل أيضا



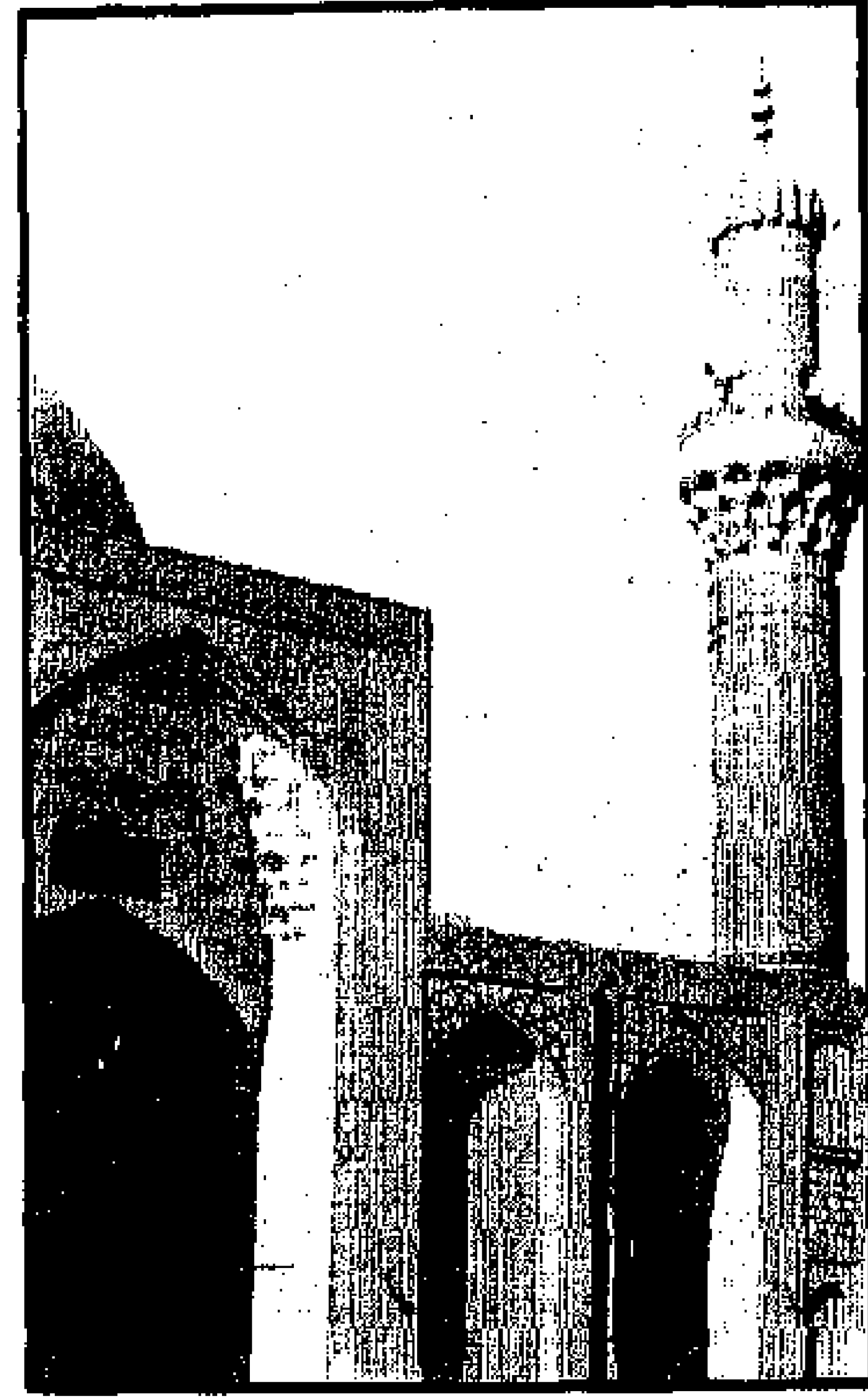
(لوح ٦٨) : ايوان مصلى جامع الحيدرخانة الصيفي .

بشكل دائري مشغول بزخارف نباتية جميلة وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن رقبة القبة من الخارج قد غطيت بأجمل الزخارف النباتية المنقوشة على قراميد قاشانية ويطوق الرقبة فوق عقود النوافذ شريط كتابي جميل . تغطى بقية أجزاء المصلى الشتوى والصيفى قباب صغيرة مفلطحة عدا قبتين ترتفعان عن مستوى وجه سطح المصلى ٥ , ٥ مترا وهما على طراز قبة بلاطة المحراب شكلا وزخرفة ولكنهما صغيرتان وتغطى كل منهما مربعتى الإسكوب الأوسط الجانبيتين .

تتوزع على جدران بيت الصلاة الشتوى عدد من الحنايا والنوافذ، ذات عقود مدببة مثل العقود التى ترفع قواعد القباب فى هذا المصلى. وتفنن المعمار فى إشغال القسم العلوى من هذه الحنايا غير النافذة بتشكيلات من مقرنصات جميلة ، لغرض الزينة ليس إلا (لوح ٦٧) .

تتوسط حنية المحراب جدار القبلة وهى ذات عقد مدبب وتجويفه مضلعة ذات خمسة وجوه . ويغور المحراب بمقدار ١,٣٠ مترا وتبلغ سعة فتحته ١,٥٠ مترا. وغطى بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية وكتابات جميلة وإلى يمين المحراب يقع منبر الجامع المعمول من الرخام المعرق والملحى بزخارف نباتية بارزة . أما المقصورة فقد عقدت بين دعامتى الإسكوب الوسط إلى شمالى المنبر. والمصلى موزر بألواح رخامية جميلة إلى ارتفاع معين . أما بقية الجدران والقباب فقد كسيت بالجص. ويوصل هذا المصلى بالمصلى الصيفى مدخل يتوسط الجدار الشمالى الشرقى ويقع على الخط المحورى للمحراب . وهذا الباب واسع نسبيا وتعلوه حنية نافذة يرتفع عقدها بارتفاع عقود رواق المصلى الصيفى التى تحمل قباب سقفه .

يتألف المصلى الصيفى من رواق واحد طوله ٢٧ مترا وعرضه ٥ , ٥ أمتار ويطل على الصحن بثلاث بوائك بهيئة أواوين أوسعها إيوان البائكة الوسطى الذى يبلغ ٥ , ٥ مترا وأهم ما فى المصلى تكوين واجهته العمارى والتحليات الزخرفية التى تزينها ويتوسط الإيوان الرئيسى هذه الواجهة ويشكل المدخل الرئيسى إلى بيت الصلاة . وتكوين هذا المدخل العمارى لا يختلف كثيرا عن تكوين عدد من مداخل الجوامع والمساجد والخانات فى بغداد بالدرجة الأولى . فهو مستطيل الشكل يبرز قليلا عن مستوى وجه جدار الواجهة ويرتفع بشكل بارز فوق مستوى سطح المصلى . وبالإضافة إلى ذلك فقد وزعت الحنايا النافذة وغير النافذة على جانبيه بالتناظر وهى ذات عقود مدببة مثل عقوده . والشريط المستطيل الذى يحف به غير عريض وشغل الضلع الأعلى منه بكتابات بلون أصفر برتقالى على أرضية زرقاء نيلية . يؤطر هذا الشريط عقد الإيوان الإمامى وهو عقد مدبب، مستوى الوجه ومحفوف من الجانبين بحزام مفتول ومشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية دقيقة مشرقة الألوان . وزينت كتفا العقد أيضا بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية لا تقل جمالا وروعة عن حشوة العقد . وأجمل ما فى هذا الإيوان التركيبات المقرنصة التى تشغل حنية العقد الخارجي وقد جعلت من أحد عشر صفا تبرز عن مستوى وجه الحنية بهيئة عناقيد دقيقة التركيب متناسقة المظهر. وينتهى الإيوان بعقد مدبب الشكل فى نهاية الإيوان إلى المصلى ويتناظر ارتفاعا مع عقد نافذة ضخمة تقع فوق باب مدخل المصلى الشتوى (لوح ٦٨) وتجاور الإيوان ، كما ذكرنا حنايا زينت أكتاف عقودها وحافة الجدار من الأعلى بتشكيلات زخرفية هندسية جميلة ناتجة



(لوح ٦٩) : مأذنة جامع الحيدرخانة .

عن التفنن عن صف أرباع الطابوق المزجج ذى الألوان المختلفة .

ومئذنة جامع الحيدرخانة تشبه مأذنة جامع المرادية من حيث شكلها وموقعها وعناصرها المعمارية ولكنها تختلف عنها فى كسوتها الزخرفية فهى تحتل الركن الشمالى الشرقى من بيت الصلاة وتظهر وكأنها جزء منه . وهذه المأذنة رشيقة يبلغ ارتفاعها ٢٠ مترا . وقطر بدنها ٩٠ , ١ متر ويجلس بدنها الأسطوانى الشكل على قاعدة مربعة ترتفع ٨ أمتار عن مستوى سطح الأرض وتندمج فى ركن المصلى كما ذكرنا . ويخترق بدنها سلم حلزونى يكون الوصول إليه من سطح المسجد ويؤدى إلى حوض المأذنة . ويستند حوض هذه المأذنة على أربعة صفوف من المقرنصات تشبه فى تشكيلها مقرنصات حوض مأذنة جامع المرادية . فتشكيلة الصف الأول عبارة عن صف من حنايا ذوات عقود مدببة مستوية وذوات حافات بارزة فقط . وتبرز رؤوس مقرنصات الصف الثانى وبمستويين مختلفين وهى زوجية فى تكوينها أما مقرنصات الصف الثالث ففردية ولكن تتباين حناياها فى مستوى تقعرها . ومقرنصات الصف الأخير تتألف من وحدات ثلاثية تشغل حنية ذات عقد مقصوص تستند حافات الحوض عليها .

ورقبة المئذنة أسطوانية رشيقة فى مظهرها ويزيدها جمالا رأسها المضلع ذو الشكل المقبب والمدبب النهاية قليلا وتبرز قاعدة الرأس عن مستوى وجه الرقبة حيث تسندها رؤوس صف من مقرنصات مستوية ذوات حافات بارزة .

تتميز مئذنة جامع الحيدرخانة بكسوتها الزخرفية الفريدة بين مآذن الجوامع المار وصفها . فتشكيلاتها الزخرفية تجمع بين الأشكال الهندسية والعناصر النباتية والكتابات بخطوط متنوعة وهذا لم نجده فى أى من المآذن السابقة وهى بالإضافة إلى ذلك تجمع بين تقنيتين مختلفتين فى صناعة التحليات الزخرفية وهى التشكيلات الناتجة عن التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج والتكوينات المصممة على قراميد قاشانية . ولم تزين أى من المآذن السابقة بكتابات كثيرة تغطى البدن والرقبة مثل هذه المئذنة (لوح ٦٩) .

وزينت الأقسام الظاهرة من قاعدتها بمعينات ناتجة من التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج وعلى مستوى واحد مثل بقية تشكيلات المئذنة الزخرفية . وطُوِّق البدن من الأسفل بشريط ضيق مشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف جميلة ومحفوف بحزامين مفتولين بارزين قليلا عن مستوى وجه البدن . ويعلو ذلك نطاق واسع يشغل معظم البدن تتكون تشكيلته الزخرفية من أشرطة مائلة تتحرك على البدن من اليسار إلى اليمين حددت بخطوط ناتجة من التفنن فى صف من أرباع طابوق مزجج بلون أزرق شذرى ومشغولة بكتابات كوفية تتألف من كلمات مرتبة فى أوضاع مختلفة وناتجة من التفنن فى صف أرباع طابوق مزجج وبلون أزرق نيلى . وتنحصر الكتابات بين حزامين من أنصاف معينات مسننة تشبه إلى حد كبير تلك التى تزين بدن مئذنة جامع الكواز فى البصرة ولكن النطاق المشغول بالكتابات فى هذه المئذنة يختلف إلى حد ما عن نطاق كتابات مئذنة جامع الكواز. ويتوج هذا النطاق شريط ضيق يناظر فى سعته وحوافه الشريط الأسفل. ويلى هذا الشريط شريط آخر أعرض منه ومشغول بكتابات كوفية جميلة جدا مصممة على قراميد قاشانية ذات لون أصفر برتقالى . أما الكتابات فجعلت بلون أزرق نيلى وشغلت حنايا المقرنصات بقراميد قاشانية جميلة . وغطت الحوض تشكيلة من زخارف معينية ناتجة من التفنن فى صف

أرباع الطابوق المزجج . وكسيت الرقبة مثل البدن بأشرطة مائلة مشغولة بكتابات كوفية جميلة ويفصل هذه الكتابات عن مقرنصات الرأس شريط محلى بزخارف وغطيت المقرنصات والرأس بقراميد قاشانية ذات زخارف لطيفة .

يسور جامع الحيدرخانة جدار سميك مرتفع نسبيا ويمكن الدخول إلى الجامع عن طريق ثلاثة مداخل بهيئة أواوين أو مجازات تتصف بتركيبها المعمارى المتشابه وعقودها المدببة المنفرجة ومقرنصاتها الجميلة وقراميدها القاشانية التى تغطى أجزاء واسعة من عقودها ووجوهها . يتوسط أحد هذه المداخل الجدار الجنوبى الغربى منفتحا على شارع الرشيد وفاصلا بين المصلى الشتوى المسقوف والمصلى الصيفى المكشوف الذى يشغل الصحن الشمالى الغربى . ويقع المدخل الثانى فى الركن الجنوبى الغربى مطلا على شارع الرشيد أيضا يؤدى إلى مجاز يفصل المصلى الشتوى عن الجدار الجنوبى الشرقى حيث يقود إلى الصحن الواسع الذى يشغل القسم الشرقى من المسجد . أما الباب الثالث فيخترق مجازه الجدار الشمالى الغربى ويؤدى مثل ذلك الذى يتوسط الجدار الغربى إلى المسجد الصيفى المكشوف .

وتحلى جدران الجامع الخارجية هذه مجموعة من حنايا واسعة نسبيا ، ترتفع بارتفاع الجدار تقريبا وتشغل جدارى المصلى الصيفى من الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية من الداخل والخارج وقد زينت أكتاف عقودها وهامات جدرانها بتشكيلات زخرفية معنية ناتجة من التفنن فى صف أرباع الطابوق وكانت هذه الحنايا المعقودة تشغل كل وجه الجدار الجنوبى الغربى ، جدار القبلة ، من الخارج ولكن وبسبب أهمية المنطقة التجارية فقد أضيفت إليها أبنية أدت إلى إخفائها وتشويه منظر واجهة هذا الجامع الفريد وقد قامت رئاسة ديوان الأوقاف بإعادة إكساء واجهات الدكاكين التى تتقدم الواجهة الأصلية بتشكيلة زخرفية أجرية ذات عناصر بارزة وتوجت ذلك بنطاق من كتابات بلون أصفر برتقالى على أرضية زرقاء داكنة وعملت حشوة الشريط هذه من قراميد قاشانية على طراز بعض كتابات الجامع وقد شوهت هذه الزخرفة التى لا تنسجم مع طراز تشكيلات الجامع الزخرفية وتقنيتها وألوانها شوهت واجهة الجامع ونأمل أن تزال الأبنية المضافة وتعاد الواجهة إلى أصلها .

ويلتصق بجدران الجامع من الداخل عدد من الغرف والمرافق خصصت لإيواء الطلبة حيث ألحقت به مدرسة لعلوم الدين .

يعتبر جامع الحيدرخانة من أجمل مساجد العراق تخطيطا وعمارة وزخرفة ، فهو يمثل استمرار طراز تخطيط جامع مجاهد الدين والمرادية ويكشف عن استمرار العناصر المعمارية التى نمت وازدهرت فى القرون السابقة . وفيه أضخم قبة معروفة تتصف بشكلها البصلى الجميل ورقبتها الطويلة المحلاة بأروع الزخارف النباتية وتشتهر بكسوتها القاشانية ذات زخارف نباتية متقنة . كما يشتهر بمئذنته الوحيدة فى كثرة الكتابات التى نقشت ويمتاز أيضا بإيوان مدخل مصلاه الصيفى المسقوف الذى يضاهى عددا من مداخل المدارس والخانات والمساجد فى الطراز العمارى والتحليات الزخرفية . وفى جامع الحيدرخانة استعمل الخط لإشغال عشرات الأمتار من الأشرطة التى تطوق رقاب القباب وتحلى الهامات وتكسى الأبدان . ولم تستعمل الكتابات بهذه التقنية وهذه السعة فى أى من الجوامع السابقة . ونجد فى زينة هذا الجامع مئات الأمتار المربعة من الزخارف المصممة على قراميد قاشانية ليس لها ما يناظرها فى الجوامع الأخرى . ويوازى ذلك أيضا المساحات الكبيرة المشغولة بتشكيلات زخرفية ناتجة فى التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج وبطريقة منسجمة جدا مع التشكيلات الزخرفية فى القراميد القاشانية . أما بناؤه فهو بدوره أضخم وأكثر إتقانا من بناء أى من الجوامع القائمة فى بغداد .

وتجدر الإشارة أخيرا إلى عدد من جوامع بغداد تعاصر جامع الحيدرخانة وتصغره عمرا . وأروع هذه الجوامع هو جامع الأحمدى الذى يقوم فى محلة الميدان من بغداد الشرقية وهو يناظر جامع المرادية تخطيطا وعمارة وزخرفة إلى حد بعيد ومن بينها أيضا جامع الأصفية الذى يجاور المدرسة المستنصرية من الجهة الشمالية الغربية ويشتهر بمئذنته ذات الحوضين والشاهقة الارتفاع والمغطاة بأجمل القراميد القاشانية المزخرفة بأدق الزخارف كما يشتهر جامع الأصفية بقبتيه المتجاورتين اللتين تغطيان بيت الصلاة فيه وجامع النبى يونس فى الموصل الذى يتميز بمئذنته الأسطوانية المشهورة

والممتدة برشاقتها وحوضيها الجميلين ورأسها المدبب (لوح ٧٢) وقد بنيت هذه المئذنة على طراز مآذن اسطنبول في جامع السليمانية وغيره .

(العمارات العربية الإسلامية في العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ١/ ٢٥٢-٢٦٥) .

*** حيدر (زاوية الشيخ -) :**

من زوايا القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . يقول عنها الدكتور العسلي :

زاوية الشيخ حيدر: تقع هذه الزاوية في حارة الشرف بالقدس عند قنطرة تسمى قنطرة دار غنيم . وتدعى الزاوية أيضا مزار الشيخ حيدر وللزاوية باب يفتح شمالا ويؤدي إلى صحن مكشوف فيه قبر يقال إنه قبر الشيخ حيدر.

وقد شاهد فان برشم في موقع الزاوية لوحة كتب عليها ما يلي ، بالخط النسخي المملوكي وبأحرف كبيرة جميلة :

« بسملة ... ... إلا الله تولى عمارته الفقير إلى الله محمد الحـ (يد) ري غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين بتاريخ أربعة وتسعين (سبعين ؟) وستمائة » .

وهناك من يقول إن الشيخ حيدر هذا من ولد غانم ، شيوخ الخانقاه الصلاحية أو جدهم ، لكن إثبات ذلك غير متيسر. واللوحة المشار إليها لا تدل على أن الشيخ محمد الحيدري المذكور أنشأ الزاوية أو أنه عمَّرها فقط . ويذكر فان برشم ، نقلا عن مجير الدين قوله : إنه اطلع على مرسوم للسلطان قلاوون أنعم السلطان بموجبه برسم الزاوية ، بغرارتين من القمح شهريا إنعاما مستمرا . وتاريخ المرسوم سنة ٦٨٠ . وباختصار فإن كل ما يمكن قوله إن شخصا يدعى الشيخ حيدر. ينتمي أو لا ينتمي إلى عائلة غانم ، أسس في هذا المكان زاوية وطائفة تدعى طائفة الحيادرة ، في تاريخ غير معروف ، ومن الممكن أن شخصا يدعى محمد من آل غانم انتسب إلى الشيخ حيدر وعمر الزاوية في القرن السابع وأنعم السلطان قلاوون سنة ٦٨٠ عليه وعلى الزاوية بغرارتين من القمح شهريا .

زاوية الشيخ حيدر اليوم خراب . وكانت عامرة سنة ١٢٠٥ وقد أشار مجير الدين إلى الزاوية بقوله : إن حارة الحيادرة سميت بهذا الاسم نسبة إلى زاوية بها لطائفة الحيادرة وإن الحارة والزاوية تقعان بجوار حارة الشرف من جهة الشمال (الأنس الجليل ٢/ ٥٢)

(معاهد العلم في بيت المقدس - د. كامل جميل العسلي / ٣٦٧) .

*** حيدرة :**

اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه . يقول صاحب « عمدة الطالب » في الكلام على نسبه : وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها ، وكان قد ولد وأبوه غائب فسمته فاطمة بنت أسد باسم أبيها ، فلما قدم أبو طالب سماه عليًّا . ومن هنا يسمى أمير المؤمنين « علي حيدر » لأن حيدرة من أسماء الأسد ، وقد ذكر ذلك في شعره يوم خيبر فقال رضي الله عنه

*** أنا الذي سمتني أمي حيدره ***

قالت المؤلفة : البيت بتمامه كما ورد في ديوان الإمام علي (ص٥٣) هو :

أنـــا الـــذي سمتني أمي حيــــدرهْ
ضـــرغـــام آجـــام وليث قســـوره

ويعلق سماحة الشيخ السيد محمد صادق آل بحر العلوم رحمه الله في هامش(٢) على القول بأن عليًّا رضي الله عنه وُلد وأبوه غائب بقوله : التاريخ الصحيح يوحي إلينا أنه كان بمكة حين الولادة .

(عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب للنسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبة/ ٥٨ ، ٥٩ وهامش (٢) للمصحح ، وديوان الإمام علي - جمع وترتيب عبد العزيز الكرم . بدون تاريخ / ٥٣) .

*** ابن حيدرة الرحبي (-٦٦٧ هـ):**

ذكره صاحب عقد الجمان في وفيات سنة ٦٦٧ وقال عنه :

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة الرحبي ، شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرسة الدخواريَّة عن وصية واقفها له بذلك ، لتقدمه في هذه الصناعة على أقرانه وأهل زمانه .

ومن شعره :

يُســاق بنــو الــدنيــا إلى الحتف عنــوة
ولا يشعـــر البــاقي بحــالـــة من يَمْضي
كـأنهـم الأنعـــام في جهـل بعضهـــا
بمـــا تمَّ من سفـك الــدمـاء على البَعْض

لـه تـرجمـة فى : الـوافى ٢٢/ ٣٥١ رقم ٢٤٥، البـدايـة والنهاية ١٣ / ٢٥٥ ، عيون الأنباء ٢/ ١٩٥ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٧ وفيه توفى سنة ٦٦٨هـ السلوك ١/ ٥٨٣ .

(عقد الجمان لبدر الدين العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٢/ ٥٢، ٥٣) .

*** حيدرة العباسى (٧٦٧ هـ) :**

من مدرسى الفقه الحنفى بالمدرسة المستنصرية ببغداد

قال ابن حجر : (الدرر الكامنة ٢/ ٨١) حيدرة بن محمد بن يحيى بن هبة الله بن المحيا العباسى، محيى الدين، أبو الحسن بن أبى الفضائل الحنفى مدرس المستنصرية ببغداد. روى عن صالح بن عبد الله بن الصباغ عن أبى المؤيد محمد ابن محمود بن محمد الخوارزمى مسند أبى حنيفة من جمعه. سمع منه صاحبنا تاج الدين النعمانى قاضى بغداد سنة ٧٦٥هـ . وذكر أن شيخه هذا توفى ببغداد فى جمادى الآخرة سنة ٧٦٧هـ . وجاء فى الدرر (١/ ٢٣١، ٢) أن جلال الدين الكازرونى البليانى سمع من حيدرة بن محمد بن يحيى ابن المحيا العباسى. قال ابن حجر: وذكره ابن الجزرى فى مشيخة الجنيد التى خرجها له لما قدم عليهم شيراز وقال: إنه أجاز للجنيد من بغداد فى صفر سنة ٧٩٥هـ. ويظهر أنه من نسل الشيخ محيى الدين محمد بن المحيا العباسى الذى عين فى سنة ٦٧٤هـ خطيبا بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان، كما كان قد عين لصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية. وكان الواقف قد شرط ألا يخطب بها إلا هاشمى عباسى. ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمى سواه (الحوادث الجامعة/ ٣٨٥) .

وقال ابن حجر أيضا (الدرر الكامنة ٣/ ١٠٨) : على بن محمد بن يحيى بن هبة الله العباسى الحنفى البغدادى. سمع صحيح مسلم على عبد الكريم بن بلدجى معيد الحنفية بالمستنصرية. وأحكام ابن تيمية على الرشيد بن أبى القاسم عنه . وولى قضاء بغداد، ونقابة الأشراف. ودرس، وخطب. ومات فى شهر رجب سنة ٧٦٧هـ .

وترجم له ابن شهبة (الورقة ١٧٩ من مخطوطة باريس) فقال: حيدر بن على بن محمد... الشريف عماد الدين أبو الحسن، القرشى، العباسى الحنفى، البغدادى. سمع من عبد الكريم بن بلدجى، وست الوزراء بنت أبى البدر، والرشيد ابن أبى القاسم . سمع منه ابن رجب، وذكره فى معجمه ، وقال: ولى القضاء ببغداد، ودرس بالبشيرية، والمستنصرية، وولى نقابة الطالبيين، والعباسيين، ومشيخة رباط الجنيد، وخطب بالجامع الأعظم بها. ورأس الخطباء على قلة ورع.

وقد ذكره ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب فقال: عماد الدين أبو الحسن محيى الدين بن شرف الدين يحيى بن المحيا العباسى البغدادى، النقيب الخطيب، من البيت الأثيل، والأصل الأصيل. وعماد الدين كريم الطرفين بين العباس وعلى لما توفى والده محيى الدين فوض إلى عماد الدين ما كان إليه من المشيخة، والنقابة، والخطابة. وهو شاب فاضل، عالم كامل. خطب بجامع الخليفة سنة ثلاث وسبعمائة (أى فى السنة التى مات فيها والده محيى الدين) ورأيته بالسلطانية وله همة عالية، ونفس شريفة أبية فجرى على سنن أبيه بل زاد عليه فى الفضائل ، والمعانى والأخلاق.

(تاريخ علماء المستنصرية ـ د. ناجى معروف ١/ ٩٦).

*** الحيدة والاعتذار فى رد من قال بخلق القرآن :**

لأبى الحسن عبد العزيز بن مسلم المكى (كشف ١/ ٦٩٤).

*** الحير الشرقى (قصر) :**

من قصور الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك قصر الحير الشرقى. يصفه الدكتور بهنسى بقوله :

يقع الحير الشرقى على بعد ١٠٥ كيلو مترا شمال شرقى تدمر وعلى مسافة ستين كيلو مترا جنوب الرصافة . ولقد تحدث عنه كثير من الرحالة منذ القرن السابع عشر، وكان آخر من زاره ١٩٢٥ وكتب عنه البرت غبرييل ٢٧٢ الذى استفاد منه كريزويل وأضاف عليه منذ عام ١٩٢٨ ، ثم تولى أوليغ غرابار استكمال دراسته منذ ١٩٦٥ .

يتألف الموقع من قصرين ، قصر كبير مربع طول ضلعه ١٦٠م تقريبا وآخر صغير مربع غير منتظم طول ضلعه ٧٠م وسطيا، وهذان القصران مدعمان بأبراج نصف دائرية، برجان فى كل ضلع إضافة لأبراج الزوايا الأربعة. وينفتح مدخل القصر الكبير من جهة الجنوب ببوابة كبيرة على طرفيها برجان نصف دائريان، وينتهى الدهليز بالفناء المحاط من جميع

جـوانبه بالغرف الـواسعة ١١×٦ م تقريبا، وتبدو مقطـوعة إلى قسمين الغرف الواقعـة فى الجهة الشرقية . والقصـر مؤلف من طابقين، ولهذا القصر أربعة مداخل بما فيها المدخل الرئيسى عدا مدخلين إضافيين فى الجدار الشرقى .

وأسـوار القصـرين مبنيـة مـن الحجـر المنحوت والآجـر ومدعمـة بأبراج نصف دائرية ، وبجـوار هذين القصـرين ثمة سور واسع بطول يزيد عن ستة كيلو مترات مدعم أيضا ببدنات وفى أحـد أجزائه فتحـات ذات أقواس عاديـة يمكن إغـلاقها بأبـواب من الخشب ، وثمـة قنـاة تنقل الماء من مكـان بعيـد جدا ، وهـذه الأرض التى يمكن تنظيم الرى فيها لا بد أنهـا قد استعملت لزرع بعض النباتات ولإقامة الفلاحين .

تعتبر منطقة قصر الحير الشرقى مدينة كانت معدة لسكنى حاشية الخليفـة ، وترجع هذه المدينة إلى عهد هشـام ، يؤيد ذلك الكتـابـة التى عثر عليهـا جاك روسـو فى القصـر وهـذا نصها :

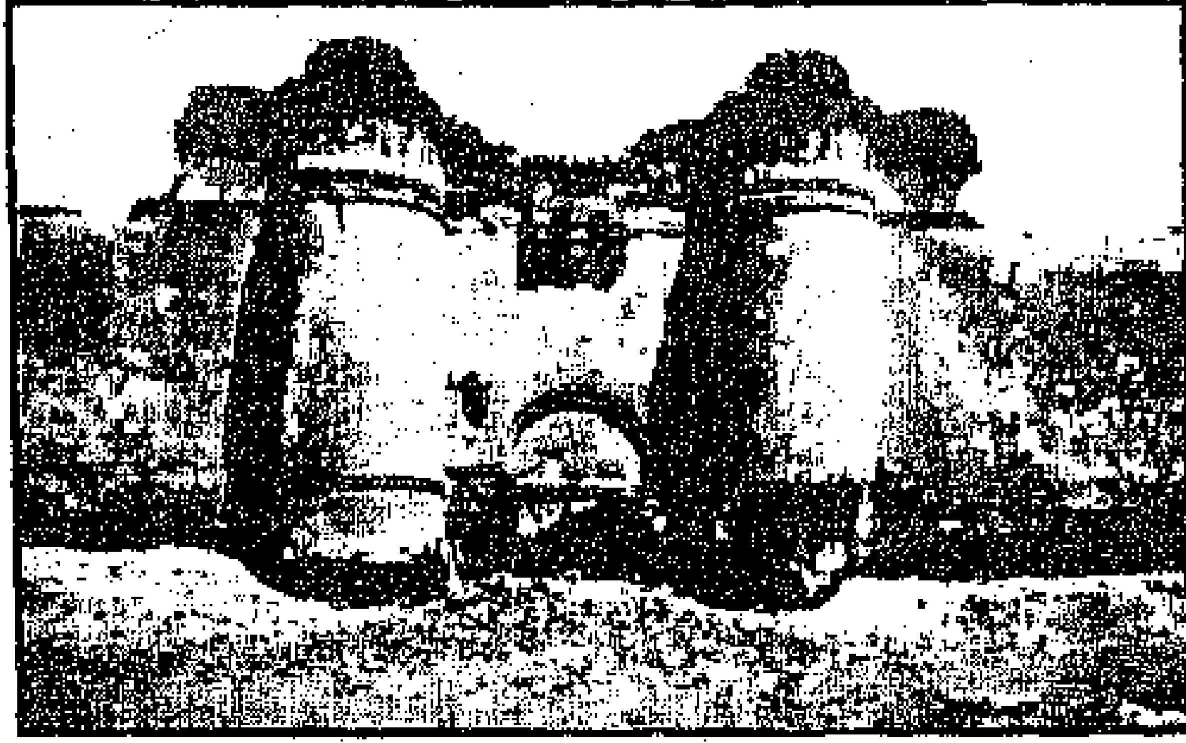
(بسم الله الرحمن الـرحيم ، لا إله إلا الله وحـده لا شريك له محمد رسـول الله ، أمر بصنعة هذه المدينـة عبد الله هشام ، أمير المؤمنين وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان ابن عبيد) .

ولقـد نقلت هذه اللـوحـة إلى حلب ثم فقدت ولم يعـرف أثـرهـا حتى الآن ولكنهـا نشرت فى مقـال غبـريل كمـا كتب سوفاجيه عن هوية هذا القصر .

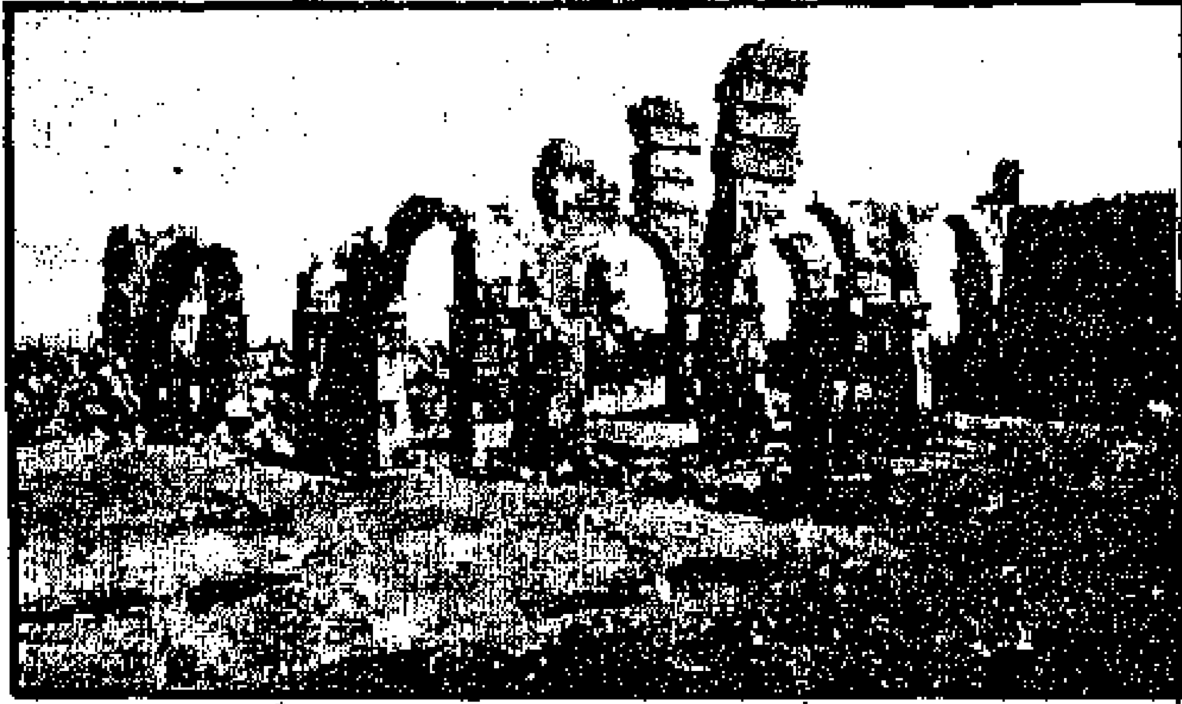
أما القصر الصغير فله مدخل وحيد من جهة الغرب نشاهد فى داخله غرف ذات سقف معقودة ، وتشير الجدارن الخارجية بما فيها من بروزات إلى تقسيمات الجدران الداخلية الرئيسية .

ولم تقـدم الحفـريات دلائل كـافيـة على وجـود عناصـر تزيينية واسعه ولا بد أن ذلك يرجع إلى استمرار استعمال هذه المدينـة خلال عدة قـرون من(٨ـ١٤) وخلالهـا تعرضت إلى تحويـلات وإضافات واستعمالات مختلفـة ، أدت إلى ضياع الكثير من المعالم الـزخرفية فى أبنية هذه المـدينة التى عرفت خلال القرون باسم(العرض) كما يرى غرابار.

ولقـد اعتقد سـوفـاجيه استنـادًا إلى لـوح روسو، أن هـذا المـوقع هو نفسـه رصـافة هشـام التى ورد ذكـرها على لسـان المـؤرخين العـرب ، ولكن حفريـات الـرصـافة أبـانت وجـود



تقدم الحير الشرقى فى مدخل الفناء الصغير



ب - قصر الحير الشرقى - المسجد فى الفناء الكبير

قصرين لهشام هناك . ويبقى وضع منطقة قصر الحير الشرقى مستقلا . ولقـد قام غرابـار خلال تنقيباتـه بالتأكيد على هـوية القصر الصغير من أنه يرجع إلى العهد الأموى وإلى عهد هشام كما يبدو من الكتابة ، أما القصر الكبير فهو أموى ولكنه أعيد إنشـاؤه فى العهد العبـاسى وفى القـرن العاشـر، حيث أصبح عنصـرا أساسيا فى مـدينـة متكـاملة فيهـا معـاصـر للزيـوت وصناعـات زجاجيـة وأحياء سكنيـة ومسجد، واكتشفـت قناة تمتـد ٥٧٠٠ مترا تنقل الميـاه إلى هـذه المـدينة يحتمل أنهـا موجودة منذ قبل الإسلام .

ولقـد لعبت هـذه المدينـة دورًا تجـاريًّـا هـامًّا لمـوقعهـا وفعاليتها(الفن العربى الإسلامى/ ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧)

ويصف كـريـزويل أجـزاء القصر فيصف الفنـاء الصغيـر والفناء الكبير مما ننقله لك فيما يلى :

الفناء الصغير:

يتشكل هذا الفنـاء بواسطـة سور سمكـه ٢٫٣٠ مترا وعلى جـوانبه أبـراج نصف دائرية ــ واحـد فى كل زاوية واثنـان فى وسط كل جانب وبـذلك يبلغ العدد الإجمالى ٢١ بـرجا تبلغ

المسافة بين كل برجين ١٨٫٥١ ـ ٢٠٫٠٥ مترا ما عدا البرجين على جانبى المدخل الوحيد (فى الجانب الغربى) اللذين يبعدان عن بعضهما ٦٫٦٧ مترا فقط . يبلغ ارتفاع الجدار بما فى ذلك حاجز السقف الذى اختفى معظمه ١٢٫٢٥ مترا تقريبا . والحجر الذى يتخذ لونا كهرمانيا جميلا هو من النوع الكلسى الناعم وقد بنى من مداميك يبلغ ارتفاعها ٣٥ سم .

والمدخل قطعة فنية جميلة التصميم . يبلغ عرض الفتحة ٢٫٩٨ سم ارتفاعه يقدر بـ ٤٫٢ مترا . أما عوارض المدخل العمودية فقد تآكلت لكن القوس الذى يشكل العارضة الأفقية لا يزال باقيا فى موضعه وفوق هذه العارضة قوس حمل نصف دائرى يمتلىء قلب مقصه بأحجار عادية . أما الاسبندلات فمملوءة بحنيات صغيرة فيها رؤوس أخدودية .

والأبراج فى قممها تظهر نظاما زخرفيا أخاذا أصيلا من الآجر والجص . تبدأ من الأدنى بالزخارف الموجية المستقيمة ويتلو ذلك مدماكان من الآجر ثم صف من الآجر الصغير بمساحة ١٠ سم^2 تقريبا مرصوف على شكل معينات ثم مدماكا آخر من الآجر وفوق ذلك مباشرة المدماك الأخير من الأحجار الذى يرتكز عليه عقد القناطر الزائفة الجذاب المؤلف من سلسلة من الألواح المستطيلة التى يقسمها زوجان من الأعمدة الصغيرة وذات الجذوع المؤلفة من سلسلة من الحلية الشارية المتعرجة . ووجه القوس فى الأعلى مزين بنباتات الأكانتوس ولكن التطعيم فى الألواح تالف جدا . هذه المزخرفة ليست محفورة بل ناتئة ويبدو أنه تم استعمال أربعة زخارف . والكل يعلوه مدماك من الآجر الموضوع بصورة يشكل فيها زخرفة على شكل أسنان الكلب وفوقه عدة مداميك من الآجر العمودى وفوقها القبة الآجرية التى تتوج البرج بعد الارتداد عن وجه الجدار .

والإفريز الرواقى يمتد بين الأبراج وفى الوسط ـ فوق المدخل ـ توجد كوتان سقاطتان ترتكزان على ثلاث كتائف بارزة .

والأبراج الباقية تعالج كالتالى : الشريط الأول من الآجر الذى يتألف من خمسة مداميك والذى يمتد بجانب السور ويمتد أيضا حول كل برج ثم تتلوه ثلاثة مداميك من الحجر وبعدها شريط من الآجر المربع الصغير الموضوع على شكل معينات ثم ثلاثة مداميك أخرى من الحجر وبعدها شريط أخير من أربعة أو خمسة مداميك من الآجر الذى تعلوه قبة من الآجر وكل برج ـ فى حال بقائه فوق ممر المتراس ـ له غرفة صغيرة فوقها قبة ما عدا البرج المجاور للمدخل من الجهة الشمالية الذى يبدو أن فيه درج حلزونى ولكن الدرجات كلها اختفت ولم يبق إلا أسطوانة فارغة .

الداخل :

إنه فى حالة من التلف الشديد ولكن لا يزال من الممكن أن نرى أن الطابق السفلى تألف من عدد من الحجرات ذات السقوف المقنطرة عمقها حوالى ١٢ مترا تقريبا وعرضها متفاوت وهى مبنية حول ساحة مركزية تمتلئ الآن بالأنقاض لأكثر من مترين . ومن المرجح أن رواقا داخليا امتد حول هذه الساحة كما فى قصر المنية . والسقوف المقنطرة مبنية كما يلى : يبدأ العقد بـ ١٠ ـ ١٣ مدماكا من الآجر الموضوع أفقيا فى مداميك بارزة قليلا متلائمة مع حنية العقد وفوق هذا حلقتان من الآجر المربع المسطح ووجوهها تشكل زاوية قائمة مع محور العقد . هاتان الحلقتان تغطيهما حلقة خارجية من الآجر القائم . ومن الممكن أن نرى أن الغرفتين الباقيتين بحالة جيدة فى الجزء الجنوبى كانتا مقسمتين إلى جزء خارجى وجزء داخلى بواسطة جدار حاجز ولذلك فإننى أستنتج أن بقية الغرف كانت من نفس الطراز .

فوق هذه الغرف المسقوفة بالقناطر هناك طابق آخر له غرف متوافقة مع الغرف السفلية . هذا الطابق العلوى الذى لا تزال بعض غرفه قائمة فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى لا بد أنه كان له سقف خشبى لأننا نستطيع أن نرى حفر العوارض الخشبية على طول جدران البناء على مسافة ١٫٥ مترا تحت المتاريس .

الفناء الكبير :

يتشكل الفناء الكبير بواسطة سور سماكته ٢٫١٢ مترا تحيط به الأبراج التى يبلغ قطرها ٤ مترا وله مدخل فى وسط كل جانب . هناك برج فى كل زاوية وستة أبراج تتوسط كل جانب . تبلغ المسافة الفاصلة بينها ٢٥٫٢٥ ، ٢٥ مترا من محور إلى آخر . وبالإضافة إلى ذلك هناك باب خلفى بعرض ١٫٤٧ مترا إلى الجنوب من المدخل الشرقى . وإلى الجنوب

أيضا هناك باب خلفي آخر سنرى وظيفته فيما بعد . هذا الفناء مبني بحجارة أكبر ويتراوح ارتفاع المداميك بين ٥٠ وبين ٧٠ سم ولكنه في حالة سيئة لأن جدرانا ستارية بكاملها قد تهدمت .

ولما كانت الأبراج كلها ممتلئة فلا بد أن يتم الوصول إلى المتاريس بأدراج في داخل السور الذي تهدمت بعض أجزائه والمتراس - بخلاف متراس الفناء الصغير - من الحجر. وقد بقي في كثير من المواضع حتى ارتفاع مدماكيه . يبلغ سمكه ٤١ سم ومدعم بسلسلة من الدعائم المتباعدة حوالي ١,٧٥ سم. والأسوار والأبراج ليست مزخرفة بأشرطة من الآجر ولكن قمم الأبراج مبنية بكاملها من الآجر من مستوى مدماك واحد تحت المتاريس وفي أعلى كل برج توجد غرفة صغيرة لها ثلاث نوافذ رمادية . ويرينا مخطط روسو الذي رسمه عام ١٨٠٨ م أن هذه الأبراج كانت وقتها متوجة بقباب . ولو افترضنا ارتفاع المتاريس ٢,٥ مترًا فيكون ارتفاع الجدران ١٢,٢٥ مترًا .

المداخل الأربعة متطابقة تقريبًا : يتألف كل منها من مدخل عرضه أقل من ٣ أمتار فوقه عارضة أفقية معشقة وفوقها قوس حمل مرفوع قليلاً ومدبب قليلاً وقلب مقصه ممتلىء بالحجارة المرتدة إلى خلف مقدار ٤ سم عن وجه القوس . وفوق كل مدخل كوتان سقاطتان فوق ثلاث كتائف وثلاث طبقات من الزخرفة . والكوتان السقاطتان فوق المدخل الشمالي أعرض من البقية وترتكزان فوق خمس كتائف معقدة والوسطى منها مزينة بوردة دائرية . ونعود إلى قلب مقص النوافذ فنرى أنها مثغوبة بثقوب متباعدة بمقدار ٢٥ سم . اقترح غابرييل أن الغرض من هذه الثقوب هو إيجاد مقبض للمونة التي ألصقت فوقه زخارف القيشاني . وليس هناك أي مثال لمثل هذه الزخرفة القيشانية في العمارة الإسلامية المبكرة في مثل هذا التاريخ المبكر ويبدو من المرجح أن الزخرفة كانت جصية لأننا رأينا أن الزخرفة الجصية مستعملة على الأبراج على جانبي مدخل الفناء الصغير.

المسجد :

الداخل تقريبًا لا يحتوي على أية أبنية ما عدا بقايا البناء الوحيد في الركن الجنوبي الشرقي الذي لا بد وأنه أنشىء بعد إتمام الفناء نفسه لأن هناك انفصالًا عموديًا كاملا بين بنائه وبين العضائد الثلاث المتصلة به . ليس هنالك أي شك في أن البناء مسجد وأن صف الأعمدة الممتد بمحاذاة الجدار الجنوبي هو الواجهة المطلة على الصحن والفحص السريع يكفي ليرينا أن صفي الأعمدة الذي يحتوي كل منهما على ثلاثة أقواس تمتد من الشمال إلى الجنوب ما هي إلا الجناح العرضاني لأن العضائد تتخذ شكل T وأن صفي الأعمدة التي تقسم الحرم إلى ثلاثة أروقة لابد وأنها انتهت مقابل وجهها الخارجي . والجدران الآجرية التي يبلغ ارتفاعها أكثر من ٤ أمتار والتي ترتفع فوق صفي الأعمدة هذه هي بالطبع جدران المنور كما في المسجد الكبير بدمشق . أما بالنسبة للعضادة المنعزلة التي تقف على امتداد صف الأعمدة الشمالي فهي بالطبع تتمة له . وهي تتفق بالشكل والمقاسات مع العضادة C وهي منفصلة عن عضادة الجناح العرضاني بنفس المسافة تقريبًا (٧,٦١ مترًا مقابل ٧,٥٧ مترًا) . وفي منتصف المسافة بين العضادة C والجناح العرضاني يوجد عمود متهدم مؤلف من أربع أسطوانات وفي نقطة D هنا عمود آخر نصف مطمور بالتراب .

وبتحديد الواجهة على هذه الصورة نحصل على قوس مركزي طول باعه ٤,٨٠ مترًا وإلى جانبيه ثلاث أقواس متوسطة طول باعها ٣,٢٥ مترًا . ولكن لماذا نجد العضادتين C و H على شكل L ؟ بالتأكيد لأنهما عضادتا زاوية الصحن اللتان يبدأ منهما الرواقان الجانبيان . ولو أعدنا الترتيب (عمود - عضادة - عمود - عضادة - عمود - عضادة) في الجوانب لحصلنا على صحن مساحته ٢٨ م ^{2} . والآن يصبح عمل البوابة A واضحًا : لا بد أن الغرض منها كان تأمين الاتصال المباشر بين المسجد وبين الفناء الخارجي تماما كما في المنية .

وأقواس الحرم كانت بالتأكيد ترتكز على أعمدة لأن السير ايبركوت في عام ١٧٧١ م «رأى عددًا من الأقواس تحملها عضائد من الرخام الأبيض البراق . . . وقد تبعثرت عضائد الرخام المكسورة في المكان» .

ليس من الممكن القول كم كان الارتفاع الأصلي للجناح العرضاني : يمكن أن يكون أعلى من الارتفاع الحالي للجدران

الآجرية بمتر واحد ولكن البقايا الفعلية له - وهو ثاني أقدم مسجد جامع في سورية - كافية لتؤكد التأثير السائد لمسجد دمشق الكبير.

شكل الأقواس :

الأقواس الخمسة الباقية من الجناح العرضاني مرتفعة ومدببة قليلا والقوس الأوسط في الواجهة مدبب قليلا وليس مرتفعا.

التاريخ:

وجد روسو لوحة مكتوبة على العضادة H ونقلها إلى حلب حيث قام برسمها.

أنها تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، أمر بصنعة هذه المدينة عبد الله هشام، أمير المؤمنين، وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد» سنة ١١٠ هـ - ٧٢٨ م.

(لوحة عن تاريخ بناء قصر الحير الشرقي نقلت إلى حلب ثم فقدت وقد قام قبل نقلها بنشر محتوياتها كلا من غبرييل وسوفاجيه).

المئذنة :

بين الفناء يوجد برج مربع بسيط يبلغ متوسط ضلعه ٢,٩٤ مترا وارتفاعه حوالى ١٠ أمتار ولكن قسمه العالي مفقود. المدخل إلى الدرج الحلزوني من الجهة الجنوبية. القمة الحالية بمستوى ما كان متراسا للفناء الصغير. ويمكن أن تكون أعلى مما هي عليه الآن بمقدار ٢ - ٣ أمتار وبالتالي أشرفت على كلا الفناءين. أعتقد أنها كانت مئذنة (الآثار الإسلامية الأولى / ١٥٦ - ١٦٤).

(الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه - د. عفيف بهنسي/ ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧، والآثار الإسلامية الأولى - ك. كريزويل - نقله إلى العربية عبد الهادي عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٥٦ - ١٦٤).

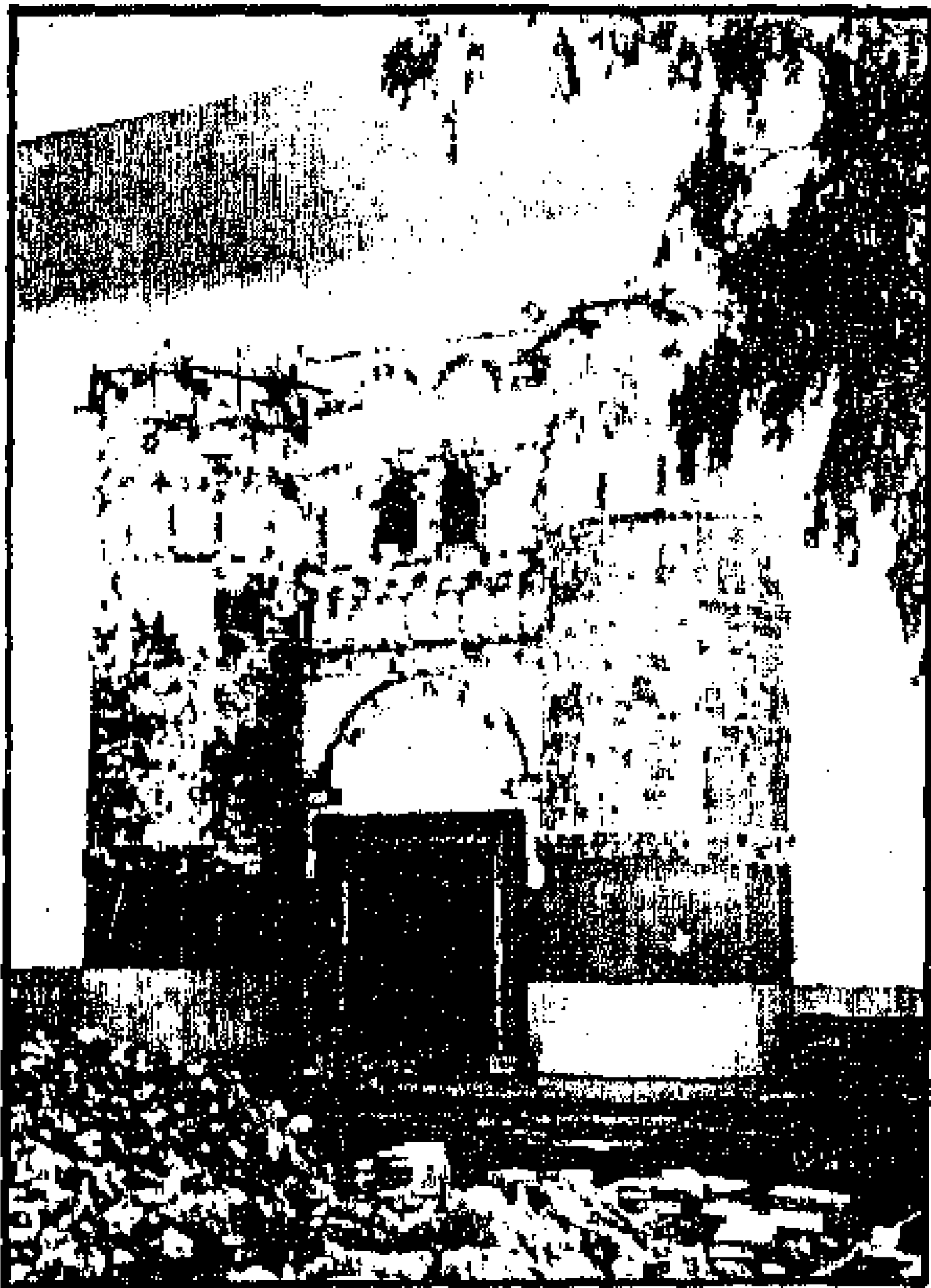
ملاحظة: «الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب كريزويل الآثار الإسلامية الأولى» ص ٢٧.

*** الحير الغربي (قصر -) :**

يقول الدكتور سليم عادل عبد الحق والأستاذ خالد معاذ : لقد حرمنا العباسيون بتهديمهم قصور الأمويين في دمشق من وثائق صحيحة ملموسة، تدلنا على فن العمارة المدنية الأموية الدمشقية. غير أن المكتشفين الأثريين تمكنوا من العثور في بادية الشام، على خرائب وأطلال ثلاثين قصرًا أمويًا قدمت لعلم الآثار معلومات ثمينة عن الفن المذكور.

ولا يخفى أن الخلفاء الأمويين احتفظوا بطباعهم العربية، وظلوا يحنون إلى الصحراء ويتشوقون إلى حياة التبدي. لهذا فإنهم كانوا يتركون دمشق عاصمتهم بين حين وآخر إلى البادية لينعموا بلذة الصيد، ويتلقوا اللغة الصحيحة عن ألسنة أصحابها، ويلتقوا بزعماء القبائل العربية، ويبتعدوا عن تقشف المدينة، ويستسلموا إلى حياة الإنس والدعة.

وهذا ما دعاهم إلى إنشاء القصور المتقدمة في البادية وأكملها قصر الحير الغربي الذي يقع على طريق دمشق، بين القريتين وتدمر في واد يخصبه السيل، وقناة من الماء تتصل بسد حربقة في « الفن العربي الإسلامي ص ١٣٢ : ضريقة» (على بعد ١٥ كيلو مترا)، ويعود عهد إنشائها وإنشاء السد إلى العصر الروماني. وقد بنى القصر هشام بن عبد الملك، وجعله مركز منطقة استثمار زراعية. وكان يوجد إلى جانبه خان وحمام، وشكله مربع تقريبًا (٧٠م × ٧٠ م). وله أبراج نصف مستديرة في زواياه وجوانبه، ويحوي في داخله حول

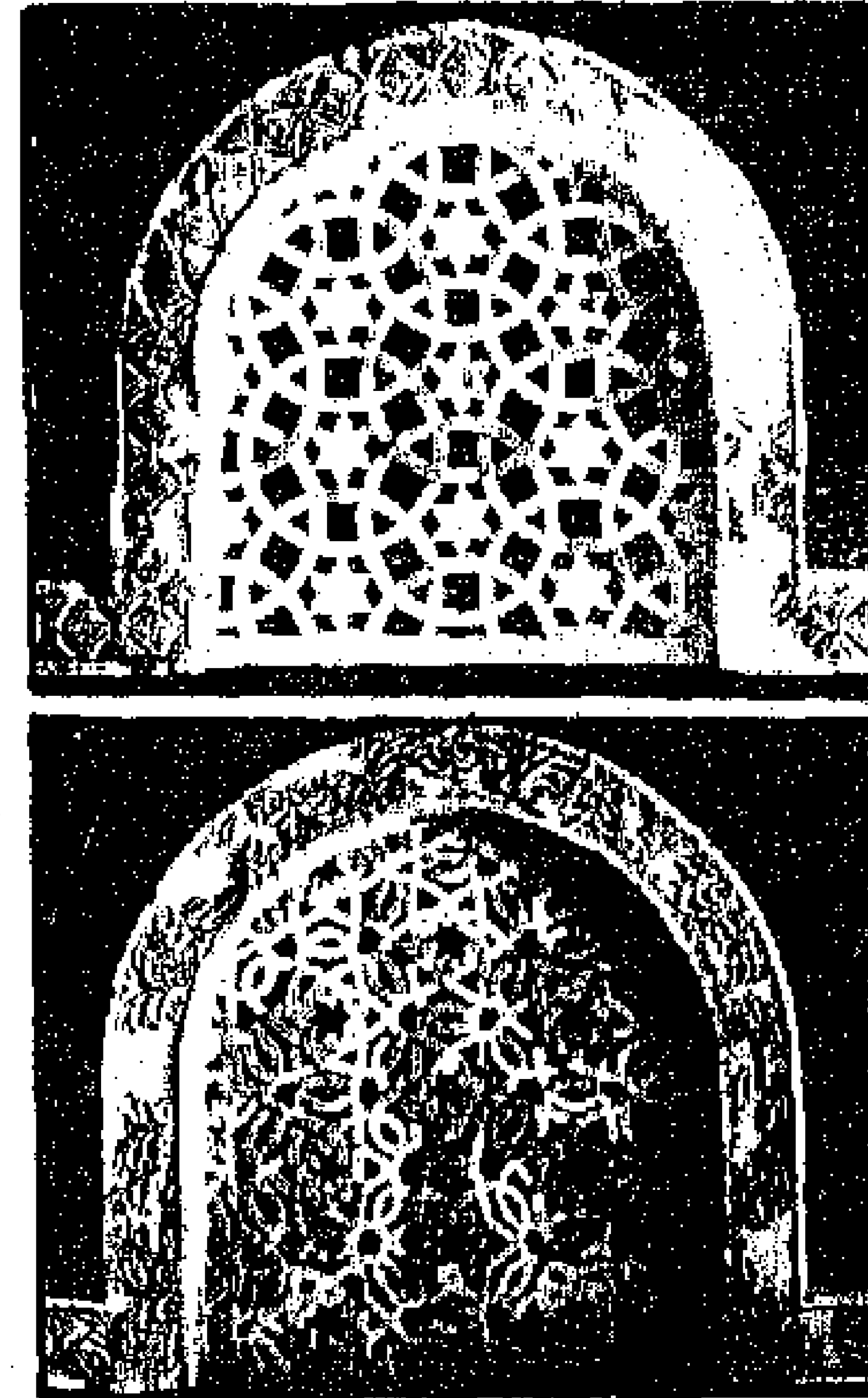


اللوح ١٧

باحة مربعة مكشوفة، ستة بيوت، في كل منها قاعة كبيرة مستطيلة متوسطة، وعلى جانبيها عدة غرف صغيرة. وتستند هذه البيوت كلها على جدران القصر من الداخل. ويلاحظ أن هذا النموذج من البناء، يستوحى أصوله وقواعده من عناصر الأبنية السورية والساسانية المعروفة قبل هذا العصر. ويؤلف ابتكارًا أمويًّا سوف يبنى سكان الشرق دورهم على نموذجه خلال مدة طويلة.

انتهى إلى عصرنا من تزيينات قصر الحير الغربي عدد كبير من مجموعات الزخارف الجصية التي جمعت من خرائبه، ونقلت إلى متحف دمشق، وأعيد إنشاؤها فيه فأصبحت مصدرًا رئيسيًّا لمعرفة منشأ الفن العربي، وتطور حياة الأشكال في سورية خلال القرن الأول والثاني من الهجرة.

ويشاهد في اللوح الواجهة الخارجية لهذا القصر مع البرجين اللذين يحيطان بالباب الرئيسي وقد أعيد تركيبهما في جانب من جوانب المتحف. ويبلغ ارتفاعها نحو (١٦) مترًا. وهي مزينة كلها من أسفل أسكفة الباب حتى مسننات البرجين، بطبقة منحوتة من الزخارف الجصية، المنظمة على عدة مناطق يعلو بعضها بعضا. وتنقسم كل منطقة من هذه المناطق إلى مستطيلات مزينة بمواضع نباتية، كشوكات اليهود، وسعفات النخل وغيرها وتشاهد المعينات، والمربعات، وصفوف السويريات الصغيرة التي تحيط بمحاريب حاملة جبهات، والوردات والألواح التي فيها بعض صور الأشخاص حول القوس المركزي المدور، وفي أقسام البرجين العلوية.



اللوح ١٨

وكان داخل القصر مزينًا بمجموعات أخرى من الزخارف الجصية المنحوتة ومنها درابزين كانت موضوعة في أعلى الرواق الشرقي، وفيها عدة مشاهد وأشكال تحوى أشخاصًا وحيوانات مختلفة.

ومنها أيضا أقواس ونوافذ كانت موضوعة فوق أبواب بعض القاعات الكبرى، ومنها قاعات الاستقبال في الجناح الشرقي. وقد اجتهد موظفو ومستخدمو مديرية الآثار العامة خلال أعوام طويلة حتى تمكنوا من إعادة تركيب نحو خمسين قطعة منها.

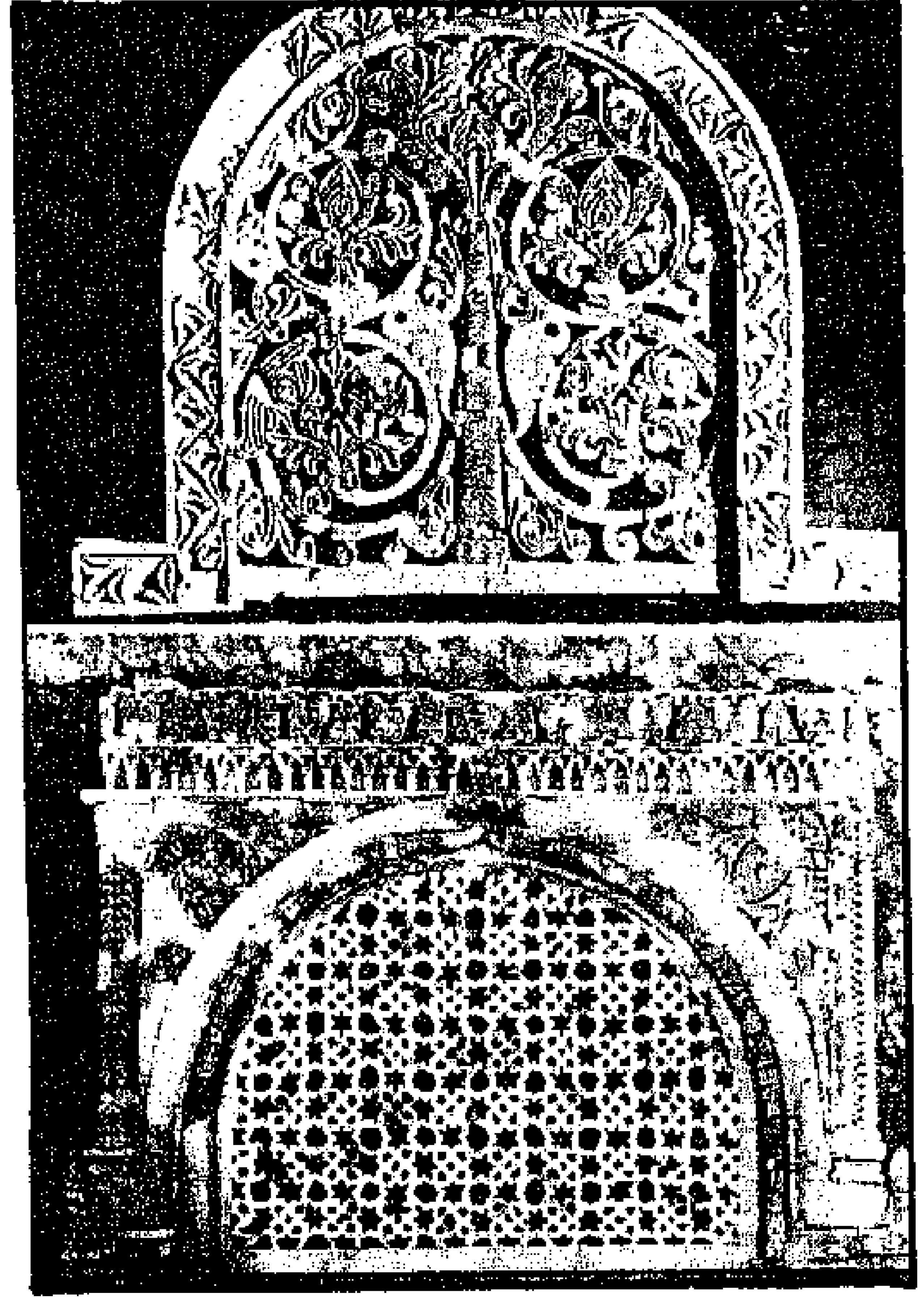
وقد لوحظ أن أبعادها مختلفة، وأن بعضها قطع فنية رائعة ذات جمال ساحر ويمثل اللوح (١٨) نافذتين منها، كانتا فوق بابين من أبواب القاعة (٧) من القصر كما يمثل لنا اللوح (١٩) نافذة ثالثة (وهي السفلى) كانت في نفس القاعة، ونافذة رابعة كانت في القاعة (٥٥) من القصر.

ويتبين منها غنى الزخارف الهندسية والنباتية التي ابتكرت في العصر الأموي.. وقد ولد أسلوب الزخارف الأموية من جهود الفنانين وأبحاثهم، وتكاملت لغة الأشكال في الفن العربي، وتهيأت لأن تعبر عن كل ما يختلج في أفئدة الملهمين(مشاهد دمشق الأثرية/ ٢٨ - ٣٠).

ويقول الدكتور عفيف بهنسي:

يذكر الطبري (تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٢٩٢) أن هشامًا كان ينزل في الزيتونة في بادية الشام، فلما عمَّر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات. كما يذكر ابن كثير أن الخلافة أتته وهو في الزيتونة في منزل له، فجاءه البريد بالعصا والخاتم، فسلم عليه بالخلافة، فركب من الرصافة حتى أتى دمشق.

ولقد تساءل الباحثون عن الزيتونة، هل هي قصر الحير الشرقي كما يرى سوفاجيه، استنادًا إلى لوح عثر عليه روسو يعتبر هذا القصر مدينة أم أنها نفسها الرصافة. أم أنها قصر



اللوح ١٩٢ .

الحير الغربي أم هي قصر المفجر. ويرى شلومبرجيه أن الزيتونة هو اسم قصر الحير الغربي .

واستنادًا إلى الصور الجوية التي كان الأب بوادبيار قد التقطها لبعض الأوابد المنتشرة في بادية الشام قام العالم شلومبرجيه منذ عام ١٩٣٦ بالاهتمام في الكشف عن مجموعة من الخرائب تبين أنها مؤلفة من منشآت قديمة ترجع إلى العهد الروماني لم يبق منها إلا سد خريقة ، ومن أبنية بيزنطية لم يبق منها إلا البرج الملاصق لقصر قام باكتشافه وتبين له بالتأكيد أنه قصر أموي، بل هو قصر هشام الذي كان يطلق عليه اسم الزيتونة وهو الاسم الأصلي. أما اسم الحير، فهي تسمية حديثة استعيرت من معنى السور الذي كان يحده، ويعتقد شلومبرجيه أن مكان هذا القصر كان يوجد دير غساني بناه الحارث بن جبلة وكان سد خريقة يغذي القصر بالماء عن طريق قناة تنتهي بخزان يبعد ١٦,٥ كم عن السد، ثم يغذي ماء الخزان القصر والحمام والحديقة والطاحون والخان الذي يقع قرب البركة والجامع بالماء اللازم. ويقع الحمام شمالي القصر على بعد ثلاثين مترا من البرج البيزنطي وهو مقسوم إلى قسمين قسم بارد وقسم دافئ وقد فرشت أرض القسم الدافئ بالرخام كما طليت الجدران بطلاء ملون تقليدا للرخام .

وشكل قصر الحير الغربي مربع تقريبا طول ضلعه ٧٠ × ٧١م وجداره الخارجي مدعم بأبراج مستديرة (ما عدا الزاوية الشمالية الغربية حيث البرج البيزنطي) الذي أعيد استعماله . وبأبراج نصف دائرية تدعم أواسط الجدران الثلاثة ، عدا الجدار الشرقي حيث تنفتح بوابة يحيط بها من الطرفين برجين نصف دائريين مزخرفين، وبناء هذا القصر من الحجر إلى ارتفاع مترين ثم من الطوب والآجر مع عوارض خشبية .

وتتصل البوابة بواسطة دهليز بالفناء المحاط بأروقة محمولة على عمد قديمة ، ويوجد في وسط الفناء حوض صغير، وترتفع حول الفناء البيوت في طابقين، وترى قاعات القصر وحجراته مرتبة ضمن بيوت ستة مستقلة عن بعضها بيتان في الجهة الشرقية ومثلها في الجهة الغربية وواحد في الجنوب وآخر في الشمال ويحوي كل بيت من ٨ ـ ١٣ قاعة أو حجرة .

ولقد اكتشف درجان خشبيان يؤكدان وجود طابق ثان ، ولقد عثر على درابزون رواق الطابق الثاني وهو عبارة عن قطع جصية منحوتة وكانت بيوت الطابق الثاني وغرفه مطابقة لنظائرها في الطابق الأرضي، وكان النور يدخل إلى الحجرات عن طريق كوات أما الفتحات الداخلية فكانت نوافذ عليها مشبكات جصية رائعة التكوين .

ويستدل على تاريخ هذا القصر من كتابتين، الأولى نقش على ساكف أحد أبواب الخان، وهو محفوظ حاليا في حديقة المتحف الوطني بدمشق وعليه الكتابة التالية : (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب أجره ، عمل على يد ثابت بن ثابت في رجب ١٠٩ هـ) .

أما الكتابة الثانية فهي على جزء من حجر رخامي ٧٥مم×٦٥مم، تبين شلومبرجيه فيها بعد الترميم الكتابة التالية :

من هشام أمير المؤمنين إلى
الوليد أبي العباس
أحمد الله إليك

ويعتقد شلومبرجيه أن هذه الرسالة كانت موجهة إلى الحجاج بن يوسف وهذه الرقعة محفوظة في جناح قصر الحير في المتحف الوطني بدمشق .

زخرفة قصر الحير:

كشفت أعمال التنقيب التى قام بها شلـومبرجيه أن القصر كان مزينا بالفسيفساء الذى بقى منه بعض الألواح الصغيرة مع بعض النصوص التى عثر عليها مع الألواح قرب المدخل .

كما أن بعض الجدران قد زينت بالخشب المنقوش، عثر على قطع منها تحتفظ ببعض الرسوم الملونة والمذهبة تمثل أزهارا وأشكالا هندسية انحصر وجودها فى البناء الداخلى .

أما جدران الغرف فلقد كانت مطلية برسوم ملـونة بعضها زخرفى لا يمثل أشخاصا أو حيوانا، وهى تزين غرف الطابق السفلى من البناء، وهذه الزخارف على ثلاثة أنواع، منها ما يمثل نضدا من الخطوط أو الشرائط الأفقية العريضة وقد استعمل فيها ثلاثة ألوان هى الأبيض والحديدى والخمرى، والنوع الثانى هو عبارة عن تمشيح ملون يشبه الرخام ويصور عمدًا متشابهة تقوم فى الزوايا مؤلفة من انتفاخات متكررة، والشكل الثالث يمثل رسوما هندسية أو نباتية وواحد منها فقط يمثل حيوانا خرافيا، تضاف إلى هذه الرسوم وعلى صف مواز دوائر تزيينية ممشحة .

وتتألف زخرفة قصر الحير الغربى من الزخارف الجصية فى واجهة القصر ومن الزخارف الجدارية المشابهة للمتشيحات الرخامية ومن زخرفات الكوات ومن الصور الملونة الكبيرة .

لقد أعيد إنشاء جزء من هذا القصر فى المتحف الوطنى بدمشق عام ١٩٥٠ بعد جهود استمرت أربعة عشر عاما ...

ابتدأت أعمال ترميم قصر الحير عام ١٩٣٩ ثم تباطأت بسبب الحرب العالمية الثانية ثم انتهت عام ١٩٥٠، ولقد أعيد بناء البرجين بارتفاع ١٤,٤٥ مترا، كما شيد بيتان داخليان من بيوت القصر وأنشئ فى داخل الواجهة جناح مفتوح عرضت فيه بعض القطع الأثرية التابعة للقصر مع مجسمين، وفى الطابق العلوى أقيمت بعض الحواجز الحافلة بالتماثيل النافرة، وفى الداخل تركت قاعة كبيرة بدون تقسيم لكى تضم لوحتى الفريسك الشهيرتين مع بعض القطع الأخرى .

وفى عام ١٩٧٤ قمنا بإنشاء فرع آخر فى متحف تدمر، عرضنا فيه بعض القطع المتبقية من آثار قصر الحير وخاصة أجزاء من الرسوم الجدارية ومن المنحوتات والشبكيات (الفن العربى الإسلامى / ١٣٢ ـ ١٣٥، ١٤٠) .

(مشاهد دمشق الأثرية ـ د. سليم عادل عبد الحق والأستاذ خالد معاذ / ٢٨ ـ ٣٠، والفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه ـ د. عفيف بهنسى / ١٣٢ ـ ١٣٥، ١٤٠، انظر أيضا الآثار الإسلامية الأولى ـ ك. كريزويل ـ نقله إلى العربية عبد الهادى عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٦٤ ـ ١٧٠، وحضارة الدولة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٢٦) .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « مشاهد دمشق الأثرية » .

*** الحيرة :**

الحيرة عاصمة لدولة عربية قبل الفتح الإسلامى وتقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات، وابتنى على بن أبى طالب بجوارها مدينة الكوفة، وتعرف اليوم باسمى نجف و مشهد وهى على بعد ٧٧ كم جنوب شرقى كربلاء (الفتح المبين / ٤١) .

قال عنها ياقوت :

الحيرة : بالكسر ثم السكون ، وراء : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل ، والسدير فى وسط البرية التى بينها وبين الشام ، كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حارى على غير قياس كما نسبوا إلى النمِر نَمَرى ...

وحيرى أيضا على القياس ، كل قد جاء عنهم ، ويقال لها الحيرة الروحاء؛ قال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا　　ورجلا ، فوق أثباج الركاب

حضرنا فى نواحيها قصورا　　مشرَّفة كأضراس الكلاب

وأما وصفهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة،

وقيل : سميت الحيرة لأن تُبعًا الأكبر لما قصد خراسان خلَّف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أى أقيموا به ، وقال الزجاجى : كان أول من نزل بها مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ... وفي كتاب أحمد بن محمد الهمذاني : إنما سميت الحيرة لأن تبعا لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليله وتحير فسميت الحيرة .

وينسب إلى الحيرة كعب بن عدي الحيري، له صحبة، روى حديثه عمرو بن الحارث عن ناعم بن أجيل بن كعب بن عدي الحيري . والحيرة . أيضا : محلة كبيرة مشهورة بنيسابور؛ ينسب إليها كثير من المحدثين ، منهم : أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري صاحب حاجب بن أحمد وأبي العباس الأموي، قال أبو موسى محمد بن عمر الحافظ الأصبهاني : أما أبو بكر الحيري فقد ذكر سبطه أبو البركات مسعود بن عبد الرحيم بن أبي بكر الحيري أن أجداده كانوا من حيرة الكوفة وجاؤوا إلى نيسابور فاستوطنوها، قال : فعلى هنا يحتمل أن يكونوا توطنوا محلة بنيسابور فنسبت المحلة إليهم كما ينسب بالكوفة والبصرة كل محلة إلى قبيلة نزلوها، والله أعلم . والحيرة أيضًا : قرية بأرض فارس فيما زعموا (معجم البلدان ٢/٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١) .

(الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين لحميد بن محمد بن رزيق ـ تحقيق عبد المنعم عامر ود. محمد مرسي / ٤١ وهامش ٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، انظر أيضا تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى ـ أ. د. أحمد رمضان أحمد / ١٠٧ ـ ١٠٩ ، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

* **الحيرة (موقعة ـ) (١٢ هـ) :**

هي موقعة لخالد بن الوليد على أهل الحيرة في ربيع الأول سنة ١٢ . والحيرة موضع على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف .

لما فرغ خالد من يوم أليس أتى أمغيشيا (كانت مصرًا كالحيرة، وكانت أليس من ثغورها) فوجد أن أهلها قد جلوا عنها، وتفرقوا في السواد (قرى العراق) فأمر بهدمها، وإزالة كل شيء كان في حيزها، فأصاب منها ما لم يصب من غيرها، حتى بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة، سوى النفل الذي نفله أهل البلاء .

وكان الآزاذبه مرزبان (المرزبة رياسة الفرس، وهو مرزبانهم) الحيرة في ذلك الحين، فلما علم بأخبار أليس وخراب أمغيشيا وانتصار خالد عندهما، وفعاله فيهما، أيقن أنه غير متروك، وقدر أن خالدا سيركب إليه النهر، فتهيأ لحربه، وقدم ابنه، وأمره أن يسد قناطر الفرات ليعوق بذلك سير السفن إليه؛ ثم خرج في إثره حتى عسكر خارجا من الحيرة .

ولما استقل (أي رحل) خالد من أمغيشيا، وحمل الرَّجْل (الراجل ضد الفارس جمعه الرجل) في السفن ، وسار شمالا إلى ناحية الحيرة جنحت السفن، وارتطمت بقاع النهر؛ فارتاع المسلمون لجنوحها، وأخذ الغضب من خالد مأخذه، ثم سأل عن علة ذلك ، فقال الملاحون : إن أهل فارس فجروا الأنهار ، فسلك الماء غير طريقه؛ فلن يأتينا الماء إلا بسد الأنهار.

فتعجل خالد فلقي ابن الأزاذبه على فم العتيق، وفجأه وجنده وهم آمنون في تلك الساعة، فاقتتلوا حتى هزموا، وقتل ابن الأزاذبه، وأعاد الماء يجري في النهر، فعادت السفن الى المسير، وحملت إليه جيشه، فسار به إلى الخورنق والنجف . وكان الأزاذبه يقيم بمعسكره بين الغريين (بناءان كانا معروفين بالكوفة) والقصر الأبيض، فبلغه موت أردشير، ثم علم بموت ابنه، وزحف خالد نحو الخورنق؛ فولى هاربًا من غير قتال .

ووصل خالد وأصحابه فلم يلقوا عسكرًا؛ فأقاموا بين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصنون .

فأدخل الخيل من عسكره، وأمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم؛ فكان ضرار بن الأزور محاصرًا القصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصرًا قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي، وكان ضرار بن مقرّن محاصرًا قصر بني مازن، وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصرًا قصر ابن بقيلة، وفيه عمرو بن عبد المسيح، وعهد إليهم جميعًا أن يبدءوا بالدعاء، فإن أجابوا قبلوا منهم، وإن أبَوْا أجَّلوهم يومًا، ثم قاتلوهم وقتلوهم .

فكان أول القواد الذين أنشبوا القتال بعد تأجيلهم يومًا هو ضرار بن الأزور وكان على قتال أهل القصر الأبيض؛ فأصبحوا وهم مشرفون؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ، أو الجزاء (جمع جزية)، أو المنابذة (تحيز كل من الفريقين للحرب) فاختاروا المنابذة، وتنادوا: عليكم بالحصا، فقال ضرار: تنحوا؛ لا ينالكم الرمي، حتى ننظر في الذي هتفوا به . فلم

يلبث أن امتلأ القصر من رجال معلقى المخالى (مجمع مخلاة) ؛ يرمون المسلمين بالحصا ، فقال ضرار : أرشقوهم ؛ فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل ، وصبح كل أمير أصحابه بمثل ذلك .

فافتحوا الدور والديرات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور ؛ ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور : يا معشر العرب ؛ قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا ، فكفوا عنهم وأرسلوهم إلى خالد .

فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدى وقال : ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أم عجم ! فما تنقمون من العدل والإنصاف ! فقال له عدى : بل عرب عاربة ؛ وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادُّونا وتكرهوا أمرنا .

فقال له عدى : يدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية ، فقال خالد : اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا ديننا ؛ فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ؛ أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة (المبارزة) فقد أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تبًّا لكم ! ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة (صحراء يضل فيها الماشى) فأحمق العرب من سلكها ، فلقيه دليلان ؛ أحدهما عربى فتركه واستدل الأعجمى (أى طلب منه أن يدله) .

ولم يغير هذا الكلام من إصرار القوم على دينهم ، فصالحوه على مائة ألف درهم وتسعين ألفًا ، وتتابع أهل القصور على ذلك ، وأهدوا له الهدايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبى بكر ، فأجاز أبو بكر المعاهدة ، وقبل الهدايا واحتسبها من الجزاء وكتب إلى خالد : أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم ، فقو بها أصحابك .

ثم كتب خالد لأهل الحيرة هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديًّا وعمرًا ابنى عدى ، . وعمرو بن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وحيرى بن أكال ، وهم نقباء (أى ضمناء ورؤساء) أهل الحيرة . ورضى بذلك أهل الحيرة ، وأمروهم به . عاهدهم على مائة ألف وتسعين ألف درهم ، تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسيهم ، إلا من كان منهم على غير ذى يد ، حبيسًا عن الدنيا ، تاركًا لها ؛ وعلى المنعة ، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة .

وكتب فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة .

ولما استقر خالد فى الحيرة خرج إليه صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، (موضع قريب من الكوفة) فصالحه على بانقيا (ناحية من نواحى الكوفة) وباروسما (من ناحية بغداد) وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطىء الفرات على عشرة آلاف ؛ فكتب لهم خالد كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه . إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة ، على عشرة آلاف دينار ، القوى على قدر قوته ، والمقل على قدر إقلاله فى كل سنة ، وإنك قد نقبت (أى صرت نقيبًا وضمينًا) على قومك ، وإن قومك قد رضوا بك ، وقد قبلت ومن معى من المسلمين ، ورضيت ورضى قومك ، فلك الذمة والمنعة ؛ فإن منعنا كم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم » .

ولما رأى دهاقين البلاد ما تم لخالد من الظفر أتوه فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمزجرد ، على ألفى ألفى درهم ، وكتب لهم بذلك كتابًا .

(الدهقان ـ بكسر الدال وضمها : زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم وفلاليج السواد : قراها وهرمزجرد : ناحية من أطراف العراق) .

ولما تم لخالد فتح الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات ، لا يسلم فيها ، فلما أتمهن انفتل إلى أصحابه يقول : لقد قاتلت يوم مؤتة ، فانقطع فى يدى تسعة أسياف ، وما لقيت قوما كمن لقيتهم من أهل فارس .

ثم أقام بالحيرة وجعلها مركز قيادته .

(أيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى / ١٨٨ ـ ١٩٢) .

* **الحيض:**

قال الإمام الشربينى الخطيب :

الحيض لغة السيلان تقول العرب حاضت الشجرة إذا

سال صمغها وحاض الوادى إذا سال، وشرعًا دم جبلة أى تقتضيه الطباع السليمة، وهو الدم الخارج من أقصى رحم المرأة على سبيل الصحة، احترازًا عن الاستحاضة، من غير سبب الولادة، فى أوقات معلومة احترازًا عن النفاس. والأصل فى الحيض آية ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢] أى الحيض، وخبر الصحيحين: هذا شىء كتبه الله على بنات آدم قال الجاحظ فى كتاب الحيوان: والذى يحيض من الحيوان أربعة: الآدميات، والأرنب، والضبع، والخفاش. وجمعها بعضهم فى قوله:

أرانب يحضن والنساء

ضبع وخفاش لها دواء

وزاد عليه غيره أربعة أخر وهى الناقة والكلبة والوزغة والحجر أى الأنثى من الخيل. قال الإمام البجيرمى فى شرحه على الخطيب: وقد أشار إلى هذا بعض من نظمها من الطويل بقوله:

ثمانية فى جنسها الحيض يثبت

ولكن فى غير النسا لا يوقت

نساء وخفاش وضبع وأرنب

وناقة مع وزغ وحجر وكلبة

وزاد بعضهم على ذلك بنات وردان والقردة، وزاد الإمام المناوى الحدأة، وزاد غيره السمك اهـ.

قال الإمام الخطيب: وله عشرة أسماء: حيض وطمس بالمثلثة وضحك وإكبار وإعصار ودراس وعراك بالعين المهملة، وفراك بالفاء، وطمس بالسين المهملة، ونفاس اهـ ويقول الإمام البجيرمى فى حاشيته على الخطيب: قوله وله عشرة أسماء، أى على ما ذكر هنا وإلا فذكر بعضهم له خمسة عشر اسمًا نظمها بعضهم بقوله:

للحيض عشر أسماء وخمستها

حيض محيض محاض طمث إكبار

طمس عراك فراك مع أذى ضحك

درس دراس نفاس قرء إعصار

(فى البيت الأول: خمسة: للقاعدة النحوية والوزن)

قوله: وضحك، ومنه قوله تعالى ﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾ [هود: ١٧] فسره بعضهم بحاضت (بجيرمى على الخطيب١/ ٢٩٩، ٣٠٠)

ومما قيل فى تعريف الحيض أيضًا:

الحيض: الدم الخارج من قبل المرأة حال صحتها، من غير سبب الولادة ولا يخرج دم الحيض قبل بلوغ تسع سنين عند الأكثر، فإذا رأت الدم قبله يكون علة.

ويكون لون دم الحيض أسود، وأحمر، وأصفر، ومتوسطًا بين البياض والسواد.

ولا حَدَّ لأقل مدته:

أما أكثرها فعند بعض عشرة أيام، وعند بعض خمسة عشر يومًا.

ولا حَدَّ لأكثر الطهر المتخلل بين الحيضتين، وأقله خمسة عشر يومًا (مختصر الأحكام الفقهية / ٣٧).

قال الإمام النووى:

قال أهل اللغة يقال حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا فهى حائض بغير هاء لأن هذه صفة لا تكون للمذكر فلم يحتج إلى إلحاق الهاء فيه للفرق بخلاف مسلمة وقائمة وحكى الجوهرى عن الفراء أنه يقال أيضًا حائضة بالهاء وأنشد:

*** كحائضة يزنى بها طاهر***

قال أهل اللغة عركت بفتح العين والراء تعرك عروكًا كقعدت تقعد قعودًا أى حاضت قال الهروى فى الغريبين يقال حاضت المرأة وتحيضت ودرست وعركت وطمثت تحيض حيضًا ومحيضًا ومحاضًا إذا سال دمها فى أوانه فإذا سال فى غير أوقاته المعلومة فهى المستحاضة. قال أهل اللغة ويقال نساء حيض وحوائض والحيضة بفتح الحاء للمرة الواحدة من الحيض و الحيضة بكسر الحاء اسم للحالة والهيئة وفى الحديث «خذى ثياب حيضتك» هذا بالكسر وفى الحديث الآخر «إذا أقبلت الحيضة» قال الخطابى المحدِّثون يقولونها بالفتح وهو خطأ والصواب الكسر لأن المراد الحالة ورد القاضى عياض وغيره قول الخطابى وقالوا الأظهر الفتح لأن المراد إذا أقبل الحيض وفى الحديث «تحيَّضى فى علم الله تعالى» أى التزمى أحكام الحيض وافعلى فعلهن وكل هذه الأحاديث صحيحة وفى الحديث الآخر «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» المراد بالحائض البالغة هنا كما فى الحديث الآخر «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» أى بالغ وليس للتقييد بالحائض هنا مفهوم يعمل عليه فيكون دليلا على أن غير البالغة من المميزات تقبل صلاتها بغير خمار بل هذا من التقييد الخارج على سبب لكونه الغالب كما فى قوله تعالى ﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾ [النساء: ٢٣] وقوله

تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ [الإسراء : ٣١] وقوله ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾[البقرة: ٢٢٩] وقوله تعالى : ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء: ١٠١] وقوله تعالى ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا﴾ [النور: ٣٣] ومن زعم أن هذه الآية ليست مما نحن فيه فهو جاهل أو لم يفكر والله تعالى أعلم

قال أهل اللغة والحيضة بالكسر أيضًا أسم للخرقة التى تستثفر بها المرأة. قال الجوهرى ومنه قول عائشة رضى الله تعالى عنها ليتنى كنت حيضة ملقاة. قال وكذلك المحيضة وجمعها محائض هذا ما يتعلق بتصريف الكلمة. وأما أصلها فقال الإمام أبو منصور الأزهرى فى كتابه شرح ألفاظ مختصر المزنى رحمهم الله تعالى: الحيض دم يرخيه رحم المرأة بعد بلوغها فى أوقات معتادة وأصله من حاض السيل وفاض إذا سال يسمى حيضًا لسيلان الدم فى الأوقات المعتادة. قال والاستحاضة أن يسيل الدم فى غير أوقاته المعتادة. قال ودم الحيض يخرج من قعر الرحم ويكون أسود محتدمًا أى حارًا كأنه محترق وأما دم الاستحاضة فيسيل من العاذل وهو عرق فمه الذى يسيل منه فى أدنى الرحم دون قعره قال وذكر ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا كلام الأزهرى وقوله العاذل هو بالعين المهملة وكسر الذال المعجمة وباللام وقال الهروى. قال ابن عرفة الحيض والمحيض اجتماع الدم إلى ذلك المكان وبه سمى الحوض لاجتماع الماء فيه ثم ذكر أن الحيض هو سيلان الدم فى أوقاته المعتادة فقد اتفق الهروى وشيخه الأزهرى على أن الاستحاضة عبارة عن جريان الدم فى غير أوقاته .

وقد اختلف أصحابنا فى حقيقة الاستحاضة فذهب جماعة إلى أن الاستحاضة لا تكون إلا دمًا متصلاً بالحيض ليس بحيض أن ترى الدم فى زمن الحيض ويجاوز خمسة عشر يومًا متصلاً فأما إذا رأت الدم قبل تسع سنين أو رأت بعد تسع دما غير متصل بالحيض فإن رأت دون أقل الحيض فليس هذا باستحاضة بل يسمى دم فساد وذهب جماعة من أصحابنا إلى أن الجميع يسمى استحاضة فممن قال بالأول صاحب الحاوى فقال الشافعى رضى الله عنه لورأت الدم قبل استكمال تسع سنين فهو دم فساد لا يقال له حيض ولا استحاضة لأن الاستحاضة لا تكون على أثر حيض ثم قال بعد هذا بأسطر النساء أضرب طاهر وحائض ومستحاضة وذات فساد فالطاهر ذات النقاء والحائض من ترى الدم فى أوانه والمستحاضة من ترى الدم على أثر الحيض على صفة لا يكون حيضًا وذات الفساد من يبتدىء بها دم لا يكون حيضًا هذا آخر كلام صاحب الحاوى .

وقد أشار كثير من أصحابنا أو أكثرهم إلى معنى ما قال وهو أن الاستحاضة الدم المتصل بدم الحيض فإن لم يتصل فدم فساد وصرح أبو عبد الله الزبيرى فى كتابه الكافى والقاضى حسين وصاحبه صاحب التتمة وصاحب العدة وغيرهم بخلاف هذا فقالوا دم الاستحاضة ضربان متصل بدم الحيض وغير متصل فالمتصل أن ترى البالغة الدم وتجاوز خمسة عشر وغير المتصل التى لها دون تسع سنين إذا رأت الدم والكبيرة إذا رأته وانقطع لدون يوم وليلة وهذا الذى قاله هؤلاء صحيح مليح موافق لما قدمته عن إمامى اللغة الأزهرى والهروى وقد استعمل فى المهذب والتنبيه الاستعاضة بهذا المعنى فقال فى المهذب فى فصل النفاس : فإن أدر الدم قبل الولادة خمسة أيام فمن أصحابنا من قال هو استحاضة وقال فى التنبيه وفى الدم الذى تراه الحامل قولان أصحهما أنه حيض والثانى أنه استحاضة والله تعالى أعلم. وذكر أصحابنا اختلاف العلماء فى المحيض المذكور فى القرآن العزيز قالوا مذهبنا أن الحيض والمحيض بمعنى الحيض كما قدمناه.

وقال بعض العلماء هو زمن الحيض وقد أوضحت هذا كله بأدلته فى شرح المهذب.

قال صاحب الحاوى: وللحيض خمسة أسماء أخر: الطمث ويقال امرأة طامث والعراك ويقال امرأة عارك ونسوة عوارك والضحك وامرأة ضاحك ونسوة ضواحك الإ كبار والمرأة مكبر والإعصار والمرأة المعصر وأنشد فى كل هذا أبياتًا أوضحتها فى شرح المهذب. قال الجاحظ فى كتاب الحيوان: والذى يحيض من الحيوان أربع المرأة والأرنب والخفاش والضبع وروينا فى سنن الإمام البيهقى رحمه الله تعالى أنه قيل لعائشة رضى الله عنها ما تقولين فى العراك؟ قالت الحيض تعنون؟ قالوا نعم قالت سموه كما سماه الله عز وجل وثبت فى الصحيح أنه ﷺ قال فى الحيض «هذا شىء كتبه الله تعالى على بنات آدم» فظاهره أنه لم يزل فيهن وحكى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رضى الله عنه فى صحيحه عن بعض العلماء أنه قال كان أول ما أرسل الحيض على بنى إسرائيل قال البخارى وحديث النبى ﷺ أكثر يعنى أنه عام فى جميع بنات آدم وحكى صاحب الحاوى وغيره عن

ابن عباس رضى الله عنهما فـى سببَ ابتداء الحيض أن الله عز وجل قـال : يا آدم ما حملك علـى أكل الشجرة قال زَيَّنته لى حـواء قال إنى عـاقبتها لا تحمـل إلا كرهًـا ولا تضع إلا كرهًـا ودميتها والله تعالى أعلم . واعلـم أن باب الحيض من الأبواب العويصة وقد اعتنى أصحابنا رحمهم الله تعالى بإيضاحه فبينوه أحسن بيان وبسطـوه أوضح بسط وقد جمع فيه إمـام الحرمين نحو نصف مجلـدة فى النهاية وجمع غيره نحـوه ولم يكن فيه أعظم تصنيفًـا من كتـاب أبى الفـرج الـدارمى من أصحـابنـا العراقيين فى طبقة القـاضى أبى الطيب الطبرى فجمع مجلدة ضخمـة فى مسألة المستحـاضة المتحيـرة وحدهـا لم يخلط معها غيرهـا وقد جمعت أنا فيه شرح المهـذب جملة مستكثرة نحو مجلدة مع أنى حرصت على ترك الإطالة ونسأل الله تعالى التوفيق ا هـ.

قال الإمام ابن قدامة :

ويمنع عشـرة أشيـاء : فعل الصـلاة ، ووجـوبهـا ، وفعل الصيام ، والطواف ، وقراءة القرآن ، ومس المصحف ، واللبث فى المسجد ، والـوطء ... وسنة الطلاق ، والاعتداد بـالأشهر. ويوجب الغسل والبلوغ والاعتـداد به فإذا انقطع الدم أبيح فعل الصوم والطـلاق ولم يبح سائرهـا حتى تغتسل . وأقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشـر يومًا ، وأقل الطهر بين الحيضتين ثلاثـة عشر يـومًا ولا حـد لأكثره ، وأقل سن تحيض لـه المرأة تسع سنين ، وأكثـره ستـون ، والمبتـدأة إذا رأت الـدم لـوقت تحيض فى مثلـه جلست ، فإذا قطع لأقل من يوم وليلـة فليس بحيض وإن جاوز ذلـك ولم يعبر أكثر الحيـض فهو حيض ، فإذا تكرر ثلاثة أشهر بمعنـى واحد صار عادة ، وإن عبر ذلك فالزائد استحاضة .

وعليها أن تغتسل عند آخـر الحيض ... وتتوضأ لوقت كل صلاة وتصلى ، وكذا حكم من بـه سلس البول وما فى معناه ، فإذا استمر بها الدم فى الشهر الآخر فإن كانت معتادة فحيضها أيام عادتها ، وإن لم تكن معتادة وكان لها تمييز وهو أن يكون بعض دمهـا أسـود ثخينـا وبعضه رقيقـا أحمـر فحيضهـا زمن الأسود الثخين وإن كانت مبتدأة أو ناسية لعادتها ولا تمييز لها فحيضهـا من كل شهـر ستة أيـام أو سبعـة لأنه غـالب عـادة النساء ، والحـامل لا تحيض إلا أن ترى الدم قبل ولادتهـا بيوم أو يومين فيكون دم نفاس (عمدة الفقه / ١١ ، ١٢) .

وقـد ورد لفـظ « المحيض » فى القـرآن الكـريم فى آيتين كريمتين هما قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **واللائى يئسن من المحيض من نسـائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثـة أشهر واللائى لم يحضن** ﴾ [الطـلاق : ٤] ، وفى هذه الآية الأخيرة ورد لفظ « يحضن » .

أما الأحـاديث النبويـة الشريفـة فقد ورد منهـا فى « تيسير الوصـول » ثمانيـة وعشرون حـديثا نكتفى بنقل خمسة منها ، وهى كما يلى :

٢٤ ـ عن عبد الله بن سعـد الأنصارى رضى الله عنه قال : « سألت النبى ﷺ عن مؤاكلة الحائض فقال : واكلها » أخرجه الترمذى .

٢٥ ـ وعن عائشـة رضى الله عنها « أن امـرأة قالت لهـا : أتجزى إحدانا صلاتهـا إذا طهرت ؟ فقالت : أحرورية أنت ؟ كنا نحيض مع النبى ﷺ فنـؤمر بقضاء الصوم ولا نـؤمر بقضاء الصلاة » أخرجه الخمسة .

(الحـروريـة) جمـاعة مـن الخوارج نـزلـوا قـريـة تسمى حـروراء ؛ وقولهـا أحـرورية أنت ؟ تـريـد أنهـا خالفت السنة وخرجت عن الجماعة كخروج أولئك عن جماعة المسلمين .

٢٦ ـ وعن أم بسة واسمها مسة الأزدية قالت : « حججت فدخلت على أم سلمة رضى الله عنها . فقلت : يا أم المؤمنين إن سمرة بن جندب رضى الله عنه يأمر النساء أن يقضين صلاة المحيض . فقالت : لا يقضين كـانت المرأة من نسـاء رسول الله ﷺ تقعد فى النفـاس أربعين ليلة لا يأمـر النبى ﷺ بقضاء صلاة النفاس » أخرجه أبو داود .

٢٧ ـ وعن عائشة رضى الله عنها . « أنها قالت : فى المرأة الحامل ترى الدم : أنها تدع الصلاة » . أخرجه مالك بلاغا .

٢٨ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهمـا أنـه قال : « لا تقـرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن » أخـرجه الترمذى (تيسير الوصول ٣ / ١٠٦) .

ويذكر الشيخ عثمان بن فـودى البدع التى أحدثتها النساء فى الحيض والاستحاضة والنفاس فيقول :

وأما ما أحدثته النساء فى هذا الباب الذى هو باب الحيض والاستحاضة والنفاس من البدع الشيطانية .

فمن ذلك : الصوم فى أيـام الحيض . وهو بدعة محـرمة إجماعا .

وفى المدخل (المدخل لابن الحاج ٢/ ٦٤ فصل فى صوم أيام الحيض) : من النساء من يصوم فى الحيض وتقضيه بعده ، وفاعلة ذلك آثمة فى صومها فى الحيض ، مصادفة للحق فى القضاء بعده، ومنهن من يفطر فى الحيض ولكن تجوع نفسها فتفطر على تمرة ونحوها ، وتزعم أن فى ذلك أجرا، وهذا بدعة ، وهى آثمة فى تدينها بذلك ، وحالها فى حيضها فى رمضان كحالها فى غيره من الشهور. انتهى .

قلت : الصلاة فى الحيض أيضا بدعة محرمة إجماعا كالصوم فيه .

ومن ذلك : عدم الصلاة فى أيام الاستحاضة لمن كانت مستحاضة منهن ، وهو بدعة محرمة إجماعا، وفى صحيح البخارى : قالت فاطمة ابنة أبى حبيش لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إنى لا أطهر، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركى الصلاة . فإذا ذهب قدرها فاغسلى الدم عنك وصلى (الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحيض باب : الاستحاضة ١/ ٨٤ ط الشعب من ، رواية عائشة . وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الحيض : باب المستحاضة وغسلها وصلاتها طبعة الحلبى ١/ ٢٦٢ رقم ٣٣٣ من رواية عائشة) .

ومن ذلك تعود المرأة بعد انقطاعُ دم حيضها بغير صلاة حتى تغسل ثوبها ، وهو بدعة محرمة إجماعا، وفى المدخل : وليحذر من هذه البدعة المحرمة التى يفعلها بعض النساء، وهى أن تقعد بعد ما انقطع الدم بغير صلاة حتى تغسل ثوبها وتفعل ما هو أعظم ، وهو أنها لا تصلى ولا تقضى ما فوتته بعد انقطاع الدم وقبل اغتسالها . ولا يخفى ما فى ترك الصلاة عمدا. انتهى .

ومن ذلك ما يزعم بعض النساء ، . وهو أن النفساء تبقى أربعين يوما بلا غسل ولا صلاة ولو انقطع عنها الدم ، وهو بدعة محرمة إجماعا ، نبه عليها صاحب المدخل ، لأن دم النفاس إذا انقطع ولو فى يوم الولادة اغتسلت ، وإن دام بقيت شهرين .

انتهى بيان ما أحدثته النساء فى باب الحيض والاستحاضة والنفاس من البدع الشيطانية ، على سبيل تنبيه العقلاء ، لا على سبيل الإحصاء (إحياء السنة وإخماد البدعة / ١٠٥ ، ١٠٦) .

وفى مجال الطب تعنى مصنفات التراث الإسلامى بكل ما يتعلق بالحيض من حيث علاقته بطبيعة المرأة ، ومن حيث التعامل معه أو « تدبيره » كما يقولون ، ومن حيث علاقته بالصحة والمرض، ومن حيث إدراره أو منعه ، ومن حيث علاجه فى الحالات المرضية كاحتباسه أو إفراطه، كما تحدد أنواع الأدوية التى تتصل بهذا كله .

وبين أيدينا ثلاثة مصادر من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب هى :

١ ـ تسهيل المنافع لابن الأزرق (ص١٤٧ ـ ١٤٩) .

٢ ـ تذكرة أولى الألباب للشيخ داود الأنطاكى وهذا أكثرها استفاضة (ص١٤٠ ـ ١٤٦) .

٣ ـ الرسالة الألواحية لابن سينا (ص ٨٣ ـ ٨٧) .

وسوف نكتفى هنا بذكر محتويات باب الحيض فى كل منها ، ويمكنك الرجوع إلى أى منها إن شئت الاستزادة .

١ ـ تسهيل المنافع : أوقات الحيض ، الأدوية المدرة للطمث (الطمث هو دم الحيض) ، الأدوية القاطعة للطمث .

٢ ـ تذكرة أولى الألباب : وصفه ، الحالات المرضية ، العلامات ، العلاج ، الموانع .

٣ ـ الرسالة الألواحية :

اللوح الثامن والسبعون : فى الأدوية التى تدر الحيض، وتسقط الأجنة ، وتخرج المشيمة .

اللوح التاسع والسبعون : فى الأدوية التى تقطع الحيض والنفث ودم البواسير.

أما عن النظم فبين أيدينا منه ما يلى :

١ ـ منظومة صفوة الزبد للإمام أحمد بن رسلان الشافعى . قال الناظم ، وقد ضمن أبياته الكلام على الحمل والنفاس أيضا :

إمكانه من بعد تسع والأقل
يوم وليلة وأكثر الأجل
خمس إلى عشرة والغالب
ست وإلا سبعة تقارب

أدنى النفـاس لحظـة ستـونـا
أقصـاه والغـالب أربعـونـا
إن عبـر الأكثـر واستـدامـا
فمستحـاضـة حـوت أقسـامـا
لم ينحصـر أكثـر وقت الطهـر
أمـا أقلـه فنصف شهـر
ثم أقل الحمل ست أشهـر
وأربع الأعـوام أقصى الأكثـر
وثلث عـام غـايـة التصـور
وغـالب الكـامل تسع أشهـر
بـالحدث الصـلاة مع تطـوف
حـرم وللبـالغ حمل المصحف
ومسـه ومع ذى الأربعـة
للجنب اقتـراء بعض آيـة
قصـدا ولبث مسجـد للمسلم
وبـالمحيض والنفـاس حـرم
البت مع تمتع بـرؤيـة
والمس بين سـرة وركبـة
إلى اغتسـال أو بـديل يمتنع
الصـوم والطـلاق حتى ينقطع

(قوله إمكانه من بعد تسع إلخ) أى أقل زمن تحيض فيه المرأة بأن ترى الدم وقوله من بعد تسع أى تسع سنين قمرية وقوله يوم وليلة أى مقدارهما وهما أربع وعشرون ساعة (قوله بالحدث الصلاة) بالنصب على أنه مفعول مقدم لقوله حرم والمراد بالحدث الحدث الأصغر وقوله ومسه أى بأعضاء الوضوء وغيرها ولو كان فاقد الطهورين (قوله ومع ذى الأربعة) أى المحرمة بالحدث الأصغر (قوله الست) أى الصلاة والطواف وحمل المصحف ومسه وقراءة بعض آية واللبث بالمسجد(متن الزبد / ٢٥ ، ٢٦) .

٢ ـ منظومة القرطبى فى العبادات على مذهب الإمام مالك . قال الناظم رحمه الله :

للحيض عـدة من الليـالى
خمس وعشـر منتهى الكمـال
فإن يـزد شىء على التكملـة
فـذاك عـرق حـادث من علـة
وغـايـة القلـة فى الأيـام
ثـلاثـة تجـرى على الـدوام
وإنمـا هـذا فى الاستبـراء
وعـدة الـزوجـات والإمـاء

(منظومة القرطبى / ٧) .

٣ ـ نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى . قال الناظم رحمه الله :

وإن رأت قصـة أو جفـافـا
تطهـرت مكـانهـا إذ وافـا
وإن رأتـه بعـد لحظـة فإن
عـاود لفقتـه حتى يستكن
لخمسـة أعشـر أقل الطهـر
فإن تمـادى تبقى نصف شهـر
إن تـك مبتـدأة فى الظـاهـر
ثم هى مستحـاضـة كـالطـاهـر
ثم إذا انقطـع دم النفسـا
صلت فإن دام لستين رسـا

(الفتح الربانى ١ / ٤٥ ، ٤٦) .

٤ ـ منظومة « السبل السوية لفقه السنن المروية» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى . قال الناظم :

غـالبـه ست وسبع فـادر
ومـا عـداهـا مـدة للطهـر
ونـادرا شـذ فـذات العـادة
تبنى على حيضتهـا المعتـادة
وبـامتيـاز الـدم حيث وصفـه
كل النسـاء غـالبـا تعـرفـه
وبخـروج القصـة البيضـاء
فكل ذى عـلامـة انقضـاء

وكـــــدرة وصفـــــرة لا تعتبـــــر
بعـــد ظهـــور الطهـــر ذا نص الخبـــر
وغيـــــره استحـــاضـــــة تبينت
أحكـــام طـــاهـــر لهـــا تعينت
والــــدم فلتغسلـــه حين تطهـــر
ومن دم استحـــاضـــة تستثفـــر
ولتغتسل للطهـــــــر وَلْتُصَلِّ
ثم الــــوضـــــوء واجب لكل
فـــريضـــــة فإن رأت أن تغتسل
لجمع وقتين فـــذاك قـــد نقل
وحـــائضـــا في مـــدة الحيض اعتـــزل
فـــوطـــؤهـــا يحـــرم على مـــا لم تغتسل
بـــالآي والحـــديث والإجمـــاع
وحل غيـــــره مـــن استمتـــــاع
والخلف في التكفيـــر بـــالـــدينـــار
أو نصفـــــه لنـــــاقلي الأخبـــار
فبعضهم ذا النص لم يصححـــــوا
وآخـــرون صحـــة قـــد رجحـــوا

(« السبل السوية »/ ٩، ١٠).

وفي الحاوي للفتاوي للحافظ السيوطي مسائل ترد إليه يطلب أصحابها فتواه ويصوغانها نظمًا، فيرد الإمام السيوطي عليها نظما أيضا. ومن ذلك ما ورد عن الحيض والنفاس ومسائل أخرى، ونسوقها فيما يلي:

مسألة:

الحمـــد لله معيـــد مـــا بـــدا
بعـــد فنـــاء لم يكن ذاك ســـدى
ثم الصـــلاة والســـلام الكمل
على النبـــي الهـــاشمي المفضل
وآلــــه وصحبـــه وعتـــرتـــه
وكل مـــن مـــات على محبتـــه
جـــوابكم يـــا ســـادة أفـــادوا
طـــالبهم وبـــالعلـــوم ســـادوا
فـي حـــائض ببيتهـــا مقيمـــه
ذي جـــدة صحيحـــة سليمـــه
بعـــد انقطـــاع دمهـــا المحـــرم
هل يستبـــاح الـــوطء بـــالتيمم
من غيـــر عـــذر مع وجـــود المـــاء
بظنهـــا الغـــالب لـــلإيـــذاء
وبيتهـــا في خطـــة الحمـــام
مطيقـــة السعي على الأقـــدام
ذي سعـــة لأجـــرة وغيـــرهـــا
ولم تكن محجـــوبـــة فـي خـــدرهـــا
فهل يبيح وطـأهـــا التيمم
من غيـــر عـــذر أم بغسل تلـــزم
أم حكمهـــا في ذاك حكم الجنب
والنفســـاء حكمهـــا في المـــذهب
وإن أبحتم وطأهـــا بـــالتـــرب
مـــا قـــولكم في محـــرم يلبي
فهل لـــه اللبس قبيل العـــذر
بغـــالب الظن بغيـــر الـــوزر
أم بعـــد أن يحصل عـــذر ظـــاهـــر
يجـــوز لبس وغطـــاء ســـاتـــر
ولـــو طـــرأ عـــذر وزال عنـــه
هل يجب النـــزع ببـــرء عنـــه
ولـــو تمـــادى لابسًـــا والعـــذر
قـــد زال هل يسقط عنـــه الـــوزر
وإن بغيـــر العـــذر لبس حصـــلا
هل الفـــدا يجـــزيـــه ممـــا حمـــلا
أم هـــو عـــاص آثم والجـــاني
فـــداه لم ينجـــه من العصيـــان
وهل بهـــذا الفعل بـــر حجـــه
أم غيـــر مبـــرور كمـــا قـــد وجهـــوا
وحـــائض والنفســـا هل يقضيـــا
صـــومهمـــا دون صـــلاة ألغيـــا

أم يختلف حكمهما عند قضا
صلاة فرض عن أداها أعرضا
وضح لنا الجواب شيخ السنة
أثابك الله الكريم الجنة
أجز جوابًا يا جلال الدين
لعبدك السائل بالتبيين
يا من له نظم على الفتاوى
يشوق كل عالم وراوى
لازال نناديك الرحيب محتفل
بالوفد عن طلاب خير مشتمل
يا شيخ الإسلام ويا خير النهى
ومن له مرتبة تعلو السها

انتهى

الجواب:

الحمد لله على امتنان
يعجز عن إحصاء باللسان
ثم الصلاة والسلام أبدا
على النبى الهاشمى أحمدا
وآله الأولى حووا كل الشرف
وصحبه والتابعين والسلف
إن حائض قد أقلعت عنها الدما
ووجدت فاقدة للعذر ما
أو كان فى بلدتها حمام
فما إلى وصالها مرام
وإنما يجوز بالتراب
لفقد هذين بلا ارتياب
ومحرم قبل طروء العذر
أجز له اللبس بغير وزر
بغالب الظن ولا توقف
على حصوله فهذا الأرأف
نظيره من ظن من غسل بما
حصول سقم جوزوا التيمما
ومن تَنَزَّلْ أعذاره فليقلع
مبادرا وليقض أن لم ينزع
وليس ينجيه الفدا من وزره
كمن تحده بشرب خمره
لو كان ينجيه الفدا من وزر
لسرى العذر بغير العذر
ولا يكون حجه مبرورا
ما لم يتب يكن له طهورا
وحائض ونفسا فليقضيا
الصوم لا الصلاة فيما رويا
وليس بين تين من خلاف
فيما ذكرناه بلا خلاف
هذا جواب نجل الأسيوطى
معتصما بربه القوى

(الحاوى للفتاوى ١/ ٢٥ ـ ٢٧) .

ومن الألغاز الفقهية عن الحيض ما أورده الإمام ابن فرحون فى درة الغواص ، وهو كما يلى ، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما جاءت فى النص :

٥٧ ـ فإن قلت : النساء الحيض غير المستحاضة ثلاث :

حائض تصلى وتصوم .

وحائض لا تصلى ولا تصوم .

وحائض تصلى ولا تصوم ؟

قلت : التى تصلى وتصوم : هى التى ترى دفعة بالليل ثم ينقطع عنها .

والتى لا تصلى ولا تصوم : هى التى يتمادى بها الدم .

والتى تصلى ولا تصوم : هى التى ترى دفعة بالنهار ثم ينقطع .

٥٨ ـ فإن قلت : شيء خارج من البدن يحكم أنه حيض وليس بدم ؟

قلت : هو الكدرة والصفرة ليس بدم ويحكم لهما بحكم الحيض .

(الكدرة بضم الكاف هو الدم الكدر الذى يشبه غسلة

المحجم ، تترك به المرأة الصلاة وسائر العبادات لأنها حائض حقيقة (الفواكه الدواني : ١/ ١١٦) .

والصفرة : هي الدم الذي يشبه الصديد وتعلوه صفرة) .

٥٩ ـــ فإن قلت : امرأة تصلي وتصوم وتمنع من دخول المسجد كما تمنع الحائض ؟

قلت : الحائض إذا اتجاوز دمها خمسة عشر يوما وقلنا تستظهر بثلاثة أيام فهي في تلك الأيام تؤمر بالصلاة والصوم احتياطا ، وتمنع من المسجد (درة الغواص ٩٩ ، ١٠٠) .

(البجيرمي على الخطيب حاشية الشيخ سليمان البجيرمي المسماة بتحفة الحبيب على شرح الخطيب ١/ ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ومختصر الأحكام الفقهية لعلي بن فريد الكشجنوري الهندي ـ تحقيق يوسف البدري ، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٣٧ ، ٣٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ٣/ ٧٦ ـــ ٧٩ ، وعمدة الفقه لابن قدامة ـ تخريج أبي عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدي ، ومحمد دغيليب البراق العتبي / ١١ ، ١٢ ، وتيسير الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٣/ ١٠٦ ، وإحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فودي ـ تحقيق وتعليق أحمد عبد الله باجور / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ومتن الزبد في الفقه للإمام أحمد بن رسلان الشافعي / ٢٥ ، ٢٦ ، ومنظومة القرطبي في العبادات على مذهب الإمام مالك ـــ نظم الشيخ يحيى القرطبي الداري / ٧ ، والفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني ـــ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطي ١/ ٤٥ ، ٤٦ ، ومجموع : « السبل السوية لفقه السنن المروية » ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٩ ، ١٠ ، والحاوي للفتاوي للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١/ ٢٥ ـ ٢٧ ، ودرة الغواص في محاضرة الخواص (ألغاز فقهية) لابن فرحون المالكي ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبي الأجفان وعثمان بطيخ / ٩٩ ، ١٠٠ ، انظر أيضا الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربي م ٤/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وأحسن الكلام في الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر / ٦٣ ـ ٦٦ ، ومختصر صحيح البخاري : جمع النهاية في بدء الخير وغاية لابن أبي جمرة الأزدي / ٢٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وفقه السنة ـــ الشيخ السيد سابق م ١/ ٧٨ ـ ٨٠ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائري / ٢١٥ ـ ٢١٩ ، وتسهيل المنافع لابن الأزرق / ١٤٧ ـ ١٤٩ ، والرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن سينا ـــ تحقيق وتعليق د. محمد سويسي / ٨٣ ـــ ٨٧ ، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٤٠ ـ ١٤٦ ، ومع الطب في القرآن الكريم ـــ د. عبد الحميد دياب ود. أحمد قرقوز / ٤٧ ، ٤٨ ، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة ابن قيم الجوزية ٣/ ١٩ ـ ٣٩) .

انظر مادة « الاستحاضة » في م ٤ / ٢١٠ ـ ٢١٢ .

* **الحيض (كتاب ـ) :**

كتاب الحيض : لأبي الفضل ... الكرماني (ركن الدين) « عبد الرحمن بن محمد » الحنفي (المتوفى سنة ٥٤٣ ثلاث وأربعين وخمسمائة) ولأبي عبيد قاسم بن سلام النحوي المتوفى سنة ... وللإمام ... الأزهري (المتوفى ٣٧٠ سبعين وثلثمائة) وللقاضي عماد الدين المتوفى سنة ... وللإمام أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (المتوفى ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة) ولحسام الدين ... الشهيد المتوفى سنة ... ولأبي عبد الله الزعفراني وللقاضي أبي القاسم الحكيم وله أيضا شرحه ذكره صاحب القنية .

(كشف الظنون ٢/ ١٤١٤) .

* **الحيطان :**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨٢٨٤ .

تأليف : ؟

رسالة في أحكام الحيطان والطرق والمياه جعلها المؤلف في عشرين بابا .

أولها : الحمد لله رب العالمين ... وبعد فقد سئلت عن شخص له حائط حاره وقد بنى مائلا من أعلاه فخرج عن الملاصقة .

آخرها : عين ماء أو بئر ماء بين رجلين وهو شرب لهما فاحتاجت إلى تنقية أو عمارة فامتنع أحدهما من النفقة عليها هذه المسألة على سبيل الاستقصاء ، وكتبناها في شرح النفقات للخصاف فلا نعيدها احترازا عن التطويل .

نسخة جيدة . ضمن مجموع في أحكام الحيطان ، صفحاتها مجدولة بالحمرة .

الخط نسخ جيد جميل ، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة .

[٣٢ ـ ٥٢]ق ٣١س ٢٨ × ١٤ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٠ ، ٢٩١) .

* **الحيطان (كتاب -) :**

كتاب الحيطان ـ للشيخ ... المرجي الثقفي الحنفي مات سنة ... شرحه قاضي القضاء أبو عبد الله ... الدامغاني . وللرشيد أيضا قال قد وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل الماء من أصعب المسائل فرأيت كتاب المرجي وشرحه لكنه مفتقر إلى التهذيب والتنقيح فتممت ما هنالك . وللحسام الشهيد شرح فيه كتاب المرجي أوله الحمد لله على نعمه الظاهرة إلخ ذكر فيه أنه وجد مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل المياه من أصعب المسائل مراما وكان يتلجلج في صدره أن يجمع ما تفرق في كتب أصحابنا من مسائلها حتى وجد جمعا فيها للشيخ المرجي الثقفي بشرح قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني لكن رآه مفتقرا إلى التهذيب والتنقيح وذكر التفاصيل في مقدمته لتبويبه تسهيلا للأمر فيه ورتبه على ثلاثة أبواب : الأول في استحقاق الحائط بالجذوع ، الثاني للاتصال في بناء الحائط ، الثالث في الجرادي والبوادي .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٤١٤) .

* **الحيطان ومسيل الماء والطرق والأقنية (كتاب -) .**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الفلاحة .

مخطوط بقسم التراث العربي بالكويت وجاء بيانه كما يلي :

تأليف ابن اللبان ، أبو الحسين ، محمد بن عبد الله الفرضي البصري (ت ٤٠٢ هـ) .

ويبحث في كيفية بناء السدود والقنوات ، وخاصة بالجذوع أو بالخشب ، والوصول بينها إلا أن ما يتعلق بالماء مباشرة الأبواب التالية :

الباب الخامس عشر : في مسيل الماء والطريق .

الباب السادس عشر : في الأقنية .

الباب التاسع عشر : في النهر والبئر والسقي والزرع .

النسخ الموجودة منه :

(تركيا - اسطنبول - مكتبة كوبريلي زاده ، ٦٨٩ مجموع (رقم ٥) .

أوله بعد البسملة والديباجة : « الحمد لله على نعمه الظاهرة ؛ وأياديه الزاهرة ، حمدا يقرب مدى الإحصاء ويهدي قوى الاستقصاء ، والصلاة على محمد المبعوث بالرسالة ، المؤيد بالدلالة .

وبعد ،

فإني وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل الماء من أصعب المسائل مراما وأعسرها التياما ، وكان يتلجلج في صدري أن أجمع ما تفرق في كتب أصحابنا رحمهم الله من مسائلها - » .

آخره : « ... أو بئر ماء بين رجلين وهو شرب لهما ، فاحتاجت إلى تنقية أو عمارة ، فامتنع أحدهما من النفقة عليها .

هذه المسألة على سبيل الاستقصاء كتبناها في شرح النفقات للخصاف ، رحمه الله فلا نعيدها هاهنا احترازا من التطويل والله أعلم تم كتاب الحيطان ولله الحمد والمنة .

وكان نقلها بتوفيق الله من نسخة نقلت من نسخة الشيخ الإمام الأجل العالم ، جمال الدين الحصيري ، شيخ الإسلام التي بخطه ، أعاد الله على المسلمين منه بركاته يتلوه إن شاء الله مسائل الشيوع » .

الخط : نسخ جميل جدا ، بالمداد الأسود البني والمداد الأحمر .

الأوراق : ١٧ ق من (٢٠٣ - ٢١٩) .

الأسطر : ٢٣ س .

المقياس : ٢٩ × ١٨,٥ سم .

النسخة : وهي بحالة جيدة ونظيفة وعليها تعليقات ، ويلاحظ أنها منقولة عن نسخة الحصيري .

(٢) تركيا - استانبول - المكتبة السليمانية ، ١٠٦١ شهيد علي . ضمن مجموع .

أوله وآخره : كالنسخة السابقة .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٦ ق . (٧٥ - ٩٠) .

المقياس : ٢٨ × ١٧ سم .

ويلاحظ أن النسخة منسوبة إلى حسام الدين عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٣٦ هـ .

كما يلاحظ عليها أنها منقولة عن نسخة الحصيرى.

(فهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ صنعة د. محمد عيسى صالحية، وعبد الله فليح / ١٤٥، ١٤٦).

قالت المؤلفة: بداية هذا المخطوط هى نفسها التى أوردها صاحب كشف الظنون فى المادة السابقة وعزا الكتاب إلى مؤلف آخر اسمه الحسام الشهيد.

*** الحَيْعَلة:**

جاء فى اللسان: الخليل: حيعل الرجل إذا قال حى على الصلاة، قال: والعرب تفعل هذا وإذا كثر استعمالهم للكلمتين ضمُّوا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى، منه قولهم: لاتبرقِل علينا، والبَرْقلة: كلام لا يتبعه فعل، مأخوذ من البرق الذى لا مطر معه. قال أبو العباس: الحَوْقلة والبَسْملة والسبحلة والهَيْللة، قال: هذه الأربعة أحرف جاءت هكذا، قيل له: فالحمدلة؟ قال: ولا أُنكره. (اللسان ٥٢/ ٤٦٩١)

وقال الإمام النووى فى تهذيبه:

حيعل: قوله فى باب الأذان يقول بعد الحيعلة هى بفتح الحاء وإسكان الياء وفتح العين قال الإمام أبو منصور الأزهرى فى أول كتابه تهذيب اللغة بعد أن فرغ من مقدمة الكتاب وشرع فى الأبواب. قال الليث قال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى العين والحاء لا يلتقيان فى كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل حى على فيقال منه حيعل قال الأزهرى وهو كما قال الخليل رحمه الله تعالى وأنشد غيره:

ألا رب طيف منك بسات معانقى

إلى أن دعى داعى الصلاة بحيعلا

ومعنى حى على الصلاة أسرعوا إليها وهلموا إليها وأقبلوا ومثله فى الحديث «إذا ذكر الصالحون فحى هلا بعمر» معناه أقبلوا على ذكره وقيل أسرعوا إلى ذكره. ومثل الحيعلة عبارة عن حى على كذا قولهم الحمدلة والبسملة والهيللة والسبحلة إشارة إلى الحمد لله وبسم الله ولا إله إلا الله وسبحان الله ومثله قولهم ولا حول ولا قوة إلا بالله الحوقلة والحولقة. (تهذيب ٣/ ٧٩)

(لسان العرب لابن منظور ٥٢/ ٤٦٩١، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣/ ٧٩)

انظر مادة «الأذان» فى م ٣/ ٤٦٩ ـ ٤٨٤، وصورة المؤذن ص ٤٨١.

*** حيفا:**

حيفا: مدينة تاريخية، احتلها اليهود فى ٢١/ ٤/ ١٩٤٨م، وهى ثانى مدن فلسطين المحتلة من حيث السكان وأكبرها من حيث الحجم، قاعدة مقاطعة ومركز قضاء. تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط، من شاطىء البحر إلى ارتفاع يزيد على ألف قدم. وهى مركز الصناعات الثقيلة فى القسم المحتل من فلسطين، وفيها مصفاة للبترول.

قال ياقوت:

وحيفا: غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. ولمْ يزلْ فى أيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس فى سنة ٤٩٤، وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٣ وخربه، وفى تاريخ دمشق: إبراهيم بن محمد بن عبد الرزاق أبو طاهر الحافظ الحيفى من أهل قصر حيفة، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزوينى وأبا الوفاء سعد بن على بن محمد بن أحمد النسوى، وحدث بصور سنة ٤٨٦، سمع منه غيث بن على وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن نبت الكاملى، هكذا فى كتابه قصر حيفه، بالهاء.

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ٢٠٣، ٢٠٤ هامش ١ ومعجم البلدان ٢/ ٣٣٢)

وإذا شئت معلومات مفصلة عن مدينة حيفا، فارجع إلى هذين المصدرين:

١ ـ حيفا. قصة مدينة ـ د. أحمد عبد الرحمن حمودة. سلسلة المدن الفلسطينية (٢١) / ٧ ـ ٨٤.

٢ ـ «حيفا». مجلة تاريخ العرب والعالم. السنة العاشرة. العددان ١١٩، ١٢٠. محرم صفر ١٤٠٩ هـ ـ أيلول (سبتمبر) ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨/ ٦٨ ـ ٧٦.

*** الحيل الساسانية (علم ـ):**

ذكره أبو الخير، صاحب مفتاح السعادة من فروع علم السحر وقال:

هـو علم يعـرف بـه طـريق الاحتيـال فـي جلب المنـافع وتحصيل الأمـوال . والـذى باشـرهـا يتـزيا فى كل بلـدة بـزى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها فى أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهـاء ، وتارة يختارون زى الوعـاظ ، وتارة يختارون زى الصـوفية ، وتارة يختارون زى الأشـراف ، إلى غير ذلك . ثم هم يحتالون فى خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها . منها : ما حكى واحد ، أنه رأى فى جامع البصرة قردا على مركب ، مثل مـا يركبه أبنـاء الملوك ، وعليه ألبسـة نفيسة نحو ملبـوساتهم ، وهو يبكى وينـوح ، وحوله خدم يتبعـونه ، ويبكون ويقولـون : يا أهل العافية ، اعتبروا بسيدنـا هذا ، فإنه كان من أبناء الملوك ، عشق امرأة ساحرة ، وبلغ حاله بسحرها إلى أن مسخ إلى صـورة القـرد ، وطلبـت منـه مـالا عظيمـا لتخليصه من هـذه الحالة ، والقرد فى هـذا الحال يبكى بأنين وحنين ، والعامة يرقون عليه ويبكون ، وجمعوا لأجله شيئا كثيرا من الأمـوال ثم فرشـوا لـه فى الجـامع سجادة ، فصلى عليهـا ركعتين ، ثم صلى الجمعة مع الناس ، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعـة بتلك الأمـوال العظيمـة . وأمثـال هـذه الحيل كثيـرة منهم . وكتاب « المختـار فى كشف الأستار » بـالغ فى كشف هذه الأسرار (مفتاح السعادة ١ / ٣٤٥) .

ويضيف صاحب كشف الظنون قوله : قلت : ذكرت هذه الحكاية فى تاريخ أمير أخوند أيضا (كشف ١ / ٦٩٥) .

(مفتـاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٤٥ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، وأبجد العلوم لصـديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠) .

* **الحيل الشرعية (علم ـ) :**

وهو باب من أبـواب الفقه بل فن من فنونه كـالفرائض وقد صنفوا فيه كتبا أشهرهـا كتاب « الحيل » للشيخ الإمام أبى بكر أحمد بن عمر المعروف بالخصاف الحنفى المتوفى سنة ٢٦١ إحـدى وستين ومـائتين وهـو فى مجلـدين ذكـره التميمى فى طبقـات الحنفيـة » ولـه شـروح منهـا شرح شمس الأئمة الحلـوانى . شمس الأئمـة السرخسى ، وشـرح الإمـام خواهـر زاده ، ومنها كتاب محمد بن على النخعى وابن سراقة (محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد المتوفى سنة ٦٦٢) وأبى بكر الصيرفى (محمد بن محمد البغدادى الشافعى المتوفى بمصر سنـة ٣٣٠) وأبى حاتم القـزوينى وغيـر ذلك ذكروا فيـه الحيل الدافعة للمغالبـة وأقسامها من المحرمة والمكـروهة والمباحة (كشف ١ / ٦٩٥) .

وقد أطـال الحافظ ابن القيـم رحمه الله فى كتـاب « أعلام المـوقعين عن رب العالمين » فى إبطـال الحيل التى أحدثهـا الفقهاء وأجاد (أبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٣١٠) .

يقول الـدكتور عبـد العظيم عبد السـلام شرف الـدين عند الكلام على الهدف الثالث من أهـداف ابن القيم وهو محاربة التلاعب بأحكام الدين :

رأى ابن القيم أنـواعًـا من التلاعـب بأحكام الـدين بـاسم الحيل التى تحل الحـرام وتسقط الحق : فـالربـا يحتال عليـه بحيل تبيحـه فى الظاهـر ، والحقوق يحتـال على إسقاطهـا : فالمرأة إذا أرادت مفـارقة زوجها احتالت على ذلـك بالارتداد ، فينفسخ نكـاحها ، ثم تعـود إلى الإسلام ، والـرجل يسقط حق الفقراء فى ماله بأن يهبه قبل تمام الحول .

وما كان ابن القيم ليرضى عن هـذا التلاعب بالدين ، فقد حاربه بكل مـا أوتى من قوة مبينا خطورتـه تارة وداحضًا حجج أربابه أخرى ، وموردا الأدلة الدالة على بطلانه ثالثًا .

ويجب أن نقف على حقيقـة الحيل ، وعلى بدء ظهـورها فى التفكيـر الإسلامى ثم نشيـر إلى موقف العلمـاء منها كمـا نوضح المحـرم منها والمباح ، ثم نورد الأدلـة التى تمسك بها المحتالـون والرد عليها إلى غيـر ذلك من الأبحاث الضـرورية التى تكشف النقاب عن هذا الهدف الذى رمى إليه ابن القيم . ولا يتبـادر إلى الـذهن أن ابن القيم أول من حـارب التـلاعب بالدين ، بل سبقه غيره مثل ابن تيمية ومن سبقهما من العلماء الذين وقفوا من الحيل مـوقف الإنكار ولكن ابن القيم قد أولى هذا عناية خاصة جعلتنى أعتبر هذا هدفا من أهدافه التى وقف عليها جهده العلمى .

تعريف الحيلة :

هى نوع من التصـرف يتحول به فاعله من حـال إلى حال ، ثم صارت تستعمل عـرفا فى سلوك الطرق الخفيـة التى توصل إلى الغرض المقصـود بحيث لا يعرف ذلك إلا بذكـاء وفطنة ، وهـذا المعنـى أخص من المعنى السـابق . وأخص منـه استعمـالها فى التـوصل إلى الغـرض الممنوع منه شرعـا ، أو

عقلا، أو عادة، وهذا غالب فى الاستعمال، ويقال: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل (أعلام الموقعين ٣/ ١٩١، ١٩٢) هذا تعريف ابن القيم للحيل. وقد عرفها شيخه ابن تيمية بقوله: « الحيلة قصد سقوط الواجب أو حل الحرام بفعل لم يقصد به ما جعل ذلك الفعل له أو ما شرع، فهو يريد تغيير الأحكام الشرعية بأسباب لم يقصد بها ما جعلت تلك الأسباب له (إقامه الدليل على إبطال التحليل ص ١١ لابن تيمية) فنرى أن التعريف الذى ذكره ابن تيمية يتفق مع ما ذكره ابن القيم: وهو استعمالها فى التوصل إلى الغرض الممنوع منه فسقوط الواجب وحل الحرام لا يختلف أحد فى منعهما...

متى ظهرت الحيل؟وما موقف العلماء ؟

ظهر الإفتاء بالحيل فى أواخر عصر صغار التابعين بعد المائة الأولى بسنين، ولم يؤثر عن الصحابة شيء من الحيل.

ولما ظهر الإفتاء بها أنكرها العلماء كحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك. وقد ناصر الحيل، وقال بها فريق من العلماء، وظهرت كتب الحيل: منها كتاب الحيل لأبى بكر الخصاف، ولكن العلماء الذين عارضوا الحيل لم ينسوا يوما مخالفتها للدين، ولم يلقوا أسلحة الدفاع.

وظل الزمن يسير حتى جاء ابن تيمية، فلم يرضخ لهذا التلاعب بالدين، وقد حارب بشدة حيلة تحليل المرأة لزوجها، واعتبره حيلة باطلة وألف فى ذلك كتابا سماه: إقامة الدليل على إبطال التحليل. أبطل فيه الحيل جميعها أولا، ثم أقام الدليل على بطلان التحليل بوجه خاص، ولما جاء ابن القيم نهج منهج أستاذه فى محاربة هذا التلاعب بالأحكام الشرعية؛ إذ راعه ما شاهده من حيل تبطل مقصود الشارع ...

خطورة الحيل:

إن هذا التلاعب بالأحكام الشرعية باسم الحيل خطر على الدين، ولو لم يكن فيه إلا تنفيذ رغبة المتحيل، وإبطال رغبة الشارع ليكفيه ذلك ذما وقدحا فالأوامر شرعت لما فيها من مصلحة: كالزكاة شرعت للأخذ بيد الفقير، والمنهيات شرع اجتنابها لما فيها من مفسدة: كالربا شرع اجتنابه لما فيه من وقوع المحتاجين فى يد أرباب الأموال، وأخذ أموالهم بالباطل. فالتحايل على إسقاط الأوامر كالزكاة وفعل المنهيات كالربا إبطال لمقصود الشارع، وتنفيذ لرغبة المتحيل. قال ابن القيم مستبعدا إباحة الحيل: فكيف يبيح لهم الحيل على ما نهاهم عنه ؟ وكيف يبيح لهم التحيل على إسقاط ما فرضه عليهم وعلى إضاعة الحقوق التى أحقها عليهم لقيام مصالح النوع الإنسانى التى لا تتم إلا بما شرعه.

ومن خطورة الحيل مجانبتها للعقل ولما تقضى به الفطرة السليمة؛ فشريعة العقل تحكم باتحاد الحكم إذا اختلفت الألفاظ، واتفقت المعانى، وباختلاف الحكم إذا اتحدت الألفاظ واختلفت المعانى، والأعمال إذا اختلفت صورها، واتفقت مقاصدها كان حكمها واحدا أما إذا اتحدت صورها، واختلفت مقاصدها فإن الحكم يختلف قال ابن القيم: فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال وحقيقته، ومقصوده حقيقة الحرام، فلا يكون حلالا، ولا تترتب عليه أحكام الحلال، فيقع باطلا.

أنواع الحيل:

يرى ابن القيم أن الحيل المحرمة أنواع:

أولا: حيل محرمة مقصود بها محرم: كالتحايل على قتل النفس، وصورة هذه الحيلة أن يتظاهر محرم بصيد ما يحرم صيده فى الحرم، وهدفه قتل إنسان فالحيلة حرام فى نفسها لأن الصيد حرام على المحرم، وقصد بها محرم وهو قتل النفس المعصومة.

ثانيا: حيل مباحة فى نفسها ولكن قصد بها محرم فتصير حراما: كالسفر لقطع الطريق وقتل النفس المعصومة.

ثالثا: حيل موضوعة للإفضاء إلى المشروع، ولكن يتخذها الشخص سبيلا إلى المحرم كالإقرار والبيع والنكاح والهبة ...

وبمقارنة ما ذكره ابن القيم بما ذكره شيخه نراه قد تأثر به كثيرا؛ فالأقسام متحدة وما ذكره ابن تيمية فى النوع الخامس يمكن إدخاله فى النوع الرابع الذى ذكره ابن القيم، وهو الطرق المحرمة فى نفسها يقصد بها أخذ حق أو دفع باطل ونلاحظ أن الأمثلة التى ذكرها ابن القيم هى نفسها التى مثل بها ابن تيمية فإقامة شاهدى زور وجحد الوديعة وغير ذلك من الأمثلة قد أخذها ابن القيم عن شيخه وعلى هذا فسنلاحظ أن

الأدلة التي ذكرها ابن القيم على إبطال الحيل هي الأدلة التي أقامها شيخه مع تصرف يسير وإعمال فكره وظهور شخصيته في الأدلة العقلية التي رد بها الحيل وبيان خطورتها على الدين . ولا عجب في ذلك فابن تيمية قد عنى بهذا البحث، وجد في إبطال الحيل عموما ، ليتوصل بذلك إلى إبطال التحليل خصوصا، وقد ألف في هذا الغرض ــ كما ذكرت سابقا ــ كتابا سماه « إقامة الدليل على إبطال التحليل » (ابن قيم الجوزية / ١٢٠ ـ ١٢٦ ، ١٢٨) .

وفيما يلي ننقل لك بعضا مما أورده الإمام ابن القيم عن الحيل وأنواعها، وإن كان هذا البعض كثيرا (من ص ٢٢٤ ـ ٢٨٦) ولكن لأن الموضوع يهم المسلمين فإن الإطالة هنا تكون إفادة ، ويمكن لمن يشاء الاستزادة أن يتابع الموضوع حتى ص ٥٠٢ .

قال ابن القيم رحمه الله :

من الأدلة على تحريم الحيل :

ومما يدل على تحريم الحيل قوله ﷺ: « صيد البر لكم حلال، ما لم تصيدوه أو يصد لكم » رواه أهل السنن .

ومما يدل على تحريمها ما رواه ابن ماجه في سننه عن يحيى بن أبي إسحاق قال : سألت أنس بن مالك : الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدى إليه ، فقال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أقرض أحدكم قرضا فأهدى إليه أو حمله على الدابة فلا يركبها ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » رواه من حديث إسماعيل بن عياش عن عتبة بن حميد الضبي عن يحيى .

قال شيخنا رضي الله عنه (شيخه هو الإمام ابن تيمية رحمه الله » : وهذا يحيى بن يزيد الهنائي .

وعتبة بن حميد معروف بالرواية عن الهنائي ، قال أبو حاتم مع تشدده: هو صالح الحديث ، وقال أحمد : ليس بالقوي ، وإسماعيل بن عياش ثقة في حديثه عن الشاميين، ورواه سعيد في سننه عن إسماعيل بن عياش، لكن قال: عن يزيد بن أبي إسحاق الهنائي عن أنس عن النبي ﷺ .

وكذلك رواه البخاري في تاريخه عن يزيد بن أبي يحيى الهنائي عن أنس يرفعه : إذا أقرض أحدكم فلا يأخذ هدية .

قال شيخنا : وأظنه هو ذاك انقلب اسمه . وفي صحيح البخاري عن أبي بردة بن أبي موسى قال : قدمت المدينة ، فلقيت عبد الله بن سلام، فقال لي : إنك بأرض الربا فيها فاش، فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا .

وفي سنن سعيد هذا المعنى عن أبي بن كعب، وجاء عن ابن مسعود أيضا ، وأتى رجل عبد الله بن عمر فقال : إني أقرضت رجلا بغير معرفة فأهدى إلي هدية جزلة ، فقال : رد إليه هديته ، أو احسبها له .

وقال سالم بن أبي الجعد : جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني أقرضت رجلا يبيع السمك عشرين درهما ، فأهدى إلي سمكة قومتها بثلاثة عشر درهما ، فقال : خذ منه سبعة دراهم ، ذكرهما سعيد، وذكر حرب عن ابن عباس : إذا أسلفت رجلا سلفا فلا تأخذ منه هدية ولا عارية ركوب دابة .

فنهى النبي ﷺ هو وأصحابه المقرض عن قبول هدية المقترض قبل الوفاء، فإن المقصود بالهدية أن يؤخر الاقتضاء وإن كان لم يشترط ذلك ؛ سدا لذريعة الربا ، فكيف تجوز الحيلة على الربا؟ ومن لم يسد الذرائع ولم يراع المقاصد ولم يحرم الحيل يبيح ذلك كله، وسنة رسول الله ــ ﷺ ـ وهدى أصحابه أحق أن يتبع ، وقد تقدم تحريم السلف والبيع لأنه يتخذ حيلة إلى الربا .

دليل من الحديث والقرآن على تحريم الحيل :

ويدل على تحريم الحيل الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ « لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة» وهذا نص في تحريم الحيلة المفضية إلى إسقاط الزكاة ، أو تنقيصها بسبب الجمع والتفريق، فإذا باع بعض النصاب قبل تمام الحول تحيلا على إسقاط الزكاة فقد فرق بين المجتمع، فلا تسقط الزكاة عنه بالفرار منها .

ومما يدل على تحريمها قوله تعالى : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر : ٦] قال المفسرون من السلف ومن بعدهم: لا تعط عطاء تطلب أكثر منه ، وهو أن تهدى ليهدى إليك أكثر من هديتك .

وهذا كله يدل على أن صور العقود غير كافية في حلها وحصول أحكامها إلا إذا لم يقصد بها قصدا فاسدا، وكل ما لو شرطه في العقد كان حراما فاسدا فقصده حرام فاسد،

واشتراطه إعلان وإظهار للفساد . وقصده ونيته غش وخداع ومكر؛ فقد يكون أشد فسادًا من الاشتراط ظاهرًا من هذه الجهة ، والاشتراط الظاهر أشد فسادًا منه عن جهة إعلان المحرم وإظهاره .

إجماع الصحابة على تحريم الحيل

ومما يدل على التحريم أن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا على تحريم هذه الحيل وإبطالها ، وإجماعهم حجة قاطعة ، بل هى من أقوى الحجج وآكدها ، ومن جعلهم بينه وبين الله فقد استوثق لدينه بيان المقدمة الأولى أن عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال : «لا أوتى بمحلل ولا محللٍ له إلا رجمتهما» وأقره سائر الصحابة على ذلك .

وأفتى عثمان وعلى وابن عباس وابن عمر أن المرأة لا تحل بنكاح التحليل وقد تقدم عن غير واحد من أعيانهم كأبى وابن مسعود وعبد الله بن سلام وابن عمر وابن عباس أنهم نهوا المقرض عن قبول هدية المقترض ، وجعلوا قبولها رِبا .

وقد تقدم عن عائشة وابن عباس وأنس تحريم مسألة العِينَة ، والتغليظ فيها ، وأفتى عمر وعثمان وعلى وأبى بن كعب وغيرهم من الصحابة أن المبتوتة فى مرض الموت ترث ، ووافقهم سائر المهاجرين والأنصار من أهل بدر وبيعة الرضوان ومن عداهم .

وهذه وقائع متعددة لأشخاص متعددة فى أزمان متعددة ، والعادة توجب اشتهارها وظهورها بينهم ، لا سيما وهؤلاء أعيان المفتين من الصحابة الذين كانوا تضبط أقوالهم ، وتنتهى إليهم فتاويهم ، والناس عنق واحد إليهم متلقون لفتاويهم ، ومع هذا فلم يحفظ عن أحد منهم الإنكار ولا إباحة التحليل مع تباعد الأوقات وزوال أسباب السكوت .

وإذا كان هذا قولهم فى التحليل والعينة وهدية المقترض إلى المقرض فماذا يقولون فى التحليل لإسقاط حقوق المسلمين ، بل لإسقاط حقوق رب العالمين وإخراج الأبضاع والأموال عن ملك أربابها ، وتصحيح العقود الفاسدة والتلاعب بالدين؟ وقد صانهم الله تعالى أن يروا فى وقتهم من يفعل ذلك أو يفتى به ، كما صانهم عن رؤية الجهمية والمعتزلة والحلولية والاتحادية (انظر مادة «الحلول والاتحاد» فى م١٤ / ٤٩٦ ـ ١٠٥) وأضرابهم ، وإذا ثبت هذا عنهم فيما ذكرنا من الحيل فهو دليل على قولهم فيما هو أعظم منها .

وأما المقدمة الثانية : فكل من له معرفة بالآثار وأصول الفقه ومسائله ثم أنصف لم يشك أن تقرير هذا الإجماع منهم على تحريم الحيل وإبطالها ومنافاتها للدين أقوى من تقرير إجماعهم على العمل بالقياس وغير ذلك مما يدعى فيه إجماعهم ، كدعوى إجماعهم على عدم وجوب غسل الجمعة ، وعلى المنع من بيع أمهات الإولاد ، وعلى الإلزام بالطلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وأمثال ذلك .

فإذا وزنت بين الإجماع وتلك الإجماعات ظهر لك التفاوت ، وانضم إلى هذا أن التابعين موافقون لهم على ذلك ، فإن الفقهاء السبعة وغيرهم من فقهاء المدينة الذين أخذوا عن زيد بن ثابت وغيره متفقون على إبطال الحيل ، وكذلك أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة ، وكذلك أصحاب فقهاء البصرة كأيوب وأبى الشعثاء والحسن وابن سيرين ، . وكذلك أصحاب ابن عباس .

وهذا فى غاية القوة من الاستدلال ، فإنه انضم إلى كثرة فتاويهم بالتحريم فى أفراد هذا الأصل وانتشارها أن عصرهم انصرم ، وبقع الإسلام متسعة ، وقد دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وقد اتسعت الدنيا على المسلمين أعظم اتساع وكثر من كان يتعدى الحدود ، ، وكان المقتضى لوجود هذه الحيل موجودا فلم يحفظ عن رجل واحد منهم أنه أفتى بحيلة واحدة منها أو أمر بها أو دل عليها ، بل المحفوظ عنهم النهى والزجر عنها .

فلو كانت هذه الحيل مما يسوغ فيها الاجتهاد لأفتى بجوازها رجل منهم ، ولكانت مسألة نزاع كغيرها ، بل أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم متفقة على تحريمها والمنع منها ، ومضى على أثرهم أئمة الحديث والسنة فى الإنكار ، قال الإمام أحمد فى رواية موسى بن سعيد الدنداني : لا يجوز شيء من الحيل .

وقال فى رواية الميمونى ، وقد سأله عمن حلف على يمين ثم احتال لإبطالها ، فقال : نحن لا نرى الحيلة ، وقال فى رواية بكر بن محمد : إذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة

فصار إليها فقد صار إلى ذلك الذى حلف عليه بعينه، وقال: من احتال بحيلة فهو حانث، وقال فى رواية صالح وأبى الحارث وقد ذكر له قول أصحاب الحيل فأنكره، وقال فى رواية إسماعيل بن سعيد وقد سئل عمن احتال فى إبطال الشفعة، فقال: لا يجوز شىء من الحيل فى إبطال حق امرىء مسلم.

وقال فى رواية أبى طالب وغيره فى الرجل يحلف وينوى غير ذلك: فاليمين على نية ما يحلفه عليه صاحبه إذا لم يكن مظلوما، فإذا كان مظلوما حلف على نيته، ولم يكن عليه من نية الذى حلفه شىء، وقال فى رواية عبد الخالق بن منصور: من كان عنده كتاب الحيل فى بيته يفتى به فهو كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ.

لم يجز أحد كل الحيل:

قلت: والذين ذكروا الحيل لم يقولوا إنها كلها جائزة، وإنما أخبروا أن كذا حيلة وطريق إلى كذا، ثم قد تكون الطريق محرمة، وقد تكون مكروهة، وقد يختلف فيها.

فإذا قالوا الحيلة فى فسخ المرأة النكاح أن ترتد ثم تسلم، والحيلة فى سقوط القصاص عمن قتل أم امرأته أن يقتل امرأته إذا كان لها ولد منه، والحيلة فى سقوط الكفارة عمن أراد الوطء فى رمضان أن يتغدى ثم يطأ بعد الغداء...

والحيلة لمن أراد سقوط الحج عنه مع قدرته عليه أن يملك ماله لابنه أو زوجته عند خروج الركب فإذا بعد استرد ماله، والحيلة لمن أراد حرمان وارثه ميراثه أن يقر بماله كله لغيره عند الموت.

والحيلة لمن أراد إبطال الزكاة وإسقاط فرضها عنه بالكلية أن يملك ماله عند الحول لابنه أو امرأته أو أجنبى ساعة من زمان ثم يسترده منه، ويفعل هكذا كل عام، فيبطل فرض الزكاة عنه أبدا.

والحيلة لمن أراد أن يملك مال غيره بغير رضاه أن يفسده عليه أو يغير صورته فيملكه، فيذبح شاته، ويشق قميصه، ويطحن حبه ويخبزه ونحو ذلك، والحيلة لمن أراد قتل غيره ولا يقتل به أن يضربه بدبوس أو مرزبة حديد ينثر دماغه فلا يجب عليه قصاص...

والحيلة لمن أراد أن يسقط عنه حد السرقة أن يدعى أن المال له وأن له فيه شركة فيسقط عنه القطع بمجرد دعواه أو ينقب الدار ثم يدع غلامه أو ابنه أو شريكه يدخل ويخرج متاعه، أو يدعه على ظهر دابة تخرج به، ونحو ذلك.

والحيلة لمن أراد سقوط حد الزنا عنه بعد أن يشهد به عليه أربعة عدول غير متهمين أن يصدقهم فيسقط عنه الحد بمجرد تصديقهم، والحيلة لمن أراد قطع يد غيره ولا يقطع بها أن يمسك هو وآخر السكين أو السيف ويقطعانها معا، والحيلة لمن أرادت التخلف عن زوجها فى السفر أن تقر لغيره بدين، والحيلة لمن أراد الصيد فى الإحرام أن ينصب الشباك قبل أن يحرم ثم يأخذ ما وقع فيها حال إحرامه بعد أن يحل.

تكفير من يفتى بهذه الحيل:

فهذه الحيل وأمثالها لا يحل لمسلم أن يفتى بها فى دين الله تعالى، ومن استحل الفتوى بهذه فهو الذى كفره الإمام أحمد وغيره من الأئمة، حتى قالوا: إن من أفتى بهذه الحيل فقد قلب الإسلام ظهرا لبطن، ونقض عرى الإسلام عروة عروة.

وقال بعض أهل الحيل: ما نقموا علينا من أنا عمدنا إلى أشياء كانت حراما عليهم، فاحتلنا فيها حتى صارت حلالا.

وقال آخر منهم: إنا نحتال للناس منذ كذا وكذا سنة فى تحليل ما حرم الله عليهم.

قال أحمد بن زهير بن مروان: كانت امرأة هاهنا بمرو، أرادت أن تختلع من زوجها، فأبى زوجها عليها، فقيل لها: لو ارتددت عن الإسلام لبنت منه، ففعلت، فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك، فقال: من وضع هذا الكتاب فهو كافر، ومن سمع به ورضى به فهو كافر، ومن حمله من كورة إلى كورة فهو كافر، ومن كان عنده فرضى به فهو كافر.

وقال إسحاق بن راهويه عن شقيق بن عبد الملك: إن ابن المبارك قال فى قصة بنت أبى روح أمرت بالارتداد، وذلك فى أيام أبى غسان، فذكر شيئا، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب: أحدثوا فى الإسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده أو فى بيته ليأمر به أو هويه ولم يأمر به فهو كافر، ثم قال ابن المبارك: ما أرى الشيطان كان يحسن مثل هذا، حتى جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، أو كان يحسنها ولم يجد من يمضيها فيهم حتى جاء هؤلاء.

وقال إسحاق الطالقاني : قيل يا أبا عبد الرحمن إن هذا الكتاب وضعه إبليس ، قال : إبليس من الأبالسة .

وقال النضر بن شميل : فى كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثون مسألة كلها كفر.

وقال أبو حاتم الرازى ، قال شريك ، يعنى : ابن عبد الله قاضى الكوفة وذكر له كتاب الحيل ، فقال : «من يخادع الله يخدعه» .

وقال حفص بن غياث : ينبغى أن يكتب عليه كتاب الفجور، قال إسماعيل بن حماد : قال القاسم بن معن يعنى ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قاضى الكوفة : كتابكم هذا الذى كتبتموه فى الحيل كتاب الفجور.

وقال حماد بن زيد : سمعت أيوب يقول : ويلهم ! من يخدعون؟ يعنى أصحاب الحيل . .

لماذا حكم الأئمة بما سبق؟

وإنما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم هذا الكلام فى هذه الحيل لأن فيها الاحتيال على تأخير صوم رمضان ، وإسقاط فرائض الله تعالى من الحج والزكاة وإسقاط حقوق المسلمين ، واستحلال ما حرم الله من الربا والزنا ، وأخذ أموال الناس وسفك دمائهم ، وفسخ العقود اللازمة والكذب وشهادة الزور وإباحة الكفر.

وهذه الحيل دائرة بين الكفر والفسوق ، ولا يجوز أن تنسب هذه الحيل إلى أحد من الأئمة ، ومن نسبها إلى أحد منهم فهو جاهل بأصولهم ومقاديرهم ومنزلتهم من الإسلام ، ولإن كان بعض هذه الحيل قد تنفذ على أصول إمام بحيث إذا فعلها المتحيل نفذ حكمها عنده ، ولكن هذا أمر غير الإذن فيه وإباحتها وتعليمها ، فإن إباحتها شىء ونفوذها إذا فعلت شىء ، ولا يلزم من كون الفقيه والمفتى لا يبطلها أن يبيحها ويأذن فيها ، وكثير من العقود يحرمها الفقيه ثم ينفذها ولا يبطلها ، ولكن الذى ندين الله به تحريمها وإبطالها وعدم تنفيذها ، ومقابلة أربابها بنقيض مقصودهم موافقة لشرع الله تعالى وحكمته وقدرته .

نسبتها إلى إمام قدح فى إمامته :

والمقصود أن هذه الحيل لا تجوز أن تنسب إلى إمام ، فإن ذلك قدح فى إمامته ، وذلك يتضمن القدح فى الأمة حيث ائتمت بمن لا يصلح للإمامة وفى ذلك نسبه لبعض الأئمة إلى تكفير أو تفسيق ، وهذا غير جائز، ولو فرض أنه حكى عن واحد من الأئمة بعض هذه الحيل المجمع على تحريمها .

فإما أن تكون الحكاية باطلة ، أو يكون الحاكى لم يضبط لفظه فاشتبه عليه فتواه بنفوذها بفتواه بإباحتها مع بعد ما بينهما ، ولو فرض وقوعها منه فى وقت ما فلا بد أن يكون قد رجع عن ذلك ، وإن لم يحمل الأمر على ذلك لزم القدح فى الإمام وفى جماعة المسلمين المؤتمين به ، وكلاهما غير جائز، ولا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز الإذن فى التكلم بكلمة الكفر لغرض من الإغراض ، إلا المكره إذا اطمأن قلبه بالإيمان .

ثم إن هذا على مذهب أبى حنيفة وأصحابه أشد ، فإنهم لا يأذنون فى كلمات وأفعال دون ذلك بكثير، ويقولون : إنها كفر، حتى قالوا : لو قال الكافر لرجل : إنى أريد أن أسلم فقال له : اصبر ساعة ، فقد كفر ، فكيف بالأمر بإنشاء الكفر؟ وقالوا : لو قال : مسيجد أو صغر لفظ المصحف كفر.

الأئمة برآء مما نسب إليهم :

فعلمت أن هؤلاء المحتالين الذين يفتون بالحيل التى هى كفر أو حرام ليسوا مقتدين بمذهب أحد من الأئمة ، وأن الأئمة أعلم بالله ورسوله ودينه وأتقى له من أن يفتوا بهذه الحيل ، وقد قال أبو داود فى مسائله : سمعت أحمد وذكر أصحاب الحيل : يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ .

وقال فى رواية أبى الحارث الصائغ : هذه الحيل التى وضعوها عمدوا إلى السنن واحتالوا لنقضها ، والشىء الذى قيل لهم إنه حرام احتالوا فيه حتى أجلوه ، قالوا : الرهن لا يحل أن يستعمل ، ثم قالوا : يحتال له حتى يستعمل فكيف يحل بحيلة ما حرم الله ورسوله؟ وقال صلى الله عليه وسلم : لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فأذابوها فباعوها وأكلوا أثمانها (متفق عليه) ، أذابوها حتى أزالوا عنها اسم الشحم ، وقد لعن رسول الله - ﷺ - المحلل والمحلل له .

وقال فى رواية ابن صالح : عجبت مما يقول أرباب الحيل فى الحيل فى الأيمان ، يبطلون الأيمان ، بالحيل وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل : ٩١] وقال : ﴿يوفون بالنذر﴾ [الإنسان : ٧] وكان ابن عيينة يشتد عليه أمر هذه الحيل .

وقال فى رواية الميمونى وقد سأله : إنهم يقولون فى رجل حلف على امرأته وهى على درجة إن صعدت أو نزلت طالق، قالوا تحمل حملا، فقال: هلا هو الحنث بعينه، ليست هذه حيلة، هذا هو الحنث.

وقالوا: إذا حلف لا يطأ بساطا يطأ بساطين، وإذا حلف لا يدخل دارا يحمل، فأقبل أبو عبد الله يعجب.

أدلة عقلية على تحريم الحيل :

فصل: ومما يدل على بطلان الحيل وتحريمها أن الله تعالى إنما أوجب الواجبات وحرم المحرمات لما تتضمن من مصالح عباده فى معاشهم ومعادهم، فالشريعة لقلوبهم بمنزلة الغذاء الذى لا بد لهم منه والدواء الذى لا يندفع الداء إلا به، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرض الله وتعطيل ما شرع الله كان ساعيا فى دين الله بالفساد من وجوه :

أحدها: إبطال ما فى الأمر المحتال عليه من حكمة الشارع، ونقض حكمته فيه ومناقضته له.

والثانى: أن الأمر المحتال به ليس له عنده حقيقة، ولا هو مقصوده، وهو ظاهر المشروع، فالمشروع ليس مقصودا له، والمقصود له: هو المحرم نفسه، وهذا ظاهر كل الظهور فيما يقصد الشارع، فإن المرابى مثلا مقصوده الربا المحرم، وصورة البيع الجائز غير مقصودة له، وكذلك المتحيل على إسقاط الفرائض بتمليك ماله لمن لا يهبه درهما واحدًا حقيقة مقصوده إسقاط الفرض، وظاهر الهبة المشروعة غير مقصودة له.

الثالث: نسبته ذلك إلى الشارع الحكيم: وإلى شريعته التى هى غذاء القلوب ودواؤها وشفاؤها، ولو أن رجلا تحيل حتى قلب الغذاء والدواء إلى ضده، فجعل الغذاء دواء، والدواء غذاء، إما بتغيير اسمه أو صورته مع بقاء حقيقته لأهلك الناس.

فمن عمد إلى الأدوية المسهلة فغير صورتها أو أسماءها وجعلها غذاء للناس، أو عمد إلى السموم القاتلة فغير أسماءها وصورتها وجعلها أدوية أو إلى الأغذية الصالحة فغير أسماءها وصورها؛ كان ساعيا بالفساد فى الطبيعة، كما أن هذا ساع بالفساد فى الشريعة؛ فإن الشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء والدواء للأبدان وإنما ذلك بحقائقها لا بأسمائها وصورها.

الإشارة إلى الحكمة فى تحريم ما حرم الله :

وبيان ذلك على وجه الإشارة أن الله سبحانه وتعالى حرم الربا والزنا وتوابعهما ووسائلهما؛ لما فى ذلك من الفساد، وأباح البيع والنكاح وتوابعهما لأن ذلك مصلحة محضة، ولا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق فى الحقيقة، وإلا لكان البيع مثل الربا والنكاح مثل الزنا.

ومعلوم أن الفرق فى الصورة دون الحقيقة ملغى عند الله ورسوله وفى فطر عباده، فإن الاعتبار بالمقاصد والمعانى فى الأقوال والأفعال، فإن الألفاظ إذا اختلفت ومعناها واحد كان حكمها واحدا، فإذا اتفقت الألفاظ واختلفت المعانى كان حكمها مختلفا، وكذلك الأعمال إذا اختلفت صورها واتفقت مقاصدها.

وعلى هذه القاعدة ينبى الأمر والنهى والثواب والعقاب، ومن تأمل الشريعة علم بالاضطرار صحة هذا، فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال، وحقيقته ومقصوده حقيقة الحرام؛ فلا يكون حلالا، فلا يترتب عليه أحكام الحلال، فيقع باطلا، والأمر المحتال عليه حقيقته حقيقة الأمر الحرام، وإن لم تكن صورته صورته، فيجب أن يكون حراما لمشاركته للحرام فى الحقيقة.

لا تعلق الأحكام إلا على المعانى :

ويا لله العجب! أين القياس والنظر فى المعانى المؤثرة وغير المؤثرة فرق وجمعًا؟ والكلام فى المناسبات ورعاية المصالح وتحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه وإبطال قول من علّق الأحكام بالأوصاف الطردية التى لا مناسبة بينها وبين الحكم، فكيف يعلقه بالأوصاف المناسبة لضد الحكم؟ وكيف يعلق الأحكام على مجرد الألفاظ والصور الظاهرة التى لا مناسبة بينها وبينها ويدع المعانى المناسبة المفضية لها التى ارتباطها بها كارتباط العلل العقلية بمعلولاتها؟

والعجب منه كيف ينكر مع ذلك على أهل الظاهر المتمسكين بظواهر كتاب ربهم وسنة نبيهم حيث لا يقوم دليل يخالف الظاهر ثم بظواهر أفعال المكلفين وأقوالهم حيث يعلم أن الباطن والقصد بخلاف ذلك؟

ويعلم لو تأمل حق التأمل أن مقصود الشارع غير ذلك، كما يقطع بأن مقصوده من إيجاب الزكاة سد خلة المساكين وذوى الحاجات وحصول المصالح التى أرادها بتخصيص هذه الأوصاف من حماية المسلمين والذب عن حوزة الإسلام، فإذا أسقطها بالتحيل فقد خالف مقصود الشارع وحصل مقصود المتحيل.

الواجب هو أن يحصل مقصود الله ورسوله :

والواجب الذى لايجوز غيره أن يحصل مقصود الله ورسوله ويبطل مقاصد المتحيلين المخادعين، وكذلك يعلم قطعا أنه إنما حرم الربا لما فيه من الضرر بالمحاويج، وأن مقصوده إزالة هذه المفسدة؛ فإذا أبيح التحليل على ذلك كان سعيًا فى إبطال مقصود الشارع وتحصيلا لمقصود المرابى، وهذه سبيل جميع الحيل المتوسل بها إلى تحليل الحرام وإسقاط الواجب.

وبهذه الطريق تبطل جميعا، ألا ترى أن المتحيل لإسقاط الاستبراء مبطل لمقصود الشارع من حكمة الاستبراء ومصلحته؛ فالمعين له على ذلك مفوت لمقصود الشارع محصل لمقصود التحليل، وكذلك التحيل على إبطال حقوق المسلمين التى ملكهم إياها الشارع وجعلهم أحق بها من غيرهم إزالة لضررهم وتحصيلا لمصالحهم.

عود إلى الأدلة العقلية على بطلان الحيل :

فلو أباح التحيل لإسقاطها لكان عدم إثباتها للمستحقين أولى وأقل ضررا من أن يثبتها ويوصى بها ويبالغ فى تحصيلها ثم يشرع التحيل لإبطالها وإسقاطها وهل ذلك إلا بمنزلة من بنى بناء مشيدا وبالغ فى إحكامه وإتقانه، ثم عاد فنقضه، وبمنزلة من أمر بإكرام رجل والمبالغة فى بره والإحسان إليه وأداء حقوقه، ثم أباح لمن أمره أن يتحيل بأنواع الحيل لإهانته وترك حقوقه، ولهذا يسيء الكفار والمنافقون ومن فى قلوبهم المرض الظن بالإسلام والشرع الذى بعث الله به رسوله حيث ظنوا أن هذه الحيل مما جاء به الرسول وعلموا مناقضتها للمصالح مناقضة ظاهرة ومنافاتها لحكمة الرب وعدله ورحمته وحمايته وصيانته لعباده.

فإنه نهاهم عما نهاهم عنه حمايةً وصيانة، فكيف يبيح لهم الحيل على ما حماهم عنه؟ وكيف يبيح لهم التحيل على إسقاط ما فرضه عليهم وعلى إضاعة الحقوق التى أحقها عليهم لبعضهم بعضا لقيام مصالح النوع الإنسانى التى لا تتم إلا بما شرعه؟

فهذه الشريعة شرعها الذى علم ما فى ضمنها. من المصالح والحِكم والغايات المحمودة وما فى خلافها من ضد ذلك، وهذا أمر ثابت لها لذاتها وبائن من أمر الرب تبارك وتعالى بها ونهيه عنها، فالمأمور به مصلحة وحسن فى نفسه، واكتسى بأمر الرب تعالى مصلحة وحسنا آخر، فازداد حسنا بالأمر ومحبة الرب وطلبه له إلى حسنه فى نفسه.

وكذلك المنهى عنه مفسدة وقبيح فى نفسه، وازداد بنهى الرب تعالى عنه وبغضه له وكراهيته له قبحا إلى قبحه، وما كان هكذا لم يجز أن ينقلب حسنه قبحا بتغير الاسم والصورة مع بقاء الماهية والحقيقة.

ألا ترى أن الشارع صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حرَّم بيع الثمار قبل بُدوِّ صلاحها لما فيه من مفسدة التشاحن والتشاجر، ولما يؤدى إليه - إن منع الله الثمرة - من أكل مال أخيه بغير حق ظلما وعدوانا، ومعلوم قطعا أن هذه المفسدة لا تزول بالتحيل على البيع قبل بدوِّ الصلاح، فإن الحيلة لاتؤثر فى زوال هذه المفسدة، ولا فى تخفيفها، ولا فى زوال ذرة منها؛ فمفسدة هذا العقد أمر ثابت له لنفسه، فالحيلة إن لم تزده فسادًا لم تُزِل فسادا.

وكذلك شرع الله تعالى الاستبراء لإزالة مفسدة اختلاط المياه وفساد الأنساب وسَقى الإنسان بمائه زرع غيره، وفى ذلك من المفاسد ما تُوجبُ العقول تحريمه لو لم تأت به شريعة؛ ولهذا فطر الله الناس على استهجانه واستقباحه، ويرون من أعظم الهجن أن يقوم هذا عن المرأة ويخلفه الآخر عليها؛ ولهذا حرم نكاح الزانية وأوجب العِدد والاستبراء، ومن المعلوم قطعا أن هذه المفسدة لا تزول بالحيلة على إسقاط الاستبراء، ولا تخف، وكذلك شرع الحج إلى بيته لأنه قوام للناس فى معاشهم ومعادهم.

ولو عطل البيت الحرام عاما واحدا عن الحج لما أهمل الناس، ولعوجلوا بالعقوبة، وتوعد من ملك الزاد والراحلة ولم يحج بالموت على غير الإسلام، ومعلوم أن التحيل لإسقاطه لا يزيل مفسدة الترك، ولو أن الناس كلهم تحيلوا لترك الحج والزكاة لبطلت فائدة هذين الفرضين العظيمين، وارتفع من

الأرض حكمهما بالكلية، وقيل للناس: إن شئتم كلكم أن تتحيلوا لإسقاطهما فافعلوا، فليتصور العبد ما فى إسقاطهما من الفساد المضاد لشرع الله وإحسانه وحكمته.

وكذلك الحدود جعلها الله تعالى زواجر للنفوس وعقوبة ونكالا وتطهيرا، فشرعها من أعظم مصالح العباد فى المعاش والمعاد، بل لا تتم سياسة ملك من ملوك الأرض إلا بزواجر وعقوبات لأرباب الجرائم، ومعلوم ما فى التحيل لإسقاطها من منافاة هذا الغرض وإبطاله وتسليط النفوس الشريرة على تلك الجنايات إذا علمت أن لها طريقا إلى إبطال عقوباتها فيها، وأنها تسقط تلك العقوبات بأدنى الحيل.

فإنه لا فرق عندها البتة بين أن تعلم أنه لا عقوبة عليها فيها وبين أن تعلم أن لها عقوبة وأن لها إسقاطها بأدنى الحيل، ولهذا احتاج البلد الذى تظهر فيه هذه الحيل إلى سياسة وال أو أمير يأخذ يد الجناة ويكف شرهم عن الناس إذا لم يمكن أرباب الحيل أن يقوموا بذلك، وهذا بخلاف الأزمنة والأمكنة التى قام الناس فيها بحقائق ما بعث الله به رسوله ﷺ؛ فإنهم لم يحتاجوا معها إلى سياسة أمير ولا وال.

طرف مما كان عليه أهل المدينة:

كما كان أهل المدينة فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإنهم كانوا يحدون بالرائحة وبالقىء وبالحبل وبظهور المسروق عند السارق، ويقتلون فى القسامة، ويعاقبون أهل التهم، ولا يقبلون الدعوى التى تكذبها العادة والعرف، ولا يرون الحيل فى شىء من الدين ويعاقبون أربابها، ويحبسون فى التهم حتى يتبين حال المتهم: فإن ظهرت براءته خلوا سبيله، وإن ظهر فجوره قرروه بالعقوبة اقتداء بسنة رسول الله ﷺ فى عقوبة المتهمين وحبسهم؛ فإن رسول الله ﷺ - حبس فى تهمة وعاقب فى تهمة...

ما فى ضمن المحرمات من المفاسد يمنع أن يشرع إليها التحيل:

والمقصود أن ما فى ضمن المحرمات من المفاسد والمأمورات من المصالح يمنع أن يشرع إليها التحيل بما يبيحها ويسقطها، وأن ذلك مناقضة ظاهرة، ألا ترى أنه بالغ فى لعن المحلل للمفاسد الظاهرة والباطنة التى فى التحليل التيى يعجز البشر عن الإحاطة بتفاصيلها.

فالتحيل على صحة هذا النكاح بتقديم اشتراط التحليل عليه وإخلاء صلبه عنه إن لم يزد مفسدته لا يزيلها ولا يخففها، وليس تحريمه والمبالغة فى لعن فاعله تعبدا لا يعقل معناه، بل هو معقول المعنى من محاسن الشريعة بل لا يمكن شريعة الإسلام ولا غيرها من شرائع الأنبياء أن تأتى بحيلة، فالتحيل على وقوعه وصحته إبطال لغرض الشارع وتصحيح لغرض المتحيل المخادع.

لم حرم الصيد فى الإحرام؟

وكذلك الشارع حرم الصيد فى الإحرام وتوعد بالانتقام على من عاد إليه بعد التحريم، لما فيه من المفسدة الموجبة لتحريمه وانتقام الرب من فاعله، ومعلوم قطعا أن هذه المفسدة لا تزول بنصب الشباك له قبل الإحرام بلحظة، فإذا وقع فيها حال الإحرام أخذه بعد الحل بلحظة، فإباحته لمن فعل هذا إبطال لغرض الشارع الحكيم وتصحيح لغرض المخادع..

حكمة تشريع حدود الجرائم:

وكذلك الشارع شرع حدود الجرائم التى تتقاضاها الطباع أشد تقاض لما فى إهمال عقوباتها من مفاسد الدنيا والآخرة، بحيث لا يمكن سياسة ملك مامن الملوك أن يخلو عن عقوباتها البتة، ولا يقوم ملكه بذلك، فالإذن فى التحيل لإسقاطها بصورة العقد وغيره مع وجود تلك المفاسد بعينها أو أعظم منها نقض وإبطال لمقصود الشارع، وتصحيح لمقصود الجانى، وإغراء بالمفاسد، وتسليط للنفوس على الشر.

عود مرة أخرى إلى إبطال الحيل:

ويالله العجب! كيف يجتمع فى الشريعة تحريم الزنا والمبالغة فى المنع منه وقتل فاعله شر القتلات وأقبحها وأشنعها وأشهرها ثم يسقط بالتحيل عليه بأن يستأجرها لذلك أو لغيره ثم يقضى غرضه منها؟ وهل يعجز عن ذلك زان أبدا؟ وهل فى طباع ولاة الأمر أن يقبلوا قول الزانى: أنا استأجرتها للزنا، أو استأجرتها لتطوى ثيابى ثم قضيت غرضى منها، فلا يحل لك أن تقيم على الحد؟ وهل ركّب الله فى فِطَرِ الناس سقوط الحد عن هذه الجريمة التى هى من أعظم الجرائم إفسادا للفرش والأنساب بمثل هذا؟!

ويا لله العجب! كيف يسقط القطع عمن اعتاد سرقة أموال

الناس وكلما أمسك معه المال المسروق قال : هذا ملكي ، والدار التى دخلتها دارى ، والرجل الذى دخلت داره عبدى؟ قال أرباب الحيل : فيسقط عنه الحد بدعوى ذلك ، فهل تأتى بهذا سياسة قط جائرة أو عادلة ، فضلا عن شريعة نبى من الأنبياء ، فضلا عن الشريعة التى هى أكمل شريعة طرقت العالم؟

وكذلك الشارع أوجب الإنفاق على الأقارب؛ لما فى ذلك من قيام مصالحهم ومصالح المنفق ، ولما فى تركهم من إضاعتهم ، فالتحيل لإسقاط الواجب بالتمليك فى الصورة مناقضة لغرض الشارع وتتميم لغرض الماكر المحتال وعود إلى نفس الفساد الذى قصد الشارع إعدامه بأقرب الطرق ، ولو تحيل هذا المخادع على إسقاط نفقة دوابه لهلكوا ، وكذلك ما فرضه الله تعالى للوارث من الميراث هو حق له جعله أولى من سائر الناس به ، فإباحة التحيل لإسقاطه بالإقرار بمثاله كله للأجنبى وإخراج الوارث مضادة لشرع الله ودينه ونقض لغرضه وإتمام لغرض المحتال ، وكذلك تعليم المرأة أن تقر بدين لأجنبى إذا أراد زوجها السفر بها .

أكثر الحيل لا تمشى على أصول الأئمة :

فصل : وأكثر هذه الحيل لا تمشى على أصول الأئمة ، بل تناقضها أعظم مناقضة .

عند الشافعى :

وبيانه : أن الشافعى رضى الله عنه يحرم مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم ويبالغ فى تحريمها بكل طريق خوفا أن يتخذ حيلة على نوع ما من ربا الفضل ، فتحريمه للحيل الصريحة التى يتوصل بها إلى ربا النساء أولى من تحريم مد عجوة بكثير؛ فإن التحيل بمد ودرهم من الطرفين على ربا الفضل أخف من التحيل بالعِينَة على ربا النساء ، وأين مفسدة هذه من مفسدة تلك؟ وأين حقيقة الربا فى هذه من حقيقته فى تلك؟ .

عند أبى حنيفة :

وأبو حنيفة يحرم مسألة العينة ، وتحريمه لها يوجب تحريمه للحيلة فى مسألة مد عجوة يبيعه خمسة عشر درهما بعشرة فى خرقة ، فالشافعى يبالغ فى تحريم مسألة مد عجوة ويبيح العينة ، وأبو حنيفة يبالغ فى تحريم العينة ويبيح مسائل مد عجوة ، ويتوسع فيها ، وأصل كل من الإمامين رضى الله عنهما فى أحد البابين يستلزم إبطال الحيلة فى الباب الآخر ، وهذا من أقوى التخريج على أصولهم ونصوصهم ، وكثير من الأقوال المخرجة دون هذا .

الحيل تقتضى رفع التحريم :

فقد ظهر أن الحيل المحرمة فى الدين تقتضى رفع التحريم مع قيام موجبه ، ومقتضيه وإسقاط الوجوب مع قيام سببه ، وذلك حرام من وجوه .

أحدها : استلزامها فعل المحرم وترك الواجب .

والثانى : ما يتضمن من المكر والخداع والتلبيس .

والثالث : الإغراء بها والدلالة عليها وتعليمها من لا يحسنها .

والرابع : إضافتها إلى الشارع وأن أصول شرعه ودينه تقتضيها .

والخامس : أن صاحبها لا يتوب منها ولا يعدها ذنبا .

والسادس : إنه يخادع الله كما يخادع المخلوق .

والسابع : أنه يسلط أعداء الدين على القدح فيه وسوء الظن به وبمن شرعه .

والثامن : أنه يعمل فكره واجتهاده فى نقض ما أبرمه الرسول وإبطال ما أوجبه وتحليل ما حرمه .

والتاسع : أنه إعانة ظاهرة على الإثم والعدوان ، وإنما اختلف الطريق فهذا يعين عليه بحيلة ظاهرها صحيح مشروع يتوصل بها إليه ، وذاك يعين عليه بطريقة المفضية إليه بنفسها ، فكيف كان هذا معينا على الإثم والعدوان ، والمتحيل المخادع يعين على البر والتقوى؟

العاشر : أن هذا ظلم فى حق الله وحق رسوله وحق دينه وحق نفسه وحق العبد المعين وحقوق عموم المؤمنين ، فإنه يغرى به ويعلمه ويدل عليه ، والمتوصل إليه بطريق المعصية لا يظلم إلا نفسه . ومن تعلق به ظلمه من المعينين فإنه لا يزعم أن ذلك دين وشرع ولا يقتدى به الناس ، فأين فساد أحدهما من الآخر وضرره من ضرره؟ وبالله التوفيق .

أدلة المجوزين للحيل :

فصل : قال أرباب الحيل : قد أكثرتم من ذم الحيل ، وأجلبتم بخيل الأدلة ورجلها ومهزولها ، فاستمعوا الآن تقريرها

واشتقاقها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأئمة الإسلام، وأنه لا يمكن أحد إنكارها.

أدلتهم من القرآن :

قال تعالى لنبيه أيوب : ﴿**وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث**﴾ [ص : ٤٤] فأذن لنبيه أيوب أن يتحلل من يمينه بالضرب بالضغث، وقد كان نذر أن يضربها ضربات معدودة، وهي في المتعارف الظاهر إنما تكون متفرقة، فأرشده تعالى إلى الحيلة في خروجه من اليمين، فنقيس عليه سائر الباب، ونسميه وجوه المخارج من المضائق، ولا نسميه بالحيل التي ينفر الناس من اسمها.

وأخبر تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أنه جعل صواعه في رحل أخيه يتوصل بذلك إلى أخذه من إخوته، ومدحه بذلك، وأخبر أنه برضاه وإذنه، كما قال : ﴿**كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم**﴾ [يوسف : ٧٦] فأخبر أن هذا كيده لنبيه، وأنه بمشيئته، وإنه يرفع درجة عبده بلطيف العلم ودقيقه الذي لا يهتدي إليه سواه، وأن ذلك من علمه وحكمته.

وقال تعالى : ﴿**ومكروا مكرا، ومكرنا مكرا، وهم لا يشعرون**﴾ [النمل : ٥] فأخبر تعالى أنه مكر بمن مكر بأنبيائه ورسله، وكثير من الحيل هذا شأنها، يمكر بها على الظالم والفاجر ومن يعسر تخليص الحق منه ؛ فتكون وسيلة إلى نصر مظلوم وقهر ظالم ونصر حق وإبطال باطل.

والله تعالى قادر على أخذها بغير وجه المكر الحسن، ولكن جازاهم بجنس عملهم، وليعلم عباده أن المكر الذي يتوصل به إلى إظهار الحق، ويكون عقوبة للماكر ليس قبيحا.

وكذلك قوله : ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**﴾ [النساء : ١٤٢] وخداعه لهم أن يظهر لهم أمرا ويبطن لهم خلافه، فما تنكرون على أرباب الحيل الذين يظهرون أمرا يتوصلون به إلى باطن غيره اقتداء بفعل الله تعالى؟

أدلتهم من السنة :

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد : «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءهم بتمر جنيب، فقال : أكلّ تمر خيبر هكذا؟ قال : إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاث، فقال : لاتفعل، بع الجميع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا» وقال في الميراث مثل ذلك، فأرشده إلى الحيلة على التخلص من الربا بتوسط العقد الآخر، وهذا أصل في جواز العينة.

وهل الحيل إلا معاريض في الفعل على وزان المعاريض في القول؟ وإذا كان في المعاريض مندوحة عن الكذب ففي معاريض الفعل مندوحة عن المحرمات وتخلص من المضايق.

وقد لقى النبي ﷺ طائفة من المشركين وهو في نفر من أصحابه، فقال المشركون : ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا : أحياء اليمن كثير، فلعلهم منهم، وانصرفوا».

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : احملني، فقال «ماعندى إلا ولد ناقة» فقال : ما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي ﷺ عليه وسلم : «وهل يلد الإبل إلا النوق؟».

أدلة من عمل السلف :

وكان بعض السلف إذا أراد ألا يطعم طعاما لرجل قال : أصبحت صائما، يريد أن أنه أصبح فيما سلف صائما قبل ذلك اليوم، وكان محمد بن سيرين إذا اقتضاه بعض غرمائه وليس عنده ما يعطيه قال : أعطيك في أحد اليومين إن شاء الله، يريد بذلك يومي الدنيا والآخرة، وسأل رجل عن المروزي وهو في دار أحمد بن حنبل، فكره الخروج إليه، فوضع أحمد أصبعه في كفه، فقال : ليس المروزي ها هنا، وما يصنع المروزي هاهنا؟

وحضر سفيان الثوري مجلسا، فلما أراد النهوض منعوه، فحلف أنه يعود، ثم خرج وترك نعله كالناسي لها، فلما خرج عاد وأخذها وانصرف.

وقد كان لشريح في هذا الباب فقه دقيق، كما أعجب رجلا فرسه وأراد أخذها منه، فقال له شريح : إنها إذا أربضت لم تقم حتى تقام، فقال الرجل : أف أف، وإنما أراد شريح أن الله هو الذي يقيمها، وباع من رجل ناقة، فقال له المشتري : كما تحمل؟ فقال : احمل على الحائط ما شئت فقال : كم تحلب؟ قال : احلب في أي إناء شئت، فقال : كيف سيرها؟

قال الريح، لا تلحق، فلما قبضها المشترى لم يجد شيئا من ذلك، فجاء إليه وقال: ما وجدت شيئا من ذلك، فقال: ما كذبتك.

أدلة أخرى لأصحاب الحيل:

قالوا: ومن المعلوم أن الشارع جعل العقود وسائل وطرقا إلى إسقاط الحدود والمآثم، ولهذا لو وطىء الإنسان امرأة أجنبية من غير عقد ولا شبهة لزمه الحد، فإذا عقد عليها عقد النكاح ثم وطئها لم يلزمه الحد، وكان العقد حيلة على إسقاط الحد، بل قد جعل الله تعالى الأكل والشرب واللباس حيلة على دفع أذى الجوع والعطش والبرد، والاكتفاء حيلة إلى دفع الصائل من الحيوان وغيره، وعقد التبايع حيلة على حصول الانتفاع بملك الغير، وسائر العقود حيلة على التوصل إلى ما لا يباح إلا بها، وشرع الرهن حيلة على رجوع صاحب الدين فى ماله من عين الرهن إذا أفلس الراهن أو تعذر الاستيفاء منه.

وقد روى سلمة بن صالح، عن يزيد الواسطى، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن بريدة قال: سئل رسول الله - ﷺ - عن أعظم آية فى كتاب الله، فقال: لا أخرج من المسجد حتى أخبرك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه، فلما أخرج إحدى رجليه أخبره بالآية قبل أن يخرج رجله الأخرى.

كتاب الخصَّاف فى الحيل:

وقد بنى الخصاف كتابه فى الحيل على هذا الحديث، ووجه الاستدلال به أن من حلف أن لا يفعل شيئا فأراد التخلص من الحنث بفعل بعضه لم يكن حانثا، فإذا حلف لا يأكل هذا الرغيف ولا يأخذ هذا المتاع فليدع بعضه ويأخذ الباقى ولا يحنث، وهذا أصل فى بابه فى التخلص من الأيمان.

عود إلى الاستدلال بعمل السلف فى جواز الحيل:

وهذا السلف الطيب قد فتحوا لنا هذا الباب، ونهجوا لنا هذا الطريق، فروى قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم فى رجل أخذه رجل فقال: إن لى معك حقا، فقال: لا، فقال: احلف لى بالمشى إلى بيت الله، فقال: يحلف له بالمشى إلى بيت الله، ويعنى به مسجد حيه، وبهذا الإسناد أنه قال له رجل: إن فلانا أمرنى أن آتى مكان كذا وكذا، وأنا لا أقدر على ذلك المكان، فكيف الحيلة؟ قال: والله ما أبصر إلا ماسددنى غيرى..

وذكر عبد الملك بن ميسرة عن النزال بنّ سَبْرة قال: جعل حذيفة يحلف لعثمان بن عفان على أشياء بالله ما قالها، وقد سمعناه يقولها، فقلنا: يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها، وقد سمعناك قلتها، فقال: إنى أشترى دينى بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله.

وذكر قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم أن رجلا قال له: إنى أنال من رجل شيئا فيبلغه عنى، فكيف أعتذر إليه؟ فقال له إبراهيم: قل و إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شىء، وكان إبراهيم يقول لأصحابه إذا خرجوا من عنده وهو مستخف من الحجاج: إن سئلتم عنى فاحلفوا بالله لا تدرون أين أنا، ولا فى أى موضع أنا، وأعنوا لا تدرون أين أنا من البيت، وفى أى موضع منه، وأنتم صادقون. وقال مجاهد عن ابن عباس: ما يسرنى بمعاريض الكلام حمر النعم.

الأدلة من الحديث:

وقد ثبت فى الصحيح من حديث حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن معيط - وكانت من المهاجرات الأول - أن رسول الله ﷺ: رخص فى الكذب فى ثلاث: فى الرجل يصلح بين الناس، والرجل يكذب لامرأته، والكذب فى الحرب.

وقال معتمر بن سليمان التيمى عن أبيه: حدثنى نعيم بن أبى هند عن سويد بن غفلة أن عليا - كرم الله وجهه - فى الجنة لما قتل الزنادقة نظر فى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: صدق الله ورسوله، ثم قام فدخل بيته، فأكثر الناس في ذلك، فدخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين أشىء عهدإليك رسول الله ﷺ أم شىء رأيته؟ فقال: هل علىَّ من بأس أن أنظر إلى السماء؟ قلت: لا، قال: فهل علىَّ من بأس أن أنظر إلى الأرض؟ قلت: لا، قال: فهل علىَّ من بأس أن أقول صدق الله ورسوله؟ قلت: لا، قال: فإنى رجل مكائد.

وقال حجاج بن منهال: ثنا أبو عوانه عن أبى مسكين قال: كنت عند إبراهيم وامرأته تعاتبه فى جاريته وبيدها مروحة، فقال أشهدكم بأنها لها، فلما خرجنا قال: علام شهدتم؟ قلنا: أشهدتنا أنك جعلت الجارية لها، قال: أما رأيتمونى أشير إلى المروحة؟

قولهم لا بأس بالحيل :

وقال محمد بن الحسين عن عمرو بن دينار عن الشعبي : لا بأس بالحيل فيما يحل ويجوز، وإنما الحيل شيء يتخلص به الرجل من الحرام، ويخرج بـه إلى الحلال، فما كان من هذا ونحوه فلا بأس به، وإنما يكره من ذلك أن يحتال الرجل في حق الرجل حتى يبطله، أو يحتال في باطل حتى يوهم أنه حق، أو يحتال في شيء حتى يدخل فيه شبهة، وأما ما كان على السبيل الذي قلنا فلا بأس بذلك.

استدلالهم بالقرآن :

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق : ٢] قال غير واحد من المفسرين : مخرجا مما ضاق على الناس، ولا ريب أن هذه الحيل مخارج مما ضاق على الناس، ألا ترى أن الحالف يضيق عليه إلزام ما حلف عليه، فيكون له بالحيلة مخرج منه، وكذلك الرجل تشتد به الضرورة إلى نفقة ولا يجد من يقرضه فيكون له من هذا الضيق فرج بالعينة والتورق (صورة من بيع العينة) ونحوهما، فلو لم يفعل ذلك لهلك ولهكت عياله، والله تعالى لا يشرع ذلك، ولا يضيق عليه شرعه الذي وسع جميع خلقه؛ فقد دار أمره بين ثلاثة لا بد له من واحد منها : إما إضاعة نفسه وعياله، وإما الربا صريحا، وإما المخرج من هذا الضيق بهذه الحيلة، فأوجدنا أمرًا رابعا نصير إليه.

وكذلك الرجل ينزعه الشيطان فيقع به الطلاق فيضيق عليه جدا مفارقة امرأته وأولاده وخراب بيته، فكيف ينكر في حكمة الله ورحمته أن نتحيل له بحيلة تخرجه من هذا الإصر والغل؟ وهل الساعي في ذلك إلا مأجور غير مأزور كما قاله إمام الظاهرية في وقته : أبو محمد بن حزم، وأبو ثور وبعض أصحاب أبي حنيفة، وحملوا أحاديث التحريم على ما إذا شرط في صلب العقد أنه نكاح تحليل؟

استدلالهم بعمل السلف وقولهم :

قالوا وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين قال : أرسلت امرأة إلى رجل، فزوجته نفسها ليحلها لزوجها، فأمره عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن يقيم معها ولا يطلقها، وأوعده أن يعاقبه إن طلقها، فهذا أمير المؤمنين قد صحح نكاحه، ولم يأمره باستئنافه وهو حجة في صحة نكاح المحلل والنكاح بلا ولي.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان لايرى بأسا بالتحليل، إذا لم يعلم أحد الزوجين، قال ابن حزم : وهو قول سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد.

وصح عن عطاء فيمن نكح امرأة محللا ثم رغب فيها فأمسكها، فقال : لا بأس بذلك.

وقال الشعبي : لا بأس بالتحليل إذا لم يأمر به الزوج.

قال الليث بن سعد : إن تزوجها ثم فارقها لترجع إلى زوجها ولم يعلم المطلق ولا هي بذلك وإنما كان ذلك إحسانا منه فلا بأس أن ترجع إلى الأول فإن بيَّن الثاني ذلك للأول بعد دخوله بها لم يضره.

وقال الشافعي وأبو ثور : المحلل الذي يفسد نكاحه هو الذي يعقد عليه في نفس عقد النكاح أنه إنما يتزوجها ليحلها ثم يطلقها، فأما من لم يشترط ذلك في عقد النكاح فعقده صحيح لا داخلة فيه، سواء شرط ذلك عليه قبل العقد أو لم يشرط، نوى ذلك أو لم ينوه، قال أبو ثور : وهو مأجور.

وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف وعن أبي مثل هذا سواء. وروى أيضا محمد وأبو يوسف عن أبي حنيفة : إذا نوى الثاني وهي تحليلها للأول لم تحل له بذلك.

وروى الحسن بن زياد عن زفر وأبي حنيفة : أنه إن اشترط عليه في نفس العقد أنه إنما تزوجها ليحلها للأول فإنه نكاح صحيح، ويبطل الشرط، وله أن يقيم معها؛ فهذه ثلاث روايات عن أبي حنيفة.

قالوا : وقد قال الله تعالى ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة : ٢٣٠] وهذا زوج، وقد عقد بمهر وولي ورضاها وخلوها من الموانع الشرعية، وهو راغب في ردها إلى الأول، فيدخل في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «لا نكاح إلا نكاح رغبة»، وهذا نكاح رغبة في تحليلها للمسلم كما أمر الله تعالى بقوله : ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾...

قالوا : وأما نكاح الدُّلسة فنعم هو باطل، ولكن ماهو نكاح الدلسة؟ فلعله أراد به أن تدلس له المرأة بغيرها، أو تدلِّس له أنها انقضت عدتها ولم تنقض لتستعجل عودها إلى الأول.

لم يلعن كل محلل :

وأما لعنه للمحلل فلا ريب أنه ﷺ لم يرد كل محلل

ومحلل لـه ، فإن الـولى محلل لمـا كـان حرامـا قبل العقـد ، والحـاكم المـزوج محلل بهـذا الاعتبار، والبـائع لأمتـه محلل للمشترى وطأها .

فإن قلنا : العـام إذا خص صار مجمـلا ، بطل الاحتجاج بالحديث ، وإن قلنا : هـو حجة فيما عدا محل التخصيص ، فذلك مشروط ببيان المراد منه ، ولسنا ندرى المحلل المراد من هـذا النص ، أهو الـذى نوى التحليل أو شـرطه قبل العقـد أو شرطه فى صلب العقـد؟ أو الذى أحل ما حرمـه الله ورسوله؟ ووجدنا كل من تـزوج مطلقة ثلاثا فإنـه محلل ، ولو لـم يشترط التحليل ولم ينـوه ؛ فإن الحل حصل بـوطئـه وعقده؟ ومعلـوم قطعا أنه لـم يدخل فى النص .

فعلم أن النص إنما أراد به من أحل الحرام بفعله أو عقده ، ونحن وكل مسلم لا نشك فى أنه أهل للعنة الله ، وأما من قصد الإحسان إلى أخيه المسلم ورغب فى جمع شمله بزوجته ، ولمَّ شعثه وشعث أولاده وعيالـه فهو محسن . وما على المحسنين من سبيل ، فضلا عن أن تلحقهم لعنة رسول الله ﷺ .

قواعد الفقه لا تحرم الحيل :

ثم قواعد الفقه وأدلتـه لا تحرم مثل ذلك ؛ فإن هذه العقود التى لم يشترط المحرم فى صلبها عقودا صدرت من أهلها فى محلها مقرونة بشروطها ، فيجب الحكم بصحتها ؛ لأن السبب هو الإيجاب والقبول وهما تامان ، وأهلية العاقد لا نزاع فيها ، ومحلية العقد قابلة ، فلم يبـق إلا القصد المقرون بالعقد ، ولا تأثير له فى بطلان الأسباب الظاهرة ، لوجوه .

أحدها : أن المحتـال مثلا إنما قصد الـربح الذى وضعت له التجـارة ، وإنما لكل امرىء مـا نوى ، فإذا حصل لـه الربح حصل له مقصوده ، وقد سلك الطريق المفضية إليه فى ظاهر الشـرع ، والمحلل غـايتـه أنـه قصـد الطـلاق ونـواه إذا وطىء المرأة ، وهو مما ملكه الشارع إياه ، فهو كما لو نوى المشترى إخـراج المبيع عـن ملكـه إذا اشتـراه ، وســر ذلك أن السبب مقتض لتأبد الملك ، والنية لا تغير موجب السبب حتى يقال ، إن النيـة تـوجب تأقيت العقد ، وليسـت هى منافيـة لمـوجب العقد ، فإن له أن يطلق .

ولو نوى بعقـد الشراء إتلاف المبيع وإحراقـه أو إغراقه لم يقدح فى صحـة البيع ، فنية الطلاق أولى ، وأيضا فـالقصد لا يقـدح فى اقتضاء السبـب لحكمه ؛ لأنـه خـارج عما يتم بـه العقد ، ولهذا من اشترى عصيـرا ومن نيته أن يتخذه خمرا ، أو جاريـة ومن نيته أن يكرههـا على البغاء أو يجعلهـا مغنية ، أو سلاحا ومن نيتـه أن يقتل به معصوما ، فكل ذلـك لا أثر له فى صحة البيع من جهة أنه منقطع عن السبب ، فلا يخرج السبب عن اقتضاء حكمه .

الفرق بين القصد والإكراه والشرط المفارق :

وقد ظهـر بهذا الفـرق بين هذا القصـد وبين الإكراه ، فإن الرضـا شرط فـى صحة العقد ، والإكـراه ينافـى الرضـا ، وظهر أيضـا الفرق بينـه وبين الشـرط المقـارن ، فإن الشرط المقـارن يقدح فى مقصود العقـد ، فغاية الأمر أن العاقد قصـد محرما ، لكن ذلك لا يمنع ثبـوت الملك . كما لو تـزوجها ليضـارَّ بها امرأة له أخرى ، ومما يؤيد ما ذكرنا أن النية إنما تعمل فى اللفظ المحتمل للمنـوى وغيـره ، مثل الكنـايـات ، ومثل أن يقـول : اشتريت كذا ، فإنه يحتمل أن يشتريه لنفسه ولموكله ، فإذا نوى أحدهمـا صح . فإذا كان السبب ظاهرا متعينـا لمسببه لم يكن للنية الباطنة أثر فى تغيير حكمه .

عن النية :

بـوضحه أن النيـة لا تـؤثـر فى اقتضـاء الأسباب الحسيـة والعقليـة المستلزمـة لمسببـاتها ولا تـؤثـر النيـة فى تغييرهـا ، يوضحـه أن النية إما أن تكـون بمنزلة الشـرط أو لا تكون ، فإن كـانت بمنزلـة الشرط لـزم أنه إذا نـوى أن لا يبيع ما اشتـراه ولا يهبه ولا يتصرف فيه ، أو نوى أن يخرجه عن ملكه ، أو نوى أن لا يطلق الـزوجة أو يبيت عنـدها كل ليلـة أو لا يسافـر عنها ، بمنزلة أن يشترط ذلك فى العقـد ، وهو خلاف الإجماع ، وإن لم تكن بمنزلة الشرط فلا تأثير له حينئذ .

لنا الظواهر ولله السرائر :

وأيضا فنحن لنا ظواهر الأمور ، وإلى الله سرائرهاوبواطنها ؛ . ولهذا يقول الـرسل لربهم تعالى يوم القيـامة إذا سألهم : ﴿ماذا أجبتم﴾ ﴿ فيقـولـون لا علم لنـا إنك أنت عـلام الغيـوب ﴾ [المـائدة : ١٠٩] كان لنـا ظـواهرهم ، وأمـا مـا انطوت عليـه ضمائرهم وقلوبهم فأنت العالم به .

زعمهم أنه ظهر عذرهم فى الأخذ بالحيل :

قالوا : فقد ظهر عذرنا ، وقامت حجتنا ، فتبين أنا لـم نخرج

فيما أصلناه من اعتبار الظاهر، وعدم الالتفات إلى القصود فى العقود، وإلغاء الشروط المتقدمة الخالى عنها العقد، والتحيل على التخلص من مضايق الأيمان وما حرمه الله ورسوله من الربا وغيره ــ عن كتاب ربنا وسنة نبينا وأقوال السلف الطيب.

زعمهم أن عند كل طائفة منكرة عليهم ما يجيز الحيل:

ولنا بهذه الأصول رهن عند كل طائفة من الطوائف المنكرة علينا.

الحيل عند الشافعية:

قلنا عند الشافعية رهون كثيرة فى عدة مواضع، وقد سلموا لنا أن الشرط المتقدم على العقد ملغى، وسلموا لنا أن القصود غير معتبرة فى العقود، وسلموا لنا جواز التحيل على إسقاط الشفعة، وقالوا: يجوز التحيل على بيع المعدوم من الثمار فضلا عما لم يبد صلاحه بأن يؤجره الأرض ويساقيه على الثمر من كل ألف جزء على جزء، وهذا نفس الحيلة على بيع الثمار قبل وجودها، فكيف تنكرون علينا التحيل على بيعها قبل بدو صلاحها وهل مسألة العينة إلا ملك باب الحيل؟ وهم يبطلون الشركة بالعروض ثم يقولون: الحيلة فى جوازها أن يبيع كل منهما نصف عرضه لصاحبه، فيصيران شريكين حينئذ بالفعل، ويقولون: لا يصح تعليق الوكالة بالشرط والحيلة على جوازها أن يوكله الآن ويعلق تصرفه بالشرط، وقولهم فى الحيل على عدم الحنث بالمسألة السريجية معروف، وكل حيلة سواه محلل بالنسبة إليه؛ فإن هذه المسألة حيلة على أن يحلف دائما بالطلاق ويحنث ولا يقع عليه الطلاق أبدا.

الحيل عند المالكية:

وأما المالكية فهم من أشد الناس إنكارا علينا للحيل، وأصولهم تخالف أصولنا فى ذلك؛ إذ عندهم أن الشرط كالمقارن، والشرط العرفى كاللفظى، والقصود فى العقود معتبرة، والذرائع يجب سدها، والتغرير الفعلى كالتغرير القولى، وهذه الأصول تسد باب الحيل سدا محكما. ولكن قد علقنا لهم برهون نطالبهم بفكاكها أو بموافقتهم لنا على ما أنكروه علينا، فجوزوا التحيل على إسقاط الشفعة، وقالوا: لو تزوجها ومن نيته أن يقيم معها سنة صح النكاح، ولم تعمل هذه النية فى فساده.

الحيل عند الحنابلة:

وأما الحنابلة فبيننا وبينهم معترك النزال فى هذه المسائل؛ فإنهم هم الذين شنوا علينا الغارات، ورمونا بكل سلاح من الأثر والنظر، ولم يراعوا لنا حرمة، ولم يرقبوا فينا إلاً ولا ذمة.

وقالوا: لو نصب شباكا للصيد قبل الإحرام ثم أخذ ما وقع فيها حال الإحرام بعد الحل جاز. وياالله العجب! أى فرق بين هذه الحيلة وحيلة أصحاب السبت على الحيتان؟ وقالوا: لو نوى الزوج الثانى أن يحلها للأول ولم يشترط ذلك جاز وحلت له؛ لأنه لم يشترط ذلك فى العقد، وهذا تصريح بأن النية لا تؤثر فى العقد.

وقالوا: لو تزوجها ومن نيته أن يقيم شهرا ثم يطلقها صح العقد، ولم تكن نية التوقيت مؤثرة فيه، وكلامهم فى باب المخارج من الأيمان بأنواع الحيل معروف، وعنا تلقوه، ومنا أخذوه.

وقالو: لو حلف أن لا يشترى منه ثوبا فاتهبه منه وشرط له العوض لا يحنث. وقالوا بجواز مسألة التورُّق وهى شقيقة مسألة العينة؛ فأى فرق بين مصير السلعة إلى البائع وبين مصيرها إلى غيره؟! بل قد يكون عودها إلى البائع أرفق بالمشترى وأقل كلفة عليه وأرفع لخسارته وتعنيه.

فكيف تحرمون الضرر اليسير وتبيحون ماهو أعظم منه والحقيقة فى الموضعين واحدة وهى عشرة بخمسة عشر وبينهما حريرة رجعت فى إحدى الصورتين إلى مالكها وفى الثانية إلى غيره؟

وقالوا: لو حلف بالطلاق لا يزوج عبده بأمته أبدا ثم أراد تزويجه بها ولا يحنث فإنه يبيع العبد والجارية من رجل ثم يزوجهما المشترى ثم يستردهما، قال القاضى: وهذا غير ممتنع على أصلنا؛ لأن عقد النكاح قد وجد فى حال زوال ملكه عنهما، ولا يتعلق باستدامة العقد بعد أن ملكهما؛ لأن التزويج عبارة عن العقد وقد انقضى وإنما بقى حكمه فلم يحنث باستدامة حكمه.

وقالوا: لو كان له عليه مال وهو محتاج فأحب أن يدعه له من زكاته فالحيلة أن يتصدق عليه بذلك القدر ثم يقبضه منه، ثم قالوا، فإن كان له شريك فيه فخاف أن يخاصمه فيه فالحيلة أن يهب المطلوب للطالب مالا بقدر حصة الطالب

مما له عليه ويقبضه منه للطالب ثم يتصدق للطالب على المطلوب بما وهبه له ويحتسب بذلك من زكاته ثم يهب المطلوب ماله عليه من الدين ولا يضمن الطالب لشريكه شيئا؛ لأن هبة الدين لمن في ذمته براءة وإذا أبرأ أحد الشريكين الغريم من نصيبه لم يضمن لشريكه شيئا، وإنما يضمن إذا حصل الدين في ضمانه.

وقالوا (أي الحنابلة) : لو أجره الأرض بأجرة معلومة وشرط عليه أن يؤدى خراجها لم يجز؛ لأن الخراج على المالك لا على المستأجر، والحيلة في جوازه أن يؤجره إياها بمبلغ يكون زيادته بقدر الخراج ثم يأذن له أن يدفع في خراجها ذلك القدر الزائد على أجرتها. قالوا: لأنه متى زاد مقدار الخراج على الأجرة حصل ذلك دينا على المستأجر، وقد أمره أن يدفعه إلى مستحق الخراج وهو جائز.

وقالوا: ونظير هذا أن يؤجره دابة ويشترط علفها على المستأجر لم يجز. والحيلة في جوازه هكذا سواء، يزيد في الأجرة ويوكله أن يعلف الدابة بذلك القدر الزائد.

وقالوا: ولا يصح استئجار الشجرة للثمرة، والحيلة في ذلك يؤجره الأرض ويساقيه على الثمرة من كل ألف جزء جزء مثلا.

وقالوا: لو وكله أن يشترى له جارية معينة بثمن معين دفعه إليه، فلما رآها أراد شراءها لنفسه، وخاف أن يحلفه أنه إنما اشتراها بمال الموكل له، وهو وكيله، فالوجه أن يعزل نفسه عن الوكالة، ثم يشتريها بثمن في ذمته، ثم ينقد ما معه من الثمن، ويصير لموكله في ذمته نظيره.

قالوا: وأما نحن فلا تأتى هذه الحيلة على أصولنا؛ لأن الوكيل لا يملك عزل نفسه إلا بحضرة موكله.

قالوا: وقد قالت الحنابلة أيضا: لو أراد إجارة أرض له فيها زرع لم يجز، والحيلة في جوازه أن يبيعه الزرع ثم يؤجره الأرض، فإن أراد بعد ذلك أن يشترى منه الزرع جاز.

وقالوا: لو شرط رب المال على المضارب ضمان مال المضاربة لم يصح والحيلة في صحته أن يقرضه المال في ذمته ثم يقبضه المضارب منه، فإذ قبضه دفعه إلى مالكه الأول مضاربة ثم يدفعه رب المال إلى المضارب بضاعة. فإن توى (أي هلك) فهو من ضمان المضارب؛ لأنه قد صار مضمونا عليه بالقرض فتسليمه إلى رب المال مضاربة كتسليم مال له آخر.

وحيلة أخرى، وهى أن يقرض رب المال المضارب ما يريد دفعه إليه ثم يخرج من عنده درهما واحدا، فيشاركه على أن يعملا بالمالين جميعا على أن ما رزقه الله فهو بينهما نصفين، فإن عمل أحدهما بالمال بإذن صاحبه فربح كان الربح بينهما على ما شرطاه، وإن خسر كان الخسران على قدر المالين، على رب المال بقدر الدرهم وعلى المضارب بقدر رأس المال، وإنما جاز ذلك لأن المضارب والملزم نفسه الضمان بدخوله في القرض.

وقالوا: لا تجوز المضاربة على العرض، فإن كان عنده عرض فأراد أن يضارب عليه فالحيلة في جوازه أن يبيعه العرض ويقبض ثمنه فيدفعه إليه مضاربة ثم يشترى المضارب ذلك المتاع بالمال.

وقالوا: لو حلفته امرأته أن كل جارية يشتريها فهى حرة، فالحيلة في جواز الشراء ولا تعتق أن يعنى بالجارية السفينة ولا تعتق، وإن لم تحضره هذه النية وقت اليمين فالحيلة أن يشتريها صاحبه ويهبه إياها ثم يهبه نظير الثمن.

وقالوا: لو حلفته أن كل امرأة يتزوجها عليها فهى طالق، وخاف من هذه اليمين عند من يصحح هذا التعليق فالحيلة أن ينوى كل امرأة أتزوجها على طلاقك: أى يكون طلاقك صداقها، أو كل امرأة أتزوجها على رقبتك: أى تكون رقبتك صداقها، فهى طالق، فلا يحنث بالتزويج على غير هذه الصفة.

وقالوا: لو أراد أن يصرف دنانير بدراهم ولم يكن عند الصيرفى مبلغ الدراهم وأراد أن يصبر عليه بالباقى لم يجز، والحيلة فيه أن يأخذ ما عنده من الدراهم بقدر صرفه ثم يقرضه إياها فيصرف بها الباقى، فإن لم يعرف فعل ذلك مرارا حتى يستوفى صرفه، ويصير ما أقرضه دينا عليه، لا أنه عوض الصرف.

وقالوا: لو أراد أن يبيعه دراهم بدنانير إلى أجل لم يجز، والحيلة فى ذلك أن يشترى منه متاعا وينقده ثمنه ويقبض المتاع، ثم يشترى البائع منه ذلك المتاع بدنانير إلى أجل، والتأجيل جائز في ثمن المتاع.

وقالوا: لـو مات رب المال بعد أن قبـض المضارب المال انتقل إلى ورثتـه، فلو اشترى المضـارب به بعـد ذلك متاعـا ضمن؛ لأنه تصـرف بعد بطلان الشركـة. والحيلة فى تخلص المضـارب من ذلك أن يشهد رب المـال أن حصته من المـال الذى دفعه إليه مضاربة لـولده، وأنه مقارض إلى هذا الشريك بجميع ما تـركه، وأمـره أن يشترى لولـده ما أحب فى حيـاته، وبعد وفـاته، فيجـوز ذلك؛ لأن المانع منه كـونه متصرفا فى ملك الغير بغير وكالة ولا ولايـة، فإذا أذن له فى التصرف برىء من الضـمان، وإن كـانت هذه الحيلـة إنما تتم إذا كان الـورثة أولادًا صغارا.

وقـالوا: لـو صالح عن المـؤجل ببعضه حـالاً لم يصح، والحيلة فى تصحيحه أن يفسخا العقد الذى وقع على المؤجل ويجعلاه بذلك القدر الحالّ.

وقالوا: لو لبس المتـوضىء أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى ثم غسل الأخرى، ولبس عليهـا لم يجز المسح؛ لأنه لم يلبس على كمـال الطهـارة، والحيلـة فى جـواز المسح أن يخلع هذه الفردة الثانية ثم يلبسها.

قالوا: ولـو أوصى لرجل بخدمة عبـده أو بما فى بطن أمته جاز، فلو أراد الورثة شراء خـدمة العبد أو ما فى بطن الأمة من المـوصى لـه لم يجز، والحيلة فى جـوازه أن يصـالحـوه عن الموصى به على مـا يبذلونه لـه فيجوز، وإن لـم يجز البيع فإن الصلح يجوز فيه ما لا يجوز فى البيع.

قالـوا: ولا تجوز الشـركة بـالعروض، فـإن كان لأحـدهما عرض يسـاوى خمسة آلاف درهم ولـلآخر عرض يسـاوى ألفا فأحبـا أن يشتركا فـى العرضين، فـالحيلة أن يشترى صـاحب العـرض الذى قيمتـه خمسة آلاف من الآخـر خمسة أسـداس عرضـه بسدس عـرضه هو؛ فيصيـر للذى يسـاوى عرضـه ألفًا سـدس جميع المال، ولـلآخر خمسـة أسداسـه؛ لأن جميع ماليهمـا ستة آلاف، وقد حصل كل واحد من العـرضين بهذه الشركـة بينهما أسداسـا، خمسة أسداسـه لأحدهما وسـدسه للآخر، فإذا هلك أحدهما هلك على الشركة.

قالوا: ولا تقبل شهادة الموكل لمـوكله فيما هو وكيله فيه، فلو لـم يكن له شـاهد غيره وخاف ضياع حقه فـالحيلة أن يعز له حتى يشهد له ثم يوكله بعد ذلك إن أراد.

قالوا: ولـو أعتق عبده فى مرضه، وثلثـه يحتمله، وخاف عليه مـن الورثـة أن يجحدوا المـال ويرثـوا ثلثيه، فـالحيلة أن يدفع إليه مـالا يشترى نفسه منه بحضرة شهـود، ويشهدون أنه قد أقبضه المال، وصار العبد حرا.

قـالـوا: وكذلك الحيلـة لـو كـان لأحد الـورثـة دين على الموروث، وليست له بـه بينة، فأراد بيعه العبد بدينـه الذى له عليه فعل مثل ذلك سواء.

قـالوا: ولـو قـال: أوصيت إلى فـلان، وإن لم يقبل فإلى فلان، وخـاف أن تبطل الوصية على مذهب من لا يـرى جواز تعليق الولاية بالشرط، فـالحيلة أن يقول «فلان وفلان وصيان، فإن لم يقبل أحـدهمـا وقبل الآخـر فالـذى قبل هـو الـوصى» فيجوز على قول الجميع؛ لأنه لم يعلق الولاية بالشرط.

قالوا: ولو أراد ذمى أن يُسْلِم وعنـده خمر كثير، فخاف أن يذهب عليه بالإسلام؛ فالحيلة أن يبادر ببيعها من ذمى آخر ثم يسلم، فإنه يملك تقاضيه بعد الإسلام، فإن بادر الآخر وأسلم لم يسقط عنه ذلك، وقـد نص عليه الإمام أحمـد فى مجوسى بـاع مجوسيـا خمرا ثم أسلمـا يأخذ الثمن، قـد وجب له يوم باعه،

قـال أرباب الحيل: فهـذا رهن الفرق عنـدنـا بأنهم قالـوا بالحيـل وأفتوا بهـا، فماذا تنكرون علينـا بعد ذلـك وتشنعون؟ ومثالنـا ومثالهم فى ذلك كقـوم وجدوا كنزا فـأصاب كل منهم طـائفـة منـه فى يـديـه، فمستقل ومستكثـر، ثم أقبل بعض الآخـذين ينقم على بقيتهم، ومـا أخـذه من الكنز فى يـديـه، فليرم بما أخذ منه ثم لينكر على الباقين.

جواب المبطلين للحيل عما سبق:

قال المبطلـون للحيل: سبحان الله، والحمـد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قـوة إلا بـالله العلى العظيم، فسبحان الله الـذى فرض الفرائض، وحـرم المحارم، وأوجب الحقوق رعـاية لمصـالح العباد فى المعـاش والمعاد، وجعل شـريعته الكـاملة قيـاما للنـاس وغذاء لحفظ حيـاتهم، ودواء لـدفع أدوائهم، وظلـه الظليل الـذى من استظل بـه أمن من الحَرور، وحصنه الحصين الذى من دخله نجا من الشرور.

فتعالى شـارع هذه الشريعة الفـائقة لكل شريعـة أن يشرع فيها الحيل التى تسقط فرائضه، وتحل محارمه، وتبطل حقوق

عباده، ويفتح للناس أبواب الاحتيال وأنواع المكر والخداع، وأن يبيح التوصل بالأسباب المشروعة إلى الأمور المحرمة الممنوعة، وأن يجعلها مضغة لأفواه المحتالين، وعرضة لأغراض المخادعين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويظهرون خلاف ما يبطنون، ويرتكبون العبث الذى لا فائدة فيه سوى ضحكة الضاحكين وسخرية الساخرين، فيخادعون الله كما يخادعون الصبيان، ويتلاعبون بحدوده كتلاعب المُجّان، فيحرمون الشيء ثم يستحلونه إياه بعينه بأدنى الحيل.

ويسلكون إليه نفسه طريقا توهم أن المراد غيره وقد علموا أنه هو المراد لا غيره، ويسقطون الحقوق التى وصى الله بحفظها وأدائها بأدنى شيء، ويفرقون بين متماثلين من كل وجه لاختلافهما فى الصورة أو الاسم أو الطريق الموصل إليهما، ويستحلون بالحيل ماهو أعظم فسادا مما يحرمونه ويسقطون بها ما هو أعظم وجوبا مما يوجبونه.

كمال الشريعة الإلهية وعظمتها وأثرها:

والحمد لله الذى نزه شريعته عن هذا التناقض والفساد، وجعلها كفيلة وافية بمصالح خلقه فى المعاش والمعاد، وجعلها من أعظم آياته الدالة عليه، ونصبها طريقا مرشدا لمن سلكه إليه؛ فهو نوره المبين، وحصنه الحصين، وظله الظليل، وميزانه الذى لا يعول.

لقد تعرف بها إلى ألبّاء عباده غاية التعرف، وتحبب بها إليهم غاية التحبب، فأنسوا بها منه حكمته البالغة، وتمت بها عليهم منه نعمه السابغة.

ولا إله إلا الله الذى فى شرعه أعظم آية تدل على تفرده بالإلهية وتوحده بالربوبية، وأنه الموصوف بصفات الكمال، المستحق لنعوت الجلال، الذى له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى، وله المثل الأعلى، فلا يدخل السوء فى أسمائه ولا النقص والعيب فى صفاته، ولا العبث ولا الجور فى أفعاله، بل هو منزه فى ذاته وأوصافه وأفعاله وأسمائه عما يضاد كماله بوجه من الوجوه. تبارك اسمه، وتعالى جده، وبهرت حكمته، وتمت نعمته، وقامت على عباده حجته.

والله أكبر كبيرا أن يكون فى شرعه تناقض واختلاف، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، بل هى شريعة مؤتلفة النظام، متعادلة الأقسام، مبرَّأة من كل نقص، مطهَّرة من كل دنس، مسلَّمة لا شية فيها، مؤسسة على العدل والحكمة، والمصلحة والرحمة، قواعدها ومبانيها، إذا حرمت فسادا حرمت ما هو أولى منه أو نظيره، وإذا رعت صلاحا رعت ماهو فوقه أو شبهه.

فهى صراطه المستقيم الذى لا أمت فيه ولا عوج، وملته الحنيفية السمحة التى لا ضيق فيها ولا حرج، بل هى حنيفية التوحيد سمحة العمل لم تأمر بشيء فيقول العقل لو نهت عنه لكان أوفق، ولم تنه عن شيء فيقول الحجى لو أباحته لكان أرفق، بل أمرت بكل صلاح، ونهت عن كل فساد، وأباحت كل طيب، وحرمت كل خبيث.

فأوامرها غذاء ودواء، ونواهيها حمية وصيانة، وظاهرها زينة لباطنها، وباطنها أجمل من ظاهرها، شعارها الصدق، وقوامها الحق، وميزانها العدل، وحكمها الفصل، لا حاجة بها ألبتة إلى أن تكمل بسياسة ملك، أو رأى، أو قياس فقيه، أو ذوق ذى رياضة، أو مقام ذى دين وصلاح، بل لهؤلاء كلهم أعظم الحاجة إليها، ومن وفِّق منهم للصواب فلاعتماده وتعويله عليها.

فقد أكملها الذى أتم نعمته علينا بشرعها قبل سياسات الملوك، وحيل المتحيلين، وأقيسة القياسيين، وطرائق الخلافيين، وأين كانت هذه الحيل والأقيسة والقواعد المتناقضة والطرائق القدد وقت نزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة: ٣] وأين كانت يوم قوله ﷺ: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك»؟

ويوم قوله ﷺ: «ما تركت من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أعلمتكموه»؟

أين كانت عند قول أبى ذر: لقد توفى رسول الله ـ ﷺ ـ وما طائر يقلِّب جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما، وعند قول القائل لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل؟ فأين علمهم الحيل والمخادعة والمكر وأرشدهم إليه ودلهم عليه؟

كلا والله! بل حذرهم أشد التحذير، وأوعدهم عليه أشد الوعيد، وجعله منافيا للإيمان، وأخبر عن لعنة لما ارتكبوه،

وقال لأمته : لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله تعالى بأدنى الحيل، وأغلق أبواب المكر والاحتيال، وسد الذرائع، وفصل الحلال من الحرام، وبين الحدود، وقسم شريعته إلى حلال بين وحرام بين وبرزخ بينهما.

فأباح الأول، وحرم الثانى، وحض الأمة على اتقاء الثالث خشية الوقوع فى الحرام، وقد أخبر الله تعالى عن عقوبة المحتالين على حل ما حرمه عليهم، وإسقاط ما فرضه عليهم فى غير موضع من كتابه.

قال أبو بكر الآجرى، وقد ذكر بعض الحيل الربوية التى يفعلها الناس : لقد مسخ اليهود قردة بدون هذا، وصدق، والله لآكل حوت صيد يوم السبت أهون عند الله، وأقل جُرما من آكل الربا الذى حرمه الله بالحيل والمخادعة! ولكن كما قال الحسن : عجل لأولئك عقوبة تلك الأكلة الوخيمة وأرجئت عقوبة هؤلاء.

وقال الإمام أبو يعقوب الجوزجانى : وهل أصاب الطائفة من بنى إسرائيل المسخ إلا باحتيالهم على أمر الله بأن حفروا الحفائر على الحيتان فى يوم سبتهم، فمنعوها الانتشار يومها إلى الأحد فأخذوها.

وكذلك السلسلة التى كانت تأخذ بعنق الظالم فاحتال لها صاحب الدرة إذ صيرها فى قصبة، ثم دفع القصبة إلى خصمه وتقدم إلى السلسلة ليأخذها فرفعت.

وقال بعض الأئمة : فى هذه القصة مزجرة عظيمة للمتعاطين الحيل على المناهى الشرعية ممن تلبس بعلم الفقه وليس بفقيه، إذ الفقيه من يخشى الله عز وجل فى الربويات، واستعارة التيس الملعون لتحليل المطلقات، وغير ذلك من العظائم والمصائب الفاضحات، التى لو اعتمدها مخلوق مع مخلوق لكان فى نهاية القبح، فكيف بمن يعلم السر وأخفى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟

وقال : وإذا وازن اللبيب بين حيلة أصحاب السبت والحيل التى يتعاطاها أرباب الحيل فى كثير من الأبواب ظهر له التفاوت ومراتب المفسدة التى بينها وبين هذه الحيل، فإذا عرف قدر الشرع وعظمة الشارع وحكمته وما اشتمل عليه شرعه من رعاية مصالح العباد تبيَّن له حقيقة الحال، وقطع بأن الله تعالى يتنزه ويتعالى أن يشرع لعبادة نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال.

أجوبة تفصيلية عن زعوم أصحاب الحيل :

فصل : قالوا : ونحن نذكر ما تمسكتم به فى تقرير الحيل والعمل بها، ونبين ما فيه، متحرين للعدل والإنصاف، منزهين لشريعة الله وكتابه وسنة رسوله عن المكر والخداع والاحتيال المحرم، وتبين انقسام الحيل والطرق إلى ما هو كفر محض، وفسق ظاهر، ومكروه، وجائز، ومستحب، وواجب عقلا أو شرعا، ثم نذكر فصلا نبين فيه التعويض بالطرق الشرعية عن الحيل الباطلة، فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان :

عن قصة أيوب :

أما قوله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام : **﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾** [ص : ٤٤] فقال شيخنا : الجواب أن هذا ليس مما نحن فيه، فإن للفقهاء فى موجب هذه اليمين فى شرعنا قولين، يعنى إذا حلف : ليضربن عبده أو امرأته ضربة، أحدهما : قول من يقول : موجبها الضرب مجموعا أو مفرقا، ثم منهم من يشترط مع الجمع الوصول إلى المضروب، فعلى هذا تكون هذه الفتيا موجب هذا اللفظ عند الإطلاق، وليس هذا بحيلة، إنما الحيلة أن يصرف اللفظ عن موجبه عند الإطلاق.

والقول الثانى : أن موجبة الضرب المعروف، وإذا كان هذا موجبه فى شرعنا لم يصح الاحتجاج علينا بما يخالف شرعنا من شرائع من قبلنا؛ لأنا إن قلنا : ليس شرعا لنا مطلقا فظاهر، وإن قلنا : هو شرع لنا، فهو مشروط بعدم مخالفته لشرعنا، وقد انتفى الشرط.

وأيضا، فمن تأمل الآية علم أن هذه الفتيا خاصة الحكم؛ فإنها لو كانت عامة الحكم فى حق كل أحد لم يخف على نبى كريم موجب يمينه، ولم يكن فى اقتصاصها علينا كبير عبرة، فإنما يقص ما خرج من نظائره لنعتبر به ونستدل به على حكمة الله فيما قصه علينا.

أما ما كان هو مقتضى العادة والقياس فلا يقص، ويدل على الاختصاص قوله تعالى : **﴿إنا وجدناه صابرا﴾** [ص : ٤٤] وهذه الجملة خرجت مخرج التعليل كما فى نظائرها، فعلم أن الله سبحانه وتعالى إنما أفتاه بهذا جزاء له على صبره، وتخفيفا عن امرأته، ورحمة بها، لا أن هذا موجب

هذه اليمين، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى إنما أفتاه بهذه الفتيا لئلا يحنث، كما أخبر تعالى.

لم تكن كفارة اليمين مشروعة فى أول الإسلام:

وهذا يدل على أن كفارة الأيمان لم تكن مشروعة بتلك الشريعة، بل ليس فى اليمين إلا البر والحنث، كما هو ثابت فى نذر التبرر فى شريعتنا، وكما كان فى أول الإسلام، قالت عائشة رضى الله عنها: لم يكن أبو بكر يحنث فى يمين، حتى أنزل الله كفارة اليمين، فدل على أنها لم تكن مشروعة فى أول الإسلام.

عود إلى قصة أيوب:

وإذا كان كذلك صار كأنه قد نذر ضربها، وهو نذر لا يجب الوفاء به، لما فيه من الضرر عليها، ولا يغنى عنه كفارة يمين، لأن تكفير النذر فرع عن تكفير اليمين، فإذا لم تكن كفارة النذر إذ ذاك مشروعة فكفارة اليمين أولى، وقد علم أن الواجب بالنذر يحتذى به حذو الواجب بالشرع.

وإذا كان الضرب الواجب بالشرع يجب تفريقه إذا كان المضروب صحيحا ويجوز جمعه إذا كان المضروب مريضا مأيوسا منه عند الكل أو مريضا على الإطلاق عند بعضهم، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، جاز أن يقام الواجب بالنذر مقام ذلك عند العذر، وقد كانت امرأة أيوب عليه السلام ضعيفة عن احتمال مائة الضرب التى حلف أن يضربها إياها، وكانت كريمة على ربها، فخفف عنها برحمته الواجب باليمين بأن أفتاه بجمع الضربات بالضغث كما خفف عن المريض.

عن النذر فى الإسلام:

ألا ترى أن السنة قد جاءت فيمن نذر الصدقة بجميع ماله أنه يجزيه الثلث، فأقام الثلث فى النذر مقام الجميع رحمة بالناذر وتخفيفا عنه، كما أقيم مقامه فى الوصية رحمة بالوارث ونظرا له.

وجاءت السنة فيمن نذرت الحج ماشية أن تركب وتهدى، إقامة لترك بعض الواجب بالنذر مقام ترك الواجب بالشرع فى المناسبات عند العجز عنه كطواف الوداع عن الحائض.

وأفتى ابن عباس وغيره من نذر ذبح ابنه بشاة، إقامة لذبح الشاة مقام ذبح الابن، كما شرع ذلك للخليل.

وأفتى أيضا من نذر أن يطوف على أربع بأن يطوف أسبوعين، إقامة لأحد الأسبوعين مقام طواف اليدين.

وأفتى أيضا هو وغيره من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ المريض الميئوس منه والشيخ الكبير الذى لا يستطيع الصوم بأن يفطرا ويطعما كل يوم مسكينا، إقامة للإطعام مقام الصيام.

وأفتى أيضا هو وغيره من الصحابة الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أن تفطرا وتطعما كل يوم مسكينا، إقامة للإطعام مقام الصيام، وهذا كثير جدا.

وغير مستنكر فى واجبات الشريعة أن يخفف الله تعالى الشىء منها عند المشقة بفعل مايشبهه من بعض الوجوه كما فى الأبدال وغيرها، لكن مثل قصة أيوب لا يحتاج إليها فى شرعنا؛ لأن الرجل لو حلف ليضربن أمته أو امرأته مائة ضربة أمكنه أن يكفر عن يمينه من غير احتياج إلى حيلة وتخفيف الضرب بجمعه، ولو نذر ذلك فهو نذر معصية فلا شىء عليه عند طائفة، وعند طائفة عليه يمين كفارة.

وأيضا فإن المطلق من كلام الآدميين محمول على ما فسر به المطلق من كلام الشارع خصوصا فى الأيمان؛ فإن الرجوع فيها إلى عرف الخطاب شرعا أو عادة أولى من الرجوع إلى موجب اللفظ فى أصل اللغة، والله سبحانه وتعالى قد قال: **﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾** [النور: ٢] وقال: **﴿والذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾** [النور: ٤].

وفهم الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من ذلك أنه ضربات متعددة متفرقة لا مجموعة، إلا أن يكون المضروب معذورا عذرا لا يرجى زواله، فإنه يضرب ضربا مجموعا، وإن كان يرجى زواله فهل يؤخر إلى الزوال، أو يقام عليه مجموعا؟ فيه خلاف بين الفقهاء.

فكيف يقال: إن الحالف ليضربن موجب يمينه هو الضرب المجموع مع صحة المضروب وقوته؟ فهذه الآية هى أقوى ما يعتمد عليه أرباب الحيل، وعليها بنوا حيلهم، وقد ظهر بحمد الله أنه لا متمسك لهم فيها ألبتة.

الكلام عن حيلة يوسف:

فصل: وأما إخباره سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام

أنه جعل صواعه فى رحل أخيه ليتوصل بذلك إلى أخذه وكيد إخوته، فنقول لأرباب الحيل:

أولا: هل تجوزون أنتم مثل هذا حتى يكون حجة لكم؟ وإلا فكيف تحتجون بما لا تجوزون فعله؟! فإن قلتم: فقد كان جائزا فى شريعته، قلنا: وما ينفعكم إذا لم يكن جائزا فى شرعنا؟

قال شيخنا رضى الله عنه: ومما قد يظن أنه من جنس الحيل التى بينا تحريمها وليس من جنسها قصة يوسف حين كاد الله له فى أخذ أخيه كما قص ذلك تعالى فى كتابه، فإن فيه ضروبا من الحيل الحسنة (شيخنا: هو شيخنا الإسلام ابن تيمية فى فتاويه من ص ٢٠٩ جـ ٣ فتاوى. نشر دار الكتب الحديثة) قالت المؤلفة: طبعت دار الغد العربى «الفتاوى» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨.

جعل بضاعتهم فى رحالهم:

أحدها: قوله لفتيانه: ﴿**اجعلوا بضاعتهم فى رحاله لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون**﴾ [يوسف: ٦٢] فإنه تسبب بذلك إلى رجوعهم، وقد ذكروا فى ذلك معانى: منها أنه تخوف أن لا يكون عندهم ورق يرجعون بها، ومنها أنه خشى أن يضر أخذ الثمن بهم، ومنها أنه رأى لوما إذا أخذ الثمن منهم.

ومنها أنه أراهم كرمه فى رد البضاعة ليكون أدعى لهم إلى العود، ومنها أنه علم أن أمانتهم تحوجهم إلى العود ليردوها إليه، فهذا المحتال به عمل صالح، والمقصود رجوعهم ومجىء أخيه، وذلك أمر فيه منفعة لهم ولأبيهم وله، وهو مقصود صالح، وإنما لم يعرفهم نفسه لأسباب أخر فيها أيضا منفعة لهم وله ولأبيهم، وتمام لما أراده الله بهم من الخير فى البلاد.

جعله السقاية فى رحل أخيه:

الضرب الثانى: أنه فى المرة الثانية لما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه، وهذا القدر تضمن إيهام أن أخاه سارق، وقد ذكروا أن هذا كان بمواطأة من أخيه ورضا منه بذلك، والحق له فى ذلك وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون**﴾ [يوسف: ٦٩].

وفيه قولان؛ أحدهما: أنه عرفه أنه يوسف ووطّنه على عدم الابتئاس بالحيلة التى فعلها فى أخذه منهم، والثانى أنه لم يصرح له بأنه يوسف، وإنما أراد: إنى مكان أخيك المفقود، فلا تبتئس بما يعاملك به إخوتك من الجفاء.

ومن قال هذا قال: إنه وضع السقاية فى رحل أخيه والأخ لا يشعر، ولكن هذا خلاف المفهوم من القرآن، وخلاف ما عليه الأكثرون، وفيه ترويع لمن لم يستوجب الترويع. وأما على القول الأول فقد قال كعب وغيره: لما قال له إنى أنا أخوك، قال: (بن يامين) فأنا لا أفارقك، قال يوسف: فقد علمت اغتمام والدى بى، فإذا حبستك ازداد غمه، ولا يمكننى هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يحتمل.

قال: لا أبالى فافعل ما بدا لك فإنى لا أفارقك، قال: فإنى أدس صواعى هذا فى رحلك، ثم أنادى عليك بالسرقة، ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك، قال: فافعل، وعلى هذا، فهذا التصرف إنما كان بإذن الأخ ورضاه.

موقف عدى بن حاتم حين هم قومه بالردة.

ومثل هذا النوع ما ذكر أهل السير عن عدى بن حاتم أنه لما همَّ قومه بالردة بعد رسول الله ﷺ كفهم عن ذلك، وأمرهم بالتربص، وكان يأمر ابنه إذا رعى إبل الصدقة أن يبعد فإذا جاء خاصمه بين يدى قومه، وهم بضربه، فيقومون فيشفعون إليه فيه، ويأمره كل ليلة أن يزداد بعدا.

فلما كان ذات ليلة أمره أن يبعد بها جدا، وجعل ينتظره بعد ما دخل الليل وهو يلوم قومه على شفاعتهم فيه ومنعهم إياه من ضربه، وهم يعتذرون عن ابنه، ولا ينكرون إبطاءه، حتى إذا انهار الليل ركب فى طلبه فلحقه، واستاق الإبل حتى قدم بها على أبى بكر رضى الله عنهما.

فكانت صدقات طيئ مما استعان بها أبو بكر فى قتال أهل الردة. وكذلك فى الحديث الصحيح أن عديًّا قال لعمر رضى الله عنه (فى بعض الأمراء): أما تعرفنى يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، أعرفك، أسلمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا، وعرفت إذ أنكروا.

ومثل هذا ما أذن فيه النبي ﷺ للوفد الذين أرادوا قتل كعب ابن الأشرف أن يقولوا، وأذن للحجاج بن عِلاط عام خيبر أن يقول وهذا كله من الاحتيال المباح ؛ لكون صاحب الحق قد أذن فيه ورضي به ، والأمر المحتال عليه طاعة لله، وأمر مباح .

عود إلى قصة يوسف :

الضرب الثالث : أنه أذَّن مؤذن **﴿أيتها العير إنكم لسارقون* قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير، وأنا به زعيم﴾** [٧٠ - ٧٢] إلى قوله : **﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين* قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾** [يوسف : ٧٤-٧٦] .

وقد ذكروا في تسميتهم سارقين وجهين، أحدهما : أنه من باب المعاريض وأن يوسف نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه حيث غيبوه عنه بالحيلة التي احتالوا عليه، وخانوه فيه، والخائن يسمى سارقا، وهو من الكلام المرموز، ولهذا يسمى خونة الدواوين : لصوصا .

الثاني : أن المنادي هو الذي قال ذلك من غير أمر يوسف، قال القاضي أبو يعلى وغيره : أمر يوسف بعض أصحابه أن يجعل الصواع في رحل أخيه، ثم قال بعض الموكلين وقد فقدوه ولم يدر من أخذه : **﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾** على ظن منهم أنهم كذلك، من غير أمر يوسف لهم بذلك، أو لعل يوسف قد قال للمنادي : هؤلاء سرقوا، وعنى أنهم سرقوه من أبيه، والمنادي فهم سرقة الصواع فصدق يوسف في قوله، وصدق المنادي .

وتأمل حذف المفعول في قوله **﴿إنكم لسارقون﴾** ليصح أن يضمن سرقتهم ليوسف فيتم التعريض، ويكون الكلام صدقا، وذكر المفعول في قوله : **﴿نفقد صواع الملك﴾** وهو صادق في ذلك، فصدق في الجملتين معا تعريضا وتصريحا، تأمل قول يوسف : **﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾** ولم يقل إلا من سرق، وهو أخصر لفظا، تحريا للصدق، فإن الأخ لم يكن سارقا بوجه، وكان المتاع عنده حقا ؛ فالكلام من أحسن المعاريض وأصدقها .

ومثل هذا قول الملكين لداود عليه السلام : **﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾** إلى قوله : **﴿وعزني في الخطاب﴾** [صَ : ٢٢ ، ٢٣] أي غلبني في الخطاب، ولكن تخريج هذا الكلام على المعاريض لا يكاد يتأتى، وإنما وجهه أنه كلام خرج على ضرب المثال ؛ أي إذا كان كذلك فكيف الحكم بيننا .

ونظير هذا قول الملك للثلاثة الذين أراد الله أن يبتليهم «مسكين وغريب وعابر سبيل، وقد تقطعت بي الحبال، ولا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، فأسألك بالذي أعطاك هذا المال بعيرا أتبلغ به في سفري هذا» وهذا ليس بتعريض، وإنما هو تصريح على وجه ضرب المثال وإيهام أني أنا صاحب هذه القضية، كما أوهم الملكان داود أنهما صاحبا القصة ليتم الامتحان .

ولهذا قال نصر بن حاجب : سئل ابن عيينة عن الرجل يعتذر إلى أخيه من الشيء الذي قد فعله، ويحرف القول فيه ليرضيه، لم يأثم في ذلك؟ فقال : ألم تسمع قوله : ليس بكاذب من أصلح بين الناس يكذب فيه، فإذا أصلح بينه وبين أخيه المسلم خير من أن يصلح بين الناس بعضهم من بعض، وذلك إذا أراد به مرضاة الله، وكره أذى المؤمن، ويندم على ما كان منه، ويدفع شره عن نفسه، ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزلة عندهم ولا طمعا في شيء يصيب منهم، لم يرخص في ذلك، ورخص له إذا كره موجدتهم وخاف عداوتهم .

قال حذيفة : إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن أقدم على ما هو أعظم منه . قال سفيان : وقال الملكان : **﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾** [صَ : ٢٢] أراد معنى شيء، ولم يكونا خصمين، فلم يصيرا بذلك كاذبين، وقال إبراهيم : **﴿إني سقيم﴾** [الصافات : ٨٩]، وقال **﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾** [الأنبياء : ٦٣] وقال يوسف : **﴿إنكم لسارقون﴾** [يوسف : ٧٠] فبين سفيان أن هذا من المعاريض المباحة .

فصل : وقد احتج بعض الفقهاء بقصة يوسف على أنه جائز للإنسان التوصل إلى أخذ حقه من الغير بما يمكنه الوصول إليه بغير رضا من عليه الحق .

قال شيخنا رضي الله عنه : وهذه الحجة ضعيفة ؛ فإن

يوسف لم يكن يملك حبس أخيه عنده بغير رضاه، ولم يكن هذا الأخ ممن ظلم يوسف حتى يقال إنه قد اقتص منه، وإنما سائر الإخوة هم الذين كانوا قد فعلوا ذلك، نعم تخلفه عنده كان يؤذيهم من أجل تأذى أبيهم، والميثاق الذى أخذه عليهم، وقد استثنى فى الميثاق بقوله: ﴿إلا أن يحاط بكم﴾. [يوسف: ٦٦].

وقد أحيط بهم، ولم يكن قصد يوسف باحتباس أخيه الانتقام من إخوته، فإنه كان أكرم من هذا، وكان فى ضمن ذلك من الإيذاء لأبيه أعظم مما فيه من إيذاء إخوته، وإنما هو أمر أمره الله به؛ ليبلغ الكتاب أجله، ويتم البلاء الذى استحق به يعقوب ويوسف كمال الجزاء، وتبلغ حكمة الله التى قضاها لهم نهايتها.

ولو كان يوسف قصد القصاص منهم بذلك فليس هذا موضع الخلاف بين العلماء، فإن الرجل له أن يعاقب بمثل ما عوقب به.

وإنما موضع الخلاف: هل يجوز له أن يسرق أو يخون من سرقه أو خانه مثل ما سرق منه أو خانه إياه؟ وقصة يوسف لم تكن من هذا الضرب. نعم، لو كان يوسف أخذ أخاه بغير أمره لكان لهذا المحتج شبهة، مع أنه لا دلالة فى ذلك على هذا التقدير أيضا، فإن مثل هذا لا يجوز فى شرعنا بالاتفاق، وهو أن يحبس رجل برىء ويعتقل للانتقام من غيره من غير أن يكون له جرم.

ولو قدر أن ذلك وقع من يوسف فلا بد أن يكون بوحى من الله ابتلاء منه لذلك المعتقل، كما ابتلى إبراهيم بذبح ابنه، فيكون المبيح له على هذا التقدير وحيا خاصا كالوحى الذى جاء إبراهيم بذبح ابنه، وتكون حكمته فى حق المبتلى امتحانه وابتلاؤه لينال درجة الصبر على حكم الله والرضا بقضائه، وتكون حاله فى هذا كحال أبيه يعقوب فى احتباس يوسف عنه.

وهذا معلوم من فقه القصة وسياقها، ومن حال يوسف؛ ولهذا قال تعالى ﴿**كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم**﴾ [يوسف: ٧٦] فنسب الله تعالى هذا الكيد إلى نفسه كما نسبه إلى نفسه فى قوله: ﴿**إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا**﴾ [الطارق: ١٥، ١٦] وفى قوله تعالى: ﴿**ومكروا مكرا ومكرنا مكرا**﴾ [النمل: ٥٠] وفى قوله تعالى: ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرا وكيدا واستهزاء وخداعا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة نحو: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ [الشورى: ٤٠] ونحو قوله تعالى: ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقيل وهو أصوب: بل تسميته بذلك حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشىء إلى الغير بطريق خفى، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح، وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له، فالأول مذموم والثانى: ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده، وإنما السيئة فهى فيعلة مما يسوء، ولا ريب أن العقوبة تسوء صاحبها، فهى سيئة له حسنة من الحكم العدل.

ما كيد به ليوسف:

وإذا عرفت ذلك فيوسف الصديق كان قد كيد غير مرة: أولها أن إخوته كادوا به كيدا حيث احتالوا به فى التفريق بينه وبين أبيه، ثم إن امرأة العزيز كادته بما أظهرت أنه راودها عن نفسها ثم أودع السجن، ثم إن النسوة كادوه حتى استعاذ بالله من كيدهن فصرفه عنه، وقال له يعقوب: ﴿**لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا**﴾ [يوسف: ٥] وقال الشاهد لامرأة العزيز: ﴿**إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم**﴾ [يوسف: ٢٨] وقال تعالى فى حق النسوة: ﴿**فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن**﴾ [يوسف: ٣٤]، وقال للرسول: ﴿**ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم**﴾ [يوسف: ٥٠].

فكاد الله له أحسن كيد وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدى إخوته بغير اختيارهم كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وكاد له فى تصديق النسوة اللاتى كذبنه وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له فى تكذيب امرأة

العزيز لنفسها واعترافها بأنها هى التى راودته وأنه من الصادقين؛ فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد له بغيا وعدوانا .

كيد الله سبحانه :

فصل : وكيد الله تعالى لا يخرج عن نوعين؛ أحدهما وهو الأغلب : أن يفعل سبحانه وتعالى فعلا خارجا عن قدرة العبد الذى كاد له؛ فيكون الكيد قدرا محضا ليس هو من باب لا يسوغ، كما كاد أعداء الرسل بانتقامه منهم بأنواع العقوبات، وكذلك كانت قصة يوسف؛ فإن يوسف أكثر ما أمكنه أن يفعل أن ألقى الصواع فى رحل أخيه، وأن أذن مؤذن بسرقتهم، فلما أنكروا قال : **﴿فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾** [يوسف : ٧٤] .

أى جزاء السارق أو جزاء السَّرِق **﴿قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه﴾** [يوسف : ٧٥] أى جزاؤه نفس السارق، يستعبده المسروق منه إما مطلقا، وإما مدة، وهذه كانت شريعة آل يعقوب .

ثم فى إعراب هذا الكلام وجهان، أحدهما : أن قوله : **﴿جزاؤه من وجد فى رحله﴾** جملة مستقلة قائمة من مبتدأ وخبر، وقوله **﴿فهو جزاؤه﴾** جملة ثانية كذلك مؤكدة للأولى مقررة لها، والفرق بين الجملتين أن الأولى إخبار عن استحقاق المسروق لرقبة السارق، والثانية إخبار أن هذا جزاؤه فى شرعنا وحكمنا، فالأولى أخبار عن المحكوم عليه، والثانية إخبار عن الحكم، وإن كانا متلازمين، وإن أفادت الثانية معنى الحصر فإنه لا جزاء له غيره .

والقول الثانى : أن «جزاؤه» الأول مبتدأ وخبره الجملة الشرطية، والمعنى جزاء السارق أن من وجد المسروق فى رحله كان هو الجزاء، كما تقول : جزاء السرقة من سرق قطعت يده، وجزاء الأعمال من عمل حسنة فبعشر أو سيئة فبواحدة، ونظائره .

قال شيخنا رضى الله عنه : وإنما احتمل الوجهين لأن الجزاء قد يراد به نفس الحكم باستحقاق العقوبة، وقد يراد به نفس فعل العقوبة، وقد يراد به نفس الألم الواصل إلى المعاقب .

والمقصود أن إلهام الله لهم هذا الكلام كيد كاده ليوسف خارج عن قدرته، إذ قد كان يمكنهم أن يقولوا : لا جزاء عليه حتى يثبت أنه هو الذى سرق، فإن مجرد وجوده فى رحله لا يوجب ثبوت السرقة، وقد كان يوسف عليه السلام عادلا لا يمكنه أن يأخذهم بغير حجة، وقد كان يمكنهم أن يقولوا : يفعل ما يفعل بالسراق فى دينكم، وقد كان فى دين ملك مصر - كما قاله أهل التفسير - أن يضرب السارق، ويغرم قيمة المسروق مرتين .

ولو قالوا ذلك لم يمكنه أن يلزمهم بما لا يلزم به غيرهم، ولهذا قال تعالى : **﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله﴾** [يوسف : ٧٦] .

أى ما كان يمكنه أخذه فى دين ملك مصر؛ إذ لم يكن فى دينه طريق له إلى أخذه، وعلى هذا فقوله **﴿إلا أن يشاء الله﴾** استثناء منقطع، أى لكن إن شاء الله أخذه بطريق آخر، أو يكون متصلا على بابه، أى إلا أن يشاء الله ذلك، فيهيء له سببا يؤخذ به دين الملك من الأسباب التى كان الرجل يعتقل بها .

فإذا كان المراد من الكيد فعلا من الله - بأن ييسر لعبده المؤمن المظلوم المتوكل عليه أمورا يحصل بها مقصوده من الانتقام من الظالم - كان هذا خارجا عن الحيل الفقهية، فإن كلامنا فى الحيل التى يفعلها العبد، لا فيما يفعل الله تعالى، بل فى قصة يوسف.تنبيه على بطلان الحيل وأن من كاد كيدا محرما، فإن الله يكيده ويعامله بنقيض قصده وبمثل عمله، وهذه سنة الله فى أرباب الحيل المحرمة أنه لا يبارك لهم فيما نالوه بهذه الحيل، ويهيء لهم كيدا على يد من يشاء من خلقه يجزون به من جنس كيدهم وحيلهم .

عبر من قصة يوسف هذه :

وفيها تنبيه على أن المؤمن المتوكل على الله إذا كاده الخلق، فإن الله يكيد له وينتصر له بغير حول ولا قوة .

وفيها دليل على أن وجود المسروق بيد السارق كاف فى إقامة الحد عليه، بل هو بمنزلة إقراره، وهو أقوى من البينة، وغاية البينة أن يستفاد منها ظن، وأما وجود المسروق بيد السارق، فيستفاد منه اليقين، وبهذا جاءت السنة فى وجوب الحد بالحبل والرائحة فى الخمر كما اتفق عليه الصحابة، والاحتجاج بقصة يوسف على هذا أحسن وأوضح من الاحتجاج بها على الحيل .

وفيها تنبيه على أن العلم الخفى الذى يتوصل به إلى

المقاصد الحسنة مما يرفع الله به درجات العبد؛ لقوله بعد ذلك: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] قال زيد بن أسلم وغيره: بالعلم.

وقد أخبر تعالى عن رفعه درجات أهل العلم فى ثلاثة مواضع من كتابه: أحدها قوله: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء﴾ [الأنعام: ٨٣] فأخبر أنه يرفع درجات من يشاء بعلم الحجة.

وقال فى قصة يوسف: ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] فأخبر أنه يرفع درجات من يشاء بالعلم الخفى الذى يتوصل به صاحبه إلى المقاصد المحمودة.

. وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] فأخبر أنه يرفع درجات أهل العلم والإيمان.

النوع الثانى من كيد الله.

فصل: النوع الثانى من كيده لعبده المؤمن: هو أن يلهمه -سبحانه وتعالى- أمرا مباحا أو مستحبا أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن؛ فيكون على هذا إلهامه ليوسف أن يفعل ما فعل هو من كيده تعالى أيضا، وقد دل على ذلك قوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] فإن فيها تنبيها على أن العلم الدقيق الموصل إلى المقصود الشرعى صفة مدح، كما أن العلم الذى يخصم به المبطل صفة مدح.

وعلى هذا فيكون من الكيد ما هو مشروع، لكن لا يجوز أن يراد به الكيد الذى يستحل به المحرمات، أو تسقط به الواجبات، فإن هذا كيد الله، والله هو الذى يكيد الكائد، ومحال أن يشرع الله تعالى أن يكاد دينه، وأيضا فإن هذا الكيد لا يتم إلا بفعل يقصد به غير مقصوده الشرعى، ومحال أن يشرع الله لعبده أن يقصد بفعله ما لم يشرع الله ذلك الفعل له.

فهذا هو الجواب عن احتجاج المتحلين بقصة يوسف عليه السلام، وقد تبين أنها من أعظم الحجج عليهم، وبالله التوفيق (أعلام الموقعين ٣/ ٢٢٤-٢٨٦)

يقول الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين: ونلاحظ أن ابن القيم، فى إبطاله للحيل كان يستلهم روح الشريعة، واقفا عن ما دعت إليه، غير متحايل ولا متجن على خصومه، بل هدفه الحق حيث سارت ركائبه.

ولا يتبادر إلى الذهن أن الحيل التى ذكرها ابن القيم، وأبطلها هى كل الحيل التى جادت بها قرائح المتحايلين. بل غيرها كثير، وقد اعترف ابن القيم بذلك فقال: «ولو تتبعناها حيلة حيلة لطال الكتاب، ولكن هذه أمثلة يحتذى عليها والله الموفق للصواب» (أعلام الموقعين).

ظهر لنا مما تقدم مدى اهتمام ابن القيم بإبطال الحيل لما راعه من تلاعب بأمور الدين باسم الحيل التى يترتب عليها قلب الأوضاع. ويتلخص بحثه هذا فيما يأتى:

أولا: يبين خطورة الحيل وما يترتب عليها من إبطال مقصود الشارع وتفنيد رغبة المتحايلين.

ثانيا: قسم الحيل، وفصلها تفصيلا أزال الغموض، وكشف الستار عن المباح منها والمحرم.

ثالثا: عرض الأدلة التى تمسك بها المتحايلون، وفندها.

رابعا: عرض الأدلة المبطلة للحيل إجمالا. ثم أبطل تفصيلا (ابن قيم الجوزية ١٣٨، ١٣٩)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى جـ ٢ ق١/ ١٣٠، وابن قيم الجوزية - د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ١٢٠، ١٢٦-١٢٨، ١٣٩، وأعلام الموقعين عن رب العالمين لابن الجوزى ٣/ ٢٢٤-٢٨٦. انظر أيضا الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٣/ ٨٢-١٣٢، ١٤١-٢٥١، ١٥٥-١٦١)

انظر مادة «التعريض» فى م ٩ / ٥٧٨-٥٨٣

*** الحيل (علم -):**

علم الحيل هو ما كان يعرف عند الإغريق (بالميكانيكا) وهو علم قديم اهتمت به الشعوب السابقة مثل قدماء المصريين والصين والإغريق والرومان.. لكن معظم هذه الشعوب كانت تستعمله للأغراض الدينية فى المعابد.. أو فى ممارسة السحر والتسلية لدى الملوك.

فكان الصينيون يستخدمون عرائس متحركة على المسرح الدينى لها مفاصل يتحكم فيها الممثل بواسطة خيوط غير مرئية. وقد صنع قدماء المصريين فى معابدهم تماثيل لها فك متحرك وتخرج صوت صفير عند هبوب الريح. وقد

استفاد المصريون القدماء من هذا العلم فى بناء معابدهم وتماثيلهم الضخمة أو نقلها .

أما الإغريق فكانوا أول من ألَّف الكتب فى هذا العلم ووضع له القواعد العلمية . وقد صنعوا الآلات العلمية المتحركة التى تستعمل قوة دفع الماء أو الهواء من ذلك الآلات المصوته المسماة بالأرغن الموسيقى ومنها الساعات المائية .

المسلمون وعلم الحيل :

بدأ العرب هذا العلم بنقل كتب السابقين من أمثال إقليدس وأرشميدس وارسطاليس وأبلينوس وهيرون الإسكندرى ثم ظهر منهم العلماء والمهندسون المسلمون الذين تخصصوا فى هذا المجال وطوروه ووضعوا له قواعد علمية جديدة وابتكروا تطبيقات رائدة للاستفادة منه . ويمكننا أن نلخص هدف المسلمين من هذ العلم فى تسميته بأنه علم (الحيل النافعة) وقد ذكروا فى مراجعهم أن الغاية منه (هى الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير) .

ومعنى هذا الاصطلاح أن المسلمين أرادوا به منفعة الإنسان واستعمال الحيلة مكان القوة والعقل مكان العضلات والآلة بدل البدن وقد كان لتعاليم الإسلام وتوجيهاته فضل كبير فى تطوير هذا العلم عند العرب ـ فقد كانت الشعوب السابقة تعتمد على العبيد وعلى نظام السخرة فى قضاء أمورهم المعيشية والتى تحتاج إلى مجهود جثمانى كبير فلما جاء الإسلام حرم السخرة وحرم إرهاق الخدم والعبيد وتحملهم فوق ما يطيقه الإنسان العادى . هذا إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان . . لذلك اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة .

ـ وبعد أن كانت غاية السابقين من هذا العلم لا تتعدى استعماله فى التأثير الدينى والروحى على اتباع مذاهبهم مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصوتة فى المعابد . فقد جاء الإسلام فنهى عن ذلك وجعل الصلة بين العبد وربه بدون وسائل وسيطة أو خداع حسى أو بصرى .

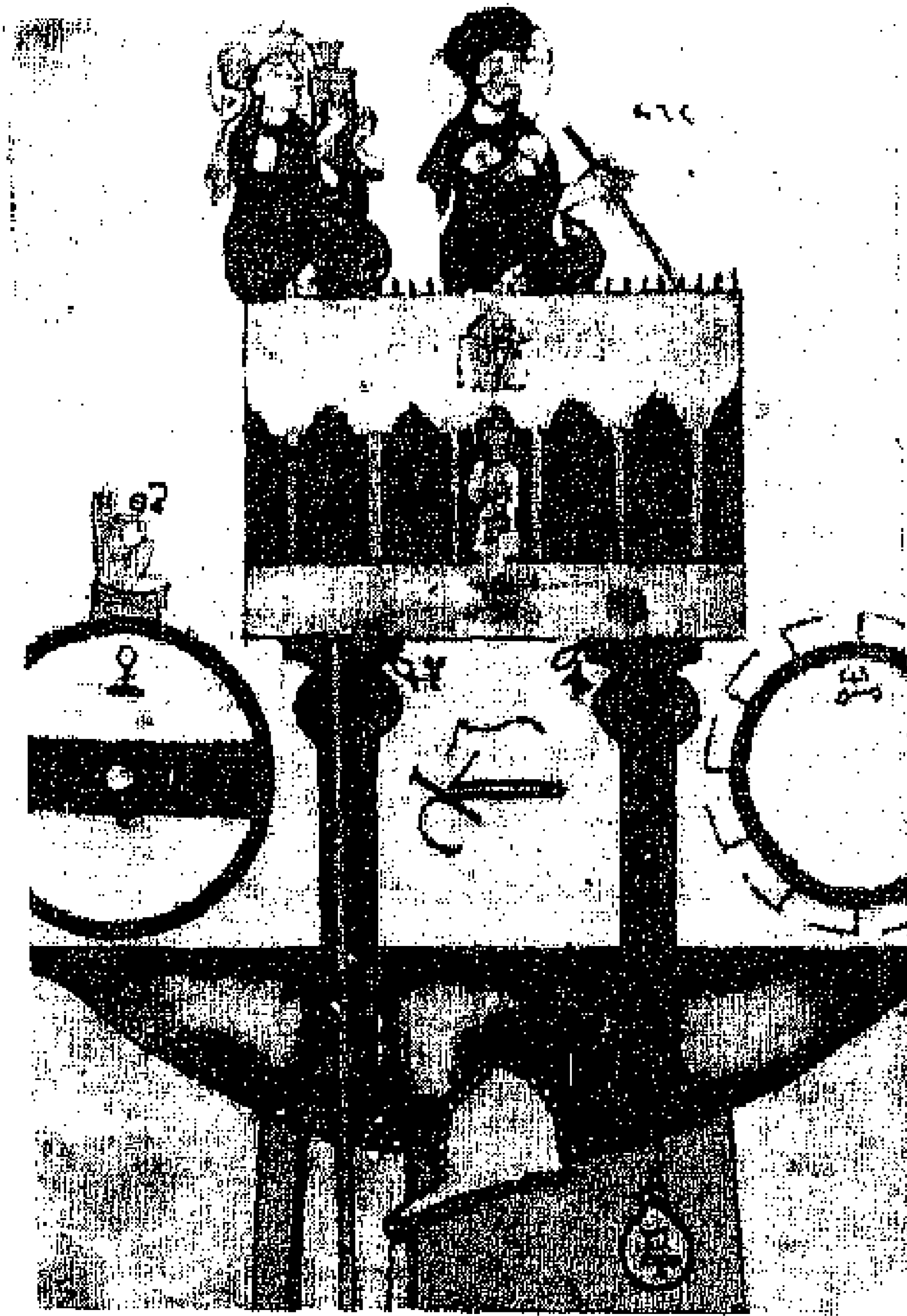
لهذا كله فقد أصبح لعلم الحيل عند المسلمين هدف جديد هو التحايل على ضعف الإنسان . . والتيسير عليه باستعمال الآلة المتحركة .

علماء المسلمين وإنجازاتهم :

ـ من أشهر علماء المسلمين فى علم الحيل أولاد موسى ابن شاكر وهم محمد (ت ٨٧٣ م) وأحمد والحسن . وقد ألفوا كتاب «الحيل النافعة»وكتاب القرطسون (وهو ميزان الذهب) وكتاب وصف «الآلة التى ترمز بنفسها صنعة بنى موسى بن شاكر» ومن اختراعاتهم التى وصفها المؤرخون بكثير من الإعجاب آلة رصد فلكى ضخمة . تعمل فى مرصدهم وتدار بقوة دفع مائية وهى تبين كل النجوم فى السماء وتعكسها على مرآة كبيرة وإذا ظهر نجم رصد فى الآلة وإذا اختفى نجم أو شهاب رصد فى الحال وسجل .

ـ وقد اخترع أحمد بن موسى قنديلا آليا يشعل الضوء لنفسه وترتفع فيه الفتيلة تلقائيا ويصب الزيت بنفسه ولا يمكن للرياح إطفاؤه (العلوم الإسلامية / ١٢ ـ ١٦ . انظر مادة « بنو موسى بن شاكر» فى ٧/ ٥٣١ ـ ٥٣٦) .

وكان فى دارهم ببغداد مرصد خاص بهم ، وكان أحمد متخصصا فى علم الميكانيكا (أو التكنولوجيا) وألف كتابًا فى هذا العلم بعنوان «كتاب الحيل» وصفه ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) بأنه «كتاب عجيب نادر يشمل على كل



ساعة دقّاقة فيها أشخاص متحركة ويخرج منهم صوت موسيقى عند تمام كل ساعة





غريبة» ويقول الأستاذ قدري طوقان «إنه يحتوي على مائة تركيب ميكانيكي، عشرون منها ذات قيمة علمية «برع العلماء والمسلمون تبعًا لاشتغالهم بعلم الميكانيكا في صنع الآلات العديدة المتنوعة للأغراض العلمية وللحاجات العملية. وقد ذكر ابن النديم (ت ٣٨٠هـ) أسماء عدد من صناع الآلات ومنهم امرأة المعروفة بالعجلية بنت العجل الأسطرلابي في بلاط سيف الدولة الحمداني. فكان هؤلاء يقومون بصنع الآلات تحت إشراف علماء الهندسة والميكانيكا، أو حسب طلبهم طبقًا للأوصاف التي يضعونها في مؤلفاتهم. وأروع مؤلف فيه لإسماعيل بن الرزاز الجزري بعنوان: «كتاب في معارف الحيل الهندسية» أو «الحيل الجامع بين العلم والعمل»، (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨).

وقد ذكر فيه المؤلف أسماء ووصف خمسين آلة ميكانيكية كالساعات المائية والنافورات وأخرى غريبة مع صورها بالألوان الجميلة، وهو مخطوط في استنبول، وأشهر كتاب عند الغربيين (العلوم والفنون عند العرب/ ٢٨) ويسمى في أوربا «الحيل الهندسية» وهو من أدق الكتب وصفًا وشرحًا وتفصيلًا.. وما زالت بضع نسخ أصلية من هذا الكتاب موجودة في متاحف أوروبا حيث يعتزون بها كدرر أثرية ثمينة.

وقد ترجم الكتاب إلى جميع اللغات الأوربية عدة مرات وكان قاعدة لعلم الميكانيكا الحديثة. والجزري هو أول من اخترع الإنسان الآلي المتحرك للخدمة في المنزل. طلب منه الخليفة أن يصنع آلة تغنيه عن الخدم كلما رغب في الوضوء للصلاة.. فصنع له آلة على هيئة غلام منتصب القامة وفي يده إبريق ماء وفي اليد الأخرى منشفة وعلى عمامته يقف طائر. فإذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر ثم يتقدم الخادم نحو سيده ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين فإذا انتهى من وضوئه يقدم له المنشفة ثم يعود إلى مكانه والعصفور يغرد.

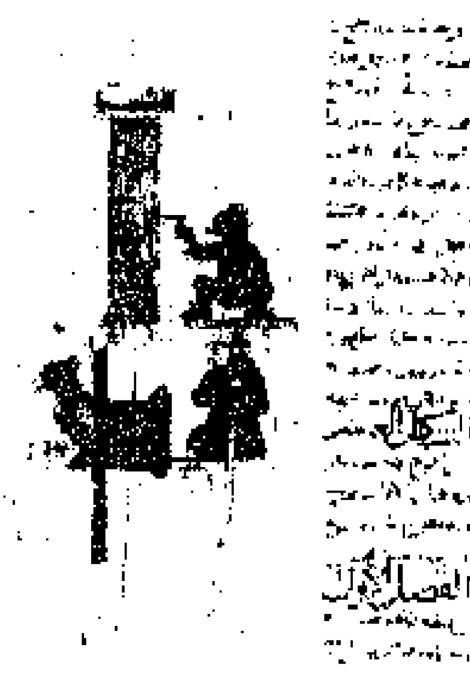
- من أكثر الأمور التي حظيت باهتمام علماء المسلمين استعمال الروافع لرفع الأثقال الكبيرة بالجهد اليسير.. وقد وضعوا لها قواعد وصنعوا أجهزة معقدة لرفع الأثقال الكبيرة أو جرها بالجهد اليسير.

- ومن أساطين هذا العلم في الأندلس عباس بن فرناس (ت٨٧٨م) وهو صاحب عدد كبير من الاختراعات الميكانيكية.. منها (الميقاتة). لمعرفة الأوقات وهي تسير بقوة دفع مائية. ومنها نموذج القبة السماوية التي توصل فيها إلى محاكاة البرق والرعد ثم صنع أول طائرة ذات جناحين متحركين وطار بها من فوق مئذنة مسجد قرطبة.

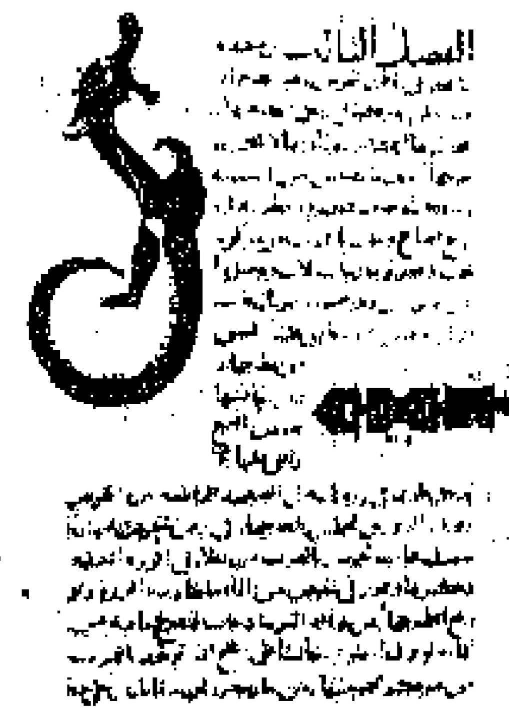
- ومن هؤلاء العلماء ابن يونس المصري (ت ١٠٠٩) ويذكر عنه سارتون في موسوعة تاريخ العلم أنه أول من اخترع الرقاص واكتشف قوانين ذبذبته وذلك قبل الإيطالي جاليليو (المتوفى سنة ١٦٢٤ م) بستة قرون (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨، ١٧).

وعن التطبيقات العملية لعلم الحيل يقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري:

يتصور بعض الأوربيين أن العرب رغم ولعهم الشديد بالميكانيكا أو علم الحيل فإنهم لم يطبقوه في أمور عملية نافعة كما طبقته أوربا في الاختراعات العصرية الحديثة كالقطار والسيارة والطائرة ويتصور بعضهم أن التطبيق السائد عند العرب كان في تسلية الخلفاء وفي بلاط الحكام بصناعة الدمى المتحركة والمصوتة وهذا مخالف للواقع وينم عن قصور في الدراسة والبحث لأن ما تركه المسلمون والذي لا



LNS 17 MS(e)



LNS 17 MS(g)

تزال آثاره موجودة حتى وقتنا الحاضر يعتبر أبلغ شاهد على تطور هذا العلم وتطبيقاته المتعددة ويعتبر المعمار المجال الأوسع لتطبيق علم الميكانيكا في عصور الإسلام المختلفة .

وتكفي نظرة واحدة إلى آثار العمارة الإسلامية الموجودة حتى عصرنا الحاضر في شرق العالم وغربه وما فيها من تطبيقات عملية متطورة وما أنجزه علماء المسلمين من القباب والمآذن والسدود والقنوات ...

لقد برع المسلمون في تشييد القباب الضخمة ونجحوا في حساباتها المعقدة التي تقوم على ما يسمى في وقتنا الحاضر بطرق تحليل الإنشاءات القشرية (SHELLS) فهذه الإنشاءات المعقدة والمتطورة من القباب مثل قبة الصخرة في بيت المقدس وقباب مساجد الأستانة والقاهرة والأندلس والتي تختلف اختلافا جذريا عن القباب الرومانية ، كل هذا يدل على تمكنهم من هذا العلم الذى يقوم على الرياضيات المعقدة .

وإنشاء المآذن الطويلة والتي يعلو بعضها أكثر من ٧٠ مترا فوق سطح المسجد والتي تختلف اختلافا جذريا ومتطورا عن المنارات الرومانية .

وإنشاء السدود الضخمة التي أقامها العهد العباسي والفاطمي والأندلسي مثل سد النهروان وسد الرستن وسد الفرات .

- ثم وسائل الري والفلاحة التي ابتكرها المسلمون مثل سور صلاح الدين الذي يجلب الماء من النيل إلى قمة جبل المقطم ووضعوا في النيل آلة متطورة ترفع الماء إلى ارتفاع عشرة أمتار لكي يتدفق من هذا الارتفاع إلى القلعة مباشرة .

- وطواحين الماء والهواء ... واستعمالها في مصانع الورق ومصانع البارود وما فيها من تروس معشقة وعجلات ضخمة متداخلة .

- ثُم هذا الاستغلال العبقري لنظرية الأنابيب المستطرقة في توصيل المياه في شبكة من المواسير إلى البيوت ، أو في بناء النوافير داخل القصور كما في نوافير الماء الراقصة في قصر الحمراء ، هذا علاوة على استغلالها في تحريك الدمى والأبواب .

- والمدن الإسلامية أول مدن في التاريخ تستعمل شبكات المياه من المواسير المعدنية وذلك قبل أوروبا بعدة قرون وما زالت إحدى هذه الشبكات حتى اليوم الموجودة في مدينة (عنجر) شرقي لبنان وقد أقامها الأمويون في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

- وقد أبدع المسلمون في استغلال علم الحيل في صناعة السلاح . فطوروا المنجنيق والدبابات الخشبية وكانوا أول من صنع المدافع والبندقية .

وتحدثنا كتب التاريخ عن الكثير من الاختراعات العجيبة في قصور الخلفاء وأثرياء المسلمين : فمن ذلك أن أحد الخلفاء كان مصابا بالأرق فصنع له العلماء فراشا فوق بحيرة من الزئبق ليساعده على النوم . وجاء في وصف مقصورة جامع مراكش المصنوعة أيام الموحدين أنها كانت تتحرك جدرانها ومنبرها بمجرد أن تلمس رجل الخليفة الأزرار الموضوعة في المدخل الخاص عند دخوله المقصورة . وكانت هذه المقصورة تدار بحيل هندسية بحيث تنصب إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه وتختفي إذا ذهبوا . وقد تجلت مهارة المسلمين الميكانيكية في صناعة الساعات الكبيرة والصغيرة ويذكر ابن كثير (في البداية والنهاية جـ ٩) أن أحد أبواب

جامع دمشق كان يسمى باب الساعات « لأنه عمل فيه الساعات التى اخترعها فخر الدين الساعاتى وكان يعمل بها كل ساعة تمضى من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب. فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة فى الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة » ويقول ابن جبير فى وصف هذه الساعة « أنها كان لها بالليل تدبير آخر إذ تجهز بمصباح يدور به الماء خلف زجاجة داخل الجدار. فكلما انقضت ساعة عم الزجاجة ضوء المصباح ولاحت للأبصار دائرة محمرة » وكانت هذه الساعة فى غرفة كبيرة وهناك شخص يقيم بداخلها، مسئول عن صيانتها و إدارتها، مدرب على أعطالها الميكانيكية، فهى أشبه بمحطة من محطات توليد الطاقة فى عصرنا الحاضر (انظر صورة هذه الساعة فى مادة « الجامع الأموى بدمشق » فى م١١ / ٤٦٧) .

وفى سنة ٧٥٨ هـ . صنع المهندس أبو عنان المرينى المغربى ساعة ضخمة من النحاس. وضعت فى الساحة العامة بسوق القصر بالمغرب ... وكانت فى كل ساعة تسقط صنجة كبيرة فوق طاس كبير ... فيحدث لها دوى كبير يسمعه أهل المدينة .

ويعتبر الجزرى أول مخترع لمضخة المكبس. كذلك قدم الجزرى فى كتابه خمس آلات مختلفة لرفع المياه من الأعماق بالجهد اليسير، وكل منها يمثل تطورا جديدا فى علم الميكانيكا وكان لها الفضل فى ابتكار مضخات سحب البترول من الأعماق وهذا قليل من كثير مما لا يتسع المقام لشرحه (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨ ـ ٢٥) .

وعن الجانب النظرى يقول الدكتور سيد رضوان علي: ولعلم الميكانيكا غير هذا الجانب الهندسي الصناعى، أو الجانب العملى جانب علمى نظرى وهو ذو قيمة كبرى ليس فى مجال البحث العلمي فحسب بل فى الاختراعات الهامة، وهى ما تتعلق بمفهوم القوة وأنواعها، ومفهوم الحركة وقوانينها، وتصادم الأجسام وتساقطها، وطبيعة الزمان والمكان وغير ذلك من المباحث الدقيقة، ومنها قوة الجذب، وجاذبية الأرض، والحقيقة أن هذا العلم الهام فى عصرنا الحديث لم يدرس تاريخه عند العرب كما درست العلوم الأخرى التى تطرقنا إليها .

وفى السنوات العشر الماضية اهتم أحد الأساتذة المصريين، وهو الدكتور جلال شوقى بدراسة هذا الموضوع فى عدد من مؤلفاته مثل تراث العرب فى الميكانيكا، (هذا الكتاب عندى. انظر ثبت المراجع لهذه المادة) «وعلم الميكانيكا عند العرب» ، وأبرزت هذه الدراسات إسهام العرب فى تطوير هذا العلم، وقلبت مفاهيمنا عن كثير من النظريات التى كانت تنسب إلى علماء الغرب، وهى فى الحقيقة للعرب .

فلقد نادى العالم الطبيعى الرياضى الفلكى الكبير الحسن ابن الهيثم بوجود «الخلاء» عند بحثه فى المكان قائلا، وليس الخلاء بذى مادة، ولا فيه مدافعة، وإنما الخلاء هو أبعاد فقط متهيئة لقبول المواد «وبالتالى فحركة الأجسام فى الخلاء لا تلقى أية معوقات أو مخالفات، وهذه حقيقة أثبتها الأقمار الصناعية ومركبات الفضاء فى عصرنا» (تراث العرب فى الميكانيكا / ٨٣) .

كما أنه قرر عند البحث عن الحركة والزمان أن الضوء له سرعة زمنية محدودة فإن كانت هذه السرعة فائقة للدرجة، يحسبها المرء غير متناهية. وهذه الحقائق عن الحركة فى نطاق الزمن مهما كانت سرعتها، ومنها سرعة الضوء والتى ثبتت بالتجربة من حوالى منتصف القرن الماضى فقط، تعتبر سبقًا عظيمًا للحسن بن الهيثم حيث كان الرأى السائد قبله وبعده أن الضوء يتحرك لا فى زمان وهو محال (المرجع السابق/ ٤٣) .

وقد درس ابن الهيثم حركة تصادم الأجسام دراسة علمية مستفيضة مؤيدة بالتجربة والتحليل فأمكنه التوصل إلى القواعد الأساسية التى تحكم هذه الحركة ووقف على معنى كمى للحركة سماه قوة الحركة والتى نسميها اليوم كمية الحركة، وقدم بذلك أول طريقة عرفها العالم بقياس صلادة الأجسام على أساس تباين مخالفة الأجسام للانفعال بالمصادمة (تراث العرب فى الميكانيكا/ ٥٦)

يقوم علم الحركة (الديناميكا) على قوانين ثلاثة وهى تنسب جميعًا فى العادة إلى نيوتن ولكن بحث قبله بعدة قرون علماء العرب: ابن سينا وابن ملكا، وفخر الدين الرازى، ونصير الطوسى من الفلاسفة العلماء فى هذه القوانين .

وقد أثبت الدكتور جلال شوقى بعد إجراء دراسة مقارنة أن القانون الأول فى الحقيقة وضعه ابن سينا، بينما وضع القانون الثالث هبة الله بن ملكا البغدادى فى صورة متكاملة، واشترك فى شرح هذين القانونين للحركة كل من الفيلسوف المتكلم المفسر فخر الدين الرازى، والعالم الفلكى العبقرى نصير الدين الطوسى، كما أنهم وقفوا على بعض المعانى الواردة فى القانون الثانى للحركة وكادوا أن يتوصلوا إليه فى صورته المتكاملة

وبناء على ذلك فلا يصح أن ينسب من هذه القوانين إلا قانونًا واحدًا لنيوتن وأما القانونان الآخران فهما من مبتكرات علماء العرب، وأن للمجتمع العلمى أن يعترف بهذا الحق، كما يدعو - الدكتور جلال شوقى - لأصحابهما.

وأما ما يتعلق بالجاذبية الأرضية أو قوة الجذب، فقد عرفها العرب قبل نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧ م) بمئات السنين، وكانوا يسمون هذه القوة «القوة الطبيعية» أو «الميل الطبيعى»، وتناولها العرب بالدراسة منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، ولقد قال الإمام فخر الدين الرازى (المتوفى سنة ٦٠٦هـ) فى كتابه «المباحث الشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات» (ص ٥٧٨) «وانجذاب الجسم الى مجاورة الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاوره الأبعد»...

وهكذا فقد فهم العرب تمامًا أن لكل جسم قوة «طبيعية» فيه، وهى القوة التى نسميها اليوم قوة التثاقل، وهى القوة الناشئة عن جاذبية الأرض. فقال العرب بأن الجسم إذا ما أخرج من موضعه الطبيعى فإنه يسعى بقوته الطبيعية الى استعادة ذلك الموضع وهو يسلك فى ذلك أقرب الطرق ألا وهو الخط المستقيم.

ويتبين فهمهم لقوة التثاقل من الأقوال الكثيرة الواضحة التى وردت على ألسنة علمائهم وفلاسفتهم «أمثال ابن سينا ومؤلفى رسائل إخوان الصفا وابن ملكا البغدادى وفخر الدين الرازى». كما أنهم وضعوا اللبنة الأولى لدراسة حركة الأجسام فى الهواء، وهى ما تعرف اليوم بعلم الديناميكا الهوائية، وذلك بقوله إن حركة السهم المقذوف إلى أعلى تجعل من الهواء وسطًا حاملا له (العلوم والفنون عند العرب/ ٨٣ - ٨٦). ويلخص الدكتور يوسف فرحات إنجازات العلماء المسلمين فى علم الحيل (الميكانيكا) بقوله:

- اهتم العرب بالروافع، وهى آلات بسيطة تمكنهم من رفع الأثقال أو جرها بواسطة قوى صغيرة بالنسبة إلى وزن هذه الأثقال، وأهم الروافع عندهم: المخل، الإسفين، واللولب. وفى مجال التطبيق العملى بقاعدة الروافع استطاع العرب أن يصنعوا القبان وموازين أخرى فى غاية الدقة. والموازين الدقيقة استخدمت فى سك العملة.

- عرف العرب الأنابيب الشعرية، وهى أنابيب ضيقة جدًّا لا تخضع لنواميس توازن السوائل فى الأنابيب غير الشعرية.

- اخترع ابن يونس رقاص الساعة قبل غاليليو الذي نسب إليه هذا الإنجاز.

- اشتهر العرب بصنع الساعات المائية، واخترعوا أصنافًا من الآت التسلية القائمة بحركات ذاتية، بفضل توازن السوائل (علماء العرب/ ٣١، ٣٢).

قالت المؤلفة: انظر تلخيص هذا كله للدكتور جلال شوقى فى كتابه «تراث العرب فى الميكانيكا» ص ٥٤ - ٥٦، ١٠١ - ١٠٣

ونقدم لك فيما يلى نموذجا مما أورده الخوارزمى عن الحيل فى «مفتاح العلوم» حيث إنه أفرد للكلام عليها فى الباب الثامن من المقالة الثانية فصلين، ونتبع الكلام بشرح بعض المصطلحات التى استخدمها المؤلف.

وإليك ما جاء فى كل منهما:

الفصل الأول: فى الألفاظ التى يستعملها أهل الحيل فى جر الأثقال بالقوة اليسيرة:

صناعة الحيل يسمى باليونانية منجانيقون وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة فمن الألفاظ التى يستعملها أصحاب هذه الصناعة: البرطيس وهو فلكة كبيرة يكون فى داخلها محور تجر بها الأثقال وتفسيرها باليونانية المحيطة. المخل خشبة مدورة أو مثمنة تحرك بها الأجسام الثقيلة بأن يحفر تحت الشىء الذي يحتاج إلى تحريكه ويوضع فيه رأس المخل ثم يكبس الرأس الآخر فيستقل الجسم الثقيل: والبيرم أحد أصنافه ويقال البارم والمخل لفظة يونانية والبارم فارسية: ابو مخليون حجر يوضع تحت هذا المخل فيسهل به تحريك الثقل: الكثيرة الرفع آلة تسوى من عوارض وبكرات وقلوس تجر بها الأحمال الثقيلة: الإسفين شىء يعمل شبيها بالذى

يسميه النجارون فإنه يوضع ركنه الحاد تحت الأشياء الثقيلة ويدق دقا حتى يدخل تحته وأكثر ما يستعمل عند قلع الحجارة من الجبال. اللولب هو الشيء الملتوى الذى يدخل فى آخر يلوى ليا إلى أن يدخل فيه وهو معروف يكون عند النجارين والمؤسسين: غالاغرا معصرة للزياتين: إسقاطولى خشبة مربعة تستعمل فى هذه الآلات. ومن هذا الجنس آلات الحروب كالمجانيق والعرادات. ومن آلات المنجنيق الكرسى وصورته مثل صورة الشيء الذى يكون فى المساجد يصعد عليه لتعليق القناديل: والخنزيرة من آلاته وهى شيء شبيه بالبكرة إلا أنه طولانى الشكل: والسهم خشبة طويلة مستوية كالجذع والإسطام حديدة تكون فى طرف السهم حيث يعلق حجْر الرمى.

الفصل الثانى: فى حيل حركات وصنعة الأوانى العجيبة، وما يتصل بها من صنعة الآلات المتحركة بذاتها.

الحركات بالماء إنما تجذب بذاتها بأن توضع إجانة أو نحوها مثقوبة الأسفل فارغة فوق الماء (الإجانة إناء أو حوض)وتعلق بها خيوط كما تعلق بكفة الميزان وتشد بتلك الخيوط الأجسام التى يراد حركتها فكلما امتلأت الإجانة رسبت فى الماء وجرت الخيوط وما يتعلق بها فيحدث لذلك حركة وقد تستوى هذه الحركات بفنون من الأشكال مختلفة بعضها ألطف من بعض ومرجعها إلى ما ذكرته وقد يكون جنس آخر وهو أن تعمل آلة من صفرا أو نحوه مجوفة لا متنفس لها ألبتة وتوضع فى سطل أو نحوه ثم يصب فى السطل ماء صبًّا رقيقا فكلما ازداد الماء طفت تلك الآلة ورفعت ما يتعلق بها من الأجسام فيحدث لذلك حركات أيضًا وتسمى هذه الآلة المجوفة الدبة.

فأما الحركات التى تحدث من غير الماء فإن منها ما يعمل بالرمل ومنها ما يعمل بالخردل والجاورس وذلك أنه تعمل آلة على هيئة البربخ طويلة ويثقب أسفلها ثقبا صغيرًا ويكون رأسها مفتوحا ثم تملأ رملا أو خردلا أو نحوها وتوضع فوقه قطعة رصاص ويشد الرصاص من خيط أو حبل ويعلق بالخيط ما يحتاج إلى تحريكه ثم يوضع فى موضع منتصبا ليخرج الرمل أو غيره من الثقب التى [الذى] فى أسفله فكلما تناقص الرمل تحرك الرصاص سفلا وحرك ما هو متصل به وقد تهيأ حركات عجيبة لذلك على أشكال مختلفة ومن هذا الباب صنعة الأوانى العجيبة فمن آلات أصحاب الأوانى السحارة هى التى تسميها العامة سارقة الماء أعنى الأنبوبة المعطوفة المعمولة من خارج أو غيره فيوضع أحد رأسيها فى الماء أو غيره من الرطوبات المائية ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذى فى الماء ولا يمكن ذلك إلا أن يكون الرأس الذى يمص أسفل من سطح الماء. فأما إذا كان أعلى منه فإنه لا ينصب منه.

السحارة المخنوقة التى تعمل فى جام العدل وجام العدل إناء يعمل ويركب فيه أنبوبة فوق أنبوبة وتكون العليا مثقوبة وأسفل الإناء مثقوب [مثقوبًا] فإن كان ما فيه من الشراب فيما دون رأس الأنبوبة السفلى ثبت فيه، وإذا علاه انصب الشراب من الثقب الذى فى أسفل الإناء ولم يبق منه إلا مقدار ما يبقى من الأنبوبتين.

والسحارة أيضا الكوز المغربل السفل المضيق الفم الذى يملأ ماء ثم يقبض على فيه فلا ينصب الماء من ثقوب الغربال وتسمية العامة الغيم.

البثيون هو البزال الذى يعمل من أنبوبة تثقب ثقبا وتركب فى الثقب أنبوبة أخرى منتصبة تدار فيه للفتح والسد والأنبوبة المركبة فى الإناء تسمى الأنثى والأنبوبة المركبة فى ثقب الأنبوبة تسمى الذكر وكذلك كل ما يكون على هذه الصفة من الأنابيب والبرابخ والقنوات وغيرها ... وكذلك فى النرمادجات (كلمة فارسية معناها المفاصل) ونحوها وذكر البثيون يسمى السهم أيضا: المى دزد معناه بالفارسية سارق الشراب وهو إناء يعمل فيملأ شرابا ثم ينكس فلا ينصب منه درهم فيوهم الشارب إنه قد استوفى ما فيه ويسمى جام الجور كما يسمى ضده جام العدل لأن ذلك إذا زيد فيه شيء فوق المقدار انصب ما فيه كله: المهندم لفظة فارسية معربة مشتقة من هندام بالفارسية وهو أن يلتصق الشيء بآخر فلا يمكن تحريكه من غير أن يلصق أو يلحم بلحام: المطحون شبيه بالمهندم إلا أنه أسلس بحيث يمكن تحريكه: وباب مطحون أن يكون فيه ذكر وأنثى ... وينطبق وينفتح فإذا انطبق كان مهندما لا فرجة فيه وأكثر ما يكون صنوبرى الشكل ويقال

انطحن الشىء فى الشىء إذا كان يتحرك فيه من غير فرجة بينهما .

باب المدفع وباب المستق يكونان فى النفاطات والزرافات ونحوها :

التخاتج جمع التختجة وهى الألواح معربة تختة : المليار والمنيار إناء كبير يسخن فيه الماء .

سرن الرحى الدوارة التى يضربها الماء فتدور .

بركار السرن أجنحته لغة فارسية معربة .

والقطارات آلات تعمل يقطر منها الماء أو غيره على قدر الحاجات فى أشكال مختلفة .

الحنانات آلات تعمل فتحن بصوت مثل صوت المعازف والمزامير والصفارات وغيره على قدر الحاجة .

النضاحات آلات المعازف والمزامير والصفارات وغيره على قدر الحاجة .

النضاحات آلات تعمل للنضح فى وجوه الناس على نحو ما يريد الصانع .

الفوارات هى التى تعمل فى الحياض والحمامات ونحوها يفور منها الماء فى أشكال مختلفة .

المقاط حبل دقيق يفتل من خيوط الغزل أو الكتان ونحوه .

القلس هو الحبل الغليظ الذى يشد به السفن وغيرها .

الشاقول هو ثقل يشد فى طرف حبل يمده سفلا يحتاج إليه النجارون والبناؤون .

الكونيا للنجارين يقدرون بها الزاوية القائمة .

وإليك معانى بعض المصطلحات والمفردات التى استعملها الخوارزمى :

بربخ : انبوب .

بركار السرن : دولاب الماء أو أجنحة دولاب الماء .

بزال : بَزَل الشراب : أساله .

بُزّال : موضع البزل . وهو الأنبوب الذى يخرج منه الماء .

جزعة : (جمع جزع) خرزة وتستخدم كثقب محدد السعة من أجل خروج الماء بمقدار معين .

دبة : آلة من صفر أو نحوه مجوفة لا متنفس لها ألبتة وتوضع فى سطل أو نحوه ثم يصب فى السطل ماء صبًّا رقيقا فكلما زاد الماء طفت تلك الآلة ورفعت ما يتعلق بها من الأجسام فيحدث لذلك حركات أيضا وتسمى هذه الآلة المجوفة الدبة .

وتسمى حاليًا العوامة أو الفواشة .

إسطام : مسعار ، وهو حديدة تحرك بها النار ويعنى هنا قضيب معدنى له طرف عريض (مفاتيح العلوم / ١٤١ ـ ١٤٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦) .

(العلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٣ / ١٢ ـ ١٦ ، ١٨ ـ ٢٥ ، والعلوم والفنون عند العرب ـ د. سيد رضوان على / ٨٢ ـ ٨٦ ، وعلماء العرب ـ إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٣١ ، ٣٢ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى / ١٤١ ـ ١٤٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ . انظر أيضا تراث العرب فى الميكانيكا ـ د. جلال شوقى / ٧٣ ـ ٧٤ ، ٩٠ ، ١٠١ ـ ١٠٣ ، والعلوم عند المسلمين ـ إشراف حصة الصباح مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٢٦ ـ ٢٩) .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية :

العلوم عند المسلمين ـ إشراف حصة الصباح / ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، وهى من مخطوط « كتاب فى معرفة الحيل الهندسية » للجزرى ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٣ / ١٩ .

انظر أيضا الصور المصاحبة لمادة الجزرى (بديع الزمان) فى م ١٢ / ١٦٦ ـ ١٦٨ .

*** الحيل فى الحروب :**

يفرد الهروى الباب الثالث والعشرين من تذكرته « فى الحيلة إذا حاصره عدوه والعمل فى ذلك » مما يندرج تحت العسكرية الإسلامية جاء فيه ما يلى :

وإذا قصده عدو لا طاقة له به ويعجز عن دفعه وملاقاته فليبادر بإصلاح جنده واستمالة قلوب أصحابه ومقدمى عسكره ورعيته بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه مما ذكرناه وحررناه أولا ويشاور أصحاب الآراء وأهل التجارب من خواصه وأرباب دولته . ولينظر على ما تنطوى عليه قلوبهم وتنطق به ألسنتهم فمن وجد فيه اعوجاجا قوّمه أو زيغا عدله أو خورا شجعه وليتفقد السور والأبراج والمرامى والطاقات ومواضع الطلاقات ويعمر خرابها ويحكم أبوابها ويسلمها إلى الأمراء

الذين يعتمد عليهم ويركن إليهم وليستمل قلوب المعمارية والنقابين والجرخية والزراقين والمنجنيقية والرجال الجياد وإياه أن يهمل أمرهم وليهدم ما قرب من بلده من العمارة ولينقل حجارته إلى حصنه فإن الحجار أوفى الذخائر للعاجز والقادر وليقطع الأخشاب والجسورة وجميع ما ينتفع به العدو ويذخر في حصنه وليبادر بطم الآبار وخراب المصانع والصهاريج ويلقي فيها الجيف المسمومة والمياه القاتلة والزرانيخ المصعدة وليلق في منزلة العدو الميتة والجيف كالجمال والخيل والبغال والكلاب والقاذورات وليجعلها على مهب الرياح فإن ذلك يؤدى إلى الوباء والمرض وتغير الهواء وإياه أن يهمل أمر خنادق البلاد فهي من أكابر المهمات والأمور العظام وليحذر خندقه ويوسعه ويعمقه ويحكمه فهو أوفى الحصون للعاجز المحصور .

وليرسل المرجفين إلى عسكر عدوة ليزعجوا قلوب الجند بالأراجيف على بلادهم وخراب ضياعهم وموت أهاليهم وهلاك البطارقة وخلف الأساقفة وكثرة الأراجيف المزعجة والأحلام الردية فإن ذلك يوهن شوكتهم ويشوش هممهم ويضعف قلوبهم وليرسل أمراء العسكر ويكاتب مقدميه بما تقتضيه أحوالهم وتميل إليه طباعهم لتختلف أقوالهم وتضل آراؤهم وليظهر المنعة والقوة والشدة وقلة الالتفات إلى ناحية العدو .

وليرسل الطلائع ولينفذ الجواسيس فإذا قرب العدو من بلده ولم يبق له غير مرحلة واحدة فليكمن الكمناء وليجرد من عسكره وينتخب من جيشه كل فارس مشهور وبطل مذكور وليبادر العسكر عند نزوله بحملة هائلة وصدمة منكرة بجميع من معه والكمين يتبعه وليكثروا من رمى النشاب وآلة النار وقسي الزيار فقل ما سلم جيش عند نزوله إذا حل به ذلك وإياه أن يقتحم هذا الأمر ويرتكب في هذا الحال ويترك الأبواب بغير حفظة والسور بغير رجال والبلد بغير زعيم فربما كان الأمر عليه فيقصد عدوه البلد ولا يجدونه مانعا بل يعتمد الحزم والنظر في العواقب والوقوف على قدم الخوف فالتجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة .

فإن خاف عدو منه فقد تمكن منه وإن لم يخف فلا بد وأن يهوله ذلك وليبادر بحفظ الخندق وحراسة السور وإياه أن يقطع جسورة الخندق إلا من أمر عظيم لا طاقة له به وليحذر أن يسد أبواب السر فإن ذلك يزيد العدو طمعا وليفرش الحسك حول المواضع القريبة المأخذ ولا يمكنهم من نصب منجنيق ولا تقدم برج ولا زحف كبش إن قدم على ذلك فقل ما تمكن المنجنيق من حصن إلا أخذه وليحذر النقب فإن نقب عليه فليبادر بخسفه وإحراق من فيه ولينتظر ليلة مظلمة وساعة مغنمة من ليالي السرار وليجرد من الخيل الطواسن الصعبة الانقياد التي لا ينتفع بها مهما قدر عليه ويخرجها من كل ناحية وليخرج معها الرجال ويجرد لها الأبطال ويشد في أذنابها من جلود الجواميس اليابسة والأوعال المذخرة ويزجروها بالسياط ويوجعوها ضربا ويولموها عقوبة ويساعدوها بالضجيج العالي والأصوات الهائلة والصراخ المزعج إلى أن يلقوها في مخيم العدو فإذا شاهدوا العسكر قد اختبط وضج واختلط فلتحمل الفرسان وتبادر الشجعان من كل ناحية ومكان وليكثروا من آلة النار والنفط الطيار فإن له هيبة ترعب قلب الجبان وترهب فؤاد الإنسان. هذا والكمناء خلف التلال وذيول الجبال وليصدقوا في الحملة ولينصحوا في العملة فإنها مكيدة عظيمة وحيلة هائلة جسيمة لا يسلم منها عسكر ولا بد وأن يكسر ولا ينجو منها جيش إلا نادرا فإن كسر عدوه فقد نال مراده وبلغ أمله وإن يبلغ المقصود بعد بذل المجهود فلا بد وأن يوهن شوكة العدو ويضعضع جيشه ويفسد حاله فإن القلب الضعيف تستفزه الحيل وإن صورة الشجاعة إذا تحركت ولم تظهر تولد الفزع فتنقطع الجرأة ويشتد الخوف قيل إن الإسكندر ذكر هذا .

فإن لم يزعهم ما يرون من هذه المكيدة وتدبير هذه الحيلة فليلزم حفظ الحصن وحراسة السور وترتيب الرماة وعمل الستائر وتفقد المجانيق. وليحذر أن ينفذ إلى عدوه رسولا إلا جوابا فإن ذلك يؤدى إلى تعظيم شأنه وقوة حصنه وقلة المبالاة بعدوه وليستعن عليه بأصحاب الأطراف وعساكر أعدائه ومجاوري بلاده وليحتفوا ولايته ويقصدوا ناحيته وأرى أن خدعه بالحيل وردعه بالمكر خير من الاستعانة بجند الغير وعساكره فإن الذي يستعين به على عدوه لا بد وأن يعلم منه الضعف والعجز فيداخله فيه الطمع فربما ضره في وقت آخر.

(التذكرة الهروية في الحيل الحربية لعلي بن أبي بكر الهروي / ٢٦ - ٢٨).

انظر مادة « التذكرة الهروية فى الحيل الحربية » فى م٩/ ١٩٤، ١٩٥ .

*** الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفنون الحربية .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف محمد بن منكلى الناصرى نقيب الجيوش فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ) (بروكلمان ٢/ ١٣٦) .

أولـه : الحمد لله السواسع ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم ... وهذا كتاب الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، من حكم ذى القرنين الإسكندر ابن فيلبس اليونانى ، وجد فى ديماس بالإسكندرية بين حجرين مطبقين ، أحدهما على الآخر مكتوبا باليونانية فترجم بالعربية . وهذا الكتاب فى جميع أبوابه يحتاج إليه فى أنواع الحرب من الحيل والمكر والخديعة ومخادعة العدو والاحتراس من مكره وعمل الآلات والسلاح ، وهو مبوب أبوابا نوعتها منه على تسعة أنواع (٣٩ بابا) .

وآخره : تم كتاب الحيل فى الحروب بعون الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

ـ نسخة بقلم نسخ جميل كتب فى أولها أنها : « ملك العبد الفقير... الجناب العالى المولوى الكبير العلائى علاء الدين طيبغا العمرى الساقى الملكى الناصرى ... وافق الفراغ من نسخه فى شهر جمادى الآخر سنة ٧٥٧ فى ١٣٥ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا وموضحة بالرسوم والأشكال ١٨×٢٦ سم

[أحمد الثالث باستانبول / ٣٤٦٩] .

(فهرس المخطوطات المصورة جـ ٤ / ١٣) .

وتوجد نسخه بقسم التراث العربى بالكويت وقد أدرجت فى فهرس مخطوطات الفلاحة تحت عنوان « كتاب الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب » وجاء عن المخطوط ما يلى :

كتاب الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب :

محمد بن منكلى ، نحو ٧٧٨هـ .

ومع أن الكتاب يبحث فى فنون الحرب ، وما يجب توفيره للجيش فى حالة محاصرته لحصن أو مدينة أو معسكر، إلا أن المؤلف أفرد فصلا لدواليب رفع الماء وقعت فى ٢١ ورقة وأوضحها فى ١٧ شكلا للدواليب ، وكذا إصعاد الماء بالنار .

النسخ الموجودة منه :

(١) تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ـ أسعد افندى ١٨٨٤ .

أوله بعد البسملة والحمدلة :

« الحمد لله الواسع ، ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم ، خالق البرايا ، وبارى النسم الذى أوجد الموجودات بحكمته من العدم ، وعلمنا منه بلطفه ما لم نكن نعلم وفضلنا بكرمه على سائر الأمم ـ » .

آخره : « ... فيمشى عليه بالأقدام ثم بالخيل ، فيعبر عليه إلى ناحية العدو إن شاء الله تعالى » .

الناسخ : على بن خليل الاستادار .

النسخ : ٢٣ ذى الحجة سنة ٧٩١هـ .

الخط : نسخ جميل .

الأوراق : ١٢٩ ق .

الأسطر : ١٧س .

المقياس : ٢٥×١٧,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود ، أما العناوين والفواصل فكانت بالمداد الأحمر ، وفى المخطوط صور للدواليب فى الصفحات ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ .

(٢) (المغرب ـ الرباط ، الخزانة العامة (٤٣ . ج) .

أوله وآخره كما النسخة رقم (١) .

الخط : نسخ جميل .

النسخ : أواسط ذى الحجة سنة ٧٦٣هـ .

الأوراق : ٢٨٥ ص .

الأسطر : ١٧ س .

المقياس : ١٨,٥ × ٢٦,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود ، والعناوين والأبواب بالمداد الأحمر ، والنسخة خزائنية كتبت برسم المقر الأشرف العالى

المولوى السيفى يلبغا الملكى المنصورى، ويلاحظ أن على النسخة فهرسة لأبوابها تخالف ما هو فى المخطوط .

كما ألحق بالنسخة ورقتان حول اللعب بالدبوس والصراع على الخيل عند ملاقاة الخصم فى أوقات الحرب ليستا من أصل الكتاب .

(٣) المغرب ـ الرباط ، الخزانة الملكية رقم ٢٨٥ .

أوله : كالنسخة رقم ٢ .

آخره : « إما أن يكون الحائط الأوسط أقصر منهما والداخل أقصر من الخارج إلا أن أفضل هذه الوجوه الذى داخله أطول من خارجه، والأوسط أطول من الخارج وأقصر من الداخل، ولكل وجه ضرب من المنفعة سقناه فى محله، والله تعالى أعلم » .

النسخ : القرن التاسع الهجرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٥٠ق .

الأسطر : ٢٤ س .

المقياس : ١٧ × ٢٦,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود، وبها أشكال حربية ملونة .

(٤) استانبول ـ المكتبة السليمانية ـ آيا صوفيا رقم ٢٨٧٥ .

أوله : كالنسخ السابقة .

آخره : « ... فى باب دفن الخنادق » .

... ثم تلاحق بالردم بالتراب حتى يعلو التراب على الماء، ويحمل المشى فيمشى عليه بالأقدام ثم بالحبل، فيعبر عليه إلى ناحية العدو، إن شاء الله تعالى .

تم كتاب الحيل فى الحروب .

وهو ذخيرة وجدت فى خزائن الاسكندر، وملك بها جميع القلاع والأقاليم ولا غنى للملوك عن هذا الكتاب، فإنه ملك به جميع أقاليم الأرض، والله هو الموفق » .

الناسخ : محمد بن أحمد بن محمد .

الخط : نسخ ممتاز .

النسخ : يوم الخميس، ١٦ شعبان سنة ٩١١هـ .

الأوراق : ١٢٣ق .

الأسطر : ١٩س .

المقياس : ٣٠×١٨سم .

مكتوبة بالمداد الأسود والأحمر، وهى خزائنية، أعدت لخزانة الملك الأشرف أبى الخير، قانصوه الغورى .

(٥) تركيا ـ استانبول، مكتبة الطوب قابى ـ أحمد الثالث رقم ٣٤٦٩ .

أوله وآخره كما النسخ الأخرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٣٥ق .

الأسطر : ١٩س .

المقياس : الحجم المتوسط .

(٦) هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة رقم Or. ٤٩٩

أوله وآخره كالنسخ الأخرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٣٥ق .

الأسطر : ١٧س .

المقياس : الحجم المتوسط .

(فهرس مخطوطات الفلاحة / ١٥١ ـ ١٥٣) .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية . المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد . القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، جـ ٤/ ١٤، وفهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ صنعة د . محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح / ١٥١ ـ ١٥٣) .

*** الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب :**

انظر : الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب .

*** الحيل فى رفع الأشياء الثقيلة :**

انظر : رفع الأشياء الثقيلة .

*** الحيل فى الفقه (كتاب ـ) :**

من مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق فى الفقه الشافعى .

مؤلفه : محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الطبرى القزوينى الأنصارى الشافعى ... ، ٤١٤هـ .

أوله : (قال الشيخ العلامة أبـو حاتم محمود القزويني ... الحيل على ثلاثة أضرب محظور ومكروه ومباح ... إلخ » .

آخره : أصلها مـن اثنا عشر ويقول إلى سبعـة عشر نصيبا لكل واحد منهن سهم لا مزية لبعضهن على بعض) .

ناسخـه : مجهول نسخ سنـة ٨٩١هــ خطه عـادى كتب الأبواب والفصول بحبر أحمر، ورقه ثخين.

و: ١٧ .

م: ١٦×١٣

س: ٢٧ ت/ مجاميع / ١٨٠ ـ ١٨١

مصـادر الكتاب والمـؤلف : معجم المـؤلفين ١٢/ ١٥٨ وهدية العارفين ٦/ ٤٠٢ .

وذكر تاريخ وفاته سنة ٤٦٠هـ وقيل سنة ٤٤٤هـ .

(فهرس مخطوطـات مكتبة الأوقاف المركـزية فى السليمانيـة ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٢٦٣، ٢٦٤) .

*** الحيل (كتاب ـ):**

من مصنفـــات التــراث الإســـلامى فى علـم الحيل (الميكانيكا) . انظـر: الحيل (علم ـ) والكتاب من تأليف بنى موسى بن شـاكر، وجاء عنـه فى مقدمة تحقيق الكتـاب الذى نشرته جامعة حلب مايلى :

كتاب الحيل فى المراجع العربية والأجنبية :

رغم كثـرة ما ألفـه بنو موسـى فى العلوم الـرياضيـة وهيئة الأفلاك وحـركات النجـوم إلا أن أهم ما كـانوا يتميـزون به بين المؤرخين هو كتاب الحيل . ولم يرد وصف أو ذكر لبنى موسى إلا كان كتاب الحيل أبرز ما يوصفون به .

يقــول القفطى عنهم «وأشهـر مـا ينسب إليهم الكتـــاب المعروف بحيل بنى مـوسى» . ويقول ابن خلكان فى تـرجمته لمحمد بن مـوسى بن شاكر: «هـو أحد الإخوة الثلاثـة الذين ينسب إليهم حيل بنى مــوسى وهـم مشهـورون بهـا» . ونجـد نصوصا مماثلة لدى أبى الفداء واليافعى وغيرهم .

وعن كتـاب الحيل يقـول ابـن خلكـان : «ولهم فى الحيل كتاب عجيب نـادر يشتمل على كل غريبة . ولقـد وقفت عليه فـوجدتـه من أحسن الكتب وأمتعها وهـو مجلد واحـد» (ابن خلكـان ٧٩) . وفى مكـان آخـر يقـول القفطى «وكـان بنـوه الثـلاثةأبصـر النـاس بالهنـدسـة وعلم الحيل ولهم فى ذلك تواليف عجيبـة تعرف بحيل بنى موسى وهى شريفـة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس» .

وأدرج كتاب الحيل فـى فهرست ابن النديم ضمن أسماء الكتب المـؤلفة فى الحـركـات وفى تـرجمة بنى مـوسى وأدرج كذلك فى ترجمة القفطى لمـوسى بن شاكر وقد نسب كل من ابن النديم والقفطى هذا الكتاب لأحمد بن موسى . وأجمعت المصـادر على أن أحمـد كان دون أخيـه محمـد فى العلم إلا صنـاعة الحيل فإنـه بذ فيهـا سائر النـاس وفاق فيهـا القدمـاء المعروفين مثل إيرن (هيرون) وغيره . (القفطى/ ٤٤٢) .

ويقول ابن خلـدون: « . . . وقد أفـرد بعض المؤلفين فى هـذا الفن كتـابًـا فى الحيل العلميـة يتضمن من الصناعـات الغـريبـة والحيل المستطرفـة كل عجيبـة وربمـا استغلق على الفهوم لصعـوبة بـراهينه الهندسيـة وهو مـوجود بأيـدى النـاس ينسبونه إلى بنى شاكر والله تعالى أعلم» (ابن خلدون/ ٤٨٧)

أما الجـزرى وهو مهندس ألف كتـابًا مشهورًا فى صنـاعة الحيل فيقـول فى القسم الذى يتحـدث فيه عن الفـوارات «لـم أسلك فى ذلك مـذهب بنـى مـوسى رحمهم الله والفضل لهم بالسبق إلى موضوعات المعانى» .

ثم ينتقـد الجـزرى فـوارات بنى موسى التـى يعتبرهـا غيـر موثوقة إذ أنه اعتبر الفتـرة الزمنية التى تنقضى بين تغير النافورة من شكل إلى آخر بأنها غير كافية وقصيرة جدا .

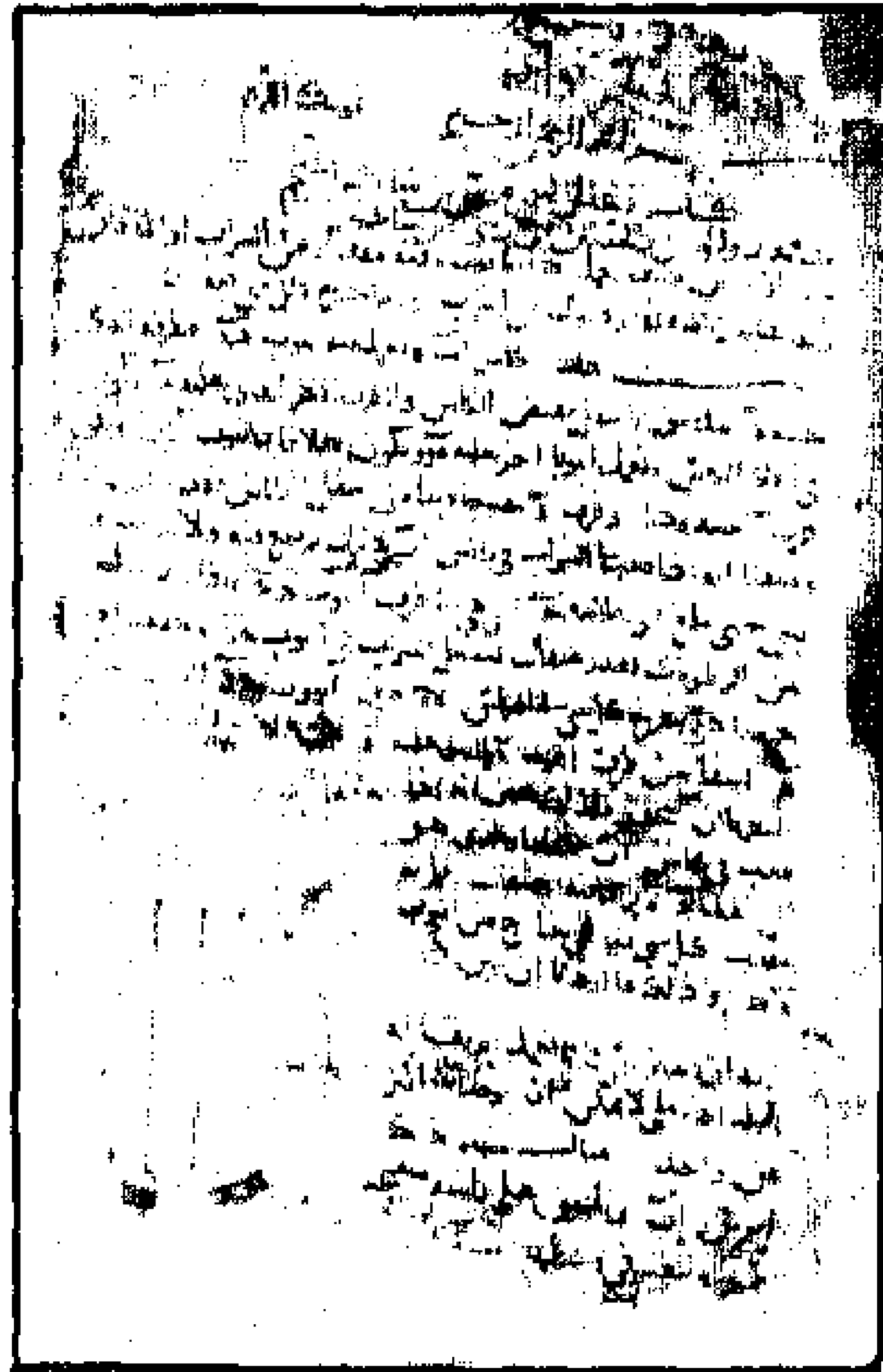
وفى العصر الحديث بدأ الاهتمام بكتاب الحيل فى الغرب منذ نهايـة القرن الماضى . ولكن الدراسـات الجادة بدأت فى مطلع هذا القرن عنـدما نشر كل من فيديمان وهـاوسر مقالات حول هـذا الكتاب . ونشـر هذان البـاحثان مشتـركين مقالات حول أوانى الشراب الكبيرة (الأشكال ٧٥ ـ٨٧)، وأوردا شرحًا لكيفيـة عمل هذه الـوسائل وأعـادا رسم الأشكال مع حـروف لاتينية . ثم نشـر هاوسر كتـابا مـوسعًا وأدرج فيه بقيـة أشكال كتاب الحيل دون أن يتقيد بالنص الحرفى لكتاب الحيل بل إنه اكتفى بشرح الجهـاز متصرفًـا فى النص . واستند هـاوسر إلى ترجمـة قام بها فيـديمان وعلى المـراجع التى قدمها فيـديمان إليه . وكان للعمل المشترك لفيديمان وهاوسر ثم للعمل الذى أصـدره هـاوسـر أهميـة كبيـرة فى تعـريف البـاحثين بكتـاب

الحيل. ويستطيع كل من يعرف الألمانية أن يفهم بصورة جيدة أشكال بني موسى. ويحتوى كتاب هاوسر على معلومات كثيرة عن المصادر العربية وعن حياة وأعمال بنى موسى مع مراجعة عن الأعمال المماثلة لكتاب الحيل عند المؤلفين العرب واليونان. ووصف هاوسر المخطوطات التى كانت معروفة لديه. ويشتمل كتاب هاوسر على شرح للأشكال (الأجهزة) مع رسوم معدلة لها وشروحات وملاحظات عديدة. ويمكن القول عمومًا بأن عمل كل من فيديمان وهاوسر من جهة وعمل هاوسر وحده من جهة أخرى يؤديان الغرض المنشود: وهو تعريف مؤرخى العلوم والمهندسين المهتمين بتاريخ مهنتهم بهذا الكتاب الهام. وهناك هنات وثغرات فيما قام به هذان الباحثان. ذلك أن المعلومات الواردة عن المراجع غير كافية فمما لا يذكران رقم الطبعة وتاريخها والمعلومات الكافية لتحديدها. كما أن الشروحات الفنية التى يقدمها هاوسر (مثل شرح المبادىء الهيدروستاتيكية والميكانيكية) لا تكفى لتقريب الموضوع الى القارىء العادى. وهناك أمر هام أثر كثيرًا على عمل فيديمان وهاوسر ذلك هو أنهما لم يكونا على علم بوجود المخطوطة طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤ وقد كان من نتيجة ذلك أنهما لم يستطيعا التمييز بين أخطاء الناسخين وبين الأخطاء الأصلية. وقد أثبتت المخطوطة أحمد الثالث ٣٤٧٤ بأن بنى موسى كانوا أكثر دقة مما توحى به المخطوطتان الأخريان.

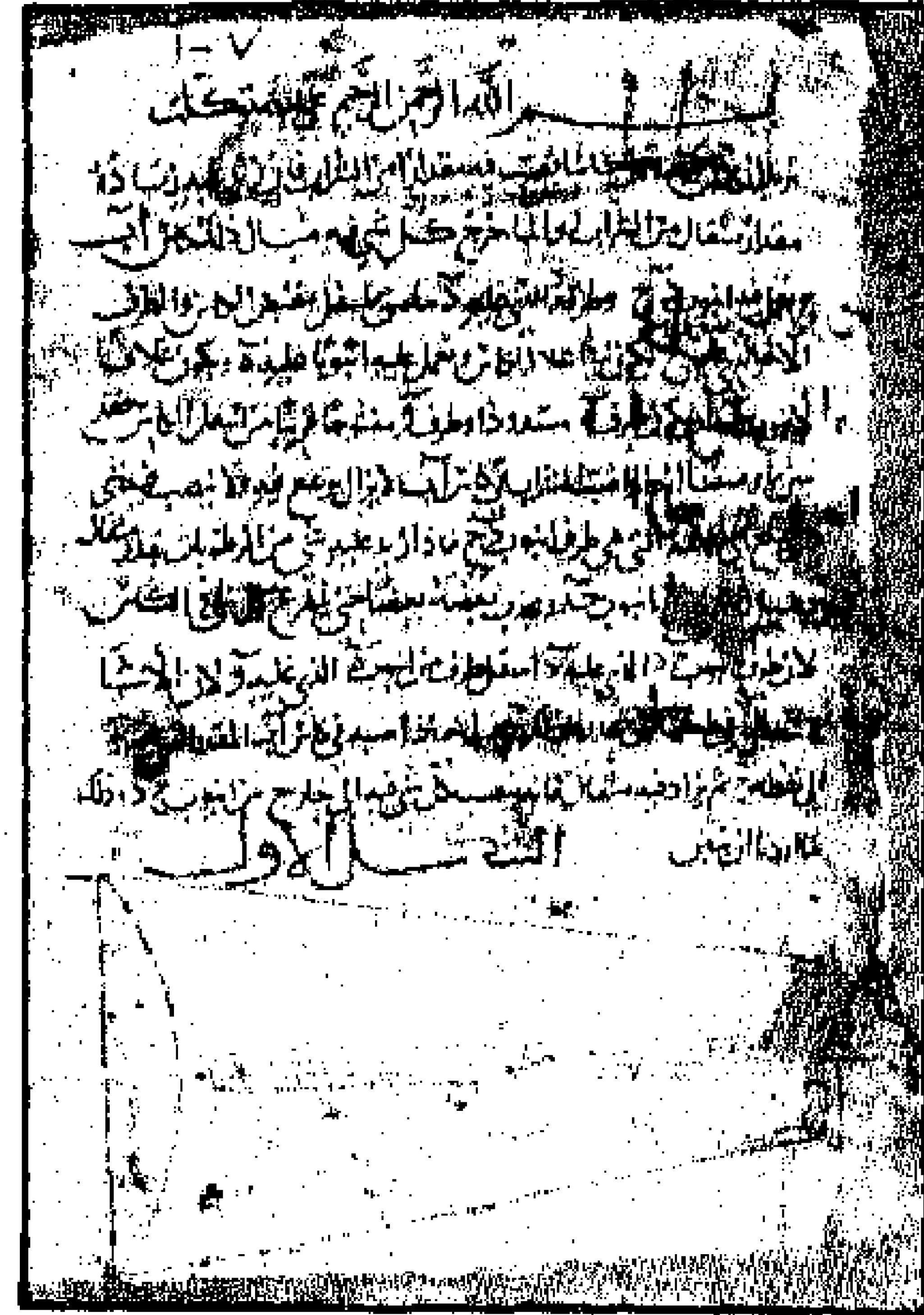
وكان العمل الأخير والهام الذى تناول كتاب الحيل لبنى موسى هو الترجمة الإنكليزية الكاملة التى صدرت عام ١٩٧٩. فلقد قام هيل بترجمة كتاب الحيل كاملا، وهو فى ذلك يكمل ما كان قد بدأ به عندما أصدر الترجمة الكاملة لكتاب الجزرى فى عام ١٩٧٤. وكان كتاب هيل هو أول كتاب يصدر مشتملا على كامل كتاب الحيل بأية لغة كانت بما فى ذلك اللغة العربية. وقد كان لاكتشاف مخطوطة أحمد الثالث أهمية كبيرة زادت من قيمة ترجمة هيل. وقد لجأ هيل إلى التصوير الفوتوغرافى الأصلى للرسم المرافق لكل شكل وإلى إعادة الرسم ثانية بصورة تخطيطية مشتملا على الرموز بالحروف اللاتينية. وفى نهاية كل شكل أورد هيل تعليقا حيثما كان ذلك التعليق ضروريا. وأضاف هيل أحيانا رسوما توضيحية فى الحالات التى تتطلب مثل هذه الرسوم. واتبع هيل أيضا أسلوبا حميدا عندما أورد فى مقدمة الكتاب فصلا شرح فيه عشرة مبادئ أساسية استخدمها بنو موسى فى تصاميمهم. وهذه المبادئ تكررت فى كثير من أشكال بنى موسى. وفى الشكل الواحد من أشكالهم قد يرد مبدأ أو مبدءان أو أكثر. وبهذه الطريقة لم تعد هناك حاجة إلى أن يكثر هيل من الشروحات أو أن يكرر هذه الشروحات ما دامت هذه المبادئ تكرر فى أكثر من شكل.

وإلى جانب ما أورده هيل عن حياة بنى موسى وأعمالهم فقد أورد فصلا فى المقدمة عن مخطوطات كتاب الحيل وأعطى فى هذا الفصل شرحا ووصفا مفصلا لكل من المخطوطات الثلاث المعروفة. كما أنه أورد فصلا عن المصادر السابقة له التى تناولت هذا الكتاب. كما أنه أورد مقارنة تاريخية لكتاب الحيل مع ماسبقه وما تلاه من أعمال مماثلة. ومما تميز به كتاب الحيل الذى أصدره هيل عن كتاب الجزرى الصادر عنه أيضا، أن كتاب الحيل يحتوى فى نهايته على معجم بالمصطلحات العربية وما يرادفها باللغة الإنكليزية كما اشتمل على قائمة بالمراجع التى استند إليها فى إصدار هذا الكتاب.

لقد أصبح كتاب الحيل لبنى موسى الآن كتابا معروفا جيدا



الشكل الاول عن المخطوطة (ف)



الشكل الاول عن المخطوطة (ب)

فى العالم الغربى بفضل كتاب هيل الأخير ولم يعد هذا الكتاب مجرد اسم أسطورى يسمع به الناس ولا يعرفون محتواه.

مخطوطات كتاب الحيل:

رغم أهمية كتاب الحيل وشهرته إلا أن المخطوطات المتبقية منه قليلة جدا. وهناك الآن فى العالم ثلاث مخطوطات رئيسية فقط من هذا الكتاب وهذه المخطوطات الرئيسية هى:

١ ـ مخطوطة طوبقابى سراى ـ أحمد الثالث ٣٤٧٤.

٢ ـ مخطوطة مكتبة الفاتيكان ـ الفاتيكان رقم ٣١٧.

٣ ـ مخطوطة موزعة بين مكتبة غوتا فى ألمانيا الديموقراطية غوتا برتش رقم ١٣٤٩ ـ آ.

وبين مكتبة برلين فى إلمانيا الغربية رقم ٥٥٦٢.

والمخطوطة الأولى (طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤) لم تكتشف إلا مؤخرا. وقد ثبت أن هذه المخطوطة هى أفضل مخطوطات كتاب الحيل على الإطلاق. وكانت المخطوطتان الفاتيكان وغوتا ـ برلين معروفتين منذ القرن الماضى. وعندما قام فيديمان وهاوسر بأبحاثهما استخدما هاتين المخطوطتين.

ونظرا لأن مخطوطة الفاتيكان كانت حتى عهد قريب هى المخطوطة الرئيسية فقد اتخذ هاوسر تسلسل أرقام الأشكال فيها أساسا فى ترجمته. وتبنى هيل هذا الرقم بشكل أساسى فى الكتاب الذى أصدره رغم أنه استخدم مخطوطة طوبقابى أساسا فى ترجمة النص إلى الإنكليزية.

١ ـ مخطوطة طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤

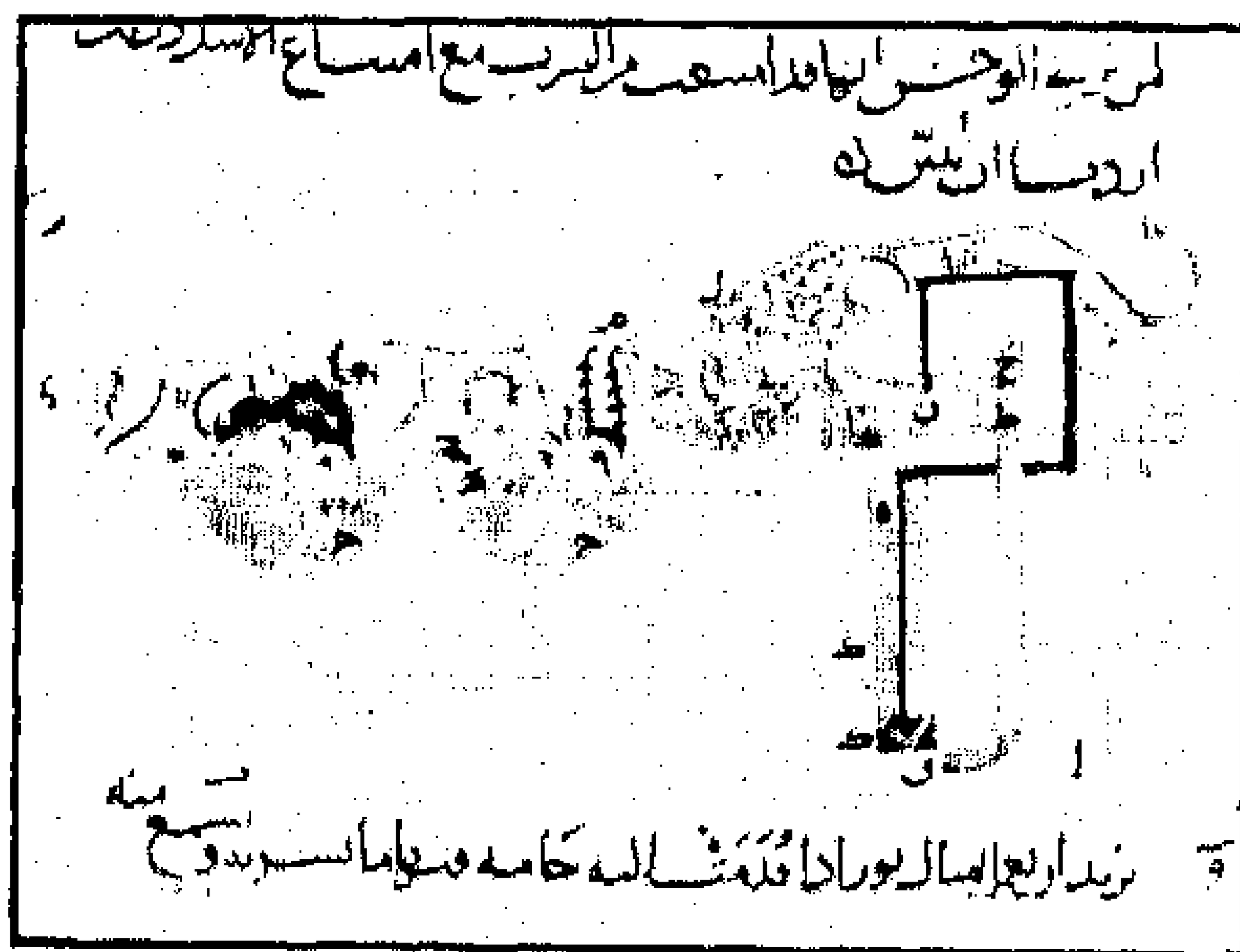
هذه أفضل مخطوطات كتاب الحيل من حيث صحة النص ودقة الرسوم. وكانت كما أسلفنا غير معروفة للمحققين إلا منذ عهد قريب.. وربما كانت مخطوطة طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤ أقدم المخطوطات الثلاث.. وهناك نقص أحيانا فى نسخة الفاتيكان نجده كاملا فى نسخة طوبقابى، كما أن العكس أيضا صحيح..

وهناك مخطوطتان جزئيتان هما:

أ ـ مخطوطة ليدن رقم أور ١٦٨ (Or. 168).

ب ـ مخطوطة نيويورك ـ مجموعة سبنسر الهندية الإيرانية رقم ٢ (كتاب الحيل / ٣١ ـ ٣٦، ٤٦)

قالت المؤلفة: توجد نسخ من هذه المخطوطات الخمس



الشكل الخامس عن المخطوطة (ط)

الرسم ٥ ــ أ
(عن المخطوطة ط)

في قسم التراث العربي بالكويت وجاء بيان كل منها في الفهرس كما يلي :

كتاب الحيل :

تصنيف بني موسى بن شاكر

وهو يبحث في صنعة الأواني والآلات التي اعتمدت الماء كمؤثر رئيسي لبدء أو إتمام حركة معينة ذاتية أو أوتوماتيكية ، وللكتاب أهمية بالغة في تطوير التقنية بما حواه من معلومات وبما رسم فيه من أشكال بلغت المائة .

النسخ الموجودة منه :

(١) استانبول، مكتبة الطوب قابي ــ أحمد الثالث ٣٤٧٤.

أوله بعد البسملة :

«كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر المنجم ، قال : محمد والحسن والحسين من بني موسى بن شاكر، الشكل الأول، نريد أن نبين كيف نعمل كأسا» .

آخره: « . . . وتنطبق عليه ، ثم تجذب السلسلة م ف حتى تخرج الآلة وتبرز فتأخذ كل شيء فيها ، وكل شيء علق فيها ، وذلك ما أردنا» .

الخط : نسخ عادي

النسخ : القرن السابع أو الثامن الهجري .

الأوراق : ٨٥ .

الأسطر: ١٨ س .

المقياس : الحجم المتوسط .

مكتوبة بالمداد الأسود ، وبها بعض الرسوم والأشكال الهندسية .

(٢) إيطاليا ــ روما ـ الفاتيكان (مكتبة الفاتيكان رقم ٣١٧) .

أوله : تتفق مع النسخ رقم «١» .

آخره : «تم الكتاب بحمد الله القدير وحسن توفيقه ، والحمد لله وحده» .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ٧٤ق .

الأسطر : ـ

المقياس : ـ

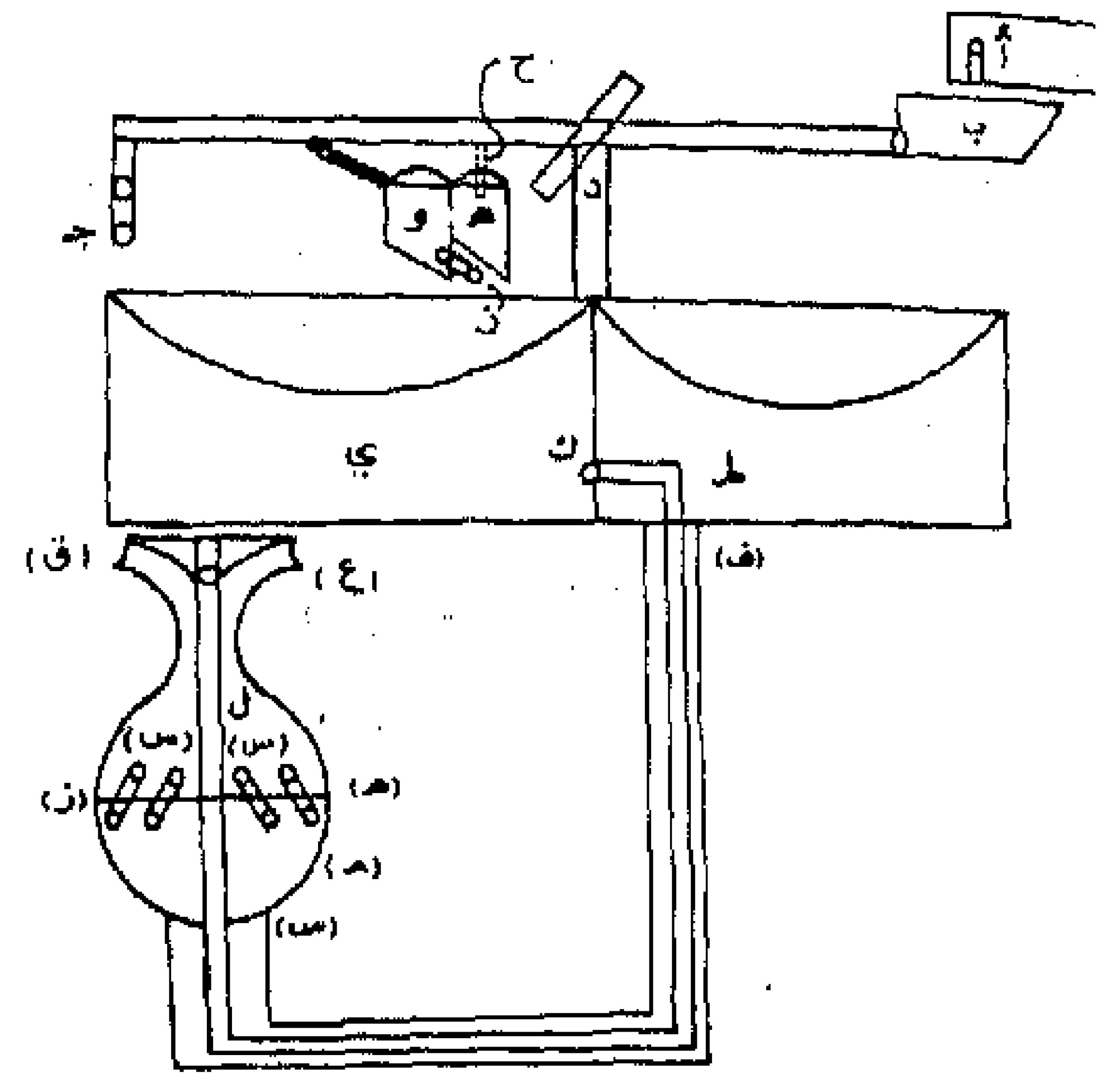
وقد سجل أحمد الحسن ناشر المخطوط الملاحظات التالية على النسخة .

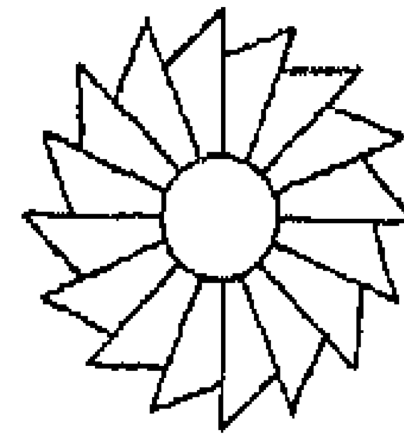
ـ الأشكال من ١ ـ ٥٥ كاملة بالتسلسل مع رسومها عدا شكل ١٣ .

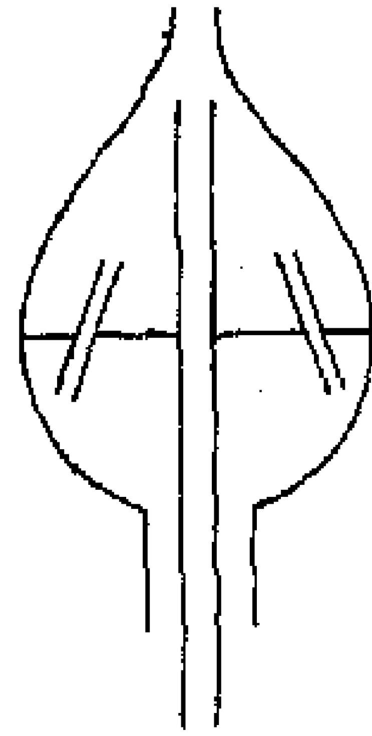
ـ الأشكال من ٥٦ ـ ٥٨ كاملة ولكنها بصورة مضطربة .

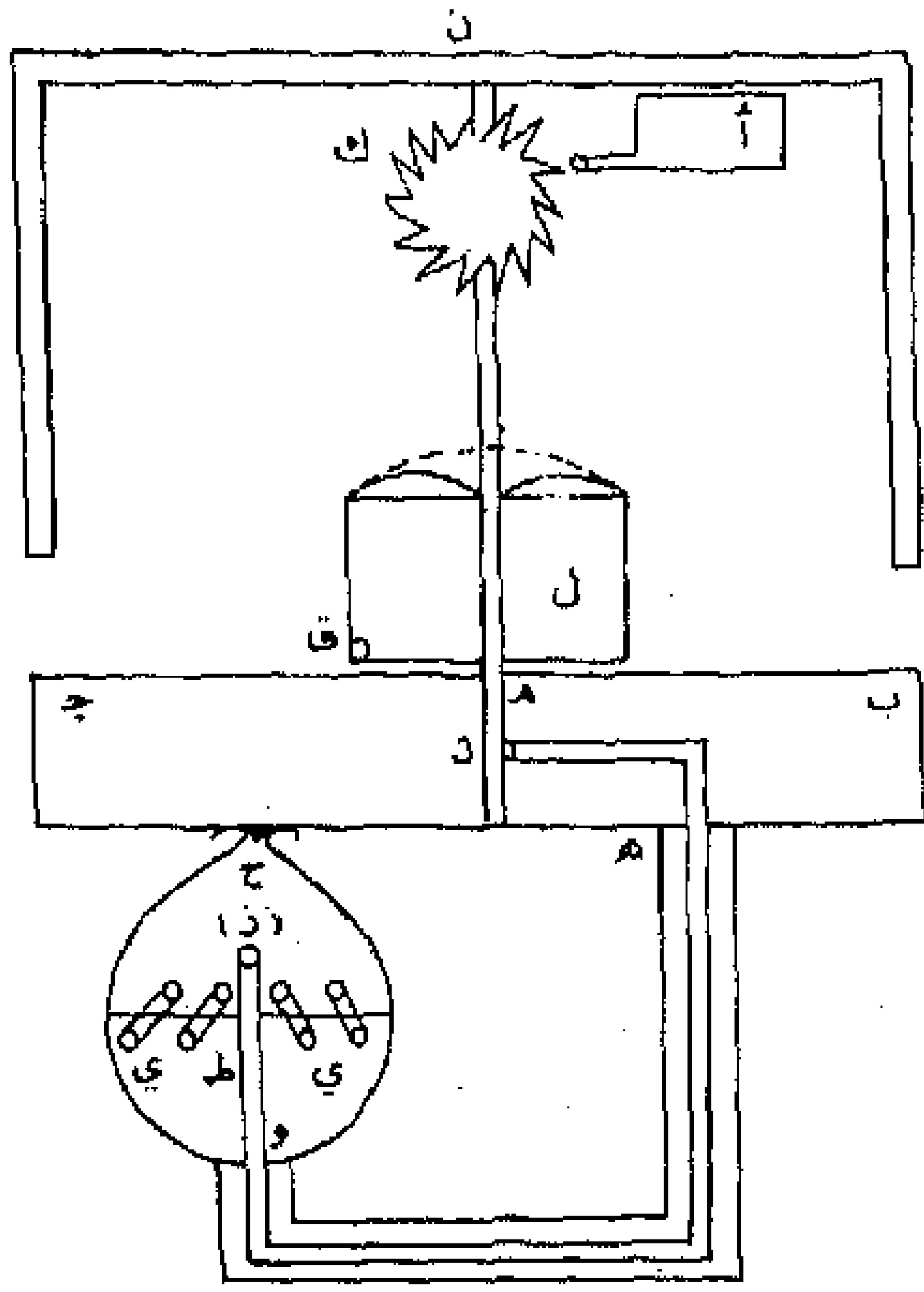
ـ الأشكال ٥٦ ـ ٩٠ كاملة .

الرسم ٨٨
(المخطوطة ط)


الرسم ٨٩
(عن المخطوطة ف مع اضافة الانبوب المنقط ح)


الرسم ٩٠ ـ ب


الرسم ـ ٩٠ جـ


الرسم ٩٠ ـ أ
(عن المخطوطة ف)

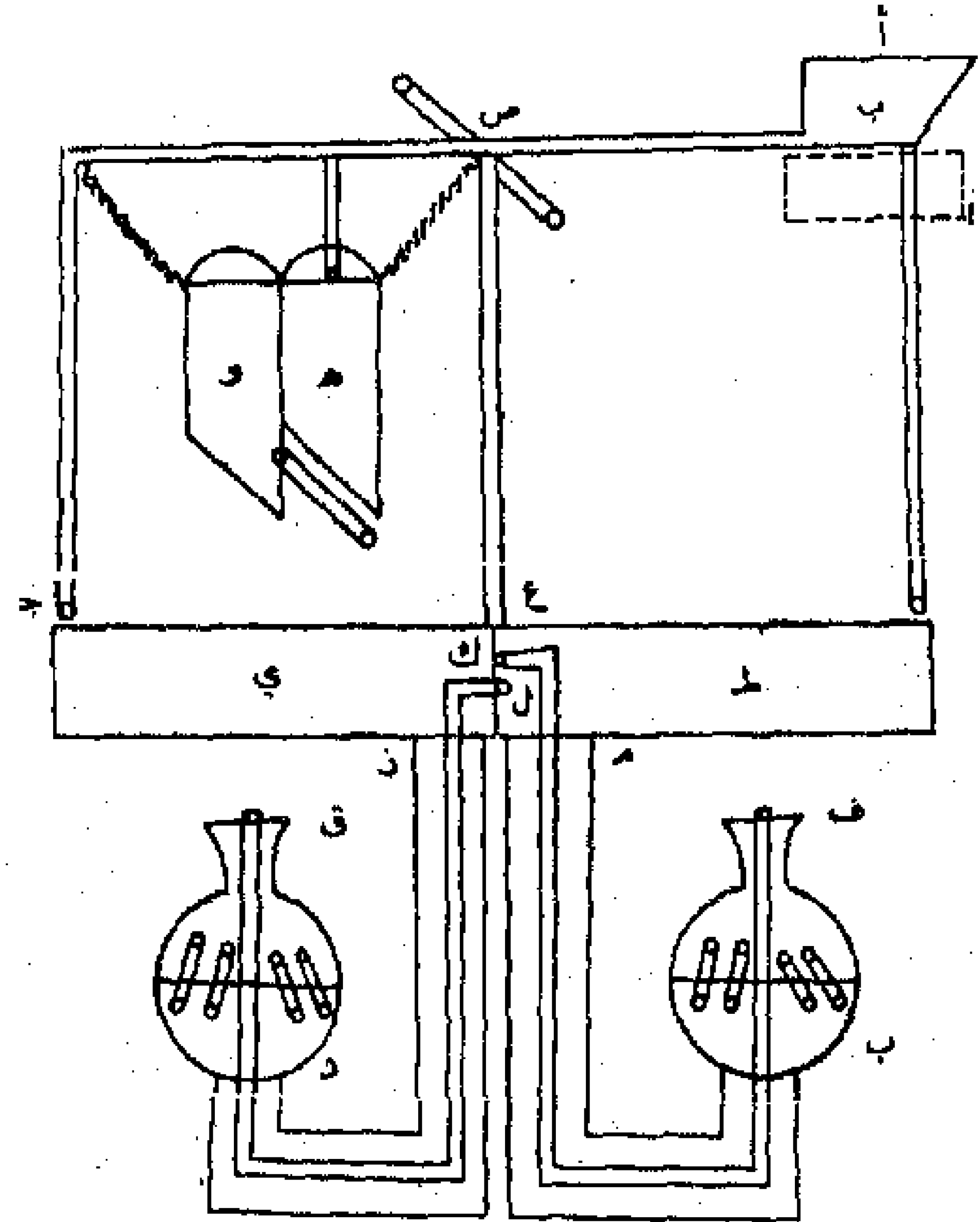
ـ الشكل ٩١ غير موجود .

ـ الشكل ٩٢ موجود منه القسم الثانى فقط .

ـ الشكل ٩٣ النص بدون الشكل .

ـ الأشكال ٩٤ ـ ١٠٠ غير موجودة .

كما يلاحظ أنه وردت العبارة التالية عند بداية الشكل ٢٣ جاء فيها «هذا الكتاب الثانى من كتاب أبى الحسن، أحمد بن موسى المنجم رحمه الله فى الحيل للعفريت أحمد بن حياة .


الرسم ٩١
(عن المخطوطة ب)

(٣) ألمانيا الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية رقم MQ ٧٣٩ـ ٥٥٦٢ .

أوله : «كتاب الحيل لبنى موسى بن شاكر المنجم، نريد أن نبين كيف نعمل كأسا نصب فيه مقدارا من الشراب» .

آخره : « . . . حتى تخرج الآلة وتبرز، فيأخذ كل شىء فيها، وكل شىء علق فيها، وذلك ما أردنا أن نبين، تم كتاب الحيل» .

الخط : نسخ كبير واضح .

النسخ : ١٥ جمادى الأولى سنة ٦٠٧ هـ .

الأوراق : ٧٥ ق .

الأسطر : ١٨ س .

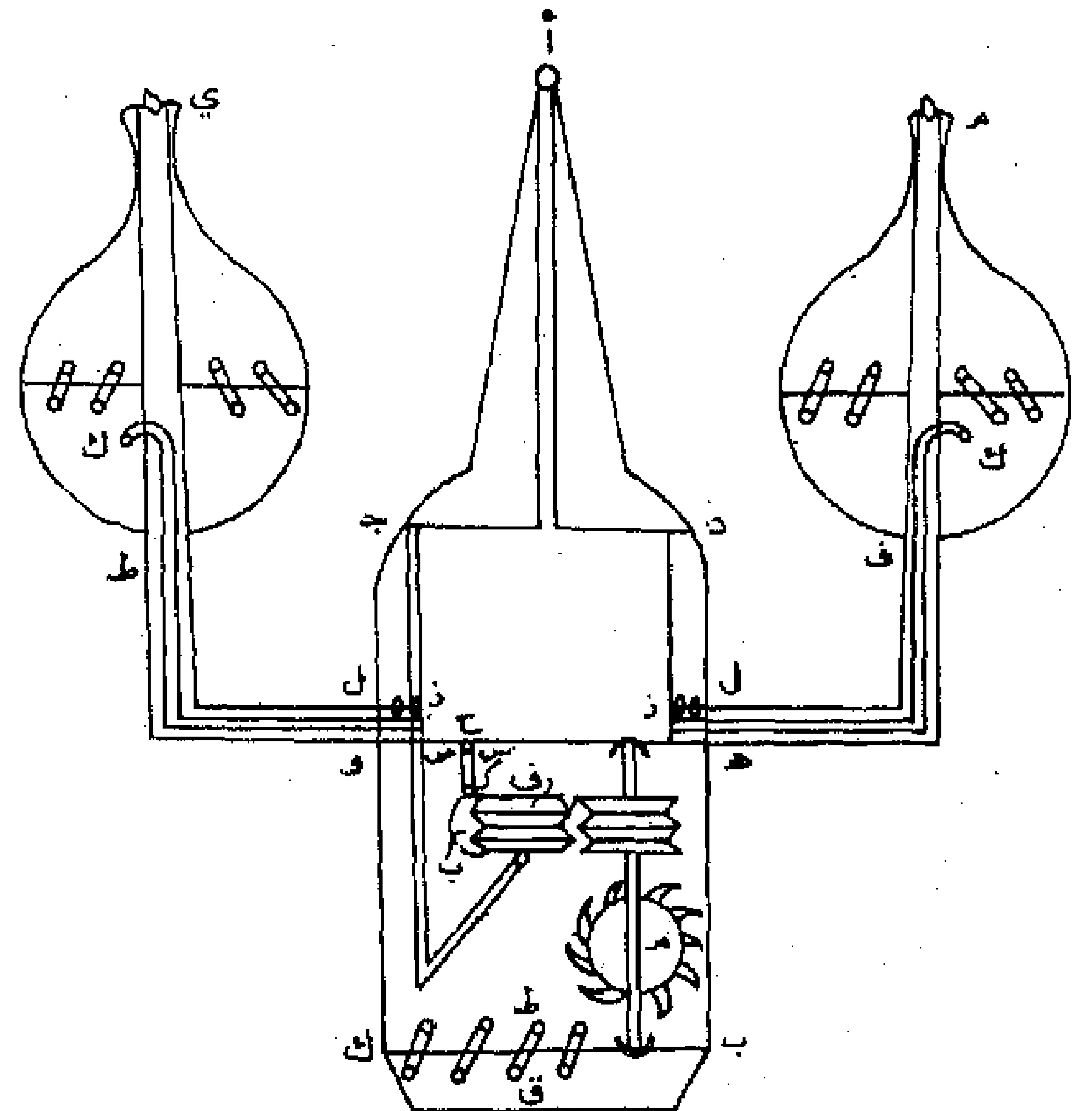
المقياس : ٢٦ × ١٨,٥ سم

مكتوبة بالمداد الأسود، والأشكال والحروف بالمداد الأحمر، وبالنسخة نقص فى الأوراق من (١ ـ ١٠) ومن (١٢ ـ ١٩)، ويبدو أن النسخة روجعت كما يظهر من الحواشى .

(٤) ألمانيا الشرقية ـ مكتبة غوطا (a) رقم ١٣٤٩ .A

منقولة عن نسخة الفاتيكان رقم ٣١٧ .

الخط : نسخ جيد .


الرسم ٩٣ ـ أ
(عن المخطوطة ب)

الناسخ: فيليب مورانى.

النسخ: ١٩٨٢ م.

الأوراق: ٧٩ ق.

وتسجل عليها الملاحظات التى سجلت على نسخة الفاتيكان.

(٥) ألمانيا الشرقية ـ مكتبة غوطا رقم ٦١٤.

لم نطلع عليها، اعتمدنا وصف أحمد الحسن لها.

عدد الأوراق: ٥٤ق.

عدد الأسطر: ١٨ س.

المقياس: الحجم المتوسط.

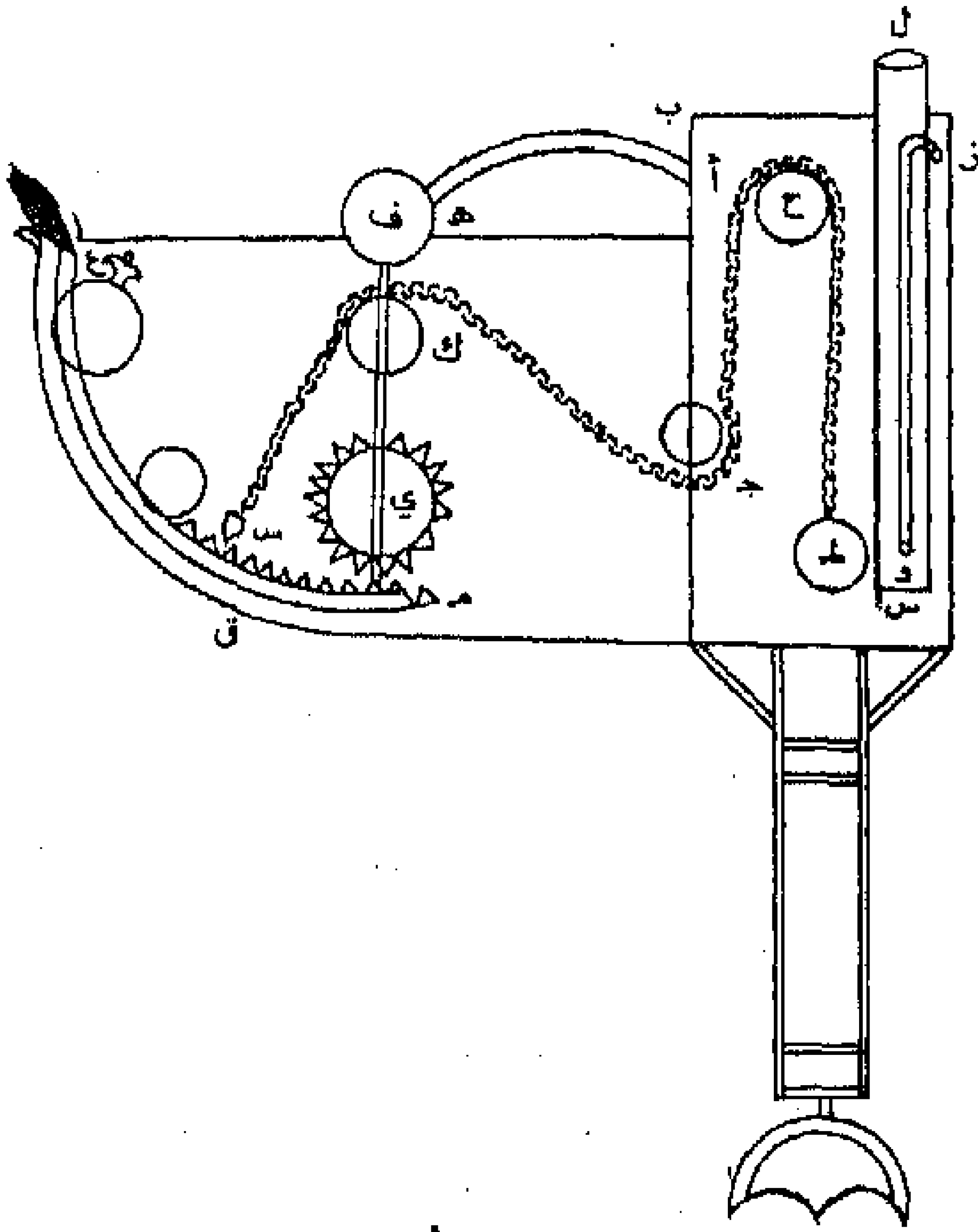
(د) هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة رقم MS. Or. ١٦٨

لم نطلع عليها واعتمدنا وصف الحسن.

عدد الأوراق: ٨٦ ق.

وتحتوى ٦ أشكال ما بين الصفحات ٧٤ ـ ٧٧، وكذا فى الورقة ٨٦.

(٧) الولايات المتحدة الأمريكية ـ نيويورك ـ المكتبة العامة
Indo Persian Spenser - Collections MS. 2.


الرسم ٩٧ ـ أ
(عن المخطوطة ب)

لم نطلع عليها، وتوفرت لدينا المعلومات التالية عنها:

فيها أشكال ما بين الأوراق ٧٥، ٩٧.

وتاريخ نسخها سنة ١٠٣٠ هـ/ ١٦٢٠ م.

(٨) تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ـ أيا صوفيا رقم ٢٧٦٢.

أوله وآخره كالنسخة رقم (١).

الناسخ: ابن الهيثم.

التاريخ: سنة ٤١٥ هـ.

ـ هناك مختصر للكتاب صنعه أبو حاتم المظفر بن إسماعيل الإسفزارى محفوظ فى مكتبة مانشستر تحت رقم (B. ٣٤٧).

هذا وقد نشر الكتاب بعناية معهد التراث العلمى العربى، أحمد يوسف الحسن بالتعاون مع محمد على خياطة ومصطفى تعمرى سنة ١٩٨١ م (فهرس مخطوطات الفلاحة / ١٤٧ ـ ١٥٠).

قالت المؤلفة: وهذه هى الطبعة التى عندى والتى نقلنا منها ما أوردناه فى هذه المادة وفيما يلى جدول بأرقام الاشكال التى أوردناها هنا ووصفها:

رقم الشكل	الوصف
٥	عمل تماثيل من الوحش يصب لها الماء فى جامات يكون فيها فلا تشرب منه ومعها تمثال أسد فإذا صب للأسد الماء فى جامه يشرب وتشرب الوحوش كلها من الماء الذى فى جاماتها فمتى انقطع شرب الأسد لا يشرب الوحش فإن شرب الأسد ثانية شربت الوحوش معه وهكذا لا يزال.
٨٨	عمل فوارة فور الماء منها كهيئة السوسنة وإن أحببنا جعلنا الماء يفور منها كهيئة الترس.
٨٩	عمل فوارة مركبة فى بعض المواضع يفور منها الماء مدة من الزمان كهيئة الترس ثم ينقطع ذلك ويفور مثل تلك المدة من الزمان كهيئة القناة ثم يعود أيضا فيفور منها الماء على مثال شكل الترس وكذلك لا تزال دهرها تتبدل.
٩٠	عمل فوارة يفور منها الماء مرة على مثال شكل السوسنة ومرة مثل القناة ويكون علمها بالريح ما دامت تهب وتعمل أيضا بجرية الماء وتبدل.
٩١	عمل فوارتين مركبتين فى رواق أو فى بعض المواضع بالقرب من بعض الأنهار لا يزال إحدى الفوارتين يفور منها الماء كهيئة الترس ويفور الأخرى كهيئة القناة. فإذا مضت ساعة ابتدلتا فخرج من فوارة الترس مثل القناة وخرج من الذى كان يخرج مثل القناة مثل الترس. فإذا مضت ساعة أخرى عاد الأمر كما كان أولا وكذلك لا يزالان يتبدلان طوال الدهر.
٩٣	عمل فوارة تخرج ساعة قضيبا وساعة ترسا وحولها فوارتان صغيرتان أو كما شئنا وتكون الفوارة الكبيرة إذا فارت ترسا فارت الفوارتان اللتان حولها قضيبا وإذا فارت الفوارة الكبيرة قضيبا فارت الفوارتان اللتان حولها ترسا وكذلك لا يزال.
٩٧	عمل سراج يخرج الفتيلة لنفسه ويصب الزيت لنفسه وكل من يراه يظن أن النار لا تأكل من الزيت ولا من الفتيلة شيئا بتة ويعرف هذا السراج بسراج الله.

(كتاب الحيل تصنيف بنى موسى بن شاكر ـ تحقيق د. أحمد يوسف الحسن، بالتعاون مع محمد على خياطة، ومصطفى تعمرى / ٣١ ـ ٣٦، ٤٦، ٧٧، ٨٧، ٨٨. وفهرس مخطوطات الفلاحة. النبات ـ المياه ـ الرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ صنعة د. محمد عيسى صالحية، وعبد الله فيلح / ١٤٧ ـ ١٥٠).

* **الحيل لاستحلال محارم الله:**

انظر: الحيل الشرعية (علم ـ)

* **الحيل الهندسية (علم ـ):**

انظر الحيل (علم ـ).

* **الحيل والأمور العجيبة فى عمل آلات الماء:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الصناعة وعلم الحيل.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

مجهول المؤلف.

ناقص الأول، ويبتدئ الموجود بقوله: نريد أن نبين كيف نعمل إبريقًا له بلبلة، إذا ملئ لا يمكن أن يتوضأ منه أكثر من واحد... إلخ.

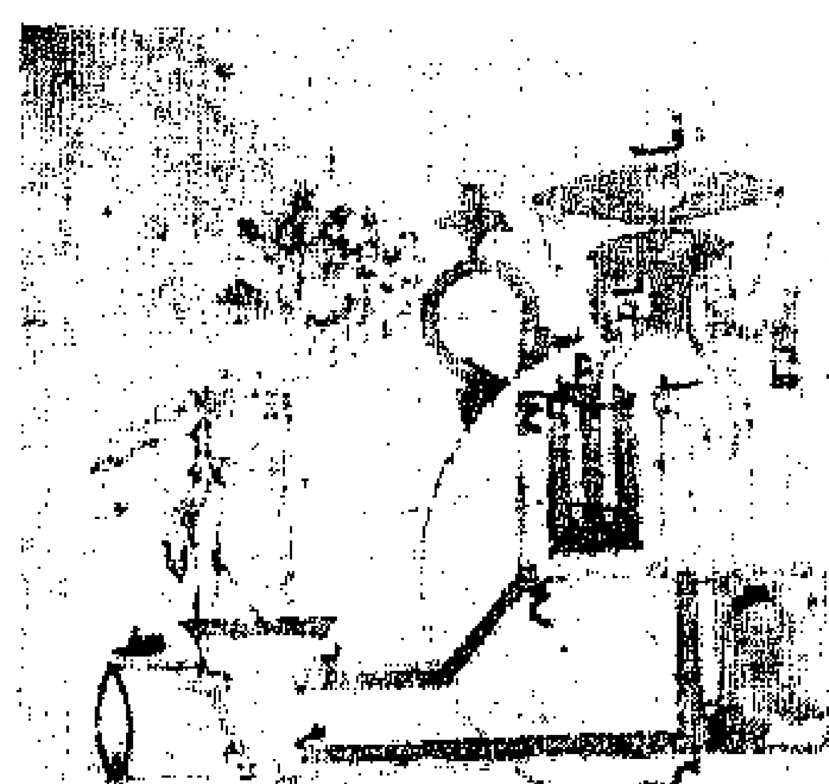
وناقص من آخره أيضا. وآخر ما فيه الكلام على عمل جرار الماء والشراب بطرق مختلفة، موضحة كلها بالشكل والرسوم الهندسية.

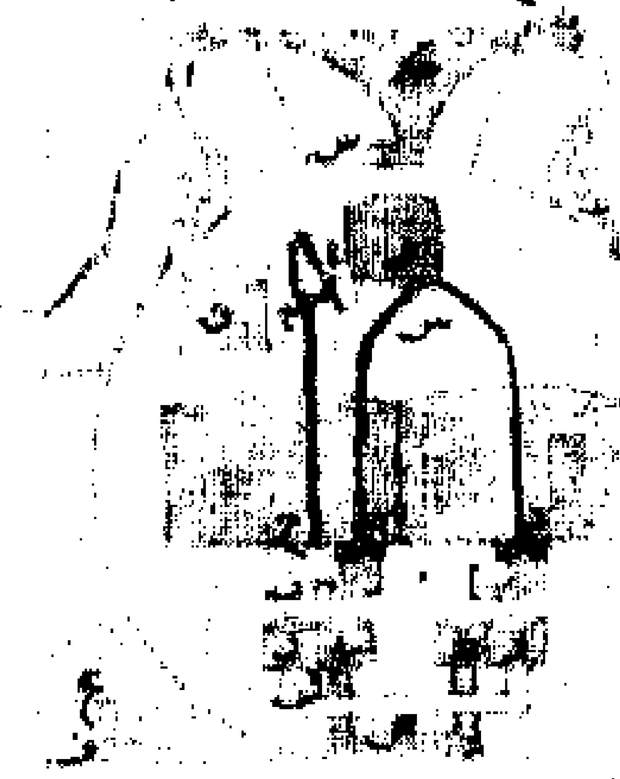
ـ نسخة كتبت فى القرن السابع أو الثامن الهجرى تقريبا بخط معتاد قديم فى ٨٥ ورقة، ومسطرتها ١٨ سطرا.

[أحمد الثالث باستانبول ـ ٣٤٧٤].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، جـ٤/ ١٧٤).

ملاحظة: صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت من الكتاب العربى المخطوط ـ جمعها وعلق عليها د. صلاح الدين المنجد. لوح ١٠٦، وفيه رقم المخطوط فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول هو ٣٤٣٤.





صورة جرتين للعمليات الكيميائية . فى كتاب « الحيل والأمور العجيبة » . لمؤلف مجهول ، من نسخة كتبت فى القرن السابع الهجرى (استامبول : أحمد الثالث ٣٤٣٤ - معهد المخطوطات)

* حيلة الواصفين :

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١١٤٧٨ .

لمحمد مهدى بن على أصغر بن نور محمد خان الهروى المتوفى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م .

الأول « الحمد لله الذى نضر مزارع قلوب الحكماء ... » .

وهو كتاب فى الأسباب والعلامات والعلاجات فرغ منه المؤلف سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م .

كتبت هذه النسخة بخط النستعليق عليها حواش وتعليقات لعلها بخط المؤلف .

القياس ٤٣٤ص ٢٦,٥×١٧,٥سم ١٧س

ذيل بروكلمان ٢/ ٨٦٤ .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٩٥) .

* الحين :

انظر يوسف الحين (مسجد -) .

* الحية :

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان . أوردها القزوينى صاحب « عجائب المخلوقات » (٦٠٥ - ٦٨٢هـ) والدميرى صاحب « حياة الحيوان الكبرى » (٧٤٢ - ٨٠٨هـ) .

قال عنها القزوينى وقد أدرجها فى الهوام والحشرات :

الحية : من أعظم الحيوانات خلقة وأشدها بأسا وأقلها عددا وأطولها عمرا . قالوا : ليس من حيوانات البر شىء أعظم من التنين ولا شىء يقتل نهشه أسرع من الحية ولهذا أمر النبى ﷺ بقتلها فى الحل والحرم ، وقال النبى ﷺ « من قتل حية فله عشر حسنات » ولما حرمت الحية آلة الهرب أعطاها الله تعالى سلاحا تدفع عن نفسها فلأجل ذلك إذا سمع الإنسان بوجودها فى بقعة هرب عنها ولا يقربها ولولا نابها لاتخذها الناس حبلا ولعبت بها الصبيان . وذكروا أن الحية تتولد من شعر الإنسان إذا وقع فى الماء وأثرت الشمس فيه وأنها يكثر اختلاف أصنافها فى الكبر والصغر والتعرض للإنسان والهرب منه ، فمنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئها واطىء ، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا وطىء حماها ، ومنها ما لا يؤذى إلا على بيضها وفرخها ، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا آذاها الناس مرة ، ومنها الأسود الذى يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة ، ومنها الحفاف وهى دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد وتقريب وهى أشر هيئة من الأفعى والثعابين وإنها لا تضر ولا تنفع والحيات تقتلها ، ومنها حية ويقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شىء مرت عليه ، وإن طار طائر فوقها يسقط عليها وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب ، وإذا

صفرت يموت من صفيرها كل حيوان سمع ذلك بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شيء من السباع يموت.

قال جالينوس: إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قبازع مثل التاج وهي قليلة الظهور للناس.

وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسلخ جلدها وكلما انسلخ يظهر على قفاها نقطة، فنقط قفاها عدد سنينها، وإذا دخل بعضها في الحجر وبقي بعضها خارجا لا يمكن جذبها إلى خارج ألبتة حتى لو شد البقر في ذنبه ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبق فيفسدها ولا يصلح منها إلا القليل، وإن لدغتها العقرب ماتت إن لم تجد ملجأ تنام عليه وإن وجدت سلمت. وقالوا: من الحيات حية إذا ضربت بعصا مات الضارب.

ومن عجائب الحية أنها إذا علمت أنها مقتولة احترزت على رأسها وانطوت أشد الانطواء على الرأس وجعلت بدنها وقاية للرأس ولا تزال تفعل ذلك حتى تصيب الضربة رأسها. وذكروا أن في تربة الأهواز حية حمراء دقيقة إذا رأت الإنسان وثبت عليه كالطير ولسعته فيموت في الحال. وذكروا أيضا أن الحية عند انتصاف النهار واشتداد الحر وامتناع الحافي من الأرض والمنتعل يغور ذنبها في الرمل وتنتصب كأنها عود مركوز أو ثابت، فإذا رأى الطائر عودا مركوزا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه.

خواص أجزائها:

نابها: يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربع تزول عنه الحمى، قال ابن سينا: يقوي القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب، وقال محمد بن زكريا: ذكر الأوائل أن المستسقي إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مئون من السنين يبرأ وقال أبقراط: لحم الحية أمان من الأمراض الصعبة: شحمها: يذاب ويطلى به البواسير مع الملح ينفعه نفعا بينا وسلخها يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفع من وجع السن وإذا أحرق في إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسود العين الزرقاء، وقد اشتهر بين الناس أن من أكل منها لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لايرمد سنتين وهكذا وإن علق على صاحبة الطلق وضعت في الحال: وجلدها يحرق ويكتحل برماده ينفع من السبل وتقاطر الماء في العين ويذهب الظلمة: وقال جالينوس: مرق الحية يقوي البصر، وبيض الحية يسحق في الهاون ويطلى به المرض يزول (عجائب المخلوقات/ ٢٩٢، ٢٩٣)

أما الدميري فيبسط الكلام عليها بطريقته المميزة التي درج عليها في كتابه كله، وإليك بعضا مما جاء به. يقول رحمه الله:

الحية اسم يطلق على الذكر والأنثى فإن أردت التمييز قلت هذا حية ذكر، وهذا حية أنثى. قاله المبرد في الكامل وإنما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس كبطة ودجاجة ... والنسبة إلى الحية حيوي والحيوت ذكر الحيات. أنشد الأصمعي:

ويأكل الحية والحيوتا

ويخنق العجوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه لها مائتي اسم ونقل السهيلي عن المسعودي أن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان فهي أكثر أرض الله حيات ولولا العربد يأكلها ويفني كثيرا منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات وقال كعب الأحبار أهبط الله تعالى الحية بأصبهان وإبليس بجدة وحواء بعرفة وآدم بجبل سرنديب وهو بأرض الصين في بحر الهندعال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه ا لصلاة والسلام مغموسة في الحجر ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام.

ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود كذا قاله القزويني قلت وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما بكسر المثناة من فوق بعدها مثناة من تحت ودال مهملة وميم وألف وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ليس يأتي يوم من الدهر إلا ويسفك عليه دم فسمي «ساتيدما» لذلك وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده فاحتال له حتى انصرف عنه فاتبعه كسرى في جنوده فأدركه بساتيدما فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال فقتلهم كسرى

قتل الكلاب ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكرى فى معجمه وذكره الجوهرى نقلا عن سيبويه كذلك أنشدوا على ذلك:

لما رأت ساتيدما استعبرت
لله در اليوم من لامها

والحية أنواع منها الرقشاء وهى التى فيها نقط سود وبيض ويقال لها الرقطاء أيضا وهى من أخبث الأفاعى قال النابغة فى وصف السليم.

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع
تبادرها الرافون من شر سمها
فتطلقه يوما ويوما تراجع
تسهد من ليل التمام سليمها
كحلى نساء فى يديه قعاقع

وقال غيره

هم أيقظوا رقط الأفاعى ونبهوا
عقارب ليل نام عنها حُواتها
وهم نقلوا عنى الذى لم أفه به
وما آفة الأخبار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعى صم وكذلك النعام قال على بن نصر الجهضمى دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر فقلت يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى:

لم أر مثل الرفق فى لينه
أخرج للعذراء من خدرها
من يستعن بالرفق فى أمره
يستخرج الحية من جحرها

فقال يا غلام الدواة والقرطاس فأتى بهما فكتبهما وأمر لى بجائزة سنية وقال أبو بكر بن أبى داود كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن على يشخصه للقضاء فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك فقال ارجع فاستخير [فاستخر] الله فرجع إلى بيته فصلى ركعتين وقال اللهم إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك ونام فنبهوه فإذا هو ميت وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين.

ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها ومنها وما هو أزب ذو شعر ومنها ذوات القرون وأرسطو ينكر ذلك قال الراجز:

وذات قرنين طعون الضرس
تنهس لو تمكنت من نهس
تدير عينا كشهاب القبس

ومنها الشجاع ومنها العربد وهى حية عظيمة تأكل الحيات كما تقدم ومنها الأصلة وهو عظيم جدا له وجه كوجه الإنسان ويقال إنه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين ومن خاصية هذا أن يقتل بالنظر ومنها الصل وتسمى المكللة لأنها مكللة الرأس وقيل الصل الأول وهذه المكللة وهى شديدة الفساد تحرق كل ما مرت عليه ولا ينبت حول جحرها شىء من الزرع أصلا وإذا حاذى مسكنها طائر سقط ولا يمر حيوان بقربها إلا هلك وتقتل بصفيرها على غلوة سهم ومن وقع عليه بصرها ولو من بُعد مات ومن نهشته مات فى الحال وضربها فارس برمحه فمات هو وفرسه وهى كثيرة ببلاد الترك ومنها ذو الطفيتين والأبتر وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال اقتلوهما فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبالى قال الزهرى ونرى ذلك من سمها. ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسان مات الإنسان من ساعته ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان صوته مات.

ومن أسماء الحية العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والاين والأرقم والأصلة والجان والثعبان والشجاع والأزب والأفعى والإفعوان وهو الذكر من الأفاعى كما تقدم والأرقش والأرقط والصل وذو الطفيتين والعربد قال ابن الأثير ويقال للحية أبو البخترى وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصى وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهى الشديدة الشر قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه:

إذا تخازرت وما بى من خزر
ثم كسرت الطرف من غير حور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر
أحمل ما حملت من خير وشر
كالحية الصماء فى أصل الشجر

والصمة الـذكر من الحيات وجمعه صمم وبـه سمي والد دريد بن الصمة وزعم أهل الكلام في طبائع الحيوان أن الحية تعيش ألف سنة وهي في كل سنة تسلخ جلدها وتبيض ثلاثين بيضة على عـدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل فيفسـد غالب بيضها ولا يصلح منه إلا القليل وإن لدغها العقرب ماتت ومن أنواعهـا الحربـش . وقد تقدم ذكـره وشرهـا الأفاعـي وسكنها الرمال وبيض الحيات مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط وفي بيضه نمش ولمع والسبب في اختلاف ذلك لا يعرف وداخلـه شيء كالصديد وهـو في جوفها منضـد طولا على خط واحـد وليس للحيات سفـاد يعرف وإنمـا هو التـواء بعضها على بعض ولسانها مشقـوق فيظن بعض الناس أن لها لسانين وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيئا له عظم أتت شجرة أو نحوها فتلتوي عليهـا التواء شديدا حتى يتكسر ذلك في جوفهـا ومن عادتهـا أنها إذا نهشت انقلبت فيتـوهم بعض الناس انهـا فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كـذلك ومن شأنها أنها إذا لم تجد طعاما عاشت بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهـد من الجوع فـلا تأكل إلا لحم الشيء الحي وهي إذا كبرت صغر جسمها واقتنعت بالنسيم ولم تشته الطعام ومن غريـب أمرهـا أنها لا تريد الماء ولا تـرده إلا أنها تضبط نفسها عن الشـرب إذا شمته لمـا في طبعهـا من الشوق إليـه فهي إذا وجـدت شـربت منـه حتى تسكـر وربمـا كـان السكـر سبب هلاكها .

والذكر لا يقيم بموضع واحد وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب ثم تخـرج هي سائرة فإن وجـدت حجرا انسـابت فيه وعينهـا لا تدور في رأسهـا بل كأنهـا مسمـار مضروب في رأسهـا وكـذلك عين الجـراد وإذا قلعت عادت وكذلك نـابه إذا قلع عاد بعد ثلاثـة أيام وكذلك ذنبها إذا قطع نبت . ومن عجيب أمرها أنها تهـرب من الرجل العريان وتفرح بالنـار وتطلبها وتتعجب من أمرها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا ضربت بسـوط مسه عرق الخيل ماتت وتذبح فتبقى أيامـا لا تموت وقد تقدم أنهـا إذا عميت أو خرجت من تحت الأرض لاتبصـر طلبت الـرازيـانج الأخضـر فتحك بـه بصـرها فتبصـر فسبحـان من قـدر فهدى قـدر عليهـا العمى وهداها إلى مايزيله عنها .

وليس شيء في الأرض مثل الحيـة إلا وجسم الحية أقـوى منها ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخـراجها منه وربما تقطعت ولا تخـرج وليس لها قوائم ولا أظفار تتشبث بها وإنما قـوى ظهرها هذه القوة لكثرة أضلاعهـا فإن لها ثلاثين ضلعـا وإذا مشت مشت على بطنها فتتدافـع أجزاؤها وتسعـى بذلك الدفـع الشديد والحيـات في أصل الطبع مائية وتعيش في البحر بعد إن كانت برية وفي البر بعد إن كانت بحرية قال الجاحظ الحيات ثلاثة أنواع نوع منها لا ينفع للسعتـه تـريـاق ولا غيـره كـالثعبـان والأفعى والحيـة الهندية ، ونـوع منها ينفع في لسعته الدرياق وما كـان سواهما مما يقتـل فإنما يقل بـواسطة الفـزع كما حكى أن شخصـا نام تحت شجرة فتدلت عليه حية فعضت رأسه فانتبه محمر الوجه وحك رأسه وتلفت فلم يـر أحدا فلم يـرتب بشيء ووضع رأسه ونام فلما كان بعد ذلك بمدة قال له بعض من رآها هل علمت مم كان انتباهك تحت الشجرة قـال لا والله ما علمت قال أنما كـان من حيـة تدلت عليك فعضـت رأسك فلما قمت فـزعـا تقلصت ففزع فزعة فاضت فيها نفسه قال فهم يزعمون أن الفزع هـو الذي هيج السـم وفتح مسام البـدن حتى مشى السم فيـه انتهى .

فائدة . . في النصـائح لابن ظفر أن خالد بن الـوليد رضي الله تعالى عنه لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم نزل بالنجف وأرسل إليهم أن ابعثوا إلى رجلا من عقلائكم فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان ابن نفيلة الغسـاني وكان من المعمـرين عمر أكثـر من ثلثمائة وخمسين سنـة فقاولـه المقـاولة المشهـورة وكـان في يد عبـد المسيح قارورة يقلبها فقـال له خالد ما الـذي في هذه القارورة قال سم ساعـة قال ما تصنع به قال إن وجدت عنـدك ما أحبه لقومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلتـه وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسي به ولم أرجع إلى قـومي بما يسوؤهم فقال خـالد رضي الله عنه هاتها فناوله القارورة فأفرغها خالد في راحته وقال بسم الله الـرحمن الـرحيم بسم الله وبـالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الـذي لا يضر مع اسمـه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثم شربـه ويقال إنه شرب عليه

مـاء فضـرب بـذقنه علـى صدره وغشيـه عـرق ثم سرى عنـه فانصـرف عبد المسيح إلى قـومه وكانـوا نصارى نسطـورية إلا أنهم عرب فقـال لهم جئتكم من عنـد رجل شرب سم سـاعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا فهؤلاء قـوم مصنـوع لهم وسيكـون لهم شـأن عظيم فصـالحـوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى ...

وفي الإحياء من كتاب آداب السفر يستحب لمن أراد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حيـة أو عقرب أو شـوكـة واستدل لـه بحـديث أبي أمامـة البـاهلي رضي الله عنـه وفي فتـاوى الإمام النـووي إذا اصطـاد الحاوي حية وحبسها معه على عادتهم فلسعته فمات هل يأثم فأجاب إن صادها ليرغب الناس في اعتماد معرفته وهو صادق في صنعتـه ويسلم منهـا في ظنه ولسعتـه فمـات لم يأثم وإن انفلتت وأتلفت شيئا لم يضمن . وروى الإمام أحمد في الزهد أن حاويا معه حيات في خُرْج نزل بقوم من أهل اليمن فخرج بالليل بعض الحيات فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته فكتب بذلك عامل اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال لا شيء عليـه لكن مره إذا نـزل بقوم أن يخبـرهم بما معـه وفي كتـاب الأربعين على مذهب المحققين مـن الصوفيـة للإمـام الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبـراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني بإسناده الى عمـران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال أخـذ النبي ﷺ بعمامتـي من ورائي وقال يـا عمران إن الله يحب الإنفاق ويبغـض الإقتار فأنفق وأطعم ولا تعسـر فيعسر عليك الطلب واعلم أن الله يحب البصيـر النـاقـد عنـد هجم الشبهات والعقل الكـامل عند نزول البليات ويحب السمـاحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية .

الأمثال : قالوا فلان أسمع من حية وأعدى من حية وهو من العدو لأنها تسرع إلى جحرها إذا راعها شيء . روى البخاري ومسلم عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنه أن النبـي ﷺ قـال «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» وفي صحيح مسلم عن ابن عمـرو رضي الله تعالى عنهمـا أن النبي ﷺ قال : «بدأ الإسـلام غريبا وسيعود غريبا كمـا بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها» أي مسجدي مكة والمدينة ومعنى يأرز ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض ومعناه أن المؤمن إنما يسوقه إلى المـدينة إيمانه ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل إن يكون المراد بـذلك عصمة المدينة من الدجال والفتـن فيكون الإسلام فيها موقـرا ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سُنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت ، ويحتمل أن يكون المـراد بذلك أن الديـن يؤخذ من علمـائها وأئمتها وكـذلك كان وسيأتي إن شاء الله تعـالى في باب الميم في لفظ المطية حـديث الترمذي أن النبي ﷺ قـال «يوشك أن يضرب النـاس آباط المطي في طلب العلم فلا يجدون عـالما أعلم من عـالم المدينة» وقـالوا أبغض من ريـح السذاب إلى الحيات وقـالوا الحية من الحييـة أي الأمر الكبيـر من الصغير وربما قالوا الحيوت من الحية وهذا كقولهم العصا من العصية وقد جاء معنى المثلين في كتاب الله تعالى قال الله تعالى ﴿**ولا يلد إلا فاجرا كفارا**﴾ كذا ذكره ابن الجوزي وغيره .

التعبير : الحية في المنـام تعبر بأشياء كثيرة فيـه عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة فمن نازع حية وهي تريد أن تنهسه فإنه ينازع عـدوا له لقولـه تعالى ﴿**اهبطـوا بعضكم لبعض عـدو**﴾ [البقرة : ٣٦] و [الأعراف ٢٤] فإن رأى أنه أخذ حية ولم يخف منها وصرفها حيث يشاء فإنه ينال دولة ونصرة لأن موسى عليه الصلاة والسـلام نال بها النصـرة على فرعـون ومن رأى أن حية خـرجت من فمه وكـان مريضـا فإنه يمـوت لأنها حيـاته وقـد خرجت من فمـه ومن رأى حيات تمشي في خـلال الشجر أو الزرع فإنها سيـول لأنهم شبهوا جريان الماء بـالحيات هذا إذا كان جريها بلا نفخ ولا إحـراق شيء ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته ومن رأى امرأته حاملا ووضعت حية أتاه ولد عاق ومن رأى حية ميتة فإنـه عدو قد كفاه الله شـره ومن عضته حيه فورم مـوضع العضة نـال مالا لأن السم مـال والورم زيـادة فيه ومن أكل لحم حيـة مطبـوخـا نال مـال عـدوه ، ومن أكلـه نيأ اغتاب عـدوه ، ومن رأى حية نـزلت من مكان فإن ذلـك موت رئيس ذلك المكـان ، ومن رأى حيـة ابتلعته فإنه ينال سلطـانا ، ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه فإنه يأمن أعداءه وإن كان مسجونا خرج من سجنه ورؤية الحيات الكثيرة في الطرق وهي تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان ، ومن رأى كأن الحيات قـد فقدن من مكان فإن الوبـاء والموت يكثـر في ذلك المكان لأن الحيـات هي الحيـاة ومن رأى كأن

حية تكلمه فإنه ينال سرورا ومن رأى كأنه ملك حية ملساء وصرفها حيث شاء فإنه ينال غنى وسعادة والسود من الحيات اعداء لهم قوة فمن ملك حية سوداء نال ملكا وولاية، والبيض أعداء ضعاف والثعبان يدل على العداوة فى الأهل والأزواج والأولاد وربما كان جارا شريرا حسودا والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة والأصلة تدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل، والشجاع يدل على امرأة باذلة أو ولد جسور والأفاعى تدل على أقوام أغنياء لكثرة سمها والناشر على الهم أو على رجل محارب غيور. وحيات البيوت خسران وحيات البوادى قطاع الطريق وحيات الماء مال فمن شد وسطه بحية منها فإنه شده بهميان وحيات البطن أعداء من الأهل والأقارب فمن رمى حية فإنه يفارق شخصا من أقاربه خبيثا كان يواكله والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢، ٢٥٧ـ ٢٥٩).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٩٢، ٢٩٣، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٤٩ ـ ٢٥٢، ٢٥٧ـ ٢٥٩)

*** الحية (حجر ـ):**

من أنواع الحجارة التى عددها القزوينى فى عجائبه فقال عنه:

حجر الحية: يقال له بالفارسية مهرة حار فى حجم بندقة صغيرة توجد على رأس الحياة بعضها لا كلها. وخاصيته أن العضو الملدوغ يجعل فى اللبن أو فى الماء الحار وهذا الحجر يلقى فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم، وقال ابن سينا: إنه ينفع من نهش الحية تعليقا. وقال جالينوس: أخبرنى بذلك رجل صدوق.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٤٤)

*** الحيوان:**

جاء فى اللسان: الحيوان اسم يقع على كل شئ حى، وسمى الله عز وجل الآخرة حيوانا فقال: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ [العنكبوت: ٦٤]. قال قتادة هى الحياة ... وكل ذى روح حيوان، والجمع والواحد فيه سواء ...

ابن سيده: والحيوان أيضا جنس الحى، وأصله حييان، فقلبت الياء التى هى لام الكلمة واوًا، استكراها لتوالى الياءين لتختلف الحركات. هذا مذهب الخليل وسيبويه. وذهب أبو عثمان إلى أن الحيوان غير مُبْدل الواو، وأن الواو فيه أصل، وإن لم يكن منه فعل ... قال أبو على: هذا غير مرضى من أبى عثمان من قبل أنه لا يمتنع أن يكون فى الكلام مصدر عينه واو وفاؤه ولامه صحيحان، مثل فَوْظ وَصْوغ وقَوْل ومَوْت وأشباه ذلك، فأما أن يوجد فى الكلام كلمة عينها ياء ولامها واو فلا، فحمله الحيوان على فوظ خطأ لأنه شبه ما لا يوجد فى الكلام بما هو موجود مطرد. قال أبو على: وكأنهم استجازوا قلب الياء واوا لغير علة، وإن كانت الواو أثقل من الياء ليكون ذلك عوضا للواو من كثرة دخول الياء وغلبتها عليها (اللسان ١٢ / ١٠٧٧، ١٠٧٨).

وقال التهانوى:

الحيوان بثلاث فتحات متواليات فى الأصل مصدر حيى والقياس حييان قلبت الياء الثانية واوا ثم سمى ما فيه حياة حيوانا كذا فى الكشاف، وعرف بأنه جسم نام حساس متحرك بالإرادة فالجسم جنس والنامى فصل يخرج الأجسام الغير النامية كالحجر ونحوه من المعادن، والحساس يخرج الجسم النامى الذى لا حس له كالشجرة ونحوه من النبات والمتحرك بالإرادة مساوٍ للحساس فلا بد أن يكون أحدهما ذاتيا والآخر عرضيا لامتناع التركب من أمور متساوية. ولما لم يعلم أن أيهما ذاتى ذكرا معا هكذا ذكر المولوى عبد الحكيم فى حاشية شرح المواقف فى مقصد تقسيم أجزاء الماهية. وعرف أيضا بأنه مركب تام متحقق الحس والإرادة وقيد التحقق دفعا لما قيل من أن للنخلة إحساسا وعرف أيضا بأنه ما يختص بالنفس الحيوانية. وما سوى الإنسان من الحيوانات يسمى بالحيوان الأعجم وفى بعض الحواشى المعلقة على شرح الملخص من أن الحيوان ما له تنفس نسيمى، ومنه ماله بدل التنفس النسيمى تنشق مائى فهو يقبل الماء ثم يسرده ولا يعيش بدون ذلك كالحيتان، ومنه ما لا تنفس له ولا استنشاق من الحلازين (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٤٠١).

وفى فصل مستفيض عن أنواع الكائنات يقول القزوينى عن الحيوان:

أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهى باقية

على الجمادية لقربها من البسائط، والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشو والنمو وفوات الحس والحركة، والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة في جميع أفراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض، وأما الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوانات متعرضة للآفات المفسدة بها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافى فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه، فإذا هو بلا يد ولا رجل. وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه يكفيه في جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك إلى الغذاء، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشي إليها فمات جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف، ولكان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقي في مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق، ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه.

فمنها ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس.

ومنها ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور.

ومنها ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفد والشاهين والسلحفاة.

ومنها ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام، ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه، لا زائدا ولا ناقصا، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة.

روى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق في الأرض ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة منها في البر» وقال بعض المفسرين: من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾** [النحل: ٨] فليوقد نارا في وسط حلقة بالليل ثم لينظر ما يغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا منها في العالم» على أن الذى يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾** [المدثر: ٣١] فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا إله إلا هو سبحانه.

ثم يذكر القزوينى بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها فيقسمها إلى سبع أنواع: النوع الأول يشمل حقيقة الإنسان، والنفس الناطقة، وتولد الإنسان، وتشريح أعضاء الإنسان، والقوى، وخواص الإنسان وفوائد أجزائه.

وأما النوع الثانى من الحيوان فيشمل الكلام عن الجن (إبليس أو الشيطان والمتشيطنة).

وأما النوع الثالث من الحيوان فهو الدواب، والنوع الرابع يشمل النعم، والنوع الخامس هو السباع وهنا يذكر القزوينى أفراد عائلة السباع مرتبة على حروف المعجم.

أما النوع السادس من الحيوان فيشمل الطير، كما أن النوع السابع يشمل الهوام والحشرات التى يذكر القزوينى بعضها مرتبا على حروف المعجم (عجائب المخلوقات / ١٩٩، ٢٠٠، ومخلص ص ٢٠٠ـ٣٠٦).

ثم يعقد القزوينى خاتمة يحصى فيها حيوانات عجيبة الأشكال، وحيوانات مركبة، وحيوانات عجيبة الصور فارجع إليها إن شئت في ص ٣٠٦ـ٣٠٨.

وعن الحيوان يقول أيضا الشيخ كمال الدين الدميرى:

(الحيوان) جنس الحي والحيوان الحياة والحيوان ماء في الجنة قاله ابن سيده والحيوان نهر في السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم فيغمس فيه ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبدا ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذى روى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ

قال «عـالم واحد أشد على الشيطـان من ألف عابد» وحـديثه هذا فى كتابى الترمذى وابن ماجه . وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ [العنكبوت : ٦٤] أى ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حيى وقيـاسه حييان فقلبوا الياء الثانية واوا كمـا قالوا حياة فى اسم رجل وبه سمى مـا فيه حياة حيوانا وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهو ما فى بناء فعـلان من الحركـات ومعنى الاضطراب كالنـزوان وما أشبه ذلك والحيـاة حركة كمـا أن الموت سكـون فمجيئه على ذلك مبالغة فى معنى الحياة . وقـال ابن عطية الحيوان والحياة بمعنى واحد وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه والمعنى لا موت فيهـا قاله مجـاهد وهـو حسن ويقال الأصل حييـان بياءين فأبـدلت إحداهمـا واوا لاجتماع المثلين وقـال الجاحظ : الحيـوان على أربعة أقسـام شىء يمشى وشئ يطير وشئ يعـوم وشىء ينســاح فى الأرض إلا أن كل شىء يطيـر يمشى وليس كل شئ يمشى يطير فأما النـوع الذى يمشى فهو على ثـلاثة أقسـام : ناس ، وبهـائم ، وسبـاع والطير كلـه سبع وبهيمة وهمج والخشـاش ما لطف جرمه وصغـر جسمه وكان عديم السلاح . والهمج ليس من الطيور ولكنـه يطير وهو فيما يطير كـالحشرات فما يمشى والسبع من الطيـر ما أكل اللحم خالصا والبهيمـة ما أكل الحب خالصا والمشتـرك كالعصفور فإنه ليس بذى مخلب ولا منسـر ، وهو يلتقط الحب ومع ذلك يصيد النمل ويصيـد الجراد ويأكل اللحم ولا يزق فراخـه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعـة وأشباه العصافير من المشترك كثيرة وليس كل ما طار بجناحيـن من الطير فقد يطير الجعلان والذباب والـزنابير والجراد والنمل والفـراش والبعوض والأرضة والنحل وغيـر ذلك ولا تسمى طيورا وكـذلك المـلائكة تطيـر ولها أجنحة وليست من الطير وكذلك جعفر بن أبى طالب ذو جناحين يطير بهما فى الجنة وليس من الطير انتهى .

وفى الصحيحين وغيـرهما عن عبد الله بـن عمر رضى الله تعـالى عنهما أن النبى ﷺ قـال «لعن الله من مثَّل بالحيـوان» وفى روايـة لعن الله من اتخذ شيئـا فيه الـروح غرضا وفـى رواية نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم قـال العلماء تصبير البهائم هو أن تحبس وهى أحيـاء لتقتل بالرمى ونحوه وهـو معنى قوله «لا تتخذوا شيئا فيـه الروح غرضا» أى يرمى إليـه كالغرض من الجلود وغيـرها وهذا النهى للتحريم لأن النبى ﷺ لعن فـاعله ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفســه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى .

(تتمة) فى كتاب التنوير فى إسقاط التدبير قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندرى وإنما خص الله تعالى الحيوان بـالافتقار إلى التغـذية دون غيـره من الموجـودات لأنه تعـالى وهـب للحيـوان من صفاتـه مـا لو تـركـه من غيـر فاقـة لادعى الربـوبية أو ادعى فيـه ذلك فأراد الحق سبحانـه وهو الحكيم الخبيـر أن يحوجـه إلى مأكل ومشرب وملبس وغيـر ذلك من أسباب الحاجـة ليكون تكرار أسباب الحاجة منـه سببا لخمود الدعوى منه أو فيه .

(الحكم) يصح السَّلَم فى الحيـوان لأنـه يثبت فى الذمـة ثمنا وصـداقا وفى إبل الديـة وصح أن النبى ﷺ استسلف بكرا ومنع أبـو حنيفة رضى الله عنـه ذلك لأن ابن مسعـود رضى الله عنه كرهـه ولأنه لا ينضبط بالصفة لنـا ماروى أبو داود والحكم على شـرط مسلم عن عبد الله بـن عمرو بن العـاص رضى الله عنهما أنه قال «أمرنى رسول الله ﷺ أن اشترى بعيرا ببعيرين إلى أجل» وروى البيهقى عن على رضى الله عنـه أنه باع جمـلا له يدعى عصفورا بعشرين بعيـرا إلى أجل واشترى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة رواه مالك فى الموطأ وهـو فى البخارى بغير إسناد والربـذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحـل من المدينة وأما الحديث الـذى رواه الحسن عن سمـرة رضى الله عنـه أن النبى ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيـوان فرواه أبو داود والترمـذى وابن ماجه وقـال التـرمذى أنـه حسن صحيح وسمـاع الحسن من سمـرة الحسن هكذا قـال على بن المدينى وغيـره . والعمل على كل هـذا عند أكثـر أهل العلم من الصحـابـة وغيـرهم فى منع بيع الحيوان بالحيـوان نسيئة وهو قول سفيان الثـورى وأهل الكوفة وبـه قـال أحمد وقـد رخص بعض أهل العلم من الصحـابـة وغيـرهم فى بيع الحيوان بـالحيـوان نسيئة وهـو قول الشـافعى وإسحاق وقال الخطابى النهى فى حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين فيكـون من باب الكالىء بالكالئ بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور وقال مالك إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة وإن

تشابهت لم يجز وقال فى الإحياء تُكرة التجارة فى الحيوان لأن المشترى يكره قضـاء الله فيه وهو الموت الـذى هو بصدده لا محالة وقيل بعْ الحيوان واشتـر الموتان ويضمن سائر الحيوان إذا أتلف بالقيمة لما فى الصحيحين عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال« من أعتق شركًا له فى عبد فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد قوِّم عليه وأعطى شركـاءه حصصهم وعتق عليه العبد وإلا فقد عتق منه ما عتق فأوجب القيمة فى العبد بالإتلاف بالعتق ولأن إيجـاب مثلـه من جهـة الخلقـة لا يمكن لاختـلاف الجنس الواحد فى القيمة فكانت القيمـة أقرب إلى إيفاء حقه وتضمن أعضاء الحيـوان بما نقص من قيمتـه . وأوجب أبو حنيفـة فى عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفحل أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقى وأوجب مالك رحمه الله فى قطع ذنب حمار ذى الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين .

الخـواص : الخصى من الحيوان أبـرد من فحله وإذا كـان سمينا كان لـذيذا مرطبا ملينا للطبيعة بطىء الانحـدار وما كان مهزولا فبـالضد إلا أنـه سريع الانحـدار وأجوده حـولى المعز ومنفعته سرعة الانهضام ومضرته أنه يرخى المعدة ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة وهو يولد دمًا معتدلا يوافق أصحاب الأمزجة المعتـدلة من الشبان ومن الأزمان زمـان الربيع ويجب أن يُعلم أن أفضل لحـوم الحيـوان مـا كان معتـدلا فى الهـزال والسمن وأجـود اللحوم لحم الضأن المتنـاهى الشباب والبقـر التى لم تبلغ سن الشبـاب والخصى من المعـز وأجـوده على الإطلاق الضأن .

التعبير: من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له وأن لم يفهم مـا قالـه فليحذر علـى مال يـذهب منه لأن الحيـوان مأكله وقـد تكون هـذه الرؤيا بـاطلة فـلا ينبغى أن يفتش عنها وجلـود سائر الحيـوان ميراث وقيل الجلـود بيوت لمن ملكهـا لقوله تعالى ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتـا﴾ [النحل : ٨٠]، وربما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقـاقم والفنـد والنمس والثعلـب والأرنب والفهـد للجلـوس وأشباه ذلك على النعمة الطـائلة والأموال والأرزاق وعلو الشأن لمن لبسها فى المنام أو رآها عنده أو ملكها .

وإذا رأى الإنسان كأنَّ جلده سلخ وكان مريضا فإنه يموت وإلا افتقـر وافتضح وربمـا دلت الجلـود على مـا يعمل منهـا فجلود الإبل تدل على الطبول ، وجلـود الضأن على الكتابة ، والمعز على النطوع . وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيول وجلود الخيل والبغال والحمير علـى الأوعية والأسقية ، وجلود الجاموس على الحصون وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والمـلابس وأموال موروثـة وغير مـوروثة أو مغتصبـة . وأما القـرون فتـدل رؤيتها على الأعـوام والسنين أو السلاح أو مـا يتجمل به من الأمـوال والأولاد والعز والجاه .

وأما أنياب الفيل وعظمه فإن ذلك دال على تركة من هلك من الملـوك والزعماء ، وأمـا أظلاف الحيـوان فإنها تـدل على الكد والسعى والاجتمـاع بين المرأة وزوجهـا والوالدة وولـدها والظلف فى الصورة هاء مشقوقة .

وأمـا الأخفاف فقـوة سفر وربمـا دل الخف فى استدارتـه على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة .

وأمـا الأذناب فإنهـا دالـة على مـادل الحيوان عليـه ومن يساعده فى مصالحه ويذب عنه مايخشاه .

وأما أصوات الحيـوان فنذكرها هنا مفصلة فأمـا ثغاء الشاة فلطافة من امرأة وصديق أو بر من رجل كريم وأما ثغاء الجدى والكبش والحمل فسرور وخصب وأما صهيل الفرس فهو هيبة من رجل شريف أو جنـدى شجاع ، وأما نهيق الحمـار فسفه من رجل سفيـه ، وأما سحيج البغل فصعوبـة من رجل صعب المرام وأما خوار العجل والثور والبقر فوقوع فى فتنة ، وأما رغاء الإبل فسفر طويل فى حج أو تجارة رابحـة أو جهاد ، وأما زئير الأسد فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم وأما ضغاء الهرة فشهرة من خادم لص أو فاجر وأما نهيز الفأرة فضرب من رجل نقـاب أو فاسق أو سـرقة ، وأمـا بغام الظبى ففائدة من امـرأة حسنـاء ، وأمـا عـواء الكلب فخجل من سعى فى الظلم وأمـا عواء الـذئب فجور من لص غشوم ، وأما صيـاح الثعلب فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة وأما وعوعة ابن آوى فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين وأما صياح الخنزير فظفر بأعداء حمقى . وأما صوت الفهد فتهدد من رجل مذبذب طامع وظفر به من سمعه . وأما نقيق الضفـدع فدخول فى عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان وقيل إنه كلام قبيح وأما فحيح الحية فكلام

من عدو كاتم للعداوة ثم يظفر بـه من سمعه ومن كلَّمته الحية بكلام لطيف فإنه عدو يخضع له ويتعجب الناس لذلك (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١)

وذكر الثعالبى ضروب الحيوان فى فصل من الباب السابع عشر من كتابه «فقه اللغـة» فقال: «فصل فى تفصيل أجناسها وأوصافها وجمل منها عن الأئمة».

الأنام ما ظهر على الأرض من جميع الخلق.

الثقلان: الجن والإنس. الجن حى من الجن. البشر: بنو آدم.

الدواب: يقع على كل ماشى على الأرض عامة وعلى الخيل والبغال والحمير خاصة.

النَّعَم: أكثر ما يقع على الإبل.

الكراع: يقع على الخيل.

العوامل: يقع على الثيران.

الماشية: تقع على البقر.

الضائنة والماعزة الجوارح تقع على ذوات الصيد من السباع والطير.

الضوارى: تقع على ما عُلِّم منها.

الكحل: يقع على العجم من البهائم والطيور (فقة اللغة / ٩٠).

ومن توجيهات الإسلام بالرفق بالحيوان.

«عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما رجل يمشى، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منهـا، ثم خرج فإذا هـو بكلب يلهث، يأكل الثـرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملأ خفه، ثم أمسك بفيـه، ثم رقى فسقـى الكلب، فشكر الله لـه، فغفـر له، قالوا: يا رسول الله: وإن لنا فى البهائم أجرا؟ قال: فى كل كبد رطبـة أجر». (أخرجـه البخارى) التربية الإسلامية / ١٠٧)كبد رطبة: البهائم التى لا ضرر فيها

قالت المؤلفة: حديث «فى كل كبد رطبة أجر» أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير من رواية البيهقى فى شعب الإيمان عن سراقة بن مالك بلفظ «فى الكبد الحارة أجر» وقال عنه: حديث صيح. (الجامع الصغير ٢ / ٨٢).

والمسلم يعتبر أغلب الحيوانات خلقا محترما فيرحمها لرحمة الله تعالى لها ويلتزم نحوها بالآداب التالية:

١ ـ إطعامها وسقيها إذا جاعت وعطشت لقول الرسول عليه أزكى السـلام: «وفى كل ذات كبد أجـر» (انظر لفظ الحـديث كمـا أوردنـاه آنفـا). وقـولـه: «مـن لا يَـرحم لا يُـرحم» متفق عليه. وقوله: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم فى السماء».

٢ ـ رحمتها والإشفاق عليها لقول الرسول الكريم لما رآهم قد اتخذوا حيوانا ـ طيرا ـ غرضا (هدفا) يرمونه بسهامهم: «لعن الله من اتخذ شيئـا فيه روح غـرضـا» (متفق عليـه). ولنهيه ﷺ عن صبر البهائم أى حبسهـا للقتل ولقوله: «من فجع هـذه بولدها؟ ردوا عليهـا ولدها إليها» قاله لمـا رأى الحمرة ـ طائر ـ تحوم تطلب أفراخها التى أخذها الصحابة من عشها (أبو داود بإسناد صحيح).

٣ ـ إراحتهـا عند ذبحها أو قتلها لقـوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسـان على كـل شيء فإذا قتلتم فـأحسنـوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الـذبح، وليرح أحدكم ذبيحته وليحـد شفرته» (رواه مسلم).

٤ ـ عـدم تعـذيبهـا بأى مـن أنـواع العـذاب سـواء كـان بتجويعهـا، أو ضربها أو بتحميلهـا ما لا تطليق، أو بـالمثلة بها، أو حرقها بالنار وذلك لقول الرسول ﷺ:

«دخلت امـرأة النار فى هرة حبستهـا حتى ماتت فـدخلت فيها النـار فلا هى أطعمتها وسقتهـا إذ حبستها ولا هى تـركتها تأكل من خشاش الأرض» (البخارى).

وقد مر عليه الصلاة والسلام بقرية نمل ـ موضع نمل ـ وقد أحرقت فقال. «إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار» (أبو داود، صحيح) ـ يعنى الله عز وجل.

٥ ـ إباحـة قتل المـؤذى منهـا كالكلـب العقور والـذئب والحية والعقـرب والفأر وما إلى هـذا لقول الرسـول عليه أزكى السلام:

«خمس فواسق تقتلن فى الحل والحـرم: «الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقـور والحـديا» (مسلم). كمـا صح عنه كذلك قتل العقرب ولعنها.

٦ ــ جواز وسم النعم فى آذانها للمصلحة، إذ رؤى ﷺ يسم بيده الشريفة إبل الصدقة.

أما غير النعم وهى الإبل والغنم والبقر من سائر الحيوان فلا يجوز وسمه لقوله ﷺ وقد رأى حمارا موسوما فى وجهه:

«لعن الله من وسم هذا فى وجهه» (مسلم)

٧ ـ معرفة حق الله فيها بأداء زكاتها إذا كانت مما يزكى.

٨ ـ عدم التشاغل بها عن طاعة الله أو اللهو بها عن ذكره لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُلْهِكُم أموالُكُم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾. [المنافقون: ٩] (منهاج المسلم/ ١٢٠، ١٢١).

٩ ـ تجنيبها الأطعمة الفاسدة الرديئة التى تؤذيها فتمرض فتؤذى بلحومها، وتتضاءل منافعها وقد مر نبينا ﷺ ببعير لصق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة» (أخرجه أو داود) (التربية الإسلامية/ ١١٠).

وقد سخر الله تعالى للإنسان مجموعة من الحيوانات رحمة به وتسهيلا لقيامه بدوره فى الحياة، فمنها ما يقوم بتسهيل الاتصال، ومنها ما يحمل الأثقال، ومنها ما يشارك فى الحروب، وفى الصيد، وفى الفروسية، وينفع بعضها فى التغذية الصحية الضرورية، ويترجم بعضها ـ بجماله وجاذبيته ــ عظمة الخالق ـ وقد أجملت الآيات الكريمة أهم هذه المنافع فى قوله تعالى: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشِقِّ الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم﴾** [النحل: ٥ ـ ٧].

وإذا تأملنا بعض الحيوانات؛ فإننا نكتشف حكما وأسرارا، ونستمد عظات وعبرا ومن ذلك استشعار عظمة الله وجلاله من خلق الإبل، قال تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾** [الغاشية: ١٧] واستخلاص فضيلة السعى إلى الرزق، وبناء الأعشاش والحنين إلى الأوطان من الطير. قال تعالى: **﴿ألم يروا إلى الطير مُسخَّراتٍ فى جوِّ السماء ما يمسكهُنَّ إلا الله﴾** [النحل: ٧٩] (التربية الإسلامية/ ١٠٩).

وثمة سائل يسأل: هل يحاسب الحيوان يوم القيامة، ومنه من له قسط معقول من الذكاء؟ ويجيب عن السؤال فضيلة الشيخ محمود شلتوت الإمام الأكبر الأسبق فيقول رحمه الله:

اتفقت الرسالات السماوية على أن بعث الإنسان يوم القيامة حق، وأن محاسبته على أعماله فى الدنيا حق، ولا خلاف فيه لأحد من المؤمنين. أما بعث الحيوانات من البهائم والطيور ومحاسبتها على ما ارتكبت فى دنياها، فقد ذهب إليه جماعة من العلماء قرروا بعثها من قبورها يوم القيامة كالإنسان، وقرروا سؤالها عما فعلت كالإنسان، واستندوا فى بعثها إلى مثل قوله تعالى فى سورة التكوير: **﴿واذا الوحوش حشرت﴾** [التكوير: ٥] وقوله تعالى فى سورة الأنعام: **﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتٰب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون﴾** [الأنعام: ٣٨] ويستندون فى محاسبتها إلى ما فهموه من قوله ﷺ «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء» الجماء التى لا قرن لها تدفع به عن نفسها اعتداء ذات القرن عليها. ويقول هؤلاء، إن الله بعد أن يحقق هذه العدالة العامة فى خلقه على هذا النحو، يقول لها: موتى فتموت، وليس لها جنة ولا نار.

المحاسبة والمسئولية للإنسان المكلف:

وترى طائفة أخرى ذات نظر أعمق أن البحث خاص بالإنسان المكلف، وأن المحاسبة والمسئولية خاصان به، والآخرة دار جزاء، ولا محاسبة إلا حيث التكليف ولا تكليف لغير الثقلين: الإنس والجن. وإذن فلا محاسبة للحيوانات ولا بعث.

أما قوله تعالى: **﴿وإذا الوحوش حشرت﴾** فالحشر فيها ليس هو حشر الآخرة وإنما هو جمعها لاستيلاء الرعب عليها وقت الاضطراب العام وانحلال النواميس الكونية، وقد ذكر هذا الحشر فى حوادث الاضطراب التى تحدث قبل البعث بديل ماقبلها. **﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت﴾** [التكوير: ١ ـ ٤]. وما جاء بعدها **﴿وإذا البحار سجرت﴾** [التكوير: ٦] وكل هذه من حوادث الاضطراب العام الذى يقع قبل يوم القيامة.

أما البعث فقد ذكر بعد ذلك كله بقوله تعالى فى السورة نفسها **﴿وإذا النفوس زوجت * وإذ الموءودة سئلت * بأى**

ذنب قتلت﴾ إلى قوله ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ [التكوير: ٧ـ١٤].

أما الحشر فى آية الأنعام، فهو يرجع إلى المكذبين لرسالة الرسول المذكورين قبل الآية وبعدها، أو أن معناه: الهلاك والموت، وهو عام لكل المخلوقات، ومن ذلك قول العرب فى السنة المجدبة «حشرت الناس، يريدون: أهلكتهم».

هذا وقد قال الإمام الألوسى فى تفسيره: وليس فى الباب «يريد مسألة بعث الحيوانات» نص من كتاب أو سنة يعول عليه، يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطير ثم قال «ومن القريب جدا أن يكون الحديث الذى ذكروه كناية عن تمام العدل بدليل ما جاء فى بعض الروايات من الاقتصاص من الحجر إذا وقع على الحجر».

ذكاء بعض الحيوانات لا إرادة معه:

هذا ما قاله العلماء فى هذه المسألة ونحن مع أرباب الرأى الثانى، وهو أنه لا بعث ولا محاسبة إلا على من ثبت تكليفه لا لمن لا يفهم الشرائع والخطاب بخاصة نفسه وطبيعته. كيف وقد خلقها الله مسخرة للإنسان فيما تنفعه من أكل وحمل وحرث وسائر ما يحتاج منها؟. أما ما يرى من ذكاء بعض الحيوانات، فهو ذكاء لا إرادة معه ولا يعدو نواحى خاصة لا تتصل بفهم الخطاب ولا مقتضيات التكليف الإلهى. (الفتاوى/ ٣٥، ٣٦).

(لسان العرب لابن منظور ١٢/ ١٠٧٧، ١٠٧٨، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٤٠١، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٩٩، ٢٠٠ وملخص ٢٠٠ ــ ٣٠٦، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٢٥٩ـ٢٦١، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى/ ٩٠، والتربية الإسلامية. المملكة المغربية. وزارة التربية الوطنية. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. الطبعة الثانية ١٩٩٣/ ١٠٧، ١٠٩، ١١١، والجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ٢/ ٨٢، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى/ ١٢٠، ١٢١، والفتاوى للإمام الإكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق، الشيخ محمود شلتوت/ ٣٥، ٣٦.

*** الحيوان (علم-):**

يقول صاحب مفتاح السعادة:

هو علم باحث عن أحوال خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها.

وموضوعه جنس الحيوان البرى والبحرى والماشى والزاحف والطائر وغير ذلك.

والغرض منه التداوى والانتفاع بالحيوانات، والاجتناب عن مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها. مثلا فى غرب الأندلس حيوان لو أكل الإنسان أعلاه أعطى بالخاصية علم النجوم، وإذا أكل وسطه أعطى علم النبات، وإذا أكل عجزه وهو ما يلى ذنبه أعطى علم المياه المغيبة فى الأرض فيعرف إذا أتى أرضا لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها.

وقد صنف فيها كمال الدين الدميرى تصنيفا حسنا مطولا ومختصرا. وقد عرفته. ورأيت مختصرا مسمى «بخواص الحيوان» وهو كاف فى هذا الباب، إلا أنى لم أعرف مصنفه اهـ (مفتاح السعادة ١/ ٣٠٨).

ويقول صاحب كشف الظنون بالإضافة إلى ما سبق: وفيه كتب قديمة وإسلامية منها كتاب الحيوان لديموقراتيس ذكر فيه طبائعه ومنافعه، وكتاب الحيوان لأرسطاطاليس تسع عشرة، مقالة نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى؛ وقد يوجد سريانيا نُقلا قديما أجود من العربى، ولأرسطو أيضا كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق وما فيه من المنافع والمضار.

وكتاب الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وهو كبير أوله: جنبك الله تعالى الشبهة وعصمك من الحيرة... إلخ. قال الصفدى: ومن وقف على كتابه هذا وغالب تصانيفه ورأى فيها الاستطرادات التى استطردها والانتقالات التى ينتقل إليها والجهالات التى يعترض بها فى غضون كلامه بأدنى ملابسة عَلِمَ ما يلزم الأديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف. أقول: ما ذكره الصفدى من إسناد الجهالات إليه صحيح واقع فيما يرجع إلى الأمور الطبيعية، فإن الجاحظ من شيوخ الفصاحة والبلاغة، لا من أهل هذا الفن ومختصر «حيوان» الجاحظ لأبى القاسم هبة الله ابن القاضى الرشيد جعفر المتوفى سنة ثمان وستمائة، واختصره الموفق البغدادى أيضا، وكتاب الحيوان لابن أبى الأشعث، ومختصره للموفق المذكور أيضا (كشف الظنون ١/ ٦٩٥، ٦٩٦، وأبجد العلوم حـ ٢ ق ١/ ٣١١، ٣١٢).

يقول الدكتور عبد الحليم منتصر:

وقد عرض ابن سينا فى أحد أجزاء كتابه الشفاء لدراسة

الحيوان فأورد نمـاذج رائعة لوصف أنواع مختلفة من الحيوان والطيور يقول من الحيـوانات المائية لجية وشطيـة ومنها طينية وصخرية والحيوانات المـائية منهـا ذات ملاصق كأصنـاف الأصـداف ومنهـا متبـرئة أى متحـررة الأجسـاد مثل السمك والضفادع والملاصقة منها ما تزال تلصق ولا تبرح مثل أصناف من صـدف الإسفنج، وتكلم عن العظـام والغضـاريف والشرايين والأوردة والأغشية والـريـاضيات والحركة الإرادية والطبيعية وأسهب فى التشـريح المقـارن بين الحيـوانات المختلفة والطيـور والأسماك ثـم الأجهزة العضلية والهضمية والـدورية والتناسلية والتنفسية وأن جـولاته فى وصف أنـواع الحيوان من طير وأسمـاك وزواحف وثدييات وبرمائيات لمما يذكر له بالتقدير ولا شك أن ابن سينا قد مارس التشريح سواء فى ذلك تشريح جسم الإنسـان أو مختلف أنواع الحيوان وإلا لما استطاع أن يصف بـدقـة تنتزع التقـدير والإعجاب هـذه الأجهزة المختلفة، بل يذكر تفاصيل لا تكاد نعرفها فى الوقت الحاضر إلا باستعمال العدسـات والمجاهر فهو يتحدث عن الألياف الطولية فى جدار الأمعاء لتجـرى الحركة الـدودية فى الهضم؛ وتلك العرضية التى تجرى الحركة العاصرة ثم المورية التى توثق عمل الآخرين.

وكـذلك عنى بعـض العشـابيـن مثل ابن البيطـار وداود الأنطاكى بـوصف كثير من أنواع الحيوان ممـا تستخلص منها عقاقير عـلاجية كما وصف البغدادى كثيرا من حيـوانات مصر من سمك وطير وسلحفـاة وفرس النهر وكـذلك فعل القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات حين قال: ثم لننظر إلى أصناف الحيوان وانقسامهـا إلى ما يطير وما يقـوم وما يمشى، وينقسم المـاشى إلى ما يمشى على بطنـه ومـا يمشى على رجليه ومـا يمشى على أربع وإلى أشكـالهـا وأنواعهـا وتجميع غـذائهـا وادخـارها القـوت لوقت الشتـاء وحذقهـا هندستهـا. وكيف صنعت النحل هذه المسدسات المتساوية الأوضاع التى عجز عن مثلها المهنـدس الحاذق مع الفرجار والمسطـرة. لقد أورد القـزوينى فى كتابـه المذكـور وصف مئات من مختلف أنـواع الحيوان.

وذكر ابن سيده فى بعض أبواب الجزء السادس ما يختص بـالخيل وصفاتهـا وأصـواتهـا كما تكلم فى الجـزءين السـابع والثامـن عن الإبل والغنم والماعـز والسباع والكـلاب والطيور والنحل والنمل والعنـاكب وغيرهـا من مختلف أنواع الحيـوان وعنى بصفة خاصة بالأوصاف الدقيقة للأعضاء فى الحيوانات مما يفيد الدارسين لعلم الشكل وسلوك الحيوان. أما الجاحظ فقـد ألف سفـرا ضخمـا فى علـم الحيـوان فى سبعـة أجزاء، (أفردنا له مادة خاصة فانظره فى موضعه).

وكذلك عالج الدميرى فى كتابه «حيـاة الحيوان الكبرى» (انظره فى موضعـه) موضوع حياة الحيوان بالطـريقة التى جرى عليها العلماء العرب من حيث تـرتيب أسمائها حسب حروف الهجـاء، مبتدئا بحـرف الألف حيث يتكلم عن الأسد ذاكـرا أسماءه بـاللغة العربيـة معقبا بوصف طبـاعه وهيئته ثم مـؤيدا حديثـه بما ورد من أحـاديث شريفـة أو أشعار ثم يـذكر الإبل فالإنسان فالأخطب فالأخيل والأريد والأرنب والأنكليس والأوز وهكذا ويستطرد الـدميرى أحيانا قـائلا إن الحديث ذو شجون ويذكر ما يسميه فائدة أجنبية لعلـه يريد أنها بعيدة عن موضوع الكتـاب ثم يستأنف حديثـه عن الحيـوان منتقلا إلى الحـرف التـالى من حـروف الهجاء فيـذكـر البـازى والبازل والبـاقعة والبجعـة والبـرغوث والبط والبعـوض والبعيـر والجمل والبغل والبقر والبلشون والبوم وعلى هذا النحو. عالج الدميرى مئات من أنواع الحيوان ويختم الجزء الأول بانتهاء أسماء الحيوانات التى تبدأ بحـرف الراء ثم يبدأ فـى الجزء الثانى فى الحيـوانات التى تبدأ بحرف الزاى وينتهى بحيوانـات حرف الياء من يامور ويحموم ويراعة ويربوع ويعفور ويعسوف وغيرها.

ويلاحظ أن الدميرى كثيرا مـا يستشهد بآراء من سبقوه من العلماء العـرب من أمثال الجاحظ وابن سيده والقـزوينى كما يستشهد بآراء أرسطو كما يعنى بذكر الشواهد الأدبية والأحكام الشرعية وغالبا ما يذكر بعض الفوائد الطبية.

ولما كانت طريقة التأليف معجمية موسوعية، فقد جمعت بين الطائر والسمـك والحشرات والزواحف فـى فصل واحد، كمـا جمعت بين مـادة العلم الطبيعى من وصف للحيـوان وسلوكه ومـوطنه وبين ما روى فيه من شعـر وأدب ونوادر، مما يجعل قـراءته ميسـرة محببة إلى جـانب ما فيـه من نفع علمى محقق. (فى العلوم والطبيعة / ٢٢١ـ٢٢٤)

ويقول الدكتـور سيد رضوان على معـددا مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان:

اهتم العرب قبل الإسلام اهتماما بالغا بالخيل والإبل، وهم فرسان الحرب وجُوَّاب الصحراء، يعتمدون على الأول في معاركهم، وعلى الثاني في تنقلاتهم عبر الصحارى والبرارى، وفي تجارتهم عبر البلاد من اليمن إلى الشام.

وكانت لهم معرفة دقيقة بأنساب الخيول وتربيتها وصفاتها وأمراضها، ومداواتها، وكذلك بالنسبة للإبل فكانوا على دراية عظيمة بكل ما يتعلق بتكوينها وطباعها ومنافعها. وأقدم مؤلفاتهم في الحيوان هي التي تتعلق بالخيل والإبل، وهي كثير جدا. فقد ذكر ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) في كتابه الفهرست أربعا وعشرين كتابا بعنوان «كتاب الخيل» لعدد من المؤلفين القدماء، وتسعة كتب باسم «خلق الفرس». ولعل أقدم هذه الكتب «كتاب الخيل» لأبي مالك عمرو بن كركرة وهو أعرابي كان يعلم في البادية، وكتاب «خلق الفرس» لأبي ثروان العكلي من الأعراب ايضا في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة. ومن مؤلفي هذه الكتب علماء مشهورون كأبي عبيدة بن المثنى (٢١٠ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) وغيرهم من علماء القرن الثاني والثالث للهجرة.

وأما الإبل فقد ذكر عنها خمسة عشر كتابا بأقلام المؤلفين المذكورين وغيرهم كالأصمعي وأحمد بن حاتم الباهلي، والنضر بن شميل، وأبو علي هاشم بن إبراهيم الكرنبائي الأنصاري وغيرهم من علماء هذه الفترة المبكرة.

وألف العرب في غيرهما من الحيوانات كالغنم والشاة وفي الحشرات، وفي الطيور، والوحوش والحيات والعقارب، وغير ذلك من أصناف الحيوانات وأنواع الجوارح من الطيور.

فمنها مثلا كتاب الطير لكل من النضر بن شميل، وأحمد ابن حاتم، وأبي حاتم السجستاني، وكتاب الشاة والغنم لكل من الأصمعي والأخفش والنضر بن شميل، وكتاب النحل للمدائني، وآخر بعنوان كتاب النحل والعسل لأبي حاتم السجستاني، وكتاب الجراد لأحمد بن حاتم، والمراعي والجراد للمدائني وكتاب البزاة والصيد للأمير أبي دلف القاسم ابن عيسى العجلي، وأربعة كتب عن البزاة للروم والفرس والترك والعرب، وكتاب البغال للجاحظ.

ثم كتب عامة بعنوان كتاب الوحش (أي السبع والذئاب والثعالب وغيرها) لعدد من المؤلفين مثل سعد بن المبارك، والكرنبائي الأنصاري، وأبي زيد، والأصمعي، وأبي حاتم السجستاني، وكتاب الحشرات للكرنبائي الأنصاري، وكتاب الحيات، وكتاب العقارب، وكتاب البازي لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، من علماء القرن الثاني للهجرة.

وجميع هذه الكتب بأقلام علماء اللغة والأدب أو المؤلفين ذوي الاطلاع الواسع والاهتمامات المتنوعة، ومعظمها مفقود أو غير مطبوع. وألف بعد أيام ابن النديم مؤلفات أخرى من هذا القبيل ولو أنها قليلة، ولكن معظمها مفقود أو غير مطبوع، فلا نستطيع أن نحكم عليها. ولكن بعض النماذج الباقية أو التي حوتها الموسوعات العلمية العامة من القرن الثالث والرابع الهجري، أو من كتاب الحيوان للجاحظ نتبين منها أن هذه الكتب والرسائل الكثيرة لم تؤلف للغرض العلمي الخالص، وغلب عليها صفة كتب اللغة ولكنها لم تكن تخلو من ملاحظات هامة حول طباع هذه الحيوانات والطيور والوحوش وصفاتها.

ثم من بينها كتب وإن كانت قليلة جدا يظهر من عناوينها أنها ألفت لغرض علمي أيضا مثل «كتاب الخيل وسبقها وأنسابها، وشياتها وغرتها وإضمارها» للتوزري (عبد الله بن محمد بن هارون)، «وكتاب النحل وأجناسه وعروسه» للأهوازي (محمد بن إسحاق).

ثم ثمة كتب توحي عناوينها بأنها ليست في اللغة مثل «كتاب صفات الغنم وأنواعها وعلاجها وأسنانها» للأخفش (ت سنة ٢١١ هـ) و «كتاب صفة الفرس» و «كتاب صفة النمل والبعوض» لعلي بن عبيدة الريحاني (ت سنة ٢١٩ هـ) وذكر ابن النديم أنه «كان له اختصاص بالمأمون، ويسلك في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الحكمة» (أي الطريقة العلمية).

فمثل هذه الكتب ألفت لأغراض علمية خاصة في فترة مبكرة قبل ظهور كتاب الحيوان للجاحظ. ويؤيد رأينا حول محتويات هذه الكتب العلمية (طبائع الحيوان) قول الجاحظ:

«وقَلَّ معنى سمعناه من باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء إلا ونحن قد وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب والأعراب».

والجاحظ نفسه يعطينا العلة في حسن معرفة الأعراب للحيوان بقوله المنطقي الحكيم: «وربما بل كثيرا ما يبتلون بالناب والمخلب. واللدغ واللسع والعض والأكل فخرجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل».

وملاحظة ابن النديم عن الريحاني ذات قيمة كبيرة إذ تؤكد على أنه كان هناك أناس كانوا يؤلفون في الحيوان على الطريقة العلمية، وقد أطلنا الكلام على هذه الكتب ـ التي يحسبها بعض الناس من كتب اللغة فقط والتي تحوي كثيرا من أشعار العرب والأعراب ـ لنؤكد على مدى اهتمام العرب بموضوع الحيوان، ومعرفتهم بطبائعها، وصفاتها في كثير من الأحيان والتي كانت نابعة من بيئتهم، ومبنية على المشاهدة والتجربة، وليس على كتاب أرسطو وغيره عن الحيوان.

واستفاد الجاحظ من هذا التراث اللغوي العلمي الكبير فألف أول موسوعة في هذا العلم بعنوان «كتاب الحيوان» في سبعة أجزاء (أدرجناه تحت عنوان «الحيوان (كتاب ـ)» فانظره في موضعه).

والكتاب الثاني: المشهور الذي ضم معارف العرب عن الحيوانات هو «حياة الحيوان الكبرى» لكمال الدين الدميري (ت سنة ٨٠٨ هـ) وهو مثل كتاب الجاحظ في شموله وإحاطته، ويمتاز عليها بترتيبه على حروف الهجاء، فكأنه معجم للحيوانات البرية والبحرية، والطيور، والحشرات، وفيه ذكر الحيوانات الخرافية أيضا كالعنقاء والرخ وبنات الماء، ولكنه ليس في مستوى كتاب الحيوان للجاحظ من ناحية ذكر طبائع الحيوان وعاداتها، وقد جمع الدميري مواد كتابه من مصادر كثيرة جدا (أوردناه تحت عنوانه هذا فانظره في موضعه). ولكن فيه كثير من الاستطراد في موضوعات لغوية وفقهية وتاريخية وغير ذلك على طريقة الجاحظ فتضخم الكتاب، إذ هو في مجلدين كبيرين (طبع في القاهرة. مطبعة حجازي سنة ١٣٥٣ هـ). قالت المؤلفة: النسخة التي عندي طبعتها دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. بيروت. بدون تاريخ في مجلدين والكتب العلمية الخالصة عن الحيوان قليلة جدا عند العرب الأمر الذي جعل أكثرية الذين يكتبون في موضوع العلوم عند العرب يهملون هذا الجانب من علومهم، وهو ينتظر باحثا يستخلص من بطون الكتب القديمة المطبوعة والمخطوطة معارف العرب العلمية عن الحيوان ويقارنها بالمعارف الحديثة.

وبجانب عنايتهم بعلم الحيوان نشأ عند العرب علم البيطرة في فترة مبكرة نسبيا، فلدينا أسماء بعض الكتب المؤلفة في البيطرة وعلاج الدواب منها: «كتاب البيطرة» لابن أخي حرام (في الفهرست حزام بالزاي المعجمة) وألفه للخليفة العباسي المتوكل (ت ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م) وكتاب آخر بنفس العنوان من تأليف الحصيبي كما ذكره ابن النديم. ويظهر أنهم استفادوا في هذا العلم بمعارف الفرس والرومان، بجانب ما جاء من علاج الدواب والأنعام في الكتب المؤلفة عنها، فقد ذكر ابن النديم بعض الكتب المترجمة من الفارسية واليونانية إلى اللغة العربية في البيطرة. (العلوم والفنون عند العرب / ٩٣ ـ ٩٨).

ومن أمثلة المصنفات في علم الحيوان مخطوط بعنوان «الإرشاد إلى أحكام الجراد» جاء بيانه في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية كما يلي:

الرقم ٣٢٥٨

تأليف محمد بن أحمد الرخجي الحنبلي الشيباني (٧٠٣ ـ ٧٧٧ هـ/ ١٣٠٤ ـ ١٣٧٥م) (ظنًّا)

مواضيع المخطوط:

مقدمة ـ ضيافة الهدهد لسليمان ـ الوصية بتقوى الله والدعاء على الجراد وفي آخرها الجراد لغويا.

الأحاديث الواردة في الجراد ـ ما جاء في بيع الجراد (أحاديث) منافع الجراد ـ ماء السمرمر ـ ما ذكر أن للجراد أميرا ـ الجراد في الغوطة (مساجلة شعرية).

الجراد زمن عمر ـ ومما قيل في الجراد من الشعر ـ ومما قيل في الجراد من النثر.

فاتحة المخطوط:

الحمد لله البر الجواد، الذي خلق ورزق وأباد، وكرر فضله وجوده وأعاد، الهادي بهدايته إلى سبيل الرشاد، المتفضل بالخير الوافر والفضل المتكاثر على المقيم والمسافر من العباد ... وبعد فهذا تأليف لطيف حسن ظريف وسمته حين رسمته بالإرشاد إلى أحكام الجراد وما جاء في شأنه عن خير العباد من الصلاح والفساد وغير ذلك على ما ستراه إن شاء الله برسم من ملك القلوب ... قاضي القضاة ملاذ العفاة، شيخ الإسلام ... مولانا محيي الدين محمد أفندي ... نجل ... أبي السعود ... جمع كاتبه ... محمد بن أحمد الرجحي الحنبلي الشيباني ...

خاتمة المخطوط:

فالسعيد من بالآيات يعتبر ويتفكر بالممات لعل ذا المعصية أن ينزجر ويذكر يوم تخرج الخلائق من الأجداث كأنهم جراد منتشر ويتعظ بمن سلف من أهل القرى ... ما كان حديثا يفترى ويمثل قدومه بين يدى الملك القدير يوم ينادى المنادى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وشاء الله أن يجلعنا ممن تاب وأناب ... وأن يصرف بحوله وقوته عن أرزاق المسلمين هذا الجراد إنه هو الكريم الحليم الرؤوف الجواد بمنه وطوله وقوته وحوله آمين ... مؤلف هذه المقالة الفقير المذكور اسمه فى خطبة الرسالة غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة قيمة ، كتبت بخط مؤلفها ويبدو أنها مسودة المؤلف لما فيها من شطب وضرب ، كتبت بالحبر الأحمر بعض الكلمات ، وأكثرها منقط بالأحمر ، ترك لها هامش بعرض ٣ سم . عدد أوراقها : ١٨ بقياس ١٩ × ١٤ سم . و١٧ سطرا . عليها تملك باسم عبد الله باشا . فيها أشعار لأبى العتاهية ، ولها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة (فهرس الظاهرية / ٣٨٢ـ٣٨٤) .

. (مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٠٨ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق ١ / ٣١١ ، ٣١٢ ، و «فى العلوم والطبيعة» ـ د . عبد الحليم منتصر . أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية . اليونسكو / ٢٢١ ـ ٢٢٤ ، والعلوم والفنون عند العرب ـ د . سيد رضوان على / ٩٣ ــ ٩٨ . انظر أيضا العلوم عند المسلمين . مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٣٦ ، والتراث العلمى للحضارة الإسلامية ـ د . أحمد فؤاد باشا / ١٣٨ ، ١٣٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٣٨٢ ، ٣٨٣)

انظر مادة «البيطرة (علم ـ)» فى م ٨ / ١٨٦ ـ ٢٠٠

***الحيوان (كتاب ـ) :**

كتاب الحيوان تأليف الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ (انظر ترجمته فى م ١١ / ٤٢١ ـ ٤٣٠) يقول عنه الدكتور عبد الحليم منتصر ملخصا محتوياته :

أما الجاحظ فقد ألف سفرا ضخما فى علم الحيوان فى سبعة أجزاء وقد قسم الحيوان إلى ثلاثة أقسام : شىء يمشى ، وشىء يسبح ، وشىء ينساح ، والنوع الذى يمشى على أربعة أقسام ناس وبهائم وسباع وحشرات ، ثم انتقل إلى حيوان الماء فيقول : ليس كل عائم سمكة وإن كان مناسبا للسمك فى كثير من معانيه . ويقول : ألا ترى فى الماء كلب الماء وعنز الماء وخنزير الماء وفيه الرق والسلحفاة وفيه الضفدع وفيه السرطان والتمساح والدخس والدلفين ، ثم يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان ، ويقول من الحيوان الأعجم ما يرغو وينهق ويصهل ويسنح ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهدر ويصوص ، ويقوق وينعب ويزأر ويكش وينبح . ويخص الجاحظ بعض فصول كتابه بالحديث عن الكلاب وغيرها وعن تكوين البيضة من الفروج ، ويتحدث عن بيض الطيور عامة وعدد مرات وضعه وحضنه ، ثم باب للأسنان وأسمائها ، ويتحدث فى الجزء الثالث عن صنوف الحيوان وأسهب فى الحديث عن الحمام القمرى وعن بناية العش ورعاية الأبوين للصغار ويتكلم عن الهجن وعن أمراض الحمام وطرق علاجها ثم يتحدث عن الذباب والفراش والغربان والجعلان والخنافس والرخم والهدهد والخفاش والنمل ثم يتطرق إلى الحديث عن النوم فى الحيوان ويعود فى الجزء الرابع للحديث عن النمل والقرد والخنزير والحيات والأفاعى واليرابيع والجراد وسمك القرش . وقد سجل الجاحظ ملاحظات عجيبة فى سلوك الحيوان سجلها بدقة تنتزع التقدير والإعجاب كما أنه أجرى بعض التجارب على بعض أنواع الحيوان كما كان يسقى الحيوانات خمرا ويجرب أثرها عليها أو يضع الحيوانات تحت أوان زجاجية ليراقب سلوكها كما كان يبقر بطون الحيوانات ليعرف ما فى بطونها وإنه ليعتبر عالما فى الحيوان التجريبى وفى سلوك الحيوان فضلا عن علم الشكل وعلم التشريح المقارن («فى العلوم الطبيعية» / ٢٢٣) وقد بسط الدكتور عمر الدقاق الكلام فى كتاب الحيوان هذا فقال عنه :

يعد كتاب الحيوان للجاحظ فى طليعة كتب الأدب التى تزدان بها المكتبة العربية . وهو كتاب طريف فى موضوعه ، وتتجلى أهميته فى أنه أول مصنف عربى جامع يتناول موضوع الحيوان على الرغم من أنه كان ثمة كتب أخرى قبيل حياة الجاحظ أو فى أثنائها تعرضت لشئون الحيوان ، ولكنها كانت كتبا جزئية الطابع أشبه بالمعاجم الخاصة التى تُعنى

بالتصنيف اللغوى للألفاظ المتعلقة بأوصاف الحيوانات وأعضائها وما إلى ذلك . . من نحو ما ألفه أبو عبيدة والأصمعى والنضر بن شميل وأبو زيد الأنصارى وأبو حاتم السجستانى وابن الأعرابى وغيرهم ممن كتب فى الإبل وفى الخيل وفى الغنم والشاء وفى الوحوش وفى الطير. فقد كان الجاحظ علما متفردا بين معاصريه وإماما فذا من أئمة البيان العربى لا يدانيه أحد فى اتقاد ذهنه واتساع ثقافته . وقد جاء فى الفهرست لابن النديم «أنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى إنه كان يكترى دكاكين الوراقين» .

ولم يكن هم الجاحظ فى التأليف أن يقتصر على الجمع والرواية والحفظ ، وإنما كان همه أن يبتكر وأن يقدم للناس الطريف من ألوان الثقافة والمعرفة . والكتاب أضخم كتب الجاحظ إطلاقا ولعله أجلها شأنا . ويعد دائرة معارف واسعة الأفق كما يعد صورة بارزة لثقافة العصر العباسى المتشعبة الأطراف، فقد حوى طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية ، كما تحدث فى سياسة الأقوام والأفراد وتكلم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية . وتحدث الجاحظ فى هذا الكتاب أيضا فى كثير من المسائل الجغرافية وفى خصائص كثير من البلدان، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر وتكلم على الطب وعلى الأمراض فى الحيوان وفى الإنسان وذكر كثيرا من المفردات الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية ، وغير ذلك من الشئون والمعارف وفى خلال ذلك كله أورد الصفوة المختارة من الشعر العربى النادر ومن الأمثال السائرة والنوادر الطريفة .

فالكتاب ذو شقين ، أدبى وعلمى وإن لم تكن الحدود بين العلم والأدب متميزة لدى الجاحظ فى أكثر جوانب كتابه ، إذ لم يكن العقل المستنير عند العرب وعند سائر الأمم فى تلك العصور قد بلغ فى الدقة والتمييز مدى أبعد من ذلك لأن المعارف الإنسانية لم يستقل بعضها عن بعضها الآخر إلا فى عهد متأخر. فالجاحظ كان يمزج العلم بالأدب فى تلاحم شديد فى بعض الأحيان كما هو شأنه فى قصة قاضى البصرة التى ساقها فى قالب أدبى شائق وأراد فى الوقت نفسه أن يصور خاصية الإلحاح فى الذباب . على حين نجده فى مواضع أخرى من كتابه عالما باحثا يجنح للتجربة والمعاينة معتمدا على إبراز ما يعتمد عليه علماء هذا العصر. فقد يعمد إلى قطع أذناب بعض الضباب ليرى إلى ما تستطيعه من حركة دون سائر الجسم ، أو يكسر بيض الحيات ليقف بنفسه على ما فيه ، أو يسكر بعض البهائم بالخمر ويلاحظ ما تصدر عنه من تصرفات وأحوال وربما دحض ما يتناقل عن بعض الحيوان مما لا يقبله العقل فيرده بالحجة القوية والمنطق السديد على غرار ما كان منه تجاه قصة الحية ذات الرأسين .

وقد فطن الجاحظ إلى طابع كتابه الشامل من هذه الزاوية العلمية فقال فى خطبة الحيوان : «وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم . لأنه وإن كان عربيا أعرابيا وإسلاميا جماعيا فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة» .

ولا يكاد يوجد حيوان فى عصر الجاحظ وبيئته إلا ذكره ، من الفيل والتمساح والنسر إلى النمل والعنكبوت والصؤاب ، غير أنه لم يول السمك اهتمامه الكبير لأن العرب لم تحفل به كثيرا، ولأنه من جهة أخرى كان بعيدا عن بيئة الجاحظ ومتناول يده .

ويمكننا أن نرجع مادة الجاحظ الغزيرة فى كتابه الحيوان إلى مصادر عديدة منها : القرآن والحديث ، والشعر العربى الذى أكثر من روايته وبخاصة ما يتعلق بما نظمه البداة حول عالم الحيوان أنسيه ووحشيه ، وكتاب الحيوان لأرسطو الذى كان قد نقله إلى العربية ابن البطريق فى عصر الجاحظ ، ثم علم الكلام الذى يتجلى فيه مذهب الجاحظ فى الاعتزال ومنحاه فى المناقشة والجدال والإثبات والنفى والجنوح إلى المناظرات فى بعض الأحيان كالمناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الديك وما يتصل من ذلك بالنزعة الشعوبية التى استفحلت فى ذلك العصر. وأخيرا ما استمده الجاحظ من خبرته الطويلة فى الحياة وممارسته لظروفها وأحوالها مما اكتسبه بنفسه أو سمعه من الأعراب ... إلخ . كل هذه العناصر تلاحمت وتعانقت وانصهرت فى بوتقة شخصية الجاحظ البارزة وصيغت بأسلوبه المرسل الشائق .

غير أن الكتاب ضم موضوعات شتى قد لا تمت إلى عالم

الحيوان بصلة، من مثل الكلام على الشعر وترجمته أو على النار والضيف أو على حفظ السر أو على صدق الظن وجودة الفراسة، وفي هذا ما ينافي وحدة الموضوع التي جعلها المؤلف في عنوان كتابه، حتى إن الجاحظ نفسه يستطرد داخل موضوعه نفسه فيبتعد عنه كثيرا حتى يصعب على القارئ تتبعه. والجاحظ نفسه الذى ألف كتابه هذا وهو مسن ومصاب بمرض مزمن من النقرس والفالج اعتذر عن ظاهرة الاستطراد فى كتابه قال:

«وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب».

على أن الجاحظ فيما يبدو لا يرى فى هذه الطريق مأثما بدليل أنه يسعى بنفسه إلى هذا الاستطراد ويتعمد الخروج عن موضوعه بغية إمتاع القارئ كما يقول، ولهذا نراه دائم التقدير لملل القارئ وغلبة السآمة عليه فيلتمس له ما ينشطه.

«وإن كنا قد أمللناك بالجد وبالاحتجاجات الصحيحة لتكثر الخواطر وتشحذ العقول فإننا سننشطك ببعض البطالات وبذكر العلل الطريفة والاحتجاجات الغريبة».

ومن هنا يخيب أمل القارئ فى أن يقف على بحث شامل مستقص فى هذا الكتاب لأن مؤلفه قلما كان يتقيد بموضوعه ويستقر فيه على حال. وقد غدا هذا الاستطراد سنة غير حميدة ابتدعها الجاحظ وسار عليها من أتوا بعده حتى كأنهم لم يعودوا يستطيعون منها فكاكا.

وقد طبع الحيوان فى مصر بعناية عبد السلام هارون فى سبعة أجزاء سنة ١٩٣٨ وصنعت له فهارس قيمة تيسر الانتفاع منه.

(١) كان الحيوان قد طبع فى مصر بمطبعة التقدم والسعادة أى الساسى فى ٧ أجزاء فى نحو ثلث حجم صفحات الطبعة الأخيرة وذلك خلال ١٩٠٥ - ١٩٠٧ (مصادر التراث العربى / ٨٥ - ٨٩).

(«فى العلوم والطبيعة» - د. عبد الحليم منتصر. أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية اليونسكو / ٢٢٣، ومصادر التراث العربى - د. عمر الدقاق / ٨٥ - ٨٩. انظر أيضا العلوم والفنون عند العرب - د. سيد رضوان على / ٩٦، ٩٧، ودراسات فى المكتبة العربية وتدوين التراث - د. محمود أحمد حسن المراغى / ١٢٥ - ١٣٣، والتراث العلمى للحضارة الإسلامية - د. أحمد فؤاد باشا / ١٣٧ - ١٣٩).

*** حيوان الماء:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان. ذكره القزوينى فى عجائبه فقال:

حيوان الماء على قسمين: منه ما ليس له رئة كأنواع السمك فإنه لا يعيش إلا فى الماء ومنه ما له رئة كالضفدع فإنه يجمع بين الماء والهواء، فأما التى لا تعيش إلا فى الماء فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن البارى تعالى لما خلقها فى الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب أبدانها تركيبا بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التى فى بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لا صوت لها لفقد الرئة التى لا حاجة لها إليها. والحكمة الإلهية اقتضت أن يكون لكل حيوان أعضاء كثيرة مختلفة وكل حيوان يكون أنقص فهو أقل حاجة ثم اقتضت أن لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجلودا صالحة لوقايته فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لا يعمل فيها الشىء الحاد أو فلوسية أو ماشاكلهما غطاء ووقاية من العاهات العارضة: وجعل لبعضها أجنحة وأذنابا تسبح بها فى الماء كما يطير الطير فى الهواء، وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها، فسبحانه ما أعظم شأنه.

ثم يذكر القزوينى بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم وهى كما يلى:

أرنب البحر، الإليس، إنسان الماء، بقرة الماء، البال، التمساح، الجرى، الجلكا، الدلفين، الرعاد، الدامور، السرطان، سرطان البحر، السقنقور، السلحفاة، السمك، الشبوط، الشفنين، الصيرة، الضفدع، العلق، القطا، فرس الماء، الفاطاس، القندر، قنفذ الماء، القوقى، كلب الماء، الكوسج.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٩٧، ٩٨).

* حيوانات رسول الله ﷺ:

قال الشيخ الشبلنجي رحمه الله :

وأما حيواناته ﷺ فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة عدوه وهو أول فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف وكان له من البغال ست منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له مقوقس مصر وهي أول بغلة ركبت في الإسلام وعاشت حتى ذهبت أسنانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها على رضى الله تعالى عنه الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل. وكان له ﷺ حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عُفير بضم العين المهملة على الصواب، وكان له من الإبل ثلاث: ناقة يقال لها القصوى، وناقة يقال لها الجدعاء، وناقة يقال لها العضباء، وهي التي كانت لا تُسبق فسُبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه» ويقال إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته ﷺ حتى ماتت وقيل إن التي لم تسبق فسبقت هي القصوى وقيل الأسماء الثلاثة لواحدة وقيل القصوى واحدة والجدعاء والعضباء واحدة وكان له من الغنم مائة وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئا منها واقتنى ﷺ الديك الأبيض وكان يبيت معه في البيت نقله بعضهم وكان له ﷺ شاة تسمى غوثة وقيل غيثة وعنز تسمى اليمن كذا في أسد الغابة (نور الأبصار للشيخ الشبلنجي / ٨٨، ٨٩)

انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» في م ٥ / ٤٤٣، ٤٤٤

* الحيوطية (جامع -) (٨٨٥ هـ):

من المساجد المملوكية بدمشق، يقع شمال مشفى المجتهد، في منطقة تعرف اليوم به، وكانت تدعى من قبل «بستان الصاحب».

بناه الأمير «مكي بن حيوط»، أحد أمراء دمشق، وقد تكامل البناء سنة ٨٨٥ هـ، وألقيت فيه الخطبة الأولى يوم ١٢ جمادى الأولى.

وبعد تسع سنوات اكتمل بناء المنارة، وله اليوم جبهة غربية من الحجر المزخرف الأسودوالأبيض وفيها الباب المؤدى الى الحرم المقام على عدة أقواس، وللمسجد منارة مثمنة على قاعدة مربعة وتاج حسن، وقد حافظ المسجد على طراز بنائه القديم (خطط دمشق - أكرم حسن العلبى / ٣٣٥).

*حيوة بن شريح (- ١٥٨ هـ)

ذكره الإمام السيوطي فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه :

حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي أبو زرعة المصرى (لأبى يعلى في مسنده). الفقيه الزاهد العابد، أحد الزهاد والعلماء السادة. عن يزيد بن أبى حبيب، وعنه الليث، سئل عنه أبو حاتم، فقال: هو أحب إليَّ من الليث بن سعد، ومن المفضل بن فضالة. وقال ابن المبارك: ما وصف لى أحد ورأيته دون صفته إلا حيوة بن شريح، فإن رؤيته كانت أكبر من صفته. عرض عليه قضاء مصر فأبى. مات سنة ثمان وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٣ / ٦٩).

(حسن المحاضرة للحافظ السيوطي ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ١ / ٣٠٠ وهامش ٣ للمحقق).

بسم الله الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى وعونه

حرف الحاء

ويليه بمشيئة الله تعالى

حرف الخاء

أعان الله على إتمامه